رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سيرة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

(المعروفة بسيرة ابن هشام)

للإمام البارع اللغوي الأخباري عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري

المتوفى سنة ٢١٨ هـ

حققها على أصولها وضبط نصها وخرج أحاديثها وعلق حواشيها

د. همام عبد الرحيم سعيد — حاد د. مرسي المحمدي

مقابلة على اثني عشرة نسخة خطية، منها ست تامة وست أجزاء متفرقة

مع العناية بتحرير أماكن الأحداث منها وبيان مراقيها الجغرافية

المجلد الأول

دار الفاروق

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سيرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم

١

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

٢٣٩

❖ رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٢٢/٧/٣٤٨٥)

❖ المصري ، عبد الملك بن هشام بن ايوب . تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، عادل مرشد المقدسي .

❖ دار الفاروق للنشر والتوزيع

❖ الواصفات: /حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم //آل البيت//السيرة النبوية

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

❖ يتحمل المحقق كامل المسؤولية القانونية والعلمية عن محتوى هذا الكتاب.

❖ الكتب والدراسات التي تصدرها الدار تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها.

حقوق الطبع محفوظة. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته الى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق.

دار الفاروق للنشر والتوزيع

الأردن ـ عمان ـ العبدلي ـ عمارة جوهرة القدس

تلفون: ٠٠٩٦٢٦٤٦٤٠٠٦٤

E- mail: daralfarouq@yahoo.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سيرة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

(المعروفة بسيرة ابن هشام)

للإمام البارع اللغوي الأخباري عبد الملك بن هشام بن أيوب المصري

المتوفى سنة ٢١٨ هـ

حققها على أصولها وضبط نصها وخرج أحاديثها وعلق عليها

د. همام عبد الرحيم سعيد — عادل مرشد القدسي

مقابلة على اثنتي عشرة نسخة خطية، منها ست تامة وست أجزاء متفرقة
مع العناية بتحرير أماكن الأحداث منها وبيان مواقعها الجغرافية

المجلد الأول

دار الفاروق
عمان - الأردن


بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ ٱبْنُ عَدِيٍّ: لَوْ لَمْ يَكُنْ لِٱبْنِ إِسْحَاقَ مِنَ ٱلْفَضْلِ إِلَّا أَنَّهُ صَرَفَ ٱلْمُلُوكَ عَنِ ٱلِاشْتِغَالِ بِكُتُبٍ لَا يُحَصَّلُ مِنْهَا شَيْءٌ، إِلَى ٱلِاشْتِغَالِ بِمَغَازِي رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ وَمَبْعَثِهِ وَمُبْتَدَإِ ٱلْخَلْقِ، لَكَانَتْ هٰذِهِ فَضِيلَةً سَبَقَ بِهَا، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ صَنَّفَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، فَلَمْ يَبْلُغُوا مَبْلَغَ ابْنِ إِسْحَاقَ مِنْهَا.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة التحقيق

إنّ الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، ونشهد أنّ محمّداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمّة، وتركها على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلّا هالك، ولا يتنكّبها إلّا ضالّ، فصلوات الله وسلامه على هذا النّبيّ الكريم وعلى آله وأصحابه.

أمّا بعدُ، فهذا كتاب «سيرة ابن هشام»، قد منَّ الله سبحانه وتعالى علينا فوفَّقَنا إلى خدمته بتحقيق نصوصه وضبط ألفاظه وعباراته، وتخريج أحاديثه وآثاره وبيان صحيحها من ضعيفها، والراجح فيها من مرجوحها، والعناية بشرحه والتعليق عليه بما يناسب كلَّ موضع فيه من البيان والتنقيد والترجيح، فإن أصبنا، فذلك من فضل الله وحده، وإن أخطأنا وجانبنا الصواب، فذلك من تقصيرنا وقلّة بضاعتنا، فنستغفر الله ونرجو عفوه.

وقد عَمَد ابن هشام إلى كتاب محمّد بن إسحاق الكبير في المبتدأ والمغازي والخلفاء[1] فاختصره وهذّبه باقتصاره على سيرة النبيّ ﷺ، فزاد فيه ونقص، وصوّب واستدرك، ولقد حظي هذا الكتاب بجهود كثير من المحدّثين والمؤرخين تحقيقاً وشرحاً وتهذيباً ونظماً، وبالرغم من جلالة هذه الأعمال إلّا أنها أعمال

(١) انظر كتاب «رواة محمد بن إسحاق في المغازي والسير» لمطاع الطرابيشي، دار الفكر ١٩٩٤م، ص٣٥ وما بعدها وص٤٨٤ وما بعدها.

البشر التي تسعى إلى الكمال وإلى سداد النقص، ولن تصل إليهما.

مسيرة الرواية والتأليف في السيرة:

السيرة هي حياة النّبي ﷺ بجميع أحداثها منذ مولده إلى وفاته، ويدخل فيها أحداث الزمان والمكان والإنسان الممهِّدة لهذه الحياة النَّبويّة المباركة، فمُهاجَر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وبناء البيت، وغزو الحبش للجزيرة، وأخبار اليمن وغسان، وأصنام العرب، وأشعارهم، وأخبار جنّهم وإنسهم، كلّ هذا وغيره كثير داخل في سيرته ﷺ، لما له من علاقة بالواقع الذي وُلد ونشأ فيه النبيُّ ﷺ.

أمّا نقل أخبار السّيرة وروايتها، فقد بدأ هذا النقل برواية الأحاديث والسّنن والأخبار التي سمعها أصحاب النبي ﷺ أو عاشوها أو شاهدوها، دون فصل بين ما كان من هذه الأخبار في الأحكام أو التفسير أو الأدب أو الفتن أو المغازي والسير، والذي يحكم سياق الخبر إنما هي المناسبة التي يقال فيها، مع حرص عدد من الصحابة على تتبع الأحاديث بشكل عامّ والاستكثار منها، كأبي هريرة وعائشة وعمر وابنه وأنس بن مالك وابن عباس وغيرهم، وعلى رأس المئة الأولى كان التدوين الجامع لأحاديث النّبيّ ﷺ، ثم بدأ التأليف على الأنواع والأصناف، فكان منها المغازي. ولا يمنع هذا أن يكون لبعض الصحابة اهتمام وتتبع لنوع من هذه الروايات، ومن ذلك عناية عبد الله بن عباس المبكّرة في المغازي، حيث قال: كنت ألزَمُ الأكابرَ من الصحابة من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ، وما نزل من القرآن في ذلك[1].

ارتبط علم المغازي والسِّيَر بحاجة الجيوش الإسلامية إلى معرفة غزوات

(١) «طبقات ابن سعد» ٢/ ٣٢٠.

النبيّ ﷺ وسيرته وأخبار جهاده، ليكون لهذه الجيوش أُسوةٌ حسنةٌ برسول الله ﷺ في جهاده وتدبيره، فقد قال الحاكم النيسابوريّ في النوع الثامن والأربعين من علوم الحديث: معرفةُ مغازي رسول الله ﷺ وسراياه وبعوثه وكتبه إلى ملوك المشركين، وما يصحُّ من ذلك وما يشذُّ، وما أَبلى كلُّ واحد من الصحابة في تلك الحروب بين يديه، ومن ثَبَت ومن هَرَب، ومن جَبُنَ عن القتال ومن كَرَّ، ومن تديَّن بنصرته ﷺ ومن نافق، وكيف قَسَمَ رسول الله ﷺ الغنائمَ ومن زاد ومن نقص، وكيف جعل سَلَبَ القتيل بين الاثنين والثلاثة، وكيف أقام الحدودَ في الغُلول[1]. وكل ذلك من سيرته ﷺ.

مصادر المغازي الأولى وأصحابها:

ذكرنا آنفاً أنّ علم المغازي بدأ يتميز كعلم من علوم الحديث على رأس المئة الأولى من الهجرة، وفيما يلي أشهر الرواة والمصنفين فيه، وما اشتهر عنهم من التصانيف في المغازي، وقد ذهب أكثرها، وبقي منها شذرات مبثوثة في كتب الحديث والتاريخ[2].

ومن هذه المغازي: مغازي عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ)، ومغازي عامر بن شراحيل الشَّعبيّ (ت ١٠٣هـ)، ومغازي وهب بن منبِّه (ت ١١٠هـ)، ومغازي عاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠هـ)، ومغازي شرحبيل بن سعد (ت١٢٣هـ)، ومغازي محمد بن شهاب الزّهريّ (ت ١٢٤هـ)، ومغازي أبي إسحاق السَّبيعيّ (ت ١٢٧هـ)، ومغازي عبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت ١٣٥هـ)، ومغازي موسى بن

(١) «معرفة علوم الحديث» ص ٢٣٨.

(٢) انظر: «المغازي الأولى ومؤلفوها» ليوسف هوروفتس، ترجمة حسين نصار.

عقبة (ت ١٤١هـ)، ومغازي سليمان بن طَرخان أبي المعتمر التَّيميّ (ت ١٤٣هـ)، والمغازي والسِّيَر لمحمد بن إسحاق بن يسار المطَّلبيّ (ت ١٥١هـ)، والغالب أن أكثر هذه المغازي إنما هي نقل ورواية أخبار لا تصنيف وكتابة، فقد ذكر المؤرّخ الحافظ الذهبيُّ إلى أن أول من صنّف في المغازي هو موسى بن عقبة، ألَّفها في مجلد[1].

التفريق بين المغازي والسِّيَر وبين السِّيَر:

إنّ صرف مصطلح المغازي والسير إلى سيرة النبي ﷺ خاصّة، لا يدخل فيه السّيَر بمصطلح محمد بن الحسن الشيبانيّ (ت ١٨٩هـ)، ولا السّير بمصطلح أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري (ت ١٨٨هـ)، فكلاهما يُطلق السّيَر على أحكام الحرب وآثارها، وبينما ذكر الإمام البخاريّ في «صحيحه» وعبد الرزّاق الصنعاني وابن أبي شيبة في مصنفيهما والحاكم في «المستدرك» موضوع السّيرة هذا تحت عنوان المغازي، فإنّ الإمام مسلماً في «صحيحه» والإمام الترمذيّ في «جامعه» قد جمعا بين المغازي والسير، وأرادا بالسير جملة الأحكام المتعلقة بالحرب وآثارها.

محمد بن إسحاق إمام في المغازي:

انتهى علم المغازي من أصحاب هذه الكتب التي ذُكِرَت سابقاً إلى كتاب ابن إسحاق، فجاء كتاباً جامعاً، ضمّ بين دفَّتيه أوسع رواية للسيرة النبوية، وقد قسم كتابه إلى ثلاثة أقسام: المبتدأ، والسيرة بما تضمنت من أخبار المبعث والمغازي،

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ٦/ ١١٤. وانظر كتاب «مرويات الإمام الزهري في المغازي» لمحمد العواجي، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، ص١٥١ وما بعدها.

والخلفاء.

أمّا المبتدأ، فيشمل الكلام على بداية الخلق وأخبار الأمم الماضية وأخبار ملوكها وأنبيائها، ثم أخبار اليمن وأقيالها، ثم أخبار القبائل العربية وذكر أصنامها، وقد أعرض ابن هشام في سيرته عن القسم الأول من هذا التاريخ.

وأما السيرة، فإنها تتضمّن المبعث: ويشمل حياة النبي ﷺ في مكة والهجرة، والمغازي: وهو تاريخ النبي ﷺ في المدينة منذ أول صيحة للحرب مع القبائل المشركة، إلى أن توفي النبي ﷺ.

وأما قسم الخلفاء، فإن ابن هشام لم يذكر شيئاً سوى ما ذكره مما جرى في بداية استخلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة.

وبذلك يكون ابن هشام في كتابه هذا قد تناول معظم ما ذكره ابن إسحاق في سيرته، وترك القسم الأول من المبتدأ وقسم الخلفاء من بعد أبي بكر، وذلك لعدم اتصاله المباشر بالنبيِّ ﷺ ونسبه وما جرى من أحداث قريبة لموطنه ونشأته والإيحاء إليه بالرسالة والقيام بأمر الدعوة إليها وما اتصل بذلك من أحداث وأخبار، قال ابن هشام: وأنا إن شاء الله مبتدئٌ هذا الكتابَ بذكر إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما، ومَن وَلَدَ رسولَ الله ﷺ مِن ولدِه، وأولادِهم لأصلابهم، الأوّلَ فالأوّلَ، من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليهما، وما يَعرِضُ من حديثهم، وتاركٌ ذكرَ غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار إلى حديث رسول الله ﷺ، وتاركٌ بعضَ ما ذكر ابن إسحاق في هذا الكتاب، مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكرٌ، ولا نَزَلَ فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه؛ لما ذكرتُ من الاختصار، وأَشعاراً ذَكَرَها لم أرَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياءَ بعضُها يَشنُع الحديثُ به، وبعضٌ يسوءُ الناسَ ذكرُه، وبعضٌ لم يُقِرَّ لنا البَكَّائي

بروايته، ومستقصٍ ما سوى ذلك منه بمَبلَغ الرواية له، والعلم به. اهـ

لقد بلغت المواضع التي تدخل فيها ابن هشام في نصّ ابن إسحاق سبع مئة وثمانية وستين موضعاً، ما بين حديث أضافه، أو اسم ضبطه، أو خبر ردّه، أو قصائد أو أبيات شعر ردّها أو أضافها، حتى حُقَّ لابن هشام أن تنسب السِّيرة إليه لكثرة استطراداته في ذلك.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ترجمة ابن اسحاق

اسمه ونسبه:

محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، ويقال: ابن كوثان، المدنيّ، أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله القرشيّ المُطّلبيُّ، مولى قيس بن مَخرَمة بن المطّلب بن عبد مناف، وكان جده يسار من سبي عين التمر، وهو أول سبي دخل المدينةَ من العراق.

شيوخه:

رأى أنس بن مالك، وسالم بن عبد الله بن عمر، وسعيد بن المسيّب، وسمع من أبان بن عثمان، وعطاء بن أبي رباح، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، والقاسم بن محمد، ومكحول، وعبد الرحمن بن الأسود.

وروى عن جماعة من أهل مصر وغيرهم، منهم: عبيد الله بن المغيرة، ويزيد ابن أبي حبيب، وثمامة بن شُفيّ، و عبيد الله بن أبي جعفر، والقاسم بن قُزْمان.

تلاميذه:

قال محمد بن سعد: خرج ابن إسحاق من المدينة قديماً فلم يرو عنه أحد منهم غير إبراهيم بن سعد، وكان محمد بن إسحاق مع العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالجزيرة، وكان أتى أبا جعفر المنصور بالحِيرة فكتب له المغازي، فسمع منه أهلُ الكوفة بذلك السبب، وسمع منه أهل الجزيرة، وأتى الريَّ فسمع منه أهل الريّ، فرواته من هؤلاء البلدان أكثر ممن روى عنه من أهل المدينة.

قال: وروى عنه الثوريّ، وابن إدريس، وحماد بن زيد، ويزيد بن زريع، وابن عُليّة، وعبد الوارث، وابن المبارك.

حفظه ومكانته العلمية:

قال يونس بن بُكير: سمعت شعبة يقول: محمد بن إسحاق أمير المحدِّثين؛ لحفظه.

وقال علي ابن المديني: مدارُ حديث رسول الله ﷺ على ستة، ذَكَرَهم، ثم قال: فصار علمُ الستة عند اثني عشر، أحدهم محمد بن إسحاق.

وقال أيضاً: سمعت سفيان يقول: قال ابن شهاب، وسئل عن مغازيه، فقال: هذا أعلم الناس بها؛ يعني ابن إسحاق.

وقال أيضاً: نظرتُ في كتب ابن إسحاق، فما وجدتُ عليه إلا في حديثين، ويمكن أن يكونا صحيحين.

وقال البخاري: رأيت عليَّ بن عبد الله (يعني ابن المديني) يحتجّ بحديث ابن إسحاق.

وقال حرملة بن يحيى عن الشافعي: من أراد أن يتبحّر في المغازي، فهو عِيالٌ على محمد بن إسحاق.

وقال أحمد بن أبي خيثمة: سألت يحيى بن معين عن محمد بن إسحاق فقال: قال عاصم بن عمر بن قَتَادة: لا يزال في الناس علمٌ ما عاش محمد بن إسحاق، وقال: كان ثقة، وكان حسن الحديث.

وقال أبو بكر الأثرم: سألت أحمد بن حنبل عن محمد بن إسحاق: كيف هو؟ فقال: هو حسن الحديث.

وقال أبو الحسن الميموني: حدثنا أبو عبد الله ـ يعني أحمد بن حنبل ـ بحديث استحسنه عن محمد بن إسحاق، فقلت له: يا أبا عبد الله، ما أحسنَ هذه القصصَ التي يجيء بها ابن إسحاق! فتبسم إليّ متعجباً.

قال إبراهيم بن حمزة الزُّبيري: كان عند إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق نحوٌ من سبعة عشر ألف حديث في الأحكام سوى المغازي.

قال الذهبي: يعني بتكرار طرق الأحاديث، فأما المتونُ الأحكامية التي رواها، فما تبلغ عُشرَ ذلك.

و قال محمد بن سعد: كان ابن إسحاق أول من جمع مغازي رسول الله ﷺ.

قال ابن حبان: ولم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه، ولا يوازيه في جمعه، وهو من أحسن الناس سياقاً للأخبار.

وقال ابن عديٍّ: ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلّا أنّه صَرَفَ الملوكَ عن الاشتغال بكتبٍ لا يَحصُلُ منها شيءٌ، إلى الاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ ومبعثه ومُبتدَأ الخلق، لكانت هذه فضيلةً سَبَقَ بها، ثمّ من بعده صنّفها قومٌ آخرون، فلم يَبلُغوا مبلغَ ابن إسحاق منها، وقد فتّشتُ أحاديثه كثيراً فلم أَجد من أحاديثه ما يتهيّأُ أن يُقطَع عليه بالضَّعف، وربّما أخطأ أو يَهِمُ في الشيء بعد الشيء، كما يخطئ غيرُه، ولم يتخلّف في الرّواية عنه الثّقاتُ والأئمّةُ، وهو لا بأس به.

وقال أبو يعلى الخليلي: محمد بن إسحاق عالم كبير، وإنما لم يخرّجه البخاري من أجل روايته المطوَّلات، وقد استَشهَد به وأكثرَ عنه فيما يُحكَى في أيام النبي ﷺ وفي أحواله، وفي التواريخ، وهو عالم واسع الرواية والعلم، ثقة.

وقال ابن البَرْقيّ: لم أر أهل الحديث يختلفون في ثقته وحُسن حديثه وروايته.

استشهد به البخاريّ في «الصحيح»، وروى له في كتاب «القراءة خلف الإمام» وغيره، وروى له مسلم في المتابعات، واحتج به الباقون.

ردّ المطاعن في ابن إسحاق:

طعن في ابن اسحاق مالكُ بن أنس وهشامُ بن عُرْوة، أما مالك فقال: دجّال من

الدجاجلة، وأمّا هشام بن عروة فاتّهمه بالكذب لروايته عن فاطمة بنت المنذر امرأة هشام، وكذّبه سليمان التَّيميّ ويحيى القطّان ووُهَيب بن خالد.

قال الحافظ ابن حجر: أما وُهَيب والقطّان، فقلَّدا فيه هشامَ بن عروة ومالكاً، وأما سليمان التّيمي فلم يتبيَّن لي لأي شيءٍ تكلَّم فيه، والظاهر أنه لأمرٍ غيرِ الحديث، لأن سليمان ليس من أهل الجرح والتعديل.

قال ابن حبان في «الثقات»: تكلّم فيه رجلان، هشام ومالك، فأما قول هشام فليس ممّا يُجرَح به الإنسان، وذلك أن التابعين سمعوا من عائشة من غير أن ينظروا إليها، وكذلك ابنُ إسحاق كان سمع من فاطمة والسّتر بينهما مُسبَل، وأما مالك فإن ذلك كان منه مرة واحدة ثم عاد له إلى ما يحبّ، ولم يكن يَقدَح فيه من أجل الحديث، إنما كان يُنكِر تتبُّعَه غزواتِ النبيّ ﷺ من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصةَ خيبر وغيرَها، وكان ابن إسحاق يتتبّع هذا منهم من غير أن يحتجّ بهم، وكان مالك لا يرى الروايةَ إلا عن مُتقِنٍ، ولما سُئل ابن المبارك قال: إنا وجدناه صدوقاً، ثلاث مرات.

قال ابن حبان: ولم يكن أحدٌ بالمدينة يقارب ابنَ إسحاق في علمه، ولا يوازيه في جمعه، وهو من أحسن الناس سياقاً للأخبار... إلى أن قال: وكان يكتب عمّن فوقه ومثله ودونه، فلو كان ممّن يستحلُّ الكذب لم يَحتَجْ إلى النزول، فهذا يدلُّك على صدقه.

ونقل المِزّي والذّهبي عن البخاري أنه قال: ولو صحَّ عن مالك تناولُه من ابن إسحاق، فلربّما تكلَّم الإنسان فيرمي صاحبَه بشيء واحد، ولا يتّهمُه في الأمور كلها.

وقال أبو يعلى الخليلي: محمد بن إسحاق عالم كبير، وإنما لم يخرّجه البخاريّ

من أجل روايته المطوَّلات، وقد استَشهد به وأكثرَ عنه فيما يُحكَى في أيام النبيّ ﷺ وفي أحواله، وفي التواريخ، وهو عالم واسع الرواية والعلم، ثقة.

وقال صالح بن أحمد بن حنبل عن علي ابن المديني: سمعت سفيان وسُئل عن محمد بن إسحاق، قيل له: لِمَ لمْ يروِ أهل المدينة عنه؟ قال سفيان بن عُيينة: جالستُ ابن إسحاق منذ بضع وسبعين سنة، وما يتّهمُه أحد من أهل المدينة ولا يقول فيه شيئاً. قلت لسفيان: كان ابن إسحاق جالسَ فاطمةَ بنت المنذر؟ فقال: أخبرني ابن إسحاق أنها حدَّثته وأنه دخل عليها.

قال الذهبي: يجوز أن يكون دخل عليها ورآها وهو صبيّ، فحَفِظَ عنها، مع احتمال أن يكون أخذ عنها حين كَبِرَت وعَجَزَت، وكذا ينبغي، فإنها أكبر من هشام بأزيدَ من عشر سنين، فقد سمعت من جدّتها أسماء بنت أبي بكر، ولما روت لابن إسحاق كان لها قريبٌ من ستين سنة.

وقال محمد بن عبد الله بن نُمير: كان محمد بن إسحاق يُرمَى بالقَدَر، وكان أبعدَ الناس منه.

وفاته:

قال محمد بن سعد: مات ببغداد في سنة إحدى وخمسين ومئة[1].

---

(١) انظر ترجمة ابن إسحاق في: «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٧/ ٥٥٢، و«التاريخ الكبير» للبخاري ١/ ٤٠، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم ٧/ ١٩٢-١٩٤، و«تاريخ ابن يونس» ٢/ ١٩٢، و«الثقات» لابن حبان ٧/ ٣٨٠-٣٨٥، و«الكامل» لابن عدي ٧/ ٢٧٠، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ٢/ ٧-٣٥، و«تهذيب الكمال» للمزي ٢٤/ ٤٠٥، و«سير أعلام النبلاء» ٧/ ٣٩، و«تاريخ الإسلام» ٤/ ١٩٣-١٩٨، كلاهما للذهبي، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر ٩/ ٣٨-٤٦.

البَكَّائي راوية ابن إسحاق

زياد بن عبد الله بن الطفيل البَكَّائي العامريّ، أبو محمد، ويقال: أبو زيد الكوفي.

والبَكّائي: نسبة إلى بني البَكّاء من بني عامر بن صَعصَعة.

حدّث عن منصور بن المعتمر وعبد الملك بن عُمير، والكِبار.

وحدَّث عنه أحمد بن حنبل وعمرو بن علي الفلّاس والحسن بن عرفة، وخلق.

قال أحمد: حديثه حديث أهل الصدق.

وقال ابن معين: لا بأس به في المغازى، وأما في غيرها فلا. وقد كتب ابنُ معين عنه المغازي.

وقال ابن المديني: ضعيف، كتبت عنه وتركته.

وقال أبو حاتم: لا يُحتجّ به.

وقال أبو زُرعة: صدوق.

وقال النسائيّ: ضعيف. وقال مرةً: ليس بالقوي.

وقال ابن سعد: كان عندهم ضعيفاً، وقد رووا عنه.

وقال يحيى بن آدم عن عبد الله بن إدريس: ما أحدٌ أثبت في ابن إسحاق من زياد البكائي، لأنه أملى عليه إملاءً مرتين، أرادوا رجلاً يكتب لرجل من قريش، فجاء زياد حتى أَملى عليه مرّتين.

وقال صالح بن محمد جزرة: ليس كتاب «المغازي» عند أحد أصحَّ منه عند زياد البكائي، وزياد في نفسه ضعيف، ولكن هو من أثبت الناس في هذا الكتاب، وذلك أنه باع داره، وخرج يدور مع ابن إسحاق، حتى سمع منه الكتاب.

وساق ابن عديّ بعض أحاديثه المنتقَدة، ثم قال: ما أرى برواياته بأساً، قال محمد

ابن عقبة السدوسي عن وكيع بن الجرّاح: هو أشرف من أن يكذب.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: ليس به بأس، حديثه حديث أهل الصدق.

وقال أبو داود عن أحمد بن حنبل: ما أرى كان به بأس، كان ابن إدريس حسن الرأي فيه. قال: وسئل عنه مرةً أخرى فقال: كان صدوقاً.

وقال أبو داود: سمعت يحيى بن معين يقول: زياد البكائي في ابن إسحاق ثقة، كأنه يضعّفه في غيره.

روى له البخاري حديثاً واحداً مقروناً بغيره، ومسلمٌ، والترمذي، وابن ماجه.

ومات سنة ثلاث وثمانين ومئة[1].

(١) انظر ترجمته في: «طبقات ابن سعد» ٨/ ٥١٨، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ٩/ ٤٩٩، و«الكامل» لابن عدي ٤/ ١٤٠، و«الأنساب» للسمعاني ٢/ ٢٩٠، و«تهذيب الكمال» للمزي ٩/ ٤٨٥.

عبد الملك بن هشام

صاحب «السيرة»

عبد الملك بن هشام بن أيوب أبو محمد، الحِمْيَري المَعَافِري، وقيل: الذُّهلي السَّدُوسي، البصريّ، نزيل مصر.

والحِميَري: نسبة إلى حِميَر، وهي من أصول القبائل اليمنية، والمَعَافِري: نسبة إلى المَعَافر بن يعفر بن مالك بن الحارث، ويصل نسبه إلى قحطان.

هذَّب السيرةَ النبوية ونقَّحها، وسمعها من زياد البكائي صاحب ابن إسحاق، وخفَّف من أشعارها وغيرها.

وله مصنّف في أنساب حِميَر وملوكها.

ووثّقه أبو سعيد بن يونس.

قال المُزَنيّ: قَدِمَ علينا الشافعيُّ وكان بمصر عبد الملك بن هشام صاحب «المغازي»، وكان علّامةَ أهل مصر بالعربية والشّعر، فقيل له في المَصِير إلى الشافعيّ فتثاقل، ثم ذهب إليه، فقال: ما ظننتُ أن الله يخلق مثلَ الشافعي.

قال الذهبي: وكان ابن هشام نحويّاً أديباً أخبارياً فاضلاً، رحمه الله.

وأرّخ أبو سعيد ابن يونس وفاته في ثالث عشر ربيعٍ الآخر من سنة ثمان عشرة ومئتين، وهو أصحُّ مما قاله أبو القاسم السُّهيليّ صاحب «الروض الأنف» من أنه توفي سنة ثلاث عشرة ومئتين كما ذهب إليه الذهبيّ[1].

---

(١) انظر ترجمته في: «تاريخ ابن يونس» ٢/ ١٣٧، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٠/ ٤٢٨، و«تاريخ الإسلام» له ٥/ ٣٨٧.

وقد روى عن ابن هشام هذه السيرةَ جمعٌ، أشهرهم الإخوة الثلاثة أولاد عبد الله ابن عبد الرّحيم بن سعيد المِصريّ البَرْقيّ: أبو سعيد عبدُ الرحيم، المتوفَّى في ذي القعدة سنة ستٍّ وثمانين ومئتين، وكان صدُوقاً مُسنّاً من أهل العلم[1]، وأبو بكر أحمدُ، المتوفَّى في شهر رمضان سنة سبعين ومئتين، له كتاب في معرفة الصّحابة وأنسابهم، وكان إماماً حافظاً متقناً[2]، وأبو عبد الله محمدٌ، المتوفَّى في جُمادى الآخرة سنة تسع وأربعين ومئتين، وكان حافظاً ثقة[3]، وإنما عُرِفوا بالبرقيِّين لأنهم كانوا يتَّجرون إلى بَرْقة (المعروفة الآن في شرق ليبيا).

(١) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٣/ ٤٨، و«تاريخ الإسلام» له ٦/ ٧٧٤، و«الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة» لابن قُطلوبغا ٦/ ٣٢٧.

(٢) انظر ترجمته في: «تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٧٢، و«الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة» لابن قُطلوبغا ١/ ٣٧٨، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي ص٥٦٨.

(٣) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٤٦، و«تاريخ الإسلام» ٥/ ١٢٣١.

عملنا في التحقيق

- لقد وُفِّقنا ـ بفضل الله ـ في هذا التحقيق للسيرة بالحصول على عددٍ من نسخها الخطية، وكانت أكثر هذه النسخ مضبوطة مقابلةً ومقروءة بعناية، وكانت الفروق بينها لا تكاد تذكر، ويصعب ترجيح واحدة منها على الأُخريات، مما جعلنا نذهب إلى التلفيق بين هذه النسخ، فنثبت ما رأَيناه الأرجح منها، مع ذكر ما يخالف النص المعتمد في الحواشي.

- قمنا بضبط وتقييد ما يُشكل من النَّصِّ ضبطاً متقناً، مع بيان وجوه الضبط المختلفة للكلمة الواحدة عند الاختلاف، وما يَرِدُ من المعاني المتعلّقة بكل وجه من وجوه الضّبط، وأكّدنا على تمام الضّبط في الأشعار والأماكن والأسماء والألقاب والكنى والأنساب.

- قمنا بشرح ألفاظ السيرة الغريبة، واستقصاء ذلك حتى لا يكاد يفوتُنا شيء ـ بإذن الله ـ من هذا الغريب، وذلك بالاعتماد غالباً على إملاء أبي ذرٍّ الخُشَنيّ على السِّيرة، و«الروض الأُنُف» للسُّهيليّ، ولم نتوقف عندهما، بل تجاوزناهما إلى معاجم اللّغة الأخرى، وكتب غريب الحديث، كـ«لسان العرب» لابن منظور، و«الصحاح» للجوهريّ، و«تاج العروس» للزَّبيديّ، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، وغير ذلك من كتب اللغة التي ستظهر في مصادر التحقيق، مع مناقشتنا لبعض ما ذكره الشرّاح مما أغربوا فيه، وذكرنا ما نراه لترجيح ما ذهبنا إليه، انظر على سبيل المثال ما ورد في ج١/ ١١٢، ٢٥٩، ج٣/ ٥٧-٥٨، ٣٣٢، ٣٤١، ٣٤٢، ج٤/ ٦٧، ٣٢٤.

- اعتنينا عناية تامّة بالأشعار، فقد حرصنا إلى جانب ضبط النّصوص الشعرية بيان ما وقع فيها من خروم وغيرها أشرنا إليها، كما قمنا بتوثيق هذه الأشعار من دواوين الشُّعراء الأصليّة، وقمنا بمراجعة أوزان ما اشتبه علينا منها، ولتحقيق هذا الجانب طوَّفنا في كتب الأدب ودواوين الشِّعر، وهذا ما يظهر واضحاً في هوامش هذا الكتاب، وكذلك في جريدة مصادرنا لهذا التحقيق.

- حرصنا في هذا التحقيق لكتاب السِّيرة أن نخرّج الأحاديث والآثار المذكورة في هذه السِّيرة من كتب السنة الأخرى، سواء كانت هذه الأحاديث قولية أم فعلية، كما حرصنا على تمييز صحيحها من ضعيفها، وما كان منها مرفوعاً إلى النبي ﷺ صراحةً أو حكماً دقَّقنا النظر فيه، وقد التزمنا في ذلك منهج المحدِثين، أما ما كان من أخبار السّيرة الأخرى مما سبيله السَّرد التاريخي، فقد حرصنا على تخريج هذه الأخبار والإشارة إلى مصادرها من كتب الحديث والتاريخ، دون التزام منهج المحدِّثين في ذلك، واكتفينا بوصف السّند بقولنا: مرسل أو معضل أو منقطع.

وقد اعتمدنا في تخريج هذه الأحاديث والآثار على الكتب المحقَّقة المضبوطة، ولاسيّما الكتب المطبوعة لدى مؤسسة الرسالة ودار الرسالة العالمية، كالكتب الستة و«مسند أحمد» و«صحيح ابن حبان» و«مستدرك الحاكم»، لما فيها من العناية بتخريج نصوصها والحكم عليها، وما لم يكن في هذه الكتب توسَّعنا في تخريجه من الكتب الأخرى مع الحكم عليه.

- حرصنا في تحقيقنا هذا على بيان ما وقع من العلل والأوهام في كلام ابن إسحاق، ولاسيّما ما كان مشهوراً من هذه الروايات التي يخالفها صحيح الحديث، مثال ذلك ما وقع فيه من خلطٍ بين ما افتُرض على النبيِّ ﷺ من الصلاة في أول البعثة وبين ما افتُرض عليه في ليلة الإسراء قبل الهجرة بعامٍ أو عامٍ ونصف، انظر

ج١/ ٢٨١-٢٨٢.

وكذلك ما ورد في إسلام عائشة وهي صغيرة في ذكر أوائل من أسلم من الصحابة، علماً بأنها قد وُلدت في السنة الرابعة من البعثة، انظر ج١/ ٢٩١.

ولقد نبّهنا إلى الكثير من أمثال هذه العلل والأوهام، كما حرصنا على بيان الروايات الشاذة الواردة في بعض الأحاديث والآثار، انظر مثلاً ج٢/ ٢٥٢.

وقد كشفنا عن أوهام وقع فيها ابن إسحاق ولم يعرِّج عليها كثير من شرّاح السيرة، انظر مثلاً في قصة هجرة أبي موسى الأشعري من مكة إلى الحبشة ج١/ ٣٨٤، وفي قصة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ج٢/ ١٥٧ و١٥٨، وفي حادثة الإفك ج٣/ ٣٩٤، وفي عدّة من صحب النبيَّ ﷺ في الحديبية ج٣/ ٣٩٨-٣٩٩.

- أشرنا في تعليقاتنا إلى أخبار ووقائع مشهورة تروى في السيرة مما لم يذكره ابن إسحاق ولا ابن هشام، وذلك للتنبيه على ضعفها وعدم صحتها، كأحاديث نسج العنكبوت والحمامتين في قصة الهجرة، انظر ج٢/ ١١٨-١١٩، وكقصة وعد النبي ﷺ لسراقة في طريق الهجرة بسِواري كسرى، انظر ج٢/ ١٣٢، وما روي من قتل أبي عبيدة لأبيه في غزوة بدر، انظر ج٢/ ٤٤٩، وقصة هجرة عمر بن الخطاب وتحدّيه لقريش، انظر ج٢/ ١٠٥، وقصة صدقة ثعلبة بن حاطب، انظر ج٢/ ١٨١.

- حرصنا على مناقشة ابن إسحاق في تواريخ الغزوات والسرايا، وعدد المقاتلين فيها، وترجيح ما يؤيده الدليل من ذلك، كبيان عدد جيش تبوك الذي ذكر ابن إسحاق أن عددهم شارف الثلاثين ألفاً، وقد رجّحنا أن العدد لا يزيد على خمسة عشر ألفاً، بدلالة الواقع والروايات الأخرى عن الصحابة، انظر ج٤/ ٢٤٤.

- حرصنا في تحقيقنا هذا على الرجوع إلى المصادر الأصلية من كتب الحديث

والتفسير واللغة والأدب والتاريخ، ولا نلجأُ إلى المصادر الفرعية إلا لضرورةٍ كفقدان الأصل، أو لم يكن حاضراً بين أيدينا، فذهبنا إلى تعويضه بالرجوع إلى من أَخذ من هذا الأصل.

- أمّا عناوين الكتاب: فقد خلت معظم نسخ السيرة من عناوين الأبواب والفصول، وما أثبتناه من هذه العناوين إنما أخذناه في الغالب من نسختين مما وقع تحت أيدينا، وهما نسختا السلطانة ترهان التي رمزنا لها بالرمز (ت) ونسخة أيا صوفيا التي رمزنا لها بالرمز (ص).

- **تحرير المواقع الجغرافية**: حرصنا في تحقيقنا هذا للسيرة النبوية على تحرير المواقع الجغرافية التي وردت في جميع فصول السيرة، واستوعبنا ما ذكره علماءُ البُلدانيات كياقوت الحموي، وما في كتب الأستاذين الماهرين عاتق البِلادي في كتابه «معجم المعالم الجغرافيّة في السِّيرة النَّبويّة» وغيره، وحمد الجاسر في كتبه العديدة، سواء ما صنّفه أو ما حقَّقه، وفي هذه الكتب علمٌ غزير حرصنا على استيفائه، كما حرصنا على تحديد المواقع الجغرافية بأسمائها الحاليّة، وذكر المسافات بينها، حرصاً على رسم صورة وافية للسيرة النبوية من حيث الجغرافيا، وذلك إلى جانب الاستعانة بالخرائط الجغرافيّة الموجودة في الشّبكة العنكبوتية، وبذلك يكون هذا الجانب من التحقيق من أهمّ الإضافات في كتابنا هذا.

- حرصنا في عملنا هذا أن نحرّر القراءات القرآنية حيثما وردت، وذلك لمعالجة ما ذكره ابن هشام في هذه القراءات، ومقارنتها بالقراءات المتواترة، وقد أثبتنا القراءة المذكورة في النُّسخ الخطِّية، والإشارة إلى ما يوافقها أو يخالفها.

وصف النسخ الخطية

١ - نسخة السلطانة ترهان - المكتبة السليمانية بإستانبول، رقم (٢٤١):

عدد أوراقها: ٢٦٦ ورقة.

ورمزنا لها بالرمز (ت).

وهي نسخة كاملة، منسوخة بالقاهرة بخط الزراكشة العتيقة بجوار بين القصرين، فرغ من نسخها في اليوم الثالث من شهر ذي القعدة سنة ٧٢٦ هـ.

اسم الناسخ: محمد بن عبد الغني بن يحيى الحنبلي الحرّاني، المولود نحو سنة ٧٠١هـ، والمتوفى سنة ٧٧٨هـ، ذكره ابن حجر في «الدرر الكامنة» ٥/ ٢٦٨.

وهي نسخة مصححة ومقابلة ومقروءة على الشيخ المحدث زين الدين أبي بكر ابن قاسم بن أبي بكر الرَّحَبي (ت ٧٤٩) في القاهرة في مجالس آخرها يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٧٣٥ ـ كما وقع ذلك في طباق السماع المذكور في أول النسخة وعليه خط الرَّحَبي، بحق سماعه للسيرة من مسند الديار المصرية أحمد بن إسحاق الأَبَرْقُوهي (ت ٧٠١) ـ وعلى الشيخ المسنِد شهاب الدين أحمد بن علي بن أيوب بن علوي المشتولي (ت ٧٤٤)، وعلى الشيخ القاضي شرف الدين عبد الله بن محمد بن عسكر القيراطي (ت ٧٣٩) وكان هو القارئ.

٢ - نسخة يني جامع - المكتبة السليمانية، برقم (٨٥٦):

عدد أوراقها: ٣٠٢ ورقة. وهي من وقف السلطان أحمد خان بن محمد خان.

ورمزنا لها بالرمز (ي).

اسم الناسخ: عمر بن أبي بكر خطيب بيت الآبار. وبيت الآبار قرية في غوطة دمشق.

وهي نسخة كاملة، فرغ من نسخها في اليوم الخامس عشر من شهر شوال سنة ٦٠٠هـ.

وهي نسخة مقابلة كما يظهر من حواشيها.

٣- نسخة أيا صوفيا - المكتبة السليمانية:

عدد أوراقها: ٤٢٨ ورقة. وهي من وقف السلطان محمود خان.

ورمزنا لها بالرمز (ص).

وهي نسخة كاملة، فرغ من نسخها يوم الأربعاء العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ٧٩١ هـ، واسم الناسخ غير معروف.

٤- النسخة المغربية:

عدد أوراقها: ٣١٨ لوحة. وهي نسخة مصورة من مكتبة المدينة المنورة، وعليها خاتم مكتبة الأوسكوريال.

ورمزنا لها بالرمز (غ).

وهي نسخة كاملة، والظاهر أنها نسخت في القرن السادس الهجري، فقد أثبت صاحبها إسناده بها عن نَجَبة بن يحيى بن خلف بن نجبة الرُّعيني، وهذا إمام مقرئ توفي سنة ٥٩١هـ كما في «تاريخ الإسلام» للذهبي ١٢/ ٩٦٧.

٥- نسخة المكتبة المركزية في وزارة الأوقاف المصرية، رقم (١٨٢١):

ورمزنا لها بالرمز (ق١).

وهي نسخة ناقصة، تبدأ من أول السيرة وتنتهي بغزوة بني سُليم بعد بدر.

الناسخ وتاريخ النسخ مجهولان.

٦- نسخة المكتبة المركزية في وزارة الأوقاف المصرية، رقم (١٩٣٦):

ورمزنا لها بالرمز (ق٢).

وهي منقولة عن نسخة منقولة عن نسخة بخط الوزير أبي القاسم الحسين بن علي الكاتب ابن المغربي المكتوبة سنة ٣٩٧ هـ.

وهي نسخة ناقصة، وهذا الجزء الثالث من النسخة، ويبدأ من آخر الخندق وينتهي بآخر الكتاب.

اسم الناسخ: الحسن ابن قاضي أذرعات الشافعي، فرغ من نسخها سنة ٨١٣هـ. وله ترجمة في «الضوء اللامع» للسخاوي ٣/ ١١٥.

وهذه النسخ مرسلة إلينا من الدكتور موسى الحارث همام سعيد حفظه الله وجزاه خير الجزاء، غير النسخة المغربية.

٧- نسخة المكتبة الوطنية بباريس، برقم (٦٤٩٦):

عدد أوراقها: ٢٢٣ ورقة.

ورمزنا لها بالرمز (ط).

وهي من منشورات مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي على شبكة الألوكة، ومن هناك حصلنا عليها، فجزاه الله خير الجزاء.

وهي نسخة ناقصة، وهذا الجزء الأخير منها، ويبدأ من: ما قيل من الشعر في الخندق إلى آخر الكتاب، وهو ربع الكتاب الأخير.

اسم الناسخ: سليمان بن عمر بن كيكلدي، نسخها في مدينة طرابلس الشام، وفرغ من نسخها يوم الخامس عشر من شهر ذي القعدة سنة ٨٢٢ هـ.

وعلى حواشيها بلاغات بالسماع في مجالس بقراءة مالكها بمدرسة قرطاي، وهي أكبر مدرسة بطرابلس تعود إلى العهد المملوكي، وبانيها هو نائب طرابلس الأمير شهاب الدين قرطاي الأشرفي المتوفى سنة ٧٣٤هـ ودُفن بها.

وذكر مالكها أيضاً وهو علي بن محمد الفُقّاعي المتوفى سنة ٩١٧هـ كما في

«الكواكب السائرة» للغزّي ١/ ٢٦٤ (وهو شيخ حنفي من أهل اللغة والنحو وله شعرٌ جيد): أنه أنهاها قراءة بالجامع المنصوري بجنب المِئذنة مراراً عديدةً؛ فهذه قراءة أخرى لها غير التي بمدرسة قرطاي.

وفي آخرها حاشية نصها: بلغ مقابلة وضبطاً وتحريراً على نسخ محرَّرة معتمدة مقروءة.

وهي نسخة متقنة يكثر على حواشيها تقييد الألفاظ، ونقلُ شروحها عن غير واحد من أهل العلم كابن الأثير والنووي وغيرهما.

٨- نسخة الجامع الأزهر، رواق الشوام، رقم (٦٨):

وعدد أوراقها: ١٧٦ ورقة.

ورمزنا لها بالرمز (ز).

واسم الناسخ: محمد بن أحمد بن أحمد المقدسي الشافعي المقرئ، فرغ من نسخها في التاسع عشر من شهر ذي الحجة سنة ٨٥٢ هـ. والناسخ من أهل العلم، له ترجمة في «الضوء اللامع» للسخاوي ٦/ ٢٩٢.

وهي نسخة ناقصة، هذا هو الجزء الثاني من ثلاثة أجزاء. وهي نسخة متقنة مضبوطة ضبطاً متقناً.

وهي من منشورات المكتبة الأزهرية على الشبكة العنكبوتية.

٩- نسخة مكتبة مراد ملا بإستانبول، رقم (١٤٣٣) و(١٤٣٤):

وهي نسخة تامة في مجلدين: الأول عدد أوراقه ٢٩٩ ورقة، والثاني ٣٠٨ ورقة.

ورمزنا لها بالرمز (م).

وهي منسوخة سنة ٨١٥ هـ، وناسخها هو محمد بن محمد بن عبد المنعم بن أبي الورد بن القمر الأنصاري البعلبكّي.

١٠- نسخة مكتبة كوبريلي بإستانبول، من مجموعة فاضل أحمد باشا:

وهي نسخة ناقصة، هذا الجزء الثاني منها، من غزوة أحد إلى آخر الكتاب.

وعدد أوراقها: ٣٥٤ ورقة. ورمزنا لها بالرمز (ف).

وهي منسوخة سنة ٧٠٥ هـ، وناسخها هو محمد بن محمد البلبيسي.

١١- نسخة مكتبة شهيد علي - المكتبة السليمانية، رقم (١٨٩٢):

عدد أوراقها: ٣٤٠ ورقة. وهي نسخة كاملة، منسوخة سنة ٩٥٦ هـ، ولم يذكر الناسخ اسمه. ورمزنا لها بالرمز (ش١).

١٢- نسخة ثانية من مكتبة شهيد علي، رقم (١٨٩١):

عدد أوراقها: ١٥٢ ورقة. وهي نسخة ناقصة، هذا الجزء الثالث منها، وهي منسوخة سنة ٧٣١ هـ، ولم يذكر الناسخ اسمه.

وهي نسخة متقنة، مقابلة ومصحَّحة. ورمزنا لها بالرمز (ش٢).

وهذه النسخ الأربعة الأخيرة مرسلة إلينا من الأستاذ رعد الحريري حفظه الله وجزاه خير الجزاء[1].

وفي الختام، فهذه سيرةُ سيّد الأنام محمد بن عبد الله، صلواتُ الله عليه، نقدّمها للعلماء وطلبة العلم، مدقَّقةً منقّاةً، ومضبوطةً على أصحّ النسخ وأفضلها، مع حرصنا - إن شاء الله - على الوفاء بمتطلَّبات التحقيق، وما يلزم النصَّ من التحرير والبيان والتعليق. فنسأله تعالى القَبُول، وأن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، مع رجاء التوجيه والنصيحة حيثما لزم؛ وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين.

عمّان في: ٣ ربيع أول ١٤٤٣هـ

٩ أكتوبر ٢٠٢١م

---

(١) وعندنا منه نسخ أخرى لم نعتمدها إجمالاً، إلا أنا كنّا نستأنس بها في بعض المواضع.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نماذج من النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الفذ المحقق لسان الأدب وترجمان العرب وحيد عصره وفريد دهره أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعافري قدس الله روحه

ذكر سرد النسب الزكي

من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو محمد عبد الملك بن هشام النحوي المعافري هذا الباب سير رسول الله صلى الله عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب شيبة ابن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف المغيرة بن قصي واسم قصي زيد بن كلاب بن مرة بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسم مدركة عامر بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسمعيل بن إبرهيم خليل الرحمن ابن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروخ بن راغو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو إدريس النبي فيما يزعمون والله أعلم وهو أول بني آدم أعطي النبوة بالقلم بن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم عليه السلام قال أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحق المطلبي بهذا الذي ذكرت من نسب محمد صلى الله عليه وسلم إلى آدم عليه السلام وما فيه من حديث الأنبياء وغيرهم قال ابن هشام وحدثني خلاد بن قرة عن خالد السدوسي عن شيبان بن بشير بن شيبان بن ثور عن قتادة بن دعامة أنه قال إسمعيل بن إبرهيم خليل الله بن تارح وهو آزر بن ناحور بن إسروغ بن راغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلخ بن إخنوخ بن يرد بن مهلايل بن قاينن بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام قال ابن هشام وأما أن سائر الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسمعيل بن إبرهيم صلى الله عليهما ومن ولد رسول الله صلى الله عليه من ولده وأولاد هم لا صلابهم الأول فالأول من إسمعيل لا رسول الله صلى الله عليهما وما يعرض من حديثهم وتارك ذكر غيرهم من ولد إسمعيل على ما في الجهد للاختصار إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وتارك بعض ما ذكر ابن إسحق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب ذكر ولا نزل فيه من القرآن شيء وليس سبيل من هذا الكتاب ولا تفسيره إلا ما يعرف عليه لما ذكرت من الاختصار واشتغال ذي العلم إذا علم أن أهل العلم بالشعر يعرفونها وأشباه ما تضمنها يستنكر الحديث به وبعض يسوء الناس ذكره وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته ومستفيض ما سوى ذلك

بمبلغ

فليتنا يوم واروه بحفرته وغيبوه والقوا فوقه المدرا ٭ لم يترك الله منا بعده احدا ولم يعش بعده اتقى ولا ذكرا
ذلت رقاب بني النجار كلهم وكان امر امر الله قد قدرا ٭ واقتسم الفي دون الناس كلهم وبزوه جهارا بينهم بددا
وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألبت ما في جميع الناس مجتهدا مني اليه بدمع غير إنفاد ٭ ما حملت انثى ولا وضعت مثل الرسول نبي الامة الهادي
ولا برا الله خلقا من بريته أوفى بذمته جارا وميعاد ٭ من الذي كان ينسى نعشه ملك يستنصأ به مبارك الامر ذا عزم وارشاد
امسى نساؤك عطلا بعد نهضتهن فايضرين فوق قاصر وناد ٭ مثل الرواهب يلبسن المآزر مرايقن بالبؤس بعد النعمة البارد
ما ان رأى الناس رزءا مثل رزئهم فيه ولا مثله يوما لمرتاد ٭ قال ابن هشام عجز البيت الاول عن عوان اسحق

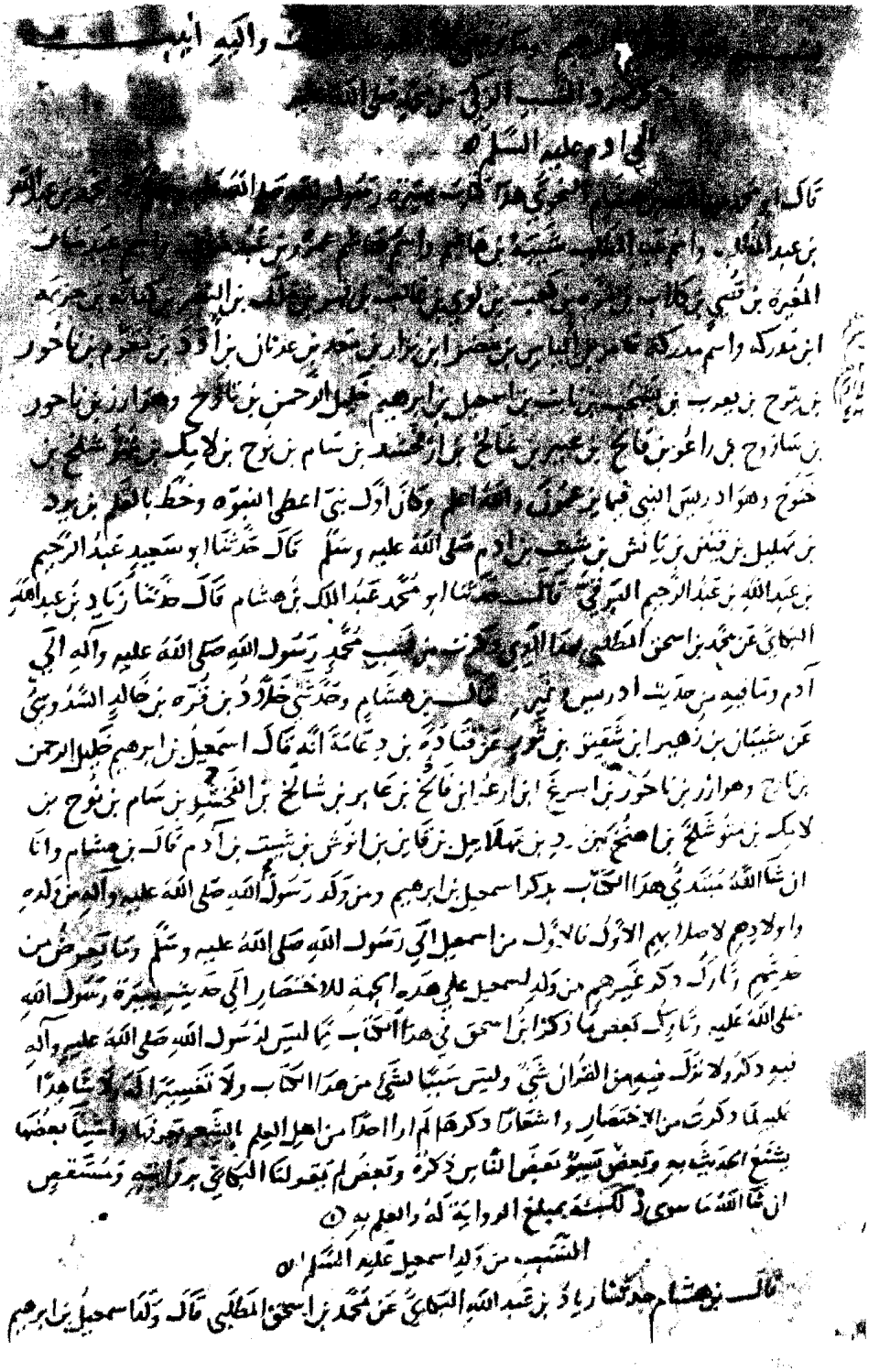
تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

وكتب هذه النسخة المباركة السوية لنفسه العبد الفقير المستغفر ربه المستشفع بنبيه عند ربه محمد بن عبد الغني بن يحيى بن محمد بن ابي بكر بن منصور بن محمد بن ابي بكر الحنبلي الحسراني غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين ولمن قرأه ودعا له بالمغفرة والرحمة وكان الفراغ من نسخ هذه السيرة المباركة اليوم الثالث من شهر ذي القعدة من شهور سنة ست وعشرين وسبع مائة بالقاهرة المحروسة المعز بخط الفقير الحقير العبد المذنب المعترف بالتقصير جعلها الله مباركة معينة لناسخها بالقبول والثواب

٭ الحمد لله رب العالمين على اتمامها والصلاة والسلام
٭ على سيد محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا
٭ وحسبنا الله ونعم الوكيل

بلغ سماعا على الشيخ الامام العالم العامل الزاهد الفاضل المحدث المسند الرحلة المعمر شرف الدين ابو محمد عبد المؤمن بن خلف بن ابي الحسن الدمياطي الشافعي بقراءة عمر بن المظفر الوردي عليه في نسخته بخطه

الصفحة الأخيرة من نسخة (ت)



الصفحة الأولى من نسخة (ي)

يا رامي من شهدت وناصر[redacted] نبيّ الهدى المهتدي ۞ خلالت مجد وحاز مجدا مسلدا يا ليتني
أوّلهم ۞ أقيم بعدك في المدينة بينهم بالليتني صبحت ثم الأسود ۞ أو حل امرأ الله فينا عاجلا بي
روحي من يومنا أو في غد ۞ فنقوم نساءنا فتلقى علينا محضا ما ترى ۞ كريم المحتد ۞ باكرا منه
المبارك بكرها ولدته محصنة بسعد الأسعد ۞ نورا أضاء على البرية كلها من لمعة النور المبارك
يهتدي ۞ يا ربه ناجعا ماء وبيئا في جنة تحي عيون الخرد ۞ في جنة الفردوس ممن تابها له
يا ذا الجلال وذا العلا الأسود ۞ والله اسمع ما حييت بهالك الأبكيك على ابني محمد ۞
يا روح أنصار النبي برزمه بعد المغيب في سواء اللحد ۞ ضاقت بالأنصار البلاد فما سمحت سودا
وجوههم كلون الأثمد ۞ لقد ولدناه وفينا قبره وفصول نعمته بنا لمخلد ۞ والله أكرمنا به وهدى
به الأنصار في كل ساعة مشهد ۞ صلى الإله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد ۞
قال ابن إسحق وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه

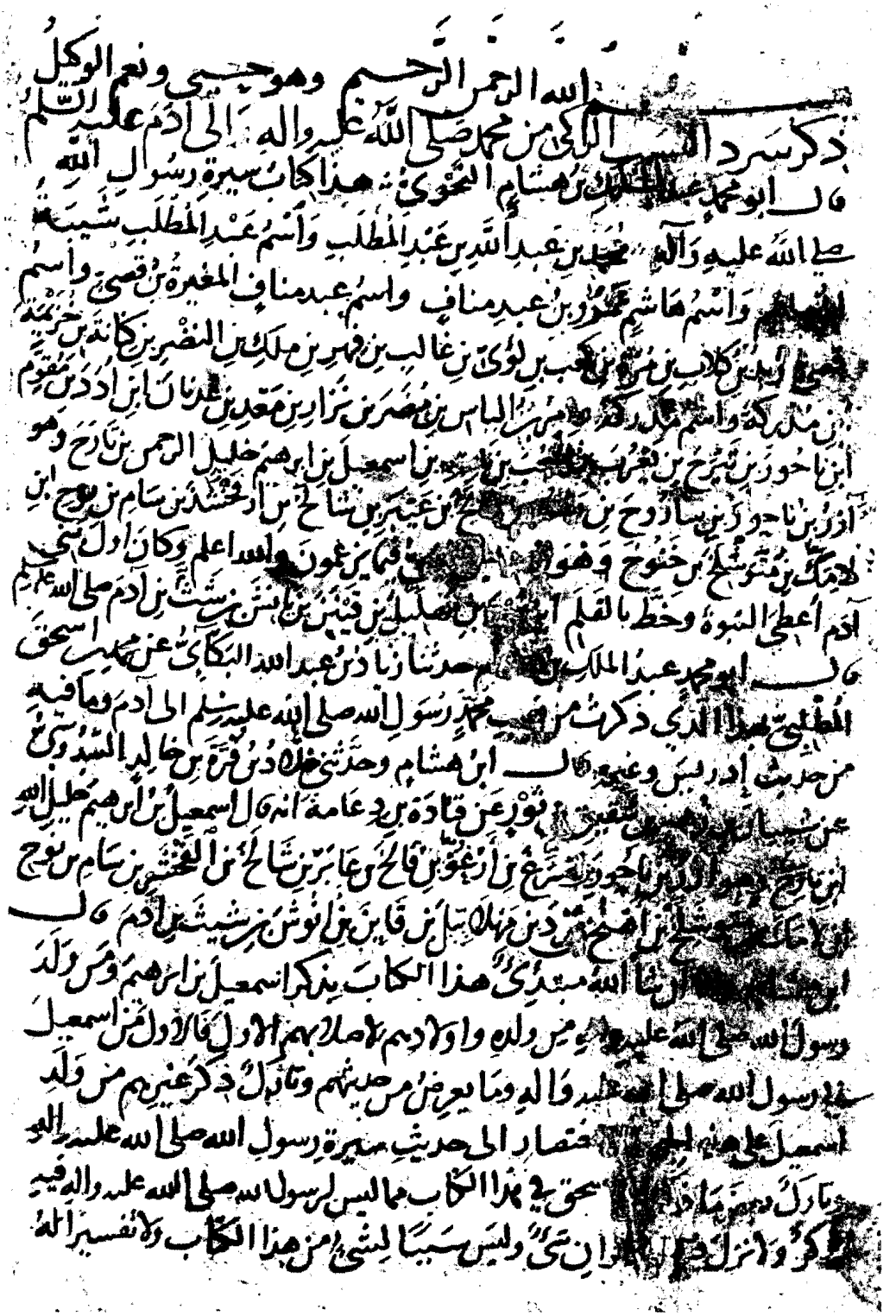
بني المساكين إن الخير فارقهم مع النبي توفى عنهم سحرا ۞ من ذا الذي عنده ذكرى وحل ذراعتي ورزق أهلي
إذا لم يرسلوا المطرا ۞ امن يعاتبه حتى جادعة إذا اللسان عنا في القول أو عثرا ۞
كان الضياء وكان النور يتبعه بعد الإله وكان السمع والبصرا ۞ فليبكنا يوم وارته بملحده وغيبوه
والقوا قومة المدرا ۞ لم ير الله منا بعده أحدا ولم نعثر بعده أنى ولا ذكرا ۞ ذلت رقاب
بني النجار كلهم وكان أمرا من أمر الله قد قدرا ۞ واقتسم الغنى دون الناس كلهم وبدده جبارا
بهم سعدا ۞ وقال حسان أيضا يبكي رسول الله صلى الله عليه

البيت ما في جمع الناس مجتمعا من البرية من عبر وأصفاد ۞ تالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل الرسول
نبي الأمة الهادي ۞ ولا برا الله خلقا من بريته أوفى بذمة جار أو بميعاد ۞ من الذي كان فينا
بعد مفقده مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد ۞ أمسى بنا وكرا عطفان البيوت فما يضرب فوق
قفاعير بها وتاد ۞ مثل الرواهب يلبسن المذاول قد ابتعن بالبوس بعد النعمة البادي ۞
يا أفضل الناس إن كنت في سنة أصبحت منها كمثل المفرد الصادي ۞ قال ابن هشام
عجز البيت الأول عن غير ابن إسحق ۞

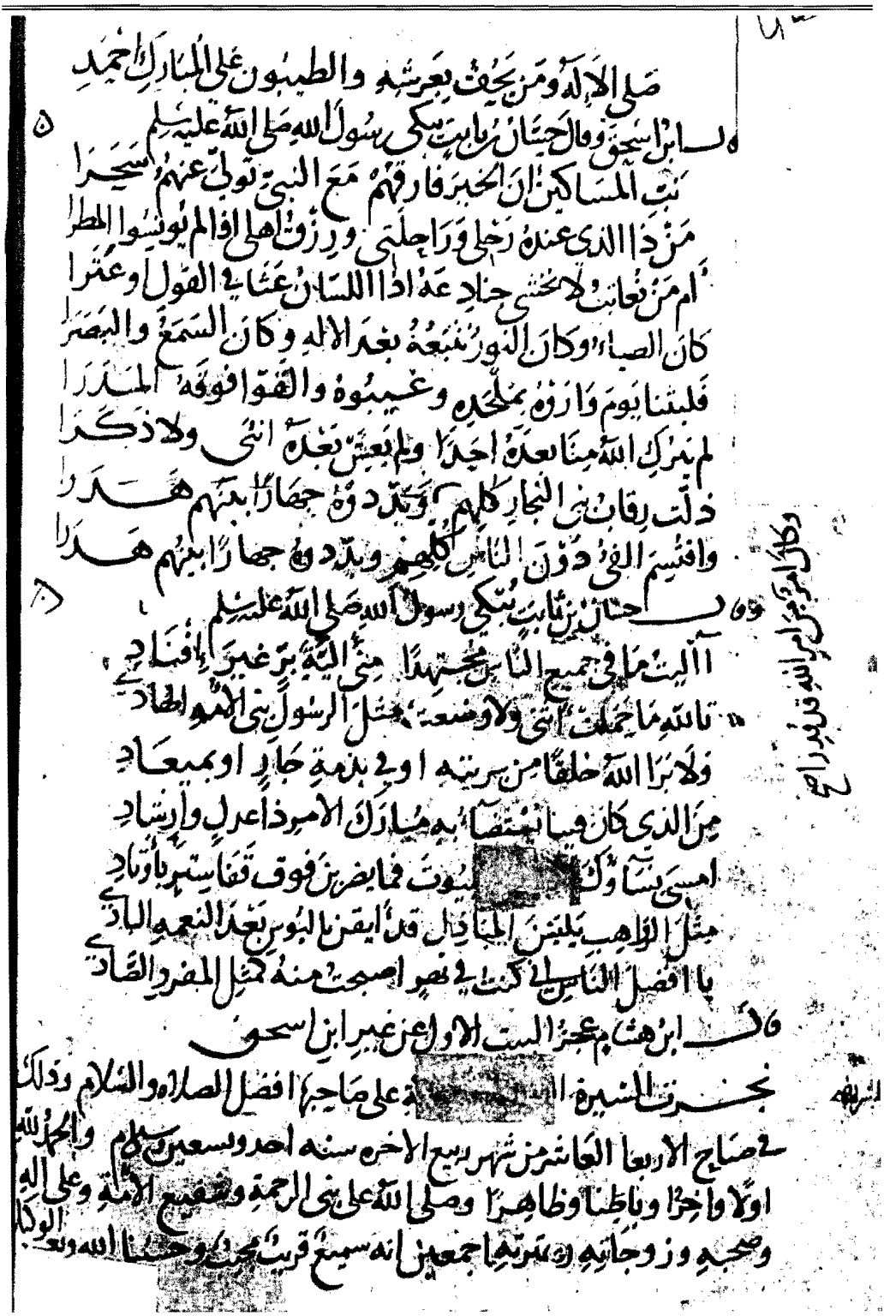
تم كتاب سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين

وكان الفراغ منها في اليوم الخامس عشر من شهر شوال المبارك سنة سبع وستين للهجرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلوة والسلم ۞ والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبينا محمد وآله وسلم

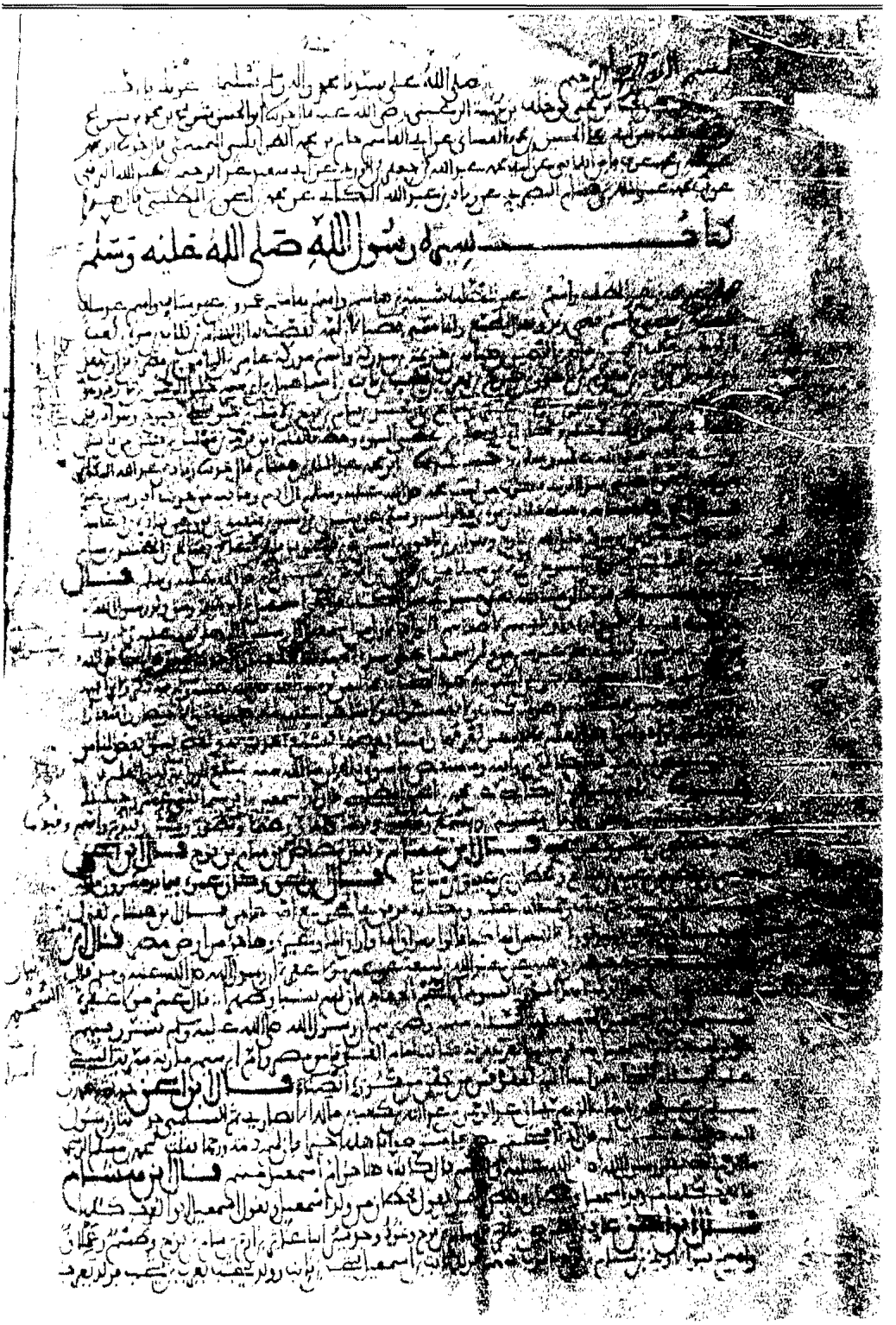
الصفحة الأخيرة من نسخة (ي)



الصفحة الأولى من نسخة (ص)



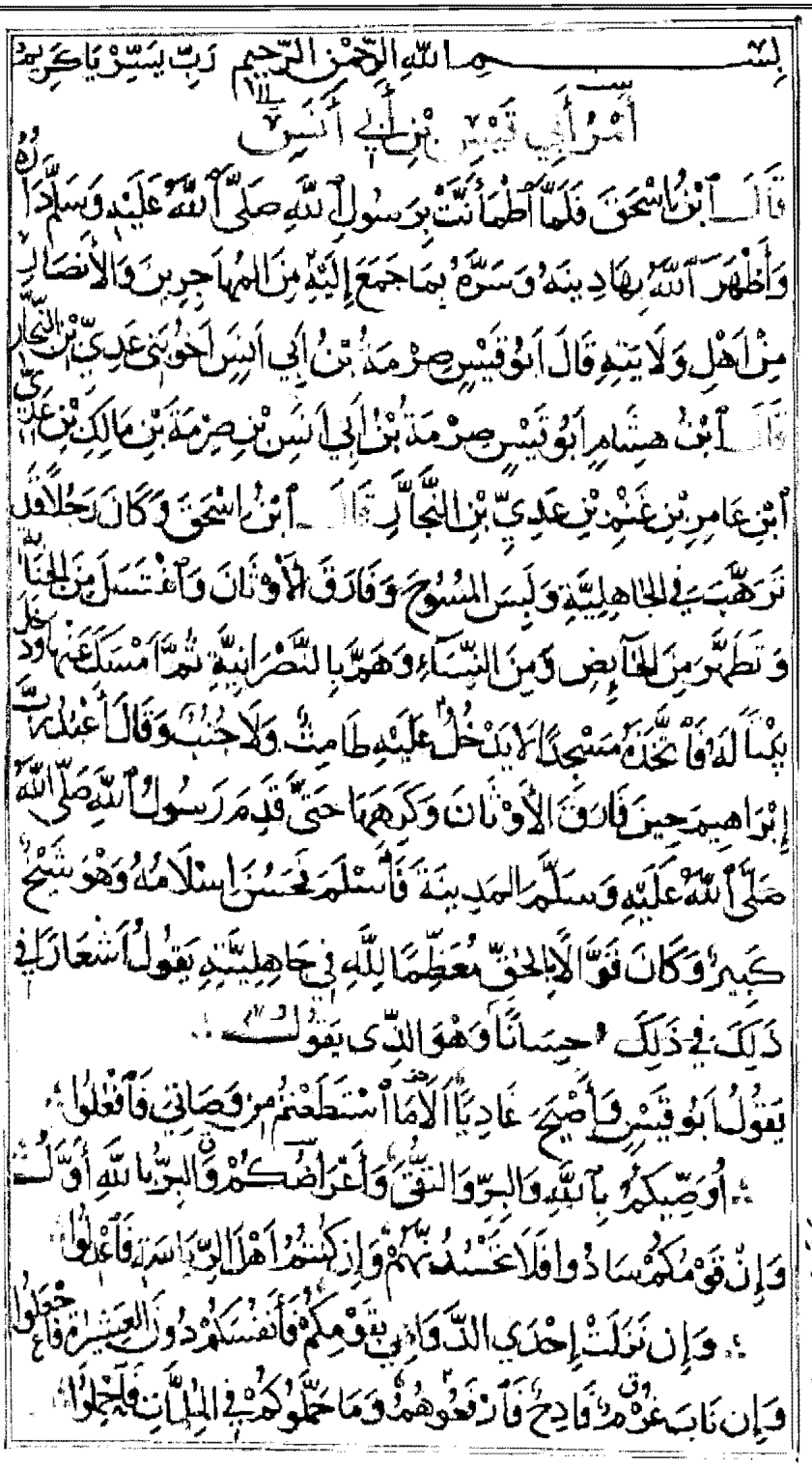
الصفحة الأخيرة من نسخة (ص)



الصفحة الأولى من نسخة (غ)



الصفحة الأخيرة من نسخة (غ)



بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

أمر أبي تيسير بن أبي أنس

قال ابن إسحق فلما أطمأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره وأظهر الله بها دينه وسره بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته قال أبو تيسير صرمة بن أبي أنس أخو بني عدي بن النجار قال ابن هشام أبو تيسير صرمة بن أبي أنس بن صرمة بن مالك بن عدي ابن عامر بن غنم بن عدي بن النجار قال ابن إسحق وكان رجلا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وفارق الأوثان واغتسل من الجنابة وتطهر من الحائض ومن النساء وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا لا يدخل عليه طامث ولا جنب وقال أعبد ربي إبراهيم حين فارق الأوثان وكرهها حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلم فحسن إسلامه وهو شيخ كبير وكان قوم الأبلحق معظما لله في جاهليته يقول أشعارا في ذلك في ذلك حسانا وهو الذي يقول

يقول أبو تيسير وأصبح غاديا لأما استطعتم من وصاتي فافعلوا

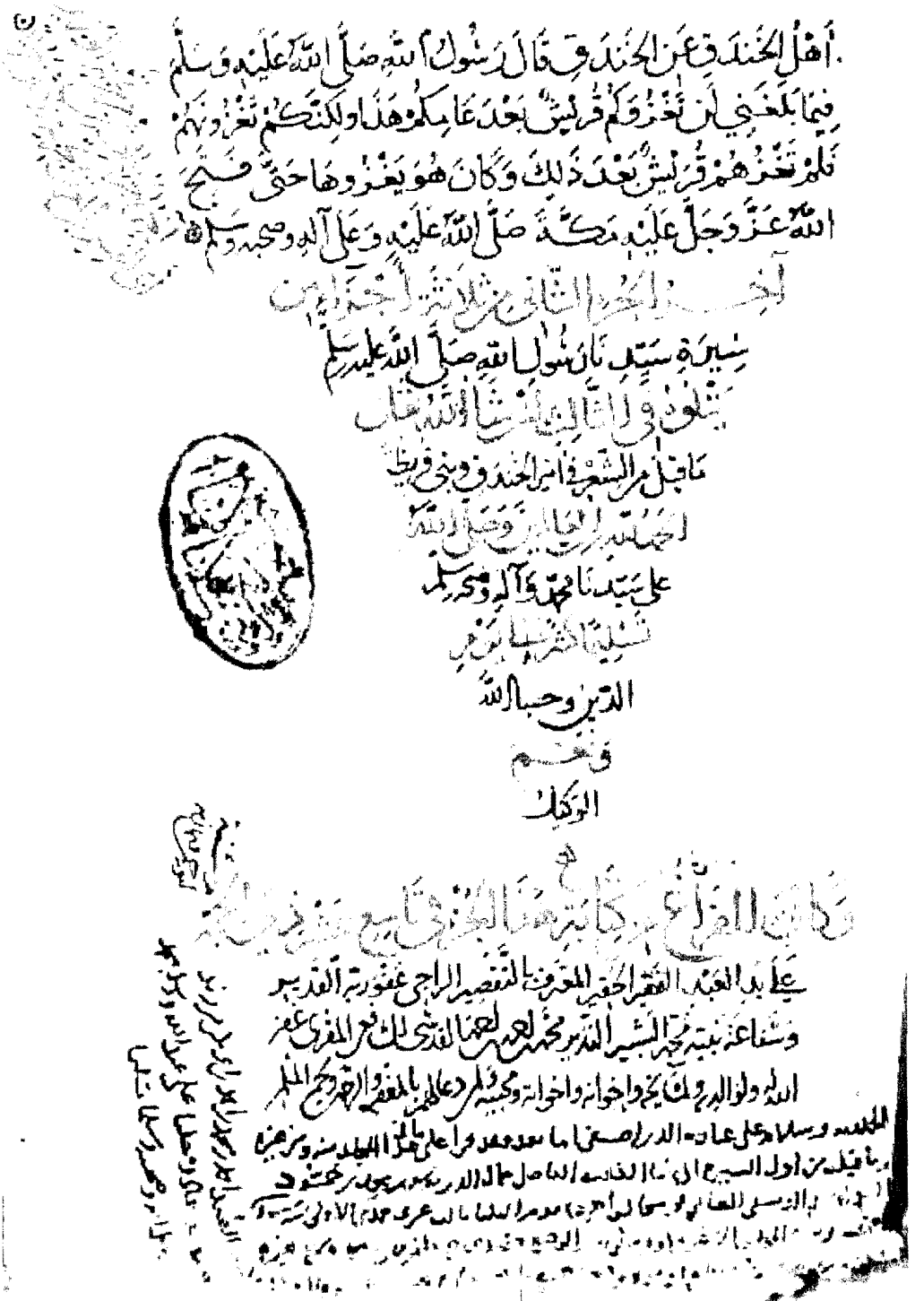
أوصيكم بالله والبر والتقى وأعراضكم والبر بالله أول

وإن قومكم ساروا فلا تحسدنهم وإن كثروا أهل الرياسة فاعلوا

وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا

وإن ناب غرم فادح فارفعوهم وما حملوكم في الملمات فاحملوا

الصفحة الأولى من ج ٢ من نسخة (ز)



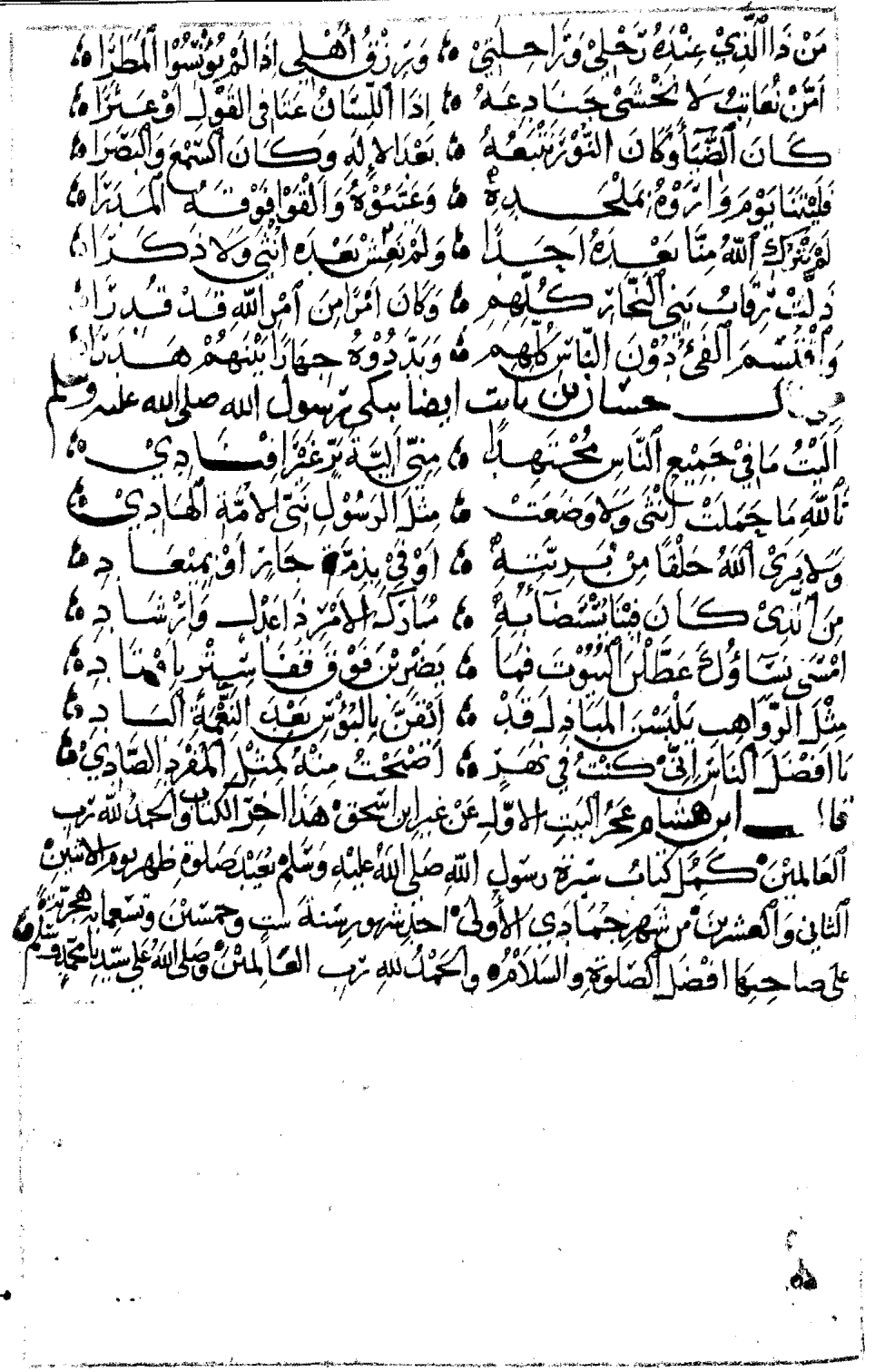
الصفحة الأخيرة من ج٢ من نسخة (ز)



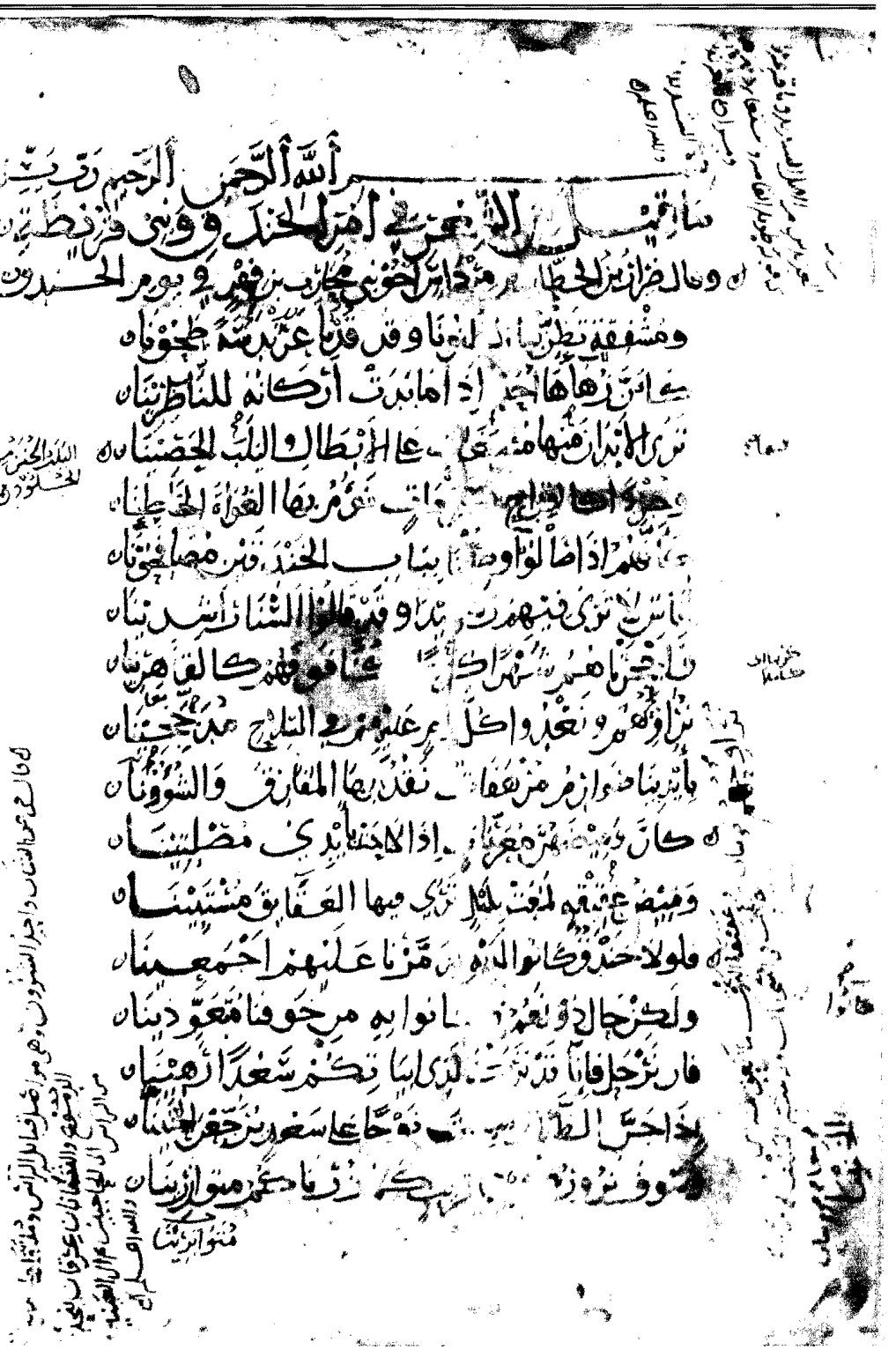
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ذكر سرد النسب الزكي من محمد صلى الله عليه وسلم إلى آدم عليه السلام قال أبو محمد عبد الملك بن هشام النحوي هذا كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب شيبة بن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف المغيرة بن قصي واسم قصي زيد ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة واسم مدركة عامر بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسمعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروح بن راغو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو إدريس النبي فيما يزعمون والله أعلم وكان أول نبي أدم أعطي النبوة وخط بالقلم بن يزدين مهلئيل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم قال أبو محمد عبد الملك بن هشام حدثنا زياد بن عبد الله الكائي عن محمد بن إسحق المطلبي هذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آدم وما فيه من حديث إدريس وغيره قال ابن هشام وحدثني خلاد بن قرة ابن خالد السدوسي عن سفيان بن عيينة بن سعيد عن قتادة بن دعامة أنه قال إسمعيل ابن إبراهيم خليل الله بن تارح وهو آزر بن ناحور بن أشرع بن أرغو بن آزر بن شالخ بن الفخشد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قاين ابن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام قال ابن هشام وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسمعيل بن إبراهيم وبني ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولده وأولادهم لا صلابهم الأول فالأول من ولد إسمعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تعرض من حديثهم وتارك ذكره من ولد إسمعيل على هذه الجهة للاختصار إلى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتارك بعض ما ذكر بن إسحق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شيء وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه لما ذكرت من الاختصار واشعارا ذكرها لما رأيت أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها وأشار بعضهم إلى أن بعض الحديث به وبعض سوء الباس ذكره وبعض لم نقر لنا البكائي بروايته ومستقصى إن شاء الله ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به **سياقة النسب الشريف** من ولد إسمعيل

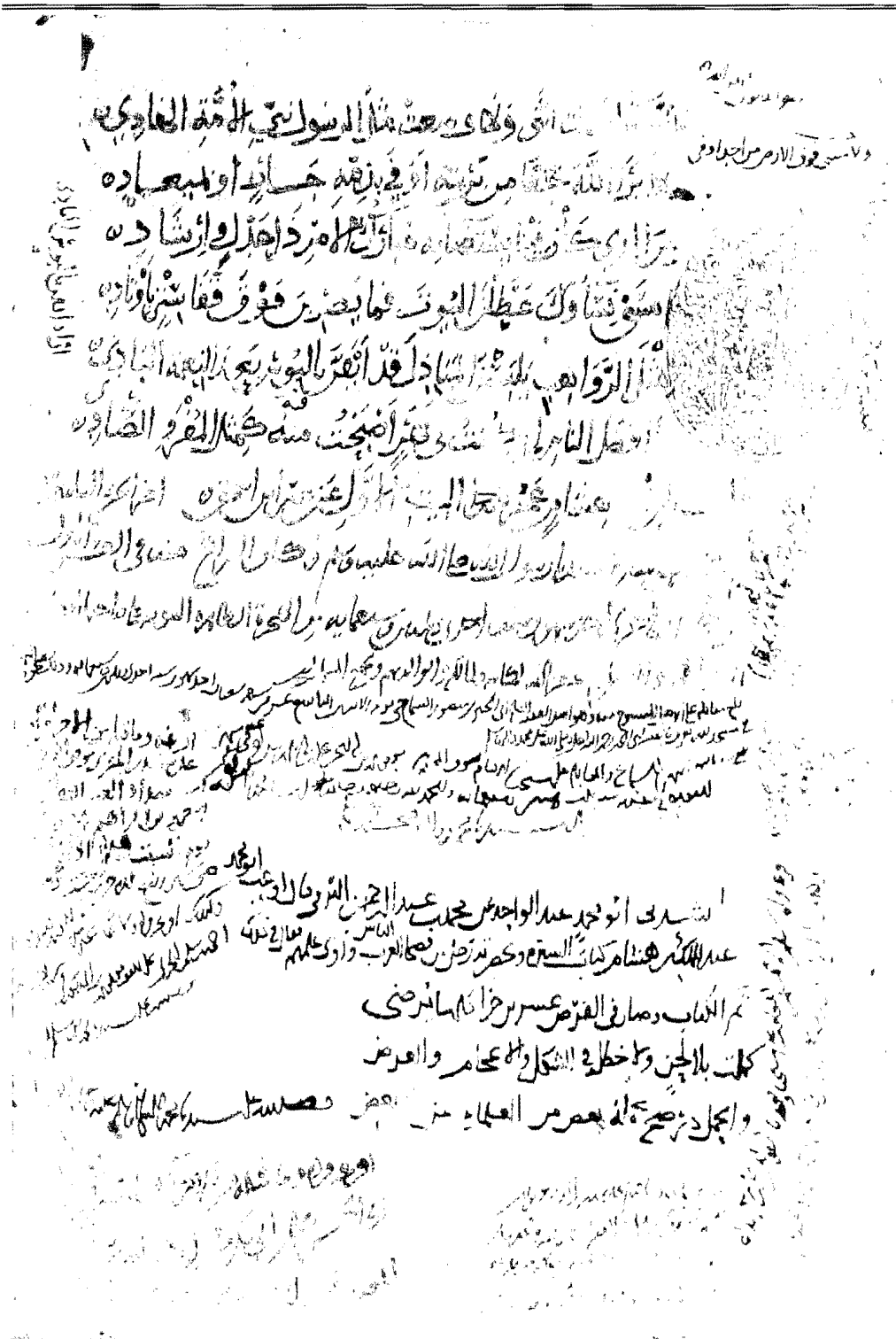
الصفحة الأولى من نسخة (ش ١)



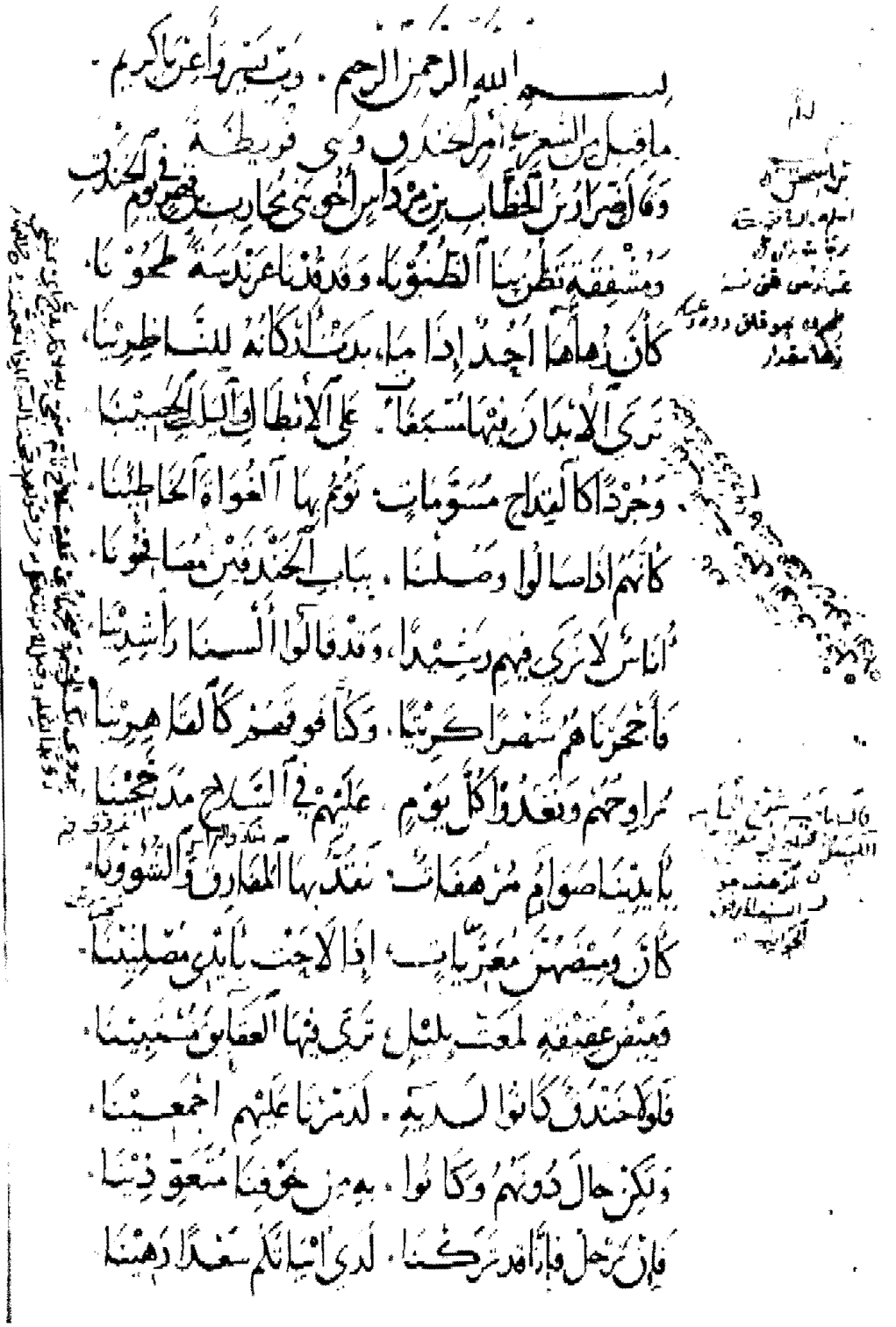
الصفحة الأخيرة من نسخة (ش١)



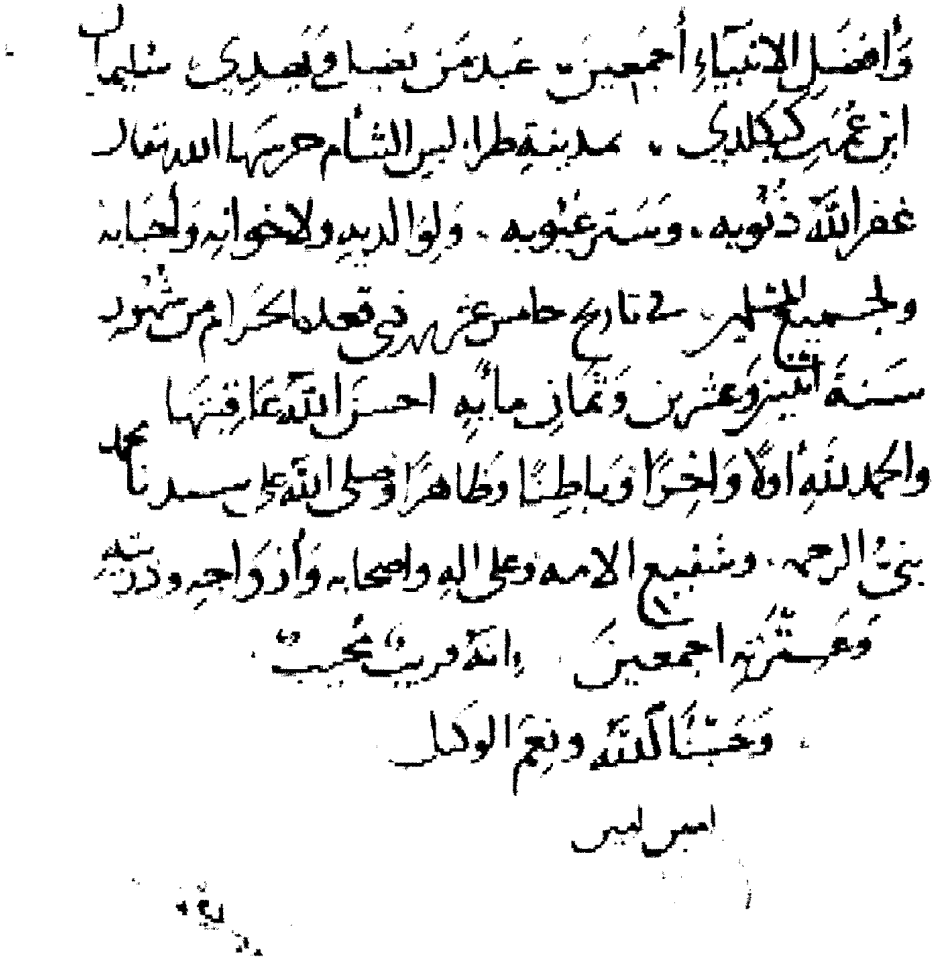
الصفحة الأولى من ج٣ من نسخة (ش٢)



الصفحة الأخيرة من ج٣ من نسخة (ش٢)

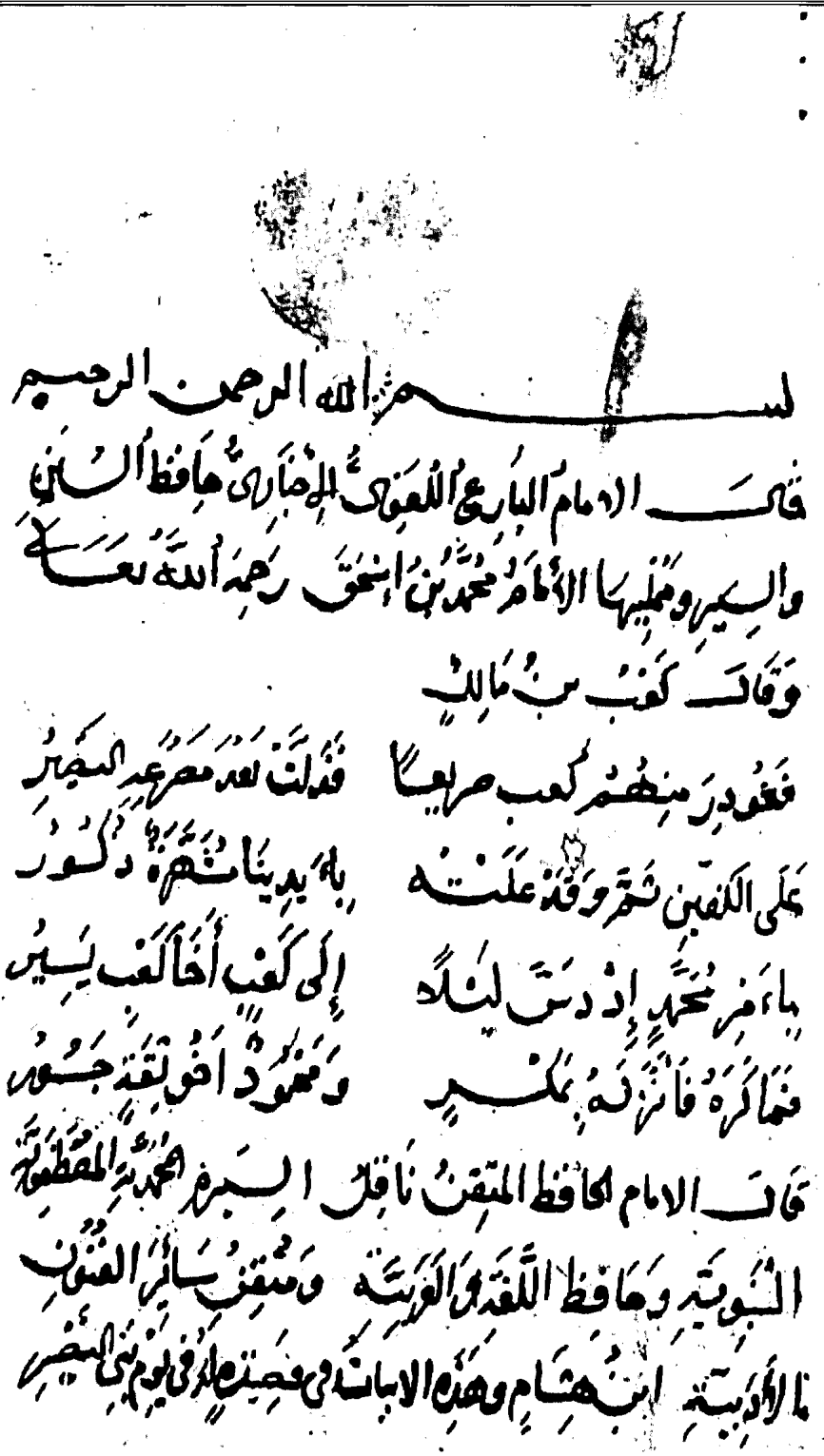


الصفحة الأولى من ج٣ من نسخة (ط)



وأفضل الأنبياء أجمعين عبد من بعثه وقصدي سليمان
ابن عمر الكبلدي ، بمدينة طرابلس الشام حرسها الله تعالى
غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه ، ولوالديه ولإخوانه ولأحبابه
ولجميع المسلمين ، في تاريخ خامس عشر ذي قعدة الحرام من شهور
سنة اثنين وعشرين وثمانمائة أحسن الله عاقبتها
والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً وصلى الله على سيدنا محمد
نبي الرحمة وشفيع الأمة وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته
وعترته أجمعين ، إنه قريب مجيب .
وحسبنا الله ونعم الوكيل
انتهى

الصفحة الأخيرة من ج٣ من نسخة (ط)


بسم الله الرحمن الرحيم
قال الامام البارع اللغوي الاخباري حافظ السير
والسير ومليها الامام محمد بن اسحق رحمه الله تعالى
وقال كعب بن مالك
فغودر منهم كعب صريعا فقلت لعد مصرعه السعير
على الكفين ثم وقعة عليه بما بدينا ثم دكوس
بامر محمد اذ دس ليلا إلى كعب أخا كعب لئيم
فمكره فانزله بمكر وعهود اخو ثقة جسور
قال الامام الحافظ المتقن ناقل السير محمد المقطوعة
البوبية وحافظ اللغة والعربية ومتقن سائر الفنون
الادبية ابن هشام وهذه ابيات في قصيدة له في يوم بني النضير

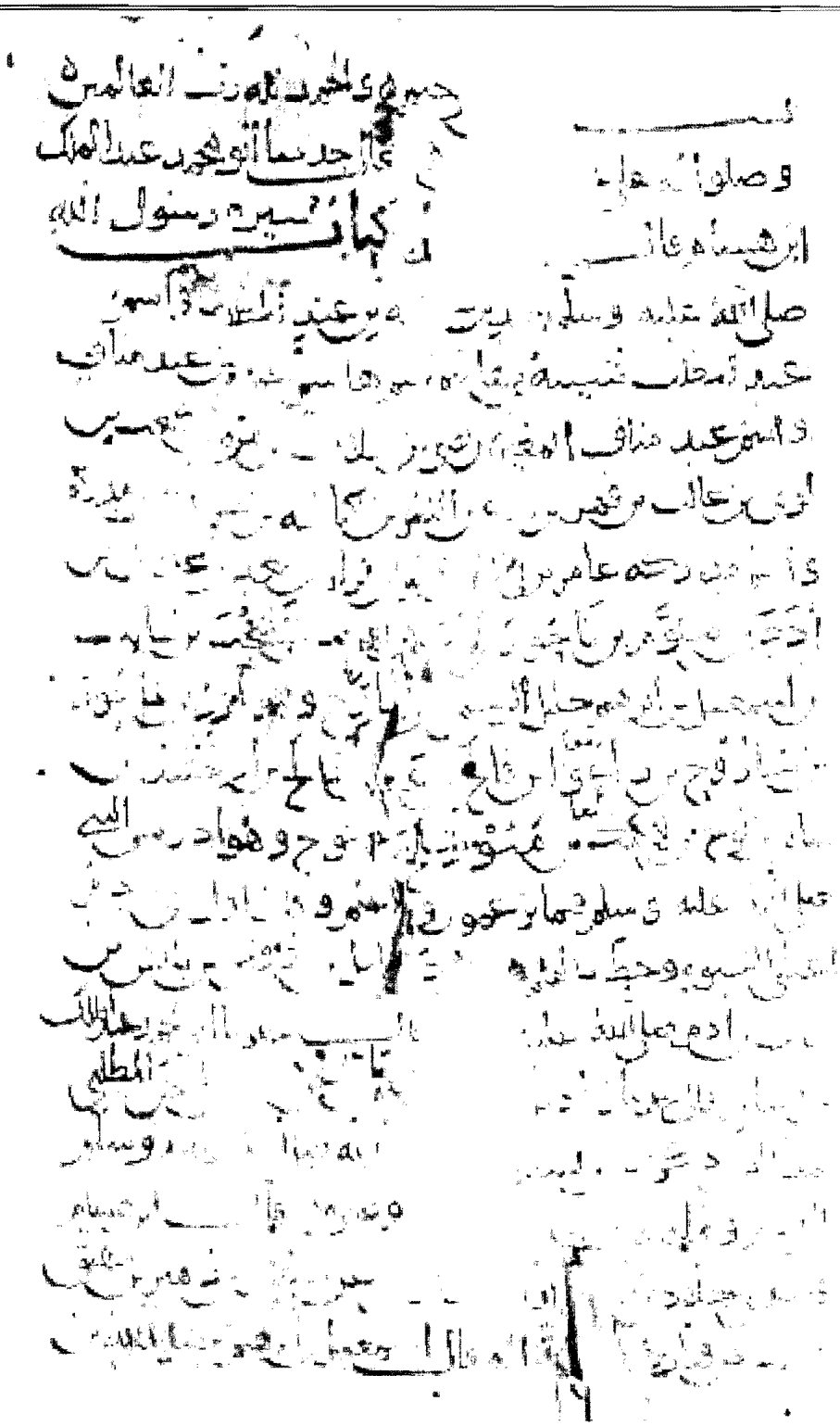
الصفحة الأولى من ج٢ من نسخة (ف)

ذلك رقاب بني الجبار كلهم وكان أمرا من أمر الله قدرا
لم يترك الله منا بعده أحدا ركركر
واقسم الغي دون الناس كلهم وبددوه جهارا بينهم هدرا
وقال حيان ايضا يبكي رسول الله صلى الله
عليه وسلم
اليت ما في جميع الناس مجتهد مني اليه بر غير افساد
يا لله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل الرسول نبي الامة الهادي
ولا برا الله خلقا من بريته اوفى بذمة جار او بميعاد
من الذي كان فينا يستضاء به مبارك الامر ذا عدل وارشاد
امسى يساوك عطفا البيوت فما يضر من فوق قفا بثر باوتاد
مثل الرواهب يلبسن المذاذل قد ايقن البؤس بعد النعمة البادي
يا افضل الناس ان كنت في بشر اصبحت منه كمثل المفرد الصادي
قال ابن هشام عجز البيت الاول عن غير ابن اسحق
تم كتاب سيرة سيدنا ونبينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعون الله وتوفيقه والحمد لله اولا

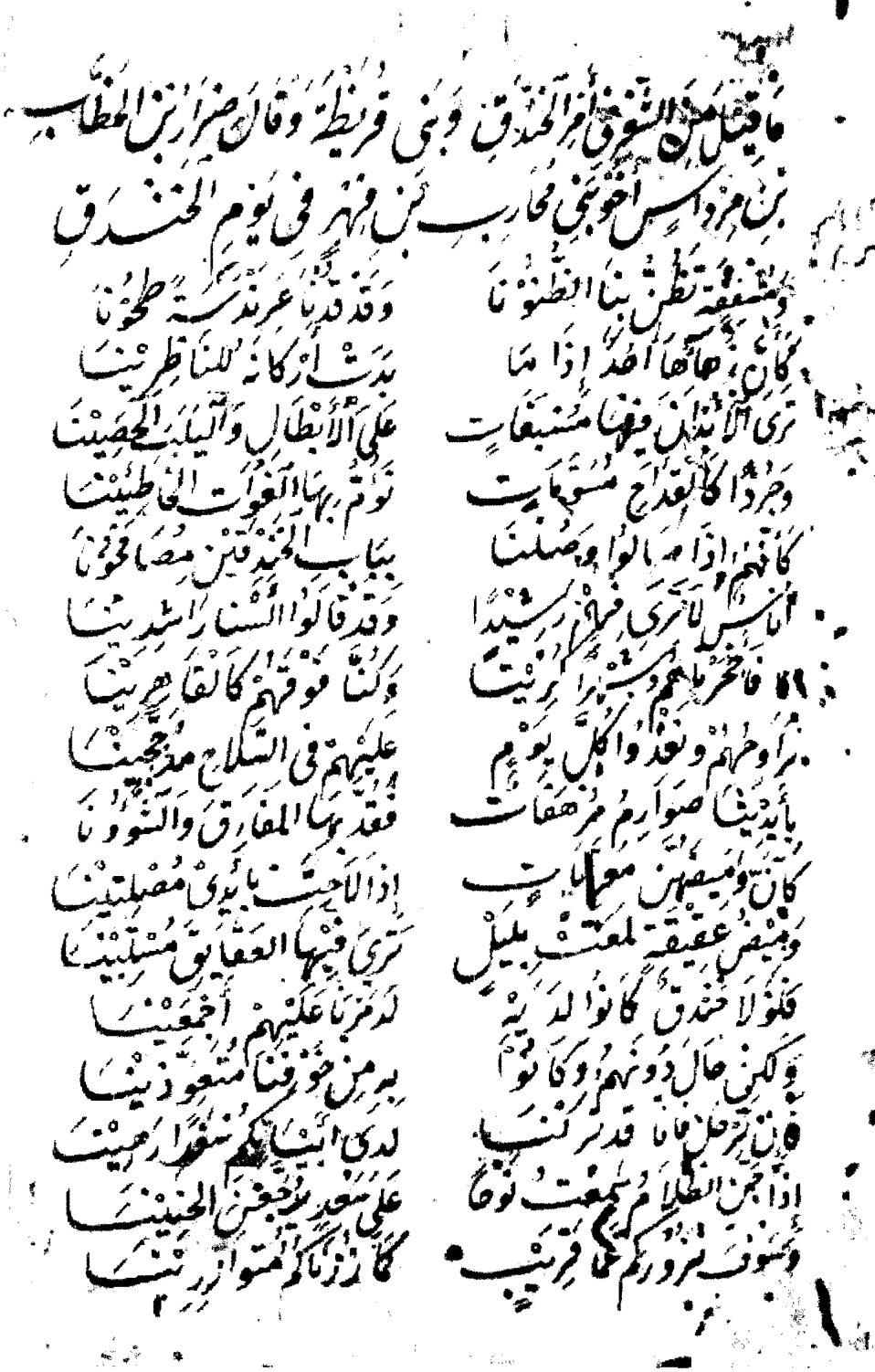
ملح قواه ومعالم فصيح
ولد احمد

وآخرا وظاهرا وباطنا وكان الفراغ منها يوم الاحد
سادس عشر شوال سنة خمس وسبع مايه وذلك على
يد الفقير لعفو ربه محمد بن محمد البيسي عفا الله
ولطف به وغفر له ولوالديه ولمن نظر فيها ولمالكها وجميع
المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا دائما الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل

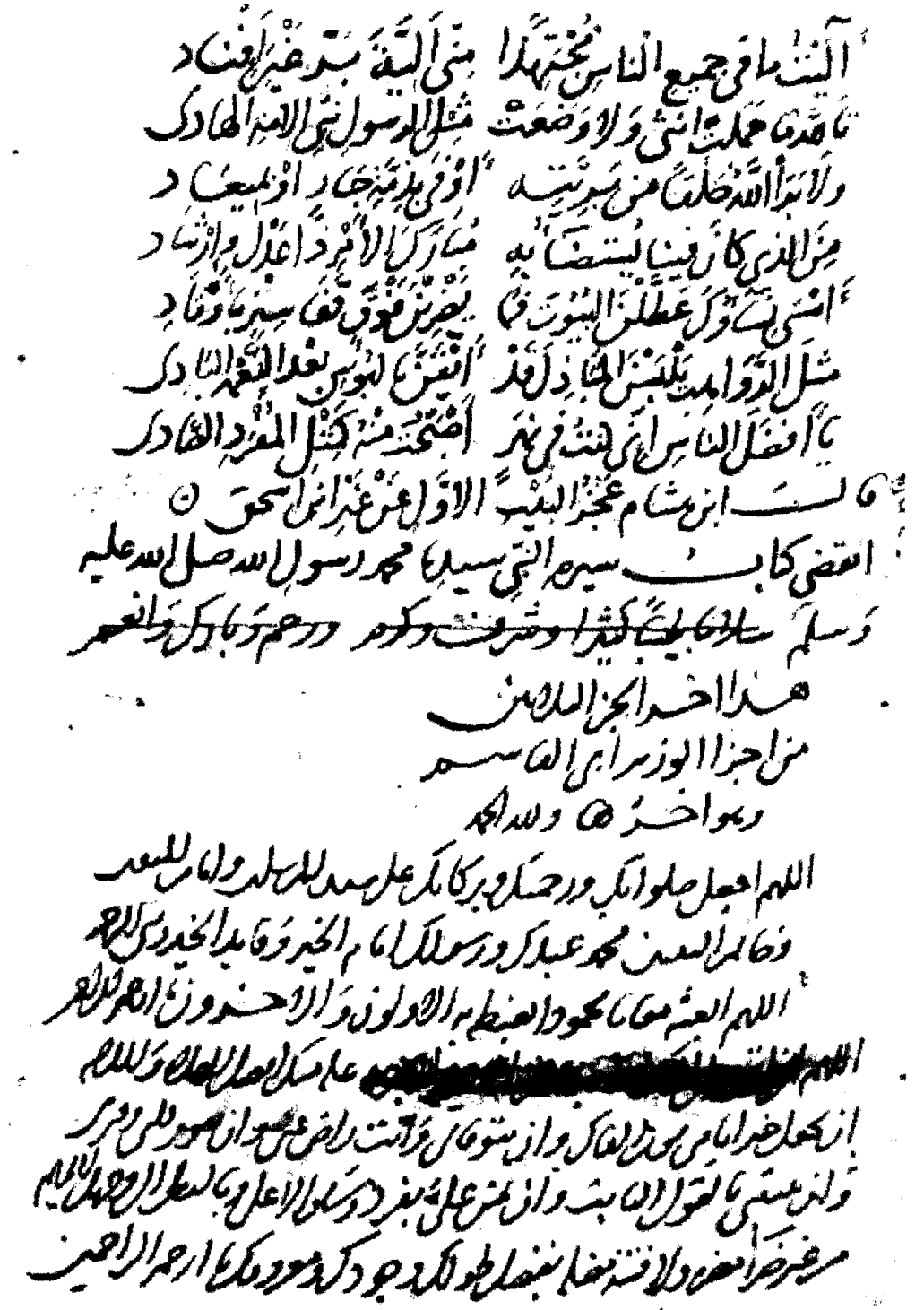
الصفحة الأخيرة من ج ٢ من نسخة (ف)



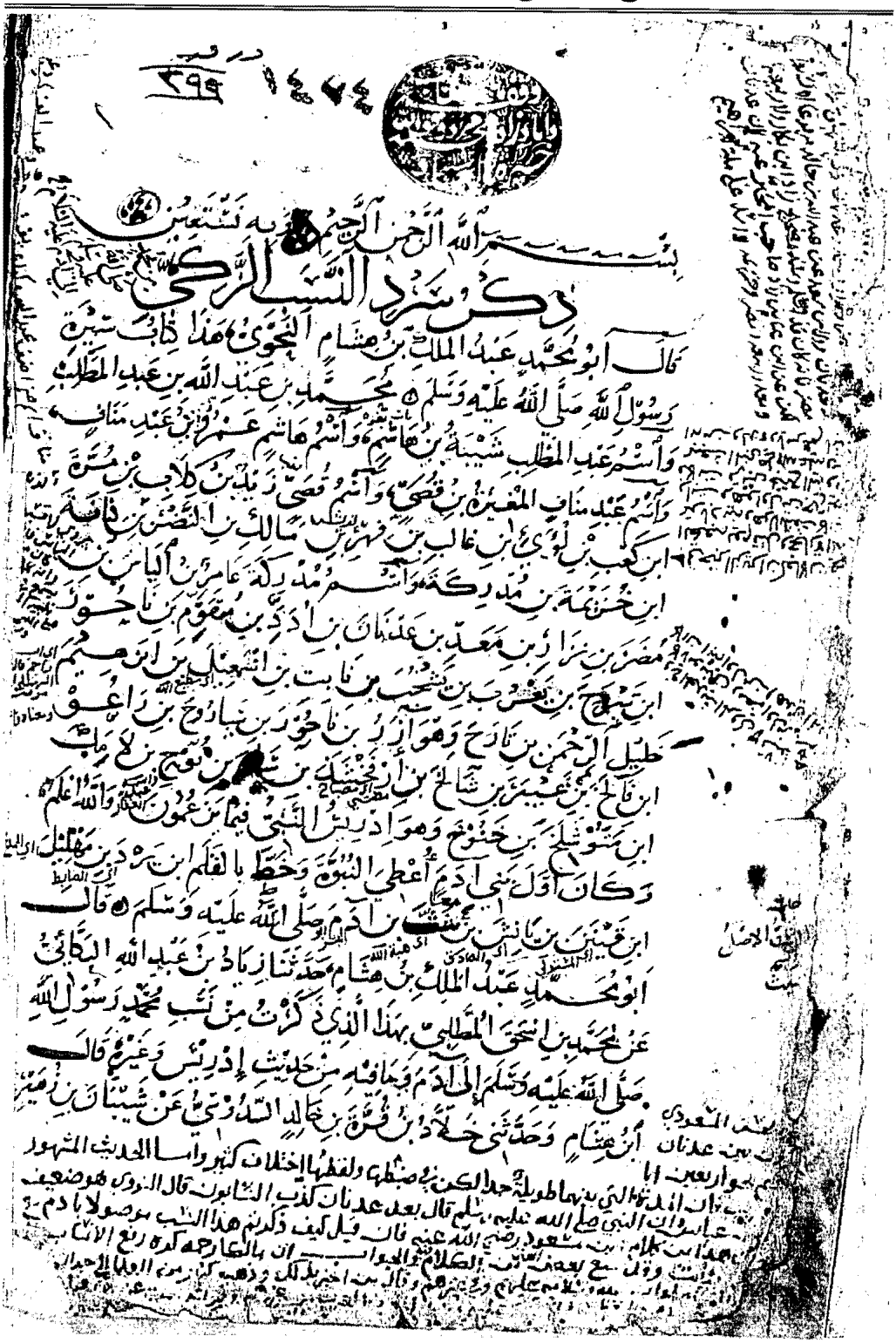
الصفحة الأولى من نسخة (ق١)



الصفحة الأولى من نسخة (ق٢)



الصفحة الأخيرة من نسخة (ق٢)



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ذكر سرد النسب الزكي

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام النحوي: هذا كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب شيبة بن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف المغيرة بن قصي واسم قصي زيد بن كلاب بن مرة واسم كلاب حكيم بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسم مدركة عامر بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروخ بن راعو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو إدريس النبي فيما يزعمون والله أعلم ابن مهلائيل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم وكان أول بني آدم أعطي النبوة وخط بالقلم ابن برد صلى الله عليه وسلم.

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي بهذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آدم وبما فيه من حديث إدريس وغيره قال أبو محمد: وحدثني حجة بن قرة بن خالد السدوسي عن شيبان بن زهير عن عدنان أبي معد وما يعد أبا.



عدة الاشارك

أن اسحق فجمع من حفظ لنا من الأنصاري ثلثة وأربعون رجلا قال ابن هشام
وقع من جملة العدة رجل لم أذكر اسمه ومن لم يذكر ابن اسحق من الأنصاري
من بني هاشم بن عبد مناف عتبة حليف لهم من بني فهر رجل ومن بني المطلب
ابن عبد مناف عقيل بن عمرو حليف لهم وآخر تميم بن عمرو واسمه ثلثة
نفر ومن بني عبد شمس بن عبد مناف خالد بن اسيد بن ابي العيص وابو
العريض يسار مولى العاص بن امية رجلان ومن بني نوفل بن عبد مناف
نبهان مولى لهم رجل ومن بني اسد بن عبد العزى عبد الله بن جحش بن
الحرث رجل ومن بني عبد الدار بن قصي عقيل حليف لهم من اليمن رجل ومن
بني تيم بن مرة مشافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ومن
بني مخزوم بن يقظة قيس بن السايب رجل ومن بني جمح بن عمرو بن عمرو بن
اي حليف لهم وابو رهم بن عبد الله حليف لهم وحليف لهم ذهب عني
اسمه ومولیان لأمية بن خلف احدهما نسطاس وابو رافع غلام امية
ابن خلف ستة نفر وأسلم مولى الحجاج رجل ومن بني عامر بن لؤي
حبيب بن جابر والسايب بن مالك رجلان ومن بني الحرث بن فهر
شافع ومشفع حليفان لهم من اليمن رجلان

ثم الجزء الخامس عشر من متيسر
رسول الله صلى الله وسلم من اجزاء الوزر
اي القسم الغربي من قسمة ثلثين جزءا

انهاه كتابة محمد بن محمد بن عبد المنعم بن ابي الوردس القرا الانصاري البعلبكي عفا الله عنه
وسابع عشر الحجة من سنة خمس عشرة وثمان مايه
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وحسبنا الله ونعم الوكيل

الصفحة الأخيرة من ج ١ من نسخة (م)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ذكر ما قيل من الشعر في يوم بدر

قال ابن إسحق وكان مما قيل من الشعر في يوم بدر من الشعر وتراد به القوم بينهم لما كان فيه من قول حسان بن عبد المطلب رحمه الله قال ابن هشام وأكثر أهل العلم ينكرها وقد مضتها

ألم تر أمرا كان من عجب الدهر ... وللحين أشباه، مبينة الأمر

وما ذاك إلا أن قوما أقادهم ... فجاءوا بوافٍ بالعقوق وبالكفر

عشية راحوا نحو بدر بجمعهم ... وكانوا هوانا للركية من بدر

وقد طلبنا العير لم نبغ غيرها ... فساروا إلينا فالتقينا على قدر

فلما التقينا لم تكن متنوية ... لنا غير طعن بالمثقفة السمر

وضرب بيض تختلي الهام حدها ... مشهرة الألوان بينة الأثر

ونحن مررنا عتبة الغي نافيا ... وشيبة في قتلى تجرجم في الحفر

وعمرو ثوى فيمن ثوى من حماتهم ... فشقت جيوب النائحات على عمرو

جيوب نساء من لؤي بن غالب ... كرام تفض عن الذوائب من فهر

أولئك قوم قتلوا في ضلالهم ... وخلوا لواء غير مختضر النصر

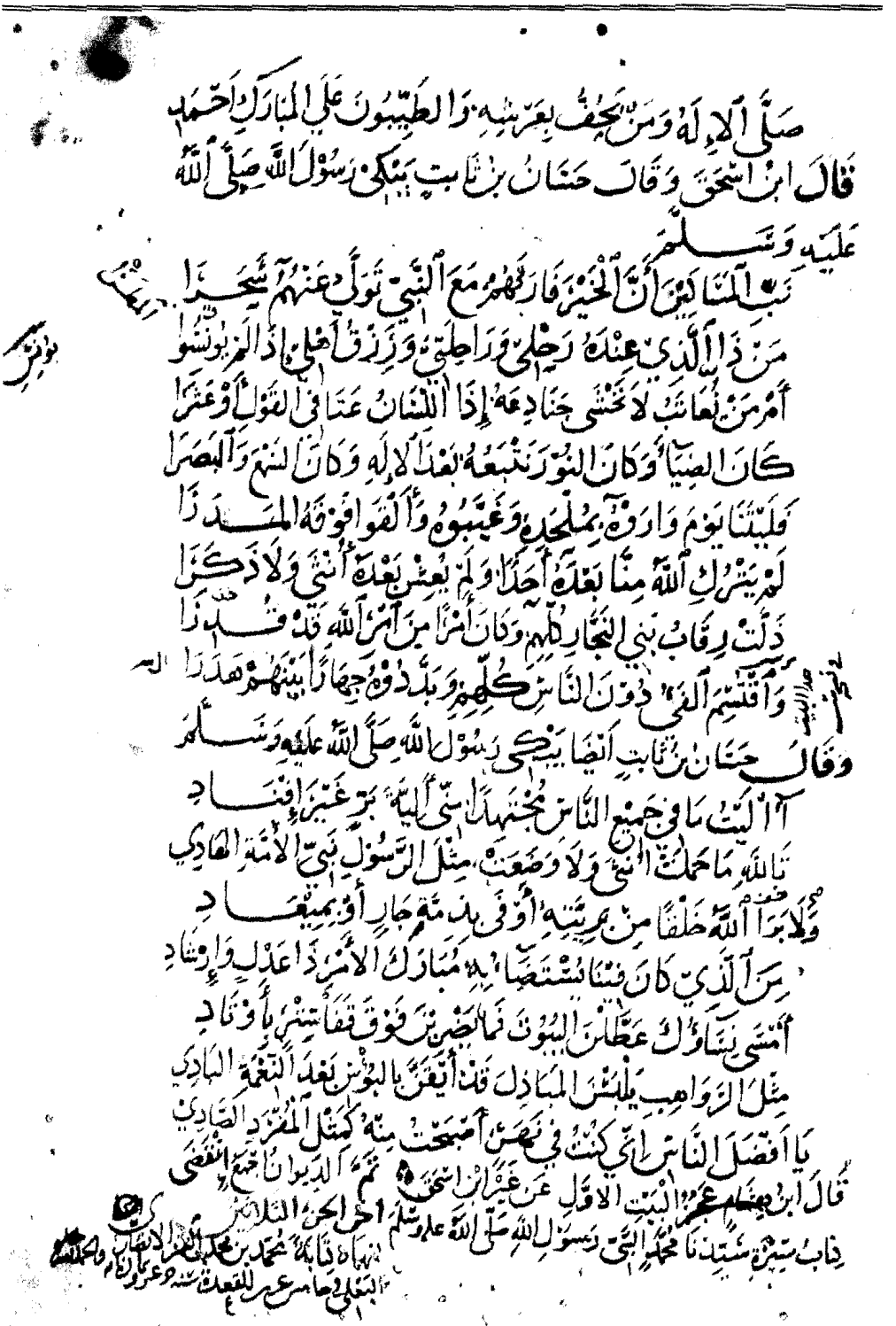
لواء ضلال قاده إبليس أهله ... فحاش بهم إن الخبيث إلى غدر

وقال لهم إذ عاين الأمر واضحا ... أبرأ لكم مما بكم اليوم من صبر

فإني أرى ما لا ترون وإنني ... أخاف عقاب الله والله ذو قسر

فقد منهم للحين حتى توردوا ... وكان بما لم يخبر القوم داخبر

الصفحة الأولى من ج٢ من نسخة (م)



الصفحة الأخيرة من ج٢ من نسخة (م)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سيرة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

(المعروفة بسيرة ابن هشام)

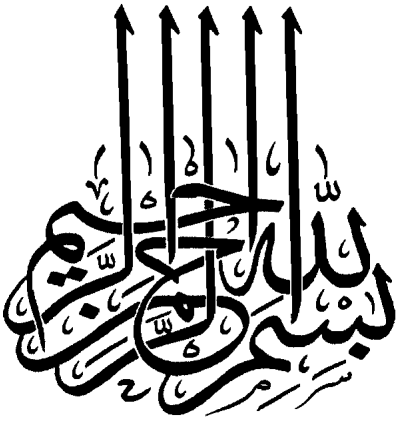
للإمام البارع اللغوي الأخباري عبد الملك بن هشام بن أيوب المصري

المتوفى سنة ٢١٨ هـ

حققها على أصولها وضبط نصها وخرج أحاديثها وعلق عليها

د. همام عبد الرحيم سعيد — عادل مرشد القدسي

مقابلة على اثنتي عشرة نسخة خطية، منها ست تامة وست أجزاء متفرقة
مع العناية بتحرير أماكن الأحداث منها وبيان مواقعها الجغرافية


بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه توفيقي

قال الشيخُ الإمام العالم العلَّامة القُدْوة المحقِّق، لسانُ الأدب، وتَرجُمانُ العرب، وحيدُ عصره، وفريدُ دهره، أبو محمدٍ عبدُ الملك بن هشامٍ الحِمْيَريُّ المَعَافِريُّ، قدَّس الله رُوحَه:

ذكرُ سَرْد النَّسب الزَّكيّ

من محمدٍ رسولِ الله ﷺ إلى آدمَ عليه السلام

قال أبو محمدٍ عبدُ الملك بن هشامٍ النَّحْويُّ المَعَافِريُّ:

هذا كتاب سيرة رسول الله ﷺ محمدِ بن عبد الله بن عبد المُطَّلِب، واسم عبد المُطَّلِب: شَيْبةُ بن هاشم، واسم هاشمٍ عَمرُو بن عبد مَنَاف، واسم عبد مَنَافٍ المغيرةُ ابن قُصَيّ، واسم قُصَيٍّ زيدُ بن كِلَاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كِنَانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة، واسم مُدْرِكةَ عامرُ بن الْياسِ[1] بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدِّ بن عدنان[2] بن أُدَد بن مُقوِّم بن ناحُور بن تَيرَح بن يَعرُب بن

---

(١) قال فيه ابن الأنباري: إلياس، بكسر الهمزة، وجعله موافقاً لاسم إلياسَ النبيِّ صلّى الله عليه، وقال في اشتقاقه أقوالاً، قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ١/ ٥٩: والذي قاله غيرُ ابن الأنباري أصحُّ، وهو أنه الْياس، سُمّي بضدّ الرَّجاء، واللام فيه للتعريف، والهمزة همزةُ وصلٍ.

(٢) إلى هنا اتَّفق النسابون في سرد أنساب العرب من ولد إسماعيل، قال ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص٧: عدنان من ولد إسماعيل بلا شكٍّ في ذلك، إلا أن تسمية الآباء بينه وبين إسماعيل قد جُهِلَت جُملةً، وتكلَّم في ذلك قوم بما لا يصحُّ. وانظر «البداية والنهاية» لابن كثير =

يَشجُب بن نابِت بن إسماعيل بن إبراهيم ـ خليلِ الرَّحمن ـ بن تارَحَ، وهو آزَرُ بن ناحُور بن سارُوح بن راغُو[1] بن فالَخ بن عَيبَر بن شالَخ بن أَرْفَخشَد[2] بن سام بن نوحٍ عليه السلام بن لامِك[3] بن مَتُّوشَلَخ بن خَنُوخ ـ وهو إدريسُ النبيُّ فيما يَزعُمون، والله أعلم، وهو أولُ بني آدم أُعطيَ النبوّةَ وخطَّ بالقَلَم ـ بن يَرْد بن مَهْلِيل بن قَيْنَن[4] ابن يانش بن شِيْث[5] بن آدمَ عليه السلام.

= ٣/ ٢٠٣-٢٠٧.

وأما ما رواه الحاكم (٣٥٦١) و(٣٧٧١) عن أم سلمة أنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَعَدُّ بنُ عدنان بن أُدَد بن زَنْد بن ثَرَا بن أعراق الثَّرى»، ثم قالت: وأعراق الثَّرى إسماعيل بن إبراهيم، وزَنْدٌ هَمَيسَع، وثرا نَبْتٌ. فإسناده ضعيف لا يصحّ.

(١) كذا في (ت)، وفي غيرها: راعو، بالعين المهملة، وجاء في المصادر الأخرى هكذا وهكذا.

(٢) يختلف أصحاب النسخ الخطية والمصادر في الحرف الأخير منه، فمنهم من يكتبه بدال مُهمَلة، ومنهم من يكتبه بالذال المُعجَمة، وهو عند أهل الكتاب في العهدين القديم والجديد: أرفكشاد.

(٣) هكذا في نسخنا الخطية وبعض المصادر كـ«نسب قريش» لمصعب الزُّبيري، و«أنساب الأشراف» للبَلاذُري؛ بألفٍ بعد اللام، وقُيّد بالحركات في (ص) بفتح الميم وكسرها، وكُتب فوقها: معاً، وكذا نصَّ عليه وقيّده بالحروف ابنُ الملقِّن في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» ٢/ ١٨، ويقال فيه أيضاً كما في أغلب المصادر: لَمْك، بلا ألف، وكذا قيّده الحافظ ابن حجر بالحروف في «فتح الباري» ١٠/ ٢٦.

(٤) هكذا قُيّد في (ص) بفتح القاف والنون، وانظر ضبط هذه الأسماء عند العينيّ في «عمدة القاري» ١٥/ ٢١٦.

(٥) وكذا هو بالعبرانية، بكسر الشين والياء الساكنة بعدها ثاء، ويقال: شاث، بالسُّريانية. انظر «التوضيح» ٢/ ٢١، و«عمدة القاري» ١٥/ ٢١٧. وفي (ت) و(ص): شث، بلا ياء، وقيّدها في (ص) بفتح الشين وتشديد الثاء.

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدّثنا زياد بن عبد الله البَكَّائي عن محمد ابن إسحاق المُطَّلِبي بهذا الذي ذكرتُ من نسبِ محمد ﷺ إلى آدم عليه السلام، وما فيه من حديث إدريس وغيره.

قال ابن هشام: وحدّثني خلّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسي، عن شَيْبان بن زهير ابن شَقِيق بن ثَوْر، عن قَتَادة بن دِعَامة أنه قال: إسماعيلُ بن إبراهيم ـ خليلِ الله ـ ابن تارَح، وهو آزَر بن ناحُور بن أسرَغ بن أرْغُو بن فالَخ بن عابَر[1] بن شالَخ بن ذي الفخشر[2] بن سام بن نوحٍ عليه السلام بن لامِك بن مَتُّوشَلَخ بن أهنُخ بن يَرْدَ بن مَهلائِيل بن قايِن بن أنُوش بن شِيث بن آدم عليه السلام.

قال ابن هشام: وأنا إن شاءَ اللهُ مبتدئٌ هذا الكتابَ بذِكْر إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما، ومَن وَلَدَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله مِن ولدِه، وأولادِهم لأصلابهم، الأوّلَ فالأوّلَ، من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليهما، وما يَعرِضُ من حديثهم، وتاركٌ ذكرَ غيرِهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله.

وتاركٌ بعضَ ما ذَكَرَ ابنُ إسحاق في هذا الكتاب ممّا ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله فيه ذكرٌ، ولا نَزَلَ فيه من القرآن شيءٌ، وليس سبباً لشيءٍ من هذا الكتاب،

---

(١) ويقال: عيبر، كما سبق.

(٢) هكذا في نسخنا الخطية، ولم نقف على من ذكره هكذا بالراء، ولكن يقال فيه: ألفخشذ، ويقال: أرنخشذ، ومعناه: مصباح مضيء. ذكر ذلك علاء الدين مغلطاي في «الإشارة إلى سيرة المصطفى» ص٥٣. وفي «التوضيح» لابن الملقِّن ١٩/ ٣١٨: يقال: النخشد، ويقال: الفخشد. قلنا: وفي معظم المصادر: أرفخشد، بالراء بعد الهمزة وآخره إمّا دال مهملة أو ذال معجمة، وهذا الاختلاف في الألفاظ بسبب الاختلاف في ترجمتها عن أهل الكتاب.

ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه؛ لما ذكرتُ من الاختصار، وأَشعاراً ذَكَرَها لم أرَ أحداً من أهل العلم بالشِّعر يَعرِفُها.

وأشياءَ بعضُها يَشنُع الحديثُ به، وبعضٌ يَسُوءُ الناسَ ذكرُه، وبعضٌ لم يُقِرَّ لنا البَكّائيُّ بروايته، ومستقصٍ ما سوى ذلك منه بمَبلَغِ الرّوايةِ له، والعِلْمِ به.

سِيَاقةُ النَّسب من ولد إسماعيل

قال ابن هشام: حدّثنا زياد بن عبد الله البَكَّائيّ، عن محمد بن إسحاق المُطَّلِبيّ قال: وَلَدَ إسماعيلُ بن إبراهيمَ اثني عشرَ رجلاً: نابتَ بن إسماعيل، وكان أكبَرَهم، وقَيذَر، وأذبُل، ومَنشِي، ومَسمَع، وماشِي، ودَمّا، وأذُرَ، وطَيْما، ويَطُور، ونيش، وقيذُما، وأمُّهم بنتُ مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمي.

قال ابن هشام: ويقال: مِضَاض، وجُرهُمُ ابنُ قَحْطانَ ـ وقحطانُ أبو اليمن كلِّها، وإليه يجتمع نسبُها ـ بنِ عابَر بن شالَخ بن أَرفخشَد بن سام بن نوحٍ عليه السلام.

قال ابن إسحاق: وجُرهُم بن يَقطُن بن عَيبَر بن شالَخ، وقحطان بن عَيبَر بن شالَخ.

قال ابن إسحاق: وكان عمُرُ إسماعيل ـ فيما يذكرون ـ مئةَ سنةٍ وثلاثين سنةً، ثمّ مات رحمة الله عليه وبركاته، فدُفِنَ في الحِجْر مع أمّه هاجَرَ[1].

قال ابن هشام: تقول العرب: هاجَرُ وآجَرُ، فيُبدِلون الألفَ من الهاء، كما قالوا: هَرَاقَ الماءَ، وأَراقَ الماءَ، وغيرَه، وهاجرُ من أهل مِصْر.

قال ابن هشام: حدّثنا عبد الله بن وَهْب، عن عبد الله بن لَهِيعةَ، عن عمر مولى غُفْرةَ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «اللهَ اللهَ في أهلِ الذِّمّةِ، أهلِ المَدَرَةِ السَّوداءِ، السُّحْمِ

(١) والله أعلم بحقيقة ذلك!

الجِعَادِ، فإنَّ لهم نَسَباً وصِهراً»[1].

قال عمر مولى غُفْرة: نَسَبُهم: أنّ أمَّ إسماعيلَ النبيِّ عليه السلام منهم، وصِهرُهم: أنّ رسول الله ﷺ تَسَرَّر فيهم[2].

قال ابن لَهِيعة: أمُّ إسماعيل هاجَرُ، من أمِّ العَرَب، قريةٍ كانت أمام الفَرما[3] من مِصْر، وأمُّ إبراهيم عليه السلام مارِيَةُ سُرِّيّةُ النبي ﷺ، التي أهداها له المُقَوقِسُ من حَفْنٍ من كُورة أَنْصِنا[4].

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن مُسلِم بن عُبيد الله بن عبد الله بن شِهاب

---

(١) إسناده ضعيف لسوء حفظ ابن لهيعة وضعف عمر مولى غُفرة وإرساله له، فإنه من صغار التابعين.

وأخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» ص٥٣-٥٤ عن ابن هشام، بهذا الإسناد.

وأخرجه الزبير بن بكّار في «المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ» ص٦٠ عن محمد بن الحسن ابن زَبَالة ـ وهو متروك الحديث ـ عن عبد الله بن وهب، به.

المَدَرة: واحدة المَدَر، والعرب تسمي القرية: المَدَرة، وأهل المدر: أهل القرى.

والسُّحم: السُّود، واحده أَسحَم وسحماء. والجِعاد: جمع الجَعْد، وهوالذي في شَعرِه تكسير.

(٢) أي: اتّخذ سُرِّيّةً منهم، يعني مارِيَة القِبطية، والسُّرِّيّة: الجارية.

(٣) قُيّدت في (ت) و(ص) بسكون الراء، وقيّدها ياقوت في «معجم البلدان»: فَرَما، محرَّكة. والفرما: يعرف مكانها اليوم بتلّ الفرما، وهي في أقصى شمال مصر وتبعد عن شرق بورسعيد نحو ٣٠ كم.

وأما أمُّ العرب، فقال ياقوت في «معجمه» ١/ ٢٤٩: قرية كانت أمام الفرما من أرض مصر، ورواه بعضهم: أم العَريك.

(٤) أنْصِنا: مدينة من نواحي الصعيد على شرقيّ النيل، وحَفْن من قراها. والكُورة يراد بها الناحية أو الإقليم.

الزُّهْري، أن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ثم السَّلَمي حدَّثه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا افتَتحتُم مِصرَ فاستَوصُوا بأهلِها خيراً، فإنّ لهم ذِمّةً ورَحِماً»[1].

---

(١) حديث صحيح، وقد اختُلف على الزُّهري في وصله وإرساله.

فرواه ابن إسحاق كما هو هنا وفيما أخرجه عنه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» ص٥٠، والطبري في «تاريخه» ١/ ٢٤٧، وابن البخاري في «مشيخته» (٨٣٦) عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب مرسلاً.

وتابعه على إرساله غير واحد، فقد أخرجه ابن سعد في «طبقاته» ١٠/ ٢٠٣ عن محمد بن عمر الواقدي، عن معمر بن راشد ومحمد بن عبد الله بن مسلم ابن أخي الزُّهْري، وابن عبد الحكم ص ٤٩-٥٠ عن أشهب بن عبد العزيز وعبد الملك بن مسلمة عن مالك بن أنس، والبَلاذُري في «فتوح البلدان» ص ٢١٦، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٣٢٢ من طريق عبد الله بن وهب عن مالك بن أنس والليث بن سعد، وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» ص٥٠ عن عبد الله بن صالح ومحمد بن رُمح عن الليث بن سعد، وص٥٠ من طريق سفيان بن عيينة، كلهم (معمر ومحمد ابن عبد الله ومالك والليث بن سعد، وابن عيينة) عن الزُّهري، عن ابن كعب بن مالك مرسلاً. هكذا قالوا: «ابن كعب بن مالك» ولم يسمّوه.

وخالفهم آخرون فوصلوه، وهم إسحاقُ بن راشد عند الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٣٦٦)، والطبراني في «الكبير» ١٩/ (١١١)، والبيهقي في «الدلائل» ٦/ ٣٢٢، وعبدُ الرحمن ابن عمرو الأوزاعي عند الطحاوي (٢٣٦٤) و(٢٣٦٥)، والطبراني ١٩/ (١١٣)، ومالكُ بن أنس في رواية الوليد بن مسلم عنه عند الطبراني ١٩/ (١١٢)، ومعمرُ بنُ راشد في رواية هشام بن يوسف عنه عند الحاكم في «المستدرك» (٤٠٧٦)، فرَووه كلهم عن الزُّهري، عن ابنِ كعب بن مالك، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره.

وله شاهد يصحّ به، من حديث أبي ذر الغفاريّ عند مسلم (٢٥٤٣) رفعه: «إنكم ستفتحون أرضاً يُذكر فيها القِيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإنَّ لهم ذمّةً ورحماً». والقيراط، قال ابن =

فقلت لمحمد بن مسلم: ما الرَّحِمُ التي ذكر رسولُ الله ﷺ لهم؟ فقال: كانت هاجرُ أمُّ إسماعيل منهم.

قال ابن هشام: فالعرب كلُّها من إسماعيل وقَحْطان، وبعضُ أهل اليمن يقول: قحطانُ من ولدِ إسماعيل، ويقول: إسماعيلُ أبو العرب كلِّها.

قال ابن إسحاق: عادُ بن عُوص بن إرَم بن سام بن نوح، وثمودُ وجَدِيس أبناءُ عاثَر[1] بن إرَم بن سام بن نوح، وطَسْم وعِمْلاق وأُمَيم بنو لاوِذ بن سام بن نوح، عربٌ كلُّهم، فوَلَدَ نابِتُ بنُ إسماعيل يَشجُبَ بنَ نابت، فوَلَدَ يَشجُبُ يَعرُبَ بنَ يَشجُب، فوَلَدَ يعربُ تَيرَحَ بنَ يَعرُب، فوَلَدَ تَيرَحُ ناحُورَ بنَ تَيرَح، فوَلَدَ ناحُورُ مُقوَّمَ ابنَ ناحُور، فوَلَدَ مقوَّمٌ أُدَدَ بنَ مقوَّم، فوَلَدَ أُدَدُ عدنانَ بنَ أُدَد.

قال ابن هشام: ويقال: عدنان بن أُدٍّ.

تفرُّق القبائل من عدنان

قال ابن إسحاق: فمن عدنانَ تفرَّقت القبائلُ من ولد إسماعيل بن إبراهيم، فوَلَدَ عدنانُ رجلين: مَعَدَّ بن عدنان، وعَكَّ بن عدنان.

قال ابن هشام: فصارت عَكٌّ في دار اليمن، وذلك أن عَكّاً تزوَّج في الأشعريِّين فأقام فيهم، فصارت الدار واللغة واحدة، والأشعريُّون بنو أشعَر بن نَبْت بن أُدَد بن

= الأثير في «النهاية»: جزء من أجزاء الدينار، وهو نصف عُشره في أكثر البلاد.

وأراد بالأرض المستفتَحة مصر، وخصّها بالذِّكر وإن كان القيراط مذكوراً في غيرها؛ لأنه كان يغلب على أهلها أن يقولوا: أعطيتُ فلاناً قراريط؛ إذا أسمعه ما يكرهه، واذهب لا أُعطيك قراريطك؛ أي: سبَّك وإسماعَك المكروه، ولا يوجد ذلك في كلام غيرهم.

(١) ويقال: عابر، بالباء، ويقال: جاثر، بالجيم.

زيد بن مِهسَع[1] بن عمرو بن عَرِيب بن يَشجُب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشجُب ابن يَعرُب بن قَحْطان. ويقال: أشعرُ نَبْتُ بن أُدَد[2]، ويقال: أشعرُ بن مالك، ومالكٌ: مَذْحِج بن أُدَد بن زيد بن مِهسَع، ويقال: أشعر بن سَبَأ بن يَشجُب.

وأنشدني أبو مُحرِزٍ خلفٌ الأحمرُ وأبو عبيدة لعبَّاس بن مِرْداس، أحد بني سُليم ابن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان، يَفخَرُ بعَكٍّ:

وعَكٌّ بنُ عدنانَ الذين تَلعَّبُوا بغسّانَ حتى طُرِّدوا كلَّ مَطرَدِ

وهذا البيت في قصيدة له[3].

وغسّانُ: ماءٌ بسُدٍّ[4] مَأرِبَ باليمن، كان شِرْباً لولد مازن بن الأَسْد[5] بن الغَوْث،

---

(١) هكذا وقع لابن هشام، وليس إلا عنده، ولم يسمَّ في كتب الأنساب إلا هَمَيسع.

(٢) لفظة «نبت» ليست في (ت)، وأشير في هامشها أنها في نسخة. والأشعرُ جزم ابن الكلبيّ وابن حَزْم في أنسابهما أنه نبت بن أدد.

(٣) انظر «ديوان العباس بن مرداس» ص٦٢.

وقوله هنا: «تلعّبوا» وقع في المطبوع من ديوانه: تلاعبوا، وفي بعض المصادر: تلقَّبوا، بالقاف.

(٤) السّد، بضم السين وفتحها: الجبل والحاجز، وقيل: السُّد بالضم: ما كان من خلق الله، وبالفتح: ما كان من عمل بني آدم، كما في «صحاح» الجوهري مادة (سدد). قلنا: وقد قُيِّدت في نسخنا الخطية في هذا الموضع والمواضع التالية بالضم، وسيأتي قريباً في أبياتٍ للأعشى أنه كان من بناء حِميَر.

ومَأرِب: وادٍ عظيم يقع شرق صنعاء على قرابة ١٥٠ كم.

(٥) بفتح الهمزة وسكون السين، وهو الأزْد، فيُبدِلون السين من الزاي، قال أبو عُبيد القاسم ابن سلّام ويعقوب بن السِّكِّيت: يقال لهم: الأَسْد بالسين والأَزْد بالزاي، وهم أَزْدُ شَنُوءة، وهي بالسين أفصح. انظر «الأنساب» للسمعاني ١/ ٢١٣.

فسُمُّوا به.

ويقال: غسّانُ ماءٌ بالمُشلَّل قريبٌ من الجُحْفة[1]، والّذين شربوا منه فسُمُّوا به قبائلُ من ولد مازن بن الأَسْد بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ ابن يَشجُب بن يَعرُب بن قَحْطان.

قال حسّان بن ثابت الأنصاري ـ والأنصارُ بنو الأَوس والخَزرَج ابنَي حارثة بن ثَعْلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرِئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَسْد بن الغَوْث ـ:

إمّا سألتِ فإنّا مَعشَرٌ نُجُبٌ الأَسْدُ نِسبتُنا والماءُ غسّانُ

وهذا البيت في أبياتٍ له[2].

فقالت اليمن وبعض عَكٍّ ـ وهم الذين بخُراسان منهم ـ: عَكُّ بن عدنان بن عبد الله ابن الأزْد بن الغَوْث، ويقال: عُدْثان بن الذِّيب[3] بن عبد الله بن الأَسْد.

قال ابن إسحاق: فوَلَدَ مَعَدُّ بن عدنان أربعةَ نفرٍ: نزارَ بن معدٍّ، وقُضَاعةَ بن معدّ، وكان قضاعةُ بِكرَ مَعدٍّ الذي به يُكْنى فيما يَزعُمون، وقُنُصَ بن معدّ، وإيادَ بن معدّ.

فأما قُضاعةُ فتَيامَنَت إلى حِمْيَر بن سَبَأ ـ وكان اسم سبأ عبدَ شمس، وإنما سُمِّي

---

(١) المشلَّل: موضع يُعرَف اليوم بالقُديدية، وهي على الطريق من المدينة إلى مكة وهي إلى مكة أقرب، بمحاذاة مدينة رابغ، تبعد عنها حوالي ٤٠ كم.

والجُحفة: تقع جنوب شرق مدينة رابغ على بعد ٢٠ كم تقريباً، وتبعد عن المدينة المنوّرة أكثر من ٢٠٠ كم في الجنوب الغربيّ منها، وقد اندثرت قديماً لم يبق منها إلا آثار.

(٢) انظر «ديوانه» ١/ ٢٤٦. وانظر أيضاً: «الإنباه على قبائل الرواة» لابن عبد البر ص١٠٢، و«معجم البلدان» لياقوت ٤/ ٢٠٤.

(٣) هكذا في النسخ الخطية، والذيب لم يذكره أحد غير ابن إسحاق في هذا النسب.

سبأً، لأنه أول من سَبَى في العرب ـ بنِ يَعرُب بن يَشجُب[1] بن قحطان.

قال ابن هشام: فقالت اليمن وقُضَاعةُ: قضاعةُ بن مالك بن حِمْيَر.

وقال عمرو بن مُرّة الجُهَني ـ وجهينةُ ابنُ زيد بن ليث بن سُود بن أَسلُم بن الحافِ ابن قُضاعة ـ:

نحنُ بنو الشَّيخِ الهِجَانِ الأزْهرِ[2] قُضاعةَ بنِ مالكِ بنِ حِميَرِ
النَّسبُ المعروفُ غيرُ المُنكَرِ[3]

قال ابن إسحاق: وأما قُنُص بن مَعَدٍّ فهلكت بقيّتُهم ـ فيما يزعم نُسّاب مَعَدّ ـ وكان منهم النعمان بن المُنذِر ملكُ الحِيرة.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن مسلم بن عُبيد الله بن شِهاب الزُّهْري: أن النعمان بن المنذر كان مِن ولدِ قُنُص بن معدّ.

قال ابن هشام: ويقال: قَنَص[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنَس، عن شيخٍ

---

(١) هكذا وقع هنا: يعرب بن يشجب، مقلوباً، والصواب كما جاء عند المصنف في المواضع السابقة بتقديم يشجب على يعرب، وقد نبّه إليه أبو ذر الخشني في «إملائه على السيرة» ص٥.

(٢) قال أبو ذر الخشني: الهِجان: الكريم، وأصل الهجان: الأبيض من الإبل، وهو أكرمها، فأما الهجين فهو ذمّ. والأزهر: المشهور.

(٣) زاد في نسخة (ق١): في الحَجَر المنقوش تحت المِنبر. وهذا الرَّجَز يقال: إنه للأفلج بن اليعبوب، نسبه إليه ابن الكلبي في «نسب معدّ واليمن الكبير» ٢/ ٦٩٠، وابن عبد البر في «الإنباه على قبائل الرواة» ص٣٣.

(٤) هكذا قُيِّد بفتحتين في (ش١) و(ق١) و(م) و(ي)، وهو كذلك عند الجوهري في «الصحاح»، وقُيِّد في (ت) و(ص): قُنَص.

من الأنصار من بني زُرَيق أنه حدّثه: أن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه حين أُتي بسيف النعمان بن المنذر، دعا جُبيرَ بن مُطعِم بن عَدِيّ بن نَوفَل بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ ـ وكان جبيرٌ أنسبَ قريشٍ لقريش وللعرب قاطبةً، وكان يقول: إنما أخذتُ النَّسبَ من أبي بكرٍ الصِّدّيق رضي الله عنه، وكان أبو بكر أنسبَ العرب ـ فسلَّحه إياه[1]، ثم قال: ممن كان يا جبيرُ النعمانُ بنُ المنذر؟ فقال: كان من أَشْلاءِ[2] قُنُص ابن معدّ[3].

قال ابن إسحاق: فأما سائرُ العرب، فيَزعُمون أنه كان رجلاً من لَخْمٍ من ولد رَبِيعة بن نَصْر، فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

قال ابن هشام: لَخْمُ بن عَدِيِّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَدَ بن زيد بن مِهسَع بن عمرو ابن عَرِيب بن يَشْجب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ، ويقال: لخمُ بن عَدِي بن عمرو بن سبأ، ويقال: رَبيعةُ بن نَصْر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر، وكان تخلَّف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن.

---

(١) أي: قلَّده إياه وجعله سلاحاً له.

(٢) الأشْلاء: البقايا من كل شيء، واحدها: شِلْو، أي: من بقية أولاده.

(٣) خبر ضعيف لإبهام الشيخ الأنصاري الزرقي.

وأخرجه ابن أبي خيثمة في السفر الثاني من «تاريخه» (٤٠٢)، وفي السفر الثالث (٢٧٢٠) من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، والبغوي في «معجم الصحابة» (٣٤٥) من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن محمد بن إسحاق، به.

ورواه الزبير بن بكّار ـ كما في «تهذيب الكمال» للمزي ٤/ ٨٠٥ ـ عن عمر بن أبي بكر المؤمَّلي، عن عثمان بن أبي سليمان: أن عمر بن الخطاب لما أُتي بسيف النعمان بن المنذر... فذكر نحوه. والمؤمَّلي قال أبو حاتم الرازي: متروك ذاهب الحديث.

أمرُ عمرو بن عامر في خروجه من اليمن وقصة سُدِّ مَأرِب

وكان سببُ خروج عمرو بن عامرٍ من اليمن ـ فيما حدّثني أبو زيد الأنصاري ـ: أنه رأى جُرَذاً يَحفِرُ في سُدِّ مَأرِب، الذي كان يَحبِس عليهم الماء، فيصرِّفونه حيث شاؤوا من أرَضِيهم، فعَلِم أنه لا بقاءَ للسُّد على ذلك، فاعتزم على النُّقْلة عن اليمن، فكاد قومَه، فأمر أصغرَ ولده إذا أغلَظَ له ولَطَمَه أن يقومَ إليه فيَلطِمَه، ففعل ابنُه ما أمره به، فقال عمرو: لا أُقيمُ ببلدٍ لَطَمَ وجهيَ فيه أصغرُ ولدي، وعَرَضَ أمواله، فقال أشرافٌ من أشراف اليمن: اغتنِموا غَضْبةَ عمرو، فاشتَرَوا منه ماله. وانتقل في ولده وولد ولده، وقالت الأَسْدُ: لا نتخلَّفُ عن عمرو بن عامر، فباعُوا أموالهم وخرجوا معه، فساروا حتى نزلوا بلادَ عَكٍّ مُجتازِين يرتادون البلدان، فحاربَتْهم عَكٌّ، فكانت حربُهم سِجالاً، ففي ذلك قال العباسُ بن مِرْداسٍ البيتَ الذي كتبنا[1].

ثم ارتحلوا عنهم فتفرَّقوا في البلدان، فنزل آلُ جَفْنةَ بن عمرو بن عامرٍ الشامَ، ونزلت الأوسُ والخزرجُ في يثربَ، ونزلت خُزَاعةُ مَرّاً[2]، ونزلت أزْدُ السَّرَاةِ السَّراةَ[3]، ونزلت أزْدُ عُمَانَ عُمانَ، ثم أرسل الله تعالى على السُّدِّ السيلَ فهَدَمَه،

---

(١) والذي مطلعه: وعَكٌّ بن عدنان الذين تلعَّبُوا، وقد تقدم قريباً.

(٢) هو الذي يقال له: مرُّ الظَّهران، وهو وادٍ من أودية الحجاز يمرُّ شمال غرب مكة على قرابة ٢٢ كم، ويصبّ في البحر الأحمر جنوب جُدّة بقرابة ٢٠ كم، ويسمَّى اليوم وادي فاطمة، وفيه عشرات من القرى وعيون الماء. انظر «المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» ص٢٨٨، و«معالم مكة التاريخية والأثرية» ص٢٥٨-٢٦٥، كلاهما لعاتق البِلاديّ.

وكونُ خزاعة من اليمن مما اختُلف فيه فبعض النسّابة ينسبونهم إلى مُضَر كما سيأتي ص٨٤.

(٣) السَّراة هذه: هي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب الطائف إلى قُرب أَبْها، وما زالت قبائل الأزد تنتشر فيها... وإذا أُطلقت السراة في جزيرة العرب، فإنما يقصد بها هذه المنطقة. قاله =

ففيه أنزل الله تعالى على رسوله محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ[1] ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سبأ:١٥-١٦]، والعَرِمُ: السُّدُّ، واحدته: عَرِمَةٌ، فيما حدّثني أبو عُبيدة[2].

قال الأعشى؛ أعشى بني قيس بن ثَعلَبة بن عُكَابةَ بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفصَى بن جَدِيلة بن أَسَد بن رَبِيعة بن نِزَار بن مَعَدّ ـ قال ابن هشام: ويقال: أَفْصى بن دُعْميّ[3] بن جَدِيلة، واسم الأعشى ميمونُ بن قيس بن جَندَل بن شَرَاحِيل بن عوف بن سعد بن ضُبَيعة بن قيس بن ثَعلَبة ـ:

وفي ذاكَ للمُؤتَسِي أُسْوةٌ ... ومَأرِبُ عفَّى عليها العَرِمْ[4]

رُخَامٌ بَنَتْهُ لهمْ حِميَرٌ ... إذا جاء مَوّارُه لم يَرِمْ[5]

= عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص١٥٥.

(١) هكذا في نسخنا الخطية بفتح الهمزة من سَبَأ ممنوعاً من الصرف، وبألفٍ بعد السين في (مَساكِنهم) جمع مَسكَن، وهي قراءة أبي عمرو البصري وابن كثير المكّي في الحرفين كما في «السبعة في القراءات» لابن مجاهد ص٤٨٠ و٥٢٨، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجَزَري ٢/ ٣٣٧ و٣٥٠، وخالفهما بقيّةُ السبعة فقرؤوا: (لسبإٍ) مصروفاً، ووافقهما منهم على قراءة (مَساكِنِهم) نافعٌ وابنُ عامرٍ وأبو بكر عن عاصم، وقرأ حمزة وحفص عن عاصم: (مَسْكَنِهم) بالإفراد وفتح الكاف، وقرأ الكسائي: (مَسْكِنِهم) بكسر الكاف.

(٢) وهو معمر بن المثنَّى البصريُّ شيخُ ابن هشام، وانظر كتابه «مجاز القرآن» ٢/ ١٤٦.

(٣) جاء في حاشية (ص) ما نصه: ثبوت دعمي هو الصواب عند أهل النسب.

(٤) عفّى: غَبَر ودَرَس.

(٥) موّاره: تلاطُمُ مائه وتموُّجه. ولم يَرِم، أي: لم يبرح ولم يزل.

فـأَروَى الـزُّروعَ وأعنابَهـا علـى سَـعَةٍ مـاؤُهمْ إذ قُسِـمْ
فصـاروا أَيـاديَ مـا يَقـدِرو نَ منه على شِـرْبِ طِفـلٍ فُطِـمْ[1]

وهذه الأبيات في قصيدةٍ له[2].

وقال أُميَّة بن أبي الصَّلْت الثَّقَفي ـ واسم ثَقيفٍ قَسِيٌّ بن مُنبِّه بن بكر بن هَوَازِن ابن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدِّ بن عدنان ـ:

مِن سَبَأَ الحاضـرينَ مـأربَ إذْ يَبنُـونَ مـن دونِ سَـيْلِه العَرِمـا

وهذا البيت في قصيدةٍ له. وتُروَى للنابغةِ الجَعْدي[3]، واسمه قيس بن عبد الله، أحدُ بني جَعْدة بن كعب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوَازن.

وهو حديث طويل، منعني من استقصائه ما ذكرتُ من الاختصار.

أمر ربيعة بن نصر ملكِ اليمن
وقصة شِقٍّ وسَطِيح الكاهنَينِ معه

قال ابن إسحاق: وكان ربيعةُ بن نصر مَلَكَ اليمنَ بين أضعافِ ملوك التبابعة[4]،

---

(١) فصاروا أياديَ، أي: متفرِّقين في كل وجهٍ، ومنه المثل: تفرَّقوا أياديَ سبأ. والشَّرب: بضم الشين المصدر، وبكسر الشين الحظّ والنصيب من الماء.

(٢) انظر «ديوانه» بتحقيق الرضواني ١/ ١٨١-١٨٣.

(٣) نسب هذا البيتَ لأميّةَ يونسُ بن حبيب النحويُّ، ونسبه للنابغة أبو عبيدة معمر بن المثنّى كما في «طبقات فحول الشعراء» لمحمد بن سلّام الجُمَحيّ ١/ ١٢٦-١٢٧. ويونس وأبو عبيدة كلاهما من شيوخ ابن هشام.

(٤) أي: في أثنائهم وأوساطهم، يقال: هو في أضعاف الكتاب وتضاعيفه، أي: في أثنائه وأوساطه، وهذا من المجاز، ذكره الجوهري في «الصحاح» والزمخشري في «أساس البلاغة».

فرأى رؤيا هالَتْه وفُظِع بها[1]، فلم يَدَعْ كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً[2] ولا منجِّماً من أهل مملكته إلا جَمَعَه إليه، فقال لهم: إنّي قد رأيت رؤيا هالَتْني، وفُظِعتُ بها، فأخبِروني بها وبتأويلها، فقالوا له: اقصُصْها علينا نُخبِرْك بتأويلها، قال: إنّي إن أخبرتكم بها لم أطمئنَّ إلى خبركم عن تأويلها، لأنه لا يعرف تأويلَها إلا من عرفها قبل أن أُخبِرَه بها.

فقال له رجلٌ منهم: فإن كان الملكُ يريد هذا، فليَبعَثْ إلى سَطِيحٍ وشِقٍّ، فإنه ليس أحدٌ أعلمَ منهما، فهما يُخبرانِه بما سأل عنه.

نسب سَطِيحٍ الكاهن

واسم سَطِيح: رَبيع بن رَبيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عَدِيّ بن عَدِيّ بن مازن[3] من غسَّان.

وشِقٌّ: ابنُ صَعْب بن يَشكُر بن رُهْم بن أفرَك بن قَسْر بن عَبْقَر بن أَنمار بن نِزار. وأنمارُ أبو بَجِيلةَ وخَثعَمَ.

قال ابن هشام: قالت اليمنُ وبَجِيلةُ: أنمارُ بن إراش بن لِحْيان بن عمرو بن الغَوْث ابن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ، ويقال: إراش بن عمرو بن لِحْيان. ودارُ بَجِيلةَ وخَثْعمَ يمانيَةٌ.

قال ابن إسحاق: فبعث إليهما، فقَدِمَ عليه سَطِيح قبل شِقّ، فقال له: إني قد رأيتُ رؤيا هالَتْني وفَظِعتُ بها، فأخبرني بها، فإنك إن أصبتَها أصبتَ تأويلَها، فقال: أَفعلُ،

(١) أي: اشتدَّت عليه واهتمّ لها.

(٢) العائف: المتكهِّن بالطير أو غيرها.

(٣) هكذا في (ت) و(ش١) و(غ) و(م) و(ي)، وفي (ص): ذئب بن عدي وعديٌّ ابن مازن، ونحوه في (ق١) حيث جاء فيها في نسبه: ذئب بن عدي بن مازن.

رأيتَ حُمَمَة[١]، خرجَت من ظُلُمَة[٢]، فوَقَعَت بأرضٍ تَهِمَة[٣]، فأكلَت منها كلَّ ذات جُمجُمَة، فقال له الملك: ما أخطأتَ منها شيئاً يا سَطيح، فما عندك في تأويلها؟ فقال: أحلفُ بما بين الحَرَّتين من حَنَش، لتَهبِطَنَّ أرضَكم الحَبَش، فلَتملِكَنَّ ما بين أبْيَنَ إلى جُرَش[٤]، فقال له الملك: وأبيكَ يا سطيح، إنّ هذا لنا لغائظٌ مُوجِع، فمتى هو كائن، أفي زماني أم بعدَه؟ فقال: لا، بل بعدَه بحِين، أكثرَ من ستِّين أو سبعين يَمضِين من السنين، قال: أفيَدُومُ ذلك من مُلكِهم أم ينقطع؟ قال: لا، بل ينقطع لبِضعٍ وسبعين من السنين، ثم يُقتَلون ويخرجون منها هاربين، قال: ومَن يَلِي ذلك من قَتلِهم وإخراجِهم؟ قال: يليه إرَمُ ذي يَزَن، يخرج عليهم من عَدَن، فلا يترك منهم أحداً باليمن، قال: أفيَدُومُ ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع، قال: ومَن يقطعُه؟ قال: نبيٌّ زَكِيّ، يأتيه الوحي من قِبَل العليِّ، قال: وممَّن هذا النبيّ؟ قال: رجلٌ من ولد غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر، يكون المُلك في قومِه إلى آخرِ الدّهر، قال: وهل للدَّهر من آخِر؟ قال: نعم، يومٌ يُجمَع فيه الأوّلون والآخِرون[٥]، يَسعَدُ فيه المحسنون، ويَشقَى فيه المُسيئون، قال: أحقٌّ ما تخبرني؟ قال: نعم، والشَّفقِ والغَسَق، والفَلَقِ إذا اتَّسَق[٦]، إنّ ما أنبأتُك به لَحَقّ.

---

(١) الحُمَمة: واحدة الحُمَم، وهو الفحم، وإنما أراد فحمةً فيها نار.

(٢) جاء في حاشية (ص): أصله ظُلْمة، مسكَّناً، وحرّكه للسجع.

(٣) التَّهِمة: الأرض الواسعة المتطامنة.

(٤) أبْيَن وجُرَش مدينتان من مدن اليمن، الأولى في جنوبها، والأخرى في شمالها.

(٥) في (ت): يجمع الله فيه الأولين والآخرين.

(٦) الشفق: الحُمْرة في الأفق عند غروب الشمس. والغسق: الظُّلمة. والفلق: الصبح. واتَّسق: تتابع وتوالى.

ثم قَدِمَ عليه شِقٌّ، فقال له كقوله لسَطيح، وكَتَمَه ما قال سطيح، لينظرَ أيتَّفقان أم يختلفان؛ قال: نعم، رأيتَ حُمَمة، خرجَت من ظُلُمَة، فوَقَعَت بين روضةٍ وأَكَمَة، فأكلَت منها كلَّ ذات نَسَمة.

قال: فلما قال له ذلك، عَرَفَ أنهما قد اتَّفقا، وأن قولهما واحد، إلا أن سَطيحاً قال: وَقَعَت بأرضٍ تَهِمة، فأكلَت منها كلَّ ذات جُمجُمة، وقال شِقّ: وقعَت بين روضةٍ وأَكَمَة، فأكلَت منها كلَّ ذات نَسَمَة.

فقال له الملك: ما أخطأتَ يا شِقُّ منها شيئاً، فما عندك في تأويلِها؟ قال: أَحلِفُ بما بين الحَرَّتين من إنسان، لَيَنزِلَنَّ أرضَكم السُّودان، فلَيَغلِبُنَّ على كل طَفْلةِ البَنان[1]، ولَيَملكُنَّ ما بين أَبْيَنَ إلى نَجْران، قال له الملك: وأبِيكَ يا شِقُّ، إنَّ هذا لنا لَغائِظٌ مُوجِع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني أم بعدَه؟ قال: لا، بعدَه بزمان، ثم يَستنقذُكم منهم عظيمٌ ذو شان، ويُذِيقُهم أشدَّ الهَوَان، قال: ومَن هذا العظيمُ الشان؟ قال: غلامٌ ليس بدَنِيٍّ ولا مُدَنّ[2]، يخرج عليهم من بيت ذي يَزَن، قال: أفيَدومُ سلطانُه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسولٍ مُرسَل، يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدِّين والفضل، يكون المُلْكُ في قومه إلى يوم الفَصْل، قال: وما يومُ الفصل؟ قال: يومٌ تُجزَى فيه الوُلَات[3]، ويُدعَى فيه من السماء بدَعَوات، يسمع منها الأحياءُ والأموات، ويُجمَع فيه الناسُ

---

(١) الحَرّة: أرض ذات حجارة سود. والطَّفلة: الناعمة الرَّخِصة، والبنان: أطراف الأصابع؛ يريد النساء.

(٢) قال الخُشني في «إملائه» ص٨: الدَّنِيّ معلوم، وأراد: لا مدنٌّ، فسكَّنه للسجع، والمُدنِّي: هو المقصّر في الأمور.

(٣) هكذا في نسخنا الخطية المعتمَدة بتاء مفتوحة، وفي نسخة متأخرة عندنا: الولاة، بتاء مربوطة، وهو الأصل، وإنما كُتبت بالمفتوحة في سائر النسخ مراعاة للسجع.

للمِيقات، يكون فيه لمَن اتَّقى الفوزُ والخيرات، قال: أحقٌّ ما تقول؟ قال: إي وربِّ السماءِ والأرض، وما بينهما من رفعٍ وخَفْض، إنّ ما أنبأتُك به لَحَقٌّ ما فيه أَمْض[1].

فوقع في نفس ربيعةَ بن نصرٍ ما قالا، فجهَّز بَنِيه وأهلَ بيته إلى العراق بما يُصلِحُهم، وكتب لهم إلى ملكٍ من ملوك فارس يقال له: سابُور بن خُرَّزاد، فأسكنهم الحِيرة.

فمن بقيَّة ولدِ ربيعة بن نصر: النعمانُ بن المُنذر، فهو في نَسَب اليمن وعِلْمهم: النعمانُ بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عَدِيِّ بن رَبيعة بن نصر، ذلك المَلِك.

قال ابن هشام: النعمان بن المنذر بن المنذر، فيما أخبرني خَلَفٌ الأحمر.

استيلاء أبي كَرِبٍ تُبَان أسعد على مُلك اليمن وغزوه يَثرِبَ[2]

قال ابن إسحاق: فلما هَلَكَ ربيعةُ بن نصر، رجع مُلكُ اليمنِ كلُّه إلى حسّان بن تُبَان أسعد أبي كَرِب - وتُبَان أسعد: تُبَّعٌ الآخِرُ - بن كَلْكِي كَرِبَ[3] بن زيد - وزيدٌ: تُبَّع الأول - بن عمرٍو ذي الأذعارِ بن أَبرَهة ذي المَنار بن الرَّيْس - قال ابن هشام:

---

(١) جاء في حاشية (ص): قال ابن هشام: الأمْض: الشَّك. قلنا: وذكر الخشني أنها لغة حِميَر، وقيل: أمْضٌ: باطل.

(٢) تُبَان: بضمّ التاء وبكسرها، ويقال: تُبّان أيضاً. وتبان أسعد: اسمان جُعلا اسماً واحداً، وإن شئت أضفتَ كما تضيف مَعدِي كَرِبَ، وإن شئتَ جعلت الإعراب في الاسم الآخِر. انظر «الروض الأنف» ١/ ١٥٥-١٥٦، و«شرح القاموس» مادة (تبن).

(٣) بوزن مَعدِي كَرِب، كما في «شرح القاموس» مادة (كلك)، وقال السهيليّ في «الروض الأنف» ١/ ٢٣٦: ولا أدري ما كلكي.

ويقال: الرايش ـ قال ابن إسحاق: ابن عَدِيّ بن صَيفيّ بن سَبَأ الأصغر بن كعبٍ كهفِ الظُّلْم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل ابن الغَوْث بن قَطَن بن عَرِيب بن زهير بن أنس بن الهَمَيسَع بن العَرَنجَج، والعَرَنجَج: حِمْيَر بن سَبَأ الأكبر بن يَعرُب بن يَشجُب بن قَحْطان. قال ابن هشام: يَشجُب بن يَعرُب بن قحطان.

قال ابن إسحاق: وتُبَان أسعد أبو كَرِب الذي قَدِمَ المدينة، وساق الحَبْرَين من يهودَ إلى اليمن، وعَمَّرَ البيتَ الحرامَ وكَسَاه، وكان مُلكُه قبل مُلْك ربيعة بن نصر.

قال ابن هشام: وهو الذي يقال له:

ليتَ حظِّي من أبي كَرِبٍ أن يَسُدَّ خيرُه خَبَلَهْ[1]

قال ابن إسحاق: وكان قد جعل طريقَه حين أقبلَ من المشرق على المدينة، وكان قد مرَّ بها في بَدْأته فلم يَهِجْ أهلَها، وخلَّف بين أظهُرِهم ابناً له فقُتل غِيلةً، فقَدِمَها وهو مُجمِعٌ لإخرابها، واستئصالِ أهلها وقطعِ نخلِها، فجَمَعَ له هذا الحيُّ من الأنصار، ورئيسُهم عمرو ابن طَلَّةَ أخو بني النَّجّار ثم أحدُ بني عمرو بن مبذول، واسم مبذولٍ: عامرُ بن مالك بن النَّجّار، واسم النَّجّار: تَيمُ الله بن ثعلبة بن عَمرو ابن الخَزرَج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

قال ابن هشام: عمرو ابن طَلّة: عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن

---

(١) البيت أورده أبو عبيد القاسم بن سلّام في «الأمثال» ص٢٥٠، وقال: يقال: إنّه لامرأة من الأوس في تُبَّع أبي كرب حين قدم المدينة، فأُطمعت أنَّ ينالها من خيره، فقالت هذه المقالة عند ذلك. اهـ

والخَبَل في هذا البيت: الفساد، أي: أنها تتمنّى أن يكون خيرُه مكافئاً لفساده.

النَّجّار، وطَلَّةُ أمُّه، وهي بنت عامر بن زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبدِ حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخَزرَج.

قال ابن إسحاق: وقد كان رجلٌ من بني عَدِيّ بن النجار يقال له: أَحمرُ، عَدَا على رجل من أصحاب تُبَّعٍ حين نزل بهم فقتله، وذلك أنه وَجَدَه في عَذْقٍ له يَجُدُّه[1]، فضربه بمِنجَله فقتله، وقال: إنما التمرُ لمن أَبَرَه[2]. فزاد ذلك تُبّعاً حَنَقاً عليهم، فاقتتلوا، فتزعُم الأنصارُ أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويَقْرُونه[3] بالليل، فيعجبه ذلك منهم ويقول: والله إنَّ قومنا لَكِرامٌ.

فبَيْنا تُبّعٌ على ذلك من حربهم، إذ جاءه حَبْران من أحبار يهود من بني قُريظةَ - وقُريظةُ والنَّضير والنَّحّام وعمرو، وهو هَدَلٌ: بنو الخَزرَج بن الصَّرِيح بن التَّوْمان[4] ابن السِّبْط بن اليَسَع بن سعد بن لاوي بن خَير بن النَّحّام بن تَنحُوم بن عازَر بن عِزرا[5] بن هارون بن عِمران بن يصهُر بن قاهَث بن لاوي بن يعقوب؛ وهو إسرائيل ابن إسحاق بن إبراهيمَ خليلِ الرَّحمن صلَّى الله عليه وسلَّم - عالمانِ راسخانِ، حين سَمِعا بما يريدُ من إهلاك المدينة وأهلِها، فقالا له: أيّها الملك، لا تفعل، فإنكَ إن أَبَيتَ إلا ما تريدُ، حِيلَ بينك وبينها، ولم نأمَنْ عليك عاجلَ العقوبة، فقال لهما:

---

(١) العَذْق بفتح العين: النخلة، وبكسرها: الكِباسَة، وهي عنقود النخلة. ويجدُّه: يقطعه.

(٢) أي: أصلحه ولقحه.

(٣) أي: يقدمون له الضيافة من مأكل ومشرب.

(٤) هَدَل، بفتح الدال والهاء، كأنه مصدر هَدَل هدلاً: إذا استرخت شَفَتُه، وذكره الأمير ابن ماكُولا عن أبي عَبْدة النَّسّابة فقال فيه: هَدْل، بسكون الدال. والتَّوْمان على وزن فَعْلان، كأنه من لفظ التُّوم، وهو الدُّرُّ أو نحوه. قاله السهيلي في «الروض الأنف» ١/ ١٦٦-١٦٧.

(٥) في (ص) و(غ): عِزر، بلا ألف.

ولِمَ ذلك؟ قالا: هي مُهاجَرُ نبيٍّ يخرج من هذا الحَرَم من قُريش في آخر الزمان، تكون دارَه وقرارَه، فتناهَى، ورأى أنَّ لهما عِلماً، وأعجبه ما سمع منهما، فانصرف عن المدينة، واتَّبعهما على دينهما.

فقال خالد بن عبد العُزَّى بن غَزِيَّة بن عمرو بن عبد عَوف بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار يَفخَرُ بعمرو ابن طَلَّة:

أَصَحَا أَمْ قد نَهَى ذُكَرَهْ ... أم قَضَى من لَذَّةٍ وَطَرَهْ[1]

أم تَذَكَّرتَ الشبابَ، وما ... ذِكرُك الشبابَ أو عُصُرَهْ[2]

إنَّها حربٌ رَبَاعِيَةٌ ... مِثلُها آتى الفتى عِبَرَهْ[3]

فسَلَا عِمرانَ أو أَسَداً ... إذ أتتْ غَدْواً معَ الزُّهَرَهْ

فَيلَقٌ فيها أبو كَرِبٍ ... سُبَّغٌ أبدانُها ذَفِرَهْ[4]

ثم قالوا: مَن نَؤمُّ بها؟ ... أبَنِي عوفٍ أم النَّجَرَهْ

بل بني النَّجّارِ إنّ لنا ... فيهمِ قتلى وإنَّ تِرَهْ[5]

فتَلَقَّتهُمْ مُسَايِفةٌ ... مَدُّها كالغَبْيةِ النَّثِرَهْ[6]

---

(١) الذُّكَر: جمع ذُكْرة بوزن غُرفة، وهي ضدّ النسيان. والوَطَر: الحاجة.

(٢) قال في «الروض» ١/ ١٦٨: أراد: أو عَصْرَه، والعَصْر والعُصُر لغتان، وحرَّك الصاد بالضم.

(٣) حرب رَباعِيَة: أراد أنها حرب فتيّة، فاستعار لها سنَّ الرباعيَة من الأنعام، وهي التي ليست بصغيرة ولا جَذَعة، بل هي فوق ذلك.

(٤) الفيلق: الكتيبة الشديدة. وسُبّغ: كاملة. وأبدانها: جمع بَدَن، وهي الدرع هنا. وذَفِرة، أي: لها رائحة من صدأ الحديد.

(٥) التِّرَة: طلب الثأر.

(٦) مُسايفة، يروى بفتح الياء وكسرها، أما بالفتح فمعناه: مقاتَلَة، وبالكسر فمعناه: قوم يقاتلون بالسيوف. ومَدُّها: كثرتها. والغَبْية: المَطْرة. والنَّثِرة: المتفرِّقة المطر.

فـيهِم عمـرُو ابـن طَلَّـةَ مَلَّـ ـى الإلٰـهُ قومَـه عُمُـرَهْ[1]
سيِّداً سامَى المُلـوكَ ومَـن رامَ عَمـراً لا يَكُـن قَـدَرَهْ

وهذا الحيُّ من الأنصار يَزعُمون أنه إنما كان حَنَقُ تُبَّعٍ على هذا الحيِّ من يهودَ الذين كانوا بين أظهُرهم، وإنما أراد هلاكَهم، فمنعوهم منه حتى انصرف عنهم، ولذلك قال في شِعره:

حَنَقاً على سِبطَينِ حلَّا يَثرِبا أَولى لهم بعقابِ يومٍ مُفسِدِ[2]

قال ابن هشام: الشِّعر الذي فيه هذا البيتُ مصنوعٌ، فذلك الذي مَنَعَنا من إثباته[3].

قال ابن إسحاق: وكان تُبَّعٌ وقومُه أصحابَ أوثان يعبدونها، فوَجَّه إلى مكة،

---

(١) قوله: مَلّى الإلٰه، ويروى: عَلّى الإلٰه، أي: متَّعهم به.

(٢) زاد قبل هذا البيت في (ت) و(ص) و(م) و(ي) بيتاً آخر هو:

ما بالُ نومِكَ مثلَ نومِ الأرمَدِ أَرِقاً كأنّكَ لا تـزالُ تُسهَّدُ

ولم يرد هذا في (ش١) و(غ) و(ق١)، وهو الصواب، فإن ابن هشام قد أورد هذه القصيدة في كتابه «التيجان في ملوك حمير» ص١٢١-١٢٤ وليس فيها هذا البيت، ثم إن حركة حرف الرَّوِيّ فيه مخالف لبقيّة القصيدة.

وقوله: أَولى لهم، كلمة معناها الوعيد، أي: قَرُبَ هلاكُهم.

(٣) هذا البيت من واحدة من القصائد الكثيرة التي ذكرها ابن إسحاق وأعرض عنها ابن هشام لأنها لم تصح نسبتها عنده، وقد حذف ابن هشام كثيراً من الأشعار التي لم تصح عنده، إلا أنه لم يصرح بذلك إلا في موضعين: هنا، حيث قال: هذا البيت مصنوع، فذلك الذي منعنا من إثباته، والموضع الثاني في قصة نذر عبد المُطَّلب أن يذبح ابنه، ونجاة ابنه عبد الله من ذلك، فيما سيأتي ص١٦٩، حيث قال: وبين أضعاف هذا الحديث رَجَزٌ لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر.

وهي طريقُه إلى اليمن، حتى إذا كان بين عُسْفانَ وأَمَجٍ[1]، أتاه نفرٌ من هُذَيل بن مُدْرِكة بن الْياسِ بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدٍّ، فقالوا له: أيّها الملك، ألا ندلُّك على بيت مالٍ داثرٍ[2] أغفَلَتْه الملوكُ قبلك، فيه اللؤلؤُ والزَّبرجدُ والياقوتُ والذهب والفضة؟ قال: بلى، قالوا: بيتٌ بمكة يعبدُه أهلُه، ويصلُّون عنده.

وإنما أراد الهُذَليُّون هلاكَه بذلك، لِما عرفوا من هلاك من أرادَه من الملوك وبَغَى عنده.

فلما أجمَعَ لِما قالوا، أرسل إلى الحَبْرَينِ فسألهما عن ذلك، فقالا له: ما أرادَ القومُ إلا هلاكَك وهلاكَ جندِك، ما نعلمُ بيتاً لله اتَّخَذه في الأرض لنفسه غيرَه، ولئن فعلتَ ما دَعَوكَ إليه لتَهلِكَنَّ، ولَنَهلِكَنَّ معك[3] جميعاً، قال: فماذا تأمرانِني أن أصنعَ إذا قَدِمتُ عليه؟ قالا: تصنعُ عندَه ما يصنعُ أهلُه؛ تطوفُ به وتُعظِّمُه وتُكرِّمُه، وتَحلِقُ رأسك عنده، وتَذَلَّلُ له حتى تخرج من عنده، قال: فما يَمنعُكما أنتما من ذلك؟ قالا: أمَا والله إنه لَبيتُ أبينا إبراهيم، وإنه لَكَما أخبرناك، ولكنَّ أهله حالُوا بيننا وبينَه بالأوثان التي نَصَبُوها حولَه، وبالدِّماء التي يُهرِيقون عنده، وهم نَجَسٌ أهلُ شِرْك؛ أو كما قالا له، فعرف نُصحَهما، وصدَّق حديثَهما، فقرَّب النَّفرَ من هُذَيل فقَطَعَ أيديَهم وأرجلَهم.

ثم مضى حتى قَدِمَ مكة، فطاف بالبيت ونَحَرَ عنده وحَلَقَ رأسه، وأقام بمكة ستةَ أيام ـ فيما يذكرون ـ يَنحَرُ بها للناس، ويُطعِمُ أهلها ويَسقيهم العسل، وأُرِيَ في

(١) عُسفان: بلدة شمال غرب مكة على بعد ٧٥ كم تقريباً، وأَمج: وادٍ شمال عسفان على بعد ٣٠ كم تقريباً، ويعرف اليوم باسم خُلَيص.

(٢) من الدَّثْر: وهو المال الكثير.

(٣) في (ي) ونسخة على هامش (ص): وليهلكن مَن معك.

المنام أن يَكسُوَ البيت، فكَسَاه الخَصَفَ[1]، ثم أُرِيَ أن يَكسُوَه أحسنَ من ذلك، فكَسَاه المَعافِرَ[2]، ثم أُرِيَ أن يَكسُوَه أحسنَ من ذلك، فكَسَاه المُلَاءَ والوَصَائل[3]، فكان تبَّعٌ ـ فيما يزعمون ـ أولَ من كَسَا البيتَ، وأَوصى به وُلاتَه من جُرْهُم، وأمرهم بتطهيره، وأن لا يُقرِّبوه دماً ولا مَيْتةً ولا مِيلاثاً[4]، وهي المَحايِض، وجعل له باباً ومِفتاحاً.

وقالت سُبَيعة بنت الأَجَبِّ بن زَبِينَة بن جَذِيمة بن عوف بن نصر بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازن بن منصور بن عِكرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان ـ وكانت عند عبد مَنَاف بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر بن

---

(١) الخصف: حُصر تنسج من خوص النخل، وقيل: هي ثياب غِلاظ.

(٢) المَعافِر: ثياب كانت تعملها معافرُ، وهي قبيلة من اليمن.

(٣) المُلاء، جمع مُلاءة، وهي: الملحفة. والوصائل: ثياب مخططة من اليمن، يوصل بعضها إلى بعض.

(٤) هكذا في نسخنا الخطية بالثاء، وفُسّر على حواشي نسختَي (ص) و(م) منسوباً إلى أبي أسامة قال: المِيلاث: الحائض، مِفعالٌ من الوَلَث، وهو ضربٌ من المطر يُشبَّه بسَيْل الحيض، وأصل الحيض: السَّيل، ومنه: حاضت السَّمُرة، إذا سال ماؤها. قلنا: الوَلَثُ: القليل من المطر.

وأبو أسامة المذكور لعلّه العلّامة اللُّغوي جُنادة بن محمد الأزدي الهروي المتوفَّى سنة ٣٩٩هـ، ففي معاجم اللغة بعض النقول عنه، ترجمه ابن خلِّكان في «وفيات الأعيان» ١/ ٣٧٢ وقال: كان مكثراً من حفظ اللغة ونقلها، عارفاً بوحشيِّها ومستعملها، لم يكن في زمنه مثله في فنّه.

وفي «الروض» للسهيليّ ١/ ١٧٧: مِئلات ـ بالتاء المثناة ـ وقال: هي المَحايض جمع مَحِيضة، وهي خرقة المحيض، ويقال للخرقة أيضاً: مئلاة، وجمعها: المآلي.. وهي هنا خِرَق تمسكهنّ النوّاحات بأيديهن، فكأنّ المئلات: كلّ خرقة دَنِسة، لحيضٍ كانت أو لغيره، وزنها مِفعَلة من: ألَوتُ، إذا قصَّرْت وضيَّعْت.. ويروى في هذا الموضع: مئلاثاً، بثاء مثلَّثة. ولم يفسّره.

مالك بن النَّضر بن كِنَانة ـ لابنٍ لها منه يقال له: خالد، تعظِّمُ عليه حُرْمةَ مكة وتنهاه عن البغي فيها، وتَذكُر تُبَّعاً وتَذلُّلَه لها، وما صَنَع بها:

أبُنَـيَّ لا تَظلِـمْ بمكَّـــةَ لا الصَّـغيرَ ولا الكبيـرْ
واحفـظْ محارِمَهـا بُنَـيَّ ولا يَغرَّنْـك الغَـرُورْ
أبُنَـيَّ مَـن يَظلِـمْ بمكَّـــةَ يَلـقَ أطـرافَ الشُّـرورْ
أبُنَـيَّ يُضـرَبْ وجهُـهُ ويَلُحْ[1] بخَدَّيـهِ السَّعيرْ
أبُنَـيَّ قـد جرَّبتُهـا فوجـدتُ ظالمَهـا يَبُـورْ[2]
اللهُ أمَّنَهـا ومـا بُنِيَـت بعَرْصـتِها قُصُـورْ[3]
واللهُ آمَـنَ طيرَهـا والعُصْـمُ تـأمَنُ في ثَبِيـرْ[4]
ولقـد غَزَاهـا تُبَّـعٌ فكَسَـا بَنِيَّتَهـا الحَبيـرْ[5]
وأذلَّ ربِّـي مُلكَـهُ فيهـا فـأَوفَى بالنُّـذورْ
يمشـي إليهـا حافيـاً بفِنائِهـا أَلْفـا بَعيـرْ
ويَظَـلُّ يُطعِـمُ أهلَهـا لحمَ المَهارَى والجَزُورْ[6]
يَسـقِيهِمِ العسـلَ والـرَّحِيضَ مـن الشَّعيرْ[7]

---

(١) في حاشية (ص): ويَلِج، وأشير عليها بعلامة صح. والولوج: الدخول. وبالحاء: من لاحَ يَلُوح، أي: أَومَضَ، أو بَدَا وظَهَر.

(٢) يَبُور: يَهلِك.

(٣) العَرْصة: الساحة الواسعة بين الدُّور لا بناءَ فيها.

(٤) العُصم: الوُعول، لأنها تعتصم بالجبال، وثبير: جبل بمكة.

(٥) البَنِيّة: الكعبة. والحَبير: ضربٌ من ثياب اليمن المزخرفة.

(٦) المَهارَى ـ والمَهارِيْ والمَهارِيُّ ـ: الإبل العِراب النجيبة. والجَزُور: الجمل الذي يُنحَر.

(٧) الرَّحيض من الشعير، أي: المُنقَّى والمُصفَّى منه. قاله السهيلي في «الروض» ١/ ١٨٠.

والفِيـلُ أُهلِـكَ جَيشُـه يُرمَـونَ فيهـا بالصُّـخورْ
والمُلـكُ في أقصـى الـبِلا دِ وفي الأعاجمِ والجَزِيـرْ[1]
فاسـمعْ إذا حُـدِّثتَ وافْـ ـهَـمْ كيـف عاقبـةُ الأُمـورْ[2]

قال ابن هشام: يوقف على قوافيها لا تُعرَب.

ثمّ خرج متوجِّهاً إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحَبْرَين، حتى إذا دخل اليمن دعا قومَه إلى الدخول فيما دخل فيه، فأبَوْا عليه حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن.

قال ابن إسحاق: حدّثني أبو مالك بن ثَعلَبة بن أبي مالك القُرَظي قال: سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عُبيد الله يحدِّث: أن تُبّعاً لما دنا من اليمن لِيدخلَها حالت حِمْيرُ بينه وبين ذلك، وقالوا: لا تدخلُها علينا وقد فارقتَ[3] دينَنا، فدعاهم إلى دينِه، وقال: إنه خيرٌ من دينكم، قالوا: فحاكِمْنا إلى النار، قال: نعم.

قال: وكانت باليمن ـ فيما يَزعُم أهلُ اليمن ـ نارٌ تَحكُم بينهم فيما يختلفون فيه، تأكلُ الظالمَ ولا تضُرُّ المظلوم، فخرج قومُه بأوثانهم وما يتقرَّبون به في دينِهم، وخرج الحَبْرانِ بمصاحفهما في أعناقهما متقلِّدَيها، حتى قَعدُوا للنار عند مَخرَجها

(١) شرح عليها أبو ذر الخشني في «إملائه» ص١١ بالخاء في أوله، فقال: الخَزِير أُمّة من العجم، ويقال لهم: الخَزَر أيضاً، ومن رواه الجَزِير بالجيم فيحتمل أن يكون جمع جزيرة، يريد جزيرة بلاد العرب.

(٢) بعد هذا في (ش١) و(ق١): قال ابن هشام: يوقف على قوافيها لا تُعرَب. ولم ترد هذه العبارة في بقية النسخ الخطية.

ومعنى قول ابن هشام هذا: أنه يوقف على أواخرها بالسكون.

(٣) في (ت) و(غ): وقد خالفتَ.

الذي تخرج منه، فخرجت النارُ إليهم، فلما أقبلَتْ نحوَهم حادُوا عنها وهابُوها، فذَمَرَهم[1] مَن حَضَرهم من الناس، وأمَرُوهم بالصبر لها، فصبروا حتى غَشِيَتهم، فأكَلَت الأوثانَ وما قَرَّبوا معها ومَن حَمَلَ ذلك من رجال حِميَر، وخرج الحَبْرانِ بمصاحفِهما في أعناقهما تَعرَقُ جِباهُهما لم تضرَّهما، فأصفَقَت[2] عند ذلك حِمْيرُ على دينِه، فمن هنالك وعن ذلك كان أصلُ اليهوديّة باليمن.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني محدِّثٌ: أن الحبرينِ ومَن خرج من حِميَر، إنما اتَّبعوا النار ليرُدُّوها، وقالوا: من ردَّها فهو أَولى بالحقّ، فدَنَا منها رجالُ حِميَر بأوثانهم ليردُّوها، فدَنَت منهم لتأكلَهم، فحادُوا عنها ولم يستطيعوا ردَّها، ودنا منها الحَبْرانِ بعد ذلك وجعلا يَتلُوانِ التوراةَ وتَنكُصُ، حتى ردّاها إلى مَخرَجها الذي خرجت منه، فأصفقَتْ عند ذلك حِمْيرُ على دينِهما، فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

قال ابن إسحاق: وكان رِئامٌ بيتاً لهم يعظِّمونه ويَنحَرُون عنده، ويُكلَّمون منه[3] إذ كانوا على شِرْكهم، فقال الحَبْران لِتُبّع: إنما هو شيطانٌ يَفتِنُهم، فخلِّ بيننا وبينه، قال: فشأنَكما به، فاستَخرَجا منه ـ فيما يَزعُم أهل اليمن ـ كلباً أسودَ فذَبَحاه، ثم هَدَما ذلك البيت، فبقاياه اليوم ـ فيما ذُكِر لي ـ بها آثارُ الدماء التي كانت تُهراقُ عليه.

---

(١) أي: حضّهم وشجّعهم.

(٢) أي: أطبقَت واجتمعت.

(٣) ذكر السهيلي في «الروض الأنف» ١/ ١٨٢ أنّ في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق: أن رِئاماً كان فيه شيطان، وكانوا يملؤون له حِياضاً من دماء القُربان، فيخرج فيصيب منها ويكلِّمهم، وكانوا يعبدونه. قلنا: وهذا من أساطير العرب.

مُلكُ ابنِه حسّان بن تُبّان، وقتلُ عمرٍو أخيه له

فلما مَلَكَ ابنُه حسّان بن تُبّان أسعد أبي كَرِبٍ، سار بأهل اليمن يريد أن يطأَ بهم أرضَ العرب وأرضَ الأعاجم، حتى إذا كانَ ببعض أرض العراق ـ قال ابن هشام: بالبَحرَين، فيما ذكر لي بعضُ أهل العلم ـ كَرِهَت حِميَرُ وقبائلُ اليمن السيرَ معه، وأرادوا الرَّجعة إلى بلادهم وأهليهم، فكلَّموا أخاً له يقال له: عمرو، وكان معه في جيشه، فقالوا له: اقتُلْ أخاك حسان ونُملِّكُك علينا، وتَرجِعُ بنا إلى بلادنا، فأجابهم، فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رُعَينٍ الحِمْيري، فإنه نهاه عن ذلك، فلم يقبل منه، فقال ذو رُعَين:

ألا مَـن يشـتري سَـهَراً بنَـومٍ ... سـعيدٌ مَـن يَبيـتُ قَريـرَ عـينِ
فإمّـا حِمْيـرٌ غَـدَرَت وخانـتْ ... فمَعـذِرةُ الإلٰـهِ لِـذي رُعَـينِ

ثم كتبهما في رُقْعة وخَتَمَ عليها، ثم أَتى بها عَمراً، فقال له: ضَعْ لي هذا الكتابَ عندك، ففعل، ثم قَتَلَ عمرٌو أخاه حسّانَ، ورَجَعَ بمن معه إلى اليمن، فقال رجلٌ من حِميَر:

لاهِ[1] عَيْنـا الـذي رأى مثـلَ حسَّـا ... نَ قتـيلاً في سـالفِ الأحقـابِ
قَتَلتْـه المَقَـاوِلُ خَشْـيةَ الحَبـ ... ـسِ غَـداةً قـالوا: لَبَـابِ لَبَـابِ[2]
مَيْـتُكم خيرُنـا وحـيُّكم ربٌّ ... علينـا وكلُّكـم أربـابُ[3]

---

(١) جاء في حاشية (ص): «لاهِ» بمعنى: لله، فحذفوا لام الجرّ ولام التعريف، قال سيبويه: يقولون: لاهِ أبوك، بمعنى: لله أبوك، فيحذفون لام الإضافة واللام الأخرى. قلنا: ونحوه قال السهيليّ في «الروض الأنف» ١/ ١٨٤.

(٢) المَقاول: الملوك بلغة أهل اليمن، واحدها: مِقوَل، لأنه يقول ما شاء فيَنفُذ ما يقوله.

(٣) كذا في نسخنا الخطية غير (ش١): أربابُ، بالرفع، فيكون فيه إقواءٌ، وفي (ش١) =

قال ابن إسحاق: وقوله: لَبابِ لَبابِ: لا بأس، بلغة حِميَر.

قال ابن هشام: وتُروَى: لَيابِ لَيابِ.

قال ابن إسحاق: فلما نزل عمرو بن تُبان اليمنَ مُنِعَ منه النوم وسُلِّط عليه السّهَر، فلما جَهَدَه ذلك سأل الأطباءَ والحُزَاة[1] من الكُهّان والعَرَّافين عمَّا به، فقال له قائل منهم: إنه والله ما قَتَلَ رجلٌ قطُّ أخاه أو ذا رَحِمِه بَغْياً على مثل ما قتلتَ أخاك عليه، إلا ذهب نومُه وسُلِّط عليه السَّهر.

فلما قيل له ذلك جعل يقتلُ كلَّ من أمره بقتلِ أَخيه حسّان من أشراف اليمن، حتى خَلَصَ إلى ذي رُعَين، فقال له ذو رُعَين: إنّ لي عندك براءَة، فقال: وما هي؟ قال: الكتاب الذي دفعتُه إليك، فأخرَجَه فإذا فيه البيتانِ، فتَرَكه ورأى أنه قد نَصَحَه.

وهَلَكَ عمرٌو، فمَرَجَ أمرُ حِميَرَ عند ذلك فتَفرَّقوا.

وُثُوب لَخْنِيعة ذي شَناتِر على مُلك اليمن

فوَثَب عليهم رجلٌ من حِمْير لم يكن من بيوت المملكة، يقال له: لَخْنِيعةُ[2] يَنُوف ذو شَنَاتر، فقَتَل خيارَهم، وعَبِثَ ببيوتِ أهل المملكة منهم، فقال قائلٌ من حِميَر:

= و«تاريخ الطبري»: أربابي. والربُّ: السيِّد.

(١) الحُزاة: هم الذين ينظرون في النجوم ويقضون بها.

(٢) كذا قُيّدت بالحركات في نسخنا الخطية، وبالنون، وجاءت في بعض مصادر الأخبار واللغة: لختيعة، بالتاء، وفي بعضها: لخيعة، بدونهما.

ونقل الخشني في «إملائه» ص١٢ عن ابن دريد أنه قال: المعروف: لخيعة، بغير نون. والشناتر: الأصابع، بلغة حمير واحدها: شنتير.

تُقتِّلُ أَبناهـا وتَنفِـي سَـرَاتَها ... وتَبني بأيدِيها لها الذلَّ حِمْيرُ[1]

تُـدمِّرُ دُنياهـا بطَـيْشِ حُلُومِهـا ... وما ضَيَّعَت من دِينِها فهْوَ أكثرُ

كذاكَ القُرونُ قبـلَ ذاك بظُلمِهـا ... وإسرافِها تأتي الشُّرورَ فتَخسَرُ

وكان لَخْنِيعةُ امرَأً فاسقاً يعمل عملَ قوم لوط، فكان يُرسِل إلى الغلام من أبناء الملوك، فيَقَعُ عليه في مَشرَبةٍ[2] له قد صَنَعَها لذلك، لئلا يُملَّكَ بعد ذلك، ثم يطَّلع من مَشرَبتِه تلك إلى حرسه ومَن حضر من جنده، قد أَخذ مِسواكاً فجعله في فيه، أي: ليُعلِمَهم أنه قد فَرَغَ منه.

حتى بَعَثَ إلى زُرْعةَ ذي نُوَاس بن تُبان أسعد أَخي حسّان، وكان صبيّاً صغيراً حين قُتل حسان، ثم شَبَّ غلاماً جميلاً وَسِيماً، ذا هيئةٍ وعقل، فلمّا أتاه رسولُه عَرَفَ ما يريدُ منه، فأخذ سِكّيناً حديداً لطيفاً فخبّأه بين قدمِه ونَعلِه ثم أتاه، فلما خَلَا معه وَثَبَ إليه، فواثَبَه ذو نُواسٍ فوَجَأَه[3] حتى قتله، ثمّ حَزَّ رأسَه فوضعه في الكُوّة التي كان يُشرِف منها، ووضع سِواكَه في فيهِ، ثمّ خرج على الناس، فقالوا له: ذو نُوَاس، أرَطْبٌ أم يَبَاس؟ فقال: سَلْ نَخْماس[4] استَرْطَبان ذو نُواس؛ استَرْطَبان:

---

(١) سراتُها: أشرافها.

(٢) بفتح الميم وفتح الراء وتُضمّ: الغرفة المرتفعة.

(٣) أي: ضربه وطعنه.

(٤) هكذا في (ص) و(ق١) و(م)، وفي (ت) و(ش١): تحماس، وفي (غ) و(ي): تخماس.

وذكر السهيليّ في «الروض الأنف» ١/ ١٩٠: أن كُرَاعاً (أحد أئمّة اللغة) قيّده بالتاء والحاء فيما ذُكر له.

ثم قال: وقوله: استرطبان؛ إلى آخر الكلام، مشكلٌ، يفسّره ما ذكره أبو الفرج في «الأغاني» قال: كان الغلام إذا خرج من عند لخنيعة وقد لاط به قطعوا مشافرَ ناقته وذنبها، وصاحوا به: =

لا باس ـ قال ابن هشام: هذا كلامُ حِميَر، ونَخْماس: الرّأس[1] ـ فنظروا إلى الكُوّة فإذا رأسُ لَخنِيعةَ مقطوع، فخرجوا في إثر ذي نُوَاس حتى أدركوه فقالوا: ما ينبغي أن يَملِكَنا غيرُك؛ إذ أرَحْتَنا من هذا الخبيث.

مُلْكُ ذي نُوَاس

فملَّكوه، واجتمعت عليه حِميَرُ وقبائلُ اليمن فكان آخرَ ملوك حِميَر[2]، وتَسمَّى يوسفَ، فأقام في مُلكِه زماناً.

وبنَجْرانَ بقايا من أهل دِين عيسى ابن مريم عليه السلام على الإنجيل، أهلِ فضلٍ واستقامةٍ من أهل دينِهم، لهم رأسٌ يقال له: عبد الله بن الثّامر، وكان موقعُ أصلِ ذلك الدِّين بنَجْران ـ وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان، وأهلُها وسائرُ العربِ كلِّها أهلُ أوثانٍ يعبدونها ـ أنَّ رجلاً من بقايا أهل ذلك الدِّين يقال له: فِيميُون، وقع بين أظهُرِهم فحَمَلَهم عليه، فدانُوا به.

ابتداء وقوع النصرانيّة بنَجْران

قال ابن إسحاق: حدّثني المغيرة بن أبي لَبِيد مولى الأخنَس[3]، عن وَهْب بن مُنبِّه

= أرطبٌ أم يباس، فلما خرج ذو نواس من عنده وركب ناقةً له يقال لها: السراب، قالوا: ذا نواس، أرطبٌ أم يَبَاس؟ فقال: ستعلمُ الأحراس، اسْتُ ذي نواس استٌ رَطْبان أم يَبَاس؛ فهذا اللفظ مفهوم، والذي وقع في الأصل هذا معناه، ولفظه قريب من هذا، ولعله تغيير في اللفظ، والله أعلم.

وقال الخشنيُّ في «إملائه» ص١٢: قالوا في تفسير استرطبان أن معناه: أَخَذَته النارُ، بالفارسية!

(١) كلام ابن هشام هذا من (ش١) و(ق١) دون بقية النسخ، وهو في (ش١): تحماس.

(٢) في طبعة السقّا وصاحبيه بعد هذا: وهو صاحب الأخدود. وليس في نسخنا الخطية.

(٣) المغيرة هذا ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» ٧/ ٣٢٥، وابن أبي حاتم في «الجرح =

اليماني أنه حدَّثهم: أنّ مَوقِعَ ذلك الدِّين بنجرانَ، كان أن رجلاً من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام يقال له: فِيميُون، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا مجابَ الدعوة، وكان سائحاً يَنزِل القُرى، لا يُعرَفُ بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يُعرَف بها، وكان لا يأكلُ إلا من كَسْب يديه، وكان بنّاءً يعمل الطِّين، وكان يُعظِّم الأَحد، إذا كان يومُ الأَحد لم يعمل فيه شيئاً وخرج إلى فَلَاةٍ من الأرض فصلَّى بها حتى يُمسِي.

قال: وكان في قريةٍ من قرى الشام يعمل عملَه ذلك مستخفياً، ففَطِنَ لشأنه رجلٌ من أهلها يقال له: صالح، فأحبَّه حباً لم يحبَّه شيئاً كان قبله، فكان يَتبعُه حيث ذهب، ولا يَفطَنُ له فِيميُون، حتى خرج مرةً في يوم الأحد إلى فَلاةٍ من الأرض كما كان يصنع، وقد اتَّبعه صالحٌ وفيميون لا يدري، فجلس صالحٌ منه مَنظَرَ العين مستخفياً منه، لا يُحبُّ أن يعلم بمكانه، وقام فيميون يصلّي، فبَيْنا هو يصلي إذ أقبل نحوه التِّنِّينُ ـ الحية ذات الرؤوس السبعة ـ فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت، ورآها صالحٌ ولم يَدْرِ ما أصابها، فخافها عليه، فعِيلَ عَوْلُه[1] فصرخ: يا فيميون، التِّنِّينُ قد أقبل نحوك، فلم يَلتفِت إليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى، فانصرف وعَرَف أنه قد عُرِف به، وعَرَف صالحٌ أنه قد رأى مكانه، فقال له: يا فيميون، تعلمُ واللهِ أني ما أحببت شيئاً قَطُّ حبَّك، وقد أردتُ صحبتك، والكَيْنونةَ

= والتعديل» ٨/ ٢٢٨، وابن حبان في «الثقات» ٧/ ٤٦٦، ولم يذكروا عنه راوياً سوى ابن إسحاق، فهو مجهول، وخبره هذا غريب تفرّد به عن وهب بن منبّه.

(١) في نسخة على هامش (ص) قُيّدت بالحركات: فعَيَّل عَوْلةً، وصحح عليها.

ومعنى «عِيلَ عولُه»: غُلب على صبره، يقال: عاله الأمرُ: إذا غلبه. قاله أبو ذر الخشني، وذكر أن المراد بالرؤوس السبعة: القرون التي على رأسها.

معك حيث كنت، قال: ما شئتَ، أمري كما ترى، فإن علمتَ أنك تَقوَى عليه فنِعمَ، فلَزِمَه صالح.

وقد كاد أهلُ القرية يَفطَنُون لشأنِه، وكان إذا فاجأه العبدُ به الضُّرُّ دعا له فشُفِي، وإذا دُعِيَ إلى أحدٍ به ضُرٌّ لم يأتِه، وكان لرجل من أهل القرية ابنٌ ضَرير، فسأل عن شأن فِيميُون، فقيل له: إنه لا يأتي أحداً دعاه، ولكنه رجلٌ يعمل للناس البُنيانَ بالأجْر[1]. فعَمَدَ الرجلُ إلى ابنه ذلك فوضعه في حُجْرته وألقى عليه ثوباً، ثم جاءه فقال له: يا فيميون، إني قد أردتُ أن أعمل في بيتي عملاً، فانطلِقْ معي إليه حتى تنظرَ إليه فأُشارِطَك عليه، فانطَلَقَ معه، حتى دخل حُجْرته، ثم قال له: ما تريد أن تعمل من بيتك هذا؟ قال: كذا وكذا، ثم انتَشَطَ الرجلُ الثوبَ[2] عن الصبي، وقال: يا فيميون، عبدٌ من عباد الله أصابه ما ترى، فادعُ الله له، فدعا له فيميون، فقام الصبي ليس به بأس.

وعَرَفَ فيميُون أنه قد عُرِف، فخرج من القرية واتَّبعه صالح، فبَيْنا هو يمشي في بعض الشام إذ مرَّ بشجرة عظيمة، فناداه منها رجل فقال: أفيميُون؟ قال: نعم، قال: ما زلتُ أنظُرُك وأقول: متى هو جاءٍ، حتى سمعتُ صوتك فعرفتُ أنك هو، لا تَبرَحْ حتى تقوم عليَّ، فإنني ميِّتٌ الآن، قال: فمات، وقام عليه حتى واراهُ، ثم انصرف وتَبِعه صالحٌ، حتى وَطِئا بعضَ أرض العرب، فعَدَوْا عليهما، فاختطفَتْهما سيَّارةٌ[3] من بعض العرب، فخرجوا بهما حتى باعُوهما بنَجْران، وأهلُ نجرانَ يومئذٍ على دين

(١) قُيِّدت في (ص): بالآجُرّ، وفي نسخة على حاشيتها: بالأَجْر، وقيِّدت في (م) بالوجهين.

(٢) أي: كشفه بسرعة.

(٣) أي: جماعة قوم يسيرون بالتجارة.

العرب، يَعبُدون نخلةً طويلةً بين أظهُرِهم، لها عيدٌ كلَّ سنة، إذا كان ذلك العيدُ عَلَّقوا عليها كلَّ ثوبٍ حسنٍ وَجَدُوه، وحُلِيَّ النساء، ثم خرجوا إليها فعَكَفوا عليها يوماً، فابتاعَ فيميونَ رجلٌ من أشرافهم، وابتاع صالحاً آخَرُ.

فكان فيميُون إذا قام من الليل يتهجَّد، في بيتٍ له أسكَنَه إياه سيِّدُه، يصلِّي، استَسرَجَ له البيتُ نوراً من غير مصباح حتى يُصبِح، فرأى ذلك سيدُه، فأعجبَه ما يرى منه، فسأله عن دينِه، فأخبره به، وقال له فيميون: إنما أنتم في باطل، إنَّ هذه النخلة لا تَضرُّ ولا تَنفَع، ولو دعوتُ عليها إلٰهي الذي أعبدُه أَهلَكَها، وهو الله وحده لا شريكَ له، قال: فقال له سيّده: فافعلْ، فإنك إن فعلتَ، دَخلْنا في دينك وتَرَكنا ما نحن عليه، قال: فقام فيميون فتطهَّر وصلَّى ركعتين، ثم دعا اللهَ عزَّ وجلَّ عليها، فأرسل اللهُ رِيحاً عاصفاً فجَعَفَتْها من أصلها[1] فألقَتْها، فاتَّبعه عند ذلك أهلُ نجرانَ على دينِه، فحَمَلَهم على الشَّريعة من دينِ عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم دخلت عليهم الأحداثُ التي دخلت على أهل دينِهم بكل أرضٍ، فمن هناك كانت النصرانيةُ بنَجْران في أرض العرب.

قال ابن إسحاق: هذا حديث وهب بن منبِّه عن أهل نجران.

أمرُ عبد الله بن الثَّامِر، وقصةُ أصحاب الأخدود

قال ابن إسحاق: وحدَّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظيّ؛ وحدّثني أيضاً بعضُ أهل نجرانَ عن أهلها: أنّ أهل نجرانَ كانوا أهلَ شِركٍ يعبدون الأوثان، وكان في قريةٍ من قُراها قريباً من نجران ـ ونجرانُ: القريةُ العُظمى التي إليها جِمَاع أهل تلك البلاد ـ ساحرٌ يُعلِّم غِلمانَ أهل نجران السحرَ، فلما نزلها فيميُون ـ ولم

(١) أي: قلعتها وأسقطتها.

يسمُّوه لي باسمه الذي سمَّاه به ابنُ مُنبِّه، قالوا: رجلٌ نزلها ـ ابتَنَى خَيمةً بين نجرانَ وبين تلك القرية التي بها الساحر، فجعلَ أهلُ نجران يُرسِلون غِلْمانَهم إلى ذلك الساحر يُعلِّمُهم السحر، فبعث الثامرُ ابنَه عبدَ الله بنَ الثامر مع غِلمان أهل نجران، فكان إذا مرَّ بصاحب الخيمةِ أعجَبَه ما يرى منه من صلاته وعبادته، فجعلَ يَجلِسُ إليه ويسمع منه، حتى أسلمَ فوحَّد اللهَ عزَّ وجلَّ وعَبَدَه، وجعل يسألُه عن شرائع الإسلام، حتى إذا فَقُهَ فيه جعل يسألُه عن الاسم الأعظم، وكان يَعلَمُه، فكَتَمَه إيّاه، وقال له: يا ابن أخي، إنَّك لن تَحمِلَه، أخشى ضعفَك عنه.

والثامرُ أبو عبد الله لا يَظنُّ إلا أنَّ ابنه يختلفُ إلى الساحر كما يختلفُ الغِلمانُ، فلما أن رأى عبدُ الله أن صاحبَه قد ضَنَّ به عنه، وتخوَّف ضعفَه فيه، عَمَدَ إلى قِدَاحٍ[1] فجَمَعَها، ثم لم يُبْقِ للهِ تعالى اسماً يعلَمُه إلا كتبه في قِدْح، لكلِّ اسمٍ قِدحٌ، حتى إذا أحصاها أَوقَدَ لها ناراً، ثم جعل يَقذِفُها فيها قِدْحاً قِدْحاً، حتى إذا مرَّ بالاسم الأعظمِ قَذَفَ فيها قِدْحَه، فوَثَبَ القِدحُ حتى خرج منها لم تضرَّه شيئاً، فأخذه، ثم أتى صاحبَه فأخبره بأنه قد عَلِمَ الاسم الذي كَتَمَه، فقال: وما هو؟ قال: كذا وكذا، قال: وكيف عَلِمتَه؟ فأخبَرَه بما صَنَع، فقال: أيْ بُنيَّ أَخي، قد أصبتَه، فأمسِكْ على نفسك، وما أظنُّ أن تفعل.

فجعل عبد الله بن الثَّامر إذا دخل نجرانَ لم يَلْقَ أحداً به ضُرٌّ إلا قال له: يا عبدَ الله، أتوحِّدُ الله وتدخلُ في ديني، وأدعو الله فيعافِيكَ مما أنتَ فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحِّدُ الله عزَّ وجلَّ ويُسلِم، ويدعو له فيُشفَى، حتى إذا لم يبقَ

(١) القِدَاح، جمع قِدْح، بالكسر: وهو السهم قبلَ أن يُراشَ ويُنصَل، ويُجمع أيضاً على أقدُح وأقاديح.

بنجرانَ أحدٌ به ضُرٌّ إلا أتاه فاتَّبَعه على أمره ودعا له فعُوفي، حتى رُفِعَ شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال: أفسدتَ عليَّ أهلَ قريتي، وخالفتَ ديني ودينَ آبائي، لأُمثِّلَنَّ بك، قال: لا تَقدِرُ على ذلك.

قال: فجعل يرسلُ به إلى الجَبَل الطويل فيُطرَح على رأسه، فيقعُ إلى الأرض ليس به بأسٌ، وجعل يَبعَثُ به إلى مياهٍ بنجران بُحورٍ لا يقعُ فيها شيءٌ إلا هَلَك، فيُلقَى فيها فيخرج ليس به بأسٌ، فلما غَلَبَه قال له عبد الله بن الثامر: إنَّك واللهِ لا تَقدِرُ على قتلي حتى توحِّدَ الله تعالى، فتؤمنَ بما آمنتُ به، فإنَّك إن فعلتَ سُلِّطتَ عليَّ فقتلتَني. قال: فوحَّدَ اللهَ ذلك الملكُ، وشَهِدَ شهادةَ عبد الله بن الثامر، ثم ضَرَبه بعصاً في يده فشجَّه[1] شَجّةً غيرَ كبيرةٍ فقتله، ثم هَلَكَ الملكُ مكانَه، واستَجمَعَ أهلُ نجران على دينِ عبد الله بن الثامر، وكان على ما جاء به عيسى ابنُ مريم من الإنجيل وحُكمِه، ثم أصابهم ما أصاب أهلَ دينِهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصلُ النصرانيّة بنجران.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب القُرَظيِّ وبعضِ أهلِ نجران عن عبد الله بن الثامر، فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان[2].

---

(١) أي: جَرَحه.

(٢) طريق ابن إسحاق في قصة أصحاب الأخدود مرسل، فإن محمد بن كعب القرظيّ تابعيّ، ولم يأثره عن أحد، والطريق الأخرى له فيها جهالة النجرانيِّين.

وقد صحّت هذه القصة بغير هذا السِّياق عند مسلم في «صحيحه» (٣٠٠٥) من طريق حماد ابن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرتُ، فابعث إليَّ غلاماً أعلّمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهبٌ فقعد إليه وسمع كلامه، =

= فأعجبه، فكان إذا أتى الساحرَ مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحرَ ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيتَ الساحر فقل: حَبَسني أهلي، وإذا خشيتَ أهلك فقل: حَبَسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابّة عظيمة قد حَبَسَت الناس، فقال: اليومَ أعلمُ آلساحرُ أفضل أم الراهبُ أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمرُ الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابّة حتى يمضيَ الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهبَ فأخبره، فقال له الراهب: أيْ بنيَّ، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستُبتَلى، فإن ابتُليت فلا تدلَّ عليَّ، وكان الغلام يُبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء.

فسمع جليس للملك كان قد عَمِيَ، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمعُ إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أَشفي أحداً، إنما يَشْفي اللهُ، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملكَ فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك ربٌّ غيري؟ قال: ربي وربُّك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أيْ بنيَّ، قد بلغ من سحرك ما تُبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أَشفي أحداً، إنما يَشفي اللهُ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأَبى، فدعا بالمِئشار، فوضع المئشار في مَفرِق رأسه، فشقَّه حتى وقع شِقَّاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأَبى، فوضع المئشار في مفرق رأسه، فشقَّه به حتى وقع شِقّاه.

ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأَبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذُرْوتَه، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفِنيهم بما شئت، فرَجَفَ بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كَفَانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرقور (سفينة صغيرة) فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذِفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفِنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كَفَانيهم الله، فقال للملك: =

أمر الأُخدود

قال: فسار إليهم ذو نُوَاس بجنوده، فدعاهم إلى اليهوديّة، وخيَّرهم بين ذلك والقتل، فاختاروا القتلَ، فخَدَّ لهم الأُخدود، فحَرَّق بالنار، وقَتَلَ بالسيف، ومثَّل بهم، حتى قَتَل منهم قريباً من عشرين ألفاً، ففي ذي نُواس وجُنده ذلك أَنزل الله تعالى على رسوله محمدٍ ﷺ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ إلى آخر السورة.

= إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتَصلُبني على جِذْع، ثم خذ سهماً من كِنانتي، ثم ضع السهم في كَبِد القوس، ثم قل: باسم الله ربِّ الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلتَ ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كِنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله ربِّ الغلام، ثم رماه فوقع السهمُ في صُدْغه، فوضع يده في صُدغِه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنّا برب الغلام، آمنّا برب الغلام، آمنّا برب الغلام، فأُتي الملك فقيل له: أرأيتَ ما كنت تَحذَرُ؟ قد والله نزل بك حذرُك، قد آمن الناس، فأمر بالأُخدود في أفواه السِّكك، فخُدَّت وأَضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأَحمُوه فيها، أو قيل له: اقتحِمْ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبيٌّ لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمَّه، اصبِري، فإنك على الحق».

وأخرجه الترمذي بإثر الحديث (٣٣٤٠) من طريق معمر، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، عن صهيب، موقوفاً.

قال ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٣٦٨ بعد أن ذكر رواية معمر: وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصة من كلام النبي ﷺ، قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي: فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومي، فإنه كان عنده علم من أخبار النصارى، والله أعلم.

قلنا: لكن قال أبو حاتم الرازي، كما في «العلل» لابنه (١٦٥٥): حديث حماد بن سلمة أشبه عن صهيب مرفوعاً.

قال ابن هشام: الأُخدودُ: الحَفْرُ المستطيل في الأرض، كالخندق والجَدوَل ونحوه، وجمعُه: أخاديد، وقال ذو الرُّمّة، واسمه غَيْلان بن عُقبة، أحدُ بني عَديِّ ابن عبد مَنَاة بن أُدّ بن طابخة بن الْياسِ بن مُضَر:

مـنَ العراقيَّـةِ الـلّاتي يُحِيـلُ لهـا بين الفَلَاةِ وبين النَّخـلِ أُخدودُ

يعني جَدْولاً، وهذا البيت في قصيدة له[1]. ويقال لأثر السيف والسكِّين في الجلد، وأثر السَّوط ونحوه: أُخدود، وجمعه: أخاديد.

قال ابن إسحاق: ويقال: كان فيمن قَتَلَ ذو نُوَاسٍ عبدُ الله بن الثّامر، رأسُهم وإمامُهم.

قال ابن إسحاق: حدَّثني عبدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزْم، أنه حُدِّث: أن رجلاً من أهل نَجْرانَ كان في زمان عمر بن الخطّاب حَفَرَ خَرِبةً من خِرَب نجران لبعض حاجته، فوجدوا عبدَ الله بنَ الثّامرِ تحت دفنٍ منها قاعداً، واضعاً يدَه على ضربةٍ في رأسه، مُمسِكاً عليها بيده، فإذا أُخِّرت يدُه عنها تَثعَّبَت دماً[2]، وإذا أُرسِلَت يدُه ردَّها عليها فأمسكت دَمَها، وفي يده خاتَمٌ مكتوب فيه: ربِّي الله، فكُتِبَ فيه إلى عمر بن الخطّاب يُخبَرُ بأمره، فكتب إليهم عمرُ: أن أَقِرُّوه على حاله، ورُدُّوا عليه الدَّفنَ الذي كان عليه، ففَعَلوا[3].

---

(١) انظر «ديوانه» بشرح أبي نصر الباهلي ٢/ ١٣٦٤. وفي هذا البيت يتكلم عن حُمُر من حمير العراق، ومعنى قوله: يحيل لها أُخدود، أي: يأتي على أثرها حولٌ لا يندرس، ويعني بالأُخدود طريقاً لها تردُّد فيه، ففيه أثرها. ويعني بما بين الفلاة والنخل: الرِّيف.

(٢) يعني: انفجرت وسالت دماً.

(٣) عبد الله بن أبي بكر شيخ ابن إسحاق إمامٌ ثقة صاحب علمٍ بالمغازي، وهو لم يدرك زمان عمر، وُلد بعده بعشرات السنين، وهو من صغار التابعين. =

أمر دَوْسٍ ذي ثُعلُبان، وابتداء مُلك الحبشة
وذكر أَرْياطٍ المستولي على اليمن

قال ابن إسحاق: وأَفلَتَ منهم رجلٌ من سَبَأ يقال له: دَوسٌ ذو ثُعلُبان، على فرس له، فسَلَكَ الرَّمْلَ[1] فأعجَزَهم، فمضى على وجهه ذلك، حتى أتى قيصرَ صاحبَ الرُّوم فاستنصرَه على ذي نُواسٍ وجنوده، وأخبَرَه بما بَلَغَ منهم، فقال له: بَعُدَت بلادُك منا، ولكنِّي سأكتب لك إلى ملك الحَبَشة، فإنه على هذا الدِّين، وهو أقربُ إلى بلادك. فكتَبَ إليه يأمرُه بنصرِه والطَّلبِ بثأره.

فقَدِمَ دوسٌ على النجاشيِّ بكتاب قيصر، فبعثَ معه سبعين ألفاً من الحبشة، وأمَّرَ عليهم رجلاً منهم يقال له: أَرياط، ومعه في جُندِه أبْرَهةُ الأشرم، فركبَ أرياطُ البحرَ حتى نزل بساحل اليمن ومعه دَوسٌ، وسار إليه ذو نُواسٍ في حِمْيرَ ومَن أطاعه من قبائل اليمن، فلما الْتقَوا انهزَمَ ذو نواسٍ وأصحابه، فلما رأى ذو نُواسٍ ما نزل به وبقومِه، وَجَّهَ فرسَه في البحر ثم ضربه فدخل به، فخاضَ به ضَحْضاحَ البحر[2] حتى أَفضى به إلى غَمْرِه، فأدخله فيه، فكان آخرَ العهدِ به، ودخل أرياطُ اليمنَ فمَلَكها.

فقال رجلٌ من أهل اليمن، وهو يَذكُر ما ساق إليهم دَوسٌ من أمر الحبشة: لا كدَوْسٍ ولا كأعلاقِ رَحْلِه[3]؛ فهي مَثَلٌ باليمن إلى هذا اليوم.

= ورواه عن ابن إسحاق أيضاً سلمة بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ١٢٤.

(١) يعني: الصحراء.

(٢) الضَّحضاح من الماء: الذى يظهر منه القعر، وكأن أصله من الضِّحّ: وهو حرُّ الشمس، كأن الشمس تداخله لقلّته، فقُلبت إحدى الحاءين ضاداً. قاله السهيلي في «الروض» ١/ ٢٢٣.

والغَمْر: الماء الكثير.

(٣) الأعلاق والعُلوق، واحدتها: العِلْق، وهي: النفيس من كل شيء. وكأنه يريد ما جلبه =

وقال ذو جَدَنٍ الحِمْيري[1]:

هَونَكِ لن يـرُدَّ[2] الـدَّمعُ مـا فاتـا ... لا تَهلِكـي أسَـفاً في إثـرِ مَـن ماتـا
أبَعـدَ بَينُـونَ لا عـينٌ ولا أثَـرٌ ... وبعد سِلْحِينَ يَبْني النّاسُ أَبياتـا

وسِلحِينُ وبَينُونُ وغُمْدانُ من حُصون اليمن التي هَدَمَ أرياطُ، ولم يكن في الناس مثلُها.

وقال ذو جَدَن أيضاً:

دَعِينـي لا أبـا لـكِ لـن تُطِيقـي ... لَحَـاكِ اللهُ قـد أنزَفـتِ رِيقـي
لَـدَى عَـزْفِ القِيـانِ إذا انتَشَـيْنا ... وإذ نُسقَى من الخمـرِ الرَّحيـقِ
وشـربُ الخمـرِ لـيس عليَّ عـاراً ... إذا لـم يَشـكِني[3] فيـه رَفيقـي
فـإنَّ المـوتَ لا ينهـاهُ نـاهٍ ... ولـو شَـرِب الشِّـفاءَ مـع النَّشُوقِ[4]
ولا مُتَرهَّـبٌ في أُسـطُوانٍ ... ينـاطحُ جُـدْرُه بَـيْضَ الأَنُـوقِ[5]
وغُمْـدانُ الـذي حُـدِّثتَ عنـه ... بَنَـوهُ مُسـمَّكاً في رأسِ نِيـقِ[6]

= دوس من خير إلى اليمن، حيث طلب النجدة.

(١) في حاشية (ص): ذو جدن: اسمه علس بن الحارث بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل.

(٢) في (غ): ليس يردّ. وكلاهما صحيح في الوزن.

(٣) كذا قُيّدت في (ت) و(ص) بكسر الكاف، من: شَكَيتُ، قال في «القاموس المحيط» (شكي): لغة في شَكَوت، وقيّدت الكاف في (م) بالضم والفتح.

(٤) النَّشوق: اسم لكل دواء يصب في الأنف.

(٥) الأنُوق: طائر الرَّخَم، وهي لا تبيض إلا في الجبال العالية المشرفة، فلا يكاد يوصل إلى بيضها.

(٦) مسمَّكاً: مرتفعاً. والنِّيق، بالكسر: أعلى الجبل.

بمَنْهَمـــةٍ وأَســـفلُه جُـــروبٌ وحُـرُّ المَوحَـل اللَّثِـقِ الزَّلِيـقِ[1]
مصـابيحُ السَّـلِيطِ تَلُـوحُ فيـه إذا يُمسـي كتَوْمـاضِ البُـرُوقِ[2]
ونخلتُـه التـي غُرِسَـت إليـه يكـادُ البُسْـرُ يَهصِـرُ بالعُـذُوقِ[3]
فأصـبحَ بعـد جِدَّتِـه رمـاداً وغيَّـر حُسـنَه لَهَـبُ الحريـقِ
وأُسـلِمَ ذو نُـوَاسٍ مُسـتكيناً وحَـذَّر قومَـه ضَـنْكَ المَضِـيقِ[4]

وقال ابن الذِّئبة الثَّقَفي في ذلك ـ قال ابن هشام: الذئبة أمُّه، واسمه رَبيعة بن عبد يالِيلَ بن سالم بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم بن قَسِيّ[5] ـ:

لعَمـرُك مـا للفتـى مـن مَفَـرٍّ مـع المـوتِ يَلحَقُـه والكِبَـرْ
لعَمـرُك مـا للفتـى صُـحْرةٌ لعَمـرُك مـا إنْ لـه مِـن وَزَرْ[6]

---

(١) المَنهمة: موضع الراهب. والجُروب: حجارة سود. والحُرُّ من كل شيءٍ: خالصُه، يقال حُرُّ الرمل، وحُرُّ الطين، وحُرُّ التراب، وهو خالِصُه. والمَوحَل، من الوَحل: وهو الماء والطين. واللَّثِق: الذي فيه بلل، والزَّليق: الذي يُزلَق فيه.

ومَن رواه المَوجَل ـ بالجيم ـ فيقال: هي حجارة ملس ليِّنة، ومن رواه اللَّبِق بالباء، فاللِّبق: هو الحَسَن الخفيف الذي تتهيأ له الأشياء، واللَّثِق بالثاء هو الصواب هنا. قاله أبو ذر الخشني في «إملائه» ص١٤-١٥.

(٢) السَّليط: الدهن. وتَوماض البروق: لمعانها.

(٣) البُسْر: التمر قبل أن يُرطِب. ويَهصِر: يكسر.

والعُذوق: جمع عِذْق، وهو عُنقود النخلة. وجاء في حاشية (ص): قوله: يهصر بالعذوق، أي: يميل بها.

(٤) أُسلم: خُذل. ومستكيناً: ذليلاً. والضنك: شدّة الضِّيق.

(٥) من قوله: بن سالم، إلى هنا لم يرد في (ت) و(ش١) و(غ) و(ق١).

(٦) صُحرة: نجاة. والوَزَر: الملجأ.

أَبَعْـــدَ قبائـــلَ مِـــن حِمْيـــرٍ أُبِيـدوا صـباحاً بـذاتِ العَبَـرْ[1]
بـــألفِ أُلـــوفٍ وحَرّابَـــةٍ كمِثـلِ السـماءِ قُبَيـلَ المَطَـرْ[2]
يُصِـمُّ صِـياحُهُم المُقرَبـاتِ يَنفُـونَ مَـن قـاتلوا بالـذَّفَرْ[3]
سَـعَاليَ مثـلُ عَديـدِ التُّـرا بِ تَيـبَسُ منهم رِطـابُ الشَّجَرْ[4]

وقال عمرو بن مَعدِي كَرِبَ الزُّبَيديُّ في شيءٍ كان بينه وبين قيس بن مَكشُوح المُراديّ، فبلغه أنه يتوعّدُه، فقال يذكر حِمْيرَ وعِزَّها، وما زال من مُلكِها عنها[5]:

أتُوعِـدُني كأنّـكَ ذو رُعَـينٍ بأفضـلِ عِيشـةٍ أو ذو نُـوَاسِ
وكـائنْ كـانَ قبلَـكَ مـن نَعيمٍ ومُلكٍ ثابتٍ في النـاسِ راسِي
قـديمٍ عهـدُه مـن عهـدِ عـادٍ عظيمٍ قاهرِ الجَبَـروتِ قاسِي
فأَمسـى أهلُـه بـادُوا وأَمسـى يُحـوَّلُ مـن أُنـاسٍ في أُناسِـي[6]

---

(١) هكذا قُيّدت في (م) و(ي)، وفي (ت) و(ص) بكسر العين، وفي (ش١) بالوجهين، وما في (م) و(ي) أصوب، فإنه يقال: عَبِرَ الرجلُ عَبَراً: إذا حزن وتحلّب الدمع في عينيه، وذات العَبَر، أي: ذات الحزن، وهي ـ كما قال أبو ذر الخشنيّ ـ اسم من أسماء الداهية، وهي الشديدة من شدائد الدهر.

(٢) الحَرَّابة: أصحاب الحِراب.

(٣) المُقرَبات: الخيل العِتاق الي ضُمِّرت للركوب. والذَّفَر: الرائحة الشديدة طيّبة كانت أو خبيثة.

(٤) السَّعَالي: جمع سِعْلاة، وهم سَحَرة الجن فيما كانت تزعم العرب.

وزاد في (ت) وحدها بإثر هذا الشعر عبارة: يعني من أنفاسهم وأجسادهم تيبس من رِطاب الشجر.

(٥) انظر «شعر عمرو بن معدي كرب» جمع مطاع الطرابيشي ص١٣١.

(٦) بادوا: هلكوا. ويُحوَّل، أي: ينتقل من أناس إلى أناس.

قال ابن هشام: زُبَيد بن سَلَمة بن مازن بن منبِّه بن صعب بن سعد العَشِيرة بن مَذحِج، ويقال: زُبيد بن منبِّه بن صعب بن سعد العَشيرة، ويقال: زُبيد بن صعب. ومراد: يَحابِر بن مَذحِج.

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة قال: كتب عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه إلى سلمان بن رَبيعة الباهِليّ - وباهلةُ: ابنُ يَعْصُر بن سعد بن قيس بن عَيْلان - وهو بإرمِينيَةَ، يأمره أن يُفضِّلَ أصحابَ الخيل العِراب على أصحاب الخيل المَقَارِفِ[1] في العَطاء، فعَرَضَ الخيلَ، فمرَّ به فرسُ عمرو بن مَعدِي كَرِبَ، فقال له سلمان: فرسُك هذا مُقرِفٌ، فغضب عمرو وقال: هَجِينٌ عَرَفَ هَجيناً مثلَه، فوَثَبَ إليه قيس فتوعَّده، فقال عمرو هذه الأبيات.

قال ابن هشام: فهذا الذي عَنَى سطيحٌ الكاهن بقوله: لَيَهبِطنّ أرضَكم الحَبَش، فلَيملِكُنّ ما بين أبْيَنَ إلى جُرَش، والذي عَنَى شِقٌّ الكاهن بقوله: لَيَنزلَنَّ أرضَكم السودان، فلَيَغلبُنّ على كل طَفْلةِ البَنَان، ولَيملِكُنّ ما بين أبيَنَ إلى نَجْران.

غَلَبُ أبرهة الأشرم على أمر اليمن، وقتل أرياط

قال ابن إسحاق: فأقام أرياطُ بأرض اليمن سنينَ في سلطانه ذلك، ثم نازَعَه في أمر الحبشة باليمن أبرهةُ الحَبَشي، حتى تفرَّقت الحبشةُ عليهما، فانحاز إلى كلِّ واحد منهما طائفةٌ منهم، ثم سار أحدُهما إلى الآخر، فلمَّا تقارب الناسُ أرسل أبرهةُ إلى أرياطَ: إنك لا تصنعُ بأن تُلقِيَ الحبشةَ بعضَها ببعض حتى تُفْنيَها شيئاً، فابرُزْ لي وأبرُزُ لك، فأيُّنا أصابَ صاحبَه انصرف إليه جندُه، فأرسل إليه أرياطُ: أنصفتَ، فخرج إليه أبرهةُ، وكان رجلاً قصيراً لَحِيماً، وكان ذا دينٍ في النصرانية،

(١) المقارف: جمع مُقرِفٍ، وهو من الخيل الذي أبوه هجين وأمه عتيقة.

وخرج إليه أرياطُ، وكان رجلاً جميلاً عظيماً طويلاً، وفي يده حَرْبةٌ له، وخلفَ أبرهةَ غلامٌ له يقال له: عَتَوْدَة[1]، يَمنَعُ ظهرَه، فرفع أرياطُ الحَرْبةَ فضرب أبرهةَ يريد يافوخَه، فوقعت الحربةُ على جبهة أبرهة فشَرَمَت حاجبه وأنفه وعينه وشَفَتَه، فبذلك سُمِّي أبرهةَ الأَشرمَ، وحَمَلَ عَتَودةُ على أرياطَ من خلف أبرهةَ فقتله، وانصرف جندُ أرياط إلى أبرهة، فاجتمعت عليه الحبشةُ باليمن، ووَدَى أبرهةُ أرياطَ.

فلما بلغ ذلك النَّجَاشيَّ غضب غضباً شديداً وقال: عَدَا على أميري فقتلَه بغير أمري. ثم حلف لا يَدَعُ أبرهةَ حتى يَطأَ بلادَه، ويَجُزَّ ناصيتَه، فحَلَقَ أبرهةُ رأسه، وملأَ جِراباً من تراب اليمن ثم بعث به إلى النجاشيّ، ثم كتب إليه: أيها الملك، إنما كان أرياطُ عبدَك، وأنا عبدُك، اختلفنا في أمرك، وكلٌّ طاعتُه لك، إلا أني كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبَطَ لها وأسْوَسَ منه، وقد حلقتُ رأسي كلَّه حين بلغني قسمُ الملك، وبعثتُ إليه بجِرابِ ترابٍ من أرضي، ليضعَه تحت قدميه، فيَبَرَّ قَسَمُه فيَّ، فلما انتهى ذلك إلى النجاشيِّ رضيَ عنه وكتب إليه: أنِ اثبُتْ بأرض اليمن حتى يأتيَك أمري. فأقام أبرهةُ باليمن.

أمرُ الفيل، وقصة النَّسَأَة

ثم إن أبرهةَ بنى القَلِيسَ[2] بصنعاءَ، فبنى كنيسةً لم يُرَ مثلُها في زمانها بشيءٍ من

(١) كذا قُيِّد في (ت) و(ي)، وفي (ش١) و(ص): عَتْوَدة.

(٢) كذا قُيِّدت في (ت) و(ش١) و(ص)، وفي (ق١) و(م) و(ي) ونسخة على حاشية (ص): القُلَّيس، بضم وتشديد. قلنا: ذكره الفارابي في «معجم ديوان الأدب» في البابين: باب فُعَّيل، وباب فَعِيل، وقال ياقوت في «معجم البلدان»: رواه عبد الملك بن هشام والمغاربة: القَلِيس، بفتح القاف وكسر اللام، وكذا قرأته بخطّ السُّكّري أبي سعيد الحسن بن الحسين. =

الأرض، ثم كتب إلى النَّجاشيّ: إني قد بنيتُ لك أيها الملك كنيسةً لم يُبنَ مثلُها لملكٍ كان قبلَك، ولستُ بمُنتَهٍ حتى أَصرِفَ إليها حجَّ العرب.

فلما تحدَّثت العرب بكتابِ أبرهة ذلك إلى النجاشيّ، غضب رجلٌ من النَّسَأَة، أحدُ بني فُقَيم بن عَدِيّ بن عامر بن ثَعلَبة بن الحارث بن مالك بن كِنانة بن خُزَيمة ابن مُدْرِكة بن الْياسِ من مُضَر.

والنَّسَأَة: الذين كانوا يَنسَؤُون الشُّهورَ على العرب في الجاهلية، فيُحِلُّون الشهرَ من أشهرِ الحُرُم، ويحرِّمون مكانه الشهرَ من أشهرِ الحِلِّ ويُؤخِّرون ذلك الشهر، ففيه أنزَلَ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٣٧].

قال ابن هشام: لِيُواطِئوا: لِيُوافِقُوا، والمُواطَأة: المُوافَقة، تقول العربُ: واطأتُكَ على هذا الأمر، أي: وافقتُك عليه، والإيطاءُ في الشِّعر: المُوافَقةُ، وهو اتفاق القافِيتَينِ من لفظٍ واحد، وجنسٍ واحد، نحوَ قول العَجّاج ـ واسم العجّاج: عبد الله بن رُؤْبة، أحدُ بني سعد بن زيد بن مَناةَ بن تَميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابِخَة بن الْياس بن مُضَر بن نِزَار ـ:

في أُثْعُبـانِ المَنجَنُـونِ المُرسَـلِ[1]

ثم قال:

= قلنا: وعلى كلا الحالين هو مشتق من قَلَسَ الشيءُ: إذا ارتفع.

وأما النَّسَأة: فهو جمع ناسئ، والنُّسْأة: التأخير.

(١) انظر «ديوانه» ١/ ٢٢٤.

والأُثعبان: الموضع الذي يَنثعِب منه الماءُ، أي: يندفع منه الماء. والمنجنون: الدُّولاب الذي يُستقَى عليه الماء.

مـدَّ الخلـيجِ في الخلـيجِ المُرسَـلِ[1]

وهذان البيتانِ في أُرجوزةٍ له.

قال ابن إسحاق: وكان أولَ من نَسَأَ الشهورَ على العرب، فأَحلَّت منها ما أَحلَّ، وحَرّمت منها ما حرَّم: القَلَمَّسُ، وهو حُذَيفةُ بن عبد بن فُقَيم بن عَدِيّ بن عامر بن ثَعلَبة بن الحارث بن مالك بن كِنانة بن خُزَيمة، ثم قام بعدَه على ذلك ابنه عبَّاد بن حُذيفة، ثم قام بعد عبّادٍ قَلَعُ بن عبّاد، ثم قام بعد قَلَعٍ أُميّةُ بن قَلَع، ثم قام بعد أُميّةَ عوفُ بن أُميّة، ثم قام بعد عوفٍ أبو ثُمامةَ جُنادةُ بن عوف، وكان آخرَهم، وعليه قام الإسلام.

وكانت العرب إذا فَرَغَت من حجِّها اجتمعت إليه، فحرَّم الأشهرَ الحُرُمَ الأربعة: رجبٌ، وذو القَعْدة، وذو الحِجّة، والمحرَّمُ، فإذا أراد أن يُحِلَّ منها شيئاً أَحَلّ المحرَّمَ فأحلُّوه، وحرَّم مكانه صَفَراً فحرَّموه، لِيُواطئوا عدةَ الأربعةِ الأشهر الحُرُم، فإذا أرادوا الصَّدَرَ[2] قام فيهم فقال: اللهمَّ إني قد أحللتُ أحدَ الصَّفَرين الصَّفَرَ الأول، ونَسَأتُ الآخرَ للعام المُقبِل، فقال في ذلك عُمَيرُ بن قيسٍ جِذْلُ الطِّعانِ[3]، أحدُ بني

(١) انظر «ديوانه» ١/ ٢٣٤.

والخليج: شُعبة من نهر أو سيل.

(٢) يعني الرجوع من مكة إلى بلادهم.

(٣) كذا قال ابن إسحاق وتابعه السُّهيليّ في «الروض الأنف» ١/ ٢٥١، وذكر بعضهم أن جذل الطعان لقبٌ لأحد أجداد عمير هذا، وهو علقمة بن فراس بن غَنْم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، انظر «الإملاء» لأبي ذر الخشني ص١٦، و«المنتخب من ذيل المذيل» لابن جرير الطبري ص٩٥، و«معجم الشعراء» للمرزباني ص٢٤٣، و«الإكمال» لابن ماكولا ٢/ ٦٥، و«توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين الدمشقي ٦/ ٢٩. =

فِراس بن غَنْم بن ثَعلبَة بن مالك بن كِنانَة، يَفخَرُ بالنَّسَأة على العرب:

لقد عَلِمَت مَعَدٌّ أنَّ قَوْمي ... كِرامُ الناسِ إنَّ لهم كِراما

فأيُّ الناسِ فاتُونا بوِتْرٍ ... وأيُّ الناسِ لم نُعلِكْ لِجاما[1]

ألسْنا الناسِئينَ على مَعَدٍّ ... شهورَ الحِلِّ نجعلُها حَراما

قال ابن هشام: أول الأشهر الحُرُم المحرَّم[2].

قال ابن إسحاق: فخرج الكِناني حتى أتى القَلِيسَ فقَعَدَ فيها ـ قال ابن هشام: يعني أحدَثَ فيها ـ قال ابن إسحاق: ثم خرج فلَحِقَ بأرضه، فأُخبر بذلك أبرهةُ، فقال: مَن صنع هذا؟ فقيل له: صنع هذا رجلٌ من أهل هذا البيت الذي تحجُّ إليه العرب بمكة، لمَّا سمع قولك: أَصرِفُ إليها حجَّ العرب، غضب فجاء فقَعَدَ فيها، أي: أنها ليست لذلك بأهلٍ. فغضب عند ذلك أبرهةُ، وحلف ليَسيرنَّ إلى البيت حتى يَهدِمَه، ثم أمر الحبشةَ فتهيَّأت وتجهَّزت، ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعت

= وجذل قُيِّدت في (ت): جَدْل، وفي (ي): جَدَل، بالدال المهملة فيهما، وهي كذلك بالدال في (ش١)، والمثبت من (ص) و(ق١) و(م)، وهو الصواب. والجِذْل: أصل الشجرة وغيرها، وسمي جذل الطِّعان لثباته في الحرب، كأنه جذل شجرة واقف.

(١) الوتر، بكسر الواو وفتحها: الثأر.

قال السهيليّ: وقوله: وأيّ الناس لم نعلك لجاماً، أي: لم نَقدَعهم ونكفّهم كما يُقدَع الفرس باللِّجام، تقول: أعلكتُ الفرسَ لجامَه: إذا رددتَه عن تنزُّعه فمضغ اللجام كالعِلك من نشاطه.

(٢) قال السهيليّ: هذا قول، وقد قيل: أولها ذو القَعْدة، لأن رسول الله ﷺ بدأ به حين ذكر الأشهر الحرم، ومن قال: المحرَّم أولها، احتج بأنه أول السنة. قلنا: يشير في ذي القَعدة إلى حديث أبي بكرة الثقفيّ عن النبي ﷺ: «السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حُرُم، ثلاثة متواليات: ذو القَعْدة وذو الحِجّة والمحرَّم، ورجب»، أخرجه البخاري (٣١٩٧) ومسلم (١٦٧٩).

بذلك العربُ، فأعظَمُوه وفُظِعوا به، ورأَوا جهادَه حقّاً عليهم حين سمعوا أنه يريد هدمَ الكعبة بيتِ الله الحرام.

فخرج إليه رجل كان من أشرافِ أهل اليمن وملوكِهم، يقال له: ذو نَفْرٍ، فدعا قومَه ومَن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهةَ وجهادِه عن بيت الله الحرام وما يريد من هدمِه وإخرابِه، فأجابه مَن أجابه إلى ذلك، ثم عَرَضَ له فقاتله، فهُزِم ذو نَفْرٍ وأصحابه، وأُخذ له ذو نَفْرٍ فأُتي به أسيراً، فلمّا أراد قتله قال له ذو نَفْر: أيها الملك، لا تقتلني؛ فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي، فتَرَكَه من القتل وحَبَسَه عنده في وَثاقٍ، وكان أبرهةُ رجلاً حليماً.

ثم مضى أبرهةُ على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خَثْعَم عرض له نُفَيل بن حَبيبٍ الخَثعَمي من أكلُب بن رَبيعة بن عِفْرِس، في قبيلتَي[1] خَثعَم شَهران وناهِس، ومَن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهةُ، وأُخذ له نفيلٌ أسيراً، فأُتي به، فلما همَّ بقتله قال له نفيلٌ: أيها الملك، لا تقتلني، فإني دليلُك بأرض العرب، وهاتانِ يدايَ لك على قبيلتَي خَثعَم شهرانِ وناهِس بالسمع والطاعة، فخلَّى سبيله، وخرج به معه يدلُّه.

حتى إذا مرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سَعْد بن عوف بن ثَقِيف في رجال ثقيف.

واسم ثَقِيف: قَسِيّ بن النَّبِيت بن مُنبِّه بن منصور بن يَقدُم بن أفصَى بن دُعْميّ ابن إياد بن مَعَدِّ بن عدنان.

قال أُميّة بن أبي الصَّلْت الثَّقَفي:

---

(١) في (ش١) و(ص) و(ق١) و(م) في الموضعين، هذا والآتي: قبيلَي.

قَـوْمي إيـادٌ لـوَ انَّهـمْ أَمَـمُ أَوْ لـو أقـاموا فتُهـزَلَ الـنَّعَمُ[1]
قـومٌ لهـم سـاحةُ العـراقِ إذا سارُوا جميعاً والقِطُّ والقَلَمُ

قال ابن هشام: القِطّ: الصحيفة فيها الكِتاب، وهو الصَّكّ، قال ابن هشام: وهو قول الله تعالى: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص:١٦].

قال ابن إسحاق[2]: وقال أمية أيضاً[3]:

فإمّـا تسـألي عنِّـي لُبَينَـى وعـن نَسَـبي أُخبِّـرْكِ اليَقينـا
فإنّـا للنَّبيـتِ أبـي قَسِـيٍّ لِمنصورِ بنِ يَقدُمَ الأقدَمينا

قال ابن هشام: ثقيفٌ: قَسِيُّ بن منبِّه بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر.

والبيتان الأولان والآخران في قصيدتين لأُميَّة.

قال ابن إسحاق: فقالوا له: أيها الملك، إنَّما نحن عبيدُك، سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتُنا هذا البيتَ الذي تريد ـ يَعنُون اللَّاتَ ـ إنّما تريد البيتَ الذي بمكّة، ونحن نبعثُ معك من يدلُّك عليه، فتجاوزَ عنهم. واللَّاتُ: بيتٌ

---

(١) الأَمم: القُرْب، قال ابن الأنباري في «الأضداد» ص١٢٥ بعد أن ساق هذه الأبيات لأميّة: معناه: قَومي إيادٌ لو أنهم قريب لطلبتُهم وأحببت نزولهم معي ولو هُزِلَت النَّعم.

(٢) من قوله: «قال ابن هشام: القط» إلى هنا، من (ت) وحدها، ولم يرد في سائر النسخ، لكن أُلحقت عبارة نحوها في حاشيتي (ص) و(م) ولم يشر إليها بعلامة التصحيح.

قلنا: وقد ذكر هذين البيتين الآتيين أبو زيد القرشي في «جمهرة أشعار العرب» ص٤٠٨ في قصيدة طويلة لأميّة.

(٣) وذكرهما أيضاً أبو زيد القرشي في «جمهرة أشعار العرب» ص٤٠٨ في قصيدة طويلة لأميّة.

لهم بالطائف كانوا يعظِّمونه نحو تعظيم الكعبة.

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدةَ النَّحْويّ لضِرار بن الخطّاب الفِهْريّ:

وفَـرَّتْ ثَقيـفٌ إلـى لاتِهـا بمُنقلَـبِ الخائـبِ الخاسـرِ

وهذا البيت في أبياتٍ له[1].

قال ابن إسحاق: فبعثوا معه أبا رِغَالٍ يدلُّه على الطريق إلى مكة، فخرج أبرهةُ ومعه أبو رِغالٍ حتى أنزله المُغمَّسَ، فلما أنزله به مات أبو رِغالٍ هنالك، فرَجَمَت قبرَه العربُ، فهو القبرُ الذي يرجُمُ الناسُ بالمُغمَّس[2].

فلما نزل أبرهةُ المُغمَّسَ، بعث رجلاً من الحَبَشة يقال له: الأسود بن مفصود[3] على خيلٍ له، حتى انتهى إلى مكّة، فساقَ إليه أموالَ أهل تِهامةَ من قريشٍ وغيرهم، وأصاب فيها مئتي بعيرٍ لعبد المطَّلِب بن هاشم، وهو يومئذٍ كبيرُ قريشٍ وسيِّدُها، فهمَّت قريشٌ وكِنانةُ وهُذيلٌ ومَن كان بذلك الحَرَم بقتاله، ثم عَرَفوا أنه لا طاقةَ لهم

(١) ذكرها البَلاذُري في «أنساب الأشراف» ١١/ ٥٨.

وضرار بن الخطاب: هو ابن مِرداس بن كثير القرشي الفِهري، من بني محارب بن فِهْر، ولم يكن في قريش أشعرَ منه ومن عبد الله بن الزِّبَعرى، وهو من مُسلِمة الفتح، وقُتل باليمامة شهيداً، وقال الخطيب: بل عاش إلى أن حضر فتح المدائن ونزل الشام. انظر «الإصابة» لابن حجر ٣/ ٤٨٣-٤٨٤.

(٢) المغمَّس: سهل واسع شرقيّ مكة على بعد ٢٠ كم تقريباً منها بعد عرفات.

(٣) هكذا في النسخ الخطية هنا وفيما سيأتي قريباً، بالفاء، وهو ما نصَّ عليه الزُّرقانيّ في «شرح المواهب اللدنِّيّة» ١/ ١٥٩ أنه بالفاء، ويقع في بعض المصادر المطبوعة: مقصود، بالقاف، وهو تصحيف، والله أعلم.

وزعم السهيليُّ في «الروض الأُنف» ١/ ٢٦٩ أنه من مَذحِج، وهي قبيلة يمنيّة، وساق نسبه فيهم، فهو على هذا عربيّ وليس حبشيّاً!

به، فتركوا ذلك.

وبعث أبرهةُ حُنَاطةَ الحِمْيريَّ إلى مكّة، وقال له: سَلْ عن سيّدِ أهل هذا البلد وشريفِهم، ثم قل له: إن الملك يقول: إني لم آتِ لحربكم، إنّما جئتُ لهَدْم هذا البيت، فإن لم تَعرِضُوا دونه بحربٍ، فلا حاجة لي بدمائِكم، فإن هو لم يُرِدْ حربي فأتِني به. فلما دخل حُنَاطةُ مكة سأل عن سيِّد قريشٍ وشريفها، فقيل له: عبد المطَّلِب بن هاشم، فجاءه فقال له ما أمرَه به أبرهةُ، فقال له عبد المطّلب: واللهِ ما نريد حربَه، ولا لنا بذلك منه طاقةٌ، هذا بيتُ الله الحرام، وبيتُ خليلِه إبراهيم ـ أو كما قال ـ فإنْ يَمنَعْه منه فهو بيتُه وحُرْمتُه، وإن يُخلِّ بينَه وبينَه، فواللهِ ما عندنا دفعٌ عنه، فقال له حُنَاطة: فانطلِقْ إليه، فإنَّه قد أمرَني أن آتيَه بك.

فانطلق معه عبدُ المطّلب ومعه بعضُ بَنِيه، حتى أتى العسكر، فسأل عن ذي نَفْرٍ ـ وكان له صديقاً ـ حتى دخل عليه وهو في مَحبَسِه، فقال له: يا ذا نَفْر، هل عندك من غَناءٍ فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نَفْر: وما غَناءُ رجلٍ أسيرٍ بيدَي ملكٍ ينتظر أن يقتلَه غُدُوّاً وعَشِيّاً! ما عندي غَناءٌ في شيءٍ ممّا نزل بك، إلّا أن أُنَيساً سائسَ الفيل صديقٌ لي، فسأُرسِلُ إليه فأُوصِيه بك، وأُعظِمُ عليه حقَّك، وأسألُه أن يستأذنَ لك على الملك، فتُكلِّمَه بما بدا لك، ويشفعَ لك عنده بخيرٍ إن قَدَرَ على ذلك، فقال: حَسْبي. فبعث ذو نَفْرٍ إلى أُنَيس، فقال له: إنَّ عبد المُطّلِب سيِّدُ قريش، وصاحبُ عَيْن مكة، يُطعِم الناسَ بالسَّهل، والوحوشَ في رؤوس الجبال، وقد أصابَ له الملكُ مئتي بعيرٍ، فاستأذِنْ له عليه وانفَعْه عنده بما استطعتَ، قال: أفعلُ.

فكلّم أُنيسٌ أبرهةَ، فقال له: أيها الملك، هذا سيدُ قريشٍ ببابِك يستأذنُ عليك، وهو صاحب عَينِ مكة، وهو يُطعِم الناس بالسَّهل، والوحوشَ في رؤوس الجبال،

فأْذَنْ له عليك فليُكلِّمْك في حاجته، قال: فأذِنَ له أبرهةُ ـ وكان عبد المطَّلب أوسَمَ الناسِ وأجمَلَه وأعظَمَه ـ فلما رآه أبرهةُ أجلَّه وأكرَمَه عن أن يُجلسَه تحتَه، وكره أن تراه الحبشةُ يجلسُه معه على سرير مُلكِه، فنزل أبرهةُ عن سريرِه فجلس على بِساطِه، وأجلَسه معه عليه إلى جنبِه، ثم قال لتَرْجُمانِه: قل له: ما حاجتُك؟ فقال له ذلك التَّرجُمانُ[1]، فقال: حاجتي أن يَرُدَّ عليَّ الملكُ مئتي بعيرٍ أصابها لي، فلما قال له ذلك، قال أبرهةُ لتَرجُمانه: قل له: قد كنتَ أعجبتَني حين رأيتُك، ثم قد زَهِدتُ فيك حين كلَّمتَني، أتكلِّمُني في مئتي بعيرٍ أصبتُها لك، وتتركُ بيتاً هو دِينُك ودِينُ آبائك قد جئتُ لهدمِه لا تكلِّمُني فيه؟! قال له عبد المطَّلب: إني أنا ربُّ الإبل، وإنَّ للبيت ربّاً سيَمنَعُه، قال: ما كان لِيمتنعَ منّي، قال: أنت وذاك.

قال: وكان ـ فيما يَزعُم بعضُ أهل العلم ـ قد ذهبَ مع عبد المطَّلب إلى أبرهة حين بعث إليه حُنَاطةَ، يَعمَرُ بنُ نُفَاثة بن عَديّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مَنَاة بن كِنَانة، وهو يومئذٍ سيّدُ بني بكر، وخُوَيلدُ بنُ واثلة الهُذَليّ، وهو يومئذٍ سيّدُ هُذَيل، فعَرَضوا على أبرهةَ ثلثَ أموال تِهامة، على أن يَرجِعَ عنهم ولا يَهدِمَ البيت، فأَبَى عليهم، فالله أعلمُ أكان ذلك أم لا. فردَّ أبرهةُ على عبد المطَّلب الإبلَ التي أصاب له.

فلما انصرفوا عنه، انصرف عبد المطّلب إلى قريشٍ فأخبرهم الخبر، وأمَرَهم بالخروج من مكّة والتحرُّزِ في شَعَفِ الجبال والشِّعاب؛ تخوُّفاً عليهم من مَعَرَّة الجيش[2].

---

(١) في (ش١) و(م) و(ي): ففعل الترجمان.

(٢) التحرُّز: التمنّع والتحفّظ. وشَعَف الجبال: رؤوسها. والشِّعاب: المواضع الخفيّة بين =

ثم قام عبد المطَّلب فأخذ بحَلْقة باب الكعبة، وقام معه نفرٌ من قريش يَدعُون الله عزَّ وجلَّ، ويَستَنصِرونه على أبرهةَ وجُندِه، فقال عبد المطَّلب وهو آخذٌ بحَلْقة باب الكعبة:

اللّهُـــمَّ[1] إنّ العبـــدَ يَمـــ ـنَـعُ رَحْلَـه فـامنَعْ حِلالَـكْ
لا يَغلِبَـــنَّ صَـــليبُهم ومِحـالُهم عَـدْواً[2] مِحالَـكْ

قال ابن هشام: هذا ما صحَّ عندي له منها.

قال ابن إسحاق: وقال عِكْرمة بن عامر[3] بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار

= الجبال. ومعرّة الجيش: شدّته وأذاه، فالمَعرّة: هو الأمر القبيح المكروه والأذى.

(١) هكذا في النسخ الخطية في قول عبد المطّلب هنا وفي قول عكرمة الآتي، وفي نسخة (ش١) و«الروض الأنف» ١/ ٢٦٦ وبعض مصادر التاريخ واللغة: لاهمَّ، وهو أصح باعتبار وزن الشِّعر، قال السهيلي: العرب تحذف الألف واللام من اللهمَّ، وتكتفي بما بقي.. وهذا لكثرة دَوْر هذا الاسم على الألسنة.

والحِلال في هذا البيت: القوم الحُلول في المكان.

(٢) هكذا في نسخنا الخطية بعين مهملة، بمعنى: اعتداءً وظلماً، وفي بعض المصادر بالغين المعجمة، بمعنى: غداً، وكلاهما له وجه.

والمِحال: القوّة والشِّدة.

تنبيه: وقع بعد هذا البيت في (ش١) و(ص) و(م) و(ي) زيادة ثالثٍ مع الإشارة إلى أنه زيادة عن الواقديّ، وهو:

إن كنتَ تاركَهم وقِبْـ ـلتَنا فأمْرٌ ما بدا لكْ

وزاد في (م) رابعاً وهو:

فانصرْ على آل الصليـ ـب وعابِدِيهِ اليومَ آلَكْ

(٣) كذا قال، وقد غلّط ذلك البَلاذُريُّ في «أنساب الأشراف» ١/ ٦٨، وذكر أنه يقال: إن الذي قالها هو أبو عكرمة عامر بن هاشم. قلنا: وهذا لعله أصح، فإن عكرمة يصغر عن إدراك ذلك الوقت كبيراً، وقد ذُكِر في كتب الصحابة وأنه معدود في المؤلَّفة قلوبهم.

ابن قُصَيّ:

اللّهُمَّ أَخزِ الأسودَ بنَ مَفصُودْ ... الآخذَ الهَجْمةَ فيها التَّقليدْ[1]

بينَ حِراءٍ وثَبيرٍ فالبِيدْ ... يَحبِسُها وهْيَ أُوْلاتُ التَّطريدْ[2]

فضَمَّها إلى طَماطِمٍ سُودْ ... أخفِرْه يا ربِّ وأنت محمودْ[3]

قال ابن هشام: هذا ما صحَّ له منها.

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المُطَّلِب حَلْقةَ باب الكعبة، وانطلق هو ومَن معه من قُريشٍ إلى شَعَفِ الجبال، فتَحرَّزوا فيها ينتظرون ما أبرهةُ فاعلٌ بمكّة إذا دخلها.

فلمّا أصبح أبرهةُ تهيَّأ لدخول مكّة، وهيَّأ فِيلَه وعبَّأ جيشَه ـ وكان اسمُ الفيل محموداً[4] ـ وأبرهةُ مُجمِعٌ لهَدْم البيت ثم الانصرافِ إلى اليمن، فلما وَجَّهوا الفيل إلى مكة، أقبل نُفَيلُ بنُ حَبيب حتى قام إلى جَنْب الفيل، ثم أخذ بأُذُنِه فقال له: ابرُكْ محمودُ، أو ارجِعْ راشداً من حيثُ جئتَ، فإنَّك في بلدِ الله الحرام، ثم أرسلَ أُذُنَه، فبَرَكَ الفيل، وخرج نُفَيل بن حبيب يشتدُّ حتى أصعَدَ في الجبل، وضربوا الفيلَ ليقومَ فأَبَى، فضربوا في رأسه بالطَّبَرْزِينِ[5] ليقومَ فأَبَى، فأدخلوا مَحَاجنَ لهم

(١) الهجمة: الطائفة من الإبل، قيل: هي ما بين الخمسين إلى الستين. والتقليد، أي: في أعناقها قلائد.

(٢) حراء وثبير جبلان بمكة. والبِيد: جمع بَيداء، وهي الأرض القَفْر الخالية. وأُولات التطريد: يعني أن هذه الإبل هي في الأصل حرّة تجري في الخلاء يتبع بعضها بعضاً.

(٣) الطماطم: الأعاجم، ويقال لكل أعجميّ: طُمطُماني وطِمطِم أو طَمطَم. وأخفِره: انقُض عَزْمه وعهده فلا تُؤمِنْه.

(٤) وممّن سمّاه كذلك مقاتل بن سليمان في «تفسيره» ٤/ ٨٤٨، وابن سعد في «طبقاته» ١/ ٧٢.

(٥) الطبرزين: آلة معقَّفة من حديد.

في مَرَاقِّه فبَزّغوه[1] بها ليقوم فأَبَى، فوَجَّهوه راجعاً إلى اليمن فقام يُهرِول، ووَجَّهوه إلى الشام ففعل مثلَ ذلك، ووَجَّهوه إلى المشرِق ففعل مثلَ ذلك، ووَجَّهوه إلى مكة فبَرَك، وأرسَلَ الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثالَ الخطاطيف والبَلَسان[2]، مع كل طائرٍ منها ثلاثةُ أَحجارٍ يَحمِلُها، حجرٌ في مِنقارِه وحجران في رِجلَيه، أمثال الحِمَّص والعَدَس، لا تصيبُ منهم أحداً إلا هلك، وليس كلُّهم أَصابت، وخرجوا[3] هاربين يَبتَدِرون الطريقَ التي منها جاؤوا، ويسألون عن نُفَيل بن حبيب ليدُلَّهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفيلٌ حين رأى ما أنزل الله عزَّ وجلَّ بهم من نِقْمتِه:

أيــن المَفَــرُّ والإلٰــهُ الطالــبُ ... والأشرمُ المغلوبُ ليس الغالبُ

قال ابن هشام: قوله: ليس الغالبُ، عن غير ابن إسحاق.

وقال نُفيلٌ أيضاً:

ألا حُيِّيــتِ عنّــا يــا رُدَينــا ... نَعِمْنــاكم مــع الإصــباحِ عَيْنــا

رُدَينــةُ لــو رأيــتِ ـ ولا تَرَيــهِ ـ ... لَدَى جَنْبِ المُحصَّبِ ما رَأَينا

إذنْ لَعَــذرتِني وحَمِــدتِ أَمــري ... ولــم تأسَيْ علــى مــا فــاتَ بَيْنــا

حَمِــدتُ اللهَ إذ أبصــرتُ طيــراً ... وخِفــتُ حجــارةً تُلقَــى علينــا

---

(١) المحاجن: جمع مِحجَن، وهي عصا معوجَّة وقد يُجعَل في طرفها حديد. والمَراقّ: أسفل البطن. وبزَّغوه، أي: شرّطوه بالحديد الذي في تلك المحاجن.

(٢) الخطاطيف: جمع خُطّاف، وهو نوع من الطير، والبلسان: نوع من الشجر كثير الورق، قاله ابن الأثير في «النهاية» (بلس) وهو يشرح قول ابن عباس: بعث الله الطير على أصحاب الفيل كالبلسان. وأمّا أبو ذر الخشني فقال في «إملائه على السيرة» ص١٨: الخطاطيف والبلسان ضربان من الطير؛ فأغربَ، إذ لم يذكر أحدٌ البلسانَ في الطيور غيره.

(٣) في (ص) و(م) و(ي): ووجَّهوا.

فكـلُّ القـومِ يسـألُ عـن نُفَيـلٍ كـأنَّ علـيَّ للحُبشـانِ دَيْنـا

فخرجوا يتساقطون بكلِّ طريق، ويَهلِكون على كلّ مَنهَل، وأُصيب أبرهةُ في جسده، وخرجوا به معهم يَسقُط أَنمَلةً أَنمَلةً، كلما سقطت أَنمَلةٌ اتّبعتها منه مِدّةٌ ثُمَّتَ قيحٌ ودمٌ[1]، حتى قدموا به صنعاءَ وهو مثلُ فَرْخ الطائر، فما مات حتى انصَدَع صدرُه عن قلبه، فيما يَزعُمون.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتْبة[2] أنه حُدِّث: أن أول ما رُئِيَت الحَصْبةُ والجُدَريُّ بأرض العرب ذلك العامَ، وأنه أول ما رُئِيَ بها مَرائرُ الشَّجر؛ الحَرْمَل والحَنظَل والعُشَرُ[3] ذلك العامَ.

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله عزَّ وجلَّ محمداً رسولَ الله ﷺ، كان مما يَعُدُّ اللهُ على قريشٍ من نعمته عليهم وفضلِه: ما ردَّ عنهم من أمرِ الحَبَشة لبقاءِ أمرهم ومُدَّتهم، فقال تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾، ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤﴾ أي: لئلّا يغيِّر

(١) هكذا قُيّدت العبارة في نسخنا الخطية غير (ت) و(ش١)، وعليه فإن «ثُمّت» لغة في «ثُمَّ»، وفي (ت) ونسخة على حاشية (ص): قيحاً ودماً، وعليه فإن «ثمت» تكون قد تصحّفت عن: تَمُثُّ، وهكذا جاءت في (ش١): تمثُّ قيحاً ودماً، ومعناها: ترشح وتسيل، وهو أوجهُ في المعنى.

(٢) يعقوب بن عتبة هذا: هو ابن المغيرة بن الأخنس الثقفي، وهو ثقة من العلماء بالسيرة.

(٣) الحرمل: نبت له حب أسود كالخردل، والحنظل: نبت يمتد كالبطّيخ على الأرض يضرب المثل بشدة مرارته، والعُشَر: شجر مُرٌّ يحمل ثمراً كالأُتْرُجّ.

شيئاً من حالهم التي كانوا عليها، لِمَا أراد اللهُ عزَّ وجلَّ بهم من الخير لو قَبِلوه.

قال ابن هشام: الأبابيلُ: الجماعات، ولم تتكلم العرب بواحدٍ عَلِمناه، وأما السِّجِّيل، فأخبرني يونس النَّحْوي وأبو عُبيدة أنه عند العرب: الشديد الصُّلْب، قال رُؤْبة بن العَجّاج:

ومسَّهم ما مسَّ أصحابَ الفِيلْ تَـرمِيهِمِ حجـارةٌ مـن سِـجِّيلْ
ولَعِبَـت طيـرٌ بهـم أبابِيـلْ[1]

وهذه الأبيات في أُرجوزةٍ له.

وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية، جعلتهما العربُ كلمةً واحدةً، وإنما هو سِنْج وجِلْ، يعني بالسِّنج: الحَجَر، والجِل: الطين، يقول: الحجارةُ من هذين الجنسين: الحجر والطين.

والعَصْف: ورق الزَّرع الذي لم يُقصَّب[2]، وواحدته: عَصْفة. قال ابن هشام: وأخبرني أبو عُبيدة النَّحْوي أنه يقال له: العُصَافة والعَصِيفة، وأنشدني لعَلقَمة بن عَبَدةَ، أحدِ بني رَبيعة بن مالك بن زيد مَناة بن تَميم[3]:

تَسْـقي مَـذانبَ قـد مالـتْ عَصِـيفتُها حَـدُورُها مِـن أَتِـيِّ[4] المـاءِ مَطمُـومُ

---

(١) بعده في «ديوان رؤبة» ص١٨١: فصُيِّروا مثلَ كعَصْفٍ مأكولْ.

(٢) أي: لم ييبس فيصير كالقصب.

(٣) ويسمى: علقمة الفحل.

(٤) كذا في (ص) و(غ) و(ق١)، وفي (ت) و(ش١) و(م) و(ي): بأتِيّ. ومعنى الأتِيّ: الجدول، وأراد به هنا: ما يسيل من الماء في الجدول. قاله الأعلم الشنتمري في «شرح ديوان علقمة» ص٣٥.

تسقي: يعني بذلك ناقة يصفها. والمذانب: مسايل الماء. ومالت عصيفتها، أي: تفرّق ورقها، =

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال الراجز[1]:

فصُيِّروا مثلَ كعَصْفٍ مأكولْ

قال ابن هشام: ولهذا البيت تفسير في النَّحو[2].

وإيلافُ قريش: إِلْفُهم الخروجَ إلى الشام في تجاراتهم، وكانت لهم خَرْجتان: خَرْجة في الصيف، وخَرْجة في الشتاء، أخبرني أبو زيد الأنصاري: أن العرب تقول: أَلِفتُ الشيءَ إلْفاً، وآلَفْتُه إيلافاً، في معنًى واحدٍ، وأنشدني لذي الرُّمّة:

منَ المُؤْلِفاتِ الرَّمْلَ أَدْماءُ حَرّةٌ شُعاعُ الضُّحى في لونِها يَتوضّحُ[3]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال مَطرُود بن كعبٍ الخُزاعي:

المُنعِمِينَ إذا النُّجومُ تَغيَّرتْ والظّاعِنينَ لِرِحْلةِ الإيلافِ[4]

= وانفتحت وتباينت من الرِّيّ. والعَصيفة: الورق. وحَدورها: ما انحدر من تلك المسايل واطمأن. والمطموم: المملوء بالماء.

(١) هو رؤبة بن العجاج، وهذا من تتمة رجزه المذكور سابقاً.

(٢) يعني جواز إدخال «مِثْل» على الكاف، لأنها بمعنى: مِثْل، وجاز التَّكرار عند الاضطرار لاختلاف اللفظين. وانظر «الكتاب» لسيبويه ١/ ٤٠٨، و«المقتضب» للمبرد ٤/ ١٤٠- ١٤١.

(٣) المؤلِفات الرمل: اللواتي اتخذن الرمل إلفاً، ويقصد هنا الظِّباء. والأدماء من الظباء: السمراء الظَّهر البيضاء البطن. ويتوضَّح: يَبرُق في ظهرها. وانظر «شرح ديوان ذي الرُّمة» لأبي نصر الباهلي ٢/ ١١٩٧، و«تاج العروس» للزبيديّ (أدم).

(٤) إذا النجوم تغيرت، يعني: استحالت عن عادتها من المطر، على مذهب العرب في النجوم. والظاعنين: الراحلين.

وهذا البيت في أبياتٍ له سأذكرها في موضعها إن شاء الله[1].

والإيلاف أيضاً: أن يكون للإنسان أَلفٌ من الإبل أو البقر أو الغنم أو غير ذلك، يقال: آلَفَ فلانٌ إيلافاً، وقال الكُمَيتُ بن زيد، أحدُ بني أسَد بن خُزَيمة بن مُدرِكة ابن الْياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ[2]:

بعـــامٍ يقـــولُ لـــه المُؤْلِفـــو نَ: هـذا المُعِـيمُ لنـا المُرجِـلُ[3]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

والإيلاف أيضاً: أن يكون القومُ أَلفاً، يقال: آلَفَ القومُ إيلافاً، قال الكُمَيت بن زيد[4]:

وآلُ مُزَيقِيَـــاءَ غَـــداةَ لاقَـــوْا بنـي سـعدِ بـنِ ضَـبَّةَ مُؤْلِفِينـا

وهذا البيت في قصيدة له.

والإيلاف أيضاً: أن يُؤلَفَ الشيءُ الشيءَ فيألفَه ويلزمَه، فيقال: آلَفتُه إيّاه إيلافاً.

والإيلاف أيضاً: أن تصيِّر ما دون الأَلْفِ أَلْفاً، يقال: آلفتُه إيلافاً.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدُ الله بن أبي بكر، عن عَمْرةَ بنت عبد الرَّحمن بن سعد بن زُرَارةَ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد رأيتُ قائدَ الفيلِ وسائسَه بمكةَ

(١) في وفاة عبد المطلب وما رُثي به من الشعر ص١٩٧.

(٢) انظر «ديوانه» ص٢٩٧-٢٩٨.

(٣) المُؤْلِف: صاحب الألف من الإبل. والمُعيم، من العَيْمة: وهو شدة الشهوة إلى اللَّبَن. والمُرْجِل: الذي تذهب إبلُه فيمشي على رجليه.

يريد: أن تلك السنة تجعل صاحب الألف من الإبل يَعامُ إلى اللّبن وتُرجِله، فيمشي راجلاً لعَجَف الدواب وهُزالها.

(٤) انظر «ديوانه» ص٤٥٨.

أَعمَيَينِ مُقعَدَينِ يَستَطعِمان[1].

ما قيل في صفة الفيل من الشِّعر

قال ابن إسحاق: فلمَّا ردَّ اللهُ الحبشةَ عن مكة، وأصابهم بما أصابهم به من النِّقْمة، أعظَمَت العربُ قريشاً، وقالوا: أهلُ الله، قاتل عنهم وكَفَاهم مَؤُونةَ عدوِّهم، فقالوا في ذلك أشعاراً يذكرون فيها ما صَنَعَ اللهُ تعالى بالحبشة، وما ردَّ عن قريش من كيدهم.

فقال عبد الله بن الزِّبَعرَى بن عَدِيّ بن قيس بن عَدِيّ بن سُعَيد[2] بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر:

تَنكَّلوا عن بطنِ مكةَ إنَّها ... كانت قديماً لا يُرامُ حَريمُها

لم تُخلَق الشِّعرى ليالِيَ حُرِّمتْ ... إذ لا عَزيزَ من الأنامِ يَرُومُها

سائِلْ أميرَ الحُبشِ[3] عنها ما رأَى ... ولسوفَ يُنبِي الجاهلينَ عَليمُها

---

(١) إسناده صحيح. عبد الله بن أبي بكر: هو ابن حَزْم الأنصاريّ.

وهو في «السيرة» لابن إسحاق برواية يونس بن بكير ص٦٥، ومن طريق يونس أخرجه البزار في «مسنده» ١٨/ (٣٠٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ١٢٥.

وأخرجه أيضاً خليفة بن خياط في «تاريخه» ص٥٣ عن بكر بن سليمان، عن ابن إسحاق، به.

(٢) كذا وقع لابن إسحاق في هذا النسب: سُعيد، مصغَّراً، وكذلك يقوله حيثما تكرَّر نسبُ بنى عديِّ بن سَعْد بن سهم عنده.

قال السهيليّ في «الروض الأنف» ١/ ٢٨٦: وهو خطأ، والصواب: سَعْد بن سهم، وإنما سُعَيد أخو سَعْد، وهو (أي: سُعَيد) في نسب عمرو بن العاص بن وائل. وقال أيضاً ٣/ ٣٦: الناس على خلاف ابن إسحاق، وإنما هو سَعْد.

وانظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص١٦٣-١٦٤.

(٣) في (ت): الجيش، وقُيِّدت في (ق١) بالوجهين.

سـتُّونَ ألفـاً لـم يَؤُوبُـوا أرضَـهم ... ولـم يَعِـشْ[1] بعـد الإيـابِ سَـقيمُها
كانـت بهـا عـادٌ وجُـرهُمُ قـبلَهم ... واللهُ مـن فـوقِ العبـادِ يُقِيمُهـا

يعني ابنُ الزِّبَعرَى بقوله: بعد الإياب سقيمُها، أبرهةَ، إذ حَمَلوه معهم حين أصابه ما أصابه، حتى مات بصَنْعاءَ.

وقال أبو قيس بن الأسْلَت الأنصاريُّ ثم الخَطْميّ، واسمه صَيفِيٌّ ـ قال ابن هشام: أبو قيس: صَيفيّ بن الأسْلَت بن جُشَم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامرةَ[2] بن مُرّة ابن مالك بن الأَوس ـ:

ومِن صُنعِه يومَ فيلِ الحُبُو ... شِ إذ كُلَّمـا بَعَثُـوه رَزَمْ[3]
مَحـاجِنُهم تحـت أَقرابِـهِ ... وقـد شَـرَموا أنفَـه فـانخَرَمْ[4]
وقـد جعلـوا سَـوْطَه مِغـوَلاً ... إذا يمَّمُـوه قَفَـاهُ كَلَـمْ[5]

---

(١) هكذا في (ت) و(ي)، وفي (ص) و(م): ولمّا يَعِش، وفي (ش١) و(ق١) ونسخة في حاشيتي (ص) و(ي): بل لم يعش. قال السهيليّ في «الروض الأنف» ١/ ٢٩٠: ولم يعش، هكذا في النسخة المقيَّدة على أبي الوليد (يعني الوَقَّشيّ) المقابلة بالأصلين اللَّذين كانا عنده، وقابلها أبو بحر رحمه الله بهما مرتين، وحَسِبَ بعضهم أنه كسرٌ في البيت، فزاد من قبل نفسه فقال: بل لم يعش، فأفسد المعنى، وإنما هو خَرْمٌ في أول القسم من عَجُز البيت كما كان في الصدر من أول بيت منها. قلنا: والخَرْم: هو أن يسقط أول التفعيلة في صدر بيت الشِّعر.

(٢) هكذا في (ص) و(ق١)، وفي بقية النسخ: عامر. قال الخشني في «إملائه» ص٢١: بإثبات التاء هو الصواب. وأما ابن حزم فسمّاه في كتابه «جمهرة أنساب العرب» ص٣٤٥ عامراً، وهو يقع في المصادر هكذا وهكذا، فالله أعلم.

(٣) رَزَمَ البعيرُ: إذا ثبت بمكانه فلم يبرح.

(٤) أقرابه: جمع قُرُبٍ، وهي الخاصرة. وانخرم: انشقَّ.

(٥) المِغوَل: سكّين كبيرة، وقيل: سكين تكون في السوط. كَلَم: جَرَح، والكَلْم: الجُرْح.

فـــولَّى وأدبَـــرَ أدراجَـــهُ وقد باءَ بالظلمِ مَن كان ثَمْ[1]
فأَرسلَ مِن فوقِهم حاصِباً تَلفُّهم مثلَ لفِّ القَزَمْ[2]
يَحُضُّ على الصَّبْرِ أحبارُهم وقد ثأَجُوا كثُؤَاجِ الغَنَمْ[3]

قال ابن هشام: هذه الأبيات في قصيدةٍ له[4]، والقصيدة أيضاً تُروى لأُميّة بن أبي الصَّلت.

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس بن الأسلَت أيضاً[5]:

فقوموا فصلُّوا ربَّكم فتمسَّحوا بأركانِ هذا البيتِ بين الأخاشِبِ[6]
فعندَكمُ منه بلاءٌ ومَصدَقٌ غَداةَ أبي يَكسُومَ هادي الكتائبِ
كَتيبتُه بالسَّهلِ تُمسِي[7] ورَجْلُه على القاذفاتِ في رُؤوسِ المناقبِ
فلمَّا أتاكُمْ نصرُ ذي العرشِ ردَّهمْ جنودُ المَليكِ بين سافٍ وحاصِبِ[8]

---

(١) الأدراج: جمع دَرَجٍ، وهو الطريق، وأدبر أدراجه، أي: رجع من حيث جاء. وباء بالظلم، أي: رجع مستحقاً لإثمه. وثَمْ: مخفَّفة من ثَمَّ، ومعناه: هناك.

(٢) هكذا قُيّدت في نسخنا بفتحتين، ويجوز فيها ككَتِفٍ وعُنُقٍ وجَبَلٍ: وهو صغير الغنم، ويقال: رُذَال المال، والجمع: قُزُم وأقزام. والحاصب: الحجارة.

(٣) ثأجوا: صاحوا.

(٤) ونسبها له أيضاً محمد بن حبيب في «المنمَّق في أخبار قريش» ص٧٩-٨٠.

(٥) وقد ذكر بعضها الأزرقيّ في «أخبار مكة» ١/ ١٤٩.

(٦) الأخاشب: جبلان بمكة، فجمعهما مع ما حولهما، وإنما هما أخشبان.

(٧) في (ش١) و(ق١) وحاشية (ص): تمشي.

والرَّجْل: جمع راجلٍ، وهو ضد الفارس. والقاذفات: أعالي الجبال البعيدة. والمناقب: جمع مَنقَبة، وهي الطريق في رأس الجبل.

(٨) السافي: الذي يرمي بالتراب. والحاصب: الذي يقذف بالحصباء.

فوَلَّوا سِراعاً هاربينَ ولم يَؤُبْ إلى أهلِه مِلْجَيشِ[1] غيرُ عَصائبِ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاريُّ قولَه:

على القاذفاتِ في رُؤوسِ المناقبِ

وهذه الأبيات في قصيدة لأبي قيس، سأذكرُها إن شاء الله في موضعها[2].

وقوله: غداةَ أبي يَكسُوم، يعني: أبرهة، كان يُكْنى أبا يَكسُوم.

قال ابن إسحاق: وقال طالب بن أبي طالب بن عبد المُطَّلِب:

ألم تَعلَموا ما كان في حربِ داحِسٍ وجيشِ أبي يَكسُومَ إذ مَلَؤوا الشِّعْبا

فلولا دِفاعُ اللهِ لا شيءَ غيرُه لأصبحتُم لا تَمنَعُونَ لكم سِرْبا[3]

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدةٍ له في يوم بَدْر، سأذكرها إن شاء الله تعالى في موضعها[4].

قال ابن إسحاق: وقال أبو الصَّلْت بن أبي رَبيعة الثَّقفي في شأن الفيل، ويَذكُر الحَنيفيَّةَ دينَ إبراهيم عليه السلام ـ قال ابن هشام: وتُروى لأُميّة بن أبي الصَّلْت بن أبي ربيعة[5] ـ:

إنَّ آياتِ ربِّنا باقياتٌ ما يُماري فيهنَّ إلا الكَفُورُ

---

(١) في (ش١) ونسخة على حاشية (ص): الحُبش. ومِلْجيش: يعني من الجيش.

(٢) عند قصة عرض النبيّ ﷺ دعوته على قومه ص٣٢٩.

(٣) يروى بفتح السين وكسرها، فالسَّرب بالفتح: المال الراعي، والسِّرب بالكسر: القطيع من البقر والظِّباء، ومن النساء أيضاً. قاله السهيليّ في «الروض» ١/ ٢٩١.

(٤) ٢/ ٤٨٠.

(٥) نسبها إليه المسعودي في «مروج الذهب» ٢/ ٢٣٠، والأعلم الشنتمري في «أشعار الشعراء الستة الجاهليين» ٢/ ٢١١.

خَلَقَ الليلَ والنهارَ، فكلٌّ مستبينٌ[1] حسابُه مقدورُ
ثم يَجلُو النَّهارَ ربٌّ رحيمٌ بمَهاةٍ شُعاعُها منشورُ[2]
حَبَسَ الفيلَ بالمُغمَّسِ حتى ظلَّ يَحبُو كأنه معقورُ[3]
لازماً حَلْقةَ الجِرَانِ كما قُطِّـ ـرَ من صَخْرِ كَبْكَبٍ محدورُ[4]
حولَه مِن مُلوكِ كِنْدةَ أبطا لٌ مَلاويثُ في الحُروبِ صُقورُ[5]
خلَّفوهُ ثمّ ابذَعَرُّوا جميعاً كلُّهم عَظمُ ساقِه مكسورُ[6]
كلُّ دِينٍ يومَ القيامةِ عند اللّٰـ ـهِ إلا دينَ الحَنيفةِ بُورُ[7]

قال ابن هشام: وقال الفرزدق ـ واسمُه همَّام بن غالب، أحدُ بني مُجاشِع بن دارِم ابن مالك بن حنظلةَ بن مالك بن زيد مَنَاةَ بن تَميم ـ يَمدَحُ سليمانَ بن عبد الملك بن مروان ويَهجُو الحَجَّاج بن يوسف، ويذكر الفِيلَ وجيشَه:

فلمّا طغَى الحَجّاجُ حين طغَى بهِ غِنًى قال إنِّي مُرتقٍ في السَّلالمِ

---

(١) كتبت في (ت) بشكل يمكن أن تقرأ فيه على وجهين: مستبين ومستنير، وهي في (ش١) و(م) و(ي) ونسخة على حاشية (ص) مصحَّحاً عليها: مستنير.

(٢) المهاة: الشمس، سمِّيَت بذلك لصفائها.

(٣) المغمَّس: سهل واسع شرقيّ مكة على بعد ٢٠ كم تقريباً منها بعد عرفات.

(٤) الجِران: باطن العنق من البعير وغيره. قُطِّر، أي: رُمي به على جانبه، والقُطْر: الجانب. وكبكبٌ: جبل خلف عرفات مشرف عليها. محدور: مُلقًى من علوٍّ إلى سُفل.

(٥) ملاويث: أشدّاء.

(٦) ابذَعرُّوا: تفرَّقوا من ذُعر.

(٧) في (ي) وحواشي بعض النسخ: زُورُ. وقوله: بُورٌ، أي: هالك، من البَوَار: وهو الهلاك. وأما الزُّور: فهو البهتان والكذب.

فكان كما قال ابنُ نوحٍ سأرتَقي ... إلى جبلٍ من خَشيةِ الماءِ عاصمِ
رَمَى اللهُ في جُثمانِه مثلَ ما رمَى ... عن القِبلةِ البيضاءِ ذاتِ المَحارِمِ
جنوداً تسوقُ الفيلَ حتى أعادَهم ... هَباءً وكانوا مُطرَخِمِّي الطَّراخِمِ[1]
نُصِرتَ كنصرِ البيتِ إذ ساقَ فيلَهِ ... إليه عظيمُ المشركينَ الأعاجِمِ

وهذه الأبيات في قصيدةٍ له[2].

قال ابن هشام: وقال عبد الله[3] بن قيسِ الرُّقَيّات، أحدُ بني عامر بن لُؤيّ بن غالب يذكر أبرهةَ ـ وهو الأشرَم ـ والفيلَ:

كادَهُ الأشرمُ الذي جاءَ بالفيـ ... ـلِ فولَّى وجيشُه مهزومُ
واستَهلَّت عليهمُ الطيرُ بالجَنْـ ... ـدَلِ حتّى كأنّه مرجومُ[4]
ذاكَ مَن يَغزُهُ من الناسِ يَرجِعْ ... وهْوَ فَلٌّ مِن الجُيوشِ ذَميمُ[5]

وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: فلما هلك أبرهةُ، مَلَكَ الحبشةَ يَكسُومُ بنُ أبرهة، وبه كان يُكنَى.

فلما هَلَكَ يَكسُوم بن أبرهة، مَلَكَ اليمنَ في الحبشة أخوه مسروقُ بن أبرهة.

---

(١) الطراخم: جمع المطرخِم، وهو الممتلئ كِبراً أو غضباً.

(٢) انظر «ديوانه» ص٦١٣.

(٣) هكذا سمّاه ابن هشامٍ عبدَ الله مكبَّراً، والمشهور أنه عُبيد الله مصغَّراً، وانظر الخلاف في ذلك في «خزانة الأدب» للبغدادي ٧/ ٢٨٢. وهذه الأبيات في «ديوانه» ص١٩٢.

(٤) الجندل: ما يستطيع الرجل حمله من الحجارة.

(٥) الفَلّ: الجيش المنهزم.

خروج سيف بن ذي يَزَن، ومُلكُ وَهْرِزَ على اليمن

فلما طال البلاءُ على أهل اليمن، خرج سيفُ بن ذي يَزَن الحِمْيَري ـ وكان يُكنَى أبا مُرَّة ـ حتى قَدِمَ على قيصرَ ملك الروم، فشكا إليه ما هم فيه، وسأله أن يُخرِجَهم عنه ويَلِيَهم هو، ويبعثَ إليهم مَن شاء من الروم فيكونَ له ملكُ اليمن، فلم يُشْكِه[1].

فخرج حتى أتى النُّعمانَ بن المنذر ـ وهو عاملُ كِسرى على الحِيرةِ وما يليها من أرض العراق ـ فشكا إليه أمرَ الحبشة، فقال له النعمان: إنَّ لي على كسرى وِفادةً في كلِّ عام، فأقِمْ حتى يكون ذلك. ففعل، ثم خرج معه، فأدخلَه على كسرى، وكان كسرى يجلسُ في إيوانِ مجلسِه الذي فيه تاجُه، وكان تاجُه مثلَ القَنقَلِ[2] العظيم ـ فيما يَزعُمون ـ يُضرَب فيه الياقوت والزَّبَرجَد واللؤلؤ بالذهب والفضة، معلَّقاً بسلسلة من ذهب في رأس طاقةٍ في مجلسه ذلك، فكانت عُنُقه لا تحمل تاجَه، إنما يُستَر بالثياب حتى يجلسَ في مجلسه ذلك ثم يُدخِلَ رأسه في تاجه، فإذا استوى في مجلسه كُشِفَت عنه الثياب، فلا يراه رجلٌ لم يره قبل ذلك إلا بَرَكَ هَيْبةً له، فلمّا دخل عليه سيفُ بن ذي يَزَن بَرَك.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة: أنّ سيفاً لمّا دخل عليه طأطأَ رأسَه، فقال الملك: إنَّ هذا الأحمقَ يَدخُل عليَّ من هذا الباب الطويل ثمّ يُطأطِئ رأسه! فقيل ذلك لسيفٍ، فقال: إنّما فعلتُ هذا لِهَمِّي، لأنّه يَضِيقُ عنه كلُّ شيء.

قال ابن إسحاق: ثمّ قال: أيّها الملك، غَلَبَنا على بلادنا الأَغرِبةُ، قال كسرى: أيُّ الأغرِبَة، الحَبَشةُ أم السِّندُ؟ قال: بل الحبشة، فجئتُك لتَنصُرَني، ويكونَ مُلكُ بلادي

---

(١) أي: لم يُزِل شكواه.

(٢) القَنقَل: مكيال عظيم.

لك، قال: بَعُدَتْ بلادُك مع قِلّةِ خيرِها، فلم أكن لأُورِّطَ جيشاً من فارسَ بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك، ثمّ أجازه بعَشَرة آلاف درهمٍ وافٍ، وكَسَاه كِسوةً حسنة، فلمّا قَبَضَ ذلك سيفٌ، خَرَجَ فجعل يَنثُر تلك الوَرِقَ للناس، فبلغ ذلك الملكَ فقال: إنَّ لِهذا لَشأناً، ثم بَعَثَ إليه فقال: عَمَدتَ إلى حِباءِ المَلِك تَنثُره للناس! قال: وما أصنَعُ بهذا؟ ما جبالُ أرضي التي جئتُ منها إلا ذهبٌ وفضّةٌ ـ يُرغِّبُه فيها ـ فجَمَعَ كسرى مَرَازِبتَه فقال: ماذا تَرَونَ في أمر هذا الرجل وما جاءَ له؟ فقال قائل: أيها الملك، إنَّ في سجونك رجالاً قد حَبَستَهم للقتل، فلو أنك بَعَثتَهم معه، فإن يَهلِكوا كان الذي أردتَ بهم، وإن ظَفِروا كان مُلكاً ازددتَه.

فبعث معه كسرى مَن كان في سجونه، وكانوا ثمانيَ مئةِ رجل، واستَعمَل عليهم وَهْرِز، وكان ذا سِنٍّ فيهم، وأفضلَهم حَسَباً وبيتاً، فخرجوا في ثماني سفائنَ، فغَرِقَت سفينتان ووَصَلَ إلى ساحل عَدَن ستُّ سفائن، فجمع سيفٌ إلى وَهْرِز مَن استطاع من قومه، وقال له: رِجْلي مع رِجْلك حتى نموتَ جميعاً أو نَظفَرَ جميعاً، قال وَهْرِز: أنصفتَ.

وخرج إليه مسروقُ بن أَبرهةَ ملكُ اليمن، وجَمَعَ إليه جُندَه، فأرسل إليهم وَهْرِزُ ابناً له ليقاتلَهم فيَختبِرَ قتالهم، فقُتِل ابنُ وَهْرِز، فزاده ذلك حَنَقاً[1] عليهم، فلما تواقَفَ الناسُ على مَصافِّهم قال وَهْرِز: أَرُوني مَلِكَهم، فقالوا له: أترى رجلاً على الفيل عاقداً تاجَه على رأسه، بين عينيه ياقوتةٌ حمراء؟ قال: نعم، فقالوا: ذلك مَلِكُهم، فقال: اتركوه، فوقفوا طويلاً، ثم قال: علامَ هو؟ قالوا: قد تَحوَّل على الفَرَس، قال: اتركوه، فوقفوا طويلاً، ثم قال: علامَ هو؟ قالوا: على البغلة، قال

(١) أي: غَيظاً.

وَهْرِز: بنتُ الحمار، ذلَّ وذلَّ مُلْكُه، إنِّي سأَرميه، فإذا رأيتم أصحابَه لم يتحرَّكوا فاثبُتُوا حتّى أُوذِنَكم، فإنِّي قد أخطأتُ الرجل، وإن رأيتم القومَ قد استداروا ولاثُوا به[1]، فقد أصبتُ الرَّجل، فاحمِلوا عليهم. ثم وَتَّرَ قوسَه، وكانت ـ فيما يَزعُمون ـ لا يُوتِّرُها غيرُه من شدّتها، وأمَرَ بحاجبَيهِ فعُصِبا له، ثم رَمَاه، فصَكَّ الياقوتةَ التي بين عينيه، فتَغَلغَلَت النُّشّابةُ في رأسه حتى خرجت من قَفَاه، ونُكِّسَ عن دابَّته، واستدارتِ الحبشةُ ولاثَتْ به، وحَمَلَت عليهم الفُرسُ، وانهزموا، فقُتِلوا وهربوا في كلِّ وجه.

وأقبل وَهْرِزُ ليدخلَ صنعاءَ، حتى إذا أتى بابَها قال: لا تَدخُلُ رايتي منكَّسةً أبداً، اهدِمُوا الباب، فهُدِم، ثم دخلها ناصباً رايتَه.

فقال سيفُ بن ذي يَزَن:

يظنُّ الناسُ بالمَلِكَيـ ـنِ أنَّهما قدِ الْتأَما[2]
ومَن يَسمعْ بلأْمِهما فإن الخَطْبَ قد فَقَما[3]
قَتَلْنا القَيْلَ مَسروقاً ورَوَّينا الكَثِيبَ دَما[4]
وإنَّ القَيْلَ قَيلَ النا سِ وَهْرِزَ مُقسِمٌ قَسَما
يَذُوقُ مُشَعشَعاً حتى يُفِيءَ السَّبْيَ والنَّعَما[5]

(١) لاثوا به، أي: اجتمعوا حوله.

(٢) قد التأما، أي: قد اصطلحا واتفقا.

(٣) الخَطْب: الأمر العظيم. وفَقَمَ: عَظُمَ.

(٤) القَيل: المَلِك. والكَثيب: التلّ من الرمل.

(٥) المُشعشَع: الشراب الممزوج بالماء. ويُفِيء، أي: يُعطي الفَيْء، وهو الغَنيمة. والسَّبي: الناس المأسورون. والنَّعَم: واحد الأنعام، وهي الإبل والبقر وغيرها.

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبياتٍ له.

وأنشدني خلَّاد بن قُرَّة السَّدُوسيُّ آخرَها بيتاً لأعشى بني قيس بن ثَعلَبة في قصيدةٍ له، وغيرُه من أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها له.

قال ابن إسحاق: وقال أبو الصَّلْت بنُ أبي رَبِيعة[1] - قال ابن هشام: وتُروَى لأميّة بن أبي الصَّلت -:

لِيطلُبِ الوِترَ أمثالُ ابنِ ذي يَزَنٍ ... رَيَّمَ في البحرِ للأعداءِ أَحوالا[2]

يَمَّمَ قيصَرَ لمّا حانَ رحلتُهُ ... فلم يجدْ عندَه بعضَ الذي سألا[3]

حتّى أَتى ببَني الأحرارِ يَحمِلُهمْ ... إنَّك عَمْري لقد أُسرِعتَ قَلْقالا[4]

لله دَرُّهمْ من عُصبةٍ خَرَجُوا ... ما إنْ أَرى لهم في النَّاسِ أَمثالا

بِيضاً مَرَازِبةً غُلْباً أَساوِرَةً ... أُسْداً تُربَّبُ في الغَيْضاتِ أَشبالا[5]

يَرمُون عن شُدُفٍ كأنها غُبُطٌ ... بزَمْخَرٍ يُعجِلُ المَرْميَّ إعجالا[6]

---

(١) هو والد أُميّة، وقد نسبها إليه محمد بن سلّام الجُمَحي في كتاب «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٢٦٠، والطبري في «تاريخه» ٢/ ١٤٧، وعزاها المسعودي في «مروج الذهب» ٢/ ٥٩ لأبي ربيعة جدّ أمية بن أبي الصلت.

(٢) الوتر، بكسر الواو وفتحها: الثّأر. ورَيَّم في البحر، أي: أقام متنقلاً فيه. وأحوالاً، أي: أعواماً.

(٣) يمَّم: قصد.

(٤) القلقال: التحرك والسرعة.

(٥) المَرازِبة: وزراء الفرس. غُلباً: شِداداً. والأساورة: رُماة الفرس. وتُربَّب، أي: تُربَّى. والغَيضات: جمع غَيْضة، وهي الشجر الكثيف. والأشبال: أولاد الأُسود، فاستعارها لهم.

(٦) شُدُف: هي جمع شَدْفاء، والشدفاء: العوجاء؛ يعني القوس الفارسية. وغُبُط: جمع غَبيط، وهي عِيدان الهودج، شبه بها القوس في انحنائها. والزَّمخَر: القصب اليابس.

أَرسلتَ أُسْداً على سُودِ الكِلابِ فقد ... أَضحى شَريدُهم في الأرضِ فُلّالا[1]

فاشرَبْ هَنيئاً عليك التاجُ مُرتفِقاً ... في رأسِ غُمدانَ داراً منك مِحلالا[2]

واشرَبْ هنيئاً فقد شالَتْ نَعامتُهم ... وأسبِلِ اليومَ في بُردَيكَ إسبالا[3]

تلك المَكارمُ لا قَعْبانِ مِن لَبنٍ ... شِيبَا بماءٍ فعادا بَعدُ أَبوالا[4]

قال ابن هشام: هذا ما صحَّ له ممّا روى ابنُ إسحاق منها، إلا آخرَها بيتاً؛ قولَه:

تلك المَكارمُ لا قَعبانِ مِن لَبنٍ

فإنه للنّابغةِ الجَعْديِّ في قصيدة له[5]، واسمه قيس بن عبد الله، أحدُ بني جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن بكر بن هَوَازن[6].

قال ابن إسحاق: وقال عَديُّ بن زيد الحِيرِيّ[7]، وكان أحدَ بني تَميم. قال ابنُ

---

(١) الفُلّال: المنهزمون.

(٢) غُمدان: قصر بصنعاء باليمن كان ينزله الملوك.

(٣) قوله: شالت نعامتهم، أي: تفرّقوا وهلكوا، والنعامة: جماعة القوم. والنعامة أيضاً: باطن القدم، وشالت: ارتفعت، ومن هلك ارتفعت رِجْلاه وانتكس رأسه، فظهرت نعامةُ قدمه. انظر «الروض الأنف» ١/ ٣٠٧-٣٠٨.

والإسبال: إرخاء الثوب، وهنا يريد به الخُيَلاء والإعجاب.

(٤) قعبان: تثنية قَعْب، وهو قَدَح يُحلَبُ فيه. وشِيبا: مُزِجا.

(٥) قال ابن سلّام في «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٥٩ بعد أن ذكر أنه نُسب إلى النابغة: الرواة مجمعون أن أبا الصلت بن أبى ربيعة قاله.

(٦) من قوله: «واسمه قيس» إلى هنا من (ت) و(ش١) و(ق١) و(م)، ولم يرد في بقية النسخ، والتعريف باسمه قد تقدم من ابن هشام عند ذكر أمر عمرو بن عامر في خروجه من اليمن وقصة سد مأرب.

(٧) تحرف في (ص) و(غ) إلى: الحميري.

هشام: ثمّ أحدَ بني امرِئ القيس بن زيد مَنَاة بن تَميم، ويقال: عَديٌّ من العِبَاد[1] من أهل الحِيرَة:

ما بعدَ صنعاءَ كان يَعمُرُها ... وُلاةُ مُلكٍ جَزْلٌ مواهبُها[2]

رفَّعها مَن بَنى لدى قَزَعِ الـ ... ـمُزْنِ وتَنْدَى مِسْكاً مَحارِبُها[3]

محفوفةٌ بالجبالِ دون عُرَى الـ ... ـكائدِ ما تُرتَقى غَوَاربُها[4]

يأنَسُ فيها صوتُ النُّهامِ إذا ... جاوبَها بالعَشيِّ قاصِبُها[5]

ساقت إليها الأسبابُ جندَ بني الـ ... أحرارِ فرسانُها مواكبُها

وفُوِّزَت بالبِغالِ تُوسَقُ بالـ ... ـحَتْفِ وتسعى بها تَوالبُها[6]

حتى رآها الأقوالُ من طرفِ الـ ... ـمَنقَلِ مُخضرَّةً كتائبُها[7]

يومَ يُنادُون آلَ بَربَرَ والـ ... ـيَكْسومَ لا يُفلِحَنَّ هاربُها

فكان يومٌ باقي الحديثِ وزا ... لتْ إمّةٌ ثابتٌ مراتبُها[8]

---

(١) في (ت): عدي بن زيد العِبادي، وفي (ص): عدي بن العباد. والعِباد: قبائل شتّى من عبد القيس من ربيعة في اسم كلٌّ منهم: عبدٌ.

(٢) ولاة مُلك: يريد الذين يدبرون أمر الناس ويصلحونه. جزلٌ: كثير. مواهبها: عطاياها.

(٣) القزع: السحاب المتفرق. والمُزن: السحاب. والمَحارب: الغرف المرتفعة.

(٤) عُرى الكائد: يريد عرى السماء وأسبابها. وغواربها: أعاليها.

(٥) النُّهام: الذكر من البوم، وهو طائر يصيح بالليل. والقاصب: صاحب الزَّمّارة.

(٦) فُوِّزت: قُطعت المَفَازة، وهي الصحراء. توالبها: جمع تَولَب، وهو ولدُ الحمار، فجعله هنا للبغال.

(٧) الأقوال: الملوك، واحدها: قَيْل. وقوله: من طرف المنقل، أي: من أعالي حصونها.

(٨) الإمّة، بكسر الهمزة: النعمة.

وبُـدِّل الفَـيجُ بالزَّرَافـةِ، والأيّـا مُ خُـــونٌ جَـــمٌّ عجائبُهـــا[1]

بعـــدَ بنـــي تُبَّـــعٍ نَخـــاوِرَةٍ قـــدِ اطمأنَّـــت بهـــا مَرازِبُهـــا[2]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدةٍ له، وأنشدني أبو زيد ـ رواه لي عن المُفضَّل الضَّبِّيّ ـ قولَه:

يـومَ يُنـادُونَ آلَ بَربَـرَ واليَكسُـومَ

وهذا الّذي عَنَى سَطيحٌ بقوله: يليه إرَمُ ذي يَزَن، يخرج عليهم من عَدَن، فلا يترك منهم أحداً باليَمَن، والّذي عَنَى شِقٌّ بقوله: غلامٌ ليس بدَنِيٍّ ولا مُدَنّ، يخرج عليهم من بيت ذي يَزَن.

ذكر ما انتهى إليه أمرُ الفُرس باليمن

قال ابن إسحاق: فأقام وَهْرِزُ والفُرسُ باليمن، فمن بقيَّة ذلك الجيش من الفُرس الأبناءُ الذين باليمن اليوم، وكان مُلْك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرياطُ إلى أن قَتَلَت الفرسُ مسروقَ بنَ أبرهة وأَخرجتِ الحبشةَ، اثنتين وسبعين سنةً، تَوارَثَ ذلك منهم أربعةٌ: أرياطُ، ثمّ أبرهةُ، ثمّ يَكسُومُ بن أبرهة، ثمّ مسروقُ بن أبرهة.

قال ابن هشام: ثمّ مات وَهْرِزُ، فأمَّر كِسرى ابنَه المَرزُبان بن وَهْرِز على اليمن، ثمّ مات المَرزُبان، فأمّر كسرى ابنَه التَّينُجان بن المَرزُبان على اليمن، ثمّ مات التَّينُجان، فأمَّر كسرى ابنَ التَّينُجان على اليمن، ثمّ عَزَلَه وأمَّر باذانَ، فلم يزل باذانُ عليها حتى بعث اللهُ محمداً ﷺ.

فبَلَغَني عن الزُّهْري أنه قال: كَتَبَ كسرى إلى باذانَ: إنّه بَلَغَني أن رجلاً من قريش

---

(١) الفَيج: المنفرد في مشيته. والزَّرافة: الجماعة من الناس. وخُونٌ: خائنة.

(٢) بنو تُبّع: ملوك اليمن في القديم. ونخاورة: كرام، وقيل: ملوك.

خرج بمكة يَزعُم أنه نبيٌّ، فسِرْ إليه فاستَبِنْه، فإن تاب وإلّا فابعَثْ إليَّ برأسه.

فبعث باذانُ بكتاب كسرى إلى رسول الله ﷺ، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «إنَّ الله قد وَعَدَني أن يَقتُلَ كِسرَى في يومِ كذا من شهرِ كذا»، فلمّا أتى باذانَ الكتابُ توقَّف لينَظُر، وقال: إن كان نبيّاً، فسيكون ما قال؛ فقَتَلَ اللهُ كسرى في ذلك اليوم الّذي قال رسولُ الله ﷺ[1].

قال ابن هشام: على يَدَي ابنه شِيرَويهِ.

وقال خالد بن حِقٍّ الشَّيباني[2]:

وكِسـرى إذ تَقَسَّـمَه بَنُـوهُ ... بأسيافٍ كما اقتُسِمَ اللِّحَامُ[3]

تَمخَّضَتِ المَنُونُ لـه بيـومٍ ... أَنَـى ولكـلِّ حاملـةٍ تَمـامُ[4]

---

(١) أصل هذا الخبر صحيح، وقد وصله ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٢٣-٢٢٤ عن محمد بن عمر الأسلمي، عن معمر بن راشد ومحمد بن عبد الله، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس. ثم أسنده عن غير واحد من الصحابة، وقال: دخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا: إن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي الحِجّة سنة ستٍّ أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام؛ فذكر القصة بطولها، وفيها نحو هذا الخبر، إلا أن شيخ ابن سعد فيه محمد بن عمر الأسلمي هو الواقديّ، وفيه عند المحدّثين مقال كثير.

لكن يشهد له حديث الحسن البصري عن أبي بَكْرة عند أحمد (٢٠٤٣٨): أن رجلاً من أهل فارس أتى النبيَّ ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «إن ربّي قد قتل ربَّك»؛ يعني كسرى. ورجاله ثقات.

(٢) ونسبه الجوهري في «الصحاح» ٣/ ١١٠٥ (مخض) وياقوت الحموي في «معجم البلدان» ١/ ٨١ إلى عمرو بن حسّان أحد بني الحارث بن همّام، والبيت الأخير يروى للنابغة الذُّبياني، وهو في «ديوانه» برواية ابن السِّكّيت ص٢٣٢.

(٣) اللِّحام: جمع لحم.

(٤) تمخَّضت المنون، أي: حَمَلَت لتلدَ كما تفعل الماخضُ من إناث الحيوان. والمَنُون: =

قال الزُّهْريّ: فلمّا بلغ ذلك باذانَ بعث بإسلامه وإسلام مَن معه من الفُرس إلى رسول الله ﷺ، فقالت الرُّسلُ من الفرس لرسول الله ﷺ: إلى مَن نحن يا رسول الله؟ قال: «أنتُم منَّا وإلينا أهلَ البيتِ»[1].

قال ابن هشام: فبَلَغَني عن الزُّهْريّ أنه قال: فمِن ثَمَّ قال رسول الله ﷺ: «سلمانُ منَّا أهلَ البيتِ»[2].

قال ابن هشام: فهو الذي عَنَى سَطيحٌ بقوله: نبيٌّ زكيّ، يأتيه الوحيُ من قِبَلِ العَلِيّ، والذي عَنَى شِقٌّ بقوله: بل يَقطعُ برسولٍ مُرسَل، يأتي بالحقِّ والعدل، بين أهل الدِّين والفَضْل، يكونُ المُلك في قومِه إلى يوم الفَصْل.

قال ابن إسحاق: وكان في حَجَرٍ باليمن ـ فيما يَزعُمون ـ كتابٌ بالزَّبُور كُتِبَ في الزمان الأول: لِمَن مُلكُ ذِمَار؟ ـ وذمارُ اليمن أو صنعاء ـ لحِمْيرَ الأخيار، لِمن مُلكُ

= حوادث الدهر. وأَنَى بالنون، بمعنى: حان.

(١) لم نقف على هذا الحوار مع النبي ﷺ مسنداً، وهو هنا من مراسيل الزهري، ومراسيله من أضعف المراسيل إذا لم يأت في الباب ما يقوّيها.

(٢) حديث ضعيف بمرّةٍ لإعضاله بين ابن هشام وبين الزهري، ثم إن مراسيل الزهريّ من أضعف المراسيل كما سبق.

وقد أسنده كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جدّه في قصة حفر الخندق: أن رسول الله ﷺ قاله، فيما أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٦٦٨٦) وغيره، وهذا إسناد ضعيف جداً من أجل كثير هذا، فإنه متروك الحديث، وقد تفرّد بالرواية عن أبيه عبد الله بن عمرو، فهو مجهول. وانظر تمام تخريجه في «المستدرك» طبعة دار الرسالة.

وروي هذا من قول عليّ بن أبي طالب موقوفاً عليه، أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٩٨-٢٩٩ وغيرُه من وجوهٍ لا يخلو أحدها من مقال، إلا أنه بمجموعها يمكن تحسينه، فالموقوف أحسن وأصحُّ من المرفوع.

ذِمَار؟ للحبشةِ الأشرار، لِمن مُلكُ ذِمَار؟ لفارسٍ الأحرار، لِمن مُلكُ ذِمَار؟ لقريشٍ التُّجار.

قال ابن هشام: ويُقال: ذَمَار، بالفتح، فيما أخبرني يونس.

قال ابن إسحاق: وقال الأعشى، أَعشى بني قيس بن ثَعلَبة، في وقوع ما قال سَطيحٌ وصاحبُه[1]:

ما نَظَرتْ ذاتُ أشفارٍ كنظرتِها حَقّاً كما صَدَقَ الذِّئبيُّ إذ سَجَعا[2]

وكانت العرب تقول لسَطيحٍ: الذِّئبيّ، لأنّه سَطيحُ بن ربيعة بن مسعود بن مازن ابن ذِئب.

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدةٍ للأعشى.

قصة ملك الحَضْر

قال ابن هشام: وحدّثني خلّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسي، عن جَنّاد، أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب، أنه يقال: إن النُّعمان بن المنذر من ولد ساطِرُون ملكِ الحَضْر.

والحَضْر: حصنٌ عظيم كالمدينة، كان على شاطئ الفُرات، وهو الذي ذَكَرَ عَديُّ ابنُ زيد في قوله:

وأخو الحَضْرِ إذ بَنَاه وإذ دِجـ ـلـةُ تُجبَـى إليـه والخـابورُ[3]

---

(١) انظر «ديوان الأعشى» ١/ ٢٨٢.

(٢) الأشفار: جمع شُفْر، وهو أصل منبت جَفْن العين.

(٣) الخابور: اسم نهر، وهو أحد روافد نهر الفرات.

شـــادَه مَرمَـــراً وجَلّلَـــه كِلـــ ـــساً فللطيـــرِ في ذُرَاهُ وُكُـــورُ[1]

لم يَهَبْهُ رَيبُ المَنُونِ فبادَ الـ ـمُلـــكُ عنـــه فبابُـــه مَهجـــورُ[2]

وهذه الأبيات في قصيدةٍ له[3].

والذي ذَكَر أبو دُؤادٍ[4] الإياديُّ في قوله:

وأرى الموتَ قد تدلَّى مِن الحَضْـ ـــرِ علـــى رَبِّ أهلِـــه السّـــاطِرُونِ

وهذا البيت في قصيدةٍ له[5]، ويقال: إنها لخَلَف الأحمر، ويقال: لحمَّادٍ الراوية.

وكان كسرى سابورُ ذو الأكتاف غزا ساطِرُونَ ملكَ الحَضْر، فحَصَرَه سنتين، فأشرَفَت بنتُ ساطرون يوماً فنظرت إلى سابورَ وعليه ثيابُ دِيباج، وعلى رأسه تاجٌ من ذهب مكلَّلٌ بالزَّبَرجَد والياقوت واللؤلؤ، وكان جميلاً، فدَسَّت إليه: أتتزوّجُني إن فتحتُ لك باب الحَضْر؟ فقال: نعم، فلما أمسى ساطرونُ شَرِبَ حتى سَكِر، وكان لا يبيت إلا سكران، فأخذت مفاتيحَ باب الحَضْر من تحت رأسه فبعثت بها مع مولًى لها، ففتح الباب، فدخل سابورُ فقَتَل ساطرون، واستباح الحَضْرَ وخَرَّبه، وسار بها معه وتزوَّجها، فبَيْنا هي نائمةٌ على فراشها ليلاً إذ جعلت تَملمَلُ لا تنام، فدعا لها بالشَّمع ففُتِّش فراشُها، فوُجِدَ عليه ورقةُ آسٍ، فقال لها سابور: هذا أَسهَرَك؟

---

(١) المرمر: الرخام. والكِلس: ما طُلي به الحائط من جِصٍّ ونحوه. وذُراه: أعلاه.

(٢) المنون: حوادث الدهر، وريب المنون: ما يَريبك من تغير الأحوال فيه. وبادَ: هلك.

(٣) انظر «ديوانه» جمع وتحقيق المعيبد ص٨٨.

(٤) في نسخنا الخطية غير (ش١) و(ق١): أبو داود، وهو تحريف، والتصويب من النسختين المذكورتين. وهو شاعر جاهليّ، وانظر ترجمته في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ص٢٣٧-٢٤٠.

(٥) انظر «ديوانه» جمع وتحقيق أنوار الصالحي وأحمد الهاشمي ص١٧٦.

قالت: نعم، قال: فما كان أبوكِ يصنعُ بك؟ قالت: كان يَفرُشُ لي الدِّيباج، ويُلبِسُني الحرير، ويُطعِمني المُخّ، ويَسقِيني الخمر، قال: أفكان جزاءُ أبيكِ ما صنعتِ به؟ أنتِ إليَّ بذلك أسرعُ، ثم أَمر بها فرُبِطَت قرونُ رأسها بذَنَب فرس، ثم رُكِضَ الفرسُ حتى قتلها.

ففيه يقول أعشى بني قيس بن ثَعلَبة[1]:

أَلَـم تَـرَي الحَضْـرَ إذ أهلُـهُ بنُعمَـى وهـلْ خالـدٌ مَـن نَعِـمْ
أقـامَ بـه شـاهَبُورُ[2] الجُنُـو دَ حَـولَينِ تَضـرِبُ فيـه القُـدُمْ
فلمَّـا دعـا ربَّـه دعـوةً أنـابَ إليـه فلـم يَنـتقِمْ[3]

وهذه الأبيات في قصيدةٍ له.

وقال عديُّ بن زيد في ذلك[4]:

والحَضْـرُ صـابَتْ عليـه داهيـةٌ مـن فوقِـه أَيِّـدٌ مَناكبُهـا[5]
رَبَّتُـهُ لـم تُـوَقِّ والـدَها لِحَيْنِهـا إذْ أضـاعَ راقِبُهـا[6]

---

(١) انظر «ديوانه» ١/ ١٨٠-١٨١.

(٢) هكذا هو في (ش١) و(ق١) بالشين المعجمة، وهو الموافق لما فسّره به السُّهيلي فقال: معناه ابن الملِك، وفي بقية نسخنا: ساهبور، بالسين. والقُدُم: جمع قَدُوم، وهو الفأس.

(٣) ربّه، أي: سيّده، يعني سيّد الحَضْر. وأناب إليه: رجع إليه.

(٤) انظر «ديوانه» ص٤٧-٤٨.

(٥) صابت: سقطت ونزلت. وأيِّدٌ: شديد.

(٦) ربَّتُه: صاحبته، ويُروى: رَبيَّة، بمعنى: التي ربّاها والدها، ومن رواه: زَنيَّة، فنسبها إلى الزنى. لحَيْنها: لهلاكها، ومن رواه لخِبِّها بالخاء المكسورة فمعناه: لمكرها بأبيها. انظر «إملاء الخشني» ص٢٧.

إذ غَبَّقَتْـــهُ صَـــهْباءَ صـــافيةً والخمـرُ وَهْـلٌ يَهِـيمُ شـارِبُها[1]

فأســـلَمَتْ أهلَهـــا بلَيلتِهـــا تظـــنُّ أن الـــرئيسَ خاطبُهـــا

فكـان حـظُّ العَـروسِ إذ جَشَـرَ الصُّـــــبحُ دمـاءً تجـري سَـبائبُها[2]

وخُرِّبَ الخَضْرُ واستُبيحَ وقد أُحـرِقَ في خِـدْرِها مَشـاجِبُها[3]

وهذه الأبيات في قصيدةٍ له.

(١) غبقته: سقَتْه بالعَشِيّ، والغَبُوق شرب العشيّ. والصهباء من أسماء الخمر. والوَهْل: الضَّعف. ويَهيم: يتحيَّر.

(٢) جَشَر الصبح، أي: أضاء وتبيَّن. وسبائبها: ضفائر شعرها.

(٣) الخِدر: هو السِّتر، ويُطلَق الخِدر أيضاً على البيت إن كان فيه امرأة وإلا فلا. ومشاجبها: جمع مِشجَب، وهو عود تُعلَّق عليه الثياب، ورواية الخُشني كما في «الإملاء» ص٢٨: مساحبها، وقال: هي القلائد في العُنق من قرنفل أو غيره.

ذكر ولد نِزَار بن مَعَدٍّ

قال ابن إسحاق: فوَلَدَ نزارُ بن معدٍّ ثلاثةَ نفرٍ: مُضَرَ بن نزار، وربيعةَ بن نزار، وأنمارَ بن نزار.

قال ابن هشام: وإيادَ بن نزار، وقال الحارث بن دَوْس الإياديّ[1] ـ وتُروى لأبي دُؤَاد الإياديّ، واسمه جارية بن الحجّاج[2] ـ:

وفُتُوٍّ حَسَنٍ أوجُهُهم ... من إيادِ بن نزارِ بن مَعَدْ[3]

وهذا البيت في أبياتٍ له.

فأمُّ مُضَرَ وإيادٍ سَوْدةُ بنت عَكّ بن عدنان، وأمُّ رَبيعة وأَنمارٍ شَقِيقةُ بنت عَكّ بن عدنان، ويقال: جُمْعة بنت عَكّ بن عدنان.

قال ابن إسحاق: فأنمارٌ أبو خَثعَمَ وبَجِيلةَ، قال جَرِير بن عبد الله البَجَلي ـ وكان سيّدَ بَجِيلة، وهو الذي يقول له القائل: لولا جريرٌ هَلَكَتْ بَجِيلَهْ[4] ـ وهو

---

(١) نسبه إليه أيضاً ابن رَشيق القيرواني في «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» ٢/ ٨٢-٨٣، وابن أبي الإصبع في «تحرير التحبير» ص٣٥٣.

(٢) هو في «ديوانه» ص٩٢، ونسبه إليه أيضاً المسعودي في «التنبيه والإشراف» ص١٥٩، وابن بَرّي في «التنبيه والإيضاح» ٢/ ٧ مادة (أيد)، والبُرِّي في «الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة» ١/ ٤٥٣، وابن منظور في «لسان العرب»، والزَّبيدي في «تاج العروس» مادة (أيد).

(٣) الفُتوّ: جمع فتًى، ويُجمع فتى أيضاً على: فِتْيان وفِتْية وفِتْوة وفُتِيّ.

(٤) البيت من رجزٍ عجزُه: نِعمَ الفتى وبئستِ القبيلَهْ

وقد أنشده الحسن البصري فيما ذكره ابن قتيبة في «عيون الأخبار» ١/ ٣٩١، وابن رَشيق في «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» ٢/ ٢٥١، والراغب الأصفهاني في «محاضرات الأدباء» =

ينافرُ[1] الفُرافِصةَ الكَلْبيَّ إلى الأقرع بن حابس التَّميميِّ ابنِ عِقال بن مُجاشِع بن دارِم بن حنظلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تَميم[2]:

يـا أقـرعَ بـنَ حـابسٍ يـا أقـرعُ إنّك إن يُصرَعْ أخوكَ[3] تُصرَعُ

وقال[4]:

ابنَـيْ نـزارٍ انصُـرا أخاكُمـا إنَّ أَبـي وَجَدتُـهُ أباكُمـا

لـن يُغلَـبَ اليـومَ أخٌ والاكُمـا

= ١/ ٤٠٧، ولم ينسبوه، وذكره أيضاً دون نسبة ابنُ عبد البر في ترجمة جرير من «الاستيعاب»، ونسبه مغلطاي في «إكمال تهذيب الكمال» ٣/ ١٨٥ لعُوَيف القوافي.

(١) المنافَرَة: أن يفتخر الرجلان كلُّ واحد منهما على صاحبه إمّا بنسبٍ أو شِعر أو غيرهما، ثم يحكِّما بينهما رجلاً ليقضي بينهما.

(٢) من قوله: «ابن عقال» إلى هنا من (ي) ونسخة في (ش١).

(٣) في (ت) و(ش١) و(غ) و(ق١): إن تَصرَع أخاك، والمثبت من (ص) و(ي)، وهو الموافق لما في كتب النحو والأدب.

وقد نسبه إلى جرير البجليّ سيبويه في «الكتاب» ٣/ ٦٧، والفارابي في «معجم ديوان الأدب» ١/ ٤٣٥، وابن طاهر المقدسي في «البدء والتاريخ» ٤/ ١١٧، وخالفهم أبو عبيدة معمر بن المثنّى في «شرح نقائض جرير والفرزدق» ١/ ٣١١، والبَلاذُري في «أنساب الأشراف» ١٢/ ٥٩، فنسباه إلى عمرو بن الخثارم، أحد بني جشم بن عمرو بن قداد.

وقوله: «تُصرَعُ» مرفوعاً، هو جواب الشَّرط، والأصل فيه أن يكون مجزوماً، وأما رفعه هنا فللضرورة، أو لغة ضعيفة، وقدَّره سيبويه في «الكتاب» مؤخَّراً، أي: إنك تُصرَعُ إن يصرع أخوك.

(٤) ونسبه إلى جرير البجلي أيضاً مصعبٌ الزبيريّ في «نسب قريش» ص٧، وابن أبي خيثمة في السِّفر الثاني من «التاريخ الكبير» ١/ ١٣٢، وابن طاهر المقدسيّ في «البدء والتاريخ» ٤/ ١١٨، وابن عبد البر في «الإنباه على قبائل الرواة» ص٩٢، أما أبو عبيدة والبَلاذُريّ فقد نسباه إلى عمرو ابن الخثارم كما سبق.

وقد تيامَنَت فلَحِقَت باليمن.

قال ابن هشام: قالت اليمن وبَجِيلةُ: أنمارُ بن إراش بن لِحْيان بن عمرو بن الغَوْث ابن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ، ويُقال: إراش بن عمرو بن لِحْيان بن الغَوث. ودار بَجِيلة وخَثْعم يمانيَة.

قال ابن إسحاق: فوَلَدَ مُضَرُ بن نزارٍ رجلين: الْياسَ بن مضر، وعَيْلانَ بن مضر.

قال ابنُ هشام: وأمُّهما جُرْهُميّة.

قال ابن إسحاق: فوَلَدَ الْياسُ بن مضرَ ثلاثةَ نفرٍ: مُدرِكةَ بنَ الياس، وطابِخَةَ بنَ الياس، وقَمَعَةَ بنَ الياس، وأُمُّهم خِنْدِفُ، امرأةٌ من اليمن.

قال ابن هشام: خِنْدِف بنت عِمران بن الحافِ بن قُضَاعة.

قال ابن إسحاق: وكان اسم مُدرِكةَ عامراً، واسم طابخةَ عَمراً، وزعموا أنهما كانا في إبلٍ لهما يَرعَيانها، فاقتَنَصا صيداً فقعدا عليه يَطبُخانِه، وعَدَتْ عاديَةٌ[1] على إبلِهما، فقال عامرٌ لعَمرو: أتُدرك الإبلَ أم تَطبُخ هذا الصيد؟ فقال عمرو: بل أَطبُخ، فلَحِقَ عامرٌ بالإبل فجاء بها، فلمّا راحا على أبيهما حدَّثاه شأنَهما، فقال لعامر: أنت مُدرِكة، وقال لعمرٍو: أنت طابِخَة[2].

وأما قَمَعَةُ، فيَزعُم نُسّابُ مُضَر: أن خُزَاعةَ من ولدِ عمرو بن لُحَيّ بن قَمَعة بن الياس[3].

---

(١) أي: جماعة من اللصوص.

(٢) زاد في طبعة وستنفيلد وعنه السقا وصاحباه بعد هذا: وخرجت أمهم لما بلغها الخبر وهي مسرعة، فقال لها: تُخندِفين، فسمِّيَت خِندف. ولم يرد هذا في شيء من نسخنا الخطية.

والخَندَفة: الهرولة والإسراع في المشي.

(٣) وأيّد هذا ابنُ حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص٢٣٥. =

قصة عمرو بن لُحيّ وذكرُ أصنام العرب

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم، عن أبيه قال: حُدِّثتُ أن رسول الله ﷺ قال: «رأيتُ عمرَو بن لُحيٍّ يَجُرُّ قُصْبَه في النار، فسألتُه عمَّن بيني وبينَه من الناسِ، فقال: هَلَكُوا»(١).

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْميّ، أنّ أبا صالح السَّمّان حدّثه، أنه سمع أبا هريرة ـ قال ابن هشام: واسمُ أبي هريرة عبد الله بن عامر، ويقال: اسمُه عبد الرَّحمن بن صَخْر ـ يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لأكثَمَ بن الجَوْن الخُزاعيّ: «يا أَكثَمُ، رأيتُ عمرَو بن لُحَيّ بن قَمَعَةَ ابنِ خِنْدِفَ يَجُرُّ قُصْبَه في النّارِ، فما رأَيتُ رجلاً أشبَهَ برجلٍ منكَ به، ولا بكَ منه»، فقال أكثمُ: عسى أن يَضُرَّني شَبَهُه يا رسول الله؟! قال: «لا، إنَّك مؤمنٌ وهو كافرٌ، إنَّه كان أوَّلَ مَن غَيَّرَ دينَ إسماعيلَ، فنَصَبَ الأَوثانَ، وبَحَّرَ البَحِيرةَ، وسَيَّبَ السّائبةَ، ووَصَلَ الوَصِيلةَ، وحَمَى الحامِيَ»(٢).

= وانظر تكملة الكلام على نسب خُزاعة عند المصنف فيما سيأتي ص١٠٠.

(١) حديث صحيح دون قوله: «فسألته عمّن... إلخ»، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه وإبهام المحدِّث به عن النبي ﷺ.

وأخرجه ابن أبي خيثمة في السفر الثاني من «التاريخ الكبير» (٥) من طريق سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، به.

والقُصْب، بالضم: المِعَى، وجمعه: أقصاب، وقيل: القُصب: اسمٌ للأمعاء كلها.

وانظر الرواية التالية.

(٢) إسناده صحيح. أبو صالح السَّمّان: اسمه ذكوان.

وأخرجه ابن أبي خيثمة في «تاريخه» (٣)، والبزار في «مسنده» (٨٩٩١)، وابن أبي عاصم =

قال ابن هشام: حدَّثني بعضُ أهل العلم: أن عمرو بن لُحَيٍّ خرج من مكّة إلى الشام في بعض أموره، فلما قَدِمَ مَآبَ من أرض البَلْقاء[1]، وبها يومئذٍ العماليقُ - وهم ولدُ عِمْلاق، ويقال: عِملِيق بن لاوَذ بن سام بن نوح عليه السلام - رآهم يَعبُدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنامُ التي أراكم تَعبُدون؟ قالوا: هذه أصنامٌ نعبدُها، فنستمطرُها فتُمطِرُنا، ونَستنصِرُها فتنصرُنا، فقال لهم: أفلا تُعطونَني منها صنماً

= في «الأوائل» (٨٣)، والطبري في «تفسيره» ٩/ ٢٧ و٣١، وأبو عَروبة الحرّاني في «الأوائل» (٢٩)، والواحديّ في «الوسيط» ٢/ ٢٣٦ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه مختصراً مسلم (٢٨٥٦) (٥) من طريق سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرَو بن لحيّ بن قَمَعة ابن خندف أبا بني كعبٍ هؤلاء، يجرُّ قُصْبَه في النار».

وأخرج البخاري (٣٥٢١)، ومسلم (٢٨٥٦) (٥١) من طريق ابن شهاب الزهري، عن سعيد ابن المسيّب قال: البَحيرة: التي يُمنَع دَرُّها للطواغيت، فلا يَحلُبُها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسيِّبونها لآلهتهم، لا يُحمَل عليها شيء؛ قال: وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرَو بن عامر الخُزاعيّ يجرُّ قُصْبَه في النار، كان أوّلَ من سيَّب السوائب».

زاد البخاري برقم (٤٦٢٣) عن ابن المسيّب قال: والوَصِيلة: الناقة البِكر تبكِّر في أول نتاج الإبل ثم تثنِّي بعدُ بأنثى، وكانوا يسيِّبونها لطواغيتهم، إن وَصَلَت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذَكَر، والحامِ: فَحْلُ الإبل يَضرِب الضِّرابَ المعدودَ، فإذا قضى ضِرابَه وَدَعُوه (يعني: تركوه) للطّواغيت، وأعفَوْه من الحَمْل فلم يُحمَل عليه شيء، وسمَّوه الحامِي.

(١) مآب: مدينة قديمة قد بادت وصارت قرية تسمَّى الرَّبّة، وهي من معاملة الكرك، وهي عن الكرك على أقل من نصف مرحلة في جهة الشمال. قاله أبو الفداء الأيوبي في «تقويم البلدان» ص٢٤٧، قلنا: وهي بلدة عامرة اليوم تبعد عن الكرك قرابة ١٠ كم.

وأما البلقاء: فإقليم واسع ممتدٌّ من وادي القُرى شمال الجزيرة العربية حتى يصل إلى وسط الأردن، وكانت عمّانُ قاعدته. انظر «معجم البلدان» لياقوت ١/ ٤٨٩.

فأَسيرَ به إلى أرض العرب فيَعبُدونَه؟ فأعطَوْه صنماً يقال له: هُبَلُ، فقَدِمَ به مكّة، فنَصَبَه وأمَرَ الناسَ بعبادته وتعظيمه.

قال ابن إسحاق: ويَزعُمون أن أوّل ما كانت عبادةُ الحجارة في بني إسماعيل، أنه كان لا يَظعَنُ[1] من مكّة ظاعنٌ منهم حين ضاقت عليهم فالتَمَسوا الفَسَحَ في البلاد، إلا حَمَل معه حَجَراً من حجارة الحَرَم، تعظيماً للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سَلَخَ ذلك بهم إلى أن كانوا يَعبُدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم، حتى خَلَفَت الخُلُوف، ونَسُوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيرَه، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأممُ قبلَهم من الضّلالات، وفيهم على ذلك بقايا من عَهْد إبراهيم يتمسَّكون بها، من تعظيم البيت والطوافِ به، والحجِّ والعُمرة، والوقوفِ على عرفاتٍ والمُزدلِفة، وهَدْيِ البُدْن[2]، والإهلالِ بالحجّ والعُمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه، فكانت كِنانةُ وقريشٌ إذا أهلُّوا قالوا: لبَّيك اللهمَّ لبَّيك، لبَّيك لا شريكَ لك، إلا شريكٌ هو لك، تَملِكُه وما مَلَك، فيوحِّدونه بالتلبية ثم يُدخِلون معه أصنامهم ويجعلون مِلكَها بيده، يقول الله تبارك وتعالى لمحمّد ﷺ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] أي: ما يوحِّدونني بمعرفة حقِّي إلا جعلوا معي شَريكاً من خَلْقي.

وقد كانت لقوم نوح أصنامٌ قد عَكَفوا عليها، قصَّ اللهُ تبارك وتعالى خَبَرَها على رسوله محمد ﷺ، فقال: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح:٢٣-٢٤].

---

(١) أي: لا يسير في سفر، والظاعن: المسافر أو المرتحل.

(٢) البُدْن: النُّوق السِّمان، والهَدْي: ما يُهدى إلى البيت الحرام.

وكان الّذين اتَّخَذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرِهم، وسَمَّوا بأسمائها حين فارقوا دينَ إسماعيل، هُذَيلَ بن مُدرِكة بن الْياسِ بن مُضَر، اتَّخَذوا سُواعاً فكان لهم برُهَاط[1]، وكلبَ بن وَبَرَة من قُضَاعة، اتَّخذوا وَدّاً بدُومَةِ الجَندَل[2].

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالك الأنصاريّ:

وتُنسَى اللاتُ والعُزَّى ووَدٌّ ونَسلُبُها القَلائدَ والشُّنُوفا[3]

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدةٍ له سأذكرها في موضعها إن شاء الله[4].

وكلبُ بن وَبَرة بن تَغلِب بن حُلْوان بن عِمران بن الحافِ بن قُضَاعة.

قال ابن إسحاق: وأنعُمُ من طيِّءٍ وأهلُ جُرَش من مَذحِج اتَّخَذوا يَغُوثَ بجُرَش.

قال ابن هشام: ويقال: أنعُمُ وطيِّئُ بن أُدَد بن مالك، ومالكٌ: مَذحِجُ بن أُدَد، ويقال: طيِّئُ بن أُدَد بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ.

قال ابن إسحاق: وخَيْوانُ بطنٌ من هَمْدانَ، اتَّخذوا يَعُوقَ بأرضِ هَمْدان من اليمن.

قال ابن هشام: اسم هَمْدانَ أَوسَلَةُ بن مالك بن زيد بن رَبيعة بن أَوسَلَةَ بن الخِيَار ابن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ، ويقال: أَوسَلَةُ بن زيد بن أَوسَلَة بن الخِيار.

وقال مالك بن نَمَطٍ الهَمْداني:

---

(١) رهاط: وادٍ كان في أطراف ديار هذيل، وتقع بلدة رهاط في الشمال الشرق من مكّة على بعد ١١٥ كم تقريباً. وانظر كتاب «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» لعاتق البلاديّ ص١٤٣-١٤٤.

(٢) دُومَة الجَندَل ـ بضمّ الدال وقد تُفتَح ـ بلدة في منطقة الجوف التي تتوسط شمال الجزيرة العربية، وتقع دومة الجندل شرق تبوك على قرابة ٣٦٠ كم.

(٣) القلائد: ما يعلَّق في الأعناق. والشُّنوف: جمع شَنْف، وهو القُرْط الذي يجعل في الأُذن.

(٤) في ذكر غزوة الطائف ٤/ ١٩٠.

يَـرِيشُ اللهُ في الـدنيا ويَبْـرِي ولا يَبْـرِي يَعُـوقُ ولا يَـرِيشُ[1]

وهذا البيت في أبياتٍ له.

ويقال: هَمْدان بن أَوسَلَة بن ربيعة بن الخِيار بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ.

قال ابن إسحاق: وذو الكَلَاع من حِميَر، اتَّخذوا نَسْراً بأرض حِميَر، وكان لخَوْلانَ صنم يقال له: عمُّ أنَس ـ ويقال: عمْ آنس، فيما قال ابن هشام[2] ـ بأرض خَوْلان، يَقسِمون له من أنعامهم وحُرُوثهم قَسْماً بينه وبين الله عزَّ وجلَّ، بزَعْمهم، فما دخل في حقِّ عمِّ أنس من حقِّ الله الذي سمَّوه له تركوه له، وما دخل في حقِّ الله تعالى من حقِّ عمِّ أنس ردُّوه عليه، وهم بطنٌ من خَوْلان يقال لهم: الأَدِيم، وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى فيما يذكرون: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام:١٣٦].

قال ابن هشام: خَوْلان بن عمرو بن الحافِ بن قُضَاعة، ويقال: خَوْلان بن عمرو ابن مُرَّة بن أُدَد بن زيد بن مِهسَع بن عمرو بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ،

---

(١) لم نقف على هذا الشعر عند من له عناية في رواية الشعر غير ابن هشام. ومالك بن نمط هذا يقال له: ذو المِشعار، وسيأتي له ذكرٌ في عام الوفود ٤/ ٣٧٢.

يريد مالكٌ أن الله تعالى ينفع، وهذا الصنم لا ينفع، تقول العرب: فلان يريش ويبري، إذا كان عنده نفع، وأصله أن يبري السهم ويصنعه، ثم يجعل له ريشاً في آخره حتى يُنتفَع به، فضربوا ذلك مثلاً لمن عنده خير ونفع.

(٢) هذه العبارة بين المعترضتين من نسخة (ت) وحدها. وفي كتاب «الأصنام» لابن الكلبي ص٤٣: عُمْيانُس، وذكر محققه أن في حاشية نسخة منه: عمُّ أنَس.

ويقال: خَوْلان بن عمرو بن سعد العَشِيرة بن مَذحِج.

قال ابن إسحاق: وكان لبني مِلْكان بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدرِكة صنمٌ يقال له: سَعْد، صخرةٌ بفَلاةٍ من أرضهم طويلةٌ، فأقبل رجل من بني مِلْكان بإبلٍ له مؤبَّلة[1] ليَقِفَها عليه التماسَ بَرَكته، فيما يَزعُم، فلما رأته الإبل، وكانت مَرعيَّة لا تُركَب، وكان يُهراق عليه الدماء، نَفَرَت منه فذهبت في كلِّ وجه، وغضب ربُّها المِلْكاني، فأخذ حجراً فرَمَاه به ثم قال: لا بارَكَ الله فيك، نفَّرتَ عليَّ إبلي، ثم خرج في طلبها حتى جَمَعَها، فلما اجتمعت له قال:

أتَينا إلى سعدٍ ليَجمعَ شَمْلَنا ... فشتَّتَنا سعدٌ فلا نحنُ من سَعدِ

وهل سعدٌ إلا صخرةٌ بتَنُوفةٍ ... من الأرضِ لا تدعو لِغَيٍّ ولا رُشدِ[2]

وكان في دَوسٍ صنمٌ لعَمرِو بن حُمَمَةَ الدَّوسيّ.

قال ابن هشام: سأذكر حديثَه إن شاء الله في موضعه[3]، ودَوسٌ ابنُ عُدْثان بن عبد الله بن زَهْران بن كعب بن الحارث ابن كعب بن عبد الله بن مالك بن نَصْر بن الأَسْد بن الغَوْث، ويقال: دَوسُ بن عبد الله ابن زَهْران بن الأَسْد بن الغَوْث.

قال ابن إسحاق: وكانت قريشٌ قد اتَّخَذت صنماً على بئرٍ في جوف الكعبة يقال له: هُبَل. قال ابن هشام: سأذكر حديثه إن شاء الله في موضعه[4].

قال ابن إسحاق: واتَّخذوا إسافاً ونائلةَ على موضع زمزمَ يَنحَرون عندهما، وكان

---

(١) المؤبَّلة: الإبل الكثيرة المتخَذة للاكتساب لا للركوب.

(٢) التَّنوفة: القَفْر التي لا تنبت شيئاً.

(٣) في قصة إسلام الطُّفيل بن عمرو الدَّوسي ص٤٥٦.

(٤) في ذكر بئار قبائل قريش بمكة ص١٦٠.

إسافٌ ونائلةُ رجلاً وامرأةً من جُرْهُم ـ هو إسافُ بن بَغْي، ونائلةُ بنت دِيكٍ ـ فوقع إسافٌ على نائلة في الكعبة، فمَسَخَهما الله حَجَرين.

قال ابن إسحاق: حدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم، عن عَمْرةَ بنت عبد الرَّحمن بن سعد بن زُرَارة، أنها سمعت عائشةَ تقول: ما زِلْنا نَسمعُ أنَّ إسافاً ونائلةَ كانا رجلاً وامرأةً من جُرْهُم أحدَثا في الكعبة، فمَسَخَهما اللهُ حَجَرينِ[1]؛ فالله أعلم.

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب:

وحيث يُنِيخُ الأشعَرُونَ رِكابَهم ... بمُفضَى السُّيولِ من إسافٍ ونائلِ

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدةٍ له سأذكرها إن شاء الله في موضعها[2].

قال ابن إسحاق: واتَّخذ أهل كل دارٍ في دارهم صنماً يَعبُدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسَّح به حين يركب، فكان ذلك آخرَ ما يصنعُ حين يتوجَّه إلى سفره، فإذا قَدِمَ من سفره تمسَّح به، فكان ذلك أولَ ما يَبدأُ به قبل أن يدخل على أهله، فلمَّا

---

(١) إسناده صحيح.

وهو في «السيرة» لابن إسحاق برواية يونس بن بكير ص٢٤، ومن طريق يونس أخرجه البزار في «مسنده» (٢٩٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٦٣-٦٤. قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا عن عائشة رضي الله عنها بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه مرفوعاً الطبراني في «الأوسط» (٦٣٥٠) من طريق خالد بن يزيد العُمريّ، عن سعيد بن مسلم بن بانَك، عن عَمرة، عن عائشة، عن النبي ﷺ. وهذا إسناد تالفٌ، علّته خالد بن يزيد، فقد كذّبه يحيى بن مَعِين وأبو حاتم، وقال فيه البخاريّ: ذاهب الحديث، وقال ابن حبّان: يروي الموضوعات عن الأثبات.

(٢) بعد قصة تحيُّر الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن.

بعث اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَه محمَّداً ﷺ بالتوحيد، قالت قريش: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥].

وكانت العرب قد اتَّخَذَت مع الكعبة طواغيتَ، وهي بيوتٌ تُعظِّمها كتعظيم الكعبة، لها سَدَنةٌ وحُجّاب، وتُهْدي لها كما تُهْدي للكعبة، وتَطُوف بها كطوافها بها، وتَنحَرُ عندَها، وهي تَعرِفُ فضلَ الكعبة عليها، لأنها كانت قد عَرَفَت أنها بيتُ إبراهيم ومسجدُه.

فكانت لقريشٍ وبني كِنانةَ العُزَّى بنَخْلةَ[1]، وكان سَدَنتُها وحُجّابُها بني شَيْبان من سُلَيم، حلفاءَ بني هاشم.

قال ابن هشام: حلفاءُ أبي طالب خاصَّة، وسُلَيمٌ: سُلَيمُ بن منصور بن عِكْرمة ابن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان.

قال ابن إسحاق: وقال شاعرٌ من العرب:

لقد أُنكِحَت أسماءُ رأسَ بُقَيرةٍ ... من الأُدْمِ أهداها امرُؤٌ من بني غَنْمِ[2]

رأى قَدَعاً في عينِها إذ يسوقُها ... إلى غَبغَبِ العُزَّى فوسَّعَ في القَسْمِ[3]

---

(١) هي نخلة الشاميّة، وهي وادي المَضيق اليوم، ويسمى أيضاً وادي اللّيمون في بعض المصادر لكثرة أشجار الليمون فيه، ويقع شمال شرق مكّة على قرابة ٤٥ كم.

وكانت العُزَّى نَخَلات مجتمعة بنَوْا لها بيتاً، قال ابن الكلبيّ في كتاب «الأصنام» ص١٨: وكانت أعظم الأصنام عند قريش، وكانوا يزورونها ويُهْدون لها ويتقرّبون عندها بالذبح.

(٢) الأُدم: بياضٌ فيه غُبرة.

(٣) القَدَع: ضعف في البصر.

وهذا الشِّعر يهجو به القائلُ رجلاً تزوج امرأةً جميلة يقال لها: أسماء، فيما قاله ابن الكلبيّ في كتاب «الأصنام» ص٢٠، فهو يشبِّه هذا المهجوَّ ـ والظاهر أنه من بني غَنْم ـ ببقرة قد قَرُب أن =

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هَدْياً قَسَموه فيمن حضرهم.

والغَبغَب: المَنحَر مُهْراقُ الدماء.

قال ابن هشام: هذانِ البيتانِ لأبي خِرَاشٍ الهُذَلي، واسمه خُوَيلد بن مُرّة، في أبياتٍ له.

والسَّدَنةُ: الذين يقومون بأمر الكعبة.

وقال رُؤبة بن العَجّاج[1]:

فــلا وربِّ الآمنــاتِ القُطَّــنِ[2]

بمَحبِسِ الهَدْي وبيتِ المَسدَنِ[3]

وهذان البيتانِ في أُرجوزةٍ له. وسأذكر حديثَها إن شاء الله تعالى في موضعه[4].

قال ابن إسحاق: وكانت اللاّتُ لثقيفٍ بالطائف، وكان سَدَنتُها وحُجَّابُها بني مُعتِّب من ثَقِيف.

قال ابن هشام: وسأذكر حديثها إن شاء الله في موضعه[5].

قال ابن إسحاق: وكانت مَناةُ للأوس والخَزرَج ومَن دانَ بدِينِهم من أهل يَثرِبَ،

= يذهب بصرُها، فلا تصلح إلا للذّبح والقَسْم عند الأصنام.

(١) انظر «ديوانه» ص١٦٣، و«شرح الديوان» ١/ ١١٠-١١١.

(٢) الآمنات: يعني حَمَام مكّة، فهنَّ آمنات لا يفزعن. والقُطَّن: جمع قاطنٍ، وهو الثابت بالمكان الدائم.

(٣) مَحبِس الهدي: الموضع الذي يُحبَس فيه ما يُهدى إلى الكعبة. والمَسدَن: حيث يكون سَدَنة البيت، وهم حُجّابه.

(٤) أي: حديث العزّى وسدنتها، وسيأتي ٤/ ١١٩.

(٥) سيأتي ٤/ ٢٨٤ و٢٩٠.

على ساحل البحر من ناحية المُشلَّل بقُدَيد[1].

قال ابن هشام: وقال الكُمَيت بن زيدٍ أحدُ بني أَسَد بن خُزَيمة بن مُدْرِكة[2]:

وقد آلَتْ قبائلُ لا تُوَلِّي مَناةَ ظُهورَها مُتحرِّفينا[3]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

قال ابن هشام: فبعث رسولُ الله ﷺ إليها أبا سفيان بن حَرْب فهَدَمَها، ويقال: عليَّ بنَ أبي طالب رضوان الله عليه[4].

قال ابن إسحاق: وكان ذو الخُلُصَة لدَوْس وخَثعَم وبَجِيلة ومَن كان ببلادهم من العرب بتَبَالةَ[5].

قال ابن هشام: ويقال: ذو الخَلَصة[6]، وقال رجل من العرب:

---

(١) قُديد: وادٍ فيه عدة قرى، يقع إلى الشمال الغربي من مكة، ويبعد عنها قرابة ١٣٠ كم، والمشلَّل فيه وتعرف اليوم بالقُديديّة.

(٢) من قوله: «أحد بني أسد» إلى هنا من (ش١) و(ق١) و(ي) و(غ)، وزاد في (غ): بن الياس بن مضر.

(٣) آلت، أي: حَلَفَت.

وهذا البيت من نونيّته الطويلة البالغ عدد أبياتها (٢٨٣) بيتاً، وهي ملحقة في «ديوانه» ص٤٢٧، وهذا البيت رقمه فيها (١٢٦).

(٤) ذهب إلى هذا ابنُ الكلبي في «كتاب الأصنام» ص١٥، وذهب الواقدي في «مغازيه» ١/ ٦ وصاحبه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٣٦ إلى أن الذي هدمها هو سعد بن زيد الأشهلي الأنصاري، وهو الذي سار عليه كتّاب السيرة فيما بعد.

(٥) تَبَالة: بلدة قريبة من بِيشة جنوب الجزيرة العربية.

(٦) محركة بفتحتين، وقيل: بضمتين، وقيل: بفتح الأول وإسكان الثاني، وقيل: بفتح أوله وضم ثانيه، والأول الأشهر عند المحدثين، كما في «تاج العروس» للزَّبيدي.

لو كنتَ يا ذا الخَلَصِ المَوتُورا[1] مِثلي وكان شيخُك المَقبُورا

لم تَنْهَ عن قتلِ العُدَاةِ زُورا

وكان أبوه قُتِل فأراد الطَّلَبَ بثأره، فأتى ذا الخَلَصة فاستَقسَمَ بالأزلام[2] عنده، فخرج السَّهمُ بنَهْيِه عن ذلك، فقال هذه الأبياتَ، ومن الناس مَن يَنحَلُها امرأَ القيسِ بنَ حُجْرٍ الكِنْديَّ[3]. فبعث إليه رسول الله ﷺ جَرِيرَ بن عبدِ الله البَجَليَّ فهَدَمَه[4].

قال ابن إسحاق: وكانت فِلْس[5] لطيِّءٍ ومَن يَلِيها بجَبَلَي طيِّئ، بين سَلْمَى وأَجَأ.

قال ابن هشام: فحدَّثني بعض أهل العلم: أنَّ رسول الله ﷺ بعث إليها عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه فهَدَمَها، فوَجَدَ فيها سيفَينِ، يقال لأحدهما: الرَّسُوب، وللآخر:

---

(١) الموتور: من كان له ثأرٌ عند أحدٍ فلم يدركه.

(٢) الاستقسام: هو الاقتراع لطلب معرفة ما قُسِم له ممّا لم يُقسَم. والأزلام: هي السِّهام التي يُقتَرع بها، واحدها: زَلَمٌ، بفتح الزاي وضمّها.

(٣) ونسبه إليه من المتأخرين ياقوت الحموي في «معجم البلدان» ٢/ ٣٨٤، ونسبه ابن هشام في كتابه «التيجان في ملوك حِميَر» ص٢٦٢ إلى أبي ذؤيب الهُذلي، وذكر هناك قصة أخرى غير المذكورة هنا.

(٤) أخرج قصة هدمه البخاري (٣٠٢٠) ومسلم (٢٤٧٦) من حديث جرير بن عبد الله البجليّ نفسه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا تُريحُني من ذي الخَلَصة؟!»... وذكر بقية القصة.

(٥) في (ت) و(ش١) و(ص) و(ق١) و(م): قُلْس، بالقاف وبضمّتين، والمثبت من (ي)، والتقييد منها، وكذلك قيّده ابن دُريد في «جمهرة اللغة» ٢/ ٨٤٧، والفيروزآبادي في «القاموس»: بكسر الفاء وسكون اللام، وقيّده ابن الأثير في «النهاية» بضم فسكون.

وأما جبلا طيِّئ سلمى وأَجأ، فيقال لهما اليوم: جبلا حائل، لأنهما يُشرِفان على مدينة حائل شمال نجد.

المِخذَم، فأتى بهما رسولَ الله ﷺ فوَهَبَهما له، فهما سيفا عليٍّ رضي الله عنه[1].

قال ابن إسحاق: وكان لحِميَرَ وأهل اليمن بيتٌ بصنعاءَ يقال له: رِئَام.

قال ابن هشام: وقد ذكرتُ حديثه فيما مضى[2].

قال ابن إسحاق: وكانت رُضَاءُ بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سَعْد بن زيدِ مَناةَ بن تَميم، ولها يقول المُستَوغِر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هَدَمها في الإسلام:

ولقد شَدَدتُ على رُضاءٍ شَدَّةً فتركتُها قَفْراً بقاعٍ أَسحَما[3]

قال ابن هشام: قوله: فتركتها قفراً بقاعٍ أسحَما، عن رجل من بني سعد.

ويقال: إن المُستوغِر عُمِّر ثلاثَ مئةِ سنةٍ وثلاثين سنةً، وكان أطولَ مُضرَ كلِّها عُمراً، وهو الذي يقول[4]:

---

(١) قصة سريّة علي بن أبي طالب وهدمه الفِلْس أخرجها الواقدي في «المغازي» ٢/ ٩٨٤ ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٩/ ١٩٣ ـ عن عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن عبد الله بن أبي بكر بن حَزْم ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، مرسلة. اختصرها عبد الله بن أبي بكر ابن حزم، وذكرها محمد بن عمر بن علي مطوَّلة، وذكر فيها قصة السيفين.

وذكرها ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٥٠ بدون إسناد.

(٢) في ذكر استيلاء أبي كَرِب تُبَان أسعد على مُلك اليمن وغزوه إلى يثرب ص٢٩.

(٣) القفر: الأرض الجرداء ليس فيها شيء. والقاع: المنخفض من الأرض. والأسحم: الأسود.

والبيت مع آخرَ نسبهما للمستوغِر أيضاً ابنُ الكلبيّ في «كتاب الأصنام» ص٣٠، وذكرهما كذلك قاسم السَّرَقُسطي في «الدلائل في غريب الحديث» ١/ ١١٧ من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق.

(٤) وذكر هذه الأبيات له أيضاً ابن هشام في «التيجان» ص٢٦٣، وابن سلّام الجُمحيّ في «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٣٣، وأبو حاتم السِّجستاني في «المعمَّرين» ص٩، وابن قتيبة في =

ولقد سَئِمتُ من الحياةِ وطولِها ... وعَمِرتُ من عددِ السِّنينَ مِئينا
مئةٌ حَدَتْها بعدَها مئتانِ لي ... وازددتُ من عددِ الشُّهورِ سِنينا
هل ما بَقِيَ إلا كما قد فاتَنا ... يومٌ يمُرُّ وليلةٌ تَحدُونا

وبعض الناس يروي هذه الأبيات لزهير بن جَنَاب الكَلْبي[1].

قال ابن إسحاق: وكان ذو الكَعَبات لبَكْرٍ وتَغلِبَ ابنَي وائلٍ وإيادٍ بسِنْداد[2]، وله يقول الأعشى، أعشى بني قيس بن ثَعلَبة[3]:

بينَ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارقٍ ... والبيتِ ذي الكَعَباتِ من سِنْدادِ[4]

قال ابن هشام: وهذا البيت للأسود بن يَعفُرَ النَّهشَليّ[5]؛ نَهشَلِ بن دارِم بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم، في قصيدةٍ له، وأنشدَنيهِ له أبو مُحرِز خَلَفٌ الأحمر:

أهلُ الخَوَرنَقِ والسَّدِيرِ وبارقٍ ... والبيتِ ذي الشُّرُفاتِ من سِنْدادِ

= «الشعر والشعراء» ١/ ٣٧٢.

(١) لم نقف على من نقل روايتها عنه غير ابن هشام.

(٢) سنداد: نهر بسواد العراق من الحيرة جنوب الكوفة إلى الأُبُلّة شمال البصرة، وعليه كانت منازل إياد. انظر «معجم ما استعجم» لأبي عبيد البكري ١/ ٢٠٤ و٢/ ٧٦١.

(٣) ليس في «ديوانه»، وقد نسبه إلى الأعشى أيضاً صاحب كتاب «العين» ١/ ٢٠٧.

(٤) الخورنق: قصرٌ بالحِيرة جنوب الكوفة، بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة. والسَّدير: معناه بالفارسية: بيت الملك، قيل: هو قصر قريب من الخورنق كان النعمان الأكبر اتخذه لبعض ملوك العجم. وبارق: ماء بالعراق، وهو الحدّ بين القادسية والبصرة، وهو من أعمال الكوفة. انظر «معجم البلدان» لياقوت ١/ ٣٠٩ و٣/ ٢٠١، و«الروض الأنف» للسهيليّ ١/ ٣٨١.

(٥) نسبه إليه أيضاً الجاحظ في «المحاسن والأضداد» ص١٦٣، وابن قتيبة في «الشعر والشعراء» ١/ ٢٤٨، والبَلاذُري في «أنساب الأشراف» ١/ ٢٨، وغيرهم.

أمر البَحِيرة والسائبة والوَصِيلة والحامِي

قال ابن إسحاق: وأما البَحِيرة: فهي بنت السائبة.

والسائبةُ: الناقة إذا تابعت بين عَشْر إناثٍ ليس بينهن ذَكَرٌ، سُيِّبَت فلم يُركَب ظهرُها، ولم يُجَزَّ وَبَرُها، ولم يَشرَب لبنها إلا ضيفٌ، فما نُتِجَت بعد ذلك من أُنثى شُقَّت أُذنُها، ثم خُلِّي سبيلُها مع أمِّها، فلم يُركَب ظهرُها، ولم يُجَزَّ وَبَرُها، ولم يَشرَب لبنها إلا ضيفٌ كما فُعِلَ بأُمِّها، فهي البَحِيرةُ بنتُ السائبة.

والوَصِيلة: الشاة إذا أتأَمَتْ عشرَ إناثٍ متتابعاتٍ في خمسة أبطُن، ليس بينهنَّ ذكرٌ، جُعِلَت وَصيلةً؛ قالوا: قد وَصَلَت، فكان ما وَلَدَت بعد ذلك للذُّكور منهم دون إناثهم، إلا أن يموت منها شيءٌ فيشتركوا في أكلِه؛ ذكورُهم وإناثُهم.

قال ابن هشام: ويروى: فكان ما وَلَدَت بعد ذلك لذُكورِ بَنِيهم دون بناتهم.

قال ابن إسحاق: والحامِي: الفَحْل إذا نُتِجَ له عشرُ إناثٍ متتابعاتٍ ليس بينهنَّ ذكرٌ، حُمِيَ ظهرُه فلم يُركب، ولم يُجَزَّ وَبَرُه، وخُلِّي في إبله يَضرِب فيها، لا يُنتفَع منه بغير ذلك.

قال ابن هشام: هذا عند العرب على غيرِ هذا، إلا الحامِيَ، فإنّه عندهم على ما قال ابن إسحاق.

والبَحِيرة عندهم: الناقة تُشَقُّ أُذنُها فلا يُركَبُ ظهرُها، ولا يُجَزُّ وبرُها، ولا يشرب لبنَها إلا ضيفٌ، أو يُتصدَّق به، وتُهمَل لآلهتهم. وزاد آخرون: وإذا أدرَكَها كالٌّ[1] لم يركبها.

والسائبة: التي يَنذِر الرجلُ أن يُسيِّبَها إن بَرَأ من مرضه، أو إن أصاب أمراً يطلبه،

(١) الكالُّ والكليل: الذي أصابه إعياءٌ وتعب.

فإذا كان ذلك أسَابَ ناقةً من إبله أو جملاً لبعض آلهتهم، فسابَتْ فرَعَتْ لا يُنتفَع بها.

والوَصِيلةُ: التي تلدُ أمُّها اثنين في كلِّ بطن، فيجعل صاحبُها لآلهتِه الإناثَ منها، ولنفسِه الذكورَ، فتلدُها أمُّها ومعها ذكرٌ في بطنٍ، فيقولون: وَصَلَت أخاها، فيُسيَّبُ أخوها معها فلا يُنتفَع به.

قال ابن هشام: حدَّثني به يونس النَّحْويّ وغيرُه، روى بعضُ ما لم يروِ بعضٌ.

قال ابن إسحاق: فلمّا بَعَثَ اللهُ تبارك وتعالى رسولَه محمداً ﷺ أنزل عليه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة:١٠٣]، وأنزل الله عليه: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام:١٣٩]، وأنزلَ تعالى عليه: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩]، وأنزل عليه: ﴿مِنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٤٣-١٤٤].

قال ابن هشام: وقال تميم بن أُبيّ بن مُقبِل، أحدُ بني عامر بن صَعصَعة:

فيه من الأَخرَجِ المِرْباعِ قَرقَرةٌ ... هَدْرَ الدِّيافِيِّ وَسْطَ الهَجْمةِ البُحُرِ[1]

(١) الأخرج: الظَّليم الذي فيه لونان، والظليم ذَكَرُ النعام. والمِرباع: الذي رَعى في الربيع، =

وهذا البيت في قصيدة له[1].

قال ابن هشام: وقال الشاعر:

حُولُ الوصَائلِ[2] في شُرَيفٍ حِقَّةٌ والحاميـاتُ ظهورَهـا والسُّـيَّبُ

وجمعُ وَصِيلة: وصائلُ ووُصُلٌ، وجمع بَحِيرة: بحائرُ وبُحُر، وجمع سائبةٍ الأكثرُ: سوائبُ، وجمع حامٍ الأكثرُ: حَوَامٍ.

عدنا إلى سياقة النسب

قال ابن إسحاق[3]: وخُزَاعة تقول: نحن بنو عَمرو بن عامرٍ، من اليمن.

قال ابن هشام: وتقول خُزَاعة: نحن بنو عَمرو بن رَبيعة بن حارثة بن عَمرو بن عامر بن حارثة بن امرِئِ القيس بن ثَعلَبة بن مازن بن الأَسْد بن الغَوْث، وخِنْدِفُ أُمُّنا، فيما حدَّثني أبو عُبَيدة وغيرُه من أهل العلم.

ويقال: خُزَاعةُ بنو حارثةَ بن عمرو بن عامر.

= وقرقرة: صوت فيه ترجيع. والهَدْر والهَدِير: صوت الفحل من الإبل، وربما قيل في غيره. والدِّيافي: نسبة إلى دِياف، موضع في الجزيرة بالشام. والهَجْمة: القطعة الكثيرة من الإبل. والبُحُر: جمع بَحِيرة، وهي المشقوقة الأذان.

(١) انظر «ديوانه» ص٨٢، وهذا البيت الثاني والستون فيها.

(٢) هكذا في عدة نسخ خطية عندنا، وفي (ت) و(ص) و(غ): الفصائل، والصواب ما أثبتنا. وهذا البيت لم نقف عليه عند غير ابن هشام.

والحُولُ: جمع حائل، يقال: ناقة حائل، إذا لم تحمل سنةً أو سنتين. والشُّريف: موضع بنجد فيه ماء لبني نُمير بن عامر بن صعصعة. والحِقّة من الإبل: الذي دخل في السنة الرابعة، وعند ذلك يُتمكَّن من ركوبه وتحميله.

(٣) تكملة لما تقدم ص٨٤.

وإنَّما سُمِّيَت خُزاعةَ لأنهم تَخزَّعوا[1] من ولد عمرو بن عامرٍ حين أَقبلوا من اليمن يريدون الشام، فنزلوا بمَرِّ الظَّهْران فأقاموا بها.

قال عَوْن[2] بن أيوب الأنصاريُّ، أحدُ بني عمرو بن سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمةَ من الخَزرَج، في الإسلام:

فلمّا هَبَطْنا بطنَ مَرٍّ تَخزَّعَت ... خُزَاعةُ عنَّا[3] في حُلولٍ كَراكِرِ[4]

حَمَتْ كلَّ وادٍ من تِهامةَ واحتَمَتْ ... بصُمِّ القَنا والمُرهَفاتِ البَواتِرِ[5]

وهذان البيتان في قصيدةٍ له[6].

وقال أبو المُطهَّر إسماعيل بن رافع الأنصاريّ، أحدُ بني حارثةَ بن الحارث بن الخَزرَج بن عمرو بن مالك بن الأَوْس:

---

(١) أي: تأخَّروا وانقطعوا.

ومرُّ الظهران: وادٍ يمرُّ شمال غرب مكة على قرابة ٢٢ كم، وقد سبق التعريف به ص١٤.

(٢) في (ي) ونسخة على حاشية (ص): عوف. والظاهر أنه تحريف، على أننا لم نقف لهذا الرجل على ترجمة فيما بين يدينا من المصادر.

(٣) في (ت) و(ش١) و(غ): منّا.

(٤) تخزَّعت: تأخرت وانقطعت. والحلول: البيوت الكثيرة من بيوت العرب. وكَراكِر: جماعات.

(٥) القنا: الرِّماح. والبواتر: القواطع، يعني السيوف.

(٦) وتبعه على هذه النِّسبة ياقوت في «معجم البلدان» ٥/ ١٠٥، ونسبها المصنف نفسه في «التيجان» ص٢٩٢ إلى عمرو بن أنيف الغسّاني، ونسبها غير واحد إلى حسان بن ثابت الأنصاري كابن دريد في «الاشتقاق» ص٤٦٨، والأزرقي في «أخبار مكة» ١/ ٩٥، والمسعودي في «مروج الذهب» ٢/ ١٧٢، والأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ١١٠. وانظر «ديوان حسان» ١/ ٤٨٣ بتحقيق وليد عرفات.

فلمّـا هَبَطنـا بطـنَ مكّـةَ أَحمَـدَتْ خُزاعـــةُ دارَ الآكـــلِ المُتحامِـــلِ
فحَلَّـتْ أكَاريساً وشَـتَّتْ[1] قَنـابِلاً[2] علـى كـلِّ حـيٍّ بـين نَجـدٍ وسـاحلِ
نَفَوا جُرهُماً عن بطنِ مكَّـة واحتَبَـوا بعِـــزٍّ خُزَاعـــيٍّ شـــديدِ الكَوَاهـــلِ

وهذه الأبيات في قصيدةٍ له[3]، وأنا إن شاء الله ذاكرٌ نفيَها جُرهُمَ في موضعه[4].

قال ابن إسحاق: فولدَ مُدرِكةُ بن الْياسِ رجلين: خُزَيمةَ بن مُدرِكة، وهُذَيلَ بن مُدرِكة، وأمُّهما امرأةٌ من قُضَاعة، فولدَ خُزَيمةُ بن مُدرِكةَ أربعةَ نفرٍ: كِنانةَ بن خُزيمة، وأسَدَ بن خُزيمة، وأسَدَةَ بن خُزيمة[5]، والهُوْنَ بن خُزيمة، فأمُّ كِنانةَ عَوَانةُ بنت سعد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر.

قال ابن هشام: ويقال: الهَوْنُ[6] بن خُزَيمة.

قال ابن إسحاق: فولدَ كِنانةُ بن خُزَيمة أربعةَ نفرٍ: النَّضْرَ بن كِنانة، ومالكَ بن

---

(١) في (ت) و(ق١) و(م): وسنت، وفي (ش١) و(غ) ونسخة على هامش (ص): وشنّت. ومعنى شتَّتْ: فرَّقَتْ. وأكاريس: جمع كِرْس، بالكسر: أبياتٌ من الناس مجتمعة.

(٢) في (ت) و(ي): قبائلا. ومعنى القنابل: القِطَع من الخيل، وهي جمع قَنبَلة.

(٣) لم نقف على هذه الأبيات عند غير المصنف، وعنه نقلها ابن كثير في «البداية والنهاية» ٣/ ١٨٦، كما لم نقف على ترجمة لقائلها أبي المطهَّر إسماعيل بن رافع.

(٤) قريباً ص١٢٤، في استيلاء قوم من كنانة وخزاعة على البيت ونفي جرهم.

(٥) وكذلك ذكر أسدةَ هذا في ولد خزيمةَ الكلبيُّ في «جمهرة النسب» ص١٧، ومصعبٌ الزبيريُّ في «نسب قريش» ص٨ و١٠، وخالفهم ابن قتيبة في «المعارف» ص٦٥ فلم يذكر لخزيمة إلا ثلاثة أبناء ليس أَسدةُ فيهم، وعلّق ابنُ حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص١١ على من ذكره فيهم فقال: ليس بشيء.

(٦) قيّده ابن دريد في «الاشتقاق» ص١٧٨ بالوجهين؛ فتح الهاء وضمها، وقيّده الجوهري في «الصحاح» والفيروزابادي في «القاموس» بضم الهاء فقط.

كِنانة، وعبدَ مَنَاةَ بن كِنانة، ومِلْكانَ بن كِنانة، فأمُّ النَّضر بَرَّةُ بنت مُرِّ بن أُدّ بن طابِخةَ ابن الياس بن مُضَر، وسائرُ بَنيهِ لامرأةٍ أخرى.

قال ابن هشام: أمُّ النَّضر ومالكٍ ومِلْكان: بَرَّةُ ابنة مُرٍّ، وأمُّ عبدِ مَناةَ: هالةُ بنت سُوَيد بن الغِطْريف من أزْدِ شَنُوءة. وشَنُوءةُ: عبدُ الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نَصْر بن الأَسْد بن الغَوْث، وإنما سُمُّوا شَنُوءةَ، لشَنَآنٍ كان بينهم، والشَّنَآنُ: البُغْض.

وقال ابن هشام: النَّضْرُ قُرَيشٌ، فمَن كان من ولده فهو قُرَشيّ، ومَن لم يكن من ولده فليس بقُرَشيّ، وقال جَرير بن عطيّة ـ أحدُ بني كُليب بن يَربُوع بن حَنظَلة بن مالك بن زيد مَناةَ بن تَميمٍ ـ يمدحُ هشامَ بن عبد الملك بن مروان:

فما الأمُّ التي وَلَدَتْ قُريشاً ... بمُقرِفةِ النِّجَارِ ولا عَقيمِ[1]

وما قَرْمٌ بأنجبَ من أبيكُمْ ... وما خالٌ بأكرمَ من تَميمِ[2]

يعني بَرَّةَ بنت مُرٍّ أختَ تميم بن مُرّ، أمَّ النَّضر. وهذان البيتان في قصيدةٍ له[3].

ويقال: فِهرُ بن مالكٍ قريشٌ، فمَن كان من ولده فهو قُرَشيّ، ومَن لم يكن من ولده فليس بقُرَشيّ، وإنّما سُمِّيَت قريشٌ قريشاً من التقرُّش، والتقرُّش: التِّجارة والاكتساب، وقال رُؤْبةُ بن العَجّاج:

قد كان يُغْنيهِم عن الشَّغُوشِ[4] ... والخَشْلِ من تَساقُطِ القُرُوشِ

شَحْمٌ ومَحْضٌ ليس بالمَغشُوشِ

---

(١) مُقرفة النِّجَار: لئيمة الأصل.

(٢) القَرْم: الفحل من الإبل، فاستعاره هنا للرجل السيد.

(٣) انظر «ديوانه» ص٤١٢.

(٤) بفتح الشين وقد تُضَمّ، كما في «القاموس»، ووقع بالتقييدين في نسخنا الخطية.

الشَّغُوش: قمحٌ يسمَّى الشَّغُوش، والخَشْلُ: رؤوس الخلاخيل والأَسوِرة ونحوه، والقُروش: التِّجارة والاكتساب، يقول: قد كان يُغنِيهم عن هذا شحمٌ ومَحضٌ، والمَحْضُ: اللَّبَن الحليب الخالص. وهذه الأبيات في أُرجوزةٍ له[1].

وقال أبو خَلْدة اليَشكُريّ، ويَشكُرُ ابنُ بكر بن وائل:

إخـوةٌ قَرَّشُـوا الـذُّنوبَ علينـا ... في حـديثٍ مِـن عُمْرِنـا وقـديمِ[2]

وهذا البيت في أبياتٍ له[3].

قال ابن إسحاق: ويقال: إنما سُمِّيَت قُريشٌ قريشاً لتجمُّعها مِن تفرُّقها، ويقال للتجمُّع: التَّقرُّش.

فولدَ النَّضرُ بن كِنانةَ رجلين: مالكَ بن النَّضر، ويَخلُدَ بن النَّضر، وأمُّ مالكٍ عاتكةُ

---

(١) انظر «ديوانه» ص٧٨، و«شرح ديوانه» ٢/ ٢٠٤.

(٢) قرَّشوا، أي: جمَّعوا.

(٣) ونسبه إليه أيضاً البَلاذُري في «أنساب الأشراف» ١١/ ٨٠، وابن عبد البر في «الإنباه على قبائل الرواة» ص٤٣، وأبو خلدة هذا من شعراء الدولة الأموية، وقد اختلف في كنيته، فقال بعضهم: أبو خَلْدة بفتح الخاء وسكون اللام، وقال آخرون: أبو جِلْدة، بالجيم المكسورة، نقل ذلك الوزير أبو القاسم ابن المغربي في «الإيناس بعلم الأنساب» ص١٣٦، وسمّاه أبو القاسم في كتابه «الإلحاق بالاشتقاق» كما في حاشية على هامش إحدى نسخ كتاب «الإيناس» ـ فيما قاله محقق الكتاب حمد الجاسر ـ: ابنَ عبيد بن مُنقِذ بن حُجْر بن عبد الله بن سلمة بن حبيب بن عديّ ابن جُشَم بن غَنْم بن حبيب بن كعب بن يَشكُر بن وائل. وذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» ٢/ ٧٣٣ بكنيته بجيم، ولم يسمّه.

ونسب هذا البيت ابن عبد ربّه في «العقد الفريد» ٢/ ١٦٩، والمسعودي في «مروج الذهب» ٢/ ٣٣ إلى ابن حِلِّزة اليَشكُريّ، فإن كان ما فيهما غير محرَّف عن أبي خلدة، فإن ابن حلّزة هذا اسمه الحارث، وهو شاعر جاهلي.

بنت عَدْوان بن عمرو بن قيس بن عَيْلان، ولا أدري أهي أمُّ يَخلُد أم لا.

قال ابن هشام: والصَّلتَ بنَ النَّضر ـ فيما قال أبو عمرٍو[1] ـ وأمُّهم جميعاً بنتُ سعد بن ظَرِبٍ العَدْوانِيّ، وعَدْوانُ ابنُ عمرو بن قيس بن عَيْلان.

قال كُثيِّر بن عبد الرَّحمن، وهو كُثيِّرُ عَزَّةَ، أحدُ بني مُلَيح بن عمرٍو من خُزَاعة:

أليسَ أبي بالصَّلْتِ أمْ ليس إخوتي ... لكلِّ هِجَانٍ من بني النَّضرِ أزهَرا[2]

رأيتُ ثيابَ العَصْبِ مُختلِطَ السَّدَى ... بِنا وبِهِمْ والحَضْرميَّ المُخصَّرا[3]

فإنْ لم تكونوا من بني النَّضرِ فاترُكوا ... أَرَاكاً بأذنابِ الفوائجِ أخضَرا[4]

وهذه الأبيات في قصيدة له[5].

والذين يُعزَونَ إلى الصَّلْت بن النَّضر من خُزاعة بنو مُلَيح بن عمرو، رهطُ كُثيِّر عزَّة.

قال ابن إسحاق: فوَلدَ مالكُ بنُ النَّضر فِهرَ بن مالك، وأمُّه جَندَلةُ بنت الحارث ابن مُضَاض الجُرهُميّ.

---

(١) كذا وقع غير منسوب في نسخنا الخطية غير (ش١)، فزاد فيها وكذا في مطبوعة السقّا وصاحبيه: المدني، وكذا هو في كتاب «الجوهرة في نسب النبيّ وأصحابه العشرة» للبُرِّيّ ١/ ١٤٣. وأبو عمرو المدني هذا لم نتبيّنه.

(٢) الهِجان: الكريم.

(٣) السَّدى من الثوب: ما يُمدُّ من خيوطه طولاً في النسيج، وهو خلاف اللُّحمة. والعَصْب: من برود اليمن. والحضرميّ: النِّعال المُخصَّرة التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين.

(٤) الفوائج: رؤوس الأودية، وقيل: هي عيون ماءٍ بعَيْنها.

(٥) انظر «ديوانه» ص٢٣٣-٢٣٤، وانظر أيضاً في «نسب قريش» لمصعب الزبيري ص١١، و«أنساب الأشراف» للبَلاذُري ١/ ٣٨، و«أدب الخواص» للوزير أبي القاسم ابن المغربي ص١٣٣.

قال ابن هشام: وليس بابن مُضاضٍ الأكبر.

قال ابن إسحاق: فولدَ فِهرُ بن مالك أربعةَ نفرٍ: غالبَ بن فِهر، ومحاربَ بن فِهر، والحارثَ بن فِهر، وأسَدَ بن فِهر، وأمُّهم ليلى بنت سعد بن هُذَيل بن مُدْرِكة.

قال ابن هشام: وجَندَلةَ بنتَ فِهر، وهي أمُّ يَربُوع بن حَنظلة بن مالك بن زيد مَناة ابن تميم، وأمُّها ليلى بنت سعد، قال جَرير بن عطيّة بن الخَطَفَى ـ واسم الخَطَفَى: حُذيفة بن بدر بن سَلَمة بن عوف بن كُلَيب بن يَربُوع بن حنظلة ـ[1]:

وإذا غَضِبتُ رَمَى ورائيَ بالحَصَى أبنـاءُ جَندَلـةٍ كخيـرِ الجَنـدَلِ[2]

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: فولدَ غالبُ بن فِهرٍ رجلين: لُؤَيَّ بن غالب، وتَيْمَ بن غالب، وأمُّهما سَلْمى بنت عمرو الخُزَاعي. وتَيمُ بن غالب الذين يقال لهم: بنو الأَدرَم.

قال ابن هشام: وقيسَ بن غالب، وأمُّه سَلْمى بنت كعب بن عمرو الخُزَاعي، وهي أمُّ لؤيٍّ وتَيمٍ ابنَي غالب.

قال ابن إسحاق: فوَلدَ لؤيُّ بن غالبٍ أربعةَ نفرٍ: كعبَ بن لؤيّ، وعامرَ بن لؤيّ، وسامَةَ بن لؤيّ، وعوفَ بن لؤيّ، فأمُّ كعب وعامر وسامة: ماوِيَّة بنتُ كعب بن القَيْن بن جَسْرٍ، من قُضَاعة.

قال ابن هشام: ويقال: والحارثَ بن لؤي، وهم جُشَمُ بن الحارث، في هِزّانَ من[3]

---

(١) انظر «ديوانه» ص٣٥٩.

(٢) الجندل: الحجارة.

(٣) كذا في (ش١) و(ق١)، وفي بقية النسخ: بن، والأوجَه ما أثبتنا، فبين هزّان وربيعة بضعة آباء. انظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٢٩٤.

ربيعة، قال جَرير[1]:

بني جُشَمٍ لستُم لهِزّانَ فانْتُمُوا ... لأعلى الرَّوابي من لُؤيِّ بن غالبِ[2]

ولا تُنكِحوا في آلِ ضَوْرٍ نِساءَكم ... ولا في شُكَيسٍ بئسَ مَثْوى الغرائبِ[3]

وسعدَ بنَ لؤي، وهم بُنَانةُ في شَيْبان بنِ ثعلبة بن عُكَابَة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل، من رَبيعة. وبُنانةُ حاضنةٌ لهم من بني القَيْن بن جَسْر بن شَيْع[4] الله ـ ويقال: سَبُع الله ـ بن الأسَد بن وَبَرةَ بن تَغلِب بن حُلْوان بن عِمران بن الحافِ بن قُضَاعة. ويقال: بنت النَّمِر بن قاسطٍ، من ربيعة. ويقال: بنت جَرْم بن ريَّان بن حُلوان ابن عِمران بن الحافِ بن قُضاعة.

وخُزيمةَ بنَ لؤيّ بن غالب، وهم عائذةُ في شَيْبان بن ثعلبة. وعائذةُ: امرأةٌ من اليمن، وهي أمُّ بني عُبيد بن خُزيمة بن لُؤيّ.

وأمُّ بني لؤيٍّ كلِّهم إلا عامرَ بنَ لؤيٍّ: ماويّةُ بنت كعب بن القَيْن بن جَسْر، وأمُّ عامر بن لؤيٍّ: مَخشِيَّةُ بنت شَيْبان بن مُحارِب بن فِهْر، ويقال: ليلى بنت شَيبان بن مُحارِب بن فِهْر.

---

(١) هذان البيتان ليسا في المطبوع من «ديوانه»، وقد نسبهما إليه ابن الكلبيّ في «جمهرة النسب» ص٢٤، وفي «نسب معدّ واليمن» ١/ ١١٦، ومحمد بن حبيب في «المحبَّر» ص١٦٨، والبَلاذُريّ في «أنساب الأشراف» ١/ ٤٥، وغيرهم.

(٢) الروابي: جمع رابية، وهي التلّة المرتفعة، وأراد بها هاهنا: الأشراف من الناس والقبائل.

(٣) ضَورٌ وشَكْسٌ من عَنَزة، وإنما قال: شَكِيس لضرورة الشعر، كما قال ابن الكلبي في «جمهرة النسب»، وقال البَلاذُريّ: ويُروى شُكَيس تصغير شَكْس. قلنا: كذلك قُيّد بالتصغير في أكثر نسخنا الخطية من «السيرة»، وقُيِّد في (ش١) و(م) بالوجهين.

(٤) الشَّيع: شبل الأسد.

أمرُ سامَة

قال ابن إسحاق: فأما سامَةُ بن لؤيٍّ فخرج إلى عُمَان، فكان بها، ويَزعُمون أن عامر بن لؤيٍّ أخرجه، وذلك أنه كان بينهما شيءٌ ففَقَأَ سامةُ عينَ عامر، فأخافه عامرٌ، فخرج إلى عُمَان، فيَزعُمون أن سامةَ بن لؤيٍّ بَيْنا هو يسير على ناقته، إذ وَضَعَت رأسها تَرتَعُ، فأخذت حيّةٌ بمِشفَرِها فهَصَرَتها[1] حتى وقعت الناقةُ لشِقّها، ثم نَهَشَت سامَةَ فقتلته، فقال سامَةُ حين أحسَّ بالموت فيما يَزعُمون[2]:

عينِ فابْكي لِسامةَ بنِ لؤيٍّ ... عَلِقَت ما بساقِهِ[3] العَلّاقَهْ

لا أَرى مثلَ سامةَ بنِ لؤيٍّ ... يومَ حَلُّوا به قتيلاً لِناقَهْ

بلِّغا عامراً وكَعباً رسولاً ... أنَّ نفسيَ إليهما مُشتاقَهْ

إن تكنْ في عُمَانَ داري فإنّي ... غالِبيٌّ خرجتُ من غيرِ فاقَهْ[4]

رُبَّ كأسٍ هَرَقتَ يا ابنَ لؤيٍّ ... حَذَرَ الموتِ لم تكنْ مُهراقَهْ

رُمْتَ دفعَ الحُتُوفِ يا ابنَ لؤيٍّ ... ما لِمَن رامَ ذاكَ بالحَتفِ طاقَهْ[5]

وخَرُوسَ السُّرَى تركتَ رَذِيّاً ... بعد جِدٍّ وجِدّةٍ ورَشاقَهْ[6]

---

(١) المِشفَر للناقة والبعير: كالشَّفَة للإنسان. وهَصَرَتها، يعني: هَصَرَت الناقةَ، أي: أمالَتْها، تقول: هَصَرتُ الغُصنَ: إذا أمَلْتَه.

(٢) وذكر بعض هذه الأبيات أيضاً الزجّاجي في «أماليه» ص٤٩، والوزير ابن المغربي في «الإيناس» ص١٧٥-١٧٧، وابن سِيدَه في «المحكم والمحيط الأعظم» ١/ ٢١١، وغيرهم.

(٣) في النسخ غير (ص) و(م): بسامة، والمثبت من هاتين النسختين، وهو الموافق لمعظم مصادر التاريخ واللغة والأدب. والعلّاقة: يعني الحية التي تعلقت بالناقة.

(٤) الفاقة: الفقر والحاجة.

(٥) الحُتوف: جمع حَتْف، وهو: الموت.

(٦) يريد بالخَرُوس ناقتَه، من الخَرَس، والسُّرى: سيرُ الليل، يعني: ناقةً إذا سرت بالليل =

قال ابن هشام: وبلغني أن بعض ولدِه أَتى رسولَ الله ﷺ فانتَسَبَ إلى سامةَ بن لؤيّ، فقال له رسول الله ﷺ: «الشَّاعرُ؟» فقال له بعض أصحابه: كأنّك يا رسول الله أردتَ قولَه:

رُبَّ كأسٍ هَرَقتَ يا ابنَ لؤيٍّ ... حَذَرَ الموتِ لم تكنْ مُهراقَهْ

قال: «أجَلْ»[1].

أمرُ عَوْف بن لؤيٍّ ونُقلَته

قال ابن إسحاق: وأما عوفُ بن لؤيٍّ فإنه خرج - فيما يَزعُمون - في رَكْبٍ من قريش، حتى إذا كان بأرض غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيْلانَ، أُبطِئَ به، فانطلق مَن كان معه من قومه، فأتاه ثَعلَبةُ بن سعد، وهو أخوه في نَسَب بني ذُبْيان؛ ثعلبةُ بن سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان، وعوفُ بن سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث

= لا تَرغُو ولا يُسمَع لها صوت، وذلك مما يُستَحب منها. والرَّذِيُّ: التي سقطت من الإعياء.

(١) ضعيف لإعضاله، ولم نقف عليه مسنَداً في غير هذا الكتاب.

وأخرج الحاكم في «معرفة علوم الحديث» ص١٦٩ - ومن طريقه السمعاني في «الأنساب» ١/ ١٠-١١ - من طريق عبد الرحمن بن إسحاق الكاتب، عن إبراهيم بن المنذر الحِزامي، عن محمد بن فُليح، عن أبيه، عن إسماعيل بن محمد بن سعد، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حَثْمة قال: جاء عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ونحن عنده بالعَقيق، فسأله عن سامةَ بن لؤي، فقال سعيد: سألْنا رسولَ الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، سامةُ منَّا أم نحن منه؟ فقال: «بل هو منّا، ألم تسمعوا قولَ شاعر النّاقة؟!»، قال عبد الرحمن بن إسحاق: فظننتُ أنا أن رسول الله ﷺ أراد بقوله: «قول شاعر النّاقة»؛ وساق نحو الأبيات المذكورة عند محمد بن إسحاق. وهذا إسناد ضعيف، عبد الرحمن بن إسحاق الكاتب لم نقف له على ترجمة فنتبيَّن حاله.

ابن غَطَفان، فحَبَسَه فزوَّجه والْتاطَه[1] وآخاه، فشاعَ نسبُه في بني ذُبْيان. وثعلبةُ ـ فيما يَزعُمون ـ الّذي يقول لعوفٍ حين أُبطِئَ به فتركه قومُه:

احبِسْ علَيَّ ابنَ لُؤيٍّ جَملَكْ تَرَكَكَ القومُ ولا مَتْرَكَ[2] لكْ

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير، أو محمد بن عبد الرَّحمن ابن عبد الله بن حُصَين، أن عمر بن الخطّاب قال: لو كنتُ مُدَّعياً حيّاً من العرب أو مُلحِقَهم بنا، لادَّعيتُ بني مُرّةَ بن عوف، إنّا لنَعرِفُ فيهم الأشباهَ مع ما نَعرِفُ من مَوقعِ ذلك الرَّجل حيث وقع؛ يعني عوفَ بنَ لؤيّ[3].

قال ابن إسحاق: فهو في نسب غَطَفان: مُرّةُ بن عوف بن سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض ابن رَيْث بن غَطَفان، وهم يقولون إذا ذُكِر لهم هذا النَّسب: ما نُنكِرُه وما نَجحَدُه، وإنّه لأحبُّ النَّسب إلينا.

وقال الحارث بن ظالمٍ[4] ـ قال ابن هشام: أحدُ بني مُرّة بن عوف ـ حين هَرَبَ من النُّعمان بن المُنذِر فلَحِقَ بقُريشٍ:

---

(١) يعني: ألصقه به، يقال: التاط فلان فلاناً إذا ضمَّه إليه وألحقه بنسبه، ومنه قوله: كان يُلِيط أولادَ الجاهلية بأبائهم، أي: يُلصِقهم بهم.

(٢) في حواشي (ش١) و(ص) و(م): منزل، وهي كذلك في «جمهرة النسب» لابن الكلبي ص٢٤، و«أنساب الأشراف» للبَلاذُريّ ١/ ٤٢، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٢٦١.

(٣) محمد بن جعفر بن الزبير ثقة، وأما محمد بن عبد الرحمن فمجهول تفرد ابن إسحاق بالرواية عنه، لكنه أثنى عليه فقال: كان صوّاماً قوّاماً، هكذا نقل عنه البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ١٥٧، وذكره ابن حبان في «الثقات» ٧/ ٤١٣. وهو من طريقيهما منقطع، فكلاهما لم يدرك عمر بن الخطاب.

(٤) زاد في (ش١) و(ي): بن جَذيمة بن يربوع بن غيط بن مُرّة.

فما قَوْمي بثَعلَبةَ بنِ سعدٍ ... ولا بفَزَارةَ الشُّعْرِ الرِّقابا

وقَوْمي - إن سألتَ - بنو لُؤيٍّ ... بمكّةَ علَّموا مُضَرَ الضِّرابا

سَفِهْنا باتِّباعِ بني بَغِيضٍ ... وتَركِ الأقربينَ لنا انتِسابا

سَفاهةَ مُخلِفٍ لمّا تَروَّى ... هَرَاقَ الماءَ واتَّبعَ السَّرابا[1]

فلو طُووِعتُ - عَمْرَكَ - كنتُ منهمْ ... وما أُلفِيتُ أَنتجِعُ السَّحابا[2]

وحَشَّ رَوَاحةُ القُرشيُّ رَحْلي ... بناجيةٍ[3] ولم يَطلُبْ ثَوَابا

قال ابن هشام: هذا ما أنشدني أبو عُبيدة منها[4].

قال ابن إسحاق: فقال الحُصَين بن الحُمَام المُرِّيّ، أحدُ بني سَهْم بن مُرّة، يردُّ على الحارث بن ظالم ويَنتَمي إلى غَطَفان[5]:

ألا لَستُمُ منّا ولسنا إليكمُ ... بَرِئْنا إليكُمْ من لُؤيِّ بنِ غالبِ

أقَمْنا على عِزِّ الحِجازِ وأنتمُ ... بمُعتلَجِ البَطْحاءِ بينَ الأخاشبِ[6]

---

(١) المُخلِف: المُستقي للماء، يقال: ذهب يُخلِف لقومه، أي: يستقي لهم.

(٢) قوله: وما أُلفيت أنتجع السحابا، أي: كانوا يُغنونني بعطائهم ومعروفهم عن انتجاع السحاب وارتياد المراعي في البلاد.

(٣) كذا في (غ) و(م) و(ي)، ومعنى ناجية: ناقة سريعة، وفي (ص) و(ق١): بناحية، وفي (ت): بساحته.

ومعنى: حَشَّ رحلي، أي: قوّاه. وفي «الروض الأنف» ١/ ٤١٧: خَشّ، بالخاء المعجمة، وفسّره بقوله: يقال: خَشَّ السهمَ بالرِّيش، إذا راشه به، فأراد: راشني وأصلح رَحْلي.

(٤) وقد أوردها في غيرها من الأبيات المفضل الضبِّيّ في «المفضليات» ص٣١٤-٣١٦.

(٥) ذكرهما ابن عبد ربه في «العقد الفريد» ٦/ ١٦ ونسبهما إلى الحارث بن ظالم.

(٦) المُعتلَج: الموضع السَّهل الذي يَعتلِج فيه القوم، أي: يتصارعون. والبطحاء هنا: بطحاء مكّة، وهو موضع سهل. والأخاشب: جبال مكة.

يعني قريشاً.

ثم نَدِمَ الحصينُ على ما قال، وعَرَفَ ما قال الحارث، فانتَمى إلى قريشٍ وأكذَبَ نفسَه، فقال:

ندمتُ على قولٍ مضى كنتُ قلتُهُ ... تبيَّنتُ فيه أنه قولُ كاذبِ
فلَيتَ لِساني كان نِصفَينِ منهُما ... بَكِيمٌ ونِصفٌ عند مَجرَى الكواكبِ
أبونا كِنانيٌّ بمكّةَ قبرُهُ ... بمُعتلَجِ البَطحاءِ بين الأخاشبِ
لنا الرُّبْعُ من بيتِ الحرامِ وِراثةً ... ورُبْعُ البِطاحِ عند دارِ ابنِ حاطبِ

أي: أن بني لؤيٍّ كانوا أربعةً: كعبٌ، وعامرٌ، وسامَةُ، وعوفٌ.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني مَن لا أتَّهم: أنّ عمر بن الخطّاب قال لرجالٍ من بني مُرّةَ: إن شِئتُم أن تَرجِعوا إلى نَسبِكم فارجِعُوا إليه[1].

قال ابن إسحاق: وكان القوم أشرافاً في غَطَفان، هم سادتُهم وقادتُهم، منهم: هَرِمُ ابن سِنان بن أبي حارثة[2]، وخارجةُ بن سِنان بن أبي حارثة، والحارثُ بن عَوف بن أبي حارثة، والحُصَينُ بن الحُمَام، وهاشمُ بن حَرْملة الذي يقول له القائل:

أحْيا أباهُ هاشمُ بنُ حَرْمَلَهْ[3]

---

(١) ضعيف لإبهام الواسطة بين ابن إسحاق وعمر.

(٢) زاد هنا في (ي): بن مرة بن نشبة بن غطفان بن مرة بن عوف.

(٣) ذكر المفضَّل بن سلمة في كتابه «الفاخر» ص٢٣٣-٢٣٤: أن حرملة بن الأشعر المُرّيَّ الذُّبياني والد هاشم هذا، كان أول من سعى في حمل الدِّيَات بين عَبْس وذُبيان فيما جرى بينهما من حروب داحس والغبراء، فمات قبل أن يتمّ له ذلك، فسعى فيها ابنه هاشم، فهذا المعنى المراد من إحيائه لأبيه، وليس كما قال أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص٣٤-٣٥ من أنَّه أخذ بثأره فكأنه أحياه، والله تعالى أعلم.

تَـرى الملـوكَ عنـدَه[1] مُغَربَلَـهْ
يَقتُلُ ذا الذَّنْبِ ومَن لا ذَنبَ لَهْ

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبَيدة هذه الأبيات لعامرٍ الخَصَفيِّ، خَصَفةَ بنِ قيس ابن عَيْلانَ:

أحْيـا أبـاهُ هاشـمُ بـن حَرمَلَـهْ
يـومَ الهَبَـاءاتِ ويـومَ اليَعمَلَـهْ[2]
تَـرى المُلـوكَ عنـدَه مُغَربَلَـهْ
يَقتلُ ذا الذَّنْبِ ومَن لا ذَنْبَ لَهْ

وعن غيره:

ورمحُـه للوالـداتِ مُثكِـلَـهْ[3]

وحدَّثني: أن هاشماً قال لعامرٍ: قُلْ فيَّ بيتاً جيّداً أُثِبْكَ عليه، فقال عامرٌ هذا البيت الأول، فلم يُعجِبْ هاشماً، ثمّ قال الثاني، فلم يُعجِبْه، ثمّ قال البيتَ الثالث، فلم يُعجِبْه، فلمّا قال: يقتلُ ذا الذَّنبِ ومَن لا ذنبَ له، أعجَبَه فأثابَه عليه.

---

(١) في (غ): حوله.

ومعنى مُغربَلة: مقتولة منتفخة، قال السهيليّ في «الروض» ١/ ٤١٩: والذي أراه في ذلك أنه يريد بالغربلة استقصاءَهم وتتبُّعَهم.

(٢) اليَعمَلة: موضع كانت فيه وقعة من حروب داحس والغبراء في الجاهلية، ويقع جنوب الرَّبَذة على قرابة ٢٥ كم، والهَبَاءة ـ وجمعه لوجود عدّة مياه فيه ـ خلف اليعملة، وهو هضبة تدعى الآن ذريح، أما الرَّبذة فهي شرقيّ المدينة المنوَّرة وتبعد عنها قرابة ١٧٠كم.

وكان يوم الهَباءة لعبسٍ على ذُبْيان.

(٣) قوله: وعن غيره: ورمحه للوالدات مُثكِلة. من (غ) و(م) و(ي) وحاشية (ص)، وليس في (ت) و(ش١) و(ق١).

قال ابن هشام: وذلك الذي أراد الكُمَيتُ بن زيدٍ بقوله[1]:

وهاشمُ مُـرّةَ المُفْنِي مُلوكـاً بـلا ذَنـبٍ إليـه ومُـذْنِبينا

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقولُ عامر: يومَ الهَبَاءات، عن غير أبي عُبيدة.

قال ابن إسحاق[2]: قومٌ لهم صِيتٌ وذِكرٌ في غَطَفان وقيسٍ كلِّها، فأقاموا على نَسَبهم، وفيهم كان البَسْلُ.

أمرُ البَسْل

والبَسْلُ[3] ـ فيما يَزعُمون ـ ثمانيةُ أشهرٍ حُرُمٌ لهم من كل سنةٍ من بين العرب، قد عَرَفَت ذلك لهم العرب، لا يُنكِرونه ولا يَدفَعونه، يَسيرون به إلى أيِّ بلاد العرب شاؤوا، لا يخافونَ منهم شيئاً.

قال زُهَير بن أبي سُلْمى يعني بني مُرّة ـ قال ابن هشام: زهيرٌ أحدُ بني مُزَينة بن أُدٍّ بن طابِخةَ بن الْياسِ بن مُضَرَ، ويقال: زهير بن أبي سُلْمى من غَطَفان، ويقال: حليفٌ في غَطَفان ـ[4]:

تأمَّلْ فإن تُقْوِ المَرَوْراتُ[5] منهمُ ودارَاتُها لا تُـقْوِ منهمْ إذاً نَـخْلُ

---

(١) انظر «ديوانه» ص٤٥٧.

(٢) أي: في بني مُرَّة بن عوف.

(٣) البَسْل: هو الحرام والحبس.

(٤) انظر «ديوان زهير» ص٨٤.

(٥) هكذا هو في نسخنا الخطية بتاء مفتوحة، وكأنه جمع مَرَوْرَة كما قال ياقوت في «معجم البلدان» ٥/ ١١٢، وإن كان اسمَ موضع بعينه مفرَداً ـ وتعني الأرض أو المَفازة التي لا شيء فيها ـ فالصواب أن يُكتَب بهاءٍ: مَرَوراة، وهو الّذي رجّحه السهيليُّ في «الروض» ١/ ٤٢٢ =

بــلادٌ بهــا نــادمتُهمْ وألِفــتُهمْ فــإن تُقْوِيــا مــنهمُ فــإنّهمُ بَسْــلُ

يقول: سارُوا في حُرُمهم. قال ابن هشام: وهذانِ البيتانِ في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: وقال أعشى بني قيس بن ثَعلَبة[1]:

أجــارَتُكم بَسْــلٌ علينــا مُحــرَّمٌ وجارَتُنــا حِــلٌّ لكــم وحَلِيلُهــا

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: فوَلَدَ كعبُ بن لؤيٍّ ثلاثةَ نفر: مُرّةَ بن كعب، وعَدِيَّ بن كعب، وهُصَيصَ بن كعب، وأمُّهم وَحْشيَّةُ بنت شيبانَ بن مُحارِب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر.

فولدَ مُرّةُ بن كعبٍ ثلاثةَ نفر: كِلابَ بن مُرّة، وتَيْمَ بن مُرّة، ويَقَظةَ بن مُرّة، فأمُّ كلابٍ هِندٌ بنت سُرَير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كِنانة بن خُزَيمة، وأمُّ يَقَظة البارِقيّةُ، امرأةٌ من بارقِ الأَسْد من اليمن، ويقال: هي أمُّ تَيْم، ويقال: تيمٌ لهندٍ بنت سُرَير أمِّ كِلاب.

= فقال: إنما هو المَرَوراة بهاء ممّا ضوعفت فيه العين واللام، فهو فَعَلعَلة مثل: صَمَحمَحة، والألف فيه منقلبة عن واو أصلية، وهذا قول سِيبَوَيهِ.

والمَرَوراة يذكر عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢٩٠: أنها أرض كانت قرب رَحرَحان شرق المدينة، ورَحرَحان كما قال ص١٣٨-١٣٩: جبل شرقيّ المدينة على قرابة ١٢٠ كيلاً، إذا وقفت في بلدة الحنّاكية رأيت رحرحان مطلعَ الشمس إلى الجنوب قليلاً، أشمخ جبال تلك الناحية.

وأما نَخْل ـ أو النُّخيل ـ: فهي بلدة بنجدٍ من أرض غطفان، شمال شرق المدينة تبعد عنها قرابة ١١٥ كم، وتقع شمال الحنّاكية على قرابة ٣٠ كم.

وتُقْوِ: تُقفِر وتخلو. والدّارات: جمع دارَةٍ، وهي المكان الوَطِيء من الأرض القليل الشجر.

(١) انظر «ديوانه» ٢/ ١٧.

قال ابن هشام: بارِقُ بنو عَدِيّ بن حارثةَ بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرِئِ القيس بن ثَعلَبة بن مازن بن الأزْد[1] بن الغَوْث، وهم في شَنُوءة، قال الكُمَيت بن زيد[2]:

وأَزْدُ شَنُوءةَ انـدَرَؤُوا علينـا ... بجُـمٍّ يَحسَـبون لهـا قُرُونـا[3]

فمـا قلنـا لِبـارِقَ قـد أسـأتُمْ ... ومـا قلنـا لِبـارقَ أعتِبُونـا[4]

وهذان البيتان في قصيدةٍ له. وإنما سُمُّوا ببارقَ، لأنهم تَبِعوا البَرْق، والله أعلم.

قال ابن إسحاق: فولدَ كِلابُ بن مُرّة رجلين: قُصيَّ بن كلاب، وزُهْرةَ بن كلاب، وأمُّهما فاطمةُ بنت سعد بن سَيَلٍ، أحدِ الجَدَرَةِ من خَثْعمةِ الأزْد من اليمن، حلفاءُ في بني الدِّيل بن بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانة.

قال ابن هشام: ويقال: خَثْعمة الأَسْد، وخَثعمة الأَسَد[5]، وهو خَثعمةُ بن يَشكُر ابن مُبشِّر بن صعب بن دُهْمان بن نَصْر بن زَهْران بن الحارث بن كَعب بن عبد الله ابن مالك بن نَصْر بن الأَسْد بن الغَوْث، ويقال: خَثعمة بن يَشكُر بن مُبشِّر بن صعب ابن نَصْر بن زَهْران بن الأسْد بن الغَوْث.

---

(١) في (ت) و(ش١): الأسْد، بالسين، وهما واحد.

(٢) انظر «ديوانه» ص٤٧١.

(٣) اندرؤوا: خرجوا. والجُمّ: الكِباش التي لا قرون لها، واحدها: أجمُّ.

(٤) أعتِبونا، أي: استَرضُونا.

(٥) كذا وقع في أكثر نسخنا الخطية: خثعمة، في الموضعين مع المخالفة في تقييد سين الأسد، وفي (ش١) و(م) الأول بالسين والثاني بالزاي، ونقل البُرِّيّ في كتابه «الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة» ١/ ٥٧ عن ابن هشام من هذا الموضع فقال: خثعمة الأسد وجعثمة الأسد، ولعلّ هذا أصح، فإن ابن يشكر بن مبشّر هذا يقال له أيضاً: جُعثمة، وقد وقع مسمًّى في المصادر هكذا وهكذا. ونصَّ الفيروزآبادي في «القاموس» على أنه بضم الجيم.

وإنما سُمُّوا الجَدَرةَ، لأن عامر بن عمرو بن خُزَيمة بن خَثعَمة تزوَّج بنت الحارث ابن مُضَاض الجُرهُمي، وكانت جُرهُمُ أصحابَ الكعبة، فبَنَى للكعبة جداراً، فسُمِّي عامرٌ بذلك الجادِرَ، فقيل لولده: الجَدَرة، لذلك.

قال ابن إسحاق: ولسعدِ بن سَيَلٍ يقول الشاعر[1]:

ما نرى في الناس شخصاً واحداً ... مَن عَلِمْناه كسعدِ بنِ سَيَلْ

فارساً أضْبَطَ فيه عُسْرةٌ ... وإذا ما واقَفَ القِرْنَ نَزَلْ[2]

فارساً يَستدرِجُ الخيلَ كما اسـ ... ـتَدرَجَ الحُرُّ القُطَاميُّ الحَجَلْ[3]

قال ابن هشام: قوله: كما استدرَجَ الحرُّ، عن بعض أهل العلم بالشِّعر.

قال ابن هشام: ونُعْمَ بنت كلابٍ، وهي أمُّ سَعْدٍ وسُعَيدٍ ابنَي سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ، وأمُّها فاطمة بنت سعد بن سَيَل.

قال ابن إسحاق: فولدَ قُصيُّ بن كِلابٍ أربعةَ نفرٍ وامرأتين: عبدَ مَنَاف بن قُصيّ، وعبدَ الدّار بن قُصيّ، وعبدَ العُزّى بن قُصيّ، وعبدَ بن قُصيّ، وتَخمُرَ بنت قُصيّ، وبَرَّةَ بنت قُصيّ، وأمُّهم حُبَّى بنت حُلَيل بن حُبْشيّة بن سَلُول بن كعب بن عمرٍو الخُزَاعيّ.

---

(١) هو هُوْنُ بن أبي عمرو العُذْري، كما في «المنمَّق في أخبار قريش» لمحمد بن حبيب ص٣٠. ونسبها أبو القاسم ابن المغربيّ في «الإيناس بعلم الأنساب» ص١٧٣ إلى أبي دؤاد الإياديّ.

(٢) الأضبط: الذي يعمل بكلتا يديه، يعمل باليسرى كما يعمل باليمنى. والعُسرة هنا: الشدة. والقِرن: الذي يكافئك في الشجاعة والإقدام.

(٣) الحُرّ القطامي، بضم القاف وفتحها: الصَّقر، وقد غَلَب عليه اسماً، مأخوذ من القَطِم: وهو المشتهي للَّحْم وغيرِه.

قال ابن هشام: ويقال: حَبَشيّة[1].

قال ابن إسحاق: فوَلَدَ عبدُ مَنَاف بن قُصيٍّ أربعةَ نفر: هاشمَ بن عبد مَناف، وعبدَ شمس بن عبد مَناف، والمُطَّلِبَ بن عبد مَناف، وأمُّهم عاتكةُ بنت مُرّة بن هلال بن فالِج بن ذَكْوان بن ثعلبة بن بُهْثَة بن سُلَيم بن منصور بن عِكرِمة، ونوفلَ بنَ عبد مَناف، وأمُّه واقِدةُ بنت عمرٍو المازِنيّة؛ مازنِ بن منصور بن عِكرِمة.

قال ابن هشام: فبهذا النَّسب حالَفَهم عُتْبةُ بن غَزْوان بن جابر بن وهب بن نُسَيب ابن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكرمة.

وقال ابن هشام: وأبو عمرو، وتُماضِرُ، وقِلابةُ، وحَيّةُ، ورَيْطةُ، وأمُّ الأخْتَم، وأمُّ سفيان، بنو عبد مَنَاف.

فأمُّ أَبي عَمرٍو ورَيْطةَ امرأةٌ من ثَقيف، وأمُّ سائر النساءِ عاتكةُ بنت مُرّة بن هلال، أمُّ هاشم بن عبد مَناف، وأمُّها صفيّة بنت حَوْزةَ بن عمرو بن سَلُول بن صَعصَعة بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازن، وأمُّ صفيّة بنتُ عائذِ الله بن سعد العَشِيرة بن مَذحِج.

قال ابن هشام: فولدَ هاشمُ بن عبد مَناف أربعةَ نفرٍ وخمسَ نِسوةٍ: عبدَ المُطَّلِب ابن هاشم، وأسَدَ بن هاشم، وأبا صَيْفيٍّ بن هاشم، ونَضْلةَ بن هاشم، والشِّفاءَ، وخالدةَ، وضَعِيفةَ، ورُقيّةَ، وحيَّةَ.

فأمُّ عبد المُطَّلِب ورُقيّة: سَلْمى بنت عمرو بن زيد بن لَبيد بن خِدَاش بن عامر ابن غَنْم بن عَديّ بن النَّجّار ـ واسم النَّجّارِ تَيْمُ الله بن ثَعلَبة بن عمرو بن الخَزرَج بن

(١) قد اختُلف في تقييد هذا الاسم، فقيّده ابن حبيب في «مختلف القبائل ومؤتلفها» ص٢٥ بفتح الحاء والباء، وقيّده ابن ماكولا في «الإكمال» ٣/ ٢١٢ بضم الحاء وسكون الباء، ورجّح الوزير أبو القاسم ابن المغربيّ في «الإيناس في علم الأنساب» ص١٠٩ أنه حَبْشِيَة، بفتح أوله وتخفيف الياء، وانظر «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين الدمشقيّ ٣/ ٦٧ والتعليق عليه.

حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ـ وأمُّها: عَمِيرة بنت صَخْر بن الحارث بن ثَعلَبة ابن مازن بن النَّجّار، وأمُّ عَمِيرة سَلْمى بنتُ عبد الأشهَل النَّجّاريّة.

وأمُّ أسَدٍ قَيْلةُ بنت عامر بن مالك الخُزاعيّ، وأمُّ أبي صَيفيٍّ وحيّةَ هِندٌ بنت عمرو ابن ثَعلَبة الخَزرَجيّة، وأمُّ نَضْلةَ والشِّفاءِ امرأةٌ من قُضَاعة، وأمُّ خالدةَ وضَعيفةَ واقِدةُ بنت أبي عَديٍّ المازِنيّة.

أولاد عبد المُطَّلب بن هاشم

قال ابن هشام: فولَدَ عبدُ المُطَّلِب بن هاشم عَشَرةَ نَفَرٍ وستَّ نِسوةٍ: العباسَ، وحمزةَ، وعبدَ الله، وأبا طالبٍ ـ واسمه عبد مَنَاف ـ والزُّبيرَ، والحارثَ، وجَحْلاً[1]، والمُقوَّمَ، وضِراراً، وأبا لَهَبٍ ـ واسمه عبد العُزّى ـ وصَفيّةَ، وأمَّ حَكيمٍ البيضاء، وعاتِكةَ، وأُميمةَ، وأَروى، وبَرّةَ.

فأمُّ العباس وضِرارٍ نُتَيلةُ بنت جَنَاب بن كُلَيب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مَنَاة بن عامر بن سعد بن الخَزرَج بن تَيْم اللّات بن النَّمِر بن قاسِطِ بن هِنْب بن أَفصَى بن جَدِيلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار. ويقال: أَفصَى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة.

وأمُّ حمزة والمُقوَّم وجَحْل ـ وكان يلقَّبُ بالغَيْداق لكثرة خيرِه ـ وصفيةَ، هالةُ بنت أُهَيب بن عبد مَناف بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤيّ.

وأمُّ عبد الله وأبي طالب والزُّبير وجميعِ النساء غيرِ صفيّةَ، فاطمةُ بنت عمرو

---

(١) في (ت) و(غ): حجل، بتقديم الحاء على الجيم، والمثبت من بقية النسخ، وهكذا هو في رواية الكتاب كما قال السهيلي في «الروض الأنف» ١/ ٤٣٦، وكذلك ذكره ابن دريد في «الاشتقاق» ص٤٧ وجعله لقباً وسمّاه مصعب بن عبد المطلب، وفسّره بالزِّق العظيم وبطائرٍ شبيه بالجرادة، وقيّده الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٢/ ٨٠٦ ـ وتبعه ابن ماكولا في «الإكمال» ٢/ ٥٠ ـ بتقديم الحاء على الجيم.

ابن عائِذ بن عِمران بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر، وأمُّها صَخْرةُ بنت عبد بن عِمران بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة.

وأم صخرةَ تَخمُرُ بنت عبد بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب ابن فِهْر بن مالك بن النَّضر.

وأمُّ الحارث بن عبد المُطَّلِب سمراءُ بنت جُندُب بن حُجَير بن رِئاب[1] بن حَبيب ابن سُوَاءة بن عامر بن صَعصَعة بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازن بن منصور بن عِكْرمة ابن خَصَفة[2].

وأم أبي لهبٍ لُبنى بنت هاجَر بن عبد مَنَاف بن ضاطِر بن حُبْشِيَّة بن سَلُول بن كعب بن عمرو الخُزَاعي.

قال ابن هشام: فولدَ عبدُ الله بن عبد المُطَّلِب رسولَ الله ﷺ سيدَ ولدِ آدم؛ محمدَ ابنَ عبد الله، وأمُّه آمنةُ بنت وَهْب بن عبد مَنَاف بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب ابن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر، وأمُّها بَرَّةُ بنت عبد العُزَّى بن عثمان ابن عبد الدّار بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك ابن النَّضر، وأمُّ بَرّةَ أمُّ حَبيبٍ بنت أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر، وأمُّ أمِّ حبيبٍ بَرّةُ بنت عوف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عَديّ بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر.

---

(١) هكذا في نسخنا الخطية، ومثله في غير ما مصدر من كتب التراجم، وقد قيّده الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٢/ ١٠٥٤، وابن ماكولا في «الإكمال» ٤/ ٦ بزاي مفتوحة وباء مشدَّدة: زَبّاب، نقلاً عن الزّبير بن بكار في كتابه «النسب».

(٢) قوله: بن خصفة، من (ص) و(م).

فرسولُ الله ﷺ أشرفُ ولدِ آدم حَسَباً، وأفضلُهم نَسَباً من قِبَل أبيه وأُمّه، ﷺ.

إشارة إلى ذكر احتفار زمزمَ

حدّثنا عبد الملك بن هشام قال: كان من حديثِ مولدِ رسولِ الله ﷺ ما حدَّثنا زيادُ بن عبد الله البَكَّائيّ عن محمد بن إسحاق المُطَّلبيّ قال: بينما عبد المُطَّلِب بن هاشم نائمٌ في الحِجْر، إذ أُتي فأُمر بحفر زمزمَ، وهي دَفْنٌ بين صنمَي قريش: إسافٍ ونائلةَ، عند مَنحَر قريش، وكانت جُرْهمُ دَفنَتها حين ظَعَنوا[1] من مكّة، وهي بئرُ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام التي سقاهُ الله تعالى حين ظَمِئَ وهو صغير، فالتَمَسَت له أمُّه ماءً فلم تجده، فقامت على الصَّفا تدعو اللهَ عزَّ وجلَّ وتستغيثُه لإسماعيل عليه السلام، ثم أتت المَرْوةَ ففعلت مثل ذلك. وبعث الله عزَّ وجلَّ جبريل عليه السلام، فهَمَزَ[2] له بعَقِبِه في الأرض فظهر الماء، وسمعت أمُّه أصوات السِّباع فخافتها عليه، فأقبلت تشتدُّ نحوه، فوجدته يَفحَصُ[3] بيده عن الماء من تحت خدِّه ويشرب، فجعلته حِسْياً[4].

أمر جُرهُم ودفن زمزم

قال ابن هشام: وكان من حديث جُرهُمَ ودفنِها زمزمَ، وخروجِها من مكّة، ومَن وَلِيَ أمرَ مكّة بعدها، إلى أن حفر عبد المُطَّلِب زمزمَ: ما حدَّثنا زيادُ بن عبد الله البَكَّائيُّ، عن محمد بن إسحاق قال: لما تُوفِّي إسماعيل بن إبراهيم وَلِيَ البيتَ بعدَه

---

(١) أي: رحلوا.

(٢) في (ت): فغمز. وهما بمعنًى، أي: نَخَسَ. والعَقِب: مؤخَّر القدم.

(٣) أي: يحفر ويكشف.

(٤) الحِسْي: الحفيرة الصغيرة.

ابنُه نابت بن إسماعيل ما شاء الله أن يَلِيَه، ثم وَلِيَ البيت بعدَه مِضَاضُ بن عمرٍو الجُرهُميّ. قال ابن هشام: ويقال: مُضَاض بن عمرو الجُرهُميّ.

قال ابن إسحاق: وبنو إسماعيل وبنو نابتٍ مع جدِّهم مِضاض بن عمرو وأخوالهم من جُرهُم، وجُرهُمُ وقَطُوراءُ يومئذٍ أهلُ مكة، وهما ابنا عمٍّ، وكانا ظَعَنا[1] من اليمن فأقبلا سيّارةً[2]، وعلى جُرهمَ مِضاضُ بن عمرو، وعلى قَطُوراء السَّمَيدعُ؛ رجل منهم ـ وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم مَلِكٌ يقيم أمرَهم ـ فلما نزلا مكةَ رأَيا بلداً ذا ماء وشجر، فأعجبهما فنزلا به، فنزل مِضاضُ بن عمرو بمَن معه من جُرهُمَ أعلى مكة بقُعَيقِعانَ فما حاز، ونزل السَّميدعُ بقَطُوراءَ أسفلَ مكّة بأجيادٍ فما حاز، فكان مِضاضٌ يَعشُر[3] مَن دخل مكة من أعلاها، وكان السَّمَيدعُ يَعشُر من دخل مكّة من أسفلها، وكلٌّ في قومه لا يدخل واحدٌ منهما على صاحبه.

ثم إن جُرهُمَ وقَطُوراءَ بَغَى بعضهم على بعض وتنافسوا المُلكَ بها، ومع مِضاضٍ بنو إسماعيل وبنو نابتٍ، وإليه ولايةُ البيت دون السَّمَيدع، فسار بعضُهم إلى بعض، فخرج مِضاضٌ من قُعَيقِعانَ في كتيبته سائراً إلى السَّميدع، ومع كتيبته عُدَّتها من الرِّماح والدَّرَق والسيوف والجِعَاب[4]، يُقعقَعُ بذلك معه، فيقال: ما سُمِّي قُعيقِعانُ قعيقعانَ إلا لذلك، وخرج السَّمَيدَعُ من أجيادٍ ومعه الخيل والرجال، فيقال: ما سُمِّي أجيادٌ أجياداً إلا لخروج الجِيَاد من الخيل مع السَّميدع منه. فالتقَوْا بفاضحٍ

(١) أي: رحلا وسارا.

(٢) السيّارة: جماعة من الناس يسيرون قافلةً.

(٣) أي: يأخذ عُشر أموالهم.

(٤) الدَّرَق: جمع دَرَقة، وهي التُّرس. والجِعاب: جمع جُعْبة، وهي ما يُجعَل فيها السّهام. والقعقعة: حركة الشيء مع صوت.

فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتِلَ السَّميدع، وفُضِحَت قَطُوراء، فيقال: ما سُمِّي فاضحٌ فاضحاً إلا لذلك[1].

ثم إن القوم تداعَوْا إلى الصلح، فساروا حتى نزلوا المَطابخ؛ شِعْباً بأعلى مكّة، فاصطلحوا به، وأسلَمُوا الأمرَ إلى مِضاض، فلما جُمِعَ إليه أمرُ مكّة فصار مُلكُها له، نَحَرَ للناس فأطعمهم، فاطَّبَخ الناسُ وأكلوا، فيقال: ما سُمِّيَت المطابخُ المطابخَ إلا لذلك، وبعض أهل العلم يَزعُم أنها إنما سُمِّيَت المطابخَ، لِما كان تُبّعٌ نَحَرَ بها وأطعم، وكانت منزلَه.

وكان الذي كان بين مِضاضٍ والسَّمَيدعِ أولَ بغيٍ كان بمكّة فيما يَزعُمون.

ثم نَشَرَ الله عزَّ وجلَّ ولدَ إسماعيل بمكّة، وأخوالُهم من جُرهُمَ وُلاةُ البيت والحكّامُ بمكّة، لا ينازعهم ولدُ إسماعيل في ذلك، لخُؤُولتِهم وقرابتهم، وإعظاماً للحُرْمة أن يكون بها بغيٌ أو قتال، فلما ضاقت مكّةُ على ولد إسماعيل انتشروا في البلاد، فلا يُناوِئون قوماً إلا أظهَرَهم الله عليهم بدينهم فوَطِئوهم.

استيلاءُ قوم من كِنانة وخُزَاعة على البيت ونفي جُرهُم

ثم إن جُرهُمَ[2] بَغَوْا بمكّة، واستَحلُّوا خِلالاً[3] من الحُرْمة، وظلموا مَن دخلها

---

(١) قعيقعان: جبل مكة المشرِف على المسجد الحرام من الشمال الغربيّ، وأجياد: شِعبان بمكة يسمَّى أحدهما أجياد الكبير والآخر أجياد الصغير، وهما حيّانِ اليومَ من أحياء مكة، وفاضح: مكان من مكة كان بين أبي قُبيس والصفا، وقد نُجِر موضعه وعُبِّد طريقاً وجعل تحته معبراً للسيل، فلم يعد موضعه معروفاً. قاله عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية».

(٢) هكذا في (ت)، وفي سائر النسخ الخطية: جرهماً، مصروفاً، والأفصح عدم صرفه، لأنه هنا اسم للقبيلة.

(٣) في (ت) ووجه في (ص): حلالاً، بالحاء المهملة. والخِلال: الخِصال.

من غير أهلها، وأكلوا مالَ الكعبة الذي يُهدَى لها، فرَقَّ أمرُهم، فلما رأت بنو بكر ابن عبد مَنَاة بن كِنانة وغُبْشانُ من خُزَاعةَ ذلك، أَجمعوا لحربِهم وإخراجِهم من مكة، فآذَنُوهم بالحرب، فاقتتلوا، فغَلَبَتهم بنو بكر وغُبْشان فنَفَوهم من مكة، وكانت مكةُ في الجاهلية لا تُقِرُّ فيها ظلماً ولا بَغْياً، ولا يَبْغي فيها أحدٌ إلا أخرجته، فكانت تُسمَّى النّاسَّةَ[1]، ولا يريدُها ملكٌ يستحلُّ حرمتها إلا هَلَكَ مكانَه، فيقال: ما سُمِّيَت ببَكَّةَ إلا أنها كانت تَبُكُّ[2] أعناقَ الجبابرة إذا أحدَثوا فيها.

قال ابن هشام: أخبرني أبو عُبيدة: أن بَكّة اسم لبَطْن مكّة، لأنهم يتباكُّون فيه، أي: يزدحمون، وأنشدني:

إذا الشَّـريبُ أخَذَتْـهُ أكَّـهْ فخَلِّـهِ حتـى يَبُـكَّ بَكَّـهْ[3]

أي: فدَعْه يبُكُّ إبلَه، أي: يخلِّيها إلى الماء فتزدحمُ عليه، وهو موضع البيت والمسجد. وهذان البيتانِ لعامانَ بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مَنَاة بن تَميم.

قال ابن إسحاق: فخرج عمرو بن الحارث بن مِضَاض الجُرهُميّ بغزالَي الكعبةِ[4] وبحَجَرِ الرُّكن فدَفَنَهما في زمزمَ، وانطلق هو ومَن معه من جُرهُمَ إلى اليمن، فحَزِنوا على ما فارَقُوا من مكّة ومُلكِها حزناً شديداً، فقال عمرو بن الحارث بن مِضَاضٍ في ذلك، وليس بمِضَاضٍ الأكبر:

---

(١) الناسّة، بالنون: مِن نَسَّتِ الشيءَ: إذا أذهبَته. قاله السهيليّ في «الروض»، والخشنيّ في «الإملاء».

(٢) أي: تكسرها وتدقّها.

(٣) الشَّريب: الذي يسقي إبله مع إبلك. والأكّة: الشِّدّة.

(٤) وهما غزالان من ذهب، وسيأتي ذكرهما في قصة حفر عبد المطّلب بئرَ زمزم.

كأنْ لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصَّفا ... أَنيسٌ ولم يَسمُرْ[1] بمكّةَ سامرُ

بلى نحنُ كنَّا أهلَها فأزالَنا ... صُروفُ الليالي والجُدودُ العواثرُ[2]

وكنَّا وُلاةَ البيتِ من بعدِ نابتٍ ... نطوفُ بذاكَ البيتِ والخيرُ ظاهرُ

ونحن وَلِينا البيتَ من بعدِ نابتٍ ... بعِزٍّ فما يَحظَى لدينا المُكاثِرُ

مَلَكْنا فعُزِّزْنا فأعظِمْ بمُلكِنا ... فليس لحيٍّ غيرِنا ثَمَّ فاخِرُ

ألم يُنكِحوا من خيرِ شخصٍ عَلِمتُه[3] ... فأبناؤُه منَّا ونحنُ الأصاهرُ

فإن تَنثَنِ الدُّنيا علينا بحالِها ... فإنَّ لها حالاً وفيها التّشاجُرُ

فأخرَجَنا منها المَليكُ بقُدْرةٍ ... كذلكَ يا لَلنّاسِ تجري المَقادرُ

أقولُ إذا نام الخَلِيُّ ولم أَنَمْ: ... أذا العرشِ لا يَبعَدْ سُهيلٌ وعامرُ[4]

وبُدِّلتُ منها أوجُهاً لا أُحبُّها ... قبائلَ منها حِميَرٌ ويَحابِرُ[5]

وصِرْنا أحاديثاً وكنَّا بغِبْطةٍ ... بذلك عَضَّتْنا السِّنونُ الغَوابرُ[6]

فسَحَّت دُموعُ العينِ تبكي لبلدةٍ ... بها حَرَمٌ أمْنٌ وفيها المَشاعرُ[7]

وتبكي لبيتٍ ليس يُوذَى حَمامُهُ ... يظَلُّ به أمْناً وفيه العَصافرُ

---

(١) في (ص) و(م) و(ي): يلعب. والسامر: هو الذي يتحدّث بالليل.

وأما الحَجُون: فهو جبل مشرف على مكة من جهة الشمال الشرقيّ، وفي سفحه من الجنوب الغربيّ مقبرة أهل مكة القديمة المسمّاة بالمَعْلاة، وفيها قبر خديجة رضي الله عنها.

(٢) الجدود: جمع جَدٍّ، وهو: البخت والحظّ.

(٣) يريد إسماعيل عليه السلام، وكان قد تزوّج امرأة منهم.

(٤) أذا: الهمزة للنداء، يعني: يا ذا العرش. ولا يَبعَدْ: دعاء خرج مخرج النهي، أي: لا يَهلِكنّ.

(٥) يَحابر، بفتح الياء ويقال بضمّها: وهو مراد، من مَذحِج باليمن، قال ابن الأثير في «اللباب» ٣/ ١٨٨: يُنسَب إلى مراد خلق كثير من الجاهلية والصحابة ومَن بعدهم.

(٦) في (ت): العواثر. من العَثَرات، وأما الغوابر، فجمع غابرة، أي: السنون الماضية.

(٧) سحَّت، أي: سالت وتدفّقت. والمشاعر: الأماكن المشهورة التي فيها مناسك الحجّ.

وفيــه وُحــوشٌ ـ لا تُــرامُ ـ أَنيســةٌ إذا خَرَجــتْ منــه فليســت تُقــادَرُ[1]

قال ابن هشام: قوله: فأبناؤه منّا، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عمرو بن الحارث أيضاً، يذكر بَكراً وغُبْشانَ وساكنَ مكّة الذين خَلَفوا فيها بعدَهم:

يا أيها الناسُ سِيروا إنَّ قَصْرَكمُ أن تُصبِحوا ذاتَ يومٍ لا تَسِيرونا[2]

حُثُّوا المَطِيَّ وأرْخُوا من أزِمَّتِها قبلَ المماتِ وقَضُّوا ما تُقَضُّونا[3]

كنَّا أُناساً كما كنتُم فغيَّرَنا دهرٌ فأنتم كما كنَّا تَكونُونا

قال ابن هشام: هذا ما صحَّ له منها، وحدَّثني بعضُ أهل العلم بالشِّعر: أن هذه الأبيات أولُ شعرٍ قيل في العرب، وأنها وُجِدَت مكتوبةً في حَجَر باليمن، ولم يُسمِّ لي قائلها.

استبداد قوم من خُزاعة دون كِنانة بولاية البيت

قال ابن إسحاق: ثم إنّ غُبْشانَ من خُزاعة وَلِيَت البيتَ دون بني بكر بن عبد مَنَاة، وكان الذي يَليهِ منهم عمرُو بن الحارث الغُبْشاني، وقريشٌ إذ ذاك حُلُولٌ وصِرَمٌ[4]، وبيوتاتٌ متفرِّقون في قومهم من بني كِنانة، فوَلِيَت خُزاعةُ البيتَ يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، حتى كان آخرَهم حُلَيلُ بن حُبْشيّة بن سَلُول بن كعب بن عمرو الخُزاعيّ.

---

(١) أي: ليس يُقدَر عليها لتوحُّشها.

(٢) قَصْركم، أي: غايتكم ونهايتكم.

(٣) حُثُّوا، أي: أَسرعوا. والمَطيّ: الإبل. والأزمَّة: جمع زِمام، وهو حبل يكون في رأس البعير يُقاد به.

(٤) الحلول: جماعات البيوت المجتمعة. والصِّرَم: الجماعات المنقطعة.

تزوُّج قُصيّ بن كلابٍ حُبَّى بنت حُلَيل

ثم إن قصيَّ بن كِلابٍ خَطَبَ إلى حُليل بن حُبشيّة ابنتَه حُبَّى، فرَغِبَ فيه حُليلٌ فزوَّجه، فوَلَدَت له عبدَ الدار وعبدَ مناف وعبدَ العُزَّى وعبداً.

فلما انتشر ولدُ قصيٍّ وكَثُرَ مالُه وعَظُمَ شرفُه، هَلَكَ حُليل، فرأى قصيٌّ أنه أَولى بالكعبة وبأمر مكّة من خُزاعة وبني بَكْر، وأن قريشاً فَرْعةُ[1] إسماعيل بن إبراهيم وصَريحُ ولده، فكلَّم رجالاً من قريش وبني كِنانة، ودعاهم إلى إخراج خُزاعةَ وبني بكر من مكّة، فأجابوه.

وكان ربيعةُ بن حَرَام بن عُذْرة بن سعد بن زيد قد قَدِمَ مكّة بعد هُلْك كِلاب، فتزوَّج فاطمةَ بنت سعد بن سَيَلٍ، وزُهْرةُ يومئذٍ رجل وقُصيٌّ فَطِيم، فاحتمَلَها إلى بلادِه، فحَمَلَت قصيّاً معها وأقام زُهْرةُ، فولدت لربيعة رِزَاحاً. فلما بلغ قصيٌّ وصار رجلاً أتى مكّةَ فأقام بها، فلما أجابه قومُه إلى ما دعاهم إليه، كتب إلى أخيه من أمِّه رِزاح بن ربيعة يدعوه إلى نُصْرته والقيامِ معه، فخرج رِزاحُ بن ربيعة ومعه إخوته: حُنٌّ بن ربيعة، ومحمودٌ[2] بن ربيعة، وجُلهُمَةُ بن ربيعة ـ وهم لغيرِ فاطمةَ ـ فيمن تَبِعَهم من قُضَاعة في حاجِّ العرب، وهم مُجمِعون لنصر قصيٍّ.

وخزاعةُ تَزعُم: أن حُلَيلَ بن حُبْشيّة أَوصى بذلك قُصيّاً وأمره به حين انتَشَرَ له من ابنته من الولد ما انتَشَر، وقال: أنت أَولى بالكعبة وبالقيام عليها وبأمر مكّة من خُزاعةَ، فعند ذلك طَلَبَ قصيٌّ ما طَلَب. ولم أسمع ذلك من غيرهم، فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

---

(١) يعني أعلى ولد إسماعيل.

(٢) في (ص) و(ي): محمودة.

ما كان يليهِ الغَوثُ بن مُرٍّ من الإجازة للناس بالحج

وكان الغَوْثُ بن مُرِّ بن أُدٍّ بن طابخة بن الياس بن مُضَر يلي الإجازةَ[1] للناس بالحجِّ من عَرَفة، وولدُه من بعده، وكان يقال له ولولده: صُوفَةُ[2].

وإنما وَلِيَ ذلك الغَوثُ بن مُرٍّ؛ أنّ أمَّه كانت امرأةً من جُرهُم، وكانت لا تلدُ، فنَذَرَت لله إن هي ولدت رجلاً[3] أن تتصدَّق به على الكعبة عبداً لها يَخدُمُها ويقومُ عليها، فوَلَدَت الغَوْثَ.

فكان يقوم على الكعبة في الدَّهر الأوّل مع أخواله من جُرهُم، فوَلِيَ الإجازةَ بالناس من عرفة، لمكانه الذي كان به من الكعبة، وولدُه من بعده حتى انقَرَضوا. فقال مُرّ بن أُدٍّ، لوفاءِ نَذْر أمّه[4]:

إنِّي جعلتُ ربِّ من بَنِيَّهْ ... رَبِيطةً بمكّةَ العَلِيَّهْ

فبارِكنَّ لي بها أَلِيَّهْ[5] ... واجعَلْه لي من صالحِ البَرِيَّهْ

وكان الغوثُ بن مُرٍّ ـ زعموا ـ إذا دَفَعَ بالناس قال:

---

(١) أي: الإفاضة.

(٢) قال أبو ذر الخُشنيّ في «إملائه» ص٣٩: يقال: إنَّما يقال له: صوفة، لأنها حين جعلته يَخدُم الكعبة عبداً لها، ربطت عليه صوفةً ليكون ذلك علامة له، فلُقِّب بذلك، وغلب اللَّقب عليه وعلى بنيه من بعده.

(٣) في (ص): غلاماً.

(٤) يعني أمَّ الغوث امرأة مرٍّ.

ونسب الأزرقي في «أخبار مكة» ١/ ١٨٧ هذا الرَّجز إلى أم الغوث، وجعل الغوث هذا: هو الغوث بن أخزم بن العاص بن عمرو بن مازن بن الأَسْد.

(٥) قال الخُشنيّ: أصل الأليَّة اليمينُ، فجعله هنا للنَّذر الذي نذرته أمُّه.

اللهـــمَّ إنِّـــي تـــابعٌ تَبَاعَـــهْ إنْ كـان إثـمٌ فعَلَـى قُضَـاعَهْ[1]

قال ابن إسحاق: حدَّثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه عبَّاد[2] قال: كانت صوفةُ تَدفَعُ بالناس من عرفةَ، وتُجِيزُ بهم إذا نَفَروا من مِنى، إذا كان يومُ النَّفْر أَتوا لرمي الجِمَار، ورجل من صوفةَ يرمي للناس، لا يَرمُون حتى يرمي، فكان ذَوُو الحاجاتِ المُتعجِّلون[3] يأتونه فيقولون له: قُمْ فارْمِ حتى نرميَ معك، فيقول: لا والله، حتى تميلَ الشمسُ، فيَظَلُّ ذوو الحاجات الذين يحبُّون التعجُّل يَرمُونه بالحجارة يستعجلونه بذلك، ويقولون له: وَيلَك! قم فارمِ، فيَأْبى عليهم، حتى إذا مالت الشمسُ قام فرَمَى ورَمَى الناسُ معه.

قال ابن إسحاق: فإذا فَرَغُوا من رمي الجِمَار[4] وأرادوا النَّفْرَ من مِنى، أَخَذَت صوفةُ جانبَي العَقَبةِ فحَبَسوا الناس وقالوا: أَجِيزي صُوفةُ، فلم يُجِزْ أحدٌ من الناس حتى يمرُّوا، فإذا نَفَذَت[5] صوفةُ ومَضَت خُلِّيَ سبيلُ الناس فانطلقوا بعدهم، فكانوا كذلك حتى انقَرَضُوا، فوَرِثَهم ذلك من بعدهم بالقُعْدُدِ[6] بنو سعد بن زيد مَنَاة بن

---

(١) التَّبَاعة: مايتّبعه الإنسان ويقتدي به.

وقوله: إن كان إثم فعلى قضاعة؛ إنما قال ذلك لأنَّه كان من قضاعة من يستحلُّ الأشهر الحُرُم، فجعل إثم ذلك عليهم.

(٢) يحيى وأبوه تابعيّان ثقتان.

(٣) في (ص) و(ي): المستعجلون.

(٤) الجِمار: صِغار الحصى، واحدها: جَمْرة.

(٥) في (ص): نفرت. ومعنى نفذت: مرَّت.

(٦) يريد قربَ النَّسب، يقال: رجلٌ قُعدُد، إذا كان قريب الآباء إلى الجدّ الأكبر. وذلك أن جدَّ سعدٍ تميماً هو ابن مُرّ بن أُدٍّ، وكان سعد أقعدَ بالغوث بن مرٍّ من غيره من العرب.

تَمِيم، وكانت من بني سعدٍ في آل صفوان بن الحارث بن شِجْنة[1].

قال ابن هشام: صفوان بن جَنَاب بن شِجْنة بن عُطارِد بن عوف بن كعب بن سعد ابن زيد مَنَاة بن تَميم.

قال ابن إسحاق: فكان صفوان هو الذي يُجِيزُ للناس بالحج من عرفة، ثم بنوه من بعده، حتى كان آخرَهم الذي قام عليه الإسلامُ كَرِبُ بن صفوان، وقال ابن مَغْراءَ السَّعْديّ:

لا يَبْرَحُ الناسُ ـ ما حَجُّوا ـ مُعرَّفَهم[2] حتى يقالَ: أَجيزوا آلَ صفوانا

قال ابن هشام: هذا البيت في قصيدة لأَوس بن مَغْراء[3].

ما كانت عليه عَدْوانُ من إفاضة المُزدلِفة

وأما قول ذي الإصبَعِ العَدْواني، واسمه حُرْثان بن عمرو[4]:

---

(١) كذا قُيّد في (ت) و(ش١) بكسر الشين، وقُيّد في (ص) و(ي) بفتحها، والشِّجْنة: الشُّعبة من كل شيء، وهي مثلّثة الشين كما في «القاموس» للفيروزآباديّ.

وقد وقع خلاف في تسمية والد صفوان، والأشهر في اسمه جنابٌ كما قال ابن هشام، وهو كذلك عند خليفة بن خياط في «الطبقات» ص٩٠ و٣٠٦، ومحمد بن حبيب في «المحبَّر» ص١٨٣، والبَلاذُريّ في «أنساب الأشراف» ١٢/ ٨.

(٢) أي: لا يزال الناس واقفين في عرفة إذا حجُّوا.

(٣) انظر «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٢/ ٦٨٧، و«المحبَّر» لابن حبيب ص١٨٣، و«أنساب الأشراف» للبلاذُري ١٢/ ٣٦٢-٣٦٤.

(٤) وسمّاه الأصمعيُّ في «أصمعيّاته» ص٧٢ الحارث بن السَّمَوأل. وانظر أبياته هذه وتخريجها هناك بتحقيق وشرح أحمد شاكر وعبد السلام هارون. ويقال في اسمه أيضاً: حُرثان بن الحارث ابن مُحرِّث، فيما قاله السهيليّ.

عَـذِيرَ الحـيِّ مـن عَـدْوا نَ كـانوا حيّـةَ الأرضِ[1]
بَغَـى بعضُـهم ظلمـاً فلـم يُـرْعِ علـى بعـضِ[2]
ومـنهم كانـتِ السـادا تُ والمُوفُـون بـالقَرْضِ[3]
ومـنهم مَـن يُجِيـزُ النّـا سَ بالسُّـنّةِ والفَـرْضِ
ومـنهم حَكَـمٌ يَقضـي فـلا يُـنقَضُ مـا يَقضـي

وهذه الأبيات في قصيدةٍ له، فلأن الإفاضة من المُزدلِفة كانت في عَدْوان ـ فيما حدَّثني زياد بن عبد الله عن محمد بن إسحاق ـ يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، حتى كان آخرَهم الذي قام عليه الإسلام أبو سَيّارة عُمَيلةُ بن الأعزَل، ففيه يقول شاعرٌ من العرب:

نحـن دَفَعْنـا عـن أبـي سـيّارَهْ وعـن مَوالـيـهِ بنـي فَـزَارَهْ[4]
حتـى أجـازَ سـالماً حِمـارَهْ مستقبلَ القِبلةِ يدعو جارَهْ[5]

وكان أبو سيّارة يَدفَعُ بالناس على أتَانٍ له[6]، فلذلك يقول: سالماً حمارَه.

---

(١) قال السهيليّ في «الروض» ٢/ ٤١: نصب عذيراً على الفعل المتروك إظهاره، كأنه يقول: هاتوا عذيرَه، أي: من يَعذِره، فيكون العذير بمعنى العاذر.

وحيّة الأرض: يريد أنَّهم كان أهلُ الأرض يهابونهم كما يهابون الحيَّة.

(٢) فلم يُرْع، أي: لم يُبقِ، يقال: ما أرعى فلانٌ على فلان، أي: ما أبقى عليه.

(٣) القرض هنا الجزاء، أي: من فعل لهم شيئاً جازَوْه به.

(٤) يعني بمواليه: بني عمِّه، لأنه من عَدوان، وعدوان وفزارة من قيس عَيْلان.

(٥) أي: يدعو الله عز وجل، يقول: اللهم كن لنا جاراً مما نخافه، أي: مُجيراً.

(٦) الأَتان: أنثى الحمار.

أمر عامر بن ظَرِب بن عمرو
ابن عِيَاذ[1] بن يَشكُر بن عَدْوان

قال ابن إسحاق: وقوله: حَكَمٌ يقضي؛ يعني عامرَ بن ظَرِبٍ العَدْواني، وكانت العرب لا يكون بينها نائرةٌ[2] ولا عُضْلةٌ في قضاءٍ إلا أَسندوا ذلك إليه، ثم رَضُوا بما قضى فيه، فاختُصِمَ إليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه؛ في رجلٍ خُنثَى له ما للرجل وله ما للمرأة: أتجعلُه رجلاً أو امرأةً؟ ولم يأتوه بأمرٍ كان أعضلَ منه، فقال: حتى أنظرَ في أمركم، فوالله ما نَزَلَ بي مثلُ هذه منكم يا معشر العرب! فاستَأخَروا عنه، فبات ليلتَه ساهراً يُقلِّب أمرَه، ويَنظُر في شأنه، لا يَتوجَّهُ له منه وجهٌ.

وكانت له جاريةٌ يقال لها: سُخَيلة، ترعى عليه غنمَه، فكان يعاتبُها إذا سَرَحَت فيقول: صَبَّحتِ واللهِ يا سُخَيلُ، وإذا أراحت عليه قال: مَسَّيتِ واللهِ يا سُخَيلُ، وذلك أنها كانت تؤخِّر السَّرْحَ حتى يَسبِقَها بعض الناس، وتؤخِّر الإراحةَ حتى يَسبِقَها بعض الناس، فلما رأت سهرَه وقلَّةَ قَرَاره على فراشه، قالت: ما لك لا أبا لك، ما عَرَاكَ[3] في ليلتك هذه؟ قال: وَيلَكِ، دَعِيني، أمرٌ ليس من شأنك، ثم عادت له بمثل قولها، فقال في نفسه: عسى أن تأتيَ مما أنا فيه بفَرَج، قال: وَيحَكِ، اختُصِم إليَّ في

---

(١) في (ص): عياد، وفي (ت) و(ش١): عبّاد، وهما تصحيف، والمثبت من (م) و(ي)، وهو الموافق لما ذكره الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٣/ ١٥٢٧، وابن ماكولا في «الإكمال» ٦/ ٦٣.

(٢) في (ت): ثائرة؛ ومعناها: الغضب والهيَجان. والمثبت من بقية النسخ: نائرة؛ ومعناها: الكائنة الشَّنيعة تكون بين القوم.

والعُضْلة: الأمر الشديد الذي لا يُعلَم له وجه.

(٣) أي: ما أصابك وما نزل بك؟ يقال: عَرَاه يَعرُوه، إذا ألمَّ به ونزل.

ميراث خُنثَى، أأجعلُه رجلاً أو امرأةً؟ فوالله ما أدري ما أصنعُ، وما يَتوجَّه لي فيه وجهٌ، قال: قالت: سبحان الله! لا أبا لك، أَتبِعِ القضاءَ المَبالَ، أَقعِدْه، فإن بالَ من حيث يبولُ الرجلُ، فهو رجل، وإن بالَ من حيث تبولُ المرأةُ، فهي امرأة، قال: مَسِّي سُخَيلُ بعدها أو صَبِّحي، فرَّجتِها والله. ثم خرج على الناس حين أصبح، فقضى بالذي أشارت به عليه.

غَلَبُ قُصيّ بن كِلاب على أمر مكّة وجمعُه أمرَ قريش ومعونةُ قُضاعة له

قال ابن إسحاق: فلما كان ذلك العامُ فَعَلَت صُوفَةُ كما كانت تفعل، قد عَرَفَت ذلك لها العرب، هو دِينٌ في أنفسهم في عهد جُرْهُمَ وخُزاعةَ وولايتِهم.

فأتاهم قصيُّ بن كِلاب بمن معه من قومه من قُريشٍ وكِنانةَ وقُضاعةَ عند العَقَبة، فقال: لا نحن[1] أَولى بهذا منكم، فقاتَلُوه، فاقتتل الناس قتالاً شديداً، ثم انهزمت صوفةُ وغَلَبَهم قصيٌّ على ما كان بأيديهم من ذلك.

وانحازت عند ذلك خزاعةُ وبنو بكر عن قصيٍّ، وعرفوا أنه سيَمنعُهم كما منع صوفةَ، وأنه سيَحُول بينهم وبين الكعبة وأمر مكّة، فلما انحازوا عنه باداهم[2] وأجمَعَ لحربهم، وخرجت له خزاعةُ وبنو بكر فالتَقَوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كَثُرَت القتلى في الفريقين جميعاً، ثم إنهم تَداعَوا إلى الصلح وإلى أن يُحكِّموا بينهم رجلاً من العرب، فحكَّموا يَعمَرَ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مَنَاة ابن كِنانة، فقضى بينهم بأن قُصيّاً أَولى بالكعبة وأمر مكّة من خُزاعة، وأن كلَّ دم

(١) في (غ): لَنحنُ. واللام للتوكيد، وكذا «لا» تدخل في الكلام زائدةً لمجرّد تقويته وتوكيده.

(٢) أي: كاشفهم بالعداوة.

أصابه قصيٌّ من خزاعةَ وبني بكر موضوعٌ يَشدَخُه[1] تحت قدميه، وأن ما أصابت خزاعةُ وبنو بكر من قريشٍ وكِنانة وقُضاعة ففيه الدِّيَةُ مُؤدّاة، وأن يُخلَّى بين قصيٍّ وبين مكّة والكعبة.

فسُمِّيَ يَعمَرُ بن عوف يومئذٍ: الشُّدّاخَ، لِما شَدَخَ من الدِّماء ووَضَعَ منها.

قال ابن هشام: ويقال: الشَّدّاخ[2].

قال ابن إسحاق: فوَلِيَ قصيٌّ البيتَ وأمرَ مكّة، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتملَّك على قومه وأهل مكة فملَّكوه، إلا أنه قد أقَرَّ للعرب ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه دِيناً في نفسه لا ينبغي تغييرُه، فأقرَّ آلَ صفوان وعَدْوانَ والنَّسَأةَ ومُرّةَ بن عوف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام فهَدَمَ اللهُ تعالى به ذلك كلَّه.

فكان قصيٌّ أولَ بني كعب بن لُؤيٍّ أصاب مُلكاً أطاع له به قومُه، فكانت إليه الحِجابةُ، والسِّقايةُ، والرِّفادةُ، والنَّدْوةُ، واللِّواءُ[3]، فحازَ شرفَ مكّة كلَّه. وقَطَّع

---

(١) قال أبو ذر الخشنيّ: أصل الشَّدْخ الكسرُ، يقال: شَدَخ الشيءَ، إذا كسره، وأراد به هاهنا أنَّه أبطل تلك الدّماءَ ولم يجعل لها حظّاً، ولذلك قال: تحت قدميه.

(٢) على حاشية (ص): قال الكلبي: الضم أصوب.

قلنا: وقال السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٥٢: الشَّدّاخ بفتح الشين كما قال ابن هشام، والشُّدّاخ بضمها إنما هو جمع، وجائز أن يُسمَّى هو وبنوه: الشُّدّاخ، كما يقال: المناذرة في المنذر وبنيه، والأشعرون في بني الأشعر من سبأ، وهو باب يَكثُر ويطول.

(٣) الحِجابة: حجابة البيت، وهو أن تكون مفاتيح البيت عنده، فلا يدخله أحدٌ إلا بإذنه.

والسِّقاية: يعني سقاية زمزم، وكانوا يصنعون بها شراباً في الموسم للحاجِّ الذي يوافي مكّة، ويَمزُجونه تارةً بالعسل وتارةً بلبن وتارةً بنبيذٍ يتطوَّعون بذلك من عند أنفسهم.

والرِّفادة: طعام كانت قريش تَجمَعُه كلَّ عام لأهل الموسم، ويقولون: هم أضياف الله تعالى.

والنَّدوة: الاجتماع للمَشُورة والرأي، وكانت الدار التي اتَّخذها قصيٌّ لذلك يقال لها: دار =

مكّة رِباعاً بين قومه، فأنزل كلَّ قوم من قريش منازلَهم من مكّة التي أصبحوا عليها.

ويَزعُم الناسُ: أن قريشاً هابُوا قطعَ شجر الحَرَم في منازلهم، فقَطَعها قصيٌّ بيده وأعوانُه[1]، فسمَّته قريشٌ مُجمِّعاً لِما جمَّع من أمرها، وتيمَّنت بأمره، فما تُنكَح امرأةٌ، ولا يُزوَّج رجلٌ من قريش، ولا يتشاورون في أمرٍ نَزَلَ بهم، ولا يَعقِدون لواءً لحرب قوم من غيرهم إلا في داره، يَعقِدُه لهم بعضُ ولده، وما تُدرَّعُ جاريةٌ إذا بَلَغَت أن تُدرَّعَ من قريش إلا في داره، يُشَقُّ عليها فيها دِرعُها ثم تُدرَّعُه[2]، ثم يُنطَلق بها إلى أهلها، فكان أمرُه في قومه من قريشٍ في حياته ومن بعد موته، كالدِّين المُتَّبَع لا يُعمَل بغيره، واتَّخَذ لنفسه دارَ النَّدوة وجعل بابَها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريشٌ تقضي أمورَها.

قال ابن هشام: وقال الشاعر[3]:

قُصيٌّ لعَمْري كان يُدْعى مجمِّعاً ... بـه جمَّـع اللهُ القبائـلَ مـن فِهـرِ

= النَّدوة.

واللِّواء: يعني في الحرب، لأنَّه كان لا يَحمِلُه عندهم إلا قوم مخصوصون.

(١) ونقل السهيليُّ في «الروض الأنف» ٢/ ٥٣ عن الواقديّ أنه قال: الأصح في هذا الخبر: أن قريشاً حين أرادوا البنيان قالوا لقصيّ: كيف نصنع في شجر الحرم، فحذَّرهم قطعَها وخوَّفهم العقوبةَ في ذلك، فكان أحدهم يَحُوف بالبنيان حولَ الشجرة حتى تكون في منزله. قال: فأوّل من ترخَّص في قطع شجر الحرم للبنيان عبدُ الله بن الزُّبير حين ابتنى دُوراً بقُعيقِعان، لكنه جعل ديةَ كل شجرة بقرةً، وكذلك يُروى عن عمر رضى الله عنه: أنه قطع دَوحةً كانت في دار أسد بن عبد العزَّى، كانت تنال أطرافُها ثيابَ الطائفين بالكعبة، وذلك قبل أن يوسِّع المسجد، فقطعها عمر رضي الله عنه ووَدَاها بقرةً. ثم ذكر السهيليّ آراء أئمّة المذاهب في هذه المسألة.

(٢) الدِّرع هنا: قميص تلبسه المرأة.

(٣) سمّاه الأزرقي في «أخبار مكة» ١/ ١٠٧ حُذافة بن غانم الجُمَحي.

قال ابن إسحاق: حدَّثني عبد الملك بن راشد، عن أبيه قال: سمعت السائبَ بن خَبّابٍ صاحبَ المقصورة يحدِّث: أنه سمع رجلاً يحدِّث عمرَ بن الخطّاب، وهو خليفةٌ، حديثَ قُصيِّ بن كِلاب وما جمَّع من أمرِ قومه، وإخراجِه خُزاعةَ وبني بكرٍ من مكّة، وولايتِه البيتَ وأمرَ مكّة، فلم يَرُدَّ ذلك عليه ولم يُنكِرْه[1].

قال ابن إسحاق: فلمّا فَرَغَ قصيٌّ من حربه انصرف أخوه رِزاحُ بن ربيعةَ إلى بلاده بمن معه من قومه، وقال رِزاحٌ في إجابته قُصيّاً:

لمّا أتى من قصيٍّ رسولٌ ... فقال الرسولُ أَجِيبوا الخَليلا
نَهَضْنا إليه نقودُ الجيادَ ... ونَطرحُ عنّا المَلُولَ الثَّقيلا
نسيرُ بها الليلَ حتى الصباحِ ... ونَكْمي النهارَ لئلّا نَزُولا[2]
فهنَّ سِراعٌ كوِرْدِ القَطَا ... يُجِبنَ[3] بنا من قصيٍّ رسولا
جَمَعْنا من السِّرِّ من أشمذِينَ[4] ... ومن كلِّ حيٍّ جَمَعْنا قَبيلا

---

(١) في إسناده لِينٌ، عبد الملك بن راشد لم يرو عنه غير ابن إسحاق، وذكره ابن حبان في «ثقاته» ٧/ ١٠٣، وأبوه لا يُعرَف، والسائب بن خبّاب مختلف في صحبته كما في ترجمته من «التهذيب».

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٢٥٩ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

(٢) نكمي، أي: نستتر، يقال: كَمَى يَكْمي، إذا استَتَر.

(٣) في (ص) و(م): يَجِئن.

وقوله: كوِرد القَطَا، الوِردُ هاهنا: الواردة للماء، والقطا: نوع من طائر اليمام، يُؤْثر الحياة في الصحراء، واحدتها: قَطَاة.

(٤) جاء على حاشية (ي): الأشمذِين بكسر الذال المعجمة وفتحها، والرواية بالكسر، وفُسِّر بأنه اسم قبيلتين فيسوغ الكسر، وقيل: بل هما جبلان، فيتعيّن الفتح.

قلنا: والصواب أنهما جبلان أو جبل ذو رأسين، فقد بيّن ذلك الأستاذ عاتق البلاديّ رحمه الله =

فيا لكِ حَلْبةَ ما ليلةٍ ... تزيدُ على الألفِ سَيْباً رَسِيلا[1]

فلما مَرَرنَ على عَسجَرٍ ... وأسهَلْنَ من مُستناخِ سَبيلا[2]

وجاوَزْنَ بالرُّكنِ من وَرِقانٍ ... وجاوَزنَ بالعَرْجِ حيّاً حُلولا[3]

مَرَرنَ على الحَلْي ما ذُقنَهُ ... وعالَجْنَ مِن مَرٍّ ليلاً طويلا[4]

نُدَنّي من العُوذِ أفْلاءَها ... إرادةَ أن يَسترِقنَ الصَّهيلا[5]

فلما انتَهَينا إلى مكّةٍ ... أبَحْنا الرجالَ قَبيلاً قَبيلا[6]

= في كتابه «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» ص١٥٦ في رسم السِّر، فقال: يذكر رِزاحٌ في هذه القصيدة أن قيامه وقومه كان من السِّر من أشمذين، وعدَّد مراحلَ الطريق إلى مكة... وأشمذين ما زالا معروفَين، جبل ذو رأسين يُشرِف على الصُّلصُلة من الجنوب الغربي، والصُّلصُلة على ١١٨ كيلاً من المدينة على طريق خيبر، ولم يذكر أحدٌ من الجغرافيِّين السرَّ هذا الذي قرنه الشاعر مع أشمذين، إنما هناك السَّرير، كان أحدَ أودية خيبر، ويُطلَق الاسم اليوم على أكَمة بوادي الدَّوم ثم عُمّم على ذلك الوادي، وهو يجاور أشمذين، ويبدو أن السِّياق لم يستقم بالسرير فعَدَلَ عنه الشاعر إلى السِّر، فهو إذاً السَّرير الموضَّح آنفاً.

(١) الحَلْبة: جماعة خيل تُجمَع من كل ناحيةٍ لا من مكان واحد. والسَّيب: المشي السريع في رِفق كما تنساب الحيّة. والرَّسيل: الذي فيه تمهُّل.

(٢) عسجر: اسم موضع، وهو على حسب ما جاء من أسماء المواضع الأخرى في هذا الشعر من نواحي المدينة على الطريق شمالها أو جنوبها، ولا يُعرَف اليوم. وأسهلنَ، أي: حَلَلنَ الموضع السهل. والمستناخ: الموضع الذي تُنِيخ فيه الإبل وغيرها، أي: تَبرُك فيه وتستريح.

(٣) وَرِقان: جبل أسود بين العَرْج والرُّوَيثة، على يمين المارِّ من المدينة إلى مكة.

(٤) الحَلْي: اسم موضع فيه ماء كما قال أبو ذر الخُشنيُّ، وغلَّط السهيليَّ في كونه اسماً لنبتةٍ. ومَرٌّ: اسم موضع. وقوله: عالجنَ... أي: عانَينَ معاناة طويلة.

(٥) العُوذ: التي لها أولاد من الإبل أو من الخيل. والأفلاء: جمع فَلُوٍّ، وهو المُهر العظيم. ويسترقن الصَّهيل، أي: يُخفين أصواتهن حتى لا يشعر بهم أحد.

(٦) قبيلاً، أي: جماعة، وإباحتهم بمعنى استباحة دمائهم.

نُعاوِرُهم ثَمَّ حدَّ السيوفِ ... وفي كل أَوْبٍ خَلَسْنا العقولا[1]

نُخبِّزُهم بصِلابِ النُّسو رِ خَبْزَ القويِّ العزيزِ الذَّليلا[2]

قَتلْنا خُزاعةَ في دارِها ... وبَكراً قتلْنا وجِيلاً فجِيلا

نَفَيناهمُ من بلادِ المَليكِ ... كما لا يَحُلُّونَ أرضاً سُهُولا

فأصبحَ سَبْيُهمُ في الحديدِ ... ومن كلِّ حيٍّ شَفَينا الغَلِيلا[3]

وقال ثَعلَبة بن عبد الله بن ذُبْيان بن الحارث بن سعد بن هُذَيم القُضَاعيّ في ذلك من أمر قصيٍّ حين دعاهم فأجابوه:

جَلَبْنا الخيلَ مُضمَرةً تَغَالى ... من الأعرافِ أعرافِ الجِنابِ[4]

إلى غَوْرَي تِهامةَ فالتَقَينا ... من الفَيفاءِ في قاعٍ يَبَابِ[5]

فأمّا صُوفَةُ الخُنثَى فخَلَّوا ... منازلَهم مُحاذَرةَ الضِّرابِ

وقام بنو عَليٍّ إذْ رأَونا ... إلى الأسيافِ كالإبلِ الطِّرابِ[6]

---

(١) نعاورهم، أي: نداولُهم مرّةً بعد مرّة. والأوب: الرجوع.

(٢) نخبِّزهم: نسوقهم سَوقاً شديداً، ونخبِّزهم أيضاً: نقطّعهم. وصلاب النُّسور: جمع نَسْر، وهو اللحم اليابس الذي في باطن الحافر.

(٣) السَّبي: جماعة الأَسرى.

(٤) الخيل المُضمَرة: التي اشتدّ لحمها وهي غير مترهّلة. وتَغالَى، أي: ترتفع في السَّير وتسرع. والأعراف: جمع عُرْف، وهو الرمل المرتفع المستطيل.

والجِناب: أرض واسعة تقع شمال خيبر وتمتد إلى تيماء، يعرف جُلّها اليوم باسم الجهراء، كانت منازل قُضاعة. «معجم المعالم الجغرافية» لعاتق البِلاديّ ص٨٦.

(٥) الغَور: المنخفض، وغور تِهامة: ما انخفض من أرض الحجاز. والفَيفاء: الصّحراء. والقاع: المنخفض من الأرض. واليَبَاب: القَفْر.

(٦) في (ت): الظراب، وهو جمع ظَرِبٍ: وهو الجُبيل الصغير، شبَّه الإبل بها، ومن رواه =

وقال قصيّ بن كِلاب:

أنا ابنُ العاصِمِينَ بني لؤيٍّ[1] بمكّـة منزلـي وبهـا رَبِيـتُ
إلـى البطحـاءِ قـد عَلِمَـت مَعَـدٌّ ومَرْوتِهـا رَضِـيتُ بها رَضـيتُ
فلسـتُ لغالـبٍ إن لـم تَأَثَّـلْ بهـا أولادُ قَيـذَرٍ والنَّبِيـتُ[2]
رِزاحٌ ناصـري وبـه أُسـامي فلستُ أخاف ضَيماً ما حَيِيتُ[3]

فلما استقرَّ رِزاحُ بن ربيعة في بلاده، نَشَرَه الله تعالى ونَشَر حُنّاً[4]، فهما قَبيلا عُذْرةَ اليوم.

وقد كان بين رِزاح بن ربيعة حين قَدِمَ بلادَه، وبين نَهْد بن زيد وحَوتَكة بن أَسلُم - وهما بطنان من قُضاعة - شيءٌ، فأخافهم حتى لَحِقوا باليمن وجَلَوْا من بلاد قُضاعة، فهم اليومَ باليمن. فقال قُصيُّ بن كِلاب، وكان يحبُّ قُضاعةَ ونَماءَها واجتماعَها ببلادها لِما بينه وبين رِزاحٍ من الرَّحِم، ولبلائِهم عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نُصْرته، وكَرِهَ ما صنع بهم رِزاحٌ:

= بالطاء المهملة فهي الإبل التي حنَّت إلى مواطنها واشتاقت، يقال: طَرِبَت الإبلُ، إذا حنَّت.

وبنو عليٍّ، قال السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٥٨: هم بنو كِنانة، وإنما سُمُّوا ببني عليٍّ لأن عبد مَناة ابن كِنانة كان ربيباً لعليّ بن مسعود بن مازن من الأزْد، جدِّ سَطيح الكاهن، فقيل لبني كنانة: بنو عليٍّ، وأحسبه أراد في هذا البيت بني بكر بن عبد مَنَاة، لأنهم قاموا مع خزاعة.

(١) أراد أنهم يَعصِمون الناس ويمنعونهم لكونهم أهلَ البيت والحرم.

(٢) قوله: إن لم تأثَّل بها، أي: إن لم تُقِم بها إقامة ثابتة، يقال: تأثَّل فلانٌ بموضع كذا، إذا أقام به واستقرّ ولم يبرح. وأولاد قَيذَرٍ والنَّبيتُ، يعني بني إسماعيل عليه السلام.

(٣) أُسامي: أُفاخر. والضَّيم: الظُّلم.

(٤) على حاشية (ي): أي: نشر الله ولده ونشر ولد حُن.

ألا مَـن مُبلِـغٌ عنـي رِزاحـاً فـإني قـد لَحَيتُـكَ[1] في اثنتـينِ
لَحَيتُـك في بنـي نهـدِ بـن زيـدٍ كمـا فرَّقـتَ بيـنَهمُ وبينـي
وحَوتَكـةُ بـن أسـلُمَ إنّ قومـاً عَنَـوْهم بالمَسـاءةِ قـد عَنَـوني

قال ابن هشام: وتروى هذه الأبيات لزُهير بن جَنَابٍ الكلبيّ.

قال ابن إسحاق: فلما كَبِرَ قصيٌّ ورَقَّ عظمُه، وكان عبد الدار بِكرَه، وكان عبد مَنافٍ قد شَرُفَ في زمان أبيه وذهب كلَّ مذهب، وعبدُ العزى وعبدٌ، قال قصيٌّ لعبد الدار: أما والله يا بنيَّ لأُلحقنَّك بالقوم وإن كانوا قد شَرُفوا عليك؛ لا يدخلُ رجل منهم الكعبةَ حتى تكون أنت تفتحُها له، ولا يَعقِدُ لقريش لواءً لحربها إلا أنت بيدك، ولا يشربُ رجلٌ بمكّة إلا من سِقايتك، ولا يأكلُ أحد من أهل الموسم طعاماً إلا من طعامك، ولا تقطعُ قريش أمراً من أمورها إلا في دارك. فأعطاه دارَه دارَ النَّدْوة، التي لا تقضي قريشٌ أمراً إلا فيها، وأعطاه الحِجابة واللِّواء والسِّقاية والرِّفادة.

وكانت الرِّفادةُ خَرْجاً تُخرِجه قريشٌ في كل موسم من أموالها إلى قصيِّ بن كِلاب، فيَصنَعُ به طعاماً للحاجِّ، فيأكله من لم يكن له سَعَةٌ ولا زادٌ، وذلك أن قصيّاً فَرَضَه على قريش، فقال لهم حين أمرهم به: يا معشرَ قريش، إنكم جيرانُ الله وأهلُ بيته وأهلُ الحَرَم، وإن الحاجَّ ضيفُ الله وزُوّار بيته، وهم أحقُّ الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيامَ الحج حتى يَصدُروا[2] عنكم، ففعلوا، فكانوا يُخرِجون لذلك في كلِّ عام من أموالهم خَرْجاً فيدفعونه إليه، فيصنعه طعاماً للناس أيامَ مِنى، فجرى ذلك من أمره في الجاهليّة على قومه حتى قام الإسلامُ، ثم جَرَى في الإسلام

(١) أي: لُمْتك، يقال: لَحيتُ الرجلَ، إذا لمتَه.

(٢) أي: يخرجوا ويرجعوا إلى بلدانهم.

إلى يومِك هذا، فهو الطعام الذي يَصنَعُه السلطانُ كلَّ عام بمِنى للناس حتى ينقضي الحج.

قال ابن إسحاق: حدَّثني بهذا من أمر قصيّ بن كِلاب، وما قال لعبد الدّار فيما دَفَعَ إليه مما كان بيده، أبي إسحاقُ بنُ يسارٍ، عن الحسن بن محمّد بن علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنهم؛ قال: سمعتُه[1] يقول ذلك لرجل من بني عبد الدّار يقال له: نُبَيه بن وهب بن عامر بن عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار.

قال الحسن: فجعل إليه قصيٌّ كلَّ ما كان بيده من أمر قومه، وكان قصيٌّ لا يُخالَف، ولا يُرَدُّ عليه شيء صَنَعه.

ذكر ما جرى من اختلاف قريشٍ بعد قصيٍّ

وحِلْف المطيَّبين

قال ابن إسحاق: ثم إن قصيَّ بن كِلاب هَلَكَ، فأقام أمرَه في قومه بنوه من بعده، فاختطُّوا مكّةَ رِباعاً ـ بعد الذي كان قَطَعَ لقومه بها ـ فكانوا يُعطونها في قومهم وفي غيرهم من حلفائهم ويبيعونها، فأقامت على ذلك قريشٌ معهم ليس بينهم اختلاف ولا تَنازُع، ثم إن بني عبدِ مَنَاف بن قصيٍّ عبدَ شمسٍ وهاشماً والمُطَّلبَ ونوفلاً[2] أجمعوا أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدّار بن قصيٍّ مما كان قصيٌّ جعل إلى عبد

(١) أي: سمعتُ الحسن بن محمد، والحسن هذا من علماء أهل البيت وأفاضلهم، وأبوه هو المعروف بابن الحنفيّة. وإسحاق بن يسار والد محمد من الثِّقات.

(٢) ذكر محمد بن السائب الكلبي فيما نقله عنه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٥٦ أن عبد مناف ولد ستة رجال وست نسوة، وأن أكبرهم كان المطَّلِب، وذكر السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٨٣ عن بعض أهل النسب: أنّ أولاده من الرجال كانوا خمسة. وسيأتي في شعر مطرود الخزاعي بعد حلف الفضول أنهم أربعة، ولم يذكر ابن حزم في «جمهرة الأنساب» ص١٤ غير هذا.

الدّار من الحِجابة واللِّواء والسِّقاية والرِّفادة، ورأَوا أنهم أَولى بذلك منهم لشَرَفهم عليهم وفضلهم في قومهم، فتفرَّقَت عند ذلك قريشٌ، فكانت طائفةٌ مع بني عبد مَنَاف على رأيهم يَرَون أنهم أحقُّ به من بني عبد الدّار لمكانهم في قومهم، وكانت طائفة مع بني عبد الدّار، يَرَون أن لا يُنزَعَ منهم ما كان قصيٌّ جعل إليهم.

فكان صاحبُ أمرِ بني عبد مَنافٍ عبدَ شمس بن عبد مَناف، وذلك أنه كان أسنَّ بني عبد مَناف، وكان صاحبُ أمرِ بني عبد الدّار عامرَ بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدّار.

فكان بنو أَسَد بن عبد العُزَّى بن قصيّ وبنو زُهْرة بن كِلاب وبنو تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ وبنو الحارث بن فِهْر بن مالك بن النَّضر، مع بني عبد مَنافٍ، وكان بنو مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة وبنو سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب وبنو جُمَحَ بن عمرو بن هُصَيص وبنو عَدِيّ بن كعب، مع بني عبد الدّار، وخَرَجَت عامرُ بن لؤيّ ومُحارِبُ بن فِهْر فلم يكونوا مع واحد من الفريقين.

فعَقَدَ كلُّ قوم على أمرهم حِلْفاً مؤكَّداً على أن لا يتخاذلوا، ولا يُسلِمَ بعضُهم بعضاً ما بلَّ بحرٌ صُوفةً[1].

فأخرج بنو عبد مَنافٍ جَفْنةً مملوءةً طِيباً، فيَزعُمون أن بعض نساءِ بني عبد مَناف أخرَجَتها لهم، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غَمَسَ القومُ أيديَهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مَسَحُوا الكعبةَ بأيديهم توكيداً على أنفسهم، فسُمُّوا المُطَيَّبين.

---

(١) هذا من أقوالهم في الأبديّات، بمعنى: لا يفعلون هذا الشيء أبداً، وصوف البحر: نوع من الطحالب على شكل هذا الصوف الحيواني يطفو على سطحه.

وتعاقَدَ بنو عبد الدّار وتعاهَدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حِلْفاً مؤكَّداً، على أن لا يتخاذلوا ولا يُسلِمَ بعضُهم بعضاً، فسُمُّوا الأحلاف.

ثم سُوِندَ بين القبائل ولُزَّ بعضُها ببعض[1]، فعُبِّيَت بنو عبد مَنافٍ لبني سَهْم، وعُبِّيَت بنو أَسد لبني عبد الدّار، وعُبِّيَت زُهْرةُ لبني جُمَح، وعُبِّيَت بنو تَيْم لبني مخزوم، وعُبِّيَت بنو الحارث بن فِهر لبني عَدِيِّ بن كعب، وقالوا: لتُغْنِ كلُّ قبيلة من أُسنِدَ إليها[2].

فبَيْنا الناسُ على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعَوْا إلى الصلح، على أن يُعْطُوا بني عبد مَنافٍ السِّقايةَ والرِّفادةَ، وأن تكون الحجابةُ واللواءُ والنَّدوةُ لبني عبد الدّار كما كانت، ففعلوا ورضيَ كلُّ واحد من الفريقين بذلك، وتَحاجَزَ الناسُ عن الحرب، وثَبَتَ كلُّ قومٍ مع من حالفوا، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء اللهُ تعالى بالإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «ما كان من حِلفٍ في الجاهليّةِ، فإن الإسلامَ لم يَزِدْه إلا شِدَّةً»[3].

---

(١) سُوند: من السِّناد، وهي مقابَلة في الحرب بين كل فريق وما يليه من عدوّه. ولُزَّ: شُدَّ.

(٢) أي: لتَكفِ كلُّ قبيلة أحلافها مؤنة قتال القبيلة التي أُوكلت إليها.

(٣) حديث صحيح، روي من حديث جبير بن مُطعِم عند أحمد (١٦٧٦١) ومسلم (٢٥٣٠) وغيرهما، ومن حديث ابن عباس عند أحمد (٢٩٠٩) وابن حبان (٤٣٧٠)، ومن حديث عبد الله ابن عمرو عند أحمد أيضاً (٦٦٩٢) والترمذي (١٥٨٥)، وفي هذه الأحاديث من الزيادة قول النبي ﷺ: «لا حلف في الإسلام».

قال ابن الجوزي في «كشف المُشكِل من حديث الصحيحين» ٤/ ٤٨: أصل الحِلف: المعاقَدة والمعاهَدة على المعاضَدة، فما كان منه في الجاهليّة على القتال والغارات، فذلك الذي أبطله الشَّرع بقوله: «لا حلف في الإسلام»، وما كان منه في الجاهليّة على نصر المظلوم وصِلَة الأرحام، فهو الذي لم يزده الإسلام إلا شدّة.

حِلفُ الفُضول

قال ابن هشام: وأمّا حلفُ الفضول، فحدَّثني زياد بن عبد الله البَكَّائيّ عن محمد ابن إسحاق قال: تداعَتْ قبائلُ من قريشٍ إلى حلفٍ، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جُدْعانَ بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ، لشرفِه وسنِّه، فكان حِلفُهم عنده: بنو هاشم، وبنو المُطَّلِب، وأَسَد بن عبد العُزَّى، وزُهْرة بن كِلاب، وتَيْم بن مُرَّة، فتعاقَدوا وتعاهَدوا على أن لا يَجِدُوا بمكّة مظلوماً من أهلِها وغيرِهم ممّن دخلها من سائر الناس إلّا قاموا معه، وكانوا على من ظَلَمَه حتى تُردَّ عليه مَظلِمتُه، فسمَّت قريشٌ ذلك الحلفَ حلفَ الفُضول[1].

قال ابن إسحاق: فحدَّثني محمّد بن زيد بن المُهاجِر بن قُنفُذٍ التَّيْميّ، أنه سمع طلحةَ بن عبد الله بن عوفٍ الزُّهْريَّ يقول: قال رسول الله ﷺ: «لقد شَهِدتُ في دارِ عبدِ الله بن جُدْعانَ حِلفاً، ما أُحِبُّ أنَّ لي به حُمْرَ النَّعَمِ، ولو أُدعَى به في الإسلام لَأَجَبتُ»[2].

---

(١) ذكر السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٧٢-٧٣ أن هذا الحلف كان قبل مبعث النبي ﷺ بعشرين سنة، وكان أكرمَ حلفٍ سُمِع به وأشرفَه في العرب، وكان أول من تكلَّم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطَّلب، ثم ذكر سببه في قصة رجل من زُبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل السَّهميّ، وكان ذا قدر بمكة وشرف، فحبس عنه حقَّه، فاستعدى عليه الزبيديُّ الأحلافَ: عبد الدار ومخزوماً وجمح وسهماً وعَديّ بن كعب، فأبَوا أن يُعِينوه عليه وانتهروه، فقام في نصرته الزبيرُ بن عبد المطّلب عمُّ النبي ﷺ ومعه قبائل من المطيَّبين، فتعاقَدوا وتعاهَدوا بالله: ليكونُنَّ يداً واحدةً مع المظلوم على الظالم حتى يؤدَّى إليه حقُّه، فسمَّت قريشٌ ذلك الحلفَ حلفَ الفضول، وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضلٍ من الأمر، ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزُّبيديّ فدفعوها إليه.

(٢) حديث صحيح، وهذا إسناد مرسل رجاله ثقات، وطلحة هذا من الطبقة الوسطى من =

قال ابن إسحاق: وحدَّثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادِ اللَّيثيّ، أن محمّد ابن إبراهيم بن الحارث التَّيميّ حدَّثه: أنه كان بين الحسين بن عليّ بن أبي طالب

= التابعين.

وأخرجه الطبري في مسند عبد الرحمن بن عوف من «تهذيب الآثار» ص٢٠، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٦/ ٣٦٧ من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد مرسلاً.

وقد وصله الزبير بن بكّار كما في «أخبار مكة» للفاكهي ٥/ (١٢٦) من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي ﷺ.

ووصله أيضاً الواقديُّ من وجه آخر فقال: عن طلحة، عن عبد الرحمن بن أزهر، عن جبير بن مطعم، ذكره ابن حجر في «نتائج الأفكار» ٥/ ٩، وأشار إلى ضعف إسناد كلٍّ من هذين الموصولين، إلا أنه قال: لكن يتقوَّى بهما المرسل؛ يعني مرسل طلحة الزهري.

وأخرجه قاسم بن ثابت في «الدلائل في غريب الحديث» ٢/ ٤٨٦-٤٨٧ من طريق الحميديّ، عن سفيان، عن عبد الله، عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر، عن النبي ﷺ. وزاد فيه: «تحالفوا أن تُرَدَّ الفضولُ على أهلها، وألّا يَعُزَّ ظالمٌ مظلوماً». وهذا إسناد مرسلٌ أيضاً، فمحمد وعبد الرحمن أغلب الظنّ أنهما ابنا أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزوميّ، وهما تابعيّان وعبد الرحمن أجلُّهما، ذكره ابن حبان في «ثقاته» ٧/ ٦٤ وفي «مشاهير علماء الأمصار» (١٠١٠)، ومحمد لا يُعرَف حاله، وعبد الله الراوي عنهما: هو ابن عمرو بن علقمة الكِنانيّ المكيّ، وهو ثقة، وسفيان: هو ابن عيينة. وقوله فيه: الفضول، أي: أشياء ذات فَضْل، ويَعُزَّ: يَغلِب ويقهر.

وأخرج أحمد (١٦٥٥) و(١٦٧٦)، وابن حبان (٤٣٧٣)، والحاكم (٢٩٠٦) وغيرهم بإسناد حسن عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف، عن النبي ﷺ قال: «شهدتُ حلفَ المطيَّبين مع عُمومتي وأنا غلام، فما أحبُّ أن لي حُمْرَ النَّعم وإني أنكُثُه». وحُمر النَّعَم: هي الإبل، وما كان من ألوانها فيه حُمْرة فهو أنفسها وأفضلها عند العرب. وأما قوله فيه: حلف المطيَّبين، فالمراد به الحلف الذي اجتمعت فيه قبائل من أصحاب حلف المطيَّبين، أما الحلف عينُه فإنه كان قديماً في الجاهلية كما سبق، ولم يدركه النبي ﷺ. وانظر «شرح مشكل الآثار» للطحاوي ١٥/ ٢٢٠-٢٢١.

رضي الله عنه وبين الوليد بن عُتْبة بن أبي سفيان ـ والوليدُ يومئذٍ أميرُ المدينة، أمَّرَه عليها عمُّه معاويةُ بن أبي سفيان ـ منازعةٌ في مالٍ كان بينهما بذي المَرْوة[1]، فكأنَّ الوليد تَحامَل على الحسين رضي الله عنه في حقِّه لسلطانه، فقال له الحسين: أَحلِفُ بالله لتُنصِفَنِّي من حقِّي أو لآخُذنَّ سيفي ثم لأقومَنَّ في مسجد رسول الله ﷺ، ثم لأدعُوَنَّ بحِلْفِ الفُضول، قال: فقال عبد الله بن الزُّبير ـ وهو عند الوليد حين قال الحسينُ ما قال ـ: وأنا أحلفُ بالله، لَئِنْ دعا به لآخُذنَّ سيفي ثم لأقومَنَّ معه حتى يُنصَفَ من حقِّه أو نموتَ جميعاً، قال: وبَلَغَت المِسوَرَ بن مَخرَمة بن نوفل الزُّهْريّ، فقال مثلَ ذلك، وبَلَغَت عبدَ الرَّحمن بن عثمان بن عُبيد الله التَّيْميّ، فقال مثلَ ذلك، فلمّا بَلَغَ ذلك الوليدَ بن عُتْبة أنصَفَ الحسينَ من حقِّه حتى رضيَ[2].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادِ اللَّيثيّ، عن محمّد ابن إبراهيم بن الحارث التَّيْميّ قال: قَدِمَ محمّدُ بن جُبَير بن مُطعِم بن عَديِّ بن نوفل ابن عبد مَنَاف ـ وكان محمّدُ بن جُبَير أعلمَ قريشٍ ـ على عبدِ الملك بن مروان بن الحَكَم حين قُتِلَ ابنُ الزُّبيرِ واجتَمَعَ الناسُ على عبد الملك، فلمّا دخل عليه قال:

---

(١) بلدة تقع شمال غرب المدينة المنوّرة على قرابة ١٨٠ كم، وهي من بلاد جُهينة، معدودة من وادي القُرى. وانظر «بلاد ينبع» لحمد الجاسر رحمه الله ص٢١١ وما بعدها.

والمال المتنازَع عليه بينهما أرضٌ ذات نخل وزرع.

(٢) رجاله ثقات.

وأخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» ١٥/ ٢٢٢-٢٢٣ عن أبي الروّاد عبد الله بن عبد السلام، عن عبد الملك بن هشام، عن زياد البكّائي، عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه الطبري في مسند عبد الرحمن بن عوف من «تهذيب الآثار» ص٢١-٢٢ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

يا أبا سعيد، ألم نكن نحن وأنتم ـ يعني بني عبدِ شمس بن عبد مَناف وبني نَوفَل بن عبد مَناف ـ في حِلْف الفُضول؟ قال: أنت أعلمُ، قال عبد الملك: لتُخبِرَنّي يا أبا سعيدٍ بالحقِّ من ذلك، قال: لا واللهِ، لقد خَرَجْنا نحن وأنتم منه، قال: صدقتَ[1].

تمَّ خبر حلف الفضول[2]

قال ابن إسحاق: فوَلِيَ الرِّفادةَ والسِّقايةَ هاشمُ بن عبد مَنَاف، وذلك أن عبد شمس كان رجلاً سفّاراً قَلَّما يقيمُ بمكّة، وكان مُقِلّاً ذا ولدٍ، وكان هاشمٌ مُوسِراً، فكان ـ فيما يَزعُمون ـ إذا حَضَرَ الحجُّ قام في قريشٍ فقال: يا معشرَ قريش، إنكم جِيرانُ الله وأهلُ بيته، وإنه يأتيكم في هذا المَوسِم زُوّارُ الله وحُجّاجُ بيته، وهم ضيفُ الله، وأحقُّ الضيف بالكرامة ضيفُه، فاجمَعُوا لهم ما تصنعون به لهم طعاماً أيّامَهم هذه التي لا بُدَّ لهم من الإقامة لها، فإنّه والله لو كان مالي يَسَعُ لذلك ما كَلَّفتُكُموه. فيُخرِجون لذلك خَرْجاً من أموالهم، كلُّ امرِئٍ بقَدْرِ ما عنده، فيصنع للحُجّاج طعاماً حتى يَصدُروا منها[3].

وكان هاشمٌ ـ فيما يَزعُمون ـ أوّلَ من سَنَّ الرِّحلتين لقريشٍ رحلةَ الشتاء والصيف،

---

(١) رجاله ثقات كسابقه.

وأخرجه الطحاوي أيضاً في «مشكل الآثار» ١٥/ ٢٢٣-٢٢٤ عن أبي الروّاد، عن عبد الملك ابن هشام، عن زياد البكّائي، عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه ابن أبي خيثمة في السِّفر الثالث من «تاريخه» (٢٢٥٤) من طريق سلمة بن الفضل، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥٢/ ١٨٦-١٨٧ من طريق إبراهيم بن سعد الزهريّ، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

(٢) قوله: تم خبر حلف الفضول، من (م) و(ي) ونسخة على هامش (ص).

(٣) أي: يخرجوا منها ويرجعوا إلى بلدانهم.

وأوّلَ من أطعَمَ الثَّريدَ بمكّة، وإنما كان اسمه عَمْراً، فما سُمّيَ هاشماً إلا بهَشْمِه[1] الخبزَ بمكّة لقومه، فقال شاعرٌ من قريش أو من بعض العرب[2]:

عَمرُو الّذي هَشَمَ الثَّريدَ لقومِهِ ... قـومٍ بمكّـةَ مُسـنِتِينَ عِجـافِ[3]

سُـنَّتْ إليـه الرِّحلتـانِ كِلاهمـا ... سَـفَرُ الشتاءِ ورِحلـةُ الأصـيافِ

قال ابن هشام: أنشدني بعضُ أهل العلم بالشِّعر من أهل الحجاز قولَه:

قـومٍ بمكّـةَ مُسـنِتِينَ عِجـافِ

قال ابن إسحاق: ثم هَلَكَ هاشمُ بن عبد مَناف بغَزّة من أرض الشام تاجراً، فوَلِيَ السِّقايةَ والرِّفادةَ من بعده المُطَّلِب بن عبد مَناف، وكان أصغرَ من عبد شمس وهاشم، وكان ذا شرفٍ في القوم وفضل، وكانت قريشٌ إنما تُسمِّيه الفَيْضَ لسماحتِه وفضلِه.

---

(١) الهَشْم: التكسير والتفتيت.

(٢) سمّاه ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه كما في «الروض الأنف» للسهيليّ ٢/ ٨٤ و٨٦ عبدَ الله بن الزِّبَعرى السَّهميّ، وكذلك نسب هذه الأبيات إليه غير واحد كما في «الطبقات» لابن سعد ١/ ٥٧، و«أنساب الأشراف» للبَلاذُريّ ١/ ٥٨، و«الزاهر في معاني كلمات الناس» لابن الأنباري ٢/ ١٢٣، وهو المشهور.

ونسبها إسماعيل بن أبي أُويس في روايته عن محمد بن إسحاق عند البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ٤-٥ و«الأوسط» ١/ ٢٧٢ إلى مسافر بن أبي عمرو، أحد سادات بني أُمية وأجوادهم في الجاهلية.

ونسبها محمد بن حبيب في «المنمَّق في أخبار قريش» ص٢٧، وابن دريد في «الاشتقاق» ص١٣ إلى مطرود بن كعب الخزاعيّ، ثم عاد ابن حبيب فنسبها في «المنمّق» ص٩٨ إلى حذافة بن غانم العدويّ.

(٣) الثَّريد: هو أن تفتَّ الخبز بالمَرَق. والمسنِتون: هم الذين أصابتهم السَّنَةُ، وهي سنة القَحْط والجوع. وعِجَاف: من العَجَف، وهو الهُزَال والضّعف.

وكان هاشمُ بن عبد مَناف قَدِمَ المدينةَ فتزوَّج سَلْمى بنت عمرٍو أحدِ بني عَديِّ ابن النَّجّار، وكانت قبله عند أُحَيْحة بن الجُلَاح بن الحَرِيش ـ قال ابن هشام: ويقال: الحَرِيس ـ بن جَحْجَبَى بن كُلْفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأَوس، فوَلَدَت له عمرَو بن أُحَيحة، وكانت لا تَنكِحُ الرجالَ لشرفِها في قومها حتى يَشرِطُوا لها أن أمرَها بيدها، إذا كَرِهَت رجلاً فارَقَته.

فوَلَدَت لهاشمٍ عبدَ المُطَّلِب، فسمَّته شَيْبة، فتركه هاشمٌ عندها حتى كان وَصِيفاً[1] أو فوقَ ذلك، ثم خرج إليه عمُّه المُطَّلِب ليَقبِضَه فيُلحِقَه ببلده وقومه، فقالت له سَلْمى: لست بمُرسِلتِه معك، فقال لها المُطَّلِب: إني غير منصرفٍ حتى أخرجَ به معي، إن ابن أخي قد بَلَغَ، وهو غريبٌ في غير قومه، ونحن أهل بيتِ شرفٍ في قومنا، نَلِي كثيراً من أمرهم، وقومُه وعشيرتُه وبلدُه خيرٌ له من الإقامة في غيرِهم، أو كما قال. وقال شَيْبةُ لعمِّه المُطَّلِب ـ فيما يَزعُمون ـ: لست بمُفارِقِها إلا أن تأذنَ لي، فأَذِنَت له ودَفَعَته إليه، فاحتَمَلَه فدخل به مكّةَ مُردِفَه معه على بعيره، فقالت قريشٌ: عبدُ المُطَّلِب ابتاعه، فبها سُمِّيَ شيبةُ عبدَ المُطَّلِب، فقال المُطَّلِب: وَيحَكُم، إنما هو ابنُ أخي هاشمٍ قَدِمتُ به من المدينة.

ثم هَلَكَ المُطّلِبُ برَدْمانَ[2] من أرض اليمن، فقال رجل من العرب يبكيهِ:

قد ظَمِئَ الحَجيجُ بعد المُطّلِبْ بعدَ الجِفانِ والشرابِ المُنثعِبْ[3]

---

(١) الوصيف: الغلام الذي قارب سنَّ البلوغ.

(٢) في اليمن موضعان بهذا الاسم: الأول جبل في صَعْدة شمال اليمن، والثاني في البيضاء وسط اليمن.

(٣) ظمئ، أي: عطش. والشراب المنثعب: هو الكثير السائل.

ليتَ قريشاً بعدَه على نَصَبْ[1]

وقال مطرودُ بن كعب بن عُرفُطَة، أحدُ بني سعد بن كعب بن عمرو بن لُحَيٍّ الخُزاعيّ، يبكي المُطَّلِبَ وبني عبد مَناف جميعاً حين أتاه نَعْيُ نوفل بن عبد مَناف، وكان نوفلٌ آخرَهم هُلْكاً:

يا ليلةً هيَّجتِ لَيلاتي ... إحدى ليالِيَّ القَسِيّاتِ[2]

وما أُقاسِي من هُمومٍ وما ... عالَجتُ من رُزْءِ المَنِيّاتِ[3]

إذا تذكَّرتُ أخي نَوفلاً ... ذكَّرَني بالأوّلِيّاتِ

ذكَّرني بالأُزُرِ الحُمْرِ والـ ... أردِيَةِ الصُّفْرِ القَشِيباتِ[4]

أربعةٌ كلُّهمُ سيِّدٌ ... أبناءُ ساداتٍ لساداتِ

مَيْتٌ بِرَدْمانَ ومَيْتٌ بسَلْـ ... ـمانَ ومَيْتٌ بينَ غَزّاتِ[5]

ومَيْتٌ أُسكِنَ لَحْداً لدى ... المحجوبِ شرقيَّ البَنيّاتِ[6]

أخلَصَهم عبدُ مَنافٍ فهُمْ ... من لَومِ من لامَ بمَنجاتِ[7]

---

(١) أي: على تعب ومشقّة.

(٢) القسيّات: الشدائد، والقاسي والقسِيّ: الشديد.

(٣) الرُّزْء: المصيبة.

(٤) القشيبات: الجديدات، وثوبٌ قَشيبٌ، أي: جديد. والأُزر: جمع إزار، وهو ما يستر وسط الجسم فما دون، والرِّداء ما يُلبَس في أعلاه.

(٥) أراد غزّة، وهي من أرض الشام، فجَمَعها مع ما حولها. وردمان مرَّ قريباً. وسلمان: ماء قديم جاهلي قريب من حدود العراق، وكان من مياه بكر بن وائل.

(٦) قوله: لدى المحجوب، يعني بيتَ الله الكعبة، والبَنيّات: يعني البَنيّة، وهي الكعبة، وجمعها كما جمع غزّة.

(٧) أي: بناجيةٍ من اللَّوم، يقال: هو بمَنجاة من كذا، أي: بريء منه لا يلحقه. وكتبت بتاء =

إن المُغِيـــراتِ وأبناءَهـــا مـن خيـرِ أحيـاءٍ وأمـواتِ[1]

وكان اسم عبد مَنافٍ المُغِيرة، وكان أولَ بني عبد مَنافٍ هُلْكاً هاشمٌ[2] بغزَّة من أرض الشام، ثم عبدُ شمس بمكّة، ثم المُطَّلِبُ برَدْمانَ من أرض اليمن، ثم نوفلٌ بسَلْمانَ من ناحية العراق.

فقيل لمطرودٍ ـ فيما يَزعُمون ـ: لقد قلتَ فأحسنتَ، ولو كان أفحلَ مما هو كان أحسن، فقال: أَنظِروني ليالِيَ، فمَكَثَ أياماً ثم قال:

يا عَينُ جُودِي وأَذْري الدّمعَ وانهَمِري وابكي على السِّرِّ من كعبِ المُغِيراتِ[3]

يا عينُ واسحَنْفِري بالدمعِ واحتَفِلي وابكـي خَبيئـةَ نفسـي في المُلِمّـاتِ[4]

وابكـي علـى كـلِّ فيّـاضٍ أخـي ثِقـةٍ ضـخمِ الدَّسِـيعةِ وهّـابِ الجَـزيلاتِ[5]

مَـحْضِ الضَّـريبةِ عـالي الهَـمِّ مُختلَـقٍ جَـلْدِ النَّحِيـزةِ نـابٍ بالعَظيمـاتِ[6]

= مفتوحة في نسخنا الخطية.

(١) المُغِيرات، أي: بنو المغيرة، وهو عبد مناف.

(٢) كذا في (ت) و(ش١) و(غ) و(ق١): هاشم، وكذا نوفل في (ت) و(غ)، بلا ألف على أن هذه الأسماء اسم لكان، وفي (ص) و(م) و(ي) بألف منصوبين، على أنها خبر لكان، والرفع أفصحُ.

(٣) أَذري: صُبِّي، وكذا انهَمِري. والسِّر هنا: الخالص النسب. والمغيرات، أي: بنو المغيرة، وهو عبد مناف كما سبق، وكعبٌ في عمود نسبه، وهو كعب بن لؤي بن غالب.

(٤) اسحنفري، أي: أَديمي الدّمع. واحتفلي، أي: اجمعيه، من احتفال الضَّرْع: وهو اجتماع اللَّبن فيه. والخبيئة: الشيء المخبوء، يريد أنه ذخيرة عند نزول الشدائد. والمُلمّات: حوادث الدَّهر، أي: التي تُلِمُّ بالإنسان، أي: تَنزل به.

(٥) الفيّاض: الكثير المعروف. وضخم الدَّسِيعة، أي: كثير العطاء. والجزيلات: الكثيرات.

(٦) محض الضريبة، أي: خالص الطبيعة غير متصنِّع لأخلاقه. والمختلَق: تامُّ الخَلْق، =

صعبِ البَديهةِ لا نِكْسٍ ولا وَكَلِ ... ماضي العزيمةِ مِتلافِ الكريماتِ[1]

صقرٍ تَوسَّطَ من كعبٍ إذا نُسِبوا ... بُحبُوحةَ المجدِ والشُّمَّ الرَّفيعاتِ[2]

ثم انْدُبي الفَيضَ والفيّاضَ مُطَّلِباً ... واستَخرِطي[3] بعد فَيضاتٍ بجَمّاتِ

أَمسَى برَدْمانَ عنّا اليومَ مُغتَرِباً ... يا لَهْفَ نفسي عليه بينَ أمواتِ[4]

وابكي، لكِ الويلُ، إمّا كنتِ باكيةً ... لعبدِ شمسٍ بشَرْقيِّ البَنِيّاتِ

وهاشمٍ في ضريحٍ وَسْطَ بَلْقَعةٍ ... تَسْفِي الرياحُ عليه بين غَزّاتِ[5]

ونوفلٍ كان دونَ القومِ خالِصَتي ... أمسَى بسَلْمانَ في رَمْسٍ بمَوْماتِ[6]

لم ألْقَ مِثلَهمُ عُجْماً ولا عَرَباً ... إذا استَقلَّتْ بهم أُدْمُ المَطِيّاتِ[7]

أمسَتْ ديارُهمُ منهمْ مُعطَّلةً ... وقد يكونون زَيناً في السَّرِيّاتِ[8]

= أو معتدل في أموره. وجَلْد النَّحيزة، أي: شديد الطبيعة. ونابٍ: مرتفِع، وفي نسخة (ش١) وعلى حاشيتي (م) و(ي): ناءٍ، أي: ناهض.

(١) النِّكس: الضعيف الدنِيُّ من الرجال. والوَكَلُ، بفتح الكاف وكسرها: العاجز الذي يكل أمره إلى غيره.

(٢) البُحبوحة: وسط الشيء. والشُّمّ: العالية.

(٣) في (ت): واستخرجي. ومعنى استخرطي: استكثري من الدَّمع. والجمَّات: المجتمع من الماء، فاستعاره هنا للدمع.

(٤) يا لهف نفسي، أي: يا حُزنها ويا حَسْرتها.

(٥) الضَّريح: وسط القبر. والبَلقَعة: القَفْر، يريد أنه بأرض نائية بعيدة. وتَسفي الرِّياح، أي: تصبُّ عليه التّراب.

(٦) الرَّمس: القبر أيضاً. والمَوماة: القَفْر.

(٧) استقلّت: نهضت وارتفعت. والأُدم: من الإبل البِيضُ الكِرام. والمَطيّات: جمع مَطيّة، وهي الناقة التي يُركَب مَطَاها، أي: ظهرها.

(٨) السَّرِيَّات: جمع سَرِيَّة، وهي القِطعة من الخيل يخرجون للغارَة.

أفْنـاهمُ الـدَّهرُ أم كَلَّـتْ سـيوفُهمُ ... أم كُـلُّ مـن عـاشَ أزوادُ المَنيّـاتِ[1]

أصبحتُ أَرضَى من الأقوامِ بعدَهمُ ... بَسْـطَ الوجـوهِ وإلقـاءَ التحيّـاتِ

يا عينُ وابكي أبا الشُّعْثِ الشَّجِيّاتِ ... يَبْكينَـهُ حُسَّـراً مثـلَ البَلِيّـاتِ[2]

يَبكِـينَ أكـرمَ مَـن يمشـي علـى قَـدَمٍ ... يُعوِلْنَـهُ بـدموعٍ بعـدَ عَـبْراتِ[3]

يَبكِـينَ شخصـاً طويـلَ الباعِ ذا فَجَـرٍ ... آبـي الهَضِـيمةِ فـرَّاجَ الجَلـيلاتِ[4]

يَبكِـينَ عمـرَو العُـلَا إذ حـانَ مَصـرَعُه ... سَـمْحَ السَّـجِيّةِ بسّـامَ العَشِـيّاتِ[5]

يَبكِينَـه مُسـتكيناتٍ علـى حَـزَنٍ ... يـا طُـولَ ذلـك مـن حُـزْنٍ وعَـوْلاتِ

يَبكِـينَ لمّـا جَلَاهـنَّ الزمـانُ لـه ... خُضْـرَ الخـدودِ كأمثـالِ الحَمِيّـاتِ[6]

مُحتزِمـاتٍ علـى أوسـاطِهنَّ لِمَـا ... جَـرَّ الزمـانُ مـن أحداثِ المُصيباتِ

---

(١) في نسخة على حاشية (ي): أوراد، قال أبو ذر الخُشنيّ: يريد القوم الذين يَرِدُون الموتَ، شبَّههم بالذين يَرِدُون الماء، ومن رواه: أزواد المنيَّات، فمعناه: أنهم طعام للمنيَّات.

(٢) الشُّعث: جمع شَعثاء، أي: منتفشة الشَّعر. والشَّجيّات: الحزينات. وحسَّراً، أي: مكشوفات الوجوه. والبليّات: جمع بَلِيَّة، وهي الناقة تُحبَس على قبر صاحبها، فلا تُسقَى ولا تُعلَف حتى تموت.

(٣) يُعوِلنه، أي: يرفعن أصواتهن بالبكاء عليه. والعَبرات: الدُّموع، وكان الوجه أن يقول: عَبَرات، بتحريك الباء، ولكنه خفَّفه فسكّن الباء لضرورة الشِّعر.

(٤) الباع: قدر مدّ اليدين، أراد به الكرم. والفَجَر: العطاء، كما سيأتي تفسيره لابن هشام. والهَضيمة: الذُّلّ والنَّقص. والجليلات: الأمور العِظام.

(٥) عمرو: هو اسم هاشم بن عبد مناف. والسَّجِيّة: الطبيعة. وقوله: بسّام العشيّات: يريد أنه يتبسم عند لقاء الأضياف، لأن الأضياف عندهم أكثر ما يأتون عشيّةً.

(٦) قوله: جلاهنّ الزمان له، أي: كشفهنَّ وجعلهنّ متعرّضات لحوادثه ومصائبه، وهذا المعنى يوضحه البيت الذي بعده. والحميّات: الإبل التي حُمِيَت الماء، أي: مُنِعَته.

أَبِيتُ ليلي أُراعي النجمَ من ألمٍ ... أَبكي وتَبكي معي شَجْوي[1] بُنَيّاتي

ما في القُرُومِ لهم عِدلٌ ولا خَطَرٌ ... ولا لمن تركوا شَرْوَى بَقِيّاتِ[2]

أبناؤُهم خيرُ أبناءٍ وأنفُسُهم ... خيرُ النفوسِ لدى جَهدِ الأَلِيّاتِ[3]

كم وَهَبوا من طِمِرٍّ سابحٍ أَرِنٍ ... ومن طِمِرَّةِ نَهبٍ في طِمِرّاتِ[4]

ومن سيوفٍ من الهِنديِّ مُخلَصةٍ ... ومن رماحٍ كأشطانِ الرَّكِيّاتِ[5]

ومِن توابعَ مما يُفضِلُون بها ... عند المسائلِ من بَذْلِ العَطيّاتِ

فلو حَسَبتُ وأَحصى الحاسبونَ معي ... لم أَقضِ أفعالَهم تلك الهَنيّاتِ

همُ المُدِلُّون[6] إمّا مَعشرٌ فَخَرُوا ... عند الفَخَارِ بأنسابٍ نَقيّاتِ

زَينُ البيوتِ التي خلَّوْا مساكنَها ... فأصبَحَت منهم وَحْشاً خَليّاتِ

أقولُ والعينُ لا تَرقَا مَدامعُها ... لا يُبعِدُ اللهُ أصحابَ الرَّزِيّاتِ[7]

---

(١) في (ت): شجواً. والشَّجْو: الهم والحزن.

(٢) القروم: سادات الناس، وأصله الفحولُ من الإبل. وعِدْل: مِثْل. وخَطَر، أي: قَدْر ورِفعة. وشَرْوى: كلمة بمعنى: مِثل، يقال: هذا شروى هذا، أي: مِثلُه.

(٣) الأَلِيّات: الشدائد التي يُقصِّر الإنسان بسببها، وهي أيضاً جمع أَلِيّةٍ: وهي اليمين.

(٤) طِمِرّة: فرس خفيف. وسابح، أي: كأنه يسبح في جَرْيه، أي: يَعُوم. وأَرِن: نَشِطٌ. والنهب: ما انتُهب من الغنائم.

(٥) من الهندي، أي: المنسوبة إلى الهند. والأشطان: جمع شَطَنٍ، وهو الحبل. والرَّكِيات: جمع رَكِيّة، وهي البئر.

(٦) أي: المفتخِرون بالشمائل الحميدة من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر.

(٧) لا ترقا مدامعها، أي: لا تنقص ولا تجف، وأصله الهمز فخفّفه للضرورة. والرزيّات: جمع رَزِيَّة، وهي المصيبة، وأراد بأصحاب الرزيّات هنا: الذين يحملون الناس في مصائبهم ويواسونهم بأنفسهم وأموالهم، ولذلك دعا بأن لا يُبعدَهم الله، أي: لا يُفنيهم من الوجود.

قال ابن هشام[1]: الفَجَرُ: العطاء، قال أبو خِراشٍ الهُذَليّ[2]:

عَجَّفَ أضيافي جميلُ بنُ مَعمَرٍ بذِي فَجَرٍ تَأْوي إليه الأرامِلُ

قال ابن إسحاق: أبو الشُّعثِ الشَّجِيّات: هاشمُ بن عبد مَناف.

ثم وَلِيَ عبدُ المُطَّلِب بن هاشم السِّقايةَ والرِّفادةَ بعد عمّه المُطَّلِب، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤُه يقيمون قبله لقومهم من أمرِهم، وشَرُفَ في قومه شرفاً لم يَبلُغه أحدٌ من آبائه، وأحبَّه قومه وعَظُم خَطَرُه[3] فيهم.

ذكر حَفْر زمزم وما جرى من الخُلْف فيها

ثم إن عبد المُطَّلِب بينما هو نائم في الحِجْر إذ أُتي فأُمر بحفر زمزمَ.

وكان أولَ ما ابتُدِئَ به عبد المُطَّلِب من حفرها، كما حدَّثني يزيدُ بن أبي حَبيب المِصْري، عن مَرثَد بن عبد الله اليَزَني، عن عبد الله بن زُرَيرٍ الغافقيّ: أنه سمع عليَّ ابن أبي طالبٍ رضي الله عنه يحدِّث حديثَ زمزمَ حين أُمر عبدُ المُطَّلِب بحفرها، قال: قال عبد المُطَّلِب: إني لنائمٌ في الحِجْر إذ أتاني آتٍ فقال لي: احفِرْ طَيْبةَ، قال: قلت: وما طَيبةُ؟ قال: ثم ذهب عنّي، قال: فلما كان الغدُ رجعتُ إلى مَضجَعي فنمتُ فيه، فجاءني فقال لي: احفِرْ بَرَّةَ، قال: قلت: وما برَّةُ؟ قال: ثم ذهب عنّي، فلما كان

---

(١) قول ابن هشام وبيت أبي خراش لم يردا في (غ) و(ي)، وقد تقدّما في (ت) و(ص) و(م) بعد قوله: بأنساب نقيّات، وموضعهما هنا أليَق كما في (ش١) و(ق١).

(٢) يرثي ابنَ عمه زهير بن العَجْوة، وكان قتله جميلُ بن معمر الجُمَحي يوم حُنين، كما سيأتي في قصة غزوة حنين وما قيل فيها من أشعار ٤/ ١٧٩. وانظر أيضاً «شرح أشعار الهذليّين» صنعة أبي سعيد السكَّريّ ٣/ ١٢٢١، وكتاب «الاختيارَين» للأخفش الأصغر ص٦٨٠، وفيهما: فجَّع أضيافي؛ من الفَجيعة: وهي المصيبة، وأما عجَّف فمعناه: هَزَلهم وأجَاعهم.

(٣) أي: قدرُه ومكانته.

الغدُ رجعتُ إلى مَضجَعي فنمتُ فيه، فجاءني فقال: احفِر المَضنونةَ، قال: قلت: وما المضنونةُ[1]؟ قال: ثم ذهب عنّي، فلما كان الغدُ رجعتُ إلى مَضجَعي فنمتُ فيه، فجاءني فقال: احفِرْ زمزمَ، قال: قلت: وما زمزمُ؟ قال: لا تُنزَفُ أبداً ولا تُذَمّ، تَسقي الحجيجَ الأعظَم، وهي بين الفَرْثِ والدَّم، عند نَقْرةِ الغرابِ الأعصَم، عند قرية النَّمل[2].

فلما بُيِّنَ له شأنُها، ودُلَّ على موضعها، وعَرَفَ أنه قد صُدِقَ، غَدَا بمِعوَلِه ومعه ابنه الحارث بن عبد المُطَّلِب، ليس له يومئذٍ ولدٌ غيرُه، فحَفَرَ، فلما بدا لعبد المُطَّلِب

(١) ذكر السهيليُّ في «الروض» ٢/ ١١٢: أنها سُميَت طَيبة، لأنها للطيّبين والطيّبات من ولد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وقيل لها: بَرَّة، لأنها فاضت للأبرار، وغاضت عن الفجّار، وقيل لها: المضنونة، لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين، فلا يتضلَّع (أي: يمتلئ شِبَعاً وريّاً) منها منافق.

وأما زمزمُ، فقال أبو ذرّ الخُشنيّ في «إملائه» ص٤٩-٥٠: أصل الزمزمة كلامٌ بصوت لا يُفهَم، فشُبّه صوت الماء فيها بالزَّمزَمة.

(٢) لا تُنزَف أبداً، أي: لا ينقضي ماؤُها ولا يَنفَد. ولا تُذَم، أي: لا توجد قليلةَ الماء، وبئرٌ ذَمّةٌ: قليلة الماء، لأنها تُذَمّ. والفَرْث: ما يكون في كَرِش ذوات الكَرِش من الأنعام. والغراب الأعصم: الذي في ساقيه بياض.

وقد روى عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧١٨) عن معمر عن الزُّهريّ: أن عبد المطّلب لما رأى هذه الرؤيا قام فمشى حتى جلس في المسجد الحرام ينظر ما خُبِئ له من الآيات، فنُحِرَت بقرةٌ بالحَزْورة (وهي ربوة صغيرة من الجهة الغربيّة من المسجد الحرام، وكان عندها سوق من أسواق مكة)، فأفلتت من جازرها بحُشَاشة نفسها (أي: ببقيّة روحها لم تمت بعدُ) حتى غلبها الموتُ في المسجد في موضع زمزم، فجُزِرَت تلك البقرة في مكانها حتى احتُمِل لحمها، فأقبل غرابٌ يهوي حتى وقع في الفَرْث، فبَحَثَ (أي: حفر) في قرية النمل، فقام عبد المطّلب يحفر هنالك.

الطَّيُّ[1] كبَّر، فعرفت قريشٌ أنه قد أَدرك حاجَتَه، فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المُطَّلِب، إنها بئرُ أبينا إسماعيل، وإنّ لنا فيها حقّاً فأَشرِكْنا معك فيها، قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خُصِصتُ به دونكم، وأُعطيتُه من بينكم، فقالوا له: فأنصِفْنا، فإنّا غيرُ تاركِيك حتى نخاصمَك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أُحاكِمْكم إليه، قالوا: كاهنةُ بني سعد بن هُذَيم[2]، قال: نعم، قال: وكانت بأشرافِ الشام[3].

فرَكِبَ عبد المُطَّلِب ومعه نفرٌ من بني أَبيه من بني عبد مَنَاف، وركب من كل قبيلةٍ من قريش نفرٌ ـ قال: والأرضُ إذ ذاك مَفَاوِزُ[4] ـ قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحِجاز والشام، فَنِيَ ماءُ عبد المُطَّلِب وأصحابِه، فظَمِئوا حتى أيقَنوا بالهَلَكة، فاستَسقَوا مَن معهم من قبائل قريش، فأبَوْا عليهم وقالوا: إنا بمَفازَة، ونحن نخشى على أنفسنا مثلَ ما أصابكم، فلما رأى عبد المُطَّلِب ما صَنَعَ القومُ وما يَتخوَّف على نفسه وأصحابه، قال: ماذا تَرَون؟ قالوا: ما رأيُنا إلا تَبَعٌ لرأيك، فمُرْنا بما شئت، قال: فإني أرى أن يحفرَ كل رجل منكم حفرتَه لنفسه بما بكم الآن من القوّة، فكلّما مات رجل دفعه أصحابُه في حفرته ثم وارَوْه، حتى يكونَ آخرُكم رجلاً واحداً، فضَيْعةُ رجل واحد أيسرُ من ضَيْعة رَكْبٍ جميعاً، قالوا: نِعمَ

---

(١) المِعول: الفأس. والطَّيّ: حجارة البئر المبنيّة.

(٢) قال الخشنيّ: كذا روي هنا، ورواه ابن سراجٍ (وهو إمام اللغة بالأندلس أبو مروان عبد الملك بن سراج) سعدَ هُذيم، وهو الصواب، لأن هُذيماً لم يكن أباه وإنما كَفَلَه بعد أبيه فأُضيف إليه، وهذا النحو كثير. قلنا: وسعد هذيم هؤلاء من قُضَاعة، واسم أبيه زيدٌ كما في «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٤٤٧.

(٣) أشراف الشام: ما ارتفع من أرضه، واحده: شَرَفٌ.

(٤) أي: تجمّعات الناس فيها متباعدة، يهلك في الطرق بينهم السُّفّارُ.

ما أمرتَ به.

فقام كلُّ رجل منهم فحَفَرَ حفرتَه لنفسه، ثم قَعَدوا ينتظرون الموت عطشاً، ثم إن عبد المُطَّلِب قال لأصحابه: واللهِ إنَّ إلقاءَنا بأيدينا هكذا للموت، لا نَضربُ في الأرض ونبتغي لأنفسنا، لعَجْزٌ، فعسى اللهُ أن يَرزُقَنا ماءً ببعض البلاد، فارتَحِلوا، فارتَحَلوا[1]، حتى إذا فَرَغُوا، ومَن معهم من قبائل قريشٍ ينظرون إليهم ما هم فاعلون، تقدَّم عبدُ المُطَّلِب إلى راحلته فركبها، فلما انبَعَثَت به[2] انفَجَرت من تحت خفِّها عينُ ماءٍ عَذْب، فكبَّر عبد المُطَّلِب وكبَّر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستَقَوْا حتى مَلَؤوا أسقيتَهم، ثم دعا القبائلَ من قريش فقال: هلمَّ[3] إلى الماءِ، فقد سقانا الله، فاشربوا واستَقُوا، فجاؤوا فشربوا واستَقَوا، ثم قالوا: قد واللهِ قُضِيَ لك علينا يا عبد المُطَّلِب، واللهِ لا نخاصمُك في زمزمَ أبداً، إنّ الذي سقاك هذا الماءَ بهذه الفَلَاة، لهو سقاك زمزمَ، فارجِعْ إلى سقايتك راشداً. فرَجَعَ ورجعوا معه ولم يَصِلوا إلى الكاهنة، وخلَّوْا بينه وبينها[4].

---

(١) يقال: ارتَحَل ناقتَه، إذا شدَّ عليها الرَّحْل، وهو كالسَّرج للفرس.

(٢) أي: قامت من بُروكها وقعودها.

(٣) في (ت): هلمّوا. وهذا في لغة تميم، يقولون للواحد: هلمَّ، وللاثنين: هلمّا، وللجماعة: هلمُّوا، أما لغة أهل الحجاز ـ وهي اللغة العالية ـ فيقولون للكل: هلمَّ، على لفظٍ واحدٍ. انظر «المقتضَب» للمبرّد ٣/ ٢٥ و٢٠٣.

وهلمَّ: اسم فعل أمرٍ معناه: تعالَ.

(٤) إسناده إلى عليٍّ صحيح، إلا أنه ـ كما أبوه أبو طالب ـ لم يدرك زمن هذه القصة، وأغلب الظن أنه سمعه من أبيه أو بعض عمومته يحدّثون به عن جدّه عبد المطَّلب، والله تعالى أعلم.

وأخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» ٢/ ٤٤-٤٦، والفاكهي في «أخبار مكة» (١٠٦٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ٩٣-٩٥ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

قال ابن إسحاق: فهذا الذي بلغني من حديث عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه في زمزمَ، وقد سمعت مَن يحدِّث عن عبد المُطَّلِب أنه قيل له حين أُمر بحفر زمزم:

ثم ادعُ بالماءِ الرِّوَا غيرِ الكَدِرْ يَسقي حَجيجَ اللهِ في كلِّ مَبَرّ[1]

ليس يُخافُ منه شيءٌ ما عَمِرْ[2]

فخرج عبد المُطَّلِب حين قيل له ذلك إلى قريشٍ، فقال: تَعلَّموا[3] أني قد أُمِرتُ أن أحفرَ زمزم، قالوا: فهل بُيِّن لك أين هي؟ قال: لا، قالوا: فارجِعْ إلى مَضجعِك الذي رأيت فيه ما رأيت، فإن يكن حقّاً من الله يُبيَّنْ لك، وإن يكن من الشيطان فلن يعودَ إليك، فرجع عبدُ المُطَّلِب إلى مضجعِه فنام فيه، فأُتي فقيل له: احفِرْ زمزم، إنك إن حفرتَها لم تَندَم، وهي تُراثٌ من أبيك الأعظَم، لا تُنزَفُ أبداً ولا تُذَم، تَسقي الحجيجَ الأعظم، مثلُ نعامٍ جافلٍ[4] لم يُقسَم، يَنذِرُ فيها ناذرٌ لمُنعِم، تكون ميراثاً وعَقداً مُحكَم، ليست كبعضِ ما قد تَعلَم، وهي بين الفَرْث والدَّم.

قال ابن هشام: هذا الكلام والكلام الذي قبله في حديث عليٍّ في حفر زمزم من قوله: «لا تُنزَف أبداً ولا تُذَم» إلى قوله: «عند قرية النَّمل» عندنا سَجْعٌ وليس بشِعر.

قال ابن إسحاق: فزَعَموا أنه حين قيل له ذلك، قال: وأين هي؟ قيل له: عند قرية النمل، حيث يَنقُر الغراب غداً. فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

---

(١) الماء الرِّوا: مسهَّل الرواء، وهو الماء الكثير. والمَبَرّ: هو مَفعَل من البِر، يريد مناسك الحج ومواضع الطاعة.

(٢) من العُمر، أي: ما بقي. ويروى: ما غَبَر، أي: ما بقي، وغَبَرَ من الأضداد، يكون بمعنى بقيَ، وبمعنى ذَهَبَ.

(٣) أي: اعلموا.

(٤) الجافل: الكثير الذي يجيء ويذهب، وهو السريع أيضاً.

فغَدَا عبدُ المُطَّلِب ومعه ابنه الحارث، وليس له يومئذٍ ولدٌ غيرُه، فوجد قرية النمل، ووجد الغرابَ يَنقُر عندها بين الوثنَين: إسافٍ ونائلةَ، اللَّذين كانت قريش تَنحَرُ عندهما ذبائحها، فجاء بالمِعوَل وقام ليحفرَ حيث أُمر، فقامت إليه قريش حين رأَوا جِدَّه فقالوا: والله لا نَترُكُك تَحفِرُ بين وَثَنَينا هذين اللَّذين نَنحَرُ عندهما، فقال عبد المُطَّلِب لابنه الحارث: ذُدْ[1] عني حتى أَحفِر، فوالله لأَمضِيَنَّ لما أُمرت به. فلما عرفوا أنه غيرُ نازعٍ، خلَّوْا بينه وبين الحفر وكفُّوا عنه، فلم يَحفِرْ إلا يسيراً حتى بدا له الطَّيُّ، فكبَّر وعَرَف أنه قد صُدِق.

فلما تمادَى به الحفرُ وجد فيها غزالين من ذهب، وهما الغزالان اللذان دَفَنَت جُرهُمُ فيها حين خَرَجَت من مكّة، ووجد فيها أَسيافاً قَلَعيّةً[2] وأدراعاً، فقالت له قريش: يا عبد المُطَّلِب، لنا معك في هذا شِركٌ وحقٌّ، قال: لا، ولكن هَلمَّ إلى أمرٍ نَصَفٍ[3] بيني وبينكم؛ نضربُ عليها بالقِدَاح[4]، قالوا: وكيف تصنع؟ قال: أجعل للكعبة قِدْحَين، ولي قِدْحين، ولكم قِدْحين، فمن خرج قِدْحاه على شيء كان له، ومن تخلَّف قِدْحاه فلا شيء له، قالوا: أنصفتَ. فجعل قِدْحين أَصفرين للكعبة، وقِدْحين أسودين لعبد المُطَّلِب، وقِدْحين أبيضين لقريش، ثم أَعطَوْا صاحب القِداح الذي يَضرِبُ بها عند هُبَل[5] ـ وهُبَلُ: صنم في جوف الكعبة، وهو أعظم أصنامهم،

(١) في (ت): رُدَّ. ومعنى ذُد عني: امنع عني.

(٢) بالتحريك وبسكون اللام، نسبة إلى موضع تُصنع فيه السيوف باليمن، وقيل: بالهند.

(٣) من الإنصاف.

(٤) القِدَاح، جمع قِدْح، بالكسر: وهو السهم قبلَ أن يُراشَ ويُنصَل، ويُجمع أيضاً على أقدُح وأقاديح، وكانوا يستقسمون بها، وهي التي تُسمَّى الأزلام.

(٥) في (ت): ثم أعطوا القداح للذي يضرب عند هبل.

وهو الذي يعني أبو سفيان بن حَرْب يوم أُحدٍ حين قال: اعلُ هُبَل[1] أي: ظَهَر دينُك. وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله عزَّ وجلَّ، وضرب صاحبُ القِداح، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبدِ المُطَّلِب، وتخلَّف قِدْحا قريش، فضرب عبدُ المُطَّلِب الأسيافَ باباً للكعبة، وضرب في البابِ الغزالَينِ من ذهب، فكان أوّلَ ذهب حُلِّيَتْه الكعبةُ فيما يَزعُمون.

ثم إن عبد المُطَّلِب أقام سِقايةَ زمزم للحاجِّ.

ذكر بِئار قبائلِ قريش بمكّة

قال ابن هشام: وكانت قريشٌ قبل حفرِ زمزمَ قد احتَفَرَت بِئاراً بمكّة، فيما حدَّثني زياد بن عبد الله البَكَّائي عن محمّد بن إسحاق قال: حَفَرَ عبدُ شمس بن عبد مَناف الطَّوِيَّ، وهي البئر التي بأعلى مكّة عند البيضاءِ دارِ محمّد بن يوسف[2].

وحَفَرَ هاشمُ بن عبد مَنافٍ بَذَّرَ[3]، وهي البئر التي عند المُستندَرِ خَطْمِ الخَندَمة[4] على فم شِعْب أبي طالب، وزَعَموا أنه قال حين حَفَرَها: لأجعلنَّها بلاغاً للناس[5].

---

(١) كما وقع في حديث البراء عند البخاري (٣٠٣٩)، وانظر ما سيأتي في غزوة أُحد ٣/ ٨٥.

(٢) هو الثَّقَفي أخو الحجّاج بن يوسف، وكان أميراً على اليمن، ظالماً غشوماً كأخيه. انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢/ ١١٦٦.

(٣) قال السهيليّ في «الروض» في ٢/ ١٢٦: من التبذير، وهو التفريق، ولعلَّ ماءها كان يخرج متفرّقاً من غير مكان واحد.

(٤) الخندمة: سلسلة جبلية في شرق مكة، فيكون المستندَرُ منها وهو أقربها إلى مكة، وخَطْم الجبل: ما خرج منه، ويقال له أيضاً: أنْف الجبل. والشِّعب: الموضع المنفرِج بين جبلين. وشِعب أبي طالب يعرف اليوم بشِعب عليّ كما في «معالم مكة» لعاتق البِلاديّ ص١٤٥.

(٥) أي: يتبلّغون بمائها ويتوصلون به إلى مطلوبهم من حاجتهم إلى الماء.

قال ابن هشام: وقال الشاعر[1]:

سَقَى اللهُ أمواهاً عَرَفتُ مكانَها جُرَاباً ومَلْكوماً وبَذَّرَ والغَمْرا

قال ابن إسحاق: وحَفَر سَجْلةَ، وهي بئر المُطعِم بن عَدِيّ بن نَوفَل بن عبد مَنافٍ التي يَسقُون عليها اليومَ، تَزعُم بنو نوفلٍ أن المُطعِمَ ابتاعها من أسد بن هاشم، وتَزعُم بنو هاشم أنه وَهَبَها له حين ظَهَرَت زمزمُ، فاستَغنَوْا بها عن تلك الآبار.

وحَفَر أُميّةُ بن عبد شمسٍ الحَفْرَ[2] لنفسه، وحَفَرَت بنو أسدِ بن عبد العُزَّى شُفَيَّةَ، وهي بئرُ بني أسد بن عبد العُزَّى، وحَفَرَت بنو عبد الدّار أمَّ أَحراد، وحَفَرَت بنو جُمَحَ السُّنبُلةَ، وهي بئر خَلَف بن وهب، وحَفَرَت بنو سَهمٍ الغَمْرَ، وهي بئر بني سَهْم.

وكانت آبارٌ حفائرُ خارجاً من مكّة قديمةٌ من عهد مُرّة بن كعب وكِلَاب بن مُرّة وكُبراءِ قريشٍ الأوائل، منها يَشرَبُون، وهي: رُمٌّ، ورُمٌّ بئرُ مرّة بن كعب، وخُمٌّ، وخمٌّ بئرُ بني كِلاب بن مرّة، والحَفْرُ.

وقال حُذيفة بن غانمٍ أخو بني عَدِيٍّ بن كعب بن لُؤيٍّ ـ قال ابن هشام: وهو أبو أبي جَهْم بن حُذيفة[3] ـ:

---

(١) هو كُثيِّر عزّة، وانظر «ديوانه» جمع وشرح إحسان عباس ص٥٠٣.

(٢) هكذا هو في أكثر نسخنا الخطية، بالحاء، وكذا ذكرها ياقوت في «معجم البلدان» ٢/ ١٧٥، ثم ذكر عن الحازمي أنها جَفْرة بالجيم (كما في نسختَي ش١، ق١)، وهذا في كتاب «الأماكن» للحازمي بتحقيق حمد الجاسر ص٣٦٧ ونقل ذلك عن الزبير بن بكّار عن أبي عبيدة معمر بن المثنَّى، وذكر الجاسر في حاشيته: أن جميع هذه الآبار بمكة قد انطمرت وذهبت ولم يبق إلا زمزم.

(٣) أسلم أبو جَهْم يوم الفتح، وكان من مشيخة قريش ونُسّابهم، انظر «سير النبلاء» ٢/ ٥٥٦.

وقِدْماً غَنِينا قبلَ ذلك حِقْبةً ولا نَستَقي إلا بخُمٍّ أو الحَفْرِ

قال ابن هشام: وهذا البيتُ في قصيدةٍ له، سأذكرها إن شاء الله تعالى في موضعها[1].

قال ابن إسحاق: فعَفَّتْ[2] زمزمُ على البِئار التي كانت قبلها، يَسْقي عليها الحاجُّ، وانصَرَفَ الناسُ إليها لمكانها من المسجد الحرام، ولفضلِها على ما سواها من المياه، ولأنها بئرُ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وافتَخَرَت بها بنو عبدِ مَنافٍ على قريش كلِّها وعلى سائر العرب، فقال مسافرُ بن أبي عَمرو بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنافٍ، وهو يَفخَرُ على قريشٍ بما وَلُوا عليهم من السِّقاية والرِّفادة، وما أقاموا للناس من ذلك، وبزمزمَ حين ظَهَرَت لهم، وإنما كان بنو عبد مَنافٍ أهلَ بيتٍ واحدٍ، شَرَفُ بعضهم لبعضٍ شَرَفٌ، وفضلُ بعضهم لبعضٍ فضلٌ:

وَرِثْنا المجدَ من آبا ئِنا فنَمَى بنا صُعُدا
ألم نَسقِ الحجيجَ ونَنـ ـحَرِ الدَّلّافةَ الرُّفُدا[3]
ونُلْفَى عند تَصريفِ الـ ـمَنايا شُدَّداً رُفُدا[4]
فإن نَهلِكْ فلم نُملَكْ[5] ومَن ذا خالدٌ خَلَدا

(١) قريباً في رثاء حذيفة لعبد المطّلب ص١٩٥.

(٢) أي: غطّت عليها وأذهبتها.

(٣) الدلافة يريد بها هنا الإبلَ التي تمشي متمهّلة لكثرة سِمَنها. والرُّفُد: جمع رَفُودٍ، وهي التي تملأ الرِّفدَ: وهو قَدَحٌ يُحلَب فيه.

(٤) نُلفى، أي: نوجَد، وفي نسخة (ص): ونُلقَى، وهو واضح. وشُدَّداً، أي: أشدّاء. والرُّفُد هنا من الرَّفْد: وهو الإعانة والإعطاء.

(٥) أي: لم يكن علينا والٍ ولا مَلِك.

وزمـــزمُ في أَرُومَتِنـــا[1] ونَفْقأُ عـينَ مَـن حَسَـدا

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: وقال حُذَيفة بن غانم أخو بني عَديّ بن كعب بن لُؤيّ:

وساقي الحجيجِ ثـمّ للخَـيْرِ هاشـمٍ وعبـدِ مَنـافٍ ذلـك السـيّدِ القَهـرِ[2]

طوى زمزماً عند المقام فأصبَحَت سِـقايتُه فخـراً علـى كـل ذي فَخـرِ

قال ابن هشام: يعني عبدَ المُطَّلِب بن هاشم، وهذان البيتان في قصيدةٍ لحذيفة سأذكرُها في موضعها إن شاء الله تعالى[3].

ذكر نَذْرِ عبد المُطَّلِب ذبحَ ولده

قال ابن إسحاق: وكان عبد المُطَّلِب بن هاشم ـ فيما يَزعُمون والله أعلم ـ قد نَذَرَ حين لَقِيَ من قريشٍ ما لقيَ عند حفر زمزم: لَئِن وُلِدَ له عَشَرةُ نَفَرٍ، ثم بَلَغوا معه حتى يَمنَعوه، لَينحرنَّ أحدَهم لله عند الكعبة، فلما تَوافَى بَنُوه عشرةً وعرف أنهم سيَمنَعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنَذْره، ودعاهم إلى الوفاءِ لله تعالى بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنعُ؟ قال: ليأخُذْ كلُّ رجل منكم قِدْحاً ثم يكتبْ فيه اسمه، ثم ائتوني. ففعلوا، ثم أَتَوه، فدخل بهم على هُبَلَ في جوف الكعبة، وكان هبلُ على بئرٍ في جوف الكعبة، وكانت تلك البئرُ هي التي يُجمَعُ فيها ما يُهدَى للكعبة.

---

(١) أي: في أصلنا.

(٢) في (ت) و(ش١) و(ق١): الفِهري، نسبة إلى جدّه فِهر بن مالك بن النضر بن كِنانة، وأما القَهْر، فمعناه: القاهر، وصفه بالمصدر، كما يقال: رجلٌ عَدْلٌ، ويُروى كما في «إملاء الخُشني» ص٥٢: السيد الغَمْر، والغَمرُ: الكثير العطاء.

(٣) ص١٩٣.

وكان عند هبلَ قِداحٌ سبعة، كلُّ قِدحٍ منها فيه كتابٌ: قِدحٌ فيه العَقْل[1]؛ إذا اختلفوا في العَقْل من يَحمِلُه منهم، ضربوا بالقِداحِ السبعة، فإن خرج العقلُ فعلى من خرج حَملُه، وقِدحٌ فيه «نَعَم» للأمر إذا أرادوه يُضرَبُ به في القِداح، فإن خرج قِدحُ «نعم» عَمِلوا به، وقِدحٌ فيه «لا» إذا أرادوا أمراً ضربوا به في القِداح، فإذا خرج ذلك القِدحُ لم يفعلوا ذلك الأمر، وقِدحٌ فيه «منكم»، وقِدحٌ فيه «مُلصَق»، وقِدحٌ فيه «مِن غيرِكم»، وقِدحٌ فيه «المياه» إذا أرادوا أن يَحفِروا للماء ضربوا بالقِداح وفيها ذلك القِدحُ، فحيثما خرج عَمِلوا به.

وكانوا إذا أرادوا أن يَختِنوا غلاماً، أو يُنكِحوا مَنكَحاً، أو يَدفِنوا ميتاً، أو شَكُّوا في نسبِ أحدهم، ذهبوا به إلى هُبَلَ وبمئة درهمٍ وجَزُور، فأعطَوْها صاحب القِداح الذي يَضرِبُ بها، ثم قرَّبوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إلٰهنا، هذا فلانُ بن فلان، قد أردنا به كذا وكذا، فأخرِجِ الحقَّ فيه، ثم يقولون لصاحب القِداح: اضرِبْ، فإن خرج عليه «منكم» كان منهم وَسِيطاً[2]، وإن خرج عليه «مِن غيركم» كان حَليفاً، وإن خرج عليه «مُلصَق» كان على منزلته فيهم، لا نسبَ له ولا حِلْفَ، وإن خرج فيه شيء ممّا سوى هذا مما يَعمَلون به «نعم» عَمِلوا به، وإن خرج «لا» أخَّروه عامَه ذلك حتى يأتُوه به مرّةً أخرى، يَنتَهُون في أمورهم إلى ذلك ممّا خرجت به القِداحُ.

فقال عبد المُطَّلِب لصاحب القِدَاح: اضرِبْ على بَنيَّ هؤلاءِ بقِداحِهم هذه، وأخبره بنَذْره الذي نَذَر، فأعطاه كلُّ رجل منهم قِدحَه الذي فيه اسمه، وكان عبد الله

---

(١) أي: الدِّيَة.

(٢) يعني خالصَ النَّسب فيهم، أو شريفاً فيهم.

ابن عبد المُطَّلِب أصغرَ بني أَبيه[1]، كان هو والزُّبيرُ وأبو طالبٍ لفاطمة بنت عمرو ابن عائذ بن عَبْد بن عِمران بن مَخزُوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر.

قال ابن هشام: عائذٌ ابنُ عِمران بن مخزومٍ[2].

قال ابن إسحاق: وكان عبد الله ـ فيما زَعَموا ـ أحبَّ ولدِ عبد المُطَّلِب إليه، وكان عبد المُطَّلِب يرى أن السَّهمَ إذا أخطأَه فقد أَشوَى[3]، وهو أبو رسولِ الله ﷺ، فلما أخذ صاحبُ القِداحِ القِداحَ ليضربَ بها، قام عبد المُطَّلِب عند هُبلَ يدعو الله، ثم ضرب صاحبُ القِداح، فخرج القِدْحُ على عبد الله، فأخذه عبد المُطَّلِب بيده وأخذ الشَّفْرة ثم أقبل به إلى إسافٍ ونائلةَ ليذبحَه، فقامت إليه قريشٌ من أنديَتِها[4] فقالوا: ماذا تريد يا عبدَ المُطَّلِب؟ قال: أَذبحُه، فقالت له قريش وبَنُوه: والله لا تذبحُه أبداً حتى تُعذِرَ فيه[5]، لئن فعلتَ هذا لا يزالُ الرجلُ يأتي بابنه حتى يذبحَه، فما بقاءُ الناس على هذا؟! وقال له المغيرةُ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يَقَظة، وكان

(١) قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٢/ ١٣٧: هذا غير معروف، ولعلَّ الرواية: أصغر بني أمّه، وإلا فحمزةُ كان أصغر من عبد الله، والعباسُ أصغر من حمزة... لكن رواه البكَّائي كما تقدم، ولروايته وجهٌ: وهو أن يكون أصغرَ ولد أبيه حين أراد نحرَه، ثم وُلِدَ له بعد ذلك حمزة والعباس.

(٢) قال السهيليّ ٢/ ١٣٠: الصحيح ما قاله ابن هشام؛ لأن الزُّبيريِّين ذكروا أن عبداً هو أخو عائذ بن عِمران... وقد تكرَّر هذا النسب في السيرة مراراً، وفي كل ذلك يقول ابن إسحاق: عائذ ابن عبد بن عمران، ويخالفه ابنُ هشام.

(٣) أي: لم يُصب مَقتلَه، يعني مقتل عبد المطّلب.

(٤) جمع نادٍ: وهو المجلس يكون فيه جماعة من الناس.

(٥) أي: تفعل أقصى جهدك في العذْرْ مما ستفعله به.

عبدُ الله ابنَ أختِ القوم: واللهِ لا تذبحُه أبداً حتى تُعذِرَ فيه، فإن كان فِداؤُه بأموالنا فَدَيناه، وقالت له قريش وبَنُوه: لا تفعلْ، وانطَلِقْ به إلى الحجاز، فإنّ به عَرّافةً لها تابعٌ[1]، فسَلْها، ثم أنت على رأسِ أمرك، إن أمَرَتْك بذبحِه ذبحتَه، وإن أمَرَتك بأمرٍ لك وله فيه فَرَجٌ قَبِلتَه.

فانطَلَقوا حتّى قَدِموا المدينة، فوجدوها ـ فيما يَزعُمون ـ بخَيبَرَ، فركبوا حتى جاؤوها فسألوها، وقَصَّ عليها عبد المُطَّلِب خبره وخبر ابنه، وما أراد به ونَذْرَه فيه، فقالت لهم: ارجِعوا عنّي اليوم حتى يأتيَ تابعي فأسألَه. فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها قام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم غَدَوْا عليها، فقالت لهم: قد جاءَني الخبر، كم الدِّيَةُ فيكم؟ قالوا: عشرٌ من الإبل، وكانت كذلك، قالت: فارجِعُوا إلى بلادكم، ثم قرِّبوا صاحبَكم وقرِّبوا عشراً من الإبل، ثم اضرِبوا عليها وعليه بالقِداح، فإن خَرَجَت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربُّكم، وإن خَرَجت على الإبل فانحَرُوها عنه، فقد رضيَ ربُّكم، ونجا صاحبُكم.

فخرجوا حتّى قَدِمُوا مكّة، فلما أَجمعوا ذلك من الأمر، قام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم قرَّبوا عبدَ الله وعشراً من الإبل، وعبدُ المُطَّلِب عند هُبلَ يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبلُ عشرين، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبل ثلاثين، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبل أربعين، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبل خمسين،

(١) أي: تابع يتبعها من الجنّ.

وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبل ستِّين، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبل سبعين، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبل ثمانين، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبل تسعين، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبل مئةً، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على الإبل، فقالت قريشٌ ومن حَضَرَ: قد انتهى رضا ربِّك يا عبد المُطَّلِب، فزَعَمُوا أن عبد المُطَّلِب قال: لا واللهِ حتى أضربَ عليها ثلاث مرّات، فضربوا على عبد الله وعلى الإبل، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، فخرج القِدحُ على الإبل، ثم عادوا الثانيةَ، وعبد المُطَّلِب قائم يدعو الله، فضربوا فخرج القِدحُ على الإبل، ثم عادوا الثالثةَ، وعبد المُطَّلِب قائم يدعو الله، فضربوا فخرج القِدحُ على الإبل، فنُحِرَت ثم تُرِكَت لا يُصَدُّ عنها إنسان ولا يُمنَع[1].

(١) قصة نذر عبد المطلب بهذا السياق لم يسندها ابن إسحاق، ولم نقف عليها عند غيره.

وقد أشار إلى أصل هذه القصة ابنُ عباس فيما أخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٢٣٩ من طريق يونس بن يزيد عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب عن ابن عباس قال: كان عبد المطلب بن هاشم نَذَرَ إن تَوافَى له عشرةُ رهط، أن ينحر أحدهم، فلما تَوافَى له عشرة أقرع بينهم أيُّهم ينحر! فطارت القرعةُ على عبد الله بن عبد المطلب، وكان أحبَّ الناس إلى عبد المطلب، فقال عبد المطلب: اللهمّ هو أو مئة من الإبل، ثم أقرَعَ بينَه وبينَ الإبل، فطارت القرعةُ على المئة من الإبل. ورجال الإسناد ثقات.

وروي نحو خبر ابن عباس هذا عن الزهري أيضاً مرسلاً فيما رواه عنه معمرٌ عند عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧١٨)، والأزرقي في «أخبار مكة» ٢/ ٤٣-٤٤، والبيهقي في «الدلائل» ١/ ٨٧. =

قال ابن هشام: ويقال: إنسانٌ ولا سَبُعٌ.

قال ابن هشام: وبين أضعافِ هذا الحديث رَجَزٌ لم يصحَّ عندنا عن أحدٍ من أهل العلم بالشِّعر.

ذكرُ المرأةِ المتعرِّضة لنكاح عبد الله بن عبد المُطَّلِب

قال ابن إسحاق: ثم انصرف عبدُ المُطَّلِب آخذاً بيد عبد الله، فمَرَّ به - فيما يَزعُمون - على امرأةٍ من بني أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ بن كِلَاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر، وهي أخت وَرَقة بن نَوفَل بن أسد بن عبد العزَّى، وهي عند الكعبة، فقالت حين نَظَرَت إلى وجهه: أين تذهبُ يا عبد الله؟ قال: مع أَبي، قالت: لك مثلُ الإبل التي نُحِرَت عنك وقَعْ عليَّ الآن، قال: أنا مع أَبي، ولا أستطيعُ خِلافَه ولا فِراقَه.

فخرج به عبد المُطَّلِب حتى أَتى به وهبَ بن عبد مَنَاف بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرّة ابن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر، وهو يومئذٍ سيّدُ بني زُهْرة سِنّاً وشَرَفاً، فزوَّجه ابنتَه آمنةَ بنت وهبٍ، وهي يومَئذٍ أفضلُ امرأةٍ في قريش نَسَباً وموضعاً.

هي لبَرَّة[1] بنت عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدّار بن قُصيّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر، وبرَّةُ لأم حبيبٍ بنت أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ ابن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر، وأمُّ حبيبٍ لبَرَّةَ بنت عوف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عَديّ بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر.

= وروي أيضاً مختصراً عن معاوية بن أبي سفيان من قوله عند الحاكم (٤٠٨٠) وغيره بإسناد ضعيف فيه مجاهيل.

(١) يريد أن أمّها برّةُ.

فزَعَموا أنه دخل عليها حين أُملِكَها مكانَه فوَقَعَ عليها، فحَمَلَت برسول الله ﷺ، ثم خرج من عندها فأَتى المرأةَ التي عَرَضَت عليه ما عَرَضَت، فقال لها: ما لكِ لا تَعرِضين عليَّ اليومَ ما كنتِ عَرَضتِ عليَّ بالأمسِ؟ قالت له: فارَقَك النُّورُ الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليومَ حاجةٌ. وقد كانت تسمع من أخيها وَرَقةَ بن نوفلٍ ـ وكان قد تَنصَّر واتَّبع الكتب ـ: أنه كائنٌ في هذه الأمَّة نبيٌّ[1].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ أنه حُدِّث: أنَّ عبد الله إنّما دخل على امرأةٍ كانت له مع آمنةَ بنت وهبٍ وقد عَمِلَ في طينٍ له، وبه آثارٌ من الطِّين، فدعاها إلى نفسه فأبطأَت عليه لِما رأَت به من أثرِ الطِّين، فخرج من عندها فتوضَّأ[2] وغَسَل ما كان به من ذلك الطِّين، ثم خرج عامداً إلى آمنةَ، فمرَّ بها، فدَعَتْه إلى نفسها، فأَبى عليها، وعَمَدَ إلى آمنة فدخل عليها فأصابها، فحَمَلَت بمحمّدٍ رسولِ الله ﷺ، ثم مرَّ بامرأته تلك، فقال لها: هل لكِ؟ قالت: لا، مررتَ بي وبين عينيك غُرّةٌ[3]، فدعوتُك فأَبَيتَ، ودخلتَ على آمنةَ فذَهَبَت بها.

---

(١) هذا الخبر في ذكر المرأة المتعرّضة من الزَّعم الذي لا يصح من وجه مُسنَد، ولم يسنده ابن إسحاق إنما ساقه معضَلاً.

ورواه عنه كذلك يونسُ بن بكير كما في القطعة المطبوعة من «سيرة ابن إسحاق» ص٤٢، و«دلائل النبوة» للبيهقي ١/ ١٠٢، وسلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٢٤٣.

وقد ذُكر في معنى هذه القصة ـ كما في «دلائل البيهقي» ١/ ١٠٥-١٠٨ و«تاريخ دمشق» لابن عساكر ٣/ ٤٠٣-٤٠٧ ـ بضعة أخبار مضطربة، ولا يخلو إسناد أيٍّ من هذه الأخبار من ضعفٍ وآفةٍ تسقطه.

(٢) المراد بالوضوء هنا المعنى اللُّغوي، وهو غسل وتنظيف بعض الأعضاء.

(٣) الغُرَّة: البياض والوَضاءة.

قال ابن إسحاق: فزَعَموا أنّ امرأته تلك كانت تُحدِّث: أنّه مرَّ بها وبين عَينَيهِ مثلُ غُرَّة الفَرَس، قالت: فدَعَوتُه رجاءَ أن تكون تلك بي، فأَبى عليَّ ودخل على آمنةَ فأصابها، فحَمَلَت برسول الله ﷺ[1].

فكان رسولُ الله ﷺ أَوسطَ قومه نَسَباً[2]، وأعظمَهم شَرَفاً، من قِبَل أبيه وأمِّه.

ذكر ما قيل لآمنةَ عند حَمْلها برسول الله ﷺ

ويَزعُمون ـ فيما يتحدَّث الناسُ والله أعلم ـ: أنَّ آمنةَ بنت وهبٍ أمَّ رسول الله ﷺ كانت تحدِّث: أنها أُتِيَت حين حَمَلَت برسول الله ﷺ، فقيل لها: إنكِ قد حَمَلتِ بسيِّد هذه الأُمّة، فإذا وَقَعَ إلى الأرض فقولي: أُعِيذُه بالواحد، من شرِّ كلِّ حاسد، ثم سمِّيه محمّداً[3].

ورأَت حين حَمَلَت به، أنَّه خرج منها نورٌ رأَت به قصورَ بُصْرَى[4] من أرضِ الشّام[5].

---

(١) هذا خبر لا يصحُّ كسابقه.

(٢) يعني أشرفهم وأخيرهم نسباً.

(٣) لا أصل لهذا مسنَداً، وقد رواه بنحوه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٧٨) من طريق أبي غَزيّة محمد بن موسى الأنصاريّ، عن أبي عثمان سعيد بن زيد الأنصاريّ، عن ابن بريدة، عن أبيه قال: رأت آمنة بنت وهب... وهذا إسناد تالف، أبو غزيّة هذا اتهمه ابن حبّان والدارقطنيّ بوضع الأحاديث.

(٤) بُصْرى: بلدة في بادية الشام، تقع شرق مدينة دِرْعا في جنوب سوريا، تبعد عنها ٤٠ كم، وعن مدينة دمشق حوالي ١٤٠ كم، وكانت إذ ذاك عاصمة لملوك الغساسنة التابعين للإمبراطورية الرومانيّة، وبها قصورهم وآثارهم.

(٥) رؤيا النور هذه قد وردت من غير وجهٍ يشدُّ بعضها بعضاً، فتتقوّى، وسيأتي التعليق عليها لاحقاً في الفصل التالي ص ١٨١-١٨٢.

ثمّ لم يَلبَثْ عبدُ الله بن عبد المُطَّلِب ـ أبو رسولِ الله ﷺ ـ أن هَلَكَ وأمُّ رسولِ الله ﷺ حاملٌ به[1].

(١) وفي رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق كما في القطعة المطبوعة من «سيرته» ص٤٥ ـ ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ١٨٧ ـ قال: هَلَك أبوه عبدُ الله وهي حُبلَى، ويقال: إن عبد الله هَلَك والنبيُّ ﷺ ابن ثمانية وعشرين شهراً، فالله أعلم أيُّ ذلك كان. ثمّ قال البيهقي: وقال بعضهم: مات أبوه وهو ابن سبعة أشهر. وانظر «مستدرك الحاكم» (٤٢٣٦).

قال السهيليّ في «الروض» ٢/ ١٦٠: أكثر العلماء على أنه كان في المَهْد، ذكره الدُّولابيّ وغيره، قيل: ابن شهرين، ذكره ابن أبي خيثمة، وقيل أكثر من ذلك، ومات أبوه عند أخواله بني النَّجار (يعني بيثربَ)، ذهب ليمتارَ لأهله (أي: يجلب لهم) تمراً.

قلنا: ما ذُكر أولاً عن ابن إسحاق من أنّ عبدَ الله توفي وآمنةُ حاملٌ برسول الله ﷺ، هو ما رواه أيضاً الواقديُّ عن جماعة من شيوخه كما في «طبقات ابن سعد» ١/ ٧٩ و١٢٨-١٢٩، وهو الذي رجّحه الواقديُّ وكاتبُه ابنُ سعد.

وهو قول ابن شهاب الزُّهري كما أخرجه عنه عبد الرزاق (٩٧١٨)، والبيهقي في «الدلائل» ١/ ٨٨ و١٨٧، وقول داود بن أبي هند كما أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٨٠).

ورجَّحه أيضاً البلاذُريّ في «أنساب الأشراف» ١/ ٩٢، وابن الأثير في «أسد الغابة» ١/ ٢٠، وصحَّحه الذهبيُّ في الترجمة النبوية من «تاريخ الإسلام» ١/ ٤٩٩، وابن ناصر الدين الدمشقي في «جامع الآثار في السير ومولد المختار» ٢/ ٤٢٩ فقال: هو الصحيح عند جمهور أهل السير.

وخالف في ذلك آخرون، فروى ابن سعد ١/ ٨٠ عن هشام بن السائب الكَلْبي عن أبيه، وعن عَوَانة بن الحكم أنهما قالا: توفي عبدُ الله بعدما أَتى على رسول الله ﷺ ثمانية وعشرون شهراً، ويقال: سبعة أشهر. ثم قال ابن سعد: والأول أثبتُ أنه توفي ورسول الله ﷺ حَمْلٌ.

وروى الزبير بن بكّار ـ ومن طريقه ابنُ أبي خيثمة في «تاريخه» كما في «جامع الآثار» ٢/ ٤٣١، وابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» ٣/ ٧٨ ـ عن محمد بن الحسن بن زَبَالة، عن عبد السلام بن عبد الله، عن معروف بن خرَّبوذ قال: توفي عبدُ الله ورسول الله ﷺ ابنُ شهرين.

قلنا: والراجح إن شاء الله قولُ من قال: توفي عبدُ الله ورسولُ الله ﷺ حَمْلٌ، والله تعالى أعلم.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ولادة رسول الله ﷺ ورَضَاعه

قال ابن هشام: حدّثنا زياد بن عبد الله البَكَّائيّ عن محمّد بن إسحاق المُطَّلبيّ قال: ووُلِدَ رسول الله ﷺ يومَ الاثنينِ لاثنتي عشرةَ ليلةً مَضَت من شهر ربيعٍ الأول عامَ الفِيل[1].

---

(١) أما كونه ﷺ وُلد يومَ الاثنين، فهذا قد صحَّ مرفوعاً إليه ﷺ من قوله كما في حديث أبي قتادة الأنصاريّ عند مسلم في «صحيحه» (١١٦٢) وغيره: أنّه ﷺ سُئل عن صوم الاثنين، فقال: «فيه وُلِدتُ، وفيه أُنزِلَ عليَّ».

وأما كونه في عام الفيل، فهذا مما اجتُمِع عليه كما قال خليفة بن خيّاط في «تاريخه» ص٥٣، وذكر ابن عبد البر في أول كتابه «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ص٢٨ أنه لا خلاف في ذلك.

ثم ذكر ابن عبد البر الخلافَ في اليوم والشهر، هل هو اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول أم غيرهما، والجمهور على أنه في ربيع الأول على خلافٍ منهم في أيِّ يوم هو على أقوالٍ، أشهرُها:

الأول: أنه وُلد لليلتين خَلَتا منه، نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار، ولم ينسبه الزبير إلى أحد، وهو قول أبي مَعشَر نَجيح المدني كما في «الطبقات» لابن سعد ١/ ٨١ عن الواقدي عنه. وهذا القول اختاره مُغُلطاي في «الإشارة إلى سيرة المصطفى» ص٥٦، فقد صدّر به الأقوال في مولده ﷺ كالمُقرِّ له.

والثاني: لثمانٍ خَلَون منه، وهو ما ذهب إليه ابن حَزْم في «جوامع السيرة» ص٧، وصحّحه كثيرٌ من العلماء كما في «خلاصة السير» للمحبّ الطبري ص٢٣-٢٤، وكما في «البداية والنهاية» لابن كثير ٣/ ٣٧٥.

والثالث: لعشرٍ خَلَون منه، وهو قول أبي جعفر الباقر إن صحَّ عنه، فقد رواه ابن سعد ١/ ٨١ بإسناد واهٍ عنه، وروي عن الأعمش أيضاً كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر ٣/ ٧٥، وصحّح هذا القولَ الدِّمياطيُّ في «السيرة النبوية» له ص٣٠.

والرابع: لاثنتي عشرةَ خَلَت منه، وهو قول ابن إسحاق هنا، وقد ذهب إليه ابن سيّد الناس في «عيون الأثر» ١/ ٣٣، وهذا هو المشهور عند الجمهور كما قال ابن كثير، والله تعالى أعلم. =

قال ابن إسحاق: وحدَّثني المُطَّلِب بن عبد الله بن قيس بن مَخرَمَة، عن أبيه، عن جدِّه قيس بن مَخرَمة قال: وُلِدتُ أنا ورسولُ الله ﷺ عامَ الفيل، فنحن لِدَانِ[1].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن بن عوف، عن يحيى ابن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن سعد بن زُرَارة الأنصاريِّ قال: حدَّثني مَن شئتُ من رجال قومي عن حسّان بن ثابتٍ قال: واللهِ إني لغلامٌ يَفَعةٌ، ابنُ سبعِ سنينَ أو ثمانٍ، أَعقِلُ كلَّ ما سمعتُ، إذ سمعتُ يهوديّاً يَصرُخُ على أُطُمِه بيَثرِبَ: يا معشرَ يهودَ، حتى إذا اجتَمَعوا إليه قالوا له: وَيلَك، ما لك؟ قال: طَلَعَ اللّيلةَ نجمُ أحمدَ الذي وُلِدَ به[2].

قال ابن إسحاق: فسألتُ سعيدَ بن عبد الرَّحمن بن حسّان بن ثابت فقلت: ابنُ كم كان حسّانُ بن ثابتٍ مَقدَمَ رسولِ الله ﷺ المدينةَ؟ فقال: ابن ستّينَ سنةً؛ وقَدِمَها

= تنبيه: زعم الحاكم في «المستدرك» ٥/ ١٥١ أن الأخبار تواترت أن رسول الله ﷺ وُلِد مختوناً مسروراً، فتعقّبه الذهبيُّ في «تلخيصه» فقال: ما أعلمُ صحّةَ ذلك، فكيف متواتراً؟! وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٣/ ٣٨٨: زعم بعضهم أنه متواتر، وفي هذا كلّه نظر. قلنا: وقد رُوِيَ ذلك في غيرِ ما حديثٍ بأسانيد ضعيفة جدّاً أو تالفة كما هو محرَّر في التعليق على «المستدرك» طبعة دار الرسالة العالمية.

(١) إسناده حسن من أجل المطّلب بن عبد الله، فقد روى عنه ابن إسحاق كما هنا وآخرُ عند ابن أبي شيبة في «مصنفه»، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وحسّن له الترمذيُّ هذا الخبر.

وأخرجه أحمد (١٧٨٩١)، والترمذي (٣٦١٩)، والحاكم (٤٢٢٨) من طرق عن ابن إسحاق، به. وحسّنه الترمذي، وصحّحه الحاكم.

قوله: لِدَانِ، أي: تِرْبانِ، يعني متساويان أو متقاربان في السنّ.

(٢) رجاله ثقات غير رجال قوم يحيى بن عبد الله الأنصاري فمجهولون لا يُعرَفون.

وأخرجه ابن راهويه في «مسنده» كما في «المطالب» لابن حجر (٤٢٠٥) من طريق جرير بن حازم، وابن عساكر في «تاريخه» ١٢/ ٣٨٣ من طريق إبراهيم بن سعد، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

الأُطُم: بناء مرتفع، وجمعه: آطامٌ.

رسولُ الله ﷺ وهو ابن ثلاثٍ وخمسين سنةً، فسمع حسّانُ ما سمع وهو ابن سبع سنين.

قال ابن إسحاق: فلمّا وَضَعَته أمُّه ﷺ، أرسَلَت إلى جدِّه عبد المُطَّلِب: أنه قد وُلِدَ لك غلام، فأْتِه فانظرْ إليه، فأتاه فنظر إليه، وحدَّثَته بما رأَت حين حَمَلَت به، وما قيل لها فيه، وما أُمِرَت به أن تسمِّيَه.

فيَزعُمون أن عبد المُطَّلِب أخذه فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله، ويَتشكّرُ له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمِّه فدَفَعَه إليها، والتُمِسَ لرسول الله ﷺ الرُّضَعاءُ[1].

---

(١) وكان أوّلَ من أرضعه ﷺ ثُوَيبةُ بلبن ابنٍ لها يقال له: مسروح، أياماً قبل أن تَقدَمَ حليمةُ، وكانت ثُوَيبةُ قد أرضَعَت قبلَه عمَّه حمزةَ، وأرضَعَت بعده أبا سلمة بن عبد الأَسد المخزوميّ، رواه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٨٧ عن شيخه الواقديّ بسنده إلى بَرّة بنت أبي تَجْراة رضي الله عنها.

ويشهد له حديث أم المؤمنين أم حَبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها: أنها قالت للنبي ﷺ: إنَّا نُحدَّثُ أنك تريد أن تَنكِحَ بنتَ أبي سَلَمة! فقال: «لو أنها لم تكن رَبيبتي في حَجْري ما حَلَّت لي، إنها لابنةُ أخي من الرَّضاعة، أرضَعَتْني وأبا سلمة ثُوَيبةُ». أخرجه البخاري (٥١٠١) ومسلم (١٤٤٩).

وثويبةُ هذه كانت مولاةً لأبي لهبٍ عمِّ النبي ﷺ، وقد زاد البخاري في الحديث السابق ـ وهو من رواية عروة بن الزبير عن زينب بنت أم سلمة عن أم حبيبة ـ عن عروة أنه قال: وثويبة مولاة لأبي لهب، كان أبو لهبٍ أعتَقَها، فأرضَعَت النبيَّ ﷺ، فلما مات أبو لهب أُرِيَه بعضُ أهله بشرِّ حِيبَةٍ (أي: على أسوأ حال) قال له: ماذا لَقِيتَ؟ قال أبو لهب: لم ألقَ بعدكم (أي: راحةً) غير أني سُقِيتُ في هذه (وأشار إلى النُّقرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع، كما في روايةٍ) بعَتاقتي ثُوَيبةَ.

وأما كون حمزة أخاه من الرَّضاعة، فقد جاء ذلك نصّاً أيضاً عنه ﷺ في حديث ابن عباس عند البخاري (٢٦٤٥) ومسلم (١٤٤٧)، وفي حديث عليٍّ عند مسلم (١٤٤٦)، وفي حديث أم سلمة عنده أيضاً (١٤٤٨).

قال ابن هشام: المَراضِع؛ وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ في قصة موسى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: ١٢][(١)].

قال ابن إسحاق: فاستُرضِعَ له امرأةٌ من بني سَعْد بن بَكْر يقال لها: حَليمة بنت أبي ذُؤَيب[(٢)].

وأبو ذُؤيبٍ: عبدُ الله بن الحارث بن شِجْنة[(٣)] بن جابر بن رِزَام بن ناصرة بن قُصَيّة[(٤)] بن نَصْر بن سَعْد بن بَكْر بن هَوَازن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن

---

(١) قال السهيليُّ في «الروض» ٢/ ١٦٣: الذي قاله ابن هشام ظاهر؛ لأن المَراضع جمع مُرضِع، والرُّضَعاء جمع رَضِيع، ولكن لرواية ابن إسحاق مَخرَج من وجهين، أحدهما: حذف المضاف، كأنه قال: ذوات الرُّضَعاء، والثاني: أن يكون أراد بالرُّضَعاءِ الأطفالَ على حقيقة اللفظ، لأنهم إذا وَجَدوا له مرضعةً تُرضِعه، فقد وجدوا له رضيعاً يَرضَعُ معه، فلا يَبعُد أن يقال: التَمَسوا له رضيعاً، عِلماً بأن الرضيع لا بدَّ له من مُرضِع.

ثم قال: وأما دفعُ قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادَهم إلى المراضع، فقد يكون ذلك لوجوه، أحدها: تفريغ النساء إلى الأزواج... وقد يكون ذلك منهم أيضاً لينشأ الطفلُ في الأعراب، فيكون أفصح للسانه، وأجلَدَ لجسمه، وأجدرَ أن لا يفارق الهيئة المَعَدِّيّة (يعني مَعَدّ بن عدنان، وقد كان مشهوراً بينهم بالشدّة والخشونة)... فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرُّضعاءِ إلى المَراضع الأعرابيّات.

(٢) اختلف الباحثون المعاصرون في موضع ديار بني سعد بن بكر حيث استُرضع النبي ﷺ، هل هي المعروفة الآن جنوب شرق الطائف، أم كانت شرق مكة، والراجح ـ والله أعلم ـ أن ديارهم كانت شرق مكة، فمن المستبعَد أن تأتي المراضع من مكان بعيد كجنوب الطائف إلى مكة متجاوزاتٍ الطائفَ مع شهرتها وتنافس رجالها مع رجال مكة في الغنى والجاه.

(٣) في نسخة (ص) إشارة إلى تثليث الشين، أي: بالفتح والكسر والضم، ولم يذكر ابن ماكولا في «الإكمال» ٥/ ٤٦ سوى الكسر. والشّجنة: عروق الشجر المشتبكة.

(٤) كذا وقع في نسخ «السيرة» بالقاف، وأشار السهيليُّ والخُشنيُّ إلى أنه يقال فيه: فُصَيّة، =

قيس بن عَيْلان.

واسم أبيه الذي أرضَعَه ﷺ: الحارثُ بن عبد العُزَّى بن رِفَاعة بن مَلّان بن ناصرة ابن قُصيّة بن نَصْر بن سعد بن بكر بن هَوَازن.

قال ابن هشام: ويقال: هِلال بن ناصرة.

قال ابن إسحاق: وإخوتُه من الرَّضَاعة: عبد الله بن الحارث، وأُنيسة بنت الحارث، وخِذَامة بنت الحارث، وهي الشَّيماءُ، غَلَبَ ذلك على اسمها فلا تُعرَفُ في قومها إلا به، وهم لحَليمةَ بنت أبي ذُؤَيبٍ عبدِ الله بن الحارث، أمِّ رسول الله ﷺ.

ويَذكُرون أن الشَّيماء كانت تَحضُنه مع أمِّه إذ كان عندهم.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني جَهْمُ بن أبي جَهْم مولى الحارث بن حاطبٍ الجُمَحيّ عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ـ أو عمَّن حدَّثه عنه ـ قال: كانت حَليمةُ بنت أبي ذُؤَيبٍ السَّعديّةُ أمُّ رسول الله ﷺ التي أرضَعَتْه تُحدِّث: أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابنٍ لها صغيرٍ تُرضِعه في نسوةٍ من بني سعد بن بكر يَلتمِسنَ الرُّضَعاءَ، قالت: وفي سَنَةٍ شَهباءَ[1] لم تُبقِ شيئاً. قالت: فخرجتُ على أتَانٍ لي قَمْراءَ، معنا شارفٌ لنا، واللهِ ما تَبِضُّ بقَطْرة[2]، وما ننام ليلَنا أجمعَ مع صبيِّنا الذي معي من بكائه من الجوع، ما في ثدييَّ ما يُغنِيهِ، وما في شارِفِنا ما يُغذّيهِ ـ قال ابن هشام: ويقال: يُغذّيهِ[3] ـ

= بالفاء تصغير فَصاةٍ: وهي النَّواة من التمر.

(١) السنة الشهباء: ذات قَحْط وجَدْب، والشهباء: الأرض البيضاء التي لا خضرة فيها لقلّة المطر.

(٢) الأتان: أنثى الحمار. والقمراء: التي في لونها بياض. والشارف: الناقة المُسنّة. وما تبضّ، أي: ما تسيل وما تقطر بشيء من اللبن.

(٣) يعني بالذال المنقوطة من الغِذاء، قال السهيليّ: وهو أتمُّ في المعنى من الاقتصار على =

ولكنّا كنّا نرجو الغيثَ والفَرَجَ، فخرجتُ على أتاني تلك، فلقد أَدَمتُ بالرَّكْب حتى شقَّ ذلك عليهم ضَعفاً وعَجَفاً[1].

حتى قَدِمْنا مكةَ نلتمسُ الرُّضعاءَ، فما منَّا امرأةٌ إلا وقد عُرِضَ عليها رسولُ الله ﷺ، فتَأْباه إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك أنّا إنما كنّا نرجو المعروفَ من أَبي الصبيِّ، فكنّا نقول: يتيم! وما عسى أن تصنعَ أمُّه وجدُّه؟! فكنّا نكرهُه لذلك، فما بَقِيَت امرأةٌ قدمت معي إلا أَخَذَت رضيعاً غيري، فلما أجمَعْنا الانطلاقَ قلت لصاحبي: واللهِ إني لأكرَهُ أن أرجِعَ من بين صواحبي ولم آخذْ رضيعاً، واللهِ لأذهبنَّ إلى ذلك اليتيم فلآخُذنَّه، قال: لا عليكِ أن تفعلي، عسى اللهُ أن يجعلَ لنا فيه بركةً. قالت: فذهبتُ إليه فأخذتُه، وما حَمَلَني على أخذه إلا أني لم أجِدْ غيرَه.

قالت: فلما أخذتُه رجعتُ به إلى رَحْلي، فلمّا وضعتُه في حَجْري أقبل عليه ثَدْيايَ بما شاء من لبنٍ، فشَرِبَ حتى رَوِيَ، وشرب معه أخوه حتى رَوِيا، ثم ناما، وما كنّا ننام معه قبلَ ذلك، وقام زوجي إلى شارِفِنا تلك فإذا بها حافلٌ[2]، فحَلَبَ منها ما شَرِب، وشربتُ معه حتى انتَهَينا رِيّاً وشِبَعاً، فبِتْنا بخيرِ ليلة. قالت: يقول صاحبي حين أصبَحْنا: تَعلَّمي[3] واللهِ يا حليمةُ، لقد أخذتِ نَسَمةً[4] مباركةً، قالت: قلت:

= ذكر الغَداء دون العَشاء.

(١) قولها: أَدَمتُ بالرَّكب، أي: أطلت عليهم المسافة لتمهُّلهم عليها، مأخوذ من الشيء الدائم. والعَجَف: الهُزال.

(٢) هكذا في (ت) و(ش١)، وفي (ص) و(ق١) و(م): فإذا إنها لحافل، وكانت كذلك في (ي) ثم صُحّحت كما في (ت). والحافل: الممتلئة الضَّرْع من اللبن.

(٣) معناه: اعلمي.

(٤) النَّسَمة: النّفْس.

واللهِ إني لأرجو ذلك.

قالت: ثم خرجنا ورَكِبتُ أَتاني وحَمَلتُه عليها معي، فواللهِ لقطعتُ بالرَّكْب ما يَقدِرُ عليَّ شيء من حُمُرهم، حتى إنَّ صواحبي ليقلنَ لي: يا ابنةَ أبي ذُؤيب، وَيحَكِ! ارْبَعي علينا[1]، أليست هذه أتانُك التي كنتِ خرجتِ عليها؟ فأقول لهنّ: بلى واللهِ، إنها لهيَ هيَ، فيقلن: والله إن لها لَشأناً.

قالت: ثم قَدِمْنا منازلَنا من بلاد بني سَعْدٍ وما أعلمُ أرضاً من أرضِ الله أجدبَ منها، فكانت غنمي تَرُوحُ عليَّ حين قَدِمْنا به معنا شِباعاً لُبَّناً[2]، فنَحلُبُ ونَشرَبُ وما يَحلُبُ إنسانٌ قطرةَ لبنٍ ولا يَجِدُها في ضَرْع، حتّى كان الحاضرُ[3] من قومنا يقولون لرُعيانِهم: وَيلَكم، اسرَحُوا حيث يَسرَحُ راعي بنت أبي ذُؤيب، فتَرُوحُ أغنامُهم جِياعاً ما تَبِضُّ بقطرةِ لبن، وتَرُوحُ غنمي شِباعاً لُبَّناً، فلم نَزَلْ نتعرَّفُ من الله الزيادةَ والخِيَرةَ حتى مضت سَنَتاه وفَصَلتُه[4].

وكان يَشِبُّ شَباباً لا تَشِبُّه الغِلمانُ، فلم يَبلُغْ سنتَيهِ حتى كان غلاماً جَفْراً[5].

قالت: فقَدِمْنا به على أُمّه ونحن أحرصُ شيءٍ على مُكْثِه فينا، لِمَا كنّا نرى من بركتِه، وكلَّمْنا أمَّه وقلت لها: لو تركتِ بُنيِّي عندي حتى يَغلُظَ، فإني أخشى عليه وَباءَ مكّة، قالت: فلم نَزَلْ بها حتى ردَّته معنا.

---

(١) قولهن: اربَعِي علينا، أي: أَقيمي وانتظري، يقال: رَبَعَ فلانٌ على فلان، إذا أقام عليه وانتظره.

(٢) اللُّبَّن: الغزيرات اللَّبن.

(٣) الحاضر: القوم النزول على ماءٍ يقيمون به ولا يرحلون عنه.

(٤) أي: فطمتُه.

(٥) الجَفْر: الغليظ الشديد.

قالت: فرَجَعْنا به، فواللهِ إنه بعد مَقدَمِنا به بأشهرٍ مع أخيه لفي بَهْمٍ لنا[1] خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتدُّ، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشيُّ قد أخذه رجلانِ عليهما ثيابٌ بِيضٌ، فأضجَعَاه فشقَّا بطنه، فهما يَسُوطانِه[2]. قالت: فخرجتُ أنا وأبوه نحوَه، فوَجَدْناه قائماً مُنتقَعاً وجهُه[3]، قالت: فالتزمتُه والتزَمَه أبوه، فقلنا: ما لك يا بنيَّ، قال: جاءني رجلانِ عليهما ثيابٌ بِيضٌ، فأضجَعَاني فشَقَّا بطني، فالتَمَسا فيه شيئاً لا أدري ما هو. قالت: فرَجَعْنا به إلى خِبائنا[4].

قالت: وقال لي أبوه: يا حليمةُ، لقد خَشِيتُ أن يكون هذا الغلامُ قد أُصيب، فألحقِيهِ بأهله قبل أن يَظهَرَ ذلك به.

قالت: فاحتَمَلْناه فقَدِمْنا به على أمِّه، فقالت: ما أقدَمَكِ به يا ظِئرُ[5] وقد كنتِ حريصةً عليه وعلى مُكثِه عندك؟ قالت: فقلت: قد بلَّغ اللهُ بابني وقضيتُ الذي عليَّ، وتخوَّفتُ الأحداثَ عليه، فأدَّيتُه عليكِ كما تُحبِّين، قالت: ما هذا شأنُكِ، فاصدُقِيني خبرك. قالت: فلم تَدَعْني حتى أخبرتُها، قالت: أفتخَوَّفتِ عليه الشيطان؟ قالت: قلت: نعم، قالت: كلّا واللهِ ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لِبُنيَّ لشأناً، أفلا أخبِرُكِ خبرَه؟ قالت: قلت: بلى، قالت: رأيتُ حين حَمَلتُ به أنه خرج منّي نورٌ أضاءَ لي قصورَ بُصرَى من أرض الشام، ثم حَمَلتُ به، فواللهِ ما رأيت من حملٍ قطُّ كان أخفَّ عليَّ ولا أيسرَ منه، ووقع حين ولدتُه وإنه لواضعٌ يديه بالأرض، رافعٌ

(١) البَهْم: الصِّغار من الغنم، واحدتها: بَهْمة.

(٢) يقال: سُطْتُ اللبنَ أو الدمَ أو غيرهما أَسُوطُه، إذا ضربتَ بعضَه ببعض.

(٣) أي: متغيِّراً وجهُه، يقال: انتُقِعَ وجهُ الرجل، إذا تغيَّر لونه، ويقال: امتُقِع، بالميم أيضاً.

(٤) في (ت): خيامنا. والخِباء: الخيمة.

(٥) الظِّئر: المرأة التي تُرضِع ولد غيرها.

رأسَه إلى السماء، دَعِيهِ عنكِ وانطَلِقي راشدةً[1].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني ثَوْر بن يزيد، عن بعض أهل العِلم ـ ولا أحسبُه إلا عن خالد بن مَعْدانَ الكَلَاعيّ ـ: أنّ نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله، أخبِرْنا عن نفسك؟ قال: «نعم، أنا دَعوةُ أَبي إبراهيمَ، وبُشْرى عيسى، ورأَت أمِّي حين حَمَلَت بي أنّه خَرَجَ منها نورٌ أضاءَ لها قصورَ الشام.

واستُرضِعتُ في بني سعدِ بنِ بَكْرٍ، فبَيْنا أنا مع أخٍ لي خلفَ بُيوتِنا نَرعَى بَهْماً لنا، إذ أتاني رجلانِ عليهما ثيابٌ بِيضٌ بطَسْتٍ من ذهبٍ مملوءةٍ ثلجاً، فأخذاني فشَقَّا بطني، ثم استَخرَجا قلبي فشَقَّاه فاستَخرَجا منه عَلَقةً سوداءَ فطَرَحاها، ثمّ غَسَلا قلبي وبطني بذلك الثّلجِ حتّى أنقَيَاهُ، قال: ثم قال أحدُهما لصاحبِه: زِنْهُ بعَشَرةٍ من

---

(١) إسناده ضعيف لانقطاعه المحتمَل بين جهمٍ وعبد الله بن جعفر وبين عبد الله وحليمة السعديّة، وجهمٌ قد انفرد بخبر حليمة هذا ولم يتابع عليه، وهو مجهول الحال، وقال الذهبيّ في «الميزان»: لا يُعرَف، وأدخله في كتابه «ديوان الضعفاء»، وقال الحسينيّ في «الإكمال»: مجهول. وانفرد ابن حبان فذكره في «ثقاته» على عادته في إدخال جماعة كثيرة من المجاهيل في جملة الثقات.

وأخرجه ابن راهويه في «مسنده» كما في «المطالب العالية» لابن حجر (٤٢٠٥) و(٤٢٠٦)، والطبري في «تاريخه» ٢/ ١٥٨-١٦٠، وأبو يعلى (٧١٦٣)، وابن حبان (٦٣٣٥)، والطبراني في «الكبير» ٢٤/ (٥٤٥)، والآجرّيُّ في «الشريعة» (٩٦٤)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٩٤)، وفي «معرفة الصحابة» (٧٥٦٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ١٣٢-١٣٩، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣/ ٨٨-٩١ و٩١-٩٤، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٦/ ٦٨ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وفي بعض هذه الطرق عن عبد الله بن جعفر قال: حدَّثتني حليمة، وفي بعضها: حُدِّثت عن حليمة، وهو الصواب، إذ من المستبعَد إدراك ابن جعفرٍ لحليمة وسماعه منها مع صغر سنّه وبُعد ديارها.

أُمّتِه، فوَزَنَني بعشرةٍ فوَزَنتُهم، ثم قال: زِنْهُ بمئةٍ من أُمّتِه، فوَزَنَني بهم فوَزَنتُهم، ثم قال: زِنْهُ بألفٍ من أمّتِه، فوَزَنَني بهم فوَزَنتُهم، فقال: دَعْهُ عنك، فلو وَزَنتَه بأُمّتِه لوَزَنَها»[1].

(١) صحيح لغيره، وهذا إسناد ليّن من أجل إرساله، فخالد بن معدان من التابعين، لكن روي هذا الحديث عنه موصولاً كما سيأتي لاحقاً.

وهو بطوله في «السيرة» لابن إسحاق برواية يونس بن بكير ص٥١، ومن طريق يونس أخرجه مختصراً بأوّله الحاكم (٤٢١٩)، وعنه البيهقي في «الدلائل» ١/ ٨٣-٨٤. وقد جوّد ابن كثير في «البداية والنهاية» ٣/ ٤١٣ هذا الإسناد وقوّاه ولم يشر إلى إرساله.

ورواه عن ابن إسحاق أيضاً بطوله سلمةُ بن الفضل الأبرش عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ١٦٥.

ووصله بقيّةُ بن الوليد فيما أخرجه الدارمي (١٣)، وأحمد (١٧٦٤٨)، والحاكم (٤٢٧٦) وغيرهم من طريقه عن بَحِير بن سعد، عن خالد بن مَعْدان، عن عبد الرحمن بن عمرو السُّلميّ، عن عُتبة بن عبدٍ السُّلميّ رضي الله عنه: أن رجلاً سأل رسولَ الله ﷺ فقال: كيف كان أولُ شأنك يا رسول الله؟... فذكر نحوه بطوله. وإسناده حسن في المتابعات والشواهد.

ويشهد لأوله دون قصة استرضاعه في بني سعدٍ حديث العِرْباض بن ساريَة عند أحمد (١٧١٥٠) و(١٧١٦٣)، والحاكم (٤٢٢٠)، وإسناده أيضاً حسن في المتابعات والشواهد.

وحديث أبي أمامة الباهليّ عند أحمد (٢٢٢٦١)، وإسناده كذلك حسن في المتابعات والشواهد.

وفي الباب أيضاً غيرُ ما مرسلٍ رواها ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٨٢ و٨٣.

ويشهد لقصة شقّ صدره ﷺ وهو عند ظِئره حليمةَ حديثُ أنس بن مالك عند أحمد (١٢٢٢١)، ومسلم (١٦٢)(٢٦١)، وابن حبّان (٦٣٣٤) وغيرهم. وقال ابن حبّان بإثره: شُقَّ صدر النبيّ ﷺ وهو صبيّ يلعب مع الصبيان وأُخرج منه العَلَقة، ولمّا أراد الله جلَّ وعلا الإسراءَ به، أمر جبريل بشقِّ صدره ثانياً، وأخرج قلبَه فغَسَلَه ثم أعاده مكانه؛ مرَّتين في موضعين، وهما غير متضادَّين. قلنا: يشير في شقّ الصدر في قصة الإسراء إلى حديث أنس عن أبي ذرٍّ الغِفاريّ عند البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٢)(٢٦٠) و(٢٦٢). فهاتان الحادثتان صحيحتان بلا ريبٍ.

وثمّةَ حادثة ثالثة رُوِيَت في شقّ الصدر في أول مَبعَثه ﷺ فيما أخرجه الطيالسي في «مسنده» (١٦٤٣) وأبو نعيم في «الدلائل» (١٦٣) من حديث عائشة، وإسناده ضعيف لا يصحُّ. =

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبيٍّ إلا وقد رَعَى الغنمَ» قيل: وأنت يا رسولَ الله؟ قال: «وأَنا»[1].

قال: وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابِه: «أنا أعرَبُكم، أنا قُرَشيٌّ واستُرضِعتُ في بني سعدِ بن بكرٍ»[2].

قال ابن إسحاق: وزَعَمَ الناسُ فيما يتحدَّثون ـ والله أعلم ـ: أن أمَّه السَّعديّةَ لمّا

= ويشهد لبقيّته في وزنه ﷺ بأمّته حديث أبي ذرٍّ عند الدارمي (١٤)، والبزار (٤٠٤٨)، إلا أنه وقع فيه: أن ذلك كان ببطحاء مكة، وليس ببني سعد حيث كان مسترضَعاً! ورجاله لا بأس بهم إلا أنه منقطع.

(١) قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٢/ ١٨٢: إنما أراد ابن إسحاق بهذا الحديث رعايتَه الغنمَ في بني سعد مع أخيه من الرَّضاعة، وقد ثبت في «الصحيح» أنه رعاها بمكة أيضاً على قراريطَ لأهل مكة، ذكره البخاريّ.

قلنا: أخرجه البخاري (٢٢٦٢)، وابن ماجه (٢١٤٩) من طريق سعيد بن أبي أُحيحة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ما بَعَثَ الله نبيّاً إلا رعى الغنم» فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم، كنت أَرعاها على قراريطَ لأهل مكة». انتهى، والقراريط: جمع قِيراط، وهو جزء من أجزاء الدينار، وهو نصف عشره في أكثر البلاد. قاله ابن الأثير في «النهاية».

(٢) حديث ضعيف، ولم يبيّن ابن إسحاق فيه إسناده.

لكن رواه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٩٣ عن شيخه محمد بن عمر الواقديّ، عن زكريا بن يحيى ابن يزيد السعديّ، عن أبيه، عن النبي ﷺ مرسلاً. وهذا إسناد ضعيف جداً، الواقدي متروك الحديث، وزكريا وأبوه لا يُعرَفان.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (٥٤٣٧) من حديث أبي سعيد الخُدْريّ مرفوعاً: «أنا النبيّ لا كذب، أنا ابن عبد المُطَّلب، أنا أعربُ العرب، وَلَدَتني قريش، ونشأتُ في بني سعد بن بكر، فأنَّى يأتيني اللَّحنُ؟!». وإسناده تالف، فيه مبشِّر بن عبيد، متَّهم بوضع الحديث.

قوله: «أنا أعربكم» أي: أفصحكم لساناً.

قَدِمَت به مكّةَ أضَلَّها في الناس وهي مُقبِلة به نحوَ أهله، فالتمسته فلم تَجِدْه، فأتَت عبدَ المُطَّلِب فقالت له: إني قد قَدِمتُ بمحمّدٍ هذه الليلةَ، فلما كنت بأعلى مكّة أضَلَّنى، فوالله ما أدري أين هو، فقام عبد المُطَّلِب عند الكعبة يدعو اللهَ أن يردَّه، فيَزعُمون أنه وَجَدَه وَرَقةُ بن نَوفَل بن أسد ورجلٌ آخرُ من قريش، فأتَيا به عبد المُطَّلِب، فقالا: هذا ابنُك وَجَدْناه بأعلى مكّة، فأخذه عبد المُطَّلِب فجعله على عُنقِه وهو يَطُوف بالكعبة يعوِّذُه ويدعو له، ثم أرسَل به إلى أمّه آمنة.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني بعض أهل العلم: أنَّ ممّا هاجَ أمَّه السَّعديّة على ردِّه إلى أمّه، مع ما ذَكَرَت لأمِّه مما أخبرتها عنه، أن نَفَراً من الحَبَشة نصارى رأَوه معها حين رجعت به بعد فِطامِه، فنظروا إليه وسألوها عنه وقلَّبُوه، ثم قالوا لها: لنأخُذَنَّ هذا الغلام فلنذهَبنَّ به إلى مَلِكنا وبلدنا، فإن هذا غلامٌ كائنٌ له شأنٌ نحن نعرف أمرَه، فزَعَمَ الذي حدَّثني أنها لم تَكَدْ تَنفلِتُ به منهم[1].

وفاة آمنة وحالُ رسول الله ﷺ مع جدِّه عبد المُطَّلِب بعدها

قال ابن إسحاق: فكان رسول الله ﷺ مع أمّه آمنةَ بنت وهبٍ وجدِّه عبد المُطَّلِب ابن هاشم في كِلاءَة[2] الله وحفظه، يُنبِتُه الله نباتاً حسناً لِمَا يريد به من كرامته، فلمّا بَلَغَ رسولُ الله ﷺ ستَّ سنين، توفِّيَت أمُّه آمنة بنت وهب.

قال ابن إسحاق: حدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حَزْم: أنَّ أمّ رسول الله ﷺ آمنةَ توفِّيَت، ورسولُ الله ﷺ ابنُ ستِّ سنينَ، بالأَبْواءِ بين مكّة

---

(١) لا أصل لهذا الخبر، إذ لم نقف له على إسناد، ولم يذكره سوى ابن إسحاق عن أُناس مجهولين لم يسمِّهم، فهذا مما لا يصحُّ.

(٢) الكِلاءة: الحفظ والحراسة.

والمدينة[1]، كانت قد قَدِمَت به على أخواله من بني عَديِّ بن النَّجّار تُزِيرُه إيّاهم، فماتت وهي راجعة به إلى مكّة.

قال ابن هشام: أمُّ عبد المُطَّلِب بن هاشم: سَلْمى بنت عمرو النَّجّاريَّة، فهذه الخُؤولة التي ذكر ابنُ إسحاق لرسول الله ﷺ فيهم.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مع جدِّه عبد المُطَّلِب بن هاشم، وكان يُوضَعُ لعبد المُطَّلِب فراشٌ في ظلِّ الكعبة، فكان بَنُوه يَجلِسون حول فراشِه ذلك حتى يَخرُجَ إليه، لا يَجلِسُ عليه أحدٌ من بَنيهِ إجلالاً له، قال: فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلامٌ جَفْرٌ[2] حتى يجلسَ عليه، فيأخذُه أعمامه ليؤخِّروه عنه، فيقول عبد المُطَّلِب إذا رأى ذلك منهم: دَعُوا ابني، فوالله إنَّ له لشأناً، ثم يُجلِسُه معه عليه ويمسح ظهرَه بيده، ويَسرُّه ما يراه يصنع.

فلمّا بلغَ رسولُ الله ﷺ ثمانيَ سنينَ هَلَكَ عبدُ المُطَّلِب بن هاشم، وذلك بعد الفيلِ بثماني سنين.

وفاة عبد المُطَّلِب وما رُثِيَ به من الشعر

قال ابن إسحاق: حدَّثني العبّاس بن عبد الله بن مَعبَد بن العبّاس[3]، عن بعض أهله: أن عبد المُطَّلِب تُوفِّي ورسول الله ﷺ ابنُ ثماني سنين.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمّد بن سعيد بن المُسيّب: أن عبد المُطَّلِب لمّا حَضَرَته الوفاةُ وعَرَفَ أنه ميّت جَمَعَ بناتِه، وكنَّ ستَّ نِسوةٍ: صَفيّة، وبَرّة، وعاتكة،

---

(١) وهو إلى المدينة أقرب، إذ يقع في الجنوب الغربيّ منها على بعد ١٧٠كم تقريباً.

(٢) الجَفْر: الصبيُّ إذا اشتدّ عودُه وقويَ على الأكل.

(٣) العبّاس الجَدُّ هذا: هو العباس بن عبد المُطَّلب عمُّ النبيّ ﷺ، والعباس الحفيد يروي عن أبيه وأخيه إبراهيم، وكلاهما له رواية عن عبد الله بن عباس.

وأمّ حَكِيم البيضاء، وأُمَيمة، وأَروى، فقال لهنّ: ابكِينَ عليَّ حتى أسمع ما تَقُلنَ قبل أن أموت.

قال ابن هشام: ولم أرَ أحداً من أهل العلم بالشِّعر يَعرِفُ هذا الشِّعر، إلا أنه لمّا رواه عن محمّد بن سعيد بن المُسيّب كتبناه.

فقالت صَفيّةُ بنت عبد المُطَّلِب تبكي أباها:

أَرِقتُ لصوتِ نائحةٍ بلَيلٍ ... على رجلٍ بقارعةِ الصَّعيدِ[1]

ففاضَتْ عندَ ذٰلكمُ دموعي ... على خدِّي كمُنحدَرِ الفَريدِ[2]

على رجلٍ كريمٍ غيرِ وَغْلٍ ... له الفضلُ المُبِينُ على العبيدِ[3]

على الفيّاضِ شَيْبَةَ ذي المَعَالي ... أبيكِ الخَيْرِ وارثِ كلِّ جُودِ[4]

صدوقٍ في المواطنِ غيرِ نِكْسٍ ... ولا شَخْتِ المقامِ ولا سَنيدِ[5]

طويلِ الباعِ أروَعَ شَيظَميٍّ ... مُطاعٍ في عَشيرتِه حَميدِ[6]

---

(١) الصعيد: وجه الأرض، وقارعتُه: ما ظهر منها ووَطِئَته الأقدام.

(٢) الفريد: هو الخيط المنظوم باللؤلؤ والجُمَان. والجُمَان: حبٌّ يُصاغ من الفضّة على مثال الجوهر.

(٣) الوَغْل: الفاسد. وقولها: المُبين على العَبيد، أرادت العِباد، فأوقعت العبيد موقعَه. والمُبِين: الظاهر.

(٤) قولها: أبيك الخَيْر، أرادت: الخيِّر، فخفَّفت، كما يقال: هَيْن وهَيِّن.

(٥) النِّكس: الضعيف الدَّنيء من الرجال. والشَّخت: الضئيل الحقير. والسَّنيد: الضعيف الذي يُسنِد أموره إلى غيره.

(٦) الباع: قدر مدّ اليدين، أرادت به الكرم. الأروَع: الذي يَرُوعك بجَماله. والشَّيظَميّ هنا: الطويل من الفِتيان.

رفيعِ البيتِ أبلَجَ ذي فُضولٍ وغَيثِ الناسِ في الزمنِ الجَرُودِ[1]
كريمِ الجَدِّ ليس بذِي وُصُومٍ يَرُوقُ على المُسوَّدِ والمَسُودِ[2]
عظيمِ الحِلْمِ من نَفَرٍ كِرامٍ خَضارِمةٍ مَلاوِثةٍ أُسُودِ[3]
فلو خَلَدَ امرُؤٌ لقديمِ مَجدٍ ولكنْ لا سبيلَ إلى الخُلُودِ
لكانَ مُخلَّداً أُخرى اللَّيالي لفضلِ المجدِ والحَسَبِ التَّليدِ[4]

وقالت بَرّةُ بنت عبد المُطَّلِب تبكي أباها:

أعَينَيَّ جُودا بدمعٍ دِرَرْ على طيِّبِ الخِيْمِ والمُعتصَرْ[5]
على ماجِدِ الجَدِّ واري الزِّنادْ جميلِ المُحيّا عظيمِ الخَطَرْ[6]
على شَيْبَةِ الحَمدِ ذي المَكرُماتْ وذي المجدِ والعزِّ والمُفتخَرْ
وذي الحِلمِ والفضلِ في النّائباتْ كثيرِ المكارمِ جمِّ الفَجَرْ[7]

---

(١) أبلج: مشهور. والزمن الجَرُود: زمن القحط، لأنه يَجرُد الأرض من النبات.

(٢) الوُصوم: العُيوب، واحدها: وَصْم. وقولها: يروق على... أي: يزيد فضلاً على أسياد الناس وعوامّهم.

(٣) الخضارمة: الأجواد الذين يَكثُر عطاؤهم. والمَلاوثة هنا: جمع مِلْواث، وهو القوي الشديد.

(٤) التليد: القديم.

(٥) بدمع دِرَر، أي: سائل. والخِيمُ: الخُلق الحسن، ويقال: الأصل. والمعتصَر: الأصل.

(٦) الماجد: الشريف صاحب المجد. والزِّناد: جمع زَنْد، وهو عود تُقدَح به النار، والواري: الذي يشعل النار بقدح الزَّند، وأرادت بقولها: واري الزناد، أنه كريم كثير الإطعام للناس. وجميل المحيّا: جميل الوجه. والخَطَر: القَدْر.

(٧) النائبات: جمع نائبة، وهي ما ينوب الإنسان، أي: ينزل به من المُهمّات وحوادث الدهر. وجمّ: كثير. والفَجَر: العطاء الكثير.

لـه فضـلُ مجـدٍ علـى قومِـهِ منيـرٍ يَلُـوحُ كضَـوءِ القمَـرْ
أتتـهُ المَنايـا فلـم تُشْـوِهِ بصَـرْفِ الليـالي ورَيـبِ القَـدَرْ[1]

وقالت عاتكةُ بنت عبد المُطَّلِب تبكي أباها:

أعَينَـيَّ جُـودا ولا تَـبخَلا بـدَمعِكما بعـد نـومِ النِّيـامْ
أعَينَـيَّ واسـحَنفِرا واسـكُبا وشُـوبا بكاءَكمـا بالْتِـدَامْ[2]
أعينـيَّ واسـتَخرِطا واسـجُما على رجـلٍ غيـرِ نِـكْسٍ كَهَـامْ[3]
على الجَحفَلِ الغَـمْرِ في النائباتْ كـريمِ المَسـاعي وَفِـيِّ الـذِّمَامْ[4]
علـى شَـيبةِ الحمـدِ وارِي الزِّنـادْ وذي مَصـدَقٍ بَعـدُ ثَـبْتِ المَقـامْ
وسيفٍ لَدى الحـربِ صَمْـصامةٍ ومُرْدي المُخاصِمِ عند الخِصامْ[5]
وسـهلِ الخَليقـةِ طَـلْقِ اليَـدَينْ وَفِـيٍّ عُـدْمُلِيٍّ صَـمِيمٍ لُهَـامْ[6]
تَبَنَّـكَ في بـاذِخٍ بيتُـهُ رفيـعِ الذُّؤَابـةِ صـعبِ المَـرَامْ[7]

---

(١) المنايا: جمع مَنيّة، وهو الموت. فلم تُشوِه، أي: لم تُصِب الشَّوَى (وهي جلدة الرأس وأطراف الإنسان)، بل أصابت المَقتَل، والمعنى: لم تُخطِئه المنايا. وصرف الليالي، أي: ما يتصرّف فيها من أمور. وريب القدر: حوادثه.

(٢) اسحنفِرا، أي: امتدّا في البكاء واجمَعا الدمع. واسكبا: أَسِيلا. وشُوبا: اخلِطا. والالتدام: ضرب الصَّدر باليدين عند الحزن والنِّياحة.

(٣) استخرِطا، أي: أَسيلا الدمع، وكذا اسجُما. والنِّكس: الضعيف. والكَهَام: الكَليل الذي يقصّر في أموره.

(٤) الجحفل: الكثير العطاء، والغَمْر كذلك. والذِّمام والذِّمّة واحدٌ: وهو العهد والضمان.

(٥) الصَّمصامة: السيف القاطع. والمُرْدي: الرجل الذي يفوز على صاحبه عند الخصام.

(٦) عُدمُليّ: شديد. وصميم: خالص. ولُهَام: شديد أيضاً.

(٧) تبنَّك، أي: تأصّل، من البُنْك: وهو الأصل. والباذخ: المُشرِف العالي. والذؤابة: مَنبِت =

وقالت أمُّ حَكيمٍ البيضاءُ بنت عبد المُطَّلِب تبكي أباها:

ألَا يـا عـينُ جُـودِي واسـتهِلِّي ... وبَكِّـي ذا النَّـدَى والمَكرُمـاتِ[1]

ألَا يـا عـينُ وَيحَـكِ أَسـعِدِيني ... بـدمعٍ مـن دمـوعٍ هـاطلاتِ[2]

وبَكِّـي خيـرَ مـن رَكِـبَ المَطَايـا ... أبـاكِ الخَـيْرَ تيّـارَ الفُـراتِ[3]

طويـلَ البـاعِ شَـيبةَ ذا المَعَـالي ... كـريمَ الخِـيْمِ محمـودَ الهِبَـاتِ[4]

وَصُـولاً للقَرابـةِ هِبْرِزِيّـاً ... وغَيثـاً في السـنينَ المُمحِـلاتِ[5]

ولَيثـاً حـين تَشـتَجرُ العَـوَالي ... تَـرُوقُ لـه عيـونُ النـاظراتِ[6]

عَقِيـلَ بنـي كِنانـةَ والمُرجَّـى ... إذا مـا الـدَّهرُ أَقبـلَ بالهَنَـاتِ[7]

ومَفزَعَهـا إذا مـا هـاجَ هَـيْجٌ ... بداهيـةٍ وخَصْـمَ المُعضِـلاتِ[8]

= الناصية من الرأس، تريد أنه عزيز رفيع القدر.

(١) استهلِّي، أي: أَظهري البكاء، يقال: استهلَّ الدمعُ، إذا سال وظَهَر. وذو النَّدى: صاحب السخاء والكرم.

(٢) أسعِديني، أي: أعِينيني، والإسعاد: الإعانة.

(٣) المطايا: جمع مَطيّة، وهي الناقة التي يُركَب مَطَاها، أي: ظَهْرها. والخَيْر كالخيِّر. والتيار: معظم الماء. والفرات: الماء العذب.

(٤) الباع: قدر مدّ اليدين، أرادت به الكرم. والخِيمُ: الخُلق الحسن، ويقال: الأصل.

(٥) الهِبْرزي: الحاذق في أموره.

(٦) تشتجر العوالي، أي: تختلط الرِّماح في الحرب، والعوالي: أعالي الرِّماح. وتروق له... أي: تنظر له بإعجاب.

(٧) عَقيل بني كنانة، أي: ملجؤُهم. والهَنات: جمع هَنَةٍ، وهي هنا كناية عن المصائب.

(٨) مفزعها: ملجؤها. وهاج: ثار وانتشر. والداهية: الأمر العظيم. والمعضلات: الأمور الشداد التي لا يُعلَم كيف التخلص منها.

فبكِّيـــهِ ولا تَسْـــمِيْ بحُـــزنٍ وأَبْكـي، مـا بَقِيـتِ، الباكيـاتِ[1]

وقالت أُمَيمةُ بنت عبد المُطَّلِب تبكي أباها:

ألَا هَلَـــك الرّاعـــي العَشـــيرةَ ذو الفَـــقْدِ

وســاقي الحَجِـيجِ والمُحَـامي عـن المَجـدِ[2]

ومَن يُؤلِفُ الضيفَ الغريبَ بيوتَهُ إذا ما سماءُ الناسِ تَبخَلُ بالرَّعـدِ

كَسَبتَ وَلِيداً خيرَ ما يَكسِبُ الفتى فلم تَنفَكِكْ تزدادُ يا شَيْبَةَ الحمدِ

أبو الحارثِ الفَيّاضُ خلَّى مكانَهُ فـلا تَبعَـدَنْ فكـلُّ حـيٍّ إلـى بَعْـدِ[3]

فـإنّي لَبَـاكٍ مـا بَقِيـتُ ومُوجَـعٌ[4] وكـان لـه أَهـلاً لِمـا كـان مـن وَجْـدِ

سقاكَ وليُّ الناسِ في القَبـرِ مُمطِراً فسـوفَ أُبكّيـهِ وإنْ كـان في اللَّحـدِ

فقـد كـان زَيْنـاً للعَشـيرةِ كلِّهـا وكان حَميداً حيثُ ما كان من حَمدِ

وقالت أَروى بنت عبد المُطَّلِب تبكي أباها:

بَكَـت عَيْنـي وحُـقَّ لهـا البكـاءُ علـى سَـمحٍ سَـجِيّتُه الحَيـاءُ[5]

علـى سـهلِ الخَليقـةِ أَبطَحـيٍّ كـريمِ الخِـيْمِ نِيَّتُـه[6] العَـلاءُ

---

(١) قولها: ولا تَسْمي، أرادت: ولا تسأَمي، فنقلت حركة الهمزة وحذفتها، أي: لا تَمَلِّي.

(٢) الراعي العشيرة: الحافظ لعشيرته. وذو الفقد: الذي يُفتقَد عند عدم وجوده لشدّة الحاجة إليه.

(٣) لا تَبعَدن، أي: لا تَهلِكَن، والبَعَدُ: الهلاك، وتسكين العين للضرورة الشعرية.

(٤) أَخبرت عن نفسها إخبارَ المذكَّر على معنى الشخص، أي: شخصٌ باكٍ ومُوجَع.

(٥) السَّجيّة: الطبيعة.

(٦) في (ت) ونسخة على حاشية (ص): نبَّتَه، وفي (ش١): همّتُه.

والأبطحيّ: منسوب إلى بطحاء مكّة، وهو الموضع السَّهل منها. والخِيم تقدم قريباً.

على الفيّاضِ شَيبةَ ذي المَعَالي ... أبيكِ الخَيْرِ ليس له كِفاءُ[1]

طويلِ الباعِ أملسَ شَيظَمِيٍّ ... أَغَرَّ كأنَّ غُرّتَه ضِياءُ[2]

أَقَبِّ الكَشْحِ أروَعَ ذي فُضولٍ ... له المجدُ المُقدَّمُ والسَّناءُ[3]

أَبيِّ الضَّيمِ أبلَجَ هِبْرِزِيٍّ[4] ... قَديمِ المَجدِ ليس به خَفاءُ

ومَعقِلِ مالكٍ وربيعِ فِهرٍ ... وفاصِلِها إذا التُمِسَ القَضاءُ[5]

وكان هو الفتى كَرَماً وجُوداً ... وبأساً حين تنسكبُ الدِّماءُ

إذا هابَ الكُمَاةُ الموتَ حتّى ... كأنَّ قلوبَ أكثرِهم هَواءُ[6]

مضى قُدُماً بذي رُبَدٍ خَشِيبٍ ... عليه حين تُبصِرُه البَهاءُ[7]

قال ابن إسحاق: فزَعَمَ لي محمّدُ بن سعيد بن المُسيّب أنه أشار برأسه وقد أَصمَتَ[8]: أنْ هكذا فابكِينَني.

قال ابن هشام: المُسيّب بن حَزْن بن أبي وَهْب بن عمرو بن عائذ بن عِمران بن مخزوم.

قال ابن إسحاق: وقال حُذَيفة بن غانمٍ أخو بني عَدِيِّ بن كعب بن لُؤيٍّ يبكي

---

(١) أي: ليس له مِثْل.

(٢) تقدم قريباً تفسير الباع والشيظمي.

(٣) الأقبّ: الضامر. والكشح: الخَصْر. والسَّناء: الرِّفعة والشرف.

(٤) الضَّيم: الذّل. وأبلج وهبرزيّ قد تقدّم تفسيرهما.

(٥) الفاصل: الذي يحكم ويفصل بين الناس في الخصومات.

(٦) الكُماة: الشُّجعان، واحدهم: كَمِيٌّ.

(٧) قولها: بذي رُبَد خشيب، تريد السَّيف، وسيفٌ ذو رُبَدٍ، أي: فيه لُمَع أو علامات تزيّنه، والخَشيب: الصَّقيل. والبهاء: حُسْن الهيئة وعِظَمها.

(٨) أي: سكت وعجز عن الكلام.

عبدَ المُطَّلِب بن هاشم، ويَذكُر فضلَه وفضلَ قُصيٍّ على قُريش، وفضلَ ولدِه من بعدِه عليهم، وذلك أنه أُخذَ بغُرْمِ أربعة آلاف درهمٍ بمكّة، فوُقِّفَ بها[1] فمَرَّ به أبو لَهبٍ عبدُ العزَّى بن عبد المُطَّلِب فافتَكَّه:

أعَينَيَّ جُودَا بالدُّموعِ على الصَّدرِ ... ولا تَسأَما أُسقِيتُما سَبَلَ القَطْرِ[2]

وجُودَا بدمعٍ واسفَحَا كلَّ شارِقٍ ... بكاءَ امرِئٍ لم يُشْوِهِ نائبُ الدَّهرِ[3]

وسُحّا وجُمّا واسجُمَا ما بَقِيتُما ... على ذي حياءٍ من قريشٍ وذي سِتْرِ[4]

على رجلٍ جَلْدِ القُوَى ذي حَفيظةٍ ... جميلِ المُحيَّا غيرِ نِكْسٍ ولا هَذْرِ[5]

على الماجدِ البُهلولِ ذي الباعِ والنَّدَى

ربيعِ لُؤَيٍّ في القُحوطِ وفي العُسرِ[6]

---

(١) أي: أُخذ ورُبِط من أجل ذلك.

وقد ذكر الزُّبير بن بكّار في «نسب قريش» ص٣٧٥ القصيدة الآتية لحُذافة بن غانم أخي حُذيفة، وذكر قصةً غيرَ هذه التي ذكرها ابن إسحاق في سبب أخذ حذافة، وهو أنه اتُّهم بقتل رجل من جُذام في زمن الحج بمكّة، فافتكّه منهم عبد المطَّلب وابنه أبو لهب، فمدحهما بهذا الشِّعر، ولعلّ هذا أوجه ـ والله أعلم ـ ففي آخر القصيدة يقول: فخارجُ إما أهلِكَنَّ فلا تَزَل... وخارجٌ هذا: هو ابنه خارجة بن حُذافة العدويّ، وهو من مُسلِمة الفتح.

(٢) السَّبَل: المطر.

(٣) كل شارق، أي: عند طلوع الشمس كلَّ يوم. ولم يُشوِه، أي: لم يُخطئه.

(٤) سُحّا: صُبّا. وجُمّا: أجمِعا وأكثِرا. واسجُما: أَسِيلا.

(٥) المحيَّا: الوجه. والنِّكس: الضعيف الدَّنيء من الرجال. والحفيظة: الغضب مع عِزّة. والهَذْر: الكلام الكثير في غير فائدة.

(٦) الماجد: الشريف. والبُهلول: السيّد. والنُّهى: العقول، واحدتها: نُهْية. وأراد بذي الباع والنَّدى: السخاء والكرم.

على خيرِ حافٍ من مَعَدٍّ وناعِلِ ... كريمِ المَساعي طيّبِ الخِيْمِ والنَّجْرِ[1]

وخيرِهم أصلاً وفَرْعاً ومَعدِناً ... وأحظاهمُ بالمَكرُماتِ وبالذِّكرِ

وأَوْلاهمُ بالمجدِ والحِلمِ والنُّهى ... وبالفضلِ عند المُجحِفاتِ من الغُبْرِ[2]

على شَيبةِ الحمدِ الذي كان وجهُهُ ... يُضيءُ سوادَ الليلِ كالقمرِ البَدْرِ

وساقي الحَجيجِ ثم للخَيْرِ هاشمٍ ... وعبدِ مَنافٍ ذلك السيّدِ القَهرِ[3]

طَوَى زمزماً عند المَقامِ فأَصبَحَت ... سِقايتُه فَخراً على كلِّ ذي فخرِ[4]

ليَبكِ عليه كلُّ عانٍ بكُرْبةٍ ... وآلُ قُصيٍّ من مُقِلٍّ وذي وَفْرِ[5]

بَنُوه سَراةٌ كَهلُهم وشَبابُهم ... تَفَلَّقُ عنهم بَيضةُ الطائرِ الصَّقرِ[6]

قُصيُّ الذي عادَى كِنانةَ كُلَّها ... ورابَطَ بيتَ الله في العُسرِ واليُسرِ[7]

فإنْ تكُ غالَتْه المَنايا وصَرْفُها ... فقد عاشَ ميمونَ النَّقيبةِ والأَمرِ[8]

وأبقى رجالاً سادةً غيرَ عُزَّلٍ ... مَصاليتَ أمثالَ الرُّدَينيّةِ السُّمْرِ[9]

---

(١) الخِيمُ: الخُلق الحسن، ويقال: الأصل. والنَّجْر: الأصل كذلك.

(٢) الغُبر: السنون المُقحِطات. والمجحفات: التي تذهب بالأموال.

(٣) في (ت) و(ق١): الفِهري، نسبة إلى جدّه فِهر بن مالك بن النضر بن كِنانة. وأما القَهْر، فمعناه: القاهر، وصفه بالمصدر، كما يقال: رجلٌ عَدْلٌ، ويُروى كما في «إملاء الخُشني» ص٥٢: السيّد الغَمْر، والغَمرُ: الكثير العطاء. وأراد بالخَيْر: الخيِّر، كما يقال: هَيْن وهيِّن.

(٤) طوى زمزماً، أي: بناها وأصلحها بالحجارة.

(٥) العاني: الأسير. والكُربة: الشِّدّة.

(٦) سَرَاة: أشرافٌ خِيار.

(٧) عادَى كنانة، من العَدْو: وهو الجري، فكأنه أراد: نافَسَهم في التقدّم والجاه فسبقهم.

(٨) غالته: ذَهَبَت به وأهلكته. والنقيبة: النفس. والميمون: السعيد المحظوظ.

(٩) عُزَّل: ضِعاف لا سلاح معهم. ومصاليت: شجعان. والرُّدينيّة: رماح تُنسَب إلى رُدينة، =

أَبــو عُتْبــةَ المُلْقِــي إلــيَّ حِبــاءَهُ أغــرُّ هِجَــانُ اللــونِ مــن نَفَــرٍ غُــرِّ[1]

وحَمــزةُ مثــلُ البَــدرِ يَهتَــزُّ للنَّــدَى نقــيُّ الثيــابِ والــذِّمامِ مــن الغَــدْرِ[2]

وعبــــدُ مَنــــافٍ ماجــــدٌ ذو حَفِيظــــةٍ

وَصُــولٌ لــذي القُربَــى رحــيمٌ بــذي الصِّــهرِ

كُهــولُهمُ خيــرُ الكُهــولِ ونَســلُهمْ كنَســلِ الملــوكِ لا تَبُــورُ ولا تَــحْرِي[3]

متــى مــا تُلاقــي منهمُ الــدَّهرَ ناشــئاً تَجــدْه بإِجْرِيّــا أَوائلُــه يَــجْرِي[4]

هــم مَلَــؤوا البَطْحــاءَ مجــداً وعِــزّةً إذا استُبِقَ الخيراتُ في سالفِ العَصرِ

وفــيهم بُنــاةٌ للعُــلَا وعِمــارةٌ وعبــدُ مَنــافٍ جَــدُّهم جابرُ الكَسرِ

بإنكــاحِ عــوفٍ بِنتَــه ليُجِيرَنــا مــنَ أعــدائِنا إذْ أسلَمَتْنا بنــو فِهــرِ[5]

فسِــرْنا تِهــاميَّ الــبلادِ ونَجْدَهــا بأمنِهِ حتّى خاضتِ العِيرُ في البحرِ[6]

= وهي امرأة في الجاهلية كانت تسوّي الرِّماح بخَطّ هَجَر، موضع باليمامة.

(١) أبو عتبة: هي كنية أبي لهب. والحِباء: العَطاء. وهِجَان اللون، أي: أبيض. والغُر: جمع أَغرّ، وهو الشريف.

(٢) النَّدى: السخاء والكرم. والذِّمام: الذِّمّة، وهي العهد والضمان.

(٣) لا تبور، أي: لا تَهلِك. ولا تحري، أي: لا تَنقُص.

(٤) الناشئ: الصغير. والإجريّا: السيرة، وهي ما يجري عليه الرجل من أفعال آبائه ويتعوّده.

(٥) هكذا وقع لابن إسحاق: بنو فهر، والصواب كما في «المنمَّق في أخبار قريش» لمحمد بن حبيب البغداديّ ص٢٣٢: بنو بكر، وأراد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة، وكانوا قد استعلَوا على قريش في مكة، فحالف عبدُ مناف بن قصيٍّ بطوناً من العرب وسُمُّوا الأحابيش، منهم من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة عوفُ بن عامر، فزوّجه عبدُ مناف ابنتَه رَيطة، ليزيدَ من شدّة الحِلْف.

(٦) تهاميّ البلاد: ما انخفض منها، ونجدها: ما علا منها. والعِير: الإبل.

وهـم حَضَـروا والنـاسُ بـادٍ فـريقُهمْ ... ولـيس بهـا إلا شـيوخُ بنـي عَمـرِو[1]

بَنَوْهـا دِيـاراً جَمّـةً وطَـوَوْا بهـا ... بِئـاراً تَسِـحُّ المـاءَ مـن ثَـبَجٍ بَحـرِ[2]

لكيْ يشـربَ الحُجّاجُ منها وغيـرُهم ... إذا ابتَـدَرُوها صُـبحَ تابعـةِ النَّحـرِ

ثلاثـةَ أيـامٍ تَظَـلُّ رِكـابُهم ... مُخيَّسـةً[3] بـين الأخاشـبِ والحِـجْرِ

وقِـدْماً غَنِينـا قبـلَ ذلـك حِقْبـةً ... ولا نَسـتَقي إلا بخُـمٍّ أَو الـحَفْرِ[4]

هـمُ يَغفِـرون الـذَّنبَ يُـنقَمُ دونَـهُ ... ويَعفُونَ عـن قـولِ السَّـفاهةِ والـهُجْرِ[5]

وهـمْ جَمَعـوا حِلفَ الأحـابيشِ كُلِّهـا ... وهـمْ نَكَّلـوا عنهـا غُـوَاةَ بنـي بَكـرِ[6]

فخـارِجُ[7]، إمَّـا أَهلِكَـنَّ فـلا تَـزَلْ ... لهـم شـاكراً حتّـى تُغيَّـبَ في القَبـرِ

---

(١) حضروا، أي: صاروا أهل حَضَرٍ، وهو خلاف البادية. وأراد ببني عمرٍو بني هاشم، فهاشم لقب واسمه عمرو.

(٢) في (ت): ثبجٍ يَجْري، وفي نسخة على حاشية (ص): تَجْرِ، وفي (ش١) و(ق١): ثبج البحر.

ومعنى جمّة: كثيرة. وتسحُّ: تصب. وثَبَج الشيء: معظمه وأعلاه.

(٣) في (ت): مُحيِّسة، وفي (ق١) و(ي): مُحبَّسة. وكلّها صحيحة، فمحيِّسة من الحَيس، وهو من أنواع الأطعمة، يريد أصحاب الرِّكاب، وهي الإبل، ومحبَّسة من الربط والحبس، يريد الرِّكاب، ومعنى مخيَّسة: مذلَّلة. والأخاشب: جبال مكّة، وهما جبلان، فجَمَعَهما مع ما يليهما.

(٤) خمّ والحفر: اسم بئرين.

(٥) دونه، أي: أقل منه. والهُجْر: القبيح من الكلام الفاحش.

(٦) على هامش (ي) هنا: قال ابن هشام: الأحابيش يريد بني كنانة. وصحح عليها.

والأحابيش: مَن حالف قريشاً من القبائل ودخل في عهدها وذمّتها. ونكّلوا: صرفوا وزجروا.

(٧) أراد: يا خارجةُ، فحذف حرف النداء ورخَّم. وخارجة هذا تقدم التعريف به عند أول القصيدة.

ولا تنسَ ما أَسدَى ابنُ لُبْنى فإنّهُ ... قدَ اسْدَى يداً محقوقةً منكَ بالشُّكرِ[1]

وأنت ابنَ لُبْنى من قُصيٍّ إذا انتَمَوا ... بحيثُ انتهى قَصْدُ الفؤادِ من الصَّدْرِ

وأنت تناولتَ العُلَا فجمعتَها ... إلى مَحتِدٍ للمَجدِ ذي ثَبَجٍ جَسْرِ[2]

سبقتَ وفُتَّ القومَ بَذْلاً ونائلاً ... وسُدْتَ وَليداً كلَّ ذي سُودَدٍ غَمْرِ[3]

وأمُّكَ سِرٌّ من خُزاعةَ جَوهَرٌ ... إذا حَصَّل الأنسابَ يوماً ذَوُو الخُبْرِ

إلى سَبأِ الأبطالِ تُنمَى وتَنتَمي ... وأَكرِمْ بها منسوبةً في ذُرَا الزُّهْرِ[5]

أبو شَمِرٍ منهمْ وعمرُو بنُ مالكٍ ... وذو جَدَنٍ من قومِها وأبو الجَبْرِ[6]

وأسعدُ قادَ الناسَ عشرينَ حِجّةً ... يؤيَّدُ في تلك المواطنِ بالنصرِ[7]

قال ابن هشام: قوله: وأمُّك سِرٌّ من خُزاعة، يعني أبا لهبٍ، أمُّه لُبنى بنت هاجِرٍ الخُزاعيّ. وقوله: بإجْرِيّا أوائلِه، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال مطرودُ بن كعبٍ الخُزاعيُّ يبكي عبدَ المُطَّلِب وبني عبدِ مَنافٍ:

---

(١) أسدى: أعطى. وابن لبنى: هو أبو لهب، ولبنى أمّه.

(٢) المحتِد: الأصل. والجَسر: الماضي فى أموره القويّ عليها.

(٣) السُّودد ـ بالواو ويُهمَز ـ: الشرف والسِّيادة. والغَمْر: الكثير العطاء.

(٤) سرٌّ، أي: خالصة النَّسب.

(٥) الذُّرى: الأعالي، والزُّهر: جمع الأزهَر، وهو الأبيض المُشرِق الوجه.

(٦) أبو شَمِر وعمرو وذو جَدَن وأبو الجبر وأسعد، كلُّهم ملوك اليمن، وأسعدُ كان أعظمهم. وهؤلاء من التبابعة ملوك اليمن، وإنما جعلهم مَفخراً لأبي لهبٍ، لأن أمّه خُزاعيّة من سبأ، والتبابعة كلهم من حِميَر بن سبأ، قاله السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٢١٠، لكن كون خزاعة من سبأ من اليمن ممّا فيه خلاف، وقد تقدم ص٨٤ و١٠٠ عند المصنف ذكرُ هذا.

(٧) حجّة، أي: سنة.

يـا أيُّهـا الرجـلُ المُحـوِّلُ رَحْلَـهُ هـلّا سـألتَ عـنَ الِ عبـدِ مَنـافِ
هَبَلَتـكَ أمُّكَ لـو حَلَلـتَ بـدارِهم ضَـمِنُوك مِـن جُـرْمٍ ومـن إقـرافِ[1]
المُنعِمِـينَ إذا النجـومُ تغيَّـرَت والظـاعِنينَ لِرِحْلَـةِ الإيـلافِ[2]
والمُطعِمينَ إذا الرِّياحُ تناوَحَت حتى تَغِيبَ الشمسُ في الرَّجّافِ[3]
إمّا هَلَكتَ أبا الفِعَالِ فما جَرَى من فوقِ مِثلِك عِقدُ ذاتِ نِطافِ[4]
إلّا أَبيكَ[5] أَخي المكارمِ وحدَهُ والفَيضِ مُطَّلِبٍ أبي الأضيافِ

قال ابن إسحاق: فلمّا هَلَك عبدُ المُطَّلِب بن هاشمٍ، وَلِيَ زمزمَ والسِّقايةَ عليها بعده العبّاسُ بن عبد المُطَّلِب، وهو يومئذٍ من أحدثِ إخوته سِنّاً، فلم تَزَلْ إليه حتى قام الإسلام وهي بيده، فأقرَّها رسولُ الله ﷺ له على ما مضى من ولايتِه، فهي إلى آل العبّاس، بولاية العبّاس إياها، إلى هذا اليوم.

---

(١) هبلتك، أي: فقدتك. والإقراف: مقاربة الهُجنة في النسب.

وروى السهيليُّ ٢/ ٢١١ هذا الشعر: منعوك من جَوْر ومن إقراف، ثم شرحه فقال: أي: منعوك من أن تُنكِح بناتك أو أخواتك من لئيم، فيكون الابن مُقرفاً للُؤم أبيه وكرم أمّه، فيلحقه وَصْم من ذلك.

(٢) إذا النجوم تغيرت، يعني: استحالت عن عادتها من المطر، على مذهب العرب في النجوم. والظاعنين: الراحلين.

(٣) تناوحت: تقابلت، يقال: تناوح الجبلان، إذا تقابلا. والرَّجّاف: البحر، لأنه يَرجُف، أي: يضطرب.

(٤) قال أبو ذرٍّ الخُشنيّ في «إملائه» ص٦١: من روى: عِقْد ذات نطاف، بكسر العين، فالنِّطاف جمع نَطَفة، وهي القُرْط الذي يُعلَّق في الأذن، ومن رواه: عَقْد، بفتح العين، فالنِّطاف جمع نُطْفة من الماء، وهو القليل الصافي منه.

(٥) على حاشيتي (ص) و(م): أراد: إلا فوق أبيك.

كفالة أبي طالبٍ لرسول الله ﷺ

فكان رسول الله ﷺ بعد عبد المُطَّلِب مع عمِّه أبي طالب، وكان عبد المُطَّلِب ـ فيما يَزعُمون ـ يُوصِي به عمَّه أبا طالب، وذلك لأنّ عبد الله ـ أبا رسول الله ﷺ ـ وأبا طالبٍ أَخَوان لأبٍ وأمٍّ، أمُّهما فاطمةُ بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عِمران بن مخزوم.

قال ابن هشام: عائذٌ ابنُ عِمران بن مخزوم.

قال ابن إسحاق: فكان أبو طالب هو الذي يَلِي أمرَ رسول الله ﷺ بعد جدِّه، فكان إليه ومعه.

قال ابن إسحاق: حدَّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير، أن أباه[1] حدَّثه: أن رجلاً من لِهْبٍ ـ قال ابن هشام: لِهبٌ من أزدِ شَنُوءة ـ كان عائفاً[2]، فكان إذا قَدِمَ مكّة أتاه رجالٌ من قريش بغِلْمانهم يَنظُرُ إليهم ويَعتافُ لهم فيهم. قال: فأَتى به أبو طالبٍ وهو غلام مع من يأتيه، فنَظَر إلى رسول الله ﷺ، ثمّ شَغَلَه عنه شيءٌ، فلما فَرَغَ قال: الغلامُ عليَّ به، فلما رأى أبو طالب حِرصَه عليه غيَّبَه عنه، فجعل يقول: وَيلَكم، رُدُّوا عليَّ الغلامَ الذي رأيت آنفاً، فواللهِ ليكونَنَّ له شأن. قال: وانطَلَق به أبو طالب.

قال ابن إسحاق: ثم إنّ أبا طالب خرج في رَكْبٍ تاجراً إلى الشام، فلمّا تَهيَّأ للرَّحيل

---

(١) يحيى وأبوه تابعيّان ثقتان، فالخبر مرسلٌ.

(٢) العائف: هو الذي يَزجُر الطير، أي: يرميها بحصاة فتطير، فيتكهّن عند ذلك من أحوال طيرانها يمنةً أو يسرةً وأين تسقط، وكان أشهر العرب بالعِيافة في الجاهليّة بنو لِهب، قبيلة من اليمن.

وأجمَعَ المَسِيرَ ضَبَّ به[1] رسولُ الله ﷺ ـ فيما يَزعُمون ـ فرَقَّ له أبو طالب وقال: واللهِ لأخرُجنَّ به معي، ولا يُفارِقُني ولا أفارقُه أبداً ـ أو كما قال ـ فخرج به معه، فلمّا نزل الرَّكْبُ بُصرَى[2] من أرضِ الشام، وبها راهبٌ يقال له: بَحِيرا في صَومَعةٍ له، وكان إليه عِلمُ أهل النَّصرانيّة[3]، ولم يَزَلْ في تلك الصَّومعة منذُ قَطُّ[4] راهبٌ، إليه يصيرُ عِلمُهم عن كتابٍ فيها[5] ـ فيما يَزعُمون ـ يَتوارثُونه كابراً عن كابرٍ.

فلما نزلوا ذلك العامَ ببَحِيرا، وكانوا كثيراً ما يَمرُّون به قبل ذلك فلا يُكلّمُهم ولا يَعرِضُ لهم حتّى كان ذلك العامُ، فلمّا نزلوا به قريباً من صومعتِه، صَنَعَ لهم طعاماً كثيراً، وذلك فيما يَزعُمون عن شيءٍ رآه وهو في صومعته، يَزعُمون أنه رأى رسولَ الله ﷺ ـ وهو في صومعته ـ في الرَّكْب حين أَقبَلوا، وغَمامةٌ تُظِلُّه من بين القوم، ثم أَقبَلوا فنَزَلُوا في ظلِّ شجرةٍ قريباً منه، فنَظَرَ إلى الغَمَامةِ حين أظلَّت الشجرةَ، وتَهصَّرت أغصانُ الشجرة[6] على رسول الله ﷺ حتى استظلَّ تحتَها، فلما

(١) هكذا في (ش١) و(ص) و(ق١) و(م) بالضاد، ومعناه: تعلّق به وامتسك، وفي (ت) و(غ) و(ي): صبَّ، بالمهملة، ومعناه: مال إليه ورقَّ قلبه إليه. وذكر السهيليُّ في «الروض الأنف» ٢/ ٢٢١ أنه عند بعض رواة «السيرة»: ضَبِثَ به، أي: لَزِمَه.

(٢) الرَّكب: المسافرون.

وبُصرى تقدّم التعريف بها عند ولادة النبي ﷺ ورؤيا أمه آمنة عندما حملت به ص١٧١.

(٣) كذا وقع لابن إسحاق أنه نصراني، وذكر الزهريُّ ـ كما في رواية معمر عنه في «مصنف عبد الرزاق» (٩٧١٨) ـ أنه كان حَبْراً من أحبار يهود بتيماءَ ولم يسمِّه، وأنه أمر عمَّه بالرجوع به، فرجع به من تيماء. وذكر قصّته مختصرة ليس فيها شيء من هذه الآيات المذكورة.

(٤) القَطُّ: الدهر أو الزمن الماضي.

(٥) لفظ «فيها» من (ت) و(ش١) و(غ) دون البقية النسخ، والضمير فيه يعود إلى الصومعة.

(٦) أي: مالت وتدلَّت، تقول: هَصَرتُ الغصنَ، إذا جذبتَه إليك حتى يميل.

رأى ذلك بَحِيرا نَزَلَ من صومعته، وقد أَمر بذلك الطعامِ فصُنِعَ، ثم أَرسل إليهم فقال: إني قد صنعتُ لكم طعاماً يا معشرَ قريش، فأنا أحبُّ أن تَحضُروا كلُّكم، صغيرُكم وكبيرُكم، وعبدُكم وحُرُّكم، فقال له رجل منهم: واللهِ يا بَحِيرا إنَّ لك لشأناً اليومَ، ما كنتَ تَصنَعُ هذا بنا، وقد كنَّا نَمرُّ بك كثيراً، فما شأنُك اليومَ؟ قال له بَحِيرا: صدقتَ، قد كان ما تقول، ولكنّكم ضَيفٌ، وقد أحببتُ أن أُكرِمَكم وأصنعَ لكم طعاماً فتأكلوا منه كلُّكم.

فاجتمعوا إليه، وتخلَّف رسولُ الله ﷺ من بين القوم لحَدَاثةِ سِنِّه في رِحَال القوم تحت الشَّجرة، فلمّا نَظَرَ بَحِيرا في القوم لم يرَ الصِّفةَ التي يَعرِفُ ويَجِدُ عنده، فقال: يا معشرَ قريش، لا يَتخلَّفنَّ أحدٌ منكم عن طعامي، قالوا له: يا بَحِيرا، ما تَخلَّف عنك أحدٌ ينبغي له أن يأتيَك إلا غلام، وهو أحدَثُ القوم سنّاً، فتخلَّف في رِحَالهم، فقال: لا تفعلوا، ادْعُوه فليَحضُرْ هذا الطعامَ معكم، قال: فقال رجلٌ من قريشٍ مع القوم: واللَّاتِ والعُزَّى، إن كان للُؤْماً بنا أن يَتخلَّف ابنُ عبد الله بن عبد المُطَّلِب عن طعامٍ من بيننا، ثم قام إليه فاحتَضَنَه[1] وأجلَسَه مع القوم.

فلمّا رآه بَحِيرا جعل يَلحَظُه لَحْظاً شديداً ويَنظُرُ إلى أشياءَ من جسده، قد كان يَجِدُها عنده من صِفَتِه، حتى إذا فَرَغَ القومُ من طعامهم وتفرَّقوا، قام إليه بَحِيرا، فقال له: يا غلامُ، أسألُك بحقِّ اللّاتِ والعُزَّى إلّا ما أخبرتَني عمّا أسألُك عنه. وإنما قال له بَحِيرا ذلك، لأنه سمع قومَه يَحلِفُون بهما، فزَعَمُوا أنَّ رسول الله ﷺ قال له: لا تسألْني باللّاتِ والعُزَّى شيئاً، فو اللهِ ما أبغَضتُ شيئاً قطُّ بُغضَهما، فقال له بَحِيرا: فباللهِ إلّا ما أخبرتَني عمّا أسألُك عنه، فقال له: سَلْني عمّا بَدَا لك. فجعل

(١) أي: أخذه مع حِضْنه، أي: مع جنبه.

يسألُه عن أشياءَ من حالِه من نومِه وهيئتِه وأمورِه، فجعل رسولُ الله ﷺ يخبره، فيوافقُ ذلك ما عند بَحِيرا من صفتِه، ثم نَظَرَ إلى ظَهرِه فرأَى خاتمَ النبوَّة بين كَتِفَيه على موضعه من صفتِه التي عنده.

قال ابن هشام: وكان مثلَ أَثر المِحجَم[1].

قال ابن إسحاق: فلمّا فَرَغَ، أقبَلَ على عمِّه أبي طالب، فقال: ما هذا الغلامُ منك؟ قال: ابني، قال له بَحِيرا: ما هو بابنِك، وما يَنبَغي لهذا الغلامِ أن يكون أبوه حيّاً، قال: فإنه ابنُ أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمُّه حُبْلى به، قال: صدقتَ، ارجِعْ بابن أخيك إلى بلده، واحذَرْ عليه يهودَ، فواللهِ لَئِن رأَوْه وعَرَفوا منه ما عَرَفتُ ليَبْغُنَّه شرّاً، فإنه كائنٌ لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم، فأَسرِعْ به إلى بلاده. فخرج به عمُّه أبو طالب سريعاً حتى أقدَمَه مكّةَ حين فَرَغَ من تجارتِه بالشام[2].

---

(١) المِحجَم: اسم للآلة التي يُحجَم بها. وأراد بهذا الوصف لخاتم النبوّة أنه ناتئٌ، وقد صحَّ في وصف هذا الخاتم حديث السائب بن يزيد الكِنديّ عند البخاري (١٩٠) ومسلم (٢٣٤٥): أنه كان بين كتفيه ﷺ مثلُ زرّ الحَجَلة؛ أي: بَيض الحجلة، وهو طائر، ومثله حديث جابر بن سَمُرة عند مسلم (٢٣٤٤) وقال فيه: كأنه بيضة حمام. وزاد في حديث عبد الله بن سَرجِس عند مسلم (٢٣٤٦): أنه كان على هذا الخاتم خِيلانٌ كهيئة الثآليل؛ والخِيلان: جمع خالٍ، وهو الشامَة.

(٢) قصة بحيرا هذه في «سيرة ابن إسحاق» براوية يونس بن بكير عنه أيضاً ص٧٣-٧٥، ولم يُسنِدها ابن إسحاق فنتبيَّن حال رواتها عنده، وعدَّ الحافظ قِوام السنّة الأصبهاني في كتابه «المبعث والمغازي» ١/ ١٣٣ قصة بحيرا هذه من الغرائب.

وقد أسندها بنحو هذا السِّياق ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٢٨-١٢٩ عن شيخه محمد بن عمر الواقديّ عن ثلاثة من أتباع التابعين معضَلةً لم يبيِّنوا عمّن رَوَوها، والواقدي متروك عند جمهور أهل الحديث.

ورواها بنحو هذا مسنَدةً الترمذي (٣٦٢٠)، والحاكم (٤٢٧٥) وغيرهما من طريق أبي نوح =

فزَعَمُوا فيما روى الناسُ: أن زُرَيراً وتَمّاماً ودَريساً، وهم نفرٌ من أهل الكتاب، قد كانوا رأَوا من رسول الله ﷺ مثلَ ما رأى بَحِيرا في ذلك السفر الذي كان فيه مع

= عبد الرحمن بن غَزوان ، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعريّ، عن أبيه قال: خرج أبو طالب... وذكر الخبر. وقال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قلنا: وقد تفرّد فيه أبو نوحٍ بألفاظٍ مُنكَرة، نبَّه على نكارتها الحافظ الذهبيّ في الترجمة النبويّة من «تاريخ الإسلام» ١/ ٥٠٣ وغيره من أهل العلم، فانظر التعليق على هذا الخبر في «مستدرك الحاكم» طبعة دار الرسالة العالمية.

وأحسن ما جاء في أصل هذه القصّة مُرسَلان: أحدهما: ما رواه معمر عن الزُّهريّ عند عبد الرزاق في «المصنف» (٩٧١٨): أن رسول الله ﷺ لمّا ناهَزَ الحُلُمَ (أي: قارَبَه) ارتَحَل به أبو طالب تاجراً قِبَلَ الشام، فلما نزلا تَيماءَ رآه حَبْرٌ من يهود، فقال لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ فقال: هو ابن أخي، قال له: أشفيقٌ أنت عليه؟ قال: نعم، قال: فوالله لئِن قَدِمتَ به إلى الشام لا تصلُ به إلى أهلك أبداً، ليَقتُلُنَّه، إنَّ هذا عدوُّهم، فرَجَعَ أبو طالب من تيماءَ إلى مكّة.

والثاني: ما رواه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٩٩ عن خالد بن خِدَاش، عن معتمِر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي مِجلَز لاحق بن حُميد: أن عبد المُطَّلب ـ أو أبا طالب، شكَّ خالد ـ لمّا مات عبدُ الله عَطَفَ على محمد ﷺ، قال: فكان لا يسافر سفراً إلا كان معه فيه، وإنه توجه نحو الشام، فنزل منزله فأتاه فيه راهب فقال: إنّ فيكم رجلاً صالحاً، فقال: إنَّ فينا من يَقْري الضيف، ويفكُّ الأسير، ويفعل المعروف، أو نحواً من هذا، ثم قال: إنّ فيكم رجلاً صالحاً، ثم قال: أين أبو هذا الغلام؟ قال: فقال: ها أنَذا وليُّه ـ أو قيل: هذا وليُّه ـ قال: احتفِظْ بهذا الغلام ولا تذهبْ به إلى الشام، إن اليهود حُسد، وإني أخشاهم عليه، قال: ما أنت تقول ذاك ولكنّ الله يقوله! فردَّه، قال: اللهم إني أستودعُك محمداً، ثم إنه مات.

ورجال إسناد هذين المرسَلين ثقات، إلا أنّ المرسَل أحد أقسام الضعيف عند أهل الحديث، لكن مجيء هذا الخبر من غير وجهٍ يدلّ على أن له أصلاً لكن ليس بالسَّرد الذي عند ابن إسحاق والواقديّ، والله تعالى أعلم.

عمِّه أبي طالب، فأرادُوه[1] فردَّهم عنه بَحِيرا، وذكَّرهم اللهَ وما يَجِدُون في الكتاب من ذكرِه وصفتِه، وأنهم إن أَجمَعُوا لِما أرادوا به لم يَخلُصوا إليه، ولم يَزَلْ بهم حتّى عرفوا ما قال لهم، وصدَّقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا عنه[2].

فشَبَّ رسولُ الله ﷺ يَكلَؤُه اللهُ ويَحفَظُه ويَحُوطه من أقذارِ الجاهليّة، لِما يريد به من كرامته ورسالته، حتّى بَلَغَ أن كان رجلاً، أفضلَ قومِه مُروءةً، وأحسنَهم خُلُقاً، وأكرمَهم حَسَباً، وأحسنَهم جِواراً، وأعظمَهم حِلماً، وأصدقَهم حديثاً، وأعظمَهم أمانةً، وأبعدَهم من الفُحْش والأخلاق التي تُدنِّس الرجال، تنزُّهاً وتكرُّماً، حتى ما اسمُه في قومه إلا الأمينَ، لِما جَمَعَ الله فيه من الأمور الصالحة.

وكان رسول الله ﷺ ـ فيما ذُكِرَ لي ـ يحدِّث عمّا كان الله يحفظُه به في صِغَرِه وأمرِ جاهليّته، أنه قال: «لقد رأيتُني في غِلْمانِ قريشٍ نَنقُلُ حجارةً لبعضِ ما يَلعَبُ به الغِلمانُ، كلُّنا قد تَعرَّى وأخَذَ إزارَه فجعله على رَقَبتِه يَحمِلُ عليه الحجارةَ، فإني لأُقبِلُ معهم كذلك وأُدبِرُ، إذ لَكَمَني لاكمٌ ما أَراه لَكْمةً وَجِيعةً، ثم قال: شُدَّ عليك إزارَك، قال: فأخذتُه فشَدَدتُه عليَّ، ثم جعلتُ أحمِلُ الحجارةَ على رَقَبتي وإزاري عليَّ من بينِ أصحابي»[3].

---

(١) أي: بسوءٍ.

(٢) هذا الخبر لا يصح، فلم يسنده ابن إسحاق ولم يذكره غيره، وأورده قوام السنة في كتابه «المبعث والمغازي» ١/ ١٣٥ وعدَّه من الغرائب.

(٣) ضعيف بهذا السياق، وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص٧٩ ـ ومن طريقه أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٣٠-٣١ ـ عن أبيه إسحاق بن يسار عمّن حدّثه عن رسول الله ﷺ. وهذا ضعيف لإرساله، فإسحاق من صغار التابعين.

والذي صحَّ أن هذه القصة إنما وردت في بُنيان الكعبة كما عند البخاري (٣٦٤) و(٣٨٢٩) =

حرب الفِجَار

قال ابن هشام: فلمّا بَلَغَ رسولُ الله ﷺ أربعَ عشرةَ سنة أو خمسَ عشرةَ سنة ـ فيما حدَّثني أبو عُبيدة النَّحْوي عن أبي عمرو بن العلاءِ ـ: هاجت حربُ الفِجَار[1] بين قريشٍ ومَن معها من كِنانةَ، وبين قيسِ عَيْلانَ.

وكان الّذي هاجَها أنَّ عُرْوةَ الرَّحّالَ بن عُتْبة بن جعفر بن كِلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوازِن، أجارَ لَطِيمةً للنُّعمان بن المُنذِر[2]، فقال له البَرّاضُ بن قيس، أحدُ بني ضَمْرة بن بكر بن عبد مَناةَ بن كِنانة: أتُجِيرُها على كِنانةَ؟ قال: نعم، وعلى الخَلْق. فخرج فيها عروةُ الرَّحّال، وخرج البَرّاضُ يَطلُب غَفْلتَه، حتى إذا كان بتَيْمَنَ ذي طَلَالٍ[3] بالعاليَةِ غَفَلَ عُرْوةُ، فوَثَبَ عليه

= ومسلم (٣٤٠) من حديث جابر بن عبد الله قال: لمّا بُنِيَت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعبّاسٌ ينقلان الحجارة، فقال عبّاسٌ للنبي ﷺ: اجعل إزارَك على رقبتك يَقِكَ من الحجارة، فخَرَّ إلى الأرض وطَمَحَت (أي: نظرت وارتفعت) عيناه إلى السماء، ثم أفاق فقال: «إزاري إزاري»، فشَدَّ عليه إزارَه.

(١) بكسر الفاء، بمعنى: المُفاجَرة، كالقِتال والمُقاتَلة، وذلك أنه كان قتالاً في الشهر الحرام، ففَجَروا فيه جميعاً، واستحلُّوا فيه من المحارم بينهم كما سيأتي، فسُمِّي الفِجارَ.

(٢) هو أحد ملوك المناذرة بالحِيرة في العراق، واللَّطيمة هنا: الإبل تحمل التجارة والطِّيب والبَزّ وأشباهها. والمراد أنّ عروة الرَّحّال هذا منع قبائل كنانة من التعرض لهذه القافلة، وكان من عادة النعمان هذا أن يبعث إلى سوق عُكَاظ في كل عام لطيمةً في جِوَار رجل شريف من أشراف العرب، يُجِيرها له حتى تُباعَ هناك ويُشتَرى له بثمنها من أَدَم الطائف (أي: جلودها) وغيره مما يحتاج إليه. انظر «العِقد الفريد» لابن عبد ربه ٦/ ١٠٣، و«الأغاني» للأصفهاني ٢٢/ ٥٧.

(٣) في (ت): ظِلال، وهو بالظاء في (ي) أيضاً إلا أن صاحب النسخة لم يقيّدها هنا ثم قيّدها بفتح أوله وتشديد اللام في الموضع التالي، وفي بقية النسخ: طَلَال، بالطاء المفتوحة وتخفيف =

البَرَّاضُ فقتله في الشَّهر الحرام، فلذلك سُمِّيَ الفِجَار.

وقال البَرّاض في ذلك:

وداهيَـةٍ تُهِـمُّ النـاسَ قَبْلـي ... شَدَدتُ لها بني بَكرٍ ضُلُوعي
هَدَمتُ بها بيوتَ بني كِلابٍ ... وأرضَعتُ المَوَاليَ بالضُّرُوعِ[1]
رَفَعتُ له بذِي طَلَّالَ[2] كفِّي ... فخَرَّ يَمِيدُ كالجِذْعِ الصَّريعِ

وقال لَبِيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كِلَاب:

أبلِغْ، إن عَرَضتَ، بني كِلابٍ ... وعامرَ والخُطوبُ لها مَوَالي[3]
وبلِّغْ، إن عَرَضتَ، بني نُميرٍ ... وأخوالَ القتيلِ بني هلالِ
بأنَّ الوافدَ الرَّحّالَ أمسى ... مُقيماً عند تَيمَنَ ذي طَلَالِ[4]

= اللام، وهو الموافق لما ذكره عاتق البِلاديّ في كتابه «معجم المعالم الجغرافية» ص١٨٨، وذكر أنه ماءٌ بعالية نجدٍ، وأما السهيليّ فذهب إلى أنه مشدَّد وإنّما خفّفه لبيدٌ في شعره الآتي لضرورة الشِّعر، وذكره ياقوت في «معجم البلدان» ٤/ ٦١ بالظاء واللّام المشدَّدة، وذكر الخلاف فيه.

وأمّا العاليَةُ، فالمراد بها هنا عالية نَجْد، وهي الجزء الغربيّ المرتفع من هضبة نجد، من جهة المدينة المنوَّرة، وأمّا تَيمَن فقال البِلادي: توجد اليوم هضبة قرب طلال تُسمَّى (تيما)، فهي ولا شكَّ تحريفٌ لتَيْمن.

(١) جمع: ضَرْع، هو في معنى قولهم: لئيمٌ راضعٌ، أي: ألحقتُ الموالِيَ بمنزلتهم من اللؤم ورضاع الضروع، وأظهرت فَسَالتهم (أي: رذالتهم) وهتكت بيوتَ أشراف بني كلاب وصُرحائهم.

(٢) في (ت) و(ي): ظلّال، بالظاء.

ويَميد، أي: يتمايل.

(٣) إن عرضتَ، أي: إن مررتَ بهم. وعامر: أراد بني عامر بن صعصعة. والخُطوب: جمع خَطْبٍ، وهو هنا الأمر العظيم. ومَوَالي، أي: ملازمات لهم.

(٤) في (ت): ظِلال، بالظاء مكسورة، وفي (ي) بالظاء مفتوحة.

وهذه الأبيات في أبياتٍ له فيما ذَكَرَ ابن هشام[1].

فأَتى آتٍ قريشاً فقال: إن البَرّاض قد قَتَلَ عُرْوةَ وهو في الشَّهر الحرام، بعُكَاظٍ[2]، فارتَحَلوا وهَوَازنُ لا تَشعُرُ، ثم بَلَغَهم الخبرُ فأتبَعُوهم، فأدرَكُوهم قبل أن يدخلوا الحَرَم، فاقتتلوا حتى جاءَ الليل ودخلوا الحرم، فأمسَكَت عنهم هوازنُ، ثم التَقَوا بعد هذا اليوم أياماً، والقومُ مُتسانِدون[3]، على كلِّ قَبيلٍ من قريشٍ وكنانةَ رئيس منهم، وعلى كلِّ قَبيلٍ من قيسٍ رئيس منهم.

وشَهِدَ رسول الله ﷺ بعضَ أيامهم، أخرجه أعمامُه معهم، وقال رسول الله ﷺ: «كنتُ أُنبِّلُ على أَعمامي»[4]، أي: أردُّ عليهم نَبْلَ عدوِّهم إذا رَمَوهم بها.

---

(١) انظر «ديوان لبيد» جمع وتحقيق إحسان عباس ص٢٧٦، ولم يذكر له سوى هذه الأبيات الثلاثة. وفي البيت الأول عنده: فأبلِغ، بزيادة فاءٍ، وكذلك هو في «معجم البلدان» لياقوت ٤/ ٦١، وبذلك يسلم من الخَرْم الحاصل عند ابن هشام.

(٢) اسم موضع في الشمال الشرقيّ من مدينة الطائف على بعد ٣٥ كم تقريباً، وكانت تقام فيه كلَّ سنة سوقٌ من أشهر أسواق العرب في الجاهلية، لمدّة عشرين يوماً من أول شهر ذي القَعدة.

(٣) أي: تحت رايات شتَّى، ليس لهم أمير واحد يجمعهم.

(٤) ضعيف لا يصحُّ، ولم يذكر له ابن إسحاق إسناداً، وذكره بنحوه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٠٦ عن شيخه محمد بن عمر الواقديّ، ولفظه عنده: «قد حضرتُه مع عُمومتي ورَمَيتُ فيه بأسهُمٍ، وما أحِبُّ أني لم أكن فعلتُ»، وهذا ضعيف جداً، فالواقديُّ متروك الحديث، والصواب أن هذا القول من النبي ﷺ ـ دون ذكر رمي الأسهم ـ إنما وقع منه في الإشادة بحلف الفُضول كما تقدم فيه ص١٤٤.

وروى ابن سعد عن الواقديّ أيضاً، عن الضحّاك بن عثمان الحِزاميّ، عن عبد الله بن عُروة، عن حكيم بن حِزام قال: رأيت رسول الله ﷺ بالفِجَار، وقد حَضَرَه. والقول فيه كسابقه.

وروى قاسم بن ثابت في «الدلائل في غريب الحديث» ١/ ٥٣ من طريق محمد بن سلّام =

قال ابن إسحاق: هاجت حربُ الفِجَار ورسولُ الله ﷺ ابنُ عشرين سنة، وإنما سُمّيَ يومَ الفِجَار، بما استَحلَّ هذان الحيّانِ ـ كِنانةُ وقيسُ عَيْلان ـ فيه من المَحارِم بينهم.

وكان قائدَ قريشٍ وكِنانةَ حَرْبُ بن أُميّة بن عبد شمس، فكان الظَّفَرُ في أول النهار لقيسٍ على كِنانة، حتى إذا كان في وَسَطِ النهار كان الظَّفَرُ لكِنانةَ على قيس.

قال ابن هشام: وحديثُ الفِجَار أطولُ ممّا ذكرتُ، وإنما مَنَعَني من استقصائه قطعُه حديثَ سيرةِ رسول الله ﷺ.

نكاح رسول الله ﷺ خديجةَ

قال ابن هشام: فلمّا بَلَغَ رسولُ الله ﷺ خمساً وعشرين سنة، تزوَّج خديجةَ بنت خُوَيلِد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب، فيما حدَّثني غيرُ واحد من أهل العلم عن أبي عمرٍو المَدَنيّ.

قال ابن إسحاق: وكانت خديجةُ بنت خُوَيلدٍ امرأةً تاجرةً ذاتَ شرفٍ ومال، تستأجر الرجال في مالها وتُضارِبُهم إياه بشيءٍ تَجعلُه لهم[1]، وكانت قريش قوماً تجّاراً، فلمّا بَلَغَها عن رسول الله ﷺ ما بَلَغَها من صدقِ حديثه، وعُظْمِ أمانته، وكرمِ أخلاقه، بَعَثَت إليه فعَرَضَت عليه أن يَخرُجَ في مال لها إلى الشام تاجراً، وتُعطيَه

= الجُمحي، عن عمر ـ ويقال: عمرو ـ بن معاذ التيميّ قال: قال النبي ﷺ: «رَميتُ يوم الفِجار بضعةَ عشرَ سهماً من قَضي». وهذا لا يصحُّ أيضاً لإعضاله وجهالة عمر بن معاذ هذا، فإنه لا يُعرف عند أهل الحديث، وله بصرٌ في الشِّعر كما ذكر ابن سلّام في «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٩٨، ومعنى «من قَضي» كما قال قاسم: من صنعتي وعملي.

(١) وهذا ما يُسمَّى بالمُضارَبة: وهو أن تعطي مالاً لغيرك يتَّجر فيه فيكون له سهمٌ معلومٌ من الربح، وهي مُفاعَلة من الضَّرْب في الأرض والسَّير فيها للتّجارة.

أفضلَ ما كانت تعطي غيرَه من التجار، مع غلامٍ لها يقال له: مَيسَرة، فقَبِلَه رسولُ الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك وخرج معه غلامُها مَيسَرة حتى قَدِمَ الشام.

فنَزَلَ رسولُ الله ﷺ في ظلِّ شجرة قريباً من صَومَعة راهبٍ من الرُّهبان[1]،

---

(١) وسُمِّي في رواية الواقديّ: نسطور.

وخبر هذا الراهب وقصة رؤية ميسرة إظلال الملَكين لرسول الله ﷺ، لا يصحُّ، فلم يُسنده ابن إسحاق، وأسنده الواقديُّ عند ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٣٠-١٣١ ـ ومن طريقه أبو نعيم في «الدلائل» (١١٠) ـ عن موسى بن شَيْبة، عن عميرة بنت عبد الله بن كعب بن مالك، عن أم سعد بنت سعد، عن نفيسة بنت مُنْية قالت: لما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة... وذكر هذا الخبر بطوله. وهذا إسناد ضعيف جداً، عدا أنّ فيه الواقديّ وهو متروك، فيه موسى بن شيبة ـ وهو ابن عمرو بن عبد الله بن كعب الأنصاريّ ـ وقد وصفه أحمد بنكارة الحديث، وعمّة أبيه عميرة لا يُعرَف حالها.

وذكر قصة الراهب هذه الذهبيُّ في الترجمة النبوية من «تاريخ الإسلام» ١/ ٥٠٦ وقال: هو حديث منكر.

قلنا: ولم يذكر الزُّهريُّ في سِيَره هذا الراهب وخبره، كما أنه لم يذكر اتّجار النبي ﷺ بمال خديجة إلى الشام، وإنما ذكر اتّجاره بمالها إلى سوق حُبَاشة ـ وهو سوق بتِهامةَ جنوب مكة على ستّ ليالٍ منها كما قال الأزرقي في «أخبار مكة» ١/ ١٧٩ ـ روى ذلك عن الزهريِّ معمرٌ عند عبد الرزاق (٩٧١٨) وابن سعد ٦/ ٥١، ويونسُ بنُ يزيدَ عند الدُّولابيّ في «الذريّة الطاهرة» (٩) والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٦٨.

ووقع في حديث أبي الزبير المكي عن جابر بن عبد الله عند الحاكم (٤٨٩٤): أن خديجة استأجرت رسولَ الله ﷺ سفرتين إلى جرش، كل سفرة بقَلُوص؛ أي: بناقة فتيّة. وإسناده فيه لِينٌ من أجل عنعنة أبي الزبير، فهو لم يصرِّح بسماعه له من جابر. وجرش بلدان: الأول بضمّ أوله، وهو في جهة اليمن، والثاني بفتح أوله، وهو من الشام، قال ابن القيّم في «زاد المعاد» ١/ ١٦١: إن صحَّ الحديث فإنما هو جَرَش بفتح الجيم والراء، وهو بلد بالشام.

فاطَّلَعَ الرّاهبُ إلى مَيسَرة فقال: مَن هذا الرجلُ الذي نَزَل تحت هذه الشَّجرة؟ قال له مَيسَرة: هذا رجلٌ من قريشٍ من أهل الحَرَم، قال له الرّاهب: ما نَزَل تحت هذه الشّجرة قطُّ إلا نبيٌّ.

ثم باع رسول الله ﷺ سِلعتَه التي خرج بها، واشترَى ما أراد أن يَشتَري، ثم أقبل قافلاً إلى مكّة ومعه مَيسَرةُ، فكان ميسرة ـ فيما يَزعُمون ـ إذا كانت الهاجرةُ واشتدَّ الحرُّ، يرى مَلَكينِ يُظِلّانِه من الشمس وهو يسيرُ على بعيره، فلمّا قَدِمَ مكّةَ على خديجة بمالها، باعت ما جاء به، فأضعَفَ أو قريباً، وحدَّثها مَيسَرةُ عن قول الراهب، وعمّا كان يرى من إظلال المَلَكينِ إيّاه.

وكانت خديجةُ امرأةً حازمة شريفة لَبِيبة، معَ ما أراد اللهُ تعالى بها من كرامتِه، فلمّا أخبرها ميسرةُ بما أخبرها، بَعَثَت إلى رسول الله ﷺ، فقالت له ـ فيما يَزعُمون ـ: يا ابن عمِّ، إني قد رَغِبتُ فيك لقَرابتِك وسِطَتِكَ[1] في قومك، وأمانتِك وحُسنِ خُلُقك، وصدقِ حديثك، ثم عَرَضَت عليه نفسَها، وكانت خديجة يومئذٍ أوسطَ نساءِ قريش نسباً، وأعظمَهنَّ شَرفاً، وأكثرَهنَّ مالاً، كلُّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يَقدِرُ عليه.

هي خَديجةُ بنت خُوَيلِد بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر، وأمُّها فاطمةُ بنت زائدة بن الأصَمّ بن رَوَاحة بن حَجَر بن عَبْد بن مَعِيص بن عامر بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر، وأمُّ فاطمةَ هالةُ بنت

---

(١) أي: شرفك، فالسِّطَة: من الوَسَط، مصدر كالعِدَة والزِّنَة، والوسط في ذكر النَّسب من أوصاف المدح والتفضيل.

وانظر كلام السهيليّ في ذلك في «الروض الأنف» ٢/ ٢٣٧-٢٣٨.

عبد مَنَاف بن الحارث بن عمرو بن مُنقِذ بن عمرو بن مَعِيص بن عامر بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر، وأمُّ هالةَ قِلَابةُ بنت سُعَيد بن سَعْد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر.

فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ، ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمُّه حمزةُ بن عبد المُطَّلِب يرحمُه الله حتى دخل على خُوَيلِد بن أسد، فخَطَبَها إليه، فتزوَّجها[1].

---

(١) هكذا ذكر ابن إسحاق، وكذا الزهريُّ في سِيَره (وهو عنه أيضاً عند الحاكم: ٤٨٩٥، بسند جيّد): أن الذي زوَّجها لرسول الله ﷺ هو أبوها خويلد، أما الواقديُّ فقد قال ـ كما في «طبقات ابن سعد» ١/ ١١٠ ـ بعد أن ذكر ما قيل في ذلك: هذا كله عندنا غلطٌ ووَهَلٌ، والثَّبت عندنا المحفوظ عن أهل العلم أنَّ أباها خويلد بن أسد مات قبل الفِجَار، وأن عمَّها عمرو بن أسد زوَّجها رسولَ الله ﷺ. وإلى هذا ذهب المبَرّد وطائفة معه كما قال السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٢٣٨، وأن أبا طالبٍ هو الذي نَهَض مع رسول الله ﷺ وهو الذي خطبها عليه، وصحّح السهيليّ هذا القول.

وسيأتي في آخر هذه السيرة في ذكر أزواجه ﷺ قولٌ ثالث: أن عمرو بن خُويلد أخاها هو الذي أنكَحَها.

واختُلف أيضاً في قدر عُمر خديجة وعُمر رسول الله ﷺ حينئذٍ على أقوال، أصحُّها أنه كان عمره خمساً وعشرين سنة وعمرها أربعين سنة، قال ابن الهائم في «الغرر المضيّة» ـ كما في «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» للصالحي ٢/ ١٦٦ ـ: هو الصحيح الذي عليه الجمهور، وقطع به الحافظ عبدُ الغنيّ المقدسيّ.

قلنا: ومن هذه الأقوال في قدر سنّ خديجة رضي الله عنها عندما تزوجها رسول الله ﷺ ما رواه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق من قوله عند الحاكم (٤٨٩٧): أنها كان لها يوم تزوَّجها ثمانٍ وعشرون سنة.

وروي مثله عن ابن عباس فيما أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١٠/ ١٨ بإسناد تالف إليه لا تقوم به حُجّة. والجمهور على خلافه كما سبق.

قال ابن هشام: وأصدَقَها رسولُ الله ﷺ عشرين بَكْرةً[1]، وكانت أولَ امرأة تزوَّجها، ولم يتزوَّج عليها غيرها حتى ماتت[2].

قال ابن إسحاق: فوَلَدَت لرسول الله ﷺ ولدَه كلَّهم إلا إبراهيم: القاسمَ، وبه كان يُكنَى ﷺ، والطاهرَ، والطيِّبَ[3]، وزينبَ، ورُقيّةَ، وأمَّ كُلثومٍ، وفاطمةَ.

قال ابن هشام: أكبر بَنِيه القاسمُ، ثمّ الطيّبُ، ثمّ الطاهرُ، وأكبر بناته رُقيّةُ، ثمّ زينبُ[4]، ثمّ أمُّ كُلثوم، ثمّ فاطمةُ.

قال ابن إسحاق: فأمّا القاسمُ والطاهرُ والطيّبُ، فهَلَكوا في الجاهليّة[5]، وأمّا بناتُه فكلُّهنّ أدركنَ[6] الإسلام، فأسلمنَ وهاجرنَ معه ﷺ.

---

(١) البَكْرة: الفَتِيّة من الإبل، والذّكر بَكْرٌ.

(٢) وكانت وفاتها قبل أن يخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين كما في حديث عروة بن الزبير عند البخاري (٣٨٩٦).

(٣) كذا قال ابن إسحاق، وذكر الزُّبير بن بكّار كما في «المعجم الكبير» للطبراني ٢٢/ (٩٨٧) أن الطاهر والطيّب ما هما إلا واحد، وهو عبد الله، وهذان لقبٌ له لأنه وُلِدَ بعد النبوّة. قال الصالحيّ في «سبل الهدى والرشاد» ١١/ ١٦: وهو قول أكثر أهل النّسب، وقال الدارقطني: وهو الأثبت، وصححه الحافظ عبد الغنيّ المقدسيّ.

(٤) الجمهور على أن أكبر بناته زينب كما ذكر الصالحيّ، وفي قول الزُّبير بن بكّار عند الطبراني ٢٢/ (٩٨٧): أن النبيّ ﷺ ولدَ القاسم وهو أكبر ولده، ثم زينب، ثم عبد الله بعد النبوّة، ومات صغيراً، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقيّة، هكذا الأوَّل فالأوَّل. وكذلك هو بهذا الترتيب عند مصعب الزُّبيريّ في «نسب قريش» ص٢١.

(٥) القاسم نعم، أما غيره فلا، وقد ساق السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٢٤٣ هنا حديثاً يستدرك به على ابن إسحاق، وأن القاسم تُوفّي بعد المبعث، ولا يصحُّ الاحتجاج به، وهو مخرَّج عند ابن ماجه في «سننه» (١٥١٢) من حديث الحسين بن عليٍّ، والإسناد إليه واهٍ.

(٦) في (ت) و(ص): أدرك.

قال ابن هشام: وأمّا إبراهيم فأمُّه مارِيَةُ، حدَّثنا عبدُ الله بن وَهْب عن ابن لَهِيعة قال: أمُّ إبراهيم: ماريَةُ سُرِّيَّةُ النبيّ ﷺ التي أهداها له المُقَوقِسُ من حَفْنٍ من كُورةِ أَنْصِنا[1].

قال ابن إسحاق: وقد كانت خديجةُ بنت خُوَيلد قد ذَكَرَت لوَرَقةَ بن نَوفَل بن أسد بن عبد العُزَّى ـ وكان ابنَ عمِّها، وكان نصرانيّاً قد تتبَّع الكتبَ وعَلِمَ من عِلْم الناس ـ ما ذَكَرَ لها غلامُها مَيسَرةُ من قول الراهب، وما كان يَرَى منه إذ كان المَلَكانِ يُظلّانه، فقال ورقةُ: لئن كان هذا حقّاً يا خديجةُ، إن محمّداً لنبيُّ هذه الأُمّة، قد عرفتُ أنه كائنٌ لهذه الأمّة نبيٌّ يُنتظَر، هذا زمانه؛ أو كما قال[2].

قال: فجعل ورقةُ يستبطئُ الأمرَ ويقول: حتّى متى؟ فقال ورقة في ذلك:

لَجِجتُ وكنتُ في الذِّكرى لَجُوجا ... لِهَمٍّ طالما بَعَثَ النَّشِيجا[3]

ووصفٍ من خديجةَ بعدَ وصفٍ ... فقد طالَ انتظاري يا خَديجا

---

(١) أَنْصِنا: مدينة من نواحي الصعيد على شرقي النيل، وحَفْن من قراها. والكُورة يراد بها الناحية أو الإقليم.

(٢) لم يُسنِد ابن إسحاق هذا الخبر في مبدئ تبشير ورقة بن نوفل بنبوّة النبيّ ﷺ، وكذلك رواه عنه يونسُ بن بكير ـ كما في «دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ١٢٧-١٢٨ـ إلا أنه ذكر فيه عن ورقة أبياتاً غير هذه بقافية مختلفة أولها:

أتبكِّر أم أنت العشيَّةَ رائحُ ... وفي الصَّدْر من إضمارِك الحزنَ فادحُ

وهذا مما يدلّ على اضطراب هذا الخبر وعدم ضبطه.

والذي صحَّ عن ورقة بن نوفل في تبشيره بنبوّة النبيّ ﷺ، أنه كان عند مبدأ نزول الوحي عليه ﷺ في غار حِراء كما سيأتي لاحقاً في قصة مبعثه ص٢٧٠، وليس عند زواجه ﷺ من خديجة رضي الله عنها.

(٣) النَّشيج: البكاء مع صوت.

بـبَطْنِ المَكَّتـينِ علـى رَجـائي[1] حـديثَكِ أن أَرى منـه خُروجـا
بمـا خَبَّرتِنـا مـن قـولِ قَـسٍّ[2] مـنَ الرُّهبـانِ أكـرَهُ أن يَعُوجـا
بـأنَّ محمّـداً سيَسُـودُ يومـاً[3] ويَخصِـمُ مـن يكـونُ لـه حَجيجـا
ويُظهِـرُ في الـبلادِ ضـياءَ نـورٍ يقـيمُ بـه البَرِيّـةَ أن تَمُوجـا[4]
فيَلقَـى مَـن يحاربُـهُ خَسـاراً ويَلقَـى مَـن يسـالمُه فُلُوجـا[5]
فيـا ليتَنـي إذا مـا كـان ذاكُـمْ شَـهِدتُ وكنـتُ أولَهـمْ وُلوجـا[6]
وُلوجـاً في الَّـذي كَرِهَـت قـريشٌ ولـو عجَّـت بمكَّتِهـا عَجيجـا[7]
أُرجِّـي بالّـذي كَرِهـوا جَميعـا إلى ذي العَرشِ إن سَفُلُوا عُروجا[8]
وهـلْ أمـرُ السُّـفَالةِ غيـرُ كفـرٍ بمَـن يختـارُ مَـن سَـمَكَ البُروجـا[9]

---

(١) ثنَّى مكةَ وهي واحدة؛ لأن لها بِطاحاً وظواهرَ، والبِطاح والبطائح: ما انبسط من الأراضي واستوى، والظواهر: ما علا منها، على أن للعرب مذهباً في أشعارها في تثنية البقعة الواحدة وجمعها ـ كما قال السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٢٥٢ ـ نحو قوله: وميت بغَزّاتٍ، يريد: بغزّة، وبَغَادِين في بغداد، وأما التثنية فكثيرٌ... وإنما يقصد العربُ في هذا الإشارةَ إلى جانبَي كل بلدة، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى.

(٢) القَسُّ: واحد القِسِّيسين، وهم عُبّاد النصارى.

(٣) في (ص) و(غ) و(م): قوماً، وفي (ش١) و(ق١): فينا.

(٤) البريّة: الخَلْق. وتَمُوج، أي: يضطرب بعضها في بعض.

(٥) الفُلوج: الظهور على الخصم والعدوّ.

(٦) الوُلوج: الدخول في الشيء، يريد الدخول في دينه.

(٧) العجّ والعجيج: رفع الصوت.

(٨) العروج: الصعود والعلوّ.

(٩) سَمَك: رفع. والبروج: ما في السماء من أفلاك ونجوم.

فـإنْ يَبقُـوا وأبْـقَ تكـنْ أُمـورٌ يَضِـجُّ الكـافرونَ لهـا ضَـجيجا[1]
وإنْ أهلِـكْ فكـلُّ فتًـى سـيَلقَى مـنَ الأقـدارِ مَتْلَفـةً خَرُوجـا[2]

حُكْم رسول الله ﷺ بين قريش في وضع الحَجَر[3]

قال ابن إسحاق: فلمّا بَلَغ رسولُ الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة، اجتمعت قريشٌ لبُنْيان الكعبة، وكانوا يَهُمُّون بذلك ليُسقِّفوها ويهابون هدمَها، وإنما كانت رَضْماً[4] فوق القامَةِ، فأرادوا رفعَها وتسقيفَها، وذلك أنّ نفراً سرقوا كَنْزاً للكعبة، وإنما كان يكون في بئرٍ في جوف الكعبة[5]، وكان الذي وُجِدَ عنده الكَنزُ دُوَيكاً[6] مولًى لبني مُلَيح بن عمرٍو من خُزَاعة، فقَطَعَت قريشٌ يده، وتَزعُم قريش أن الذين سرقوه وَضَعُوه عند دُوَيك.

وكان البحرُ قد رَمَى بسفينةٍ إلى جُدّةَ لرجل من تجّار الرُّوم، فتحطَّمَت، فأخذوا خشبها، فأعدُّوه لتسقيفها، وكان بمكّة رجلٌ قِبطيٌّ نجّار، فتهيّأ لهم في أنفسهم بعضُ ما يُصلِحُها.

وكانت حيّةٌ تخرج من بئرِ الكعبة التي كانت يُطرَحُ فيها ما يُهدَى لها كلَّ يوم،

---

(١) يضجّ: يصيح.

(٢) متلفة: مَهلَكة. والخَرُوج: الكثيرة التصرّف.

(٣) في (غ) و(ق١) مكان هذا العنوان: حديث بنيان الكعبة.

(٤) الرَّضم: الحجارة تُجعَل بعضها على بعض من غير طينٍ يشدّها.

(٥) وذكر موسى بن عُقبة في مغازيه سبباً آخر حمل قريشاً على بنيانها مع ما حصل من سرقة بعض ما في الكعبة، وهو أن السيل كان يأتي من فوقها، من فوق الرَّدم الذي صنعوه فأخربه، فخافوا أن يدخلها الماء.

(٦) هكذا في (ش١) و(ي)، وفي سائر النسخ: دويك، بلا ألف.

فتَتَشرّقُ[1] على جدار الكعبة، وكانت ممّا يَهَابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحدٌ إلا احزَألَّت وكَشَّت[2] وفتحت فاها، وكانوا يهابونها، فبَيْنا هي يوماً تَشَرَّقُ على جدار الكعبة، كما كانت تصنعُ، بَعَثَ اللهُ إليها طائراً فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنّا لنرجو أن يكون الله قد رَضِيَ ما أرَدْنا، عندنا عاملٌ رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا اللهُ الحيّةَ.

فلمّا أَجمَعوا أمرَهم في هَدْمها وبُنيانها، قام أبو وَهْب بن عمرو بن عائذ بن عَبْد ابن عِمران بن مخزوم ـ قال ابن هشام: عائذ بن عمران بن مخزوم ـ فتناوَل من الكعبة حَجراً، فوَثَبَ من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشرَ قريش، لا تُدخِلوا في بنائها[3] من كَسْبِكم إلا طيِّباً، لا يُدخَلُ فيها مَهرُ بَغِيٍّ[4]، ولا بيعُ رِباً، ولا مَظلِمةُ أحدٍ من النّاس. والنّاسُ يَنحَلُون هذا الكلامَ الوليدَ بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم.

قال ابن إسحاق: وقد حدَّثني عبد الله بن أبي نَجِيح المكّيُّ، أنه حُدِّث عن عبد الله ابن صَفْوان بن أُميّة بن خَلَف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤيٍّ: أنه رأى ابناً لجَعْدة بن هُبَيرة بن أبي وهب بن عمرٍو يطوفُ بالبيت، فسأَل عنه، فقيل: هذا ابنٌ لجَعْدة بن هُبيرة، فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك: جَدُّ هذا ـ يعني أبا وهب ـ الّذي أَخذ حجراً من الكعبة حين اجتَمَعَت قريشٌ لهدمِها فوَثَبَ من يده حتى رجع إلى موضعِه، فقال عند ذلك: يا معشرَ قريش، لا تُدخِلوا في

(١) أي: تبرز للشمس.

(٢) احزألَّت: رفعت ذنبَها. وكشَّت: خرج لها صوت، والكَشيش: صوت جلدها إذا تحرّكت.

(٣) في (ت) و(غ): بنيانها.

(٤) أي: أُجرة امرأة فاجرة.

بنائها[1] من كَسبِكم إلا طيِّباً، لا تُدخِلوا فيها مهرَ بَغيٍّ، ولا بيعَ رِباً، ولا مَظلِمةَ أحدٍ من النّاس[2].

قال ابن إسحاق: وأبو وهبٍ خالُ أَبي رسول الله ﷺ، وكان شريفاً، وله يقول شاعر من العرب:

لـو بـأَبي وهـبٍ أَنَخـتُ مَطِيَّتـي ... غَدَت من نَدَاهُ رَحْلُها غيرُ خائبِ[3]

بأبيَضَ من فَرعَيْ لؤيِّ بن غالبٍ ... إذا حُصِّلَت أنسابُها في الـذَّوائبِ[4]

أَبيٍّ لأخذِ الضَّيمِ يرتاحُ للنَّدَى ... توسَّطَ جَـدّاه فُـروعَ الأطايـبِ[5]

عظيـمِ رمـادِ القِـدْرِ يَمْـلا جِفانَـهُ ... من الخُبزِ يَعلُوهنَّ مثلُ السَّبائبِ[6]

ثمّ إن قريشاً تجزَّأَت الكعبة، فكان شِقُّ الباب[7] لبني عبد مَنَاف وزُهْرة، وكان ما بين الرُّكن الأسود والرُّكن اليَمانِي لبني مخزومٍ وقبائلَ من قريشٍ انضمُّوا إليهم، وكان ظهرُ الكعبة لبني جُمَحَ وسَهْمٍ ابنَي عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ، وكان شِقُّ الحِجْر لبني عبد الدّار بن قُصيّ ولبني أسد بن عبد العُزَّى بن قصيّ ولبني

---

(١) في (ت) و(م): بنيانها.

(٢) في هذه الرواية انقطاع وجهالة بين ابن أبي نجيح وعبد الله بن صفوان، وعبد الله بن صفوان رواه مرسلاً، فإنه لم يدرك زمن أبي وهب، هو صغيرٌ يقال: له رؤية للنبيّ ﷺ.

(٣) أنختُ: أبركتُ. والمَطيّة: الراحلة، وهي الناقة أو البعير. والندى: الكرم والسخاء.

(٤) الذوائب: الأعالي، وأراد به الأنساب الكريمة.

(٥) الضيم: الذُّل.

(٦) الجِفان: جمع جَفْنة، وهي وعاء كبير يوضع فيه الطعام. والسبائب: جمع سَبيبةٍ، وهى ثياب رِقاق بِيض، فشبَّه الشَّحم الذى يعلو الجفان بها.

(٧) أي: ناحية أو جهة الباب.

عَديِّ بن كعب بن لؤيّ، وهو الحَطِيم[1].

ثم إن الناس هابُوا هدمَها وفَرِقُوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤُكم في هدمِها، فأخذ المِعوَلَ[2] ثم قام عليها وهو يقول: اللهمَّ لم تُرَعْ ـ قال ابن هشام: ويقال: لم نَزِغْ[3] ـ اللهمَّ إنا لا نريدُ إلا الخير. ثم هَدَم من ناحية الرُّكنَين، فتَربَّص الناسُ تلك الليلةَ وقالوا: نَنظُر، فإن أُصيبَ لم نَهدِمْ منها شيئاً، ورَدَدْناها كما كانت، وإن لم يُصبْه شيءٌ، فقد رَضِيَ اللهُ ما صنعنا، هَدَمْنا[4].

فأصبح الوليدُ من ليلته غادياً على عمله، فهَدَمَ وهَدَمَ الناسُ معه، حتى إذا انتهى الهدمُ بهم إلى الأساس، أساسِ إبراهيم عليه السلام، أفضَوْا إلى حجارة خُضْر كالأسِنَّة[5]، آخذٌ بعضُها بعضاً.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني بعضُ من يروي الحديث: أن رجلاً من قريش ممَّن

---

(١) يقال: سُمّي حَطيماً لأن الناس يزدحمون فيه حتى يَحطِمَ بعضُهم بعضاً.

(٢) فَرِقوا: خافوا. والمِعول: الفأس.

(٣) قوله: لم تُرَع، أي: لم تَفزَع، ومن قال: لم تُرَع، فإنما يعني الكعبةَ، فأضمرها لتقدُّم ذكرها، ومن قال: لم نَزِغ، فمعناه: لم نَمِلْ عن دينك ولا خرجنا عنه، يقال: زاغ عن كذا، إذا خرج عنه. قاله أبو ذرٍّ الخُشنيّ في «إملائه» ص٦٤.

(٤) في (ش١): فهدمنا، وفي (ي): من هدمِنا، وفي (ت): من هدمها. والمثبت من (ص) و(غ) و(ق١) و(م).

(٥) هكذا وقع لابن إسحاق كما قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٢/ ٢٨١، ثم قال: وهو وهمٌ من بعض النَّقَلة عن ابن إسحاق والله أعلم؛ فإنه لا يوجد في غير هذا الكتاب بهذا اللفظ، لا عند الواقديِّ ولا غيره، وقد ذكر البخاريُّ (١٥٨٦) في بُنيان الكعبة ـ يعني أيام ابن الزُّبير ـ عن يزيد بن رُومان قال: قد رأيت أساس إبراهيم حجارةً كأسنمة الإبل؛ وتشبيهُها بالأسنّة (رؤوس الرِّماح) لا يُشبِه إلا في الزُّرْقة، وتشبيهها بأسنمة الإبل أَولى، لعِظَمِها. انتهى بتصرّف.

كان يَهدِمُها، أدخل عَتَلةً[1] بين حجرين منها ليَقلَعَ بها أحدَهما، فلما تحرَّك الحجرُ تَنقَّضَت[2] مكّةُ بأَسْرها، فانتَهَوا عن ذلك الأساس.

قال ابن إسحاق: وحُدِّثتُ: أن قريشاً وجدوا في الرُّكن كتاباً بالسُّريانيّة، فلم يدروا ما هو حتّى قرأَه لهم رجلٌ من يهودَ، فإذا هو: أنا اللهُ ذو بَكّةَ[3]، خلقتُها يوم خلقتُ السماواتِ والأرض، وصوَّرتُ الشمس والقمر، وحَفَفتُها بسبعة أملاكٍ حُنفاء، لا تزولُ حتى يزولَ أَخشَبَاها ـ قال ابن هشام: أخشَبَاها: جَبَلاها[4] ـ مبارَكٌ لأهلها في الماء واللَّبَن.

قال ابن إسحاق: وحُدِّثتُ: أنهم وجدوا في المَقامِ كتاباً فيه: مكةُ اللهِ[5] الحرامُ يأتيها رزقُها من ثلاثة سُبُل، لا يُحِلُّها أَوَّلُ مِن أَهلِها[6].

قال ابن إسحاق: وزَعَمَ ليثُ بن أبي سُلَيم[7]: أنهم وجدوا حَجراً في الكعبة قبل مَبعَثِ النبيّ ﷺ بأربعين سنة ـ إن كان ما ذَكَرَ حقّاً ـ مكتوباً فيه: مَن يَزرَعْ خيراً يَحصُدْ

---

(١) هي حديدة كبيرة يُقلَع بها الشجر والحجر.

(٢) أي: اهتزَّت أو صوَّتت.

(٣) أي: صاحب بكّة، وبكّة من أسماء مكّة، يقال: سُمِّيت كذلك لأن الناس يتباكُّون فيها، أي: يزدحمون.

(٤) تفسير ابن هشام هذا في (ت) و(ق١) فقط.

(٥) في نسخة (ش١) وحدها: مكة بيت الله، بزيادة لفظِ بيت.

(٦) أي: أن أهلها هم أول من يُحِلُّون القتال فيها. والسُّبل: الطُّرق.

وهذه الأخبار التي ساقها ابن إسحاق، أخبار معضَلة عن رواة مجاهيل، الله أعلم بصحّتها.

(٧) ليثٌ هذا لخّص حاله أبو زُرْعة الرازيّ فقال: ليِّن الحديث، لا تقوم به الحُجّة عند أهل العلم بالحديث. وخبره هذا معضلٌ فلا يصحُّ.

غِبطةً، ومَن يَزرَعْ شرّاً يَحصُدْ ندامةً، تعملون السيِّئات وتُجزَونَ[1] الحسنات! أجل، كما لا يُجتَنى من الشَّوكِ العنبُ.

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّ القبائل من قريشٍ جَمَعَت الحجارةَ لبنائها، كلُّ قبيلة تَجمَعُ على حِدَةٍ، ثمّ بَنَوها، حتّى بلغ البُنيانُ موضعَ الرُّكن[2] فاختصموا فيه، كلُّ قبيلة تريد أن ترفعَه إلى موضعه دونَ الأخرى، حتّى تَحاوَزُوا[3] وتَحالَفوا وأعدُّوا للقتال، فقرَّبَت بنو عبد الدّار جَفْنةً مملوءةً دماً، ثمّ تَعاقَدوا هم وبنو عَديِّ بن كعب ابن لؤيٍّ على الموت، وأدخلوا أيديَهم في ذلك الدّم في تلك الجَفْنة، فسُمُّوا لَعَقةَ الدَّم، فمَكَثَت قريشٌ على ذلك أربعَ ليالٍ أو خمساً، ثمّ إنَّهم اجتمعوا في المسجد وتشاوَرُوا وتناصَفُوا.

فزَعَمَ بعضُ أهل الرِّواية: أن أبا أُميَّة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزومٍ، وكان عامَئِذٍ أسنَّ قريشٍ كلِّها، قال: يا معشرَ قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أوّلَ من يَدخُل من باب هذا المسجد يَقْضي بينكم فيه، ففعلوا، فكان أوّلَ داخلٍ رسولُ الله ﷺ، فلمّا رأَوه قالوا: هذا الأَمينُ، رَضِينا، هذا محمّدٌ، فلمّا انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال ﷺ: «هَلُمَّ إليَّ ثوباً»، فأُتي به، فأَخذ الرُّكنَ فوَضَعَه فيه بيده، ثمّ قال: «لتأخُذْ كلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ من الثَّوبِ، ثمَّ ارفَعُوه جميعاً»، ففعلوا، حتّى إذا بَلَغُوا به موضعَه، وَضَعَه هو بيدِه ﷺ ثمّ بَنَى عليه[4].

---

(١) في (ص): وترجون، وأشار في الحاشية إلى ما في بقيّة النسخ.

(٢) يعني بالرُّكن هنا الحَجَر الأسود، وسُمّي ركناً لأنه مبنيٌّ في الرّكن.

(٣) أي: انحازت كل قبيلة إلى جهة.

(٤) حديث صحيح، وقد روى هذا الخبر عن ابن إسحاق أيضاً بلا إسنادٍ يونسُ بن بكير في «سيرة ابن إسحاق» ص١٠٨، وسلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٢٩٠. =

وكانت قريشٌ تسمّي رسولَ الله ﷺ قبل أن يَنزِلَ عليه الوحيُ الأَمِينَ.

فلمّا فَرَغوا من البُنيان، وبَنَوها على ما أَرادوا، قال الزُّبير بن عبد المُطَّلِب، فيما كان من أمر الحيّة التي كانت قريش تهابُ بنيانَ الكعبة لها:

عَجِبتُ لَمَا[1] تَصوَّبَتِ العُقَابُ ... إلى الثُّعبانِ وهْيَ لها اضطِرابُ

وقد كانت يكونُ لها كَشِيشٌ[2] ... وأحياناً يكونُ لها وِثابُ

إذا قمنا إلى التأسيسِ شَدَّت ... تُهيِّبُنا البناءَ وقد تُهابُ

فلمّا أنْ خَشِينا الرِّجزَ[3] جاءت ... عُقابٌ تَتلَئِبُّ لها انصِبابُ

= وروي نحوه مسنَداً من حديث مولى مجاهد بن جَبْر، وهو السائب بن أبي السائب المخزوميّ أو ابنه عبد الله بن السائب ـ وكلاهما له صُحبة، لكن الراجح في هذا الخبر أنه السائب ـ فيما أخرجه أحمد (١٥٥٠٤) والحاكم (١٧٠١) من طريق هلال بن خبّاب، حدّثنا مجاهد عن مولاه: أنه كان فيمن بنى البيت... قال: وإنَّ قريشاً اختلفوا في الحَجَر حين أرادوا أن يضعوه، حتى كاد أن يكون بينهم قتال بالسيوف، فقالوا: اجعلوا بينكم أول رجل يدخل من الباب، فدخل رسول الله ﷺ، فقالوا: هذا الأمين، وكانوا يسمُّونه في الجاهليّة الأمينَ، فقالوا: يا محمد، قد رضينا بك، فدعا بثوب فبسطه ووضع الحجر فيه، ثم قال لهذا البطن ولهذا البطن ـ غير أنه سمى بطوناً ـ: «ليأخذ كل بطن منكم بناحية من الثوب»، ففعلوا، ثم رفعوه، وأخذه رسول الله ﷺ فوضعه بيده. وإسناده صحيح.

وروي نحوه أيضاً من حديث عليّ بن أبي طالب عند الحاكم (١٧٠٢)، وإسناده حسن.

وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق: أنَّ رسول الله ﷺ كان يومئذٍ ابن خمس وثلاثين سنة.

(١) هكذا قُيّدت في نسخنا الخطية، وهي مخفَّفة عن لمّا الظرفية التي بمعنى: حينَ.

وتصوَّبت: هَوَت وانحدرت من السماء. والعُقاب: طائر معروف من الجوارح.

(٢) أي: صوت لجلدها إذا تحرّكت.

(٣) كذا في نسخنا الخطية غير (ت) ففيها: الزجر، أي: المنع، وأما الرجز فهو العذاب.

وتتلئبُّ، أي: تتابعُ في انقضاضها، يقال: اتلأَبَّ على طريقه، إذا لم يُعرّج يمنةً ولا يسرةً، =

فضَـمَّتها إليهـا ثـمَّ خَلَّـت ... لنـا البُنيـانَ لـيس لـه حِجـابُ
فقُمنـا حاشـدِينَ إلـى بنـاءٍ ... لنـا منـه القواعـدُ والتُّـرابُ
غَـدَاةَ نُرفِّـعُ التأسـيسَ منـهُ ... ولـيس علـى مُسَـوِّينا[1] ثيـابُ
أعـزَّ بـه المَليـكُ بنـي لُـؤيٍّ ... فلـيس لأَصـلِه مـنهم ذَهَـابُ
وقـد حَشَـدَت هنـاك بنـو عَـديٍّ ... ومُـرّةُ قـد تَقـدَّمَها كِـلابُ
فبوَّأَنـا[2] المَليـكُ بـذاكَ عِـزّاً ... وعنـدَ الله يُلـتَمسُ الثـوابُ

قال ابن هشام: ويُروى: وليس على مَساوِينا[3] ثيابُ.

وكانت الكعبة على عهد رسول الله ﷺ ثمانيَ عشرةَ ذراعاً[4]، وكانت تُكسَى القَبَاطِيَّ، ثم كُسِيَت البُرودَ، وأوّل من كَسَاها الدِّيباجَ الحجّاجُ بن يوسف[5].

أمرُ الحُمْس

قال ابن إسحاق: وقد كانت قريشٌ ـ لا أدري أقبلَ الفيلِ أم بعده ـ ابتَدَعَت أمرَ

= والاسم منه التُّلَأبيبة كالطُّمَأنينة والقُشَعريرة.

(١) أي: مسوّي البنيان، يعني: أنهم كانوا ينقلون الحجارة لبنيانها عراةً، كما جاء في حديث جابر عند البخاري (٣٦٤) ومسلم (٣٤٠).

(٢) أي: أحلَّنا وأوطَنَنا، يقال: بوّأتُه موضع كذا وكذا، إذا أوطنتَه إيّاه.

(٣) يريد: السَّوءات، فهو جمع مَساءَة، مَفعَلة من السَّوءة، والأصل: مَساوِئ، فسُهِّلت الهمزة. قاله السهيليُّ ٢/ ٢٨٣.

(٤) والذراع تساوي ستّة وأربعين سنتيمتراً ونصفاً تقريباً (٤٦,٥ سم).

(٥) ويقال: أول من كساها الديباج يزيد بن معاوية، ويقال: عبد الله بن الزبير، كما في «أخبار مكة» للأزرقيّ ١/ ٢٥٣.

والقَباطيّ: ثياب رِقاق بِيضٌ، وكانت تُصنَع بمصر. والبُرود: ضربٌ من ثياب اليمن. والدّيباج: ثياب منسوجة من أحسن الحرير.

الحُمْس[1]، رأياً رأَوه وأداروه، فقالوا: نحن بنو إبراهيم وأهلُ الحُرْمة، ووُلاة البيت، وقاطنُ مكّة وساكنُها، فليس لأحدٍ من العرب مثلُ حقِّنا، ولا مثلُ منزلنا، ولا تَعرِفُ له العرب مثلَ ما تَعرِف لنا، فلا تُعظِّموا شيئاً من الحِلِّ كما تعظِّمون الحَرَم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفَّت العربُ بحُرمتكم، وقالوا: قد عظَّموا من الحِلّ مثلَ ما عظَّموا من الحَرَم، فتركوا الوقوفَ على عَرَفة والإفاضةَ منها، وهم يعرفون ويُقِرّون أنها من المَشاعرِ والحجِّ ودينِ إبراهيم عليه السلام، ويَرَون لسائر العرب أن يَقِفوا عليها وأن يُفِيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحَرَم، فليس ينبغي لنا أن نَخرُج من الحُرْمة، ولا نُعظِّمَ غيرَها كما نعظِّمها، نحن الحُمْس، والحُمْس أهل الحَرَم، ثم جعلوا لمن وَلَدوا من العرب من ساكن الحِلّ والحَرَم مثلَ الذي لهم بوِلادتِهم إياهم، يَحِلُّ لهم ما يَحِلُّ لهم، ويَحرُم عليهم ما يَحرُم عليهم، وكانت كِنانةُ وخُزَاعةُ قد دخلوا معهم في ذلك.

قال ابن هشام: وحدَّثني أبو عُبيدة النَّحْوي: أن بني عامر بن صَعصَعة بن معاوية ابن بكر بن هَوَازِن دخلوا معهم في ذلك، وأنشدني لعمرو بن مَعدِي كَرِبَ[2]:

---

(١) الحُمس جمع الأحمَس، سُمُّوا حُمساً لأنهم تحمَّسوا في دينهم، أي: تشدَّدوا، والحَمَاسة: الشَّجاعة.

(٢) الزُّبيديّ، فارس اليمن وشجاعها، وهو من مُراد بن مَذحِج، وشهد عمرٌو اليرموك والقادسية وغيرها من المشاهد في الشام والعراق.

وهذا البيت من قصيدة أجاب بها قصيدةً لعبّاس بن مِرداس السُّلمي، وكانت بنو سُلَيم ـ فيما قاله أبو عُبيدة في كتاب «أيام العرب» كما في «خزانة الأدب» للبغداديّ ٨/ ٣٢٢ ـ ورئيسهم عبّاس بن مِرداس قد غَزَت مُراداً، فجمع لهم عمرو بن معدي كرب، فالتقوا بتثليثَ من أرض اليمن، وهي من بلاد مَذحِج من قحطان، فاقتتلوا قتالاً شديداً. وانظر «شعر عمرو بن معدي كرب» =

أعبّـاسُ لـو كانـت شِـيَاراً جِيادُنـا بتَثليثَ ما ناصَيتَ بَعدِي الأَحامِسا[1]

قال ابن هشام: تثليثُ: موضعٌ من بلادهم[2]، والشِّيَار: السِّمَان الحِسان.

يعني بالأحامسِ: بني عامر بن صَعصَعة[3]، وعبّاسٍ: عبّاسَ بن مِرداسٍ السُّلميّ، وكان أغار على بني زُبيدٍ بتثليثَ، وهذا البيت في قصيدةٍ لعمرو.

وأنشدني للَقِيط بن زُرَارة الدارِميّ في يوم جَبَلة[4]:

إِجـدَمْ[5] إليـكَ إنّهـا بنـو عَـبسِ المَعشَـرُ الجِلَّـةُ في القومِ الحُـمْسِ

لأنّ بني عَبْسٍ كانوا يوم جَبَلة حُلَفاءَ في بني عامر بن صَعصَعة.

ويومُ جَبَلةَ يومٌ كان بين بني حَنظَلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تَميم، وبين بني

= جمع مطاع الطرابيشيّ ص١٢٥.

وعمرٌو بهذا البيت يعتذر بأن خيلهم لم تكن سِماناً، وأنه لولا ذلك لم ينل عبّاسٌ وقومه منهم الذي نالوه من قتل رجالهم.

(١) ما ناصيت، أي: ما أخذتَ بنواصي الأحامس، أراد: ما ساويتهم في المنزلة.

(٢) وهو واد عظيم فيه قرى ومزارع، يقع جنوب شرق وادي بِيشة جنوب الجزيرة العربية، وشمال شرق أَبها، ويبعد عنها قرابة ٢٠٠ كم.

(٣) وذهب ابن قتيبة في كتابه «المعاني الكبير» ١/ ١٠١ إلى أنه أراد بالأحامسِ الأشدّاءَ.

(٤) كان هذا اليوم قبل بعثة النبي ﷺ بأربعين عاماً، وقيل: بخمسة وأربعين عاماً، كما في «شرح نقائض جرير والفرزدق» لأبي عبيدة ٢/ ٤٠٤. وجَبَلة: هضبة في وسط نجدٍ ذات شِعاب وأودية، تقع شمال مدينة عَفيف.

(٥) في (ش١) و(ص): إجذم، بالذال، وفي بقيّة النسخ بالدال المهملة، وهي كلمة زجر للخيل، ويقال أيضاً: هِجدَم، كلاهما على وزن دِرهَم. انظر «تاج العروس» للزَّبيدي (جدم) و(هجدم)، وأما الإجذام بالذال: فهو الإقلاع عن الشيء.

والمعشرُ الجِلّة: القوم العظماء.

عامر بن صَعصَعة، فكان الظَّفَرُ فيه لبني عامر بن صعصعة على بني حنظلة، وقُتل يومئذٍ لَقِيطُ بن زُرَارة بن عُدُس، وأُسِرَ حاجب بن زُرَارة بن عُدُس، وانهزم عمرو بن عمرو بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارِم بن مالك بن حَنظَلة، ففيه يقول جَريرٌ للفرزَدقِ:

كأنّـك لـم تَشـهَدْ لَقِيطـاً وحاجبـاً ... وعمرَو بنَ عمرٍو إذْ دَعَوْا[1] يا لَـدارمِ

وهذا البيت في قصيدةٍ له[2].

ثم التَقَوا يومَ ذي نَجَبٍ[3]، فكان الظَّفَرُ لحنظلةَ على بني عامر، وقُتِل يومئذٍ حسّانُ بن معاوية الكِنْديّ، وهو ابن كَبْشةَ، وأُسر يزيدُ بن الصَّعِق الكِلَابيّ، وانهزم الطُّفَيل بن مالك بن جعفر بن كِلابٍ أبو عامر بن الطُّفيل، ففيه يقول الفَرَزدَق:

ومـنهنَّ إذْ نَجَّـى طُفيـلَ بـن مالـكٍ ... على قُـرزُلٍ رِجْـلا رَكُـوضِ الهَـزائمِ[4]

ونحـن ضَـرَبْنا هامَـةَ ابـنِ خُوَيلـدٍ ... يزيـدَ علـى أُمِّ الفِـراخِ الجَـواثمِ[5]

---

(١) هكذا في (ت) و(غ): دَعَوا، وهو الموافق لرواية «الديوان»، وفي سائر النسخ: دعا.

(٢) وهي في «ديوانه بشرح محمد بن حبيب» ٢/ ١٠٠٠، وهذا البيت رقم ٥٦ منها، وانظر أيضاً «شرح النقائض» ٢/ ٥٧٥. وجرير في هذا يعيّر الفرزدق - وهو تميميٌّ من بني دارم - بهزيمة قومه يوم جَبَلة.

(٣) وكان هذا اليوم بعد عام من يوم جبلة. وذو نَجَبٍ: واد بنجدٍ قرب ماوان، جنوب مدينة الرّياض.

(٤) قوله: ومنهن، أي: من أيام مفاخر قومه. وقُرزل: اسم فرس طفيل. وقوله: رَكُوض الهزائم، أي: ركوض عند الهزائم، يعني أنه هارب مهزوم.

(٥) الهامَة: الرأس. ويزيد: هو ابن خويلد بن نفيل الكِلابي، والصَّعِق لقبٌ لخويلد. وأم الفراخ: هي الدِّماغ، وكذا الجواثم.

وهذان البيتان في قصيدةٍ له[1].

فقال جَرير:

ونحن خَضَبْنا لابنِ كَبْشةَ تاجَهُ ولاقَى امرَأً في ضَمّة الخيل مِصقَعا[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له[3].

وحديثُ يوم جَبَلة ويوم ذي نَجَبٍ أطولُ ممّا ذكرتُ، وإنما مَنَعَني من استقصائه ما ذكرتُ في حديث الفِجَار[4].

قال ابن إسحاق: ثم ابتَدَعُوا في ذلك أموراً لم تكن لهم، حتى قالوا: لا يَنبَغي للحُمْس أن يأتَقِطُوا الأَقِطَ، ولا يَسلَؤُوا السَّمنَ[5] وهم حُرُم، ولا يدخلوا بيتاً من شَعَر، ولا يَستظِلُّوا إن استَظَلُّوا إلا في بُيوت الأَدَم[6] ما كانوا حُرُماً، ثم رَفَعوا في ذلك فقالوا: لا ينبغي لأهل الحِلِّ أن يأكلوا من طعامٍ جاؤوا به معهم من الحِلِّ إلى الحَرَم إذا جاؤوا حُجّاجاً أو عُمّاراً، ولا يَطُوفوا بالبيت إذا قَدِمُوا أوّلَ طوافهم إلا في ثياب

(١) في قتل قُتيبة بن مسلم الباهليّ وهجاء قيس عَيلان وهجاء جرير، ومدح سليمان بن عبد الملك. انظر «ديوانه» ص٦١٧، و«شرح النقائض» ٢/ ٥٥٥-٥٥٦.

(٢) خضبنا تاجه، أي: بلّلناه بالدم. وضمّة الخيل، أي: اجتماع الخيل. والمِصقَع: أراد به هنا الماهر الحاذق، والله أعلم.

(٣) انظر «ديوانه» ٢/ ٩٠٨، و«شرح النقائض» ٣/ ٩٥١.

(٤) في (ص) و(م) و(ي): حديث يوم الفجار. قلنا: يعني أنه منعه من استقصائه قطعُه حديثَ سيرةِ رسول الله ﷺ كما ذكر هناك.

(٥) قوله: يأتقطوا الأَقِط، أي: يصنعوا الأقطَ، وهو شيء يُصنَع من اللَّبن ويُجفَّف فيؤكل، ويقال: إنما يُصنَع من اللَّبن الحامض خاصّة. ولا يسلؤوا السمن، أي: لا يُذيبوا الزُّبْد ويصيِّروه سمناً.

(٦) يعني الخِيام التي تُصنَع من الجلد.

الحُمْس، فإن لم يَجِدُوا منها شيئاً طافوا بالبيت عُراةً، فإن تكرَّمَ منهم مُتكرِّم[1] من رجل أو امرأة ولم يجدْ ثيابَ أحمَسَ، فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحِلِّ، أَلقاها إذا فَرَغَ من طوافه، ثمَّ لم ينتفع بها ولم يَمَسَّها هو ولا أحدٌ غيرُه أبداً، فكانت العرب تسمِّي تلك الثيابَ اللَّقَى[2]، فحَمَلُوا على ذلك العربَ، فدانَتْ به، ووقفوا على عرفاتٍ وأفاضُوا منها، وطافوا بالبيت عُراةً: أمّا الرجالُ فيطوفون عُراةً، وأمّا النساءُ فتَضَعُ إحداهُنّ ثيابَها كلَّها إلا دِرعاً[3] مُفرَّجاً عليها، ثم تطوف فيه، فقالت امرأةٌ من العرب وهي كذلك تطوفُ بالبيت:

اليومَ يَبدُو بعضُهُ أو كلُّهُ وما بَدَا منه فلا أُحِلُّهُ

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحِلِّ ألقاها، فلم يَنتفِعْ بها هو ولا غيرُه، فقال قائل من العرب يَذكُر شيئاً تَرَكه من ثيابه فلا يَقرَبُه وهو يحبُّه:

كفى حَزَناً كَرِّي عليه[4] كأنّهُ لَقًى بين أيدي الطائفينَ حَريمُ

يقول: لا يُمَسُّ.

فكانوا كذلك حتى بَعَثَ الله تعالى محمّداً ﷺ، فأَنزل عليه حين أَحكَم له دينه، وشَرَعَ له سننَ حَجِّه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٩] يعني قريشاً، والناسُ: العرب، فرفعهم في سُنّة الحجّ إلى عرفاتٍ والوقوفِ عليها والإفاضةِ منها.

---

(١) أي: تنزَّه وترفَّع عن الطواف عُرياناً.

(٢) اللَّقَى: الشيء المَلقيُّ المطَّرَح.

(٣) درع المرأة: قميص قصير تلبسه المرأة عادةً في بيتها.

(٤) أي: انعطافي ورجوعي إليه.

وأُنزل عليه ﷺ فيما كانوا حَرَّموا على الناس من طعامِهم ولَبُوسِهم عند البيت، حين طافوا عُراةً، وحرَّموا ما جاؤوا به من الحِلِّ من الطعام: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف:٣١-٣٢]، فوَضَعَ الله تعالى أمرَ الحُمْس وما كانت قريشٌ ابتَدَعَت منه عن[1] الناس بالإسلام حين بَعَثَ الله به رسولَه ﷺ.

قال ابن إسحاق: حدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حَزْم، عن عثمان بن أبي سليمان بن جُبَير بن مُطعِم، عن عمِّه نافع بن جُبير، عن أبيه جُبير ابن مُطعِم قال: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ قبل أن يُنزَلَ عليه الوحيُ، وإنه لواقفٌ على بعيرٍ له بعرفاتٍ مع الناس من بينِ قومه حتَّى يَدفَعَ معهم منها، توفيقاً من الله عزَّ وجلَّ له، ﷺ[2].

أمرُ حدوث الرُّجوم وإنذار الكُهّان برسول الله ﷺ[3]

قال ابن إسحاق: وكانت الأحبارُ من يهودَ، والرُّهبانُ من النصارى، والكهّانُ من

---

(١) في (ش١) و(غ) و(ي): على، وكلاهما له وجهٌ مقبول المعنى.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٦٧٥٧)، والحاكم (١٧٢٢) و(١٧٩٢) وغيرهما من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه البخاري (١٦٦٤)، ومسلم (١٢٢٠) من طريق محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه جبير. وزاد فيه عن جبير قال: هذا - يعني النبيَّ ﷺ - واللهِ من الحُمْس، فما شأنه هاهنا؟!

(٣) في (ش١) و(ق١): إخبار الكهان من العرب والأحبار من يهود والرهبان من النصارى.

العرب، قد تحدَّثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مَبعَثه، لِمَا تَقارَب من زمانه؛ أمّا الأحبارُ من يهودَ والرّهبانُ من النصارى، فعَمَّا وَجَدُوا في كتبهم من صفتِه وصفةِ زمانه، وما كان من عهدِ أنبيائهم إليهم فيه، وأما الكُهّانُ من العرب، فأتَتْهم به الشياطين من الجنِّ فيما تَستَرِقُ من السَّمع، إذ كانت وهي لا تُحجَبُ عن ذلك بالقَذْف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزالُ يقعُ منهما ذِكرُ بعض أموره، لا تُلْقي العربُ لذلك فيه بالاً، حتّى بَعَثَه الله عزَّ وجلَّ، ووَقَعَت تلك الأمور التي كانوا يَذكُرون، فعَرَفُوها.

فلمّا تَقارَب أمرُ رسول الله ﷺ وحَضَرَ مَبعثُه، حُجِبَت الشياطين عن السَّمع، وحِيلَ بينها وبين المَقاعد التي كانت تَقعُد لاستراق السّمع فيها، فرُمُوا بالنُّجوم، فعَرَفَت الجنُّ أن ذلك لأمرٍ حَدَثَ من أمر الله في العِباد، يقول الله تبارك وتعالى لنبيِّه ﷺ حين بَعَثَه، وهو يقصُّ عليه خبر الجنِّ إذ حُجِبوا عن السّمع، فعَرَفوا ما عَرَفوا، وما أنكروا من ذلك حين رأَوا ما رأَوا: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن: ١-١٠].

فلما سمعت الجنُّ القرآنَ، عَرَفَت أنها إنما مُنِعَت من السّمع قبل ذلك، لئلّا يُشكِلَ الوحيُ بشيءٍ من خبر السماءِ فيَلبِسَ[1] على أهل الأرض ما جاءَهم من الله فيه، لوقوعِ الحُجَّة، وقَطْعِ الشُّبْهة، فآمنوا وصدَّقوا، ثمَّ ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ

(١) في (ي): فيلتبس. وكلاهما بمعنًى، أي: يختلط.

﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ الآية [الأحقاف: ٢٩-٣٠].

وكان قولُ الجنِّ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، أنَّه كان الرجل من العرب من قريشٍ وغيرِهم إذا سافر فنَزَلَ بطنَ وادٍ من الأرض ليَبِيتَ فيه، قال: إنّي أعوذُ بعَزيزِ هذا الوادي من الجنِّ الليلةَ من شرِّ ما فيه.

قال ابن هشام: الرَّهَق: الطُّغيان والسَّفَه، قال رُؤْبة بن العَجّاج:

إذ تَستَبِي الهَيَّامةَ[1] المُرهَّقا

وهذا البيت في أُرجوزةٍ له.

والرَّهَق أيضاً: طلبُك الشيءَ حتى تَدنُوَ منه، فتأخذَه أو لا تأخذَه، قال رُؤْبة يَصِفُ حميرَ وَحْشٍ:

بَصبَصْنَ واقشَعرَرْنَ من خوفِ الرَّهَقْ[2]

وهذا البيت في أُرجوزةٍ له.

والرَّهَق أيضاً: مصدرٌ لقول الرجلِ للرجل: رَهَقتُ الإثمَ أو العُسرَ الذي أرهَقتَني رَهَقاً شديداً، أي: حَمَلتُ الإثمَ أو العسرَ الذي حمَّلتني حَمْلاً شديداً، وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠]، وقوله: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ

---

(١) في «ديوان رؤبة» بعناية وليم البروسي ص١٠٩، و«شرحه» لعالم لُغويّ مجهول ١/ ١٣٧: الهيّابة، بالباء، وهو تحريف، والصواب أنه بالميم كما في «السيرة» هنا، وقال أبو ذرٍّ الخشنيّ في «إملائه على السيرة» ص٦٧: الهيّامة: الكثير الهُيَام. قلنا: وهو الذي يُولَع ويَهِيم بالنساء عشقاً، وتستبي: تأسِر، يعني أن النساء يَأسِرن ويأخذن عقل السفيه فيُولَع بهنّ ويطيش عقلُه.

(٢) في «الديوان» ص١٠٨، و«شرحه» ١/ ٥٦: الزَّهق، بالزاي، وفسّره بالهلاك. وبصبصنَ، أي: حرّكن أذنابَهنَّ. واقشعررنَ، أي: اضطربنَ وتحرّكن. وهو بهذا يصف حُمُراً وَرَدَت الماء لتشرب، لكنها لا تشعر بالأمان من صائد أو مفترس فتضطرب وتحرّك أذنابها.

أَمَرِى عُسْرًا ﴾ [الكهف:٧٣].

قال ابن إسحاق: حدَّثني يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنَسِ أنه حُدِّث: أن أوّل العرب فَزِعَ للرَّمي بالنُّجوم حين رُمِيَ بها، هذا الحيُّ من ثَقِيف، وأنهم جاؤوا إلى رجل منهم يقال له: عمرو بن أُميّة، أحدُ بني عِلَاجٍ ـ قال: وكان أَدهى العرب وأنكرَها رأياً ـ فقالوا له: يا عمرُو، ألم ترَ ما حَدَثَ في السماء من القَذْف بهذه النجوم؟ قال: بلى، فانظُروا، فإن كانت معالمُ النجوم التي يُهتدَى بها في البَرِّ والبحر، وتُعرَفُ بها الأَنواءُ من الصيف والشتاء، لِمَا يُصلِحُ الناسَ في مَعايشهم، هي التي يُرمَى بها، فهو واللهِ طيُّ الدنيا وهلاكُ هذا الخلق الذي فيها، وإن كانت نجوماً غيرَها وهي ثابتةٌ على حالها، فهذا لأمرٍ أراد اللهُ به هذا الخلق، فما هو؟![1]

قال ابن إسحاق: وذكر محمّد بن مُسلِم بن شِهابٍ الزُّهْريّ، عن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عن عبد الله بن العبّاس، عن نفرٍ من الأنصار: أن رسول الله ﷺ قال لهم: «ما كنتُم تقولون في هذا النَّجمِ الذي يُرمَى به؟» قالوا: يا نبيَّ الله، كنّا نقول حين رأَيناها يُرمَى بها: مات مَلِك، مُلِّك مَلِك، وُلِد مولود، مات مولود، فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذلكَ كذلك، ولكنَّ الله تبارك وتعالى كان إذا قَضَى في خلقِه أمراً سَمِعَه حَمَلةُ العرشِ فسبَّحُوا، فسبَّحَ مَن تحتَهم لتسبيحهم، فسبَّحَ مَن

---

(١) يعقوب بن عتبة هذا ثقفيٌّ وهو من أتباع التابعين، فخبره هذا مُعضَل، وخالفه الشعبيُّ ـ فيما رواه ابن عبد البر في «الدرر في اختصار المغازي والسير» ص٣٤-٣٥ ـ فذكر أن الذي أَتوه هو عبد ياليل بن عمرو الثقفيّ، وخبر الشعبيّ هذا مُرسَل لم يسنده.

قوله: معالم النجوم، أي: النجوم المشهورة.

والأنواء: جمع نَوْءٍ، وهي منازل النجوم في السماء. وانظر كتاب «الأنواء في مواسم العرب» لابن قتيبة ص٦-٧.

تحتَ ذلك، فلا يزالُ التسبيحُ يَهبِطُ حتّى ينتهيَ إلى السماءِ الدُّنيا فيُسبِّحوا، ثم يقولُ بعضُهم لبعضٍ: ممَّ سبَّحتُم؟ فيقولون: سبَّحَ مَن فوقَنا فسبَّحنا لتسبيحِهم، فيقولون: ألا تَسألون مَن فوقَكم ممَّ سبَّحُوا؟ فيقولون مثلَ ذلك حتّى يَنتَهُوا إلى حَمَلةِ العرش، فيقال لهم: ممَّ سبَّحتُم؟ فيقولون: قَضَى اللهُ عزَّ وجلَّ في خلقِه كذا وكذا؛ للأمرِ الذي كان، فيَهبِطُ به الخبَرُ من سماءٍ إلى سماءٍ حتّى ينتهيَ إلى السماءِ الدُّنيا، فيتحدَّثوا به، فتسترِقَه الشياطينُ بالسَّمع، على تَوهُّمٍ واختلافٍ، ثمّ يأتوا به الكُهّانَ من أهل الأرض فيُحدِّثُوهم به، فيُخطِئوا ويُصِيبوا[1]، فتتحدَّثَ به الكهّانُ، فيُصِيبوا بعضاً ويُخطِئوا بعضاً[2]، ثمّ إنَّ الله عزَّ وجلَّ حَجَبَ الشياطينَ بهذه النُّجومِ التي يُقذَفُون بها، فانقَطَعَت الكَهَانةُ اليومَ فلا كَهانةَ»[3].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عمرو بن أبي جعفر، عن محمَّد بن عبد الرَّحمن بن أبي لَبِيبةَ، عن عليِّ بن الحسين بن عليٍّ[4]، بمثل حديث ابن شِهابٍ عنه.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني بعضُ أهل العلم: أن امرأةً من بني سَهْم يقال لها:

---

(١) في (ش١) و(ص) و(ق١): فيخطئون ويصيبون.

(٢) في (ش١) و(ق١): فيصيبون بعضاً ويخطئون بعضاً.

(٣) حديث صحيح، وابن إسحاق لم يصرِّح بسماعه فيه من الزهريّ في رواية ابن هشام عن زياد البكّائيّ، لكن أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٤٨٧) عن عمرو بن زُرارة عن زياد، فصرّح فيه بسماع ابن إسحاق من الزهريّ. وعمرو بن زرارة أحد الثقات الأثبات.

وقد توبع ابن إسحاق فيه، فقد أخرجه بنحوه أحمد (١٨٨٢) و(١٨٨٣)، ومسلم (٢٢٢٩)، والترمذيّ (٣٢٢٤)، والنسائيّ في «الكبرى» (١١٢٠٨) من طرق عن الزهريّ، به.

(٤) هذا إسناد ضعيف، عمرو بن أبي جعفر لم نتبيَّنه، وابن أبي لبيبة - ويقال: ابن لبيبة - ضعيف، لكن الحديث صحيح كما تقدّم.

الغَيطَلة، كانت كاهنةً في الجاهليّة، جاءَها صاحبها ليلةً من الليالي، فانقَضَّ تحتها[1]، ثم قال: أَدْرِ ما أَدْر، يومَ عَقْرٍ ونَحْر، فقالت قريشٌ حين بَلَغَها ذلك: ما يريد؟ ثم جاءها ليلةً أخرى فانقضَّ تحتها، ثم قال: شُعُوبٌ ما شُعُوب، تُصرَعُ فيه كعبٌ لِجُنُوب[2]، فلما بَلَغَ ذلك قريشاً قالوا: ماذا يريد؟ إنَّ هذا لأمرٍ هو كائنٌ، فانظُروا ما هو؟ فما عَرَفُوه حتّى كانت وقعةُ بدرٍ وأُحدٍ بالشِّعْب، فعَرَفوا أنه كان الذي جاء به إلى صاحبته.

قال ابن هشام: الغَيطَلةُ من بني مُرَّة بن عبد مَنَاة بن كِنانة، إخوة مُدلِج بن مُرّة، وهي أم الغَياطِل الذين ذكر أبو طالبٍ في قوله:

لقد سَفُهَت أحلامُ قومٍ تَبدَّلوا بني خَلَفٍ قَيضاً بنا والغَياطلِ[3]

---

(١) أي: سقط تحتها، قال الخُشنيّ: من رواه أَنقَضَ، فمعناه: صوَّتَ، أي: تكلَّم بصوت خفيّ.

(٢) قال السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٣١٢: كعب هاهنا هو: كعب بن لؤيّ، والذين صُرِعوا لجُنوبهم ببدر وأُحد من أشراف قريشٍ معظمهم من كعب بن لؤيّ، وشعوب هاهنا أحسَبُه بضم الشِّين، ولم أجده مقيَّداً، وكأنه جمع شِعْب، وقول ابن إسحاق يدلّ على هذا حين قال: فلم يُدرَ ما قالت حتى قُتل من قُتل ببدر وأُحد بالشِّعب.

وقال الخُشنيّ في «إملائه» ص٦٨: من رواه بالضم فهو جمع شِعْب، وهو الموضع الخفيّ بين جبلين، ومن رواه بفتح الشين فهو اسم للمَنِيّة لا يُصرَف.

(٣) الأحلام: العقول. وقيضاً بنا، أي: عِوَضاً عنّا. والغَيطَلة: الظُّلمة الشديدة.

وهذا البيت قاله أبو طالب في قصيدة طويلة ـ كما سيأتي في الكلام على ابتداء دعوة النبي ﷺ قومَه إلى الإسلام ص٣١٩ ـ دفاعاً عن النبي ﷺ وأنّه غير مُسلِمِه لهم ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه، ويذكّر في هذه القصيدة بمآثر بني هاشمٍ.

ومعنى البيت: جَهِلَت عقولُ قوم اتخذوا بني خلف والغياطلَ ندماءَ وأصحاباً عِوَضاً عنّا، وأراد ببني خلف أبناءَ خلف بن وهب الجُمحي، وهم أُميّة وأُبيّ وإخوتهما.

فقيل لولدها: الغَياطِل، وهم من بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص. وهذا البيت في قصيدةٍ له سأذكرها إن شاء الله تعالى في موضعها.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عليُّ بن نافع الجُرَشيُّ[1]: أن جَنْباً ـ بَطْناً من اليمن ـ كان لهم كاهن في الجاهليّة، فلمّا ذُكِرَ أمرُ رسول الله ﷺ وانتشر في العرب، قالت له جَنْب: انظُرْ لنا في أمر هذا الرَّجل، واجتمعوا له في أسفلِ جَبَلِه، فنَزَلَ عليهم حين طَلَعَت الشمس فوقف لهم قائماً متَّكئاً على قوسٍ له، فرفع رأسَه إلى السماءِ طويلاً ثمَّ جعل يَنزُو[2]، ثم قال: أيُّها الناس، إنّ الله أكرَمَ محمّداً واصطفاه، وطهَّر قلبَه وحَشَاه، ومُكْثُه فيكم أيّها الناس قليل، ثم أَسنَدَ في جبله[3] راجعاً من حيث جاء.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني من لا أتَّهِمُ عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفَّان: أنه حَدَّث عن عمرَ بن الخطّابِ بَيْنا هو جالسٌ في الناس في مسجدِ رسول الله ﷺ، إذ أقبَلَ رجلٌ من العرب داخلَ المسجد يريدُ عمرَ بن الخطّاب، فلمّا نَظَرَ إليه عمرُ قال: إن الرجل لعلى شِركِه ما فارَقَه بعدُ، أو لقد كان كاهناً في الجاهليّة، فسَلَّم عليه الرجلُ ثم جلس، فقال له عمر: هل أسلمتَ؟ قال: نعم يا أميرَ المؤمنين، قال: فهل كنتَ كاهناً في الجاهليّة؟ فقال الرجل: سبحانَ الله يا أميرَ المؤمنين! لقد خِلْتَ فِيَّ[4]، واستقبلتَني بأمرٍ ما أُراك قُلتَه لأحدٍ من رعيَّتك منذ وَلِيتَ ما وَلِيتَ، فقال عمر: اللهمَّ غَفْراً[5]، قد كنّا في الجاهليّة على شرٍّ من هذا، نعبدُ الأصنام،

(١) علي بن نافع الجُرشيّ هذا لم نقف له على ترجمة فنتبيّن حاله، فهو مجهول.

(٢) أي: يقفز.

(٣) أي: ارتفع فيه.

(٤) أي: ظننتَ فِيَّ ظنَّ السوء، فحذف المفعول.

(٥) هي كلمة تقولها العرب إذا أخطأ الرجلُ على الرجل، ومعناها: اللهمَّ اغفِرْ لي غَفراً.

ونَعتنِقُ الأوثان، حتّى أكرَمَنا اللهُ برسوله ﷺ وبالإسلام، قال: نَعَم واللهِ يا أميرَ المؤمنين، لقد كنتُ كاهناً في الجاهليّة، قال: فأخبِرْني ما جاءَك به صاحبُك، قال: جاءني قُبَيلَ الإسلام بشهرٍ أو شَيْعِه[1]، فقال: ألم ترَ إلى الجنِّ وإبلاسِها، وإياسِها من دينِها، ولُحوقِها بالقِلَاصِ وأحلاسِها[2].

قال ابن هشام: هذا الكلام سَجْعٌ وليس بشِعْر.

قال ابن إسحاق: قال عبدُ الله بن كعب: فقال عمرُ عند ذلك يحدِّثُ الناسَ: والله إني لعندَ وَثَنٍ من أوثان الجاهليّة في نفرٍ من قريش، قد ذَبَحَ له رجلٌ من العرب عِجلاً، فنحن ننتظرُ قَسْمَه لِيُقسَمَ لنا منه، إذ سمعتُ من جوفِ العجلِ صوتاً ما سمعتُ صوتاً قطُّ أنفذَ منه، وذلك قُبيلَ الإسلام بشهرٍ أو شَيْعِه، يقول: يا ذَرِيح، أمرٌ نَجِيح، رجلٌ يَصِيح، يقول: لا إله إلّا الله[3].

---

(١) أو شَيْعه، أي: دونه بقليل. وأراد بالصاحب هنا رَئيَّه من الجنّ.

(٢) عجبتُ للجنِّ وإبلاسها، يقال: أَبلَسَ الرجلُ، إذا سكت ذليلاً ومغلوباً. والإياس واليأس واحد. والقِلاص: الإبل الفَتيّة، واحدها: قَلُوص. والأحلاس: جمع حِلْس، وهو كساء أو جلد يوضع على ظَهْر البعير ثم يوضع عليه الرَّحل ليحمي ظهرَه من الجروح ونحوها.

قال الكرمانيُّ في «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» ١٥/ ٨٨: فإن قلت: ما الغرضُ منه؟ وهل للجنِّ قُلُص وأحلاس؟ قلت: الظاهر ـ والله أعلم ـ أن الغرض منه بيانُ ظهور النبيّ العربيّ ﷺ ومتابعة الجنِّ للعرب ولُحوقِهم بهم في الدِّين، إذ هو رسولُ الله إلى الثَّقَلين... ويراد بالقَلُوص أهلَ القلوص، وهم العرب، على طريق الكناية.

وقال ابن الملقِّن في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» ٢٠/ ٥٠٠: قوله: «ولحوقها بالقِلاص وأحلاسها» يعني: تفرُّقَهم ونِفارَهم كراهةَ الإسلام.

(٣) خبر صحيح، وهذا إسناد ضعيف لإبهام شيخ ابن إسحاق، ثم إن عبد الله بن كعب هذا من صغار التابعين لم يدرك زمن عمر، فهو مرسل، لكن روي هذا الخبر بنحوه من وجه آخر =

قال ابن هشام: ويقال: رجلٌ يَصِيح، بلسانٍ فَصِيح، يقول: لا إله إلّا الله.

وأنشَدَني بعض أهل العلم بالشِّعر:

عَجِبتُ للجِنِّ وإبلاسِها ... وشَدِّها العِيسَ بأحلاسِها[1]

تَهْوي إلى مكّةَ تَبغِي الهُدَى ... ما مُؤمِنو الجنِّ كأنجاسِها

قال ابن إسحاق: فهذا ما بَلَغَنا عن الكهّان من العرب.

إنذارُ يهودَ برسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن رجالٍ من قومِه قالوا: إنَّ ممّا دعانا إلى الإسلام ـ معَ رحمةِ الله تعالى وهُداه ـ لَمَا كنّا نسمع من رجالِ يهودَ، كنّا أهلَ شركٍ أصحابَ أوثان، وكانوا أهلَ كتاب، عندهم علمٌ ليس لنا، وكانت لا تزالُ بيننا وبينهم شُرورٌ، فإذا نِلْنا منهم بعضَ ما يكرهون، قالوا لنا: إنه قد تَقارَبَ زمانُ نبيٍّ يُبعَث الآنَ، نَقتلُكم معه قتلَ عادٍ وإرَمَ، فكنّا كثيراً ما نسمعُ ذلك منهم، فلمّا بَعَثَ اللهُ رسولَه ﷺ أجَبْناه حين دعانا إلى الله تعالى، وعَرَفْنا ما كانوا يتوعَّدُوننا

= صحيح عن عمر.

فقد أخرجه البخاري (٣٨٦٦) من طريق سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله قال: ما سمعت عمرَ لشيءٍ قطُّ يقول: إني لأظنُّه كذا، إلا كان كما يظنُّ، بينما عمرُ جالسٌ إذ مرَّ به رجل ... وذكره.

أما طريق ابن إسحاق، فقد أخرجه أيضاً ابن بشكُوال في «غوامض الأسماء المبهمة» ٢/ ٧٢٠ من طريق عبد الملك بن هشام.

وقد روي أن هذا الرجل صاحب القصّة مع عمر، هو سواد بن قارب، من أوجهٍ لا يصحُّ منها شيء، انظر «مستدرك الحاكم» (٦٧٠٣) والتعليق عليه بتحقيق عادل مرشد ورفاقه.

(١) العِيس: الإبل الكِرام.

به، فبادَرْناهم إليه فآمنّا به، وكَفَروا به، ففينا وفيهم نزل هؤلاءِ[1] الآياتُ من البقرة: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾[2].

قال ابن هشام: يَستفتِحون: يَستنصِرون، ويَستفتِحون أيضاً: يتحاكَمُون، وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٩].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن بن عَوف، عن محمود بن لَبِيد أَخي بني عبد الأشهَلِ، عن سَلَمة بن سَلَامة بن وَقْشٍ ـ وكان سَلَمةُ من أصحاب بدرٍ ـ قال: كان لنا جارٌ من يهودَ في بني عبد الأشهَلِ، قال: فخرج علينا يوماً من بيتِه حتّى وَقَفَ على بني عبد الأشهَلِ ـ قال سلمةُ: وأنا يومئذٍ أحدَثُ مَن فيه سِنّاً، عليَّ بُرْدةٌ لي، مُضطجِعٌ فيها بفِناءِ أهلي[3] ـ فذَكَرَ القيامةَ والبَعْثَ والحِسابَ والميزانَ والجنّةَ والنارَ، قال: فقال ذلك لقومٍ أهلِ شركٍ أصحابِ أَوثان، لا يَرَونَ أنّ بَعثاً كائنٌ بعد الموت، فقالوا له: وَيحَكَ يا فلانُ، أَوَتُرَى هذا كائناً، أنّ الناس يُبعَثُون بعد موتِهم إلى دارٍ فيها جنّةٌ ونارٌ يُجزَونَ فيها بأعمالهم؟! قال: نعم، والذي يُحلَفُ به، ولَوَدَّ أنَّ له بحَظِّه من تلك النارِ أعظمَ تَنُّورٍ[4] في الدّار، يُحْمُونه ثم يُدخِلونه

---

(١) في (ت): نزلت هذه.

(٢) عاصم بن عمر بن قتادة أنصاريٌّ أَوسيٌّ، من صغار التابعين، وهو ثقة عالم بالمغازي، والرجال من قومه الظاهر أن فيهم من له صحبة، فالإسناد على هذا متصلٌ صحيح.

وهو بنحوه عند الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٣٧، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٧٥-٧٦ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

(٣) الفِناء: الأرض المتَّسعة أمام الدار.

(٤) التنُّور: فُرْن النار الذي يُخبز به.

إيّاه فيُطيِّنونه عليه، بأنْ يَنجُوَ من تلك النارِ غداً، فقالوا له: وَيحَكَ يا فلانُ، فما آيةُ ذلك؟ قال: نبيٌّ مبعوثٌ من نحوِ هذه البلاد؛ وأشارَ بيدِه إلى مكّة واليمن، قالوا: ومتى تُرَاهُ؟ قال: فنَظَرَ إليَّ وأنا من أحدَثِهم سِنّاً فقال: إن يَستنفِدْ هذا الغلامُ عُمرَه يُدرِكْه.

قال سلمةُ: فواللهِ ما ذهب الليلُ والنهارُ حتّى بَعَثَ اللهُ رسولَه ﷺ وهو حيٌّ بين أظهُرِنا، فآمَنّا به وكَفَرَ به بَغْياً وحَسَداً، قال: فقلنا له: وَيحَكَ يا فلانُ، ألستَ بالّذي قلتَ لنا فيه ما قلتَ؟! قال: بلى، ولكنْ ليس به[1].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة، عن شيخ من بني قُرَيظة؛ قال[2]: قال لي: هل تدري عمَّ كان إسلامُ ثَعلَبةَ بن سَعْية[3] وأَسِيدِ[4] بن سَعْية

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٥٨٤١) من طريق إبراهيم بن سعد الزهريّ، والحاكم (٥٨٧٣) من طريق عمرو بن زُرَارة، عن زياد البكّائيّ، كلاهما عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٢) القائل هنا هو عاصم، والشيخ القُرظي الظاهر أنه أدرك زمن القصة التي يسوقها، فهو على هذا خبر متصل صحيح، والله تعالى أعلم.

وهذا الخبر في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص٨٥-٨٦، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «السنن» ٩/ ١١٤ و«دلائل النبوة» ٢/ ٨٠-٨١ و٤/ ٣١-٣٢.

وأخرجه هشامُ بن عمار في كتابه «المبعث» كما في «جامع الآثار في السير ومولد المختار» لابن ناصر الدين الدمشقي ١/ ١٦٨، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٢)، والبيهقيُّ في «الدلائل» ٤/ ٣١ من طرق أخرى عن ابن إسحاق، به.

(٣) في (ت) و(ق١): سعنة، في كلا الموضعين. قال ابن عبد البر: قيل: سَعية وسَعنة، وسعيةُ بالياء أكثر.

(٤) قُيّد في (ي): أُسَيد وأَسِيد، وكتب فوقه معاً. وهو بضمّ الهمزة في رواية إبراهيم بن سعد =

وأَسَدِ بن عُبيدٍ؟ ـ نفرٍ من هَدَلٍ إخوةِ بني قُرَيظة[1]، كانوا معهم في جاهليّتهم ثم كانوا سادتَهم في الإسلام ـ قال: قلت: لا، قال: فإنّ رجلاً من يهودَ من أهل الشّام يقال له: ابن الهَيِّبان، قَدِمَ علينا قبلَ الإسلام بسنِينَ، فحَلَّ بين أظهُرِنا، لا والله ما رأَينا رجلاً قطُّ لا يُصلِّي الخمسَ أَفضلَ منه، فأقام عندنا، فكنّا إذا قَحَطَ عنّا المطرُ قلنا له: اخرُجْ يا ابنَ الهيِّبان فاستَسقِ لنا، فيقول: لا واللهِ حتى تُقدِّموا بين يَدَيْ مَخرَجِكم صدقةً، فنقول له: كم؟ فيقول: صاعاً من تمر، أو مُدَّينِ من شعير[2]، قال: فنُخرِجُها، ثم يخرجُ بنا إلى ظاهرِ حَرَّتِنا[3] فيَستَسقي اللهَ لنا، فواللهِ ما يَبرَحُ مجلسَه حتى يَمُرَّ السَّحابُ ونُسقَى، قد فعل ذلك غيرَ مرّةٍ ولا مرّتينِ ولا ثلاثٍ.

قال: ثم حَضَرَته الوفاةُ عندنا، فلما عَرَفَ أنه ميِّت قال: يا معشرَ يهودَ، ما تُرَونَه أخرَجَني من أرض الخَمْر والخَمِير[4] إلى أرض البُؤْس والجوع؟ قال: فقلنا: أنت

= عن ابن إسحاق كما قال ابن عبد البر في ترجمته في باب أُسيد من «الاستيعاب» ص٤٦، ونقل الدارقطنيّ في كتاب «المؤتلف والمختلف» ٣/ ١٣٨٥ عن رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق أنه أَسِيدٌ بالفتح، وصوَّبه، وكذا صحّحه بالفتح ابنُ ماكولا في «الإكمال» ١/ ٧٠، وذكر السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٣٣٠ أنه قول الواقديِّ وغيره.

(١) سيأتي في غزوة بني قريظة ٣/ ٢٩٠ عن ابن إسحاق قال: هم نفرٌ من بني هَدَل، ليسوا من بني قُريظة ولا النَّضير، نسبُهم فوق ذلك، هم بنو عمِّ القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظةُ على حُكْم رسول الله ﷺ.

وتقدّم ص٢٢ بيان ضبط هدل.

(٢) الصاع والمُدّ مكيالان، والصاع أربعة أمداد، والمدُّ من الشعير أو البُرّ يزن ٥٤٤ غراماً تقريباً، وعليه فالصاع يزن ٢١٧٦ غراماً.

(٣) الحَرّة: كل أرض ذات حجار سُود.

(٤) يعني الخبز الذي يوضع في عجينه الخميرة.

أعلم، قال: فإنّي إنَّما قَدِمتُ هذه البلدةَ أتوكَّفُ خروجَ نبيٍّ قد أظَلَّ زمانُه[1]، هذه البلدةُ مُهاجَرُه، فكنت أرجو أن يُبعَثَ فأتّبعَه، وقد أظلَّكم زمانُه، فلا تُسبَقُنَّ إليه يا معشرَ يهود، فإنه يُبعَثُ بسَفْكِ الدِّماء[2]، وسَبْي الذَّرَاريِّ والنساءِ ممّن خالَفَه، فلا يَمنعنَّكم ذلك منه.

فلما بُعِثَ رسول الله ﷺ وحاصر بني قُريظَة، قال هؤلاء الفِتيةُ ـ وكانوا شباباً أحداثاً ـ: يا بني قُريظةَ، واللهِ إنه لَلنّبيُّ الذي كان عَهِدَ إليكم فيه ابنُ الهَيِّبان، قالوا: ليس به، قالوا: بلى واللهِ، إنه لهُوَ بصِفَتِه، فنزلوا فأَسلموا، فأَحرَزُوا[3] دماءَهم وأموالَهم وأهلِيهِم.

قال ابن إسحاق: فهذا ما بَلَغَنا عن أحبار يهودَ.

أمرُ سلمان الفارسيّ

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة الأنصاريُّ، عن محمود بن لَبِيدٍ، عن عبد الله بن عبّاس قال: حدَّثني سلمانُ الفارسيُّ من فِيهِ قال: كنت رجلاً فارسيّاً من أهل أَصبَهانَ[4] من قرية يقال لها: جَيّ[5]، وكان أَبي دِهْقانَ قريته[6]،

---

(١) أتوكَّف، معناه: أنتظر وأستشعر. وأظلَّ زمانُه، معناه: أشرَف عليكم وقَرُب.

(٢) يعني أنه أُبيح له قتال من خالفه وعاداه بالسيف.

(٣) أي: حَفِظوا.

(٤) أصبهان أو أصفهان هي إحدى مدن إيران، على بعد ٣٤٠ كم جنوب طهران.

(٥) قال ياقوت في «معجم البلدان» ٢/ ٢٠٢: اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة، وهي الآن كالخراب منفردة، وتُسمَّى الآن عند العجم شَهرَستان، وعند المحدِّثين المدينة.

(٦) الدِّهقان: شيخ القرية ورئيسها، العارف بالفِلاحة وما يَصلُح بالأرض من الشجر، يُلجَأ إليه في معرفة ذلك.

وكنت أحبَّ خلقِ الله إليه، لم يَزَلْ به حبُّه إيّاي حتى حَبَسَني في بيته كما تُحبَس الجارية، واجتهدتُ في المجوسيّة حتى كنت قَطَنَ النارِ الذي[1] يوقدُها، لا يتركها تَخبُو ساعةً.

قال: وكانت لأبي ضَيْعةٌ عظيمةٌ، فشُغِلَ في بُنْيان له يوماً، فقال لي: يا بنيَّ، إني قد شُغِلتُ في بنياني هذا اليومَ عن ضَيْعتي، فاذهب إليها فاطَّلِعْها، وأَمرني فيها ببعض ما يريد، ثم قال لي: ولا تَحتبِسْ عنّي، فإنك إن احتبستَ عنّي كنتَ أهمَّ إليّ من ضَيْعتي، وشَغَلتَني عن كل شيءٍ من أمري.

قال: فخرجتُ أُريد ضَيْعتَه التي بَعَثَني إليها، فمَرَرتُ بكنيسةٍ من كنائس النَّصارى فسمعتُ أصواتَهم فيها وهم يصلُّون، وكنت لا أدري ما أمرُ الناس، لحَبْس أبي إيّايَ في بيته، فلما سمعتُ أصواتهم دخلتُ عليهم أنظرُ ما يَصنَعون، فلما رأيتُهم أعجبتني صلاتُهم ورَغِبتُ في أمرِهم، وقلت: هذا واللهِ خيرٌ من الدِّين الذي نحن عليه، فوالله ما بَرِحتُهم حتّى غَرَبَت الشمس، وتَرَكتُ ضَيْعةَ أَبي فلم آتِها، ثم قلت لهم: أين أصْلُ هذا الدِّين؟ قالوا: بالشام.

فرجعتُ إلى أَبي وقد بَعَثَ في طَلَبي، وشَغَلتُه عن عملِه كلِّه، فلمّا جئتُه قال: أيْ بُنيَّ، أين كنت؟ ألم أكن عَهِدتُ إليك ما عَهِدتُ؟ قال: قلت: يا أبتِ، مررتُ بأُناسٍ يُصلُّون في كنيسةٍ لهم، فأعجَبَني ما رأيتُ من دينِهم، فواللهِ ما زِلتُ عندهم حتى غَرَبَت الشمس، قال: أيْ بنيَّ، ليس في ذلك الدِّين خيرٌ، دينُك ودينُ آبائِك خيرٌ

(١) يعني أن سلمان كان هو الذي يوقدها، وفي (ت) و(ش١) و(ق١) و(م): التي؛ يعني أن أباه هو الذي كان يوقدها وسلمان كان قطنَ النار، أي: خادمها الذي يخدمها ويمنعها من أن تَطفَأ لتعظيمهم إياها.

منه، قال: قلت له: كلّا واللهِ، إنه لخيرٌ من ديننا، قال: فخافَني، فجعل في رجلي قيداً، ثم حَبَسَني في بيته.

قال: وبَعَثتُ إلى النصارى فقلت لهم: إذا قَدِمَ عليكم رَكْبٌ من الشام فأخبِروني بهم، قال: فقَدِمَ عليهم رَكْبٌ من الشام تجارٌ من النصارى، فأخبَروني بهم، فقلت لهم: إذا قَضَوْا حوائجَهم وأرادوا الرَّجْعةَ إلى بلادهم، فآذِنُوني بهم. قال: فلمّا أرادوا الرَّجعةَ إلى بلادهم أخبَروني بهم، فألقَيتُ الحديدَ من رجلي، ثم خرجتُ معهم حتى قَدِمتُ الشامَ، فلمّا قَدِمتُها قلت: مَن أفضلُ أهلِ هذا الدِّينِ علماً؟ قالوا: الأُسقُفُّ[1] في الكنيسة.

قال: فجئتُه فقلت له: إني قد رَغِبتُ في هذا الدِّين، وأحببتُ أن أكونَ معك وأخدُمَك في كنيستك، فأتعلَّمَ منك وأصلِّيَ معك، قال: ادخُلْ، فدخلتُ معه، قال: فكان رجلَ سَوءٍ، يأمرُهم بالصَّدقةِ ويُرغِّبُهم فيها، فإذا جَمَعُوا له شيئاً منها اكتَنَزَه لنفسه ولم يُعطِه المساكين، حتّى جَمَعَ سبعَ قِلالٍ[2] من ذهبٍ ووَرِقٍ، قال: وأبغضتُه بُغضاً شديداً لِما رأيته يصنعُ، ثم مات، فاجتَمَعَت إليه النصارى ليَدفِنوه، فقلت لهم: إنّ هذا كان رجلَ سَوءٍ، يأمرُكم بالصَّدقة ويُرغِّبُكم فيها، فإذا جِئتُموه بها اكتَنَزَها لنفسه، ولم يُعطِ المساكينَ منها شيئاً، قال: فقالوا لي: وما عِلمُك بذلك؟ قال: قلت لهم: أنا أدلُّكم على كَنْزِه، قالوا: فدُلَّنا عليه، قال: فأرَيتُهم موضعَه، فاستخرجوا سبعَ قِلالٍ مملوءةً ذهباً ووَرِقاً، قال: فلمّا رأَوها قالوا: واللهِ لا نَدفِنُه

---

(١) الأُسقُفُّ: هو عالم النصارى الذي يقيم لهم أمرَ دينهم، ويقال: أُسقُفٌ، بالتخفيف أيضاً.

(٢) جمع قُلّة: وهي الجرّة الكبيرة. والوَرِق: الفضّة.

أبداً، قال: فصَلَبُوه ورَجَمُوه بالحجارة، وجاؤوا برجلٍ آخرَ فجعلوه مكانَه.

قال: يقول سلمانُ: فما رأَيت رجلاً لا يصلِّي الخمسَ، أُرى أنه كان أفضلَ منه؛ أزهدَ في الدنيا ولا أرغبَ في الآخرة، ولا أدأَبَ ليلاً ونهاراً منه، قال: فأحبَبتُه حبّاً لم أُحبَّه شيئاً قبلَه، قال: فأقمتُ معه زماناً، ثم حَضَرَته الوفاةُ، فقلت له: يا فلانُ، إنّي قد كنت معك وأحببتُك حبّاً لم أُحبَّه شيئاً قبلَك، وقد حَضَرَك ما ترى من أمرِ الله، فإلى مَن تُوصِي بي؟ وبِمَ تأمرُني؟ قال: أيْ بنيَّ، واللهِ ما أعلمُ اليومَ أحداً على ما كنتُ عليه، لقد هَلَكَ الناسُ وبدَّلوا وتركوا أكثرَ ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالمَوصِل، وهو فلانٌ، وهو على ما كنتُ عليه، فالحَقْ به.

قال: فلما مات وغُيِّبَ لَحِقتُ بصاحب المَوصِل، فقلت له: يا فلان، إنّ فلاناً أَوصاني عند موته أن أَلحَقَ بك، وأخبرني أنّك على أمرِه، فقال لي: أَقِمْ عندي، فأقمتُ عنده، فوجدتُه خيرَ رجلٍ على أمرِ صاحبه، فلم يَلبَثْ أن مات، فلمّا حَضَرَته الوفاةُ قلت له: يا فلانُ، إنّ فلاناً أَوصى بي إليك، وأمرني باللُّحوق بك، وقد حَضَرَك من أمرِ الله ما ترى، فإلى مَن تُوصِي بي؟ وبِمَ تأمرُني؟ قال: يا بنيَّ، واللهِ ما أعلمُ رجلاً على مثل ما كنّا عليه إلا رجلا بنَصِيبِينَ[1]، وهو فلانٌ، فالحَقْ به.

فلما مات وغُيّبَ لَحِقتُ بصاحب نَصِيبين، فأخبرتُه خَبَري وما أَمرني به صاحبه، فقال: أَقِمْ عندي، فأقمتُ عنده، فوجدتُه على أمر صاحبَيه، فأقمتُ مع خيرِ رجلٍ، فواللهِ ما لَبِثَ أن نزل به الموتُ، فلما حُضِرَ قلت له: يا فلانُ، إنّ فلاناً كان أَوصى بي إلى فلان، ثمّ أَوصى بي فلانٌ إليك، فإلى مَن تُوصِي بي؟ وبِمَ تأمرُني؟ قال: يا بنيَّ،

(١) مدينة تاريخيّة في الجزيرة الفراتيّة العُليا، تبعد عن الموصل قرابة ٢٠٠ كم، تقع حاليّاً جنوب شرقيّ تركيا على الحدِّ بينها وبين سوريا، ويقابلها في الجانب السوريّ مدينة القامشلي.

واللهِ ما أعلَمُه بقيَ أحدٌ على أمرنا آمرُك أن تأتيَه إلا رجلاً بعَمُّورِيّة[1] من أرض الرُّوم، فإنه على مثلِ ما نحن عليه، فإن أحببتَ فأْتِه، فإنّه على أمرنا.

فلما مات وغُيِّبَ لَحِقتُ بصاحب عمُّوريّة فأخبرته خَبَري، فقال: أقِمْ عندي، فأقمتُ عند خيرِ رجلٍ، على هَدْي أصحابِه وأمرِهم. قال: واكتسبتُ حتى كانت لي بَقَراتٌ وغُنَيمةٌ، قال: ثمّ نَزَلَ به أمرُ الله تعالى، فلمّا حُضِرَ قلت له: يا فلانُ، إنّي كنت مع فلان، فأَوصى بي إلى فلان، ثم أَوصى بي فلانٌ إلى فلان، ثم أَوصى بي فلانٌ إليك، فإلى مَن تُوصِي بي؟ وبِمَ تأمرُني؟ قال: أيْ بنيَّ، واللهِ ما أعلمُه أصبح أحدٌ على مثل ما كنّا عليه من الناس آمرُك به أن تأتيَه، ولكنّه قد أظَلَّ زمانُ نبيٍّ هو مبعوثٌ بدينِ إبراهيم، يخرجُ بأرض العرب، مُهاجَرُه إلى أرضٍ بين حَرَّتَين، بينهما نخلٌ، به علاماتٌ لا تخفى، يأكلُ الهديّةَ ولا يأكلُ الصدقة، بين كَتِفَيهِ خاتمُ النبوّة، فإن استطعت أن تَلحَقَ بتلك البلاد فافعَلْ.

قال: ثم مات وغُيِّبَ، ومَكَثتُ بعمُّوريّة ما شاء الله أن أمكُثَ، ثم مرَّ بي نفرٌ من كَلْبٍ تجّارٌ، فقلت لهم: احمِلُوني إلى أرض العرب وأُعطيَكم بَقَراتي هذه وغُنَيمتي هذه، قالوا: نعم، فأعطَيتُهُموها وحَمَلوني معهم، حتى إذا بَلَغُوا واديَ القُرَى[2]

---

(١) كانت عمّوريّة مدينة عظيمة للروم في هضبة الأناضول وسط تركيا، فتحها المعتصم بالله سنة ٢٢٣هـ وفتح أنقرة أيضاً، وخلّدها أبو تمّام في قصيدته التي ذكر فيها هذا الفتح، وأولُها:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ ... في حدِّه الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ

وعمّورية الآن خراب ليس بها إلا آثار رومانيّة، تقع بقرب قرية اسمها حصار كوي في محافظة أفيون قره حصار جنوب غربيّ أنقرة على بعد ١٧٠ كم تقريباً.

(٢) هو واد ممتدّ بين خيبر ومدينة العُلا التي تقع شمال غرب المدينة المنوّرة على بعد ٣٠٠ كم تقريباً، سُمِّي بذلك لكثرة ما فيه من القرى، ويعرف اليوم بوادي العُلا.

ظَلَموني فباعوني من رجلٍ يهوديٍّ عبداً، فكنتُ عنده، ورأيت النَّخلَ، فرَجَوتُ أن يكون البلدَ الذي وَصَفَ لي صاحبي، ولم يَحُقَّ في نفسي[1]، فبَيْنا أنا عنده، إذ قدم عليه ابنُ عمٍّ له من بني قُرَيظةَ من المدينة، فابتاعني منه فاحتَمَلَني إلى المدينة، فواللهِ ما هو إلا أن رأيتُها فعرفتُها بصِفَةِ صاحبي، فأقمتُ بها، وبُعِثَ رسولُ الله ﷺ، فأقام بمكّة ما أقام، لا أسمعُ له بذِكْرٍ مع ما أنا فيه من شُغْل الرِّقّ، ثم هاجر إلى المدينة، فواللهِ إني لَفي رأس عَذْقٍ[2] لسيِّدي أعملُ له فيه بعضَ العمل، وسيِّدي جالسٌ تحتي، إذ أقبَلَ ابنُ عمٍّ له حتّى وَقَفَ عليه فقال: يا فلانُ، قاتَلَ اللهُ بني قَيْلةَ، واللهِ إنهم الآنَ لمجتمعون بقُبَاءٍ[3] على رجلٍ قَدِمَ عليهم من مكّةَ اليومَ، يَزعُمون أنه نبيٌّ.

قال ابن هشام: قَيْلةُ: بنت كاهل بن عُذْرة بن سعد بن زيد بن لَيث بن سُودِ بن أسلُم بن الْحافِ بن قُضَاعةَ، أمُّ الأَوْس والخَزرَج.

قال النُّعمان بن بَشِير الأنصاريّ يَمدَحُ الأوسَ والخَزرجَ:

بَهالِيلُ من أولادِ قَيْلةَ لم يَجِدْ عليهمْ خَليطٌ في مُخالطةٍ عَتْبا[4]

---

(١) أي: لم أتيقَّن منه.

(٢) العَذْق بالفتح: النَّخلة، والعِذْق بالكسر: الكِبَاسة بما عليها من التمر. والكِباسة من النخل كالعُنقود من العنب.

(٣) قُباء في الأصل اسم بئر سُمّيَت القرية باسمها، وهي قرية بني عمرو بن عوف من الأوس، وهي اليومَ بلدة عامرة تُطيف بمسجد قُباء، كثيرةُ البساتين والسكّان، واتصلت عمرانيّاً بالمدينة المنوَّرة، مسجدها جنوب المسجد النبويّ على بُعد ٤ كم تقريباً، وهي واقعة في حَرّة تسمى حرّة قُباء، وهي الجزء الشرقيّ من حرَّة المدينة الغربيّة المسمّاة بالوَبَرة.

(٤) بهاليل: جمع بُهلولٍ، وهو السيِّد.

مَساميحُ أبطالٌ يَراحُونَ للنَّدَى يَرَونَ عليهم فِعلَ آبائِهم نَحْبا[1]

وهذان البيتانِ في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: حدَّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة الأنصاريُّ، عن محمود بن لَبِيد، عن عبد الله بن عبّاس قال: قال سلمانُ: فلمّا سمعتُها أخَذَتني العُرَوَاءُ ـ قال ابن هشام: العُرَوَاءُ: الرِّعْدةُ من البرد والانتفاضُ[2] ـ حتّى ظننتُ أني سأسقطُ على سيّدي، فنزلت عن النَّخلة فجعلتُ أقول لابن عمِّه ذلك: ماذا تقول؟ماذا تقول؟ فغَضِبَ سيِّدي فلَكَمَني لَكْمةً شديدةً، ثم قال: ما لك ولِهذا؟ أقبِلْ على عملِك، قال: فقلت: لا شيءَ، إنّما أردتُ أن أستَثبِتَه عمَّا قال.

قال: وقد كان عندي شيءٌ قد جمعتُه، فلمّا أمسيتُ أخذتُه ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقُبَاءٍ، فدخلتُ عليه فقلت له: إنّه قد بَلَغَني أنك رجل صالح، ومعك أصحابٌ لك غُرباءُ ذَوُو حاجة، وهذا شيءٌ كان عندي للصَّدقة، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم، قال: فقرَّبتُه إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كُلُوا» وأمسَكَ يدَه فلم يأكُلْ، قال: فقلتُ في نفسي: هذه واحدةٌ، قال: ثم انصرفتُ عنه فجَمَعتُ شيئاً، وتَحوَّل رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئتُه به فقلت له: إني قد رأيتُك لا تأكلُ

---

(١) مساميح: أجوادٌ كِرام. وأبطالٌ: شُجعان. ويَراحون: يهتزُّون فرحاً. والنَّدى: السخاء والكرم. والنَّحْب: النَّذر، وما يجعله الإنسان على نفسه.

ويعني النعمان بذلك أن قومه الأنصار لا يجدُ من يخالطهم ويعاشرهم شيئاً يَعتَب فيه عليهم من بخل أو جُبن أو غيره من سيّئ الأخلاق، فهم سادة من صفاتهم الجُود والشجاعة، يجودون بما لديهم وهو فرحون ونفوسهم طيّبة من غير إبطاء ولا كسل، ويرون أن ذلك واجب عليهم وليس منّةً أو تفضلاً على أحد.

(٢) في (ص): وشدة الانتفاض.

الصَّدقةَ، وهذه هديّةٌ أكرمتُك بها، قال: فأَكَلَ رسولُ الله ﷺ منها وأمَرَ أصحابَه فأكلوا معه، قال: فقلتُ في نفسي: هاتانِ ثِنتانِ، قال: ثم جئت رسولَ الله ﷺ وهو ببَقِيعِ الغَرقَدِ[1] قد تَبِعَ جِنازةَ رجل من أصحابه[2]، عليَّ شَملتانِ لي[3]، وهو جالسٌ في أصحابه، فسلَّمتُ عليه ثم استَدَرتُ أنظرُ إلى ظهره، هل أَرى الخاتمَ الذي وَصَفَ لي صاحبي، فلمّا رآني رسولُ الله ﷺ استدبَرتُه عَرَفَ أني أَستَثبِتُ في شيءٍ وُصِفَ لي، فأَلقى رِداءَه عن ظهره فنظرتُ إلى الخاتم فعرفتُه، فأكبَبتُ عليه أقبِّلُه وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: «تَحَوَّلْ» فتحوَّلتُ فجلستُ بين يديه، فقَصَصتُ عليه حديثي كما حدَّثتُك يا ابن عباس، فأَعجبَ رسولَ الله ﷺ أن يسمعَ ذلك أصحابُه. ثم شَغَلَ سلمانَ الرِّقُّ حتّى فاتَه مع رسول الله ﷺ بدرٌ وأُحدٌ.

قال سلمان: ثم قال لي رسول الله ﷺ: «كاتِبْ يا سلمانُ»، فكاتبتُ صاحبي على ثلاثِ مئةِ نخلةٍ أُحْييها له بالفَقِير[4] وأربعينَ أُوقيّةً، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه:

---

(١) الغرقد: نوع من الشجر كان يكثر في هذا الموضع فسُمّي به، والبَقيع من الأرض: المكان المتّسع، ولا يسمَّى بقيعاً إلا وفيه شجر أو أصولها. والبقيع مقبرة أهل المدينة، وهو في جهة الجنوب الشرقيّ من المسجد النبويّ.

(٢) ذكر السهيليُّ والخشنيُّ أن صاحبه هذا هو كُلثوم بن الهِدْم الأوسيُّ، فهو الذي مات في تلك الأيام، وهو الذي نزل عليه النبي ﷺ في قُباء أولَ ما قَدِمَ المدينة، وهو أوّل من مات من أصحابه بعد مقدمه ﷺ.

(٣) الشَّملة: الكساء الغليظ يَشتمِل به الإنسان، أي: يلتحف به.

(٤) أي: بالحَفْر وبالغَرْس، يقال: فَقَرتُ الأرضَ، إذا حَفَرتها. ونقل الخشنيُّ في «إملائه» ص٧٠ عن أبي الوليد الوَقَّشيّ ـ وهو ممن ضبط السيرة في بلاد الأندلس ـ أن الصواب هنا: بالتفقير، أراد المصدر، واستحسنه الخشنيّ.

والمراد بالأُوقيّة ـ ويقال: وُقِيّة ـ الفضّة، والأُوقيّة الواحدة أربعون درهماً، والدرهم يعادل =

«أَعِينوا أخاكم»، فأعانوني بالنَّخل، الرجلُ بثلاثين وَدِيّةً[1]، والرجلُ بعشرين وَدِيّةً، والرجلُ بخمسَ عشرةَ، والرجلُ بعشرٍ، يُعِينُ الرجلُ بقَدْر ما عنده، حتّى اجتَمَعَت لي ثلاثُ مئة وَدِيَّة، فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهَبْ يا سلمانُ ففَقِّرْ لها، فإذا فَرَغتَ فأْتِني أكُنْ أنا أضعُها بيدي»، قال: ففَقَّرتُ وأعانني أصحابي، حتّى إذا فَرَغتُ جئتُه فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجَعَلْنا نُقرِّب إليه الوَدِيَّ ويَضَعُه رسولُ الله ﷺ بيده، حتّى فَرَغْنا، فوالّذي نفسُ سلمان بيده ما ماتت منها وَدِيّةٌ واحدةٌ.

قال: فأدَّيتُ النخلَ وبقيَ عليَّ المالُ، فأُتِيَ رسولُ الله ﷺ بمثلِ بَيضةِ الدَّجاجة من ذهبٍ من بعض المَعادن[2]، فقال: «ما فَعَلَ الفارسيُّ المُكاتَبُ؟» قال: فدُعِيتُ له، فقال: «خُذْ هذه فأَدِّها ممّا عليك يا سلمانُ» قال: قلت: وأين تقعُ هذه يا رسولَ الله ممّا عليَّ؟ فقال: «خُذْها، فإنَّ الله سيُؤدِّي بها عنك»، قال: فأخذتُها، فوَزَنتُ لهم منها ـ والّذي نفسُ سلمانَ بيده ـ أربعين أُوقِيّةً، فأَوفَيتُهم حقَّهم منها، وعَتَقَ سلمانُ، فشَهِدتُ مع رسول الله ﷺ الخندقَ حُرّاً، ثم لم يَفُتْني معه مَشهَدٌ[3].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني يزيد بن أبي حَبِيب، عن رجلٍ من عبد القَيْس، عن

= ٢,٩٧٥ غم، فالأُوقيّة ١١٩ غم. إذاً فالأربعون أُوقية التي كاتب بها سلمان تعادل ١٦٠٠ درهم.

(١) الوديّة: واحدة الوَدِيِّ، وهو فراخ النخل الصِّغار.

(٢) هي المواضع التي تُستخرَج منها جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس وغير ذلك، واحدها: مَعدِن.

(٣) إسناد خبر إسلام سلمان هذا صحيح.

وأخرجه بطوله أحمد في «المسند» (٢٣٧٣٧) عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهريّ، عن أبيه، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وانظر تمام تخريجه فيه.

سلمان أنه قال: لمّا قلتُ: وأين تقعُ هذه من الّذي عليَّ يا رسول الله؟ أخَذَها رسول الله ﷺ فقَلَّبَها على لسانِه، ثم قال: «خُذْها فأَوفِهم منها»، فأخذتُها فأَوفَيتُهم منها حقَّهم كلَّه، أربعينَ أُوقيّةً[1].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، قال: حدَّثني مَن لا أتَّهِمُ عن عمر بن عبد العزيز بن مروانَ قال: حُدِّثتُ عن سلمانَ الفارسيِّ: أنه قال لرسول الله ﷺ حين أخبَره خَبَرَه: أنَّ صاحب عَمُّوريّة قال له: ائتِ كذا وكذا من أرض الشام، فإنَّ بها رجلاً بين غَيضَتَينِ[2]، يخرج في كلِّ سنةٍ من هذه الغَيْضةِ إلى هذه الغَيْضةِ مستجيزاً[3]، يعترِضُه ذَوُو الأسقام، فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شُفِيَ، فاسأَلْه عن هذا الدِّين الّذي تبتغي، فهو يخبـرُك عنه.

قال سلمانُ: فخرجتُ حتّى جئتُ حيث وَصَفَ لي، فوجدتُ الناس قد اجتمعوا بمَرْضاهم هناك، حتّى خرج لهم تلك الليلةَ مستجيزاً من إحدى الغَيضَتَينِ إلى الأخرى، فغَشِيَه الناسُ بمَرْضاهم، لا يدعو لمريضٍ إلا شُفِيَ، وغَلَبُوني عليه، فلم أَخلُصْ إليه حتّى دخل الغَيْضةَ التي يريد أن يَدخُلَ إلا مَنكِبَه، قال: فتناولتُه، فقال: مَن هذا؟ والْتَفَتَ إليَّ، قال: قلت: يرحمُك الله، أخبِرني عن الحَنيفيّة دينِ إبراهيم، قال: إنك لتسألُ عن شيءٍ ما يَسألُ عنه الناسُ اليوم، قد أظَلَّك زمانُ نبيٍّ يُبعَثُ بهذا الدِّين من أهل الحَرَم، فأْتِه فهو يَحمِلُك عليه، قال: ثم دخل.

قال: فقال رسول الله ﷺ لسلمانَ: «لئِنْ كنتَ صَدَقتَني يا سلمانُ، لقد لَقِيتَ

---

(١) إسناده ضعيف لإبهام الرجل العبقسيّ.

وأخرجه أحمد (٢٣٧٣٨) عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٢) الغَيضة: الشجر الكثير المتشابك.

(٣) أي: سالكاً الطريق بينهما.

عيسى ابنَ مريم»[1].

أمر النَّفَر الأربعة المتفرِّقين عن عبادة الأوثان في طلب الأديان

قال ابن إسحاق: واجتمعت قريشٌ يوماً في عيدٍ لهم عند صَنَم من أصنامهم كانوا يُعظِّمونه ويَنحَرون له، ويَعكُفون عنده، ويُدِيرُون به[2]، وكان ذلك عيداً لهم في كلِّ سنة يوماً، فخَلَصَ منهم أربعةُ نفرٍ نَجِيّاً، ثم قال بعضهم لبعض: تَصادَقُوا وليَكتُمْ بعضُكم على بعض، قالوا: أجَلْ ـ وهم وَرَقةُ بن نَوفَل بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ ابن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيٍّ، وعُبيدُ الله بن جَحْش بن رِئَاب بن يَعمَر بن صَبِرَة ابن مُرّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودَان بن أسَد بن خُزَيمةَ، وكانت أمُّه أُمَيمةَ بنت عبد المُطَّلِب، وعثمانُ بن الحُوَيرِث بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ، وزيدُ بن عَمرو بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِيَاح بن رِزَاح[3] بن عَدِيّ بن كعب بن

---

(١) خبر ضعيف واهٍ لما في إسناده من الإبهام والانقطاع، ولنكارة متنه، قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٣/ ٥١٦: غريب جدّاً بل منكر.

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٩٩، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢١/ ٣٨٩-٣٩٠ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٧٤ من طريق عبد الله بن إدريس، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر، عن رجل من عبد القيس، عن عمر بن عبد العزيز، به.

(٢) أي: يدورون به.

(٣) كذا قُيِّد في نسخنا من «السيرة» بكسر الرّاء، وكذا قيّده الإمام النَّحويّ أبو بحر الأسديّ الأندلسيّ في نسخته من «السيرة» كما ذكر السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٣٥٦، أما الدارقطنيُّ ـ وتبعه ابن ماكُولا ـ فقيّده بفتح الرّاء، وكذلك قيّده ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص١٥٠.

تنبيه: خولف ابن إسحاق في هذا النسب، فإنه وقع له فيه حيثما ذكره: عبد العزى بن عبد الله ابن قرط بن رياح بن رزاح، وهذا مخالفٌ لما أَطبق عليه النسّابةُ والمؤرِّخون من أن رزاحاً وَلَدَ =

لُؤيٍّ ـ فقال بعضُهم لبعض: تَعلَّموا[1] واللهِ ما قومُكم على شيء، لقد أخطَؤُوا دينَ أبيهم إبراهيم، ما حَجَرٌ نُطِيفُ به لا يسمعُ ولا يبصرُ، ولا يضرُّ ولا ينفعُ؟! يا قوم، التَمِسُوا لأنفسكم، فإنكم واللهِ ما أنتم على شيء. فتفرَّقوا في البلدان يَلتمِسون الحَنِيفيّةَ دينَ إبراهيم.

فأمّا وَرَقةُ بن نَوفَل فاستَحكَم في النصرانيّة، واتَّبع الكتبَ من أهلها، حتّى عَلِمَ علماً من أهل الكتاب، وأما عُبيد الله بن جَحْشٍ فأقام على ما هو عليه من الالتباسِ حتّى أسلمَ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحَبَشة ومعه امرأتُه أمُّ حَبِيبة بنت أبي سفيان مُسلِمةً، فلمّا قَدِمَها تَنصَّر وفارقَ الإسلام، حتّى هَلَكَ هنالك نصرانيّاً.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني محمّد بن جعفر بن الزُّبَير قال: كان عُبَيدُ الله بن جَحْشٍ حين تَنصَّرَ يمرُّ بأصحاب رسول الله ﷺ ـ وهم هنالك من أرض الحَبَشة ـ فيقول: فَقَّحْنا وصَأصَأْتُم؛ أي: أبصَرْنا وأنتم تَلتمِسُون البصرَ ولم تُبصِروا بعدُ، وذلك أن ولدَ الكلبِ إذا أراد أن يفتحَ عينيه للنَّظَر، صَأصَأَ لينظُرَ[2]. وقوله: فَقَّحَ: فَتَحَ عَينَيه.

قال ابن إسحاق: وخَلَفَ رسولُ الله ﷺ بعدَه على امرأته أمِّ حَبِيبة بنت أبي سفيان

= قُرطاً، وأن قرطاً وَلَدَ عبدَ الله، وأن عبد الله وَلَدَ رياحاً، وأن رياحاً وَلَدَ عبدَ العزى، فهو: عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح، وانظر مثلاً «نسب قريش» لمصعب الزبيري ص٣٤٦-٣٤٧، و«الجمهرة» لابن حزم ص١٥٠.

(١) أي: اعلموا.

(٢) في (ق١): أن يفتح عينيه لينظر صأصأ ليبصر.

وصأصأَ الجروُ: حاول النظر ولمَّا تنفتحْ عيناه.

وسيعيد ابن إسحاق الخبر مرة أخرى بعد غزوة خيبر ٣/ ٤٨٩، لكنه جعله هناك من رواية محمد بن جعفر بن الزبير عن عمّه عروة بن الزبير. وكلاهما عالمٌ ثقةٌ.

ابن حَرْب.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمّد بن عليّ بن حسين: أنَّ رسول الله ﷺ بَعَثَ فيها إلى النَّجَاشيِّ عمرَو بنَ أُميّة الضَّمْريَّ، فخَطَبَها عليه النجاشيُّ فزوَّجَه إيّاها، وأصدَقَها عن رسول الله ﷺ أربعَ مئةِ دينار ـ فقال محمّد بن عليٍّ: ما نُرَى عبدَ الملك ابنَ مروانَ وَقَفَ صَدَاقَ النساء على أربعِ مئة دينار إلا عن ذلك ـ وكان الّذي أمْلَكَها رسولَ الله ﷺ خالدُ بن سعيدِ بن العاصِ[1].

---

(١) حديث صحيح، وهو هنا مرسَل، فمحمد بن عليّ بن الحسين ـ وهو ابن عليّ بن أبي طالب، المعروف بالباقر ـ من صغار التابعين، وهو إمام حُجّة، وقد روي هذا الخبر من غير وجه مرسلاً وموصولاً يقوّي بعضها بعضاً.

وأخرجه بنحوه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٤٠٤) من طريق عيسى بن يونس، والبيهقي في «السنن» ٧/ ١٣٩، وفي «دلائل النبوة» ٣/ ٤٦١، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٩/ ١٤١ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه كذلك ابن سعد في «الطبقات» ١٠/ ٩٦ ـ ومن طريقه الحاكم (٦٩٢٧) وغيره ـ عن محمد بن عمر الواقديّ، عن إسحاق بن محمد المخزوميّ، عن جعفر بن محمد بن عليّ، عن أبيه. والواقديّ فيه مقال كثير عند المحدِّثين لكنه غير متفرِّد بهذا الخبر، فهو مقبول في جملة المتابعات والشواهد.

وأخرجه بنحوه أيضاً أحمد (٢٧٤٠٨)، وأبو داود (٢١٠٧)، والنسائي في «المجتبى» (٣٣٥٠)، والحاكم (٢٧٧٦) من طريق الزهريّ، عن عُروة بن الزبير، عن أم حبيبة نفسها. ورجاله ثقات لكن اختُلف في وصله وإرساله. وفيه: أن النجاشيَّ أمهَرَها عن النبيّ ﷺ أربعة آلاف درهم. قلنا: وهي تعادل أربع مئة دينار تقريباً.

وذكر أبو نعيم في «دلائل النبوة» ـ فيما قاله الزيلعيُّ في «تخريج الكشّاف» ٣/ ٤٥٦ ـ أن زواج النبي ﷺ بأمّ حبيبة كان في سنة ستٍّ من الهجرة، وقال: بعد رجوع النبي ﷺ من خيبر، ولا أعلم في ذلك خلافاً. قلنا: كذا وقع فيه: سنة ستٍّ، والذي عليه جمهور أصحاب السيَر =

قال ابن إسحاق: وأمّا عثمانُ بن الحُوَيرِث، فقَدِمَ على قَيصرَ ملكِ الرّوم، فتنصَّر وحَسُنَت منزلتُه عنده.

قال ابن هشام: ولعثمان بن الحُوَيرث عند قيصرَ حديث، مَنَعَني من ذكره ما ذكرتُ في حديث الفِجَار[1].

قال ابن إسحاق: وأمّا زيدُ بن عمرو بن نُفَيل، فوَقَفَ فلم يدخل في يهوديّة ولا نصرانيّة، وفارَقَ دينَ قومه، فاعتَزَلَ الأوثانَ والمَيْتةَ والدمَ والذبائحَ التي تُذبَحُ على الأوثان، ونهى عن قتل المَوءُودة، وقال: أعبُدُ ربَّ إبراهيم، وبادَى قومَه[2] بعَيبِ ما هم عليه.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني هشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن أمّه أسماءَ بنت أبي بكرٍ قالت: لقد رأيتُ زيدَ بن عمرو بن نُفيلٍ شيخاً كبيراً مُسنِداً ظهرَه إلى الكعبة وهو يقول: يا معشرَ قريش، والّذي نفسُ زيدِ بن عمرٍو بيده، ما أَصبَحَ منكم أحدٌ على دينِ إبراهيم غيري، ثم يقول: اللهمَّ لو أني أعلمُ أيُّ الوجوه أحبُّ إليك عبدتُك به،

= والمغازي أن غزوة خيبر إنما كانت في أوائل سنة سبع للهجرة وليس سنة ستٍّ، وأراد بزواجه منها: دخوله بها، كما في «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢/ ٤٤٧، وكان عمرها يومئذٍ بضعاً وثلاثين سنة.

وأما خالد بن سعيد بن العاص، فهو خالد بن سعيد بن العاص بن أُميّة بن عبد شمس، وكان أقرب مهاجري الحبشةِ نسباً إلى أم حبيبة، فهي أمُّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس، واسمها رَمْلة.

(١) يعني أنه منعه من استقصائه قطعُه حديثَ سيرةِ رسول الله ﷺ كما ذكر هناك.

(٢) الوَأْدُ: شيء كان يفعله بعضُ العرب، كان إذا وُلِدَت له بنتٌ دَفَنَها في التراب أو في الرّمل حيّةً، وأصلُ وَأَدَ: أَثقَلَ، فسُمّيَت الموءودةَ لأنها أُثقِلت بالتراب.

وبادى قومَه، أي: أظهر لهم وجاهَرَهم.

ولكنْ لا أعلمُه، ثم يسجدُ على راحَتِه[1].

قال ابن إسحاق: وحُدِّثتُ: أنّ ابنه سعيدَ بن زيد بن عمرو بن نُفَيل وعمرَ بن الخَطّاب ـ وهو ابن عمِّه ـ قالا لرسول الله ﷺ: أنستغفرُ لزيدِ بن عمرٍو؟ قال: «نَعَم، فإنَّه يُبعَثُ أُمّةً وحدَه»[2].

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه بنحوه النسائيّ في «الكبرى» (٨١٣١)، والحاكم (٥٩٧٢) من طريق أبي أسامة حماد ابن أسامة، عن هشام بن عروة، به.

والراحة: باطن الكفّ.

(٢) حديث حسن، وقد بيَّن يونس بن بُكير في روايته للسيرة عن ابن إسحاق إسناده فيه، ففيها ص١١٩ ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٩/ ٥١١ ـ أن ابن إسحاق قال: حدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحُصين التَّميمي: أن عمر ابن الخطاب وسعيد بن زيد، فذكره. وهذا مرسل، وهو عند الحاكم (٥٩٦٩) من طريق يونس عن ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزُّبير عن محمد بن عبد الله بن الحُصين، وهو وهمٌ.

ورواه موصولاً عبد الرحمن بن أبي الزِّناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال: سألت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن زيد بن عمرو بن نفيل، فقال: «يأتي يوم القيامة أمّة وحده»، أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٧٧٥)، وأبو يعلى (٩٧٣)، والآجرّي في «الشريعة» (١٧٨٤)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٥١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» ١٥/ ٦٨٤، وابن عساكر ١٩/ ٥٠٩ و٦٣/ ٦، وإسناده حسن من أجل ابن أبي الزِّناد.

ورواه كذلك يونس بن بكير في زياداته على «السيرة» ص١١٩ ـ ومن طريقه الحاكم (٥٩٦٨) ـ عن المسعوديّ، عن نُفيل بن هشام، عن أبيه: أن جدَّه سعيد بن زيد سأل رسولَ الله ﷺ عن أبيه زيد بن عمرو فقال: يا رسول الله إنّ أَبي زيدَ بنَ عمرو كان كما رأيتَ، وكما بَلَغَك، فلو أدركك آمنَ بك، فأستغفرُ له؟ قال: «نعم، فاستغفِرْ له، فإنه يجيءُ يوم القيامة أمّة وحده»، وكان فيما =

فقال زيد بن عمرو بن نُفَيل في فِراق دين قومه، وما كان لقيَ منهم في ذلك:

أربّــاً واحــداً أمْ أَلــفُ ربٍّ ... أَدِيــنُ إذا تُقُسِّــمَت الأمــورُ

عَزَلتُ اللَّاتَ والعُزَّى جميعاً ... كـذلك يفعـلُ الجَـلْدُ الصَّـبورُ

فـلا عُـزَّى أَدِيـنُ ولا ابنَتَيهـا ... ولا صَـنَمَي بنـي عمـرٍو أَزُورُ

ولا غَنْمـاً[1] أَدِيـنُ وكـان ربّـاً ... لنـا في الـدَّهرِ إذ حِلْمـي يسـيرُ

= ذكروا يطلبُ الدِّين، فمات وهو في طلبه. وهو عند أحمد في «مسنده» (١٦٤٨) عن يزيد بن هارون، عن المسعوديّ، عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، عن أبيه، عن جدِّه قال.. وهذا إسناد محتمل للتحسين من أجل نفيل وأبيه، والمسعوديُّ - وهو عبد الرحمن ابن عبد الله بن عُتبة - وإن كان قد اختلط، فقد روى عنه هذا الخبرَ عبدُ الله بنُ رجاءٍ عند الطبرانيّ في «المعجم الكبير» (٣٥٠)، وهو ممّن روى عنه قبل اختلاطه.

وقوله: «يُبعَث يوم القيامة أمّة وحده» له شاهد من حديث زيد بن حارثة عند النسائيّ في «الكبرى» (٨١٣٢)، والحاكم (٥٠٢٢)، وإسناده حسن.

ومن حديث أسماء بنت أبي بكر عند النسائي أيضاً (٨١٣١)، وإسناده صحيح.

وروى أبو بكر الباغَنديّ - ومن طريقه ابن عساكر ١٩/ ٥١٢ - عن أبي سعيد عبد الله بن سعيد الأشجّ قال: حدّثنا أبو معاوية، عن هشام بن عُروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال النبي ﷺ: «دخلتُ الجنةَ فرأيتُ لزيد بن عمرو بن نُفيلٍ دَوحَتَينِ». وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» ٣/ ٣٢٧ وقال: هذا إسناد جيّد، وليس هو في شيء من الكتب؛ يعني الكتب المشهورة.

قلنا: والأُمّة في هذا الحديث معناه: الرجل الواحد المعلِّم للخير المنفرِد به، أو انفرد بدينٍ لم يَشرَكه فيه أحدٌ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠].

(١) غُيّر في طبعة السقّا وصاحبيه إلى: ولا هُبلاً - مخالفين أصول «السيرة» جميعها - موافقةً لما وقع في هذا الشعر في كتاب «الأصنام» لابن الكلبيّ ص٢٢، وعلّلوا ذلك بأنهم لم يجدوا بين أصنام العرب صنماً له هذا الاسم، وفاتهم أن ابن الكلبي نفسه قال بعد ذلك ص٣٠: وقد كانت العرب تسمي بأسماءٍ يعبِّدونها (أي: يقولون: عبد كذا) لا أدري أعبَّدوها للأصنام أم لا؟! =

عَجِبتُ وفي اللَّيالي مُعجِباتٌ ... وفي الأيّامِ يَعرفُها البصيرُ

بأنَّ الله قد أَفنَى رجالاً ... كثيراً كان شأنَهمُ الفُجورُ

وأَبقى آخَرِينَ ببِرِّ قومٍ ... فيَربَلُ[1] منهمُ الطفلُ الصغيرُ

وبَيْنا المَرْءُ يَعثُرُ ثابَ يوماً ... كما يَتروَّحُ الغُصنُ المَطيرُ[2]

ولكنْ أعبُدُ الرَّحمنَ ربِّي ... ليغفرَ ذَنْبيَ الربُّ الغفورُ

فتقوى اللهِ ربِّكمُ احفَظُوها ... متى ما تَحفَظُوها لا تَبُوروا[3]

تَرَى الأبرارَ دارُهمُ جِنانٌ ... وللكفّارِ حاميةً سَعيرُ[4]

وخِزيٌ في الحياةِ وإنْ يَمُوتوا ... يُلاقُوا ما تَضِيقُ به الصُّدورُ

= منها عبد ياليل وعبد غَنْم وعبد كُلَال وعبد رُضى.

وقوله: إذ حِلمي يسير، الحِلم هنا: العقل، واليسير: القليل؛ يريد أن قومه كانوا يتخذون غَنْماً هذا ربّاً حين كان صغيراً.

(١) على حاشية (ي): قال ابن هشام: يَربُل: يسمو، وصحَّح عليها. قلنا: وقُيِّدت الباء في (ص) و(ق١) و(م) أيضاً بالضم، وقُيِّدت في (ت) بالفتح، وهو الموافق لما قال السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٣٦٥، حيث قال: ألفيتُ في حاشية الشيخ أبي بحرٍ: رَبَلَ الطفلُ يَربَلُ: إذا شبَّ وعَظُم، يَربَلُ بفتح الباء، أي: يَكبَر ويُنبِت، ومنه أُخذ تربيلُ الأرض.

قلنا: وأما الزَّبيديُّ في «تاج العروس» (ربل) فقد ذكر في ضبط هذا الفعل أنه من حدَّي نَصَرَ وضَرَبَ، يعني أن الباء في المضارع مضمومة ومكسورة، ولم يذكر الفتح فيها، فيُستدرك عليه ما ذكره السهيليُّ - وهو إمام في اللّغة - فتكون الباء مثلَّثة.

(٢) يعثر، أي: يقع في الآثام والخطايا. وثاب يوماً، أي: رجع. وقوله: كما يتروّح الغصن المطيرُ، أي: يهتزّ وينبت ورقُه ويخضرُّ بعد سقوطه.

(٣) لا تبوروا، أي: لا تهلكوا.

(٤) قال السهيليُّ: نصب حاميةً على الحال من سعيرٍ؛ لأن نَعْت النَّكرة إذا تقدّم عليها نُصِب على الحال.

وقال زيد بن عمرو بن نُفَيل ـ قال ابن هشام: هي لأُميّة بن أبي الصَّلْت في قصيدة له، إلّا البيتين الأوَّلَين والبيتَ الخامس، وآخرُها بيتاً وعَجُزُ البيت الأول عن غير ابن إسحاق ـ:

إلــى الله أُهــدي مِــدحَتي وثَنائِيــا ... وقولاً رَصِيناً[1] لا يَنِي الدَّهرَ باقِيا

إلى المِلكَ الأعلى الّذي ليسَ فوقَهُ ... إلٰــهٌ ولا ربٌّ يكــونُ مُــدانِيا

ألَا أيُّهــا الإنســانُ إيّــاكَ والــرَّدَى[2] ... فإنّــك لا تُخفِــي مــن الله خافِيــا

وإيّــاكَ لا تَجعــلْ مــعَ الله غيــرَهُ ... فــإنّ سـبيلَ الرُّشـدِ أصـبَحَ بادِيـا

حَنانَيكَ[3] إنّ الجِنَّ كانت رجاءَهمْ ... وأنــت إلٰهــي ربُّنــا ورجائِيــا

رَضِـيتُ بـك اللهـمَّ ربّـاً فلـن أُرى ... أَدِيــنُ إلٰهــاً غيــرَكَ اللهُ[4] ثانِيــا

وأنـت الّـذي مِـن فضـلِ منٍّ ورحمـةٍ ... بعثـتَ إلـى موسـى رسـولاً مُنادِيـا

---

(١) في (ت): رضيّاً.

والرَّصين: الثابت المحكَم.

وقوله: لا يَنِي، أي: لا يَفتُر ولا يضعف.

(٢) الرَّدى: الهلاك.

(٣) أي: تحنُّناً بعد تحنُّن، والتحنُّن: الرأفة والرحمة.

قال السهيليُّ: قال النحويّون: يريد حناناً بعدَ حنان، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتّكرار، لا إلى القَصْر على اثنين خاصّة دون مَزيد، ويجوز أن يريد حناناً في الدنيا وحناناً في الآخرة.

(٤) أي: أَدين لإلهٍ، وحذف اللّام وعدَّى الفعل لأنه في معنى: أعبُد إلهاً.

قال السهيليُّ: وقوله: غيرَكَ اللهُ، برفع الهاء، أراد: يا أللهُ، وهذا لا يجوز فيما فيه الألف واللام، إلا أن حُكْم الألف واللام في هذا اللفظ المعظَّم يخالف حكمَها في سائر الأسماء، ألا ترى أنك تقول: يا أيّها الرجل، ولا ينادى اسمُ الله بيا أيّها، وتَقطَع همزته في النداء فتقول: يا أَللهُ، ولا يكون ذلك في اسمٍ غيرِه، إلى أحكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسمُ لغيره من الأسماء المعرَّفة.

فقلتَ له: يا اذهَبْ[1] وهارونَ فادعُوا ... إلى الله فِرعَونَ الذي كان طاغِيا

وقولا لهُ: أأنتَ سوَّيتَ هذِهِ[2] ... بلا وَتِدٍ حتّى اطمأنَّت كما هِيا

وقولا لهُ: أأنتَ رفَّعتَ هذِهِ ... بلا عَمَدٍ أَرفِقْ إذنْ بكَ بانِيا[3]

وقولا لهُ: أأنتَ سوّيتَ وَسْطَها ... مُنِيراً إذا ما جَنّهُ الليلُ هادِيا[4]

وقولا لهُ: مَن يُرسِلُ الشمسَ غُدْوةً ... فيصبحَ ما مَسَّت من الأرضِ ضاحِيا[5]

وقولا لهُ: مَن يُنبِتُ الحبَّ في الثَّرَى ... فيصبحَ منه البَقْلُ يهتزُّ رابِيا[6]

ويُخرِجُ منه حبَّه في رؤوسِهِ ... وفي ذاكَ آياتٌ لمن كان واعِيا

وأنت بفضلٍ منك نجَّيتَ يونُسا ... وقدْ باتَ في أضعافِ حوتٍ[7] لَيالِيا

وإنّي ولو[8] سبَّحتُ باسمِكَ ربَّنا ... لأُكثِرُ - إلّا ما غَفَرتَ - خَطَائِيا

---

(١) في (ت) ونسخة على حاشية (ي): تذهب.

وقوله: يا اذهب، على حذف المنادى، كأنه قال: يا هذا اذهب.

(٢) يعني الأرض، وأشار إليها للعِلم بها.

(٣) رفَّعت هذه: يعني السماء. وقوله: أرفِق إذاً بك بانياً، أي: ما أَرفَقَك على معنى التعجب.

(٤) منيراً، يعني القمر. وجنَّه الليلُ: أظلَمَ حتى يُستتَر بظُلمته.

(٥) الغُدوة: أول النهار. وضاحياً، أي: بارزاً للشمس.

(٦) الثَّرى: التراب. والبقل: كل نبات اخضرّت به الأرض. ورابياً، أي: ظاهراً على وجه الأرض.

(٧) أي: في أوساطه وأحشائه.

(٨) في (ت): وإني وإن.

ومعنى البيت - كما قال السهيليُّ -: إني لأكثرُ من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا، إلا ما غفرتَ، و«ما» بعد إلَّا زائدة، و«إن سبّحتُ» اعتراض بين اسم إنَّ وخبرها، كما تقول: إني لأكثرُ من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلا واللهُ يغفرُ لي لأفعل كذا، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة، =

فرَبَّ العبادِ ألْقِ سَيْباً[1] ورحمةً عليَّ وبارِكْ في بَنيَّ ومالِيا

وقال زيد بن عمرٍو يعاتبُ امرأته صفيّة بنت الحضرميِّ.

قال ابن هشام: واسم الحضرميِّ عبدُ الله بن عبّاد بن أكبَرَ[2] أحدُ الصَّدِف، واسم الصَّدِفِ عمرُو بن مالكٍ أحدُ السَّكُون بن أشرَسَ بن كِندِيٍّ ـ ويقال: كِندَة ـ بن ثَوْر بن مُرتِّع بن عُفَير بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن زيد بن مِهسَع بن عَمرو بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ، ويقال: مُرتِّع بن مالك بن زيد بن كَهْلان ابن سَبَأ.

قال ابن إسحاق: وكان زيد بن عمرٍو قد أَجمَعَ الخروجَ من مكّة ليضربَ في الأرض يطلبُ الحَنيفيّةَ دينَ إبراهيم، فكانت صَفيّةُ بنتُ الحضرميِّ كلَّما رأته قد تهيَّأ للخروج وأراده، آذَنَت به الخَطّابَ بن نُفَيل، وكان الخطّابُ بن نُفيل عمَّه وأخاه لأمِّه[3]، وكان يعاتبُه على فِرَاق دينِ قومه، وكان الخطّابُ قد وَكَّلَ صفيّةَ به، وقال: إذا رأيتيهِ قد هَمَّ بأمرٍ فآذِنِيني به، فقال عند ذلك زيدُ بن عمرو:

= أي: لا أعتمدُ وإن صلّيتُ إلا على دعائك واستغفارك من خطاياي.

(١) أي: عطاءً.

(٢) «بن أكبر» ليس في (ت) و(ش١) و(ق١)، وفي (ص): عماد، مكان عبّاد، لكن أثبت في حاشيتها عبّاد وصحّح عليه. وهذا الاسم مما اختلفوا فيه، فذكره غير واحد ممن ترجم للعلاء ابن الحضرميّ بالباء كما عند ابن هشام، وذكره الدارقطنيُّ في «المؤتلف والمختلف» ٤/ ١٨٠١ في رسم عِمَاد، بالميم، وصوّبه أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٧٢-٧٣ ونقله عن غير واحد.

(٣) وذلك أن عمرو بن نُفيل تزوّج امرأة أبيه نفيل بن عبد العزّى بعد موته ـ وكان هذا معروفاً في أهل الجاهليّة غير مستنكرٍ عندهم فجاء الإسلام فحرّمه ـ فولدت له زيد بن عمرو، وكانت ولدت لأبيه نوفلٍ الخطّابَ أبا عمر بن الخطّاب، فكان الخطّابُ عمَّ زيد وأخاه لأمّه.

لا تَحبِسِـــينى في الهَـــوا نِ صَـفيُّ مـا دابـي ودابُـهْ[1]
إنّـــي إذا خِفـــتُ الهَـــوا نَ مُشـــيَّعٌ ذُلُـــلٌ رِكابُـــهْ[2]
دُعْمـوصُ أبـوابِ المُلـو كِ وجائـبٌ للخَـرْقِ نابُـهْ[3]
قَطّـاعُ أسبـــابٍ تَـــذِلُّ بغيـــرِ أقـــرانٍ صِـعابُهْ[4]
ولَرُبَّمـا[5] أَخـذَ الهَـوا نَ العَيـرُ إذْ يُـوهَى إهابُـهْ
ويـقـــولُ: إنِّـــي لا أَذِلُّ بصَـكِّ جَنبَيـهِ صِـلابُهْ[6]

---

(١) الهوان: الذلّ والخضوع. والدَّأْب: العادة والشأن، وسهّل هنا همزته بسبب القافية. يعني: ما شأني وشأن الهوان والذلّ حتى تحبسيني وتُبقيني فيه.

(٢) مشيَّع، أي: جريء شجاع. والرِّكاب: الإبل التي يُسارُ عليها، الواحدةُ: راحلةٌ، ولا واحد لها من لفظها، والجمع: رُكُب. والذُّلُل: جمع ذَلُول، وهي السهلة التي قد ارتاضت. يريد أنه لا يقيم على الذلّ والهوان، فهو شجاع سَرْعان ما يرتحل لا يعيقه شيء عن ذلك.

(٣) الدُّعموص: سمكة صغيرة كحيّة الماء، تغوص في الماء مرّةً بعد مرّة، يُشبِّه بها الرجل الذي يكثر الولوج في الأشياء، يريد أنه يكثر مخالطة الملوك والدخول عليهم. وجائبٌ، أي: قاطعٌ، يقال: جابَ الأرضَ يجوبُها، إذا قَطَعها. والخَرْق: الفَلاة الواسعة. وذكر الناب هنا كناية عن شدّته وجَلَده في قطع البلاد الشاسعة والسفر فيها.

(٤) الأسباب: النواحي والطُّرق. والأقران هنا: جمع قِرْنٍ، وهو كفؤُ الرجل في الشجاعة ونظيره فيها، وليس كما قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» أنه جمع قَرْن وهو الحَبْل، لأنه أراد هنا أنه قادر وحدَه على قطع البلاد والنواحي البعيدة والسفر فيها وتذليل الصِّعاب التي تلاقيه، ليس معه أحدٌ يُعِينه في ذلك.

(٥) في (ت) و(ش١) و(ق١) و(م): وإنما.

والعَيْر: الحمار الوحشيّ والأهليّ أيضاً. ويُوهى، أي: يُشَقّ. والإهاب: الجِلد.

(٦) ويقول: إني لا أذل، أي: يقول العَير ذلك، بصكِّ صِلابه لجنبيه، أي: بضربهما بصِلاب ما يوضَع عليه، والصِّلاب: جمع الصُّلب الشديد. وهو يريد بهذين البيتين أنه حتى العَير - وهو هنا =

وأَخـي ابـنُ أُمّـي ثـمَّ عَمِّـي لا يُـواتِيني خِطابُـهْ[1]
وإذا يُعـاتِبُني بِسُـوءٍ قلـتُ: أَعْيـاني جوابُـهْ
ولـو أشـاءُ[2] لقلـتُ مـا عنـدي مَفاتِحُـه وبابُـهْ

قال ابن إسحاق: وحُدِّثتُ عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نُفيل: أنّ زيداً كان إذا استقبل الكعبةَ داخلاً المسجدَ قال: لبَّيكَ حقّاً حقّاً، تعبُّداً ورِقّا.

عُـذْتُ بمـا عـاذَ بـه إبـراهِمُ[3] مُستقبِلَ الكعبـةِ وهْـوَ قـائمُ
إذ قالَ أَنفي لـك عـانٍ راغِـمُ[4] مَهْمـا تُجَشِّـمْني فـإنّي جاشـمُ
البِـرُّ أبقَـى لا الخـالْ لـيس مُهجِّـرٌ كمَـن قـالْ[5]

قال ابن هشام: ويقال:

البِـرَّ أَبغِـي لا الخـالْ ليس مهجِّرٌ كمَـن قـالْ

قال: وقوله: مستقبلَ الكعبة، عن بعضِ أهل العلم.

= الحمار الوحشيّ ـ وإن كان مجروحاً متألماً يأبى أن يذلَّ ويُحمَل على ظهره شيء من المتاع.

(١) لا يواتيني، أي: لا يوافقني.

(٢) هكذا في (ش١) و(ق١) و(م)، وفي (ت): أن أشاء، وفي (ص) و(غ) و(ي): أني أشاء.

(٣) في النسخ: إبراهيم، بياء، وينكسر به وزن الشِّعر.

(٤) في (ت): غارم، وفي (ق١) و(م): أنفي لك اللهم عانٍ، بزيادة لفظ «اللهم»، ولا يصح، فبه ينكسر الوزن.

والعاني: الأسير. وتجشِّمني، أي: تكلِّفني.

(٥) اضطربت النسخ في تقييد مجزوء الرَّجَز هذا، وأثبتنا ما في (ت) و(ش١) و(م)، إذ هو أضبط شيء فيه.

والخال: الخُيَلاء والتكبّر. والمهجِّر: الذي يسير في الهاجرة، وهي نصف النهار عند اشتداد الحرّ، وهو وقت القائلة أو القيلولة. كمن قال، أي: كمن استراح في القائلة ولم يَسِرْ.

قال ابن إسحاق: وقال زيد بن عمرو:

أسلَمتُ وجهي لمَن أَسلَمَت ... له الأرضُ تَحمِلُ صخراً ثِقالا

دَحَاها فلمّا رآها استَوَت ... على الماءِ أَرسَى عليها الجِبالا[1]

وأسلَمتُ وجهي لمَن أسلَمَت ... له المُزْنُ تَحمِلُ عَذْباً زُلَالا[2]

إذا هيَ سِيقَت إلى بلدةٍ ... أطاعتْ فصَبَّت عليها سِجَالا[3]

وكان الخطّابُ قد آذى زيداً حتّى أخرجه إلى أعلى مكّة، فنزل حِراءً مقابلَ مكّة، ووَكَّلَ به الخطّابُ شباباً من شبابِ قُريشٍ وسفهاءَ من سفهائِها، فقال لهم: لا تتركوه يدخلُ مكّة، فكان لا يدخلُها إلا سرّاً منهم، فإذا عَلِموا بذلك آذَنوا به الخطّابَ، فأخرَجُوه وآذَوْه كراهيَةَ أن يُفسِدَ عليهم دينَهم، وأن يتابعَه أحدٌ منهم على فراقِه، فقال وهو يعظِّمُ حُرْمتَه على من استَحلَّ منه ما استَحلَّ من قومه:

اللهمَّ إنّي مُحرِمٌ لا حِلَّهْ ... وإنّ بيتي أوسَطَ المَحَلّهْ[4]

عند الصَّفا ليس بذِي مَضِلَّهْ

ثم خرج يَطلُبُ دينَ إبراهيم، ويسأل الرُّهبان والأحبار، حتّى بَلَغَ المَوصِلَ والجزيرةَ[5] كلَّها، ثم أقبل فجالَ الشامَ كلَّها، حتى انتهى إلى راهبٍ بمَيْفَعةَ من أرض

---

(١) دحاها، أي: بَسَطَها. وأرسى، أي: أثبتَها عليها وثقَّلها بها.

(٢) المُزْن: السحاب، وقال بعضهم: هو السحاب الأبيض. والعَذْب الزُّلال: الماء الصافي لا يخالطه شيء.

(٣) السِّجال: جمع سَجْل، وهو الدَّلو المملوءة ماءً، فاستعارها لكثرة المطر.

(٤) مُحرِم، أي: ساكن بالحَرَم. ولا حِلَّه: أراد أهل الحِلّ، وهو ما خرج عن الحَرَم. والمحلّة: منزل القوم.

(٥) يعني الجزيرة الفُراتيّة، وهي الجزء الشمالي من الأرض الواقعة بين نهري دجلة =

البَلْقاءِ[1] كان ينتهي إليه علمُ أهل النَّصرانيّة فيما يَزعُمون، فسأله عن الحَنيفيّةِ دينِ إبراهيم، فقال: إنك لتطلبُ ديناً ما أنت بواجدٍ من يَحمِلُك عليه اليوم، ولكن قد أظَلَّك زمانُ نبيٍّ يخرج من بلادك التي خرجتَ منها يُبعَثُ بدين إبراهيم الحنيفيّة، فالحَقْ بها، فإنه مبعوثٌ الآن، هذا زمانُه. وقد كان شامَّ[2] اليهوديّةَ والنصرانيّةَ فلم يرضَ شيئاً منهما، فخرج سريعاً ـ حين قال له ذلك الراهبُ ما قال ـ يريد مكّةَ، حتّى إذا توسَّط بلادَ لَخْم عَدَوْا عليه فقتلوه، فقال وَرَقةُ بن نَوفَل بن أَسدٍ يبكيهِ:

رَشَدتَ وأنعَمتَ ابنَ عمرٍو وإنّما ... تجنَّبتَ تَنُّوراً من النارِ حامِيا[3]

بِدِينِك ربّاً ليس ربٌّ كمِثلِهِ ... وتَركِك أَوثانَ الطَّواغِي كما هِيا[4]

وإدراكِك الدِّينَ الذي قد طَلَبتَهُ ... ولم تكُ عن توحيدِ ربِّك ساهِيا

فأصبحتَ في دارٍ كريمٍ مُقامُها ... تُعلَّلُ فيها بالكرامةِ لاهِيا[5]

= والفرات، وهي إقليم واسع يمتدّ عبرَ شمال شرق سوريا وشمال غرب العراق وجنوب شرق تركيا.

(١) البلقاء: إقليم من الأردنّ، من أشهر مدنه عمّان والسلط ومادبا.

وأمّا مَيفَعة فلا تُعرَف اليوم، ولم يذكرها ياقوت في «معجم البلدان»، وذكرها أبو عبيد البكريّ في «معجم ما استعجم» ٤/ ١٢٨٤ ولم يزد على قوله: قرية من أرض البلقاء من الشام؛ وذلك بناء على ما وقع في السيرة من خبر زيد بن عمرو هذا. وقال الخشنيُّ في «إملائه» ص٧٤: ميفعةُ موضعٌ، وأصله الموضع المرتفع من البِقاع، وهو ما ارتفع من الأرض.

(٢) هو فاعَلَ من الشمِّ، ومعناه: استَخبَر، فاستعاره من الشمّ.

(٣) قوله: رشدت وأنعمت، أي: رَشَدت وبالغتَ في الرّشد، كما يقال: أمعَنتَ النظرَ وأنعَمتَه. والتنُّور في الأصل: فُرن النار الذي يُخبَز به.

(٤) الطَّواغي: جمع طاغية، وهو هنا ما عُبد من دون الله تعالى.

(٥) التعليل: سقيٌ بعد سقيٍ، وجنيُ الثمرة مرّةً بعد أخرى. وأراد بالدارِ الجنّةَ.

تُلاقِي خليلَ الله فيها ولم تكنْ ... من الناسِ جبّاراً إلى النارِ هاوِيا
وقد تُدرِكُ الإنسانَ رحمةُ ربِّهِ ... ولو كان تحتَ الأرضِ سبعينَ وادِيا

قال ابن هشام: ويروى لأُميّة بن أبي الصَّلْت البيتانِ الأوَّلانِ منها وآخرُها بيتاً في قصيدةٍ له، وقوله: أَوثان الطَّواغي، عن غير ابن إسحاق.

صفة رسول الله ﷺ من الإنجيل

قال ابن إسحاق: وقد كان، فيما بَلَغَني عمّا كان وَضَعَ عيسى ابنُ مريم عليه السلام فيما جاءَه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صِفَةِ رسول الله ﷺ، ممّا أَثبَتَ يُحنَّسُ[1] الحَوَاريُّ لهم، حين نسخ لهم الإنجيلَ من عهد عيسى ابن مريم في رسول الله ﷺ إليهم، أنه قال: مَن أبغَضَني فقد أبغَضَ الربَّ، ولولا أنّي صنعتُ بحَضرتِهم صنائعَ لم يَصنَعْها أحدٌ قبلي، ما كانت لهم خَطِيئةٌ، ولكنْ من الآن بَطِروا وظنُّوا أنهم يَعُزُّونني، وأيضاً للرَّبّ، ولكنْ لا بدَّ من أن تَتِمَّ الكلمةُ التي في النّامُوس: أنّهم أبغَضُوني مجّاناً ـ أي: باطلاً ـ فلو قد جاء المُنْحَمَنّا[2] هذا الّذي يرسلُه اللهُ إليكم من عند الرَّبِّ، رُوحُ القِسْط[3]، هذا الّذي من عند الربِّ خَرَجَ، فهو شهيدٌ

---

(١) هو يُوحنّا صاحب الإنجيل الرابع فى العهد الجديد، وقد ورد ما قاله ابن إسحاق هنا فى آخر الإصحاح الخامس عشر وأول السادس عشر من إنجيله، ولم يرد هذا إلا فيه، إلا أنه جاء فيه في الترجمة العربية مكان كلمة الرَّبّ: أَبي! ومكان كلمة المنحمنا: المُعزِّي، ومكانها في الترجمة اليونانيّة: البارقليط (Parakletos) وتعني المُحامي والمدافع، أي: الإنسان الذي يدافع عن حقوق الآخرين. انظر كتاب «محمد في التوراة والإنجيل والقرآن» لإبراهيم خليل أحمد ص٥٠.

(٢) هكذا قُيّد في (ت) و(ق١) و(م) و(ي) بضم الميم الأولى، وقُيّد في (ص) بفتحها، وفي نسخة على حاشيتها: المَنَحْمَنَّا.

(٣) في (ت) و(ش١) و(ق١): من عند الرب روح القدس، زاد في (ت): وقد كان القسط. =

عليَّ وأنتم أيضاً لأنكم قديماً كنتم معي، هذا قلتُ لكم لكَيْما لا تَشكُّوا.

فالمُنْحَمَنّا بالسُّريانيّة: محمّد ﷺ، وهو بالرُّوميّة: البَرْقَليطِسْ[1].

ذكر ما أخَذه اللهُ عزَّ وجلَّ لرسوله من الميثاق على الأنبياء صلَّى الله عليهم أجمعين

حدَّثنا أبو محمّدٍ عبد الملك بن هشام قال: حدَّثنا عبد الله بن زياد البَكَّائيّ، عن محمّد بن إسحاق المُطَّلِبيّ[2] قال: فلمّا بَلَغَ محمّدٌ رسولُ الله ﷺ أربعين سنةً، بَعَثَه الله رحمةً للعالمين، وكافّةً للناس[3]، وكان الله قد أَخَذَ له الميثاقَ على كلّ نبيٍّ بَعَثَه قبله بالإيمان به، والتصديق له، والنَّصر له على مَن خالَفَه، وأَخَذَ عليهم أن يؤدُّوا ذلك إلى كلّ مَن آمن بهم وصدَّقهم، فأدُّوا من ذلك ما كان عليهم من الحقِّ فيه، يقول الله عزَّ وجلَّ لمحمّد ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ أي: ثِقَلَ ما حمَّلتُكم من عَهْدي ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١]، فأَخَذَ اللهُ ميثاقَ النبيِّين جميعاً بالتصديق له، والنّصر له ممّن خالَفَه، وأدَّوْا ذلك إلى مَن آمن بهم وصدَّقهم من أهل هذينِ الكتابَينِ.

= والمثبت من بقية النسخ، وفي الإنجيل المشار إليه: روح الحقّ.

(١) المثبت من (ت) و(ش١) و(غ) و(ق١) و(ي)، وكذا في حاشية (ص) وصحَّح عليها، وفي (ص) و(م): البارَقْليطِسْ.

(٢) الإسناد إلى ابن إسحاق ليس في (ص) و(م) و(ي).

(٣) في (ص): للناس أجمعين، وفي (ش١) و(ق١): للناس بشيراً، وفي (م): للناس بشيراً ونذيراً أجمعين.

ما ابتُدِئ به النبيُّ ﷺ في النبوّة من الرؤيا الصادقة

قال ابن إسحاق: فذكر الزُّهْريُّ، عن عُرْوةَ بن الزُّبير، عن عائشة رضي الله عنها أنها حدَّثَته: أنَّ أوّل ما ابتُدِئَ به رسولُ الله ﷺ من النبوّة ـ حين أراد اللهُ كرامتَه ورحمةَ العباد به ـ الرُّؤيا الصادقةُ، لا يَرَى رسولُ الله ﷺ رُؤْيا في مَنامِه إلا جاءت كفَلَقِ الصُّبح، قالت: وحَبَّبَ اللهُ إليه الخَلْوةَ، فلم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من أن يَخلُوَ وحدَه[1].

تسليم الحَجَر والشجر على النبيّ ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العَلاء بن جاريَةَ الثَّقَفيّ ـ وكان واعيَةً[2] ـ عن بعض أهل العِلْم: أنَّ رسول الله ﷺ حين أراده الله بكرامتِه وابتدأَه بالنُّبوّة، كان إذا خَرَجَ لحاجتِه أبعَدَ حتى تَحسِرَ عنه البيوتُ[3]

---

(١) حديث صحيح، وظاهر إسناده أنه منقطع بين ابن إسحاق والزهريّ، مع أن الزهريَّ أحد مشايخ ابن إسحاق الذين روى عنهم السيرة والحديث، ومهما يكن من أمرٍ فإن ابن إسحاق قد توبع فيه عن الزهريّ.

وأخرجه الترمذي (٣٦٣٢) من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وقال: حديث حسن صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٥٩٥٩)، والبخاري (٣) و(٤٩٥٣) و(٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠) من طرق أخرى عن الزهريّ، به.

قولها: فَلَق الصبح، أي: ضياؤه ونوره.

(٢) أي: حافظاً، من: وَعَى العلمَ يَعِيهِ، إذا حَفِظه، وأُدخلت التاء فيه للمبالغة.

(٣) تحسر عنه البيوت، أي: تبعد عنه وتنقطع.

ويُفْضي إلى شِعَاب مكّة[1] وبطونِ أوديتها، فلا يمرُّ رسولُ الله ﷺ بحجرٍ ولا شجرةٍ إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، قال: فيَلتفِتُ رسولُ الله ﷺ حولَه عن يمينِه وشمالِه وخلفَه، فلا يرى إلا الشجرَ والحجارةَ[2].

---

(١) أي: يصير إلى فضائها، والفَضَاء: الخالي الفارغ الواسع من الأرض. والشِّعاب: المواضع المنفرجة بين الجبال.

(٢) إسناده ضعيف لإبهام رواته الذين روى عنهم عبد الملك الثقفي، وعبد الملك هذا ليس بذاك المشهور في الرواية، ذكره البخاري في «تاريخه الكبير» ٥/ ٤٢١، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٥/ ٣٥٤، وابن حبان في «ثقاته» ٥/ ١١٦.

وقد أسنده محمد بن عمر الواقدي، فأخرجه من طريقه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٣٢ و١٠/ ٢٣٤ ـ ومن طريقه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٢٩٥ ـ والحاكم في «المستدرك» (٧١١٩) عن علي بن محمد بن عُبيد الله العُمري، عن منصور بن عبد الرحمن العبدري، عن أمِّه، عن بَرَّةَ بنت أبي تَجْراة قالت: إنَّ رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامتَه، فذكره. وهذا إسناد ضعيف جداً من أجل الواقديّ، كما أن علي بن محمد بن عبيد الله لم نقف له على ترجمة، فهو في عداد المجاهيل.

وأخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٩٠٢) عن عبد الله بن شبيب الرَّبَعي، عن ابن أبي أُويس، عن مسلم بن خالد، عن داود بن عبد الرحمن، عن منصور بن عبد الرحمن الحَجَبي، به. وإسنادُه واهٍ من أجل عبد الله بن شبيب، فهو ذاهب الحديث غير ثقة.

وفي الباب عن عليّ بن أبي طالب عند الترمذيّ (٣٦٢٦) والحاكم (٤٢٨٤) وغيرهما من طريق الوليد بن أبي ثور، وعند البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٥٤ من طريق يونس بن عنبسة، كلاهما عن السُّدّيِّ، عن عبّاد بن أبي يزيد، عن عليٍّ قال: كنت مع النبيّ ﷺ بمكّة فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله؛ زاد يونس بن عنبسة: وأنا أسمعه. وهذا إسناد ضعيف بمرّة، الوليد بن أبي ثور منكر الحديث متفق على ضعفه، ويونس بن عنبسة لم نقف له على ترجمة، وعبّادٌ راويه عن عليٍّ مجهول لا يُدرَى من =

فمَكَثَ رسولُ الله ﷺ كذلك يَرَى ويَسمعُ ما شاء الله أن يَمكُث، ثمَّ جاءه جبريلُ عليه السلام بما جاءه من كرامةِ الله وهو بحِرَاءٍ في رمضان.

ابتداءُ نزول جبريل عليه السلام

قال ابن إسحاق: وحدَّثني وهبُ بن كَيْسانَ مولى آل الزُّبَير قال: سمعت عبدَ الله ابن الزُّبير وهو يقول لعُبيدِ بن عُمَير بن قَتَادة اللَّيْثيِّ: حدِّثنا يا عُبَيدُ كيف كان بَدْءُ ما ابتُدِئَ به رسولُ الله ﷺ من النبوّة حين جاءَه جبريلُ، قال: فقال عُبَيد ـ وأنا حاضرٌ ـ يحدِّث عبدَ الله بن الزُّبير ومَن عندَه من النّاس: كان رسولُ الله ﷺ يُجاوِرُ في حِرَاءٍ[1] من كلِّ سنةٍ شهراً، وكان ذلك ممّا تَحنَّثُ به قريشٌ في الجاهليّة.

والتحنُّثُ: التَّبَرُّر[2].

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالبٍ:

= هو، وأمّا السُّدّيُّ فصدوق يهم كما قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب».

وخالف شجاعُ بن الوليد فرواه فيما أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٤٣١)، وابن المقرئ في «معجمه» (١٢٢) عن زياد بن خيثمة، عن السُّدّيِّ، عن أبي عُمارة الخَيْواني، عن عليٍّ. كذا قال فيه: عن أبي عُمارة الخيواني، فإن كان هذا محفوظاً، فإن أبا عمارة هذا اسمه عبد خير بن يزيد، وهو ثقة، وأمّا شجاع بن الوليد فهو من بابة السدّيِّ، صدوق له أوهام، وشيخه زياد بن خيثمة ثقة.

وأصحُّ ما جاء في هذا الباب حديثُ سماك بن حرب، عن جابر بن سَمُرة، عن النبي ﷺ قال: «إني لأعرف حجراً بمكّة كان يُسلِّم عليَّ قبل أن أُبعَث، إني لأعرفه الآن». أخرجه أحمد (٢٠٨٢٨) ومسلم (٢٢٧٧) وغيرهما، وسماك بن حرب صدوق حسن الحديث، وفي حديثه هذا ذكر النبيُّ ﷺ الحجر دون الشجر، وذكر حجراً واحداً بعَينِه دون سائر الأحجار.

(١) أي: يعتكف. وحِراء: جبل معروف بمكّة.

(٢) أي: طلب البِرّ، وهو الطاعة.

وثَورٍ ومَن أَرسى ثَبِيراً مكانَهُ وراقٍ ليَرقَى في حِراءٍ ونازِلِ[1]

قال ابن هشام: تقول العربُ: التحنُّث والتحنُّف، يريدون الحَنِيفيّة، فيُبدِلُون الفاءَ من الثاء، كما قالوا: جَدَثٌ وجَدَفٌ، يريدون القَبْر، قال رُؤْبة بن العَجّاج:

لوْ كانَ أَحجاري معَ الأجدافِ[2]

يريد: الأجداثَ، وهذا البيت في أُرجوزةٍ له، وبيت أبي طالبٍ في قصيدةٍ له سأذكرُها إن شاء الله في موضعها.

قال ابن هشام: وحدَّثني أبو عُبيدة: أنّ العرب تقول: فُمَّ، في موضع ثُمَّ، يُبدِلون الفاءَ من الثاءِ[3].

قال ابن إسحاق: حدَّثني وهبُ بن كَيْسانَ قال: قال عُبيدٌ: فكان رسول الله ﷺ يُجاوِر ذلك الشهرَ من كلِّ سنةٍ، يُطعِمُ من جاءه من المساكين، فإذا قَضَى رسول الله ﷺ جِوارَه من شهرِه ذلك، كان أوّلَ ما يَبدأُ به إذا انصرف من جِوارِه الكعبةُ قبلَ أن يدخل بيتَه، فيطوفُ بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ثم يَرجِعُ إلى بيته، حتى إذا كان

---

(١) ثور وثَبير وحراء جبال بمكّة. وراقٍ، أي: صاعد. وسيأتي هذا البيت لاحقاً ضمن قصيدة طويلة لأبي طالب في قصة عرض النبي ﷺ دعوتَه على قومه.

(٢) الأجداف: القبور، والأحجار: التي توضع عليها.

وهذا من أُرجوزة له يخاطب بها أباه ويعاتبُه على شيء بَدَرَ منه في حقِّه، وهي في «ديوانه» ص١٠٠. وانظر «خزانة الأدب» للبغداديّ ٢/ ٤٥ و٤٦.

(٣) قال أبو ذرٍّ الخُشنيّ في «إملائه» ص٧٥: كذا قال ابن هشام، والجيّد فيه أن يكون التحنّثُ هو الخروجَ من الحِنْث، أي: الإثم، كما يكون التأثُّمُ الخروجَ عن الإثم، لأن تَفعَّلَ قد تُستعمَل في الخروج عن الشيء وفي الانسلاخ عنه، ولا يُحتاج فيه إلى الإبدال الذي ذكره ابن هشام. وانظر «الروض الأُنف» ٢/ ٣٩٠-٣٩١.

الشهرُ الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامتِه، من السَّنةِ التي بَعَثَه فيها، وذلك الشهرُ رمضانُ، خرج رسولُ الله ﷺ إلى حِراءٍ كما كان يخرج لجوارِه ومعه أهلُه، حتّى إذا كانت الليلةُ التي أكرَمَه الله فيها برسالته، ورَحِمَ العبادَ بها، جاءه جبريلُ عليه السلام بأمر الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «فجاءَني وأنا نائمٌ بنَمَطٍ من دِيباجٍ[1] فيه كِتابٌ، فقال: اقرأْ، قال: قلت: ما أَقرَأُ، قال: فغَتَّني به[2] حتّى ظننتُ أنّه الموتُ، ثمّ أرسَلَني فقال: اقرأْ، قال: قلت: ما أَقرَأُ، قال: فغَتَّني به حتّى ظننتُ أنّه الموتُ، ثمّ أرسَلَني فقال: اقرأْ، قال: قلت: ما أَقرَأُ، قال: فغَتَّني به حتّى ظننتُ أنّه الموتُ، ثمّ أرسَلَني فقال: اقرأْ، قال: قلت: ماذا أَقرَأُ؟ ما أقولُ ذلك إلا افتِداءً منه أن يَعُودَ لي بمِثْلِ ما صَنَعَ بي، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ قال: فقَرَأتُها، ثم انتَهَى فانصَرَفَ عنّي وهَبَبتُ من نَوْمي، فكأنَّما كُتِبَت في قَلْبي كتاباً.

قال: فخرجتُ حتّى إذا كنتُ في وَسَطٍ من الجبلِ سمعتُ صوتاً من السّماءِ يقول: يا محمَّدُ، أنت رسولُ اللهِ وأنا جبريلُ، قال: فرَفَعتُ رأسي إلى السّماءِ أنظُرُ، فإذا جِبريلُ في صورةِ رجلٍ صافٍّ قَدَمَيهِ في أُفُقِ السّماءِ[3] يقول: يا محمَّدُ، أنت رسولُ الله وأنا جبريلُ، قال: فوَقَفتُ أنظُرُ إليه فما أتقدَّمُ وما أتأخَّرُ، وجعلتُ أَصرِفُ وجهي عنه في آفاقِ السماءِ، فلا أنظُرُ في ناحيةٍ منها إلا رأيتُه كذلك، فما زلتُ واقفاً ما أتقدَّمُ أمامي وما أرجِعُ ورائي حتى بَعَثَت خديجةُ رُسُلَها في طَلَبي، فبَلَغُوا مكّةَ[4] ورَجَعُوا

(١) النَّمَط: بساط له خَمْل رقيق. والدّيباج: ما نُسج من أحسن الحرير.

(٢) يقال: غتَّني - بالتاء - وغطَّني - بالطاء أيضاً - ومعناه: شدَّني وغمَّني.

(٣) أي: ناحيتها.

(٤) في نسخة (ش١): فبلغوا أعلى مكة.

إليها وأنا واقفٌ في مكاني ذلك، ثم انصَرَفَ عنّي، وانصَرَفتُ راجعاً إلى أهلي حتّى أَتيتُ خديجةَ فجَلَستُ إلى فَخِذِها مُضِيفاً إليها[1]، فقالت: يا أبا القاسمِ، أين كنتَ؟ فواللهِ لقد بَعَثتُ رُسُلي في طلبِك حتّى بَلَغُوا مكّةَ ورَجَعُوا إليّ، ثمّ حدَّثتُها بالّذي رأيتُ، فقالت: أبشِرْ يا ابنَ عمٍّ واثبُتْ، فوالّذي نفسُ خديجةَ بيدِه، إنّي لَأرجُو أن تكونَ نبيَّ هذه الأُمّةِ».

ثم قامت فجَمَعَت عليها ثيابَها، ثم انطَلَقَت إلى وَرَقةَ بن نَوفَل بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ، وهو ابن عمِّها، وكان ورقةُ قد تَنصَّرَ وقرأَ الكتبَ، وسمع من أهل التوراةِ والإنجيلِ، فأخبَرَته بما أخبَرَها به رسولُ الله ﷺ؛ أنه رأَى وسَمِعَ، فقال ورقةُ بن نَوفَل: قُدُّوس قُدُّوس[2]، والذي نفسُ ورقةَ بيدِه، لَئِن كنتِ صَدَقْتِني يا خديجةُ، لقد جاءَه النّامُوسُ[3] الأكبَرُ الّذي كان يأتي موسى، وإنّه لنبيُّ هذه الأُمّة،

---

(١) أي: ملتصقاً بها، يقال: أَضَفتُ إلى الرجل، إذا مِلتَ نحوه ولَصِقتَ به، ومنه سُمّي الضيفُ ضيفاً.

(٢) قُدُّوس قُدُّوس، معناه: طاهر طاهر، وأصله من التقديس: وهو التطهُّر، ومنه بيت المَقدِس، والأرض المقدَّسة: المطهَّرة.

(٣) الناموس في الأصل: هو صاحب سرِّ الرجل في خيره وشرِّه، فعبَّر عن الملَك الذي جاءه بالوحي به. وقال بعضهم: الناموس: هو صاحب سرّ الخير، والجاسوس: هو صاحب سرّ الشرّ.

فائدة: قال الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه «الوحي المحمدي» ص٧٩ في التعليق على ذِكر ورقة لموسى دون عيسى عليهما السلام: لأن الشَّبه بين الوحي إلى موسى ومحمد عليهما السلام أتمُّ، لأنّ كلًّا منهما أُوتي شريعةً تامّةً مستقلّةً في عباداتها ومعاملاتها وسياستها وقوّتها العسكرية، وعيسى عليه السلام كان تابعاً لشريعة التوراة وناسخاً لبعض الأحكام التي يقتضيها الإصلاح ومبشّراً بالنبيِّ الذي يأتي من بعده بالشرع الكامل العامّ الدائم، وهو محمدٌ رسول الله وخاتم النبيِّين، وفي بعض الروايات الضعيفة: أن ورقة قال: ناموس عيسى. اهـ، وانظر «الجواب =

فقولي له: فليَثبُتْ. فرَجَعَت خديجةُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقةَ.

فلمّا قَضَى رسولُ الله ﷺ جِوارَه وانصرف، صَنَعَ كما كان يَصنَعُ، بدأَ بالكعبة فطاف بها، فلَقِيَه ورقةُ بن نَوفَل وهو يطوفُ بالكعبة فقال: يا ابنَ أخي، أخبِرْني بما رأيتَ وسمعتَ، فأخبره رسولُ الله ﷺ، فقال له ورقةُ: والّذي نفسي بيده، إنك لنبيُّ هذه الأُمّة، ولقد جاءك الناموسُ الأكبَرُ الذي جاء موسى، ولَتُكذَّبَنَّهْ ولتُؤذَيَنَّهْ ولتُخرَجَنَّهْ ولتُقاتَلَنَّهْ[1]، ولَئِن أنا أدركتُ ذلك اليومَ لأنصُرنَّ اللهَ نصراً يَعلَمُه، ثم أَدنَى رأسَه منه فقبَّل يافُوخَه[2]، ثم انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ إلى منزلِه[3].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني إسماعيل بن أبي حَكِيم مولى آل الزُّبير: أنه حُدِّثَ عن خديجةَ: أنها قالت لرسول الله ﷺ: أيِ ابنَ عمِّ، أتستطيعُ أن تُخبِرَني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءَكَ؟ قال: «نعم» قالت: فإذا جاءَكَ فأخبِرني به. فجاءه جبريلُ كما كان يَصنَعُ، فقال رسول الله ﷺ لخديجةَ: «يا خديجةُ، هذا جبريلُ قد جاءَني»

= الصحيح لمن بدّل دين المسيح» لابن تيميّة ١/ ١١٦، و«فتح الباري» لابن حجر ١/ ٥٥.

(١) الهاء في هذه الأفعال للسكت، وهي لا يُنطَق بها إلا ساكنة.

(٢) اليافوخ: وسط الرأس.

(٣) إسناده فيه لِينٌ من جهة إرساله، فعُبيد بن عُمير تابعيٌّ وهو لم يبيِّن عمّن حمله، وقد تفرَّد في خبره هذا بأحرفٍ ممّا يُستَنكر، مثل قوله في الخلوة بحراء من كل سنة شهراً: أن ذلك كان مما تَحنَّثُ به قريشٌ في الجاهلية، وأن رسول الله ﷺ كان أهله معه في حراء في الشهر الذي أُوحي إليه فيه، وأن جبريل جاءه وهو نائمٌ فقال له: اقرأ!

وأخرجه من طريق ابنِ إسحاق بهذا الإسناد الطبريُّ في «تاريخه» ٢/ ٣٠٠-٣٠٢، وابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٣/ ١٢-١٤.

وأصحُّ شيء في بَدْء الوحي ما أخرجه البخاري (٣) و(٤٩٥٣) ومسلم (١٦٠) من حديث عروة ابن الزُّبير عن خالته أم المؤمنين عائشة. وليس فيه تلك الأحرف المستنكرة، فارجع إليه.

قالت: قمْ يا ابنَ عمِّ فاجلِسْ على فَخِذي اليسرى، قال: فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها، قالت: هل تَرَاه؟ قال: «نعم» قالت: فتَحوَّلْ فاقعُدْ على فَخِذي اليمنى، قال: فتحوَّلَ رسول الله ﷺ فقَعَدَ على فَخِذِها اليمنى، فقالت: هل تَرَاه؟ قال: «نعم» قالت: فتحوَّلْ فاجلِسْ في حَجْري، قال: فتحوَّلَ رسول الله ﷺ فجلس في حَجْرِها، ثم قالت: هل تَرَاه؟ قال: «نعم».

قال: فتَحسَّرَت فأَلقَت خِمارَها[1] ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في حَجْرها، ثم قالت: هل تَرَاه؟ قال: «لا» قالت: يا ابنَ عمِّ، اثبُتْ وأَبشِرْ، فواللهِ إنّه لمَلَكٌ وما هو بشيطانٍ[2].

قال ابن إسحاق: وقد حدَّثتُ هذا الحديثَ عبدَ الله بنَ حسنٍ فقال: قد سمعتُ أمّي

---

(١) أي: كشفت عن رأسها، والخِمار: غطاء الرأس.

(٢) حديث حسنٌ، أرسله ابن إسحاق عن إسماعيل بن أبي حكيم ووصله غيره كما سيأتي، وإسماعيل ثقة وكان كاتباً لعمر بن عبد العزيز، والطريق التالية تشهد له أيضاً.

وأخرجه الدولابيّ في «الذرية الطاهرة» (٢٤) عن ابن البرقي أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم، عن عبد الملك بن هشام.

وهو عند ابن إسحاق في «السيرة» برواية يونس بن بكير عنه ص١٣٣، ومن طريقه أخرجه الآجرّي في «الشريعة» (١٦٧٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٥١-١٥٢، ومن رواية سلمة ابن الفضل الأبرش عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٠٢-٣٠٣. وعندهما حديث عبد الله بن حسنٍ التالي أيضاً.

وأخرجه موصولاً الطبراني في «الأوسط» (٦٤٣٥)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١٦٤) من طريق الحارث بن محمد الفِهْري، عن إسماعيل بن أبي حكيم، عن عمر بن عبد العزيز، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أم سَلَمة، عن خديجة. وهذا إسناد جيد، وحسّنه الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» ٨/ ٢٥٦.

فاطمةَ بنتَ حُسينٍ[1] تُحدِّثُ بهذا الحديث عن خديجةَ، إلا أني سمعتُها تقول: أدخَلَتَ رسولَ الله ﷺ بينها وبين دِرْعها[2]، فذهب عند ذلك جبريلُ، فقالت لرسول الله ﷺ: إنَّ هذا لمَلَكٌ وما هو بشيطانٍ.

ابتداءُ تنزيل القرآن

قال ابن إسحاق: فابتُدِئَ رسولُ الله ﷺ بالتنزيل في رمضانَ، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ إلى خاتمة السورة، وقال: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ [الدخان:١-٥]، وقال: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وذلك مُلتقَى رسول الله ﷺ والمشركين ببدرٍ.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني أبو جعفرٍ محمّد بن عليّ بن حُسينٍ: أنّ رسول الله ﷺ الْتَقى هو والمشركون ببدرٍ يومَ الجُمُعة، صَبِيحةَ سبعَ عشرةَ من رمضان[3].

---

(١) فاطمة هذه: هي بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب، زوجُ الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وهي وابنها عبد الله ثقتان جليلا القَدْر، وروايتها عن جدّة أبيها خديجة مُعضَلة.

(٢) درع المرأة: قميص قصير تلبسه المرأة عادةً في بيتها.

(٣) أبو جعفر: هو المعروف بالباقر. وخبره هذا في «سيرة ابن إسحاق» أيضاً برواية يونس بن بكير ص١٣٠، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٢٧.

وأخرجه أيضاً ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٩ من طريق جعفر بن محمد عن أبيه. ثم قال: وهذا الثبتُ أنه يوم الجمعة. أي: يوم بدر.

قلنا: وهذا هو المحفوظ المشهور عند أهل السِّيَر والمغازي في تأريخ وقعة بدر: أنها كانت =

قال ابن إسحاق: ثم تتامَّ الوحيُ إلى رسول الله ﷺ وهو مؤمنٌ بالله، مصدِّقٌ بما جاءه منه، قد قَبِلَه بقَبُولِه، وتَحمَّل منه ما حُمِّلَه على رِضا العبادِ وسَخَطِهم، والنُّبوّةُ أثقالٌ ومَؤُونة، لا يَحمِلُها ولا يَستضلِعُ بها[1] إلا أهلُ القوّة والعَزْم من الرسل بعَوْن الله تعالى وتوفيقه، لِمَا يَلقَونَ من الناس وما يُرَدُّ عليهم ممّا جاؤوا به عن الله، فمضى رسول الله ﷺ على أمر الله، على ما يَلقَى من قومه من الخلاف والأَذى.

إسلام خَدِيجة بنت خُوَيلِد

وآمنت به خديجةُ بنت خُوَيلِد وصدَّقت بما جاءه من الله، ووازَرَتْه[2] على أمره، فكانت أوّلَ من آمن بالله وبرسولِه وصَدَّقَ بما جاءَ منه، فخَفَّفَ اللهُ بذلك عن رسوله ﷺ، لا يَسمَعُ شيئاً يكرهُه من ردٍّ عليه وتكذيبٍ له فيَحزُنه ذلك، إلا فرَّج اللهُ عنه بها إذا رجع إليها، تثبِّتُه وتخفِّفُ عليه، وتصدِّقُه وتهوِّنُ عليه أمرَ النّاس، يرحمُها الله

= يوم الجمعة في التاريخ المذكور، وقيل: يوم الاثنين، وقيل غير ذلك، ولا يصحُّ، قال ابن سعد: الثبتُ أنه يوم الجمعة وحديث يوم الاثنين شاذٌّ. وانظر «الدلائل» للبيهقي ٣/ ١٢٦-١٢٨، و«شرح الزرقاني على المواهب اللَّدنيّة» ٢/ ٢٦٢.

وإيراد ابن إسحاق لهذا الخبر هنا مع ما سبقه من سرد الآيات، إنما أراد به أن ابتداء الوحي وتنزُّل القرآن على رسول الله ﷺ وافق ذلك العامَ يومَ وقعة بدر فيما بعد؛ وهو يومُ الجمعة السابع عشر من رمضان.

لكن يعكِّر على رأي ابن إسحاق هذا في تعيين يوم الجمعة، ما صحَّ من حديث أبي قتادة الأنصاري عند أحمد (٢٢٥٥٠) ومسلم (١١٦٢) وغيرهما: أن النبي ﷺ قال، وقد سُئل عن صوم يوم الاثنين: «ذاك يومٌ وُلِدتُ فيه، ويوم أُنزِل عليَّ فيه». وهذا أصحُّ، والله تعالى أعلم. وانظر «الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم» لمُغلطاي ١/ ٥٢١-٥٢٢.

(١) التضلُّع: الامتلاء حتى تمتدَّ أضلاعه من شِبَعٍ أو رِيٍّ، أو علمٍ ومعرفةٍ على سبيل المجاز.

(٢) أي: شدَّت أَزْرَه وقوَّته، والأَزْر: القوّة.

تعالى.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني هشام بن عُرْوةَ، عن أبيه عُرْوة، عن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالبٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرتُ أن أبشِّرَ خديجةَ ببيتٍ من قَصَبٍ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ»(١).

قال ابن هشام: القَصَبُ هاهنا: اللُّؤلؤ المُجوَّف.

قال ابن هشام: وحدَّثني مَن أثِقُ به: أن جبريلَ أَتى رسولَ الله ﷺ فقال: أَقرِئْ خديجةَ السَّلامَ من ربِّها، فقال رسول الله ﷺ: «يا خديجةُ، هذا جبريلُ يُقرِئُكِ السلامَ من ربِّك» فقالت خديجةُ: اللهُ السلامُ، ومنه السلامُ، وعلى جبريلَ السلامُ(٢).

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٧٥٨)، والحاكم (٤٩٠٨) و(٤٩٠٩) وغيرهما من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وفي الباب عن عبد الله بن أبي أَوفى عند البخاري (١٧٩٢)، ومسلم (٢٤٣٣).

وعن أبي هريرة عند البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

وعن عائشة عند البخاري (٣٨١٦)، ومسلم (٢٤٣٤).

والصَّخَب: الصِّياح، والنَّصَب: التعب.

(٢) حديث حسن، وإسناد ابن هشام ضعيف لإعضاله وإبهام رواته، لكن روي هذا الحديث من وجه حسنٍ مُسنَداً موصولاً.

فقد أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٣٠١) و(١٠١٣٤)، والحاكم (٤٩١٦) من طريق جعفر ابن سليمان الضُّبَعيّ، عن ثابت، عن أنس قال: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ وعنده خديجة وقال: إن الله يُقرِئُ خديجةَ السلامَ، فقالت: إنّ الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله. وإسناده حسن.

وفي الباب أيضاً عن سعيد بن أبي هلال عن عمرو بن وهب مرسلاً عند ابن السنّيّ في «عمل =

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فَتْرة الوَحْي ونزولُ سورة الضُّحى

قال ابن إسحاق: ثم فَتَرَ الوحيُ عن رسول الله ﷺ فَتْرةً من ذلك[1]، حتى شَقَّ عليه وأحزَنَه، فجاءه جبريلُ بسورة الضُّحى، يُقسِمُ له ربُّه ـ وهو الّذي أكرمه بما أكرمه به ـ ما وَدَّعَه وما قَلاه، فقال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ يقول: ما صَرَمَك[2] فتَرَكَك، وما أبغَضَك منذُ أحبَّك ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤﴾ أي: لَمَا عندي من مَرجِعِك إليَّ، خيرٌ لك ممّا عَجَّلتُ لك من الكرامة في الدنيا

= اليوم والليلة» (٢٤٠)، وزاد في سلام خديجة: وعلى من سمع إلا الشيطانَ. وهو ضعيف، وعمرو بن وهب هذا لم نتبيَّنه.

ولإقراء خديجة السلامَ من الله تعالى دون جوابها شاهدٌ من حديث أبي هريرة عند البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢)، قال: أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناءٌ فيه إدام ـ أو طعام أو شراب ـ فإذا هي أتتك فاقرَأْ عليها السلام من ربِّها ومنّي، وبشِّرها ببيتٍ... إلخ.

(١) كذا هو عن ابن إسحاق في رواية البكّائيِّ وفي رواية يونس بن بكير ص١٣٥؛ لم يذكر فيه مقداراً لهذه الفترة، وقد نصَّ على ذلك السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٤٣٣: أن ابن إسحاق لم يذكر مقدار مدّة الفَتْرة، فأمّا ما وقع لابن حجر في «فتح الباري» ١/ ٥٨ من أن ابن إسحاق جَزَمَ بأنها كانت ثلاث سنين، فذهولٌ منه رحمه الله.

أما فترة الوحي، فقد روي عن ابن عباس عند ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٦٦ أنها أيامٌ، وإسناده إليه ضعيف جداً.

وذكر السهيليُّ: أنه جاء في بعض الأحاديث المسنَدة أنها كانت سنتين ونصف سنة؛ كذا قال! ولم نقف على شيء من ذلك، والراجح أنه لم يثبت في توقيتها شيءٌ، وإن كان منطق الأشياء يقول بمعقوليّة كونها أياماً أو أسابيع، لم تتعدَّ ذلك، والله تعالى أعلم.

(٢) أي: ما قَطَعَك، والصَّرْم: القطيعة.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ من الفَلْج[1] في الدنيا، والثَّواب في الآخرة ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ يُعرِّفه ما ابتدأَه به من كرامتِه في عاجل أمرِه، ومَنِّه عليه في يُتمِه وعَيْلتِه[2] وضلالتِه، واستنقاذِه من ذلك كلِّه برحمته.

قال ابن هشام: ﴿سَجَىٰ﴾: سَكَنَ، قال أُميّة بن أبي الصَّلْت الثَّقَفيّ:

إذْ أَتى مَوهِناً وقدْ نامَ صَحْبي ... وسَجَا اللّيلُ بالظّلامِ البَهيمِ[3]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

ويقال للعَينِ إذا سَكَنَ طَرْفُها: ساجيَةٌ، وسَجَا طَرْفُها، قال جَرير:

ولقد رَمَينَك حينَ رُحْنَ بأَعيُنٍ ... يَقتُلنَ من خَلَلِ السُّتورِ سَوَاجي[4]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

---

(١) أي: من الظُّهور والنصر والظَّفَر، يقال: فَلَجَ الرجلُ على خصمه، إذا غَلَبه وظَهَرَ عليه.

(٢) العَيْلة: الفقر والحاجة.

(٣) المَوهِن ـ بفتح الميم وكسر الهاء كما نصَّ على ذلك الفارابيّ في «معجم ديوان الأدب» ٣/ ٢٢٦، والحِميَريّ في «شمس العلوم» ١١/ ٧٣٠٧، وانفرد الزَّبيديّ في «تاج العروس» فقيّدها بضمّ الميم ـ: نحوٌ من نصف الليل. والبَهيم: ما كان لوناً واحداً لا يخالطه شيء، وأراد به المظلم الذي لا ضياءَ فيه.

قال الدكتور عبد الحفيظ السطلي في جمعه وتحقيقه «ديوان أميّة» ص٤٨٨ ولم يذكر فيه غير هذا البيت: لعلّه يتحدث عن طَيفٍ ألمَّ به ليلاً.

(٤) السواجي نعتٌ للأعيُن، وقوله: من خلل الستور، يعني تنظر النساء إليك من الفُرجة والشَّقِّ الذي يكون بين السُّتور، يعني ستور الهَوادِج التي فوق الرواحل.

والقصيدة في «ديوانه» ص٧٣، وهو يمدح بها الحجّاج الثقفيّ.

والعائلُ: الفقير، قال أبو خِرَاش الهُذَليّ[1]:

إلى بيتِهِ يأْوي الضَّرِيكُ إذا شَتَا ... ومُستنبِحٌ بالِي الدَّرِيسَينِ عائلُ[2]

وجمعه: عالَةٌ وعُيَّلٌ.

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرُها إن شاء الله في موضعها[3].

والعائلُ أيضاً: الذي يَعُولُ العِيالَ.

والعائل أيضاً: الحائف[4]، وفي كتاب الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ[5]﴾ [النساء:٣]

وقال أبو طالب:

---

(١) يرثي ابنَ عمه زهير بن العَجْوة، وكان قتله جميلُ بن معمر الجُمَحي يوم حُنين، كما سيأتي في قصة غزوة حنين وما قيل فيها من أشعار. وانظر أيضاً «شرح أشعار الهذليّين» صنعة أبي سعيد السكّري ٣/ ١٢٢١، و«الاختيارَين» للأخفش الأصغر ص٦٨١.

(٢) الضَّريك: الفقير السيِّئ الحال، وفي «أشعار الهذليين» مكانه: الغريب. وقوله: إذا شتا، أي: إذا أصابته مجاعة وقِلّة.

والمُستنبِح: الذي يضلُّ بالليل فيَنبِح نِباحَ الكلاب لتسمعَه الكلابُ فتجاوبَه، فيعلمَ مواضعَ البيوت فيَقصِدَها. وفي «الديوان» و«الاختيارين» مكانه: ومُهتلِكٌ، وهو الساقط من الجوع كما قال الأخفش.

وبالي الدَّريسين، الدَّرِيس: الثوبُ الخَلَقُ البالي، وثنّاه لأنه أراد به الإزار والرِّداء، وهو أقلُّ ما يكون للرجل من اللباس.

(٣) ٤/ ١٧٩.

(٤) هكذا في (ش١) و(غ) و(م)، بالحاء المهملة، وتصحَّف في بقية النسخ والمطبوعات السابقة للكتاب إلى: الخائف، من الخوف، والصواب أنه بالحاء من الحَيْف، وهو الجَوْر والظلم والمَيْل في الحكم، وعليه استشهد ابن هشام بآية النساء.

(٥) أي: أقرب أن لا تَجُوروا أو تَميلوا.

بميزانِ قِسطٍ لا يُخِسُّ[1] شَعيرةً له شاهدٌ من نَفسِهِ غيرُ عائلِ

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها إن شاء الله في موضعها[2].

والعائلُ أيضاً: الشيءُ المُثقِل المُعْيِي، يقول الرجل: قد عالَني هذا الأمرُ، أي: أثقَلَني وأعياني، قال الفَرَزدق:

تَرَى الغُرَّ الجَحاجِحَ من قُريشٍ إذا ما الأمرُ في الحَدَثانِ عالَا[3]

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ أي: لا تكن جبّاراً ولا متكبِّراً، ولا فحّاشاً فَظّاً على الضعفاء من عباد الله.

---

(١) في (ش١) و(ص) و(م): لا يخيس. من قولهم: خاسَ بالعهد، إذا نَقَضَه وأفسده. وأمّا قوله: «لا يُخِسّ» فمعناه: لا يَنقُص.

والقِسط: العدل. والعائل هنا: الجائر المائل عن الحقّ.

(٢) ص٣١٨.

(٣) الغُرّ: جمع أَغرَّ، وهو السيّد المشهور في قومه. والجحاجح: السادة الأشراف. والحَدَثان: حوادث الدهر.

وهذا البيت من قصيدة للفرزدق ـ وهي في «ديوانه» ص٤٢٢ ـ يمدح بها سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أُميّة، وكان كريماً جواداً، وكان حينئذٍ أميرَ المدينة من قِبَل معاوية، وكان يولِّيه معاويةُ سنةً ويولِّي مروانَ بن الحَكَم سنةً أخرى، فأنشد الفرزدقُ سعيدَ بن العاص بحضرة مروان هذه القصيدةَ وفيها هذا البيت، ويتصل به:

قياماً ينظرون إلى سعيدٍ كأنَّهمُ يَرَونَ به الهِلالا

فيقال: إن مروان بن الحكم حين سمع الفرزدق ينشد هذا البيت حَسَدَه، فقال له: قل: قعوداً ينظرون إلى سعيدٍ، يا أبا فراس، فقال له الفرزدق: واللهِ يا أبا عبد الملك إلّا قِياماً على الأقدام. انظر «الروض الأنف» للسهيليّ ٢/ ٤٣٥.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ أي: بما جاءَك من الله من نعمته وكرامته من النبوَّة فحَدِّث، أي: اذكُرْها وادعُ إليها، فجعل رسول الله ﷺ يَذكُر ما أَنعَمَ اللهُ به عليه وعلى العِبادِ به من النبوّة سرّاً إلى من يطمئنُّ إليه من أهلِه[1].

ابتداءُ فرض الصلاة

وافتُرِضَت عليه الصلاةُ فصَلَّى، صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، والسلامُ عليه ورحمةُ الله وبركاتُه[2].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني صالحُ بن كَيْسان، عن عُرْوة بن الزُّبَير، عن عائشة قالت: افتُرِضَت الصلاةُ على رسول الله ﷺ أوّلَ ما افتُرِضَت ركعتَينِ ركعتَينِ كلَّ

---

(١) وتحتمل الآية أيضاً التحدُّث بنِعَم الله عامّةً، روى الطبريّ في «تفسيره» عند هذه الآية عن أبي نَضْرة العبديّ ـ أحد التابعين ـ قال: كان المسلمون يَرَون أن من شُكر النِّعَم أن يُحدَّث بها.

(٢) وهذا قبل افتراضها خمسَ صلوات في اليوم والليلة كما وقع في ليلة الإسراء، قال أبو إسحاق الحَرْبي ـ كما في «التمهيد» لابن عبد البر ٨/ ٣٤ ـ: أوّل ما فُرضت بمكّة فركعتان في أوّل النهار وركعتان في آخره، قال السهيليّ في «الروض» ٣/ ١١: ويشهد لهذا القول قوله سبحانه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر:٥٥]، وقال يحيى بن سلّام مثله، وقال: كان الإسراءُ وفرضُ الصلوات الخمس قبل الهجرة بعامٍ، فعلى هذا يحتمل قول عائشة (يعني الآتي): فزيد في صلاة الحضر، أي: زيد فيها حين أُكملت خمساً، فتكون الزيادة في الركعات وفي عدد الصلوات، ويكون قولها: فرضت الصلاة ركعتين، أي: قبل الإسراء، وقد قال بهذا طائفة من السلف، منهم ابن عبّاس، ويجوز أن يكون معنى قولها: فُرضت الصلاة، أي: ليلة الإسراء حين فُرضت الخمس فُرضت ركعتين ركعتين، ثمّ زِيدَ في صلاة الحَضَر بعد ذلك، وهذا هو المرويُّ عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة.

وقال ابن حجر في «فتح الباري» ١٤/ ٤٧٢: إن النبيّ ﷺ كان قبل الإسراء يصلّي قطعاً، وكذلك أصحابه.

صلاةٍ، ثمّ إنَّ الله تعالى أتَمَّها في الحَضَرِ أربعاً، وأقَرَّها في السفر على فَرْضِها الأوّل ركعتَينِ[1].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني بعضُ أهل العلم: أنَّ الصلاة حين افتُرِضَت على رسول الله ﷺ، أتاه جبريلُ وهو بأعلى مكّة، فهَمَزَ له بعَقِبِه في ناحيةِ الوادي فانفَجَرَت منه عينٌ، فتوضَّأَ جبريلُ ورسولُ الله ﷺ ينظرُ، ليُرِيَه كيف الطُّهورُ للصلاة، ثم توضّأَ رسولُ الله ﷺ كما رأى جبريلَ توضّأَ، ثم قام به جبريلُ فصَلَّى به، وصلَّى رسول الله ﷺ بصلاته، ثم انصرفَ جبريلُ، فجاء رسولُ الله ﷺ خديجةَ، فتوضَّأَ لها ليُرِيَها كيف الطُّهورُ للصلاة كما أَراه جبريلُ، فتوضَّأَت كما توضَّأَ لها رسول الله ﷺ، ثم صلَّى بها رسولُ الله ﷺ كما صلَّى به جبريلُ، فصَلَّتْ بصلاته[2].

---

(١) إسناده صحيح.

وهو في «السيرة» لابن إسحاق برواية يونس بن بكير ص١٣٦، ومن طريق يونس أخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١/ ٤٢٤.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٣٨) من طريق إبراهيم بن سعد الزهريّ، عن ابن إسحاق، به.

ورواه عن صالح بن كيسان أيضاً مالكٌ في «موطئه» ١/ ١٤٦، ومن طريقه أخرجه البخاري (٣٥٠)، ومسلم (٦٨٥) (١)، وأبو داود (١١٩٨)، والنسائي في «المجتبى» (٤٥٥).

ورواه عن عروةَ عن عائشة أيضاً الزهريُّ عند البخاري (١٠٩٠) و(٣٩٣٥)، ومسلم (٦٨٥)، والنسائي (٤٥٣) و(٤٥٤)، وفي رواية معمر عن الزهريّ عند البخاري (٣٩٣٥): أنّ إتمامها أربعاً كان في المدينة بعد الهجرة.

وقد روي ما يشهد لرواية معمر هذه من وجهين آخرين عن عائشة عند الطيالسي في «مسنده» (١٦٣٩)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٣٣٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٣٨)، وفيهما لِينٌ لكن يشدّ أحدهما الآخر.

(٢) ضعيف بهذا السياق لإعضاله، ولم نقف عليه مسنَداً. =

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عُتْبة بن مُسلِم مولى بني تَيْمٍ، عن نافع بن جُبَير بن مُطعِم ـ وكان نافع كثيرَ الرِّواية ـ عن ابن عبّاس[1] قال: لمّا افتُرِضَت الصلاةُ على رسول الله ﷺ أتاه جبريلُ عليه السلام فصلَّى به الظهرَ حين مالَتِ الشمسُ، ثم صلَّى به العصرَ حين كان ظِلُّه مِثلَه، ثم صلَّى به المغربَ حين غابت الشمسُ، ثم صلَّى به العشاءَ الآخِرةَ حين ذهب الشَّفَقُ[2]، ثم صلَّى به الصبحَ حين طَلَعَ الفجرُ، ثم صلَّى به الظهرَ من غدٍ[3] حين كان ظِلُّه مِثلَه، ثم صلَّى به العصرَ حين كان ظِلُّه مِثلَيهِ، ثم صلَّى به المغربَ حين غابت الشمسُ لوقتِها بالأمسِ، ثم صلَّى به العشاءَ الآخرةَ حين ذهب ثلثُ اللّيلِ الأولُ، ثم صلَّى به الصبحَ مُسفِراً غيرَ مُشرِقٍ[4]، ثم قال: يا

= وهو كذلك عن ابن إسحاق معضلاً في رواية يونس بن بكير عنه كما في «السيرة» ص١٣٦، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٦٠، وفي رواية سلمة بن الفضل الأبرش عنه عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٠٧.

وقد روي عن زيد بن حارثة عن النبي ﷺ: أن جبريل أتاه في أوّل ما أُوحي إليه فعلَّمه الوضوء والصلاة، فلما فَرَغَ من الوضوء، أخَذَ غرفةً من ماء فنَضَحَ بها فَرْجَه. أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٤٨٠) بإسناد ضعيف فيه عبدُ الله بن لَهِيعة، وهو سيّئ الحفظ، وقد اضطرب فيه كما هو مبيَّن في التعليق عليه هناك. وقد ساق السهيليُّ في «الروض» ٣/ ١٤ هذا الحديث واستدلّ به على أن الوضوء مكّيٌّ بالفَرْض مدنيٌّ بالتلاوة، لأن آية الوضوء التي في سورة المائدة مدنيّة.

(١) حديث ابن عباس هذا هو فيما افتُرض من الصلوات الخمس في ليلة الإسراء، فموضعه هناك، وسياق ابن إسحاق له في هذا الموضع ذهولٌ منه رحمه الله وخلطٌ بين ما افتُرض عليه ﷺ في أول البعثة وبين ما افتُرض عليه في ليلة الإسراء قبل الهجرة بعامٍ أو عامٍ ونصف.

(٢) الشفق: هو الحُمْرة في الأفق عند غروب الشمس.

(٣) قوله: «من غد» من (ش١) و(ق١) و(م).

(٤) إسفار الصبح: انكشافه وضياؤه، والإشراق: ظهور ضَوء الشمس.

محمّد، الصلاةُ فيما بينَ صلاتِك اليومَ وصلاتِك بالأمسِ[1].

---

(١) حديث صحيح، وهذا إسناد قوي، عتبة بن مسلم ـ ويقال له أيضاً: عتبة بن أبي عتبة ـ صدوق لا بأس به.

وأخرجه ابن أبي خيثمة في السفر الثالث من «تاريخه» (٤٢١) من طريق إبراهيم بن سعد الزهريّ، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه عن نافع بن جبير عن ابن عباس أيضاً حَكيمُ بنُ حَكيم بن عبّادٍ عند أحمد (٣٠٨١) و(٣٣٢٢)، وأبي داود (٣٩٣)، والترمذي (١٤٩)، وابن أبي خيثمة (٤١٧) و(٤١٨)، والحاكم (٧١٠-٧١٢)، وإسناده حسن.

ورواه عن نافع كذلك زيادُ بنُ أبي زياد مولى عياش بن أبي ربيعة عند ابن أبي خيثمة (٤١٩).

ويشهد لحديث ابن عباس هذا في إمامة جبريل للنبيّ ﷺ وتبيانه له أوقات الصلاة حديثُ جابر ابن عبد الله عند أحمد (١٤٥٣٨)، والترمذي (١٥٠)، والنسائي في «المجتبى» (٥٢٦) و«الكبرى» (١٥٢٠)، وابن حبان (١٤٧٢)، والحاكم (٧٠٧)، وإسناده صحيح.

وفي الباب أيضاً عن أبي هريرة عند النسائي في «المجتبى» (٥٠٢) و«الكبرى» (١٥٠٥)، والحاكم (٧١٥)، وإسناده حسن.

تنبيه: وقتُ صلاة المغرب وقع في أحاديث إمامة جبريل للنبيّ ﷺ في اليومينِ وقتاً واحداً، وهو عند غروب الشمس، وكان ذلك بمكّة أول ما فُرِضت الصلاة، ثم إنَّ النبيّ ﷺ في المدينة مدَّ في وقتها إلى ما قبل غياب الشَّفَق ـ وهو الحُمرة في الأُفق ـ كما وقع في حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد (٦٩٦٦) ومسلم (٦١٢)، وحديث بريدة الأسلميّ عند أحمد (٢٢٩٥٥) ومسلم (٦١٣)، وحديث أبي موسى الأشعريّ عند أحمد (١٩٧٣٣) ومسلم (٦١٤)، وروي أيضاً عن أبي هريرة عند أحمد (٧١٧٢) والترمذي (١٥١) وغيرهما.

قال البغويّ في «شرح السنة» ٢/ ١٨٢: أما المغرب، فقد أجمعوا على أن وقتها بغروب الشمس، واختلفوا في آخر وقتها، فذهب مالك وابن المبارك والأوزاعيّ والشافعيّ في أظهر قولَيهِ إلى أن لها وقتاً واحداً، قولاً بظاهر خبر ابن عباس.

وذهب الثوريُّ وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي إلى أن وقت المغرب يمتدُّ إلى غيبوبة =

ذكرُ أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أولُ ذَكَرٍ أسلم

قال ابن إسحاق: ثمَّ كان أوّلَ ذكرٍ من الناس آمَنَ برسول الله ﷺ وصلَّى وصدَّق بما جاءَه من الله تعالى عليُّ بن أبي طالب بن عبد المُطَّلِب بن هاشم، رضوانُ الله وسلامُه عليه، وهو يومئذٍ ابنُ عشر سنين[1].

وكان ممّا أَنعَمَ اللهُ به على عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، أنه كان في حَجْر رسول الله ﷺ قبل الإسلام.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد الله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد بن جُبَيرٍ[2] أبي الحَجّاج قال: كان من نِعْمةِ الله على عليِّ بن أبي طالبٍ، وممّا صَنَعَ اللهُ له وأراده به من الخير، أنّ قريشاً أصابتهم أَزْمةٌ شديدةٌ، وكان أبو طالبٍ ذا عِيَالٍ كثيرٍ، فقال رسول الله ﷺ للعباسِ عمِّه ـ وكان[3] من أيسَرِ بني هاشم ـ: يا عباسُ، إنّ أخاك أبا

= الشفق. قلت (أي: البغوي): وهذا هو الأصحُّ، لأن آخر الأمرَينِ من رسول الله ﷺ أنه صلَّاها في وقتَينِ، كما رويناه من حديث أبي موسى الأشعريّ، ورواه أيضاً بريدة الأسلميّ وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبو هريرة.

(١) قد اختُلف في أول من أسلم من الرجال بعد اتفاقهم على أن أول من استجاب لرسول الله ﷺ من هذه الأمة هو خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فانظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٣١٤-٣١٧، و«البداية والنهاية» لابن كثير ٤/ ٦١.

(٢) هكذا في (ت) و(ش١) و(ق١) دون بقية النسخ: جبير، مصغَّراً، وهو ما كان يقوله ابن إسحاق في أسانيده كما في «التاريخ الكبير» للبخاري ٧/ ٤١١ و«تاريخ دمشق» لابن عساكر ٥٧/ ٢١، والمشهور في كتب الرجال: جَبْر.

(٣) في (ت) و(ص) و(ي): وكانا، والمثبت من (ش١) و(غ) و(ق١) و(م)، بعَوْد الكلام على العباس وحده، وهو الموافق لما وقع في رواية سلمة الأبرش وابن عبّاد الشجريّ عن ابن إسحاق.

طالبٍ كثيرُ العِيَال، وقد أصاب الناسَ ما تَرَى من هذه الأَزْمة، فانطلِقْ بنا إليه، فلنُخفِّفْ من عيالِه، آخُذُ من بَنيهِ رجلاً وتأخذُ رجلاً، فنكُفُّهما عنه، قال العبّاس: نَعَم. فانطَلَقا حتى أتَيَا أبا طالبٍ فقالا له: إنّا نريدُ أن نُخفِّفَ عنك من عيالِك حتّى يَنكشِفَ عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتُما لي عَقِيلاً، فاصنَعا ما شئتُما ـ قال ابن هشام: ويقال: عَقيلاً وطالباً ـ فأخَذَ رسولُ الله ﷺ عليّاً فضَمَّه إليه، وأخَذَ العبّاسُ جعفراً فضَمَّه إليه، فلم يَزَلْ عليٌّ مع رسول الله ﷺ حتّى بَعَثَه اللهُ عزَّ وجلَّ نبيّاً، فاتّبَعَه عليٌّ وآمَنَ به وصدَّقه، ولم يَزَلْ جعفرٌ عند العبّاس حتّى أسلمَ واستَغنَى عنه[1].

قال ابن إسحاق: وذكر بعضُ أهل العِلْم: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا حَضَرَت الصلاةُ خرج إلى شِعَابِ مكّة وخرج معه عليُّ بن أبي طالبٍ، مُستخفِياً من عمِّه أبي طالبٍ ومن جميع أعمامِه وسائرِ قومه، فيُصلِّيانِ الصلواتِ فيها، فإذا أمسَيَا رَجَعا، فمَكَثا كذلك ما شاء اللهُ أن يَمكُثا، ثمّ إنَّ أبا طالبٍ عَثَرَ عليهما يوماً وهما يُصلِّيانِ، فقال لرسول الله ﷺ: يا ابنَ أَخي، ما هذا الدِّينُ الذي أراكَ تَدِينُ به؟ قال: «أيْ عمِّ، هذا دِينُ الله، ودينُ ملائكتِه، ودينُ رُسُلِه، ودينُ أَبينا إبراهيمَ ـ أو كما قال ﷺ ـ بَعَثَني اللهُ به رسولاً إلى العبادِ، وأنت أيْ عمِّ أحقُّ مَن بَذَلتُ له النَّصيحةَ ودَعَوتُه إلى الهُدَى، وأحقُّ مَن أجابَني إليه وأعانَني عليه» ـ أو كما قال ـ فقال أبو طالب: أيِ ابنَ أخي، إنّي لا أستطيعُ أن أُفارقَ دينَ آبائي وما كانوا عليه، ولكنْ واللهِ لا يُخلَصُ إليك

(١) إسناده ضعيف لإرساله، فمجاهد بن جبر تابعيٌّ ولم يبيِّن ممّن سمع هذا الخبر.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣١٣، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٦١ من طريق سلمة ابن الفضل الأبرش، والحاكم (٦٦٠٦) من طريق يحيى بن محمد بن عبّاد بن هانئ الشَّجريّ، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

بشيءٍ تَكرَهُه ما بَقِيتُ.

وذكروا أنه قال لعليٍّ: أيْ بُنيَّ، ما هذا الدِّينُ الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبتِ، آمنتُ برسولِ الله وصدَّقتُه بما جاءَ به، وصلَّيتُ معه لله واتَّبعتُه. فزَعَموا أنه قال له: أمَا إنه لم يَدْعُك إلّا إلى خيرٍ فالزَمْه[1].

إسلام زيد بن حارثة ثانياً

قال ابن إسحاق: ثمّ أسلمَ زيدُ بن حارثة بن شُرَحبِيل بن كعب بن عبد العُزَّى بن امرِئِ القَيس الكَلْبيُّ، مولى رسولِ الله ﷺ، فكان أوّلَ ذكرٍ أسلمَ وصلَّى بعد عليٍّ ابن أبي طالب، رضي الله عنه.

قال ابن هشام: زيدُ بن حارثة بن شَرَاحِيل[2] بن كعب بن عبد العُزَّى بن امرِئ القَيْس بن عامر بن النُّعمان بن عامر بن عبد وَدٍّ بن عَوف بن كِنَانة بن بكر بن عَوْف ابن عُذْرة بن زيدِ اللّاتِ[3] بن رُفَيدة بن ثَوْر بن كَلْب بن وَبَرَة.

وكان حَكِيم بن حِزَام بن خُوَيلِدٍ قَدِمَ من الشام برَقيقٍ فيهم زيدُ بن حارثة وَصِيفٌ[4]، فدَخَلَت عليه عمّتُه خديجةُ بنت خُوَيلد، وهي يومئذٍ عند رسول الله

---

(١) ضعيف لإعضاله وجهالة رواته.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣١٣-٣١٤ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

(٢) هذا هو المشهور في نسبه: شَراحيل، كما قال ابن هشام، وقد ذكر ابن عبد البر في ترجمتَي زيد وابنه أسامة من «الاستيعاب» أن ابن إسحاق لم يُتابَع على قوله: شُرحبيل، وأن الناس خالفوه فقالوا: شَراحيل.

(٣) في (ت) و(ش١) و(غ) و(ق١): زيد الله، والمثبت من (ص) و(م) و(ي)، وهو الصواب.

(٤) الوصيف: الغلام الذي قارب سنَّ البلوغ.

وقد وقع عند غير ابن هشام أن حكيم بن حزام إنما اشترى زيداً من سوق عُكاظ ولم يَقدَم =

ﷺ، فقال لها: اختاري يا عمّةُ أيَّ هؤلاءِ الغِلْمانِ شئتِ، فهو لك، فاختارت زيداً فأخَذَته، فرآه رسول الله ﷺ عندها فاستَوهَبَه منها، فوَهَبَته له، فأعتَقَه رسولُ الله ﷺ وتبنَّاه، وذلك قبل أن يُوحَى إليه.

وكان أبوه حارثةُ قد جَزِعَ عليه جَزَعاً شديداً، وبكى عليه حين فَقَدَه، فقال:

بَكَيتُ على زيدٍ ولم أدْرِ ما فَعَلْ ... أحيٌّ فيُرجَى أم أتى دونَه الأجَلْ

فواللهِ ما أدري وإنِّي لسائلٌ ... أغالَكَ بعدي السَّهلُ أم غالَكَ الجبَلْ[1]

ويا ليتَ شِعْري هل لكَ الدَّهرَ أَوْبةٌ ... فحَسْبي من الدنيا رجوعُك لي بَجَلْ[2]

تُذكِّرُنيهِ الشمسُ عندَ طلوعِها ... ويَعرِضُ ذِكراهُ إذا غَرْبُها أفَلْ[3]

وإن هَبَّتِ الأرواحُ هَيَّجنَ ذِكرَهُ ... فيا طُولَ ما حُزْني عليهِ وما وَجَلْ[4]

= به من الشام، كما في «الطبقات» لابن سعد ١/ ٤٢٨ و٦/ ٥٣، و«الموفَّقيّات» للزبير بن بكّار (١٧٦)، و«مستدرك الحاكم» (٥٠١٢)، وغيرها.

قال ابن الأثير في ترجمة زيدٍ من «أسد الغابة» ٢/ ١٢٩: أصابه سِباءٌ في الجاهليّة لأن أمّه خرجت به تزور قومَها بني مَعْن من طيِّئ، فأغارت عليهم خيل بني القَيْن بن جسْر، فأخذوا زيداً، فقدموا به سوق عُكَاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمّته خديجة بنت خُوَيلد، وقيل: اشتراه من سوق حُبَاشة، فوهبته خديجةُ للنبيّ ﷺ بمكّة قبل النبوّة وهو ابن ثماني سنين.

قلنا: وعُكاظ وحُباشة موضعان بنواحي مكة، وقد سبق التعريف بهما.

(١) غالَك: أهلكك.

(٢) الأَوبة: هو الرجوع. وبَجَلْ: هي كلمة بمعنى: حَسْبُ، ومعنى بَجَل وحَسْب جميعاً: الاكتفاءُ بالشيء.

(٣) غربُها، أي: غروبها. والأُفول: غيبوبة الشمس، يقال: أفَلَت الشمسُ، إذا غابت، ونسب الأفولَ إلى الغروب اتّساعاً ومجازاً.

(٤) الأرواح: جمع رِيح، جَمَعَه على الأصل، لأن الأصل فيه الواو. والوَجَل: الخوف.

سأُعمِلُ نَصَّ العِيسِ في الأرضِ جاهداً ولا أسأَمُ التَّطْوافَ أو تَسأَمَ الإبِلْ[1]
حيـاتِيَ أو تـأتِيَ علـيَّ مَنِيَّتـي فكـلُّ امـرِئٍ فـانٍ وإن غَـرَّه الأمَـلْ

ثم قَدِمَ عليه وهو عند رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «إن شئتَ فأقِمْ عندي، وإن شئتَ فانطلِقْ مع أبيك»، فقال: بل أُقيمُ عندك.

فلم يَزَلْ عند رسول الله ﷺ حتى بَعَثَه الله فصدَّقه فأسلَمَ وصلَّى معه، فلمّا أنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب:٥] قال: أنا زيدُ بنُ حارثةَ[2].

إسلام أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: ثمّ أسلَمَ أبو بكر بن أبي قُحَافة، واسمه عَتِيق، واسم أبي قُحَافة عثمانُ بن عامر بن عَمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب ابن فِهْر[3].

قال ابن هشام: واسمُ أبي بكرٍ عبدُ الله، وعَتيقٌ لقبٌ لحُسْن وجهه وعِتْقه[4].

---

(١) النصّ: أرفع السَّير وأشدّه. والعِيس: الإبل البِيض الكِرام.

(٢) أخرج خبر زيد بن حارثة هذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٦٥١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٩/ ٣٥٣ من طريق أحمد بن عبد الرحيم ابن البَرْقيّ، عن ابن هشام.

وروي نحو هذه القصة في سَبْي زيدٍ وبكاء أبيه له ثم لقائه بأهله بمكة من وجهٍ مُسنَدٍ يحتمل التحسين كما هو مبيَّن في «مستدرك الحاكم» (٥٠١٢) طبعة دار الرسالة العالمية.

ورُوِيَت قصة تخيير النبيّ ﷺ لزيدٍ عند الترمذي (٣٨١٥) والحاكم (٥٠١٤) من حديث جَبَلة ابن حارثة أخي زيد، وحسّنه الترمذي وصحّحه الحاكم.

(٣) وأمُّ أبي بكر هي أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعبٍ التَّيميّة ابنةُ عمِّ أبي قُحافة، يقال: اسمها سلمى، أسلمت قديماً في أول الدعوة، ولها ترجمة في كتب الصحابة، توفِّيَت بعد ابنها أبي بكر وقبل زوجها أبي قحافة.

(٤) العِتْق: الجَمَال.

قال ابن إسحاق: فلمّا أسلمَ أبو بكر أظهَرَ إسلامَه، ودعا إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى رسوله ﷺ.

وكان أبو بكر رجلاً مَأْلَفاً[1] لقومه، مُحبَّباً سهلاً، وكان أنسبَ قُريشٍ لقريش، وأعلمَ قريشٍ بها وبما كان فيها من خير وشرّ، وكان رجلاً تاجراً ذا خُلُق ومعروف، وكان رجالُ قومه يأتونه ويَأْلَفُونه لغير واحدٍ من الأمر، لعِلمِه وتجارتِه وحُسنِ مُجالستِه، فجعل يدعو إلى الإسلام[2] مَن وَثِقَ به من قومه ممَّن يَغْشاه ويجلس إليه.

فأسلَمَ بدعائِه ـ فيما بَلَغَني ـ عثمانُ بن عَفّان بن أبي العاصِ بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قُصيِّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب، والزُّبيرُ ابن العوّام بن خُوَيلِد بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ، وعبدُ الرَّحمن بن عَوْف بن عبد عَوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة بن كِلاب ابن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ، وسعدُ بن أبي وَقّاصٍ، واسم أبي وقّاصٍ مالكُ بن أُهَيْب ابن عبد مَنَاف بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ، وطلحةُ بن عُبيد الله بن عثمان بن عَمرو بن كعب بن سَعد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلَمُوا وصَلَّوا، فكان رسول الله ﷺ يقول ـ فيما بَلَغَني ـ: «ما دَعَوتُ أحداً إلى الإسلامِ إلا كانت فيه عندَه كَبْوةٌ ونَظَرٌ وتردُّدٌ، إلّا ما كان من أبي بكرِ بن أبي قُحَافةَ، ما عَكَمَ عنه حين ذَكَرتُه له، وما تَردَّدَ فيه»[3].

---

(١) في (ق١): مُوالفاً. والمَألَف: كلُّ ما يألفه الإنسان ويطمئنّ إليه.

(٢) في (ق١): يدعو إلى الله وإلى الإسلام.

(٣) رواه ابن إسحاق عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحُصين التميميّ عن النبيّ ﷺ مرسلاً، كما في «سيرته» برواية يونس بن بكير عنه ص١٣٩، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٦٤، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٠/ ٤٤، وابن الأثير في «أسد الغابة» =

قال ابن هشام: قولُه: بدعائِه، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: قولُه: عَكَمَ: تَلبَّثَ، قال رُؤْبة بن العَجّاج:

وانصاعَ وَثّابٌ بها وما عَكَمْ[1]

قال ابن إسحاق: فكان هؤلاءِ النَّفرُ الثمانيةُ الذين سَبَقُوا بالإسلام الناسَ، فصَلَّوا وصدَّقوا رسولَ الله ﷺ وصدَّقوا بما جاءَه من الله.

ثم أسلمَ أبو عُبيدة بن الجَرّاح، واسمه عامرُ بن عبد الله بن الجرّاح بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبّة بن الحارث بن فِهْر، وأبو سَلَمةَ، واسمه عبدُ الله بن عبد الأسَد بن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ، والأرقَمُ بن أبي الأرقَم، واسم أبي الأرقَمِ عبدُ مَنَاف بن أسَد ـ وكان أسدٌ يُكنَى أبا جُندُب ـ بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ، وعثمانُ بن مَظعُون ابن حَبيب بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح بن عَمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤيّ، وأخواه قُدَامةُ وعبدُ الله ابنا مظعون بن حَبيب.

وعُبَيدةُ بن الحارث بن المُطَّلِب بن عبد مَنَاف بن قُصيّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب ابن لُؤيّ، وسعيدُ بن زيد بن عَمرو بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن

= ٣/ ٢٠٦-٢٠٧. وهذا إسناد ضعيف لجهالة محمد بن عبد الرحمن بن الحصين التميميّ فإنه لم يرو عنه غير ابن إسحاق، وهو قد أعضله أيضاً، فهو معدود في أتباع التابعين وفيهم ذكره ابن حبان في «ثقاته» ٧/ ٤١٣.

ووقع في رواية يونس هذه: ما عَتَّمَ ـ بتشديد التاء وتخفَّف أيضاً ـ مكان قوله: ما عَكَمَ، وهما بمعنًى، أي: ما لَبِثَ وما أبطأَ.

(١) انصاع، معناه: ذهبَ. والوثّاب: صفة من الوَثْب، أي: القفز، ولعله يشير إلى رجل أو فرس. وهذا الرَّجز نسبه ابن هشام إلى رؤبة، ولم نقف عليه في «ديوانه».

رِيَاح بن رِزَاح بن عَديّ بن كعب بن لؤيّ، وامرأتُه فاطمةُ بنت الخَطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِياح بن رِزَاح بن عَديّ بن كعب بن لؤيّ، أختُ عمر بن الخطّاب، وأسماءُ بنت أبي بكرٍ وعائشةُ بنت أبي بكرٍ[1] وهي صغيرةٌ، وخَبّابُ بن الأَرَتِّ، حليفُ بني زُهْرة.

قال ابن هشام: خبّابُ بن الأرتّ من بني تَمِيم، ويقال: من خُزَاعة[2].

قال ابن إسحاق: وعُمَيرُ بن أبي وَقّاص، أخو سعد بن أبي وَقّاص، وعبدُ الله بن مسعود بن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صاهِلَة بن كاهِل بن الحارث بن تَميم بن سعد بن هُذَيلٍ، حَليفُ بني زُهْرة، ومسعودُ ابن القارِيِّ، وهو مسعودُ بن رَبِيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العُزَّى بن حَمَالة بن غالب بن مُحلِّم بن عائذة بن سُبَيع[3] بن

---

(١) قوله: وعائشة بنت أبي بكر، سقط من (ت).

قلنا: وذكرُ ابن إسحاق عائشةَ في أول من أسلم وهي صغيرة، مما تفرّد به، وقد وهّمه في ذلك الحافظ علاء الدين مُغَلْطاي في «الإشارة إلى سيرة المصطفى» ص١٠٩ فقال: هو وهمٌ، لم تكن عائشةُ وُلِدَت بعدُ، فكيف تُسلِم؟! وكان مولدها سنة أربع من النبوّة.

(٢) قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٢٠٦: الصحيح أنه تميميٌّ النَّسب، لَحِقَه سِباءٌ في الجاهليّة، فاشترته امرأةٌ من خُزَاعة وأعتقته، وكانت من حُلفاءِ بني عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زُهْرة، فهو تميميٌّ بالنسب، خزاعيٌّ بالوَلاء، زُهْريٌّ بالحِلْف.

(٣) في (ش١) و(ص) و(م) و(ي): سميع، بالميم، والمثبت من (ت) و(غ) و(ق١)، وهكذا قيّده في «سبل الهدى والرشاد» ٢/ ٣٠٨ بالسين والباء، ثم قال: كذا قال ابن إسحاق، وقال البلاذُريّ (يعني في «أنساب الأشراف» ١١/ ١٤٩): يَبْثَغ - بمثنّاة تحتيّة مفتوحة فأخرى ساكنة فمثلّثة مفتوحة فغين معجمة - كذا وجدتُه مضبوطاً بالقلم في نسخة صحيحة قوبلت ثلاث مرّات. قلنا: وهو عند السمعاني في «الأنساب» ١٣/ ٥٤٠ في رسم (البيثعيّ) بعين مهملة وكسر الثاء.

الهُون بن خُزَيمة من القارَةِ.

قال ابن هشام: والقارَةُ لقبٌ، ولهم يقال: قد أنصَفَ القارَةَ مَن راماها، وكانوا قوماً رُماةً.

قال ابن إسحاق: وسَلِيطُ بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر، وعيّاشُ بن أبي رَبِيعة بن المغيرة ابن عبد الله بن عُمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ، وامرأتُه أسماءُ بنت سَلَامة بن مُخَرِّبة التَّميميّة، وخُنَيسُ بن حُذَافة بن قيس بن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم[1] بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ، وعامرُ بن رَبيعة من عَنْز بن وائل، حليفُ آل الخَطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزَّى.

قال ابن هشام: عَنْز بن وائل أخو بكر بن وائل[2] من رَبيعة بن نِزَار.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن جَحْش بن رِئَاب بن يَعمَر بن صَبِرَة بن مُرّة بن كَبير ابن غَنْم بن دُودَان بن أسَد بن خُزَيمة، وأخوه أبو أحمد بن جَحْش، حليفا بني أُميّة ابن عبد شمس، وجعفرُ بن أبي طالب، وامرأتُه أسماءُ بنت عُمَيس بن النُّعمان بن كعب بن مالك بن قُحَافة، من[3] خَثعَم.

---

(١) كذا وقع لابن إسحاق في هذا النسب: سُعيد، مصغَّراً، وكذلك يقوله حيثما تكرَّر هذا النسب، وهو خطأ، والصواب: عديّ بن سَعْد بن سهم، كما نبَّه على ذلك السهيليُّ في «الروض» ١/ ٢٨٦ و٣/ ٣٦. وانظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص١٦٣-١٦٤.

(٢) قوله: أخو بكر بن وائل، من (غ) و(ي).

(٣) في (غ) و(ق١) و(ي): بن.

وقيل في نسب أسماء: إنها أسماء بنت عُميس بن مَعْد بن الحارث بن تَيْم بن كعب، والباقي سواء، وهي أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ ولُبابة أم الفضل زوج العباس لأُمّهما =

وحاطبُ بن الحارث بن مَعمَر بن حَبِيب بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح بن عمرو ابن هُصَيص بن كعب بن لُؤيّ، وامرأتُه فاطمةُ بنت المُجلِّل بن عبد الله بن أبي قيس ابن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر، وأخوه حَطّابُ بن الحارث[1]، وامرأته فُكَيْهة بنت يسار، ومَعمَرُ بن الحارث بن مَعمَر بن حَبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ، والسائبُ ابن عثمان بن مَظعُون بن حَبيب بن وهبٍ، والمُطَّلِبُ بن أَزهَر بن عبد عوف بن عبد ابن الحارث بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ، وامرأتُه رَمْلةُ بنت أبي عوف بن صُبَيرة بن سُعَيد بن سَهْم[2] بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ، والنَّحّامُ، واسمه نُعَيمُ بن عبد الله بن أَسِيد، أخو بني عدي بن كعب.

قال ابن هشام: هو نعيم بن عبد الله بن أَسِيد بن عبد الله بن عوف[3] بن عَبِيد بن

= هند بنت عوف بن زهير.

(١) وقد مات حاطب وحطّاب في الحبشة كما سيأتي عند ابن إسحاق في قصّة الهجرة إليها. وذكر ابن عبد البر في ترجمة حطّاب من «الاستيعاب» أنه مات في الطريق إلى أرض الحبشة، لم يَصِلْ إليها، ونقل عن مصعب الزبيريّ أنه مات في الطريق منصرفَه منها. وذكره ابن منده وأبو نعيم في الصحابة في الخاء المعجمة، وهو تصحيف وإنما هو بالحاء المهملة كما قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة».

وأما أخوهما معمر، فقد شهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلَّها مع النبيّ ﷺ، ومات في خلافة عمر ابن الخطّاب.

(٢) كذا وقع في نسخنا الخطيّة، والصواب: سُعَيد بن سَعْد بن سهم.

(٣) كذا في نسخنا الخطيّة: عبد الله بن عوف، وأمّا عند مصعب الزبيريّ في «نسب قريش» ص٣٧٩ والبلاذُريّ في «أنساب الأشراف» ١٠/ ٤٧٧ فهو عبدُ بن عوف، بغير إضافة، وعند ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص١٥٦: عبد مناف بن عوف.

عَوِيج بن عَديّ بن كعب بن لُؤيّ، وإنما سُمّيَ النَّحّامَ، لأن رسول الله ﷺ قال: «لقد سمعتُ نَحْمَه في الجنّة»[1].

قال ابن هشام: نَحمُه: صوتُه، ونَحمُه: حِسُّه[2].

قال ابن إسحاق: وعامرُ بن فُهَيرةَ مولى أبي بكر الصِّدّيق.

قال ابن هشام: عامرُ بن فُهَيرة مُوَلَّد من مُولَّدي الأَسْد[3]، أسوَدُ اشتراه أبو بكرٍ منهم.

قال ابن إسحاق: وخالدُ بن سَعيد بن العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف ابن قُصَيّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ، وامرأتُه أُمَينةُ بنت خَلَف بن أسعد بن عامر بن بَيَاضة بن سُبَيع بن خَثْعَمة[4] بن سعد بن مُلَيح بن عمرو، من خُزَاعة.

---

(١) ضعيف، وقد ذكره غيرُ واحدٍ من أئمة النسب ومعرفة الرجال كمصعب الزبيري وابن هشام وابن البَرْقي والزُّبير بن بَكَّار كما في «تاريخ دمشق» ٦٢/ ١٧٧ و١٧٩، وأسنده الواقديُّ كما في «طبقات ابن سعد» ٤/ ١٢٩ عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم العدويّ مرسلاً، وقد انفرد به الواقديّ وشيخه فيه مجهول، وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٨/ ١٣٥: الحديث المذكور من رواية الواقدي، وهو ضعيف، ولا تُرَدُّ الروايات الصحيحة بمثل هذا. قلنا: يعني ما جاء في الروايات الصحيحة عند البخاري وغيره من تسمية نعيمٍ بابن النَّحّام، يعني أنَّ صفة النَّحّام لأبيه وليست له، وردَّ ابن حجر في «الفتح» على كل من خَطّأ ما وقع في الروايات الصحيحة بهذا المرسل الذي انفرد به الواقديُّ.

(٢) في (ص): قال ابن هشام: والنَّحم حسن الصوت. وقال السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٣١: هي سعلة مستطيلة، ويقال للبخيل: نحّام، لأنه يَسعُل إذا سُئل يتشاغلُ بذلك.

(٣) في (ت): الأزد، بالزاي، وهما واحدٌ. وسقط منها لفظ «أسوَد».

(٤) كذا وقع لابن إسحاق: سبيع بن خثعمة، وكذا هو عند ابن منده في «معرفة الصحابة» ص٤٦١، وابن حزم في «جوامع السيرة» ص٥٧ و٥٩، وزعم أبو ذرّ الخشنيُّ في «إملائه» ص٨٠ =

قال ابن هشام: ويقال: هُمَينة[1] بنت خَلَف.

قال ابن إسحاق: وحاطبُ بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر، وأبو حُذَيفة ـ واسمه مُهشِّمٌ فيما قال ابن هشام[2] ـ بن عُتْبة بن رَبيعة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قُصيّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ، وواقدُ بن عبد الله بن عبد مَنَاف بن عَرِين بن ثَعلَبة بن يَربُوع ابن حَنظَلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تَمِيم، حليفُ بني عَديّ بن كعب.

قال ابن هشام: جاءت به باهلةُ فباعُوه من الخَطّاب بن نُفَيل فتَبنّاه، فلمّا أَنزل الله: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب:٥] قال: أنا واقدُ بن عبدِ الله، فيما قال أبو عمرٍو المَدَني[3].

= أن الصواب فيه: يُثَيع بن جِعثِمة.

(١) ويقال: أُميمة، بميمين، وصوّب الخشنيّ أنه بالنون.

(٢) قال السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٣٣: وهو وهمٌ عند أهل النَّسب، فإن مهشِّماً إنما هو أبو حذيفة بن المغيرة أخو هاشمٍ وهشامٍ ابنَي المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، وأمّا أبو حُذيفة ابن عُتْبة فاسمه قيسٌ فيما ذكروا. اهـ

كذا قال، وكلامه صحيح في ابن المغيرة المخزومي، وهذا لا ذكر له في الإسلام، أما أبو حذيفة ابن عتبة العبشميُّ أحد السابقين إلى الإسلام رضي الله عنه، فقد اختُلف في اسمه، فقيل: مُهشِّم، وقيل: هُشَيم، وقيل: هاشم، كذا قال ابن عبد البر في «الاستيعاب»، وسمّاه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» ٤/ ٢٧٤٤ هشاماً، أمّا ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٨٠ فلم يذكر له اسماً سوى هُشَيم، قال ابن الأثير في «أسد الغابة» ٤/ ٦٢٧: وهو الأشهر.

قلنا: أما تسميته بقيسٍ، فلم نقف على ذلك عند غير السهيليّ وتبعه أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٨٠، وذكره ابن حجر في «الإصابة» ٧/ ٨٧ تبعاً لهما في الغالب.

(٣) أبو عمرو المدني هذا لم نتبيّنه.

قال ابن إسحاق: وخالدٌ وعامرٌ وعاقلٌ وإياسٌ بنو البُكَير بن عبد ياليلَ بن ناشِب ابن غِيَرَة، من بني سعد بن ليث بن بَكْر بن عبد مَنَاة بن كِنانةَ، حلفاءُ بني عَديّ بن كعب، وعمّارُ بن ياسرٍ حليفُ بني مخزوم بن يَقَظة.

قال ابن هشام: عمّارُ بن ياسرٍ عَنْسيٌّ من مَذْحِج.

قال ابن إسحاق: وصُهَيبُ بن سِنان، أحدُ النَّمِر بن قاسِطٍ، حليفُ بني تَيْم بن مُرّة.

قال ابن هشام: النَّمِر بن قاسِط بن هِنْب بن أَفصَى بن جَدِيلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزَار، ويقال: أَفصَى بن دُعْميّ بن جَدِيلة، ويقال: صهيبٌ مولى عبد الله بن جُدْعان ابن عَمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم، ويقال: إنه رُوميٌّ، فقال بعضُ من ذَكَرَ أنه من النَّمِر بن قاسِطٍ: إنما كان أسيراً في الرُّوم، فاشتُريَ منهم. وجاء الحديثُ عن النبيِّ ﷺ: «صُهَيبٌ سابقُ الرُّومِ»[1].

---

(١) حديث ضعيف، رُوِيَ مُسنَداً ومُرسَلاً.

أما مُسنَداً، فقد رُوي من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «السُّبّاقُ أربعة: أنا سابقُ العرب، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة، وصهيب سابق الروم». أخرجه البزّار (٦٩٠١) والحاكم (٥٣٢٦) و(٥٨٢٠) من طريق عُمارة بن زاذان، عن ثابت، عن أنس. وهذا إسناد ضعيف من أجل عمارة بن زاذان، فهو مضطرب الحديث، وله عن ثابت عن أنس أحاديث مناكير كما قال الإمام أحمد، ووهّاه الذهبيُّ في «تلخيص المستدرك».

ومن حديث أبي أُمامة الباهليّ عند الطبراني في «الكبير» (٧٥٢٦) وغيره من طريق عطيّة بن بقيّة بن الوليد، عن أبيه، عن محمد بن زياد الأَلهاني، عن أبي أمامة مرفوعاً. وزاد في حديثه: «إلى الجنة». وإسناده ضعيف أيضاً، فعطيّة بن بقيّة يخطئ ويُغرِب كما قال ابن حبان في «ثقاته»، وقال ابن أبي حاتم: كانت فيه غفلة. قلنا: وأبوه بقيّة ليِّن، وقال أبو حاتم وأبو زُرْعة الرازيّان فيما نقله عنهما ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٢٥٧٧): حديث باطل لا أصل له بذا الإسناد. =

قال ابن إسحاق: ثمّ دخل الناسُ[1] أرسالاً من الرِّجال والنِّساء، حتّى فَشَا ذكرُ الإسلام بمكّة وتُحُدّثَ به، ثمّ إنَّ الله عزَّ وجلَّ أَمَرَ رسولَه ﷺ أن يَصدَعَ بما جاءَه منه، وأن يُباديَ الناسَ بأمرِه، وأن يدعوَ إليه، وكان بين[2] ما أَخفى رسولُ الله ﷺ أمرَه واستَسَرَّ به إلى أن أمَرَه الله بإظهاره ثلاثُ سنين ـ فيما بلغني ـ من مَبعَثه، ثم قال الله تعالى له: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤]، وقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤- ٢١٥]، ﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحجر:٨٩].

قال ابن هشام: اصدَعْ: افرُقْ بين الحقِّ والباطل، قال أبو ذُؤَيب الهُذَليُّ، واسمه خُوَيلِد بن خالد، يَصِفُ أُتُنَ وَحْشٍ وفَحْلَها[3]:

= ومن حديث أم هانئ عند الطبراني في «الكبير» ٢٤/ (١٠٦٢) من طريق فائد العطّار، عن ذكوان أبي صالح، عن أم هانئ مرفوعاً. وهذا إسناد ضعيف جداً، فائد العطّار متروك الحديث.

وأمّا مُرسَلاً، فقد روي عن قَتَادة السَّدُوسيّ عن النبيّ ﷺ عند الطبري في «تفسيره» ١٩/ ٢٨٨. ورجاله ثقات، لكنه ضعيف لإرساله.

ومن مرسَل الحسن البصريّ عند أحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٣٧). ورجاله ثقات أيضاً، إلا أن مراسيل الحسن عند أهل الحديث من أَوهى المراسيل.

ومع ذلك فقد حسَّن هذا الحديثَ الحافظُ العراقيُّ في كتابه «مِحجّة القُرَب إلى محبّة العَرَب» ص٤٣٠ و٤٣١!

(١) زاد في (ش١) و(غ): في الإسلام.

وقوله: أرسالاً، أي: أفواجاً، جماعةً بعد جماعة.

(٢) لفظ «بين» من (ش١) و(غ) و(ق١).

(٣) الأُتُن: جمع أَتان، وهي الأنثى من الحُمُر، وأراد هنا الحُمُر الوحشيّة، والفَحْل: الذّكر منها. =

وكأنّهـــــنَّ رِبَابـــــةٌ وكأنَّـــــهُ يَسَرٌ يُفِيضُ على القِدَاحِ ويَصدَعُ[1]

أي: يفرّق على القِدَاح ويبيِّن أنصباءَها. وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال رُؤْبة بن العَجّاج:

أنـــتَ الحلـــيمُ والأميـــرُ المنـــتقِمْ

تَصـــدَعُ بالحـــقِّ وتَنفِـــي مَـــن ظَلَـــمْ

وهذان البيتان في أُرجوزةٍ له[2].

= والبيت المذكور هو من قصيدة أبي ذؤيبٍ السائرة الرائعة التي يبكي بها بَنيهِ الذين هلكوا في عام واحد، أصابهم طاعون، وكانوا رجالاً ولهم بأس ونجدة، وجعل صدرها حديثاً بينه وبين امرأة تسائله عن شجونه وأَرَقه، فيروي لها حزنه وألمه لهذه النكبة، وأولها:

أَمِنَ المَنُـونِ ورَيبِهـا تتوجَّـعُ والدهرُ ليس بمُعتِبٍ من يَجزَعُ

والقصيدة ذكرها المفضَّل الضبّيُّ في «المفضَّليات» بتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ص٤٢١-٤٢٩، وانظر تخريجها هناك بتوسع.

(١) أصل الرِّبابة: خرقة أو جلدة تُجمَع فيها قِداح المَيسِر (أي: عِيدانه)، والمراد هاهنا جماعة القِداح، وقد شبَّه اجتماع الأُتُن باجتماع القِداح في الرِّبابة.

ثم قال: كأنه، يعني الحِمار الفَحْل، يَسَرٌ: وهو صاحب المَيسِر الذي يضرب بالقِداح، ويريد بهذا التشبيه حُسْنَ طاعتها له وانقيادَها لتدبيره، ومعنى يُفيض: يُرسلها ويدفعها.

ثم وصف أبو ذؤيب كيف أن هذه الأُتن كانت مجتمعةً آمنةً وَرَدْنَ على الماء فجاءها حتفُها عليه، إذ كان صيّادٌ مستخفياً يتربّص بهنَّ. وانظر «شرح أشعار الهذليِّين» صنعة أبي سعيد السكَّريّ ١/١٨-١٩.

(٢) ذكرهما ناشر «ديوانه» في الزيادات على الديوان ص١٨٢، وبعدهما:

بأَبِهِ اقتَدى عَديٌّ في الكَرَمْ ومَن يشابِهْ أَبَهُ فما ظَلَمْ

وعديٌّ ممدوحه في القصيدة هو عديّ بن حاتم الطائيُّ.

أوّل دم أُريق في الإسلام

قال ابن إسحاق: وكان أصحابُ رسول الله ﷺ إذا صلّوا، ذهبوا في الشِّعَاب[1]، واستَخفَوا بصلاتهم من قومهم، فبَيْنا سعدُ بن أبي وَقّاصٍ في نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ في شِعْبٍ من شِعاب مكّة، إذ ظَهَرَ عليهم نفرٌ من المشركين وهم يُصلُّون، فناكَرُوهم وعابُوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضَرَبَ سعدُ بن أبي وقّاصٍ يومئذٍ رجلاً من المشركين بلَحْيِ بعيرٍ[2]، فشَجَّه، فكان أوّلَ دمٍ هُرِيقَ في الإسلام.

فلمّا بادَى رسولُ الله ﷺ قومَه بالإسلام وصَدَعَ به كما أمره الله، لم يَبعُدْ منه قومه ولم يَرُدُّوا عليه ـ فيما بَلَغَني ـ حتى ذكر آلهتَهم وعابَها، فلمّا فعل ذلك أعظَمُوه وناكَرُوه، وأجمَعوا خِلافَه وعداوتَه، إلّا من عَصَمَ اللهُ منهم بالإسلام، وهم قليل مُستَخفُون، وحَدِبَ على رسول الله ﷺ عمُّه[3] أبو طالبٍ ومَنَعَه وقام دونَه.

مشيُ قريش إلى أبي طالب في أمر رسول الله ﷺ

ومضى رسولُ الله ﷺ على أمرِ الله مُظهِراً لأمره، لا يردُّه عنه شيء، فلمّا رأت قريشٌ أنَّ رسول الله ﷺ لا يُعتِبُهم من شيءٍ[4] أنكروه عليه، من فِراقهم وعَيبِ

---

(١) الشِّعاب: المواضع الخفيّة بين الجبال، واحدها: شِعْب.

(٢) في (ت): بلحيَي جمل، وفي (غ): بلحيَي بعير.

واللَّحْي: هو العظم الذي عليه الخدُّ، وهو من الإنسانِ العظمُ الذي تنبت عليه اللِّحية. وشجَّه: جَرَحَه.

(٣) معناه: عَطَفَ عليه ومَنَعَه، يقال: فلان حَدِبَ على فلان، إذا كان عاطفاً عليه ومانعاً له، وأصل الحَدَب: انحناءٌ في الظَّهر، ثم استُعير فيمن عطف على غيره ورقَّ له.

(٤) أي: لا يُرضيهم، يقال: استعتبَني فأعتبتُه، أي: أرضيته وأزلت العِتابَ عنه، والعِتاب: =

آلهتِهم، ورأَوا أنّ عمَّه أبا طالب قد حَدِبَ عليه وقام دونه فلم يُسلِمْه لهم، مشى رجالٌ من أشراف قريشٍ إلى أبي طالب، عُتْبةُ وشَيْبةُ ابنا رَبيعة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب، وأبو سفيان بن حَرْب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ.

قال ابن هشام: واسم أبي سفيان صَخْرٌ.

قال ابن إسحاق: وأبو البَختَريِّ، واسمُه العاصِ بنُ هِشام بن الحارث بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

قال ابن هشام: أبو البَختَريِّ العاصِ بنُ هاشم[1].

قال ابن إسحاق: والأسودُ بن المُطَّلِب بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ بن كِلاب ابن مُرّة بن كعب بن لؤيّ، وأبو جهل - واسمه عَمرو، وكان يُكنَى أبا الحَكَم - بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ، والوليدُ بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ، ونُبَيهٌ ومُنبِّهٌ ابنا الحَجّاج بن عامر بن حُذيفة بن سَعْد بن سَهْم بن عَمرو بن هُصَيص ابن كعب بن لؤيّ، والعاصِ بنُ وائل.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم[2] بن سُعَيد بن سَهْم بن عَمرو بن

= المَوجِدة واللَّوم.

(١) الذي قاله ابن إسحاق هو قول ابن الكَلْبيّ، والذي قاله ابن هشام هو قول الزُّبير بن بكّار وقولُ مصعب الزُّبيريّ، قاله السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٥١.

(٢) في (ق١): هشام، وهو تحريف.

تنبيه: إن وقع في بعض المصادر في عمود نسب أولاد العاص بن وائل هذا هشامٌ فهو غلطٌ، =

هُصَيص بن كعب بن لؤيّ.

قال ابن إسحاق: أو مَن مشى منهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنَّ ابن أخيك قد سبَّ آلهتَنا، وعابَ دينَنا، وسَفَّهَ أحلامَنا[1]، وضلَّل آباءَنا، فإمّا أن تَكُفَّه عنّا، وإمّا أن تُخلِّيَ بيننا وبينه، فإنك على مِثْل ما نحن عليه من خلافِه، فنَكفِيكَه، فقال لهم أبو طالبٍ قولاً رَفِيقاً، وردَّهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه.

ومضى رسولُ الله ﷺ على ما هو عليه، يُظهِرُ دينَ الله ويدعو إليه، ثم شَرِيَ[2] الأمرُ بينه وبينهم حتّى تباعد الرجالُ وتضاغَنُوا، وأكثَرَت قريشٌ ذكرَ رسول الله ﷺ بينها، فتذامَرُوا فيه[3] وحضَّ بعضُهم بعضاً عليه.

مشيُ قريشٍ إلى أبي طالب مرّة ثانية

ثم إنّهم مَشَوا إلى أبي طالبٍ مرّةً أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إنّ لك سِنّاً وشرفاً ومنزلةً فينا، وإنّا قد استَنهَيناكَ من ابن أخيك[4] فلم تَنهَهُ عنّا، وإنّا والله لا نَصبِرُ على هذا من شَتْم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعَيْب آلهتنا، حتى تَكُفَّه عنّا أو نُنازِلَه وإيّاك[5] في ذلك حتى يَهلِكَ أحدُ الفريقين، أو كما قالوا. ثمّ انصرفوا عنه،

= وإن وقع فيه أيضاً: سُعيد بن سَعْد بن سهم، بزيادة سَعد فيه ـ كما في «تهذيب الكمال» للمزِّيّ وفروعه ـ فهو غلطٌ كذلك. وانظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص١٦٣ وما بعدها.

(١) أي: قلَّل من شأن عقولنا، واحدها حِلْمٌ بالكسر، وكأنه من الحِلْم: الأناة والتثبُّت في الأمور، وذلك من شعار العقلاء.

(٢) أي: كَثُر وتزايد، يقال: شَرِيَ البرقُ، إذا كثر لمعانُه، ويقال: شَرِيَ الرجلُ، إذا غضب.

(٣) أي: حضَّ بعضُهم بعضاً على حربه وعداوته، والذَّمْر: الحث مع لوم واستبطاء.

(٤) أي: طلبنا منك أن تنهاه.

(٥) أي: نحاربه وإياك.

فعَظُمَ على أبي طالب فِراقُ قومه وعداوتُهم، ولم يَطِبْ نفساً بإسلامِ رسول الله ﷺ لهم ولا خِذْلانِه.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني يعقوبُ بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنَسِ أنه حُدِّث: أنّ قريشاً حين قالوا لأبي طالبٍ هذه المَقالةَ، بَعَثَ إلى رسول الله ﷺ، فقال له: يا ابنَ أخي، إنّ قومَك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا؛ للّذي كانوا قالوا له، فأَبْقِ عليَّ وعلى نفسِك، ولا تُحمِّلْني من الأمر ما لا أُطِيق، قال: فظَنَّ رسولُ الله ﷺ أنه قد بَدَا لعمِّه فيه بَدَاءٌ[1] وأنه خاذلُه ومُسلِمُه، وأنه قد ضَعُفَ عن نُصرتِه والقيام معه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عمِّ، واللهِ لو وَضَعُوا الشمسَ في يميني، والقمرَ في يساري، على أن أترُكَ هذا الأمرَ، حتى يُظهِرَه اللهُ أو أَهلِكَ فيه، ما تَرَكتُه»، قال: ثم استَعبَرَ رسولُ الله ﷺ فبَكَى ثم قام، فلمّا وَلَّى ناداه أبو طالبٍ فقال: أقبِلْ يا ابنَ أخي، قال: فأقبَلَ عليه رسولُ الله ﷺ، فقال: اذهبْ يا ابنَ أخي فقُلْ ما أحبَبتَ، فواللهِ لا أُسلِمُك لشيءٍ أبداً[2].

---

(١) في (ت) و(ص) و(ق١): بدو. وضبَّب عليها في (ص) وكتب في حاشيتها: كذا رووه بَدْوٌ والصواب بداءٌ ممدودة بوزن فَعَالٍ.

ومعناه ـ كما قال السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٥٢ ـ: ظهر له رأيٌ، فسمَّى الرأي بَدَاءً، لأنه شيء يبدو بعدما خَفِيَ.

(٢) إسناده ضعيف لإعضاله، فإن يعقوب بن عتبة راويه ـ وإن كان ثقةً ـ من أتباع التابعين.

وهو كذلك في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق من «السيرة» ص١٥٤، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «دلائل النبوّة» ٢/ ١٨٧.

وأخرجه أيضاً الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٢٦ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

وروى نحوه الواقديُّ ـ كما في «دلائل النبوة» لقوام السنة الأصبهاني (٢٦٥) ـ عن معاذ بن محمد عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسَلاً. والواقديُّ متكلَّم فيه عند أهل الحديث، وشيخه =

مشيُ قريش إلى أبي طالب ثالثةً

قال ابن إسحاق: ثم إنَّ قريشاً حين عَرَفوا أن أبا طالب قد أَبى خِذْلانَ رسول الله ﷺ وإسلامَه، وإجماعَه لفِراقِهم في ذلك وعداوتهم، مَشَوا إليه بعُمَارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له ـ فيما بَلَغَني ـ: يا أبا طالب، هذا عُمارةُ بن الوليد، أنْهَدُ فتًى في قريشٍ وأجمَلُه، فخُذْه، فلك عقلُه ونصرُه[1]، واتَّخِذْه ولداً فهو لك، وأسلِمْ إلينا ابنَ أخيك هذا الّذي قد خالَفَ دينَك ودينَ آبائك، وفَرَّقَ جماعةَ قومك وسَفَّه أحلامَهم، فنَقتُلَه، فإنّما هو رجلٌ برجلٍ، قال: واللهِ لَبِئسَ ما تَسُومونَني[2]، أتُعطُونَني ابنَكم أَغْذُوه لكم، وأُعطيكم ابني تقتلونَه؟! هذا واللهِ ما لا يكون أبداً، قال: فقال المُطعِمُ

= معاذ بن محمد: هو الأنصاريُّ من أحفاد أُبيّ بن كعب، وفي حاله جهالةٌ وإن كان ابن حبان ذكره في «ثقاته».

وأحسن من هذا الخبر، ما رواه البزار (٢١٧٠) والحاكم (٦٦١٠) من طريق طلحة بن يحيى، عن موسى بن طلحة، عن عَقيل بن أبي طالب قال: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالت: إن ابن أخيك يُؤْذينا في نادينا ومَسجِدِنا فانهَه عن إيذائنا، قال: يا عقيلُ ائت محمّداً فادعُه، فذهبتُ فأتيته به فجاء في نصف النهار يتخلَّل الفَيْءَ، فجلس عند أُسكُفَّة الباب وقريشٌ عند أَبي طالب، فقال: يا ابن أخي، إن بني عمِّك يزعمون أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانتَهِ عن ذلك، قال: فحلّق رسول الله ﷺ بصرَه إلى السماء ثم قال: «هل ترون هذه الشمسَ؟» قالوا: نعم، قال: «ما أنا بأقدرَ أن أدعَ ذلك منكم، على أن تستشعلوا لي منها شُعلةً» قال: فقال أبو طالب: ما كَذَبَنا ابنُ أَخي فارجعوا، قال: فرجعوا. وإسناده حسنٌ من أجل طلحة بن يحيى: وهو ابن طلحة بن عبيد الله ابنُ أخي موسى بن طلحة.

(١) قوله: أنهدُ فتًى، يعني: أشدّه وأقواه. وقوله: فلك عقلُه، أي: دِيَته.

(٢) أي: لبئس ما تكلِّفونني، يقال: سُمْتُ الرجلَ كذا وكذا، إذا كلَّفتَه عملاً أو ألزمته أمراً يكرهه.

ابن عَديِّ بن نَوفَل بن عبد مَنَاف بن قُصيٍّ: واللهِ يا أبا طالبٍ لقد أنصَفَك قومُك، وجَهِدُوا على التخلُّص ممّا تَكرَهُ، فما أراكَ تريد أن تَقبَلَ منهم شيئاً، فقال أبو طالبٍ للمُطعِم: واللهِ ما أنصَفُوني، ولكنَّك قد أجمَعتَ خِذْلاني ومظاهرةَ القوم عليَّ، فاصنَعْ ما بَدَا لك، أو كما قال. فحَقِبَ الأمرُ، وحَمِيَت الحرب، وتنابَذَ القومُ، وبادَى بعضُهم بعضاً[1].

فقال أبو طالبٍ عند ذلك، يُعرِّضُ بالمُطعِم بن عَديٍّ ويَعُمُّ مَن خَذَلَه من بني عبد مَنَاف ومَن عاداه من قبائل قريش، ويذكرُ ما سألوه وما تباعَدَ من أمرهم:

ألا قُـلْ لعمـرٍو والوليـدِ ومُطعِـمٍ ... ألا ليتَ حظِّي من حِياطَتِكم بَـكْرُ[2]

من الخُورِ حَبْحابٌ[3] كثيـرٌ رُغاؤُهُ ... يَـرشُّ على الساقَينِ من بولِه قَـطْرُ

تَخلَّـفَ خلـفَ الـوِرْدِ لـيس بلاحـقٍ ... إذا مـا عَـلَا الفَيفـاءَ قيـل لـه: وَبْـرُ[4]

---

(١) حَقِبَ الأمر، أي: زاد واشتدَّ. وقوله: وتنابذ القوم، أي: تركوا ما كان بينهم من عهدٍ. وقوله: وبادى بعضهم بعضاً، أي: أظهر بعضهم لبعض خلافَه في الرأي.

(٢) البَكْر: الفتيُّ من الإبل، يريد إن بكراً من الإبل أنفع لي منكم، فليتَه لي بدلاً مما تزعمون أنكم محيطون بي إرادة مؤازرتي وحفظي. وفي البيتين اللاحقين يسترسل في وصف هذا البَكْر والتقليل من شأنه.

(٣) في (ت) و(ش١) وحاشية (ص): جَبْجاب بالجيم، قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٨٣: يروى بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة وبالجيم، قال ابن سرّاج: الجَبجاب: الكثير الكلام، فاستعاره هنا للرّغاء، والحَبحاب بالحاء غير معجمة: القصير، وبالخاء معجمة: الضعيف.

والخُور: جمع أَخوَر، وهو الضعيف.

(٤) الوِرد: الإبل الواردة للماء. والفيفاء: الأرض القفر كالصحراء. والوَبْر: دُوَيبة على قدر الهرّة أو الأرنب. وشبّهه بالوَبْر لصغره، ويحتمل أن يكون أراد: يَصغُر في العين لعلوّ المكان وبُعده.

أرى أَخَوَينـــا مـــن أبينـــا وأمِّنـــا إذا سُـئلا قـالا: إلـى غيرِنـا الأمـرُ
بَلَـى لهمـا أمـرٌ ولكـنْ تَجَرجَمـا[1]

كما جُرجِمَت من رأسِ ذي عَلَقَ الصخرُ[2]

أخُصُّ خصوصاً عبدَ شمسٍ ونَوفلاً هما نَبَذانا مثلَ ما نُبِذَ[3] الجمرُ
همـا أغمَـزا للقـومِ في أخوَيهِمـا فقـد أصبَحا منهم أكفُّهما صِفرُ[4]
هما أشرَكا في المجدِ من لا أبَا له مـن النـاسِ إلّا أن يُـرَسَّ لـه ذِكـرُ[5]
وتَـيْمٌ ومَخـزومٌ وزُهْـرةُ مـنهمُ وكـانوا لنـا مَـولًى إذا بُغِـيَ النصـرُ[6]
فـواللهِ لا تَنفَـكُّ منّـا عـداوةٌ ولا منهم ما كـان من نَسلِنا شَفْرُ[7]

---

(١) تجرجما، أي: سقطا وانحدرا، يقال: تَجَرجَم الشيءُ، إذا سقط. يريد أنهما هانا وذلّا.

(٢) ذو عَلَقٍ - ومنعه من الصرف في الشِّعر لضرورة الوزن - ويسمَّى اليوم عَلَق: جبل شرق مكة يبعد عنها قرابة ٤٥ كم، على طريق الطائف المارّ في وادي نَعْمان، وهو من ديار هُذَيل قديماً وما زال كذلك. «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» لعاتق البِلاديّ ص٢١٦.

(٣) في (ش١) و(ص) و(ق١) و(م): يُنبَذ. والنَّبذ: الطَّرح والإلقاء.

(٤) أغمزا للقوم، أي: سبيلهم الطعنُ فيهم، يقال: غمزتُ الرجلَ، إذا طعنتَ فيه. وأراد بأخويهما: بني هاشم وبني المُطَّلِب. والصِّفر: الخالي. يعني أنه قد انقطع ما بينهم من النصرة والمؤازرة التي كانت أوجبتها القرابةُ القريبة بينهم.

(٥) قوله: إلا أن يُرسَّ له ذكر، معناه: أن يُذكَر ذكراً خفياً، يقال: رَسَستُ الحديثَ، إذا حدَّثتَ به في خفاء.

(٦) مولًى، أي: ناصراً ومعيناً، أي: كانت هذه البطون فيما مضى ينصروننا ويعينوننا، ولكنهم الآن قد أظهروا لنا العداوة.

(٧) قُيِّدت في النسخ في بعضها بفتح الشين، وفي بعضها بضمها، وكلاهما ذكره أهل اللغة، والمعنى: ما كان من نسلنا أحدٌ، يقال: ما بالدار شَفْرةٌ وشَفْرٌ وشُفْرٌ، أي: ما بها أحدٌ.

وزاد بعد هذا البيت على حاشية (ي): =

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذَعَ فيهما[1].

قال ابن إسحاق: ثم إنّ قريشاً تذامَرُوا بينهم[2] على مَن في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلَمُوا معه، فوَثَبَت كلُّ قبيلة على مَن فيهم من المسلمين يعذِّبونهم ويَفتِنونهم عن دينهم، ومَنَعَ اللهُ رسولَه منهم بعمِّه أبي طالب.

وقد قام أبو طالبٍ حين رأى قريشاً يَصنَعُون ما يَصنَعون في بني هاشمٍ وبني المُطَّلِب، فدعاهم إلى ما هو عليه من مَنْعِ رسول الله ﷺ والقيامِ دونَه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلّا ما كان من أبي لهبٍ عدوِّ الله الملعون.

فلمّا رأى أبو طالبٍ من قومه ما سرَّه في جِدِّهم معه وحَدَبِهم عليه[3]، جعل يَمدَحُهم ويذكرُ قديمهم، ويذكرُ فضلَ رسول الله ﷺ فيهم ومكانَه منهم، ليَشُدَّ لهم رأيَهم، وليَحدَبُوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمَعَت يوماً قريشٌ لمَفخَرٍ ... فعبدُ مَنافٍ سِرُّها وصَميمُها[4]

فإن حُصِّلَت أشرافُ عبدِ مَنافِها ... ففي هاشمٍ أشرافُها وقَديمُها

وإن فَخَرَت يوماً فإنَّ محمّداً ... هو المُصطَفى من سِرِّها وكَريمُها

= فقد سَفُهَت أحلامُهم وعقولُهم ... وكانوا كجَفْرٍ بئسَ ما ضَفُطَت جَفْرُ

والجفر: الصغير من ولد الشّاء، والضفاطة: الجهل وضعف الرأي.

(١) أي: أفحشَ في المقال، والقَذَع: الكلام الفاحش.

(٢) أي: حضَّ بعضُهم بعضاً على الحرب والعداوة.

(٣) جِدّهم، أي: اجتهادهم. وحَدَبهم عليه، أي: عطفهم عليه ومَنَعَتهم له.

(٤) سرُّها، أي: وسطها، وسِرُّ الوادي وسَرَارته: وسطُه وخير موضع فيه. والصميم: الخالص النَّسب من القوم.

تـداعَتْ قُـريشٌ غَثُّهـا وسَـمينُها علينا فلم تَظفَرْ وطاشَتْ حُلومُها[1]
وكنّـا قـديماً لا نُقِـرُّ ظُلامـةً إذا ما ثَنَوا صُعْرَ الخُدودِ نُقِيمُها[2]
ونَحْمي حِمَاهـا كـلَّ يـومٍ كَريهـةٍ ونَضرِبُ عن أحجارِها من يَرُومُها[3]
بنـا انـتَعَشَ العُـودُ الـذَّوَاءُ وإنَّمـا بأكْنافِنـا تَنْـدَى وتَنْمـي أَرُومُهـا[4]

تحيُّر الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن

ثمّ إنَّ الوليدَ بن المغيرةِ اجتمع إليه نفرٌ من قريشٍ ـ وكان ذا سنٍّ فيهم ـ وقد حَضَرَ الموسمُ، فقال لهم: يا معشرَ قريش، إنّه قد حَضَرَ هذا الموسمُ، وإنّ وفود العرب ستَقدَمُ عليكم فيه، وقد سمعوا بأمرِ صاحبِكم هذا، فأَجمِعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيُكذِبَ بعضُكم بعضاً، ويردَّ قولُكم بعضُه بعضاً، قالوا: فأنت يا أبا عبدِ شمسٍ فقُلْ وأقِمْ لنا رأياً نَقُلْ به، قال: بل أنتم قولوا أسمَعْ، قالوا: نقول: كاهنٌ، قال: لا واللهِ ما هو بكاهن، لقد رأَينا الكُهّان فما هو بزَمزَمةِ الكاهن ولا سَجْعِه[5]، قالوا: فنقول: مجنونٌ، قال: ما هو بمجنون، لقد رأَينا الجنونَ وعَرَفْناه، فما هو

(١) غثُّها وسمينها، أصل الغَثِّ: اللحمُ الضعيف، فاستعاره هنا لمن ليس له نسبة هنالك. وطاشت حلومُها، أي: ذهبت عقولها.

(٢) ثَنَوا، أي: عَطَفوا وأمالوا. وصُعْر الخدود، أي: الخدود المائلة إلى جهة تكبُّراً وعُجباً، يقال: صعَّر خدَّه، إذا أماله إلى جهةٍ، فعلَ المتكبِّر.

(٣) أي: نضرب وندافع عن منازلها وبيوتها من يريدها بسوء.

(٤) قوله: انتعش العود الذَّواء، أي: حيِيَ وظهرت فيه الخُضرة، وأصل نَعَشَ: رَفَعَ، والعود الذَّواء: الذى جفَّت رطوبتُه ولم ينتهِ إلى حدّ اليُبس. والأكناف: النواحي. والتندية: الشرب بعد عطش. وأرُومها: جمع أَرومة، وهو الأصل، والهمزة في أوله تُفتح وتُضم.

(٥) الزَّمزمة: كلام بصوت ضعيف خفيٍّ لا يُفهَم. والسَّجع: أن يكون الكلام المنثور له نهايات كنهايات الشِّعر.

بخَنْقِه ولا تَخالُجِه ولا وَسوَستِه[1]، قالوا: فنقول: شاعرٌ، قال: ما هو بشاعر، لقد عَرَفْنا الشِّعرَ كلَّه، رَجَزَه وهَزَجَه وقَرِيضَه ومقبوضَه ومبسوطَه[2]، فما هو بالشِّعر، قالوا: فنقول: ساحرٌ، قال: ما هو بساحر، لقد رأَينا السُّحّارَ وسِحرَهم، فما هو بنَفْثِه ولا عَقْدِه[3]، قالوا: فما نقولُ يا أبا عبدِ شمس؟ قال: واللهِ إنّ لقولِه لحَلاوةً، وإنّ أصلَه لعَذْقٌ، وإنّ فَرْعَه لجَناةٌ ـ ويقال: لغَدَقٌ، فيما قال ابن هشام[4] ـ وما أنتم بقائلينَ من هذا شيئاً إلا عُرِفَ أنه باطل، وإنّ أقرب القول فيه لَأن تقولوا: ساحرٌ جاء بقولٍ هو سحرٌ يُفرِّق به بين المَرْءِ وأَبيه، وبين المَرْءِ وأَخيه، وبين المَرْءِ وزوجته، وبين المَرْءِ وعَشيرته. فتفرَّقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسُبُلِ[5] الناس حين قَدِمُوا الموسمَ، لا يمرُّ بهم أحدٌ إلا حذَّروه إيّاه وذكروا لهم أمرَه.

فأنزل الله تعالى في الوليدِ بن المغيرةِ وفي ذلك من قوله[6]: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ

---

(١) خنقه: يريد الاختناق الذي يصيب المجنون. والتخالُج: اضطراب الأعضاء وتحرّكها عن غير إرادة. والوسوسة: ما يلقيه الشيطان في نفس الإنسان.

(٢) قال الخشنيُّ: هذه كلها أنواع من الشعر. قلنا: والقريض: هو قول الشِّعر بأنواعه كلِّها.

(٣) هذا إشارة إلى ما كان يفعله الساحر من أن يَعقِدَ خيطاً ثم يَنفِثُ فيه، أي: ينفخ فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾، يعني الساحرات.

(٤) قال السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٧٩: قول الوليد: إن أصله لعَذْق، وإن فرعه لجَناة، استعارة من النخلة التي ثبت أصلها وقوي، وطاب فرعُها إذا جُنِيَ، والنخلة هي العَذْق بفتح العين، ورواية ابن إسحاق أفصحُ من رواية ابن هشام، لأنها استعارة تامّة يُشبِه آخرُ الكلام أولَه، ورواية ابن هشام: إن أصله لغَدَقٌ، وهو الماء الكثير.

(٥) أي: بطُرُقهم، واحدها: سَبيل.

(٦) هذا ممّا اتُّفِق عليه أن هذه الآيات أُنزلت في الوليد بن المغيرة، وقد رُوي في هذا روايات مُرسَلة كما في «الدر المنثور» للسيوطي، يقوّي بعضها بعضاً، وأقواها ما رواه أيوب السَّختِياني =

وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾﴾ [المدثر: ١١-١٦] أي: خَصيماً.

قال ابن هشام: عَنيدٌ: معاندٌ مخالفٌ، قال رُؤْبة بن العَجّاج:

ونحـنُ ضـرّابونَ هـامَ العُنَّـدِ[1]

= عن عكرمة عن ابن عبّاس عند الحاكم في «مستدركه» (٣٩١٤)، ورجاله ثقات، على اختلاف في وصله وإرساله عن عكرمة.

والخبر السابق في الوليد بن المغيرة عند ابن هشام عن ابن إسحاق بلا إسناد، هو مُسنَدٌ في رواية يونس بن بُكير عنه في «السيرة» ص١٥٠-١٥١ ـ ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٤) و«دلائل النبوة» ٢/ ١٩٩-٢٠٠ ـ حيث رواه ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جُبير أو عكرمة، عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، فذكره. ومحمد ابن أبي محمد هذا مولًى لآل زيد بن ثابت، وهو مجهول انفرد بالرواية عنه ابن إسحاق، وذكره ابن حبان في «ثقاته» على عادته في ذكر المجهولين الذين لم يُعرَف فيهم جرحٌ، وقال الذهبيّ في «ميزان الاعتدال»: لا يُعرَف، وجهّله ابن حجر في «التقريب»، فالإسناد ضعيف.

ورواه مسنداً عن ابن إسحاق أيضاً إبراهيمُ بن سعد الزهريُّ عند أبي نعيم في «دلائل النبوة» (١٨٣)، لكن أرسله فلم يذكر فيه ابن عباس.

(١) الهامُ: الرؤوس، مفردها هامَةٌ. والعُنّد: الأصل فيه أن يكون جمعاً لعانِدٍ، مثل: راكع ورُكّع، ولكنهم أماتوا المفرد وأبقَوا جمعه، قاله محمد محيي الدين عبد الحميد في تحقيقه للسيرة ١/ ٢٨٤.

وهذا البيت ذكره ناشر «ديوان رؤبة» ص١٧٣ في أبيات مفردات منسوبة إلى رؤبة، وقبله:

إذْ تَبِـعَ الضحّـاكَ كـلُّ مُلحِـدِ

والمراد بالضحّاك هذا: الضحّاك بن قيس الشيبانيّ الخارجيّ، وكان خرج أيام دولة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأُمويّ وقُتل فيها سنة ١٢٨هـ. انظر خبره في «المعارف» لابن قتيبة ص٤١٢، و«تاريخ الطبري» ٧/ ٣١٦ وما بعدها.

وهذا البيت في أُرجوزةٍ له.

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾، قال ابن هشام: بَسَرَ: كَرَّهَ وجهه، قال العَجّاج:

مُضَبَّرَ اللَّحْيَيْنِ بَسْراً مِنهَسا[1]

يصفُ كراهيَةَ وجهه، وهذا البيت في أُرجوزةٍ له.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾.

قال ابن إسحاق: وأنزَلَ الله تعالى في النَّفرِ الذين كانوا معه يُصنِّفُون القولَ في رسول الله ﷺ وفيما جاءَ به من الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ أي: أصنافاً ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩١-٩٣][2].

---

(١) المضبَّر: الشديد الخَلْق، من الضَّبْر: وهو شدّة تلزيز العظام واكتناز اللحم. واللَّحْيان: العَظْمان اللذان في وجهه، واحدهما: لَحْيٌ. والمِنهَس: العَضُوض، كثير العضّ.

وهذه الأُرجوزة في «ديوان العجّاج» برواية الأصمعيّ وشرحه ١/ ٢٠٨، والبَسْر عنده بالباء وفسّره كابن هشام بالكريه المنظر، ووقع لابن سِيدَهْ في «المحكم» ٤/ ٢١٩ بالنون على إرادة الطائر، وعندها فلا شاهدَ فيه لابن هشام، لكن ما وقع لابن سِيده هو تصحيف، والله أعلم.

(٢) كذا قال ابن إسحاق، وقد صحَّ عن الحَبْر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه الآيات: هم أهل الكتاب اليهود والنصارى، جزَّؤوه أجزاءً، فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه. أخرجه البخاريُّ (٤٧٠٥) و(٤٧٠٦).

على أن ابن جرير الطبريّ في «تفسيره» ذكر عدّة أقوال فيها منها قولُ ابن عباس المشار إليه، ثم قال ١٤/ ١٣٤: فإذ لم يكن في التنزيل دلالةٌ على أنه عُني به أحد الفِرق... ولا في خبر عن الرسول ﷺ، ولا في فطرةِ عقل، وكان ظاهر الآية محتمِلاً ما وصفتُ، وجب أن يكون مقتضياً بأنَّ كلَّ من اقتسم كتاباً لله بتكذيب بعضٍ وتصديق بعضٍ، واقتَسَمَ على معصية لله ممّن حلَّ به عاجلُ نقمة الله في الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية، فداخلٌ في ذلك، لأنهم لأشكالهم من أهل =

قال ابن هشام: واحدةُ العِضِين: عِضَةٌ، يقول: عَضَّوْه: فرَّقُوه، قال رُؤْبة بن العَجّاج:

وليس دِينُ الله بالمُعَضَّى[1]

وهذا البيت في أُرجوزةٍ له[2].

قال ابن إسحاق: فجعل أولئك النَّفرُ يقولون ذلك في رسول الله ﷺ لمن لَقُوا من الناس، وصَدَرَت العربُ من ذلك الموسم بأمرِ رسول الله ﷺ، فانتَشَرَ ذكرُه في بلاد العرب كلِّها.

شعرُ أبي طالب في استعطاف قريشٍ
وشعرُ أبي قيس بن الأسلَتِ وأذيّةُ قريشٍ للنبيّ ﷺ

فلمّا خشيَ أبو طالب دَهْماءَ العرب[3] أن يَركَبُوه مع قومه، قال قصيدته التي تَعوَّذَ فيها بحَرَمِ مكّة وبمكانِه منها، وتَودَّدَ فيها أشرافَ قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرَهم في ذلك من شعرِه أنه غير مُسلِمٍ رسولَ الله ﷺ، ولا تاركِه لشيء أبداً حتى يَهلِكَ دونَه، فقال:

ولمّا[4] رأيتُ القومَ لا وُدَّ فيهمُ ... وقد قَطَعوا كلَّ العُرَى والوسائلِ[5]

= الكفر بالله كانوا عبرةً، وللمتَّعِظين بهم منهم عِظةً.

(١) زاد في (ص) ونسخة على حاشية (م): أي: المفرَّق.

(٢) يمدح بها قومه بني تميم وبني سعد ونفسَه، وهي في «ديوانه» ص٧٩-٨١.

(٣) أي: عامّتهم وجماعتهم.

(٤) الواو من (ش١) و(غ)، وبها يصحّ الوزن الشِّعريّ، وقد سقطت من بقيّة النسخ، فالبيت فيها مخروم.

(٥) العُرَى: جمع عُرْوة، وهي في الأصل: مدخل الزِّرّ في القميص أو الثوب، وأراد بها هنا العُهود والمواثيق. والوسائل: جمع وَسِيلة، وهي القُرْبة، يقال: وَسَلَ إلى ربّه وسيلةً، إذا =

وقد صارَحُونا بالعداوةِ والأَذى ... وقد طاوَعُوا أمرَ العدوِّ المُزايلِ[1]

وقد حالَفُوا قوماً علينا أظنّةً ... يَعَضُّون غَيظاً خلفَنا بالأناملِ[2]

صَبَرتُ لهم نفسي بسَمراءَ سَمْحةٍ ... وأبيضَ عَضْبٍ من تُراثِ المَقاولِ[3]

وأحضَرتُ عندَ البيتِ رَهْطي وإخوَتي

وأمسكتُ من أثوابِهِ بالوصائلِ[4]

قِياماً معاً مُستقبِلينَ رِتاجَهُ ... لَدَى حيثُ يَقْضي حَلْفَه كلُّ نافلِ[5]

وحيثُ يُنِيخُ الأشعَرُونَ رِكابَهم ... بمُفضَى السُّيولِ من إسافٍ ونائلِ[6]

مُوَسَّمةُ الأعضادِ أو قَصَراتِها ... مُخيَّسةٌ بين السَّدِيسِ وبازِلِ[7]

= تقرَّب بعمله إليه.

(١) صارحونا: واجَهُونا. والمزايل: المحاول المعالِج.

(٢) أظنّة: جمع ظَنِين، وهو المتَّهم. والأنامل: أطراف الأصابع.

(٣) بسمراء سمحة: يعني قَناةً (وهي الرُّمح) تسمح بالانعطاف عند هزّها. والعَضْب: القاطع. والمَقاول: الملوك بلغة أهل اليمن، واحدها: مِقوَل، لأنه يقول ما شاء فيَنفُذ ما يقوله.

(٤) رهطي: قومي وقبيلتي. والوصائل: ثيابٌ حُمْر فيها خطوط كان البيت الحرام يُكسَى بها.

(٥) على حاشية (ي): قال ابن هشام: النافل: الحالف المنتفل باليمين. وصحّح عليه. قلنا: والمنتفِل باليمين: كلُّ مُتبرِّئٍ من شيء بيمينه. والرِّتاج: المراد به هنا البابُ.

(٦) يُنيخ الأشعرون، أي: يُبركون رواحلهم. والأشعرون، أي: الأشعريُّون، وهم من اليمن، منهم أبو موسى الأشعريّ. ومُفضَى السيول: المكان المتسع الذي تصير إليه سيول الماء.

(٧) موسَّمة الأعضاد، يعني: معلَّمة، والسِّمَة: العلامة، والأعضاد: جمع عَضُدٍ، وهو الساعد، من المرفق إلى رأس الكتف. والقَصَرات: أصول الأعناق، واحدتها: قَصَرَة. ومخيَّسة: مذلَّلة. والسَّديس من الإبل: الذي دخل في السنة الثامنة، والبازل: الذي خرج نابه، وذلك في السنة التاسعة.

تـرى الـوَدْعَ فيهـا والرُّخـامَ وزِينـةً ... بأعناقِهـا مَعقُـودةً كالعَثاكِـلِ[1]

أعـوذُ بـربِّ النـاسِ مـن كـلِّ طـاعنٍ ... علينـا بسـوءٍ أو مُلِـحٍّ بباطـلِ

ومـن كاشِـحٍ يَسـعَى لنـا بمَعِيبـةٍ ... ومـن مُلحِـقٍ في الـدِّينِ مـا لـم نُحـاولِ[2]

وثـورٍ ومَـن أَرسَـى ثَبِيـراً مكانَـهُ ... وراقٍ ليَرقَـى في حـراءٍ ونـازلِ[3]

وبالبيتِ ـ حقِّ البيتِ ـ مـن بطنِ مكّـةٍ ... وبـاللهِ إنّ اللهَ لـيس بغـافلِ

وبـالحَجرِ المُسـوَدِّ إذ يَمسَـحونَهُ ... إذا اكتَنَفُـوه بالضُّـحى والأصـايلِ[4]

ومَـوطِئِ إبـراهيمَ في الصـخرِ رَطْبَـةً ... علـى قَدمَيـهِ حافيـاً غيـرَ ناعـلِ

وأشـواطِ بـينَ المَـروَتَينِ إلـى الصَّـفَا ... ومـا فيهمـا مـن صـورةٍ وتَماثِـلِ[5]

ومَـن حَـجَّ بيـتَ اللهِ مـن كـلِّ راكـبٍ ... ومـن كـلِّ ذي نَـذْرٍ ومـن كـلِّ راجِـلِ

وبالمَشـعَرِ الأقصـى إذا عَمَـدوا لـه ... إلَالٍ إلـى مُفضَـى الشِّـراجِ القوابـلِ[6]

---

(١) الودع، بالسكون والفتح: خَرَزات تُنظَم، ويتحلَّى بها النساء والصبيان. والعثاكل: أراد العثاكيل، فحذف الياء لضرورة الشِّعر، وهي جمع عِثكال وعُثكول: الأغصان التى يَنبُت عليها الثمر.

(٢) نحاول، أي: نريد. والكاشح: العدوّ. والمَعِيبة: المَنقَصة.

(٣) ثور وثَبير وحراء جبال بمكّة. وأرسى: ثبّت.

وقوله: وراقٍ ليرقى، أي: صاعد ليصعد؛ قال السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٩٠: وأصحُّ الروايتين فيه: وراقٍ لِبرٍّ في حراءٍ ونازلِ، قال البَرْقيّ: هكذا رواه ابن إسحاق وغيره، وهو الصواب. قال السهيليُّ: فالوهمُ فيه إذاً من ابن هشام أو من البَكّائيّ، والله أعلم.

(٤) اكتنفوه: أحاطوا به. والأصايل: جمع أَصِيل، وهو ما بعد العصر إلى الغروب.

(٥) أي: تماثيل، وأسقط الياء هنا كما فعل في العثاكل لإقامة الوزن.

(٦) المَشعَر الأقصى: عرفة كلُّها، وإلالٌ ـ بكسر الهمزة وفتحها ـ: جبل عرفة، وسُمِّي إلالاً لأن الحجيج إذا رأَوه ألُّوا في السير، أي: اجتهدوا فيه؛ ليُدركوا الموقف. والشِّراج: جمع شَرْج، =

وتَوْقافِهِم فوقَ الجبالِ عَشِيّةً ... يُقِيمون بالأَيدي صُدُورَ الرَّواحلِ[1]

وليلةِ جَمْعٍ والمَنازلِ من مِنى ... وهل فوقَها من حُرْمةٍ ومَنازلِ[2]

وجَمْعٍ إذا ما المُقرَباتُ أجَزْنَهُ ... سِراعاً كما يَخرُجنَ من وَقْعِ وابِلِ[3]

وبالجَمْرةِ الكُبرى إذا صَمَدُوا لها ... يَؤُمُّون قَذْفاً رأسَها بالجَنادلِ[4]

وكِنْدةَ إذْ هم بالحِصَابِ عَشِيّةً ... يُجِيزُ بهم حُجّاجُ بكرِ بن وائلِ[5]

حَليفانِ شدَّا عَقْدَ ما احتَلَفا لهُ ... ورَدَّا عليه عاطفاتِ الوسائلِ[6]

وحَطْمِهِم سُمْرَ الصِّفاحِ وسَرْحَهُ ... وشِبْرِقَهُ وَخْدَ النَّعامِ الجَوَافلِ[7]

فهلْ بعدَ هذا من مَعاذٍ لعائذٍ ... وهلْ من مُعِيذٍ يتَّقي اللهَ عاذلِ[8]

= وهو مَسِيل الماء ومجراه. والقوابل: المتقابلة.

(١) تَوقافهم، أي: وقوفهم.

(٢) جمعٌ: هي المُزدلِفة.

(٣) المَقرُبات: الخيل التي تُقرَّب مرابطُها من البيوت لكرمها. والوابل: المطر الشديد.

(٤) صمدوا لها: قصدوها. والجنادل: الحجارة.

(٥) الحِصاب: موضع رمي الجِمار، مأخوذ من الحَصْباء، وهو مصدرٌ نُقل إلى المكان. ويُجِيز بهم، أي: يمرُّ بهم.

(٦) أي: ما يتعاطفون به بينهم من الوسائل، وهو جمع وسيلةٍ: وهي القُربة.

(٧) الحَطْم: الكَسْر. والسَّمْر: من شجر الطَّلح، وسكّن الميم تخفيفاً، كما قالوا في عَضُدٍ: عَضْدٌ، ومن ضمَّ السين فإنه نقل حركة الميم إليها ثم أسكن الميم.

والصِّفاح: جمع صَفْحٍ، وهو عَرْض الجبل، ويقال: هو أسفله حيث يسيل ماؤه، والصَّفْح أيضاً اسم عَلَم لموضع. والسَّرْح شجرٌ، والشِّبْرِق نبتٌ له شوك. والوَخْد: السَّير السريع. والجوافل: الذاهبة المُسرِعة.

(٨) العاذل: اللائم.

يُطاعُ بنا العِدَا[1] ووَدُّوا لوَ انَّنا ... تُسَدُّ بنا أبوابُ تُركٍ وكابُلِ

كَذَبتُم وبَيتِ الله نترُكُ مكّةً ... ونَظعَنُ إلا أمرُكم في بلابِلِ[2]

كَذَبتُم وبيتِ الله نُبْزَى محمّداً ... ولمَّا نُطاعِنْ دونَه ونُناضلِ[3]

ونُسلِمُه حتى نُصرَّعَ حولَهُ ... ونَذهَلَ عن أبنائِنا والحلائلِ[4]

ويَنهَضَ قومٌ في الحديدِ إليكمُ ... نُهوضَ الرَّوايا تحتَ ذاتِ الصَّلاصلِ[5]

وحتَّى تَرى ذا الضِّغْنِ يَركبُ رَدْعَهُ ... من الطَّعنِ فعلَ الأَنكَبِ المُتحامِلِ[6]

وإنا لَعَمرُ اللهِ إن جَدَّ ما أَرى ... لَتَلتَبِسَنْ أسيافُنا بالأَماثِلِ[7]

بكَفَّي فتًى مثلِ الشِّهابِ سَمَيدَعٍ ... أَخي ثِقَةٍ حامي الحقيقةِ باسلِ[8]

---

(١) وقُيّدت العين بالضم في (ت) و(غ)، وفي(م) و(ي): الاعدا، وفي (ش١) و(ق١): أمر العِدى ودَّ، وكله سائغ.

والعِدَا: جمع عادٍ، من: عَدَا عليه يَعدُو، من العُدوان. وتُرك وكابُل: أراد القَبيلين من العجم.

(٢) نظعن، أي: نرحل. في بلابل، أي: في وساوس الهموم، واحدها: بَلْبال، ورُويَ: في تلاتل، أي: في حركة واضطراب.

(٣) نُبزَى محمّداً، أي: نُقهَر ونُغلَب على محمد ﷺ. ونناضل، أي: نُرامي بالسهام.

(٤) الحلائل: الزوجات، واحدتها: حَلِيلة.

(٥) الرَّوايا هنا: الإبل التي تحمل الماء. والصلاصل: جمع صَلصَلة، وهي المَزادة التي فيها بقيّة من الماء يُسمَع لها صوت حين تسير الإبل.

(٦) ذا الضغن: صاحب العداوة. ويركب رَدْعَه: هذا يقال للقتيل إذا سقط على وجهه في دمه، والرَّدْع في الأصل: اللَّطْخ والأثر. والأنكَب: المائل إلى جهة.

(٧) الأماثل: خيار القوم.

(٨) سَمَيدَع: سيِّد. وباسل: شجاع كريه. وحامي الحقيقة: الذي يمنع ويحمي ما يحقّ على الرجل أن يحميه من عِرض ومتاع وغيرهما.

شـهوراً وأيامـاً وحَـولاً مُجرَّمـاً[1] علينـا وتـأتي حَجّـةٌ بعـدَ قابـلِ
ومـا تَـركُ قـومٍ ـ لا أبـا لـكَ ـ سـيِّداً يَحُـوطُ الـذِّمَارَ غيـرَ ذَرْبٍ مُوَاكـلِ[2]
وأَبـيضَ يُستَسـقى الغَمَـامُ بوَجهِـهِ ثِمـالَ اليَتـامى عِصـمةً للأرامـلِ[3]
يَلُـوذُ بـه الهُـلّاكُ مـن آلِ هاشـمٍ[4] فهـمْ عنـدَه في رحمـةٍ وفواضـلِ
لَعَمْري لقد أَجرَى أَسِيدٌ وبِـكْرُه[5] إلـى بُغضِـنا وجَزّآنـا لآكـلِ
وعثمـانُ لـم يَربَـعْ علينـا[6] وقُنفُـذٌ ولكـنْ أطاعـا أمـرَ تلـك القبائـلِ
أطاعـا أُبيّـاً وابـنَ عبـدٍ يَغُـوثِهِمْ ولـم يَرقُبـا فينـا مَقالـةَ قائـلِ
كمـا قـدْ لَقِينـا مـن سُـبَيعٍ ونَوفَـلٍ وكـلٌّ تَـولَّى مُعرِضـاً لـم يُجامِـلِ
فـإنْ يُلقَيـا[7] أو يُمكِـنِ اللهُ منهمـا نَكِـلْ لهمـا صـاعاً بصـاعِ المُكايِـلِ

---

(١) تصحف في (ش١) و(ص) و(ق١) إلى: محرماً، بالحاء. وحولاً مجرَّماً: يعني مكمَّلاً، يقال: تجرَّمَت السنةُ، إذا انقضت.

(٢) الذِّمار: ما يلزمك حمايتُه من ناس أو مال. وذَرْب: فاسدٌ. ومواكل: هو الذي يتَّكل على غيره.

(٣) ثِمال اليتامى، أي: قائماً بأمرهم غِياثاً لهم، والثِّمال: العِماد والملجأ والمُغيث والمُعِين والكافي.

وهذا البيت أصحُّ بيت في هذه القصيدة، حيث استشهد به ابن عمر فيما أسنده عنه البخاريُّ في «صحيحه» (١٠٠٨) و(١٠٠٩).

(٤) يلوذ: يَلجأ. والهُلّاك: الفقراء والضعفاء.

(٥) يريد أَسِيد بن أبي العِيص بن أُميّة وبكره عتّاب بن أسيد، وسيأتي لاحقاً بإثر القصيدة بيان ابن إسحاق لهذه الأسماء.

(٦) أي: لم يقم ولم يعطف علينا.

(٧) هكذا قُيّدت في (ت)، وفي (ص): يَلقَنا، كلاهما من اللِّقاء، وفي (ي): يُلقِيا، من الإلقاء، =

وذاك أبـو عَمـرٍو أَبَـى غيـرَ بُغضِنـا ... ليُظعِنَنـا في أهـلِ شـاءٍ وجامِـلِ[1]

يُنـاجِي بنـا في كـلِّ مُمسًـى ومُصبَحٍ ... فنـاجِ أبـا عَمـرٍو بنـا ثـم خاتِـلِ[2]

ويُـولِي لنـا بـالله مـا إنْ يَغُشُّـنا ... بلـى قـد نَـراهُ جَهـرةً غيـرَ حائـلِ[3]

أضـاقَ عليـه بُغْـضُنا كـلَّ تَلْعـةٍ ... مـن الأرضِ بـينَ أَخشُـبٍ[4] فمَجَـادِلِ

وسـائِلْ أبـا الوليـدِ مـاذا حَبَوتَنـا ... بسَـعيِكَ فينـا مُعرِضـاً كالمُخاتِـلِ[5]

وكنـتَ امـرَأً ممّـن يُعـاشُ برأيِـهِ ... ورحمتِـهِ فينـا ولسـتَ بجاهِـلِ

فعُتْبـةُ لا تَسـمَعْ بنـا قـولَ كاشـحٍ ... حَسُـودٍ كَـذُوبٍ مُـبغِضٍ ذي دَغـاوِلِ[6]

= والمراد: فإن يُلقيا عنهما العناد والمباداة بالشرِّ، ويلزمه أن يطيعا ويخضعا، وفي (ق١): يُلفَيا، من ألفيتُه، إذا وجدتَه.

(١) أي: ليدفعنا إلى الرحيل بأموالنا من الشاء والجمال، والشَّاء: اسم لجماعة الشِّياه، كما أنّ الجامل اسم لجماعة الجمال.

(٢) الخَتْل: الخداع والغدر.

(٣) يُولي لنا، مسهَّلة عن يُؤلي، أي: يحلف ويقسم، والأَليّة: اليمين. والحائل: المتحول المتغيّر من حال إلى حال.

(٤) قُيِّدت في (ت) و(ي) بفتح الشين، وفي (ص) و(ق١) بضمّها، وقيِّدت في (م) بالوجهين، وعلّق عليها بعضهم في حاشية (ص) فقال: كذا روي أخشُب بالضم، والصواب أخشَب بالفتح، وهو أحد الأخشَبَين، وهما الجبلان اللّذان على مكة، لأن أخشُب جمع خَشَب. قلنا: وعلى رواية الضمّ شرح السهيليُّ والخشنيُّ على أنه جمع الجبلين مع ما اتصل بهما من جبال على غير قياس، وقياسه: الأخاشب.

والمَجَادل: القصور والحصون في رؤوس الجبال، واحدها: مِجدَل. والتَّلعة: المشرف المرتفع من الأرض.

(٥) ماذا حبوتنا، أي: ماذا أفدتَنا، من الحِباء: وهو العطاء. والمخاتل: المخادع.

(٦) الكاشح: العدوّ. والدغاول: الأمور الفاسدة.

ومــرَّ أبــو ســفيانَ عنّــي مُعرِضــاً ... كأنــه قَــيْلٌ مــن عِظــامِ المَقــاوِلِ[1]

يَفِــرُّ إلــى نَجــدٍ[2] وبَــرْدِ مِياهِــهِ ... ويَــزعُمُ أنّــي لســتُ عــنكم بغافــلِ

ويخبــرُنا فِعــلَ المُناصِــحِ أنّــه ... شَــفيقٌ ويُخفِــي عارِمــاتِ الــدَّواخلِ[3]

أمُطعِــمُ لــم أخــذُلْكَ في يــومِ نَــجْدةٍ ... ولا مُعظِــمٍ عنــد الأمــورِ الجلائــلِ

ولا يــومِ خَصْــمٍ إذ أتَــوكَ أشــدّةً[4] ... أُولِي جَدَلٍ من الخصومِ المَساجِلِ

أمُطعِــمُ إنّ القــومَ ســامُوكَ خُطّــةً ... وإنّــي متــى أُوكَــلْ فلســتُ بوائــلِ[5]

جَــزَى اللهُ عنّــا عبــدَ شــمسٍ ونَــوفلاً ... عقوبــةَ شــرٍّ عــاجلاً غيــرَ آجــلِ

بميــزانِ قِســطٍ لا يُخِــسُّ شَــعيرةً ... لــه شــاهدٌ مــن نفسِــهِ غيــرُ عائــلِ[6]

---

(١) القَيْل: الملك من ملوك حِميَر باليمن. ومضى قريباً تفسير المقاول.

(٢) النَّجد: هو ما ارتفع من الأرض، ويقصد أبو طالب هنا الطائف، فهي في مرتفعات جبلية، وكان سادات قريش يكثرون التردُّد إليها.

(٣) العارمات: الشدائد، قال أبو ذرّ الخشنيّ: ومن رواه بالزاي فهي التي عزم على إنفاذها. والدواخل: النَّمائم والإفساد بين الناس، والذواحل بالذال والحاء: العداوات، مأخوذ من الذَّحْل: وهو طلب الثأر.

(٤) في (ق١): ألدّة. أي: أشدّاء في الخصومة.

والمَساجل، قال الخشنيّ: من رواه بالجيم: فهم الذين يعارضونه في الخصومة ويغالبونه، وأصله من المُساجَلة، وهو أن يأتي الرجل بمثل ما أتى به صاحبه، ومن رواه بالحاء المهملة: فهم الخطباء البُلغاء، واحدهم: مِسحَل.

(٥) ساموك، أي: كلَّفوك. ولست بوائل، أي: لست بناجٍ، يقال: ما وَأَلَ من كذا، أي: ما نجا منه.

(٦) لا يُخِس شعيرة، أي: لا ينقص، ويروى: لا يَخِيس، من قولهم: خاسَ بالعهد، إذا نقضه وأفسده. وعائل: جائر.

لقد سَفُهَت أحلامُ قومٍ تَبدَّلوا ... بَني خَلَفٍ قَيضاً بنا والغَياطِلِ[1]

ونحنُ الصَّميمُ من ذُؤابةِ هاشمٍ ... وآلِ قُصيٍّ في الخُطوبِ الأوائلِ[2]

وسهمٌ ومخزومٌ تَمالَوْا وألَّبُوا ... علينا العِدَا من كلِّ طِملٍ وخاملِ[3]

فعبدَ مَنافٍ أنتمُ خيرُ قومِكمْ ... فلا تُشرِكوا في أمرِكم كلَّ واغِلِ[4]

لعَمْري لقد وَهَنتُمُ وعَجَزتُمُ ... وجِئتُمْ بأمرٍ مُخطِئٍ للمَفاصِلِ[5]

وكنتمْ حديثاً حَطْبَ قِدْرٍ فأنتمُ ... أَلَانَ حِطَابُ أَقدُرٍ ومَرَاجلِ[6]

ليَهنِئْ بني عبدِ المَنافِ[7] عُقُوقُنا ... وخِذلانُنا وتَرْكُنا في المَعاقِلِ

فإنْ نَكُ قوماً نَتَّئِرْ ما صنعتُمُ ... وتَحتلِبُوها لِقْحةً غيرَ باهِلِ[8]

---

(١) الأحلام: العقول. وقَيضاً بنا، أي: عِوَضاً عنّا. والغَيطَلة: الظُّلمة الشديدة.

ومعنى البيت: جَهِلَت عقولُ قوم اتَّخذوا بني خلف والغياطلَ ندماءَ وأصحاباً عِوَضاً عنّا، وأراد ببني خلفٍ أبناءَ خلف بن وهب الجُمَحي، وهم أُميّة وأُبيّ وإخوتهما.

(٢) الصميم: الخالص. والذُّؤابة، من ذؤابة الجبل: وهو أعلاه، ثم استُعير للشَّرف والمرتبة. والخطوب: جمع خَطْب، وهو الأمر الشديد.

(٣) ألَّبوا علينا: جمعوا علينا. والطِّمْل: الرجل الفاحش، والطِّمل أيضاً: الفقير.

(٤) أي: كل مُلصَق بكم ليس من صميمكم، وأصل الواغل: الداخلُ على القوم وهم يشربون ولم يُدْعَ.

(٥) يريد أنه لا يوافق صواب الأمور، بعيد عن الحق.

(٦) جمع مِرجل: وهو قِدْر من نحاس.

(٧) هكذا في (ت)، وفي بقيّة النسخ: عبد مناف.

والمعاقل في الأصل: الحُصون، والمراد هنا: أنهم خذلوهم في مواطن الخصام والنزاع.

(٨) نتَّئر ما صنعتم، أي: نأخذ بثأرنا منكم. ومن رواه: نَبتئِر، فمعناه: ندَّخره حتى ننتصف منكم، يقال: ابتأرتُ الشيءَ، إذا خبأته وادّخرته. واللِّقحة: الناقة ذات اللّبن. والباهل: الناقة =

فـأبلِغْ قُصَـيّاً أنْ سيُنشَـرُ أمرُنـا ... وبشِّـرْ قُصـيّاً بعـدَنا بالتخـاذُلِ

ولـو طَرَقَـت لـيلاً قُصـيّاً عَظيمـةٌ ... إذاً مـا لَجَأْنـا دُونَهـم في المَـداخِلِ

ولـو صَـدَقوا ضَـرْباً خِـلالَ بيـوتِهم ... لكنَّـا أُسًـى عنـد النسـاءِ المَطافِـلِ[1]

فكـلُّ صـديقٍ وابـنِ أُختٍ نَعُـدُّهُ ... لَعَـمْرِي وَجَـدْنا غِبَّـه غيـرَ طائـلِ[2]

سِوى أنَّ رَهطاً مـن كِـلابِ بـنِ مُـرَّةٍ ... بُـرَاءٌ[3] إلينـا مـن مَعَقَّـةِ خـاذلِ

= التي لا صِرارَ على أخلافها (أي: لا خيوط تُشدُّ على ضروعها)، فهي مباحة لكل حالبٍ.

يعني: سنأخذ بثأرنا منكم مما صنعتم بنا في عداوتنا وقد ظننتم أننا كلِقحة مستباحة الحلب لا شيء يدفع عنها.

تنبيه: وقع بعد هذا البيت في الطبعات السابقة بيتان ليسا في نسخنا الخطية، ولم يتعرّض لهما السهيليُّ والخشنيُّ بشرحٍ، وليسا كذلك في «البداية والنهاية» لابن كثير ٤/ ١٤٠ نقلاً عن «سيرة ابن هشام»، هما:

وسائطُ كانت في لؤيِّ بن غالبٍ ... نَفَاهم إلينـا كلُّ صقرٍ حُلاحِلِ

ورَهطُ نُفيلٍ شرُّ من وَطِئَ الحصى ... وأَلأَمُ حـافٍ مـن مَـعَـدٍّ ونـاعِـلِ

والحُلاحِل: الرئيس الشجاع.

(١) أُسًى: جمع أُسْوة، وهي القُدوة، أي: لاقتدى بعضُنا ببعض في الدفع عنهم. والمطافل: جمع مُطفِل، وهي التي لها طفل.

(٢) غبّه: عاقبته. وغير طائل، أي: غير رفيع ولا نفيس. وأصل الطائل: النفع والفائدة، وهذا اللفظ يقال للشيء الخسيس.

(٣) هكذا قُيّد في نسخنا الخطية بضم الباء وتسهيل الألف بعدها، والأصل فيه ـ كما قال السهيليُّ في «الروض» ٣/ ١٠٢ ـ: بُرَآء، مثل: كُرَماء، فاستثقلوا اجتماع الهمزتين فحذفوا الأولى. ويحتمل أن يُقيّد أيضاً بفتح الباء وكسرها؛ فأمّا بَراءٌ فمصدر، مثل: سَلَام، ويوصف به حينئذٍ الواحد والاثنان والجمع، وأمّا بِراءٌ، فجمع بَرِيء، مثل: كَريم وكِرام، ولا يوصف به حينئذٍ إلا الجمع. =

ونِعمَ ابنُ أختِ القومِ غيرَ مُكذَّبٍ ... زُهيرٌ حُساماً مُفرَداً من حَمائلِ[1]

أشَمُّ من الشُّمِّ البَهاليلِ يَنتَمي ... إلى حَسَبٍ في حَومَةِ المجدِ فاضلِ[2]

لَعَمْري لقد كَلِفتُ وَجْداً بأحمدٍ ... وإخوَتِه دَأْبَ المُحِبِّ المُواصِلِ[3]

فمَن مِثلُه في الناسِ أيُّ مُؤمَّلٍ ... إذا قاسَهُ الحكّامُ عند التفاضُلِ

حَليمٌ رَشِيدٌ عادلٌ غيرُ طائشٍ ... يُوالي إلٰهاً ليس عنه بغافلِ

فوالله لولا أنْ أَجِيءَ بسُبَّةٍ ... تُجَرُّ على أشياخِنا في المَحافلِ

لكُنّا اتَّبَعناهُ على كلِّ حالةٍ ... من الدَّهرِ جِدّاً غيرَ قولِ التّهازُلِ

لقد عَلِموا أنَّ ابنَنا لا مُكذَّبٌ ... لَدَينا ولا يُعنَى بقولِ الأباطلِ

= والمَعقّة: العُقوق.

تنبيه: وقع بعد هذا في الطبعات السابقة سبعة أبيات ليست في نسخنا الخطية، ولم يتعرّض لها السهيليُّ والخشنيُّ بشرحٍ، وهي أيضاً ليست في «البداية والنهاية» لابن كثير ٤/ ١٤١ نقلاً عن «سيرة ابن هشام»، وهي:

وَهَنَّا لهم حتى تبدَّدَ جمعُهم ... ويَحسُرَ عنّا كلُّ باغٍ وجاهلِ

وكان لنا حوضُ السِّقايةِ فيهمُ ... ونحن الكُدَى من غالبٍ والكواهلِ

شبابٌ من المطيَّبينَ وهاشمٍ ... كبِيضِ السيوفِ بين أيدي الصَّياقلِ

فما أدركوا ذَحْلاً ولا سَفَكوا دماً ... ولا حالَفوا إلا شِرارَ القبائلِ

بضَربٍ تَرى الفِتيانَ فيه كأنَّهمْ ... ضَوَاري أُسودٍ فوقَ لحمٍ خرادلِ

بَني أَمَةٍ محبوبةٍ هِندِكيّةٍ ... بَني جُمَحٍ عُبيدِ قيسِ بن عاقلِ

ولكنَّنا نسلٌ كِرامٌ لسادةٍ ... بهم نُعِيَ الأقوامُ عند البواطلِ

(١) الحُسام: السيف. والحمائل: حبال يُحمَل به غِمد السيف.

(٢) أشمُّ، أي: عزيز. والبهاليل: السادة، واحدهم: بُهلُول. والحَومة: من كل شيء معظمُه.

(٣) كَلِفتُ: أُولِعتُ. والوجد: المحبّة. والدأب: العادة والشأن.

فأصبَحَ فينا أحمدٌ في أَرُومةٍ تُقصِّرُ عنها سَوْرةُ المُتطاوِلِ[1]

حَدِبتُ بنفسي دونَه وحَمَيتُهُ ودافعتُ عنه بالذُّرَى والكَلاكِلِ[2]

قال ابن هشام: هذا ما صحَّ لي من هذه القصيدة، وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِر أكثرَها.

قال ابن هشام: وحدَّثني من أَثِقُ به، قال: أُقحِطَ أهلُ المدينة، فأتَوْا رسولَ الله ﷺ فشَكَوْا ذلك إليه، فصَعِدَ رسولُ الله ﷺ المِنبَرَ فاستَسقَى، فما لَبِثَ أن جاء من المطرِ ما أتاه أهلُ الضَّواحي[3] يَشكُون منه الغرق، فقال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ حَوالَيْنا ولا علينا»، فانجابَ السَّحابُ[4] عن المدينة فصار حَوالَيها كالإكليل، فقال

---

(١) الأَرومة: الأصل. والسَّورة، بفتح السين: الوَثْبة، وبضمّها: المنزلة الرفيعة. والمتطاول: من الطَّول، وهو الفضل والعلوّ.

(٢) حدبت: عطفتُ ومنعتُ. والذُّرى: جمع ذُرْوة، وهي أعلى ظهر البعير. والكَلاكل: جمع كَلكَل، وهو مُعظَم الصدر.

تنبيه: وقع بعد هذا في الطبعات السابقة ثلاثة أبيات ليست في نسخنا الخطية، ولم يتعرّض لها السهيليُّ والخشنيُّ بشرحٍ، كذلك ليست في «البداية والنهاية» لابن كثير، وهي:

فأيَّده ربُّ العباد بنصرِه وأظهَرَ ديناً حقُّه غيرُ باطلِ

رجالٌ كرامٌ غيرُ مِيلٍ نَماهُمُ إلى الخيرِ آباءٌ كرامُ المَحاصلِ

فإن تكُ كعبٌ من لؤيٍّ صَقِيبةً فلا بدَّ يوماً مرّةً من تَزايُلِ

والمِيل هنا: جمع أَميَل، وهو الجبان الذي لا يحسن الركوب والفروسية، أو هو الذي يميل عن الحق. وصَقيبة، أي: قريبة. والتزايل: التفرُّق.

(٣) الضواحي: جمع ضاحية، وهي الأرض البَرَاز التي ليس فيها ما يستر من المطر، ولا منجاة من السيول، وقيل: ضاحيةُ كل بلدٍ: خارجُه. قاله السهيليُّ في «الروض».

(٤) أي: انكشف وانقشع. والإكليل: كل شيء دار من جوانبه كالتاج الذي يوضع على الرأس.

رسول الله ﷺ: «لو أدرَكَ أبو طالبٍ هذا اليومَ لسَرَّه»، فقال له بعضُ أصحابه: كأنك يا رسولَ الله أردتَ قوله:

وأَبيضَ يُستَسقى الغَمَامُ بوَجهِهِ ثِمالَ اليَتامى عِصمةً للأرامِلِ

قال: «أجَلْ»[1].

قال ابن هشام: وقوله: وشِبْرِقَه، عن غير ابن إسحاق.

والغَياطِل[2]: من بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص.

---

(١) إسناده ضعيف جداً لإعضاله وإبهام رواته. ولم نقف عليه بهذا السياق لغير ابن هشام.

لكن روي بإسناد حسن ارتضاه الإمام البخاريُّ فرواه في «صحيحه» برقم (١٠٠٨) من طريق أبي قُتيبة سَلْم بن قتيبة، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه قال: سمعت ابن عمر يتمثَّل بشِعر أبي طالب:

وأبيضَ يُستَسقى الغَمامُ بوجهِه ثِمالَ اليتامى عِصمةً للأرامِلِ

ثم رواه (١٠٠٩) معلَّقاً عن عمر بن حمزة، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال: ربما ذكرتُ قولَ الشاعر وأنا أنظرُ إلى وجه النبي ﷺ يستسقي، فما يَنزلُ حتى يَجِيشَ (أي: يمتلئ ويَفيض) كل مِيزابٍ... وذكر البيت السابق، ثم قال: وهو قول أبي طالب. ووصله عن عمر بن حمزة أحمدُ (٥٦٧٣) وابن ماجه (١٢٧٢)، وعمر بن حمزة - وهو العُمريّ - ضعيف، لكن خبره هذا يتقوَّى بالطريق السابق.

وانظر حديث أنس بن مالك في استسقاء النبيِّ ﷺ على المنبر فيما أخرجه البخاري (٩٣٣) و(١٠٢١) و(٣٥٨٢) ومسلم (٨٩٧).

(٢) في (ش١) و(ص) و(ق١): قال ابن إسحاق: والغياطل؛ فصار منها تفسير الغياطل لابن إسحاق، وعدم إثباته كما في بقية النسخ موافق لما في نسخة أبي ذرٍّ الخشنيّ من «السيرة»، حيث ذكر في «إملائه» ص٩٠: أن ابن هشام هو الذي فسَّر الغياطل.

والغياطل: نسبة إلى الغَيطَلة، وهي أمّ أولاد قيس بن عديٍّ من بني سهم.

وأبو سفيانَ: ابنُ حَرْب بن أُميّة، ومُطعِمٌ: ابنُ عديّ بن نَوفَل بن عبد مَنَاف، وزهيرٌ: ابنُ أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخزُوم، وأمُّه عاتِكةُ بنت عبد المُطَّلِب.

قال ابن إسحاق: وأَسيدٌ، وبِكْرُه: عتّابُ بن أَسِيد بن أبي العِيص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قُصيّ، وعثمانُ: ابنُ عُبيد الله، أخو طَلْحة بن عبيد الله التَّيْميّ، وقُنفُذٌ: ابنُ عُمَير بن جُدْعان بن عَمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة، وأبو الوليد: عُتْبةُ بن رَبيعة، وأُبيٌّ: الأخنَسُ بن شَرِيق الثَّقَفي، حليفُ بني زُهْرةَ ـ قال ابن هشام: وإنما سُمّي بالأخنَسِ لأنه خَنَسَ بالقوم يوم بدرٍ[1] ـ والأسودُ: ابنُ عبد يَغُوثَ بن وهب بن عبد مَنَاف بن زُهْرة بن كِلاب، وسُبَيعٌ: ابنُ خالد، أخو بَلْحارثِ بن فِهْر، ونَوفلٌ: ابن خُوَيلِد بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ، وهو ابنُ العَدَويّة، وكان من شياطين قريش، وهو الّذي قَرَنَ بين أبي بكرٍ الصِّدّيقِ وطلحةَ بن عُبيد الله في حبل حين أسلَما، فبذلك كانا يسمَّيانِ القَرينَينِ، قتله عليٌّ بن أبى طالبٍ رضي الله عنه يومَ بدر، وأبو عمرٍو: قُرَظةُ بن عبد عَمرو بن نَوفَل بن عبد مَنَاف.

و«قومٌ علينا أظِنّة»: بنو بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانة. فهؤلاء الذين عَدَّدَ أبو طالب في شعره.

فلمّا انتَشَرَ أمرُ رسول الله ﷺ في العرب وبلغ البلدانَ، ذُكِرَ بالمدينة، ولم يكن حيٌّ من العرب أعلمَ بأمرِ رسول الله ﷺ حين ذُكِر وقبلَ أن يُذكَر، من هذا الحيِّ من الأَوْس والخَزرَج، وذلك لِما كانوا يسمعون من أحبارِ يهودَ، وكانوا لهم حُلفاءَ ومعهم في بلادِهم، فلمّا وَقَعَ ذِكرُه بالمدينة، وتحدَّثوا بما بين قريشٍ فيه من

(١) قول ابن هشام هذا ليس في (ش١) و(ص) و(ق١) و(غ). ومعنى خَنَسَ: تأخّر وانقبض.

الاختلاف، قال أبو قيس بن الأَسلَتِ أخو بني واقفٍ.

قال ابن هشام: نَسَبَ ابنُ إسحاق أبا قيسٍ هذا هاهنا إلى بني واقفٍ، ونَسَبَه في حديث الفيل إلى خَطْمة، لأن العرب قد تَنسُبُ الرجلَ إلى أخي جدِّه الذي هو أشهرُ منه.

قال ابن هشام: حدَّثني أبو عُبيدة النَّحْويّ: أن الحَكَم بن عمرو الغِفَاريَّ من ولد نُعَيلَة أخي غِفارٍ، وهو غِفارُ بن مُلَيل، ونُعَيلةُ: ابنُ مُلَيل بن ضَمْرة بن بَكْر بن عبد مَنَاة، وقد قالوا: عُتْبة بن غَزْوان السُّلَميّ، وهو من ولد مازن بن منصور، وسُلَيمٌ: ابنُ منصور.

قال ابن هشام: فأبو قيس بن الأسلَتِ من بني وائلٍ، ووائلٌ وواقفٌ وخَطْمةُ إخوةٌ من الأَوس[1].

قال ابن إسحاق: فقال أبو قيسٍ ـ وكان يحبُّ قريشاً، وكان لهم صِهراً، كانت عنده أرنبُ بنت أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ، وكان يقيم عندهم السِّنين بامرأتِه ـ قصيدةً يُعظِّم فيها الحُرْمةَ، وينهى قريشاً فيها عن الحرب، ويأمرهم بالكفِّ بعضُهم عن بعضٍ، ويَذكُر فضلَهم وأحلامَهم، ويأمرُهم بالكفِّ عن رسول الله ﷺ، ويذكِّرُهم بلاءَ الله عندهم ودَفْعَه عنهم الفيلَ وكَيْدَه، فقال[2]:

---

(١) الأخوّة هنا على الاتساع، أي: أن هذه البطون إخوة يرجعون إلى أب واحد، فإن وائلاً هو ابن زيد بن قيس بن عامر بن مُرّة بن مالك بن الأَوس، وأمّا واقفٌ فهو مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، وأما خَطْمةُ فهو عبد الله بن جُشَم بن مالك بن الأوس، فهؤلاء جميعاً يرجعون إلى مالك بن الأوس. وانظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٣٤٣-٣٤٥.

(٢) وقد ذكر بعضها الأزرقيّ في «أخبار مكة» ١/ ١٤٩.

يـا راكبـاً إمّـا عَرَضـتَ فبَلِّغَـنْ مُغَلغَلَـةً عنّـي لُـؤيَّ بـنَ غالـبِ[1]

رسولَ امرِئٍ قد راعَهُ ذاتُ بَينِكمْ على النَّأْيِ محزونٍ بذلكَ ناصبِ[2]

وقد كان عندي للهُمومِ مُعرَّسٌ[3] ولـم أقـضِ منهـا حـاجتي ومـآرِبي

نُبِّئـتُكُم[4] شَـرْجَينِ كـلُّ قبيلـةٍ لها أَزمَـلٌ مِن بينِ مُـذْكٍ وحاطِبِ

أُعِيـذكُمُ بـالله مـن شـرِّ صُـنعِكمْ وشـرِّ تَبـاغِيكم ودَسِّ العقـاربِ

وإظهـارِ أخـلاقٍ ونَـجْوى سَـقِيمةٍ كوَخْزِ الأَشافي وَقْعُها حقُّ صائبِ[5]

فذكِّـرْهم بـالله أوّلَ وَهْلَـةٍ وإحـلالِ إحـرامِ الظِّبـاءِ الشَّـوازبِ[6]

وقـل لهـمْ - واللهُ يَحكـمُ حُكمَـه -

ذَرُوا الحربَ تَذهَبْ عنكم في المَراحبِ[7]

---

(١) إمّا عرضتَ، أي: إن مررتَ بهم. والمُغلغَلة: الرسالة يُرسَل بها من بلد إلى بلد.

(٢) راعه: أفزعه. والنأي: البُعد، أي: على بعده منكم. وأراد بقوله: ذات بينكم، القطيعةَ التي وقعت بينهم. والناصب: المُعيي التَّعِب.

(٣) المعرَّس: المكان الذي ينزله المسافر آخر الليل ليستريح، ثم يتركه ويرتحل.

(٤) في نسخة على حاشية (ص): نُبيِّتُكم؛ وكتب عليها: من البيات. واستبعده السهيليُّ في «الروض» ٣/ ١٠٩ لبُعده من معناه.

وشرجَينِ: نوعين. والأزمَل: الصوت. والمُذْكي: الذي يوقد النار، والحاطب: الذي يَحطِب لها. ضرب هذا مثلاً لنار الحرب والفُرقة التي وقعت بينهم.

(٥) الوخز: الطَّعن. والأشافي: جمع إشفَى، وهي مِخيَط ومِثقَب يغرز بها صانع الأحذية.

(٦) أول وهلة، أي: أول شيء. وإحرام الظباء: يعني التي يحرم صيدها كونها في الحَرَم، يقال لمن دخل في الشّهر الحرام، أو في البلد الحرام: مُحرِم. والشوازب: الضامرة البطون من بُعد المسافة. يعني: إن بلدكم بلد حرام تأمن فيه الظِّباء الشوازب التي تأتيه من بُعْد لتأمن فيه، وإذا لم تَحِلُّوا بالظِّباء فيه، فأَحرى أن لا تَحلُّوا بدمائكم.

(٧) المراحب: المواضع المتَّسعة.

متى تَبعَثُوها تَبعَثُوها ذَمِيمةً ... هي الغُولُ للأَقصَينَ أو للأقارِبِ[1]

تُقطِّعُ أرحاماً وتُهلِكُ أُمّةً ... وتَبْري السَّدِيفَ من سَنامٍ وغارِبِ[2]

وتَستبدِلُوا بالأَتحَمِيّةِ بعدَها ... شَليلاً وأَصداءً ثيابَ المُحارِبِ[3]

وبالمِسكِ والكافُورِ غُبْراً سَوابغاً ... كأنّ قَتِيرَيها عيونُ الجنادِبِ[4]

فإياكمُ والحربَ لا تَعلَقَنَّكمْ ... وحَوضاً وَخِيمَ الماءِ مُرَّ المَشارِبِ[5]

تَزَيّنُ للأقوامِ ثمَّ يَرَونَها ... بعاقبةٍ إذ بَيَّنَت أُمَّ صاحِبِ[6]

تُحرِّقُ لا تُشوِي ضعيفاً وتَنتَحِي

ذَوِي العِزِّ منكم بالحُتوفِ الصوائبِ[7]

ألم تَعلَموا ما كان في حربِ داحِسٍ ... فتَعتبِروا أو كان في حربِ حاطِبِ[8]

وكم قد أصابَتْ من شريفٍ مُسوَّدٍ ... طويلِ العِمادِ ضَيفُه غيرُ خائبِ[9]

---

(١) متى تبعثوها، أي: الحرب. والغُول: الهلاك، يقال: الغضبُ غُولُ الحِلم، أي: يهلكه.

(٢) تبري: تقطع. والسّديف: لحم الظَّهر. والسّنام: الظَّهر، والغارب: أعلى الظَّهر.

(٣) الأتحميّة: نوع من بُرود اليمن. والشَّليل: ثياب تُلبَس تحت الدروع، ويقال: هي الدروع بعينها. والأصداء: جمع صدأ الحديد، يعني دروعاً متغيّرة بالصدأ.

(٤) غُبراً: جمع غَبراء، يعني الدروع علتها الغبرة. والسوابغ: الدروع الكاملة. والقَتير: مسامير حَلَق الدِّرع، شبَّهها بعُيون الجراد.

(٥) وخيم الماء، أي: ثقيل رديء.

(٦) تَزَيَّنُ، أي: تتزيّن. بعاقبة، أي: في آخر الأمر. وبيَّنت: ظهر أمرُها واتّضح. وقوله: أمَّ صاحب، أي: عجوزاً كأمّ صاحب لك، إذ لا يصحب الرجلَ إلا رجل في سنّه.

(٧) لا تُشوي، أي: لا تخطئ. وتنتحي معناه: تعمد وتقصد. والحتوف: جمع حَتْف، وهو الموت. والصوائب: الصائبات.

(٨) سيأتي بيان ابن هشام لحربَي داحس وحاطب.

(٩) العماد: الأبنية الرفيعة، ومعنى قولهم: فلان طويل العِماد، إذا كان منزله مَعلَماً لزائريه.

عظـــيمِ رمـــادِ النّـــارِ يُحمَـــدُ أمـــرُهُ
وذي شِـيمَةٍ مَـحْضٍ كـريمِ المَضـاربِ[1]
ومـا أُهَرِيـقَ[2] في الضـلالِ كأنّمـا أذاعَـتْ بـه ريـحُ الصَّـبا والجنائـبِ
يُخبِّـرُكم عنهـا امـرُؤٌ حـقٌّ عـالمٍ بأيّامِهـا والعلـمُ علـمُ التَّجـارِبِ
فبِيعـوا الحِـرابَ مِلْمُحـاربٍ[3] واذكُـروا
حســـابَكمُ واللهُ خيـــرُ محاسِـــبِ
وليُّ امرِئٍ فاختارَ دِيناً[4] فلا يكـنْ عليـكم رقيـبٌ غيـرَ ربِّ الثَّواقِـبِ
أَقِيمـوا لنـا دينـاً حَنيفـاً فـأنتمُ لنـا غايـةٌ قـد يُهتـدَى بالـذَّوائبِ[5]

---

(١) في نسخة على حاشية (غ): الضرائب.

والضرائب: جمع ضَريبة: وهي الطبيعة والسَّجيّة، وقد ذكر السهيليُّ في «الروض» ٣/ ١١١ أن في حاشية الشيخ أبي بحر الأسديّ: لعله الضرائب، يريد: جمع ضَريبة، ثم قال: ولا يبعد أيضاً أن يكون قال: المضارب، يريد أن مضارب سيوفه غير مذمومة ولا راجعة عليه إلا بالثناء والحمد والوصف بالمكارم.

وشِيمة محض، أي: طبيعة خالصة.

(٢) هكذا في نسخنا غير (غ) ففيها: وما هريق، بلا ألف، وعليه فلا بدّ من إدخال الهمزة فيها على «ما»، لأن «وما» هنا مسهَّل عن: وماءٍ، أي: ورُبَّ ماءٍ أُريق. قال السهيليُّ: أي: ربَّ ماء هُريق في الضلال من أجل السراب، لأنه لا يُهريق ماءً من أجل السراب إلا ضالٌّ غير مميِّز بمواضع الماء. قال: ويروى: في الضِّلال، جمع صَلّةٍ، وهي الأرض التي لا تمسك الماء.

وأذاعت به، أي: بدَّدته فلم يُنتفَع به، وهذا مثلٌ ضربه للنظر في عواقب الأمور. وريح الصَّبا: الريح التي تأتي من الشرق، والجنائب: جمع جَنوب، وأراد الريح التي تأتي من الجنوب.

(٣) أي: من المحارب.

(٤) أي: هو وليّ امرىء اختار ديناً، والفاء زائدة. والثواقب: النجوم.

(٥) الذوائب: الأعالي في الشرف والنسب.

وأنتمْ لهذا الناسِ نورٌ وعِصمةٌ تُؤَمُّون، والأحلامُ غيرُ عوازبِ[1]

وأنتمْ - إذا ما حُصِّل الناسُ - جوهرٌ لكم سُرَّة البَطْحاءِ شُمُّ الأرانبِ[2]

تصونون أجساداً كِراماً عتيقةً مُهذَّبةَ الأنسابِ غيرُ أشائبِ[3]

تَرَى طالبَ[4] الحاجاتِ نحوَ بيوتِكمْ

عصائبَ هَلْكى تهتدي بعصائبِ

لقد عَلِمَ الأقوامُ أنّ سَراتَكم

على كلِّ حالٍ خيرُ أَهلِ الجَباجِبِ[5]

وأفضلُه رأياً وأعلاهُ سُنّةً وأقوَلُه للحقِّ وَسْطَ المَواكبِ[6]

فقوموا فصلُّوا ربَّكم وتَمسَّحوا بأركانِ هذا البيتِ بين الأخاشبِ[7]

فعندَكم منه بَلاءٌ ومَصدَقٌ غَداةَ أبي يَكسُومَ هادي الكتائبِ[8]

كَتيبتُه بالسهلِ تُمسِي ورَجْلُه على القاذفاتِ في رؤوسِ المَناقبِ[9]

---

(١) تُؤَمُّون: تُقصَدون. والأحلام: العقول. وغير عوازب: غير غائبات ولا ذاهلات.

(٢) سرّة البطحاء: سرّة الشيء خيره وأعلاه. وشُمّ: مرتفعة، والأرانب: جمع أَرنبة الأنف، وهو الذي فيه ثقب الأنف.

(٣) غير أشائب، أي: غير مختلطة، يعني أنها خالصة النَّسب.

(٤) في (ت) و(غ): طالبي. والعصائب: جمع عُصبة، وهي الجماعة من الناس وغيرهم.

(٥) السَّراة: الأشراف. والجباجب: منازل مِنى، وأصله: أنّ الأوعية من الجلود تسمَّى جَبجَبة، فجعل الخيام والمنازل لأهلها كالأَوعية.

(٦) سنّة: طريقة. والمواكب: جمع موكِب، وهو جماعة ركّاب يسيرون برفق.

(٧) الأخاشب: جبلان بمكة، فجمعهما مع ما حولهما، وإنما هما أخشبان.

(٨) أبو يكسوم: هو أبرهة الحبشيّ.

(٩) الرَّجْل: جمع راجلٍ، وهو ضد الفارس. والقاذفات: أعالي الجبال البعيدة. والمناقب: =

فلمّا أتاكم نصرُ ذي العرشِ رَدَّهم ... جنودُ المَليكِ بين سافٍ وحاصبِ[1]
فوَلَّوا سِراعاً هاربينَ ولم يَؤُبْ ... إلى أهلِه مِلْجَيشِ[2] غيرُ عصائبِ
فإن تَهلِكوا نَهلِكْ وتَهلِكْ مواسمٌ ... يُعاشُ بها، قولُ امرِئٍ غيرِ كاذبِ

قال ابن هشام: أنشدني بيتَه: وما أُهريق، وبيتَه: فبيعوا الحِراب، وقولَه: وليُّ امرئ فاختار، وقولَه: على القاذفاتِ في رؤوس المناقب، أبو زيدٍ الأنصاريُّ وغيرُه.

قال ابن هشام: وأما قوله: ألم تعلموا ما كان في حربِ داحسٍ، فحدَّثني أبو عُبيدة: أنّ داحساً فرسٌ كان لقيسِ بن زُهير بن جَذِيمة بن رَوَاحة بن رَبيعة بن الحارث بن مازن بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان، أَجْراه مع فرس لحُذيفة بن بدر بن عمرو بن جُوَيّة بن لَوْذان بن ثَعلَبة بن عَدِيّ بن فَزَارة بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان، يقال لها: الغَبْراء، فدَسَّ حذيفةُ قوماً وأمَرَهم أن يضربوا وجه داحسٍ إن رأَوه قد جاءَ سابقاً، فجاء داحسٌ سابقاً فضربوا وجهَه، وجاءت الغَبْراءُ، فلمّا جاء فارسُ داحسٍ، أخبر قيساً الخَبَرَ، فوَثَبَ أخوه مالك بن زهير فلَطَمَ وجه الغَبْراء، فقام حَمَلُ بن بدر فلَطَمَ مالكاً، ثمّ إن أبا الجُنيدِب العَبْسيَّ لقيَ عوفَ بن حذيفة فقَتَله، ثم لقيَ رجلٌ من بني فَزَارة مالكاً فقَتَله، فقال حَمَل بن بدرٍ أخو حذيفة ابن بدر:

قَتَلْنا بعَوفٍ مالكاً وهْوَ ثأْرُنا ... فإنْ تَطلُبوا منّا سوى الحقِّ تَندَمُوا

= جمع مَنقَبة، وهي الطريق في رأس الجبل.

(١) السافي: الذي يرمي بالتراب. والحاصب: الذي يقذف بالحصباء.

(٢) في (ص) و(ق١) و(غ) و(م): مِلْحُبْش، والمثبت من (ت) و (ي) ونسخة على حاشيتي (ص) و(م)، يعني: من الجيش.

وهذا البيت في أبياتٍ له[1].

وقال الرَّبيع بن زياد العَبْسيُّ:

أفبَعـدَ مَقتـلِ مالـكِ بـن زُهيـرٍ ترجـو النسـاءُ عواقـبَ الأطهـارِ[2]

وهذا البيت في أبياتٍ له.

فوَقَعَت الحربُ بين عَبْسٍ وفَزَارةَ، فقُتِل حذيفةُ بن بدرٍ وأخوه حَمَلُ بن بدر، فقال قيسُ بن زهيرٍ يَرْثي حذيفةَ، وجَزِعَ عليه:

كـم فـارسٍ يُـدعَى ولـيس بفـارسٍ وعلى الهَبَاءةِ[3] فارسٌ ذو مَصـدَقِ

فـابْكُوا حُذيفـةَ لـن تُرَثُّـوا[4] مِثلَـهُ حتـى تَبِيـدَ قبائـلٌ لـم تُخلَـقِ

وهذان البيتان في أبياتٍ له.

---

(١) ذكرها أبو حيان التوحيديّ في «البصائر والذخائر» ١/ ١٦٧-١٦٨.

(٢) أي: هل يتأمّلن غِشيان أزواجهنّ لهنَّ بعد طهرهنَّ.

وهذا البيت مع الأبيات الأخرى ذكرها المفضَّل الضبّيُّ في «أمثال العرب» ص٨٨-٨٩، وأبو عبيدة في «شرح نقائض جرير والفرزدق» ١/ ٢٥٥-٢٥٦، والبلاذُريُّ في «أنساب الأشراف» ١٣/ ١٦٤.

(٣) الهَبَاءة: موضع به مياه يقع جنوب الرَّبَذة في بلاد غطفان، وهو هضبة تُدعى الآن ذريح، وبها قُتل حذيفة وأخوه حَمَل، وتقع الرَّبذة شرقيّ المدينة المنوّرة على بعد ١٧٠ كم تقريباً.

(٤) في (ش١) و(ق١) و(ي): تُربُّوا، وفي (م) بالوجهين. قال الخشنيّ: من رواه تُرَثُّوا ـ بالثاء المثلّثة ـ فهو من الرِّثاء، ومن رواه تُرَبُّوا ـ بالباء بواحدة وتاء مضمومة ـ فهو بمعنى التربية، ومن رواه تَرُبُّوا ـ بفتح التاء ـ فمعناه: تصيِّرونه ربّاً عليكم، أي: أميراً. وتَبِيد، أي: تَهلِك.

قلنا: وهذان البيتان لم نقف عليهما عند غير المصنف، لكن جاء البيت الثاني منهما في «التعازي» للمبرّد ص٦٠ في قصة تعزية عمر بن عبد العزيز بمَخلَد بن يزيد بن المهلَّب مستشهِداً به.

وقال قيس بن زُهَير:

على أنَّ الفتى حَمَلَ بنَ بدرٍ بَغَى والظُّلْمُ مَرتَعُه وَخِيمُ[1]

وهذا البيت في أبياتٍ له.

وقال الحارث بن زُهير أخو قيس بن زُهير:

تركتُ على الهَبَاءةِ غيرَ فَخرٍ حُذيفةَ عندَه قِصَدُ العَوَالي[2]

وهذا البيت في أبياتٍ له.

قال ابن هشام: ويقال: أَرسل قيسٌ داحساً والغبراءَ، وأرسل حذيفةُ الخطّارَ والحَنْفاءَ، والأوّل أصحُّ الحديثين، وهو حديثٌ طويلٌ منعني من استقصائه قَطعُه حديثَ سيرة رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: وأما قوله: حَرْب حاطبٍ، فيعني حاطبَ بن الحارث بن قيس[3] ابن هَيْشة بن الحارث بن أُميّة بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن

---

(١) بغى: ظَلَم. والمَرتَع: موضع الرُّتوع، وهو الموضع الذي ينبت ما ترعى فيه الماشية. ووخيم، أي: ثقيل.

وانظر هذا البيت مع أبيات أخرى عند المفضَّل الضبّيّ في «أمثال العرب» ص٩٧، وأبي عبيدة في «شرح النقائض» ١/ ٢٦٤، والمفضَّل بن سلمة في «الفاخر» ص٢٢٧-٢٢٨، وأبي علي القاليّ في «الأمالي» ١/ ٢٦١.

(٢) القِصَد: جمع قِصْدة، وهي القطعة المتكسّرة. والعوالي: أعالي الرِّماح.

وانظر هذا البيت مع أبيات أخرى عند المفضَّل الضبّيّ في «أمثال العرب» ص٩٦، وأبي عبيدة في «شرح النقائض» ١/ ٢٦٣، والأصفهاني في «الأغاني» ١٧/ ٢٠٦.

(٣) زاد في النسب هنا بين قيس وهيشة في (ت) و(ص) و(م): بن الحارث، وهو غلط، فإنه لم يذكر أحد من أهل النسب بينهما أحداً.

مالك بن الأَوْس، كان قَتَل يهوديّاً جاراً للخَزرَج، فخرج إليه يزيدُ بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمرَ بن حارثة بن ثَعلَبة[1] بن كعب بن الخَزرَج بن الحارث بن الخَزرَج ـ وهو الذي يقال له: ابن فُسحُمَ، وفُسحُمُ أمُّه، وهي امرأة من القَيْن بن جَسْر ـ ليلاً في نفرٍ من بني الحارث بن الخَزرَج فقَتَلوه، فوَقَعَت الحربُ بين الأَوس والخَزرَج فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكان الظَّفَرُ للخزرج على الأَوس، وقُتِل يومئذٍ سُوَيدُ بن صامت بن خالد بن عطيّة بن حَوْط بن حُبيِّب[2] بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأَوس، قَتَله المُجذَّر بن ذِيَاد، واسمه عبد الله بن ذِيَادٍ البَلَويُّ، حليفُ بني عوف ابن الخَزرَج، فلمّا كان يومُ أُحدٍ خرج المُجذَّرُ مع رسول الله ﷺ وخرج معه الحارث ابن سُوَيد بن صامت، فوَجَدَ الحارثُ بنُ سُوَيد غِرَّةً من المُجذَّر فقَتَله بأَبيه. وسأذكر حديثه في موضعه إن شاء الله[3]، ثم كانت بينهم حروبٌ منعني من ذكرِها واستقصاءِ هذا الحديث ما ذكرتُ في حديث حرب داحسٍ[4].

قال ابن إسحاق: وقال حَكِيم بن أُميّة بن حارثة بن الأَوقَصِ[5] السُّلَميُّ، حليفُ

(١) زاد هنا في عمود النسب بين ثعلبة وكعبٍ في (ش١) و(ص) و(ي): مالكاً الأغر، وهو خطأ، فإن مالكاً الأغر هو ابن ثعلبة بن كعبٍ لا أبوه. انظر «طبقات خليفة» ص٩٣، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٣٦٢. وهكذا نسبَ يزيدَ بنَ الحارث دون ذكر مالك الأغر هذا خليفةُ وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» ٥/ ٢٧٧٩ وابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٧٥٩، وذكره في عمود نسبه بين حارثة وثعلبة ابنُ الكلبيّ وابن حزم وأبو نصر بن ماكولا، وصحّحه ابن الأثير في «أسد الغابة» لابن الأثير ٤/ ٧٠٧.

(٢) بالتصغير وتشديد الياء، كذلك قيّده ابن ماكولا في «الإكمال» ٢/ ٣٠٠.

(٣) أعاد ذكره عند الكلام على منافقي الأوس والخزرج ٢/ ١٧٨ وعند غزوة أُحد ٣/ ٧٨.

(٤) أي: مخافة قطعِه حديث سيرة رسول الله ﷺ.

(٥) زاد بعد هذا في (ي): بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهْثة بن سُلَيم بن =

بني أُميّة ـ وقد أسلَمَ ـ يُورِّعُ قومَه عمّا أجمَعُوا عليه من عداوة رسول الله ﷺ، وكان فيهم شريفاً مُطاعاً:

هـل قائـلٌ قـولاً هـو الحـقُّ قاعـدٌ ... عليه وهل غَضبانُ للرُّشدِ[1] سامعُ

وهـل سـيِّدٌ تَرجُـو العَشـيرةُ نَفعَـهُ ... لأَقصى المَوَالي والأقارِبِ جامعُ

تَبَـرّأتُ إلا وجـهَ مَـن يَملِـكُ الصَّبـا ... وأَهجـرُكم مـا دام مُـدْلٍ ونـازعُ[2]

وأُسـلِمُ وجهـي للإلٰـه ومَنطِقـي ... ولـو راعَنـي مـن الصَّـديقِ روائـعُ[3]

قال ابن إسحاق: ثم إنّ قريشاً اشتدَّ أمرُهم للشقاء الذي أصابَهم في عداوة رسول الله ﷺ ومَن أسلم معه منهم، فأَغرَوْا برسول الله ﷺ سفهاءَهم، فكذَّبوه وآذَوْه، ورَمَوه بالشِّعر والسِّحر والكَهَانة والجنون، ورسولُ الله ﷺ مُظهِرٌ لأمر الله لا يستخفي به، مُبادٍ لهم[4] بما يكرهون من عَيبِ دينهم، واعتزالِ أوثانهم، وفِراقِه إيّاهم على كفرهم.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني يحيى بن عُرْوة بن الزُّبَير، عن أبيه عُرْوة، عن عبد الله ابن عمرو بن العاص؛ قال[5]: قلت له: ما أكثرُ ما رأيتَ قريشاً أصابوا من رسول الله

= منصور.

(١) في (ت): للحق.

وقوله: قاعد عليه، أي: ثابتٌ، كما في حاشية (ص).

(٢) الصَّبا: الريح التي تهبّ من جهة المشرق. والمُدْلي: المُرسِل الدلو، والنازع: الجاذب لها؛ أي: ما دمتم مختلفين، واحد يُدلي دلواً وآخر ينزع دلواً، كما في حاشية (ص).

(٣) راعني، أي: أفزعني.

(٤) أي: مُعلِن مُظهِر لهم.

(٥) القائل هو عُروة.

ﷺ فيما كانوا يُظهِرون من عداوتِه؟ قال: حَضَرتُهم وقد اجتَمَعَ أشرافُهم يوماً في الحِجْر، فذكروا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: ما رأَينا مثلَ ما صَبَرْنا عليه من أمر هذا الرجل قطُّ، سَفَّهَ أحلامَنا، وشَتَم آباءَنا، وعابَ دينَنا، وفرَّق جماعتَنا، وسبَّ آلهتَنا، لقد صَبَرْنا منه على أمرٍ عظيمٍ - أو كما قالوا - فبَيْنا هم في ذلك إذ طَلَعَ رسولُ الله ﷺ، فأقبَلَ يمشي حتّى استلَم الرُّكن، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلمّا مرَّ بهم غَمَزُوه[1] ببعض القول، قال: فعَرَفتُ ذلك في وجهِ رسول الله ﷺ، ثم مَضَى، فلمّا مرَّ بهم الثانيةَ غَمَزُوه بمثلِها، فعرفتُ ذلك في وجهِ رسول الله ﷺ، ثم مرَّ بهم الثالثةَ فغَمَزُوه بمثلِها، فوَقَفَ ثم قال: «أتَسمَعُونَ يا مَعشَرَ قريشٍ، أمَا والّذي نفسي بيدِه، لقد جِئتُكم بالذَّبحِ» قال: فأخَذَتِ القومَ كلمتُه حتّى ما منهم رجلٌ إلا كأنّما على رأسه طائرٌ واقعٌ، حتّى إنَّ أشدَّهم فيه وَصَاةً[2] قبل ذلك ليَرفَؤُه بأحسنِ ما يَجِدُ من القول، حتّى إنّه ليقول: انصرِفْ يا أبا القاسم، فوالله ما كنتَ جَهُولاً.

قال: فانصرف رسولُ الله ﷺ، حتّى إذا كان الغدُ اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم، فقال بعضُهم لبعض: ذَكَرتُم ما بَلَغَ منكم وما بَلَغَكم عنه، حتّى إذا باداكم بما تكرهون تركتُموه! فبَيْنا هم في ذلك طَلَعَ رسولُ الله ﷺ، فوَثَبُوا إليه وَثْبةَ رجل واحد فأَحاطوا به، يقولون: أنت الذي تقولُ كذا وكذا؟! لمَا كان يقول من عَيبِ آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ: «نَعَم، أنا الّذي أَقولُ ذلك» قال: فلقد رأيتُ رجلاً منهم آخِذاً[3] بمَجمَع رِدائِه، قال: فقام أبو بكرٍ دونَه وهو يبكي ويقول:

---

(١) أي: طعنوا فيه بالقول.

(٢) الوصاة: الوصيّة، يعني أشدَّهم تحريضاً عليه وإيصاءً بإيذائه. وقوله: ليرفؤه، أي: يهدِّئه ويسكِّنه.

(٣) في (ت): أخذ.

أتقتلون رجلاً أن يقولَ: ربِّيَ الله؟! ثم انصَرَفوا عنه، فإنَّ ذلك لأشدُّ ما رأيتُ قريشاً نالُوا منه قطُّ[1].

قال ابن إسحاق: حدَّثني بعضُ آل أمّ كُلثُوم بنت أبي بكر، أنها قالت: لقد رَجَعَ أبو بكرٍ يومَئِذٍ وقد صَدَعُوا فَرْقَ رأسِه، ممّا جَبَذُوه بلحيته[2]، وكان رجلاً كثيرَ الشَّعر.

قال ابن هشام: حدَّثني بعضُ أهل العلم: أنَّ أشدَّ ما لقيَ رسولُ الله ﷺ من قريشٍ، أنّه خرج يوماً فلم يَلقَهُ أحدٌ من الناس إلا كذَّبه وآذاه، حرٌّ ولا عبدٌ، فرَجَعَ رسولُ الله ﷺ إلى منزلِه، فتَدثَّرَ[3] من شدَّة ما أصابه، فأَنزل الله تعالى عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾[4].

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٧٠٣٦)، والبزار (٢٤٩٧)، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٣٢-٣٣٣، وابن حبان (٦٥٦٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٢٧٥-٢٧٦ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأشار إلى طريق ابن إسحاق هذه البخاريُّ في «صحيحه» بإثر الحديث (٣٨٥٦) حيث روى طرفاً من آخره من طريق محمد بن إبراهيم التَّيميّ عن عروة بن الزبير، وسمَّى الذي أَخذ بمجمع رداء النبيّ ﷺ عُقبة بن أبي مُعَيط. ومن طريق محمد بن إبراهيم هذه أخرجه أحمد أيضاً في «المسند» (٦٩٠٨).

قوله: «جئتكم بالذَّبح» أي: بالحرب والقتل والهلاك إن لم تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة الأوثان من دونه.

(٢) صدعوا: شقُّوا. وفَرْق رأسه: الموضع الذي يُفرَق منه الشَّعر، وهو منتصف الرأس من الأمام. وجبذوه: جَذَبوه، وهو مقلوب منه.

(٣) أي: تلفَّف في الدِّثار، وهو الثياب من كِساءٍ وغيره.

(٤) هذا الخبر ضعيف منكر، وقد روي معناه في حديث رواه الطبراني في «الكبير» (١١٢٥٠) =

إسلام حمزة عمِّ النبيّ ﷺ

قال ابن إسحاق: حدَّثني رجلٌ من أسلَمَ، كان واعيةً: أنّ أبا جهلٍ مَرَّ برسول الله ﷺ عند الصَّفا، فآذاه وشَتَمَه، ونالَ منه بعضَ ما يَكرَه من العيبِ لدينه، والتضعيفِ لأمره، فلم يكلِّمه رسول الله ﷺ، ومولاةٌ لعبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة في مَسْكنٍ لها تسمعُ ذلك، ثم انصرف عنه فعَمَدَ[1] إلى نادي قريشٍ عند الكعبة، فجلس معهم، فلم يَلبَثْ حمزةُ بن عبد المُطَّلِب أن أقبلَ متوشِّحاً قوسَه راجعاً من قَنَصٍ له[2]، وكان صاحبَ قَنَصٍ يَرميهِ ويخرجُ له، وكان إذا رجع من قَنَصِه لم يَصِلْ إلى أهله حتى يطوفَ بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يَمُرَّ على نادٍ من قريش إلا وقف وسلَّم وتحدَّث معهم، وكان أعزَّ فتًى في قريشٍ وأشدَّه شَكِيمةً[3]، فلمّا مَرَّ بالمَولاة ـ وقد رَجَعَ رسولُ الله ﷺ إلى بيته ـ قالت له: يا أبا عُمَارة، لو رأيتَ ما لقيَ ابنُ أخيك محمّدٌ آنفاً من أبي الحَكَم بن هشام؛ وَجَدَه هاهنا جالساً فآذاه وسبَّه، وبَلَغَ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلِّمْه محمّدٌ.

= عن ابن عباس بإسناد ضعيف جداً، وهو مخالف لما صحَّ في حديث جابر عند البخاري (٤٩٢٥) ومسلم (١٦١) من أن نزول هذه السورة كان عندما رأى النبيُّ ﷺ جبريلَ ـ في أول ما أُوحي إليه ـ جالساً على كرسيٍّ بين السماء والأرض ففَزِعَ منه وارتعب فرجع إلى أهله فدثّروه، فنزلت أوائل هذه السورة.

(١) في (ص) و(م) و(ي): عامداً.

والنادي: هو مجلس القوم الذي يتنادَون إليه.

(٢) القَنَصُ: الصَّيد.

(٣) الشكيمة: عزّة النفس وقوّتها، مأخوذة من شكيمة اللِّجام: وهي الحديدة المعترضة في فم الفَرَس.

فاحتَمَلَ حمزةَ الغضبُ لِمَا أراد اللهُ به من كرامته، فخرج يَسعَى لم يَقِفْ على أحدٍ، مُعِدّاً لأبي جهلٍ إذا لقيَه أن يقعَ به، فلمّا دخل المسجدَ نظر إليه جالساً في القوم، فأقبَلَ نحوَه، حتّى إذا قام على رأسه رفع القوسَ فضربه بها فشَجَّه شَجَّةً مُنكَرة[1]، ثم قال: أتشتُمُه؟! فأنا على دينِه أقولُ ما يقول، فرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعتَ، فقامت رجالُ بني مخزومٍ إلى حمزةَ لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دَعُوا أبا عُمَارة، فإنّي والله قد سَبَبتُ ابنَ أخيه سبّاً قبيحاً.

وتمَّ حمزةُ على إسلامه وعلى ما تابع عليه رسولَ الله ﷺ من قولِه، فلمّا أسلَمَ حمزةُ عَرَفَت قريشٌ أن رسول الله ﷺ قد عزَّ وامتَنَع، وأنّ حمزة سيَمنَعُه، فكَفُّوا عن بعض ما كانوا يَنالُون منه[2].

---

(١) أي: جَرَحه جرحاً كبيراً.

(٢) إسناده ضعيف لإعضاله وإبهام الرجل الأسلميّ، لكن روي هذا الخبر بنحوه من غير وجهٍ مُرسَلٍ كما سيأتي، فبعضها يعضد بعضاً فيقوى أصل الخبر بذلك ويثبت إن شاء الله.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص١٧١-١٧٢ بأطول مما هنا، ومن طريقه أخرجه الحاكم (٤٩٣٩) ـ وعنه البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٢١٣-٢١٤ ـ وابن الأثير في «أسد الغابة» ١/ ٥٢٨-٥٢٩.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٣٣-٣٣٤، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٨٠٨) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه بنحوه الطبراني في «الكبير» (٢٩٢٦) بإسناد جيد عن جرير بن حازم، عن محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شَرِيق الثقفيّ، مُعضَلاً: أن أبا جهل اعترض لرسول الله ﷺ بالصفا فآذاه... إلخ. ويعقوب بن عتبة ثقة عالم من أتباع التابعين.

وأخرجه كذلك الطبراني (٢٩٢٥) من طريق أسامة بن زيد الليثي، وابن سعد مختصراً في «طبقاته» ٣/ ٨ من طريق عُبيد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مَوهَب، كلاهما عن محمد =

قول عُتبة بن رَبيعة في أمر رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: حدَّثني يزيد بن زياد، عن محمّد بن كعب القُرَظيّ قال: حُدِّثتُ أنّ عُتْبة بن رَبيعة ـ وكان سيّداً ـ قال يوماً وهو جالسٌ في نادي قريش، والنبيُّ ﷺ جالس في المسجد وحدَه: يا معشرَ قريشٍ، ألا أقومُ إلى محمّدٍ فأُكلِّمَه وأَعرِضَ عليه أموراً لعلّه يَقبَلُ بعضَها فنُعطيَه أيَّها شاءَ ويَكُفَّ عنا؟ وذلك حين أسلم حمزةُ ورأَوا أصحابَ رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد، فقم إليه فكلِّمْه، فقام إليه عُتْبةُ حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابنَ أخي، إنّك منّا حيث قد علمتَ من السِّطَة[1] في العَشِيرة، والمكانِ في النَّسَب، وإنّك قد أتيتَ قومك بأمر عظيم، فرَّقتَ به جماعتَهم، وسفَّهتَ به أحلامَهم، وعِبتَ به آلهتَهم ودينَهم، وكفَّرتَ به من مضى من آبائهم، فاسمع منّي أَعرِضْ عليك أموراً تنظرُ فيها لعلَّك تقبلُ منها بعضَها، قال: فقال له رسول الله ﷺ: «قُلْ يا أبا الوليدِ، أَسمَعْ».

قال: يا ابن أخي، إن كنتَ إنّما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً، جَمَعْنا لك من أموالِنا حتّى تكونَ أكثرَنا مالاً، وإن كنتَ تريد به شرفاً، سوَّدناكَ علينا، حتّى لا نَقطَعَ أمراً دونَك، وإن كنتَ تريد به مُلكاً، مَلَّكناكَ علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيّاً[2] تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك، طَلَبْنا لك الطِّبَّ، وبَذَلْنا فيه أموالَنا حتى نُبْرِئَك منه، فإنّه ربَّما غَلَبَ التابعُ على الرجل حتى يُداوَى منه؛ أو كما قال له.

حتى إذا فَرَغَ عُتْبةُ، ورسولُ الله ﷺ يستمع منه، قال: «أقَدْ فَرَغتَ يا أبا الوليد؟»

= ابن كعب القُرظي، مرسلاً. ومحمد بن كعب من ثقات التابعين وعلمائهم.

(١) السِّطة: الشرف والمنزلة الرفيعة.

(٢) الرئيّ ـ بفتح الراء وكسرها ـ: ما يتراءى للإنسان من الجنّ، وهو التابع أيضاً.

قال: نعم، قال: «فاستَمِعْ منِّي» قال: أفعلُ، قال: «﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾[1]»، ثم مضى رسولُ الله ﷺ فيها يقرؤُها عليه، فلمّا سمعها عتبةُ منه، أنصَتَ لها وألقَى يديه خلفَ ظهره مُعتمِداً عليهما يسمعُ منه، ثم انتهى رسولُ الله ﷺ إلى السَّجدة منها فسَجَدَ، ثم قال: «قد سمعتَ يا أبا الوليدِ ما سمعتَ، فأنتَ وذاكَ».

فقام عتبةُ إلى أصحابه، فقال بعضُهم لبعضٍ: نحلفُ بالله لقد جاءَكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلمّا جلس إليهم قالوا: ما وراءَكَ يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أنّي سمعتُ قولاً واللهِ ما سمعتُ مثلَه قطُّ، واللهِ ما هو بالشِّعر ولا بالسِّحر ولا بالكَهَانة، يا مَعشَرَ قريشٍ، أَطيعوني واجعلوها بي، خَلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزِلُوه، فواللهِ ليكوننَّ لقوله الذي سمعتُ نَبَأٌ، فإنْ تُصِبْه العربُ فقد كُفِيتُموه بغيركم، وإنْ يَظهَرْ على العرب فمُلْكُه مُلكُكم، وعِزُّه عِزُّكم، وكنتم أسعدَ النّاسِ به، قالوا: سَحَرَك واللهِ يا أبا الوليد بلسانِه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنَعُوا ما بَدَا لكم[2].

---

(١) سورة فُصِّلَت.

(٢) إسناده ضعيف لإرساله ورجاله ثقات. يزيد بن زياد: هو المدني مولى عبد الله بن عيّاش ابن أبى ربيعة المخزوميّ، وقيل: مولى بني هاشم.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص٢٠٦-٢٠٧، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٢٠٤-٢٠٥، وفي «الاعتقاد» ص٢٦٧-٢٦٨، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٨/ ٢٤٦-٢٤٧. وهو عند ابن عساكر أيضاً ٣٨/ ٢٤٥-٢٤٦ من طريق إبراهيم بن سعد الزهريّ عن ابن إسحاق.

ورواه داود بن عمرو الضبّي عن أبي راشد المثنّى بن زرعة صاحب المغازي ـ عند أبي نعيم =

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ما دار بين رسول الله ﷺ وبين رؤساءِ قريش
وتفسيره لسورة الكهف وغيرها

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّ الإسلام جعل يَفشُو بمكّة في قبائل قريش في الرِّجال والنِّساء، وقريشٌ تَحبِسُ من قَدَرَت على حبسِه، وتَفتِنُ من استطاعت فتنتَه من المسلمين.

ثمّ إنَّ أشراف قريشٍ من كلِّ قبيلة، كما حدَّثني بعضُ أهل العلم عن سعيد بن جُبَير وعن عِكْرمة مولى ابن عبّاس، عن عبد الله بن عبّاس قال[1]: اجتمع عتبةُ بن

= في «الدلائل» (١٨٥)، وابن عساكر ٣٨/ ٢٤٤-٢٤٥ ـ عن ابن إسحاق، عن نافع مولى ابن عمر، عن عبد الله بن عمر. ولا يصحُّ، فأبو راشد هذا مجهول، قال الذهبي في «ميزان الاعتدال»: لا أعرفه، ثم أشار إلى روايته هذه وقال: هذا غريب، إنما رووها عن ابن إسحاق عن يزيد عن محمد بن كعب القرظيّ مرسلاً.

قلنا: ويشهد له حديث جابر بن عبد الله عند ابن أبي شيبة ١٤/ ٢٩٥-٢٩٧ ـ وعنه عبد بن حميد (١١٢٣) وأبو يعلى (١٨١٨) ـ والحاكم (٣٠٣٩) وغيرهم بسياق فيه بعض مغايرةٍ، وإسناده فيه لِينٌ.

وقد ذكر الخبرين: حديثَ جابرٍ، ومرسلَ محمد بن كعب، الحافظ ابنُ كثير في أول تفسير سورة فصلت من «تفسيره» ثم قال: وهذا السياق (يعني سياقه عند ابن إسحاق) أشبه من الذي قبله، والله أعلم.

(١) إسناده بهذا السياق الطويل الآتي ضعيف لإبهام شيخ ابن إسحاق فيه.

وهو في «السيرة» برواية يونس بن بكير عنه ص١٩٧-١٩٩، ووصف ابن إسحاق فيه شيخه بأنه شيخ من أهل مكة قديم حدَّثه منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة وحده عن ابن عباس.

ومن طريق يونس كذلك أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٥/ ٨٧-٩٠، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٩٠، إلا أن البيهقي لم يسق لفظه، ووقع عندهما في وصف هذا الشيخ بأنه شيخ من =

رَبيعة وشَيْبةُ بن رَبيعة وأبو سفيان بن حَرْب والنَّضرُ بن الحارث بن كَلَدَة ـ أخو بني عبد الدَّار ـ وأبو البَختَريِّ بن هشام والأسودُ بن المُطَّلِب بن أَسد وزَمْعةُ بن الأسوَد والوليدُ بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أُميّة والعاصِ بنُ وائل ونُبَيهٌ ومُنبِّهٌ ابنا الحَجّاج السَّهميّان وأُميّةُ بن خَلَف، أو مَن اجتمع منهم؛ قال: اجتمعوا بعد غُروبِ الشمسِ عند ظَهْر الكعبة، ثم قال بعضُهم لبعض: ابعَثُوا إلى محمّدٍ فكلِّمُوه وخاصِمُوه حتى تُعذِروا فيه، فبَعَثوا إليه: أن أشرافَ قومك قد اجتمعوا لك ليكلِّموك، فأْتِهم.

فجاءَهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظنُّ أنْ قد بَدَا لهم فيما كلَّمهم فيه بَدَاءٌ، وكان عليهم حريصاً يحبُّ رُشْدَهم، ويَعِزُّ عليه عَنَتُهم[1]، حتّى جلس إليهم، فقالوا: يا محمّد، إنَّا قد بَعَثْنا إليك لنكلِّمَك، وإنَّا واللهِ ما نعلمُ رجلاً من العرب أَدخَلَ على قومه ما أدخَلتَ على قومك، لقد شَتَمتَ الآباءَ، وعِبتَ الدِّين، وشَتَمتَ الآلهة،

= أهل مصر!

ورواه عن ابن إسحاق كرواية زياد البكّائيِّ إبراهيمُ بنُ سعد عند أبي نعيم في «الدلائل» (١٥٦). إلا أنه لم يسق لفظه بتمامه.

وقد ثبت في بعض هذا الخبر حديث مختصر رواه جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: سأل أهلُ مكة النبيَّ ﷺ أن يجعل لهم الصَّفا ذهباً، وأن يُنحِّيَ الجبالَ عنهم فيزرعوا، فقيل له: إن شئتَ أن تستأنِيَ بهم، وإن شئتَ أن نُؤتيَهم الذي سألوا، فإن كفروا أُهلكوا كما أُهلِك مَن قبلَهم، قال: «لا، بل أَستأني بهم»، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ [الإسراء:٥٩].

أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣٣٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤١٩)، وإسناده صحيح.

(١) أي: يشقّ عليه بقاؤهم على الإثم والغلط.

وسفَّهتَ الأحلام، وفرَّقتَ الجماعة، فما بقيَ أمرٌ قَبيحٌ إلا قد جئتَه فيما بينَنا وبينَك ـ أو كما قالوا له ـ فإن كنتَ إنَّما جئتَ بهذا الحديث تَطلُبُ به مالاً، جَمَعْنا لك من أموالنا حتّى تكونَ أكثرَنا مالاً، وإن كنتَ إنَّما تَطلُبُ به الشَّرف فينا، فنحن نُسوِّدُك علينا، وإن كنتَ تريد به مُلكاً ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الّذي يأتيك رَئِيّاً تراه قد غَلَبَ عليك ـ وكانوا يُسمُّون التابعَ من الجنِّ رئيّاً ـ فربّما كان ذلك، بَذَلْنا أموالَنا في طلب الطِّبّ لك حتى نُبْرئَك منه، أو نُعذِرَ فيك، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولونَ، ما جِئتُ بما جِئتُكم به أطلبُ أموالَكم، ولا الشَّرفَ فيكم، ولا المُلكَ عليكم، ولكنَّ اللهَ بَعَثَني إليكم رسولاً، وأَنزَلَ عليَّ كتاباً، وأَمَرني أن أكونَ لكم بَشيراً ونَذيراً، فبلَّغتُكم رسالاتِ ربِّي، ونَصَحتُ لكم، فإنْ تَقبَلوا منّي ما جئتُكم به، فهو حَظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تَردُّوه عليَّ أصبِرْ لأمرِ الله حتّى يَحكُمَ اللهُ بيني وبينَكم»، أو كما قال ﷺ.

قالوا: يا محمّد، فإن كنتَ غيرَ قابلٍ منّا شيئاً ممّا عَرَضْناه عليك، فإنك قد علمتَ أنّه ليس من الناس أحدٌ أضيَقَ بلداً، ولا أقلَّ ماءً، ولا أشدَّ عيشاً منَّا، فسَلْ لنا ربَّك الّذي بَعَثَك بما بَعَثَك به، فليُسيِّرْ عنّا هذه الجبالَ التي قد ضيَّقَت علينا، وليَبسُطْ لنا بلادَنا، وليَخرِقْ[1] لنا فيها أنهاراً كأنهار الشّام والعراق، وليَبعَثْ لنا مَن مَضَى من آبائنا، وليكن فيمن يَبعَثُ لنا منهم قُصيُّ بن كِلَاب، فإنّه كان شيخَ صِدْقٍ، فنسألُهم عمّا تقول: أحقٌّ هو أم باطلٌ، فإن صدَّقُوك وصنعتَ ما سألناك صدَّقناك، وعَرَفْنا به مَنزِلتَك من الله، وأنّه بَعَثَك رسولاً كما تقول، فقال لهم صلواتُ الله عليه: «ما بهذا بُعِثتُ إليكم، إنَّما جِئتُكم من الله بما بَعَثَني به، وقد بلَّغتُكم ما أُرسِلتُ به إليكم، فإنْ

(١) في (ص) و(م) و(ي): وليفجِّر.

تَقبَلُوه، فهو حَظُّكم في الدُّنيا والآخرة، وإنْ تردُّوه عليَّ، أصبِرْ لأمرِ الله حتّى يَحكُمَ اللهُ بيني وبينَكم».

قالوا: فإذْ لم تفعل هذا لنا، فخُذْ لنفسِك، سَلْ ربَّك أن يَبعَثَ معك مَلَكاً يُصدِّقُك بما تقول، ويُراجِعُنا عنك، وسَلْه فليَجعلْ لك جِناناً وقصوراً وكُنوزاً من ذهب وفضّة يُغنِيكَ بها عمّا نراك تبتغي، فإنّك تقوم بالأسواق، وتلتمسُ المَعَاش كما نلتمسُه، حتّى نعرفَ فَضْلَك ومَنزِلتَك من ربِّك إن كنت رسولاً كما تَزعُم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما أنا بفاعلٍ، وما أنا بالّذي يَسألُ ربَّه هذا، وما بُعِثتُ إليكم بهذا، ولكنَّ اللهَ بَعَثَني بشيراً ونذيراً ـ أو كما قال ـ فإنْ تَقبَلُوا ما جئتُكم به، فهو حظُّكم في الدُّنيا والآخرة، وإن تَردُّوه عليَّ، أصبِرْ لأمرِ الله حتّى يَحكُمَ اللهُ بيني وبينَكم».

قالوا: فأسقِطِ السماءَ علينا كِسَفاً[1] كما زعمتَ أنَّ ربَّك إن شاءَ فَعَلَ، فإنّا لا نؤمنُ لك إلّا أن تفعلَ، قال: فقال رسول الله ﷺ: «ذلكَ إلى الله، إنْ شاءَ أن يَفعَلَه بكم فَعَلَ».

قالوا: يا محمّد، أفَما عَلِمَ ربُّك أنّا سنجلسُ معك ونسألُك عمّا سألناك عنه، ونطلبُ منك ما نَطلُب، فيَتقدَّمَ إليك فيُعلِمَك ما تُراجِعُنا به، ويخبرك ما هو صانعٌ في ذلك بنا، إذْ لم نَقبَلْ منك ما جئتَنا به! إنّه قد بَلَغَنا أنّك إنَّما يُعلِّمُك هذا رجلٌ باليَمَامةِ[2] يقال له: الرَّحمٰنُ، وإنّا واللهِ لا نؤمنُ بالرَّحمٰن أبداً، فقد أعذَرْنا إليك يا محمّد، وإنّا واللهِ لا نَتْركُك وما بَلَغتَ منّا حتى نُهلِكَك أو تُهلِكَنا.

---

(١) أي: قِطَعاً، واحدها: كِسْف وكِسْفة.

(٢) اليمامة: اسم لإقليم فيه مدن وقرى يقع وسط نجد شرق الجزيرة العربية، من مدنه الرياض والعُيينة والدِّرعية وغيرها، ويدعى اليوم: العارض، وأصبحت اليمامة اليوم محصورة في بلدة صغيرة تقع في منطقة الخَرْج جنوب شرقيّ مدينة الرِّياض على قرابة ٨٠ كم.

وقال قائلُهم: نحن نَعبُدُ الملائكةَ، وهي بناتُ الله، وقال قائلُهم: لن نُؤمنَ لك حتّى تأتيَنا بالله والملائكةِ قَبيلاً.

فلمّا قالوا ذلك لرسول الله ﷺ، قام عنهم، وقام معه عبدُ الله بن أبي أُميّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزومٍ - وهو ابنُ عمّتِه، وهو لعاتكةَ بنت عبد المُطَّلِب - فقال له: يا محمّد، عَرَضَ عليك قومُك ما عَرَضُوا، فلم تَقبَلْه منهم، ثم سأَلُوك لأنفسِهم أُموراً ليَعرِفوا بها منزلتَك من الله كما تقول، ويُصدِّقوك ويَتبَعُوك، فلم تَفعَل، ثمّ سأَلوك أن تأخذَ لنفسِك ما يعرفون به فضلَك عليهم، ومنزلتَك من الله، فلم تَفعَل، ثم سأَلوك أن تُعجِّلَ لهم بعضَ ما تُخوِّفُهم به من العذاب، فلم تَفعَل - أو كما قال له - فواللهِ لا أُؤمِنُ بك أبداً حتّى تتَّخِذَ إلى السماءِ سُلَّماً ثم تَرقَى فيه وأنا أنظرُ حتّى تأتيَها، ثم تأتيَ معك بصَكٍّ معه أربعةٌ من الملائكة يَشهَدُون لك أنّك كما تقول، وايْمُ اللهِ لو فعلتَ ذلك ما ظننتُ أنّي أصدِّقُك، ثم انصَرَفَ عن رسول الله ﷺ[1].

وانصَرَفَ رسولُ الله ﷺ إلى أهله حزيناً أَسِفاً لِمَا فاتَه ممّا كان يَطمَعُ به من قومِه حين دَعَوْه، ولِمَا رأَى من مُباعدتِهم إيَّاه.

فلمّا قام عنهم رسولُ الله ﷺ، قال أبو جهل: يا معشرَ قريش، إنَّ محمّداً قد أَبَى إلّا ما ترون من عَيبِ دينِنا، وشَتْمِ آبائنا، وتسفيهِ أحلامنا، وشَتْمِ آلهتنا، وإنّي أعاهدُ

(١) وعبد الله بن أبي أميّة هذا: هو أخو أمِّ المؤمنين أمِّ سَلَمة لأبيها، وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ شديداً على المسلمين، ولم يزل كذلك إلى عام الفتح، فهاجر إلى النبيّ ﷺ قُبيل الفتح هو وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، فلقيا النبيَّ ﷺ بالطريق، فأسلما وحَسُنَ إسلامُهما، وشهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكّة مسلمَينِ وحُنيناً والطائفَ، ورُمِيَ عبدُ الله في حصار الطائف منها بسهمٍ فقتله، ومات يومئذٍ. انظر «أسد الغابة» لابن الأثير ٣/ ٧٣.

اللهَ لأجلسنَّ له غداً بحجرٍ ما أُطِيقُ حملَه ـ أو كما قال ـ فإذا سجد في صلاته فَضَختُ[1] به رأسَه، فأسلِمُوني عند ذلك أو امنَعُوني، فليَصنَعْ بعد ذلك بنو عبد مَنَافٍ ما بَدَا لهم، قالوا: والله لا نُسلِمُك لشيء أبداً، فامضِ لما تريد.

فلمّا أصبَحَ أبو جهلٍ أخذ حجراً كما وَصَفَ، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظرُه، وغَدَا رسولُ الله ﷺ كما كان يَغدُو، وكان رسول الله ﷺ بمكّة وقِبلتُه إلى الشام، فكان إذا صلَّى صلَّى بين الرُّكْن اليَماني والحَجَر الأسود، وجعل الكعبةَ بينَه وبينَ الشام، فقام رسول الله ﷺ يُصلِّي وقد غَدَتْ قريشٌ فجلسوا في أَنديتِهم يَنظُرون ما أبو جهلٍ فاعلٌ، فلمّا سَجَدَ رسولُ الله ﷺ احتَمَلَ أبو جهلٍ الحجرَ ثم أقبل نحوَه، حتّى إذا دَنَا منه رجع مُنهزِماً مُنتقِعاً[2] لونُه مرعوباً، قد يَبِسَت يداه على حَجَرِه، حتّى قَذَفَ الحجرَ من يده، وقامت إليه رجالُ قريشٍ فقالوا له: ما لك يا أبا الحَكَم؟ قال: قمتُ إليه لأفعلَ ما قلتُ لكم البارحةَ، فلمّا دَنَوتُ منه عَرَضَ لي دونَه فَحْلٌ من الإبل، لا واللهِ ما رأيتُ مثلَ هامَتِه ولا قَصَرَتِه[3] ولا أنيابِه لفحلٍ قطُّ، فهَمَّ بي أن يأكُلَني.

قال ابن إسحاق: فذُكِرَ لي أنّ رسول الله ﷺ قال: «ذلكَ جبريلُ، لو دَنَا لأخَذَه»[4].

---

(١) أي: كسرتُ وشققتُ.

(٢) أي: متغيِّراً.

(٣) الهامَة: الرأس. والقَصَرة: أصلُ العنق.

(٤) كذا وقع في هذه الرواية عن ابن عباس في قصة أبي جهلٍ وما رأى من الفَحْل، وقد تقدّم تضعيفنا لهذه الرواية في أول الخبر، والذي صحَّ عن ابن عباس فيها هو ما رواه عبد الكريم الجَزَريّ عن عِكرمة عنه قال: قال أبو جهل: لئن رأيتُ محمداً يصلّي عند الكعبة، لأطأنّ على عنقه، فبَلَغَ النبيَّ ﷺ فقال: «لو فَعَلَه، لأخَذَته الملائكةُ». أخرجه البخاري (٤٩٥٨). =

فلمّا قال لهم ذلك أبو جهلٍ، قام النَّضرُ بن الحارث بن كَلَدة بن عَلقَمة بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار بن قُصيٍّ ـ قال ابن هشام: ويقال: النَّضر بن الحارث بن علقمة ابن كَلَدة بن عبد مَنَاف[1] ـ فقال: يا معشرَ قريش، إنّه واللهِ قد نَزَلَ بكم أمرٌ ما أُتِيتُم له بحِيلَةٍ بعدُ[2]، قد كان محمّدٌ فيكم غلاماً حَدَثاً أَرْضاكم فيكم، وأصدَقَكم حديثاً، وأعظَمَكم أمانةً، حتّى إذا رأيتُم في صُدْغَيه الشَّيبَ وجاءكم بما جاءكم به، قلتم: ساحرٌ، لا واللهِ ما هو بساحر، قد رأَينا السَّحَرةَ نَفْثَهم وعَقْدَهم[3]، وقلتم: كاهنٌ، لا واللهِ ما هو بكاهن، قد رأَينا الكَهَنةَ تَخالُجَهم[4] وسمعنا سَجْعَهم، وقلتم: شاعرٌ، لا واللهِ ما هو بشاعرٍ، لقد رأَينا الشِّعر وسمعنا أصنافَه كلَّها، هَزَجَه ورَجَزَه، وقلتم: مجنونٌ، لا واللهِ ما هو بمجنون، لقد رأَينا الجُنونَ، فما هو بخَنْقه ولا

= ونحو هذا روى أبو هريرة بأطول منه، فأخرج مسلم (٢٧٩٧) من طريق أبي حازم الأشجعيّ عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعفِّرُ محمّدٌ وجهه بين أظهُركم؟ قيل: نعم، فقال: واللّات والعُزَّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأَنَّ على رقبته، أو لأُعفِّرنّ وجهَه في التراب، قال: فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلِّي، زَعَمَ ليطأُ على رقبته، قال: فما فَجِئَهم منه إلا وهو يَنكُص على عَقِبَيه (أي: رجع يمشي إلى ورائه) ويتَّقي بيديه، فقيل له: ما لك؟ فقال: إنّ بيني وبينَه لخندقاً من نار، وهَوْلاً وأجنحةً، فقال رسول الله ﷺ: «لو دَنَا منّي لاختَطَفَته الملائكةُ عُضواً عُضواً»، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ إلى آخر سورة العلق.

(١) وهذا الذي قاله ابن هشام أشهر عند النَّسّابة كابن الكلبيّ ومصعب الزبيريّ والزبير بن بكّار وابن حزمٍ وغيرهم.

(٢) إلى هنا انتهت رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق عند أبي نعيم المتقدم تخريجها.

(٣) هذا إشارة إلى ما كان يفعل الساحر من أن يَعقِدَ خيطاً ثم يَنفِثُ فيه، أي: ينفخ فيه.

(٤) في (ش١) و(غ) و(ق١): وتخالجهم. والتخالُج: اضطراب الأعضاء وتحرّكها عن غير إرادة.

وسوستِه ولا تخليطِه، يا معشرَ قريش، فانظُروا في شأنِكم، فإنّه والله لقد نَزَلَ بكم أمر عظيم.

وكان النَّضرُ بن الحارث من شياطين قريش، وممّن كان يُؤْذي رسولَ الله ﷺ ويَنصِبُ له العداوةَ، وكان قد قَدِمَ الحِيرةَ وتعلَّم بها أحاديثَ ملوك الفُرْس، وأحاديثَ رُستُمَ واسفِنديار[1]، فكان إذا جلس رسولُ الله ﷺ مجلساً فذَكَّرَ فيه بالله وحذَّر قومَه ما أصاب مَن قبلَهم مِن الأُمم من نِقْمة الله، خَلَفَه في مجلسه إذا قام ثم قال: أنا واللهِ يا معشرَ قريشٍ أحسنُ حديثاً منه، فهَلُمَّ[2]، فأنا أحدِّثُكم أحسنَ من حديثه، ثم يحدِّثُهم عن ملوك فارسَ ورُستُم واسفنديار، ثم يقول: بماذا محمّدٌ أحسنُ حديثاً منّي؟

قال ابن هشام: وهو الذي قال ـ فيما بَلَغَني ـ: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:٩٣].

قال ابن إسحاق: فكان ابن عباس يقول ـ فيما بَلَغَني ـ: نزل فيه ثماني آياتٍ من القرآن: قولُ الله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وكلُّ ما ذُكر فيه الأساطيرُ من

---

(١) هكذا في (ش١) و(ص) و(م)، وفي (ت) و(غ): اسبنديار، وفي (ق١): اسبنديان، وفي (ي): اسفندباد. وأصحها ما أثبتناه.

ورستم واسفنديار أهمّ الشخصيات التي ذكرها أبو القاسم الفردوسي في «الشاهنامة» التي هي ملحمة فارسيّة تقع في نحو ستين ألف بيت، ويصوّر فيها تاريخ الفرس منذ العصور الأسطوريّة حتى زمن الفتوح الإسلامية وسقوط دولة الفُرس.

(٢) أي: تعالَوْا. وهلمَّ اسم فعل عند أهل الحجاز فينادون بها بلفظٍ واحدٍ للمذكَّر والمؤنَّث والمفرد والجمع، وعند أهل نجدٍ هي فعل أمرٍ فيُلحِقون بها الضمائر فيقولون: هلمِّي وهلمَّا وهلمُّوا وهَلْمُمنَ، والأول أفصح وبه جاء التنزيل، ففي سورة الأنعام الآية (١٥٠): ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾، وفي سورة الأحزاب الآية (١٨): ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾.

القرآن[1].

فلمّا قال لهم ذلك النضرُ بن الحارث بَعَثُوه وبَعَثُوا معه عُقبةَ بن أبي مُعَيطٍ إلى أحبار يهودَ بالمدينة، وقالوا لهما: سَلَاهم عن محمّد، وصِفَا لهم صفتَه، وأخبِراهم بقوله، فإنّهم أهل الكتاب الأوّل، وعندهم عِلمٌ ليس عندنا من علم الأنبياء، فخَرَجا حتّى قَدِما المدينة، فسألا أحبارَ يهودَ عن رسول الله ﷺ ووَصَفا لهم أمره، وأخبَراهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنّكم أهل التّوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقالت لهم أحبارُ يهودَ: سَلُوه عن ثلاثٍ نأمرُكم بهنَّ، فإن أخبركم بهنَّ فهو نبيٌّ مُرسَل، وإن لم يفعل فالرجلُ مُتَقوِّل، فرَوْا فيه رأيَكم؛ سَلُوه عن فِتْيةٍ ذهبوا في الدَّهر الأول ما كان أمرُهم، فإنّه قد كان لهم حديثٌ عَجَبٌ، وسَلُوه عن رجل طوَّاف قد بَلَغَ مشارقَ الأرض ومغاربَها ما كان نَبَؤُه؟ وسَلُوه عن الرُّوح ما هي؟ فإذا أخبركم بذلك فاتَّبِعوه، فإنَّه نبيٌّ، وإن لم يفعل، فهو رجلٌ مُتقوِّلٌ، فاصنَعُوا في أمره ما بَدَا لكم.

فأقبَلَ النَّضرُ بن الحارث وعُقْبةُ بن أبي مُعَيط بن أبي عمرو بن أُميّة بن عبد

---

(١) جاء هذا الخبر موصولاً في رواية يونس بن بكير من «السيرة»، ففيها ص٢٠١ عن ابن إسحاق قال: حدّثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال، فذكره. ومن طريق يونس أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٧/ ٣٩٩-٤٠٠.

ورواه أيضاً سلمةُ بن الفضل الأبرش عند الطبري ١٧/ ٤٠٠ عن ابن إسحاق قال: حدّثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس. ومحمد بن أبي محمد ـ وهو المدني مولى زيد بن ثابت ـ مجهول.

والآيات الثمانية المشار إليها هي: هذه الآية المذكورة، وهي في موضعين: في القلم آية (١٥) وفي المطففين آية (١٣)، والستة الباقية في الأنعام آية (٢٥)، والأنفال آية (٣١)، والنحل آية (٢٤)، والمؤمنين آية (٨٣)، والفرقان آية (٥)، والنمل آية (٦٨).

شمس بن عبد مَنَاف بن قُصيٍّ حتّى قَدِما مكّة على قريش، فقالا: يا مَعشَرَ قريشٍ، قد جئناكم بفَصْلِ ما بينَكم وبينَ محمّد، قد أَمَرَنا أحبارُ يهودَ أن نسأله عن أشياءَ أَمَرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبيٌّ، وإن لم يفعل فالرجلُ مُتقوِّل، فرَوْا فيه رأيَكم.

فجاؤُوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: يا محمّد، أخبِرنا عن فِتْيةٍ ذهبوا في الدَّهر الأوّل قد كانت لهم قصّةٌ عَجَبٌ، وعن رجل كان طوّافاً قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربَها، وأخبرنا عن الرُّوح ما هي؟ قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: «أُخبِرُكم بما سألتُم عنه غداً»، ولم يَستثنِ[1]، فانصرفوا عنه، فمَكَثَ رسولُ الله ﷺ - فيما يذكرون - خمسَ عشرةَ ليلةً لا يُحدِثُ اللهُ إليه في ذلك وَحْياً ولا يأتيه جبريلُ، حتى أَرجَفَ[2] أهلُ مكّة وقالوا: وَعَدَنا محمّدٌ غداً، واليومُ خمسَ عشرةَ ليلةً، قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيءٍ ممّا سألناه عنه، وحتّى أحزَنَ رسولَ الله ﷺ مُكْثُ الوَحْي عنه، وشَقَّ عليه ما يتكلَّمُ به أهلُ مكّة، ثم جاءه جبريلُ من الله عزَّ وجلَّ بسُورة أصحاب الكهف، فيها معاتَبتُه إيّاه على حُزنِه عليهم، وخَبَرُ ما سألوه عنه من أمر الفِتْية، والرجل الطَّوّاف، والرُّوح[3].

---

(١) أي: لم يقل: إن شاء الله.

(٢) قال الفيُّوميُّ في «المصباح المنير» (رجف): أرجَفَ القومُ في الشيء وبه إرجافاً: أكثَروا من الأخبار السيّئة واختلاق الأقوال الكاذبة حتى يضطربَ الناسُ منها.

(٣) هذا الخبر بطوله في إرسال قريش للنضر بن الحارث ومن معه إلى أحبار يهود وما سألوا النبيَّ ﷺ عنه وجوابه لهم، أسنده يونس بن بكير في روايته لـ«السيرة» ص٢٠١-٢٠٢ عن ابن إسحاق، عن رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس. تابعاً للخبر السابق في قصة الأساطير. =

قال ابن إسحاق: فذُكِرَ لي: أن رسول الله ﷺ قال لجبريلَ حين جاءَه: «لقد احتَبَستَ عنّي يا جبريلُ حتّى سُؤتُ ظنّاً»، فقال له جبريلُ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤][1].

فافتتح السورةَ تبارك وتعالى بحمدِه وذكر نبوّة رسوله ﷺ، لِما أنكروا عليه من ذلك، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف:١] يعني محمّداً ﷺ، إنك رسولٌ منّي، أي: تحقيق لمَا سألوا عنه من نبوَّتك ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ أي: مُعتدِلاً، لا اختلافَ فيه ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي: عاجلَ عقوبتِه في

= ومن طريق يونس أخرجه الطبري في «التفسير» ١٥/ ١٤٣-١٤٤، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩-٢٧٠، ومن طريق البيهقيِّ أخرجه الحافظ ابن حجر في كتابه «موافقة الخُبْر الخَبَر» ٢/ ٧٠، ثم قال: هذا حديث غريب، لولا هذا المُبهَم لكان سندُه حسناً، لكن فيه ما يُنكَر، وهو السؤال عن الرُّوح ونزول الآية فيها، وأن ذلك وقع بمكّة، والثابت في «الصحيحين» أن ذلك كان بالمدينة وقع مُصرَّحاً به في رواية ابن مسعود. قلنا: يعني ما أخرجه البخاري (١٢٥) و(٤٧٢١) ومسلم (٢٧٩٤) عن ابن مسعود قال: بينا أنا أمشي مع النبيّ ﷺ في حَرْث المدينة وهو يتوكَّأ على عَسِيب معه، فمرَّ بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سَلُوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يجيءُ فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنَّه، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم، ما الرُّوح؟ فسكت، فعلمتُ أنَّه يُوحَى إليه، فقمت مقامي، فلمّا انجَلَى عنه قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ...﴾ [الإسراء: ٨٥].

(١) لم يسند ابن إسحاق هذا الخبر، وقد روي نحوه عن عكرمة والضحّاك ومُقاتل وقَتَادة والكَلبيّ فيما ذكر الثعلبيُّ في «تفسيره» ٦/ ٢٢٣، والواحديُّ في «أسباب النزول» (٦٠٨). وهذا لا يصحُّ، والذي صحَّ في ذلك ما أخرجه البخاري (٣٢١٨) من حديث سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ألا تزورُنا أكثر ممّا تزورُنا؟»، قال: فنزلت ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ...﴾.

الدنيا، وعذاباً أليماً في الآخرة، أي: من عند ربّك الذي بَعَثَك رسولاً ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾ أي: دارَ الخُلْد لا يموتون فيها، الذين صدَّقوك بما جئتَ به ممّا كذَّبك به غيرُهم، وعَمِلوا بما أمَرتَهم به من الأعمال ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾ يعني قُريشاً في قولهم: إنّا نعبدُ الملائكةَ، وهي بناتُ الله ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ الذين أعظَمُوا فِراقَهم وعَيْبَ دينِهم ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: لقولهم: إنّ الملائكةَ بناتُ الله ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ يا محمّدُ ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ لحُزنِه عليهم حين فاتَه ما كان يَرجُو منهم، أي: لا تفعلْ.

قال ابن هشام: ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي: مُهلِكٌ نفسَك، فيما حدَّثني أبو عُبيدة[1].

قال ذو الرُّمّة:

أَلَا أَيُّهٰذا الباخعُ الوَجْدُ نفسَهُ ... لشيءٍ نَحَتْه عن يَديهِ المَقادِرُ[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له. وجمعُه: باخِعُون وبَخَعَة، وتقول العرب: قد بَخَعتُ له نُصحي ونفسي، أي: جَهِدتُ له.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ قال ابن إسحاق:

---

(١) يعني مَعمَر بن المثنَّى، وانظر كتابه «مجاز القرآن» ١/ ٣٩٣.

(٢) الوجد: الحزن وشدّة الشَّوق، ونَحَتْه: صَرَفَته وأبعَدَته، المقادرُ: المقادير، وحذف الياء تخفيفاً وللضرورة الشِّعريّة. ومعنى البيت: يا من سيهلك نفسَه بالحزن على شيء لم يُقدَّر له فلم يَنلْه، يريد: اصبر على عدم نَيلِك إياه.

وهذا البيت من قصيدة يمدح بها ذو الرُّمّة بلالَ بن أبي بُرْدة بن أبي موسى الأشعريَّ وكان أميراً على البصرة وقاضياً لها. انظر «ديوانه» مع شرحه لأبي نصر الباهليّ ٢/ ١٠٣٧.

أي: أيُّهم أتبَعُ لأمري، وأعمَلُ بطاعتي ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾ أي: الأرضَ، وإنّ ما عليها لفانٍ وزائلٌ، وإنّ المَرجِعَ إليّ، فأَجزي كُلًّا بعمله، فلا تأسَ ولا يَحزُنْك ما ترى وتسمعُ فيها.

قال ابن هشام: الصَّعيد: الأرض، وجمعه: صُعُدٌ، قال ذو الرُّمّة يصفُ ظَبْياً صغيراً:

كأنّه بالضُّحَى تَرمِي الصعيدَ بهِ ... دَبّابـةٌ في عِظـامِ الـرأسِ خُرْطـومُ[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

والصعيدُ أيضاً: الطَّريق، وقد جاء في الحديث: «إيَّاكُم والقُعُودَ على الصُّعُداتِ»[2] يريد الطُّرق.

والجُرُز: الأرض التي لا تُنبِتُ شيئاً، وجمعها: أَجْراز. ويقال: سنةٌ جُرُزٌ، وسِنُونَ أجرازٌ، وهي التي لا يكون فيها مطر، ويكون فيها جُدُوبة ويُبْس وشدَّة، قال

---

(١) الوصف في هذا البيت لظبيٍ يمثِّل به ذو الرُّمّة امرأةً خرقاءَ رآها تخرج من خبائها، ففي وقت الضحى كأن هذا الظبي تلقيه على الأرض من النعاس دبّابةٌ، يعني الخمرَ، وسمِّيَت دبّابة لأنها تَدِبُّ في العظام، والخُرطوم: أول ما ينزل ويُؤخَذ من إناء الخمر.

وهذا البيت من قصيدة يشبِّب بها ذو الرُّمة بخرقاءَ وقعت في قلبه كما سبق، والخرقاء: هي المرأة التي لا تحسن العمل لدلالها وكرامتها على أهلها. انظر «ديوانه» مع شرحه للباهلي ١/ ٣٨٩.

(٢) حديث صحيح، روي من حديث أبي طلحة الأنصاريّ عند أحمد (١٦٣٦٧) ومسلم (٢١٦١).

ومن حديث أبي سعيد الخُدريّ عند أحمد (١١٥٨٦) والبخاري (٢٤٦٥)، وهو عند البخاري ورواية لأحمد بلفظ الطُّرقات مكان الصُّعدات.

ذو الرُّمّة يصفُ إبلاً[1]:

طَوَى النَّحْزُ والأَجرازُ ما في بطونِها ... فما بَقِيَت إلا الضُّلوعُ الجَراشِعُ[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: ثم استَقبَل قصّة الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفِتْية، فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ أي: قد كان من آياتي فيما وضعتُ على العباد من حُجَجي ما هو أعجبُ من ذلك.

قال ابن هشام: والرَّقيم: الكتاب الذي رُقِمَ بخَبَرِهم، وجمعُه: رُقُمٌ، قال العجّاج:

ومُستقَرَّ المُصحفِ المُرقَّمِ[3]

وهذا البيت في أُرجوزةٍ له.

قال ابن إسحاق: ثمَّ قال: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ ثمَّ قال: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم

---

(١) انظر «ديوانه» ٢/ ١٢٩٦.

(٢) النَّحز: هو النَّخس والنَّخز بحديدة أو نحوها، وإنما يفعل الراكبُ ذلك بالناقة ليستحثَّها في السير. والجراشع: جمع جُرشُع، قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٣/ ١٦٣: قال صاحب «العين»: الجُرشُع: العظيم الصَّدر، فمعناه إذاً في البيت على هذا: الضلوعُ من الهُزال قد نَتَأَت وبَرَزَت كالصَّدر البارز. قال العَينيّ في «المقاصد النحوية» ٢/ ٩٤٢: وذلك من شدة الاستحثاث والركض، ومن السَّير في الأرض التي لا نبات فيها.

(٣) أراد بالمصحف المرقَّم القرآنَ المكتوب في الصحف، وهذا البيت من الأُرجوزة وما قبله وما بعده في «ديوان العجاج» ١/ ٤٦١-٤٦٢ يمتدح فيها قريشاً وأن الله تعالى اختار نبيَّه ﷺ من بينهم وجعل مستقَرَّ الوحي عنده.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بصِدْق الخَبَر ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ أي: لم يُشرِكوا بي كما أشركتُم بي ما ليس لكم به علمٌ.

قال ابن هشام: والشَّطَط: الغُلُوُّ ومُجاوَزةُ الحقِّ، قال أعشَى بني قيس بن ثَعلَبة:

لا تَنتهُونَ ولا يَنهَى ذَوِي شَطَطٍ ... كالطَّعنِ يذهبُ[1] فيه الزَّيتُ والفُتُلُ

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾، قال ابن إسحاق: أي: بحُجّة بالغة.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ[2] عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى

---

(١) هكذا في (ش١) و(غ) و(ق١): يذهب، وهو كذلك في «ديوان الأعشى» ١/ ٢٢١، وفي (ت) و(ص) و(م) و(ي): يهلك. وأول البيت في «الديوان»: هل تَنتهُون؟ ولا ينهى...

وهذا البيت من قصيدته المشهورة التي أولها: وَدِّعْ هريرةَ إن الرَّكبَ مُرتَحِلُ... وهو يخاطب بها يزيدَ بنَ مُسهِر الشيباني ويزجره عمّا يقوم به من تحريض قومه على قتال بني قيس بن ثعلبة قومِ الأعشى.

ومعنى البيت: أنه لا يردُّ المعتدين المجاوزين لحدودهم ولا ينهاهم شيءٌ مثلُ طعن نافذ إلى الجوف يغيب فيه ما يوضع عليه من زيت وفتائل لعلاجها.

(٢) هكذا جاءت مقيَّدة في نسخنا الخطية بتشديد الزاي، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو البصري من السبعة، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: (تَزَاوَرُ) خفيفة، وقرأ ابن عامر الشامي: (تَزْوَرُّ). انظر كتاب «السبعة» لابن مجاهد ص٣٨٨.

فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾.

قال ابن هشام: تَزّاوَرُ: تَمِيل، وهو من الزَّوْر.

وقال امرُؤُ القيس بن حُجْر:

وإنِّي زعيمٌ إن رجعتُ مُملَّكاً بسَيرٍ تَرَى منه الفُرانِقَ أَزْوَرا[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له[2].

وقال أبو الزَّحْف الكُلَيبيُّ يصفُ بلداً:

جَأْبُ المُنَدَّى عن هَوَانا أَزْوَرُ يُنضِي المَطَايا خِمسُهُ العَشَنزَرُ[3]

وهذان البيتان في أُرجوزةٍ له.

و﴿تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: تُجاوِزهم وتتركهم عن شمالها، قال ذو الرُّمّة:

---

(١) زعيم: كفيل، وفي كثير من كتب اللغة روي بلفظ: وإني أَذِينٌ، وهو بمعناه. ومملَّكاً، أي: صاحب مُلْك. والفُرانق: سَبُع يصيح بين يدي الأسد كأنه يُنذِر الناس به، ويقال: إنه شبيه بابن آوى، كما في «المعرَّب» للجواليقيّ ص٢٨٦. والأزوَر: مائل العُنق.

وهذا البيت في «ديوانه» ص٩٦، وهو من قصيدة قالها حين توجّه إلى قيصر الروم مستنجداً به على ردِّ ملكه إليه والانتقام من بني أسدٍ وكانوا قد قتلوا أباه.

(٢) من قوله: «وقال امرؤ القيس» إلى هنا من (غ) و(ق١)، وليس في بقية النسخ.

(٣) الجأْب: الغليظ الجافي، قال الخُشنيُّ: ومن رواه (جَدْب) فهو من الجُدوبة بمعنى القَحْط. والمُندَّى: حيث يرتع البعير ساعة من النهار. ويُنضِي: يُهزِل. والمطايا: الإبل المتَّخَذة للركوب. والخِمس: هو أن تَرِدَ الإبلُ الماءَ عن خمسة أيام. والعشنزر: الشديد.

وذكر أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٣٩٥ قبل هذين البيتين:

ودونَ ليلى بلدٌ سَمَهدَرُ

والسَّمهدر من البلاد: الواسعُ الأطراف بعيدُها.

إلى ظُعُنٍ يَقرِضْنَ أَقْوازَ مُشرِفٍ شِمالاً وعن أَيمانِهنَّ الفوارسُ[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

والفَجْوة: السَّعَة، وجمعها: الفِجَاء، قال الشاعر:

ألبَسْتَ قومَك مَخْزاةً ومَنقَصةً حتّى أُبِيحوا وخَلَّوا[2] فجوةَ الدَّارِ

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: في الحُجّة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب، ممّن أَمَرَ هؤلاءِ بمسألتك عنهم في صِدْق نبوَّتك بتحقيق الخبر عنهم ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾.

قال ابن هشام: الوَصِيد: الباب، قال العَبْسيُّ، واسمه عُبيد بن وَهْب[3]:

بأرضٍ فَلاةٍ لا يُسَدُّ وَصِيدُها عليَّ ومعروفي بها غيرُ مُنكَرِ

---

(١) الظُّعن: الإبل التي عليها الهوادج. والأقواز: جمع قَوْز، وهو الجبل من الرَّمل، ووقع في «الديوان» بشرح أبي نصر الباهليّ ٢/ ١١٢٠: أجواز، وفسّره بالأوساط، وجَوْز كلِّ شيء وسطُه. ومشرف والفوارس: موضعان في الدَّهناء، والدهناء: صحراء شرق الجزيرة العربيّة على شكل قوس يمتدّ نحو ١٢٠٠كم حتى تصل جنوباً إلى حدود صحراء الربع الخالي، وأما شمالاً فيمتدّ حتى يصل إلى النُّفود.

(٢) هكذا في نسخنا الخطية بالخاء، والمعنى: أنهم لحقهم العارُ بتلك المَخزاة حتى تركوا منازلهم وهجروها. وفي «تفسير القرطبي» ١٣/ ٢٠٣ و«لسان العرب» ١٥/ ١٤٨: حَلُّوا، بالحاء المهملة، ومعناه على هذا: أقاموا ولزموا بيوتهم، والفجوة: ساحة الدار.

(٣) كذا نسبه ابن هشام إلى عبيد بن وهب العبسيّ، ونسبه أبو زيد القرشيّ في «جمهرة أشعار العرب» ص١٧ وابن رَشِيق القيرواني في «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» ٢/ ٨١ إلى زهير بن أبي سُلمى، وليس هو في «ديوانه».

وهذا البيت في أبياتٍ له.

والوَصِيد أيضاً: الفِناءُ، وجمعُه: وَصائِدُ، ووُصُدٌ، ووُصْدانٌ[1].

﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ أهلُ السُّلطان والمُلْك منهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ﴾ يعني أحبارَ يهودَ الذين أَمَرُوهم بالمسألة عنهم: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: لا عِلمَ لهم ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬﴾ فلا تُمارِ فيهم﴾ أي: لا تُكابِرْهم ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ فإنّهم لا عِلمَ لهم بهم ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ أي: لا تقولنَّ لشيءٍ سألوك عنه كما قلتَ في هذا: إنّي مُخبِرُكم غداً، واستثنِ شِيئَةَ الله[2]، واذكُرْ ربَّك إذا نَسِيتَ، وقل: عسى أن يَهدِيَنِ ربّي لخيرٍ ممّا سألتموني عنه رَشَداً، فإنّك لا تدري ما أنا صانعٌ في ذلك.

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ أي: سيقولون ذلك ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ أي: لم يَخْفَ عليه شيءٌ ممّا سألوك عنه.

وقال فيما سألوه عنه من أمرِ الرَّجل الطَّوّاف: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ حتّى انتهى إلى آخر قصّة خبره.

---

(١) زاد في طبعة وستنفيلد الألمانية المطبوعة سنة ١٨٥٨م وما بعدها من الطبعات: وأُصد وأُصدان، وليس هذا في شيء من نسخنا الخطية.

(٢) الشِّيئة: مصدر شاءَ يشاءُ، كما أنّ الخِيفة مصدر خافَ يَخافُ.

وكان من خبر ذي القَرنَينِ: أنّه أُوتي ما لم يُؤتَ غيرُه، فمُدَّت له الأسباب حتّى انتهى من البلاد إلى مشارقِ الأرض ومغاربِها، لا يطأُ أرضاً إلا سُلِّطَ على أهلها، حتّى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءَه شيءٌ من الخلق.

قال ابن إسحاق: فحدَّثَني من يَسُوق الأحاديثَ عن الأعاجم فيما تَوارَثوا من علمِه: أنّ ذا القَرنَينِ كان رجلاً من أهل مِصرَ اسمُه مَرزَبا[1] بن مَرذَبة اليونانيّ، من ولد يُونانَ بن يافِثَ بن نوح.

قال ابن هشام: واسمه الإسكندَر، وهو الذي بنى الإسكندريّةَ فنُسِبَت إليه.

قال ابن إسحاق: وقد حدَّثني ثَوْر بن يزيد، عن خالد بن مَعْدان الكَلَاعيّ، وكان رجلاً قد أدرَكَ[2]: أنَّ رسول الله ﷺ سُئِل عن ذي القَرنَينِ فقال: «مَلَكٌ[3] مَسَحَ

---

(١) هكذا في نسخنا الخطية، وفي المطبوعات السابقة من «السيرة»: مرزبان، وهو خطأ، فقد نقله عن ابن هشام كما أثبتناه من نسخنا بلا نونٍ ابنُ عبد الحَكَم في «فتوح مصر والمغرب» ص٥٨، والسهيليُّ في «الروض الأنف» ٣/ ١٧٨، والسيوطيُّ في «حسن المحاضرة» ١/ ٥٦، والزَّبيديُّ في «تاج العروس» ٣٥/ ٥٣٦ عندما ذكر الخلاف في ذي القرنين، وهو كذلك في «العظمة» لأبي الشيخ (٩٧٥) من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق.

(٢) قوله: أدرك، إن كان أراد به إدراك زمن النبيّ ﷺ، فغير صحيح، وإن كان أراد إدراكه صحابة النبيّ ﷺ، فهذا صحيح، لكنه أدرك بعضَهم ممن تأخّرت وَفَيَاتهم، فروايته عن النبيّ ﷺ إمّا مُرسَلة أو مُعضَلة، وكذلك روايته الآتية عن عمر، فإسناد هذا الخبر عن كليهما ضعيف.

وأخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» ص٦٠ عن ابن هشام، عن زياد البكّائي، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١٥/ ٣٩٠، وأبو الشيخ في «العظمة» (٩٧٦) من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

(٣) هكذا قُيّد في (ت) بفتح اللام، وفي (ص) بكسرها، وفي (ش١) و(م) بالوجهين معاً، =

الأرضَ من تحتِها بالأسبابِ».

وقال خالدٌ: سمع عمرُ بن الخطّابِ رجلاً يقول: يا ذا القرنَينِ، فقال عمرُ: اللهمَّ غَفْراً، أمَا رَضِيتُم أن تَسَمَّوا بالأنبياء حتى تسمَّيتُم بالملائكة.

قال ابن إسحاق: فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان، أقال ذلك رسولُ الله ﷺ، أم لا؟ الحقُّ ما قال.

وقال فيما سألوه عنه من أمرِ الرُّوح: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].

قال ابن إسحاق: وحُدِّثتُ عن ابن عبّاس، أنه قال: لمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، قالت أحبارُ يهودَ: يا محمّدُ، أرأيتَ قولَك: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إيّانا تريد، أم قومَك؟ قال: «كُلًّا» قالوا: فإنّك تَتْلو فيما جاءَك: أنّا قد أُوتينا التوراةَ فيها بيانُ كلِّ شيءٍ، فقال رسول الله ﷺ: «إنّها في علمِ الله قليلٌ، وعندَكم في ذلك ما يَكفِيكُم لو أقَمتُمُوه». قال: فأنزل الله عزَّ وجلَّ عليه فيما سألوه عنه من ذلك: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان:٢٧][1]؛ أي: أنّ التوراة في هذا من علمِ الله قليلٌ.

= ولم يُقيّد في (غ) و(ق١) و(ي).

(١) إسناده ضعيف لإعضاله بين ابن إسحاق وابن عباس.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير ص٢٠٤ ـ ومن طريقه أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٨/ ٥٧٢ ـ موصولاً عن ابن إسحاق قال: حدّثني رجل بمكة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. لكن هذا الموصول ضعيف أيضاً لجهالة الرجل المكيّ.

وروى نحوه محمد بن حميد الرازي عن سلمة بن الفضل الأبرش عند الطبريِّ ١٥/ ٧٢ فجعله من رواية ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار بهذا الخبر مرسَلاً، لم يذكر فيه =

قال: وأنزل الله عليه فيما سأله قومُه لأنفسِهم من تسيير الجبال، وتقطيع الأرض، وبَعْث مَن مضى من آبائهم من الموتى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد:٣١]، أي: لا أصنعُ من ذلك إلا ما شئتُ.

وأُنزل عليه في قولهم: خُذْ لنفسِك، ما سألوه أن يأخذَ لنفسه، أن يجعل له جِناناً وقصوراً وكنوزاً، ويَبعَثَ معه مَلَكاً يُصدِّقُه بما يقول ويردُّ عنه: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ أي: من أن تمشيَ في الأسواق وتلتمسَ المَعاشَ ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا﴾ [الفرقان:٧-١٠].

وأُنزل عليه في ذلك من قولهم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢٠] أي: جعلتُ بعضَكم لبعض بلاءً لتَصبِروا، ولو شئتُ أن أجعلَ الدنيا مع رُسُلي فلا يُخالَفُوا لفعلتُ.

وأنزل الله عليه فيما قال عبدُ الله بن أبي أُميّة: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا

= ابنَ عباسٍ أو غيرَه. وابن حميد ضعيف وسلمة له أخطاء في الرواية.

نَقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

قال ابن هشام: اليَنبُوع: ما نَبَعَ من الماء من الأرض وغيرِها، وجمعُه: ينابيعُ، قال ابن هَرْمَة، واسمه إبراهيم بن عبد الله[١] الفِهْريُّ:

وإذا هَرَقتَ بكلِّ دارٍ عَبْرةً ... نَزَفَ الشُّؤونُ ودَمعُكَ اليَنبوعُ[٢]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

والكِسَف: القِطَع من العذاب، وواحدته: كِسْفة، مثل: سِدْرة وسِدَر، وهي أيضاً واحدةُ الكِسْف.

والقَبِيل: يقولُ: مقابلةً ومعايَنةً، وهو كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ [الكهف: ٥٥]: أي عِياناً.

وأنشدني أبو عُبيدة لأعشَى بني قيس بن ثَعلَبة:

أُصالِحُكمْ حتّى تَبُوءُوا بمِثلِها ... كصرخةِ حُبلَى يَسَّرَتها قَبِيلُها[٣]

---

(١) هكذا وقع مسمًّى في نسخنا الخطية غير (ق١) ففيها: عبد الله بن إبراهيم، ولم يقع مسمًّى عند أحد ممن ترجمه إلا إبراهيم بن علي بن سلمة، وليس في آبائه من اسمه عبد الله، وهو قرشيٌّ من أهل المدينة، وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ٦/ ٢٠٧.

(٢) هرقتَ كأَرقتَ، أي: أسلتَ وصببتَ. والعَبْرة: الدمعة. ونَزَفَ ـ ونُزِفَ أيضاً ـ معناه: ذهب دمعُها. والشؤون: مجاري الدموع.

وانظر قصيدته المشار إليها في «ديوان شعره» جمع وتحقيق محمد نفاع وحسين عطوان ص١٤٢-١٤٤.

(٣) في «ديوانه» ٢/ ١٧: يسَّرتها قَبُولها. وكلاهما صحيح، انظر «الصحاح» للجوهريّ ٥/ ١٧٩٦.

وهذا البيت في قصيدة للأعشى يعاتب فيها بني عمٍّ له كانت بين قومه وبينهم حربٌ، والمعنى كما قال التبريزيّ في «تهذيب إصلاح المنطق» ص٣٥١: لا أصالحكم حتى تعترفوا بمثل الحرب =

يعني القابلةَ، لأنها مُقابِلُها وتَقبَلُ ولدها. وهذا البيت في قصيدةٍ له.

ويقال: القَبيل: جمعُه: قُبُل، وهي الجماعات، وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ [الأنعام:١١١]، فقُبُل: جمع قَبيل، مثل سُبُل: جمع سَبيل، وسُرُر: جمع سَرير، وقُمُص: جمع قَميص.

والقَبيل أيضاً في مَثَلٍ من الأمثال، وهو قولهم: ما يعرفُ قَبيلاً من دَبيرٍ، أي: ما يعرف ما أقبَلَ ممّا أدبرَ، قال الكُمَيت بن زيد:

تَفرَّقَتِ الأمورُ بوِجهَتَيهِمْ فما عَرَفوا الدَّبيرَ من القَبيلِ

وهذا البيت في قصيدةٍ له[1].

ويقال: إنما أُريدَ بهذا: الفَتْلُ، فما فُتِلَ إلى الذراع فهو القَبيل، وما فُتِلَ إلى أطراف الأصابع فهو الدَّبير، وهو من الإقبال والإدبار الذي ذكرتُ. ويقال: فَتْلُ المِغزَل، فإذا فُتِلَ إلى الرُّكبة فهو القَبيل، وإذا فُتِلَ إلى الوَرِك فهو الدَّبير.

والقَبيل أيضاً: قوم الرَّجل.

والزُّخرُف: الذهب، والمُزخرَف: المزيَّن بالذهب، قال العَجّاج:

من طَلَلٍ أَمسى تَخالُ المُصحَفا[2]

رُسومَهُ والمُذهَبَ المُزَخرَفا[3]

= التي أوقعتموها، وتصرخوا من شدّتها كصراخ المرأة الحامل التي قد ضربها المخاض، فهي تصيح لِما يؤلمها من ذلك.

(١) لم نقف عليها في «الديوان»، ولم نقف على هذا البيت عند غير ابن هشام.

(٢) الطَّلَل: ما بقي من آثار الدار وغيرها.

(٣) رسومه، أي: نقوشه وخطوطه. والمُذهَب: أراد به خشبة تُلبَّس بماء الذهب، كما فسّره الأصمعيُّ في روايته وشرحه لديوان العجّاج ٢/ ٢٢٠.

قال ابن هشام: يقال: المُصحَف والمِصحَف[1]، وهذان البيتان في أُرجوزة له، ويقال أيضاً لكلِّ مُزيَّن: مُزخرَف.

قال ابن إسحاق: وأَنزل اللهُ عليه في قولهم: إنّا قد بَلَغَنا أنّك إنَّما يعلِّمُك رجل باليَمَامة يقال له: الرّحمن، ولن نؤمنَ به أبداً[2]: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

وأنزل عليه فيما قال أبو جهل وما هَمَّ به: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۝١٩﴾.

قال ابن هشام: لنَسفَعاً: لنَجذِبنَّ ولنأخُذَنَّ، قال الشاعر:

قومٌ إذا سَمِعوا الصُّراخَ رأيتَهمْ ... من بينِ مُلجِمِ مُهرِهِ أو سافعِ[3]

والنّادي: المجلس الذي يجتمع فيه القومُ ويَقضُون فيه أمورهم، وفي كتاب الله: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، وهو النَّدِيُّ.

قال عَبيد بن الأبرَص الأسَديُّ:

---

(١) قول ابن هشام هذا من (ت) ونسخة على حاشية (م).

(٢) تقدّم في أول الخبر الطويل ص٣٤١ أنه روي بإسناد ضعيف، وروي هذا أيضاً بنحوه عن مكحول مرسلاً عند الطبري في «تفسيره» ١٥/ ١٢٤، وهو ضعيف لإرساله.

(٣) الصراخ هنا: الاستغاثة. والسافع: الآخذُ بالناصية، وهي شعر مقدَّم الرأس.

وقد ذكر هذا البيت ابن عطيّة في تفسيره «المحرَّر الوجيز» ٥/ ٥٠٣ ونسبه إلى عمرو بن مَعْدي كَرِبَ. وانظر ما علّق به مطاع الطرابيشيّ على هذا البيت في أواخر «شعر عمرو» ص٢٠٦-٢٠٧.

اذهَبْ إليكَ فإنّي من بني أسَدٍ أهلِ القِبَابِ وأهلِ الجُرْدِ[1] والنَّادي

وفي كتاب الله: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم:١٩]، وجمعُه: أنديَة، يقول: فليدعُ أهلَ نادِيهِ، كما قال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢] يريد أهلَ القرية.

قال سَلَامة بن جَندَل، أحدُ بني سعد بن زيد مَنَاة بن تَميم:

يومانِ يومُ مُقاماتٍ وأنديَةٍ ويومُ سَيرٍ إلى الأعداءِ تأويبِ[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال الكُمَيت بن زيدٍ:

لا مَهاذِيرَ في النَّدِيِّ مَكاثِيـ ـرَ ولا مُصمِتينَ بالإفحامِ[3]

---

(١) في (ص) و(غ): الجود، بواو، والمثبت من نسخة على حاشية (غ)، وكذلك هو في حاشيتي (ش١) و(م)، وهو الموافق لما في نسخة أبي ذرٍّ الخشنيّ وشرح عليه في «إملائه على السيرة» ص٩٧ فقال: الجُرْد: الخيل العِتاق، وهي القصيرات الشَّعر أيضاً، وقيل: هي التي تنجرد في الحَلْبة عن الخيل، أي: تتقدّمها وتسبقها. قلنا: وهو كذلك بالرّاء في «ديوان عَبيد» بتحقيق وشرح د.حسين نصار ص٤٩.

وقد سقط هذا البيت من (ت) و(ش١) و(ق١) و(م) و(ي)، واستدرك على حاشيتي (ش١) و(م).

قوله: اذهب إليك، زجرٌ، يريد: اذهب إلى قومك، يخاطب بذلك حُجراً أبا امرئ القيس، وهو يَفخَر بقومه بني أسد ويصفهم بأنهم سادة أهل قِباب، فإن السادة وحدهم الذين تُضرَب فوقهم القِباب، وهم أيضاً أهل المجلس.

(٢) المُقامات: جمع مُقامةٍ، وهي الإقامة. والتأويب: سيرُ النّهار كله. والشاعر يفصّل في هذا البيت عواقب الشباب، فيجعلها يومين: أحدهما في حضور المجالس خطيباً، والآخر في غزو الأعداء. وانظر «ديوان سلامة» ص٩٢، و«المفضَّليات» ص١٢٠.

(٣) المهاذير: جمع مِهذار، وهو الكثير الكلام في غير فائدة. والإفحام: انقطاع الرجل عن =

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

ويقال: النادي: الجُلَساءُ، والزَّبانيَةُ: الغِلَاظ الشِّداد، وهم في هذا الموضع: خَزَنةُ النّار.

والزَّبانيةُ أيضاً في الدنيا: أعوانُ الرجل الذين يَخدُمونه ويُعِينونه، والواحد: زِبْنِيَة، قال عبد الله بن الزِّبَعرَى في ذلك:

مَطاعيمُ في المَقْرَى مَطاعينُ في الوَغَى ... زَبانيَةٌ غُلْبٌ عِظامٌ حُلُومُها[1]

يقول: شِدَاد. وهذا البيت في أبياتٍ له.

وقال صَخْر بن عبد الله الهُذَليّ، وهو صخرُ الغَيّ:

ومِن كَبيرٍ نَفرٌ زَبانيَهْ[2]

وهذا البيت في أبياتٍ له.

قال ابن إسحاق: وأنزل عليه فيما عَرَضُوا عليه من أموالهم: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ:٤٧].

فلمّا جاءهم رسولُ الله ﷺ بما عَرَفُوا من الحقّ وعَرَفُوا صِدقَه فيما حدَّث، ومَوقِعَ

= الكلام إما عِيّاً وإما غلبةً.

ولم نقف على هذا البيت عند غير ابن هشام.

(١) المَقرَى، من القِرَى: وهو الطعام الذي يُصنَع للضيف. والوَغَى: الحرب. والغُلب: الغِلاظ الشِّداد. والحُلوم: العقول.

(٢) كَبيرٌ حيٌّ من هُذيل، وهو كبير بن طابخة بن لِحْيان بن سعد بن هُذَيل، قاله السهيليُّ في «الروض» ٣/ ١٩٦. ولم نقف على هذا الشِّعر عند غير ابن هشام.

وصخر الغيّ: شاعر جاهلي، واسمه صخر بن عبد الله الخيثمي من هُذَيل، وإنما قيل له: صخر الغيّ، لخلاعته وشدّة بأسه وكثرة شرّه، كما في «الأغاني» للأصفهاني ٢٢/ ٣٤٥.

نبوّته فيما جاءهم به من علم الغُيوب حين سألوه عمّا سألوا عنه، حالَ الحسدُ منهم له بينهم وبين اتِّباعه وتصديقه، فعَتَوْا على الله وتركوا أمرَه عِياناً، ولَجُّوا فيما هم عليه من الكفر، فقال قائلهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] أي: اجعلوه لَغْواً وباطلاً، واتَّخِذوه هُزُواً لعلَّكم تَغلِبونه بذلك، فإنّكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوماً غَلَبَكم.

فقال أبو جهلٍ يوماً وهو يَهزَأُ برسول الله ﷺ وما جاءَ به من الحقِّ: يا معشرَ قريشٍ، يَزعُمُ محمّدٌ أنَّما جنودُ الله الذين يُعذِّبونكم في النار ويَحبِسونكم فيها تسعةَ عشرَ، وأنتم الناسُ عدداً وكَثرةً، أفيَعجِزُ كلُّ مئةِ رجل منكم عن رجل منهم؟ فأَنزل اللهُ في ذلك من قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المدثر: ٣١] إلى آخر القصّة، فلمّا قال ذلك بعضُهم لبعض، جعلوا إذا جَهَرَ رسولُ الله ﷺ بالقرآن وهو يُصلّي يتفرَّقون عنه، ويَأبَوْنَ أن يستمعوا له، فكان الرجلُ منهم إذا أراد أن يستمعَ من رسول الله ﷺ بعضَ ما يَتلُو من القرآن وهو يصلّي، استَرَقَ السمعَ دونَهم فَرَقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عَرَفوا أنه يستمعُ منه، ذهب خَشْيةَ أذاهم فلم يستمع، وإن خَفَضَ رسولُ الله ﷺ صوتَه، فظنَّ الذي يستمع أنهم لا يسمعون شيئاً من قراءته، وسَمِعَ هو شيئاً دونَهم، أصاخَ له[1] يستمعُ منه.

قال ابن إسحاق: حدَّثني داود بن الحُصَين مولى عَمرو بن عثمان، أن عِكْرمة مولى ابن عبّاس حدَّثهم، أن عبد الله بن عبّاس حدَّثهم: إنَّما أُنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] من أجل أُولئك، يقول: لا تَجهَرْ بصلاتك فيَتفرَّقوا عنك، ولا تُخافِتْ بها فلا يَسمعُها من يحبُّ أن

(١) أي: أنصت لصوته.

يَسمعَها ممّن يَسترِقُ ذلك دونَهم لعلّه يَرعَوِي إلى بعض ما يَسمعُ فيَنتفِعَ به[1].

قال ابن إسحاق: فحدَّثني يحيى بن عُرْوة بن الزُّبير، عن أبيه قال: كان أوّلَ من جَهَرَ بالقرآن بعدَ رسول الله ﷺ بمكّة عبدُ الله بن مسعودٍ، قال: اجتمع يوماً أصحابُ رسول الله ﷺ فقالوا: واللهِ ما سَمِعَت قريشٌ هذا القرآنَ يُجهَرُ لها به قطُّ، فمَن رجلٌ يُسمِعُهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنّا نَخْشاهم عليك، إنّما نريدُ رجلاً له عشيرةٌ يَمنَعُونه من القوم إن أرادوه، قال: دَعُوني، فإنَّ الله سيَمنَعُني.

قال: فغَدَا ابنُ مسعود حتّى أَتى المَقامَ في الضُّحى وقريشٌ في أنديَتِها، حتّى قام عند المَقامِ ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ رافعاً بها صوتَه ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾،

---

(١) أصل القصة صحيح، وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم إلا أن في بعض ما يرويه داود بن الحصين عن عكرمة ما يستنكره بعض أهل الحديث، وقد روى ابن جبير عن ابن عباس هذا الخبر وفيه شيء من المغايرة كما سيأتي.

وخبر عكرمة هذا في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص٢٠٦، ومن طريقه أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٥/ ١٣٠-١٣١.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٥٧٤)، و«الأوسط» (١٠٧٦) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه أبو بشر جعفر بن أبي وحشيّة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾، قال: نَزَلَت ورسولُ الله ﷺ مُختَفٍ بمكّة، كان إذا صَلَّى بأصحابه رَفَعَ صوتَه بالقرآن، فإذا سَمِعَ المشركون سَبُّوا القرآنَ ومن أنزَلَه ومن جاءَ به، فقال الله لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بقراءتِك، فيسمعَ المشركون فيَسُبُّوا القرآن ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك، فلا تُسمِعُهم ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾. أخرجه أحمد (١٥٥) والبخاري (٤٧٢٢) ومسلم (٤٤٦) وغيرهم.

يرعوي، أي: ينكفّ وينزجر.

قال: ثمّ استَقبَلَها يقرؤُها، قال: وتأمَّلُوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابنُ أمِّ عَبدٍ؟ قال: ثمّ قالوا: إنّه ليَتلُو بعضَ ما جاء به محمّدٌ، فقاموا إليه فجعلوا يَضرِبون في وجهِه، وجعل يقرأُ حتّى بَلَغَ منها ما شاءَ اللهُ أن يَبلُغَ، ثم انصَرَفَ إلى أصحابه وقد أثَّروا بوجهِه، فقالوا: هذا الّذي خَشِينا عليك، قال: ما كان أعداءُ الله أهْوَنَ عليَّ منهم الآن، ولئِنْ شئتُم لأُغادِيَنَّهم بمثلِها غداً، قالوا: لا، حَسْبُك، فقد أسمعتَهم ما يكرهون[1].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمّد بن مُسلِم بن شِهابٍ الزُّهْريُّ أنه حُدِّثَ: أن أبا سفيان بن حَرْب وأبا جَهْل بن هشام والأَخنَسَ بن شَرِيق بن عَمرو بن وَهْب الثَّقَفيّ حليفَ بني زُهْرةَ، خرجوا ليلةً ليَستمِعُوا من رسول الله ﷺ وهو يُصلِّي من اللّيل في بيته، فأَخَذَ كلُّ رجلٍ منهم مجلساً يستمعُ فيه، وكلٌّ لا يعلمُ بمكان صاحبه، فباتُوا يستمعون له، حتّى إذا طَلَعَ الفجرُ تفرَّقوا، فجَمَعَهم الطريقُ فتلاوَمُوا، وقال بعضهم لبعض: لا تَعُودوا، فلو رآكم بعضُ سُفهائِكم لأَوقعتُم في نفسه شيئاً، ثمّ انصَرَفُوا.

---

(١) مرسلٌ رجاله ثقات.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص١٨٦، ومن طريقه ابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٢٨١.

وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٥٣٥)، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٣٤-٣٣٥، وابن أبي عروبة في «الأوائل» (٦١) ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٣/ ٧٥ ـ من طرق عن ابن إسحاق، به. ورواية ابن أبي عروبة مختصرة جداً.

ويشهد له مرسل القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعودٍ عند ابن أبي شيبة ١٤/ ٧٩، والفاكهي في «أخبار مكة» (١٩٨٦)، وابن أبي عَرُوبة (٦٢)، قال: قال: أوّل من جهر بالقرآن بمكة من فِي رسول الله ﷺ ابنُ مسعود. ورجاله ثقات.

وباجتماع هذين المرسَلَين يصحّ الخبر إن شاء الله.

حتّى إذا كانت الليلةُ الثانيةُ، عادَ كلُّ رجل منهم إلى مجلسِه، فباتُوا يستمعون له، حتّى إذا طَلَعَ الفجرُ تفرَّقوا، فجَمَعَهم الطريقُ، فقال بعضُهم لبعضٍ مثلَ ما قالوا أوّلَ مرّة، ثمّ انصَرَفُوا.

حتّى إذا كانت الليلةُ الثالثةُ أَخَذَ كلُّ رجل منهم مجلسَه، فباتُوا يستمعون له، حتّى إذا طَلَعَ الفجرُ تفرَّقوا، فجَمَعَهم الطريقُ، فقال بعضُهم لبعضٍ: لا نَبْرَحُ حتّى نتعاهدَ لا نعودُ، فتعاهَدُوا على ذلك ثم تفرَّقوا.

فلمّا أصبَحَ الأخنسُ بن شَرِيقٍ أَخَذَ عصاهُ ثم خرج حتى أتَى أبا سفيانَ في بيته فقال: أخبِرْني يا أبا حَنظَلَةَ عن رأيك فيما سمعتَ من محمّد؟ قال: يا أبا ثَعلَبةَ، واللهِ لقد سمعتُ أشياءَ أعرِفُها وأعرِفُ ما يُرادُ بها، وسمعتُ أشياءَ ما عَرَفتُ معناها ولا ما يُرادُ بها، قال الأخنسُ: وأنا والّذي حَلَفتَ به.

قال: ثمّ خرج من عندِه حتّى أتَى أبا جهل، فدَخَلَ عليه بيتَه فقال: يا أبا الحَكَم، ما رأيُك فيما سمعتَ من محمّد؟ قال: ماذا سمعتُ! تنازَعْنا نحن وبنو عبد مَنَافٍ الشَّرفَ، أطعَمُوا فأطعَمْنا، وحَمَلوا فحَمَلْنا، وأعطَوْا فأعطَيْنا، حتّى إذا تحاذَيْنا[1] على الرُّكَب وكنّا كفَرَسَي رِهانٍ قالوا: منّا نبيٌّ يأتيه الوحيُ من السماء، فمتى نُدرِكُ

(١) هكذا في (ت) و(ش١) و(ق١) و(ي) بالحاء، وفي(ص): تجاذينا، بالجيم ثم صُحِّحت فيها إلى: تجاثَينا، وهي كذلك في (غ): تجاثينا.

وكُتبت في (م) بالوجهين الأخيرين معاً.

وفي نسخة السهيليّ من «السيرة»: تجاذينا بالجيم، وعليها شرح فقال: وقع في «الجمهرة»: الجاذي: المُقْعي على قدميه، قال: وربّما جعلوا الجاذيَ والجاثيَ سواءً.

قلنا: أما المحاذاة بالحاء: فهي المماثَلة والمساواة. وقوله: كفرسَيْ رهان، فهو مَثَلٌ يُضرَب لاثنين يستبقان إلى غايةٍ فيستويانِ.

مثلَ هذه[1]؟! واللهِ لا نؤمنُ به أبداً ولا نصدِّقُه. قال: فقام عنه الأخنسُ وتَرَكَه[2].

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ إذا تَلَا عليهم القرآنَ ودعاهم إلى الله، قالوا يَهزَؤُون به: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ[3]﴾ لا نَفقَهُ ما تقول ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ[4]﴾ لا نسمعُ ما تقول ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ قد حالَ بيننا وبينك ﴿فَٱعۡمَلۡ﴾ بما أنت عليه ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت:٥] بما نحن عليه، إنا لا نَفقَهُ عنك شيئاً، فأنزل الله عليه في ذلك من قولهم: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا[5]﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦] أي: كيف فَهِموا توحيدَك ربَّك إن كنتُ جعلتُ على قلوبهم أكنّةً، وفي آذانهم وَقْراً، وبينَك وبينَهم حجاباً بزَعْمِهم، أي: إنّي لم أفعَلْ ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٤٧﴾ أي: ذلك ما تَواصَوْا به من تركِ ما بعثتُك به إليهم ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ

---

(١) في (ت) و(ق١): فمتى تُدرَك هذه.

(٢) مرسل صحيح إن شاء الله.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص١٨٩-١٩٠، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «دلائل النبوّة» ٢/ ٢٠٦-٢٠٧.

وهذا المرسل من رواية الزهري له عن سعيد بن المسيّب، فقد ذكر ابن حجر في ترجمة الأخنس ابن شريق من «الإصابة» ١/ ٣٨: أن الذُّهْلي ذكره في «الزُّهريات» بسند صحيح عن الزهريّ عن سعيد بن المسيّب. فإن كان كذلك، فإن مراسيل سعيدٍ أصحُّ المراسيل عند أهل الحديث.

(٣) أي: في أغشية وأغطية.

(٤) أي: ثقلٌ في السمع.

(٥) أي: حجاباً ساتراً، ولكنه أُخرج وهو فاعل في لفظ المفعول، كما يقال: إنك مشؤوم وميمون، وإنما هو شائِمٌ ويامِنٌ، لأنه من شَأَمَهم ويَمَنَهم.

سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ أي: أخطَؤوا المَثَلَ الّذي ضَرَبوا لك، فلا يُصِيبون به هُدًى، ولا يَعتدلُ لهم فيه قولٌ ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ أي: قد جئتَ تَخبِرُنا أنّا سنُبعَثُ بعد موتنا إذا كنّا عِظاماً ورُفاتاً، وذلك ما لا يكونُ ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ أي: الذي خَلَقَكم ممّا تَعرِفون، فليس خلقُكم من ترابٍ بأعَزَّ من ذلك عليه.

قال ابن إسحاق: حدَّثني عبد الله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عبّاس؛ قال[1]: سألتُه عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡ﴾، ما الذي أراد اللهُ به؟ فقال: الموتَ[2].

ذكر عُدوان المشركين على المُستضعَفين ممّن أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّهم عَدَوْا على من أسلم واتَّبَعَ رسولَ الله ﷺ من أصحابه، فوَثَبَت كلُّ قبيلة على مَن فيها من المسلمين، فجعلوا يَحبِسُونهم ويُعذِّبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرَمْضاءِ مكّة[3] إذا اشتدَّ الحرُّ، مَن استَضعَفُوا منهم، يَفتِنونهم عن دينهم، فمنهم مَن يُفتَتَنُ من شدّة البلاءِ الذي يصيبه، ومنهم مَن يَصلُب لهم

---

(١) يعني مجاهداً.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه الحاكم (٣٤١٧) من طريق يعلى بن عُبيد الطنافسيّ، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وصحّحه.

والمعنى: لو كنتم الموتَ لأماتكم اللهُ ثم أحياكم. وظاهر الآية العموم، فلم يُخَصَّ فيها من خلق الله شيءٌ دون شيءٍ، ورجَّح الطبري في «تفسيره» ١٤/ ٦١٨ العمومَ فيها.

(٣) الرَّمضاء: الرمل الحارُّ من شدة حرارة الشمس.

ويَعصِمُه الله منهم.

فكان بلالٌ مولى أبي بكرٍ لبعض بني جُمَحَ، مُولَّداً من مُولَّدِيهم، وهو بلال بن رَبَاح، وكان اسم أمِّه حَمَامة، وكان صادقَ الإسلام طاهرَ القلب، وكان أُميّة بن خَلَف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَحَ يُخرِجُه إذا حَمِيَت الظَّهيرةُ فيَطرَحُه على ظهره في بَطْحاءِ مكّة، ثمّ يأمر بالصخرة العظيمة فتُوضَع على صدره، ثمّ يقول له: لا واللهِ لا تزالُ هكذا حتى تموت، أو تكفرَ بمحمّد وتَعبُدَ اللّاتَ والعُزَّى، فيقولُ وهو في ذلك البلاء: أَحَدٌ أَحَدٌ.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني هشام بن عُرْوة عن أبيه قال: كان وَرَقةُ بن نَوفَل يمرُّ به وهو يُعذَّب بذلك، وهو يقول: أَحَدٌ أَحَد، فيقول: أَحَدٌ أَحَدٌ واللهِ يا بلال، ثمّ يُقبِل على أُميّة بن خلف ومن يَصنَع ذلك به من بني جُمَح، فيقول: أَحلِفُ بالله لئِنْ قتلتموه على هذا لأَتَّخِذنَّه حَنَاناً[1].

---

(١) أي: لأتخذنَّ قبره مَنسَكاً ومُسترحَماً، والحَنَان: الرحمة.

وهذا الخبر بطوله من مراسيل عُروة بن الزبير، وذكرُ بقاء ورقة فيه إلى هذا الزمان مُنكَر، فهو مخالفٌ لما رواه ابنُ شهاب الزهريّ عند البخاري في «صحيحه» (٣) موصولاً عن عروة عن خالته عائشة في آخر حديثها عن أول ما بُدِئ به رسول الله ﷺ من الوحي وذهابه مع خديجة إلى ورقة وما دار بينهم من حِوار، قالت: ثمَّ لم يَنشَبْ ورقةُ أن تُوفِّي وفَتَرَ الوحي؛ ومعناه كما قال شارحوه من العلماء: لم يمكث ولم يُحدِث شيئاً، كأن المعنى فَجِئَه الموتُ قبل أن يَنشَب في فعل شيء، وهذه اللفظة عند العرب كناية عن السرعة والعجلة، من أجل ذلك قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٢/ ٤١٤: وهذا أصح ممّا روي من أن ورقة كان يمرُّ على بلال وهو يعذَّب.

وذكره الذهبيُّ في «سير أعلام النبلاء» ١/ ١٢٩ وجعله من أنكر ما في صحيفة هشام بن عروة عن أبيه، وقال: هذا مرسل، وورقةُ لو أَدرك هذا لعُدَّ من الصحابة، وإنما مات الرجل في فترة الوحي بعد النبوّة وقبل الرِّسالة، كما في «الصحيح»؛ يشير إلى حديث الزهريّ عن عروة. =

حتّى مرَّ به أبو بكرٍ الصِّدّيق ابنُ أبي قُحَافة يوماً وهم يَصنَعُون ذلك به، وكانت دار أبي بكر في بني جُمَح، فقال لأُميّة بن خَلَف: ألا تتَّقي اللهَ في هذا المِسكين، حتّى متى؟! فقال: أنت أفسدتَه، فأنقِذْه ممّا ترى، فقال أبو بكر: أفعلُ، عندي غلامٌ أسودُ أجلَدُ منه وأقوى، على دِينِك، أُعطِيكَه به، قال: قد قَبِلتُ، قال: هو لك. فأعطاه أبو بكرٍ الصِّدّيقُ غلامَه ذلك، وأخذه فأعتَقَه ثم أعتَقَ معه على الإسلام قبل أن يهاجرَ إلى المدينة ستَّ رِقابٍ، بلالٌ سابعُهم: عامرَ بن فُهَيرةَ، شَهِدَ بدراً وأُحداً، وقُتِلَ يومَ بئرِ مَعُونةَ شهيداً، وأمَّ عُبَيسٍ، وزِنِّيرةَ، وأُصيبَ بصرُها حين أَعتقها، فقالت قريش: ما أَذهَبَ بصرَها إلا اللّاتُ والعُزَّى، فقالت: كَذَبُوا وبيتِ الله ما تَضُرُّ اللّاتُ والعُزَّى وما تَنفَعانِ، فرَدَّ اللهُ إليها بصرَها.

وأَعتَقَ النَّهديّةَ وبنتَها، وكانتا لامرأةٍ من بني عبدِ الدّار، فمَرَّ بهما وقد بَعَثَتهما سيّدتُهما بطَحينٍ لها، وهي تقول: واللهِ لا أُعتِقُكما أبداً، فقال أبو بكر: حِلِّي يا أمَّ فلانٍ[1]، فقالت: حِلِّ، أنت أفسدتَهما فأعتِقْهما، قال: فبِكَم هما؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتُهما وهما حُرَّتانِ، أَرجِعا إليها طحينَها، قالتا: أوْ نَفرُغُ منه يا أبا بكر ثمّ نردُّه إليها، قال: وذلك إن شئتُما.

ومرَّ بجاريةِ بني مُؤمَّل، حيٍّ من بني عَدِيِّ بن كعب، وكانت مسلمةً، وعمرُ بن الخَطّاب يعذِّبها لتتركَ الإسلام، وهو يومئذٍ مشركٌ وهو يَضرِبُها، حتّى إذا مَلَّ قال:

= وأما خبر هشام بن عروة عن أبيه، فهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص١٩٠ و١٩١، ورواه عن ابن إسحاق أيضاً إبراهيمُ بن سعد عند عبد الله بن أحمد في «فضائل الصحابة» (٨٩)، وأبي نعيم في «الحلية» ١/ ١٤٧-١٤٨.

(١) قال أبو ذرٍّ الخشنيُّ في «إملائه»: ص٩٨: معناه: تحلَّلي من يمينك واستثني فيها، وأكثرُ ما تقوله العرب بالنَّصب، وقد روي بالوجهين هنا بالرَّفع والنَّصب.

إنّي أعتذر إليكِ أنّي لم أترُكْكِ إلا مَلَالةً، فتقول: كذلك فَعَلَ اللهُ بك، فابتاعها فأعتَقَها.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمّد بن عبد الله بن أبي عَتِيق، عن عامر بن عبد الله ابن الزُّبَير، عن بعض أهلِه قال: قال أبو قُحَافةَ لأبي بكر: يا بنيَّ، إنّي أراكَ تُعتِقُ رِقاباً ضِعافاً، فلو أنّك إذ فعلتَ ما فعلتَ أعتقتَ رجالاً جُلْداً[1] يَمنَعُونك ويقومون دونَك! قال: فقال أبو بكر: يا أبَتِ، إنّي إنَّما أريد ما أريد لله عزَّ وجلَّ. قال: فيُتحدَّث أنّه ما نَزَلَ هؤلاء الآياتُ إلّا فيه وفيما قال له أبوه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل: ٥-٢١][2].

قال ابن إسحاق: وكانت بنو مخزومٍ يخرجون بعمّار بن ياسرٍ وبأبيه وأمِّه ـ وكانوا أهلَ بيتِ إسلامٍ ـ إذا حَمِيَت الظَّهيرةُ، يعذِّبونهم برَمْضاءِ مكة[3]، فيمرُّ بهم

---

(١) أي: أشدّاء أقوياء، واحدها: جَلْدٌ وجَلِيد.

(٢) إسناده حسن إن شاء الله من أجل ابنِ أبي عتيق، وعامرُ بن عبد الله بن الزبير ثقة من كبار العُبّاد، وأكثر حديثه عن أبيه، وقد جاء مصرَّحاً به في رواية عبد الله بن سعيد الأُمويّ عن زياد بن عبد الله البكّائيّ عن ابن إسحاق عند الحاكم في «مستدركه» (٣٩٨٦) وصحّحه.

ورواه كرواية ابن هشامٍ إبراهيمُ بن سعد الزهريُّ عند أحمد بن حنبل وابنه في «فضائل الصحابة» (٦٦) و(٢٩١)، ومن طريقه الواحديُّ في «أسباب النزول» (٨٥٥) وابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٠/ ٦٩.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٢٤/ ٤٦٦ من طريق عبد الرحمن بن محمد المُحاربيّ، عن ابن إسحاق؛ فجعله مرسلاً من قول عامر بن عبد الله بن الزبير.

(٣) الرَّمضاء: الرمل الحارُّ من شدّة حرارة الشمس.

رسولُ الله ﷺ فيقول ـ فيما بلغني ـ: «صَبْراً آلَ ياسرٍ، مَوعِدُكم الجنّةُ»[1]، فأمّا أمُّه فقتلوها، تأْبَى إلّا الإسلامَ[2].

(١) حديث صحيح.

فهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص١٩٢، وفيها قال ابن إسحاق: حدّثني رجال من آل عمّار بن ياسر، ثم ذكر نحوه. ومن طريق يونس أخرجه أبو عبد الله الحاكم في «المستدرك» (٥٧٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥١٥)، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٦٢٨. وهذا مرسلٌ.

ويشهد له بلفظه حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عند ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب» (٤٦)، وأبي أحمد الحاكم في «الأسامي والكنى» ٣/ ٣٧، ورجاله لا بأس بهم.

وبنحوه حديث أبي الزُّبير عن جابر: أن النبي ﷺ مرَّ بعمّار بن ياسر وبأهله وهم يُعذَّبون في الله، فقال: «أبشِروا آل ياسر، موعدكم الجنّة». أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٥٠٨)، والحاكم (٥٧٧٠)، ورجاله ثقات، ووقع عند ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٢٣٠ عن أبي الزبير مرسلاً.

ومرسل يوسف بن ماهَك عند ابن سعد ٣/ ٢٣٠ و ٤/ ١٢٧، وأبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٦٦٣)، ورجاله ثقات.

وحديث سالم بن أبي الجعد عن عثمان بن عفان قال: أقبلتُ مع رسول الله ﷺ آخذاً بيدي نتمشّى في البطحاء، حتّى أتى على أبيه وأمه وعليه ـ يعني عمّاراً ـ يُعذَّبون، فقال أبو عمّار: يا رسول الله، الدهرَ هكذا؟! فقال له النبي ﷺ: «اصبِرْ» ثم قال: «اللهمّ اغفر لآل ياسر، وقد فعلتَ». أخرجه أحمد (٤٣٩)، ورجاله ثقات إلا أنه منقطع، سالم بن أبي الجعد لم يدرك عثمان. وقوله: «وقد فعلتَ» ذكر السِّنديُّ في «حاشيته على المسند» ١/ ٢٥٤ أنه بفتح التاء قال: يحتمل أنه إخبار بأنه استُجيب دعاؤُه، ويحتمل أنه تأكيد للدُّعاء بمنزلة آمين.

(٢) ونقل ابن حجر في «الإصابة» ١١/ ٣٧٥ عن الكلبيِّ أنَّ ياسراً مات في العذاب.

أمّا عمّارٌ، فقد روي عنه ـ كما عند الحاكم في «المستدرك» (٣٤٠٢) وغيره من وجهٍ حسنٍ ـ: أنهم لم يتركوه حتى سبَّ النبيَّ ﷺ وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى رسولَ الله ﷺ قال: «ما وراءَكَ؟» قال: شرٌّ يا رسول الله، ما تُرِكتُ حتى نِلتُ منك وذكرتُ آلهتهم بخير، قال: «كيف تجدُ قلبَك؟» =

وكان أبو جهلٍ الفاسق الذي يُغْري بهم[1] في رجالٍ من قريش، إذا سمع بالرّجل قد أسلَمَ له شرفٌ ومَنَعةٌ، أنّبَه وخَزّاه فقال: تركتَ دين أبيك وهو خيرٌ منك، لنُسفِّهَنَّ حِلمَك[2]، ولنُفَيِّلَنَّ رأيَك[3]، ولنَضَعَنَّ شرفَك، وإن كان تاجراً قال: والله لنُكسِّدنَّ تجارتَك، ولنُهلِكَنَّ مالَك، وإن كان ضعيفاً ضربه وأَغرَى به.

= قال: مطمئنٌّ بالإيمان، قال: «إن عادُوا فعُدْ».

فائدة: عقد السهيليُّ هنا في «الروض الأنف» ٣/ ٢١٨ فصلاً في المُكرَه على الكفر والمعصية، فقال بعد أن أشار إلى نزول قول الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل:١٠٦] في هؤلاء المعذَّبين: لمّا كان الإيمان أصلُه في القلب، رُخِّص للمؤمن في حال الإكراه أن يقول بلسانه إذا خاف على نفسه حتّى يأمَنَ، قال ابن مسعود: ما من كلمة تَدفَعُ عنّي سوطين إلا قلتُها؛ هذا في القول.

فأمّا الفعلُ، فتنقسم فيه الحالُ: فمنه ما لا خلافَ في جوازه كشرب الخمر إذا خاف على نفسه القتلَ، وإن لم يَخَفْ إلا ما دون القتل، فالصبرُ له أفضل، وإن لم يَخَفْ في ذلك إلا كسَجْنٍ يوم، أو طَرَفٍ من الهَوَان خفيف، فلا تحلُّ له المعصيةُ من أجل ذلك، وأمّا الإكراه على القتل، فلا خلافَ في حَظْره؛ لأنه إنما رُخِّصَ له فيما دون القتل، ليدفعَ بذلك قتلَ نفسٍ مؤمنةٍ، وهي نفسُه، فأمّا إذا دَفَعَ عن نفسه بنفسٍ أُخرى، فلا رخصةَ.

واختُلِف في الإكراه على الزِّنى، فذُكر عن ابن الماجشون أنه قال: لا رخصةَ فيه؛ لأنه لا يَنتشِرُ له إلا عن إرادةٍ في القلب أو شهوة، وأفعالُ القلب لا تُباحُ مع الإكراه، وقال غيره: بل يُرخَّص في ذلك لمن خاف القتلَ، لأنّ انبعاث الشهوة عند المُماسَّة بمنزلة انبعاث اللُّعاب عند مضغ الطعام، وقد يجوز أكلُ الحرام إذا أُكره عليه.

(١) أي: يحرّش عليهم.

(٢) أي: عقلك.

(٣) أي: لنضعّفنّه، يقال: رجلٌ فِيلُ الرأي، أي: ضعيفه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني حَكِيم بن جُبَير، عن سعيد بن جُبير قال: قلت لعبد الله بن عبّاس: أكان المشركون يَبلُغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذَرُون به في تركِ دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليَضرِبُون أحدَهم ويُجِيعُونه ويُعطِّشونه حتّى ما يَقدِرُ أن يستويَ جالساً من شدّة الضُّرِّ الذي به، حتّى يعطيَهم ما سألوه من الفتنة، حتّى يقولوا له: اللّاتُ والعُزَّى إلٰهُك من دون الله؟ فيقول: نعم، حتّى إن الجُعَلَ[1] ليَمُرُّ بهم فيقولون له: أهذا الجُعَلُ إلٰهك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداءً منهم مما يَبلُغون من جَهدِه[2].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني الزُّبَير بن عُكّاشة بن عبد الله بن أبي أحمد[3] أنّه حُدِّثَ: أنَّ رجال بني مخزومٍ مَشَوْا إلى هشام بن الوليد حين أسلَمَ أخوه الوليدُ بن

---

(١) الجُعَل: دُويبّة سوداء معروفة كالخنفساء تدير القذارة بأنفها.

(٢) إسناده ضعيف جداً من أجل حكيم بن جبير، فإنه متَّفق على ضعفه، وليس بينه وبين سعيد بن جبير قرابةٌ.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص١٩٢-١٩٣، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «سننه» ٨/ ٢٠٩، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٦٢٨.

وقد ثَبَتَ أنّ النبي ﷺ كان يحضّ أصحابه على الثبات والصبر، فأخرج البخاري (٣٨٥٢) عن خبّاب بن الأرتّ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو مُتوسِّدٌ بُرْدةً وهو في ظلّ الكعبة وقد لَقِينا من المشركين شدةً، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله، فقعد وهو محمرٌّ وجهُه فقال: «لقد كان مَن قبلكم ليُمشَط بمِشاطِ الحديد ما دون عظامه من لحمٍ أو عصبٍ، ما يَصرِفُه ذلك عن دينه، ويوضع المِنشارُ على مَفرِق رأسه فيُشَقُّ باثنين، ما يَصرِفُه ذلك عن دينه، ولَيُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمر حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت ما يخافُ إلا الله».

(٣) الزبير بن عكاشة هذا لم نقف له على ترجمة، وليس له ذكر إلّا في هذا الخبر عند ابن إسحاق. وهو في «سيرته» برواية يونس بن بكير عنه ص٢٧٣-٢٧٤.

الوليد، وكانوا قد أجمَعُوا على أن يأخذوا فِتيةً منهم كانوا قد أسلَمُوا، منهم سَلَمة ابن هشام وعيَّاش بن أبي رَبِيعة، قال: فقالوا له، وخَشُوا شرَّه: إنّا قد أرَدْنا أن نُعاتِبَ هؤلاءِ الفِتيةَ على هذا الدِّين الذي أحدَثُوا، فإنّا نَأمَنُ بذلك في غيره، قال: هذا فعَلَيكُم به، فعاتِبُوه وإيّاكم ونفسَه، وأنشأَ يقول:

ألَا لا يُقتلَنَّ أَخي عُيَيشٌ[1] فيَبقَى بيننا أبداً تَلاحِي

احذَرُوا على نفسه، فأُقسِمُ بالله لئِنْ قتلتموه لأقتُلنَّ أشرَفَكم رجلاً، قال: فقالوا: اللهمَّ العَنْه، من يُغرِّرُ بهذا الخبيثِ[2]، والله لو أُصيبَ في أيدينا لقُتِلَ أشرفُنا رجلاً. قال: فتَرَكُوه ونَزَعُوا عنه، قال: وكان ذلك ممّا دَفَعَ اللهُ به عنهم.

---

(١) اضطربت النسخ في تقييد هذا الحرف، ففي (ت) و(ش١) و(ق١) و(م): عييشٌ، بالرفع، وفي (ص): عييشٌ، مرفوعاً ومجروراً، وفي (غ) و(ي): عبيسَّ، بباء وسين مهملة، وهو تصحيف، وتنوين النصب فوق السين من (ي) وحدها. وهشامٌ يعني بذلك أخاه الوليدَ كما قال الذهبيُّ في الترجمة النبويّة من «تاريخ الإسلام» ١/ ٦٠٢.

والتَّلاحي: اللَّوم.

(٢) أي: من يَلطَخ نفسه به ويؤذيها به، يقال: غرّره يغرّره، إذا لَطَخَه بشرٍّ ونسبه إليه.

ذكر المُهاجَرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق: فلمّا رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البَلَاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمِّه أبي طالب، وأنّه لا يَقدِرُ على أن يمنعَهم ممّا هم فيه من البلاء، قال لهم: «لو خَرَجتُم إلى أرضِ الحَبَشةِ، فإنَّ بها مَلِكاً لا يُظلَمُ عنده أحدٌ، وهي أرضُ صِدْقٍ، حتّى يجعلَ اللهُ لكم فَرَجاً ممّا أنتم فيه»[1]، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحَبَشة مخافةَ الفتنة، وفِراراً إلى الله بدينهم، فكانت أوّلَ هجرةٍ كانت في الإسلام.

فكان أوّلَ من خرج من المسلمين من بني أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْرٍ: عثمانُ بن عفّان بن أبي العاص بن أُميّة، معه امرأتُه رُقَيّة بنت رسول الله ﷺ.

ومن بني عبد شمس بن عبد مَنَاف: أبو حُذَيفة بن عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس، معه امرأتُه سَهْلة بنت سُهيل بن عمرٍو أخي بني عامر بن لؤيّ، وَلَدَت له بأرض الحبشة محمّدَ بن أبي حُذيفة.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ: الزُّبيرُ بن العوّام بن خُوَيلِد بن أسد.

---

(١) حديث صحيح دون قوله: «وهي أرض صدق»، فلم نقف عليه مُسنَداً.

وقد أَسند الحديثَ دون هذا الحرف يونسُ بنُ بكير في «السيرة» ص٢١٣ ـ ومن طريقه البيهقي في «السنن» ٩/ ٩ و«الدلائل» ٢/ ٣٠١ ـ وعبدُ الله بنُ إدريس الأَوديُّ عند أبي طاهر المخلِّص في «المخلِّصيّات» (١٩٨٣)، كلاهما (يونس وابن إدريس) عن ابن إسحاق قال: حدثني الزُّهْريّ، عن أبي بكر بن عبد الرَّحمن بن الحارث بن هشام، عن أم سلمة زوج النبيّ ﷺ، بهذا الحديث. وإسناده صحيح.

ومن بني عبد الدّار بن قُصيٍّ: مصعبُ بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار.

ومن بني زُهْرة بن كِلَابٍ: عبدُ الرَّحمن بن عَوف بن عبد عَوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة.

ومن بني مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة: أبو سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ابن عُمر بن مخزوم، ومعه امرأتُه أمُّ سَلَمة بنت أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: عثمانُ بن مَظْعون بن حَبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح.

ومن بني عَدِيِّ بن كعبٍ: عامرُ بن رَبِيعةَ حليفُ آل الخَطّاب، من عَنْز بن وائلٍ[1]، معه امرأتُه ليلى بنت أبي حَثْمة بن حُذَافة بن غانم بن عامر[2] بن عبد الله بن عَوف ابن عَبِيد بن عَوِيج بن عَديّ بن كعب.

ومن بني عامر بن لؤيّ: أبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، ويقال: بل أبو حاطب بن عَمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، ويقال: هو كان أوّلَ من قَدِمَها.

---

(١) في (غ) بعد هذا: قال ابن هشام: ويقال: من عنزة بن أسد بن ربيعة. قلنا: ولم يُشِر إلى ذلك السهيليُّ في «الروض الأنف» ٣/ ٣٦ حيث تكلّم على تقييد عنز بن وائل، مما يدلّ على أنه ليس في نسخته أيضاً من «سيرة ابن هشام».

(٢) قوله: «بن عامر» من (ش١) و(ص) و(م)، وهو الصواب الموافق لكتب الأنساب، وانظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص١٥٦.

ومن بني الحارث بن فِهْرٍ: سُهَيل ابن بَيضاءَ، وهو سُهَيل بن وهب بن رَبيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضَبّة بن الحارث.

فكان هؤلاءِ العشرة أوّلَ من خرج من المسلمين إلى أرض الحَبَشة، فيما بَلَغني.

قال ابن هشام: وكان عليهم عثمانُ بن مَظعُونٍ فيما ذكر لي بعضُ أهل العلم.

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج جعفرُ بن أبي طالب، وتتابع المسلمون حتّى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها، منهم من خرج بأهلِه معه، ومنهم من خرج بنفسِه لا أهلَ له معه:

من[1] بني هاشم بن عبد مَنَاف بن قُصيّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْرٍ: جعفرُ بن أبي طالب بن عبد المُطَّلِب بن هاشم، ومعه امرأتُه أسماءُ بنت عُمَيس بن النُّعمان بن كعب بن مالك بن قُحَافة بن خَثعَم، وَلَدَت له بأرض الحبشة عبدَ الله بن جعفر؛ رجلٌ.

ومن بني أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنَافٍ: عثمانُ بن عفّان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس، معه امرأتُه رُقيّةُ بنت رسول الله ﷺ، وعَمرُو بن سعيد بن العاص بن أُميّة، معه امرأتُه فاطمةُ بنت صفوان بن أُميّة بن مُحرِّث بن خُمْل[2] بن شِقّ بن رُقَيّة[3] بن مُخدَجٍ الكِنانيّ، وأخوه خالدُ بن سعيد بن العاص بن أُميّة، معه

---

(١) في (غ) و(ق١) و(ي): ومن، بواو، والمثبت من (ت) و(ش١) و(ص) و(م)، وهو أصحّ، لأنه بدأ بتَعدادهم على حسب قبائلهم.

(٢) قوله: «بن خمل» من (م) و(ي) وحاشية (ص)، وهو موافق لما في كتب الأنساب، ويقال فيه: خَمْل، بفتح أوله كما في «المؤتلف والمختلف» للدارقطني ١/ ٣٩٧.

(٣) هكذا قُيّد في النسخ الخطية وبالياء المثنّاة، غير نسخة (م) ففيها وفي المطبوع من كتب التراجم والأنساب: رَقَبة، بالموحَّدة، ولم نقف على من نصَّ على تقييده بأحد الوجهين!

امرأتُه أُمَيْنةُ بنت خَلَف بن أسعَد بن عامر بن بَيَاضة بن سُبَيع بن خَثعَمة[1] بن سعد ابن مُلَيح بن عمرو، من خُزَاعة.

قال ابن هشام: ويقال: هُمَينة[2] بنت خَلَف.

قال ابن إسحاق: وَلَدَت له بأرض الحبشة سعيدَ بن خالد وأَمَةَ بنت خالد، وتزوَّج أَمَةَ بعد ذلك الزُّبيرُ بن العوّام، فوَلَدَت له عمرَو بن الزُّبير وخالدَ بن الزبير.

ومن حُلَفائهم من بني أَسد بن خُزَيمة: عبدُ الله بن جَحْش بن رِئَاب بن يَعمَر بن صَبِرة بن مُرّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودَان بن أسَد، وأخوه عُبَيدُ الله بن جحش، معه امرأتُه أمُّ حَبيبة بنت أبي سفيان بن حَرْب بن أُميّة، وقيسُ بن عبد الله، رجلٌ من بني أسد بن خُزَيمة، معه امرأتُه بَرَكةُ بنت يَسَار مولاةُ أبي سفيان بن حرب بن أميّة، ومُعَيقِيبُ بن أبي فاطمة، وهو إلى[3] آلِ سعيد بن العاص؛ سبعةُ نَفَرٍ.

قال ابن هشام: مُعَيقيبٌ من دَوْس.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبد شمس بن عبد مَنَافٍ: أبو حُذيفة بن عُتْبة بن

---

(١) كذا وقع لابن إسحاق: سبيع بن خثعمة، وكذا هو عند ابن منده في «معرفة الصحابة» ص٤٦١، وابن حزم في «جوامع السيرة» ص٥٧ و٥٩، وزعم أبو ذرّ الخشنيُّ في «إملائه» ص٨٠ أن الصواب فيه: يُثَيع بن جُعثمة.

(٢) ويقال: أُميمة، بميمين، وصوّب الخشنيّ أنه بالنون.

(٣) في نسخة على حاشية (ق١): وهؤلاء إلى، وفي النسخ المطبوعة من هذه السيرة: وهؤلاء آل سعيد بن العاص، وكلاهما خطأ، فابن إسحاق يتكلّم عن معيقيب فقط، وهو حليف أو مولى لسعيد بن العاص من بني عبد شمس، ولمّا نقل ابن كثير في «البداية والنهاية» ٤/ ١٦٩ عن «سيرة ابن هشام» في هذا الموضع قال: ومعيقيب بن أبي فاطمة وهو من موالي آل سعيد بن العاص.

رَبيعة بن عبد شمس، وأبو موسى الأشعَريُّ، واسمه عبد الله بن قيسٍ، حليفُ آل عُتْبة بن ربيعة[1]؛ رجلان.

---

(١) كذا ذكر ابنُ إسحاق أبا موسى الأشعريَّ فيمن هاجر إلى الحبشة، وهو متعقَّبٌ، فقد قال ابن حزم في «جوامع السيرة» ص٥٨: ذكر قومٌ فيمن هاجر إلى الحبشة أبا موسى الأشعريَّ، وأنه كان حليفَ عُتبة بن ربيعة، وليس كذلك، لكنّه خرج في عِصابة من قومه مهاجراً من بلاده بأرض اليمن يريد المدينةَ، فرَكِبَ البحرَ، فرَمَتهم السفينةُ إلى أرض الحبشة، فأقام هنالك حتّى أَتى إلى المدينة مع جعفر بن أبي طالب.

ومن قبله ذَكَرَ ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٩٩ عن الواقديّ عن خالد بن إلياس عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجَهْم ـ وكان علّامة نسّابة ـ قال: ليس أبو موسى من مهاجرة الحبشة، وليس له حِلفٌ في قريش، وقد كان أسلم بمكة قديماً، ثم رجع إلى بلاد قومه، فلم يزل بها حتى قدم هو وناسٌ من الأشعريِّين على رسول الله ﷺ، فوافق قدومُهم قدومَ أهل السفينتين جعفر وأصحابه من أرض الحبشة، ووافقوا رسولَ الله ﷺ بخيبر، فقالوا: قدم أبو موسى مع أهل السفينتين، وكان الأمر على ما ذكرنا أنه وافق قدومُه قدومَهم. ثم قال ابن سعد: ولم يذكره موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق وأبو مَعشَر فيمن هاجَرَ إلى أرض الحبشة.

قلنا: كذا نسب إلى ابن إسحاق أنه لم يذكره في مُهاجِرة الحبشة، وهو ذهولٌ منه، فابن إسحاق قد ذكره فيهم كما وقع هنا.

وكون أبي موسى أسلم قديماً بمكة ثم رجع إلى بلاده، هذا غير صحيح، والصحيح في إسلامه ووقوعه إلى الحبشة ثم قدومه إلى النبي ﷺ ما أخبر به هو نفسه فيما أخرجه البخاري (٣١٣٦) و(٣٨٧٦) ومسلم (٢٥٠٢) من حديث ابنه أبي بُرْدة عنه قال: بَلَغَنا مخرجُ رسول الله ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأَخَوانِ لي، أنا أصغرُهما، أحدهما أبو بُرْدة والآخر أبو رُهْم ـ إما قال: في بِضعٍ، وإما قال: في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي ـ فرَكِبْنا سفينةً فألقَتْنا سفينتُنا إلى النَّجَاشي بالحبشة، فوافَقْنا جعفرَ بن أبي طالبٍ وأصحابَه عنده، فقال جعفر: إنّ رسول الله ﷺ بَعَثَنا هاهنا وأمَرَنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقَمْنا معه حتى قَدِمْنا جميعاً، قال: فوافَقْنا رسولَ الله ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهَمَ لنا ـ أو قال: أعطانا منها ـ وما قَسَمَ لأحدٍ غابَ =

ومن بني نَوفَل بن عبد مَنَاف: عُتْبةُ بن غَزْوان بن جابر بن وهب بن نَسِيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان، حليفٌ لهم؛ رجل.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ: الزُّبيرُ بن العوّام بن خُويلِد بن أسد، والأسودُ بن نَوفَل بن خُويلِد بن أسد، ويزيدُ بن زَمْعة بن الأسود بن المُطَّلِب بن أسد، وعمرُو بن أميّة بن الحارث بن أسد؛ أربعةُ نفرٍ.

ومن بني عبد بن قُصيٍّ: طُلَيبُ بن عُمَير بن وهب بن أبي كَبير بن عبدٍ؛ رجلٌ.

ومن بني عبد الدّار بن قُصيٍّ: مصعبُ بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار، وسُوَيبِط بن سعد بن حُرَيمِلة بن مالك بن عُمَيلة بن السَّبّاق بن عبد الدّار، وجَهْم بن قيس بن عبدِ شُرَحبيل بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار، معه امرأتُه أمُّ حَرمَلة بنت عبد الأسود بن جَذِيمة بن أُقَيش بن عامر بن بَيَاضة بن سُبَيع بن خَثعَمة بن سعد بن مُلَيح بن عمرو، من خُزَاعة، وابناه عَمرو بن جَهْم وخُزَيمة بنت جَهْم[1]، وأبو الرُّوم بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار، وفِراس بن النَّضر

= عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهد معه، إلا لأصحاب سفينتِنا مع جعفرٍ وأصحابه، قَسَمَ لهم معهم.

(١) كذا وقع لابن إسحاق هنا وفيما سيأتي في خبر قدومهم مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة: أن خزيمة أنثى، ووقع للزبير بن بكّار كما في «أسد الغابة» لابن الأثير ١/ ٦١٢ ولابن أبي حاتم عن أبيه في «الجرح والتعديل» ٣/ ٣٨٢: أنه ذكرٌ، ولذلك اضطرب ابن عبد البر في «الاستيعاب» فترجم لخزيمة مرّتين، مرّةً في الرجال، وأخرى في النساء، وبناءً عليه ذكر ابن الأثير لخزيمة في «أسد الغابة» ترجمتين ١/ ٦١٢ و٦/ ٨٦، وكذلك اضطربت المصادر التي ذكرت خزيمةَ هذه، ولم يَفصِل أحدٌ فيها بشيءٍ، والله تعالى أعلم.

ابن الحارث بن كَلَدَة بن عَلقَمة بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار؛ خمسةُ نفرٍ.

ومن بني زُهْرة بن كِلابٍ: عبدُ الرَّحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة، وعامرُ بن أبي وَقّاص ـ وأبو وقّاصٍ مالكُ بن أُهَيب بن عبد مَنَاف ابن زُهْرة ـ والمُطَّلِب بن أَزهَر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة، معه امرأتُه رَمْلةُ بنت أبي عوف بن صُبَيرة بن سُعَيد بن سَعْد بن سَهْم، وَلَدَت له بأرض الحبشة عبدَ الله بن المُطَّلِب.

ومن حُلفائهم من هُذَيلٍ: عبدُ الله بن مسعود بن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهِل بن الحارث بن تَمِيم بن سَعْد بن هُذَيل، وأخوه عُتْبةُ بن مسعود.

ومن بَهْراءَ: المِقدادُ بن عمرو بن ثَعلَبة بن مالك بن رَبيعة بن ثُمَامة بن مَطرُود بن عمرو بن سعد بن زُهير بن ثَوْر[1] بن ثَعلَبة بن مالك بن الشَّرِيد بن هَزْل بن فائش[2] ابن دُرَيم بن القَيْن بن أَهْوَد بن بَهْراء بن عمرو بن الْحَاف بن قُضَاعة.

قال ابن هشام: ويقال: هَزْل بن قاسِ[3] بن ذرّ، ودَهِير[4] بن ثَوْر.

قال ابن إسحاق: وكان يقال له: المِقداد بن الأسود بن عبد يَغُوث بن عبد مَنَاف ابن زُهْرة، وذلك أنّه كان تَبنّاه في الجاهليّة وحالفه؛ ستةُ نفرٍ.

---

(١) هكذا وقع لابن هشام عن زياد عن ابن إسحاق، ومن طريقه رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٠/ ١٤٨: زهير بن ثور، وفي رواية إبراهيم بن سعد الزهريّ عن ابن إسحاق: زهير بن لؤي، وهو الذي صوّبه أبو ذرّ الخشنيّ في «إملائه» ص٩٩.

(٢) قال الخشنيّ: كذا وقع: ابن هزل بن فائش، وصوابه: ابن أبي أهوز بن أبي فائش.

(٣) في (ش١): فاش، وفي (ص): قاش، وفي (ق١): فاس.

(٤) وقُيّد في (ت) و(ي): دُهَير. قال الزَّبيديّ في «تاج العروس» ١١/ ٣٥٢: كأَميرٍ دَهِيرُ بن لؤيّ بن ثعلبة، من أجداد المِقداد بن الأسود.

ومن بني تَيْم بن مُرّةَ: الحارثُ بن خالد بن صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم، معه امرأتُه رَيْطةُ بنت الحارث بن جُبَيلة بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم، وَلَدَت له بأرض الحبشة موسى بنَ الحارث وعائشةَ بنت الحارث وزينبَ بنت الحارث وفاطمةَ بنت الحارث، وعمرُو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم؛ رجلان.

ومن بني مَخزُوم بن يَقَظَة بن مُرّةَ: أبو سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ابن عُمر بن مخزوم، معه امرأتُه أمُّ سَلَمة بنت أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وَلَدَت له بأرض الحبشة زينبَ بنت أبي سَلَمة، واسم أبي سَلَمة عبدُ الله، واسم أمِّ سَلَمة هِندٌ، وشَمّاسُ بن عثمان بن الشَّرِيد بن سُوَيد بن هَرْميّ بن عامر بن مخزوم.

قال ابن هشام: اسم شَمّاسٍ عثمانُ، وإنّما سُمِّيَ شمّاساً، لأن شمّاساً من الشَّمَامسة قَدِمَ مكة في الجاهليّة[1]، وكان جميلاً فعَجِبَ الناس من جماله، فقال عُتبة بن ربيعة، وكان خالَ شمّاسٍ: أنا آتيكم بشمّاس أحسنَ منه، فجاء بابن أُخته عثمان بن عثمان، فسُمّيَ شمّاساً فيما ذكر ابن شِهابٍ وغيره.

قال ابن إسحاق: وهَبّارُ بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأخوه عبدُ الله بن سفيان، وهشامُ بن أبي حُذَيفة بن المُغِيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وسَلَمةُ بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وعيّاشُ بن أبي رَبيعة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ومن حُلَفائهم: مُعتِّبُ بن عوف بن عامر بن الفضل بن عَفِيف بن كُلَيب بن حُبْشيّة

(١) الشَّمّاس: من رؤوس النصارى الذي يحلق وسط رأسه، لازماً للبِيعة أو الصومعة.

ابن سَلُول بن كعب بن عَمرو، من خُزَاعة، وهو الذي يقال له: عَيْهامةُ؛ ثمانيةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: ويقال: حَبَشيّةُ[1] بن سَلُول، وهو الذي يقال له: مُعتِّبُ ابنُ حَمْراءَ.

قال ابن إسحاق: ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: عثمانُ بن مَظعُون بن حَبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمَحَ، وابنُه السائب بن عثمان، وأخواه قُدَامةُ بن مظعون وعبدُ الله بن مظعون، وحاطبُ بن الحارث بن مَعمَر بن حَبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح، معه امرأتُه فاطمةُ بنت المُجلِّل بن عبد الله بن أبي قيس ابن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وابناه محمّد بن حاطب والحارث ابن حاطب، وهما لبنتِ المُجلِّل، وأخوه خَطّاب بن الحارث، معه امرأتُه فُكَيهةُ بنت يَسَار، وسفيانُ بن مَعمَر بن حَبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح، معه ابناه جابر بن سفيان وجُنَادة بن سفيان، ومعه امرأتُه حَسَنةُ، وهي أمُّهما، وأخوهما من أمِّهما شُرَحْبيلُ ابن حَسَنةَ، أحدُ الغَوْث.

قال ابن هشام: شُرَحبيل بن عبد الله أحدُ الغَوْث بن مُرٍّ، أخي تَمِيم بن مُرّ.

قال ابن إسحاق: وعثمانُ بن ربيعة بن أُهْبان بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح؛ أحدَ عشرَ رجلاً.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: خُنَيسُ بن حُذَافة بن قيس بن عَديّ بن سُعيد بن سَهْم، وعبدُ الله بن الحارث بن قيس بن عَديّ بن سُعيد بن سَهْم[2]، وهشامُ بن العاص بن وائل بن سُعَيد بن سَهْم.

---

(١) تقدّم بيان الخلاف في تقييد هذا الاسم عند الكلام على قصيّ وأولاده ص١١٨.

(٢) كذا لابن إسحاق، والصواب في نسب عديٍّ حيث يقع أنه ابن سَعْد بن سهم، أمّا سُعَيد =

قال ابن هشام: العاصِ بنُ وائل بن هاشم[1] بن سُعَيد بن سَهْم.

قال ابن إسحاق: وقيسُ بن حُذَافة بن قيس بن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم، وعبدُ الله بن حُذَافة بن قيس ابن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم، والحارثُ بن الحارث بن قيس بن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم، ومَعمَرُ بن الحارث بن قيس بن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم، وبِشرُ بن الحارث ابن قيس بن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم، وأخٌ له من أمِّه من بني تَمِيم يقال له: سَعيد ابن عمرو، وسَعيدُ بن الحارث بن قيس بن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم، والسائبُ بن الحارث بن قيس بن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم، وعُمَيرُ بن رِئَاب بن حُذَيفة بن مُهشِّم ابن سُعَيد بن سَهْم، ومَحمِيَةُ بن الجَزْء، حليفٌ لهم من بني زُبَيد؛ أربعةَ عشرَ رجلاً.

ومن بني عَدِيِّ بن كعبٍ: مَعمَرُ بن عبد الله بن نَضْلة بن عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عوف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عَديّ، وعُرْوةُ بن عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عوف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عَديّ، وعَديُّ بن نَضْلة بن عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عوف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عَديّ، وابنُه النُّعمان بن عديّ، وعامرُ بن رَبيعة، حليفٌ لآل الخَطّاب، من عَنْز بن وائل، معه امرأتُه ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم؛ أربعةُ نفرٍ.

ومن بني عامر بن لؤيٍّ: أبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، معه امرأتُه أمُّ كُلْثوم بنت سُهَيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وعبدُ الله بن مَخرَمة بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر،

= فيقع في نسب العاص وأبنائه كما تقدم بيانه ص٦٣، وهو أيضاً في نسب عُمير بن رئاب الآتي.

(١) في (ت) و(ق١): هشام، وهو تحريف.

وعبدُ الله بن سُهَيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ابن عامر، وسَلِيطُ بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ابن عامر، وأخوه السَّكْرانُ بن عمرو، ومعه امرأتُه سَوْدة بنت زَمْعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، ومالكُ بن زَمْعة[1] بن قيس ابن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، معه امرأتُه عَمْرةُ بنت السَّعديّ بن وَقْدان بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ابن عامر، وسعدُ ابن خَوْلة، حليفٌ لهم؛ ثمانيةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: سعدُ ابن خَوْلة من اليمن.

قال ابن إسحاق: ومن بني الحارث بن فِهْرٍ: أبو عُبيدة بن الجَرّاح، وهو عامر بن عبد الله بن الجَرّاح بن هلال بن أُهَيب بن ضَبّة بن الحارث، وسُهَيلُ ابن بَيضاءَ، وهو سُهيل بن وهب بن رَبيعة بن هلال بن أُهيب بن ضَبّة بن الحارث، ولكنْ أمُّه غَلَبَت على نسبه، فهو يُنسَبُ إليها، وهي دَعْد بنت جَحدَم بن أُميّة بن ظَرِب بن الحارث بن فِهر، وكانت تُدعى بيضاءَ، وعمرُو بن أبي سَرْح بن رَبيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضَبّة بن الحارث، وعِيَاضُ بن زُهير بن أبي شدّاد بن رَبيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضَبّة بن الحارث، ويقال: بل رَبيعة بن هلال بن مالك بن ضَبّة بن الحارث، وعمرُو بن الحارث بن زُهير بن أبي شدّاد بن رَبيعة بن هلال بن مالك بن ضَبّة بن الحارث، وعثمانُ بن عبد غَنْم بن زُهير بن أبي شدّاد بن رَبيعة بن هلال بن

---

(١) كذا في (ش١) و(ص) و(م)، وتحرف في بقيّة النسخ إلى: ربيعة. ومالك هذا أخو أمّ المؤمنين سَوْدة بنت زَمْعة كما نصَّ على ذلك غيرُ واحد ممّن ترجم له في الصحابة.

مالك بن ضَبّة بن الحارث، وسعدُ بن عبد قيس بن لَقِيط بن عامر بن أُميّة بن ظَرِب ابن الحارث بن فِهْر، والحارثُ بن عبد قيس بن لَقِيط بن عامر بن أُميّة بن ظَرِب بن الحارث بن فِهْر؛ ثمانيةُ نفرٍ.

فكان جميعُ من لَحِقَ بأرض الحبشة وهاجَرَ إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الّذين خرجوا بهم معهم صِغاراً ووُلِدوا بها، ثلاثةً وثمانين رجلاً إن كان عمّار بن ياسرٍ فيهم، وهو يُشَكُّ فيه.

ذكر ما قيل من الشِّعر في الهجرة إلى الحبشة

وكان ممّا قيل من الشِّعر في الحبشة، أن عبد الله بن الحارث بن قيس بن عَديّ ابن سُعيد بن سَهْم حين أَمِنوا بأرض الحبشة وحَمِدوا جِوارَ النَّجَاشيِّ، وعَبَدوا الله لا يخافون على ذلك أحداً، وقد أحسَنَ النجاشيُّ جِوارَهم حين نزلوا به، قال:

يـا راكبـاً بلِّغَـنْ عنّـى مُغَلغَلـةً ... مَـن كـان يَرجُـو بـلاغَ الله والـدِّينِ[1]

كـلَّ امـرِئٍ مـن عِبـادِ الله مُضـطهَدٍ ... بـبطنِ مكّـةَ مقهـورٍ ومفتـونِ[2]

أنّـا وَجَـدْنا بـلادَ الله واسـعةً ... تُنْجي من الـذلِّ والمَـخْزاةِ والهُـونِ[3]

فـلا تُقِيمـوا علـى ذلِّ الحيـاةِ وخِـزْ ... يٍ في المَماتِ وغَيـبٍ[4] غيـرِ مأمونِ

---

(١) المغلغلة: الرسالة يرسل بها من بلد إلى بلد.

(٢) المضطهَد: الذليل المقهور.

(٣) الهُون: الذل والمهانة.

(٤) في (ت) و(ق١): وعيب، بالعين المهملة، وفي (ش١): وعَيشٍ، والمثبت من (ص) و(غ) و(م) و(ي)، وهو الصواب. والمراد بالغيب هنا: المستقبَل، يريد أن يحثَّ المستضعَفين في مكة على الهجرة، لأنهم لا يدرون ماذا ستفعل بهم قبائلهم في الأيام المقبلة، فهم غير آمنين فيهم.

إنّـا تَبِعْنـا رسـولَ الله واطَّرَحُـوا ... قـولَ النبـيِّ وعـالُوا في المـوازينِ[1]

فاجعَلْ عـذابَك بـالقومِ الّـذينَ بَغَـوْا ... وعائـذٌ[2] بـك أن يَعلُـوا فيُطْغُـوني

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً، يَذكُر نفيَ قريشٍ إيّاهم من بلادهم، ويعاتب بعضَ قومه في ذلك:

أبَـتْ كَبِـدي ـ لا أَكـذِبَنْكَ ـ قِتـالَهمْ ... علـيَّ، وتأْبـاهُ علـيَّ أَنـامِلي[3]

وكيـف قتـالي مَعشـراً أدَّبُـوكمُ ... علـى الحـقِّ ألّا تَأشِـبُوه بباطـلِ[4]

نَفَتْهم عِبادُ الجنِّ من حُـرِّ أرضِـهمْ ... فأضْـحَوْا على أمـرٍ شـديدِ البلابـلِ[5]

فـإنْ تـكُ كانـت في عَـدِيٍّ أمانـةٌ ... عديِّ بـن سَعدٍ عـن تُقًى أو تَواصُـلِ

فقـد كنـتُ أرجـو أنّ ذلـكَ فـيكمُ ... بحَمـدِ الّـذي لا يُطَّبَـى بالجَعائـلِ[6]

وبُـدِّلتُ شِـبلاً ـ شِـبلَ كـلِّ خَبيثـةٍ ـ ... بذِي فَجَرٍ مَـأْوى الضِّـعافِ الأرامـلِ[7]

---

(١) عالوا، أي: خانوا وظلموا.

(٢) قُيّد في (ش١): عائذاً، بالنصب، وفي (ص) و(م) بالرفع والنصب، وهذا البيت قد أنشده سيبويه في «الكتاب» ١/ ٣٤٢ فيما ينتصب بالفعل المتروك إظهارُه، قال السِّيرافي في «شرح أبيات سيبويه» ١/ ٢٥٢: الشاهد فيه أنه نصب (عائذاً بك) على الحال والعامل فيه محذوف، كأنه قال: أعوذ بك عائذاً، أو أخضع لك عائذاً، أو أستجير بك عائذاً، وما أشبه ذلك. اهـ

يقول: أعوذ بك يا رب أن يظهر عليَّ هؤلاء المشركون ويتمكّنوا منّي فيَفتنوني عن ديني.

(٣) كبدي، يعني: نَفْسي.

(٤) أي: أن لا تخلطوه بباطل.

(٥) حُرُّ الأرض: الأرض الكريمة. والبلابل: وساوسُ الأحزان.

(٦) لا يُطَّبى، معناه: لا يُستَمال ولا يُستدعَى. والجعائل: جمع جَعِيلة، وهي الجُعْل: وهو ما يُجعَل للمرءِ مقابلَ عملٍ عمله، وأراد بها هنا الرّشوة.

(٧) الفَجَر: العطاء الكثير. يقول: أبدلني اللهُ بخبثاء قومي، ذا عطاءٍ وخيرٍ كثير، ويعني به النجاشيَّ وجِوارَه الآمن.

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً:

تلـكَ قـريشٌ تَجحَـدُ اللهَ حقَّـهُ كما جَحَدَت عادٌ ومَديَنُ والحِجرُ[1]

فـإنْ أنـا لـم أُبـرِقْفلا يَسَـعَنّني من الأرضِ بَرٌّ ذو فَضاءٍ ولا بحرُ[2]

بـأرضٍ بهـا عَبـدُ الإلٰـهِ محمّـدٌ أُبـيِّنُ مـا في الـنفسِ إذْ بُلِـغَ النَّقْـرُ[3]

فسُمّيَ عبدُ الله بن الحارث ـ يرحمه الله ـ ببيته الذي قال، المُبْرِقَ.

وقال عثمان بن مظعونٍ يعاتبُ أميّةَ بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح، وهو ابن عمّه، وكان يُؤْذيه في إسلامه، وكان أميّة شريفَ قومه[4] في زمانه ذلك:

أتَيْمَ بـنَ عَمـرٍو، لِلَّـذي جاء بِغضَـةً ومِـن دُونِـه الشَّـرْمانُ والبَـرْكُ أكتَـعُ[5]

---

(١) جَحَدَت: أنكرَت. وعادٌ: قوم هود عليه السلام، ومَديَن: قوم شعيب عليه السلام، والحِجْر: ديار ثمود قوم صالح عليه السلام.

(٢) أُبرق: من أبرَقَ في الأرض، إذا ذهب بها، قال مصعب الزبيريّ في «نسب قريش» ص٤٠١: الإبراق: الذَّهاب.

(٣) النقر: البحث عن الشيء. ووقع في نسختي (ص) و(ق١): النفر، بالفاء.

(٤) في (ش١) و(ق١): شريفاً في قومه.

(٥) قوله: لِلّذي جاء بغضةً، قال السهيليّ في «الروض» ٣/ ٢٣٧: أُراه: عجباً لِلّذي جاء، والعرب تكتفي بهذه اللام في التعجّب... ثم ذكر أمثلةً لذلك، منها أن النبيَّ ﷺ قال في جنازة سعد بن معاذ وهو واقفٌ على قبره، وتقهقر ثم قال: «سبحان الله لِهذا العبدِ الصالحِ، ضُمَّ عليه القبر ثم فُرِّجَ عنه» (وهو عند أحمد في «مسنده»: ١٤٥٠٥، وغيره)، ومنها أنه قيل في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ أقوال، منها: أنها متعلِّقة بمعنى التعجُّب، كأنه قال: اعجَبوا لإيلاف قريش، قال: وبِغضةً نُصِب على التمييز كأنه قال: يا عجباً لما جاء به من بِغضةٍ، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله.

والشَّرمانُ ـ بضم النون كما قُيِّد في نسختنا الخطية ـ والبَرْك موضعان فيما قاله الخشنيّ، =

أأخرَجتَني من بطنِ مكّةَ آمناً ... وأسكَنتَني في صَرْحِ بَيضاءَ تُقذَعُ[1]

تَرِيشُ نِبالاً لا يُواتِيكَ رِيشُها ... وتَبْري نِبالاً ريشُها لك أجمَعُ[2]

وحاربتَ أقواماً كِراماً أعِزّةً ... وأهلكتَ أقواماً بهم كنتَ تَفزَعُ[3]

ستَعلمُ إنْ نابَتْكَ يوماً مُلِمّةٌ ... وأسلَمَك الأَوباشُ ما كنتَ تَصنَعُ[4]

= وذهب السهيليُّ إلى أن الشَّرمان مثنًّى ـ فهو على ذلك عنده بكسر النون ـ لأنه أراد البحر المِلْح والبحر العَذْب.

وأمّا البَرْك ـ وتُكسَر الباء أيضاً ـ فالغالب أنه أراد بَرْك الغِماد، وهي اليوم معروفة باسم البرك، بلدةٌ مرفأٌ على ساحل البحر الأحمر جنوب مكّة على بعد ٤٥٠ كم تقريباً، والظاهر من ذكر عثمان بن مظعون لها في هذا الموضع أنّ عبورهم إلى برّ الحبشة كان من مرفئها، ويُفهَم ذلك أيضاً ممّا رواه البخاري في «صحيحه» (٢٢٩٥) و(٣٩٠٥) في قصة خروج أبي بكر مهاجراً قِبَل الحبشة، ففيها: أنه لمّا بلغ بَرْكَ الغِماد لقيه ابن الدُّغُنَّة، وهو سيّد القارَةِ، فردَّه إلى مكة وأجاره على قريش.

وقوله: والبركُ أكتعُ، قال الخشنيُّ: هذه رواية غريبة، لأنه أكّد بأكتَعَ دون أن يتقدَّمه أَجمَع.

(١) يريد بقوله: صرح بيضاء، مدينة الحبشة كما قال السهيليُّ، والصَّرح: البناء العالي، وتُقذَع، أي: تُكرَه، وأراد الحَبَشة، وأصل الصَّرحِ القصرُ، يريد: أنه ساكن عند صَرْح النجاشيّ.

وذكر السهيليُّ: أن الزبير بن بكّار روى هذا الشعر بلفظ: في صرح بيطاءَ تُقدَع، وذكر أن بيطاءَ اسم سفينة، ومعنى تُقدَع، بالدال: تُدفَع، ورجَّح هذه الرواية على ما جاء في «السيرة»، واعتبر ما وقع فيها تصحيفاً.

(٢) تَرِيش نبالاً: تضع للسهام ريشاً، وتَبري نبالاً: تزيل ريشها. وقوله: لا يواتيك ريشها، أي: لا ينفعك ريشها، وقال الخشنيُّ: من رواه بفتح الراء، فهو مصدر راشَه يَرِيشه رَيشاً: إذا نفعه وجَبَره، ومن رواه بكسر الراء، فهو جمع رِيشةٍ.

(٣) تفزع، معناه هنا: تُغيث وتَنصُر من استغاث بك.

(٤) نابتك: أصابتك. ومُلِمّة: مصيبة. والأوباش: الضعفاء الداخلون في القوم وليسوا منهم.

وتَيْمُ بن عمرٍو الذي يدعو عثمانُ جُمَحُ؛ كان اسمه تَيْماً.

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها وخيبتُهم فيما طلبوه لصحّة إيمان النجاشيّ

قال ابن إسحاق: فلمّا رأت قريشٌ أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أَمِنوا واطمأنُّوا بأرض الحبشة، وأنّهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتَمَروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جَلِيدَين[1] إلى النَّجاشيّ، فيردَّهم عليهم، ليَفتِنوهم في دينهم، ويُخرِجوهم من دارهم التي اطمأنُّوا بها وأَمِنوا بها، فبعثوا عبدَ الله بن أبي رَبِيعة وعمرَو ابن العاص بن وائل[2]، وجَمَعوا لهما هدايا للنّجاشيِّ ولبَطارِقَتِه[3]، ثم بعثوهما إليه فيهم.

فقال أبو طالبٍ حين رأَى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه، أبياتاً للنّجاشيِّ يَحُضُّه على حُسْن جِوَارِهم والدَّفعِ عنهم:

أَلَا ليتَ شِعْري كيف في النَّأْيِ جعفرٌ
وعمرٌو وأعداءُ العدوِّ الأقاربُ[4]
وهلْ نالتَ أفعالُ النَّجاشيِّ جعفراً وأصحابَه أو عاقَ ذلك شاغِبُ[5]

---

(١) أي: شديدين، ورجلٌ جلْد وجَليد: شديدٌ صُلْب.

(٢) ثم أسلما فيما بعدُ وحسُنَ إسلامُهما، رضي الله عنهما.

(٣) البطارقة: القادة والوزراء.

(٤) النأي: البُعد.

(٥) عاق: منع.

وشاغبٌ بالغين المعجمة: من الشَّغْب، وهو المهيِّج للشّرِّ، ومن رواه بالعين المهملة فمعناه: مفرِّق، ومنه قيل للمَنيّة: شَعُوبُ، ولا يُصرَف.

تَعلَّمْ، أبَيتَ اللَّعنَ، أنّك ماجدٌ كريمٌ فلا يَشقَى لَدَيكَ المُجانِبُ[1]

تَعلَّمْ بأنّ الله زادَكَ بَسْطةً وأسبابَ خيرٍ كلَّها بك لازِبُ[2]

وأنّك فَيضٌ ذو سِجَالٍ غَزيرةٍ يَنالُ الأَعادي نَفْعَها والأقارِبُ[3]

قال ابن إسحاق: حدّثني محمّد بن مُسلِم الزُّهْريّ، عن أبي بكر بن عبد الرَّحمن ابن الحارث بن هشام المَخزُومي، عن أمّ سَلَمة بنت أبي أُميّة بن المغيرة زوجِ النبيّ ﷺ؛ قال: قالت: لمّا نَزَلْنا أرضَ الحَبَشة، جاوَرْنا بها خيرَ جارٍ النَّجَاشيَّ، أَمِنّا على ديننا، وعَبَدْنا اللهَ لا نُؤذَى ولا نَسمَعُ شيئاً نكرهه، فلمّا بَلَغَ ذلك قريشاً، ائتَمَرُوا بينهم أن يَبعَثوا إلى النّجاشيِّ فينا رجلين منهم جَلِيدَين، وأن يُهدُوا إلى النّجاشيِّ هدايا مما يُستَطرَفُ من مَتَاع مكّة، وكان من أعجبِ ما يأتيه منها الأَدَمُ[4]، فجمعوا له أَدَماً كثيراً، ولم يتركوا من بَطارقتِه بِطريقاً إلّا أَهدَوْا له هديّة، ثم بعثوا بذلك عبدَ الله بن أبي رَبيعة وعمرَو بن العاص، وأَمروهما بأمرِهم، وقالوا لهما: ادفَعا إلى كلِّ بِطْريقٍ هديّتَه قبل أن تُكلِّما النّجاشيَّ فيهم، ثم قَدِّما إلى النَّجاشيّ هداياه، ثمّ سَلَاه أن يُسلِمَهم إليكما قبل أن يُكلِّمَهم.

قالت: فخرجا حتّى قَدِما على النَّجاشيّ، ونحن عنده بخيرِ دارٍ عند خيرِ جارٍ،

---

(١) قوله: أبيتَ اللعنَ، هي تحيّة كانوا يُحيُّون بها الملوك في الجاهليّة، ومعناه: أَبَيتَ أن تأتي ما تُذَمُّ عليه. والمجانِب، معناه هنا: الداخل في حِمى الإنسان المُنضَوي إلى جانبه، وليس هو من المجانَبَة.

(٢) تعلَّمْ، أي: اعلم. ولازبٌ: لاصق، ولازبٌ ولازمٌ بمعنًى واحد.

(٣) فيضٌ معناه: جَوَاد. والسِّجال: العطايا، واحدها: سَجْل، وأصل السَّجل: الدَّلْو المملوءة ماءً، ثم يستعار للعَطيّة.

(٤) أي: الجلود.

فلم يَبْقَ من بطارقتِه بِطريقٌ إلا دَفَعا إليه هديّتَه قبل أن يكلِّما النَّجاشيَّ، وقالا لكلّ بِطريقٍ منهم: إنّه قد ضَوَى[1] إلى بلد المَلِك منّا غِلمانٌ سُفَهاءُ، فارَقُوا دينَ قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدِينٍ مُبتدَعٍ لا نعرفُه نحن ولا أنتم، وقد بَعَثَنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليَرُدَّهم إليهم، فإذا كلَّمْنا الملكَ فيهم، فأَشِيروا عليه بأن يُسلِمَهم إلينا ولا يُكلِّمَهم، فإنّ قومَهم أعلى بهم عَيناً[2]، وأعلمُ بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم.

ثم إنّهما قَرَّبا هداياهما إلى النَّجاشيّ فقَبِلَها منهما، ثم كلَّماه فقالا له: أيُّها الملك، إنّه قد ضَوَى إلى بلدك منّا غِلمانٌ سُفَهاءُ، فارَقُوا دينَ قومهم، ولم يدخلوا في دينِك، وجاؤوا بدينٍ ابتَدَعُوه، لا نعرفُه نحن ولا أنت، وقد بَعَثَنا إليك فيهم أشرافُ قومِهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردَّهم إليهم، فهم أعلى بهم عَيناً، وأعلمُ بما عابُوا عليهم وعاتَبُوهم فيه. قالت: ولم يكن شيءٌ أبغضَ إلى عبد الله بن أبي رَبِيعة وعمرو بن العاص من أن يسمعَ كلامَهم النَّجاشيُّ. قالت: فقالت بطارقتُه حولَه: صَدَقا أيّها الملك، قومُهم أعلى بهم عَيناً، وأعلمُ بما عابُوا عليهم، فأسلِمْهم إليهما فليَرُدّاهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغَضِبَ النَّجاشيُّ ثم قال: لاهَا اللهِ إذاً[3]، لا أُسلِمُهم إليهما، ولا يُكادُ

---

(١) ضوى، أي: أَوى ولجأَ.

(٢) أي: أبصرُ بهم، أي: عينهم وإبصارهم فوق عين غيرهم في أمرهم، فالعينُ هاهنا بمعنى الرؤية والإبصار، لا بمعنى العين التي هي الجارحة.

(٣) الهاء في «ها» بدل من الواو، أي: لا والله، هكذا جاء في الحديث: لاها الله إذاً، قيل: والصواب: لاها اللهِ ذا، بحذف الهمزة، ومعناه: لا والله لا يكون ذا، أو: واللهِ الأمرُ ذا، فحُذِف الكلام واختُصِر تخفيفاً لكثرة الاستعمال. انظر «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» =

قومٌ جاوَرُوني ونَزَلوا بلادي واختاروني على مَن سواي، حتّى أدعُوَهم فأسألَهم عمّا يقول هذانِ في أمرِهم، فإن كانوا كما يقولان، أسلمتُهم إليهما ورَدَدتُهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك، مَنَعتُهم منهم وأحسنتُ جِوارَهم ما جاوَرُوني.

قالت: ثمّ أرسَلَ إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلمّا جاءَهم رسولُه اجتمعوا ثمّ قال بعضُهم لبعضٍ: ما تقولون للرَّجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول ـ والله ـ ما عَلِمْنا وما أمَرَنا به نبيُّنا ﷺ، كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلمّا جاؤُوا، وقد دعا النَّجاشيُّ أساقِفَتَه[1] فنَشَرُوا مصاحفَهم حولَه، سألَهم فقال لهم: ما هذا الدِّينُ الذي فارَقتُم فيه قومَكم ولم تَدخُلوا به في دِيني ولا في دين أحدٍ من هذه المِلَل؟ قالت: فكان الذي كلَّمه جعفرُ بن أبي طالبٍ، فقال له: أيّها الملكُ، كنّا قوماً أهلَ جاهليّة، نعبدُ الأصنام، ونأكلُ المَيْتة، ونأتي الفواحش، ونَقطعُ الأرحام، ونُسيءُ الجِوَار، ويأكلُ القويُّ منّا الضَّعيف.

فكنّا على ذلك حتّى بَعَثَ اللهُ إلينا رسولاً منّا، نعرفُ نسبَه وصِدقَه وأمانتَه وعَفافَه، فدعانا إلى الله لنُوحِّدَه ونَعبُدَه، ونَخلَعَ ما كنّا نعبدُ نحن وآباؤُنا من دونِه من الحجارة والأوثان، وأمَرَنا بصِدْقِ الحديث، وأداءِ الأمانة، وصِلَةِ الرَّحِم، وحُسْن الجِوَار، والكفِّ عن المَحارِم والدِّماء، ونهانا عن الفواحش، وقولِ الزُّور، وأكلِ مال اليتيم، وقَذْفِ المُحصَنات، وأمَرَنا أن نَعبُدَ اللهَ وحده لا نشركُ به شيئاً، وأمَرَنا بالصلاة والزكاة والصيام. قالت: فعَدَّدَ عليه أمورَ الإسلام.

فصَدَّقْناه وآمنّا به، واتَّبَعناه على ما جاءَ به من الله، فعَبَدْنا اللهَ وحدَه، فلم نُشرِكْ به

= للصالحيّ ٢/ ٣٩٥.

(١) الأساقفة: جمع أُسقُفّ، بضم الهمزة وتشديد الفاء وتُخفَّف، وهم علماء النصارى الذين يُقِيمون لهم دينهم.

شيئاً، وحَرَّمْنا ما حَرَّمَ علينا، وأحلَلْنا ما أَحلَّ لنا، فعَدَا علينا قومُنا فعذَّبُونا وفَتَنُونا عن ديننا، ليَردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نَستحِلَّ ما كنّا نَستحِلُّ من الخبائث، فلمّا قَهَرُونا وظَلَمُونا وضيَّقوا علينا، وحالُوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادِك، واخترناك على مَن سواك، ورَغِبْنا في جِوَارك، ورَجَوْنا أن لا نُظلَمَ عندك أيّها الملك.

قالت: فقال له النَّجاشيُّ: هل معك ممّا جاءَ به عن الله من شيءٍ؟ قالت: فقال له جعفرٌ: نعم، فقال له النّجاشيُّ: فاقرَأْه عليَّ، قالت: فقرأَ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، قالت: فبَكَى واللهِ النَّجاشيُّ حتّى أَخضَلَ لحيتَه[1]، وبَكَت أساقِفتُه حتى أَخضَلُوا مصاحفَهم، حين سمعوا ما تَلَا عليهم، ثم قال النَّجاشيُّ: إنَّ هذا والّذي جاءَ به موسى[2] لَيَخرجُ من مِشْكاةٍ واحدةٍ[3]، انطَلِقا، فلا واللهِ لا أُسلِمُهم إليكما، ولا يُكادُون.

قالت: فلمّا خَرَجا من عندِه قال عمرُو بن العاص: واللهِ لآتيَنّه غداً عنهم بما أستأصِلُ به خضراءَهم[4]، قالت: فقال له عبدُ الله بن أبي رَبيعة، وكان أَبْقى[5] الرجلَينِ فينا: لا تفعل، فإنَّ لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالَفُونا، قال: واللهِ لأخبِرَنَّه

---

(١) أي: بلَّها بدموعه.

(٢) هكذا في نسخنا الخطية، ووقع في النسخ المطبوعة من هذه السيرة: عيسى! والجواب عن ذكره لموسى دون عيسى عليهما السلام، كالجواب عمّا وقع مثلُه لورقةَ بن نوفل فيما تقدّم ص٢٧٠.

(٣) المشكاة: ثَقْب في الحائط غير نافذٍ يوضع فيه المصباح. يريد: أنهما من شيء ومصدر واحد.

(٤) يعني جماعتهم ومعظمهم.

(٥) في «مسند أحمد»: أتقى، بالتاء.

أنّهم يَزعُمون أنّ عيسى ابن مريم عبدٌ.

قالت: ثمّ غَدَا عليه الغدَ فقال: أيُّها الملك، إنّهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسِلْ إليهم فاسألْهم عمّا يقولون فيه، قالت: فأرسَلَ إليهم ليسألَهم عنه، قالت: ولم يَنزِلْ بنا مِثلُها، فاجتمع القومُ ثمّ قال بعضُهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألَكم عنه؟ قالوا: نقول واللهِ ما قال اللهُ، وما جاءَنا به نبيُّنا، كائناً في ذلك ما هو كائنٌ، قالت: فلمّا دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالت: فقال جعفرُ بن أبي طالبٍ: نقول فيه الذي جاءَنا به نبيُّنا، نقول: هو عبدُ الله ورسولُه، ورُوحُه وكلمتُه أَلْقاها إلى مريمَ العَذراءِ البَتُول[1]، قالت: فضَرَبَ النّجاشيُّ بيدِه إلى الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عَدَا عيسى ابنُ مريمَ ما قلتَ هذا العودَ[2]، قالت: فتناخَرَتْ بطارقتُه حولَه حين قال ما قال، فقال: وإنْ نَخَرتُم والله، اذهبوا فأنتم شُيومٌ[3] بأرضي ـ والشُّيوم: الآمِنُون ـ مَن سَبَّكم غَرِم، ثم قال: مَن سَبَّكم غَرِم، ثم قال: مَن سَبَّكم غَرِم، ما أُحِبُّ أنّ لي دَبْراً من ذهب ـ قال ابن هشام: ويقال: ذَبراً[4] من ذهب، ويقال: فأنتم سيومٌ ـ وإنّي آذيتُ رجلاً منكم ـ والدَّبر بلسان الحبشة: الجبل ـ رُدُّوا عليهما هداياهما، فلا حاجةَ لي بها، فوالله ما أَخَذَ اللهُ منّي الرِّشوةَ حين رَدَّ عليَّ مُلْكي، فآخُذَ الرِّشوةَ فيه، وما أطاع الناسَ فِيَّ

(١) العَذراء: البِكْر، والبَتُول: التي انقطعت عن الرجال.

(٢) قوله: ما عدا، أي: ما تعدَّى أو تجاوزَ، وهذا العودَ هو هنا منصوب على الظَّرف، تقديره: مقدارَ هذا العود، أو قَدْرَ هذا العود.

وقوله: تناخَرَت، أي: تكلَّمت، وكأنه كلام مع غضب ونفور.

(٣) في (ص): سيوم، بالسين. وهذه الكلمة بلسان الحبشة.

(٤) قُيّد في (م) و(ي) بكسر الذال.

فأُطيعَهم فيه، قالت: فخرجا من عنده مقبوحَينَ مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقَمْنا عنده بخيرِ دار، مع خيرِ جار.

قالت: فوالله إنّا لَعلَى ذلك، إذ نَزَلَ به رجل[1] من الحبشة ينازعُه في مُلكِه، قالت: فوالله ما عَلِمتُنا حَزِنّا حُزناً قطُّ كان أشدَّ من حزنٍ حَزِنّاه عند ذلك، تخوُّفاً أن يظهرَ ذلك الرجل على النَّجاشيِّ، فيأتِيَ رجل لا يَعرِفُ من حقِّنا ما كان النجاشيُّ يعرفُ منه. قالت: وسار إليه النَّجاشيُّ، وبينهما عَرْضُ النِّيل، قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَن رجلٌ يخرج حتّى يَحضُرَ وَقِيعةَ القوم ثمّ يأتينا بالخَبَر؟ قالت: فقال الزُّبيرُ بن العوّام: أنا، قالوا: فأنتَ، وكان من أحدَثِ القوم سِنّاً، قالت: فنَفَخُوا له قِرْبةً فجعلها في صدره، ثم سَبَحَ عليها حتّى خرج إلى ناحية النِّيل التي بها مُلتَقى القوم، ثمّ انطَلَقَ حتّى حَضَرَهم، قالت: ودَعَوْنا الله تعالى للنَّجاشيِّ بالظُّهور على عدوِّه، والتمكينِ له في بلاده، قالت: فوالله إنّا لَعلى ذلك مُتوقِّعون لما هو كائنٌ، إذ طَلَعَ الزّبيرُ يسعى، فلَمَعَ بثوبه[2] وهو يقول: ألَا أَبشِروا، فقد ظَفِرَ النّجاشيُّ وأهلَكَ اللهُ عدوَّه، ومَكَّنَ له في بلاده. قالت: فوالله ما عَلِمتُنا فَرِحْنا فرحةً قطُّ مثلَها.

قالت: ورجع النَّجاشيُّ وقد أهلَكَ اللهُ عدوَّه، ومكَّن له في بلاده، واستَوسَقَ عليه أمرُ الحبشة[3]، فكنّا عنده في خيرِ منزلٍ حتّى قَدِمْنا على رسول الله ﷺ وهو بمكّة[4].

---

(١) هكذا في نسخنا الخطية، والمعنى واضح، وعند أبي ذرّ الخشنيّ كما في «إملائه» ص١٠٣: نَزَا به رجل، وشرح عليه فقال: معناه: قام عليه ووَثَب وارتفع.

(٢) يقال: لَمَعَ الرجلُ بثوبه وأَلمَعَ به، إذا أشار به ليُنذِر أو يحذّر.

(٣) أي: تتابع واستقرَّ واجتمع.

(٤) إسناده صحيح. =

قال الزهري[1]: فحدَّثتُ عُرْوةَ بن الزُّبيرِ حديثَ أبي بكر بن عبد الرَّحمن عن أمِّ سَلَمة زوجِ النبيّ ﷺ، فقال: هل تدري ما قولُه: ما أخَذَ اللهُ منّي الرِّشوةَ حين ردَّ عليَّ مُلكي فآخذَ الرِّشوةَ فيه، وما أطاع الناس فِيّ فأُطيعَ الناسَ فيه؟ قال: قلت: لا، قال: فإنّ عائشةَ أمَّ المؤمنين حدَّثتني: أنّ أباه كان مَلِكَ قومِه، ولم يكن له ولد إلا النّجاشيَّ، وكان للنجاشيِّ عمٌّ له من صُلْبه اثنا عشرَ رجلاً، وكانوا أهلَ بيت مملكة الحبشة، فقالت الحبشةُ بينها: لو أنّا قتلنا أبا النجاشيِّ وملَّكْنا أخاه، فإنه لا ولدَ له غيرُ هذا الغلام، وإنّ لأخيه من صُلْبِه اثني عشرَ رجلاً، فتوارَثُوا[2] مُلكَه من بعده، بَقِيَت الحبشةُ بعده دهراً، فعَدَوْا على أبي النّجاشيِّ فقتلوه ومَلَّكوا أخاه، فمَكَثُوا

= وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص٢١٣-٢١٦.

وأخرجه أحمد (١٧٤٠) و(٢٢٤٩٨)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٨٣٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٢٦٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٥٥٩٨)، والطبراني في «الكبير» (١٤٧٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ١/ ١١٥-١١٦، وفي «دلائل النبوة» (١٩٤)، وفي «معرفة الصحابة» (١٤٤٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٩/ ٩، وفي «دلائل النبوة» ٢/ ٣٠١-٣٠٤، وقوام السنّة الأصبهاني في «المبعث والمغازي» (١٢) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وبعضهم لم يسقه بطوله.

(١) في (ش١) و(ق١) ونسخة على حاشية (م): قال ابن إسحاق: قال الزهري.

والخبر عن عائشة صحيح، وهو في «سيرة ابن إسحاق» أيضاً برواية يونس بن بكير بإثر الحديث السابق ص٢١٦-٢١٧، ومن طريقه أخرجه كذلك البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٠٤-٢٠٥، وقِوام السنّة الأصبهاني في «المبعث والمغازي» (١٢).

وأخرجه أبو طاهر المخلِّص في «المخلِّصيّات» (١٩٨٢)، وأبو نعيم في «الدلائل» (١٩٥) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

(٢) في (ت): فيتوارثوا، وفي (غ): يتوارثون.

على ذلك حِيناً.

ونَشَأَ النجاشيُّ مع عمِّه، وكان لبيباً حازماً من الرجال، فغَلَبَ على أمر عمِّه، ونزل منه بكلّ مَنزِلة، فلمّا رأَت الحبشةُ مكانَه منه قالت بينها: والله لقد غَلَبَ هذا الفتى على أمر عمِّه، وإنّا لَنتخوَّفُ أن يُملِّكَه علينا، وإن ملَّكه علينا ليَقتُلُنا أجمعين، لقد عَرَفَ أنّا نحن قتلنا أباه، فمَشَوْا إلى عمِّه فقالوا: إمّا أن تقتلَ هذا الفتى، وإمّا أن تُخرِجَه من بين أظهُرِنا، فإنّا قد خِفْناه على أنفسنا، قال: وَيلَكم، قتلتُ أباه بالأمسِ، وأقتلُه اليومَ؟! بل أُخرِجه من بلادكم.

قالت: فخرجوا به إلى السُّوق، فباعوه من رجل من التُّجّار بستِّ مئة دِرهَم، فقَذَفَه في سفينة فانطَلَق به، حتّى إذا كان العَشِيُّ من ذلك اليوم، هاجت سحابةٌ من سحاب الخريف، فخرج عمُّه يستمطرُ تحتها، فأصابته صاعقةٌ فقتلته، قالت: ففَزِعَت الحبشةُ إلى ولده، فإذا هو مُحْمِقٌ[1] ليس في ولده خيرٌ، فمَرِجَ على الحبشة أمرُهم.

فلمّا ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك، قال بعضُهم لبعضٍ: تَعلَّموا[2] واللهِ أنّ مَلِكَكم الذي لا يقيمُ أمرَكم غيرُه لَلَّذي بِعتُم غُدْوةً، فإن كان لكم بأمرِ الحبشة حاجةٌ فأدرِكُوه، قالت: فخرجوا في طلبِه وطلبِ الرجل الذي باعوه منه حتى أدرَكُوه فأخذوه منه، ثم جاؤوا به فعَقَدُوا عليه التّاج، وأقعَدُوه على سرير المُلْك فمَلَّكوه.

فجاءهم التاجرُ الذي كانوا باعُوه منه فقال: إمّا أن تُعطُوني مالي، وإمّا أن أكلِّمَه في ذلك؟ قالوا: لا نُعطِيك شيئاً، قال: إذاً واللهِ أُكلِّمَه، قالوا: فدُونَك، قالت: فجاءه

---

(١) المُحمِق: الذي يلدُ الحمقى. وقوله: فمَرِجَ على الحبشة أمرُهم، معناه: قلق واختلط.

(٢) أي: اعلموا.

فجلس بين يديه، فقال: أيُّها الملك، ابتَعتُ غلاماً من قومٍ بالسُّوق بستِّ مئة درهم، فأسلَمُوا إليَّ غلامي وأخذوا دراهمي، حتّى إذا سِرتُ بغلامي، أدرَكُوني فأخذوا غلامي ومَنَعُوني دراهمي، قالت: فقال لهم النجاشيُّ: لتُعطُنَّه دراهمَه، أو ليَضَعَنَّ غلامُه يدَه في يدِه فلَيَذهَبَنَّ به حيثُ شاء، قالوا: بل نُعطِيه دراهمَه.

قالت: فلذلك يقول: ما أخَذَ اللهُ منّي رِشوةً حين رَدَّ عليَّ مُلكي فآخُذَ الرِّشوةَ فيه، وما أطاع الناسَ فِيَّ فأُطيعَ الناسَ فيه. قالت: فكان ذلك أوّلَ ما خُبِرَ من صَلابتِه في دينه، وعَدلِه في حُكْمه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيدُ بن رُومانَ، عن عُرْوة بن الزُّبير، عن عائشة قالت: لمّا مات النَّجاشيُّ كان يُتَحدَّث أنّه لا يزال يُرَى على قبره نور[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني جعفر بن محمّد، عن أبيه قال: اجتمَعَت الحبشةُ فقالوا للنّجاشيِّ: إنّك فارقتَ دينَنا، وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفرٍ وأصحابه، فهيّأَ لهم سُفُناً وقال: اركَبُوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هُزِمتُ فامْضُوا حتى تَلحَقُوا بحيثُ شئتُم، وإن ظَفِرتُ فاثبُتوا، ثم عَمَدَ إلى كتاب فكَتَبَ فيه: هو يشهدُ أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً عبدُه ورسولُه، ويشهدُ أنّ عيسى عبدُه ورسولُه ورُوحُه، وكلمتُه ألقاها إلى مريم، ثمّ جعله في قَبَائِه[2] عند المَنكِب الأيمن، وخرج إلى الحبشة وصَفُّوا له، فقال: يا مَعشرَ الحبشة، ألستُ أحقَّ الناس بكم؟ قالوا: بلى، قال:

---

(١) إسناده صحيح.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص٢١٩، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٤١١-٤١٢.

وأخرجه أبو داود (٢٥٢٣) من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، عن ابن إسحاق، به.

(٢) القَبَاء: نوع من الثياب مشقوق من خلفه.

فكيف رأيتم سِيرَتي فيكم؟ قالوا: خيرَ سيرةٍ، قال: فما بالُكم؟ قالوا: فارقتَ ديننا، وزَعَمتَ أنّ عيسى عبدٌ، قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابنُ الله، فقال النجاشيُّ، ووَضَعَ يدَه على صدره على قَبائِه: وهو يشهدُ أنّ عيسى ابن مريم لم يَزِدْ على هذا شيئاً؛ وإنّما يعني على ما كَتَبَ، فرَضُوا وانصرفوا. فبَلَغَ ذلك النبيَّ ﷺ، فلمّا مات النجاشيُّ صلَّى عليه واستغفر له[1].

قال ابن إسحاق: ولمّا قَدِمَ عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي رَبيعة على قريش، ولم يُدرِكوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ، وردَّهما النَّجاشيُّ بما يكرهون، وأسلَمَ عمرُ بن الخطّاب، وكان رجلاً ذا شَكِيمةٍ[2] لا يُرامُ ما وراءَ ظهرِه، امتَنَعَ به أصحابُ رسول الله ﷺ وبحمزة حتى عازُّوا قريشاً[3]، فكان عبد الله بن مسعود

---

(١) هذا الخبر معضلٌ رواه محمد والد جعفر ـ وهو ابن علي بن الحسين بن علي ـ ولم يسنده، وهو من صغار التابعين من ثقاتهم.

وأما قصة الصلاة عليه والاستغفار له، فقد رواها جابرُ بن عبد الله وأبو هريرة، وأن النبيّ ﷺ شهد له بالصلاح وكبّر عليه أربعاً، أخرج ذلك البخاري (١٣١٧) و(١٣٢٠) و(٣٨٧٧) ومسلم (٩٥٢) من حديث جابر، وأخرجه البخاري (١٣١٨) و(١٣٢٧) و(٣٨٨٠) و(٣٨٨١) ومسلم (٩٥١) أيضاً من حديث أبي هريرة.

وقد اختُلف في سنة وفاته، فقيل: سنة ثمان للهجرة، وقيل: سنة تسع، وهو قول أكثرهم، انظر «فتح الباري» لابن حجر ١١/ ٣٦٢.

وأما ما روي من أنه كُشِف للنبيّ ﷺ عن سريره حتى رآه وصلّى عليه، فلم يثبت من وجه صحيح، انظر «الفتح» أيضاً ٤/ ٦٦٧.

(٢) الشَّكيمة: عزّة النفس وقوّتها، مأخوذة من شكيمة اللِّجام: وهي الحديدة المعترضة في فم الفَرَس. وقوله: لا يرام... أي: لا يُستَطاع أن يُنتزَع منه شيء لعزّته ومَنَعَته.

(٣) أي: غَلَبوهم.

يقول: ما كنّا نَقدِرُ على أن نصلّيَ عند الكعبة حتّى أسلَمَ عمر، فلمّا أسلَمَ عمر قاتل قريشاً حتّى صلَّى عند الكعبة وصلَّينا معه، وكان إسلامُ عمر بعد خروج مَن خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة.

قال البَكَّائيُّ: حدّثني مِسعَر بن كِدَام، عن سعد بن إبراهيم قال: قال عبد الله بن مسعود: إنّ إسلامَ عمر كان فتحاً، وإنّ هجرتَه كانت نصراً، وإنّ إمارتَه كانت رحمةً، ولقد كنّا وما نُصلِّي عند الكعبة حتّى أسلَمَ عمرُ، فلمّا أسلَمَ قاتل قريشاً حتّى صلَّى عند الكعبة وصلَّينا معه[1].

---

(١) خبر صحيح، ورجال إسناده ثقات إلا أنه منقطع، فإن سعد بن إبراهيم - وهو سعد بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن بن عوف الزهري - لم يدرك ابنَ مسعود، ثم إن البكّائيَّ قد خولف فيه.

فقد رواه جماعة من الثقات منهم أبو نعيم الفضل بن دُكَين عن مسعر عند ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٢٥٠ والطبراني في «الكبير» (٨٨٠٦) و(٨٨٢٠)، فسمَّوا شيخ مسعرٍ فيه القاسمَ بن عبد الرَّحمن، وهو حفيد ابن مسعود، وهو ثقة أيضاً إلا أنه لم يدرك جدَّه.

ورواه عبد الرَّحمن المسعوديُّ عن القاسم بن عبد الرَّحمن، واختُلف عليه في وصله وإرساله، فوصله عنه عليُّ بن عاصم الواسطي عند الحاكم في «مستدركه» (٤٥٣٧)، فرواه عنه عن القاسم عن أبيه عبد الرَّحمن بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن مسعود قال: والله ما استطعنا أن نصلّي عند الكعبة ظاهرين حتى أسلم عمر.

والمحفوظ عن المسعوديّ ثم عن القاسم بن عبد الرَّحمن أنه مرسلٌ، ليس فيه ذكرُ والده عبد الرَّحمن، كما هو مبيَّن في التعليق على «المستدرك» طبعة دار الرسالة.

وأخرج ابن سعد أيضاً ٣/ ٢٥٠ عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: ما زلنا أعزّةً منذ أسلم عمر، لقد رأيتُنا وما نستطيع أن نصلّيَ بالبيت حتى أسلم عمر، فلمّا أسلم عمرُ قاتلهم حتى تركونا نصلّي. وإسناده صحيح، وأخرج أوله من هذا الطريق - وهو قوله: ما زلنا أعزّةً منذ أسلم عمر - البخاريُّ في «صحيحه» (٣٦٨٤) و(٣٨٦٣).

قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الرَّحمن بن الحارث بن عبد الله بن عيّاش بن أبي رَبِيعة، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن رَبِيعة، عن أمِّه أمِّ عبد الله بنت أبي حَثْمة قالت: واللهِ إنّا لَنترحَّلُ إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامرٌ في بعضِ حاجاتنا، إذ أقبَلَ عمرُ بن الخَطّاب حتّى وَقَفَ عليَّ وهو على شِرْكه ـ قالت: وكنّا نَلقَى منه البلاءَ، أذًى لنا وشِدّةً علينا ـ قالت: فقال: إنّه لَلِانطلاقُ يا أمَّ عبد الله، قالت: فقلت: نعم واللهِ، لَنَخرُجَنَّ في أرض الله، آذَيتُمونا وقَهَرتُمونا، حتّى يجعلَ الله لنا مَخرَجاً، قالت: فقال: صَحِبَكم اللهُ، ورأيتُ له رِقَّةً لم أكن أَراها، ثمّ انصرف وقد أحزَنَه ـ فيما أُرى ـ خروجُنا، قالت: فجاء عامرٌ بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبد الله، لو رأيتَ عمرَ آنفاً ورِقَّتَه وحُزْنَه علينا، قال: أطمِعْتِ في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم، قال: فلا يُسلِمُ الذي رأيتِ حتّى يُسلِمَ حِمارُ الخطّاب؛ قالت: يأساً منه، لمَا كان يرى من غِلْظتِه وقسوتِه عن الإسلام[1].

---

(١) إسناده حسن إن شاء الله من أجل عبد الرَّحمن بن الحارث وشيخه عبد العزيز، وقولُ عبد العزيز فيه: عن أمّه، إن كان محفوظاً وليس من أوهام عبد الرَّحمن بن الحارث، فإنما يريد به جدَّته أمَّ عبد الله ليلى بنت أبي حَثْمة.

وأخرجه كرواية ابن هشامٍ عبدُ الله بن أحمد في «فضائل الصحابة» (٣٧١) من طريق إبراهيم ابن سعد الزهري، عن ابن إسحاق، عمَّن لا يُتَّهم، عن عبد العزيز بن عبد الله، به. وشيخ ابن إسحاق الذي لا يُتَّهم هو عبد الرَّحمن بن الحارث بلا ريبٍ.

ورواه يونسُ بن بكير عن ابن إسحاق كما في «سيرته» ص١٨١ ـ ومن طريقه الطبراني في «الكبير» ٢٥/ (٤٧)، والحاكم (٧٠٦٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٨٣٢) ـ فجعله من رواية عبد العزيز بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عامر عن أمّه ليلى بنت أبي حثمة، وهذا أشبَهُ، وعبد الله بن عامر له رؤية.

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: وكان إسلامُ عمر ـ فيما بَلَغَني ـ أنّ أخته فاطمة بنت الخطّاب، وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، كانت قد أسلَمَت وأسلَمَ زوجُها سعيد ابن زيد، وهم مُستَخفُون بإسلامهم من عمر، وكان نُعَيم بن عبد الله النَّحّامُ ـ رجلٌ من قومه من بني عَديِّ بن كعب ـ قد أسلم، وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فَرَقاً من قومه.

وكان خَبّابُ بن الأرَتِّ يختلف إلى فاطمة بنت الخَطّاب يُقرِئُها القرآن، فخرج عمرُ يوماً متوشِّحاً سيفَه يريد رسول الله ﷺ ورَهْطاً من أصحابه قد ذُكِروا له أنّهم قد اجتمعوا في بيتٍ عند الصَّفَا، وهم قريبٌ من أربعين من بينِ رجالٍ ونساءٍ، ومع رسول الله ﷺ عمُّه حمزةُ بن عبد المُطَّلِب وأبو بكر بن أبي قُحَافة الصِّدّيق وعليُّ بن أبي طالب، في رجالٍ من المسلمين ممّن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكّة ولم يَخرُج فيمن خَرَج إلى أرض الحبشة.

فلَقِيَه نُعَيمُ بن عبد الله فقال: أين تريد يا عمرُ؟ فقال: أريد محمّداً، هذا الصابئَ الّذي فَرَّقَ أمرَ قريش، وسَفَّهَ أحلامَها[1]، وعابَ دينَها، وسبَّ آلهتَها، فأقتُلُه، فقال له نُعَيم: والله لقد غرَّتْك نفسُك من نفسِك يا عمر، أتُرَى بني عبد مَنَاف تاركِيكَ تمشي على الأرض وقد قتلتَ محمّداً؟! أفلا تَرجِعُ إلى أهل بيتك فتُقِيمَ أمرَهم، قال: وأيُّ أهلِ بيتي؟ قال: خَتَنُك[2] وابنُ عمّك سعيدُ بن زيد بن عمرو، وأختُك فاطمةُ بنت الخطّاب، فقد واللهِ أسلَما وتابَعا محمّداً على دينه، فعليك بهما.

---

(١) الأحلام: العقول، والسَّفَه: الجهل.

(٢) الخَتَن: صِهرُ الرجل، زوج ابنته أو أخته أو غيرهما.

قال: فرَجَعَ عمرُ عامداً إلى أخته وخَتَنِه، وعندهما خبّابُ بن الأرَتِّ معه صحيفة فيها ﴿طٰهٰ﴾ يُقرِئُهما إيّاها، فلمّا سمعوا حِسَّ عمر، تغيَّب خبّابٌ في مُخدَعٍ لهم[1] أو في بعض البيت، وأخَذَت فاطمةُ بنت الخطّاب الصحيفةَ فجعلتها تحت فَخِذِها، وقد سمع عمرُ حين دَنَا إلى البيت قراءةَ خبّاب عليهما، فلمّا دخل قال: ما هذه الهَينَمةُ[2] الّتي سمعتُ؟ قالا له: ما سمعتَ شيئاً، قال: بلى واللهِ، لقد أُخبِرتُ أنّكما تابعتما محمّداً على دينه، وبَطَشَ بخَتَنِه سعيد بن زيد، فقامت إليه أختُه فاطمة بنت الخطّاب لتَكُفَّه عن زوجها، فضربها فشَجَّها، فلمّا فعل ذلك قالت له أخته وختنُه: نعم قد أسلَمْنا وآمنّا بالله ورسوله، فاصنَعْ ما بَدَا لك.

ولمّا رأى عمرُ ما بأختِه من الدّم، نَدِمَ على ما صنع فارعَوَى[3]، وقال لأخته: أَعطيني هذه الصحيفة التي سمعتُكم تَقرَؤُون آنفاً، أنظُرُ ما هذا الذي جاءَ به محمّد، وكان عمرُ كاتباً، فلمّا قال ذلك، قالت له أخته: إنّا نَخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحَلَفَ لها بآلهته ليَرُدَّنَّها إذا قرأَها إليها، فلمّا قال ذلك طَمِعَت في إسلامه، فقالت له: يا أَخي، إنّك نَجِسٌ على شِركِك، وإنّه لا يَمَسُّها إلا الطّاهر، فقام عمرُ فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها ﴿طٰهٰ﴾، فقرأَها، فلمّا قرأَ منها صدراً قال: ما أحسنَ هذا الكلامَ وأكرمَه!

فلمّا سمع ذلك خبّابٌ خرج إليه، فقال له: يا عمر، والله إنّي لَأرجو أن يكون اللهُ قد خَصَّك بدعوة نبيِّه، فإنّي سمعتُه أمسِ وهو يقول: «اللهمَّ أيِّدِ الإسلامَ بأبي الحَكَم بن هشام، أو بعمرَ بنِ الخَطّاب»، فاللهَ اللهَ يا عمرُ، فقال له عند ذلك عمر:

(١) المُخدَع ـ وتُكسر ميمه وتُفتح أيضاً ـ: حُجرة صغيرة في البيت كالخِزانة.

(٢) هي صوت وكلام لا يُفهَم.

(٣) أي: كفَّ وانزجر.

فدُلَّني يا خبّابُ على محمّدٍ، حتّى آتيَهُ فأُسلِمَ، فقال له خبّاب: هو في بيتٍ عند الصَّفا، معه فيه نفرٌ من أصحابه.

فأخَذَ عمرُ سيفَه فتوشَّحَه، ثمّ عَمَدَ إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضَرَبَ عليهم الباب، فلمّا سمعوا صوتَه قام رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فنَظَرَ من خَلَلِ البابِ[1] فرآه متوشِّحاً السيفَ، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فَزِعٌ، فقال: يا رسول الله، هذا عمرُ بن الخطّاب متوشِّحاً السيفَ، فقال حمزة بن عبد المُطَّلِب: فأْذَنْ له، فإن كان جاء يريد خيراً بَذَلْناه له، وإن كان جاء يريد شرّاً قَتَلْناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: «ائذَنْ له»، فأَذِنَ له الرجلُ.

ونَهَضَ إليه رسول الله ﷺ حتّى لقيَه في الحُجْرة، فأخذ بحُجْزتِه[2]، أو بمَجمَع ردائه، ثم جَبَذَه به جَبْذةً شديدةً وقال: «ما جاءَ بك يا ابنَ الخَطَّاب؟ فواللهِ ما أُرى أن تَنتهِيَ حتّى يُنزِلَ اللهُ بك قارعةً» فقال عمر: يا رسول الله، جئتُك لأؤمنَ بالله وبرسولِه وبما جاء من عندِ الله، قال: فكبَّر رسولُ الله ﷺ تكبيرةً عَرَفَ أهلُ البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أنّ عمرَ قد أسلَمَ، فتَفرَّق أصحابُ رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عَزُّوا في أنفسِهم حين أسلمَ عمرُ مع إسلام حمزة، وعَرَفوا أنّهما سيَمنَعانِ رسول الله ﷺ وينتصفون بهما من عدوِّهم.

فهذا حديث الرُّوَاة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطّاب حين أسلم[3].

---

(١) هي الشقوق والفراغات التي في الباب.

(٢) الحُجزة: موضع شدّ الإزار من الوسط.

(٣) الخبر بهذا السياق لم يسنده ابن إسحاق فرواه مرسلاً، وهو كذلك في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق في «سيرته» ص١٨١-١٨٤.

وقد أَسند نحوه بهذا الطُّول ابنُ سعد في «الطبقات» ٣/٢٤٨-٢٤٩، والحاكم في «المستدرك» =

= (٧٠٧٢) وغيرهما من طريق إسحاق بن يوسف الأزرق، عن القاسم بن عثمان البصريّ، عن أنس بن مالك قال: خرج عمرُ متقلِّداً السيف... إلى آخره. وهذا إسناد ضعيف، فالقاسم بن عثمان لم يرو عنه غير إسحاق الأزرق، فهو مجهول، وقد ذكره ابن حبان في «ثقاته» ٥/ ٣٠٧ لكن قال: ربما أخطأ، وذكره العُقيليّ في «الضعفاء» ٣/ ٣٨٣ وقال: حدَّث عنه إسحاق الأزرق أحاديث لا يتابع عليها، وقال الدارقطنيّ في «سننه» (٤٤١) بعد أن ساق طرفاً من حديثه هذا: القاسم ليس بالقويّ، وقال الذهبيُّ في ترجمته من «ميزان الاعتدال»: حدَّث عنه إسحاق الأزرق بمتن محفوظ، وبقصة إسلام عمر وهي منكرة جدّاً.

قلنا: لكن روي منها دعاء النبي ﷺ أن يؤيّد اللهُ الإسلام بأبي الحَكَم بن هشام أو بعمرَ بن الخطّاب من حديث عبد الله بن عمر عند أحمد (٥٦٩٦)، والترمذي (٣٦٨١)، وابن حبان (٦٨٨١) وغيرهم من طريق خارجة بن عبد الله الأنصاريّ، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «اللهمّ أعزَّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل أو بعمر بن الخطّاب»، فكان أحبَّهما إلى الله عمرُ بن الخطاب. وصحّحه التِّرمذيُّ لأنه كان يذهب إلى توثيق خارجة المذكور، كما وقع في بعض نسخ «جامعه»، وخارجة هذا مُختلَفٌ فيه، وهو وسطٌ له أوهام، وحديثه حسنٌ.

ويشهد لحديث خارجة هذا مرسلُ سعيد بن المسيّب عند ابن سعد ٣/ ٢٤٧، وابن شبّة في «تاريخ المدينة» ٢/ ٦٥٧، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٤/ ٢٦، وسنده حسن كما قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة»، ومراسيل سعيد بن المسيّب حُجّة عند أكثر أهل العلم.

وأخرج الترمذي (٣٦٨٣) من طريق النَّضر أبي عمر، عن عكرمة، عن ابن عباس رفعه: «اللهمّ أعزَّ الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطّاب». قال الترمذي: حديث غريب من هذا الوجه، وقد تكلّم بعضهم في النضر أبي عمر. قلنا: هو متروك ساقط الحديث.

والمحفوظ عن ابن عباس ما أخرجه الحاكم (٤٥٣٣) و(٤٥٣٤) وغيره بإسنادٍ حسنٍ عنه: أن النبيَّ ﷺ دعا لعمر وحده فقال: «اللهم أيِّد الدِّين - وفي رواية: أَعِزَّ الإسلام - بعمر بن الخطاب».

ويشهد له بهذا اللفظ حديثُ عائشة عند ابن ماجه (١٠٥)، وابن حبان (٦٨٨٢)، والحاكم (٤٥٣٥): أن النبيَّ ﷺ قال: «اللهمّ أعزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب خاصّةً». وإسناده صحيح. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجِيح المكّيُّ، عن أصحابه عطاءٍ ومجاهدٍ، أو عمَّن روى ذلك: أنّ إسلامَ عمر فيما تحدَّثوا به عنه، أنه كان يقول: كنت للإسلام مُباعِداً، وكنت صاحبَ خمرٍ في الجاهليّة، أحبُّها وأشربُها، وكان لنا مجلسٌ يجتمع فيه رجالٌ من قريشٍ بالحَزْوَرةِ[1]، عند دُور آل عمر بن عبد بن عِمرانَ المخزوميّ، قال: فخرجتُ ليلةً أريد جُلَسائي أولئك في مجلسِهم ذلك، قال: فجئتُهم فلم أجِدْ فيه منهم أحداً، قال: فقلت: لو أنّي جئت فلاناً الخَمّار، وكان بمكّة يبيع الخمر، لعلِّي أجدُ عنده خمراً فأشربَ منها، قال: فخرجتُ فجئتُه فلم أجِدْه، قال: فقلت: فلو أنّي جئت الكعبةَ فطُفْت بها سَبعاً أو سَبعَينِ، قال: فجئت المسجدَ أريدُ أن أطوفَ بالكعبة، فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ يصلِّي، وكان إذا صلَّى استَقبَل الشامَ وجعل الكعبةَ بينه وبين الشام، فكان مُصلّاهُ بين الرُّكنَينِ: الرُّكنِ الأسودِ والرُّكنِ اليَمَاني، قال: فقلت حين رأيتُه: والله لو أنّي استمعتُ لمحمّدٍ الليلةَ حتّى أسمعَ ما يقول، قال: فقلت: لئِنْ دَنَوتُ منه أستمعُ منه لأُرَوِّعَنَّه، فجئت من قِبَلِ الحِجْر

= وروي هذا أيضاً من حديث ابن مسعود من طريقين ضعيفين عند أحمد (٤٣٦٢) والحاكم (٤٥٣٦)، ورواية الحاكم بذكر الرجلين كليهما.

(١) هي ربوة صغيرة من الجهة الغربيّة من المسجد الحرام، وكان عندها سوق من أسواق مكة، ثم دخلت في المسجد الحرام بعد توسعته قديماً، أشار إلى ذلك سفيان بن عُيينة المتوفَّى سنة ١٩٨هـ بمكّة، انظر «أخبار مكة» للأزرقيّ ٢/ ٢٩٤-٢٩٥.

وعلى الحَزْوَرة هذه وقف رسول الله ﷺ يومَ الفتح وهو على ناقته فقال: «والله إنَّكِ لخيرُ أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أنّي أُخرِجتُ منكِ ما خرجتُ»، أخرجه أحمد (١٨٧١٥) وابن ماجه (٣١٠٨) والترمذي (٣٩٢٥) وغيرهم من حديث عبد الله بن عَديّ بن الحمراء، وإسناده صحيح. وجاء التنصيص على أن ذلك كان يوم الفتح في رواية الواقديّ للحديث في «مغازيه» ٢/ ٨٦٥.

فدخلتُ تحت ثيابها، فجعلت أَمشي رُوَيداً، ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يُصلِّي يقرأُ القرآن، حتّى قمتُ في قِبْلتِه مُستقبِلَه، ما بيني وبينه إلا ثيابُ الكعبة.

قال: فلمّا سمعتُ القرآن رَقَّ له قلبي، فبَكَيتُ ودَخَلَني الإسلامُ، فلم أَزَلْ قائماً في مكاني ذلك حتّى قَضَى رسولُ الله ﷺ صلاتَه ثمّ انصرف، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حُسين، وكانت طريقَه حتّى يَجزَعَ[1] المَسعَى، ثمّ يَسلُك بين دار عبّاس بن عبد المُطَّلِب وبين دار ابن أَزهَرَ بن عبد عوفٍ الزُّهْريّ، ثمّ على دار الأخنَسِ ابن شَرِيق، حتّى يَدخُلَ بيتَه ـ وكان مَسكنُه ﷺ في الدار الرَّقْطاء[2] التي كانت بيدِ معاوية بن أبي سفيان ـ قال عمر: فتَبِعتُه حتّى إذا دخل بين دارِ عبّاس ودار ابن أزهَرَ أدركتُه، فلمّا سمع رسولُ الله ﷺ حِسّي عَرَفَني، فظَنَّ رسولُ الله ﷺ أنّي إنَّما تبعتُه لأُوذِيَه فنَهَمَني[3]، ثم قال: «ما جاءَ بك يا ابنَ الخَطّابِ هذه الساعةَ؟» قال: قلت: جئت لأومنَ بالله وبرسوله، وبما جاءَ من عند الله، قال: فحَمِدَ اللهَ رسولُ الله ﷺ، ثم قال: «قد هَدَاكَ اللهُ يا عمرُ»، ثمّ مَسَحَ صدري ودعا لي بالثَّبات، ثم انصرفتُ عن رسول الله ﷺ، ودخل رسولُ الله ﷺ بيتَه[4].

---

(١) في (ق١): حتى يجيز إلى، وفي (ش١) و(ي): حتى يخرج. قال الخُشَنيُّ: وقوله: حتى يجزع المسعى، أي: يقطعه، تقول: جَزَعتُ الواديَ، إذا جُزتَه وقطعتَه سيراً.

(٢) الرقطاء: التي فيها ألوان، وإنما سُمِّيَت الرَّقطاء لأنها بُنِيَت بالآجُرّ الأحمر والجِصّ الأبيض، فكانت رقطاءَ، ذكر ذلك أبو الوليد الأزرقيُّ في «أخبار مكة» ٢/ ٢٣٧.

(٣) أي: زَجَرَني.

(٤) إسناده ضعيف لجهالة الواسطة بين عطاء ـ وهو ابن أبي رباح ـ ومجاهد وبين عمر. ولم نقف عليه من هذا الوجه عند غير ابن إسحاق.

ويَحسُن هنا ذكرُ ما رواه أحمد في «مسنده» (١٠٧) بإسناده إلى شُريح بن عُبيدٍ قال: قال =

قال ابن إسحاق: والله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

قال ابن إسحاق: وحدّثني نافعٌ مولى عبد الله بن عمر، عن ابن عمر قال: لمّا أسلَمَ عمرُ قال: أيُّ قريشٍ أنقَلُ للحديث؟ قيل له: جَميلُ بن مَعمَر الجُمَحيّ، قال: فغَدَا عليه. قال عبد الله بن عمر: وغَدَوتُ أَتبَعُ أثَرَه وأنظرُ ما يفعل، وأنا غلام أَعقِلُ كلَّ ما رأيتُ، حتّى جاءه فقال له: أعلِمتَ يا جميلُ أنّي قد أسلمتُ ودخلتُ في دِينِ محمّد؟ قال: فواللهِ ما راجَعَه حتّى قام يَجُرُّ رداءَه، واتَّبَعَه عمرُ واتّبعتُ أَبي، حتّى إذا قام على باب المسجد صَرَخَ بأعلى صوته: يا مَعشرَ قريش ـ وهم في أنديَتِهم حولَ الكعبة ـ ألا إنّ ابنَ الخطّابِ قد صَبَأَ، قال: يقول عمرُ من خلفه: كَذَبَ، ولكنّي قد أسلمتُ، وشَهِدتُ أن لا إله إلّا الله، وأنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه، وثارُوا إليه، فما بَرِحَ يقاتلُهم ويقاتلُونَه حتى قامت الشمسُ على رؤوسهم. قال: وطَلَحَ[1] فقَعَدَ، وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بَدَا لكم، فأحلِفُ بالله أن لو قد كُنّا ثلاثَ مئةِ رجلٍ لقد تَرَكناها لكم أو تَركتُموها لنا.

= عمر بن الخطّاب: خرجتُ أتعرَّضُ رسولَ الله ﷺ قبل أن أُسلم، فوجدتُه قد سبقني إلى المسجد، فقمتُ خلفه، فاستفتح سورةَ الحاقّة، فجعلت أعجَبُ من تأليف القرآن، فقلت: هذا واللهِ شاعرٌ كما قالت قريش، فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ قلت: كاهنٌ، قال: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ إلى آخر السورة، قال: فوَقَعَ الإسلامُ في قلبي كلَّ مَوقِع. ورجاله ثقات إلا أنه مرسل، فإنّ شريحاً لم يدرك عمر، وهذا مما يشهد لقصة سماع عمر القرآنَ من النبي ﷺ عند الكعبة في صلاته، وأن دخول الإسلام إلى قلبه كان إذ ذاك.

(١) أي: تعب وأَعيا.

قال: فبَيْنا هم على ذلك، إذ أقبَلَ شيخٌ من قريشٍ عليه حُلّةُ حِبَرةٍ وقميصٌ مُوَشًّى[1] حتّى وَقَفَ عليهم، فقال: ما شأنُكم؟ قالوا: صَبَأَ عمرُ، فقال: فمَهْ؟ رجلٌ اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أتُرَون بني عَديِّ بن كعبٍ يُسلِمون لكم صاحبَهم؟! هكذا عن الرَّجل[2]، قال: فواللهِ لكأنَّما كانوا ثوباً كُشِطَ عنه[3].

قال: فقلت لأَبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبَتِ، مَن الرجل الّذي زَجَرَ القومَ عنك بمكّة يوم أسلمتَ وهم يقاتلونك؟ فقال: ذاك، أيْ بنيَّ، العاصِ بنُ وائلٍ السَّهْميُّ[4].

---

(١) يقال: حلّةُ حِبَرةٍ على الإضافة، ويقال: حلةٌ حِبَرةٌ، على الوصف، وهي ثياب يمانيَة من قطن أو كتّان مخطَّطة ملوَّنة. والموشّى: المخطَّط والمزركَش.

(٢) هكذا في (ت) و(ص) و(م)، وفي (ش١) و(ق١) و(غ) و(ي): هكذا خَلُّوا عن الرجل، بذكر الفعل، ووقع في نسخة السهيليّ من «السيرة» كما أثبتنا، وشرح على كلمة «هكذا» في «الروض الأنف» ٣/ ٢٨٠ فقال: هي كلمة معناها الأمرُ بالتنحّي... فيُقدَّر العامل مضمَراً، كأنك قلت: ارجِعوا هكذا، وتأخَّروا هكذا، واستُغني بقولك: هكذا، عن الفعل كما استُغني برُوَيداً عن ارفُقْ.

(٣) أي: نُزِع عنه.

(٤) إسناده صحيح، وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ٤/ ٢٠٢: إسناده جيد قوي.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية ابن بكير عنه ص١٨٤-١٨٥، ومن طرق أخرى عن ابن إسحاق أخرجه عبد الله بن أحمد في «فضائل الصحابة» (٣٧٢ب)، والبزار (١٥٦)، وابن حبان (٦٨٧٩)، وابن عساكر في «تاريخه» ٤٤/ ٤٢، والضياء المقدسي في «المختارة» ١/ (٢٢٦). وانظر «مستدرك الحاكم» (٤٥٤٣).

وسياق رواية ابن إسحاق هذه عن نافعٍ سياقٌ جيّدٌ حسنٌ، وقد روى خبر العاص بن وائل أيضاً مع عمر في قصة إسلامه عمرُ بنُ محمد بن زيدٍ عند البخاري (٣٨٦٤) عن جدِّه زيد بن عبد الله ابن عمر عن أبيه، بسياق مختصر مغاير لرواية نافع عن ابن عمر.

قال ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهل العلم، أنه قال: يا أبتِ، مَن الرّجلُ الّذي زَجَرَ القومَ عنك بمكّة يومَ أسلمتَ وهم يقاتلونك؟ جَزَاه الله خيراً، قال: يا بنيَّ، ذاك العاصِ بنُ وائلٍ، لا جَزَاه الله خيراً[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الرَّحمن بن الحارث، عن بعضِ آل عمرَ أو بعضِ أهله قال: قال عمر: لمّا أسلمتُ تلك الليلةَ، تذكَّرتُ أيُّ أهل مكّة أشدُّ لرسول الله ﷺ عداوةً حتّى آتيَه فأُخبِرَه أنّي قد أسلمتُ، قال: قلت: أبو جهلٍ.

وكان عمرُ لحَنتَمةَ بنت هاشم[2] بن المغيرة.

قال: فأقبلتُ حين أصبحتُ حتّى ضربتُ عليه بابه، قال: فخرج إليَّ أبو جهلٍ فقال: مرحباً وأهلاً يا ابن أُختي، ما جاء بك؟ قال: قلت: جئتُ أُخبِرُك أنّي قد آمنتُ بالله وبرسوله محمّدٍ، وصَدَّقتُ بما جاء به، قال: فضرب البابَ في وجهي وقال: قبَّحك الله، وقبَّح ما جئتَ به[3].

---

(١) ضعيف لإعضاله وإبهام رواته.

(٢) تحرف في نسخنا الخطية غير (غ) و(م) إلى: هشام، والمثبت منهما. وهاشم وهشام أخوان، فأمّا هاشمٌ فهو والد حنتمة هذه أُمِّ عُمر، وأمّا هشام فهو والد أبي جهل، فحنتمة وأبو جهلٍ ابنا عمٍّ، وهما من بني مخزوم. وانظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص١٤٤ و١٤٥.

(٣) إسناده فيه ضعف من جهة إبهام راويه من آل عمر، وعبد الرَّحمن بن الحارث ـ وهو ابن عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة ـ مختلفٌ في توثيقه وتضعيفه كما في ترجمته من «التهذيب»، فهو وسطٌ ليس بذاك القويّ.

وأخرجه عبد الله بن أحمد في «فضائل الصحابة» (٣٧٥) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٤٤/ ٤١ بإسناد ضعيف جداً عن ابن أخي الزُّهريّ، عن حمزة ابن عبد الله، عن عبد الله بن عمر بن الخطّاب.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أمر الشِّعب والصحيفة

قال ابن إسحاق: فلمّا رأت قريشٌ أنّ أصحاب رسول الله ﷺ قد نَزَلُوا بلداً أصابوا به أَمْناً وقَراراً، وأنّ النَّجاشيَّ قد مَنَعَ من لَجَأَ إليه منهم، وأنّ عمرَ قد أسلم، فكان هو وحمزةُ بن عبد المُطَّلِب مع رسول الله ﷺ وأصحابِه، وجعل الإسلامُ يَفشُو في القبائل، اجتَمَعوا وائتَمَروا[1] أن يَكتُبوا كتاباً يتعاقَدُون فيه على بني هاشم وبني المُطَّلِب: على أن لا يَنكِحوا إليهم ولا يُنكِحوهم[2]، ولا يَبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، فلمّا اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفةٍ ثمّ تَعاهَدُوا وتَواثَقُوا على ذلك، ثم علَّقوا الصحيفة في جَوْف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتبَ الصحيفة منصورُ بن عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار بن قُصيّ ـ قال ابن هشام: ويقال: النَّضر بن الحارث[3] ـ فدعا عليه رسول الله ﷺ، فشَلَّ بعضُ أصابعه.

قال ابن إسحاق: فلمّا فَعَلَت ذلك قريشٌ انحازت بنو هاشم وبنو المُطَّلِب إلى أبي طالب بن عبد المُطَّلِب، فدخلوا معه في شِعْبه[4] واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشمٍ أبو لَهَب عبدُ العُزَّى بن عبد المُطَّلِب إلى قريش، فظاهَرَهم[5].

قال ابن إسحاق: وحدّثني حُسين[6] بن عبد الله: أنّ أبا لهبٍ لَقِيَ هندَ بنت عُتْبة

---

(١) في (ش١) و(ص) و(م) و(ي): وائتمروا بينهم. ومعنى ائتمَروا: تشاوَرُوا.

(٢) أي: لا يتزوَّجوا منهم ولا يُزوِّجوهم.

(٣) يعني النَّضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدة بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار بن قُصيّ، وقُتل هذا كافراً في الأَسر بعد بدرٍ.

(٤) الشِّعب: هو الموضع المنفرج بين جبلين.

(٥) أي: أيّدهم وآزرَهم.

(٦) حسين بن عبد الله هذا: هو حسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن العباس بن عبد المطّلب، =

ابن رَبيعة حين فارَقَ قومَه وظاهَرَ عليهم قريشاً، فقال: يا ابنة عُتْبة، هل نَصَرتُ اللّاتَ والعُزّى، وفارقتُ من فارَقَهما وظاهَرَ عليهما؟ قالت: نعم، فجزاك الله خيراً يا أبا عُتبة.

قال ابن إسحاق: وحُدِّثتُ أنّه كان يقول في بعض ما يقول: يَعِدُني محمّدٌ أشياءَ لا أَراها، يَزعُم أنّها كائنةٌ بعد الموت، فماذا وَضَعَ في يديَّ بعد ذلك، ثمّ يَنفُخُ في يديه ويقول: تَبّاً لكما، ما أَرى فيكما شيئاً ممّا يقول محمّد؛ فأنزل الله تعالى فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1].

قال ابن هشام: تبَّت: خَسِرَت، والتَّبَاب: الخَسَارُ، قال حَبيب بن خُدْرة الخارجيُّ، أحدُ بني هلال بن عامر بن صَعصَعَة:

يـا طَيْـبَ إنّـا في مَعشـرٍ ذَهَبَـت مَسـعاتُهم في التَّبَـارِ والتَّبَـبِ[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

= توفي سنة إحدى وأربعين ومئة، وهو ضعيف عند جمهور أهل الحديث.

(١) ضعيف لإعضاله، وقد رواه مسنَداً الواقديُّ فيما أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٠٦) من طريقه عن خارجة بن عبد الله، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس. والواقديُّ متروك عند أهل الحديث.

والذي صحَّ في نزول هذه السورة ما رواه عمرو بن مُرّة، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عبّاس قال: صعد النبيُّ ﷺ الصَّفا ذات يوم فقال: «يا صَبَاحاه»، فاجتمعت إليه قريش قالوا: ما لك؟ قال: «أرأيتُم لو أخبرتكم أنّ العدوَّ يصبِّحكم أو يمسِّيكم، أما كنتم تصدِّقوني؟» قالوا: بلى، قال: «فإنّي نذيرٌ لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديدٍ» فقال أبو لهب: تبّاً لك، ألِهذا جمعتَنا؟! فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. أخرجه البخاري (٤٧٧٠) و(٤٨٠١) و(٤٩٧٢) ومسلم (٢٠٨).

(٢) التَّبار: الهلاك، يقال: تبَّره اللهُ، أي: أهلكه. وقوله: يا طيبَ، كأنه ينادي طَيْبةَ فرخّم. ولم نقف على شعره هذا عند غير ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فلمّا اجتَمَعَت على ذلك قريشٌ، وصَنَعوا فيه الذي صَنَعوا، قال أبو طالب:

ألَا أبلِغا عنّي على ذاتِ بيننا ... لؤيّاً وخُصّا من لؤيٍّ بني كعبِ[1]

ألم تَعلَموا أنّا وَجَدْنا محمّداً ... نبيّاً كموسى خُطَّ في أولِ الكُتْبِ

وأنَّ عليه في العبادِ مَحبّةً ... ولا خَيْرَ ممَّن خَصَّه الله بالحُبِّ[2]

وأنّ الّذي لصَقْتمُ من كتابِكُمْ ... لكم كائنٌ نَحساً كراغِيَةِ السَّقْبِ[3]

أَفِيقوا أَفِيقوا قبلَ أن يُحفَرَ الثَّرى ... ويُصبِحَ مَن لم يَجنِ ذَنباً كذِي الذَّنْبِ

ولا تَتبَعُوا أمرَ الوُشاةِ وتَقطَعوا ... أواصِرَنا بعدَ المَودّةِ والقُرْبِ[4]

وتَستجلِبوا حرباً عَواناً وربَّما ... أمَرَّ على من ذاقَهُ جَلَبُ الحربِ[5]

فلسنا وربِّ البيتِ نُسلِمُ أحمداً ... لِعَزّاءَ من عَضِّ الزمانِ ولا كَرْبِ[6]

ولمّا تَبِنْ منّا ومنكم سوالفٌ ... وأيدٍ أُتِرَّت بالقُسَاسِيَّة الشُّهْبِ[7]

---

(١) قوله: على ذات بيننا، يريد: على ما وصل إليه الحالُ بيننا، فذاتُ بينِنا صفةٌ لمحذوف مؤنَّث، وهي الحال، قاله السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٢٩٩ نقلاً عن قاسم بن ثابت.

(٢) خَيْر: مخفَّف من خيِّر كهَيْنٍ ومَيْتٍ، وممَّن متعلِّق بمحذوف، كأنه قال: لا خيِّرَ أخيرُ ممّن خصَّه الله بالحب. قاله السهيليُّ.

(٣) راغية السقب: هو من الرُّغَاء، وهو أصوات الإبل، والسَّقْب: ولدُ الناقة، وأراد به هاهنا ولد ناقة صالح عليه السلام التي عقرها أشقى ثمود، فرَغَا ولدُها ـ فيما قيل ـ وصاح برغائه كلُّ شيء له صوت، فهَلَكَت ثمود عند ذلك، فضربت العربُ ذلك مثلاً في كل هَلَكة.

(٤) الوُشاة: جمع واشٍ، وهو النَّمّام. والأواصر: جمع آصرةٍ، وهي سبب القَرابة والمودّة.

(٥) حرباً عَواناً، أي: قوتل فيها مِراراً. وجَلَبُ الحرب: استجلابها والقيام بها.

(٦) لعزّاءَ، معناه: لشدّةٍ، وعضُّ الزمان: شدّتُه أيضاً.

(٧) تَبِن، أي: تنفصل. والسوالف: صفحات الأعناق. وأُتِرَّت معناه: قُطِعَت. والقُساسيّة: =

بمُعتَـرَكٍ ضَـيْقٍ تـرى كِسَـرَ القَنـا ... به والنُّسورَ الطُّخمَ يَعكُفنَ كالشَّرْبِ[1]

كـأنَّ مُجَـالَ الخيـلِ في حَجَراتِـهِ ... ومَعمَعَـةَ الأبطـالِ مَعركـةُ الجُـرْبِ[2]

ألـيسَ أبونـا هاشـمٌ شَـدَّ أَزْرَهُ ... وأَوصـى بَنيـهِ بالطِّعـانِ وبالضَّـرْبِ[3]

ولسـنا نَمَـلُّ الحـربَ حتّـى تَمَلَّنـا ... ولا نَشتَكي ما قدْ[4] يَنُوبُ من النَّكْبِ

ولكنّنـا أهـلُ الحفـائظِ والنُّهـى ... إذا طـار أرواحُ الكُمَـاةِ مـن الرُّعـبِ[5]

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً[6] حتى جُهِدوا، لا يصلُ إليهم شيءٌ إلا سرّاً مُستَخفِياً به مَن أراد صِلَتَهم من قريش.

وقد كان أبو جهل بن هشام ـ فيما يَذكُرون ـ لقيَ حَكيمَ بن حِزام بن خُوَيلِد بن أسد، معه غلامٌ يحمل قمحاً يريد به عمّتَه خديجة بنت خُويلِد، وهي عند رسول الله

= سيوف منسوبة إلى قُسَاس، ويقال بالصاد بدل السين كما في «معجم البلدان»، وهو جبل لبني أسد فيه مَعدِن الحديد. والشهب، أي: كالشهب في لمعانها، وهي جمع مفرده: شِهاب، وهو الشعلة من النار.

(١) المُعتَرَك: موضع الحرب. والضَّنك والضيق بمعنى واحد. والقنا: الرِّماح. والطُّخم: جمع أَطخم، وهو الذي في لونه سواد. ويعكفن: يَقُمن ويلازمن. والشَّرب: الجماعة من القوم يشربون في مكان واحد.

(٢) مُجال الخيل، أي: إجالة الفرسان بها. والحَجَرات: النواحي. والمعمعة: الصوت. والجُرب: الإبل التي أصابها جرب، فهي تحكُّ بعضها بعضاً.

(٣) شدَّ أَزْره، أي: شدَّ ظهره.

(٤) لفظ «قد» سقط من نسخنا غير (ش١) و(ق١)، ومنهما أثبتناه على الصواب.

(٥) الحفائظ: جمع حَفِيظة، وهي الغضب في الحرب. والنُّهَى: العقول. والكُماة: الشُّجعان.

(٦) وفي رواية موسى بن عقبة عن الزهري كما في «الدلائل» للبيهقي ٢/ ٣١٢: أن ذلك دام ثلاث سنين.

ﷺ ومعه في الشِّعب، فتَعلَّق به وقال: أتذهبُ بالطعام إلى بني هاشم! والله لا تَبْرَحُ أنت وطعامُك حتّى أَفضَحَك بمكّة.

فجاءه أبو البَختَريِّ بن هشام[1] بن الحارث بن أسد، فقال: ما لك وله؟ فقال: يَحمِلُ الطعام إلى بني هاشم، فقال له أبو البَختَريّ: طعامٌ كان لعمّتِه عنده بَعَثَت إليه، أفتَمنَعُه أن يأتيَها بطعامها! خلِّ سبيلَ الرجل، فأَبى أبو جهلٍ حتّى نال أحدُهما من صاحبه، فأخذ له أبو البَختَريّ لَحْيَ[2] بعيرٍ فضربه به فشَجَّه[3] ووَطِئَه وَطْأً شديداً، وحمزةُ بن عبد المُطَّلِب قريباً يرى ذلك، وهم يكرهون أن يَبلُغَ ذلك رسولَ الله ﷺ وأصحابَه فيَشمَتُوا بهم.

ورسولُ الله ﷺ على ذلك يدعو قومَه ليلاً ونهاراً، وسرّاً وجِهاراً، مُبادِياً بأمر الله[4] لا يتَّقي فيه أَحداً من الناس.

فجعلت قريشٌ حين مَنَعَه الله منها، وقام عمُّه وقومُه من بني هاشم وبني المُطَّلِب دونه وحالُوا بينهم وبين ما أرادوا من البَطْش به، يَهمِزونه ويَستهزِؤون به ويخاصمونه، وجعل القرآنُ يَنزِلُ في قريش بأحداثهم وفيمن نَصَبَ لعداوتِه، منهم من سُمِّيَ لنا، ومنهم من نَزَلَ فيه القرآنُ في عامّة من ذَكَرَ اللهُ من الكفّار، فكان مَن سُمِّيَ لنا من قريش ممّن نَزَلَ فيه القرآن:

---

(١) قد سبق في باب مشي قريش إلى أبي طالب ص٣٠٠ اعتراضُ عبد الملك بن هشام على ابن إسحاق في ذكر هشام في نسبه، حيث قال هناك: أبو البختريّ العاص بن هاشم.

(٢) في (ت) و(ص): لحيي.

واللَّحْي: عظم الحنك الذي عليه الأسنان.

(٣) أي: جرحه.

(٤) أي: مُظهِراً لأمر الله ودعوته.

خبر المستهزئين وذكرُ أبي لهب

منهم عمُّه أبو لَهَب بن عبد المُطَّلِب وامرأتُه أمُّ جَميل بنت حرب بن أُميّة حَمّالةُ الحَطَب، وإنّما سمّاها الله حمّالةَ الحطب، لأنها كانت ـ فيما بلغني ـ تَحمِلُ الشَّوك فتَطرَحُه على طريق رسول الله ﷺ حيث يمرُّ، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾[1].

قال ابن هشام: الجِيدُ: العُنُق، قال أَعشى بني قيس بن ثَعلَبة:

يومَ تُبْدي لنا قُتَيلةُ عن جِيـ ـدٍ أَسيلٍ تَزينُه الأطواقُ[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له، وجمعه: أَجيادٌ.

والمَسَد: شجر يُدَقُّ كما يُدَقُّ الكَتّان فتُفتَل منه حبال، قال النابغة الذُّبياني، واسمه زياد بن عَمرو بن معاوية[3]:

مقذوفةٍ بدَخِيسِ النَّحْضِ بازِلُها ... له صَريفٌ صريفَ القَعْوِ بالمَسَدِ[4]

---

(١) روي هذا عن ابن عباس عند الطبري في «تفسيره» ٢٤/ ٧١٩، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٨٣، بإسناد فيه ضعفٌ.

(٢) أي: يوم تكشف لنا قُتيلة ـ وهو اسم امرأة ـ عن عنق طويل يزيّنه ما التفَّ به من حليّ وأطواق، والأَسيل: الذي فيه طُول. والبيت من قصيدة قالها الأعشى وهو بنَجْران يتشوّق فيها إلى قومه ـ ومساكنهم في أطراف هضبة نجد ـ ويفتخر بهم. انظر «ديوانه» ٢/ ٥٢.

(٣) ذكر ابن السِّكّيت في بداية «ديوان النابغة» في نسبه عن أبي عبيدة معمر بن المثنّى عن أبي وهب الدقّاق كما ذكر ابن هشام هنا، ونقل عن ابن الأعرابي أنه كان يسمّيه زياد بن معاوية بإسقاط عمرٍو من نسبه، وهو الذي اختاره ابن السِّكّيت.

(٤) مقذوفة، أي: مرميّة باللحم رمياً، وهو يصف إبلاً سِماناً. والدَّخيس: الذي دُخس، =

وهذا البيت في قصيدةٍ له، وواحدته: مَسَدَة.

قال ابن إسحاق: فذُكِر لي: أنّ أمَّ جميل حمّالةَ الحطب حين سمعت ما نَزَلَ فيها وفي زوجها من القرآن، أتَتْ رسولَ الله ﷺ وهو جالسٌ في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكرٍ الصِّدّيق، وفي يدها فِهْرٌ[1] من حجارة، فلمّا وَقَفَت عليهما أخَذَ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلّا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبُك، فقد بَلَغَني أنّه يَهجُوني، واللهِ لو وَجَدتُه لضربتُ بهذا الفِهْر فاهُ، أمَا واللهِ إنّي لشاعرةٌ:

مُـذمَّما عَصَـينا وأمـرَهُ أبَينـا
ودينَـهُ قَلَينـا[2]

ثمّ انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله، أمَا تُراها رأَتك؟ قال: «ما رَأَتني، لقد أخَذَ اللهُ ببَصَرِها عنّي»[3].

= أي: أُدمج بعضه في بعض، من كثرته وصلابته. والنَّحض: اللحم. وبازلها، أي: سنُّها الذي بَزَلَت به، أي: انشقَّ نابُها، وذلك حين تصير في السنة الثامنة. والصريف: صوت أنيابها إذا حكّت بعضها ببعض، وهذا من نشاطها. والقعو: المحور الذي تدور فيه البَكْرة إذا كان من خشب، فهو يشبّه صوت اصطكاك أنياب هذه الإبل بالصوت الذي تصدره البكرةُ عندما تُدوَّر بالحبل الذي عليها.

وهذا البيت من معلَّقته التي أولها: يا دار مَيّةَ بالعَلياءِ فالسَّنَدِ... وانظر «ديوانه» ص٦.

(١) الفِهر: حجر ملء الكفّ.

(٢) أي: أبغضنا وهَجَرنا.

(٣) حديث صحيح وإن لم يسنده ابن إسحاق.

فقد روي نحو هذا الخبر من حديث أسماء بنت أبي بكر عند الحميدي في «مسنده» (٣٢٥) ـ ومن طريقه الحاكم في «المستدرك» (٣٤١٦) وصحّحه ـ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ١٩٦، من وجهين عن أسماء يصحُّ بهما حديثها. =

قال ابن هشام: قولها: ودينَه قَلَينا، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وكانت قريشٌ إنّما تسمِّي رسول الله ﷺ مُذمَّماً ثم يَسُبُّونه، فكان رسول الله ﷺ يقول: «ألا تَعجَبُون لِمَا يَصرِفُ اللهُ عنّي من أذى قريشٍ، يَسُبُّون ويَهجُون مُذمَّماً، وأنا محمّدٌ»[1].

ذكرٌ لأُميّة بن خلف

وأميّةُ بن خَلَف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح، كان إذا رأى رسولَ الله ﷺ هَمَزَه ولَمَزَه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ إلى آخر السّورة كلِّها.

قال ابن هشام: الهُمَزةُ: الذي يَشتِمُ الرّجلَ علانيَةً، ويَكسِرُ عينَه عليه، ويَغمِزُ به[2]، قال حسَّان بن ثابت:

هَمَزتُك فاختَضَعتَ لذُلِّ نفسٍ ... بقافيَـــةٍ تَـــأجَّجُ كالشُّـــوَاظِ[3]

= وروي أيضاً من حديث ابن عباس عند ابن حبان (٦٥١١).

وانظر أيضاً حديث زيد بن أرقم في «مستدرك الحاكم» (٣٩٨٩) ـ طبعة دار الرسالة ـ والتعليق عليه هناك.

(١) حديث صحيح.

فقد أخرجه أحمد (٧٣٣٠) و(٨٤٧٨)، والبخاري (٣٥٣٣)، والنسائي في «الكبرى» (٥٦٠٢)، وابن حبان (٦٥٠٣) من طرق عن أبي هريرة.

(٢) أي: يطعن فيه.

(٣) اختضعت: تذلّلت. وتأجّجُ، أصله: تتأجّج، فحذف إحدى التاءين، أي: تتوقّد. والشُّواظ: لهب النار.

والبيت هكذا وقع لابن هشام، وكذا ذكره غير واحد من أهل التفسير، والذي في «ديوان حسان» برواية محمد بن حبيب ١/ ١٥٣: =

وهذا البيت في قصيدةٍ له، وجمعه: هُمَزاتٌ.

واللُّمَزَة: الّذي يَعِيبُ الناسَ سرّاً ويؤذيهم.

قال رُؤْبة بن العَجّاج:

في ظِلِّ عَصْرَيْ باطِلي ولَمْزي[1]

وجمعه: لُمَزاتٌ. وهذا البيت في أُرجوزةٍ له.

ذكرُ العاص بن وائل السَّهميّ

قال ابن إسحاق: والعاصِ بنُ وائل السَّهْميّ، كان خَبّابُ بن الأرَتِّ صاحبُ رسول الله ﷺ قَيْناً[2] بمكّة يعمل السيوف، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفاً عَمِلَها له حتّى كان له عليه مال، فجاءَه يتقاضاه، فقال له: يا خبّاب، أليس يَزعُمُ محمّدٌ، صاحبُكم هذا الذي أنتَ على دينه، أنَّ في الجنّة ما ابتَغَى أهلُها من ذهب أو فضّة، أو ثياب، أو خَدَم؟ قال خبّاب: بلى، قال: فأَنظِرْني إلى يوم القيامة يا خبّابُ

= مجلَّلةً تعمِّمُه شَناراً مُضرَّمةً تأجَّجُ كالشُّواظِ

وهو في هذه القصيدة يهجو أُميّة بن خلف كما في «الديوان»، وكذلك يُفهَم من «الصحاح» (شوظ) للجوهريّ و«الوقف والابتداء» لابن الأنباريّ ١/ ٩٥، ووقع للثعلبيّ والماوَرْديّ في «تفسيريهما» أنه هجا بها أُميّة بن أبي الصَّلت!

(١) هو في «ديوان رؤبة» ص٦٤ من أُرجوزة يمدح بها أبان بن الوليد البَجَليّ، وهو من أشراف بَجِيلة في العراق.

وفي «شرح ديوانه» ١/ ٣٥٧ لعالم لُغويّ مجهولٍ طبعه مجمع اللغة العربية بمصر: قوله: عصرَي باطلي، أراد أوّل النهار وآخره، وهما العَصْران، يقول: كنت في الباطل غُدوةً وعشيّةً، واللمز: يريد اللهو واللعب، وقوله: في ظلِّ، يقول: فأنا في ظُلّة من الباطل.

(٢) أي: حدّاداً.

حتّى أَرجِعَ إلى تلك الدّار فأَقضِيَك هنالك حقَّك، فوالله لا تكونُ أنت وأصحابُك[1] يا خبّابُ آثَرَ عند الله منّي، ولا أعظمَ حظّاً في ذلك. فأَنزَلَ الله عزَّ وجلَّ فيه: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ إلى قوله: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم:٧٧-٨٠][2].

ذكرٌ لأبي جهل بن هشام المخزوميّ

ولَقِيَ أبو جهل بن هشام رسولَ الله ﷺ - فيما بلغني - فقال له: والله يا محمّد، لتَتْرُكَنَّ سبَّ آلهتنا، أو لنَسُبَّنَّ إلٰهك الذي تَعبُد، فأنزَلَ الله فيه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فذُكِرَ لي أنّ رسول الله ﷺ كَفَّ عن سبِّ آلهتهم، وجعل يدعوهم إلى الله عزَّ وجلَّ[3].

---

(١) في (ص) و(م) و(ي): وصاحبك.

(٢) لم يسنده ابن إسحاق بهذا السياق، وأصحُّ منه سياقاً ما أخرجه أحمد (٢١٠٧٥)، والبخاري (٢٠٩١) و(٤٧٣٢)، ومسلم (٢٧٩٥)، والترمذي (٣١٦٢)، وابن حبان (٤٨٨٥) من حديث مسروق عن خبّاب قال: كنت قَيناً في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دَيْن، فأتيته أتقاضاه، قال: لا أعطيك حتّى تَكفُرَ بمحمّدٍ، فقلت: لا أكفرُ حتّى يُميتَك الله ثم تُبعَث، قال: دَعْني حتّى أموتَ وأُبعَثَ، فسأُوتى مالاً وولداً فأَقضيَكَ، فنزلت ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ...﴾ إلى آخر الآيات.

(٣) روي نحو هذا عن ابن عبّاس، فقد أخرج الطبري في «تفسيره» ٩/ ٤٨٠، وكذا ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٦ من طريق معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عبّاس نحوه، إلا أنه لم يسمِّ أبا جهل بعينِه.

ورجال إسناده لا بأس بهم إلا أنه منقطع بين عليٍّ وابن عبّاس.

وأخرجا نحوه أيضاً عن السُّدّيِّ مرسلاً في قصّة دخول رجال من قريش على أبي طالب، وذكر منهم أبا جهل. =

ذكرٌ للنَّضر بن الحارث العَبْدريّ

والنَّضْرُ بن الحارث بن كَلَدة بن عَلقَمة بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار بن قُصيٍّ، كان إذا جلس رسول الله ﷺ مَجلِساً فدَعَا فيه إلى الله تعالى وتَلَا فيه القرآن، وحَذَّرَ قريشاً ما أصاب الأُممَ الخالية، خَلَفَه في مجلسِه إذا قام فحدَّثهم عن رُستُم الشديد وعن اسفنديار[1] وملوك فارس، ثم يقول: واللهِ ما محمّدٌ بأحسنَ حديثاً منّي، وما حديثُه إلا أساطيرُ الأوّلين، اكتَتَبَها كما اكتَتَبتُها[2]. فأنزَلَ الله فيه: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان:٥-٦]، ونزل فيه: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [القلم:١٥]، ونزل فيه: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ[3] فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الجاثية:٧-٨].

= وذكر هذين الخبرين بلا إسنادٍ الواحديُّ في «أسباب النزول» (٤٤٤) و(٤٤٦).

(١) في (ت) و(ق١) و(غ): اسبنديار، وفي (ش١) و(ص) و(م) و(ي): اسفنديار، والمشهور في كتب التاريخ ما أثبتنا، وقد تقدم التنبيه عليه في الكلام على بداية الدعوة ص٣٤٨.

وأما قوله: رستم الشديد، فهكذا وقع في نسخنا الخطية غير النسخة المغربيّة المرموز لها بـ(غ)، ففيها: رستم الشيذ، وكذلك وقع للسهيليّ كما في «الروض» ٣/ ٣١٧ وقال: بالفارسيّة معناه: ذو الضياء، والياء في الشيذ والألف سواء، ومنه: أرفخشاذ... وعند الخشنيّ كما في «إملائه» ص١٠٦: السنديذ، وقال: السنديذ بلغة فارس: شعاع الشمس، وهم ينسبون إليه كلَّ جميل، وهو بذال معجمة.

(٢) روى هذا مُسنَداً الطبريُّ في «تفسيره» ١٧/ ٣٩٩-٤٠٠ عن أبي كُريبٍ محمد بن العلاء، عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق قال: حدثنا شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس. وهذا إسناد ضعيف لإبهام شيخ ابن إسحاق.

(٣) زاد النساخ هنا في بعض النسخ: ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗا﴾، وهو خطأ، فهذه من سورة لقمان.

قال ابن هشام: الأفّاك: الكذّاب، وفي كتاب الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الصافات:١٥١-١٥٢]، وقال رُؤْبة:

ما لِامرِئٍ أَفَّكَ قولاً إفْكاً

وهذا البيت في أُرجوزةٍ له[١].

قال ابن إسحاق: وجَلَسَ رسولُ الله ﷺ - فيما بلغني - يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النّضرُ بن الحارث حتّى جلس معهم في المَجلِس، وفي المجلسِ غيرُ واحدٍ من رجال قريش، فتكلّم رسول الله ﷺ فعَرَضَ له النَّضرُ بن الحارث، فكَلَّمه رسولُ الله ﷺ حتّى أفحَمَه[٢]، ثمّ تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨-١٠٠].

قال ابن هشام: حَصَبُ جهنَّم: كلُّ ما أُوقِدَت به، قال أبو ذُؤَيب الهُذَليّ، واسمه خُوَيلِد بن خالد:

فأَطفِئْ ولا تُوقِدْ ولا تكُ مُحصِباً لنارِ العُداةِ أن تَطِيرَ شَكَاتُها[٣]

وهذا البيت في أبياتٍ له. ويروى: ولا تكُ مِحضَأً[٤].

---

(١) هي في «ديوانه» ص١١٩-١٢٠.

(٢) أي: حتى أسكَتَه.

(٣) تطير شكاتها، أي: تنتشر شدّتها.

وهذا البيت من قصيدة قالها أبو ذؤيب في الإصلاح بين اثنين من قومه وقع بينهما تلاسنٌ بالأشعار. انظر «شرح أشعار الهذليّين» صنعة أبي سعيد السكريّ ١/ ٢٢٣.

(٤) وهكذا هو في «ديوان الهذليّين» بترتيب وتعليق محمّد الشنقيطي ١/ ١٦٣، وفيه بإثره - كما وقع في النسخ المطبوعة من السيرة بإثر هذا البيت وليس في شيء من نسخنا الخطية -: =

قال ابن إسحاق: ثمَّ قام رسول الله ﷺ، وأقبَلَ عبدُ الله بن الزِّبَعرَى السَّهْميّ حتّى جلس، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزِّبَعرَى: واللهِ ما قام النَّضرُ بن الحارث لابن عبد المُطَّلِب آنفاً وما قَعَد، وقد زَعَمَ محمّدٌ أنّا وما نَعبُدُ من آلهتنا هذه حَصَبُ جهنَّم، فقال عبد الله بن الزِّبَعرَى: أمَا واللهِ لو وجدتُه لخَصَمتُه، فسَلُوا محمّداً: أكلُّ ما يُعبَد من دون الله في جهنَّمَ مع من عَبَدَه؟ فنحن نَعبُد الملائكةَ، واليهودُ تَعبُد عُزيراً، والنَّصارى تَعبُد عيسى ابنَ مريم، فعَجِبَ الوليدُ ومن كان معه في المَجلِس من قول عبدِ الله بن الزِّبَعرَى، ورأَوا أنه قد احتَجَّ وخاصَمَ، فذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ من قول ابن الزِّبَعرَى، فقال رسول الله ﷺ: «كلُّ مَن أحَبَّ أن يُعبَدَ من دونِ الله، فهو مع مَن عَبَدَه، إنّهم إنّما يَعبُدون الشياطينَ ومَن أمَرَتْهم بعبادتِه»[1]. فأَنزل الله عليه في ذلك[2]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ

= قال الشاعر:

حَضَأتُ له ناري فأبصرَ ضَوءَها وما كان لولا حَضْأةُ النارِ يهتدي

قلنا: والمِحضَأ: هو العُود الذي تُحرّك به النار وتلتهب.

(١) قصة النضر بن الحارث وابن الزبعرى لم يسندها ابن إسحاق بهذا السياق، ورواها عنه كذلك سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تفسيره» ١٦/ ٤١٧-٤١٨.

وروى نحوَ هذا الخبر مُسنَداً باختصارٍ دون قوله ﷺ: «كلّ من أحبَّ أن يُعبَد... إلخ» عاصمُ ابن أبي النَّجود، عن أبي رَزِين مسعود بن مالك الأسديّ، عن مِصدَع أبي يحيى مولى ابن عفراء، عن ابن عباس. أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٩٨٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (٦١٦) و(٧٤٠)، وإسناده حسن إن شاء الله.

ومعنى هذا الخبر بسياقات متقاربة عن ابن عباسٍ عند أحمد (٢٩١٨)، والطحاوي (٩٨٨)، والحاكم في «مستدركه» (٣٤٩٠)، وليس عند أحد منهم قوله: «كلّ من أحبَّ أن يُعبَد... إلخ».

(٢) قوله: في ذلك، من (ش١) و(ق١).

حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١-١٠٢] أي: عيسى ابن مريم وعزيرٌ ومَن عَبَدُوا من الأحبار والرُّهبان الّذين مَضَوْا على طاعة الله، فاتَّخَذَهم مَن يَعبُدهم من أهل الضَّلالة أرباباً من دون الله.

ونَزَلَ فيما يَذكُرون أنهم يَعبُدون الملائكة وأنّها بناتُ الله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٩].

ونَزَلَ فيما ذَكَرَ[1] من أمرِ عيسى ابن مريمَ أنه يُعبَد من دون الله، وعَجَبِ الوليد ومَن حَضَرَه من حُجَّتِه وخصومتِه: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ[2]﴾ [الزخرف:٥٧] أي: يَصُدُّون عن أمرك بذلك من قوله، ثمّ ذَكَرَ عيسى فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ۝٥٩ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: ما وضعتُ على يديه من الآيات من إحياءِ الموتى وإبراءِ الأسقام، فكَفَى به دليلاً على عِلْم السّاعة، يقول: فلا تَمتَرُنَّ بها[3] ﴿وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾.

ذكر الأخنس بن شَرِيق الثَّقفيّ

والأخنسُ بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثَّقَفيّ، حليفُ بني زُهْرة، وكان من

(١) يعني عبدَ الله بنَ الزِّبَعرى.

(٢) بضمِّ الصاد من الصُّدود، وهو الإعراض كما يوحي تفسير ابن إسحاق لها، وهذه قراءة نافع وابن عامر والكسائي من السبعة، وقرأ بقيتهم بكسر الصاد بمعنى: يَضِجُّون ويصيحون عجباً. وانظر «السبعة» لابن مجاهد ص٥٨٧.

(٣) أي: فلا تَشكُّنّ فيها وفي مجيئها أيّها الناس.

أشراف القوم وممّن يُستمَع منه، فكان يصيب من رسول الله ﷺ ويردُّ عليه، فأنزل الله تعالى فيه[1]: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ إلى قوله: ﴿زَنِيمٍ﴾ [القلم:١٠-١٣]، ولم يقل: زَنِيمٌ، لعَيبٍ في نسبه، لأنّ الله عزَّ وجلَّ لا يَعِيبُ أحداً بنسب، ولكنّه حقَّق بذلك نَعْتَه ليُعرَف، والزَّنِيم: العَدِيد للقوم[2]، وقد قال الخَطِيم التَّميميّ[3] في الجاهليّة:

زَنِيمٌ تَداعاهُ الرّجالُ زيادةً ... كما زِيدَ في عَرضِ الأَديمِ الأَكارعُ[4]

ذكرُ الوليد بن المغيرة

والوليدُ بن المغيرة، قال: أيُنزَّلُ على محمّد وأُترَك وأنا كبير قريش وسيِّدها، ويُتْرَك أبو مسعود عمرُو بن عُمير الثَّقفيّ سيِّد ثَقِيف، فنحن عظيما القريتَينِ! فأنزل الله تعالى فيه ـ فيما بلغني ـ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

---

(١) ذكر القرطبيُّ في «تفسيره» ٢١/ ١٥٥ أن معظم المفسّرين على أن هذا نزل في الوليد بن المغيرة المخزوميّ. أو أنه النضر بن الحارث من بني عبد الدار، فقد تقدّم عند ابن إسحاق في بداية الدعوة ص٣٤٨ نقلُه عن ابن عباس: أن كل ما ذُكر فيه الأساطيرُ من القرآن فقد نزل في النضر بن الحارث. وممّا يقوّي هذا أنّ مجاهداً روى عنه فيما أخرجه البخاري (٤٩١٧) أنه قال في تفسير هذه الآيات: هو رجل من قريش؛ لكن لم يسمِّه، والأخنس ليس قرشيّاً.

(٢) العديد من القوم: مَن يُعَدُّ فيهم وليس منهم، تشبيهاً له بالزَّنَمة: وهو شيء يُقطَع من أُذن الشاة ويُترك معلَّقاً بها.

(٣) وقيل: هو لحسان بن ثابت كما في «الروض الأنف» للسهيليّ ٣/ ٣٢١.

(٤) الأديم: الجِلْد. والأكارع: جمع كُرَاع، وهو هنا ساقُ الشاة وغيرها، وإنما أراد ما عليها من الجِلد.

دَرَجَتٍ ﴾ إلى قوله: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف:٣١-٣٢].

ذكرٌ لأُبيّ بن خَلَف وعُقْبة بن أبي مُعَيط

وأُبَيُّ بن خَلَف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح وعُقْبةُ بن أبي مُعَيطٍ، وكانا مُتصافِيَينِ حَسَناً ما بينهما، فكان عُقبةُ قد جَلَسَ إلى رسول الله ﷺ وسَمِعَ منه، فبَلَغَ ذلك أُبيّاً، فأتى عقبةَ فقال له: ألم يَبلُغْني أنّك جالستَ محمّداً وسمعتَ منه؟! ثم قال: وجهي من وجهك حرامٌ أن أكلِّمَك ـ واستَغلَظَ من اليمين ـ إن أنت جلستَ إليه أو سمعتَ منه، أو لم تأتِه فتَتفُلَ[1] في وجهه. ففعل ذلك عدوُّ الله عقبةُ بن أبي مُعَيط، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان:٢٩][2].

ومشى أُبيُّ بن خَلَف إلى رسول الله ﷺ بعظمٍ بالٍ قد ارْفَتَّ[3]، فقال: يا محمّد، أنت تَزعُمُ أنّ الله يَبعَثُ هذا بعدَ ما أَرَى[4]؛ ثم فتَّه بيده[5] ثم نَفَخَه في الرِّيح نحوَ رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «نَعَم، أنا أقولُ ذلك، يَبعَثُه الله وإيّاكَ بعدَ ما تكونانِ هكذا، ثمَّ يُدخِلُك النّارَ»[6]. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ

---

(١) التَّفْل: نفخ معه أدنى بُزاق.

(٢) روي نحوه عن ابن عباس عند عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧٣١)، والطبري في «تفسيره» ١٧/ ٤٤٠. وعن السُّدّيِّ أيضاً عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٨/ ٢٦٨٥.

(٣) أي: تحطّم وتكسّر.

(٤) وقع في أكثر الطبعات السابقة: بعد ما أرَمَّ. وليس في شيء من النسخ. وأرمَّ، أي: بَلِيَ.

(٥) في (ص) و(م): في يده.

(٦) روي هذا مرسلاً عن الزهريِّ عند عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢٥٦ والطبري في =

خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ [يس].

ذكر قولٍ دار بين رسول الله ﷺ وبين قوم من مشركي قريش أوجَبَ نزولَ ﴿ قل يا أيُّها الكافرون﴾

واعتَرَض رسولَ الله ﷺ وهو يطوف بالكعبة ـ فيما بلغني ـ الأسودُ بن المُطَّلِب بن أَسد بن عبد العُزَّى والوليدُ بن المغيرة وأُميّةُ بن خَلَف والعاصِ بنُ وائل السَّهْميّ، وكانوا ذوي أسنانٍ في قومهم، فقالوا: يا محمّد، هَلُمَّ فلنَعبُدْ ما تَعبدُ، وتَعبُدْ ما نَعبدُ، فنَشتركَ نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبدُ خيراً ممّا نعبد، كنّا قد أخذنا بحَظِّنا منه، وإن كان ما نعبدُ خيراً ممّا تعبد، كنتَ قد أخذتَ بحَظِّك منه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ السورةَ كلَّها[1]، أي: إن كنتم لا تَعبُدون الله إلّا أن أعبُدَ ما تَعبُدون، فلا حاجةَ لي بذلك منكم، لكم دينُكم جميعاً ولي دِينِ.

ذكرٌ لأبي جهل بن هشام

وأبو جَهْل بن هشام، لمّا ذَكَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ شجرة الزَّقُّوم تخويفاً بها لهم، قال: يا معشرَ قريشٍ، هل تدرون ما شجرةُ الزَّقُّوم التي يخوِّفُكم بها محمّد؟ قالوا: لا، قال:

= «تفسيره» ١١/ ٨٧، وعن قتادة عند عبد الرزاق ٢/ ١٤٦ و الطبري ١٩/ ٤٨٦، وأحدهما يشدّ الآخر فيحتمل التحسين إن شاء الله.

وأصحُّ منه ما رواه الحاكم في «مستدركه» (٣٦٤٨) وغيرُه بإسناد صحيح عن ابن عباس بنحو هذا، إلا أنه سمَّى الرجلَ العاصِ بنَ وائل السهمي مكان أُبيّ بن خلف.

(١) روى هذا الخبر إسماعيلُ ابن عُليّة عند الطبري في «تفسيره» ٢٤/ ٧٠٣ عن ابن إسحاق قال: حدثني سعيد بن مِينا مولى البَختَري... فذكره، وسعيدٌ هذا تابعيٌّ ثقة فخبرُه بهذا مرسلٌ.

عَجْوةُ يَثرِبَ بالزُّبْد، والله لَئِن استمكَنّا منها لنَتَزقَّمَنَّها تزقُّماً. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان:٤٣-٤٦] أي: ليس كما يقول[1].

قال ابن هشام: المُهْل: كلُّ شيءٍ أذَبتَه من نحاسٍ أو رصاصٍ أو ما أشبَهَ ذلك، فيما أخبرني أبو عُبيدة.

وبَلَغَنا[2] عن الحسن بن أبي الحسن البصريِّ أنه قال: كان عبد الله بن مسعودٍ والياً لعمر بن الخَطّاب على بيت مال الكوفة، وأنّه أمَرَ يوماً بفضّة فأُذيبَت، فجعلت تَلوَّنُ ألواناً، فقال: هل بالباب من أَحد؟ قالوا: نعم، قال: أَدخِلوهم، فأُدخلوا، فقال: إنَّ أدنى ما أنتم راؤُون شَبَهاً بالمُهْل، لَهذا[3].

وقال الشّاعر:

يَسقيهِ ربِّي حَمِيمَ المُهلِ يَجرَعُهُ ... يَشْوي الوجوهَ فَهُوْ في بطنِه صَهِرُ[4]

---

(١) روي نحو هذا الخبر عن ابن عباس عند البيهقي في «البعث» (٥٤٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (٥٨٠)، إلا أن فيه من قول أبي جهل عن الزقوم: نتزبّد بالزُّبْد. وإسناده حسن.

وروي عنه من وجه آخر صحيح عند أحمد (٣٥٤٦) والنسائي في «الكبرى» (١١٤٢٠)؛ قال: قال أبو جهل: أيخوِّفنا محمد بشجرة الزقّوم، هاتوا تمراً وزُبداً فتزقَّموا.

والتزقُّم: التبلُّع والتلقُّم الشديد.

(٢) في (ت) و(ش١) و(غ): وبلغني.

(٣) هذا خبر مرسل، فالحسن البصريّ ليس له سماع من ابن مسعود، لكن يشهد له مرسل قتادة عن ابن مسعود أيضاً بمعناه عند الطبري في «تفسيره» ١٥/ ٢٤٨ و٢١/ ٥٦، ورجاله ثقات.

(٤) الصَّهِر: الذائب. وهذا البيت لم نقف عليه عند غير ابن هشام.

ووقع بعد هذا في بعض الطبعات السابقة زيادة: وقال عبد الله بن الزِّبير الأَسَدي:

فمَن عاش منهم عاش عبداً وإن يمُتْ ... ففي النارِ يُسقَى مُهلَها وصديدَها

ويقال: إنّ المُهْل: صَديدُ الجسد.

بَلَغَنا: أنّ أبا بكر الصِّدّيق رضي الله عنه لمّا حُضِرَ أمَرَ بثوبَينِ لَبِيسَينِ يُغسَلان فيُكفَّن فيهما، فقالت له عائشة: قد أغناك الله يا أبتِ عنهما، فاشتَرِ كَفَناً، فقال: إنّما هي ساعةٌ حتّى يصيرَ إلى المُهْل[1].

قال الشّاعر:

شـابَ بالمـاءِ منـه مُهْـلاً كَريهـاً ثـمَّ عَـلَّ المُتُـونَ بعـد النِّهـالِ[2]

قال ابن إسحاق: وأنزل الله فيه: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٦٠].

أمرُ ابن أمّ مكتوم ونزولُ سورة ﴿عَبَسَ﴾

ووَقَفَ الوليدُ بن المغيرةِ مع رسول الله ﷺ ورسولُ الله ﷺ يُكلّمُه، وقد طَمِعَ في إسلامه، فبَيْنا هو في ذلك، إذ مَرَّ به ابنُ أمِّ مَكتومٍ الأعمى، فكَلَّمَ رسولَ الله ﷺ وجعل يستقرئُه القرآنَ، فشَقَّ ذلك منه على رسول الله ﷺ حتّى أضجَرَه، وذلك أنّه شَغَلَه عمّا كان فيه من أمرِ الوليد وما طَمِعَ فيه من إسلامه، فلمّا أكثَرَ عليه انصَرَفَ عنه عابساً وتَرَكَه[3]. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ إلى

---

(١) أخرج أحمد (٢٤١٨٦) والبخاري (١٣٨٧) من حديث عائشة: أن أبا بكر نظر إلى ثوب عليه، كان يُمرَّض فيه به شيء من زعفران، فقال: اغسِلُوا ثوبي هذا وزيدوا عليه ثوبين، فكفِّنوني فيها، قلت: إنّ هذا خَلَقٌ (أي: قديم)، قال: إنّ الحيَّ أحقُّ بالجديد من الميت، إنما هو للمُهْلةِ.

(٢) شابَ: خَلَطَ. والعَلَلُ: الشُّرب بعد الشّرب. والمُتون: جمع مَتْنٍ، وهو الظَّهر، وأراد بها الدوابَّ التي تُركَب ظهورها. والنِّهال: جمع نَهَلٍ، وهو الشُّرب الأوّل.

وهذا البيت لم نقف عليه عند غير ابن هشام.

(٣) روي هذا الخبر من حديث عروة بن الزُّبير عن خالته عائشة قالت: أُنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ =

قوله: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾﴾ أي: إنَّما بعثتُك بشيراً ونذيراً، لم أخُصَّ[1] بك أحداً دون أحدٍ، فلا تَمنَعْه ممّن ابتَغَاه، ولا تَتصَدَّ به لمن لا يريدُه.

قال ابن هشام: ابنُ أمِّ مكتومٍ أحدُ بني عامر بن لُؤيٍّ، واسمُه عبد الله، ويقال: عَمْرو.

ذكرُ مَن عاد من أرض الحبشة لمّا بلغهم إسلامُ أهل مكّة وما جَرَى لهم مع الّذين أجاروهم من المشركين

قال ابن إسحاق: وبَلَغَ أصحابَ رسول الله ﷺ الّذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلامُ أهلِ مكّة، فأقبَلُوا لِمَا بَلَغَهم من ذلك، حتّى إذا دَنَوْا من مكّة، بَلَغَهم أنّ ما كانوا تَحدَّثوا به من إسلام أهل مكّة كان باطلاً، فلم يَدخُلْ منهم أحدٌ إلا بجِوَارٍ أو مُستخفِياً.

فكان مَن قَدِمَ عليه مكّةَ منهم، فأقام بها حتّى هاجَرَ إلى المدينة فشَهِدَ معه بدراً[2]، ومَن حُبِسَ عنه حتى فاته بدرٌ وغيرُه، ومَن مات بمكّة منهم؛ من بني عبد

= في ابن أمّ مكتوم الأعمى، أَتى رسولَ الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشِدْني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عُظماء المشركين ـ ولم تسمِّه ـ فجعل رسول الله ﷺ يُعرِضُ عنه ويُقبِل على الآخر ويقول: «أترى بما أقولُ بأساً؟» فيقول: لا، ففي هذا أُنزل. أخرجه الترمذي (٣٣٣١)، وابن حبان (٥٣٥)، والحاكم (٣٩٤٠)، وإسناده صحيح على خلاف في وصله وإرساله، وحسّنه الترمذيُّ، وصحّحه الحاكم.

(١) في (ص) و(ي): مبشراً ونذيراً لم أختص.

(٢) زاد في (ت) و(ش١) و(م) و(ي): وأُحداً، وليست في (ق١) و(غ)، وكانت في (ص) ثم ضبَّب عليها، ولعلّ ذلك من أجل أن بعض من ذُكِر هنا لم يشهدها كعثمان بن مظعون، فإنه توفِّي بعد شهوده بدراً بأشهُرٍ.

شمس بن عبد مَنَاف بن قُصيٍّ: عثمانُ بن عفّان بن أبي العاص بن أُميَّة بن عبد شمس، معه امرأتُه رُقَيّة بنت رسول الله ﷺ، وأبو حُذَيفة بن عُتْبة بن رَبيعة بن عبد شمس، معه امرأتُه سَهْلةُ بنت سُهَيل، ومن حُلفائهم: عبدُ الله بن جَحْش بن رِئاب.

ومن بني نَوفَل بن عبد مَنَاف: عُتْبة بن غَزْوان، حليفٌ لهم من قيسِ عَيْلان[1].

ومن بني أسَدِ بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ: الزُّبير بن العوّام بن خُوَيلد بن أسد.

ومن بني عبد الدّار بن قُصيٍّ: مصعبُ بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدّار، وسُوَيبِط بن سعد بن حُرَيمِلة.

ومن بني عبد بن قُصيٍّ: طُلَيبُ بن عُمير بن وهب بن أبي كَبير[2] بن عبدٍ.

ومن بني زُهْرةَ بن كِلَابٍ: عبدُ الرَّحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة، والمِقدادُ بن عمرو، حليفٌ لهم، وعبدُ الله بن مسعود، حليفٌ لهم.

ومن بني مَخزُوم بن يَقَظَة: أبو سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمر ابن مخزوم، ومعه امرأتُه أمُّ سَلَمة بنت أبي أُميّة بن المغيرة، وشَمّاسُ بن عثمان بن الشَّريد بن سُوَيد بن هَرْميّ بن عامر بن مخزوم، وسَلَمةُ بن هشام بن المغيرة، حَبَسَه عمُّه[3] بمكّة، فلم يَقدَمْ إلّا بعد بدرٍ وأُحدٍ والخندق، وعيّاشُ بن أبي رَبِيعة بن المغيرة،

---

(١) في (ص) و(م) و(ي): قيس بن عيلان. وكلاهما صحيح.

(٢) قال السهيليّ في «الروض» ٣/ ٣٤٧-٣٤٩: زيادة أبي كَبيرٍ في هذا الموضع لا يُوافَق عليه... وذكره أبو عمر (يعني ابن عبد البر) ونسبه كما نسبه ابنُ إسحاق بزيادة أبي كبير. وانظر أيضاً «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص١٢٨. وذكر مصعب الزُّبيريّ في «نسب قريش» ص٢٥٦ أن أبا كبير هو مُنهِب بن عبد بن قصيّ أخو وهبٍ، وطُليب إنما هو من أبناء وهبٍ.

(٣) يعني الوليدَ بن المغيرة.

هاجر معه[1] إلى المدينة، ولَحِقَ به أخواه لأمّه أبو جهل بن هشام والحارثُ بن هشام، فرَجَعا به إلى مكّة فحَبَساه بها حتّى مضى بدرٌ وأحدٌ والخندقُ.

ومن حُلفائهم: عمّارُ بن ياسر، يُشَكُّ فيه، أكان خرج إلى الحبشة أم لا؟!

ومُعتِّبُ بن عوف بن عامر من خُزَاعة.

ومن بني جُمَح بن عَمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: عثمانُ بن مَظعُون بن حَبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح، وابنُه السائب بن عثمان، وقُدَامةُ بن مَظعُون، وعبدُ الله بن مَظعُون.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: خُنَيسُ بن حُذَافة بن قيس بن عَديّ، وهشامُ بن العاص بن وائل، حُبِسَ بمكّة بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة حتّى قَدِمَ بعد بدرٍ وأُحدٍ والخندق.

ومن بني عَديِّ بن كعب بن لُؤيّ بن غالبٍ: عامرُ بن رَبيعة، حليفٌ لهم، معه امرأتُه ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم.

ومن بني عامر بن لُؤيٍّ: عبدُ الله بن مَخرَمة بن عبد العُزَّى بن أبي قيس، وعبدُ الله ابن سُهيل بن عمرو، وكان حُبِسَ عن رسول الله ﷺ حين هاجر إلى المدينة، حتى كان يومُ بدرٍ فانحازَ من المشركين إلى رسول الله ﷺ فشَهِدَ معه بدراً، وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزّى، معه امرأتُه أمُّ كُلثوم بنت سُهيل بن عمرو، والسَّكْرانُ بن عمرو بن عبد شمس، معه امرأتُه سَوْدةُ بنت زَمْعة بن قيس، مات بمكّة قبل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، فخَلَفَ رسولُ الله ﷺ على امرأته سَوْدةَ بنت زَمْعة، ومن حُلفائهم: سعدُ ابن خَوْلة.

---

(١) أي: مع أبي سلمة.

ومن بني الحارث بن فِهْرٍ: أبو عُبيدة بن الجَرّاح، وهو عامرُ بن عبد الله بن الجرّاح، وعمرُو بن الحارث بن زُهَير بن أبي شدّاد، وسُهَيلُ ابن بَيضاءَ، وهو سُهَيل بن وهب ابن ربيعة بن هلال، وعمرُو بن أبي سَرْح بن ربيعة بن هلال.

فجميعُ مَن قَدِمَ عليه مكّةَ من أصحابه من أرض الحَبَشة ثلاثةٌ وثلاثون رجلاً.

فكان مَن دخل منهم بجِوَارٍ، فيمن سُمّي لنا: عثمانُ بن مظعون بن حَبيب الجُمَحيّ، دخل بجِوَارٍ من الوليد بن المغيرة، وأبو سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال المخزوميّ[1]، دخل بجِوَارٍ من أبي طالب بن عبد المُطَّلِب وكان خالَه؛ أمُّ أبي سَلَمة بَرّةُ بنت عبد المُطَّلِب.

قال ابن إسحاق: فأمّا عثمانُ بن مظعونٍ فإنّ صالح بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن ابن عَوفٍ حدّثني عمَّن حدَّثه عن عثمان؛ قال: لمّا رأى عثمانُ بن مظعونٍ ما فيه أصحابُ رسول الله ﷺ من البلاء، وهو يَغدُو ويَرُوحُ في أمانٍ من الوليد بن المغيرة، قال: واللهِ إن غُدوِّي ورَوَاحي آمناً بجِوارِ رجلٍ من أهل الشِّرك، وأصحابي وأهلُ ديني يَلقَون من البلاءِ والأذى في الله ما لا يصيبُني، لَنقصٌ كبيرٌ في نفسي، فمَشَى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبدِ شمس، وَفَتْ ذِمّتُك، قد رَدَدتُ إليك جِوارَك، فقال: لِمَ يا ابن أخي، لعلَّه آذاك أحدٌ من قومي، قال: لا، ولكنّي أَرضى بجِوَارِ الله، ولا أريدُ أن أستجيرَ بغيره؟ قال: فانطلِقْ إلى المسجد فاردُدْ عليَّ جِوَاري علانيَةً كما أجَرتُك علانيَةً، قال: فانطَلِقْ، فخرجا حتّى أتَيَا المسجدَ، فقال الوليد: هذا عثمانُ قد جاء يَرُدُّ عليَّ جِواري، قال: صَدَق، قد وجدتُه وفيّاً كريمَ الجِوَار، ولكنّي قد أحببتُ أن لا أستجيرَ بغيرِ الله، فقد رَدَدتُ عليه جِوارَه، ثمّ

(١) زاد في (ش١) و(ص) و(م) و(ي): بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

انصَرَفَ عثمانُ ولَبِيدُ بن رَبيعة بن مالك بن جعفر بن كِلَاب في مجلسٍ من قريش يُنشِدُهم، فجلس معهم عثمانُ، فقال لَبِيد:

ألَا كلُّ شيءٍ ما خَلَا اللهَ باطلُ

قال عثمان: صَدَقتَ، قال لَبِيد:

وكلُّ نَعيمٍ لا مَحالةَ زائلُ

قال عثمان: كذبتَ، نعيمُ الجنة لا يزولُ، قال لَبِيد بن رَبيعة: يا معشرَ قريش، والله ما كان يُؤذَى جليسُكم، فمتى حَدَثَ هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: إنّ هذا سَفيهٌ في سُفهاءَ معه قد فارَقُوا دينَنا، فلا تَجِدَنَّ في نفسك من قوله، فرَدَّ عليه عثمانُ حتّى شَرِيَ أمرُهما[1]، فقام إليه ذلك الرجل فلَطَمَ عينَه فخَضَّرَها[2]، والوليدُ بن المغيرة قريبٌ يرى ما بُلِغَ من عثمان، فقال: أمَا واللهِ يا ابن أخي إن كانت عينُك عمّا أصابها لغَنيّةٌ، ولقد كنتَ في ذِمّة مَنِيعة، قال: يقول عثمان: بل واللهِ إنّ عيني الصَّحيحةَ لفقيرةٌ إلى مثلِ ما أصاب أختَها في الله، وإنّي لفي جِوَارِ مَن هو أعزُّ منك وأقدرُ يا أبا عبد شمس، فقال له الوليد: هَلُمَّ يا ابن أخي إن شئتَ إلى جوارِك فعُدْ، فقال: لا[3].

---

(١) أي: تزايد وتعاظم بينهما.

(٢) أي: اسودَّ ما حولها من الضرب، والعربُ تطلق الخضرةَ على السواد.

(٣) هذا خبر قويٌّ وإن روي مرسلاً لشُهرته عند من روى المغازي كعروة بن الزبير وابن شهاب الزهريّ وموسى بن عقبة كما سيأتي، وصالح بن إبراهيم شيخُ ابن إسحاق فيه ثقةٌ من صغار التابعين.

والخبر في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق في «سيرته» ص١٧٨-١٧٩، ورواه عن ابن إسحاق أيضاً إبراهيمُ بن سعد عند أبي نعيم في «حلية الأولياء» ١/ ١٠٣-١٠٤.

ورواه أيضاً عروةُ بن الزبير كما في «المعجم الكبير» للطبراني ٩/ ٢٣-٢٤، وابن شهاب كما =

قال ابن إسحاق: وأمّا أبو سَلَمة بن عبد الأسَد، فحدَّثَني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ، عن سَلَمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سَلَمة أنه حدَّثه: أنّ أبا سَلَمة لمّا استجارَ بأبي طالبٍ، مشى إليه رجال من بني مخزوم فقالوا له: يا أبا طالب، هذا مَنَعتَ منّا ابنَ أخيك محمّداً، فما لك ولصاحبِنا تَمنَعُه منّا؟ قال: إنّه استجارَ بي، وهو ابن أُختي، وإن أنا لم أمنَعِ ابنَ أختي لم أمنَعِ ابنَ أخي، فقام أبو لهبٍ فقال: يا معشرَ قريش، واللهِ لقد أكثَرتُم على هذا الشَّيخ، ما تزالون تَوَثَّبُون عليه في جِوَاره من بين قومه، واللهِ لتَنتَهُنَّ عنه أو لنقومَنَّ معه في كلِّ ما قام فيه، حتّى يَبلُغَ ما أراد، قال: فقالوا: بل ننصرفُ عمّا تكرهُ يا أبا عُتْبة؛ وكان لهم وليّاً وناصراً على رسول الله ﷺ، فأبقَوْا على ذلك، فطَمِعَ فيه أبو طالبٍ حين سمعه يقول ما يقول، ورَجَا أن يقومَ معه في شأن رسول الله ﷺ، فقال أبو طالبٍ يُحرِّضُ أبا لهبٍ على نُصرتِه ونُصرةِ رسول الله ﷺ:

وإنَّ[1] امـرَأً أبـو عُتَيبـةَ عمُّـهُ ... لَفي رَوضةٍ ما إنْ يُسامُ المَظالِما[2]

أقـولُ لـه، وأيـنَ منـه نصـيحتي ... أبـا مُعتِـبٍ ثَبِّـتْ سَـوادَكَ قائمـا[3]

ولا تَقبَلَنَّ الدَّهرَ ما عشتَ خُطّةً ... تُسَبُّ بها إمّا هَبَطتَ المَواسِما[4]

= في «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤٩١٥)، وموسى بن عقبة في كتاب «المغازي» كما في «دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٢٩١-٢٩٣.

(١) الواو من (ي)، وبذلك يستقيم وزن الشِّعر، وسقطت من بقية النسخ فصار فيه ما يُسمَّى بالخَرْم.

(٢) أي: هو في عزٍّ ومَنَعة ـ وعبّر عنها بالروضة ـ إذا أُريد به مَظلِمة.

(٣) السواد هنا: الشخص، ومعنى «ثبِّت سوادك»: كثِّر قومك ولا تقلِّلهم بفراقك لهم.

(٤) الخُطّة: الأمر والحال. والمواسم: جمع المَوسِم، وهو الاجتماع في مواطن الحج =

ووَلِّ سبيلَ العَجزِ غيرَك منهمُ فإنّك لم تُخلَقْ على العَجزِ لازِما
وحارِبْ فإنَّ الحربَ نِصفٌ ولن تَرَى
أخا الحربِ يُعطِي الخَسْفَ حتّى يُسالِما[1]
وكيف ولم يَجْنُوا عليكَ عظيمةً ولم يَخذُلوكَ غانماً أو مُغارِما
جَزَى اللهُ عنّا عبدَ شمسٍ ونَوفلاً وتَيْماً ومخزوماً عُقوقاً ومَأثَما
بتفريقِهِمْ من بعدِ وُدٍّ وأُلْفةٍ جَماعتَنا كَيْما يَنالُوا المَحارِما
كَذَبتُم وبيتِ اللهِ نُبزَى محمَّداً ولَمّا تَرَوا يوماً لَدَى الشِّعبِ قاتِما[2]

قال[3] ابن هشام: وبقي منها بيتٌ تَرَكناه.

قال ابن إسحاق: وقد كان أبو بكر الصِّدّيق ـ كما حدّثني محمّد بن مُسلِم الزُّهْريّ، عن عُرْوة، عن عائشة ـ حين ضاقت عليه مكّةُ وأصابه فيها الأذى، ورأى من تظاهُرِ قريشٍ على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى، قد استأذَنَ رسولَ الله ﷺ في الهجرة فأَذِنَ له.

فخرج أبو بكر مهاجراً، حتّى إذا سارَ من مكّة يوماً أو يومين لَقِيَه ابنُ الدُّغُنّة،

= المشهورة، وقد تكون المواسم عندهم الاجتماع في أسواقهم المشهورة التي يجتمعون فيها كلَّ عام مثل عُكاظ ومَجَنّة وأشباههما. وإمّا هنا هي الشَّرطيّة، وفي الكلام تقديم وتأخير.

(١) النّصف، مثلّث النون: الإنصاف، أي: أن الحرب سبب لانتصاف الإنسان من أعدائه. والخسف: الذُّل، يريد: من هو صاحب حربٍ يصبر عليها لا يذلُّ ولا يخضع إلّا أن يسالمه خصومه فلا يعتدي عليهم.

(٢) قاتماً، أي: مسوداً من كثرة الغبار الذي ستثيره الحرب إن وقعت. ونُبزَى محمّداً، أي: نُقهَر ونُغلَب عليه.

(٣) قبله في (ش١): قال ابن هشام: نُبزى محمداً: نُسلَب، وفي (ق١): قال ابن هشام: نُبزي: نُسلِم.

أخو بني الحارث بن عبد مَنَاة[1] بن كِنانة، وهو يومئذٍ سيّدُ الأحابيش.

قال ابن إسحاق: والأحابيشُ: بنو الحارث بن عبد مَنَاة بن كِنانة، والهُون بن خُزَيمة بن مُدرِكة، وبنو المُصطلِق من خُزَاعة.

قال ابن هشام: تَحالَفوا جميعاً فسُمُّوا الأحابيشَ للحِلْف[2].

ويقال: ابن الدُّغَيْنة.

قال ابن إسحاق: حدّثني الزُّهْريّ، عن عُرْوة بن الزُّبير، عن عائشة قالت: فقال ابن الدُّغُنّة: أين يا أبا بكر؟ قال: أخرَجَني قومي، وآذَوْني وضيَّقوا عليَّ، قال: ولِمَ؟! فواللهِ إنّك لتَزِينُ العَشيرةَ، وتُعِينُ على النَّوائب، وتفعلُ المعروف، وتَكسِبُ

---

(١) في (ت) و(ي): الحارث بن بكر بن عبد مناة، بزيادة بكر، وهو خطأ، فالحارث وبكرٌ أخوان، كلاهما ابنُ عبد مناة بن كنانة.

وقوله هنا في ابن الدُّغُنّة: أخو بني الحارث، تجوُّز وليس على حقيقته، إنما هو حليفٌ لهم، فإنه كان سيّدَ القارَةِ، وهم بطون من الهُوْن بن خُزيمة، والهُون وكِنانة أخوان، كلاهما ابن خزيمة ابن مُدرِكة بن الياس بن مضر.

وقول ابن إسحاق في روايته هنا عن الزهريِّ: حتى إذا سار - يعني أبا بكر - من مكة يوماً أو يومين لقيه ابن الدُّغنّة، مخالفٌ لروايةِ معمر عن الزهريِّ عند أحمد (٢٥٦٢٦) وابن حبان (٦٨٦٨)، وروايةِ عُقيل بن خالد ويونس بن يزيد عنه عند البخاريّ (٢٢٩٧) و(٣٩٠٥): أن ابن الدُّغنّة هذا لقي أبا بكر في بَرْك الغِماد؛ وهذه الروايات أصحُّ وأثبتُ.

وبَركُ الغِماد هذه تبعد عن مكة ما لا يقلُّ عن مسير سبعة أيام، بما يعادل ٤٥٠ كم تقريباً، وتقع جنوب مكة على ساحل البحر الأحمر، وهي المعروفة اليوم بالبِرْك.

(٢) والتحبُّش: التجمُّع، والحُبَاشة: الجماعة من الناس.

وأما محمد بن حبيب البغدادي فذكر في «المنمَّق في أخبار قريش» ص٢٢٧: أنهم اجتمعوا عند جبل بأسفل مكة اسمه حُبْشيّ، فتحالفوا عنده، بينه وبين مكة ستّة أميال.

المعدومَ[1]، ارجِعْ فأنت في جِواري. فرَجَعَ معه، حتّى إذا دخل مكّةَ قام ابنُ الدُّغُنّة فقال: يا معشرَ قريش، إنّي قد أجَرتُ ابنَ أبي قُحَافة، فلا يَعرِضَنَّ له أحد إلا بخير. قالت: فكَفُّوا عنه.

قالت: وكان لأبي بكرٍ مسجد عند باب داره في بني جُمَح، فكان يصلِّي فيه، وكان رجلاً رقيقاً إذا قرأَ القرآنَ استُبكِيَ[2]، قالت: فيقف عليه الصِّبيان والعبيد والنساء يَعجَبُون لمَا يَرَونَ من هيئته، قالت: فمشى رجال من قريش إلى ابن الدُّغُنّة فقالوا: يا ابن الدُّغُنّة، إنّك لم تُجِرْ هذا الرجل ليُؤذِيَنا! إنّه رجل إذا صلَّى وقرأَ ما جاء به محمّد يُرِقُّ، وكانت له هيئةٌ ونَحْوٌ، فنحن نتخوَّف على صِبياننا ونسائنا وضَعَفتِنا أن يَفتِنَهم، فأْتِه فمُرْه أن يدخلَ بيته فليَصنَعْ فيه ما يشاء.

قالت: فمشى ابنُ الدُّغُنّة إليه فقال له: يا أبا بكرٍ، إنّي لم أُجِرْك لتُؤذيَ قومك، إنّهم قد كَرِهوا مكانَك الّذي أنت به وتأذَّوْا بذلك منك، فادخُلْ بيتك فاصنَعْ فيه ما أحببت، قال: أَوْ أَرُدَّ عليك جِوارَك وأرضى بجِوارِ الله، قال: فاردُدْ عليَّ جِواري، قال: قد رَدَدتُه عليك.

قال: فقام ابنُ الدُّغُنّة فقال: يا معشرَ قريش، إنّ ابنَ أبي قُحَافة قد رَدَّ عليَّ

---

(١) في (ش١) و(ق١) و(ي): المُعدِم. والمُعدِم: هو الفقير، أما المعدوم: فهو ما لا يوجد عندك.

قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٣/ ٣٥٢: قوله لأبي بكر: إنك لتَكسِب المعدومَ، يقال: كَسَبتُ الرجلَ مالاً، فتعدِّيه إلى مفعولين، هذا قول الأصمعيّ، وحكى غيره: أكسَبتُه مالاً، فمعنى تَكسِبُ المعدومَ، أي: تَكسِب غيرَك ما هو معدوم عنده.

والنوائب: جمع نائبة، وهي ما يَنُوب الإنسان، أي: ينزل به من المُهمّات والمصائب.

(٢) هكذا قُيّد في أصولنا، والمعنى: أبكاه القرآن.

جِواري، فشأنَكُم بصاحبكم[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الرَّحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمّدٍ قال: لَقِيَه سفيهٌ من سفهاءِ قريشٍ وهو عامدٌ إلى الكعبة، فحَثَا على رأسه تراباً، قال: فمَرَّ بأبي بكرٍ الوليدُ بنُ المغيرة أو العاصِ بنُ وائل، قال: فقال أبو بكر: ألا ترى إلى ما يصنعُ هذا السَّفيهُ؟ قال: أنت فعلتَ ذلك بنفسك؛ وهو يقول: أيْ ربِّ، ما أحلَمَك! أيْ ربِّ، ما أحلَمَك! أيْ ربِّ، ما أحلَمَك![2]

أمرُ نقض الصحيفة وأسماءُ من نَقَضَها

أسماءُ الخمسة الساعِينَ في نقض الصحيفة الظالمة: هشامُ بن عمرو العامريّ، زهيرُ بن أبي أُميّة بن المغيرة المخزوميّ، المُطعِم بن عَدِيّ، أبو البَختَريِّ بن هشام، زَمْعةُ بن الأسود بن المُطَّلِب بن أسَد[3].

قال ابن إسحاق: وبنو هاشمٍ وبنو المُطَّلِب في مَنزِلهم الّذي تعاقَدَت فيه قريشٌ عليهم في الصَّحيفة الّتي كتبوها، ثمَّ إنّه قام في نَقْض تلك الصحيفة التي تكاتَبَت فيها

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٥٦٢٦)، والبخاريّ (٢٢٩٧) و(٣٩٠٥)، وابن حبان (٦٢٧٧) و(٦٨٦٨) من طرق عن الزهريِّ، به.

(٢) مرسلٌ رجاله ثقاتٌ من آل أبي بكر، فالقاسم: هو ابن محمد بن أبي بكر الصِّدّيق، أحد فقهاء المدينة، ولم يدرك جدَّه أبا بكر، لكن مثل هذا كالموصول إذ يرويه آلُ بيت الرجل، وهم أدرى به وبأخباره.

(٣) سردُ هذه الأسماء الخمسة لم يرد في (غ) و(ق١)، وجاء في بقية النسخ.

وسيأتي في شعر أبي طالب الإشارة إلى سهل ابن بيضاء، فعدَّه ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٣٠٧ من النفر الذين مشوا في نقض الصحيفة.

قريشٌ على بني هاشم وبني المُطَّلِب نفرٌ من قريش، ولم يُبْلِ فيها أحدٌ أحسنَ من بَلاءِ هشام بن عمرو بن رَبيعة[1] بن الحارث بن حُبيِّب بن جَذِيمة[2] بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر بن لُؤيّ، وذلك أنه كان ابنَ أخي نَضْلة بن هاشم بن عبد مَنافٍ لأمِّه، فكان هشامٌ لبني هاشم واصلاً، وكان ذا شَرَفٍ في قومه، فكان ـ فيما بلغني ـ يأتي بالبعير ـ وبنو هاشم وبنو المُطَّلِب في الشِّعب ـ ليلاً قد أَوقَرَه[3] طعاماً، حتّى إذا أقبَلَ به فَمَ الشِّعبِ خَلَعَ خِطامَه من رأسه ثمّ ضرب على جنبِه، فيَدخُلُ الشِّعبَ عليهم، ويأتي به قد أَوقَرَه بُرّاً[4]، فيفعلُ به مثلَ ذلك.

قال ابن إسحاق: ثمَّ إنّه مشى إلى زهير بن أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، وكانت أمُّه عاتكةَ بنت عبد المُطَّلِب، فقال: يا زهير، أقد رَضِيتَ

---

(١) «بن ربيعة» سقط من (ت) و(غ) و(ق١)، واستدركناه من (ش١) و(ص) و(ي).

(٢) «بن جذيمة» سقط من نسخنا الخطية غير (م) و(ي)، ومنهما استدركناه، وهو الصواب.

وذكرُ نصرٍ في عمود نسب هشام هذا، مخالفٌ للمشهور في كتب الأنساب والتراجم، إذ نصرٌ وجَذيمةُ أخوان، كلاهما ابن مالك بن حِسْل، وهشام فمن بني جذيمة بن مالك. وانظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص١٦٦ و١٧٠.

وأمّا حبيب، فقد اختُلف في تقييده، فشدّد الياء منه حسان بن ثابت في شعره كما سيأتي على أنه تصغير حَبِيب، وكذلك قيّده ابن حَبيب البغداديّ كما ذكر الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٢/ ٦٢٣، ونقل عن ابن الكلبيّ أنه عنده: حُبَيْب، مخفَّفاً على أنه تصغير حِبٍّ، وكذلك قيّده السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٣٦٣.

(٣) أي: حمّله، والوِقْر: الحِمْل على الدابّة من طعام وغيره.

(٤) هكذا في (ت) و(ش١) و(غ) و(م) و(ي): برّاً، بالراء، وفي (ص) و(ق١): بَزّاً، بالزاي، وفي رواية يونس بن بكير للسيرة ص١٦٥: برّاً أو بزّاً، على الشك. والبُرّ: القمح، والبَزّ: الثِّياب.

أن تأكلَ الطعام، وتَلبَسَ الثِّياب، وتَنكِحَ النساء، وأخوالُك حيث قد عَلِمتَ، لا يُباعُون ولا يُبتاعُ منهم، ولا يَنكِحون ولا يُنكَحُ إليهم؟! أمَا إنّي أحلِفُ بالله أن لو كانوا أخوالَ أبي الحَكَم بن هشام، ثم دعوتَه إلى مثل ما دعاك إليه منهم، ما أجابَك إليه أبداً، قال: وَيحَكَ يا هشام، فماذا أصنَعُ؟ إنّما أنا رجلٌ واحد، واللهِ لو كان معي رجلٌ آخرُ لقمتُ في نَقضِها حتّى أنقُضَها، قال: قد وجدتَ رجلاً، قال: من هو؟ قال: أنا، قال له زهير: أَبغِنا ثالثاً.

فذهب إلى المُطعِم بن عَديّ، فقال له: يا مُطعِمُ، أقد رَضِيتَ أن يَهلِكَ بطنانِ من بني عبد مَنَاف وأنت شاهدٌ على ذلك، موافقٌ لقريشٍ فيه؟! أمَا واللهِ لئن أمكَنتُموهم من هذه، لتَجِدُنَّهم إليها منكم سِراعاً، قال: وَيحَك، فماذا أصنَعُ؟ إنّما أنا رجلٌ واحد، قال: قد وجدتَ ثانياً، قال: من هو؟ قال: أنا، قال: أَبغِنا ثالثاً، قال: قد فعلتُ، قال: من هو؟ قال: زهيرُ بن أبي أُميّة، قال: أَبغِنا رابعاً.

فذهب إلى أبي البَختَريِّ بن هشام، فقال له نحواً ممّا قال للمُطعِم بن عَديّ، فقال: وهل من أحدٍ يُعِينُ على هذا؟ قال: نعم، قال: من هو؟ قال: زهيرُ بن أبي أُميّة، والمُطعِم بن عَديّ، وأنا معك، قال: أَبغِنا خامساً.

فذهب إلى زَمْعة بن الأسود بن المُطَّلِب بن أسَد فكلَّمه وذَكَرَ له قَرَابتَهم وحقَّهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الّذي تَدعُوني إليه من أحد؟ قال: نعم، ثمّ سمَّى له القوم.

فاتَّعَدُوا خَطْمَ الحَجُون[1] ليلاً بأعلى مكّة، فاجتمعوا هنالك، فأجمَعُوا أمرَهم وتَعاهَدوا[2] على القيام في الصَّحيفة حتّى يَنقُضوها، وقال زهير: أنا أبدَؤُكم فأكونُ

(١) الحَجُون: جبل مشرف على مكّة من جهة الشمال الشرقيّ، وخَطْمه: مُقدَّمه.

(٢) في (ت) ونسخة على حاشيتَي (ص) و(م): وتعاقدوا. وهما بمعنًى.

أوّلَ من يَتكلَّم.

فلمّا أصبَحُوا غَدَوْا إلى أنديتِهم، وغَدَا زهيرُ بن أبي أُميّة عليه حُلّة، فطاف بالبيت سبعاً، ثمّ أقبل على الناس فقال: يا أهلَ مكّة، أنأكلُ الطعامَ ونَلبَسُ الثِّياب، وبنو هاشمٍ هَلْكى لا يُباعُون ولا يُبتاعُ منهم، واللهِ لا أقعُدُ حتّى تُشَقَّ هذه الصّحيفة القاطعة الظالمة، قال أبو جهلٍ ـ وكان في ناحية المسجد ـ: كذبتَ واللهِ لا تُشَقُّ، قال زَمْعةُ بن الأسود: أنت واللهِ أكذبُ، ما رَضِينا كِتابَها حيث كُتِبَت، قال أبو البَختَريّ: صَدَقَ زَمْعةُ، لا نرضى ما كُتِبَ فيها ولا نُقِرُّ به، قال المُطعِم بن عَديّ: صدقتُما وكَذَبَ من قال غيرَ ذلك، نَبْرأُ إلى الله منها وممّا كُتِبَ فيها، قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك، قال أبو جهل: هذا أمرٌ قُضِيَ بلَيلٍ، تُشُوورَ فيه بغير هذا المكان، وأبو طالبٍ جالسٌ في ناحية المسجد، فقام المُطعِمُ إلى الصَّحيفة ليَشُقَّها، فوَجَدَ الأَرَضَةَ[1] قد أكلتها إلّا باسمِك اللّهمَّ.

وكان كاتبَ الصحيفة منصورُ بن عِكْرمة[2]، فشَلَّتْ يدُه فيما يَزعُمون.

قال ابن هشام: وذكر بعضُ أهل العلم: أنَّ رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: «يا عمِّ، إنَّ ربِّيَ اللهَ قد سَلَّطَ الأَرَضَةَ على صحيفةِ قريشٍ، فلم تَدَعْ فيها اسماً هو لله إلّا أثبَتَتهُ فيها، ونَفَتْ منها الظُّلمَ والقَطِيعةَ والبُهتان[3]» فقال: أربُّك أخبَرَك بهذا؟ قال:

---

(١) الأَرَضة: دُويبّة كالنمل تتغذّى على مادّة السليلوز في الخشب.

(٢) وهو من بني عبد الدار بن قصيّ كما تقدم في بداية الكلام على أمر الشِّعب والصحيفة.

(٣) هكذا وقع لابن هشام، ووقع لابن إسحاق كما في رواية يونس بن بكير عنه في «السيرة» ص١٦١ ـ ومن طريقه رواه البيهقيُّ في «دلائل النبوة» ٢/ ٣١٥ ـ عكس ذلك، ففيها: أنّ الأرضة لم تدع فيها اسماً هو لله عز وجل إلا أكلته، وبقي فيها الظلمُ والقطيعة والبهتان. قلنا: ولم نقع على هذا الخبر مُسنَداً عند غيرهما، لكن وقعت الإشارة إليه في رواية موسى بن عقبة عن =

«نَعَم» قال: فواللهِ ما يَدخُل عليك أحدٌ. ثمَّ خرج إلى قريش فقال: يا معشرَ قريش، إنَّ ابنَ أخي أخبرني بكذا وكذا، فهَلُمَّ صحيفتَكم، فإن كانت كما قال[1]، فانتَهُوا عن قَطيعتِنا وانزِلُوا عمّا فيها، وإن كان كاذباً، دَفَعتُ إليكم ابنَ أخي، فقال القوم: رَضِينا، فتعاقَدُوا على ذلك، ثمّ نَظَرُوا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ، فزادهم ذلك شرّاً. فعند ذلك صَنَعَ الرَّهطُ من قريش في نَقْض الصحيفة ما صَنَعوا.

قال ابن إسحاق: فلمّا مُزِّقَت الصحيفةُ وبَطَلَ ما فيها، قال أبو طالبٍ فيما كان من أمر أولئك القوم الّذين قاموا في نقضِها يَمدَحُهم:

ألَا هــل أتــى بَحرِيَّنــا صُــنعُ ربِّنــا ... علــى نــأْيِهم واللهُ بالنّــاسِ أَروَدُ[2]

فيُخبِــرُهم أنّ الصــحيفةَ مُزِّقَــت ... وأنْ كــلُّ مــا لــم يَرضَــهُ اللهُ مُفسَــدُ

تَراوَحَهــا إفــكٌ وسِــحرٌ مُجمَّــعٌ ... ولــم يُلفَ سحرٌ آخِرَ الدّهرِ يَصعَدُ[3]

تَــداعَى لهــا مَــن لــيس فيهــا بقَرْقَــرٍ ... فطائرُهــــا في رأسِــــها يَتَــــردّدُ[4]

وكانــــت كِفــــاءً وَقْعــــةٌ بأَثِيمــــةٍ ... ليُقطَــــعَ منهــــا ســــاعدٌ ومُقلَّــــدُ[5]

= الزهري كما في «الدلائل» ٢/ ٣١٢.

(١) في (ق١): كما قال ابن أخي.

(٢) البحريُّ هنا يريد به مَن كان هاجر من المسلمين إلى الحبشة في البحر، نسبهم إلى البحر لركوبهم إيّاه. والنّأي: البُعْد. وأروَدُ معناه: أرفَقُ.

(٣) تراوَحَها، أي: تعاقب عليها، يريد: اجتمع على هذه الصحيفة. وإفك: كذب وبهتان. ويُلفَ: يوجد.

(٤) ليس فيها بقرقر، أي: ليس بذليل، لأن القرقر: الأرض الموطوءة التي لا تُتعِب سالكَها. وطائرها في رأسها يتردد، أي: حظُّها من الشؤم والشر.

(٥) المقلَّد: العنق، لأنه الموضع الذي تُلبَس فيه القلائد.

ويَظعَنُ أهلُ المكَّتَينِ فيَهرُبوا ... فَرائصُهمْ من خَشْيةِ الشَّرِّ تُرعَدُ[1]

ويُترَكُ حَرّاثٌ يُقلِّبُ أمرَهُ ... أيُتهِمُ فيهم عندَ ذاكَ ويُنجِدُ[2]

وتَصعَدُ بينَ الأخشَبَينِ كَتِيبةٌ ... لها حَدَجٌ سَهمٌ وقوسٌ ومِرهَدُ[3]

فمَن يَنسَ[4] من حُضّارِ مكّةَ عِزَّهُ ... فعزَّتُنا في بطنِ مكّةَ أَتلَدُ

نَشأْنا بها والناسُ فيها قُليِّلٌ ... فلم نَنفكِكْ نزدادُ خَيراً ونُحمَدُ

ونُطعِمُ حتّى يتركَ الناسُ فَضْلَهمْ ... إذا جَعَلَت أَيدي المُفِيضِينَ تُرعَدُ[5]

جَزَى اللهُ رَهْطاً بالحَجُونِ تتابَعوا ... على مَلأٍ يَهدي لحَزْمٍ ويُرشِدُ[6]

قُعوداً لدى خَطْمِ الحَجُونِ كأنّهمْ ... مَقاوِلةٌ بل هم أعزُّ وأمجَدُ[7]

---

(١) يَظعَن، أي: يرحل. والفرائص: جمع فَريصة، وهي قطعة لحم في الكتف تُرعَد ـ أي: تَضطرِب ـ عندما يفزع الإنسان.

(٢) حرّاث، أي: مُكتسِب. أيُتهِم، معناها: يأتي تِهامة، وهي ما انخفض من أرض الحجاز، ويُنجِد: يأتي نَجْداً، وهو ما ارتفع من أرض الحجاز.

(٣) هذا البيت ليس في (ت) و(ص) و(ق١).

والأخشبان: جبلا مكّة. والكَتيبة: الجيش. وحَدَجٌ، أي: كَثْرة، وأصل الحَدَج: صغار الحنظل، فشَبّه كثرتهم به. ومِرهَد: رمح ليِّن. قاله أبو ذر الخُشنيّ في «إملائه» ص١٠٨، وانظر «الروض الأنف» للسهيليّ ٣/ ٣٥٩-٣٦٠.

(٤) ينس، بالسين المهملة، من النسيان، وفي (ق١): ينشَ، بالشين، وشرح عليها الخُشنيُّ فقال: أراد يَنشَأ، فحذف الهمزة. قلنا: وعلى هذه الرواية بالشين، فالزاي من عزّه مرفوعة. وأتلدُ، معناه: أقدم وأعرق.

(٥) الفضل هنا: ما زاد من طعامهم لكثرته. والمفيضون: الضاربون بقِداح المَيسِر، وكان لا يُفِيض معهم في الميسر إلا سخيٌّ. وتُرعَد: تضطرب. يريد: أنهم يُطعِمون إذا بَخِل الناسُ.

(٦) الملأ: جماعة الناس وأشرافهم.

(٧) المَقاولة: الملوك بلغة أهل اليمن، واحدها: مِقوَل، لأنه يقول ما شاء فيَنفُذ ما يقوله.

أعـانَ عليهـا كـلُّ صـقرٍ كأنّـهُ ... إذا مـا مشـى في رَفـرَفِ الـدِّرعِ أَحـرَدُ[1]

جَـريءٌ علـى جُـلِّ الخُطُـوبِ كأنّـهُ ... شِـهابٌ بكَفَّـي قـابسٍ يَتوقَّـدُ[2]

مـنَ الأكـرَمِينَ مـن لـؤيِّ بـنِ غالـبٍ ... إذا سِـيمَ خسـفاً وجهُـه يَتَربّـدُ[3]

طويـلُ النِّجـادِ خـارجٌ نصـفُ سـاقِهِ ... علـى وَجهِـه نُسـقَى الغَمـامَ ونَسـعَدُ[4]

عظـيمُ الرَّمـادِ سـيّدٌ وابـن سـيّدٍ ... يَحُضُّ على مَقرَى الضيوفِ ويَحشُدُ[5]

ويَبنـي لأبنـاءِ العشـيرةِ صـالحاً ... إذا نحـنُ طُفْنـا في الـبلادِ ويَمهَـدُ

أَلَـظَّ بهـذا الصُّـلحِ[6] كـلُّ مُبَـرَّأٍ ... عظـيمِ اللِّـواءِ أمـرُه ثَـمَّ يُحمَـدُ

قَضَوْا ما قَضَوْا في لـيلِهم ثـمَّ أصبَحُوا ... علـى مَهَـلٍ وسـائرُ النـاسِ رُقَّـدُ

هُمُ رَجَعُوا سهلَ ابن بَيضاءَ راضياً[7] ... وسُـرَّ أبـو بكـرٍ بهـا ومحمَّـدُ

متـى شَـرِكَ الأقـوامُ في جُـلِّ أمرِنـا[8] ... وكنّـا قـديماً قبلَهـا نُتَـودَّدُ

---

(١) رفرفُ الدرع: ما فَضَلَ من ذيلها. وأحردُ: بطيء المشي لثقل الدِّرع التي عليه.

(٢) جُلّ الخطوب: معظمها، وفي (ت) و(ق١): جُلَّى، وهو الأمر العظيم. وشِهاب: شعلة من نار. والقابس: الذي يوقد النار.

(٣) سِيمَ: أُريدَ به. خسفاً: ذلّاً. يتربّد: يتغيّر إلى السواد.

(٤) طويل النِّجاد، أي: حمائل سيفه طويلة. وخارج نصف ساقه، أراد أنه مشمِّر جادٌّ، ولم يرد خروجَ الساق بعينها، انظر «تهذيب اللغة» للأزهريّ ٩/ ١٨٤-١٨٥.

(٥) عظيم الرماد: هي كناية عن الكرم. وعلى مَقرَى الضيوف، يعني: على طعامهم، والقِرَى: ما يصنع للضيف من الطعام.

(٦) أي: ألحَّ عليه ولَزِمَه.

(٧) لم يذكر ابن إسحاق سهلاً سابقاً في النفر الذين مشوا في نقض الصحيفة، وقد عدَّه منهم ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٣٠٧ بناءً على ما في شعر أبي طالب هذا المنسوبِ إليه.

(٨) أي: متى شاركَنا ـ يريد ولد قصيٍّ ـ غيرُنا في معظم أمورنا.

وكنّـــا قـــديماً لا نُقِـــرُّ ظُلامـــةً ونُـــدرِكُ مـــا شِـــئنا ولا نَتَشـــدَّدُ
فيـا لَقُصـيٍّ هـل لكـمْ في نُفوسِـكمْ وهـل لكـمْ فيمـا يجـيءُ بـه غـدُ
فـإنّي وإيّـاكم كمـا قـال قائـلٌ لَـدَيكَ البَيـانُ لـو تكلَّمـتَ أسـوَدُ[1]

وقال حسّان بن ثابت يبكي المُطعِمَ بن عَديٍّ حين مات، ويذكرُ قِيامَه في الصحيفة[2]:

أَعَينِي[3] ألَا ابكي سيّدَ الناسِ واسفَحِي
بـــدمعٍ وإن أَنزفتِـــهِ فاســـكُبِي الـــدَّما
وبَكِّـي عظـيمَ المَشـعَرَينِ كِلَيهِمـا[4] علـى النـاسِ معروفـاً لـه مـا تَكلَّمـا
فلـو كـان مَجـدٌ يُخلِـدُ الـدهرَ واحـداً من الناسِ، أبقى مَجدُه اليومَ مُطعِما
أجَـرْتَ رسـولَ الله مـنهمْ فأصبَحوا عَبيـدَك مـا لبَّـى مُهِـلٌّ وأحرَمـا
فلـو سُـئِلَت عنـه مَعَـدٌّ بأَسـرِها وقَحْطـانُ أو بـاقي بقيّـةِ جُرهُمـا
لقـالوا: هـو المُـوفِي بخُفْـرةِ جـارِهِ[5] وذِمّتِـه يومـاً إذا مـا تَـذمَّما

---

(١) أسود: اسم جبل كان قد قُتِل فيه قتيل، فلم يُعرَف قاتله، فقال أولياءُ المقتول هذه المقالة، فذهبت مثلاً.

(٢) في (ق١): في نقض الصحيفة.

وانظر «ديوان حسان» ١/ ١٩٩ بتحقيق وليد عرفات.

(٣) هكذا في (غ)، وفي (ت) و(ش١) و(ص) و(م) و(ي): عيني، بلا ألف، وفيه خَرْم، وفي (ق١): أيا عين فابكي سيّد القوم.

ومعنى اسفحي: أَسيلي. وأنزفتِه، أي: أنفدتِه.

(٤) المشعران: مِنى ومُزدلِفة.

(٥) أي: بعهده.

فما تَطلُعُ الشمسُ المُنِيرةُ فوقَهمْ على مِثلِه فيهمْ أعزَّ وأعظَما[1]
وآبَى[2] إذا يَأبَى وألْيَنَ شِيمةً وأنوَمَ عن جارٍ إذا اللّيلُ أظلَما

قال ابن هشام: قوله: كِلَيهما، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: وأمّا قوله: أجَرْتَ رسولَ الله منهم؛ فإنّ رسول الله ﷺ لمّا انصَرَفَ عن أهل الطائف ولم يُجِيبوه إلى ما دعاهم إليه من تصديقِه ونُصرتِه، صار إلى حِراءٍ ثم بَعَثَ إلى الأخنس بن شَرِيق ليُجِيرَه، فقال: أنا حَلِيف، والحليفُ لا يُجِير، فبَعَثَ إلى سُهيل بن عمرو، فقال: إنّ بني عامرٍ لا تُجِير على بني كعب، فبعث إلى المُطعِم ابن عَديٍّ فأجابه إلى ذلك، ثم تَسلَّح المُطعِمُ وأهلُ بيته وخرجوا حتّى أتَوا المسجدَ، ثم بَعَثَ إلى رسول الله ﷺ: أنِ ادخُلْ، فدَخَلَ رسول الله ﷺ فطافَ بالبيت وصلَّى عنده، ثمّ انصَرَفَ إلى منزله[3]؛ فذلك يعني حسّانُ.

---

(١) في (ت): وأكرما. وكذا هو في «الديوان».

(٢) في (ش١) و(ص) و(م): وأنأى. وفي «الديوان»: إباءً.

والشِّيمة: الطبيعة والجِبلّة التي خُلق عليها الإنسان. وقوله: أنوم عن جار، يريد: أنه يستر على جاره في ليله إذا رأى منه ما يَعِيب ولا يفضحه.

(٣) هذا الخبر الذي أورده ابن هشام في قصة جِوار المُطعِم للنبيّ ﷺ من غير سندٍ، ذكره سعيد بن يحيى الأُمويّ في «مغازيه» - كما في «الرِّقّة والبكاء» لابن قُدَامة المقدسي ص١١٨ - عن أبيه، عن معروف بن خرَّبُوذ، عن جعفر بن عبد الرَّحمن بن محيصن بن أبي وَدَاعة السَّهميّ مرسلاً.

وكذلك أورده الفاكهيُّ بإسناد حسن مرسل كما قال ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٩٧.

ولأجل هذه السابقة للمُطعِم بن عديٍّ قال رسول الله ﷺ في أُسارى بدر - فيما أخرجه البخاري (٣١٣٩) و(٤٠٢٤) من حديث جُبير بن مُطعِم رضي الله عنه -: «لو كان المُطعِمُ بن عَديٍّ حيّاً ثمّ كلَّمَني في هؤلاء النَّتْنى، لتركتُهم له».

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت الأنصاريُّ أيضاً يَمدَحُ هشامَ بن عمرو[1] لقيامِه في الصَّحيفة:

هل يُوفِيَنَّ بنو أُميّةَ ذِمّةً ... عَقْداً كما أَوْفى جِوارُ هشامِ
مِن مَعشَرٍ لا يَغدِرونَ بجارِهِمْ ... لِلحارثِ بن حُبيِّبِ بن سُحَامِ[2]
وإذا بنو حِسْلٍ أَجاروا ذِمَّةً ... أَوفَوْا وأَدَّوْا جارَهمْ بسلامِ

وكان هشامٌ أحدَ سُحَامٍ.

قال ابن هشام: سُخَام.

أمرُ الطُّفيل بن عمرو الدَّوْسيّ

قال ابن إسحاق: فكان رسول الله ﷺ على ما يَرَى من قومه، يَبذُلُ لهم النَّصيحة، ويَدعُوهم إلى النَّجاة ممّا هم فيه، وجَعَلَت قريشٌ - حين مَنَعَه اللهُ منهم - يُحذِّرونَه الناسَ ومن قَدِمَ عليهم من العرب.

فكان الطُّفيلُ بن عمرو الدَّوسيّ يحدِّث: أنّه قَدِمَ مكّة ورسولُ الله ﷺ بها، فمشى إليه رجالٌ من قريش، وكان الطُّفيل رجلاً شريفاً شاعراً لَبيباً، فقالوا له: يا طُفَيل،

---

(١) وقد أسلم هشام بن عمرو هذا، وهو معدود في المؤلَّفة قلوبهم. وانظر «ديوان حسان» ١/ ٥١٤.

(٢) هكذا في (ت) و(غ) و(ق١)، وفي (ص) و(م): شُحَام، بالشين المعجمة، وكذا في (ي) لكن بكسر الشين.

وقد اختُلف في تقييد هذا الاسم ألواناً، فانظر بيانَ ذلك في تعليق الشيخ عبد الرَّحمن المُعلِّميّ اليماني على كتاب «الإكمال» لأبي نصر ابن ماكولا ٢/ ٢٩٥-٢٩٦، وهو لقب لجَذيمة بن مالك جدّ هشام بن عمرو كما ذكر مصعب الزبيريّ في «نسب قريش» ص٤٣٢، وليست أمَّه كما قال السهيليّ في «الروض» ٣/ ٣٦٣.

إنّك قَدِمتَ بلادَنا، وهذا الرجل الّذي بين أظهُرِنا قد أَعضَلَ بنا[1]، قد فَرَّقَ جماعتَنا، وشَتَّتَ أمرَنا، وإنّما قوله كالسِّحر يُفرِّق بين الرَّجل وبين أبيه، وبين الرّجل وبين أخيه، وبين الرّجل وبين زوجته، وإنّا نخشى عليك وعلى قومِك ما قد دَخَلَ علينا، فلا تُكلِّمَنَّه ولا تَسمَعنَّ منه شيئاً، قال: فوالله ما زالوا بي حتّى أجمَعتُ أن لا أسمعَ منه شيئاً ولا أكلِّمَه، حتّى حَشَوتُ في أُذنَيَّ حين غَدَوتُ إلى المسجد كُرسُفاً[2] فَرَقاً من أن يَبلُغَني شيءٌ من قوله، وأنا لا أريد أن أسمَعَه.

قال: فغَدَوتُ إلى المسجد، فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ يصلِّي عند الكعبة، قال: فقمتُ منه قريباً، فأَبى اللهُ إلا أن يُسمِعَني بعضَ قوله، قال: فسمعتُ كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي: وا ثُكْلَ أمّي، واللهِ إنّي لرجلٌ لَبيبٌ شاعرٌ، وما يَخفَى عليَّ الحَسَنُ من القبيح، فما يَمنعُني أن أسمعَ من هذا الرّجل ما يقول! فإن كان الّذي يأتي به حسناً قَبِلتُه، وإن كان قبيحاً تركتُه.

قال: فمَكَثتُ حتّى انصَرَفَ رسول الله ﷺ إلى بيته فاتَّبعتُه، حتّى إذا دخل بيتَه دخلتُ عليه، فقلت: يا محمّد، إنّ قومك قد قالوا لي كذا وكذا؛ لِلّذي قالوا، فوالله ما بَرِحُوا يُخوِّفونني أمرَك حتّى سَدَدتُ أُذنَيَّ بكُرسُفٍ لئلّا أسمعَ قولك، ثمّ أَبى اللهُ إلا أن يُسمِعَني قولك، فسمعتُ قولاً حسناً، فاعرِضْ عليَّ أمرَك، قال: فعَرَضَ عليَّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليَّ القرآن، فلا واللهِ ما سمعتُ قولاً قطُّ أحسنَ منه، ولا أمراً أعدلَ منه، قال: فأسلمتُ وشَهِدتُ شهادةَ الحقّ، وقلت: يا نبيَّ الله، إنّي امرُؤٌ مُطاعٌ في قومي، وأنا راجع إليهم فداعِيهِم إلى الإسلام، فادعُ اللهَ أن يجعلَ لي

(١) أي: اشتدَّ أمره فينا وضاقت علينا فيه الحيلة.

(٢) الكُرسف: القطن.

آيةً تكون لي عَوناً عليهم فيما أدعُوهم إليه، فقال: «اللهمَّ اجعَلْ له آيةً».

قال: فخرجتُ إلى قومي، حتّى إذا كنت بثَنِيّةٍ تُطلِعُني على الحاضرِ[1] وَقَعَ نورٌ بين عينيَّ مثلُ المِصباح، قال: فقلت: اللهمَّ في غير وجهي، إنّي أخشى أن يَظنُّوا أنّها مُثْلةٌ وَقَعَت في وجهي لِفراقي دينهم، قال: فتحوَّل فوقع في رأس سَوْطي، قال: فجعل الحاضرُ[2] يَتراءَونَ ذلك النّورَ في سَوطي كالقِنْديل المعلَّق وأنا أَهبِطُ إليهم من الثَّنيّة، قال: حتّى جئتُهم فأصبحتُ فيهم.

قال: فلمّا نزلتُ أتاني أَبي، وكان شيخاً كبيراً، فقلت: إليك عنّي يا أبتِ، فلستُ منك ولستَ منّي، قال: فلِمَ يا بنيّ؟ قال: قلت: أسلمتُ وتابعتُ دين محمّد، قال: أيْ بنيّ، فدِيني دينُك، قال: فقلت: فاذهبْ فاغتسِلْ وطهِّرْ ثيابك، ثمّ تعالَ حتّى أعلِّمَك ما عُلِّمتُ. قال: فذهب فاغتسل وطهَّر ثيابه، قال: ثمّ جاء فعَرَضتُ عليه الإسلام، فأسلَم.

قال: ثمّ أَتَتْني صاحبتي، فقلت: إليكِ عنّي، فلستُ منكِ ولستِ منّي، قالت: لِمَ بأبي أنت وأُمّي؟ قال: قلت: فَرَّقَ بيني وبينكِ الإسلامُ، وتابعتُ دينَ محمّد، قالت: فدِيني دينُك، قال: قلت: فاذهبي إلى حِنَا ذي الشَّرَى ـ قال ابن هشام: ويقال: حِمَى ذي الشَّرَى ـ فتطهَّري منه.

قال: وكان ذو الشَّرَى صنماً لدَوْس، وكان الحِنَا حِمَى حَمَوْه له، به وَشَلٌ[3] من ماءٍ يَهبِطُ من جبل.

---

(١) الحاضر: هم القوم النازلون المقيمون على الماء. والثَّنيّة: الفُرجة بين جبلين، أو الطريق في الجبل.

(٢) في (ت) و(ش١): الحاضرون، وفي (غ): أهل الحاضر.

(٣) الوَشَل: الماء القليل. والحِنَا: الظاهر من كلامه أنه اسم موضع.

قال: قالت: بأبي أنت وأُمّي، أتَخشَى عليَّ الصِّيبةَ[1] من ذي الشَّرَى شيئاً، قال: قلت: لا، أنا ضامنٌ لذلك، قال: فذَهَبَت فاغتَسَلَت، ثم جاءت فعرضتُ عليها الإسلامَ، فأسلمَت.

ثم دعوتُ دَوساً إلى الإسلام، فأبطَؤُوا عليَّ، ثم جئتُ رسول الله ﷺ بمكّة، فقلت له: يا نبيَّ الله، إنّه قد غَلَبَني على دَوسٍ الزِّنى[2]، فادعُ الله عليهم، فقال: «اللهمَّ اهدِ دَوساً، ارجِعْ إلى قومِك فادْعُهم وارفُقْ بهم».

قال: فلم أزَلْ بأرض دوسٍ أدعوهم إلى الإسلام حتّى هاجَرَ رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدرٌ وأحدٌ والخندقُ، ثمّ قَدِمتُ على رسول الله ﷺ بمن أسلمَ معي من قومي، ورسولُ الله ﷺ بخيبر، حتّى نَزَلتُ المدينةَ بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، ثمّ لَحِقْنا برسول الله ﷺ بخيبر، فأسهَمَ لنا مع المسلمين، ثمّ لم أزَلْ مع رسول الله ﷺ حتّى إذا فَتَحَ اللهُ عليه مكّةَ؛ قال: قلت: يا رسول الله، ابعَثْني إلى ذي الكَفَّينِ، صنمِ عمرو بن حُمَمةَ، حتّى أُحرقَه.

قال ابن إسحاق: فخرج إليه، فجعل طُفيلٌ وهو يُوقِدُ عليه النارَ يقول:

---

(١) هكذا في أكثر نسخنا الخطية، بتقديم المثنّاة على الموحَّدة، وأرادت ـ والله أعلم ـ المُصِيبة، وقد جاء في معاجم اللغة: الصابَةُ بمعنى المصيبة، وبعض العرب كانت تُمِيل الألف نحو الياء، فلعلّه من هذا الباب.

وما وقع في بعض النسخ ومطبوعات السيرة وبعض المصادر التي ساقت الخبر بتقديم الباء على الياء، أي: الصبية، فهو تصحيف، والسياق يأباه، والله تعالى أعلم.

(٢) هكذا وقع في نسخنا الخطية غير (ق١)، بالزّاي، وفي (ق١): الرّنا، بالراء، والرَّنا كالرُّنُوّ: وهو لهوٌ مع شغل قلب وبصر وغَلَبة هوى، كما في «القاموس» للفيروزآباديّ، وفي (ش١): الربا.

يا ذا الكَفَينِ[1] لستُ من عُبّادِكا مِيلادُنا أقدَمُ من مِيلادِكا
إنّي حَشَوتُ النّارَ في فُؤادِكا

قال: ثمّ رجع إلى رسول الله ﷺ، فكان معه بالمدينة حتّى قَبَضَ اللهُ رسولَه ﷺ.

فلمّا ارتدَّتِ العربُ خرج مع المسلمين، فسار معهم حتّى فَرَغُوا من طُلَيحة[2] ومن أرض نجدٍ كلِّها، ثمّ سار مع المسلمين إلى اليَمَامة، ومعه ابنُه عمرُو بن الطُّفيل، فرأَى رُؤْيا وهو موجِّهٌ إلى اليَمَامة، فقال لأصحابه: إنّي قد رأيت رؤيا فاعبُروها لي، رأيتُ أنّ رأسي حُلِقَ، وأنّه خرج من فمي طائر، وأنّه لَقِيَتني امرأة فأدخلتني في فَرْجها، وأَرى ابني يَطلُبني طلباً حَثيثاً ثمّ رأيته حُبِسَ عنّي، قالوا: خيراً، قال: أمّا أنا واللهِ فقد أوّلتُها، قالوا: ماذا؟ قال: أمّا حلقُ رأسي فوَضْعُه، وأمّا الطائرُ الذي خرج من فمي فرُوحِي، وأمّا المرأة التي أدخلتني في فَرْجها فالأرضُ تُحفَر لي فأُغيَّبُ فيها، وأمّا طلبُ ابني إيّاي ثمّ حبسُه عنّي، فإنّي أُراه سيَجهَدُ أن يُصيبَه ما أصابني[3].

---

(١) قال السهيليّ في «الروض» ٣/ ٣٧٦: أراد: الكفَّين بالتشديد، فخفّف للضرورة. ثم ذكر أن الشيخ أبا بحر الأسديّ كان يرى التخفيف في غير الشِّعر أيضاً.

(٢) يعني طُليحة بن خُوَيلد الأسديّ، أسد خُزيمة، وكان ارتدَّ ثم رجع إلى الإسلام بعد وفاة أبي بكر، واستُشهد بنهاوند في خلافة عمر، انظر «سير أعلام النبلاء» ١/ ٣١٦-٣١٧.

(٣) خبر الطفيل بطوله لم يسنده ابن إسحاق فيما رواه عنه زياد البكّائيُّ هنا، ولا فيما رواه عنه إبراهيمُ بن سعد الزهريّ عند أبي نعيم في «دلائل النبوة» (١٩١) و«معرفة الصحابة» (٣٩٥٢)، وسلمةُ بن الفضل الأبرش عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٣٦٠-٣٦٣ وقوام السنّة الأصبهاني في «الدلائل» أيضاً (٢٩٥).

وانفرد ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٣٦٤-٣٦٦ فذكر لابن إسحاق فيه إسناداً مرسلاً، فقال: ذكره ابن إسحاق عن عثمان بن الحويرث عن صالح بن كَيسان عن الطفيل بن عمرو، =

فقُتِل رحمه الله شهيداً باليَمَامة، وجُرِحَ ابنُه جِراحةً شديدة، ثم استَبَلَّ[1] منها، ثم قُتِل عامَ اليرموك في زمن عمر شهيداً.

أمرُ أعشى بني قيس بن ثَعلَبة

قال ابن هشام: حدّثني خَلّاد بن قُرَّة بن خالدٍ السَّدُوسيّ وغيرُه من مشايخ بَكْر ابن وائلٍ من أهل العِلم: أنّ أعشى بني قيس بن ثَعلَبة بن عُكَابة بن صَعْب بن عليّ ابن بكر بن وائلٍ خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام، فقال يَمدَحُ رسولَ الله ﷺ:

ألــم تَغــتَمِضْ عَينــاكَ ليلــةَ أرمَــدَا ... وبِــتَّ كمــا بــاتَ السَّــليمُ مُســهَّدا[2]

= وساقه بطوله. وعثمان هذا لم نقف له على ترجمة، وأمّا صالح فتابعيٌّ ثقة من موالي دَوسٍ، إلا أنه لم يدرك الطفيل.

وقد أورد نحو هذا الخبر محمد بن سعد في «الطبقات» ٤/ ٢٢٣-٢٢٦ عن عبد الواحد بن أبي عون الدَّوسي قال: كان الطفيل بن عمرو الدَّوسي رجلاً شريفاً شاعراً، وذكر الخبر بتمامه. وعبد الواحد هذا لا بأس به، إلا أنه من أتباع التابعين، فخبره مُعضَل، وفي الإسناد إليه محمد بن عمر الواقديُّ، وفيه عند المحدّثين مقال كثير.

وقد أُسند من الخبر دعاءُ النبيّ ﷺ لدوسٍ بالهداية، فقد أخرج البخاري (٢٩٣٧) و(٤٣٩٢) و(٦٣٩٧) ومسلم (٢٥٢٤) من حديث أبي هريرة قال: قدم الطُّفيل بن عمرو على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن دَوساً قد عَصَت وأبَتْ، فادعُ الله عليها، فظنَّ الناس أنه يدعو عليهم، فقال: «اللهمَّ اهدِ دوساً وأْتِ بهم».

(١) أي: أفاق وشُفِي.

(٢) الأرمد: من تهيّجت عينُه وانتفخت. والسليم: اللَّديغ. والمسهَّد: من جافى النومُ عينيه.

وقوله: ليلةَ أرمدا، قال السهليّ في «الروض» ٣/ ٣٨٠: لم ينصب ليلة على الظرف؛ لأن ذلك يُفسِد معنى البيت، ولكن أراد المصدرَ فحذفه، والمعنى: اغتماضَ ليلةِ أرمدَ، فحذف المضاف إلى الليلة وأقامها مقامَه، فصار إعرابها كإعرابه. وانظر «الخصائص» لابن جِنّي ٣/ ٣٢٣، فقد =

وما ذاكَ من عِشقِ النِّساءِ وإنّما تناسَيتَ قبلَ اليومِ خُلّةَ[1] مَهْدَدا
ولكنْ أَرى الدَّهرَ الذي هو خائنٌ[2] إذا أصلحَتْ كفَّايَ عادَ فأفسَدا
كُهولاً وشُبّاناً فَقَدتُ وثروةً فللّهِ هذا الدّهرُ كيف تَردَّدا
وما زلتُ أَبغي المالَ مُذْ أنا يافعٌ وَلِيداً وكَهلاً حين شِبتُ وأمرَدا[3]
وأبتَذِلُ العِيسَ المَراقيلَ تَغتَلي مسافةَ ما بينَ النُّجَيرِ فصَرْخَدا[4]
ألا أيُّهذا السائِلي أينَ يَمَّمَت[5] فإنّ لها في أهلِ يَثرِبَ مَوعِدا
فإنْ تَسأَلي عنّي فيا رُبَّ سائلٍ حَفِيٍّ عن الأَعشى به حيثُ أَصعَدا[6]

= نقل هذا الإعراب عن شيخه أبي عليٍّ الفارسيِّ وأقرَّه.

(١) هكذا في (ت) والنسخ الحاضرة عند السهيليّ والخُشنيّ، وهي كذلك في «ديوان الأعشى» ١/ ٣٣٥، وفي سائر نسخنا الخطية: صحبةَ، وهما بمعنًى.

ومَهدَدُ: اسم امرأة، وهي معشوقة الأعشى.

(٢) يقول: لم يكن سهرك من عشق النساء، ولكنّما كان لطوارق الدهر الخَؤون ونوائبه.

(٣) اليافع من الفِتيان: الذي قارب زمن الاحتلام، والأمرد: الذي لم تنبت لحيته.

(٤) العِيس: الإبل. والمراقيل: من الإرقال، وهو السرعة في السَّير. وتغتلي، أي: يزيد بعضها على بعض في السير.

والنجير: حصن بحضرموت من اليمن، وهو اليوم بقايا أطلال. وصرخد: مدينة بالشام تقع شرق بُصرَى وجنوب السُّويداء في جبل الدروز، وتدعى اليوم صلخد بإبدال الراء لاماً، حظيت بأهمّيَّة في عصر الإمبراطوريّة الرومانيّة، وفيها الكثير من آثارهم وآثار مهمّة تعود إلى عصور مختلفة منها العهد الأيُّوبيّ. والأعشى يدلّل ببعد المسافة بين حضرموت والشام في هذا البيت على كثرة سفراته.

(٥) أي: قَصَدَت، يعني العِيسَ.

(٦) حفيّ، أي: مبالِغ في السؤال. وأَصعَد: ذهبَ.

أجـدَّتْ برِجلَيهـا النَّجَـاءَ وراجَعَـت ... يـداها خِنافـاً لَيِّنـاً غيـرَ أَحـرَدا[1]

وفيهـا إذا مـا هجَّـرَت عَجرَفيّـةٌ ... إذا خِلـتَ حِربـاءَ الظَّهيـرةِ أصْـيَدا[2]

وأمّـا إذا مـا أدلَجَـت فتَـرَى لهـا ... رَقِيبَـينِ جَـدْياً مـا يَغيـبُ وفَرقَـدا[3]

وآليـتُ لا آوِي لهـا مـن كَلَالـةٍ ... ولا من حَفًى حتّى تُلاقِي محمَّدا[4]

متى ما تُناخِي عندَ بابِ ابنِ هاشمٍ ... تُراحِي وتَلقَيْ من فواضِلِه نَدَى[5]

نبيّـاً يَـرى مـا لا تَـرَونَ وذِكـرُه ... أغـارَ لَعَمـري في الـبلادِ وأَنجَـدا[6]

لـه صَـدَقاتٌ مـا تُغِـبُّ ونائـلٌ ... ولـيس عطـاءُ اليـومِ مانِعَـه غَـدا[7]

---

(١) النَّجاء: السرعة. والخِناف: أن تلوي يديها في السير من النشاط. والأحرد: الذي لا ينبعث في المشي كأنّه مربوط.

(٢) هجَّرت: مشت في الهاجرة، وهو وقت اشتداد الحرّ نصف النهار. وعجرفية، معناه: جفاء وتخليط في المشي. والحِرباء: دُوَيبّة أكبر من العَظاءة تعلو أعلى الشجر وتستقبل الشمس بوجهها حيث دارت. والأصْيَد: الذي لا يلوي عنقه تكبُّراً أو من داء أصابه.

(٣) هذا البيت ليس في (ت) و(ق١)، وهو ثابت في سائر نسخنا الخطية، وكذلك هو ثابت في «الديوان».

والإدلاج: السير في الليل. والجَدْي: نجم إلى جنب القطب الشمالي يدور مع بنات نعش وتُعرَف به القِبلة، والفرقد: نجم قريب من القطب يُهتَدى به.

(٤) آليتُ: حلفتُ. وقوله: لا آوي لها من كلالة، أي: لا أَرِقُّ لها من تعب، يقال: آوَيتُ للضعيف إيّةً ومَأوِيَةً، أي: أَرثي له وأَرِقّ. وفي «الديوان» و«جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشيّ ص٨٠: وآليتُ لا أَرثي لها. والحَفَا: رقّة القدم والحافر والخف من كثرة المشي.

(٥) تُراحي، أي: تُريحي. والندى: الجود.

(٦) أغار، أي: بلغ الغَور، وهو ما انخفض من الأرض، وأَنجد: بلغ النَّجْد، وهو ما ارتفع من الأرض.

(٧) ما تُغِب، أي: لا تقلّ ولا تنقص. والنائل: العطاء. وقوله: وليس عطاء اليوم مانعه غدا، =

أجِـدَّكَ[1] لـم تَسـمعْ وَصـاةَ محمّـدٍ ... نبـيِّ الإلـهِ حيـث أَوصـى وأشـهَدَا
إذا أنـت لـم تَرحَـلْ بـزادٍ مـن التُّقـى ... ولاقَيتَ بعد الموتِ من قد تَـزوَّدا
نَـدِمتَ علـى أن لا تكـونَ كمِثلِـهِ ... فتُرصِـدَ للأمـرِ الّـذي كـان أرصَـدا[2]
فإيّـــاكَ والمَيْتـــاتِ لا تَقرَبَنَّهـــا ... ولا تأخُـذَنْ سـهماً حَديـداً لتَفصِـدا[3]
وذا النُّصُبَ المنصوبَ لا تَنسُـكَنَّهُ[4] ... ولا تَعبُـدِ الأوثـانَ واللهَ فاعبُـدا
ولا تَقـرَبَنَّ جـارةً[5] كـان سِـرُّها ... عليـكَ حرامـاً فـانكِحَنْ أو تأبَّـدا
وذا الـرَّحِمِ القُربَـى فـلا تَقطَعَنَّـهُ ... لعاقبـــةٍ ولا الأســـيرَ المُقيَّـــدا
وسبِّحْ على حينِ العَشيّاتِ والضُّحى ... ولا تَحمَـدِ الشـيطانَ واللهَ فاحمَـدا
ولا تَسخَرنْ من بائسٍ ذي ضَـرَارةٍ[6] ... ولا تَحسَـبَنَّ المـالَ للمَـرءِ مُخلِـدا

فلمّا كان بمكّة أو قريباً منها، اعترضه بعضُ المشركين من قريش فسأله عن أمره، فأخبره أنّه جاء يريدُ رسولَ الله ﷺ ليُسلِم، فقال له: يا أبا بَصِير، إنّه يحرِّم الزِّنى، فقال الأعشى: واللهِ إنّ ذلك لأمرٌ ما لي فيه من أَرَبٍ[7]، فقال له: يا أبا بَصِير، فإنّه

= أي: ليس العطاء الذى يعطيه اليوم مانعاً له غداً من أن يُعطيَه.

(١) أي: أحقّاً تقول.

(٢) أرصد: أعدَّ.

(٣) الفَصْد: شقُّ الجلد لاستخراج الدم، وكأنه يريد استخراجه من بعض البهائم وهي حيّة ثم شربه، وهذا من الدم المسفوح الذي حرّمه الله تعالى.

(٤) أي: وهذا النُّصب، وهو الصنم. لا تنسكنّه، أي: لا تذبح عنده، والنَّسيكة: الذّبيحة.

(٥) في (ت) و(ش١) و(غ) و(ق١): حُرّة.

والسرّ هنا: فرج المرأة. وقوله: تأبَّدا، أي: ابتعد عنها ولا تقربها، ومنه قيل للوحوش: أوابد.

(٦) أي: مسَّه الضُّر.

(٧) أي: حاجة.

يحرِّم الخمر، فقال الأعشى: أمّا هذه فواللهِ إنّ في النفس منها لعُلَالات[1]، ولكنّي منصرفٌ فأتروَّى منها عامي هذا، ثم آتيه فأُسلِم. فانصرف فمات في عامه ذلك، ولم يَعُدْ إلى رسول الله ﷺ[2].

قال ابن إسحاق: وقد كان عدوُّ الله أبو جهلٍ مع عداوته رسولَ الله ﷺ وبُغضِه إيّاه وشدَّتِه عليه، يُذِلُّه اللهُ له إذا رآه.

أمرُ الإراشيّ الذي باع أبا جهل إبلَه والمُعجِزُ في ذلك

قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثَّقَفيّ، وكان واعيةً، قال: قَدِمَ رجل من إرَاش[3] - قال ابن هشام: ويقال: إراشة - بإبلٍ له مكّة، فابتاعها منه أبو جهل فمَطَلَه بأثمانها، فأقبل الإراشيُّ حتّى وَقَفَ على نادٍ من قريش، ورسولُ الله ﷺ في ناحية المسجد جالسٌ فقال: يا معشرَ قريش، مَن رجلٌ يُؤْدِيني[4]

---

(١) جمع عُلالة: وهي البقيّة من قوّة كل شيءٍ.

(٢) تعقّب السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٣٧٨-٣٨٠ هذه الحكاية فقال: هذه غفلةٌ من ابن هشام ومَن قال بقوله، فإنّ الناس مُجمِعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن مضت بدرٌ وأُحد، وحُرِّمت في سورة المائدة وهي من آخر ما نزل.

ثم قال: فإن صحَّ خبر الأعشى وما ذُكر له في الخمر، فلم يكن هذا بمكّة، وإنّما كان بالمدينة، ويكون القائل له: أما علمتَ أنه يحرِّم الخمر، من المنافقين أو من اليهود، فالله أعلم، وفي القصيدة ما يدلّ على هذا قولُه: فإن لها في أهل يثرب مَوعِدا، وقد ألفيتُ للقالي روايةً عن أبي حاتم عن أبي عُبيدة قال: لقي الأعشى عامرُ بن الطُّفيل في بلاد قيسٍ وهو مُقبِلٌ إلى رسول الله ﷺ، فذكر له أنه يحرِّم الخمر، فرجع، فهذا أَولى بالصواب.

(٣) وإراش هذا أبو أنمار الذي ولدَ خثعم وبجيلة، وهو إراش بن عمرو بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهلان بن سبأ، من اليمن. انظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٣٨٧.

(٤) أي: يعينني، يقال: آدَاه على كذا يُؤْديه إيداءً، إذا قوّاه عليه وأعانه.

على أبي الحَكَم بن هشام؟ فإنّي رجلٌ غريبٌ ابنُ سَبيل، وقد غَلَبَني على حقّي، قال: فقال له أهل ذلك المَجلِس: أترى ذلك الرجلَ الجالسَ ـ لرسول الله ﷺ، وهم يَهزَؤُون به لِمَا يعلمون بينه وبين أبي جهلٍ من العَدَاوة ـ اذهَبْ إليه فإنّه يُؤْدِيك عليه.

فأقبَلَ الإراشيُّ حتّى وَقَفَ على رسول الله ﷺ فقال: يا عبدَ الله، إنّ أبا الحَكَم ابنَ هشام قد غَلَبَني على حقٍّ لي قِبَلَه، وأنا غريبٌ ابنُ سبيل، وقد سألت هؤلاء القومَ عن رجل يُؤْدِيني عليه يأخذُ لي حقّي منه، فأشاروا لي إليك، فخُذْ لي حقّي منه يرحمُك الله، قال: «انطَلِقْ إليه»، وقامَ معه رسول الله ﷺ، فلمّا رأَوه قام معه قالوا لرجل ممّن معهم: اتبَعْه فانظُرْ ما يَصنَع.

قال: وخرج رسول الله ﷺ حتّى جاءه فضَرَبَ عليه بابَه، فقال: مَن هذا؟ قال: «مُحمَّدٌ، فاخرُجْ إليَّ»، فخرج إليه وما في وجهه من رائحة[1] قد انتُقِعَ لونُه، فقال: «أَعطِ هذا الرّجلَ حَقَّه»، قال: نعم، لا تَبْرَحْ حتى أُعطيَه الّذي له، قال: فدخل فخرج إليه بحقِّه فدَفَعَه إليه، قال: ثمّ انصرف رسولُ الله ﷺ وقال للإراشيِّ: «الحَقْ بشَأْنِك»، فأقبَلَ الإراشيُّ حتّى وقف على ذلك المجلس، فقال: جَزَاه الله خيراً، فقد واللهِ أَخذ لي حقّي.

قال: وجاء الرجل الذي بَعَثُوا معه، فقالوا: وَيحَك، ماذا رأيتَ؟ قال: عَجَباً من العَجَب، واللهِ ما هو إلّا أن ضَرَبَ عليه بابه، فخرج إليه وما معه رُوحُه، فقال له: «أَعطِ هذا حَقَّه»، فقال: نعم، لا تَبرحْ حتّى أُخرجَ إليه حقَّه، فدخل فخرج إليه بحقِّه

(١) أي: بقيّة رُوح، فكأنّ معناه: روح باقية، فلذلك جاء به على وزن فاعِلة. وقوله: انتُقع لونه، أي: تغيَّر وصار كلون النَّقْع، وهو الغُبار.

فأعطاه إياه. قال: ثمّ لم يَلبَثْ أبو جهل أن جاء، فقالوا له: وَيلَك، ما لك؟ واللهِ ما رأَينا مثلَ ما صنعتَ قطُّ! قال: وَيحَكم، واللهِ ما هو إلا أن ضرب عليَّ بابي وسمعتُ صوتَه، فمُلِئتُ رُعباً، ثمّ خرجتُ إليه وإنَّ فوق رأسه لفَحْلاً من الإبل، ما رأيتُ مثل هامَتِه ولا قَصَرَتِه[1] ولا أنيابِه لفحلٍ قطُّ، واللهِ لو أَبَيتُ لأَكَلَني[2].

أمرُ رُكَانة المُطَّلِبيّ ومصارعته

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاقُ بن يسارٍ قال: كان رُكَانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المُطَّلِب بن عبد مَنَافٍ أشدَّ قريشٍ، فخَلَا يوماً برسول الله ﷺ في بعض

(١) الهامَة: الرأس، والقَصَرة: أصل العُنق.

(٢) إسناده ضعيف لإعضاله، فإن عبد الملك الثقفيّ راويه من أتباع التابعين.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص١٩٥-١٩٦، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٩٢-١٩٤.

وأخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (١٦١) من رواية إبراهيم بن سعد الزهريّ وسلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق. ووقع في المطبوع منه بين إبراهيم وسلمة وبين ابن إسحاق زيادة ذكر الأعمش، وهو خطأ.

وأخرجه مختصراً جداً أبو نعيم أيضاً ـ كما ذكر السيوطيُّ في «الخصائص الكبرى» ١/ ٢١٢ ـ من طريق سلّام بن مِسكين قال: حدثني أبو يزيد المدني وأبو قَزَعة الباهليّ: أن رجلاً كان له على أبي جهل دينٌ فلم يعطه، فقيل له: ألا ندلّك على من يستخرج حقَّك؟ قال: بلى، قالوا: عليك بمحمّد بن عبد الله، فأتاه فجاء معه إلى أبي جهل فقال: «أعطه حقَّه» قال: نعم، فدخل البيت فأخرج دراهمه فأعطاه، فقالوا لأبي جهل: فَرِقتَ من محمّد كلَّ هذا؟! قال: والذي نفسي بيده، لقد رأيت معه رجالاً معهم حِراب تَلمَع، لو لم أُعطه لخِفتُ أن يُبعَج بها بطني. وإسناده ضعيف أيضاً لإرساله، فأبو يزيد وأبو قزعة كلاهما من صغار التابعين.

فهذان الخبران يشهد كلٌّ منهما للآخر فيتقوّى وُرود أصل القصة مع الخلاف في الشيء الذي رآه أبو جهل، والله تعالى أعلم.

شِعَاب مكّة، فقال له رسول الله ﷺ: «يا رُكَانةُ، ألَا تتَّقي اللهَ وتَقبَلُ ما أدعُوكَ إليه؟» قال: إنّي لو أعلمُ أنَّ الّذي تقول حقٌّ لاتَّبعتُك، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أفرأيتَ إنْ صَرَعتُك، أتعلَمُ أنَّ ما أقولُ حقٌّ؟» قال: نعم، قال: «فقُمْ حتّى أُصارِعَك» قال: فقام رُكَانةُ إليه فصارعه، فلمّا بَطَشَ به رسولُ الله ﷺ أضجَعَه لا يَملِكُ[1] من نفسه شيئاً، ثم قال: عُدْ يا محمّد، فعادَ فصَرَعَه، قال: فقال: يا محمّد، واللهِ إنَّ هذا لَلعَجَبُ، أتصرَعُني؟! قال رسول الله ﷺ: «وأعجَبُ من ذلك إنْ شئتَ أن أُرِيَكَهُ إنِ اتَّقَيتَ اللهَ واتَّبعتَ أَمري» قال: ما هو؟ قال: «أَدعُو لك هذه الشَّجرةَ الّتي تَرى فتَأتِيني» قال: ادعُها، فدعاها، فأقبَلَت حتّى وَقَفَت بين يَدَي رسول الله ﷺ، فقال لها: «ارجِعي إلى مكانِكِ» قال: فرَجَعَت إلى مكانها، قال: فذهب رُكَانةُ إلى قومه فقال: يا بني عبد مَنَاف، ساحِرُوا[2] بصاحبكم أهلَ الأرض، فواللهِ ما رأيتُ أسحرَ منه قطُّ؛ ثمّ أخبرهم بالّذي رأَى والّذي صَنَعَ[3].

---

(١) في (ش١) و(غ) و(ق١): وهو لا يملك.

(٢) أي: غالِبوهم به في السِّحر.

(٣) إسناده ضعيف بهذا السياق لإرساله أو إعضاله، فإسحاق بن يسار من صغار التابعين، ولم يبيّن عمّن رواه، لكن أصل القصة في مصارعة النبيّ ﷺ لرُكانة صحيح من غير هذا الوجه.

ورواه عن ابن إسحاق كما هو هنا سلمةُ (وتحرف في المطبوع إلى: صدقة) بن الفضل عند قوام السنّة الأصبهاني في «دلائل النبوة» (٢٤٥).

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص٢٧٦ ـ ومن طريقه ابن منده في «معرفة الصحابة» ٢/ ٦٥٠ والبيهقي في «الدلائل» ٦/ ٢٥٠ ـ دون قصة الشجرة.

وقد روي نحو هذه القصة مع رُكانة من غير وجهٍ بسياقات مختلفة بأسانيد فيها ضعف، كما في «مصنف عبد الرزاق» (٢٠٩٠٩)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٢٣٢٦)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢٨٠٧)، و«الدلائل» له (٢٩٩)، و«الدلائل» للبيهقي ٦/ ٢٥١ و٢٥٢. =

أمرُ الوفد النصارى الّذين أسلموا

قال ابن إسحاق: ثمّ قَدِمَ على رسول الله ﷺ وهو بمكّة عشرون رجلاً أو قريبٌ من ذلك من النَّصارى، حين بَلَغَهم خبره من الحَبَشة، فوجدوه في المسجد، فجَلَسوا إليه وكَلَّموه وسأَلوه، ورجالٌ من قريش في أنديَتِهم حولَ الكعبة، فلمّا فَرَغُوا من مَسألةِ رسول الله ﷺ عمّا أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عزَّ وجلَّ وتلا عليهم القرآن، فلمّا سمعوا القرآن فاضَتْ أعينُهم من الدَّمع، ثمّ استجابوا لله وآمنوا به وصدَّقوه، وعَرَفُوا منه ما كان يُوصَف لهم في كتابهم من أمره، فلمّا قاموا عنه اعتَرَضَهم أبو جهل بن هشام في نفرٍ من قريش، فقالوا لهم: خيَّبَكم اللهُ من رَكْبٍ! بَعَثَكم مَن وراءَكم من أهل دينكم تَرتادُون لهم لتأتوهم بخَبَرِ الرَّجل، فلم تَطمَئنَّ مجالسُكم

= وأصحُّ شيء فيها ما رواه أبو بكر الشافعي في «أحاديثه» وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب «السبق» ـ كما في «التلخيص الحبير» لابن حجر ٤/ ١٦٢ ـ من رواية عبد الله بن يزيد المقرئ، عن حماد ابن سلمة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عبّاس، ولم يسق لفظه. قال ابن القيّم: وهذا إسناد جيّد متّصل.

وقد ساق لفظه أبو داود في «المراسيل» (٣٠٨)، وابن منده ٢/ ٦٤٩ ـ وهو أحسن سياق وأصحّه في هذا الخبر ـ فروياه من طريقين آخرين عن حماد، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، مرسلاً: أن رسول الله ﷺ كان بالبطحاء، فأتى عليه رُكَانة ـ أو قال: يزيد بن رُكانة، والصواب رُكَانة ـ ومعه أعنُزٌ له، فقال له: يا محمّد، هل لك أن تصارعني؟ قال: «ما تُسبِّقُني؟» قال: شاةً من غنمي، فصارعه النبي ﷺ فصرعه؛ يعني فأخذ شاة، فقام ركانة فقال: هل لك في العَوْدة؟ قال: «ما تُسبِّقُني؟» قال: أُخرى، فصارعه النبي ﷺ فصرعه، فقال له مثلَها، فقال: «ما تُسبِّقُني؟» قال: أُخرى، فصارعه النبي ﷺ فصرعه؛ ذكر ذلك مِراراً، فقال: يا محمد، واللهِ ما وَضَعَ جَنْبي أحدٌ إلى الأرض، وما أنت الذي صَرَعني؛ يعني فأسلَمَ ودعا له رسول الله ﷺ. وليس فيه قصة الشجرة، ورواه من طريقه البيهقيُّ في «السنن» ١٠/ ١٨ وقال: هو مرسل جيّد.

عنده حتى فارَقتُم دينَكم وصدَّقتُموه بما قال، ما نَعلمُ رَكْباً أحمقَ منكم ـ أو كما قالوا لهم ـ فقالوا لهم: سلامٌ عليكم، لا نُجاهِلُكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نَألُ أنفسَنا خيراً[1].

ويقال: إنّ النَّفر من النّصارى من أهل نَجْرانَ، فاللهُ أعلم أيُّ ذلك كان.

فيقال ـ والله أعلم ـ: فيهم نزلت هؤلاءِ الآياتُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص:٥٢-٥٥].

قال ابن إسحاق: وقد سألتُ ابنَ شِهابٍ الزُّهْريَّ عن هؤلاءِ الآيات فيمن نَزَلنَ، فقال لي: ما زلتُ أسمعُ من علمائنا: أنّهنَّ أُنزلن في النَّجَاشيِّ وأصحابه[2]، والآياتُ من المائدة، قولُ الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢﴾ إلى قوله: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨٣﴾.

---

(١) أي: لم نقصّر بها عن بلوغ الخير، يقال: ما ألَوتُ أن فعلتُ كذا وكذا، أي: ما قصَّرتُ.

وهذا الخبر لم يسنده ابن إسحاق، كذلك رواه عنه يونس بن بكير كما في المطبوع من «سيرة ابن إسحاق» بروايته ص٢١٨، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٠٦. فالله أعلم بصحّة ذلك.

(٢) كذا قال الزهريُّ، وقد روى عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن علي بن رِفاعة القُرَظيّ: أن الآيات السابقة التي من سورة القصص نزلت في عشرة رهط أبوه رفاعةُ منهم، كما أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٨/ ٢٧٧، وروى نحوه البخاري في «التاريخ الكبير» ٦/ ٢٧٥ من طريق عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن علي بن رفاعة قال: كان أَبي من الذين آمنوا بالنبي ﷺ من أهل الكتاب وكانوا عشرة، فلما جاؤوا جعل الناس يستهزؤون بهم ويضحكون منهم، فأنزل الله، وذكر شيئاً من هذه الآيات. ورجاله لا بأس بهم، فعلى هذا، فهذه الآيات نزلت في نفر من اليهود.

نزولُ ذكرِ قولهم: أهؤلاء منَّ اللهُ عليهم من بيننا

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ إذا جلس في المسجد فجلس إليه المُستضعَفون من أصحابه: خبّابٌ، وعمّارٌ، وأبو فُكَيهة يَسارٌ مولى صفوان بن أُميّة بن مُحرَّث، وصهيبٌ، وأشباهُهم من المسلمين، هَزِئَت بهم قريش، وقال بعضهم لبعض: هؤلاء أصحابُه كما تَرَون، أهؤلاءِ مَنَّ اللهُ عليهم من بيننا بالهدى والحقّ؟! لو كان ما جاء به محمّدٌ خيراً ما سَبَقَنا هؤلاء به، وما خَصَّهم اللهُ به دوننا، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:٥٢-٥٤][1].

نزولُ ﴿لسانُ الذي يُلحِدونَ إليه أعجميٌّ﴾

وكان رسول الله ﷺ - فيما بَلَغَني - كثيراً ما يَجلِسُ عند المَرْوة إلى مَبِيعَةِ[2] غلامٍ

---

(١) أَسند هذا البلاذُريُّ في «أنساب الأشراف» ١/ ١٥٦ عن يزيد بن رُومان عن عُروة مرسلاً.
وأصحُّ منه ما أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٤١٣) عن سعد بن أبي وقّاص قال: كنّا مع النبي ﷺ ستةُ نفرٍ، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يَجترِئُون علينا. قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هُذيل وبلال، ورجلان لست أُسمِّيهما (أي: نسيت اسميهما) فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحَدَّثَ نفسَه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾.

(٢) قال السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٣٩٢: المَبِيعة: مَفعِلة مثل المَعِيشة، وقد يجوز أن يكون =

نصرانيٌّ يقال له: جَبْر، عبدٍ لبَني الحَضرميِّ، فكانوا يقولون: واللهِ ما يُعلِّمُ محمّداً كثيراً ممّا يأتي به إلا جَبْرٌ النَّصراني، غلامُ بني الحضرميّ. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: إنّما يعلِّمُه بشرٌ، ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣][1].

قال ابن هشام: ﴿يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾: يَميلون إليه؛ الإلحادُ: المَيْل عن الحقّ، قال رُؤْبة:

إذْ تَبِـعَ الضَّـحّاكَ كـلُّ مُلحِـدِ

يعني الضحّاكَ الخارجيَّ[2]، وهذا البيت في أُرجوزةٍ له.

نزولُ سورة الكَوثَر

قال ابن إسحاق: وكان العاصِ بنُ وائلٍ السَّهميُّ ـ فيما بَلَغَني ـ إذا ذُكِرَ رسولُ الله

= مَفعُلة بضمّ العين، وهو قول الأخفش.

وعلى حاشية نسخة (ص): المبيعة موضع البيع والشّراء.

(١) أسند هذا آدمُ بن أبي إياس في «تفسيره» المطبوع باسم «تفسير مجاهد» ١/ ٣٥٢ ـ ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٦) ـ والطبري في «تفسيره» ١٤/ ٣٦٧ و٣٦٨، والواحدي في «أسباب النزول» (٥٦٦) من طرق عن حُصين بن عبد الرَّحمن السُّلميّ، عن عبد الله بن مسلم الحضرميّ قال: كان لنا غلامان نصرانيّان... وذكر نحوه.

وابن مسلم الحضرميُّ قد اختُلف في اسمه وصُحْبته، وحُصَينٌ ثقة مأمون من كبار أصحاب الحديث، وهو من صغار التابعين.

ووروي هذا أيضاً عن مجاهدٍ كما في «تفسير ابن أبي إياس» ١/ ٣٥٢، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (١٣٥).

(٢) سلف بيانه وتخريج بيت رؤبة هذا فيما تقدّم عند قصة تحيّر الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن ص٣٠٩.

ﷺ قال: دَعُوه، فإنّما هو رجل أبتَرُ لا عَقِبَ له، لو قد مات لانقَطَعَ[1] ذِكرُه واستَرحتُم منه، فأنزل اللهُ في ذلك من قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ ما هو خيرٌ لك من الدُّنيا وما فيها، والكَوثرُ: العظيم[2].

قال ابن إسحاق: قال لَبِيدُ بن رَبيعة الكِلابيُّ:

وصاحبُ مَلحُوبٍ فُجِعْنا بيَومِهِ ... وعندَ الرِّدَاعِ بيتُ آخَرَ كَوثَرِ[3]

يقول: عظيمٌ[4].

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وصاحبُ ملحوبٍ: عوفُ بن الأحوَص بن جعفر بن كِلاب، مات بملحوب.

وقوله: وعند الرِّداع بيتُ آخرَ كَوثرٍ، يعني شُرَيحَ بن الأحوَص بن جعفر بن كِلاب[5] مات بالرِّدَاع، وكَوثَرٌ: أراد الكَثير، ولفظه مشتقٌّ من لفظ الكثير، قال الكُمَيت بن زيد يَمدَحُ هشامَ بن عبد المَلِك بن مروان:

وأنتَ كثيرٌ يا ابنَ مروانَ طيِّبٌ ... وكان أبوكَ ابنُ العَقائلِ كَوثَرا[6]

---

(١) في (ت) و(ق١) و(م): لقد انقطع.

(٢) وروى هذا الخبر يونس بن بكير في «سيرة ابن إسحاق» ص٢٧٢ عن ابن إسحاق عن يزيد ابن رُومان، وهو مرسل.

وروى الطبري في «تفسيره» ٢٤/ ٦٩٨-٦٩٩ عن غير واحدٍ: أن المراد بها العاص بن وائل.

(٣) ملحوب والرِّداع موضعان في اليمامة بنَجْد. والمراد بالبيت في قوله: بيتُ آخرَ، القبرُ.

(٤) كذا فسّره ابن إسحاق في هذا البيت، وذكر غيرُه ـ كابن هشام ـ أنه بمعنى الكثير، وذهب بعضهم كأبي عبيد في «الغريب المصنَّف» ١/ ٧٥ إلى أنه بمعنى السيِّد.

(٥) وهذان المذكوران عوف وشريح، من سادات بني عامر بن صعصعة قوم لبيدٍ، من هوازنَ.

(٦) العقائل: جمع عَقِيلة، وهي المُحصَنة الكريمة من النساء. =

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال أُميّة بن أبي عائذٍ الهُذَليُّ يَصِفُ حمارَ وَحْشٍ:

يَحمِي الحَقِيقَ إذا ما احتَدَمْـ ـنَ حَمحَمَ في كَوثرٍ كالجِلَالِ[1]

يعني بالكوثر: الغُبارَ الكثير، شبَّهَه لكثرته عليه بالجِلَال. وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وحدّثني جعفر بن عمرو ـ قال ابن هشام: جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ ـ عن عبد الله بن مُسلِم أَخي محمّد بن مُسلِم بن شِهابٍ الزُّهْريّ، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ وقيل له: يا رسولَ الله، ما الكوثرُ الّذي أعطاك اللهُ؟ قال: «نَهرٌ كما بينَ صَنْعاءَ إلى أَيْلةَ، آنيَتُه كعَدَدِ نجومِ السماءِ، تَرِدُه طيرٌ لها أعناقٌ كأعناقِ الإبلِ»، قال: يقول عمر بن الخطّاب: إنَّها يا رسول الله لناعمةٌ! قال: «آكِلُها أنعَمُ منها»[2].

= وانظر هذا البيت في «ديوان الكميت» ص١٧٧، وليس فيه سواه.

(١) أول البيت هنا فيه خَرْم ـ وهو سقط من أول التفعيلة في علم العَرُوض ـ وهو صحيح في «أشعار الهذليِّين» صنعة أبي سعيد السكَّريّ ٢/ ٥٠٤ بلفظ: يحامي الحقيق، ومعناه: يحمي حَقِيقتَه، وهو ما يَحِقُّ عليه أن يحميَه. واحتدمن: اشتدَّ جريُهنَّ، والاحتدام: شدّة غليان القِدْر على النار. والحمحمة: صوت هذه الحُمُر الوحشيّة وهو دون الصهيل. والجِلال: جمع جُلٍّ ـ وتُضمّ الجيم أيضاً ـ وهو للدّابّة كالثوب للإنسان.

(٢) إسناده صحيح. ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري: هو الحافظ الإمام صاحب الروايات الشهيرة في المغازي وغيرها.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص٢٧٢، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (١٢٣).

وأخرجه أحمد (١٣٤٨٠) و(١٣٤٨٤)، والحاكم (٤٠٢٢) من طريق محمد بن مسلم بن شهاب الزهريّ، والترمذي (٢٥٤٢) من طريق ابن أخيه محمد بن عبد الله بن مسلم الزهريّ، =

قال ابن إسحاق: وقد سمعتُ في هذا الحديث أو غيره: أنه قال ﷺ: «مَن شَرِبَ منه لا يَظمَأُ أبداً»(١).

نزولُ ﴿وقالوا لولا أُنزِلَ عليه مَلَكٌ﴾

قال ابن إسحاق: ودعا رسولُ الله ﷺ قومَه إلى الإسلام، وكلَّمهم فأبلَغَ إليهم، فقال له زَمْعةُ بن الأسود والنَّضرُ بن الحارث والأسودُ بن عبد يَغُوثَ وأُبيُّ بن خَلَف والعاصِ بنُ وائل: لو جُعِلَ معك يا محمّدُ مَلَكٌ يُحدِّث عنك الناس ويُرَى معك! فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام:٨-٩](٢).

= كلاهما عن عبد الله بن مسلم الزهريّ، عن أنس. إلا أنه وقع في رواية الحاكم أبو بكرٍ مكان عمرَ.

ورواه عبد الوهاب بن أبي بكر عند أحمد (١٣٣٠٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٣٩) عن عبد الله بن مسلم، عن أخيه محمد بن مسلم بن شهاب الزهريّ، عن أنس. فقلبه، وعبد الوهّاب ثقة إلا أنّ روايته هذه شاذّة، فالمحفوظ فيه أنه من رواية عبد الله بن مسلم عن أنس، وعبدُ الله ومحمدٌ كلاهما يروي عن أنس.

وأَيْلة: مدينة قديمة كانت قائمة على خليج العَقَبة جنوب الأردنّ، وهي اليوم أطلال تقع شمال غرب مدينة العقبة.

(١) حديث صحيح، رواه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص عن النبي ﷺ قال: «حَوْضي مَسِيرة شهر، ماؤُه أبيض من اللَّبَن، وريحُه أطيب من المِسك، وكِيزانُه كنجوم السماء، من شَرِبَ منه فلا يَظمَأُ أبداً».

الكِيزان: جمع كُوزٍ، وهي الآنية، والظَّمَأ: العطش.

(٢) ورواه من طريق ابن إسحاق ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٦٥ و١٢٦٦.

نزولُ ﴿ولقدِ استُهزِئَ برُسُلٍ من قَبلِكَ﴾

قال ابن إسحاق: ومرَّ رسولُ الله ﷺ ـ فيما بَلَغَنا ـ بالوليد بن المغيرة وأُميّة بن خَلَف وبأبي جهل بن هشام، فهَمَزُوه[1] واستَهزَؤُوا به، فغاظَه ذلك، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرِهم: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام:١٠][2].

[يليه في الجزء الثاني:

أمر الإسراء والمعراج]

(١) الهمز: الغِيبة والوقيعة في الناس وذكرُ عيوبهم.

(٢) ورواه من طريق ابن إسحاق ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٦٧.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

- **مقدمة التحقيق** ٧
ترجمة ابن إسحاق ١٣
ترجمة البكّائي راوية ابن إسحاق ١٨
ترجمة عبد الملك بن هشام صاحب «السيرة» ٢٠
عملنا في التحقيق ٢٢
وصف النسخ الخطية ٢٦
نماذج من النسخ ٣١
- **ذكرُ سَرْد النَّسب الزَّكيّ** ٣
سِيَاقةُ النَّسب من ولد إسماعيل ٦
تفرُّق القبائل من عدنان ٩
أمرُ عمرو بن عامر في خروجه من اليمن وقصة سُدِّ مَأرِب ١٤
أمر ربيعة بن نصر ملكِ اليمن ١٦
استيلاء أبي كَرِبٍ تُبَان أسعد على مُلك اليمن ٢٠
مُلكُ ابنِه حسّان بن تُبَان، وقتلُ عمرٍو أخيه له ٣٠
وُثُوب لَخْنِيعة ذي شَناتِر على مُلك اليمن ٣١
مُلْكُ ذي نُوَاس ٣٣
ابتداء وقوع النصرانيّة بنَجْران ٣٣
أمرُ عبد الله بن الثَّامِر، وقصةُ أصحاب الأخدود ٣٦
أمر الأُخدود ٤٠

أمر دَوْسٍ ذي ثُعلُبان، وابتداء مُلك الحبشة ٤٢
غَلَبُ أبرهة الأشرم على أمر اليمن، وقتل أرياط ٤٦
أمرُ الفيل، وقصة النَّسَأَة ٤٧
ما قيل في صفة الفيل من الشِّعر ٦٣
خروج سيف بن ذي يَزَن، ومُلكُ وَهْرِزَ على اليمن ٦٩
ذكر ما انتهى إليه أمرُ الفُرس باليمن ٧٥
قصة ملك الخَضْر ٧٨
ذكر ولد نِزَار بن مَعَدٍّ ٨٢
قصة عمرو بن لُحيّ وذكرُ أصنام العرب ٨٥
أمر البَحِيرة والسائبة والوَصِيلة والحامِي ٩٨
عدنا إلى سياقة النسب ١٠٠
أمرُ سامَة ١٠٨
أمرُ عَوْف بن لؤيٍّ ونُقلَته ١٠٩
أمرُ البَسْل ١١٤
أولاد عبد المُطَّلب بن هاشم ١١٩
إشارة إلى ذكر احتفار زمزمَ ١٢١
أمر جُرهُم ودفن زمزم ١٢١
استيلاءُ قوم من كِنانة وخُزَاعة على البيت ونفي جُرهُم ١٢٣
استبداد قوم من خُزاعة دون كِنانة بولاية البيت ١٢٦
تزوُّج قُصيّ بن كلابٍ حُبَّى بنت حُلَيل ١٢٧
ما كان يليهِ الغَوثُ بن مُرٍّ من الإجازة للناس بالحج ١٢٨

ما كانت عليه عَدْوانُ من إفاضة المُزدلِفة ١٣٠
أمر عامر بن ظَرِب بن عمرو ١٣٢
غَلَبُ قُصيّ بن كِلاب على أمر مكّة ١٣٣
ذكر ما جرى من اختلاف قريشٍ بعد قصيٍّ ١٤١
حِلْف المطيَّبين ١٤١
حِلفُ الفُضول ١٤٤
ذكر حَفْر زمزم وما جرى من الخُلْف فيها ١٥٥
ذكر بِئار قبائلِ قريش بمكّة ١٦١
ذكر نَذْرِ عبد المُطَّلِب ذبحَ ولده ١٦٤
ذكرُ المرأةِ المتعرِّضة لنكاح عبد الله بن عبد المُطَّلِب ١٦٩
ذكر ما قيل لآمنةَ عند حملها برسول الله ﷺ ١٧١
ولادة رسول الله ﷺ ورَضَاعه ١٧٣
وفاة آمنة وحالُ رسول الله ﷺ مع جدِّه عبد المُطَّلِب بعدها ١٨٤
وفاة عبد المُطَّلِب وما رُثِيَ به من الشعر ١٨٥
كفالة أبي طالبٍ لرسول الله ﷺ ١٩٨
حرب الفِجَار ٢٠٤
نكاح رسول الله ﷺ خديجةَ ٢٠٧
حُكْم رسول الله ﷺ بين قريش في وضع الحَجَر ٢١٤
أمرُ الحُمْس ٢٢١
أمرُ حدوث الرُّجوم وإنذار الكُهّان ٢٢٧
إنذارُ يهودَ برسول الله ﷺ ٢٣٥

أمرُ سلمان الفارسيّ ٢٣٩
أمر النَّفَر الأربعة المتفرِّقين عن عبادة الأوثان في طلب الأديان ٢٤٩
صفة رسول الله ﷺ من الإنجيل ٢٦٣
ذكر ما أخَذه اللهُ عزَّ وجلَّ لرسوله من الميثاق على الأنبياء ٢٦٤
ما ابتُدِئ به النبيُّ ﷺ في النبوّة من الرؤيا الصادقة ٢٦٥
تسليم الحَجَر والشجر على النبيّ ﷺ ٢٦٥
ابتداءُ نزول جبريل عليه السلام ٢٦٧
ابتداءُ تنزيل القرآن ٢٧٣
إسلام خَدِيجة بنت خُوَيلِد ٢٧٤
فَتْرة الوَحْي ونزول سورة الضُّحى ٢٧٦
ابتداءُ فرض الصلاة ٢٨٠
ذكرُ أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أولُ ذَكَرٍ أسلم ٢٨٤
إسلام زيد بن حارثة ثانياً ٢٨٦
إسلام أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه ٢٨٨
أوّل دم أُريق في الإسلام ٢٩٩
مشيُ قريش إلى أبي طالب في أمر رسول الله ﷺ ٢٩٩
مشيُ قريشٍ إلى أبي طالب مرّة ثانية ٣٠١
مشيُ قريش إلى أبي طالب ثالثةً ٣٠٣
تحيُّر الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن ٣٠٧
شعرُ أبي طالب في استعطاف قريشٍ ٣١١
إسلام حمزة عمِّ النبيّ ﷺ ٣٣٧

قول عُتبة بن رَبيعة في أمر رسول الله ﷺ ٣٣٩
ما دار بين رسول الله ﷺ وبين رؤساءِ قريش ٣٤١
ذكر عُدوان المشركين على المُستضعَفين ممّن أسلم ٣٧٢
ذكر المُهاجَرة الأولى إلى أرض الحبشة ٣٨٠
ذكر ما قيل من الشِّعر في الهجرة إلى الحبشة ٣٩١
إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها ٣٩٥
إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٤٠٨
أمر الشِّعب والصحيفة ٤١٧
خبر المستهزئين وذكرُ أبي لهب ٤٢٢
ذكرٌ لأُميّة بن خلف ٤٢٤
ذكرُ العاص بن وائل السَّهميّ ٤٢٥
ذكرٌ لأبي جهل بن هشام المخزوميّ ٤٢٦
ذكرٌ للنَّضر بن الحارث العَبْدريّ ٤٢٧
ذكر الأخنس بن شَرِيق الثَّقفيّ ٤٣٠
ذكرُ الوليد بن المغيرة ٤٣١
ذكرٌ لأُبيّ بن خَلَف وعُقْبة بن أبي مُعَيط ٤٣٢
ذكر قولٍ دار بين رسول الله ﷺ وبين قوم من مشركي قريش ٤٣٣
ذكرٌ لأبي جهل بن هشام ٤٣٣
أمرُ ابن أمّ مكتوم ونزولُ سورة ﴿عَبَسَ﴾ ٤٣٥
ذكرُ مَن عاد من أرض الحبشة لمّا بلغهم إسلامُ أهل مكّة ٤٣٦
أمرُ نقض الصحيفة وأسماءُ من نَقَضَها ٤٤٥

أمرُ الطُّفيل بن عمرو الدَّوْسيّ ٤٥٤
أمرُ أعشى بني قيس بن ثَعلَبة ٤٥٩
أمرُ الإراشيّ الذي باع أبا جهل إبلَه والمُعجِزُ في ذلك ٤٦٣
أمرُ رُكَانة المُطَّلِبيّ ومصارعته ٤٦٥
أمرُ الوفد النصارى الّذين أسلموا ٤٦٧
نزولُ ذكرِ قولهم: أهؤلاء منَّ اللهُ عليهم من بيننا ٤٦٩
نزولُ ﴿لسانُ الذي يُلحِدونَ إليه أعجميٌّ﴾ ٤٦٩
نزولُ سورة الكَوثَر ٤٧٠
نزولُ ﴿وقالوا لولا أُنزِلَ عليه مَلَكٌ﴾ ٤٧٣
نزولُ ﴿ولقدِ استُهزِئَ برُسُلٍ من قَبلِكَ﴾ ٤٧٤

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سيرة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

(المعروفة بسيرة ابن هشام)

للإمام البارع اللغوي الأخباري عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري

المتوفى سنة ٢١٨ هـ

حققها على أصولها وضبط نصها وخرج أحاديثها وعلق عليها

د. همام عبد الرحيم سعيد — حاد إدريس المدني

مقابلة على اثني عشرة نسخة خطية، منها ست تامة وست أجزاء متفرقة

مع العناية بتحرير أماكن الأحداث منها وبيان مراقيها الجغرافية

المجلد الثاني

دار الفاروق
عمان - الأردن

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سيرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم

٢


بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سيرة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

(المعروفة بسيرة ابن هشام)

للإمام البارع اللغوي الأخباري عبد الملك بن هشام بن أيوب المصري

المتوفى سنة ٢١٨ هـ

حققها على أصولها وضبط نصها وخرج أحاديثها وعلق عليها

د. همام عبد الرحيم سعيد — عادل مرشد القدسي

مقابلة على اثني عشرة نسخة خطية، منها ست تامة وست أجزاء متفرقة
مع العناية بتحرير أماكن الأحداث منها وبيان مواقعها الجغرافية

المجلد الثاني

دار الفاروق
عمان - الأردن

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

٢٣٩

❖ رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٢٢/٧/٣٤٨٥)

❖ المصري ، عبد الملك بن هشام بن ايوب . تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، عادل مرشد المقدسي .

❖ دار الفاروق للنشر والتوزيع

❖ الواصفات: /حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم //آل البيت//السيرة النبوية

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

❖ يتحمل المحقق كامل المسؤولية القانونية والعلمية عن محتوى هذا الكتاب.

❖ الكتب والدراسات التي تصدرها الدار تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها.

حقوق الطبع محفوظة. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته الى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق.

دار الفاروق للنشر والتوزيع

الأردن ـ عمان ـ العبدلي ـ عمارة جوهرة القدس

تلفون: ٠٠٩٦٢٦٤٦٤٠٠٦٤

E- mail: daralfarouq@yahoo.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أمرُ الإسراء والمِعراج

قال: حدَّثنا أبو محمّدٍ عبد الملك بن هشام قال: حدَّثنا زياد بن عبد الله البَكَّائيّ، عن محمَّد بن إسحاق المُطَّلبيّ[1] قال: ثمّ أُسرِيَ برسول الله ﷺ من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى[2]، وهو بيتُ المَقدِس من إيلِيَاءَ، وقد فَشَا الإسلامُ بمكّة في

---

(١) هذا الإسناد لم يرد في (ص) و(م)، وزاد في أوله في (ت): حدثنا أبو سعيد عبد الرحيم ابن عبد الله البَرْقيّ.

(٢) واختُلف في تاريخ وقوعه على أقوالٍ كما في «الفتح» لابن حجر ١١/ ٣٨٢-٣٨٣، أرجحها أنه كان قبل الهجرة بسنةٍ أو بسنةٍ وأشهُر.

كما أنه قد اختُلف فيه: هل هو بروحه أو بجسده؟ على ثلاث مقالات كما قال ابن الملقِّن في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» ١٩/ ٦٥، قال: فذهبت طائفة إلى الأول، وأنه رؤيا منام، مع اتفاقهم على أن رؤيا الأنبياء وحيٌ وحقٌّ، وإلى هذا ذهب معاويةُ، وحُكي عن الحسن، والمشهور عنه خلافه، وإليه أشار ابن إسحاق، وحُجَّتهم قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ الآية [الإسراء:٦٠]...

وذهب معظم السَّلف إلى الثاني، وأنه إسراءٌ بالجسد وفي اليَقَظة، وهذا هو الحقُّ، وهو قول ابن عبّاس فيما صحّحه الحاكم، وعدَّد ـ أي: القاضي عِياض ـ في «الشِّفا» (١/ ١٨٨) عشرين نفساً قال بذلك من الصحابة والتابعين وأتباعهم، وأنه دليل قول عائشة، وقولُ الطبريّ وجماعة عظيمة، وهو قول أكثر المتأخِّرين من الفقهاء والمحدِّثين والمفسِّرين والمتكلِّمين.

وقالت طائفة: كان الإسراء بالجسد يقظةً إلى بيت المَقدِس، وإلى السماء بالرُّوح، واحتجُّوا بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾، فلو كان ـ أي: المِعراج ـ زيارةً في الجسد لذكره ليكون أبلغَ للمدح. اهـ

وهل تعدَّدت هذه الحادثة، أم هي مرّة واحدة؟ المتَّفَق عليه عند محقِّقي أهل العلم أنَّها مرّة واحدة لم تتكرّر، قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» بعد أن جمع روايات أحاديث الإسراء =

قريشٍ وفي القبائل كلِّها.

قال ابن إسحاق: كان من الحديث فيما بَلَغَني عن مَسْراه ﷺ، عن عبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخُدْريّ وعائشة زوج النبيِّ ﷺ ومعاوية بن أبي سفيان والحسن ابن أبي الحسن[1] وابن شِهابٍ الزُّهْريّ وقَتَادة وغيرهم من أهل العِلْم، وأمِّ هانئٍ بنت أبي طالب، ما اجتَمَع في هذا الحديث، كلٌّ يُحدِّث عنه بعضَ ما ذُكِرَ من أمره حين أُسريَ به ﷺ، وكان في مَسْراه وما ذُكِرَ منه بلاءٌ وتمحيصٌ، وأمرٌ من أمرِ الله عزَّ وجلَّ في قُدْرته وسلطانه، فيه عِبْرةٌ لأُولي الألباب، وهُدًى ورحمةٌ، وثباتٌ لمن آمنَ وصَدَّق وكان من أمر الله على يقينٍ، فأَسرى به كيف شاءَ وكما شاءَ، ليُرِيَه من آياته ما أراد، حتّى عايَنَ ما عايَنَ من أمره وسلطانه العظيم، وقُدرتِه التي يَصنَعُ بها ما يريد.

فكان عبد الله بن مسعودٍ ـ فيما بَلَغَني عنه ـ يقول: أُتِيَ رسولُ الله ﷺ بالبُرَاق ـ وهو

= في أول تفسير سورة الإسراء: وإذا حصل الوقوفُ على مجموع هذه الأحاديث، صحيحها وحسنها وضعيفها، يَحصُل مضمون ما اتفقت عليه من مَسرَى رسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المَقدِس، وأنه مرّة واحدة، وإن اختلفت عباراتُ الرُّواة في أدائه، أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه، فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام، ومن جعل من الناس كلَّ رواية خالفت الأخرى مرّةً على حِدَة، فأثبت إسراءاتٍ متعدِّدة، فقد أبعَدَ وأغرَب، وهرب إلى غير مَهرَب، ولم يتحصَّل على مطلب، وقد صرَّح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أُسري به مرّة من مكة إلى بيت المقدس فقط، ومرّة من مكة إلى السماء فقط، ومرّة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء، وفرح بهذا المَسلَك وأنّه قد ظَفِرَ بشيء يَخلُص به من الإشكالات، وهذا بعيد جدّاً، ولم يُنقَل هذا عن أحد من السلف، ولو تعدَّدَ هذا التعدُّدَ لأخبر النبي ﷺ به أمّته، ولنقله الناسُ على التعدُّد والتكرّر. وانظر كلامه أيضاً في «البداية والنهاية» ٤/ ٢٨٤-٢٨٥.

(١) هو الحسن البصريُّ.

الدّابَّة التي كانت يُحمَل عليها الأنبياءُ قبله، تضعُ حافرَها في منتهى طَرْفِها ـ فحُمِلَ عليها، ثم خَرَجَ به صاحبُه يُرَى الآياتِ فيما بين السماءِ والأرض، حتى انتهى إلى بيت المَقدِس فوَجَدَ فيه إبراهيمَ وموسى وعيسى في نفرٍ من الأنبياء قد جُمِعُوا له فصلَّى بهم، ثم أُتِيَ بثلاثةِ آنيَةٍ: إناءٍ فيه لبنٌ، وإناءٍ فيه خمرٌ، وإناءٍ فيه ماءٌ، قال: فقال رسول الله ﷺ: «فسمعتُ قائلاً يقول حين عُرِضَت عليَّ: إنْ أخَذَ الماءَ فغَرِقَ وغَرِقَت أمّتُه، وإنْ أخَذَ الخمرَ فغَوَى وغَوَت أمّتُه، وإنْ أخَذَ اللَّبَنَ فهُدِيَ وهُدِيَت أمّتُه، قال: فأخذتُ إناءَ اللَّبنِ فشَرِبتُ، فقال لي جبريلُ عليه السلام: هُدِيتَ وهُدِيَت أمّتُك يا محمّدُ»[1].

(١) الخبر في الإسراء وإمامة نبيِّنا ﷺ بالأنبياء صلَّى الله عليهم أجمعين، واختياره لإناء اللَّبن وشربه منه، خبر صحيح روي من غير وجهٍ، إلّا أن حديث ابن مسعود لم نقف عليه بهذا السِّياق عند غير ابن إسحاق، وهو عنده بلاغٌ لم يسنده، وقد روى البزار في «مسنده» (١٥٦٨) والحاكم في «مستدركه» (٩٠٠٨) وغيرهما حديث ابن مسعود بغير هذا السياق، وفيه: أنّ النبيّ ﷺ صلَّى بالأنبياء جميعاً إلا هؤلاء النفر الثلاثة: إبراهيم وموسى وعيسى، إلّا أنّ إسناده ضعيف جدّاً.

وأما قصة إمامة النبيِّ ﷺ بالأنبياء، فقد ورد ذكرُها في حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عند مسلم في «صحيحه» (١٧٢) والنسائي في «الكبرى» (١١٤١٦)، وحديث عبد الرَّحمن بن هاشم ابن عتبة عن أنس بن مالك عند الطبري في «تفسيره» ١٤/ ٤٢٢-٤٢٣ والطحاوي في «مشكل الآثار» (٥٠٠٩) والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٣٦٢، وحديث يزيد بن أبي مالك عن أنس عند النسائي في «المجتبى» (٤٥٠)، وحديث أبي ظَبْيان عن ابن عباس عند أحمد (٢٣٢٤)، وحديث أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عند الحسن بن عَرَفة في «جزئه» (٦٩). فالخبر في ذلك صحيح إن شاء الله، وإن كان في بعض هذه الطرق المذكورة ضعفٌ إلا أن هذا الضعف يَنجبِر بانضمام بعضها إلى بعض.

وأمّا قصة اختيارِه ﷺ لإناء اللبن وشربِه منه ضمن الخبر عن الإسراء مطوَّلاً، فقد روي من حديث ثابت عن أنس عند أحمد (١٢٥٠٥) ومسلم (١٦٢)(٢٥٩)، وحديث قَتَادة عن أنس عند البخاري (٣٨٨٧) و(٥٦١٠)، وحديث سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة عند البخاري أيضاً =

قال ابن إسحاق: وحُدِّثتُ عن الحسنِ أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنا أنا نائمٌ في الحِجْر، جاءَني جبريلُ فهَمَزَني[1] بقَدَمِه، فجلستُ فلم أرَ شيئاً، فعُدْتُ لمَضجَعي، فجاءَني الثانيةَ فهَمَزَني بقدمِه، فجلستُ فلم أرَ شيئاً، فعدتُ لمَضجَعي، فجاءَني الثالثةَ فهَمَزَني بقدمِه، فجلستُ، فأَخَذَ بعَضُدِي فقمتُ معه، فخرج بي إلى باب المسجدِ، فإذا دابَّةٌ أبيضُ بينَ البغلِ والحمارِ، في فَخِذَيهِ جناحانِ يَحفِزُ[2] بهما رِجلَيهِ، يضعُ يدَه في مُنتهى طَرْفِه، فحَمَلَني عليه، ثمّ خرج معي لا يَفُوتُني ولا أَفُوتُه»[3].

= (٣٣٩٤) و(٤٧٠٩) ومسلم (١٦٨)، وحديث أبي العالية عن أبي هريرة عند البزار (٩٥١٨) والطبري في مسند ابن عباس من «تهذيب الآثار» ١/ ٤٣٨، وبعضهم يزيد فيه على بعض.

فأمّا الآنية الثلاثة، فقد ذُكرت كما هي عند ابن إسحاق ـ لبن وخمر وماء ـ في حديث أبي العالية عن أبي هريرة، وإسناده ليّن، وفي حديث عبد الرَّحمن بن هاشم عن أنس، وعبد الرَّحمن هذا لم نقف له على ترجمة فهو في عِداد المجاهيل، ووقعت أيضاً ثلاثةً في حديث قتادة عن أنس عند البخاري، لكن ذكر العسلَ مكان الماء، أما في حديث ثابت عن أنس فذكر إناءَين لا ثلاثة، وهما لبن وخمر، وكذلك وقع في حديث سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة، وفي مرسل الحسن البصري كما سيأتي لاحقاً عند ابن إسحاق، وهذا هو الراجح إن شاء الله تعالى، ورجّحه كذلك الإسماعيليُّ صاحب «المستخرَج على البخاري» كما ذكر ابن حجر في «الفتح» ١٧/ ٢٩٧، لكن ذهب هو فيه ١١/ ٤١٠ إلى الجمع بين هذه الروايات حتى جعلها أربعةَ آنيةٍ! والله تعالى أعلم.

وفي معنى اختيار النبيّ ﷺ للَّبن ونعتِه بالفِطرة قال أهل العلم: المراد بالفطرة هنا الاستقامة، وهي علامة الإسلام، وجُعِل اللبن علامةً عليها لكونه سهلاً طيّباً طاهراً نافعاً للشاربين سليم العاقبة، واللّبن أول ما يفتح الرضيعُ إليه فمه، فلذلك سُمّي فطرة؛ لأنه فَطَرَ جوفه، أي: شقَّه أولَ شيء، فالفُطور: الشُّقوق. انظر شرحَي البخاريّ لابن بطّال ٦/ ٦٧، والكرماني ١٤/ ٤٦.

(١) الهَمْز: الغمز والنَّخس.

(٢) أي: يحثُّ ويدفع.

(٣) إسناده ضعيف لإرساله، فالحسن: هو البصريُّ، والواسطة المبهَمة بينه وبين ابن إسحاق =

قال ابن إسحاق: وحُدِّثتُ عن قَتادة أنه قال: حُدِّثتُ أنّ رسول الله ﷺ قال: «لمّا دَنَوتُ منه لأَركَبَه شَمَسَ، فوَضَعَ جبريلُ يدَه على مَعرَفتِه[1]، ثم قال: ألا تَستَحِي يا بُراقُ ممّا تصنعُ، فواللهِ ما رَكِبَك عبدٌ لله قبلَ محمّدٍ أكرمُ عليه منه. قال: فاستَحْيا حتّى ارفَضَّ[2] عَرَقاً، ثمّ قَرَّ حتّى رَكِبتُه»[3].

قال الحسنُ في حديثه: فمضى رسولُ الله ﷺ ومضى جبريلُ معه، حتّى انتَهى به إلى بيت المَقدِس، فوَجَدَ فيه إبراهيمَ وموسى وعيسى في نفرٍ من الأنبياء، فأمَّهم رسولُ الله ﷺ فصلَّى بهم، ثم أُتِيَ بإناءَين، في أحدهما خمرٌ وفي الآخر لبنٌ، قال:

= سمّاها سلمةُ بن الفضل في روايته عن ابن إسحاق عند الطبري في «التفسير» ١٤/ ٤١٥-٤١٦ عمرَو بنَ عُبيدٍ، وعمرو هذا فيه مقالٌ وطعن فيه كثير من أهل الحديث.

وأمّا وصف البراق فصحيح دون ذكر الجناحين، يشهد له حديث أنس عند البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٢) (٢٥٩). وذكرُ الجناحين وقع للواقديِّ في أسانيد عند ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٨٢، والواقديُّ غير ثقة في الرواية عند أهل الحديث.

(١) شَمَسَ: جَمَحَ ونَفَر ومنع ظهرَه. والمَعرَفة: موضع العُرف من الفرس، وهو الشعر النابت في مَحدَب رقبتها.

(٢) أي: جرى وسال.

(٣) إسناده ضعيف بهذا السياق لإرساله وإبهام الواسطة بين ابن إسحاق وقتادة، وقد رواه بهذا اللفظ محمّد بن عمر الواقديّ عند ابن سعد ١/ ١٨٢ من حديث عبد الله بن عمرو وأمّ سلمة وعائشة وأمّ هانئ وابن عباس؛ وقال: دخل حديث بعضهم في حديث بعض. والوقديُّ ليس بثقة في رواية الحديث كما تقدّم مراراً.

وأمّا حديث قتادة، فقد روي بغير هذا السِّياق من حديثه عن أنسٍ عند أحمد (١٢٦٧٢)، والترمذي (٣١٣١)، وابن حبّان (٤٦)؛ قال أنس: إن النبي ﷺ أُتي بالبراق ليلة أُسريَ به مُسرَجاً مُلجَماً ليركبه، فاستَصعَب عليه، فقال له جبريل: ما يَحمِلُك على هذا؟! فوالله ما رَكِبَك أحدٌ قطُّ أكرمُ على الله منه، فارفَضَّ عَرَقاً. وإسناده صحيح.

فأَخَذَ رسول الله ﷺ إناءَ اللبن فشَرِبَ منه، وترك إناءَ الخمر، قال: فقال له جبريل: هُدِيتَ للفِطْرة، وهُدِيَت أمّتُك، وحُرِّمَت عليكم الخمرُ.

ثمّ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ إلى مكّة، فلمّا أصبَحَ غَدَا على قريشٍ فأخبرهم الخبر، فقال أكثرُ الناس: هذا واللهِ الإمْرُ[1] البيِّنُ، واللهِ إنّ العِيرَ لتُطرَدُ شهراً من مكّة إلى الشام مُدبِرةً، وشهراً مُقبِلةً، أفيذهبُ ذلك محمّدٌ في ليلة واحدة ويَرجِعُ إلى مكة؟! قال: فارتدَّ كثيرٌ ممّن كان أسلمَ، وذهب الناسُ إلى أبي بكر فقالوا له: هل لك يا أبا بكرٍ في صاحبك، يَزعُمُ أنّه قد جاء هذه الليلةَ بيتَ المَقدِس وصلّى فيه ورجع إلى مكّة! قال: فقال لهم أبو بكر: إنّكم تَكذِبون عليه، فقالوا: بلى، ها هو ذاك في المسجد يُحدِّث به الناس، فقال أبو بكر: واللهِ لَئِنْ كان قاله لقد صَدَق، فما تَعجُّبُكم من ذلك؟ فواللهِ إنّه ليُخبِرُني أنّ الخبر لَيأتيهِ من الله من السماء إلى الأرض في ساعةٍ من ليل أو نهار فأصدِّقُه، فهذا أبعَدُ ممّا تَعجَبُون منه، ثمّ أقبَلَ حتّى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبيَّ الله، أحدَّثتَ هؤلاء[2] أنّك جئتَ بيتَ المَقدِس هذه اللّيلة؟ قال: «نعم» قال: يا نبيَّ الله، فصِفْهُ لي، فإنّي قد جئتُه؛ قال الحسن: فقال رسول الله ﷺ: «رُفِعَ لي حتّى نَظَرتُ إليه» فجعل رسول الله ﷺ يَصِفُه لأبي بكر، ويقولُ أبو بكر: صَدَقتَ، أشهَدُ أنّك رسولُ الله، كلَّما وصف له منه شيئاً، قال: صدقتَ، أشهَدُ أنّك رسول الله، قال: حتّى إذا انتهى قال رسول الله ﷺ لأبي بكرٍ: «وأنتَ يا أبا بكرٍ الصِّدّيقُ»، فيومئذٍ سمّاه الصِّدّيق[3].

---

(١) الإمْر: العجيب المنكَر، كما في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾.

(٢) في (ص) و(م): هؤلاء القوم، وصحّح عليه في (ص).

(٣) إسناد خبر الحسن البصريّ ضعيف كما تقدّم، ووقع فيه حرفان منكران:

الأول: ذكر تحريم الخمر، وهي إنما حُرِّمت بعد ذلك بسنين في المدينة بعد أُحد، ووقع في =

قال الحسن: وأَنزل الله تعالى فيمن ارتَدَّ عن إسلامه لذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِى

= حديث أبي هريرة في هذا الخبر عند البزار (٩٥١٨) والطبري في «تفسيره» ١٤/ ٤٢٩ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٤٠١: أمَا إنّها ستَحرُم على أمّتك. وإسناده ليّنٌ.

والثاني: ذكر ارتداد ناس كثير من المسلمين بعد هذه الواقعة، وهذا لم يثبت ذكرُه إلا في هذا المرسل وفي مرسل الزهريّ عند عبد الرزاق في «مصنفه» ٥/ ٣٢٨(٩٧١٩)، وأحياناً يرويه الزهريُّ عن أبي سلمة وسعيد بن المسيب كما في «تفسير الطبري» ١٤/ ٤٢١، وروي مسنداً من حديثه عن عُروة عن عائشة عند الحاكم في «المستدرك» (٤٤٥٥)، وإسناده ضعيف.

ونكارة هذا الحرف في مخالفته ما ثبت وصحّ عند البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس في قصّة مساءلة هرقل لأبي سفيان بن حرب عن النبيِّ ﷺ وأصحابه ممّن أسلم من قريش، فعندما قال له هرقل: هل يرتدُّ أحد منهم سَخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قال له: لا؛ فلو حدث هذا الارتدادُ المزعوم، لكان من أشدِّ ما يَعِيب به أبو سفيان الإسلامَ آنذاك، والله أعلم.

وأمّا رفعُ بيت المَقدِس للنبيّ ﷺ حتّى نظر إليه، فقد صحَّ من حديث جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لمّا كذَّبَتني قريش ـ زاد بعض الرُّواة: حين أُسري بي إلى بيت المقدس ـ قمتُ في الحِجْر فجلَّى اللهُ لي بيت المقدس، فطَفِقتُ أُخبرهم عن آياته وأنا أنظرُ إليه». أخرجه البخاري (٣٨٨٦) و(٤٧١٠) ومسلم (١٧٠). وهذا ليس فيه ذكرٌ لسؤال أبي بكر للنبيِّ ﷺ أن يصفه، لكن وقع ذكرُه كذلك في حديث شدّاد بن أوس الأنصاريِّ عند البزار (٣٤٨٤) والطبري في مسند ابن عبّاس من «تهذيب الآثار» ١/ ٤٤٩ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٥٦-٣٥٧، وفي إسناده لِينٌ، ففيه راويان ليسا بذَينِك الثقتين، وقد استنكر منه الحافظُ ابن كثير في أول سورة الإسراء من «تفسيره» حروفاً هذا أحدها.

وأما تسمية أبي بكر من يومئذٍ بالصِّدّيق، فقد جاء في المراسيل المشار إليها سابقاً، لكن لم يقع فيها نسبةُ ذلك إلى النبيّ ﷺ على الخصوص. وانظر ما روي عن عليّ بن أبي طالب عند الحاكم في «المستدرك» (٤٤٥٣) و(٤٤٥٤).

وروى البخاري (٣٦٧٥) و(٣٦٨٦) و(٣٦٩٩) من حديث أنس: أن النبي ﷺ صعد أُحداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرَجَفَ بهم، فقال: «اثبُت أُحد، فإنما عليك نبيّ، وصِدِّيق، وشهيدان».

﴿أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

فهذا حديثُ الحسن عن مَسرَى رسول الله ﷺ، وما دَخَلَ فيه من حديث قَتَادة.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ آل أبي بكرٍ: أنّ عائشةَ زوجَ النبيِّ ﷺ كانت تقول: ما فُقِدَ جسدُ رسول الله ﷺ، ولكنَّ الله أَسرى برُوحِه[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنَس: أنَّ معاوية ابن أبي سفيان كان إذا سُئِل عن مَسرَى رسول الله ﷺ قال: كانت رُؤْيا من الله تعالى صادقةً[2].

فلم يُنكَرْ ذلك من قولهما، لقول الحسن: إنّ هذه الآيةَ نزلت في ذلك[3]؛ قولَ

---

(١) إسناده ضعيف لإبهام راويه عن عائشة واحتمال أن يكون مرسَلاً.

وهو في رواية يونس بن بكير من «السيرة» أيضاً عن ابن إسحاق ص٢٩٥، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١٤/ ٤٤٥ من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق كذلك.

بل الذي يدلُّ عليه صحيحُ قولها أنه بجسده، كما قال القاضي عياض في «الشفا» ١/ ١٩٤، وذلك لإنكارها أن تكون رؤياه لربِّه رؤيا عينٍ كما وقع في حديث مسروق بن الأجدع عنها عند البخاري (٤٨٥٥) ومسلم (١٧٧) حيث قالت له: من حدَّثك أن محمداً ﷺ رأى ربَّه فقد كذب، ولو كانت عندها مناماً لم تُنكِره.

(٢) يعقوب بن عتبة ثقة أحد العلماء بالسيرة، لكنه لم يدرك معاويةَ، فروايته عنه مرسلة.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١٤/ ٤٤٥ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

(٣) أي: في واقعة الإسراء، وهذا ما اتفق عليه الحُجّةُ من أهل التأويل: أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك، وإيّاه عَنَى اللهُ بها، كما قال الطبريُّ في «تفسيره» ١٤/ ٦٤٧.

وقد أخرج البخاريُّ في «صحيحه» (٣٨٨٨): أن ابن عباس كان يقول في هذه الآية: هي رؤيا عينٍ، أُرِيَها رسولُ الله ﷺ ليلةَ أُسريَ به إلى بيت المقدس.

الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾، ولقولِ الله تعالى في الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنِه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، ثمّ مضى على ذلك؛ فعرفتَ أنّ الوحيَ من الله يأتي الأنبياءَ أيقاظاً ونِياماً.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ - فيما بلغني - يقول: «تنامُ عيني وقلبي يَقْظانُ»[1]، واللهُ أعلم أيُّ ذلك كان قد جاءَه، وعايَنَ فيه ما عايَنَ من أمر الله، على أيِّ حالَيهِ كان، نائماً أو يقظانَ، كلُّ ذلك حقٌّ وصِدقٌ[2].

قال ابن إسحاق: وزَعَمَ الزُّهْريُّ عن سعيد بن المُسيّب: أن رسول الله ﷺ وَصَفَ لأصحابه إبراهيمَ وموسى وعيسى حين رآهم في تلك اللّيلة، فقال: «أمّا إبراهيمُ، فلم أرَ رجلاً أشبَهَ بصاحِبِكم ولا صاحبَكم[3] أشبَهَ به منه، وأمّا موسى فرجلٌ آدمُ طويلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ أَقْنى، كأنّه من رجال شَنُوءةَ، وأمّا عيسى ابنُ مريمَ فرجلٌ أحمرُ، بينَ القصيرِ والطويلِ، سَبِطُ الشَّعرِ، كثيرُ خِيلانِ الوجه، كأنَّه خرج من دِيماسٍ[4]، تَخَالُ رأسَه يَقطُرُ ماءً وليس به ماءٌ، أشبَهُ رجالِكم به عُرْوةُ بن مسعودٍ الثَّقَفيُّ»[5].

---

(١) حديث صحيح، رواه البخاري (١١٤٧) ومسلم (٧٣٨) من حديث عائشة أنّ النبيَّ ﷺ قال لها: «يا عائشة، إنّ عينيَّ تنامان ولا ينامُ قلبي».

(٢) تقدّم في أول هذا الفصل: أن جمهور السَّلف على أنه بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحقُّ.

(٣) يريد نفسه ﷺ.

(٤) الآدَمُ من الناس: الأسمر. والضَّرْب: الخفيف اللَّحم. والجَعْد: المتكسِّر الشَّعر. والأقنى: المُرتفِعُ قصبةِ الأنف. وشَنُوءة: قبيلة من الأزْد. والخِيلان: جمع خالٍ، وهو الشّامة.

والدِّيماس: الحَمّام، قال الصالحيّ في «سبل الهدى» ٣/ ١٦٨: والمراد من ذلك وصفُه بصفاء اللّون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه حتى كأنّه كان في موضع كِنٍّ فخرج منه وهو عَرْقان.

(٥) حديث صحيح، وقد روي مسنَداً من حديث الزهريّ عن سعيد عن أبي هريرة.

فقد أخرجه باللفظ الذي ساقه ابن إسحاق الطبريُّ في «تفسيره» ١٤/ ٤٤١، وفي مسند ابن =

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

صِفَة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام: وكانت صِفَةُ رسول الله ﷺ فيما ذَكَرَ عمرُ مولى غُفْرة، عن إبراهيم بن محمّد بن عليّ بن أبي طالبٍ قال: كان عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه إذا نَعَتَ النبيَّ ﷺ قال: لم يكن بالطويل المُمَّغِط، ولا القصيرِ المُتَردِّد، وكان رَبْعةً من القوم، ولم يكن بالجَعْدِ القَطَطِ ولا السَّبِط، كان جَعْداً رَجِلاً، ولم يكن بالمُطَهَّمِ ولا المُكَلثَم، وكان أبيضَ مُشرَباً، أدعَجَ العَينَين، أهدَبَ الأشْفار، جليلَ المُشَاشِ والكَتَد، دقيقَ المَسرُبة أجرَدَ، شَثْنَ الكَفَّين والقَدَمين، إذا مشى تَقلَّعَ كأنّما يمشي في صَبَبٍ، وإذا التَفَتَ التَفَتَ معاً، بين كَتِفَيهِ خاتَمُ النبوّة، وهو ﷺ خاتِمُ النبيِّين، أجودُ النّاسِ كفّاً، وأجرأُ النّاسِ صدراً، وأصدقُ النّاسِ لَهْجةً، وأَوفَى النّاسِ بذِمَّةٍ، وأليَنُهم عَرِيكةً، وأكرَمُهم عِشرةً[1]، من رآه بَدِيهةً هابَه، ومن خالَطَه أَحبَّه، يقول ناعِتُه: لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مِثلَه، صلَّى الله عليه وسلَّم[2].

= عباس من «تهذيب الآثار» ١/ ٤١٣-٤١٤، وأبو نعيم في «المستخرج على صحيح الإمام مسلم» (٤٢٧) من طريق مَعمَر، عن الزهريّ، عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة.

وأخرجه من هذا الوجه أيضاً بنحوه أحمد (٧٧٨٩)، والبخاري (٣٣٩٤) و(٣٤٣٧)، ومسلم (١٦٨). وانظر تتمة تخريجه وشواهده في «مسند أحمد».

(١) في (ت) و(غ): عشيرة. وعِشرةً أصحُّ، أي: معاشَرةً ومصاحبةً.

(٢) حديث حسن بطرقه، وهذا إسناد ضعيف لضعف عمر مولى غُفرة ولإرساله، فإن إبراهيم ابن محمد لم يدرك أيام جدّه عليٍّ، لكن روي بعضه من حديث عبد الله بن محمد بن عَقيل عن محمد بن عليٍّ والد إبراهيم عن عليٍّ كما سيأتي، فأغلب الظنِّ أن إبراهيم إنما سمعه من أبيه.

وأخرجه الترمذي في «جامعه» (٣٦٣٨) و«الشمائل المحمدية» (٧) من طريق عيسى بن يونس، عن عمر بن عبد الله مولى غُفرة، به.

وأخرجه مختصراً أحمد (٦٨٤) و(٧٩٦) من طريق حماد بن سلمة، عن عبد الله بن محمد =

قال ابن هشام: الكَتَدُ: ما بين الكتِفَين، والمَسرُبة: الشَّعر الذي ما بين الصَّدر إلى السُّرّة[1].

[تتمة أمر الإسراء والمعراج]

قال ابن إسحاق: وكان فيما بَلَغَني عن أمِّ هانئ بنت أبي طالبٍ ـ واسمها هندٌ ـ في

= ابن عقيل، عن محمد بن عليٍّ ـ وهو المعروف بابن الحنفيّة ـ عن أبيه عليّ. وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد من أجل ابن عقيل.

وأخرج نحوه أحمد (٧٤٤) و(٧٤٦)، والترمذي (٣٦٣٧)، وابن حبان (٦٣١١)، والحاكم (٤٢٣٩) من طريق نافع بن جُبير بن مُطعِم، عن عليٍّ. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وساق التِّرمذيُّ بإثره تفسير ألفاظه الغريبة عن الأصمعيّ فقال: المُمَّغِط: الذاهب طُولاً، وأمّا المتردِّد: فالداخل بعضُه في بعضٍ قِصَراً، وأمّا القَطَط: فالشديد الجُعودة (أي: في شعره) والرَّجِلُ: الذي في شعره حُجُونة، أي: ينثني قليلاً، وأما المُطهَّم: فالبادِنُ الكثيرُ اللّحم، وأمّا المُكلثَم: فالمُدوَّر الوجه، وأمّا المُشرَب: فهو الّذي في بياضه حُمْرة، والأدعَجُ: الشديد سواد العين، والأهدبُ: الطويل الأشفار، والكَتَدُ: مُجتمَع الكتِفَين، وهو الكاهل، والمَسرُبة: هو الشَّعر الدقيق الذي كأنّه قضيبٌ من الصَّدر إلى السُّرّة، والشَّثْن: الغليظ الأصابع من الكفَّين والقدمين، والتقلُّع: أن يمشيَ بقوة، والصَّبَب: الحُدور، نقول: انحدرنا من صَبُوب وصَبَب، وقوله: جليل المُشَاش: يريد رؤوس المَناكب، والعِشرة: الصُّحبة، والعَشِير: الصاحب، والبَدِيهة: المفاجأة، يقال: بَدَهتُه بأمر، أي: فَجَأتُه. اهـ

وأمّا العَريكة، فقال ابن الأثير في «النهاية»: الطَّبيعة، يقال: فلان ليّن العريكة، إذا كان سَلِساً مطاوعاً منقاداً قليل الخلاف والنُّفور.

وأمّا الأجرد: فهو الذي ليس على بَدَنه شعرٌ، قال ابن الأثير: ولم يكن كذلك، وإنما أراد به أن الشَّعر كان في أماكن من بدنه كالمَسرُبة والساعدَين والساقَين، فإنّ ضدَّ الأجردِ الأشعرُ، وهو الذي على جميع بدنه شعرٌ.

(١) تفسير ابن هشام هذا أثبتناه من (ش١) و(غ)، وليس في بقية النسخ.

مَسرَى رسول الله ﷺ أنّها كانت تقول: ما أُسرِيَ برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي، نام عندي تلك الليلةَ في بيتي، فصلَّى العشاءَ الآخرةَ ثم نام ونِمْنا، فلمّا كان قُبيلَ الفجرِ أهَبَّنا رسولُ الله ﷺ، فلمّا صلَّى الصبحَ وصلَّينا معه قال: «يا أمَّ هانئٍ، لقد صَلَّيتُ معكم العشاءَ الآخرةَ كما رأيتِ بهذا الوادي، ثمَّ جئتُ بيتَ المَقدِسِ فصلَّيتُ فيه، ثمَّ قد صلَّيتُ صلاةَ الغَدَاةِ معكم الآنَ كما تَرَينَ»، ثمّ قام ليخرجَ فأخذتُ بطَرَفِ ردائِه، فتَكشَّفَ عن بطنِه وكأنّه قُبْطيّةٌ[1] مَطْويّة، فقلت له: يا نبيَّ الله، لا تُحدِّثْ بهذا الناسَ فيكذِّبوك ويُؤْذوك، قال: «واللهِ لَأحدِّثَنَّهُموهُ».

قالت: فقلت لجاريةٍ لي حَبَشيّة: وَيحَكِ، اتْبَعي رسولَ الله ﷺ حتّى تسمعي ما يقول للنّاس وما يقولون له، فلمّا خرج رسولُ الله ﷺ إلى النّاس أخبرهم، فعَجِبوا وقالوا: ما آيةُ ذلك يا محمّد؟ فإنّا لم نَسمَعْ بمثل هذا قطُّ، قال: «آيةُ ذلك أنّي مَرَرتُ بعِيرِ[2] بني فلانٍ بوادي كذا وكذا، فأَنفَرَهم حِسُّ الدّابَّةِ، فنَدَّ لهم بَعيرٌ، فدَلَلْتهم عليه وأنا مُوجِّهٌ إلى الشّام، ثمَّ أقبَلْتُ حتّى إذا كنتُ بضَجْنانَ[3] مَرَرتُ بعِيرِ بني فلانٍ، فوَجَدتُ القومَ نِياماً، ولهم إناءٌ فيه ماءٌ قد غَطَّوا عليه بشيءٍ، فكَشَفتُ غِطاءَه وشَرِبتُ ما فيه، ثمَّ غَطَّيتُ عليه كما كانَ، وآيةُ ذلك أنَّ عِيرَهم الآنَ تَصَوَّبُ من البَيضاءِ ثَنِيّةِ التَّنعيمِ[4]، يَقدُمُها جملٌ أَورَقُ عليه غِرارَتانِ، إحداهما سوداءُ والأُخرى

---

(١) القبطيّة ـ بضم القاف وكسرها ـ: واحدة القَبَاطيّ، وهي ثياب بِيض رِقاق من كتّان وقطن تُصنَع بمصر، نسبة إلى القِبْط، وضم القاف في الثياب من تغيير النَّسب.

(٢) العِيرُ: جماعة الإبل.

(٣) ضَجْنان ـ بسكون الجيم وقد تُفتَح ـ: موضع شمال شرق مكة على بعد ٥٥ كم تقريباً على طريق المدينة المنوَّرة، ويسمّى اليوم: حَرّة المُحسِنيّة.

(٤) تَصوَّبُ، أي: تنزل من مكانٍ عالٍ. =

بَرْقاءُ[1]».

قالت: فابتَدَرَ القومُ الثَّنِيّةَ فلم يَلقَهم أولُ مِن الجَمَل كما وَصَفَ لهم، وسألوهم عن الإناءِ، فأخبروهم أنّهم وَضَعُوه مملوءاً ماءً ثمّ غَطَّوه، وأنّهم هَبُّوا فوجدوه مُغطًّى كما غَطَّوه ولم يجدوا فيه ماءً، وسأَلوا الآخرين وهم بمكّة، فقالوا: صَدَقَ والله، لقد أُنفِرْنا في الوادي الّذي ذَكَرَ ونَدَّ لنا بعيرٌ، فسَمِعْنا صوتَ رجلٍ يَدعُونا إليه، حتّى أخذناه[2].

= والثَّنيّة: الفُرجة بين جبلين، أو الطريق في الجبل. والتنعيم، ويُسمَّى المكان اليوم: العُمْرة، أو عُمْرة التنعيم؛ لأن الناس يُحرِمون بالعمرة منه، يقع في الجزء الغربيّ من مكّة المكرّمة على مسافة ٧ كم عن الحَرَم المكّيّ، ولا تُعرَف الثنيَّة اليوم باسم البيضاء.

(١) الأورق: الذي لونه بين الغُبرة والسواد. والبرقاء: التي فيها ألوان مختلفة. والغِرارة: وعاء كبير من صوف أو شعر ونحوهما يوضع فيها القمح وغيره.

(٢) حديث أم هانئ في الإسراء واهٍ منكر، وقد وصله سلمةُ بن الفضل في روايته عن ابن إسحاق عند الطبري في «تفسيره» ١٤/ ٤١٤ وبيَّن إسناده فقال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن السائب، عن أبي صالح باذام، عن أم هانئ بنت أبي طالب، في مسرى النبيّ ﷺ، أنها كانت تقول... وذكره مختصراً. وهذا إسناد تالف، محمد بن السائب ـ وهو الكلبيُّ ـ متَّهم بالكذب، وشيخه أبو صالح باذام ـ وهو مولى أمّ هانئ ـ ضعيف.

وذكره ابن حجر في ترجمة نبعة الحبشية من «الإصابة» وقال: فيه من المنكر أنّه صلَّى العشاء الآخرة والصبح معهم، وإنَّما فُرضت الصلاة ليلةَ المعراج، وكذا نومه تلك الليلةَ في بيت أم هانئ وإنّما نام في المسجد.

ورواه مطوَّلاً أبو يعلى في «معجمه» (١٠) من وجه آخر عن أبي صالح مولى أمّ هانئ، لكن فيه محمد بن إسماعيل الوساوسي شيخ أبي يعلى، متَّفق على ضعفه واتَّهمه البزّار بوضع الحديث.

ورواه من وجه ثالث الطبراني في «المعجم الكبير» ٢٤/ (١٠٥٩) من طريق عبد الأعلى بن أبي المساور، عن عكرمة، عن أم هانئ. وعبد الأعلى هذا متروك الحديث وكذّبه يحيى بنُ مَعِين. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ عن أبي سعيد الخُدْريّ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لمّا فَرَغتُ ممّا كان في بيتِ المَقدِس أُتِيَ بالمِعراجِ، ولم أرَ شيئاً قطُّ أحسنَ منه، وهو الّذي يَمُدُّ إليه ميِّتُكم عَينَيهِ إذا حُضِرَ، فأَصعَدَني صاحبي فيه حتّى انتَهى بي إلى بابٍ من أبوابِ السَّماءِ يقال له: بابُ الحَفَظةِ، عليه مَلَكٌ من الملائكةِ يقال له: إسماعيلُ، تحتَ يَدَيهِ اثنا عشرَ ألفَ مَلَكٍ، تحتَ يَدَيْ كلِّ مَلَكٍ منهم اثنا عشرَ ألفَ مَلَكٍ» قال: يقول رسول الله ﷺ حين حدَّث بهذا الحديث: «وما يَعلَمُ جنودَ ربِّك إلا هو. قال: فلمّا دَخَلَ بي قال: مَن هذا يا جبريلُ؟ قال: محمَّدٌ، قال: أوَقَد بُعِثَ؟ قال: نعم، قال: فدَعَا بخيرٍ»؛ وقاله[1].

= وقصّة الجمل الأورق في آخره رُوِيَت في حديث شدّاد بن أوس أيضاً عند البزار (٣٤٨٤) والطبري في مسند ابن عبّاس من «تهذيب الآثار» ١/ ٤٤٩ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٥٦-٣٥٧، وفي إسناده لِينٌ، ففيه راويان ليسا بذَينِك الثقتين، وتساهل البيهقيُّ جداً فصحّح إسناده، وقد استنكر منه الحافظ ابن كثير في أول سورة الإسراء من «تفسيره» حروفاً.

(١) أي: وقال ذلك الدعاء.

وهذا حديث واهٍ منكر، قد بيَّن إسنادَه سلمةُ بن الفضل الأبرش في روايته عن ابن إسحاق عند الطبري في «تفسيره» ١٤/ ٤٤١ وفي مسند ابن عباس من «تهذيب الآثار» له ١/ ٤٣٢-٤٣٣، فرواه من طريقه عن رَوْح بن القاسم، عن أبي هارون عُمارة بن جُوَين العَبْديّ، عن أبي سعيد الخُدْريّ. وأبو هارون العبديّ هذا متروك الحديث، ومن أهل الحديث مَن كذّبه كحمّاد بن زيد وابن مَعِين.

وهو بطوله الآتي مخرَّج عند عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٣٦٥-٣٧٠، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» كما في «بغية الباحث» للهيثميّ (٢٧)، والطبري في «تفسيره» ١٤/ ٤٣٦-٤٤١ وفي «تهذيب الآثار» ١/ ٤٢٧-٤٣١، والآجرّي في «الشريعة» (١٠٢٧)، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٩٠-٣٩٦ و٣٩٦، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣/ ٥٠٩-٥١٦ من طرق عن أبي هارون =

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ أهل العلم، عمَّن حدَّثه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «تَلقَّتْني الملائكةُ حين دخلتُ السماءَ الدُّنيا، فلم يَلقَني مَلَكٌ إلا ضاحكاً مُستبشِراً، يقولُ خيراً ويدعو به، حتّى لَقِيَني مَلَكٌ من الملائكةِ فقال مثلَ ما قالوا، ودَعَا بمِثلِ ما دَعَوْا به، إلّا أنه لم يَضحَكْ، ولم أرَ منه من البِشْرِ مثلَ الّذي رأيتُ من غيرِه، فقلتُ لجبريلَ: يا جبريلُ، مَن هذا المَلَكُ الّذي قال لي كما قالت الملائكةُ ولم يَضحَكْ، ولم أرَ منه من البِشْرِ مثلَ الّذي رأيتُ منهم؟ قال: فقال لي جبريلُ: أمَا إنّه لو ضَحِكَ إلى أَحدٍ كان قَبلَك، أو كان ضاحكاً إلى أَحدٍ بعدَك، لضَحِكَ إليك، ولكنَّه لا يَضحَكُ، هذا مالكٌ صاحبُ النّارِ».

فقال رسول الله ﷺ: «فقلتُ لجبريلَ ـ وهو من الله تعالى بالمكانِ الّذي وُصِفَ لكم ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:٢١] ـ: ألَا تأمُرُه أن يُرِيَني النّارَ؟ فقال: بَلَى، يا مالكُ، أَرِ محمّداً النّارَ، قال: فكَشَفَ عنها غِطاءَها، ففارَتْ وارتَفَعَت، حتّى ظَنَنتُ لتَأخُذَنَّ ما أَرى، قال: فقلت لجبريلَ: مُرْه فليَرُدَّها إلى مكانِها، قال: فأمَرَه، فقال لها: اخْبِي، فرَجَعَت إلى مكانِها الّذي خَرَجَت منه، فما شَبَّهتُ رُجوعَها إلّا وقوعَ الظِّلِّ،

= العبديّ، عن أبي سعيد الخدريّ.

وروي عن غير واحد عن أبي هارون العبديّ مقطّعاً، فانظر تمام تخريجه في «مستدرك الحاكم» طبعة الرسالة برقم (٤١٣١)، حيث روى منه رؤية النبيّ ﷺ ليوسف عليه السلام في السماء الثالثة من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق.

وأمّا المعراج، فلم يأت في الأحاديث الصحيحة التصريح ببيان كيفيّة عروجه ﷺ إلى السماء، لكن ظاهرها يُنبِئ عن أنّه كان على البُراق كما قال ابن حجر في «الفتح» ١١/ ٣٩٣، وهو الذي صرَّح به حذيفة بن اليمان فيما رواه عنه أحمد (٢٣٢٨٥) والترمذي (٣١٤٧) بإسناد حسنٍ، حيث قال: ما زايَلا (يعني جبريلَ والنبيَّ ﷺ) ظهرَ البُراق حتّى فُتحت لهما أبواب السماء، فرأَيا الجنةَ والنارَ ووَعْدَ الآخرة أجمعَ، ثمّ عادا عَودَهما على بَدْئهما.

حتّى إذا دَخَلَت من حيثُ خَرَجَت رَدَّ عليها غِطاءَها»[1].

وقال أبو سعيد الخُدْريُّ في حديثه عن رسول الله ﷺ قال[2]: «لمّا دخلتُ السماءَ الدُّنيا، رأيتُ بها رجلاً جالساً تُعرَضُ عليه أرواحُ بني آدمَ، فيقولُ لبعضِها إذا عُرِضَت عليه خيراً ويُسَرُّ به، ويقول: رُوحٌ طيِّبةٌ خَرَجَت من جسدٍ طيِّبٍ، ويقول لبعضِها إذا عُرِضَت عليه: أُفٍّ - ويَعبِسُ بوجهِه - روحٌ خبيثةٌ خَرَجَت من جسدٍ خبيثٍ، قال: قلتُ: مَن هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا أبوك آدمُ، تُعرَضُ عليه أرواحُ ذُرِّيَّتِه، فإذا مَرَّت به روحُ المؤمنِ منهم، سُرَّ بها وقال: روحٌ طيِّبةٌ خَرَجَت من جسدٍ طيِّبٍ، وإذا مَرَّت به روحُ الكافرِ منهم، أَفَّفَ منها وكَرِهَها وساءَه ذلك، وقال: روحٌ خبيثةٌ خَرَجَت من جسدٍ خبيثٍ[3].

---

(١) إسناده ضعيف لإبهام رواته. ولم نقف على هذا الخبر عند غير ابن إسحاق.

(٢) تقدّم آنفاً أنّ حديث أبي سعيد هذا واهٍ منكر، لكن صحَّ منه بعضُ حروفه، وسوف ننبّه على ما صحَّ منها أو ما في معناها فقط في مواضعها إن شاء الله تعالى.

(٣) الذي صحَّ في هذا المعنى ما جاء في حديث أبي ذرٍّ عند البخاري (٣٤٩) و(٣٣٤٢) ومسلم (١٦٣) عن النبي ﷺ قال في حديثه عن المعراج: «فلمّا علونا السماء الدنيا، فإذا رجل عن يمينه أسوِدة، وعن يساره أسوِدة، قال: فإذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَلَ شماله بكى، قال: فقال مرحباً بالنبيّ الصالح، والابن الصالح، قال: قلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسوِدة عن يمينه وعن شماله نَسَمُ بَنيهِ، فأهل اليمين أهل الجنة، والأسوِدة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر قِبلَ يمينه ضحك، وإذا نظر قِبلَ شماله بكى».

والظاهر أن المراد بالنَّسَم المرئيّة لآدم، هي التي لم تدخل الأجساد بعدُ، وهي مخلوقة قبل الأجساد، ومستقرُّها عن يمين آدم وشماله، وقد أُعلِمَ بما سيصيرون إليه، فلذلك كان يستبشر إذا نظر إلى من عن يمينه، ويحزن إذا نظر إلى من عن يساره، فإنّ أرواح الكفّار لا تفتح لها أبواب السماء كما هو نصُّ القرآن وكما جاء في غير ما حديث. وانظر «فتح الباري» ٢/ ٢٠٩-٢١٠.

قال: ثمّ رأيتُ رجالاً لهم مَشافِرُ كمشافِرِ الإبلِ، في أيديهم قِطَعٌ من نارٍ كالأَفهارِ[1]، يَقذِفُونها في أفواهِهم فتخرجُ من أدبارِهم، فقلت: مَن هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءِ أَكَلةُ أموالِ اليتامى ظُلْماً[2].

قال: ثمَّ رأيتُ رجالاً لهم بطونٌ لم أرَ مثلَها قطُّ بسَبيلِ آل فِرعونَ، يَمرُّون عليهم كالإبلِ المَهْيومةِ حين يُعرَضُون على النّار، يَطَؤُونهم لا يَقدِرونَ على أن يَتحوَّلوا من مكانِهم ذلك، قال: قلت: مَن هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءِ أَكَلةُ الرِّبا[3].

قال: ثمَّ رأيتُ رجالاً بين أيديهم لحمٌ سمينٌ طيِّبٌ إلى جنبِه لحمٌ غَثٌّ مُنتِنٌ، يأكلونَ من الغَثِّ المُنتِنِ، ويَتْرُكون السَّمينَ الطيِّبَ، قال: قلتُ: مَن هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءِ الّذينَ يَتْرُكون ما أَحلَّ اللهُ لهم من النِّساءِ، ويَذهَبُون إلى ما حَرَّمَ اللهُ عليهم منهنَّ. قال: ثمَّ رأيتُ نساءً مُعلَّقاتٍ بثُدِيِّهِنَّ، فقلت: مَن هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءِ اللّاتي أَدخَلْنَ على الرِّجالِ مَن ليس من أولادِهم»[4].

---

(١) المشافر: جمع مِشفَر، ومِشفرُ البعير: شَفَتُه. والأفهار: جمع فِهْر، وهو حَجَر على مقدار مِلء الكفّ.

(٢) يكفي في هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

(٣) سبيل آل فرعون: طريقهم ومَمَرّهم. والإبل المهيومة: العِطاش، والهُيَام: شدّة العطش.

والذي صحَّ في صورة آكل الرِّبا ما رواه سَمُرة بن جُندب في رؤيا رسول الله ﷺ - ورؤيا الأنبياء حقٌّ - وهو حديث طويل أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» (٧٠٤٧)، وفيه: أن النبيَّ ﷺ رأى رجلاً يسبح في نهر وعلى شطِّ النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، فإذا جاءه السابح يفتح له فاه فيُلقِمه ذلك الرجل حجراً، فينطلق يسبح ثم يرجع إليه، كلّما رجع إليه فتح له فاه فألقَمَه حجراً، فأُخبر النبيُّ ﷺ بأنّه آكل الرِّبا.

(٤) والذي صحَّ في وصف هؤلاء الزناة ما جاء في رؤيا النبيّ ﷺ من حديث سمرة بن جندب =

قال ابن إسحاق: وحدّثني جعفر بن عمرو، عن القاسم بن محمّد، أنّ رسول الله ﷺ قال: «اشتَدَّ غضبُ الله على امرأةٍ أَدخَلَت على قومٍ مَن ليس منهم، فأَكَلَ حَرائبَهم، واطَّلَعَ على عَوْراتِهم»[1].

ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخُدْريّ، قال: «ثمَّ أصعَدَني[2] إلى السماءِ الثانيةِ، فإذا فيها ابنا الخالةِ: عيسى ابنُ مريمَ، ويحيى بنُ زكريّا.

قال: ثمَّ أصعَدَني إلى السماءِ الثالثةِ، فإذا فيها رجلٌ صورتُه كصورةِ القمرِ ليلةَ البَدْرِ، قال: قلت: مَن هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا أخوك يوسفُ بنُ يعقوبَ.

قال: ثمَّ أصعَدَني إلى السماءِ الرابعةِ، فإذا فيها رجلٌ فسألتُه: مَن هو؟ قال: هذا إدريسُ» قال: يقول رسول الله ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم:٥٧].

قال: «ثمَّ أصعَدَني إلى السماءِ الخامسةِ، فإذا فيها كَهْلٌ أبيضُ الرّأسِ واللِّحيةِ، عظيمُ العُثْنُونِ[3]، لم أرَ كَهْلاً أجملَ منه، قال: قلت: مَن هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا

= المشار إليه آنفاً، وهو عند البخاري برقم (٧٠٤٧)، وفيه: أنّه ﷺ أَتى على مثل التنُّور فيه لَغَطٌ وأصوات فاطَّلَع فيه، فإذا فيه رجال ونساء عُراة، وإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفلَ منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهبُ ضَوْضَوْا (أي: صاحوا ورفعوا أصواتهم) فقيل له: إنّهم الزُّناة والزَّواني.

(١) مرسلٌ رجاله ثقات. جعفر بن عمرو: هو ابن أميّة الضَّمريّ المدني، والقاسم بن محمد: هو ابن أبي بكر الصِّدّيق، وهو من الوسطى من التابعين.

ويشهد له حديث أبي هريرة: أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية المُلاعَنة: «أيُّما امرأةٍ أدخَلَت على قوم من ليس منهم، فليست من الله في شيء، ولن يُدخِلَها الله جنّتَه». أخرجه أبو داود (٢٢٦٣) وابن ماجه (٢٧٤٣) وغيرهما بإسنادين ضعيفين.

والحرائب: جمع حَرِيبة، وهو مال الرجل الذي يعيش به.

(٢) في (ت) و(ش١) و(ق١): أصعد بي، هنا وفي المواضع التالية، وقُيِّد في (م) بالوجهين.

(٣) عظيم العُثنون، معناه: عظيم اللِّحية.

المُحبَّبُ في قومِه هارونُ بنُ عِمرانَ.

قال: ثمَّ أصعَدَني إلى السماءِ السادسةِ، فإذا فيها رجلٌ آدَمُ طويلٌ أَقنَى، كأنَّه من رجالِ شَنُوءةَ، فقلت: مَن هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا أخوكَ موسى بنُ عِمرانَ[1].

قال: ثمَّ أصعَدَني إلى السماءِ السابعةِ، فإذا فيها كَهلٌ جالسٌ على كُرسيٍّ إلى بابِ البيتِ المَعمُورِ، يَدخُلُه كلَّ يومٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ، لا يَرجِعونَ فيه إلى يومِ القيامةِ، لم أرَ رجلاً أشبَهَ بصاحبِكم ولا صاحبَكم أشبَهَ به منه، قال: قلت: مَن هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا أبوكَ إبراهيمُ[2].

قال: ثمَّ دَخَلَ بيَ الجنّةَ، فرأيتُ فيها جاريةً لَعْساءَ[3]، فسألتُها: لمَن أنتِ؟ وقد أعجَبَتْني حين رأيتُها، فقالت: لزيدِ بنِ حارِثةَ»، فبَشَّرَ بها رسولُ الله ﷺ زيدَ بنَ حارثةَ.

قال ابن إسحاق: ومن حديث عبد الله بن مسعودٍ عن رسول الله ﷺ فيما بَلَغَني: أنَّ جبريلَ لم يَصعَدْ به إلى سماءٍ من السَّماواتِ إلّا قالوا له حين يستأذنُ في دخولها: مَن هذا يا جبريلُ؟ فيقول: محمّدٌ، فيقولون: أوَقَد بُعِثَ إليه[4]؟ فيقول: نعم، فيقولون: حيّاهُ اللهُ من أخٍ وصاحبٍ، حتّى انتَهى به إلى السماءِ السابعةِ، ثمَّ انتَهى به إلى ربِّه عزَّ وجلَّ، ففَرَضَ عليه خمسينَ صلاةً كلَّ يومٍ[5].

---

(١) تقدم شرح مفردات هذه الفِقرة ص١٣.

(٢) ذكر هؤلاء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ومنازلهم في السماوات على ما في هذا الحديث صحيح، فقد رواه أحمد (١٢٥٠٥) ومسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك.

(٣) اللَّعس في الشِّفاه: حُمْرة تضرب إلى السّواد.

(٤) لفظة «إليه» من (ش١) و(م)، ولم ترد في سائر النسخ، والصواب إثباتها، فالذين يسألون هم حفظةُ أبواب السماوات من الملائكة، ومعنى: بُعِثَ إليه: أُرسِلَ إليه، كما وقع في حديث أنس عند البخاري (٣٤٩) ومسلم (١٦٢) في هذه القصة.

(٥) لم نقف على حديث ابن مسعود بهذه الأحرف التي ذكرها فيه ابن إسحاق، لكن أخرج =

قال[1]: قال رسول الله ﷺ: «فأقبلتُ راجعاً، فلمّا مَرَرتُ بموسى بنِ عِمرانَ ـ ونِعمَ الصاحبُ كان لكم ـ سألَني: كم فرضَ عليك من الصّلاةِ؟ فقلت: خمسينَ صلاةً كلَّ يومٍ، فقال: إنَّ الصّلاةَ ثقيلةٌ، وإنَّ أمَّتَك ضعيفةٌ، فارجِعْ إلى ربِّك فاسأَلْه أن يُخفِّفَ عنك وعن أمَّتِك، فرجعتُ فسألتُ ربِّي أن يخفِّفَ عنّي وعن أمّتي، فوَضَعَ عنّي عَشراً، ثمّ انصَرَفتُ فمَرَرتُ على موسى فقال لي مثلَ ذلك، فرجعتُ فسألتُ ربّي، فوَضَعَ عنّي عشراً، ثمّ رجعتُ فمَرَرتُ على موسى، فقال لي مثلَ ذلك، فرجعتُ فسألتُه فوَضَعَ عنّي عشراً، ثمّ لم يَزَلْ يقولُ لي مثلَ ذلك كلَّما رجعتُ إليه، فأَرجِعُ فأسألُ[2]، حتّى انتَهَيتُ إلى أنْ وَضَعَ ذلك عنّي، إلا خمسَ صَلَواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، ثمّ رجعتُ على موسى، فقال لي مثلَ ذلك، فقلتُ: قد راجعتُ ربِّي وسألتُه حتّى استَحيَيتُ منه، فما أنا بفاعلٍ، فمَن أدّاهُنَّ منكم إيماناً بهنَّ، واحتساباً لهنَّ، كان له أجرُ خمسينَ صلاةً». صلوات الله على محمّد وآله.

كفايةُ الله أمرَ المستهزئين

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ على أمرِ الله تعالى صابراً مُحتسِباً، مؤدِّياً

= أحمد (٣٦٦٥) ومسلم (١٧٣) وغيرهما من حديث مرّة الهَمْداني عن عبد الله قال: لمّا أُسري برسول الله ﷺ، انتُهي به إلى سِدْرة المنتهى... قال: فأُعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: أُعطي الصلواتِ الخمسَ، وأُعطي خواتيمَ سورة البقرة، وغُفِرَ لمن لم يشرك بالله من أمّته شيئاً المُقحِماتُ.

(١) أي: أبو سعيد الخدريّ، فهذا من تتمّة حديثه. وحديث أبي سعيد قد تقدّم آنفاً أنه واهٍ منكر، لكن هذه الفِقرة في قصّته ﷺ مع موسى عليه السلام في فرض الصلاة، قد صحَّت من حديث أنس عن أبي ذرّ الغِفاريّ عند البخاري (٣٤٩) ومسلم (١٦٣)، ومن حديث أنس أيضاً عن مالك بن صعصعة الأنصاريّ عند البخاري (٣٨٨٧) ومسلم (١٦٤).

(٢) في (ص) و(م) و(ي): فارجِعْ فسَلْ.

إلى قومه النّصيحةَ على ما يلقى منهم من التّكذيب والأذى والاستهزاء، وكان عظماءُ المستهزئينَ ـ كما حدّثني يزيدُ بن رُومانَ عن عُرْوة بن الزُّبير ـ خمسةَ نفرٍ من قومهم، وكانوا ذَوِي أسنانٍ وشرفٍ في قومهم: من بني أَسد بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ الأسودُ بن المُطَّلِب بن أسدٍ أبو زَمْعة، وكان رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ قد دعا عليه لِمَا كان يَبلُغُه من أَذاه واستهزائِه به، فقال: «اللهمَّ أَعمِ بَصَرَه، وأَثكِلْه وَلَدَه».

ومن بني زُهْرةَ بن كِلابٍ الأسودُ بن عبدِ يَغُوث بن وهب بن عبد مَنَاف بن زُهْرة، ومن بني مَخزُوم بن يَقَظة بن مُرّةَ الوليدُ بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ العاصِ بنُ وائل بن هِشَام ـ قال ابن هشام: العاصِ بن وائل بن هاشم[1] بن سُعَيد بن سَهْم ـ ومن خُزاعةَ الحارثُ ابن الطُّلاطِلَة بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو بن بُوَيّ[2] بن مِلْكان.

فلمّا تَمادَوْا في الشَّرِّ، وأكثَروا برسول الله ﷺ الاستهزاءَ، أنزل الله تعالى عليه ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٦].

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيدُ بن رُومان، عن عُرْوة بن الزُّبير أو غيره من العلماء: أنّ جبريل أَتى رسولَ الله ﷺ وهم يَطُوفونَ بالبيت، فقام وقام رسول الله ﷺ إلى جنبِه، فمرَّ به الأسودُ بن المُطَّلِب، فرَمَى في وجهه بورقةٍ خضراءَ، فعَمِيَ.

---

(١) وهذا هو الراجح فيه: هاشم، وانظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص١٦٣.

(٢) «بويّ» من (ص) و(م) و(ي) وضبّب عليها في (ص). وهو ثابت في عمود هذا النسب كما في «جمهرة الأنساب» لابن حزم ص٢٤٢، وقيّده ابن ماكولا في «الإكمال» ١/ ٣٧٤.

وقد ذهب الكلبيُّ فيما نقله عنه البلاذُريُّ في «أنساب الأشراف» ١/ ١٥٤ إلى أن هذا الخُزاعيّ المستهزئ اسمه مالك بن الطلاطلة وليس الحارث، وهو الذي اعتمده ابن حزم في «الجمهرة».

ومرَّ به الأسودُ بن عبدِ يَغُوثَ فأشار إلى بطنه، فاستَسقَى بطنُه فمات منه حَبَناً[1].

ومرَّ به الوليدُ بن المغيرة، فأشار إلى أثرِ جُرحٍ بأسفل كعبِ رِجْله كان أصابه قبل ذلك بسنين، وهو يَجُرُّ سَبَلَه[2]، وذلك أنّه مرَّ برجل من خُزَاعة يَرِيش نَبْلاً له، فتعلَّق سهمٌ من نَبلِه بإزاره فخَدَشَ في رجله ذلك الخَدْشَ وليس بشيءٍ، فانتَقَضَ[3] به فقتله.

ومرَّ به العاصِ بنُ وائل، فأشار إلى أخمَصِ رِجْله، فخرج على حمارٍ له يريد الطائفَ، فرَبَضَ به على شِبْرِقَة[4]، فدَخَلَت في أخمَصِ رجلِه شوكةٌ فقتلته.

ومرَّ به الحارثُ بن الطُّلاطِلة، فأشار إلى رأسه، فامتَخَضَ قيحاً[5] فقتله[6].

---

(١) الحَبَن: عِظَم البطن من الاستسقاء.

(٢) السَّبَل: فضول الثياب، وجرُّها من الكِبر والخُيَلاء.

(٣) أي: تجدّد الجرح بعدما دمل وبرئ.

(٤) رَبَضَ به، أي: جلس به. والشِّبْرِق: نبتٌ له شوك، وإذا يبس سُمِّي الضَّريع. والأخمص من باطن القدم: ما لم يُصِب الأرض.

(٥) أي: تحرّك القيح في رأسه وانتشر.

(٦) خبر هؤلاءِ المستهزئين قد رواه ابن إسحاق عن يزيد بن رُومان عن عروة بن الزبير مرسلاً، ويزيد وعروة كلاهما ثقة.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص٢٧٣، ورواه عن ابن إسحاق أيضاً سلمةُ بن الفضل عند الطبريّ في «تفسيره» ١٤/ ١٤٦-١٤٧، وإبراهيمُ بن سعد عند أبي نعيم في «دلائل النبوّة» (٢٠١-٢٠٢).

وروي نحوه عن ابن عبّاس عند الطبراني في «الأوسط» (٤٩٨٦)، والبيهقي في «السنن» ٩/ ٨، وفي «الدلائل» ٢/ ٣١٦-٣١٨، والضياء المقدسي في «المختارة» ١٠/ (٩٤). وقوّى إسناده الذهبيُّ في «مختصر سنن البيهقيّ»، وهو كما قال.

قصة أبي أُزيهِر الدَّوسيّ

قال ابن إسحاق: فلمّا حَضَرَت الوليدَ الوفاةُ دعا بَنيهِ، وكانوا ثلاثةً: هشامَ بن الوليد، والوليدَ بن الوليد، وخالدَ بن الوليد، فقال لهم: أيْ بَنيَّ، أُوصِيكم بثلاث، فلا تُضيِّعوا فيهنّ: دَمِي في خُزاعةَ فلا تَطُلُّنَّهُ[1]، واللهِ إنّي لأعلمُ أنّهم منه بُرآءُ، ولكنّي أَخشى أن تُسَبُّوا به بعدَ اليوم، ورِبايَ في ثقيفٍ، فلا تَدَعُوه حتّى تأخذوه، وعُقْري[2] عند أبي أُزَيهِرٍ الدَّوْسيّ، فلا يَفُوتنَّكم به؛ وكان أبو أُزيهِر قد زوَّجه بنتاً، ثمّ أمسَكَها عنه فلم يُدخِلْها عليه حتّى مات.

فلمّا هَلَكَ الوليدُ بن المغيرة، وَثَبَت بنو مخزومٍ على خُزَاعةَ يَلتمِسون منهم عَقْلَ الوليد[3]، وقالوا: إنّما قتله سَهمُ صاحبكم ـ وكان لبني كعبٍ حِلفٌ من عبد المُطَّلِب بن هاشم ـ فأَبَتْ عليهم خُزاعةُ ذلك حتّى تَقاوَلُوا أشعاراً، وغَلُظَ بينهم الأمرُ، وكان الذي أصاب الوليدَ سهمُه رجلاً من بني كعب بن عمرٍو من خُزاعة، فقال عبد الله بن أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزومٍ:

وإنّي[4] زعيمٌ أنْ تَسِيروا فتَهرُبوا ... وأنْ تَتركوا الظَّهْرانَ تَعْوي ثعالِبُهْ

وأنْ تَتركوا ماءً بجِزْعةِ أَطْرِقا ... وأنْ تَسألوا: أيُّ الأراكِ أطايِبُهْ[5]

---

(١) في (ص) و(م): تَطلُبُنّه، وصحّح عليها في (ص)، لكن قد صوَّب أحدُهم في حاشيتها ما أثبتناه من بقيّة النسخ بلا باءٍ، وهو الصواب الذي يدلّ عليه السياق. وطلُّ الدّم: هدرُه وإبطاله.

(٢) العُقْر: ديَةُ الفَرْج المغصوب.

(٣) أي: دِيَته.

(٤) هكذا في (ت) و(غ) بواو، فيصحُّ الوزن الشِّعريّ، وبإسقاطها يصير فيه خَرْم.

والزعيم: الضامن والكفيل.

(٥) أَطرِقا، بلفظ الأمر للاثنين: اسم عَلَمٍ لموضع بعينه من نواحي مكّة، ولا يعرف اليوم. =

فإنّـا أُنـاسٌ لا تُطَـلُّ دماؤُنـا[1] ولا يَتعـالَى صـاعداً مـن نُحارِبُـهْ

وكانت الظَّهرانُ وأَراكةُ[2] منازلَ بني كعب من خُزَاعة.

فأجابه الجَوْنُ بن أبي الجَوْن، أخو بني كعب بن عمرٍو الخُزَاعيّ، فقال:

واللهِ لا نُـؤْتي الوليـدَ ظُلامـةً ولمّـا تَـرَوا يومـاً تَـزُولُ كواكبُـهْ

ويُصرَعُ منكم مُسمِنٌ بعدَ مُسمِنٍ وتُفتَحُ بعدَ الموتِ قَسْراً مَشاربُهْ[3]

إذا مـا أكلتُم خُبـزَكم وخَزِيـرَكم فكلُّكـم بـاكي الوليـدِ ونادبُـهْ[4]

ثمّ إنَّ الناس تَرادُّوا وعرفوا أنَّما يخشى القومُ السُّبّةُ، فأعطتهم خزاعةُ بعضَ العَقْل، وانصرفوا عن بعضٍ، فلمّا اصطَلَحَ القومُ قال الجَونُ بن أبي الجَون:

وقائلـةٍ لمّـا اصـطَلَحْنا تَعجُّبـاً لِمـا قـد حَمَلْنـا للوليـدِ وقائـلِ

ألـم تُقسِـموا تُؤتُـوا الوليـدَ ظُلامـةً ولمّـا تَـرَوْا يومـاً كثيـرَ البلابـلِ[5]

= والجِزعة: مُنعَطَف الوادي.

(١) أي: لا تُهدَر بعدم الثأر لها.

(٢) الظَّهران: هو الذي يقال له: مرُّ الظَّهران، وهو وادٍ من أودية الحجاز يمرُّ شمال غرب مكة على قرابة ٢٢ كم، ويُسمَّى اليوم وادي فاطمة. وأراكةُ: لا بدَّ أنه موضع قريب منه ولا يُعرَف اليوم.

(٣) المُسمِن: السمين، أراد الشريف المُتـرَف من الناس. وقسراً، أي: قهراً. والمشارب: جمع مَشرُبة، وهي الغُرفة، كأنّه يريد أنه بعد أن يموت يتقاسم ورثته أمواله ومتاعه.

(٤) الخزيرة: طعام يُتَّخذ من لحم يُقطَّع صغاراً ويُصبُّ عليه ماء كثير، فإذا نَضِجَ ذُرَّ عليه الدقيق.

(٥) قوله: ألم تقسموا تؤتوا، أراد: أن تؤتوا، ومعناه: أن لا تؤتوا، كما جاء في التنزيل: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء:١٧٦]، يعني: أن لا تضلُّوا، في قول طائفةٍ. والبلابل: شدّة الهمِّ والوَسواس في الصدر.

فنحن خَلَطْنا الحربَ بالسِّلمِ فاستوَت ... فأَمَّ هَوَاهُ آمناً كلُّ راحلِ

ثمَّ لم ينتهِ الجَونُ بن أبي الجونِ حتّى افتَخَرَ بقتل الوليد وذكر أنّهم أصابوه، وكان ذلك باطلاً كلُّه، فلَحِقَ بالوليدِ وبولدِه وقومِه من ذلك ما حَذِروه، فقال الجَونُ ابن أبي الجَون:

ألَا زعَمَ المغيرةُ أنَّ كعباً ... بمكّةَ منهمُ قَدْرٌ كَثيرُ

فلا تَفخَرْ مُغيرَ بأنْ تَرانا ... بها يمشي المُعَلهَجُ والمَهِيرُ[1]

بها آباؤُنا وبها وُلِدْنا ... كما أَرسَى بمَثبَتِه ثَبِيرُ[2]

وما قالَ المغيرةُ ذاكَ إلّا ... ليَعلَمَ شأنَنا أو يَستَثِيرُ

فإنّ دمَ الوليدِ يُطَلُّ[3] إنّا ... نُطِلُّ دماءً أنت بها خبيرُ

كَساه الفاتكُ الميمونُ سَهماً ... ذُعافاً وهْوَ مُمتلئٌ بَهيرُ[4]

فخرَّ ببَطنِ مكّةَ مُسلَحِبّاً ... كأنّهُ عندَ وَجْبتِه بعيرُ[5]

سيَكفِيني مِطالَ أبي هشامٍ ... صِغارٌ جَعْدةُ الأَوبارِ خُورُ[6]

---

(١) المُعلهَج هنا: المطعون عليه في نسبه، وهو الأحمق أيضاً. والمَهِير: الصحيح النَّسب، يريد أنّ أمَّه حرّة بمَهْر.

(٢) أي: كما استقرَّ وثبت في مكانه ثبير، وهذا يقولونه للتأبيد. وثبير: جبل بمكة.

(٣) في (ت) و(ص) و(م): أُطِل، وفي (غ) و(ق١): طُلَّ. أي: أُهدِرَ.

(٤) ذعافاً: السمّ القاتل. والبهير: من البُهْر، وهو علوّ النَّفَس.

(٥) خرَّ: سقط. والمسلحِبّ: المتمدّد باستقامة. والوَجْبة: السقطة.

(٦) المِطال: المدافعة، وأبو هشام: كنية المغيرة والد الوليد. والأوبار: جمع وَبَرٍ، وهو معروف.

وقوله: صغار جعدة الأوبار، كذا وقع لابن إسحاق، وفي «المنمَّق في أخبار قريش» لمحمد =

قال ابن هشام: تركنا منها بيتاً واحداً أقذَعَ فيه[1].

قال ابن إسحاق: ثمّ عَدَا هشامُ بن الوليدِ على أبي أُزَيهِر وهو بسُوقِ ذي المَجَازِ[2] ـ وكانت عند أبي سفيان بن حربٍ بنتُ أبي أُزَيهِر[3]، وكان أبو أُزيهِر رجلاً شريفاً في قومه ـ فقتله بعُقْرِ الوليد الّذي كان عنده، لوصيّة أبيه إيّاه، وذلك بعد أن هاجَرَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة ومضى بدرٌ، وأُصيبَ به من أُصيبَ من أشراف قريشٍ من المشركين، فخرج يزيدُ بن أبي سفيانَ فجَمَعَ بني عبد مَنَافٍ وأبو سفيان بذِي المَجَاز، فقال الناس: أُخفِرَ أبو سفيان[4] في صِهْره، فهو ثائرٌ به.

فلمّا سمع أبو سفيان بالّذي صَنَعَ ابنُه يزيدُ ـ وكان أبو سفيان رجلاً حليماً مُنكَراً[5]، يحبُّ قومَه حبّاً شديداً ـ انحَطَّ سريعاً إلى مكّة، وخشيَ أن يكون بين قريشٍ حَدَثٌ في أبي أُزيهِر، فأَتى ابنَه وهو في الحديدِ في قومه من بني عبد مَنَاف والمُطيَّبين، فأخذ الرُّمحَ من يده ثمّ ضَرَبَ به على رأسه ضربةً هَدَّه منها، ثمّ قال: قبَّحك الله! أتريد أن تَضرِبَ قريشاً بعضَها ببعضٍ في رجلٍ من دَوْس، سنُؤتيهم

= ابن حبيب ص١٩٨: جِلادٌ جعدة الأوبار، وهو أوجهُ، فالجِلاد: هي الإبل الكِبار الغزيراتُ اللبن، والخُورُ كذلك معناه: الغزيرات اللبن، وهذا لا يتّفق مع وصفها بالصِّغار.

(١) أقذَعَ: أفحشَ في المقال، والقَذَع: الكلام الفاحش.

(٢) هو من أشهر أسواق العرب في الجاهلية، وكان يقام في شِعب في الطرف الشرقيّ لسهل المُغمَّس من جهة الشَّمال لجبل عرفات، وهو في شرقيّ مكة، ويبعد عنها قرابة ٢٠ كم، وكانت هذه السوق تقام ثمانية أيام في موسم الحجّ قبل يوم عرفة.

(٣) في (ش١) و(ي): عاتكة بنت أبي أزيهر. قلنا: وعاتكة هي أمُّ ولدي أبي سفيان: عَنبسَة ومحمَّد.

(٤) في (ص) و(م) و(ي): أخفر أبا سفيان. والخَفْر: الغدر ونقض العهد.

(٥) الرجل المُنكَر: الداهية الفَطِن.

العَقْلَ إن قَبِلُوه، وأطفأَ ذلك الأمرَ.

فانبَعَثَ حسّانُ بن ثابتٍ يُحرِّض في دم أبي أُزيهِرٍ ويُعيِّر أبا سفيان خُفْرتَه ويُجبِّنُه، فقال[1]:

غَدَا أهلُ ضَوجَيْ[2] ذي المَجازِ كِلَيهما ... وجارُ ابنِ حَرْبٍ بالمُغمَّسِ ما يَغدُو

ولم[3] يَمنَعِ العَيْرُ الضَّروطُ ذِمارَهُ ... وما مَنَعَت مَخزاةَ والِدِها هِندُ

كَساكَ هشامُ بن الوليدِ ثِيابَهُ[4] ... فأَبْلِ وأَخلِفْ مثلَها جُدُداً بَعدُ

قَضَى وَطَراً منه فأصبَحَ ماجداً ... وأصبحتَ رِخْواً ما تَخُبُّ وما تَعدُو[5]

فلو أنّ أشياخاً ببَدرٍ تَشاهَدُوا ... لَبَلَّ نِعالَ القومِ مُعتَبَطٌ وَرْدُ[6]

فلمّا بَلَغَ أبا سفيان قولُ حسّان، قال: يريد حسّانُ أن يضربَ بعضَنا ببعضٍ في رجل من دَوْس، بئسَ واللهِ ما ظنَّ!

---

(١) انظر «ديوانه» ١/ ٣٦٢، وبينه وبين رواية السِّيرة خلاف في بعض الحروف.

(٢) الغدوّ: السير أول النهار. والضَّوج: جانب الوادي وما انعطف منه.

(٣) في (ص) و(م) و(ي): ولن.

والعَير: الحِمار. والضَّروط: صيغة مبالغة من الضُراط. والذِّمار: كلُّ ما يلزم الرجلَ حمايتُه والدّفع عنه ويلام على إضاعته. وهندٌ المذكورة: هي ابنة أبي سفيان أخت معاوية وأمّ حبيبة.

(٤) أراد بالثِّياب العارَ الذي لحقه من هذه الحادثة.

(٥) قضى وطراً، أي: قضى هشامٌ حاجته من أبي أُزيهر فقتله، فأصبح بذلك ماجداً، أي: شريفاً في قومه لحفظه وصيّة أبيه، وأصبحت فيك يا أبا سفيان رخاوة وبلادة، والخَبَب: ضرب من جري الدابّة فيه سرعة.

(٦) تشاهدوا، أي: شهدوا ما حدث. والمعتبَط: الدم العبيط، أي: الطريّ، ويعني بالورد أنه أحمر كالورد.

ولمّا أسلَمَ أهلُ الطائف، كَلَّمَ رسولَ الله ﷺ خالدُ بن الوليدِ في ربا الوليدِ الذي كان في ثَقيفٍ، لِمَا كان أبوه أَوصاه به.

فذَكَرَ لي بعضُ أهل العلم: أنَّ هؤلاء الآياتِ من تحريم ما بقيَ من الرِّبا بأيدي الناس، نزلنَ في ذلك من طلبِ خالد بن الوليد ذلك الرِّبا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٧٨] إلى آخر القصّة فيها[١].

ولم يكن في أبي أُزَيهِرٍ ثأرٌ نعلمُه حتّى حَجَزَ الإسلامُ بين الناس، إلّا أنَّ ضِرارَ ابن الخطّاب بن مِرداسٍ الفِهْريَّ خرج في نفرٍ من قريش إلى أرض دَوْس، فنزلوا على امرأةٍ يقال لها: أمُّ غَيْلان، مولاةٍ لدَوْس، وكانت تَمشُطُ النساءَ وتجهِّز العرائسَ، فأرادت دَوسٌ قتلَهم بأبي أُزيهِر، فقامت دونهم أمُّ غَيلانَ ونِسوةٌ كنَّ معها حتّى مَنَعَتهم، فقال ضِرارُ بن الخطّاب في ذلك:

جزى اللهُ عنّا أمَّ غَيلانَ صالحاً ... ونِسوتَها إذ هنَّ شُعْثٌ عواطِلُ[٢]

فهنَّ دَفَعنَ الموتَ بعدَ اقترابِهِ ... وقدْ بَرَزَت للثّائرينَ المَقاتِلُ

دَعَت دعوةً دَوساً فسالَتْ شِعابُها ... بعزٍّ وأدَّتها الشِّراجُ القَوابلُ[٣]

وعَمراً جَزَاه اللهُ خيراً فما وَنَى[٤] ... وما بَرَدَت منه لديَّ المَفاصِلُ

---

(١) ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٤٥) من طريق إبراهيم بن سعد الزهريّ عن ابن إسحاق.

(٢) شُعْث: جمع شعثاء، وهي مفرَّقة الشَّعر مغبَرّته. وعواطل: جمع عاطلٍ، وهي من لم يكن عليها حليّ وزينة.

(٣) شعابها: جمع شِعب، وهو مَسِيل الماء بين جبلين. والشِّراج: مسايل الماء في الحَرّة. والقوابل: التي يقابل بعضُها بعضاً.

(٤) أي: فما ضعف وما فَتَرَ. وفي رواية الزبير بن بكار كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر ٢٤/ ٣٩٥: وعوفاً جزاه الله خيراً، ونقل عنه ابن حجر في ترجمة ضرار من «الإصابة»: أن عوفاً =

فجَرَّدتُ سيفي ثمَّ قمتُ بنَصلِهِ[1] وعن أيِّ نفسٍ بعدَ نفسي أُقاتِلُ

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة: أنَّ الّتي قامت دون ضرارٍ أمُّ جَميل، ويقال: أمُّ غَيْلان، قال: ويجوز أن تكون أمُّ غَيلان قامت مع أمِّ جميل فيمن قام دونَه.

فلمّا قام عمرُ بن الخطّاب أتته أمُّ جميل، وهي تُرَى أنه أخوه، فلمّا انتَسَبَت له عَرَفَ القصّة، فقال: إنّي لستُ بأخيه إلا في الإسلام، وهو غازٍ، وقد عرفتُ مِنَّتَكِ عليه؛ فأعطاها على أنّها ابنةُ سَبيلٍ.

قال ابن هشام: وكان ضِرارٌ لَحِقَ عمرَ بن الخطَّاب يوم أُحد، فجعل يضربُه بعَرْض الرُّمح ويقول: انجُ يا ابنَ الخطّابِ لا أَقتلُك، فكان عمرُ يَعرِفُها له بعد إسلامه.

وفاة أبي طالب وخديجة وما جَرَى قبل ذلك وبعده

قال ابن إسحاق: وكان النّفرُ الذين يُؤذُونَ رسولَ الله ﷺ في بيته: أبو لهبٍ، والحَكَمُ بن أبي العاص بن أُميّة، وعُقْبةُ بن أبي مُعَيط، وعَدِيُّ بن حمراءَ الثَّقَفيُّ، وابنُ الأَصْداءِ الهُذَليّ، وكانوا جِيرانَه، لم يُسلِمْ منهم أحدٌ إلّا الحَكَم بن أبي العاص، وكان أحدُهم ـ فيما ذُكِرَ لي ـ يَطرَحُ عليه ﷺ رَحِمَ الشاةِ وهو يصلِّي، وكان أحدُهم يَطرَحُها في بُرْمتِه إذا نُصِبَت له، حتّى اتَّخَذَ رسول الله ﷺ حِجْزاً[2] يستترُ به منهم إذا صلَّى، فكان رسول الله ﷺ إذا طَرَحُوا عليه ذلك الأَذى ـ كما حدّثني عمرُ ابن عبدالله بن عُرْوة عن عُرْوة بن الزُّبير ـ يَخرُج به رسولُ الله ﷺ على العُودِ فيَقِفُ به على بابه، ثمّ يقول: «يا بني عبدِ مَنَافٍ، أيُّ جِوَارٍ هذا؟!»، ثمّ يُلقِيه في الطريق[3].

= ولد أمِّ غيلان.

(١) نصل السيف: حدُّه.

(٢) البُرمة: القِدْر التي يطبخ بها. والحِجْز: الحاجز.

(٣) هذا الخبر المرسل محتملٌ للتحسين إن شاء الله، فعمر بن عبد الله حسن الحديث، =

قال ابن إسحاق: ثمَّ إنّ خَدِيجةَ بنت خُوَيلدٍ وأبا طالبٍ هَلَكا في عامٍ واحدٍ[1]، فتتابَعَت على رسول الله ﷺ المصائبُ بهُلْكِ خديجةَ، وكانت له وَزِيرَ صِدْقٍ على الإسلام يَسكُنُ إليها، وبهُلْكِ عمِّه أبي طالب، وكان له عَضُداً وحِرْزاً في أمرِه، ومَنَعةً وناصراً على قومِه، وذلك قبلَ مُهاجَرِه إلى المدينة بثلاثِ سنينَ[2]، فلمّا هَلَكَ أبو طالبٍ نالت قريشٌ من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تَطمَعُ به في حياة أبي طالب، حتّى اعتَرَضَه سَفِيهٌ من سُفهاءِ قريشٍ فنَثَرَ على رأسِه تراباً.

قال ابن إسحاق: فحدّثني هشامُ بن عُرْوة، عن أبيه عُرْوة بن الزُّبير قال: لمّا نَثَرَ ذلك السَّفيهُ على رأسِ رسول الله ﷺ ذلك التُّرابَ، دَخَلَ رسولُ الله ﷺ بيتَه والتّرابُ على رأسه، فقامت إليه إحدى بناتِه فجَعَلَت تَغسِلُ عنه التّرابَ وهي تبكي، ورسولُ الله ﷺ يقول لها: «لا تَبْكي يا بُنيّةُ، فإنَّ الله مانعٌ أباكِ»، قال: ويقول بينَ

= وأمّا جدُّه عروةُ فهو من أئمّة التابعين ومن أعلم الناس بالمغازي، وقد روى نحوَ هذا الخبر عنه موصولاً ابنُ سعد في «الطبقات» ١/ ١٧١ عن الواقديّ عن عبد الرَّحمن بن أبي الزِّناد عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة، وابن أبي الزّناد صدوق حسن الحديث، إلّا أنّ الواقديّ فيه مقال عند أهل الحديث، لكن روايته هذه لعلّها تَصلُح إن شاء الله شاهداً ومتابعاً لحديث ابن إسحاق.

وأمّا حديث ابن إسحاق مرسلاً، فقد رواه عنه أيضاً سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٤٣.

(١) وهو العام العاشر للبِعثة، وقد اشتَهر عند المتأخرين تسميةُ هذا العام بعام الحُزْن، ولا يصحُّ شيءٌ مأثورٌ في ذلك، ولم يذكره أصحاب السِّيَر الأوائل، وأوّلُ مَن عَلِمْنا ذَكَرَه ثعلبٌ عن ابن الأعرابيّ اللُّغَوي المتوفَّى ٢٣١هـ، ونَسَبَه إلى النبي ﷺ!! كما في «المحكم» لابن سِيدَه ٣/ ٢٢٥.

(٢) كما في حديث عروة بن الزبير ـ وخديجةُ هي عمّةُ أبيه ـ عند البخاري برقم (٣٨٩٦).

ووقع في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق عند البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٥٢-٣٥٣: أن موت خديجة كان بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام، والله أعلم.

ذلك: «ما نالَتْ منّي قريشٌ شيئاً أكرَهُه حتّى ماتَ أبو طالبٍ»[1].

قال ابن إسحاق: ولمّا اشتَكى أبو طالبٍ وبَلَغَ قريشاً ثِقَلُه، قالت قريشٌ بعضُها لبعضٍ: إنّ حمزة وعمر قد أسلَما، وقد فَشَا أمرُ محمّدٍ في قبائلِ قريش كلِّها، فانطَلِقُوا بنا إلى أبي طالبٍ فليأخُذْ لنا على ابن أخيه وليُعطِهِ منّا، فإنّا واللهِ ما نَأمَنُ أن يَبتَزُّونا أمرَنا[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني العبّاسُ بن عبد الله بن مَعبَد بن عبّاس، عن بعض أهلِه، عن ابن عبّاسٍ قال: مَشَوْا إلى أبي طالبٍ فكلَّمُوه، وهم أشرافُ قومه: عُتْبةُ بن رَبيعة، وشَيْبةُ بن رَبيعة، وأبو جهل بن هشام، وأُميّة بن خَلَف، وأبو سفيان بن حَرْب، في رجالٍ من أشرافهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنَّك منّا حيثُ قد عَلِمتَ، وقد حَضَرَك ما ترى، وتَخوَّفْنا عليك، وقد عَلِمتَ الّذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعُه فخُذْ لنا منه وخُذْ له منّا، ليَكُفَّ عنّا ونكفَّ عنه، وليَدَعَنا ودينَنا ونَدَعَه ودينَه.

فبَعَثَ إليه أبو طالبٍ فجاءَه فقال: يا ابنَ أَخي، هؤلاءِ أشرافُ قومك، قد اجتَمَعوا

---

(١) مرسل رجاله ثقات.

وأخرجه ابن قدامة المقدسيّ في «الرقّة والبكاء» ص١١٣ من طريق عبد الله بن سعيد الأُمويّ، عن زياد البكّائيّ، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٤٤ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

ورواه عبدُ الله بن إدريس الأَوديّ عند البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٣٥٠ ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٦/ ٣٣٨ ـ عن ابن إسحاق عمّن حدَّثه عن عروة بن الزبير عن عبد الله ابن جعفر قال: لمّا مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيه من سفهاء قريش... فذكره. فهذا إسناد متصلٌ، وكان يصحُّ لو لم يُبهَم فيه شيخ ابن إسحاق، إلا إن حُمِل على أنه هشام بن عروة نفسه، والله أعلم.

(٢) أي: يغلبونا على أمرنا.

لك ليُعطُوك وليأخُذُوا منك، قال: فقال رسول الله ﷺ: «نَعَم، كَلِمةٌ واحدةٌ تُعطُونيها، تَملِكُون بها العربَ، وتَدِينُ لكم بها العَجَمُ»، قال: فقال أبو جهل: نَعَم وأَبيك، وعَشْرَ كَلِمات، قال: «تقولون: لا إلهَ إلّا اللهُ، وتَخلَعُونَ ما تَعبُدونَ من دُونِه»، قال: فصَفَّقوا بأيديهم ثم قالوا: أتريدُ يا محمّدُ أن تجعلَ الآلهةَ إلٰهاً واحداً، إنّ أمرَك لعَجَبٌ! قال: ثمّ قال بعضُهم لبعضٍ: إنّه واللهِ ما هذا الرجلُ بمُعطِيكم شيئاً ممّا تريدون، فانطَلِقوا وامضُوا على دين آبائكم، حتّى يَحكُمَ اللهُ بينَكم وبينَه، قال: ثم تفرَّقوا.

فقال أبو طالبٍ لرسول الله ﷺ: واللهِ يا ابن أخي، ما رأيتُك سألتَهم شَطَطاً[1]، قال: فلمّا قالها أبو طالب طَمِعَ رسولُ الله ﷺ فيه[2]، فجعل يقول له: «أيْ عَمِّ، فأنتَ فقُلْها أَستحِلُّ لك بها الشَّفاعةَ يومَ القيامةِ»، قال: فلمّا رأَى حِرصَ رسولِ الله ﷺ عليه قال: يا ابن أخي، واللهِ لولا مَخافةُ السُّبّةِ عليك وعلى بَنِي أَبيك من بعدي، وأنْ تظنَّ قريشٌ أنّي إنَّما قلتُها جَزَعاً من الموت، لقلتُها، لا أقولُها إلّا لأَسُرَّكَ بها. قال: فلمّا تَقارَبَ من أبي طالبٍ الموتُ، نَظَرَ العبّاسُ إليه يُحرِّك شَفَتَيهِ، قال: فأَصغَى إليه بأُذنه، قال: فقال: يا ابن أخي، واللهِ لقد قال أخي الكلمةَ الّتي أمَرْتَه أن يقولَها، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لم أسمَعْ»[3].

---

(١) في (ت) و(ش١) و(ق١): شَحْطاً. والشَّحْط والشَّطَط: البُعد ومجاوزة الحدّ. وفي نسخة في حاشيتي (ص) و(م): سُخْطاً.

(٢) في (ق١): في إسلامه.

(٣) حديث حسنٌ دون آخره في قصة سماع العبّاس لأبي طالب يقول كلمة التوحيد، فهي ضعيفة مُنكَرة، ولم تأت إلّا في هذا الخبر، وإسناده ضعيف لإبهام وجهالة راويه عن ابن عبّاس، وقد جاء في صِحاح الأحاديث ما يخالفها وفي كون أبي طالب في ضحضاحٍ من النار.

وأما حديث ابن إسحاق هذا، فقد رواه عنه أيضاً يونسُ بن بكير في «السيرة» ص٢٣٨، =

= ومن طريقه أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٤٦، وابن عساكر في «تاريخه» ٦٦/ ٣٣١.

وقد روي الحديث بنحوه دون قصة العبّاس في آخره بإسناد محتمل للتحسين، فقد أخرجه أحمد (٢٠٠٨) و(٣٤١٩)، والترمذي (٣٢٣٢)، والنسائي في «الكبرى» (٨٧١٦) و(١١٣٧٢)، وابن حبان (٦٦٨٦) من طريق يحيى بن عُمارة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. ويحيى بن عمارة ـ وقيل: يحيى بن عبّاد، وقيل: عبّاد بن جعفر ـ فيه جهالةٌ، لكنّه يصلح الاعتبار به في المتابعات والشواهد، وقال الترمذي في حديثه هذا: حسن صحيح.

ويخالف قصةَ العبّاس هذه ما صحَّ عند البخاري (١٣٦٠) ومسلم (٢٤) من حديث سعيد بن المسيّب عن أبيه قال: لمّا حَضَرَت أبا طالب الوفاةُ جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أميّة بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أميّة: يا أبا طالب، أترغب عن مِلّة عبد المُطّلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المَقالةَ حتى قال أبو طالب آخر ما كلَّمهم: هو على مِلّة عبد المطّلب، وأَبَى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنهَ عنك»، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣]، وأنزل الله تعالى في أبي طالبٍ فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

وما صحَّ عند مسلم (٢٥) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: «قل: لا إله إلا الله، أَشهَد لك بها يوم القيامة» قال: لولا أن تعيِّرَني قريش يقولون: إنّما حَمَلَه على ذلك الجزعُ، لأقررتُ بها عينَك، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

وما صحَّ من حديث العبّاس نفسه عند البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩) أنّه قال للنبي ﷺ: ما أغنيتَ عن عمِّك؟ فإنه كان يَحُوطك ويغضبُ لك، قال: «هو في ضَحضاحٍ من نارٍ، ولولا أنا لكان في الدَّرْك الأسفل من النار». والضَّحضاح: هو الموضع القريب القعر، والمعنى أنه خُفِّف عنه شيء من العذاب.

قال: وأنزل الله عزَّ وجلَّ في الرَّهْط الّذين كانوا اجتمعوا إليه، وقال لهم ما قال، وردُّوا عليه ما ردُّوا: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يعنون النَّصارى لقولهم: إنّ الله ثالثُ ثلاثة ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ۝٧﴾، ثمّ هَلَكَ أبو طالب.

قال ابن إسحاق: فلمّا هَلَكَ أبو طالب نالَتْ قريشٌ من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنالُ منه في حياة عمِّه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يَلتمِسُ من ثَقيفٍ النُّصرةَ والمَنَعةَ بهم من قومه، ورجاءَ أن يَقبَلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى، فخرج إليهم وحدَه[1].

سفرُ رسول الله ﷺ إلى ثقيفٍ يطلب النُّصْرة

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن زياد[2]، عن محمّد بن كعب القُرَظيّ قال: لمّا انتهى رسولُ الله ﷺ إلى الطائف، عَمَدَ إلى نفرٍ من ثَقيفٍ، هم يومئذٍ سادةُ ثقيفٍ وأشرافُهم، وهم إخوة ثلاثة: عبدُ يالِيلَ بن عمرو بن عُمير، ومسعودُ بن عمرو بن

(١) كذا قال ابن إسحاق أن النبيّ ﷺ لم يكن معه في رحلته هذه إلى الطائف أحد من أصحابه، وخالفه الواقديُّ في ذلك، فروى ابن سعدٍ عنه في «طبقاته» ١/ ١٨٠ بإسناده إلى محمد بن جبير ابن مُطعِم: أنّه ﷺ كان معه زيدُ بن حارثة، وعليه جمهور أهل العلم من بعده كالبلاذُريِّ في «أنساب الأشراف» ١/ ٢٣٧ وابن الأثير في «أسد الغابة» ١/ ٢٦ وغيرهما، وأقام بالطائف ـ على ما في رواية الواقديِّ ـ عشرة أيام، لا يَدَعُ أحداً من أشرافهم إلّا جاءه وكلّمه، فلم يجيبوه.

(٢) في (ت) و(ص) و(م) و(ي): يزيد بن أبي زياد، وضبّب في (ص) على: أبي، والمثبت من (ش١) و(غ) و(ق١)، وهو مُختلَف في اسمه، لكن ابن إسحاق روى عنه في عدّة مواضع غير هذا دون زيادة لفظ «أبي» فيه.

عُمير، وحَبِيبُ بن عمرو بن عُمير بن عوف بن عُقْدة بن غِيَرةَ بن عوف بن ثَقيفٍ، وعند أحدهم امرأةٌ من قريشٍ من بني جُمَحَ، فجَلَسَ إليهم فدَعَاهم إلى الله، وكلَّمَهم بما جاءهم له من نُصرتِه على الإسلام والقيامِ معه على مَن خالَفَه من قومه، فقال له أحدهم: هو يُمرِّطُ ثيابَ الكعبة إن كان الله أرسَلَك، وقال الآخر: أمَا وَجَدَ اللهُ أحداً يُرسِلُه غيرَك! وقال الثالث: واللهِ لا أكلِّمُك أبداً، لئِنْ كنتَ رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظمُ خَطَراً من أن أردَّ عليك الكلام، ولئِنْ كنتَ تَكذِبُ على الله، ما ينبغي لي أن أكلِّمَك.

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يَئِسَ من خيرِ ثقيف[1].

وقد قال لهم ـ فيما ذُكِر لي ـ: «إذْ فَعَلتُم ما فَعَلتُم، فاكتُمُوا عنّي»، وكَرِهَ رسولُ الله

---

(١) إلى هنا انتهى خبرُ محمد بن كعب القرظيّ مرسلاً، وما بعده فهو من إرسالات ابن إسحاق وله في بعضها إسناد سنذكره في موضعه. وأمّا محمد بن كعب فثقة من علماء التابعين، ويزيدُ الراوي عنه ـ وهو المدني مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزوميّ، وقيل: مولى بني هاشم ـ لا بأس به.

وهذا الخبر عن الطائف وما بعده عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٤٤-٣٤٦ من رواية سلمة بن الفضل الأبرش عن ابن إسحاق.

وقصة عرضِه ﷺ الإسلامَ على سادة ثقيفٍ المذكورين وصدِّهم له وقصة عدّاس الآتية لاحقاً دون الدعاء المذكور هناك، رواهما عروة بن الزبير وابن شهاب الزهريّ مرسلَتين أيضاً كما في «دلائل النبوة» لأبي نعيم (٢٢١) و«دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٤١٤-٤١٦، وبهذه المراسيل يتقوّى الخبر فيهما.

وليس في قصة عدّاس في هذه المراسيل ما يشير إلى إسلامه صراحةً، ومع ذلك ذكره ابن منده وأبو نعيم في الصحابة كما في «أسد الغابة» لابن الأثير ٣/ ٥٠١، وانظر «الإصابة» لابن حجر ٤/ ٤٦٦-٤٦٧.

ﷺ أن يَبلُغَ قومَه عنه، فيُذئِرَهم ذلك عليه ـ قال ابن هشام: قال عَبيد بن الأبرَصِ[1]:

ولقــدْ أَتــاني عــن تَمــيمٍ أنّهــمْ ذَئِــروا لقَتلَــى عــامرٍ وتَغضَّــبُوا[2]

وفي حديث النبيِّ ﷺ: ذَئِرَ النساءُ على أزواجِهنَّ، فأَمَر رسولُ الله ﷺ بضربِهنَّ[3] ـ فلم يفعلوا، أَغرَوْا به سفهاءَهم وعبيدَهم يَسبُّونه ويَصِيحون به، حتّى اجتمع عليه الناسُ وأَلجَؤُوه إلى حائطٍ[4] لعُتْبة بن رَبِيعة وشَيْبة بن ربيعة، وهما فيه، ورَجَعَ عنه من سفهاء ثقيفٍ من كان يَتبَعُه، فعَمَدَ إلى ظِلِّ حَبَلةٍ[5] من عِنَب، فجلس فيه،

---

(١) انظر «ديوانه» ص٦، وهذا البيت من قصيدة يعدّد فيها الشاعر مآثر قومه بني أَسد بن خزيمة وشدّتهم على أعدائهم.

(٢) الذائر: هو المغتاظ على خصمه، المجترئ عليه في إيذائه.

والمراد بعامرٍ هنا: بنو عامر بن صعصعة من هوازن، وكانت بنو أسدٍ أوقَعَت بهم هزيمةً في يوم من أيام العرب في الجاهلية يسمَّى يوم النِّسَار، وانظر حديث هذا اليوم في «شرح نقائض جرير والفرزدق» لأبي عبيدة معمر بن المثنَّى ٢/ ٤١٣.

(٣) من قوله: «قال ابن هشام» إلى هنا ليس في (ت) و(غ) و(ق١)، وهو من (ش١) و(ص) و(م) و(ي) غير الحديث المذكور فمن (ي) وحدها.

والحديث أخرجه أبو داود (٢١٤٦)، وابن ماجه (١٩٨٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٢٢)، وابن حبان (٤١٨٩)، والحاكم (٢٨٠٠) و(٢٨٠٩) من حديث إياس بن عبد الله بن أبي ذُبابٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماءَ الله» فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ذَئِرَ النساءُ على أزواجهنّ، فرخَّص في ضربهنّ، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساءٌ كثيرٌ يَشكُون أزواجهنّ، فقال النبيّ ﷺ: «لقد طافَ بآل محمّدٍ نساءٌ كثيرٌ يَشكُون أزواجَهنّ، ليس أُولئك بخِيارِكم». وإسناده صحيح.

وقوله: «ليس أولئك» أي: الذين يضربون نساءَهم.

(٤) أي: بُستان.

(٥) الحَبَلة: الأصل أو القَضيب من شجر الأعناب.

وابنا رَبيعة يَنظُران إليه، ويَرَيانِ ما لقيَ من سفهاءِ أهل الطائف، وقد لقيَ رسولُ الله ﷺ ـ فيما ذُكِرَ لي ـ المرأةَ التي من بني جُمَحَ فقال لها: «ماذا لَقِينا من أَحْمائِك[1]؟!».

فلمّا اطمأنَّ، قال ـ فيما ذُكِرَ لي ـ: «اللهمَّ إليك أَشكُو ضعفَ قوَّتي، وقِلّةَ حِيلَتي[2]، وهَوَاني على النّاس، يا أَرحمَ الرّاحمِينَ، أنت ربُّ المُستَضعَفِينَ، وأنت ربِّي، إلى مَن تَكِلُني، إلى بعيدٍ يَتجَهَّمُني[3]، أم إلى عدوٍّ ملَّكتَه أَمْري، إن لم يَكُن بك عليَّ غضبٌ فلا أُبالي، ولكنْ عافِيَتُك هي أوسَعُ لي، أعوذُ بنُورِ وجهِك الّذي أشرَقَت له الظُّلُماتُ، وصَلَحَ عليه أمرُ الدُّنيا والآخرةِ من أن تُنزِلَ بي غَضَبَك، أو تُحِلَّ عليَّ سَخَطَك، لك العُتْبَى[4] حتّى تَرضَى، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بك»[5].

---

(١) الأحماء: أقارب الزّوج.

(٢) حيلتي، معناه: تدبيري لنفسي.

(٣) أي: يلقاني بالغِلظة والوجه الكريه.

(٤) العُتبى: الرجوع بالتوبة والاستغفار ممّا تكره إلى ما تحبُّ.

(٥) هذا الدعاء لم يسنده ابن إسحاق في رواية زياد البكّائيّ هذه عنه، وقد جاء مُسنَداً في رواية جرير بن حازم عنه فيما أخرجه الطبرانيُّ في «المعجم الكبير» (١٤٧٦٤) وفي «الدعاء» (١٠٣٦) ـ ومن طريقه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (١٨٣٩)، وقِوام السنّة في «الحجّة في بيان المحجّة» (٤٦٢)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» ٩/ (١٦١-١٦٢) ـ وابنُ عديٍّ في «الكامل» ٦/ ١١١ ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» ٤٩/ ١٥٢ ـ كلاهما (الطبراني وابن عدي) من طريقين عن وهب بن جَرير قال: حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر قال: لمّا توفي أبو طالبٍ خرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشياً على قدميه، فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فانصرف فأتى ظلَّ شجرة، فصلّى ركعتين ثم قال... وذكره.

وهذا من مراسيل الصحابة، فعبد الله بن جعفر ـ وهو ابن أبي طالب ـ من صغار الصحابة ولم يدرك زمن هذه الحادثة، لكن مراسيل الصحابة حُجّة باتِّفاقٍ، ولولا أنَّ ابن إسحاق رواه =

قال: فلمّا رآه ابنا رَبِيعة ـ عُتْبةُ وشَيْبةُ ـ وما لقيَ، تَحرَّكَت له رَحِمُهما[1]، فدَعَوَا غلاماً لهما نصرانيّاً يقال له: عَدّاس، فقالا له: خذ قِطْفاً من هذا العِنَب فضَعْه في هذا الطَّبَق، ثم اذهب به إلى ذلك الرَّجل فقل له يأكلُ منه، ففعل عدّاسٌ ثمّ أقبَلَ به حتّى وَضَعَه بين يَدَيْ رسول الله ﷺ، ثمّ قال له: كُلْ، فلمّا وَضَعَ رسولُ الله ﷺ فيه يدَه قال: «باسمِ الله» ثمّ أكل، فنَظَرَ عدّاسٌ في وجهه ثمّ قال: واللهِ إنّ هذا الكلام ما يقولُه أهلُ هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: «ومِن أهلِ أيِّ البلادِ أنت يا عَدّاسُ، وما دِينُك؟» قال: نصرانِيٌّ، وأنا رجل من أهل نِينَوى[2]، فقال رسول الله ﷺ: «أمِن قريةِ الرَّجلِ الصالحِ يونُسَ بنِ مَتَّى؟!» فقال له عدّاس: وما يُدريكَ ما يونسُ بن متَّى؟ قال رسول الله ﷺ: «ذاكَ أَخي، كان نبيّاً وأنا نبيٌّ»، فأَكَبَّ عدّاسٌ على رسول الله ﷺ يقبِّل رأسه ويديه وقدميه.

قال: يقول ابنا ربيعة أحدُهما لصاحبه: أمّا غلامُك، فقد أفسَدَه عليك، فلمّا جاءهما عدّاسٌ قالا له: وَيلَك يا عدّاسُ! ما لك تُقبِّلُ رأسَ هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيّدي، ما في الأرض شيءٌ خيرٌ من هذا، لقد أخبرني بأمرٍ ما يعلمُه إلا نبيٌّ، قالا: وَيحَك[3] يا عدّاس، لا يَصرِفَنَّك عن دينِك، فإنّ دينَك خيرٌ من دينه[4].

= بالعنعنة لحكمنا له بالقوّة والصحّة، ولكنّه متَّهم بالتدليس، وهشام بن عروة وإن كان من شيوخه، إلا أنّه لم يصرِّح ـ فيما وقفنا عليه ـ بسماع هذا الحديث منه، فالإسناد ضعيف.

(١) أي: صلة القرابة التي بينهم، فهذان من بني عبد شمس بن عبد مناف.

(٢) نينوى مدينة آشوريّة قديمة شمال العراق، وهي اليوم أطلال وآثار على الضفّة اليمنى لنهر دجلة شرق مدينة الموصل، تبعد عن بغداد ٣٣٠ كم تقريباً.

(٣) في (ش١) و(ص) و(غ): ويلك.

(٤) تقدم الكلام على خبر قصة عدّاس قريباً ص٣٩.

أمرُ الجنّ ونزول قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وإذْ صَرَفْنا إليكَ نَفَراً منَ الجِنِّ﴾

ثمّ إنَّ رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكّة، حين يَئِسَ من خير ثَقِيف، حتّى إذا كان بنَخْلةَ قام من جوف اللّيل يُصلِّي، فمرَّ به النَّفرُ من الجنِّ الّذين ذَكَرَ اللهُ تبارك وتعالى، وهم ـ فيما ذُكِرَ لي ـ سبعةُ نفرٍ من جنِّ أهل نَصِيبين[1]، فاستَمَعُوا له، فلمّا فَرَغَ من صلاته وَلَّوْا إلى قومهم مُنذِرين، قد آمَنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقَصَّ اللهُ خَبَرَهم عليه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ إلى قوله: ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣١]، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن:١] إلى آخر القصّة من خبرهم في هذه السُّورة[2].

---

(١) تقدم التعريف بها ١/ ٢٤٢.

(٢) خبر الجن هذا ذكره ابن إسحاق مرسلاً لم يسنده، وهكذا رواه عنه أيضاً إبراهيم بن سعد الزهريّ عند أبي نعيم في «دلائل النبوة» (٢٥٩). وهو ضعيف منكر بهذا السياق، وقد خَلَطَ فيه ابن إسحاق بين حادثتين:

الأولى: استماع نفر من الجنّ لقراءة رسول الله ﷺ، وهذه لم تكن في رجوعه من الطائف، ففي البخاريِّ (٧٧٣) و(٤٩٢١) ومسلم (٤٤٩) عن ابن عباس: أنّ النبيَّ ﷺ انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكَاظ، وقد حِيلَ بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشُّهب، فصرف الله إليه وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر بنخلة نفراً من الجنِّ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، وفي هذه الحادثة إنّما أُوحيَ إلى النبيّ ﷺ قولُ الجنّ كما قال ابن عباس.

ففي هذا الخبر أنه ﷺ كان في أصحابه، وفي رحلته إلى الطائف لم يكن معه على الراجح =

عرضُ رسول الله ﷺ نفسَه على القبائل

قال ابن إسحاق: ثمّ قَدِمَ رسول الله ﷺ مكّةَ وقومُه أشدُّ ما كانوا عليه من خلافه وفِراقِ دينه، إلّا قليلاً مُستضعَفين ممّن آمَنَ به، فكان رسول الله ﷺ يَعرِضُ نفسَه في المواسم - إذا كانت - على قبائل العرب يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنّه نبيٌّ مُرسَل، ويسألُهم أن يُصدِّقوه ويَمنَعوه حتّى يُبيِّن عن الله ما بَعَثَه به.

قال ابن إسحاق: فحدّثني من أصحابنا مَن لا أتَّهِم، عن زيد بن أسلَمَ، عن رَبِيعة ابن عَبَّاد الدِّيليّ، ومَن[1] حدَّثه أبو الزِّناد عنه.

قال ابن هشام: رَبِيعة بن عِبَاد[2].

= غير زيد بن حارثة، وفيه أيضاً أنه كان عامداً إلى سوق عُكاظ، وفي الطريق إليها استمع له النفر من الجنّ بنخلة، ونخلةُ بين مكة وعكاظ، ومعنى ذلك أنه كان خارجاً من مكة إلى عكاظ، ونخلة تقع شمال شرق مكّة على قرابة ٤٥ كم، أما عكاظ فيقع في الشمال الشرقيّ من الطائف على قرابة ٣٥ كم منها.

الثانية: النفر من جنّ نصيبين إنما جاؤوه ﷺ وجلسوا إليه فقرأ عليهم القرآن، وسألوه الزاد فقال: «لكم كل عَظْم ذُكِر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفرَ ما يكون لحماً، وكل بَعْرة علفٌ لدوابِّكم»، على ما في حديثي ابن مسعود عند مسلم (٤٥٠)، وأبي هريرة بنحوه عند البخاري (٣٨٦٠). وهذه الحادثة كانت في مكة ناحية حراء على ما في حديث ابن مسعود، والله تعالى أعلم.

(١) في (ص) و(م): أو من.

(٢) قول ابن هشام هذا سقط من (ص) و(م)، وأشار إليه في حاشية (م) من نسخة أخرى.

وعِبَاد، بكسر العين وتخفيف الباء، هو الأشهر الأكثر في تقييده كما قال ابن الأثير في «أسد الغابة» ٢/ ٦١.

وأمّا نسبته، فهي إلى الدُّئِل حيٍّ من كِنانة، وهو بضم الدال وكسر الهمزة، وفُتحت الهمزة في =

قال ابن إسحاق: وحدّثني حسينُ بن عَبد الله بن عُبيد الله بن عبّاس قال: سمعت ربيعةَ بن عبّاد يحدِّثه أَبي، قال: إنّي لغلامٌ شابٌّ مع أَبي بمِنًى، ورسولُ الله ﷺ يَقِفُ على منازلِ القبائل من العرب فيقول: «يا بَنِي فُلانٍ، إنّي رسولُ الله إليكم، يَأمُرُكم أنْ تَعبُدوا اللهَ ولا تُشرِكُوا به شيئاً، وأنْ تَخلَعُوا ما تَعبُدونَ من دُونِه من هذِه الأَندادِ، وأن تُؤمِنُوا بي وتُصدِّقُوني وتَمنَعُوني حتَّى أُبيِّنَ عن اللهِ ما بَعَثَني به».

قال: وخلفَه رجلٌ أحولُ وَضِيءٌ، له غَدِيرتانِ[1]، عليه حُلّة عَدَنيّة، فإذا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بني فلان، إنَّ هذا إنّما يَدعُوكم أن تَسلَخُوا اللّاتَ والعُزَّى من أعناقكم، وحلفاءَكم من الجنِّ من بني مالك ابن أُقَيش، إلى ما جاء به من البِدْعة والضَّلالة، فلا تُطِيعوه ولا تَسمَعوا منه، قال: فقلت لأَبي: يا أبتِ، مَن هذا الرجلُ الذي يَتبَعُه ويردُّ عليه ما يقول؟ قال: هذا عمُّه عبد العُزَّى بن عبد المُطَّلِب، أبو لَهَب[2].

= النسبة كراهية توالي الكسرات فقالوا: الدُّؤَليّ، وهذا قول سيبويه وابن السِّكّيت والأخفش وغيرهم، وهو الذي اختاره السمعاني في «الأنساب»، وذكر فيه ٥/ ٣٦٦ عن محمد بن إسحاق وجماعة أنهم كانوا يقولون فيه: الدِّيل، بكسر الدال وسكون الياء، وينسبون إليه: الدِّيليّ.

قلنا: وقد اختلف رسمها في نسخنا الخطية، فكُتبت في (ت) و(ش١) و(غ) و(ق١) بالواو، وفي (ص) و(م) و(ي) بالياء، وأثبتنا الأخيرة لموافقتها ما ذكر السمعاني عن ابن إسحاق.

(١) أي: لشعره جَديلتان.

(٢) أصل الحديث صحيح دون ذكر الحلفاء من الجنّ من بني مالك بن أُقيش، فهذا تفرّد به حسين بن عبد الله، وهو ضعيف منكر الحديث، والإسناد الأول الذي ساقه ابن إسحاق ضعيف أيضاً لإبهام وجهالة بعض رواته.

وأخرجه عبد الله بن أحمد في زياداته على «مسند أبيه» (١٦٠٢٧) من طريق يحيى بن سعيد القرشي الأُموي، عن ابن إسحاق، عن حسين بن عبد الله، عن ربيعة بن عباد، وعمّن حدثه عن =

قال ابن هشام: قال النابغةُ:

كأنَّـك مـن جِمـالِ بنـي أُقَـيشٍ يُقَعقَـعُ خلـفَ رِجلَيـهِ بشَـنِّ[1]

قال ابن إسحاق: وحدَّثنا ابن شِهابٍ الزُّهْريّ: أنّه أتى كِندةَ في منازلهم، وفيهم

= زيد بن أسلم، عن ربيعة بن عباد.

وأخرجه كذلك (١٦٠٢٥) من طريق زكريا بن أبي زائدة، عن ابن إسحاق، عن حسين بن عبد الله، عن ربيعة بن عباد.

أمّا رواية أبي الزناد ـ واسمه عبد الله بن ذكوان ـ فأخرجها أحمد (١٩٠٠٤) و(١٩٠٠٥) وابنه عبد الله (١٦٠٢٣) و(١٦٠٢٦)، والحاكم (٣٩) من طريق عبد الرَّحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن ربيعة بن عباد. وفيه: أنّ النبيّ ﷺ كان يقول لهم: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، تُفلِحوا». وإسناده حسن من أجل عبد الرَّحمن.

وقد روى حديث ربيعة عنه أيضاً محمد بن المنكدر فيما أخرجه عبد الله بن أحمد (١٦٠٢١) و(١٦٠٢٤)، والحاكم (٣٨).

ويشهد له حديث طارق بن عبد الله المُحاربيّ عند ابن حبان (٦٥٦٢) والحاكم (٤٢٦٥)، ورجاله لا بأس بهم.

(١) استشهاد ابن هشام بشعر النابغة أثبتناه من (ص) و(م) و(ي)، وليس في بقية النسخ، وفي (ي): من رجال بني أقيش. وهو في «ديوان النابغة الذُّبياني» صنعة ابن السِّكّيت ص١٩٨، وفيه: من جِمال بني أُقيش.

وهذا البيت من قصيدة قالها النابغة في عُيينة بن حِصن الفَزَاري لمّا أراد أن يُعِين بني عبس على بني أَسد وينقض الحِلفَ الذي بين بني ذُبيان وبني أَسد، فقال له النابغة: أتخذُل بني أسدٍ وهم حلفاؤنا وناصرونا وتُعِين بني عبس عليهم.

وبنو أُقيش: بطن من عُكْل، من مُضَر، وإبلُهم ليست بكرام فيضرب بنِفارها المَثَل، فهي وحشيّة لا يكاد ينتفع بها لشدّة نفارها، والشَّنّ: القِربة البالية، تُقَعقَع: تُحرّك على الأرض وفيها حصى حتى يُسمَع صوتها. انظر «شرح أبيات سيبويه» للسِّيرافي ٢/ ٧٠.

سيّدٌ لهم يقال له: مُلَيح، فدَعَاهم إلى الله، وعَرَضَ عليهم نفسَه، فأبَوْا عليه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّد بن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن حُصَين[1]: أنّه أَتى كَلْباً في منازلهم، إلى بطنٍ منهم يقال لهم: بنو عبد الله، فدَعَاهم إلى الله وعَرَضَ عليهم نفسَه، حتّى إنّه ليقولُ لهم: «يا بَنِي عبدِ الله، إنَّ الله قد أحسَنَ اسمَ أَبيكم»، فلم يَقبَلوا منه ما عَرَضَ عليهم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالكٍ[2]: أنّ رسول الله ﷺ أَتى بني حَنِيفة في منازلهم، فدَعَاهم إلى الله وعَرَضَ عليهم نفسَه، فلم يكُ أحدٌ من العرب أقبحَ ردّاً عليه منهم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريُّ: أنّه أَتى بني عامر بن صَعصَعة، فدَعَاهم إلى الله، وعَرَضَ عليهم نفسَه، فقال له رجل منهم يقال له: بَيْحَرةُ بن فِراس ـ قال ابن هشام: فِراسُ بن عبد الله بن سَلَمة بن قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعصَعة ـ: واللهِ لو أنّي أخذتُ هذا الفتى من قريش، لأَكَلتُ به العربَ، ثم قال له: أرأيتَ إن نحن بايَعْناكَ على أمرِك، ثمّ أظهَرَكَ اللهُ على من خالَفَك، أيكونُ لنا الأمرُ مِن بعدك؟ قال: «الأَمرُ إلى الله يَضَعُه حيثُ يَشاءُ»، قال: فقال له: أفنُهدِفُ نُحورَنا[3] للعرب

---

(١) محمد هذا لم يرو عنه غير ابن إسحاق وقال فيه: كان صوّاماً قوّاماً، هكذا نقل عنه البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ١٥٧، وذكره ابن حبان في «الثقات» ٧/ ٤١٣.

وخبره هذا مرسل، ورواه عن ابن إسحاق سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٤٩.

(٢) عبد الله هذا أكبر أولاد أبيه كعب رضي الله عنه، وهو من كبار التابعين ولا يروي إلا عن صحابيٍّ، وقيل: وُلِدَ على عهد النبي ﷺ وله رؤية، فحديثه على هذا كالمتَّصل، إلا أن ابن إسحاق لم يسمِّ الواسطة بينهما.

(٣) أي: نصيِّرها هدفاً.

دونَك، فإذا أظهَرَك اللهُ كان الأمرُ لغيرنا! لا حاجةَ لنا بأمرك، فأبَوْا عليه.

فلمّا صَدَرَ الناسُ رَجَعَت بنو عامرٍ إلى شيخ لهم قد كانت أدرَكَتْه السِّنُّ، حتّى لا يَقدِرَ أن يُوافِيَ معهم المواسمَ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدَّثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلمّا قَدِمُوا عليه ذلك العامَ سألهم عمّا كان في موسمهم، فقالوا: جاءَنا فتًى من قريشٍ ثمّ أَحدِ بني عبد المُطَّلِب، يَزعُمُ أنّه نبيٌّ، يَدعُونا إلى أن نَمنَعَه ونقومَ معه ونخرجَ به إلى بلادنا، قال: فوَضَعَ الشيخُ يديه على رأسه ثمّ قال: يا بني عامر، هل لها من تَلافٍ، هل لِذُنَاباها من مَطلَب[1]، والّذي نفسُ فلانٍ بيدِه، ما تَقَوَّلها إسماعيليٌّ قطُّ[2]، وإنّها لَحقٌّ، فأين رأيُكم كان عنكم.

أمر سُوَيد بن صامت

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره، كلَّما اجتَمَعَ له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائلَ إلى الله وإلى الإسلام، ويَعرِضُ عليهم نفسَه، وما جاء به من الله من الهدى والرَّحمة، ولا يَسمعُ بقادم يَقدَمُ مكّة من العرب له اسم وشَرَف، إلا تَصدَّى له فدعاه إلى الله، وعَرَضَ عليه ما عنده.

قال ابن إسحاق: حدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة الأنصاريُّ ثمّ الظَّفَريُّ، عن أشياخٍ من قومه قالوا: قَدِمَ سُوَيدُ بن صامتٍ ـ أخو بني عمرو بن عوف ـ مكّةَ حاجّاً أو معتمراً.

وكان سويدٌ إنّما يسمِّيه قومُه فيهم الكاملَ، لجَلَدِه وشِعْره وشَرَفه ونَسَبه، وهو

---

(١) من تلافٍ، أي: من تدارك. وقوله: هل لذناباها من مطلب، مَثَلٌ ضُرِبَ لما فاته منها، وأصله: من ذُنابَى الطائر إذا أفلَتَ من الحِبالة، فطلبتَ الأخذ بذناباه، والذُّنَابَى: لغةٌ في الذَّنب، ويقال: هو في الطائر أفصح من الذَّنب.

(٢) أي: ما ادَّعى النبوة أحدٌ من بني إسماعيل، أفيكون كاذباً.

الذي يقول:

ألا رُبَّ مَن تدعو صديقاً ولو تَرَى ... مَقالَتَه بالغيبِ ساءَك ما يَفْرِي[1]

مَقالَتُه كالشَّحمِ[2] ما كان شاهداً ... وبالغيبِ مأثورٌ على ثُغرةِ النَّحرِ

يَسُرُّك باديهِ وتحتَ أَديمِهِ ... نَميمةُ غِشٍّ تَبتَري عَقَبَ الظَّهرِ[3]

تُبِينُ لك العَينانِ ما هو كاتِمٌ ... من الغِلِّ والبغضاءِ بالنَّظرِ الشَّزْرِ[4]

فرِشْني بخيرٍ طالما قد بَرَيتَني[5] ... وخيرُ المَوَالي من يَرِيشُ ولا يَبْري

وهو الّذي يقول؛ ونافَرَ[6] رجلاً من بني سُلَيم ثم أَحدِ بني زِعْب بن مالكٍ مئةَ ناقةٍ إلى مئةٍ إلى كاهنةٍ من كُهّان العرب، فقَضَت له، فانصرف عنها هو والسُّلَميُّ ليس معهما غيرُهما، فلمّا فَرَّقَت بينهما الطريق، قال: مالي يا أخا بني سُلَيم، قال:

---

(١) ما يفري، أي: ما يقطع في عِرضك كذباً واختلاقاً.

(٢) في (ق١): كالشهد، وهو كذلك في «الأمالي» لأبي عليّ القاليّ ٢/ ١٩٨، وما أثبتناه من بقية نسخنا الخطيّة، وهو كذلك في «البيان والتبيين» للجاحظ ٤/ ٦٦، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة ٣/ ٩٣، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٣٥١. وتشبيه القول الطيّب بالشَّحم من نادر التشبيه كما قال الأستاذ عبد السلام هارون في تحقيقه لكتاب الجاحظ.

والمأثور: السيف الموشّى. يريد أنه في غيابه كلامه حادٌّ فيك كالسيف يحزّ في النحر.

(٣) باديه: ظاهره. والأديم: الجِلد. وتبتري: تقطع. والعَقَب: عَصَب الظهر.

(٤) الشَّزر: نظرُ العداوة.

(٥) المعنى هنا مستعار من السَّهم الذي يُبرى فيضعف من البَرْي، فإذا وُضع له الرِّيش في مؤخَّره قوي واستدَّ، يريد: كن لي عوناً وقوِّني فلطالما كنتَ تتكلَّم فِيَّ وتقدح بي فتُضعفني أمام الناس.

(٦) المنافَرَة: أن يفتخر الرجلان كلُّ واحد منهما على صاحبه إمّا بنسبٍ أو شِعر أو غيرهما، ثم يحكِّما بينهما رجلاً ليقضيَ بينهما.

أَبعَثُ إليك به، قال: فمن لي بذلك إذا فُتِّني؟ قال: أنا، قال: كلّا والّذي نفسُ سويدٍ بيده، لا تُفارِقُني حتّى أُوتَى بمالي، فاتَّخَذا[1] فضَرَبَ به الأرض ثمّ أَوثَقَه رِباطاً، ثمّ انطَلَقَ به إلى دار بني عمرو بن عوف، فلم يَزَلْ عنده حتّى بَعَثَت إليه سُلَيم بالذي له، فقال في ذلك:

لا تَحسَبنِّي يا ابنَ زِعْبِ بن مالكٍ ... كمن كنتَ تُرْدي بالغُيوبِ وتَختِلُ[2]

تَحوَّلتُ قِرْناً إذ صُرِعتَ بعِزَّةٍ ... كذلكَ إنَّ الحازمَ المُتَحوِّلُ[3]

ضَرَبتُ به إِبْطَ الشِّمالِ فلم يَزَلْ ... على كلِّ حالٍ خدُّه هو أسفَلُ[4]

في أشعارٍ كثيرةٍ كان يقولها.

فتَصدَّى له رسولُ الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سُوَيد: فلعلَّ الّذي معك مثلُ الّذي معي، فقال له رسول الله ﷺ: «وما الّذي مَعَك؟» قال: مَجَلّة[5] لُقْمان؛ يعني حِكمةَ لُقْمان، فقال له رسول الله ﷺ: «اعرِضْها عليَّ»، فعَرَضَها عليه، فقال له: «إنَّ هذا لَكلامٌ حَسَنٌ، والّذي معي أفضَلُ من هذا، قرآنٌ أنزَلَه اللهُ عليَّ، هو هدًى ونورٌ»، فتَلَا عليه رسولُ الله ﷺ القرآن، ودَعَاه إلى الإسلام، فلم يَبعُدْ منه، وقال: إنّ هذا لقولٌ حسنٌ. ثمّ انصَرَفَ عنه، فقَدِمَ المدينةَ على قومه،

---

(١) أي: أخذ كلُّ واحد منهما صاحبه في قتال أو نحوه.

(٢) تُردي: تُهلِك، وتَختِل: تخدع.

(٣) القِرْن: المكافئ للرجل في الشجاعة، ومعنى تحوَّلتُ: وَثَبتُ من ظهر فرسي إلى ظهر فرسه فصرعته عنه.

(٤) إبط الشِّمال: هو الفؤاد، قاله الجاحظ في «البيان والتبيين» ١/ ١٨١، قال: لأنه لا يكون إلا في تلك الناحية.

(٥) المجلة: الصحيفة، هذا هو أصلها.

فلم يَلبَثْ أن قتلته الخَزرَجُ، فإن كان رجال من قومه ليقولون: إنّا لنُرَاه قد قُتِل وهو مسلم؛ وكان قتله قبل بُعَاثَ[1].

إسلام إياس بن معاذ وقصّة أبي الحَيسَر

قال ابن إسحاق: وحدّثني الحُصَين بن عبد الرَّحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود بن لَبِيدٍ قال: لمّا قَدِمَ أبو الحَيسَر أنسُ بن رافعٍ مكّةَ ومعه فِتيةٌ من بني عبد الأَشهَل فيهم إياسُ بن معاذ، يَلتمِسُون الحِلفَ من قريش على قومهم من الخَزرَج، سَمِعَ بهم رسولُ الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: «هَلْ لَكُم في خيرٍ ممَّا جِئتُم له؟» قال: فقالوا: وما ذاكَ؟ قال: «أنا رسولُ اللهِ، بَعَثَني إلى العِبادِ أَدعُوهم إلى أنْ يَعبُدوا اللهَ ولا يُشرِكُوا به شيئاً، وأَنزَلَ عليَّ الكِتابَ»، قال: ثمَّ ذَكَرَ

---

(١) بُعاث: موضع عند بني قريظة على ميلين من المدينة، ولم يعد معروفاً مكانه تحديداً، كانت به وقعةٌ بين الأوس والخزرج، وذلك قبل الهجرة بخمس سنين، فقتل فيها كثير منهم، انظر «فتح الباري» لابن حجر ١١/ ٢١١، قال النوويُّ في شرحه على «صحيح مسلم»: ويجوز صرفُه وتركُ صرفه وهو الأشهر.

وخبر سويد بن صامت هذا لم نقف عليه عند غير ابن إسحاق، وشيخه فيه عاصم بن عمر بن قتادة أنصاريٌّ من الأَوس قومِ سُوَيد، وهو ثقة عالم بالمغازي من صغار التابعين، والأشياخ من قومه هم في حيّز الجهالة، لكن نرى أن بعضهم يشدُّ بعضاً فتتقوَّى رواياتهم، وبخاصّة أن عاصم ابن عمر هذا قد روى عن بعض الصحابة وأولاد الصحابة من قومه الأنصار، وهو هنا يروي شأناً من شؤونهم، وهو أدرى الناس بهم، والله تعالى أعلم.

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٤١٩، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٢/ ٣٣٧ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، به.

قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٣١٦: أنا شاكٌّ في إسلام سويد بن الصامت كما شكَّ فيه غيري ممّن ألَّف في هذا الشّأن قبلي، والله أعلم.

لهم الإسلامَ، وتَلَا عليهم القرآنَ، قال: فقال إياسُ بن معاذٍ، وكان غلاماً حَدَثاً: أيْ قومِ، هذا واللهِ خيرٌ ممّا جئتُم له، قال: فيأخذُ أبو الحَيسَر أنسُ بن رافعٍ حَفْنةً من تراب البَطْحاء، فضَرَبَ بها وجهَ إياسِ بن معاذٍ وقال: دَعْنا منك، فلَعَمْري لقد جئنا لغيرِ هذا، قال: فصَمَتَ إياسٌ وقام رسولُ الله ﷺ عنهم، وانصَرَفُوا إلى المدينة، فكانت وَقْعةُ بُعَاثَ بين الأَوس والخَزرَج.

قال: ثمَّ لم يَلبَثْ إياسُ بن معاذٍ أنْ هَلَكَ، قال محمود بن لَبِيد: فأخبرني مَن حَضَرَه من قومي عند موته: أنَّهم لم يزالوا يَسمَعُونه يُهلِّلُ اللهَ تعالى ويكبِّرُه ويَحمَدُه ويُسبِّحُه حتّى مات، فما كانوا يَشكُّون أن قد مات مُسلماً، لقد كان استَشعَر الإسلامَ في ذلك المَجلِس حين سَمِعَ من رسول الله ﷺ ما سَمِع[1].

(١) إسناده حسن من أجل الحصين بن عبد الرَّحمن، فقد روى عنه جمع، وقال أبو داود عنه: حسن الحديث، وذكره ابن حبان في «الثقات»، ومحمود بن لبيد وُلِد في حياة النبيّ ﷺ، وهو معدودٌ في صغار الصحابة.

وأخرجه أحمد (٢٣٦١٩) من طريق إبراهيم بن سعد الزهريّ، والحاكم (٤٨٩١) من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ذكر ابتداءِ أوّل أمر الإسلام في الأنصار

قال ابن إسحاق: فلمّا أراد الله عزَّ وجلَّ إظهارَ دينه، وإعزازَ نبيِّه ﷺ، وإنجازَ مَوعِدِه له، خرج رسول الله ﷺ في المَوسِم الذي لَقِيَه فيه النَّفرُ من الأنصار، فعَرَضَ نفسَه على قبائل العرب، كما كان يَصنَعُ في كلِّ موسم، فبينما هو عند العَقَبة لقيَ رَهْطاً من الخَزرَج أراد الله بهم خيراً.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة، عن أشياخٍ من قومه قالوا: لمّا لَقِيَهم رسول الله ﷺ قال لهم: «مَن أَنتُم؟» قالوا: نفرٌ من الخَزرَج، قال: «أمِن مَوَالي يهودَ؟» قالوا: نعم، قال: «أفلا تَجلِسُون أُكلِّمْكم؟» قالوا: بلى. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ، وعَرَضَ عليهم الإسلام، وتَلَا عليهم القرآن.

قال: وكان ممّا صَنَعَ اللهُ بهم في الإسلام، أنَّ يهودَ كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهلَ كتابٍ وعلمٍ، وكانوا هم أهلَ شِركٍ وأصحابَ أوثانٍ، وكانوا قد عَزُّوهم[1] ببلادِهم، فكانوا إذا كان بينهم شيءٌ قالوا لهم: إنّ نبيّاً مبعوثٌ الآنَ، قد أظَلَّ زمانُه، نَتّبعُه فنَقتلُكم معه قتلَ عادٍ وإرَمَ.

فلمّا كَلَّم رسولُ الله ﷺ أولئك النَّفَر ودعاهم إلى الله، قال بعضُهم لبعضٍ: يا قومِ، تَعلَّموا[2] واللهِ أنّه لَلنّبيُّ الّذي تَوعَّدَكم به يهودُ، فلا يَسبِقُنَّكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدَّقوه وقَبِلوا منه ما عَرَضَ عليهم من الإسلام، وقالوا له: إنّا قد تَرَكْنا قومَنا، ولا قومَ بينهم من العداوة والشرِّ ما بينهم، فعسى أن يَجمَعَهم الله بك،

(١) تصحّف في (ي) إلى: غزوهم، بالغين المعجمة. ومعنى عزُّوهم: غَلَبوهم.

(٢) أي: اعلموا.

فسنَقدَمُ عليهم فندعوهم إلى أمرِك، ونَعرِضُ عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدِّين، فإن يَجمَعْهم اللهُ عليك فلا رجلَ أعزُّ منك. ثمّ انصَرَفُوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، قد آمَنُوا وصَدَّقوا[1].

قال ابن إسحاق: وهم ـ فيما ذُكِرَ لي ـ ستّةُ نفرٍ من الخَزرَج، منهم من بني النَّجّار ـ وهو تَيْم الله ـ ثمَّ من بني مالك بن النَّجّار بن ثَعلَبة بن عمرو بن الخَزرَج بن حارثة ابن ثَعلَبة بن عمرو بن عامر: أسعدُ بن زُرَارة بن عُدَس بن عُبيد بن ثَعلَبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار، وهو أبو أُمامة، وعوفُ بن الحارث بن رِفَاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار، وهو ابنُ عَفْراءَ.

قال ابن هشام: وعَفْراءُ بنت عُبيد بن ثَعلَبة بن عُبيد بن ثَعلَبة بن غَنْم بن مالك ابن النَّجّار.

قال ابن إسحاق: ومن بني زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخَزرَج ـ قال ابن هشام: ويقال: عامر بن الأزرق[2] ـ: رافعُ بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق.

قال ابن إسحاق: ومن بني سَلِمة بن سَعْد بن عليّ بن أسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخَزرَج، ثمّ من بني سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة: قُطْبةُ بن عامر بن حَدِيدة بن عمرو بن غَنْم بن سَوَاد.

---

(١) تقدم الكلام على إسناد عاصم بن عمر هذا آنفاً في أمر سويد بن صامت، وخلاصته أنه قويٌّ إن شاء الله.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٥٣-٣٥٤ و٥/ ٦٥٣-٦٥٤ من طريق سلمة بن الفضل، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٤٣٣-٤٣٤ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

(٢) يعني مكان عامر بن زريق.

قال ابن هشام: عمرو بن سَوَاد، ليس لسَوادٍ ابن يقال له: غَنْم[1].

قال ابن إسحاق: ومن بني حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة: عُقْبةُ بن عامر بن نابِي بن زيد بن حَرَام.

ومن بني عُبيد بن عَدِيّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة: جابرُ بن عبد الله بن رِئَاب ابن النُّعمان بن سِنَان بن عُبيد.

فلمّا قَدِمُوا المدينةَ إلى قومهم، ذَكَرُوا لهم رسولَ الله ﷺ ودَعَوهُم إلى الإسلام حتّى فَشَا فيهم، فلم يبقَ دارٌ من دور الأنصار إلّا وفيها ذِكرٌ من رسول الله ﷺ.

أمرُ العَقَبة الأولى

ونفوذُ مصعب بن عُمَير وما جرى في ذلك

حتّى إذا كان العامُ المُقبِل[2]، وافَى الموسمَ من الأنصار اثنا عشرَ رجلاً فلَقُوه بالعَقَبة، وهي العَقَبة الأُولى، فبايَعُوا رسولَ الله ﷺ على بيعة النِّساء[3]، وذلك قبل أن تُفتَرَض عليهم الحرب.

منهم من بني النَّجّار ثمّ من بني مالك بن النَّجّار: أسعدُ بن زُرَارة بن عُدَس بن عُبيد بن ثَعلَبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار، وهو أبو أُمامة، وعوفٌ ومعاذٌ ابنا الحارث ابن رِفَاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار، وهما ابنا عَفْراءَ.

ومن بني زُرَيق بن عامر: رافعُ بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق، وذَكْوانُ بن عبدِ قيس بن خَلْدة بن مُخلَّد بن عامر بن زُرَيق.

---

(١) وكذلك هو عند ابن سعد في «الطبقات» في كل من ينسبهم إلى بني سوادٍ، لا يذكر بين عمروٍ وسوادٍ غَنْماً.

(٢) وهو العام الثاني عشر من البِعثة النبويّة.

(٣) سيأتي بيانها لاحقاً في حديث عبادة بن الصامت.

قال ابن هشام: ذَكْوانُ مهاجريٌّ أنصاريٌّ[1].

ومن بني عَوْف بن الخَزرَج ثمّ من بني غَنْم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخَزرَج، وهم القَوَاقلُ: عُبَادةُ بن الصامت بن قيس بن أَصرَم بن فِهْر بن ثَعلَبة بن غَنْم[2]، وأبو عبد الرَّحمن: وهو يزيدُ بن ثَعلَبة بن خَزْمة بن أَصرَم بن عمرو بن عَمَّارةَ، من بني غُصَينة من بَلِيٍّ، حَليفٌ لهم.

قال ابن هشام: وإنّما قيل لهم: القَواقِل، لأنّهم كانوا إذا استَجارَ بهم الرّجلُ دَفَعوا إليه سهماً وقالوا له: قَوقِلْ به بيَثرِبَ حيث شئتَ. قال ابن هشام: القَوقَلة: ضَرْبٌ من المشي.

قال ابن إسحاق: ومن بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخَزرَج ثمّ من بني العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم: العبّاسُ بن عُبَادة بن نَضْلة بن مالك بن العَجْلان.

ومن بني سَلِمة بن سعد بن عَليّ بن أَسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخَزرَج ثمّ من بني حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة: عُقْبةُ بن عامر بن نابِي بن زيد ابن حَرَام.

ومن بني سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة: قُطْبةُ بن عامر بن حَدِيدة بن عمرو بن غَنْم[3] بن سَوَاد.

---

(١) وذلك لأنّه بعد أن شهد العقبة الأولى والثانية خرج مهاجراً من المدينة إلى رسول الله ﷺ بمكّة، فكان معه حتّى هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً وقُتِل يوم أُحد شهيداً، ويكنى أبا السَّبُع.

(٢) زاد في (ص) ونسخة على حاشية (م): غنم هو قوقل.

(٣) «بن غنم» سقط من (ت). وقد تقدم آنفاً تعقُّب ابن هشام لابن إسحاق في هذا النسب =

وشَهِدَها من الأَوس بن حارثة بن ثَعلَبة بن عمرو بن عامر ثم من بني عبد الأَشهَل ابن جُشَم بن الحارث بن الخَزرَج بن عمرو بن مالك بن الأَوس: أبو الهَيثَم بن التَّيِّهان، واسمُه مالك.

قال ابن هشام: ويقال: التَّيْهانُ، يُخفَّف ويُثقَّل، كقوله: مَيِّتٌ ومَيْتٌ.

ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأَوس: عُوَيمُ بن ساعِدَة.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيدُ بن أبي حَبيب، عن مَرثَد بن عبد الله اليَزَنِيّ، عن عبد الرَّحمن بن عُسَيلة الصُّنَابِحيّ، عن عُبَادة قال: كنت فيمن حَضَرَ العقبةَ الأُولى، وكنّا اثني عشرَ رجلاً، فبايَعْنا رسولَ الله ﷺ على بَيْعة النِّساء ـ وذلك قبلَ أن تُفتَرَض الحربُ ـ على أن لا نُشرِكَ بالله شيئاً، ولا نَسرِقَ، ولا نَزنِيَ، ولا نَقتُلَ أولادَنا، ولا نأتِيَ ببُهتانٍ نَفتَريهِ من بين أيدينا وأرجلِنا[1]، ولا نَعصِيَه في معروفٍ، «فإنْ وَفَيتُم فلكم الجنّةُ، وإن غَشِيتُم من ذلك شيئاً، فأَمرُكُم إلى الله، إنْ شاءَ عَذَّبَ، وإنْ شاءَ غَفَرَ»[2].

= بأنّه ليس لسواد هذا ابن يقال له: غنم.

(١) المراد بهذا البهتان: الكذب والافتراء والغيبة والنميمة.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٢٧٥٤) من طريق إبراهيم بن سعد الزُّهريّ، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه بنحوه عن يزيد بن أبي حبيبٍ: الليثُ بن سعد عند أحمد (٢٢٧٤٢)، والبخاري (٣٨٩٣) و(٦٨٧٣)، ومسلم (١٧٠٩)(٤٤)، وعمرُو بن الحارث المصريّ عند الشاشي في «مسنده» (١٢٠٨).

وروى هذه البيعة عن عبادة أيضاً: أبو أسماء الرَّحَبيّ عند أحمد (٢٢٦٦٨)، وأبو الأشعث الصنعاني عند أحمد (٢٢٦٦٩) ومسلم (١٧٠٩)(٤٣)، وأبو إدريس الخَوْلاني كما سيأتي لاحقاً.

قلنا: لم يقع التصريح نصّاً بأن هذه البيعة كانت في ليلة العقبة الأولى إلا عند ابن إسحاق، =

قال ابن إسحاق: وذكر ابنُ شِهاب الزُّهْريُّ، عن عائذِ الله بن عبد الله الخَوْلانِيِّ أبي إدريسَ، أنّ عُبَادة بن الصّامت حدَّثه أنّه قال: بايَعْنا رسولَ الله ﷺ ليلةَ العَقَبةِ الأُولى على أن لا نُشرِكَ بالله شيئاً، ولا نَسرِقَ، ولا نَزنِيَ، ولا نَقتُلَ أولادَنا، ولا نأتِيَ ببُهتانٍ نَفتَرِيهِ بين أيدينا وأرجلِنا، ولا نَعصِيَه في معروفٍ، «فإنْ وَفَيتُم فلكم الجنّةُ، وإن غَشِيتُم من ذلك شيئاً فأُخِذتُم بحَدِّه في الدُّنيا، فهو كَفّارةٌ له، وإن سُتِرتُم عليه إلى يومِ القيامةِ، فأَمرُكم إلى الله، إنْ شاءَ عَذَّبَ، وإنْ شاءَ غَفَرَ»[1].

قال ابن إسحاق: فلمّا انصَرَفَ عنه القومُ، بَعَثَ رسولُ الله ﷺ معهم مُصعَب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار بن قُصَيّ، وأمَرَه أن يُقرِئَهم القرآن، ويُعلِّمَهم الإسلام ويُفقِّهَهم في الدِّين، فكان يُسمَّى المُقرئَ بالمدينة؛ مصعبٌ، وكان مَنزِلُه[2] على أسعدَ بن زُرَارة بن عُدَس أبي أُمامة.

= ولذلك وقع استشكال بعض أهل العلم في وقتها، وفي بعض الروايات ما يومئُ إلى أنها كانت بعد هجرة النبيّ ﷺ إلى المدينة، وانظر تفصيل هذا الإشكال عند ابن رجب الحنبليّ في كتابه «فتح الباري» ١/ ٦٨-٧٢، وابن حجر في كتابه «فتح الباري» أيضاً ١/ ١٤٤-١٤٦.

وقد ذهب إلى رواية ابن إسحاق هذه، وأن البيعة المذكورة كانت ليلة العقبة الأولى، جمعٌ من أهل العلم شرّاح «الصحيحين» كابن بطّال والقاضي عياض والقرطبي والكرماني وابن الملقِّن، وهو الراجح إن شاء الله.

(١) إسناده صحيح، وقد صرَّح ابنُ إسحاق بسماعه الحديث من الزهريِّ في رواية عمرو بن زُرارة - وهو ثقةٌ ثبتٌ - عن زياد البكّائيِّ عند المروزيّ في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٦٢).

وأخرج الخبر بنحوه أحمد (٢٢٦٧٨) و(٢٢٧٣٣)، والبخاري (١٨) و(٣٨٩٢) و(٤٨٩٤) و(٦٧٨٤) و(٦٨٠١) و(٧٢١٣)، ومسلم (١٧٠٩) (٤١) و(٤٢)، والترمذي (١٤٣٩)، والنسائي في «المجتبى» (٤١٦١) و(٤١٧٨) و(٤٢١٠) من طرق عن ابن شهاب الزهريّ، به.

(٢) أي: نزولُه، قال السهيليّ في «الروض» ٤/ ٩٨: مَنزَل بفتح الزاي، وكذلك كلّ ما وقع =

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنّه كان يُصلِّي بهم، وذلك أنَّ الأَوس والخَزرَج كَرِهَ بعضُهم أن يؤمَّه بعضٌ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّد بن أبي أُمامة بن سَهْل بن حُنَيف، عن أبيه أبي أُمامة، عن عبد الرَّحمن بن كعب بن مالكٍ قال: كنت قائدَ أَبي كعبِ بن مالكٍ حين ذهب بصرُه، فكنت إذا خرجتُ به إلى الجُمُعةِ فسَمِعَ الأذانَ بها، صلَّى على أبي أُمامة أسعدَ بن زُرَارة، قال: فمَكَثَ حيناً على ذلك؛ لا يَسمَعُ الأذانَ للجمعة إلّا صلَّى عليه واستَغفرَ له، قال: فقلتُ في نفسي: واللهِ إنّ هذا بي لعَجْزٌ أن لا أسألَه ما له إذا سمع الأذانَ للجمعة صلَّى على أبي أُمامة أسعدَ بن زُرَارة؟ قال: فخرجتُ به في يوم جمعةٍ كما كنت أخرجُ، فلمّا سمع الأذانَ للجمعة صلَّى عليه واستَغفرَ له، قال: فقلت: يا أبتِ، ما لك إذا سمعتَ الأذانَ بالجمعة صلَّيتَ على أبي أُمامة؟

قال: فقال: أيْ بُنيّ، كان أوّلَ من جَمَّعَ بنا بالمدينة في هَزْم النَّبِيتِ[1] من حَرَّة بني بَيَاضة، يقال له: نَقِيعُ[2] الخَضِمات ـ قال ابن هشام: الهَزْم: المنخفضُ من

= في هذا الباب من مَنزَل فلانٍ على فلان، فهو بالفتح، لأنه أراد المصدر ولم يُرِد المكان، وكذا قيّده الشيخ أبو بحرٍ بفتح الزاي.

(١) لفظ «النبيت» لم يرد في (ش١) و(ص) و(م) و(ي)، وفي (ت): هزم الحرة.

والهَزْم: المنخفض من الأرض، والنَّبِيت: موضع.

قال عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبويّة» ص٩٥: لم تعد حرّة بني بياضة ولا هزم النَّبيت أو نقيع الخضمات معروفة، على أنّها كلَّها من المدينة المنورة.

(٢) هكذا في (غ) و(ق١) و(م) بالنون في أوله، وفي بقية النسخ: بقيع، بالباء.

قال الخشنيّ في «إملائه» ص١١٨: وقع في الرواية هنا بالباء والنون، والصواب بالنون، وهو موضع يَستنقِع فيه الماءُ، والنَّقيع بالنون أيضاً: البئر. =

الأرض[1] ـ قال: قلت: وكم أنتم يومئذٍ؟ قال: أربعون رجلاً[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عُبيد الله بن المغيرة بن مُعيقِيب وعبد الله بن أبي بكر ابن محمّد بن عمرو بن حَزْم: أنّ أسعد بن زُرَارة خرج بمُصعَب بن عُمَير يريد به دارَ بني عبد الأَشهَل ودارَ بني ظَفَر، وكان سعدُ بن معاذ بن النُّعمان بن امرِئ القيس بن زيد بن عبد الأَشهَل ابنَ خالةِ أسعدَ بنِ زُرَارة، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظَفَرٍ ـ قال ابن إسحاق: واسم ظَفَرٍ كعبُ بن الحارث بن الخَزرَج بن عمرو بن مالك بن الأَوس ـ قالا: على بئرٍ يقال لها: بئرُ مَرَقٍ، فجلسا في الحائط واجتَمَع إليهما رجال ممَّن أسلَمَ، وسعدُ بن معاذٍ وأُسَيدُ بن حُضَير يومئذٍ سيِّدا قومهما من بني عبد الأَشهَل، وكلاهما مُشرِكٌ على دين قومه، فلمّا سمعا به قال سعدُ بن معاذٍ لأُسَيد بن حُضَير: لا أبا لك، انطلِقْ إلى هذين الرَّجلَين اللَّذَين قد أتَيا دارَيْنا ليُسفِّها ضعفاءَنا، فازجُرْهما وانْهَهُما عن أن يأتِيا دارَيْنا، فإنّه لولا أنّ أسعدَ بن زُرَارة منّي حيث قد علمتَ كَفَيتُك ذلك، هو ابنُ خالتي، ولا أَجدُ عليه مُقدَماً[3]، قال: فأخذ أُسيد بن حُضَير حَرْبتَه ثمّ أقبَلَ إليهما، فلمّا رآه أسعدُ بن زُرَارة قال لمُصعَب بن عُمير: هذا سيِّدُ قومِه قد جاءك، فاصدُقِ اللهَ فيه، قال مصعبٌ: إنْ يَجلِسْ أُكلِّمْه.

قال: فوقف عليهما متشتِّماً، فقال: ما جاءَ بكما إلينا تُسفِّهانِ ضعفاءَنا؟! اعتَزِلانا

= والخضمات: قُيِّد بفتح الخاء وبفتح الضاد وكسرها. وبنو بياضة: بطنٌ من الخزرج.

(١) قول ابن هشام من (ت).

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أبو داود (١٠٦٩)، وابن ماجه (١٠٨٢)، وابن حبان (٧٠١٣)، والحاكم (١٠٥١) و(٤٩١٩) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٣) أي: جراءةً، يريد: لا أجرؤ أن أُسيء إليه لقرابته منّي.

إن كانت لكما بأنفُسِكما حاجةٌ، فقال له مصعب: أوَتجلِسُ فتَسمَعَ، فإن رَضِيتَ أمراً قَبِلتَه، وإن كَرِهتَه كُفَّ عنك ما تَكرَه؟! قال: أنصَفْتَ، ثمّ رَكَزَ حَرْبتَه وجلس إليهما، فكلَّمه مصعبٌ بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما يُذكَرُ عنهما: واللهِ لعَرَفْنا في وجهه الإسلامَ قبل أن يتكلَّمَ، في إشراقِه وتَسهُّلِه، ثمّ قال: ما أحسنَ هذا وأجمَلَه! كيف تصنعون إذا أردتم أن تَدخُلوا في هذا الدِّين؟ قالا له: تَغتسلُ فتَطهَّرُ وتُطهِّرُ ثَوبَيك، ثمّ تَشهَّدُ شهادةَ الحقّ، ثمّ تُصلِّي، فقام فاغتَسَل وطهَّر ثَوبَيه، وتشهَّدَ شهادةَ الحقّ، ثمّ قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إنّ ورائي رجلاً إنِ اتَّبَعَكما لم يَتخلَّفْ عنه أحدٌ من قومه، وسأُرسِلُه إليكما الآن؛ سعدَ بنَ معاذٍ، ثمّ أخَذَ حَرْبتَه وانصرف إلى سعدٍ وقومِه وهم جلوسٌ في نادِيهم، فلمّا نَظَرَ إليه سعدُ بن معاذ مُقبِلاً قال: أَحلِفُ بالله لقد جاءَكم أُسيدٌ بغير الوجه الّذي ذهب به من عندكم، فلمّا وقف على النّادي قال له سعد: ما فعلتَ؟ قال: كلَّمتُ الرّجلين، فواللهِ ما رأيتُ بهما بأساً، وقد نَهيتُهما، فقالا: نفعلُ ما أحبَبتَ، وقد حُدِّثتُ أنّ بني حارثة قد خرجوا إلى أسعدَ ابنِ زُرَارة ليَقتُلوه، وذلك أنّهم قد عرفوا أنّه ابنُ خالتِك، ليُخفِرُوك[1]، قال: فقام سعدٌ مُغضَباً مُبادِراً، تخوُّفاً للّذي ذُكِرَ له من بني حارثة، فأخَذَ الحَرْبةَ من يده، ثمّ قال: واللهِ ما أراك أغنَيتَ شيئاً.

ثمّ خرج إليهما، فلمّا رآهما سعدٌ مُطمئِنَّين، عَرَفَ سعدٌ أنَّ أُسيداً إنّما أراد منه أن يسمعَ منهما، فوَقَفَ عليهما متشتِّماً، ثمّ قال لأسعدَ بن زُرَارة: يا أبا أُمامة، أمَا واللهِ لولا ما بيني وبينَك من القَرَابةِ، ما رُمْتَ هذا منّي، أتَغْشانا في دارَيْنا بما نَكرَه؟!

وقد قال أسعدُ بن زُرَارة لمُصعَب بن عُمير: أيْ مصعبُ، جاءَك واللهِ سيّدُ مَن

(١) أي: لينقضوا عهدك وذمّتك.

وراءَه من قومه، إن يتَّبِعْك لا يَتخلَّفْ عنك منهم اثنان.

قال: فقال له مصعبٌ: أوَتقعُدُ فتَسمَعَ، فإن رَضِيتَ أمراً ورَغِبتَ فيه قَبِلتَه، وإن كَرِهتَه عَزَلْنا عنك ما تَكرَه؟! قال سعدٌ: أنصَفْتَ، ثمّ رَكَزَ الحَرْبةَ وجلس، فعَرَضَ عليه الإسلام، وقرأَ عليه القرآن، قالا: فعَرَفْنا واللهِ في وجهه الإسلامَ قبل أن يتكلَّم، لإشراقِه وتسهُّلِه، ثمّ قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتُم ودخلتُم في هذا الدِّين؟ قالا: تغتسلُ فتَطهَّرُ وتُطهِّرُ ثَوبَيك، ثمّ تَشهَّدُ شهادةَ الحقّ، ثم تصلِّي ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهَّر ثَوبَيه، وتشهَّدَ شهادةَ الحقّ، ثمّ ركع ركعتين، ثمّ أخَذَ حَرْبتَه فأقبَلَ عامداً إلى نادي قومه ومعه أُسيدُ بن حُضَير، فلمّا رآه قومُه مُقبِلاً قالوا: نَحلِفُ بالله لقد رَجَعَ إليكم سعدٌ بغير الوجه الّذي ذهب به من عندكم، فلمّا وَقَفَ عليهم قال: يا بني عبد الأَشهَل، كيف تَعلَمُون أمري فيكم؟ قالوا: سيّدُنا[1] وأفضلُنا رأياً، وأيمَنُنا نَقِيبةً[2]، قال: فإنَّ كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرامٌ حتّى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قال: فواللهِ ما أمسَى في دار بني عبد الأَشهَل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمةً، ورجع أسعدُ ومصعبٌ إلى منزل أسعد بن زُرَارة، فأقام عنده يدعو الناسَ إلى الإسلام حتّى لم يبقَ دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رجالٌ ونساءٌ مسلمون، إلا ما كان من دار بني أُميّةَ بن زيدٍ وخَطْمةَ ووائلٍ وواقفٍ، وتلك أَوسُ الله، وهم من الأَوس بن حارثة، وذلك أنّه كان فيهم أبو قيس بن الأَسلَت، وهو صَيفِيٌّ، وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه، فوَقَفَ بهم عن الإسلام، فلم يَزَلْ على ذلك حتّى هاجَرَ رسولُ الله ﷺ

---

(١) زاد في (ص) و(م) هنا: وأوصلنا.

(٢) النقيبة: النفس. والميمون: السعيد المحظوظ.

إلى المدينة، ومضى بدرٌ وأُحدٌ والخَندَقُ[1]، وقال فيما رأَى من الإسلام وما اختَلَف الناسُ فيه من أمره:

أرَبَّ[2] الناسِ أشياءٌ ألَمَّتْ ... يُلَفُّ الصَّعبُ منها بالذَّلُولِ
أرَبَّ الناسِ أمّا إنْ ضَلَلْنا ... فيَسِّرْنا لمعروفِ السَّبيلِ
فلولا ربُّنا كنّا يهوداً ... وما دِينُ اليهودِ بذِي شُكُولِ[3]
ولولا ربُّنا كنَّا نصارى ... معَ الرُّهبانِ في جَبَلِ الجَليلِ[4]
ولكنّا خُلِقْنا إذ خُلِقْنا ... حَنيفاً دِينُنا عن كلِّ جِيلِ
نَسُوقُ الهَدْيَ تَرسُفُ مُذعِناتٍ ... مُكشَّفةَ المَناكِبِ في الجُلولِ[5]

قال ابن هشام: أنشَدَني قولَه: فلولا ربُّنا، وقولَه: ولولا ربُّنا، وقولَه: مُكشَّفة

---

(١) وقد اختُلف في إسلام أبي قيس بن الأسلت، فانظر ترجمته في الكنى من «الإصابة» لابن حجر ٧/ ٣٣٤، وكان في الجاهلية يتألّه ويُدعى الحَنِيف.

(٢) في (ت) و(ص) و(ي) في هذا البيت والبيت التالي: رب، على حذف همزة النداء، وفيهما خَرْم، والمثبت من سائر النسخ، وبه يصحّ الوزن الشعريّ.

ومعنى ألَمَّت: نزلت وأحاطت.

(٣) قال السهيليّ في «الروض» ٤/ ١١٢: أراد جمع: شَكْل، وشَكلُ الشيء ـ بالفتح ـ: هو مِثلُه، والشِّكل ـ بالكسر ـ: الدَّلّ والحُسْن، فكأنه أراد أنّ دين اليهود بِدْعٌ، فليس له شُكول، أي: ليس له نظير في الحقائق، ولا مثيلَ يَعضُده من الأمر المعروف المقبول.

(٤) جبل الجليل: جبل ضخم عالٍ كثير القرى والمدن شمال فلسطين، يشرف على بحيرة طبريّة من الغرب، وعلى ساحل عكّا من الشّرق، ومن مدنه صَفَد والناصرة وشَفَا عمرو، ويتّصل به من الشَّمال جبل عامل في لبنان.

(٥) ترسف: تمشي مشي المقيَّد. ومُذعِنات: منقادات. والجُلول: جمع جُلٍّ، وهو كالثوب للإنسان يلبسه يَقِيه البرد.

المَناكِب في الجُلولِ، رجلٌ من الأنصار أو من خُزَاعة.

أمرُ العَقَبة الثانية

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّ مصعب بن عُميرٍ رجع إلى مكّة، وخرج مَن خرج من الأنصار من المسلمين إلى المَوسِم مع حُجّاج قومهم من أهل الشِّرك حتّى قَدِمُوا مكّة، فواعَدُوا رسولَ الله ﷺ العَقَبةَ من أوسَطِ أيّام التّشريق، حين أراد اللهُ بهم ما أراد من كرامته، والنَّصرِ لنبيِّه، وإعزازِ الإسلام وأهلِه، وإذلالِ الشِّرك وأهلِه.

قال ابن إسحاق: حدّثني مَعبَدُ بن كعب بن مالك بن أَبي كعب بن القَيْن أخو بني سَلِمةَ، أنّ أخاه عبد الله بن كعب[1] ـ وكان من أعلمِ الأنصار ـ حدَّثه أنّ أباه كعباً حدّثه ـ وكان كعبٌ ممّن شَهِدَ العَقَبةَ وبايَعَ رسولَ الله ﷺ بها ـ قال: خَرَجْنا في حُجّاج قومنا من المشركين، وقد صَلَّينا وفَقِهْنا، ومعنا البراءُ بن مَعرُور، سيّدُنا وكبيرُنا، فلمّا وَجَّهْنا لسفرنا وخرجنا من المدينة، قال البراءُ لنا: يا هؤلاءِ، إنّي قد رأيتُ رأياً، ووالله ما أدري أتُوافِقُونني عليه أم لا؟ قال: قلنا: وما ذاكَ؟ قال: قد رأيتُ أن لا أدَعَ هذه البَنِيَّةَ منّي بظَهْرٍ ـ يعني الكعبةَ ـ وأن أُصلِّيَ إليها، قال: فقلنا: واللهِ ما بَلَغَنا أنّ نبيَّنا يُصلِّي إلّا إلى الشّام، وما نريدُ أن نُخالفَه، قال: فقال: إنّي لمُصلٍّ إليها، قال: فقلنا له: لكنّا لا نفعلُ، قال: فكنّا إذا حَضَرَت الصلاةُ صلَّينا إلى الشام، وصلَّى هو إلى الكعبة، حتّى قَدِمْنا مكّة، قال: وقد كنّا عِبْنا عليه ما صَنَع، وأَبى إلّا الإقامةَ على ذلك، فلمّا قَدِمْنا مكّةَ قال لي: يا ابنَ أَخي، انطَلِقْ بنا إلى رسول الله ﷺ حتّى

---

(١) اختلف أصحاب ابن إسحاق عنه في تسمية راوي هذا الخبر، فمنهم من سمّاه عبدَ الله مكبَّراً، ومنهم من سمّاه عبيدَ الله مصغَّراً، ولا يضرُّ هذا الخلاف في صحّة الخبر، فكلاهما ثقة وقد روى عنهما معبدٌ أخوهما جميعاً.

أسألَه عمّا صَنَعتُ في سفري هذا، فإنّه واللهِ لقد وَقَعَ في نفسي منه شيءٌ لِمَا رأيتُ من خلافِكم إيّايَ فيه.

قال: فخَرَجْنا نسألُ عن رسول الله ﷺ وكنّا لا نعرفُه، لم نَرَه قبلَ ذلك، فلَقِينا رجلاً من أهل مكّة، فسألْناه عن رسول الله ﷺ، فقال: هل تعرفانِه؟ فقلنا: لا، قال: هل تعرفانِ العبّاسَ بن عبد المُطَّلِب عمَّه؟ قال: قلنا: نعم ـ قال: وقد كنّا نعرفُ العبّاسَ، كان لا يزال يَقدَمُ علينا تاجراً ـ قال: فإذا دخلتُما المسجدَ فهو الرّجل الجالسُ مع العبّاس، قال: فدخلنا المسجدَ فإذا العبّاسُ جالسٌ، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ معه، فسلَّمْنا ثمّ جَلَسْنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعبّاس: «هل تَعرِفُ هذَينِ الرَّجلَينِ يا أبا الفَضْل؟» قال: نعم، هذا البراءُ بن مَعرُورٍ سيّدُ قومه، وهذا كعبُ بن مالك، قال: فواللهِ ما أَنسى قولَ رسول الله ﷺ: «الشَّاعرُ؟» قال: نعم، قال: فقال له البراءُ بن مَعرُور: يا نبيَّ الله، إنّي خرجتُ في سَفَري هذا وقد هَدَاني اللهُ للإسلام، فرأيتُ أن لا أجعلَ هذه البَنِيّةَ منّي بظَهْرٍ، فصلَّيتُ إليها، وقد خالَفَني أصحابي في ذلك حتّى وقع في نفسي من ذلك شيءٌ، فماذا تَرَى يا رسولَ الله؟ قال: «قد كُنتَ على قِبْلةٍ لو صَبَرتَ عليها»[1]، قال: فرجع البراءُ إلى قِبْلةِ رسول الله ﷺ وصلَّى

(١) قال السهيليُّ في «الروض» ٤/ ١١٣: لم يأمره بإعادة ما قد صلَّى؛ لأنه كان متأوِّلاً.

قلنا: وقد صحَّ من حديث مجاهد عن ابن عباس عند أحمد (٢٩٩١) قال: كان رسول الله ﷺ يصلِّي وهو بمكّة نحو بيت المَقدِسِ والكعبةُ بين يديه. ثمّ ذكر أنّه صلَّى بعدما هاجر إلى المدينة نحو بيت المقدس ستّةَ عشرَ شهراً، ثمّ صُرِفَ إلى الكعبة. وسيأتي ذكرُ صرف القِبْلة عند ابن إسحاق لاحقاً ص٢٩٥.

وأمّا ما ذكره السهيليُّ عن طائفة أنّهم قالوا: ما صلَّى إلى بيت المقدس إلّا مذ قَدِمَ المدينة سبعةَ عشرَ شهراً أو ستّةَ عشرَ شهراً، فعلى هذا يكون في القِبْلة نسخان: نسخُ سُنّة بسنّة، ونسخُ =

معنا إلى الشّام، قال: وأهلُه يَزعُمون أنّه صلَّى إلى الكعبة حتّى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحنُ أعلمُ به منهم[1].

قال ابن هشام: وقال عَوْن بن أيّوب[2] الأنصاريّ:

ومنّا المُصلِّي أوَّلَ النّاسِ مُقبِلاً على كَعبةِ الرَّحمنِ بينَ المَشاعرِ

يعني البراءَ بن مَعرُور، وهذا البيت في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: حدّثني مَعبَد بن كعب، أنّ أخاه عبدَ الله بن كعب حدَّثه، أنّ أباه كعبَ بن مالكٍ حدَّثه؛ قال كعبٌ: ثمّ خرجنا إلى الحجِّ، وواعَدْنا رسولَ الله ﷺ العَقَبةَ من أَوسطِ أيّام التَّشريق، قال: فلمّا فَرَغْنا من الحجِّ وكانت الليلةُ الّتي واعَدْنا رسولَ الله ﷺ لها، ومعنا عبدُ الله بن عَمرو بن حَرَام أبو جابرٍ ـ سيّدٌ من ساداتنا ـ أخَذْناه معنا، وكنّا نَكتُم مَن معنا من قومِنا من المشركين أَمْرَنا، فكَلَّمْناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنَّك سيّدٌ من ساداتنا، وشريفٌ من أشرافنا، وإنّا نَرغَبُ بك عمّا أنت فيه أن تكونَ حَطَباً للنّار غداً، ثمّ دَعَوْناه إلى الإسلام، وأخبرناه بمِيعادِ رسولِ الله ﷺ إيّانا العقبةَ، قال: فأسلَمَ وشَهِدَ معنا العقبةَ، وكان نَقِيباً.

قال: فنِمْنا تلك الليلةَ مع قومِنا في رِحالِنا، حتّى إذا مضى ثلثُ اللّيلِ خرجنا من رحالِنا لمِيعادِ رسولِ الله ﷺ تَسلُّلَ القَطَا[3] مُستَخفِينَ، حتّى اجتَمَعْنا في الشِّعب عند

= سنّة بقرآن؛ فقولٌ ضعيفٌ، وقد ضعّفه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١/ ٢٠٥ وصحَّح ما جاء في حديث مجاهد عن ابن عبّاس.

(١) إسناده صحيح. وسيأتي تخريجه مع بقية الخبر لاحقاً.

(٢) في (ت) و(ش١) و(ص) و(م): بن أبي أيوب، وهو خطأ، وقد تقدّم ذكره عند الكلام على خزاعة ونسبها ١/ ١٠١ حيث أورد المصنِّف هناك بيتين آخرين من قصيدته هذه.

(٣) القطا: نوع من طائر اليَمَام، يُؤْثر الحياة في الصحراء، واحدتها: قَطَاة.

العَقَبة، ونحن ثلاثةٌ وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتانِ من نسائنا: نَسِيبةُ بنت كعبٍ أمُّ عُمَارة، إحدى نساءِ بني مازن بن النَّجّار، وأسماءُ ابنة عمرو بن عَديِّ بن نابِي[1]، إحدى نساءِ بني سَلِمة، وهي أمُّ مَنِيع.

قال: فاجتَمَعْنا في الشِّعب ننتظرُ رسولَ الله ﷺ حتّى جاءنا ومعه عمُّه العبّاسُ ابن عبد المُطَّلِب، وهو يومئذٍ على دينِ قومه، إلّا أنَّه أحبَّ أن يَحضُرَ أمرَ ابنِ أَخيه ويَتوثَّقَ له، فلمّا جلس كان أوّلَ متكلِّمٍ العبّاسُ بن عبد المُطَّلِب، فقال: يا معشرَ الخَزرَج ـ قال: وكانت العربُ إنّما يُسمُّون هذا الحيَّ من الأنصار: الخَزرَجَ، خَزرَجَها وأَوسَها ـ: إنَّ محمّداً منّا حيثُ قد عَلِمتُم، وقد مَنَعْناه من قومنا ممّن هو على مثلِ رأينا فيه، فهو في عزٍّ من قومه ومَنَعةٍ في بلده، وإنّه قد أَبى إلّا الانحيازَ إليكم واللُّحوقَ بكم، فإن كنتم تَرَونَ أنّكم وافُونَ له بما دَعَوتُموه إليه، ومانِعُوه ممّن خالَفَه، فأنتم وما تحمَّلتُم من ذلك، وإن كنتم تَرَونَ أنّكم مُسلِمُوه وخاذِلُوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآنَ فدَعُوه، فإنّه في عزٍّ ومَنَعةٍ من قومه وبلده.

قال: فقلنا له: قد سَمِعْنا ما قلتَ، فتَكلَّمْ يا رسولَ الله، فخُذْ لنفسك ولربِّك ما أحببتَ.

قال: فتكلَّمَ رسولُ الله ﷺ فتلَا القرآن، ودَعَا إلى الله، ورَغَّبَ في الإسلام، ثمّ قال: «أُبايِعُكم على أنْ تَمنَعُوني ممَّا تَمنَعُونَ منه نِساءَكم وأبناءَكم».

قال: فأَخَذَ البراءُ بن مَعرُورٍ بيده، ثمّ قال: نعم، فوالَّذي بَعَثَك بالحقِّ، لنَمنَعَنَّك ممّا نَمنَعُ منه أُزُرَنا[2]، فبايِعْنا يا رسول الله، فنحنُ واللهِ أهلُ الحُروب، وأهلُ

(١) في (ت) مكان «نابي»: تلعاء، وهو خطأ عجيب، ولا يوجد هذا الاسم في شيء من كتب.

(٢) أي: نساءَنا، جمعُ إِزارٍ، والمرأة يُكْنى عنها بالإزار، كما يكنى أيضاً بالإزار عن النفس، =

الحَلْقة[1]، وَرِثْناها كابراً عن كابرٍ.

قال: فاعتَرَضَ القولَ ـ والبراءُ يُكلِّم رسولَ الله ﷺ ـ أبو الهيثم بنُ التَّيِّهانِ فقال: يا رسول الله، إنَّ بينَنا وبينَ الرّجالِ حِبالاً، وإنّا قاطِعُوها ـ يعني اليهودَ[2] ـ فهل عَسَيتَ إن نحنُ فَعَلْنا ذلك ثمّ أظهَرَكَ اللهُ، أن تَرجِعَ إلى قومك وتَدَعَنا؟ قال: فتبسَّم رسول الله ﷺ ثمّ قال: «بلِ الدَّمُ الدَّمُ، والهَدْمُ الهَدْمُ، أنا منكم وأنتُم منّي، أُحارِبُ مَن حارَبتُم، وأُسالِمُ مَن سالَمتُم».

قال ابن هشام: ويقال: الهَدَمُ الهَدَمُ، والهَدْم: الحُرْمة، أي: دَمِي دَمُكم، وحُرْمتي حُرْمتُكم[3].

= فيصحُّ أن يُحمَل قول البراء على إرادة المعنيَين جميعاً.

(١) قوله: أهل الحروب وأهل الحلقة، هكذا في (ش١) و(غ) و(م) ونسخة على حاشية (ص)، وكذلك هو في «مسند أحمد» (١٥٧٩٨)، وفي (ت) و(ي): أبناء أهل الحروب، وزاد بعده في (ي): وأهل الله، وفي (ق١): أهل الحرب.

وقوله: أهل الحَلْقة، أي: أهل السِّلاح، وأصله في الدُّروع، لأنها تُصنع حَلَقاً حَلَقاً، ثم سُمّي السلاح كله حَلْقة.

(٢) في «مسند أحمد»: يعني العهود.

(٣) قال ابن قُتيبة في «غريب الحديث» ١/ ٣٠٣: قال بعضهم: كانت قريش في الجاهلية إذا احتلفت أو حالفت غيرَها تقول: الدّم الدّم، والهَدْم الهَدْم، يريدون: تَطلُب بدمي وأطلب بدمك، وما هَدَمتَ من الدّماء هدمتُ، أي: ما عفوتَ عنه وهَدَرتَه عفوتُ عنه وهدرتُه.

وقال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر» ٥/ ٢٥١: في حديث بيعة العقبة «بل الدم الدم والهدم الهدم» يروى بسكون الدال وفتحها، فالهَدَم بالتحريك: القَبْر، يعني: إني أُقبَرُ حيث تُقبَرون، وقيل: هو المَنزِل، أي: منزلكم منزلي، كحديثه الآخر: «المَحْيا مَحْياكم، والمَماتُ مَماتكم» (وهو من حديث أبي هريرة عند مسلم: ١٧٨٠) أي: لا أفارقكم. =

قال كعبٌ: وقد قال رسول الله ﷺ: «أَخرِجُوا إليَّ منكم اثنَي عَشَرَ نَقِيباً[1] ليَكونُوا على قَومِهم بما فيهم»، فأَخرجوا منهم اثني عشرَ نقيباً، تسعةً من الخَزرَج، وثلاثةً من الأَوس[2].

أسماء النُّقباء الاثني عشرَ وتمامُ خبر العقبة

قال ابن هشام: من الخَزرَج ـ فيما حدَّثنا زيادُ بن عبد الله البَكَّائيّ، عن محمّد بن إسحاق المُطَّلِبيّ ـ: أبو أُمامة أسعدُ بن زُرَارة بن عُدَس بن عُبيد بن ثَعلَبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار، وهو[3] تَيْمُ الله بن ثَعلَبة بن عمرو بن الخَزرَج.

وسعدُ بن الرَّبيع بن عمرو بن أبي زُهَير بن مالك بن امرِئِ القيس بن مالك بن ثَعلَبة بن كعب بن الخَزرَج بن الحارث بن الخَزرَج.

وعبدُ الله بن رَوَاحة بن امرِئ القيس بن عمرو بن امرِئ القيس بن مالك[4] بن

= والهَدْم بالسكون وبالفتح أيضاً: هو إهدار دم القتيل، يقال: دماؤهم بينهم هدمٌ، أي: مُهدَرة، والمعنى: إن طُلِب دمكم فقد طُلِب دمي، وإن أُهدر دمكم فقد أُهدر دمي، لاستحكام الأُلفة بيننا، وهو قول معروف للعرب، يقولون: دمي دمك وهدمي هدمك، وذلك عند المعاهدة والنُّصرة.

(١) النَّقيب: هو الأمين والكفيل على القوم، وهو كالعَريف على القوم المقدَّم عليهم، الذي يتعرّف أخبارهم، وينقِّب ـ أي: يفتِّش ـ عن أحوالهم.

(٢) إسناد هذا الخبر الطويل صحيحٌ.

وأخرجه كذلك أحمد (١٥٧٩٨)، وابن حبان (٧٠١١)، والحاكم (٥٩٧٦) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. ولم يسقه الحاكم في «مستدركه» بطوله، لكن أشار إليه إشارة، وقد رواه عنه بهذا الطُّول البيهقيُّ في «دلائل النبوة» ٢/ ٤٤٤-٤٤٨.

(٣) أي: النَّجّار.

(٤) قد اختُلف في نسب ابن رواحة في نسخنا الخطية وفي كتب التراجم والأنساب، فما أثبتناه هنا من (ش١) و(غ) و(ق١) و(ي)، وفي (ص) و(م): عبد الله بن رواحة بن امرئ القيس بن =

ثَعلَبة بن كعب بن الخَزرَج بن الحارث بن الخَزرَج.

ورافعُ بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخَزرَج.

والبَرَاءُ بن مَعرُور بن صَخْر بن خَنْساء بن سِنان بن عُبيد بن عَدِيّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة بن سعد بن عَليّ بن أَسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخَزرَج.

وعبدُ الله بن عمرو بن حَرَام بن ثَعلَبة بن حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة بن سعد بن عليّ بن أَسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخَزرَج.

وعُبَادةُ بن صامت بن قيس بن أَصْرَم بن فِهْر بن ثَعلَبة بن غَنْم بن سالم بن عَوْف ابن عمرو بن عوف بن الخَزرَج.

قال ابن هشام: هو غَنْم بن عوف، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخَزرَج.

قال ابن إسحاق: وسعدُ بن عَبَادة بن دُلَيم بن حارثة بن أبي حَزِيمة بن ثَعلَبة بن طَرِيف بن الخَزرَج بن ساعدة بن كعب بن الخَزرَج.

والمُنذِرُ بن عمرو بن خُنَيس بن حارثة بن لَوْذان[1] بن عبد وَدّ بن زيد بن ثَعلَبة ابن الخَزرَج بن ساعدة بن كعب بن الخَزرَج؛ قال ابن هشام: ويقال: ابن خَنبَشٍ[2].

= ثعلبة بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك، وسقط شيء من عمود نسبه في (ت) ففيها: عبد الله ابن رواحة بن امرئ القيس بن مالك...

(١) وقُيّد في (ت) و(ص) بضم اللام، وفي (م) بالوجهين.

(٢) يعني مكان خنيس، وقول ابن هشام هذا ليس في (ت)، وقُيّد في (غ) و(ق١): خُنبُش، بضمّ الخاء والباء، وهو خطأ. وفي «جمهرة اللغة» لابن دريد ٢/ ١١١٧: رجلٌ خَنبَشٌ: كثير الحركة، فإن كانت النون فيه زائدة فهو من قولهم: خَبَشَ الشيءَ وخبّشه، إذا جَمَعه.

ومن الأَوس: أُسَيدُ بن حُضَير بن سِمَاك بن عَتِيك بن رافع بن امرِئِ القيس بن زيد بن عبد الأَشهَل بن جُشَم بن الحارث بن الخَزرَج بن عمرو بن مالك بن الأَوس.

وسعدُ بن خَيثَمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحّاط بن كعب بن حارثة ابن غَنْم بن السِّلْم[1] بن امرِئِ القيس بن مالك بن الأَوس.

ورِفَاعةُ بن عبد المُنذِر بن زَنبَر بن زيد بن أُميَّة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأَوس.

قال ابن هشام: وأهلُ العلم يَعُدُّون فيهم أبا الهيثم بن التَّيِّهان[2] ولا يَعدُّون رِفاعةَ، وقال كعبُ بن مالكٍ يَذكُرهم، فيما أنشدني أبو زيدٍ الأنصاريُّ:

أَبلِغْ أُبيّاً أنَّه قالَ رأيُهُ[3] ... وحانَ غَدَاةَ الشِّعبِ والحَيْنُ واقعُ

أَبَى اللهُ ما مَنَّتكَ نفسُك إنَّهُ ... بِمِرْصادِ أمرِ الناسِ راءٍ وسامعُ

وأَبلِغْ أبا سفيانَ أنْ قدْ بَدَا لنا ... بأحمدَ نورٌ من هُدَى اللهِ ساطعُ

فلا تُرعِيَنْ في حَشدِ أمرٍ تريدُهُ ... وألِّبْ وجَمِّعْ[4] كلَّ ما أنتَ جامعُ

---

(١) في (ص) و(م): أسلم، وهو تحريف.

والسِّلْم: بكسر السين وسكون اللام، هكذا قيّده ابن الأثير في «أسد الغابة» ١/ ٢٦٠ نقلاً عن الطبري، وكذلك قيّده ابن حجر في «تبصير المنتبه» ٢/ ٦٨٨، وأما القلقشنديّ في «نهاية الأرب في أنساب العرب» ١/ ٥٩ ففتح السين.

(٢) قال ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٤١٢: هو أحد النّقباء الاثني عشر، أجمعوا على ذلك كلهم. ثمّ سمّاه ٣/ ٥٦١ في نقباء الأوس الثلاثة من الاثني عشر، ولم يسمِّ رفاعةَ - وكنية رفاعة أبو لُبَابة مشهور بها - وكلّ من سمّى رفاعة في النقباء كابن عبد البر وابن الأثير، فإنّما تبع في ذلك ابنَ إسحاق.

(٣) أُبي: هو ابن خلف. وفالَ رأيُه: أخطأ وبَطَلَ. والحَين: الهلاك.

(٤) لا تُرعِيَنّ، أي: لا تُبقيَنَّ، يقال: ما أَرعَى عليه، أي: ما أبقى عليه. وألِّب وجمِّع بمعنًى.

ودُونَكَ فاعلَمْ أنَّ نقضَ عُهودِنا ... أبَاهُ عليكَ الرَّهطُ حينَ تَبايَعُوا[1]

أباهُ البَرَاءُ وابنُ عَمرٍو كلاهُما ... وأسعَدُ يَأْباهُ عليكَ ورافعُ

وسعدٌ أَباهُ الساعدِيُّ ومُنذِرٌ ... لأَنفِكَ إنْ حاولتَ ذلك جادعُ[2]

وما ابنُ رَبيعٍ إنْ تناوَلتَ عَهدَهُ ... بمُسلِمِهِ لا يَطمَعَنْ ثَمَّ طامعُ

وأيضاً فلا يُعطِيكَهُ ابنُ رَوَاحةٍ ... وإخفارُهُ من دُونِه السّمُّ ناقعُ[3]

وَفاءً به والقَوْقَليُّ ابنُ صامتٍ ... بمَندُوحةٍ عمّا تُحاوِلُ يافعُ[4]

أبو هَيثمٍ أيضاً وَفِيٌّ بمِثلِها ... وَفاءً بما أَعطَى من العهدِ خانعُ[5]

وما ابنُ حُضيرٍ إن أردتَ بمَطمَعٍ ... فهل أنتَ عن أُحمُوقةِ الغَيِّ نازعُ[6]

وسعدٌ أخو عمرِو بن عوفٍ فإنَّهُ ... ضَرُوحٌ لِما حاوَلتَ مِلْأَمرِ مانعُ[7]

أُوْلاكَ نجومٌ لا يُغِبُّكَ منهمُ ... عليكَ بنَحْسٍ في دُجَى اللّيلِ طالعُ[8]

فذكر كعبٌ فيهم أبا الهيثم بنَ التَّيِّهان ولم يذكر رِفاعةَ.

---

(١) في (ش١) و(غ) و(م) و(ي): تتابعوا.

(٢) جادع، أي: قاطعٌ له.

(٣) إخفاره: نقضُ عهده. وناقع، أي: ثابتٌ.

(٤) القوقليّ: نسبة إلى قَوقَل، بطن من الخزرج، وهو غَنْم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخَزرَج. بمندوحة، أي: بمتّسَع. ويافع، أي: موضع مرتفع لا تصل إليه.

(٥) خانع، أي: مقرٌّ خاضعٌ.

(٦) الأُحموقة: من الحُمق، وحقيقته: وضعُ الشيء في غير موضعه مع العلم بقُبحه. ونازع: تاركٌ لها.

(٧) ضروح، أي: مانع ودافع عن نفسه. مِلأمر، أي: من الأمر.

(٨) أُولاك، أي: أولئك، بترك الهمزة. وقوله: لا يُغبُّك... أي: نحسُهم عليك مستمرّ كل يوم، فالغِبُّ: فعلُ الشيء يوماً وتركه يوماً. ودجى الليل: ظُلمته.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكر: أنَّ رسول الله ﷺ قال للنُّقَباء: «أنتُم على قَومِكُم بما فيهم كُفَلاءُ، ككَفَالةِ الحَوَاريِّينَ لعيسى ابنِ مريمَ، وأنا كَفيلٌ على قَوْمي[1]» قالوا: نعم[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنَّ القوم لمّا اجتمعوا لبيعةِ رسول الله ﷺ قال العبّاسُ بن عُبَادة بن نَضْلة الأنصاريُّ، أخو بني سالم بن عوف: يا معشرَ الخَزرَج، هل تدرون عَلامَ تُبايِعون هذا الرّجل؟ قالوا: نعم، قال: إنَّكم تُبايِعُونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإنْ كنتم تَرَونَ أنَّكم إذا نُهِكَت[3] أموالُكم مصيبةً، وأشرافُكم قتلاً، أسلَمتُموه، فمن الآنَ، فهو واللهِ إن فعلتُم خِزيُ الدنيا والآخرة، وإن كنتم تَرَونَ أنّكم وافُونَ له بما دَعَوتُموه إليه على نَهْكةِ الأموال وقتلِ الأشراف، فخُذُوه، فهو واللهِ خيرُ الدنيا والآخرة، قالوا: فإنّا نأخذُه على مصيبةِ الأموال وقتلِ الأشراف، فما لنا بذلك يا رسولَ الله إن نحنُ وَفَيْنا؟ قال: «الجَنَّةُ» قالوا: ابسُطْ يدَك؛ فبَسَطَ يدَه فبايَعُوه[4].

---

(١) زاد هنا في (ص) و(م): يعني المسلمين، وفي (ي): المسلمين، بلا كلمة «يعني». ويريد بهم من سيهاجر إليهم.

(٢) حديث حسن إن شاء الله، وهذا إسناد مرسل، فعبد الله بن أبي بكر من صغار التابعين، وهو ثقة حافظ عالم بالمغازي، وقد روى خبره هذا الواقديُّ كما في «طبقات ابن سعد» ١/ ١٨٩ و٣/ ٥٥٧ من عدّة وجوه ليس هو فيها، فرواية الواقديّ ـ مع ما فيه من الكلام ـ تشهد له.

وأمّا حديث عبد الله بن أبي بكر فقد أخرجه ابن سعد ٣/ ٥٥٧، وابن أبي شيبة ١٤/ ٥٩٧، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٦٣، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٤٥٢ من طريقين عن ابن إسحاق، به.

(٣) أي: نقصت.

(٤) حديث صحيح، فقد رواه ابن إسحاق عن اثنين ثقتين عالمين بالمغازي، هما عاصم =

فأمّا عاصمُ بن عمر بن قَتَادة فقال: واللهِ ما قال ذلك العبّاسُ إلّا ليَشُدَّ العَقْدَ لرسول الله ﷺ في أعناقهم.

وأمّا عبدُ الله بن أبي بكر فقال: ما قال ذلك العبّاسُ إلّا ليؤخِّرَ القومَ تلك الليلةَ، رجاءَ أن يَحضُرَها عبدُ الله بن أُبيِّ ابنِ سَلُولَ، فيكون أقوى لأمرِ القوم. فاللهُ أعلم أيُّ ذلك كان.

قال ابن هشام: سَلُولُ: امرأةٌ من خُزَاعة، وهي أمُّ أُبيِّ بن مالك بن الحارث بن عُبيد بن مالك بن سالم بن غَنْم بن عوف بن الخَزرَج.

قال ابن إسحاق: فبَنُو النَّجّار يَزعُمون أنّ أبا أُمامة أسعدَ بن زُرَارة، كان أوّلَ من ضَرَبَ على يدِه، وبنو عبد الأَشهَل يقولون: بل أبو الهيثم بنُ التَّيِّهان.

= ابن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر بن حزم كما في هذه الرواية هنا وكما في رواية سلمة بن الفضل عنه عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٦٤-٣٦٥، ورواية أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق عند البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٤٥٠ وابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٥٩، وهما وإن أرسلاه تتقوَّى رواية أحدهما بالآخر.

على أنّ عقبة بن مُكرَم الضبّي ـ وهو قويُّ الحديث ـ قد بيّن في روايته عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٣٣٢) أنّ عاصم بن عمر بن قتادة روى هذا الخبر عن محمود بن لَبِيد؛ فإن كان هذا محفوظاً فالإسناد صحيح، فإن محموداً وُلِد في حياة النبيّ ﷺ، وهو معدودٌ في صغار الصحابة.

وبنحوِ ما روي هنا من قول العبّاس بن عبادة بن نضلة يخاطب قومه، وقع في قول أسعد بن زُرارة فيما حدَّث به جابرُ بن عبد الله عن هذه البيعة، كما عند أحمد (١٤٦٥٣) وابن حبان (٦٢٧٤) والحاكم (٤٢٩٧) بسند قويّ، وكان جابر ممَّن شهدها، فإن كان ما في هذين الخبرين محفوظاً، فيكون أحد الرجلين قد ثنَّى على كلام الآخر للتأكيد، وإلا فإنَّ ما وقع في حديث جابر أثبتُ وأصحُّ لكونه شاهداً حين تمّت هذه البيعة، والله تعالى أعلم.

قال ابن إسحاق: فأمّا مَعبَدُ بن كعبٍ فحدّثني في حديثه عن أخيه عبد الله بن كعب، عن أبيه كعب بن مالكٍ قال: كان أوّلُ من ضَرَبَ على يدِ رسول الله ﷺ البراءَ ابنَ مَعْرور، ثمّ بايَعَ القومُ.

فلمّا بايَعْنا رسولَ الله ﷺ صَرَخَ الشيطانُ من رأس العَقَبةِ بأنفذِ صوتٍ سمعتُه قطُّ: يا أهلَ الجَباجِبِ ـ والجَباجبُ: المنازل ـ هل لكم في مُذمَّمٍ والصُّبَّاءِ[1] معه، قد اجتمعوا على حربِكم، قال: فقال رسول الله ﷺ: «هذا إزْبُ[2] العَقَبةِ، هذا ابن أَزْيَبَ[3] ـ قال ابن هشام: ويقال: ابن أُزَيب[4] ـ أتسمَعُ أيْ عدوَّ الله، أمَا واللهِ لأفرُغَنَّ لك»، قال: ثمّ قال رسول الله ﷺ: «ارفَضُّوا[5] إلى رِحالِكم»، قال: فقال له العبّاس ابن عُبادة بن نَضْلة: واللهِ الّذي بَعَثَك بالحقّ، إن شئتَ لنَمِيلَنَّ على أهل مِنى غداً

---

(١) الجباجب: منازل منى، وأصله: أنّ الأوعية من الجلود تسمَّى جَبجَبة، فجعل الخيام والمنازل لأهلها كالأَوعية.

والصُّبّاء: جمع صابئٍ، كشاهدٍ وشُهّاد، وهو الخارج من دين إلى دين آخر، انظر «غريب الحديث» للخطّابيّ ١/ ١٢٨، و«معجم مقاييس اللغة» لابن فارس ٣/ ٣٣٢، و«النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير ٣/ ١١، ومن لم يهمز آخر الكلمة فقال: صابي، جمعه على: صُبَاةٍ، كقاضٍ وقُضاة، وغازٍ وغُزاة.

(٢) هكذا قُيّد في نسخنا الخطيّة غير (ت) ففيها: أَزَبُّ، وقد جاء تقييده بالوجهين كما أشار إلى ذلك السهيليُّ في «الروض» ٤/ ١٢٥، وصاحب «توضيح المشتبه» ١/ ١٨٢.

والإزْب: القصير الدَّميم، والضئيل أيضاً، واللئيم، والأَزَبّ: الكثر الشَّعر.

(٣) هكذا في (ص) و(ق١) و(م)، وفي حاشية (ص): أُزَيْب، وفي (ت) و(ش١) و(غ) و(ي): أرنب.

(٤) هكذا في (ق١): أُزيب، وفي (ت): أَزِيْب، وفي (ص) و(غ) و(ي): أَرنب!

(٥) أي: تفرّقوا.

بأسيافنا، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لم نُؤمَرْ بذلك، ولكنِ ارجِعُوا إلى رِحالِكُم».

قال: فرجعنا إلى مَضاجِعِنا فنِمْنا عليها حتّى أصبَحْنا، فلمّا أصبَحْنا غَدَتْ علينا جِلّةُ قريش حتّى جاؤُونا في منازلنا، فقالوا: يا معشرَ الخَزرَج، إنّه قد بَلَغَنا أنّكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهُرِنا، وتُبايِعُونه على حربنا، وإنّه واللهِ ما من حيٍّ من العرب أبغضُ إلينا أن تَنشَبَ الحربُ بيننا وبينهم، منكم. قال: فانبَعَثَ مَن هناك من مُشرِكي قومنا يَحلِفُون بالله ما كان من هذا شيءٌ وما عَلِمْناه، قال: وصَدَقُوا، لم يَعلَموا، قال: وبعضُنا يَنظُرُ إلى بعضٍ، قال: ثمّ قام القومُ وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المَخزُوميُّ، وعليه نَعْلانِ له جديدانِ، قال: فقلتُ له كلمةً ـ كأنّي أريد أن أَشرَكَ القومَ بها فيما قالوا ـ: يا أبا جابرٍ، أما تستطيعُ أن تتَّخذَ، وأنت سيّدٌ من ساداتنا، مثلَ نَعلَيْ هذا الفتى من قريشٍ؟ قال: فسمعها الحارثُ، فخَلَعَهما من رِجلَيهِ ثمّ رمى بهما إليَّ وقال: واللهِ لتَنتعِلَنَّهما، قال: يقول أبو جابرٍ: مَهْ، أَحفَظْتَ واللهِ الفتى[1]، فاردُدْ إليه نَعلَيهِ، قال: قلت: واللهِ لا أردُّهما، فَأْلٌ واللهِ صالحٌ، والله لَئِنْ صَدَقَ الفألُ لأَسلُبَنَّه[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكر: أنّهم أتَوْا عبدَ الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ فقالوا له مثلَ ما ذَكَرَ كعبٌ من القول[3]، فقال لهم: واللهِ إنّ هذا لأمرٌ جَسِيمٌ، ما كان

---

(١) أي: أغضبته، والحَفيظة: الغضب.

(٢) إسناده صحيح. وهو تتمّة حديث معبد بن كعب في بيعة العقبة المتقدّم قبل سرد أسماء النقباء، فانظر تخريجه هناك ص٦٤.

(٣) يعني قالوا له: يا معشرَ الخزرج، إنّه قد بَلَغَنا أنّكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهُرِنا، وتُبايِعُونه على حربنا، وإنّه والله ما من حيٍّ من العرب أبغضُ إلينا أن تَنشَبَ الحربُ بيننا وبينهم، منكم.

قومي ليَتَفَوَّتُوا عليَّ[1] بمِثْلِ هذا، وما عَلِمتُه كان، قال: فانصَرَفُوا عنه.

قال: ونَفَرَ الناسُ من مِنى، فتَنَطَّسَ القومُ الخبرَ[2] فوَجَدُوه قد كان، وخرجوا في طَلَبِ القوم، فأدرَكُوا سعدَ بنَ عُبادةَ بأَذاخِرَ[3]، والمنذرَ بنَ عمرٍو أخا بني ساعدة بن كعب بن الخَزرَج، وكلاهما كان نقيباً، فأمّا المنذرُ فأعجَزَ القومَ، وأمّا سعدٌ فأخذوه فرَبَطُوا يديه إلى عُنُقه بنِسْعِ[4] رَحْلِه، ثمّ أقبَلُوا به حتّى أدخلوه مكّة، يَضرِبونه ويَجذِبونه بجُمَّتِه[5]، وكان ذا شعرٍ كثيرٍ.

قال سعد: فواللهِ إنّي لفي أيديهم إذ طَلَعَ عليَّ نفرٌ من قريش فيهم رجلٌ وَضِيءٌ، أبيضُ شَعشاع، حُلْوٌ من الرِّجال ـ قال ابن هشام: الشَّعشاع: الطويلُ الحَسَن[6] ـ قال: فقلت في نفسي: إنْ يكُ عند أحدٍ من القوم خيرٌ، فعند هذا، قال: فلمّا دَنَا منّي رَفَعَ يده فلَكَمَني لَكْمةً شديدةً، قال: فقلت في نفسي: لا واللهِ ما عندهم بعدَ هذا من خير، قال: فواللهِ إنّي لفي أيديهم يَسحَبُونني إذ أَوَى لي[7] رجلٌ ممّن معهم فقال: وَيحَك،

---

(١) من الفَوْت، يقال: تَفوَّت فلان على فلان في كذا وافتَاتَ عليه، إذا انفرد برأيه دونه في التصرُّف.

(٢) أي: أكثروا البحثَ عنه، والتنطُّس: تدقيق النظر في الشيء.

(٣) جبل شمال مكّة يتّصل بالحَجُون، ومن ثنيّته دخل النبيُّ ﷺ إلى مكّة يوم الفتح.

(٤) النِّسع: حبل مضفور من جلد يُشدُّ به الرَّحل، أو يُجعل زِماماً للبعير وغيره.

(٥) الجُمّة: مُجتمَع شعر الرأس الساقط على المنكبين.

(٦) قول ابن هشام هذا ليس في (ش١) و(غ) و(م) و(ي)، وأثبتناه من (ت) و(ق١) وحاشية (ص)، وزاد في (ق١): قال رؤبةُ: يَمطُوه من شَعشاعٍ غيرِ مُودَنِ؛ يعني عُنق البعير غير قصير، يقول: مُودَن اليد، أي: ناقص اليد يَمطُوه من السّير. ثم أشار صاحب النسخة إلى أن قول ابن هشام هذا كلّه حاشية.

(٧) أَوى له، أي: رقَّ له ورحمه.

أمَا بينك وبين أحدٍ من قريش جِوارٌ ولا عهدٌ؟ قال: قلت: بلى والله، لقد كنت أُجِيرُ لجُبَير بن مُطعِم بن عَديّ بن نوفل بن عبد مَنَافٍ تِجَارَه[1]، وأمنَعُهم ممّن أراد ظُلمَهم ببلادي، وللحارث بن حَرْب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف، قال: وَيحَك، فاهتِفْ باسم الرَّجلين، واذكُرْ ما بينك وبينهما، قال: ففعلتُ، وخرج ذلك الرجلُ إليهما، فوَجَدَهما في المسجد عند الكعبة، فقال لهما: إنّ رجلاً من الخَزرَج الآن يُضرَب بالأبطَحِ[2] لَيَهتِفُ بكما، ويذكرُ أنَّ بينه وبينكما جِواراً، قالا: ومن هو؟ قال: سعدُ بنُ عُبادة، قالا: صَدَقَ والله، إنْ كان ليُجِيرُ لنا تِجَارَنا، ويَمنَعُهم أن يُظلَموا ببلده، قال: فجاءا فخلَّصا سعداً من أيديهم، فانطَلَق. وكان الّذي لَكَمَ سعداً سهيلَ ابنَ عمرٍو، أحدَ بني عامر بن لُؤيّ[3].

قال ابن هشام: وكان الرجلُ الّذي أَوَى له، أبا البَختَريّ بن هشام.

قال ابن إسحاق: وكان أوّلُ شعرٍ قيل في الهِجْرة بيتين، قالهما ضِرارُ بن الخطّاب ابن مِرْداسٍ أخو بني مُحارِب بن فِهْر، فقال:

تـداركتُ سـعداً عَنـوَةً[4] فأخذتُـهُ وكـان شِـفاءً لـو تـدارَكتُ مُنـذِرا

---

(١) التِّجَار: جمع تاجرٍ.

(٢) موضعٌ سهل بين الحَجُون والمسجد الحرام.

(٣) هذا من مراسيل عبد الله بن أبي بكر بن حزم، وقد رواه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٦٧-٣٦٨ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به. ويشدُّه ما وقع للواقديّ ـ كما في «طبقات ابن سعد» ١/ ١٩٠ ـ من غير وجهٍ مسنداً ومرسلاً بنحو هذا الخبر.

(٤) أي: قهراً.

وسعدٌ المذكور هو ابن عُبادة في قول ابن إسحاق هذا، وتابعه على ذلك البلاذُريّ في «أنساب الأشراف» ١/ ٢٥٤-٢٥٥، وابن دُريد كما في «الأوائل» للعسكريّ ص٤٢٦، وذهب الزُّبير بن =

ولـو نِلتُـهُ طُلَّـتْ هنـاكَ جِراحُـهُ وكـان جِراحـاً[1] أن يُهـانَ ويُهـدَرا

قال ابن هشام: ويُروَى: وكان حقيقاً أن يُهانَ ويُهدَرا.

قال ابن إسحاق: فأجابه حسّانُ بن ثابتٍ فيهما فقال[2]:

لستَ إلى عَمـرٍو[3] ولا المـرءِ مُنـذِرٍ إذا مـا مَطَايـا القـومِ أصبَحنَ ضُـمَّرا[4]

فلـولا أبـو وهـبٍ لمَـرَّتْ قصـائدٌ علـى شَـرَفِ البَرْقـاءِ يَهـوِينَ حُسَّـرا[5]

أتفخَـرُ بالكَتّـانِ لمّـا لَبِسـتَهُ وقـد يَلـبَسُ الأَنبـاطُ رَيْطـاً مُقَصَّـرا[6]

= بكّار وعمُّه مصعب الزبيريّ في «نسب قريش» ص١٢٦ إلى أن سعداً هذا: هو ابن النعمان الأوسيّ، وذكرا في ذلك قصة غير التي ذكرها ابن إسحاق هنا، وتابعهما على ذلك ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٢٨٥، والراجح فيما نرى ـ والله أعلم ـ قولُ ابن إسحاق ومن تابعه.

(١) هكذا في (ت) و(ش١) و(ص) و(ق١) و(م)، وفي (ي): جديراً، وفي (غ): حريّاً. وجديراً وحريّاً بمعنى، أي: حقيقاً.

ومعنى «طُلَّت»: أُبطِلت وأُهدِرت.

(٢) وهذه القصيدة في «ديوانه» ١/ ٢٢٤.

(٣) في (ش١) و(ص) و(م): إلى سعد، وكذا في «أوائل العسكريّ»، وأمّا في «الديوان» فهو كبقيّة نسخنا الخطية: إلى عمرو، وعنى بعمرٍو كما قال السهيليُّ في «الروض» ٤/ ١٣١ عمرَو بن خُنَيس والدَ المنذر، يقول: لستَ إليه ولا إلى ابنه المنذر، أي: أنت أقلُّ من ذلك.

وفي (غ) و(ق١) في أول البيت: ولست، بزيادة الواو، وبها يصحّ الوزن الشِّعريّ، وهو بدونها ـ كما في بقية النسخ و«الديوان» ـ خَرْم، ويقع كثيراً في مطالع القصائد.

(٤) المطايا: جمع مَطيّة، وهي الناقة التي يُركَب مَطَاها، أي: ظَهْرها. وضُمَّراً، جمع ضامرٍ، وهو البعير الذي اشتدَّ لحمه فهو غير مترهِّل. يريد أن هذه المطايا معدَّة للحرب.

(٥) يقول: لولا أن أبا وهب ـ ولم نتبيَّن من يعني به ـ أبلغنا أبياتك هذه لذَهَبَت وأهوَت مُعيِيَةً ولم تصل إلينا لضآلتها. والبرقاء: كل موضع فيه حجارة مختلفة الألوان، والشَّرَف: المُرتَفَع.

(٦) الأنباط: قوم من العجم. والرَّيط: ثوب رقيق ليِّن. ومقصَّر، أي: مبيَّض.

فـلا تـكُ كالوَسْـنانِ[1] يَحلُـمُ أنَّـهُ بقريـةِ كِسـرَى أو بقريـةِ قَيصَـرا
ولا تكُ كالثَّكْلَى[2] وكانت بمَعـزِلٍ عـن الثُّكْـلِ لـو كـان الفـؤادُ تَفكَّـرا
ولا تـكُ كالشّـاةِ الّتـي كـان حَتْفُهـا بحَفْـرِ ذِراعَيهـا فلـم تَـرْضَ مَحفَـرا
ولا تـكُ كالعـاوِي فأقبَـلَ نَحْـرَهُ ولم يَخشَهُ، سهماً من النَّبْـلِ مُضمَرا[3]
فإنّـا ومَـن يُهـدِي القصـائدَ نحوَنـا كمُستبضِعٍ تمراً[4] إلى أرضِ خَيبَرا

فلمّا قَدِموا المدينة أظهَرُوا الإسلامَ بها، وفي قومهم بقايا من شيوخٍ لهم على دينهم من الشِّرك، منهم عمرُو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة، وكان ابنه معاذ بن عمرٍو شَهِدَ العَقَبة وبايَعَ رسولَ الله ﷺ بها، وكان عمرو بن الجَمُوح سيّداً من سادات بني سَلِمة وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتَّخَذَ في داره صنماً من خشب يقال له: مَنَاة، كما كانت الأشرافُ يَصنَعُون، تتَّخذُه إلٰها تُعظِّمه وتُطهِّره، فلمّا أسلَمَ فِتيانُ بني سَلِمة؛ معاذُ بن جبلٍ وابنُه معاذُ بن عمرو، في فتيانٍ منهم ممّن أسلَمَ وشَهِدَ العَقَبةَ، كانوا يُدلِجون باللّيل على صنم عمرٍو ذلك فيَحمِلُونه فيَطرَحُونه في بعض حُفَر بني سَلِمة، وفيها عِذَرُ النّاس[5]، مُنكَّساً على رأسه، فإذا أصبَحَ عَمرٌو قال: وَيلَكم! مَن عَدَا على آلهتنا هذه اللّيلةَ؟ قال: ثمّ يَغدُو

(١) أي: كالنّائم.

(٢) هي المرأة الفاقدة ولدَها.

(٣) أي: لا تك كالذّئب يعوي فيدلّ بعوائه على نفسه فيُرمى بسهم من حيث لا يدري، وقوله: فأقبل نحرَه سهماً، أي: جعل صدره قُبالة سهم، يعني: عرّض صدره له.

(٤) أي: كمتّخذٍ تمراً بضاعةً إلى خيبر وهي أرض التمر حيث يكثر فيها. يريد: نحن أهل الشِّعر والقصائد.

(٥) يعني أوساخهم من غائط وغيره، واحده: عَذِرة.

يَلتمِسُه، حتّى إذا وَجَدَه غَسَله وطَهَّره وطَيَّبه، ثمّ قال: أمَا واللهِ لو أعلمُ من فعل هذا بك لأُخزيَنَّه، فإذا أَمسى ونام عمرٌو، عَدَوْا عليه ففعلوا به مثلَ ذلك، فيَغدُو فيَجِدُه في مثل ما كان فيه من الأَذى، فيَغسِلُه ويطهِّره ويطيِّبه، ثمّ يَعدُونَ عليه إذا أَمسى فيفعلون به مثلَ ذلك، فلمّا أكثَرُوا عليه، استخرجه من حيث أَلقَوْه يوماً فغَسَلَه وطهَّره وطيَّبه، ثمّ جاء بسيفه فعلَّقه عليه، ثمّ قال له: إنّي واللهِ ما أعلَمُ من يَصنَعُ بك ما ترى، فإن كان فيك خيرٌ فامتَنِعْ، فهذا السيفُ معك، فلمّا أَمسى ونام عمرٌو، عَدَوْا عليه فأخذوا السيفَ من عُنقِه، ثمّ أخذوا كلباً ميّتاً فقَرَنُوه به بحبل، ثم أَلقَوْه في بئرٍ من آبار بني سَلِمة فيها عِذَرٌ من عِذَرِ النّاس، وغَدَا عمرُو بن الجَمُوح فلم يَجِدْه في مكانه الّذي كان به، فخرج يَتَّبَعُه حتّى وَجَدَه في تلك البئر مُنكَّساً مقروناً بكلب ميت، فلمّا رآه أبصَرَ شأنَه، وكلَّمه مَن أسلَمَ من قومه، فأسلَمَ يرحمُه الله وحَسُنَ إسلامُه.

فقال حين أسلمَ وعَرَفَ من الله ما عَرَف، وهو يَذكُر صنمَه ذلك وما أبصَرَ من أمره، ويَشكُر الله تعالى الذي أنقَذَه ممّا كان فيه من العَمَى والضَّلالة:

واللهِ لـو كنـتَ إلٰهـاً لـم تكـنْ ... أنتَ وكلبٌ وَسْطَ بئرٍ في قَرَنْ[1]

أُفٍّ لمَلْقـاكَ إلٰهـاً مُسـتَدَنْ ... الآنَ فَتَّشناكَ عـن سُـوءِ الغَـبَنْ[2]

الحمـدُ للهِ العَلـيِّ ذي المِـنَنْ ... الواهـبِ الـرَّزّاقِ دَيّـانِ الـدِّينْ[3]

---

(١) القَرَن: الحبل.

(٢) مُستَدَن: من السِّدانة، وهي خدمة البيت وتعظيمه كما في «الروض» للسهيليّ ٤/ ١٥٤، يريد أنه كان مخدوماً معظَّماً. وسوء الغَبَن: فساد الرأي وخسران النفس.

(٣) الدَّيّان قيل: هو القهّار، وقيل: هو الحاكم والقاضي، من دانَ الناسَ، أي: قَهَرَهم على الطاعة. قاله ابن الأثير في «النهاية» ٢/ ١٤٨، وأمّا الدِّين، فقد قال السهيليُّ في «الروض» =

هـو الّـذي أنقَـذَني مـن قبـلِ أنْ أكـونَ في ظُلمـةِ قبـرٍ مُـرتَهَنْ[1]

قال ابن إسحاق: وكانت بيعةُ الحرب، حين أَذِنَ اللهُ لرسوله ﷺ في القتال، شروطاً سوى شرطِه عليهم في العَقَبة الأُولى، كانت الأُولى على بيعة النِّساء، وذلك أنَّ الله تعالى لم يكن أَذِنَ لرسوله ﷺ في الحرب، فلمّا أَذِنَ له فيها وبايَعَهم رسولُ الله ﷺ في العَقَبة الآخِرة على حرب الأحمر والأسود، أَخَذَ لنفسه واشتَرَطَ على القوم لربِّه، وجَعَلَ لهم على الوفاءِ بذلك الجنّةَ.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عُبَادة بن الوليد بن عُبَادة بن الصامت، عن أبيه الوليد، عن جدِّه عُبادة بن الصامت ـ وكان أحدَ النُّقباء ـ قال: بايَعْنا رسولَ الله ﷺ بيعةَ الحرب ـ وكان عُبَادةُ من الاثني عشرَ الّذين بايَعُوه في العقبة الأُولى على بيعةِ النساء ـ على السَّمعِ والطّاعةِ، في عُسرِنا ويُسرِنا، ومَنشَطِنا ومَكرَهِنا، وأَثَرةٍ علينا، وأن لا نُنازعَ الأمرَ أهلَه، وأن نقولَ بالحقِّ أَينَما كنّا لا نخافُ في الله لومةَ لائمٍ[2].

= ٤/ ١٥٤-١٥٥: يجوز أن يكون أراد به: الأديان، أي: هو ديّان أهل الأديان، ولكن جمعها على الدِّيَنِ لأنها مِلَلٌ ونِحَلٌ، كما قالوا في جمع حُرَّة: حرائر، لأنهن في معنى الكرائم والعقائل.

(١) زاد بعد هذا في طبعة السقّا وصاحبيه ـ وليس في شيء من كتب السيرة ـ: بأحمد المهديّ النبيّ المرتَهَن، وليس هذا في شيء من نسخنا الخطية للسيرة، كما أنه ليس في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق عند البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٤٥٧ وزاده فيه ناشره بناء على ما في المطبوع من سيرة ابن هشام!

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٢٧٠٠)، والنسائي في «المجتبى» (٤١٥٢) و«الكبرى» (٧٧٢٦) و(٨٦٣٨) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد (١٥٦٥٣) و(٢٢٦٧٩)، والبخاري (٧١٩٩)، ومسلم (١٨٤٠) (٤١)، وابن ماجه (٢٨٦٦)، والنسائي في «المجتبى» (٤١٥١-٤١٥٣) و«الكبرى» (٧٧٢٣-٧٧٢٧) =

جريدة بأسماء من شَهِدَ العَقَبة

قال ابن إسحاق: وهذه تسميةُ من شَهِدَ العَقَبةَ وبايَعَ رسولَ الله ﷺ بها من الأَوس والخَزرَج، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين.

شَهِدَها من الأَوس بن حارثة بن ثَعلَبة بن عمرو بن عامرٍ ثم من بني عبد الأَشهَل ابن جُشَم بن الحارث بن الخَزرَج بن عمرو بن مالك بن الأَوس: **أُسَيدُ بن حُضَير** ابن سِمَاك بن عَتِيك بن رافع بن امرِئِ القيس بن زيد بن عبد الأَشهَل، نقيبٌ لم يَشهَدْ بدراً. و**أبو الهيثم بن التَّيِّهان**، واسمه مالك، شَهِدَ بدراً. و**سَلَمةُ بن سَلَامة** بن وَقْش بن زُغْبة بن زَعُوراء بن عبد الأَشهل، شَهِدَ بدراً؛ ثلاثةُ نفرٍ.

قال ابن هشام ويقال: زَعَوراءُ[1].

قال ابن إسحاق: ومن بني حارثة بن الحارث بن الخَزرَج بن عمرو بن مالك بن الأَوس: **ظُهَيرُ بن رافع** بن عَدِيّ بن زيد بن جُشَم بن حارثة. و**أبو بُرْدة بن نِيَارٍ**، واسمه هانئُ بن نِيَار بن عَمرو بن عُبَيد بن كِلَاب بن دُهْمان بن غَنْم بن ذُبْيان بن هُمَيم بن كاهل بن ذُهْل بن هَنِيّ بن بَلِيّ بن عمرو بن الْحافِ بن قُضَاعة، حليفٌ لهم، شَهِدَ بدراً. و**نُهَيرُ**[2] **بن الهيثم** من بني نابِي بن مَجْدَعة بن حارثة[1] ثمّ من آل

= و(٨٦٣٥ - ٨٦٤٠) من طرق عن عبادة بن الوليد، به.

وأخرجه أحمد (٢٢٧١٦) من طريق الأعمش، عن الوليد بن عبادة، به.

وأخرجه أحمد أيضاً (٢٢٧٣٥)، والبخاري (٧٠٥٦)، ومسلم(١٨٤٠)(٤٢)، وابن حبان (٤٥٦٢) من طريق جنادة بن أبي أميّة، عن عبادة بن الصامت.

(١) زاد في (ش١) و(ي): بفتح العين.

(٢) بالنون، وقيل: بُهير، بالباء، وذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» ـ وكذا ابن الأثير في «أسد الغابة» ـ في الموضعين.

السُّوَاف بن قيس بن عامر بن نابي بن مَجدَعة بن حارثة؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأَوس: **سعدُ بن خَيثَمة** بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السِّلْم بن امرِئ القيس بن مالك بن الأَوس، نقيبٌ، شَهِدَ بدراً فقُتِلَ به مع رسول الله ﷺ شهيداً.

قال ابن هشام: ونَسَبَه ابنُ إسحاق في بني عمرو بن عوف، وهو من بني غَنْم بن السِّلْم، لأنّه ربَّما كانت دِعْوةُ[٢] الرّجل في القوم أو يكونُ فيهم فيُنسَبُ إليهم.

قال ابن إسحاق: و**رِفَاعةُ بن عبد المُنذِر** بن زَنبَر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك ابن عوف بن عمرو، نقيبٌ، شَهِدَ بدراً. و**عبدُ الله بن جُبَير** بن النُّعمان بن أُميّة بن البُرَك[٣] ـ واسم البُرَك: امرُؤُ القيس بن ثَعلَبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأَوس[٤] ـ شَهِدَ بدراً، وقُتل يوم أُحد شهيداً أميراً لرسول الله ﷺ على الرُّماة.

ويقال: أُميّة بن البَرْك، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: و**مَعْنُ بن عَدِيّ** بن الجَدّ بن العَجْلان بن الحارثة بن ضُبَيعة، حليفٌ لهم من بَلِيٍّ، شَهِدَ بدراً وأُحداً والخندق ومشاهدَ رسول الله ﷺ كلَّها، قُتل

---

(١) في (ص) و(م) و(ي): ونهير بن الهيثم بن نابي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

(٢) الدِّعوة في النسب بالكسر: وهو أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته، وقد كانوا يفعلونه.

(٣) وقُيّد أيضاً بفتح الباء وسكون الراء، فيما قاله أبو ذرّ الخُشنيّ في «إملائه» ص١٧٣، وهو كذلك عند ابن هشام كما سيأتي.

(٤) قوله: بن عوف بن مالك بن الأوس، من (ص) و(م) و(ي)، لكن هو مضبَّب عليه في (ص) و(م).

يوم اليَمَامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه. **وعُوَيمُ بن ساعدةَ**، شَهِدَ بدراً وأُحداً والخندق؛ خمسةُ نفرٍ.

فجميعُ من شَهِدَ العقبةَ من الأَوس أحدَ عشرَ رجلاً.

وشَهِدَها من الخَزرَج بن حارثة بن ثَعلَبة بن عمرو بن عامر ثمّ من بني النَّجّار، وهو تَيْم الله بن ثَعلَبة بن عمرو بن الخَزرَج: **أبو أيّوب**، وهو خالدُ بن زيد بن كُلَيب ابن ثَعلَبة بن عبد بن عوف بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار، شَهِدَ بدراً وأُحداً والخندق والمشاهدَ كلَّها، مات بأرض الرُّوم غازياً في زمان معاوية بن أبي سفيان. **ومعاذُ بن الحارث** بن رِفَاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار، شَهِدَ بدراً وأُحداً والخندق والمشاهدَ كلَّها، وهو ابن عَفْراءَ. وأخوه **عوفُ بن الحارث**، شَهِدَ بدراً وقُتل به شهيداً، وهو لعَفْراء[1]. وأخوه **مُعوِّذ بن الحارث**، شَهِدَ بدراً وقُتل به شهيداً، وهو الّذي قَتَل أبا جَهْل بن هشام بن المغيرة، وهو لعَفْراء ـ ويقال: رِفَاعة بن الحارث ابن سَوَاد، فيما قال ابن هشام ـ. **وعُمَارةُ بن حَزْم** بن زيد بن لَوْذان بن عمرو بن عبد ابن عوف بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار، شَهِدَ بدراً وأُحداً والخندق والمشاهدَ كلَّها، قُتل يوم اليَمَامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه. **وأَسعدُ بن زُرَارة** ابن عُدَس بن عُبيد بن ثَعلَبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار، نقيبٌ، مات قبل بدرٍ ومسجدُ رسول الله ﷺ يُبنَى، وهو أبو أُمامة؛ ستّةُ نفرٍ.

ومن بني عَمرو بن مَبذُول ـ ومبذولٌ: عامرُ بن مالك بن النَّجّار ـ: **سَهْلُ**[2] **بن**

---

(١) أي: هو ابن لعفراءَ، وهي أمُّه.

(٢) في (ص) و(ي): سُهيل، مصغَّراً، وهذا أحد وجهي خلاف في اسمه كما في الكتب المؤلَّفة في الصحابة، والمشهور: سَهْل.

عَتِيك بن نُعْمان بن عمرو بن عَتِيك بن عمرو، شَهِدَ بدراً؛ رجلٌ.

ومن بني عمرو بن مالك بن النَّجّار، وهم بنو حُدَيلةَ ـ قال ابن هشام: حُدَيلةُ ابنة مالك بن زَيْد الله[1] بن حَبِيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخَزرَج ـ: **أَوسُ بن ثابت** بن المنذر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَنَاة بن عَديّ بن عمرو بن مالك، شَهِدَ بدراً. و**أبو طَلْحة**، وهو زيدُ بن سَهْل بن الأسوَد بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَنَاة بن عَديّ بن عمرو بن مالك بن النَّجّار، شَهِدَ بدراً؛ رجلانِ.

ومن بني مازن بن النَّجّار: **قيسُ بن أبي صَعصَعة**، واسم أبي صعصعةَ عمرُو بن زيد بن عوف بن مَبذُول بن عمرو بن غَنْم بن مازن، شَهِدَ بدراً، وكان رسول الله ﷺ جعله على السّاقَةِ[2] يومئذٍ. و**عمرُو بن غَزِيّة** بن عمرو بن ثَعلَبة بن خَنْساء بن مَبذُول ابن عمرو بن غَنْم بن مازن؛ رجلانِ.

فجميعُ من شَهِدَ العقبةَ من بني النَّجّار أحدَ عشرَ رجلاً.

قال ابن هشام: عمرُو بن غَزِيّة بن عمرو بن ثَعلَبة بن خَنْساءَ، هذا الّذي ذَكَرَ ابن إسحاق، إنّما هو غَزِيّةُ بن عمرو بن عطيّة بن خَنْساء.

قال ابن إسحاق: ومن بَلْحارثِ[3] بن الخَزرَج: **سعدُ بن الرَّبِيع** بن عمرو بن أبي زُهَير بن مالك بن امرِئ القيس بن مالك بن ثَعلَبة بن كعب بن الخَزرَج بن الحارث، نقيبٌ، شَهِدَ بدراً وقُتل يوم أُحدٍ شهيداً. و**خارِجةُ بن زيد** بن أبي زُهير بن مالك بن امرِئِ القيس بن مالك بن ثَعلَبة بن كعب بن الخَزرَج بن الحارث، شَهِدَ بدراً وقُتل

(١) في (ش١) و(ص): زيد مناة، وأشار في (ص) إلى نسخة فيها: زيد الله. والذي في كتب الأنساب ـ ومنها «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٣٤٧ و٣٥٦ ـ في هذا النسب: زيد مناة.

(٢) الساقة: جمع سائقٍ، وهم الذين يسوقون الجيشَ أمامهم ويكونون من ورائه يَحفَظُونه.

(٣) يعني: بني الحارث.

يوم أُحدٍ شهيداً. وعبدُ الله بن رَوَاحة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثَعلَبة بن كعب بن الخَزرَج بن الحارث، نقيبٌ، شَهِدَ بدراً وأُحداً والخندق ومشاهدَ رسول الله ﷺ كلَّها إلّا الفتحَ وما بعده، قُتل يومَ مُؤْتة شهيداً أميراً لرسول الله ﷺ. وبَشِيرُ بن سعد بن ثَعلَبة بن خِلَاس بن زيد بن مالك بن ثَعلَبة بن كعب بن الخَزرَج بن الحارث، أبو النُّعمان بن بَشِير، شَهِدَ بدراً. وعبدُ الله بن زيد بن ثَعلَبة بن عبد ربِّه بن زيد[1] بن الحارث بن الخَزرَج، شَهِدَ بدراً، وهو الّذي أُرِيَ النِّداءَ للصّلاة، فجاء به إلى رسول الله ﷺ فأَمَرَ به[2]. وخَلّادُ بن سُوَيد بن ثَعلَبة بن عمرو بن حارثة ابن امرئ القيس بن مالك[3] بن ثَعلَبة بن كعب بن الخَزرَج بن الحارث، شَهِدَ بدراً وأُحداً والخندق، وقُتل يومَ بني قُرَيظة شهيداً، طُرِحَت عليه رَحًى من أُطُمٍ من آطامِها فشَدَخَتْه شَدْخاً شديداً[4]، فقال رسول الله ﷺ ـ فيما يَذكُرون ـ: «إنَّ له لَأَجْرَ شهيدَينِ»[5]. وعُقْبةُ بن عمرو بن ثَعلَبة بن يُسَيرة[6] بن عُسَيرة بن جِدَارة بن عوف ابن الحارث بن الخَزرَج، وهو أبو مسعودٍ، وكان أحدَثَ من شَهِدَ العقبةَ سنّاً، لم

(١) في (ص) و(م): زيد مناة، وهو خطأ.

(٢) سيأتي خبر الأذان مُسنَداً في موضعه بعد المؤاخاة ص١٦٣، فانظر تخريجه هناك.

(٣) في (ي): مالك الأغرّ.

(٤) الرَّحَى: حجر عظيم يُطحَن به. والأُطُم: بناء مرتفع، وجمعه: آطامٌ. والشَّدخ: كسر الشيء الأجوف، والظاهر أنها شدَخَت رأسه.

(٥) حديث ضعيف، وأخرجه أبو داود (٢٤٨٨) بإسناد ضعيف عن ثابت بن قيس بن شمّاس، وفيه: أن أمّه سألت النبي ﷺ لِمَ ذاك؟ فقال: «لأنه قتله أهلُ الكتاب».

(٦) في نسخة على حاشيتي (ص) و(م): أَسِيرة. وقد قيّده ابن ماكولا في «الإكمال» ١/ ٧٩ بفتح الهمزة وكسر السين، ونصّ فيه على أنّ رواية ابن إسحاق: يُسيرة، بضمّ الياء، ووهّم في باب يسيرة ٧/ ٤٣١ ما وقع في رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق من أنّه نُسيرة، بالنّون.

يَشهَدْ بدراً[1]؛ سبعةُ نفرٍ.

ومن بني بَيَاضةَ بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم ابن الخَزرَج: **زيادُ بن لَبِيد** بن ثَعلَبة بن سِنَان بن عامر بن عَديّ بن أُميّة بن بَيَاضة، شَهِدَ بدراً. و**فَرْوةُ بن عمرو** بن وَدْفة بن عُبيد بن عامر بن بَيَاضة، شَهِدَ بدراً.

قال ابن هشام: ويقال: وَدْفة[2].

قال ابن إسحاق: و**خالدُ بن قيس** بن مالك بن العَجْلان بن عامر بن بَيَاضة، شَهِدَ بدراً؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخَزرَج: **رافعُ بن مالك** بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق، نقيبٌ. و**ذَكْوانُ بن عبد قيس** بن خَلْدة بن مُخلَّد بن عامر بن زُرَيق، وكان خرج إلى رسول الله ﷺ فكان معه بمكّة، فهاجَرَ إلى رسول الله ﷺ من المدينة، فكان يقال له: مهاجريٌّ أنصاريٌّ، شَهِدَ بدراً، وقُتل يوم أُحدٍ شهيداً. و**عَبّادُ بن قيس** بن عامر بن خالد[3] بن عامر بن

---

(١) وقيل: شَهِدَها، وانظر الكلام في ذلك فيما سيأتي من تعليقنا على تسمية من شهد بدراً ص٤٣٧.

(٢) قال السهيليّ في «الروض» ٤/ ١٥٧: بدال مهملة، وهو الأصحّ، والوَدْفة: الرَّوضة الناعمة، سُمِّيت بذلك، لأنّها تَقطُر ماءً من نعمتها.

وأمّا من رواه بالذال المعجمة، فهو من: تَوذَّفَ في مشيته، إذا تبختر، ويقال: إذا أسرع. قاله أبو ذرّ الخشنيّ في «إملائه» ص١٢٢.

(٣) زاد هنا في (ش١) و(ص) و(م) و(ي): بن مخلَّد، ثمَّ ضُبِّب عليها في (م)، وليست هذه الزيادة في (ت) و(غ) و(ق١)، وهو الموافق لما ساقه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٨٥٤) من رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق، وهو كذلك عند محمد بن سعد في كتابه «الطبقات» ٣/ ٥٤٩، وأما زيادة ابن مخلَّد في نسبه فهو ممّا وقع لابن شهاب الزهريّ في رواية موسى بن =

زُرَيق، شَهِدَ بدراً. **والحارثُ بن قيس** بن خالد بن مُخلَّد بن عامر بن زُرَيق، وهو أبو خالدٍ، شَهِدَ بدراً؛ أربعةُ نفرٍ.

ومن بني سَلِمة بن سعد بن عَليّ بن أَسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخَزرَج، ثمّ من بني عُبيد بن عَديّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمةَ: **البَرَاءُ بن مَعرُور** بن صَخْر بن خَنْساء بن سِنَان بن عُبيد بن عَديّ بن غَنْم، نقيبٌ، وهو الّذي يَزعُم بنو سَلِمةَ أنّه كان أوّلَ من ضَرَبَ على يدِ رسول الله ﷺ وشَرَطَ له واشتَرَطَ عليه، ثمّ تُوفِّي قبل مَقدَمِ رسول الله ﷺ المدينةَ. وابنُه **بِشرُ بن البَرَاء بن مَعرُور**، شَهِدَ بدراً وأُحداً والخندقَ، ومات بخَيبَرَ من أكلةٍ أَكلها مع رسول الله ﷺ من الشّاة التي سُمَّ فيها، وهو الّذي قال له رسول الله ﷺ حين سأَل بني سَلِمة: «مَن سَيِّدُكم يا بني سَلِمةَ؟» فقالوا: الجَدُّ بن قيسٍ، على بُخلِه، فقال رسول الله ﷺ: «وأيُّ داءٍ أكبَرُ من البُخلِ؟! سيِّدُ بني سَلِمةَ الأبيضُ الجَعْدُ، بِشرُ بنُ البَرَاءِ»[1].

وسِنَان بن صَيفِيّ بن صَخْر بن خَنْساء بن سِنان بن عُبيد، شَهِدَ بدراً[2]. **والطُّفَيلُ**

= عقبة عنه كما عند أبي نعيم أيضاً (٤٨٥٣). ولم يذكر أحدٌ أنه أخو الحارث بن قيس التالي ذكرُه.

(١) حديث قوي، وأخرجه الحاكم في «مستدركه» ـ طبعة دار الرسالة العالمية ـ (٥٠٣١) و(٧٤٨٠) من حديث أبي هريرة. وانظر تمام طرقه وشواهده هناك.

(٢) زاد هنا في طبعة السقّا وصاحبيه: وقتل يوم الخندق شهيداً، وهذه الزيادة ليست في شيء من نسخنا، لكن ذكر ابن الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ١٥٩ في الكنى أبا سنان بن صيفيٍّ وأنه شهد بدراً وقتل يوم الخندق شهيداً، ونقله عن جعفر المستغفريّ عن ابن إسحاق، والظاهر أنه وَهِمَ على ابن إسحاق، فإنه لم يذكر في «سيرته» أبا سنان بن صيفيٍّ بالكنية ولا أنه استُشهد في الخندق، على أنّ البلاذريّ في «أنساب الأشراف» ١/ ٢٤٦ وابن دُريدٍ في «الاشتقاق» ص٤٦٥ ذكرا أنّ سنانَ ابن صيفيٍّ ـ وليس أبا سنانٍ ـ قُتل يوم الخندق، فالله تعالى أعلم.

ابن **النُّعمان** بن خَنْساء بن سِنان بن عُبيد، شَهِدَ بدراً، وقُتل يوم الخندق شهيداً. ومَعقِلُ بن **المُنذِر** بن سَرْح بن خُنَاس بن سِنَان بن عُبيد، شَهِدَ بدراً. **ويزيدُ بن المُنذِر** بن سَرْح بن خُنَاس بن سِنان بن عُبيد، شَهِدَ بدراً. **ومسعودُ بن يزيد** بن سُبَيع ابن خَنْساء بن سِنان بن عُبيد. **والضَّحّاك بن حارثة** بن زيد بن ثَعلَبة بن عُبيد، شَهِدَ بدراً. **ويزيدُ بن خِذَام** بن سُبَيع بن خَنْساء بن سِنان بن عُبيد. **وجَبّارُ بن صَخْر** بن أُميّة بن خَنْساء بن سِنان بن عُبيد، شَهِدَ بدراً.

قال ابن هشام: ويقال: جَبّار بن صخر بن أُميّة بن خُنَاس.

قال ابن إسحاق: **والطُّفَيل بن مالك** بن خَنْساء بن سِنان بن عُبيد، شَهِدَ بدراً؛ أحدَ عشرَ رجلاً.

ومن بني سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة ثمّ من بني كعب بن سَوَاد: **كعبُ بن مالك** بن أَبي كعب[1] بن القَيْن بن كعب؛ رجلٌ.

ومن بني غَنْم بن سَوَاد[2] بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة: **سُلَيم بن عَمرو** بن حَدِيدة ابن عمرو بن غَنْم، شَهِدَ بدراً. **وقُطْبةُ بن عامر** بن حَدِيدة بن عمرو بن غَنْم، شَهِدَ بدراً. **ويزيدُ بن عامر** بن حَدِيدة بن عمرو بن غَنْم، وهو أبو المُنذِر، شَهِدَ بدراً. **وأبو اليَسَر**، واسمُه كعبُ بن عمرو بن عَبّاد بن عمرو بن غَنْم، شَهِدَ بدراً. **وصَيفِيُّ بن سَوَاد** بن عبّاد بن عمرو بن غَنْم؛ خمسةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: صَيفيُّ بن أسوَد بن عبّاد بن عمرو بن سَوَاد، ليس لسوادٍ ابنٌ يقال له: غَنْم.

---

(١) زاد هنا في (ي): اسمه هو عَمرو.

(٢) كذا قال ابن إسحاق: بنو غنم بن سواد، وانفرد بذلك، وإنما هم بنو عمرو بن سواد، وسيأتي تنبيه ابن هشام على ذلك.

قال ابن إسحاق: ومن بني نابِي بن عمرو بن سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة: **ثَعلَبةُ بن عَنَمَة** بن عَديّ بن نابي، شَهِدَ بدراً، وقُتل بالخندق شهيداً. **وعمرُو بن عَنَمة** بن عَديّ بن نابي. **وعَبْسُ بن عامر** بن عَديّ بن نابي، شَهِدَ بدراً. **وعبدُ الله بن أُنَيس**، حليفٌ لهم من قُضَاعة. **وخالدُ بن عمرو** بن عَديّ بن نابي؛ خمسةُ نفرٍ.

ومن بني حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة: **عبدُ الله بن عمرو** بن حَرَام ابن ثَعلَبة بن حَرَام، نقيبٌ، شَهِدَ بدراً، وقُتل يوم أُحدٍ شهيداً. وابنُه **جابرُ بن عبدِ الله**. **ومعاذُ بن عمرو** بن الجَمُوح بن زَيْد بن حَرَام، شَهِدَ بدراً. **وثابتُ بن الجِذْع** ـ والجِذْع: ثَعلَبةُ بن زيد بن الحارث بن حَرَام ـ شَهِدَ بدراً، وقُتل بالطائف شهيداً. **وعُمَيرُ بن الحارث** بن ثَعلَبة[1] بن الحارث بن حَرَام، شَهِدَ بدراً.

قال ابن هشام: عُمير بن الحارث بن لِبْدة بن ثَعلَبة[2].

قال ابن إسحاق: **وخَدِيجُ بن سَلَامة** بن أَوس بن عمرو بن الفُرَافِر، حليفٌ لهم من بَلِيٍّ. **ومعاذُ بن جَبَل** بن عمرو بن أَوس بن عائذ بن عَدِيّ بن كعب بن عمرو بن أُدَد[3] بن سعد بن عليّ بن أَسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخَزرَج، وكان في بني

---

(١) زاد هنا في (ت): بن زيد، وهو خطأ.

(٢) وهو كذلك في رواية موسى بن عقبة كما في «طبقات ابن سعد» ٣/ ٥٢٧. واللِّبدة: ما على كتفي الأسد من الشعر.

(٣) هكذا في نسخنا الخطيّة: أذن، وفي نسخة على حاشيتي (غ) و(ق١): أُدَيّ، وستأتي إشارة ابن هشام إلى ذلك. وقال السهيليُّ في «الروض» ٤/ ١٦٠: وقد يقال في أُديّ أيضاً: أذن، في غير رواية ابن إسحاق وابن هشام. كذا قال، مع أن نسخنا من «السيرة» تفيد أن ابن إسحاق كان يقول فيه: أذن، وكذلك هو في رواية إبراهيم بن سعد الزهريّ عنه كما في «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٥٩٤٣) و«الإكمال» لابن ماكولا ١/ ٤٦-٤٧. قلنا: والمشهور في نسبه كما في كتب التراجم =

سَلِمة، شهد بدراً والمشاهدَ كلَّها، مات بعَمَواسَ[1] عامَ الطّاعون بالشام في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وإنّما ادَّعَته بنو سَلِمة أنّه كان أخا سهل بن محمّد ابن الجَدّ بن قيس بن صَخْر بن خَنْساء بن سِنان بن عُبيد بن عَديّ بن غَنْم بن كعب ابن سَلِمة لأمّه؛ سبعةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: أَوس بن عَبّاد بن عَديّ بن كعب بن عمرو بن أُدَيّ بن سعد.

قال ابن إسحاق: ومن بني عوف بن الخَزرَج ثمّ من بني سالم بن عوف بن عمرو ابن عوف بن الخَزرَج: **عُبَادةُ بن صامت** بن قيس بن أَصرَم بن فِهْر بن ثَعلَبة بن غَنْم ابن سالم بن عوف، نقيبٌ، شَهِدَ بدراً والمشاهدَ كلَّها.

قال ابن هشام: هو غَنْم بن عوفٍ أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخَزرَج[2].

قال ابن إسحاق: **والعبّاسُ بن عُبَادة** بن نَضْلة بن مالك بن العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم بن عوف، وكان ممّن خرج إلى رسول الله ﷺ وهو بمكّة فأقام معه بها، فكان يقال له: مهاجريٌّ أنصاريٌّ، وقُتل يوم أُحدٍ شهيداً. **وأبو عبد الرَّحمن يزيدُ بن ثَعلَبة** بن خَزْمة بن أَصرَم بن عمرو بن عَمَّارةَ، حليفٌ لهم من بني غُصَينة من بَلِيٍّ. **وعمرُو بن الحارث** بن لِبْدة بن عمرو بن ثَعلَبة؛ أربعةُ نفرٍ، وهم القَواقِلُ.

ومن بني سالم بن غَنْم بن عوف بن الخَزرَج، وهم بنو الحُبْلَى ـ قال ابن هشام:

= والأنساب: أُدَيّ.

(١) بلدة في فلسطين على بعد ٢٥ كم شماليّ غرب مدينة القدس، وإلى الجنوب الشرقيّ من يافا على بعد ٢٨ كم، منها ابتدأ الطاعون سنة ١٨ للهجرة وسُمّي باسمها: طاعون عمواس.

(٢) وهذا هو الصواب: أنّ عبادة من بني غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وقد مرّت نسبته إليهم في تسمية رجال بيعة العقبة الأولى، فهو ممّن شهد العقبتين.

الحُبلَى: سالمُ بن غَنْم بن عوف، وإنّما سُمّي الحُبلَى لعِظَم بطنه ـ: **رِفَاعةُ بن عمرو** ابن زيد بن عمرو بن ثَعلَبة بن مالك بن سالم بن غَنْم، شَهِدَ بدراً، وهو أبو الوليد.

قال ابن هشام: ويقال: رِفَاعة بن مالك، ومالكٌ أبو الوليد بن عبد الله بن مالك ابن ثَعلَبة بن جُشَم بن مالك بن سالم.

قال ابن إسحاق: و**عُقْبةُ بن وَهْب** بن كَلَدَة بن الجَعْد بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عَديّ بن جُشَم بن عوف بن بُهْثة بن عبد الله بن غَطَفان بن سعد بن قيس ابن عَيْلان، حليفٌ لهم، شَهِدَ بدراً، وكان ممّن خرج إلى رسول الله ﷺ مهاجراً من المدينة إلى مكّة، فكان يقال له: مهاجريٌّ أنصاريٌّ. قال ابن هشام: رجلانِ.

قال ابن إسحاق: ومن بني ساعدة بن كعب بن الخَزرَج: **سعدُ بن عُبَادة** بن دُلَيم ابن حارثة بن أبي حَزِيمة بن ثَعلَبة بن طَرِيف بن الخَزرَج بن ساعدةَ، نقيبٌ. و**المُنذِرُ ابن عمرو** بن خُنَيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد وَدّ بن زيد بن ثَعلَبة بن الخَزرَج بن ساعدةَ، نقيبٌ، شَهِدَ بدراً وأُحداً، وقُتل يوم بئر مَعُونةَ أميراً لرسول الله ﷺ، وهو الذي كان يقال له: أَعنَقَ ليموتَ[1]؛ رجلانِ.

قال ابن هشام: ويقال: المُنذِر بن عمرو بن خَنبَش.

قال ابن إسحاق: فجميعُ من شَهِدَ العقبةَ من الأَوس والخَزرَج ثلاثةٌ وسبعون رجلاً وامرأتان منهم، يَزعُمون أنّهما قد بايَعَتا، وكان رسول الله ﷺ لا يصافحُ النِّساءَ، إنّما كان يأخذُ عليهنَّ، فإذا أقرَرْنَ قال: «اذهبْنَ فقد بايَعتُكُنَّ»[2].

---

(١) العَنَق: السير الشديد.

(٢) حديث صحيح، وقد أخرجه أحمد (٢٧٠٠٧)، والحاكم (٧١٢٣) من طريقين عن ابن إسحاق، عن محمد بن المُنكدِر، عن أُميمة بنت رُقَيقة التَّيْميّة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من المسلمين لنبايعه... وانظر بيان طرقه وألفاظه في «مسند أحمد».

من بني مازن بن النَّجّار: **نَسِيبةُ بنت كعب** بن عمرو بن عوف بن مَبذُول بن عمرو بن غَنْم بن مازن، وهي أمُّ عُمَارة، كانت شَهِدَت الحربَ مع رسول الله ﷺ وشَهِدَت معها أختُها وزوجُها زيدُ بن عاصم بن كعبٍ وابناها حَبيبُ بن زيد وعبدُ الله ابن زيد، وابنُها حبيبٌ الّذي أخَذَه مُسَيلِمةُ الكذّابُ الحَنَفيُّ صاحبُ اليَمَامة، فجعل يقول له: أتشهَدُ أنَّ محمّداً رسولُ الله؟ فيقول: نعم، فيقول: أتشهَدُ أنّي رسولُ الله؟ فيقول: لا أسمعُ، فجعل يُقطِّعُه عُضواً عُضواً حتّى مات في يده، لا يزيدُه على ذلك، إذا ذُكِرَ له رسولُ الله ﷺ آمَنَ به وصَلَّى عليه، وإذا ذُكِرَ له مُسيلِمةُ قال: لا أسمعُ؛ فخَرَجَت إلى اليَمَامةِ مع المسلمين فباشَرَتِ الحربَ بنفسها، حتّى قَتَلَ اللهُ مسيلمةَ، ورجعت وبها اثنا عشرَ جرحاً، من بين طعنةٍ وضربةٍ.

قال ابن إسحاق: حدّثني هذا الحديثَ عنها محمّدُ بن يحيى بن حَبّان، عن عبد الله ابن عبد الرَّحمن بن أبي صَعصَعة[1].

---

(١) مرسلٌ رجاله ثقات، وابن حَبّان وابن أبي صعصعة كلاهما أنصاريٌّ من بني مازن قوم أمّ عمارة، فهذا ممّا يقوّي أصل هذا الخبر.

وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٢/ ٦٤-٦٥ من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، به.

وروى نحو قصة حبيب مع مسيلمة أيضاً سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تفسيره» ١٩/ ٤٢٠ عن ابن إسحاق عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حَزْم، عن كعب الأحبار مرسلاً.

ورواها أيضاً ابن أبي شيبة ١٢/ ٣٥٧ عن ابن عُليّة، عن يونس بن عبيد، عن الحسن البصري مرسلاً. لكن ذكر أن ذلك كان في أيّام النبيّ ﷺ!

وقد بيّن محمد بن عمر الواقديُّ ـ فيما رواه عنه ابن سعد في «الطبقات» ٥/ ٥٩ ـ عن الزهريِّ: أن حبيب بن زيد رضي الله عنه وقع بيد مسيلمة الكذّاب عند رجوعه مع عمرو بن العاص من عُمان عند وفاة النبيّ ﷺ، فمرُّوا في بلاد بني حنيفة، فاعترضهم أصحاب مسيلمة، فهربوا =

ومن بني سَلِمة: أمُّ مَنِيع، واسمُها أسماءُ بنت عمرو بن عَديّ بن نابي بن عمرو ابن سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة.

نزول الأمر لرسول الله ﷺ في القتال

حدَّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال: حدَّثنا زياد بن عبد الله البَكّائيُّ، عن محمَّد بن إسحاق المُطَّلِبيّ قال: وكان رسول الله ﷺ قبل بيعةِ العَقَبةِ لم يُؤذَنْ له في الحرب ولم تُحلَّلْ له الدِّماء، إنّما يُؤمَر بالدُّعاء إلى الله والصَّبْر على الأذى والصَّفْح عن الجاهل، وكانت قريشٌ قد اضطَهَدَت من اتَّبَعَه من قومِه من المهاجرين حتّى فَتَنُوهم عن دينِهم ونَفَوهُم من بلادهم، فهم بين مفتونٍ في دينه، وبين مُعذَّبٍ في أيديهم، وبين هاربٍ في البلاد فِراراً منهم، منهم مَن بأرض الحَبَشة، ومنهم مَن بالمدينة، وفي كلِّ وجهٍ.

فلمّا عَتَتْ قريشٌ على الله عزَّ وجلَّ، ورَدُّوا عليه ما أرادهم به من الكرامة وكذَّبوا نبيَّه ﷺ، وعذَّبوا ونَفَوا مَن عَبَدَه ووَحَّدَه وصَدَّقَ نبيَّه واعتَصَمَ بدينِه، أَذِنَ اللهُ عزَّ وجلَّ لرسوله ﷺ في القتال والامتناع والانتصار ممَّن ظَلَمَهم وبَغَى عليهم، فكانت أوّلُ آية أُنزِلت في إذْنِه له في الحرب، وإحلالِه الدماءَ والقتالَ لمن بَغَى عليهم، فيما بَلَغَني عن عُرْوة بن الزُّبير وغيرِه من العلماء، قولَ الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ[1]

= فأفلت منهم عمرٌو وأصحابه إلّا أنّهم اقتطعوا منهم اثنين كانا في الساقة، أحدهما حبيبٌ هذا والثاني عبد الله بن وهب الأسلميّ، وذكر قصّته هذه مع مسيلمة، أمّا الأسلمي فخاف وأقرَّ بما قال، فأمر به فحُبس في حديد حتّى أفلت بعد ذلك فصار إلى خالد بن الوليد.

(١) هكذا قيِّدت في أكثر نسخنا الخطية بكسر التاء، وتفسير ابن إسحاق اللاحق لها يوحي بكسرها، وهي قراءة أبي عمرو البصري وابن كثير وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر عنه، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه بفتح التاء، مع خلافهم أيضاً في فتح =

بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج:٣٩-٤١] أي: أنّي إنَّما أحلَلتُ لهم القتالَ لأنّهم ظُلِموا، ولم يكن لهم ذنبٌ فيما بينهم وبين الناس إلّا أن يَعبُدوا الله، وأنّهم إذا ظَهَرُوا أقاموا الصلاةَ وآتَوُا الزّكاةَ، وأَمروا بالمعروف ونَهَوْا عن المُنكَر؛ يعني رسولَ الله ﷺ وأصحابَه رضي الله عنهم أجمعين، ثمّ أُنزِلَ عليه: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: حتّى لا يُفتَنَ مؤمنٌ عن دينه ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣] أي: حتّى يُعبَدَ اللهُ لا يُعبَدُ معه غيرُه.

قال ابن إسحاق: فلمّا أَذِنَ اللهُ تعالى له في الحرب، وبايَعَه هذا الحيُّ من الأنصار على الإسلام والنُّصْرةِ له ولمن اتَّبَعَه وأَوى إليهم من المسلمين، أَمَرَ رسولُ الله ﷺ أصحابَه من المهاجرين من قومه ومَن معه بمكّة من المسلمين، بالخروجِ إلى المدينة والهِجْرة إليها، واللُّحُوقِ بإخوانهم من الأنصار، وقال: «إنَّ اللهَ قد جَعَلَ لكم

= الألف أو ضمّها من «أذن»، فانظر كتاب «السبعة» لابن مجاهد ص٤٣٧.

وأما كون هذه الآية أولَ آية نزلت في القتال، فهذا نصُّ قول ابن عبّاس فيما صحَّ عنه عند أحمد (١٨٦٥) وغيره، وهو قول جمهور أهل العلم.

وأما كون نزولها قبل هجرة النبي ﷺ كما ذهب إليه ابن إسحاق، فهذا خلافُ قول الجمهور، والذي في حديث ابن عباس عند أحمد وغيره: أن نزولها كان بعدما أُخرج النبي ﷺ من مكة، وهذا نصٌّ في أنها نزلت بعد الهجرة، فهي على ذلك آية مدنية في سورة مكية، وذهب بعضهم إلى أن سورة الحج كلها مدنية كما ذكر ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية ٥/ ٤٣٣.

إخواناً وداراً تَأمَنُونَ بها»[1]، فخرجوا أرسالاً[2]، وأقام رسولُ الله ﷺ بمكّة يَنتظِرُ أن يَأذَنَ له ربُّه في الخروجِ من مكّة والهجرةِ إلى المدينة، فكان أوّلُ من هاجَرَ إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريشٍ من بني مخزومٍ.

ذكرُ المهاجرين إلى المدينة

وأوّلُ من هاجرَ[3] أبو سَلَمة بن عبد الأسَد بن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مَخزُومٍ واسمه عبدُ الله، هاجَرَ إلى المدينة قبل بيعةِ أَصحاب العَقَبة بسنة، وكان قَدِمَ على رسول الله ﷺ مكّةَ من أرض الحَبَشة، فلمّا آذَتْه قريشٌ وبَلَغَه إسلامُ من أسلمَ من الأنصار، خرج إلى المدينة مهاجراً.

قال ابن إسحاق: فحدّثني أبي إسحاقُ بن يَسَار، عن سَلَمةَ بن عبد الله بن عمر بن أبي سَلَمة، عن جدّته أمّ سَلَمة زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: لمّا أجمَعَ أبو سَلَمة الخروجَ إلى المدينة رَحَلَ لي بعيرَه[4] ثمّ حَمَلَني عليه، وحَمَلَ معي ابني سَلَمةَ بن أبي سَلَمة في حَجْري، ثمّ خرج يَقُودُ بي بعيرَه، فلمّا رأته رجالُ بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزومٍ قاموا إليه فقالوا: هذه نفسُك غَلَبتَنا عليها، أرأيتَ صاحبتَنا هذه، علامَ نترُكُك تسيرُ بها في البلاد؟! قالت: فنَزَعوا خِطامَ البعير[5] من يده، فأخذوني منه، قالت: وغَضِبَ عند ذلك بنو عبد الأسد، رَهْطُ أبي سَلَمة، فقالوا: لا والله، لا

---

(١) لم نقف على قول النبيّ ﷺ هذا نصّاً عند غير ابن إسحاق، ولم يسنده.

(٢) أي: أفواجاً، جماعة بعد جماعة.

(٣) قوله: «وأول من هاجر» ليس في (ش١) و(غ) و(ق١)، والكلام فيها تابع لما قبله في سياق واحد دون قطع بعنوان.

(٤) أي: شدَّ عليه الرَّحْل، وهو كالسَّرج للفرس.

(٥) خطام البعير: حبل من ليف أو شعر أو كَتّان يقاد به البعير.

نتركُ ابنَنا عندها إذ نَزَعتُموها من صاحبنا، قالت: فتجابَذُوا[1] بُنَيَّ سَلَمةَ بينهم حتّى خَلَعُوا يده، وانطَلَقَ به بنو عبد الأسد، وحَبَسَني بنو المغيرة عندهم، وانطَلَقَ زوجي أبو سَلَمة إلى المدينة.

قالت: ففُرِّقَ بيني وبين زوجي وبين ابني، قالت: فكنت أخرج كلَّ غَدَاةٍ فأجلسُ بالأبطَحِ[2]، فما أزالُ أبكي حتّى أُمسي، سنةً أو قريباً منها، حتّى مرَّ بي رجلٌ من بني عمِّي أحدُ بني المغيرة، فرأَى ما بي فرَحِمَني، فقال لبني المغيرة: ألَا تَحَرَّجُون من هذه المِسكينة، فرَّقتُم بينها وبين زوجها وبين ولدها! قالت: فقالوا لي: الْحَقِي بزوجِك إن شئتِ، قالت: ورَدَّ بنو عبد الأسَد إليَّ عند ذلك ابني.

قالت: فارتَحَلتُ بَعِيري، ثمّ أخذتُ بُنَيَّ فوَضَعتُه في حَجْري، ثمّ خرجتُ أريد زوجي بالمدينة، قالت: وما معي أحدٌ من خَلْق الله، قالت: قلت: أتبلَّغُ بمن لَقِيتُ حتى أَقدَمَ على زوجي، حتّى إذا كنتُ بالتَّنعيم[3] لَقِيتُ عثمانَ بنَ طَلْحة بن أبي طَلْحة، أخا بني عبد الدَّار[4]، فقال: أين يا بنتَ أَبي أُميّة؟ قالت: قلت: أريدُ زوجي بالمدينة، قال: أَوَما معكِ أحدٌ؟ قلت: لا والله، إلا اللهُ وبُنَيَّ هذا، قال: واللهِ ما لكِ من مَتْرَكٍ، فأخذ بخِطَام البعير، فانطلق معي يَهْوي بي، فواللهِ ما صَحِبتُ رجلاً من العرب قطُّ أُرى أنه كان أكرمَ منه، كان إذا بَلَغَ المَنزِلَ أناخ بي ثم استأخَرَ عنّي،

---

(١) في (ص) و(ق١) و(م): فتجاذبوا، وكلاهما صحيح.

(٢) موضعٌ سهل بين الحَجُون والمسجد الحرام.

(٣) ويُسمَّى اليوم: العُمْرة، أو عُمْرة التنعيم؛ لأن الناس يُحرِمون بالعمرة منه، يقع في الجزء الغربيّ من مكّة المكرّمة على مسافة ٧ كم عن المسجد الحرام.

(٤) ولم يكن يومها قد أسلم. قال ابن حجر في «الإصابة» ٤/ ٤٥٠: أسلم عثمان بن طلحة في هُدْنة الحُديبيَة، وهاجر مع خالد بن الوليد، وشهد الفتح مع النبي ﷺ فأعطاه مفتاحَ الكعبة.

حتّى إذا نَزَلتُ استأخَرَ ببعيري فحَطَّ عنه ثمّ قيَّده في الشجر، ثمّ تَنحَّى إلى شجرة فاضطَجَعَ تحتَها، فإذا دَنَا الرَّوَاحُ قام إلى بعيري فقَدَّمَه فرَحَلَه، ثمّ استأخَرَ عنّي وقال: اركَبِي، فإذا رَكِبتُ فاستَوَيتُ على بعيري أَتى فأَخَذَ بخِطامه فقادَ بي، حتّى يَنزِلَ بي، فلم يَزَلْ يَصنَعُ ذلك بي حتّى أقدَمَني المدينةَ، فلمّا نَظَرَ إلى قريةِ بني عَمرو بن عَوفٍ بقُبَاء، قال: زوجُك في هذه القرية ـ وكان أبو سَلَمةَ بها نازلاً ـ فادخُلِيها على بَرَكةِ الله، ثمّ انصَرَفَ راجعاً إلى مكّة.

قال: فكانت تقول: واللهِ ما أعلمُ أهلَ بيتٍ في الإسلام أصابَهم ما أصابَ آلَ أبي سَلَمة، وما رأيتُ صاحباً قَطُّ كان أكرمَ من عثمان بن طَلْحة[1].

قال ابن إسحاق: ثمّ كان أولَ من قَدِمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامرُ بنُ رَبِيعة، حليفُ بني عَديّ بن كعب، معه امرأتُه ليلى بنتُ أبي حَثْمة بن غانم بن عبد الله بن عَوف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عَديّ بن كعب.

ثمّ عبدُ الله بن جَحْش بن رِئاب بن يَعمَر بن صَبِرة بن مُرّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودَان بن أسَد بن خُزَيمة، حليفُ بني أُميّة بن عبد شمس، احتَمَلَ بأهله وبأخيه عبد بن جَحْش، وهو أبو أحمد، وكان أبو أحمد رجلاً ضريرَ البصر، وكان يطوفُ

---

(١) إسناده حسن إن كان سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة سمع من جدّة أبيه أمّ سلمة، وهو قد روى عنه غيرُ واحد وذكره ابن حبان في «الثقات»، فهو حسن الحديث إن شاء الله، وهذا الخبر إنما يرويه في قصّة أهل بيته، فمثله مما يُتسامح به فيُقبَل.

وأخرجه البلاذُريّ في «أنساب الأشراف» ١٠/ ٢٢٢، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٦/ ٣٤١ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه البلاذريُّ أيضاً ١٠/ ٢٢١-٢٢٢ عن محمد بن سعد، عن الواقديّ في إسناده عن سلمة ابن عبد الله بن عمر، به. ولم يبيِّن الواسطة بين الواقديِّ وسلمة.

مكّةَ أعلاها وأسفلَها بغير قائدٍ، وكان شاعراً، وكانت عنده الفَرْعةُ بنتُ أبي سفيان ابن حَرْب، وكانت أمُّه أُمَيمةَ بنتَ عبد المُطَّلِب بن هاشم، فغُلِّقَت دار بني جَحْش هجرةً، فمَرَّ بها عُتْبةُ بن ربيعة والعبّاسُ بن عبد المُطّلِب وأبو جهل بن هشام بن المُغيرة - وهي دار أَبان بن عُثمان اليومَ التي بالرَّدْم - وهم مُصعِدون إلى أعلى مكّة، فنظر إليها عتبةُ بن ربيعة تَخفِقُ أبوابُها يَبَاباً[1] ليس فيها ساكنٌ، فلمّا رآها كذلك تَنفَّس الصُّعَداءَ[2]، ثم قال:

وكـلُّ دارٍ وإن طالَـتْ سَـلامتُها ... يوماً ستُدرِكُها النَّكْباءُ والحُوْبُ

قال ابن هشام: الحُوْب: التَّوجُّع، وهو في موضع آخر: الحاجةُ، ويقال: الحُوب: الإثم[3]، وهذا البيت لأبي دُؤَادٍ[4] الإياديّ في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: ثمّ قال عُتبةُ بن ربيعة: أصبَحَت دارُ بني جَحْش خَلاءً من أَهلها! فقال أبو جهل: وما تبكي عليه! مِن قُلٍّ بن قُلٍّ.

قال ابن هشام[5]: القُلُّ: الواحد، قال لَبيد بن رَبيعة:

كـلُّ بَنِـي حُـرّةٍ مَصـيرُهمُ ... قُـلٌّ وإنْ أكثَـرَت مـن العَـدَدِ

---

(١) أي: خراباً ليس فيها أحد.

(٢) أي: تنفس طويلاً إلى فوق بتوجُّع.

(٣) قول ابن هشام إلى هنا ليس في (ت) و(ش١) و(غ)، ومن قوله: وهو في موضع، إلى هنا ليس في (ق١).

(٤) تحرف في (ص) و(ي) إلى: داود. وهو شاعر جاهليّ، وانظر ترجمته في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ص٢٣٧-٢٤٠. وهذا البيت في «ديوانه» ص٣٣ باختلاف في بعض ألفاظه.

(٥) قول ابن هشام هذا وبيت لبيدٍ ليسا في (ش١) و(غ) و(ي). وهذا البيت في قصيدة للبيدٍ يرثي بها أخاه أَربَد، انظر «ديوانه» بتحقيق إحسان عباس ص١٦٠.

قال ابن إسحاق: ثمّ قال: هذا عملُ ابنِ أَخي هذا[1]، فَرَّقَ جماعتَنا، وشَتَّتَ أمرَنا، وقَطَّعَ بيننا.

فكان مَنزَلُ[2] أبي سَلَمة بن عبد الأسد وعامرِ بن ربيعة وعبدِ الله بن جَحْش وأخيه أبي أحمد بن جَحْش، على مُبشِّر بن عبد المُنذِر بن زَنْبَر بقُباءٍ في بني عمرو ابن عوف، ثمّ قَدِمَ المهاجرون أَرسالاً[3].

وكان بنو غَنْم بن دُودَان أهلَ إسلامٍ، قد أَوْعَبوا[4] إلى المدينة مع رسول الله ﷺ هجرةً، رجالُهم ونساؤُهم: عبدُ الله بن جَحْش، وأخوه أبو أحمد بن جَحْش، وعُكّاشةُ ابن مِحصَن، وشُجاعٌ وعُقْبةُ ابنا وهب، وأَربَدُ بن جُمَيْرة.

قال ابن هشام: ويقال: ابن حُمَيْرة[5].

قال ابن إسحاق: ومُنقِذُ بن نُبَاتة، وسعيدُ بن رُقَيش، ومُحرِزُ بن نَضْلة، ويزيدُ ابن رُقَيش، وقيسُ بن جابر، وعمرُو بن مِحصَن، ومالكُ بن عَمرو، وصفوانُ بن عمرو، وثَقْفُ بن عَمرو، ورَبِيعةُ بن أَكثَم، والزُّبَيرُ بن عُبَيدة، وتمّامُ بن عُبيدة، وسَخْبَرةُ بن عُبيدة، ومحمدُ بن عبد الله بن جَحْش[6].

---

(١) يشير أبو جهل بذلك إلى العباس.

(٢) قال السهيليّ في «الروض» ٤/ ٩٨: مَنزَل بفتح الزاي، وكذلك كلّ ما وقع في هذا الباب من مَنزَل فلانٍ على فلان، فهو بالفتح، لأنه أراد المصدر، ولم يُرِد المكان.

(٣) أي: أفواجاً، جماعةً بعد جماعة.

(٤) أي: جاؤوا بأَجمعهم.

(٥) قال السهيليّ في «الروض» ٤/ ١٦٩: ورواه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق بخلاف ما رواه البكّائيُّ وابن هشام، فقال فيه: ابن حُميِّر، بتشديد الياء، كأنه تصغير حِمار.

(٦) هؤلاء كلّهم من بني غنم بن دُودان بن أسد بن خزيمة.

ومن نسائهم: زينبُ بنت جَحْش، وأمُّ حَبِيب بنت جَحْش، وجُذَامة[1] بنت جَندَل، وأمُّ قيس بنتُ مِحصَن، وأمُّ حَبيب بنت ثُمَامة[2]، وآمنةُ[3] بنت رُقَيش، وسَخبَرةُ بنتُ تَميم، وحَمْنةُ بنت جَحْش.

فقال أبو أحمد بن جَحْش بن رِئاب، وهو يَذكُر هجرةَ بني أسد بن خُزَيمة من قومه إلى الله وإلى رسوله ﷺ، وإيعابَهم في ذلك حين دُعُوا إلى الهجرة:

لـو حَلَفَـت بـينَ الصَّـفَا أمُّ أحمـدٍ ... ومَرْوتِهـا بـالله بـرَّتْ يمينُهـا

لَنحنُ الأُلى[4] كنّا بها ثمَّ لم نَزَلْ ... بمكّـةَ حتّـى عـادَ غَثّـاً سَـمينُها

بها خَيَّمَت غَنْمُ بن دُودَانَ وابتَنَت ... وما إن غَدَت غَنْمٌ وخَفَّ قَطِينُها[5]

إلـى اللهِ تَغـدُو بـين مَثْنـى وواحِـدٍ ... ودِيـنُ رسـولِ اللهِ بـالحقِّ دِينُهـا

وقال أبو أحمد بن جَحْش أيضاً:

لمّـا رأتنـي أمُّ أحمـدَ غادِيـاً ... بذِمّـةِ مَـن أخشـى بغَيـبٍ وأرهَـبُ[6]

---

(١) في (ش١) و(ص) و(غ): جذامة، بالذال المعجمة، وفي (م) بالوجهين، وقد اختُلف في تقييدها فيما ذكره السهيليّ في «الروض» ٤/ ١٦٧-١٦٨ والصالحيّ في «سبل الهدى والرشاد» ٣/ ٢٢٨-٢٢٩.

(٢) في (ص): نُباتة، وفي (م) بالوجهين.

(٣) في (ص) و(ق١) و(م): أمية. ونقل الخُشَنيُّ في «إملائه» ص١٢٤ عن أبي الوليد الوقَّشيّ أنه قال: صوابه أُميمة!

(٤) الأُلى: الَّذين.

(٥) القَطِين: القاطنون المقيمون بالموضع.

(٦) غادياً، أي: أرُوح وأَجيء. بذمّة: بعهد. مَن أخشى... يعني: بذمّة الله؛ يريد أنه لم يدخل بجوار أحد من أهل مكة.

تقـولُ: فإمّـا كنـتَ لا بـدَّ فـاعلاً ... فـيَمِّمْ بنـا البُلـدانَ ولتَنْـأَ يَثـرِبُ[1]

فقلـتُ لهـا: يَثـرِبُ منّـا مَطِيّـةٌ[2] ... ومـا يَشـأِ الـرَّحمنُ فالعبـدُ يَركَـبُ

إلى اللهِ وَجْهي والرسولِ ومن يُقِمْ ... إلـى اللهِ يومـاً وجهَـه لا يُخيَّـبُ

فكـمْ قـد تَرَكْنـا مـن حَميمٍ مُناصِحٍ ... وناصـحةٍ تَبْكـي بـدَمعٍ وتَنـدُبُ

تَـرَى أنَّ وِتـراً نأيُنـا عـن بلادِهـا[3] ... ونحـنُ نَـرى أنّ الرَّغائـبَ نَطلُـبُ

دَعَـوتُ بنـي غَـنْمٍ لحَقـنِ دمـائِهِمْ ... وللحـقِّ لمّـا لاحَ للنّـاسِ مَلْحَـبُ[4]

أجـابُوا بحمـدِ الله لمّـا دَعـاهُمُ ... إلـى الحـقِّ داعٍ والنَّجـاحِ فـأَوعَبُوا[5]

وكنّـا وأصـحاباً لنـا فـارَقُوا الهُـدَى ... أعـانُوا علينـا بالسـلاحِ وأَجلَبُـوا[6]

كفَـوجَينِ: إمّـا منهمـا فمُوفَّـقٌ ... علـى الحـقِّ مَهـديٌّ، وفـوجٌ مُعـذَّبُ

طَغَـوْا وتَمنَّـوْا كَذْبـةً وأزَلَّهـمْ ... عـن الحـقِّ إبليـسٌ فخـابُوا وخُيِّبـوا

---

(١) يمِّم، أي: اقصِد وتوجَّه. ولتنأَ: من النّأي، وهو البُعد.

(٢) المثبت من (ص) و(غ) و(ق١)، والمطيَّة: الرَّكوبة، يريد أنّه سيركب إلى يثرب، وفي (ت) و(م) ونسخة على حاشية (ص): فقلت لها: ما يثرب بمظنّة، وفي (ش١) و(ي) ونسخة أخرى على حاشية (ص): فقلت لها: بل يثرب اليوم وجهُنا.

(٣) في (ش١) و(ق١) و(ي): بلادنا.

والوِتر هنا: النَّقص، أو الجناية. والنّأي: البُعد. والرغائب: العطايا الكثيرة.

(٤) لاحَ: بدا وظهر. والمَلحَب: الطريق البيِّن الواضح.

(٥) أوعبوا، أي: اجتمعوا وكَثُروا.

(٦) في نسخة على حاشية (ص): وأحلبوا بالحاء المهملة، وفي (م) بالوجهين. قال الزمخشريّ في «أساس البلاغة» (حلب): أحلبتُه على كذا: أعنتُه، وأصله: الإعانةُ على الحَلْب، فاتَّسع فـ وقال في (جلب): أجلبوا عليه: إذا تجمَّعوا وتألَّبوا، مثل أحلبوا.

ورِعْنا[1] إلى قولِ النبيِّ محمَّدٍ فطابَ وُلاةُ الحقِّ منّا وطُيِّبوا
نَمُتُّ[2] بأَرحامٍ إليهم قريبةٍ ولا قُرْبَ بالأرحامِ إذ لا تُقرِّبُ
فأيُّ ابنِ أختٍ بعدَنا يأمَنَنَّكُم وأيّةُ صِهرٍ بعدَ صِهرِيَ تُرقَبُ[3]
ستَعلمُ يوماً أيُّنا إذ تَزايَلُوا[4] وزُيِّلَ أمرُ الناس للحقِّ أصوبُ

قال ابن هشام: قوله: ولتنأَ يثربُ، وقوله: إذْ لا تُقرِّب، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: يريد بإذْ: إذا، كقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾ [سبأ: ٣١]، قال أبو النَّجْم العِجليّ[5]:

ثمَّ جزاهُ اللهُ عنّا إذْ جَزَى جنّاتِ عَدْنٍ في العَلالِيِّ والعُلَا[6]

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج عمرُ بن الخطّاب وعيّاشُ بن أبي رَبِيعة حتّى قَدِما المدينة.

فحدّثني نافعٌ مَولَى عبدِ الله بن عمر، عن عبدِ الله بن عمر، عن أبيه عمر بن الخَطّاب قال: اتَّعَدتُ ـ لمّا أردنا الهجرةَ إلى المدينة ـ أنا وعيّاشُ بن أبي رَبِيعة وهشامُ ابن العاصِ بن وائلٍ السَّهْميُّ التَّناضُبَ من أَضَاةِ بني غِفَار فوق سَرِفَ[7]، وقلنا: أيُّنا

(١) أي: رجعنا.

(٢) أي: نتقرّب.

(٣) أي: تُحفَظ، يقول: أية مصاهرة بعد مصاهرتي لأبي سفيان يمكن أن تُحفظ وتُراعى، وهو سيّد من سادات قريش.

(٤) تزايلوا: تباينوا وتفرَّقوا.

(٥) قول أبي النجم ليس في (ت). وذكره الطبريّ في «تفسيره» ٩/ ١٣٤ و٢٠٧، وابن فارس في «الصاحبيّ» ص٩٩.

(٦) العلاليّ: جمع عِلِّيّة، وهي الغرف العالية.

(٧) التناضب: شجر برّيٌّ معروف في تلك البلاد، واحده: تَنضُبة. والأَضاة: ماء مستنقع =

لم يُصبِحْ عندها فقد حُبِسَ، فليَمضِ صاحباه. قال: فأصبحتُ أنا وعيّاشُ بن أبي ربيعة عند التَّناضُب، وحُبِسَ عنّا هشامٌ، وفُتِنَ فافتَتَن[1].

فلمّا قَدِمنا المدينةَ نزلنا في بني عمرو بن عوف بقُباءٍ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عَيّاش بن أبي ربيعة ـ وكان ابنَ عمِّهما وأخاهما لأمِّهما ـ حتّى قَدِما علينا المدينة ورسولُ الله ﷺ بمكّة، فكَلَّماه وقالا له: إنّ أمَّك قد نَذَرَت أن لا يَمَسَّ رأسَها مُشطٌ حتّى تراك، ولا تَستَظِلَّ من شمس حتّى تراك، فرَقَّ لها، فقلت له: يا عيّاش، إنّه واللهِ إنْ يريدُك القومُ إلّا عن دينِك فاحذَرْهم، فواللهِ لو قد آذى أُمَّك القملُ لامتَشَطَت، ولو قد اشتدَّ عليها حرُّ مكّة لاستَظَلَّت، قال: فقال: أُبِرُّ قَسَمَ أمّي، ولي هناك مالٌ فآخذه، قال: فقلت: واللهِ إنّك لتعلمُ أنّي لمن أكثر قريشٍ مالاً، فلك نصفُ مالي ولا تذهبْ معهما، قال: فأَبى عليَّ إلّا أن يَخرُج معهما، فلمّا

= كالغدير يجتمع من ماء المطر، وأضاة بني غفار هذه: على جانب وادي سرف الشماليّ. ووادي سرف من أودية مكة، يأخذ مياه ما حول الجِعرانة شمال شرقيّ مكّة ثم يتّجه غرباً، فيمرّ على قرابة ١٦كم شمال غرب مكّة، ويعرف ذلك الموضع اليوم بالنوّارية، أحد أحياء مكة. وسَرِف يُصرَف ولا يُصرَف.

(١) إسناده صحيح، وسيأتي تخريجه لاحقاً.

وهذا الخبر في هجرة عمر رضي الله عنه ظاهره أنه هاجر من غير إعلان عن هجرته، وهذا يخالف ما وقع في الخبر المشهور على الألسنة: أن عمر لما همَّ بالهجرة تقلَّد سيفه وأخذ قوسه ثم وقف على ملأ قريش وقال لهم: من أراد أن تَثكُله أمُّه، ويُوتِم ولدَه، ويرمِّل زوجته، فليَلقَني وراء هذا الوادي، فما تبعه أحدٌ، وهذا قد رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٤/ ٥١-٥٢ وابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٦٤٩-٦٥٠ مسنداً عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب، والإسناد إليه ضعيف فيه ثلاثة رواة على التتابع مجاهيل لم نقف لهم على تراجم في كتب الرجال فنتبيَّن حالهم.

أَبى إلّا ذلك، قال: قلت له: أَمَّا إذ قد فعلتَ ما فعلتَ، فخُذْ ناقتي هذه، فإنّها ناقةٌ نَجِيبةٌ ذَلُول[1]، فالزَمْ ظهرَها، فإن رابَك من القوم رَيْبٌ، فانجُ عليها.

فخرج عليها معهما، حتّى إذا كانوا ببعض الطّريق قال له أبو جهل: يا أَخي، واللهِ لقد استَغلَظتُ بعيري هذا، أفلا تُعقِبُني[2] على ناقتك هذه؟ قال: بلى، قال: فأناخَ وأناخا ليَتحوَّل عليها، فلمّا استَوَوْا بالأرض عَدَوْا عليه فأَوثَقاه رِباطاً، ثمّ دخلا به مكّة، وفَتَنَاه فافتَتَن[3].

قال ابن إسحاق: فحدّثني بعضُ آل عيّاش بن أبي ربيعة: أنّهما حين دخلا به مكّةَ دخلا به نهاراً مُوثَقاً، ثمّ قالا: يا أهلَ مكّة، هكذا فافعلوا بسُفهائِكم كما فعلنا بسَفيهِنا هذا.

قال نافع[4]، عن عبد الله بن عمر، عن عمر في حديثِه؛ قال: فكنّا نقول: ما اللهُ بقابلٍ ممّن افتَتَنَ صَرْفاً ولا عَدْلاً ولا توبةً، قومٌ عَرَفُوا الله ثمّ رجعوا إلى الكفر لبلاءٍ

(١) النجيبة من الإبل: القويّة منها، الخفيفة السريعة. والذَّلول: المطيعة ليست بالصَّعبة.

(٢) الاعتقاب: التناوب في الركوب على الدابّة، يركب هذا مرّةً وهذا مرّةً.

(٣) إسناده صحيح.

وأخرج حديث عمر هذا مطوّلاً ومختصراً البزّار في «مسنده» (١٥٥)، وأبو بكر النجّاد في «مسند عمر» (٧٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٥٤١)، والبيهقي في «السنن» ٩/ ١٣، وفي «الدلائل» ٢/ ٤٦١-٤٦٢، والضياء المقدسي في «المختارة» ١/ (٢١٤) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٤) في (ت): قال ابن إسحاق: وحدثني نافع. وهو من تتمّة الخبر السابق، وإسناده صحيح.

وأخرج قصة النزول هذه منفردةً ابنُ المنذر في «الأوسط» (٩٦٧٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٥٣٦)، والحاكم (٣٦٧٠)، والضياء في «المختارة» ١/ (٢١٢) و(٢١٣) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

أصابهم! قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم، فلمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، أنزَلَ الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسِهم: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الزمر:٥٣-٥٥].

قال عمر: فكتبتُها بيدي في صحيفةٍ وبَعَثتُ بها إلى هشام بن العاص، قال: فقال هشامٌ: فلمّا أَتتني جعلتُ أقرَؤُها بذي طُوًى[1]، أُصعِّدُ بها فيه وأُصوِّب ولا أَفهمها، حتّى قلت: اللهمَّ فهِّمنِيها، قال: فأَلقَى اللهُ في قلبي أنّها إنَّما أُنزِلَت فينا وفيما كنّا نقول في أنفسنا ويُقال فينا، قال: فرَجَعتُ إلى بَعِيري فجلستُ عليه، فلَحِقتُ برسولِ الله ﷺ بالمدينة.

قال ابن هشام: فحدّثني مَن أَثِقُ به: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال وهو بالمدينة: «مَن لي بعَيّاشِ بن أبي رَبِيعةَ وهشامِ بن العاصِ؟!» فقال الوليدُ بن الوليد بن المُغِيرة: أنا لك يا رسولَ الله بهما، فخرج إلى مكّة، فقَدِمَها مُستخفِياً، فلَقِيَ امرأةً تَحمِلُ طعاماً، فقال لها: أين تريدين يا أَمَةَ الله؟ قالت: أريدُ هذَينِ المحبوسَينِ؛ تَعنِيهما، فتَبِعَها حتّى عرفَ موضعَهما، وكانا محبوسَينِ في بيتٍ لا سَقْفَ له، فلمّا أَمسى تَسَوَّر عليهما، ثمّ أخذ مَرْوةً[2] فوضعها تحت قَيدَيهِما، ثمّ ضربهما بسيفِه فقَطَعَهما، فكان يقال لسيفه: ذو المَرْوة، لذلك، ثمّ حَمَلَهما على بعيره وساقَ بهما، فعَثَرَ فدَمِيَت إصبَعُه،

(١) ذو طُوى: وادٍ من أودية مكة في شمالها، كلُّه معمور اليوم، فيه عدّة أحياء من أحياء مكة.

(٢) أي: حجراً.

فقال:

هـلْ أنـتِ إلا إصـبَـعٌ دَمِيـتِ وفي سـبيلِ الله مـا لَقِيـتِ

ثمّ قَدِمَ بهما على رسول الله ﷺ المدينةَ[1].

قال ابن إسحاق: ونزل عمرُ بن الخَطّاب حين قَدِمَ المدينةَ ومَن لَحِقَ به من أهله وقومِه، وأخوه زيدُ بن الخطّاب، وعمرٌو وعبدُ الله ابنا سُرَاقة بن المُعتمِر، وخُنَيسُ ابن حُذَافة السَّهميّ ـ وكان صهرَه على ابنته حَفْصة بنت عمر، خَلَفَ عليها رسولُ الله ﷺ بعدَه ـ وسعيدُ بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، وواقدُ بن عبد الله التَّمِيميّ، حليفٌ لهم، وخَوْليُّ بن أبي خَوْليٍّ، ومالكُ بن أبي خَوْليٍّ، حليفانِ لهم.

قال ابن هشام: أبو خَوَليٍّ من بني عِجْل بن لُجَيم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل.

قال ابن إسحاق: وبنو البُكَير أربعتُهم: إياسُ بن البُكَير، وعاقلُ بن البُكَير، وعامرُ بن البُكَير، وخالدُ بن البُكَير، وحلفاؤُهم من بني سعد بن ليثٍ، على رِفاعةَ

---

(١) إسناده ضعيف لإعضاله وإبهام راويه، وقد وهمَ فيه بذكر هشام بن العاص، والصواب أنه سلمة بن هشام: وهو ابن المغيرة المخزوميّ، أخو أبي جهل وابنُ عمّ الوليد وخالد.

فقد روى عبد الرزاق في «مصنفه» (٤٠٣١) عن ابن جريج قال: أخبرني عبد الملك بن أبي بكر قال: فرَّ عيّاش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام والوليد بن الوليد بن المغيرة من المشركين إلى النبيّ ﷺ، وعياشٌ وسلمةُ مكبَّلان مُرتدِفان على بعير، والوليدُ يسوق بهما، فكُلِمَت إصبع الوليد فقال... وذكر بيت الشعر. وهذا رجاله ثقات، وعبد الملك بن أبي بكر هذا: هو ابن عبد الرحمن ابن الحارث المخزوميُّ، من ثقات التابعين، فروايته هذه مرسلة.

لكن رواه بنحوه الواقديُّ ـ فيما أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ١٢٤ ـ عن عروة بن الزبير وجعفر بن محمود الأنصاريّ مرسلاً أيضاً. ومع ما في الواقديِّ من كلام عند أهل الحديث، فهو يصلح للاعتبار في المغازي والسِّيَر إن شاء الله.

ابن عبد المُنذِر بن زَنبَر، في بني عمرو بن عوف بقُباءٍ، وقد كان مَنزَلُ عيّاش بن أبي ربيعة معه عليه حين قَدِمَ المدينة.

ثمّ تتابع المهاجرون، فنَزَلَ طَلْحةُ بن عُبيد الله بن عثمان، وصهيبُ بن سِنَان، على خُبَيب بن إسافٍ أخي بَلْحارثِ بن الخَزرَج بالسُّنْح[1]، ويقال: بل نزل طلحةُ ابن عبيد الله على أسعدَ بنِ زُرَارة أَخي بني النَّجّار.

قال ابن هشام: وذُكِرَ لي عن أبي عثمان النَّهْديِّ أنه قال: بَلَغَني أنّ صهيباً حين أراد الهجرةَ قال له كفّارُ قريش: أتَيتَنا صُعْلوكاً حقيراً، فكَثُرَ مالُك عندنا، وبلغتَ

(١) زاد في (ت) و(ق١) هنا: قال ابن هشام: ويقال: يساف فيما أخبرني عنه ابن إسحاق، صحّح عليها في (ت)، وضبّب عليها في (ق١)، ولفظ «عنه» فيهما محرَّف عن «غير»، إذ إن ابن هشام لم يدرك ابن إسحاق، إنما يروي عنه هذه السيرة بواسطة زياد بن عبد الله البكّائيّ. وقال السهيليّ في «الروض» ٤/ ١٩١ عند هذا الموضع: ويقال فيه: يَسَاف، بياء مفتوحة في غير رواية الكتاب.

والسُّنح: من عوالي المدينة، وقيل: بينه وبين منزل رسول الله ﷺ ميلٌ، وإنّه من منازل بني الحارث بن الخزرج، ومنازلُ بني الحارث كانت في الشَّمال والشَّمال الشرقيّ من المسجد النبويّ، أي: أن السُّنح هذا ليس بعيداً من العُريض المعروف اليوم، وكلّ هذه الأرض قد عُمِرت اليوم وصارت أحياءً من أحياء المدينة المنوَّرة. قاله عاتق البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص١٦٢.

فائدة: ذكر السهيليُّ: أنَّ خُبيباً هذا حين نزول المهاجرين عليه لم يكن مسلماً في قول الواقديّ، بل تأخّر إسلامه حتى خرج رسول الله ﷺ إلى بدر، قال خبيب: فخرجت معه أنا ورجل من قومي، وقلنا له: نكره أن يشهدَ قومُنا مَشهَداً لا نشهدُه معهم، فقال: «أسلمتُما؟» فقلنا: لا، فقال: «ارجِعا، فإنّا لا نستعينُ بمُشرِكٍ»، فأسلما وشَهِدا معه. وانظر قصّته هذه بنحوها من حديثه هو عند أحمد (١٥٧٦٣) والحاكم (٢٥٩٥)، ومن حديث عائشة عند أحمد (٢٥١٥٨) ومسلم (١٨١٧)، إلّا أنها لم تسمِّ خبيباً وقالت: رجل.

الّذي بلغتَ، ثمّ تريد أن تَخرُجَ بمالك ونفسك، واللهِ لا يكونُ ذلك، فقال لهم صهيبٌ: أرأيتُم إن جعلتُ لكم مالي، أتُخَلُّون سَبِيلي؟ قالوا: نعم، قال: فإنّي قد جعلتُ لكم مالي. قال: فبَلَغَ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «رَبِحَ صهيبٌ، رَبِحَ صهيبٌ»(١).

قال ابن إسحاق: ونَزَلَ حمزةُ بن عبد المُطَّلِب، وزيدُ بن حارثة، وأبو مَرثَدٍ كَنَّازُ ابن حِصْن.

قال ابن هشام: ويقال: ابن حُصَين.

قال ابن إسحاق: وابنُه مَرثَدٌ الغَنَويّان حليفا حمزةَ بن عبد المُطّلب، وأَنَسَةُ وأبو كَبْشة مَوْلَيا رسولِ الله ﷺ، على كُلثُوم بن هِدْم أخي بني عمرو بن عوف بقُباءٍ، ويقال: بل نزلوا على سعدِ بن خَيثَمة، ويقال: بل نزل حمزةُ بن عبد المُطّلب على أسعدَ بن زُرَارة أخي بني النَّجّار؛ كلُّ ذلك يقال.

ونَزَلَ عُبَيدةُ بن الحارث بن المُطَّلِب، وأخواه الطُّفيلُ بن الحارث والحُصَينُ بن الحارث، ومِسطَحُ بن أُثاثة بن عبّاد بن المُطَّلِب، وسُوَيبِطُ بن سعد بن حُرَيمِلة أخو بني عبد الدّار، وطُلَيبُ بن عُمَير أخو بني عبد بن قُصَيّ، وخَبّابٌ مولى عُتْبة بن

---

(١) خبر صحيح روي من عدّة وجوه يشدُّ بعضها بعضاً، فانظر «مستدرك الحاكم» (٥٨٠٥) و(٥٨٠٥م) و(٥٨١١) و(٥٨١٢) والتعليق عليه ـ طبعة دار الرسالة، ووقع في بعض هذه الوجوه: «ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى».

أمّا خبر أبي عثمان النَّهديّ ـ واسمه عبد الرحمن بن ملّ ـ فهو أصحّها، إلا أنّ ظاهره الإرسال، مع أنّ أبا عثمان أدرك صهيباً سنين عديدة، فهو من كبار مخضرمي التابعين، وقد روى عنه هذا الخبر عوفُ بن أبي جميلة ـ وهو ثقة ثبت ـ فيما أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٢٠٨، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٥٠٩)، والبلاذريّ في «أنساب الأشراف» ١/ ١٨٢، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٨٢).

غَزْوان، على عبد الله بن سَلَمة أخي بَلْعَجْلانِ[1] بقُباءٍ.

ونَزَلَ عبدُ الرّحمن بن عوف في رجالٍ من المهاجرين على سعد بن الرَّبيع أخي بَلْحارثِ بن الخَزرَج، في دار بَلْحارث بن الخَزرَج.

ونَزَلَ الزُّبَيرُ بن العَوّام، وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزَّى، على مُنذِر بن محمَّد بن عُقْبة بن أُحَيْحة بن الجُلَاح بالعُصْبة، دار بني جَحْجَبَى.

ونَزَلَ مُصعَبُ بن عُمَير بن هاشمٍ أخو بني عبد الدّارِ على سعدِ بن معاذ بن النُّعمان أخي بني عبد الأَشهَل، في دار بني عبد الأشهل.

ونَزَلَ أبو حُذَيفة بن عُتْبة بن رَبِيعة، وسالمٌ مولى أبي حُذَيفة.

قال ابن هشام: سالمٌ مولى أبي حُذيفة سائبةٌ[2] لثُبَيتةَ بنت يَعَار بن زيد بن عُبيد ابن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأَوس، سَيَّبَته فانقَطَعَ إلى أبي حُذَيفة بن عُتْبة فتبنَّاه، فقيل: سالمٌ مولى أبي حذيفة، ويقال: كانت ثُبَيتة بنت يَعَار تحت أبي حذيفة بن عُتبة[3]، فأعتَقَت سالماً سائبةً، فقيل: سالمٌ مولى أبي حذيفة.

---

(١) أي: بني العجلان.

(٢) أي: لا ولاءَ عليه لأحد.

(٣) إن كان هذا محفوظاً ـ وهو قول الواقديّ وابن سعد ـ فتكون ثبيتة كانت عند أبي حذيفة ابن عتبة أوّلاً فأعتقت سالماً فتبنّاه أبو حذيفة إذ لم يكن له منها ولدٌ، ثمّ إن أبا حذيفة تزوّج سهلةَ بنت سهيل وهاجر بها دون ثبيتةَ الهجرتين جميعاً إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وسهلةُ هي التي استفتت النبيّ ﷺ في إرضاع سالم وهو كبيرٌ، وكانت من قبلُ تعدُّه ولداً من أجل تبنّي أبي حذيفة له، وانظر حديثها هذا عند أحمد (٢٤١٠٨)، والبخاري ـ ولم يسق لفظه بتمامه ـ (٤٠٠٠) و(٥٠٨٨)، ومسلم (١٤٥٣) من حديث عائشة تحكي قصّتها.

قال ابن إسحاق: ونَزَلَ عُتْبةُ بن غَزْوانَ بن جابرٍ[1] على عَبّاد بن بِشْر بن وَقْشٍ أخي بني عبد الأَشهَل، في دار بني عبد الأَشهَل.

ونَزَلَ عثمانُ بن عَفّان على أَوس بن ثابت بن المُنذِر أخي حسّان بن ثابت في دار بني النَّجّار، فلذلك كان حسّان يحبُّ عثمانَ ويَبكِيه حين قُتِل.

وكان يقال: نَزَلَ العُزّابُ من المهاجرين على سعد بن خَيثَمة، وذلك أنه كان عَزَباً[2]، فاللهُ أعلم أيُّ ذلك كان.

(١) يعني مع أبي حذيفة وسالم مولاه، ثلاثتهم نزلوا على عبّاد بن بشر، كما في «جوامع السيرة» لابن حزم ص٨٩-٩٠، و«الدرر في اختصار المغازي والسير» لابن عبد البر ص٧٩، و«عيون الأثر» لابن سيد الناس ١/ ٢٠٤.

ونقل ابن كثير في «البداية والنهاية» ٤/ ٤٣٥ عن يحيى بن سعيد الأَموي: أن أبا حذيفة وسالماً نزلا على خبيب بن إساف أخي بني حارثة.

(٢) أي: لا زوجةَ له.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

هجرة رسول الله ﷺ

ومُقَام عليٍّ رضوان الله عليه في فراشه

وأقام رسولُ الله ﷺ بمكّة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظرُ أن يُؤذَنَ له في الهجرة، ولم يَتخلَّفْ معه بمكّة أحدٌ من المهاجرين إلّا من حُبِسَ أو فُتِنَ، إلّا عليُّ ابن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قُحَافة الصِّدّيق رضي الله عنهما، وكان أبو بكرٍ كثيراً ما يستأذنُ رسولَ الله ﷺ في الهجرة، فيقولُ له رسول الله ﷺ: «لا تَعجَلْ، لعلَّ اللهَ يجعلُ لك صاحباً»، فيَطمَعُ أبو بكر أن يكونَه[1].

فلمّا رأَت قريشٌ أنَّ رسول الله ﷺ قد صارَ[2] له شِيعةٌ وأصحابٌ من غيرهم بغير بلدهم، ورأَوا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم، عَرَفُوا أنّهم قد نزلوا داراً

---

(١) في (ت) و(ش١) و(غ): يكون هو.

وقصة استئذان أبي بكرٍ بالهجرة وقول النبي ﷺ له: «لا تعجل...» لم يسندها أحد من أصحاب ابن إسحاق عنه غير عبد الرَّحمن بن بشير الدمشقيّ عند الطبراني في «المعجم الكبير» ٢٢/ (٤٦٢) حيث ذكرها بإثر قصة هشام بن العاص من حديث ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر، وعبد الرَّحمن بن بشير ضعيف.

لكن صحَّ أصله من حديث عائشة، فقد أخرج البخاريّ (٤٠٩٣) حديثها في قصة هجرة النبيّ ﷺ وأبي بكرٍ وفي أوّله قالت: استأذن النبيَّ ﷺ أبو بكر في الخروج حين اشتدَّ عليه الأذى، فقال له: «أَقِمْ» فقال: يا رسول الله، أتطمعُ أن يُؤذَنَ لك؟ فكان رسول الله ﷺ يقول: «إنّي لأرجو ذلك»، قالت: فانتظره أبو بكر.

(٢) هكذا في نسخة (ت)، وفي بقية النسخ: قد كانت، وما أثبتناه من (ت) أوجهُ، ويمكن حمل «كان» في بقية النسخ على أنها التامّة التي بمعنى: حَصَل أو صار.

وشيعةُ الرجل: أتباعه وأنصاره.

وأصابوا منهم مَنَعةً، فحَذِرُوا خروجَ رسول الله ﷺ إليهم، وعَرَفوا أنّه قد أجمَعَ لحربهم، فاجتَمَعوا له في دار النَّدْوة ـ وهي دار قُصيّ بن كِلَاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلّا فيها ـ يتشاورون فيها ما يَصنَعُون في أمر رسول الله ﷺ، حين خافُوه.

قال ابن إسحاق: فحدّثني مَن لا أتَّهِمُ من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد بن جُبَيرٍ[1] أبي الحَجّاج، عن عبد الله بن عبّاس؛ وغيرُه ممّن لا أتَّهمُ عن عبد الله بن عبّاسٍ قال: لمّا اجتَمَعُوا لذلك، واتَّعَدُوا أن يدخلوا في دار النَّدْوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ، غَدَوْا في اليوم الذي اتَّعَدُوا له، وكان ذلك اليومُ يُسمَّى يومَ الزَّحْمة، فاعتَرَضَهم إبليسُ لَعَنَه اللهُ في هيئة شيخ جليل عليه بَتٌّ له[2]، فوَقَفَ على باب الدّار، فلمّا رأَوه واقفاً على بابها قالوا: من الشيخُ؟ قال: شيخٌ من أهل نَجْد سمع بالّذي اتَّعَدتُم له، فحَضَرَ معكم ليسمعَ ما تقولون، وعسى أن لا يُعدِمَكم منه رأياً ونُصحاً، قالوا: أجل، فادخُلْ، فدخل معهم.

وقد اجتمع فيها أشرافُ قريشٍ؛ من بني عبد شمسٍ: عُتْبةُ بن رَبيعة، وشَيْبةُ بن ربيعة، وأبو سفيان بن حَرْب، ومن بني نوفل بن عبد مَنَافٍ: طُعَيمةُ بن عَديّ، وجُبَيرُ بن مُطعِم، والحارثُ بن عامر بن نَوفَل، ومن بني عبد الدّار بن قُصيٍّ: النَّضرُ ابن الحارث بن كَلَدة، ومن بني أَسد بن عبد العُزَّى: أبو البَختَريّ بن هشام، وزَمْعةُ ابن الأسود بن المُطَّلِب، وحَكيمُ بن حِزَام، ومن بني مخزومٍ: أبو جهل بن هشام، ومن بني سَهْم: نُبَيهٌ ومُنبِّهٌ ابنا الحَجّاج، ومن بني جُمَحَ: أُميّةُ بن خَلَف أو من كان

(١) هكذا في (ق١) و(م) و(ي) دون بقية النسخ: جبير، مصغَّراً، وهو ما كان يقوله ابن إسحاق في أسانيده كما في «التاريخ الكبير» للبخاري ٧/ ٤١١، و«رجال صحيح البخاري» للكلاباذي ٢/ ٧٣١، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر ٥٧/ ٢١، والمشهور في كتب الرجال: جَبْر.

(٢) البَتُّ: كِساء غليظ مربّع من صوف أو وَبَر.

منهم، وغيرُهم ممَّن لا يُعَدُّ من قريش.

فقال بعضُهم لبعضٍ: إنَّ هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتُم، وإنّا واللهِ ما نأمَنُه على الوُثوبِ علينا بمن قد اتَّبَعَه من غيرنا، فأَجمِعُوا فيه رأياً، قال: فتشاوَرُوا، ثمّ قال قائل منهم: احبِسُوه في الحديد، وأغلِقُوا عليه باباً، ثمّ تَربَّصُوا به ما أصاب أشباهَه من الشعراء الّذين كانوا قبله، زهيراً والنابغةَ ومَن مضى منهم، مِن هذا الموت، حتّى يُصِيبَه ما أصابهم، فقال الشيخ النَّجديّ: لا والله ما هذا لكم برأيٍ، والله لئن حَبَستُموه كما تقولون، ليَخرُجنَّ أمرُه من وراءِ الباب الذي أغلَقتُم دونه إلى أصحابه، فلأَوشَكُوا أن يَثِبُوا عليكم فيَنتَزِعُوه[1] من أيديكم، ثمّ يُكاثِرُوكم به حتّى يَغلِبُوكم على أمركم، ما هذا لكم برأيٍ، فانظُروا في غيره.

فتشاوَرُوا، ثمّ قال قائل منهم: نُخرِجُه من بين أظهُرِنا فنَنفِيهِ من بلادنا، فإذا خرج عنّا فواللهِ ما نُبَالي أين ذهب ولا حيثُ وَقَع إذا غابَ عنا وفَرَغْنا منه، فأصلَحْنا أمرَنا وأُلفَتَنا كما كانت، قال الشيخ النَّجديّ: لا والله ما هذا لكم برأيٍ، ألم تَرَوْا حُسنَ حديثِه، وحلاوةَ مَنطِقِه، وغَلَبَتَه على قلوب الرِّجال بما يأتي به، والله لو فعلتُم ذلك ما أَمِنتُ أن يَحُلَّ على حيٍّ من العرب، فيَغلِبَ عليهم بذلك من قوله وحديثه حتّى يُتابِعوه عليه، ثمّ يسيرُ بهم إليكم حتّى يَطأَكم بهم[2]، فيأخُذَ أمرَكم من أيديكم ثمّ يفعل بكم ما أراد، أَدِيرُوا فيه رأياً غيرَ هذا[3].

قال: فقال أبو جهل بن هشام: واللهِ إنّ لي فيه لرأياً ما أراكم وَقَعتُم عليه بعدُ،

---

(١) في (ق١) و(ي): فينزعوه.

(٢) زاد في (غ) و(ق١): في بلادكم.

(٣) قال السهيليّ في «الروض» ٤/ ٢٠١: قال ابن سلام: الذي أشار بحبسه هو أبو البختريّ ابن هشام، والذي أشار بإخراجه ونفيه هو أبو الأسود ربيعة بن عمرو، أحد بني عامر بن لؤيّ.

قالوا: وما هو يا أبا الحَكَم؟ قال: أَرى أن نأخذَ من كلِّ قبيلةٍ فتًى شابّاً جَليداً نَسيباً وَسِيطاً فينا[1]، ثمّ نُعطيَ كلَّ فتًى منهم سيفاً صارماً، ثمّ يَعمِدُوا إليه فيضربوه بها ضربةَ رجلٍ واحدٍ، فيقتلوه فنستريحَ منه، فإنّهم إذا فعلوا ذلك تَفرَّقَ دمُه في القبائل جميعاً، فلم يَقدِرْ بنو عبد مَنَافٍ على حرب قومهم جميعاً، فرَضُوا منّا بالعَقْل[2] فعَقَلْناه لهم، قال: يقول الشيخ النَّجديّ: القولُ ما قال الرَّجلُ، هذا الرأيُ لا رأيَ غيرُه، فتَفرَّق القومُ على ذلك وهم مُجمِعُون له.

فأَتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ، فقال: لا تَبِتْ هذه اللّيلةَ على فِراشِك الّذي كنت تَبِيتُ عليه، قال: فلمّا كانت عَتَمةٌ من اللّيل، اجتَمَعُوا على بابه يَرصُدُونَه متى ينامُ فيَثِبُون عليه، فلمّا رأَى رسولُ الله ﷺ مكانَهم، قال لعليّ بن أبي طالبٍ: «نَمْ على فِراشي وتَسَجَّ[3] بُرْدي هذا الحَضْرميَّ الأخضرَ، فنَمْ فيه، فإنّه لن يَخلُصَ إليك شيءٌ تَكرَهُه منهم»، وكان رسول الله ﷺ ينام في بُرْدِه ذلك إذا نامَ[4].

---

(١) الجَليد: الصَّبور على الشدائد. ونسيباً وسيطاً، أي: صاحبَ نسب معروف شريفاً في قومه.

(٢) أي: الدِّيَة.

(٣) أي: اتخذه غطاءً.

(٤) إسناداه ضعيفان، أما الأول فلإبهام شيخ ابن إسحاق فيه، وأما الثاني فلإبهام جماعة الرواة بينه وبين ابن عباس، وقد سُمُّوا في رواية غير زياد البكَّائيّ عنه، لكنهم ضعفاء.

فقد رواه جريرُ بن حازم عند الخطابي في «غريب الحديث» ١/ ٥٥٦، وإبراهيمُ بن سعد الزهريّ عند أبي نعيم في «دلائل النبوة» (١٥٤)، كلاهما عن ابن إسحاق، عمَّن لا يتّهم، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عبّاس.

وخالفهم يحيى بنُ سعيدٍ الأُمويُّ عند الطبري في «تفسيره» ١١/ ١٣٤-١٣٥، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٤٦٨-٤٦٩، وسلمةُ بن الفضل الأبرشُ عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٧٠-٣٧٢، =

= وأبي نعيم أيضاً (١٥٤)، فروياه عن ابن إسحاق، عن ابن أبي نجيح، به. فأسقطا الواسطة المبهمة، وزاد سلمةُ الأبرشُ تصريحَ ابن إسحاق بسماعه إيّاه من ابن أبي نجيح، وسلمةُ فيه ضعفٌ وغيرُه أوثق منه في ابن إسحاق، ورواية من تقدّم بذكر الواسطة المبهمة أتقن وأثبت، على أنّ ابن أبي نجيح هو من شيوخ ابن إسحاق الذين سمع منهم.

وقد روى الأُمويُّ والأبرشُ أيضاً عن ابن إسحاق الإسناد الثاني فبيَّنا فيه الرُّواة المبهمين، فقالا فيه عنه: وحدثني الكلبيُّ، عن أبي صالح مولى أم هانئ، عن ابن عباس. وهذا إسناد واهٍ من أجل الكلبيّ ـ وهو محمد بن السائب ـ فهو متَّهم بالكذب، وأبو صالح مولى أم هانئ ـ واسمه باذام أو باذان ـ ضعيف.

وزاد سلمةُ الأبرش عن ابن إسحاق روايتَه له عن الحسن بن عُمارة، عن الحكم بن عُتيبة، عن مِقسَم، عن ابن عبّاس. والحسن بن عمارة متروك الحديث.

وروى هذا الخبر الواقديُّ ـ كما في «طبقات ابن سعد» ١/ ١٩٣-١٩٤ ـ في أول حديث طويل بأسانيد عن عائشة أمّ المؤمنين وابن عباس وعائشة بنت قُدامة بن مظعون وعليّ بن أبي طالب وسُرَاقة بن جُعشُم، وقال: دخل حديث بعضهم في حديث بعض... والواقديُّ قد تفرّد بروايته من هذه الوجوه، وهو مجروح متكلَّم فيه.

ورواه عبد الرزاق في «مصنّفه» (٩٧٤٣) ٥/ ٣٨٩-٣٩٠ عن معمر عن قتادة، والطبري في «تفسيره» ١١/ ١٣٧-١٣٨ عن أسباط عن السُّدِّيّ، كلاهما مرسلاً، وهما ضعيفان للإرسال.

وخلاصة القول: أنّه لم يصحَّ في صورة هذا المجلس ودخول إبليس معهم فيه على صورة شيخ نجديٍّ شيءٌ من الأخبار، والله تعالى أعلم.

وروى عبد الرزاق أيضاً (٩٧٤٣) ٥/ ٣٨٩ ـ وعنه أحمد في «مسنده» (٣٢٥١) ـ عن معمر، عن عثمان الجَزَريّ، أن مِقسماً مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال:٣٠]، قال: تشاورت قريشٌ ليلةً بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوَثَاق ـ يريدون النبيَّ ﷺ ـ وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلَعَ اللهُ نبيَّه على ذلك، فبات عليٌّ على فراش النبيّ ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتّى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون عليّاً يحسبونه النبيَّ ﷺ، فلمّا أصبحوا ثاروا إليه، فلمّا رأَوا عليّاً =

= ردَّ اللهُ مكرَهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري، فاقتَصُّوا أثرَه، فلمّا بلغوا الجبل خُلِطَ عليهم، فصعدوا في الجبل فمرُّوا بالغار، فرأَوا على بابه نَسْجَ العنكبوت، فقالوا: لو دخل هاهنا، لم يكن نَسجُ العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاثَ ليال.

فزاد في هذا الخبر قصّةَ نسج العنكبوت على باب الغار، وإسناده ضعيف لضعف عثمان الجزريّ، وهو الذي يقال له أيضاً: عثمان المُشاهِد، قال فيه الإمام أحمد نفسه ـ كما في «الجرح والتعديل» ٦/ ١٧٤ـ: روى أحاديث مناكير، زعموا أنه ذهب كتابُه. وتساهل ابنُ كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» ٤/ ٤٥١ فحسّن هذا الإسناد وقال: هو من أجود ما روي في قصّة نسج العنكبوت على فم الغار. وكذا تساهل ابن حجر في «فتح الباري» ١١/ ٤٥٠ فحسَّنه!

ثم ذكر ابن كثير لهذه القصّة شاهداً من مرسل الحسن البصريّ عند أبي بكر المروزيّ في «مسند أبي بكر الصِّدّيق» (٧٣)، وإسناده ضعيف لإرساله ولضعف بشّار بن موسى الخفّاف شيخِ المروزيّ فيه، فهو مختلف فيه، وهو إلى الضعف أقرب، وقال البخاري فيه: منكر الحديث.

وذُكِرَ نسجُ العنكبوت أيضاً في حديثٍ رواه عُوَين ـ ويقال: عون ـ بن عمرو القيسيّ عن أبي مصعب المكيّ قال: أدركت زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك يحدِّثون: أن النبيَّ ﷺ لمّا كان ليلة بات في الغار أمَرَ الله شجرةً فنبتت في وجه الغار فسترت وجه النبي ﷺ، وأمر الله العنكبوتَ فنسجت على وجه الغار، وأمر الله حمامتين وحشيّتين فوقعتا بفم الغار... أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٩٥، والبزار في «مسنده» (٤٣٤٤)، والعُقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٤١٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٢٠/ (١٠٨٢)، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٤٨١-٤٨٢ وغيرهم.

فزاد في هذا الخبر ذكرَ الشجرة والحمامتين الوحشيَّتين، وإسناده ضعيف جداً، فإنّ عوين بن عمرو قال فيه ابن معين: لا شيء، وقال البخاري: منكر الحديث. وأما شيخه أبو مصعب فرجل مجهول لا يُعرَف، قال العُقيلي بإثر الحديث: لا يتابع عليه، وأبو مصعب رجل مجهول.

وذُكر نسج العنكبوت أيضاً عن محمد بن إبراهيم التيميّ مرسلاً عند أبي نعيم في «دلائل النبوة» كما في «الدر المنثور» للسيوطيّ، ولم يذكر إسناده، وأغلب الظن أنه لا يصحُّ، ومهما يكن من أمرٍ فهو ضعيف لإرساله. =

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيدُ بن زياد، عن محمّد بن كعبٍ القُرَظيّ قال: لمّا اجتَمَعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال وهم على بابه: إنّ محمداً يَزعُم أنّكم إن تابعتموه على أمرِه، كنتم ملوكَ العرب والعَجَم، ثمّ بُعِثتُم من بعد موتكم فجُعِلَت لكم جِنانٌ كجِنانِ الأُردُنِّ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبحٌ، ثمّ بُعِثتُم من بعد

= وأشار إليه أيضاً عطاءُ بن ميسرة كما في «حلية الأولياء» لأبي نعيم ٥/ ١٩٧، ورواويه عنه ابنُه عثمان، وهو ضعيف ويذكر عن أبيه أشياء منكرة.

وخلاصة القول: أنَّه لم يصحَّ شيءٌ في نسج العنكبوت على وجه الغار ووقوع الحمامتين على فمه ونبات شجرةٍ على وجهه، والله تعالى أعلم.

وأمّا قصّة مَبِيت عليٍّ رضي الله عنه في فراش النبيّ ﷺ، فقد رواها أيضاً أبو بَلْج يحيى بن سُليم ـ في حديثه الطويل في فضائل عليٍّ ـ عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال: شَرَى عليٌّ نفسَه (أي: باع نفسه لله ابتغاء مرضاته)، لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه، قال: وكان المشركون يَرمُون رسول الله ﷺ، فجاء أبو بكرٍ وعليٌّ نائم، وأبو بكر يحسب أنه نبيُّ الله، فقال: يا نبيّ الله، فقال له علي: إن نبيَّ الله قد انطلق نحو بئر ميمون، فأدرِكْه، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال: وجعل عليٌّ يُرمَى بالحجارة كما كان يُرمَى نبيُّ الله، وهو يتضوّر (أي: يتلوَّى ويتقلَّب ظهراً لبطن) قد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتّى أصبح، ثمّ كشف عن رأسه، فقالوا: إنّك لَلئيمٌ، كان صاحبك نرميه فلا يتضوّر وأنت تتضوّر، وقد استنكرنا ذلك. أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٠٦١) والحاكم في «مستدركه» (٤٧٠٢)، وهو حديث ضعيف تفرّد به أبو بَلْج وفيه مقالٌ كما هو مبيَّن في التعليق على الكتابين المذكورين، وما جاء فيه غريب جدّاً، وهو خلاف المشهور من أنّ النبيَّ ﷺ وصاحبه أبا بكرٍ خرجا معاً كما سيأتي في حديث عائشة الصحيح لاحقاً، وفي غيره من الأخبار.

ثمّ إن بئر ميمون المذكور في خبر ابن عباس في جهة الشمال من مكّة، بينما غار ثورٍ الذي دخله النبيُّ ﷺ وصاحبه أبو بكر في الجهة الجنوبيّة من مكة، فهذا أيضاً مما يشير إلى نكارة هذا الخبر، والله تعالى أعلم.

موتكم، ثمّ جُعِلَت لكم نار تُحرَقُون فيها. قال: وخرج عليهم رسولُ الله ﷺ، فأَخذ حَفْنةً من تراب في يده ثمّ قال: «نعم، أنا أقولُ ذلك، أنت أَحدُهم»، وأَخذ اللهُ تعالى على أبصارهم عنه فلا يَرَونَه، فجعل يَنثُرُ ذلك التُّراب على رؤوسهم وهو يَتلُو هؤلاءِ الآياتِ من (يٰسٓ): ﴿يٰسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾، حتّى فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من هؤلاءِ الآيات، ولم يَبْقَ منهم رجل إلّا وقد وَضَعَ على رأسه تراباً، ثمّ انصَرَفَ إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آتٍ ممّن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمّداً، قال: خَيَّبَكم اللهُ! قد واللهِ خرج عليكم محمّدٌ، ثمّ ما ترك منكم رجلاً إلّا وقد وَضَعَ على رأسه تراباً، وانطَلَقَ لحاجتِه، أفما تَرَونَ ما بكم؟! قال: فوَضَعَ كلُّ رجل منهم يدَه على رأسه، فإذا عليه تراب، ثمّ جعلوا يَتطلَّعون فيَرَونَ عليّاً على الفِراش متسجِّياً ببُرْدِ رسول الله ﷺ، فيقولون: واللهِ إنَّ هذا لمحمّدٌ نائماً، عليه بُرْدُه، فلم يَبْرَحُوا كذلك حتّى أصبَحُوا، فقام عليٌّ عن الفراش فقالوا: واللهِ لقد كان صَدَقَنا الّذي حدَّثَنا[1].

قال ابن إسحاق: فكان ممّا أَنزل اللهُ تعالى من القرآن في ذلك اليوم، وما كانوا أَجمَعُوا له: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]، وقولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ

(١) إسناده ضعيف لإرساله على ثقة رجاله، فإنّ محمد بن كعب القرظيّ من الطبقة الوسطى من التابعين. وحديثه هذا ـ على ضعفه ـ أصحُّ ما روي في مبيت عليّ بن أبي طالب في فراش النبيّ ﷺ.

ورواه عن ابن إسحاق أيضاً سلمةُ بن الفضل الأبرش عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٧٢-٣٧٤، وأبي نعيم في «الدلائل» (١٥٤) ص٢٠٣-٢٠٤.

بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ [الطور: ٣٠-٣١].

قال ابن هشام: المَنُون: الموت[١]، ورَيبُ المَنُون: ما يَرِيبُ ويَعرِضُ منها، قال أبو ذُؤَيب الهُذَليّ:

أمِـنَ المَنُـونِ ورَيبِهـا تَتوجَّـعُ والدَّهرُ ليس بمُعتِبٍ من يَجزَعُ[٢]

وهذا البيت في قصيدةٍ له[٣].

قال ابن إسحاق: وأَذِنَ اللهُ لنبيّه ﷺ عند ذلك في الهِجْرة.

قال ابن إسحاق: وكان أبو بكرٍ رجلاً ذا مال، فكان حين استَأذَنَ رسولَ الله ﷺ في الهجرة فقال له: «لا تَعجَلْ، لعلَّ اللهَ يجعلُ لك صاحباً»[٤]، قد طَمِعَ بأنّ رسول الله ﷺ إنَّما يعني نفسَه حين قال له ذلك، فابتاع راحلتَينِ فحَبَسَهما في داره، يَعلِفُهما إعداداً لذلك.

فحدّثني من لا أتَّهِمُ، عن عُرْوة بن الزُّبَير، عن عائشة أمِّ المُؤْمنين أنّها قالت[٥]:

---

(١) الأصح أن المَنُون هي حوادث الدَّهر، ومنها الموت.

(٢) ليس بمُعتِب، أي: ليس بمُرضِيه. والجزع: الحزن والخوف.

(٣) وهو أول قصيدته السائرة الرائعة التي يبكي بها بَنيهِ الّذين هلكوا في عام واحد، أصابهم طاعون، وكانوا رجالاً ولهم بأس ونَجْدة، وجعل صدرَها حديثاً بينه وبين امرأة تسائله عن شجونه وأَرَقه، فيروي لها حزنه وألمه لهذه النَّكبة، والقصيدة ذكرها المفضَّل الضبّيُّ في «المفضَّليات» تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ص ٤٢١-٤٢٩، وانظر تخريجها هناك بتوسع.

(٤) تقدّم قريباً التعليق عليه في أول هذا الفصل ص١١٣.

(٥) حديث عائشة رضي الله عنها في قصّة الهجرة حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢٥٧٧٤)، والبخاري (٢١٣٨) و(٤٠٩٣)، وابن حبان (٦٢٧٩) من طريق هشام بن عروة، وأخرجه أحمد أيضاً (٢٥٦٢٦)، والبخاري (٣٩٠٥) و(٥٨٠٧)، وابن حبان (٦٢٧٧) من طريق ابن شهاب الزهريّ، كلاهما عن عروة، عن خالته عائشة.

كان لا يُخطِئُ رسولَ الله ﷺ أن يأتي بيتَ أبي بكرٍ أحدَ طَرَفَيِ النّهار، إمّا بُكْرةً، وإمّا عَشيّةً، حتّى إذا كان اليومُ الذي أَذِنَ اللهُ فيه لرسوله ﷺ في الهِجْرة، والخروجِ من مكّة من بين ظَهرَيْ قومِه، أتانا رسولُ الله ﷺ بالهاجرةِ[1] في ساعةٍ كان لا يأتي فيها.

قالت: فلمّا رآه أبو بكر قال: ما جاءَ رسولُ الله ﷺ هذه الساعةَ إلا لأمرٍ حَدَثَ، قالت: فلمّا دَخَلَ تأخَّرَ له أبو بكرٍ عن سَريرِه فجلس رسولُ الله ﷺ عليه، وليس عند أبي بكرٍ إلّا أنا وأختي أسماءُ بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «أَخرِجْ عنّي مَن عندَك» فقال: يا رسول الله، إنّما هما ابنتايَ[2]، وما ذاك فِداكَ أَبي وأُمّي؟ قال: «إنَّ الله قد أَذِنَ لي في الخروجِ والهِجْرةِ» قالت: فقال أبو بكر: الصُّحبةَ يا رسول الله! قال: «الصُّحْبةُ» قالت: فواللهِ ما شَعَرتُ قَطُّ قبلَ ذلك اليوم أنّ أحداً يبكي من الفَرَح حتّى رأيتُ أبا بكرٍ يبكي يومَئذٍ، ثمّ قال: يا نبيَّ الله، إنّ هاتَينِ راحِلَتانِ كنتُ أعددتُهما لهذا[3].

فاستَأجَرا عبدَ الله بن أَرقَدَ[4] ـ رجلاً من بني الدِّيل بن بكرٍ، وكانت أمُّه امرأةً من

---

(١) الهاجرة: وقت اشتداد الحرّ نصف النهار.

(٢) هكذا هو في حديث هشام بن عروة عن أبيه، وفي حديث الزهريّ عن عروة: قال أبو بكر: إنّما هم أهلُك.

(٣) في حديثي هشام والزهريّ عن عروة: أنّ رسول الله ﷺ قال لأبي بكر عند عرضه عليه إحدى الراحلتين: «قد أخذتُها بالثَّمَن».

(٤) هكذا في (ت) و(ص) و(غ) و(م): أرقد، بدال، لكن أشار في (ص) إلى أنه في نسخة كذلك وصحّح في الحاشية على أرقط، بطاء، وهو كذلك في (ش١) و(ق١) و(ي)، والصواب أنه في رواية ابن هشام للسِّيرة بدال، نصَّ على ذلك ابن حجر في «فتح الباري» ١١/ ٤٥٣-٤٥٤ والسَّمهوديّ في «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» ١/ ١٨٦، وذكرا أنّه في رواية يحيى بن سعيد الأُمويّ عن ابن إسحاق: أُرَيقِد، وكذلك وقع في رواية غيرهما عن ابن إسحاق، قال ابن حجر: =

بني سَهْم بن عمرو، وكان مشركاً ـ يَدلُّهما على الطَّريق، ودَفَعَا إليه راحلتَيهِما، فكانتا عنده يرعاهما لِميعادِهما.

قال ابن إسحاق: ولم يَعلَمْ ـ فيما بَلَغَني ـ بخروجِ رسول الله ﷺ أحدٌ حين خرج، إلّا عليُّ بن أبي طالب وأبو بكر الصِّدّيق وآلُ أبي بكر.

أمّا عليٌّ فإنّ رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ أخبره بخروجه وأمَرَه أن يَتخلَّفَ بعده بمكّة حتّى يُؤدِّيَ عن رسول الله ﷺ الودائعَ التي كانت عنده للنّاس[1]، وكان رسولُ الله ﷺ وليس بمكّة أحدٌ عنده شيءٌ يَخشَى عليه إلّا وَضَعَه عنده، لِمَا يَعلَمُ من صدقِه وأمانتِه ﷺ.

قال ابن إسحاق: فلمّا أجمَعَ رسولُ الله ﷺ الخروجَ أَتى أبا بكر بن أبي قُحَافةَ، فخَرَجا من خَوخَةٍ[2] لأبي بكر في ظَهْر بيتِه، ثمّ عَمَدا إلى غارٍ بثَوْرٍ ـ جبل بأسفل

= وعند موسى بن عقبة: أُريقِط، بالتصغير أيضاً لكن بالطاء، وهو أشهر.

وعبد الله بن أُريقط هذا ذكر ابن حجر في «الإصابة» ٤/ ٥: أنّه لم يرَ من ذكره في الصحابة إلا الذهبيَّ في «التجريد»، وأنّ عبد الغنيِّ المقدسيَّ قد جزم في «السيرة» له بأنه لم يعرف له إسلاماً، وكذا قال النوويُّ في «تهذيب الأسماء واللغات» ص٢٨: لا يُعلَم له إسلام. وقد ذكر الطبريُّ في «تاريخه» ٢/ ٤٠٠: أنّه رجع إلى مكّة فأخبر عبد الله بن أبي بكر بمكان أبيه أبي بكر، فخرج عبدُ الله بعِيال أبيه إليه.

(١) انفرد ابن إسحاق بهذا ولم يسنده بل ذكره بلاغاً، وقد وقع فيه للبيهقيّ في «سننه» ٦/ ٢٨٩ وهمٌ فاحشٌ حيث ذكره عن زياد البكّائيِّ عن ابن إسحاق بإسناد حديث عائشة السابق، ولم يتنبّه للبلاغ الذي صرَّح به ابن إسحاق، بينما نقله عنه في كتابه الآخر «دلائل النبوة» ٢/ ٤٦٤ على الصواب غيرَ مُسندٍ.

(٢) الخَوخَة: مُختَرَق في الحائط كالنافذة الكبيرة يُنصَب عليه باب.

ويُفهَم من حديث محمد بن سيرين عن عمر عند الحاكم (٤٣١٤) ـ وعنه البيهقي في «دلائل =

مكّة[1] ـ فدخلاه، وأمَرَ أبو بكر ابنَه عبدَ الله بن أبي بكرٍ أن يَتسمَّعَ لهما ما يقول الناسُ فيهما نهارَه، ثمّ يأتيهما إذا أَمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، وأمَرَ عامرَ بن فُهَيرة مَوْلاه أن يرعى غنمَه نهارَه، ثمّ يُرِيحُها عليهما إذا أَمسى في الغار، وكانت أسماءُ بنت أبي بكرٍ تأتيهما من الطّعام إذا أمسَتْ بما يُصلِحُهما[2].

قال ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهل العلم، أنّ الحسن بن أبي الحسن البصريَّ

= النبوة» ٢/ ٤٧٦ ـ أنّ خروجهما إلى غار ثور كان ليلاً. ورجاله ثقات على إرساله.

فيكون رسول الله ﷺ قد أَتى أبا بكر نهاراً وقتَ الظَّهيرة عند اشتداد الحرّ فمكث عنده حتى دخل الليل ثمّ خرجا متوجِّهين إلى غار ثور، جمعاً بين حديث عائشة المتقدِّم وحديث عمر هذا ومرسل الحسن الآتي.

(١) ويقع هذا الجبل جنوب مكّة، ويبعد غار ثور عن المسجد الحرام حوالي ٥ كم.

(٢) وقع هذا ـ دون قصّة تردُّد أسماء على الغار ـ مسنَداً في رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق ـ عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٥١٥٣) ـ عمّن لا يتّهم، عن عُروة بن الزّبير، عن عائشة. وزاد فيه: أنّ عبد الله بن أبي بكر كان إذا غَدَا من عندهما، اتَّبع عامرُ بن فُهَيرة أثرَه بالغنم حتّى يُعفِّيَ عليه، حتّى إذا مَضَت الثلاثُ ركبا وانطلقا، وأردَفَ أبو بكرٍ عامرَ بن فُهَيرة مولاه خلفَه ليخدمهما بالطريق.

وقصّتا تسمُّع عبد الله بن أبي بكر وإراحة عامر بن فهيرة للغنم عليهما، ذكرهما الزهريُّ في حديثه عن عروة عن عائشة عند البخاري (٣٩٠٥) و(٥٨٠٧)، وذكر هشام بن عروة عن أبيه عند البخاري (٤٠٩٣) وابن حبان (٦٢٧٩) قصّة عامر بن فهيرة دون الأخرى.

أمّا قصّة تردُّد أسماء إلى الغار فلم نقف عليها مُسنَدةً، إلّا ما ذكره السيوطيُّ في «الدر المنثور» ٤/ ٢٠٢ عن ابن مَردَوَيه في «تفسيره» أنَّ عائشة قالت: ما كان أحد يعلم مكان الغار إلا عبد الرَّحمن ابن أبي بكر وأسماء بنت أبي بكر، فإنهما كانا يختلفان إليهما، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، فإنه كان إذا سرَّح غنمَه مرَّ بهما فحلب لهما. ويغلب على ظنّنا أن إسناده لا يصحُّ، وذكرُ عبد الرَّحمن فيه مكانَ أخيه عبد الله منكرٌ.

قال: انتهى رسولُ الله ﷺ وأبو بكر إلى الغارِ ليلاً، فدَخَلَ أبو بكرٍ قبلَ رسول الله ﷺ فلَمَسَ الغارَ ليَنظُرَ أفيه سَبُعٌ أو حيّةٌ، يَقِي رسولَ الله ﷺ بنفسِه[1].

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكرٍ[2]، وجعلت قريشٌ فيه حين فَقَدُوه مئةَ ناقةٍ لمن رَدَّه عليهم[3].

---

(١) هذا خبر حسنٌ بمجموع شواهده، ولم نقف عليه عن الحسن البصريّ عند غير المصنف، وهو ضعيف الإسناد لانقطاعه من طرفيه.

لكن يشهد له مرسل ابن سيرين عن عمر عند الحاكم (٤٣١٤) الذي تقدّم ذكره آنفاً، ففيه: أنّهما لمّا انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانَك يا رسولَ الله، حتى أستبرئَ لك الغارَ، فدخل واستبرأَه، حتى إذا كان في أعلاهُ ذَكَر أنه لم يَستبرئ الجِحَرةَ (وهو جمع جُحْر)، فقال: مكانَك يا رسول الله، حتى أستبرئ الجِحَرةَ، فدخل واستبرأ، ثمّ قال: انزِلْ يا رسول الله، فنزل. ورجاله ثقات على إرساله.

ويشهد له أيضاً مرسل ابن أبي مُلَيكة بمعناه عند الأزرقي في «أخبار مكة» ٢/ ٢٠٥، والفاكهي في «أخبار مكة» له (٢٤١٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٠/ ٨١، ورجاله لا بأس بهم.

وكذلك حديث أسماء بنت أبي بكر عند الطبراني في «المعجم الكبير» ٢٤/ (٢٨٤)، وفي إسناده ضعفٌ.

أمّا ما رواه البيهقيُّ في «الدلائل» ٢/ ٤٧٦ عن عمر: أنّ الغار كان فيه خَرْق فألقَمَه أبو بكر قدمَه، فجعلت الحيّات والأفاعي يضربنه ويلسعنه، وجعلت دموعه تنحدر ورسول الله ﷺ يقول له: «يا أبا بكر، لا تحزن، إنّ الله معنا»، فأنزل الله سكينته وطمأنينته لأبي بكر؛ فهذا خبر باطلٌ مكذوب، فيه عبد الرَّحمن بن إبراهيم الراسبيُّ وشيخه فُرَات بن السائب، وكلاهما متروك منكر الحديث، وقال ابن كثير في «البداية» ٤/ ٤٥٠: وفي سياقه غرابة ونكارة.

(٢) كما في حديث الزهريّ عن عروة عن عائشة عند أحمد (٢٥٦٢٦)، والبخاري (٣٩٠٥) و(٥٨٠٧)، وابن حبان (٦٢٧٧).

(٣) وفي أبي بكرٍ مثلَها كما سيأتي تحقيق ذلك قريباً في قصة سُراقة معهما.

وكان عبدُ الله بن أبي بكرٍ يكون في قريشٍ ومعهم، يسمع ما يَأتمِرُون به، وما يقولون في شأنِ رسول الله ﷺ وأبي بكر، ثمّ يأتيهما إذا أَمسى فيُخبِرُهما الخَبَرَ.

وكان عامر بن فُهَيرةَ مولى أبي بكرٍ يرعى في رِعْيانِ أهل مكّة، فإذا أَمسى أَرَاحَ عليهما غنمَ أبي بكر، فاحتَلَبا وذَبَحا، فإذا عبدُ الله بن أبي بكر غَدَا من عندهما إلى مكّة، اتَّبَعَ عامرُ بن فُهَيرة أثَرَه بالغنم حتى يُعفِّيَ عليه، حتّى إذا مَضَت الثلاثُ وسَكَنَ عنهما النّاسُ، أتاهما صاحبُهما الّذي استَأجَرا ببعيرَيهِما وبعيرٍ له.

وأتتهما أسماءُ بنت أبي بكر بسُفْرتِهما، ونَسِيَت أن تجعلَ لها عِصاماً[1]، فلمّا ارتَحَلا ذهبت لتُعلِّقَ السُّفرةَ، فإذا ليس لها عِصامٌ، فتَحُلُّ نِطاقَها فتَجعلُه عِصاماً ثمّ عَلَّقَتها به، فكان يقال لأسماءَ بنت أبي بكرٍ: ذاتُ النِّطاق، لذلك[2].

قال ابن هشام: وسمعتُ غيرَ واحد من أهل العلم يقول: ذات النِّطاقَينِ؛ وتفسيره: أنّها لمّا أرادت أن تُعلِّقَ السُّفرة شقَّت نطاقَها باثنين، فعَلَّقَت السُّفرةَ بواحدٍ وانتَطَقَت بالآخر.

قال ابن إسحاق: فلمّا قَرَّبَ أبو بكرٍ الرّاحلتَينِ إلى رسول الله ﷺ، قَدَّمَ له أفضلَهما ثمّ قال: اركَبْ فِداكَ أَبي وأُمّي، فقال رسول الله ﷺ: «إنِّي لا أَركَبُ بعيراً ليس لي»

---

(١) العِصام: ما تُعلَّق به السُّفرة.

(٢) كذا وقع له: أنّ ذلك كان من أسماء عند ارتحالهما من الغار، والّذي صحَّ عن عائشة أنَّ ذلك كان في بيت أبي بكر قبل خروجهما إلى الغار، جاء التصريح بذلك في حديث الزهريِّ عن عُروة عند أحمد (٢٥٦٢٦) والبخاري (٣٩٠٥) و(٥٨٠٧) وغيرهما عن عائشة قالت: فجهّزناهما أحثَّ الجَهَاز (أي: أسرعه) وصنعنا لهما سفرةً في جِراب، فقطعت أسماءُ بنت أبي بكر قطعةً من نِطاقها فرَبَطَت به على فم الجِراب، فبذلك سميت ذات النِّطاقين ـ وفي رواية: ذات النِّطاق ـ ثمّ لَحِقَ رسول الله ﷺ وأبو بكر بغارٍ في جبل ثور.

قال: فهي لك يا رسولَ الله، بأبي أنت وأمّي، قال: «لا، ولكنْ ما الثَّمنُ الّذي ابتَعتَها به؟» قال: كذا وكذا، قال: «قد أخَذْتُها بذلكَ» قال: هيَ لك يا رسول الله[1]. فرَكِبَا وانطَلَقا، وأَردَفَ أبو بكرٍ عامرَ بن فُهيرةَ مولاه خلفَه، ليَخدُمَهما في الطريق.

قال ابن إسحاق: فحُدِّثتُ عن أسماءَ بنت أبي بكرٍ أنّها قالت: لمّا خرج رسولُ الله ﷺ وأبو بكر، أتانا نفرٌ من قريشٍ فيهم أبو جهل بن هشام، فوَقَفُوا على باب أَبي بكر، فخرجتُ إليهم، فقالوا: أين أبوكِ يا بنتَ أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري واللهِ أين أَبي؟ قالت: فرَفَعَ أبو جهلٍ يدَه ـ وكان فاحشاً خبيثاً ـ فلَطَمَ خدِّي لَطْمةً طَرَحَ منها قُرْطي، قالت: ثمّ انصَرَفُوا.

فمَكَثْنا ثلاثَ ليالٍ ما ندري أين وَجَّهَ رسولُ الله ﷺ، حتّى أقبَلَ رجلٌ من الجِنِّ من أسفلِ مكّة يَتغنَّى بأبيات من شعرٍ غِناءَ العرب، وإنّ النّاس ليَتبَعُونه يَسمَعُون صوتَه وما يَرَونَه، حتّى خرج من أعلى مكّة وهو يقول:

جَزَى اللهُ ربُّ النّاسِ خيرَ جزائِهِ ... رَفيقَينِ حلَّا خيمتَيْ أمِّ مَعبَدِ

هما نَزَلا بالبِرِّ ثمَّ تَروَّحا ... فأفلَحَ مَن أَمسى رفيقَ محمَّدِ

ليَهْنِ بني كعبٍ مكانُ فَتاتِهِمْ ... ومَقعَدُها للمُؤمنينَ بمَرصَدِ[2]

قال ابن هشام: أمُّ مَعبَد بنت كعب، امرأةٌ من بني كعب من خُزَاعة. وقوله: حلَّا خَيمتَي، وهما نزلا بالبِرِّ ثمّ تروَّحا، عن غير ابن إسحاق[3].

---

(١) اشتراطُ رسول الله ﷺ ركوبه للناقة أخْذَها بالثمن، خبرٌ صحيحٌ جاء في حديثَي هشام بن عروة والزهريّ عن عروة عن عائشة في قصّة الهجرة عند أحمد والبخاري وابن حبان كما تقدَّم قريباً.

(٢) فتاتهم: يعني أمَّ معبد. والمَرصَد: الموضع الذي يُرصَد منه ويُترقَّب.

(٣) لكنهما موجودان في روايتَي سلمة بن الفضل وإبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: قالت أسماءُ بنت أبي بكر: فلمّا سمعنا قولَه، عَرَفْنا حيث وَجَّهَ رسولُ الله ﷺ، وأنّ وجهه إلى المدينة، وكانوا أربعةً؛ رسولُ الله ﷺ، وأبو بكر، وعامرُ بن فُهَيرةَ مولى أبي بكر، وعبدُ الله بن أَرقَدَ[1] دليلُهما.

قال ابن هشام: ويقال: عبدُ الله بن أُرَيقِط.

قال ابن إسحاق: فحدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، أنّ أباه عبّاداً حدَّثه، عن جدَّته أسماءَ بنت أبي بكر قالت: لمّا خرج رسولُ الله ﷺ وخرج أبو بكرٍ معه، احتَمَلَ أبو بكرٍ مالَه كلَّه معه، خمسةَ آلافِ درهمٍ أو ستةً، فانطَلَقَ بها معه، قالت: فدخل علينا جدِّي أبو قُحَافة، وقد ذهب بصرُه، فقال: واللهِ إنّي لأُراه قد فَجَعَكم بمالِه مع نفسه! قالت: قلت: كلّا يا أبتِ، إنّه قد تَرَكَ لنا خيراً كثيراً، قالت: فأخذتُ أحجاراً فوَضَعتُها في كُوّةٍ في البيت كان أَبي يضعُ مالَه فيها، ثمّ وضعتُ عليها ثوباً، ثمّ أخذتُ بيده فقلت: يا أبتِ، ضَعْ يدَك على هذا المال، قالت: فوضع يدَه عليه، فقال: لا بأسَ، إذا كان تَرَكَ لكم هذا فقد أحسَنَ، وفي هذا بلاغٌ لكم؛ ولا واللهِ ما تَرَكَ

---

(١) في (ش١) و(ص) و(ق١) و(م): أرقط، بالطاء، والمثبت من (ت) و(غ) و(ي). وقد تقدّم قريباً الكلام عليه.

وخبر أسماء هذا ضعيف لإعضاله، حيث إنّ ابن إسحاق لم يُسنِده. وهو كذلك غير مُسنَدٍ في روايتَي سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٧٩-٣٨٠، وإبراهيم بن سعد عنه عند أبي بكر الشافعي في «الغيلانيّات» (١١٣٩) ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٩/ ١٢-١٣ ـ وأبي نعيم مختصراً في «الحلية» ٢/ ٥٦.

وأمّا قصّة نزول النبيِّ ﷺ على أمّ معبد في هجرته، فقد رُوِيَت من غير وجه، وأصل القصّة ثابت لا بأس به، إلّا أنَّ الرُّواة تزيَّدوا فيها، وذكر بعضهم ما لم يذكر الآخرون، وقد جمع مرويّاتها الأستاذ نبيل البصارة في كتابه «أنيس الساري في تخريج فتح الباري» ١٠/ ٩٧٣-٩٨٠ فانظره، وانظر «مستدرك الحاكم» (٤٣٢٠-٤٣٢٢) طبعة دار الرسالة.

لنا شيئاً، ولكنّي أردتُ أن أسكِّنَ الشيخَ بذلك[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريُّ، أنّ عبد الرَّحمن بن مالك بن جُعشُمٍ حدَّثه عن أبيه، عن عمِّه سُرَاقة بن مالك بن جُعشُمٍ قال: لمّا خَرَجَ رسولُ الله ﷺ من مكّة مهاجراً إلى المدينة، جَعَلَت قريشٌ فيه مئةَ ناقةٍ لمن رَدَّه عليهم[2].

قال: فبَيْنا أنا جالسٌ في نادي قومي، أقبَلَ[3] رجل منّا حتّى وَقَفَ علينا فقال: واللهِ لقد رأيتُ رَكَبةً ثلاثةً مرُّوا عليَّ آنفاً، إنّي لأُراهم محمّداً وأصحابَه، قال: فأَوْمأتُ إليه بعيني: أنِ اسكُتْ، ثمّ قلت: إنّما هم بنو فلانٍ يَبتَغُون ضالَّةً لهم، قال: لعلّه، ثمّ سَكَتَ.

قال: ثمّ مَكَثتُ قليلاً ثمّ قمتُ فدخلتُ بيتي، ثمّ أَمَرتُ بفرسي فقِيدَ إلى بطن الوادي، وأمَرتُ بسلاحي فأُخرِجَ من دُبُر حُجْرتي، ثمّ أخذتُ قِدَاحي التي أَستقسِمُ بها، ثمّ انطلقتُ فلَبِستُ لَأْمَتي[4]، ثمّ أَخرجتُ قِدَاحي فاستَقسَمتُ بها، فخرج السَّهمُ

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٩٥٧)، والحاكم (٤٣١٣) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

الكوّة: خرقٌ في حائط البيت غير نافذٍ.

(٢) ظاهر هذا أن قريشاً جعلت هذه الأُعطيةَ في النبي ﷺ وحده، وتابع ابنَ إسحاق في ذلك صالحُ بن كيسان وموسى بنُ عقبة كلاهما عن الزهريِّ كما روى ابنُ إسحاق، وخالفهم معمرٌ وعُقَيلُ بن خالدٍ فرويا عن الزهري فيه: أن قريشاً جعلت في رسول الله ﷺ وفي أبي بكر ديةَ كلِّ واحد منهما لمن قتلهما أو أسَرَهما؛ يعني مئةً من الإبل في كلِّ واحد منهما، وهذا هو الراجح إن شاء الله، لما تقرَّر عند أهل العلم بالحديث ورواياته: أن معمراً وعُقيلاً أروى الناسِ عن الزهريِّ وأتقنهم أداءً لألفاظه، والله تعالى أعلم.

(٣) في (ق١): إذ أقبل.

(٤) اللّأمة: أداة الحرب من درع وسلاح.

الّذي أكرَهُ: لا يضرُّه[1]، قال: وكنتُ أرجو أن أرُدَّه على قريشٍ فآخُذَ المئةَ[2].

قال: فرَكِبتُ على أثَرِه، فبَيْنا فرسي يشتدُّ بي عَثَرَ بي فسقطتُ عنه، قال: فقلت: ما هذا؟! قال: ثمّ أخرجتُ قِدَاحي فاستَقسَمتُ بها، فخرج السَّهمُ الذي أكرهُ: لا يضرُّه، قال: فأبَيتُ إلّا أن أتبَعَه.

قال: فرَكِبتُ في أثَرِه، فبَيْنا فرسي يشتدُّ بي عَثَرَ بي فسقطتُ عنه، قال: فقلت: ما هذا؟! قال: ثمّ أخرجتُ قِدَاحي فاستَقسَمتُ بها، فخرج السَّهمُ الذي أكرهُ: لا يضرُّه، قال: فأبَيتُ إلّا أن أتبَعَه، فرَكِبتُ في أثَرِه.

فلمّا بَدَا ليَ القومُ فرأيتُهم، عَثَرَ بي فرسي فذَهَبَت يداه في الأرض، وسقطتُ عنه، قال: ثمّ انتَزَعَ يديه من الأرض، وتَبِعَهما دُخَانٌ كالإعصار، قال: فعرفتُ حين رأيتُ ذلك أنّه قد مُنِعَ منّي، وأنّه ظاهرٌ.

قال: فناديتُ القوم: أنا سُرَاقةُ بن جُعشُم، أَنظِرُونى أُكلِّمْكم، فواللهِ لا أَرِيبُكم ولا يأتيكم منّي شيءٌ تكرهونه، قال: فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «قُلْ له: وما تَبتَغي منّا؟» قال: فقال لي ذلك أبو بكر، قال: قلت: تكتبُ لي كتاباً يكون آيةً بيني وبينك، قال: «اكتُبْ له يا أبا بكرٍ» قال: فكتب لي كتاباً في عَظْم، أو في رُقْعة، أو في خَزَفة، ثمّ ألقاه إليَّ، فأخذتُه فجعلتُه في كِنانَتي، ثمّ رجعتُ فسَكَتُّ فلم أذكُرْ شيئاً ممّا كان.

حتّى إذا كان فتحُ مكّة على رسول الله ﷺ، وفَرَغَ من حُنَينٍ والطائفِ، خرجتُ ومعي الكتابُ لأَلقاه، فلَقِيتُه بالجِعْرانةِ[3]، قال: فدخلتُ في كَتيبةٍ من خيل الأنصار،

---

(١) أي: السهم المكتوب فيه هذه الكلمة.

(٢) في (ش١) و(ق١): المئة الناقة.

(٣) ويقال: الجِعِرّانة، روايتان مشهورتان. وهو موضع فيه ماء عذب يقع شمال شرقيّ مكة على قرابة ٢٠ كم.

قال: فجعلوا يَقرَعُونني بالرِّماح ويقولون: إليكَ إليكَ[1]، ماذا تريد؟ قال: فدَنَوتُ من رسول الله ﷺ وهو على ناقتِه، واللهِ لكأنّي أنظُرُ إلى ساقه في غَرْزِه كأنها جُمّارة[2]، قال: فرفعتُ يدي بالكتاب، ثمّ قلت: يا رسولَ الله، هذا كتابُك لي، أنا سُرَاقةُ بن جُعشُم، قال: فقال رسول الله ﷺ: «يومُ وَفاءٍ وبِرٍّ، ادنُهْ» قال: فدَنَوتُ منه فأسلمتُ.

ثمّ تَذكَّرتُ شيئاً أسألُ رسولَ الله ﷺ عنه فما أذكُرُه، إلّا أنّي قلت: يا رسولَ الله، الضّالّةُ من الإبل تَغشَى حِيَاضي وقد ملأتُها لإبلي، هل لي من أجرٍ في أن أَسقِيَها؟ قال: «نعم، في كلِّ ذاتِ كَبِدٍ حَرَّى أَجرٌ».

قال: ثمّ رجعتُ إلى قومي، فسُقْتُ إلى رسول الله ﷺ صَدَقَتي[3].

---

(١) يعني: ابتعِدْ ابتعِدْ.

(٢) الغَرْز في رَحْل البعير كالرِّكاب في سَرْج الفرس، وهو موضع القدم. والجُمّارة: قلب النّخلة وشحمتها، شبَّه ساقه ببياضها.

(٣) إسناده جيد.

وأخرجه بطوله البغوي في «معجم الصحابة» (١٢٠٠)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٣٦) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه كذلك عن الزهريِّ موسى بنُ عقبة كما في السفر الثاني من «التاريخ الكبير» لابن أبي خيثمة (١٠٥٨)، و«الآحاد والمثاني» لابن أبي عاصم (١٠٢٩)، و«معجم الصحابة» للبغوي (١٢٠٠)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٦٦٠٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٤٨٧-٤٨٩، و«تهذيب الكمال» للمِزّي ١٧/ ٣٨٠-٣٨١، وصالحُ بنُ كيسان عند الطبراني (٦٦٠٣).

وأخرجه مختصراً أحمد (١٧٥٩١)، وابن حبان (٦٢٨٠)، والحاكم (٤٣١٥) من طريق معمر، والبخاري (٣٩٠٦) من طريق عُقيل بن خالد، كلاهما عن الزهريّ، بهذا الإسناد. دون قصة مجيء سراقة يوم فتح مكة وسؤاله عن ضالّة الإبل وسَوقه صدقته إلى النبيّ ﷺ.

وأخرج سؤاله هذا دون قصة الفتح أحمد (١٧٥٨١) و(١٧٥٨٤)، وابن ماجه (٣٦٨٦)، والحاكم (٦٧٤٤) من طرق عن ابن إسحاق، به. =

قال ابن هشام: عبدُ الرَّحمن بن الحارث بن مالك بن جُعشُم[1].

= وروى قصة سراقةَ مختصرةً في خروجه متتبِّعاً رسولَ الله ﷺ ومن معه في هجرته وقصّة ارتطام فرسه بالأرض، البراءُ بن عازب عن أبي بكر عند البخاري (٣٦١٥) ومسلم (٣٠١٤) (٧٥).

فائدة: جاء في مرسل الحسن البصري: أن رسول الله ﷺ قال لسراقة بن مالك: «كيف بك إذا لبستَ سِوارَيْ كسرى؟!»، قال: فلمّا أُتي عمرُ بسِوارَيْ كسرى ومِنطَقته وتاجه، دعا سراقةَ بن مالك فألبَسَه إياهما، وقال له: ارفع يديك، فقال: الله أكبر، الحمد لله الذي سَلَبَهما كسرى بنَ هُرمُز وألبَسَهما سراقةَ بن مالك بن جُعشُم، أعرابيّاً من بني مُدلِج، ورفع بها عمرُ صوتَه. ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٣٢٠ معلّقاً عن سفيان بن عُيينة عن أبي موسى - وهو إسرائيل ابن موسى البصري - عن الحسن، ورجاله ثقات إلا أن الحسن أرسله، ومراسيله عند جمهور أهل الحديث ضعيفة.

ورواه يونس بن عبيدٍ عند البيهقي في «الدلائل» ٦/ ٣٢٥ وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٤/ ٣٣٨ عن الحسن البصري: أن عمر بن الخطاب أُتي بفَرْوة كسرى فوُضِعَت بين يديه، وفي القوم سراقةُ بن مالك بن جُعشُم، قال: فألقى إليه سِوارَي كسرى بن هرمز فجعلهما في يديه فبلغا مَنكِبَيه، فلما رآهما في يدي سراقة قال: الحمد لله، سوارى كسرى بن هرمز في يد سراقة بن مالك بن جعشم أعرابيٍّ من بني مُدلِج. ولم يذكر فيه وعدَ النبيِّ ﷺ لسراقة بالسوارين، إلا أن البيهقيَّ ذكر في آخره عن الشافعي أنه قال: وإنما ألبَسَهما سراقةَ لأن النبي ﷺ قال لسراقة ونَظَرَ إلى ذراعيه: «كأنّي بك قد لبستَ سِوارَي كسرى». قلنا: وهو بنحو هذا في كتاب «الأم» ٥/ ٣٥٤، ولم يُسنِده الشافعيُّ، فالخبر مُعضَل.

وأغرب المَقْريزي في «إمتاع الأسماع» ١/ ٦٠، وابنُ المنيِّر فيما نقله عنه الزُّرقاني في «شرح المواهب اللدنِّيّة» ٢/ ١٤٥، فذكرا أن ذلك كان في قصته يوم الهجرة، وليس في خبر الحسن ولا في كلام الشافعيِّ ما يشير إلى ذلك، والله تعالى أعلم.

(١) هذا تنبيهٌ من ابن هشام على أن عبد الرَّحمن بن مالك في سند هذا الخبر نُسب إلى جدِّه، وهذا ممّا يفعله المحدِّثون كثيراً في سياقة الأسانيد، وقد استجود ابن كثير في «البداية والنهاية» ٤/ ٤٦٢ كلام ابن هشام هذا. =

قال ابن إسحاق: ولمّا خرج بهما دليلُهما عبدُ الله بن أَرقَد[1]، سَلَكَ بهما أسفلَ مكّة[2]، ثمّ مضى بهما على السّاحل[3] حتّى عارَضَ الطريقَ أسفلَ من عُسْفان[4]، ثمّ سَلَكَ بهما على أسفلِ أَمَجٍ[5].

ثمّ استَجَاز بهما حتّى عارَضَ الطريقَ بعد أن أجازَ قُدَيداً[6]، ثمّ أجازَ بهما من

= وقد سمّى المِزّيُّ في «تهذيب الكمال» ١٧/ ٣٧٩ و٢٧/ ١٥٤ والدَ عبد الرَّحمنِ مالكَ بن مالك ابن جعشم، وتبعه على ذلك الذهبيُّ وابنُ حجر.

فائدة: قال القَسطلّاني في «المواهب اللدُنِّيّة» ١/ ١٦٩: ذكر الحاكم أن خروجه عليه السّلام كان بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريباً منها، وجزم ابن إسحاق بأنه خرج أوّل يوم من ربيع الأول، فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوماً، وكذا جزم الأُمويُّ في «المغازي» عن ابن إسحاق فقال: كان مخرجه من مكّة بعد العقبة بشهرين ولياٍل، قال: وخرج لهلال ربيع الأول، وقدم المدينةَ لاثنتي عشرة ليلة خَلَت من ربيع الأول.

قال في «فتح الباري»: وعلى هذا خرج يوم الخميس.

وقال الحاكم: تواترت الأخبار أن خروجه كان يوم الاثنين، ودخوله المدينة كان يوم الاثنين، إلا أن محمد بن موسى الخُوارزميّ قال: إنه خرج من مكة يوم الخميس.

قال القسطلّاني: ويجمع بينهما: بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس، وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين، لأنه أقام فيه ثلاث لياٍل: ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد، وخرج أثناءَ ليلة الاثنين.

(١) المثبَت من (ت) و(غ)، وفي سائر النسخ: أرقط، وقد تقدّم الكلام عليه.

(٢) يعني غرباً.

(٣) أي: على طريق الساحل، ويراد به ساحل البحر الأحمر.

(٤) بلدة شمال غرب مكة على بعد ٧٥ كم تقريباً.

(٥) وادٍ شمال عسفان على بعد ٣٠ كم تقريباً، ويعرف اليوم باسم خُلَيص.

(٦) وادٍ شمال غرب مكة على بعد ١٣٠ كم تقريباً.

مكانه ذلك فسَلَكَ بهما الخَرَّارَ[1]، ثمّ سَلَكَ بهما ثَنِيّةَ المَرَةِ[2]، ثمّ سَلَكَ بهما لِقْفاً[3].

قال ابن هشام: لِفْتاً[4]، قال مَعقِل بن خُوَيلِد الهُذَليّ:

نَزِيعاً مُحلِباً من أهلِ لِفتٍ لحيٍّ بين أَثْلَةَ والنِّجَامِ[5]

قال ابن إسحاق: ثمَّ أجاز بهما مَدْلَجةَ لِقْفٍ، ثمّ استَبطَنَ بهما مَدْلَجةَ مِجَاجٍ - ويقال: مَجَاج[6]، فيما قال ابن هشام - ثمّ سَلَكَ بهما مَرْجَحَ مِجَاج، ثمّ تَبطّنَ بهما مَرجَحَ من ذي الغَضَوَينِ - قال ابن هشام: ويقال: العَصَوَينِ[7] - ثمّ بطنَ ذي كِشْدٍ، ثم

(١) ويُسمَّى وادي الحجاز أو وادي الجُحفة، ويبعد عن مكة قرابة ١٦٠ كم، ويمرّ شرق رابغ على قرابة ٢٥ كم منها.

(٢) هذه الثنيّة تمرُّ خلال حَرّة تسمَّى اليوم بَرْقاء ريِّن، والثَّنيّة: الفُرجة بين جبلين، أو الطريق في الجبل، وتبعد عن الخرّار قرابة ٢ كم.

(٣) وادٍ يلتقي بوادي الفُرْع، وهو من مكة على قرابة ١٩٠ كم، وجنوب المدينة على قرابة ١٥٥ كم.

(٤) كذا قال ابن هشام، وهو قول غريب، والمشهور عند أصحاب السير والمغازي أنّ الرَّكب النبويَّ في الهجرة مرَّ في لِقْف كما قال ابن إسحاق وليس في لِفْت، وهما مكانان مختلفان، وكلاهما على الطريق إلى المدينة، وقد اختُلف في تقييدهما، وجاءا بكسر أولهما وسكون ثانيهما في نسخنا الخطيّة.

(٥) النَّزيع: الغريب. والمُحلِب: المُعِين. وأثلة: بلدة. والنِّجام: وادٍ. كذا قال السكّريُّ في «شرح أشعار الهذليِّين» ١/ ٣٧٨.

ومعقل بن خويلد شاعر مخضرمٌ أدرك الجاهلية والإسلام، وهذا البيت من قصيدة قالها بعد وقعة له في خُزاعة يَفخَر بها.

(٦) اضطربت النسخ في تقييد هاتين الكلمتين، وما أثبتناه موافق لتقييد السهيليِّ لهما في «الروض» ٤/ ٢٤٩، وصحّح ياقوت في «معجم البلدان» ٥/ ٥٥ أنّه مَجَاح، بجيم ثم حاء.

(٧) اضطربت النسخ في تقييد هاتين الكلمتين أيضاً، وما أثبتناه موافق لتقييد ياقوت له في =

أَخَذَ بهما على الجَدَاجِد، ثمّ على الأَجْرَد[1]، ثمّ سَلَكَ بهما ذا سَلَمٍ من بطن أعداءِ[2] مَدلَجةِ تِعْهِن، ثمّ على العَبَابيد.

قال ابن هشام: ويقال: العبابيب، ويقال: العثبانة[3].

قال ابن إسحاق: ثمّ أجازَ بهما الفاجَّةَ.

ويقال: القاحَة، فيما قال ابن هشام[4].

قال ابن هشام: ثمّ هَبَطَ بهما العَرْجَ[5]، وقد أبطأَ عليهم بعضُ ظَهْرِهم، فحَمَلَ رسولَ الله ﷺ رجلٌ من أسلَمَ يقال له: أَوس بن حُجْر، على جملٍ له يقال له: ابن

= «معجمه» ٤/٢٠٦ عن ابن إسحاق وابن هشام. والصواب ما قاله ابن هشام بإهمال العين والصاد، مثنّى عصا، يقال لهما: العصا اليمنى والعصا اليسرى، تَلعَتان تجتمعان ثم تصبّان في وادي مَجَاح، أحد روافد وادي الفُرُع.

(١) ويعرف اليوم بالأُجيرد مصغَّراً، شِعبٌ يصبّ في وادى ثقيب، وثقيبٌ أحد روافد القاحة، وهو ومَرجَحٌ و المَدالج على طريقٍ قديمٍ قد هُجِر، وهو طريق الهِجْرة، وهذه المواضع تقع جنوب المدينة على قرابة ١٦٠ كم، قريبةً من وادي الفُرُع، بل تصبّ مياهها فيه. قاله عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» ص١٧-١٨.

(٢) ذو سَلَمٍ: وادٍ يبعد عن المدينة قرابة ١٣٠ كم. وأعداء: جمع عِدَى بكسر العين وفتحها، جوانب الوادي ونواحيه.

(٣) هكذا في (ت) و(غ)، وفي (ش) و(ص) و(م): الغيثانة، وفي (ي): الغثيانة، وفي (ق١): القيثانة! قال عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص١٩٩: صوابه: الغِثْرِيانة، فجٌّ من القاحَة على الضفة اليسرى، شمال شرقيّ السُّقيا (أم البِرَك اليوم).

(٤) وهي كما قال ابن هشام، قال البلاديّ في «معجمه» ص٢٣٣ في رسم الفاجّة: خلط المتقدِّمون بينها وبين القاحَة، بالقاف والحاء المهملة، وهما متجاورتان، فالقاحة هي الوادي الرئيسيّ، والفاجَّة رافدٌ من روافده، يصبُّ فيه من الشّرق.

(٥) وهو وادٍ جنوب المدينة المنوَّرة على قرابة ١٠٠ كم منها.

الرِّدَاء[1]، إلى المدينة، وبَعَثَ معه غلاماً له يقال له: مسعود بن هُنَيدة، ثمّ خرج بهما دليلُهما من العَرْج فسَلَكَ بهما ثَنيّةَ العائر عن يمين رَكُوبةَ ـ ويقال: ثنيّة الغائر، فيما قال ابن هشام ـ حتّى هَبَطَ بهما بطنَ رِيمٍ[2]، ثمّ قَدِمَ بهما قُباءً على بني عمرو بن عوف، لاثنتي عشرةَ ليلةً خَلَت من شهر ربيع الأوّل يومَ الاثنين حين اشتَدَّ الضَّحَاءُ وكادت الشمسُ تعتدل.

مقامُ رسول الله ﷺ بالمدينة ومنازلُه بها وبناءُ مسجده

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير، عن عُرْوة بن الزُّبَير، عن عبد الرَّحمن بن عُوَيم بن ساعدة قال: حدّثني رجالٌ من قومي من أصحابِ رسول الله ﷺ قالوا: لمّا سَمِعْنا بمَخرَجِ رسول الله ﷺ من مكّة وتَوكَّفْنا قدومَه[3]، كنّا نَخرُج إذا صلَّينا الصُّبحَ إلى ظاهر حَرَّتِنا ننتظرُ رسولَ الله ﷺ، فواللهِ ما نَبْرَحُ حتّى تَغلِبَنا الشمسُ على الظِّلال، فإذا لم نَجِدْ ظِلّاً دَخَلْنا، وذلك في أيامٍ حارَّة، حتّى إذا كان اليومُ الّذي قَدِمَ فيه رسولُ الله ﷺ جلسنا كما كنّا نجلسُ، حتّى إذا لم يَبقَ ظِلٌّ دخلنا بيوتَنا وقَدِمَ رسولُ الله ﷺ حين دخلنا البيوت، فكان أوّلَ من رآه رجلٌ من اليهود، وقد رأى ما كنّا نَصنَعُ وأنّا ننتظرُ قدومَ رسول الله ﷺ علينا، فصَرَخَ بأَعلى صوته: يا بَني قَيْلةَ[4]، هذا جَدُّكم قد جاء.

قال: فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظِلِّ نخلةٍ ومعه أبو بكرٍ في مِثْل سِنِّه،

---

(١) وفي رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق ـ كما في «الروض» للسهيليّ ٤/ ٢٥١ ـ: يقال له: الرَّدَاح. والرَّدَاح: الضخم الثقيل.

(٢) وادٍ يبعد عن المدينة قرابة ٦٠ كم.

(٣) أي: استشعرناه وانتظرناه.

(٤) قَيْلة اسم امرأة، وهي أمّ الأوس والخزرج. والجَدُّ: الحظُّ والبَخْت.

وأكثرُنا لم يكن رأَى رسولَ الله ﷺ قبلَ ذلك، ورَكِبَه النّاسُ[1] وما يَعرِفُونه من أبي بكرٍ، حتّى زال الظِّلُّ عن رسول الله ﷺ فقام أبو بكرٍ فأظَلَّه بردائِه، فعَرَفْناه عند ذلك[2].

قال ابن إسحاق: فنزل رسولُ الله ﷺ ـ فيما يَذكُرون ـ على كُلثُوم بن هِدْمٍ، أخي بني عمرو بن عوف ثمّ أحدِ بني عُبيدٍ، ويقال: بل نزل على سعد بن خَيثَمة، ويقول من يَذكُر أنّه نزل على كُلثُوم بن هِدْم: إنّما كان رسول الله ﷺ إذا خرج من مَنزِل كُلثُوم بن هِدْم جلس للنّاس في بيت سعد بن خَيثَمة، وذلك أنه كان عَزَباً لا أهلَ له[3]، وكان منزلَ العُزّاب من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين، فمن هنالك يقال: نَزَلَ على سعد بن خَيثَمة، وكان يقال لبيت سعد بن خَيثَمة: بيتُ العُزّاب،

---

(١) أي: ازدحموا عليه.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٨١، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧١٤٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٥٠٢ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرج نحوه البخاري في «صحيحه» (٣٩٠٦) من طريق الزهري عن عُروة بن الزُّبير مرسلاً. وذكر فيه عروةُ: أن رسول الله ﷺ لقي (يعني في بعض الطريق قبل أن يدخل أطراف المدينة) الزبيرَ في رَكْبٍ من المسلمين، كانوا تِجَاراً قافلين من الشام، فكَسَا الزبيرُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكرٍ ثيابَ بياضٍ. وانظر «مستدرك الحاكم» (٤٣٢٣).

وروى أحمد في «مسنده» (١٣٣١٨) بسند صحيح عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ يومَ قدومه إلى المدينة هو وأبو بكر كَمَنا في بعض حِرَار المدينة، ثمّ بعثا رجلاً ليُؤذِنَ بهما الأنصار، فاستقبلهما زُهَاءُ خمس مئة من الأنصار حتى انتهوا إليهما، فقالت الأنصار: انطلقا آمنَينِ مطاعَينِ، فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهُرِهم.

(٣) أي: لا زوجةَ له.

فاللهُ أعلمُ أيُّ ذلك كان، كُلًّا قد سمعنا.

ونزل أبو بكر الصِّدّيق على خُبَيب بن إِسافٍ، أحد بني الحارث بن الخزرج بالسُّنْح[1]، ويقول قائل: كان مَنزِلُه على خارجةَ بن زيد بن أبي زُهَير، أخي بني الحارث بن الخَزرَج.

وأقام عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه بمكّة ثلاثَ ليالٍ وأيّامِها حتّى أدَّى عن رسول الله ﷺ الودائعَ التي كانت عنده للنّاس، حتّى إذا فَرَغَ منها لَحِقَ برسول الله ﷺ[2]، فنزل معه على كُلثُوم بن هِدْم.

فكان عليُّ بن أبي طالبٍ - وإنّما كانت إقامتُه بقُباءٍ ليلةً أو ليلتين - يقول: كانت بقُباءٍ امرأةٌ لا زوجَ لها، مسلمةٌ، قال: فرأيتُ إنساناً يأتيها من جَوْف اللَّيل فيضربُ عليها بابَها، فتَخرُجُ إليه فيُعطِيها شيئاً معه فتأخذُه، قال: فاستَرَبتُ بشأنِه، فقلت لها: يا أَمَةَ الله، مَن هذا الرَّجلُ الذي يَضرِب عليك بابَكِ كلَّ ليلةٍ فتخرجين إليه فيُعطِيك شيئاً لا أدري ما هو، وأنتِ امرأةٌ مسلمةٌ لا زوجَ لك؟! قالت: هذا سَهْل ابن حُنَيف بن واهب، قد عَرَفَ أنّي امرأةٌ لا أحدَ لي، فإذا أمسى عَدَا على أَوثانِ قومه فكَسَّرَها ثمّ جاءَني بها فقال: احتَطِبي بهذا، فكان عليٌّ رضي الله عنه يأثُرُ ذلك[3] من أمرِ سهل بن حُنَيف، حتّى[4] هَلَكَ عنده بالعراق.

---

(١) السُّنح: من عوالي المدينة، وقيل: بينه وبين منزل رسول الله ﷺ ميلٌ، وقد سبق التعريف به ص١٠٩.

(٢) انفرد ابن إسحاق بهذا الخبر ولم يسنده.

وقد سبق التنبيه على ذلك في أوائل الهجرة ص١٢٣.

(٣) أي: يحدِّث به ويذكره.

(٤) في (غ) ونسخة على حاشية (ص): حين.

قال ابن إسحاق: حدّثني هذا من حديث عليٍّ هندُ بن سعد بن سَهْل بن حُنَيف[1].

قال ابن إسحاق: فأقام رسولُ الله ﷺ بقُباءٍ في بني عمرو بن عوفٍ يومَ الاثنين ويومَ الثلاثاء ويومَ الأربعاء ويومَ الخميسِ وأسَّسَ مسجدَه[2]، ثمّ أخرَجَه اللهُ من بين أظهُرِهم يومَ الجُمُعة ـ وبنو عمرو بن عوفٍ يَزعُمون أنّه مَكَثَ فيهم أكثرَ من ذلك[3]، فاللهُ أعلم ـ فأدرَكَت رسولَ الله ﷺ الجُمُعةُ في بني سالم بن عوف، فصلّاها في المسجد الّذي في بطن الوادي، وادي رانُوناءَ، فكانت أوّلَ جُمُعةٍ صلّاها بالمدينة[4].

---

(١) هند بن سعد هذا لم يرو عنه غير ابن إسحاق فيما ذكر البخاري في «التاريخ الكبير» ٨/ ٢٤٠ وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٩/ ١١٧، ولم يأثرا فيه جرحاً أو تعديلاً، فهو في عِداد المجاهيل، وذكره ابن حبان في «ثقاته» ٥/ ٥١٢ لكن وقع في مطبوعه أن الراوي عنه أبو إسحاق السبيعي، وهو خطأٌ يقيناً، صوابه: ابن إسحاق.

(٢) يعني مسجدَ قباء. وقد تقدّم التعريف بقباء ومسجده في قصة إسلام سلمان ١/ ٢٤٤.

(٣) قد صحَّ عن أنس بن مالك فيما رواه البخاريُّ (٤٢٨) و(٣٩٣٢): أن رسول الله ﷺ أقام في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة، ونحوه وقع في مرسل عروة بن الزبير عند البخاري أيضاً برقم (٣٩٠٦) فقال: لَبِثَ فيهم بضع عشرة ليلة، وهو ما رجّحه ابن حجر في «الفتح» ١١/ ٤٦٦ فقال: ليس أنسٌ من بني عمرو بن عوف، فإنهم من الأوس وأنس من الخزرج، وقد جَزَمَ بما ذكرتُه، فهو أَولى بالقَبُول من غيره.

وفي حديث أنس هذا: أنّ النبيَّ ﷺ لمّا أراد الخروج من قباء إلى المدينة أرسل إلى ملأِ بني النَّجّار فجاؤوه متقلِّدي السيوف، فدخلها وهم حوله وهو مُردِفٌ أبا بكر خلفه على راحلته.

(٤) أسند هذا عن ابن إسحاق ابنُ أبي خيثمة في السفر الثالث من «تاريخه الكبير» (١٣٧٩) من طريق إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق عن هند بن سعد بن سهل بن حنيف، وهندٌ قد عرفتَ حالَه.

ووادي رانُوناءَ وادٍ صغير بين قُباءٍ ومسجدِه ﷺ، يصبُّ من حَرَّة قباءٍ في وادي بطحان جنوب مسجد الغَمَامة، ولا يعرف اسم الوادي اليوم إلا للخاصّة، ولكن مسجد الجمعة معروف هناك. =

فأتاه عِتْبانُ بن مالكٍ وعبّاسُ بن عُبَادة بن نَضْلةَ في رجالٍ من بني سالم بن عوفٍ فقالوا: يا رسول الله، أَقِمْ عندنا في العَدَد والعُدّة والمَنَعة، قال: «خَلُّوا سَبِيلَها، فإنَّها مأمورةٌ»؛ لناقتِه، فخَلَّوْا سبيلَها فانطَلَقَت.

حتّى إذا وازَنَت دارَ بني بَيَاضة، تَلقَّاه زيادُ ابن لَبِيد وفَرْوةُ بن عمرٍو في رجالٍ من بني بَيَاضة فقالوا: يا رسولَ الله، هَلُمَّ إلينا، إلى العَدَد والعُدّة والمَنَعة، قال: «خَلُّوا سَبِيلَها، فإنَّها مأمورةٌ»، فخَلَّوْا سبيلَها فانطَلَقَت.

حتّى إذا مَرَّت بدار بني ساعدةَ، اعتَرَضَه سعدُ بن عُبَادة والمُنذِرُ بن عَمرٍو في رجالٍ من بني ساعدة فقالوا: يا رسولَ الله، هَلُمَّ إلينا، إلى العَدَد والعُدّة والمَنَعَة، قال: «خَلُّوا سَبِيلَها، فإنَّها مأمورةٌ»، فخَلَّوْا سبيلَها فانطَلَقَت.

حتّى إذا وازَنَت دارَ بني الحارث بن الخَزرَج، اعتَرَضَه سعدُ بن الرَّبيع وخارجةُ ابن زيد وعبدُ الله بن رَوَاحةَ في رجالٍ من بَالحارثِ بن الخَزرَج فقالوا: يا رسولَ الله، هَلُمَّ إلينا، إلى العَدَد والعُدّة والمَنَعة، قال: «خَلُّوا سَبِيلَها، فإنَّها مأمورةٌ»، فخَلَّوْا سبيلَها فانطَلَقَت.

حتّى إذا مَرَّت بدارِ بني عَدِيِّ بن النَّجّار ـ وهم أخوالُه دِنْيا؛ أمُّ عبد المُطَّلِب سَلْمى بنت عمرو إحدى نسائهم ـ اعتَرَضَه سَلِيطُ بن قيس وأبو سَلِيط أُسَيرةُ بن أبي خارجة في رجالٍ من بني عَدِيّ بن النَّجّار، فقالوا: يا رسولَ الله، هَلُمَّ إلى أخوالِك، إلى العَدَد والعُدّة والمَنَعة، قال: «خَلُّوا سَبِيلَها، فإنَّها مأمورةٌ»، فخَلَّوْا سبيلَها فانطَلَقَت.

حتّى إذا أتت دارَ بني مالك بن النَّجّار، بَرَكَت على باب مسجدِه ﷺ، وهو يومئذٍ

= قاله البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» ص١٣٥.

مِربَدٌ[1] لغلامَينِ يتيمَينِ من بني النَّجّار ثم من بني مالك، في حَجْر معاذ ابن عَفْراءَ، سهلٍ وسهيلٍ ابنَيْ عمرو، فلمّا بَرَكَت ـ ورسولُ الله ﷺ عليها لم يَنزِل ـ وَثَبَتْ فسارَتْ غيرَ بعيدٍ ورسولُ الله ﷺ واضعٌ لها زِمامَها لا يَثنِيها به، ثمّ التَفَتَت خلفَها فرَجَعَت إلى مَبْرَكِها أوّلَ مرّة فبَرَكَت فيه، ثمّ تَحلحَلَت ورَزَمَت[2] ووضعت جِرَانَها، فنَزَلَ عنها رسول الله ﷺ، واحتَمَلَ أبو أيّوب خالدُ بن زيدٍ رَحْلَه فوضعه في بيته، فنَزَلَ عليه رسول الله ﷺ، وسأل عن المِربَدِ لمن هو؟ فقال له معاذ ابن عَفْراءَ: هو يا رسولَ الله لسهلٍ وسُهيلٍ ابنَيْ عمرو، وهما يتيمانِ لي وسأُرضِيهما منه، فاتَّخِذْه مسجداً، فأمَرَ به رسولُ الله ﷺ أن يُبنَى، ونَزَلَ رسولُ الله ﷺ على أبي أيّوب حتّى بنى مسجدَه ومساكنَه[3].

---

(١) المِربَد: الموضع الذي يُجفَّف فيه التمر.

(٢) في (ش١) و(ص) و(ي): وأَرزَمَت، ومعناه: رَغَتْ ورجَّعت في رُغائها، وأمّا رَزَمَت فمعناه: أقامت من الإعياء والتعب.

وتحلحلت: مقلوب من تلحلحت ـ فيما ذهب إليه السهيليُّ في «الروض» ٤/ ٢٦١ ـ ومعناه: لَصِقَت بموضعها وأقامت به. والجِران: ما يصيب الأرض من صدرها وباطن حلقها.

(٣) هذا الخبر في شأن الناقة واعتراض الأنصار لها لم يسنده ابن إسحاق، وقد أشار ابن حجر في «الفتح» ١١/ ٤٦٨ إلى أنه مرويٌّ بنحوه في مغازي عُروة بن الزبير من رواية أبي الأسود عنه.

وروي نحوه مختصراً عن شرحبيل بن سعد الأنصاري مرسلاً عند ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٠٣.

أما قصة مسجده ﷺ وأن المِربَد كان ليتيمين في حجر معاذ ابن عفراءَ، فهكذا وقع في مرسل محمد بن سِيرِين عند أبي عبيد في «غريب الحديث» ١/ ٢٤٧، ووقع في مرسل عروة بن الزبير عند البخاري (٣٩٠٦): أنهما كانا في حجر أسعد بن زُرارة، وفيه: أنّ رسول الله ﷺ دعا الغلامين فساوَمَهما بالمِربَد، فقالا: لا، بل نَهَبُه لك يا رسول الله، فأَبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبةً =

= حتّى ابتاعه منهما، ثمّ بناه مسجداً.

وروى ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٠٥ عن الواقديِّ عن معمر وغيره عن الزهريّ: أن النبيّ ﷺ ابتاعه منهما بعشرة دنانير، وأمر أبا بكر أن يعطيهما ذلك. والواقديّ فيه مقال.

وفي حديث أنس عند البخاري (٤٢٨) ومسلم (٥٢٤): أن رسول الله ﷺ قال: «يا بني النَّجّار، ثامِنُوني بحائطكم هذا» قالوا: لا والله لا نطلبُ ثمنَه إلا إلى الله.

وجمع بينهما ابن حجر في «الفتح» ١١/ ٤٦٩ بأنّهم لمّا قالوا: لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، سأل عمّن يختصُّ بملكِه منهم فعيَّنوا له الغلامين فابتاعه منهما، فحينئذٍ يحتمل أن يكون الذين قالوا له: لا نطلب ثمنه إلّا إلى الله، تحمَّلوا عنه ﷺ للغلامين بالثَّمن. قلنا: وهذا يخالف ما رواه الواقديُّ من أنَّ أبا بكر هو الذي دفع لهما ثمنه بأمرٍ من النبيّ ﷺ.

وأما مدّة إقامته ﷺ عند أبي أيوب فقد اختُلف فيها، فروى الحاكم في «المستدرك» (٥٩٤٠) من حديث أبي أيوب نفسه: أنها كانت شهراً، وإسناده ضعيف جداً، لكن ذهب إلى هذا القول أبو بشر الدُّولابيّ.

وروي عن زيد بن ثابت ـ كما عند ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٠٣ ـ: أن مقامه عنده كان سبعة أشهر، وصحّح هذا الحافظُ الدِّمياطيّ كما في «جامع الآثار» لابن ناصر الدِّين الدمشقيّ ٥/ ٢٨٨.

أمّا ابن إسحاق، فذكر في آخر هذا الفصل: أنّ مسجد النبيّ ﷺ ومساكنه تتامَّ بناؤُها في صفر، ممّا يعني أنّه أقام في بيت أبي أيوب قرابة عشرة أشهر، والله تعالى أعلم.

وقد روي عن عبد الله بن الزبير ما قد يُفهَم منه أن المسجد بُنيَ في اثني عشر يوماً، فقد أخرج سعيد بن منصور في «سننه» (٢٩٧٨) ـ ومن طريقه الطبراني في «الأوسط» (٣٥٤٤)، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٥٠٩ ـ: أن النبيَّ ﷺ أوّل مقدمه إلى المدينة ثَبَتَ في العريش ـ الذي كان عند موضع المسجد ـ اثنا عشر ليلةً حتى بنى المسجدَ. وهو من رواية عطّاف بن خالد المخزومي عن صُدَيق بن موسى بن عبد الله بن الزبير عن جدّه عبد الله بن الزبير، وهذا إسناد ضعيف، فالعطّاف ليس بذاك المتين، وصُديق مجهول الحال وقال الذهبيُّ في «ميزان الاعتدال»: ليس بحُجّة.

فائدة: روى البيهقيُّ في «الدلائل» ٢/ ٥٠٦-٥٠٧ و٥٠٨ في قصة دخول النبيّ ﷺ المدينة =

فعَمِلَ فيه رسولُ الله ﷺ ليُرغِّبَ المسلمين في العمل فيه، فعَمِلَ فيه المهاجرون والأنصارُ ودَأَبُوا فيه، فقال قائلٌ من المسلمين:

لـــئِنْ قَعَـــدْنا والنبـــيُّ يعمـــلُ لَـــذاكَ منّـــا العمـــلُ المُضـــلَّلُ

وارتَجَزَ المسلمون وهم يَبنُونه يقولون:

لا عـــيشَ إلّا عـــيشُ الآخـــرَهْ اللهمَّ ارحَمِ الأنصارَ والمهاجرَهْ

قال ابن هشام: هذا كلامٌ وليس برَجَزٍ.

= بعد إقامته بقباءٍ ما يلي:

١- عن ابن عائشة ـ واسمه عُبيد الله بن محمد بن حفص التَّيميّ ـ قال: لمّا قدم النبيُّ ﷺ المدينة جعل النساءُ والصبيان والولائد يقلن:

طلعَ البـدرُ علينـا مـن ثنيّاتِ الـوداعْ
وجبَ الشُّكرُ علينا مـــا دعـــا لله داعْ

٢- عن أنس بن مالك: أنّه لمّا بركت ناقة النبيّ ﷺ على باب أبي أيوب، خرجت جَوَارٍ من بني النَّجّار يضربن بالدُّفوف وهنَّ يقلن:

نحن جوارٍ من بني النَّجّارِ يا حبَّـذا محمَّدٌ من جارِ

فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال: «أتحبُّوني؟» فقالوا: إي والله يا رسول الله، قال: «وأنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم».

وهذان الخبران ضعيفان، أمّا الأول: فهو مُعضَل، سقط من إسناده اثنان أو أكثر، فإنّ ابن عائشة ـ وهو أخباريٌّ ثقة ـ ممّن روى عن تبع الأتباع، وقد توفي سنة ٢٢٨هـ.

وأمّا الثاني: ففي إسناده إبراهيم بن صِرْمة الأنصاريّ، وهو ضعيف منكر الحديث، واتَّهمه ابن مَعِين بالكذب. وقد صحَّ من وجه آخر عن أنس كما عند البيهقيّ نفسه ٢/٥٠٨ وابن ماجه (١٨٩٩): أن النبي ﷺ مرَّ ببعض المدينة، فإذا هو بجَوارٍ يضربن بدفِّهنّ ويتغنَّينَ ويقلن... إلى آخره، ولم يذكر أنّ ذلك كان عند نزوله إلى المدينة من قباءٍ.

قال ابن إسحاق: فيقول رسولُ الله ﷺ: «لا عيشَ إلّا عيشُ الآخرة، اللهمَّ ارحَمِ المهاجرين والأنصار»[1].

فدخل عمّارُ بن ياسرٍ وقد أثقَلُوه باللَّبِن فقال: يا رسول الله، قَتَلُوني، يَحمِلون عليَّ ما لا يَحمِلون، قالت أمُّ سَلَمة زوجُ النبيّ ﷺ: فرأيتُ رسولَ الله ﷺ يَنفُضُ وَفْرتَه[2] بيده، وكان رجلاً جَعْداً، وهو يقول: «وَيْحَ ابنِ سُمَيّةَ، ليسوا بالَّذينَ يَقتُلونَك، إنَّما تَقتُلُك الفِئةُ الباغِيَةُ»[3].

---

(١) ذكر هذا الخبر بنحوه في بناء المسجد وما ارتجز به المسلمون موسى بنُ عقبة عن مجمِّع ابن يزيد الأنصاريّ كما في «شرف المصطفى» للخركوشيّ ٢/ ٣٨٣-٣٨٥، وهو منقطع بين موسى ومجمِّع.

وأصل الخبر في الارتجاز عند بناء المسجد روي من حديث أنس بن مالك عند أحمد (١٢١٧٨) وأبي داود (٤٥٣) وابن ماجه (٧٤٢) وغيرهم: أنَّ النبي ﷺ كان يبنيه وهم يناولونه، وهو يقول: «ألا إن العيش عيش الآخره...فاغفر للأنصار والمهاجره». وإسناده صحيح.

(٢) الوفرة: الشَّعر المجتمع على الرأس، أو ما بلغ منه شحمة الأُذن.

(٣) هو هنا معضلٌ بين ابن إسحاق وأمِّ سلمة، لكن أصل الحديث صحيح، فقد وصله أحمد (٢٦٤٨٢) و(٢٦٦٥٠) ومسلم (٢٩١٦) والنسائي في «الكبرى» (٨٤٩٠) و(٨٤٩٢) من حديث الحسن وأخيه سعيد البصريَّين، عن أمِّهما، عن أمِّ سلمة قالت: ما نسيتُ قوله يوم الخندق وهو يعاطيهم اللَّبِنَ، وقد اغبَرَّ شعرُ صدره (تريد النبيَّ ﷺ) وهو يقول: «اللهم إن الخير خير الآخره... فاغفر للأنصار والمهاجره» قالت: فرأى عمّاراً فقال: «ويح ابن سميّة، تقتله الفئة الباغية». وهذا لفظ رواية الحسن، أمّا أخوه سعيد فلم يذكر قصّة الخندق وروى آخره فقط. هكذا وقع في هذه الرواية: أنّ ذلك كان في حفر الخندق وليس في بناء المسجد.

لكن روى هذا الحديث أيضاً أبو سعيد الخدريّ فيما أخرجه البخاري (٤٤٧) و(٢٨١٢) من رواية عكرمة عنه وفيه: أنّ ذلك كان في بناء المسجد، وقد اختلفت الروايات في هذا: هل هو في حفر الخندق أم في بناء المسجد، وذهب الحافظ ابن رجب الحنبليّ في شرحه للبخاريِّ المسمَّى =

وارتَجَزَ عليٌّ بن أبي طالبٍ يومئذٍ:

لا يَستَوي مَن يَعمُرُ المساجدا يَـدأَبُ فيـه قائمـاً وقاعـدا

ومَن يُـرَى عـن الغُبـارِ حائدا[1]

قال ابن هشام: سألتُ غيرَ واحدٍ من أهل العلم بالشِّعر عن هذا الرَّجَز، فقالوا: بَلَغَنا أنّ عليَّ بن أبي طالبٍ ارتَجَزَ به، فلا ندري أهو قائلُه أم غيرُه؟!

قال ابن إسحاق: فأَخَذَها عمّارُ بن ياسرٍ فجعل يَرتجِزُ بها.

قال ابن هشام: فلمّا أكثَرَ، ظنَّ رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ أنّه إنّما يُعرِّضُ به، فيما حدَّثنا زيادُ بن عبد الله البكّائيُّ عن ابن إسحاق، وقد سمَّى ابنُ إسحاق الرجلَ[2].

قال ابن إسحاق: فقال: قد سمعتُ ما تقول منذُ اليومِ يا ابن سُميّة، واللهِ إنّي

= «فتح الباري» ٣/ ٣٠٦-٣٠٩ إلى أنّ ذلك كان في بناء المسجد لكن في المرّة الثانية من بنائه، وأنّه كان بعد خيبر، والظاهر أنه للزيادة فيه، والله تعالى أعلم.

وأمّا قوله ﷺ لعمّار: «تقتله الفئة الباغية» فقد روي عن جمع من الصحابة، منها حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص عند أحمد في «مسنده» (٦٤٩٩)، فانظر تمام شواهده هناك.

(١) الحائد: المائل إلى جهة.

(٢) قال السهيلي في «الروض» ٤/ ٢٦٤: وكره ابن هشام أن يسمِّيَه كي لا يذكرَ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ بمكروه، فلا ينبغي أبداً البحثُ عن اسمه.

وقال أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص١٣٥: يقال: هذا الرجل هو عثمان بن عفان رضى الله عنه.

وقال الخركوشيّ في «شرف المصطفى» ٢/ ٣٩١: قيل: إن الكلام بين عمّار بن ياسر وبين خالد بن الوليد.

قلنا: وهذا كلُّه لا يصحُّ، إذ الرواية في ذلك أصلاً لم تصحَّ، فإنّه لم يسندها ابن إسحاق ولا أحدٌ غيره، والله تعالى أعلم.

لأُراني سأَعرِضُ هذه العصا لأنفك، قال: وفي يده عصا، قال: فغَضِبَ رسولُ الله ﷺ ثمّ قال: «ما لهم ولِعمّارٍ، يَدعُوهم إلى الجنّةِ ويَدعُونَه إلى النّارِ، إنَّ عمّاراً جِلْدةُ ما بينَ عَينيَّ وأَنفي، فإذا بُلِغَ ذلك من الرَّجلِ فلم يُستَبقَ، فاجتَنِبُوه»(١).

قال ابن هشام: ذَكَرَ سفيان بن عُيَينة عن زكريّا عن الشَّعْبيِّ قال: أوّلُ من بنى مسجداً عمّارُ بن ياسرٍ(٢).

قال ابن إسحاق: فأقام رسولُ الله ﷺ في بيت أبي أيّوب حتّى بُنيَ له مسجده ومساكنه، ثمّ انتَقَلَ إلى مساكنه من بيت أبي أيّوب، رحمه الله.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن أبي حَبِيب، عن مَرثَد بن عبد الله اليَزَنيّ، عن أبي رُهْم السَّمَاعيّ قال: حدثني أبو أيّوب قال: لمّا نزل عليَّ رسولُ الله ﷺ في بيتي، نزل في السُّفْل، وأنا وأمُّ أيّوب في العُلْو، فقلت له: يا نبيَّ الله، بأبي أنت وأُمّي، إنّي أَكرهُ وأُعظِمُ أن أكونَ فوقَك وتكونَ تحتي، فاظهَرْ أنت فكن في العُلْو، ونَنزِلُ نحن فنكون في السُّفْل، فقال: «يا أبا أيُّوبَ، إنَّ أرفَقَ بنا وبمَن يَغْشانا أن نكونَ في سُفْلِ البيتِ».

---

(١) ضعيف بهذا السِّياق لإعضاله، إذ لم يسنده ابن إسحاق ولم نقف عليه عند غيره.

(٢) مرسلٌ رجاله ثقات، لكنّنا لم نقف عليه من هذا الوجه.

وقد روي عن القاسم بن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن مسعود مرسلاً أيضاً عند ابن سعد ٣/ ٢٣١، وابن أبي شيبة ١٢/ ١٢١، والحاكم (٥٧٥٦).

وروي مفسَّراً من حديث الحكم بن عُتيبة عند الحاكم (٥٧٥٥) قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة أول ما قدمها، فقال عمّار بن ياسر: ما لرسول الله ﷺ بدٌّ من أن نجعل له مكاناً إذا استيقظ من قائلته استظلَّ فيه وصلَّى فيه، فجمع عمّارٌ حجارةً فسوَّى مسجد قباء، فهو أوّل مسجد بُنيَ وعمّارٌ بناه. وهذا مرسلٌ أيضاً.

قال: فكان رسول الله ﷺ في سُفْله وكنّا فوقَه في المَسكَن، فلقد انكَسَرَ حُبٌّ[1] لنا فيه ماءٌ فقمتُ أنا وأمُّ أيّوب بقَطِيفةٍ لنا، ما لنا لِحافٌ غيرُها، نَنشَفُ بها الماءَ، تخوُّفاً أن يَقطُرَ على رسول الله ﷺ منه شيءٌ فيُؤذِيَه.

قال: وكنّا نصنعُ له العَشاءَ ثمّ نَبعَثُ به إليه، فإذا رَدَّ علينا فَضْلَه تَيمَّمتُ أنا وأمُّ أيّوب موضعَ يده فأكَلْنا منه، نبتغي بذلك البَرَكةَ، حتّى بَعَثْنا إليه ليلةً بعَشائِه وقد جعلنا له فيه بصلاً أو ثُوماً، فردَّه رسولُ الله ﷺ ولم أرَ ليدِه فيه أثراً، قال: فجئتُه فَزِعاً، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي، رَدَدتَ عَشاءَك ولم أرَ فيه موضعَ يدِك، وكنتُ إذا رَدَدتَه علينا، تَيمَّمتُ أنا وأمُّ أيّوب موضعَ يدك، نبتغي بذلك البركةَ، قال: «إنِّي وَجَدتُ فيه رِيحَ هذه الشّجرةِ، وأنا رجلٌ أُناجَى[2]، فأمّا أنتم فكُلُوه»، قال: فأكَلْناه، ولم نَصنَعْ له تلك الشّجرةَ بعدُ[3].

قال ابن إسحاق: وتَلاحَقَ المهاجرون إلى رسول الله ﷺ، فلم يَبقَ بمكّة منهم أحدٌ إلا مفتونٌ أو محبوسٌ، ولم يُوعِبْ أهلُ هجرةٍ[4] من مكّة بأهليهم وأموالهم

---

(١) الحب: الجَرّة الكبيرة. والقطيفة: كساء غليظ.

(٢) أي: أُخاطَب بالوحي.

(٣) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٣٥٧٠) من طريق الليث بن سعد، عن أبي الخير مرثد اليزني، بهذا الإسناد.

ورواه جرير بن حازم عن ابن إسحاق عند الحاكم (٦٠٥٢)، فذكر أبا أمامة الباهليَّ مكان أبي رُهم السماعيّ، وحديث أبي رُهْم هو الصواب كما قال البغويُّ في «معجم الصحابة» (٥٧٧).

وأخرج نحوَه أحمد (٢٣٥٠٤) و(٢٣٥٠٧) و(٢٣٥١٧) و(٢٣٥٢٦)، ومسلم (٢٠٥٣)، وابن حبان (٢٠٩٢) من طرق عن أبي أيوب الأنصاريّ.

(٤) أي: لم يخرجوا بأجمعهم.

إلى الله وإلى رسوله ﷺ إلّا أهلُ دُورٍ مُسمَّونَ: بنو مَظعُون من بني جُمَح، وبنو جَحْش ابن رِئَاب حلفاءُ بني أُميّة، وبنو البُكَير من بني سعد بن ليث، حلفاءُ بني عَدِيّ بن كعب، فإنَّ دُورَهم غُلِّقَت بمكّة هِجرةً، ليس فيها ساكنٌ.

ولمّا خرج بنو جَحْش بن رِئاب من دارهم، عَدَا عليها أبو سفيان بن حَرْب فباعها من عمرو بن عَلْقمة أخي بني عامر بن لُؤيّ، فلمّا بَلَغَ بني جَحْش ما صَنَعَ أبو سفيان بدارِهم، ذَكَرَ ذلك عبدُ الله بن جَحْش لرسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «ألَا تَرضَى يا عبدَ الله أن يُعطيَكَ اللهُ بها داراً خيراً منها في الجنّةِ؟» قال: بَلَى، قال: «فذلكَ لكَ». فلمّا افتَتَحَ رسولُ الله ﷺ مكّةَ، كلَّمَه أبو أحمدَ[1] في دارهم، فأَبطأَ عليه رسولُ الله ﷺ، فقال النّاس لأبي أحمد: يا أبا أحمدَ، إنَّ رسول الله ﷺ يَكرَهُ أن تَرجِعُوا في شيءٍ من أموالِكم أُصِيبَ منكم في الله، فأَمسَكَ عن كلامِ رسول الله ﷺ[2].

وقال لأبي سفيان:

أَبلِغْ أبا سفيانَ عنْ ... أمرٍ عواقبُهُ نَدامَهْ
دارَ ابنِ عمِّكَ بِعتَها ... تَقْضي بها عنكَ الغَرامَهْ
وحَلِيفُكمْ باللّهِ ربِّ النّاسِ مجتهِدُ القَسَامَهْ
إذهَبْ بها، إذهَبْ بها ... طُوِّقتَها طَوْقَ الحَمامَهْ[3]

قال ابن إسحاق: فأقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة إذ قَدِمَها شهرَ ربيعٍ الأوّل إلى

(١) هي كنية عبد بن جحشٍ أَخي عبد الله، وكان شاعراً وهو أعمى.

(٢) هذا خبر مُعضَل لم يسنده ابن إسحاق، ولم نقف عليه عند غيره.

(٣) أي: لزمك عارُها كطوق الحمامة، لأن طوقها ـ وهو ما يحيط رقبتها من ريش يغاير لونه سائر لونها ـ لا يفارقها ولا تلقيه عن نفسها أبداً.

صَفَر من السَّنة الداخلة، حتّى بُنِيَ له فيها مسجدُه ومساكنُه، واستَجمَعَ له إسلامُ هذا الحيِّ من الأنصار، فلم تَبقَ دارٌ من دور الأنصار إلّا أسلَمَ أهلُها، إلّا ما كان من خَطْمةَ وواقفٍ ووائلٍ وأُميّةَ، وتلك أَوسُ الله، وهم حيٌّ من الأَوس، فإنّهم أقاموا على شِرْكِهم[1].

أوّل خُطَبه عليه السلام

وكانت أوّل خُطبةٍ خَطَبَها رسول الله ﷺ، فيما بَلَغَني عن أبي سَلَمة بن عبد الرَّحمن ـ نعوذُ بالله أن نقولَ على رسول الله ﷺ ما لم يقل ـ: أنّه قام فيهم، فحَمِدَ اللهَ وأَثنى عليه بما هو له أهلٌ، ثمّ قال: «أمّا بعدُ، أيّها الناسُ، فقَدِّمُوا لأنفُسِكُم، تَعلَّمُنَّ[2] واللهِ ليُصعَقَنَّ أحدُكم، ثمَّ ليَدَعَنَّ غنمَه ليس لها راعٍ، ثمّ ليَقُولَنَّ له ربُّه، ليس له تَرجُمانٌ ولا حاجبٌ يَحجُبُه دونَه: ألم يأتِكَ رسولي فبَلَّغَك؟ وآتَيتُك مالاً وأفضَلْتُ عليك؟ فما قَدَّمتَ لنفسِك؟ فلَيَنظُرَنَّ يميناً وشِمالاً فلا يَرَى شيئاً، ثمّ لَيَنظُرَنَّ قُدّامَه فلا يَرَى غيرَ جهنَّمَ، فمَن استطاعَ أن يَقِيَ وجهَه من النّارِ ولو بشِقَّةٍ من تَمْرةٍ فليَفعَلْ، ومَن لم يَجِدْ فبكَلِمةٍ طيِّبةٍ، فإنَّ بها تُجزَى الحَسَنةُ عَشْرَ أَمثالِها إلى سبعِ مئةِ ضِعْفٍ، والسلامُ على رسولِ الله ورحمةُ الله وبركاتُه[3]».

قال ابن إسحاق: ثمَّ خَطَبَ رسولُ الله ﷺ النّاسَ مرّةً أُخرى، فقال: «إنَّ الحمدَ

---

(١) ذكر ابن إسحاق فيما تقدّم ص٦٢-٦٣ في آخر العقبة الأولى: أنّ إسلام هؤلاء تأخر إلى ما بعد الخندق.

(٢) أي: اعلموا.

(٣) هكذا في (ت) و(ص) و(ي)، وفي (ش١) و(غ): والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وفي (ق١): والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته، وفي (م): والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته.

لله، أحمَدُه وأستَعِينُه، نعوذُ باللهِ من شُرورِ أنفُسِنا، وسيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ وحدَه لا شَريكَ له، إنَّ أحسَنَ الحديثِ كِتابُ الله، قد أفلَحَ مَن زَيَّنَه اللهُ في قلبِه، وأدخَلَه في الإسلامِ بعدَ الكُفرِ، واختارَهُ على ما سِواهُ من أحاديثِ النّاسِ، إنّه أحسَنُ الحديثِ وأبلَغُه، أحِبُّوا ما أحَبَّ اللهُ، أحِبُّوا اللهَ من كلِّ قُلوبِكم، ولا تَمَلُّوا كلامَ الله وذِكرَه، ولا تَقسُ عنه قُلوبُكم، فإنَّه من كلِّ ما يَخلُقُ اللهُ يَختارُ ويَصطَفي، فقد سَمّاه خِيرتَه من الأعمالِ، ومُصطَفاهُ من العِبَادِ، والصّالحَ من الحديثِ، ومِن كلِّ ما أُوتِيَ النّاسُ الحلالُ والحرامُ، فاعبُدُوا اللهَ ولا تُشرِكُوا به شيئاً، واتَّقُوه حقَّ تُقاتِه، واصدُقُوا اللهَ صالحَ ما تقولونَ بأفواهِكم، وتَحابُّوا برَوْحِ الله[1] بينكم، إنَّ اللهَ يَغضَبُ أن يُنكَثَ عَهدُه، والسلامُ عليكم ورحمةُ الله»[2].

كتاب رسول الله ﷺ الّذي كتبه بين المهاجرين والأنصار ومُوادَعة يهود

قال ابن إسحاق: وكتب رسولُ الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادَعَ فيه يهودَ وعاهَدَهم، وأقرَّهم على دينِهم وأموالِهم، واشتَرَطَ عليهم وشَرَطَ لهم[3]:

---

(١) أي: برحمته.

(٢) إسناده في الخطبتين ضعيف لإرساله، فإنّ أبا سلمة من أوساط التابعين.

وأمّا بلاغ ابن إسحاق فهو موصول في رواية يونس بن بكير عنه، فقد رواه من طريقه هنّاد في «الزهد» (٤٩٢)، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٥٢٤-٥٢٥ عن ابن إسحاق قال: حدثني المغيرة ابن عثمان، عن محمّد بن عثمان بن الأخنس بن شَريق، عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمن بن عوف قال: كان أول خطبة... والمغيرة بن عثمان وشيخه محمد بن عثمان مجهولان.

(٣) روى هذا الكتاب مختصراً البيهقي في «السنن» ٨/ ١٠٦ من طريق يونس بن بكير، عن =

بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم، هذا كتابٌ من محمَّدٍ النّبيِّ بين المؤمنينَ والمسلمينَ من قُريشٍ ويَثرِبَ، ومَن تَبِعَهم فلَحِقَ بهم وجاهَدَ معهم، أنَّهم أُمّةٌ واحدةٌ من دون النّاس، المهاجرون من قريشٍ على رِبْعتِهم[1] يَتعاقَلُون بينهم، وهم يَفْدُون عانِيَهم بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين، وبنو عوفٍ على رِبْعتِهم يتعاقلون مَعاقِلَهم[2] الأُولى، وكلُّ طائفةٍ تَفْدي عانِيَها بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين، وبنو الحارثِ[3]

= ابن إسحاق، عن عثمان بن محمد بن عثمان بن الأخنس بن شَريق قال: أخذت من آل عمر بن الخطّاب رضى الله عنه هذا الكتاب، كان مقروناً بكتاب الصدقة الذي كتب عمرُ للعمّال... وذكر أوله. وعثمان بن محمّد مجهول لم نتبيّنه.

وروى الكتاب بطوله أبو عبيد في «الأموال» (٥٣٠)، وابن زنجويه في «الأموال» (٧٥٠) من طريق اللَّيث بن سعد، عن عُقيل بن خالد، عن ابن شهاب الزُّهريّ قال: بلغني أن رسول الله ﷺ كتب بهذا الكتاب... وذكره. وهذا مرسل رجاله ثقات، ولعلّ مرسل الزهري هذا يتقوّى بما قبله وما بعده.

وروى الكتاب أيضاً حجّاج بن أرطاة بإسنادين له عن ابن عبّاس وعبد الله بن عمرو بن العاص عند أحمد (٢٤٤٣) و(٢٤٤٤)، وذكر منه: أن يَعقِلوا معاقلَهم، وأن يَفدُوا عانيَهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين. والحجّاج مدلّس ولم يصرّح بسماعه في إسناديه، فهما ضعيفان، لكن حديثه يصلح شاهداً. فبمجموع هذه الطرق يتقوّى أصلُ هذا الكتاب ويَثبُت إن شاء الله.

وروى كثيرُ بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جدّه فيما أخرجه البيهقي ٨/ ١٠٦ نحو حديث الحجّاج. وكثيرٌ ضعيف جدّاً.

(١) الرِّبعة والرَّبَاعة: الحال التي جاء الإسلام وهم عليها. ويتعاقلون: من العَقْل، وهو الدِّيَة. والعاني: الأسير.

(٢) المعاقل: الدِّيَات، جمع مَعقُلةٍ، أي: يكونون على ما كانوا عليه قبل الإسلام من أخذ الديات وإعطائها.

(٣) بنو الحارث سقط ذكرهم من (ت) و(غ) و(ق١).

على رِبْعتِهم يتعاقلون مَعاقِلَهم الأُولى، وكلُّ طائفةٍ تَفْدي عانيَها بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين، وبنو ساعدةَ على رِبْعتِهم يتعاقلون مَعاقِلَهم الأُولى، وكلُّ طائفةٍ تَفْدي عانيَها بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين، وبنو جُشَم على رِبْعتِهم يتعاقلون مَعاقِلَهم الأُولى، وكلُّ طائفةٍ منهم تَفْدي عانيَها بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين، وبنو النَّجّارِ على رِبْعتِهم يتعاقلون مَعاقِلَهم الأُولى، وكلُّ طائفةٍ منهم تَفْدي عانيَها بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين، وبنو عمرِو بن عوفٍ على رِبْعتِهم يتعاقلون مَعاقِلَهم الأُولى، وكلُّ طائفةٍ تَفْدي عانيَها بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين، وبنو النَّبِيتِ على رِبْعتِهم يتعاقلون مَعاقِلَهم الأُولى، وكلُّ طائفةٍ تَفْدي عانيَها بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين، وبنو الأَوسِ على رِبْعتِهم يتعاقلون مَعاقِلَهم الأُولى، وكلُّ طائفةٍ تَفْدي عانيَها بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين، وأنّ المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً بينهم أن يُعطُوه بالمعروف في فداءٍ أو عقلٍ.

قال ابن هشام: المُفرَحُ: المُثقَل من الدَّين والعِيَال، قال الشاعر:

إذا أنتَ لم تَبرَحْ تُؤدِّي أمانةً وتَحمِلُ أُخرى أفرَحَتْك الودائعُ[1]

ولا يحالفُ مؤمنٌ مولى مؤمنٍ دونَه، وأنّ المؤمنين المتَّقين على مَن بَغَى منهم، أو ابتَغَى دَسِيعةَ[2] ظُلمٍ أو إثمٍ أو عُدْوانٍ أو فسادٍ بين المؤمنين، وأنّ أيديَهم عليه

(١) أنشد هذا البيت المفضَّل الضَّبِّيّ لبَيهَس العُذْري كما في «المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء» للآمديّ ص٨٠.

قال الأزهريُّ في «تهذيب اللغة» ٥/ ٦١: أراد بقوله: وتحمل أخرى، أي: تخونُها فلا تؤدِّيها، يدلُّك على ذلك قوله: أفرَحَتك الودائع، أي: أثقل ظهرَك الأماناتُ التي تخونُها ولا تؤدِّيها.

(٢) الدَّسيعة: العطيّة، وهي ما يخرج من حلق البعير إذا رَغَا، فاستعاره هنا للعطيّة وأراد به هنا ما يُنتَال منهم من ظُلم.

جميعاً ولو كان وَلَدَ أحدِهم، ولا يَقتُلُ مؤمنٌ مؤمناً في كافر، ولا يُنصَرُ كافرٌ على مؤمنٍ، وأنّ ذِمّةَ الله واحدة، يُجِيرُ عليهم أَدْناهم، وأنّ المؤمنين بعضُهم موالي بعضٍ دونَ الناس، وأنّه مَن تَبِعَنا من يهودَ فإنّ له النَّصرَ والأُسوَة[1]، غيرَ مظلومين ولا مُتناصَرٍ عليهم، وأنَّ سِلْمَ المؤمنين واحدةٌ، لا يُسالِمُ مؤمنٌ دون مؤمنٍ في قتال في سبيل الله إلّا على سواءٍ وعَدْلٍ بينهم، وأنَّ كلَّ غازيةٍ غَزَتْ معنا يُعقِبُ بعضُها بعضاً، وأنَّ المؤمنين يُبِيءُ[2] بعضُهم على بعضٍ بما نال دماءَهم في سبيل الله، وأنّ المؤمنين المتَّقين على أحسنِ هُدًى وأقوَمِه.

وأنّه لا يُجِيرُ مشركٌ مالاً لقريشٍ ولا نفساً ولا يَحُولُ دونَه على مؤمنٍ، وأنّه من اعتَبَطَ مؤمناً[3] قَتلاً عن بيِّنةٍ فإنّه قَوَدُ يدٍ إلا أن يُرضيَ وليَّ المقتول، وأنّ المؤمنين عليه كافّةٌ ولا يَحِلُّ لهم إلا قيامٌ عليه، وأنّه لا يَحِلُّ لمؤمنٍ أَقَرَّ بما في هذه الصَّحيفة وآمَنَ بالله واليوم الآخر، أن يَنصُرَ مُحدِثاً[4] ولا يُؤْوِيَه، وأنّه من نَصَرَه أو آوَاه، فإنّ عليه لَعْنةَ الله وغَضَبَه يومَ القيامة، ولا يُؤخَذُ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ[5]، وأنّكم مهما اختلفتُم فيه من شيءٍ، فإنّ مَرَدَّه إلى الله وإلى محمَّدٍ، ﷺ.

وأنَّ اليهود[6] يُنفِقُون مع المؤمنين ما داموا مُحارِبين، وأنّ يهودَ بني عَوفٍ أُمّةٌ

---

(١) يريد بالأسوة هنا: المماثَلة بالمسلمين.

(٢) أي: يَمنَع ويَكُفّ.

(٣) أي: قتله عن غير جناية توجب قتله.

(٤) المُحدِث: الجاني، أو من أحدث أمراً منكراً ليس بمعتادٍ ولا معروف.

(٥) الصَّرف: التوبة، والعَدْل: الفِدية.

(٦) اليهود في المدينة كانوا على قسمين، الأغلبية هم يهود بني إسرائيل كبني قينقاع وقريظة والنَّضير، وأما ما ذكر من يهود بني عوف وغيرهم من قبائل الأنصار، فهؤلاء كما ذكر السهيليُّ =

مع المؤمنين[1]، لليهودِ دينُهم وللمسلمين دينُهم، مَوالِيَهم وأنفُسَهم، إلّا من ظَلَمَ وأَثِمَ، فإنّه لا يُوتِغُ[2] إلّا نفسَه وأهلَ بيتِه.

وأنّ ليهودِ بني النَّجّار مثلَ ما ليهودِ بني عوف، وأنّ ليهودِ بني الحارثِ مثلَ ما ليهودِ بني عوف، وأنّ ليهودِ بني ساعدةَ مثلَ ما ليهودِ بني عوف، وأنّ ليهودِ بني جُشَمَ مثلَ ما ليهودِ بني عوف، وأنّ ليهودِ بني الأَوسِ مثلَ ما ليهودِ بني عوف، وأنّ ليهودِ بني ثَعلَبة مثلَ ما ليهودِ بني عوف، إلّا من ظَلَمَ وأَثِمَ، فإنّه لا يُوتِغُ إلا نفسَه وأهلَ بيتِه، وأنّ جَفْنةَ بطنٌ من ثَعلَبة كأنفُسِهم[3]، وأنّ لبني الشَّطْبةِ[4] مثلَ ما ليهودِ

= في «الروض الأنف» ٤/ ٣٩٧: أنه كان في الأوس والخزرج من قد تهوَّد، وكان من نسائهم من تَنذِر إذا وَلَدَت إن عاش ولدُها أن تهوِّده، لأن اليهود عندهم كانوا أهلَ علم وكتاب، وفي هؤلاء الأبناء الذين تهوَّدوا نزلت ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦] حين أراد آباؤُهم إكراهَهم على الإسلام في أحدِ الأقوال. قلنا: وهذا مرويٌّ عن ابن عباسٍ بإسناد صحيح عند أبي داود (٢٦٨٢) والنسائي في «الكبرى» (١٠٩٨٢) و(١٠٩٨٣) قال: كانت المرأة تكون مِقلاتاً (أي: لا يعيش لها ولدٌ)، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوِّده، فلما أُجليت بنو النَّضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندعُ أبناءَنا، فأنزل الله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾.

(١) يريد أنهم بالصُّلح الذي وقع بينهم وبين المؤمنين كجماعةٍ منهم، كلمتُهم وأيديهم واحدة. قاله ابن الأثير في «النهاية» (أمم).

(٢) أي: لا يُهلِك.

(٣) لفظ «كأنفسهم» ليس في (ت) و(ص) و(ي).

(٤) في نسخة على حاشية (ص): الشطيبة.

والشَّطبة اسم امرأة، وهي أمُّ الأخثم بن ثعلبة بن جفنة. انظر «نسب معدّ واليمن الكبير» لابن الكلبي ١/ ٤٣٣، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٣٧٢ وتحرف في المطبوع منه إلى: النبطيّة.

وبنو جَفْنة هؤلاء من الأزد كانوا بالمدينة، وعِدادُهم في الأنصار، وكانوا يُعرَفون ببني الشَّطبة، =

بني عوف، وإنّ البِرَّ دونَ الإثم[1]، وأنّ مواليَ ثَعلَبة كأنفُسِهم، وأنّ بِطانةَ يهودَ[2] كأنفُسِهم، وأنّه لا يَخرُج منهم أحدٌ إلا بإذن محمّدٍ ﷺ، وأنّه لا يَنحجِزُ على ثأرِ جُرحٍ[3]، وأنّه من فَتَكَ فبنفسِه[4] إلّا من ظُلِم، وإنّ الله على أبرِّ هذا.

وأنّ على اليهود نَفَقتُهم وعلى المسلمين نَفَقتُهم، وأنّ بينهم النَّصرَ على من حارَبَ أهلَ هذه الصَّحيفة، وأنّ بينهم النُّصحَ والنَّصيحةَ والبِرَّ دونَ الإثم، وأنّه لم يأثَمِ امرُؤٌ بحَلِيفِه، وأنَّ النَّصرَ للمظلوم، وأنّ اليهود يُنفِقُون مع المؤمنين ما داموا مُحارِبين، وأنّ يَثرِبَ حرامٌ جَوْفُها لأهلِ هذه الصَّحيفة[5]، وأنّ الجارَ كالنَّفس غيرَ مُضارٍّ ولا آثِمٍ، وأنّه لا تُجَارُ حُرْمةٌ[6] إلا بإذن أهلِها، وأنّه ما كان بين أهل هذه الصَّحيفة من حَدَثٍ أو اشتجارٍ[7] يُخَافُ فسادُه، فإنَّ مَرَدَّه إلى الله وإلى محمَّدٍ رسولِ الله ﷺ، وإنّ الله على أَتقَى ما في هذه الصَّحيفة وأَبرِّه، وأنّه لا تُجَارُ قريشٌ ولا مَن نَصَرَها، وأنّ بينَهم النَّصرَ على من دَهِمَ يَثرِبَ[8]، وإذا دُعُوا إلى صُلح

= كما في المصدرين السابقين.

(١) أي: إن البر بالوفاء بالعهود أَولى وأَحق من التأثّم بقطعها والغدر فيها.

(٢) بطانة الرَّجل: خاصّته وأهل سرِّه.

(٣) ظاهره أنه لا يُمنَع أحدٌ صاحبُ ثأر أن يخرج من المدينة لأخذ ثأره من غير أهلها، والله تعالى أعلم.

(٤) الفَتْك: القتل على غفلة. وقوله: فبنفسه، يعني: فبنفسه فَتَكَ، وفي طبعة السقّا وصاحبيه: فبنفسه فتك وأهل بيته، وفي طبعة وستنفيلد: فبنفسه وأهل بيته.

(٥) يعني أنه يُمنَع قتال بعضهم بعضاً فيها.

(٦) الحُرمة هنا: الحقّ الثابت لأهله.

(٧) الاشتجار: الاختلاف، يقال: اشتَجَرَ القومُ، إذا اختلفوا.

(٨) أي: فاجأَهم فيها ودخل عليهم يريد حربهم.

يُصالِحُونه ويَلبَسُونه، فإنّهم يُصالِحُونه ويَلبَسُونه، وأنّهم إذا دُعُوا إلى مثلِ ذلك فإنّه لهم على المؤمنين إلّا من حارَبَ في الدِّين، على كلِّ إنسانٍ[1] حِصَّتُهم من جانبِهم الّذي قِبَلَهم، وأنّ يهودَ الأَوسِ مَوَاليَهم وأنفُسَهم على مثلِ ما لأهلِ هذه الصَّحيفة، مع البِرِّ المَحْضِ من أهل هذه الصَّحيفة.

قال ابن هشام: ويقال: مع البِرِّ المُحسِن من أهل هذه الصَّحيفة.

قال ابن إسحاق: وإنّ البِرَّ دون الإثم، لا يَكسِبُ كاسبٌ إلّا على نفسه، وإنّ الله على أصدقِ ما في هذه الصَّحيفة وأبرِّه، وأنّه لا يَحُولُ هذا الكتابُ دون ظالمٍ أو آثمٍ، وأنّه مَن خَرَجَ آمنٌ ومَن قَعَدَ آمنٌ بالمدينة، إلّا من ظَلَمَ وأَثِمَ، وإنّ الله جارٌ لمن بَرَّ واتَّقى، ومحمّدٌ رسولُ الله، ﷺ.

مؤاخاتُه عليه السلام بين أصحابه

واختيارُه عليّاً أخاً رضوان الله عليه

قال ابن إسحاق: وآخى رسولُ الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال ـ فيما بَلَغَنا، ونعوذُ بالله أن نقولَ عليه ما لم يَقُل ـ: «تآخَوْا في الله أخَوَينِ أخَوَينِ» ثمّ أخَذَ بيدِ عليِّ بن أبي طالب فقال: «هذا أخي»[2].

---

(١) في (ت): أناس.

(٢) ضعيف لإعضاله، فإنّ ابن إسحاق لم يسنده، وهكذا رواه عنه أيضاً إبراهيم بن سعد عند ابن أبي خيثمة في السِّفر الثاني من «تاريخه الكبير» (٢٨٢٣).

ورواه الهيثم بن الرَّبيع ـ عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٦٢) ـ عن زياد بن عبد الله البكّائي، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزّبير بن عروة، عن عبد الرَّحمن بن عُويم بن ساعدة الأنصاري، عن النبي ﷺ. والهيثم هذا ضعيف يَهِمُ، وهذا من أوهامه.

وفي الباب عن ابن عمر قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه فجاء عليٌّ تدمع عيناه، فقال: =

فكان رسولُ الله ﷺ سيِّدُ المُرسَلِين، وإمامُ المتَّقِين، ورسولُ ربِّ العالمين، الذي ليس له خَطَرٌ[1] ولا نَظِيرٌ من العِباد، وعليُّ بن أبي طالب، أخوين. وكان حمزةُ بن عبد المُطَّلِب أسدُ الله وأسدُ رسوله، عمُّ رسول الله ﷺ، وزيدُ بن حارثةَ مولى رسول الله ﷺ، أخوين[2]، وإليه أَوصى حمزةُ يوم أُحدٍ حين حَضَرَه القتالُ إن حَدَثَ به حَدَثُ الموت. وجعفرُ بن أبي طالبٍ ذو الجناحَينِ الطيّارُ في الجنّةِ ومعاذُ ابن جَبَل أخو بني سَلِمةَ، أخوين.

قال ابن هشام: وكان جعفرُ بن أبي طالبٍ يومَئذٍ غائباً بأرض الحَبَشة[3].

= يا رسول الله، آخيتَ بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال له رسول الله ﷺ: «أنت أَخي في الدنيا والآخرة». أخرجه الترمذي (٣٧٢٠) والحاكم (٤٣٣٤)، وإسناده ضعيف جدّاً، وانظر التعليق عليه في «مستدرك الحاكم» طبعة دار الرسالة.

وقد ذكر ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٢١ والحاكم (٥٨٣٩) عن الواقديِّ بأسانيده عن بعض التابعين: أن النبيَّ ﷺ آخى بين عليٍّ وسهل بن حُنيف الأنصاريّ رضي الله عنهما.

وأمّا قصّةُ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فهي ثابتة مشهورة، وقد صحَّ من حديث أنس ابن مالك فيما أخرجه أحمد (١٢٠٨٩) والبخاري (٢٢٩٤) و(٦٠٨٣) ومسلم (٢٥٢٩) أنّه قال: حالفَ رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا. ومعنى حالفَ: آخَى، كما قال سفيان بن عيينة في رواية أحمد.

(١) أي: ليس له مِثْلٌ.

(٢) هذه المؤاخاة بين حمزة وزيد كانت بمكة قبل الهجرة، فقد ذكر غير واحد منهم ابن عبد البر في «الدرر في اختصار المغازي والسير» ص٩٢: أن النبيَّ ﷺ آخى بين المهاجرين في مكة قبل الهجرة، أمّا ما كان في المدينة فهي مؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وآخى فيها رسول الله ﷺ بين زيد بن حارثة وأُسيد بن حُضير الأنصاريّ الأشهليّ كما في «الطبقات» لابن سعد ٣/ ٤٢ و«أنساب الأشراف» للبلاذُريّ ١/ ٢٧٠.

(٣) وقد وهَّم محمّدُ بن عمر الواقديُّ ابنَ إسحاق في هذه المؤاخاة بين جعفر ومعاذ كما في =

قال ابن إسحاق: وكان أبو بكرٍ الصِّدّيق وخارجةُ بن زيد بن أبي زهير أخو بَلْحارثِ بن الخَزرَج، أخوين. وعمرُ بن الخطّاب وعِتْبانُ بن مالكٍ أخو بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخَزرَج، أخوين. وأبو عُبَيدة بن عبد الله بن الجَرَّاح ـ واسمه عامر بن عبد الله ـ وسعدُ بن معاذ بن النُّعمان أخو بني عبد الأَشهَل، أخوين[1]. وعبدُ الرَّحمن بن عوف وسعدُ بن الرَّبيع أخو بَلْحارثِ بن الخَزرَج، أخوين. والزُّبيرُ ابن العوّام وسَلَمةُ بن سَلَامة بن وَقْشٍ أخو بني عبد الأَشهَل، أخوين[2]، ويقال: بل الزُّبيرُ وعبدُ الله بن مسعودٍ حليفُ بني زُهْرةَ، أخوين. وعثمانُ بن عفّان وأوسُ بن ثابت بن المنذر أخو بني النَّجّار، أخوين. وطلحةُ بن عُبيد الله وكعبُ بن مالك[3] أخو بني سَلِمة، أخوين. وسعيدُ بن زيد بن عمرو بن نُفَيل وأُبيُّ بن كعب أخو بني

= «طبقات ابن سعد» ٣/ ٥٤٠، وأنّه انفرد بذلك، وذكر أنّ المؤاخاة إنما كانت بين معاذٍ وعبد الله ابن مسعود.

(١) يخالف قولَ ابن إسحاق هذا ما ثبت عن أنس بن مالك عند أحمد (١٢٥٤٥) ومسلم (٢٥٢٨): أن رسول الله ﷺ آخى بين أبي عبيدة بن الجرّاح وبين أبي طلحة. وهذا أصحُّ وأَسند. وأبو طلحة: اسمه زيد بن سهل، وهو من بني النجّار.

(٢) يخالف قولَ ابن إسحاق هذا في مؤاخاة الزبير وسلمة ما ثبت عن عروة بن الزبير عند ابن سعد ٤/ ٣٩٤ والحاكم (٨٠٢٤) وغيرهما: أنّ مؤاخاة الزبير كانت بينه وبين كعب بن مالك أخي بني سَلِمة من الخزرج.

أمّا المؤاخاة بين الزبير وبين ابن مسعود فقد كانت بمكة قبل الهجرة كما في «الدرر» لابن عبد البر ص٩٢.

(٣) سبق أن مؤاخاة كعب بن مالك كانت للزبير، وذكر الزبير بن بكّار بسنده إلى الزهريّ ـ كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر ٢٥/ ٦٦-٦٧ ـ أن النبيّ ﷺ آخى بين طلحة وبين أبي أيوب الأنصاريّ أخي بني النَّجّار.

النَّجّار، أخوين . ومُصعَبُ بن عُمَير بن هاشم وأبو أيّوب خالدُ بن زيدٍ أخو بني النَّجّار، أخوين[1] . وأبو حُذَيفة بن عُتْبة بن رَبيعة وعبّادُ بن بِشْر بن وَقْش أخو بني عبد الأشهَل، أخوين. وعمّارُ بن ياسرٍ حليفُ بني مخزومٍ وحُذَيفةُ بن اليمان أخو بني عَبْسٍ حليفُ بني عبد الأشهَل، أخوين، ويقال: بل ثابتُ بن قيس بن الشَّمّاس أخو بَلْحارثِ بن الخَزرَج خطيبُ رسول الله ﷺ وعمارُ بن ياسرٍ، أخوين. وأبو ذرٍّ ـ وهو بُرَير بن جُنَادة الغِفَاريّ ـ والمنذرُ بن عمرٍو المُعنِقُ ليموتَ[2] أخو بني ساعدة ابن كعب بن الخَزرَج، أخوين.

قال ابن هشام: وسمعتُ غيرَ واحدٍ من العلماء يقول: أبو ذرٍّ جُندُب بن جُنَادة[3] .

قال ابن إسحاق: وكان حاطبُ بن أبي بَلْتَعةَ حليفُ بني أَسد بن عبد العُزَّى وعُوَيمُ ابن ساعدةَ أخو بني عمرو بن عوف، أخوين. وسلمانُ الفارسيُّ وأبو الدَّرداءِ عُوَيمِرُ

---

(١) وقيل: بين مصعب وبين ذكوان بن عبد قيس أخي بن زُرَيق من الخزرج، كما في «طبقات ابن سعد» ٣/ ١١١ .

(٢) المعنِق، أي: المُسرِع، وإنّما لقِّب بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة. قاله الخُشَنيُّ في «إملائه» ص٢٨٤ .

وقال الواقديُّ ـ كما في «الطبقات» لابن سعد ٣/ ٥١٤ ـ: إنما آخى رسول الله ﷺ بين المنذر بن عمرو وطُلَيب بن عُمير القرشيّ العبديّ، وأنكر المؤاخاة بين المنذر وأبي ذر وقال: كيف يكون هذا هكذا وإنما آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه قبل بدر، وأبو ذر يومئذٍ غائب عن المدينة ولم يشهد بدراً ولا أحداً ولا الخندق، وإنما قَدِمَ على رسول الله ﷺ المدينةَ بعد ذلك.

قلنا: والمنذر قُتل بعد أُحد بأشهرٍ يوم بئر مَعُونة، وكان هو أميرَ تلك السَّرِيّة، فكلام ابن إسحاق في هذه المؤاخاة ذهولٌ منه.

(٣) قد اختُلف في اسم أبي ذرٍّ اختلافاً كثيراً، وأكثر وأصح ما قيل فيه: جُندب بن جُنادة. وانظر «معجم الصحابة» للبغويّ ١/ ٥٢٧-٥٢٨، و«أسد الغابة» لابن الأثير ٥/ ٩٩ .

ابن ثَعلَبة أخو بَلْحارثِ بن الخَزرَج، أخوين[1].

قال ابن هشام: عُوَيمِر بن عامر، ويقال: عُويمِر بن زيد.

قال ابن إسحاق: وبلالٌ مولى أبي بكرٍ مؤذِّنُ رسول الله ﷺ، وأبو رُوَيحة عبدُ الله ابن عبد الرَّحمن الخَثعَميُّ ثمّ أَحدُ الفَزَع[2]، أخوين.

فهؤلاءِ مَن سُمِّيَ لنا ممَّن كان رسول الله ﷺ آخَى بينه من أصحابه.

فلمّا دَوَّنَ عمرُ بن الخطّابِ الدَّوَاوينَ[3] بالشّام، وكان بلالٌ قد خرج إلى الشّام فأقام بها مجاهداً، قال عمرُ لبلالٍ: إلى من تَجعلُ ديوانَك يا بلال؟ قال: مع أَبي رُوَيحة، لا أفارقُه أبداً للأُخوّة التي كان رسول الله ﷺ عَقَدَ بينه وبيني؛ فضُمَّ إليه، وضُمَّ ديوانُ الحَبَشة إلى خَثعَمَ لمكان بلالٍ منهم، فهو في خَثعَمَ إلى هذا اليوم بالشّام.

موت أبي أُمامة أسعدَ بن زُرَارة
وقولُ النبيِّ ﷺ لبني النَّجّار في النِّقابة

قال ابن إسحاق: وهَلَكَ في تلك الأشهُر أبو أُمامة أسعدُ بن زُرَارة والمسجدُ يُبنَى،

---

(١) قد ثبتت هذه المؤاخاة بين سلمان وأبي الدرداء في حديث أبي جُحيفة عند البخاري برقم (١٩٦٨).

ومن هذا الحديث يُستدَلُّ على أن النبيَّ ﷺ استمرَّ يجدّد المؤاخاةَ بحَسَب من يدخل في الإسلام أو يحضر إلى المدينة، كما قال ابن حجر في «فتح الباري» ١١/ ٥١٧، وذلك أنّ هذه المؤاخاة بينهما كانت بعد أُحد، فإن عتقَ سلمان من رِقِّه كان بعدها، وإسلام أبي الدرداء كان بعدها أيضاً في قول الواقديّ.

(٢) قال السهيليُّ في «الروض» ٤/ ٢٩٨: الفَزَع هذا بفتح الزاي، وهو عند أهل النَّسب ابنُ شَهران بن عِفْرِس بن حُلْف بن أفتَلَ، وأفتلُ هو خَثعَم.

(٣) جمع ديوان، وهو الدَّفتر الذي يُكتَب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء، قال ابن الأثير في «النهاية»: وهو فارسيٌّ معرَّب.

أَخَذَتْه الذُّبَحةُ أو الشَّهْقةُ[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن أسعد بن زُرَارة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «بِئسَ الميِّتُ أبو أُمامةَ ليهودَ ومُنافقي العربِ، يقولون: لو كان نبيّاً لم يَمُتْ صاحبُه، ولا أَملِكُ لنَفْسي ولا لصاحبي من الله شيئاً»[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة الأنصاريُّ: أنّه لمّا مات أبو أُمامة أسعدُ بن زُرَارة، اجتَمَعَت بنو النَّجّار إلى رسول الله ﷺ، وكان أبو أُمامة نَقِيبَهم،

---

(١) الذُّبحة، بفتح الباء وقد تُسكَّن: قرحة تخرج في الحلق فينسدُّ معها، وينقطع بها النَّفَس فتقتل. والشّهقة: الصّيحة والأنين، وكأنه هنا بمعنى الذُّبحة.

(٢) حديث صحيح بطرقه، وهو هنا مرسل رجاله ثقات.

وأخرجه أحمد (١٧٢٣٨)، والحاكم (٧٦٨٥) من طريق ابن شهاب، عن أبي أمامة بن سهل ابن حنيف: أن النبي ﷺ عاد أسعد بن زرارة... وفيه: أن رسول الله ﷺ كَوَاه منها. وهو مرسل أيضاً ورجاله ثقات.

وأخرجه ابن ماجه (٣٤٩٢)، والحاكم (٧٦٨٦) من طريق محمد بن عبد الرَّحمن، عن عمّه يحيى بن أسعد بن زراة: أنّ أسعد أخذه وجع... وإسناده قوي.

وأخرج أحمد (١٦٦١٨) و(٢٣٢٠٧) من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن بعض أصحاب النبي ﷺ: أنّ النبيّ ﷺ كوى سعداً ـ أو أسعد ـ بن زُرارة في حلقه من الذّبحة وقال: «لا أدعُ في نفسي حَرَجاً من سعد ـ أو أسعد ـ بن زرارة». وإسناده حسن.

قال السنديّ في حاشيته على «مسند أحمد»: قوله: «بئس الميت» هو إظهار لكراهة موته وثِقَله عليه.

وقوله: «ليهودَ» أي: قال ذلك لأجل شماتة اليهود والاستدلال به على نفي النبوّة، لا كراهة نفس الموت، والله أعلم.

فقالوا له: يا رسولَ الله، إنَّ هذا قد كان منّا حيث قد عَلِمتَ، فاجعَلْ منّا رجلاً مكانَه يُقِيمُ من أمرِنا ما كان يُقيم، فقال رسول الله ﷺ لهم: «أنتم أَخْوالي، وأنا بما فيكم، وأنا نَقِيبُكم»، وكَرِهَ رسولُ الله ﷺ أن يَخُصَّ بها بعضَهم دون بعضٍ[1]. فكان من فضل بني النَّجّار الذي يَعُدُّونَ على قومِهم، أن كان رسولُ الله ﷺ نقيبَهم.

ابتداءُ الأذان للصَّلوات

قال ابن إسحاق: فلمّا اطمأنَّ رسول الله ﷺ بالمدينة، واجتمع إليه إخوانُه من المهاجرين واجتمع أمرُ الأنصار، استَحكَمَ أمرُ الإسلام، فقامت الصلاةُ وفُرِضَت الزَّكاةُ والصِّيامُ، وقامت الحدودُ، وفُرِضَ الحلالُ والحرامُ، وتَبوَّأَ الإسلامُ[2] بين أظهُرِهم، وكان هذا الحيُّ من الأنصار هم الذين تَبوَّءُوا الدارَ والإيمانَ.

وقد كان رسول الله ﷺ حين قَدِمَها إنّما يجتمع الناسُ إليه للصلاة لحينِ مواقيتِها بغير دعوة، فهَمَّ رسول الله ﷺ أن يجعلَ بُوقاً كبُوقِ يهودَ الّذي يَدْعُون به لصلاتهم، ثمّ كَرِهَه، ثمّ أمَرَ بالنّاقُوسِ، فنُحِتَ ليُضرَبَ به للمسلمين للصّلاة.

فبَيْنا هم على ذلك، رأَى عبدُ الله بن زيد بن ثَعلَبة بن عبد رَبِّه أخو بَلْحارثِ بن الخَزرَج النِّداءَ، فأَتى رسولَ الله ﷺ فقال له: يا رسول الله، إنّه طافَ بي هذه اللَّيلةَ

---

(١) ضعيف لإرساله، وعاصم بن عمر بن قتادة أنصاريٌّ أَوسيٌّ، من صغار التابعين، وهو ثقة عالم بالمغازي.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٩٨ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

ويشهد له حديث عبد الرَّحمن بن أبي الرِّجال الأنصاريّ النَّجّاريّ معضلاً عند ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٥٦٥، والحاكم (٤٩١٧)، من رواية الواقديِّ عنه، لكن الواقديُّ فيه مقال عند أهل الحديث.

(٢) أي: نزل في تلك البلاد واتخذها منزلاً وداراً.

طائفٌ، مَرَّ بي رجلٌ عليه ثوبانِ أخضرانِ يَحمِلُ ناقوساً في يده، فقلت: يا عبدَ الله، أتَبيعُ هذا النّاقوسَ؟ قال: وما تَصنَعُ به؟ قال: قلت: نَدعُو به إلى الصّلاة، قال: أفلا أدُلُّك على خيرٍ من ذلك؟ قال: قلت: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبَرُ الله أكبَر، الله أكبَرُ الله أكبَر، أشهَدُ أن لا إلهَ إلّا الله، أشهَدُ أن لا إلهَ إلّا الله، أشهَدُ أنَّ محمَّداً رسولُ الله، أشهَدُ أنَّ محمَّداً رسولُ الله، حَيَّ على الصَّلاة، حَيَّ على الصَّلاة، حَيَّ على الفَلَاح، حَيَّ على الفَلَاح، الله أكبَرُ الله أكبَر، لا إلهَ إلّا الله.

فلمّا أخبَرَ بها رسولَ الله ﷺ، قال: «إنَّها لَرُؤْيا حقٍّ إنْ شاءَ الله، فقُمْ مع بلالٍ فأَلْقِها عليه فليُؤذِّنْ بها، فإنَّه أَندَى صوتاً[1] منك»، فلمّا أذَّنَ بها بلالٌ سَمِعَها عمرُ بن الخَطّابِ وهو في بيته، فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يَجُرُّ رِداءَه وهو يقول: يا نبيَّ الله، والّذي بَعَثَك بالحقِّ، لقد رأيتُ مِثلَ الّذي رأَى، فقال رسول الله ﷺ: «فللّهِ الحمدُ».

قال ابن إسحاق: حدّثني بهذا الحديث محمّدُ بن إبراهيم بن الحارث، عن محمّد ابن عبد الله بن زيد بن ثَعلَبة بن عبد ربِّه، عن أبيه[2].

قال ابن هشام: وذَكَرَ ابنُ جُرَيجٍ قال: قال لي عطاءٌ: سمعت عُبيدَ بن عُميرٍ اللَّيثيّ يقول: ائتمَرَ النبيُّ ﷺ وأصحابُه بالنّاقوس للاجتماع للصَّلاة، فبينما عمرُ بن

---

(١) أي: أرفع وأعلى صوتاً، وقيل: أحسن وأعذب، وقيل: أبعد.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٦٤٧٨)، وأبو داود (٤٩٩)، وابن ماجه (٧٠٦)، والترمذي (١٨٩)، وابن حبان (١٦٧٩) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وقال الترمذيُّ: حديث حسن صحيح.

وقد روي من غير وجهٍ نحوُ هذا الخبر في رؤيا عبد الله بن زيدٍ للأذان، فانظر «مسند أحمد» (١٦٤٧٧) والتعليق عليه.

الخَطّاب يريد أن يشتريَ خشبتَينِ للنّاقوس، إذ رأَى عمرُ بن الخَطّاب في المَنام: لا تَجعَلوا النّاقوسَ، بل أَذِّنوا للصَّلاة، فذهب عمرُ إلى النبيِّ ﷺ ليُخبِرَه بالّذي رأَى، وقد جاء النبيَّ ﷺ الوحيُ بذلك، فما راعَ عمرَ إلّا بلالٌ يؤذِّنُ، فقال رسول الله ﷺ حين أخبَرَه بذلك: «قد سبَقَك بذلك الوحيُ»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّد بن جعفر بن الزُّبير، عن عُرْوة بن الزُّبير، عن امرأةٍ من بني النَّجّار قالت: كان بيتي من أطولِ بيتٍ حولَ المسجد، فكان بلال يُؤذِّنُ عليه للفجر كلَّ غَدَاةٍ، فيأتي بسَحَرٍ فيجلسُ على البيت ينتظرُ الفجرَ، فإذا رآه تَمطَّى ثمّ قال: اللهمَّ إنّي أحمَدُك وأستَعِينُك على قريشٍ أن يُقِيموا دِينَك، قالت: ثمّ يؤذِّنُ، قالت: والله ما عَلِمتُه كان يَترُكها ليلةً واحدةً[2].

أمرُ أبي قيس بن أبي أنس

قال ابن إسحاق: فلمّا اطمأنَّت برسول الله ﷺ دارُه، وأظهَرَ اللهُ بها دينَه، وسَرَّه بما جَمَعَ إليه من المهاجرين والأنصار من أهل وِلايتِه، قال أبو قيسٍ صِرْمة بن أبي أنس أخو بني عَديِّ بن النَّجّار.

قال ابن هشام: أبو قيسٍ صِرْمةُ بن أبي أنس بن صِرْمة بن مالك بن عَديّ بن عامر ابن غَنْم بن عَديّ بن النَّجّار.

---

(١) ضعيف لإرساله ومخالفته ما ثبت عن عبد الله بن زيد من عدّة وجوه كما سبق: أنّ عبد الله ابن زيد هو أخبر النبيَّ ﷺ برؤيا الأذان لا الوحيُ به ابتداءً.

ووَصَل مرسل عبيد بن عميرٍ عبدُ الرزاق في «مصنفه» (١٧٧٥) عن ابن جريج، وأبو داود في «المراسيل» (٢٠) من طريق حجاج بن محمد الأعور، عن ابن جريج، بهذا الإسناد.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أبو داود في «سننه» (٥١٩) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

قال ابن إسحاق: وكان رجلاً قد تَرهَّبَ في الجاهليّة ولَبِسَ المُسُوح[1]، وفارق الأوثان، واغتَسَل من الجَنَابة وتطهَّر من الحائض من النساء، وهمَّ بالنَّصرانيّة ثمّ أمسَكَ عنها، ودخل بيتاً له فاتَّخَذَه مسجداً لا يَدخُلُه عليه فيه طامِثٌ[2] ولا جُنُب، وقال: أعبُدُ ربَّ إبراهيمَ حين فارَقَ الأوثانَ وكَرِهَها، حتّى قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ فأسلم وحَسُنَ إسلامُه وهو شيخٌ كبير، وكان قوّالاً بالحقِّ معظِّماً لله تعالى في جاهليَّته، يقول أشعاراً في ذلك حِساناً، وهو الّذي يقول:

يقولُ أبو قيسٍ وأصبَحَ غادياً[3] ... ألَا ما استطعتُم من وَصَاتِيَ فافعَلُوا
أُوصِيكمُ بالله والبِرِّ والتُّقى ... وأَعراضِكمْ، والبِرُّ باللهِ أوّلُ
وإنْ قَومُكم سادُوا فلا تَحسُدُنَّهمْ ... وإن كنتُمُ أهلَ الرِّياسةِ فاعدِلُوا
وإنْ نَزَلَت إحدى الدَّوَاهي بقومِكمْ ... فأنفُسَكم دونَ العَشِيرةِ فاجعَلُوا
وإنْ نابَ غُرْمٌ فادحٌ فارفُقُوهمُ ... وما حمَّلُوكم في المُلِمّاتِ[4] فاحمِلُوا
وإنْ أنتمُ أَمعَرتُمُ[5] فتَعفَّفُوا ... وإن كان فضلُ الخيرِ فيكم فأَفضِلُوا

قال ابن هشام: ويُروَى: وإن نابَ أمرٌ فادحٌ فارفِدُوهمُ[6].

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيسٍ صِرْمةُ أيضاً:

سَبِّحوا اللهَ شَرْقَ كلِّ صباحٍ ... طَلَعَت شَمسُهُ وكلَّ هلالِ

---

(١) جمع مِسْحٍ: وهو ثوب من شعر أسود غليظ كان يَلبَسه الرُّهبان.

(٢) الطامث: الحائض.

(٣) يعني: أصبح قريباً من الموت ذاهباً إلى ربِّه.

(٤) فادح، أي: مُثقِل، يقال: فَدَحَني الأمرُ، إذا أثقَلَني. والمُلمّات: نوازل الدهر.

(٥) أي: افتقرتم، ومن رواه: أمعزتم ـ بالزاي ـ فمعناه: أصابتكم الشِّدّة.

(٦) أي: أعطوهم وأعينوهم.

عـــالمَ السِّـــرِّ والبيـــانِ لَـــدَينا ... لـيسَ مـا قـال ربُّنـا بضَـلالِ

ولـــه الطيـــرُ تَســـتَريدُ وتَـــأْوي ... في وُكُـورٍ مـن آمنـاتِ الجبـالِ[1]

ولـــه الـــوَحْشُ بـــالفَلَاةِ تَراهـــا ... في حِقَـــافٍ وفي ظِـــلالِ الرِّمـــالِ[2]

ولـــه هَـــوَّدَت يهـــودُ ودانَـــتْ ... كـلَّ دِيـنٍ - إذا ذَكَـرْتَ - عُضَـالِ[3]

ولـــه شـــمَّسَ النَّصـــارى وقـــامُوا ... كـــلَّ عيـــدٍ لـــربِّهم واحتفـــالِ[4]

ولـــه الرّاهـــبُ الحَبِـــيسُ تَـــراهُ ... رَهْـــنَ بُـــؤْسٍ وكـــان نـــاعمَ بـــالِ[5]

يـــا بَنـــيَّ الأرحـــامَ لا تَقطَعُوهـــا ... وصِـــلُوها قَصِـــيرةً مـــن طِـــوَالِ[6]

واتَّقـــوا اللهَ في ضِـــعَافِ اليتـــامى ... ربَّمـــا يُســـتحَلُّ غيـــرُ الحـــلالِ

واعلَمـــوا أنَّ لليتـــيمِ وَلِيّـــاً ... عالمـــاً يَهتَـــدي بغيـــرِ السُّـــؤالِ

ثـــمّ مـــالَ اليتـــيمِ لا تَـــأكُلوهُ ... إنّ مـــالَ اليتـــيمِ يَرعـــاهُ والِـــي

يـــا بَنـــيَّ التُّخُـــومَ لا تَخزِلوهـــا ... إنّ خَـــزْلَ التُّخـــومِ ذو عُقّـــالِ[7]

يـــا بَنـــيَّ الأيـــامَ لا تَأمَنُوهـــا ... واحـذَرُوا مَكرَهـا ومَـرَّ اللّيـالي

واعلَمُـــوا أنّ مَرَّهـــا لنَفـــادِ الـــ ... ـخَلْـقِ مـا كـان مـن جديـدٍ وبـالي

---

(١) تستريد، أي: تذهب وترجع. والوُكور: جمع وَكْر، وهو عشُّ الطائر.

(٢) الفلاة: الصحراء. والحِقاف: جمع حِقْف، وهو ما تكدّس من الرمال وتعوَّج.

(٣) هوَّدَت: أنابت ورجعت. والعُضال: الداء المُعْيي الذي لا يَبرأ، فاستعاره هنا.

(٤) شمَّس، أي: تعبَّد.

(٥) الراهب الحبيس: الذي حبس نفسه عن اللَّذّات.

(٦) أي: صِلُوا قِصَرَها من طُولكم، أي: كونوا أنتم طِوالاً بالصلة والبر إن قَصُرَت هي.

(٧) التخوم: الحدود بين الأرَضين. وتخزلوها: تقطعوها. والعُقّال: ما يمنع الرِّجل من المشي ويَعقِلها، يريد أن الظلم يُخلّف صاحبه ويَعقِله عن السِّباق.

واجمَعُوا أمرَكم على البِرِّ والتَّقـ ـوى وتَـرْكِ الخَنَـا وأخـذِ الحـلالِ[1]

وقال أبو قيسٍ صِرمةُ أيضاً، يَذكُر ما أكرَمَهم الله به من الإسلام، وما خَصَّهم الله به من نزولِ رسول الله ﷺ عليهم:

ثَوَى في قـريشٍ بِضـعَ عشـرةَ حَجّـةً ... يُـذكِّرُ لـو يَلقَـى صـديقاً مُواتِيـا[2]

ويَعـرِضُ في أهـلِ المواسـمِ نفسَـهُ ... فلـم يَـرَ مَـن يُـؤْوي ولـم يَـرَ داعِيـا

فلمَّـــا أَتانـــا أظهَـــرَ اللهُ دِينَـــهُ ... فأصـبَحَ مسـروراً بطَيْبَـةَ راضِـيا

وأَلْفَى صديقاً واطمأنَّتْ به النَّوَى ... وكـان لـه عَوْنـاً مـن الله بادِيـا[3]

يَقُـصُّ لنـا مـا قـالَ نـوحٌ لقومِـهِ ... ومـا قالَ موسى إذْ أجابَ المُنادِيا

فأصبَحَ لا يَخشَى من النّاسِ واحداً ... قريبـاً ولا يَخشَـى مـن النّـاسِ نائِيـا

بَـذَلْنا لـه الأمـوالَ مـن جُـلِّ مالِنـا ... وأنفُسَـنا عنـدَ الـوَغَى والتّآسِـيا[4]

ونَعلـــمُ أنَّ الله لا شـــيءَ غيـــرُه ... ونَعلـــمُ أنَّ الله أفضـــلُ هادِيـــا

نُعادِي الّذي عادَى من النّاسِ كلِّهم ... جميعاً وإن كان الحبيبَ المُصافِيا

أقـولُ إذا أدعُـوكَ في كـلِّ بِيعَـةٍ ... تَبارَكتَ قد أكثَرتُ لاسمِكَ داعِيا[5]

أقـولُ إذا جـاوزتُ أرضـاً مَخُوفـةً ... حَنانَيـكَ لا تُظهِـرْ علـيَّ الأعادِيـا[6]

---

(١) الخنا: الفاحشة.

(٢) ثوى: أقام. ومواتياً: موافقاً.

(٣) أَلفى: وجد. والنَّوى: البُعد.

(٤) جُلُّ مالنا، أي: معظمُه. والوغى: الحرب. والتآسي: التعاون.

(٥) أراد بالبِيعة هنا المسجد.

(٦) حنانيك، أي: تحنُّناً بعد تحنُّن، والتحنُّن: الرأفة والرحمة.

فطَأْ مُعرِضاً إنّ الحُتُوفَ كثيرةٌ وإنّك لا تُبقِي لنفسِكَ باقِيا[1]

فواللهِ ما يَدْري الفتى كيف يَتَّقي إذا هو لَمْ يَجعَلْ له اللهُ واقِيا

ولا تَحفِلُ النَّخلُ المُقِيمةُ ربَّها إذا أصبَحَت رَيَّا وأصبَحَ ثاوِيا[2]

قال ابن هشام: البيت الّذي أوّله: فطَأْ مُعرِضاً إنّ الحُتوف كثيرة، والبيت الّذي يليه: فواللهِ ما يدري الفتى كيف يَتَّقي؛ لأُفنُونٍ التَّغلِبيّ - وهو صُرَيم بن مَعشَر - في أبياتٍ له[3].

أسماء الأعداء من اليهود

قال ابن إسحاق: ونَصَبَت عند ذلك أحبارُ يهودَ لرسول الله ﷺ العَدَاوةَ، بَغْياً وحَسَداً وضِغْناً، لِمَا خَصَّ الله تعالى به العربَ من أخذِه رسولَه منهم، وأضاف إليهم

---

(١) معرضاً، أي: متَّسعاً من الأرض. والحُتوف: جمع حَتْف، وهو الموت، والحتوف هنا: أسباب الموت وأنواعه.

(٢) النخل المقيمة، أي: الباقية المعمّرة، ووقع هنا لأبي ذرٍّ الخشنيّ في «إملائه» ص١٣٨: المُعِيمة، بالعين، وفسّرها بالعاطشة، ولا يستقيم كلامه هذا مع قوله: أصبَحَت ريَّا، أي: مرتوية من الماء.

ومعنى «لا تَحفِلُ ربَّها»: لا تُعين صاحبها ولا تنفعه بما اجتمع فيها من الماء إذا أصبح ثاوياً، وهي بالثاء في أصولنا الخطية جميعها.

ومعنى «ثاوياً»: مُقِيم، ولعلّ هذا لا يصحُّ في سياق الكلام هنا، إلا إن أراد: مقيماً في قبره، بمعنى أنه هالكٌ، ولقد ذكر الخشنيُّ أنه يروى فيه: تاوِياً، أي: هالِكاً، من التَّوى بالتاء: وهو الهلاك.

(٣) أُفنون هذا شاعرٌ جاهليٌّ، توفِّي قبل مولد النبيِّ ﷺ ببضع سنوات، وانظر قصيدته مع البيتين المذكورين في «المفضَّليّات» للمفضَّل الضَّبّي ص٢٦١، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة ١/٤١٩.

رجالٌ من الأَوس والخَزرَج ممَّن كان عَسَا على جاهليّته[1]، فكانوا أهلَ نفاقٍ على دين آبائهم من الشِّرك والتكذيب بالبَعْث، إلّا أنَّ الإسلام قَهَرَهم بظهوره واجتماع قومهم عليه، فظَهَروا[2] بالإسلام، واتَّخَذُوه جُنّةً من القتل ونافَقُوا في السِّرّ، وكان هواهم مع يهودَ، لتكذيبِهم النبيَّ ﷺ وجُحودِهم الإسلامَ، وكانت أحبارُ يهودَ هم الّذين يسألون رسولَ الله ﷺ ويَتعنَّتُونه[3]، ويأتونه باللَّبْسِ ليَلْبِسوا الحقَّ بالباطل، فكان القرآن يَنزِلُ فيهم فيما يَسأَلون عنه، إلّا قليلاً من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يَسأَلون عنها.

منهم: حُيَيُّ بن أخطَبَ، وأخواه أبو ياسر بن أخطَبَ وجُدَيُّ بن أخطَبَ، وسَلَامُ ابن مِشكَم، وكِنانةُ بن الرَّبيع بن أبي الحُقَيق، وسَلَامُ[4] بن أبي الحُقَيق أبو رافع الأعور ـ وهو الّذي قتله أصحابُ رسول الله ﷺ بخيبر ـ والرَّبيعُ بن الرَّبيع بن أبي الحُقَيق، وعمرُو بن جِحَاش، وكعبُ بن الأشرَف ـ وهو من طيِّئ ثم أَحدِ بني نَبْهان، وأمُّه من بني النَّضِير ـ والحَجّاجُ بن عمرو حليفُ كعب بن الأشرَف، وكَرْدَمُ بن قيس حليفُ كعب بن الأشرَف. فهؤلاءِ من بني النَّضِير.

ومن بني ثَعلَبة بن الفِطْيَونِ: عبدُ الله بن صُورِي الأعورُ، ولم يكن بالحجاز في

---

(١) أي: بقي واشتدّ، يقال: عسا العودُ يعسو عَسْواً، إذا يَبِسَ واشتدّ.

(٢) في (ت): فظاهروا.

(٣) يتعنّتونه، أي: يشقُّون عليه. واللَّبْس: المُشكِل المختلط من الأمور.

(٤) اختُلف في لام سلام بن مِشكَم وابن أبي الحُقيق، أهي مخفَّفة أم مشدَّدة، والراجح فيهما التخفيف.

انظر «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين الدمشقي ٥/ ٢١٨، و«تبصير المنتبه» لابن حجر العسقلاني ٢/ ٧٠٣-٧٠٤.

زمانه أحدٌ أعلمَ بالتَّوراة منه، وابنُ صَلُوبَا، ومُخَيرِيقٌ، وكان حَبْرَهم[1].

ومن بني قَينُقاعَ: زيدُ بن اللُّصَيت - ويقال: ابن اللُّصيب[2] فيما قال ابنُ هشام - وسعدُ بن حُنَيف، ومحمودُ بن سَيْحان، وعُزَير بن أبي عُزَير[3]، وعبدُ الله بن صَيْف.

قال ابن هشام: ويقال: ابن ضَيْف.

قال ابن إسحاق: وسُوَيدُ بن الحارث، ورِفاعةُ بن قيس، وفِنْحاصُ، وأَشْيَعُ، ونُعْمانُ بن أَضَا[4]، وبَحرِيٌّ بن عمرو، وشَأْسُ بن عَديّ، وشأسُ بن قيس، وزيدُ بن الحارث، ونُعْمانُ بن عمرو، وسُكَينُ بن أبي سُكَين، وعَديُّ بن زيد، ونُعْمانُ بن أبي أَوفى أبو أَنس، ومحمودُ بن دِحْية، ومالكُ بن صَيْف.

قال ابن هشام: ويقال: ابن ضَيْف.

قال ابن إسحاق: وكعبُ بن راشدٍ، وعازَرُ، ورافعُ بن أبي رافع، وخالدٌ، وأَزَارُ ابن أبي أَزَار.

قال ابن هشام: ويقال: آزَرُ بن آزَر.

---

(١) في نسخة على حاشية (ص): خيرهم، وصحّح عليها.

(٢) في (ص) و(م): ويقال النُّصيت. وفي حاشيتهما: الصُّلَيت ويقال: ابن اللُّصيب.

وقُيّد اللّصيت في نسخة (ت) بفتح اللام وكسر الصاد على وزن عَظيم، وكذلك فعل ابن حجر في «فتح الباري» ٢٤/ ٢٤٢، بينما قيّده في «الإصابة» ٢/ ٦١٩ بالتصغير كما في بعض نسخنا، وكذلك قيّده الصالحيُّ في «سبل الهدى والرشاد» ٥/ ٤٨٩، على أنّه تصغير اللَّصْت، وهو اللِّصُّ في لغة طيِّئ.

وانفرد ابن الأثير في «أسد الغابة» ٢/ ١٤٧ فنقل عن ابن هشام أنه قال: يقال فيه: نصيب؛ وقيّده ابن الأثير فقال: يعني بالنون في أوله والباء في آخره!

(٣) في (ش١): عُزير بن أبي عُزير، بالراء في آخرهما، وقيِّد في (م) بالوجهين.

(٤) في نسخة على حاشية (ص): آصَيْ، وصحّح عليها، وفي (ي): أصي.

قال ابن إسحاق: ورافعُ بن حارثة، ورافعُ بن حُرَيملة، ورافعُ بن خارِجة، ومالكُ ابن عَوف، ورِفاعةُ بن زيد بن التّابُوت، وعبدُ الله بن سَلَام بن الحارث، وكان حَبْرَهم وأعلمَهم، وكان اسمه الحُصَين فلمّا أسلَمَ سمّاه رسولُ الله ﷺ عبدَ الله. فهؤلاءِ بنو قَينُقاعَ.

ومن بني قُرَيظةَ: الزَّبِيرُ بن باطَا بن وَهْب، وعَزَّال بن سَمْوالَ[1]، وكعبُ بن أسدٍ، وهو صاحب عَقْد بني قُرَيظة الّذي نُقِضَ عامَ الأحزاب، وشَمْويلُ بن زيد، وجَبَل ابن عمرو بن سُكَينة، والنَّحّامُ بن زيد، وقَردَمُ بن كعب، ووهبُ بن زيد، ونافعُ بن أبي نافع، وأبو نافع، وعَديُّ بن زيد، والحارثُ بن عوف، وكَردَمُ بن زيد، وأسامةُ ابن حَبِيب، ورافعُ بن رُمَيلة، وجَبَلُ بن أبي قُشَير، ووهبُ بن يَهُوذا. فهؤلاءِ بنو قُرَيظة[2].

ومن يهودِ بني زُرَيق: لَبِيدُ بن أَعصَمَ، وهو الّذي أَخَّذَ رسولَ الله ﷺ عن نسائه[3].

ومن يهودِ بني حارثة: كِنانةُ بن صُورِيَا.

---

(١) هكذا في (ت) و(ش١) و(غ) و(ق١)، وفي (ص) و(م) و(ي): شَمْويل.

(٢) في (ت): فهؤلاء يهود بني قريظة.

(٣) أي: عَقَدَ له سِحراً حتّى كان يرى أنه يأتي نساءه ولا يأتيهن.

وقد رُوِيَت قصّة سحره ﷺ هذه عند البخاري (٥٧٦٣) ومسلم (٢١٨٩) وغيرهما من حديث عُروة بن الزبير عن خالته عائشة أمِّ المؤمنين.

ووقع في روايةٍ عند أحمد (٢٤٣٤٧): أنَّ رسول الله ﷺ لبث كذلك ستةَ أشهر، وهي رواية شاذَّة، فإنّ المحفوظ في سائر روايات حديث عائشة هذا قولها فيه: لَبِثَ كذا وكذا، دون توقيت فيه، ووقع في حديث زيد بن أرقم عند أحمد (١٩٢٦٧) والنسائي في «المجتبى» (٤٠٨٠): أنَّ النبيَّ ﷺ اشتكى لذلك أيّاماً، وهذا رجاله ثقات، وهو أصحُّ وأقربُ إلى القَبُول، والله تعالى أعلم.

ومن يهودِ بني عمرو بن عوف: قَردَمُ بن عمرو.

ومن يهودِ بني النَّجَار: سِلسِلةُ بن بَرْهامَ[1].

فهؤلاءِ أحبارُ يهودَ، أهلُ الشُّرور والعداوة لرسول الله ﷺ، وأصحابُ المسألة، والنَّصْب لأمر الإسلام ليُطفِئُوه، إلّا ما كان من عبد الله بن سَلَامٍ ومُخيرِيقٍ.

إسلام عبد الله بن سَلَام

قال ابن إسحاق: وكان من حديثِ عبد الله بن سَلَام ـ كما حدّثني بعضُ أهله عنه ـ وإسلامِه حين أسلَمَ، وكان حَبْراً عالماً، قال: لمّا سمعتُ برسولِ الله ﷺ عرفتُ صفتَه واسمَه وزمانَه الّذي كنّا نَتوكَّفُ[2] له، فكنت مُسِرّاً لذلك، صامتاً عليه حتّى قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، فلمّا نَزَلَ بقُباءٍ في بني عمرو بن عوف، أقبَلَ رجلٌ حتّى أخبَرَ بقُدومِه وأنا في رأس نَخْلةٍ لي أعملُ فيها، وعمَّتي خالدةُ بنت الحارث تحتي جالسة، فلمّا سمعتُ الخبر بقُدومِ رسول الله ﷺ كبَّرتُ، فقالت لي عمَّتي حين سَمِعَت تكبيري: خَيَّبَك اللهُ، واللهِ لو كنتَ سمعتَ بموسى بن عِمْرانَ قادماً ما زدتَ، قال: قلت لها: أيْ عمَّة، هو واللهِ أخو موسى بن عِمْران وعلى دينِه، بُعِثَ بما بُعِثَ به، قال: فقالت: أيِ ابنَ أَخي، أهو النبيُّ الّذي كنّا نُخبَرُ أنّه يُبعَثُ مع نَفَس السّاعة[3]؟ قال: قلت لها: نعم، قال: فقالت: فذاكَ إذاً. قال: ثمّ خرجتُ إلى رسول الله ﷺ فأسلمتُ، ثمّ رجعتُ إلى أهل بيتي فأمَرتُهم فأسلَمُوا.

قال: وكَتَمتُ إسلامي من يهودَ، ثمّ جئتُ رسولَ الله ﷺ فقلت: يا رسولَ الله، إنّ

---

(١) في (ت) و(ص) و(م): بَهرام.

(٢) أي: نتوقّع ونترقّب.

(٣) أي: يُبعَث وقد حان وقتُ قيامها وقَرُبَ، فأُطلق النَّفَس كناية عن القُرْب.

يهودَ قومٌ بُهْتٌ[1]، وإنّي أحبُّ أن تُدخِلَني في بعضِ بيوتك فتُغيِّبَني عنهم ثمّ تسألهم عنّي حتّى يخبروك كيف أنا فيهم قبلَ أن يَعلَمُوا بإسلامي، فإنّهم إن عَلِموا به بَهَتُوني وعابُوني.

قال: فأدخَلَني رسولُ الله ﷺ في بعض بيوته، ودخلوا عليه فكلَّموه وسألوه، ثمّ قال لهم: «أيُّ رجلٍ الحُصَينُ بن سَلَامٍ فيكم؟» قالوا: سيّدُنا وابنُ سيّدِنا، وحَبْرُنا وعالِمُنا، قال: فلمّا فَرَغُوا من قولهم خرجتُ عليهم فقلت لهم: يا معشرَ يهودَ، اتَّقُوا اللهَ واقبَلُوا ما جاءَكم به، فواللهِ إنّكم لَتعلَمُون أنّه لَرسولُ الله، تَجِدُونه مكتوباً عندكم في التَّوراةِ باسمِه وصفتِه، فإنّي أَشهَدُ أنّه رسولُ الله، وأُومِنُ به وأصدِّقُه وأَعرِفُه، فقالوا: كَذَبتَ، ثمّ وَقَعُوا بي، قال: فقلتُ لرسول الله ﷺ: ألم أُخبِركَ يا نبيَّ الله أنّهم قومٌ بُهْتٌ، أهلُ غدرٍ وكذبٍ وفُجورٍ! قال: فأظهَرتُ إسلامي وإسلامَ أهلِ بيتي، وأسلَمَت عمّتي خالدةُ بنت الحارث، فحَسُنَ إسلامُها[2].

---

(١) بسكون الهاء وضمّها: جمع بَهُوت، من البَهْت والبُهتان: وهو قول الباطل، يريد أنّهم كذّابون مُمَارون لا يرجعون إلى الحقّ.

(٢) حديث قصة إسلام عبد الله بن سلام بهذا السياق حسن إن شاء الله.

فقد أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٥٣٠-٥٣١ ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٩/ ١٠٩-١١٠ ـ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر، عن يحيى بن عبد الله، عن رجل من آل عبد الله بن سَلَام قال: كان من حديث عبد الله ابن سَلَام حين أسلم... وذكره. وعبد الله بن أبي بكر: هو ابن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاريّ، ويحيى بن عبد الله: هو ابن عبد الرَّحمن بن سعد ـ ويقال: أسعد ـ بن زُرارة الأنصاريّ، وهما تابعيّان ثقتان.

وقصة إسلامه مع ما جرى له مع أحبار يهود صحيحة رواها أنس بن مالك فيما أخرجه أحمد (١٢٠٥٧)، والبخاري (٣٣٢٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٩٧)، وغيرهم.

إسلام مُخَيريق[1]

قال ابن إسحاق: وكان من حديث مُخَيريقٍ، وكان حَبْراً عالماً، وكان رجلاً غنيّاً كثيرَ الأموال من النَّخل، وكان يَعرِفُ رسولَ الله ﷺ بصِفَتِه وما يَجِدُ في علمِه، وغَلَبَ عليه إلْفُ دِينِه، فلم يَزَلْ على ذلك حتّى إذا كان يومُ أُحدٍ، وكان يومُ أُحدٍ يومَ السَّبت، قال: يا معشرَ يهودَ، واللهِ إنّكم لتَعلَمُون أنّ نصرَ محمّدٍ عليكم لحقٌّ، قالوا: إنّ اليومَ يومُ السَّبت، قال: لا سبتَ لكم، ثمّ أخَذَ سلاحَه فخرج حتّى أَتى رسولَ الله ﷺ وأصحابَه بأُحدٍ، وعَهِدَ إلى مَن وراءَه من قومه: إنْ قُتِلتُ هذا اليومَ، فأَموالي لمحمَّدٍ يَصنَعُ فيها ما أَراه الله، فلمّا اقتَتَلَ النّاسُ قاتَلَ حتّى قُتِلَ، فكان رسولُ الله ﷺ - فيما بَلَغَني - يقول: «مُخَيريقٌ خيرُ يَهُودَ»، وقَبَضَ رسولُ الله ﷺ أموالَه، فعامّةُ صَدَقاتِ رسول الله ﷺ بالمدينة منها[2].

---

(١) هكذا في (ت) و(ش١) و(ص) و(م) و(ي)، وفي (ق١): حديث مخيريق، وليس في (غ) عنوان.

(٢) خبر ضعيف، والمرفوع منه - وهو قوله ﷺ: «مخيريق خير يهود» - لم يأت من وجه مسندٍ يُعتبَر به، وخبر مخيريق هذا لم يسنده ابن إسحاق في رواية زياد البكّائيّ ولا في رواية غيره عنه كسلمة بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٣١، وإبراهيم بن سعد عند أبي نعيم في «دلائل النبوة» (٣٨).

وقد أسند نحوه - فيما رواه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٤٣١ و٤٣٢ - محمدُ بن عمر الواقديُّ عن يحيى بن سعيد بن دينار عن أبي وَجْزة يزيد بن عبيد السَّعديّ، ورواه أيضاً عن محمد بن بشر بن حُميد عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز، وكلاهما مرسل، وشيخا الواقديِّ - وهما يحيى ابن سعيد ومحمد بن بشر - لم نقف على ترجمة لهما فهما مجهولان، والواقدي متكلَّم فيه.

وذكره مختصراً - دون المرفوع منه - ابن شبّة في «تاريخ المدينة» ١/ ١٧٥ عن الواقديّ أيضاً بإسناد لا بأس برجاله عن عبد الله بن كعب بن مالك. وعبد الله من كبار التابعين. وليس فيه =

شهادة عن صفيّة

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمَّد بن عَمرو بن حَزْم قال: حُدِّثتُ عن صَفيّة بنت حُيَيٍّ أنّها قالت: كنتُ أَحبَّ ولدِ أَبي إليه وإلى عمِّي أبي ياسرٍ لم أَلقَهُما قطُّ مع ولدٍ لهما إلّا أخَذَاني دونَه، قالت: فلمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ ونزل بقُباءٍ في بني عمرو بن عوف، غَدَا عليه أَبي حُييُّ بن أَخطَبَ وعمِّي أبو ياسر بن أخطَبَ مُغلِّسَينِ[1]، قالت: فلم يَرجِعا حتّى كان مع غروب الشّمس، قالت: فأَتَيَا كالَّينِ كسلانَينِ ساقِطَينِ يمشيان الهُوَينَى، قالت: فهَشِشْت إليهما[2] كما كنتُ أصنعُ، فواللهِ ما الْتَفَتَ إليَّ واحد منهما مع ما بهما من الغّمِّ، قالت: وسمعت عمّي أبا ياسرٍ وهو يقول لأَبي حييِّ بن أخطَبَ: أهوَ هوَ؟ قال: نعم والله، قال: أتعرِفُه وتُثبِتُه؟ قال:

= إشارة إلى إسلام مخيريق.

وقد وقع في رواية أبي وَجْزة عند الواقديِّ: أنّ مخيريقاً خرج إلى أُحد ينصر رسول الله ﷺ وهو على دينه! أي: اليهودية، وجزم السهيليُّ في «الروض» ٤/ ٤٠٨ بإسلامه، وذكره ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» ٦/ ٥٧، والله تعالى أعلم.

وروى ابن شبّة ١/ ١٧٣ من طريق عبد العزيز بن عمران، عن عبد الله بن جعفر بن المِسوَر، عن أبي عون، عن ابن شهاب قال: كانت صدقات رسول الله ﷺ أموالاً لمخيريق اليهودي، قال عبد العزيز: بلغني أنه كان من بقايا بني قينقاع، ثم رجع إلى حديث ابن شهاب قال: وأَوصى مخيريق بأمواله للنبي ﷺ، وشهد أُحداً فقُتل به، فقال رسول الله ﷺ: «مخيريق سابقُ يهود، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة».

وإسناده ضعيف جداً من أجل عبد العزيز بن عمران ـ وهو الزهري المدني الأعرج ـ فإنه متروك الحديث.

(١) الغَلَس: ظُلمة آخر الليل إذا اختلطت بضَوْء الصباح.

(٢) أي: خَفَفتُ إليهما سروراً بهما. والهُوينى: ضربٌ من المشي فيه فُتُور.

نعم، قال: فما في نفسِك منه؟ قال: عداوتُه واللهِ ما بَقِيتُ[1].

من اجتمع إلى يهودَ من منافقي الأوس والخزرج[2]

قال ابن إسحاق: وكان مَن أضافَ إلى يهودَ، ممّن سُمِّيَ لنا من المنافقين من الأَوس والخَزرَج، والله أعلم.

من الأَوس ثمّ من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأَوس ثم من بني لَوْذانَ بن عمرو بن عوف: زُوَيُّ بن الحارث.

ومن بنى حُبيِّب[3] بن عمرو بن عوف: جُلَاسُ بن سُوَيد بن صامت، وأخوه

---

(١) عبد الله بن أبي بكر من صغار التابعين، وهو ثقة حافظ عالم بالمغازي.

ورواه عن ابن إسحاق أيضاً يونس بن بكير عند البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٥٣٣، وإبراهيم ابن سعد عند أبي نعيم في «الدلائل» أيضاً (٣٧)، لكن قال إبراهيم في روايته عن ابن إسحاق: عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، حدثنا محمد بن عمرو بن حزم قال: حُدِّثتُ عن صفية... كذا وقع في المطبوع، وهو خطأ، فإنّ عبد الله بن أبي بكر لم يدرك جدَّه محمداً، وُلِدَ بعده بسنتين.

(٢) هذا العنوان ليس في (غ) و(ق١)، وجاء في سائر النسخ (ت) و(ش١) و(ص) و(م) و(ي): من اجتمع إلى يهود من منافقي الأنصار. وهذا غلطٌ وقع فيه أصحاب هذه النسخ عفا الله عنهم، فليس في الأنصار ـ الذين شرَّفهم اللهُ ورسولُه بهذا الاسم ـ منافقٌ ولله الحمد، وما كان فيهم إلّا مؤمن صادق الإيمان بشهادة الله لهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٧٤] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر:٩]، ولذلك رأينا الصواب في تغييره إلى: الأوس والخزرج، كما عبَّر عنه ابن إسحاق في كلامه، والله وليُّ التوفيق.

(٣) هكذا قُيِّد في بعض نسخنا الخطية، بالتصغير وتشديد الياء، وكذلك قيّده ابن ماكولا في «الإكمال» ٢/ ٣٠٠.

الحارثُ بن سُوَيد.

وجُلَاسٌ الذي قال ـ وكان ممَّن تَخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك ـ: لئِنْ كان هذا الرَّجلُ صادقاً، لنحنُ شرٌّ من الحُمُر، فرَفَعَ ذلك من قوله إلى رسول الله ﷺ عُمَيرُ بن سعدٍ، أحدُهم، وكان في حَجْر جُلَاس، خَلَفَ جُلَاسٌ على أمِّه بعد أبيه، فقال له عُمَير بن سعد: واللهِ يا جُلاسُ، إنَّك لأحبُّ النّاس إليَّ، وأحسَنُهم عندي يداً، وأعزُّه عليَّ أن يصيبَه شيءٌ يَكرَهُه، ولقد قلتَ مَقَالةً لئِنْ رَفَعتُها عليك لأَفضَحَنَّك، ولئِن صَمَتُّ عليها ليَهلِكَنَّ دِيني، ولَإحداهما أَيسرُ عليَّ من الأخرى، ثمّ مشى إلى رسول الله ﷺ فذَكَرَ له ما قال جُلاسٌ، فحَلَفَ جُلاسٌ بالله لرسول الله ﷺ: لقد كَذَبَ عليَّ عُمَيرٌ، وما قلتُ ما قال عُميرُ بن سعد. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة: ٧٤][1].

---

(١) خبر صحيح، وقد وصله ابن إسحاق في رواية عبد الله بن إدريس عنه عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٤٢ فقال: حدثني الزُّهريّ، عن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، عن جدِّه كعب. وهذا إسناد صحيح.

ثم رواه ابنُ أبي حاتم من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق قال: حدثنا محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وسلمةُ عنده غرائب وأفراد، فإن كان ضبطه فيكون لابن إسحاق فيه طريقان، ومحمد بن أبي محمد شيخ ابن إسحاق فيه مجهول، وزاد في آخر روايته: فزعموا أنّه تاب وحَسُنَت توبته حتى عُرف منه الإسلام والخير.

ويشهد لخبر الجُلاس هذا وتوبته ممّا قال، مرسلُ عُروة بن الزبير عند عبد الرزاق في «مصنفه» (١٨٣٠٣)، وابن شبّة في «تاريخ المدينة» ١/ ٣٥٥-٣٥٦، وأبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٢٨٣)، ورجاله ثقات.

قال ابن هشام: الأَليم: المُوجِع، قال ذو الرُّمّة يَصِفُ إبلاً:

ونَرفَعُ من صُدورِ شَمَردَلاتٍ يَصُكُّ وجوهَها وَهَجٌ أَليمُ[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: فزَعَمُوا أنّه تاب فحَسُنَت توبتُه، حتّى عُرِفَ منه الإسلام والخير.

وأخوه الحارثُ بن سُوَيد، الّذي قَتَلَ المُجذَّرَ بن ذِيَادٍ البَلَويَّ وقيسَ بن زيدٍ أحدَ بني ضُبَيعة يوم أُحد؛ خرج مع المسلمين ـ وكان منافقاً ـ فلمّا الْتَقَى النّاسُ عَدَا عليهما فقتلهما ثمّ لَحِقَ بقريش.

قال ابن هشام: وكان المجذَّرُ بن ذِيَادٍ قتل سُوَيدَ بن صامتٍ في بعض الحروب الّتي كانت بين الأَوس والخَزرَج، فلمّا كان يومُ أُحدٍ طَلَبَ الحارثُ بن سُوَيد غِرَّةَ المجذَّر بن ذِيَادٍ ليقتلَه بأبيه، فقتله وحدَه، وسمعتُ غيرَ واحدٍ من أهل العلم يقوله، والدليلُ على أنَّه لم يَقتُل قيسَ بنَ زيدٍ، أنَّ ابن إسحاق لم يَذكُرْه في قتلى أُحد.

قال ابن إسحاق: قَتَل سويدَ بن صامتٍ معاذُ ابن عَفْراءَ غِيلةً في غير حربٍ، رَمَاه بسهمٍ فقتله قبلَ يومِ بُعَاث.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ ـ فيما يَذكُرون ـ قد أمَرَ عمرَ بن الخطّاب بقتله إن هو ظَفِرَ به، ففاتَه فكان بمكّة، ثمّ بَعَثَ إلى أخيه جُلَاسٍ يَطلُب التَّوبةَ ليَرجِعَ إلى قومه، فأَنزل الله فيه ـ فيما بَلَغَني عن ابن عبّاس ـ: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

(١) أي: نرفع من صدور رواحلنا نستحثُّها في السَّير، وشَمَردلات: هي نُوقٌ طِوال سِراع، يصكُّ: يضرب، وَهَج: حرٌّ شديد. قاله أبو نصر الباهليّ في «شرح ديوان ذي الرُّمّة» ٢/ ٦٧٨.

[آل عمران:٨٦] إلى آخر القصّة[1].

---

(١) حديث ابن عبّاس أخرجه أحمد (٢٢١٨)، والنسائي في «المجتبى» (٤٠٦٨) و«الكبرى» (١٠٩٩٩)، وابن حبان (٤٤٧٧)، والحاكم (٢٦٦٠) و(٨٢٩١) من طريق داود بن أبي هند عن عِكْرمة عنه قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثمّ ارتدَّ ولحق بالمشركين، ثمّ تندَّم فأرسل إلى قومه: سَلُوا لي رسول الله ﷺ: هل لي من توبة؟ فجاء قومه إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنّ فلاناً قد ندم وإنّه أمرنا أن نسألك: هل له من توبة؟ فنزلت: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ...﴾، فأرسل إليه قومه فأسلم، فقبل النبيُّ ﷺ ذلك منه وخلَّى عنه. وإسناده صحيح، ولم يُسمَّ فيه هذا الرجل الذي ارتدَّ.

وسمَّاه محمّد بن السائب الكلبيّ في روايته عن أبي صالح عن ابن عبّاس عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (١٧١٨) و(٢٠٦٨) الحارثَ بنَ سويد بن الصامت، لكن الكلبيّ هذا متَّهم متروك عند أهل الحديث، ولعلَّ ابن إسحاق تلقَّفه منه، فهو أحد مشايخه.

وروي عن مجاهدٍ مرسلاً مثل رواية الكلبيِّ إلّا أنه قال فيه: الحارث بن سويد، ولم يزد في نسبه، أخرجه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٢٥، ومسدَّد في «مسنده» كما في «المطالب العالية» لابن حجر (٣٥٦١)، ومن طريقهما رواه الطبري في «تفسيره» ٥/ ٥٥٨، والواحدي في «أسباب النزول» (٢٢٦م). فلذلك ذهب بعض أهل العلم إلى أنّ الحارث الذي نزلت فيه الآية المذكورة رجلٌ آخر وليس بابن الصامت، وهو قرشيٌّ وليس أنصاريّاً، فانظر «الاستيعاب» لابن عبد البر ص١٥١، و«أسد الغابة» لابن الأثير ١/ ٣٩٦، لكن ابن عبّاس نصَّ فيما صحَّ عنه كما سبق على أنّه من الأنصار.

وفي كلا الخبرين ـ خبر ابن عباس ومجاهد ـ لم يأت ذكرٌ لقصة قتل الحارثِ المجذَّرَ بن ذِياد، وذكرها الواقديُّ عن أشياخه فيما رواه عنه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٣١٣-٣١٤.

وذكر ابن الأثير في كتابه ١/ ٣٩٧: أنّه لا خلاف بين أهل الأثر أنّ هذا قتله النبيُّ ﷺ بالمجذَّر ابن ذِيَاد، لأنّه قتل المجذَّرَ يوم أُحد غِيلةً. كذا قال ابن الأثير، مع أن الشافعيَّ رحمه الله قد نفى ثبوتَ خبر قتل المجذَّر غِيلةً، فقال فيما نقله عنه البيهقي في «السنن الكبرى» ٨/ ٥٧: لا أعرفه إلى يومي هذا ثابتاً.

ومن بني ضُبيعةَ بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف: بِجَادُ بن عثمان ابن عامر.

ونَبتَلُ بن الحارث[1]، وهو الّذي قال له رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ: «مَن أحبَّ أن يَنظُرَ إلى الشَّيطان، فليَنظُرْ إلى نَبتَلِ بن الحارثِ»[2]، وكان رجلاً جَسيماً أَدلَمَ، ثائرَ شعر الرَّأس، أحمرَ العينَينِ أسفَعَ الخدَّينِ[3].

وكان يأتي رسولَ الله ﷺ يَتحدَّثُ إليه، فيسمعُ منه ثمّ يَنقُلُ حديثَه إلى المنافقين، وهو الّذي قال: إنّما محمّدٌ أُذُنٌ، مَن حدَّثَه شيئاً صدَّقَه، فأَنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٦١][4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ رجال بَلْعَجلانِ[5] أنّه حُدِّث: أنّ جبريل أَتى رسولَ الله ﷺ فقال له: إنّه يَجلِسُ إليك رجلٌ أدلَمُ، ثائرُ شعرِ الرَّأس، أسفَعُ الخَدَّينِ،

---

(١) زاد قبله في (ي) ونسخة أشار إليها في (ص): ومن بني لوذان بن عمرو بن عوف. وهذا غلط، فإنّ نبتلاً هذا من بني ضبيعة، وسيرد ذكره مرة أخرى في أسماء مَن بنى مسجد الضِّرار ٤/ ٢٧٤، وانظر «الإصابة» لابن حجر ٦/ ٤١٨.

(٢) منكر ضعيف لإعضاله وإبهام رواته. ولم نقف عليه عند غير ابن إسحاق.

(٣) الجسيم: العظيم الجسم. والأَدلم: الأسود الطويل من كل شيء. وثائر شعر الرأس، أي: مُرتفِعه. والسُّفعة: حُمْرة تضرب إلى السَّواد.

(٤) أسنده بنحوه سلمةُ بن الفضل عن ابن إسحاق عن محمّد بن أبي محمّد عن عِكْرمة أو سعيد بن جُبير عن ابن عبّاس، أخرجه من هذا الطريق ابن أبي حاتم في «التفسير» ٦/ ١٨٢٦، ومحمد بن أبي محمد مجهول لم يرو عنه غير ابن إسحاق.

(٥) في نسخة على حاشية (ص): بني العجلان، بفكّ الإدغام.

أحمرُ العينَينِ كأنّهما قِدْرانِ من صُفْرٍ[1]، كَبِدُه أغلظُ من كَبِد الحمار، يَنقُلُ حديثَك إلى المنافقين، فاحذَرْه[2]. وكانت تلك صفةَ نَبتَل بن الحارث فيما يَذكُرون.

وأبو حَبِيبة[3] بن الأزعَرِ، وكان ممّن بنى مسجدَ الضِّرَار.

وثَعلَبةُ بن حاطبٍ ومُعتِّبُ بن قُشَير، وهما اللَّذانِ عاهَدا اللهَ: ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [التوبة:٧٥] إلى آخر القصّة[4].

ومُعتِّبٌ الّذي قال يوم أُحد: لو كان لنا من الأمر شيءٌ ما قُتِلْنا هاهنا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك من قوله: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٤] إلى آخر

---

(١) الصُّفْر: النّحاس.

(٢) ضعيف لإرساله وإبهام راويه.

(٣) زاد قبله في (ص) و(م) و(ي): ومن بني ضُبيعة.

(٤) روى ابن إسحاق هذا عن عمرو بن عبيد عن الحسن البصريّ كما في رواية سلمة بن الفضل عنه عند الطبري في «تفسيره» ١١/ ٥٨٢. وهذا مرسل ضعيف، وعمرو بن عبيدٍ ليس بثقة.

وروى نحوه الطبري أيضاً ١١/ ٥٧٧-٥٧٨، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٤٩، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٨٩ بسند ضعيف من طريق العوفيِّين عن ابن عبّاس، في ثعلبة وحده دون معتِّب.

وقد اشتَهر فيما بين أهل التفسير حديث طويل في قصة منع ثعلبة بن حاطب للزكاة ثمّ رجوعه عن ذلك إلّا أنَّ النبيَّ ﷺ لم يقبلها منه، ثم جاء بها إلى أبي بكر في خلافته فلم يقبلها، ثم جاء بها إلى عمر فلم يقبلها، ثم جاء بها إلى عثمان فلم يقبلها ومات في خلافته، وهو سياق طويل منكرٌ، أخرجه الطبري في «تفسيره» ١١/ ٥٧٨-٥٨٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» أيضاً ٦/ ١٨٤٧، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٧٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٤٨) وفي «الدلائل» ٥/ ٢٨٩-٢٩٢ من طريق مُعان بن رفاعة، عن علي بن يزيد الألَهاني، عن القاسم أبي عبد الرَّحمن، عن أبي أُمامة الباهليّ. وهذا إسناد ضعيف جداً، فالألهاني متفق على ضعفه، والراوي عنه ليِّن الحديث، وأشار البيهقيُّ في كتابيه إلى ضعف هذا الخبر.

القصة[1].

وهو الّذي قال يومَ الأحزاب: كان محمّدٌ يَعِدُنا أن نأكلَ كنوزَ كِسرَى وقَيصَرَ، وأحدُنا لا يأمَنُ أن يذهبَ إلى الغائط، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١٢][2].

والحارثُ بن حاطبٍ.

قال ابن هشام: مُعتِّبُ بن قُشَيرٍ وثَعلَبةُ والحارثُ ابنا حاطبٍ ـ وهما من بني أُميّة ابن زيد ـ من أهل بدرٍ[3] وليسوا من المنافقين فيما ذَكَرَ لي مَن أثِقُ به من أهل العلم،

---

(١) أسنده غير واحد عن ابن إسحاق، فقد أخرجه ابن راهويه في «مسنده» كما في «المطالب العالية» لابن حجر (٤٢٦٠)، والطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٨، وابن أبي حاتم في «تفسيره» أيضاً ٣/ ٧٩٥، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٢٣)، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٧٣، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٤/ ٤٤٩، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» ٣/ (٨٦٤) من طرق عن ابن إسحاق قال: حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه، عن عبد الله بن الزُّبير، عن الزبير قال: والله إنّي لأسمعُ قولَ معتِّب بن قُشير أخي بني عمرو بن عوف، والنُّعاسُ يغشاني ما أسمَعُه إلا كالحُلْم حين قال: لو كان لنا من الأمر شيءٌ ما قُتلنا هاهنا. وإسناده صحيح.

(٢) أسند هذا من قول معتِّب يونسُ بن بكيرٍ عن ابن إسحاق ـ عند البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٤٣٥ ـ عن يزيد بن رُومان عن عُروة بن الزبير، وعن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القُرَظي، وعن عثمان بن كعب القرظي عن رجال من قومه، قالوا: قال معتِّب... وهذه مراسيل لا بأس برجالها، وبعضها يشدُّ بعضاً.

ورواه سلمةُ بن الفضل أيضاً عن ابن إسحاق عند الطبري في «تفسيره» ١٩/ ٣٤ من عدّة وجوه مرسلة. وسيأتي من هذه الأوجه في غزوة الخندق، فانظر ٣/ ٢٥٨ و٢٦٨.

(٣) وذكرهم ابن إسحاق فيما سيأتي فيمن شهد بدراً من الأنصار، أمّا معتِّب فقد صحَّ ما ذُكِر من قوله كما سبق، فلعلَّه تاب من كل ما نُسب إليه كما أشار إلى ذلك ابن حجر في «الإصابة» ٦/ ١٧٥، وأمّا ثعلبةُ فأغلب الظنِّ أنه لم يصحَّ ما ذُكِر عنه، وأمّا الحارث بن حاطب فلم يُؤثَر =

وقد نَسَبَ ابنُ إسحاق ثعلبةَ والحارثَ في أُميّة بن زيدٍ في أسماءِ أهل بدر.

قال ابن إسحاق: وعبّادُ بن حُنَيف أخو سَهْل بن حُنَيف، وبَحْزَجٌ، وهم ممّن كان بنى مسجدَ الضِّرَار، وعمرُو بن خِذَام، وعبدُ الله بن نَبتَلٍ.

وجاريَةُ[1] بن عامر بن العَطَّاف، وابناه زيدٌ ومُجمِّعٌ ابنا جاريةَ، وهم ممّن اتَّخَذَ مسجدَ الضِّرَار.

وكان مجمِّعٌ غلاماً حَدَثاً قد جَمَعَ من القرآن أكثرَه، فكان يُصلِّي بهم فيه، ثمّ إنَّه لمّا أُخرِبَ المسجدُ وذهب رجالٌ من بني عمرو بن عوفٍ كانوا يُصلُّون ببني عمرو ابن عوفٍ في مسجدِهم، وكان زمانُ عمر بن الخَطّاب، كُلِّمَ في مُجمِّعٍ ليصلِّيَ بهم، فقال: لا، أوليسَ بإمام المنافقين في مسجد الضِّرَار! فقال لعمر: يا أميرَ المؤمنين، واللهِ الّذي لا إلهَ إلّا هو، ما عَلِمتُ بشيءٍ من أمرِهم، ولكنّي كنتُ غلاماً قارئاً للقرآن، وكانوا لا قرآنَ معهم، فقَدَّمُوني أُصلِّي لهم، وما أَرى أمرَهم إلّا على أحسنِ ما ذَكَرُوا. فزَعَمُوا أنّ عمر تَرَكَه فصَلَّى بقومه.

ومن بني أُميّة بن زيد بن مالك: وَدِيعةُ بن ثابتٍ، وهو ممّن بنى مسجدَ الضِّرَار، وهو الّذي قال: إنَّما كنّا نَخُوضُ ونلعبُ، فأَنزل الله تعالى فيه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥] إلى آخر القصّة.

ومن بني عُبيد بن زيد بن مالك: خِذَامُ بن خالد، وهو الّذي أُخرِجَ مسجدُ الضِّرار من داره، وبِشرٌ ورافعٌ ابنا زيدٍ.

= عنه شيء تكلَّم به، وقد أكرمه الله بالشهادة في غزوة خيبر، والله تعالى أعلم.

(١) زاد قبله في (ت) و(ص) و(ي): ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف، وهذا غلطٌ، لإنّ جارية هذا من بني ضُبيعة كما في كتب التراجم.

ومن بني النَّبيت ـ قال ابن هشام: النَّبِيتُ عمرُو بن مالك بن الأَوس ـ قال ابن إسحاق: ثمّ من بني حارثة بن الحارث بن الخَزرَج بن عمرو بن مالك بن الأَوس: مِربَعُ بن قَيظِيٍّ، وهو الّذي قال لرسول الله ﷺ حين أجازَ في حائطه ورسولُ الله ﷺ عامدٌ إلى أُحد: لا أُحِلُّ لك يا محمّدُ إن كنتَ نبيّاً أن تمرَّ في حائطي، وأَخَذَ في يده حَفْنةً من تراب ثمّ قال: واللهِ لو أعلمُ أنّي لا أصيبُ بهذا التراب غيرَك، لرَمَيتُك به، فابتَدَرَه القومُ ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوهُ، فهذا الأَعمَى، أعمَى القلبِ أعمَى البصرِ»[1]، وقد ضربه سعدُ بن زيدٍ أخو بني عبد الأَشهَل بالقوس فشَجَّه.

وأخوه أَوس بن قَيظِيٍّ، وهو الّذي قال لرسول الله ﷺ يوم الخَندَق: إنّ بيوتَنا عَوْرة، فأْذَنْ لنا فلنَرجِعْ إليها، فأَنزل الله تعالى فيه: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب:١٣][2].

قال ابن هشام: عَوْرةٌ، أي: مُعوِرَةٌ للعدوِّ[3] ضائعةٌ، وجمعها: عَوْراتٌ، قال النّابغة الذُّبْياني:

---

(١) لم نقف على هذا الخبر من قول النبي ﷺ عند غير ابن إسحاق، أما بقية القصة فقد ذكرها أيضاً الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٢١٨ وصاحبه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٢٧٩.

ولمربع هذا أربعة من الأبناء: زيد ومُرارة وعبد الله وعبد الرَّحمن، كلُّهم صحبوا النبيَّ ﷺ وحَسُنَ إسلامهم، وكذا أُمُّهم عُميرة بنت ظُهير الأَوسيّة.

(٢) أسند هذا الخبر يونس بن بكير عن ابن إسحاق ـ عند البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٤٣٥ ـ عن يزيد بن رُومان عن عُروة بن الزبير، وعن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القُرَظي، وعن عثمان ابن كعب القُرظي عن رجال من قومه. وهذه أسانيد مرسلة لا بأس برجالها.

ورواه سلمةُ بن الفضل أيضاً عن ابن إسحاق عند الطبري في «تفسيره» ١٩/ ٣٤ من عدّة وجوه مرسلة.

(٣) أي: ذات عورة يُخاف فيها الانقطاع، وكلُّ عيب وخَلَل في شيءٍ فهو عَوْرة.

متى تَلقَهُمْ لا تَلْقَ للبيتِ عَوْرَةً ولا الجارَ محروماً ولا الأمرَ ضائعا[1]

وهذا البيت في أبياتٍ له.

والعَوْرة أيضاً: عَوْرةُ الرَّجل، وهي حُرْمتُه.

والعَوْرةُ أيضاً: السَّوْأة.

قال ابن إسحاق: ومن بني ظَفَرٍ - واسمُ ظَفَرٍ كعبُ بن الحارث بن الخَزرَج - حاطبُ بن أُميّة بن رافع، وكان شيخاً جَسيماً قد عَسَا في جاهليّته[2]، وكان له ابنٌ من خِيَار المسلمين يقال له: يزيدُ بن حاطبٍ، أُصِيبَ يومَ أُحدٍ حتّى أثبَتَته الجِراحاتُ، فحُمِلَ إلى دار بني ظَفَرٍ.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة: أنَّه اجتَمَعَ إليه مَن بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو بالموت، فجعلوا يقولون: أبشِرْ يا ابنَ حاطبٍ بالجنّة، قال: فنَجَمَ[3] نفاقُه حينئذٍ، فجعل يقول أبوه: أَجل، جنّةٌ من حَرْمَلٍ[4]! غَرَرتُم واللهِ هذا المِسكينَ من نفسِه[5].

---

(١) الشطر الثاني في «ديوان النابغة» صنعة ابن السِّكّيت ص٩٥، و«زهر الآداب» للقيرواني ٤/ ٩٧٧: فلا الضيفَ ممنوعاً ولا الجارَ ضائعا، وهو يمدح بهذه القصيدة آلَ جَفْنة الغساسنة.

(٢) أي: كبر واشتدّ، يقال: عَسَا العودُ يَعسُو عَسْواً، إذا يَبِسَ واشتدّ.

(٣) أي: ظهر وبانَ.

(٤) الحرمل: من نبات البادية له حبٌّ أسود.

(٥) عاصم بن عمر بن قتادة أنصاريٌّ من بني ظَفَر، أحد الثقات العلماء العارفين بالمغازي، واعتمد عليه ابن إسحاق فيها كثيراً، وهو من صغار التابعين.

ورواه عن ابن إسحاق أيضاً سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٣٠، ويونسُ بن بكير عند ابن الأثير في «أسد الغابة» ٤/ ٧٠٨.

وذكر الواقديُّ نحو هذا الخبر في «مغازيه» ١/ ٢٦٣ بلا إسناد.

قال ابن إسحاق: وبُشَيرُ[1] بن أُبَيرِق، وهو أبو طُعْمة سارقُ الدِّرعَينِ، الّذي أَنزل الله تعالى فيه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء:١٠٧][2].

وقُزْمانُ، حليفٌ لهم، فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: «إنَّه لمِنْ أهلِ النَّارِ»، فلمّا كان يومُ أُحدٍ قاتل قتالاً شديداً حتّى قَتَل بِضعةَ نفرٍ من المشركين، فأثبَتَتْه الجِراحةُ، فحُمِلَ إلى دار بني ظَفَرٍ، فقال له رجال من المسلمين: أبشِرْ يا قُزْمانُ، فقد أبلَيتَ اليومَ، وقد أصابك ما تَرَى في الله، قال: بماذا أَبشَرُ؟! واللهِ ما قاتلتُ إلا حَمِيّةً عن قومي! فلمّا اشتدَّت به جِراحتُه وآذَتْه، أَخذ سهماً من كِنانَتِه فقَطَعَ به رَواهِشَ يدِه، فقتل نفسَه[3].

---

(١) قُيّد في (ت) و(ش١) و(ص) و(م): بَشير، بفتح الباء ولم يُقيّد في سواها من نسخنا، وقيّده ابن ماكولا في «الإكمال» ١/ ٢٩٩ وكذا الدراقطني ـ كما قال أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ـ بضم الباء.

(٢) وكان من خبر بُشير وأخويه بشر ومبشِّر أنّهم عَدَوْا على غرفة فيها سلاح ودرع وسيف لرفاعة بن زيد الأنصاريّ فسرقوها ثمّ اتَّهَموا بها لبيدَ بن سهل الأنصاريّ... في خبر طويل من حديث قتادة بن النعمان ابن أخي رفاعة، وهو من رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جدِّه قتادة بن النعمان، أخرجه الترمذي (٣٠٣٦) والحاكم (٨٣٦٣)، وهو حديث حسن.

(٣) صحيح لغيره، وإسناده هنا مرسل، فعاصمٌ كما تقدم من صغار التابعين، وهو أنصاريٌّ من بني ظَفَر.

وأخرجه الخطيب البغدادي في «الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة» ص٢٧٥ من طريق يونس ابن بكير، عن ابن إسحاق، به.

وروى نحو هذا الخبر مسنَداً أبو حازم الأعرج عن سهل بن سعد الساعديّ فيما أخرجه =

قال ابن إسحاق: ولم يكن في بني عبد الأَشهَل منافقٌ ولا منافقةٌ يُعلَم، إلّا أنَّ الضَّحّاك بن ثابت، أحدَ بني كعبٍ رَهْطِ سعد بن زيدٍ، قد كان يُتَّهَم بالنِّفاق وحبِّ يهودَ.

فقال حسّان بن ثابت[1] ـ عن ابن إسحاق ولم يذكره ابن هشام[2] ـ:

مَـن مُبلِـغُ الضَّـحّاكِ أنّ عُروقَـهُ ... أَعيَتْ على الإسلامِ أن تَتمَجَّدا[3]

أتحـبُّ يُـهْدانَ الحِجـازِ ودِينَهم ... كَبِـدَ الحِمـارِ ولا تحـبُّ مُحمَّـدا[4]

دِينـاً لعَمـرُكَ لا يوافـقُ دِينَنـا ... مـا استَنَّ آلٌ في الفضـاءِ وخَـوَّدا[5]

وكان جُلَاسُ بن سُوَيد بن صامتٍ قبل توبتِه ـ فيما بلغني ـ ومُعتِّبُ بن قُشَير ورافعُ ابن زيد وبِشرٌ، وكانوا يُدعَون بالإسلام، فدعاهم رجالٌ من قومهم من المسلمين في خُصومةٍ كانت بينهم إلى رسول الله ﷺ، فدَعَوهُم إلى الحُكّام، حُكّامِ أهل الجاهليّة،

= البخاري (٢٨٩٨) و(٤٢٠٢) ومسلم (١١٢)، إلّا أنّه لم يسمِّ الغزوة ولا الرجل الذي قتل نفسه. وانظر الكلام عليه في «فتح الباري» ١٢/ ٣٩٣.

الرواهش: عروق باطن الذراع.

(١) شعر حسان هذا ليس في (ت) و(ش١) و(غ) و(ق١).

وهو في «ديوانه» برواية محمد بن حبيب ١/ ١٩٢، وزاد فيه هناك بيتين آخرين.

(٢) هذا من كلام الرّاوي عن ابن هشام، وهو أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله البَرْقيّ.

(٣) العروق: جمع عِرْق، وعِرقُ كل شيء: أصلُه. يقول حسان: إنّه وإن أسلم، فإنّ إسلامه عَجَزَ عن تمجيده لإعراقه في الكفر.

(٤) يُهدان: يريد اليهود. وكبد الحمار، قال البرقوقي في «شرح ديوان حسان» ص١٤٧: إمّا وصفٌ لدينهم، أو مفعول لفعل محذوف تقديره: أعني كبد الحمار، ولم أقف على هذه الكنية لغير حسان، ولعلّه يريد البلادة، أي: بلادة أهل هذا الدين.

(٥) ما استنَّ آلٌ، أي: ما جرى سَرَاب، فالآل: السَّراب. وخوَّد السرابُ: اهتزَّ كأنّه يضطرب.

فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠] إلى آخر القصة.

ومن الخَزرَج ثمّ من بني النَّجّار: رافعُ بن وَدِيعة، وزيدُ بن عمرو، وعمرُو بن قيس، وقيسُ بن عمرو بن سَهْل.

ومن بني جُشَمَ بن الخَزرَج ثمّ من بني سَلِمةَ: الجَدُّ بن قيس، وهو الّذي يقول: يا محمّد، ائذَنْ لي ولا تَفتِنّي، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٤٩] إلى آخر القصة[1].

ومن بني عَوف بن الخَزرَج: عبدُ الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ، وكان رأسَ المنافقين وإليه يجتمعون، وهو الّذي قال: لئِن رَجَعْنا إلى المدينة ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، في غزوة بني المُصطَلِق، وفي قوله ذلك نزلت سورةُ المنافقين بأَسْرها[2].

وفيه وفي وَدِيعةَ ـ رجل من بني عوفٍ ـ ومالكِ بن أبي قَوقَل وسُوَيدٍ وداعسٍ، وهم من رَهْطِ عبدِ الله بن أُبيٍّ ابن سَلُولَ، وعبدُ الله بن أُبيٍّ وهؤلاءِ النَّفرُ من قومه الّذين كانوا يَدُسُّون إلى بني النَّضير حين حاصَرَهم رسولُ الله ﷺ: أنِ اثبُتُوا، فوالله لئِن أُخرِجتُم لنَخرُجَنَّ معكم ولا نُطِيعُ فيكم أحداً أبداً، وإن قُوتِلتُم لننصُرَنَّكم. فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ

(١) سيأتي خبره هذا في غزوة تبوك ٣/ ٣٦٣.

(٢) روى ذلك من خبرهم زيدُ بن أرقم فيما أخرجه البخاري (٤٩٠٠) ومسلم (٢٧٧٢).

لَكَٰذِبُونَ﴾ [الحشر:١١]، ثمّ القصّةُ من السُّورة حتّى انتهى إلى قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر:١٦][1].

من أسلم من يهودَ نفاقاً

قال ابن إسحاق: وكان ممّن تَعوَّذ بالإسلام[2] ودخل فيه مع المسلمين وأظهَرَه وهو منافقٌ من أحبارِ يهودَ:

من بني قَينُقاعَ: سعدُ بن حُنَيف، وزيدُ بن اللُّصَيت، ونُعْمانُ بن أَوفى بن عمرو، وعثمانُ بن أَوفى.

وزيدُ بن اللُّصَيت الّذي قاتَلَ عمرَ بنَ الخطّاب رضي الله عنه بسوق بني قَينُقاع[3].

وهو الّذي قال حين ضَلَّتْ ناقةُ رسول الله ﷺ: يَزعُم محمّدٌ أنّه يأتيه خَبَرُ السّماءِ وهو لا يدري أين ناقتُه! فقال رسول الله ﷺ ـ وجاءه الخَبَرُ بما قال عدوُّ الله في رَحْلِه، ودُلَّ رسولُ الله ﷺ على ناقتِه ـ: «إنَّ قائلاً قال: يَزعُمُ محمَّدٌ أنّه يأتيهِ خَبَرُ السَّماءِ وهو لا يَدْري أين ناقتُه! وإنّي واللهِ ما أعلَمُ إلّا ما عَلَّمَني اللهُ، وقد دَلَّني اللهُ عليها، فهي في هذا الشِّعْبِ، قد حَبَسَتْها شجرةٌ بزِمامِها»، فذهب رجالٌ من المسلمين فوجدوها حيثُ قال رسولُ الله ﷺ وكما وَصَفَ[4].

---

(١) روى ذلك سلمةُ بن الفضل عن ابن إسحاق عن يزيد بن رومان، وهو تابعيٌّ صغير، أخرجه من هذا الوجه الطبري في «تفسيره» ٢٢/ ٥٣٤.

(٢) أي: التجأَ إليه.

(٣) لم نقف على هذا الخبر.

(٤) حديث صحيح، وسيأتي مسنَداً مطوّلاً لابن إسحاق في غزوة تبوك ٤/ ٢٥٨، وهو من روايته عن عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن محمود بن لَبِيد، عن رجال من بني عبد الأَشهل. =

ورافعُ بن حُرَيملةَ، وهو الّذي قال له رسول الله ﷺ ـ فيما بَلَغَنا ـ حين مات: «قد ماتَ اليومَ عظيمٌ من عُظماءِ المنافقينَ»[1].

ورِفاعةُ بن زيد بن التّابوتِ، وهو الّذي قال له رسول الله ﷺ حين هَبَّتْ عليه الرّيحُ وهو قافلٌ من غزوة بني المُصطَلِق، فاشتَدَّت حتّى أشفَقَ منها المسلمون، فقال لهم رسول الله ﷺ: «لا تَخافُوا، فإنَّما هَبَّتْ لموتِ عظيمٍ من عُظماءِ الكفّارِ»، فلمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ وَجَدَ رِفاعةَ بن زيد بن التابوتِ مات ذلك اليومَ الّذي هبَّت فيه الرِّيحُ[2].

= وهذا إسناد صحيح، ورجال بني عبد الأشهل هؤلاء من الصحابة، وإبهامهم لا يضرُّ.

ورواه عن ابن إسحاق مسنداً كذلك سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٠٦.

ورواه يونس بن بُكير عن ابن إسحاق عند البيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٢٣٢ فقال فيه عن عاصم: أخبرني رجال من قومي، وذكره، وهو من طريق يونس بن بكير أيضاً عند ابن الأثير في «أسد الغابة» ٢/ ١٤٦، إلا أنه جعله من حديث عاصم بن عمر مرسلاً. ورواية من وصله كما سبق أصحّ إن شاء الله.

(١) لم نقف على هذا الخبر في رافع، وهو مرويٌّ في رفاعة الآتي.

(٢) هكذا سمّاه ابن إسحاق عن شيوخه في هذه القصّة: رفاعة بن زيد بن التابوت، وقد صحَّ الحديث من رواية جابر بن عبد الله دون تسميته، أخرجه من حديثه أحمد (١٤٣٧٨) و(١٤٦٧٦)، ومسلم (٢٧٨١)، وابن حبان (٦٥٠٠)، ولم يسمِّ فيه الغزوة إلا أنّه وقع في بعض رواياته: غزوة بين مكة والمدينة. وسيأتي لابن إسحاق ٣/ ٣٧١ أنها غزوة بني المصطلِق بالمُريسيع.

ومعنى هذا الحديث ـ والله تعالى أعلم ـ: أن هذه الريح التي هي جندٌ من جنود الله يسخّرها كيفما شاء، أراد سبحانه وتعالى أن يخبر بهبوبها نبيَّه ﷺ بموت ذلك المنافق قبل أن يدخل المدينة، فجعل الله من هذه الريح آيةً لنبيِّه ﷺ وأظهر بها معجزة أخرى له، وإلا فإن مثل هذه الظواهر ليست مرتبطةً بموت أحد أو بحياته، كما أخبر بذلك النبيُّ ﷺ حينما توفي ابنه إبراهيم فانكسفت الشمسُ في ذلك اليوم، فقال بعض الناس: انكسفت الشمس لموت إبراهيم! فقال =

وسِلسِلةُ بن بَرْهامَ، وكِنانةُ بن صُوريَا.

وكان هؤلاءِ المنافقون يَحضُرون المسجدَ فيَستمِعُون أحاديثَ المسلمين ويَسخَرُون منهم ويَستهزِئُون بدينِهم، فاجتمع يوماً في المسجد منهم ناسٌ، فرآهم رسولُ الله ﷺ يَتحدَّثون بينهم خافِضِي أصواتِهم، قد لَصِقَ بعضُهم ببعضٍ، فأَمَرَ بهم رسول الله ﷺ فأُخرِجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً، فقام أبو أيّوب خالدُ بن زيد بن كُلَيبٍ إلى عمرو بن قيسٍ أحدِ بني غَنْم بن مالك بن النَّجّار ـ وكان صاحبَ آلهتِهم في الجاهليّة ـ فأَخذ برجلِه فسَحَبَه حتّى أخرَجَه من المسجد، وهو يقول: أتُخرِجُني يا أبا أيّوبَ من مِربَدِ بني ثَعلَبة، ثمّ أقبَلَ أبو أيّوب أيضاً إلى رافع بن وَدِيعةَ أحدِ بني النَّجّار، فلبَّبَه بردائِه ثمّ نَتَرَه[1] نَتْراً شديداً ولَطَمَ وجهَه، ثمّ أخرَجَه من المسجد، وأبو أيّوب يقول له: أفٍّ لك منافقاً خَبيثاً، أدراجَك[2] يا منافقُ من مسجدِ رسول الله ﷺ.

وقام عُمَارةُ بن حَزْم إلى زيد بن عمرٍو، وكان رجلاً طويلَ اللِّحية، فأَخذ بلحيتِه فقادَه بها قَوْداً عنيفاً حتّى أخرَجَه من المسجد، ثمّ جَمَعَ عُمَارةُ يديه جميعاً فلَدَمَه بهما في صدره لَدْمةً خَرَّ منها؛ قال: يقول: خَدَشْتَني يا عُمارة، قال: أبعَدَك اللهُ يا

= ﷺ مصحِّحاً لهم هذا المعتقَد: «إنّ الشمس والقمر لا يَنكسِفانِ لموت أَحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله»، وهذا مرويٌّ عن جمع من الصحابة في «الصحيحين» وغيرهما.

(١) لبَّبه، أي: جمع ثيابه عند صدرِه ونحرِه ثمّ جرَّه. ونَتَره: جَذَبه.

(٢) في حاشية (ص) دون تصحيح عليها: قوله: أدراجك، أي: ارجع من حيث جئت، قال ابن هشام: دَرَجٌ وأدراج: طريق وطُرُق، أي: ارجع على أدراجِك التي جئت عليها، وأنشد:

فـوَلَّـى وأَدبَـرَ أَدراجَـهُ وقد باءَ بالظُّلمِ مَن كان ثَمْ

قلنا: وهذا البيت لأبي قيس بن الأسلت الأنصاريّ في أبياتٍ له ذكرها ابن هشام في أول السيرة ١/ ٦٥ عند حادثة الفيل.

منافقُ، فما أعَدَّ اللهُ لك من العذاب أشدُّ من ذلك، فلا تَقرَبَنَّ مسجدَ رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: الالتِدامُ[1]: الضَّرب ببطن الكفِّ، قال تَميمُ بن أُبيّ بن مُقبِل:

وللفُؤادِ وَجِيبٌ[2] تحتَ أَبْهَرِهِ لَدْمَ الوليدِ وراءَ الغَيبِ بالحَجَرِ

قال ابن هشام[3]: الغَيْبُ: ما انخفضَ من الأرض، والأَبهَرُ: عِرقُ القلب.

قال ابن إسحاق: وقام أبو محمّدٍ رجلٌ من بني النَّجّار كان بدريّاً، وأبو محمّدٍ مسعودُ بن أَوس بن زيد بن أَصرَم بن زيد بن ثَعلَبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار، إلى قيس بن عمرو بن سَهْل، وكان قيسٌ غلاماً شابّاً، وكان لا يُعلَمُ في المنافقين شابٌّ غيرُه، فجعل يَدفَعُ في قَفَاه حتّى أخرَجَه من المسجد.

وقام رجل من بَلْخُدْرةَ، رَهْطِ أبي سعيد الخُدْريّ، يقال له: عبدُ الله بن الحارثِ، حين أَمَرَ رسولُ الله ﷺ بإخراجِ المنافقين من المسجد إلى رجلٍ يقال له: الحارثُ ابن عمرو، وكان ذا جُمّة، فأخذ بجُمّته فسَحَبَه بها سحباً عنيفاً على ما مرَّ به من الأرض، حتّى أخرَجَه من المسجد، يقول له المنافق: لقد أغلَظْتَ يا ابنَ الحارث، فقال له: إنّك أهلٌ لذلك أيْ عدوَّ الله لِمَا أَنزَلَ اللهُ فيك، فلا تَقرَبَنَّ مسجدَ رسول الله ﷺ، فإنَّك نَجَسٌ.

وقام رجلٌ من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زُوَيِّ بن الحارث، فأخرَجَه من المسجد إخراجاً عنيفاً وأَفَّفَ منه، وقال: غَلَبَ عليك الشيطانُ وأَمرُه.

---

(١) في (ت) و(ق١): اللَّدْم.

(٢) الوجيب هنا: اضطراب القلب، فهو يشبِّه خَفَقان القلب بصوت وقعة حجر يرميه الوليدُ، يعني الغلامَ، إلى أرض منخفضة.

والبيت في «ديوان ابن مقبل» ص٨٤.

(٣) قول ابن هشام هذا ليس في (ت)، وقوله منه: والأبهر عرق القلب، ليس في (غ).

فهؤلاءِ مَن حَضَرَ المسجدَ يومئذٍ من المنافقين، وأمَرَ رسولُ الله ﷺ بإخراجِهم[1].

ما نزل من البقرة في المنافقين ويهود

ففي هؤلاءِ من أحبار يهودَ والمنافقين من الأَوس والخَزرَج، نزل صدرٌ من سورة البقرة إلى المئةِ منها، فيما بَلَغَني، والله أعلم.

يقول الله سبحانَه وبحمدِه: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ أي: لا شكَّ فيه.

قال ابن هشام: قال ساعدةُ بن جُؤَيّة الهُذَليّ:

فقالوا عَهِدْنا القومَ قد حَصِرُوا بهِ ... فلا رَيْبَ أنْ قد كانَ ثَمَّ لَحِيمُ[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

والرَّيبُ أيضاً: الرِّيبة، قال خالد بن زُهَير الهُذَليّ[3]:

كأنني أَرِيبُه بريبِ

ويقال: أَرَبْتُه، وهذا البيتُ في أبياتٍ له، وهو ابنُ أخي أبي ذُؤَيبٍ الهُذَليِّ.

﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ أي: الَّذين يَحذَرُون من الله عقوبتَه في ترك ما يَعرِفون من الهُدى، ويَرجُون رحمتَه بالتَّصديق بما جاء منه ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا

---

(١) هذا الخبر في إخراج هؤلاء المنافقين من المسجد لم نقف عليه عند غير ابن إسحاق، ولم يسنده هو، فالخبر ضعيف، والله تعالى أعلم.

(٢) حَصِروا به، أي: ضاقوا به، يقال: حَصِرَ صدرُه بحاجتي، أي: ضاق بها، فيقول: كأنهم ضاقوا به ذَرْعاً. واللَّحيم: المقتول. وهو يصف رجلاً أحاط به أعداؤه يقاتلهم ويقاتلونه. وانظر «شرح أشعار الهذليّين» صنعة أبي سعيد السكّريِّ ٣/ ١١٦٢.

(٣) يشكو أبا ذُؤيب الهُذليّ وقد اتّهمه بصاحبةٍ له. انظر «الروض الأنف» للسهيليّ ٤/ ٤١٥، و«خزانة الأدب» لعبد القادر البغداديّ ٥/ ٨٤، وفيهما أنَّ خالداً هذا ابنُ أخت أبي ذؤيب، لا ابن أخيه كما قال ابن هشام.

﴿رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ أي: يُقِيمون الصلاةَ بفَرْضِها، ويُؤْتون الزَّكاةَ احتساباً لها[1] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: يُصدِّقونك بما جئتَ به من الله تعالى وما جاء به مَن قبلَك من المُرسَلين، لا يُفرِّقون بينهم ولا يَجحَدُون ما جاؤوهم به من ربِّهم ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ أي: بالبَعْث والقيامة، والجنَّة والنَّار، والحِسَاب والميزان، أي: هؤلاءِ الّذين يَزعُمون أنّهم آمنوا بما كان قبلَك وبما جاءَك من ربِّك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي: على نورٍ من ربِّهم واستقامةٍ على ما جاءَهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ أي: الّذين أدرَكُوا ما طَلَبُوا ونَجَوْا من شرِّ ما منه هَرَبُوا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بما أُنزِلَ إليك، وإن قالوا: إنّا قد آمنَّا بما جاءَنا قبلَك ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ أي: إنّهم قد كَفَروا بما عندهم من ذِكْرِك، وجَحَدُوا ما أُخِذَ عليهم من المِيثاقِ لك، فقد كفروا بما جاءَك وبما عندَهم ممّا جاءَهم به غيرُك، فكيف يَستمِعُون منك إنذاراً أو تحذيراً وقد كفروا بما عندَهم من عِلْمِك ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ أي: عن الهُدى أن يُصِيبوه أبداً، يعني بما كَذَّبوك به من الحقِّ الذي جاءَك من ربِّك حتّى يُؤمِنوا به، وإن آمَنُوا بكلِّ ما كان قبلَك ﴿وَلَهُمْ﴾ بما هم عليه من خِلافِك ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾.

فهذا في الأحبارِ من يهودَ، فيما كَذَّبوا به من الحقِّ بعد معرفتِه.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ يعني المنافقينَ من الأَوسِ والخَزرَجِ ومَن كان على أمرِهم ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ[2] إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شكٌّ ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ أي: شكّاً

(١) أي: طلباً لوجه الله وثوابه.

(٢) هكذا وقع في نسخنا الخطّية، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو من السبعة، وقرأ الباقون: (وما يَخدَعُون) بفتح الياء بغير ألف. انظر كتاب «السبعة» لابن مجاهد ص١٣٩.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ أي: إنَّما نريد الإصلاحَ بين الفريقين من المؤمنين وأهلِ الكتاب، يقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ من يهودَ، الّذين يأمُرونَهم بالتكذيب بالحقِّ، وخلافِ ما جاءَ به الرّسولُ ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: إنّا على مثلِ ما أنتم عليه ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ أي: إنّما نَستهزِئُ بالقوم ونَلعَبُ بهم، يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾.

قال ابن هشام: يَعمَهُون: يَحارُون، تقول العرب: رجلٌ عَمِهٌ وعامِهٌ، أي: حَيْرانُ، قال رُؤْبةُ بن العَجّاج يَصِفُ بلداً:

أَعمَى الهُدَى بالجاهِلِينَ العُمَّهِ[1]

وهذا البيت في أُرجوزةٍ له، فالعُمَّهُ: جمع عامِهٍ، وأما عَمِهٌ فجمعه: عَمِهُون، والمرأةُ: عَمِهَةٌ وعَمْهاءُ.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ أي: الكفرَ بالإيمان ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾.

قال ابن إسحاق: ثمّ ضَرَبَ لهم مثلاً فقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ أي: يُبصِرون[2]

---

(١) قبله في «ديوانه» ص١٦٦: ومَهْمَهٍ أطرافُه في مَهمَهِ، والمَهمَهُ: القَفْر المستوي من الأرض، يقول رؤبة: إذا سَلَكَ هذا المهمهَ أعمى الهدى، أي: الجاهلُ الذي يَتعمَّهُ فيه، أي: يتحيّر فيه لعدم معرفته به، لم يهتدِ له، فإنّه لا يهتدي له إلا الدليلُ العالم بالأرض.

(٢) في (ش١) و(غ): لا يبصرون، وكذا هو في طبعة وستنفيلد وطبعة السقّا وصاحبيه، =

الحقَّ ويقولون به، حتّى إذا خرجوا به من ظُلْمة الكفر أطفَؤُوه بكفرِهم به ونِفاقِهم فيه، فتَرَكَهم اللهُ في ظُلُماتِ الكفر، فهم لا يُبصِرون هدًى، ولا يستقيمون على حقٍّ ﴿صُمُّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ أي: لا يَرجِعون إلى الهدى، صُمٌّ بُكْمٌ[1] عميٌ عن الخير، لا يَرجِعون إلى خيرٍ ولا يُصِيبون نجاةً ما كانوا على ما هم عليه ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾.

قال ابن هشام: الصَّيِّب: المطر، وهو من صابَ يَصُوب، مثلُ قولهم: السَّيِّد، من سادَ يَسُود، والميِّت: من ماتَ يَمُوت، وجمعه: صَيَائبُ، قال عَلقَمة بن عَبَدةَ، أحدُ بني رَبيعة بن مالك بن زيدِ مَنَاة بن تَمِيم:

كأنَّهمُ صابَتْ عليهمْ سَحَابةٌ ... صواعِقُها لطَيرِهنَّ دَبِيبُ[2]

وفيها:

فلا تَعدِلي بيني وبينَ مُغمَّرٍ ... سُقِيتِ[3] رَوَايا المُزْنِ حيثُ تَصُوبُ

= وهو خطأ يفسد الكلام.

(١) الأصمّ: الذي لا يسمع، والأبكم: الذي لا ينطق.

(٢) هذه القصيدة لعلقمة يمدح بها الحارث بن جبلة الغسّاني، يقول: كأنّ هجومه على أعدائه كمن نزلت عليهم سحابة فيها صواعق تجعل الطيرَ من شدّة فزعها منها تَدِبُّ على الأرض غير قادرة على الطيران. وانظر «شرح ديوان علقمة» للأعلم الشنتمريّ ص٣١.

(٣) في (ي) ونسخة على حاشيتي (ص) و(م): سقتكِ، وهي كذلك في «ديوان علقمة» بتحقيق السيد صقر ص١٠.

وقوله: لا تَعدلي، أي: لا تسوّي. والمغمَّر والغَمْر: الجاهل الذي لا يجرّب الأمور، كأنّ الجهل غَمَرَه واستولى عليه. وروايا المُزن: ما حمل الماء منها، والمُزن: السَّحاب، والراوية في =

وهذان البيتان في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: أي: هم من ظُلْمةِ ما هم فيه من الكفر والحَذَر من القتل، على الّذي هم عليه من الخِلاف والتخوُّف لكم، على مثل ما وَصَفَ من الّذي هو في ظُلْمة الصَّيِّب، يجعل أصابعَه في أُذُنيهِ من الصّواعق حَذَرَ الموتِ، يقول: واللهُ مُنزِلُ ذلك بهم من النِّقْمة، أي: هو محيطٌ بالكافرين ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ أي: لشدّة ضَوْء الحقِّ ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾ أي: يَعرِفون الحقَّ ويَتكلَّمون به، فهم من قولهم به على استقامة، فإذا ارتَكَسُوا منه إلى الكفر، قامُوا مُتحيِّرين ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ أي: لِمَا تَرَكوا من الحقِّ بعد معرفته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾.

ثمّ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ للفريقَينِ جميعاً، من الكفّار والمنافقين، أي: وَحِّدُوا ربَّكم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

قال ابن هشام: الأندادُ: الأمثالُ، واحدهم: نِدٌّ، قال لَبِيدُ بن رَبِيعة:

أَحمَـــدُ اللهَ فـــلا نِـــدَّ لـــهُ بيدَيهِ الخيرُ ما شاءَ فَعَلْ

وهذا البيت في قصيدةٍ له[1].

قال ابن إسحاق: أي: لا تُشرِكوا بالله غيرَه من الأنداد الّتي لا تَنفَعُ ولا تضرُّ،

= الأصل: البعير يُستَقى عليه. وتَصُوب: تُنزِل وتُمطِر ماءها. وانظر «شرح الديوان» للشنتمريّ ص٢٤.

(١) انظر «ديوانه» بتحقيق إحسان عباس ص١٧٤.

وأنتم تعلمون أنّه لا ربَّ لكم يَرزُقُكم غيرُه، وقد عَلِمتُم أنّ الّذي يَدعُوكم إليه الرَّسولُ من توحيده هو الحقُّ لا شكَّ فيه ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ أي: في شكٍّ ممّا جاءَكم به ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من استطعتُم من أعوانِكم على ما أنتم عليه ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ فقد تَبيَّن لكم الحقُّ ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: لمَن كان على مثلِ ما أنتم عليه من الكفر.

ثمّ رَغَّبَهم وحَذَّرَهم نقضَ المِيثاق الّذي أَخَذَ عليهم لنبيِّه ﷺ إذْ جاءَهم، وذكر لهم بَدْءَ خلقِهم حين خَلَقَهم، وشأنَ أبيهم آدمَ وأمرَه، وكيف صَنَعَ به حين خالَفَ عن طاعته، ثمّ قال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ للأَحبارِ من يهودَ ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: بَلائي عندكم وعند آبائكم، لِمَا كان نَجّاهم به من فِرعونَ وقومه ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الّذي أَخذتُ في أعناقكم لنبيِّي أحمدَ إذْ جاءَكم ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أُنجِزْ لكم ما وَعَدتُكم على تصديقه واتِّباعه بوَضْعِ ما كان عليكم من الآصَارِ[1] والأغلالِ الّتي كانت في أعناقِكم بذنوبِكم الّتي كانت من إحداثِكُم ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ أنْ أُنزِلَ بكم ما أَنزَلتُ بمن كان قبلَكم من آبائكم من النَّقِمات الّتي قد عَرَفتُم من المَسْخ وغيرِه.

﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ وعندَكم من العِلْم فيه ما ليس عندَ غيرِكم ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أي: لا تَكتُموا ما عندكم من المعرفةِ برسولي وبما جاءَ به، وأنتُم تَجِدُونه عندكم فيما تَعلَمُون من الكتب الّتي بأيديكم ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ

(١) جمع إِصْر، والمراد بها العهود والتكاليف الثقيلة التي كانت عليهم.

﴿أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: تَنهَونَ النّاسَ عن الكفر بما عندكم من النبوّةِ والعهدِ من التَّوراة وتَترُكُون أنفسَكم، أي: وأنتم تَكفُرون بما فيها من عَهْدي إليكم في تصديقِ رسولي، وتَنقُضون مِيثاقي وتَجحَدُون ما تَعلَمُون من كتابي.

ثمَّ عَدَّدَ عليهم أحداثَهم، فذَكَرَ لهم العِجلَ وما صَنَعوا فيه، وتوبتَه عليهم وإقالتَه إيّاهم، ثمّ قولَهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾.

قال ابن هشام: جَهْرةً، أي: ظاهراً لنا لا شيءَ يَستُرُه عنّا، قال أبو الأَخزَرِ الحِمّاني، واسمه قُتَيبةُ:

يَجهَرُ أجوافَ المِيَاهِ السُّدُمِ[1]

وهذا البيت في أُرجوزةٍ له. يَجهَرُ: يقول: يُظهِر الماءَ ويَكشِف عنه ما يَستُره من الرَّمل وغيره.

قال ابن إسحاق: وأَخْذَ الصاعقةِ إيّاهم عند ذلك لغِرَّتِهم، ثمّ إحياءَه إيّاهم بعد موتهم، وتظليلَه عليهم الغَمَامَ، وإنزالَه عليهم المَنَّ والسَّلْوى، وقولَه لهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ أي: قولوا ما آمُرُكم به، أَحُطَّ به ذنوبَكم عنكم، وتبديلَهم ذلك من قولِه استهزاءً بأمرِه، وإقالَتَه[2] إيّاهم ذلك بعد هُزْئِهم.

قال ابن هشام: المَنُّ: شيءٌ كان يَسقُطُ في السَّحَر على شجرهم، فيَجتَنُونَه حُلْواً مثلَ العسل، يَشرَبُونه ويَأكُلونه، قال أَعشى بني قيس بن ثَعلَبة:

---

(١) قال الخشنيُّ في «إملائه» ص١٤١: المياه السُّدم: هي التي يكاد الرمل والتراب يغطِّيها، ويقال: السُّدم هي المياه القديمةُ العهدِ بالواردة.

قلنا: ولم نقف على هذا الرَّجَز عند غير ابن هشام، إلا أن الثعلبيَّ ذكره في «تفسيره» ١/ ١٩٩ دون تسمية قائله.

(٢) الإقالة هنا معناها: قَبُول المَعذِرة.

لو أُطعِموا المَنَّ والسَّلْوى مكانَهمُ ما أبصَرَ النّاسُ طُعْماً فيهمِ نَجَعا[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له. والسَّلْوى: طيرٌ، واحدتُها: سَلْواةٌ، ويقال: إنّها السُّمَانَى.

ويقال للعسل أيضاً: السَّلْوى، وقال خالد بن زُهير الهُذَليّ:

وقاسَمَها باللهِ حقّاً لأنتُمُ ألَذُّ من السَّلْوى إذا ما نَشُورُها[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وحِطّة، أي: حُطَّ عنّا ذنوبَنا.

قال ابن إسحاق: وكان تبديلُهم ذلك، كما حدّثني صالحُ بن كَيْسانَ، عن صالح مولى التَّوأَمةِ بنت أُميّة بن خَلَف، عن أبي هريرة، ومن لا أتَّهِمُ عن ابن عبّاس، عن رسول الله ﷺ قال: «دَخَلُوا البابَ الّذي أُمِروا أن يَدخُلوا منه سُجَّداً يَزحَفُون وهم يقولون: حِنَطٌ في شَعيرٍ»[3]. قال ابن هشام: ويُروَى: حِنْطةٌ في شَعيرٍ.

---

(١) نجع، أي: نفع ونجح وظهر أثرُه على أبدانهم، يقول: لو أُطعِموا، أي: بني تميمٍ، وكان هَوْذة بن عليّ الحنفيّ أوقع بهم بتدبير من كسرى ـ وكانوا قد عَدَوْا على قافلة له فأخذوها ـ فأسر منهم رجالاً؛ يقول الأعشى: فلو أُطعِم هؤلاء المنّ والسلوى في مأزقهم الذي صاروا إليه، ما هَنَأَهم ما يأكلون، ولا ظهرت ثمرتُه على أبدانهم، وذلك لظلمهم وعدوانهم على القافلة في ضاحية النهار. وانظر «ديوانه» بشرح وتعليق محمد حسين ص١٠٩-١١٠، وبتحقيق الرضواني ١/ ٢٩٣.

(٢) الشَّوْر: أخذُ العسل وجمعُه. ومعنى قاسَمَها، أي: أقسَمَ لها، يعني بها امرأة يقال لها: أمَّ عمرو، والذي قاسَمَها هو صديق لها يقال له: ابن عُوَيمر. وانظر «شرح أشعار الهذليّين» صنعة أبي سعيد السكّريّ ١/ ٢١٥.

(٣) حديث صحيح، وإسناد حديث أبي هريرة هنا حسنٌ من أجل صالح مولى التوأمة ـ واسمه صالح بن نبهان ـ فإنه صدوق حسن الحديث، وقد توبع.

فقد رواه عن أبي هريرة أيضاً همّام بن منبِّه عند أحمد (٨١١٠) و(٨٢٣٠)، والبخاري (٣٤٠٣) و(٤٤٧٩) و(٤٦٤١)، ومسلم (٣٠١٥)، والترمذي (٢٩٥٦)، والنسائي في «الكبرى» =

قال ابن إسحاق: واستِسقاءَ موسى لقومه، وأمْرَه إيّاه أن يَضرِبَ بعَصَاه الحَجَرَ، فانفَجَرَت لهم منه اثنتا عشرةَ عيناً، لكلِّ سِبْطٍ عينٌ يشربون منها، قد عَلِمَ كلُّ سبطٍ عينَه التي منها يَشرَبُ، وقولَهم لموسى: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾.

قال ابن هشام: الفُومُ: الحِنطةُ، قال أُميّة بن أبي الصَّلْت الثَّقَفيّ:

فوقَ شِيزَى مثلِ الجَوَابي عليها ... قِطَعٌ كالوَذِيلِ في نِقْيِ فُومِ

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

قال ابن هشام: الوَذِيل: قِطَعُ الفضّة، والفُومُ: القمحُ، واحدته: فُومَةٌ، والشِّيزَى: الجِفَانُ[1].

= (١٠٩٢٣)، وابن حبان (٦٢٥١). ولفظه في أكثر رواياته: «يزحفون على أستاههم (أي: أدبارهم) وقالوا: حبّة في شَعرةٍ». وهو كلام مهمل لا معنى له، وما أرادوا به إلا مخالفة ما أُمروا به من كلامٍ مستلزمٍ للاستغفار وطلب حطِّ الذنوب والخطايا.

وأمّا حديث ابن عبّاس، فقد أسنده سلمةُ بن الفضل وعليُّ بن مجاهد عند الطبري في «تفسيره» ١/ ٧٢٤-٧٢٥ عن ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جُبير أو عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ. وهذا إسناد ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد.

وروي عن ابن عباس موقوفاً من قوله عند الحاكم (٣٠٧٧) من طريق المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عنه. وإسناده صحيح.

(١) قوله: «والشيزى: الجفان» أثبتناه من حاشية (ت) مصحَّحاً عليها.

والشِّيزى: خشب أسود تُصنَع منه الجِفان، ومفردها: جَفْنة، وهي القَصْعة، وأراد: فوق جفان شيزى، فحذف المضاف، والجوابي: جمع جابيَة، وهي الحوض يُجبَى (أي: يُجمَع) فيه الماءُ للإبل وغيرها، ومن عادتهم تشبيه الجِفان بها، وأراد الشاعر بالقِطَع هنا: القِطَع من الشَّحم، وشبَّهه بالفضّة لبياضه، والنِّقْي: مخُّ العظم، وأراد به هنا لُباب الحنطة. انظر «الروض الأنف» =

﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾، قال ابن إسحاق: فلم يفعلوا.

ورَفْعَه الطُّورَ فوقَهم ليأخُذوا ما أُوتُوا، والمَسْخَ الّذي كان فيهم، إذْ جعلهم قِرَدةً بإحداثِهم، والبقرةَ الّتي أَراهم بها العِبْرةَ في القتيل الّذي اختَلَفوا فيه، حتّى تُبيِّنَ لهم أمرَه، بعد التَّردُّد على موسى في صفة البقرة، وقسوةَ قلوبِهم بعد ذلك حتّى كانت كالحجارة أو أشدَّ قسوةً، ثمّ قال: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: وإنَّ من الحجارة لَألْيَنَ من قلوبكم عمّا تُدعَون إليه من الحقِّ ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

ثمّ قال لمحمّدٍ ﷺ ولمن معه من المؤمنين يُؤيِسُهم منهم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾، وليس قولُه: يَسمَعون التَّوراةَ، أنَّ كلَّهم قد سمعها، ولكنّه يقول: فريقٌ منهم، أي: خاصّةً ـ فيما بَلَغَني عن بعض أهل العلم ـ قالوا لموسى: يا موسى، قد حِيلَ بيننا وبين رُؤْية الله، فأَسمِعْنا كلامَه حين يُكلِّمُك، فطَلَبَ موسى ذلك من ربِّه، فقال له: نعم، مُرْهُم فليَتَطهَّروا وليُطهِّرُوا ثيابهم وليصوموا، ففعلوا، ثم خرج بهم حتّى أَتى بهم الطُّورَ[1]، فلمّا غَشِيَهم الغَمَامُ أمَرَهم موسى فوَقَعُوا سجوداً، وكلَّمه ربُّه فسمعوا كلامَه ـ جلَّت قُدْرتُه[2] ـ يأمرُهم وينهاهم، حتّى عَقَلُوا عنه ما سَمِعوا[1]،

= للسهيلي ٤/ ٤٣٤، و«ديوان أميّة» جمع وتحقيق عبد الحفيظ السطليّ ص٤٨٨.

وأمّا الفُوم، فالأكثرون على أنّه الحِنطة، وقد روي عن بعضهم أنّه الثُّوم، انظر «تفسير الطبري» ٢/ ١٨-١٩.

(١) الطُّور: الجبل.

(٢) قوله: جلَّت قدرته، من (ص) و(م) و(ي)، وفي (ش١): تبارك وتعالى.

ثمّ انصَرَفَ بهم إلى بني إسرائيلَ، فلمّا جاؤُوهم حَرَّفَ فريقٌ منهم ما أمَرَهم به، وقالوا؛ حين قال موسى لبني إسرائيلَ: إنَّ الله قد أمَرَكم بكذا وكذا، قال ذلك الفريقُ الّذي ذَكَرَ اللهُ: إنّما قال كذا وكذا، خِلافاً لِمَا قال اللهُ لهم، فهم الّذين عَنَى اللهُ لرسوله محمّدٍ ﷺ.

ثم قال: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ أي: بصاحبِكم رسولِ الله، ولكنّه إليكم خاصّةً ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟﴾: لا تُحدِّثوا العربَ بهذا، فإنّكم قد كنتم تَستفتِحُون به عليهم، فكان فيهم، فأَنزل الله عزَّ وجلَّ فيهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ أي: تُقِرُّون بأنّه نبيٌّ، وقد عَرَفتُم أنّه قد أُخِذَ له المِيثاقُ عليكم باتِّباعه، وهو يُخبِرُهم أنّه النبيُّ الّذي كنّا ننتظرُ ونَجِدُ في كتابنا، اجحَدُوه ولا تُقِرُّوا لهم به، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾.

قال ابن هشام: إلّا أَمانِيَّ: إلا قراءةً، لأنّ الأُمّيَّ الّذي يَقرأُ ولا يَكتُب، يقول: لا يَعلَمُون الكتابَ إلّا أنّهم يَقرَؤُونه، قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبَيدةَ بذلك[٢].

---

(١) هذا كلام مُعضَلٌ باطلٌ لا دليل عليه من نقل أو عقل، ولم يَرِدْ في نصٍّ أن الله تعالى كلَّم أحداً من البشر وسَمِع كلامه بعد آدم سوى موسى ومحمد صلَّى الله عليهم أجمعين، وقد ذكر ابن الجوزيّ في «زاد المسير» ١/ ١٠٣: أن بعض أهل العلم أنكر هذا القولَ إنكاراً شديداً، وذكر عن مجاهد والسُّدِّيّ في آخرين: أن هذا الفريق إنّما قرؤوا التوراة فحرَّفوها، فيكون سماعُهم لكلام الله بتبليغ نبيِّهم، وتحريفُهم: تغييرَ ما فيها، وصحَّح هذا القول.

(٢) ذهب ابن جرير الطبريّ في «تفسيره» ٢/ ١٥٣ إلى أن المراد بالأمّيِّين الذين لا يكتبون ولا يقرؤون من كتاب، وأما الأمانيُّ فصوَّب أنها في هذا الموضع من التمنّي، وقال ٢/ ١٥٧: =

قال ابن هشام: وحدّثني يونس بن حَبِيب النَّحْويّ وأبو عُبَيدة: أنّ العرب تقول: تمنَّى، في معنى قرأَ، وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢]، وأنشَدَني أبو عُبيدة:

تَمنَّـى كتـابَ الله أولَ ليلِـهِ وآخرَه لاقَى حِمَامَ المَقادِرِ[1]

وأنشَدَني أيضاً:

تَمنَّى كتابَ الله في اللّيـلِ خالياً تَمنِّيَ داودَ الزَّبُورَ علـى رِسْـلِ[2]

وواحدةُ الأمانِيّ: أُمنِيّةٌ. والأمانِيُّ أيضاً: أن يتمنَّى الرّجلُ المالَ أو غيرَه.

﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٧٨﴾ أي: لا يعلمون الكتابَ ولا يَدرُون ما فيه، وهم يَجحَدُون نبوَّتَك بالظنِّ ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠﴾.

قال ابن إسحاق: وحدّثني مولًى لزيد بن ثابت، عن عِكْرمة أو عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس قال: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ واليهودُ تقول: إنّما مُدَّةُ الدُّنيا سبعةُ آلاف سنة، وإنّما يُعذِّبُ اللهُ الناسَ في النّار بكلّ ألف سنة من أيّام الدُّنيا يوماً واحداً في النّار من أيّام الآخرة، وإنّما هي سبعةُ أيّام ثمَّ ينقطعُ العذاب، فأَنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ

= هو تخلُّق الكذب وتخرُّصه وافتعاله، يقال منه: تمنَّيتُ كذا، إذا افتعلتَه وتخرّصتَه.

(١) حِمام المقادر: قدر الموت، والمقادر: المقادير. وهذا البيت قيل في رثاء عثمان رضي الله عنه، وأهل التفسير في كتبهم بعضهم ينسبه إلى حسان بن ثابت، وبعضهم إلى كعب بن مالك.

(٢) أي: على تمهُّل ورِفْق. ولم نقف على قائله.

﴿بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ أي: مَن عمل بمثلِ أعمالكم، وكَفَر بمثلِ ما كَفَرتُم به، حتّى يُحِيطَ كفرُه بما له من حسنةٍ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ أي: خُلْدَ أَبَدٍ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ أي: مَن آمَنَ بما كَفَرتُم به، وعمل بما تَركتُم من دينه، فلهم الجنّةُ خالدين فيها، يُخبِرُهم أنّ الثَّوابَ بالخير والشرِّ مقيمٌ على أهله أبداً لا انقطاعَ له.

قال ابن إسحاق: ثمّ قال يُؤنِّبُهم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: مِيثاقَكم ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ أي: تركتم ذلك كلَّه ليس بالتنقُّص.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾.

قال ابن هشام: تَسفِكُون: تَصُبُّون، تقول العرب: سَفَكَ دمَه، أي: صبَّه، وسَفَكَ الزِّقَّ، أي: هَرَاقَه، قال الشاعر[1]:

وكنّا إذا ما الضَّيفُ حَلَّ بأَرضِنا ... سَفَكْنا دماءَ البُدْنِ في تُربةِ الحالِ

قال ابن هشام: يعني بالحالِ: الطِّينَ يخالطُه الرَّملُ، ويقال له: السَّهْلةُ، وفي الحديث: «لمّا قال فِرعَونُ: آمَنتُ أنّه لا إلهَ إلَّا الّذي آمَنَتْ به بنو إسرائيلَ، أَخَذَ جبريلُ من حالِ البحرِ وحَمْأَتِه، فضَرَبَ به وجهَ فِرعونَ»[2].

---

(١) نسبه الثعلبي في «تفسيره» ١٠/ ٢١١ والقرطبي في «تفسيره» أيضاً ٢٢/ ٣٠٤ إلى شاعر من هُذيل، ولم يسمِّياه. والزِّق: الوعاء من الجلد.

(٢) صحيح موقوفاً على ابن عباس، فقد روي هذا عنه مرفوعاً وموقوفاً فيما أخرجه أحمد (٢١٤٤) و(٢٢٠٣)، والترمذي (٣١٠٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٧٤)، وابن حبان (٦٢١٥)، والحاكم (١٨٩) و(٣٣٤٢)، والموقوف أصحُّ كما هو مبيَّن في التعليق على «مسند =

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ قال ابن إسحاق: على أنّ هذا حقٌّ من ميثاقي عليكم ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ أي: أهلَ الشِّرك[1]، حتّى تَسفِكوا دماءَهم معهم وتُخرِجوهم من ديارهم معهم ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ﴾ قد عرفتُم أن ذلك عليكم في دينِكم ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ في كتابِكم ﴿إِخْرَاجُهُمْ ۖ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أتُفادُونهم مؤمنين بذلك، وتُخرِجونهم كفّاراً بذلك ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾، فأنَّبهم[2] بذلك مِن فِعلِهم وقد حَرَّمَ عليهم في التَّوراة سَفْكَ دمائِهم، وافتَرَضَ عليهم فيها فِداءَ أُساراهم.

فكانوا فريقَينِ، منهم بنو قَينُقاعَ ولِفُّهم[3] حُلَفاءُ الخَزرَج، والنَّضِيرُ وقُرَيظةُ ولِفُّهم حُلَفاءُ الأَوس، فكانوا إذا كانت بين الأَوس والخَزرَج حربٌ، خَرَجَت بنو قَينُقاعَ مع الخَزرَج، وخَرَجَت النَّضيرُ وقريظةُ مع الأَوس، يظاهرُ كلُّ واحدٍ من الفريقين حلفاءَه على إخوانه حتّى تَسافَكُوا دماءَهم بينهم، وبأَيديهم التّوراةُ يَعرِفُون فيها ما عليهم وما لهم، والأَوسُ والخزرجُ أهلُ شركٍ يَعبُدون الأوثان، لا يَعرِفون

= أحمد» و«مستدرك الحاكم».

وروي نحوه أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً فيما أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٢/ ٢٧٦، والطبراني في «الأوسط» (٥٨٢٣)، والبيهقي في «الشعب» (٨٩٤٤)، وإسناده ضعيف لا يصحُّ.

(١) يعني كنتم تعاونون أهل الشرك من الأوس والخزرج على إخوانكم من اليهود.

(٢) أي: عاتَبَهم ولامَهم.

(٣) أي: ومَن عُدَّ فيهم، ويجوز فتح اللام فيه أيضاً.

جنّةً ولا ناراً، ولا بعثاً ولا قيامةً، ولا كِتاباً، ولا حلالاً ولا حراماً، فإذا وُضِعَت الحربُ افتَدَوْا أُساراهم تصديقاً لما في التَّوراة، وأَخَذ به بعضُهم من بعض، يَفتَدي بنو قَينُقاعَ مَن كان من أَسراهم في أَيدي الأَوس، ويَفتَدي النَّضيرُ وقريظةُ ما في أَيدي الخَزرَج منهم، ويَطُلُّون[1] ما أصابوا من الدِّماء وقتلى مَن قُتِلوا منهم فيما بينهم، مُظاهَرةً لأهل الشِّرك عليهم. يقول الله لهم حين أنَّبهم بذلك: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أي: تُفادِيهِ بحُكْم التّوراة وتقتلُه، وفي حُكْم التّوراة أن لا تفعل، وتُخرِجه من داره وتُظاهِرُ عليه من يُشرِكُ بالله ويَعبُد الأوثانَ من دونه، ابتغاءَ عَرَضِ الدُّنيا، ففي ذلك من فِعلِهم مع الأَوس والخَزرَج ـ فيما بلغني ـ نَزَلَت هذه القصّة[2].

ثمّ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: الآياتِ الّتي وَضَعَ على يديه؛ من إحياءِ الموتى، وخَلْقِه من الطِّينِ كهَيْئةِ الطَّير ثمّ يَنفُخُ فيه فيكونُ طيراً بإذن الله، وإبراءِ الأسقام، والخَبَرِ بكثيرٍ من الغُيوب ممّا يَدَّخِرون في بيوتهم، وما رَدَّ عليهم من التّوراة مع الإنجيل الّذي أَحدَثَ اللهُ إليه، ثمّ ذَكَرَ كُفرَهم بذلك كلِّه، فقال: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ أي: في أَكنَّة، يقول الله تعالى: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا

(١) أي: يُهدِرون ويُبطِلون.

(٢) قد أسند هذه القصة عن ابن إسحاقَ سلمةُ بنُ الفضل عند الطبري ٢/ ٢٠٧-٢٠٨، وابن أبي حاتم ١/ ١٦٦، كلاهما في «تفسيره»، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. ومحمدٌ شيخُ ابن إسحاق فيه مجهول لم يرو عنه غير ابن إسحاق، ومع ذلك ذكره ابن حبان في «ثقاته».

﴿جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

قال ابن إسحاق: حدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن أشياخٍ منهم؛ قال: قالوا: فينا واللهِ وفيهم نَزَلَت هذه القصّةُ، كنّا قد عَلَوناهم ظَهْراً في الجاهليّة ونحن أهلُ شركٍ وهم أهلُ كتابٍ، فكانوا يقولون لنا: إنّ نبيّاً يُبعَثُ الآن نتَّبعُه قد أظَلَّ زمانُه، نَقتلُكم معه قتلَ عادٍ وإرَمَ، فلمّا بَعَثَ اللهُ رسولَه ﷺ من قريشٍ فاتَّبَعْناه كَفَرُوا به، يقول الله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ أي: أن جَعَلَه في غيرهم ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾[1].

قال ابن هشام: فباؤُوا بغضبٍ، أي: اعتَرَفُوا به واحتَمَلُوه، قال أعشى بني قيس ابن ثَعلَبة:

أُصالِحُكم حتّى تَبُوءُوا بمِثلِها ... كصَرْخةِ حُبلَى يَسَّرَتها قَبِيلُها[2]

يَسَّرَتها: أجلَسَتْها - يريد القابلةَ - للولادة[3]، وهذا البيت في قصيدةٍ له.

---

(١) خبر صحيح إن شاء الله، فعاصم بن عمر بن قتادة أنصاريٌّ تابعيٌّ صغير، وقد روى عن بعض الصحابة وأبنائهم، وهو ثقة عالم بالمغازي، وهو هنا يروي عن أشياخ من الأنصار في شأن من شؤونهم.

وهو بهذا الإسناد في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بُكير عنه. ورواه عن ابن إسحاق أيضاً سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٣٧، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٧٥-٧٦.

(٢) تقدّم هذا البيت والكلام عليه ١/ ٣٦٢.

(٣) شرحُ كلمة «يسّرتها» من حاشية (ت) مصحَّحاً عليه.

قال ابن إسحاق: والغضبُ على الغضبِ، بغَضَبِه عليهم فيما كانوا ضيَّعوا من التّوراة وهي معهم، وغضبٌ بكُفرِهم بهذا النبيِّ ﷺ الذي أَحدَثَ اللهُ إليهم.

ثمّ أنّبَهم برَفْع الطُّورِ عليهم، واتِّخاذِهم العجلَ إلٰها دونَ ربِّهم، يقول الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ أي: ادْعُوا بالموت على أيِّ الفريقين أكذبُ، فأَبَوْا ذلك على رسول الله ﷺ، يقول اللهُ تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بعِلْمِهم بما عندهم من العِلْم بك، والكفرِ بذلك، فيقال: لو تَمنَّوْه يومَ قال ذلك لهم، ما بقيَ على ظهرِ الأرض يهوديٌّ إلا مات.

ثمّ ذَكَرَ رغبتَهم في الحياة الدُّنيا وطولِ العُمر فقال: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ اليهود ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ أي: ما هو بمُنجِيهِ من العذاب، وذلك أنّ المشركَ لا يرجو بعثاً بعد الموت، فهو يحبُّ طولَ الحياة، وأنّ اليهوديَّ قد عَرَفَ ما له في الآخرة من الخِزْي[1] بما ضَيَّعَ ممّا عنده من العِلْم. ثمّ قال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٩٧].

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدُ الله بن عبد الرَّحمن بن أبي حُسين المكّيُّ، عن شَهْر بن حَوشَب الأشعريِّ: أنّ نفراً من أحبارِ يهودَ جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمّد، أخبِرْنا عن أربعٍ نسألُك عنهنَّ، فإن فعلتَ ذلك اتَّبَعناك وصَدَّقناك وآمنَّا بك، قال: فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «عَلَيكُم بذلك عَهدُ الله ومِيثاقُه، لئن أنا أخبرتُكم بذلك لتُصدِّقُنَّني» قالوا: نعم، قال: «فاسأَلوا عمَّا بَدَا لكم» قالوا: أخبِرْنا كيف يُشبِهُ

(١) في (ق١): من الجزاء.

الولدُ أمَّه وإنَّما النُّطْفةُ من الرَّجل؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «أَنشُدُكم بالله[1] وبأيّامِه عندَ بني إسرائيلَ، هل تعلمونَ أنَّ نُطْفةَ الرَّجلِ بيضاءُ غَليظةٌ، ونُطْفةَ المرأةِ صفراءُ رَقيقةٌ، فأيَّتُهما غَلَبَت صاحبتَها كان لها الشَّبَهُ؟!» قالوا: اللّهمَّ نَعَم.

قالوا: فأخبِرْنا كيف نومُك؟ قال: «أَنشُدُكم بالله وبأيّامِه عندَ بني إسرائيلَ، هل تعلمونَ أنَّ نومَ الَّذي تَزعُمونَ أنِّي لستُ به[2] تنامُ عَينُه وقلبُه يَقظانُ؟!» قال: فقالوا: اللّهمَّ نَعَم، قال: «فكذلكَ نَوْمي، تنامُ عَيْني وقلبي يَقظانُ».

قالوا: فأخبِرْنا عمّا حَرَّمَ إسرائيلُ على نفسه، قال: «أَنشُدُكم بالله وبأيّامِه عندَ بني إسرائيلَ، هل تعلمونَ أنَّه كان أحبُّ الطَّعامِ والشَّرابِ إليه أَلبانَ الإبلِ ولُحومَها، وأنَّه اشتَكَى شَكْوى فعافاهُ اللهُ منها، فحَرَّمَ على نفسِه أحبَّ الطَّعامِ والشَّرابِ إليه شُكراً لله، فحَرَّمَ على نفسِه لحومُ الإبلِ وأَلبانَها؟!» قالوا: اللّهمَّ نَعَم.

قالوا: فأخبِرْنا عن الرُّوح، قال: «أَنشُدُكم بالله وبأيّامِه عندَ بني إسرائيلَ، هل تَعلَمُونَه جبريلَ، وهو الَّذي يأتيني؟!» قالوا: اللّهمَّ نَعَم، ولكنَّه يا محمّدُ لنا عدوٌّ، وهو مَلَكٌ إنّما يأتي بالشِّدَّةِ وسَفْكِ الدِّماء، ولولا ذلك اتَّبَعناك.

فأنزل الله فيهم: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: السحر ﴿وَمَا كَفَرَ

(١) أي: أسألكم بالله رافعاً نَشِيدي، وهو صوتي.

(٢) يريد بذلك النبوّة.

سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[1].

قال ابن إسحاق: وذلك أنّ رسول الله ﷺ - فيما بَلَغَني - لمّا ذَكَرَ سليمانَ بنَ داود في المُرسَلين، قال بعضُ أحبارهم: ألَا تَعجَبُون من محمّدٍ، يَزعُم أنَّ سليمان بن داود كان نبيّاً، واللهِ ما كان إلّا ساحراً. فأَنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: باتِّباعِهم السِّحرَ وعملِهم به ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ من لا أتَّهِمُ عن عِكْرمة عن ابن عباس: أنه كان يقول: الّذي حَرَّمَ إسرائيلُ على نفسه زائدتا الكبدِ والكُلْيَتانِ والشَّحمُ إلّا ما كان على الظَّهْر، فإنّ ذلك كان يُقرَّبُ للقُرْبانِ فتأكُله النار[3].

---

(١) حديث حسنٌ من أجل شهر بن حوشب، فهو حسن الحديث في المتابعات والشواهد، وقد توبع فيه كما سيأتي.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٨٥-٢٨٦ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وهذا الحديث من رواية شهر بن حوشب عن ابن عباس فيما أخرجه أحمد (٢٤٧١) و(٢٥١٤) وغيره من طريق عبد الحميد بن بَهْرام، عن شهر، عن ابن عباس.

ورواه عن ابن عباس أيضاً بُكَيرُ بن شِهاب عن سعيد بن جُبير عنه فيما أخرجه أحمد (٢٤٨٣) والنسائي في «الكبرى» (٩٠٢٤)، وزاد فيه سؤالاً خامساً عن الرَّعد وصوته، فأخبرهم أنّه مَلَكٌ موكَّل بالسَّحَاب، وأنّ الصَّوت الذي يُسمَع هو صوت ذلك المَلَك؛ وهذه الزيادة ضعيفة مُنكَرة تفرّد بها بكير بن شهاب، وهو ليس بذاك القويّ. وأخرج منه الترمذي (٣١١٧) قصة سؤالهم عن الرعد وعمّا حرَّم إسرائيلُ على نفسه، وحسَّنه!

(٢) ضعيف لإعضاله، فإن ابن إسحاق لم يبيِّن فيه إسناده، ورواه كذلك سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣١٦.

(٣) إسناده ضعيف لإبهام شيخ ابن إسحاق فيه، وقد سُمّي في رواية غير البكّائيّ عنه، فقد =

قال ابن إسحاق: وكَتَبَ رسولُ الله ﷺ إلى يهودِ خَيبَرَ - فيما حدّثني مولًى لآل زيد بن ثابت، عن عِكْرمة أو عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبّاس -:

«بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، من محمّدٍ رسولِ الله صاحبِ موسى وأَخيه والمُصدِّقِ لما جاءَ به موسى: ألَا إنَّ اللهَ قد قالَ لكم يا مَعشَرَ أهلِ التَّوراة، وإنَّكم تَجِدُون ذلك في كتابِكم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]».

قال ابن هشام: شَطْؤُه: فِراخُه، وواحدتُه: شَطْأَةٌ، تقول العرب: قد أَشطَأَ الزَّرعُ، إذا أَخرج فِراخَه. فآزَرَه: عاوَنَه، فصار مثلَ الأمَّهات[1]، قال امرُؤُ القَيس بن حُجْرٍ الكِنْديّ:

بمَحنِيَـةٍ قـدْ آزَرَ الضَّـالَ نَبْتُهـا ... مَجَـرٍّ جُيـوشٍ غـانِمِينَ وخُيَّـبِ[2]

= رواه إبراهيم بن سعد عند ابن المنذر في «تفسيره» (٧٠٤)، وسلمة بن الفضل عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٧٠٥، كلاهما عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، عن ابن عباس. ومحمدٌ هذا مجهول تفرّد بالرواية عنه ابن إسحاق.

(١) أي: مثل الزَّرعات الكِبار في الطول والقوّة.

(٢) المَحنِيَة: حيث ينحني وينعطف الوادي، وهو أخصب موضع فيه. وآزر: ساوَى. والضالُ: شجر عِظام، يقول: لخِصْب هذه المحنية قد لحق النبتُ بالشجر حتى ساواه في الطول. ومَجرّ جيوش، من الجَرِّ في الأرض، يعني: تمرّ به جيوش، فمن مرَّ بها من الجيوش وهو غانمٌ، لم يلوِ عليها، ومن مرَّ عليها وهو خائبٌ، لم يحتبس عليها، لأن همَّه أن يَطلُب ما أُخذ منه. وانظر =

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال حُمَيدٌ الأرقَطُ بن مالكٍ، أحدُ بني ربيعة بن مالك بن زيدِ مَنَاة:

زَرْعـاً وقَضْـباً مُـؤزَرَ النَّبـاتِ[1]

وهذا البيت في أُرجوزةٍ له.

وسُوقُه: جمعُ ساقٍ، لساقِ الشَّجرة.

قال ابن هشام: إلى هاهنا انتهى قَوْلي، وما بعدَه فمن حديث ابن إسحاقَ الّذي قبلَه.

«وإنِّي أَنشُدُكم باللهِ، وأَنشُدُكم بما أَنزَلَ عليكم، وأَنشُدُكم بالّذي أَطعَمَ مَن كان قبلَكم من أسباطِكُم المَنَّ والسَّلْوَى، وأَنشُدُكم بالّذي أَيبَسَ البحرَ لآبائِكم حتّى أَنجاهُم من فِرعونَ وعملِه، إلّا أخبَرتُمونا: هل تَجِدُون فيما أَنزَلَ اللهُ عليكم أنْ تُؤمِنوا بمحمَّدٍ؟ فإن كنتم لا تَجِدُون ذلك في كتابِكم فلا كُرْهَ عليكم، قد تَبيَّنَ الرُّشدُ من الغَيِّ، فأَدعُوكم إلى اللهِ وإلى نبيِّه»[2].

= «شرح ديوان امرئ القيس» للوزير عاصم بن أيوب ص٧٩.

(١) القَضْب: الفِصّة الرَّطبة، ويقال له: البرسيم أيضاً، وهو نباتٌ عشبيٌّ ترعاه الدوابُّ. ومؤزَر النبات، أي: أن الزرع والقضب متساويين في كثافة إنباتهما لخصوبة الأرض.

وهذا البيت من الرجز في «المخصَّص» لابن سِيدَه ٣/ ١٢٣ دون نسبة لقائل، ونقل الواحدي في «البسيط» ٢٠/ ٣٣١ عن أبي عبيدة (وانظر حاشية «مجاز القرآن» ٢/ ٢١٨ بتحقيق سزكين) أنّه أنشده لحُميد الأرقَط، وذكر قبله:

يَسْـقي بغَيـثٍ غَـدِقِ السَّحَـاتِ

والسَّحَات: الذي يغسل وجه الأرض.

(٢) إسناده ضعيف، مولى آل زيد بن ثابت: هو محمد بن أبي محمد، وهو مجهول تفرّد بالرواية عنه ابنُ إسحاق. =

قال ابن إسحاق: وكان ممّن نَزَلَ فيه القرآنُ، بخاصّةٍ من الأحبار وكفّار يهودَ، الّذي كانوا يسألونه ويَتعنَّتونه ليَلبِسُوا الحقَّ بالباطل[1] ـ فيما ذُكِرَ لي عن عبدِ الله بن عبّاس وجابرِ بن عبد الله بن رِئَاب ـ: أنّ أبا ياسر بن أَخطَبَ مَرَّ برسولِ الله ﷺ وهو يَتلُو فاتحةَ البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾، فأَتى أخاه حُيَيَّ بن أَخطَبَ في رجالٍ من يهودَ، فقال: تَعلَّمُوا واللهِ، لقد سمعتُ محمّداً يَتلُو فيما أُنزل عليه: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾، فقالوا: أنتَ سمعتَه؟ قال: نعم.

فمَشَى حُيَيُّ بن أخطَبَ في أُولئك النَّفرِ من يهودَ إلى رسول الله ﷺ، فقالوا له: يا محمّدُ، ألم يُذكَرْ لنا أنّك تَتلُو فيما أُنزل عليك: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾؟ فقال رسول الله ﷺ: «بَلَى» قالوا: جاءَك بها جبريلُ من عند الله؟ فقال: «نَعَم» قالوا: لقد بَعَثَ اللهُ قبلَك أنبياءَ، ما نَعلَمُه بُيِّنَ لنبيٍّ منهم ما مُدَّةُ مُلكِه وما أُكُلُ أُمَّتِه[2] غيرَك، فقال حييُّ بن أخطَبَ، وأقبَلَ على من معه فقال لهم: الألِفُ واحدةٌ، واللّامُ ثلاثون، والميمُ أربعون، فهذه إحدى وسبعون سنةً، أفتَدخُلون في دينٍ إنّما مُدّةُ مُلكِه وأُكُلُ أمّته إحدى وسبعون سنة؟ ثمّ أقبَلَ على رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد، هل مع هذا غيرُه؟ قال: «نَعَم» قال: ماذا؟ قال: ﴿الٓمَٓصٓ﴾، قال: هذه أثقلُ وأطولُ، الألِفُ واحدةٌ، واللّامُ ثلاثون، والميمُ أربعون، والصّادُ ستُّون[3]، فهذه إحدى وثلاثون ومئةُ سنة،

= وأخرجه من طريق ابن إسحاقَ أبو نعيم في أوائل كتاب «دلائل النبوّة» كما في «نصب الراية» للزيلعي ٤/ ٤١٩.

(١) أي: يَشُقّون عليه بالمسألة ليخلطوا الحقَّ بالباطل.

(٢) الأُكل، بالضم وبضمتين: الرزق الواسع والحظ من الدنيا، ومعنى «أُكل أمّته»: طول مدّتهم.

(٣) هكذا في نسخنا الخطية، ووقع في طبعة السقّا وصاحبيه: والصاد تسعون فهذه إحدى =

هل مع هذا يا محمّد غيرُه؟ قال: «نَعَم ﴿الٓر﴾» قال: هذه أثقلُ وأطولُ، الألِفُ واحدةٌ، واللّامُ ثلاثون، والرّاءُ مئتان، فهذه إحدى وثلاثون ومئتانِ، هل مع هذا غيرُه يا محمّد؟ قال: «نَعَم ﴿الٓمٓر﴾» قال: هذه أثقلُ وأطولُ، الألِفُ واحدةٌ، واللّامُ ثلاثون، والميمُ أربعون، والرّاءُ مئتانِ، فهذه إحدى وسبعون ومئتا سنةٍ، ثمّ قال: لقد لُبِّسَ علينا أمرُك يا محمّد حتّى ما ندري أقليلاً أُعطِيتَ أم كثيراً؟ ثمّ قاموا عنه.

فقال أبو ياسرٍ لأخيه حُييِّ بن أخطَبَ ولمن معه من الأحبار: ما يُدرِيكم لعلّه قد جُمِعَ هذا كلُّه لمحمّدٍ، إحدى وسبعون، وإحدى وثلاثون ومئةٌ، وإحدى وثلاثون ومئتانِ، وإحدى وسبعون ومئتانِ، فذلك سبعُ مئةٍ وأربعُ سنين، فقالوا: لقد تَشابَه علينا أمرُه. فيَزعُمون أنّ هؤلاءِ الآياتِ نَزَلَت فيهم: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧][1].

= وستون ومئة سنة. قلنا: وما وقع في نسخنا الخطية لا يصحُّ على طريقة حساب الجُمَّل في أبجد هوّز، وهو الترتيب القديم للأحرف العربية، فالصاد فيه تسعون.

(١) خبر ضعيف منكر، وقد أسنده عمرو بن زُرارة النيسابوريُّ عند البخاري في «التاريخ الكبير» ٢/ ٢٠٨ عن زياد البكّائيِّ، عن ابن إسحاق قال: حدثني مولًى لزيد بن ثابت، عن سعيد ابن جبير وعكرمة، عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله. وهذا إسناد ضعيف، فالمولى المذكور: هو محمد بن أبي محمد كما سبق مراراً، وهو مجهول لا يُعرَف.

ثم ذكر البخاريُّ عن سلمة بن الفضل أنه رواه عن ابن إسحاق فقال: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد، عن ابن عباس.

ثمّ ذكر فيه إسناداً آخر لابن إسحاق، وهو الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رئاب. ومن هذا الوجه أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٢٠-٢٢٢ من طريق سلمة ابن الفضل عن ابن إسحاق. فالظاهر أن سلمة كان يضطرب فيه على ابن إسحاق، وهو مع صدقه يقع له في رواياته بعض الأخطاء، ومهما يكن من أمرٍ، فإنَّ هذا إسناد واهٍ من أجل الكلبيّ =

قال ابن إسحاق: وقد سمعتُ من لا أتَّهِمُ من أهل العلم يَذكُر: أنَّ هؤلاءِ الآياتِ إنّما أُنزِلنَ في أهل نَجْرانَ حين قَدِمُوا على رسول الله ﷺ يسألونَه عن عيسى ابنِ مريمَ[1].

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني محمّدُ بن أبي أُمامة بن سَهْل بن حُنَيفٍ[2] أنّه سَمِعَ: أنّ هؤلاءِ الآياتِ إنّما أُنزلن في نفرٍ من يهودَ، ولم يُفسِّرْ ذلك لي. فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

وكان فيما بَلَغَني عن عِكْرمة مولى ابن عبّاسٍ أو عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس: أنَّ يهودَ كانوا يَستفتِحُون على الأَوس والخَزرَج برسول الله ﷺ قبل مَبعَثِه، فلمّا بَعَثَه اللهُ من العرب كَفَروا به، وجَحَدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذُ بن جَبَل وبِشرُ بن البَرَاء بن مَعرُورٍ أخو بني سَلِمةَ: يا مَعشَرَ يهودَ، اتَّقُوا الله وأَسلِموا، فقد كنتم تَستفتِحون علينا بمحمَّدٍ ونحن أهلُ شِرْك، وتخبروننا أنّه مبعوثٌ وتَصِفُونه لنا بصِفَتِه، فقال سَلَام بن مِشكَمٍ أحدُ بني النَّضِير: ما جاءَنا بشيءٍ نعرفُه، وما هو بالّذي كنّا نَذكُره لكم. فأَنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩][3].

= ـ وهو محمد بن السائب ـ فإنه متَّهم بالكذب، وأبو صالح ـ وهو مولى أمّ هانئ واسمه باذام أو باذان ـ ضعيف.

(١) وسيأتي قريباً ص٢٥٨ عند ابن إسحاق في أمر السيّد والعاقب من أهل نجران وأمر المباهلة شيء من هذا.

(٢) محمد بن أبي أمامة هذا قد وثّقه ابن مَعِين وابن حبّان، وهو من أتباع التابعين.

(٣) إسناده ضعيف، فالواسطة بين ابن إسحاق وبين عكرمة وسعيد بن جبير فيه هو محمد =

قال ابن إسحاق: وقال مالك بن الصَّيْف[1] حين بُعِثَ رسولُ الله ﷺ وذَكَرَ لهم ما أُخِذَ عليهم له من المِيثاق، وما عَهِدَ اللهُ إليهم فيه: واللهِ ما عُهِدَ إلينا في محمّد عهدٌ، وما أُخِذَ له علينا مِيثاقٌ. فأَنزل الله فيه: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:١٠٠].

وقال ابن صَلُوبَا الفِطْيَونِيُّ[2] لرسول الله ﷺ: يا محمّد، ما جئتَنا بشيءٍ نعرفُه، وما أَنزل الله عليك من آيةٍ بيِّنةٍ فنتَّبِعُك لها. فأَنزل الله تعالى في ذلك من قوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [البقرة:٩٩].

وقال رافعُ بن حُرَيملة ووهبُ بن زيدٍ لرسول الله ﷺ: يا محمّد، ائتِنا بكتابٍ تُنزِلُه علينا من السماء نقرؤُه، وفَجِّرْ لنا أنهاراً، نَتَّبِعْك ونُصدِّقْك. فأَنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن

= ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت كما جاء مسمًّى في روايتَي سلمة بن الفضل ويونس بن بكير عند الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٣٨ و٢٣٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧٢. ومحمدٌ مجهول.

ورواه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق عند أبي نعيم الأصبهاني في «دلائل النبوة» (٤٣) كرواية ابن هشام.

(١) في (ت) و(ق١): الضيف، وفي (ش١) و(ص) و(غ) و(م) و(ي) بالصاد المهملة وصحّح في (غ) عليه، لكن كتب في حاشيتها: الضيف معاً؛ أي: بالمهملة والمعجمة.

وخبر مالك بن الصيف هذا رواه ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد بالإسناد السابق كما في روايتَي يونس بن بكير وسلمة بن الفضل عنه عند الطبري ٢/ ٣٠٨، وابن أبي حاتم ١/ ١٨٣.

(٢) زاد في (ت): ملك من ملوك يهود.

وخبر ابن صلوبا هذا رواه ابن إسحاق بالإسناد السابق عند الطبري ٢/ ٣٠٥ و٣٠٦، وابن أبي حاتم ١/ ١٨٣. ووقع عندهما: ابن صوريا! وهذا رجل آخر من يهود، وهو من يهود بني حارثة وليس من بني الفِطيَون كما تقدم عند ابن إسحاق في تسمية الأعداء من اليهود ص١٧١.

﴿يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة:١٠٨][(١)].

قال ابن هشام: سواءُ السَّبيل: وَسَطُ السَّبيل، قال حسّان بن ثابت:

يا وَيْحَ أنصارِ النبيِّ ورَهطِهِ بعدَ المُغيَّبِ في سَواءِ المُلحَدِ[(٢)]

وهذا البيت في قصيدةٍ له سأذكرُها في موضعها إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحاق: وكان حُيَيُّ بن أخطَبَ وأخوه أبو ياسر بن أخطَبَ من أشدِّ يهودَ للعرب حسداً، إذ خَصَّهم اللهُ برسوله ﷺ، فكانا جاهدَينِ في ردِّ النّاس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٩].

قال ابن إسحاق: ولمّا قَدِمَ أهلُ نَجْرانَ من النَّصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبارُ يهود، فتَنازَعُوا عند رسول الله ﷺ، فقال رافعُ بن حُريملَة: ما أنتم على شيءٍ، وكَفَرَ بعيسى وبالإنجيل، فقال رجل من أهل نَجْران من النّصارى لليهود: ما أنتم على شيءٍ، وجَحَدَ نُبوّةَ موسى وكَفَرَ بالتَّوراة. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة:١١٣][(٣)]، أي: كلٌّ يَتلُو في كتابه تصديقَ ما كَفَرَ به،

---

(١) وهذا الخبر رواه ابن إسحاق بالإسناد السابق أيضاً عند الطبري ٢/ ٤٠٩، وابن أبي حاتم ١/ ٢٠٢.

(٢) المُلحَد: القبر. وهذه القصيدة في رثاء النبيّ ﷺ، وستأتي بتمامها في آخر الكتاب. وانظر «ديوانه» ١/ ٢٦٩.

(٣) خبر أهل نجران هذا رواه ابن إسحاق بالإسناد السابق أيضاً عند الطبري ٢/ ٤٣٤-٤٣٥، =

أي: تَكفُر اليهود بعيسى، وعندهم التَّوراةُ فيها ما أَخَذَ اللهُ عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتّصديقِ بعيسى عليه السلام، وفي الإنجيل ما جاءَ به عيسى عليه السلام من تصديقِ موسى عليه السلام وما جاءَ به من التَّوراة من عند الله، وكلٌّ يَكفُرُ بما في يد صاحبه.

قال ابن إسحاق: وقال رافعُ بن حُرَيملةَ لرسول الله ﷺ: يا محمّد، إن كنتَ رسولاً من الله كما تقولُ، فقل لله فليُكلِّمْنا حتّى نسمعَ كلامَه. فأَنزل الله تعالى في ذلك من قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:١١٨][1].

وقال عبدُ الله بن صُورِي الأعورُ الفِطْيَونِيُّ لرسول الله ﷺ: ما الهُدى إلّا ما نحن عليه، فاتَّبِعْنا يا محمّدُ تَهتَدِ، قال: وقالت النَّصارى مثلَ ذلك، فأَنزل الله تعالى في ذلك في قول عبد الله بن صُورِي وما قالت النَّصارى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ثمّ القصّةُ إلى قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٣٥-١٤١][2].

قال ابن إسحاق: ولمّا صُرِفَت القِبلةُ عن الشّام إلى الكعبة، وصُرِفَت في رجب

= وابن أبي حاتم ١/ ٢٠٨.

(١) هذا الخبر رواه ابن إسحاق بالإسناد السابق أيضاً عند الطبري ٢/ ٤٧٤، وابن أبي حاتم ١/ ٢١٥.

(٢) وهذا الخبر رواه ابن إسحاق بالإسناد السابق كذلك عند الطبري ٢/ ٥٨٩، وابن أبي حاتم ١/ ٢٤١.

على رأس سبعةَ عشرَ شهراً من مَقدَمِ رسول الله ﷺ المدينةَ[1]، أَتى رسولَ الله ﷺ رِفاعةُ بن قيسٍ وقَردَمُ بن عمرٍو وكعبُ بن الأشرَفِ ورافعُ بن أبي رافعٍ والحجّاجُ ابن عمرٍو حليفُ كعب بن الأشرَف والرَّبيعُ بن الرَّبيع بن أبي الحُقَيقِ وكِنانةُ بن الرَّبيع بن أبي الحُقَيق، فقالوا: يا محمّدُ، ما وَلّاكَ عن قِبلَتِك الّتي كنت عليها وأنت تَزعُم أنّك على مِلَّةِ إبراهيمَ ودينِه؟ ارجِعْ إلى قِبلتِك الّتي كنت عليها نتَّبِعْكَ ونُصدِّقْكَ، وإنَّما يريدون فِتنتَه عن دينِه. فأَنزل الله تعالى فيهم[2]: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

(١) هكذا قال هنا، وهو الصواب إن شاء الله، وسيأتي في تاريخ صرف القبلة قُبيل غزوة بدر قوله: صُرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً، وهذا ما وقع في حديث البراء بن عازب عند ابن ماجه (١٠١٠) من رواية أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق السَّبيعي عنه، لكن رواية ابن عياش هذه وقع فيها اضطراب كما هو مبيَّن في التعليق على «سنن ابن ماجه» طبعة الرسالة.

والمحفوظ عن أبي إسحاق عن البراء كما عند البخاري (٤٠) ومسلم (٥٢٥): أن النبيَّ ﷺ صلَّى عند مقدمه المدينةَ قِبَلَ بيت المَقدِس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وفي بعض رواياته عن أبي إسحاق كما عند مسلم وغيره: ستة عشر شهراً، من غير شكٍّ، وكذا وقع في حديث ابن عباس عند أحمد (٢٩٩١) بإسناد صحيح.

قال ابن حجر في «فتح الباري» ١/ ٢٠٧: والجمع بين الروايتين سهل بأن يكون من جَزَمَ بستة عشر لفَّق من شهر القدوم وشهر التحويل شهراً وألغى الأيام الزائدة، ومن جَزَمَ بسبعة عشر عدَّهما معاً، ومن شكَّ تردَّد في ذلك، وذلك أن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف، وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح، وبه جَزَمَ الجمهور، ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس. وانظر تتمة كلامه هناك، فقد ذكر فيه أقوالاً أخرى وردَّها.

(٢) وهذا الخبر رواه ابن إسحاق بالإسناد السابق أيضاً عند الطبري ٢/ ٦١٨-٦١٩، وابن أبي حاتم ١/ ٢٤٧، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٥٧٥.

مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ يقول: عَدْلاً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ أي: ابتلاءً واختباراً ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ أي: من الفتن، أي: الّذين ثَبَّتَ اللهُ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ أي: إيمانكم بالقِبْلة الأُولى، وتصديقَكم نبيَّكم واتِّباعَكم إيّاه إلى القِبْلة الآخِرة، أي: لَيُعطِيَنَّكم أجرَهما جميعاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٤٢-١٤٣].

ثمّ قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾.

قال ابن هشام: شَطْرَه: نحوَه وقَصْدَه، قال عمرُو بن أحمرَ الباهليُّ ـ وباهلةُ: ابنُ يَعصُرَ بن سعد بن قيس بن عَيْلانَ ـ يَصِفُ ناقة:

تَعدُو بنا شَطْرَ جَمْعٍ وهْيَ عاقدةٌ ... قد كارَبَ العَقْدُ من إيفادِها الحَقَبا

الإيفاد: الإسراع[1]، وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال قيس بن خُوَيلِد الهُذَليّ يَصِفُ ناقةً:

---

(١) قوله: الإيفاد: الإسراع، أثبتناه من (ص) و(م).

قلنا: والإيفاد أيضاً: الإشراف على الشيء، وجاء تفسيره بالإشراف عند السهيليّ في «الروض» ٤/ ٤٢٣، والخشنيّ في «إملائه» ص١٤٢. وجَمْع: هو المزدلفة.

وقوله: وهي عاقدة، قال السهيليُّ: يريد عنقَها لاويتَها، أما الخشنيُّ فقال: يقال: ناقة عاقدةٌ، إذا عَقَدَت ذَنَبها بين فخذيها في أوّل ما تَحمِل. وكارَبَ: قارَبَ. والحَقَب: حبل يُشدّ به الرَّحل إلى بطن البعير.

وانظر «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٠، و«خزانة الأدب» لعبد القادر البغدادي ٦/ ٢٥٥، و«شعر عمرو بن أحمر» جمع وتحقيق حسين عطوان ص٤٣.

إن النَّعُـوسَ بهـا داءٌ مُخامِرُهـا فشَطْرَها نَظَرُ العَينَينِ محسورُ[1]

وهذا البيت في أبياتٍ له.

قال ابن هشام: النَّعُوس: ناقتُه، وكان بها داءٌ، فنظر إليها نظرَ حَسِيرٍ، من قوله: بعيرٌ حسيرٌ، أي: قد حَسَرَه السفرُ: ذهب بقوَّتِه فلا نهضةَ به[2].

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾، قال ابن إسحاق: إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾.

بقيّة أمر يهودَ والمنافقين

وسأَل معاذُ بن جَبَلٍ أخو بني سَلِمةَ، وسعدُ بن معاذٍ أخو بني عبد الأَشهَل، وخارجةُ بن زيدٍ أخو بَلْحارثِ بن الخَزرَج، نفراً من أحبار يهودَ عن بعض ما في

(١) البيت في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٠ و٣٧٥ و٢/ ٢٦٢، وفي أوله: إنّ العسير بها داءٌ، وذكر أنّ العسير اسم ناقة، ومحسور أي: لا يُبصِر.

وهو في «شرح أشعار الهذليين» صنعة أبي سعيد السكَّريّ ٢/ ٦٠٧، ورواية الشطر الثاني فيه: فنحوَها بصرُ العينين مخزورُ، وعليه فلا شاهد فيه!

وشَرَحَ السكّريُّ على النَّعوس فقال: ناقة تُحمَد عند الدَّرِّ، إذا حُلبَت نعست. والمخزور: من خَزَرَ البصرُ، إذا نظر من مؤخر عينه.

وقال الخشنيُّ في «إملائه» ص١٤٢: العَسِير: الناقة التي تُركَب قبل أن تُراضَ وتُليَّن، ومن رواه النَّعوس، فهي الكثيرة النعاس، ويخامرها: يخالطها، ومحسور أي: مُعيًى.

(٢) من قوله: وكان بها داء، إلى هنا ليس في (ش١) و(ص) و(م)، ومن قوله: أي قد حسره السفر، إلى هنا ليس في (ت)، وكلام ابن هشام كلّه في شرح البيت ليس في (غ) و(ق١)، وأثبتناه بأجمعه من نسخة (ي).

التّوراة، فكتَمُوهم إيّاه وأَبَوْا أن يُخبِروهم عنه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩][1].

ودعا رسولُ الله ﷺ اليهودَ من أهل الكتاب إلى الإسلام ورَغَّبَهم فيه، وحذَّرهم عذابَ الله ونِقمتَه، فقال له رافعُ بن خارجةَ ومالكُ بن عوفٍ: بل نتَّبعُ يا محمّدُ ما وَجَدْنا عليه آباءَنا، فهم كانوا أعلمَ وخيراً منّا. فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك من قولهما: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠][2].

ولمّا أصاب اللهُ قريشاً يوم بدرٍ، جَمَعَ رسولُ الله ﷺ يهودَ في سوق بني قَينُقاعَ حين قَدِمَ المدينةَ، فقال: «يا مَعشَرَ يهودَ، أسلِمُوا قبلَ أن يُصِيبَكم اللهُ بمِثْلِ ما أصاب به قُريشاً» فقالوا له: يا محمّدُ، لا يَغُرَّنَّك من نفسِك أنّك قتلتَ نَفَراً من قريشٍ كانوا أَغماراً[3] لا يَعرِفون القتال، إنّك واللهِ لو قاتَلتَنا، لعرفتَ أنّا نحنُ النّاسُ، وأنّك لم تلقَ مِثلَنا.

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

---

(١) هذا الخبر رواه ابن إسحاق بالإسناد السابق عند الطبري ٢/ ٧٣٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢٦٨ في «تفسيريهما» عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جُبير، عن ابن عباس. ومحمدٌ شيخ ابن إسحاق مجهولٌ.

(٢) وهذا الخبر رواه ابن إسحاق بالإسناد السابق عند الطبري ٣/ ٤٢، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨١.

(٣) الأغمار: جمع غَمْرٍ، وهو الذي لم يجرِّب الأمور.

لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [آل عمران:١٢-١٣][1].

ودخل رسولُ الله ﷺ بيتَ المِدْراسِ[2] على جماعة من يهودَ، فدعاهم إلى الله، فقال له النُّعمانُ بن عمرو والحارثُ بن زيد: وعلى أيِّ دينٍ أنت يا محمّد؟ قال: «على مِلَّةِ إبراهيمَ ودينِه» قالا: فإنّ إبراهيمَ كان يهوديّاً، فقال لهما رسول الله ﷺ: «فهَلُمَّ إلى التَّوراةِ، فهي بيننَا وبينكم»، فأَبَيَا عليه، فأَنزل الله تعالى فيهما: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران:٢٣-٢٤][3].

وقال أحبارُ يهودَ ونصارى نَجْرانَ، حين اجتَمَعوا عند رسول الله ﷺ فتنازعوا، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيمُ إلا يهوديّاً، وقالت النَّصارى من أهل نَجْرانَ: ما كان إبراهيمُ إلا نصرانيّاً. فأَنزل الله فيهم: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ

---

(١) هذا الخبر أخرجه أبو داود في «سننه» (٣٠٠١) من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد، عن سعيد بن جبير وعكرمة، عن ابن عباس. وسيأتي بهذا الإسناد في أمر بني قينقاع في موضعه بعد غزوة بدر ٣/ ١١. ومحمد مولى زيد مجهول كما سبق، ومع ذلك فقد حسّن هذا الإسناد الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٢/ ١١٤.

وقد روى هذا الخبر ابن إسحاق أيضاً عن عاصم بن عمر بن قَتَادة مرسلاً فيما أخرجه الطبري ٥/ ٢٣٩، وابن أبي حاتم ٢/ ٦٠٤. فالخبر بهذين الإسنادين محتملٌ للتحسين إن شاء الله.

(٢) هو بيت اليهود حيث يتدارسون فيه كتابهم.

(٣) هذا الخبر رواه ابن إسحاق أيضاً عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، عند الطبري في «تفسيره» ٥/ ٢٩٣ و٢٩٤.

ثمّ روى الطبريُّ عن قتادة وابن جريج: أنّ المراد بقوله: (يُدعَون إلى كتاب الله) هو كتاب الله الذي أُنزل على النبيّ محمد ﷺ، ثمّ رجّح الطبريُّ أن المراد به التوراة كما روي عن ابن عباس.

﴿أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٥-٦٨][1].

وقال عبد الله بن صَيْفٍ[2] وعَديُّ بن زيدٍ والحارثُ بن عوفٍ بعضُهم لبعض: تعالَوْا نُؤمِنْ بما أُنزِلَ على محمّدٍ وأصحابه غَدْوةً ونَكفُرْ به عَشِيّةً، حتّى نَلبِسَ عليهم دينَهم، لعلّهم يَصنَعُون كما نَصنَع فيَرجِعون عن دينهم.

فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧١-٧٣][3].

---

(١) وروى هذا الخبر عمرو بن زُرارة النيسابوريّ عن زياد البكّائي عن ابن إسحاق عند ابن المنذر في «تفسيره» (٥٧٢) ولم يسنده أيضاً.

وأسنده عن ابن إسحاق يونسُ بن بكير وسلمةُ بن الفضيل عند الطبري ٥/ ٤٨١، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٣٨٤ عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس.

ومحمدٌ مجهول كما سبق مراراً.

(٢) في (ت) و(غ) و(ي): ضيف. وقد سبق في تسمية الأعداء من يهود ص١٧٠ تسمية ابن هشام له بالضاد.

(٣) وروى هذا الخبر أيضاً عمرُو بن زُرارة عن زياد البكّائي عند ابن المنذر في «تفسيره» (٥٨٩) ولم يسنده. =

وقال أبو رافعٍ[1] القُرَظيُّ حين اجتَمَعَت الأحبارُ من يهودَ والنَّصارى من أهل نَجْرانَ عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام: أتريدُ منا يا محمّدُ أن نَعبُدَك كما تَعبُدُ النَّصارى عيسى ابنَ مريمَ؟! وقال رجلٌ من أهل نَجْرانَ نصرانيٌّ يقال له: الرَّبِيسُ[2]: أوَذاكَ تريد منّا يا محمّدُ وإليه تَدعُونا؟ أو كما قال، فقال رسول الله ﷺ: «مَعَاذَ اللهِ أن أعبُدَ غيرَ اللهِ أو آمُرَ بعِبادةِ غيرِه، ما بذلكَ بَعَثَني اللهُ ولا أَمَرَني»، أو كما قال.

فأَنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩][3].

= وأسنده محمد بن حميد الرازيّ عن سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري ٥/ ٤٩٣ عن محمد بن أبي محمد بإسناده السابق. وخالف أبو غسان زُنيج عند ابن أبي حاتم ٢/ ٦٧٧-٦٧٨ فرواه عن سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد من قوله، لم يجاوز به. ومهما يكن من أمرٍ، فإنّ محمداً هذا مجهولٌ لا يُعرَف.

(١) هكذا في (ق١): أبو رافع، بالراء، وفي بقية النسخ: أبو نافع، بالنون، وأثبتنا في نسخة (ق١) لثبوته هكذا في المصادر التي خرّجت هذا الخبر من طريق ابن إسحاق.

(٢) هكذا في (ص) و(ي)، وفي (ت) و(غ) و(م): الرئيس، ولم تُعجَم في (ش١) و(ق١). والرَّبِيس: الداهية والشجاع.

(٣) وروى هذا الخبر أيضاً عمرُو بن زُرارة عن زياد البكّائي عند ابن المنذر في «تفسيره» (٦٤٢) ولم يسنده.

وأسنده سلمةُ بن الفضل في رواية ابن حميد الرازيّ عنه عند الطبري ٥/ ٥٢٤، ويونس بن بكير عند البيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٣٨٤، كلاهما عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وخالف زُنيج عن سلمة بن الفضل عند ابن أبي حاتم =

قال ابن هشام: الرَّبّانيُّون: العلماءُ الفقهاءُ السّادةُ، واحدهم: رَبّانِيٌّ، قال الشاعر:

لو كنتُ مُرتَهَناً في القُوسِ أَفتَنَني ... منهـا الكـلامُ ورَبّانـيَّ أَحبـارِ[1]

قال ابن هشام: القُوسُ: صَومَعةُ الرّاهب[2]، وأفتَنَني: لغة تَمِيم، وفَتَنَني: لغة قيسٍ.

قال ابن هشام: قال جَرِير:

لا وَصْلَ إذ صَرَمَت هندٌ ولو وَقَفَت ... لاستَنزَلَتْني وذا المِسحَينِ في القُوسِ[3]

أي: صَوَمعة الرّاهب.

قال ابن هشام: الرَّبّاني: مشتقٌّ من الرَّبِّ، وهو السيِّد، وفي كتاب الله: ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ [يوسف:٤١] أي: سيِّدَه.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٠][4].

= ٢/ ٦٩٣، فجعله من رواية محمد بن أبي محمد معضلاً. ومجمد مجهولٌ كما سبق، ولم يتابَع فيه، فخبره هذا ضعيف.

(١) المرتَهَن: المرهون، ويعني هنا المحبوس في صومعته. والأحبار: جمع حَبْر، وهو راهب النصارى. ولم نقف على هذا البيت عند غير ابن هشام.

(٢) في (ت): موضع صومة الراهب، وفي (ي): منارة الراهب.

(٣) صَرَمت، أي: قَطَعَت، وفي «ديوان جرير» ص٢٤٩، و«التعريب والمعرَّب» لابن بَرّي ص١٣٩، و«لسان العرب» و«تاج العروس» (قوس): صرفت، وفي «صحاح الجوهري»: رحلت. وقوله: لاستنزلتني، وقع مكانه في المصادر المذكورة: لاستَفتَنَتني، من الفتنة. والمِسْحان: تثنية مِسْح، وهو ثوب من شعر أسود غليظ كان يلبسه الرُّهبان.

(٤) من قوله: قال ابن هشام: القوس، إلى هنا ليس في (غ)، ومن قوله: والرباني، إلى هنا ليس في (ق١)، ومن قوله: أي سيده، إلى هنا ليس في (ص) و(ي)، وهذا بأجمعه ثابت في (ت) =

قال ابن إسحاق: ثمّ ذَكَرَ ما أَخَذَ اللهُ عليهم وعلى أنبيائهم من المِيثاقِ بتصديقه إذا هو جاءَهم وإقرارَهم على أنفُسِهم، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ يقول: مِيثاقي ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١] إلى آخر القصّة.

قال ابن إسحاق: ومرَّ شَأْسُ بن قيسٍ - وكان شيخاً قد عَسَا[1]، عظيمَ الكفر، شديدَ الضِّغْنِ على المسلمين، شديدَ الحَسَد لهم - على نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الأَوس والخَزرَج في مجلسٍ قد جَمَعَهم يَتحدَّثون فيه، فغاظَهُ ما رأَى من أُلفتِهم وجماعتِهم وصلاحِ ذاتِ بَينِهم على الإسلام، بعد الّذي كان بينهم من العداوة في الجاهليّة، فقال: قد اجتَمَعَ مَلأُ بني قَيْلةَ[2] بهذه البلاد، لا واللهِ ما لنا معهم إذا اجتَمَعَ مَلَؤُهم بها من قَرَارٍ. فأَمَرَ فتًى شابّاً من يهودَ كان معهم، فقال: اعمِدْ إليهم فاجلِسْ معهم، ثمّ اذكُرْ يومَ بُعَاثَ وما كان قبلَه وأنشِدْهم بعضَ ما كانوا تَقاوَلُوا فيه من الأشعار.

وكان يومُ بُعَاثَ يوماً اقتَتَلَت فيه الأَوسُ والخَزرَجُ[3]، فكان الظَّفَرُ فيه يومئذٍ للأَوس على الخَزرَج، وكان على الأَوس يومئذٍ حُضَيرُ بن سِمَاكٍ الأَشهَليُّ، أبو أُسيد

= و(ش١) و(م).

(١) أي: بقي واشتدّ في كفره.

(٢) أي: الأوس والخزرج، وقَيْلةُ اسم أمّهم، وهي من قُضاعة.

(٣) وبُعاث: موضع يقع في جهة الشمال الشرقي من المدينة، ولا يُعرف موضعه تحديداً، وانظر «معجم المعالم الجغرافية» للبلادي ص٤٦-٤٧. قال النوويُّ في شرحه على «صحيح مسلم»: ويجوز صرفه وترك صرفه وهو الأشهر.

ابن حُضَير، وعلى الخَزرَج عمرُو بن النُّعمان البَيَاضيُّ، فقُتِلا جميعاً.

قال ابن هشام: قال أبو قيس بن الأَسلَتِ:

على أنْ قد فُجِعتُ بذِي حِفَاظٍ ... فعاوَدَني له حُزْنٌ رَصِينُ[1]

فإمَّا تَقتُلُوهُ فإنَّ عَمراً ... أُعِضَّ برأسِهِ عَضْبٌ سَنِينُ[2]

وهذانِ البيتانِ في قصيدةٍ له، وحديثُ يوم بُعَاثَ أطولُ ممّا ذكرتُ، وإنّما مَنَعَني من استقصائه ما ذكرتُ من القَطْع[3].

قال ابن إسحاق: ففَعَلَ، فتكلَّم القومُ عند ذلك وتَنازَعوا وتَفاخَروا وتَواخَذوا[4] حتّى تَوائَبَ رجلانِ من الحيَّينِ على الرُّكَب، أَوسُ بن قَيظِيٍّ أحدُ بني حارثة بن الحارث من الأَوس، وجَبّارُ بن صخرٍ أحدُ بني سَلِمة من الخَزرَج، فتَقاوَلا، ثمَّ قال أحدُهما لصاحبه: إن شئتم رَدَدْناها الآن جَذَعةً[5]، فغَضِبَ الفريقانِ جميعاً وقالوا: قد فَعَلْنا، موعدُكم الظّاهرةُ ـ والظّاهرةُ: الحَرّة[6] ـ السلاحَ السلاحَ، فخرجوا إليها.

---

(١) الحِفَاظ: الغضب. والرَّصِين: الثابت الدائم. ويريد بهذا البيت حضير بن سماك الأوسيّ، فهو من قومه الأوس.

(٢) العَضْب: السيف القاطع. وسَنِين: حادٌّ مسنون. وأُعضَّ برأسه، أي: أُلزِمَ رأسُه بالسيف ففَتَك به. ويريد به عمرو بن النعمان الخزرجيّ.

(٣) أي: قطع سرد السيرة النبوية.

(٤) هكذا في (ت)، وفي (ص) و(م) و(ي): فتنازعوا وتواخذوا، دون وتفاخروا، وفي (ش١) و(غ) و(ق١): وتنازعوا وتفاخروا، دون وتواخذوا. ومعنى تواخذوا، كأنّه يريد أنّه أخذ بعضُهم يَعتَبُ على بعضٍ.

(٥) أي: أعدنا الأمرَ إلى أوّله كما كان في الجاهليّة، وهذا من المجاز، والجِذْع في الأصل: هو ساق الشجر وأصلها.

(٦) الحَرّة: الأرض ذات الحجارة السوداء، والمدينة ذات حِرار عدّة.

فبَلَغَ ذلك رسولَ الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتّى جاءَهم، فقال: «يا مَعشَرَ المسلمينَ، اللهَ اللهَ، أبِدَعْوى الجاهليَّةِ وأنا بينَ أظهُرِكُم بعدَ أنْ هَدَاكُم اللهُ للإسلامِ وأكرَمَكُم به، وقَطَعَ به عنكم أمرَ الجاهليَّةِ، واستَنقَذَكُم به من الكُفرِ، وألَّفَ به بينَكم»، فعَرَفَ القومُ أنَّها نَزْغةٌ[1] من الشّيطان، وكَيْدٌ من عدوِّهم، فبَكَوْا وعانَقَ الرّجالُ من الأَوس والخَزرَج بعضُهم بعضاً، ثمّ انصَرَفُوا مع رسول الله ﷺ سامِعِينَ مُطِيعِينَ، قد أطفَأَ اللهُ عنهم كيدَ عدوِّ الله شأسِ ابن قيسٍ.

فأَنزل الله تعالى في شأس بن قيسٍ وما صَنَعَ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨-٩٩].

وأَنزل اللهُ في أَوس بن قَيظِيٍّ وجَبّارِ بن صَخرٍ ومَن كان معهما من قومهما الَّذين صَنَعُوا ما صَنَعُوا عمّا أَدخَلَ عليهم شأسٌ من أمر الجاهليّة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠٥][2].

---

(١) النَّزْغة: الإفساد بين الناس.

(٢) حديث حسن، وقد أسنده بطوله في قصة شأسٍ وما صنع بإثارة الفتنة بين الحيَّين، سلمةُ ابن الفضل عند الطبري في «تفسيره» ٥/ ٦٢٧-٦٢٩، وابن الأثير في «أسد الغابة» ١/ ١٧٥-١٧٦ عن ابن إسحاق قال: حدثني الثِّقة عن زيد بن أسلم قال: مرّ شأس بن قيس... وهذا خبر مرسلٌ وفيه مبهمٌ، لكن يشدُّه مرسلان آخران. =

قال ابن إسحاق: ولمّا أسلَمَ عبدُ الله بن سَلَام وثَعلَبةُ بن سَعْية وأُسَيدُ بن سَعْية وأَسدُ بن عُبيدٍ ومَن أسلَمَ من يهودَ معهم، فآمنوا وصدَّقوا ورَغِبوا في الإسلام ورَسَخُوا فيه، قالت أحبارُ يهودَ، أهلُ الكفر منهم: ما آمَنَ بمحمّدٍ ولا اتَّبَعَه إلّا أشرارُنا، ولو كانوا من أخيارنا ما تَرَكوا دينَ آبائِهم وذهبوا إلى غيرِه. فأَنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣][1].

قال ابن هشام: آناءُ اللَّيل: ساعاتُ اللَّيل، وواحدُها: إِنْيٌ، قال المُتنخِّل الهُذَليّ، واسمه مالكُ بن عُوَيمِر[2]، يَرْثي أُثَيلةَ ابنَه:

= فقد روى نحوه مختصراً مجاهدٌ عند عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٢٨ ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» أيضاً ٣/ ٧١٩، وعكرمةُ مولى ابن عباس عند الواحديّ في «أسباب النزول» (٢٣١).

وبهذين المرسلين يتقوّى هذا الحديث إن شاء الله.

(١) أسند هذا الخبر سلمةُ بن الفضل ويونسُ بن بكيرٍ عند الطبري ٥/ ٦٩١ و٦٩٢، وابن أبي حاتم ٣/ ٧٣٧، والطبراني في «الكبير» (١٣٨٨)، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٥٣٣-٥٣٤، وابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٥٢، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٩/ ١١٥، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» ١٠/ (٣٨١)، وإبراهيمُ بن سعدٍ عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٩٠٥) و(١٣٩٨)، ثلاثتهم (سلمة ويونس وإبراهيم) عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس. ومحمدُ بن أبي محمد مجهول كما سبق مراراً، ومع ذلك ذكره ابن حبان في «ثقاته» ٧/ ٣٩٢، وقال الهيثميّ في «مجمع الزوائد» ٦/ ٣٢٧ بعد أن عزاه إلى الطبراني: رجاله ثقات!

(٢) تحرف في (ت) و(ص) و(م) و(ي) إلى: عويم. وانظر «شرح أشعار الهذليّين» صنعة أبي سعيد السكّري ٣/ ١٢٤٩، وسمّاه ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» ٢/ ٦٥٩: مالك بن عمرو.

حُلْوٌ ومُرٌّ كعَطْفِ القِدْحِ شِيمَتُهُ في كلِّ إِنْيٍ قَضَاهُ اللّيلُ يَنتعِلُ[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال لَبِيد بن رَبِيعةَ يصفُ حمارَ وَحْشٍ:

يُطَرِّبُ آنَاءَ النّهارِ كأنّهُ غَوِيٌّ سَقَاه في التِّجَارِ نَديمُ[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

ويقال[3]: إنّى، فيما أخبرني يونسُ.

﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٤].

قال ابن إسحاق: فكان رجالٌ من المسلمين يُواصِلون رجالاً من اليهود، لِمَا كان بينهم من الجِوَار والحِلْف في الجاهليّة، فأَنزل الله فيهم ينهاهم عن مُباطَنتِهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ

---

(١) قوله: حلوٌ ومرٌّ، يصف ابنه بأنّه حلو المَعشَر لكنّه مرٌّ صعب عند الشدائد. كعَطْف القِدح، يريد: أنه يُطوَى كما يُطوَى القِدح - وهو السَّهم - ثم يعود إلى شدّته واستقامته. شِيمته، أي: طبيعته. وقضاه الليلُ، أي: صنعه وفصّله. وينتعل، أي: يَسْري في كل ساعة من الليل غيرَ حافل بما يلقى فيه، كأنه اتَّخذه نعلاً.

وانظر قصيدته هذه في المصدرين السابقين: «شرح أشعار الهذليّين» ٣/ ١٢٨٣، و«الشعر والشعراء» ٢/ ٦٦٢. وهذا البيت من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ١٠٢ و٢/ ٣٣.

(٢) يطرّب، أي: يردِّد نُهاقه. والغويّ: المفسد. والتِّجار: يريد بائعي الخمر، واحده: تاجر. والنديم: الصاحب المؤانِس.

وانظر هذا البيت مع القصيدة في «ديوان لبيد» ص٩٦.

(٣) أي: في واحد الآناء. ويونسُ المذكور: هو يونس بن حبيب النَّحويّ.

مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ أي: تؤمنون بكتابهم وكتابكم وبما مَضَى من الكتب قبلَ ذلك، وهم يَكفُرون بكتابكم، فأنتم كنتم أحقَّ بالبغضاءِ لهم منهم لكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾ [آل عمران:١١٨-١١٩] إلى آخر القصّة.

ودخل أبو بكرٍ الصِّدّيقُ رضي الله عنه بيتَ المِدْراس[1] على يهودَ، فوَجَدَ منهم ناساً كثيراً قد اجتَمَعوا إلى رجل منهم يقال له: فِنْحاصُ، كان من علمائهم وأحبارِهم، ومعه حَبْرٌ من أحبارهم يقال له: أَشْيَعُ، فقال أبو بكرٍ لِفِنحاصَ: وَيحَكَ يا فِنحاصُ! اتَّقِ الله وأسلِمْ، فواللهِ إنّك لَتعلمُ أنَّ محمّداً رسولُ الله، قد جاءَكم بالحقِّ من عنده، تَجِدُونه مكتوباً عندكم في التّوراة والإنجيل، فقال فِنحاصُ لأبي بكر: واللهِ يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقرٍ، وإنّه إلينا لفقيرٌ، وما نَتضرَّعُ إليه كما يَتضرَّعُ إلينا، وإنّا عنه لأغنياءُ وما هو عنّا بغنيٍّ، ولو كان عنّا غنيّاً ما استَقرَضَنا أموالَنا كما يَزعُمُ صاحبُكم، يَنهاكُم عن الرِّبا ويُعطِيناهُ، ولو كان عنّا غنيّاً ما أعطانا الرِّبا، قال: فغضب أبو بكرٍ فضرب وجهَ فِنحاصَ ضرباً شديداً، وقال: والّذي نفسي بيدِه، لولا العهدُ الّذي بيننا وبينك، لضربتُ رأسكَ أَيْ عدوَّ الله.

فذهب فِنحاصُ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمّدُ، انظُرْ ما صَنَعَ بي صاحبُك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكرٍ: «ما حَمَلَك على ما صَنَعتَ؟» فقال أبو بكر: يا رسولَ الله، إنَّ عدوَّ الله قال قولاً عظيماً، إنّه زَعَمَ أنّ الله فقيرٌ وأنّهم عنه أغنياءُ، فلمّا قال ذلك غَضِبتُ لله ممّا قال فضربتُ وجهَه، فجَحَدَ ذلك فِنحاصُ وقال: ما قلتُ ذلك.

---

(١) هو بيت اليهود حيث يتدارسون فيه كتابهم.

فأنزل الله تعالى فيما قال فِنحاصُ ردّاً عليه، وتصديقاً لأبي بكرٍ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران:١٨١].

ونَزَلَ في أبي بكر الصِّدّيق وما بَلَغَه في ذلك من الغضب: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦].

ثمّ قال فيما قال فِنحاصُ والأحبارُ معه من يهودَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٨٧-١٨٨] يعني فِنحاصَ وأَشيَعَ وأشباهَهما من الأحبار، الّذين يَفرَحُون بما يُصِيبون من الدّنيا على ما زَيَّنوا للنّاس من الضَّلالة، ويحبُّون أن يُحمَدُوا بما لم يَفعَلوا؛ أن يقولَ الناس: علماءُ، وليسوا بأهلِ علمٍ، لم يَحمِلُوهم على هُدًى ولا حقٍّ، ويحبُّون أن يقولَ الناس: قد فَعَلُوا[1].

قال ابن إسحاق: وكان كَردَمُ بن قيسٍ حليفُ كعب بن الأشرَفِ وأسامةُ بن حَبيبٍ ونافعُ بن أبي نافعٍ وبَحرِيُّ بن عمرٍو وحُيَيُّ بن أخطبَ ورِفاعةُ بن زيد بن التّابُوت، يأتون رجالاً من الأنصار كانوا يُخالِطُونهم ويَتَنصّحُون لهم من أصحاب رسول الله ﷺ، فيقولون لهم: لا تُنفِقوا أموالَكم، فإنّا نَخشَى عليكم الفقرَ في ذهابها،

---

(١) أسند هذا الخبر في قصة أبي بكر وفنحاص عن ابن إسحاقَ بالإسناد السابق يونسُ بن بكير وسلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٧٨، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٨٣٠)، وابن أبي حاتم ٣/ ٨٢٩، والضياء في «الأحاديث المختارة» ١٢/ (٢٨٥).

وروي نحوه عن السُّدّيِّ وعكرمة مرسلاً كما عند الطبري ٦/ ٢٧٩ و٢٩٠-٢٩١.

ولا تُسارِعُوا في النَّفَقة، فإنَّكم لا تَدرُون على ما يكون. فأَنزل الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: من التّوراة الّتي فيها تصديقُ ما جاء به محمّدٌ ﷺ ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء:٣٧-٣٩][1].

قال ابن إسحاق: وكان رِفَاعةُ بن زيد بن التّابُوتِ من عظماءِ يهودَ، إذا كَلَّمَ رسولَ الله ﷺ لَوَى لسانَه وقال: أَرْعِنا سمعَك يا محمّدُ حتّى نَفهَمَك، ثمّ طَعَنَ في الإسلام وعابَه. فأَنزل الله عزَّ وجلَّ فيه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا﴾ أي: راعِنا سَمْعَك ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٤٤-٤٦][2].

وكلَّمَ رسول الله ﷺ رؤساءَ من أحبارِ يهودَ، منهم: عبدُ الله بن صُورِي الأعورُ وكعبُ بن أَسد، فقال لهم: «يا مَعشَرَ يهودَ، اتَّقُوا اللهَ وأَسلِموا، فواللهِ إنّكم لَتعلَمُونَ

---

(١) وهو بالإسناد السابق عند الطبري ٧/ ٢٤، وابن أبي حاتم ٣/ ٩٦٤، إلا أنه وقع عند ابن أبي حاتم ـ كما في مطبوعه ـ عن عكرمة وحده مرسلاً، ليس فيه ابن عباس.

(٢) أسند هذا الخبر يونسُ بن بكير عند الطبري ٧/ ٩٩، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٥٣٤ عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس.

ورواه سلمةُ بن الفضل عن ابن إسحاق عند ابن أبي حاتم ٣/ ٩٦٣ و٩٦٧ عن محمد عن عكرمة مرسلاً.

أنَّ الّذي جئتُكم به لَحقٌّ» قالوا: ما نعرفُ ذلك يا محمّد، فجَحَدُوا ما عَرَفُوا، وأَصرُّوا على الكفرِ، فأنزل الله فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء:٤٧][1].

قال ابن هشام: نَطمِسُ: نَمسحُها فنُسوِّيها، فلا يُرَى فيها عينٌ ولا أنفٌ ولا فمٌ، ولا شيءٌ ممّا يُرَى في الوجه، وكذلك ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ [القمر:٣٧]، المطموسُ العينِ: الّذي ليس بين جَفنَيهِ شَقٌّ، ويقال: طَمَستُ الكتابَ والأثرَ، فلا يُرَى منه شيءٌ، قال الأخطَلُ، واسمه الغَوْثُ بن هُبَيرة بن الصَّلْت[2] التَّغلِبيّ، يَصِفُ إبلاً كَلَّفَها ما ذَكَرَ:

وتَكليفُنَاها كلَّ طامسةِ الصُّوَى ... شَطُونٍ تَرَى حِرْباءَها يَتَملمَلُ

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

قال ابن هشام: واحدة الصُّوَى: صُوَّةٌ، والصُّوَى: الأعلام الّتي يُستدَلُّ بها على الطريق والمياه.

---

(١) هو عند الطبري ٧/ ١١٨، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٥٣٤ عن يونس بن بكير بالإسناد السابق.

وعند ابن أبي حاتم ٣/ ٩٦٨ عن سلمة بن الفضل بالإسناد السابق.

(٢) قال السهيلي في «الروض» ٤/ ٤٣٥: المعروف: غِيَاث بن الغوث بن هبيرة بن الصَّلت.

وسمّاه أبو سعيد السكّريُّ في أول «ديوان الأخطل» بروايته له عن محمد بن حبيب البغداديّ: غياث بن غوث بن الصلت، ولم يذكر فيه هبيرة.

والبيت المذكور في «الديوان» ص٢٧ من قصيدة يمدح بها خالد بن عبد الله الأُمويّ أحد أجواد العرب. وفيه: نازحة الصُّوى، والنازحة: البعيدة. وهو يصف صحراء ليس فيها معالم، ومن شدّة حرّها تتململ فيها الحرباء، أي: تتقلّب. والشَّطُون: البعيدة.

قال ابن هشام: يقول: مُسِحَت فاستَوَت بالأرض، فليس فيها شيءٌ ناتئٌ.

قال ابن إسحاق: وكان الّذين حَزَّبوا الأحزابَ من قريش وغَطَفان وبني قُرَيظة: حُيَيُّ بن أَخطَبَ وسَلَامُ بن أبي الحُقَيق أبو رافعٍ والرَّبيعُ بن الرَّبيع بن أبي الحُقَيق وأبو عمّارٍ ووَحْوَحُ بن عامرٍ وهَوْذةُ بن قيس، فأمّا وَحوَحٌ وأبو عمّار وهَوْذةُ فمن بني وائل، وكان سائرُهم من بني النَّضِير، فلمّا قَدِمُوا على قريش قالوا: هؤلاءِ أحبارُ يهودَ وأهلُ العلم بالكتاب الأوّل، فسَلُوهم: أدِينُكم خيرٌ أم دينُ محمَّد؟ فسألوهم، فقالوا: بل دِينُكم خيرٌ من دينه، وأنتم أهدى منه وممَّن اتَّبَعَه. فأنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١][1].

قال ابن هشام: الجِبتُ عند العرب: ما عُبِدَ من دون الله تبارك وتعالى، والطّاغُوت: كلُّ ما أضَلَّ عن الحقِّ، وجمعُ الجِبْت: جُبُوتٌ، وجمعُ الطّاغُوت: طواغيتُ.

قال ابن هشام: وبَلَغَنا عن ابن أبي نَجِيح أنّه قال: الجِبتُ: السِّحر، والطّاغُوت:

---

(١) أسند هذا الخبر زياد البكّائيُّ عن ابن إسحاق فيما سيأتي في أول غزوة الخندق ٣/ ٢٥٨-٢٥٩ عن غير واحد من أهل العلم بالسِّيَر والمغازي.

وأسنده سلمةُ بن الفضل عنه عند الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٤٦ عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس. ومحمدٌ مجهول كما سبق.

وقد روي نحوه عن عكرمة عن ابن عباس بإسناد صحيح عند النسائي في «الكبرى» (١١٦٤٣) وابن حبان (٦٥٧٢) قال: لمّا قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت له قريش: أنت خيرُ أهل المدينة وسيّدهم، قال: نعم، قالوا: ألا ترى إلى هذا المنبتر من قومه، يَزعُم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السِّدانة، قال: أنتم خيرٌ منه، فنزلت ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، ونزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى آخر الآيات. قلنا: لكن كعب بن الأشرف كان قد قتله المسلمون في حصنه بعد غزوة بدرٍ وقبل أُحدٍ كما سيأتي ٣/ ١٦ ولم يبق إلى زمن غزوة الأحزاب أو الخندق، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

الشَّيطان[1].

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾، قال ابن إسحاق: إلى قوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾.

وقال سُكَينٌ وعَدِيُّ بن زيد: يا محمّد، ما نعلمُ أنّ الله أنزَلَ على بشرٍ من شيءٍ بعد موسى. فأنزل الله في ذلك من قولهما: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٣-١٦٥][2].

ودَخَلَت على رسول الله ﷺ جماعةٌ منهم، فقال لهم: «أمَا واللهِ إنَّكم لَتعلَمُون أنِّي رسولٌ من الله» قالوا: ما نَعلَمُه وما نَشهَدُ عليه. فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦][3].

---

(١) وقال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٩٩: الجِبْت والطاغوت: كلُّ ما يُعبَد من دون الله تعالى، وقال بعضهم: الجبتُ: الكاهن، وقيل: هو السّاحر، والطاغوتُ: الجبّار.

(٢) أسند هذا الخبر سلمةُ بن الفضل ويونسُ بن بكير عند الطبري في «تفسيره» ٧/ ٦٨٦، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٥٣٥، والضياء في «الأحاديث المختارة» ١٠/ (٣٧٩) عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس. ومحمدٌ مجهولٌ.

(٣) أسند هذا الخبر عن ابن إسحاقَ بالإسناد السابق سلمةُ بن الفضل ويونسُ بن بكير عند =

وخرج رسول الله ﷺ إلى بني النَّضير يَستعِينُهم على دِيَةِ العامريَّينِ اللَّذَينِ قَتَلَ عمرُو بن أُميّة الضَّمْريُّ[1]، فلمّا خَلَا بعضُهم ببعضٍ قالوا: لن تَجِدُوا محمّداً أقربَ منه الآن، فمَن رجلٌ يَظهَرُ على هذا البيت فيَطرَحَ عليه صخرةً فيُرِيحَنا منه؟ فقال عمرو بن جِحَاش بن كعب: أنا، فأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ، فانصَرَفَ عنهم. فأنزل الله فيه وفيما أراد هو وقومُه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [المائدة:١١][2].

وأَتى رسولَ الله ﷺ نعمانُ بن أَضاءَ وبَحْريُّ بن عمرو وشَأْسُ بن عَديٍّ فكَلَّمُوه، وكَلَّمَهم رسولُ الله ﷺ ودعاهم إلى الله وحَذَّرَهم نِقمتَه، فقالوا: ما تُخوِّفُنا يا محمّد! نحن واللهِ أبناءُ الله وأحِبّاؤُه؛ كقول النَّصارى. فأنزل الله فيهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ

= ابن أبي حاتم ٤/ ١١٢٠، والبيهقي ٢/ ٥٣٥.

(١) وسيأتي خبرهما عند الحديث عن قصة بئر مَعُونة بعد غزوة أُحد ٣/ ٢١٧.

(٢) أسنده سلمةُ بن الفضل عند الطبري ٨/ ٢٢٨ عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر مرسلاً قالا: خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير... وعاصم وعبد الله بن أبي بكر - وهو ابن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاريّ - ثقتان من صغار التابعين، عالمان بالسِّيَر والمغازي.

وقد روي معنى هذا عن غير واحد مرسلاً كما عند الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢٢٨-٢٣١، وروي عنده أيضاً عن قتادة: أن هذه الآية نزلت في قوم من الأعراب أرادوا البطش برسول الله ﷺ، وذلك بعد غزوة ذات الرِّقاع بنَخْل، وسيأتي نحوه عن الحسن البصري أيضاً عند ذكر هذه الغزوة ٣/ ٢٤٥، ثمّ رجَّح الطبريُّ أنها نزلت في يهود بني النضير وما همّت به من قتل النبيِّ ﷺ ومن معه من أصحابه.

لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة:١٨][(١)].

قال ابن إسحاق: ودَعَا رسولُ الله ﷺ يهودَ إلى الإسلام ورَغَّبَهم فيه، وحَذَّرَهم غِيَرَ اللهِ[(٢)] وعقوبتَه، فأَبَوْا عليه وكَفَروا بما جاءَهم به، فقال لهم معاذُ بن جَبَل وسعدُ ابن عُبَادة وعُقْبةُ بن وَهْب: يا معشرَ يهودَ، اتَّقُوا الله، فوالله إنّكم لتعلمونَ أنّه رسولُ الله ﷺ، ولقد كنتم تَذكُرونَه لنا قبل مَبعَثِه، وتَصِفُونه لنا بصِفَتِه، قال رافع بن حُرَيملة ووهبُ بن يَهُوذا: ما قلنا هذا لكم، وما أَنزل اللهُ من كتابٍ بعد موسى، ولا أَرسل بشيراً ولا نذيراً بعده. فأَنزل الله في قولهما: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٩][(٣)].

ثمّ قَصَّ عليهم خَبَرَ موسى وما لقيَ منهم، وانتقاضَهم عليه[(٤)]، وما رَدُّوا عليه من أمر الله حتّى تاهُوا في الأرض أربعين سنةً عقوبةً.

---

(١) أسنده سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «التفسير» ٨/ ٢٦٩، وإبراهيمُ بن سعد عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٤١٢)، ويونسُ بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٥٣٥، ثلاثتهم عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس.

(٢) غِيَرُ الله، يعني: حوادث الدهر التي يقع بها تغيير أحوالهم وزوال نعمتهم، وهو اسم من قولك: غيَّرتُ الشيءَ فتغيَّر.

(٣) أسنده يونسُ بن بكير عند الطبري ٨/ ٢٧٣، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٥٣٥، وإبراهيمُ بن سعد عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٤١٢)، كلاهما عن ابن إسحاق، بالإسناد السابق.

(٤) يعني: افتراقهم عليه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني ابن شِهابٍ الزُّهْريّ، أنّه سمع رجلاً من أهل العلم من مُزَينةَ يحدِّث سعيدَ بن المُسيّب، أنّ أبا هُرَيرةَ حدَّثهم: أنّ أحبارَ يهودَ اجتمعوا في بيت المِدْراسِ حين قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، وقد زَنَى رجلٌ منهم بعد إحصانِه[1] بامرأةٍ من يهودَ قد أَحصَنَت، فقالوا: ابعَثُوا بهذا الرّجل وهذه المرأة إلى محمّدٍ، فسَلُوه كيف الحُكْمُ فيهما، ووَلُّوه الحُكمَ عليهما، فإن عَمِلَ فيهما بعَملِكم من التَّجبِيَة ـ والتَّجبيَةُ: الجَلْد بحبلٍ من لِيفٍ مَطليٍّ بقَارٍ[2]، ثم يُسوَّدُ وجوهُهما، ثم يُحمَلان على حمارَينِ ويُجعَلُ وجوهُهما من قِبَلِ أَدبار الحمارَينِ ـ فاتَّبِعُوه، فإنّما هو مَلِكٌ، وصَدِّقوه، وإن هو حَكَمَ فيهما بالرَّجْم فإنه نبيٌّ، فاحذَرُوه على ما في أيديكم أن يَسلُبَكُموه.

فأَتَوْه فقالوا: يا محمّد، هذا رجلٌ قد زَنَى بعد إحصانِه بامرأةٍ قد أَحصَنَت، فاحكُمْ فيهما، فقد وَلَّيناك الحُكمَ فيهما، فمشى رسولُ الله ﷺ حتّى أَتى أحبارَهم في بيت المِدْراس، فقال: «يا معشرَ يهودَ، أَخرِجوا إليَّ عُلماءَكم»، فأَخرجوا إليه عبدَ الله بن صُورِي.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني بعضُ بني قُرَيظةَ: أنّهم قد أَخرَجوا إليه يومئذٍ مع ابنِ صُورِي أبا ياسر بنَ أخطَبَ ووهبَ بن يَهُوذا، فقالوا: هؤلاءِ علماؤُنا.

فساءَلَهم رسولُ الله ﷺ ثمّ حَصَّلَ أمرَهم[3] إلى أن قالوا لعبد الله بن صُورِي: هذا أعلمُ من بقيَ بالتَّوراة.

---

(١) أي: بعد زواجه.

(٢) القارُ والقِيرُ: هو الزِّفت.

(٣) أي: تحقّق منه وتثبّته.

قال ابن هشام: من قوله: وحدّثني بعض بني قُريظة، إلى قوله: أعلمُ من بقي بالتّوراة، من قول ابن إسحاق، وما بعده من الحديث الّذي قبلَه.

فخَلَا به رسولُ الله ﷺ، وكان غلاماً شابّاً من أحدثِهم سنّاً، فألَظَّ به[1] رسولُ الله ﷺ المسألةَ، يقول له: «يا ابنَ صُورِي، أَنشُدُك اللهَ وأُذكِّرُك بأيّامِه عند بني إسرائيلَ، هل تَعلَمُ أنَّ الله حَكَمَ فيمن زَنَى بعدَ إحصانِه بالرَّجمِ في التَّوراةِ؟» قال: اللهمَّ نَعَم، أمَ واللهِ يا أبا القاسم إنّهم ليَعرِفُون أنّك لنبيٌّ مُرسَل، ولكنّهم يَحسُدونَك. قال: فخرج رسولُ الله ﷺ فأَمَرَ بهما فرُجِما عند بابِ مسجدِه في بني غَنْم بن مالك بن النَّجّار[2].

ثمّ كَفَرَ بعد ذلك ابنُ صُورِي وجَحَدَ نبوّةَ رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾

---

(١) أي: ألحَّ في سؤاله وألزَمَه إياه.

(٢) حديث صحيح لغيره، وهذا إسناد محتمل للتحسين وإن كان راويه المزنيُّ عن أبي هريرة مبهمٌ لم يُسمَّ، لكن وقع في وصفه في رواية عبد الله بن المبارك هذا الحديثَ عن معمر عن الزهريِّ عند الطبري في «تفسيره» ٨/ ٤١٦ والبيهقي في «الدلائل» ٦/ ٢٦٩ قولُ الزهري: وعند سعيد ـ يعني ابن المسيّب ـ رجل يوقِّره، فإذا هو رجل من مزينة كان أبوه شهد الحديبيةَ، وكان من أصحاب أبي هريرة. قلنا: وهذا ممّا يقوِّي أمرَه، وحديثا ابن عباس وابن عمر التاليانِ يشهدان لحديثه.

وأخرجه أبو داود (٤٤٥١) من طريق محمد بن سلمة الحرّاني، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه أبو داود أيضاً (٤٤٥٠) من طريق معمر ويونس بن يزيد، عن الزهري، به.

وهو عند أحمد في «مسنده» مختصر جداً برقم (٧٧٦١) من طريق معمر عن الزهري. وانظر تمام تخريجه هناك.

أي: الّذين بَعَثُوا منهم من بَعَثوا وتخلَّفوا، وأَمَرُوهم بما أَمَرُوهم به من تحريف الحُكم عن موضعه، قال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ أي: الرَّجْم ﴿فَٱحْذَرُوا۟﴾ [المائدة:٤١] إلى آخر القصّة.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّد بن طَلْحة بن يزيد بن رُكَانةَ، عن إسماعيل بن إبراهيم، عن ابن عبّاسٍ قال: أمَرَ رسولُ الله ﷺ برَجْمِهما، فرُجِما بباب مسجده، فلمّا وَجَدَ اليهوديُّ مَسَّ الحجارة، قام إلى صاحبتِه فجَنَأَ[1] عليها يَقِيها مَسَّ الحجارة، حتّى قُتِلا جميعاً. قال: فكان ذلك ممّا صَنَعَ اللهُ به لرسوله ﷺ في تحقيق الزِّنى منهما[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني صالح بن كَيْسان، عن نافعٍ مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمرَ قال: لمّا حَكَّموا رسولَ الله ﷺ فيهما، دعاهم بالتَّوراة وجلس حَبْرٌ منهم يَتلُوها، وقد وَضَعَ يدَه على آية الرَّجم، قال: فضَرَبَ عبدُ الله بن سَلَام يدَ الحَبْر ثمّ قال: هذه يا نبيَّ الله آيةُ الرَّجم، يَأْبى أن يَتلُوَها عليك، فقال لهم رسول الله ﷺ: «وَيحَكُم يا معشرَ يهودَ، ما دَعَاكم إلى تَرْك حُكْمِ الله وهو بأَيدِيكُم؟!» قال: فقالوا: أمَا إنّه قد كان فينا يُعمَلُ به، حتّى زَنَى رجلٌ منّا بعد إحصانِه من بيوت المُلوكِ وأهلِ الشَّرَف، فمَنَعَه المَلِكُ من الرَّجْم، ثمّ زَنَى رجلٌ بعدَه، فأراد أن يَرجُمَه، فقالوا: لا والله، حتّى تَرجُمَ فلاناً، فلمّا قالوا ذلك اجتَمَعوا فأصلَحُوا أمرَهم على التَّجبِيَةِ وأماتوا ذِكرَ الرَّجمِ والعملَ به، قال: فقال رسول الله ﷺ: «فأَنا

(١) أي: أكبَّ وانحنى، وفي (ت) و(ش١): فحنى، بالحاء من الانحناء.

(٢) صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل إسماعيل بن إبراهيم: وهو السُّلمي، ويقال: الشَّيباني.

وأخرجه أحمد (٢٣٦٨) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

أوّلُ مَن أَحْيا أمْرَ الله وكتابَه وعَمِلَ به»، ثمّ أمَرَ بهما فرُجِما عند بابِ مسجده. قال عبدُ الله: فكنتُ فيمن رَجَمَهما[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني داود بن الحُصَين، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس: أنَّ الآياتِ من المائدةِ الّتي قال الله فيها: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢﴾ إنَّما أُنزِلَت في الدِّيَةِ بين بني النَّضِير وبين بني قُرَيظة، وذلك أنّ قَتْلى بني النَّضِير ـ وكان لهم شَرَفٌ ـ يُودَوْنَ الدِّيةَ كاملةً، وأنّ بني قُرَيظة كانوا يُودَوْنَ نصفَ الدِّيةِ، فتَحاكَمُوا في ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأَنزَلَ اللهُ ذلك فيهم، فحَمَلَهم رسولُ الله ﷺ على الحقِّ في ذلك، فجعل الدِّيةَ سواءً[2].

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه بنحوه أحمد (٤٤٩٨)، والبخاري (١٣٢٩) و(٣٦٣٥)، ومسلم (١٦٩٩)، وأبو داود (٤٤٤٦)، وابن ماجه (٢٥٥٦)، والترمذي (١٤٣٦)، والنسائي في «الكبرى» (٧١٧٥)، وابن حبان (٤٤٣١-٤٤٣٥) من طرق عن نافع، عن ابن عمر. وهو عند بعضهم مختصر، ووقع في بعض رواياته عن ابن عمر كما وقع عند ابن عباس: أنّ صاحبها قام يَجنَأ عليها.

وفي الباب عن غير واحد من الصحابة بمعنى حديث ابن عمر، فانظر العزو إليها في «مسند أحمد» عند حديث ابن عمر هذا.

(٢) حديث صحيح، رجاله لا بأس بهم، إلا أنه قد تكلّم غير واحد من أهل العلم في رواية داود بن الحصين عن عكرمة ووصفها بالنَّكارة، وقد روى هذا الخبرَ سِماكُ بن حرب عن عكرمة فخالف في لفظه، حيث ذكر: أنّه كان إذا قتل رجلٌ من قريظة رجلاً من النضير قُتِلَ به، وإذا قتل رجلٌ من النضير رجلاً من قريظة وُدِيَ بمئة وَسْق من تمر، لكن رواية سماك عن عكرمة متكلَّم فيها أيضاً، فقال فيها بعض أهل العلم: إنها مضطربة.

قلنا: والذي يُقضى فيه في هذا الخبر صحّةُ رواية داود بن الحصين عن عكرمة، فقد روى =

قال ابن إسحاق: فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن أَسدٍ وابنُ صَلُوبا وعبدُ الله بن صُورِي وشأسُ بن قيسٍ، بعضُهم لبعضٍ: اذهبوا بنا إلى محمّد، لعلَّنا نَفتِنُه عن دينه، فإنّما هو بشرٌ، فأَتَوه فقالوا له: يا محمّد، إنّك قد عَرَفتَ أنّا أحبارُ يهودَ وأشرافُهم وسادتُهم، وأنّا إن اتَّبعناك اتَّبَعَتك يهودُ ولم يخالفونا، وإنّ بيننَا وبينَ بعض قومِنا خُصومةً، أفنُحاكِمُهم إليك فتَقضِيَ لنا عليهم، ونؤمنَ بك ونُصدِّقَك؟ فأَبى ذلك رسولُ الله ﷺ عليهم. فأَنزل الله فيهم: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ

= نحوَ روايته عبدُ الرَّحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود عن ابن عباس، عند أحمد (٢٢١٢) وأبي داود (٣٥٧٦)، وإسناده حسن من أجل عبد الرَّحمن، ومن فوقه ثقات.

أمّا حديث داود بن الحصين عن عكرمة، فأخرجه أحمد (٣٤٣٤)، وأبو داود (٣٥٩١)، والنسائي في «المجتبى» (٤٧٣٣) وفي «الكبرى» (٦٩٠٩) من طريقين عن ابن إسحاق عنه.

وأمّا حديث سماك بن حرب عن عكرمة، فقد أخرجه أبو داود أيضاً (٤٤٩٤)، والنسائي في «المجتبى» (٤٧٣٢) وفي «الكبرى» (٦٩٠٨)، وابن حبان (٥٠٥٧)، والحاكم (٨٢٩٣).

وقد رجَّح الحافظ ابن كثير في «تفسيره» في شأن هذه الآيات من سورة المائدة: أنّها نزلت في اليهوديين اللذين زَنَيا وتحاكم اليهود فيهما إلى رسول الله ﷺ، وأورد حديث ابن عمر وغيره في ذلك، ثم ذكر حديث ابن عباس هذا وقال: وقد يكون اجتمع هذان السَّببان في وقت واحد، فنزلت الآيات في ذلك.

وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «مسند أحمد» (٢٢١٢): وهذا هو الصحيح المتعيَّن، وليس يجب أن يكون نزول الآيات لحادث واحد، وقد صحَّ وقوعُ الاثنين، وكثيراً ما تقع حوادثُ عدّة ثم يأتي القرآن فَيصَلاً في حكمها، فيحكي بعضُ الصحابة بعضَ السبب، ويحكي غيرُه غيرَه، وكلٌّ صحيح.

لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠][1].

قال ابن إسحاق: وأتى رسولَ الله ﷺ منهم أبو ياسر بنُ أخطَبَ ونافعُ بن أبي نافعٍ وعازَرُ بن أبي عازَرَ وخالدٌ وزيدٌ وأَزَارُ بن أبي أَزَارَ وأَشيَعُ، فسألوه عمّن يُؤمِنُ به من الرُّسل، فقال ﷺ: «نُؤمِنُ بالله وما أُنزِلَ إلينا وما أُنزِلَ إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأَسباطِ، وما أُوتِيَ موسى وعيسى، وما أُوتِيَ النبيُّونَ من ربِّهم، لا نُفرِّقُ بين أَحدٍ منهم، ونحنُ له مُسلِمون»، فلمّا ذَكَرَ عيسى ابنَ مريمَ جَحَدُوا نبوَّتَه وقالوا: لا نؤمنُ بعيسى ولا بمن آمَنَ به. فأَنزل الله عزَّ وجلَّ فيهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٥٩][2].

وأَتى رسولَ الله ﷺ رافعُ بن حارثة وسلَامُ بن مِشكَم ومالكُ بن الصَّيف ورافع ابن حُرَيملة، فقالوا: يا محمّد، ألستَ تَزعُمُ أنّك على مِلّةِ إبراهيم ودينِه، وتؤمنُ بما عندنا من التَّوراة، وتَشهدُ أنّها من الله حقٌّ؟ قال: «بلى، ولكنَّكم أحدَثتُم وجَحَدتُم ما فيها ممَّا أُخِذَ عليكم من المِيثاقِ فيها، وكَتَمتُم منها ما أُمِرتُم أن تُبيِّنوه للنّاسِ،

---

(١) أسند هذا الخبر يونسُ بن بكير عند الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٠٢، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٥٣٦ عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جُبير أو عكرمة، عن ابن عباس. ومحمد مولى زيد سبق مراراً أنّه مجهول لم يرو عنه غير ابن إسحاق.

(٢) أسند هذا الخبر يونسُ بن بكير وسلمةُ بن الفضل عن ابن إسحاق بالإسناد السابق عند الطبري ٢/ ٥٩٦ و٥٩٧ و٨/ ٥٣٧-٥٣٨، وهو عند ابن أبي حاتم أيضاً ١/ ٢٤٣ من طريق سلمة ابن الفضل، إلا أنه لم يجاوز به محمدَ بنَ أبي محمدٍ. وقال فيه يونسُ: رافع بن أبي رافع، مكان نافع بن أبي نافع.

فبَرِئتُ من إحداثِكُم» قالوا: فإنّا نأخذُ بما في أيدينا، فإنّا على الهُدَى والحقِّ، ولا نؤمنُ بك ولا نتَّبعُك. فأَنزل الله فيهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٦٨][1].

قال ابن إسحاق: وأَتى رسولَ الله ﷺ النَّحّامُ بن زيدٍ وقَردَمُ بن كعب وبَحرِيُّ بن عمرو، فقالوا له: يا محمّد، أمَا تعلمُ مع الله إلٰهاً غيرَه؟ فقال رسول الله ﷺ: «اللهُ لا إله إلّا هوَ، بذلكَ بُعِثتُ، وإلى ذلكَ أَدعُو». فأَنزل الله فيهم وفي قولهم: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٩-٢٠][2].

وكان رِفاعةُ بن زيد بن التّابُوت وسُوَيدُ بن الحارث قد أظهَرا الإسلامَ ونافَقا، فكان رجال من المسلمين يُوادُّونهما، فأَنزل الله فيهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة:٥٧-٦١][3].

---

(١) أسند هذا الخبر يونسُ بن بكير وسلمةُ بن الفضل عن ابن إسحاق بالإسناد السابق عند الطبري ٨/ ٥٧٢-٥٧٣، وهو عند ابن أبي حاتم أيضاً ٤/ ١١٧٤ من طريق سلمة، إلا أنه لم يجاوز به محمدَ بن أبي محمد.

(٢) أسنده يونسُ بن بكير عن ابن إسحاق بالإسناد السابق عند الطبري ٩/ ١٨٥.

(٣) أسنده أيضاً يونسُ بن بكير عن ابن إسحاق بالإسناد السابق عند الطبري ٨/ ٥٣٣-٥٣٤.

وقال جبلُ بن أبي قُشَير وسمويلُ بن زيدٍ لرسول الله ﷺ: يا محمّدُ، أخبِرْنا متى تقومُ السّاعةُ إن كنتَ نبيّاً كما تقول. قال: فأنزل الله فيهما: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧][1].

قال ابن هشام: أيّانَ مُرْساها: متى مُرْساها، قال قيس بن الحُدَاديّة الخُزَاعيّ:

فجِئتُ ومُخفَى السِّرِّ بيني وبينَها ... لأسألَها أيّانَ مَن سارَ راجعُ

وهذا البيت في قصيدةٍ له[2].

ومُرْساها: مُنتَهاها، وجمعُه: مَرَاسٍ[3]، قال الكُمَيت بن زيد الأسَديّ:

والمُصِيبينَ بابَ ما أخطأَ النّا ... سُ ومُرسَى قواعدِ الإسلامِ

وهذا البيت في قصيدةٍ له[4]، ومُرسَى السَّفينة: حيث تَنتَهي.

وحَفيٌّ عنها: على التقديم والتأخير، يقول: يسألونَك عنها كأنّك حفيٌّ بهم فتُخبِرُهم بما لا تُخبِرُ غيرَهم، والحَفيُّ: البَرُّ المُتعهِّد، وفي كتاب الله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ

(١) أسنده أيضاً يونسُ بن بكير عن ابن إسحاق بالإسناد السابق عند الطبري ١٠/ ٦٠٤-٦٠٥.

(٢) ذكرها الأخفش الأصغر في كتابه «الاختيارَين» ص٢٢٥-٢٢٩، والأصفهاني في «الأغاني» ١٤/ ١٤٢-١٤٣، وهو يخاطب بها محبوبته أمَّ مالك بنت ذؤيب الخُزاعيّة كما في «الأغاني» ١٤/ ١٥٤ نقلاً عن أبي عمرو الشيباني.

(٣) في (ت) و(ش١) و(ص) و(م) و(ي): مراسي، والياء في (ص) و(ي) مشدّدة، والتشديد لا يصحُّ.

(٤) يمدح بها بني هاشمٍ، وهي في «شرح الهاشميات» لأبي رياش القيسي، وهذا البيت فيه ص١٢، لكن شرح أبو رياش على مُرسي باعتباره اسم فاعل بمعنى: مُثبِت!

بِي حَفِيًّا ﴾ [مريم: ٤٧]، وجمعه: أحفِيَاءُ، وقال أَعشى بني قيس بن ثَعلَبة:

فإنْ تَسأَلي عنّي فيا رُبَّ سائلٍ حَفِيٍّ عن الأَعشى به حيثُ أَصْعَدا

وهذا البيت في قصيدةٍ له[1].

والحفيُّ أيضاً: المُستَحفي عن عِلْم الشيءِ، المبالِغُ في طلبه.

قال ابن إسحاق: وأَتى رسولَ الله ﷺ سَلَامُ بن مِشكَم ونعمانُ بن أَوفى أبو أنس ومحمودُ بن دِحْية وشَأْسُ بن قيس ومالكُ بن الصَّيف، فقالوا له: كيف نتَّبعُك وقد تركتَ قِبلتَنا، وأنت لا تَزعُمُ أنّ عُزيراً ابنُ الله؟ فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَاهُونَ[2] قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠] إلى آخر القصّة[3].

قال ابن هشام: يُضَاهُون، أي: يُشاكِلُ قولُهم قولَ الّذين كفروا، نحو أن تُحدِّثَ بحديثٍ فيحدِّثَ آخرُ بمثلِه، فهو يُضاهِيكَ.

قال ابن إسحاق: وأَتى رسولَ الله ﷺ محمودُ بن سَيْحان ونُعْمانُ بن أَضاءَ وبَحْريُّ

---

(١) سلف إيراد هذه القصيدة في ذكر أمر الأعشى ١/ ٤٥٩-٤٦٠، وهي في مدح النبيّ ﷺ.
ومعنى حفيٌّ: مبالِغٌ في السؤال. وأصعَدَ: ذهبَ.

(٢) هكذا في النسخ الخطية بالتسهيل، وهي قراءة عموم القرّاء، وانفرد عاصم فقرأها: (يُضَـٰهِـُٔونَ) بالهمز. وانظر «السبعة» لابن مجاهد ص٣١٤، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري ١/ ٤٠٦.

(٣) أسند هذا الخبر يونسُ بن بكير عند الطبري ١١/ ٤٠٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨١، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جُبير أو عكرمة، عن ابن عباس.

ابن عمرو وعُزَيزُ بن أبي عُزَيز وسَلَامُ بن مِشكَم، فقالوا: أحقٌّ يا محمّدُ أنّ هذا الّذي جئتَ به لَحقٌّ من عندِ الله؟ فإنّا لا نَرَاهُ مُتَّسِقاً[1] كما تَتَّسِق التّوراةُ! فقال لهم رسول الله ﷺ: «أمَ واللهِ إنَّكم لتَعرِفونَ أنَّه من عندِ الله، تَجِدُونَه مكتوباً عندَكم، ولو اجتَمَعَتِ الإنسُ والجنُّ على أن يَأتُوا بمِثْلِه ما جاؤُوا به»، فقالوا عند ذلك وهم جميعٌ؛ فِنحاصُ وعبدُ الله بن صُورِي وابنُ صَلُوبا وكِنانةُ بن الرَّبيع بن أبي الحُقَيق وأَشيَعُ وكعبُ ابن أَسد وسمويلُ بن زيد وجبلُ بن عمرو بن سُكَينة: يا محمّد، أمَا يُعلِّمُك هذا إنسٌ ولا جانٌّ؟ قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: «أمَ واللهِ إنَّكم لتَعلَمونَ أنَّه من عندِ الله، وأنِّي لرسولُ الله، تَجِدُون ذلك مكتوباً عندَكم في التَّوراةِ»، قالوا: يا محمّد، فإنّ الله يَصنَعُ لرسوله إذا بَعَثَه ما يشاءُ ويَقدِرُ منه على ما أراد، فأَنزِلْ علينا كتاباً من السماءِ نقرؤُه ونعرفُه، وإلّا جئناكَ بمِثلِ ما تأتي به. فأَنزل الله فيهم وفيما قالوا: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨][2].

قال ابن هشام: الظَّهِير: العَوْن، ومنه قولُ العرب: تَظاهَرُوا عليه، أي: تَعاوَنوا عليه، وقال الشاعر[3]:

---

(١) أي: مجموعاً منتظماً.

(٢) أسند هذا الخبر يونسُ بن بكير عند الطبري ١٥/ ٧٥-٧٦ عن ابن إسحاق بالإسناد السابق. وفيه محمد مولى زيد، وهو مجهول. وقد ذكره ابن كثير في «تفسيره» ثم علّق عليه قائلاً: وفي هذا نظر؛ لأن هذه السورة مكيّة، وسياقها كله مع قريش، واليهود إنما اجتمعوا به في المدينة، فالله أعلم.

(٣) لم نقف على هذا البيت عند غير ابن هشام.

وقِوامُ الأمر: نظامُه وعِمادُه.

يا سَمِيَّ النّبيِّ أصبَحتَ للدِّيـ ـنِ قِواماً وللإمامِ ظَهِيرا

أي: عَوناً، وجمعُه: ظُهَراءُ.

قال ابن إسحاق: وقال حُيَيُّ بن أخطَبَ وكعبُ بن أَسد وأبو نافع[1] وأَشيَعُ وسمويلُ بن زيدٍ لعبدِ الله بن سَلَامٍ حين أسلمَ: ما تكون النُّبوّةُ في العرب ولكن صاحبك مَلِكٌ. ثمّ جاؤُوا رسولَ الله ﷺ فسألوه عن ذي القَرنَينِ، فقَصَّ عليهم ما جاءَه من الله فيه ممّا كان قَصَّ على قريشٍ، وهم كانوا ممّن أمرَ قريشاً أن يسألوا رسولَ الله ﷺ عنه، حين بَعَثُوا إليهم النَّضرَ بن الحارثِ وعُقْبةَ بن أبي مُعَيطٍ[2].

قال ابن إسحاق: وحُدِّثتُ عن سعيد بن جُبيرٍ أنه قال: أَتى رَهْطٌ من يهودَ إلى رسول الله ﷺ، فقالوا له: يا محمّد، هذا اللهُ خَلَقَ الخلقَ، فمَن خَلَقَه؟ قال: فغَضِبَ رسولُ الله ﷺ حتّى امتَقَعَ لونُه، ثمّ ساوَرَهُم[3] غضباً لربِّه، قال: فجاءه جبريلُ فسكَّنَه فقال: خَفِّضْ عليك يا محمّدُ، وجاءَه من الله بجوابِ ما سألوه عنه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، قال: فلمّا تَلَاها عليهم، قالوا: فصِفْ لنا يا محمّدُ كيف خَلْقُه؟ كيف ذِراعُه؟ كيف عَضُدُه؟ فغَضِبَ رسول الله ﷺ أشدَّ من غضبِه الأوّل، وساوَرَهُم، فأتاه جبريلُ فقال له مثلَ ما قال له أوّلَ مرّة، وجاءَه من الله بجوابِ ما سألوه عنه، يقول الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ

(١) في (ص) و(ق١) و(م): وأبو رافع.

(٢) أسند هذا الخبر بنحوه يونسُ بن بكير عن ابن إسحاق بالإسناد السابق عند البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ٢٢٥.

(٣) قوله: امتَقَع لونه، وانتَقَع، بالميم والنون، معناه: تغيَّر. وساوَرَهم، معناه: واثَبَهم يريد أن يبطش بهم.

مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧][1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عُتْبةُ بن مسلمٍ مولى بني تَيْم، عن أبي سَلَمة بن عبد الرَّحمن، عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُوشِكُ النّاسُ أن يَسألوا بينَهم[2] حتَّى يقولَ قائلُهم: هذا اللهُ خَلَقَ الخلقَ، فمَن خَلَقَ اللهَ؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ ثمَّ لِيَتفِلِ الرَّجلُ عن يسارِه ثلاثاً، ولْيَستعِذْ بالله من الشَّيطانِ الرَّجيمِ»[3].

---

(١) إسناده ضعيف لإرساله ولإبهام الواسطة بين ابن إسحاق وسعيد بن جبير، وقد بُيِّنَت في رواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري ٢٠/ ٢٥٢ و٢٤/ ٧٢٨-٧٢٩، ومن طريقه الثعلبي في «تفسيره» ٨/ ٢٥٣ و١٠/ ٣٣٣، والواسطة هو محمد بن أبي محمد مولى زيد، وهو مجهول كما سبق.

(٢) هكذا في (ش١) ونسخة على حاشية (م)، وهو الموافق لما في رواية النسائي، ووقع في سائر نسخنا الخطية: يسألوا نبيّهم، وما أثبتناه أوجهُ.

(٣) إسناده جيد من أجل عتبة بن مسلم، فقد روى عنه جمع وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقد توبع إلا في التَّفل عن اليسار، فإنّه انفرد به، وزيادة التفل فيه شاذّة.

وأخرجه أبو داود (٤٧٢٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤٢٢) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه دون قصة التفلِ أحمد (٩٠٢٧) من طريق عمر بن أبي سلمة، ومسلم (١٣٥) (٢١٥) من طريق يحيى بن أبي كثير، كلاهما عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

ورواه هشامُ بن عروة عن أبيه عن أبي هريرة عند أحمد (٨٣٧٦) ومسلم (١٣٤) (٢١٢) وأبي داود (٤٧٢١) وفيه: «فإذا أحسَّ أحدُكم بشيء من ذلك فليقل: آمنتُ بالله وبرُسلِه»، وابنُ شهاب الزهريُّ عن عروة عند البخاري (٣٢٧٦) ومسلم (١٣٤) (٢١٤) والنسائي (١٠٤٢٤) وفيه: «فليستعذ بالله ولْيَنتهِ».

قال ابن هشام: الصَّمَد: الّذي يُصمَدُ إليه[1] ويُفزَعُ إليه، قالت هِنْد بنت مَعبَد ابن نَضْلة تبكي عمرَو بن مسعودٍ وخالدَ بن نَضْلةَ عمَّيها الأسديَّينِ، وهما اللَّذان قَتَل النُّعمانُ بن المنذرِ اللَّخْميُّ وبَنَى الغَرِيَّينِ[2] اللَّذينِ بالكوفة عليهما:

أَلَا بَكَّرَ النّاعي بخَيرِ[3] بَنِي أَسَدْ بعَمرِو بن مسعودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

---

(١) أي: يُقصَد إليه في الحوائج.

(٢) وقد سُمِّيا بذلك إمّا لحُسنهما، وكلُّ بناءٍ حسنٍ غَرِيٌّ، وإمّا لأنه كان يُغرِّيهما بدم من يقتله في يوم بُؤْسه.

وهذان البناءان تهدّما قديماً، فقد ذكر ابن الفقيه الهَمَذاني في «البلدان» ص٢١٥: أن مَعْن بن زائدة (المتوفَّى سنة ١٥١هـ) لمّا دخل الكوفةَ رأى الغريَّينِ قد انهَدَما، فأنشأ يقول:

لو كان شيءٌ مقيماً لا يَبِيدُ على طـول الزّمان لَمَا بادَ الغَـريّانِ

قد فـرّق الدَّهـرُ والأيّامُ بينَهما وكلُّ إلْفٍ إلى بَـينٍ وهُـجْـرانِ

وأمّا الذي بناهما، فأكثر ما يجيء في كتب الأدب والتاريخ أنّه المنذر بن ماء السماء جدُّ النعمان، وهذان الأسديّان المذكوران كانا نَديمَينِ له، وعلّق الشيخ أحمد شاكر على كلام ابن قُتيبة في «الشعر والشعراء» ١/ ٢٦٧ (المتوفَّى سنة ٢٧٦هـ) عندما ذكر أنه النُّعمان كما وقع لابن هشامٍ هنا، فقال: وَهِمَ المؤلّفُ وتبعه غيرُه، أو هو تبع غيرَه، والصحيح أن صاحب الغريَّين، والذي كان له يوما نُعم وبُؤس، هو المنذر بن ماء السماء، وهو المنذر الأكبر اللَّخميّ، وهو جدُّ النعمان ابن المنذر، على ذلك أكثرُ الروايات وأصحُّها في المراجع التي أشرنا إليها، وقد حقَّق ذلك أيضاً صاحبُ «الخزانة» وفصَّل قصّة الغريَّينِ. اهـ، يريد «خزانة الأدب» لعبد القادر البغداديّ، فارجع إليها ١١/ ٢٧٠-٢٧٣.

(٣) في (ش١) و(م) و(ي): بخيرَي، والمثبت من (ت) و(ص) و(غ) و(ق١).

والنّاعي: الذي يأتي بخبر الميّت.

وهذا البيت ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ٢/ ٣١٦ ولم يسمِّ قائله، ونسبه الجوهريُّ في «الصحاح» ٢/ ٦٥٢ إلى سَبْرة بن عمرو الأسديّ.

أمر السَّيّد والعاقب وذكرُ المُباهَلة

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ على رسول الله ﷺ وفدُ نصارى نَجْرانَ، ستّون راكباً، فيهم أربعةَ عشرَ رجلاً من أشرافهم، في الأربعةَ عشرَ منهم ثلاثةُ نفرٍ إليهم يَؤُول أمرُهم: العاقبُ؛ أميرُ القوم وذو رأيهم وصاحبُ مَشُورتهم، والذي لا يَصدُرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح، والسيِّدُ؛ ثِمالُهم[1] وصاحب رَحْلِهم ومُجتمَعُهم، واسمه الأَيهَمُ، وأبو حارثة بن علقمة، أحدُ بني بكر بن وائل، أُسقُفُّهم وحَبْرُهم وإمامُهم، وصاحب مُدارسَتِهم[2].

وكان أبو حارثة قد شَرُفَ فيهم، ودَرَسَ كتبَهم حتّى حَسُنَ علمُه في دينهم، فكانت ملوك الرُّوم من أهل النَّصرانيّة قد شرَّفُوه وموَّلُوه وأَخدَمُوه، وبَنَوْا له الكنائس، وبَسَطُوا عليه الكرامات، لِمَا يَبلُغُهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم.

فلمّا وَجَّهُوا إلى رسول الله ﷺ من نَجْرانَ، جَلَسَ أبو حارثة على بغلةٍ له موجِّهاً وإلى جنبه أخٌ له يقال له: كُوز بن عَلقَمة ـ قال ابن هشام: ويقال: كُور[3] ـ فعَثَرَت بغلةُ أبي حارثة، فقال كُوزٌ: تَعِسَ الأبعدُ؛ يريد رسولَ الله ﷺ، فقال له أبو حارثة: بل أنت تَعِستَ، فقال له: لِمَ يا أخي؟! قال: واللهِ إنّه لَلنَّبيُّ الّذي كنّا ننتظر، فقال له كُوز: فما يَمنعُك منه وأنت تعلمُ هذا؟! قال: ما صَنَعَ بنا هؤلاءِ القومُ، شرَّفُونا وموَّلُونا وأكرَمُونا، وقد أبَوْا إلّا خِلافَه، فلو فعلتُ نَزَعُوا منّا كلَّ ما ترى، فأَضمَرَ عليها منه

---

(١) ثِمالُ القوم: هو أصلهم الذي يرجعون إليه ويقوم بأمورهم وشؤونهم.

(٢) هكذا في نسخنا الخطية، ووقع عند غير المصنف: مِدراسهم. والمِدراس: المكان الذي يجتمعون فيه يتعبّدون ويتدارسون كتابهم.

(٣) هكذا وقع في نسخنا الخطية بالواو والراء، وذكر بعضهم أنه بالراء والزاي: كُرز، انظر ترجمته في «الإصابة» لابن حجر ٥/ ٥٨٤-٥٨٥.

أخوه كُوز بن عَلقَمة حتّى أسلَمَ بعد ذلك، فهو كان يُحدِّث عنه هذا الحديثَ فيما بَلَغَني[1].

قال ابن هشام: وبَلَغَني: أنّ رؤساءَ نَجْرانَ كانوا يَتوارَثُون كُتباً عندهم، فكلَّما مات رئيسٌ منهم فأفضَت الرِّئاسةُ إلى غيره، خَتَمَ على تلك الكتب خاتَماً مع الخواتم[2] الّتي قبله ولم يَكسِرْها، فخرج الرّئيسُ الّذي كان على عهد النبيِّ ﷺ يمشي فعَثَرَ، فقال ابنه: تَعِسَ الأبعدُ؛ يريد النبيَّ ﷺ، فقال له أبوه: لا تفعلْ، فإنّه نبيٌّ، واسمه في الوَضَائع؛ يعني الكتبَ، فلمّا مات لم تكن لابنِه هِمّةٌ إلّا أن شَدَّ فكَسَرَ الخواتمَ[3]، فوَجَدَ فيها ذِكرَ النبيِّ ﷺ، فأسلَمَ فحَسُنَ إسلامُه وحجَّ، فهو

---

(١) أسند هذا الخبر يونسُ بن بكير عند الطبراني في «الأوسط» (٣٩٠٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٣٨٢-٣٨٣، والخطيب البغدادي في «تلخيص المتشابه في الرسم» ص٧٨١، وإبراهيمُ ابن سعد كما في «أسد الغابة» لابن الأثير ٤/ ٢٠٣، كلاهما عن ابن إسحاق، عن بُريدة بن سفيان، عن ابن البَيلَماني، عن كُوز ـ أو كُرز ـ بن علقمة. وهذا إسناد ضعيف جداً، فبُريدة بن سفيان متروك كما قال الدارقطنيُّ، وقال البخاري: فيه نظر، وابن البيلماني ـ وتحرف في بعض المصادر إلى: ابن السلماني ـ واسمه عبد الرَّحمن، ضعيف.

ورواه ـ دون قصة كوز ـ سلمةُ بن الفضل عند الطبري ٥/ ١٧١-١٧٢ عن ابن إسحاق عن محمد ابن جعفر بن الزّبير مرسلاً. ومحمد بن جعفر هذا ثقة، لكنه من أتباع التابعين، ولم يسنده.

ورواه بنحوه محمد بن سعد في «الطبقات» ١/ ١٣٨ من طريق أبي مَعشَر، عن محمد بن جعفر ابن الزبير ومحمد بن عمارة بن غَزيّة وغيرهما، مرسلاً وذكرا فيه أبيات الشعر الآتية. وهو ضعيف، ففضلاً عن كونه مرسلاً فيه أبو معشر ـ واسمه نَجيح بن عبد الرَّحمن السِّنديّ ـ وهو ضعيف.

(٢) في (ت) و(ق١) و(م): الخواتيم. وكلاهما صحيح.

(٣) في (ت) و(ي): الخواتيم.

الّذي يقول:

إليكَ تَعدُو قَلِقاً وَضِينُها مُعتَرِضاً في بطنِها جَنينُها
مُخالفاً دينَ النَّصارى دِينُها[1]

قال ابن هشام[2]: وزاد فيه أهلُ العراق: مُعتَرِضاً في بطنها جنينُها، وأمّا أبو عُبيدة فأنشَدَناهُ فيه[3].

قال ابن هشام: الوَضِين: حِزامُ النّاقة.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّد بن جعفر بن الزُّبير قال: لمّا قَدِمُوا على رسول الله ﷺ المدينةَ ودخلوا عليه مسجدَه حين صلَّى العصرَ، عليهم ثيابُ الحِبَراتِ[4]، جُبَبٌ وأَردِيةٌ، في جمالِ رجال بني الحارث بن كعب، قال: يقول بعضُ مَن رآهم من أصحاب النبيِّ ﷺ يومئذٍ: ما رأَينا بعدهم وَفْداً مثلَهم، وقد حانت صلاتُهم فقاموا في مسجدِ رسول الله ﷺ يُصلُّون، فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوهُم[5]»، فصلَّوا إلى المَشرِق[6].

---

(١) قال ابن قتيبة في «غريب الحديث» ٢/ ٣٠٣: قوله: قَلِقاً، يريد أن الناقة قد ضَمَرَت (أي: هُزِلَت) ولحق بطنُها [بظهرها] فاتَّسع الوَضينُ واضطرب. وقوله: مخالفاً دينَ النصارى دينُها، ليس لها هي دينٌ، إنما أراد نفسَه.

قلنا: والخبر معضَل لم يسنده ابن هشام، فهو ضعيف.

(٢) في (ت) و(ش١) و(ي): هشام بن عروة، وهو غلطٌ.

(٣) وهو في كتابه «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٩.

(٤) جمع حِبَرةٍ، وهي ثياب مخطَّطة من ثياب اليمن.

(٥) في (ت) و(م): دعوهم يصلون.

(٦) إسناده ضعيف لإعضاله، فإن محمد بن جعفر ـ مع كونه ثقةً ـ من أتباع التابعين، ولم يبيِّن عمّن يحدِّث به. =

قال ابن إسحاق: وكان تسميةُ الأربعةَ عشرَ الّذين يَؤُول أمرُهم إليهم: العاقبُ وهو عبدُ المسيح، والسّيِّدُ وهو الأَيهَمُ، وأبو حارثة بن عَلقَمة أخو بني بكر بن وائلٍ، وأَوسٌ، والحارثُ، وزيدٌ، وقيسٌ، ونُبَيهٌ، ويزيدُ، وخُوَيلدٌ، وعمرٌو، وخالدٌ، وعبدُ الله، ويُحنَّسُ، في ستّين راكباً، فكلَّم رسولَ الله ﷺ منهم أبو حارثة بنُ علقمة والعاقبُ عبد المسيح والأَيهمُ[1] السيّدُ ـ وهم من النَّصرانيّة على دين المَلِك، مع اختلافٍ من أمرهم، يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولدُ الله، ويقولون: هو ثالثُ ثلاثة، وكذلك قولُ النَّصرانيّة.

فهم يَحتجُّون في قولهم: هو الله، بأنّه كان يُحْيي الموتى، ويُبْرِئ الأسقام، ويُخبِر بالغُيوب، ويَخلُق من الطِّين كهَيْئة الطَّير ثمّ يَنفُخ فيه فيكون طائراً، وذلك كلُّه بأمر الله تبارك وتعالى، وليجعلَه آيةً للنّاس.

ويَحتجُّون في قولهم: إنّه ولدُ الله، بأنّهم يقولون: لم يكن له أبٌ يُعلَم، وقد تَكلَّم في المَهْد، شيءٌ لم يَصنَعْه أحدٌ من ولد آدم قبلَه.

ويَحتجُّون في قولهم: إنّه ثالثُ ثلاثةٍ، بقول الله: فَعَلْنا، وأمَرْنا، وخَلَقْنا، وقَضَيْنا، فيقولون: لو كان واحداً ما قال إلّا فعلتُ، وقضيتُ، وأمرتُ، وخلقتُ، ولكنّه هو وعيسى ومريمُ! ففي كلِّ ذلك من قولهم قد نَزَلَ القرآنُ ـ فلمّا كلَّمه الحَبْرانِ، قال لهما رسول الله ﷺ: «أَسلِمَا» قالا: قد أسلَمْنا، قال: «إنَّكما لم تُسلِمَا، فأَسلِمَا» قالا: بلى، قد أسلَمْنا قبلَك، قال: «كَذَبتُما، يَمنَعُكما من الإسلامِ دُعاؤُكما للهِ ولداً،

= وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٥/ ١٧٢، وابن المنذر في «تفسيره» أيضاً (١٩٩)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٣٨٢ من طرق عن ابن إسحاق، به.

(١) في (ص) و(م): أو الأيهم؛ على الشكّ، ويبدو أنّ هذا أوجهُ ممّا في بقيّة النسخ، لما سيأتي بعد أسطر من قوله: فلما كلّمه الحبرانِ، فذكر اثنين لا جماعة.

وعِبادَتُكما الصَّليبَ، وأَكلُكما الخِنزيرَ» قالا: فمَن أَبوه يا محمّدُ؟ فصَمَتَ رسولُ الله ﷺ فلم يُجِبْهما، فأَنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك من قولهم واختلافِ أمرِهم كلِّه، صدرَ سورة آل عمرانَ إلى بضعٍ وثمانينَ آيةً منها[1].

(١) أصل الحديث في قصة وفد نجران وقصة الملاعَنة الآتية عند المصنّف لاحقاً صحيح قد رُوي من غير وجهٍ:

فقد أخرج نحوه ابن شبّة في «تاريخ المدينة» ٢/ ٥٨٣ من حديث ابن وهب، عن الليث بن سعد، عمّن حدَّثه قال: جاء راهبا نجران... وذكره. وهذا إسناد ضعيف لإبهام من حدَّث الليث به.

وأخرجه الواحديّ في «أسباب النزول» (٢٠٨) من طريق حماد بن سلمة، عن يونس بن عبيد، عن الحسن البصريّ مرسلاً. ورجاله ثقات.

وأخرجه أيضاً سعيد بن منصور في التفسير من «سننه» (٥٠٠)، وابن أبي شَيْبة في «مصنفه» ١٤/ ٥٤٩، والطبري في «تفسيره» ٥/ ٤٦٩ من طريقين عن مغيرة بن مِقْسم الضَّبّي، عن عامر الشعبيّ مرسلاً.

ووصله الآجُرِّي في «الشريعة» (١٦٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤٢٠٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (٢٠٩)، وابن المغازلي في «مناقب علي» (٣١٠) من طريقين ضعيفين عن داود بن أبي هند، عن الشعبيّ، عن جابر بن عبد الله. والمرسل أصحُّ.

وأصحُّ ما جاء في قصّة العاقب والسيّد إسناداً ما رواه البخاري (٤٣٨٠) من حديث إسرائيل، عن أبي إسحاق السَّبيعيّ، عن صِلَة بن زُفَر، عن حذيفة قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجرانَ إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يُلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيّاً فلاعَنّا لا نفلحُ نحن ولا عَقِبُنا من بعدنا، قالا: إنّا نعطيك ما سألتَنا (يعنيان الجزيةَ) وابعَثْ معنا رجلاً أَميناً، ولا تَبعَثْ معنا إلّا أميناً، فقال: «لأبعثنَّ معكم رجلاً أميناً حقَّ أَمينٍ»، فاستشرف له أصحابُ رسول الله ﷺ، فقال: «قم يا أبا عُبيدة بنَ الجَرّاح»، فلمّا قام قال رسول الله ﷺ: «هذا أمينُ هذه الأُمّة».

وروي هذا أيضاً عن صلة عن ابن مسعود، وانظر حديثه عند أحمد (٣٩٣٠) والحاكم =

فقال: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ فافتَتَحَ السّورةَ بتنزيهِ نفسِه عمّا قالوا، وتوحيدِه إيّاها بالخَلْق والأمر، لا شريكَ له فيه، ردّاً عليهم ما ابتَدَعُوا من الكفر وجعلوا معه من الأنداد، واحتجاجاً بقولهم عليهم في صاحبِهم، ليُعرِّفَهم بذلك ضلالتَهم، فقال: ﴿الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ليس معه غيرُه شريكٌ في أمره ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ الحيُّ الذي لا يموت، وقد مات عيسى وصُلِبَ في قولهم، القَيُّوم: القائم على مكانه من سُلطانِه في خَلْقه لا يزولُ، وقد زال عيسى في قولهم عن مكانِه الّذي كان به، وذهب عنه إلى غيرِه ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالصِّدق فيما اختَلَفوا فيه ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣﴾ التَّوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، كما أَنزل الكتبَ[1] على مَن كان قبلَه ﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ أي: الفَصْلَ بين الحقِّ والباطلِ فيما اختَلَفَ فيه الأحزابُ من أمر عيسى وغيرِه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾ أي: أنّ الله مُنتقِمٌ ممَّن كَفَرَ بآياته بعد علمِه بها، ومعرفتِه بما جاء منه فيها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ وقد عَلِمَ ما يريدون وما يَكِيدون وما يُضاهُون بقولهم في عيسى، إذْ جعلوه ربّاً وإلٰهاً، وعندهم من علمِه غيرُ ذلك، غِرّةً بالله، وكفراً به ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ أي: قد كان عيسى ممَّن صُوِّرَ في الأرحام، لا يَدفَعُون ذلك ولا يُنكِرونه، كما صُوِّرَ غيرُه من ولد آدم، فكيف يكون إلٰها وقد كان بذلك المَنزِل، ثمّ قال إنزاهاً[2] لنفسه، وتوحيداً لها ممّا جَعَلوا معه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦﴾ العزيزُ في انتصاره ممّن كَفَرَ به إذا شاءَ، الحكيمُ في حُجّتِه وعُذرِه

= (٥٢٤٣) والتعليق عليهما.

(١) في (ت) و(غ) و(ق١): الكتاب.

(٢) في (ت): تنزيهاً.

إلى عباده.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فيهنَّ حُجّة الرَّبِّ، وعِصمةُ العباد، ودفعُ الخصوم والباطل، ليس لهنَّ تصريفٌ ولا تحريفٌ عمّا وُضِعنَ عليه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ لهنَّ تصريفٌ وتأويلٌ، ابتَلَى اللهُ فيهنَّ العباد ـ كما ابتلاهم في الحلال والحرام ـ أن لا يُصرَفنَ إلى الباطل، ولا يُحرَّفنَ عن الحقِّ، يقول الله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: مَيلٌ عن الهُدى ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ أي: ما تَصرَّف، ليُصدِّقوا به ما ابتَدَعُوا وأَحدَثُوا، ليكون لهم حُجّةً، ولهم على ما قالوا شُبْهةً ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ أي: اللَّبْس ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾، ذلك على ما رَكِبُوا من الضّلالة في قولهم: خَلَقْنا وقَضَيْنا، يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾ الّذي أرادوا به ما أرادوا ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ فكيف يَختلِفُ وهو قولٌ واحدٌ من ربٍّ واحدٍ. ثمّ رَدُّوا[1] تأويلَ المتشابِه على ما عَرَفُوا من تأويل المُحكَمة الّتي لا تأويلَ لأحدٍ فيها إلا تأويلٌ واحدٌ، فاتَّسَقَ بقولهم الكتابُ، وصَدَّقَ بعضُه بعضاً، فنَفَذَت به الحُجّةُ، وظَهَرَ به العُذْرُ، وزاحَ به الباطلُ، ودُمِغَ به الكفرُ، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ في مثلِ هذا ﴿إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أي: لا تُمِلْ قلوبَنا وإن مِلْنا بأحداثنا ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾.

ثمّ قال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ بخلاف ما قالوا ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: بالعَدْل[2] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ أي: ما أنت عليه يا محمّدُ؛ التَّوحيدُ للرَّبّ والتَّصديقُ للرُّسل ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ الّذي جاءَك، أي: أنّ الله الواحدُ

(١) أي: الراسخون في العلم.

(٢) زاد هنا في (ق١): فيما يريد.

الّذي ليس له شريكٌ ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ أي: بما يأتون به من الباطل من قولهم: خَلَقْنا وفَعَلْنا وأَمَرْنا، فإنّما هي شُبْهةٌ باطلٍ قد عَرَفُوا ما فيها من الحقِّ ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ أي: وحدَه ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ الّذين لا كتابَ لهم ﴿ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾.

ثمَّ جَمَع أهلَ الكتابين جميعاً وذَكَر ما أحدَثُوا وما ابتَدَعوا، من اليهود والنصارى، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ...﴿٢١﴾﴾ إلى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ أي: ربَّ العِباد، والمَلِكُ الّذي لا يَقضي فيهم غيرُه ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ﴾ أي: لا إلهَ غيرُك ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ أي: لا يقدر على هذا غيرُك بسُلطانِك وقُدرتِك ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّۖ﴾ بتلك القُدْرة ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ لا يَقدِرُ على ذلك غيرُك، ولا يَصنَعُه إلّا أنت، أي: فإن كنتُ سَلَّطتُ عيسى على الأشياءِ الّتي بها يَزعُمون أنه إلهٌ، من إحياءِ الموتى، وإبراءِ الأسقام، والخَلْقِ للطَّير من الطِّين، والإخبارِ عن الغُيوب، لأجعَلَه به آيةً للناس، وتصديقاً له في نُبوَّته الّتي بعثتُه بها إلى قومه، فإنَّ من سلطاني وقُدْرتي ما لم أُعطِه تمليكَ الملوك بأمر النُّبوَّة، ووَضْعَها حيث شئتُ، وإيلاجَ اللَّيل في النَّهار والنَّهارَ في اللَّيل، وإخراجَ الحيِّ من الميِّت وإخراجَ الميِّت من الحيِّ، ورِزقَ مَن شئتُ من بَرٍّ أو فاجرٍ بغير حساب، وكلُّ ذلك لم أُسلِّطْ عليه عيسى ولم أُملِّكْه إيّاه، أفلم تكن لهم في ذلك عِبْرةٌ وبيِّنةٌ! أن لو كان إلهاً كان ذلك كلُّه إليه، وهو في عِلْمِهم يَهرُب من الملوك، وينتقلُ منهم في البلاد من بلدٍ إلى بلدٍ.

ثمّ وَعَظَ المؤمنين وحَذَّرَهم، ثمّ قال: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ أي: إن كان هذا من قولِكم حبّاً لله وتعظيماً له ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي: ما مضى من كُفرِكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ فأنتم تَعرِفُونه وتَجِدُونه في كتابِكم ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي: على كُفرِهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

ثمّ استَقبَل لهم أمرَ عيسى وكيف كان بَدْءُ ما أراد اللهُ به، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

ثمّ ذكر امرأةَ عِمرانَ وقولَها: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ أي: نَذَرتُه جعلتُه عَتيقاً، تَعبُّدُه لله لا يُنتفَعُ به لشيءٍ من الدُّنيا ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ﴾ أي: ليس الذَّكرُ كالأُنثى لِمَا جعلتُها له مُحرَّراً لك نَذيرةً ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾، يقول تبارك وتعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا[1] زَكَرِيَّا ...﴿٣٧﴾﴾ بعد أبيها وأمِّها.

قال ابن هشام: كَفَلَها: ضَمَّها.

قال ابن إسحاق: يَذكُرُها باليُتْم، ثمّ قصَّ خَبَرَها وخَبَرَ زكريّا، وما دَعَا به، وما أعطاه إذْ وَهَبَ له يحيى.

ثمّ ذَكَرَ مريمَ وقولَ الملائكة لها: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ

(١) هكذا هي مقيَّدة في نسخنا الخطية بتخفيف الفاء، وقد قرأ بها ابن كثير ونافع الحجازيّان وأبو عمرو البصريّ وابن عامر الشاميّ، وعليها شرح ابن هشام، بمعنى: ضمَّها زكريّا إليه، وقرأ الكوفيّون عاصم وحمزة والكسائيُّ: (وكفَّلها) بالتشديد، بمعنى: كفَّلها اللهُ زكريّا، أي: ضمَّها اللهُ إلى زكريّا، وهذه القراءة هي التي رجَّحها الطبريُّ في «تفسيره» ٥/ ٣٤٥.

نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ أي: ما كنتَ معهم ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

قال ابن هشام: أقلامُهم: سِهامُهم، يعني قِداحَهم الّتي استَهَمُوا بها عليها، فخرج قِدْحُ زكريّا فضمَّها، فيما قال الحسنُ بن أبي الحسن[1].

قال ابن إسحاق: كَفَلَها هاهنا جُرَيج الرّاهبُ، رجلٌ من بني إسرائيل نجّارٌ، خرج السَّهمُ عليه بحَمْلها فحَمَلَها، وكان زكريّا قد كَفَلَها قبل ذلك، فأصابت بني إسرائيل أَزْمةٌ شديدةٌ فعَجَزَ زكريّا عن حملها، فاستَهَمُوا عليها أيُّهم يَكفُلُها، فخرج السَّهمُ على جُرَيج الراهب بكُفُولها فكَفَلَها[2].

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: وما كنتَ معهم إذ يَختصِمون فيها؛ يخبره بخَفيِّ ما كَتَمُوا منه من العِلم عندهم، لتحقيق نبوَّته والحُجّةِ عليهم بما يأتيهم به ممّا أَخفَوْا منه.

ثمّ قال: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ أي: هكذا كان أمرُه، لا ما يقولون فيه ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: عندَ الله ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ يُخبِرُهم بحالاته الّتي يَتقلَّب بها في عمره، كتَقلُّب بني آدم في أعمارهم صِغاراً وكِباراً، إلّا أنّ الله خَصَّه بالكلام في مَهدِه آيةً لنُبوَّته، وتعريفاً للعبادِ مواقعَ قُدْرته ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أي: يَصنَعُ ما أراد، ويَخلُقُ ما

(١) هو الحسن البصريُّ.

(٢) هذا الذي ذكره ابن إسحاق من كُفول غير زكريّا عليه السلام مريمَ لم نقف على من ذكره غيره، وأورده عنه البغويُّ في «تفسيره» ٢/ ٣٢، وهذا غريب منكر، وظاهر القرآن لا يؤيّده.

يشاءُ من بشرٍ أو غيرِ بشرٍ ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن﴾ ممّا يشاءُ وكيف شاءَ ﴿فَيَكُونُ ۝٤٧﴾ كما أراد.

ثمّ أخبرها بما يريدُ به، فقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ الّتي كانت فيهم من عَهدِ موسى قبلَه ﴿وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٤٨﴾ كتاباً آخرَ أحدَثَه اللهُ عزَّ وجلَّ إليه لم يكن عندَهم إلّا ذِكرَه أنّه كائنٌ من الأنبياءِ بعدَه ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: يحقِّقُ بها نُبوَّتي، أنّي رسولٌ منه إليكم ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا[1] بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ الّذي بَعَثَني إليكم، وهو ربّي وربُّكم ﴿وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾.

قال ابن هشام: الأكمَهُ: الّذي يُولَد أعمى، قال رُؤْبة بن العَجّاج:

هَرَّجتُ فارتَدَّ ارتدادَ الأكمَهِ

قال ابن هشام: هرَّجتُ: صَيَّحت به[2] وجلَّبتُ عليه، وجمعه: كُمْهٌ. وهذا البيت في أُرجوزةٍ له.

﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ﴾ أنّي رسولٌ من الله إليكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٤٩ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ أي: لِمَا سَبَقَني منها ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ أي:

---

(١) هكذا في نسخنا الخطية، وهي قراءة نافع من السبعة، انظر كتاب «السبعة» لابن مجاهد ص٢٠٦.

(٢) في (ت) و(م): صيّحتُ بالأسد، وفي (ش١) و(ي): صيّحت به أي صيّحت بالأسد. والصواب عدم ذكر الأسد، فرؤبة إنما يعني رجلاً متكبِّراً عُنجُهيّاً كما وصفه في أُرجوزته سابقاً، ومعنى ارتدَّ: رجع وانزَجَر، انظر «ديوانه» ص١٦٦، و«شرحه» ٢/ ٦٧.

ومعنى جلَّبتُ عليه: صيّحتُ ورفعتُ صوتي عليه.

أُخبركم به أنّه كان عليكم حراماً فتَركتُموه، ثمّ أُحِلُّه لكم تخفيفاً عنكم، فتُصيبون يُسرَه وتَخرُجون من تِباعَتِه ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ تَبَرِّياً من الّذي يقولون فيه، واحتجاجاً لربِّه عليهم ﴿فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ أي: هذا الهُدَى قد حَمَلتُكم عليه وجئتُكم به ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ والعُدْوانَ عليه ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ هذا قولُهم الّذي أصابوا به الفضلَ من ربِّهم ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ لا ما يقول هؤلاءِ الّذين يُحاجُّونَك فيه ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ أي: هكذا كان قولُهم وإيمانُهم.

ثمّ ذَكَرَ رَفْعَه عيسى إليه حين اجتَمَعوا لقتلِه، قال: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾، ثمّ أخبرهم ورَدَّ عليهم فيما أَقرُّوا لليهود بصَلْبِه، كيف رَفَعَه وطَهَّرَه منهم، فقال: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إذْ هَمُّوا منك بما هَمُّوا ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ...﴿٥٥﴾﴾ ثمّ القِصّةَ حتّى انتهى إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمّد ﴿مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ القاطعِ الفاصلِ الحقِّ الّذي لا يخالطُه الباطلُ، من الخَبَرِ عن عيسى وعمَّا اختَلَفُوا فيه من أمره، فلا تَقبَلَنَّ خبراً غيرَه.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ﴾ فاستَمِعْ ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ ما جاءَك من الخَبَر عن عيسى ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ أي: قد جاءَك الحقُّ من ربِّك فلا تَمتَرِيَنَّ فيه، وإن قالوا: خُلِقَ عيسى من غير ذَكرٍ، فقد خَلَقتُ آدمَ من تراب بتلك القُدْرة من غير أُنثى ولا ذَكَر، فكان كما كان عيسى لحماً ودماً، وشَعراً وبَشَراً، فليس خلقُ عيسى من غيرِ ذَكَرٍ بأعجبَ من هذا ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: بعدما قَصَصتُ عليك من خَبَرِه، وكيف

كان أمرُه ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾.

قال ابن هشام: قال أبو عُبيدة: نَبتهِلُ: ندعو باللَّعنةِ، قال أَعشى بني قيس بن ثَعلَبة:

لا تَقعُدَنَّ وقدْ أكَّلتَها حَطَباً تَعُوذُ من شرِّها يوماً وتَبتهِلُ

وهذا البيت في قصيدةٍ له[1]، يقول: تدعو باللَّعنة.

وتقول العرب: بَهَلَ اللهُ فلاناً، أي: لَعَنَه اللهُ، وعليه بَهْلةُ الله ـ ويقال: بُهْلةُ الله ـ أي: لعنةُ الله، ونَبتهِلُ أيضاً: نجتهدُ في الدُّعاء.

قال ابن إسحاق: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الّذي جئتَ به من الخَبَر عن عيسى ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ من أَمرِه ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾، فدَعاهم إلى النَّصَف، وقَطَعَ عنهم[2] الحُجّةَ.

فلمّا أَتى رسولَ الله ﷺ الخَبَرُ من الله عنه، والفصلُ من القضاءِ بينه وبينهم، وأُمِرَ بما أُمِرَ به من مُلاعَنتِهم إن رَدُّوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك، فقالوا له: يا أبا القاسم، دَعْنا نَنظُرْ في أمرِنا، ثمّ نأتيك بما نريدُ أن نفعلَ فيما دَعَوتَنا إليه، وانصَرَفُوا

(١) وهو يخاطب بها يزيد بن مُسهِر أبا ثُبيت أحد بني شيبان، الذي سعى للفتنة بين حيَّين من العرب.

ومعنى أكَّلتَها حطباً: أجَّجتَ نار الفتنة وأمددتها بالحطب لتزيد في التهابها، ثم تقعد بعيداً عنها مستعيذاً من شرِّها تلعن هذه الفتنة وأنت سببها. انظر «ديوان الأعشى» ١/ ٢١٨.

(٢) في (ت) و(ص) و(م): عليهم.

عنه، ثمّ خَلَوْا بالعاقب، وكان ذا رأيِهم، فقالوا: يا عبدَ المسيح، ماذا ترى؟ فقال: واللهِ يا معشرَ النّصارى لقد عرفتُم أنَّ محمّداً لنبيٌّ مُرسَل، ولقد جاءَكم بالفَصْل من خبر صاحبِكم، ولقد عَلِمتُم ما لاعنَ قومٌ نبيّاً قطُّ فبقيَ كبيرُهم، ولا نَبَتَ صغيرُهم، وإنّه لَلاستِئصالُ منكم إن فعلتُم، فإن كنتم قد أَبيتُم إلّا إلْفَ دينِكم، والإقامةَ على ما أنتم عليه من القولِ في صاحبِكم، فوادِعُوا الرَّجلَ ثمّ انصَرِفُوا إلى بلادكم، فأَتوْا رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأَينا أن لا نُلاعِنَك، وأن نَترُكَك على دينِك ونَرجِعَ على دينِنا، ولكن ابعَثْ معنا رجلاً من أصحابِك ترضاه لنا، يَحكُمْ بيننا في أشياءَ اختَلَفْنا فيها من أموالِنا، فإنَّكم عندنا رِضاً.

قال محمّد بن جعفر: فقال رسول الله ﷺ: «ائتُوني العَشِيّةَ[1] أَبعَثْ معكم القويَّ الأَمينَ» قال: فكان عمرُ بن الخطّاب يقول: ما أحببتُ الإمارةَ قطُّ حُبِّي إيّاها يومئذٍ، رجاءَ أن أكون صاحبَها، فرُحْتُ إلى الظُّهر مُهجِّراً، فلمّا صلّى بنا رسولُ الله ﷺ الظُّهرَ ثمّ سلَّم، نَظَرَ عن يمينِه وعن يسارِه، فجعلتُ أتطاولُ له ليَراني، فلم يَزَلْ يلتمسُ ببصرِه حتّى رأى أبا عُبيدة بن الجَرّاح، فدَعَاه فقال: «اخرُجْ معهم، فاقْضِ بينَهم بالحقِّ فيما اختَلَفُوا فيه»، قال عمر: فذهب بها أبو عُبيدةَ[2].

نُبَذ من ذكر المنافقين

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ ـ كما حدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة ـ وسيّدُ أهلِها عبدُ الله بن أُبيِّ ابنِ سَلُولَ العَوْفيُّ ثمّ أَحدُ بني الحُبلَى، لا يَختلِفُ

(١) العشيّة: وقت ما بعد زوال الشمس.

(٢) هذا الحديث في قصّة الملاعَنة وفضل أبي عبيدة صحيح، وقد سلف تخريجه في أول قصة العاقب والسيّد ص٢٥٨.

عليه في شرفِه من قومه اثنان، لم تجتمع الأَوسُ والخَزرَجُ قبلَه ولا بعدَه على رجلٍ من أَحد الفريقين حتّى جاء الإسلامُ غيرِه، ومعه في الأَوس رجلٌ، هو في قومه من الأَوس شريفٌ مُطاعٌ، أبو عامرٍ عبدُ عمرِو بن صَيفِيّ بن النُّعمان أحدُ بني ضُبَيعة بن زيد، وهو أبو حَنظَلةَ الغَسيلِ يوم أُحد، وكان قد تَرهَّب في الجاهليّة ولَبِسَ المُسوحَ[1]، وكان يقال له: الرّاهبُ، فشَقِيَا بشرفِهما وضَرَّهما.

أمّا عبدُ الله بن أُبيٍّ، فكان قومه قد نَظَمُوا له الخَرَزَ ليُتوِّجوه ثمّ يُملِّكوه عليهم، فجاءَهم الله برسوله ﷺ وهم على ذلك، فلمّا انصَرَفَ عنه قومُه إلى الإسلام ضَغِنَ[2]، ورأَى أنَّ رسول الله ﷺ قد استَلَبَه مُلكاً، فلمّا رأَى قومَه قد أَبَوْا إلّا الإسلامَ دخل فيه كارهاً مُصِرّاً على نفاقٍ وضِغْنٍ.

وأمّا أبو عامرٍ، فأَبى إلّا الكفرَ والفِراقَ لقومه حين اجتَمَعُوا على الإسلام، فخرج منهم إلى مكّة ببِضْعةَ عشرَ رجلاً مُفارِقاً للإسلام ولرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ ـ كما حدّثني محمّد بن أبي أُمامة عن بعض آل حنظلة بن أبي عامر ـ: «لا تقولوا: الرّاهب، ولكنْ قولوا: الفاسق»[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني جعفرُ بن عبد الله بن أبي الحَكَم ـ وكان قد أدرَكَ وسَمِعَ وكان راويةً ـ: أنَّ أبا عامر أَتى رسولَ الله ﷺ حين قَدِمَ المدينةَ، قبل أن يَخرُجَ إلى مكّة، فقال: ما هذا الدِّين الّذي جئتَ به؟ قال: «جئتُ بالحَنِيفيّةِ دينِ إبراهيمَ» قال: فأنا عليها، فقال له رسول الله ﷺ: «إنَّك لستَ عليها» قال: بلى، إنّك أدخلتَ يا

(١) جمع مِسْحٍ: وهو ثوب من شعر أسود غليظ كان يَلبَسه الرُّهبان.

(٢) أي: حَقَدَ.

(٣) إسناده ضعيف لإبهام البعض من آل حنظلة، ومحمد بن أبي أمامة ـ وهو محمد بن أبى أمامة بن سهل بن حُنيف الأنصاري المدني ، و اسم أبى أمامة أسعدُ ـ ثقة.

محمّدُ في الحَنِيفيّة ما ليس منها، قال: «ما فَعَلتُ، ولكنّي جئتُ بها بيضاءَ نَقِيّةً» قال: الكاذبُ أماته اللهُ غريباً وحيداً طَريداً؛ يعرِّض برسول الله ﷺ، أي: أنّك جئتَ بها كذلك! قال رسول الله ﷺ: «أَجَلْ، فمَن كَذَبَ ففَعَلَ اللهُ ذلكَ به»، فكان هو ذلك عدوَّ الله؛ خرج إلى مكّة، فلمّا افتَتَحَ رسولُ الله ﷺ مكّةَ خرج إلى الطّائف، فلمّا أسلَمَ أهلُ الطّائف لَحِقَ بالشّام، فمات بها غريباً طَريداً وحيداً[1].

وكان قد خرج معه عَلقَمةُ بن عُلَاثة بن عوف بن الأحوَص بن جعفر بن كِلَابٍ وكِنانةُ بن عبدِ يالِيلَ بن عمرو بن عُميرٍ الثَّقَفيّ، فلمّا مات اختَصَما في ميراثِه إلى قَيصَرَ صاحبِ الرُّوم، فقال قيصرُ: يَرِثُ أهلَ المَدَرِ أهلُ المَدَر، ويَرِثُ أهلَ الوَبَرِ أهلُ الوَبَر، فوَرِثَه كِنانةُ بن عبد يالِيلَ بالمَدَرِ دون علقمة.

فقال كعبُ بن مالكٍ لأبي عامرٍ فيما صَنَعَ:

مَعاذَ اللهِ من عملٍ خبيثٍ ... كسَعيكَ في العَشيرةِ عبدَ عمرِو

فإمّا قلتَ: لي شَرَفٌ ونَخلٌ ... فقِدْماً بِعتَ إيماناً بكُفرِ

قال ابن هشام: ويُروَى:

فإمّا قلتَ: لي شَرَفٌ ومالٌ

قال ابن إسحاق: وأمّا عبدُ الله بن أُبيٍّ فأقام على شرفِه في قومه مُتردِّداً، حتّى غَلَبَه الإسلامُ فدَخَل فيه كارهاً.

---

(١) إسناده ضعيف لإرساله وجهالة حال جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم، فإنّنا لم نقف له على ترجمة.

وروى نحوه محمد بن عمر الواقديُّ عند ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٢٩٠ عن أبي بكر بن أبي سَبْرة، عن مسلم بن يسار، عن عمارة بن خُزيمة بن ثابت، عن أبيه. وهذا إسناد ضعيف جداً، فيه الواقديُّ وابنُ أبي سبرة، وهما متروكان.

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمّد بن مُسلِم الزُّهْريُّ، عن عُرْوة بن الزُّبير، عن أسامة بن زيد بن حارثة، حِبِّ رسولِ الله ﷺ، قال: رَكِبَ رسولُ الله ﷺ إلى سعد بن عُبادة يَعُودُه من شَكْوٍ أصابه[1] على حمارٍ عليه إكَافٌ فوقَه قَطِيفةٌ فَدَكيّةٌ، مُختَطِمَه بحبلٍ من لِيفٍ، وأردَفَني رسولُ الله ﷺ خلفَه، قال: فمرَّ بعبد الله بن أُبيٍّ وهو في ظلِّ مُزاحِمٍ أُطُمِه[2].

قال ابن هشام: مزاحمٌ: اسم الأُطُم.

قال ابن إسحاق: وحولَه رجالٌ من قومه، فلمّا رآه رسولُ الله ﷺ تَذمَّمَ من أن يُجاوِزَه حتّى يَنزِلَ، فنزل فسلَّم ثمّ جَلَسَ قليلاً فتَلَا القرآنَ ودعا إلى الله عزَّ وجلَّ، وذَكَّرَ بالله وحَذَّر، وبَشَّرَ وأَنذَر، قال: وهو زامٌّ[3] لا يتكلَّم، حتّى إذا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من مَقالَتِه قال: يا هذا، إنّه لا أَحسَنَ من حديثِك هذا إن كان حقّاً، فاجلِسْ في بيتك، فمن جاءَك له فحَدِّثْه إيّاه، ومن لم يأتِكَ فلا تَغُتَّه[4] به، ولا تأتِه في مجلسه بما يَكرَهُ منه، قال: فقال عبد الله بن رَوَاحةَ في رجالٍ كانوا عنده من المسلمين: بلى، فاغْشَنا به، وائْتِنا به في مجالسنا ودورنا وبيوتنا، فهو واللهِ ممّا نُحِبُّ، وممّا أكرَمَنا اللهُ

---

(١) في (ت) و(ص) و(م): شكوى أصابه، وفي (ي): شكوى أصابته، والمثبت من (ش١) و(غ) و(ق١). والشَّكْوُ والشَّكوَى والشَّكَاة، كله صحيح.

(٢) الإكَاف: ما يُشدُّ على الحمار، كالسّرج على الفرس. والقطيفة: كساء غليظ، والفدكيّة: نسبة إلى فَدَك، وهي بلدة شرق خيبر. ومختطِمه: الخِطام في الأصل: هو الأنف، ويُطلَق على زِمام الدابّة أيضاً. والأُطُم: بناء مرتفع كالقصر أو الحِصن، وجمعه: آطام.

(٣) أي: ساكت.

(٤) معناه: لا تُكثِر عليه، يقال: غتَّ الرجلُ القولَ القولَ، وغتَّ الرجلُ الشرابَ الشرابَ، إذا أَتبَعَ بعضَه بعضاً، وقد يكون معناه: لا تعذِّبه به، يقال: غتَّهم الله بعذابٍ، أي: غطّاهم به، ويُروى: لا تَغشَه به، أي: لا تأته به. قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص١٤٦.

به وهَدَانا له[1].

فقال عبد الله بن أُبيٍّ حين رأَى من خلاف قومه ما رأَى:

متى ما يكنْ مَولاكَ خَصْمَكَ لا تَزَلْ ... تُـذَلُّ ويَصـرَعْكَ الّـذينَ تُصـارِعُ

وهـل يَـنهَضُ البـازِي بغيـرِ جناحِهِ ... وإنْ جُـذَّ[2] يومـاً رِيشُـه فهْـوَ واقـعُ

قال ابن هشام: البيت الثّاني عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريُّ، عن عُرْوة بن الزُّبير، عن أسامة قال: وقام رسول الله ﷺ فدخل على سعد بن عُبَادةَ وفي وجهِه ما قال عدوُّ الله ابنُ أُبيٍّ، فقال: واللهِ يا رسول الله إنّي لأَرى في وجهِك شيئاً، لكأنَّك سمعتَ شيئاً تَكرَهُه، فقال: «أجَلْ» ثمّ أخبَرَه بما قال ابنُ أُبيٍّ، فقال سعدٌ: يا رسول الله، ارفُقْ به، فواللهِ لقد جاءَنا اللهُ بك وإنّا لنَنظِمُ له الخَرَزَ لنُتوِّجَه، فإنه لَيَرى أنْ قد سَلَبتَه مُلْكاً[3].

ذكرُ من اعتَلَّ من أصحاب رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدّثني هشام بن عُرْوة وعمرُ بن عبد الله بن عُرْوة، عن عُرْوة ابن الزُّبير، عن عائشة قالت: لمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، قَدِمَها وهي أَوْبأُ أرضِ الله من الحُمَّى، فأصاب أصحابَه منها بلاءٌ وسُقْم، وصَرَفَ اللهُ ذلك عن نبيِّه ﷺ، قالت: فكان أبو بكرٍ وعامرُ بن فُهَيرةَ وبلالٌ مَولَيا أبي بكرٍ مع أبي بكرٍ في بيت

(١) إسناده صحيح، وانظر تخريجه لاحقاً.

(٢) أي: قُطِع.

(٣) إسناده صحيح.

وقد أخرجه بطوله أحمد (٢١٧٦٧)، والبخاري (٤٥٦٦) و(٥٦٦٣) و(٦٢٠٧) و(٦٢٥٤)، ومسلم (١٧٩٨)، والنسائي (٧٤٦٠)، وابن حبان (٦٥٨١) من طرق عن الزهريِّ، بهذا الإسناد نحوه. وفي بعض هذه الطرق: أنّ ذلك كان قبل وقعة بدرٍ.

واحد، فأصابتهم الحُمَّى، فدخلتُ عليهم أَعُودُهم، وذلك قبل أن يُضرَبَ علينا الحِجابُ، وبهم ما لا يَعلَمُه إلّا اللهُ من شِدّة الوَعْكِ[1]، فدَنَوتُ من أبي بكرٍ فقلت له: كيف تَجِدُك يا أبَتِ؟ فقال:

كــلُّ امــرِئٍ مُصــبَّحٌ في أهلِــهِ والمـوتُ أَدنـى مـن شِـرَاكِ نَعلِـهِ[2]

قالت: قلت: واللهِ ما يدري أَبي ما يقول، قالت: ثمّ دَنَوتُ إلى عامر بن فُهَيرةَ فقلت: كيف تَجِدُك يا عامر؟ فقال:

لقـد وَجَـدتُ المـوتَ قبـلَ ذَوقِـهِ إنّ الجَبَـانَ حَتْفُـه مــن فَوقِـهِ[3]

كــلُّ امــرِئٍ مجاهِــدٌ بطَوقِــهِ كــالثَّورِ يَحمــي جِلــدَه برَوْقِــهِ[4]

ـ بطَوْقِه يريد: بطاقتِه، فيما قال ابن هشام ـ قالت: فقلت: واللهِ ما يدري عامرٌ ما يقول، قالت: وكان بلالٌ إذا تَرَكَته الحُمَّى اضطَجَعَ بفِناءِ البيت ثمّ رَفَع عَقِيرتَه[5] فقال:

ألَا لَيْتَ شِعْري هـل أَبِيتَنَّ ليلـةً بفَـخٍّ وحَـوْلي إذخِـرٌ وجَليـلُ

---

(١) الوعك: شدّة ألم المرض.

(٢) شراك النعل: أحد سُيُوره (وهي قِطَع الجِلد) التي على وجهها.

وهذا البيت هو في الأصل لحكيم النَّهشليّ كما قال أبو عبيدة معمر بن المثنَّى في «شرح نقائض جرير والفرزدق» ص٤٨٣.

(٣) حتفه: هلاكه. ومن فوقه، أي: من السماء بقَدَر، يريد أنه يموت على فراشه، وليس قتلاً.

(٤) الطَّوق: الطاقة والقوّة. والرَّوْق: القَرْن.

وهذان البيتان هما في الأصل لعمرو ابن أُمامة اللَّخميِّ أخي عمرو ابن هندٍ ملك الحيرة، انظر «معجم الشعراء» للمرزُباني ص٢٠٦، و«فصل المقال في شرح كتاب الأمثال» لأبي عبيد البكريِّ ص٤٣٩-٤٤٠.

(٥) أي: صوته.

وهــل أَرِدَنْ يومــاً ميــاهَ مَجَنّــةٍ وهــل يَبــدُوَنْ لــي شــامَةٌ وطَفيــلُ[1]

قال ابن هشام: شامَةُ وطَفِيلٌ: جبلان بمكّة.

قالت عائشة: فذكرتُ لرسول الله ﷺ ما سمعتُ منهم، فقلت: إنّهم ليَهذُونَ وما يَعقِلون من شدَّة الحُمَّى، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ كما حَبَّبتَ إلينا مكَّةَ أو أشدَّ، وبارِكْ لنا في مُدِّها وصاعِها، وانقُلْ وَباءَها إلى مَهْيَعَةَ»[2].

ومَهْيَعَةُ: الجُحْفة[3].

قال ابن إسحاق: وذكر ابنُ شِهابٍ الزُّهْريُّ، عن عبد الله بن عمرو بن العاصِ: أنّ رسول الله ﷺ لمّا قَدِمَ المدينةَ هو وأصحابُه أصابتهم حُمَّى المدينة حتّى جُهِدوا

(١) فسّر السهيليُّ والخُشنيُّ الإذخر والجليل بأنّهما نبتانِ، وكذا عامّة من شرح هذا الحديث، وهما نبتانِ معروفانِ في أرض الحجاز، إلّا أنّ الأستاذ عاتق البِلاديّ رحمه الله ذهب إلى أنهما موضعانِ بالقرب من فخٍّ، وفخٌّ أحد أودية مكة، ويسمى اليوم وادي الزاهر، انظر من كتبه «معجم المعالم الجغرافية في السيرة» ص٢٣٤، و«معالم مكة التاريخية والأثرية» ص٢٢-٢٣، و«معجم معالم الحجاز» ص٨١ و٣٦٩ و١٢٩٩.

ومَجَنّة: اسم مكانٍ كان فيه سوق من أسواق العرب مشهورة، وهو غير معروف الآن، لكن هو على وجه العموم يقع في محافظة الجموم شمال مكة على طريق المدينة القديم.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه بنحوه أحمد (٢٦٢٤٠) و(٢٦٢٤١)، والبخاري (١٨٨٩) و(٣٩٢٦)، ومسلم مختصراً (١٣٧٦)، والنسائي في «الكبرى» (٧٤٥٣)، وابن حبان (٣٧٢٤) من طرق عن هشام ابن عروة، عن أبيه عروة، عن عائشة.

وأخرجه أحمد (٢٤٣٦٠) من طريق يزيد بن أبي حبيب، عن أبي بكر بن إسحاق بن يسار أخي محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن عروة، عن عروة، به. وانظر تتمة تخريجه هناك.

(٣) تقع الجحفة جنوب شرق مدينة رابغ على بعد ٢٠ كم تقريباً، وتبعد عن المدينة المنوَّرة أكثر من ٢٠٠ كم في الجنوب الغربيّ منها، وقد اندثرت قديماً لم يبق منها إلا آثار.

مرضاً، وصَرَفَ اللهُ ذلك عن نبيِّه ﷺ، حتّى كانوا ما يُصلُّون إلا وهم قعودٌ، قال: فخرج عليهم رسول الله ﷺ وهم يُصلُّون كذلك، فقال لهم: «اعلَمُوا أنَّ صلاةَ القاعدِ على النِّصفِ من صلاةِ القائمِ»، قال: فتَجَشَّمَ المسلمون القيامَ[1] على ما بهم من الضَّعف والسُّقْم، الْتِماسَ الفضل[2].

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّ رسول الله ﷺ تهيَّأَ لحربه، وقام فيما أَمَرَه اللهُ به من جهاد عدوِّه، وقتالِ مَن أمَرَه الله به ممَّن يَليهِ من المشركين، مُشرِكي العربِ.

---

(١) أي: تكلَّفوه على مشقّة.

(٢) إسناد حديث عبد الله بن عمرو بهذا السِّياق ضعيف لانقطاعه بين ابن إسحاق والزهريِّ، فإنه لم يذكر سماعه فيه، ولانقطاعه أيضاً بين الزهريّ وعبد الله بن عمرو، فإنّه لم يسمع منه شيئاً، لكن روى هذا الحديث ابن جُريج عند أحمد (١٢٣٩٥) عن الزهريِّ عن أنس بن مالك، وهذا أصحُّ، فإنَّ عبد الله بن عمرو لم يكن هاجر إذ ذاك إلى المدينة، بل تأخّرت هجرته وإسلامه إلى ما بعد ذلك، بينما أنسٌ أنصاريٌّ من أهل المدينة.

إلّا أن الحديث قد صحَّ من رواية عبد الله بن عمرو من دون ذكر الحمّى وأنَّ صلاة أصحاب النبيّ ﷺ قعوداً كانت بسبب ذلك، فقد أخرج أحمد (٦٥١٢)، ومسلم (٧٣٥)، وأبي داود (٩٥٠) وغيرهم من طريق أبي يحيى الأعرج عن عبد الله بن عمرو قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلّي جالساً، فقلت له: حُدِّثتُ أنّك تقول: «صلاة القاعد على نصف صلاة القائم»، قال: «إني لست كمثلِكم».

وانظر الكلام على مسألة الصلاة قاعداً للصحيح والمعذور في الفرض والنافلة في «فتح الباري بشرح البخاري» لابن حجر ٤/ ٢٨٦-٢٨٩ في باب صلاة القاعد من أبواب التقصير.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تاريخ الهِجْرة[1]

بالإسناد المتقدِّم عن عبد الملك بن هشام قال: حدَّثنا زياد بن عبد الله البَكّائيُّ عن محمّد بن إسحاق المُطَّلبيِّ قال: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ يومَ الاثنين حين اشتَدَّ الضَّحَاءُ وكادت الشمسُ تَعتدِلُ، لِثِنتَي عشرةَ ليلةً مَضَت من شهر ربيع الأوّل[2]؛ وهو التّاريخُ فيما قال ابنُ هشام.

قال ابن إسحاق: ورسولُ الله ﷺ يومَئذٍ ابنُ ثلاثٍ وخمسين سنةً، وذلك بعد أن بَعَثَه الله بثلاثَ عشرةَ سنةً، فأقام بقيّةَ شهرِ ربيع الأوَّل وشهرِ ربيع الآخِر وجُمادَيَينِ ورَجَباً وشعبانَ وشهرَ رمضان وشوّالاً وذا القَعْدة وذا الحِجّة ـ ووَلِيَ تلك الحَجّةَ المشركون ـ والمحرَّمَ، ثمّ خرج غازياً في صَفَر على رأس اثني عشرَ شهراً من مَقدَمِه المدينةَ.

واستَعمَل على المدينة سعدَ بن عُبادةَ فيما قال ابنُ هشام.

غزوة وَدّان، وهي أوّل غَزَواته عليه السلام

قال ابن إسحاق: حتّى بَلَغَ وَدّانَ، وهي غزوة الأَبْواءِ[3]، يريد قُريشاً وبني ضَمْرة

---

(١) هكذا في (ت) و(ش١) و(ص) و(م) و(ي) بذكر تاريخ الهجرة، وفي نسخة (غ) مكانه: غزوات رسول الله عليه السلام وسراياه، وفي نسخة (ق١): غزوة الأبواء.

(٢) تقدم بيان الخلاف في تاريخ الهجرة في قصة هجرته ﷺ ص١٣٣.

(٣) الأبواء: وادٍ من أودية الحجاز كثير المياه والزَّرع، وينحدر وادي الأبواء إلى البحر جاعلاً أنقاض ودّان على يساره، ويُسمّى اليوم وادي الخُريبة، وتبعد قرية الأبواء عن بلدة مستورة التي على ساحل البحر الأحمر ٢٨ كم تقريباً في شرقيّها، أمّا مستورة فهي شمال مدينة جُدّة على بعد ٢٠٠ كم. =

ابن بكر بن عبدِ مَنَاة بن كِنانةَ، فوادَعَتهُ فيها بنو ضَمْرة، وكان الّذي وادَعَه منهم عليهم مَخْشيُّ بن عمرٍو الضَّمْريّ، وكان سيِّدَهم في زمانه ذلك.

ثمّ رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلقَ كَيداً، فأقام بها بقيّةَ صَفَر وصدراً من شهر ربيع الأوّل.

قال ابن هشام: وهي أوّلُ غزوةٍ غَزَاها[1].

سَرِيّة عُبيدة بن الحارث

وهي أوّل راية عَقَدَها عليه السلام

قال ابن إسحاق: وبَعَثَ رسولُ الله ﷺ في مُقامِه ذلك بالمدينةِ[2] عُبَيدةَ بن الحارثِ

= وأمّا وَدّان: فقرية اندثرت الآن، وتوجد آثارها على بعد ١٢ كم شرق مستورة.

(١) قال الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ١٢: وفي هذه الغَزَاة وادَعَ بني ضَمْرة من كنانة على ألا يُكثِّروا عليه ولا يُعِينوا عليه أحداً، ثم كتب بينهم كتاباً ثم رجع، وكانت غَيْبته خمس عشرة ليلةً.

وقال ابن حبّان في السيرة من كتاب «الثقات» ١/ ١٤٦: خرج رسول الله ﷺ في المهاجرين ليس فيهم أنصاريٌّ.

(٢) يعني في شهر ربيع الأول، وقد روى خليفةُ بن خيّاط في «تاريخه» ص٦١ من طريقين عن ابن إسحاق: أنّ سريّة عُبيدة هذه كانت في شهر ربيع الأول.

أمّا الواقديُّ فذكر في «مغازيه» ١/ ٢ و١٠ و١١: أنّ سريّة عُبيدة بن الحارث هذه كانت في شوّال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة، وبعدها بشهر في ذي القَعْدة كانت سريّة سعد بن أبي وقّاص ـ الآتية لاحقاً بعد غزوة العُشيرة ـ إلى الخرّار، وقبلهما في شهر رمضان كانت سريّة حمزة بن عبد المطّلب إلى العِيص يعترض لعِير قريش، وهذه السرايا الثلاث عنده قبل غزوة الأبواء.

وذكر ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٦-٧ في سريّة عُبيدة قولاً ثالثاً، فقال: ذكر أبو الأسود في «مغازيه» عن عُروة، ووَصَلَه ابن عائذ من حديث ابن عباس: أن النبيَّ ﷺ لمّا وَصَلَ إلى الأبواء بَعَثَ عبيدةَ بن الحارث في ستين رجلاً...

ابن المُطَّلِب بن عبدِ مَنَاف بن قُصيٍّ في ستّين أو ثمانين راكباً من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحدٌ، فسارَ حتّى بَلَغَ ماءً بالحِجاز بأسفلِ ثَنِيّة المَرَةِ[1]، فلَقِيَ بها جمعاً عظيماً من قريش، فلم يكن بينهم قتال، إلّا أنَّ سعد بن أبي وقّاصٍ قد رَمَى يومئذٍ بسَهْم، فكان أوّلَ سهمٍ رُميَ به في الإسلام.

ثمّ انصَرَفَ القومُ عن القوم وللمسلمين حاميَةٌ[2]، وفرَّ من المشركين إلى المسلمين المِقدادُ بن عمرو البَهْراني[3] حليف بني زُهْرة، وعُتْبةُ بن غَزْوان بن جابر المازني حليفُ بني نَوفَل بن عبد مَنَاف، وكانا مُسلمَينِ، ولكنّهما خرجا ليَتوصَّلا بالكفّار[4]، وكان على القوم عِكْرمةُ بن أبي جهل.

قال ابن هشام: حدّثني ابن أبي عمرو بن العلاء، عن أبي عمرٍو المَدَني[5]: أنّه كان عليهم مِكرَزُ بن حفص بن الأَخْيَف أحدُ بني مَعِيص بن عامر بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر.

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكرٍ الصِّدّيقُ في غزوة عُبَيدة بن الحارث ـ قال ابن

---

(١) هذه الثنيّة تمرُّ خلال حَرّة تسمَّى اليوم بَرْقاء ريِّن، والثَّنيّة: الفُرجة بين جبلين، أو الطريق في الجبل، وتبعد عن مكة قرابة ١٦٢كم شمالاً.

(٢) أي: مجموعة من الفرسان يَحمُون آخرَهم.

(٣) وهو الذي يقال له: المقداد بن الأسود، وهو من كِندة، كان في حِجْر الأسود بن عبد يَغُوث الزُّهريّ فنُسِب إليه.

(٤) أي: أنهما جعلا خروجهما مع الكفّار وسيلةً للوصول إلى المسلمين.

(٥) ابن أبي عمرو بن العلاء إن كان هو بشر بن أبي عمرو بن العلاء ـ وهو من هذه الطبقة ـ فقد ذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» ١/ ٣٢١ ونقل عن أبي حاتم أنه جهّله، وعن ابن طاهر أنه قال: أحاديثه موضوعة.

وأما أبو عمرو المدني، فلم نتبيّنه.

هشام: وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُ هذه القصيدةَ لأبي بكر[1] -:

أمِن طَيفِ سَلْمى بالبِطَاحِ الدَّمائثِ ... أَرِقتَ وأَمرٍ في العَشِيرةِ حادثِ[2]

تَرى من لُؤيٍّ فِرقةً لا يَصدُّها ... عن الكفرِ تذكيرٌ ولا بَعْثُ باعثِ

رسولٌ أتاهُمْ صادقٌ فتكذَّبوا ... عليه وقالوا: لستَ فينا بماكثِ

إذا ما دَعَوناهم إلى الحقِّ أَدبَرُوا ... وهَرُّوا هَرِيرَ المُجحَرَاتِ اللَّواهثِ[3]

---

(١) زاد هنا في (ي): قال الوزير: لم أنكرها (هكذا في النسخة، ويغلب على ظننا أن صوابه: ما أنكَرَها، على التعجّب) وما سمعنا لأبي بكر رضي الله عنه مثلها. اهـ، يعني بالوزيرِ أبا القاسم الحسين بن عليٍّ ابنَ المغربيَّ المتوفَّى سنة ٤١٨هـ، صاحب الأصل المنسوخ عنه.

قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٥/ ٧١: ويشهد لصحّة من أَنكر أن تكون لأبي بكر، ما روى عبد الرزاق عن معمر عن الزُّهريّ عن عُروة عن عائشة قالت: كَذَبَ من أخبركم أنّ أبا بكر قال بيت شعر في الإسلام؛ رواه محمد البخاري عن أبي المتوكِّل عن عبد الرزاق.

قلنا: هكذا وقع في المطبوع من «الروض»، وهو تحريفٌ يقيناً، صوابه فيما نرى: رواه محمد ابن المتوكل عن عبد الرزاق، لكن نقف عليه من رواية محمد بن المتوكل - وهو ابن أبي السَّرِيّ العسقلاني - فلعلّها وقعت للسهيليِّ، وهو بنحوه في «جامع معمر» (٢٠٥٠٧) برواية إسحاق بن إبراهيم الدَّبَري عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: بلغنا أن عائشة قالت: والله ما قال بيتَ شعر في جاهلية ولا إسلام. فهو عنده من بلاغات الزهري.

لكن أخرجه بنحوه ابن أبي عاصم في «السنّة» (١٢٣٩) من رواية سفيان بن حسين، عن الزُّهريّ، عن عروة، عن عائشة: أنّ أبا بكر لم يقل شعراً في الإسلام قطُّ حتى مات. فهذا إسناد متصل رجاله ثقات، لكن في رواية سفيان بن حسين عن الزهري مقالٌ.

(٢) طيف سلمى، أي: خيال شخصها. والدمائث: الرِّمال اللَّيِّنة. وأرِقتَ، معناه: امتنعتَ من النوم.

(٣) هرُّوا، معناه: وَثَبُوا وقفزوا كما تَثِبُ الكلاب. والمُجحَرات: الكلاب التي أُجحِرَت وأُلجئَت إلى مواضعها وجُحورها. واللواهث، أي: أخرجت ألسنتَها وتعبت أنفاسُها من شدّة =

فكـــم قـــد مَتَتْنـــا فـــيهم بقَرَابـــةٍ ... وتَـركُ التُّقَى شيءٌ لهـمْ غيـرُ كـارِثِ[1]

فـإنْ يَرجِعـوا عـن كُفـرِهم وعُقـوقِهِمْ ... فمـا طيِّبـاتُ الحِـلِّ مثـلَ الخبائـثِ

وإنْ يَركَبـوا طُغيـانَهم وضـلالَهمْ ... فلـيسَ عـذابُ اللهِ عـنهمْ بلابِـثِ[2]

ونحـنُ أنـاسٌ مـن ذُؤَابـةِ غالـبٍ ... لنـا العـزُّ منهـا في الفُـروعِ الأثائـثِ[3]

فـأُولِي بـرَبِّ الرَّاقصـاتِ عَشـيّةً ... حَراجِيجُ تَخْـدِي في السَّـريحِ الرَّثائثِ[4]

كـأُدْمِ ظِبـاءٍ حـولَ مكّـةَ عُكَّـفٍ ... يَـرِدنَ حِيـاضَ البئـرِ ذاتِ النَّبائـثِ[5]

لَـئِنْ لـم يُفِيقـوا عـاجلاً مـن ضَـلالِهِمْ ... ولسـتُ إذا آلَيـتُ قـولاً بحانِـثِ

لَتَبتـدِرَنْهُم غـارةٌ ذاتُ مَصـدَقٍ ... تحـرِّمُ أطهـارَ النِّسـاءِ الطَّوامـثِ[6]

تغـادرُ قَتلَـى تَعصِـبُ الطيـرُ حـولَهمْ ... ولا تَـرأَفُ الكفّـارَ رَأْفَ ابـنِ حـارثِ[7]

= العطش والحرّ.

(١) مَتَتْنا: اتَّصلنا. وغير كارث، أي: غير مُحزِن.

(٢) بلابث، أي: بمبطئٍ أو متأخِّر.

(٣) الذُّؤابة، من ذُؤابة الجبل: وهو أعلاه، ثم استُعير للشَّرف والمرتبة. والأثائث: الكثيرة المجتمعة، واحدها: أَثِيثة.

(٤) أُولي، أي: أَحلف. والراقصات: يعني الإبل، والرَّقص: ضربٌ من المشي. وحراجيج: يعني طِوالاً، واحدُها: حُرجُوج. وتَخدي: تُسرِع، والوَخْد: سَعَة الخُطوة في المشي، وقُيِّدت في نسخة (ص) بالخاء والحاء، فإذا كانت (تُحدَى) بالحاء، فمعناه: تُساق ويُغنَّى لها. والسَّريح: قِطَعُ جلود شِبه النَّعل، تُربَط على أخفافها مخافةَ أن تصيبها الحجارة، والرثائث: يعني البالية.

(٥) الأُدم من الظِّباء: السُّمر الظُّهور، البِيضُ البطون. وعُكَّف: مُقِيمة. والنَّبائث: هو جمع نَبِيثة، وهي تراب يخرج من البئر إذا نُقِّيت.

(٦) الطوامث: جمع طامِثٍ، وهي الحائض.

(٧) تعصب: تجتمع وتحيط. ولا ترأف، أي: لا ترحم. وابن حارث: عُبيدة بن الحارث.

فـأَبلِغْ بنـي سَـهْمٍ لـديكَ رسـالةً وكـلَّ كَفُـورٍ يَبتَغـي الشـرَّ باحـثِ
فإنْ تَشعَثُوا عِرْضي على سُوءِ رأيِكمْ فـإنِّي مـن أعراضِـكُم غيـرُ شـاعثِ[1]

فأجابه عبدُ الله بن الزِّبَعرَى السَّهْميُّ، فقال:

أمِـن رَسْـمِ دارٍ أقفَـرَت بالعَثاعِـثِ بَكَيـتَ بعَـينٍ دَمْعُهـا غيـرُ لابـثِ[2]
ومِـن عَجَـبِ الأيّـامِ والـدَّهرُ كلُّـهُ لـهُ عَجَـبٌ مـن سـابقاتٍ وحـادثِ
لجـيشٍ أَتانـا ذي عُـرَامٍ يَقـودُهُ عُبَيدةُ يُدعَى في الهِيَاجِ ابنَ حارثِ[3]
لنَتـرُكَ أصـناماً بمكّـةَ عُكَّفـاً مَوارِيـثَ مَـورُوثٍ كـريمٍ لـوارثِ
فلمّـا لَقِينـاهم بسُـمْرِ رُدَينـةٍ وجُـرْدٍ عِتـاقٍ في العَجَـاجِ لَواهِـثِ[4]
وبِـيضٍ كـأنّ المِلـحَ فـوقَ مُتونِهـا بأَيـدي كُمَـاةٍ كـاللُّيوثِ العَوائـثِ[5]
نُقِـيمُ بهـا إصْـعارَ مـن كـان مـائلاً ونَشْفي الذُّحولَ عـاجلاً غيـرَ لابـثِ[6]
فكَفُّـوا علـى خـوفٍ شـديدٍ وهَيْبـةٍ وأعجَـبَهم أمـرٌ لهـم أمـرُ رائـثِ[7]

---

(١) قوله: فإن تَشعثوا عِرضي، أي: تَغضُّوا منه وتتنقَّصوه.

(٢) رسم الدار: آثارها بعد خرابها. وأقفرت: خَلَت. والعثاعث: أكداس الرمل التي لا تنبت شيئاً، واحدها: عَثعَثٌ. وقوله: غير لابث، معناه: غير ماكث، ويُروى: غير لائث، بالهمز كما قال أبو ذرٍّ الخشنيّ، ومعناه: غير محتبس.

(٣) العُرام: الكثرة والشدّة. والهِياج: الحرب.

(٤) بسُمْر، يعني رماحاً، ورديئة: امرأة في الجاهلية كانت تسوّي الرماح بخَطّ هَجَر، موضع باليمامة. والجُرْد: الخيل العتاق القصيرات الشَّعر، والعِتاق: جمع عَتيق، وهو الكريم من كل شيء. والعَجَاج: الغبار.

(٥) بِيض، يعني السيوف. والكُماة: الشُّجعان. والعوائث، أي: المُفسدات.

(٦) الإصعار: المَيل. والذحول: جمع ذَحْل، وهو طلب الثأر.

(٧) رائث، أي: متمهِّل في الأمر مقدِّر لعواقبه.

ولـو أنّهـم لـم يَفعَلـوا نـاحَ نِسـوةٌ أَيَـامى لهـم مـن بـين نَسْءٍ وطامِـثِ[1]
وقـد غُـودِرَت قَتلَـى يُخبِّـر عـنهمُ حَفِـيٌّ بهـم أو غافـلٌ غيـرُ باحـثِ[2]
فـأبلِغْ أبـا بكـرٍ لـديكَ رِسـالةً فما أنتَ عن أعراضِ فِهْرٍ بماكثِ
ولَمّـا تَجِـبْ منّـي يمـينٌ غليظـةٌ نُجـدِّدُ حربـاً حَلْفـةً غيـرَ حانـثِ

قال ابن هشام: تركنا منها بيتاً، وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرها لابن الزِّبَعرَى.

قال ابن إسحاق: وقال سعد بن أبي وَقّاص في رَمْيته تلك فيما يَذكُرون:

ألَا هـلْ أَتـى رسـولَ الله أنّـي حَمَيتُ صَحابَتي بصُدورِ نَبْلي
أذُودُ بهـا أوائلَهـم ذِيـاداً بكـلِّ حُزُونـةٍ وبكـلِّ سَـهلِ[3]
فمـا يَعتَـدُّ رامٍ في عـدوٍّ بسَـهمٍ يـا رسـولَ الله قَبْلـي
وذلـكَ أنّ دينَـك دينُ صِـدْقٍ وذو حـقٍّ أَتيـتَ بـه وعَـدْلِ
يُنجَّـى المؤمنـونَ بـهِ، ويُجـزَى بـه الكفّـارُ عنـد مَقـامِ مَهْـلِ[4]
فمَهـلاً قـد غَوِيـتَ فـلا تَعِبْنـي غَوِيَّ الحيِّ وَيحَك يا ابنَ جَهلِ

قال ابن هشام: وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها لسعدٍ.

قال ابن إسحاق: فكانت رايةُ عُبَيدة بن الحارثِ ـ فيما بَلَغَنا ـ أوّلَ راية عَقَدَها رسولُ الله ﷺ في الإسلام لأحدٍ من المسلمين، وبعضُ العلماء يَزعُم أنَّ رسول الله ﷺ بَعَثَه حين أقبَلَ من غَزاةِ الأَبواءِ، قبل أن يَصِلَ إلى المدينة.

---

(١) أَيامى: ليس لهن أزواج. والنَّسء: المتأخّرة الحيض، المظنون بها الحملُ، والطامث: الحائض.

(٢) حفيٌّ بهم، أي: كثير السؤال عنهم.

(٣) أذودُ: أمنعُ. والحُزونة: الوعر من الأرض.

(٤) أي: إمهال وتثبُّت.

سَرِيّة حمزة بن عبد المطّلب إلى سِيف البحر

وبَعَثَ في مُقامِه ذلك حمزةَ بن عبد المُطَّلِب بن هاشم إلى سِيفِ البحر من ناحية العِيصِ[1]، في ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحدٌ.

فلقيَ أبا جَهْل بن هشام بذلك الساحل في ثلاث مئة راكبٍ من أهل مكّة، فحَجَزَ بينهم مَجدِيُّ بن عمرٍو الجُهَنيّ، وكان مُوادِعاً للفريقين جميعاً، فانصرف بعضُ القوم عن بعضٍ، ولم يكن بينهم قتالٌ.

وبعضُ النّاس يقول: كانت رايةُ حمزة أوّلَ رايةٍ عَقَدَها رسولُ الله ﷺ لأحدٍ من المسلمين[2]، وذلك أنّ بَعْثَه وبَعْثَ عُبيدة كانا معاً، فشُبِّه ذلك على النّاس، وقد زَعَمُوا أنّ حمزة قد قال في ذلك شعراً يَذكُر فيه أنّ رايته أوّلُ رايةٍ عَقَدَها رسولُ الله ﷺ، فإن كان حمزةُ قد قال ذلك، فقد صَدَقَ إن شاء الله، لم يكن يقولُ إلا حقّاً، فاللهُ أعلم أيُّ ذلك كان، فأمّا ما سَمِعْنا من أهل العلم عندنا، فعُبَيدة بن الحارثِ أوّلُ من عُقِدَ له[3].

فقال حمزةُ في ذلك فيما يَزعُمون ـ قال ابن هشام: وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِر

---

(١) العِيص: واد لجُهينة يقع شمال غرب المدينة على بعد ١٧٠ كم تقريباً، وبين العيص والبحر الأحمر ٩٠ كم تقريباً.

وسِيفُ البحر: ساحله.

(٢) وهذا قاله عروة وموسى بن عقبة ومحمد بن عمر الواقديّ وابن سعد وابن عائذ والبيهقي وابن الأثير والدِّمياطيّ وغيرهم، وصحّحه أبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب»، وانظر «فتح الباري» لابن حجر ١٢/ ٧، و«سبل الهدى والرشاد» للصالحي ٦/ ١١، وذكر الواقدي في «مغازيه» ١/ ٢ أنّ هذه السريّة كانت في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة.

(٣) ومثله قال ابن حبان في السيرة من كتاب «الثقات» ١/ ١٤٢.

هذا الشعرَ لحمزة ـ:

ألَا يـا لَقَـوْمي لِلـتَّحلُّمِ والجَهـلِ ... ولِلنَّقصِ من رأيِ الرِّجالِ ولِلعقلِ
ولِلرّاكِبينـا بالمظـالمِ لـم نَطَـأْ ... لهم حُرُماتٍ من سَوَامٍ[1] ولا أهلِ
كأنّـا تَبَلْنـاهم ولا تَبْـلَ[2] عنـدَنا ... لهـم غيـرُ أمـرٍ بالعَفـافِ وبالعَـدلِ
وأَمـرٍ بإسـلامٍ فـلا يَقبَلونَـهُ ... ويَنـزِلُ مـنهم مثـلَ منزلـةِ الهَـزْلِ
فما بَرِحُوا حتّى ابتَدَيتُ[3] بغارَةٍ ... لهم حيثُ حَلُّوا أَبتغِي راحةَ الفَضْلِ
بـأمرِ رسـولِ الله، أوّلُ خـافقٍ ... عليه لِواءٌ لم يكنْ لاحَ من قَبْلي
لِـواءٌ لديهِ النَّصرُ من ذي كرامةٍ ... إلٰـهٍ عزيـزٍ فِعلُـه أفضـلُ الفعـلِ
عَشـيّةَ سـارُوا حاشـدِينَ وكلُّنـا ... مَراجِلُـه من غَـيظِ أصحابِه تَغْلي[4]
فلمّـا تَراءَينـا أنـاخُوا فعَقَّلُـوا ... مَطَايا وعَقَّلْنا مَدَى غَرَضِ النَّبْلِ[5]
فقلنـا لهـم: حَبْـلُ الإلٰـهِ نَصيـرُنا ... ومـا لكـم إلّا الضَّـلالةُ مـن حَبـلِ
فثـارَ أبـو جهـلٍ هنالـكَ باغيـاً ... فخـابَ ورَدَّ اللهُ كَيْـدَ أبـي جهـلِ
ومـا نحـنُ إلا في ثلاثـينَ راكبـاً ... وهـم مِئتـانِ بعـدَ واحـدةٍ فَضْـلِ
فيـا لَلُـؤيٍّ لا تُطِيعـوا غُـواتَكمْ ... وفِيئُوا إلى الإسلامِ والمَنهَجِ السَّهلِ[6]

---

(١) السَّوام: الإبل المرسَلة في المرعى.

(٢) تبلناهم، معناه: قاطعناهم وعادَيناهم، والتَّبْل: العداوة، ويقال: هو طلب الثَّأر.

(٣) في (ش١) و(غ) و(ي) ونسخة على حاشيتي (ص) و(م): انتُدِبتُ.

(٤) المراجل: جمع مِرجَل، وهو القِدْر، وقال بعض اللُّغويين: هو قِدرُ النّحاس لا غير.

(٥) الغَرض: الهَدَف، والنَّبل: السَّهم. يريد: أنهم أناخوا قريبين بعضهم من بعض، فكانت المسافة بينهم مَرمَى النَّبل.

(٦) غواتكم، أي: ضُلّالكم. وفيئوا: ارجعوا. والمنهج: الطريق الواضح.

فـإنِّي أخـافُ أن يُصَـبَّ عليـكمُ عـذابٌ فتَـدْعُوا بالنَّدامـةِ والثُّكـلِ[1]

فأجابه أبو جهل بن هشامٍ فقال:

عَجِبتُ لأسبابِ الحَفيظـةِ والجهـلِ وللشّـاغِبينَ بـالخِلافِ وبالبُطْـلِ[2]
وللتّـاركينَ مـا وَجَـدْنا جُـدودَنا عليه ذَوِي الأحسابِ والسُّودَدِ الجَزْلِ[3]
أتَوْنـا بإفْـكٍ كـي يُضِـلُّوا عقولَنـا وليس مُضِلّاً إفْكُهم عقلَ ذي عقلِ[4]
فقلنـا لهـم: يـا قومَنـا لا تُخـالِفوا على قومِكم إنّ الخلافَ مَدَى الجهلِ
فـإنّكم إن تَفعَلـوا تَـدْعُ نِسـوةٌ لهـنَّ بَـواكٍ بالرَّزِيّـةِ والثُّكْـلِ[5]
وإن تَرجِعـوا عمّـا فَعلـتُم فإنَّنـا بنـو عمِّكـم أهـلُ الحفـائظِ والفضـلِ
فقـالوا لنـا: إنّـا وَجَـدْنا محمَّـداً رِضاً لذَوِي الأرحامِ[6] منّا وذي العَقلِ
فلمّـا أَبَـوْا إلّا الخـلافَ وزَيَّنـوا جِماعَ الأمـورِ بـالقَبيحِ مـن الفعـلِ
تَيمَّمـتُهم بالسـاحلَينِ بغـارَةٍ لأترُكَهم كالعَصْفِ ليس بذِي أصلِ[7]
فـوَرَّعَني مَجـدِيٌّ عـنهم وصُـحبَتي وقـد وازَرُوني بالسُّـيوفِ وبالنَّبْـلِ[8]

---

(١) الثُّكل: الفَقْد والحزن.

(٢) الحفيظة: الغضب.

(٣) السُّودَد: السِّيادة والشرف. والجزل: العظيم.

(٤) الإفك: الكذب.

(٥) الرَّزيّة: المصيبة. والثُّكل: الفَقْد والحزن.

(٦) في (ش١) و(ص) و(غ) و(ي): الأحلام، أي: العقول، والمثبت من (ت) و(ق١) و(م) وهو أوجهُ.

(٧) العصف هنا: ورق الزرع الذي يصفرّ على ساقه، ويقال: هو دِقاق التِّبن. وقوله: ليس بذي أصل، أي: ليس له ساق يستند عليه.

(٨) ورَّعني، أي: كفَّني. ووازَروني: أعانوني.

لإلٍّ علينـــا واجـــبٍ لا نُضِـــيعُه أَمـينٍ قُـوَاه غيـرِ مُنتَكـثِ الحبـلِ[1]
فلولا ابنُ عمـرٍو كنتُ غـادَرتُ منهمُ مَلاحِـمَ للطّيـرِ العُكـوفِ بـلا تَبْـلِ[2]
ولكنَّـــه آلَـــى بـــإلٍّ فقَلَصَـــت بأَيمانِنـا حـدُّ السـيوفِ عـن القتـلِ[3]
فـإن تُبقِنـي الأيّـامُ أَرجِـعْ علـيهمُ ببِـيضٍ رِقـاقِ الحـدِّ مُحدَثـةِ الصَّـقْلِ[4]
بأَيـدي حُمـاةٍ مـن لُـؤيِّ بـن غالـبٍ كِرامِ المَسَاعي في الجُدوبـةِ والمَحْـلِ

قال ابن هشام: وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِر هذا الشِّعرَ لأبي جهل.

غزوة بُوَاط

قال ابن إسحاق: ثمّ غَزَا رسولُ الله ﷺ في شهر ربيع الأوّل يريد قُريشاً.

قال ابن هشام: واستَعمَل على المدينةِ السائبَ بن عثمان بن مَظعُون[5].

قال ابن إسحاق: حتّى بَلَغَ بُوَاطَ[6] من ناحية رَضْوى، ثمّ رجع إلى المدينة ولم يَلْقَ كيداً، فلَبِثَ بها بقيّةَ شهر ربيع الآخِر وبعضَ جُمادَى الأولى.

---

(١) الإلّ: العهد. وغير منتكث، أي: غير منتقض.

(٢) العكوف: المقيمة اللازمة. والتَّبل هنا: واحد التوابل، وهي الأبزار المنكِّهة للطعام.

(٣) آلى: حلف. بإلٍّ: بعهد. فقَلَصَت: كفَّت وامتنعت.

(٤) البِيض: السيوف.

(٥) وذكر الواقدي في «مغازيه» ١/ ٧ وتلميذه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٨: أنّه ﷺ استخلف على المدينة سعدَ بن معاذ.

(٦) قيّده ياقوت في «معجم البلدان» ١/ ٥٠٣ بضمّ الباء، ثم قال: ورواه الأَصيليُّ والعُذْريُّ والمُستَملي من شيوخ المغاربة: بَوَاط، بفتح أوّله، والأول أشهرُ.

وبُوَاط: جبل من جبال جُهينة في غرب المدينة، ويقال له: بواط الغَوْري، وهو مما يلي يَنبُع النخل التي تبعد عن المدينة قرابة ١٣٠ كم، وقريب من بواط سلسلة جبال رَضْوى في الشمال الغربي من يَنبُع النخل.

غزوة العُشَيرة

ثمَّ غَزَا قريشاً[1]، فاستعمل على المدينة أبا سَلَمة بن عبد الأَسد، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فسَلَكَ على نَقْب بني دينار، ثم على فَيفاءِ الخَبَار، فنزل تحت شجرة ببَطْحاءِ ابن أزهَرَ يقال لها: ذات السّاق، فصلَّى عندها، فثَمَّ مسجدُه ﷺ، وصُنِعَ له عندها طعام، فأَكل منه وأَكل الناسُ معه، فموضعُ أَثافِيِّ البُرْمة[2] معلوم هنالك، واستُقِيَ له من ماءٍ به يقال له: المُشتَرِب، ثمّ ارتَحَلَ رسولُ الله ﷺ فترك الخلائقَ[3] بيَسارٍ، وسلك شُعبةً يقال لها: شعبةُ عبد الله، وذلك اسمُها اليوم، ثمّ صَبَّ للسادِّ[4] حتّى هَبَطَ يَلْيَلَ، فنزل بمُجتمَعِه ومُجتمَع الضَّبُوعة، واستَقَى من بئر

---

(١) خرج رسول الله ﷺ في مئة وخمسين من أصحابه ـ وقيل: في مئتين ـ على ثلاثين بعيراً يعتقبونها، يعترض لعِير قريشٍ، وكان قد جاءه الخبر بخروجها من مكة تريد الشام فيها أموال قريش، ففاتته، ثمّ اعترضها عند قفولها من الشام، وبسببها كانت غزوة بدر.

والعُشيرة ـ أو ذو العُشيرة ـ موضع بأسفل يَنبُع النَّخْل التي تقع غرب المدينة على قرابة ١٣٠ كم، والعُشيرة أول قرى ينبع النخل ممّا يلي الساحل. والأماكن المذكورة في هذه الغزوة بعضها اندثر وبعضها ما زال معروفاً إلى اليوم، ونقبُ بني دينار موضع في حَرّة المدينة الغربية. وانظر «معجم المعالم الجغرافية» لعاتق البلاديّ ص٢٠٨-٢٠٩.

(٢) البُرمة: القِدر يطبخ فيها الطعام. والأثافِيّ: الحجارة التي توضع عليها القِدْر، واحدتها: أُثفِيّة.

(٣) في (ت) و(ش١) و(غ) و(م): الحلائق، بحاء مهملة، قال السهيليّ: وهي آبار معلومة، ورواه غير أبي الوليد: الخلائق، بخاء منقوطة، وفسَّرها بعضهم جمع خَلِيقة: وهي البئر التي لا ماء فيها، وأكثر روايات الكتاب على هذا، فالله أعلم.

(٤) هكذا وقع في نسخ السيرة، قال أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص١٥٣: وصوابه: ثم صبَّ =

بالضَّبُوعة، ثمّ سَلَكَ الفَرْشَ ـ فرشَ مَلَلٍ ـ حتّى لقيَ الطّريق بصُخَيرات اليَمَام[1]، ثمّ اعتَدَلَ به الطّريق حتّى نَزَلَ العُشَيرةَ من بطن يَنبُعَ، فأقام بها جُمادَى الأُولى ولياليَ من جُمادَى الآخِرة، ووادَعَ فيها بني مُدلِجٍ وحُلفاءَهم من بني ضَمْرة، ثمّ رجع إلى المدينة ولم يلقَ كَيداً.

وفي تلك الغَزْوة قال لعليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ما قال.

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيدُ بن محمّد بن خُثَيم المُحارِبيّ، عن محمّد بن كعب القُرَظيّ، عن محمّد بن خُثَيم أبي يزيدَ، عن عمّار بن ياسرٍ قال: كنت أنا وعليُّ بن أبي طالبٍ رفيقَينِ في غزوة العُشَيرة، فلمّا نَزَلَها رسولُ الله ﷺ وأقام بها، رأَينا أُناساً من بني مُدلِج يعملون في عينٍ لهم في نَخْل، فقال لي عليٌّ: يا أبا اليَقْظان، هل لك في أن تأتيَ هؤلاءِ، فنَنظُرَ كيف يعملون؟ قال: قلت: إن شئتَ، قال: فجئناهم فنَظَرْنا إلى عملهم ساعةً، ثمّ غَشِيَنا النّومُ، فانطلقتُ أنا وعليٌّ حتّى اضطَجَعْنا في صُورٍ من النَّخل، وفي دَقْعاءَ من التُّراب[2] فنِمْنا، فواللهِ ما أهَبَّنا إلّا رسولُ الله ﷺ يُحرِّكُنا برجله، وقد تَتَرَّبْنا من تلك الدَّقعاء الّتي نِمْنا فيها، فيومئذٍ قال رسول الله ﷺ لعليّ ابن أبي طالبٍ: «ما لكَ يا أبا تُرابٍ؟» لِمَا يَرَى عليه من التُّراب.

ثمّ قال: «ألَا أحدِّثُكما بأَشقى النّاسِ رَجُلَينِ؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال:

= لليسار، وكذا أصلحه الوقَّشيّ؛ يعني أبا الوليد هشام بن أحمد الكِناني من علماء الأندلس.

(١) في (ت): الثُّمام، وفي (ص) و(م) بالوجهين، وأشار إلى الخلاف في تقييده ياقوت الحموي في «معجم البلدان» ٣/ ٣٩٥. وهو موضع غرب المدينة مع مَيلٍ قليل إلى الجنوب يبعد عنها قرابة ٥٠ كم.

وفرشُ ملل: الفرش يعني الفضاء الواسع كالسهل، وملل: وادٍ على قرابة ٣٥ كم من المدينة.

(٢) صُوْر النخل: الجماعة من النخل. والدَّقعاء: التراب الليِّن.

«أُحَيمِرُ ثَمُودَ[1] الَّذي عَقَرَ النّاقةَ، والّذي يَضرِبُك يا عليُّ على هذِه - ووَضَعَ يدَه على قَرْنِه[2] - حتّى يَبُلَّ منها هذِه» وأَخذ بلِحْيتِه[3].

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني بعضُ أهل العلم: أنّ رسول الله ﷺ إنّما سمَّى عليّاً أبا تُرابٍ، أنَّه كان إذا عَتَبَ على فاطمة في شيءٍ لم يُكلِّمْها ولم يقل لها شيئاً تَكرَهُه،

---

(١) الأُحيمر: تصغير أحمر، أي: شديد الشُّقرة.

(٢) أي: جانب رأسه.

(٣) إسناده ليِّن، يزيد بن محمد بن خثيم تفرد ابن إسحاق بالرواية عنه، ومع ذلك قال ابن معين: ليس به بأس، وقال ابن حجر في «التقريب»: مقبول؛ يعني حيث يُتابَع وإلا فليِّن، وهو في هذا الخبر لم يتابَع، وأبوه محمد بن خثيم تفرّد محمد بن كعب بالرواية عنه، وقد ذكر غير واحد أنه وُلد على عهد النبيّ ﷺ، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال الذهبي في «الميزان»: لا يدرى من هو.

وأخرجه أحمد (١٨٣٢١) و(١٨٣٢٦)، والنسائي في «الكبرى» (٨٤٨٥)، والحاكم (٤٧٣٠) من طريقين عن محمد بن إسحاق، بهذا الإسناد.

والصحيح في قصة تكنية عليٍّ بأبي تراب، ما وقع في حديث سهل بن سعد الساعديّ: أنَّ النبي ﷺ إنما كنى عليَّ بن أبي طالب أبا تُراب بعد غزوة العُشيرة بعد نكاحه فاطمةَ رضي الله عنها، في قصّة حصل فيها بينه وبين فاطمة مغاضبة، فجاء رسولُ الله ﷺ وهو راقد في المسجد قد سقط رداؤه عن شِقِّه وأصابه ترابٌ، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: «قُم أبا تراب، قُم أبا تراب». وهذا أخرجه البخاري (٤٤١)، ومسلم (٢٤٠٩).

وأما قصة شقاء من يقتل عليّاً رضي الله عنه، فقد روي من حديث عليٍّ نفسه عند عبد بن حميد في «مسنده» (٩٢)، والطبراني في «الكبير» (١٧٣)، والحاكم (٤٦٤١) وغيرهم بأسانيد فيها لِينٌ لكن يشدُّ بعضُها بعضاً: أن النبيَّ ﷺ قال له: «إنّك ستُضرَب ضربة هاهنا وضربة هاهنا - وأشار إلى صُدغَيه - فيسيل دمهما حتى تختضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها، كما كان عاقر النّاقة أشقى ثمود». وهو محتملٌ للتحسين إن شاء الله.

إلّا أنَّه يأخذُ تراباً فيَضَعُه على رأسه، قال: فكان رسولُ الله ﷺ إذا رأى عليه الترابَ عَرَفَ أنّه عاتبٌ على فاطمةَ، فيقول: «ما لكَ يا أبا تُرابٍ؟»[1]. فاللهُ أعلم أيُّ ذلك كان.

سَرِيّة سعد بن أبي وقّاص

قال ابن إسحاق: وقد كان بَعَثَ رسولُ الله ﷺ فيما بين ذلك من غزوِه سعدَ بن أبي وَقّاصٍ في ثمانيةِ رَهْطٍ من المهاجرين، فخرج حتّى بَلَغَ الخَرّارَ[2] من أرض الحجاز، ثمّ رجع ولم يلقَ كَيداً.

قال ابن هشام: ذكر بعضُ أهل العلم: أنّ بَعْثَ سعدٍ هذا كان بعد حمزة[3].

غزوة سَفَوان، وهي بدرٌ الأُولى

قال ابن إسحاق: فلم يُقِمْ رسولُ الله ﷺ بالمدينة حين قَدِمَ من غزوة العُشَيرة إلّا لياليَ قلائلَ لا تَبلُغُ العَشْرَ حتّى أغار كُرْزُ بن جابرٍ الفِهْريُّ على سَرْح المدينة[4]، فخرج رسول الله ﷺ في طلبِه.

واستَعمَل على المدينة زيدَ بن حارثة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: حتّى بَلَغَ وادياً يقال له: سَفَوان من ناحية بدرٍ[5]، وفاتَه كُرْزُ

---

(١) ضعيف منكر، تفرّد به ابن إسحاق وأَبهَمَ رواته فلم يسنده، ولم نقف عليه عند غيره.

(٢) الخرّار: وادٍ يصبّ على الجحفة، يقع شرق رابغ على قرابة ٢٥ كم عند غدير خُم.

(٣) انظر تعليقنا على سريّة عبيدة بن الحارث المتقدمة ص٢٧٦.

(٤) السَّرْح: اسم جمع للماشية.

(٥) لا يعرف اليوم موضع باسم سفوان، إنما هناك واد يسمَّى سَفَا بين المدينة وبدر في منتصف المسافة على الطريق بينهما على بعد ٧٠ كم من المدينة، فلعلَّه هو ثُنّي، ولكنه بعيد عن بدر. انظر «معجم المعالم الجغرافية في السيرة» ص١٥٨-١٥٩، و«معجم معالم الحجاز» ص٨١٤، =

ابن جابرٍ فلم يُدرِكْه، وهي غزوة بدرٍ الأُولى.

ثمّ رجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، فأقام بها بقيّةَ جُمادَى الآخِرة ورجباً وشعبانَ.

سَرِيّة عبد الله بن جَحْش
ونزول: ﴿يَسأَلُونَك عن الشَّهرِ الحَرامِ﴾

وبَعَثَ رسولُ الله ﷺ[1] عبدَ الله بن جَحْش بن رِئابٍ الأَسَديَّ في رجبٍ مَقفَلَه من بدر الأُولى، وبَعَثَ معه ثمانيةَ رَهْطٍ من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحدٌ، وكتب له كتاباً وأَمَرَه أن لا يَنظُرَ فيه حتّى يسيرَ يومين ثمّ ينظرَ فيه، فيمضيَ لِما أمَرَه به، ولا يَستكرِهَ من أصحابه أحداً.

وكان أصحابُ عبد الله بن جَحْش من المهاجرين ثمّ من بني عبد شمس بن عبد مَنافٍ: أبو حُذَيفة بن عُتْبة بن رَبِيعة بن عبد شمس، ومن حُلفائهم: عبدُ الله بن جَحْش، وهو أميرُ القوم، وعُكّاشةُ بن مِحصَن بن حُرْثان أحدُ بني أَسد بن خُزَيمة، حليفٌ لهم، ومن بني نَوفَل بن عبد مَنافٍ: عُتْبةُ بن غَزْوان بن جابر، حليفٌ لهم، ومن بني زُهْرة بن كِلابٍ: سعدُ بن أبي وَقّاص، ومن بني عَديِّ بن كعبٍ: عامرُ بن رَبيعة، حليفٌ لهم من عَنْز بن وائل، وواقدُ بن عبد الله بن عبد مَناف بن عَرِين بن ثَعلَبة بن يَربُوع أحدُ بني تَمِيم، حليفٌ لهم، وخالدُ بن البُكَيرِ أحدُ بني سعد بن ليث، حليفٌ لهم، ومن بني الحارث بن فِهرٍ: سُهَيلُ ابن بَيضاءَ.

فلمّا سار عبدُ الله بن جحشٍ يومين فتح الكتابَ فنَظَر فيه، فإذا فيه: «إذا نَظَرتَ

= كلاهما لعاتق البلادي.

(١) قوله: «رسول الله ﷺ» ليس في (ت) و(ق١) و(م) و(ي).

في كتابي هذا، فامْضِ حتّى تَنزِلَ نَخْلةَ[1] بين مكّة والطائفِ، فتَرصَّدْ بها قريشاً وتَعلَّمْ لنا من أخبارِهم»، فلمّا نظر عبدُ الله بن جحشٍ في الكتاب قال: سمعاً وطاعةً، ثمّ قال لأصحابه: قد أمَرَني رسولُ الله ﷺ أن أَمضيَ إلى نَخْلةَ أَرصُدُ بها قريشاً حتّى آتيَه منهم بخَبَرٍ، وقد نهاني أن أَستكرِهَ أحداً منكم، فمن كان منكم يريدُ الشَّهادةَ ويَرغَبُ فيها فلينَطلِقْ، ومن كَرِهَ ذلك فليَرجِعْ، فأمّا أنا فماضٍ لأمرِ رسول الله ﷺ، فمضى ومضى معه أصحابُه، لم يَتخلَّفْ عنه منهم أحدٌ.

وسَلَكَ على الحِجَاز، حتّى إذا كان بمَعدِنٍ فوق الفُرُع يقال له: بَحْرانُ[2]، أضَلَّ سعدُ بن أبي وقّاص وعُتْبةُ بن غَزْوانَ بعيراً لهما كانا يَعتقِبانِه، فتخلَّفا عليه في طلبه، ومضى عبدُ الله بن جحشٍ وبقيّةُ أصحابه حتّى نَزَلَ بنَخْلةَ، فمَرَّت به عِيرٌ لقريش تَحمِلُ زبيباً وأَدَماً[3] وتِجارةً من تجارةِ قريش، فيها عمرُو بن الحَضْرميِّ.

قال ابن هشام: واسم الحَضْرميِّ: عبد الله بن عَبّاد[4] أحدُ الصَّدِف، واسم الصَّدِف عمرُو بن مالكٍ، أحدُ السَّكُون بن أَشرَسَ بن كِنْدة، ويقال: كِنْديّ[5].

قال ابن إسحاق: وعثمانُ بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفلُ بن عبد الله المخزوميّان

---

(١) وتقع شمال شرق مكّة على قرابة ٤٥ كم.

(٢) الفُرع: من أشهر أودية الحجاز، يمرّ جنوب المدينة المنوّرة على بعد ١٣٠ كم تقريباً، وجنوباً منه جبل بحران ـ بفتح الباء وبضمّها ـ وهو مَعدِن، والمعدن: الموضع الذي يُستخرَج منه جواهر الأرض كالذهب والفضة والنُّحاس.

(٣) الأَدَم: الجلد.

(٤) زاد في (غ): ويقال: مالك بن عباد، وهو خطأ، فليس في شيء من كتب الرجال والأنساب أن الحضرميَّ ـ وهو والد العلاءِ عاملِ النبيّ ﷺ على البحرين ـ يُسمَّى كذلك.

(٥) أي: مكان كِندة.

والحَكَمُ بن كَيْسان مولى هشام بن المغيرة، فلمّا رآهم القومُ هابُوهم، وقد نَزَلُوا قريباً منهم، فأشرَفَ لهم عُكّاشةُ بن مِحصَن وكان قد حَلَقَ رأسه، فلمّا رأَوه أَمِنوا وقالوا: عُمّارٌ، لا بأسَ عليكم منهم.

وتشاوَرَ القومُ فيهم، وذلك في آخر يوم من رجبٍ، فقال القوم: واللهِ لَئِن تركتم القومَ هذه اللّيلةَ ليَدخُلُنَّ الحَرَمَ فليَمتنِعُنَّ منكم به، ولَئِن قتلتموهم لتَقتُلُنَّهم في الشَّهر الحرام، فتردَّد القومُ وهابُوا الإقدامَ عليهم، ثمّ شَجَّعوا أنفسَهم عليهم، وأَجمَعُوا قتلَ من قَدَرُوا عليه منهم، وأَخْذَ ما معهم، فرَمَى واقدُ بن عبد الله التَّميميُّ عمرَو بن الحَضرميِّ بسهمٍ فقتله، واستَأسَرَ عثمانُ بن عبد الله والحَكَمُ بن كَيْسان، وأَفلَتَ القومَ نوفلُ بن عبدِ الله فأعجَزَهم، وأقبَلَ عبدُ الله بن جحشٍ وأصحابُه بالعِيرِ وبالأسيرَينِ حتّى قَدِمُوا على رسول الله ﷺ المدينةَ.

وقد ذكر بعضُ آل عبد الله بن جحشٍ: أنّ عبد الله قال لأصحابه: إنَّ لرسولِ الله ﷺ ممّا غَنِمْنا الخُمُسَ، وذلك قبل أن يَفرِضَ اللهُ الخُمسَ من المَغانم، فعَزَلَ لرسول الله ﷺ خُمسَ العِيرِ، وقَسَمَ سائرَها بين أصحابه.

قال ابن إسحاق: فلمّا قَدِموا على رسول الله ﷺ قال: «ما أَمَرتُكم بقتالٍ في الشَّهرِ الحَرَامِ»، فوَقَفَ العِيرَ والأسيرَينِ، وأَبَى أن يأخذَ من ذلك شيئاً، فلمّا قال ذلك رسول الله ﷺ، أُسقِطَ في أيدي القوم، وظنُّوا أنّهم قد هَلَكوا، وعَنَّفَهم إخوانُهم من المسلمين فيما صَنَعوا، وقالت قريشٌ: قد استَحَلَّ محمّدٌ وأصحابُه الشهرَ الحرامَ وسَفَكُوا فيه الدَّمَ، وأَخذوا فيه الأموال، وأَسَرُوا فيه الرِّجال، فقال من يَردُّ عليهم من المسلمين ممّن كان بمكّة: إنَّما أصابوا ما أصابوا في شعبان.

وقالت يهودُ ـ تَفاءَلُ بذلك على رسول الله ﷺ ـ: عمرُو بن الحَضْرميِّ قتله واقدُ ابن عبد الله؛ عمرٌو: عَمِرَت الحربُ، والحضرميُّ: حَضَرَت الحربُ، وواقدُ بن

عبد الله، وَقَدَت الحربُ، فجعل اللهُ عليهم ذلك لا لهم.

فلمّا أكثَرَ النّاسُ في ذلك، أنزَلَ الله على رسوله ﷺ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: إن كنتم قَتلتُم في الشّهرِ الحرامِ، فقد صَدُّوكم عن سبيل الله مع الكُفرِ به، وعن المسجدِ الحرامِ، وإخراجُكم منه وأنتم أهلُه، أكبَرُ عند الله من قتلِ من قتلتُم منهم ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي: قد كانوا يَفتِنون المسلمَ في دينه، حتّى يَردُّوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبَرُ عند الله من القتلِ ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة:٢١٧] أي: ثمّ هم مُقِيمون على أخبَثِ ذلك وأعظَمِه، غيرَ تائبين ولا نازعين.

فلمّا نزل القرآنُ بهذا من الأمر، وفرَّج اللهُ عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَق[1]، قَبَضَ رسولُ الله ﷺ العِيرَ والأسيرَين، وبَعَثَت إليه قريشٌ في فِداءِ عثمان بن عبد الله والحَكَم بن كَيْسان، فقال رسول الله ﷺ: «لا نُفْدِيكُمُوهما حتّى يَقدَمَ صاحبانا ـ يعني سعدَ بن أبي وقّاصٍ وعُتْبةَ بن غَزْوان ـ فإنّا نَخشاكُم عليهما، فإنْ تَقتُلوهُما، نَقتُلْ صاحبَيكُم»، فقَدِمَ سعدٌ وعُتْبةُ، فأَفداهما رسولُ الله ﷺ منهم.

فأمّا الحَكَمُ بن كَيْسانَ فأسلَمَ فحَسُنَ إسلامُه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتّى قُتِل يوم بئر مَعُونةَ شهيداً، وأمّا عثمانُ بن عبد الله فلَحِقَ بمكّة فمات بها كافراً.

فلمّا تَجلَّى عن عبد الله بن جحشٍ وأصحابِه ما كانوا فيه حين نزل القرآنُ، طَمِعُوا في الأَجر، فقالوا: يا رسول الله، أنَطمَعُ أن تكون لنا غزوةٌ نُعطَى فيها أجرَ المجاهدين؟ فأنزل الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ

(١) أي: من الخوف.

ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:٢١٨]، فوَضَعَهم الله من ذلك على أعظم الرَّجاء.

والحديثُ في هذا عن الزُّهْريِّ ويزيدَ بن رُومانَ عن عُرْوة بن الزُّبير[١].

قال ابن إسحاق: وقد ذكر بعضُ آل عبد الله بن جحشٍ: أنَّ الله قَسَمَ الفَيءَ[٢] حين أحلَّه، فجعل أربعةَ أخماسٍ لمن أفاءَه اللهُ، وخُمُساً إلى الله ورسولِه، فوَقَعَ على ما كان عبدُ الله بن جحشٍ صَنَعَ في تلك العِير.

قال ابن هشام: وهي أوّل غنيمةٍ غَنِمَها المسلمون، وعمرُو بن الحَضْرميِّ أوّل من قَتَل المسلمون، وعثمانُ بن عبد الله والحَكَمُ بن كَيْسان أوّل من أَسَرَ المسلمون.

---

(١) هذا الحديث حسن لغيره، قد جاء ما يشهد له، وقد بيَّن ابنُ إسحاق فيه سماعَه من الزهري ويزيد بن رُومان.

فقد أخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤١٠-٤١٣ و«تفسيره» ٣/ ٦٥٠-٦٥٣ من طريق سلمة ابن الفضل، والبيهقي في «السنن» ٩/ ٥٨-٥٩ وفي «الدلائل» ٣/ ١٨-٢٠ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهريّ ويزيد بن رومان - ويونس لم يذكر الزهري - عن عروة مرسلاً. ورجاله ثقات.

ورواه عن الزهريِّ وحده أيضاً موسى بنُ عقبة عند ابن شبّة في «تاريخ المدينة» ٢/ ٤٧٢-٤٧٣، وشعيبُ بن أبي حمزة عند البيهقي في «السنن» ٩/ ١٢ - ولم يسق لفظه - وفي «الدلائل» ٣/ ١٧-١٨.

وروي خبر هذه السريّة وما نزل فيها مختصراً بنحوه مسنداً من حديث جندب بن عبد الله البَجَليّ عند النسائي في «الكبرى» (٨٧٥٢)، وأبي يعلى في «مسنده» (١٥٣٤)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤٨٨٠) وغيرهم، وهو حديث حسن إن شاء الله، ويتقوّى كلٌّ من المسند والمرسل بالآخر.

(٢) الفيء: هو ما حصل للمسلمين غنيمةً من أموال الكفار.

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكرٍ في غزوة عبد الله بن جحشٍ، ويقال: بل عبدُ الله بن جحشٍ قالها، حين قالت قريش: قد أحَلَّ محمّدٌ وأصحابُه الشّهرَ الحرامَ وسَفَكُوا فيه الدّمَ، وأَخذوا فيه المال، وأسَرُوا فيه الرجال ـ قال ابنُ هشام: هي لعبد الله بن جحش ـ:

تَعـدُّون قَـتْلاً في الحَـرامِ عظيمـةً ... وأعظَمُ منه لو يَرَى الرُّشدَ راشدُ

صُـدودُكم عمّـا يقـولُ محمَّـدٌ ... وكُفـرٌ بـه واللهُ راءٍ وشـاهدُ

وإخراجُكُم من مسجدِ اللهِ أهلَهُ ... لـئلَّا يُـرى للهِ في البيـتِ سـاجدُ

فإنّـا وإنْ عَيَّرتُمونـا بقتلِـهِ ... وأَرجَفَ بالإسلامِ[1] باغٍ وحاسدُ

سَقَينا من ابنِ الحَضرَميِّ رِماحَنا ... بنَخْلـةَ لمّـا أَوقَـدَ الحـربَ واقـدُ

دَمـاً وابـنُ عبـدِ الله عثمـانُ بيننَـا ... يُنازِعُـه غُـلٌّ مـن القِـدِّ عانـدُ[2]

تاريخ القِبْلة

قال ابن إسحاق: ويقال: صُرِفَت القِبلةُ في شعبان على رأس ثمانيةَ عشرَ شهراً[3] من مَقدَمِ رسول الله ﷺ المدينةَ[4].

---

(١) أي: أكثَروا من الأخبار السيّئة واختلاق الأقوال الكاذبة في حقّه.

(٢) القِدّ: حزام يُقطَع من الجلد. وعاندٌ معناه: سائلٌ بالدم لا ينقطع.

(٣) هكذا قال هنا، وسلف عند الكلام عمّا نزل من القرآن في يهود ص٢٢٠ قوله: صُرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهراً، وهو الصواب إن شاء الله، وانظر تحرير القول فيه هناك.

(٤) هنا فائدة يجدر التنبيه إليها، وهي أنّه قبل غزوة بدر تحرّك بعض منافقي المدينة ومن معهم ممن لم يكن أسلَمَ بتحريضٍ من قريشٍ لقتال النبيّ ﷺ وحَشَدوا لذلك، فقد أخرج أبو داود في «سننه» (٣٠٠٤) بإسناد رجاله ثقات عن عبد الرَّحمن بن كعب بن مالك عن رجلٍ من أصحاب النبيّ ﷺ: أنّ كفّار قريش كتبوا إلى ابن أُبيٍّ ومن كان معه يَعبُد الأوثان من الأوس =

= والخزرج، ورسولُ الله ﷺ يومئذٍ بالمدينة قبل وقعة بدرٍ: إنّكم آوَيتُم صاحبنا، وإنّا نُقسِم بالله لتقاتلُنَّه أو لتُخرِجُنَّه أو لنَسيرَنَّ إليكم بأجمعنا حتى نقتل مُقاتِلتَكم ونستبيحَ نساءَكم، فلمّا بلغ ذلك عبدَ الله بنَ أُبيٍّ ومن كان معه من عَبَدة الأوثان، اجتمعوا لقتال النبيِّ ﷺ، فلمّا بلغ ذلك النبيَّ ﷺ لَقِيَهم فقال: «لقد بَلَغَ وعيدُ قريشٍ منكم المَبالغَ، ما كانت تَكِيدُكم بأكثرَ ممّا تريدون أن تَكِيدوا به أنفسَكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءَكم وإخوانَكم؟!» فلمّا سمعوا ذلك من النبيِّ ﷺ تَفرَّقوا.

غزوة بَدْر الكبرى

ثمّ إنَّ رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حَرْب مُقبِلاً من الشّام في عِيرٍ لقريشٍ عظيمةٍ، فيها أموالٌ لقريش وتِجارةٌ من تجاراتهم، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون، منهم مَخرَمةُ بن نَوفَل بن أُهَيب بن عبد مَنَاف بن زُهْرة وعمرُو بن العاصِ ابن وائل بن هشامٍ.

قال ابن هشام: عمرُو بن العاص بن وائل بن هاشمٍ[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمّدُ بن مُسلِم الزُّهْريُّ وعاصمُ بن عمر بن قَتَادة وعبدُ الله بن أبي بكرٍ ويزيدُ بن رُومانَ عن عُرْوة بن الزُّبير، وغيرُهم من علمائنا عن ابن عبّاسٍ؛ كلٌّ قد حدّثني بعضَ الحديث فاجتَمَع حديثُهم فيما سقتُ من حديث بدرٍ[2] قالوا: لمّا سَمِعَ رسولُ الله ﷺ بأبي سفيان مُقبِلاً من الشّام[3]، نَدَبَ المسلمين إليهم وقال: «هذِه عِيرُ قُريشٍ فيها أموالُهم، فاخرُجوا إليها لعلَّ اللهَ يُنفِّلُكُموها»،

---

(١) وهذا هو الراجح فيه: هاشم، وانظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص١٦٣. وقول ابن هشام هذا سقط من (ي).

(٢) وتقع بدرٌ غرب المدينة المنوَّرة على بعد ١٢٠ كم تقريباً.

(٣) وكان الذي أتاه بخبرها هو بَسبَسة أو بُسَيسة ـ على خلاف في اسمه ـ فقد أخرج أحمد (١٢٣٩٨) ومسلم (١٩٠١) وغيرهما من حديث أنس بن مالك قال: بعث رسول الله ﷺ بُسَيسةَ عَيناً ينظر ما صَنَعَت عِيرُ أبي سفيان، فجاء وما في البيت أحدٌ غيري وغيرُ رسول الله ﷺ فحدَّثه الحديثَ، قال: فخرج رسول الله ﷺ فتكلّم فقال: «إنّ لنا طَلِبةً، فمن كان ظَهْرُه (أي: راحلتُه) حاضراً فليَركَبْ معنا»، فجعل رجال يَستأذِنونه في ظُهرانِهم في عُلْوِ المدينة، فقال: «لا، إلّا مَن كان ظَهرُه حاضراً».

فانتَدَبَ الناسُ[1]، فخَفَّ بعضُهم وثَقُلَ بعضُهم، وذلك أنّهم لم يَظنُّوا أنّ رسول الله ﷺ يَلقَى حرباً[2]، وكان أبو سفيان حين دَنَا من الحجاز يَتحسَّس الأخبارَ ويَسأَل من لقيَ من الرُّكْبان تخوُّفاً عن أمر النّاس، حتّى أصاب خبراً من بعض الرُّكْبان: أنَّ محمّداً قد استَنفَرَ أصحابَه لك ولعِيرِك، فحَذِرَ عند ذلك، فاستأجَرَ ضَمضَمَ بن عمرٍو الغِفاريَّ فبَعَثَه إلى مكّة، وأمَرَه أن يأتيَ قريشاً فيَستنفِرَهم إلى أموالهم، ويُخبِرَهم أنَّ محمّداً قد عَرَضَ لها في أصحابه، فخرج ضمضمُ بن عمرٍو سريعاً إلى مكّة[3].

رؤيا عاتكة بنت عبد المطَّلِب[4]

قال ابن إسحاق: فحدّثني من لا أتَّهِمُ[5] عن عِكْرمة عن ابن عبّاس، ويزيدُ بن رُومانَ عن عُرْوةَ بن الزُّبيرِ، قالا: وقد رأَت عاتكةُ بنت عبد المُطَّلِب قبل قُدومِ ضَمضَمٍ مكّةَ بثلاث ليالٍ رؤيا أفزَعَتْها، فبَعَثَت إلى أخيها العبّاس بن عبد المطَّلِب

---

(١) أي: أجابوا.

(٢) ولذلك لم يعاتب رسولُ الله ﷺ فيها أحداً ممّن تخلَّف عنه، فقد أخرج البخاري (٣٩٥١) ومسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك قال: لم أتخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ غزاها إلّا في غزوة تبوك، غيرَ أنّي تخلَّفتُ عن غزوة بدرٍ، ولم يعاتب أحداً تخلَّف عنها، إنّما خرج رسول الله ﷺ يريد عِيرَ قريش، حتّى جَمَعَ اللهُ بينهم وبين عدوِّهم على غير ميعاد.

(٣) حديث صحيح، ورواية عروة المرسَلة رواتها ثقات ويشدُّها ويقوِّيها رواية ابن عباس.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٢٧-٤٢٨، وفي «تفسيره» ١١/ ٤١-٤٢ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٤) هذا العنوان من (ي) وحاشية (م).

(٥) سمّاه يونس بن بكير في روايته عن ابن إسحاق كما سيأتي: حسين بن عبد الله بن عبيد الله ابن عباس، وهو ضعيف عند جمهور أهل الحديث، لكن يقوّيه مرسل عروة وغيره.

فقالت له: يا أَخي، واللهِ لقد رأيتُ اللَّيلةَ رؤيا لقد أفظَعَتْني[1]، وتخوَّفتُ أن يَدخُلَ على قومك منها شرٌّ ومصيبةٌ، فاكتُمْ عنّي ما أُحدِّثُك، قال لها: وما رأَيتِ؟ قالت: رأيتُ راكباً أقبَلَ على بعيرٍ له حتّى وَقَفَ بالأَبطَحِ[2] ثمّ صَرَخَ بأعلى صوته: ألَا انفِرُوا يا لَغُدُرُ[3] لِمَصارِعِكم في ثلاثٍ، فأَرى الناسَ اجتمعوا إليه، ثمّ دخل المسجدَ والناسُ يَتبَعُونه، فبينما هم حولَه مَثَلَ به[4] بعيرُه على ظَهْر الكعبة ثمّ صَرَخَ بمثلِها: ألَا انفِرُوا يا لَغُدُرُ لمَصارِعِكم في ثلاثٍ، ثمّ مَثَلَ به بعيرُه على رأس أبي قُبَيسٍ[5] فصَرَخَ بمثلِها، ثمّ أخذ صخرةً فأرسَلَها، فأقبَلَت تَهْوي حتّى إذا كانت بأسفل الجبل ارفَضَّتْ[6]، فما بقيَ بيتٌ من بيوت مكّة ولا دارٌ إلا دخلتها[7] منها فِلْقةٌ، قال العبّاس: والله إنّ هذه لَرُؤيا، وأنتِ فاكتُمِيها ولا تَذكُريها لأحد.

ثمّ خرج العبّاسُ فلقيَ الوليدَ بن عُتْبة بن رَبيعة، وكان له صديقاً، فذكرها له واستَكتَمَه إيّاها، فذكرها الوليدُ لأبيه عُتْبةَ، ففَشَا الحديثُ بمكّة حتّى تَحدَّثَت به قريشٌ.

قال العبّاس: فغَدَوتُ لأطوفَ بالبيت وأبو جهل بن هشامٍ في رَهْطٍ من قريشٍ

---

(١) في (غ): أيقظتني. وأفظعتني معناه: اشتدَّت عليَّ.

(٢) الأبطَحُ: موضعٌ سهل بين الحَجُون والمسجد الحرام.

(٣) هكذا قيّده السهيليُّ في «الروض» ٥/ ١١٦، وقال: هو جمع غَدُور (من الغدر) أي: إن تخلَّفتم فأنتم غُدُرٌ لقومكم.

(٤) أي: قام به.

(٥) هو الجبل المشرف على المسجد الحرام من الشرق من جهة الصفا.

(٦) أي: تفتَّتت.

(٧) في (ت) و(ي): دخلها، وفي (غ): دخلته.

قعودٍ يتحدَّثون برُؤْيا عاتكةَ، فلمّا رآني أبو جهلٍ قال: يا أبا الفَضْل، إذا فَرَغتَ من طوافِك فأقبِلْ إلينا، فلمّا فَرَغتُ أقبلتُ حتّى جلستُ معهم، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطَّلِب، متى حَدَثَت فيكم هذه النَّبيّةُ؟ قال: قلت: وما ذاكَ؟ قال: تلك الرُّؤيا الّتي رأَت عاتكةُ، قال: فقلت: وما رأَت؟ قال: يا بني عبد المطَّلِب، أما رَضِيتُم أن يَتنبّأَ رجالُكم حتّى تَتنبّأَ نساؤُكم، قد زَعَمَت عاتكةُ في رؤياها أنّه قال: انفِرُوا في ثلاثٍ، فسنَتربَّصُ بكم هذه الثّلاث، فإن يكُ حقّاً ما تقولُ فسيكون، وإن تَمضِ الثّلاثُ ولم يكن من ذلك شيءٌ، نَكتُبْ عليكم كتاباً أنّكم أكذبُ أهلِ بيتٍ في العرب. قال العبّاس: فواللهِ ما كان منّي إليه كبيرٌ، إلّا أنّي جَحَدتُ ذلك وأنكَرتُ أن تكون رأَت شيئاً.

قال: ثمّ تَفرَّقْنا، فلمّا أمسَيتُ، لم تبقَ امرأةٌ من بني عبد المطَّلِب إلّا أتَتني فقالت: أقرَرْتُم لهذا الفاسق الخبيث أن يقعَ في رجالكم، ثمّ قد تناوَلَ النِّساءَ وأنت تسمعُ، ثمّ لم يكن عندك غِيَرٌ[1] لشيءٍ ممّا سمعتَ! قال: قلت: قد واللهِ فعلتُ، ما كان منّي إليه من كبيرٍ، وايمُ اللهِ لأتعرَّضَنَّ له، فإن عاد لأَكفِيَنَّكُنَّه.

قال: فغَدَوتُ في اليوم الثّالث من رُؤْيا عاتكةَ وأنا حَديدٌ[2] مُغضَبٌ، أَرى أنّي قد فاتَني منه أمرٌ أريد أن أُدرِكَه منه، قال: فدخلتُ المسجد فرأيتُه، فواللهِ إنّي لَأمشي نحوه أتعرَّضُه ليعودَ لبعض ما قال فأَقعَ به، وكان رجلاً خفيفاً، حديدَ الوجه، حديدَ اللِّسان، حديدَ النَّظر، قال: إذ خرج نحوَ باب المسجد يَشتدُّ، قال: قلتُ في نفسي: ما له لَعَنَه الله، أكلُّ هذا فَرَقاً منّي أن أُشاتمَه! قال: وإذا هو قد سمع ما لم أَسمع؛ صوتَ

---

(١) الغِيَر: اسمٌ من قولك: غيَّرتُ الشيءَ فتغيَّر، تعني: أنّه لم ينكر عليه مقالته تلك.

(٢) أي: تعتريني حِدّةٌ وغضب.

ضَمضَم بن عمرو الغِفاريِّ، وهو يَصرُخُ ببطن الوادي واقفاً على بعيره، قد جَدَعَ بعيرَه، وحَوَّل رَحْلَه، وشقَّ قميصَه، وهو يقول: يا معشرَ قريش، اللَّطِيمةَ اللَّطِيمةَ[1]، أموالُكم مع أبي سفيان قد عَرَضَ لها محمّدٌ في أصحابه، لا أُرى أن تُدرِكوها، الغَوْثَ الغَوْثَ.

قال: فشَغَلَني عنه وشَغَلَه عنّي ما جاء من الأمر، فتجهَّزَ النّاسُ سِراعاً وقالوا: أيظنُّ محمّدٌ وأصحابُه أن تكونَ كعِيرِ ابن الحضرميِّ، كلّا والله ليَعلَمُنَّ غيرَ ذلك. فكانوا بين رجلين، إمّا خارجٍ وإمّا باعثٍ مكانه رجلاً، وأَوعَبَت قريشٌ[2] فلم يتخلَّفْ من أشرافها أحدٌ، إلّا أنّ أبا لَهَب بن عبد المطَّلِب قد تَخلَّفَ وبَعَثَ مكانَه العاصِ بنَ هشام بن المغيرة، وكان قد لاطَ له[3] بأربعة آلاف درهمٍ كانت له عليه، أفلَسَ بها، فاستأجَرَه بها على أن يُجزِئَ عنه بَعْثَه، فخرج عنه وتَخلَّفَ أبو لهب[4].

---

(١) جدع بعيره، أي: قطع أنفَه. وحوَّل رحله، أي: قَلَبَه. واللّطيمة: هي الإبل تحمل التِّجارة والطِّيب.

(٢) أي: خرجت كلُّها.

(٣) لاطَ له، أي: أربَى له؛ من الرِّبا.

(٤) خبر رؤيا عاتكة هذا قويٌّ بتعدُّد مخارجه.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤٣٤٣) من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وسمَّى شيخَ ابن إسحاق في الرواية المسنَدة حسينَ بن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس، وهو ضعيف عند جمهور أهل الحديث، لكن يتقوّى خبره هذا بمرسل عروة بن الزبير، وشيخ ابن إسحاق فيه يزيد بن رُومان ـ وهو مولى آل الزبير ـ ثقة من صغار التابعين.

ويشهد له أيضاً مرسلُ الزهري فيما رواه عنه موسى بن عقبة عند البيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٠٣-١٠٤.

عرضُ عُقبة بن أبي مُعَيط على أُميّة بن خَلَف المِجمَر تعييراً له بالتأخر عن قريش

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي نَجِيح[1]: أنّ أُميّة بن خَلَف كان أجمَعَ القعودَ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً، فأتاه عُقْبةُ بن أبي مُعَيطٍ ـ وهو جالسٌ في المسجد بين ظَهْرَي قومِه ـ بمِجمَرةٍ يَحمِلُها فيها نارٌ ومِجمَرٌ[2] حتّى وَضَعَها بين يديه، ثمّ قال: يا أبا عليٍّ، استجمِرْ، فإنّما أنت من النِّساء، قال: قَبَحَك اللهُ وقَبَحَ ما جئتَ به، قال: ثمّ تجهَّز فخرج مع النّاس.

أمر الحرب بين كِنانةَ وقريشٍ وتَحاجُرهم عند حضور وقعة بدر

قال ابن إسحاق: ولمّا فَرَغُوا من جَهازِهم وأَجمَعوا المَسِيرَ، ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانةَ من الحرب، فقالوا: إنّا نخشى أن يَأتُونا من خلفِنا، وكانت الحربُ التي كانت بين قريش وبين بني بكر ـ كما حدّثني بعضُ بني عامر بن لُؤيٍّ عن محمّد بن سعيد بن المُسيّب ـ في ابنٍ لحَفْص بن الأَخيَف أحدِ بني مَعِيص بن عامر بن لؤيٍّ، خرج يبتغي ضالّةً له بضَجْنانَ[3] وهو غلامٌ حَدَثٌ في رأسه ذُؤَابة[4]، وعليه حُلّةٌ له، وكان غلاماً وَضيئاً نظيفاً، فمَرَّ بعامر بن يزيد بن عامر بن المُلوَّح ـ أحدِ بني يَعمَر بن عوف بن كعب بن عامر بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَنَاة بن كِنانة ـ وهو بضَجْنانَ، وهو سيّدُ بني بكرٍ يومئذٍ، فرآه فأعجَبَه، فقال: من أنت يا غلامُ؟ قال:

---

(١) ابن أبي نجيح من ثقات أتباع التابعين.

(٢) المِجمرة: الآلة التي يوضع فيها الجمر، والمِجمَر: العود الذي يُتبخَّر به.

(٣) موضع شمال مكة على بعد ٥٥ كم تقريباً على طريق المدينة المنوَّرة، ويسمّى اليوم حَرّة المُحسِنيّة.

(٤) الذُّؤابة: الضَّفيرة من شعر الرأس.

أنا ابنٌ لحفص بن الأَخيَفِ القُرشيّ، فلمّا وَلَّى الغلامُ قال عامر بن يزيد: يا بني بكرٍ، أمَا لكم في قريشٍ من دمٍ؟ قالوا: بلى والله، إنّ لنا فيهم لدماءً، قال: ما كان رجلٌ ليقتلَ هذا الغلامَ برجلِه إلّا كان قد استَوفَى دمَه، قال: فتَبِعَه رجل من بني بكرٍ فقتله بدمٍ كان له في قريش، فتَكلَّمَت فيه قريش، فقال عامر بن يزيد: يا مَعشَرَ قريشٍ، قد كانت لنا فيكم دماءٌ، فما شِئتُم؟ إن شئتُم فأَدُّوا علينا ما لنا قِبَلَكم، ونُؤدّي ما لكم قِبَلَنا، وإن شئتُم فإنّما هي الدِّماءُ، رجلٌ برجلٍ، فتَجافَوْا عمّا لكم قِبَلَنا، ونَتجافَى عمّا لنا قِبَلَكم، فهانَ ذلك الغلامُ على هذا الحيِّ من قريش، وقالوا: صَدَقَ، رجلٌ برجلٍ، فلَهَوْا عنه[1] فلم يَطلُبوا به.

قال: فبَيْنا أخوه مِكرَزُ بن حفص بن الأَخيَفِ يسير بمَرِّ الظَّهْران[2]، إذ نَظَرَ إلى عامر بن يزيد بن عامر بن المُلوَّح على جمل له، فلمّا رآه أقبَلَ إليه حتّى أناخَ به، وعامرٌ مُتوشِّحٌ سيفَه، فعَلَاه مِكرَزٌ بسيفه حتّى قتله، ثمّ خاضَ بطنَه بسيفه، ثمّ أَتى به مكّةَ فعَلَّقَه من اللّيل بأستار الكعبة، فلمّا أصبَحَت قريشٌ رأَوا سيفَ عامر بن يزيد ابن عامر معلَّقاً بأستار الكعبة، فعَرَفُوه، فقالوا: إنّ هذا لسيفُ عامر بن يزيد، عَدَا عليه مِكرَزُ بن حفصٍ فقتله. فكان ذلك من أمرِهم، فبَيْنا هم في ذلك من حربِهم، حَجَزَ الإسلامُ بين الناس فتشاغَلُوا به، حتّى أجمَعَت قريشٌ المَسِيرَ إلى بدرٍ، فذكروا الّذي بينهم وبين بني بكرٍ فخافُوهم.

وقال مِكرَزُ بن حفصٍ في قتله عامراً:

---

(١) في (ص) و(غ) و(ق١) و(م): منه، وفي (ي): عنه منه. والعرب تقول: لَهَوتُ عنه ولَهَوتُ منه، ومعناه: تركته واشتغلت عنه.

(٢) مرُّ الظهران: وادٍ من أودية الحجاز يمرُّ شمال مكة على قرابة ٢٢ كم.

لمّـا رأيـتُ أنّـه هـوَ عـامرٌ تذكَّرتُ أشْلاءَ الحبيبِ المُلحَّبِ[1]

وقلـتُ لنَفْسـي: إنّـه هـوَ عـامرٌ فـلا تَرهَبيهِ وانظُـرِي أيَّ مَركَـبِ

وأَيقنـتُ أنّـي إنْ أُجلِّلْـهُ ضـربةً متـى مـا أُصِبْه بـالفُرافِرِ يَعطَـبِ[2]

خَفَضتُ له جَأْشي وأَلقَيتُ كَلْكَلي[3]

علـى بطـلٍ شـاكِي السِّـلاحِ مُجـرَّبِ[4]

ولـم أكُ لمّا التَفَّ رُوعِي ورُوعُـهُ عُصَـارةَ هُجْـنٍ مـن نِسـاءٍ ولا أَبِ[5]

حَلَلتُ به وَتْري ولـم أنْسَ ذَحْلَـهُ إذا مـا تَناسَـى ذَحلَـهُ كـلُّ غَيهَـبِ[6]

قال ابن هشام: الغَيهَب: الّذي لا عقلَ له، ويقال: تيسُ الظِّباء وفَحْل النَّعام[7].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيدُ بن رُومانَ، عن عُرْوة بن الزُّبير قال: لمّا أجمَعَت قريشٌ المسيرَ، ذَكَرَت الّذي كان بينها وبين بني بكرٍ، فكاد ذلك يُثنِيهم، فتَبدَّى

---

(١) الأشلاء: أعضاء مقطعة. والملحَّب: الذي ذهب لحمه.

(٢) الفرافر: اسم سيف عامر كما سيأتي. والعَطَب: الهلاك.

(٣) الجأش: النَّفْس. والكَلكَل: الصدر.

(٤) شاكي السلاح، معناه: حادُّ السلاح.

(٥) الرُّوع - بالضم - هنا: النَّفْس والذات. وقوله: عُصارة هُجْن، أي: لم أكن هجيناً في نسبي، بل كلا أبويّ ذو نسب كريم.

(٦) وَتْري، أي: ثأري، وهو الذَّحْلُ أيضاً. والغَيهَب بالغين المعجمة: النّاسي الغافل، وبالعين غير معجمةٍ: الرجل الضعيف عن طلب وَتْره، ويروى هنا بالوجهين. قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص١٥٤.

(٧) قول ابن هشام هذا من (ش١) و(ق١). وذكر السهيليُّ في «الروض» ٥/ ١١٩، والخشنيُّ في «إملائه» عن ابن هشام: أنه فسَّر الفرافرَ أيضاً في هذا الموضع بأنه اسم سيفٍ. ولم يقع في شيء من نسخنا الخطية.

لهم إبليسُ في صورة سُرَاقةَ بن مالك بن جُعشُمٍ المُدلِجيِّ، وكان من أشراف بني كِنانةَ، فقال: أنا لكم جارٌ من أن تأتيَكم كِنانةُ من خلفِكم بشيءٍ تكرَهُونه، فخرجوا سِراعاً[1].

قال ابن إسحاق: وخرج رسولُ الله ﷺ في ليالٍ مَضَت من شهر رمضان في أصحابه ـ قال ابن هشام: خرج[2] لثمانِ ليالٍ خَلَونَ من شهر رمضان ـ واستَعمَل عمرَو بن أمِّ مَكتُوم ـ ويقال اسمه: عبدُ الله بن أمّ مكتوم ـ أخا بني عامر بن لُؤيٍّ على الصّلاة

(١) إسناده ضعيف لإرساله، ورجاله ثقات.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١١/ ٢٢٢ و«تاريخه» ٢/ ٤٣١ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

وذُكر تمثُّل إبليس في صورة سراقة يوم بدر في خبر عن ابن عباس أيضاً عند الطبري في «التفسير» ١١/ ٢٢١، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٧١٥، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٧٨-٧٩، وإسناده محتمل للتحسين في الشواهد والمتابعات، وهذا منها، والله تعالى أعلم.

(٢) زاد هنا في (ش١) و(ق١): يوم الاثنين. وهو موافق لما نقله عنه حسين الدِّياربكريّ في كتابه «تاريخ الخميس» ١/ ٣٧١.

قلنا: وهذا لا يصحُّ من حيث التأريخ، فإنه سيأتي لاحقاً ص٣٢٥ قول ابن إسحاق: إن وقعة بدر كانت يوم الجمعة صبيحة سبعَ عشرةَ من شهر رمضان، وأقرّه ابنُ هشام ولم يتعقّبه بشيءٍ، وعليه فإن اليوم الموافق لتاريخ خروجه ﷺ المذكور ـ وهو ثمانِ ليالٍ خَلَونَ من رمضان ـ هو يوم الأربعاء لا يوم الاثنين.

أمّا الواقدي فذكر في «مغازيه» ١/ ٢١: أن النبيَّ ﷺ خرج يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من رمضان، وكذلك قال ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٠ إلا أن ابن سعد أخطأ في ذكر اليوم فقال: يوم السبت، والموافق لاثنتي عشرة من ذلك الشهر كان يوم الأحد وليس يوم السبت، لاتفاقه مع الواقدي وابن إسحاق على أن وقعة بدر كانت صبيحة يوم الجمعة لسبعَ عشرةَ مضت من شهر رمضان.

بالنّاس، ثمّ رَدَّ أبا لُبَابةَ من الرَّوحاءِ[1] واستَعمَله على المدينة.

قال ابن إسحاق: ودَفَعَ اللِّواءَ إلى مُصعَب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار ـ قال ابن هشام: وكان أبيضَ[2] ـ وكان أمامَ رسول الله ﷺ رايتانِ سَوْداوانِ، إحداهما مع عليِّ بن أبي طالبٍ يقال لها: العُقَاب[3]، والأُخرى مع بعضِ الأنصار.

قال ابن إسحاق: وكانت إبلُ أصحاب رسول الله ﷺ يومئذٍ سبعين بعيراً، فاعتَقَبُوها، فكان رسولُ الله ﷺ وعليُّ بن أبي طالب ومَرثَدُ بن أبي مَرثَدٍ الغَنَويُّ يَعتقِبُون بعيراً، وكان حمزةُ بن عبد المُطَّلِب وزيدُ بن حارثة وأبو كَبْشةَ وأَنَسةُ مَوْلَيا رسولِ الله ﷺ يَعتقِبون بعيراً، وكان أبو بكر وعمرُ وعبدُ الرَّحمن بن عوفٍ يَعتقِبون بعيراً.

قال ابن إسحاق: وجَعَلَ على السَّاقةِ[4] قيسَ بن أبي صَعصَعة أخا بني مازن بن النَّجّار.

وكانت رايةُ الأنصار مع سعد بن معاذٍ، فيما قال ابنُ هشام.

قال ابن إسحاق: فسَلَكَ طريقَه من المدينة إلى مكّة على نَقْب المدينة[5]، ثم

---

(١) تقع الرَّوحاء في الجنوب الغربي من المدينة على قرابة ٧٠ كم على الطريق إلى بدر.

وأبو لُبابة: هو ابن عبد المنذر، من بني عمرو بن عوف من الأوس، واسمه رِفاعة، وقيل: بَشِير، وهو بكنيته أشهر، تُوفِّي في خلافة عثمان، وقيل: في خلافة عليّ.

(٢) في (غ): يعني اللواء.

(٣) قوله: يقال لها: العقاب، من (ش١) و(غ)، وهي ثابتة كذلك فيما نقله عن ابن إسحاق من هذا الموضع كلٌّ من ابن كثير في «البداية والنهاية» ٥/ ٦٥، والصالحيّ في «سبل الهدى والرشاد» ٤/ ٢٤، والدِّياربكريّ في «تاريخ الخميس» ١/ ٣٧٢.

(٤) الساقة: جمع سائقٍ، وهم الذين يسوقون الجيشَ أمامهم ويكونون من ورائه يَحفَظُونه.

(٥) النَّقب هنا: هو طريق سالك في الحَرّة، ونقب المدينة هذا: هو نَقْب بني دينار بن النجّار، =

على العَقِيق، ثمّ على ذي الحُلَيفة، ثمّ على أُولاتِ الجَيْش[1].

قال ابن هشام: ذات الجَيش.

قال ابن إسحاق: ثمّ مرَّ على تُرْبان، ثمّ على مَلَلٍ[2]، ثمّ على غَمِيس الحَمَام من مَرَيَينِ[3]، ثمّ على صُخَيراتِ اليَمَام، ثمّ على السَّيّالة، ثمّ على فَجِّ الرَّوحاءِ، ثمّ على شَنُوكةَ، وهي الطريق المُعتدلِة.

حتّى إذا كان بعِرْق الظَّبْية ـ قال ابن هشام: الظُّبْية[4] عن غير ابن إسحاق ـ لَقُوا رجلاً من الأعراب فسألوه عن النّاس، فلم يَجِدُوا عنده خبراً، فقال له النّاس: سَلِّم على رسولِ الله ﷺ، قال: أوَفِيكم رسولُ الله؟ قالوا: نعم، فسَلَّمَ عليه، ثمّ قال: إن كنتَ رسولَ الله، فأخبِرْني عمّا في بطنِ ناقتي هذه، قال له سَلَمةُ بن سَلَامة بن وَقْش:

= وهو طريق العقيق بالحَرّة الغربيّة كما قال مؤرِّخ المدينة المنوّرة السَّمهوديُّ في «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» ٤/ ١٥٧، وهذا النَّقب لم يعد معروفاً اليوم.

(١) العقيق: واد من أودية المدينة. وذو الحُليفة: هو ميقات أهل المدينة ومن مرَّ به من غيرهم، وهو اليوم بلدة عامرة جنوب غربيّ المدينة تبعُد عنها قرابة ٩ كم، وهي التي تُعرَف عند العامة بأبيار عليّ. وأولات الجيش: وادٍ يعرف اليوم بالشلبيّة.

(٢) تحرف في (ت) و(ص) و(غ) إلى: ملك.

ومَلَل: وادٍ يبعد عن ذي الحليفة قرابة ٢٥ كم.

(٣) هكذا في نسخنا الخطية، وكأنه تثنيةُ مَرَى، وهذا الاسم والمكان لا يُعرَفان اليوم، لكن مال الأستاذ عاتق البِلاديّ رحمه الله إلى أنه أرض سهلة قريبة من وادي مَلَل، وتبعد عن المدينة قرابة ٤٥ كم في الجنوب الغربي منها. انظر كتابيه «معجم المعالم الجغرافية» ص٢٢٢ و«معجم معالم الحجاز» ص١٥٧٠ وما بعدها.

(٤) والتفريق بين الفتح والضم نصَّ عليه أبو عبيد البكريّ في كتابه «معجم ما استعجم» ٣/ ٩٠٣ منقولاً عن ابن هشام. وهذا الموضع قبل الروحاء بثلاثة أكيال.

لا تسألْ رسولَ الله، وأقبِلْ عليَّ فأنا أُخبِرُك عن ذلك، نَزَوتَ عليها[1] ففي بطنها منك سَخْلةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «مَهْ، أفحَشْتَ على الرَّجلِ»، ثمّ أعرَضَ عن سَلَمة[2].

ونَزَلَ رسول الله ﷺ سَجْسَجَ، وهي بئرُ الرَّوحاءِ، ثمّ ارتَحَلَ منها حتّى إذا كان بالمُنصرَفِ[3] ترك طريقَ مكّة بيسار وسَلَكَ ذاتَ اليمين على النازِيَةِ يريد بدراً، فسَلَكَ في ناحيةٍ منها حتّى جَزَعَ وادياً[4] يقال له: رُحْقانُ، بين النازِيَة وبين مَضِيق الصَّفراء، ثمّ على المَضِيق، ثمّ انصبَّ حتّى إذا كان قريباً من الصَّفراءِ بَعَثَ بَسْبَسَ ابن عَمرٍو الجُهَنيَّ حليفَ بني ساعدةَ وعَديَّ بن أبي الزَّغْباءِ الجُهَنيَّ حليفَ بني النَّجّار، إلى بدرٍ يتحسَّسانِ له الأخبارَ عن أبي سفيان بن حَرْب وعِيرِه، ثمّ ارتَحَلَ رسولُ الله ﷺ وقد قَدَّمَهما.

فلمّا استَقبَلَ الصَّفراءَ، وهي قريةٌ بين جبلين[5]، سأَل عن جَبَليهِما ما أسماؤُهما؟

---

(١) أي: وقعتَ عليها. والسّخلة: الصغير من ولد الغنم، استعارها لولد النّاقة.

(٢) خبر صحيح، وقد تقدم في أول هذه الغزوة إسنادُ ابن إسحاق في قصة بدر، ورجاله ثقات.

وخبر سلمة بن وقش هذا مع الأعرابيّ أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٥٨٧٦) من رواية يونس ابن بكير عن ابن إسحاق، عن يزيد بن رُومان وعاصم بن عمر بن قَتَادة، عن عُروة بن الزُّبير مرسلاً. ومن طريق ابن لَهِيعة عن أبي الأسود عن عروة.

وذكره الواقديُّ أيضاً في «مغازيه» ١/ ٤٥ لكن دون إسناد.

وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٠٦-١٠٧ من مغازي موسى بن عقبة مرسلاً. وهي من أصحّ المغازي فيما قال أهل العلم.

(٣) المنصرَف: تُعرَف اليوم بالمُسيجِيد، وهي بلدة عامرة على قرابة ٨٠ كم من المدينة، والنازية: أرضٌ وساعٌ بعدها بينها وبين مضيق الصفراء.

(٤) جزع الوادي: قطعه عَرْضاً.

(٥) وتسمَّى اليوم الواسطة، وتبعد عن بدر قرابة ٢٠ كم.

فقالوا: يقال لأحدهما: مُسلِحٌ[1]، وقالوا للآخر: هذا مُخرِئٌ، وسأَل عن أهلِهما، فقيل: بنو النّار وبنو حُرَاق، بطنانِ من بني غِفارٍ، فكَرِهَهما رسولُ الله ﷺ والمرورَ بينهما[2]، وتفاءَل بأسمائِهما وأسماءِ أهلِهما، فتَرَكهما رسولُ الله ﷺ والصفراءَ بيسارٍ وسَلَكَ ذات اليمين على وادٍ يقال له: ذَفِرَانُ، وجَزَعَ فيه، ثمّ نَزَل.

وأتاه الخبرُ عن قريشٍ بمَسِيرهم ليَمنَعُوا عِيرَهم، فاستشارَ النّاسَ وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكرٍ الصِّدّيقُ فقالَ وأحسَنَ، ثمّ قام عمرُ بن الخَطّاب فقالَ وأحسَنَ.

ثمّ قام المِقدادُ بن عمرٍو فقال: يا رسول الله، امضِ لمَا أَراك اللهُ فنحن معك، واللهِ لا نقولُ لك كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤]، ولكن اذهَبْ أنت وربُّك فقاتِلا، إنّا معكما مُقاتِلون، فوالّذي بَعَثَك بالحقِّ، لو سِرتَ بنا إلى بَرْك الغِمَادِ[3] لجالَدْنا معك مَن دُونَه حتّى تَبلُغَه، فقال له رسولُ الله ﷺ خيراً ودعا له.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: «أَشِيرُوا عليَّ أيُّها النّاسُ»، وإنّما يريد الأنصارَ، وذلك أنّهم عَدَدُ النّاس، وذلك أنّهم حين بايَعُوه بالعَقَبةِ قالوا: يا رسول الله، إنا بُرَآءُ من

---

(١) هو بمعنى مُخرِئ، والسُّلاح: النَّجْو.

(٢) وليس هذا من باب الطِّيَرة التي نهى عنها رسولُ الله ﷺ، ولكن من باب كراهيَةِ الاسم القبيح، فقد روى أحمد (٢٣٢٨) وابن حبان (٥٨٢٥) من حديث ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يتفاءل ويُعجِبُه الاسم الحَسَن.

(٣) وهي اليوم معروفة باسم البِرْك، بلدةٌ مرفأٌ على ساحل البحر الأحمر جنوب الجزيرة العربية، وهي تبعد عن بدرٍ أكثر من ٧٠٠ كم.

وقوله: لجالَدْنا معك، أي: لضارَبْنا معك بسيوفنا.

ذِمَامِك[1] حتّى تَصِلَ إلى ديارنا، فإذا وَصَلتَ إلينا فأنت في ذِمَّتِنا، نَمنَعُك ممّا نَمنَعُ منه أبناءَنا ونساءَنا، فكان رسول الله ﷺ يَتخوَّفُ أن لا تكونَ الأنصارُ ترى عليها نَصْرَه إلّا ممّن دَهَمَه بالمدينة من عدوِّه، وأن ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوٍّ من بلادهم.

فلمّا قال ذلك رسولُ الله ﷺ، قال له سعدُ بن معاذٍ: واللهِ لكأنَّك تريدُنا يا رسول الله؟ قال: «أجَلْ» قال: فقد آمنَّا بك وصَدَّقْناك، وشَهِدْنا أنَّ ما جئتَ به هو الحقُّ، وأَعطَيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقَنا على السَّمعِ والطّاعةِ، فامْضِ يا رسول الله لِمَا أردتَ فنحنُ معك، فوالّذي بَعَثَك بالحقِّ، أن لو استَعرَضتَ بنا هذا البحرَ[2] فخُضْتَه لخُضْناه معك، ما تَخلَّف منّا رجل واحد، وما نَكرَهُ أن تَلقَى بنا عدوَّنا غداً، إنّا لصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللِّقاء، لعلَّ اللهَ يُرِيكَ منّا ما تَقَرُّ به عينُك، فسِرْ بنا على بَرَكة الله.

فسُرَّ رسولُ الله ﷺ بقول سعد ونشَّطَه ذلك، ثمّ قال: «سِيرُوا وأَبشِرُوا، فإنَّ الله تعالى قد وَعَدَني إحدى الطّائفتَينِ، واللهِ لَكأنِّي الآنَ أنظُرُ إلى مَصارِعِ القومِ»[3].

---

(١) أي: عهدك.

(٢) يعني: لو دخلتَ بنا إلى عُرْضه، أي: وسطه.

(٣) حديث بدر هذا حديث صحيح، وقد تقدم إسناد ابن إسحاق فيه في أول الكلام على غزوة بدر، ورواته كلهم ثقات.

وهو كذلك في رواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٣٣-٤٣٥ و«تفسيره» ١١/ ٤١-٤٣ عن الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير، وعن غيرِهم من العلماء عن عبد الله بن عباس، كلٌّ قد حدّثه بعض هذا الحديث فجمعه هو. ونحوه وقع في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق عند البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣١-٣٤ إلا أنه لم يذكر ابن عباس فيه. =

ثمّ ارتَحَلَ رسولُ الله ﷺ من ذَفِرانَ فسَلَكَ على ثَنَايا[1] يقال لها: الأَصافر، ثم انحَطَّ منها إلى بلدٍ يقال له: الدَّبَّة، وترك الحَنَّانَ بيمينٍ، وهو كَثِيبٌ[2] عظيمٌ كالجبل، ثمّ نزل قريباً من بَدْر، فرَكِبَ هو ورجلٌ من أصحابِه.

قال ابن هشام[3]: الرَّجلُ هو أبو بكرٍ الصِّدّيق.

قال ابن إسحاق: كما حدّثني محمّدُ بن يحيى بن حَبّانَ؛ حتّى وَقَفَ على شيخ

= وأخرج منه قصة المقداد بن عمرو ـ ويقال له أيضاً: ابن الأسود ـ أحمد (٣٦٩٨)، والبخاري (٣٩٥٢) و(٤٦٠٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٠٧٥) من حديث عبد الله بن مسعود قال: شهدتُ من المقداد بن الأسود مشهداً، لَأن أكون صاحبَه أحبُّ إليَّ مما عُدِلَ به... ثم ذكر أن المقداد قال يوم بدر لرسول الله ﷺ: لا نقول كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، ولكنّا نقاتل عن يمينك وعن شمالك، وبين يديك وخلفَك، قال ابن مسعود: فرأيت النبيَّ ﷺ أَشرق وجهُه وسرَّه ذلك.

وأخرج قصة استشارة النبي ﷺ لأصحابه في المسير وكلام سعد له أحمدُ أيضاً (١٢٠٢٢) و(١٢٩٥٤) ومسلمٌ (١٧٧٩) وغيرهما من حديث أنس بن مالك. ووقع في رواية مسلم تقييد سعدٍ بابن عُبادة وليس ابنَ معاذٍ، وعند أحمد وغيره: قال قائل الأنصار، لم يُسمَّ، وسعدُ بن عبادة قد اختُلف في شهوده بدراً، فالله أعلم أيّهما تكلّم بلسان الأنصار يومئذٍ.

وأخرجه أيضاً البيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٠٧ من مغازي موسى بن عقبة، وسمّى سعداً فيه سعدَ بن معاذٍ، ومغازي موسى من أصحّ المغازي فيما قال أهل العلم.

(١) الثنايا: جمع ثَنِيّة، وهي الفُرجة بين جبلين، أو الطريق في الجبل.

(٢) الكَثيب: تلٌّ مرتفع من الرمال.

(٣) في (ت) و(ص): قال ابن إسحاق، وهو خطأ.

وقد خالفه في اسم الرجلِ الواقديُّ، فقال في «مغازيه» ١/ ٥٠: معه قَتَادة بن النعمان الظَّفَريّ، ويقال: عبد الله بن كعب المازني، ويقال: معاذ بن جبل. وسمّى الشيخ الذي سأله النبيُّ ﷺ سفيان الضَّمريّ.

من العرب فسأَله عن قريشٍ وعن محمّدٍ وأصحابِه وما بَلَغَه عنهم، فقال الشيخ: لا أُخبِرُكما حتّى تُخبِراني ممّن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ: «إذا أخبَرْتَنا أخبَرْناك» قال: أوَذاكَ بذاكَ؟ قال: «نعم» قال الشيخ: فإنّه بَلَغَني أنّ محمّداً وأصحابَه خرجوا يومَ كذا وكذا، فإن كان صَدَقَ الّذي أخبَرني، فهم اليومَ بمكانِ كذا وكذا؛ للمكان الّذي به رسولُ الله ﷺ، وبَلَغَني أنّ قريشاً خرجوا يومَ كذا وكذا، فإن كان الّذي أخبَرني صَدَقَني، فهم اليومَ بمكانِ كذا وكذا؛ للمكان الّذي به قريشٌ، فلمّا فَرَغَ من خبره قال: ممّن أنتُما؟ فقال رسول الله ﷺ: «نحنُ مِن ماءٍ» ثمّ انصَرَفَ عنه، قال: يقول الشيخُ: ما من ماءٍ؟! أمِن ماءِ العراق؟[1]

قال ابن هشام: ويقال: الشيخُ سفيانُ الضَّمْريُّ.

قال ابن إسحاق: ثمّ رجع رسولُ الله ﷺ إلى أصحابه، فلمّا أَمسى بَعَثَ عليَّ بن أبي طالبٍ والزُّبيرَ بن العَوّام وسعدَ بن أبي وقّاصٍ في نفرٍ من أصحابه إلى ماءِ بدرٍ يَلتمِسُون الخبر له عليه ـ كما حدّثني يزيدُ بن رُومانَ عن عُرْوة بن الزُّبير ـ فأَصابوا راويةً[2] لقريشٍ فيها أسلمُ غلامُ بني الحَجّاج، وعُرَيضٌ[3] أبو يَسَار غلامُ بني العاص

(١) هذا الخبر إسناده ضعيف لإرساله، فإنّ محمد بن يحيى بن حبان راويه ـ على ثقته ـ من صغار التابعين.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٣٥-٤٣٦ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

وذكره الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٥٠.

وقوله: «من ماء» أراد أنّهم مخلوقون من ماءٍ، وهذا من باب التَّورية، وهي أن يذكر المتكلّمُ شيئاً صحيحاً في ظاهر اللَّفظ لكنه يريد معنًى غيرَ الذي يفهمُه السامع.

(٢) الرّاوية: الإبل التي يُستَقى عليها الماءُ.

(٣) هكذا قُيّد في (ت) و(ش١) و(ص) و(ق١)، وقُيّد في (ي) بفتح العين، وفي (م) بالوجهين، وأُهمل في (غ).

ابن سعيد، فأَتَوْا بهما فسألوهما، ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يُصلّي، فقالا: نحن سُقاةُ قريشٍ، بَعَثُونا نُسقِيهم من الماءِ، فكَرِهَ القومُ خَبَرَهما ورَجَوْا أن يكونا لأبي سفيان، فضَرَبوهما فلمّا أَذلَقُوهما[1] قالا: نحن لأبي سفيان، فتَرَكوهما، ورَكَعَ رسولُ الله ﷺ وسَجَدَ سَجدَتيهِ ثمّ سَلَّم وقال: «إذا صَدَقاكُم ضَرَبتُموهما، وإذا كَذَباكُم تَرَكتُموهما، صَدَقا واللهِ، إنَّهما لقُريشٍ، أخبِرَاني عن قُريشٍ؟» قالا: هم والله وراءَ هذا الكَثيبِ الّذي تَرَى بالعُدْوة القُصوَى ـ والكَثِيب[2]: العَقَنقَل ـ فقال لهما رسول الله ﷺ: «كم القومُ؟» قالا: كثيرٌ، قال: «ما عِدّتُهم؟» قالا: ما ندري، قال: «كم يَنحَرُونَ كلَّ يومٍ؟» قالا: يوماً تسعاً، ويوماً عشراً، فقال رسول الله ﷺ: «القومُ ما بينَ التِّسعِ مئةٍ والأَلفِ».

ثمّ قال لهما: «فمَن فيهم من أَشرافِ قُريشٍ؟» قالا: عُتْبةُ بن رَبيعة، وشَيْبةُ بن رَبيعة، وأبو البَختَريِّ بن هشام، وحَكيمُ بن حِزَام، ونَوفَلُ بن خُوَيلِد، والحارثُ بن عامر بن نَوفَل، وطُعَيمةُ بن عَديّ بن نَوفَل، والنَّضرُ بن الحارث، وزَمْعةُ بن الأَسود، وأبو جَهْل بن هشام، وأُميّةُ بن خَلَف، ونُبَيهٌ ومُنبِّهٌ ابنا الحَجّاج، وسُهَيلُ بن عَمرو، وعمرُو بن عبدِ وَدٍّ، فأقبَلَ رسولُ الله ﷺ على النّاس فقال: «هذه مكّةُ قد أَلقَتْ إليكُم أَفلاذَ[3] كَبِدِها»[4].

---

(١) أذلقوهما: أجهدوهما بالضرب وبالَغوا فيه.

(٢) العُدوة: جانب الوادي وحافَتُه. والكَثيب: تلٌّ مرتفع من الرمال، وهو العَقَنقَل أيضاً.

(٣) جمع فِلَذ، والفِلَذ: جمع فِلْذة، وهي القطعة المقطوعة طولاً. وأراد هنا أنّهم صميمُ قريش ولُبابُها وأشرافُها، كما يقال: فلان قلبُ عشيرته، لأنّ الكَبِدَ من أشرف الأعضاء. قاله ابن الأثير في «النهاية» (فلذ).

(٤) حديث صحيح لغيره وإسناده هنا مرسل رجاله ثقات. =

قال ابن إسحاق: وكان بَسبَسُ بن عمرٍو وعَديُّ بن أبي الزَّغْباءِ قد مَضَيا حتّى نزلا بدراً فأَناخا إلى تلٍّ قريبٍ من الماء، ثمّ أَخَذا شَنّاً[1] لهما يَستقِيانِ فيه، ومَجدِيٌّ ابن عمرٍو الجُهَنيُّ على الماء، فسمع عَديٌّ وبَسبَسٌ جاريتَينِ من جَوَاري الحاضرِ وهما يَتلازَمانِ[2] على الماء، والملزومةُ تقول لصاحبتها: إنّما تأتي العِيرُ غداً أو بعدَ غدٍ، فأَعمَلُ لهم ثمّ أَقضِيكِ الّذي لك، قال مجديٌّ: صَدَقَت، ثمّ خَلَّصَ بينهما، وسمع ذلك عَديٌّ وبَسبَسٌ، فجَلَسا على بعيريهما ثمّ انطَلَقا حتّى أَتَيَا رسولَ الله ﷺ فأخبَراهُ بما سمعا.

وأقبَلَ أبو سفيان بن حَرْب حتّى تَقدَّمَ العِيرَ حَذِراً حتّى وَرَدَ الماءَ، فقال لمَجديٍّ ابن عمرٍو: هل أحسَستَ أحداً؟ قال: ما رأيتُ أحداً أُنكِرُه، إلّا أنّي قد رأيتُ راكبَينِ قد أَناخا إلى هذا التَّلّ، ثمّ استَقَيا في شنٍّ لهما ثمّ انطَلَقا، فأَتى أبو سفيان مُناخَهما

= وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٣٦-٤٣٧ من طريق سلمة بن الفضل، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٤٢-٤٣ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، به. ذكر سلمةُ فيه عروةَ ولم يذكره ابن بكير.

وساقه الواقدي في «مغازيه» ١/ ٥٢-٥٣ بلا إسناد.

وكذلك أخرجه البيهقي ٣/ ١٠٨-١٠٩ من مغازي موسى بن عقبة.

وروي نحو هذا الخبر من حديث علي بن أبي طالب بإسناد صحيح عند أحمد (٩٤٨)، إلا أنه لم يذكر فيه قصة سؤال النبي ﷺ عن أشراف مكة.

وكذلك هو من حديث أنس بن مالك عند مسلم في «صحيحه» (١٧٧٩)، وذكر مكان هذه القصة قولَه ﷺ: «هذا مَصرَعُ فلان» ويضع يده على الأرض «هاهنا، هاهنا»، قال أنس: فما ماطَ (أي: ما تباعد) أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ.

(١) الشَّنّ: القِربة البالية.

(٢) الحاضر: جماعة القوم المجتمعون على الماء. والتلازُم: تعلُّق الغريم بغريمه.

فأَخذ من أَبعار بعيرَيهِما ففَتَّه، فإذا فيه النَّوى، فقال: هذه واللهِ علائفُ يَثرِبَ، فرَجَعَ إلى أصحابه سريعاً، فضَرَبَ وجهَ عِيرِه عن الطّريق فساحَلَ بها[1] وترك بدراً بيسارٍ، وانطَلَقَ حتّى أسرَعَ.

وأقبَلَت قريشٌ، فلمّا نَزَلوا الجُحْفةَ[2] رأَى جُهَيمُ بن الصَّلْت بن مَخرَمة بن المُطَّلِب بن عبد مَنَافٍ رُؤيا، فقال: إنّي فيما يَرى النّائمُ وإنّي لبَينَ النائم واليَقْظان، إذ نظرتُ إلى رجل قد أقبَلَ على فرس حتّى وَقَفَ ومعه بعيرٌ له، ثمّ قال: قُتِل عُتْبةُ ابن رَبِيعة وشَيْبةُ بن رَبيعة وأبو الحَكَم بن هشام وأُميّة بن خَلَف وفلانٌ وفلانٌ ـ فعدَّد رجالاً ممّن قُتِل يوم بدرٍ من أشراف قريش ـ ثمّ رأيتُه ضرب في لَبّة بعيره ثمّ أرسَلَه في العسكر، فما بقيَ خِباءٌ من أخبيَةِ العسكر إلّا أصابه نَضْحٌ[3] من دمه. قال: فبَلَغَت أبا جهلٍ فقال: وهذا أيضاً نبيٌّ آخرُ من بني المُطَّلِب، سيَعلَمُ غداً مَن المقتولُ إن نحن التَقَيْنا.

قال ابن إسحاق: ولمّا رأَى أبو سفيان أنّه قد أحرَزَ عِيرَه، أَرسَلَ إلى قريش: إنّكم إنَّما خرجتم لتَمنَعُوا عِيرَكم ورجالَكم وأموالَكم، فقد نجَّاها الله، فارجِعُوا، فقال أبو جهل بن هشام: واللهِ[4] لا نَرجِعُ حتّى نَرِدَ بدراً ـ وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب، يجتمعُ لهم به سوقٌ كلَّ عام ـ فنُقِيمَ عليه ثلاثاً، فننحرَ الجُزُرَ، ونَطعَمَ الطّعامَ، ونُسقَى الخمرَ، وتَعزِفَ علينا القِيَانُ[5]، وتسمعَ بنا العربُ وبمسيرنا وجَمْعنا، فلا يزالون

(١) أي: أخذ بها جهة ساحل البحر.

(٢) الجحفة جنوب شرق مدينة رابغ على بعد ٢٠ كم تقريباً، وتبعد عن بدر قرابة ١٢٥كم.

(٣) لَبّة البعير: مَنحَرُه. والخِباء: الخيمة. والنَّضح: الرَّش واللَّطخ.

(٤) في (ش١) و(ق١) و(ي): واللّات.

(٥) القِيان: الجواري المغنّيات.

يهابوننا أبداً بعدها، فامْضُوا.

وقال الأخنَسُ بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثَّقَفيّ ـ وكان حليفاً لبني زُهْرة ـ وهم بالجُحْفةِ: يا بني زُهْرةَ، قد نَجَّى الله لكم أموالَكم، وخَلَّص لكم صاحبَكم مَخرَمةَ بن نَوفَل، وإنّما نَفَرتُم لتَمنَعُوه ومالَه، فاجعلوا بي جُبْنَها وارجِعوا، فإنّه لا حاجةَ لكم بأن تخرجوا في غير ضَيْعة، لا ما يقول هذا؛ يعني أبا جهل، فرَجَعوا، فلم يَشهَدْها زُهْريٌّ واحدٌ، أطاعوه وكان فيهم مُطاعاً.

ولم يكن بقيَ من قريشٍ بطنٌ إلّا وقد نَفَرَ منهم ناسٌ إلّا بني[1] عَديّ بن كعبٍ، لم يخرج منهم رجل واحد، فرجعت بنو زُهْرةَ مع الأخنس بن شَرِيق، فلم يَشهَدْ بدراً من هاتين القبيلتين أحدٌ، ومضى القومُ، وكان بين طالب بن أبي طالبٍ ـ وكان في القوم ـ وبين بعضِ قريشٍ مُحاوَرةٌ، فقالوا: والله لقد عَرَفْنا يا بني هاشمٍ ـ وإن خرجتم معنا ـ أنَّ هَواكُم لمعَ محمّدٍ، فرجع طالبٌ إلى مكّة مع من رَجَعَ، وقال طالبُ بن أبي طالبٍ:

اللّهـمَّ[2] إمّـا يَغـزُوَنَّ طالِـبْ ... في عُصبةٍ مُخـالِفٌ[3] مُحـارِبْ

في مِقنَبٍ[4] من هـذِه المَقانِبْ ... فليَكُنِ المَسلُوبَ غيرَ السّالِبْ

وليَكُنِ المَغلُوبَ غيرَ الغالِبْ

---

(١) في (ت) و(ش١) و(ص) و(م) و(ي): بنو، والجادّة ما أثبتنا من (غ) و(ق١).

(٢) في (غ) و(م): لاهمّ، وبه يصحُّ الوزن الشِّعري، وما أثبتناه من بقية النسخ، وتُسمّى هذه الزيادة في أوله: الخَزْم، وهو في علم العَروض: الزيادة في أول البيت حرفاً فصاعداً إلى أربعة.

(٣) في (غ): مخالفاً، بالنصب، وفي (ق١): محالف، بإهمال الحاء، من الحِلْف. ومخالف محارب: صفتان لطالب.

(٤) المِقنَب: جماعة الخيل والفرسان.

قال ابن هشام: قوله: فليكن المسلوبَ، وقوله: وليكن المغلوبَ، عن غير واحدٍ من الرُّواة للشِّعر.

قال ابن إسحاق: ومَضَت قريشٌ حتّى نزلوا بالعُدْوة القُصوَى[1] من الوادي خلف العَقَنقَلِ[2] وبطنِ الوادي - وهو يَلْيَلُ - بين بدرٍ وبين العَقَنقَلِ، الكثيبِ الّذي خلفَه قريشٌ، والقُلُبُ[3] ببدرٍ في العُدْوة الدُّنيا من بطن يَلْيَلَ إلى المدينة، وبَعَثَ اللهُ السماءَ، وكان الوادي دَهْساً، فأصاب رسولَ الله ﷺ وأصحابَه منها ما[4] لَبَّدَ لهم الأرضَ ولم يَمنَعهم من المَسِير، وأصاب قريشاً منها ما لم يَقدِروا على أن يَرتحِلوا معه، فخرج رسول الله ﷺ يُبادِرُهم إلى الماء، حتّى إذا جاء أَدنى ماءٍ من بدرٍ نَزَلَ به.

قال ابن إسحاق: فحُدِّثتُ عن رجال من بني سَلِمةَ أنّهم ذَكَروا: أنَّ الحُبَابَ بن المُنذِر بن الجَمُوح قال: يا رسولَ الله، أرأيتَ هذا المَنزِلَ، منزلٌ[5] أنزَلَكَه اللهُ ليس لنا أن نتقدَّمَه ولا نتأخَّرَ عنه، أم هو الرّأيُ والحربُ والمَكِيدةُ؟ قال: «بل هو الرَّأيُ والحربُ والمَكِيدةُ» قال: يا رسول الله، فإنّ هذا ليس بمنزلٍ، فانهَضْ بالنّاس حتّى تأتيَ أَدنى ماءٍ من القوم فتَنزِلَه، ثمّ تُغوِّرَ[6] ما وراءَه من القُلُب، ثمّ نَبْني عليه حوضاً

---

(١) العُدوة: جانب الوادي وحافَتُه، وأراد بالقُصوى طرفَه الذي من جهة مكة، وبالدّنيا طرفَه الذي من جهة المدينة.

(٢) العقنقل: هو الكَثيب، وهو التلُّ المرتفع من الرمال.

(٣) جمع قَلِيب: وهو البئر قبل أن تُبنَى بالحجارة.

(٤) في نسخة على حاشية (غ): ماء.

والسماء: المطر. والدَّهس: ما سَهُل ولانَ من الأرض ولم يبلغ أن يكون رملاً.

(٥) في (ق١) و(م): أمنزل، وفي (ش١) و(ي): أمنزلاً.

(٦) في (ت) و(م): تعوّر، بالمهملة ومعناه: تُفسده، وأما بالغين فمعناه: تُذهِبه وتدفنه.

فنملأَه ماءً، ثمّ نقاتل القومَ فنشربَ ولا يشربوا، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أَشَرْتَ بالرّأي»، فنَهَضَ رسولُ الله ﷺ ومَن معه من النّاس، فسارَ حتّى إذا أَتى أَدنى ماءٍ إلى القوم نَزَلَ عليه، ثمّ أمَرَ بالقُلُبِ فغُوِّرَت، وبنى حوضاً على القَلِيب الّذي نَزَل عليه فمُلِئَ ماءً، ثمّ قَذَفُوا فيه الآنيةَ[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أنّه حُدِّثَ: أنّ سعد بن معاذٍ قال: يا نبيَّ الله، نَبْني[2] لك عَريشاً تكونُ فيه، ونُعِدُّ عندك ركائبَك، ثمّ نلقى عدوَّنا، فإن أعزَّنا الله وأظهَرَنا على عدوِّنا، كان ذلك ما أحبَبْنا، وإن كانت الأُخرى، جلستَ على ركائبِك فلَحِقتَ بمن وراءَنا من قومنا، فقد تَخلَّف عنك أقوامٌ يا نبيَّ الله ما نحن بأشدَّ لك حبّاً منهم، ولو ظنُّوا أنّك تلقى حرباً ما تَخلَّفوا عنك، يَمنعُك الله

---

(١) قصة مشورة الحُباب هذه رويت من عدّة وجوه مرسلة يشدُّ بعضها بعضاً فتتقوَّى.

ورواها كرواية ابن هشامٍ سلمةُ بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٤٠.

أمّا يونسُ بن بكير فرواها عن ابن إسحاق كما عند البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣٥ وابن الأثير في «أسد الغابة» ١/ ٤٣٦ عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير، وعن الزهري ومحمد بن يحيى بن حَبّان وعاصم بن عمر بن قَتادة وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم من العلماء. وهذه كلها مراسيل، والرُّواة ثقات كلهم، وذكر ابن إسحاق أن بعض هؤلاء قد حدَّث بما لم يحدِّث به بعضٌ.

ورواها أيضاً موسى بن عقبة مرسلةً في مغازيه كما عند البيهقي ٣/ ١١٠، ومغازي موسى هذه من أصحّ المغازي فيما قال أهل العلم.

وأخرج نحوها مختصراً أبو داود في «المراسيل» (٣١٨) من طريق حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد الأنصاري. ويحيى ثقة إمام من صغار التابعين.

ورُوِيَت مسنَدةً من حديث الحُباب نفسه عند الحاكم في «مستدركه» (٥٩١٨)، لكن إسناده واهٍ لا يصلح للاعتبار.

(٢) في (ش١) و(غ) و(م): ألا نبني.

بهم، يناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى عليه رسولُ الله ﷺ خيراً ودعا له بخير.

ثمّ بُنيَ لرسول الله ﷺ عَريشٌ فكان فيه[1].

قال ابن إسحاق: وقد ارتَحَلَت قريشٌ حين أصبَحَت فأقبَلَت، فلمّا رآها رسول الله ﷺ تَصوَّبُ[2] من العَقَنقَل ـ وهو الكَثيبُ الّذي جاؤوا منه إلى الوادي ـ قال: «اللهمَّ هذه قريشٌ قد أقبَلَت بخُيَلائِها وفَخْرِها، تُحادُّكَ وتُكذِّبُ رسولَك، اللهمَّ فنَصرَك الّذي وَعَدْتَني، اللهمَّ أَحِنْهُمُ الغَدَاةَ»[3].

وقد قال رسول الله ﷺ ـ ورأى عُتبةَ بن رَبيعة في القوم على جملٍ له أحمرَ ـ: «إنْ يَكُن في أحدٍ من القومِ خيرٌ، فعندَ صاحبِ الجملِ الأحمرِ، إنْ يُطِيعُوه يَرشُدُوا»[4].

---

(١) عبد الله بن أبي بكر: هو ابن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاري، تابعيٌّ صغير، وهو ثقة عالم بالمغازي، فخبره هذا مرسلٌ.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٤٠ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

وقد جاء ذكر العريش في حديث ابن عباس عند البخاري (٢٩١٥) و(٤٨٧٧) لكن بلفظ القُبّة، فعنه: أن النبي ﷺ قال وهو في قُبّة له يوم بدر: «اللهمّ إني أَنشُدك عهدَك ووعدَك، اللهمّ إن شئتَ لم تُعبَد بعد اليوم».

(٢) أي: تنحدر.

(٣) حديث صحيح، وهو بالإسناد المذكور في أول غزوة بدر. وهو في «دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٣٥ من رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق بالإسناد المذكور.

وقد رواه أيضاً والذي يليه الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٥٩-٦٠ من طريق عروة بن الزبير ويزيد ابن رومان مرسَلَين.

الخُيَلاء: التكبُّر والإعجاب. وتُحادُّك، معناه: تعاديك.

وقوله: أَحِنْهم، معناه: أهلِكْهم، من الحَيْن: وهو الهلاك.

(٤) حديث صحيح كسابقه. =

وقد كان خُفَافُ بن إيماءَ بن رَحَضَة ـ أو أبوه إيماءُ بن رَحَضَة الغِفاريّ ـ بعث إلى قريشٍ حين مرُّوا به ابناً له بجزائرَ[1] أهداها لهم، وقال: إن أحببتُم أن نُمِدَّكم بسلاح ورجال فَعَلْنا، قال: فأَرسلوا إليه مع ابنه: أنْ وَصَلَتْك رَحِمٌ، قد قَضَيتَ الّذي عليك، فلَعَمْري لئن كنّا إنَّما نقاتلُ النّاسَ، ما بنا ضعفٌ عنهم، وإن كنّا إنَّما نقاتلُ اللهَ ـ كما يَزعُم محمّد ـ فما لأحدٍ بالله من طاقةٍ.

فلمّا نَزَل النّاسُ أقبل نفرٌ من قريش حتّى وَرَدُوا حوضَ رسول الله ﷺ، فيهم حَكِيمُ بن حِزَام، فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوهم»، فما شَرِبَ منه رجل يومئذٍ إلا قُتِل إلّا ما كان من حَكِيم بن حِزام، فإنّه لم يُقتَل، ثمّ أسلَمَ بعد ذلك فحَسُنَ إسلامُه، فكان إذا اجتَهَدَ في يمينِه قال: والّذي نَجَّاني من يوم بدرٍ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاقُ بن يسارٍ وغيرُه من أهل العلم، عن أشياخٍ من الأنصار قالوا: لمّا اطمأَنَّ القومُ، بَعَثُوا عُميرَ بن وهبٍ الجُمَحيَّ فقالوا: احزِرْ[2] لنا أصحابَ محمّد، قال: فاستَجَالَ بفرسه حولَ العسكر ثمّ رجع إليهم فقال: ثلاثُ مئةِ رجلٍ، يزيدون قليلاً أو يَنقُصون، ولكن أَمهِلوني حتّى أنظُرَ أَلِلقَومِ كمينٌ أو مَدَدٌ! قال: فضَرَبَ في الوادي حتّى أبعَدَ، فلم يرَ شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما رأيتُ شيئاً، ولكنّي قد رأيتُ ـ يا مَعشَرَ قريشٍ ـ البَلايا تَحمِلُ المَنايا، نواضحَ يثربَ تَحمِلُ الموتَ النّاقع[3]، قومٌ ليس لهم مَنَعةٌ ولا مَلجَأٌ إلّا سيوفَهم، والله ما أَرى أن يُقتَلَ

= وأخرج قصة عتبة بن ربيعة هذه أحمد (٩٤٨) والحاكم (٤٩٤٣) من حديث علي بن أبي طالب. وإسناده صحيح.

(١) الجزائر: جمع جَزُور، وهو البَعير.

(٢) أي: قدِّر لنا. ووقع في بعض النسخ: احرز، بتقديم الراء، وهو تصحيف.

(٣) البلايا: جمع بَلِيّة، وهي الناقة أو الدابّة تُربَط على قبر الميت فلا تُعلَف ولا تُسقَى حتى =

رجلٌ منهم حتّى يَقتُلَ رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادَهم، فما خيرُ العيش بعد ذلك؟! فرَوْا رأيَكم.

فلمّا سمع حَكيمُ بن حِزامٍ ذلك مَشَى في النّاس، فأَتى عُتْبةَ بن رَبيعة فقال: يا أبا الوليد، إنّك كبيرُ قريشٍ وسيّدُها والمُطاعُ فيها، هل لك إلى أن لا تزالَ تُذكَرُ منها بخيرٍ إلى آخر الدَّهر؟ قال: وما ذاكَ يا حكيمُ؟ قال: تَرجِعُ بالنّاس، وتَحمِلُ أمرَ حَليفِك عمرو بن الحَضْرميّ، قال: قد فعلتُ، أنت عليَّ بذلك، إنّما هو حَليفي، فعليَّ عَقْلُه[1] وما أُصيبَ من ماله، فأْتِ ابنَ الحَنظَليّة ـ قال ابن هشام: والحنظليّةُ أمُّ أبي جهل، وهي أسماءُ بنت مُخَرِّبةَ، أحدِ بني نَهشَل بن دارِم بن مالك بن حَنظَلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تَمِيم ـ فإنّي لا أَخشى أن يَشجُرَ[2] أمرَ النّاس غيرُه؛ يعني أبا جهل. ثمّ قام عُتْبةُ خطيباً فقال: يا معشرَ قريش، إنّكم والله ما تَصنَعون بأن تَلقَوْا محمّداً وأصحابَه شيئاً، والله لَئِن أَصبتُموه لا يزالُ رجلٌ يَنظُرُ في وجه رجلٍ يَكرَه النَّظرَ إليه، قَتَلَ ابنَ عمِّه أو ابنَ خالِه أو رجلاً من عَشيرتِه، فارجِعوا وخَلُّوا بين محمّدٍ وبين سائرِ العرب، فإن أصابُوه فذاكَ الّذي أردتُم، وإن كان غيرَ ذلك، أَلْفاكم ولم تَعَرَّضوا منه[3] ما تريدون.

قال حكيم: فانطلقتُ حتّى جئتُ أبا جهل، فوجدتُه قد نَثَلَ دِرعاً له من جِرابِها

= تموت. والنواضح: الإبل التي يُستَقى عليها الماء. والناقع: الثابت.

(١) أي: دِيَتُه.

(٢) قال الخشنيُّ في «إملائه» ص١٥٦: من رواه بالشين المعجمة فمعناه: يُخالِف بين الناس، من المُشاجَرة: وهي المخالَفة والمخاصَمة، ومن رواه بالسين المهملة فمعناه: يحرِّضهم ويُوقِدهم للحرب، يقال: سَجَرتُ التَّنّور، إذا ألهَبْتَه ناراً.

(٣) أي: وجدكم ولم تتعرّضوا منه بحربه؛ يريد النبيَّ ﷺ.

فهو يَهْنِئُها[1] ـ قال ابن هشام: يُهيّئها ـ فقلت له: يا أبا الحَكَم، إنّ عُتْبةَ أرسَلَني إليك بكذا وكذا، للّذي قال، فقال: انتَفَخَ واللهِ سَحْرُه[2] حين رأى محمّداً وأصحابَه، كلّا والله لا نَرجِعُ حتّى يَحكُمَ الله بيننا وبين محمّد، وما بعُتْبةَ ما قال، ولكنّه قد رأَى أنّ محمّداً وأصحابَه أَكَلَةُ جَزُورٍ وفيهم ابنُه[3]، فقد تَخوَّفَكم عليه. ثمّ بَعَثَ إلى عامر ابن الحَضرميّ فقال: هذا حَليفُك يريد أن يرجعَ بالنّاس، وقد رأيتَ ثأْرَك بعَينَيك، فقم فانشُدْ خُفْرتَك[4] ومقتلَ أخيك.

فقام عامرُ بن الحضرميّ فاكتَشَفَ[5] ثمّ صَرَخ: واعَمْراه، واعَمْراه، فحَمِيَت الحربُ، وحَقِبَ أمرُ النّاس، واستَوسَقُوا[6] على ما هم عليه من الشَّرّ، وأفسَدَ على النّاس الرأيَ الّذي دعاهم إليه عتبةُ، فلمّا بَلَغَ عتبةَ قولُ أبي جهل: انتَفَخَ والله سَحْرُه، قال: سيعلمُ مُصفِّرُ اسْتِهِ[7] مَن انتَفَخَ سَحْرُه، أنا أم هو!

---

(١) نَثَلَ درعَه، أي: استخرجها من جِرابها، يعني من وعائها الذي تُحفَظ فيه. ويَهنِئها، أي: يَطليها ويتفقّدها.

(٢) هذه كلمة تقال للجبان، والسَّحْر: الرئة وما حولها مما يعلق بالحُلقوم فوق السُّرة، كما سيأتي تفسيرها لابن هشام.

(٣) يعني أبا حذيفة بن عُتبة رضي الله عنه، وكان ممن شهد بدراً. ومعنى قوله: أَكَلة جزور، أي: هم قليل يُشبِعهم جزورٌ واحد.

(٤) أي: اطلب من قريشٍ الوفاءَ بخُفْرتهم لك، لأنه كان حليفاً لهم، والخُفرة: العهد.

(٥) أي: بَرَز وأظهر نفسه للناس.

(٦) حَقِبَ الأمرُ: اشتدّ وضاقت فيه المسالك. واستَوسقوا: اجتمعوا واستقرّ رأيهم على ذلك.

(٧) الاست: الدُّبر، والتصفير: استعمال الخَلُوق والطِّيب، قال أبو ذرٍّ الخشنيّ: العرب تقول هذا القول للرجل الجبان ولا تريد به التأنيث.

ثمّ الْتَمَسَ عتبةُ بَيْضةً[1] ليُدخِلَها في رأسه، فما وجد في الجيش بيضةً تَسَعُه من عِظَم هامَتِه، فلمّا رأى ذلك اعتَجَرَ[2] على رأسه ببُردٍ له.

قال ابن هشام: السَّحْر: الرِّئة وما حولها ممّا يَعلَقُ بالحُلقُوم فوق السُّرّة، وما كان تحت السُّرّة فهو القُصْب[3]، منه قوله: «رأيتُ عمرَو بن لُحَيٍّ يَجُرُّ قُصْبَه في النّارِ»[4]، قال ابن هشام: حدَّثني بذلك أبو عُبيدة.

قال ابن إسحاق: وقد خرج الأسودُ بن عبد الأسدِ المخزوميّ، وكان رجلاً شَرِساً سيّئَ الخُلُق، فقال: أُعاهدُ الله لأَشرَبَنَّ من حوضِهم أو لأَهدِمَنَّه، أو لأموتَنَّ دونَه، فلمّا خرج خرجَ إليه حمزةُ بن عبد المُطَّلِب، فلمّا التَقَيا ضربه حمزةُ فأطَنَّ[5] قدمَه بنصف ساقه وهو دونَ الحوض، فوَقَعَ على ظهره تَشخُبُ[6] رجلُه دماً نحو أصحابه، ثمّ حَبَا إلى الحوض حتّى اقتَحَمَ فيه، يريد ـ زَعَمَ ـ أن يَبَرَّ يمينَه، واتّبَعَه حمزةُ فضربه حتّى قتله في الحوض.

ثمّ خرج بعده عُتْبةُ بن رَبيعة بين أخيه شَيْبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتْبة،

---

(١) البيضة: خُوذة الرأس.

(٢) الهامَة: الرأس، والجمع: هامٌ. والاعتجار: التّعمُّم من غير أن يجعل تحت لحيته من العمامة شيئاً.

(٣) قول ابن هشام هذا إلى هنا من (ش١) و(ي)، وبقيّته من (ش١) وحدها.

والقُصْب: المِعَى، وجمعه: أقصاب، ويقال: القُصْب: اسم للأمعاء كلها.

(٤) حديث صحيح.

وأخرجه أحمد (٧٧١٠)، والبخاري (٣٥٢١)، ومسلم (٢٨٥٦) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ.

(٥) أطنَّ: أطارَ.

(٦) أي: تسيل وتدفق.

حتّى إذا فَصَلَ من الصفِّ دعا إلى المُبارَزة، فخرج إليه فِتيةٌ من الأنصار ثلاثةٌ، وهم: عوفٌ ومعوِّذٌ ابنا الحارثِ ـ وأمُّهما عَفْراءُ ـ ورجلٌ آخرُ، يقال: هو عبد الله بن رَوَاحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رَهْطٌ من الأنصار، فقالوا: ما لنا بكم حاجةٌ، ثم نادى مُنادِيهم: يا محمّد، أَخرِجْ إلينا أَكْفاءَنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: «قُمْ يا عُبَيدةَ بنَ الحارثِ، وقُمْ يا حمزةُ، وقُمْ يا عليُّ»، فلمّا قاموا ودَنَوا منهم، قالوا: من أنتم؟ قال عُبَيدةُ: عُبَيدةُ، وقال حمزةُ: حمزةُ، وقال عليٌّ: عليٌّ، قالوا: نعم، أكْفاءٌ كِرام.

فبارَزَ عُبَيدةُ ـ وكان أسنَّ القوم ـ عُتبةَ بن ربيعة، وبارَزَ حمزةُ شَيْبةَ بن ربيعة، وبارَزَ عليٌّ الوليدَ بن عُتبة، فأمّا حمزةُ فلم يُمهِلْ شيبةَ أن قَتَلَه، وأمّا عليٌّ فلم يُمهِل الوليدَ أن قَتَلَه، واختَلَفَ عبيدةُ وعتبةُ بينهما ضربتين، كلاهما أثبَتَ صاحبَه[1]، وكَرَّ حمزةُ وعليٌّ بأسيافهما على عُتْبةَ فذَفَّفا عليه[2]، واحتَمَلا صاحبَهما فحازاه إلى أصحابه[3].

---

(١) أثبت صاحبه، أي: جرحه جراحةً لم يقم معها.

(٢) زاد في (ي): يعني أجازا عليه. قلنا: وأجاز عليه، يعني قتله.

(٣) قصة المبارزة هذه رُوِيَت عن عليٍّ نفسه بإسناد صحيح، فقد أخرجها أحمد (٩٤٨)، وأبو داود (٢٦٦٥)، والحاكم (٤٩٤٣) من حديث حارثة بن مضرِّب عنه. لكن وقع خلاف بين الروايات في ترتيب المتقابلين من المبارزين الستة، والذي اعتمده الواقديُّ وصاحبه ابن سعد: أن حمزة قتل عتبةَ، وأن عليّاً قتل الوليدَ، وأن عبيدة بارَزَ شيبةَ. وانظر تمام الكلام على هذه الروايات في التعليق على الحديث (٤٩٢٣) من «مستدرك الحاكم» طبعة دار الرسالة.

وأُشير إلى هذه المبارزة أيضاً في حديث قيس بن عُبَاد عن عليٍّ عند البخاري (٣٩٦٥).

وأما عبيدةُ بن الحارث فإنه احتُمِلَ جريحاً، حتى إذا كان في طريق عودتهم إلى المدينة توفّي رضي الله عنه في الصفراء، وهو وادٍ يبعد عن بدر قرابة ٢٠ كم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنّ عُتْبةَ بن رَبِيعة قال للفِتْية من الأنصار حين انتَسَبوا: أكْفاءٌ كِرامٌ، إنّما نريد قومَنا.

قال ابن إسحاق: ثمّ تَزاحَفَ النّاسُ ودنا بعضُهم من بعض، وقد أَمَرَ رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يَحمِلوا حتّى يأمرَهم، وقال: «إنِ اكتَنَفَكم القومُ فانضِحُوهم[1] عنكم بالنَّبْلِ»، ورسولُ الله ﷺ في العَريش معه أبو بكرٍ الصِّدّيق.

فكانت وقعةُ بدرٍ يوم الجُمُعة صبيحةَ سبعَ عشرةَ من شهر رمضان، قال ابن إسحاق: كما حدّثني أبو جعفرٍ محمّد بن عليّ بن الحُسين رضوان الله عليهم[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني حَبّانُ بن واسع بن حَبّانَ، عن أشياخٍ من قومه: أنَّ

---

(١) اكتنفوكم، أي: أحاطوا بكم. وانضحوهم، أي: ارمُوهم.

وقد أخرج نحوه البخاري (٢٩٠٠) من حديث أبي أُسيد الساعديّ قال: قال النبيُّ ﷺ يوم بدر حين صَفَفْنا لقريشٍ وصفُّوا لنا: «إذا أكثَبُوكم فعليكم بالنَّبْل».

ومعنى أكثبوكم: قارَبُوكم بحيث يمكن وصول السهام إليهم.

(٢) أبو جعفر هذا: هو المعروف بالباقر، وهو ثقة إمام من صغار التابعين.

وخبره أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٢٧ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، عن أبي جعفر.

وأخرجه أيضاً ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٩ من طريق جعفر بن محمد عن أبيه. ثم قال: وهذا الثبتُ أنه يوم الجمعة.

وقول أبي جعفر هذا في تأريخ وقعة بدر هو الصحيح المحفوظ عند جمهور أهل السِّيَر والمغازي، وقيل: كانت يوم الاثنين، وقيل غير ذلك، ولا يصحُّ، قال ابن سعد: الثبتُ أنه يوم الجمعة وحديث يوم الاثنين شاذٌّ. وانظر «الدلائل» للبيهقي ٣/ ١٢٦-١٢٨، و«شرح الزرقاني على المواهب اللَّدنيّة» ٢/ ٢٦٢.

وقد صحّ عن ابن مسعود أيضاً عند عبد الرزاق (٧٦٩٧): أنها كانت صبيحة سبع عشرة. وانظر «مستدرك الحاكم» (٤٣٤٦) و(٤٣٤٧).

رسول الله ﷺ عَدَّلَ صفوفَ أصحابه يومَ بدرٍ، وفي يده قِدْحٌ[1] يُعدِّلُ به القومَ، فمَرَّ بسَوَاد بن غَزِيّة حليفِ بني عَديِّ بن النَّجّار ـ قال ابن هشام: ويقال: سَوَّاد بن غَزِيّة[2] ـ وهو مُستنتِلٌ من الصَّفِّ ـ قال ابن هشام[3]: ويقال: مُستنصِلٌ من الصفّ ـ فطَعَنَ في بطنه بالقِدْح، وقال: «استَوِ يا سَوَادُ» فقال: يا رسول الله، أَوجَعتَني، وقد بَعَثَك الله بالحقِّ والعدلِ فأَقِدْني[4]، فكَشَفَ رسولُ الله ﷺ عن بطنِه فقال: «استَقِدْ» قال: فاعتَنَقَه فقَبَّلَ بطنَه، فقال: «ما حَمَلَك على هذا يا سَوَادُ؟» قال: يا رسول الله، حَضَرَ ما تَرَى، فأردتُ أن يكونَ آخرُ العَهدِ بك أن يَمَسَّ جِلْدي جِلدَك، فدَعَا رسولُ الله ﷺ له بخيرٍ، وقالَه له[5].

---

(١) القِدح: السَّهم.

(٢) وخطّأ تثقيل الواو فيه السهيليُّ في «الروض» ٥/ ١٢٧.

(٣) في (ت) و(ص) و(م): ابن إسحاق، وهو خطأ، وذكره السهيليُّ على الصواب، وفسّر المُستنصِل فقال: معناه: خارجٌ من الصف. وأمّا مُستنتِلٌ فمعناه: متقدِّمٌ.

(٤) معناه: اقتصَّ لي من نفسك، واستَقِد معناه: اقتَصَّ.

(٥) حديث قوي إن شاء الله، حَبّان بن واسع ثقة من صغار التابعين، وهو من بني مازن بن النجار، والأشياخ من قومه في الغالب هم من أبناء الأنصار من بني النجار، وقد يكون من بينهم بعض الصحابة، وقد روي ما يشهد لهذا الخبر في بعض المراسيل.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٤٦، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٥٥٠)، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٢/ ٣٣٢ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وروى هذا الخبر عروةُ بن الزبير مرسلاً، أخرجه من طريقه الواقديُّ في «المغازي» ١/ ٥٦، ورجاله ما بين الواقدي وعروة ثقات.

وروي نحوه من مرسل محمد بن علي بن الحسين ـ وهو الباقر ـ عند عبد الرزاق في «مصنفه» (٥٢٤٨)، لكن لم يصرّح فيه بأن ذلك كان يوم بدر. وانظر «مستدرك الحاكم» (٥٣٤٤).

قال ابن إسحاق: ثمّ عَدَّل رسولُ الله ﷺ الصفوف، ورجع إلى العريش فدَخَلَه، ومعه فيه أبو بكرٍ ليس معه فيه غيرُه، ورسول الله ﷺ يناشدُ ربَّه[1] ما وَعَدَه من النَّصر، ويقول فيما يقول: «اللهمَّ إنْ تَهلِكْ هذه العِصابةُ اليومَ لا تُعبَدْ»، وأبو بكرٍ يقول: يا نبيَّ الله، بعضَ مُناشدَتِك ربَّك، فإنَّ الله مُنجِزٌ لك ما وَعَدَك. وقد خَفَقَ[2] رسولُ الله ﷺ خَفْقةً وهو في العريشِ ثمّ انتَبَه فقال: «أَبشِرْ يا أبا بكرٍ، أتاكَ نَصْرُ الله، هذا جبريلُ آخِذٌ بعِنَانِ فرسٍ يَقُودُه، على ثَنَاياهُ النَّقْعُ»؛ يعني الغُبارَ[3].

قال ابن إسحاق: وقد رُمِيَ مِهجَعٌ مَولَى عمر بن الخَطّاب بسهمٍ فقُتِل، فكان أوّلَ قتيل من المسلمين، ثمّ رُمِيَ حارثةُ بن سُرَاقةَ أحدُ بني عَديِّ بن النَّجّار وهو يشربُ من الحوض، بسهمٍ فأصاب نَحْرَه، فقُتِل[4].

---

(١) أي: يسأله ويرغب إليه.

(٢) أي: نام نوماً يسيراً وهو جالس.

(٣) قوله: يعني الغبار، من (ت) و(ص) و(م)، وفي (ش١): قال ابن هشام: النَّقع: الغبار. والثنايا: أسنان أمامية في مقدَّم الفم.

والحديث صحيح، وهو بإسناد ابن إسحاق الذي ساقه في أول غزوة بدر، ورجاله ثقات.

وأخرجه بنحوه أحمد (٢٠٨)، ومسلم (١٧٦٣)، والترمذي (٣٠٨١)، وابن حبان (٤٧٩٣) من حديث أبي زُميل سِماك الحنفيّ، عن ابن عباس، عن عمر بن الخطّاب. لكن ليس فيه ذكر خفقة النبي ﷺ في العريش وتبشيره أبا بكر بجبريل، وفيه مكانه: فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩] فأمدَّه الله بالملائكة.

وأخرج البخاري (٣٩٩٥) من حديث عكرمة، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريلُ آخذٌ برأس فرسه، عليه أداة الحرب».

(٤) وذلك قبل أن ينشب القتال بين الفريقين، وحارثة هذا أمُّه الرُّبيِّع بنت النضر عمّةُ =

ثمّ خرج رسولُ الله ﷺ إلى النّاس فحَرَّضَهم، وقال: «والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه، لا يُقاتِلُهم اليومَ رجلٌ فيُقتَلُ صابراً مُحتسِباً، مُقبِلاً غيرَ مُدبِرٍ، إلّا أدخَلَه اللهُ الجنّةَ»، فقال عُمَيرُ بن الحُمَامِ أخو بني سَلِمةَ، وفي يده تَمَراتٌ يأكلُهنَّ: بَخٍ بَخٍ[1]، أفَما بيني وبين أن أدخُلَ الجنّةَ إلّا أن يَقتُلَني هؤلاءِ، ثمّ قَذَفَ التَّمَراتِ من يده وأخَذَ سيفَه، فقاتل القومَ حتّى قُتل[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنّ عوفَ بن الحارثِ ـ وهو ابن عَفْراءَ ـ قال: يا رسول الله، ما يُضحِكُ الرَّبَّ من عبدِه؟ قال: «غَمْسُه يدَه في العدوِّ

= أنس بن مالك، وروى أحمد (١٢٢٥٢) و(١٣٧٤١)، والبخاري (٢٨٠٩) و(٣٩٨٢) من حديث أنس: أن أم حارثة جاءت النبيَّ ﷺ فقالت: يا نبيَّ الله، ألا تحدّثني عن حارثة ـ وكان قتل يوم بدر أصابه سهمٌ غَرْبٌ ـ فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدتُ عليه في البكاء، فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أمَّ حارثة، إنها جِنانٌ في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوسَ الأعلى».

(١) كلمة تطلق للإعجاب وتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير، وفيه لغات، أشهرها تنوين الكسر في الخاءَين وتسكينهما.

(٢) حديث صحيح، وهو بإسناد ابن إسحاق المتقدّم في أول الغزوة، ورجاله ثقات.

وأخرج نحو حديث عميرٍ هذا أحمد (١٢٣٩٨)، ومسلم (١٩٠١) من حديث أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال حين دنا المشركون يوم بدر: «قوموا إلى جنّةٍ عرضُها السماوات والأرض»، فقال عمير بن الحُمَام الأنصاريّ: يا رسول الله، جنّة عرضها السماوات والأرض؟! قال: «نعم»، قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يَحملُك على قولك: بخ بخ؟» قال: لا واللهِ يا رسول الله، إلّا رجاءةَ أن أكون من أهلها، قال: «فإنّك من أهلها»، فأخرج تَمَراتٍ من قَرَنِه (أي: جُعبة السهام) فجعل يأكل منهنّ، ثم قال: لئن أنا حَيِيتُ حتى آكلَ تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل.

حاسِراً[1]»، فنَزَعَ دِرعاً كانت عليه فقَذَفَها، ثمّ أخَذَ سيفَه فقاتل القوم حتّى قُتِل[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّد بن مُسلِم بن شِهابٍ الزُّهْريُّ، عن عبد الله بن ثَعلَبة بن صُعَيرٍ العُذْريِّ حليفِ بني زُهْرة، أنّه حدَّثه: أنَّه لمّا الْتَقى النّاسُ ودنا بعضُهم من بعضٍ، قال أبو جهل بن هشام: اللهمَّ أقطَعُنا للرَّحِمِ، وآتانا بما لا يُعرَفُ، فأَحِنْه الغَدَاةَ؛ فكان هو المُستفتِحَ[3].

---

(١) أي: لا شيء عليه يقيه من آلة الحرب.

(٢) إسناده ضعيف لإرساله، فعاصم بن عمر بن قتادة ـ مع ثقته وعلمه ـ من صغار التابعين، وقد انفرد به ولم يُروَ في الباب شيء يشدّه، ومع ذلك فقد ذهب إلى تصحيحه ابنُ حزم في كتابه «المحلَّى» ٧/ ٢٩٤ ! مع أنه مخالفٌ لهَدْي النبيّ ﷺ في الاحتياط واتخاذ آلات الحرب كالخُوذة للرأس والدِّرع لسائر الجسد، وكلُّ ذلك ثابتٌ في أحاديث صحيحة في «الصحيحين» وغيرهما.

وأمّا حديث ابن إسحاق هذا فأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٥/ ٣٣٨ عن يزيد بن هارون، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٤٨-٤٤٩ من طريق سلمة بن الفضل، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٥٢٥) من طريق إبراهيم بن سعد، والبيهقي في «السنن» ٩/ ٩٩-١٠٠ من طريق يونس بن بكير، أربعتهم عن ابن إسحاق، به. لكن خالف يزيدُ بن هارون بقيّةَ أصحاب ابن إسحاق فسمّى ابنَ عفراءَ معاذاً، وهو وهمٌ، فإنّ المقتول يوم بدر من أبناء عفراءَ هما معوِّذٌ وعوفٌ، أما معاذٌ فشهد بدراً أيضاً مع أخويه عوفٍ ومعوِّذٍ لكنه بقي حيّاً إلى أن مات في خلافة عثمان أو عليٍّ رضي الله عنهم أجمعين، وانظر ترجمته في «أسد الغابة» لابن الأثير ٤/ ٤٢١-٤٢٤

(٣) إسناده صحيح، وعبد الله بن ثعلبة له رؤية، وحديثه يُلحَق بمراسيل الصحابة، وهي حجّة عند جمهور أهل العلم مُلحَقةٌ بالمُسنَد.

وأخرجه أحمد (٢٣٦٦١) و(٢٣٦٦٢)، والحاكم (٣٣٠٣) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه النسائي في «الكبرى» (١١١٣٧)، والحاكم (٣٣٠٣) من طريق صالح بن كَيسان، عن الزهريِّ، به. =

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّ رسول الله ﷺ أَخذ حَفْنةً من الحَصْباءِ فاستَقبَل بها قريشاً، ثمّ قال: «شاهَتِ الوُجُوهُ»، ثمَّ نَفَحَهم بها[1]، وأمَرَ أصحابَه فقال: «شُدُّوا»، فكانت الهزيمةُ، فقَتَلَ اللهُ مَن قَتَل من صناديدِ قريش، وأُسِرَ مَن أُسِرَ من أشرافهم[2].

فلمّا وَضَعَ القومُ أيديَهم يأسِرُون ورسولُ الله ﷺ في العريشِ، وسعدُ بن معاذٍ قائمٌ على باب العريشِ الّذي فيه رسولُ الله ﷺ مُتوشِّحٌ السيفَ، في نفرٍ من الأنصار يَحرُسون رسولَ الله ﷺ، يخافون عليه كَرَّةَ العدوِّ، ورأَى رسولُ الله ﷺ - فيما ذُكِر لي - في وجهِ سعدِ بن معاذٍ الكراهِيَةَ لما يَصنَعُ النّاسُ، فقال له رسول الله ﷺ: «واللهِ لَكأنَّك يا سعدُ تَكرَهُ ما يَصنَعُ القومُ؟!» قال: أجل واللهِ يا رسول الله، كانت أوّلَ وقعةٍ أَوقَعَها اللهُ بأهل الشِّرك، فكان الإثخانُ في القتل[3] أحبَّ إليَّ من استِبْقاءِ الرّجال.

= قوله: فأحِنْه، أي: أهلِكه، والغَداة: أول النهار.

والمستفتح، معناه: الحاكم على نفسه بهذا الدعاء. وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال:١٩]. والاستفتاح هنا: طلب حكم الله وفصلِه بينهم.

(١) أي: ضربهم ورماهم بها.

(٢) حديث صحيح، وقد تقدم ذكر ابن إسحاق لإسناده في قصة بدر في أول الكلام على هذه الغزوة، ورجاله ثقات.

وروى نحوه محمد بن قيس المدني ومحمد بن كعب القرظي مرسلاً عند الطبري في «تفسيره» ١١/ ٨٥، وفيه: وأنزل الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧].

وبمعناه أخرجه الطبري أيضاً ١١/ ٨٤، والطبراني في «الكبير» (٣١٢٧) و(٣١٢٨) و«الأوسط» (٩٠٩٧) من حديث أبي بكر بن سليمان بن أبي حَثْمة عن حكيم بن حزام موصولاً. وحسّن إسناده الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» ٦/ ٨٤، وكان حكيم ممّن شهد بدراً مع المشركين.

(٣) أي: المبالغة في قتل المشركين.

وكان هذا رأي عمر بن الخطاب أيضاً عندما استشار النبيُّ ﷺ بعضَ أصحابه في الأسرى =

قال ابن إسحاق: وحدّثني العبّاس بن عبد الله بن مَعبَد، عن بعض أهلِه، عن عبد الله بن عبّاس: أنّ النبيَّ ﷺ قال لأصحابه يومئذٍ: «إنِّي قد عَرَفتُ أنَّ رجالاً من بني هاشمٍ وغيرِهم قد أُخرِجُوا كَرْهاً لا حاجَةَ لهم بقتالِنا، فمَن لَقِيَ منكم أَحداً من بني هاشمٍ فلا يَقتُلْه، ومَن لقيَ أبا البَخْتَريِّ بنَ هشامِ بنِ الحارثِ بنِ أَسدٍ فلا يَقتُلْه، ومَن لقيَ العبَّاسَ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ عمَّ رسولِ الله فلا يَقتُلْه، فإنَّه إنَّما أُخرِجَ[1] مُستَكرَهاً»، قال: فقال أبو حُذَيفةَ[2]: أنقتُلُ آباءَنا وأبناءَنا وإخوانَنا وعَشيرتَنا ونترك العبّاسَ! واللهِ لَئِن لَقِيتُه لأُلْحِمَنَّه السَّيفَ ـ قال ابن هشام: ويقال: لأُلجِمنَّه[3] ـ قال:

= بعد ذلك كما وقع في حديث ابن عباسٍ عن عمر في قصة بدر عند مسلم (١٧٦٣)، قال ابن عباس: فلما أسروا الأُسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأُسارى؟» فقال أبو بكر: يا نبيّ الله، هم بنو العمّ والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فديةً فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديَهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابنَ الخطاب؟» قلت: لا والله يا رسول الله، ما أَرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أَرى أن تمكِّنّا فنضربَ أعناقهم، فتمكّنَ عليّاً من عَقيل فيضربَ عنقه، وتمكِّنّي من فلانٍ؛ نسيباً لعمر، فأضربَ عنقه، فإن هؤلاء أئمّة الكفر وصناديدها، فهَوِيَ رسولُ الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهوَ ما قلتُ، فلما كان من الغدِ جئت، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدَينِ يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبِرني من أيّ شيء تبكي أنت وصاحبُك؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ، وإن لم أجد بكاءً تباكيتُ لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: «أَبكي للّذي عَرَضَ عليَّ أصحابُك من أخذهم الفداءَ، لقد عُرِضَ عليَّ عذابُهم أدنى من هذه الشجرة»؛ شجرةٍ قريبةٍ من نبي الله ﷺ، وأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [الأنفال:٦٧-٦٩]، فأحلَّ الله الغنيمةَ لهم.

(١) في (ت) و(ي): خرج.

(٢) هو أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة العبشميّ.

(٣) لأُلحمنّه، أي: لأقطعنّ لحمه بالسيف، ولأُلجمنّه: لأضربنّ به في وجهه، واللِّجام في =

فبَلَغَت رسولَ الله ﷺ، فقال لعمرَ بن الخَطّاب: «يا أبا حَفْصٍ» قال عمرُ: والله إنّه لأوّلُ يومٍ كَنّاني فيه رسولُ الله ﷺ بأَبي حفصٍ «أيُضرَبُ وجهُ عمِّ رسولِ الله بالسَّيفِ؟!» فقال عمر: يا رسول الله، دَعْني فلأَضرِبْ عُنقَه بالسَّيف، فواللهِ لقد نافَقَ. فكان أبو حُذَيفة يقول: ما أنا بآمنٍ من تلك الكَلِمةِ الّتي قلتُ يومئذٍ، ولا أزالُ منها خائفاً، إلّا أن تُكفِّرَها عنّي الشَّهادةُ. فقُتِلَ يومَ اليَمَامةِ شهيداً[1].

قال ابن إسحاق: وإنَّما نَهَى رسولُ الله ﷺ عن قتل أبي البَختَريِّ لأنه كان أكَفَّ القومِ عن رسول الله ﷺ وهو بمكّة، وكان لا يُؤْذيه، ولا يَبلُغُه عنه شيءٌ يَكرَهُه، وكان ممّن قام في نَقْضِ الصَّحيفة التي كتبت قريشٌ على بني هاشم وبني المُطَّلِب.

فلَقِيَه المُجذَّرُ بن ذِيَادٍ البَلَويُّ حليفُ الأنصار ثم من بني سالم بن عوف، فقال المُجذَّرُ لأبي البَختَريّ: إنّ رسول الله ﷺ قد نهانا عن قتلِك ـ ومع أبي البَختَريِّ زميلٌ له[2] قد خرج معه من مكّة، وهو جُنَادةُ ابنُ مُلَيحة[3] بنت زُهَير بن الحارث ابن أَسد، وجُنَادةُ رجل من بني لَيْث، واسم أبي البَختَريّ: العاصِ ـ قال: وزَمِيلي؟! فقال له المُجذَّر: لا واللهِ، ما نحن بتارِكي زميلِك، ما أمَرَنا رسولُ الله ﷺ إلّا بك

= الأصل: الحديدة في فم الفرس والدابّة.

(١) حديث حسن إن شاء الله، وبعض أهل العباس بن عبد الله بن معبد ـ وهو العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطّلب ـ بيَّن يونسُ بن بكير في روايته عن ابن إسحاق عند الحاكم في «المستدرك» (٥٠٥٨) أنه أبوه عبد الله بن معبد، فإن كان محفوظاً فالإسناد حسن، على أن عباساً هذا له رواية معروفة عن أبيه وأخيه إبراهيم وعكرمة مولى عبد الله بن عباس، فالغالب أنه واحدٌ منهم، وكلُّهم لا بأس بهم. وانظر تتمة تخريجه في «المستدرك».

(٢) الزميل: الصاحب الذي يركب معه على بعير واحد.

(٣) مليحة هذه ابنة عمّ أبي البختريِّ، وهما من بني عبد العُزَّى بن قُصيّ.

وحدَك، فقال: لا واللهِ إذاً، لأموتنَّ أنا وهو جميعاً، لا تتحدَّثُ عنّي نساءُ مكّة أنّي تركت زميلي حِرصاً على الحياة.

فقال أبو البَختَريِّ ـ حين نازَلَه المجذَّرُ وأَبَى إلّا القتال ـ يرتجزُ:

لـن يُسـلِمَ ابـنُ حُـرّةٍ زَمِيلَـهُ حتّـى يمـوتَ أو يَـرَى سَـبيلَهُ[1]

فاقتتلا، فقتله المجذَّرُ بن ذِيَادٍ، وقال المجذَّرُ في قتله أبا البَختَريّ:

إمّـا جَهِلـتَ أو نَسِـيتَ نَسَـبِي فأَثبِـتِ النِّسـبةَ أنّـي مـن بَلِـي
الطّـاعِنينَ برِمـاحِ اليَزَنِـي والضّارِبينَ الكَبْشَ حتّى يَنحَني[2]
بَشِّـرْ بيُـتمٍ مِـن أبيـهِ البَختَـرِي أو بَشِّـرَنْ بمِثلِهـا منّـي بَنِـي
أنـا الّـذي يقـالُ أَصْلـي مـن بَلِـي أَطعُـنُ بالصَّـعْدةِ حتّـى تَنثَنِـي[3]
وأَعـبِطُ القِـرْنَ بعَضْـبٍ مَشـرَفِي أُرزِمُ للمـوتِ كـإِرْزامِ المَـرِي[4]
فـلا تَـرى مُجذَّراً يَفْـرِي فَـرِي[5]

قال ابن هشام: المَرِي، عن غير ابن إسحاق، والمَرِيُّ: الناقة الّتي يُستنزَل لبنها

(١) سبيله، أي: طريقه إلى النجاة.

(٢) رماح اليزني: رماح منسوبة إلى ذي يَزَن، وهو ملك من ملوك اليمن. والكبش: رئيس القوم.

(٣) الصعدة: عصا الرمح، ثم سُمّي الرمح صعدةً.

(٤) أعبط: أقتُل، والعَبْط: القتل من غير سبب. والقِرن: نظير الرجل وكفؤه في الشجاعة. والعَضْب: السيف القاطع. والمَشرَفي: منسوب إلى مَشارِف الشام، أي: أريافه، يعني هو مصنوع فيها.

وقوله: أُرزِمُ للموت... إلخ، أي: أسير بصوت وهدير إلى الموت ـ ويريد القتالَ في ساحة الحرب ـ كصوت الناقة التي عَسُر حلبُها.

(٥) يقال: فَرَى يَفْري فَرْياً، إذا أتى بأمر عجيب.

على عُسْر.

قال ابن إسحاق: ثمّ أَتى المجذَّرُ رسولَ الله ﷺ، فقال: والّذي بَعَثَك بالحقِّ، لقد جَهِدتُ عليه أن يستأسرَ فآتيَك به، فأَبى إلّا أن يقاتلَني، فقاتلتُه فقتلتُه.

قال ابن هشام: أبو البَختَريِّ: العاصِ بنُ هاشم بن الحارث بن أَسد.

قال ابن إسحاق: حدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه.

قال[1]: وحدَّثَنيهِ أيضاً عبدُ الله بن أبي بكرٍ وغيرُهما، عن عبد الرَّحمن بن عوفٍ قال: كان أُميّةُ بن خَلَفٍ لي صديقاً بمكّة، وكان اسمي عبدَ عمرٍو، فتسمَّيتُ حين أسلمتُ عبدَ الرَّحمن[2] ونحن بمكّة، فكان يلقاني إذ نحن بمكّة فيقول: يا عبدَ عمرو، أرَغِبتَ عن اسمٍ سمَّاكَه أبواك؟ قال: فأقول: نعم، فيقول: فإنّي لا أعرفُ الرَّحمنَ، فاجعَلْ بيني وبينَك شيئاً أَدعُوك به، أمّا أنت فلا تجيبُني باسمِك الأوّل، وأمّا أنا فلا أَدعُوك بما لا أعرف، قال: فكان إذا دعاني: يا عبدَ عمرو، لم أُجِبْه، قال: فقلتُ له: يا أبا عليّ، اجعَلْ ما شئتَ، قال: فأنت عبدُ الإله، قال: قلت: نعم، قال: فكنتُ إذا مَرَرتُ به قال: يا عبدَ الإله، فأُجِيبُه فأتحدَّثُ معه.

حتّى إذا كان يومُ بدرٍ مَرَرتُ به وهو واقفٌ مع ابنه عليِّ بن أُميّة آخذٌ بيده، قال: ومعي أدراعٌ قد استَلَبتُها، فأنا أحمِلُها، فلمّا رآني قال: يا عبدَ عمرو، فلم أُجِبْه، فقال: يا عبدَ الإله، قال: فقلت: نعم، قال: هل لك فِيَّ، فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراعِ التي معك، قال: قلت: نعم، ها اللهِ ذا[3]، قال: فطَرَحتُ الأدراعَ من يدي وأخذتُ بيدِه

---

(١) أي: ابن إسحاق.

(٢) وقد صحَّ عنه رضي الله عنه: أنّ الذي سمّاه بذلك هو رسول الله ﷺ. أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٥٤١٩) وغيره.

(٣) قال السهيليّ في «الروض» ٥/ ١٣٧: ها تنبيهٌ، وذا إشارةٌ إلى نفسه، وقال بعضهم: إلى =

ويدِ ابنه، وهو يقول: ما رأيتُ كاليوم قطُّ، أمَا لكم حاجةٌ في اللَّبَن؟ ثمّ خرجتُ أَمشي بهما[1].

قال ابن هشام: أراد باللَّبَن: أنَّ مَن أسَرَني افتَدَيتُ منه بإبلٍ كثيرةِ اللَّبن.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الواحد بن أبي عَوْن، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الرَّحمن بن عوفٍ قال: قال لي أُميّةُ بن خَلَف، وأنا بينَه وبينَ ابنه آخذٌ بأيديهما: يا عبد الإله، مَن الرّجلُ منكم المُعلِمُ بريشةِ نعامةٍ في صدره؟ قال: قلت: ذاك حمزةُ بن عبد المُطَّلِب، قال: ذاك الّذي فَعَلَ بنا الأفاعيلَ، قال عبد الرّحمن: فواللهِ إنّي لأُقودُهما إذ رآه بلالٌ معي ـ وكان هو الّذي يُعذِّب بلالاً بمكّة على ترك الإسلام، فيُخرِجُه إلى رَمْضاءِ مكّة[2] إذا حَمِيَت، فيُضجِعُه على ظهره ثمّ يأمرُ بالصَّخرة العظيمة فتُوضَعُ على صدره، ثمّ يقول: لا تزالُ هكذا أو تفارقَ دينَ محمّد، فيقول بلال: أَحدٌ أَحدٌ ـ قال: فلمّا رآه قال: رأسُ الكفرِ أميّةُ بن خَلَف، لا نَجَوتُ إن نَجَوتَ، قال: قلت: أيْ بلالُ، أبأَسِيريَّ؟! قال: لا نجوتُ إن نَجَا، قال: قلت: أتسمعُ يا ابن السَّوداء؟! قال: لا نجوتُ إن نَجَا.

= القَسَم، أي: هذا قَسَمي، وأراها إشارةً إلى المُقسِم، وخفضُ اسم الله بحرف القسم أضمَرَه وقام التنبيهُ مقامَه، كما يقوم الاستفهامُ مقامَه، فكأنه قال: ها أَنا ذا مُقسِمٌ، وفَصَلَ بالاسم المُقسَم به بين ها وذا، فعُلِمَ أنه هو المُقسِمُ فاستُغنيَ عن أَنا.

(١) رجال الإسنادين ثقات إلا أنهما منقطعان، فعبّاد بن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن أبي بكر ـ وهو ابن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاري ـ كلاهما لم يدرك عبدَ الرَّحمن بن عوف، لكن بروايتهما ورواية غيرهما كما أشار ابن إسحاق، يتقوّى هذا الخبر ويصحُّ إن شاء الله.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٥١-٤٥٢، وفي مسند عبد الرَّحمن بن عوف من «تهذيب الآثار» ص٥٥١-٥٥٢ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

(٢) الرّمضاء: الرمل الحارّ من شدة حرارة الشمس.

قال: ثمّ صَرَخَ بأعلى صوته: يا أنصارَ الله، رأسُ الكفر أميّةُ بن خَلَف، لا نجوتُ إن نَجَا، قال: فأَحاطوا بنا حتّى جعلونا في مِثْل المَسَكَةِ[1] وأنا أذُبُّ عنه، قال: فأَخلَفَ رجلٌ السَّيفَ[2] فضرب رِجلَ ابنه فوقع، وصاح أُميّةُ صيحةً ما سمعتُ مثلَها قطُّ، قال: فقلت: انجُ بنفسِك، ولا نَجاءَ بك، فواللهِ ما أُغْني عنك شيئاً، قال: فهَبَّرُوهما[3] بأسيافهم حتّى فَرَغُوا منهما. قال: فكان عبد الرّحمن يقول: يَرحَمُ اللهُ بلالاً، ذَهَبَت أدراعي، وفَجَعَني[4] بأَسِيرَيَّ[5].

---

(١) المَسَكة: السِّوار من العظم، وقوله: جعلونا في مثل المسكة، أي: جعلونا في حَلْقة كالسِّوار وأحدَقوا بنا.

(٢) أي: سلَّه من غِمده.

(٣) أي: قطَّعوهما.

(٤) أي: أوجَعني.

(٥) إسناده صحيح.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٥٢-٤٥٣ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق بهذا الإسناد.

وأخرج أوله في قصة إعلام حمزة صدره بريشة نَعَام: الحاكم (٢٥٨٠) وغيره من طرق عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه أيضاً البزار (١٠١٥) من طريق إبراهيم بن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، به. وإسناده قوي.

وأخرج قصة مقتل أميّة بنحو هذا البخاريُّ في «صحيحه» (٢٣٠١) من طريق صالح بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن بن عوف، عن أبيه، عن جده عبد الرَّحمن بن عوف قال:... فلما كان في يوم بدر، خرجت إلى جبل لأُحرِزَه (أي: لأحفظه، والضمير عائد إلى أميّة) حين نام الناسُ (أي: هدؤوا ورقدوا) فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار، فقال: أُميّة بن خلف، لا نجوتُ إن نجا أُميّة، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا، فلمّا خشيتُ أن يلحقونا =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ، أنّه حُدِّثَ عن ابن عبّاس قال: حدّثني رجل من بني غِفَارٍ قال: أقبلتُ أنا وابنُ عمٍّ لي حتّى أصعَدْنا في جبل يُشرِفُ بنا على بدر، ونحن مُشرِكان، ننتظرُ الوَقْعةَ على من تكون الدَّبرةُ[1] فنَنتهِبُ مع من يَنتهِبُ، قال: فبَيْنا نحن في الجبل، إذ دَنَتْ منّا سحابةٌ، فسمعنا فيها حَمْحَمةَ الخيل، فسمعتُ قائلاً يقول: أَقدِمْ حَيزُومُ[2]، فأمّا ابنُ عمّي فانكشف قِناعُ قلبِه[3] فمات مكانَه، وأمّا أنا فكِدتُ أَهلِكُ، ثمّ تماسَكتُ[4].

= خلّفتُ لهم ابنه لأَشغَلهم فقتلوه، ثم أَبَوا حتى يَتبَعُونا، وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا قلت له: ابرُك، فبَرَك فألقيتُ عليه نفسي لأمنعه، فتخلّلوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدُهم رِجْلي بسيفه. وكان عبد الرَّحمن بن عوف يُرِينا ذلك الأثرَ في ظهر قدمه.

وأخرجه مختصراً البخاري أيضاً (٣٩٧١) من طريق صالح بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن بن عوف، عن أبيه، عن جده عبد الرَّحمن قال: كاتبتُ أُميّة بن خلف، فلمّا كان يوم بدر، فذكر قتلَه وقتلَ ابنه، فقال بلال: لا نجوتُ إن نجا أُميّةُ.

(١) بفتح الباء وتسكينها، أي: الدائرة والهزيمة.

(٢) وقد وقع ذكر سماع هذا الصوت كذلك في حديث ابن عباس عن عمر في قصة بدر أيضاً عند مسلم (١٧٦٣)، قال النوويّ في «شرحه»: هو اسم فرس المَلَك، وهو منادى بحذف حرف النِّداء، أي: يا حيزوم، وأما أَقدِمْ، فقيّدوه بوجهين أصحُّهما وأشهرُهما ـ ولم يذكر ابن دُرَيد وكثيرون أو الأكثرون غيرَه ـ أنه بهمزة قطع مفتوحة وبكسر الدال من الإقدام، قالوا: وهي كلمة زَجْرٍ للفرس معلومة في كلامهم، والثاني بضم الدال وبهمزة وصلٍ مضمومة من التقدُّم.

(٣) أي: غشاء قلبه.

(٤) إسناده ضعيف لانقطاعه بين عبد الله بن أبي بكر وابن عباس.

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (٤)، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٥٣، وفي «تفسيره» ٦/ ٢٢، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٠٣)، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٥٢، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ٤٠٠ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكر، عن بعض بني ساعدةَ، عن أبي أُسيدٍ مالك بن رَبيعة، وكان شَهِدَ بدراً، قال بعد أن ذَهَب بَصَرُه: لو كنتُ اليومَ ببدرٍ ومعي بَصَري، لأَريتُكم الشِّعبَ[1] الّذي خَرَجَت منه الملائكةُ، لا أشكُّ فيه ولا أَتمارَى[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ، عن رجالٍ من بني مازن بن النَّجّار، عن أبي داودَ المازني[3] ـ وكان شَهِدَ بدراً ـ قال: إنّي لأَتبعُ رجلاً من المشركين يومَ

= ورواه الواقدي في «مغازيه» ١/ ٧٦-٧٧ بإسناد فيه جهالة عن الرجل الغِفاري.

ورواه بنحوه ١/ ٧٧ بإسناد فيه جهالة أيضاً عن عبيد بن أبي عبيد مولى أبي رُهْم الغِفاري، عن أبي رُهْم الغفاري، عن ابن عمٍّ له أخبره بهذا. وعبيدٌ مجهول الحال أيضاً، والواقدي فيه مقال.

(١) الشِّعب: هو الموضع المنفرِج بين جبلين.

(٢) خبر قوي، وهذا إسناد ضعيف لإبهام البعض من بني ساعدة، إلّا أنّه توبع كما سيأتي.

وأخرجه ابن راهويه في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (٤٢٤٥)، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١ و٢٢، والدولابي في «الكنى والأسماء» (١٠٣)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٩٨٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٥٢-٥٣ و٨١ من طرق عن محمد بن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١٩/ (٥٧٨)، والبيهقي ٣/ ٥٣ من طريق ابن شهاب الزهري، عن أبي حازم الأشجعي، عن سهل بن سعد الساعدي، عن أبي أُسيد الساعدي. وإسناده حسن.

وأخرجه الطبري في «التفسير» ٦/ ٣٤ من طريق مختار بن غسان، عن عبد الرَّحمن بن سليمان ابن الغَسِيل، عن الزبير بن المنذر بن أبي أسيد، عن جدِّه أبي أسيد، وزاد فيه: أن الملائكة كانت في عمائم صُفْر. ومختارٌ مجهول الحال، وقد جاء ذكر العمائم الصفر في مرسلَي عباد بن حمزة وعروة بن الزبير الآتي ذكرهما قريباً ص ٣٤٠.

والتَّماري والمماراة: المجادلة على مذهب الشك والرِّيبة.

(٣) قيل: اسمه عَمرو، وقيل: عُمير، وذكر بعضهم أنّ كُنيته أبو دُؤَاد فوَهِمَ، وانظر كتاب «الإصابة» لابن حجر ٧/ ١١٨.

بدرٍ لأضربَه، إذ وَقَعَ رأسُه قبل أن يَصِلَ إليه سيفي، فعرفتُ أنّه قد قَتَلَه غيري[1].

(١) إسناده ضعيف لإبهام الرجال من بني مازن.

وأخرجه أحمد (٢٣٧٧٨) عن يزيد بن هارون، عن ابن إسحاق، عن أبيه، عن رجل من بني مازن، عن أبي داود المازني.

وكذلك رواه غير واحد عن ابن إسحاق بذكرِ أبي داود المازني كما في «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٢٦٨٥)، و«التاريخ» ٢/ ٤٥٣ و«التفسير» ٦/ ٢٣ كلاهما للطبري، و«الدلائل» (٤٠٤) و«معرفة الصحابة» (٥٠٦١) و(٥٢٤٧) كلاهما لأبي نعيم.

وخالف يونسُ بن بُكيرٍ ـ كما في «العلل» لابن أبي حاتم (٢٦٨٥) و«الدلائل» للبيهقي ٣/ ٥٦ ـ فرواه عن ابن إسحاق فسمَّى الصحابيَّ أبا واقد الليثيَّ، وهذا خطأٌ من ابن بكير، وعليه استند من قال بشهود أبي واقدٍ بدراً، وقد نصَّ الزهريُّ على أنه أسلم يومَ الفتح وأسنَد ذلك عن سنان بن أبي سنان الدؤلي فيما أخرجه ابن مَندَه في «معرفة الصحابة» بسند صحيح إلى الزهري، وهو الذي صوّبه ابن حجر في «الإصابة» ٧/ ٤٥٦.

وفي معنى خبر أبي داود المازني أخرج الحاكم (٥٨٤٢) وغير واحدٍ من طريق محمد بن يحيى ابن زكريا الإسكندراني، عن العلاء بن كثير، عن أبي بكر بن عبد الرَّحمن بن مِسوَر بن مَخرَمة، عن أبي أمامة بن سهل بن حُنيف قال: قال لي أَبي: يا بنيَّ، لقد رأيتُنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصلَ إليه. لكن إسناده ضعيف بمرّةٍ، محمدُ بن يحيى الإسكندراني يروي مناكير كما في «لسان الميزان» ٧/ ٥٧٧، وأبو بكر بن عبد الرّحمن مجهول الحال.

وأصحُّ ما روي في هذا حديثُ أبي زُميل سِمَاك الحنفي عن ابن عباس عند مسلم (١٧٦٣) قال: بينما رجل من المسلمين يومئذٍ يَشتدُّ في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربةً بالسَّوط فوقه وصوتَ الفارس يقول: أقدِمْ حَيزُومُ (وهو اسم فرس الملَك) فنظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد خُطِمَ أنفُه وشُقَّ وجهه كضربة السوط، فاخضرَّ ذلك أجمعُ، فجاء الأنصاريُّ فحدَّث بذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «صدقتَ، ذلك من مَدَدِ السماء الثالثة». وإسناده حسن.

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتَّهِمُ عن مِقسَم مولى عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن عبّاسٍ قال: كانت سِيمَا الملائكةِ يومَ بدرٍ عمائمَ بِيضاً قد أَرسَلُوها على ظهورهم، ويومَ حُنينٍ عمائمَ حُمْراً[1].

قال ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهل العلم عن عليِّ بن أبي طالبٍ قال: العمائمُ

---

(١) إسناده ضعيف جداً، فشيخ ابن إسحاق المُبهَم في الرواية هنا، بيَّنه سلمةُ بن الفضل في روايته عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٥٤، وهو الحسن بن عُمارة الكوفي، يرويه عن الحكم بن عُتيبة عن مقسم، والحسن بن عمارة متروك الحديث.

وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٥٦-٥٧ من طريق عمرو بن زُرارة، عن زياد البكّائي، عن ابن إسحاق، به. مجموعاً معه الخبر التالي: ولم تقاتل الملائكة... إلخ.

وكذلك أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٠٨٥)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٤٠٧) من طريق عمّار بن أبي مالك الجَنْبي، عن أبيه، عن الحَجّاج، عن الحَكَم، عن مِقسَم، عن ابن عباس. وهذا إسناد ضعيف بمَرّة، عمّار وأبوه ضعيفان، والحجّاج ـ وهو ابن أرطاة ـ كثير الخطأ والتدليس، وقد رواه هنا بالعنعنة ولم يصرّح بالسماع.

وأخرج الطبراني أيضاً (١١٤٦٩) من طريق عبد القُدّوس بن حبيب، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٥] قال: مُعلِمين، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سُود، ويوم أُحد عمائم حُمْر. وهذا إسناد واهٍ من أجل عبد القدّوس، فإنه متروك الحديث واتّهمه ابن المبارك بالكذب كما في «لسان الميزان» لابن حجر ٥/ ٢٣٣.

ويخالف هذا كلَّه ما وقع في مُرسَلَي عبّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير وعمّ أبيه عروة بن الزبير: أنه كانت على الزبير بن العوّام يوم بدر عِمامة صفراء، فنزلت الملائكة عليها عمائم صُفْر. أخرجهما أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٦٨) و(١٢٦٩) والحاكم (٥٦٥٣) وغيرهما، ورجالهما ثقات.

وروي أيضاً أنهم كانوا يوم بدرٍ في عمائم صُفْر عن أبي أُسيد الساعدي عند الطبري في «تفسيره» ٦/ ٣٤، لكن بإسناد فيه راوٍ مجهول الحال.

تِيجانُ العرب، وكانت سِيمَا الملائكةِ يومَ بدرٍ عمائمَ بِيضاً قد أَرخَوْها[1] على ظهورهم، إلّا جبريلَ فإنّه كانت عليه عِمامةٌ صفراءُ[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهمُ عن مِقسَم، عن ابن عبّاسٍ قال: ولم تقاتل الملائكةُ في يومٍ سوى يومِ بدرٍ من الأيّام، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيّام عَدَداً ومَدَداً لا يَضرِبون[3].

قال ابن إسحاق: وأقبَلَ أبو جهل يومئذٍ يَرتجِزُ وهو يقاتل ويقول:

ما تَنقِمُ الحربُ العَوَانُ منِّي ... بازِلُ عامَينِ حديثٌ سِنِّي[4]

لمِثلِ هذا وَلَدَتني أُمّي

قال ابن هشام: وكان شعارُ أصحاب رسول الله ﷺ يومَ بدرٍ: أَحَد أَحَد[5].

قال ابن إسحاق: فلمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من عدوِّه، أمر بأبي جهلٍ أن يُلتمَسَ في

---

(١) في (ت) و(غ): أرسلوها. وهما بمعنًى.

(٢) ضعيف لإعضاله وإبهام رواته عن عليٍّ.

(٣) إسناده ضعيف جداً من أجل شيخ ابن إسحاق فيه كما تقدّم آنفاً، فهو قطعة من الخبر السابق في سِيما الملائكة، وانظر تخريجه هناك.

(٤) الحرب العَوَان: التي قوتل فيها مرّةً بعد مرّةٍ. والبازل من الإبل: الذي خرج نابُه، وهو في ذلك السِّنّ تكمل قوّته.

(٥) هذا شيء تفرّد به ابن هشام ولم يبيِّن إسناده فيه. وأحسنُ شيء في هذا ما وقع في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق عند البيهقي في «السنن» ٦/ ٣٦١ و«الدلائل» ٣/ ٧٠ عن عمر بن عبد الله بن عروة عن جدّه عروة بن الزبير قال: جعل رسولُ الله ﷺ شعارَ المهاجرين يوم بدر: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا بني عبيد الله، وسمَّى خيلَه: يا خيل الله. وهذا مرسل وإسناده إلى عروة جيِّد. وانظر «مستدرك الحاكم» (٢٥٤١) والتعليق عليه ـ طبعة دار الرسالة.

القتلى.

وكان أوّلُ من لقيَ أبا جهل؛ كما حدّثني ثَوْر بن زيد، عن عِكْرمة، عن ابن عبّاس، وعبدُ الله بن أبي بكرٍ أيضاً قد حدّثني ذلك، قالا: قال معاذُ بن عمرو بن الجَمُوح أخو بني سَلِمةَ: سمعت القومَ وأبو جهلٍ في مِثْل الحَرَجةِ ـ قال ابن هشام: الحَرَجة: الشّجر المُلتَفُّ، وفي الحديث عن عمر بن الخَطّاب: أنّه سأَل أعرابيّاً عن الحَرَجة، قال: هي شجرةٌ من الأشجار لا يُوصَل إليها ـ وهم يقولون: أبو الحَكَم لا يُخلَصُ إليه، قال: فلمّا سمعتُها جعلتُه من شأني، فصَمَدتُ[1] نحوَه، فلمّا أمكَنَني حَمَلتُ عليه فضربتُه ضربةً أطَنَّت قدمَه[2] بنصف ساقه، فواللهِ ما شبَّهتُها حين طاحت إلّا بالنَّواة تَطِيحُ من تحت مِرضَخَةِ النَّوى[3] حين يُضرَب بها، قال: وضربني ابنُه عِكْرمةُ على عاتِقي فطَرَحَ يدي، فتَعلَّقَت بجِلْدة من جَنْبي، وأجهَضَني القتالُ[4] عنه، فلقد قاتلتُ عامّةَ يومي وإنّي لَأسحبُها خلفي، فلمّا آذَتْني وضعتُ عليها قدمي ثمّ تَمطَّيتُ[5] بها عليها حتّى طَرَحتُها[6].

---

(١) أي: قصدتُ.

(٢) أي: أطارت قدمه.

(٣) المِرضَخة: هو الحجر الذي يُكسر به النوى، والرَّضخ: الدّقُّ والكسر. وطاحت، معناه: ذهبت.

(٤) أي: غلبني واشتدَّ عليَّ.

(٥) أي: تمدّدتُ وتمغَّطتُ.

(٦) إسناده صحيح متصل من حديث ابن عباس، أما من جهة عبد الله بن أبي بكر ـ وهو ابن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاري ـ فمرسلٌ، فإنه لم يدرك معاذ بن عمرو بن الجموح.

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٨٤-٨٥ من طريق عمرو بن زُرارة، عن زياد البكّائي، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. =

قال ابن إسحاق: ثمّ عاش بعد ذلك حتّى كان زمانُ عثمان.

ثمّ مرَّ بأبي جهلٍ وهو عَقِيرٌ مُعوِّذُ ابن عَفْراءَ، فضربه حتّى أثبَتَه، فتَرَكَه وبه رَمَقٌ[1]، وقاتل معوِّذٌ حتّى قُتِل.

فمَرَّ عبدُ الله بن مسعودٍ بأبي جهلٍ حين أَمر رسولُ الله ﷺ أن يُلتمَسَ في القتلى ـ وقد قال لهم رسولُ الله ﷺ، فيما بَلَغَني: «انظُرُوا، إنْ خَفِيَ عليكم في القَتْلى، إلى

= وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٥٤-٤٥٥ من طريق سلمة بن الفضل، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤١١) وفي «معرفة الصحابة» (٥٩٧٠) من طريق إبراهيم بن سعد، وابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٦٥٤ من طريق عبد الله بن إدريس، ثلاثتهم عن ابن إسحاق، به. إلا أنه وقع في رواية ابن إدريس أن هذا الخبر لمعاذ ابن عفراءَ ـ وهو معاذ بن الحارث بن رفاعة ـ والمحفوظ عن ابن إسحاق أنه لمعاذ بن عمرو بن الجموح.

ووقع في حديث عبد الرَّحمن بن عوف عند البخاري (٣١٤١) ومسلم (١٧٥٢): أن أبا جهل اشترك في قتله اثنان: معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ ابن عفراء، وأن النبي ﷺ قضى بسَلَبه لمعاذ بن عمرو. والسَّلَب: هو ما يأخذه القاتل من القتيل في الحرب مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب ودابة وغيرها.

وجاء في حديث أنس بن مالك عند البخاري (٣٩٦٢) ومسلم (١٨٠٠): أنَّ النبيَّ ﷺ قال يوم بدر: «من ينظرُ ما صنع أبو جهل؟» فانطلق ابن مسعود، فوجده قد ضربه ابنا عفراءَ حتّى بَرَدَ. يعني: سكن وصار في حالة من مات.

والجمع بين هذه الروايات أن يقال: اشترك معاذ بن عمرو ومعاذ ابن عفراء في ضرب أبي جهل الضربة الأولى التي قطعت رجله وألقته على الأرض، ثم مرَّ عليه معوِّذٌ ـ كما ذكر ابن إسحاق ـ فضربه حتى أثبته، ثم جاء ابن مسعود فأجهز عليه، وبذلك تجتمع الروايات ولا تتخالف، والله تعالى أعلم.

(١) عَقير: صريع. وأثبتَه: جرحه وأصاب مَقاتلَه حتى لا يستطيع القيام. والرَّمق: بقية الحياة.

أثَرِ جُرحٍ في رُكْبتِه، فإنّي ازدَحَمتُ يوماً أنا وهو على مَأدُبةٍ لعبدِ الله بنِ جُدْعانَ ونحن غُلامانِ، وكنتُ أشَفَّ منه[1] بيَسيرٍ، فدَفَعتُه فوَقَعَ على رُكْبتَيهِ، فجُحِشَت[2] إحداهُما جَحْشاً لم يَزَلْ أثَرُه به»[3] ـ قال عبد الله بن مسعود: فوجدتُه بآخر رَمَقٍ فعرفتُه، فوَضَعتُ رِجْلي على عنقِه، قال: وقد كان ضَبَثَ بي مرّةً بمكّة، فآذاني ولَكَزَني.

قال ابن هشام: ضَبَثَ: قَبَضَ عليه ولَزِمَه، قال ضابئُ بن الحارث البُرجُميّ:

فأصبحتُ ممّا كان بَيني وبَينَكم ... من الوُدِّ مثلَ الضّابثِ الماءَ باليدِ[4]

---

(١) أي: أكبر حجماً منه.

(٢) أي: خُدِشَت.

(٣) هذا الخبر المرفوع ضعيف لا يصح، وهو من بلاغات ابن إسحاق، ولم نقف عليه من رواية غيره.

وهو مع ذلك منكر المتن، إذ فيه نسبة أخلاق لا تليق بشخص النبيّ ﷺ حتى قبل نبوَّته، كالتدافع على المأدُبات وأذيّة الآخرين بسبب ذلك، وهو ﷺ قد كمَّله الله عزَّ وجلَّ بالأخلاق الكريمة الفاضلة قبل النبوّة وبعدها، صغيراً وكبيراً.

وهذا الخبر قد أخرجه من طريق ابن إسحاق بلاغاً الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٥٥، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٩٧٠)، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٨٥.

(٤) قول ابن هشام إلى هنا سقط من (غ) و(ق١) و(ي). وأثبتناه من (ت) و(ش١) و(ص) و(م)، وهو ثابتٌ في نسخة أبي ذر الخُشنيّ كما في «إملائه» ص١٦٠، لكن وقع في (ص) و(م): مثل القابض، وأُشير فوقها إلى أنه في نسخة: الضابث.

قلنا: وقد انفرد ابن هشام برواية هذا البيت بلفظ الضابث، فهو في المصادر التي ذَكَرَته بلفظ القابض، فانظر مثلاً كتاب أبي عبيدة معمر بن المثنّى ـ شيخ ابن هشام ـ «مجاز القرآن» ١/ ٣٢٧، وكتاب «الحيوان» للجاحظ ٥/ ٤١، و«الزهرة» لابن داود ١/ ٢٥٧، و«تفسير الطبري» ١٣/ ٤٨٨، وعندها فلا شاهد فيه لما ساقه ابن هشام لأجله، وهذا البيت قد اختُلف في قائله.

ثمّ قلتُ له: هل أخزاكَ اللهُ يا عدوَّ الله؟! قال: وبماذا أخزاني، أَعمَدُ من رجلٍ قَتَلتُموه[1]؟! أخبِرْني لمن الدّائرةُ اليومَ؟ قال: قلت: للهِ ولرسولِه.

قال ابن هشام: ويقال: أعارٌ على رجلٍ قتلتموه، أخبِرْني لمن الدائرةُ اليومَ؟

قال ابن إسحاق: وزَعَمَ رجال من بني مخزومٍ: أنَّ ابن مسعود كان يقول: قال لي: لقد ارتَقَيتَ يا رُوَيعِيَ الغنمِ مُرتقًى صعباً، قال: ثمّ احتَزَزتُ رأسَه ثمّ جئتُ به رسولَ الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، هذا رأسُ عدوِّ الله أبي جهلٍ، قال: فقال رسول الله ﷺ: «آللهِ الّذي لا إلٰهَ غَيرُه؟» ـ قال: وكانت يمينَ رسولِ الله ﷺ ـ قلت: نعم واللهِ الّذي لا إلٰهَ غيرُه، ثمّ أَلقَيتُ رأسه بين يَدَي رسول الله ﷺ، فحَمِدَ اللهَ[2].

---

(١) أي: هل زاد على رجلٍ سيِّدٍ قتله قومه، وهل كان إلا هذا؟ أي: إنه ليس بعارٍ، أراد بذلك أن يهوِّن على نفسه ما حلَّ به من الهلاك، وأنه ليس بعارٍ عليه أن يقتله قومه، والعميد: سيّد القوم.

وقد روى نحو هذا البخاري (٣٩٦١) من حديث قيس بن أبي حازم عن ابن مسعود: أنه أتى أبا جهل وبه رمقٌ يوم بدر، فقال أبو جهل: هل أعمَدُ من رجلٍ قتلتموه؟!

(٢) ضعيف لإبهام المخزوميين، والظاهر فيه الانقطاع والإرسال.

وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٨٦ من طريق عمرو بن زرارة، عن زياد البكّائي، عن ابن إسحاق.

وأخرجه كذلك الطبريُّ في «تاريخه» ٢/ ٤٥٥-٤٥٦ من طريق سلمة بن الفضل، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» ٥/ ٢٤٤٣ من طريق إبراهيم بن سعد، كلاهما عن ابن إسحاق.

ورواه البزار في «مسنده» (١٤٣٦) من طريق المغيرة بن سقلاب، عن ابن إسحاق، عن ثور بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن ابن مسعود. وهو الإسناد الذي تقدّم في أول حديث ابن مسعود، ورجاله لا بأس بهم، غير أنّ مغيرة بن سقلاب هذا راويه عن ابن إسحاق مختلف فيه، والراجح ضعفه، وله ترجمة في «لسان الميزان» ٨/ ١٣٣، وقد خالف من هو أوثق منه في ابن إسحاق فوصله! =

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة وغيرُه من أهل العلم بالمَغازي: أنّ عمر بن الخَطّاب قال لسعيدِ بن العاص، ومَرَّ به: إنّي أراك كأنَّ في نفسك شيئاً، أراك تظنُّ أنّي قتلتُ أباك، إنّي لو قتلتُه لم أعتذِرْ إليك من قتلِه، ولكنّي قتلتُ خالي العاصِ بنَ هشام بن المغيرة، فأمّا أبوك فإنّي مَرَرتُ به وهو يَبحَثُ بحثَ الثَّورِ برَوْقِه فحُدْتُ عنه[1]، وقَصَدَ له ابنُ عمِّه عليٌّ فقتله.

قال ابن إسحاق: وقاتَلَ عُكّاشةُ بن مِحصَن بن حُرْثانَ الأَسَديُّ حليفُ بني عبد شمس بن عبد مَنَاف يومَ بدرٍ بسيفه حتّى انقَطَعَ في يده، فأَتى رسولَ الله ﷺ فأعطاه جِذْلاً[2] من حَطَب، فقال: «قاتِلْ بهذا يا عُكّاشةُ»، فلمّا أخَذَه من رسول الله ﷺ هَزَّه، فعاد سيفاً في يده طويلَ القامةِ، شديدَ المَتْن، أبيضَ الحديدة، فقاتَلَ به حتّى فَتَحَ الله على المسلمين[3].

= وروي نحوه عن أنس بن مالك عند الطبراني في «الأوسط» (٧٦٨١)، وإسناده واهٍ.

وما وقع في هذا الخبر يخالف ما رواه أبو إسحاق السَّبيعي عن أبي عُبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه: أنه جاء أبا جهل وقد ضُربت رجله فضربه حتى قتله ثم أتى النبيَّ ﷺ فأخبره، فقال له: «آللهِ الّذي لا إله إلا هو؟» فردَّدها ثلاثاً، فقال ابن مسعود: آللهِ الّذي لا إله إلا هو، قال: فخرج يمشي معي حتى قام عليه. أخرجه أحمد (٤٢٤٦) وغيره، وليس فيه أنه احتزَّ رأس أبي جهل وأتى به النبيَّ ﷺ. وإسناد هذا الخبر رجاله ثقات إلا أن أبا عبيدة لم يسمعه من أبيه، فقد توفي أبوه وهو صغير.

(١) الرَّوق: القَرْن. وحُدْتُ عنه، أي: مِلتُ وابتعدتُ عنه.

(٢) أي: عُوداً كبيراً.

(٣) هذا الخبر في قصة سيف عكّاشة ضعيف، لم يُسنِده ابن إسحاق، وكذلك هو غير مُسنَدٍ في رواية يونس بن بكير عنه عند البيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٩٨-٩٩.

وأسند الواقدي في «مغازيه» ١/ ٩٣ نحوه عن عمر بن عثمان الجَحشي، عن أبيه، عن عمّته. =

وكان ذلك السيف يُسمَّى العَوْن، ثمّ لم يَزَلْ عنده يَشهَدُ به المشاهدَ مع رسول الله ﷺ حتّى قُتِلَ في الرِّدّة وهو عنده، قتله طُلَيحةُ بن خُويلِدٍ الأَسَديّ، فقال طُلَيحةُ في ذلك:

ما[1] ظَنُّكم بالقومِ إذ تَقتُلونَهمْ ... أَلَيسُوا وإن لم يُسلِموا برجالِ

فإنْ تكُ أذْوادٌ أُصِبنَ ونِسوةٌ ... فلن تَذهَبوا فِرْغاً بقتلِ حِبالِ[2]

نَصَبتُ لهم صَدْرَ الحِمَالةِ إنّها ... مُعاوِدةٌ قِيلَ[3] الكُماةِ: نَزَالِ

فيوماً تَراها في الجِلَالِ مَصُونةً ... ويوماً تَراها غيرَ ذاتِ جِلالِ[4]

عَشيّةَ غادرتُ ابنَ أَقرَمَ ثاوِياً ... وعُكَّاشَةَ الغَنْميَّ عندَ مَجالِ[5]

= وهذا إسنادٌ مظلم لم نتبيَّن أحداً من رواته.

ورواه أيضاً ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٥٨ من طريق أبي مَعشَر، عن زيد بن أسلم ويزيد بن رُومان وإسحاق بن عبد الله بن أبي فَرْوة وغيرهم، مرسلاً. وإسناده ضعيف، أبو معشر ـ وهو نَجيح بن عبد الرَّحمن السِّندي ـ ضعيف مختلط، وابن أبي فروة المقرون بزيد ويزيد متروك الحديث.

(١) في (ش١) و(غ): فما، وبه يصحّ الوزن الشِّعري، وما في بقيّة نسخنا بإسقاط الفاء من أوله يُسمّى في علم العَروض خَرْماً.

(٢) الأذواد: جمع ذَوْدٍ، وهو ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل. وفِرْغاً، أي: باطلاً هدراً لم يُطلَب به.

(٣) في (ت) وأحد وجهين في (ق١): قَتْل.

وأراد بقِيل الكماة قولَهم، أو أراد فعلَهم من الشجاعة والإقدام، والكُماة: الشُّجعان، واحدهم: كَمِيٌّ. ونَزَالِ، اسم فعل أمرٍ بمعنى: انزِلْ. والحِمالة: اسم فرس طليحة.

(٤) الجِلال: جمع جُلٍّ، وهو ما يغطّى به ظهر الدابّة.

(٥) ثاوياً، أي: مقيماً بأرضه بعد مقتله. وقوله: عند مَجالِ، أي: عندما جالت فرسي في ميدان القتال. والغَنْمي: نسبة إلى قوم عكاشة، وهم بنو غَنْم بن دُودان بن أسد بن خُزيمة.

قال ابن هشام: حِبالٌ: ابنُ طُلَيحةَ بن خُوَيلدٍ[1]، وابن أَقرَم: ثابتُ بن أَقرَمَ الأنصاريُّ.

قال ابن إسحاق: وعُكّاشةُ بن مِحصَنٍ الّذي قال لرسول الله ﷺ حين قال رسولُ الله ﷺ: «يَدخُلُ الجنَّةَ سبعونَ أَلفاً من أُمَّتي على صُورةِ القمرِ ليلةَ البَدْرِ» فقال: يا رسول الله، ادعُ اللهَ أن يَجعَلَني منهم، قال: «إنَّك منهم» أو «اللَّهُمَّ اجعَلْه منهم»، فقام رجلٌ من الأنصار فقال: يا رسول الله، ادعُ اللهَ أن يَجعَلَني منهم، قال: «سَبَقَك بها عُكّاشةُ، وبَرَدَتِ الدَّعْوةُ»[2].

وقال رسول الله ﷺ ـ فيما بَلَغَنا عن أهلِه ـ: «منَّا خيرُ فارسٍ في العربِ» قالوا: ومَن هو يا رسول الله؟ قال: «عُكّاشةُ بنُ مِحصَنٍ» فقال ضِرارُ بن الأَزوَرِ الأَسَديُّ: ذاكَ رجل منّا يا رسول الله، قال: «ليسَ منكم، ولكنَّه منَّا لِلحِلْفِ»[3].

قال ابن هشام: ونادى أبو بكرٍ الصِّدّيقُ ابنَه عبدَ الرَّحمن وهو يومئذٍ مع المشركين: أين مالي يا خَبِيث؟ فقال عبدُ الرَّحمن:

---

(١) ويقال: ابن أخي طُليحة سلمة بن خويلد، وكان عكاشة وثابت بن أقرم قتلاه قبل ذلك، انظر «تاريخ خليفة بن خياط» ص١٠٢-١٠٣.

(٢) حديث صحيح دون قوله: «وبردت الدعوة»، فقد انفرد بهذه الزيادة ابنُ إسحاق ولم يسندها.

والحديث دون هذه الزيادة أخرجه أحمد (٨٠١٦) و(٩٢٠٢) والبخاري (٥٨١١) و(٦٥٤٢) ومسلم (٢١٦) وغيرهم من حديث أبي هريرة.

ورواه غير واحد من الصحابة كذلك، فانظر الإحالة إليهم في الموضع الأول عند أحمد.

ومعنى قوله: «بردت الدعوة»، أي: انقضى وقتُها، قاله ابن حجر في «الفتح» ٢٠/ ٣٩٧.

(٣) ضعيف لا يصحُّ لإبهام رواته، ولم نقف عليه عند غير ابن إسحاق.

والحِلفُ المذكور: هو محالفة عكاشة لبني عبد شمس بن عبد مناف.

لـم يَبـقَ غيـرُ شِـكَّةٍ ويَعبُـوبْ وصـارمٍ يقتـلُ ضُـلّالَ الشِّـيبْ[1]

فيما ذُكِر لي عن عبد العزيز بن محمّدٍ الدَّرَاوَرْديِّ[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن رُومانَ، عن عُرْوة بن الزُّبير، عن عائشة قالت: لمّا أَمَرَ رسولُ الله ﷺ بالقتلى أن يُطرَحوا في القَلِيب[3]، طُرِحوا فيه، إلّا ما كان من أُميّة بن خَلَف، فإنّه انتَفَخَ في دِرْعه فملأَها، فذهبوا ليُحرِّكوه[4] فتزايَلَ[5]، فأقَرُّوه وأَلقَوْا عليه ما غَيَّبه من التّراب والحجارة، فلمّا أَلقاهم في القَلِيب، وَقَفَ عليهم[6] رسولُ الله ﷺ فقال: «يا أهلَ القَلِيبِ، هل وَجَدتُم ما وَعَدَكم ربُّكم حقّاً؟! فإنِّي قد وَجَدتُ ما وَعَدَني ربِّي حقّاً»، قالت: فقال له أصحابُه: يا رسولَ الله، أتكلِّمُ قوماً مَوْتى؟ فقال لهم: «لقد عَلِمُوا أنَّ ما وَعَدَهم ربُّهم حقٌّ».

قالت عائشة: والنّاسُ يقولون: «لقد سَمِعُوا ما قلتُ لهم» وإنَّما قال لهم رسولُ الله ﷺ: «لقد عَلِمُوا»[7].

---

(١) الشِّكّة: السلاح. واليعبوب: الفرس الكثير العَدْو. والصارم: السيف القاطع.

(٢) خبر ضعيف لا يصحّ لانقطاعه، ثمّ هو مخالف لما تقدم في قصة الهجرة ص١٢٨ بإسناد صحيح عن أسماء بنت أبي بكر: أن أباها عندما هاجر مع النبي ﷺ احتمل مالَه كلَّه فأخذه معه.

(٣) وهو البئر قبل أن تُبنَى بالحجارة.

(٤) في (ت) و(ص) و(م): ليخرجوه.

(٥) في (ش١) و(غ) و(م): فتزايل لحمه. يعني: تقطّع لحمه وأعضاؤه.

(٦) إنما وقف عليهم بعد ثلاثة أيام كما سيأتي الإشارة إليه في تخريج حديث أنس لاحقاً.

(٧) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٦١)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١١٤٨)، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٥٦، وفي مسند عمر من «تهذيب الآثار» ٢/ ٤٩٠، وابن حبان (٧٠٨٨)، والحاكم (٥٠٦٥)، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ٧١-٧٢ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. ولم يذكر قول =

قال ابن إسحاق: وحدّثني حُمَيدٌ الطَّويل، عن أنس بن مالكٍ قال: سمع أصحابُ رسولِ الله ﷺ رسولَ الله ﷺ في جَوْف اللّيل وهو يقول: «يا أهلَ القَلِيبِ، يا عُتْبةَ بنَ رَبِيعةَ، ويا شَيْبةَ بنَ رَبِيعةَ، ويا أُميَّةَ بنَ خَلَفٍ، ويا أبا جهلِ بنَ هشامٍ ـ فعَدَّدَ مَن كان منهم في القَلِيبِ ـ هل وَجَدتُم ما وَعَدَ ربُّكم حقّاً؟! فإنِّي قد وَجَدتُ ما وَعَدَني ربِّي حقّاً» فقال المسلمون: يا رسول الله، أتُنادي قوماً قد جَيَّفُوا[1]؟ فقال: «ما أنتُم بأسمَعَ لما أَقولُ منهم، ولكنَّهم لا يستطيعونَ أن يُجِيبوني»[2].

= عائشة في آخره سوى أحمد والطبري في «التاريخ».

وأخرجه بنحوه أحمد (٣٥٦٩) و(٤٩٥٨)، والبخاري (١٣٧١) و(٣٩٧٩) و(٣٩٨١)، ومسلم (٩٣٢) (٢٦)، والنسائي (٢٢١٤) من طريق هشام بن عروة، عن عائشة.

وأمّا إنكارُ عائشة رضي الله عنها أن يكون النبي ﷺ صرّح بسماع أهل القليب لما يقول، فمدفوعٌ بأنها لم تحضر الواقعةَ، وغيرُها ممّن حضر أحفظُ للفظه ﷺ، فقد أخرج أحمد (١٨٢) ومسلم (٢٨٧٣) من حديث أنس بن مالك عن عمر بن الخطاب: أن النبي ﷺ قال يومئذٍ: «ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم»، ومثله في حديث أنس أيضاً عن أبي طلحة الأنصاري فيما أخرجه أحمد (١٦٣٥٦) والبخاري (٣٩٧٦) ومسلم (٢٨٧٤) (٧٨)، وعمر وأبو طلحة كلاهما من أعيان البدريّين، ومثله روى ابن عمر عن النبي ﷺ فيما أخرجه أحمد (٤٨٦٤) والبخاري (١٣٧٠). وانظر تفصيل الكلام على هذه المسألة في «فتح الباري» لابن حجر ٤/ ٧٥٣-٧٥٥ و١٢/ ٥٧-٥٨.

(١) أي: أنتَنُوا، يقال: جافَتِ المَيْتةُ وجيَّفَت واجتافَت، والجِيفة: جُثّة الميّت إذا أنتَنَ.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٢٠٢٠) و(١٢٨٧٣) و(١٣٧٧٣)، والنسائي في «الكبرى» (٢٢١٣)، وابن حبان (٤٧٢١) و(٦٥٢٥) من طرق عن حميد الطويل، به.

وأخرجه أحمد (١٢٤٧١) من طريق قتادة، وأحمد (١٣٢٩٦) و(١٤٠٦٤)، ومسلم (٢٨٧٤) (٧٧)، وابن حبان (٦٤٩٨) من طريق ثابت البُناني، كلاهما عن أنس. ووقع في هذين الطريقين: =

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ أهل العلم: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال يومَ قال هذه المَقالةَ: «يا أهلَ القَلِيبِ، بِئسَ عَشِيرةُ النّبيِّ كنتُم لنَبيِّكم، كَذَّبتُموني وصَدَّقَني النَّاسُ، وأخرَجتُموني وآوَاني النَّاسُ، وقاتَلتُموني ونَصَرَني النَّاسُ» ثمّ قال: «هل وَجَدتُم ما وَعَدَكم ربُّكم حقّاً؟!»؛ للمَقالةِ الّتي قال[1].

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ[2]:

عَرَفتُ ديارَ زينبَ بالكَثيبِ ... كخَطِّ الوَحيِ في الورقِ القَشيبِ[3]

تَداوَلُها الرِّياحُ وكلُّ جَوْنٍ ... من الوَسْميِّ مُنهمِرٍ سَكُوبِ[4]

فأمسَى رَسْمُها خَلَقاً وأمسَتْ ... يَبَاباً بعد ساكِنِها الحَبيبِ[5]

فدَعْ عنك التذكُّرَ كلَّ يومٍ ... ورُدَّ حَرارةَ الصَّدرِ الكئيبِ

وخبِّرْ بالّذي لا عَيْبَ فيهِ ... بِصِدْقٍ غيرِ إخبارِ الكَذُوبِ

= أن النبيَّ ﷺ أقام في بدرٍ بعد أن أظهره الله على قريشٍ ثلاثةَ أيام، حتى إذا كان اليوم الثالث جاء فجعل ينادي هؤلاء القتلى بأسمائهم ويخاطبهم بالمَقالة المذكورة.

(١) هذا خبر لم يبيّن ابن إسحاق إسناده فيه، فهو ضعيف، وما قبله يغني عنه.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٥٧ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

(٢) انظر «ديوانه» ١/ ٨٢.

(٣) الكثيب: التلّ من الرمال. والوحيُ هنا: الكتابة. والقشيب: الجديد، والخَلَق البالي، وهو من الأضداد، والثاني هو المراد هنا، قال السهيليّ في «الروض الأنف» ٥/ ١٧٧: لأنهم إذا وصفوا الرُّسوم أو شبَّهوها بالكَتْب في الورق، فإنما يَصِفون الخطَّ حينئذٍ بالدُّروس والامِّحاء، فإن ذلك أدلُّ على عَفاءِ الدِّيار وطُموس الآثار.

(٤) الجَوْن هنا: السحاب الأسود. والوسميّ: مطر الخريف. والمنهمر: الذي ينصبُّ بشدّة. وسَكُوب: كثير السيلان.

(٥) يباباً، أي: خراباً مقفراً.

بما صَنَعَ المَليكُ غَداةَ بدرٍ ... لنا في المشركينَ من النَّصيبِ

غَداةَ كأنَّ جَمْعَهم حِراءٌ ... بَدَتْ أَركانُه جُنْحَ الغُروبِ[1]

فلاقَيناهُم منّا بجَمْعٍ ... كأُسْدِ الغابِ مُرْدانٍ وشِيبِ[2]

أمامَ محمَّدٍ قد وازَرُوهُ ... على الأعداءِ في لَفْحِ الحُروبِ[3]

بأيديهمْ صَوارمُ مُرهَفاتٌ ... وكلُّ مُجرَّبٍ خاظِي الكُعوبِ[4]

بنو الأَوسِ الغَطارِفُ وازَرَتْها ... بنو النَّجّارِ في الدِّينِ الصَّليبِ[5]

فغادَرْنا أبا جهلٍ صَريعاً ... وعُتْبةَ قد تَرَكْنا بالجَبُوبِ[6]

وشَيْبةَ قد تَرَكْنا في رجالٍ ... ذَوِي حَسَبٍ إذا نُسِبوا حَسِيبِ

يُنادِيهم رسولُ اللهِ لمّا ... قَذَفناهُم كَباكِبَ في القَليبِ[7]

ألَمْ تَجِدُوا كلامي كان حقّاً ... وأمرُ اللهِ يأخُذُ بالقلوبِ

فما نَطَقُوا، ولو نَطَقُوا لقالوا ... صَدَقتَ وكنتَ ذا رأيٍ مُصيبِ

قال ابن إسحاق: ولمّا أَمر رسولُ الله ﷺ بهم أن يُلقَوا في القَلِيب، أُخِذَ عُتبةُ بن

---

(١) حراء، أي: جبل حراء بمكة. وجُنح الغروب، أي: حين تميل الشمس للغروب.

(٢) الغابُ: جمع غابةٍ، وهو الشجر الملتفّ يكون فيه الأسود.

(٣) وازروه: أعانوه. ولفح الحروب: حرُّها وشدّتها، ومن رواه بالقاف فمعناه: التزيُّد والنموُّ، يقال: لَقِحَت الحربُ: إذا تزيَّدت.

(٤) الصوارم: السيوف. والمُرهَفات: القاطعة. والكُعوب: عُقَد الرِّماح، وتوصف بالخاظي لقوّتها وشدّتها واكتنازها.

(٥) الغطارف: جمع غِطْريف، وهو السيِّد.

(٦) قال السهيلي: الجَبُوب: اسم للأرض، لأنها تُجَبُّ، أي: تُحفَر، وتَجُبُّ من دُفِن فيها، أي: تقطّعه.

(٧) قذفناهم: رميناهم. والكباكب: الجماعات.

ربيعةَ فسُحِبَ إلى القَلِيب، فنَظَرَ رسولُ الله ﷺ - فيما بَلَغَني - في وجه أبي حُذَيفة بن عُتْبة، فإذا هو كَئيبٌ قد تغيَّر، فقال: «يا أبا حُذَيفة، لَعلَّك قد دَخَلَك من شأْنِ أبيكَ شيءٌ؟» أو كما قال ﷺ، فقال: لا واللهِ يا رسول الله، ما شَكَكتُ في أَبي ولا في مَصرَعِه، ولكنّي كنتُ أَعرفُ من أَبي رأياً وحِلماً وفَضلاً، فكنت أرجو أن يَهدِيَه ذلك للإسلام، فلمّا رأيتُ ما أصابه، وذكرتُ ما مات عليه من الكفر بعد الّذي كنتُ أرجو له، أحزَنَني ذلك، فدَعَا له رسولُ الله ﷺ بخيرٍ، وقال له خيراً[1].

ذكرُ الفِتْية الّذين نزل فيهم ﴿الّذينَ تَوَفَّاهم الملائكةُ ظالِمِي أنفُسِهم﴾

وكان الفتيةُ الذين قُتِلوا ببدرٍ فنَزَل فيهم من القرآن، فيما ذُكِرَ لنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:٩٧] فِتيةٌ مُسمَّينَ: من بني أَسد بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ: الحارثُ بن زَمْعة بن الأسود بن المُطَّلِب بن أَسد، ومن بني مخزوم بن يَقَظةَ: أبو قيس بن الفاكِهِ بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزومٍ، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزومٍ، ومن بني جُمَحَ: عليُّ بن أُميَّة بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح، ومن بني سَهْمٍ: العاصِ

---

(١) وصل قصةَ أبي حذيفة هذه بخبر عائشة المتقدم قريباً كلٌّ من جريرِ بن حازم عن ابن إسحاق عند ابن راهويه في «مسنده» (١١٤٨)، والطبري في مسند عمر من «تهذيب الآثار» ٢/ ٤٩٠، وابن حبان (٧٠٨٨)، ويونسِ بن بكير عن ابن إسحاق عند الحاكم (٥٠٦٥)، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ٧١-٧٢، فإن كان هذا محفوظاً، فإسناده صحيح، لكن رواه سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٥٧ عن ابن إسحاق بلاغاً كرواية زياد البكّائي هنا، فالله أعلم أيهما المحفوظ، ولم نقف عليه مخرَّجاً عند غير ابن إسحاق.

ابن مُنبِّه بن الحَجّاج بن عامر بن حُذيفة بن سعد بن سَهْم.

وذلك أنّهم كانوا أسلَمُوا ورسولُ الله ﷺ بمكّة، فلمّا هاجَرَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة حَبَسَهم آباؤُهم وعشائرُهم بمكّة وفَتَنوهم فافتَتَنوا، ثمّ ساروا مع قومهم إلى بدرٍ فأُصيبوا به جميعاً[1].

ذكر الفَيْء[2] ببدرٍ والأُسارى

ثمَّ إنّ رسول الله ﷺ أَمر بما في العسكر ممّا جَمَعَ النّاسُ، فجُمِعَ، فاختَلَف المسلمون فيه، فقال مَن جَمَعَه: هو لنا، وقال الّذين كانوا يقاتلون العدوَّ ويَطلُبونه: واللهِ لولا نحن ما أَصبتُموه، لنحن شَغَلْنا عنكم القومَ حتّى أصبتُم ما أصبتُم، وقال الّذين كانوا يَحرُسون رسولَ الله ﷺ مخافةَ أن يُخالِفَ إليه العدوُّ: واللهِ ما أنتم بأحقَّ به منّا، لقد رأَينا أن نَقتُل العدوَّ إذ مَنَحَنا اللهُ أكتافَه، ولقد رأَينا أن نأخذَ المتاعَ حين لم يكن دونه من يَمنعُه، ولكنّا خِفْنا على رسول الله ﷺ كَرّةَ العدوِّ فقُمْنا دونه، فما أنتم بأحقَّ به منّا[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الرَّحمن بن الحارث وغيرُه من أصحابنا[4] عن سليمان بن موسى، عن مكحولٍ، عن أبي أُمامة الباهِليِّ ـ واسمه صُدَيُّ بن عَجْلانَ

---

(١) أسند هذا الخبر في سبب النزول الطبريُّ في «تفسيره» ٧/ ٣٨٣-٣٨٤ وابن أبي حاتم في «تفسيره» أيضاً ٣/ ١٠٤٦ من رواية ابن جريج عن عكرمة مولى ابن عباس مرسلاً.

وأخرج نحوه الطبري ٧/ ٣٨١ من حديث عكرمة عن ابن عباس، إلا أنه لم يسمِّ أحداً.

(٢) الفيء: هو ما حصل للمسلمين غنيمةً من أموال الكفار.

(٣) روي نحو هذا الخلاف والجدال في الرواية المطوَّلة من حديث عبادة بن الصامت التالي عند أحمد (٢٢٧٦٢) وابن حبان (٤٨٥٥) والحاكم (٢٦٤٠)، وهو حديث حسنٌ.

(٤) قوله: «من أصحابنا» من (ش١) و(غ) و(ق١).

فيما قال ابن هشام ـ قال: سألتُ عُبادةَ بن الصّامتِ عن الأنفال، فقال: فينا أصحابَ بدرٍ نَزَلَت حين اختَلَفْنا في النَّفَل[1] وساءَت فيه أخلاقُنا، فنَزَعَه اللهُ من أيدينا فجَعَلَه إلى رسوله، فقَسَمَه رسولُ الله ﷺ بين المسلمين عن بَوَاءٍ؛ يقول: على السَّوَاء[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ قال: حدّثني بعضُ بني ساعدةَ، عن أبي أُسَيدٍ السّاعِديِّ مالكِ بن رَبيعة قال: أصبتُ سيفَ بني عائذٍ المخزومِيِّينَ المَرزُبانَ يومَ بدرٍ، فلمّا أمَرَ رسولُ الله ﷺ النّاسَ أن يردُّوا ما في أيديهم من النَّفَل، أقبلتُ حتّى ألقَيتُه في النَّفَل، قال: وكان رسول الله ﷺ لا يَمنَعُ شيئاً سُئِلَه، فعَرَفَه الأرقَمُ بن أبي الأرقَمِ، فسأَله رسولَ الله ﷺ، فأعطاه إيّاه[3].

---

(١) بالتحريك: الغَنيمة، وجمعه: أنفال.

(٢) حديث حسن، وإسناد ابن إسحاق هنا منقطع، فغيرُه يذكر فيه أبا سلّام ممطوراً الحبشيّ بين مكحول وأبي أُمامة، وهو الصواب إن شاء الله كما هو مبيَّن في التعليق على «مستدرك الحاكم» ـ طبعة دار الرسالة ـ عند الحديث (٢٤٣٥).

وأخرجه أحمد (٢٢٧٤٧) و(٢٢٧٥٣)، والحاكم (٢٦٤١) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٣) حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإبهام راويه من بني ساعدة.

وأخرجه أحمد (١٦٠٥٦)، والطبري في «تفسيره» ١١/ ١٧، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٥٥٢) من طرق عن ابن إسحاق، به.

ويشهد له حديثُ الأرقم نفسه عند الحاكم (٦٢٥٤) قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «ضَعُوا ما كان معكم من الأنفال»، فرفع أبو أُسيد الساعديُّ سيفَ ابن عائذٍ المَرزُبانَ، فعرفه الأرقمُ بن أبي الأرقم فقال: هَبْه لي يا رسول الله، فأعطاه إياه. وإسناده حسن في المتابعات والشواهد.

وقوله: «سيف بني عائذ» هكذا هو في نسخنا بالياء والذال المعجمة، وهو كذلك في المصادر التي خرّجت الخبر، إلا أن السهيليَّ ذهب في «الروض» ٥/ ١٨٢ إلى أن أصحاب السيف =

قال ابن إسحاق: ثمّ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ عند الفتح عبدَ الله بن رَوَاحةَ بشيراً إلى أهل العاليَةِ بما فَتَحَ اللهُ على رسوله ﷺ وعلى المسلمين، وبَعَثَ زيدَ بن حارثةَ إلى أهل السّافلة.

قال أسامةُ بن زيدٍ: فأتانا الخَبَرُ ـ حين سَوَّينا[1] على رُقَيّة ابنةِ رسول الله ﷺ الّتي كانت عند عثمان بن عفّان، كان رسول الله ﷺ خَلَّفني عليها مع عثمان ـ أنَّ زيدَ بن حارثةَ قد قَدِمَ، قال: فجئتُه وهو واقفٌ بالمُصلَّى قد غَشِيَه النّاسُ، وهو يقول: قُتِلَ عُتْبةُ بن رَبِيعة، وشَيْبةُ بن رَبيعة، وأبو جهل بن هشامٍ، وزَمْعةُ بن الأسود، وأبو البَختَريِّ العاصِ بن هشامٍ، وأُميّةُ بن خَلَف، ونُبَيهٌ ومُنبِّهٌ ابنا الحَجّاج، قال: قلت: يا أبتِ، أحقٌّ هذا؟ قال: نعم واللهِ يا بنيَّ[2].

ثمّ أقبَلَ رسولُ الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأُسارى من المشركين، وفيهم عُقْبةُ بن أبي مُعَيطٍ والنَّضرُ بن الحارث، واحتَمَلَ رسولُ الله ﷺ معه النَّفَلَ الّذي أُصيبَ من المشركين، وجعل على النَّفَل عبدَ الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مَبذُول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النَّجّار، فقال راجزٌ من المسلمين ـ قال ابن

= بنو عابد، بباء ودال، وقال: هم بنو عابد بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، وأما بنو عائذ بالياء والذال المعجمة، فهم بنو عائذ بن عِمران بن مخزوم رهطُ آل المسيّب، والأوّلون رهطُ آل بني السائب.

(١) أي: سوّينا التراب.

(٢) خبر حسنٌ، وقد أسنده يونسُ بن بُكَير في روايته عن ابن إسحاق ـ كما في «المستدرك» للحاكم (٥٠٢٥) ـ قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حَزْم وصالح بن أبي أُمامة بن سهل، عن أبيه قال: لمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من بدرٍ بعث بشيرين... فذكره. ورجال إسناده لا بأس بهم، وانظر تتمّة تخريجه هناك.

هشام: يقال: إنّه عَديُّ بن أبي الزَّغْباء ـ:

أقِمْ لها صُدورَها يا بَسبَسُ ... ليس بذِي الطَّلْحِ لها مُعرَّسُ[1]

ولا بصحراءِ غُمَيرٍ[2] مَحبَسُ ... إنّ مَطَايا القومِ لا تُحبَّسُ

فحَمْلُها على الطّريقِ أكْيَسُ ... قد نَصَرَ اللهُ وفَرَّ الأخنَسُ[3]

ثمّ أقبَلَ رسولُ الله ﷺ حتّى إذا خرج من مَضِيق الصَّفراء نَزَلَ على كَثيبٍ بين المَضِيق وبين النّازيَةِ يقال له: سَيَرٌ، إلى سَرْحة[4] به، فقَسَمَ هنالك النَّفَلَ الّذي أفاءَ اللهُ على المسلمين من المشركين على السَّواء.

ثمّ ارتَحَلَ رسولُ الله ﷺ، حتّى إذا كان بالرَّوحاءِ[5] لقيَه المسلمون يُهنِّئونه بما فَتَحَ اللهُ عليه ومَن معه من المسلمين، فقال لهم سَلَمةُ بن سَلَامة ـ كما حدّثني عاصمُ ابن عمر بن قَتَادة ويزيدُ بن رُومانَ ـ: ما الّذي تُهنِّئوننا به؟! فواللهِ إنْ لَقِينا إلّا عجائزَ صُلْعاً كالبُدْنِ المُعقَّلةِ[6] فنَحَرْناها، فتَبسَّم رسولُ الله ﷺ ثمّ قال: «أي ابنَ أَخي،

---

(١) قوله: أقم لها صدورها، أي: ادفعها للسَّير؛ يريد الإبل. وبسبس: هو ابن عمرو الجهنيّ حليف بني ساعدة، وكان عينَ النبيِّ ﷺ إلى بدرٍ مع عدي بن أبي الزغباء. والطَّلح: شجر عظيم ذو أشواك. والمعرَّس: المكان الذي ينزله المسافر آخر الليل ليستريح.

(٢) في (ش١) و(غ) و(ي): عمير. قال أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص١٦٢: يروى هنا بالغين والعين، وغُمير بالغين معجمةً هو المشهور فيه.

(٣) الكَيْس: الفِطْنة. والأخنس المذكور: هو ابن شَريق الثقفيّ، وكان رجع ببني زُهْرة ـ وهو حليف لهم ـ من الطريق فلم يشهدوا بدراً.

(٤) السَّرحة: الشجرة العظيمة، وجمعها: سَرْحٌ.

(٥) وتبعد الروحاء عن المدينة ـ كما سبق ـ قرابة ٧٠ كم، وهي في منتصف الطريق تقريباً بين المدينة وبدر.

(٦) البُدْن: النُّوق السِّمان، والمعقَّلة: المشدودة بالعِقَال، وهو الحبل.

أُولئكَ المَلَأُ»[1]. قال ابن هشام: يريد بالمَلأ: الأشرافَ والرُّؤساءَ.

قال ابن إسحاق: حتّى إذا كان رسول الله ﷺ بالصَّفراءِ قَتَلَ النَّضرَ بن الحارث، قتله عليُّ بن أبي طالبٍ، كما أخبرني بعضُ أهل العلم من أهل مكّة.

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج حتّى إذا كان بعِرْق الظَّبْية قتل عقبةَ بن أبي مُعَيط - قال ابن هشام: الظُّبْية[2] عن غير ابن إسحاق - والّذي أَسَرَ عُقْبةَ عبدُالله بن سَلِمةَ[3] أحدُ بني العَجْلان.

قال ابن إسحاق: فقال عُقْبةُ حين أَمَرَ رسولُ الله ﷺ بقتله: فمَن للصِّبية يا محمّد؟ قال: «النَّارُ»، فقتله عاصمُ بن ثابت بن أبي الأقلَحِ الأنصاريُّ أخو بني عمرو ابن عوف، كما حدّثني أبو عُبيدة بن محمّد بن عمّار بن ياسر[4].

---

(١) إسناده ضعيف لإرساله.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٥٩ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه الحاكم (٥٨٧٦) من طريق يونس بن بكير، عن إسحاق، عن يزيد بن رومان وعاصم ابن عمر بن قتادة، عن عُروة بن الزبير. فزاد في الإسناد عُرْوةَ، وهو مرسل أيضاً. ولم يسق الحاكم لفظ رواية ابن إسحاق، إنما ساق لفظ رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود يتيم عروة عن عروة.

(٢) في (ش١) و(غ) و(ي): عرق الظُّبية. وقد سلف الكلام عليها عند مسير ﷺ إلى بدر.

(٣) قيّده بكسر اللام الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٣/ ١١٩٩، وابن ماكولا في «الإكمال» ٤/ ٣٣٥، والسهيلي في «الروض» ٥/ ١٨٤.

(٤) خبر صحيح، وهو عند ابن إسحاق مرسل، ومُرسِله أبو عبيدة هذا لا بأس به، وقد جاء ما يشهد له.

فقد أخرجه بنحوه البيهقي في «السنن» ٩/ ٦٤-٦٥ من طريق محمد بن عمر الواقدي، عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبى حَثْمة، عن أبيه، عن جدّه. وجدُّ سهل من صغار الصحابة، وهذا الإسناد يصلح للاعتبار في المتابعات والشواهد. =

قال ابن هشام: ويقال: قتله عليُّ بن أبي طالبٍ فيما ذكر لي ابنُ شِهابٍ الزُّهْريُّ وغيرُه من أهل العلم.

قال ابن إسحاق: ولقيَ رسولَ الله ﷺ بذلك الموضع أبو هندٍ مولى فَرْوةَ بن عَمرو[1] البَيَاضيِّ بحَمِيتٍ مملوءٍ حَيْساً ـ قال ابن هشام: الحَمِيت: الزِّقُّ[2] ـ وكان قد تَخلَّف عن بدر، ثمّ شَهِدَ المشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ[3]، وهو كان حَجّامَ رسولِ الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّما أبو هِندٍ امرُؤٌ من الأنصارِ، فأَنكِحُوه وانكِحُوا إليه»، ففعلوا[4].

= ورواه أيضاً عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٣٩٤) ـ ومن طريقه ابن المنذر في «الأوسط» (٦٦٢١) والطبراني في «الكبير» (١٢١٥٤) ـ عن معمر عن قتادة مرسلاً، وعن معمر عن عثمان الجَزَري عن مِقسَم عن ابن عباس موصولاً. وسمَّى قاتلَه عليَّ بن أبي طالب كما قال الزهريُّ فيما نقله عنه ابن هشام لاحقاً، وعثمان الجزري ـ وهو عثمان بن عمرو بن ساج ـ فيه ضعف، لكنه في الجملة يصلح للاعتبار أيضاً.

وأصل الخبر صحيح، فقد أخرج أبو داود (٢٦٨٦) والحاكم (٢٦٠٤) من حديث مسروق، عن ابن مسعود: أنّ النبي ﷺ لما أراد قتل عقبة قال: من للصِّبية؟ قال: «النار». ولم يسمِّ قاتله. وإسناده صحيح.

(١) في (غ) و(ق١): عمرو بن فروة، وهو خطأ، وفروة هذا لم يُختلَف في اسمه، وهو ممن بايع في العقبة الأخيرة وشهد أُحداً وما بعدها من المشاهد مع النبي ﷺ.

(٢) الحيس: تمر ينزع نواه ويُدقّ مع أَقِطٍ ـ وهو لبنٌ مستحجِر ـ ويُعجَنان بالسَّمن باليد حتى يبقى كالثَّريد. والزِّقّ: وعاءٌ من جلد.

(٣) كذا قال ابن إسحاق، أما ابن سعدٍ فذكر في «الطبقات» ٤/ ٤٠٣ أنه لم يشهد أُحداً أيضاً.

(٤) حديث حسنٌ، وهذا لفظ حديث الزهريِّ مرسلاً كما وقع عند الواقديِّ في «مغازيه» ١/ ١١٦، وعنه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٤٠٣.

وأخرج نحوه دون قصة لقيِّه النبيَّ ﷺ بالحَميتِ أبو داود (٢١٠٢)، وابن حبان (٤٠٦٧) =

قال ابن إسحاق: ثمّ مَضَى رسول الله ﷺ حتّى قَدِمَ المدينةَ قبل الأُسارى بيوم.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدُ الله بن أبي بكر، أنّ يحيى بن عبد الله بن عبد الرَّحمن ابن سَعْد[1] بن زُرَارةَ قال: قُدِمَ بالأُسارى حين قُدِمَ بهم، وسَوْدةُ بنت زَمْعةَ زوجُ النبيِّ ﷺ عند آل عَفْراءَ في مَناحَتِهم على عوفٍ ومُعوِّذٍ ابنَي عَفراءَ، قال: وذلك قبل أن يُضرَبَ عليهنَّ الحِجابُ.

قال: تقول سَوْدةُ: واللهِ إنّي لعندَهم إذ أُتِينا فقيل: هؤلاءِ الأُسارى قد أُتِيَ بهم، قالت: فرجعتُ إلى بيتي ورسولُ الله ﷺ فيه، وإذا أبو يزيد سُهَيلُ بن عمرٍو في ناحية الحُجْرةِ، مجموعةً يداه إلى عُنقِه بحبل، قالت: فلا واللهِ ما مَلَكتُ نفسي[2] حين رأيتُ أبا يزيدَ كذلك أن قلتُ: أيْ أبا يزيد، أَعطَيتُم بأيديكم، ألَا مُتُّم كِراماً! فواللهِ ما أنبَهَني إلّا قولُ رسولِ الله ﷺ من البيت: «يا سَوْدةُ، أعَلَى اللهِ وعلى رسولِه تُحرِّضِينَ؟!» قالت: قلت: يا رسولَ الله، والّذي بَعَثَك بالحقِّ، ما مَلَكتُ حين رأيتُ

= و(٦٠٧٨)، والحاكم (٢٧٢٦) من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يا بني بَيَاضة، أَنكِحوا أبا هند وانكِحُوا إليه»، وكان حجّاماً. وإسناده حسن.

(١) هكذا في نسخنا الخطية جميعها: سَعْد، بلا ألف، وهو أخو أسعد، وقد أثبته السقا وصاحباه في طبعتهم: أسعد، وأشاروا إلى خلاف بين النسخ الحاضرة عندهم، وقد وهَّم البخاريُّ في ترجمة يحيى من «تاريخه الكبير» ٨/ ٢٨٣ من قال فيه: سَعْد! مع أن ابن سعد ذكر في «الطبقات» ٣/ ٥٦٢ أن أسعد بن زرارة ليس له عَقِبٌ من الذكور وليس له إلا بنات، وأن العقب لأخيه سَعْد.

وانظر بقية الكلام في هذه المسألة في التعليق على الحديث (٤٣٥١) من «مستدرك الحاكم»، وملخَّصه: أن من قال فيه: ابن أَسعد، فقد نسبه إلى جدِّه لأمّه، ومن قال فيه: ابن سعد، فقد نسبه إلى جدِّه لأبيه.

(٢) لفظ «نفسي» ليس في (ت) و(ص) و(م).

أبا يزيدَ مجموعةً يداه إلى عُنقِه أن قلتُ ما قلتُ[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني نُبَيه بن وهبٍ أخو بني عبد الدّار: أنّ رسول الله ﷺ حين أَقبل بالأُسارى فرَّقَهم بين أصحابه، وقال: «استَوصُوا بالأُسارى خيراً»، قال: وكان أبو عَزِيز بن عُمير بن هاشمٍ أخو مُصعَب بن عُميرٍ لأبيه وأمِّه في الأُسارى، قال: فقال أبو عَزِيز: مرَّ بي أخي مصعبُ بن عُميرٍ ورجلٌ من الأنصار يأسِرُني، فقال: شُدَّ يديك به، فإنّ أمَّه ذاتُ مَتَاع، لعلَّها تَفدِيه منك، قال: وكنت في رَهْطٍ من الأنصار حين أَقبلوا بي من بدرٍ، فكانوا إذا قَدَّموا غداءَهم وعشاءَهم خَصُّوني بالخُبز وأَكلوا التمرَ، لوصيَّة رسول الله ﷺ إيّاهم بنا، ما تقعُ في يد رجل منهم كِسرةُ خبزٍ إلّا نَفَحَني بها[2]، قال: فأَستحيي فأرُدُّها عليه، فيَردُّها عليَّ ما يَمَسُّها[3].

---

(١) رجاله ثقات والظاهر أنه مرسل، وإن كان يحيى بن عبد الله سمعه من سودة وحدّث به عنها، فالإسناد حينئذٍ صحيح، والله تعالى أعلم.

وأخرجه أبو داود (٢٦٨٠) من طريق سلمة بن الفضل، والحاكم (٤٣٥١) من طريق يونس ابن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وانظر تمام الكلام على إسناده عند الحاكم.

(٢) أي: رمى بها إليّ.

(٣) إسناده ضعيف لإرساله، فنُبَيه بن وهب من الطبقة الوسطى من التابعين من الثِّقات.

وأخرجه خليفة بن خياط في «مسنده» (٦٨) ـ ومن طريقه الطبراني في «الكبير» ٢٢/ (٩٧٧) و«الصغير» (٤٠٩) ـ عن بكر بن سليمان البصري، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٦٠ من طريق سلمة بن الفضل، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٩١٨) من طريق إبراهيم بن سعد، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ٢١٣-٢١٤ من طريق يونس بن بكير، أربعتهم عن ابن إسحاق، به. ورواية سلمة وإبراهيم كرواية ابن هشام عن البكّائي مرسلة، وذكر يونس بن بكير في روايته واسطةً مبهمةً بين نبيهٍ وأبي عزيز، بينما جعله بكر بن سليمان من روايته عن أبي عزيز بلا واسطة، وهي رواية شاذّة. =

قال ابن هشام: وكان أبو عَزيزٍ صاحبَ لواءِ المشركين ببدرٍ بعد النَّضر بن الحارث، فلمّا قال أخوه مصعبُ بن عُميرٍ لأبي اليَسَرِ ـ وهو الّذي أسَرَه ـ ما قال، قال له أبو عَزِيز: يا أخي، هذه وَصَاتُك بي؟! فقال له مصعبٌ: إنّه أخي دُونَك.

فسألَت أمُّه عن أغلى ما فُدِيَ به قرشيٌّ، فقيل لها: أربعةُ آلاف دِرهَم، فبَعَثَت بأربعة آلاف درهمٍ، ففَدَتْه بها.

قال ابن إسحاق: وكان أوّل من قَدِمَ مكّةَ بمُصابِ قريشٍ الحَيسُمانُ بن عبد الله الخُزاعيّ، فقالوا: ما وراءَك؟ قال: قُتِل عُتْبةُ بن ربيعة، وشَيبةُ بن ربيعة، وأبو الحَكَم ابن هشام، وأُميّةُ بن خَلَف، وزَمْعةُ بن الأسود، ونُبيهٌ ومُنبِّهٌ ابنا الحَجّاج، وأبو البَختَريِّ ابن هشام، فلمّا جعل يُعدِّد أشرافَ قريش، قال صفوانُ بن أُميّة، وهو قاعدٌ في الحِجْر: والله إنْ يَعقِلُ هذا، فاسأَلوه عنّي، فقالوا: ما فعل صفوانُ بن أُميّة؟ قال: ها هو ذاك جالساً في الحِجْر، قد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتِلا.

قال ابن إسحاق: وحدّثني حسين بن عَبد الله بن عُبيد الله بن عبّاس، عن عِكْرمة مولى ابن عبّاسٍ قال: قال أبو رافعٍ مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعبّاس بن عبد المُطَّلِب، وكان الإسلامُ قد دَخَلَنا أهلَ البيت، فأسلمَ العبّاسُ وأسلَمَت أمُّ الفضل وأسلمتُ، وكان العبّاس يَهابُ قومَه ويَكرَه خِلافَهم وكان يَكتُم إسلامَه، وكان ذا مال كثير متفرِّق في قومه.

وكان أبو لهبٍ قد تَخلَّف عن بدر، فبَعَثَ مكانَه العاصِ بنَ هشام بن المغيرة، وكذلك كانوا صَنَعوا، لم يتخلَّفْ رجل إلّا بَعَثَ مكانَه رجلاً، فلمّا جاءه الخبرُ عن

= وذكره الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» ٦/ ٨٦ وعزاه إلى الطبراني ثم قال: إسناده حسن!

وأبو عزيز هذا قد اختُلف في إسلامه، ورجَّح السهيليُّ في «الروض» ٥/ ١٨٧ إسلامَه وغلَّط من قال بأنه قُتل يوم أحد كافراً. وانظر «الإصابة» لابن حجر ٧/ ٢٧٤.

مُصابِ أصحاب بدرٍ من قريش، كَبَتَه اللهُ[1] وأخزاه، ووَجَدْنا في أنفسنا قوّةً وعِزّاً.

قال: وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعملُ الأقداحَ[2] أَنحِتُها في حُجْرة زَمزَم، فواللهِ إنّي لجالسٌ فيها أَنحِتُ أقداحي وعندي أمُّ الفضل جالسة، وقد سَرَّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهبٍ يجرُّ رجليه بشَرٍّ، حتّى جلس على طُنُب الحُجْرة[3]، فكان ظهرُه إلى ظهري، فبَيْنا هو جالسٌ إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المُطَّلِب ـ قال ابن هشام: واسم أبي سفيان المُغِيرةُ ـ قد قَدِمَ، قال: فقال أبو لهب: هَلُمَّ إليَّ، فعندَك لَعَمْري الخبرُ.

قال: فجلس إليه والنّاسُ قيامٌ عليه، فقال: يا ابن أخي، أخبِرْني كيف كان أمرُ النّاس؟ قال: واللهِ ما هو إلّا أن لَقِينا القومَ فمَنَحناهم أكتافَنا يقتلوننا كيف شاؤوا، ويأسِرُوننا كيف شاؤوا، وايْمُ اللهِ مع ذلك ما لُمْتُ النّاسَ، لَقِينا رجالاً بِيضاً على خيلٍ بُلْقٍ[4] بين السماءِ والأرض، والله ما تُلِيقُ شيئاً[5] ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعتُ طُنُبَ الحُجْرة بيدي، ثمّ قلت: تلك واللهِ الملائكةُ، قال: فرفع أبو لهبٍ يدَه فضرب بها وجهي ضربةً شديدةً، قال: وثاوَرْتُه[6]، فاحتَمَلَني وضرب بي الأرضَ ثمّ بَرَكَ عليَّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أمُّ الفضل إلى عمودٍ

---

(١) أي: أذلّه.

(٢) جمع قِدْح: وهو عُود السَّهم إذا قُوّم، يريد أنه كان يصنع الأقداح من الخشب. وأنحتها، أي: أَنجُرها وأصنعها.

(٣) أي: على طرفها في ناحية منها، وطُنب الخيمة والحُجرة: الحبل الذي تُشَدّ به.

(٤) البُلْق: جمع أبلَق، وهو ما لونه أسود وأبيض.

(٥) أي: ما تُبقي شيئاً.

(٦) أي: وثبتُ إليه.

من عَمَدِ الحُجْرة، فأخَذَته فضربته به ضربةً فَلَعَت[1] في رأسه شَجّةً مُنكَرة، وقالت: استضعَفْتَه أن غاب عنه سيّدُه، فقام مولِّياً ذليلاً، فواللهِ ما عاش إلّا سبعَ ليالٍ حتّى رماه الله بالعَدَسةِ[2] فقَتَلَته[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه عَبّاد قال: ناحَتْ قريشٌ على قَتْلاهم، ثمّ قالوا: لا تفعلوا فيَبلُغَ محمّداً وأصحابَه فيَشمَتُوا بكم، ولا تَبعَثُوا في أَسراكم حتّى تَستأنُوا بهم، لا يَأرَبُ[4] عليكم محمّدٌ وأصحابُه في الفِدَاء.

قال: وكان الأسودُ بن المُطّلِب قد أُصيب له ثلاثةٌ من ولده: زَمْعةُ بن الأسود وعَقِيلُ بن الأسود والحارثُ بن زَمْعة، وكان يحبُّ أن يبكيَ على بَنِيه، قال: فبَيْنا هو كذلك إذ سمع نائحةً من الليل، فقال لغلامٍ له ـ وقد ذهب بصرُه ـ: انظُرْ هل أُحِلَّ النَّحْبُ[5]، هل بَكَتْ قريشٌ على قَتْلاها؟ لَعلِّي أَبكي على أبي حُكَيمة ـ يعني زمعةَ ـ

---

(١) في (غ) و(ي): بلغت. ومعنى فَلَعَت: شقَّت.

(٢) العدسة: بَثْرة تخرج في البدن كالطاعون وقلَّما يَسلَمُ صاحبها.

(٣) إسناده ضعيف لضعف حسين بن عبد الله، ولانقطاعه بين عكرمة وأبي رافع، فإنه لم يسمع منه.

وأخرجه الحاكم (٥٤٩٤) من طريق عمرو بن زرارة، عن زياد البكّائي، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد مختصراً.

وأخرجه بطوله أحمد (٢٣٨٦٤)، والحاكم (٥٤٩٠) و(٥٤٩٣) من طرق أخرى عن ابن إسحاق، به. وبعضهم يزيد في إسناده ابنَ عباس بين عكرمة وأبي رافع، وليس بمحفوظ كما هو مبيَّن في التعليق عليه عند الحاكم، وأحمد لم يسق لفظه بتمامه.

(٤) أي: يتشدَّد في مقدار الفداء.

(٥) النَّحْب والنَّحِيب: أشدُّ البكاء.

فإنّ جَوْفي قد احترَق، قال: فلمّا رجع إليه الغلامُ قال: إنّما هي امرأةٌ تبكي على بعيرٍ لها أضَلَّته. قال: فذاكَ حين يقول الأسودُ:

أتبكـي أن يَضِـلَّ لهـا بعيـرٌ ... ويَمنعُهـا مـن النّـومِ السُّـهودُ[1]

فـلا تَبْكـي علـى بَكْـرٍ ولكـنْ ... علـى بـدرٍ تقاصَـرَتِ الجُـدودُ[2]

علـى بـدرٍ سَـرَاةِ بنـي هُصَـيصٍ ... ومَخـزومٍ ورَهْـطِ أبـي الوليـدِ[3]

وبَكِّـي إن بَكَيـتِ علـى عَقيـلٍ ... وبَكِّـي حارثـاً أسـدَ الأُسـودِ

وبَكِّـيهم ولا تَسَـمِي جميعـاً ... ومـا لأَبـي حُكَيمـةَ مـن نَدِيـدِ[4]

ألَا قـد سـادَ بعـدَهمُ رجـالٌ ... ولـولا يـومُ بـدرٍ لـم يَسُـودُوا[5]

---

(١) السُّهود: عدم النوم.

(٢) البَكْر هنا: الفَتيُّ من الإبل. والجُدود: جمع جَدٍّ، وهو هنا البختُ والسَّعد.

(٣) سَراة القوم: خِيارهم وأشرافهم.

(٤) قوله: ولا تَسَمِي، أراد: ولا تسأَمي، أي: لا تَمَلِّي. والنديد: الشَّبيه والمِثْل.

(٥) زاد بعد هذا في طبعة السقا وصاحبيه، وليس في شيء من نسخنا الخطية: قال ابن هشام: هذا إقواءٌ، وهي مشهورة من أشعارهم، وهي عندنا إكفاءٌ، وقد أسقطنا من رواية ابن إسحاق ما هو أشهر من هذا. اهـ

والظاهر أن هذه الزيادة أيضاً في النسخة التي اعتمدها أبو ذر الخشنيّ، فقد تعقّب ابنَ هشام هنا فقال في «إملائه» ص١٦٣-١٦٤: قول ابن هشام: في هذا الشعر عندنا إكفاءٌ، هو الذي سمّاه إكفاءً، أكثرُ الناس من أهل القوافي يسمّيه إقواءً، والإقواء عندهم: اختلاف الحركات، والإكفاء: اختلاف الحروف في القوافي.

قلنا: وخبر عبّاد بن عبد الله بن الزبير هذا مرسل، وعبّاد وابنه يحيى كلاهما ثقة.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٦٣-٤٦٤ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به. ووصل به ما بعده من خبر أبي وداعة. =

قال ابن إسحاق: وكان في الأُسارى أبو وَدَاعة بن صُبَيرة[1] السَّهْميّ، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ له بمكَّةَ ابناً كَيِّساً تاجراً ذا مالٍ، وكأنَّكم به قد جاءَكم في طَلَبِ فِداءِ أبيه»، فلمّا قالت قريش: لا تَعجَلُوا بفداءِ أَسراكم، لا يَأرَبُ عليكم محمّدٌ وأصحابُه، قال المُطَّلِب بن أبي وَدَاعة ـ وهو الّذي كان رسول الله ﷺ عَنَى ـ: صَدقتُم، لا تَعجَلُوا، وانسَلَّ من اللّيل فقَدِمَ المدينة، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهمٍ، فانطَلَق به[2].

ثمّ بَعَثَت قريشٌ في فداءِ الأُسارى، فقَدِمَ مِكرَزُ بن حفص بن الأَخيَف في فداءِ

= ورواه الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ١٢٣ عن مصعب بن ثابت، عن عيسى بن معمر، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة. ولا يصح، فإن مصعب بن ثابت وعيسى بن معمر كلاهما ليِّن الحديث، كما أن الواقدي نفسه متكلَّم فيه.

(١) في (ش١) و(ق١): ضبيرة، بالضاد، وهو أحد وجهين قيلا في اسمه كما في «الروض» ٣/ ٣٦ و٥/ ١٩٣.

(٢) الظاهر أن هذا الخبر موصول بخبر عباد بن عبد الله بن الزبير كما وقع في رواية سلمة بن الفضل كما تقدّم، وهكذا هو في رواية جرير بن حازم عن ابن إسحاق عند البغوي في «معجم الصحابة» (٢١٣٣)، والطبراني في «الكبير» (١٤٨٢٨)، والضياء في «الأحاديث المختارة» ٩/ (٢٧١-٢٧٢)، وفي رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق عند ابن المنذر في «الأوسط» (٦٢١٠). لكن خالف جريرُ بن حازم أصحابَ ابن إسحاق فجعله من رواية عبّاد عن أبيه عبد الله ابن الزبير، والمحفوظ المرسَل.

وذكره أحمد في «مسنده» (٢٣٨٦٤) بإثر حديث أبي رافع المتقدم، فقال: ومن هذا الموضع في كتاب يعقوب (يعني يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن إسحاق) مرسلٌ ليس فيه إسناد، قال: وكان في الأسارى أبو وداعة... إلخ. فوافقت رواية إبراهيم بن سعد عنده روايةَ ابن هشام عن البكّائي عن ابن إسحاق في ذكره قصة أبي وداعة بلا إسناد.

وقد روى قصة أبي وداعة هذه مختصرةً عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٤٠١) عن سفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار مرسلاً. فهذا ممّا يقوّي رواية ابن إسحاق.

سُهَيل بن عمرو، وكان الّذي أسَرَه مالكُ بن الدُّخشُم أخو بني سالم بن عوف، فقال:

أسَرتُ سُهيلاً فلا أَبتَغِي ... أَسيراً به من جميعِ الأُمَمْ

وخِندِفُ تَعلَمُ أنّ الفتى ... فَتَاهـا سُـهيلٌ إذا يُظَلَمْ[1]

ضربتُ بذِي الشَّفْرِ حتّى انثَنى

وأَكرهتُ نَفْسي على ذي العَلَمْ[2]

وكان سهيلٌ رجلاً أعلمَ من شَفَتِه السُّفلى[3].

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِر هذا الشِّعر لمالك بن الدُّخشُم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّد بن عمرو بن عطاءٍ أخو بني عامر بن لُؤيٍّ: أنّ عمر بن الخَطّاب قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، دَعْني أَنزِعْ ثَنيَّتَي سُهيل بن عمرٍو ويَدلَعْ[4] لسانُه، فلا يقومُ عليك خطيباً في موطنٍ[5] أبداً، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لا أُمثِّلُ به فيُمثِّلَ اللهُ بي وإن كنتُ نبيّاً»[6].

---

(١) أي: يُطلَب ويراد ظلمه.

(٢) ذو الشَّفر: يعني السيف، وشَفْره: حدُّه، ووقع في الرواية هنا بضم الشين وفتحها. وذو العَلَم: يعني أنه كان أعلمَ، وسيأتي بيانه.

(٣) هذا خلاف قول أهل اللغة، فالأعلمُ عندهم: المشقوق الشَّفة العليا، أما المشقوق الشفة السُّفلى فهو الأفلحُ.

(٤) هكذا قيّده الصالحيُّ في «سبل الهدى» ٤/ ١٦٢ بالسكون، على أنه جواب شرط مقدَّر، والمعنى: إن نزعتُهما له يدلع لسانه.

والثَّنيّة: واحدة الثنايا من الأسنان، وهي الأربع التي في مقدَّم الفم، ثنتان من فوق وثنتان من أسفل.

(٥) في (ت): في موضع، وفي (ق١): في مواضع.

(٦) إسناده ضعيف لإرساله. =

قال ابن إسحاق: وقد بَلَغَني: أنَّ رسول الله ﷺ قال لعمرَ في هذا الحديث: «إنَّه عسى أنْ يقومَ مَقاماً لا تَذُمُّه»[1].

قال ابن هشام: وسأذكرُ حديث ذلك المَقامِ في موضعه إن شاء الله[2].

= وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٦/ ١٢٢، وابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٤/ ٣٨٧، وابن أبي خيثمة في السِّفر الثاني من «تاريخه الكبير» (٥٥٤)، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٦٥، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٧٣/ ٥٠ من طرق عن ابن إسحاق، به.

ويشهد له ما رواه المحاملي في «أماليه» ـ رواية ابن مهدي ـ (٨١)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» ٧٣/ ٥٠ من طريق عَمْرة عن عائشة قالت: أخذ رسول الله ﷺ أسيراً فانفلت ثمّ إنه أُخذ بعد ذلك، فقيل لرسول الله ﷺ: إنه رجل مفوَّه، فانزع ثنيَّتيه، فقال رسول الله ﷺ: «لا أمثِّل به فيُمثِّل الله بي يوم القيامة». ولكن إسناده ضعيف جداً، فيه شيخ المحامليِّ عبدُ الله بن شبيب، وهو واهٍ.

وأخرج الحاكم (٥٣١٢) من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن الحسن بن محمد ابن الحنفيّة قال: قال عمرُ للنبي ﷺ: يا رسول الله، دعني أنزع ثنيَّتي سهيل بن عمرو، فلا يقوم خطيباً في قومه أبداً، فقال: «دعها، فلعلَّها أن تَسرَّك يوماً». ورجاله ثقات إلا أنه مرسلٌ أيضاً، وهذا ممّا يقوّي أصل الخبر مع اختلاف في لفظه.

ثم قال سفيان: فلما مات النبي ﷺ نفر منه (يعني من الإسلام) أهل مكة، فقام سهيل بن عمرو عند الكعبة فقال: من كان محمدٌ إلٰهَه، فإن محمداً قد مات، واللهُ حيٌّ لا يموت.

(١) لم نقف عليه مسنَداً بهذا اللفظ، لكن مرسل الحسن بن محمد المذكور في التعليق السابق يشهد له.

(٢) سيذكره في آخر الكتاب في وفاة النبي ﷺ ٤/ ٥٠١، فقال هناك: حدثني أبو عُبيدة وغيره من أهل العلم: أن أكثر أهل مكة لمّا توفي رسول الله ﷺ همُّوا بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك، حتّى خافهم عتّاب بن أَسيدٍ فتوارى، فقام سهيل بن عمرو فحمد الله وأثنى عليه ثمّ ذكر وفاة رسول الله ﷺ وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رابَنا ضربنا عنقه؛ فتراجع الناس وكفُّوا عما همُّوا به، وظهر عتّابُ بن أسيد.

قال ابن إسحاق: فلمّا قاوَلَهم فيه مِكرَزٌ وانتهى إلى رِضَاهم، قالوا: هاتِ الّذي لنا، قال: اجعلوا رِجْلي مكانَ رِجْله، وخَلُّوا سبيلَه حتّى يَبعَثَ إليكم بفِدائه، فخلَّوا سبيلَ سهيلٍ وحَبَسوا مِكرَزاً مكانَه عندهم، فقال مِكرز:

فَـدَيتُ بـأَذْوادٍ ثمـانٍ سِـبَا فتًـى ... يَنالُ الصَّميمَ غُرْمُها[1] لا المَوالِيا

رَهَنتُ يدي والمالُ أَيسرُ مِن يدي ... علـيَّ ولكنّـي خَشِـيتُ المَخازِيـا

وقلتُ: سهيلٌ خيرُنا فاذهَبُوا بهِ ... لأبنائِنـا حتّـى نُـدِيرَ الأَمانِيـا

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِر هذا لمِكرَز.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر قال: كان عمرُو بن أبي سفيان بن حَرْب، وكان لبنتِ عُقْبة بن أبي مُعَيطٍ - قال ابن هشام: أمُّ عمرِو بن أبي سفيانَ بنتُ أبي عمرٍو أختُ أبي مُعَيط بن أبي عمرو - أَسيراً في يَدَي رسول الله ﷺ، من أُسَراءِ بدر.

قال ابن هشام: أسَرَه عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ قال: فقيل لأبي سفيان: افدِ عَمراً ابنَك، قال: أيُجمَعُ عليَّ دمي ومالي، قَتَلوا حنظلةَ[2] وأَفدِي عَمراً! دَعُوه في أيديهم يُمسِكوه ما بَدَا لهم.

---

(١) في (ت) و(ق١): عرّها. والعَرُّ: الأمر القبيح والأذى.

والأذواد: جمع ذَوْد، وهي الإبل. وثمان: قال السهيليُّ: بكسر الثاء لأنه جمع ثَمِين، وذكر أبو ذر الخشنيُّ أنها تروى أيضاً بفتح الثاء من العَدَد.

والسِّبا والسَّبي: الأَسر. والصميم: خالصة القوم الذين ليس في نسبهم شك.

(٢) يعني ابنَه حنظلة بن أبي سفيان المقتول ببدرٍ، وكان الذي قتله هو زيد بن حارثة كما سيأتي فيما بعدُ في ذكر من قُتل ببدرٍ من المشركين ص٤٣٩.

قال: فبَيْنا هو كذلك محبوسٌ بالمدينة عندَ رسول الله ﷺ، إذ خرج سعدُ بن النُّعمان بن أَكّالٍ أخو بني عمرو بن عوفٍ ثمّ أحدُ بني معاوية، معتمراً ومعه مُرَيَّةٌ له، وكان شيخاً مسلماً، في غنمٍ له بالنَّقِيع[1]، فخرج من هنالك معتمراً ولا يخشى الّذي صُنِعَ به، لم يَظُنَّ أنّه يُحبَس بمكّة، إنَّما جاء معتمراً، وقد كان عَهِدَ قريشاً لا يَعرِضون لأحدٍ جاء حاجّاً أو معتمراً إلّا بخيرٍ، فعَدَا عليه أبو سفيان بن حَرْب بمكّة فحَبَسَه بابنِه عمرو، ثمّ قال أبو سفيان:

رَهْـطَ ابـنِ أَكّـالٍ أَجِيبـوا دُعـاءَهُ ... تَفاقَدتُم لا تُسلِموا السَّيِّدَ الكَهْلا[2]

فـإنّ بَنـي عمـرٍو لِئـامٌ أذلّـةٌ ... لئِن لم يَفُكُّوا عن أسيرِهمُ الكَبْلا[3]

فأجابه حسّانُ بن ثابتٍ فقال[4]:

لـو كـان سعدٌ يـومَ مكّـةَ مُطلَقـاً ... لأَكثرَ فيكم قبلَ أن يُؤسَرَ القَتْلا

بعَضْـبٍ حُسـامٍ أو بصَـفراءِ نَبْعـةٍ ... تَحِنُّ إذا مـا أُنبِضَـت تَحفِـزُ النَّبْلا[5]

---

(١) تصحّف في نسخنا الخطية إلى: البقيع، بالباء، والبقيع معروف، وهو مقبرة المسلمين في المدينة، ولم يكن مَرعًى لأهلها، إنما كان مرعاهم النَّقيع ـ بالنون ـ ففيه الماء والكَلَأ والسَّعَة، وهو الذي حماه النبيُّ ﷺ فيما بعدُ لخيل المسلمين، وهو وادٍ عظيم يقع جنوب المدينة، فأوله مما يليها يبعد عنها قرابة ٤٠ كم، وأقصاه على قرابة ١٢٠ كم.

(٢) تفاقدتم: دعاءٌ عليهم أن يَفقِدَ بعضُهم بعضاً.

(٣) الكَبْل: القَيد.

(٤) انظر «ديوانه» ١/ ٢٥٦.

(٥) العَضْب: السيف. والحُسام: السيف القاطع أيضاً. وصفراء: يعني قوساً. والنَّبْع: شجر ينبت في الأصل بجبال الحجاز، واحده: نَبْعة، وهو شجر أصفر العود رزين ثقيل في اليد، وإذا تقادم احمرَّ، تُصنَع منه القِسِيّ لشدّته ولِينه. وتَحنّ، أي: يصوّت وَتَرُها. وأُنبِضَت، أي: مُدَّ وترُها، والإنباض: أن يُحرَّك وترُ القوس ويُمَدّ. وتَحفِز: تدفع.

ومشى بنو عمرو بن عوفٍ إلى رسول الله ﷺ فأخبَروه خَبَرَه، وسألوه أن يُعطِيَهم عمرَو بن أبي سفيان فيَفُكّوا به صاحبهم، ففعل رسول الله ﷺ، فبَعَثوا به إلى أبي سفيان، فخلَّى سبيلَ سعد.

قال ابن إسحاق: وقد كان في الأُسارى أبو العاص بن الرَّبيع بن عبد العُزَّى بن عبد شمس، خَتَنُ[1] رسولِ الله ﷺ وزوجُ ابنته زينب.

قال ابن هشام: أسَرَه خِراشُ بن الصِّمّة أحدُ بني حَرَام.

قال ابن إسحاق: وكان أبو العاص من رجال مكّة المعدودين؛ مالاً وأمانةً وتجارةً، وكان لهالةَ بنت خُوَيلِد، خديجةُ خالتُه، فسألت خديجةُ رسولَ الله ﷺ أن يزوِّجَه، وكان رسول الله ﷺ لا يخالفُها، وذلك قبل أن يُنزَّلَ عليه الوحيُ، فزَوَّجَه، وكانت تَعُدُّه بمنزلة ولدها، فلمّا أكرَمَ اللهُ رسولَه ﷺ بنبوَّتِه آمَنَت به خديجةُ وبناتُه فصدَّقنَه، وشَهِدنَ أنّ ما جاء به الحقُّ، ودِنَّ بدينِه، وثَبَتَ أبو العاص على شِرْكه.

وكان رسول الله ﷺ قد زوَّج عُتْبةَ بن أبي لَهبٍ رُقيَّةَ أو أمَّ كُلْثوم، فلمّا بادَى قريشاً بأمر الله وبالعَدَاوة، قالوا: إنّكم قد فَرَّغتُم محمّداً من همِّه، فرُدُّوا عليه بناتِه فاشغَلُوه بهنَّ، فمَشَوا إلى أبي العاص فقالوا له: فارِقْ صاحبتَك ونحن نزوِّجُك أيَّ امرأةٍ من قريش شئتَ، قال: لا واللهِ إذاً[2] لا أفارقُ صاحبتي، وما أحبُّ أنّ لي بامرأتي امرأةً

---

(١) أراد بالخَتَن هنا أنه صِهر النبي ﷺ من قِبَل زوجته خديجة، فهو ابن أختها هالة، ويقال لزوج البنت: ختن أيضاً.

(٢) في (ق١): لاها الله إذاً، وفي (غ): لاها الله ذا. قلنا: وكله جائز صحيح، فالهاء في «ها» بدل من الواو، أي: لا والله، وقيل: الأصوب: لاها اللهِ ذا، بحذف الهمزة، ومعناه: لا والله لا يكون ذا، أو: واللهِ الأمرُ ذا، فحُذِف الكلام واختُصِر تخفيفاً لكثرة الاستعمال. وانظر «سبل الهدى والرشاد» للصالحيّ ٢/ ٣٩٥.

من قريش. وكان رسول الله ﷺ يُثْني عليه في صِهْره خيراً، فيما بَلَغَني[1].

ثمّ مَشَوْا إلى عُتْبة بن أبي لهبٍ فقالوا له: طَلِّقِ ابنةَ محمّدٍ ونحن نُنكِحُك أيَّ امرأة من قريش شئتَ، فقال: إن زوَّجتُموني بنتَ أَبَان بن سعيد بن العاصِ أو بنتَ سعيد بن العاصِ فارقتُها، فزوَّجوه بنتَ سعيد بن العاص وفارَقَها ولم يكن دَخَلَ بها، فأخرَجَها اللهُ من يده كَرَامةً لها وهَوَاناً له، وخَلَفَ عليها عثمانُ بن عفّان بعده[2].

وكان رسول الله ﷺ لا يُحِلُّ بمكّة ولا يُحرِّم، مغلوباً على أمره، وكان الإسلام قد فرَّق بين زينبَ ابنةِ رسول الله ﷺ حين أسلَمَت وبين أبي العاص بن الرَّبيع، إلّا أنَّ رسول الله ﷺ كان لا يَقدِرُ أن يُفرِّقَ بينهما[3]، فأقامت معه على إسلامها وهو على

---

(١) قد صحَّ هذا من حديث المِسوَر بن مَخرَمة فيما أخرجه أحمد (١٨٩١٣) والبخاري (٣١١٠) و(٣٧٢٩) ومسلم (٢٤٤٩) وابن ماجه (١٩٩٩) وغيرهم: أن النبي ﷺ ذكره في خطبة له فأثنى عليه في مصاهرته إياه، قال: «حدّثني فصَدَقَني، ووَعَدَني فوَفَى لي».

(٢) ذكر مصعبٌ الزبيريّ في «نسب قريش» ص٢٢ و٨٩-٩٠: أن رقيّة كانت عند عُتْبة بن أبي لهب، وأم كلثوم كانت عند أخيه عُتَيبة، فلما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أمرهما أبوهما وأمهما ففارَقاهما، فتزوّج عثمان بن عفان رقيّةَ بمكة، ثم لما ماتت عنده في أيام بدر زوّجه النبيُّ ﷺ أختها أمَّ كلثوم، وكان لأبي لهب ثلاثة من الولد، هذان وثالث اسمه معتِّب، فأما عُتْبة ومعتِّب فأسلما يوم الفتح وشهدا مع النبي ﷺ حُنيناً، وكانا ممّن ثبت معه في ذلك اليوم، وأما عُتَيبة فهو الذي أكله الأسد (انظر في ذلك «مستدرك الحاكم»: ٤٠٢٨، والتعليق عليه) مات كافراً.

(٣) هذا الكلام فيه نظر، فهو لا يصحُّ أن يقال في شجعان آحاد الناس فكيف بنبيّ الله ورسوله الذي جهر من أول بعثته بمخالفة ما أطبقت عليه العرب من ضلال وشرك، وصمد لهم بقوّة وثبات حتى بلّغ دعوته! كما أن حكم تحريم إنكاح المشركين من المسلمات ونكاح المسلمين من المشركات والتفريق بينهم إنما هو حكمٌ مدنيٌّ، لم ينزل فيه شيءٌ على النبيّ ﷺ إلا بعد =

شِرْكه حتّى هاجر رسولُ الله ﷺ.

فلمّا سارت قريشٌ إلى بدرٍ، سار فيهم أبو العاص ابن الرَّبيع فأُصيب في الأُسارى يومَ بدر، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه عبّاد، عن عائشة قالت: لمّا بَعَثَ أهلُ مكّة في فِداء أُسَرائهم، بَعَثَت زينبُ بنت رسول الله ﷺ في فِداءِ أبي العاص بن الرَّبيع بمالٍ، وبَعَثَت فيه بقِلادةٍ لها كانت خديجةُ أدخَلَتها بها على أبي العاص حين بَنَى عليها، قالت: فلمّا رآها رسولُ الله ﷺ رَقَّ لها رِقّةً شديدةً، وقال: «إنْ رأيتُم أن تُطلِقُوا لها أَسِيرَها وتَرُدُّوا عليها، فافعَلُوا» فقالوا: نَعَم يا رسول الله، فأطلَقُوه ورَدُّوا عليها الّذي لها[1].

وكان رسولُ الله ﷺ قد أَخَذَ عليه، أو وَعَدَ رسولَ الله ﷺ ذلك، على أن يُخلِّيَ سبيلَ زينبَ إليه، أو كان فيما شَرَطَ عليه في إطلاقه، ولم يَظهَرْ ذلك منه ولا من رسول الله ﷺ فيُعلَمَ ما هو، إلّا أنّه لمّا خرج أبو العاص إلى مكّة وخُلِّيَ سبيلُه،

= الهجرة إلى المدينة في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾، وفي سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾، وآية الممتحنة إنما نزلت بعد صلح الحديبية باتّفاقٍ كما في «فتح الباري» لابن حجر ١٤/ ٣٩٣.

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٦٢)، وأبو داود (٢٦٩٢)، وابن المنذر في «الأوسط» (٦٢٠٩)، والحاكم (٤٣٥٢) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وجمع معه أبو داود وابن المنذر في روايتيهما ما بعده من قصة زيد بن حارثة وصاحبه الأنصاري، وكذا الحاكم لكن باختصار.

بَعَثَ رسولُ الله ﷺ زيدَ بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانَه[1]، فقال: «كُونا ببَطْنِ يَأجَجَ[2] حتّى تَمُرَّ بكما زينبُ، فتَصحَباها حتّى تَأتِياني بها»، فخرجا مكانَهما، وذلك بعد بدرٍ بشهرٍ أو شَيْعِه[3]، فلمّا قَدِمَ أبو العاص مكّة أمَرَها باللُّحوقِ بأبيها، فخَرَجَت تَجهَّزُ.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ قال: حُدِّثتُ عن زينبَ أنّها قالت: بَيْنا أنا أتجهَّزُ بمكّة للُّحوقِ بأَبي، لَقِيَتني هندُ ابنة عُتْبة فقالت: يا بنتَ محمّد، ألم يَبلُغْني أنّكِ تريدين اللُّحوقَ بأبيك؟ قالت: فقلت: ما أردتُ ذلك، فقالت: أيِ ابنةُ عمِّ، لا تَفعَلي، إن كانت لك حاجةٌ بمَتاعٍ ممّا يَرفُقُ بك في سفرك، أو بمالٍ تتبلَّغِينَ به إلى أبيك، فإنّ عندي حاجتَك، فلا تَضْطَنِي[4] منّي، فإنّه لا يَدخُل بين النِّساء ما بين الرِّجال، قالت: واللهِ ما أُراها قالت ذلك إلّا لتفعلَ، قالت: ولكنّي خِفتُها، فأنكَرتُ أن أكونَ أريدُ ذلك، وتجهَّزتُ.

فلمّا فَرَغَت بنتُ رسول الله ﷺ من جَهازِها قَدَّمَ لها حَمُوها[5] كِنانةُ بن الرَّبيع أخو زوجها بعيراً فرَكِبَته، وأخذ قوسَه وكِنانتَه[6]، ثمّ خرج بها نهاراً يقودُ بها وهي في

---

(١) قوله: مكانَه، كأنه يريد: من فَوْره، أي: سريعاً.

(٢) هو وادٍ من أودية مكة، شمال عُمرة التنعيم، ويعرف اليوم باسم وادي ياج.

(٣) يعني: أو دونه بقليل.

(٤) في (ص) و(م): تَظطَنّي. بالظاء من الظن، أي: لا تظنّي بي سوءاً ولا تستريبي مني، وأما بالضاد فمعناه: لا تنقبضي عني ولا تستحيي مني، قال الخشنيّ في «إملائه» ص١٦٥: وأصله الهمز، يقال: اضطَنَأَت المرأةُ، إذا استَحيَت، فحذف الهمزة تخفيفاً.

(٥) الحَمُ: قريب الزوج كالأب والأخ والعمّ ونحوهم.

(٦) الكِنانة: التي تُجعَل فيها السهام.

هَودَجٍ لها، وتَحدَّث بذلك رجالٌ من قريش، فخرجوا في طلبِها حتّى أدرَكُوها بذي طُوًى، وكان أوّلَ من سَبَقَ إليها هَبّارُ بن الأسود بن المُطَّلِب بن أَسد بن عبد العُزّى والفِهْريُّ[1]، فرَوَّعَها هبّارٌ بالرُّمح وهي في هَودَجِها، وكانت المرأةُ حاملاً ـ فيما يَزعُمون ـ فلمّا رِيعَت طَرَحَت ذا بطنِها، وبَرَكَ حَمُوها كِنانةُ ونَثَرَ كِنانتَه، ثمّ قال: واللهِ لا يَدنُو منّي رجل إلّا وَضَعتُ فيه سهماً، فتَكَركَرَ النّاسُ عنه[2].

وأَتى أبو سفيان في جِلّةٍ من قريش فقال: أيّها الرجل، كُفَّ عنّا نَبْلَك حتّى نكلِّمَك، فكَفَّ، فأَقبل أبو سفيان حتّى وَقَفَ عليه فقال: إنّك لم تُصِبْ، خرجتَ بالمرأة على رؤوس النّاس علانيَةً، وقد عَرَفتَ مصيبتَنا ونَكْبتَنا وما دخل علينا من محمّد، فيظنُّ الناسُ إذا خرجتَ بابنته إليه علانيَةً على رؤوس الناس من بين أظهُرِنا، أنّ ذلك عن[3] ذلٍّ أصابنا عن مصيبتنا الّتي كانت، وأنّ ذلك منّا ضعفٌ ووَهْنٌ، ولَعَمْري ما لنا بحَبْسها عن أبيها من حاجة، وما لنا في ذلك من ثُؤْرةٍ[4]، ولكن ارجِعْ بالمرأة، حتّى إذا هَدَأَت الأصواتُ وتحدَّث الناسُ أن قد رَدَدْناها، فسُلَّها سرّاً وألحِقْها بأبيها،

---

(١) سقطت الواو من نسخنا الخطية، ولا بدّ منها، فإن مَن سبق إلى زينب ونَخَسَ بها الجمل اثنان كما سيأتي في حديث أبي هريرة لاحقاً.

وقد ثبتت الواو في نسخة السهيليّ من «السيرة» كما يُفهَم من نقله في «الروض الأنف» ٥/ ١٩٧ وأن هذا الفهريَّ اسمه نافع بن عبد قيس.

قلنا: وقد أسلم هبّارٌ بعد فتح مكة، وعاش إلى خلافة معاوية، وأمّا نافعٌ ـ وهو والد الأمير المشهور عُقْبة بن نافع ـ فقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٩/ ٢٧٤: لم أقِفْ له على ذِكْر في الصحابة، فلعلّه مات قبل أن يُسلِم.

(٢) أي: رجعوا وانصرفوا.

(٣) في (ت) و(ص) و(ق١) و(م): على.

(٤) أي: طلب الثأر.

قال: ففعل، فأقامت ليالي، حتّى إذا هَدَأَت الأصواتُ خرج بها ليلاً حتّى أسلَمَها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقَدِمَا بها على رسول الله ﷺ[1].

قال ابن إسحاق: فقال عبد الله بن رَوَاحة، أو أبو خَيْثمةَ أخو بني سالم بن عوف، في الّذي كان من أمر زينبَ ـ قال ابن هشام: هي لأبي خَيْثمة ـ:

أتاني الّذي لا يَقدُرُ النّاسُ قَدْرَهُ ... لزينبَ فيهم من عُقوقٍ ومَأثَمِ

وإخراجُها لم يُخزَ فيها محمّدٌ ... على مَأقِطٍ وبيننا عِطرُ مَنشَمِ[2]

وأَمسى أبو سفيانَ من حِلْفِ ضَمضَمٍ ... ومن حَربِنا في رَغْمِ أنفٍ ومَندَمِ

قَرَنّا ابنَه عَمراً ومَولَى يمينِهِ ... بذِي حَلَقٍ جَلْدِ الصَّلاصلِ مُحكَمِ[3]

---

(١) إسناده ضعيف لإعضاله، فإن عبد الله بن أبي بكر الذي حدّث بهذا الخبر: هو عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاري، وهو من صغار التابعين من ثقاتهم وعلمائهم، وزينب تُوفيَت قديماً في حياة النبي ﷺ.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٦٩-٤٧٠، والطبراني في «الكبير» ٢٢/ (١٠٥٠)، والحاكم (٧٠٠٦) من طرق عن ابن إسحاق، به. وأشار الحاكم إلى إرساله فقال: هذا حديث فيه إرسالٌ بين عبد الله بن أبي بكر وزينب رضي الله عنهم، ولولاه لحكمتُ بصحّته على شرط مسلم.

ثم ذكر بعده (٧٠٠٧) ما يشهد له من حديث عائشة بإسناد محتمل للتحسين، لكن في بعض حروفه نكارة.

وما سيأتي لاحقاً من أمره ﷺ بقتل هبّار ونافع يشهد لصحّة أصل هذه القصة مع زينبَ ابنتِه.

(٢) المَأقِط: الموضع المَضيق في الحرب. ومَنشِمُ: امرأة كانت تبيع العطر ويُشتَرى منها الحَنُوط للموتى، فكانوا يتشاءمون بها، وجعلوه مثلاً في كل أمرٍ مكروهٍ. قاله أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص١٦٦.

(٣) بذي حَلَق: يعني القَيْد. والصّلاصل: جمع صلصلة، وهي صوت الحديد. والجَلْد: =

فأقسمتُ لا تَنفَكُّ منّا كتائبٌ سَراةُ خَميسٍ في لُهَامٍ مُسوَّمِ[1]
تَروعُ قريشَ الكُفرِ حتّى تَعُلَّها بخاطمةٍ فوقَ الأُنوفِ بمِيسَمِ[2]
نُنزِّلُهم أَكنافَ نجدٍ ونَخْلَةٍ وإن يُتْهِموا بالخيلِ والرَّجْلِ نُتهِمِ[3]
يدَ الدَّهرِ حتّى لا يُعوَّجَ سِربُنا ونُلحِقُهم آثارَ عادٍ وجُرهُمِ[4]
ويَندَمُ قومٌ لم يُطِيعوا محمّداً على أمرِهم وأيُّ حِينِ تَندُّمِ
فأبلِغْ أبا سفيانَ إمّا لَقِيتَهُ
لئِنْ أنتَ لم تُخلِصْ سجوداً وتُسلِمِ
فأبشِرْ بخِزْيٍ في الحياةِ مُعجَّلٍ وسِرْبالِ قارٍ خالداً في جهنّمِ[5]

قال ابن هشام: ويُروَى: سِربالِ نارٍ.

قال ابن إسحاق: ومَولَى يمين أبي سفيان الّذي يعني: عامرُ بن الحَضْرميِّ، كان في الأُسارى، وكان حِلفُ الحضرميِّ إلى حَرْب بن أُميّة.

قال ابن هشام: ومَولَى يمينِ أبي سفيان الذي يعني: عُقْبةُ بن عبد الحارث بن

= الصُّلب والشديد.

(١) الكتائب: العساكر. والسَّرَاة: وجوه القوم وسادتهم. والخميس: الجيش. واللُّهام: الجيش الكثير. ومسوَّم، أي: مُعلَم، من السِّمَة: وهي العَلَامة.

(٢) تَرُوع: تُفزِع. تعلّها، أي: تستذلّهم، وتعيدُ عليهم الكَرّة. وبخاطمةٍ، أي: بما تَخطِمهم به، يقال: خَطَمَه بالخِطام، أي: جعله على أنفه، يريد القهر والغَلَبة. والمِيسَم: الحديدة التي تُوسَم بها الإبل، أي: يوضع عليها بها علامات لتتميّز.

(٣) الأكناف: النواحي. ونجد: يريد به ما ارتفع من أرض الحجاز. ونخلة: موضع يقع شمال شرق مكّة على بعد ٤٥ كم. وأتهم: إذا أَتى تِهامةَ، وهي ما انخفض من الأرض.

(٤) يدَ الدهر، أي: أبَدَ الدهر. والسِّرب: الطريق.

(٥) السِّربال: كل ما يُلبَس. والقار: الزِّفت.

الحَضْرميّ، فأمّا عامرُ بن الحضرميّ فقُتِلَ يومَ بدر.

ولمّا انصرف الّذين خَرَجُوا إلى زينبَ لَقِيَتهم هندُ ابنةُ عُتْبة، فقالت لهم:

أفي السِّلمِ أَعْياراً[1] جَفاءً وغِلظةً ... وفي الحربِ أَشباهُ النِّساءِ العَوارِكِ

وقال كنانة بن الربيع في أمر زينب، حين دفعها للرجلين:

عَجِبتُ لهَبّارٍ وأَوباشِ قومِهِ ... يريدونَ إخْفاري ببنتِ محمَّدِ[2]

ولستُ أُبالي ما حَيِيتُ عَدِيدَهم ... وما استَجمَعَت قَبْضاً يَدِي بالمُهنَّدِ[3]

قال ابن إسحاق: حدّثني يزيد بن أبي حَبيب، عن بُكَير بن عبد الله بن الأشجّ، عن سليمان بن يَسَار، عن أبي إسحاق الدَّوْسيّ، عن أبي هُرَيرة قال: بَعَثَ رسول الله ﷺ سَرِيّةً أنا فيها، فقال لنا: «إن ظَفِرتُم بهبَّارِ بن الأَسودِ أو الرَّجلِ الَّذي سَبَقَ معه إلى زينبَ ـ قال ابن هشام: وقد سمَّى ابنُ إسحاق الرّجلَ في حديثه[4] ـ فحَرِّقُوهما بالنّارِ» فلمّا كان الغدُ بَعَثَ إلينا فقال: «إنّي قد كنتُ أَمَرتُكم بتحريقِ هذَينِ الرَّجُلينِ

---

(١) في (ص) و(م): أعيارٌ. مرفوع على أنه مبتدأٌ مؤخَّر، وأما ما في بقية النسخ من النصب فوجّهه السهيليُّ في «الروض» ٥/ ١٩٩ على أنه منصوب على الحال، والعامل فيه فعل مُختزَل، لأنه أقام الأعيارَ مقام اسم مشتقّ، فكأنه قال: أفي السلم بُلَداءَ جفاةً مثل الأعيار، ونصب جَفاءً وغِلظةً نصبَ المصدر الموضوع موضع الحال.

والأعيار: جمع عَيْر، وهو الحمار. والنساء العوارك هنا: الحُيَّض، يقال: عَرَكَتِ المرأةُ، إذا حاضت.

(٢) أوباش القوم: ضعفاؤهم الذين يَلصَقُون بهم ويتبعونهم. والإخفار: نقضُ العهد.

(٣) العديد: الجماعة والكثرة. والمهنَّد: السيف.

(٤) زاد في (ي): وقد قال: هو نافع بن قيس. قلنا: هكذا وقع فيها، والصواب: نافع بن عبد قيس، كما جاء في رواية من سمّاه عن ابن إسحاق في حديثه. وتقدم قريباً بيانُ حاله.

إن أَخَذتُموهما، ثمَّ رأيتُ أنّه لا يَنبَغي لأحدٍ أن يُعذِّبَ بالنّارِ إلّا اللهُ، فإن ظَفِرتُم بهما فاقتُلُوهما»[1].

---

(١) حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات معروفون غير أبي إسحاق الدوسي فمجهول، وذكره في هذا الإسناد من المَزيد في متصل الأسانيد كما قال ابن حجر في «الفتح» ٩/ ٢٧٣، فإن لسليمان بن يسار سماعاً وروايةً عن أبي هريرة، فلعلَّه سمعه من أبي إسحاق الدوسي أولاً ثم سمعه من أبي هريرة، فحدَّث به هكذا وهكذا.

وقد اختُلف على محمد بن إسحاق في هذا الإسناد: فرواه عنه سلمة بن الفضل عند الطبري في مسند علي من «تهذيب الآثار» ص٧٧، ومحمد بن عبد الرَّحمن بن أم مكتوم عند ابن شاهين في «ناسخ الحديث ومنسوخه» (٥٥١)، كرواية البكّائي هنا عن ابن إسحاق. وسمّى سلمةُ في روايته هبّاراً ونافعاً، ولم يذكر ابنُ أم مكتوم سوى هبّار.

ورواه عنه عبد الرحيم بن سليمان عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٢/ ٣٨٩، والدارمي في «مسنده» (٢٥٠٤)، ومحمد بن سلمة عند الخطيب في «الأسماء المبهمة» ص٤٦١، فأسقطا من إسناده سليمان بن يسار، وسمّى ابنُ سلمة هبّاراً ونافعاً، ولم يسمّهما عبد الرحيم بن سليمان، بل قال: فلان وفلان.

وأخرجه ابن حبان (٥٦١١) من طريق محمد بن سلمة، عن أبي عبد الرحيم خالد بن أبى يزيد الحرّاني، عن زيد بن أبي أنيسة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي إسحاق الدوسي، عن أبي هريرة. وسمّى هبّاراً ونافعاً.

وأخرجه أحمد (٨٠٦٨) و(٨٤٦١) و(٩٨٤٤)، والبخاري (٣٠١٦)، والترمذي (١٥٧١)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٥٩) من طريق الليث بن سعد، والبخاري تعليقاً (٢٩٥٤)، والنسائي (٨٧٥٣) و(٨٧٨١) من طريق عمرو بن الحارث، كلاهما عن بكير بن عبد الله، عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة. ولم يسمّيا فيه الرجلين، وقالا: فلان وفلان، وليس في روايتيهما أبو إسحاق الدوسي، وهذا إسناد متصل صحيح، وهو المحفوظ إن شاء الله.

فقد نقل الترمذيُّ في كتابه «العلل الكبير» عن البخاري ـ بعدما أخرجه فيه برقم (٤٧٣) من طريق الليث عن بكير ـ أنه قال: الناس يروونه مثلَ هذا، إلا أن محمد بن إسحاق روى هذا =

قال ابن إسحاق: فأقام أبو العاصِ بمكّة، وأقامت زينبُ عند رسول الله ﷺ بالمدينة، حين فَرَّقَ بينهما الإسلامُ، حتّى إذا كان قُبَيلَ الفتحِ خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام ـ وكان رجلاً مأموناً ـ بمالٍ له وأموالٍ لرجال من قريشٍ أَبضَعُوها معه، فلمّا فَرَغَ من تجارته وأقبل قافلاً، لَقِيَته سَرِيّةٌ لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه، وأعجَزَهم هارباً، فلمّا قَدِمَت السَّرِيّةُ بما أصابوا من ماله[1]، أقبَلَ أبو العاص تحت اللّيل حتّى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ، فاستجارَ بها فأجارَتْه، وجاء في طلبِ ماله.

فلمّا خرج رسولُ الله ﷺ إلى الصُّبح ـ كما حدّثني يزيدُ بن رُومانَ ـ فكبَّر وكبَّر الناسُ معه، صَرَخَت زينبُ من صُفّة[2] النِّساء: أيُّها الناس، إنّي قد أجَرْتُ أبا العاص ابنَ الرَّبيع، قال: فلمّا سَلَّمَ رسولُ الله ﷺ من الصلاة أقبَلَ على الناس فقال: «يا أيُّها النّاسُ، هل سَمِعتُم ما سَمِعتُ؟» قالوا: نعم، قال: «أمَا والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه، ما عَلِمتُ بشيءٍ حتَّى سَمِعتُ ما سَمِعتُم، إنَّه يُجِيرُ على المسلمينَ أَدْناهُم»، ثمّ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ فدَخَل على ابنتِه، فقال: «أَيْ بُنيَّةُ، أَكرِمي مَثْواهُ، ولا يَخلُصَنَّ إليكِ

= الحديث فقال: عن سليمان بن يسار عن أبي إسحاق الدوسي عن أبي هريرة، والرواية عندي ما روى الليثُ وغيرُه ليس فيه أبو إسحاق، وسليمان بن يسار قد سمع من أبي هريرة.

قلنا: ويشهد لحديث أبي هريرة هذا حديث حمزة بن عمرو الأسلمي ـ وكان قائد السريّة ـ عند أحمد (١٦٠٣٤-١٦٠٣٦) وأبي داود (٢٦٧٣)، وهو حديث صحيح.

(١) هذه السريّة لم تكن من سرايا رسول الله ﷺ التي كان يخرجها من المدينة، فإن سراياه ﷺ لم تتعرض لقريش بعد هُدنة الحديبية، وإنما هي سريّة أبي بَصِير وأبي جندل، ولم يكونا إذ ذاك داخلَينِ في عهد النبي ﷺ، فأقاما على طريق الساحل يتعرّضان لقوافل قريش، فتعرَّضا لهذه القافلة وأخذاها كما روى موسى بن عقبة عن الزهريِّ فيما أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ١٧٤.

(٢) الصُّفّة: موضع مظلَّل في المسجد كالسَّقيفة.

فإنَّكِ لا تَحِلِّينَ له»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ: أنّ رسول الله ﷺ بَعَثَ إلى السَّرِيّة الّذين أصابوا مالَ أبي العاص، فقال لهم: «إنَّ هذا الرَّجلَ منّا حيثُ قد عَلِمتُم، وقد أَصَبتُم له مالاً، فإن تُحسِنُوا وتَرُدُّوا عليه الّذي له، فإنَّا نحبُّ ذلك، وإن أَبَيتُم فهو فَيْءُ الله الّذي أفاءَ عليكم، فأنتُم أحقُّ به» فقالوا: يا رسول الله، بل نردُّه عليه، قال: فرَدُّوه عليه، حتّى إنَّ الرّجلَ ليأتي بالدَّلْو، ويأتي الرّجلُ بالشَّنّة والإداوَة، حتّى إنَّ أحدهم ليأتي بالشِّظَاظ[2]، حتّى رَدُّوا عليه ماله بأسْرِه لا يَفقِدُ منه شيئاً.

ثمّ احتَمَلَ إلى مكّة فأدَّى إلى كل ذي مالٍ من قريش مالَه، ومَن كان أبضَعَ معه، ثمّ قال: يا معشرَ قريش، هل بقيَ لأحدٍ منكم عندي مالٌ لم يأخُذْه، قالوا: لا، فجَزَاك الله خيراً، فقد وَجَدْناك وفيّاً كريماً، قال: فإنّي أشهَدُ أن لا إلهَ إلّا الله، وأنّ محمّداً عبدُه ورسولُه، واللهِ ما مَنَعَني من الإسلام عنده إلّا تخوُّفُ أن تَظنُّوا أنّي إنَّما أردتُ أن آكلَ أموالَكم، فلمّا أدّاها الله إليكم وفَرَغتُ منها أسلمتُ. ثمّ خرج حتّى

---

(١) حديث مرسل قويٌّ، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٥١١٠) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق، فوصله عن يزيد بن رومان، عن عروة، عن عائشة. والمحفوظ أنه مرسل، وانظر تمام التعليق عليه هناك.

وأما قوله ﷺ: «يُجِيرُ على المسلمين أدناهم»، فصحيحٌ، وقد روي ذلك في غير ما حديثٍ عن النبي ﷺ. انظر الإحالة على هذه الأحاديث في التعليق على حديث أبي هريرة في «مسند أحمد» برقم (٨٧٨٠).

(٢) الشَّنّة: القِربة البالية. والإداوة: إناء صغير من جلد. والشِّظاظ: خشبة معقَّفة الطرف تدخل في عُروَتي الجُوالِقَين (والجُوالِق: كيسٌ كبير من صوف أو شعر) لتجمع بينهما عند حملهما على البعير، والجمع: أَشِظّة.

قَدِمَ على رسول الله ﷺ[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني داود بن الحُصَين، عن عِكْرمة، عن ابن عبّاسٍ قال: رَدَّ عليه رسولُ الله ﷺ زينبَ على النّكاح الأوّل لم يُحدِثْ شيئاً بعد ستٍّ سنينَ[2].

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبَيدة[3]: أنّ أبا العاص بن الرَّبيع لمّا قَدِمَ من الشام ومعه أموالُ المشركين، قيل له: هل لك أن تُسلِمَ وتأخُذَ هذه الأموالَ، فإنّها أموالُ

---

(١) حديث حسنٌ لغيره، ورواه الحاكم (٥١١١) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق، فوصله عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم، عن عَمْرة، عن عائشة. والمحفوظ أنه من رواية ابن إسحاق مرسل كما هو مبيَّن في التعليق عليه هناك.

ويشهد لأصل القصّة مرسلُ الشعبي الآتي ذكرُه عند ابن هشام لاحقاً، ورجاله ثقات.

ومرسلُ موسى بن عقبة عن الزهري عند البيهقي في «الدلائل» ٤/ ١٧٤.

(٢) قوله: «بعد ست سنين» أثبتناه من (ش١) و(غ) و(ق١).

والحديث إسناده صحيح إن شاء الله، وصحَّح الحديثَ الإمامُ أحمد في «مسنده» بإثر حديث عبد الله بن عمرو برقم (٦٩٣٨).

وأخرجه أحمد (١٨٤٦) و(٢٣٦٦) و(٣٢٩٠)، وأبو داود (٢٢٤٠)، وابن ماجه (٢٠٠٩)، والترمذي (١١٤٣)، والحاكم (٢٨٤٧) و(٥١٠٩) و(٦٨٣٩) و(٧٠١٨) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. بعضهم ذكر ستَّ سنين، وبعضهم ذكر سنتين، وبعضهم لم يذكر شيئاً.

وقد جمع ابن كثير في «البداية والنهاية» ٥/ ٢٦٩ بين رواية الست سنين ورواية السنتين فقال: زينبُ رضي الله عنها أسلمت حين بُعِث رسول الله ﷺ، وهاجرت بعد بدرٍ بشهر، وحُرِّم المسلمات على المشركين عامَ الحديبية سنة ست، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمان، فمن قال: رَدَّها عليه بعد ست سنين، أي: من حين هجرتها، فهو صحيح، ومن قال: بعد سنتين، أي: من حين حُرِّمَت المسلمات على المشركين، فهو صحيح أيضاً. وانظر تتمة كلامه في تجلية معنى هذا الحديث، فهو نفيس.

(٣) هو مَعمَر بن المثنَّى البصري النحويُّ اللُّغَويُّ.

المشركين؟! فقال أبو العاص: بِئسَ ما أبدأُ به إسلامي أن أخُونَ أمانتي[1].

قال ابن هشام: وحدّثني عبدُ الوارث بن سعيدٍ التَّنُّوريُّ، عن داود بن أبي هندٍ، عن عامرٍ الشَّعْبيّ، بنحوٍ من حديث أبي عُبيدة عن أبي العاص[2].

قال ابن إسحاق: فكان ممَّن سُمّيَ لنا من الأُسارى ممّن مُنَّ عليه بغير فِداءٍ، من بني عبد شمس بن عبد مَنافٍ: أبو العاص بن الرَّبيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس ابن عبد مَنافٍ، مَنَّ عليه رسولُ الله ﷺ بعد أن بَعَثَت زينبُ ابنةُ رسول الله ﷺ بفدائِه، ومن بني مخزومٍ: المُطَّلِبُ بن حَنطَب بن الحارث بن عُبيد بن عمر بن مخزومٍ، كان لبعض بني الحارث بن الخَزرَج، فتُرِكَ في أيديهم حتّى خَلَّوا سبيله فلَحِقَ بقومه.

قال ابن هشام: أَسَرَه خالدُ بن زيد أبو أيّوب أخو بني النَّجّار.

قال ابن إسحاق: وصَيفِيُّ بن أبي رِفَاعة بن عابد[3] بن عبد الله بن عُمر بن مخزومٍ، تُرِكَ في أيدي أصحابه، فلمّا لم يأتِ أحدٌ في فدائه أَخذوا عليه لَيَبعَثَنَّ إليهم بفدائه، فخلَّوا سبيله، فلم يَفِ لهم بشيء، فقال حسّان بن ثابت في ذلك:

---

(١) هذا خبر معضَل، لم يذكر أبو عبيدة فيه إسناده، ورواه بنحوه ابن سعد في «طبقاته» ٥/ ٨ عن عبد الله بن نمير، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشَّعبي. ورجاله ثقات إلا أنه مرسل.

(٢) مرسلٌ رجاله ثقات.

وأخرجه ابن سعد ٥/ ٧، وابن عساكر في «تاريخه» ٦٧/ ١٣-١٤ من طريقين عن داود بن أبي هند، به.

(٣) في نسخنا الخطية غير (غ): عائذ، وهو في (غ) مهمل من النقط، فيمكن أن يقرأ فيها: عابد، بباء ودال، وهو الصواب، فقد نقل الدارقطنيُّ في «المؤتلف والمختلف» ٣/ ١٥٤٠ وابن ماكولا في «الإكمال» ٦/ ١ عن الزُّبير بن بكّار القرشيِّ أنه قال: كل من كان من ولد عُمر بن مخزوم فهو عابدٌ، ومن كان من ولد عِمران بن مخزوم فهو عائذٌ.

ما كان صَيفيٌّ ليُوفِي أَمانةً قَفَا ثعلبٍ أَعْيا ببعضِ المَواردِ[1]

قال ابن هشام: وهذا البيتُ في أبياتٍ له[2].

قال ابن إسحاق: وأبو عَزَّة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أُهَيب بن حُذَافة بن جُمَحَ، كان محتاجاً ذا بناتٍ، فكَلَّم رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، لقد عرفتَ ما لي من مالٍ، وإنّي لَذُو حاجةٍ وذو عِيَال، فامنُنْ عليَّ، فمَنَّ عليه رسولُ الله ﷺ، وأَخَذَ عليه ألّا يُظاهِرَ عليه أحداً[3]. فقال أبو عَزّة في ذلك يَمدَحُ رسولَ الله ﷺ ويَذكُر فضلَه في قومه:

مَن مُبلِّغٌ عنّي الرّسولَ محمّداً بأنّك حقٌّ والمَليكُ حَميدُ

وأنت امرُؤٌ تَدعُو إلى الحقِّ والهُدى

عليك من اللهِ العظيمِ شَهيدُ

وأنت امرُؤٌ بُوِّئتَ فينا مَباءَةً[4] لها درجاتٌ سَهلةٌ وصُعودُ

فإنّك مَن حارَبتَهُ لمُحارَبٌ شَقيٌّ ومَن سالَمتَهُ لسعيدُ

ولكنْ إذا ذُكِّرتُ بدراً وأهلَهُ تَأوَّبَ[5] ما بي: حَسْرةٌ وقُعودُ

قال ابن هشام: كان فِداءُ المشركين يومئذٍ أربعةُ آلاف درهم بالرَّجل إلى ألفِ درهم، إلّا مَن لا شيءَ له فمَنَّ رسولُ الله ﷺ عليه.

---

(١) في «الديوان»: ليُوفِيَ ذمّةً. وقوله: قَفَا ثعلب... يعني: مَثَلُه مثلُ ثعلب ولَّى بعد أن أخفق في بعض محاولاته، قاله البرقوقي في «شرح ديوان حسان» ص١٥٢-١٥٣.

(٢) انظر «ديوان حسان» ١/ ١٤٩، وهي فيه ثلاثة أبيات.

(٣) أي: لا يُعِين عليه أحداً، والمُظاهِر في اللغة: هو المُعِين.

(٤) أي: أُنزِلتَ فينا منزلةً.

(٥) أي: رجع إليَّ، والأَوب: الرجوع.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّد بن جعفر بن الزُّبير، عن عُرْوة بن الزُّبير قال: جلس عُمَيرُ بن وهبٍ الجُمَحيُّ مع صفوان بن أُميّة بعد مُصابِ أهل بدرٍ من قريش في الحِجْرِ بيسيرٍ، وكان عميرُ بن وهبٍ شيطاناً من شياطين قريش، وممَّن كان يُؤْذي رسولَ الله ﷺ وأصحابَه، ويَلقَوْن منه عَناءً وهو بمكّة، وكان ابنه وهب بن عُميرٍ في أُسَراءِ بدر.

قال ابن هشام: أَسَرَه رِفاعةُ بن رافعٍ أحدُ بني زُرَيق.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمّد بن جعفر بن الزُّبير، عن عُرْوة بن الزُّبير قال: فذُكِر أصحابُ القَلِيب ومُصابُهم، فقال صفوان: واللهِ إنْ في العيش بعدهم خيرٌ، فقال له عُمَير: صَدَقتَ والله، أمَ واللهِ لولا دَينٌ عليَّ ليس له عندي قَضاءٌ، وعِيالٌ أخشى عليهم الضَّيْعةَ بعدي، لرَكِبتُ إلى محمّدٍ حتّى أقتلَه، فإنّ لي قِبَلَهم علّةً؛ ابني أَسيرٌ في أيديهم، قال: فاغتَنَمَها صفوانُ فقال: عليَّ دَينُك، أنا أَقضِيهِ عنك، وعِيالُك مع عِيالي أُواسِيهم ما بَقُوا، لا يَسَعُني شيءٌ ويَعجِزُ عنهم، فقال له عُمير: فاكتُمْ عنّي شأْني وشأْنَك، قال: أفعَلُ.

قال: ثمّ أَمَرَ عُميرٌ بسيفه فشُحِذَ له وسُمَّ، ثمّ انطَلَق حتّى قَدِمَ المدينة، فبَيْنا عمرُ ابن الخَطّاب في نفرٍ من المسلمين يتحدَّثون عن يوم بدر، ويَذكُرون ما أكرَمَهم الله به وما أَراهم به من عدوِّهم، إذ نَظَرَ عمرُ إلى عُميرِ بن وهبٍ حين أناخَ على باب المسجد متوشِّحاً السيفَ، فقال: هذا الكلبُ عدوُّ الله عميرُ بن وهب، ما جاء إلّا لشرٍّ، وهو الّذي حرَّش بيننا، وحَزَرَنا[1] للقوم يومَ بدر.

ثمّ دخل عمرُ على رسول الله ﷺ فقال: يا نبيَّ الله، هذا عدوُّ الله عميرُ بن وهبٍ

(١) حرَّش: أفسَدَ. وحَزَرَنا: قدَّر عددنا وخمَّنه.

قد جاء متوشِّحاً سيفَه، قال: «فأَدخِلْه عليَّ» قال: فأقبَلَ عمرُ حتّى أخَذَ بحِمَالةِ سيفه في عُنقِه فلَبَّبَه بها[1]، وقال لرجال ممَّن كانوا معه من الأنصار: ادخُلُوا على رسول الله فاجلِسُوا عنده، واحذَرُوا عليه من هذا الخبيث، فإنّه غيرُ مأمون، ثمّ دخل به على رسول الله ﷺ، فلمّا رآه رسولُ الله ﷺ وعمرُ آخذٌ بحِمَالةِ سيفه في عُنقِه قال: «أَرسِلْه يا عمرُ، ادْنُ يا عُمَيرُ»، فدَنَا ثمّ قال: انعَمُوا صباحاً؛ وكانت تحيّةَ أهل الجاهليّة بينهم، فقال رسول الله ﷺ: «قد أَكرَمَنا اللهُ بتَحيَّةٍ خيرٍ من تَحيَّتِكَ يا عُمَيرُ، بالسَّلامِ، تَحيَّةِ أهلِ الجَنَّة» قال: أمَ واللهِ يا محمّدُ إن كنتَ بها لحديثَ عهدٍ، قال: «فما جاءَ بك يا عُمَيرُ؟» قال: جئتُ لهذا الأسيرِ الّذي في أيديكم، فأَحسِنوا فيه، قال: «فما بالُ السَّيفِ في عُنقِك؟» قال: قَبَحَها اللهُ من سيوف، وهل أغنَتْ[2] شيئاً، قال: «اصدُقْني، ما الَّذي جئتَ له؟» قال: ما جئتُ إلّا لذلك، قال: «بَلَى، قَعَدتَ أنت وصَفْوانُ بن أُميَّةَ في الحِجْرِ، فذَكَرتُما أصحابَ القَلِيبِ من قُريشٍ، ثمَّ قلتَ: لولا دَينٌ عليَّ وعِيالٌ عندي، لخَرَجتُ حتَّى أقتُلَ محمَّداً، فتَحمَّلَ لك صَفْوانُ بدَينِكَ وعِيالِكَ على أنْ تَقتُلَني له، واللهُ حائلٌ بينَك وبينَ ذلك» قال عُمَير: أشهَدُ أنّك رسولُ الله، قد كنَّا يا رسولَ الله نكذِّبُك بما كنتَ تأتينا به من خبر السّماءِ وما يَنزِلُ عليك من الوَحْي، وهذا أمرٌ لم يَحضُرْه إلّا أنا وصفوانُ، فوالله إنّي لأعلمُ ما أتاك به إلّا اللهُ، فالحمدُ لله الّذي هَدَاني للإسلام وساقَني هذا المَساقَ، ثمَّ شَهِدَ شهادةَ الحقِّ، فقال رسول الله ﷺ: «فَقِّهُوا أَخاكم في دِينِه، وأَقرِئُوه القرآنَ، وأَطلِقُوا له أَسِيرَه»، ففَعَلوا.

ثمّ قال: يا رسول الله، إنّي كنتُ جاهداً على إطفاءِ نورِ الله، شديدُ الأذى لمن كان

---

(١) أي: جمعها في عنقه وجرَّه بها.

(٢) في (ش١) و(ق١): أغنت عنّا.

على دينِ الله، وأنا أحبُّ أن تأذَنَ لي فأَقدَمَ مكّةَ فأدعُوَهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، لعلَّ اللهَ يَهدِيهم، وإلّا آذيتُهم في دينهم كما كنتُ أُوذي أصحابَك في دينهم، قال: فأَذِنَ له رسولُ الله ﷺ، فلَحِقَ بمكّة.

وكان صفوانُ حين خرج عميرُ بن وهبٍ يقول: أَبشِروا بوَقْعةٍ تأتيكم الآنَ في أيّامٍ تُنسِيكم وقعةَ بدر، وكان صفوانُ يَسأَل عنه الرُّكْبانَ، حتّى قَدِمَ راكبٌ فأخبره عن إسلامه، فحَلَفَ لا يكلِّمُه أبداً، ولا يَنفَعُه بنفعٍ أبداً[1].

قال ابن إسحاق: فلمّا قَدِمَ عُميرٌ مكّةَ، أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويُؤْذي من خالفه أَذى شديداً، فأسلَمَ على يديه ناسٌ كثيرٌ.

وعميرُ بن وهبٍ أو الحارثُ بن هشامٍ ـ وقد ذُكِرَ لي أحدُهما ـ الذي رأَى إبليسَ حين نَكَصَ على عَقِبَيهِ يومَ بدر، فقال: أين أيْ سُرَاقُ؟ ومَثَلَ[2] عدوُّ الله فذهب،

---

(١) حديث عروة في قصة عمير بن وهب مرسلٌ، لكنه خبر قويّ روي من غير وجهٍ.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٧٢-٤٧٤، وفي مسند علي من «تهذيب الآثار» ص٧٢-٧٤، والطبراني في «الكبير» ١٧/ (١١٨)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٤١٣) من طرق عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه الطبراني أيضاً ١٧/ (١١٧)، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٤٧ من طريق أبي الأسود يتيم عروة، عن عروة.

وأخرجه الطبراني ١٧/ (١١٩) من طريق موسى بن عقبة، عن ابن شهاب الزهري مرسلاً. وهو في «مغازي موسى بن عقبة» كما في «دلائل البيهقي» ٣/ ١٤٧ لكن دون ذكر الزهري.

وأخرجه الطبراني ١٧/ (١٢٠) من طريق جعفر بن سليمان الضُّبَعي، عن أبي عمران الجَوْني وقال: لا أعلمه إلا عن أنس بن مالك. فهذا إسناد متصلٌ إن شاء الله، وهو إسناد حسن، لكن وقع فيه تسميةُ الرجل وهبَ بن عمير، وأن ذلك كان بعد أُحد، وكلاهما وهمٌ.

(٢) أي: لطِئَ بالأرض واختفى.

فأَنزل الله فيه: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾، فذُكِر استدراجُ إبليسَ إيّاهم وتَشبُّهُه بسُرَاقة بن مالك بن جُعشُم لهم[1] حين ذَكَروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانةَ في الحرب التي كانت بينهم. يقول الله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ ونَظَرَ عدوُّ الله إلى جنود الله من الملائكة، قد أَيَّدَ اللهُ بهم رسولَه والمؤمنين على عدوِّهم ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾، وصَدَقَ عدوُّ الله، رأَى ما لم يَرَوْا، وقال: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٤٨]، فذُكِرَ لي أنّهم كانوا يَرَونَه في كلِّ منزلٍ في صورة سُراقة لا يُنكِرونه، حتّى إذا كان يومُ بدرٍ والْتَقى الجَمْعانِ، نَكَصَ على عَقِبَيه، فأَورَدَهم ثمّ أسلَمَهم.

قال ابن هشام: نَكَصَ: رَجَعَ، قال أَوسُ بن حَجَرٍ أحدُ بني أُسيِّد بن عمرو بن تَمِيم:

نَكَصتُم على أعقابِكُم يومَ[2] جِئتمُ ... تُرَجُّونَ أنفالَ الخَميسِ العَرَمرَمِ

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: وقال حسَّان بن ثابت[3]:

قَومي الّذينَ همُ آوَوْا نبيَّهمُ ... وصَدَّقوه وأهلُ الأرضِ كُفّارُ

---

(١) تقدم الكلام على قصة تمثُّل إبليس لهم بصورة سراقة بن مالك في أمر الحرب بين كنانة وقريش ص٣٠٥.

(٢) في (ص) و(م) و(ي): ثم. وفي (ق١): تَزجُّون، وهو كذلك في «ديوان أوس» ص١٢٤ في قصيدة طويلة، ومعناه: تسوقون سوقاً رفيقاً. والأنفال: الغنائم. والخميس: الجيش، والعَرمرَم: الكثير المجتمع.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ٤٧٥.

إلّا خَصائصَ أقوامٍ همُ سَلَفٌ ... للصّالحينَ معَ الأنصارِ أنصارُ

مُستبشِرينَ بقَسْمِ الله[1] قَولُهمُ ... لمّا أتاهُمْ كريمُ الأصلِ مُخْتارُ

أهلاً وسهلاً ففي أَمنٍ وفي سَعَةٍ ... نِعمَ النّبيُّ ونِعمَ القَسْمُ والجارُ

فأَنزَلُوه بدارٍ لا يُخافُ بها ... مَن كان جارَهمُ داراً هيَ الدّارُ

وقاسَمُوهُ بها الأموالَ إذ قَدِموا ... مُهاجِرينَ وقَسْمُ الجاحدِ النّارُ

سِرْنا وسارُوا إلى بدرٍ لحَيْنِهِمِ ... لو يعلمونَ يقينَ العلمِ ما سارُوا

دلّاهُمُ بغُرورٍ ثمَّ أسلَمهمْ ... إنّ الخبيثَ لِمَن والاهُ غَرّارُ

وقال: إنّي لكمْ جارٌ فأَورَدَهمْ ... شرَّ المواردِ فيه الخِزْيُ والعارُ

ثمّ التَقَينا فوَلَّوا عن سَرَاتِهِمِ ... مِن مُنجِدِينَ ومنهمْ فِرْقةٌ غارُوا[2]

قال ابن هشام: أنشَدَني قولَه: لمّا أتاهم كريمُ الأصلِ مختارُ، أبو زيدٍ الأنصاريُّ.

قال ابن إسحاق: وكان المُطعِمون من قريشٍ[3] ثمّ من بني هاشم بن عبد مَنافٍ: العبّاسَ بن عبد المُطّلِب بن هاشم، ومن بني عبد شمس بن عبد مَنافٍ: عُتْبةَ بن رَبيعة ابن عبد شمس، ومن بني نَوفَل بن عبد مَنافٍ: الحارثَ بن عامر بن نَوفَل، وطُعَيمةَ ابن عَدِيّ بن نَوفَل، يَعتقِبانِ ذلك، ومن بني أَسد بن عبد العُزَّى: أبا البَختَريّ بن هشام ابن الحارث بن أَسد، وحَكِيمَ بن حِزَام بن خُوَيلِد بن أَسدٍ، يَعتَقبانِ ذلك، ومن بني عبد الدّار بن قُصيٍّ: النَّضرَ بن الحارث بن كَلَدة بن عَلقَمة بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار.

---

(١) القَسْم: الحظّ والنصيب.

(٢) سراة القوم: خيارهم. ومنجدين، أي: قاصدين نجداً، وهو المرتفِع من الأرض. وغاروا: قصدوا الغَور، وهو ما انخفض من الأرض. يريد أنهم تشتّتوا.

(٣) يعني بذلك أنهم كانوا يُطعِمون الحاجَّ في كلّ موسم يُعِدُّون لهم طعاماً ويَنحَرون لهم إبلاً فيُطعِمونهم ذلك في الجاهلية.

قال ابن هشام: ويقال: النَّضر بن الحارث بن عَلقَمة بن كَلَدة بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار.

قال ابن إسحاق: ومن بني مَخزُوم بن يَقَظةَ: أبا[1] جهل بن هشام بن المُغِيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، ومن بنى جُمَحَ بن عمرٍو: أُميّةَ بن خَلَف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح، ومن بني سَهْم بن عمرٍو: نُبَيهاً ومُنبِّهاً ابنَي الحَجّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سعد بن سَهْم، يَعتقِبانِ ذلك، ومن بني عامر بن لُؤيٍّ: سُهيلَ بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدٍّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر.

أسماءُ خيل المسلمين يوم بدر

قال ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهل العلم: أنّه كان مع المسلمين يومَ بدرٍ من الخيلِ فرسُ مَرثَد بن أبي مَرثَدٍ الغَنَويّ، وكان يقال له: السَّبَل[2]، وفرسُ المِقْداد ابن عمرو البَهْراني، وكان يقال له: بَعزَجة، ويقال: سَبْحة، وفرسُ الزُّبير بن العوّام، وكان يقال له: اليَعسُوب[3].

---

(١) في (ص) و(ق١) و(م): أبو. والصواب أنها منصوبة، وقد صحَّح على نصبها في حاشية (م).

(٢) هكذا في (ش١) و(غ)، وفي بقيّة النسخ: السيل، بالياء. قال أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص١٦٩: والصواب فيه: سَبَلُ، بالباء المنقوطة بواحدة من تحتها، وهو اسم عَلَم معرفة لا ينصرف.

(٣) زاد في (ش١) و(ق١): قال ابن هشام: ومع المشركين مئة فرس. وزاد في (ش١) بعده: فيما ذكر لي عمرُ مولى غُفْرة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ذكرُ نزول سورة الأنفال

قال ابن إسحاق[1]: فلمّا انقضى أمرُ بدرٍ أَنزل الله فيه من القرآن الأنفالَ بأَسْرِها، فكان ممّا أَنزل فيها من اختلافهم في النَّفَل[2] حين اختَلَفوا فيه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾.

فكان عُبَادةُ بن الصّامت ـ فيما بَلَغني[3] ـ إذا سُئِل عن الأنفال قال: فينا مَعشَرَ أصحابِ بدرٍ نَزَلَت حين اختَلَفْنا في النَّفَل يومَ بدر، فانتَزَعَه اللهُ من أيدينا حين ساءَت فيه أخلاقُنا، فرَدَّه على رسول الله ﷺ، فقَسَمَه بيننا عن بَوَاءٍ؛ يقول: على السَّواء. وكان في ذلك تقوى الله وطاعتُه وطاعةُ رسوله ﷺ، وصلاحُ ذاتِ البَيْن.

ثمّ ذَكَر[4] القومَ ومَسِيرَهم مع رسول الله ﷺ حين عَرَفَ القومُ أنّ قريشاً قد ساروا إليهم، وإنّما خرجوا يريدون العِيرَ[5] طَمَعاً في الغَنيمة، فقال: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾ أي: كراهيَةً للقاءِ القوم، وإنكاراً لمَسِير قريشٍ حين ذُكِروا لهم ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ

---

(١) في (غ): وبالسند المذكور أولاً قال ابن إسحاق، وفي (ق١): حدثنا أبو محمد عبد الملك ابن هشام قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكّائي عن محمد بن إسحاق المُطَّلبي قال.

(٢) بالتحريك: الغَنيمة، وجمعه: أنفال.

(٣) تقدم حديث عبادة هذا مسنَداً له ص٣٥٤-٣٥٥، وهو حديث حسنٌ.

(٤) في (ت): ذكر اللهُ.

(٥) العِير: هي القافلة.

ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أي: الغنيمةَ دونَ الحربِ ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾ أي: بالوَقْعة الّتي أَوقَعَ بصَناديدِ قريش وقادتِهم يومَ بدر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ أي: لدُعائِهم حيثُ[1] نَظَروا إلى كَثْرةِ عدوِّهم وقِلّةِ عددِهم ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ بدعاءِ رسول الله ﷺ ودعائِكم ﴿أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾.

﴿إِذْ يَغْشَاكُمُ ٱلنُّعَاسَ[2] أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ أي: أَنزلتُ عليكم الأَمَنةَ حتّى نِمتُم لا تخافون، وأَنزلتُ ﴿عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ للمطر الّذي أصابهم تلك اللّيلةَ فحَبَسَ المشركين أن يَسبِقُوا إلى الماء، وخلَّى سبيلَ المؤمنين إليه ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ۝١١﴾ أي: ليُذهِبَ عنكم شكَّ الشّيطان، لتخويفِه إيّاهم عدوَّهم، واستِجلادِ الأرض لهم[3] حتّى انتَهَوا إلى منزلِهم الّذي سَبَقُوا إليه عدوَّهم.

ثمّ قال: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: وازِرُوا الّذين آمنوا ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝١٣﴾، ثم قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا

---

(١) في (ش١) و(ق١): حين.

(٢) هكذا في نسخنا الخطية غير (غ)، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو من السبعة، وفي (غ): يغشيكم، بياء، وهي قراءة بقية السبعة على تفصيل، فقرأ نافع: (يُغْشِيكُمُ النُّعاسَ)، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكِسائي: (يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ). انظر كتاب «السبعة» لابن مجاهد ص٢٨٢ و٣٠٤.

(٣) استجلاد الأرض لهم، أي: صيرورة الأرض لهم جَلَداً، والجَلَد: الأرض الشديدة.

﴿تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ أي: تحريضاً لهم على عدوِّهم لئلَّا يَنكُلُوا[1] عنهم إذا لَقُوهم، وقد وَعَدَهم اللهُ فيهم ما وَعَدَهم.

ثمّ قال في رَمْي رسول الله ﷺ إيّاهم بالحَصْباءِ من يده حين رَمَاهم: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ أي: لم يكن ذلك برَمْيتِك، لولا الّذي جعل الله فيها من نصرِك وما أَلقَى في صدور عدوِّك منها حين هَزَمَهم الله ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال:١٧] أي: ليُعرِّفَ المؤمنين من نعمتِه عليهم في إظهارهم على عدوِّهم وقلّةِ عددِهم، ليَعرِفوا بذلك حقَّه، ويَشكُروا بذلك نعمتَه.

ثمّ قال: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ لقولِ أبي جهل: اللهمَّ أقطَعُنا للرَّحِم، وآتانا بما لا يُعرَف، فأَحِنْه الغَدَاةَ[2]؛ والاستفتاحُ: الإنصاف في الدُّعاء. يقول: ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟﴾ أي: لقريشٍ ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ﴾ أي: بمِثْل الوَقْعة الّتي أَصَبْناكم بها يومَ بدر ﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ أي: أنّ عددَكم وكَثْرتَكم في أنفسكم لن تُغنِيَ عنكم شيئاً، وأنّي مع المؤمنين، أَنصرُهم على من خالفهم.

ثمّ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ أي: لا تُخالِفوا أمرَه وأنتم تَسمَعُون لقوله وتَزعُمون أنّكم منه ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي: كالمنافقين الّذين يُظهِرون له الطّاعةَ، ويُسِرُّون له المعصيةَ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: المنافقون

---

(١) أي: يَجبُنوا.

(٢) جاء هذا في خبر عبد الله بن ثعلبة بن صُعير، وقد تقدم مسنَداً لابن إسحاق ص٣٢٩، وهو خبر صحيح.

الّذين نَهيتُكم أن تكونوا مثلَهم، بُكْمٌ عن الخير، صُمٌّ عن الحقِّ ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ لا يَعرِفون ما عليهم في ذلك من النِّقْمة والتِّبَاعة[1] ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ أي: لأَنفَذَ لهم قولَهم الّذي قالوا بألسنتِهم، ولكنَّ القلوبَ خالَفَت ذلك منهم، ولو خرجوا معكم ﴿لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾، ما وَفَوْا لكم بشيءٍ ممّا خرجوا عليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]

أي: للحرب الّتي أعزَّكم اللهُ بها بعد الذُّلِّ، وقوَّاكم بها بعد الضَّعْف، ومَنَعكم بها من عدوِّكم بعد القُهورِ منهم لكم ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: لا تُظهِروا له من الحقِّ ما يَرضَى به منكم، ثمّ تُخالِفوا في السِّرِّ إلى غيره، فإنّ ذلك هلاكٌ لأماناتِكم، وخيانةٌ لأنفسِكم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ أي[2]: فَصْلاً بين الحقِّ والباطلِ يُظهِرُ الله به حقَّكم، ويُطفِئُ به باطلَ مَن خالَفكم.

ثمّ ذَكَّرَ رسولَ الله ﷺ بنِعْمتِه عليه حين مَكَرَ به القومُ ليقتلوه أو يُثبِتوه[3] أو يُخرِجوه ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ أي: فمَكَرتُ بهم بكَيْدي المَتِين حتّى خلَّصتُك منهم.

ثمّ ذَكَرَ غِرَّةَ[4] قريشٍ واستفتاحَهم على أنفسهم، إذ قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ

---

(١) التِّبَاعة والتَّبِعة: عاقبة الأمر وما يترتّب عليه من أثر.

(٢) في تفسير الفرقان.

(٣) أي: يقيّدوه ويحبسوه.

(٤) في (ت) و(غ) و(ي): عزة، بالزاي، والمثبت من (ص) و(ق١) و(م) ونسخة على =

﴿هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ أي: ما جاءَ به محمّدٌ ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كما أمطَرتَها على قوم لُوطٍ ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ أي: بعضِ ما عذَّبتَ به الأُمَمَ قبلنا، وكانوا يقولون: إنّ الله لا يعذِّبُنا ونحن نستغفرُه، ولم تُعذَّبْ أُمّةٌ ونبيُّها معها حتّى يُخرِجَه عنها، وذلك من قولهم ورسولُ الله ﷺ بين أظهُرِهم، فقال لنبيِّه ﷺ - يَذكُر جهالتَهم وغِرَّتَهم واستفتاحَهم على أنفسهم - حين نَعَى عليهم سوءَ أعمالهم: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: لقولهم: إنّا نستغفرُ ومحمّدٌ بين أظهُرِنا، ثمّ قال: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وإن كنتَ بين أظهُرِهم، وإن كانوا يستغفرون كما يقولون ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: مَن آمَن بالله وعَبَدَه، أي: أنت ومن اتَّبعك ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الذين يُحرِّمون حُرْمتَه ويُقِيمون الصلاةَ عنده، أي: أنت ومَن آمَنَ بك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾ الّذي يَزعُمون أنّه يُدفَعُ به[1] عنهم ﴿إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾.

قال ابن هشام: المُكَاء: الصَّفير، والتَّصدِيَة: التَّصفيق، قال عَنترةُ بن عمرٍو العَبْسيّ:

ولَرُبَّ قِرْنٍ قد تركتُ مُجدَّلاً ... تَمكُو فَرِيصتُه كشِدْقِ الأعلَمِ[2]

= حاشية (غ). والغِرّة: الغفلة.

(١) في (ق١): التي يزعمون أنه يدفع بها. والضمير فيها يعود إلى الصلاة.

(٢) انفرد ابن هشام من بين أهل اللغة برواية الشطر الأول من البيت هكذا، وإنما هو: وحَليلِ غانيةٍ تركتُ مُجدَّلاً... وهو هكذا في «ديوانه» ص٢٠٧، وهذا البيت من قصيدته الطويلة التي أولها:

هل غادر الشعراءُ من متردَّمِ ... أم هل عرفتَ الدارَ بعد توهُّمِ =

يعني: صوتُ خروج الدَّم من الطَّعنة كأنّه الصَّفير. وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال الطِّرِمّاح بن حَكِيم الطائيّ:

لهـا كلَّمـا رِيعَـتْ صَـدَاةٌ ورَكْـدةٌ بمُصدَانِ أَعلى ابنَي شَـمَامِ البَـوَائنِ[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له؛ يعني الأُرويَّة، يقول: إذا فَزِعَت قَرَعَت بيدها الصَّفَاة ثم رَكَدَت تَسمَّعُ، فقَرْعُها بيدِها الصَّفاةَ مثلُ التّصفيق. والمُصْدانُ: الحَزْن[2]، وابنا شَمَام: جَبَلان[3].

قال ابن إسحاق: وذلك ما لا يَرضَى الله ولا يُحِبُّ، ولا ما افتَرَض عليهم، ولا ما أمَرَهم به ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: لِمَا أَوقَعَ بهم يومَ بدر من القتل.

= والحليل: الزوج، والغانية: المرأة الشابّة، والمجدَّل: المصروع بالأرض.

والقِرن: مشابه بالإقدام والشجاعة. والفريصة: اللحمة التي بين الجنب والكتف وهي لا تزال ترتجف عند الفزع، وإنما يريد أنه طعنه في فريصته فجعلت تصوّت عند خروج الدم وفَوْره. والأعلم: البعير، سمي بذلك لشقٍّ مشفره الأعلى، شبّه صوت الطعنة عند خروج الدم منها بصوت شِدْق البعير إذا هَدَر.

(١) «ديوان الطرماح» ص٢٦٧.

قوله: لها، أي: للأُرويّة، التي هي الأنثى من الوُعول، وهي تيوس الجبال. ورِيعَت: أُفزعت. والصداة: التسمّع، وذلك أنها تقرع الصفاة (وهي الصخرة الملساء) بيديها ثم تَركُد تسمَّعُ صدى الصوت. والمُصدانُ: أعالي الجبال، واحدها: مَصادٌ. والبوائن: جمع بائنٍ، وهو البعيد.

(٢) الحَزْن: الصعب المنيع. وفي نسخة (ق١): الحِرز. والحِرْز: هو المكان المنيع الذي يُلجأ إليه.

(٣) بل هما قمّتان بارزتان لجبل واحد اسمه شَمَام بالبناء على الكسر، ويسمّى اليوم باسم شمالات، وهو في عالية نجد، غرب مدينة الرياض على قرابة ٢٠٠ كم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّاد، عن عائشةَ قالت: ما كان بين نزولِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾، وقولِ الله فيها: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ إلّا يسيرٌ، حتّى أصاب اللهُ قريشاً بالوَقْعةِ يومَ بدر[1].

قال ابن هشام: الأَنكال: القيود، واحدها: نِكْلٌ، قال رُؤْبة بن العَجّاج[2]:

يكفيكَ نِكْلي بَغْيَ كلِّ نِكْلِ

وهذا البيت في أُرجوزةٍ له.

قال ابن إسحاق: ثمّ قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ يعني النَّفَرَ الّذين مَشَوا إلى أبي سفيان وإلى مَن كان له مالٌ من قريش في تلك التِّجارة، فسألوهم أن يُقوُّوهم بها على حرب رسول الله ﷺ، ففعلوا. ثم قال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟﴾ لحربك

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٢٣/ ٣٨١، وأبو يعلى (٤٥٧٨)، والحاكم (٨٩٧٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٩٥-٩٦ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. ووقع فيه عند الحاكم زيادة عبد الله بن الزبير بين ابنه عباد وبين خالته عائشة، والمحفوظ عن ابن إسحاق دونَه، وعبّاد قد سمع من خالة أبيه عائشة، وهو معروف الرواية عنها. وليس في هذه الطرق عن ابن إسحاق ذكر نزول أول المزّمّل، وهو الصواب، فنزول أولها كان في السنوات الأولى من البِعثة كما هو مقرَّر في كتب التفسير وعلوم القرآن.

(٢) انظر «ديوانه» ص١٢٨.

ومعنى البيت: يكفيك أني أُقيّد وأمنع بغيَ كلِّ من عاداني. انظر «شرح ديوانه» لعالم لغوي قديم لم يسمَّ ٢/ ٣١٨.

﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ أي: مَن قُتِلَ منهم يومَ بدر.

ثمّ قال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: حتّى[1] لا يُفتَنَ مؤمنٌ عن دينه، ويكونَ التَّوحيدُ لله خالصاً ليس له فيه شريكٌ، ويُخلَعَ ما دونَه من الأنداد ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن أمرِك إلى ما هم عليه من كُفرِهم ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ الّذي أعزَّكم ونَصَرَكم عليهم[2] يومَ بدرٍ في كَثْرة عددِهم وقِلّةِ عددِكم ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾.

ثمّ أعلَمَهم مَقاسِمَ الفَيْء وحُكمَه فيه حين أحلَّه لهم، فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ أي: يوم فَرَقتُ فيه بين الحقِّ والباطلِ بقُدْرتي يومَ الْتَقَى الجَمْعانِ منكم ومنهم ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ من الوادي ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ من الوادي إلى مكَّة ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي: عِيرُ أبي سفيان الّتي خرجتُم لتأخذوها وخرجوا ليَمنَعُوها، عن غير ميعادٍ منكم ولا منهم ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ﴾ أي: ولو كان ذلك عن ميعادٍ منكم ومنهم ثمّ بَلَغَكم كَثْرةُ عددهم وقِلّةُ عددكم، ما لَقِيتُموهم ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي: ليقضيَ ما أراد بقُدْرته من إعزازِ الإسلام وأهلِه، وإذلالِ الكفر وأهلِه، عن غير ملإٍ منكم[3]، ففعل ما أراد من ذلك بلُطْفه، ثمّ قال: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ

(١) لفظ «حتى» أثبتناه من (ش١) و(غ)، وفي (ق١) بدل قوله: «أي حتى»: كَيْ.

(٢) في (ت) و(غ) و(ق١): منهم، وفي (ي): عليهم منهم، والمثبت من (ش١) و(ص) و(م).

(٣) أي: عن غير جمع واستعداد منكم.

﴿مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ أي: ليَكفُرَ من كَفَر بعد الحُجّة لِمَا رأَى من الآية والعِبْرة، ويؤمنَ من آمَنَ على مثل ذلك.

ثمّ ذكر لُطْفَه به وكَيْدَه له، ثمّ قال: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ فكان ما أَراه اللهُ من ذلك نِعمةً من نِعَمِه عليهم، شَجَّعَهم بها على عدوِّهم، وكَفَّ بها عنهم ما تُخُوِّف[1] عليهم من ضعفهم، لعِلْمِه بما فيهم.

قال ابن هشام: تُخُوِّفَ، مُبدَلةٌ من كلمةٍ ذَكَرها ابن إسحاق[2].

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال:٤٤] أي: ليؤلِّفَ بينهم على الحرب للنِّقْمةِ ممّن أراد الانتقامَ منه، والإنعامِ على من أراد إتمامَ النِّعمةِ عليه من أهل وِلايَتِه.

ثمّ وَعَظَهم وفَهَّمهم وأعلَمَهم الّذي ينبغي لهم أن يَسِيروا به في حربهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ تقاتلونهم في الله ﴿فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الّذي له بَذَلتُم أنفسَكم، والوفاءَ له بما أَعطيتُموه من بَيعَتِكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟﴾ أي: لا تَختلِفوا فيَتفرَّقَ أمرُكم ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: ويَذهَبَ حَدُّكم[3] ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أي: إنّي معكم إذا فعلتُم ذلك ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: لا تكونوا كأبي جهلٍ وأصحابِه، الّذين قالوا: لا نَرجِعُ حتّى نأتِيَ بدراً فنَنحَرَ به الجُزُرَ

(١) في (ت) و(ش١) و(ص) و(م): يُتخوَّف.

(٢) قال أبو ذر الخشني في «إملائه» ص١٧١: يقال: الكلمة: تَخوَّفَ بفتح التاء والخاء والواو، وقيل: كانت تخوَّفتُ، فأصلح ذلك ابنُ هشام لشناعة اللفظ في حق الله عز وجل.

(٣) في (ق١): وتذهب حدّتكم. والحدُّ والحِدّةُ هنا: الشدّة والقوّة.

ونُسقَى به الخمرَ، وتَعزِفَ علينا فيه القِيانُ، وتَسمَعَ بنا العربُ، أي: لا يكونُ أمرُكم رِياءً ولا سُمْعةً، ولا التماسَ ما عند النّاس، وأخلِصُوا لله النِّيّةَ والحِسبةَ في نصر دينكم ومُوَازرةِ نبيِّكم، لا تَعمَلوا إلّا لذلك، ولا تَطلُبوا غيرَه.

ثمّ قال: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال:٤٨].

قال ابن هشام: وقد مضى تفسيرُ هذه الآية[1].

قال ابن إسحاق: ثمّ ذَكَرَ اللهُ أهلَ الكفر وما يَلقَوْنَ عند موتهم ووَصَفَهم بصِفَتِهم، وأخبرَ نبيَّه ﷺ عنهم، حتّى انتهى إلى أن قال: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ أي: فنكِّلْ بهم مَن وراءَهم لعلَّهم يَعقِلون ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ أي: لا يَضِيعُ لكم عند الله أجرُه في الآخرة، وعاجلُ خَلَفِه في الدُّنيا.

ثمّ قال: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ أي: إن دَعوكَ إلى السَّلْم على الإسلام، فصالِحْهم عليه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ إنَّ الله كافيكَ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾.

قال ابن هشام: جَنَحُوا للسَّلْم: مالُوا إليك للسَّلْم، الجُنوح: المَيْل، قال لَبِيد بن رَبِيعة:

جُنوحَ الهالكيِّ على يَدَيهِ ... مُكِبّاً يَجْتلي نُقَبَ النِّصالِ[2]

---

(١) قريباً ص٣٨٨.

(٢) انظر «ديوانه» ص٧٨.

والهالكيّ: الصَّيقَل أو الحدّاد الذي يَصقُل الحديد ويَجلُوه، نسبةً إلى هالك بن أسد بن خزيمة، لأنه أول من عمل الحديد من العرب فيما زعم ابن الكلبيّ كما في «تهذيب اللغة» للأزهري =

يريد: الصَّيقَلَ المُكِبَّ على عمله، النُّقَب: صَدَأ السَّيف، يجتلي: يَجلُو السَّيف[1]، وهذا البيت في قصيدةٍ له.

والسَّلْم أيضاً: الصُّلح، وفي كتاب الله: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد:٣٥]، ويُقرَأ: (إلى السِّلْمِ)[2]، وهو ذلك المعنى، قال زهير بن أبي سُلْمى:

وقد قلتُما إنْ نُدرِكِ السِّلمَ واسعاً بمالٍ ومعروفٍ من القولِ نَسلَمِ[3]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

قال ابن هشام: وبَلَغَني عن الحسن بن أبي الحسن[4] أنّه كان يقول: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ﴾: للإسلام.

وفي كتابِ الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ[5] كَآفَّةً﴾ [البقرة:

= ٦/ ١٣. والنِّصال: جمع نَصْل، وهو حديدة السهم.

ولَبيد في هذا البيت يشبّه ثوراً وصفه في الأبيات السابقة، يشبِّه انكبابه ورفعه رأسه وتحريكه له بمَيْل الهالكيّ وإكبابه على عمله.

(١) من قوله: يريد الصيقل، إلى هنا ليس في (غ) و(ق١)، وزاد هنا في (ي): فيما قال ابن هشام، وهو القين الحداد، وقال: النقب حرب الحديد. قلنا: وحَرْب الحديد، من التحريب، أي: إذا حدَّه، ومنه: الحَرْبة.

(٢) وهي قراءة حمزة وأبي بكر عن عاصمٍ من السبعة كما في كتاب «السبعة» لابن مجاهد ص٦٠١.

(٣) واسعاً، أي: خالصاً من شوائب الأحقاد. وانظر «ديوان زهير» ص١٠٦.

وهذا البيت من معلَّقته التي يمدح بها الحارث بن عوف وهَرِم بن سنان المُرِّيّان اللذين سَعَيا بالصلح بين عَبْس وذُبْيان في قصة داحس والغبراء وتحمَّلا ما جرى بينهما من الدماء.

(٤) هو الحسنُ البصريُّ إمام أهل البصرة.

(٥) وهي قراءة ابن كثير ونافع والكِسائي من السبعة، وقرأها أبو عمرو وابن عامر وحمزة =

٢٠٨]، ويُقرَأ (في السِّلْمِ)، وهو الإسلام، قال أُميّة بن أبي الصَّلْت:

فما أَنابُوا لسَلْمٍ حين تُنذِرُهمْ رُسْلُ الإلهِ وما كانوا له عَضُدَا

وهذا البيت في قصيدةٍ له[١].

وتقول العرب لدَلْوٍ تُعمَل مستطيلةً[٢]: السَّلْم، قال طَرَفةُ بن العَبْد، أحدُ بني قيس بن ثَعلَبة، يصفُ ناقةً:

لها مِرفَقانِ أفتَلانِ كأنَّما تَمُرُّ بسَلْمَي دالحٍ[٣] مُتشدِّدِ

ويُروَى: دالجٍ[٤]. وهذا البيت في قصيدةٍ له.

قال ابن هشام: الدّالجُ: حاملُ الماءِ من البئر إلى الحوض[٥].

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ هو مِن وراءِ ذلك ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ

= وعاصم بكسر السين. انظر كتاب «السبعة» ص١٨٠.

(١) لم نقف على هذه القصيدة له ولا هذا البيت عند غير ابن هشام.

وأنابوا: تابوا ورجعوا إلى الطاعة. والعضُد: العون والنصير.

(٢) كذا قال ابن هشام، وقال غيره: هي الدَّلو التي لها عُروةٌ واحدةٌ (والعُروة: ما تُحمَل به الدلو) هكذا قال أبو زيد القرشي في «جمهرة أشعار العرب» ص٣١٢، وكذا قال أبو عمرو الشيباني فيما نقله عنه الجوهري في «الصحاح»، وابنُ السِّكّيت فيما نقله عنه الأزهري في «تهذيب اللغة».

(٣) هكذا في (ت) و(ص) و(ق١): دالح، بالحاء: وهو من دَلَح البعيرُ فهو دالح، إذا تثاقل في مشيه من ثِقَل الحِمْل، وفي (غ) و(م) و(ي) ـ وهو كذلك في «ديوان طرفة» ص٢٢ ـ: دالج، بالجيم: وهو الذي يحمل الدَّلو من البئر إلى الحوض.

وقوله: أفتلان: من الفَتَل، وهو تباعد ما بين المرفقين عن جنبَي البعير، كأنهما لُوِيا ليّاً وفُتِلا حتّى لُوِيا من شدّتهما. ومتشدِّد: متكلِّف للشِّدّة.

(٤) قوله: «ويروى دالج» ليس في (ش١) و(غ) و(ق١) و(ي).

(٥) قول ابن هشام هذا زيادة من (غ).

بِنَصْرِهِۦ﴾ بعد الضَّعف ﴿وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ على الهُدى الّذي بَعَثَك به إليهم ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بدينِه الّذي جَمَعَهم عليه ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ ثم قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ أي: لا يقاتلون على نيّةٍ ولا حقٍّ ولا معرفةٍ بخيرٍ ولا شرٍّ.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الله بن أبي نَجِيح، عن عطاء بن أبي رَبَاح، عن عبد الله بن عبّاس قال: لمّا نَزَلَت هذه الآيةُ اشتدَّ على المسلمين، وأَعظَمُوا أن يقاتلَ عشرون مئتين، ومئةٌ ألفاً، فخَفَّفَ اللهُ عنهم، فنَسَخَتها الآيةُ الأخرى فقال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾، قال: فكانوا إذا كانوا على الشَّطْر من عدوِّهم، لم يَنبَغِ لهم أن يَفِرُّوا منهم، وإذا كانوا دونَ ذلك، لم يَجِبْ عليهم قتالُهم وجاز لهم أن يَتحَوَّزوا عنهم[1].

قال ابن إسحاق: ثمّ عاتَبَه في الأُسارى وأَخْذِ المَغانمِ[2]، ولم يكن أحدٌ قبلَه من

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه بنحوه الطبري في «تفسيره» ١١/ ٢٦٣، وابن حبان (٤٧٧٣)، والطبراني في «الكبير» (١١٣٩٦) و«الأوسط» (٨١٠٧) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه عن ابن عباس أيضاً عمرُو بن دينار عند البخاري (٤٦٥٢)، وعكرمةُ عند البخاري أيضاً (٤٦٥٣)، وأبي داود (٢٦٤٦).

(٢) في (ت) و(ش١) و(ص) و(م): الغنائم.

الأنبياء يأكلُ مَغنَماً من عدوٍّ له.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمّد بن عليّ بن الحسين أبو جعفرٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصِرتُ بالرُّعبِ، وجُعِلَت ليَ الأرضُ مسجداً وطَهُوراً، وأُعطِيتُ جوامعَ الكَلِم، وأُحِلَّت ليَ المَغانمُ ولم تَحلِلْ لنبيٍّ كان قَبْلي، وأُعطِيتُ الشَّفاعةَ، خمسٌ لم يُؤتَهنَّ نبيٌّ قَبْلي»(١).

قال ابن إسحاق: فقال: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ أي: قبلَك ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ﴾ من عدوِّه ﴿حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: يُثخِنَ عدوَّه(٢) حتّى يَنفِيَه من الأرض ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: المَتَاع، الفِدَاءَ بأخذ الرِّجال ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ أي: قَتْلَهم، أي: لظُهورِ الدِّين الّذي تريدون إظهارَه، والّذي به تُدرَك الآخرة ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ﴾ أي: من الأُسارى والمَغانم ﴿عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨﴾ أي: لولا أنّه سَبَقَ منّي أنّي لا أعذِّبُ إلّا بعد النَّهي، ولم يكُ نَهاهُم، لعذَّبتُكم فيما صنعتُم، ثمّ

---

(١) صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإرساله.

وقد روى نحوه جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلَّت لي المغانم ولم تَحِلَّ لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبيُّ يُبعَث إلى قومه خاصّة وبُعِثت إلى الناس عامّة». أخرجه البخاري (٣٣٥) و(٤٣٨) ومسلم (٥٢١)، فذكر بعثة النبي ﷺ إلى الناس عامة مكان إعطائه جوامعَ الكَلِم.

ونحوه عن عبد الله بن عمرو عند أحمد (٧٠٦٨)، وانظر تتمة أحاديث الباب هناك.

وإعطاؤه ﷺ جوامع الكلم ذكر في حديث أبي هريرة عنه ﷺ عند البخاري (٧٠١٣) ومسلم (٥٢٣).

وجوامع الكلم، أي: كلامه قليل الألفاظ كثير المعاني.

(٢) معناه: حتى يبالغ في قتال أعدائه حتى يتمكن في الأرض.

أحَلَّها اللهُ لهم رحمةً منه، وعائدةً من الرَّحمن الرَّحيم، فقال: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾.

ثمّ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ[1] إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾.

وحَضَّ المسلمين على التواصل، وجعل المهاجرين والأنصارَ أهلَ ولايتِه في الدِّين دون مَن سواهم، وجعل الكفّارَ بعضَهم أولياءَ بعضٍ، ثمّ قال: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ أي: إن لا يوالِ المؤمنُ المؤمنَ من دون الكافر، وإن كان ذا رَحِمٍ به ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: شُبْهةٌ في الحقِّ والباطل، وظهورُ الفساد في الأرض بتولِّي المؤمنِ الكافرَ دونَ المؤمن.

ثمّ رَدَّ المواريثَ إلى الأرحام ممّن أسلَمَ بعد الوَلَاية من المهاجرين والأنصار دونَهم إلى الأرحام الّتي بينهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ﴾ أي: بالمِيراث ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾.

جَرِيدة من حضر من المسلمين بدراً

من قريش ومن معهم[2]

قال ابن إسحاق: وهذه تسميةُ من شهد بدراً من المسلمين، ثمّ من قريشٍ، ثمّ من بني هاشم بن عبد مَنَاف وبني المُطَّلِب بن عبد مَنَاف بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة

---

(١) في (ت) و(ش١) و(ص) ونسخة في حاشية (غ): الأُسارى، بألف، وهي قراءة أبي عمرو البصريّ من السبعة. انظر كتاب «السبعة» لابن مجاهد ص٣٠٩.

(٢) جريدة من حضر، أي: جماعة من حضر.

ابن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة:

محمّدٌ رسولُ الله ﷺ سيّدُ المسلمين[1] ابنُ عبد الله بن عبد المُطَّلِب بن هاشم، وحمزةُ بن عبد المُطَّلِب بن هاشم، أسدُ الله وأسدُ رسوله عليه السلام، وعمُّ رسول الله ﷺ، وعليُّ بن أبي طالب بن عبد المُطَّلِب بن هاشم، وزيدُ بن حارثة بن شُرَحبيل ابن كعب بن عبد العُزَّى بن امرئ القيس الكَلْبيُّ، أنعَمَ اللهُ عليه ورسولُه ﷺ.

قال ابن هشام: زيدُ بن حارثة بن شَرَاحيل بن كعب بن عبد العُزَّى بن امرئ القيس ابن عامر بن النُّعمان بن عامر بن عبد وَدٍّ بن عَوف بن كِنانةَ بن بكر بن عَوف بن عُذْرة ابن زيد الله[2] بن رُفَيدة بن ثَوْر بن كَلْب بن وَبَرَة.

قال ابن إسحاق: وأَنَسَةُ مولى رسول الله ﷺ، وأبو كَبْشة مولى رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: أَنَسةُ حَبَشيٌّ، وأبو كَبْشة فارسيٌّ.

قال ابن إسحاق: وأبو مَرثَدٍ كَنّازُ بن حِصْن بن يَربُوع بن عَمرو بن يَربُوع بن خَرَشَة بن سعد بن طَرِيف بن جِلّان بن غَنْم بن غَنِيّ بن يَعصُر بن سعد بن قيس بن عَيْلانَ.

قال ابن هشام: كَنّازُ بن حُصَين.

قال ابن إسحاق: وابنُه مَرثَدُ بن أبي مَرثَد، حَلِيفا حمزة بن عبد المُطَّلِب، وعُبَيدةُ ابن الحارث بن المُطَّلِب، وأخواه الطُّفيلُ بن الحارث والحُصَينُ بن الحارث، ومِسطَحٌ واسمه عوفُ بن أُثَاثةَ بن عَبّاد بن المطَّلِب؛ اثنا عشرَ رجلاً.

---

(١) في (ش١) و(ي): سيد المرسلين، وقوله: سيد المسلمين ابن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم، ليس في (ت).

(٢) هكذا في نسخنا الخطية هنا، وهو خلاف المشهور المعروف في كتب الرجال والأنساب من أنه زيد اللّات.

ومن بني عبدِ شمس بن عبد مَنَافٍ: عثمانُ بن عفّان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس، تَخلَّف على امرأته رُقيّةَ بنتِ رسول الله ﷺ، فضَرَبَ له رسولُ الله ﷺ بسَهْمه، قال: وأَجْري يا رسولَ الله؟! فقال: «وأَجْرُك»[1].

وأبو حُذَيفة بن عُتْبة بن رَبِيعة بن عبد شمس، وسالمٌ مولى أبي حُذَيفة.

قال ابن هشام: واسم أبي حُذَيفة مُهشِّمٌ[2].

قال ابن هشام: سالمٌ سائبةٌ لثُبَيتة بنت يَعَار بن زيد بن عُبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأَوس، سَيَّبَته فانقَطَعَ إلى أبي حُذيفة فتَبنَّاه، ويقال: كانت ثُبَيتةُ بنت يَعَار تحت أبي حُذَيفة بن عُتبة، فأَعتقت سالماً سائبةً،

---

(١) خبر صحيح.

فقد أخرج أحمد (٥٧٧٢)، والبخاري (٣١٣٠) و(٣٦٩٨) و(٤٠٦٦) وغيرهما، عن ابن عمر قال: إنما تغيَّب عثمانُ عن بدرٍ، أنه كانت تحته بنتُ رسول الله ﷺ، وكانت مريضة، فقال له النبي ﷺ: «إنّ لك أجرَ رجل ممّن شهد بدراً وسهمَه».

وقَسْمُ السَّهم والأجر لبعض من تغيَّب عن بدرٍ لعذرٍ لم يقع لعثمان بن عفان وحده، إنما وقع أيضاً لطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد، وكانا بالشام، روى ذلك عروةُ بن الزبير عند الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨٩) و(٣٣٨)، والحاكم (٥٦٨٣) و(٥٩٥٨)، والبيهقي في «السنن» ٩/ ٥٨، وموسى بن عقبة عند البيهقي ٦/ ٢٩٢، ورواه موسى بن عقبة أيضاً عن الزهري كما عند ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٢٥)، والطبراني (٣٣٩)، وأبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٥٩) و(٥٣٠).

وكذلك وقع القَسْم لخمسة من الأنصار لم يشهدوها، وهم: أبو لُبابة بن عبد المنذر، والحارث ابن حاطب، وعاصم بن عَديّ، والحارث بن الصِّمّة، وخوّات بن جُبير، وسيأتي ذكر الجميع لاحقاً عند ابن إسحاق.

(٢) سلف الكلام على الخلاف في اسمه عند تسمية أوائل من دخل في الإسلام ١/ ٢٩٥.

فقيل: سالمٌ مولى أبي حُذيفة[1].

قال ابن إسحاق: وزعموا أن صُبَيحاً مولى أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمسٍ تَجهَّزَ للخروج مع رسول الله ﷺ ثمّ مَرِضَ، فحَمَلَ على بعيره أبا سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، ثمّ شَهِدَ صُبَيحٌ بعد ذلك المشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ.

وشَهِدَ بدراً من حلفاءِ بني عبد شمسٍ ثمّ من بني أَسَد بن خُزَيمة: عبدُ الله بن جَحْش بن رِئَاب بن يَعمَر بن صَبِرَة بن مُرَّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودَان بن أَسد، وعُكّاشةُ ابن مِحصَن بن حُرْثان بن قيس بن مُرَّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودَان بن أَسد، وشُجَاعُ ابن وَهْب بن رَبيعة بن أَسد بن صُهيب بن مالك بن كَبير بن غَنْم بن دُودَان بن أَسد، وأخوه عُقْبةُ بن وهب، ويزيدُ بن رُقَيش بن رِئاب بن يَعمَر بن صَبِرة بن مُرّة بن كَبير ابن غَنْم بن دُودَان بن أَسد، وأبو سِنان بن مِحصَن بن حُرْثان بن قيسٍ أخو عُكّاشة ابن مِحصَن، وابنُه سِنانُ بن أبي سِنانٍ، ومُحرِزُ بن نَضْلة بن عَبْد الله بن مُرّة بن كَبير ابن غَنْم بن دُودَان بن أَسد، ورَبِيعةُ بن أَكثَم بن سَخْبَرة بن عمرو بن لُكَيز بن عامر ابن غَنْم بن دُودَان بن أَسد.

ومن حُلفاءِ بني كَبير بن غَنْم بن دُودَان بن أَسدٍ: ثَقْفُ بن عمرٍو، وأخواه: مالكُ ابن عمرو، ومُدلِجُ بن عمرو.

قال ابن هشام: مِدلاجُ بن عمرو.

قال ابن إسحاق: وهم من بني حَجْر آل بني سُلَيم، وأبو مَخْشيٍّ حليفٌ لهم؛

---

(١) تقدم لابن هشام مثل هذا الكلام في قصة الهجرة ونزول أبي حذيفة وسالم على عبّاد بن بشر في دار بني عبد الأشهل ١/ ٥٨١، وانظر تعليقنا عليه هناك.

ومعنى السائبة هنا: أنه حُرٌّ لا ولاءَ عليه لأحدٍ.

ستّةَ عشرَ رجلاً.

قال ابن هشام: أبو مَخْشيٍّ طائيٌّ، واسمه سُوَيد بن مَخشيٍّ.

قال ابن إسحاق: ومن بني نَوفَل بن عبد مَنَافٍ: عُتْبةُ بن غَزْوان بن جابر بن وهب ابن نُسَيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفَة بن قيس ابن عَيْلانَ، وخَبّابٌ مولى عُتْبة بن غَزْوان؛ رجلانِ.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ: الزُّبيرُ بن العَوَّام بن خُوَيلِد بن أَسد، وحاطبُ بن أبي بَلْتَعةَ، وسعدٌ مولى حاطبٍ؛ ثلاثةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: حاطبُ بن أبي بَلْتعة ـ واسم أبي بَلْتعةَ عمرٌو ـ لَخْميٌّ، وسعدٌ مولى حاطبٍ كَلْبيٌّ.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبد الدَّار بن قُصيٍّ: مصعبُ بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار بن قُصيّ، وسُوَيبِطُ بن سعد بن حُرَيمِلة بن مالك بن عُمَيلة ابن السَّبّاق بن عبد الدّار؛ رجلانِ.

ومن بني زُهْرة بن كِلَابٍ: عبدُ الرَّحمن بن عَوف بن عبد عَوف بن عبد بن الحارث[1] بن زُهْرة، وسعدُ بن أبي وَقَّاصٍ ـ وأبو وَقّاصٍ مالكُ بن أُهَيْب بن عبد مَنَاف بن زُهْرة ـ وأخوه عُمَيرُ بن أبي وَقّاص.

ومن حُلَفائهم: المِقْدادُ بن عمرو بن ثَعلَبة بن مالك بن رَبيعة بن ثُمَامة بن مَطرُود بن عمرو بن سعد بن زُهَير بن ثَوْر بن ثَعلَبة بن مالك بن الشَّرِيد بن هَزْل بن فائش بن دُرَيم بن القَيْن بن أَهْوَد بن بَهْراء بن عمرو بن الحافِ بن قُضَاعة.

قال ابن هشام: هَزْل بن قاسِ بن ذرٍّ، ودَهِير بن ثَوْر.

---

(١) في (ت) و(ق١): عبد عوف بن عبد الحارث، وذُكر في كتب التراجم في اسمه الوجهان.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن مسعود بن الحارث بن شَمْخ بن مَخزُوم بن صاهِلَة ابن كاهِل بن الحارث بن تَمِيم بن سَعْد بن هُذَيل، ومسعودُ بن رَبِيعة بن عَمرو بن سَعْد بن عبد العُزَّى بن حَمَالة بن غالب بن مُحلِّم بن عائذة بن سُبَيع بن الهُوْن بن خُزَيمة، من القارَةِ.

قال ابن هشام: القارَةُ لقبٌ، ولهم يقال: قد أنصَفَ القارَةَ مَن راماها، وكانوا رُماةً.

قال ابن إسحاق: وذو الشِّمالَينِ بن عبد عمرو بن نَضْلة بن غُبْشان بن سُلَيم بن مِلْكان بن أَفصَى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن خُزَاعة.

قال ابن هشام: وإنّما قيل له: ذو الشِّمالَينِ، لأنه كان أعسَرَ، واسمُه عُمَيرٌ.

قال ابن إسحاق: وخَبّابُ بن الأَرَتِّ؛ ثمانيةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: خبّابٌ من بني تَمِيم، وله عَقِبٌ، وهم بالكوفة[1]، ويقال: خبّابٌ من خُزَاعة[2].

قال ابن إسحاق: ومن بني تَيْم بن مُرَّةَ: أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، واسمُه عَتِيقُ بن عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم.

قال ابن هشام: اسم أبي بكرٍ عبدُ الله، وعَتِيقٌ لقبٌ لحُسْن وجهه وعِتْقه[3].

---

(١) قوله: وله عقب وهم بالكوفة، زيادة من (ش١) و(غ).

(٢) قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٢٠٦: اختُلف في نسبه، فقيل: هو خُزاعيّ، وقيل: هو تَمِيمي، ولم يُختَلف أنه حليفٌ لبني زُهْرة، والصحيح أنه تميميُّ النسب، لَحِقَه سِباءٌ في الجاهلية، فاشترته امرأة من خُزَاعة وأعتقته، وكانت من حُلَفاء بني عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زُهْرة، فهو تميميٌّ بالنسب، خُزاعيٌّ بالوَلاء، زُهْريٌّ بالحِلْف.

(٣) العتق: الكرم والجمال.

قال ابن إسحاق: وبلالٌ مولى أبي بكرٍ، وبلالٌ مُولَّدٌ من مُولَّدي بني جُمَحَ[1]، اشتراه أبو بكرٍ الصِّدّيقُ من أُميّة بن خَلَف، وهو بلالُ بن رَبَاح، وعامرُ بن فُهَيرةَ.

قال ابن هشام: عامرُ بن فُهَيرة مُولَّدٌ من مُولَّدي الأَسْد[2]، أسوَدُ، اشتراه أبو بكرٍ منهم.

قال ابن إسحاق: وصُهَيبُ بن سِنانٍ، من النَّمِر بن قاسِطٍ.

قال ابن هشام: النَّمِرُ بن قاسِط بن هِنْب بن أَفصَى بن جَدِيلة بن أَسَد بن رَبِيعة بن نِزَار، ويقال: أَفصَى بن دُعْميّ بن جَدِيلة بن أَسَد بن رَبِيعة بن نِزَار، ويقال: صهيبٌ مولى عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم، ويقال: إنّه رُوميٌّ، فقال بعض من ذَكَر أنّه من النَّمِر بن قاسِطٍ: إنّما كان أسيراً في الرُّوم فاشتُريَ منهم، وجاء الحديث عن النبيِّ ﷺ: «صُهَيبٌ سابقُ الرُّومِ»[3].

قال ابن إسحاق: وطلحةُ بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم، كان بالشّام فقَدِمَ بعد أن رَجَعَ رسولُ الله ﷺ من بدر، فكَلَّمه، فضَرَبَ له بسَهْمه، فقال: وأَجْري يا رسول الله؟ قال: «وأَجْرُك»[4]؛ خمسةُ نفرٍ.

قال ابن إسحاق: ومن بني مَخزُوم بن يَقَظة بن مُرّة: أبو سَلَمة بن عبد الأَسد، واسم أبي سَلَمة عبدُ الله بن عبد الأَسد بن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، وشَمّاسُ بن عثمان بن الشَّريد بن سُوَيد بن هَرْميّ بن عامر بن مخزوم.

قال ابن هشام: واسمُ شَمّاسٍ عثمانُ، وإنّما سُمِّيَ شمّاساً لأنّ شمّاساً من الشَّمَامِسة

---

(١) أي: أنه ليس عبداً بالسِّباء أو الشراء، وإنما وُلِد لعبدين من عبيد بني جُمَح.

(٢) بإسكان السين: وهم الأَزْد، من اليمن، تقال بالزاي والسين.

(٣) حديث ضعيف، وقد سلف تخريجه والكلام عليه ١/ ٢٩٦.

(٤) خبر صحيح تقدم تخريجه قريباً ص٤٠٧.

قَدِمَ مكّةَ في الجاهليّة[1]، وكان جميلاً، فعَجِبَ النّاسُ من جماله، فقال عُتْبةُ بن رَبيعة، وكان خالَ شمّاسٍ: فأنا آتيكم بشمّاسٍ أحسنَ منه، فأَتى بابن أُخته عثمانَ بن عثمان، فسُمّيَ شمّاساً فيما ذكر ابن شِهابٍ الزُّهْريُّ وغيره.

قال ابن إسحاق: والأَرقَمُ بن أبي الأَرقَم، وأبو الأَرقَمِ عبدُ مَنَاف بن أَسد، وكان أَسدٌ يُكنى أبا جُندُب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وعمّارُ بن ياسرٍ.

قال ابن هشام: عمّارُ بن ياسرٍ عَنْسيٌّ من مَذْحِج.

قال ابن إسحاق: ومُعتِّبُ بن عوف بن عامر بن الفضل بن عَفِيف بن كُلَيب بن حُبْشيّة بن سَلُول بن كعب بن عمرو، حليفٌ لهم من خُزَاعة، وهو الّذي يُدعَى عَيْهامةَ[2]؛ خمسةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: ويقال: حَبَشيّة بن سَلُول، وهو الّذي يقال له: مُعتِّب ابن حَمْراء[3].

ومن بني عَدِيّ بن كعبٍ: عمرُ بن الخَطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن عبد الله ابن قُرْط بن رِيَاح بن رِزَاح بن عَديٍّ، وأخوه زيدُ بن الخطّاب، ومِهجَعٌ مولى عمر بن الخطّاب، من أهل اليمن، وكان أوّلَ قتيلٍ قُتِل من المسلمين بين الصَّفَّينِ يومَ بدر، رُمِيَ بسهمٍ.

---

(١) الشَّمّاس: من رؤوس النصارى الذي يحلق وسط رأسه، لازماً للبِيعة أو الصومعة.

(٢) والعَيهامة: الطويل العُنق.

(٣) قول ابن هشام هذا أثبتناه من (ش١) و(ق١)، وزاد في (ش١) بعده: قال ابن هشام: ويقال للناقة إذا طال عنقُها: العَيْهامة.

وقد سلف بيان الخلاف في تقييد اسم حبشية عند الكلام على قصيٍّ وأولاده ١/ ١١٨، فانظره هناك.

قال ابن هشام: مِهجَعٌ من عَكٍّ[1].

قال ابن إسحاق: وعمرُو بن سُرَاقة بن المُعتمِر بن أَنس بن أَدَاة[2] بن عبد الله ابن قُرْط بن رِيَاح بن رِزَاح بن عَديّ بن كعب، وأخوه عبدُ الله بن سُرَاقة، وواقدُ بن عبد الله بن عبد مَنَاف بن عَرِين بن ثَعلَبة بن يَربُوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة ابن تَميم، حليفٌ لهم، وخَوْليُّ بن أبي خَوْليٍّ، ومالكُ بن أبي خَوْليٍّ، حليفانِ لهم.

قال ابن هشام: أبو خَوليٍّ من بني عِجْل بن لُجَيم بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل.

قال ابن إسحاق: وعامرُ بن رَبيعة حليفُ آل الخَطّاب، من عَنْز بن وائل.

قال ابن هشام: عَنْزُ بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفصَى بن جَدِيلة بن أَسد بن رَبيعة بن نِزَار، ويقال: أَفصَى بن دُعْميّ بن جَدِيلة.

قال ابن إسحاق: وعامرُ بن البُكَير بن عبد ياليلَ بن ناشِب بن غِيَرَة، من بني سعد ابن ليثٍ، وعاقلُ بن البُكَير، وخالدُ بن البُكَير، وإياسُ بن البُكَير، حلفاءُ بني عَديّ ابن كعب، وسعيدُ بن زيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِيَاح بن رِزَاح بن عَديّ بن كعب، قَدِمَ من الشام بعدَما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ من بدر، فكَلَّمه، فضَرَبَ له بسهمِه، قال: وأَجْري يا رسول الله؟ قال: «وأَجْرُك»[3]؛ أربعةَ عشرَ رجلاً.

---

(١) وعكٌّ تقدم في أول الكتاب لابن إسحاق وابن هشام: أنه ابن عدنان من ولد إسماعيل، إلا أن القبائل من ولد عدنان لما تفرَّقت صارت عكّ في دار اليمن.

(٢) قال الخشنيُّ في «إملائه» ص١٧٢: كذا وقع هنا بالدال المهملة، وأَذاة بالذال المعجمة ـ كما وقع في نسختي (ق١) و(ي) ـ ذكره أبو عبيدٍ عن ابن الكلبيّ.

(٣) خبر صحيح تقدم تخريجه قريباً ص٤٠٧.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عثمانُ بن مَظعُون بن حَبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمَحَ، وابنُه السائبُ بن عثمان، وأخواه قُدَامةُ بن مَظعُون، وعبدُ الله بن مَظعُون، ومَعمَرُ بن الحارث بن مَعمَر بن حَبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح؛ خمسةُ نفرٍ.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: خُنَيسُ بن حُذَافة بن قيس بن عَديّ بن سُعَيد[1] بن سَهْم؛ رجلٌ.

ومن بني عامر بن لُؤيٍّ ثمّ من بني مالك بن حِسْل بن عامرٍ: أبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزّى بن أبي قيس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل، وعبدُ الله ابن مَخرَمة بن عبد العُزّى بن أبي قيس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك، وعبدُ الله بن سُهَيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك، كان خرج مع أبيه سُهَيل بن عمرو، فلمّا نزل الناسُ بدراً فَرَّ إلى رسول الله ﷺ، فشَهِدَها معه، وعُمَيرُ ابن عوفٍ مولى سُهَيل بن عمرو، وسعدُ ابن خَوْلةَ حليفٌ لهم؛ خمسةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: سعدُ ابن خَوْلة من اليمن.

قال ابن إسحاق: ومن بني الحارث بن فِهْرٍ: أبو عُبَيدة بن الجَرّاح، وهو عامرُ بن عبد الله بن الجَرّاح بن هلال بن أُهَيب بن ضَبَّة بن الحارث، وعمرُو بن الحارث بن زُهَير بن أبي شدَّاد بن رَبيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضَبَّة بن الحارث، وسُهَيلُ بن وهب بن رَبِيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضَبَّة بن الحارث، وأخوه صفوانُ بن وهب، وهما ابنا بَيضاءَ، وعمرُو بن أبي سَرْح بن رَبيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضَبّة بن الحارث؛ خمسةُ نفرٍ.

---

(١) في (ي): سَعْد. وانظر تعليقنا على هذا الحرف فيما تقدم ١/ ٢٩٢.

فجميعُ من شَهِدَ بدراً من المهاجرين، ومن ضَرَبَ له رسولُ الله ﷺ بسهمِه وأَجرِه، ثلاثةٌ وثمانون رجلاً.

قال ابن هشام: وكثيرٌ من أهل العلم غيرِ ابن إسحاق، يَذكُرون في المهاجرين ببدرٍ في بني عامر بن لُؤيٍّ وهبَ بن سعد بن أبي سَرْحٍ، وحاطبَ بن عمرٍو، وفي بني الحارث بن فِهْرٍ عِياضَ بن زُهير[1].

الأنصار ومَن معهم

قال ابن إسحاق: وشَهِدَ بدراً مع رسول الله ﷺ من المسلمين ثمّ من الأنصارِ ثمّ من الأَوسِ بن حارثة بن ثَعلَبة بن عمرو بن عامرٍ، ثم من بني عبد الأَشهَل بن جُشَم ابن الحارث بن الخَزرَج بن عمرو بن مالك بن الأَوسِ: سعدُ بن معاذ بن النُّعمان بن امرِئِ القيس بن زيد بن عبد الأَشهَل، وعمرُو بن معاذ بن النُّعمان، والحارثُ بن أَوس بن معاذ بن النُّعمان، والحارثُ بن أنس بن رافع بن امرِئِ القيس.

ومن بني عُبَيد بن كعب بن عبد الأشهَل: سعدُ بن زيد بن مالك بن عُبيدٍ.

ومن بني زَعُوْراءَ بن عبد الأشهَل - ويقال: زَعْوَراءُ، فيما قال ابن هشام[2] - سَلَمةُ

---

(١) في نسخنا الخطية هنا: بن أبي زهير، وهو خطأ، وقد ذُكر في موضعين آخرين عند ابن إسحاق على الصواب: عياض بن زهير، وهو ما اتّفقت عليه مصادر ترجمته.

وسيأتي ٣/ ٤٩٤ ما ظاهرُه ذكرُ ابن إسحاق له فيمن تخلّف عن بدرٍ بسبب كونه في الحبشة، لكن وقع في رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق كما في «الاستيعاب» ص٥٧١ و«الروض الأنف» ٥/ ٣٠٠، ورواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق كما في «أسد الغابة» ٤/ ٢٣، ذكرُه له فيمن شهد بدراً، وقد ذكره فيهم أيضاً موسى بنُ عقبة وخليفةُ وجماعة كما قال السهيليُّ.

(٢) كذا قُيّد في جميع النسخ، الأول: بفتح الزاي وضم العين وسكون الواو، والثاني: بفتح الزاي وسكون العين وفتح الواو.

ابن سَلَامة بن وَقْش بن زُغْبة، وعَبّادُ بن بِشْر بن وَقْش بن زُغْبة بن زَعُوراء، وسَلَمةُ ابن ثابت بن وَقْش، ورافعُ بن يزيد بن كُرْز بن سَكَن بن زَعُوراء، والحارثُ بن خَزْمة بن عَديّ بن أُبيّ بن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخَزرَج، حليفٌ لهم من بني عوف بن الخَزرَج، ومحمّدُ بن مَسلَمة بن خالد بن عَديّ بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث، حليفٌ لهم من بني حارثة بن الحارث، وسَلَمةُ بن أسلمَ بن حَرِيش بن عَديّ بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث، حليفٌ لهم من بني حارثة بن الحارث.

قال ابن هشام: أسلمُ بن حَرِيس[1] بن عَديّ.

قال ابن إسحاق: وأبو الهيثم بن التَّيِّهان، وعُبَيدُ بن التَّيِّهان.

قال ابن هشام: ويقال: عَتِيك بن التَّيِّهان.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن سَهْل؛ خمسةَ عشرَ رجلاً.

قال ابن هشام: عبدُ الله بن سَهْلٍ أخو بني زَعُوراء، ويقال: من غسّان.

قال ابن إسحاق: ومن بني ظَفَرٍ ثمّ من بني سَوَاد بن كعبٍ، وكعبٌ: هو ظَفَرٌ ـ قال ابن هشام: ظَفَرُ بن الخَزرَج بن عمرو بن مالك بن الأَوس ـ قَتَادةُ بن النُّعمان ابن زيد بن عامر بن سَوَاد، وعُبَيدُ بن أَوس بن مالك بن سَوَاد؛ رجلانِ.

قال ابن هشام: عُبَيدُ بن أَوس الّذي يقال له: مُقرِّن، لأنه قَرَنَ أربعةَ أسرى في يوم بدر، وهو الذي أَسَرَ عَقِيلَ بن أبي طالبٍ يومئذٍ.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبد بن رِزَاح بن كعبٍ: نصرُ بن الحارث بن عَبْد،

---

(١) نقل الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٢/ ٦٠٩، وابن ماكولا في «الإكمال» ٢/ ٤٢٠ عن الزبير بن بكّار قال: ليس في نسب الأنصار حريش غير الحريش بن جَحجَبى، وما سوى ذلك فهو الحَرِيس بالسين.

ومُعتِّبُ بن عُبَيد[1]، ومن حُلفائِهم من بَلِيٍّ: عبدُ الله بن طارقٍ؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني حارثة بن الحارث بن الخَزرَج بن عمرو بن مالك بن الأَوس: مسعودُ ابن سعد بن عامر بن عَديّ بن جُشَم بن مَجدَعة بن حارثة.

قال ابن هشام: ويقال: مسعودُ بن عبدِ سعدٍ.

قال ابن إسحاق: وأبو عَبْس بن جَبْر بن عمرو بن زيد بن جُشم بن مَجدَعة بن حارثة، ومن حُلفائهم ثمّ من بَلِيٍّ: أبو بُرْدة بن نِيَارٍ، واسمه هانئُ بن نِيَار بن عمرو ابن عُبيد بن كِلَاب بن دُهْمان بن غَنْم بن ذُبْيان بن هُمَيْم بن كاهل بن ذُهْل بن هُنَيّ ابن بَلِيّ بن عمرو بن الحافِ بن قُضَاعة؛ ثلاثةُ نفرٍ.

قال ابن إسحاق: ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأَوس، ثمّ من بني ضُبَيعة ابن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوفٍ: عاصمُ بن ثابت بن قيس - وقيسٌ أبو الأقلَحِ - بن عِصْمة بن مالك بن أَمَة بن ضُبَيعة، ومُعتِّبُ بن قُشَير بن مُلَيل بن زيد بن العَطّاف بن ضُبَيعة، وأبو مُلَيل بن الأَزعَر بن زيد بن العَطّاف بن ضُبَيعة، وعمرُو بن مَعبَد بن الأَزعَر بن زيد بن العَطّاف بن ضُبَيعة.

قال ابن هشام: عُمَيرُ بن مَعبَد.

قال ابن إسحاق: وسَهْلُ بن حُنَيف بن واهِب بن العُكَيم بن ثَعلَبة بن مَجْدَعة بن الحارث بن عمرو - وعمرٌو الّذي يقال له: بَحزَجٌ[2] - بن حَنَش بن عوف بن عمرو ابن عوف؛ خمسةُ نفرٍ.

ومن بني أُميَّة بن زيد بن مالكٍ: مُبشِّرُ بن عبد المُنذِر بن زَنبَر بن زيد بن أُميّة،

---

(١) هكذا في نسخنا الخطية، بينما ذكر ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٤٢٠ و٤٢١ أن ابن إسحاق سمّاه معتِّب بن عَبدة، وأن محمد بن عمر الواقدي هو من سمّاه معتّب بن عُبيدٍ.

(٢) البَحزَج: هو ابن البقرة الوحشية.

ورِفَاعةُ بن عبد المنذر بن زَنبَر، وسعدُ بن عُبيد بن النُّعمان بن قيس بن عمرو بن زيد ابن أُميّة، وعُوَيمُ بن ساعدةَ، ورافعُ ابن عَنجَدةَ[1] ـ وعَنجَدةُ أمُّه فيما قال ابن هشام ـ وعُبَيدُ بن أبي عُبيد، وثَعلَبةُ بن حاطب.

وزَعَموا أنّ أبا لُبَابة بن عبد المُنذِر والحارثَ بن حاطبٍ خَرَجا مع رسول الله ﷺ فرَجَعَهما، وأمَّرَ أبا لُبَابةَ على المدينة[2]، فضربَ لهما بسهمَينِ مع أصحاب بدر؛ تسعةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: ردَّهما من الرَّوْحاء[3].

قال ابن هشام: وحاطبُ بن عمرو بن عُبيد بن أُميّة، واسم أبي لُبَابة بَشِيرٌ.

قال ابن إسحاق: ومن بني عُبيد بن زيد بن مالكٍ: أُنَيسُ بن قَتَادة بن رَبيعة بن خالد بن الحارث بن عُبيد.

ومن حُلفائِهم من بَلِيٍّ: مَعْنُ بن عَديّ بن الجَدِّ بن العَجْلان بن ضُبَيعة، وثابتُ ابن أَقرَم بن ثَعلَبة بن عَديّ بن العَجْلان، وعبدُ الله بن سَلَمة بن مالك بن الحارث بن عَديّ بن العَجْلان، وزيدُ بن أسلَمَ بن ثَعلَبة بن عَديّ بن العَجْلان، ورِبْعيُّ بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجَدّ بن العَجْلان، وخَرَجَ عاصمُ بن عَديّ بن الجَدّ بن العَجْلان فرَدَّه رسولُ الله ﷺ، وضَرَبَ له بسهمِه مع أصحاب بدرٍ[4]؛ سبعةُ نفرٍ.

---

(١) وتُضمُّ عينه وجيمه أيضاً، والعنجد: حبُّ الزبيب.

(٢) وأما الحارث بن حاطب فردَّه إلى قومه بني عمرو بن عوف في قباء لشيءٍ بلغه عنهم، انظر «مغازي الواقدي» ١/ ١٠١، و«طبقات ابن سعد» ٢/ ١١.

(٣) وهي على طريق بدرٍ على قرابة ٧٠ كم من المدينة المنوّرة.

(٤) قال ابن حجر في ترجمته من «الإصابة» ٣/ ٥٧٢: واتفقوا على ذكره في البدريّين، ويقال: إنه لم يشهدها، بل خرج فكُسِر فردَّه النّبيُّ ﷺ من الرَّوحاء واستخلفه على العالية من المدينة، =

ومن بني ثَعلَبة بن عمرو بن عوف: عبدُ الله بن جُبَير بن النُّعمان بن أُميَّة بن البُرَك[1] - واسم البُرَكِ امرُؤُ القيس بن ثَعلَبة - وعاصمُ بن قيس.

قال ابن هشام: عاصمُ بن قيس بن ثابت بن النُّعمان بن أُميّة بن امرِئِ القيس بن ثَعلَبة.

قال ابن إسحاق: وأبو ضَيّاح بن ثابت بن النُّعمان بن أُميّة بن امرِئِ القيس بن ثَعلَبة، وأبو حَنَّة.

قال ابن هشام: وهو أخو أبي ضَيّاح، ويقال: أبو حَبّة[2]، ويقال لامرِئِ القيس: البَرْك بن ثَعلَبة.

قال ابن إسحاق: وسالم بن عُمَير بن ثابت بن النُّعمان بن أُميّة بن امرِئِ القيس ابن ثَعلَبة.

قال ابن هشام: ويقال: ثابتُ بن عمرو بن ثَعلَبة.

قال ابن إسحاق: والحارثُ بن النُّعمان بن أُميّة بن امرِئِ القيس بن ثَعلَبة، وخَوّاتُ ابن جُبَير بن النُّعمان، ضَرَبَ له رسولُ الله ﷺ بسهمٍ مع أصحابِ بدر؛ سبعةُ نفرٍ.

= وهذا هو المعتمد، وبه جزم ابن إسحاق.

وأورد الواقديُّ بسند له إلى أبي البَدّاح بن عاصم: أن رسول الله ﷺ خلَّف عاصماً على أهل قُباء والعالية لشيءٍ بلغه عنهم، وضرب له بسهمه وأَجره، وقال: شهد أُحداً وما بعدها.

(١) هكذا قُيّد في نسخنا الخطية، وفي نسخة أبي ذرٍّ الخُشنيّ: البَرْك، فقد قال في «إملائه» ص١٧٣: كذا وقع هنا بفتح الباء وسكون الراء، ويروى أيضاً البُرَك بضم الباء وفتح الراء، ورواية ابن عبد الرّحيم: البَرْك، بفتح الباء وسكون الراء.

(٢) اختُلف في تقييده كما أشار إلى ذلك ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٧٩٠-٧٩١، فقيل: أبو حيّة، وقيل: أبو حنّة، وقيل: أبو حبّة، وصوّبه بالباء الموحدة.

ومن بني جَحْجَبى بن كُلْفة بن عوف بن عمرو بن عوفٍ: منذرُ بن محمّد بن عُقْبة ابن أُحَيحة بن الجُلَاح بن الحَرِيش بن جَحْجَبى بن كُلْفة.

قال ابن هشام: ويقال: الحَرِيسُ بن جَحْجَبى.

قال ابن إسحاق: ومن حُلفائِهم من بني أُنَيفٍ: أبو عَقِيل بن عبد الله بن ثَعلَبة بن بَيْحان بن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر[1] بن أُنَيف بن جُشَم بن عبد الله بن تَيْم بن إِرَاش بن عامر بن عُمَيلة[2] بن قِسْمِيل بن فَرَّان بن بَلِيّ بن عَمرو بن الحافِ ابن قُضَاعة؛ رجلانِ.

قال ابن هشام: ويقال: تَمِيم بن إرَاشَة، وقِسمِيل بن فارَان.

قال ابن إسحاق: ومن بني غَنْم بن السِّلْم[3] بن امرِئ القيس بن مالك بن الأَوس: سعدُ بن خَيْثَمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم، ومُنذِرُ بن قُدَامة، ومالكُ بن قُدَامة بن عَرفَجَة.

قال ابن هشام: عَرفَجةُ بن كعب بن النَّحّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم.

قال ابن إسحاق: والحارثُ بن عَرفَجَة.

قال ابن هشام: عَرفَجةُ بن كعب بن النَّحّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم.

---

(١) اضطربت النسخ هنا في نسبه، والمثبت من (ص)، وهو الموافق لما في «الطبقات» لابن سعد ٣/ ٤٣٩، و«الثقات» لابن حبان ٣/ ٢٥٤، وفي (ت): ثعلبة بن بيحان بن عمرو بن مالك ابن عامر بن أنيف، وفي (غ) و(ق١): ثعلبة بن بيحان بن عامر بن مالك بن عامر بن أنيف، وفي (ي): ثعلبة بن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر بن أنيف. واسم أبي عقيلٍ عبدُ الرَّحمن.

(٢) هكذا وقع في نسخنا الخطية: عُميلة، وقُيّد فيها بالتصغير، وقد اتفقت المصادر من كتب الأنساب والتراجم على أنه في نسب بليٍّ عَبِيلةُ، بالباء. والعَبيلة: الضخمة من النساء.

(٣) وقُيّد في بعض النسخ الخطية بفتح السين، وهما وجهان فيه.

قال ابن إسحاق: وتَمِيمٌ مولى بني غَنْم؛ خمسةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: تَميمٌ مولى سعد بن خَيثَمة.

قال ابن إسحاق: ومن بني معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوفٍ: جَبْرُ ابن عَتِيك بن الحارث بن قيس بن هَيْشة بن الحارث بن أُمَيّة بن معاوية، ومالكُ بن نُمَيلةَ حليفٌ لهم من مُزَينة، والنُّعمانُ بن عَصْرٍ حليفٌ لهم من بَلِيٍّ؛ ثلاثةُ نفرٍ.

فجميعُ من شَهِدَ بدراً من الأَوس مع رسول الله ﷺ ومَن ضَرَبَ له بسهمِه وأَجرِه، واحدٌ وستُّون رجلاً.

رجال الخَزرَج[1]

وشَهِدَ بدراً مع رسول الله ﷺ من المسلمين، ثمّ من الأنصار، ثمّ من الخَزرَج بن حارثة بن ثَعلَبة بن عمرو بن عامر، ثمّ من بني الحارث بن الخَزرَج، ثمّ من بني امرِئِ القيس بن مالك بن ثَعلَبة بن كعب بن الخَزرَج بن الحارث بن الخَزرَج: خارِجةُ بن زيد بن أبي زُهَير بن مالك بن امرِئ القيس، وسعدُ بن رَبيع بن عمرو بن أبي زُهير ابن مالك بن امرِئ القيس، وعبدُ الله بن رَوَاحة بن امرِئ القيس بن عمرو بن امرِئ القيس، وخَلَّادُ بن سُوَيد بن ثَعلَبة بن عمرو بن حارثة بن امرِئ القيس؛ أربعةُ نفرٍ.

ومن بني زيد بن مالك بن ثَعلَبة بن كعب بن الخَزرَج بن الحارث بن الخَزرَج: بَشِيرُ بن سَعْد بن ثَعلَبة بن خِلَاس بن زيد، وأخوه سِمَاكُ بن سعد؛ رجلانِ.

قال ابن هشام: ويقال: جُلَاس، وهو عندنا خطأٌ.

ومن بني عَدِيّ بن كعب بن الخَزرَج بن الحارث بن الخَزرَج: سُبَيعُ بن قيس بن عَيْشة بن أُمَيّة بن مالك بن عامر بن عَدِيّ، وعَبَّادُ بن قيس بن عَيْشة، أخوه.

---

(١) هذا العنوان أثبتناه من (ي) وحاشية (م)، وفي (ش١): تسمية من شهد بدراً من الخزرج.

قال ابن هشام: ويقال: قيس بن عَبَسة بن أُميّة.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن عَبْس؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني أَحمرَ بن حارثة بن ثَعلَبة بن كعب بن الخَزرَج بن الحارث بن الخَزرَج: يزيدُ بن الحارث بن قيس بن مالك بن أَحمرَ، وهو الّذي يقال له: ابنُ فُسحُمَ؛ رجلٌ.

قال ابن هشام: فُسحُمُ أمُّه، وهي امرأةٌ من بني[1] القَيْنِ بن جَسْرٍ.

قال ابن إسحاق: ومن بني جُشَمَ بن الحارث بن الخَزرَج، وزيدِ بن الحارث بن الخَزرَج، وهما التَّوأَمان: خُبَيبُ بن إسَاف بن عُتْبة[2] بن عمرو بن خَدِيج بن عامر ابن جُشَم، وعبدُ الله بن زيد بن ثَعلَبة بن عبد ربِّه بن زيد، وأخوه حُرَيثُ بن زيد بن ثَعلَبة، زَعَمُوا، وسفيانُ بن بِشْر؛ أربعةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: سفيان بن نَسْر[3] بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد.

قال ابن إسحاق: ومن بني جِدَارة[4] بن عوف بن الحارث بن الخَزرَج: تَميمُ بن

---

(١) لفظ «بني» ليس في (ش١) و(غ) و(ق١) و(ي).

(٢) هكذا وقع في نسخنا بالتاء، وقُيّد في بعضها بضم العين، وذكر أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص١٧٣ أنه كذلك وقع عنده في نسخته، وذكر الدارقطنيُّ في «المؤتلف والمختلف» ٣/ ١٦٥٣: أنه عِنَبة، بالنون، وتبعه في ذلك ابن ماكولا في «الإكمال» ٦/ ١١٨، وابن الأثير في «أسد الغابة» ١/ ٥٩٦، وابن حجر في «الإصابة» ٢/ ٢٦١.

(٣) في (ت) و(غ) و(ق١): بشير، وفي (ص) و(م) و(ي): بشر، وكل ذلك تصحيف، فقد قيّده عن ابن هشام بالنون والسين ـ كما وقع في نسخة (ش١) ـ ابنُ عبد البر في «الاستيعاب» ص٢٩٥، وذكر أن في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق: بشير، ثم نقل عن محمد بن حبيب البغدادي أنه وهّم من قال فيه: بشر أو بشير، وأن الصواب فيه: نسر.

(٤) يروى بضمّ الجيم وكسرها كما قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص١٧٣، وبكسر الجيم لا غير قيَّده الدارقطنيُّ.

يَعَار بن قيس بن عَديّ بن أُميّة بن جِدَارة، وعبدُ الله بن عُمَير من بني حارثة.

قال ابن هشام: ويقال: عبدُ الله بن عُمير بن عَديّ بن أُميّة بن جِدَارة.

قال ابن إسحاق: وزيدُ بن المِزْيَن[1] بن قيس بن عَديّ بن أُميّة بن جِدَارة.

قال ابن هشام: زيد بن المَزِيِّ[2].

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن عُرفُطة بن عَديّ بن أُميّة بن جِدَارة؛ أربعةُ نفرٍ.

ومن بني الأبجَرِ، وهم بنو خُدْرة بن عوف بن الحارث بن الخَزرَج: عبدُ الله بن رَبيع بن قيس بن عمرو بن عبّاد بن الأبجَرِ؛ رجلٌ.

ومن بني عوف بن الخَزرَج، ثمّ من بني عُبيد بن مالك بن سالم بن غَنْم بن عوف ابن الخَزرَج، وهم بنو الحُبْلَى ـ قال ابن هشام: الحُبلَى: سالمُ بن غَنْم بن عوف، وإنّما سُمّيَ الحُبلَى لعِظَم بطنِه ـ: عبدُ الله بن عبد الله بن أُبيّ بن مالك بن الحارث ابن عُبيدٍ، وإنّما سَلُولُ امرأةٌ، وهي أمُّ أُبيٍّ، وأَوسُ بن خَوْليّ بن عبد الله بن الحارث ابن عُبيدٍ؛ رجلانِ.

ومن بني جُزَيّ[3] بن عَديّ بن مالك بن سالم بن غَنْم: زيدُ بن وَدِيعة بن عمرو

---

(١) هكذا قُيّد في نسخنا الخطية، بكسر الميم وإسكان الزاي، وهو ما أشار إليه الخشنيُّ، وقيّده الدارقطنيُّ: مُزَيْن.

(٢) اضطربت نسخنا الخطية في رسم هذا الاسم، ففي (ش١) و(ق١): المُريّ، وفي (ت): المُرمى، وفي (ص) و(م) و(ي): المُزَني، وفي (غ): المرتبي. وفي ظننا أن ذلك كله تصحيف، وأن الصواب فيه كما أثبتنا، فالمَزِيُّ: الظريف الكامل، وهذا المعنى قريب إلى المِزيَن، وكأنّ كليهما من الظَّرْف والزِّينة، والله تعالى أعلم.

(٣) هكذا في (ت) و(ص) و(ق١) و(م) و(ي) بياء، وقُيِّد في (ت) و(ص) و(م) بضم الجيم وفتح الزاي، وفي (ق١) بضم الجيم وإهمال الزاي، وأُهملتا في (ي)، وقُيِّد في (ز) و(ش١) و(غ): جَزْء، في آخره همز، قال السهيليُّ في «الروض» ٥/ ٢٩٥: ذكر أبو بحرٍ أنه قيَّده عن =

ابن قيس بن جُزَيّ، وعُقْبةُ بن وهب بن كَلَدَة حليفٌ لهم من بني عبد الله بن غَطَفان، ورِفاعةُ بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثَعلَبة بن مالك بن سالم بن غَنْم، وعامرُ بن سَلَمة بن عامرٍ حليفٌ لهم من أهل اليمن.

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن سَلَمة، وهو من بَلِيٍّ من قُضَاعة.

قال ابن إسحاق: وأبو حُمَيضة مَعبَدُ بن عَبّاد بن قُشَير بن المُقدَّم[1] بن سالم بن غَنْم.

قال ابن هشام: مَعبَد بن عُبَادة بن فَشغَر بن المُقدَّم[2]، ويقال: عُبادة بن قيس بن القَدْم.

وقال ابن إسحاق: وعامرُ بن البُكَير، حليفٌ لهم؛ ستّةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: عامرُ بن العُكَير، ويقال: عاصم بن العُكَير.

قال ابن إسحاق: ومن بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخَزرَج، ثمّ من بني العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم: نَوفلُ بن عبد الله بن نَضْلة بن مالك بن العَجْلان؛ رجلٌ.

ومن بني أَصرَمَ بن فِهْر بن ثَعلَبة بن غَنْم بن سالم بن عوف ـ قال ابن هشام: هذا

= أبي الوليد: جَزْء، بسكون الزاي، وأنه لم يجده عن غيره إلا بكسر الزاي. قلنا: وهذا الاسم كثير في العرب وكذلك الخلاف في تقييده، فراجع «الإكمال» لابن ماكولا وتعليق المعلّمي اليماني عليه ٢/ ٧٩-٨٣.

(١) هكذا في (ت) و(ز) و(ش١) و(ي)، وفي (ص): القُدم، وفي (غ) و(ق١) و(م): المفدم. ولم نقف على من قيّده ممّن يعتنون بتقييد المشتبِه.

(٢) في (غ): القدم، وفي (ق١): الفدم. وفي (ي): قشغر، وفي (ق١) أشار إلى أنه فشعر وفشغر معاً، بالعين والغين.

غَنْمُ بن عوفٍ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخَزرَج، وغَنْمُ بن سالمٍ الّذي قبلَه على ما قال ابن إسحاق ـ: عُبَادةُ بن الصامت بن قيس بن أَصرَمَ، وأخوه أَوسُ بن الصامت؛ رجلانِ.

ومن بني دَعْد بن فِهْر بن ثَعلَبة بن غَنْمٍ: النُّعمانُ بن مالك بن ثَعلَبة بن دَعْد، والنُّعمانُ الذي يقال له: قَوقَلٌ؛ رجل.

ومن بني قِرِيَوش[1] بن غَنْم بن أُميّة بن لَوْذان بن سالم ـ قال ابن هشام: ويقال قِرِيَوس بن غنم ـ: ثابتُ بن هَزّال بن عمرو بن قِرِيَوش؛ رجلٌ.

ومن بني مِرْضَخَة بن غَنْم بن سالمٍ: مالكُ بن الدُّخشُمِ بن مِرضَخة؛ رجلٌ.

قال ابن هشام: مالكُ بن الدُّخشُم بن مالك بن الدُّخشُم بن مِرضَخة.

قال ابن إسحاق: ومن بني لَوْذانَ بن سالمٍ[2]: رَبيعُ بن إيَاس بن عمرو بن غَنْم ابن أُميّة بن لَوْذانَ، وأخوه وَرَقةُ بن إياس، وعمرُو بن إياسٍ حليفٌ لهم من أهل اليمن؛ ثلاثةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: ويقال: عمرُو بن إياسٍ أخو ربيعٍ ووَرَقةَ.

قال ابن إسحاق: ومن حُلفائِهم من بَلِيٍّ ثمّ من بني غُصَينة ـ قال ابن هشام:

---

(١) قال السهيليُّ في «الروض» ٥/ ٢٩٦: بكسر القاف والشين المنقوطة، وقال ابن هشام: قِرِيَوس بالسين المهملة، كذا قيّده أبو الوليد، وفي أكثر الروايات قَرَبُوس بفتح القاف والباء المضمومة المنقوطة بواحدة، فقِرِيَوش: فِعيَول من التقرُّش، وهو التكسُّب، وبالسين فِعيَول من القَرْس، وهو البَرْد، وقِرِيَوش بالشين المنقوطة أصحُّ فيه، لأنه من التقرُّش وهو التكسّب، كما سُمِّيَت قريشٌ به، قاله قُطرُب. اهـ، قلنا: والقَرَبُوس: مقدَّم السَّرْج ومؤخَّره، وهما قَرَبُوسان.

(٢) هكذا في (ش١) و(غ) و(ق١)، وهو الموافق لما في «طبقات ابن سعد» في أكثر من موضع فيها، وفي (ت) و(ز) و(ص) و(م) و(ي): لوذان بن غنم بن سالم.

غُصَينةُ أمُّهم، وأبوهم عمرُو بن عَمَّارةَ ـ: المُجذَّرُ بن ذِيَاد بن عمرو بن زَمزَمة بن عمرو بن عَمَّارة بن مالك بن غُصَينة بن عمرو بن بَثِيرة بن مَشنُوء بن قُشَر بن تَيْم بن إرّاش بن عامر بن عُمَيلة[1] بن قِسْمِيل بن فَرَّان بن بَلِيٍّ بن عمرو بن الحافِ بن قُضَاعة.

قال ابن هشام: ويقال: قُشَرُ بن تَمِيم بن إراشة، وقِسمِيل بن فارَان، واسم المُجذَّر: عبدُ الله.

قال ابن إسحاق: وعُبَادةُ بن الخَشْخاش بن عمرو بن زَمزَمة، ونَحّابُ[2] بن ثَعلَبة بن خَزْمة بن أَصرَم بن عمرو بن عَمَّارة.

قال ابن هشام: ويقال: بَحّاثُ بن ثَعلَبة.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن ثَعلَبة بن خَزْمة بن أَصرَمَ. وزَعَموا أنّ عُتْبة بن رَبيعة بن خالد بن معاوية ـ حليفٌ لهم من بَهْراءَ ـ قد شَهِدَ بدراً؛ خمسةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: عُتْبةُ ابنُ بَهْزٍ من بني سُلَيم[3].

قال ابن إسحاق: ومن بني ساعدةَ بن كعب بن الخَزرَج ثمّ من بني ثَعلَبة بن الخزرج بن ساعدة: أبو دُجَانةَ سِمَاكُ بن خَرَشَة.

قال ابن هشام: أبو دُجَانة سِماكُ بن أَوس بن خَرَشة بن لَوْذان بن عبد وَدّ بن زيد

---

(١) تقدم التعليق على ضبط هذا الاسم ص٤٢٠.

(٢) في (ز) و(غ) و(ص): نجاب، بالجيم. وانظر «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين الدمشقي ١/ ٣٤٤-٣٤٥ و٣/ ٢١٨.

(٣) يعني أن عتبة هذا بَهزيٌّ لا بَهرائيٌّ، وهذا قول ابن الكلبيّ كما في «الإصابة» ٤/ ٤٣٤، وقول عبد الله بن محمد بن عمارة ابن القدّاح الأنصاري كما في «طبقات ابن سعد» ٣/ ٥١٣، وبهزٌ من قيس عيلان بن مضر، أما بهراءُ فمن قضاعة.

ابن ثَعلَبة.

قال ابن إسحاق: والمُنذِرُ بن عمرو بن خُنَيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد وَدّ بن زيد بن ثَعلَبة؛ رجلانِ.

قال ابن هشام: ويقال: المنذرُ بن عمرو بن خَنبَشٍ.

قال ابن إسحاق: ومن بني اليَدِي بن عامر[1] بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخَزرَج بن ساعدةَ: أبو أُسَيدٍ مالكُ بن رَبيعة بن اليَدِي، ومالكُ بن مسعودٍ وهو إلى اليَدِي؛ رجلانِ.

قال ابن هشام: مالكُ بن مسعود بن اليَدِي، فيما ذَكَر لي بعضُ أهل العلم.

قال ابن إسحاق: ومن بني طَرِيف بن الخَزرَج بن ساعدةَ: عبدُ ربِّه بن حِقّ بن أَوس بن وَقْشِ بن ثَعلَبة بن طَرِيف؛ رجلٌ.

ومن حُلفائِهم من جُهَينةَ: كعبُ بن حِمار بن ثَعلَبة.

قال ابن هشام: ويقال: كعبُ بن جَمّازٍ، وهو من غُبْشانَ.

قال ابن إسحاق: وضَمْرةُ وزيادٌ وبَسبَسٌ، بنو عَمْرو.

قال ابن هشام: ضَمْرةُ وزيادٌ ابنا بِشْر.

---

(١) تحرف في بعض النسخ إلى: عاصم.

وأما اليدي، فقد قيّده أبو علي الجيّاني في «تقييد المهمل» ١/ ١٢١ بياءين مثنّاتين، وذكر أنه اختُلف على ابن إسحاق فيه، فابن هشام عنه قال فيه: اليدي، وإبراهيم بن سعد ويونس بن بكير قالا فيه: البَدَن، وهكذا بباء ونون في آخره قيّده الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ١/ ١٨٣، وتابعه ابن ماكولا في «الإكمال» ١/ ٢١٧. قلنا: ولم يقيّد الجيّاني الياءَ الأخيرة بحركة، والظاهر أنها مشدَّدة ـ كما في (ز) و(ش١) و(م) ـ كغَنيٍّ، فإنه يقال: رجلٌ يَدِيٌّ، أي: صَنَاعٌ حاذقٌ ماهرٌ بعمل اليد، كأنه نُسِب إليها في حُسْن العمل، والله تعالى أعلم.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن عامرٍ من بَلِيٍّ؛ خمسةُ نفرٍ.

ومن بني جُشَمَ بن الخَزرَج، ثمّ من بني سَلِمةَ بن سعد بن عليّ بن أَسد بن سارِدَة ابن تَزِيدَ بن جُشَمَ بن الخَزرَج، ثم من بني حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمةَ: خِرَاشُ بن الصِّمّة بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرامٍ، والحُبَابُ بن المُنذِر بن الجَمُوح بن زيد بن حَرامٍ، وعُمَيرُ بن الحُمَام بن الجَمُوح بن زيد بن حَرامٍ، وتَميمٌ مولى خِرَاش بن الصِّمّة، وعبدُ الله بن عمرو بن حَرام بن ثَعلَبة بن حَرامٍ، ومعاذُ بن عمرو بن الجَمُوح، ومُعوِّذُ بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرامٍ، وخَلّادُ بن عمرو ابن الجَمُوح بن زيد بن حَرامٍ، وعُقْبةُ بن عامر بن نابِي بن زيد بن حَرامٍ، وحَبيبُ بن أسوَدَ مولًى لهم، وثابتُ بن ثَعلَبة بن زيد بن الحارث بن حَرامٍ ـ وثَعلَبةُ الذي يقال له: الجِذْعُ ـ وعُمَيرُ بن الحارث بن ثَعلَبة بن الحارث بن حَرامٍ؛ اثنا عشرَ رجلاً.

قال ابن هشام: ويقال: الصِّمّة بن عمرو بن الجَمُوح بن حَرَام.

قال ابن هشام: عُمَيرُ بن الحارث بن لِبْدة بن ثَعلَبة.

قال ابن إسحاق: ومن بني عُبيد بن عَديّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة، ثمّ من بني خَنْساءَ بن سِنَان بن عُبيدٍ: بِشرُ بن البَرَاء بن مَعرُور بن صَخْر بن مالك بن خَنْساءَ، والطُّفَيلُ بن مالك بن خَنْساء، والطُّفيلُ بن النُّعمان بن خَنْساء، وسِنانُ بن صَيفِيّ بن صَخْر بن خنْساء، وعبدُ الله بن الجَدِّ بن قيس بن صَخْر بن خَنْساء، وعُتْبةُ بن عبد الله ابن صَخْر بن خَنْساء، وجَبّارُ بن صَخْر بن أُميّة بن خَنْساء، وخارِجةُ بن حُميِّر، وعبد الله بن حُميِّرٍ، حليفانِ لهم من أشجَعَ من بني دُهْمانَ؛ تسعةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: ويقال: جبّارُ بن صخر بن أُميّة بن خُنَاسٍ.

قال ابن إسحاق: ومن بني خُنَاس بن سِنان بن عُبيدٍ: يزيدُ بن المُنذِر بن سَرْح ابن خُنَاس، ومَعقِلُ بن المنذر بن سَرْح بن خُنَاس، وعبدُ الله بن النُّعمان بن بَلْدَمةَ.

قال ابن هشام: ويقال: بُلذُمةُ وبُلدُمةُ.

قال ابن إسحاق: والضَّحّاكُ بن حارثة بن زيد بن ثَعلَبة بن عُبيد بن عَديٍّ، وسَوَاد ابن زُرَيق بن ثَعلَبة بن عُبيد بن عَديّ.

قال ابن هشام: ويقال: سَوَادُ بن رَزْن بن زيد بن ثَعلَبة.

قال ابن إسحاق: ومَعبَدُ بن قيس بن صَخْر بن حَرَام بن رَبيعة بن عَديّ بن غَنْم ابن كعب بن سَلِمةَ.

ويقال: مَعبَدُ بن قيس بن صَيفِيّ بن صخر بن حَرام بن رَبيعة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن قيس بن صَخْر بن حَرام بن رَبيعة بن عَديّ بن غَنْمٍ؛ سبعةُ نفرٍ.

ومن بني النُّعمان بن سِنان بن عُبيدٍ: عبدُ الله بن عبد مَنَاف بن النُّعمان، وجابرُ ابن عبد الله بن رِئَاب بن النُّعمان، وخُلَيدةُ بن قيس بن النُّعمان، والنُّعمانُ بن سِنانٍ[1] مولًى لهم؛ أربعةُ نفرٍ.

ومن بني سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة، ثمّ من بني حَدِيدة بن عمرو بن غَنْم بن سَوَاد ـ قال ابن هشام: عمرُو ابن سَوَاد، ليس لسوادٍ ابنٌ يقال له: غَنْم ـ: أبو المُنذِر، وهو يزيدُ بن عامر بن حَدِيدة، وسُلَيمُ بن عمرو بن حَدِيدة، وقُطْبةُ بن عامر بن حَدِيدة، وعَنتَرةُ مولى سُلَيم بن عمرٍو؛ أربعةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: عَنتَرةُ من بني سُلَيم بن منصور ثمّ من بني ذَكْوانَ.

قال ابن إسحاق: ومن بني عَدِيّ بن نابِي بن عمرو بن سَوَاد بن غَنْم: عَبْسُ بن

---

(١) في (ز) و(ي): يسار، وكذا وقع في نسخة أبي ذر الخشنيّ كما ذكر هو في «إملائه» ص١٧٣، وهو تحريف والصواب: سنان.

عامر بن عَديّ، وثَعلَبةُ بن عَنَمة بن عَديّ، وأبو اليَسَرِ وهو كعبُ بن عمرو بن عَبّاد ابن عمرو بن غَنْم بن سَوَادٍ، وسهلُ بن قيس بن أَبي كعب بن القَيْن بن كعب بن سَوَاد، وعمرُو بن طَلْق بن زيد بن أُميّة بن سِنَان بن كعب بن غَنْمٍ، ومعاذُ بن جَبَل بن عمرو بن أَوس بن عائذ[1] بن عَديّ بن كعب بن عَديّ بن أُدَد[2] بن سعد بن عليّ بن أَسد بن سارِدَة بن تَزِيدَ بن جُشَمَ بن الخَزرَج بن حارثة بن ثَعلَبة بن عمرو بن عامر؛ ستّةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: أَوسُ بن عبّاد بن عَديّ بن كعب بن عمرو بن أُدَيّ بن سعد.

قال ابن هشام: وإنّما نَسَبَ ابنُ إسحاق معاذَ بن جبلٍ في بني سَوَادٍ وليس منهم، لأنّه فيهم.

قال ابن إسحاق: والَّذين كَسَروا آلهةَ بني سَلِمةَ: معاذُ بن جبلٍ وعبدُ الله بن أُنَيسٍ وثَعلَبةُ بن عَنَمة، وهم في بني سَوَاد بن غَنْم[3].

قال ابن إسحاق: ومن بني زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبدِ حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخَزرَج، ثمّ من بني مُخلَّد بن عامر بن زُرَيق ـ قال ابن هشام: ويقال: عامر بن الأَزرق ـ: قيسُ بن مِحصَن بن خالد بن مُخلَّد.

قال ابن هشام: ويقال: قيس بن حِصْن.

قال ابن إسحاق: وأبو خالد: وهو الحارث بن قيس بن خالد بن مُخلَّدٍ، وجُبَيرُ ابن إياس بن خالد بن مُخلَّد، وأبو عُبَادة: وهو سعد بن عثمان بن خَلْدة بن مُخلَّد،

(١) في (ت) و(ص) و(ق١) و(م): عائذة، والمثبت من سائر النسخ، وهو الصواب.

(٢) في (ز) و(ي): أُديّ. وقد تقدم الكلام عليه ص٩١.

(٣) قوله: وهم في بني سواد بن غنم، من (ش١) و(غ) و(ي). وعبد الله بن أُنيس جُهنيٌّ حليفٌ لبني سَلِمة من الأنصار.

وأخوه عُقْبةُ بن عثمان بن خَلْدة بن مُخلَّد، وذَكْوانُ بن عبد قيس بن خَلْدة بن مُخلَّد، ومسعودُ بن خَلْدة بن عامر بن مُخلَّدٍ؛ سبعةُ نفرٍ.

ومن بني خالد بن عامر بن زُرَيقٍ: عَبّادُ بن قيس بن عامر بن خالدٍ؛ رجلٌ.

ومن بنى خَلْدة بن عامر بن زُرَيقٍ: أَسعدُ[1] بن يزيد بن الفاكِهِ بن زيد بن خَلْدة، والفاكِهُ بن بِشْر بن الفاكِه بن زيد بن خَلْدة.

قال ابن هشام: بُسْر بن الفاكه.

قال ابن إسحاق: ومعاذُ بن ماعِص بن قيس بن خَلْدة، وأخوه عائذُ بن ماعص بن قيس بن خَلْدة، ومسعودُ بن سعد بن قيس بن خَلْدة؛ خمسةُ نفرٍ.

ومن بني العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيقٍ: رِفاعةُ بن رافع بن مالك بن العَجْلان، وأخوه خَلّادُ بن رافع بن مالك بن العَجْلان، وعُبَيدُ بن زيد بن عامر بن العَجْلان؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني بَيَاضةَ بن عامر بن زُرَيقٍ: زيادُ بن لَبِيد بن ثَعلَبة بن سِنَان بن عامر بن عَديّ بن أُميّة بن بَيَاضة، وفَرْوةُ بن عمرو بن وَذْفة بن عُبيد بن عامر بن بَيَاضة.

قال ابن هشام: ويقال: وَدْفةُ.

قال ابن إسحاق: وخالدُ بن قيس بن مالك بن العَجْلان بن عامر بن بَيَاضة، ورُجَيلةُ بن ثَعلَبة بن خالد بن ثَعلَبة بن عامر بن بَيَاضة.

قال ابن هشام: ويقال: رُخَيلةُ[2].

---

(١) في (ص) و(م): سَعْد، وهذا أحد وجهين قيلا في اسمه، انظر ترجمته في «أسد الغابة» ١/ ٨٩ و٢/ ١٩٩.

(٢) قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص١٧٣-١٧٤: كذا وقع هنا بالجيم في قول ابن إسحاق، وبالخاء المعجمة في قول ابن هشام، ورُخَيلةُ بالخاء المعجمة قيَّده الدارقطنيُّ في قول ابن إسحاق =

قال ابن إسحاق: وعطيَّةُ بن نُوَيرةَ بن عامر بن عطيّة بن عامر بن بَيَاضة، وخَلِيفةُ ابن عَديّ بن عمرو بن مالك بن عامر بن فُهَيرة بن بَيَاضة؛ ستّةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: ويقال: عُلَيفة[1].

قال ابن إسحاق: ومن بني حَبِيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخَزرَج: رافعُ بن المُعلَّى بن لَوْذان بن حارثة بن عَديّ بن زيد بن ثَعلَبة بن زيد مَنَاة ابن حَبيب؛ رجلٌ.

قال ابن هشام: ابن أبي المُعلّى[2].

قال ابن إسحاق: ومن بني النَّجّار ـ وهو تَيْمُ الله بن ثَعلَبة بن عمرو بن الخَزرَج ـ ثمّ من بني غَنْم بن مالك بن النَّجّار، ثمّ من بني ثَعلَبة بن عبد عوف بن غَنْمٍ: أبو أيّوبَ خالدُ بن زيد بن كُلَيب بن ثَعلَبة؛ رجلٌ.

ومن بني عُسَيرة بن عبدِ عوف بن غَنْم: ثابتُ بن خالد بن النُّعمان بن خَنْساءَ بن عُسَيرةَ؛ رجلٌ.

قال ابن هشام: ويقال: عُشَيرة.

قال ابن إسحاق: ومن بني عمرو بن عبدِ عوف بن غَنْمٍ: عُمَارةُ بن حَزْم بن زيد ابن لَوْذان بن عمرو، وسُرَاقةُ بن كعب بن عبد العُزَّى بن غَزِيّة بن عمرو؛ رجلانِ.

ومن بني عُبَيد بن ثَعلَبة بن غَنْمٍ: حارثةُ بن النُّعمان بن زيد بن عُبيدٍ، وسُلَيمُ بن

= (وهذه رواية إبراهيم بن سعد عنه كما في «الاستيعاب» ص٢٣٨)، ورُحَيلة بالحاء المهملة قيَّده أبو عمر (يعني ابن عبد البر) في قول ابن هشام.

(١) أي: مكان خليفة.

(٢) قول ابن هشام هذا من (غ). وقد نقل مثله أبو الوليد الباجيُّ في كتابه «التعديل والتجريح» ٢/ ٥٧٦ عن مسلم بن الحجّاج.

قيس بن قَهْد، واسم قَهْدٍ خالدُ بن قيس بن عُبيدٍ؛ رجلانِ.

قال ابن هشام: حارثةُ بن النُّعمان بن نَفْع بن زيد.

قال ابن إسحاق: ومن بني عائذ بن ثَعلَبة بن غَنْم ـ ويقال: عائد[1] فيما قال ابن هشام ـ: سُهَيلُ بن رافع بن أبي عمرو بن عائذٍ، وعَديُّ بن أبي الزَّغْباء حليفٌ لهم من جُهَينة؛ رجلانِ.

ومن بني زيد بن ثَعلَبة بن غَنْمٍ: مسعودُ بن أَوس بن زيد، وأبو خُزَيمة بن أَوس ابن زيد بن أَصرَمَ بن زيد، ورافعُ بن الحارث بن سَوَاد بن زيد؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني سَوَاد بن مالك بن غَنْمٍ: عوفٌ ومُعوِّذٌ ومُعاذٌ، بنو الحارث بن رِفَاعة بن سَوَادٍ، وهم بنو عَفْراءَ.

قال ابن هشام: عَفْراءُ ابنة عُبَيد بن ثَعلَبة بن عُبيد بن ثَعلَبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار.

ويقال: رِفاعةُ بن الحارث بن سَوَادٍ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: والنُّعمانُ بن عمرو بن رِفاعة بن سَوَاد.

ويقال: نُعَيمانُ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعامرُ بن مُخلَّد بن الحارث بن سَوَاد، وعبدُ الله بن قيس بن خالد بن خَلْدة بن الحارث بن سَوَاد، وعُصَيمةُ حليفٌ لهم من أشجَعَ، ووَدِيعةُ بن عمرٍو حليفٌ لهم من جُهَينة، وثابتُ بن عمرو بن زيد بن عَديّ بن سَوَاد. وزَعَموا أنّ أبا الحَمْراءِ مولى الحارث ابن عَفْراءَ قد شَهِدَ بدراً؛ عشرةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: أبو الحَمراءِ مولى الحارث بن رِفاعةَ.

---

(١) في (ز) و(ص) و(غ): عابد.

قال ابن إسحاق: ومن بني عامر بن مالك بن النَّجّار ـ وعامرٌ مَبذُولٌ ـ ثمّ من بني عَتِيك بن عمرو بن مَبذُولٍ: ثَعلَبةُ بن عمرو بن مِحصَن بن عمرو بن عَتِيك، وسَهْل[1] ابن عَتِيك بن النُّعمان بن عمرو بن عَتِيك، والحارثُ بن الصِّمّة بن عمرو بن عَتِيك، كُسِرَ به بالرَّوحاءِ فضَرَبَ له رسول الله ﷺ بسهمِه؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني عمرو بن مالك بن النَّجّار ـ وهم بنو حُدَيلة ـ ثمّ من بني قيس بن عُبيد ابن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النَّجّار ـ قال ابن هشام: حُدَيلةُ بنت مالك بن زيد الله بن حَبيب بن عبدِ حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخَزرَج، وهي أمُّ معاوية بن عمرو بن مالك بن النَّجّار، فبنو معاوية يُنسَبون إليها ـ: أُبيُّ بن كعب بن قيس، وأنسُ بن معاذ بن أنس بن قيس؛ رجلانِ.

ومن بني عَديّ بن عمرو بن مالك بن النَّجّار ـ قال ابن هشام: وهم بنو مَغَالة بنت عوف بن عبد مَنَاة بن عمرو بن مالك بن كِنانة بن خُزَيمة، ويقال: إنّها من بني زُرَيق، وهي أمُّ عَديّ بن عمرو بن مالك بن النَّجّار، فبنو عَديٍّ يُنسَبون إليها ـ: أَوسُ بن ثابت بن المُنذِر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَنَاة بن عَديّ، وأبو شَيخٍ أُبيُّ بن ثابت بن المنذر بن حَرام بن عمرو بن زيد مَنَاة بن عَديّ.

قال ابن هشام: أبو شيخٍ أُبيُّ بن ثابت، أخو حسّان بن ثابت.

قال ابن إسحاق: وأبو طَلْحةَ، وهو زيدُ بن سَهْل بن الأَسود بن حَرَام بن عمرو ابن زيد مَنَاة بن عَديّ؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني عَديّ بن النَّجّار، ثمّ من بني عَديّ بن عامر بن غَنْم بن عَديٍّ بن النَّجّار: حارثةُ بن سُرَاقة بن الحارث بن عَديّ بن مالك بن عَديّ بن عامر، وعمرُو بن ثَعلَبة

---

(١) هكذا في (ز) و(غ) و(ق١)، وفي (ت) و(ش١) و(ص) و(م) و(ي): سهيل. وسَهْلٌ أشهر وأكثر كما قال ابن الأثير في «أسد الغابة» ٢/ ٣٢٧.

ابن وهب بن عَديّ بن مالك بن عَديّ بن عامر، وهو أبو حَكيمٍ، وسَلِيطُ بن قيس بن عمرو بن عَتِيك بن مالك بن عَديّ بن عامر، وأبو سَلِيطٍ وهو أُسَيرةُ بن عمرو، وعمرٌو أبو خارِجةَ بن قيس بن مالك بن عَديّ بن عامر، وثابتُ بن خَنْساءَ بن عمرو ابن مالك بن عَديّ بن عامر، وعامرُ بن أُميّة بن زيد بن الحَسحَاس بن مالك بن عَديّ ابن عامر، ومُحرِزُ بن عامر بن مالك بن عَديّ بن عامر، وسَوَادُ بن غَزِيّة بن أُهَيبٍ حليفٌ لهم من بَلِيٍّ؛ ثمانيةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: ويقال: سَوّادٌ.

قال ابن إسحاق: ومن بني حَرَام بن جُندُب بن عامر بن غَنْم بن عَدِيّ بن النَّجّار: أبو زيدٍ قيسُ بن سَكَن بن قيس بن زَعُوراءَ بن حَرام، وأبو الأعوَر بنُ الحارث بن ظالم بن عَبْس بن حَرام.

قال ابن هشام: ويقال: أبو الأَعوَر الحارثُ بن ظالمٍ.

قال ابن إسحاق: وسُلَيمُ بن مِلْحانَ، وحَرَامُ بن مِلْحان، واسم مِلحانَ مالكُ بن خالد بن زيد بن حَرَام؛ أربعةُ نفرٍ.

ومن بني مازن بن النَّجّار، ثمّ من بني عوف بن مَبذُول بن عمرو بن غَنْم بن مازن ابن النَّجّار: قيسُ بن أبي صَعْصَعة ـ واسم أبي صعصعةَ عمرُو بن زيد بن عوفٍ ـ وعبدُ الله بن كعب بن عمرو بن عوف، وعُصَيمةُ حليفٌ لهم من بني أَسد بن خُزَيمة؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني خَنْساء بن مَبذُول بن عمرو بن غَنْم بن مازنٍ: أبو داود عُمَيرُ بن عامر ابن مالك بن خَنْساء، وسُرَاقةُ بن عمرو بن عطيّة بن خَنساء؛ رجلانِ.

ومن بني ثَعلَبة بن مازن بن النَّجّار: قيسُ بن مُخلَّد بن ثَعلَبة بن صَخْر بن حَبيب ابن الحارث بن ثَعلَبة؛ رجلٌ.

ومن بني دِينارِ بن النَّجّار، ثمّ من بني مسعود بن عبد الأَشهَل بن حارثة بن دِينار ابن النَّجّارِ: النعمانُ بن عبدِ عمرو بن مسعود، والضَّحّاكُ بن عبدِ عمرو بن مسعود، وسُلَيم بن الحارث بن ثَعلَبة بن كعب بن حارثة بن دِينار، وهو أخو الضَّحّاك والنُّعمان ابنَي عبدِ عمرٍو لأمِّهما، وجابرُ بن خالد بن عبد الأَشهَل بن حارثة، وسعدُ بن سُهَيل ابن عبد الأَشهَل؛ خمسةُ نفرٍ.

ومن بني قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دِينار بن النَّجّار: كعبُ بن زيد بن قيس، وبُجَيرُ بن أبي بُجَيرٍ حليفٌ لهم؛ رجلانِ.

قال ابن هشام: بُجَيرٌ من عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان، ثم من بني جَذِيمة ابن رَوَاحة.

قال ابن إسحاق: فجميعُ من شَهِدَ بدراً من الخَزرَج مئةٌ وسبعون رجلاً.

قال ابن هشام: وأكثرُ أهل العلم يَذكُر في الخَزرَج ببدرٍ في بني العَجْلان بن زيد ابن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخَزرَج: عِتْبانَ بن مالك بن عمرو ابن العَجْلان، ومُلَيلَ بن وَبْرةَ بن خالد بن العَجْلان، وعِصْمةَ بن الحُصَين بن وَبْرة ابن خالد بن العَجْلان.

وفي بني حَبيب بن عبدِ حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخَزرَج - وهم في بني زُرَيق - هلالَ بن المُعلَّى بن لَوْذان بن حارثة بن عَديّ بن زيد بن ثَعلَبة بن مالك ابن زيد مَنَاة بن حَبيب.

قال ابن إسحاق: فجميعُ من شَهِدَ بدراً من المسلمين من المهاجرين والأنصار، من شَهِدَها منهم ومن ضُرِبَ له بسَهمِه وأَجرِه، ثلاثُ مئةِ رجلٍ وأربعةَ عشرَ رجلاً: من المهاجرين ثلاثةٌ وثمانون رجلاً، ومن الأَوس واحدٌ وستُّون رجلاً، ومن الخَزرَج

مئةٌ وسبعون رجلاً[1].

(١) قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٥/ ٣٠٠-٣٠١: وممّن شهد بدراً ولم يذكره ابن هشام عن البَكّائي، وذكره ابنُ إسحاق في رواية إبراهيم بن سعد عنه: عِياضُ بن زهير بن أبي شدّاد بن رَبيعة بن هلال بن وُهَيب بن ضَبّة بن الحارث بن فِهْر، وهو ممّن هاجر إلى أرض الحبشة، وقد ذكره في البدريِّين موسى بن عُقبة وخَليفة بن خيّاط وجماعة.

وممّن ذُكِر في البدريِّين ولم يذكره ابنُ إسحاق يزيدُ بن الأخنَس السُّلَمي وابنه مَعْن بن يزيد وأبوه الأخنسُ، ولا يُعرَف مَن شهد بدراً ثلاثةٌ أبٌ وابنٌ وجَدٌّ إلا هؤلاء، وأكثرُ أهل العلم بالسِّير لا يصحِّحُ شهودهم بدراً لكن شهدوا بيعةَ الرِّضوان...

وممّن ذكره البخاريُّ في البدريِّين خُرَيم بن فاتك وأخوه سَبْرة الأسَديّان.

وممّن ذكره البخاريُّ في البدريِّين من بنى سَلِمة جابرُ بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام، وقال أبو عمر: لا يصحُّ شهودُه بدراً، وذكر اختلاف الناس في ذلك، وفي «السنن» لأبي داود (٢٧٣١): أنّ جابراً قال: كنت أَمِيحُ أصحابي الماءَ يوم بدر؛ أي: كان صغيراً فلم يُسهَم له، وزَعَم بعضُهم أن هذه الرواية تصحيف، وأن الصحيح: كنت مَنِيحَ أصحابي يوم بدر، والمَنِيح: السَّهم، يريد أنهم كانوا يرسلونه في حوائجهم لصِغَر سنِّه!

وممّن شهد بدراً وذكره ابنُ إسحاق في غير رواية ابن هشام: طُلَيبُ بن عُميرٍ من بني عَبْد بن قُصيّ، وأمُّه أَروى عمّةُ رسول الله ﷺ. اهـ

قلنا: وممّن شهد بدراً أيضاً ولم يذكره ابن إسحاق: مُرَارةُ بن الربيع من بني عمرو بن عوف، وهلالُ بن أُميّة من بني واقف، وكلاهما من الأوس، وقع ذلك مصرَّحاً به من قول كعب بن مالك الأنصاري في قصة توبته زمن غزوة تبوك فيما أخرجه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩) عنه أنه قال ـ وقد ذُكرا له ـ: فذكروا لي رجلينِ صالحينِ قد شَهِدا بدراً.

وفات السهيليَّ أن يذكر ممّن ذكره البخاريُّ في البدريِّين أبا مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدريّ، كما في «صحيحه» (٤٠٠٧)، وممّن ذهب أيضاً إلى أنه شهد بدراً ابنُ الكلبيِّ وأبو عبيدٍ القاسم بن سلّام ومسلمٌ في «الكنى» كما في «فتح الباري» ١٢/ ٨٦-٨٧، وتقدّم ص٨٧-٨٨ أن ابن إسحاق نفى شهودَه بدراً، وهذا قول الواقديِّ وابن سعدٍ، وعليه جمهور أهل العلم بالسِّيَر كما =

ذكر من استُشهِد من المسلمين يومَ بدر

واستُشهِدَ من المسلمين يومَ بدرٍ مع رسول الله ﷺ من قريشٍ ثم من بني المُطَّلِب ابن عبد مَنَافٍ: عُبَيدةُ بن الحارث بن المطَّلِب، قتله عُتْبةُ بن رَبيعة، قَطَعَ رجلَه، فمات بالصَّفْراء؛ رجلٌ.

ومن بني زُهْرةَ بن كِلَابٍ: عُمَيرُ بن أبي وَقّاص بن أُهَيب بن عبد مَنَاف بن زُهْرة[1] ـ وهو أخو سعد بن أبي وَقّاصٍ فيما قال ابن هشام ـ وذو الشِّمالَينِ بن عبدِ عمرو بن نَضْلةَ، حليفٌ لهم من خُزَاعةَ ثم من بني غُبْشانَ؛ رجلانِ.

ومن بني عَدِيّ بن كعب بن لُؤيٍّ: عاقلُ بن البُكَيرِ حليفٌ لهم من بني سعد بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَنَاة بن كِنانةَ، ومِهجَعٌ مولى عمر بن الخَطّاب؛ رجلانِ.

ومن بني الحارث بن فِهْرٍ: صفوانُ ابن بيضاءَ؛ رجلٌ. ستّةُ نفرٍ.

ومن الأنصار ثمّ من بني عمرو بن عوفٍ: سعدُ بن خَيثَمة، ومُبشِّرُ بن عبد المُنذِر ابن زَنبَرٍ؛ رجلانِ.

ومن بني الحارث بن الخَزرَج: يزيدُ بن الحارث، وهو الّذي يقال له: ابن فُسْحُمَ؛ رجلٌ.

= قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٨٥١، وإنما عُرف بالبدريِّ لأنه سكن أو نزل ماءً ببدرٍ، وهذا ما صحّحه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ١/ ٥٠٠، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٢/ ٤٩٤.

(١) قال السهيليُّ في «الروض» ٥/ ٢٩٧: ذكر الواقديُّ: أن النبيّ ﷺ كان قد ردَّه في ذلك اليوم لأنه استصغره، فبكى عميرٌ، فلما رأى النبي ﷺ بكاءَه أَذِنَ له فى الخروج معه، فقُتِل وهو ابن ستَّ عشرةَ سنة، قتله العاصِ بنُ سعيد. قلنا: روى نحو ذلك الحاكم في «المستدرك» (٤٩٢٥) عن سعد بن أبي وقاص بإسناد حسن.

ومن بني سَلِمةَ ثمّ من بني حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمةَ: عُمَيرُ بن الحُمَام؛ رجلٌ.

ومن بني حَبِيب بن عبدِ حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَمَ: رافعُ بن المُعلَّى؛ رجلٌ.

ومن بني النَّجّارِ: حارثةُ بن سُرَاقة بن الحارث؛ رجلٌ.

ومن بني غَنْم بن مالك بن النَّجّارِ: عوفٌ ومُعوِّذٌ، ابنا الحارث بن رِفاعة بن سَوَادٍ، وهما ابنا عَفْراءَ؛ رجلانِ. ثمانيةُ نفرٍ.

ذكر من قُتِل من المشركين يوم بدر

وقُتِل من المشركين يومَ بدرٍ من قريشٍ ثم من بني عبد شمس بن عبد مَنَافٍ: حنظلةُ بن أبي سفيان بن حَرْب بن أُميّة بن عبد شمس.

قتله زيدُ بن حارثةَ مولى رسول الله ﷺ فيما قال ابن هشام، ويقال: اشتَرَك فيه حمزةُ وعليٌّ وزيدٌ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: والحارثُ بن الحَضْرميِّ وعامرُ بن الحَضْرميَّ، حليفانِ لهم.

قَتَل عامراً عمّارُ بن ياسرٍ، وقَتَل الحارثَ النُّعمانُ بن عِصْرٍ[1] حليفٌ للأَوس، فيما قال ابن هشام.

وعُمَيرُ بن أبي عُميرٍ وابنُه، مَولَيانِ لهم.

قَتَل عُميرَ بن أبي عُميرٍ سالمٌ مولى أبي حُذَيفة، فيما قال ابن هشام.

وعُبَيدةُ بن سعيد بن العاصِ بن أُميّة بن عبد شمس، قتله الزُّبيرُ بن العَوّام، والعاصِ بنُ سعيد بن العاصِ بن أُميّة، قتله عليُّ بن أبي طالب[2]، وعُقْبةُ بن أبي

(١) وقيل: عَصْر، وعَصَر، انظر «المؤتلف والمختلف» للدارقطني ٤/ ١٧٧٦-١٧٧٧.

(٢) قد روي عن سعد بن أبي وقّاص عند أحمد (١٥٥٦) وغيره: أنه هو الذي قتل العاصِ =

مُعَيط بن أبي عمرو بن أُميّة بن عبد شمس، قتله عاصمُ بن ثابت بن أبي الأَقلَحِ أخو بني عمرو بن عوفٍ صَبْراً[1].

قال ابن هشام: ويقال: عليُّ بن أبي طالبٍ قَتَله.

قال ابن إسحاق: وعُتْبةُ بن رَبيعة بن عبد شمس، قتله عُبَيدةُ بن الحارث بن المُطَّلِب.

قال ابن هشام: اشتَرَك فيه هو وحمزةُ وعليٌّ.

قال ابن إسحاق: وشَيْبةُ بن رَبيعة بن عبد شمس، قتله حمزةُ بن عبد المُطَّلِب، والوليدُ بن عُتْبة بن رَبيعة، قتله عليُّ بن أبي طالب، وعامرُ بن عبد الله حليفٌ لهم من بني أَنمار بن بَغِيض، قتله عليُّ بن أبي طالب؛ اثنا عشرَ رجلاً.

ومن بني نَوفَل بن عبد مَنافٍ: الحارثُ بن عامر بن نَوفَل، قتله ـ فيما يَذكُرون ـ خُبَيبُ بن إسَافٍ أخو بني الحارث بن الخَزرَج، وطُعَيمةُ بن عَديّ بن نَوفَل، قتله عليُّ بن أبي طالب، ويقال: حمزةُ بن عبد المطَّلِب؛ رجلانِ.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ: زَمْعةُ بن الأسود بن المُطَّلِب بن أَسَد.

قال ابن هشام: قتله ثابتُ بن الجِذْعِ أخو بني حَرَامٍ، فيما قال ابن هشام، ويقال: اشتَرَك فيه حمزةُ وعليٌّ وثابتٌ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: والحارثُ بن زَمْعةَ. قتله عمّارُ بن ياسرٍ، فيما قال ابن هشام.

وعَقِيلُ بن الأسود بن المُطَّلِب. قتله حمزةُ وعليٌّ، اشتَرَكا فيه، فيما قال ابن هشام.

= ابنَ سعيد هذا، وأنه أخذ سيفه المسمَّى ذا الكَتِيفة. ورجاله إسناده ثقات، وانظر التعليق عليه هناك.

(١) أي: بعدما أُسر وحُبس.

وأبو البَختَريِّ: وهو العاصِ بن هشام بن الحارث بن أَسَد، قتله المُجذَّرُ بن ذِيَادٍ البَلَويُّ.

قال ابن هشام: أبو البَختَريّ: العاصِ بنُ هاشم.

قال ابن إسحاق: ونَوفَلُ بن خُويلِد بن أَسد، وهو ابن العَدَويّة، عَدِيِّ خُزَاعة، وهو الّذي قَرَنَ أبا بكرٍ الصِّدّيق وطلحةَ بن عُبيد الله حين أسلَما في حبلٍ، فكانا يُسمَّيانِ القَرِينَينِ لذلك، وكان من شياطين قريش، قتله عليُّ بن أبي طالب[1]؛ خمسةُ نفرٍ.

ومن عبد الدّار بن قُصيٍّ: النَّضرُ بن الحارث بن كَلَدة بن عَلقَمة بن عبد مَنَاف بن عبد الدَّار، قتله عليُّ بن أبي طالب صبراً عند رسول الله ﷺ بالصَّفراء فيما يَذكرُون.

قال ابن هشام: بالأُثيل[2].

قال ابن هشام[3]: ويقال: النَّضرُ بن الحارث بن عَلقَمة بن كَلَدَة بن عبد مَنَاف.

قال ابن إسحاق: وزيدُ بن مُلَيْص مولى عُمَير بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدَّار؛ رجلانِ.

قال ابن هشام: قَتَل زيدَ بنَ مُليصٍ بلالُ بن رَبَاح مولى أبي بكر، وزيدٌ حليفٌ لبني عبد الدّار من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تَمِيم، ويقال: قتله المِقدادُ بن

---

(١) زاد في (ت): صبراً. وهذا موافق لما في «مغازي الواقدي» ١/ ٩١-٩٢ من أن عليّاً قتله بعدما أسره جبّارُ بن صخر.

(٢) موضع بين بدر وقرية الصفراء المعروفة اليوم باسم الواسطة التي تبعد عن بدر قرابة ٢٠ كم. قاله عاتق البلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» ص١٦.

وبعضهم يشدّد ياءَه، لكن سيأتي في آخر قصة بدر ص٥٠١ في شعر قُتيلة ابنته بتخفيف الياء.

(٣) قول ابن هشام هذا لم يرد في (ش١) و(ق١)، ووقع في (ي) مكان ابن هشام: ابن إسحاق، وهو خطأ.

عمرو.

قال ابن إسحاق: ومن بني تَيْم بن مُرَّةَ: عُمَيرُ بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْمٍ.

قال ابن هشام: قتله عليُّ بن أبي طالب، ويقال: عبدُ الرَّحمن بن عَوْف.

قال ابن إسحاق: وعثمانُ بن مالك بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب، قتله صهيبُ بن سِنَان؛ رجلانِ.

ومن بني مَخزُوم بن يَقَظَة بن مُرّةَ: أبو جهل بن هشام، واسمه عمرو بن هشام ابن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، ضَرَبَه معاذُ بن عمرو بن الجَمُوح فقَطَعَ رجلَه، وضَرَب ابنُه يدَ معاذ فطَرَحَها، ثمّ ضربه مُعوِّذُ ابن عَفْراءَ حتّى أثبَتَه[1]، ثمّ تركه وبه رَمَقٌ، ثمّ ذَفَّفَ[2] عليه عبدُ الله بن مسعودٍ واحتَزَّ رأسه حين أَمَرَ رسولُ الله ﷺ أن يُلتَمَسَ في القتلى[3].

والعاصِ بنُ هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، قتله عمرُ بن الخطّاب، ويزيدُ بن عبد الله حليفٌ لهم من بني تَمِيم.

قال ابن هشام: ثمّ أحدُ بني عمرو بن تَميم، وكان شجاعاً، قتله عمّارُ بن ياسر.

قال ابن إسحاق: وأبو مُسافِع الأشعريُّ حليفٌ لهم. قتله أبو دُجَانة السّاعديُّ، فيما قال ابن هشام.

وحَرمَلةُ بن عمرو بن أبي عُتْبة، حليفٌ لهم ـ قال ابن هشام: قتله خارجةُ بن زيد

---

(١) أي: جرحه وأصاب مَقاتلَه حتى لا يستطيع القيام.

(٢) في (ت) و(ص) و(ي): دفّف، بالدال المهملة، وكلاهما بالدال والذال صحيح، ومعناه: أجهز عليه.

(٣) انظر الكلام على قصة مقتل أبي جهل واحتزاز رأسه فيما تقدّم ص٣٤٥.

ابن أبي زُهير، أخو بَلْحارثِ بن الخَزرَج، ويقال: بل عليُّ بن أبي طالب ـ قال ابن إسحاق: وحرملةُ من الأَسْد[1].

قال ابن إسحاق: ومسعودُ بن أبي أُميّة بن المغيرة. قتله عليُّ بن أبي طالب، فيما قال ابن هشام.

وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة. قال ابن هشام: قتله حمزةُ بن عبد المُطَّلِب، ويقال: عليُّ بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وأبو قيس بن الفاكِه بن المغيرة. قتله عليُّ بن أبي طالب، ويقال: قتله عمّارُ بن ياسر، فيما قال ابن هشام.

ورِفاعةُ بن أبي رِفاعةَ بن عابِد[2] بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم. قتله سعدُ بن الرَّبيعِ أخو بَلْحارثِ بن الخَزرَج، فيما قال ابن هشام.

والمنذرُ بن أبي رِفاعة بن عابِد. قتله مَعْنُ بن عَديّ بن الجَدِّ بن العَجْلانِ حليفُ بني عُبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف، فيما قال ابن هشام.

وعبدُ الله بن المنذر بن أبي رِفاعة بن عابِد. قتله عليُّ بن أبي طالب، فيما قال ابن هشام.

---

(١) بإسكان السين: وهم الأَزْد، من اليمن، تقال بالزاي والسين.

(٢) في (ت) و(ز) و(ش١) و(ق١) و(م): عايذ، وفي (ص) و(غ) و(ي): عايد. وقد تكرر الخلاف في تقييد هذا الحرف في كل موضع من نسخنا الخطية، والصواب في ولد عبد الله بن عمر بن مخزوم أنه عابد، بباء ودال، فقد نقل الدارقطنيُّ في «المؤتلف والمختلف» ٣/ ١٥٤٠ وابن ماكولا في «الإكمال» ٦/ ١ عن الزُّبير بن بكّار القرشيِّ أنه قال: كل من كان من ولد عُمر ابن مخزوم فهو عابدٌ، ومن كان من ولد عِمران بن مخزوم فهو عائذٌ. وأشار إليه السهيليُّ في «الروض» ٥/ ١٨٢ وأبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص١٦٧.

قال ابن إسحاق: والسّائبُ بن أبي السّائب بن عابد بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم.

قال ابن هشام: السّائبُ بن أبي السّائبِ شريكُ رسول الله ﷺ الّذي جاء فيه الحديثُ عن رسول الله ﷺ: «نِعمَ الشَّرِيكُ السَّائبُ، لا يُشارِي ولا يُمارِي»[1]، وكان أسلَمَ فحَسُنَ إسلامُه فيما بَلَغَنا، والله أعلم.

وذكر ابنُ شِهابٍ الزُّهْريُّ، عن عُبيد الله بن عَبد الله بن عُتْبة، عن ابن عبّاسٍ: أن

---

(١) هذا حديث ضعيف لاضطرابه، فقد قال ابن عبد البر في ترجمة السائب من «الاستيعاب» ص٣١١: الحديث فيمن كان شريكه ﷺ مضطرب جداً، فمنهم من يجعله للسائب بن أبي السائب، ومنهم من يجعله لأبيه، ومنهم من يجعله لقيس بن السائب، ومنهم من يجعله لعبد الله ابن السائب، وهذا اضطراب شديد.

قلنا: وقد روي بنحوه عن السائب، واختُلف عليه في إسناده:

فقد أخرجه أحمد (١٥٥٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٧١)، والحاكم (٢٣٨٨) من طريق عبد الله بن عثمان بن خُثيم، عن مجاهد، عن السائب بن أبي السائب: أنه كان يشارك رسولَ الله ﷺ قبل الإسلام في التجارة، فلما كان يوم الفتح جاءه، فقال النبي ﷺ: «مرحباً بأخي وشريكي، كان لا يُداري ولا يُماري». وهذا إسناد منقطع، فمجاهد لم يسمعه من السائب، بل رواه عن قائد السائب عن السائب.

فقد أخرجه أحمد (١٥٥٠٢)، وأبو داود (٤٨٣٦)، وابن ماجه (٢٢٨٧) من طريق إبراهيم ابن مهاجر، عن مجاهد، عن قائد السائب، عن السائب: أنه قال للنبي ﷺ: كنتَ شريكي، فكنتَ خيرَ شريكٍ، كنتَ لا تداري ولا تماري. وإبراهيم صدوق في حفظه لِين، وقائد السائب مجهول.

وأخرجه أحمد أيضاً (١٥٥٠٣) من طريق سيف بن سليمان ـ وهو ثقة ـ عن مجاهد قال: كان السائب بن أبي السائب العابدي شريكَ رسول الله ﷺ في الجاهلية، فجاء النبيَّ ﷺ يوم فتح مكة، فقال: بأبي وأمي، لا تداري ولا تماري. وفي هذا والذي قبله أن الثناء كان من السائب للنبيِّ ﷺ لا العكس.

ومعنى «لا يشاري ولا يماري»: لا يشاغب ولا يجادل في شراكته لي.

السّائبَ بن أبي السّائب بن عابد بن عبد الله بن عُمر بن مخزومٍ ممَّن بايَعَ رسولَ الله ﷺ من قريشٍ، وأعطاه يومَ الجِعْرانةِ من غنائم حُنينٍ[1].

قال ابن هشام: وذَكَر غيرُ ابن إسحاق: أنَّ الّذي قتله الزُّبيرُ بن العَوّام[2].

قال ابن إسحاق: والأسودُ بن عبد الأَسَد بن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، قتله حمزةُ بن عبد المُطَّلِب، وحاجبُ بن السّائب بن عُوَيمِر بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عِمران بن مخزوم.

قال ابن هشام: عائذٌ ابنُ عِمران بن مخزومٍ، ويقال: حاجزُ بن السّائب، والّذي قتل حاجبَ بنَ السائبِ عليُّ بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وعُوَيمِرُ بن السائب بن عُويمِر. قتله النُّعمانُ بن مالك القَوقَليُّ مبارزةً، فيما قال ابن هشام.

---

(١) رجاله ثقات إلا أنه معلَّق هنا، لم يذكر ابن هشام الواسطة بينه وبين الزهري، إلا أنه ذكر فيما سيأتي في غزوة حنين ٤/ ٢١٤ واسطةً مبهمةً فقال: حدثني من أَثِقُ به من أهل العلم في إسناد له عن ابن شهاب الزهري، فذكره بهذا الإسناد ضمن خبر إعطاء النبي ﷺ من الغنائم نفراً من قريش منهم السائب. قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٣١١: هذا أَولى ما عُوِّل عليه في هذا الباب؛ يعني في قضية إسلام السائب.

قلنا: وقد عدّه في الصحابة جمعٌ منهم ابن سعد في «الطبقات» ٦/ ٩٣ فيمن أسلم يوم الفتح، وخليفة بن خياط في «طبقاته» ص٢٠، والبخاريُّ في «التاريخ الكبير» ٤/ ١٥١، وذكره ابن منده وابن قانع وأبو نعيم في تواليفهم في الصحابة.

وتابع ابنَ إسحاق على أن السائب هذا قُتل يوم بدرٍ كافراً مصعبٌ الزبيري في «نسب قريش» ص٣٣٣، والواقدي في «مغازيه» ١/ ١٥١. والراجح إن شاء الله قولُ من قال: إنه بقي إلى أن أسلم يوم الفتح، والله تعالى أعلم.

(٢) هذا قول الواقديِّ في «مغازيه» ١/ ١٥١.

قال ابن إسحاق: وعمرُو بن سفيان، وجابرُ بن سفيان، حليفانِ لهم من طيِّئٍ. قتل عَمراً يزيدُ بن رُقَيشٍ، وقتل جابراً أبو بُرْدة بن نِيَارٍ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: سبعةَ عشرَ رجلاً.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤيٍّ: مُنبِّهُ بن الحَجّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سعد بن سهم، قتله أبو اليَسَرِ أخو بني سَلِمة، وابنُه العاصِ بن مُنبِّه بن الحجّاج. قتله عليُّ بن أبي طالبٍ فيما قال ابن هشام.

ونُبَيهُ بن الحجّاج بن عامر. قتله حمزةُ بن عبد المُطَّلِب وسعدُ بن أبي وقّاصٍ، اشتركا فيه، فيما قال ابن هشام.

وأبو العاص بن قيس بن عَديّ بن سُعَيد[1] بن سَهْم.

قال ابن هشام: قتله عليُّ بن أبي طالب، ويقال: النُّعمانُ بن مالك القَوقَليُّ، ويقال: أبو دُجَانة.

قال ابن إسحاق: وعاصمُ بن أبي عوف بن صُبَيرة بن سُعَيد بن سَعْد بن سَهْم ـ قتله أبو اليَسَر أخو بني سَلِمة، فيما قال ابن هشام ـ خمسةُ نفرٍ.

ومن بني جُمَحَ بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤيٍّ: أُميّةُ بن خَلَف بن وهب ابن حُذَافة بن جُمَحَ، قتله رجلٌ من الأنصار من بني مازن.

قال ابن هشام: ويقال: قتله معاذُ ابنُ عَفْراءَ وخارجةُ بن زيدٍ وخُبَيبُ بن إسَافٍ، اشتَرَكوا فيه.

قال ابن إسحاق: وابنُه عليُّ بن أُميّة بن خَلَف، قتله عمّارُ بن ياسر، وأَوسُ بن

(١) في (ي): سعد. وهو تحريف في النسخة، إلا أنه صحيح في النسب، فإن ابن إسحاق كان يخطئ في نسب بني عَديّ بن سعد هؤلاء فيصغِّر اسم جدِّهم، والناسُ على خلافه، وسُعَيدٌ أخو سعدٍ، وقد نبّه على ذلك السهيليُّ في «الروض» ١/ ٢٨٦ و٣/ ٣٦.

مِعْيَر بن لَوْذان بن سعد بن جُمَح. قتله عليُّ بن أبي طالب، فيما قال ابن هشام، ويقال: قتله الحُصَين بن الحارث بن المُطَّلِب وعثمانُ بن مَظعُون، اشتَرَكا فيه، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني عامر بن لُؤيٍّ: معاويةُ بن عامرٍ حليفٌ لهم من عبد القيس. قتله عليُّ ابن أبي طالب، ويقال: قتله عُكّاشةُ بن مِحصَن، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: ومَعبَدُ بن وهبٍ حليفٌ لهم من بني كَلْب بن عوف بن كعب بن عامر بن لَيْث ـ قتل مَعبَداً خالدٌ وإياسٌ ابنا البُكَير، ويقال: أبو دُجَانة، فيما قال ابن هشام ـ رجلانِ.

قال ابن إسحاق: فجميعُ من أُحصِيَ لنا من قَتْلى قريشٍ يومَ بدرٍ خمسون رجلاً.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبَيدة، عن أبي عمرٍو: أنّ قَتْلى بدرٍ من المشركين كانوا سبعين رجلاً، والأَسرى كذلك، وهو قول ابن عبّاسٍ[1] وسعيدِ بن المُسيّب، وفي كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥] يقوله لأصحاب أُحدٍ، وكان من استُشهِدَ منهم سبعين رجلاً، يقول: قد أَصَبتُم يوم بدرٍ مِثلَي من استُشهِدَ منكم بأُحد، سبعين قتيلاً وسبعين أسيراً.

وأنشدني أبو زيدٍ الأنصاريُّ لكعبِ بن مالكٍ:

فأقام بالعَطَنِ المُعطَّنِ[2] منهمُ سبعونَ، عُتْبةُ منهمُ والأسودُ

---

(١) قول ابن عباس هذا في حديثه الطويل عن عمر بن الخطاب في قصة بدرٍ الذي أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٧٦٣).

(٢) أصل العَطَن: مَبْرَك الإبل حول الماء، فاستعاره هنا لقتلى يوم بدر من المشركين.

قال ابن هشام: يعني قَتْلى بدرٍ، وهذا البيتُ في قصيدة له في حديث يوم أُحد سأذكرها إن شاء الله تعالى في موضعها.

قال ابن هشام: وممَّن لم يَذكُر ابنُ إسحاق من هؤلاء السَّبعين القَتْلى: من بني عبد شمس بن عبد مَنَاف: وهبُ بن الحارثِ من بني أَنمار بن بَغِيض، حليفٌ لهم، وعامرُ بن زيدٍ حليفٌ لهم من اليمن؛ رجلانِ.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزّى: عُقْبةُ بن زيدٍ حليفٌ لهم من اليمن، وعُمَيرٌ مولًى لهم؛ رجلانِ.

ومن بني عبد الدَّار بن قُصيٍّ: نُبَيهُ بن زيد بن مُلَيص، وعُبَيدُ بن سَلِيطٍ حليفٌ لهم من قيس؛ رجلانِ.

ومن بني تَيْم بن مُرّةَ: مالكُ بن عُبيد الله بن عثمان[1]، أُسِرَ فمات في الأُسارى، فعُدَّ في القَتْلى، ويقال: وعمرُو بن عبد الله بن جُدْعانَ؛ رجلانِ.

ومن بني مخزوم بن يَقَظَة: حُذَيفةُ بن أبي حُذَيفة بن المغيرة، قتله سعدُ بن أبي وَقّاص، وهشامُ بن أبي حُذَيفة بن المغيرة، قتله صهيبُ بن سِنَان، وزهيرُ بن أبي رِفَاعة، قتله أبو أُسيدٍ مالكُ بن رَبيعة، والسّائبُ بن أبي رِفَاعة، قتله عبدُ الرَّحمن بن عوف، وعائذُ بن السّائب بن عُوَيمِر، أُسِرَ ثمّ افتُدِيَ فمات في الطريق من جِراحةٍ جَرَحَه إيّاها حمزةُ بن عبد المُطَّلِب، وعُمَيرٌ حليفٌ لهم من طيِّءٍ، وخِيَارٌ حليفٌ لهم من القارَةِ؛ سبعةُ نفرٍ.

ومن بني جُمَحَ بن عمرٍو: سَبْرةُ بن مالكٍ حليفٌ لهم؛ رجل.

ومن بني سَهْم بن عمرٍو: الحارثُ بن مُنبِّه بن الحَجّاج، قتله صهيبُ بن سِنان،

---

(١) وهو أخو طلحة بن عبيد الله بن عثمان رضي الله عنه.

وعامرُ بن أبي عوف بن صُبَيرة[1] أخو عاصمٍ، قتله عبدُالله بن سَلَمة العَجْلاني، ويقال: أبو دُجَانة؛ رجلانِ[2].

ذكر أَسرى قريش يوم بدر

قال ابن إسحاق: وأُسِرَ من المشركين من قريشٍ يومَ بدر، ثمّ من بني هاشم بن عبد مَنَافٍ: عَقِيلُ بن أبي طالب بن عبد المُطَّلِب بن هاشم، ونَوفَلُ بن الحارث بن عبد المُطَّلِب بن هاشم[3].

---

(١) في بعض النسخ: ضبيرة، وهي رواية أخرى فيه.

(٢) لم يذكر ابن إسحاق ولا ابن هشام فيمن قُتل يوم بدرٍ أَحداً من بني الحارث بن فِهْر، رهطِ أبي عبيدة بن الجرّاح، وقد اشتَهَر أن أبا عبيدة قتل أباه يومئذٍ، إلا أن ذلك لم يأت من وجه صحيح، فقد رواه الطبراني في «الكبير» (٣٦٠) والحاكم (٥٢٣٣) عن عبد الله بن شَوذَب قال: جعل أبو أبي عبيدة يتصدَّى لأبي عبيدة يوم بدر، فجعل أبو عبيدة يَحِيد عنه، فلمّا أكثَرَ قَصَدَه أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله فيه هذه الآية حين قتل أباه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ إلى آخر الآية [المجادلة:٢٢]، وهذا خبر ضعيف لإعضاله، فإن ابن شوذب هذا من تبع الأتباع ولم يَصِلْ روايته.

وروى نحوه مقاتلُ بن حيّان عن مُرّة الهَمْداني عن ابن مسعود إلّا أنه قال: يوم أُحد، فيما نقله عنه الثعلبيُّ في «تفسيره» ٩/ ٢٦٤ معلّقاً غير مسنَد، ومقاتلٌ لم يدرك مرّةَ فيما يغلب على ظنّنا، فهذا ضعيف أيضاً.

وقد نقل ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٥/ ٤٤٧ عن الواقديِّ أنه كان يُنكِر أن يكون أبو أبي عُبيدة أدرك الإسلامَ، ويُنكِر قولَ أهل الشام: إنَّ أبا عُبيدة لقي أباه في زحفٍ فقتله، وقال: سألت رجالاً من بني فِهْر منهم زُفَر بن محمد (أحد الرواة من أهل المدينة) وغيره فقالوا: توفي أبوه قبل الإسلام.

(٣) قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص١٧٥: لم يذكر معهم العباسَ بن عبد المطلب لأنه كان أسلم وكان يَكتُم إسلامه خوفَ قومه فيما ذُكِر عنه. =

ومن بني المُطَّلِب بن عبد مَنَافٍ: السّائبُ بن عُبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطَّلِب، ونُعْمانُ بن عمرو بن عَلقَمة بن المطَّلِب؛ رجلانِ.

ومن بني عبد شَمْس بن عبد مَنافٍ: عمرُو بن أبي سفيان بن حَرْب بن أُميّة بن عبد شمسٍ، والحارثُ بن أبي وَجْزة بن أبي عمرو بن أُميّة بن عبد شمس. ويقال: ابن أبي وَحْرةَ، فيما قال ابن هشام.

وأبو العاص بن الرَّبيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس، وأبو العاص بن نَوفَل بن عبد شمس.

ومن حُلفائِهم: أبو رِيشةَ بن أبي عمرٍو، وعمرُو بن الأَزرق، وعُقْبةُ بن عبد الحارث بن الحَضْرميِّ؛ سبعةُ نفرٍ.

= قلنا: لم يُذكَر إسلامه قبل بدر إلا في حديث أبي رافع الذي رواه حسين بن عبد الله بن عبيد الله العبّاسي عن عكرمة عنه، وقد سلف عند ابن إسحاق ص٣٦٢، وإسناده ضعيف، فحسينٌ متَّفق على ضعفه وهو صاحب مناكير.

وذكره أيضاً عروة بن الزبير فيما أخرجه الحاكم (٥٤٩١)، وهو على إرساله فيه عبد الله بن لهيعة وهو سيّئ الحفظ.

وقد جاء من غير وجه فيما رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق عند البيهقي في «السنن» ٦/ ٣٢٢: أن العباس لما أُسر يوم بدر قال للنبي ﷺ: إني كنت مسلماً، فقال له النبي ﷺ: «الله أعلمُ بإسلامك، فإن يكن كما تقول فالله يجزيك، فافدِ نفسك وابنَي أخويك نوفل بن الحارث وعَقِيل بن أبي طالب وحليفك عتبة بن عمرو»، وانظر «مستدرك الحاكم» أيضاً (٥٤٩٦). ففي هذا الخبر أن النبي ﷺ لم يقرَّ العباسَ على دعواه الإسلامَ قبل أَسره، ولذلك لم يجزم كثيرٌ ممن ترجم له بإسلامه قبل بدر، والله تعالى أعلم.

قلنا: أما قول أبي ذر الخشنيّ: لم يذكر معهم العباس... إلخ، فالذي لم يذكره هو ابن هشام وليس ابن إسحاق، كما سيأتي قريباً ص٤٥٤، وانظر تعليقنا عليه هناك.

ومن بني نَوفَل بن عبد مَنَاف: عَدِيُّ بن الخِيَار بن عَديّ بن نَوفَل، وعثمانُ بن عبدِ شمسٍ ابنُ أخي غَزْوان بن جابرٍ[1] حليفٌ لهم من بني مازن بن منصور، وأبو ثَورٍ حليفٌ لهم؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني عبد الدّار بن قُصيٍّ: أبو عَزِيز بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار، والأسودُ بن عامرٍ حليفٌ لهم، ويقولون: نحن بنو الأسود بن عامر بن عمرو ابن الحارث بن السَّبّاق؛ رجلانِ.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصيٍّ: السّائبُ بن أبي حُبَيش بن المُطَّلِب بن أَسَد، والحُوَيرِثُ بن عَبّاد بن عثمان بن أَسَد.

قال ابن هشام: هو الحارثُ بن عائذ بن عثمان بن أَسد.

قال ابن إسحاق: وسالمُ بن شَمَّاخٍ حليفٌ لهم؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني مَخزُوم بن يَقَظَة بن مُرّةَ: خالدُ بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر ابن مخزوم، وأُميّةُ بن أبي حُذَيفة بن المغيرة، والوليدُ بن الوليدِ بن المغيرة، وعثمانُ ابن عبد الله بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، وصَيْفيٌّ بن أبي رِفَاعة بن عابِد[2] بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأبو المُنذِر بن أبي رِفَاعة بن عابدٍ، وأبو عطاءٍ عبدُ الله بن أبي السّائب بن عابِد بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، والمُطَّلِبُ بن حَنطَب بن الحارث بن عُبيد بن عُمر بن مخزوم، وخالدُ بن الأَعلَمِ حليفٌ لهم، وهو كان ـ فيما يَذكُرون ـ أوّلَ من وَلَّى فارّاً منهزماً، وهو الّذي يقول[3]:

---

(١) وغزوانُ هذا والد عُتبةَ بن غزوان أحدِ السابقين إلى الإسلام، وعتبةُ من أهل بدر.

(٢) هكذا في (ص) و(م) ونسخة على حاشيتي (ز) و(ش١)، وتصحّف في بقية النسخ إلى: عائذ، هنا وفيما سيأتي من المواضع. وقد تقدم التعليق عليه ص٣٨٣ و٤٤٣.

(٣) كذا نسبه ابن هشام إلى خالد بن الأعلم، ونسبه أبو تمّام في «حماسته» ضمن ثلاثة أبيات =

ولَسْنا[1] على الأَدبارِ تَدْمَى كُلُومُنا ولكنْ على أقدامِنا يَقطُرُ الدَّمُ

تسعةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: ويُروى: لسنا على الأعقابِ، وخالدُ بن الأعلم هذا من خُزَاعة، ويقال: عُقَيليٌّ.

قال ابن إسحاق: ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: أبو وَدَاعة بن صُبَيرة[2] بن سُعَيد بن سَعْد بن سَهْم، كان أوّلَ أسيرٍ افتُديَ من أَسرى بدرٍ، افتداه ابنُه المطَّلِب بن أبي وَدَاعة، وفَرْوةُ بن قيس بن عَديّ بن حُذَافة بن سَعْد[3] بن سَهْم، وحنظلةُ بن قَبِيصة بن حُذَافة بن سَعْد بن سَهْم، والحَجّاجُ بن قيس بن عَديّ بن سُعَيد[4] بن سَهْم؛ أربعةُ نفرٍ.

= إلى حُصين بن الحُمام المُرّي، لكن القافية فيها ميم منصوبة. انظر «خزانة الأدب» للبغدادي ٧/ ٤٩٤، وبعضهم يذكر للحصين صحبةً، انظر «الإصابة» لابن حجر ٢/ ٨٤-٨٥.

(١) هكذا في (ز) و(ش١) و(ص)، وفي (غ): فلسنا، وبه يصح الوزن الشعري، وفي (ت) و(ق١) و(م) و(ي): لسنا. وهو خرمٌ.

وقوله: تَدمَى كلومُنا، أي: تسيل جراحنا دماً، والكلوم: جمع كَلْمٍ، وهو الجرح. يريد: أن جراحنا لا تسيل دماً على أعقابنا ونحن منهزمون، وإنما تسيل على أقدامنا من الأمام ونحن مقبلون على القتال.

(٢) في (ص): ضبيرة، وهو وجه آخر فيه.

(٣) في (ت) و(ز) و(ش١) و(ص) و(م) في هذا الموضع والذي يليه: سُعيد، وهو خطأ، فحُذافة ولد سَعْد بن سهم لا سعيد، وانظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص١٦٤.

(٤) كذا يقول ابن إسحاق حيثما تكرَّر عنده نسبُ بنى عديِّ بن سَعْد بن سهم: سُعيد، مصغَّراً، قال السهيليّ في «الروض الأنف» ١/ ٢٨٦: وهو خطأ، والصواب: سَعْد بن سهم، وإنما سُعَيد أخو سَعْد. =

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: عبدُ الله بن أُبيّ بن خَلَف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَحَ، وأبو عَزَّة عمرُو بن عبد الله بن عثمان بن أُهَيب بن حُذَافة ابن جُمَحَ، والفاكِهُ مولى أُميّة بن خَلَف، ادَّعاه بعد ذلك رَبَاحُ بن المُغتَرِف، وهو يَزعُم أنّه من بني الشَّمّاخ بن مُحارِب بن فِهْر - ويقال: إنّ الفاكهَ ابنُ جَرْوَل بن حِذْيَم بن عوف بن غَضْب بن شَمّاخ بن مُحارِب بن فِهْر - ووهبُ بن عُمَير بن وهب بن خَلَف ابن وهب بن حُذَافة بن جُمَح، ورَبيعةُ بن دَرّاج بن العَنبَس بن أُهْبان بن وهب بن حُذَافة بن جُمَحَ؛ خمسةُ نفرٍ.

ومن بني عامر بن لُؤيٍّ: سُهَيلُ بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامرٍ، أَسَرَه مالك بن الدُّخشُم أخو بني سالم بن عوف، وعبدُ ابن زَمْعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وعبدُ الرَّحمن بن مَشنُوء بن وَقْدان بن قيس بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني الحارث بن فِهْرٍ: الطُّفيلُ بن أبي قُنَيع، وعُتْبةُ بن عمرو بن جَحدَمٍ، رجلانِ.

= تنبيه: ذَهَلَ السهيليُّ في هذا الموضع من «الروض» ٥/ ٣٥٩ فسمّى الحجاجَ هذا: الحجاج بن الحارث بن قيس بن عدي، بزيادة الحارث في نسبه، ثم إنه قال: وأحسَبُ ذِكرَ الحجاج في هذا الموضع وهماً، فإنه من مُهاجِرة الحبشة، وقَدِمَ المدينة بعد أُحد، فكيف يُعَدُّ في أسرى المشركين يوم بدر!

قلنا: الحجاج بن الحارث ذكره ابن إسحاق نفسه في مهاجرة الحبشة، كما في روايات يونس بن بكير وإبراهيم بن سعد وسلمة بن الفضل عنه التي أخرجها ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٢/ ٩٤، فيَبعُدُ جداً أن يَهِمَ ابنُ إسحاق ويذكرَه في أسرى المشركين يوم بدر ثمّ لا يتعقّبه ابن هشام في ذلك، وعليه فإن الحجاج بن قيس بن عديٍّ هذا آخرُ غيرُه، والله تعالى أعلم.

قال ابن إسحاق: فجميع من حُفِظَ لنا من الأُسارى ثلاثةٌ وأربعون رجلاً.

قال ابن هشام: وَقَعَ من جُمْلة العِدّة رجلٌ لم أذكر اسمَه[1]، وممّن لم يَذكُر ابن إسحاق من الأُسارى:

من بني هاشم بن عبد مَنَافٍ: عُتْبةُ حليفٌ لهم من بني فِهْر[2]؛ رجل.

ومن بني المُطَّلِب بن عبد مَنافٍ: عَقِيلُ بن عمرٍو حليفٌ لهم، وأخوه تَميمُ بن عمرو، وابنُه؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني عبد شمس بن عبد مَنافٍ: خالدُ بن أَسِيد بن أبي العِيصِ، وأبو العَرِيض يَسَارٌ مولى العاص بن أُميّة؛ رجلانِ.

ومن بني نَوفَل بن عبد مَنافٍ: نَبْهانُ، مولًى لهم؛ رجلٌ.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزّى: عبدُ الله[3] بن حُمَيد بن زُهير بن الحارث؛ رجلٌ.

ومن بني عبد الدّار بن قُصيٍّ: عَقِيلٌ حليفٌ لهم من اليمن؛ رجلٌ.

ومن بني تَيْم بن مُرَّةَ: مُسافِعُ بن عِيَاض بن صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم، وجابرُ بن الزُّبَير حليفٌ لهم؛ رجلانِ.

---

(١) يشير بذلك إلى العباس بن عبد المطّلب، فهو أشهرُ من أُسر ببدرٍ من قريش، والظاهر أن ابن هشام لم يذكره من بين الأسرى لمكان دولة بني العباس وسطوتهم، وقد ذكر هو في مقدمة هذا الكتاب أنه تاركٌ ذكرَ بعض من ذكره ابنُ إسحاق ممن يسوءُ الناسَ ذكرُه، والله تعالى أعلم.

(٢) هذا ذهولٌ من ابن هشام، بل ذكره ابن إسحاق وسمّاه آنفاً، وهو عتبة بن عمرو بن جحدم من بني الحارث بن فِهْر، وكان حليفاً للعبّاس بن عبد المطّلب كما في الحديث الذي رواه يونس ابن بكير عن ابن إسحاق عن غير واحدٍ فيما أخرجه البيهقي في «السنن» ٦/ ٣٢٢، ففيه: أن النبي ﷺ أمر العباسَ أن يَفدِيَ نفسَه وابنَي أخويه وحليفَه عتبةَ بن عمرٍو هذا.

(٣) قال السهيليُّ في «الروض» ٥/ ٣٦١: المعروف فيه: عُبيد الله بن حميد، كذلك ذكره ابن قتيبة وأبو عمر (يعني ابن عبد البر) والكَلاباذيّ أبو نصرٍ.

ومن بني مخزوم بن يَقَظةَ: قيسُ بن السّائب؛ رجلٌ.

ومن بني جُمَحَ بن عمرٍو: عمرُو بن أُبيّ بن خَلَف، وأبو رُهْم بن عبد الله حليفٌ لهم، وحليفٌ لهم ذهب عنّي اسمُه، ومَولَيانِ لأُميّة بن خَلَف، أحدُهما نِسْطاسٌ، وأبو رافعٍ غلامُ أُميّة بن خَلَف؛ ستّةُ نفرٍ.

ومن بني سَهْم بن عمرٍو: أسلَمُ مولى نُبَيه بن الحَجّاج؛ رجلٌ.

ومن بني عامر بن لُؤيٍّ: حَبيبُ بن جابر، والسّائبُ بن مالكٍ؛ رجلانِ.

ومن بني الحارث بن فِهْرٍ: شافعٌ وشَفِيعٌ حليفانِ لهم من أرض اليمن؛ رجلانِ.

ذكر ما قيل من الشِّعر في يوم بدر

قال ابن إسحاق: وكان ممّا قيل في يوم بدرٍ من الشِّعر، وتَرَادَّ به القومُ بينهم لِمَا كان فيه، قولُ حمزة بن عبد المُطّلِب رضي الله عنه ـ قال ابن هشام: وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها ونقيضتَها ـ:

ألم ترَ أمراً كان من عَجَبِ الدَّهرِ ... وللحَينِ أسبابٌ مبيَّنةُ الأمرِ[1]

وما ذاكَ إلّا أنَّ قوماً أقادَهم[2] ... فحانُوا تَواصٍ بالعُقوقِ وبالكفرِ

عشيّةَ راحُوا نحوَ بدرٍ بجَمعِهم ... فكانوا رُهوناً للرَّكِيّةِ من بدرِ[3]

وكنّا طَلَبْنا العِيرَ لم نَبغِ غيرَها ... فسارُوا إلينا فالتَقَيْنا على قَدْرِ

---

(١) الحَيْن: الهلاك.

(٢) هكذا وقع في أكثر نسخنا الخطية: أقادهم، بالقاف، من القَوَد: وهو القِصاص والعقوبة بالمِثل، وفي نسختَي (ز) و(غ): أفادهم، بالفاء، وعليه شرح السهيليُّ والخشنيُّ فقالا: معناه: أهلكهم.

وقوله: فحانوا، أي: هلكوا. وقوله: تواصٍ، هو تفاعل من الوصيّة، وهو الفاعل بأقادهم.

(٣) الرُّهون: جمع رَهْن، والرَّهن: هو الشيء المحتبَس. والرَّكيّة: البئر التي لم تُبنَ بالحجارة.

فلمّا التَقَيْنا لم تكنْ مَثنَوِيّةٌ ... لنا غيرُ طعنٍ بالمُثقَّفةِ السُّمْرِ[1]

وضربٍ ببِيضٍ يَختَلي الهامَ حَدُّها ... مُشهَّرةِ الألوانِ بيِّنةِ الأُثْرِ[2]

ونحن تَركْنا عُتْبةَ الغَيِّ ثاوِياً ... وشَيْبةَ في القتلى تَجَرجَمُ في الجَفْرِ[3]

وعمرٌو ثَوَى فيمن ثَوَى من حُماتِهم ... فشُقَّت جيوبُ النّائحاتِ على عمرِو[4]

جيوبُ نساءٍ من لُؤيِّ بن غالبٍ ... كِرامٍ تَفَرَّعنَ الذَّوائبَ من فِهرِ[5]

أُولئكَ قومٌ قُتِّلوا في ضلالِهم ... وخَلَّوا لواءً غيرَ مُحتضَرِ النَّصرِ[6]

لواءَ ضلالٍ قادَ إبليسُ أهلَهُ ... فخاسَ بهم، إنّ الخبيثَ إلى غَدْرِ[7]

وقال لهم، إذْ عايَنَ الأمرَ واضحاً ... بَرِئتُ إليكم ما بيَ اليومَ من صَبْرِ

فإنّي أَرى ما لا تَرونَ وإنّني ... أخافُ عقابَ اللهِ واللهُ ذو قَسْرِ[8]

فقدَّمَهم للحَينِ حتّى تَورَّطُوا ... وكان بما لم يَخبَرِ القومُ ذا خُبْرِ[9]

فكانوا غَداةَ البئرِ ألفاً وجَمعُنا ... ثلاثُ مِئِينٍ كالمُسدَّمةِ الزُّهْرِ[10]

---

(١) مثنويّة، أي: رجوع وانصراف. والمثقَّفة: الرِّماح المقوَّمة.

(٢) يختلي: يقطع. والهامُ: الرؤوس، جمع هامَةٍ. والأُثر ـ بضم الهمزة وفتحها ـ: وَشْيُ السيف، وهو أثر النقش والطَّرق فيه.

(٣) ثاوياً: مقيماً. وتَجرجَمُ: تسقط. والجَفَرُ: البئر المتسعة، وسكّنت الفاء للضرورة.

(٤) أراد بعمرٍو أبا جهلٍ عمرو بن هشام.

(٥) تفرَّعن، معناه: عَلَونَ. والذّوائب: الأعالي هنا. وفِهْر: هو ابن مالك، والد غالب.

(٦) أي: لم يحضره النصرُ.

(٧) خاسَ بهم، أي: غَدَر بهم.

(٨) القسر: القهر والغَلَبة.

(٩) الحَين: الهلاك. وتورّطوا، أي: وقعوا في هَلَكة.

(١٠) المسدَّمة: الفحول من الإبل الهائجة، شبّه جمعهم بالإبل الهائجة لاجتهادهم في =

وفينـــا جنـــودُ الله حـــينَ يُمِـــدُّنا ... بهـم في مَقـامٍ ثَـمَّ مُستوضَـحِ الـذِّكرِ
فشَـدَّ بهـم جبريـلُ تحـتَ لوائِنـا ... لـدى مَـأْزِقٍ فيـه مَنايـاهُم تَجْـري[1]

فأجابه الحارثُ بن هشام بن المغيرةِ، فقال:

ألا يـا لَقـومٍ[2] لِلصَّـبَابةِ والهَجْـرِ ... وللحُـزنِ منّـي والحَـرارةِ في الصَّـدرِ
ولِلـدَّمعِ مـن عَينـيَّ جَـوْداً كأنّـهُ ... فريـدٌ هـوى مـن سِلْكِ ناظِمِهِ يَجـرِي[3]
على البطـلِ الحُلْـوِ الشَّـمائلِ إذْ ثَـوَى ... رَهِـينَ مقـامٍ للرَّكِيّـةِ مـن بـدرِ[4]
فـلا تَبعَـدَنْ يـا عمـرُو مـن ذي قَرَابـةٍ ... ومِـن ذي نِـدَامٍ كـان ذا خُلُـقٍ غَمْـرِ[5]
فـإنْ يـكُ قـومٌ صـادَفُوا منـك دَولـةً ... فـلا بـدَّ للأيّـامِ مـن دُوَلِ الـدَّهرِ[6]

فقد كنتَ في صَرْفِ الزَّمانِ الّذي مضى
تُـرِيهِم هَوَانـاً منـكَ ذا سُـبُلٍ وَعْـرِ[7]

فـإنْ لا أَمُـتْ يـا عمـرُو أترُكْـكَ ثـائراً ... ولا أُبـقِ بُقْيـا في إخـاءٍ ولا صِـهرِ[8]

= الحرب وهيجانهم عليها رضي الله عنهم. والزُّهر: البِيضُ.

(١) المأزق: الموضع الضيِّق في الحرب.

(٢) في (ش١) و(ق١): لقومي. والصّبابة: رقّة الشوق وحرارته.

(٣) الجَوْد: الكثير، يقال: جادت السماءُ تجود جَوْداً، إذا كثر مطرها. والفريد: المنثور، وهي قِطَع الذهب. والسِّلك: الخيط الذي يُنظَم فيه.

(٤) الشمائل: الأخلاق والطبائع. وثوى: أقام. والرَّهين: الحَبيس. والركيّة: البئر.

(٥) لا تَبعَدن، أي: لا تَهلِكَن، والبَعَدُ: الهلاك. ونِدام: جمع نَدِيم، وهو من يرافقك ويجالسك. وغَمْر: واسع الخُلق حَسَنُه.

(٦) الدولة، بفتح الدال وضمها: الغَلَبة والنصر.

(٧) السُّبل: جمع سَبيل، وهي الطريق.

(٨) ثائراً معناه: آخذٌ بثأْرك من القوم، وأراد بثائرٍ هاهنا: ذا ثأرٍ، كما يقال: رجلٌ لابنٌ ورامحٌ =

وأَقطعُ ظَهراً من رجالٍ بمَعشَرٍ ... كِرامٍ عليهم مثلَ ما قَطَعُوا ظَهري

أغَرَّهم ما جَمَّعوا من وَشِيظةٍ ... ونحنُ الصَّمِيمُ في القبائلِ من فِهرِ[1]

فيا لَلُؤيٍّ ذَبِّبوا عن حَريمِكمْ ... وآلهةٍ لا تَترُكوها لذي الفَخرِ[2]

تَوارَثَها آباؤُكم ووَرِثتُمُ ... أَواسِيَها والبيتَ ذا السَّقفِ والسِّترِ[3]

فما لِحَليمٍ قد أرادَ هَلاكَكمْ ... فلا تَعذِرُوه آلَ غالبَ من عُذرِ

وجِدُّوا لمن عادَيتُم وتَوازَرُوا ... وكونوا جميعاً في التّأسِّي وفي الصَّبرِ[4]

لعلَّكم أن تَثأَرُوا بأَخيكُمُ ... ولا شيءَ إن لم تَثأَرُوا بذَوِي عَمرِو[5]

بمُطَّرِداتٍ في الأكُفِّ كأنَّها ... وَمِيضٌ تُطِيرُ الهامَ بيّنةِ الأُثرِ[6]

كأنّ مَدَبَّ الذَّرِّ فوقَ مُتونِها ... إذا جُرِّدَت يوماً لأعدائِها الخُزرِ[7]

قال ابن هشام: أَبدَلْنا في هذه القصيدة كلمتَينِ ممّا روى ابنُ إسحاق، وهما: الفَخْر، في آخر البيت، وفما لحليمٍ، في أوّل البيت، لأنه نالَ فيهما من النبيِّ ﷺ.

قال ابن إسحاق: وقال عليُّ بن أبي طالبٍ في يوم بدر ـ قال ابن هشام: ولم أرَ أحداً من أهل العلم بالشِّعر يَعرِفُها ولا نَقيضتَها، وإنّما كتبناهما لأنّه يقال: إن عمرو بن

= أي: ذو لَبَن، وذو رُمْح.

(١) الوشيظة: الأتباع، ومن ليس من خالص القوم. والصّميم: الخالصون في أنسابهم.

(٢) ذبِّبوا: ادفعوا وامنعوا. وحريمكم: حُرْمتكم.

(٣) الأواسي: جمع آسِيَةٍ، وهي ما أُسِّس عليه البناء من دعامة وسارية.

(٤) توازروا: تعاونوا.

(٥) أن تثأروا بأخيكم، أي: تأخذوا بثأره.

(٦) بمطَّرِدات: يعني سيوفاً مهتزّاتٍ. والوَمِيض: ضَوء البرق. والهامُ: الرؤوس، والأُثر ـ بضم الهمزة وفتحها ـ: وَشْي السيف، وهو أثر النقش والطَّرق فيه.

(٧) الذَّرّ: صغار النمل. والخُزر: جمع أَخزَرَ، وهو الذي ينظر بمُؤخر عينيه كِبْراً وعُجباً.

عبد الله بن جُدْعانَ قُتل يومَ بدر، ولم يذكره ابنُ إسحاق في القتلى، وذكره في هذا الشِّعر ـ:

ألـم تـرَ أنّ اللهَ أبلـى رسـولَهُ[1] بـلاءَ عَزيـزٍ ذي اقتِـدَارٍ وذي فَضـلِ
بمـا أنـزَلَ الكفّـارَ دارَ مَذَلّـةٍ فلاقُـوا هَوانـاً مـن إسـارٍ ومـن قَتـلِ
فأَمسـى رسـولُ الله قـد عَـزَّ نَصـرُهُ وكـان رسـولُ الله أُرسِـلَ بالعَـدلِ
فجـاءَ بفُرقـانٍ مـن الله مُنـزَلٍ مُبيَّنـةٍ آياتُـه لـذَوِي العَقـلِ
فـآمَنَ أقـوامٌ بـذاكَ وأَيقَنـوا فأَمسَوْا بحمدِ الله مُجتمِعِي الشَّملِ
وأنكَـرَ أقـوامٌ فزاغَـتْ قلـوبُهمْ فزادَهم ذو العَرشِ خَبْلاً على خَبْلِ[2]
وأمكَـنَ مـنهم يـومَ بـدرٍ رسـولَهُ وقوماً غِضاباً فِعلُهم أحسنُ الفعلِ
بأيـدِيهم بِيضٌ خِفافٌ عَصُوا بها[3] وقـد حادَثُوهـا بـالجِلَاءِ وبالصَّـقلِ
فكـم تَرَكُـوا مـن ناشـئٍ ذي حَميَّـةٍ صَريعاً[4] ومن ذي نَجْدةٍ منهمُ كَهْلِ
تَبيـتُ عُيـونُ النّائحـاتِ عليهمُ تَجُـودُ بإسـبالِ الرَّشَـاشِ وبالوَبْـلِ[5]

---

(١) أبلى رسوله، أي: منَّ عليه وأنعم، وصنع له صُنعاً حسناً.

(٢) فزاغت قلوبهم، معناه: مالت عن الحقّ. والخَبْل: الفساد.

(٣) في (ق): عُنُوا بها. من العناية، ومعنى قوله: عَصُوا بها: ضربوا بها، يقال: عَصِيَ بالسيف، إذا ضَرَب به.

والبِيض الخِفاف: السيوف. وحادَثوها، أي: تعهَّدوها بجَلْيها وصقلها.

(٤) هكذا هو في (ز) و(غ) منصوباً على الحاليّة، وفي بقية النسخ: صريعٍ، مجروراً على أنه صفة لناشئ. والناشئ: الصغير.

(٥) الإسبال: الإرسال، يقال: أسبَلَ دمعَه، وذلك إذا أرسله. والرَّشَاش: المطر الضعيف. والوَبْل: المطر الشديد، واستعارهما هنا لقليل الدمع وغزيره.

نَـوائحَ تَنعَـى عُتْبـةَ الغَـيِّ وابنَـه ... وشَـيْبةَ تَنعـاهُ وتَنعَـى أبـا جَهـلِ
وذا الرِّجلِ تَنعَى وابنَ جُدْعانَ فيهمُ ... مُسـلَّبةً حَـرَّى مُبيَّنَـةَ الثُّكْـلِ[1]
تَـرَى مـنهمُ في بئـرِ بَـدرٍ عِصـابةً ... ذَوِي نَجَداتٍ في الحُروبِ وفي المَحْلِ
دعـا الغَـيُّ مـنهم مَـن دعـا ... فأجابَه وللغَيِّ أسبابٌ مُرمَّقةُ الوَصلِ[2]
فأضْـحَوْا لـدَى دارِ الجحـيمِ بمَعـزِلٍ
عن الشَّغْبِ والعُدوانِ في أشغلِ الشُّغْلِ[3]

فأجابَه الحارثُ بن هشام بن المغيرة، فقال:

عَجِبـتُ لأقـوامٍ تَغَنّـى سَـفيهُهم ... بـأمرٍ سَفَاهٍ ذي اعتِـراضٍ وذي بُطـلِ
تَغَنّـى بقَتلَـى يـومَ بـدرٍ تَتـابَعوا ... كِرامِ المَساعي من غُلامٍ ومن كَهـلِ
مَصـالِيتَ بِـيضٍ مـن ذُؤابـةِ غالـبٍ ... مَطاعِينَ في الهَيْجا مَطاعيمَ في المَحْلِ[4]
أُصـيبوا كِرامـاً لـم يَبِيعـوا عَشـيرةً ... بقـومٍ سِواهم نـازِحِي الدّارِ والأصـلِ[5]
كمـا أصـبَحَت غسَّـانُ فـيكم بِطانـةً ... لكـم بَـدَلاً منّـا فيـا لـكَ مـن فِعـلِ[6]

---

(١) يريد بذي الرِّجل: الأسود بن عبد الأسد المخزوميّ، الذي قَطَع حمزةُ رضي الله عنه رجله على الحوض. والمسلَّبة: المرأة التي لبست السَّلَاب، وهي الثياب السُّود تلبسها النساء في المأتم. وحَرّى: محترقة الجوف من الحزن. والثُّكْل: فَقد الحبيب.

(٢) مرمَّقة: ضعيفة، من الرَّمَق: وهو الشيء اليسير الضعيف.

(٣) الشَّغب: التشغيب.

(٤) مصاليت: شُجعان. وذؤابة غالب، أي: أعالي غالب وأشرافهم، وغالبٌ: هو ابن فِهْرٍ جدُّ قريش. ومَطاعين: جمع مِطعان، وهو الذي يُكثِر الطعن في الحرب. والهَيجاء: الحرب. والمطاعيم: جمع مِطعام، وهو الذي يُكثِر الإطعام. والمَحْل: القحط والجَدْب.

(٥) بقوم: يريد بهم الأوس والخزرج. والنازح: البعيد.

(٦) غسّان: قبائل من الأزد، ويريد هنا الأوس والخزرج، فنسبهم يرجع إلى غسّان. وبطانةُ =

عُقوقـــاً وإثمـــاً بَيِّنـــاً وقَطيعـــةً ... يَرَى جَوْرَكم فيها ذَوُو الرّأيِ والعَقلِ
فـإن يَـكُ قـومٌ قـد مَضَـوا لسَـبيلِهم ... وخيـرُ المَنايـا مـا يكـون مـن القتـلِ
فـلا تَفرَحـوا أن تَقتُلـوهم فقَـتلُهم ... لكـم كـائنٌ خَـبْلاً مُقيمـاً على خَبْلِ[1]
فـإنَّكمُ لـن تَبْرَحـوا بعـدَ قَـتلِهم ... شَتِيتاً هَواكُم غيرُ مُجتَمِعي الشَّملِ[2]
بفَقْـدِ ابـن جُـدْعانَ الحَميـدِ فِعالُـهُ ... وعُتْبـةَ والمَـدعُوِّ فـيكم أبـا جَهـلِ
وشَـيْبةُ فـيهمْ والوليـدُ وفـيهمُ ... أُميَّـةُ مَـأوى المُعتَـرِينَ وذو الرِّجـلِ[3]
أولئـكَ فابْـكِ ثـمَّ لا تَبـكِ غيـرَهم ... نـوائحُ تَـدعُو بالرَّزِيّـةِ والثُّكْـلِ[4]
وقولـوا لأهـلِ المكّتَـينِ تحاشَـدُوا ... وسِيروا إلى آطامِ يَثرِبَ ذي النَّخلِ[5]
جميعـاً وحـامُوا آلَ كعـبٍ وذَبِّبـوا ... بخالصـةِ الألـوانِ مُحدَثـةِ الصَّـقْلِ[6]
وإلَّا فبِيتُـوا خـائفينَ وأَصـبِحوا ... أذلَّ لـوَطءِ الـواطئينَ مـن النَّعـلِ
على أنّني واللَّاتِ يا قومِ فاعلَموا ... بكـم واثِـقٌ أن لا تُقِيمـوا علـى تَبْـلِ[7]

= الرجل: خاصّته.

(١) الخبل: الفساد.

(٢) الشتيت: المتفرق.

(٣) المعترون: المحتاجون المتعرضون للمسألة. وذو الرِّجل: الأسود الذي قطع حمزةُ رجله كما سبق.

(٤) الرزيّة: المصيبة. والثُّكل: الفَقْد.

(٥) المكّتان: ثنّى مكة وهي واحدة، لأن لها بِطاحاً وظواهر، وانظر تتمة الكلام على ذلك فيما تقدم ١/ ٢١٣. والآطام: جمع أُطُم، وهو الحِصن.

(٦) ذبِّبوا، أي: امنعوا وادفعوا. وأراد بخالصة الألوان السيوفَ. وآل كعب: هم قريش، وكعب: هو ابن لؤيّ بن غالب.

(٧) التبل: العداوة وطلب الثأر.

سوى جَمعِكم للسّابِغاتِ وللقَنا ... وللبِيضِ والبيضِ القَواطعِ والنَّبلِ[1]

وقال ضِرارُ بن الخَطّاب بن مِرْداسٍ أخو بني مُحارِب بن فِهْرٍ[2]:

عَجِبتُ لفَخرِ الأوسِ والحَينُ[3] عليهم غَداً والدَّهرُ فيه بصائرُ
وفَخرُ بني النَّجّارِ إن كان مَعشَرٌ ... أُصِيبوا ببَدرٍ كلِّهم ثَمَّ صابرُ
فإن تَكُ قَتلَى غُودِرَت من رجالِنا ... فإنّا رِجالٌ بعدَهم سنُغادِرُ
وتَرْدي بنا الجُرْدُ العَناجيجُ وَسْطَكم ... بني الأوسِ حتّى يَشفِيَ النّفسَ ثائرُ[4]
ووَسْطَ بني النَّجّارِ سوفَ نَكُرُّها ... لها بالقَنا والدّارعِينَ زوافِرُ[5]
فنَترُكُ صَرعَى تَعصِبُ الطّيرُ حولَهم ... وليس لهم إلّا الأمانيُّ ناصرُ[6]
وتَبكِيهم من أهلِ يَثرِبَ نِسوةٌ ... لهنَّ بها لَيلٌ عن النّومِ ساهرُ
وذلك أنّا لا تزالُ سيوفُنا ... بهنَّ دمٌ ممَّن يُحارِبنَ مائرُ[7]
فإن تَظفَرُوا في يومِ بدرٍ فإنَّما ... بأحمدَ أَمسى جَدُّكم وهْوَ ظاهرُ[8]

---

(١) السابغات: الدروع الوافية. والبِيض القواطع: السيوف.

(٢) زاد في (غ): في يوم بدر.

(٣) الحَين: الهلاك.

(٤) تَردي: تُسرِع. والجُرد: الخيل العِتاق القصيرات الشَّعر. والعناجيج: جمع عُنجُوج، وهو الطويل السريع. والثائر: الطالب لثأره.

(٥) القنا: الرِّماح. والزوافر: جمع زافرة، وهي الحاملات للثّقل من الخيل والإبل. ونكرّها، أي: نرجع بها عليكم.

(٦) تعصب: تجتمع عصائبَ عصائبَ.

(٧) مائر: سائل، من السيلان.

(٨) الجَدُّ هنا: السَّعد والبخت.

وبالنَّفَرِ الأخيارِ همْ أولياؤُهُ ... يُحامُون في اللَّأْواءِ والموتُ حاضرُ[1]

يُعَدُّ أبو بكرٍ وحمزةُ فيهمُ ... ويُدعَى عليٌّ وَسْطَ مَن أنتَ ذاكرُ

ويُدعَى أبو حفصٍ وعثمانُ منهمُ ... وسعدٌ إذا ما كان في الحَربِ حاضرُ[2]

أولئكَ لا مَن نَتَّجَت في ديارِها ... بنو الأوسِ والنَّجّارِ حين تُفاخِرُ[3]

ولكنْ أبُوهم من لُؤيِّ بن غالبٍ ... إذا عُدَّتِ الأنسابُ كعبٌ وعامرُ

همُ الطّاعنونَ الخيلَ في كلِّ مَعرَكٍ ... غَداةَ الهِيَاجِ الأطيبُونَ الأكاثرُ[4]

فأجابَه كعبُ بن مالكٍ أخو بني سَلِمةَ فقال:

عَجِبتُ لأمرِ اللهِ واللهُ قادرُ ... على ما أرادَ ليس لله قاهرُ

قَضَى يومَ بدرٍ أن نُلاقيَ مَعشَراً ... بَغَوا وسبيلُ البَغيِ بالنّاسِ جائرُ

وقد حَشَدوا واستَنفَروا من يَلِيهمُ ... من النّاسِ حتّى جَمعُهم مُتكاثرُ

وسارَت إلينا لا تُحاوِلُ غيرَنا ... بأجمَعِها كعبٌ جميعاً وعامرُ[5]

وفينا رسولُ اللهِ والأوسُ حولَهُ ... له مَعقِلٌ منهم عَزيزٌ وناصرُ[6]

وجَمعُ بني النَّجّارِ تحتَ لوائِهِ ... يُمَشُّونَ في الماذِيِّ والنَّقعُ ثائرُ[7]

---

(١) اللّأواة: الشِّدة.

(٢) هذا البيت أثبتناه من (ز) ونسخة على حاشية (م)، وفي نسخة الحاشية هذه: في الحرب حاذرُ.

(٣) نتَّجَت: ولدت.

(٤) المَعرَك: ساحة تعارُك الفرسان.

(٥) كعب وعامر: هما ابنا لؤي بن غالب جدّ قريش.

(٦) المعقل: الموضع المنيع.

(٧) يُمشُّون، أي: يَمشُون، ومَشَّى كمَشَى. والماذيّ: الدروع البِيض الليِّنة. والنقع: الغبار.

فلمَّا لَقِيناهم وكلٌّ مجاهدٌ ... لأصحابِه مُستبسِلُ النّفسِ صابرُ[1]

شَهِدنا بأنَّ الله لا ربَّ غيرُهُ ... وأنَّ رسولَ الله بالحقِّ ظاهرُ

وقد عُرِّيَت بِيضٌ خِفافٌ كأنَّها ... مَقابيسُ يُزْهيها لعَينَيكَ شاهرُ[2]

بهِنَّ أبَدْنا جَمعَهمْ فتبدَّدُوا ... وكان يُلاقِي الحَيْنَ مَن هو فاجرُ[3]

فكُبَّ أبو جهلٍ صَريعاً لوجهِهِ ... وعُتْبةُ قد غادَرنَهُ[4] وهو عاثرُ

وشَيْبةُ والتَّيميُّ غادَرنَ في الوَغَى ... وما منهما[5] إلَّا بذي العَرشِ كافرُ

فأمسَوْا وَقُودَ النارِ في مُستقَرِّها ... وكلٌّ كَفُورٍ في جهنّمَ صائرُ

تَلَظَّى عليهم وهْيَ قد شَبَّ حَمْيَها[6] ... بزُبْرِ الحديدِ والحِجارةِ ساجرُ

وكان رسولُ الله قد قال: أَقبِلوا ... فوَلَّوا وقالوا: إنَّما أنتَ ساحرُ

---

(١) مستبسل، أي: موطِّن نفسه على الموت.

(٢) بِيضٌ خفاف: يعني السيوف. والمقابيس: جمع مِقباس، وهي القطعة من النار. ويُزهيها: يستخفّها ويحرّكها.

(٣) أبدنا: أهلكنا. والحَين: الهلاك.

(٤) هكذا في (ز) و(ش١) و(ق١): غادرنَه، يعني السيوف، وفي بقية النسخ: غادرتُه، يعني كعبٌ نفسَه، وهو بالنون أصح، فإن كعب بن مالك لم يشهد بدراً.

والعاثر: الساقط، ويروى: عافر، بالفاء، وهو الذي لَصِقَ بالعَفَر، وهو التراب.

(٥) في (ز) و(غ) و(ق١): منهم. ويريد بالتيميِّ عبدَ الله بن جُدعان.

والوغى: الجَلَبة والأصوات في الحرب.

(٦) في (ص) و(ق١): حميمها. ولا يصح، فبه ينكسر الوزن الشِّعري.

وتلظَّى: تلهَّبُ. وشبَّ حميَها، أي: أوقَد وَقُودَها.

وزُبَر الحديد، بفتح الباء وسُكِّن لضرورة الشِّعر: قِطَعُه. وساجر: مُوقِد، يقال: سَجَرتُ التنُّورَ، إذا أوقدتَه ناراً.

لِأمـــرٍ أرادَ الله أن يَهلِكـــوا بـــهِ ولـــيس لأمـــرٍ حَمَّـــهُ اللهُ زاجـــرُ[1]

وقال عبدُالله بن الزِّبَعرَى السَّهْميُّ يبكي قتلى بدرٍ ـ قال ابن هشام: وتُروَى للأَعشى ابن زُرَارة بن النَّبّاشِ أحدُ بني أُسَيد بن عَمرو بن تَميمٍ، حليفُ بني نَوفَل بن عبد مَنافٍ ـ قال ابن إسحاق: حليفُ بني عبد الدَّار:

مـــاذا علـــى بـــدرٍ ومـــاذا حولَـــهُ مـــن فِتْيـــةٍ بِـــيضِ الوجـــوهِ كِـــرامِ

تَرَكـــوا نُبَيهـــاً خَلفَهـــم ومُنبِّهـــاً وابنَـــي ربيعـــةَ خيـــرَ خَصْـــمِ فِئـــامِ[2]

والحـارثَ الفيّـاضَ يَبْـرُقُ وجهُـهُ كالبَـــدرِ جَلَّـــى ليلـــةَ الإظـــلامِ[3]

والعاصـــيَ بـــنَ مُنبِّـــهٍ ذا مِـــرّةٍ رُمحـــاً تَميمـــاً غيـــرَ ذي أَوصـــامِ[4]

تَنْمِـــي بـــه أعراقُـــهُ وجُـــدودُهُ ومَـــآثِرُ الأخـــوالِ والأعمـــامِ[5]

وإذا بَكَـــى بـــاكٍ فـــأَعوَلَ شَـــجْوَه فعلى الرَّئيسِ الماجِدِ ابنِ هشامِ[6]

حيَّـــا الإلـــهُ أبـــا الوليـــدِ ورَهْطَـــهُ ربُّ الأنـــامِ وخَصَّـــهم بســـلامِ

فأجابَه حسَّانُ بن ثابتٍ الأنصاريُّ فقال[7]:

---

(١) حمَّه الله، أي: قدَّره. وزاجر: دافع.

(٢) الفئام: الجماعات من الناس.

(٣) الفيّاض: الكثير الإعطاء. وجلَّى، أي: أضاء وأَوضح.

(٤) المِرّة: القوة والشدة. والتميم: الطويل. والأوصام: جمع وَصْم، وهو العَيْب.

(٥) تَنمي به، أي: ترتفع وتعلو به.

والمآثر: جمع مَأثرة، بفتح الثاء وضمّها: وهي ما يُذكَر ويُتحدَّث به عن الرجل من خير وفعل حسن.

(٦) الإعوال: رفع الصوت بالبكاء. والشَّجو: الحزن. والماجد: الشريف.

(٧) انظر «ديوانه» ١/ ١٦٠.

ابكِ بَكَتْ عيناكَ ثمَّ تبادَرَتْ ... بدمٍ تُعَلُّ غُروبُها سَجّامِ[1]

ماذا بَكَيتَ به الّذين تَتايَعُوا ... هلَّا ذكرتَ مكارمَ الأقوامِ[2]

وذكرتَ منّا ماجِداً ذا هِمّةٍ ... سَمْحَ الخلائقِ صادقَ الإقدامِ

أَعْني النبيَّ أخا المَكارمِ والنَّدَى ... وأبَرَّ مَن يُولِي على الأقسامِ[3]

فلمِثلِهِ ولمِثلِ ما يَدعُو لهُ ... كان المُمدَّحَ ثَمَّ غيرَ كَهَامِ[4]

وقال حسَّانُ بن ثابتٍ أيضاً[5]:

تَبَلَتْ فُؤادَكَ في المنامِ خَريدةٌ ... تَشفِي الضَّجيعَ ببارِدٍ بسّامِ[6]

كالمِسكِ تَخلِطُه بماءِ سحابةٍ ... أو عاتِقٍ كدَمِ الذَّبيحِ مُدامِ[7]

نُفُجُ الحَقيبةِ بُوصُها متنضِّدٌ ... بَلْهاءُ غيرُ وَشِيكةِ الأقسامِ[8]

---

(١) تعل: تُكرَّر، مأخوذ من العَلَل: وهو الشُّرب بعد الشُّرب. والغُروب: جمع غَرْب، وهو مجرى الدَّمع. والسَّجّام: السائل.

(٢) تتايعوا، أي: اتبع بعضهم بعضاً في الشر، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص١٨١: والتَّتابع والتَّتايع بالباء والياء واحدٌ، وبعضهم يجعل التتايع بالياء في الشرِّ لا غير.

(٣) يُولي: يَحلِف.

(٤) ثَمَّ: هناك. والكَهَام: الضعيف الكَليل الذي يقصّر في أموره.

(٥) انظر «ديوانه» ١/ ٢٩.

(٦) تبلت: أسقمت. والخريدة: الجارية الحسنة الناعمة. والبارد البسّام: فمُها.

(٧) العاتق: الخمر القديمة، قال أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص١٨٢: ومن رواه بالكاف، فهو أيضاً الخمر القديمة التي احمرَّت، والقوس إذا قَدُمَت واحمرَّت قيل لها: عاتكة، وبها سُمّيَت المرأة. والمُدَام: اسم من أسماء الخمر.

وقوله: كدم الذبيح، يريد حمراء داكنة.

(٨) نُفُج: مرتفعة. والحَقيبة: ما يجعله الراكب وراءه، فاستعيرت هنا لرِدْف المرأة، يقول: =

بُنِيَت على قَطَنٍ أجَمَّ كأنَّه ... فُضُلاً إذا قَعَدَت مَدَاكُ رُخامِ[1]

وتكادُ تكسَلُ أن تَجيءَ فِراشَها ... في جسمِ خَرْعَبةٍ وحُسنِ قَوَامِ[2]

أمَّا النّهارُ فلا أُفتِّرُ ذِكرَها ... والليلُ تُوزِعُني بها أَحلامي[3]

أقسَمتُ أنساها وأترُكُ ذِكرَها ... حتّى تُغيَّبَ في الضَّريحِ عِظامي[4]

يا مَن لِعاذِلةٍ تَلُومُ سَفَاهةً ... ولقد عَصَيتُ على الهَوَى لُوَّامي[5]

بَكَرَت عليَّ بسُحْرةٍ بعدَ الكَرَى ... وتَقارُبٍ من حادثِ الأيّامِ[6]

زَعَمَت بأنَّ المرءَ يَكرُبُ عُمرَه ... عَدَمٌ لمُعتَكِرٍ من الأصرامِ[7]

إن كُنتِ كاذِبةَ الّذي حدَّثْتِني ... فنَجَوتِ مَنجَى الحارثِ بنِ هشامِ

= ضخمة الأرداف مرتفعتها. والبُوص، بالضم والفتح: الرِّدف. ومتنضِّد، أي: علا بعضه بعضاً، يريد أنه مكتنز. والبلهاء: العفيفة الغافلة عن الشر. وقوله: غير وَشِيكة الأقسام، أي: غير سريعة الأيمان.

(١) القَطَن: ما بين الوَرِكَين إلى بعض الظَّهر. وأجمّ: ممتلئ باللحم غائب العظام. والمَدَاك: الحجر الذي يسحق عليه الطِّيب. وفُضُلاً، أي: إذا قعدت متفضّلةً، أي: في ثوب واحد ليس عليها غيره.

(٢) الخَرعَبة: الليّنة الحَسَنة الخَلْق، وأصل الخرعبة: الغصن الناعم.

(٣) توزعني: تُغريني وتُولِعني.

(٤) أقسمتُ أنساها، أي: لا أنساها. والضريح: شقُّ القبر، يقال: ضَرَحَ الأرضَ، إذا شقَّها.

(٥) في «الديوان»: عصيت إلى الهوى. والمعنى: عصيت الذين يلومونني باسترسالي في هواي ومضيِّي فيه لا أُبالي.

(٦) بكرت، أي: جاءتني بُكرةً وقت السَّحَر. والكرى: النعاس.

(٧) يَكرُب: يحزن. وعمرَه، أي: مدَّة عمره. وفي «الديوان»: يكرب يومَه. والمعتكِر: الإبل التي ترجع بعضها على بعض، فلا يمكن عدُّها لكثرتها. والأصرام: جمع صِرْم، وصِرْمٌ: جمع صِرْمةٍ، وهي القطعة من الإبل.

تَـرَكَ الأحبَّـةَ أن يُقاتِـلَ دونَهـمْ ... ونَجَـا بـرأسِ طِمـرَّةٍ ولِجَـامِ[1]

تَـذَرُ العَنـاجِيجَ الجِيـادَ بقَفْـرةٍ ... مَـرَّ الـدَّمُوكِ بمُحصَـدٍ ورِجَـامِ[2]

مَـلأَت بـه الفَـرْجَينِ فارمَـدَّت بـهِ ... وثَـوَى أحِبّتُـه بشَـرٍّ مُقَـامِ[3]

وبنـو أبيـهِ ورَهطُـه في مَعـرَكٍ ... نَصَـرَ الإلـهُ بـه ذَوِي الإسـلامِ[4]

طَحَنَـتهمُ ـ واللهُ يُنفِـذُ أمـرَهُ ـ ... حـربٌ يُشَـبُّ سَـعيرُها بضِـرَامِ[5]

لـولا الإلـهُ وجَرْيُهـا لتَرَكنَـهُ ... جَـزَرَ السِّـباعِ ودُسـنَه بحَـوَامي[6]

مـن بـينِ مأسُـورٍ يُشَـدُّ وَثاقُـهُ ... صَـقرٍ إذا لاقَـى الأسِـنّةَ حـامي[7]

ومُجـدَّلٍ لا يَسـتَجيبُ لـدَعوةٍ ... حتّـى تَـزُولَ شـوامخُ الأعـلامِ[8]

---

(١) الطمرّة: الفرس النشيطة الكثيرة الجري.

(٢) العناجيج: جمع عُنجُوج، وهو الطويل السريع، وهو الرائع منها. والقفرة: الصحراء. والدموك: البَكْرة التي يستقى بها على البئر، يقول: إنها تسرع سرعة البكرة. والمُحصَد: الحبل الشديد الفتل. والرِّجام: حجر يُربَط في الدلو ليكون أسرع لها عند إرسالها في البئر.

(٣) ملأَت به، أي: بالهواء، والفرجان هنا: ما بين يديها وما بين رجليها، وهذا كناية عن سرعتها. وارمدَّت: أسرعت. وثوى: أقام.

(٤) المَعرَك: ساحة تعارُك الفرسان.

(٥) يُشَب: يوقد. والضِّرام: ما توقد به النار.

(٦) جَزَرُ السباع: اللحم الذي تأكله، يقال: تركه جَزَراً للسباع والطير، أي: قِطَعاً. ودُسْنه: وَطِئنه. والحوامي: ميامن الحافر ومياسره، واحدها: حاميَة.

(٧) الأسنّة: الرِّماح. وأراد بالصقر الرجل الشجاع، لأنه يصطاد الرجال كما يصطاد الصقر فريسته.

(٨) المجدَّل: الصريع على الجَدَالة، وهو اسمٌ للأرض. والأعلام: جمع عَلَم، وهو الجبل العالي.

بالعـارِ والـذُّلِّ المُبـيَّنِ إذ رأى ... بِيضَ السّيوفِ تَسُوقُ كـلَّ هُمَامِ[1]

بيـدَيْ أغَـرَّ إذا انتَمَـى لـم يُخـزِهِ ... نسـبُ القِصَـارِ سَـمَيدَعٍ مِقـدامِ[2]

بِـيضٌ إذا لاقَـتْ حديداً صَـمَّمَت ... كـالبَرقِ تحـت ظِـلالِ كـلِّ غَمـامِ[3]

فأجابَه الحارثُ بن هشامٍ ـ فيما ذَكَرَ ابن هشام ـ فقال:

القـومُ أعلـمُ[4] مـا تَرَكـتُ قتـالَهمْ ... حتّـى حَبَـوا مُهْـري بأشـقَرَ مُزبِـدِ[5]

وعَـرَفـتُ أنّـي إنْ أُقاتِـلْ واحـداً ... أُقتَلْ ولا يَنكي عـدوِّي مَشـهَدي[6]

فصَـدَدتُ عـنهمْ والأحبَّـةُ فـيهمِ ... طَمَعـاً لهـم بعِقـابِ يـومٍ مُفسِـدِ[7]

قال ابن إسحاق: قالها الحارثُ يَعتذِرُ من فِراره يومَ بدر.

قال ابن هشام: تَرَكنا من قصيدة حسّان ثلاثةَ أبياتٍ من آخرِها، لأنّه أقذَعَ فيها[8].

قال ابنُ إسحاق: وقال حسَّانُ بن ثابتٍ أيضاً[9]:

---

(١) الهُمام: السيد الذي إذا همَّ بأمر فعله.

(٢) الأغرّ: الشريف في قومه. والقِصار: الذين قَصُر سعيُهم من طلب المكارم، ولم يُرِدْ بهم قصار القامات. والسَّميدع: السيّد.

(٣) البِيض: أراد السيوف. وصمَّمَت، أي: قَطَعَت لحدّتها، ويقال: صمَّمَ السيفُ، إذا مضى في العظم وقطعه.

(٤) في نسخة على حواشي (ز) و(غ) و(ق١): الله أعلم.

(٥) الأشقر: أراد به الدم. والمُزبِد: الذي قد علاه الزَّبَد، أي: الرغوة.

(٦) ينكي: يؤلم ويوجع.

(٧) يريد بالأحبّة من قتل أو أُسر من رهطه وإخوته.

(٨) أي: أفحشَ في المقال، والقَذَع: الكلام الفاحش.

(٩) انظر «ديوانه» ١/ ١٨٠.

لقد عَلِمَت قُريشٌ يومَ بدرٍ ... غَداةَ الأَسرِ والقتلِ الشّديدِ
بأنّا حينَ تَشتجِرُ العَوالي ... حُمَاةُ الحربِ يومَ أبي الوليدِ[1]
قتلنا ابنَي ربيعةَ يومَ سارا ... إلينا في مُضاعَفةِ الحديدِ[2]
وفَرَّ بها حَكيمٌ يومَ جالَتْ ... بنو النَّجّارِ تَخطِرُ كالأُسودِ[3]
ووَلَّت عند ذاكَ جُموعُ فِهْرٍ ... وأسلَمَها الحُوَيرِثُ من بعيدِ
لقد لاقَيتُمُ ذُلّاً وقتلاً ... جَهيزاً نافذاً تحت الوَريدِ[4]
وكلُّ القوم قد وَلَّوا جميعاً ... ولم يَلْوُوا على الحَسَبِ التَّليدِ[5]

وقال حسّانُ أيضاً[6]:

يا حارِ قد عَوّلتَ غيرَ مُعوَّلٍ ... عندَ الهِيَاجِ وساعةِ الأحسابِ[7]
إذ تَمتَطي سُرُحَ اليدَينِ نَجيبةً ... مَرَطَى الجِراءِ طويلةَ الأقرابِ[8]

---

(١) تشتجر: تختلط وتشتبك. والعوالي: أعالي الرماح. وأبو الوليد: هو عتبة بن ربيعة.

(٢) مضاعفة الحديد: يعني الدروع التي ضوعف نسجُها.

(٣) جالت: طافت ودارت في ساحة القتال. وتخطر: تهتزّ وتجدُّ في المشي إلى لقاء أعدائها.

(٤) جهيزاً، أي: سريعاً، يقال: أجهز على الجريح، وذلك إذا أسرع قتلَه. والوريد: عِرق في صفحة العنق.

(٥) التليد: القديم.

(٦) انظر «ديوانه» ١/ ٢٩٨.

(٧) يا حارِ: منادى مرخَّم، وأصله: يا حارث، يريد به الحارثَ بن هشام أخا أبي جهل عمرو ابن هشام. وعوَّلت: عَزَمتَ. والهِياج: الحرب.

(٨) تمتطي: تركب. وسُرُح اليدين، أي: سريعة اليدين، ويريد بها فرساً. والنَّجيبة: العتيقة. ومَرَطَى: سريعة، يقال: هو يعدو المَرَطَى، إذا أسرع. والجراء: الجري. والأقراب: جمع قُرْب (بتسكين الراء وضمها)، وهي الخاصرةُ وما يليها.

والقومُ خَلفَك قد تَرَكتَ قتالَهم ... تَرجُو النَّجاءَ وليس حينَ ذَهابِ

ألّا عَطَفتَ على ابنِ أُمِّكَ إذ ثَوَى ... قَعْصَ الأسِنّةِ ضائعَ الأسلابِ[1]

عَجِلَ المَليكُ له فأهلَكَ جَمْعَهُ ... بشَنَارِ مُخزِيَةٍ وسوءِ عذابِ[2]

قال ابنُ هشامٍ: تَرَكنا منها بيتاً واحداً أقذَعَ فيه.

قال ابنُ إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً[3] ـ قال ابن هشام: ويقال: قالها عبدُ الله بن الحارثِ السَّهْميّ ـ:

مُستَشعِري حَلَقِ الماذِيِّ يَقدُمُهم ... جَلْدُ النَّحِيزةِ ماضٍ غيرُ رِعْديدِ[4]

أَعني رسولَ إلهِ الحقِّ[5] فَضَّلَهُ ... على البَرِيَّةِ بالتَّقوى وبالجُودِ

وقد زَعَمتُم بأنْ تَحمُوا ذِمارَكمُ ... وماءُ بدرٍ زَعَمتُم غيرُ مَوردِ

ثُمَّ وَرَدْنا ولم نَسمَعْ لقولِكمُ ... حتّى شَرِبْنا رَواءً غيرَ تَصريدِ[6]

مُستَعصِمينَ بحبلٍ غيرِ مُنجَذِمٍ ... مُستحكِمٍ من حِبالِ الله ممدودِ[7]

---

(١) ثوى: أقام. والقعص: القتل بسرعة. والأسنّة: الرِّماح. والأسلاب: جمع سَلَبٍ، وهو ما أُخذ عن المقتول من سلاح أو ثوب أو غير ذلك.

(٢) الشَّنار: العيب والعار.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ١٢٨.

(٤) يقال: استشعرتُ الثوبَ، وذلك إذا لبستَه على جسمك من غير حاجز، ومنه: الشِّعار، وهو ما وليَ الجسمَ من الثياب. والحَلَق: جمع حَلْقة. والماذيّ: الدُّروع البِيض الليِّنة. والجَلْد: الصلب الشديد. والنَّحيزة: الطبيعة. والرِّعديد: الجبان.

(٥) في (ص) و(م) و(ي): إله الخلق. وفي «الديوان»: أعني الرسول فإن الله فضّله.

(٦) الرَّواء، بفتح الراء: التملُّؤ من الماء، وبكسرها: جمع راوٍ، من الرِّيِّ. والتصريد: تقليل الشرب.

(٧) منجذم: منقطع. والمستحكِم: المُحكَم الصنعة.

فينا الرَّسولُ وفينا الحقُّ نَتبَعُهُ حتّى المَماتِ ونَصرٌ غيرُ محدودِ[1]

وافٍ وماضٍ شِهابٌ يُستَضاءُ بهِ بَدرٌ أنارَ على كلِّ الأماجيدِ[2]

قال ابن هشام: بيتُه: مُستَعصِمين بحبلٍ غير مُنجذِمٍ، عن أبي زيد الأنصاريِّ.

قال ابنُ إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً[3]:

خابَتْ بنو أسَدٍ وآبَ غَزِيُّهمْ يومَ القَليبِ بسَوءَةٍ وفُضوحِ[4]

منهم أبو العاصي تَجدَّلَ مُقعَصاً عن ظَهرِ صادقةِ النَّجاءِ سَبُوحِ[5]

حَيْناً له من مانعٍ بسِلاحِهِ لمَّا ثَوَى بمَقامِهِ المذبوحِ

والمرءُ زَمْعةُ قد تَرَكنَ ونَحرُه يَدمَى بعانِدِ مُعبَطٍ مسفوحِ[6]

مُتوَسِّداً حُرَّ الجَبينِ مُعفَّراً قد عُرَّ مارِنُ أنفِهِ بقُبوحِ[7]

---

(١) غير محدود، أي: غير ممنوع.

(٢) الأماجيد: الأشراف، جمع ماجدٍ.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ٣٧٦ و٢/ ٢٧٧.

(٤) قوله: خابت، قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص١٨٦: من رواه بالخاء المعجمة، فهو من الخَيبة، ومن رواه حانت بالحاء المهملة، فهو من الحَيْن: وهو الهلاك. والغَزِيّ: جماعة من القوم الذين يَغزُون.

(٥) تجدَّل: صُرع على الأرض، واسم الأرض: الجَدَالة. ومُقعَصاً، أي: مقتولاً قتلاً سريعاً. وصادقة النَّجاء: يعني فرساً سريعةً، والنَّجاء: السرعة. والسَّبوح: التي تسبح في جريها كأنها تعوم.

(٦) العاند: العِرق الذي يسيل دمه ولا ينقطع. والمُعبَط: الدم الطريّ. والمسفوح: السائل المنصبّ.

(٧) معفَّراً، أي: لاصقاً بالعَفَر، وهو التراب. وعُرَّ: لُطخ. ومارن الأنف: ما لانَ منهطرفه الليِّن. وقوله: بقبوح، من القُبح، وفي «الديوان»: بقيوح، من القَيح.

ونَجَا ابنُ قيسٍ في بقيَّةِ رَهطِهِ ... بشَفَا الرِّماقِ مُولِّياً بجُروحِ[1]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً[2]:

ألا لَيتَ شِعْري هل أَتى أهلَ مكَّةٍ ... إبارَتُنا الكُفّارَ في ساعةِ العُسرِ[3]

قَتَلْنا سَراةَ القومِ عندَ مَجالِنا ... فلم يَرجِعوا إلَّا بقاصِمَةِ الظَّهرِ[4]

قَتَلْنا أبا جهلٍ وعُتْبةَ قبلَهُ ... وشَيْبةُ يَكبُو لليدَينِ وللنَّحرِ[5]

قَتَلْنا سُوَيداً ثمَّ عُتبةَ بعدَهُ ... وطُعْمةَ أيضاً عند ثائرةِ القَتْرِ[6]

فكم قد قَتَلنا من كَريمٍ مُرَزَّأٍ ... له حَسَبٌ في قومِه نابِهِ الذِّكرِ[7]

تَرَكناهمُ للعاوِياتِ يَنُبْنَهمْ ... ويَصلَونَ ناراً بعدُ حاميَةَ القَعرِ[8]

لَعَمرُكَ ما حامَتْ[9] فوارسُ مالكٍ ... وأَشياعُهمْ يومَ التَقَينا على بدرِ

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيدٍ الأنصاريُّ بيتَه:

---

(١) شفا كل شيء: حدُّه وطرفه. والرِّماق: بقية الحياة.

(٢) انظر «ديوانه» ١/ ١٤٢.

(٣) إبارتنا: أي إهلاكنا، تقول: أبَرْنا القوم، أي: أهلكناهم.

(٤) سراة القوم: سادتهم وخيارهم. وقاصمة الظَّهر: الداهية التي تقصم الظَّهر، أي: تكسرها.

(٥) يكبو: يسقط.

(٦) ثائرة القتر: ما ثار من الغبار وارتفع، والقَتَر: الغبار.

(٧) رجلٌ مرزَّأٌ، أي: كريم يصاب من ماله كثيراً لكرمه.

(٨) العاويات: الذّئاب والسِّباع. وينبنهم، أي: يأتونهم مرّةً بعد مرّة.

(٩) في (ز) و(م): ما خامت، قال أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص١٨٧: من رواه بالخاء المعجمة فمعناه: جَبُنَت ورجعت، ومن رواه بالحاء المهملة، فهو من الحماية، وهو: الامتناع.

ومكان قوله: فوارس مالك، في «الديوان»: كتائب غالب، وغالبٌ: هو ابن فِهْر، جدُّ قريش، ومالك والد فِهر.

قتلنـا أبـا جهـلٍ وعُتبـةَ قبلَـه ... وشَـيْبةُ يَكبُـو لليـدَينِ وللنّحـرِ

قال ابنُ إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً[1]:

نَجَّـى حَكيمـاً يـومَ بـدرٍ شَـدُّهُ ... كنَجـاءِ مُهـرٍ مـن بنـاتِ الأعـوَجِ[2]

لمَّـا رأى بَـدراً تَسـيلُ جِلاهُـهُ ... بكَتيبـةٍ خَضـراءَ مـن بَلخَـزْرجِ[3]

لا يَنكُلـونَ إذا لَقُـوا أعـداءَهم ... يَمشُـون عانـدةَ الطّريـقِ المَـنهَجِ[4]

كـم فـيهِم مـن ماجـدٍ ذي مَنْعـةٍ ... بَطَـلٍ بمَهلَكـةِ الجَبـانِ المُحـرَجِ[5]

ومُسـوَّدٍ يُعطـي الجزيـلَ بكَفِّـهِ ... حَمّـالِ أثقـالِ الـدِّيَاتِ مُتـوَّجِ[6]

زَيـنِ النَّـديِّ مُعـاوِدٍ يـومَ الـوَغَى ... ضربَ الكُمَاةِ بكـلِّ أبيضَ سَلحَجِ[7]

---

(١) انظر «ديوانه» ١/ ١٨٧.

(٢) شدُّه: جَرْيه وركضه. والنَّجاء: السرعة. والأعوج: اسم فرس مشهور في الجاهلية.

(٣) الجِلاه: ما استقبلك من أطراف الوادي، الواحدة: جَلْهة. وخضراء، أي: سوداء لما يعلوها من الحديد، والعرب تجعل الأسود أخضر، فتقول: ليل أخضر.

(٤) لا ينكُلون، أي: لا يرجعون مهابةً. وعاندة الطريق: ما عُدِل عن المسير عليه فعَنَدَ، أي: صار عنيداً المشيُ عليه صعبٌ. يصفهم بأنهم لا يهابون سلوك الطريق الصعب العنيد.

(٥) المنعة: الشدّة والامتناع. والمُحرَج: المضيَّق عليه.

(٦) المسوَّد: السيِّد. والجزيل: الكثير. ومن أخلاق السادة حملهم الديات عن قومهم.

(٧) النديّ: المجلس. ومعاود، أي: معتادٌ ضربَ الكُماة، أي: الشجعان. والوغى: الحرب. والأبيض: السيف.

وسلحج: هكذا وقع في نسخنا الخطية، بالحاء والجيم، وفي (ز) و(م) قُيِّد بالوجهين؛ بجيمين وبحاء وجيم، ووقع عند السهيلي في «الروض» ٥/ ٣٦٩، وأبي ذر الخشني في «إملائه» ص١٨٨: سلجج، بجيمين، وفسّراه بالسيف الماضي الذي يقطع الضَّريبة بسهولة؛ زاد الخشنيُّ: وسلحج كذلك.

قال ابنُ هشامٍ: قولُه: سَلْحَج، عن غير ابن إسحاق.

قال ابنُ إسحاق: وقال حسّان أيضاً[1]:

فما[2] نَخشَى بحولِ الله قوماً ... وإن كَثُروا وأُجمِعَتِ الزُّحوفُ[3]

إذا ما ألَّبُوا جَمْعاً علينا ... كَفَانا حَدَّهم ربٌّ رَؤوفُ[4]

سَمَونا يومَ بدرٍ بالعَوالي ... سِراعاً ما تُضَعضِعُنا الحُتوفُ[5]

فلم تُرَ عُصْبةٌ في الناسِ أنكَى ... لمن عادَوْا إذا لَقِحَت كَشُوفُ[6]

ولكنَّا تَوكَّلنا وقلنا ... مآثِرُنا ومَعقِلُنا السّيوفُ[7]

لَقِيناهم بها لمَّا سَمَوْنا ... ونحنُ عِصابةٌ وهمُ أُلوفُ

وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً يَهجُو بني جُمَحَ ومَن أُصيبَ منهم[8]:

جَمَحَت بنو جُمَحٍ لشِقْوةِ جَدِّهم ... إنَّ الذَّليلَ مُوكَّلٌ بذَليلِ[9]

---

(١) انظر «الديوان» ١/ ٤٩٥.

(٢) هكذا في (غ) ونسخة على حاشية (ق١)، وفي (ت): وما، وبهما يصح الوزن الشِّعري، وفي (ز) و(ش١) و(ص) و(ق١) و(م) و(ي): ما، وبه ينخرم البيت.

(٣) الزحوف: جمع زَحْف، وهي الجماعة تزحف إلى مثلها، أي: تسرع وتسبق.

(٤) ألَّبوا: جمعوا.

(٥) تضعضعنا، أي: تذلّنا وتنقص من شجاعتنا. والحتوف: جمع حَتْف، وهو الموت.

(٦) لقحت: حَمَلت. والكَشُوف: الناقة التي يضربها الفحل في الوقت الذي لا تشتهي فيه الضِّراب، فاستعارها هنا للحرب، ولَقِحَت الحرب: إذا هاجت بعد سكون.

(٧) المآثر: جمع مَأثُرة، وهي ما يُتحدَّث به عن الإنسان من خير أو فعل حسن. والمَعقِل: الممتنع الذي يُلجَأ إليه.

(٨) انظر «ديوانه» ١/ ٤٣٥.

(٩) جمحت، أي: ذهبت على وجهها فلم ترجع. والجَدّ: الحظ والبخت.

قُتِلَت بنو جُمَحٍ ببدرٍ عَنْوةً ... وتَخاذَلوا سَعْياً بكلِّ سبيلِ[1]

جَحَدوا القُرَانَ[2] وكَذّبوا بمحمَّدٍ ... واللهُ يُظهِرُ دينَ كلِّ رسولِ

لَعنَ الإلهُ أبا خُزَيمةَ وابنَهُ ... والخالِدينَ وصاعدَ بن عَقيلِ[3]

قال ابن إسحاق: وقال عُبَيدةُ بن الحارث بن المُطَّلِب في يوم بدر، وفي قَطْع رِجله حين أُصيبَ وفي مُبارَزَته هو وحمزةُ وعليٌّ حين بارزوا عدوَّهم ـ قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها ـ:

ستَبلُغُ عنّا أهلَ مكَّةَ وَقْعةٌ ... يَهُبُّ لها مَن كان عن ذاكَ نائيا[4]

بعُتْبةَ إذ وَلَّى وشَيْبةُ بعدَهُ ... وما كان فيها بِكرُ عُتبةَ راضيا[5]

فإن تَقطَعوا رِجْلي فإنّيَ مُسلِمٌ ... أُرجِّي بها عَيشاً من اللهِ دانيا

مع الحُورِ أمثالِ التّماثيلِ أُخلِصَت ... مع الجَنّةِ العُليا لمَن كان عاليا[6]

وبِعتُ بها عَيشاً تَعرَّفتُ[7] صَفْوَهُ ... وعالَجتُهُ حتّى فَقَدتُ الأَدانيا

---

(١) عنوة، أي: قهراً وغلبة.

(٢) في (ق١): جحدوا الكتاب.

(٣) لم نتبين من هم هؤلاء أبو خزيمة وابنه وصاعد بن عقيل، وأما الخالدون، فقد ذكر ابن إسحاق ممن حضر بدراً من كفار قريش وحلفائهم ثلاثة ممن يسمَّى بخالد: وهم خالد بن هشام ابن المغيرة وخالد بن أَسيد بن أبي العِيص وخالد بن الأعلم.

(٤) يهبّ: يستيقظ. والنائي: البعيد.

(٥) بكرُ عتبة: ولده الأول، وهو ابنه الوليد الذي قُتل معه بالمبارزة يوم بدر.

(٦) قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص١٨٩: التماثيل: جمع تمثال، وهو الصورة تُصنَع أحسنَ ما يُقدَر عليه، وأُخلصت معناه: أُحكم صنعها وأُتقن، وهذا إذا رجع الضمير إلى التماثيل، وإن رجع هذا الضمير الذي في أُخلصت إلى الحُور، فمعناه: خُصَّ بها، وهو أحسن.

(٧) هكذا هو في نسخنا الخطية بالفاء، من المعرفة، ويروى: تعرَّقتُ، بالقاف، قال الخشنيُّ: =

فأكرَمَني الرَّحمنُ من فضلِ مَنِّهِ بثوبٍ من الإسلامِ غطَّى المَساوِيا
وما كان مكروهاً إليَّ قتالُهم غَداةَ دعا الأكفاءَ مَن كان داعياً
ولم يَبغِ إذ سألُوا النبيَّ سِواءَنا ثلاثتَنا حتّى حَضَرْنا المُناديا
لَقِيناهم كالأُسْدِ تَخطِرُ بالقَنَا نقاتلُ في الرَّحمنِ مَن كان عاصيا[1]
فما بَرِحَت أقدامُنا من مَقامِنا ثلاثَتُنا حتّى أُزِيروا المَنائيا[2]

قال ابن هشام: لمّا أُصيبَت رِجلُ عُبَيدة قال: أمَا والله لو أدرَكَ أبو طالبٍ هذا اليوم، لعَلِمَ أنّي أحقُّ بما قال منه حيثُ يقول:

كَذَبتُم وبيتِ الله نُبزَى محمَّداً ولمَّا نُطاعِنْ دونَه ونُناضِلِ[3]
ونُسلِمُه حتّى نُصرَّعَ حولَهُ ونَذهَلَ عن أبنائِنا والحلائلِ

وهذان البيتانِ في قصيدةٍ لأبي طالب، وقد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب[4].

قال ابن إسحاق: فلمّا هَلَكَ عُبَيدةُ بن الحارثِ من مُصابِ رجلِه يومَ بدر، قال كعبُ بن مالكٍ الأنصاريُّ يبكيه:

يا عَينُ جُودِي ولا تَبخَلي بدَمعِكِ حَقّاً ولا تَنزُري[5]

= من رواه بالقاف فمعناه: مَزَجتُ، يقال: تعرَّق الشَّرابَ، إذا مزجه، ومن رواه بالفاء فهو معلوم. قلنا: وهو بالفاء أبين وأوضح.

(١) تخطر: تهتزّ وتجدُّ في المشي إلى لقاء أعدائها. والقنا: الرِّماح.

(٢) المنائيا: يريد المنايا، قال الخشنيّ: وقد تكون هذه الهمزة منقلبة عن الياء الزائدة التي في مَنيّة.

(٣) نُبزَى محمّداً، أي: نُقهَر ونُغلَب على محمد ﷺ. ونناضل، أي: نُرامي بالسهام.

(٤) ١/ ٣١٥.

(٥) لا تَنزُري، أي: لا تقلّلي من الدمع، والنَّزْر: هو القليل.

علـــى ســـيِّدٍ هَـــدَّنا هُلْكُـــهُ كـــريمِ المَشـــاهِدِ والعُنصُـــرِ[1]
جَريءِ المُقدَّمِ شاكِي السِّلاحِ كـــريمِ الثَّنـــا طيِّـــبِ المَكسِـــرِ[2]
عُبَيـــدةُ أَمســـى ولا نَرتَجيـــهِ لعُـــرفٍ عَرَانـــا ولا مُنكَـــرِ
وقـد كـان يَحْمـي غَـداةَ القِتـا لِ حاميـــةَ الجـــيشِ بالمِبتَـــرِ[3]

وقال كعبٌ أيضاً في يوم بدر:

ألا هل أَتى غسّانَ في نأْيِ دارِها وأخبَـرُ شـيءٍ بـالأُمورِ عَليمُهـا
بأن قدْ رَمَتْنا عـن قِسِيٍّ عَداوةٍ مَعَـدٌّ معـاً جُهّالُهـا وحَليمُهـا[4]
لأنّـا عَبَـدْنا اللهَ لـم نَـرجُ غيـرَهُ رَجـاءَ الجِنـانِ إذ أتانـا زَعيمُهـا[5]
نبـيٌّ لـه في قومِـهِ إرثُ عِـزّةٍ وأعراقُ صِدقٍ هَذّبَتها أُرومُهـا[6]
فسـاروا وسِـرْنا فالتَقَينـا كأنّنـا أُسـودُ لقـاءٍ لا يُرجَّـى كَليمُهـا[7]
ضَرَبناهم حتّى هَوَى في مَكَرِّنا لمَنخِرِ سَوْءٍ من لُؤَيٍّ عظيمُهـا

---

(١) العنصر: الأصل.

(٢) شاكي السلاح، أي: حادّ السلاح. وطيّب المَكسِر، أي: أنه إذا فُتِّش عن أصله وُجد خالصاً، والمَكسِر: المَخبَر.

قوله: كريم الثّنا، هكذا في نسخنا الخطية غير (ز) بتقديم الثاء، وهو على هذا مقصور من الثَّناء، وهو الذِّكر الطيّب، وفي نسخة (ز): النَّثا، بتقديم النون: وهو ما يُتحدَّث به عن الرجل من خير وشر.

(٣) المِبتَر: السيف، اسم آلة من البَتْر، وهو القطع.

(٤) القِسِيّ: جمع قوسٍ من آلة الحرب.

(٥) الزعيم: الرئيس والضامن، ويريد به هنا النبيَّ ﷺ.

(٦) هذبتها: أخلصتها. والأُروم: جمع أَرُومة، وهي الأصل.

(٧) الكليم: الجريح.

فوَلَّوا ودُسْناهمْ ببِيضٍ صَوارمٍ سواءٌ علينا حِلفُها وصَميمُها[1]

وقال كعبٌ أيضاً:

لَعَمْرُ أَبيكما يا بني لُؤَيٍّ على زَهوٍ لَدَيكم وانتِخاءِ[2]
لَمَا حامَتْ فوارِسُكم ببدرٍ ولا صَبَروا به عندَ اللِّقاءِ[3]
وَرَدْناه بنورِ الله يَجلُو دُجَى الظَّلماءِ عنّا والغِطاءِ
رسولُ الله يَقدُمُنا بأمرٍ منَ أمرِ الله أُحكِمَ بالقَضاءِ
فما ظَفَرَت فوارِسُكم ببدرٍ وما رَجَعوا إليكمْ بالسّواءِ
فلا تَعجَلْ أبا سفيانَ وارقُبْ جِيادَ الخيلِ تَطلُعُ من كَدَاءِ[4]
بنصرِ الله روحُ القُدْسِ فيها ومِيكالٌ فيا طِيبَ المَلَاءِ[5]

وقال طالبُ بن أبي طالبٍ يَمدَحُ رسولَ الله ﷺ ويبكي أصحابَ القَلِيب من قُرَيش:

ألَا إنَّ عَيْني أنفَدَت دمعَها سَكْبا تُبكِّي على كَعبٍ وما إن تَرَى كَعبا[6]
ألَا إنَّ كعباً في الحروبِ تَخاذَلوا وأَرْداهم ذا الدَّهرُ واجتَرَحوا ذَنْبا[7]

---

(١) دسناهم: وطئناهم. والصوارم: السيوف القواطع. وحِلْفها، أي: من كان حليفاً فيهم وليس منهم، والصّميم: الخالص من القوم.

(٢) الانتخاء: الإعجاب والتكبر.

(٣) حامت: امتنعت، من الحماية، وهي الامتناع.

(٤) كَدَاء: ثنيّة بين جبلين بأعلى مكة شمالاً.

(٥) المَلاء: أراد الملأ، وهم أشراف القوم وسادتهم.

(٦) يريد بكعبٍ كعبَ بنَ لؤيٍّ أحد آباء بعض بطون قريش.

(٧) أرْداهم: أهلكهم. واجترحوا: اكتسبوا، ومنه قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ =

وعـامرُ تَبْكـي للمُلِمّـاتِ غُـدوةً ... فيا لَيتَ شِعْري هل أَرى لهما قُرْبا[1]

همـا أَخَـوايَ لـن يُعَـدّا لغَيَّـةٍ ... تُعَـدُّ ولـن يُستامَ جارُهمـا غَصْبا[2]

فيـا أَخَوَينـا عبـدَ شَـمسٍ ونَـوفَلاً ... فِـداً لكمـا لا تَبعَثـوا بينَنـا حَرْبـا

ولا تُصبِحوا مـن بعـدِ وُدٍّ وأُلفـةٍ ... أحاديثَ فيها كلُّكم يَشتَكي النَّكْبا[3]

ألم تَعلَموا ما كان في حربِ داحِسٍ ... وجيشِ أبي يَكسُومٍ إذ مَلَؤُوا الشِّعْبا[4]

فلـولا دِفـاعُ اللهِ لا شـيءَ غيـرُه ... لَأصبَحتُم لا تَمنَعُـون لكـم سِـرْبا[5]

فمـا إن جَنَينـا في قُـريشٍ عظيمـةً ... سوى أنْ حَمَينا خيرَ مَن وَطِئَ التُّرْبا

أخـا ثِقـةٍ في النائبـاتِ مُـرَزَّأً ... كَريمـاً ثَنَـاهُ لا بَخـيلاً ولا ذَرْبـا[6]

= ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية:٢١].

(١) يريد بعامرٍ عامرَ بنَ لؤيٍّ أخا كعب. والملمّات: جمع مُلِمّة، وهي المصيبة والنازلة الشديدة من نوازل الدهر.

(٢) قوله: لغَيّةٍ، من الغَيّ: وهو الضلال والخَيبة. ويُستام، أي: يُراد. والغَصب: أخذ الشيء ظلماً.

(٣) النَّكب: يريد نَكَبات الدهر، يعني مصائبه.

(٤) داحس: اسم فرس، كانت حرب بسببه. وأبو يكسوم: يعني أَبرهة الحبشيّ، كان يُكنى أبا يكسوم.

(٥) يروى بفتح السين وكسرها، فالسَّرب بالفتح: المال الراعي، والسِّرب بالكسر: القطيع من البقر والظِّباء، ومن النساء أيضاً. قاله السهيليّ في «الروض» ١/ ٢٩١.

(٦) النائبات: جمع نائبة، وهي ما يَنُوب الإنسان، أي: ينزل به من المُهمّات وحوادث الدهر. والمرزَّأ: الكريم الذي يصاب من ماله كثيراً لكرمه. والذَّرْب: الفاسد.

وقوله: كريماً ثناه، هكذا وقع في نسخنا الخطية بتقديم الثاء، وفي حواشي بعض النسخ: نثاه، بتقديم النون، وقد تقدم آنفاً التعليق عليه ص٤٧٨.

يُطِيفُ بـه العـافُونَ يَغشَـونَ بابَـهُ يَؤُوبـونَ بَحـراً لا نَـزُوراً ولا صَـرْبا[1]
فـواللهِ لا تَنفَـكُّ نفسـي حزينـةً تَمَلمَلُ حتّى تَصدُقوا الخَزْرجَ الضَّرْبا[2]

وقال ضِرارُ بن الخَطّاب الفِهْريّ يَرْثي أبا جهل:

ألَا مَـن لعَـينٍ باتَـتِ اللّيـلَ لـم تَـنَمْ تُراقِـبُ نَجمـاً في سـوادٍ مـن الظُّلَـمْ
كـأنَّ قَـذًى فيهـا ولـيس بهـا قَـذًى سوى عَبْرةٍ من جائلِ الدّمعِ تَنسَجِمْ[3]
فبَلِّـغْ قُريشـاً أنَّ خيـرَ نَـدِيِّها وأكـرَمَ مَـن يمشـي بسـاقٍ على قَـدَمْ[4]
ثَـوَى يـومَ بـدرٍ رَهْـنَ خَوْصـاءَ رَهْنُهـا كَـريمُ المَساعي غيـرُ وَغْـدٍ ولا بَـرَمْ[5]
فآلَيـتُ[6] لا تَنهَـلُّ عَينَـيَّ بعَبْـرةٍ على هالكٍ بعد الرّئيسِ أبي الحَكَـمْ
على هالـكٍ أشـجَى لُـؤيَّ بـن غالـبٍ أتَتْـه المَنايـا يـومَ بـدرٍ فلـم يَـرِمْ[7]
تَـرَى كِسَـرَ الخَطّـيِّ في نَحـرِ مُهـرِهِ لَـدَى بـائنٍ مـن لحمِـه بينهـا خِـذَمْ[8]

---

(١) يؤوبون: يذهبون ويرجعون. والعافُون: الطالبون للمعروف. النَّزور: القليل. والصَّرب: المنقطع.

(٢) تململ، أي: لا تستقرُّ على فراشها.

(٣) القذى: ما يقع في العين من أذى كتراب ونحوه. وتنسجم: تنصبّ.

(٤) النديّ: المجلس، وأراد خير من كان يجلس فيه.

(٥) الخوصاء: البئر الضيّقة. والوغد: الدَّنيء من القوم. والبَرَم: البخيل الذي لا يدخل مع القوم في المَيسِر كعادتهم لبخله.

(٦) في (ت) و(ص): فيا ليت. ومعنى «فآليت»: حلفتُ. وتنهلُّ: تسيل.

(٧) أشجى: أحزن، من الشَّجْو: وهو الحزن. ولم يرم، أي: لم يبرح ولم يزل.

(٨) الخطّيُّ: الرِّماح، نسبة إلى الخَطِّ، وهو خطُّ عُمَان، وذلك الساحل الممتدّ من شمال عُمان إلى البصرة في جنوب العراق كلُّه كان يُسمَّى الخطَّ، وكان من أشهر قراه القَطِيف وقَطَر، فكانت تُجلَب إليه الرماح القَنَا (أي: الجوفاء كالقَصَب) من الهند فتُقوَّم فيه وتُباع على العرب، كما =

وما كان ليثٌ ساكنٌ بطنَ بيشَةٍ ... لَدَى غَلَلٍ يَجري ببَطْحاءَ في أَجَمْ[1]

بأجرَأَ منه حين تَختلِفُ القَنَا ... وتُدعَى نَزَالِ في القَماقِمةِ البُهَمْ[2]

فلا تَجزَعوا آلَ المغيرةِ واصبِروا ... عليه ومَن يَجزَعْ عليه فلم يُلَمْ

وجِدُّوا فإنَّ الموتَ مَكرُمةٌ لكم ... وما بعدَه في آخرِ العَيشِ مِن نَدَمْ

وقد قلتُ: إنَّ الرّيحَ طيّبةٌ لكم[3] ... وعِزَّ المَقامِ غيرُ شكٍّ لذي فَهَمْ

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها لضِرَار.

قال ابن إسحاق: وقال الحارثُ بن هشامٍ يبكي أخاه أبا جهل:

ألا يا لَهْفَ نفسي بعدَ عَمرٍو ... وهل يُغني التّلهُّفُ من قتيلِ[4]

يُخبِّرُني المخبِّرُ أنَّ عَمراً ... أمامَ القومِ في حَفَرٍ مُحِيلِ[5]

فقِدْماً كنتُ أحسبُ ذاكَ حقّاً ... وأنتَ لِمَا تقدَّمَ غيرُ فِيلِ[6]

= في «معجم البلدان» لياقوت ٢/ ٣٧٨.

والبائن: المنفصل. والخِذَم ـ بالخاء أو بالجيم ـ: قِطَع اللحم.

(١) بطن بيشة: وادٍ عظيم جنوب غرب الجزيرة العربية، ويُفهم من كلامه أنه كان موطناً للأُسود. والغَلَل: الماء الجاري في أصول الشجر. والبطحاء: أرض واسعة يكثر فيها الحصى جرّاء سيلان الماء فيها. والأَجم: جمع أَجَمة، وهي الشجر الكثيف المتشابك.

(٢) القنا: الرِّماح. ونَزَالِ: اسم فعل أمرٍ بمعنى: انزِلْ. والقماقمة: السادة الكرماء، واحدهم: قَمْقام. والبُهَم: الشجعان، الواحد: بُهْمة، وقيل له ذلك، لأن خصمه ينبهم عليه أمرُه فلا يدري من أين يأتيه لشدّة بأسه.

(٣) يريد أن النصر والظَّفَر لكم.

(٤) التلهف: الحزن والتحسر.

(٥) الحَفَر: البئر المحفورة التي لا بناء حولها. المُحِيل: القديم المتغيّر.

(٦) غير فِيل، أي: غير فاسد الرأي، يقال: رجل فِيلُ الرأي، وفالُ الرأي، وفائلُ الرأي: =

وكنتُ بنعمةٍ ما دُمتَ حيّاً ... فقد خُلِّفتُ في دَرَجِ المَسِيلِ[1]

كأنّي حين أُمسي لا أَراه ... ضعيفُ العَقْدِ[2] ذو هَمٍّ طويلِ

على عَمرٍو إذا أَمسيتُ يوماً ... وطَرْفٍ من تَذكُّرِه كَليلِ[3]

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها للحارث بن هشامٍ، وقولُه: في حَفَرٍ، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال أبو بكر بن الأسوَد ابنُ شَعُوبَ[4] اللَّيْثيّ، وهو شدّادُ بن الأسوَد:

تُحيِّي بالسَّلامةِ أُمُّ بكرٍ ... وهل لي بعدَ قومي من سَلامِ

فماذا بالقَليبِ قَليبِ بدرٍ ... من الفِتْيانِ[5] والشَّرَبِ الكِرامِ

وماذا بالقَليبِ قَليبِ بدرٍ ... من الشِّيزَى تُكلَّلُ بالسَّنامِ[6]

= إذا كان غير حسن الرأي.

(١) في درج المَسِيل: يريد موطن الذل والقهر، يقال: تركته درجَ السيول، إذا تركتَه بدار مذلّة وهوانٍ حيث لا يقدر على الامتناع، فدرجُ السيل ومَدرَجه: منحدره وطريقه في معاطف الأودية.

(٢) في (ش١) و(ص): العقل. وفي بقية النسخ: العقد، ومعناه هنا: العزم والرأي.

(٣) طَرْف كليل: بصرٌ منكسر ضعيف.

(٤) شعوبُ اسم امرأة، وهي أمُّ أبي بكر هذا باتفاقٍ كما قال ابن حجر في «الإصابة» ٧/ ٤٤.

(٥) هكذا وقع في (ت) و(ش١) و(ي)، وهو واضح، وفي (ز) و(ص) و(غ) و(ق١) و(م): القَيْنات، والظاهر أنه تحريف، فالقينات: هنّ الجواري، ولا معنى لهنّ أن يكنّ في القليب، وإنما فيه رجال قريش وفتيانهم. والقليب: هو البئر. والشَّرب، بفتح الراء وتسكينها: جماعة القوم الذين يشربون معاً.

(٦) الشِّيزى: جِفانٌ تصنع من خشب، وإنما أراد أصحابها الذين يُطعِمون فيها. والسَّنام: لحم ظهر البعير. والتكليل: رفع الشيء مثل الكِلَل: وهي الصوامع والقِباب.

وكم لكِ بالطَّوِيِّ طَويٍّ بدرٍ ... من الحَوْماتِ والنَّعَمِ المُسامِ[1]

وكم لكِ بالطَّوِيِّ طَويٍّ بدرٍ ... من الغاياتِ والدُّسُعِ العِظامِ[2]

وأصحابِ الكريمِ أبي عليٍّ ... أخي الكاسِ الكَريمةِ والنِّدامِ[3]

وإنَّكِ لو رأَيتِ أبا عَقيلٍ ... وأصحابَ الثَّنِيَّةِ من نَعامِ[4]

إذاً لَظَلَلتِ من وَجْدٍ عليهمْ ... كأُمِّ السَّقْبِ جائلةِ المَرَامِ[5]

يُخبِّرُنا الرّسولُ لَسَوفَ نُحْيا ... وكيفَ لقاءُ أصداءٍ وهامِ[6]

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة النَّحْويّ:

يُخبِّرُنا الرّسولُ بأن سنُحْيا ... وكيفَ حياةُ أصداءٍ وهامِ

وقال: كان قد أسلَمَ ثمّ ارتَدَّ.

قال ابن إسحاق: وقال أُميّةُ بن أبي الصَّلْت يَرْثي من أُصيبَ من قريشٍ يومَ بدر[7]:

---

(١) الطويّ: البئر المطويّة، أي: المبنيّة بالحجارة. والحَوْمات: جمع حَوْمة، وهي القطعة من جماعة الإبل. والنَّعَم: واحد الأنعام، وهي المال الرّاعية، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل. والمُسَام: المُرسَل في المرعى، يقال: أَسام إبلَه، إذا أرسلها ترعى دون راعٍ.

(٢) الغايات: يريد أن هؤلاء بلغوا الغاية في الشرف والسيادة. والدُّسُع، أي: العطايا الجزيلة، مفردها: دَسِيعة.

(٣) أبو علي: هو أُميّة بن خلف الجُمَحي. والنِّدام: جمع نَديم، وهو المُجالس والمُخالط.

(٤) أبو عقيل هذا لم يتبيّن لنا المراد به. والثَّنية: فُرجة بين جبلين. ونَعَام: اسم موضع هنا.

(٥) السَّقب: ولد الناقة حين تضعه.

(٦) الأصداء: جمع صدى، وهي بقيّة الميت في قبره. والهام: جمع هامَةٍ، وهو طائر تزعم العرب في الميت أن روحه تصير هامةً.

(٧) انظر «ديوان أمية» صنعة عبد الحفيظ السطلي ص٣٤٥.

ألّا بَكَيتِ على الكِرا مِ بني الكِرامِ أُولي المَمادِحْ
كبُكَا الحَمامِ على فُرو عِ الأَيْكِ في الغُصُنِ الجوانِحْ[1]
يَبكِين حَرَّى مُستكِي ناتٍ يَرُحنَ مع الرَّوائحْ[2]
أمثالُهُنَّ الباكيا تُ المُعولاتُ من النَّوائحْ[3]
مَن يَبكِهِمْ يَبكِ على حُزنٍ ويَصدُقُ كلُّ مادِحْ
ماذا ببدرٍ فالعَقَن قَلِ من مَرازِبَةٍ جَحاجِحْ[4]
فمَدافِعِ البَرْقَينِ والْـ حَنَّانِ من طَرَفِ الأواشِحْ[5]
شُمطٍ وشُبّانٍ بَها لِيلٍ مَغاويرٍ وَحاوِحْ[6]
ألّا تَرَونَ لِمَا أَرى ولقدْ أبانَ لكلِّ لامِحْ
أنْ قد تَغيَّرَ بَطنُ مَكَّ ـةَ فهْيَ مُوحِشةُ الأباطِحْ
من كلِّ بِطْريقٍ لبِطـ ـريقٍ نَقيِّ اللَّونِ واضِحْ[7]

---

(١) الأَيك: هو الشجر الكثير الملتفّ، واحدته: أَيكة. والجوانح: الموائل، يقال: جَنَحَ، إذا مالَ.

(٢) حرّى: يعني حزينات مُحرَقات القلوب من الحزن. ومستكينات: خاضعات مع شيء من الذلّ. ويَرُحن: يعني الحمام يعدنَ إلى أوكارهنّ في العشيّ.

(٣) المُعولات: النساء يرفعن أصواتهن بالبكاء والصياح.

(٤) العقنقل: الكثيب العظيم من الرمل. والمَرازبة: الرؤساء، الواحد: مَرزُبان، وهي كلمة معرّبة عن الفارسية. والجحاجح: السادة، واحدهم: جَحْجاح.

(٥) يريد بمدافع البرقين: حيث يندفع السيل، والبرقين والحنّان والأواشح: مواضع.

(٦) الشُّمط: الذين خالطهم الشيب. والبهاليل: السادة، الواحد: بُهْلول. والمغاوير: جمع مِغوار، وهو الذي يُكثِر الغارة. والوحاوح: جمع وَحْواح، وهو الحديد النَّفْس.

(٧) البِطْريق: القائد الحاذق بالحرب وأمورها. والواضح: الأبيض الحسن.

دُعمُــوصِ أبــوابِ الملــو كِ وجائــبٍ للخَــرْقِ فــاتِحْ[1]

مــن السَّــراطِمَةِ الخَــلا جِمَــةِ المَلاوِثَــةِ المَنــاجِحْ[2]

القــائلينَ الفاعِليــ ـنَ الآمِــرينَ بكــلِّ صــالِحْ

المُطعِمِــينَ الشَّــحمَ فــو قَ الخُبــزِ شَــحماً كالأنــافِحْ[3]

نُقُــلِ الجِفَــانِ مــع الجِفــا نِ إلــى جِفــانٍ كالمَناضِــحْ[4]

ليســتْ بأصــفارٍ لمَــن يَعفُــو ولا رُحٍّ رَحــارِحْ[5]

للضَّــيفِ ثــمَّ الضَّــيفِ بَعْــ ـدَ الضّيف والبُسُطِ السَّلاطِحْ[6]

وُهُــبِ المِئِــينَ مــن المِئيــ ـنَ إلى المِئينَ من اللّواقِحْ[7]

سَــوْقَ المُؤبِّــلِ للمُؤبَّــ ـلِ صــادراتٍ عــن بَــلادِحْ[8]

---

(١) الدعموص: دويبّة تغوص في الماء، يريد أنهم يُكثِرون الزيارة والدخول على الملوك. والجائب: القاطع. والخَرْق: الفلاة الواسعة. والفاتح هنا: الناصر.

(٢) السراطمة ـ وتصحف في بعض نسخنا إلى: الشراظمة ـ: جمع سِرطِم، وهو الواسع الحلق، يعني البليغ المتكلم. والخلاجمة: جمع خَلجَم، وهو الضخم الطويل. والمَلاوثة: جمع مِلوَث، وهو السيّد الشريف. والمَناجِح: الذين ينجحون في سعيهم ويسعدون فيه.

(٣) الأنافح: جمع إنفَحَة، وهي شيء أصفر يُستخرج من بطن ذي الكرش من الأنعام فيُعصَر في اللبن فيَغلُظ كالجُبن، فشُبِّه به الشحم.

(٤) المناضح: الحِياض، شُبِّه الجفان بها في عِظَمها، والجَفْنة: الإناء العظيم.

(٥) أصفار: جمع صُفْر (والصاد تفتح وتكسر أيضاً)، وهو الخالي من الآنية وغيرها. ويعفو، أي: يقصد طالباً للمعروف. ولا رحّ رحارح، أي: ليست واسعة قصيرة الحوافي.

(٦) السلاطح: الطوال العراض.

(٧) أي: يَهَبون المئات من اللواقح: وهي الإبل الحوامل.

(٨) المؤبِّل: الرجل صاحب الإبل المؤبَّلة، أي: الكثيرة المقتَناة. وصادرات: راجعات =

لِكِـــرامِهم فـــوقَ الكِـــرا مِ مَزِيَّـــةٌ وزنَ الـــرَّواجِحْ
كتَثاقُـــلِ[1] الأرطـــالِ بالـــ ـقِسْطاسِ في الأَيدي المَوائحْ
خَـــذَلَتهُمْ فِئـــةٌ وهُـــمْ يَحمُـونَ عَـوْراتِ الفَضـائحْ
الضّـــــاربينَ التَّقْدُميّـــــ ـــةَ بالمُهنَّـــدةِ الصَّـــفائحْ[2]
ولقـــد عَنَـــاني صـــوتُهمْ مـن بـينِ مُستَسـقٍ وصـائحْ[3]
لله دَرُّ بَنـــــي عـــــ ـــلـيٍّ أيِّـــمٍ مـــنهمْ ونـــاكِحْ[4]
إن لـــم يُغِيـــروا غـــارةً شَـعْواءَ تُجحِـرُ كـلَّ نـابِحْ[5]
بالمُقرَبـــاتِ المُبعِـــدا تِ الطّامحـاتِ مـع الطّوامِحْ[6]
مُـــرْداً علـــى جُـــرْدٍ إلـــى أُسْـــدٍ مُكالِبـــةٍ كَـــوالِحْ[7]

= من المرعى. وبلادح: هو بَلدَح، واد من أودية مكة، وجَمَعه أميةُ هنا بما حوله.

(١) في (ش١) و(ق١): كمثاقل.

والقِسطاس: الميزان. والموائح: التي تتمايل لثقل ما ترفعه.

(٢) التقدمية: يريد بها التقدُّم، أي: يضربون متقدِّمين في أول الجيش. والمهنَّدة: السيوف المصنوعة من حديد الهند، الواحد: مهنَّد. والصفائح: العِرَاض.

(٣) عناني، أي: أحزنني وشقَّ عليَّ.

(٤) الأيِّم: الذي لم يتزوج. وأراد ببني عليٍّ بني كِنانةَ ـ كما قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٢/ ٥٨ ـ وإنما قيل لهم: بنو عليٍّ، لأن عبد مَناة بن كِنانة كان ربيباً لعليّ بن مسعود بن مازن من الأزْد، ومن بني عبد مناة بن كنانة بطونٌ هم حلفاء قريش.

(٥) شعواء: منتشرة متفرقة. وتُجحر: تلجئه إلى جُحره.

(٦) المُقربات: الخيل التي تقرب من البيوت لكرمها. والمبعدات: التي تبعد في جريها أو في مسافة غزوها. والطامحات: التي ترفع رؤوسها.

(٧) المُرد: جمع أمرد، وهو الشابّ الذي بلغ خروج لحيته ولم تخرج بعد. والجرد: الخيل

ويُـــلاقِ قِـــرنٌ قِرنَـــهُ مَشْـيَ المُصـافِحِ للمُصـافِحْ[1]
بزُهـــاءِ أَلـــفٍ ثـــمَّ أَلـــ ـــفٍ بـينَ ذي بَـدَنٍ ورامِـحْ[2]

قال ابن هشام: تَرَكنا منها بيتين نالَ فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ. وأنشَدَني غيرُ واحدٍ من أهل العلم بالشِّعر بيتَه: وُهُب المِئينَ، وبيتَه الّذي يَلِيه بعده، وبيتَه: ويُلاقِ قِرنٌ قِرنَه.

قال ابن إسحاق: وقال أُميَّةُ بن أبي الصَّلْت يبكي زَمْعةَ بن الأسوَد وقَتلَى بني أَسَدٍ:

عَينُ بَكِّي بالمُسبِلاتِ أبا الحا رثِ لا تَـذْخَري علـى زَمَعَـهْ[3]
وابكي عَقِيلَ بن أسوَدٍ أَسَدَ البأ سِ ليـومِ الهِيَـاجِ والدَّفَعَـهْ[4]
تلـك بنـو أَسَـدٍ إخـوةُ الجَـو زاءِ لا خانـــةٌ ولا خَدَعَـــهْ[5]
هـم الأُسـرةُ الوَسِيطةُ مـن كعـ ـبٍ وهـم ذِرْوةُ السَّنامِ والقَمَعَهْ[6]

= العِتاق. والمكالِبة: هم الذين بهم شبه الكَلَب، وهو السُّعار، يعني حدّتهم في الحرب. والكوالح: العوابس. وقد وصف المسلمين بالأُسد المكالبة، تنبيهاً إلى شدة بأسهم ليعود ذلك مدحاً على قريش.

(١) القِرن: النِّدّ والمِثل في الشجاعة والشدّة.

(٢) البدن: الدِّرع. والرامح: ذو الرمح.

(٣) المُسبلات: الدموع السائلة، يقال: أسبل الدمع: إذا جرى، وأسبله هو: إذا أجراه. ولا تَذخَري، أي: لا تدَّخري.

(٤) يوم الهياج والدفعة: يوم القتال ودفع الأعداء.

(٥) الجوزاء: برج في السماء، سميت بذلك لأنها معترضة في جَوْز السماء، أي: وسطها. وخانة: جمع خائن. وخَدَعة: جمع خادع.

(٦) الأُسرة: رهط الرجل. والوسيطة: الشريفة. وذروة السنام: أعلاه. والقمعة: رأس السنام.

وهم أنبَتُوا من مَعاشرٍ شَعَرَ الرَّ أسِ وهـم ألحَقُـوهمُ المَنَعَـهْ[1]
أَمسى بنو عَمِّهم إذا حَضَرَ البأْ سُ[2] أكبادُهمْ عليهِم وَجِعَهْ
هـمُ المُطعِمونَ إذْ قَحَطَ القَطْـ ـرُ وحالَتْ فلا تَرَى قَزَعَهْ[3]

قال ابن هشام: هذه الرّوايةُ لهذا الشِّعر مُختلِطةٌ ليست بصحيحة البناءِ، ولكن أنشَدَني أبو مُحرِزٍ خَلَفٌ الأحمرُ وغيرُه، روى بعضٌ ما لم يَروِ بعضٌ:

عَينُ بَكِّي بالمُسبِلاتِ أبا الحا رِثِ لا تَـذْخَري على زَمَعَـهْ
وعَقِيـلَ بـن أسـوَدٍ أسَـدَ البأ سِ ليـومِ الهِيَـاجِ والدَّفَعَـهْ
فعَلَى مِثلِ هُلكِهِم خَوَتِ الجَو زاءُ لا خانَـةٌ ولا خَدَعَـهْ
وهمُ الأُسْرةُ الوَسِيطةُ من كعـ ـبٍ وفيهم كذِرْوةِ القَمَعَـهْ
أنبَتُوا مـن مَعاشِـرٍ شَـعَرَ الرَّأ سِ، وهـم أَلحَقُـوهمُ المَنَعَـهْ
فبَنُـو عَمِّهِـم إذا حَضَـرَ البـأ سُ عليهم أكبادُهمْ وَجِعَـهْ
وهـمُ المُطعِمونَ إذ قَحَطَ القَطْـ ـرُ وحالَتْ فلا تَرَى قَزَعَـهْ

قال ابنُ إسحاق: وقال أبو أُسامة معاويةُ بن زهير بن قيس بن الحارث بن سعد ابن ضُبَيعة بن مازن بن عَديّ بن جُشَمَ بن معاوية حليفُ بني مَخزومٍ ـ قال ابن هشام: وكان مُشرِكاً ـ وكان مَرَّ بهُبَيرةَ بن أبي وهبٍ[4] وهم مُنهزِمون يومَ بدرٍ وقد أَعيا هُبَيرةُ، فقام فأَلقى دِرعَه عنه وحَمَلَه فمضى به.

(١) أنبتوا: ولدوا. وشعر الرأس: أراد مثله في العدد والكثرة.
(٢) في (ت): الناس. وقيّدها في (ص) بالباء والنون.
(٣) القطر: المطر. وحالت: أجدبت، يريد الأرض. والقزعة: القطعة من الغيم.
(٤) في (ت) و(ز) و(ص) و(ق١) و(م): بهبيرة بن أبي رُهم، وهو تحريف.

قال ابن هشام: هذه أصحُّ أشعارِ أهل بدر:

ولمَّـا أن رأيـتُ القـومَ خَفُّـوا ... وقـد زالـتْ نَعـامَتُهم لنَفْـرِ[1]

وأن تُرِكَت سَرَاةُ القومِ صَرْعى ... كـأنَّ خِيـارَهم أذبـاحُ عِتْـرِ[2]

وكانـت حُمّـةٌ[3] وافَـتْ حِمامـاً ... ولُقِّينـا المَنَايـا يـومَ بـدرِ

نَصُـدُّ عـن الطّريـقِ وأدرَكُونـا ... كـأنّ زُهـاءَهم غَطَيـانُ بَحـرِ[4]

وقال القائلونَ: مَن ابنُ قيسٍ ... فقلتُ: أبو أُسامة غيرَ فخرِ

أنـا الجُشَـميُّ كَيْمـا تَعرِفـوني ... أُبـيِّنُ نِسـبَتي نَقْـراً بنَقـرِ[5]

فإن تَكُ في الغَلاصِمِ من قُريشٍ ... فـإنّي مـن معاويـةَ بـنِ بَكـرِ[6]

---

(١) قال السهيليُّ في «الروض» ٥/ ٣٧٤-٣٧٦: العرب تضرب زوال النعامة مثلاً للفرار، وتقول: شالت نعامةُ القوم، إذا فرُّوا وهلكوا، والنعامة في اللغة: باطن القدم، ومن مات فقد شالت رجلُه، أي: ارتفعت وظهرت نعامتُه... وجائزٌ أن يكون ضَرَبَ النعامةَ مثلاً، وهو الظاهر في بيت أبي أسامة، لأنه قال: زالت نعامتُهم لنفرٍ، والعرب تقول: أشردُ من نعامة، وأنفرُ من نعامة... فإذا قلتَ: زالت نعامتُه، فمعناه: نَفَرَت نفسه التي هي كالنعامة في شرودها.

(٢) سراة القوم: خيارهم وسادتهم. والعِتْر: الصنم الذي كان يُذبَح له في الجاهلية ويُصَب دم الذبيحة على رأسه، وكانوا يسمّونها العَتيرة.

(٣) هكذا في نسخنا الخطية بالحاء، ومعناه: قرابة وأصدقاء، من الحَميم: وهو القريب، قال أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص٢٠٠: ومن رواه بالجيم فمعناه: الجماعة من الناس، وأكثر ما يقال في الجماعة الذين يأتون يسألون في الدِّيَة. والحِمام: الموت.

(٤) غطيان البحر، أي: فيضانه.

(٥) قال السهيليُّ: النَّقر: الطعن في النسب، يقول: إن طعنتم في نسبي وعبتموه، بيّنتُ الحقَّ ونقرت في أنسابكم، أي: عِبتُها وجازيت على النقر بالنقر.

(٦) في الغلاصم: في الأعالي من النسب، وأصل الغَلصَمة: الحُلقوم الذي يجري فيه الطعام =

فـأبلِغْ مالكـاً لمَّـا غُشِـينا ... وعندَكَ مالِ ـ إن نبَّأتَ ـ خُبْري[1]

وبَلِّـغْ إن بَلَغـتَ المَـرْءَ عنّـا ... هُبَيـرةَ وهْـوَ ذو عِلـمٍ وقَـدْرِ

بـأنّي إذ دُعِيـتُ إلـى أُفَيـدٍ ... كَرَرتُ ولم يَضِقْ بالكَرِّ صَدْري[2]

عَشـيَّةَ لا يَكُـرُّ علـى مُضـافٍ ... ولا ذي نَعْمـةٍ مـنهم وصِـهْرِ[3]

فـدُونَكمُ بَنِـي لَأيٍ أخـاكمْ ... ودُونَـكِ مالكـاً يـا أُمَّ عَمـرِو[4]

فلـولا مَشـهَدي قامَـتْ عليـهِ ... مُوقَّفـةُ القـوائمِ أُمُّ أَجْـرِ[5]

دَفُـوعٌ للقُبـورِ بمَنكِبَيهـا ... كـأنَّ بوَجهِهـا تحميـمَ قِـدْرِ[6]

فأُقسِـمُ بالَّـذي قـد كـان رَبِّـي ... وأنصابٍ لَـدَى الجَمَـراتِ مُغْـرِ[7]

لَسَـوفَ تَـرَونَ مـا حَسَـبي إذا مـا ... تَبـدَّلَتِ الجلـودُ جلـودَ نَمْـرِ

= والشراب.

(١) مالِ، يريد: مالك، فرخَّم، وحذف حرف النداء من أوله.

(٢) أُفيد، قال السهيليُّ: تصغير وَفْد، وهم المتقدمون من كل شيء من ناس أو خيل أو إبل، وهو اسمٌ للجمع مثل: رَكْب، ولذلك جاز تصغيره، وقيل: أُفيدٌ اسم موضع. قلنا: وهذا القول الأخير غريب، وأغرب منه قول أبي ذرّ الخشنيّ: إن أفيداً اسم رجل. والكَرُّ: الرجوع على العدوّ بالقتال.

(٣) المضاف: الخائف المضطرب المضيَّق عليه.

(٤) بني لَأي، يريد: بني لُؤيّ، فجاء به مكبَّراً على الأصل، ولؤيٌّ تصغير لَأْي.

(٥) يريد بالموقَّفة: الضَّبُع، من الوقف وهو الخَلْخال، لأن في قوائمها خطوطاً سوداً، وأَجرٍ: جمع جروٍ، وهو ولدها.

(٦) التحميم: التلطيخ بالسواد.

(٧) الأنصاب: حجارة كانوا يذبحون لها. والجمرات: موضع الجِمار التي يرمون بها. ومُغْر: جمع أَمغَر، وهو الأحمر، يريد أنها مطليّة بالدم.

فما إنْ خادِرٌ من أُسدِ تَرْجٍ ... مُدِلٌّ عَنبَسٌ في الغِيلِ مُجرِي[1]

فقد أَحمَى الأَبَاءةَ من كِلابٍ[2] ... فما يَدنُو له أحدٌ بنِقْرِ

بخَلٍّ تَعجِزُ الحُلَفاءُ عنه ... يُواثِبُ كلَّ هَجهَجةٍ وزَجْرِ[3]

بأوشَكَ سَوْرةً منّي إذا ما ... حَبَوتُ له بقَرقَرةٍ وهَدْرِ[4]

ببِيضٍ كالأسِنّةِ مُرهَفاتٍ ... كأنَّ ظُبَاتِهِنَّ جحيمُ جَمْرِ[5]

وأكلَفَ مُجنَأٍ من جلدِ ثَورٍ ... وصفراءِ البُرَايةِ ذاتِ أَزْرِ[6]

---

(١) الخادر: الأسد الذي يكون في خدره، وهي أَجَمته. وتَرْج: واد في الجنوب من الجزيرة العربية جنوب بِيشة على قرابة ٩٠ كم منها. ومُدِلٌّ، أي: لا يُخاف عليه. وعنبس، أي: عابس الوجه، والغِيل: الشجر الملتفّ. ومُجري، أي: له جِراء، يعني أشبالاً.

(٢) هكذا في النسخ، وهو جمع كلبٍ، وفي (ز) ونسخة على حاشيتي (ق١) و(م): كُلاف، بالفاء، وهو الذي شرح عليه السهيليُّ في «الروض» ٥/ ٣٨١ فقال: لعله أراد من: شدّة كَلَفٍ بما يحميه، فجاء به على وزن فُعَال، لأن الكَلَف إذا اشتدّ: كالهُيَام والعُطَاش... ولعل كُلافاً اسم موضع، وقال أبو حنيفة: الكلاف: اسم شجرٍ، والله أعلم.

ومعنى أَحمى: جعلها حِمًى لا تُقرَب. والأباءة: أَجَمة الأسد، وهي الغابة التي فيها الأسد. والنِّقر: النُّكتة في ظهر نواة التمر، وتُضرَب مثلاً للقِلّة والنُّدرة.

(٣) الخلّ: الطريق في الرمل. والحُلفاء: الأصحاب المتعاضدون. والهجهجة: الزَّجر، يقال: هجهجتُ بالسَّبُع، إذا زجرتَه، وهو أن تقول له: هج هج.

(٤) بأوشك: بأسرع. والسَّورة: الحدّة والوثبة. وحَبَوت له، أي: دَنَوت له. والقرقرة والهدر: من أصوات الإبل الفحول. يعني معاوية بن زهير بقوله هذا أنه أسرع وُثوباً في حماية هبيرة من الأسد.

(٥) ببيض: يعني بها هاهنا سِهاماً. ومرهفات، أي: محدَّدات. والظُّبات: جمع ظُبَة، وهي حدُّها وطرفها. والجحيم: اللَّهيب.

(٦) وأكلفَ، أي: وبأكلفَ، يعني تُرساً أسود الظاهر، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٠٢: =

وأبيَضَ كالغَديرِ ثَوَى عليهِ ... عُمَيرٌ بالمَداوِسِ نصفَ شَهرِ[1]

أُرفِّلُ في حَمائلِه وأَمشي ... كمِشْيةِ خادِرٍ ليثٍ سِبَطْرِ[2]

يقول ليَ الفتى سعدٌ: هَدِيّاً ... فقلتُ: لَعلَّه تقريبُ غَدْرِ[3]

وقلتُ: أبا عَديٍّ لا تَطُرْهمْ ... وذلك إن أطَعتَ اليومَ أَمري[4]

كدَأْبِهمِ بفَرْوةَ إذ أَتاهمْ ... فظَلَّ يُقادُ مكتوفاً بضَفْرِ[5]

قال ابن هشام: وأنشَدَني أبو مُحرِزٍ خَلَفٌ الأحمرُ:

نَصُدُّ عن الطّريقِ وأدرَكونا ... كأنَّ سِراعَهم تيّارُ بَحرِ

وقولُه: مُدلٌّ عَنبَسٌ في الغِيلِ مُجْري، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة أيضاً:

= ومن رواه أكنف بالنون، فهو الترس أيضاً، مأخوذ من كَنَفَه، أي: سَتَرَه. والمُجنأ: الذي فيه اجتناء، أي: انحناء ومَيل. وقوله: صفراء البراية، يعني قوساً، والبُراية: ما يتطاير منها من نشارة الخشب حين تُنحَت. والأَزْر: القوة.

(١) وأبيض: أراد السيف. والغدير: غدير الماء إذا ضربته الشمس تلألأ بياضاً. وثوى: أقام. وعُمير: اسم صانع. والمداوس: جمع مِدوَس، وهي الأداة التي يصقل بها السيف.

(٢) أرفِّل: أطوِّل. وخادر، أي: أسد في خِدْره، أي: أَجَمَته. والسِّبَطر: الطويل، والأسد السِّبَطر: الذي يمتدّ عند الوثبة.

(٣) الهديّ في هذا الموضع: الأَسير، كما قال الخشنيُّ، يعني أن سعداً ـ وهو أحد المسلمين في بدر ـ يطلب منه أن يستأسر له.

(٤) لا تَطُرهم: لا تَقرَبهم ولا تجاريهم فيما يطلبون، مأخوذ من طَوَار الدار، وهو ما كان ممتداً معها من فنائها.

(٥) كدأبهم: كعادتهم، والضَّفْر: الحبل المضفور، أي: المجدول. وفروة هذا: هو ابن حذافة ابن سعد السهميّ، قال مصعب الزبيريُّ في «نسب قريش» ص٤٠٥: قُتل يوم بدر أو أُسر.

أَلَا مَـن مُبلِـغٌ عنّـي رسـولاً ... مُغَلغَلَـةً يُثبِّتُهـا لَطيـفُ[1]

ألـم تَعلـمْ مَـرَدِّي يـومَ بـدرٍ ... وقد بَرَقَت بجَنبَيكَ الكُفوفُ[2]

وقد تُرِكَت سَراةُ القومِ صَرْعى ... كـأنَّ رُؤوسَـهم حَـدَجٌ نَقِيـفُ[3]

وقـد مالَـتْ عليـك بـبَطنِ بـدرٍ ... خِلافَ القـومِ داهيـةٌ خَصِيفُ[4]

فنَجّـاهُ مـن الغَمَـراتِ عَزْمـي ... وعَـونُ اللهِ والأمـرُ الحَصـيفُ[5]

ومُنقَلَبـي مـن الأَبْـواءِ وَحْـدي ... ودونَـكَ جمـعُ أعـداءٍ وُقـوفُ[6]

وأنـتَ لمـن أرادَكَ مُسـتَكينٌ ... بجَنْـبِ كُـرَاشَ مكلـومٌ نَزيـفُ[7]

وكنـتُ إذا دعـاني يـومَ كَـرْبٍ ... من الأصحابِ داعٍ مُستَضيفُ[8]

فأسمَعَني ولـو أحبَبتُ نفسي ... أخٌ في مِثـلِ ذلـك أو حَليـفُ

أَرُدُّ فأَكشِـفُ الغُمَّـى وأَرمـي ... إذا كَلَـحَ المَشـافِرُ والأُنـوفُ[9]

---

(١) المغلغلة: الرسالة ترسل من بلد إلى بلد. واللطيف: الرفيق الحاذق في الأمور.

(٢) برقت: لَمَعَت. والكفوف: جمع كف، وأراد بها السيوف التي تمسكها الأيدي.

(٣) سراة القوم: سادتهم وأشرافهم. والحدج: نبت الحنظل، الواحدة: حَدَجة. والنقيف: المكسور.

(٤) الخصيف: المتلونة ألواناً، وقيل: المتراكمة.

(٥) الغمرات: الشدائد، مفردها: غَمْرة. والأمر الحصيف: المحكَم الشديد.

(٦) الأبواء: موضع شمال شرقيّ رابغ على قرابة ٧٠ كم.

(٧) كُرَاش: اسم جبل يقع جنوب بدر، وهو من ديار بني الدُّئِل من كِنانة، كما في «معجم ما استعجم» للبكري ٤/ ١١٢٢ نقلاً عن السكّري. ومكلوم: جريح. ونزيف: سائل جميع دمه.

(٨) مستضيف، أي: مستغيثٌ مضيَّق عليه.

(٩) الغمّى: الأمر الشديد. وكلح، أي: عَبَس. والمَشافر: الشِّفاه لذوات الخفّ، وهي الإبل، فاستعارها هنا للآدميِّين.

وقِـرْنٍ قـد تَرَكـتُ على يَدَيـهِ ... يَنُـوءُ كأنَّـه غُصـنٌ قَصـيفُ[1]

دَلَفـتُ لـه إذِ اختَلَطـوا بحَـرَّى ... مُسحسَـحةٍ لعانِـدِها حَفيـفُ[2]

فـذلك كـان صُـنْعي يـومَ بـدرٍ ... وقَبـلُ أخـو مُـداراةٍ عَـزُوفُ[3]

أخوكم في السِّنينَ كما عَلِمتُم ... وحَـرْبٍ لا يَـزالُ لها صَـرِيفُ[4]

ومِقـدامٌ لكـم لا يَزدَهِينـي ... جَنـانُ اللّيـلِ والأنَسُ اللَّفيـفُ[5]

أخوضُ الصَّرّةَ الجَمّاءَ خَوْضاً ... إذا مـا الكلـبُ ألجَأَه الشَّـفيفُ[6]

قال ابن هشام: تركتُ قصيدةً لأبي أسامة على اللّام ليس فيها ذِكرُ بدرٍ إلّا في أوّلِ بيتٍ منها والثّاني، كراهيَةَ الإكثار.

قال ابن إسحاق: وقالت هندٌ بنت عُتْبة بن رَبِيعة تبكي أباها يومَ بدر:

أعَينَـيَّ[7] جُـودَا بـدمعٍ سَـرِبْ ... على خيـرِ خِنـدِفَ لـم يَنقلِـبْ

تَـدَاعَى لـه رَهطُـهُ غُـدْوةً ... بنـو هاشـمٍ وبنـو المُطّلِـبْ

---

(١) القِرن: المثيل في الشجاعة. وينوء، أي: ينهض متثاقلاً. والقصيف: المكسور.

(٢) دلفت: قَرُبت. بحرَّى، أي: بطعنة موجعة. ومسحسحة: كثيرة سَيَلان الدم. والعاند: العِرق الذي لا ينقطع دمه. والحفيف: صوته.

(٣) العزوف: هو الذي تأبى نفسُه الدنايا.

(٤) يريد بالسنين سنين القحط والجدب. والصريف: الصوت.

(٥) جنان الليل: ظلمته. والأنَس: الجماعة من الناس. واللفيف: الكثير.

(٦) الصَّرّة هنا: شدة البرد. والجمّاء: الكثيرة. والشَّفيف: الريح الشديدة البرد.

(٧) هكذا في (ز) و(ش١) و(غ) بالألف، وبه يصحّ الوزن الشعري، وفي بقية النسخ: عينيَّ، بإسقاطها، وهذا خَرْم.

وخِندِفُ: اسم امرأة الْياسِ بن مُضَر، ويُنسَب أولادها إليها: وهم مُدرِكة وطابخة وقَمَعة، ومن مُدركة بطون قريش.

يُذِيقونَـــه حَـــدَّ أســـيافِهم ... يَعُلُّونَـــه بعـــدَما قـــد عَطِـــبْ[1]

يَجُرّونَـــه وعَفِيـــرُ التُّـــرابْ ... علـى وَجهِـه عارِيـاً قـد سُـلِبْ

وكـــان لنـــا جَـــبَلاً راســـياً ... جميـلَ المَـرَاةِ كثيـرَ العُشُـبْ[2]

فأمّـــا بُـــرَيٌّ[3] فلـــم أَعنِـــهِ ... فـأُوتِيَ مـن خيـرِ مـا يَحتسِـبْ

وقالت هندٌ أيضاً:

يَرِيـــبُ علينـــا دَهرُنـــا فيَسُـــوؤُنا ... ويـأبَى فمـا نَـأْتي بشـيءٍ يُغالبُـهْ[4]

أبعـدَ قَتيـلٍ مـن لُـؤَيِّ بـن غالـبٍ ... يُراعُ امرُؤٌ أن ماتَ أو ماتَ صاحبُهْ

ألا رُبَّ يـومٍ قـد رُزِئـتُ مُـرَزَّأً ... تَـرُوحُ وتَغـدُو بالجَزيـلِ مَواهبُـهْ[5]

فـأبلِغْ أبـا سـفيانَ عنّـي مألُكـاً ... فـإنْ ألقَـهُ يومـاً فسـوفَ أُعاتِبُـهْ[6]

فقد كان حربٌ يَسعَرُ الحربَ إنَّه ... لكلِّ امرِئٍ في الناسِ مولًى يُطالبُهْ[7]

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها لهندٍ.

قال ابن إسحاق: وقالت هندٌ أيضاً:

---

(١) يعلّونه، أي: يكرّرون عليه الضرب بالسيوف بعدما أن عَطِب، أي: بعد أن تلفَ وهلك.

(٢) جميل المَرَاة: أرادت مَرْآة العين، فنقلت حركة الهمزة إلى الساكن فذهبت الهمزة. وقولها: كثير العشب، أرادت أنه كريم كثير العطاء.

(٣) تريد ببُريّ: البراء، وهو رجل، فصغَّرته.

(٤) يَريب علينا، أي: يأتينا منه ما نكرهه.

(٥) المرزَّأ: الكريم الذي يَرزَؤُه القاصدون والأضياف، أي: ينقصون من ماله لكثرة ما يَهَبُ منه.

(٦) المألُك: جمع مألُكة، وهي الرسالة التي تُبلَّغ باللسان.

(٧) حرب: هو والد أبي سفيان. ويَسعَر: يهيِّج. والمولى هنا: الناصر.

للهِ عَينـــاً مَـــن رأى هُلْكـاً كهُلْـكِ رِجاليَـهْ
يـا رُبَّ بـاكٍ لـي غـداً في النّائبـاتِ وباكيَـهْ[1]
كـم غـادَرُوا يـومَ القَليـ ـبِ غَـداةَ تلـك الواعيَـهْ[2]
مـن كـلِّ غَيـثٍ في السِّنيـ ـنَ إذا الكواكـبُ خاويَـهْ[3]
قـد كنتُ أَحـذَرُ مـا أَرى فـاليومَ حُـقَّ حَذارِيَـهْ
قـد كنتُ أَحـذَرُ مـا أَرى فأنـا الغَـداةَ مُوامِيَـهْ[4]
يـا رُبَّ قائلـةٍ غـداً يـا وَيْـحَ أُمِّ معاويَـهْ

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها لهندٍ.

قال ابن إسحاق: وقالت هندٌ بنت عُتْبة أيضاً:

يـا عَـينُ بَكِّـي عُتْبَـهْ شـيخاً شـديدَ الرَّقَبَـهْ
يُطعِـمُ يـومَ المَسـغَبَهْ يَـدفَعُ يـومَ المَغلَبَـهْ[5]
إنّـي عليـه حَرِبَـهْ مَلهوفَـةٌ مُستَلِبَـهْ[6]

---

(١) النائبات: جمع نائبة، وهي ما يَنُوب الإنسان، أي: ينزل به من المُهمّات والمصائب.

(٢) الواعية: الصراخ.

(٣) قولها: إذا الكواكب خاوية، يعني أنها تسقط في مغربها عند الفجر، ولا يكون معها أثر ولا مطر، على مذهب العرب في نسبتهم ذلك إلى النجوم.

(٤) قال السهيليُّ في «الروض» ٥/ ٣٨٦: مُوامِيَة، أي: ذليلة، وهو مؤامية بهمزة، ولكنها سُهِّلت فصارت واواً وهي من لفظ الأَمَة، تقول: تأمَّيتُ أَمَةً، أي: اتَّخذتها، ويجوز أن يكون من المواءَمة: وهي الموافَقة، فيكون الأصل: مُوائِمة، ثم قُلِب فصار مُوامِيَة، على وزن مُفاعِلة، تريد أنها قد ذلَّت فلا تأبى، بل توافق العدوَّ على كُره.

(٥) المسغبة: الجوع والشدة.

(٦) حَرِبة، أي: حزينة غضبى. ومُستلِبة، من السِّلاب: وهي الخرقة السوداء التي تختمر بها =

لَنَهـــبِطَنَّ يَثرِبَـــهْ بغـــارَةٍ مُنشَعِبَـــهْ[1]
فيهـا الخيـولُ مُقرَبَـهْ كـلُّ جَـوادٍ سَلهَبَـهْ[2]

وقالت صَفيَّةُ بنت مُسافِر بن أبي عمرو بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مَنافٍ تبكي أهلَ القَليبِ الّذين أُصيبوا يومَ بدرٍ من قريش:

يـا مَـن لِعَـينٍ قَـذَاها عـائرُ الرَّمَـدِ حَـدَّ النّهـارِ وقَـرْنُ الشّـمسِ لـم يَقِـدِ[3]
أُخبِـرتُ أنَّ سَـراةَ الأكـرَمِينَ معـاً قـد أحـرَزَتهم مَنايـاهُم إلـى أَمَـدِ[4]
وفَـرَّ بـالقومِ أصحابُ الرِّكـابِ ولـم تَعطِـفْ غداتَئـذٍ أمٌّ علـى ولـدِ
قُـومي صَـفِيَّ ولا تَنسِـي قَـرابَتَهم وإن بَكَيـتِ فمـا تبكـينَ مِـن بُعُـدِ
كانوا سُقُوبَ سماءِ البيتِ فانقَصَفَت فأصبَحَ السَّمْكُ منها غيرَ ذي عَمَدِ[5]

قال ابن هشام: أنشَدَني بيتها: كانوا سُقوبَ، بعضُ أهل العلم بالشِّعر.

قال ابن إسحاق: وقالت صفيَّةُ بنت مُسافرٍ أيضاً:

= الثَّكلى الحزينة، وإذا كانت بفتح اللام فمعناها: مأخوذة العقل، وجوَّد السهيليُّ أن تكون بكسر اللام.

(١) منثعبة، أي: سائلة بسرعة، يقال: انثَعَب الماءُ، إذا سال، ويروى مُنشعِبة كما ذكر أبو ذرٍّ الخشنيُّ، ومعناه: متفرِّقة.

(٢) المُقرَب من الخيل: الذي يقرب ارتباطه من البيوت لكرمه. والسَّلهبة: الفرس الطويلة.

(٣) القذى: ما يقع في العين والشراب من الأذى. والعائر: وجع العين، ويقال: هو قَرْحة تخرج في جفن العين. وحدّ النهار: الفصل الذي بين الليل والنهار. وقرن الشمس: أعلاها. ولم يقد، أي: لم يتوقّد ويتلألأ ضَوؤُه.

(٤) السَّراة: أعالي القوم وأشرافهم. أحرزتهم، أي: جمعتهم وأحاطت بهم. والأمد: الغاية.

(٥) السُّقوب: عَمَدُ الخِباء التي يقوم عليها. وسماء البيت: سقفه. وانقصفت: انكسرت. والسَّمْك: العالي.

ألا يـا مَـن لِعَـينٍ للتَّـ ـبَكِّـي دَمعُهـا قـانْ[1]
كغَرْبَـيْ دالِـجٍ يَسْـقي خِـلالَ الغيِّـثِ الـدّانْ[2]
ومـا لَيـثُ غَريـفٍ ذو أَظـافيرٍ وأَسـنانْ[3]
أبـو شِـبلَينِ وَثّـابٌ شـديدُ البَطشِ غَرْثانْ[4]
كحِبِّـي إذْ تَـولَّى وَ وُجُـوهُ القـومِ أَلـوانْ
وبـالكَفِّ حُسـامٌ صـا رِمٌ أبـيَضُ ذُكْـرانْ[5]
وأنـتَ الطّـاعنُ الـنَّجْلا ءَ منهـا مُزبِـدٌ آنْ[6]

قال ابن هشام: ويُروَى قولها: وما ليثُ غَريفٍ... إلى آخرها، مفصولاً من البيتين اللّذين قبلَه.

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت أُثاثةَ بن عبَّاد بن المُطَّلِب تَرثي عُبيدةَ بن الحارث ابن المُطَّلِب:

---

(١) قال أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص٢٠٦: قولها: دمعها قانٍ، من رواه بالقاف فمعناه: أحمر، وكان الأصل أن تقول: قانئ، بالهمز، فخفَّفت الهمزة، يقال: أحمر قانئ، إذا كان شديد الحُمرة، وأرادت أن دمعها خالطَ الدم، ومن رواه بالفاء ـ كما في نسخة (ي) عندنا ـ فهو معلوم.

(٢) الغرب: الدلو العظيمة. والدالج: الذي يمشي بدلوه بين البئر والحوض. والغيِّث: الكثير الماء. والداني: القريب.

(٣) الغريف: موضع الأسد، وهي الأَجَمة.

(٤) غَرْثان: جائع.

(٥) الحسام: السيف القاطع. وصارم: معناه قاطعٌ أيضاً. وذُكران، أي: سيف صُنع من مذكَّر الحديد؛ يعني من أحسنه وأصلبه.

(٦) النجلاء، أي: الضربة الواسعة القاطعة. ومُزبد، أي: دم له زَبَد، أي: رغوة. وآن: حان؛ كأنها تريد: أنه إذا طَعَن أحداً فقد أحانه، أي: أهلكه.

لقد ضُمِّنَ الصّفراءُ مَجداً وسُودَداً ... وحِلماً أَصيلاً وافِرَ اللُّبِّ والعقلِ[1]

عُبَيدةَ فابكِيهِ لأضيافِ غُرْبةٍ ... وأَرملةٍ تَهوِي لأشعَثَ كالجِذْلِ[2]

وبَكِّيهِ للأقوامِ في كلِّ شَتْوةٍ ... إذا احمرَّ آفاقُ السماءِ من المَحْلِ[3]

وبَكِّيهِ للأيتامِ والرِّيحُ زَفزَفٌ ... وتَشبيبُ قِدْرٍ طالَما أزبَدَت تَغْلي[4]

فإن تُصبِحِ النِّيرانُ قد ماتَ ضَوْؤُها ... فقد كان يُذْكيهِنَّ بالحَطَبِ الجَزْلِ[5]

لِطارقِ ليلٍ أو لمُلتَمِسِ القِرَى ... ومُستَنبِحٍ أضحَى لَدَيهِ على رِسْلِ[6]

قال ابن هشام: وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها لهندٍ.

قال ابن هشام[7]: وقالت قُتَيلةُ بنت الحارثِ أُخت النَّضْر بن الحارث[8]:

---

(١) الصفراء: الموضع الذي دُفن فيه عبيدة بعد رجوعهم من بدر، وهو وادٍ يبعد عن بدر قرابة ٢٠ كم. والمجد: الشَّرف. والسُّودد: السِّيادة. وحلماً أصيلاً: ثابتاً. واللُّب: العقل السليم من شوائب الوهم.

(٢) تهوي هنا بمعنى تأوي، أي: أنه كان مَلاذاً للأرامل يُحسِن إليهنّ. وأرادت بالأشعثِ: الوَتِدَ، وإنما قيل له: أشعَثُ، لتشعُّث رأسه (أي: تفرّقه) بالدّقِّ، كما في «القاموس». والجِذْل: أصل الشجرة وغيرها؛ تصفه بالثبات والقوّة.

(٣) المحل: القحط.

(٤) الزَّفزَف من الرياح: الشديدة السريعة المرور. والتشبيب: إيقاد النار تحت القدر ونحوها. وأزبدت: رَمَت بالزَّبَد، وهي الرّغوة.

(٥) يُذكِيهنّ، أي: يزيد في إشعالها. والجَزْل: الغليظ الكبير.

(٦) القِرى: ما يقدَّم للضيف من طعام. والمستنبِح: الذي يضلّ عن الطريق في ظلمة الليل، فيَنبَحُ ليسمع نُباحَ كلب لحيٍّ فيهتدي بنباحه. والرِّسل: اللَّبن.

(٧) هكذا في نسخنا غير (غ) ففيها: ابن إسحاق، وأشار فوقها إلى نسخة عنده فيها: ابن هشام.

(٨) قال السهيلي: الصحيح أنها بنت النضر لا أخته، كذلك قال الزُّبير وغيره، وكذا وقع =

يـــا راكبـــاً إنَّ الأُثَيْـــلَ مَظِنّـــةٌ ... مـن صُبحِ خامسةٍ وأنـتَ مُوفَّـقُ[1]

أَبلِـــغْ بهـــا مَيْتـــاً بـــأنَّ تَحيَّـــةً ... مـا إن تَـزالُ بهـا النَّجائِـبُ تَخفِـقُ[2]

منّـــي إليـــكَ وعَبْـــرةً مســـفوحةً ... جـادَت بِواكِفِهـا وأُخـرى تَخنُـقُ[3]

هـــل يَســـمَعنِّي النَّضـــرُ إن نادَيتُـــه ... أم كيـفَ يَسـمَعُ ميّـتٌ لا يَنطِـقُ

أمحمَّـدٌ يـا خيـرَ ضِـنْءِ كريمـةٍ ... في قومِهـا والفَحـلُ فحـلٌ مُعـرِقُ[4]

مـا كـان ضَـرَّكَ لـو مَنَنـتَ ورُبَّمـا ... مَـنَّ الفتـى وهُـوَ المَغِـيظُ المُحنَـقُ[5]

أو كنـتَ قابـلَ فِدْيـةٍ فلَيُـنفَقَنْ ... بـأعَزِّ مـا يَغلُـو بـه مـا يُنفَـقُ

فالنّضرُ أقربُ مَن أسَـرْتَ قَرابـةً[6] ... وأحقُّهـم إن كـان عِتـقٌ يُعتَـقُ

ظَلَّـت سُـيوفُ بنـي أَبيـهِ تَنُوشُـهُ ... للهِ أَرحـــامٌ هنـــاكَ تُشـــقَّقُ[7]

= في كتاب «الدلائل». قلنا: يعني «الدلائل في غريب الحديث» لقاسم بن ثابت السَّرَقُسطي.

وقد زاد في نسخة (غ) بعد هذا: تبكيه، قال ابن هشام: هذه أشعر النساء.

(١) الأُثيل: هو الموضع الذي قتل النبيُّ ﷺ فيه النضرَ بنَ الحارث كما تقدم ص٤٤١، وهو بين بدر وقرية الصفراء المعروفة اليوم باسم الواسطة. ومَظنّة، أي: يُظَنُّ الوصول إليها من مكة في خمسة أيام.

(٢) النجائب: الإبل الكرام. وتخفق: تُسرع.

(٣) العَبْرة: الدمعة. ومسفوحة: سائلة. والواكف: السائل أيضاً.

(٤) الضِّنء: الأصل والولد. والمُعرق: الكريم.

(٥) المحنَق: الشديد الغيظ.

(٦) إنما قالت ذلك - إن صحَّت نسبة الأبيات إليها - تزيُّداً في الاسترحام، وإلا فقد أَسر النبيُّ ﷺ من هو أقرب رحماً، وهو العباس عمُّه وابنا عمّه عَقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأما النضر بن الحارث هذا فمن بني عبد الدار بن قصيّ.

(٧) تنوشه: تتناوله. وتُشقق: تُقطَع.

صَبْراً يُقادُ إلى المَنيَّةِ مُتعَباً رَسْفَ المُقيَّدِ وهْوَ عانٍ مُوثَقُ[1]

قال ابن هشام: فيقال ـ والله أعلم ـ: إنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا بَلَغَه هذا الشِّعرُ قال: «لو بَلَغَني هذا قبلَ قَتلِه، لَمَنَنتُ عليه»[2].

قال ابن إسحاق: وكان فراغُ رسولِ الله ﷺ من بدرٍ في عَقِبِ شهر رمضانَ أو في شوّالٍ.

آخرُ يومِ بدرٍ وأمرِه وأخبارِه[3]

[يليه في الجزء الثالث:
غزوة بني سُليم بالكُدْر]

(١) الرَّسف: المشي الثقيل كمشي المقيَّد ونحوه. والعاني: الأسير.

(٢) لم نقف على هذا مسنَداً. ونقل ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٩٣٤ عن الزبير بن بكار أنه قال: سمعت بعضَ أهل العلم يَغمِز أبياتها هذه ويذكر أنها مصنوعة.

(٣) هذه الخاتمة لم ترد في (ش١) و(غ) و(ق١).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

أمرُ الإسراء والمِعراج ٥
صِفَة رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٤
[تتمة أمر الإسراء والمعراج] ١٥
كفايةُ الله أمرَ المستهزئين ٢٤
قصة أبي أُزيهِر الدَّوسيّ ٢٧
وفاة أبي طالب وخديجة، والتنبيه في الحاشية على عدم صحة تسمية عام الحزن ... ٣٣
سفرُ رسول الله ﷺ إلى ثقيفٍ يطلب النُّصْرة ٣٨
أمرُ الجنّ ونزول قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وإذْ صَرَفْنا إليكَ نَفَراً منَ الجِنِّ﴾ ٤٣
عرضُ رسول الله ﷺ نفسَه على القبائل ٤٤
أمر سُوَيد بن صامت ٤٨
إسلام إياس بن معاذ وقصّة أبي الحَيسَر ٥١
ذكر ابتداءِ أوّل أمر الإسلام في الأنصار ٥٣
أمرُ العَقَبة الأولى ٥٥
أمرُ العَقَبة الثانية ٦٤
أسماء النُّقباء الاثني عشرَ وتمامُ خبر العقبة ٦٩
جريدة بأسماء من شَهِدَ العَقَبة ٨٣
نزول الأمر لرسول الله ﷺ في القتال ٩٥
ذكرُ المهاجرين إلى المدينة ٩٧
هجرة رسول الله ﷺ ١١٣

مقامُ رسول الله ﷺ بالمدينة ومنازلُه بها وبناءُ مسجده ١٣٦
كتاب رسول الله ﷺ الّذي كتبه بين المهاجرين والأنصار ١٥٠
مؤاخاتُه عليه السلام بين أصحابه ١٥٦
واختيارُه عليّاً أخاً رضوان الله عليه ١٥٦
موت أبي أُمامة أسعد بن زُرَارة ١٦٠
ابتداءُ الأذان للصَّلوات ١٦٢
أمرُ أبي قيس بن أبي أنس ١٦٤
أسماء الأعداء من اليهود ١٦٨
إسلام عبد الله بن سَلَام ١٧٢
إسلام مُخَيريق ١٧٤
شهادة عن صفيّة ١٧٥
من اجتمع إلى يهودَ من منافقي الأوس والخزرج ١٧٦
من أسلم من يهودَ نفاقاً ١٨٩
ما نزل من البقرة في المنافقين ويهود ١٩٣
بقيّة أمر يهودَ والمنافقين ٢٢٢
أمر السَّيّد والعاقب وذكرُ المُباهَلة ٢٥٤
نُبَذ من ذكر المنافقين ٢٦٧
ذكرُ من اعتَلَّ من أصحاب رسول الله ﷺ ٢٧١
غزوة وَدّان، وهي أوّل غَزَواته عليه السلام ٢٧٥
سَرِيّة عُبيدة بن الحارث ٢٧٦
سَرِيّة حمزة بن عبد المطّلب إلى سِيف البحر ٢٨٢

غزوة بُوَاط ٢٨٥
غزوة العُشَيرة ٢٨٦
سَرِيّة سعد بن أبي وقّاص ٢٨٩
غزوة سَفَوان، وهي بدرٌ الأُولى ٢٨٩
سَرِيّة عبد الله بن جَحْش ٢٩٠
تاريخ القِبْلة ٢٩٥
غزوة بَدْر الكبرى ٢٩٧
ذكرُ نزول سورة الأنفال ٣٩١
جَرِيدة من حضر من المسلمين بدراً ٤٠٥
الأنصار ومَن معهم ٤١٥
رجال الخَزرَج ٤٢١
ذكر من استُشهِد من المسلمين يومَ بدر ٤٣٨
ذكر من قُتِل من المشركين يوم بدر ٤٣٩
ذكر أَسرى قريش يوم بدر ٤٤٩
ذكر ما قيل من الشِّعر في يوم بدر ٤٥٥

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سيرة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

(المعروفة بسيرة ابن هشام)

للإمام البارع اللغوي الأخباري عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري

المتوفى سنة ٢١٨ هـ

حققها على أصولها وضبط نصها وخرج أحاديثها وعلق عليها

د. همام عبد الرحيم سعيد — حاد مرسي المطيري

مقابلة على اثني عشرة نسخة خطية، منها ست تامة وست أجزاء متفرقة

مع العناية بتحرير أماكن الأحداث منها وبيان مراقيها الجغرافية

المجلد الثالث

دار الفاروق

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سيرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم

٣

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

٢٣٩

❖ رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٢٢/٧/٣٤٨٥)

❖ المصري ، عبد الملك بن هشام بن ايوب . تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، عادل مرشد المقدسي .

❖ دار الفاروق للنشر والتوزيع

❖ الواصفات: /حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم //آل البيت//السيرة النبوية

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

❖ يتحمل المحقق كامل المسؤولية القانونية والعلمية عن محتوى هذا الكتاب.

❖ الكتب والدراسات التي تصدرها الدار تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها.

حقوق الطبع محفوظة. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته الى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق.

دار الفاروق للنشر والتوزيع

الأردن ـ عمان ـ العبدلي ـ عمارة جوهرة القدس

تلفون: ٠٠٩٦٢٦٤٦٤٠٠٦٤

E- mail: daralfarouq@yahoo.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سيرة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

(المعروفة بسيرة ابن هشام)

للإمام البارع اللغوي الأخباري عبد الملك بن هشام بن أيوب المصري

المتوفى سنة ٢١٨ هـ

حققها على أصولها وضبط نصها وخرج أحاديثها وعلق عليها

د. همام عبد الرحيم سعيد — عادل مرشد القدسي

مقابلة على اثنتي عشرة نسخة خطية، منها ست تامة وست أجزاء متفرقة
مع العناية بتحرير أماكن الأحداث منها وبيان مواقعها الجغرافية

المجلد الثالث

دار الفاروق
عمان - الأردن


بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

غزوةُ بني سُلَيم بالكُدْر

قال ابن إسحاق: فلمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ لم يُقِمْ بها إلّا سبعَ ليالٍ حتّى غَزَا بنفسه يريد بني سُلَيم.

قال ابن هشام: واستَعمَل على المدينة سِباعَ بن عُرفُطَة الغِفاريَّ أو ابنَ أمّ مَكتُوم[1].

قال ابن إسحاق: فبَلَغَ ماءً من مياههم يقال له: الكُدْرُ[2]، فأقام عليه ثلاثَ ليالٍ ثمّ رجع إلى المدينة، ولم يَلقَ كَيداً، فأقام بها بقيّةَ شوّالٍ وذا القَعْدة، وأَفدى في إقامته تلك جُلَّ الأُسارى من قُرَيش[3].

غزوةُ السَّوِيق

وبالسَّند المتقدِّم أولاً حدَّثنا عبدُ الملك بن هشام، عن زياد بن عبد الله البَكّائيِّ،

---

(١) وذكر الواقدي في «مغازيه» ١/ ١٨٤ وتلميذه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٨ أنه استخلف عليها ابنَ أم مكتوم. وذكرا أن النبيَّ ﷺ خرج في هذه الغزوة بمئتي رجلٍ.

(٢) ذكر ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٨ أنه بناحية مَعدِن بني سُليم وأن بين المعدن وبين المدينة ثمانية بُرُد.

قلنا: ومعدن بني سليم يعرف اليوم بمَهْد الذهب، ويقع جنوب شرق المدينة المنوَّرة على بعد ١٨٠ كم تقريباً، واسم الكُدر بذاته غير معروف اليوم كما قال عاتق البلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢٦٢.

(٣) زاد بعد هذا في (ش١) و(ص) و(م) و(ي): يقال: أَفدَى: أخذ مالاً وأعطى رجلاً، وفادَى: أعطى رجلاً وأخذ رجلاً، وفَدَى: أعطى مالاً وأخذ رجلاً.

وفي (غ) وحاشية (ز) ولم يصحّح عليها: أفدَى وفَدَى وفادَى، فأما فادى: فأعطى رجلاً وأخذ رجلاً، وأما فَدَى: فأعطى مالاً وأخذ رجلاً، وأما أفدى: فأخذ مالاً وأعطى رجلاً. زاد في حاشية (ز): والصحيح: أفدى: أباح الفداء.

عن محمّد بن إسحاق المُطَّلبيِّ قال[1]: ثمّ غَزَا أبو سفيانَ بن حَرْب غزوةَ السَّويقِ في ذي الحِجّة، ووَلِيَ تلك الحَجّةَ المشركون من تلك السَّنة، فكان أبو سفيانَ ـ كما حدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير ويزيدُ بن رُومانَ ومَن لا أتّهمُ عن عبد الله بن كعب بن مالكٍ، وكان من أعلمِ الأنصار ـ حين رجع إلى مكّة، ورجع فَلُّ[2] قريشٍ من بدرٍ، نَذَرَ أن لا يَمَسَّ رأسَه ماءٌ من جَنابةٍ[3] حتّى يَغزُوَ محمّداً ﷺ.

فخرج في مئتي راكبٍ من قريشٍ ليَبَرَّ يمينُه، فسَلَكَ النَّجْديّةَ[4] حتّى نَزَلَ بصَدْر قَناةَ إلى جبل يقال له: ثَيْبٌ، من المدينة على بَريدٍ أو نحوه[5]، ثمّ خرج من اللّيل حتّى أَتى بني النَّضير تحت اللّيل، فأتى حُيَيَّ بن أخطَبَ، فضَرَبَ عليه بابَه فأَبَى أن يفتحَ بابَه له وخافَه، فانصَرَفَ عنه إلى سَلَام بن مِشكَم، وكان سيّدَ بني النَّضير في

---

(١) هذا السند من (ش١) و(غ)، ولم يُذكر في سائر النسخ، ووقع فيها غير (ز) مكانه: قال ابن هشام، وهو خطأ، فالكلام والإسناد التالي لابن إسحاق وليس لابن هشام، ووقع في (ز) على الصواب.

(٢) الفَلّ: القوم المنهزمون.

(٣) قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٥/ ٤٠٥: في هذا الحديث أن الغُسل من الجنابة كان معمولاً به في الجاهلية بقيّةً من دين إبراهيم وإسماعيل، كما بقي فيهم الحج والنكاح، ولذلك سمَّوها جنابةً وقالوا: رجل جُنُب، وقوم جُنُب، لمجانبتهم في تلك الحال البيتَ الحرام ومواضعَ قُرُباتهم.

(٤) أي: سلك الطريقَ النجدية، وهي طريق تخرج من شرق مكة وتأتي المدينة من المشرق أيضاً كما أوضح ذلك عاتق البِلادي رحمه الله في «معجم المعالم الجغرافية» ص٣١٣.

(٥) البريد عندهم يعادل ٤ فراسخ، والفَرسَخ ٣ أميال، والميل عندهم هو الميل الهاشمي ويعادل ١٨٥٠ متراً تقريباً، فهو يبعد عن المدينة قرابة ٢٢ كم، وهذا الجبل يعرف بجبل تيأَب، وهو إلى الشرق من جبل أُحد في المنطقة الشمالية من المدينة. وقناةُ: اسم الوادي الذي يمرّ به.

زمانه ذلك وصاحبَ كَنزِهم[1]، فاستأذَنَ عليه فأَذِنَ له، فقَرَاه وسَقَاه وبَطَنَ له[2] من خَبَر الناس.

ثمّ خرج في عَقِبِ ليلتِه حتّى أتى أصحابَه، فبَعَثَ رجالاً من قريشٍ فأتَوْا ناحيةً من المدينة[3] يقال لها: العُرَيضُ، فحَرَقوا في أَصوارٍ[4] من نخلٍ بها، ووَجَدوا رجلاً من الأنصار وحَليفاً له في حَرْثٍ لهما، فقتلوهما، ثمّ انصَرَفوا راجعين ونَذِرَ بهم الناسُ[5]، فخرج رسولُ الله ﷺ في طَلَبِهم ـ واستَعمَل على المدينة بشيرَ بن عبد المُنذِر وهو أبو لُبَابة فيما قال ابن هشام ـ حتّى بَلَغَ قَرقَرةَ الكُدْر[6]، ثمّ انصَرَفَ راجعاً وقد فاتَه أبو سفيانَ وأصحابُه، وقد رأَوا أزواداً من أزواد القوم قد طَرَحوها في الحَرْث يَتخفَّفُون منها للنَّجاءِ[7]، فقال المسلمون حين رجع بهم رسولُ الله ﷺ: يا رسولَ الله، أتطمَعُ لنا أن تكون غزوةً؟ قال: «نعم»[8].

---

(١) يعني بالكنز هنا: المال الذي كانوا يجمعونه لنوائبهم وما يَعرِض لهم.

(٢) قَرَاه، أي: صنع له القِرَى، وهو الطعام الذي يقدَّم للضيف. وبَطَن له، أي: علم له من سرِّهم وأخبارهم.

(٣) قوله: «من المدينة» من (غ)، وفي سائر النسخ مكانه: منها.

والعُريض: وادٍ بالمدينة، وهو الآن حيٌّ معروف من أحياء شرقيّ المدينة المنوَّرة.

(٤) الأصوار: جمع صَوْر، وهي الجماعة من النخل.

(٥) أي: علموا بهم فاستعدُّوا لهم.

(٦) تقدم قريباً التعريف به في غزوة بني سُليم.

(٧) النَّجاء: السرعة.

(٨) مرسل رجاله ثقات، وهو شبه الموصول، فإن عبد الله بن كعب هذا من كبار التابعين، وبعضهم يرى أنه وُلد على عهد النبي ﷺ، وقد روى عن كبار الصحابة كعمر وعثمان وغيرهما، وكان قائدَ أبيه لما عَمِيَ وهو أكبر أولاده.

قال ابن هشام: وإنّما سُمّيَت غزوةَ السَّوِيق[1] ـ فيما حدّثني أبو عُبيدة ـ: أنَّ أكثرَ ما طَرَحَ القومُ من أزوادِهم السَّوِيقُ، فهَجَمَ المسلمون على سَويقٍ كثيرٍ، فسُمّيَت غزوةَ السَّويق.

قال ابن إسحاق: وقال أبو سفيان بن حَرْب عند مُنصَرَفِه لمَا صَنَعَ به سَلَامُ بن مِشكَمٍ:

وإنّي[2] تَخيّرتُ المدينةَ واحداً ... لحِلفٍ فلم أندَمْ ولم أتلوَّمِ[3]

سَقَاني فرَوّاني كُمَيتاً مُدَامةً ... على عَجَلٍ منّي سَلَامُ بن مِشكَمِ[4]

ولمّا تَولّى الجيشُ قلتُ ولم أكُنْ ... لأُفرِحَه: أبشِرْ بعزٍّ ومَغنَمِ[5]

تأمَّلْ فإنَّ القومَ سِرٌّ وإنَّهمْ ... صَريحُ لُؤيٍّ لا شَماطِيطُ جُرهُمِ[6]

وما كان إلّا بعضُ ليلةِ راكبٍ ... أَتى ساغِباً من غيرِ خَلّةِ مُعدِمِ[7]

---

(١) السويق: من الأطعمة أن تُجفَّف الحنطة أو الشعير أو نحو ذلك ثم تُطحَن، فإذا أرادوا أن يأكلوها مُزجت باللَّبن والعسل والسَّمن، فإن لم يكن شيء من ذلك مُزجت بالماء، وهو في الغالب طعام المسافر.

(٢) الواو من (ش١) و(غ)، وليست في سائر النسخ، وبدونه ينخرم البيت.

(٣) المدينة، أراد: من المدينة، فحذف حرف الجر. ولم أتلوّم، أي: لم أدخل فيما أُلام عليه.

(٤) الكُميت: من أسماء الخمر، وكذا المُدامة. وسَلَام، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٢١٠: يقال: إنه أراد أن يقول: سلّام، بتشديد اللام، لكنه خفّفه لضرورة الشِّعر، ولم يذكر الدارقطنيُّ سَلَاماً بالتخفيف إلا عبد الله بن سَلَام وحده. اهـ، وذكر السهيليُّ أنه بتخفيف اللام وتشديدها.

(٥) أُفرِحه، أي: لأُثقله وأشقّ عليه.

(٦) سر القوم: خالصُهم، وكذلك الصريح منهم. والشَّماطيط: المختلطة أنسابهم.

(٧) الساغب: الجائع المُعيي، قال الخشنيُّ: ومن رواه ساعياً، فهو من السَّعي، وهو معلوم، ومن رواه شاعباً، فهو من التفرُّق. والخَلّة هنا: الحاجة والفقر.

فلمّا رجع رسولُ الله ﷺ من غزوة السَّوِيق أقام بالمدينة بقيّة ذي الحِجّة أو قريباً منها.

غزوةُ ذي أَمَرٍ

ثمّ غَزَا نجداً يريد غَطَفان، وهي غزوةُ ذي أَمَرٍ[1].

واستَعمَل على المدينة عثمانَ بن عفّانَ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فأقام بنجدٍ صَفَراً كلَّه أو قريباً من ذلك ثمّ رجع إلى المدينة[2] ولم يَلقَ كَيداً، فلَبِثَ بها شهرَ ربيعٍ الأوّلِ كلّه أو إلّا قليلاً منه[3].

---

(١) هكذا هو مقيَّد في نسخنا الخطية بتخفيف الراء، وكذلك هو عند ياقوت في «معجم البلدان» ١/ ٢٥٢، وقيّده البكريُّ في «معجم ما استعجم» ١/ ١٩٢ بتشديد الراء، وهو في ناحية النخيل فيما ذكر ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٣١.

قلنا: والنخيل بلدة تقع شرق المدينة المنوّرة على قرابة ١١٥ كم.

(٢) ذكر الواقدي في «مغازيه» ١/ ١٩٣، وتبعه ابن سعد: أنها كانت في النصف الثاني من ربيع الأول، وأن رسول الله ﷺ خرج في أربع مئة وخمسين رجلاً ومعهم أفراسٌ، وذلك لما بلغه أن جمعاً من غطفان قد تجمعوا بذي أَمر يريدون أن يصيبوا من أطراف المدينة، فلما دنا منهم النبي ﷺ هربوا منه فوق الجبال.

(٣) وروى الواقديُّ في «المغازي» ١/ ١٩٤-١٩٥ في هذه الغزاة عن غير واحدٍ مرسَلاً واقعةَ الأعرابي الذي استفرد بالنبيّ ﷺ وهو نائم تحت شجرة فاستلَّ سيفه وأراد قتله به وقال له: من يمنعك منّي؟ فقال له النبيُّ ﷺ: «اللهُ»، وسمّاه الواقديُّ دُعثورَ بن الحارث، وذكر أنه أسلمَ.

ونحو هذه الواقعة سترد عند ابن إسحاق في غزوة ذات الرِّقاع ص٢٤٤، وسُمّي الأعرابي فيها غورث بن الحارث، وهذا أصح، حيث روي موصولاً مسنَداً عن جابر بن عبد الله عنده وعند الشيخين في «صحيحيهما» كما سيأتي هناك.

وقد اختُلف في هذين الخبرين هل هما قصة واحدة أو اثنتان، فقال البيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ١٦٩: إن كان الواقديُّ قد حفظ ما ذكر في هذه الغزوة، فكأنهما قصتان، والله أعلم. وبنحو =

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

غزوةُ الفُرُع من بَحْرانَ

ثمّ غَزَا ﷺ يريدُ قريشاً[1].

واستَعمَلَ على المدينة ابنَ أُمِّ مكتومٍ، فيما قال ابنُ هشام.

قال ابن إسحاق: حتّى بَلَغَ بَحْرانَ، مَعدِناً بالحِجَاز من ناحية الفُرُع[2]، فأقام به شهرَ ربيعٍ الآخِر وجُمادَى الأولى، ثمّ رجع إلى المدينة ولم يَلقَ كَيداً.

أمرُ بني قَينُقاعَ

وقد كان فيما بين ذلك من غزوِ رسول الله ﷺ أمرُ بني قَينُقاعَ، وكان من حديث بني قَينُقاعَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ جَمَعَهم بسُوقِ بني قَينُقاعَ ثمّ قال: «يا مَعشَرَ يهودَ، احذَرُوا من الله مِثلَ ما نَزَلَ بقريشٍ من النِّقْمةِ وأَسلِموا، فإنَّكم قد عَرَفتُم أنِّي نبيٌّ مُرسَلٌ، تَجِدونَ ذلك في كتابِكم وعَهدِ اللهِ إليكم» قالوا: يا محمّدُ، إنّك تُرَى أنّا

= هذا قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٥/ ٣١٦، وابن حجر في «الإصابة» ٥/ ٣٢٩، وأما ابن سيّد الناس فقد استَظهَر في «عيون الأثر» ٢/ ٧٧ أن الخبرين واحد، وهذا هو الراجح، والله تعالى أعلم.

(١) زاد يونس بن بكير في روايته عن ابن إسحاق ص٣١٣: وبني سليم، وكذا رواه سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٨٧. أما الواقديُّ فروى في «مغازيه» ١/ ١٩٦ عن الزهريّ: أنه ﷺ أراد جمعاً من بني سليم كثيراً، ولم يذكر قريشاً، وأنه خرج في ثلاث مئة رجل من أصحابه.

(٢) كذا قيّده السهيليُّ في «الروض» والبكريُّ في «معجم ما استعجم» والقاضي عياض في «المشارق» بضمتين، وقيّده الحازمي في «الأماكن» وياقوت في «معجمه» بإسكان الراء. وهو وادٍ عظيم من أودية الحجاز، يمرّ على قرابة ١٥٠ كم جنوب المدينة المنورة، كثير العيون والنخل.

أما بَحْرانُ ـ وقيّده ياقوت الحموي بضم الباء ـ فجبلٌ يقع شرق مدينة رابغ على قرابة ٩٠ كم منها.

قومُك، لا يَغُرَّنّكَ أنّك لَقِيتَ قوماً لا عِلمَ لهم بالحربِ فأصبتَ منهم فُرصةً، إنّا والله لئن حارَبْناك لتَعلَمَنَّ أنّا نحنُ الناسُ[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني مولًى لآلِ زيد بن ثابتٍ، عن سعيد بن جُبَير أو عن عِكْرمة، عن ابن عبّاسٍ قال: ما نَزَلَ هؤلاءِ الآياتُ إلّا فيهم: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ أي: أصحابِ بدرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ وقريشٍ ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٢-١٣][2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنَّ بني قَينُقاعَ كانوا أوّلَ يهودَ نَقَضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحارَبُوا فيما بين بدرٍ وأُحد.

قال ابن هشام: وذكر عبدُ الله بن جعفر بن المِسوَر بن مَخرَمة، عن أبي عَوْن قال: كان أمرُ بني قَينُقاعَ أنَّ امرأةً من العرب قَدِمَت بجَلَبٍ[3] لها، فباعَتْه بسوق بني قَينُقاع، ثمّ جَلَسَت إلى صائغٍ بها، فجَعَلوا يريدونَها على كَشْف وجهها فأبَتْ، فعَمَدَ الصّائغُ إلى طَرَفِ ثوبها فعَقَدَه إلى ظهرِها، فلمّا قامت انكَشَفَت سَوْأتُها، فضَحِكوا بها فصاحت، فوَثَبَ رجلٌ من المسلمين على الصّائغ فقتله، وكان يهوديّاً، وشَدَّت

---

(١) هذا حديث محتمل للتحسين، وهو بالإسناد المذكور بعده، وفيه مولى آل زيد بن ثابت ـ وهو محمد بن أبي محمد ـ وهو مجهولٌ، لكن لخبره هذا شاهد مرسلٌ يتقوَّى به كما تقدم بيانه ٢/ ٢٢٤.

(٢) تخريجه مع سابقه.

(٣) الجَلَب: كل ما يُجلَب إلى الأسواق ليباع فيها.

وذكر الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ١٧٦: أن هذه المرأة كانت تحت رجل من الأنصار.

اليهودُ على المسلم فقتلوه، فاستَصرَخَ أهلُ المسلمِ المسلمين على اليهود، فأُغضِبَ المسلمون، فوَقَعَ الشّرُّ بينهم وبين بني قَينُقاع[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة قال: فحاصَرَهم رسولُ الله ﷺ حتّى نَزَلوا على حُكمِه، فقام إليه عبدُ الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ حين أمكَنَه اللهُ منهم فقال: يا محمّدُ، أحسِنْ في مَواليَّ؛ وكانوا حُلَفاءَ الخَزرَج، قال: فأبطَأَ عليه رسولُ الله ﷺ، فقال: يا محمّدُ، أحسِنْ في مَواليَّ، قال: فأعرَضَ عنه، قال: فأدخَلَ يدَه في جَيبِ دِرْعِ رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: وكان يقال لها: ذات الفُضُول.

قال ابن إسحاق: فقال له رسول الله ﷺ: «أَرسِلْني»، وغَضِبَ رسولُ الله ﷺ حتّى رَأَوا لوجهِه ظُلَلاً[2]، ثمّ قال: «وَيحَكَ، أَرسِلْني» قال: لا والله لا أُرسِلُك حتّى

---

(١) خبر محتملٌ للتحسين، عبد الله بن جعفر المَخرَميُّ ليس به بأس، بصيرٌ بالمغازي، وهو من طبقة شيوخ ابن هشام، إلا أنه لم يصرِّح هنا بسماعه منه، وأبو عونٍ ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» ٩/ ٦٢ وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٩/ ٤١٤ ولم يذكرا راوياً عنه سوى عبد الله بن جعفر المَخرَمي، ونقل ابن أبي حاتم عن أبي زُرْعة أنه قال: هو مَدينيّ لا نعرفه، ثم عقَّب ابن أبي حاتم فقال: إذا لم يعرفه مثلُه فقد جعله مجهولاً. قلنا: قد روى عنه أيضاً ابنه شُرحبيل كما وقع في كتاب «الأم» للشافعي ٢/ ٦٠٤، فارتفعت عنه بذلك جهالة العين وبقيت جهالة حاله، وتبيَّن لنا من بعض الأسانيد عند الواقدي أنه مولى الصحابي المِسوَر بن مَخرَمة، وهو تابعيٌّ صغير روى عن مولاه المسور وعبد الله بن الزبير، فخبره هذا يحتمل التحسين إن شاء الله وإن كان مرسلاً.

فقد رُوِيَ نحوه عن محمد بن كعب القُرَظيّ مرسلاً أيضاً عند الواقدي في «المغازي» ١/ ١٧٦.

(٢) الظُّلَل: جمع ظُلّة، وهي السحابة في الأصل، فاستعارها هنا لتغيير الوجه إذا اشتد غضبه، ويروى: ظِلالاً، وهي بمعناها.

تُحسِنَ في مَواليَّ، أربعُ مئةِ حاسرٍ وثلاثُ مئة دارعٍ[1] قد مَنَعُوني من الأحمر والأسوَد تَحصُدُهم في غَدَاةٍ واحدةٍ! إنّي واللهِ امرُؤٌ أخشَى الدَّوائرَ[2]، قال: فقال رسول الله ﷺ: «هُمْ لكَ»[3].

قال ابن هشام: واستَعمَل رسولُ الله ﷺ على المدينة في مُحاصَرَته إيّاهم بشيرَ ابن عبد المُنذِر، وكانت محاصرتُه إيّاهم خمسَ عشرةَ ليلةً.

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ، عن عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصّامت قال: لمّا حارَبَت بنو قَينُقاعَ رسولَ الله ﷺ، تَشبَّثَ بأمرِهم عبدُ الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ وقام دونَهم، قال: ومَشَى عُبادةُ بن الصّامتِ إلى رسول الله ﷺ، وكان أحدَ بني عَوفٍ لهم من حِلْفِه مِثلُ الّذي لهم من عبد الله بن أُبيٍّ، فخَلَعَهم إلى رسول الله ﷺ وتَبَرّأَ إلى الله وإلى رسوله ﷺ من حِلفِهم، وقال: يا رسولَ الله، أتولَّى اللهَ ورسولَه والمؤمنين، وأبرَأُ من حلفِ هؤلاءِ الكُفّار ومن وِلايتِهم. ففيه وفي عبد الله بن أُبيٍّ نَزَلَت القصّةُ من المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ أي: لعبد الله بن أُبيٍّ وقولِه: إنّي أخشَى الدّوائرَ ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾ ثمّ القصّةُ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ

(١) الحاسر: الذي لا درع له. والدارع: الذي عليه الدرع.

(٢) الدوائر، يعني: تقلّبات الزمان التي تأتي مرةً بالخير ومرةً بالشر.

(٣) مرسلٌ راويه - وهو عاصم - ثقة عالم بالمغازي.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٨٠ من طريق سلمة بن الفضل، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٧٤ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ وذلك لتوَلِّي عُبادةَ بن الصّامتِ اللهَ ورسولَه والّذين آمنوا، وتَبَرُّئه من بني قَينُقاعَ وحِلفِهم وولايتِهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٥١-٥٦][1].

سَرِيّةُ زيد بن حارثة إلى الفَرْدة من مياه نجد

قال ابن إسحاق: وسَرِيّةُ زيد بن حارثة التي بَعَثَه رسولُ الله ﷺ فيها حين أصابَ عِيرَ قريش وفيها أبو سفيانَ بن حَرْبٍ على الفَرْدة[2]، ماءٌ من مياه نَجْد.

---

(١) مرسلٌ رجاله ثقات، فعبادة بن الوليد من أوساط التابعين، والغالب أنه من روايته عن أبيه الوليد، لأن هذه الرواية تخصُّ أهل بيته.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٠٥ و٥٢٩، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٧٤-١٧٥، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٦/ ١٩١-١٩٢ من طريق يونس بن بكير، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١١٥٥، والخطيب في «تلخيص المتشابه» ص٦٠٠ من طريق محمد بن سلمة، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

فائدة: لم يذكر ابن هشام عاقبةَ أمر بني قينقاع، وقد بيَّن الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ١٧٩و١٨٠: أن النبيَّ ﷺ أمر عبادة بن الصامت ـ الذي كان حليفاً لهم قبل الإسلام ـ أن يُجلِيَهم من المدينة، وأمهلهم ثلاثاً حتى يجمعوا ما لهم من أموال، فأجلاهم عبادةُ بعد ثلاثٍ حتى خرجوا من المدينة وسلكوا طريق الشام، فلَحِقوا بأَذرِعات في الشام. وأَذرِعات: هي مدينة درعا اليوم في أقصى الجنوب السوري.

(٢) اختلفت النسخ الخطية في ضبط هذا الموضع، ففي بعضها بالفاء وفي بعضها بالقاف، وكذلك في تقييد الراء بين فتحها وسكونها، وقد ذكره الحازمي في كتابه «الأماكن» ص٧٤٥ وذكر نحو هذا الخلاف فيه، ثم قال: وإلى الآن لم يتحقَّق لي فيه شيء. فعلّق عليه محقّق الكتاب الأستاذ البارع حمد الجاسر رحمه الله فقال: لحسن الحظ فهذا الموضع الذي اختلف المتقدّمون في ضبطه ذلك الاختلاف، لا يزال معروفاً، فهو بالفاء بعدها راء ساكنة فدال فهاء، إنه رأسان بارزان من سلسلة جبال المِسْمَى، بقربهما ماءانِ يفصل بينهما منخفض رمليّ ممتدّ من =

وكان من حديثها: أنَّ قريشاً خافوا طريقَهم الّذي كانوا يَسلُكون إلى الشّام حين كان من وَقْعة بدرٍ ما كان، فسَلَكوا طريقَ العراق، فخرج منهم تجارٌ فيهم أبو سفيان ابن حربٍ ومعه فضّةٌ كثيرةٌ وهي عُظْم تِجارَتِهم، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائلٍ يقال له: فُرَاتُ بن حَيّانَ، يَدلُّهم في ذلك الطَّريق.

قال ابن هشام: فُراتُ بن حيّان من بني عِجْلٍ[1] حليفٌ لبني سَهْم.

قال ابن إسحاق: وبَعَثَ رسولُ الله ﷺ زيدَ بن حارثةَ فلَقِيَهم على ذلك الماء فأصاب تلك العِيرَ وما فيها، وأعجَزَه الرِّجالُ، فقَدِمَ بها على رسول الله ﷺ.

فقال حسّانُ بن ثابت بعدَ أُحدٍ في غزوة بدرٍ الآخرةِ يُؤَنِّبُ قريشاً أَخْذَهم تلك الطّريقَ[2]:

دَعُوا فَلَجاتِ الشّامِ قد حالَ دونَها ... جِلَادٌ كأفواهِ المَخاضِ الأَوَارِكِ[3]

بأيدي رِجالٍ هاجَرُوا نحوَ رَبِّهم ... وأنصارِه حَقّاً وأَيدي المَلائكِ

إذا سَلَكَت للغَورِ من بَطنِ عالِجٍ[4] ... فقولا لها: ليس الطّريقُ هنالكِ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبياتٍ لحسّانَ بن ثابتٍ نَقَضَها عليه أبو سفيان

= صحراء النُّفود.

(١) وبنو عِجْل بطنٌ من بكر بن وائل من ربيعة بن نِزار.

(٢) انظر «ديوانه» ص٨٥.

(٣) الفلجات: جمع فَلَجٍ، وهي الأودية والأنهار الصِّغار. والجِلاد: المجالَدة في الحرب. والمخاض: الإبل الحوامل. والأَوارك: التي ترعى الأَراك، وهو شجر معروف دائم الخُضرة، وتُتَّخذ من جذوره المساويك.

(٤) في «الديوان»: إذا هبطَت حَورانَ من رَمْلِ عالجٍ. وعالج: هو المعروف اليوم بصحراء النّفود الكبير، يمر في شمال نجد قرب مدينة حائل إلى شمال تَيماء. والغَور: المنخفض من الأرض.

ابن الحارث بن عبد المُطَّلِب، وسنذكرُها ونَقِيضتَها إن شاء الله في موضعها[1].

قتلُ كعبِ بن الأشرف

قال ابن إسحاق: وقُتِلَ كعبُ بن الأشرفِ، وكان من حديث كعبِ بن الأشرف: أنّه لمّا أُصيبَ أصحابُ بدر، وقَدِمَ زيدُ بن حارثةَ إلى أهل السّافلة وعبدُ الله بن رَوَاحة إلى أهل العاليَة، بَشيرَينِ بَعَثَهما رسولُ الله ﷺ إلى مَن بالمدينة من المسلمين بفَتْحِ الله عليه وقَتْل مَن قُتِلَ من المشركين، كما حدّثني عبدُ الله بن المُغِيثِ بن أبي بُرْدة الظَّفَريّ وعبدُ الله بن أبي بكرٍ وعاصمُ بن عمر بن قَتَادةَ وصالحُ بن أبي أُمامة بن سهلٍ ـ كلٌّ قد حدّثني بعضَ حديثه ـ قالوا: قال كعبُ بن الأشرَفِ ـ وكان رجلاً من طَيِّءٍ ثمّ أحدِ بني نَبْهانَ، وكانت أُمّه من بني النَّضِير ـ حين بَلَغَه الخبرُ: أحقٌّ هذا؟ أتَرَونَ محمّداً قَتَل هؤلاءِ الّذين يُسمّي هذانِ الرّجلانِ ـ يعني زيداً وعبدَ الله بن رَوَاحة ـ فهؤلاءِ أشرافُ العرب وملوكُ النّاس، والله لَئِن كان محمّدٌ أصابَ هؤلاءِ القومَ، لَبَطنُ الأرض خيرٌ من ظهرِها.

فلمّا تَيقَّنَ عدوُّ الله الخبرَ، خرج حتّى قَدِمَ مكّةَ فنَزَلَ على المُطَّلِب بن أبي وَدَاعة ابن صُبَيرة السَّهْميّ، وعنده عاتكةُ بنتُ أبي العِيصِ بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنافٍ، فأنزَلَته وأكرَمَته، وجَعَلَ يُحرِّضُ على رسول الله ﷺ ويُنشِدُ الأشعارَ ويبكي أصحابَ القَلِيب من قريشٍ الّذين أُصيبوا ببدرٍ، فقال:

طَحَنَت رَحَى بدرٍ لمُهلَكِ أهلِهِ ... ولمِثلِ بدرٍ تَستهِلُّ وتَدمَعُ[2]

---

(١) فيما سيأتي ص٢٥٢-٢٥٣.

(٢) أصل الرَّحى: الحجر الذي يُطحَن به الحبوب، ثم استُعير للحرب لأنها تطحن الرجال وتُفنيهم. ولمُهلَك أهله، أي: لإهلاكهم. وتستهل، أي: العينُ، يعني تسيل بالدمع.

قُتِلَت سَراةُ النّاسِ حولَ حِياضِهمْ ... لا تَبعَدُوا إنَّ الملوكَ تُصرَّعُ[1]

كم قد أُصيبَ به من أبيَضَ ماجِدٍ ... ذي بَهجةٍ يَأوِي إليه الضُّيَّعُ[2]

طَلْقِ اليدَينِ إذا الكواكبُ أخلَفَت ... حَمّالِ أثقالٍ يَسُودُ ويَربَعُ[3]

ويقول أقوامٌ أُسَرُّ بسُخطِهِمْ ... إنَّ ابنَ أشرَفَ[4] ظَلَّ كعباً يَجزَعُ

صَدَقوا فلَيتَ الأرضَ ساعةَ قُتِّلوا ... ظَلَّت تَسُوخُ بأهلِها وتَصَدَّعُ[5]

صار الذي أثَرَ الحديثَ بطَعنِه ... أو عاشَ أعمَى مُرعَشاً لا يَسمَعُ[6]

نُبِّئتُ أنَّ بَني المغيرةِ كُلَّهم ... خَشَعوا لقتلِ أبي الحُكَيمِ وجُدِّعوا[7]

وابنا رَبيعةَ عندَه ومُنبِّهٌ ... ما نالَ مِثلَ المُهلَكِينَ تُبَّعُ[8]

---

(١) سَراة الناس: هم خيار الناس وأشرافهم. وقوله: لا تَبعَدوا، دعاء لهم بعدم البَعَد، وهو الهلاك.

(٢) الماجد: الشريف. والبهجة: حُسْن الظاهر. والضُّيَّع: جمع ضائع، وهو الفقير.

(٣) طلق اليدين، أي: كثير المعروف. وأخلفت، أي: لم يكن معها مطر، على ما كانت العرب تنسب إلى هذه الكواكب من تأثيرها في نزول المطر وغيره. ويربع، أي: يأخذ الرُّبع، أي: أنه كان رئيساً، لأن الرئيس في الجاهلية كان يأخذ ربع الغنيمة.

(٤) هكذا في (ت) و(غ)، وهو صحيح، وفي بقية النسخ: ابن الأشرف، وبه ينكسر الوزن الشعري.

(٥) تسوخ: تغوص. وتصدّعُ، أي: تتشقّق.

(٦) أثَرَ الحديث، أي: حدَّث به فأشاعه. والمُرعَش: الذي تَرعَشُ (أي: ترجف وتهتزّ) يداه ورأسه من كِبَرٍ أو مرض.

(٧) أبو الحُكيم: تصغير الحَكَم، يريد أبا جهل عمرو بن هشام بن المغيرة. وجُدِّعوا، أي: قُطعت أنوفهم، وأراد به هنا: ذهابَ عزِّهم.

(٨) هكذا في (ت) و(ص) و(م)، وفي (ز) و(ش١) و(غ) و(ي): وتُبَّعُ، بواو، ثم شُطِبت الواو من (ز)، وهو الصواب، إذ لا معنى للواو هنا سوى إقامة الوزن الشعري، فبدونها ينكسر =

نُبِّئْتُ أنَّ الحارثَ بن هشامِهِمْ ... في الناسِ يَبني الصّالحاتِ ويَجمَعُ

ليَزُورَ يَثْرِبَ بالجُموعِ وإنّما ... يَحمَى على الحَسَبِ الكريمِ الأروَعُ[1]

قال ابن هشام: قولُه: تُبَّعُ، وأُسَرُّ بسُخطِهم، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه حسّانُ بن ثابتٍ فقال[2]:

أَبكاهُ كعبٌ ثمّ عُلَّ بعَبْرةٍ ... منه وعاشَ مُجدَّعاً لا يَسمَعُ[3]

ولقد رأيتُ ببَطنِ بدرٍ منهمُ ... قَتلَى تَسُحُّ لها العُيونُ وتَدمَعُ[4]

فابْكِي فقد أبَكَيتَ عبداً راضِعاً ... شِبهَ الكُلَيبِ إلى الكُلَيبةِ يَتبَعُ[5]

ولقد شَفَى الرَّحمنُ منّا سيِّداً[6] ... وأهانَ قوماً قاتَلُوه وصُرِّعوا

ونَجَا وأَفلَتَ منهمُ مَن قَلبُهُ ... شَعَفٌ[7] يَظَلُّ لخَوفِه يَتصَدّعُ

= هذا الوزن، وأما المعنى فلا يستقيم إلا بحذفها، فإنه يريد ـ والله أعلم ـ أن تبَّعاً، وهو ملك مشهور من ملوك اليمن، لم يُصِبْ في حروبه التي خاضها مثلَ هؤلاء المُهلَكين ببدرٍ في شرفهم وعلوِّ مكانتهم.

(١) الأروع: الذي يروعك بحسنه وجماله وكريم فِعاله.

(٢) انظر «ديوانه» ١/ ٤٢٦ بتحقيق وليد عرفات.

(٣) عُلَّ بعبرة، أي: كُرِّر عليه البكاء، مأخوذ من العَلَل: وهو الشرب بعد الشرب. والعَبْرة: الدمعة. ومجدَّعاً، أي: مقطوع الأُذنين.

(٤) تسحُّ: تصبّ الدمع.

(٥) الراضع: اللئيم.

(٦) أراد بالسيِّدِ النبيَّ ﷺ.

(٧) في (ش١) و(ي): شغف، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٢١٣: من رواه بالعين المهملة فمعناه: محترِق ملتهِب، ومن رواه بالغين المعجمة فمعناه: بلغ الحزنُ إلى شَغَاف قلبه، والشغاف: حِجاب القلب.

قال ابن هشام: وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرها لحسّان. وقوله: أَبكاه[1] كعبٌ، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقالت امرأةٌ من المسلمين من بني مُرَيدٍ[2]، بطنٍ من بَلِيٍّ كانوا حلفاءَ في بني أُميّة بن زيد يقال لهم: الجَعادِرةُ، تجيبُ كعباً ـ قال ابن هشام: اسمها ميمونةُ بنتُ عبد الله، قال: وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُ أبياتَها هذه لها، ويُنكِرُ نَقِيضتَها لكعب بن الأشرف ـ:

تَحنَّنَ هذا العبدُ كلَّ تَحنُّنٍ ... يُبكِّي على قَتلَى وليس بناصبِ[3]

بَكَت عينُ مَن يَبْكي لبدرٍ وأهلِهِ ... وعُلِّت بمِثلَيها لُؤيٌّ بن غالبِ[4]

فلَيتَ الذينَ ضُرِّجوا بدِمائِهم ... يَرَى ما بهم مَن كان بينَ الأخاشبِ[5]

فيَعلَمَ حقّاً عن يقينٍ ويُبصِروا ... مَجَرَّهم فوقَ اللِّحَى والحواجبِ[6]

فأجابَها كعبُ بن الأشرف:

ألَا فازجُروا منكم سفيهاً لتَسلَموا ... عن القولِ يأتي منه غيرُ مُقارِبِ[7]

---

(١) هكذا في (ت) و(ش١)، وهو الصواب الموافق لسائر نسخنا في أول الشعر، وفي بقية النسخ هنا: أُبكي، وبه يختلّ الوزن الشعري.

(٢) يروى بفتح الراء وكسرها، والصواب الأول.

(٣) الناصب: المُعْيي المتعَب.

(٤) عُلِّت: كُرِّرت.

(٥) ضُرجوا: لُطخوا. والأخاشب: جبال مكة.

(٦) قال الخشنيّ ص٢١٣: قوله: مجرّهم، من رواه بالجيم فهو من الجَرّ، ومن رواه بالحاء المهملة والزاي، فهو من الحَزِّ بالسيوف، وهو القطع بها.

(٧) يريد بالسفيه: ميمونة، قائلة الشعر السابق، وذكَّر لأنه حمل ذلك على معنى الشخص، =

أتشتُمُني أن كنتُ أَبكي بعَبْرةٍ ... لقومٍ أتاني وُدُّهم غيرُ كاذِبِ

فإنّي لَبَاكٍ ما بَقِيتُ وذاكِرٌ ... مَآثِرَ قومٍ مَجدُهم بالجَباجِبِ[1]

لَعَمْري لقد كانت مُرَيدٌ بمَعزِلٍ ... عن الشّرِّ فاختالَتْ وجوهُ الثّعالبِ[2]

فحُقَّ مُرَيدٌ أن تُجَذَّ أُنوفُهم ... بشَتمِهِم حَيَّيْ لُؤَيِّ بن غالبِ[3]

وَهَبتُ نَصِيبي من مُرَيدٍ لجَعدَرٍ ... وفاءً وبيتُ الله بينَ الأخاشبِ[4]

ثمّ رجع كعبُ بن الأشرَفِ إلى المدينة فشَبَّبَ[5] بنساءِ المسلمين حتّى آذاهم، فقال رسولُ الله ﷺ ـ كما حدّثني عبدُ الله بن المُغِيثِ بن أبي بُرْدة ـ: «مَن لي من ابنِ الأشرَفِ؟»[6] فقال له محمّدُ بن مَسلَمة أخو بني عبد الأشهَل: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتُلُه، قال: «فافعَلْ إنْ قَدَرتَ على ذلكَ». فرجع محمّدُ بن مَسلَمة فمَكَثَ ثلاثاً

= والشخص يذكَّر ويؤنَّث. والمقارِب: الشيء الوَسَط بين الجيِّد والرديء.

(١) الجباجب: منازل مكة.

(٢) هكذا في (ص) و(ي)، وفي (ت) و(غ): فاحتالت، بالحاء، وفي (ز): فاجتالت، بالجيم، وفي (ش١) بالجيم والحاء، وفي (م) بالخاء والجيم. قال أبو ذر الخشنيُّ ص٢١٤: من رواه بالجيم فمعناه: تحرَّكت، يقال: جال الشيء يجول، إذا تحرَّك ذاهباً وراجعاً، ومن رواه بالحاء المهملة فمعناه: تغيَّرت، يقال: حال الرَّبعُ والمكان، إذا تغيَّرا، ومن رواه بالخاء المعجمة فهو من الخُيَلاء: وهو الإعجاب والزَّهْو.

(٣) تُجذّ، بالذال والدال، معناهما جميعاً: تُقطَع.

(٤) أراد بجعدرٍ الأوسَ، وكانت بطون منهم تُلقَّب بالجعادر، ومُرَيدٌ من بليٍّ من قُضاعة، وكانوا حلفاء للأوس. والأخاشب: جبال مكة.

(٥) شبَّب بنساء المسلمين، أي: تغزَّل فيهن وذكرهن في شعره.

(٦) زاد في حديث جابر بن عبد الله عند البخاري (٢٥١٠) و(٤٠٣٧) ومسلم (١٨٠١): «فإنه قد آذى اللهَ ورسولَه».

لا يأكلُ ولا يشربُ إلّا ما يُعلِّقُ نفسَه[1]، فذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ، فدعاه فقال له: «لِمَ تَرَكتَ الطَّعامَ والشَّرابَ؟» قال: يا رسولَ الله، قلتُ لك قولاً لا أدري هل أفِيَنَّ لك به أم لا؟ فقال: «إنَّما عليكَ الجُهدُ» قال: يا رسول الله، إنَّه لا بُدَّ لنا من أن نقولَ[2]، قال: «فقُولُوا ما بَدَا لكم، فأنتُم في حِلٍّ من ذلكَ».

فاجتَمَعَ في قتلِه محمّدُ بن مَسلَمة، وسِلْكانُ بن سَلَامة بن وَقْشٍ، وهو أبو نائلة أحدُ بني عبد الأشهَل، وكان أخا كعبِ بن الأشرَفِ من الرَّضاعة، وعبّادُ بن بِشْر بن وَقْشٍ أحدُ بني عبد الأشهَل، والحارثُ بن أَوس بن معاذٍ أحدُ بني عبد الأشهَل، وأبو عَبْس بن جَبْرٍ أخو بني حارثة، ثمّ قدَّموا إلى عدوِّ الله كعبِ بن الأشرفِ قبلَ أن يأتُوه سِلْكانَ بن سَلَامة أبا نائلةَ، فجاءَه فتحدَّث معه ساعةً وتَناشَدوا شِعراً، وكان أبو نائلة يقول الشِّعرَ، ثمّ قال: وَيحَك يا ابنَ الأشرَفِ، إنّي قد جئتُك لحاجةٍ أريدُ ذِكرَها لك، فاكتُمْ عنّي، قال: أفعَلُ، قال: كان قُدومُ هذا الرّجلِ علينا بلاءً من البلاءِ عادَتْنا به العربُ، ورَمَوْنا عن قوسٍ واحدةٍ، وقُطِعَت عنّا السُّبُلُ حتّى ضاع العِيالُ وجُهِدَت الأنفُسُ، وأصبَحْنا قد جُهِدْنا وجُهِدَ عيالُنا، فقال كعبٌ: أنا ابنُ الأشرفِ، أمَا والله لقد كنتُ أُخبِرُك يا ابنَ سَلَامةَ أنَّ الأمرَ سيصيرُ إلى ما أقولُ، فقال له سِلْكانُ: إنّي قد أردتُ أن تَبِيعَنا طعاماً ونَرهَنَك ونُوثِّقَ لك، وتُحسِنَ في ذلك، فقال: أترهَنُوني أبناءَكم؟ قال: لقد أردتَ أن تَفضَحَنا؟! إنَّ معي أصحاباً لي على مِثْل رأيي، وقد أردتُ أن آتيَكَ بهم فتبيعَهم وتُحسِنَ في ذلك، ونَرهَنَك من الحَلْقة[3] ما فيه وفاءٌ؛ وأرادَ سِلْكانُ أن لا يُنكِرَ السِّلاحَ إذا جاؤوا بها، قال: إنَّ في الحَلْقةِ لوَفاءً، قال: فرجع

(١) في (ش١) و(غ): به نفسه.

(٢) يعني شيئاً يَشكُون به النبيَّ ﷺ ويَعِيبون دينه.

(٣) الحَلْقة هنا: السلاح كله، وأصله في الدُّروع، ثم سُمّي السلاح كله حَلْقة.

سِلكانُ إلى أصحابه فأخبرهم خبرَه، وأمَرَهم أن يأخذوا السّلاحَ ثمّ يَنطلِقوا فيَجتمِعوا إليه، فاجتَمَعُوا عند رسول الله ﷺ[1].

قال ابن هشام: ويقال: قال: أترهَنُوني نساءَكم؟ قال: كيف نَرهَنُك نساءَنا وأنت أشَبُّ أهلِ يَثرِبَ وأعطَرُهم؟! قال: أترهَنُوني أبناءَكم؟

قال ابن إسحاق: فحدّثني ثَورُ بن زيدٍ، عن عِكْرمة، عن ابن عبّاس قال: مشى معهم رسولُ الله ﷺ إلى بَقيعِ الغَرقَد، ثمّ وَجَّهَهم ثمّ قال: «انطَلِقُوا على اسمِ الله، اللّهمَّ أعِنْهم»، ثمّ رجع رسولُ الله ﷺ إلى بيته وهو في ليلةٍ مُقمِرةٍ.

وأقبَلُوا حتّى انتَهَوا إلى حِصْنِه، فهَتَفَ به أبو نائلةَ، وكان حديثَ عهدٍ بعُرسٍ، فوَثَبَ في مِلحَفةٍ فأخذَت امرأتُه بناحيَتِها، وقالت: إنّك امرُؤٌ مُحارِبٌ وإنَّ أصحابَ الحرب لا يَنزِلُون في هذه السّاعة، قال: إنَّه أبو نائلة، لو وَجَدَني نائماً ما أيقَظَني، فقالت: والله إنّي لَأعرِفُ في صوته الشّرَّ، قال: يقول لها كعبٌ: لو يُدعَى الفتى لطَعنةٍ لَأجاب.

---

(١) هكذا في نسخنا الخطية، ثم ضَرَبَ في (ص) على عبارة «رسول الله ﷺ» وزاد الهاء بعد كلمة عند، فصارت: عنده، وكأنه أراد كعباً!

أما خبر مقتل كعب بن الأشرف، فإلى هنا هو من رواية عبد الله بن مُغِيث، وهذا أنصاريٌّ من بني ظَفَر، روى عنه غير واحد وذكره البخاري في «التاريخ الكبير» ٥/ ٢٠١ وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٥/ ١٧٤، ولم يذكرا فيه جرحاً أو تعديلاً، لكن ذكره ابن حبان في «الثقات» ٧/ ٤٣، وقال ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٣/ ٢٢٣-٢٢٤: كان عالماً، وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» ٣/ ٦٨٣: مُقِلٌّ صدوق. قلنا: فهو حسن الحديث إن شاء الله، إلا أن روايته هنا مرسلة غير موصولة، لكن يشهد لحديثه هذا مع ما بعده من حديث ابن عباسٍ حديثُ جابر بن عبد الله في خبر قتل كعب بن الأشرف بنحو هذا السياق مطوّلاً عند البخاري (٤٠٣٧) ومسلم (١٨٠١)، فيصحُّ.

فنَزَلَ فتحدَّثَ معهم ساعةً وتحدَّثوا معه، ثمّ قالوا له: هل لك يا ابنَ الأشرَفِ أن نتماشَى إلى شِعْبِ العَجُوز فنَتحدَّثَ به بقيّةَ ليلتِنا هذه؟ قال: إن شِئتُم، فخَرَجوا يَتماشَوْن فمَشَوْا ساعةً، ثمّ إنَّ أبا نائلةَ شامَ يدَه في فَوْدِ رأسِه[1] ثمّ شَمَّ يدَه فقال: ما رأيت كاللّيلة طِيباً أعطَرَ قَطُّ، ثمّ مشى ساعةً ثمّ عاد لمِثْلِها حتّى اطمأنَّ، ثمّ مشى ساعةً ثمّ عادَ لمِثْلِها، فأَخذَ بفَوْدِ رأسه ثمّ إنَّه قال: اضرِبُوا عدوَّ الله، فضربوه فاختَلَفَت عليه أسيافُهم فلم تُغْنِ شيئاً.

قال محمّدُ بن مَسلَمة: فذكرتُ مِغوَلاً[2] في سيفي حين رأيتُ أسيافَنا لا تُغْني شيئاً، فأخذتُه وقد صاحَ عدوُّ الله صَيْحةً لم يَبقَ حولَنا حِصنٌ إلّا وقد أُوقِدَت عليه نارٌ، قال: فوَضَعتُه في ثُنَّتِه[3] ثمّ تحامَلتُ عليه حتّى بَلَغتُ عانَتَه، فوَقَعَ عدوُّ الله، وقد أُصيبَ الحارثُ بن أَوس بن معاذٍ فجُرِحَ في رأسه أو رجله، أصابه بعضُ أسيافِنا.

قال: فخرجنا حتّى سَلَكْنا على بني أُميّة بن زيدٍ ثم على بني قُرَيظة ثمّ على بُعاث، حتّى أسنَدْنا في حَرَّة العُرَيض[4]، وقد أبطَأَ علينا صاحبُنا الحارثُ بن أوسٍ ونَزَفَه الدّمُ[5]، فوَقَفْنا له ساعةً ثمّ أتانا يَتبَعُ آثارَنا، قال: فاحتَمَلْناه فجِئْنا به رسولَ الله ﷺ آخِرَ اللّيل وهو قائمٌ يُصلّي، فسَلَّمْنا عليه فخَرَجَ إلينا، فأخبرناه بقتلِ عدوِّ الله، وتَفَلَ على جُرحِ صاحبنا، ورَجَعْنا إلى أهلِنا فأصبَحْنا وقد خافَتْ يهودُ لوَقعَتِنا بعدوِّ الله،

---

(١) شام يده: أدخلها. وفَوْد الرأس: جانبه من جهة الأُذن.

(٢) المِغوَل: سكّين كبيرة.

(٣) الثُّنّة: ما بين السُّرة والعانة.

(٤) أسندنا: ارتفعنا. والحرّة: أرض فيها حجارة سُود. وبعاث: في ناحية الشمال الشرقي من المدينة. والعُريض: وادٍ بالمدينة، وهو الآن حيٌّ معروف من أحياء شرقيّ المدينة المنوَّرة.

(٥) أي: أضعفه بكثرة سيلانه.

فليس بها يهوديٌّ إلّا وهو يَخافُ على نفسه[1].

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالكٍ:

فغُودِرَ منهمُ كعبٌ صَريعاً ... فذَلَّت بعدَ مَصرَعِه النَّضيرُ

على الكَفَّينِ ثَمَّ وقد عَلَتْهُ ... بأيدِينا مُشهَّرةٌ ذُكورُ[2]

بأمرِ محمّدٍ إذ دَسَّ ليلاً ... إلى كعبٍ أخا كعبٍ يَسيرُ[3]

فماكَرَهُ فأنزَلَه بمَكرٍ ... ومحمودٌ أخو ثِقةٍ جَسُورُ[4]

قال ابن هشام: وهذه الأبياتُ في قصيدةٍ له في يوم بني النَّضير، سأذكرُها إن شاءَ الله في حديث ذلك اليوم[5].

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ يذكرُ قتلَ كعبِ بن الأشرفِ وقتلَ سَلَام ابن أبي الحُقَيقِ[6]:

لله دَرُّ عِصابةٍ لاقَيتَهمْ ... يا ابنَ الحُقَيقِ وأنتَ يا ابنَ الأشرَفِ

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرج طرفاً منه الحاكم (٢٥١١) من طريق عمرو بن زرارة، عن زياد بن عبد الله البكّائي، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه كذلك أحمد (٢٣٩١) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، به.

(٢) يعني السيوف.

(٣) قوله: أخا كعب، يعني به أبا نائلة سِلكان بن سلامة، وكان أخا كعب من الرضاعة كما تقدم في أول الخبر.

(٤) لم يُذكَر في النفر الذين قتلوا كعب بن الأشرف من اسمه محمود، والظاهر أنه لقبٌ لأحدهم، والله تعالى أعلم.

(٥) ص٢٣٣.

(٦) انظر «ديوان حسان» ١/ ٢١١.

يَسْرُونَ بالبِيضِ الخِفافِ إليكمُ مَرَحاً كأُسدٍ في عَرينٍ مُغرِفِ[1]
حتّى أتَوكُم في مَحَلِّ بلادِكمْ فسَقَوكمُ حَتْفاً ببِيضٍ ذُفَّفِ[2]
مُستَبصِرينَ[3] لنَصرِ دينِ نبيِّهمْ مُستَصغِرينَ لكلِّ أمرٍ مُجحِفِ

قال ابن هشام: وسأذكرُ قتلَ سَلَام بن أبي الحُقَيق في موضعه إن شاءَ الله[4].

وقوله: ذُفَّف، عن غير ابن إسحاق.

أمرُ مُحيِّصة وحُوَيِّصة

قال ابن إسحاق: وقال رسولُ الله ﷺ: «مَن ظَفِرتُم به من رجالِ يهودَ فاقتُلُوه»، فوَثَبَ مُحيِّصةُ بن مسعودٍ - قال ابن هشام: ويقال: مُحَيْصةُ[5] بن مسعود - بن كعب بن عامر بن عَديّ بن مَجدَعة بن حارثة بن الحارث بن الخَزرَج بن عَمرو بن مالك بن الأَوس، على ابن سُنَينةَ - قال ابن هشام: ويقال: ابن سُبَينة - رجلٌ من تجار يهودَ كان يُلابِسُهم ويُبايِعُهم فقتله، وكان حُوَيِّصةُ بن مسعودٍ إذ ذاك لم يُسلِمْ، وكان أسنَّ من مُحيِّصةَ، فلمّا قتله جعل حُوَيِّصةُ يضربُه ويقول: أيْ عدوَّ الله، أقتلتَه؟! أما والله لَرُبَّ شَحمٍ في بَطنِك من ماله، قال مُحيِّصةُ: فقلت: والله لقد أمَرَني بقتلِه مَن لو

---

(١) يسرون: من السُّرى، وهو السير في الليل. والبِيض الخفاف: السيوف. ومرحاً: نشاطاً. والعرين: موضع الأسد. والمُغرِف: الأَجمة، وهي الموضع الذي يكثر فيه الشجر كالغابة.

(٢) ذُفَّف، أي: سريعة القتل، يعني السيوف، يقال: ذفَّف على الجريح، إذا أسرع قتلَه.

(٣) هكذا في (ز) و(ش١) بالباء، وهو كذلك في «الديوان»، وقيّده في (ص) و(م) بالباء والنون معاً، وفي (ت) و(ي): مستنصرين، بالنون، وفي (غ): مستبشرين، وهو كذلك في نسخة على حاشية (ز). والمُستبصِر: المُستبِين للشيء، والمُجحِف: الذي يَذهَب بالنفوس والأموال.

(٤) بعد غزوة الخندق في هذا الجزء ص٣٤٣.

(٥) في (ز): قال ابن هشام: مُحيْصة، ويقال: مُحيِّصة.

أمَرَني بقتلِك لضربتُ عُنُقَك، قال: فواللهِ إن كان لأوّلَ إسلام حُوَيِّصةَ، قال: أوَاللهِ لو أمَرَك محمّدٌ بقَتْلي لَقتلتَني؟ قال: نعم والله، لو أمَرَني بضربِ عُنُقِك لضربتُها، قال: واللهِ إنَّ دِيناً بَلَغَ بك هذا لَعَجَبٌ؛ فأسلمَ حُوَيِّصةُ.

قال ابن إسحاق: حدّثني هذا الحديثَ مولًى لبني حارثةَ، عن ابنة مُحيِّصة، عن أبيها مُحيِّصة[1].

فقال مُحيِّصةُ في ذلك:

يَلُومُ ابنُ أُمّي لو أُمِرتُ بقتلِه ... لَطَبَّقتُ ذِفْراهُ بأبيضَ قاضِبِ[2]

حُسامٍ كلونِ المِلحِ أُخلِصَ صَقلُه ... متى ما أُصوِّبْه فليس بكاذبِ[3]

---

(١) إسناده ضعيف لجهالة المولى شيخ ابن إسحاق وجهالة ابنة محيّصة.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٩١ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه أبو داود (٣٠٠٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٢٠/ (٧٤١) ـ وعنه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٣١٨) ـ والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٢٠٠ من طرق عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، به. وقال في المولى: مولى زيد بن ثابت. قلنا: وزيدٌ من بني النجار بطن من الخزرج بن حارثة، ومولاه هذا سبقت رواية ابن إسحاق عنه مراراً، وسمّاه محمدَ بنَ أبي محمد، وهو مجهول انفرد بالرواية عنه ابن إسحاق.

تنبيه: سقط إسناد ابن إسحاق في هذا الخبر من القطعة التي طُبعت من «سيرته» من روايتَي يونس بن بكير ومحمد بن سلمة ص٣١٩، فصار متصلاً بخبر قتل كعب بن الأشرف الذي هو فيها من رواية محمد بن سلمة الحرّاني عن ابن إسحاق عن ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس، وقد يظنُّ ظانٌّ أنهما خبر واحد فيقوِّيه، وليسا كذلك.

(٢) طبق: قطع وأصاب المفصل. والذِّفرى: عظم ناتئ خلف الأُذن. والأبيض القاضب: السيف القاطع.

(٣) أصوّبه، أي: أُنزله ضارباً به.

وما سَرَّني أنّي قتلتُكَ طائعاً وإنَّ لنا ما بينَ بُصرَى ومَأرِبِ

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبَيدة عن أبي عمرٍو المدني قال: لمّا ظَفِرَ رسولُ الله ﷺ ببني قُرَيظةَ، أخذ منهم نحواً من أربعِ مئةِ رجلٍ من اليهود، وكانوا حلفاءَ الأَوس على الخَزرَج، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ بأن تُضرَبَ أعناقُهم، فجعلت الخَزرَجُ تضربُ أعناقَهم ويَسُرُّهم ذلك، فنَظَرَ رسول الله ﷺ إلى الخَزرَج ووجوهُهم مُستَبشِرةٌ، ونَظَرَ إلى الأَوس فلم يَرَ ذلك فيهم، فظَنَّ أنَّ ذلك للحِلْفِ الّذي بين الأوس وبين بني قُرَيظة، ولم يكن بقيَ من بني قُرَيظة إلّا اثنا عشرَ رجلاً، فدَفَعَهم إلى الأوس، فدَفَعَ إلى كلِّ رجلين من الأوس رجلاً من بني قُرَيظة وقال: «ليَضرِبْ فلانٌ وليُذفِّفْ فلانٌ».

فكان ممّن دَفَعَ إليهم كعبُ بن يَهُوذا، وكان عظيماً في بني قُرَيظة، فدَفَعَه إلى مُحيِّصة بن مسعود وإلى أبي بُرْدة بن نِيَار - وأبو بُرْدة بن نِيَارٍ الّذي رَخَّصَ له رسولُ الله ﷺ في أن يَذبَحَ جَذَعاً من المَعْزِ في الأَضحى[1] - وقال: «ليَضرِبْه مُحيِّصةُ، وليُذفِّفْ عليه أبو بُرْدةَ»، فضربه مُحيِّصةُ ضربةً لم تَقطَعْ، وذَفَّفَ أبو بُرْدة فأجهَزَ عليه، فقال

(١) وذلك فيما أخرجه البخاري (٩٥٥) ومسلم (١٩٦١) من حديث البراء بن عازب قال: خَطَبَنا النبيُّ ﷺ يوم الأضحى بعد الصلاة فقال: «من صلَّى صلاتنا، ونَسَك نُسُكَنا، فقد أصاب النُّسك، ومن نَسَك قبل الصلاة، فإنه قبل الصلاة ولا نسكَ له» فقال أبو بُرْدة بن نِيَار خال البراء: يا رسول الله، فإني نسكتُ شاتِي قبل الصلاة، وعرفتُ أن اليوم يوم أكل وشرب، وأحببت أن تكون شاتي أوّلَ ما يُذبَح في بيتي، فذبحتُ شاتي وتغدَّيتُ قبل أن آتي الصلاة! قال: «شاتُك شاةُ لحمٍ» قال: يا رسول الله، فإنّ عندنا عَناقاً لنا جَذَعةً هي أحبّ إليَّ من شاتين، أفتَجْزي عني؟ قال: «نعم، ولن تَجزِيَ عن أحدٍ بعدك».

والعَنَاق: الأنثى من المَعْز لم تتمّ سنة، والجَذَعة: أراد أنها شابّة قوية.

حُوَيِّصةُ ـ وكان كافِراً ـ لأخيه مُحيِّصة: أقتلتَ كعبَ بنَ يَهُوذا؟ قال: نعم، فقال حُوَيِّصةُ: أمَ واللهِ لَرُبَّ شَحمٍ قد نَبَتَ في بطنِك من ماله، إنّك لَلَئيمٌ، فقال له مُحيِّصةُ: لقد أمَرَني بقتلِه مَن لو أمَرَني بقتلك لقتلتُك، فعَجِبَ من قوله، ثمّ ذهب عنه متعجِّباً. فذكروا أنه جعل يَتيقَّظُ من اللّيل فيَعجَبُ من قول أخيه مُحيِّصة، حتّى أصبَحَ وهو يقول: والله إنَّ هذا لَدِينٌ، ثمّ أَتى النبيَّ ﷺ فأسلمَ، فقال مُحيِّصةُ في ذلك أبياتاً قد كتبناها[1].

قال ابن إسحاق: وكانت إقامةُ رسول الله ﷺ بعد قُدومِه من بَحْرانَ، جُمادَى الآخرةَ ورجباً وشعبانَ وشهرَ رمضانَ، وغَزَتْه قريشٌ غزوةَ أُحدٍ في شوّالٍ سنة ثلاث.

(١) هذا خبر ضعيف لا يصحُّ، فإنه مُرسَل أو مُعضَل، وراويه أبو عمرو المدني لم نتبيَّنه فنعرف حاله.

أمر غزوة أُحد

وكان من حديث أُحدٍ[1]، كما حدّثني محمّدُ بن مُسلِم الزُّهْريُّ ومحمّدُ بن يحيى ابن حَبّانَ وعاصمُ بن عمر بن قَتَادة والحُصَينُ بن عبد الرَّحمن بن عَمْرو بن سعد بن معاذٍ وغيرُهم من علمائنا، كلُّهم قد حدَّث بعضَ الحديث عن يومِ أُحدٍ، وقد اجتمع حديثُهم كلُّه فيما سُقْتُ من هذا الحديث عن يوم أُحدٍ قالوا، أو مَن قاله منهم[2]: لمّا أُصيبَ يومَ بدرٍ من كفّار قريش أصحابُ القَلِيب، ورجع فَلُّهم[3] إلى مكّة، ورجع أبو سفيانَ بن حربٍ بعِيرِه، مشى عبدُ الله بن أبي رَبِيعة وعِكْرمةُ بن أبي جهلٍ وصَفْوانُ ابن أُميّةَ في رجالٍ من قريشٍ ممَّن أُصيبَ آباؤُهم وأبناؤُهم وإخوانُهم يومَ بدرٍ، فكَلَّموا أبا سفيانَ بن حربٍ ومَن كانت له في تلك العِيرِ من قريش تجارةٌ، فقالوا: يا مَعشَرَ قريش، إنَّ محمّداً قد وَتَرَكم وقتل خيارَكم[4]، فأَعِينُونا بهذا المال على حَرْبه لعلَّنا نُدرِكُ منه ثأرَنا بمَن أصابَ منّا، ففعلوا.

قال ابن إسحاق: ففيهم ـ كما ذكرَ لي بعضُ أهلِ العِلْم ـ أنزَلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ

---

(١) وكانت الوقعة يوم السبت في الخامسَ عشرَ من شوّال.

(٢) وهذه الأسانيد التي ذكرها ابن إسحاق في خبر غزوة أُحد، وإن كانت مراسيل، فإن رواتها ثقات أهلُ علمٍ بالمغازي، وبمجموعها يصح هذا الخبر، وبعض أفراده روي موصولاً مسنَداً على ما يأتي في مواضعه.

(٣) الفَلُّ: القوم المنهزمون.

(٤) وَتَرَكم، أي: أدخل النقصَ عليكم بقتل خياركم، والموتور أيضاً: الذي قُتل له قتيل فلم يدرك ثأره.

حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٦].

فاجتَمَعَت قريشٌ لحربِ رسول الله ﷺ حين فعلَ ذلك أبو سفيانَ وأصحابُ العِيرِ بأحابيشِها[١] ومَن أطاعها من قبائل كِنانةَ وأهل تِهامةَ[٢].

وكان أبو عَزَّة عمرُو بن عبدِ الله الجُمَحيُّ قد مَنَّ عليه رسولُ الله ﷺ يومَ بدر، وكان فقيراً ذا عِيَال وحاجة، وكان في الأُسارَى، فقال: يا رسول الله، إنّي فقيرٌ ذو عيالٍ وحاجةٍ قد عَرَفتَها، فامنُنْ عليَّ صلَّى الله عليك، فمَنَّ عليه رسولُ الله ﷺ.

فقال له صفوانُ بن أُميّة: يا أبا عَزّةَ، إنّك امرُؤٌ شاعرٌ، فأَعِنّا بلسانك، فاخرُجْ معنا، فقال: إنَّ محمّداً قد مَنَّ عليَّ، فلا أُريدُ أن أُظاهرَ عليه، قال: بَلَى، فأَعِنّا بنفسِك، فلكَ اللهُ عليَّ إن رَجَعتَ أن أُغنِيَك[٣]، وإن أُصِبتَ أن أجعلَ بناتِك مع بناتي، يُصيبُهنَّ ما أصابهنَّ من عُسرٍ ويُسرٍ. فخرج أبو عَزّةَ يسيرُ في تِهامةَ ويدعو بني كِنانةَ ويقول:

أيا[٤] بني عبدِ مَناةَ الرُّزّامْ أنتُمْ حُمَاةٌ وأَبوكم حامْ

---

(١) الأحابيش: من اجتمع إلى قريش وانضمَّ إليهم من غيرهم، وقد سبق تسميتهم عند ابن إسحاق: وهم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهُون بن خزيمة بن مُدرِكة، وبنو المُصطلِق من خُزاعة.

(٢) تهامة: ما انخفض من أرض الحجاز إلى ساحل البحر الأحمر، ومن أهمّ مدنه مكّة وجُدّة وينبُع.

(٣) في (ت) و(ش١) و(ص): أُعينك.

(٤) في نسخة على حاشيتي (ز) و(م): إيهاً.

الرزّام: جمع رازم، وهو الذي يثبت ولا يبرح مكانه، يريد: أنهم يثبتون في الحرب ولا ينهزمون.

لا يَعدُوَنّي[1] نَصرُكم بعدَ العامْ لا تُسلِمُوني لا يَحِلُّ إسلامْ

وخرج مُسافِعُ بن عبد مَناف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَحَ إلى بني مالك بن كِنانةَ، يُحرِّضُهم ويَدعُوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، فقال:

يا مالِ، مالِ[2] الحَسَبِ المُقدَّمِ أَنشُدُ ذا القُربَى وذا التَّذمُّمِ
مَن كان ذا رُحْمٍ ومَن لم يَرحَمِ أَلْحِلفَ وَسْطَ البلدِ المُحرَّمِ
عند حَطيمِ الكعبةِ المعظَّمِ

ودعا جُبَيرُ بن مُطعِمٍ غلاماً له حَبَشيّاً يقال له: وَحْشيٌّ، يَقذِفُ بحَرْبة له قَذْفَ الحَبَشة، قَلَّما يخطئُ بها، فقال له: اخرُجْ مع النّاس، فإن أنتَ قتلتَ حمزةَ عمَّ محمّدٍ بعمِّي طُعَيمةَ بن عَديٍّ، فأنت عَتِيق.

قال: فخرجت قريشٌ بحَدِّها وجِدِّها[3] وأحابيشِها، ومَن تابَعَها من بني كِنانة وأهل تِهامة، وخرجوا معهم بالظُّعُنِ التِماسَ الحَفِيظةِ[4] وألّا يَفِرُّوا، فخرج أبو سفيانَ بن حَرْبٍ ـ وهو قائدُ الناس ـ معه بهندٍ ابنة عُتْبة، وخرج عِكْرمةُ بن أبي جهل بأمِّ حَكيمٍ بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وخرج الحارثُ بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت

---

(١) في (ز) و(ش١): لا تَعِدُوني نصرَكم، من الوعد، ومعنى: لا يَعدُوَنّي: لا يتجاوز ولا يتعدّى هذا العام، يريد: لا يتأخر.

(٢) في (ت): يا مال يا ذا.

وقوله: يا مالِ، أراد: يا مالك، فحذف الكاف للترخيم. وأَنشدُ ذا القربى، أي: أطلب من قرابتي وأسألهم الحِلفَ الذي بيننا. وذو التذمُّم: الذي له ذِمامٌ، أي: عهد.

(٣) هكذا في (ز) و(ص) و(م)، والحَدّ: الغضب، والجِدّ: الاجتهاد، وفي (ت) و(ي) ونسخة في (ز): بحدِّها وحديدها، والحديد: يعني به السلاح بأنواعه.

(٤) الظُّعن: النساء في الهوادج على الإبل، مفردها: ظَعِينة. والحَفيظة: الأَنَفة والغضب.

الوليد بن المغيرة، وخرج صفوانُ بن أُميّة ببَرْزةَ بنت مسعود بن عمرو بن عُميرٍ الثَّقَفيّة، وهي أمُّ عبد الله بن صفوانَ.

قال ابن هشام: ويقال: رُقيَّة.

قال ابن إسحاق: وخرج عمرُو بن العاصِ برَيْطةَ بنت مُنبِّه بن الحَجّاج، وهي أمُّ عبد الله بن عمرو، وخرج طلحةُ بن أبي طلحةَ ـ وأبو طلحة عبدُ الله بن عبد العُزَّى ابن عثمانَ بن عبد الدّار ـ بسُلَافةَ بنت سعد بن شُهَيدٍ الأنصاريّة[1]، وهي أُمّ بني طلحةَ مُسافِعٍ والجُلَاسِ وكِلابٍ، قُتِلوا يومئذٍ هم وأبوهم، وخرجت خُنَاسُ بنت مالك بن المُضرِّبِ إحدى نساءِ بني مالك بن حِسْلٍ مع ابنها أبي عَزيزِ بن عُميرٍ، وهي أمُّ مُصعَب بن عُميرٍ، وخرجت عَمْرةُ بنتُ عَلقَمة إحدى نساءِ بني الحارث بن عبد مَنَاة بن كِنانة.

وكانت هندٌ بنتُ عُتْبة كلَّما مَرَّت بوَحْشيٍّ أو مَرَّ بها، قالت: وَيْهاً أبا دُسْمةَ[2]، اشفِ واشتَفِ[3]، وكان وحشيٌّ يُكنى بأبي دُسْمةَ، فأقبَلوا حتّى نَزَلوا بعَينَينِ بجبلٍ ببطنِ السَّبَخةِ من قَناةَ على شَفِير الوادي[4] مقابلَ المدينة.

---

(١) هي من بني عمرو بن عوف من الأَوس، وكان الأَولى بابن إسحاق أن يصفها بالأوسية لا بالأنصارية، إذ إنها لم تَنصُر ولم تُسلِم إلا فيمن أسلم من أهل مكة يوم الفتح في قول محمد بن حبيب البغدادي في «المحبَّر» ٤١٠، ولها ذكرٌ في «مغازي الواقدي» في فتح مكة كما قال ابن حجر في «الإصابة» ٧/ ٧٠٢.

(٢) ويهاً: كلمة معناها الإغراء والتحضيض.

وأبو دُسْمة: بضم الدال، هكذا قيّده أهل اللغة، والدُّسمة: السواد، وجاء مقيَّداً في نسخنا الخطية بالتحريك: دَسَمة، غير (ز) ففيها: دَسْمة.

(٣) في (ز): اشف واستشف، وفي حاشيتها نسخة كالمثبت من بقية النسخ.

(٤) شفير الوادي: حافته وجانبه. =

فلمّا سمع بهم رسولُ الله ﷺ والمسلمون قد نَزَلوا حيثُ نَزَلوا، قال رسولُ الله ﷺ للمسلمين: «إنِّي قد رأَيتُ واللهِ خيراً، رأيتُ بَقَراً[1]، ورأيتُ في ذُبابِ سيفي ثَلْماً، ورأيتُ أنّي أَدخَلتُ يدي في دِرعٍ حَصينةٍ فأوَّلتُها المدينةَ»[2].

= وأمّا عَينَين، كتثنية عَينٍ: فهو الذي يقال له: جبل الرُّماة، وهو جبل صغير يقع بجانب جبل أُحد، على حافَة وادي قناة الجنوبية، شمال المسجد النبوي على قرابة ٣ كم.

والسَّبَخة، بتحريك الباء وتسكينها: أرضٌ تربتها فيها ملوحة ونزٌّ ماءٍ، وتبدأ هذه السَّبخة من جبل عَينَين وجُرف قناةَ باتجاه سَلْع، وقد عُمِرَت اليوم فصارت حيّاً يسمَّى حيّ الشهداء، نسبة إلى شهداء أُحد. قاله البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢١٩.

(١) في (ش١) ونسخة على حاشية (ز): بقراً لي تُذبَح.

وذُباب السيف: حدُّ طرف السيف. والثَّلم: الكَسر.

(٢) حديث صحيح لغيره.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» ص٣٢٤، وعند الطبري في «تفسيره» ٦/ ٩-١٠، وابن المنذر في «تفسيره» (٩٧٤)، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٢٥-٢٢٦ من طرق عن ابن إسحاق، بأسانيده المرسلة المذكورة في أول خبر أُحد.

وأخرج أحمد (٢٤٤٥)، والحاكم (٢٦٢٠) من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس قال: تنفَّل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفَقَار يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أُحد، فقال: «رأيتُ في سيفي ذي الفَقَار فَلّاً، فأوّلتُه فَلًّا يكون فيكم، ورأيتُ أني مُردِفٌ كبشاً، فأوّلتُه كبشَ الكَتِيبة، ورأيتُ أني في دِرعٍ حصينة، فأوّلتُها المدينةَ، ورأيت بَقَراً تُذبَح، فبَقْرٌ واللهُ خيرٌ، فبَقْرٌ واللهُ خيرٌ»، فكان الذي قال رسول الله ﷺ. وإسناده حسن.

وكبش الكتيبة: سيّدهم، والكَتيبة: القطعة العظيمة من الجيش. والبَقْر: شَقُّ البطن.

وقد رُوِيَت هذه الرؤيا بنحوها من حديث أبي موسى الأشعري عند البخاري (٣٦٢٢) ومسلم (٢٢٧٢).

ومن حديث جابر بن عبد الله عند أحمد (١٤٧٨٧) والنسائي في «الكبرى» (٧٦٠٠)، وإسناده صحيح.

قال ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهل العلم أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «رأيتُ بَقَراً لي تُذبَحُ، قال: فأمّا البَقَرُ، فهي ناسٌ من أصحابي يُقتَلون، وأمّا الثَّلْمُ الَّذي[1] في ذُبابِ سيفي، فهو رجلٌ من أهلِ بيتي يُقتَلُ».

قال ابن إسحاق: «فإن رأيتُم أن تُقِيموا بالمدينةِ وتَدَعُوهم حيثُ نَزَلوا، فإنْ أَقاموا أَقاموا بشَرِّ مُقامٍ، وإنْ هم دَخَلوا علينا قاتَلْناهم فيها»[2].

وكان رأيُ عبد الله بن أُبيِّ ابنِ سَلُولَ مع رأي رسول الله ﷺ؛ يَرَى رأيَه في ذلك أن لا يَخرُجَ إليهم، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروجَ، فقال رجالٌ من المسلمين ممَّن أكرَمَ اللهُ بالشّهادة يومَ أُحدٍ وغيرِه ممَّن كان فاتَهُ بدرٌ: يا رسولَ الله، اخرُجْ بنا إلى أعدائنا، لا يَرَونَ أنّا جَبُنّا عنهم وضَعُفْنا، فقال عبدُ الله بن أُبيٍّ: يا رسول الله، أَقِمْ بالمدينة لا تَخرُجْ إليهم، فواللهِ ما خرجنا منها إلى عدوٍّ لنا قَطُّ إلّا أصابَ منّا، ولا دَخَلَها علينا إلّا أصَبْنا منه، فدَعْهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشَرِّ مَحبِسٍ، وإن دَخَلوا قاتَلَهم الرّجالُ في وجوهِهم، ورَمَاهم النّساءُ والصِّبيانُ بالحجارة من فوقِهم، وإن رَجَعوا رَجَعوا خائبينَ كما جاؤوا.

فلم يَزَلِ النّاسُ برسول الله ﷺ الّذين كان من أمرِهم حُبُّ لقاءِ القوم حتّى دخل رسولُ الله ﷺ فلَبِسَ لَأْمَتَه[3]، وذلك يومَ الجُمُعة حين فَرَغَ من الصّلاة، وقد مات في ذلك اليوم رجلٌ من الأنصار يقال له: مالكُ بن عمرٍو أحدُ بني النَّجّار، فصَلَّى عليه رسولُ الله ﷺ، ثمّ خرج عليهم وقد نَدِمَ النّاسُ وقالوا: استَكرَهْنا رسولَ الله، ولم يكن لنا ذلك، فلمّا خرج عليهم رسولُ الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، استَكرَهْناك ولم

(١) في (ز) و(غ): الذي رأيت.

(٢) صحيح لغيره، وقد روي معناه أيضاً في حديثَي ابن عباس وجابر السابق ذكرهما.

(٣) اللأمة: الدِّرع. وقيل: هي مجموع سلاحه.

يكن ذلك لنا، فإن شِئتَ فاقعُدْ صَلَّى اللهُ عليك، فقال رسول الله ﷺ: «ما يَنبَغي لنبيٍّ إذا لَبِسَ لأْمَتَه أن يَضَعَها حتّى يُقاتِلَ»[1].

فخرج رسولُ الله ﷺ في ألفٍ من أصحابه.

قال ابن هشام: واستَعمَل ابنَ أمِّ مكتومٍ على الصلاة بالناس.

قال ابن إسحاق: حتّى إذا كانوا بالشَّوْطِ[2] بين المدينة وأُحد، انخَزَلَ عنه عبدُ الله ابن أُبيٍّ بثُلُثِ الناس وقال: أطاعهم وعَصاني، ما ندري عَلَامَ نقتلُ أنفُسَنا هاهنا أيّها الناسُ، فرجع بمَن اتّبَعَه من قومه من أهل النِّفاق والرَّيب، واتّبَعَهم عبدُ الله بن عمرو بن حَرَامٍ أخو بني سَلِمةَ يقول: يا قومِ، أُذكِّرُكم اللهَ ألّا تَخذُلوا قومَكم ونبيَّكم عند ما حَضَرَ من عدوِّهم، قالوا: لو نعلمُ أنّكم تُقاتِلون لَمَا أسلَمْناكم، ولكنّا لا نَرَى أنه يكون قتالٌ، قال: فلمّا استَعصَوْا عليه وأبَوْا إلّا الانصرافَ عنهم قال: أبعَدَكم اللهُ أعداءَ الله، فسيُغْني اللهُ عنكم نبيَّه[3].

قال ابن هشام: وذكرَ غيرُ زيادٍ عن محمّد بن إسحاق عن الزُّهْريّ: أنَّ الأنصار يومَ أُحدٍ قالوا لرسول الله ﷺ: ألا نستعينُ بحُلَفائنا من يهودَ؟ فقال: «لا حاجةَ لنا

---

(١) صحيح لغيره، وهو بنحوه أيضاً في حديثَي ابن عباس وجابر المذكورين سابقاً.

(٢) وموضعه بين وادي قناة وبين المدينة من شرقيّ السَّبَخة ومن أسفل الحَرّة الشرقية، وهناك كان يجري سباقُ الخيل، ولعلَّ لهذا الاسم علاقة به، ولم يعد الاسم معروفاً اليوم. قاله البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص١٧٠-١٧١.

وقوله: انخَزَل، أي: انقطع عن النبي ﷺ وتخلّف عنه.

(٣) فلمّا رجع عبدُ الله بن أُبيٍّ بمن معه، همَّ بنو سَلِمةَ من الخزرج وبنو حارثة من الأوس أن يرجعوا، فعصمهم الله عز وجل من ذلك وبقوا مع رسوله ﷺ، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران:١٢٢]، وستأتي الإشارة إلى هاتين الطائفتين عند المصنف ص١٠٩.

فيهم»[1].

قال زيادٌ: حدّثني محمّدُ بن إسحاقَ قال: ومضى رسولُ الله ﷺ حتّى سَلَكَ في حَرَّة بني حارثة، فذَبَّ فرسٌ بذَنَبِه فأصابَ كُلّابَ سيفٍ[2] فاستَلَّه ـ قال ابن هشام: ويقال: كِلَاب سيفٍ[3] ـ فقال رسولُ الله ﷺ ـ وكان يحبُّ الفأْلَ ولا يَعتافُ[4] ـ لصاحب السَّيف: «شِمْ سيفَك[5]، فإنّي أُرَى السُّيوفَ ستُسَلُّ اليومَ».

ثمّ قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «مَن رجلٌ يَخرُجُ بنا على القومِ من كَثَبٍ ـ أي من

---

(١) حديث صحيح لغيره، ففي الباب ما يشهد لمعناه.

فقد أخرج ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٠٦٨) والحاكم في «المستدرك» (٢٥٩٦) وغيرهما من حديث أبي حُميد الساعدي قال: خرج رسول الله ﷺ يوم أُحد حتى إذا خلَّف ثنيّة الوداع إذا كتيبةٌ قال: «مَن هؤلاء؟» قالوا: بنو قَينُقاع، وهم رهط عبد الله بن سَلَام رضي الله عنه، قال: «وأَسلَموا؟» قالوا: لا، بل هم على دينهم، قال: «قل لهم فليَرجِعوا، فإنّا لا نستعينُ بالمشركين». وإسناده حسن على نكارة في ذكر بني قينُقاع فيه، فإنهم قد أُجلوا قبل غزوة أُحد من المدينة إلى الشام كما تقدم ص١٤، فلعلّ هؤلاء كانوا من غيرهم من اليهود كبني النضير وقُريظة.

وأخرج أحمد (٢٤٣٨٦) ومسلم (١٨١٧) وغيرهما من حديث عائشة: أن رجلاً اتَّبع رسول الله ﷺ لما خرج إلى بدرٍ فقال: أتبعك لأصيب معك، فقال رسول الله ﷺ: «تؤمنُ بالله ورسوله؟» قال: لا، قال: «فإنّا لا نستعينُ بمُشرِك» قال: فقال له في المرة الثانية: «تؤمنُ بالله ورسوله؟» قال: نعم، فانطلق فتبعه.

(٢) ذبَّ بذنبه، أي: حرَّكه ليدفع الذباب عنه. والكُلّاب: الحلقة أو المسمار الذي يكون في مِقبَض السيف.

(٣) هكذا في نسخنا الخطية، ولعله: كَلْب سيف، إذ الكُلّاب والكَلْب فيه بمعنى واحد.

(٤) الفأل: الاستبشار عند سماع الكلام الحسن. ولا يعتاف: لا يتطيّر.

(٥) أي: أغمده، وقد يكون معناه: سُلَّه وجرِّده، وهذا الفعل من الأضداد.

قُربٍ ـ من طريقٍ لا يَمُرُّ بنا عليهم؟» فقال أبو خَيثَمة[1] أخو بني حارثة بن الحارث: أنا يا رسول الله، فنَفَذَ به في حَرّة بني حارثة وبين أموالهم حتّى سَلَكَ في مالٍ لمِربَعِ ابن قَيظيٍّ، وكان رجلاً منافقاً ضريرَ البصر، فلمّا سمعَ حِسَّ رسولِ الله ﷺ ومَن معه من المسلمين، قامَ يَحْثي في وُجوهِهم التُّرابَ ويقول: إن كنتَ رسولَ الله فإنّي لا أُحِلُّ لك أن تَدخُلَ حائطي.

وقد ذُكِرَ لي: أنّه أَخذَ حَفْنةً من تُرابٍ في يده ثمّ قال: والله لو أعلمُ أنّي لا أُصيبُ بها غيرَك يا محمّدُ، لَضَرَبتُ بها وجهَك، فابتَدَرَه القومُ ليَقتُلوه، فقال رسول الله ﷺ: «لا تَقتُلوه، فهذا الأعمَى أعمَى القَلبِ، أعمَى البَصَرِ»، وقد بَدَرَ إليه سعدُ بن زيدٍ أخو بني عبد الأشهَل قبلَ نَهْي رسول الله ﷺ عنه، فضَرَبَه بالقَوْس في رأسه فشَجَّه.

ومضى رسولُ الله ﷺ حتّى نَزَلَ الشِّعبَ من أُحدٍ في عُدْوة الوادي[2] إلى الجبل، فجَعَلَ ظهرَه وعسكرَه إلى أُحد، وقال: «لا يُقاتِلَنَّ أَحدٌ[3] حتّى نأمُرَه بالقتالِ».

وقد سَرَّحَت قريشٌ الظَّهرَ والكُرَاعَ في زُروعٍ كانت بالصَّمْغة من قَناةَ[4] للمسلمين، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسولُ الله ﷺ عن القتال: أتُرعَى زُروعُ بني قَيْلةَ[5] ولمّا نُضارِبْ!

---

(١) هكذا سمّى هذا القائلَ ابنُ إسحاق، وقال فيه بعضهم: أبو حَثْمة، وانظر «الإصابة» لابن حجر ٧/ ٨٥.

(٢) العُدوة: جانب الوادي وحافَتُه.

(٣) في (ز): أحد منكم.

(٤) الظَّهر: الإبل. والكُراع: الخيل. وقناة: اسم الوادي الذي يمرّ بأُحد. والصمغة: أرض زراعية كثيرة العُيون والنخل تعرف اليوم بالعيون.

(٥) بنو قَيلة: هم الأوس والخزرج، وقَيلةُ: أمٌّ من أمهات الأنصار نسبوا إليها.

وتَعبَّى رسولُ الله ﷺ للقتال[1] وهو في سبعِ مئةِ رجلٍ، وأمَّرَ على الرُّماة عبدَ الله ابن جُبَيرٍ أخا بني عمرو بن عوفٍ، وهو مُعلِمٌ يومَئذٍ بثيابٍ بِيضٍ، والرُّماةُ خمسون رجلاً، فقال[2]: «انضَحِ الخيلَ[3] عنّا بالنَّبْلِ، لا يأتُونا من خَلفِنا، إن كانت لنا أو علينا فاثبُتْ مَكانَك، لا نُؤتَيَنَّ من قِبَلِك»[4].

وظاهَرَ رسولُ الله ﷺ بين دِرعَينِ[5]، ودَفَعَ اللِّواءَ إلى مُصعَب بن عُمَيرٍ أخي

---

(١) أي: تهيّأ وهيّأ أصحابه في مواضعهم، يقال: تعبَّى وتعبَّأ.

(٢) في (ش١) و(غ) ونسخة في حاشية (ز): فقال له رسول الله ﷺ.

(٣) أي: ادفعها ورُدَّها عنّا.

(٤) صحيح لغيره، وهو مرويٌّ بأسانيد ابن إسحاق المرسلة المذكورة في أول خبر أُحد، وبعضها يقوّي بعضاً.

وروي أيضاً من حديث البراء بن عازب عند أحمد (١٨٥٩٣) والبخاري (٤٠٤٣) وغيرهما، قال: لَقِينا (يريد المسلمين، ولم يعنِ نفسَه، فإن الراجح أن البراء لم يشهد أُحداً لصغر سنّه) المشركين يومئذ، وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرُّماة، وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير، ووضعهم موضعاً، وقال: «لا تَبْرَحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تَبْرَحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تُعِينونا»، فلما لَقِينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل يرفعن عن سُوقهنَّ قد بدت خلاخلهنّ، فأخذوا يقولون: الغنيمةَ الغنيمةَ، فقال عبد الله بن جبير: عهد إليّ النبيُّ ﷺ أن لا تَبْرَحوا، فأبَوا، فلما أبَوا صَرَفَ وجوههم، فأُصيب سبعون قتيلاً.

ونحوه عن ابن عباس عند أحمد (٢٦٠٩)، والحاكم (٣٢٠١)، وإسناده حسن.

(٥) ظاهر بين درعين، أي: لبس درعاً فوق درع.

وهذا الخبر صحيح لغيره، فقد رُوِيَ أيضاً من حديث الزبير بن العوّام كما سيأتي ص٧٤، وإسناده صحيح.

ومن حديث السائب بن يزيد عند أحمد (١٥٧٢٢)، وأبي داود (٢٥٩٠)، وابن ماجه (٢٨٠٦)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٢٩)، وإسناده صحيح، إلا أنه وقع في رواية أبي داود: السائب بن =

بني عبد الدّار.

قال ابن هشام: وأجازَ رسولُ الله ﷺ يومئذٍ سَمُرةَ بن جُندُبٍ الفَزَاريَّ ورافعَ بن خَدِيجٍ أخا بني حارثة، وهما ابنا خمسَ عشرةَ سنةً، وكان قد رَدَّهما، فقيل له: يا رسول الله، إنَّ رافعاً رامٍ، فأجازَه، فلمّا أجازَ رافعاً قيل له: يا رسول الله، فإنّ سَمُرةَ يَصرَعُ رافعاً، فأجازَه، ورَدَّ رسولُ الله ﷺ أُسامةَ بن زيدٍ، وعبدَ الله بن عمر بن الخَطّاب، وزيدَ بن ثابتٍ أحدَ بني مالك بن النَّجّار، والبَراءَ بن عازِبٍ أحدَ بني حارثة، وعمرَو ابن حَزْمٍ أحدَ بني مالك بن النَّجّار، وأُسَيدَ بن ظُهَيرٍ أحدَ بني حارثة، ثمّ أجازَهم يومَ الخندق وهم أبناءُ خمسَ عشرةَ سنةً.

قال ابن إسحاق: وتَعبّأَت قريشٌ وهم ثلاثةُ آلافِ رجلٍ ومعهم مِئَتا فرسٍ قد جَنَبُوها[1]، فجعلوا على مَيمَنة الخيل خالدَ بن الوليد، وعلى مَيسَرتها عِكْرمةَ بن أبي جهل.

وقال رسولُ الله ﷺ: «مَن يأخُذُ هذا السَّيفَ بحَقِّه؟»، فقام إليه رجالٌ فأمسَكَه عنهم، حتّى قام إليه أبو دُجَانةَ سِمَاكُ بن خَرَشةَ أخو بني ساعدةَ، فقال: وما حَقُّه يا رسول الله؟ قال: «أن تَضرِبَ به العدوَّ حتَّى يَنحَني» قال: أنا آخُذُه يا رسولَ الله بحَقِّه، فأعطاه إيّاه.

وكان أبو دُجَانة رجلاً شجاعاً يَختالُ عند الحربِ إذا كانت، وكان إذا أَعلَمَ بعِصابةٍ له حمراءَ فاعتَصَبَ بها، عَلِمَ النّاسُ أنه سيقاتلُ، فلمّا أخذَ السّيفَ من يد رسول الله ﷺ أخرَجَ عِصابَتَه تلك فعَصَبَ بها رأسَه، ثمّ جَعَلَ يَتَبختَرُ بين الصّفَّينِ.

= يزيد عن رجل سمّاه، وهذا لا يضرُّ في صحّة الحديث، فالسائب صحابيٌّ صغير، ويكون رفعه للحديث إرسالاً من صحابيٍّ، ومرسل الصحابيّ صحيح عند أهل الحديث باتّفاق.

(١) جَنَبوها: قادوها إلى جنوبهم يستعملونها إذا أعيا بعض خيلهم أو قُتل.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني جعفرُ بن عبد الله بن أسلمَ مولى عمر بن الخَطّاب، عن رجلٍ من الأنصار من بني سَلِمةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ حين رأَى أبا دُجَانة يَتَبختَرُ: «إنَّها لَمِشْيةٌ يُبغِضُها اللهُ إلّا في مِثْلِ هذا المَوطِن»[1].

وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنَّ أبا عامرٍ عبدَ عمرو بن صَيْفيّ بن مالك بن

---

(١) خبر أبي دجانة هذا صحيح رُوِيَ أصله من غير وجه.

وأمّا إسناد ابن إسحاق هذا ففيه ضعفٌ لإرساله، فالرجل السَّلَميُّ المبهم هنا: هو معاوية بن معبد بن كعب بن مالك، سمّاه يونسُ بن بكير في روايته عن ابن إسحاق عند البيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٢٣٣-٢٣٤، والخطيب في «المتفق والمفترق» (٧٠٧)، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ٩٦، ومعاوية هذا من صغار التابعين، وقد جهله ابن معين وابن أبي حاتم وذكره ابن حبان في «ثقاته»، لكن خبره هذا في قصة أبي دجانة مقبول لشواهده.

فقد أخرج أحمد (١٢٢٣٥)، ومسلم (٢٤٧٠) من حديث أنس: أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أُحد فقال: «من يأخذ هذا السيفَ؟» فأخذه قوم فجعلوا ينظرون إليه، فقال: «من يأخذُه بحقِّه؟» فأَحجم القوم، فقال أبو دُجانة سماك: أنا آخذه بحقِّه، فأخذه ففَلَقَ هامَ المشركين.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (٦٥٠٨) ـ وعنه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٦٤٢) ـ من حديث خالد بن سليمان بن عبد الله بن خالد بن سماك بن خَرَشة، عن أبيه، عن جدِّه: أن أبا دجانة يوم أُحد أَعلَمَ بعصابة حمراء، فنظر إليه رسول الله ﷺ وهو يختال في مِشيته بين الصفَّين، فقال: «إنها مِشيةٌ يبغضها الله إلا في هذا الموضع». قال الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» ٦/ ١٠٩: فيه من لم أعرفه.

وأخرج أبو نعيم أيضاً (٦٥٧١)، والبيهقي في «سننه الكبرى» ٩/ ١٥٥ من حديث أبي إسحاق السَّبيعي قال: سمعت هُنيدةَ رجلاً من خُزاعة قال: قال رسول الله ﷺ: «من يأخذ هذا السيف بحقِّه؟» قال: فقال رجل: أنا، قال: فأخذه فلمّا لقي العدوَّ جعل يقول؛ وذكر البيتين الآتيين عن أبي دجانة إلا أنه لم يسمِّه. ورجاله ثقات، وهنيدة ـ وهو ابن خالد الخُزاعي ـ مختلف في صحبته.

وانظر حديث الزبير بن العوام الآتي قريباً في قصة أبي دجانة أيضاً.

النُّعمانِ[1] أحدَ بني ضُبَيعةَ، وقد كان خرج حين خرج إلى مكّة مُباعِداً لرسول الله ﷺ معه خمسون غُلاماً من الأَوس، وبعضُ النّاس كان يقول: كانوا خمسةَ عشرَ رجلاً، وكان يَعِدُ قريشاً أنْ لو قد لَقِيَ قومَه لم يَختلِفْ عليه منهم رجلان، فلمّا التَقَى النّاسُ كان أوّلَ مَن لَقِيَهم أبو عامرٍ في الأَحابيشِ وعُبْدانِ أهلِ مكّة، فنادى: يا مَعشَرَ الأَوس، أنا أبو عامرٍ، قالوا: فلا أَنعَمَ اللهُ بك عَيناً يا فاسقُ ـ وكان أبو عامرٍ يُسمَّى في الجاهليّة الرّاهبَ، فسمّاهُ رسولُ الله ﷺ الفاسقَ ـ فلمّا سمعَ رَدَّهم عليه قال: لقد أصابَ قومي بعدي شرٌّ، ثمّ قاتَلَهم قتالاً شديداً، ثمّ راضَخَهم بالحجارة[2].

قال ابن إسحاق: وقد قال أبو سفيانَ لأصحاب اللِّواءِ من بني عبد الدّار يُحرِّضُهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدّار، إنّكم قد وَلِيتُم لواءَنا يومَ بدرٍ فأصابَنا ما قد رأيتُم، وإنّما يُؤتَى النّاسُ من قِبَلِ راياتهم، إذا زالت زالُوا، فإمّا أن تَكفُونا لواءَنا، وإمّا أن تُخَلُّوا بيننا وبينه فنَكفِيكُموه، فهَمُّوا به وتواعَدُوه وقالوا: نحن نُسلِمُ إليك لواءَنا؟! ستعلمُ غداً إذا التَقَينا كيف نَصنَعُ! وذلك أرادَ أبو سفيان.

فلمّا التَقَى النّاسُ ودَنَا بعضُهم من بعضٍ، قامت هندٌ بنت عُتْبة في النِّسوة اللّاتي معها، وأَخَذْنَ الدُّفوفَ يَضرِبنَ بها خلفَ الرِّجال ويُحرِّضنَهم، فقالت هندٌ فيما تقول:

---

(١) كذا وقع لابن إسحاق مقلوباً، ولغيره من أهل النسب والأخبار: صيفي بن النعمان بن مالك.

(٢) راوي هذا الخبر عاصم بن عمر بن قتادة أنصاريٌّ من الأوس وهم رهط أبي عامر هذا، وكان عاصمٌ ثقة عالماً بالمغازي والسير.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥١١-٥١٢ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، عن ابن إسحاق، به.

قوله: راضخهم بالحجارة، أي: راماهم بها، من الرَّضخ: وهو الشَّدخ والكسر.

وَيهاً بني عبدِ الدّارْ وَيهاً حُماةَ الأدبارْ[1]
ضَرباً بكلِّ بَتّارْ[2]

وتقول:

إن تُقبِلوا نُعانِقْ ونَفرِشِ النَّمارِقْ[3]
أو تُدبِروا نُفارِقْ فِراقَ غيرِ وامِقْ[4]

وكان شِعارُ[5] أصحاب رسول الله ﷺ يومَ أُحدٍ: أَمِتْ أَمِتْ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فاقتتل الناسُ حتّى حَمِيَت الحربُ، وقاتَلَ أبو دُجَانةَ حتّى أمعَنَ في الناس[6].

قال ابن هشام: حدّثني غيرُ واحدٍ من أهل العلم: أنّ الزُّبَيرَ بن العَوّام قال: وَجَدتُ في نفسي حين سألتُ رسولَ الله ﷺ السَّيفَ فمَنَعَنِيهِ وأعطاه أبا دُجَانة، وقلت: أنا ابنُ

---

(١) وَيهاً: كلمة تقال للإغراء والتحضيض. وحماة الأدبار، أي: الذين يحمون ظهور وأعقاب الناس.

(٢) البتّار: القاطع، تريد السيف.

(٣) النمارق: جمع نُمْرُقة، وهي الوسادة الصغيرة.

(٤) الوامق: المحبّ.

وزاد محمد بن سلمة الحرّاني عن ابن إسحاق ـ كما في النسخة المطبوعة من «سيرة ابن إسحاق» ص٣٢٧ ـ في أول هذا الرَّجَز: نحن بنات طارق، فيُقال ـ كما في «الروض» للسهيليّ ٥/ ٤٥٥ ـ: إن هنداً تمثَّلت بهذا الرَّجز، وإنه لهند بنت طارق بن بَيَاضة الإياديّة، قالته في حرب الفُرس لإياد.

(٥) الشعار هنا: علامة ينادون بها في الحرب، ليعرف بعضهم بعضاً إذا اضطربت الصفوف وتداخل الناس ببعضهم.

(٦) أي: بالغ واشتدّ في قتالهم.

صَفيَّةَ عمّتِه، ومن قريشٍ، وقد قمتُ إليه فسألتُه إيّاه قبلَه، فأعطاه إيّاه وتَرَكَني، والله لَأنظُرَنَّ ما يَصنَعُ، فاتّبَعتُه فأخرجَ عِصابةً له حمراءَ فعَصَبَ بها رأسَه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دُجَانة عِصابةَ الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تَعصَّبَ بها، فخرج بها وهو يقول:

أنـا الّـذي[1] عاهَـدَني خَلِيلـي ... ونحـنُ بالسَّـفحِ لَـدَى النَّخيـلِ

ألّا أقـومَ الـدّهرَ في الكُبُـولِ[2] ... أَضـرِبْ بسـيفِ اللهِ والرَّسـولِ

قال ابن هشام: ويُروى: في الكَيُّول[3].

الكَيُّول: أُخرَياتُ الصفوف، فيما قال ابن هشام[4].

قال[5]: فجَعَلَ لا يَلقَى أَحداً إلّا قتله، وكان في المشركين رجلٌ لا يَدَعُ لنا جريحاً إلّا ذَفَّفَ عليه[6]، فجعل كلُّ واحدٍ منهما يَدنُو من صاحبِه، فدَعَوتُ اللهَ أن يَجمَعَ بينهما، فالتَقَيا فاختَلَفا ضربتَينِ، فضربَ المشركُ أبا دُجَانة فاتَّقاه بدَرَقَتِه[7] فعَضَّت

(١) في (ت): إني امرؤٌ. والسَّفح: جانب الجبل عند أصله.

(٢) الكُبول: القيود، جمع كَبْل.

(٣) في الكيّول، أي: في مؤخَّر الصفوف، وهو فَيعُول، من كالَ الزَّنْدُ (أي: القدّاحة تُشعِل النار) يَكيل كَيلاً، إذا كَبَا ولم يخرج ناراً، فشُبِّه مؤخَّر الصفوف به، لأن من كان فيه لا يقاتل. قاله ابن الأثير في «النهاية»، قال أبو عبيد في «غريب الحديث» ٢/ ٢٤٦: ولم أسمع هذا الحرف إلا في هذا الحديث.

(٤) هذه الفِقرة ليست في (غ)، ولا في أصل (ز) بل هي في حاشيتها من نسخة.

(٥) في طبعة السقا وصاحبيه: قال ابن إسحاق، وهو خطأ، فهذا تابع لقول الزبير الذي من رواية ابن هشام.

(٦) أي: أجهَزَ عليه وأسرع قتله.

(٧) الدَّرقة: تُرس من جلدٍ.

بسيفه، وضربه أبو دُجَانة فقتله، ثمّ رأيتُه قد حَمَلَ السَّيفَ على مَفرِقِ رأس هندٍ بنت عُتْبة ثمّ عَدَلَ السّيفَ عنها، قال الزُّبيرُ: فقلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم.

قال ابن إسحاق: وقال أبو دُجَانة: ورأيت إنساناً يَحمِشُ الناسَ حَمْشاً شديداً[1]، فصَمَدتُ له، فلمّا حَمَلتُ عليه السّيفَ وَلْوَلَ[2]، فإذا امرأةٌ، فأكرمتُ سيفَ رسول الله ﷺ أن أضربَ به امرأةً[3].

وقاتَلَ حمزةُ بن عبد المطَّلِب حتّى قَتَل أَرْطاةَ بن عبدِ شُرَحبيلَ بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار، وكان أحدَ النَّفَر الذين يَحمِلون اللِّواءَ، ثمّ مَرَّ به سِباعُ بن عبد العُزَّى الغُبْشاني، وكان يُكْنى بأبي نِيَارٍ، فقال له حمزةُ: هَلُمَّ إليَّ يا ابنَ مُقطِّعةِ البُظُور[4]؛ وكانت أمُّه أمُّ أَنمارٍ مولاةَ شَرِيق بن عمرو بن وهبٍ الثَّقَفيّ ـ قال ابن هشام: شَرِيقٌ أبو الأخنَسِ بن شَرِيق[5] ـ وكانت خَتّانةً بمكّة، فلمّا التَقَيا ضربه حمزةُ فقتله.

---

(١) قال السهيليُّ في «الروض» ٥/ ٤٥٨-٤٥٩: يروى بالشين وبالسين، فالمعنى بالسين غير معجمة في هذا المكان: الشِّدّة، كأنه قال: يشدُّهم ويشجِّعهم، لأنه يقال: رجلٌ أَحمسُ، أي: شجاع شديد، والمعنى فيه بالشين معجمة: الإيقاد والإغضاب، لأنه يقال: أحمشتُ النارَ، أوقدتُها، وحَمَشتُ الرجلَ وأحمشتُه: أغضبتُه.

(٢) قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٢٠: يقال: وَلوَلَت المرأةُ، إذا قالت: يا وَيلَها، هذا قول أكثر اللُّغويّين، وقال ابن دُريد: الوَلوَلة: رفع المرأة صوتها في فرح أو حزن.

(٣) حديث الزبير هذا في قصة أبي دجانة حديث حسنٌ، فقد أخرجه الحاكم (٥٠٨٩) وغيره بإسناد حسن عن عروة بن الزبير عن أبيه.

(٤) جمع بَظْر: وهي لحمة ناتئة في أعلى فرج المرأة.

(٥) قول ابن هشام هذا من (غ) وحاشية (ز).

والأخنس هذا كان حليفاً لبني زُهرة، وهو الذي رجع بهم من الجُحْفة فلم يشهدوا بدراً مع مشركي قريشٍ، انظر ذلك فيما تقدم ٢/ ٣١٦.

قال وَحْشيٌّ غلامُ جُبَير بن مُطعِم: والله إنّي لَأنظُرُ إلى حمزة يَهُدُّ النّاسَ[1] بسيفه ما يُلِيقُ شيئاً مِثلَ الجملِ الأَورَقِ[2]، إذ تَقدَّمَني إليه سِباعٌ، فقال له حمزةُ: هَلُمَّ إليَّ يا ابنَ مُقطِّعةِ البُظُور، فضربه ضربةً فكأنّما أخطأَ رأسَه، وهَزَزتُ حَرْبَتي حتّى إذا رَضِيتُ منها دَفَعتُها عليه، فوَقَعَت في ثُنّتِه[3] حتّى خَرَجَت من بين رِجلَيه، فأقبَلَ نحوي، فغُلِبَ فوَقَعَ، وأمهَلتُه حتّى إذا مات جئتُ فأخذتُ حَرْبتي، ثمّ تَنحَّيتُ إلى العسكر ولم تكن لي بشيءٍ حاجةٌ غيرَه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن الفضل بن عبّاس بن رَبيعة بن الحارث، عن سليمانَ بن يَسارٍ، عن جعفر بن عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ قال: خرجتُ أنا وعُبَيدُ الله ابن عَديّ بن الخِيَار، أخو بني نَوفَل بن عبد مَنافٍ، في زمان معاويةَ بن أبي سفيان، فأدرَبْنا مع النّاسِ[4]، فلمّا قَفَلْنا مَرَرْنا بحِمصَ ـ وكان وحشيٌّ مولى جُبَير قد سَكَنَها وأقام بها ـ فلمّا قَدِمْناها قال لي عبيدُ الله بن عَديٍّ: هل لك في أن نأتِيَ وحشيّاً فنَسألَه عن قتل حمزةَ كيف قَتَلَه؟ قال: قلت له: إن شِئتَ. فخرجنا نسألُ عنه بحِمصَ، فقال لنا رجلٌ ونحن نسألُ عنه: إنّكما ستَجِدانِه بفِناءِ دارِه، وهو رجلٌ قد غَلَبَت عليه الخمرُ، فإن تَجِداهُ صاحياً تَجِدَا رجلاً عربيّاً، وتَجِدَا عنده بعضَ ما تريدانِ، وتُصِيبا

---

(١) هكذا في (ت) و(غ) و(ي) بالمهمَلة، وفي (ز) و(ش١) و(ص) و(م): يهذّ، بذالٍ، وكذلك في الموضع الآتي قريباً، قال الخشنيّ: من رواه بالذال المعجمة فمعناه: يسرع في قطع لحوم الناس بسيفه، ومن رواه بالدال المهملة فمعناه: يُردِيهم ويُهلِكهم.

(٢) ما يُلِيق: ما يُبقي. والأَورق: الذي يضرب لونه إلى الغُبْرة.

(٣) الثُّنّة: ما بين أسفل البطن إلى العانة.

(٤) أي: اجتزنا الدُّروب، وهي الطرق والمسالك، وأراد هنا الطرق المؤدّية إلى بلاد الروم لغزوهم.

عنده ما شئتُما من حديثٍ تسألانِه عنه، وإن تَجِداهُ وبه بعضُ ما يكون به، فانصَرِفا عنه ودَعَاه، قال: فخرجنا نمشي حتّى جِئناهُ، فإذا هو بفِناءِ داره على طِنفِسَةٍ له[1]، وإذا شيخٌ كبيرٌ مثلُ البُغَاث ـ قال ابن هشام: مثل البُغَاثة، وهي ضربٌ من الطَّير[2] ـ وإذا هو صاحٍ لا بأسَ به.

قال: فلمّا انتَهَينا إليه سَلَّمْنا عليه، فرَفَعَ رأسَه إلى عُبيد الله بن عَديٍّ فقال: ابنٌ لعَديِّ بن الخِيَارِ أنتَ؟ قال: نعم، قال: أما واللهِ ما رأيتُك منذُ ناوَلتُك أُمَّك السَّعدِيَّةَ الّتي أرضَعَتْك بذي طُوًى[3]، فإنّي ناوَلتُكَها وهي على بعيرِها فأخذتُك بعُرْضَتِك[4] فلَمَعَت لي قَدَماكَ حين رَفَعتُك إليها، فوالله ما هو إلّا أن وَقَفتَ عليَّ فعرفتُهما.

قال: فجَلَسنا إليه فقلنا: جِئناكَ لتُحدِّثَنا عن قتلِك حمزةَ كيفَ قتلتَه؟ فقال: أمَا إنّي سأُحدِّثُكما كما حدَّثتُ رسولَ الله ﷺ حين سألَني عن ذلك؛ كنتُ غلاماً لجُبَير ابن مُطعِمٍ، وكان عمُّه طُعَيمةُ بن عَديٍّ قد أُصيبَ يومَ بدرٍ، فلمّا سارَتْ قريشٌ إلى أُحدٍ قال لي جُبَيرٌ: إن قتلتَ حمزةَ عمَّ محمّدٍ بعمِّي، فأنت عَتيقٌ.

قال: فخرجتُ مع النّاس، وكنتُ رجلاً حَبَشيّاً أَقذِفُ بالحَرْبة قَذْفَ الحَبَشة، قَلَّما أُخطِئُ بها شيئاً، فلمّا التَقَى النّاسُ خرجتُ أنظُرُ حمزةَ وأتَبصَّرُه حتّى رأيتُه في

---

(١) الطّنفسة: بساط له خَمْل رقيق.

(٢) البُغاث من الطير: ما لا يصيد ولا يُرغَب في صيده لأنه لا يؤكل.

(٣) هو وادٍ من أودية مكة في شمالها، كلُّه معمور اليوم، فيه عدّة أحياء من أحياء مكة.

(٤) في (ت) و(ص) و(غ): بعُرصتك، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٢٠-٢٢١: من رواه هكذا، فالعُرْضة: الجِلد الذي يكون فيه الصبيُّ إذا أُرضع ويُربَّى فيه، ومن رواه «بعُرْصتك» بالصاد المهملة فمعناه: أنه رفعه إليها بالثوب الذي كان تحته، ومن رواه «بعُرضَيك» فمعناه: بجانبَيك، وعُرْض الشيء، بضمّ العين: جانبه.

عُرْضِ الناس مِثلَ الجَمَلِ الأَورَقِ، يَهُدُّ النّاسَ بسيفه هَدّاً، ما يقومُ له شيءٌ، فواللهِ إنّي لَأتهيَّأُ له أُريدُه وأستَتِرُ منه بشجرةٍ أو حجرٍ ليَدنُوَ منّي، إذ تَقدَّمَني إليه سِباعُ بن عبد العُزَّى، فلمّا رآه حمزةُ قال له: هَلُمَّ إليَّ يا ابنَ مُقطِّعةِ البُظُور، قال: فضربه ضربةً كأنَّما أخطأَ رأسَه، قال: وهَزَزتُ حَرْبتي حتّى إذا رَضِيتُ منها دَفَعتُها عليه، فوَقَعَت في ثُنَّتِه حتى خرجت من بين رجليه، وذهبَ ليَنُوءَ[1] نحوي فغُلِبَ، وتَرَكتُه وإيَّاها حتّى مات ثمّ أتيتُه فأخذتُ حَرْبتي، ثمّ رجعتُ إلى العسكر فقَعَدتُ فيه، ولم يكن لي بغيره حاجةٌ، وإنّما قتلتُه لأُعتَقَ، فلمّا قَدِمتُ مكّةَ عَتَقتُ[2]، ثمّ أقَمتُ حتّى إذا افتَتَحَ رسولُ الله ﷺ مكّةَ هربتُ إلى الطّائف فكنتُ بها، فلمّا خرج وَفْدُ الطّائفِ إلى رسول الله ﷺ ليُسلِموا تَعَيَّتْ عليَّ المذاهبُ[3]، فقلت: أَلحَقُ بالشّام أو اليمن أو ببعضِ البلاد، فوالله إنّي لَفي ذلك من هَمِّي إذ قال لي رجلٌ: وَيحَك، إنَّه والله ما يقتلُ أحداً من النّاس دخل في دينِه وتَشهَّدَ شهادتَه.

فلمّا قال لي ذلك، خرجتُ حتّى قَدِمتُ على رسول الله ﷺ المدينةَ، فلم يَرُعْهُ إلّا بي قائماً على رأسه أتشهَّدُ شهادةَ الحقِّ، فلمّا رآني قال: «أوَحْشيٌّ؟» قلت: نعم يا رسولَ الله، قال: «اقعُدْ فحَدِّثْني كيفَ قَتَلتَ حمزةَ»، قال: فحدَّثتُه كما حدَّثتُكما، فلمّا فَرَغتُ من حديثي قال: «وَيحَك، غَيِّبْ عنِّي وَجهَك، فلا أَرَيَنَّك»، قال: فكنتُ أتَنكَّبُ رسولَ الله ﷺ حيثُ كان لئلّا يَراني، حتّى قَبَضَه اللهُ.

فلمّا خرج المسلمون إلى مُسَيلِمةَ الكذّابِ صاحبِ اليَمَامة[4]، خرجتُ معهم

---

(١) ينوء: ينهض متثاقلاً.

(٢) في (ص) و(م) ونسخة على حاشية (ز): أُعتِقتُ. وكلاهما صحيح.

(٣) تعيَّت عليَّ، أي: لم أعد أهتدِ إلى المذاهب: وهي الطرق التي يُذهَب فيها.

(٤) اليمامة: اسم لإقليم فيه مدن وقرى يقع وسط نجد شرق الجزيرة العربية، من مدنه =

وأخذتُ حَرْبَتي الّتي قتلتُ بها حمزةَ، فلمّا التَقَى الناسُ رأيتُ مُسيلِمةَ قائماً في يده السّيفُ وما أعرِفُه، فتَهيّأتُ له وتَهيّأَ له رجلٌ من الأنصار من الناحية الأُخرى، كِلَانا يريدُه، فهَزَزتُ حَرْبتي حتّى إذا رَضِيتُ منها دَفَعتُها عليه فوَقَعَت فيه، وشَدَّ عليه الأنصاريُّ فضربه بالسّيفِ، فرَبُّك أعلمُ أيُّنا قَتَلَه، فإن كنتُ قتلتُه، فقد قتلتُ خيرَ النّاس بعدَ رسول الله ﷺ وقد قتلتُ شرَّ النّاس.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن الفضل، عن سليمانَ بن يَسارٍ، عن عبد الله ابن عمر بن الخَطّاب، وكان قد شَهِدَ اليَمَامةَ، قال: سمعتُ يومئذٍ صارخاً يقول: قتله العبدُ الأَسود[1].

قال ابن هشام: فبَلَغَني أنَّ وَحْشيّاً لم يَزَلْ يُحَدُّ في الخمر حتّى خُلِعَ من الدِّيوان[2] فكان عمرُ بن الخَطّاب يقول: قد علمتُ أنَّ الله لم يكن ليَدَعَ قاتلَ حمزة.

قال ابن إسحاق: وقاتَلَ مُصعَبُ بن عُميرٍ دونَ رسول الله ﷺ حتّى قُتِل، وكان الّذي قتله ابنُ قَمِئَةَ اللَّيثيُّ وهو يظنُّ أنّه رسولُ الله ﷺ، فرجع إلى قريشٍ فقال:

= الرياض والعُيينة والدَّرعية، ويُدعَى اليوم: العارض، وأصبحت اليمامة اليوم محصورة في بلدة صغيرة تقع في منطقة الخَرْج جنوب شرقيّ مدينة الرِّياض على قرابة ٨٠ كم.

أما مكان معركة اليمامة الفاصلة التي قُتل فيها مسيلمة الكذاب فهو في عَقرباء، وهو موضع في بلدة الجُبَيلة اليوم التي تقع شمال مدينة الرياض على قرابة ٤٠ كم.

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه بطوله أحمد (١٦٠٧٧)، والبخاري (٤٠٧٢)، وابن حبان (٧٠١٧) من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشُون، عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، بهذا الإسناد.

(٢) الديوان: الكتاب يُكتَب فيه أهل الجيش وأهل العطيّة، والمراد بخلعه منه مع أنّ له قوة ومعرفة بالحرب، أنه لما كثر شربُه للخمر المنافي للمتّقين، عُوقِب بشَطْبه منه. وانظر «شرح المواهب اللدُنّية» للزرقاني ٤/ ٤٦٩.

قتلتُ محمّداً. فلمّا قُتِلَ مصعبُ بن عُميرٍ أَعطى رسولُ الله ﷺ اللِّواءَ عليَّ بن أبي طالب، وقاتَلَ عليُّ بن أبي طالبٍ ورجالٌ من المسلمين.

قال ابن هشام: وحدّثني مَسلَمةُ بن عَلقَمةَ المازِني قال: لمّا اشتدَّ القتالُ يومَ أُحدٍ جَلَسَ رسولُ الله ﷺ تحت رايةِ الأنصار، وأرسَلَ إلى عليِّ بن أبي طالبٍ رِضوانُ الله عليه: أنْ «قَدِّمِ الرَّايةَ»، فتَقدَّمَ عليٌّ، فقال: أنا أبو القُصَم ـ ويقال: أبو الفُصَم[1]، فيما قال ابن هشام ـ فناداه أبو سعد بن أبي طَلْحة، وهو صاحبُ لواءِ المشركين: أنْ هل لك يا أبا القُصَمِ في البِرَازِ من حاجةٍ؟ قال: نعم، فبَرَزا بين الصَّفَّينِ فاختَلَفا ضربتَينِ، فضربه عليٌّ فصَرَعَه، ثمّ انصَرَفَ عنه ولم يُجهِزْ عليه، فقال له أصحابُه: أفلا أَجهزتَ عليه؟! فقال: إنّه استَقبَلَني بعَوْرتِه، فعَطَفَتْني عنه الرَّحِمُ وعَرَفتُ أنَّ الله قد قَتَله[2].

ويقال: إنَّ أبا سعد بن أبي طَلْحةَ خرج بين الصَّفَّينِ فنادى: أنا قاصمٌ، مَن يُبارِزُ؟ مِراراً، فلم يَخرُجْ إليه أحدٌ، فقال: يا أصحابَ محمَّد، زَعَمتُم أنّ قَتْلاكم في الجنّة وأنّ قَتْلانا في النار، كَذَبتُم واللّاتِ، لو تعلمون ذلك حقّاً لخرج إليَّ بعضُكم، فخرج إليه عليُّ بن أبي طالبٍ، فاختَلَفا ضربتَينِ، فضربه عليٌّ فقتله.

---

(١) اضطربت النسخ في تقييد هذين اللفظين، وأصحُّه إن شاء الله ما قيّدناهما به بالاعتماد على ما في نسختي (م) و(ز) والنسخ التي على حاشيتها، الأول بالقاف والثاني بالفاء، وعليهما شرح السهيليُّ في «الروض» ٥/ ٤٦٢ فقال ما ملخَّصه: أبو القُصَم، أي: أبو الدَّواهي العظيمة، والقَصْم: كسرٌ ببينونة (أي: بانفصال)، والفَصْم: كسرٌ بغير بينونة، ككسر القَضيب الرَّطْب ونحوه.

(٢) إسناده ضعيف لإرساله، فإن مسلمة بن علقمة من أتباع التابعين، وهو ليس بذاك القوي، مختلَفٌ فيه كما في «التهذيب» وفروعه.

قال ابن إسحاق: قَتَل أبا سعد بن أبي طلحةَ سعدُ بن أبي وَقّاص[1].

وقاتَلَ عاصمُ بن ثابت بن أبي الأَقلَح، فقتل مُسافِعَ بن طلحةَ وأخاه الجُلَاسَ بن طلحةَ، كلاهما يُشعِرُه سَهماً[2]، فيأتي أُمَّه سُلَافةَ[3] فيَضَعُ رأسَه في حِجْرِها فتقول: يا بُنيَّ، مَن أصابَك؟ فيقول: سمعتُ رجلاً حين رَمَاني وهو يقول: خُذْها وأنا ابنُ أبي الأَقلَح؛ فنَذَرَت إنْ أَمكَنَها اللهُ من رأسِ عاصمٍ أن تَشرَبَ فيه الخمرَ، وكان عاصمٌ قد عاهَدَ اللهَ أن لا يَمَسَّ مشركاً أبداً ولا يَمَسَّه.

وقال عثمانُ بن أبي طلحة يومئذٍ وهو يَحمِلُ لواءَ المشركين:

إنَّ علـى أهـلِ اللِّـواءِ حَقّـا أن يَخضِـبوا الصَّـعْدةَ أو تَنـدَقّا[4]

فقتله حمزةُ بن عبد المطَّلِب.

والْتَقى حَنظَلةُ بن أبي عامرٍ الغَسيلُ وأبو سفيانَ، فلمّا استَعْلاه حَنظَلةُ رآه شدّادُ ابن الأسوَد - وهو ابنُ شَعُوبَ - وقد عَلَا أبا سفيان، فضربه شدّادٌ فقتله، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ صاحِبَكم - يعني حَنظَلةَ - لَتُغسِّلُه الملائكةُ، فسَلُوا أهلَه ما شَأْنُه؟» فسُئِلَت صاحبتُه عنه فقالت: خرج وهو جُنُبٌ حين سمعَ الهاتِفةَ[5].

---

(١) وهذا هو المشهور، فبمثل قول ابن إسحاق قال الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٢٢٧، وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٣٨، وخليفة بن خيّاط في «تاريخه» ص٦٧.

(٢) أي: يصيبه به في جسده، فيصير له مثل الشِّعار، والشِّعار: ما ولي الجسدَ من الثياب.

(٣) سُلافة بنت سعد بن شُهَيد الأوسيّة من بني عمرو بن عوف.

(٤) الصَّعدة: الرمح، ومعنى أن يخضبوه: أن يلوّنوه بلون الدم.

(٥) الهاتفة: الصَّيحة.

وهذا الحديث صحيح، وقد أسنده يحيى بنُ سعيد الأُمويُّ في روايته عن ابن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جدِّه. أخرجه ابن حبان (٧٠٢٥)، =

قال ابن هشام: ويقال: الهائعةُ[1]، والهائعةُ: الصَّيحةُ التي فيها الفَزَعُ.

قال ابن هشام: وجاء في الحديث: «خيرُ النّاسِ رجلٌ مُمسِكٌ بعِنَانِ فرسِه، إذا سمعَ هَيْعةً طارَ إليها»[2].

قال الطِّرِمّاحُ بن حَكيمٍ الطّائيُّ ـ والطِّرِمّاحُ: الطَّويل من الرِّجال ـ:

أنا ابنُ حُمَاةِ المجدِ من آلِ مالكٍ ... إذا جَعَلَت خُورُ الرِّجالِ تَهِيعُ[3]

قال ابن إسحاق: فقال رسولُ الله ﷺ: «لذلكَ غَسَّلَته الملائكةُ»[4].

وقال شدّادُ بن الأسوَد في قتلِه حَنظَلة:

لَأحمِيَنَّ صاحبي ونَفْسي ... بطَعنةٍ مِثلِ شُعاعِ الشَّمسِ

وقال أبو سفيانَ بن حَرْب، وهو يذكرُ صبرَه ذلك اليومَ ومُعاوَنةَ ابن شَعُوبَ إيّاه على حنظلة:

= والحاكم (٤٩٧٩)، واختُلف في المراد بالجدِّ هنا، فقيل: هو عبد الله بن الزبير، وقيل: أبوه الزبير بن العوّام، وسواء كان هذا أم ذاك، فكلاهما صحابيٌّ والرواية عنهما صحيحة، وانظر تمام تخريجه والكلام عليه في «مستدرك الحاكم» طبعة دار الرسالة، ولابن إسحاق فيه إسناد آخر كما هو مبيَّن هناك.

(١) وهي كذلك في رواية الأمويّ عن ابن إسحاق.

(٢) حديث صحيح.

وأخرجه بنحوه أحمد (٩١٤٢) و(٩٧٢٣)، ومسلم (١٨٨٩)، وابن ماجه (٣٩٧٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨٧٧٩)، وابن حبان (٤٦٠٠) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٣) الخُور: جمع خوّار، وهو الضعيف الجبان. وتَهِيع، أي: تَجبُن وتَفزَع.

وهذا البيت من آخر قصيدة طويلة للطرمّاح، انظر «ديوانه» ص١٩٤.

(٤) هو قطعة من الحديث السابق.

ولـو شِـئتُ نَجَّتْني كُمَيـتٌ طِمِـرَّةٌ ... ولـم أَحمِلِ النَّعماءَ لابنِ شَعُوبِ[1]

وما زالَ مُهْري مَزجَرَ الكلبِ منهمُ ... لَـدُنْ غُـدْوةٍ حتّـى دَنَـت لغُـروبِ[2]

أُقـاتِلُهم وأدَّعِـي: يـا لَغالِـبٍ[3] ... وأدفَعُهـم عنّـي بـرُكْنٍ صَـليبِ

فبَكِّـي ولا تَرعَـيْ مَقالَـةَ عـاذِلٍ ... ولا تَسـأَمي مـن عَبْـرةٍ ونَحيـبِ[4]

أبـاكِ وإخوانـاً لـه قـد تَتـابَعوا ... وحُـقَّ لهـم مـن عَبْـرةٍ بنَصـيبِ

وسَلَّى الّذي قد كان في النَّفسِ أنَّني ... قتلـتُ مـن النَّجّـارِ كـلَّ نَجيـبِ[5]

ومـن هاشـمٍ قَرْمـاً كريمـاً ومُصعَبـاً ... وكـان لَـدَى الهَيجـاءِ غيـرَ هَيُـوبِ[6]

ولـو أنّنـي لـم أَشـفِ نفسـيَ مـنهمُ ... لكانت شَجاً في القلبِ ذاتَ نُدُوبِ[7]

فـآبُوا وقـد أَودَى الجَلابِيـبُ مـنهمُ ... بهـم خَـدَبٌ مـن مُعـبَطٍ وكَئيـبِ[8]

---

(١) الطِّمِرّة: الفرس السريعة الوثب.

(٢) مَزجَر الكلب: يريد أنه لم يبعد منهم إلا بمقدار الموضع الذي يُزجَر الكلب فيه. ودنت لغروب، أي: الشمس، وإنما أضمرها ولم يتقدَّم لها ذكرٌ، لأن الغُدْوة دلَّت عليها، والغُدوة: أول النهار.

ولَدُن بمنزلة: عند، ويجوز في غُدْوةَ النصب والجرّ، والجرُّ هو الوجه والقياس كما قال سيبويه في «الكتاب» ١/ ٢١٠، وانظر الكلام عليها بتفصيل في «الروض الأنف» ٥/ ٤٦٤-٤٦٥.

(٣) يعني غالب بن فِهْر، أحد أجداد قريش.

(٤) فبكِّي، أي: ابكي، يخاطب زوجته هنداً. والعاذل: اللّائم.

(٥) سلّى النفسَ، أي: كشف وأذهب الهمَّ منها. والنجيب: الكريم من الرجال.

(٦) القَرْم: الفحل الكريم من الإبل، ويريد به هنا حمزةَ رضي الله عنه. والهيجاء: الحرب.

(٧) الشَّجا: الحزن. والندوب: آثار الجروح، الواحد: نَدْب.

(٨) الجلابيب: جمع جِلْباب، وهو: الإزار الخَشِن، لكن المراد به هنا أصحاب النبي ﷺ، فقد كان المشركون من أهل مكة يسمُّون من أسلم مع رسول الله ﷺ: الجلابيب، يلقِّبونهم =

أصابَهمُ مَن لم يكن لدِمائهمْ كِفاءً ولا في خُطّةٍ بضَريبِ[1]

فأجابَه حسّانُ بن ثابتٍ، فيما ذكرَ ابنُ هشام، فقال[2]:

ذكرتَ القُرومَ الصِّيدَ من آلِ هاشمٍ ولستَ لزُورٍ قلتَهُ بمُصيبِ[3]

أتَعجَبُ أن أقصَدْتَ حمزةَ منهمُ نَجيباً وقد سمَّيتَه بنَجيبِ[4]

ألم يَقتُلوا عَمراً وعُتْبةَ وابنَهُ وشَيْبةَ والحَجّاجَ وابنَ حَبيبِ[5]

غَداةَ دعا العاصي عليّاً فراعَهُ بضربةِ عَضْبٍ بَلَّهُ بخَضيبِ[6]

قال ابن إسحاق: وقال ابن شَعُوبَ يذكرُ يدَه عند أبي سفيان فيما دَفَعَ عنه:

= بذلك. وأَودى: هلك. والخَدْب: الطَّعن النافذ إلى الجوف. والمُعبَط: هو الذي يسيل دمه. والكئيب: الحزين، ويروى: كَبِيب ـ كما في نسخة على حاشية (ز) ـ أي: مكبوب على وجهه.

(١) الخطة هنا: الخَصْلة الرفيعة. والضَّريب: الشَّبيه.

(٢) انظر «ديوان حسان» ١/ ٤٤٦ و٢/ ٣١٥ بتحقيق وليد عرفات.

(٣) القروم: الفحول من الإبل، ويستعار للكِرام من الناس. والصِّيد: الملوك المتكبرين. والزُّور: الكذب.

(٤) أقصدتَ: رميتَه فأصبتَه. والنجيب: الكريم.

(٥) عمرو: هو عمرو بن هشام أبو جهل، وعتبة: هو ابن ربيعة بن عبد شمس، وابنه الوليد، وشيبة أخو عتبة.

وأما الحجّاج وابن حبيب فلم يحضر بدراً أحدٌ بهذين الاسمين إلا إن أراد بالحجاج ابنيه نُبيهاً ومنبِّهاً، وأما ابن حبيب فقد حضر بدراً من المشركين حبيبُ بن جابر من بني عامر بن لؤي وأُسر يومئذٍ، فلعلّه كان معه ابنٌ له فقُتِل يومها، والله تعالى أعلم.

(٦) العاصي: اثنان ممن قتله علي بن أبي طالب ببدر بهذا الاسم، وهما: أبو البختري العاص ابن سعيد الأُموي، والعاص بن منبِّه بن الحجاج السهمي.

قوله: فراعَه، أي: أفزعه. والعَضْب: السيف القاطع. والخضيب هنا: الدم.

ولولا[1] دِفاعي يا ابنَ حَربٍ ومَشهَدي
لَأُلفِيتَ يومَ النَّعْفِ غيرَ مُجيبِ
ولولا مَكَرِّي المُهرَ بالنَّعفِ قَرقَرَت
ضِباعٌ عليه أو ضِراءُ كَلِيبِ[2]

قال ابن هشام: قولُه: عليه أو ضِراءُ، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال الحارث بن هشام يجيبُ أبا سفيان:

إنّكَ لو عايَنتَ ما كان منهمُ لَأُبْتَ بقَلبٍ ـ ما بَقِيتَ ـ نَخِيبِ[3]
لَدَى صَحنِ بدرٍ أو أَقمتَ نوائحاً عليكَ ولم تَحفِلْ مُصابَ حَبيبِ[4]
جَزَيتَهمُ يوماً ببدرٍ كمِثلِهِ على سابحٍ ذي مَيْعةٍ وشَبِيبِ[5]

قال ابن هشام: إنّما أجاب الحارثُ بن هشامٍ أبا سفيانَ، لأنّه ظنَّ أنه عَرَّضَ به في قوله: وما زالَ مُهْري مَزجَرَ الكلبِ منهمُ

لِفِرار الحارثِ يومَ بدر.

---

(١) هكذا في (ز) و(ش١)، وفي بقية النسخ: لولا، بإسقاط الواو، وهو خَرْم. ولأُلفِيتَ، أي: وُجِدتَ، وفي (ت) و(ص): لأُلقِيتَ، من الإلقاء.

والنَّعف: أسفل الجبل.

(٢) قرقرت ضباعٌ، أي: أسرعت الضباع إليه وخفَّت لأكله. والضِّراء: الضارية المتعوّدة للصَّيد أو لأكل لحوم الناس. وكَلِيب: اسم لجماعة الكلاب.

(٣) لأُبتَ: رجعتَ. والنَّخيب: الجبانُ الفَزِع.

(٤) صحن بدر: يريد ساحة المعركة ببدر. ولم تحفل، أي: لم تُبالِ. وقوله: مصاب حبيب، يريد حبيب بن جابر رجل من بني عامر بن لؤي، وكان أُسر يومئذٍ.

(٥) السابح: الفرس الذي كأنه يسبح في جريه. والمَيْعة: الخفّة والنشاط. والشَّبيب، والشِّبَابُ أيضاً: أن يرفع الفرسُ يديه جميعاً فيقفز.

قال ابن إسحاق: ثمّ أنزلَ الله نصرَه على المسلمين وصَدَقَهم وعدَه، فحَسُّوهم بالسّيوفِ[1] حتّى كَشَفُوهم عن العسكر[2] وكانت الهزيمةُ لا شكَّ فيها.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه عَبّاد، عن عبد الله بن الزُّبير، عن الزُّبير أنّه قال: والله لقد رأيتُني أنظُرُ إلى خَدَمِ[3] هندٍ بنتِ عُتْبة وصواحبِها مُشمِّراتٍ هَوارِبَ ما دون أخذِهنَّ قليلٌ ولا كثيرٌ، إذ مالت الرُّماةُ إلى العسكر حين كَشَفْنا القومَ عنه وخَلَّوْا ظُهورَنا للخيل، فأُتِينا من خلفِنا، وصَرَخَ صارخٌ: ألا إنَّ محمّداً قد قُتِلَ؛ فانكَفَأْنا[4] وانكَفَأَ علينا القومُ بعدَ أن أصَبْنا أصحابَ اللِّواءِ حتّى ما يَدنُو منه أحدٌ من القوم[5].

قال ابن هشام: الصّارخُ إزْبُ العَقَبة؛ يعني الشّيطان[6].

---

(١) حسُّوهم بالسيوف: قتلوهم واستأصلوهم.

(٢) وهو المعسكَر أيضاً، وهو مجتمع الجيش حيث يكون فيه أخبيتهم ومتاعهم.

(٣) الخَدَم هنا جمع خَدَمةٍ: وهي الخلخال، يعني أنهنّ شمَّرن ثيابهنَّ للهرب حتى بدت خلاخيلُهن.

(٤) انكفأنا: رجعنا.

(٥) إسناده صحيح.

وأخرجه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» ٣/ (٨٨٢) من طريق أبي سعيد عبد الرحيم البرقي، عن عبد الملك بن هشام.

وأخرجه الحاكم (٤٣٦٢) من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وانظر تتمة تخريجه هناك.

(٦) لم يسنده ابن هشام عن أَحدٍ، وقد وقع صراخُ إزب العقبة هذا في قصة بيعة العقبة الثانية كما تقدم ٢/ ٧٥.

وذكر الواقدي في «مغازيه» ١/ ٢٣٢ بلا إسناد: أن إبليس تصوَّر في صورة جِعال بن سُراقة يوم =

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ أهل العلم: أنّ اللِّواءَ لم يَزَلْ صَريعاً حتّى أخذَته عَمْرةُ بنتُ عَلقَمة الحارثيّةُ فرَفَعَته لقريشٍ فلاثُوا به[1]، وكان اللّواءُ مع صُؤَابٍ غلامٍ لبني أبي طلحةَ حبشيٍّ، وكان آخرَ مَن أَخذه منهم فقاتَلَ به حتّى قُطِعَت يداه، ثمّ بَرَكَ عليه فأخَذَ اللِّواءَ بصَدْرِه وعُنُقِه حتّى قُتِلَ عليه وهو يقول: اللّهمَّ هل أعزَرتُ - يقول: أعذَرتُ[2] - فقال حسّانُ بن ثابتٍ في ذلك[3]:

فَخَـرتُمْ بـاللِّواءِ وشـرُّ فخـرٍ ... لـواءٌ حـين رُدَّ إلـى صُـؤَابِ

جَعَلـتُم فَخْـرَكم فيـه لعبـدٍ ... وأَلأَمِ مَـن يَطَـا عَفَـرَ التُّـرابِ[4]

ظَنَنـتُم والسَّـفيهُ لـه ظُنـونٌ ... ومـا إنْ ذاكَ مِـن أمـرِ الصَّـوابِ

بـأنَّ جِلادَنـا يـومَ التَقَينـا ... بمكّـةَ بَـيعُكمْ حُمْـرَ العِيَـابِ[5]

أقَـرَّ العَـينَ أنْ عُصِـبَت يَـدَاهُ ... ومـا إنْ تُعصَـبانِ علـى خِضَـابِ

= أُحد ونادى ثلاث صرخات: إن محمداً قد قُتل. وهذا لا يصحُّ.

ووقع في حديث ابن عباس في قصة أُحد عند أحمد (٢٦٠٩) بإسناد حسن، قال: وصاح الشيطان: قُتل محمدٌ، فلم يُشكَّ فيه أنه حق. قلنا: الظاهر أنه لم يُرِد الشيطان بعينه، إنما أراد نسبة هذا الفعل إليه، كما يُنسَب إليه كلُّ أمر سوءٍ وفعل قبيح، فيقال: هو من فعل الشيطان، وقول الشيطان، والله تعالى أعلم.

(١) لاثُوا به: اجتمعوا حوله والتفُّوا.

(٢) يعني أنه كان في لسانه لُكْنة أعجمية، فغيّر الذال من «أعذرتُ» إلى الزاي، لأنه كان حبشيّاً. قاله أبو ذر الخشنيُّ.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ٣٦٧.

(٤) يَطَا: الأصل فيه الهمز وسُهّل للشعر. وعَفَرُ التراب: الذي لونه بين الحُمْرة والغُبْرة.

(٥) العِياب: جمع عَيْبة، وهي ما يضع فيها الرجلُ متاعه. والحُمْر: جمع أحمر. يقول له: ظننتم أن قتالنا كبيعكم المتاع وتجارتكم بمكة.

قال ابن هشام: آخرُها بيتاً يُروَى لأبي خِرَاشٍ الهُذَليّ، وأنشدَنيهِ له خَلَفٌ الأحمرُ[1]:

أقَرَّ العَينَ أنْ عُصِبَت يداها ... وما إن تُعصَبانِ على خِضابِ

في أبياتٍ له؛ يعني امرأتَه، في غير حديث أُحدٍ.

وتُروَى الأبياتُ أيضاً لمَعقِل بن خُوَيلِد الهُذَليّ[2].

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ في شأن عَمْرة بنت عَلقَمة الحارثيَّة ورفعِها اللِّواءَ[3]:

إذا عَضَلٌ سِيقَت إلينا كأنَّها ... جِدَايةُ شَرْكٍ مُعلَماتُ الحواجبِ[4]

---

(١) كذا قال ابن هشام، ولم يذكره له أبو سعيد السكّري في «أشعار الهذليِّين»، وذكره الجاحظ في كتاب «الحيوان» ٢/ ٣٥٤ وأبو الفرج الأصفهاني في «الأغاني» ١٠/ ١٩ ونسباه إلى دُرَيد بن الصِّمّة الجُشمي.

(٢) رواه له أبو سعيد السكّري في «شرح أشعار الهذليِّين» ١/ ٣٨٧، ولفظه:

أقرَّ العينَ أن حُزِمَت يداها ... وما إن تُحزَمانِ على خِضابِ

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ١٢٧.

(٤) عَضَلٌ: هكذا قُيِّدت في (ت) و(ز) و(ش١) و(ص) و(م) بفتح العين، وأُهملت في (غ) و(ي)، وقد وقع تفسيرها في حواشي بعض نسخ «ديوان حسان» (كما في المطبوع منه بتحقيق وليد عرفات ٢/ ١١٢) بخط الحافظ أبي الحسن محمد بن العباس بن الفرات راوي «الديوان» عن أبيه: أن المراد بالعَضَل صِغار المَعْز وصغار الظِّباء؛ ولم نقف على هذا المعنى في معاجم اللغة، ثم إنّ تشبيهها بالجداية (بكسر الجيم وفتحها) يدفع هذا القول، فإن الجداية ابنُ الظَّبي أو الظَّبيةُ الفتيّة، ونقل السهيلي عن أبي عبيدٍ أنه يقال: جداية، للواحد والجمع والذكر والأنثى، وعليه فلا يصحُّ أن يشبّه الشيء بنفسه.

وذهب السهيليُّ في «الروض» ٥/ ٤٦٧ والخشنيُّ في «إملائه» ص٢٢٥ إلى أن المراد بها قبيلة =

أقَمْنـا لهـم طَعْنـاً مُبيـراً مُـنكِّلاً وحُزْناهمُ بالضَّربِ من كلِّ جانِبِ[1]

فلـولا لـواءُ الحارثيَّـةِ أصـبَحُوا يُباعُونَ في الأسواقِ بيعَ الجَلائبِ[2]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبياتٍ له.

قال ابن إسحاق: وانكَشَفَ المسلمون فأصاب فيهم العدوُّ، وكان يومَ بلاءٍ وتمحيص، أكرَمَ اللهُ فيه مَن أكرَمَ من المسلمين بالشَّهادة، حتّى خَلَصَ العدوُّ إلى رسول الله ﷺ، فدُثَّ[3] بالحجارة حتّى وَقَعَ لشِقّه، فأُصيبت رَباعِيَتُه وشُجَّ في وجهِه وكُلِمَت شَفَتُه[4]، وكان الذي أصابه عُتْبةَ بن أبي وَقّاص.

= عَضَل، وهي من الهُون بن خزيمة؛ وهذا مستبعَدٌ أيضاً، إذ إن هذه القبيلة لم يشهد أبناؤها أُحداً مع مشركي قريش، فكيف يتعرّض لها حسانُ في شعره عن أُحد!

ويغلب على ظنّنا أن الصواب أن تُقيَّد العين بالضم، فالعُضَل: جمع عُضْلة (وتكسر عينه)، وهو الداهية من الرجال، فأراد بالعُضَل: الدَّواهي والأشدّاء من الرجال؛ يعني من قريش. والله تعالى أعلم.

وأراد بالشَّرك هنا، ويروى بكسر الشين أيضاً: الأشراك التي تُنصَب ويُصطاد بها، كما قال السهيليُّ، ووهمَ الخشنيُّ فجزم بأنه اسم موضع. ومُعلَمات الحواجب: يعني مُعلَمات بالدماء على حواجبها، ويجوز أن يريد سوادَها ما بين أعينها، فيما قاله السهيليُّ.

(١) مُبيراً: مهلكاً. ومنكِّلاً: قامعاً لهم ولغيرهم.

(٢) الجلائب: ما يُجلَب إلى الأسواق ليباع فيها.

(٣) في نسخة على حاشية (ز): فرُثَّ، بالراء، قال الخشنيُّ: من رواه بالراء فمعناه: أصيب بها حتى أضعفته، ومن رواه «فدُثَّ» بالدال المهملة، فمعناه: رُمي حتى التوى بعضُ جسده. والشِّق: الجانب.

(٤) الرَّباعيَة: السنُّ التي بين الثَّنيّة والناب، والجمع: رَباعِيَات، بالتخفيف أيضاً. وشُجّ، أي: أصابته شَجّة، وهي الجراحة، وإنما تُسمَّى بذلك إذا كانت في الوجه أو الرأس. وكُلِمت: جُرحت.

قال ابن إسحاق: فحدّثني حُمَيدٌ الطّويل، عن أنس بن مالكٍ قال: كُسِرَت رَباعِيَةُ النبيِّ ﷺ يومَ أُحدٍ وشُجَّ في وجهِه، فجعل الدّمُ يَسيلُ على وجهِه وجعل يَمسَحُ الدّمَ وهو يقول: «كيفَ يُفلِحُ قومٌ خَضَبُوا وَجْهَ نبيِّهم[1] وهو يَدعُوهم إلى رَبِّهم؟!»، فأنزَلَ الله عزَّ وجلَّ عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨][2].

قال ابن هشام: وذكرَ رُبَيحُ بن عبد الرَّحمن بن أبي سعيدٍ الخُدْريُّ، عن أبيه،

---

(١) أي: بلّوه ولوّنوه بلون الدم.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١١٩٥٦) و(١٢٨٣١) و(١٣٠٨٣) و(١٣١٣٨)، وابن ماجه (٤٠٢٧)، والترمذي (٣٠٠٢) و(٣٠٠٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٠١١)، وابن حبان (٦٥٧٤) من طرق عن حميد الطويل، به.

وأخرجه أحمد (١٣٦٥٧)، ومسلم (١٧٩١)، وابن حبان (٦٥٧٥) من طريق ثابت البُناني، عن أنس بن مالك.

وفي هذا الباب أخرج البخاري (٢٩٠٣) و(٥٧٢٢) ومسلم (١٧٩٠) من حديث سهل بن سعد الساعديّ قال: لما كُسِرَت على رأس رسول الله ﷺ البيضةُ وأُدمي وجهه، وكُسرت رباعيتُه وكان عليٌّ يختلف بالماء في المِجَنّ، وجاءت فاطمةُ تغسل عن وجهه الدم، فلمّا رأت فاطمةُ الدمَ يزيد على الماء كثرةً، عَمَدَت إلى حصير فأحرقتها وألصقَتها على جرح رسول الله ﷺ فرَقَأَ الدمُ. أي: انقطع.

وقد جاء في حديث ابن عمر: أن رسول الله ﷺ بعد أُحد كان يدعو في صلاته إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر، على أربعة من المشركين: وهم أبو سفيان وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام وصفوان بن أُمية، فلما نزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ...﴾ ترك ذلك، فتاب الله عليهم فأسلموا فحَسُنَ إسلامهم. انظر ذلك مجموعاً من حديث ابن عمر عند أحمد (٥٦٧٤) و(٥٨١٢) و(٥٩٩٧)، والبخاري (٤٥٥٩)، والترمذي (٣٠٠٥).

عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ: أنَّ عُتْبةَ بن أبي وقّاصٍ رَمَى رسولَ الله ﷺ يومئذٍ فكَسَرَ رَباعِيَتَه اليُمنَى السُّفلَى وجَرَحَ شَفَتَه السُّفلَى[1].

وأنَّ عبدَ الله بن شِهابٍ الزُّهْريَّ شَجَّه في جَبْهتِه[2].

---

(١) قد ثبت هذا عن عُتبة: أنه هو من كسر رباعية رسول الله ﷺ، فقد روى هذا عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٦٤٩)، وفي «تفسيره» ١/ ١٣١، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٤٦-٤٧ من مرسل مِقسَم مولى ابن عباس ومرسل الزهري: أن عتبة بن أبي وقاص كسر رباعية النبي ﷺ يوم أُحد ودمَّى وجهه، فدعا عليه النبي ﷺ فقال: «اللهم لا يَحُلِ الحولُ حتى يموت كافراً»، فما حال عليه الحولُ حتى مات كافراً إلى النار.

ونحوه عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٣٦٦) من مرسل سعيد بن المسيّب.

وذكره أيضاً قتادةُ في مرسل له عند عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٣١، وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٤٢، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٤٦.

وسيأتي قريباً روايةُ سعد بن أبي وقاص في ذلك ص٧٣.

(٢) على حاشيتي (ز) و(غ): قال محمد بن عبد الرحيم البَرْقي (وهو أحد رواة السيرة عن ابن هشام): ما ذكره ابن هشام أن عبد الله بن شهاب شجَّ رسولَ الله ﷺ، غيرُ معروف عند أهل الحديث ولا عند أهل المغازي، بل روي أنه كان من مُهاجِرة الحبشة، حدّثنا أبو صالح كاتب الليث قال: حدّثني الليث حدّثني يونس عن ابن شِهاب عن سعيد بن المسيّب في قصة أصحاب الحبشة: أن عبد الله بن شِهابٍ الزُّهريَّ كان ممّن هاجر إلى أرض الحبشة مع جعفر وأصحابه، وهو جدُّ الفقيه محمد بن مسلم بن عُبيد الله بن عبد الله بن شِهاب.

قلنا: ذكر مصعب الزبيريُّ في «نسب قريش» ص٢٧٤ ـ ونقله ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٤٤٠ عن ابن أخيه الزبير بن بكّار أيضاً ـ: أنّ جدّ الفقيه محمد بن مسلم الزهريّ هو عبد الله ابن شهاب، شهد أُحداً مع المشركين ثم أسلم بعدُ ومات بمكة، وكان يلقَّب بالأصغر، وأما الذي هاجر إلى الحبشة فهو أخوه، واسمه أيضاً عبد الله بن شهاب ويلقَّب بالأكبر، ومات هذا بمكة بعد عَوْدِه من الحبشة قبل الهجرة إلى المدينة.

وأنَّ ابنَ قَمِئةَ جَرَحَ وَجْنتَه، فدخلت حَلْقتانِ من حَلَقِ المِغفَر في وَجْنتِه[1].

ووقع رسولُ الله ﷺ في حُفْرة من الحُفَر التي عَمِلَ أبو عامرٍ ليقعَ فيها المسلمون وهم لا يَعلَمون، فأَخذ عليُّ بن أبي طالبٍ بيد رسول الله ﷺ ورَفَعَه طلحةُ بن عُبيدِ الله حتّى استوى قائماً[2].

ومَصَّ مالكُ بن سِنَانٍ ـ أبو أبي سعيدٍ الخُدْريّ ـ الدّمَ عن وجهِ رسول الله ﷺ ثمّ ازدَرَدَه[3]، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَن مَسَّ دمُه دمي لم تُصِبْه النّارُ»[4].

---

(١) الوجنة: أعلى الخدّ. والمغفر: شبيه بحَلَق الدّرع يجعل على الرأس يُتَّقى به في الحرب.

وقد رُوي في شأن ابن قَمِئة هذا ما أخرجه ابنُ عائذ القرشيُّ الإمام المؤرخ في «مغازيه» ـ كما في «عيون الأثر» لابن سيّد الناس ٢/ ٢١ ـ عن الوليد بن مسلم قال: حدثني عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر: أن الذي رمى رسولَ الله ﷺ بأُحد فجرحه في وجهه، قال لمّا رماه فأصابه: خذها وأنا ابن قَمِئة، فقال رسول الله ﷺ: «أقمَأَكَ اللهُ» (أي: أذلّك الله). قال ابن جابر: انصرف ابنُ قمئة من ذلك اليوم إلى أهله، فخرج إلى غنمه فوافاها على ذروة جبل، فأخذ فيها يعترض عليها ويشدُّ عليه تَيْسَها، فنطحه نطحةً أرداه من شاهقة الجبل فتقطَّع. وهذا مع ثقة رجاله مرسلٌ، فإن ابن جابر من كبار أتباع التابعين.

ويشهد له ما رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٣٢ عن ابن جريج عن إبراهيم بن ميسرة عن يعقوب بن عاصم قال: الذي دمَّى وجهَ رسول الله ﷺ يوم أُحد رجل من هُذيل يقال له: عبد الله ابن القمئة، فكان حتفه أن سلَّط الله تعالى عليه تيساً فنطحه حتى قتله. مرسلٌ لا بأس برجاله.

وقد روى نحوه موصولاً الطبراني في «الكبير» (٧٥٦٩) من حديث أبي أمامة الباهليّ، وإسناده ضعيف جداً، والمرسل أصحُّ.

(٢) وسيأتي عند ابن إسحاق ص٧٤ قصةُ رفع طلحة للنبيِّ ﷺ على ظهره حتى استوى على صخرة في الجبل، فقال له النبي ﷺ: «أَوجَبَ طلحةُ»، من حديث الزبير بإسناد صحيح.

(٣) ازدرده: ابتلعه.

(٤) إسناده ضعيف لإعضاله بين ابن هشام ورُبيح، ثم إن رُبيحاً هذا ليّنٌ منكر الحديث. =

قال ابن هشام: وذكر عبدُ العزيز بن محمّدٍ الدَّرَاوَرْديُّ، أنّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن أَحبَّ أن يَنظُرَ إلى شهيدٍ يَمْشي على الأرضِ[1]، فليَنظُرْ إلى طَلْحةَ بنِ عُبيدِ الله»[2].

وذكر عبدُ العزيز بن محمّد، عن إسحاق بن يحيى بن طَلْحة، عن عيسى بن طَلْحة، عن عائشة، عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق: أنّ أبا عُبَيدة بن الجرّاحِ نَزَعَ إحدى الحَلْقتَينِ من وجهِ رسول الله ﷺ فسَقَطَت ثَنِيّتُه، ثمّ نَزَعَ الأُخرى فسَقَطَت ثَنِيّتُه

= وقد روى الفِقرة الأخيرة منه في ازدراد مالك بن سنانٍ دمَ رسول الله ﷺ: الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٠٩٨) من طريق موسى بن يعقوب الزَّمْعي، عن مصعب بن الأسقع، عن رُبيح، بهذا الإسناد. وهذا إسناد ضعيف بمرّة، موسى بن يعقوب ورُبيح ليِّنان، ومصعبٌ مجهول.

وأخرجها أيضاً الحاكم في «المستدرك» (٦٥٢٧) و(٦٥٣٥) من طريق موسى بن محمد بن علي الحَجَبي، عن أمّه ـ من ولد أبي سعيد الخدري ـ عن أم عبد الرّحمن بنت أبي سعيد الخدري، عن أبيها، بلفظ: «من سرَّه أن ينظر إلى من خالط دمي دمَه، فليَنظُر إلى مالك بن سنان».

وهذا إسناد ضعيف لجهالة موسى بن محمد وأمّه، وقال الذهبيُّ في «تلخيص المستدرك»: إسناده مظلم.

(١) في (غ): على وجه الأرض.

(٢) حديث ضعيف، وهو هنا مرسل، ولم نقف عليه من طريق الدراوردي بهذا اللفظ.

وقد رواه موصولاً ابن ماجه (١٢٥)، والترمذي (٣٧٣٩)، والحاكم (٥٧١٢) من حديث الصَّلت ابن دينار، عن أبي نَضْرة، عن جابر بن عبد الله. وهذا إسناد ضعيف جداً، فالصلت بن دينار متروك الحديث، وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الصلت، وقد تكلَّم بعض أهل العلم في الصلت بن دينار وضعَّفه. وانظر تتمة تخريجه والكلام عليه في «المستدرك».

وقد ثبتت شهادة النبي ﷺ له بالشّهادة فيما أخرجه أحمد (٩٤٣٠) ومسلم (٢٤١٧) وغيرهما من حديث عبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْدي، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان على حِراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحرَّكت الصخرةُ، فقال رسول الله ﷺ: «اهدأْ فما عليك إلا نبيٌّ، أو صِدّيق، أو شهيد».

الأُخرى، فكان ساقطَ الثَّنِيّتَينِ[1].

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ لعُتْبة بن أبي وقّاصٍ:

إذا اللهُ جـازَى مَعشَـراً بفِعـالِهم[2] ونَصـرِهمُ الـرَّحمنَ ربَّ المَشـارقِ

فـأخزاكَ ربِّـي يـا عُتَيـبَ بـنَ مالـكٍ ولَقّاكَ قبلَ الموتِ إحدى الصَّـواعقِ

بَسَـطتَ يَمينـاً للنبـيِّ تَعمُّـداً فأدمَيـتَ فـاهُ قُطِّعَـت بـالبَوارقِ[3]

فهَـلَّا ذكـرتَ اللهَ والمَنـزِلَ الـذي تَصـيرُ إليـه عنـد إحـدى البَوائـقِ[4]

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذَعَ فيهما[5].

قال ابن إسحاق: وقال رسولُ الله ﷺ حين غَشِيَه القومُ: «مَن رجلٌ يَشْري لنا نَفْسَه؟» ـ كما حدّثني الحُصَينُ بن عبد الرَّحمن بن عمرو بن سعد بن معاذٍ، عن محمود

---

(١) إسناده ضعيف جداً من أجل إسحاق بن يحيى بن طلحة، فهو متروك الحديث.

وأخرجه مطوَّلاً ابن حبان (٦٩٨٠)، والحاكم (٤٣٦١) و(٥٢٤٠) و(٥٧١٠) من طرق عن إسحاق بن يحيى، بهذا الإسناد.

ورواه من حديث إسحاق أيضاً الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٢٤٦-٢٤٧، ثم قال: ويقال: إن الذي نزع الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ هو عُقبة بن وهب بن كَلَدة، ويقال: أبو اليَسَر، قال: وأثبتُ ذلك عندنا عقبةُ بن وهب بن كلدة.

هكذا وقع في «المغازي» للواقدي، ونقل عنه ابن سعد في «طبقاته» ٣/ ٥٠٥ أنه قال: قال عبد الرحمن بن أبي الزِّناد: نرى أنّهما جميعاً ـ يعني عقبةَ بن وهب وأبا عبيدة ـ عالجاهما فأخرجاهما من وجنتَي رسول الله ﷺ.

(٢) ويروى أوله كما في «ديوان حسان» ١/ ١٦٢: إذا الله حيَّا معشراً.

(٣) البوارق: السيوف.

(٤) البوائق: الدواهي ومصائب الدهر.

(٥) أي: أفحشَ في المقال، والقَذَع: الكلام الفاحش.

ابن عمرو ـ قال: فقامَ زيادُ بن السَّكَن في نَفَرٍ خمسةٍ من الأنصار ـ وبعضُ النّاس يقول: إنّما هو عُمَارةُ بن يزيد بن السَّكَن ـ فقاتلوا دونَ رسول الله ﷺ رجلاً ثمّ رجلاً، يُقتَلون دونَه، حتّى كان آخرَهم زيادٌ أو عُمَارةُ فقاتَلَ حتّى أثبَتَته الجِرَاحةُ، ثمّ فاءَت فِئةٌ من المسلمين فأجهَضُوهم عنه[1]، فقال رسول الله ﷺ: «أَدنُوهُ منِّي»، فأدنَوْه منه فوَسَّدَه قَدَمَه، فمات وخَدُّه على قدمِ رسول الله ﷺ[2].

قال ابن هشام: وقاتَلَت أمُّ عُمَارة نَسِيبةُ[3] بنتُ كعبٍ المازنيَّة يومَ أُحد.

---

(١) فاءت فئة، أي: رجعت جماعةٌ. وأجهضوهم: أزالوهم وغلبوهم.

(٢) حديث حسن لغيره إن شاء الله، وهو هنا مرسلٌ، فإن محمود بن عمرو ـ وهو ابن يزيد بن السكن ـ من الطبقة الوسطى من التابعين كما قال ابن حجر في «التقريب»، وهو مجهول الحال، وذكره ابن حبان في «ثقاته»، وحصين الراوي عنه صدوق حسن الحديث.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية محمد بن سلمة الحرّاني ص٣٢٨، وأخرجه أيضاً الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥١٥، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٢٣٤، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٦٣٧ من طريق ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ويشهد لهذا المرسل في قتال هؤلاء النفر من الأنصار دون رسول الله ﷺ حتى قُتِلوا حديثُ أنس بن مالك عند أحمد (١٤٠٥٦) ومسلم (١٧٨٩): أن رسول الله ﷺ أُفرد يوم أُحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رَهَقُوه (أي: غَشُوه وقربوا منه) قال: «من يردُّهم عنّا وله الجنة؟» ـ أو «هو رفيقي في الجنة» ـ فتقدّم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قُتل، ثم رَهَقوه أيضاً فقال: «من يردُّهم عنّا وله الجنة؟» ـ أو «هو رفيقي في الجنة» ـ فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى قُتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: «ما أنصَفْنا أصحابَنا».

(٣) قُيّدت في نسخنا الخطية غير (م) بضم النون على التصغير، لكن المشهور في تقييد اسم أمّ عُمارة عند من اعتنى بتقييد المُشتبِه من الأسماء أنه بفتح النون ككَرِيمة، وهكذا قيِّدت في نسخة (م) مصحَّحاً عليها. وانظر «الإكمال» لابن ماكولا ٧/ ٢٥٩، و«توضيح المشتبه» =

فذكر سعيدُ بن أبي زيدٍ الأنصاريّ[1]: أنّ أمَّ سعدٍ بنتَ سعد بن الرَّبيع كانت تقول: دخلتُ على أمِّ عُمَارةَ فقلت لها: يا خالةُ، أخبِريني خبرَك، فقالت: خرجتُ أوّلَ النّهار وأنا أنظُرُ ما يَصنَعُ النّاسُ ومعي سِقاءٌ فيه ماءٌ، فانتَهَيتُ إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدُّولةُ والرِّيحُ[2] للمسلمين، فلمّا انهزَمَ المسلمون انحُزْتُ إلى رسول الله ﷺ، فقمتُ أُباشرُ القتالَ وأذُبُّ عنه بالسَّيف وأَرمي عن القَوْس، حتّى خَلَصَت الجِراحُ إليَّ. فرأيتُ على عاتِقِها جُرْحاً أجوَفَ له غَوْرٌ، فقلت: مَن أصابَك بهذا؟ قالت: ابنُ قَمِئةَ، أقمَأَه اللهُ[3]، لمّا وَلَّى النّاسُ عن رسول الله ﷺ أقبَلَ يقول: دُلُّوني على محمّد، فلا نَجَوتُ إن نَجَا، فاعتَرَضتُ له أنا ومُصعَبُ بن عُمَيرٍ وأُناسٌ ممَّن ثَبَتَ مع رسول الله ﷺ، فضَرَبني هذه الضَّربة، ولقد ـ على ذلك ـ ضربتُه ضَرَباتٍ، ولكنَّ عدوَّ الله كان عليه دِرْعانِ[4].

قال ابن إسحاق: وتَرَّسَ دونَ رسولِ الله ﷺ أبو دُجَانة بنفسه، يقعُ النَّبْلُ في ظهرِه وهو مُنحَنٍ عليه حتّى كَثُرَ فيه النَّبلُ[5].

= لابن ناصر الدين الدمشقي ٩/ ٧٨، و«تبصير المنتبه» لابن حجر ٤/ ١٤١٥.

(١) هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير ـ وثابت جدُّه صحابيٌّ كنيته أبو زيد ـ وهو من صغار أتباع التابعين ولم يدرك أمَّ سعدٍ، فالإسناد بينهما منقطع، فهو ضعيف.

(٢) تريد الغَلَبة والنصر. والدّولة، بفتح الدال وضمّها.

(٣) أقمأه الله: حقَّره الله وأذلَّه.

(٤) وذكر خبر أم عمارة هذا الواقديُّ أيضاً في «مغازيه» ١/ ٢٦٨-٢٦٩ عن أم سعدٍ معلَّقاً من غير إسناد.

(٥) هذا الخبر من صلة مرسل محمود بن عمرو بن يزيد بن السكن المتقدم آنفاً كما وقع في رواية محمد بن سلمة الحرّاني عن ابن إسحاق في «سيرته» ص٣٢٨، ورواية يونس بن بكير عنه عند البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٣٤.

ورَمَى سعدُ بن أبي وَقّاصٍ دونَ رسولِ الله ﷺ، فقال سعدٌ: فلقد رأيتُه يُناوِلُني النَّبْلَ وهو يقول: «ارْمِ فِداكَ أَبي وأُمِّي»، حتّى إنّه لَيُناوِلُني السَّهمَ ما له نَصلٌ فيقول: «ارْمِ به»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنّ رسولَ الله ﷺ رَمَى عن قوسِه حتّى اندَقَّت سِيَتُها[2]، فأَخذها قَتَادةُ بن النُّعمان فكانت عنده، وأُصِيبَت يومئذٍ عينُ قَتادة بن النُّعمان حتّى وَقَعَت على وَجْنتِه.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنّ رسولَ الله ﷺ رَدَّها بيده، فكانت أحسنَ عينَيهِ وأحدَّهما[3].

---

(١) هذا حديث صحيح.

فقد أخرج البخاري (٤٠٥٥) من حديث سعيد بن المسيّب، عن سعد بن أبي وقاص قال: نَثَلَ لي النبيُّ ﷺ كِنانتَه يوم أُحد فقال: «ارمِ فِداكَ أبي وأمّي». وهو بنحوه عند أحمد (١٤٩٥) ومسلم (٢٤١٢) وغيرهما. وقوله: نثل لي كنانته، أي: استخرج لي ما فيها من سهام.

(٢) السِّيَة: طرف القوس الذي يُلوَى عليه الوَتَر، وللقوس سِيَتانِ.

(٣) مرسل قويّ، عاصم بن عمر ثقة عالم بالمغازي، من صِغار التابعين، وهو هنا يروي خبراً يخصُّ جدَّه قتادة بن النعمان، فالغالب أنه سمعه من أهل بيته، وقد روي عنه موصولاً كما سيأتي.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥١٦ من طريق سلمة بن الفضل، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٥١ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، عن عاصم بالقصتين؛ بقصة القوس وعين قتادة.

وأخرج خبر قصة العينِ أيضاً ابن أبي شيبة ١٢/ ١٦١، وابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٤١٩ عن عبد الله بن إدريس، عن ابن إسحاق، عن عاصم.

وخالفهما يوسفُ بن بُهلول عند أبي نعيم في «دلائل النبوة» (٤١٦) فوصله، فقد رواه عن ابن إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان، عن محمود بن لَبيد، =

قال ابن إسحاق: وحدّثني القاسم بن عبد الرَّحمن بن رافعٍ أخو بني عَدِيّ بن النَّجّار[1] قال: انتهى أنسُ بن النَّضرِ عمُّ أنس بن مالكٍ إلى عمرَ بن الخَطّاب وطلحةَ

= عن قتادة بن النعمان. ويوسف بن بهلول لا بأس به، لكن المحفوظ عن ابن إسحاق إرساله لا وصله.

وذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٦١٦ معلّقاً عن عبد الله بن إدريس، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر، عن جابر بن عبد الله. كذا وصله بذكر جابر، والمحفوظ عن ابن إسحاق المرسل.

وأخرجه بنحوه موصولاً أبو يعلى في «مسنده» (١٥٤٩)، وأبو عوانة في «صحيحه» (٧٣٦٨)، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٩٩ من طريقين عن عبد الرحمن بن سليمان ابن الغَسيل، عن عاصم ابن عمر، عن أبيه عمر بن قتادة، عن قتادة بن النعمان. وعبد الرحمن ابن الغسيل صدوق حسن الحديث، وعمر بن قتادة ذكره ابن حبان في «الثقات».

وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١٩/ (١٢) ـ وعنه أبو نعيم (٤١٧) ـ من طريق عبد الله بن الفضل ابن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، عن أبيه الفضل، عن أبيه عاصم، عن أبيه عمر، عن أبيه قتادة بن النعمان. وهذا إسناد ضعيف، عبد الله بن الفضل وأبوه لا يُعرَفان.

ويشهد له مرسلُ زيدِ بن أسلم وغيرِه عند ابن سعد ١/ ١٥٨، لكن في إسناده أبو معشر المدني ـ واسمه نَجيح بن عبد الرحمن ـ وهو ضعيف، لكن يعتبر به في المتابعات والشواهد.

وحديث أبي سعيد الخدري عن قتادة بن النعمان ـ وكان أخاه لأمّه ـ عند البيهقي ٣/ ٢٥٣، لكن إسناده ضعيف جداً.

(١) القاسم هذا مجهول، ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٧/ ١١٣، وذكر عنه راوياً آخر غير ابن إسحاق.

وأخرج خبره هذا الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥١٧ و«تفسيره» ٦/ ١٠٢، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٤٥، والخطيب في «المتفق والمفترق» (١٣٣٢) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

وصحَّ خبر أنس بن النضر وما صنع يوم أُحد بغير هذا السياق، فقد أخرج أحمد (١٣٠٨٥) والبخاري (٢٨٠٥) من حديث حميد الطويل عن أنس قال: غاب عمّي أنسُ بن النضر عن =

ابن عُبيد الله في رجالٍ من المهاجرين والأنصار، وقد ألقَوْا بأيديهم، فقال: ما يُجلِسُكم؟ قالوا: قُتِلَ رسولُ الله ﷺ، قال: فما تَصنَعُون بالحياةِ بعدَه؟! قوموا فمُوتوا على ما مات عليه رسولُ الله ﷺ، ثمّ استَقبَلَ القومَ فقاتلَ حتّى قُتِلَ.

وبه سُمّيَ أنسُ بن مالك.

فحدّثني حُمَيدٌ الطّويلُ، عن أنس بن مالكٍ قال: لقد وَجَدْنا بأنس بن النَّضر يومَئذٍ سبعين ضربةً، فما عَرَفَه إلّا أُختُه؛ عَرَفَته ببَنانِه[1].

قال ابن هشام: حدّثني بعضُ أهل العلم: أنّ عبدَ الرَّحمن بن عوفٍ أُصيبَ فُوهُ يومئذٍ فهُتِمَ[2]، وجُرِحَ عشرين جِراحةً أو أكثرَ، أصابه بعضُها في رجلِه فعَرِجَ[3].

= قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبتُ عن أول قتالٍ قاتلتَ المشركين، لئنِ اللهُ أشهَدَني قتالَ المشركين ليَرَيَنَّ اللهُ ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذرُ إليك ممّا صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ وأبرأُ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم، فاستقبله سعدُ بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنةَ وربِّ النضر، إني أجدُ ريحَها من دون أُحد، قال سعد: فما استطعتُ يا رسول الله ما صَنَعَ. قال أنس: فوجدنا به بِضعاً وثمانين ضربةً بالسيف أو طعنةً برمح أو رميةً بسهم، ووجدناه قد قُتِل وقد مثَّل به المشركون، فما عرفه أحدٌ إلا أختُه ببَنانِه. أي: بأصابع يديه.

ورواه عن أنس أيضاً ثابتٌ البُناني عند أحمد (١٣٠١٥) ومسلم (١٩٠٣) وغيرهما.

(١) إسناده صحيح. وانظر سابقه.

والبَنَان: أطراف الأصابع، واحدها: بَنَانة.

(٢) هُتِم: كُسِرَت ثَنيّته، والثَّنيّة: واحدة الثَّنايا من الأسنان، وهي الأربع التي في مقدَّم الفم، ثنتان من فوق وثنتان من أسفل.

(٣) وروى هذا الطبراني في «الكبير» (٢٦١) ـ وعنه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٦٣) ـ عن أحمد بن عبد الرحيم البَرْقي، عن ابن هشام، عن زياد بن عبد الله البكّائي، عن ابن إسحاق.

وذكر مثله إبراهيم بن سعد الزهريُّ كما في «تفسير ابن المنذر» (١٠٤٤) و«تاريخ دمشق» =

قال ابن إسحاق: وكان أوّلَ من عَرَفَ رسولَ الله ﷺ بعد الهزيمةِ وقولِ الناس: قُتِلَ رسولُ الله ﷺ - كما ذكرَ لي ابنُ شِهابٍ الزُّهْريُّ - كعبُ بن مالكٍ، قال: عرفتُ عينَيهِ تَزهَرانِ[1] من تحت المِغفَر، فناديتُ بأعلى صوتي: يا معشرَ المسلمين أَبشِروا، هذا رسولُ الله، فأشار إليَّ رسولُ الله ﷺ: أن أَنصِتْ[2].

قال ابن إسحاق: فلمّا عَرَفَ المسلمون رسولَ الله ﷺ نَهَضوا به ونَهَضَ معهم نحوَ الشِّعب، معه أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ وعمرُ بن الخَطّاب وعليُّ بن أبي طالبٍ وطلحةُ ابن عُبيد الله والزّبَيرُ بن العوّام - رِضوانُ الله عليهم - والحارثُ بن الصِّمّة ورَهْطٌ من المسلمين، فلمّا أَسنَدَ[3] رسولُ الله ﷺ في الشِّعْب أدرَكَه أُبيُّ بن خَلَفٍ وهو يقول: أين

= لابن عساكر ٣٥/ ٢٥٧. والظاهر أن إبراهيم إنما حمله عن ابن إسحاق، فهو أحد من روى عنه مغازيه.

(١) تَزهَران: تُضيئان.

(٢) خبر صحيح، وهو هنا منقطع، فإن الزهريَّ لم يدرك كعبَ بنَ مالك، وقد تبيّنت الواسطة بينهما، وهو عبد الله بن كعبٍ كما في رواية محمد بن سلمة الحرّاني - وهو إمام ثقة - عن ابن إسحاق كما في «سيرته» ص٣٣٠، وهي كذلك عند الطبراني في «الأوسط» (١١٠٤) وأبي نعيم في «دلائل النبوة» (٤١٤)، فصحَّ الإسناد.

ورواه هكذا موصولاً أيضاً يحيى بن هانئ عن ابن إسحاق عند ابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢٥٣) والخطّابي في «غريب الحديث» ١/ ٥٦٠، وقرن بالزهريِّ عاصمَ بن عمر بن قتادة، لكن إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف. ولم يسق الخطابيُّ لفظه بتمامه.

ورواه منقطعاً كرواية ابن هشام عن البكّائيِّ سلمةُ بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥١٨ و«تفسيره» ٦/ ١٥٤، ويونسُ بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٣٧-٢٣٨.

(٣) أي: صعد وارتفع. والشِّعب: الموضع المنفرج بين جبلين.

محمّد؟ لا نَجَوتُ إن نَجَوتَ، فقال القوم: يا رسول الله، أيَعطِفُ عليه رجلٌ منّا؟ قال رسولُ الله ﷺ: «دَعُوه»، فلمّا دنا تناوَلَ رسولُ الله ﷺ الحَرْبةَ من الحارثِ بن الصِّمّة؛ يقول بعضُ القوم فيما ذُكِرَ لي: فلمّا أَخذها رسولُ الله ﷺ منه انتَفَضَ بها[1] انتفاضةً تَطايَرْنا عنه تطايُرَ الشَّعْراءِ[2] عن ظهرِ البعير إذا انتَفَضَ بها ـ قال ابن هشام: الشَّعْراءُ: ذُبابٌ له لَدْغٌ ـ ثمّ استقبَلَه فطَعَنَه في عُنُقِه طعنةً تَدَأْدَأَ منها عن فرسه مِراراً[3].

قال ابن هشام: تَدَأْدَأَ يقول: تَقلَّبَ عن فرسِه فجعل يَتَدحرَجُ[4].

قال ابن إسحاق: وكان أُبيٌّ بن خَلَفٍ ـ كما حدَّثني صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن ابن عوفٍ ـ يَلقَى رسولَ الله ﷺ بمكّة فيقول: يا محمّدُ، إنَّ عندي العَوْذَ، فرساً أَعلِفُه كلَّ يومٍ فَرَقاً[5] من ذُرَة، أقتُلُك عليه، فيقول رسول الله ﷺ: «بل أَنا أقتُلُك إن شاءَ الله».

فلمّا رجع إلى قريشٍ وقد خَدَشَه في عُنُقِه خَدْشاً غيرَ كبيرٍ فاحتَقَنَ الدّمُ، قال: قَتَلَني واللهِ محمّدٌ، قالوا له: ذَهَبَ واللهِ فؤادُك، والله إنْ بك من بأسٍ، قال: إنّه قد كان

(١) هكذا في (ز)، وفي (ت) و(ش١) و(ص) و(م) و(ي): بنا، ولم ترد هذه الكلمة في (غ).

(٢) وفي رواية يحيى بن هانئ: الشَّعارير، قال الخطّابي: أراد بالشَّعارير ما يجتمع على دَبَرة البعير (أي: جرحه) من الذِّبّان، فإذا هِيجَت تطايَرَت عنها وتفرَّقَت.

(٣) خبر مقتل أُبي بن خلف هذا رُوِيَ موصولاً بخبر كعب بن مالك السابق في روايات محمد ابن سلمة وسلمة بن الفضل ويحيى بن هانئ عن ابن إسحاق.

وروى نحوه الواقدي في «المغازي» ١/ ٢٥١ من طريق يونس بن محمد الظَّفَري، عن عاصم ابن عمر بن قتادة، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه.

(٤) كلام ابن هشام هذا في نسخة (ز) وحدها، وأشار صاحبها إلى أنه أضافه من نسخة عنده، ولم يرد في بقية نسخنا الخطية.

(٥) الفَرَق: مكيال يعادل ثلاثة آصُع، وهي قرابة ٧ كيلو غرام.

قال لي بمكّة: أنا أقتُلُك، فوالله لو بَصَقَ عليَّ لقتلني. فمات عدوُّ الله بسَرِف[1] وهم قافِلُون به إلى مكّة[2].

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ في ذلك:

لقد وَرِثَ الضّلالةَ عن أبيهِ ... أُبَيٌّ يومَ بارَزَه الرَّسولُ

أتيتَ إليه تَحمِلُ رِمَّ عَظمٍ ... وتُوعِدُه وأنتَ به جَهولُ[3]

وقد قَتَلَت بنو النَّجّارِ منكمْ ... أُميّةَ إذ يُغوِّثُ: يا عَقيلُ[4]

وتَبَّ ابنا ربيعةَ إذْ أطاعا ... أبا جهلٍ لأُمِّهما الهُبُولُ[5]

---

(١) سرف، يُصرَف ولا يُصرَف: اسم لموضع شمال غرب مكة يعرف اليوم بالنوّارية، على قرابة ١٦ كم من الحرم، وهو أحد أحياء مكة.

(٢) خبر صحيح، وإسناده هنا مرسل، فصالح بن إبراهيم من صغار التابعين، وهو ثقة.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» ص٣٣٠-٣٣١ من طريق محمد بن سلمة، وفي «تاريخ الطبري» ٢/ ٥١٨-٥١٩ من طريق سلمة بن الفضل، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه بنحوه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٤٣ من طريق عبد الرحمن بن خالد بن مسافر، والحاكم (٣٣٠٢) من طريق موسى بن عقبة، كلاهما عن ابن شهاب الزهري، عن سعيد بن المسيب، زاد فيه موسى: عن أبيه. والإسنادان قويّان، وفي حديث ابن مسافر: أن قول أُبي بن خلفٍ متهدداً النبيَّ ﷺ كان في المدينة في قصة فداء أسرى بدرٍ، وهذا أصحُّ من كونه بمكة.

وكذلك رواه عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، فيما أخرجه الواقدي في «المغازي» ١/ ٢٥١.

(٣) الرِّم: العظم البالي. وفي «ديوان حسان» ١/ ١٥٨:

أجئتَ محمَّداً عظماً رميماً ... لتُكذِبَه وأنت به جهولُ

(٤) يغوّث، أي: يستغيث. وعَقيل: لعله أراد عقيل بن أبي طالب، وهو ممّن حضر بدراً مع المشركين وأُسر يومئذٍ.

(٥) تبَّ: خسر وهلك. والهُبول: الفَقْد، يقال: هَبِلَته أمُّه، أي: فقدته.

وأفلَتَ حارثٌ لمّا شُغِلْنا بأَسرِ القومِ أُسرَتُه قليلُ[1]

قال ابن هشام: أُسرتُه: قبيلتُه.

وقال حسّان بن ثابتٍ أيضاً في ذلك[2]:

ألا مَن مُبلِغٌ عنّي أُبَيّاً لقد أُلقِيتَ[3] في سُحقِ السَّعيرِ
تَمنَّى بالضّلالةِ من بَعيدٍ وتُقسِمُ أنْ قَدَرتَ مع النُّذورِ
تَمنّيكَ الأمانِيَ من بَعيدٍ وقولُ الكُفرِ يَرجِعُ في غُرورِ
فقد لاقَتْكَ طَعنةُ ذي حِفَاظٍ[4] كريمِ البيتِ ليس بذي فُجورِ
له فضلٌ على الأحياءِ طُرّاً إذا نابَتْ مُلِمّاتُ الأُمورِ[5]

فلمّا انتَهى رسولُ الله ﷺ إلى فمِ الشِّعب، خرج عليُّ بن أبي طالبٍ حتّى مَلأ دَرَقَتَه من المِهْراس[6]، فجاءَ به إلى رسول الله ﷺ ليشربَ منه، فوَجَدَ له ريحاً فعافَه[7] فلم يشرب منه، وغَسَلَ عن وجهِه الدّمَ وصَبَّ على رأسه وهو يقول: «اشتَدَّ غَضَبُ الله

(١) الحارث: هو ابن هشام المخزومي أخو أبي جهل. وقليل: ضدّ الكثرة، ويروى فَليلٌ، بالفاء: وهم المنهزمون.

(٢) انظر «ديوانه» ١/ ٤٩٠.

(٣) في (ز) و(ص) و(م): أُلفيتَ، أي: وُجدتَ. والسُّحق: البعد والعمق.

(٤) الحِفاظ: الغضب في الحرب.

(٥) طُرّاً: جميعاً. والمُلمّات: حوادث الدّهر، أي: التي تُلِمُّ بالإنسان، أي: تنزل به.

(٦) في (ز): ماءً من المهراس.

والدَّرَقة: ترسٌ من جلد. والمِهراس، قال السّمهودي ـ مفتي المدينة المنورة ومؤرخها ـ في «وفاء الوفا» ٤/ ١٥٢: ماء بجبل أُحد، قاله المبرّد، وهو معروف في أقصى شِعْب أُحد، يجتمع من المطر في نُقَرٍ كبار وصغار، والمهراس اسم لتلك النُّقر.

(٧) عافه، أي: كرهه.

على مَن دَمَّى وَجْهَ نبيِّه»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني صالحُ بن كَيْسانَ عمَّن حدّثه عن سعد بن أبي وَقّاصٍ أنّه كان يقول: والله ما حَرَصتُ على قتل رجلٍ قَطُّ حِرْصي على قتل عُتْبةَ بن أبي وَقّاصٍ، وإنْ كان ما عَلِمتُ لسيِّئَ الخُلُقِ، مُبغَّضاً في قومه، ولقد كَفَاني منه قولُ رسول الله ﷺ: «اشتَدَّ غَضَبُ الله على مَن دَمَّى وَجْهَ رسولِه»[2].

---

(١) حديث صحيح. وهو من تمام خبر صالح بن إبرهيم بن عبد الرحمن السابق، وهو كذلك في رواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥١٨.

ورواه يونس بن بكير عند البيهقي في «السنن الكبرى» ٢/ ٢٩٦ عن ابن إسحاق قال: حدثني من لا أتّهم عن عُبيد الله بن كعب بن مالك، فذكره مرسلاً.

ورواه موصولاً جرير بن حازم عند إسحاق بن إبراهيم ابن راهويه في «مسنده» ـ ومن طريقه ابن حبان في «صحيحه» (٦٩٧٩) ـ عن ابن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عبّاد، عن أبيه، عن عبد الله ابن الزبير بن العوّام، عن أبيه. وصحح البوصيريُّ إسناده كما في «إتحاف الخيرة» (٣/ ٤٥٦٣) بعد أن خرّجه عن إسحاق، وهو كما قال.

وأخرج البخاري (٤٠٧٣) ومسلم (١٧٩٣) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «اشتدَّ غضبُ الله على قوم فعلوا هذا برسول الله»، وهو حينئذٍ يشير إلى رَباعيَته.

(٢) إسناده ضعيف لإبهام الواسطة بين صالح بن كيسان وسعد.

ورواه كذلك عن ابن إسحاق محمدُ بن سلمة كما في المطبوع من «سيرته» ص٣٣١-٣٣٢، وسلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥١٩، ويونسُ بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٦٥.

ورواه عبد الله بن إدريس الأودي عن ابن إسحاق عند الدَّورقي في «مسند سعد» برقم (٩٠)، وسمّى الواسطة المبهّمة فقال: بعض آل سعد بن أبي وقاص، وهي واسطة مجهولة.

وأما المرفوع منه فهو صحيح من غير حديث سعدٍ كما سبق.

وتقدّم ص٦٠: أن عتبة رمى النبيَّ ﷺ فكسر رَباعيته.

قال ابن إسحاق: فبَيْنا رسولُ الله ﷺ بالشِّعب معه أُولئك النَّفرُ من أصحابه، إذ عَلَت عاليةٌ من قريشٍ الجبلَ.

قال ابن هشام: كان على تلك الخيل خالدُ بن الوليد.

قال ابن إسحاق: فقال رسولُ الله ﷺ: «اللّهمَّ إنَّه لا يَنبَغي لهم أن يَعلُونا»، فقاتَلَ عمرُ بن الخَطّاب ورَهْطٌ معه من المهاجرين حتّى أهبَطُوهم من الجبل[1].

ونَهَضَ رسولُ الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليَعلُوَها، وقد كان بَدَّنَ رسولُ الله ﷺ وظاهَرَ بين دِرعَينِ[2]، فلمّا ذهبَ لينَهَضَ ﷺ لم يستطعْ، فجَلَسَ تحتَه طلحةُ ابن عُبيد الله فنَهَضَ به حتّى استوَى عليها، فقال رسولُ الله ﷺ؛ كما حدّثني يحيى ابن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه، عن عبد الله بن الزُّبير، عن الزُّبير قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يومئذٍ يقول: «أَوجَبَ طَلْحةُ»[3]، حين صَنَعَ برسول الله ﷺ ما صَنَعَ[4].

---

(١) وصل هذا عبدُ الله بن إدريس عن ابن إسحاق بحديث سعدٍ، وقطعه الآخرون فجعلوه عن ابن إسحاق بلا إسناد.

وروى نحوه أحمد (٢٦٠٩) والحاكم (٣٢٠١) من حديث ابن عباس مطوَّلاً في قصة أُحد. وإسناده حسن.

(٢) في نسخة على حاشية (ز) هنا: قال ابن هشام: التبدين: الضَّعف، والتبدين مصدر بدَّنتُ، قال الشاعر:

وكنت خِلتُ الشَّيبَ والتَّبدينا ... والهَمَّ ممّا يُذهِلُ القَرِينا

وبدَّنتُ، مثقَّل بمعنى: كَبِرتُ وأسنَنتُ.

قلنا: وقوله: ظاهَرَ بين درعين، معناه: لبس درعاً فوق درع.

(٣) أي: وَجَبَت له الجنة.

(٤) إسناده صحيح. =

قال ابن هشام: وبَلَغَني عن عِكْرمةَ عن ابن عبّاسٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ لم يَبلُغ الدَّرجةَ المبنيَّةَ في الشِّعب[1].

قال ابن هشام: وذكرَ عمرُ مولى غُفْرةَ: أنّ النبيَّ ﷺ صلَّى الظُّهرَ يومَ أُحدٍ قاعداً من الجِراحِ التي أصابته وصلَّى المسلمون خلفَه قُعوداً[2].

= وأخرجه أحمد (١٤١٧)، والترمذي (١٦٩٢) و(٣٧٣٨)، وابن حبان (٦٩٧٩)، والحاكم (٤٣٥٨) و(٥٧٠٢) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وبعضهم يختصره.

وقد وصله أيضاً ابن إدريس عن ابن إسحاق بحديث سعدٍ كما وقع عند الدَّورقي في «مسند سعد» (٩٠).

وأخرج منه المظاهرةَ بين الدرعين البزار في «مسنده» (١١٠٣) وابن عديّ في «الكامل» ٢/ ٣٣٤، من طريقين يقوّي أحدهما الآخر عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه.

وتقدم تخريج هذه القطعة منه أيضاً من غير هذا الوجه ص٣٨.

(١) خبر حسنٌ وهذا إسناد ضعيف لإعضاله بين ابن هشام وعكرمة.

لكن روي في حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس في حديث طويل عند أحمد (٢٦٠٩) والحاكم (٣٢٠١) بلفظ: لم يبلغوا حيث يقول الناسُ الغارَ، إنما كانوا تحت المِهراس. وإسناده حسن، فالظاهر أنه المكان نفسه لكن تختلف مسمَّياته.

(٢) ضعيف لضعف عمر مولى غُفرة: واسمه عمر بن عبد الله أبو حفص، وهو من صغار التابعين، فهو على هذا مرسل، ثمّ إن الإسناد بينه وبين ابن هشام معضل.

وقد صحَّ هذا الخبر في غير يوم أُحد، فقد روى أنس بن مالك وجابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ ركب فرساً بالمدينة فصرعه، فخُدِشَ النبيُّ في شقِّه الأيمن وانفكّت قدمه، فأتاه نفرٌ من أصحابه يعودونه، فحضرت صلاةٌ فصلَّى بهم قاعداً وأشار إلى أصحابه فصلَّوا خلفه قعوداً، وهو من حديث أنس بن مالك عند أحمد (١٣٠٧١) والبخاري (٣٧٨) و(٦٨٩) و(١١١٤) ومسلم (٤١١)، ومن حديث جابر عند أحمد (١٤٢٠٥) وأبي داود (٦٠٢) وغيرهما. وأفاد ابن حبان في «صحيحه» ٥/ ٤٩٢: أن هذه الواقعة كانت في شهر ذي الحجّة آخر سنة خمس من الهجرة. =

قال ابن إسحاق: وقد كان الناسُ انهَزَموا عن رسول الله ﷺ حتّى انتهى بعضُهم إلى المُنقَّى دونَ الأَعوَص[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن محمود بن لَبيدٍ قال: لمّا خرج رسولُ الله ﷺ إلى أُحدٍ، رَفَعَ حُسَيلَ بن جابرٍ - وهو اليَمَانُ أبو حُذَيفةَ بنِ اليَمَان - وثابتَ بن وَقْشٍ في الآطامِ مع النّساءِ والصِّبيان، فقال أحدُهما لصاحبه - وهما شيخانِ كبيرانِ -: لا أَبا لك، ما نَنتظِرُ! فواللهِ ما بقيَ لواحدٍ منّا من عُمرِه إلّا ظِمْءُ حِمارٍ[2]، إنّما نحن هامَةُ اليومِ أو غدٍ[3]، أفلا نأخُذُ أسيافَنا ثمّ نَلحَقُ برسول الله ﷺ، لعلَّ اللهَ يَرزُقُنا شهادةً مع رسول الله ﷺ، فأَخذا أسيافَهما ثمّ خَرَجا حتّى دَخَلا

= وانظر «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني ٣/ ٢٠٩-٢١٠ وما قبله وما بعده في بيان مسألة صلاة المأمومين قعوداً إذا صلّى إمامهم قاعداً لعلّةٍ.

(١) أسند هذا يحيى بن سعيد الأُموي عند ابن حبان (٧٠٢٥) عن ابن إسحاق، عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جدّه قال: قد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى دون الأعراض على جبل بناحية المدينة. ورجاله ثقات، وأغلبُ الظنِّ أن كلمة الأعراض محرَّفة عن: الأعوص.

والأعوص: وادٍ شمال شرقيّ المدينة على قرابة ١٥ كم، وأما المنقَّى فذكر البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٣٠٤: أن الطُّرق في الحِرار تُنقَّى من الحجارة حتى يَسلُكها الناس والدواب، فيُسمَّى أحدها مُنقَّى، والمراد هنا هو الطريق الخارج من المدينة باتجاه الشرق، حيث كان يمرُّ في حَرّة بني حارثة، وهو على مرأى من أُحدٍ جنوباً شرقيّاً بينهما وادي قناة.

(٢) الظِّمْء: مقدار ما يكون بين الشَّربتين، وأقصر الأظماء ظِمءُ الحمار، لأنه لا يصبر عن الماء، فضُرِب مثلاً لقرب الأَجل.

(٣) يعني: أنهما مُشفِيان على الموت، وأصله من قول الجاهلية: إنَّ الميت إذا مات خرج من رأسه طائرٌ يسمّى الهامة.

في النّاس ولم يُعلَمْ بهما، فأمّا ثابتُ بن وَقْشٍ فقتله المشركون، وأمّا حُسَيلُ بن جابرٍ فاختَلَفَت عليه أسيافُ المسلمين فقتلوه ولا يَعرِفونَه، فقال حذيفةُ: أَبي! قالوا: واللهِ إنْ عَرَفْناه، وصَدَقوا، قال حذيفةُ: يَغفِرُ الله لكم وهو أرحَمُ الرَّاحمين، فأرادَ رسولُ الله ﷺ أن يَدِيَه، فتَصدَّقَ حذيفةُ بدِيَتِه على المسلمين، فزادَهُ ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنّ رجلاً منهم كان يُدعَى حاطبَ بن أُميَّة بن رافع وكان له ابنٌ يقال له: يزيدُ بن حاطبٍ، أصابته جِراحةٌ يومَ أُحد، فأُتي به إلى دار قومِه وهو بالموت، فاجتَمَعَ إليه أهلُ الدّار، فجَعَلَ المسلمون يقولون من الرِّجال والنِّساءِ: أبشِرْ يا ابنَ حاطبٍ بالجنّة، قال: وكان حاطبٌ شيخاً قد عَسَا[2] في الجاهليّة، فنَجَمَ[3] يومئذٍ نفاقُه، فقال: بأيِّ شيءٍ تُبشِّرونَه؟! أبِجنّةٍ من حَرْمَلٍ، غَرَرتُم واللهِ هذا الغلامَ من نفسِه[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة قال: كان فينا رجلٌ أَتِيٌّ لا يُدرَى ممَّن هو[5] يقال له: قُزْمانُ، وكان رسولُ الله ﷺ يقول إذا ذُكِرَ له: «إنَّه لَمِنْ

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٣٦٣٩)، والحاكم (٤٩٧٠) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٢) أي: كبر واشتدَّ.

(٣) أي: ظهر وبانَ.

(٤) سلف هذا الخبر ٢/ ١٨٥.

(٥) في نسخة على حاشية (ز) هنا: قال ابن هشام: الأَتِيُّ الغريبُ الذي لا يدرى ممّن هو، ومنه قيل للسيل: أَتِيٌّ، لأنه لا يدرى من أين يأتي، قال النابغة:

خلَّتْ سبيلَ أَتِيٍّ كان يحبسُه ورَفَّعَته إلى السَّجفَينِ فالنَّضَدِ

أهلِ النَّارِ»، قال: فلمّا كان يومُ أُحدٍ قاتَلَ قتالاً شديداً، فقَتَل وحدَه ثمانيةً أو سبعةً من المشركين، وكان ذا بأسٍ، فأثبَتَته الجِراحةُ فاحتُمِلَ إلى دار بني ظَفَرٍ، قال: فجَعَلَ رجالٌ من المسلمين يقولون له: والله لقد أبلَيتَ اليومَ يا قُزْمانُ، فأبشِرْ، قال: بماذا أَبشَرُ؟! فواللهِ إن قاتلتُ إلّا عن أحسابِ قومي، ولولا ذلك ما قاتَلتُ. قال: فلمّا اشتَدَّت عليه جِراحَتُه أَخذ سهماً من كِنانَتِه فقتل به نفسَه[1].

قال ابن إسحاق: وكان ممّن قُتِلَ يومَ أُحدٍ مُخَيريقٌ، وكان أحدَ بني ثَعْلبة بن الفِطْيَون، قال: لمّا كان يومُ أُحدٍ قال: يا مَعشَرَ يهودَ، والله لقد عَلِمتُم أنّ نصرَ محمّد عليكم لَحَقٌّ، قالوا: إنّ اليومَ يومُ السَّبت، قال: لا سبتَ، فأَخذ سيفَه وعُدَّتَه وقال: إن أُصِبتُ فمالي لمحمّدٍ يَصنَعُ فيه ما يشاءُ، ثمّ غَدَا إلى رسول الله ﷺ فقاتَلَ معه حتّى قُتِلَ، فقال رسول الله ﷺ ـ فيما بَلَغَنا ـ: «مُخَيريقٌ خيرُ يَهُودَ»[2].

قال ابن إسحاق: وكان الحارثُ بن سُوَيد بن صامتٍ منافقاً، فخرج يومَ أُحدٍ مع المسلمين، فلمّا التَقَى الناسُ عَدَا على المُجذَّر بن ذِيَادٍ البَلَويِّ وقيسِ بن زيدٍ أحد بني ضُبَيعة، فقتلهما، ثمّ لَحِقَ بمكّة بقريش، وكان رسولُ الله ﷺ ـ فيما يَذكُرون ـ قد أمَرَ عمرَ بن الخطّاب بقتلِه إن هو ظَفِرَ به، ففاتَه فكان بمكّة، ثمّ بَعَثَ إلى أخيه الجُلَاس بن سُوَيدٍ يَطلُبُ التّوبةَ ليَرجِعَ إلى قومه، فأنزَلَ الله تعالى فيه فيما بَلَغَني عن ابن عبّاسٍ: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران:٨٦] إلى آخر القِصّة[3].

قال ابن هشام: حدّثني مَن أثِقُ به من أهلِ العلم: أنّ الحارثَ بن سُوَيد قَتَل

(١) صحيح لغيره، وقد تقدم ٢/ ١٨٦.

(٢) خبر ضعيف، وقد تقدم ٢/ ١٧٤.

(٣) خبر ابن عباس صحيح لكن ليس فيه ذكر للحارث بن سويد كما قد تقدم بيانه ٢/ ١٧٩.

المُجذَّرَ بن ذِيَادٍ ولم يَقتُل قيسَ بن زيدٍ، والدّليلُ على ذلك أنّ ابنَ إسحاق لم يَذكُره في قتلى أُحد؛ وإنّما قَتَل المُجذَّرَ لأنّ المُجذَّرَ كان قَتَل أباه سُوَيداً في بعض الحروب التي كانت بين الأَوس والخَزرَج، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب[1].

فبَيْنا رسولُ الله ﷺ في نَفَرٍ من أصحابه، إذ خرج الحارثُ بن سُوَيد من بعض حوائطِ المدينة وعليه ثوبانِ مُضرَّجانِ[2]، فأمَرَ به رسولُ الله ﷺ عثمانَ بن عَفّان فضَرَبَ عُنُقَه، ويقال: بعضَ الأنصار[3].

قال ابن إسحاق: قتل سُوَيدَ بن الصّامتِ معاذُ ابنُ عَفْراءَ غِيلةً في غير حربٍ، رَمَاه بسهمٍ فقتله قبل يومِ بُعَاثَ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني الحُصَينُ بن عبد الرَّحمن بن عمرو بن سعد بن معاذٍ، عن أبي سفيانَ مولى ابن أبي أحمدَ، عن أبي هُرَيرة قال: كان أبو هريرةَ يقول: حدِّثوني عن رجلٍ دَخَلَ الجنّةَ لم يُصلِّ قَطُّ، فإذا لم يَعرِفْه النّاسُ سأَلوه: مَن هو؟ فيقول: أُصَيرِمُ بني عبد الأشهَل؛ عمرُو بن ثابتِ بن وَقْشٍ.

قال الحصينُ: فقلت لمحمود بن لَبِيدٍ[4]: كيف كان شأنُ الأُصَيرِم؟ قال: كان

---

(١) انظر ٢/ ١٧٨.

(٢) حوائط المدينة: بساتينها. والمضرَّج: المُشبَع حُمرةً كأنه ضُرِّج بالدم، أي: لُطِخ به.

(٣) ذكر الواقديُّ عن أشياخه فيما رواه عنه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٣١٣: أنَّ الذي ضرب عنقه بأمر النبيِّ ﷺ هو عُوَيم بن ساعدة الأنصاريُّ. فالله تعالى أعلم بحقيقة ذلك، فالأخبار فيه مقاطيع لم تُسنَد.

وانظر التعليق على سبب نزول الآية المذكورة فيما تقدم عند ذكر منافقي الأوس والخزرج ٢/ ١٧٨-١٧٩.

(٤) تحرف في مطبوعة السقا وصاحبيه إلى: محمود بن أسد.

يأبَى الإسلامَ على قومه، فلمّا كان يومُ خَرَجَ رسولُ الله ﷺ إلى أُحدٍ، بَدَا له في الإسلام فأسلَمَ، ثمّ أَخذَ سيفَه فغَدَا حتّى دخل في عُرْضِ النّاس، فقاتَلَ حتّى أثبَتَته الجِراحةُ، قال: فبَيْنا رجالٌ من بني عبد الأشهَلِ يَلتَمِسون قَتْلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: واللهِ إنّ هذا لَلأُصَيرِمُ، ما جاءَ به؟ لقد تَرَكْناه وإنّه لمُنكِرٌ لهذا الحديث، فسألوه ما جاءَ به فقالوا: ما جاءَ بك يا عمرُو؟ أحَدَبٌ على قومك، أم رَغْبةٌ في الإسلام؟ قال: بل رَغْبةٌ في الإسلام، آمَنتُ بالله وبرسولِه وأسلَمتُ، ثمّ أخذتُ سيفي فغَدَوتُ مع رسول الله ﷺ، ثمّ قاتَلتُ حتّى أَصابني ما أَصابني، ثمّ لم يَلبَثْ أن مات في أيديهم، فذَكَرُوه لرسول الله ﷺ، فقال: «إنَّه لَمِنْ أَهلِ الجَنَّةِ»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ، عن أشياخٍ من بني سَلِمةَ: أنّ عَمرَو بن الجَمُوحِ كان رجلاً أعرَجَ شديدَ العَرَج، وكان له بَنُونَ أربعةٌ مِثلُ الأُسْد يَشهَدُون مع رسول الله ﷺ المشاهدَ، فلمّا كان يومُ أُحدٍ أرادوا حَبْسَه، وقالوا له: إنّ الله قد عَذَرَك، فأَتى رسولَ الله ﷺ فقال: إنَّ بَنِيَّ يريدون أن يَحبِسُوني عن هذا الوجهِ

---

(١) إسناده حسن من أجل الحصين بن عبد الرحمن.

وأخرجه أحمد (٢٣٦٣٤) من طريق إبراهيم بن سعد الزُّهري، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وروى حديثَ أبي هريرة مفصَّلاً أبو سلمة بنُ عبد الرحمن عنه: أنّ عمرو بن أُقيش (وهو عمرو بن ثابت نفسه) كان له رباً في الجاهلية، فكَرِهَ أن يُسلِم حتى يأخذه، فجاء يومَ أُحد فقال: أين بنو عمّي؟ قالوا: بأُحد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأُحد، قال: فأين فلان؟ قالوا: بأُحد، فلبس لَأمتَه (أي: درعه وسلاحه) وركب فرسه، ثم توجّه قِبَلَهم، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنّا يا عمرو، قال: إني قد آمنتُ، فقاتل حتى جُرِح، فحُمِل إلى أهله جريحاً، فجاءه سعد بن معاذ فقال لأخته: سَلِيه: حَميّةً لقومِك، أو غضباً لهم، أم غضباً لله ورسوله؟ فقال: بل غضباً لله ولرسوله، فمات، فدخل الجنّةَ وما صلّى لله صلاةً. أخرجه أبو داود (٢٥٣٧) والحاكم (٢٥٦٥)، وإسناده حسن.

والخروجِ معك فيه، فواللهِ إنّي لَأَرجُو أن أطَأَ بعَرْجَتي هذه في الجنّة، فقال رسولُ الله ﷺ: «أمّا أنتَ، فقد عَذَرَكَ اللهُ فلا جِهادَ عليكَ» وقال لبَنِيهِ: «ما عَليكُم أن لا تَمنَعُوه، لَعَلَّ اللهَ أن يَرزُقَه الشَّهادةَ»، فخرج معه فقُتِلَ يومَ أُحدٍ[1].

قال ابن إسحاق: ووَقَعَت هندٌ بنتُ عُتْبة ـ كما حدّثني صالحُ بن كَيْسان ـ والنِّسوةُ اللّاتي معها يُمثِّلْنَ بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يُجدِّعْنَ[2] الآذانَ والآنُفَ حتّى اتَّخَذَت هندٌ من آذان الرِّجال وآنُفِهم خَدَماً وقلائدَ، وأعطَتْ خَدَمَها وقلائدَها وقِرَطَتَها[3] وَحْشيّاً غلامَ جُبَير بن مُطعِم، وبَقَرَت عن كَبِدِ حمزة فلاكَتْها، فلم تستطع

(١) خبر صحيح، فالأشياخ من بني سَلِمة ـ وهم رهطُ عمرو بن الجموح ـ إن كان أحد منهم من الصحابة فقد اتصل الإسناد وصحَّ، وإلا فهو مرسل وقد جاء ما يشهد له.

وأخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٩٨٢)، والبيهقي في «السنن» ٩/ ٢٤ وفي «الدلائل» ٣/ ٣٤٦ من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ويشهد له بنحوه مرسل عكرمة مولى ابن عباس عند ابن المبارك في «الجهاد» (٧٨)، ورجاله ثقات.

وذُكِر خبر خروج عمرو بن الجموح أيضاً في حديث أبي قتادة الأنصاري عند أحمد (٢٢٥٥٣)، وفي آخره عن النبي ﷺ قال: «كأنّي أنظرُ إليك تمشي برجلك هذه صحيحةً في الجنة». وإسناده حسن.

وفي حديث جابر بن عبد الله عند ابن حبان (٧٠٢٤)، وفيه: أن عمرو بن الجموح قال: والذي نفسي بيده، لا أرجعُ إلى أهلي حتى أدخل الجنة، فقال له عمر بن الخطاب: يا عمرو، لا تَأَلَّ على الله (أي: لا تحكم على الله بحَلِفك)، فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عُمَر، فإنّ منهم مَن لو أقسم على الله لأبرَّه، منهم عمرو ابن الجَمُوح، يَخُوض في الجنة بعَرجتِه». وإسناده حسن أيضاً.

(٢) يجدِّعن: يقطِّعن.

(٣) الخَدَم: جمع خَدَمة، وهي الخَلْخال تضعه المرأة في رِجْلها. والقلائد: جمع قِلادة، وهي ما يوضع في العنق. والقِرَطة: جمع قُرْط، وهو الذي يُعلَّق في شحمة الأُذن.

أن تُسيغَها فلَفَظَتها[1].

ثمّ عَلَتْ على صخرةٍ مُشرِفةٍ فصَرَخت بأعلى صوتِها فقالت:

نحـــنُ جَزَينـــاكمْ بيـــومِ بـــدرِ والحربُ بعدَ الحربِ ذاتُ سُعْرِ[2]

مـا كـان عـن عُتْبـةَ لـي مـن صَبْرِ ولا أَخـــي وعَمِّـــه وبِكْـــري[3]

شَـفَيتُ نَفْسـي وقَضَـيتُ نَـذْري شَـفَيتَ وَحْشـيُّ غَلِيـلَ صَـدْري[4]

فشُـكْرُ وحشـيٍّ علـيَّ عُمْـري حتّـى تَـرِمَّ أَعظُمـي في قَبْـري[5]

---

(١) إسناده ضعيف لإرساله، فصالح بن كيسان من صغار التابعين.

وقد رواه عن ابن إسحاق أيضاً غير واحد كما في «سيرته» ص٣٣٣، وفي «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٢٥، و«تفسير ابن المنذر» (١٠٤٢).

وقصة لَوْك هندٍ لكبدِ حمزة رضي الله عنه لها شاهدٌ من حديث الشَّعبيّ عن ابن مسعود عند أحمد (٤٤١٤) قال: فنظروا فإذا حمزةُ قد بُقِرَ بطنه (أي: شُقَّ) وأَخذت هندٌ كبدَه فلاكتها، فلم تستطع أن تأكلها. وإسناده ضعيف لانقطاعه بين الشعبي وابن مسعود.

وآخر من مرسل ابن سِيرِين عند ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ١١ قال: بلغني أن هنداً كانت قد نَذَرَت: لئن قَدَرَت على حمزة لتأكلنَّ من كبده؛ فلمّا كان حيث أُصيب حمزة ومثلوا بالقتلى وجاؤوا بحَزّةٍ (أي: بقطعة) من كبد حمزة، فأخذتها تمضغها لتأكلها فلم تستطع أن تبتلعها فلَفَظَتها. وهذا ضعيف لإرساله، لكن بالمجموع يتقوّى أصل هذا الخبر، والله تعالى أعلم.

(٢) السُّعُر، بضم العين وسُكّنت هنا تخفيفاً: الالتهاب والتوقد.

(٣) البِكْر: أول ولد الإنسان، ولعلها تعني هنا تجوُّزاً حنظلةَ بن أبي سفيان الذي قتله عليٌّ يوم بدر، فهو بِكْر أبي سفيان لكن من غيرها وبه كان يُكنى أحياناً، وحنظلة هذا أخو أم حبيبة زوج النبي ﷺ، وأُمُّهما هي صفيّة بنت أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس كما في «نسب قريش» لمصعب الزبيري ص١٠٠ و١٢٤.

(٤) الغليل: العطش، أو حرارة الجوف.

(٥) تَرِمّ: تبلى وتتفتّت.

فأجابتها هندٌ بنت أُثاثة بن عبّاد بن المُطَّلِب فقالت:

خُزِيتِ في بدرٍ وبعدَ بدرِ ... يا بنتَ وَقّاعٍ عظيمِ الكُفرِ[1]

صَبَّحَكِ اللهُ غَداةَ الفَجرِ ... مِلْهاشميِّينَ الطِّوالِ الزُّهْرِ[2]

بكلِّ قَطّاعٍ حُسامٍ يَفْري ... حمزةُ لَيْثي وعليٌّ صَقْري[3]

إذ رامَ شَيبٌ وأبوكِ غَدْري ... فخَضَّبا منه ضَواحي النَّحْرِ[4]

ونَذرُكِ السُّوءَ فشَرُّ نَذرِ

قال ابن هشام: تركنا منها ثلاثة أبياتٍ أقذَعَت فيها[5].

قال ابن إسحاق: وقالت هندٌ بنتُ عُتْبة أيضاً:

شَفَيتُ من حمزةَ نفسي بأُحُدْ ... حتّى بَقَرتُ بطنَهُ عن الكَبِدْ[6]

أذْهَبَ عنّي ذاكَ ما كنتُ أَجِدْ ... من لَذْعةِ الحُزنِ الشّديدِ المعتَمِدْ[7]

والحربُ تَعلُوكم بشُؤْبُوبٍ بَرِدْ ... تُقدِمُ إقداماً عليكمْ كالأَسَدْ[8]

---

(١) الوقّاع: الكثير الوقوع في الدنايا.

(٢) مِلهاشميِّين، أرادت: من الهاشميِّين، فحذفت نون مِنْ لالتقاء الساكنين. والزُّهر: البِيض، الواحد: أَزهر.

(٣) الحسام: السيف القاطع. ويَفْري: يقطع.

(٤) شَيْب: أرادت شيبةَ، فرخّمته في غير النداء، وهو ابن ربيعة عمُّ هند بنت عتبة. وضواحي النَّحر: ما ظهر منه، يقال: ضَحَى الشيءُ، إذا بَرَز وظَهَر، والنَّحر: الصدر.

(٥) أي: أفحشَت القول فيها.

(٦) بقرتُ بطنه، أي: شَقَقتُه.

(٧) اللَّذعة: ألم النار، أو ما يشبَّه بها. والمعتمد: الحزن القاصد المؤلم.

(٨) الشُّؤبوب: دُفْعة المطر الشديدة، وبَرِدْ: أي ذو بَرْدٍ، شبّهت الحرب بها.

قال ابن إسحاق: فحدّثني صالحُ بن كَيْسان[1] أنّه حُدِّثَ: أنّ عمرَ بن الخَطّاب قال لحسّانَ بن ثابتٍ: يا ابنَ الفُرَيعةِ ـ قال ابن هشام: الفُرَيعةُ بنتُ خالد بن خُنَيس، ويقال: خَنْبَش بنِ حارثة بن لَوْذانَ بن عبد وَدّ بن زيد بن ثَعْلبة بن الخَزرَج بن ساعدة ابن كعب بن الخَزرَج ـ لو سمعتَ ما تقول هندٌ، ورأيتَ أَشَرَها[2] قائمةً على صخرة تَرتجِزُ بنا وتذكرُ ما صَنَعَت بحمزة! قال له حسّانُ: والله إنّي لَأنظُرُ إلى الحَرْبة تَهْوي وأنا على رأس فارعٍ ـ يعني أُطُمَه[3] ـ فقلت: والله إنّ هذه لَسلاحٌ ما هي بسلاح العرب وكأنّها إنّما تَهْوي إلى حمزةَ ولا أدري، لكن أَسمِعْني بعض قولها أَكفِيكُموها. قال: فأنشَدَه عمرُ بعضَ ما قالت، فقال حسّانُ بن ثابتٍ:

أَشِرَت لَكَاعٍ وكان عادَتُها ... لُؤماً إذا أَشِرَت مع الكُفرِ[4]

قال ابن هشام: وهذا البيت في أبياتٍ له تركناها وأبياتاً أيضاً له على الدّال وأبياتاً أُخَر على الذّال[5]، لأنّه أَقذَعَ فيها.

---

(١) صالح بن كيسان ثقة فقيه من صغار التابعين من أهل المدينة، فخبره هذا مرسلٌ.

(٢) الأَشَر: البَطَر.

(٣) الأُطُم: البناء المرتفع كالحِصن، وجمعه: آطام.

(٤) اللَّكاع: اللَّئيمة، يقال للمؤنث: لَكاعٍ، وللمذكر: لُكَع. قال السهيلي في «الروض» ٦/ ٣٧: لكاعٍ، جعله اسماً لها في غير النداء، وذلك جائز، وإن كان في النداء أكثر، نحو: يا غَدَارِ، ويا فَسَاقِ.

تنبيه: جاء في (ت) و(ش١) و(ص) و(غ) بعد هذا البيت زيادة بيت آخر وليس في (ز) و(م) و(ي):

لَعَنَ الإلٰهُ وزوجَها معَها ... هندَ الهنودِ طويلةَ البَظْرِ

والبَظْر: هي لحمة ناتئة في أعلى فرج المرأة.

(٥) انظر «ديوان حسان» بتحقيق وليد عرفات ١/ ٣٨٤-٣٨٥.

قال ابن إسحاق: وقد كان الحُلَيسُ بن زَبّان أخو بني الحارث بن عبد مَنَاة ـ وهو يومئذٍ سيِّدُ الأَحابيش[1] ـ قد مَرَّ بأبي سفيانَ وهو يضربُ في شِدْقِ حمزةَ بن عبد المُطَّلِب بزُجِّ الرُّمح ويقول: ذُقْ عُقَقُ[2]، فقال الحُلَيسُ: يا بني كِنانةَ، هذا سيِّدُ قريشٍ يَصنَعُ بابن عمِّه ما تَرَونَ لحماً[3]، فقال: وَيحَك اكتُمْها عنّي، فإنّها كانت زَلّةً.

ثمّ إنَّ أبا سفيانَ حين أراد الانصرافَ أشرَفَ على الجبل ثمّ صَرَخَ بأعلى صوته: أنعَمَتْ فعَالْ[4]، إنَّ الحربَ سِجالْ، يومٌ بيوم بدر، اعْلُ هُبَلْ، أي: ظَهَرَ[5] دينُك، فقال رسول الله ﷺ: «قُمْ يا عمرُ فأَجِبْه، فقل: اللهُ أَعلَى وأَجَلّ، لا سَوَاءٌ[6]، قَتْلانا

---

(١) انظر الكلام على الأحابيش فيما تقدم ١/ ٤٤٣.

(٢) الشِّدق: جانب الفم. وزُجُّ الرمح: حديدة في أسفله. وقوله: ذق عُقَق، أراد: يا عاقُّ، فعَدَلَه إلى فُعَل.

(٣) لحماً، أي: ميّتاً لا يقدر على الانتصار.

(٤) هكذا قُيِّدت اللام فيها وفي «سجال» بالسكون في (ز) و(ش١) و(م)، وقيِّدتا في (ص) بالكسر، وكلاهما لإرادة السَّجع، ويريد بقوله: أنعمَتْ، الأزلامَ وهي القِدَاح التي كانوا يستقسمون بها في زمن الجاهلية، أي: أنها صدقت في فتواها لهم بالخروج إلى أُحد، وقوله: فعَال، أمرٌ والفاءُ للعطف، أي: عالِ عنها وأَقصِرْ عن لَومها، تقول العرب: اعلُ عنّي، وعالِ عنّي، بمعنًى، أي: ارتفِعْ عنّي ودَعْني. انظر «غريب الحديث» للخطّابي ٢/ ٢٥٥-٢٥٦، و«الروض الأنف» للسهيلي ٦/ ٤٦.

والسِّجال: أن يَغلِب هؤلاء مرةً وهؤلاء مرةً، وأصله من المُساجَلة في الاستقاء، وهو أن يُخرِج المستقي من الماء مثل ما يُخرِج صاحبه، والسَّجْل: الدَّلْو.

(٥) في (غ): أَظهِر. وهُبَل: اسم صنم.

(٦) قال السهيلي في «الروض» ٦/ ٤٧: أي: لا نحنُ سواءٌ، ولا يجوز دخول (لا) على اسم =

في الجنَّةِ وقَتْلاكم في النّار»، فلمّا أجابَ عمرُ أبا سفيان قال له أبو سفيان: هَلُمَّ إليَّ يا عمرُ، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «ائتِهِ فانظُرْ ما شَأْنُه»، فجاءَه فقال له أبو سفيان: أنشُدُكَ اللهَ يا عمرُ، أقَتَلْنا محمّداً؟ قال عمرُ: اللّهمَّ لا، وإنّه لَيَسمَعُ كلامَك الآنَ، قال: أنت أصدَقُ عندي من ابن قَمِئَةَ وأبَرُّ؛ لقول ابن قَمِئَةَ لهم: إنّي قد قتلتُ محمّداً.

قال ابن هشام: واسم ابن قَمِئَةَ عبدُ الله.

قال ابن إسحاق: ثمّ نادى أبو سفيانَ: إنَّه قد كان في قَتْلاكم مُثْلٌ، والله ما رَضِيتُ وما سَخِطتُ، وما نَهَيتُ وما أَمَرتُ[1].

ولمّا انصَرَفَ أبو سفيانَ ومَن معه نادى: إنّ مَوعِدَكم بدرٌ للعامِ القابلِ، فقال رسولُ الله ﷺ لرجلٍ من أصحابه: «قُلْ: نَعَم، هو بيننا وبينكم مَوعِدٌ»[2].

= مبتدأ معرفة إلا مع التَّكرار، نحو: لا زيدٌ قائمٌ، ولا عمرٌو خارجٌ، ولكنه جاز في هذا الموضع لأن القصد فيه إلى نفي الفعل، أي: لا نستوي.

(١) هذا الخبر في المحاورة بين أبي سفيان وبين المسلمين وهم في الجبل صحيح، وقد بيَّن سلمةُ بن الفضل في روايته عن ابن إسحاق عند الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥٤-١٥٥ أنه رواه عن ابن شهاب الزهري مرسلاً.

وقد جاء ما يشهد له من حديث البراء بن عازب عند أحمد (١٨٥٩٣) والبخاري (٣٠٣٩) و(٤٠٤٣).

ومن حديث ابن عباس عند أحمد (٢٦٠٩) والحاكم (٣٢٠١)، وإسناده حسن.

(٢) روى هذه المواعدةَ النسائيُّ في «الكبرى» (١١٠١٧) بإسناد صحيح من حديث ابن عباس قال: لما انصرف المشركون عن أُحد وبلغوا الرَّوحاءَ، قالوا: لا محمداً قتلتموه، ولا الكواعبَ أردفتم، وبئسَ ما صنعتم، ارجِعُوا، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فنَدَبَ الناسَ فانتدبوا حتى بلغوا حمراءَ الأَسد... فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ [آل عمران:١٧٢]، وقد كان أبو سفيان قال للنبي ﷺ: موعدك موسمُ بدر حيث قتلتم أصحابَنا.

ثمّ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ فقال: «اخرُجْ في آثارِ القومِ، فانظُرْ ماذا يَصنَعُونَ وماذا يُرِيدونَ، فإنْ كانوا قد جَنَبُوا الخيلَ[1] وامتَطَوُا الإبِلَ، فإنَّهم يُرِيدونَ مكّةَ، وإنْ رَكِبُوا الخيلَ وساقُوا الإبِلَ، فإنَّهم يُرِيدونَ المدينةَ، والَّذي نفسي بيَدِه، لئِنْ أَرادُوها لَأسِيرَنَّ إليهم فيها ثمَّ لَأُناجِزَنَّهم».

قال عليّ: فخَرَجت في آثارهم أنظُرُ ماذا يَصنَعون، فجَنَبوا الخيلَ وامتَطَوا الإبِلَ ووَجّهوا إلى مكّة[2].

وفَرَغَ الناسُ لقتلاهم، فقال رسول الله ﷺ ـ كما حدّثني محمّدُ بن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن أبي صَعصَعةَ المازني أخو بني النَّجّار ـ: «مَن رجلٌ يَنظُرُ لي ما فَعَلَ سعدُ بنُ الرَّبيعِ، أَفي الأَحياءِ هو أَم في الأَمواتِ؟» فقال رجلٌ من الأنصار[3]: أنا أنظُرُ لك يا رسول الله ما فَعَلَ سعدٌ.

فنَظَرَ فوَجَدَه جريحاً في القتلى وبه رَمَقٌ، قال: فقلت له: إنّ رسولَ الله ﷺ أمَرَني أن أنظُرَ أفي الأحياءِ أنت أم في الأموات! قال: أنا في الأموات، فأَبلِغْ رسولَ الله ﷺ عنّي السلامَ وقل له: إنَّ سعدَ بن الرَّبيعِ يقول: جَزَاكَ اللهُ عنّا خيرَ ما جَزَى نبيّاً عن

(١) جَنَبوا الخيل، أي: قادوها إلى جنوبهم وهم على ركائبهم من الإبل.

(٢) وفي مغازي موسى بن عُقبة ـ وهي من أصح المغازي ـ كما في «دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٢١٣: أن رسول الله ﷺ بعث في آثارهم سعدَ بنَ أبي وقّاص.

(٣) ذكر الواقدي في «مغازيه» ١/ ٢٩٢: أنه محمد بن مَسلَمة، ويقال: أُبيّ بن كعب. وذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٢٨٠ من رواية رُبيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جدّه: أنَّ الرجلَ الذي ذهب يطلب سعد بن الربيع هو أُبيّ بن كعب.

وروى الحاكم (٤٩٦٧) بإسناد ضعيف جداً عن زيد بن ثابت: أنه هو من بعثه النبيُّ ﷺ لطلب سعد بن الربيع؛ وهذا مع ضعف إسناده منكرٌ أيضاً، إذ إن زيداً لم يشهد أُحداً لصِغَر سنِّه، وأول مشاهده مع النبي ﷺ الخندقُ.

أُمّته، وأَبلِغْ قومَك عنّي السلامَ وقل لهم: إنّ سعدَ بن الرَّبيعِ يقول لكم: إنّه لا عُذْرَ لكم عندَ الله إنْ خُلِصَ إلى نبيِّكم ﷺ وفيكم[1] عينٌ تَطرِفُ، قال: ثمّ لم أَبرَحْ حتّى مات، قال: فجئتُ رسولَ الله ﷺ فأخبرتُه خبرَه[2].

قال ابن هشام: وحدّثني أبو بكرٍ الزُّبَيريُّ[3]: أنّ رجلاً دخل على أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ

---

(١) في (ز) و(غ): ومنكم.

وقوله: عين تَطرِف، الطَّرْفُ: تحريك الجُفون في النظر.

(٢) هذا خبر مرسل حسنٌ بشواهده، ومحمد بن عبد الله بن أبي صعصعة المازني من ثقات أتباع التابعين.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» ص٣٣٤-٣٣٥، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٢٨، و«تفسير ابن المنذر» (١١٨٧)، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٢٨٥ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه عبدُ الله بن المبارك عند الحاكم (٤٩٦٨) عن ابن إسحاق أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة حدَّثه عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال؛ فذكر الحديث موصولاً عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، وهو صحابيٌّ أنصاريٌّ، لكن اختُلف على ابن المبارك في إسناده كما هو مبيَّن في التعليق على الحديث من «مستدرك الحاكم» طبعة دار الرسالة، والراجح إرساله.

وأخرج نحو هذا الخبر مالك في «الموطأ» ٢/ ٤٦٥ عن يحيى بن سعيد الأنصاري مرسلاً.

وأخرج نحوه أيضاً سعيد بن منصور في «سننه» (٢٨٤٢) بإسناد رجاله ثقات عن رجلٍ من بني مازن أنه بلغه: أنَّ رسول الله ﷺ قام يوم أُحُدٍ، وذكره. وهذا مرسلٌ مع إبهام راويه.

وأخرجه أيضاً ابن راهويه في «مسنده» كما في «المطالب العالية» لابن حجر (٤٢٦١) بإسناد فيه ضعفٌ عن عمرو بن يحيى بن عُمارة المازني مرسلاً.

(٣) هو ـ ظنّاً ـ عبدُ الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي الزُّبيري، المتوفَّى سنة ١٨٤هـ، وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ٨/ ٥١٧.

وعليه فخبره هذا معضَلٌ، لكن روي نحوه من غير هذا الوجه، فقد رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٨٤٢) من طريق سعيد بن أبي هلال عن رجل من بني مازن أنه بلغه: أن سعد بن =

وبنتٌ لسعدِ بن الرَّبيعِ جاريةٌ صغيرةٌ على صَدْرِه يَرشُفُها[1] ويقبِّلُها، فقال له الرّجلُ: مَن هذه؟ قال: هذه بنتُ رجلٍ خيرٍ منّي، سعدِ بن الرَّبيع، كان من النُّقَباءِ يومَ العَقَبة، وشَهِدَ بدراً، واستُشهِدَ يومَ أُحد.

قال ابن إسحاق: وخرج رسولُ الله ﷺ - فيما بَلَغَني - يَلتَمِسُ حمزةَ بنَ عبد المُطَّلِب، فوَجَدَه ببطن الوادي قد بُقِرَ بطنُه عن كَبِدِه، ومُثِّلَ به[2] فجُدِعَ أنفُه وأُذُناه.

فحدَّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير: أنّ رسولَ الله ﷺ قال حين رأى ما رأى: «لَوْلا أن تَحزَنَ صَفيَّةُ، ويكونَ سُنّةً من بَعْدي، لتَرَكتُه حتَّى يكونَ في بُطونِ السِّباعِ وحَواصِلِ الطَّيرِ، ولئِنْ أَظهَرَني اللهُ على قُريشٍ في مَوطِنٍ من المَواطنِ، لأَمثُلَنَّ بثلاثينَ رجلاً منهم»، فلمّا رأى المسلمون حُزْنَ رسول الله ﷺ وغَيْظَه على مَن فَعَلَ بعَمِّه ما فعلَ قالوا: والله لئِنْ أظفَرَنا اللهُ بهم يوماً من الدَّهر، لنَمثُلَنَّ بهم مُثْلةً لم يَمثُلْها أحدٌ من العرب[3].

= الربيع أُصيب فأوصى إلى أبي بكر الصديق، فدخل رجلٌ على أبي بكر، وذكره. وهذا مرسل مع إبهام راويه.

وأخرج الحاكم (٦٦٩٨) بإسنادٍ واهٍ عن أم سعد بنت سعد بن الربيع: أنها دخلت على أبي بكر الصديق، فألقى لها ثوبه حتى جلست عليه، فدخل عليه عمر بن الخطاب فقال: يا خليفة رسول الله، مَن هذه؟ قال: هذه بنتُ من هو خيرٌ مني ومنك، قال: ومن هو خير مني ومنك إلا رسول الله ﷺ؟! قال أبو بكر: رجل قُبِض على عهد رسول الله ﷺ تبوّأ مقعده من الجنة، وبقيتُ أنا وأنت.

(١) يرشفها: يمصّ ريقها، والمراد: يقبلها ويلاعبها.

(٢) أي: شُوِّهَ بجسده، يقال: مَثَلَ به يَمثُلُ، مخفَّفاً، ومثَّل به، مشدَّداً للمبالغة، والاسم منه: المُثْلة. وبُقر بطنه، أي: شُقَّ. وجُدع أنفه، أي: قُطع.

(٣) حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإعضاله، فإن محمد بن جعفر بن الزبير بن العوّام =

قال ابن هشام: ولمّا وَقَفَ رسولُ الله ﷺ على حمزةَ قال: «لن أُصابَ بمِثلِك

= من أتباع التابعين، وهو ثقة.

والخبر في «سيرة ابن إسحاق» ص٣٣٥ من طريق محمد بن سلمة، وفي «تاريخ الطبري» ٢/ ٥٢٨ من طريق سلمة بن الفضل، وفي «تفسير ابن المنذر» (١٠٤٤) من طريق إبراهيم بن سعد، وفي «دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٢٨٥-٢٨٦ من طريق يونس بن بكير، أربعتهم عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر. زاد يونس عن ابن إسحاق: وحدَّثَنيه بُرَيدةُ بن سفيان عن محمد ابن كعب القُرظي؛ وهذا مرسل أيضاً، فمحمد بن كعب ـ وهو القُرظي ـ تابعي صغير، وبريدة ضعيف جداً.

وخالف أحمد بن أيوب بن راشد البصري عند الطبراني في «الكبير» (١١٠٥١) فوصله فرواه عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى، عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن كعب القُرظي والحكم ابن عُتيبة، عن مِقسَم ومجاهد، عن ابن عباس. وأحمد بن أيوب ذكره ابن حبان في «الثقات» ٨/ ١٩ وقال: ربما أغرَبَ. قلنا: وهذا من غرائبه، فإن المحفوظ عن ابن إسحاق إرساله، كما أنه وقع في هذا الإسناد خطآن: الأول: رواية ابن إسحاق له عن محمد بن كعب، والصواب أن فيه بينهما بريدة بن سفيان الأسلمي كما في رواية يونس بن بكير السابقة وكما سيأتي قريباً عند ابن هشام، الثاني: رواية ابن إسحاق له عن الحكم بن عتيبة، والصواب أن فيه بينهما الحسن بن عُمارة ـ وهو ضعيف ـ كما في رواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٢٩.

لكن لهذا الخبر مقطَّعاً شواهدُ تقوّيه، منها حديث أنس بن مالك عند أحمد (١٢٣٠٠)، وأبي داود (٣١٣٦)، والترمذي (١٠١٦)، والحاكم (١٣٦٧): أن رسول الله ﷺ أتى على حمزةَ فوقف عليه وقد مُثل به، فقال: «لولا أن تجدَ صفيةُ في نفسها، لتركته حتى تأكله العافيةُ، حتى يُحشَر من بطونها». وإسناده محتمل للتحسين. والعافية: كل طالب رزق من أنواع الحيوان، والمراد السباع والطيور التي تأكل الأموات.

وحديث أبي هريرة عند الحاكم في «المستدرك» (٤٩٥٥)، لكن فيه: «لأمثلنّ بسبعين منهم». وإسناده ضعيف.

أبداً، ما وَقَفتُ مَوقِفاً قَطُّ أغيَظَ إليَّ مِن هذا» ثمّ قال: «جاءَني جِبريلُ فأخبَرَني أنَّ حمزةَ مكتوبٌ في أهلِ السَّماواتِ السَّبعِ: حمزةُ بن عبدِ المُطَّلِب، أسَدُ اللهِ وأسَدُ رسولِه»[1].

وكان رسولُ الله ﷺ وحمزةُ وأبو سَلَمة بن عبد الأسَد، إخوةً من الرَّضَاعة، أرضَعَتهم مولاةٌ لأبي لهبٍ[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بُرَيدةُ بن سفيانَ بن فَرْوة الأسلَميّ، عن محمّد بن كعبٍ القُرَظيّ؛ وحدّثني مَن لا أتّهم عن ابن عبّاسٍ: أنّ الله عزَّ وجلَّ أنزَلَ في ذلك من قولِ رسول الله ﷺ وقولِ أصحابه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل:١٢٦-١٢٧]، فعَفَا رسولُ الله ﷺ وصَبَرَ ونَهَى عن المُثْلَة[3].

---

(١) خبر ضعيف ذكره ابن هشام بلا إسناد.

وذكره الواقدي في «مغازيه» ١/ ٢٩٠ بلا إسناد أيضاً، وهو في «مستدرك الحاكم» (٤٩٤٢) من طريق الواقدي عن شيوخه، ولم يسمّهم. والواقديُّ متكلَّم فيه.

وأخرج الشطر الثاني منه الحاكم (٤٩٥٩) من حديث يحيى بن عبد الرحمن بن أبي لَبيبة عن جدّه عن النبي ﷺ. وإسناده ضعيف جداً، يحيى واهٍ، وجدُّه لا يعرف.

وقد روي في مرسل عُمير بن إسحاق مولى بني هاشم: أن حمزة كان يقاتل يوم أُحد بسيفين وهو يقول: أنا أسد الله وأسد رسوله. أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٩٥٣)، ورجاله لا بأس بهم، وهو كذلك عند الحاكم (٤٩٣٦) دون قوله: وأسد رسوله، ورواه مرةً أخرى (٤٩٤١) موصولاً عن عمير عن سعد بن أبي وقّاص، والمحفوظ إرساله.

(٢) واسمها ثُوَيبة، وقد تقدّم بيان ذلك ١/ ١٧٥.

(٣) حسن لغيره إن شاء الله مع ضعف إسناديه، فالإسناد الأول عن محمد بن كعب القرظي =

قال ابن إسحاق: وحدّثني حُمَيدٌ الطّويلُ عن الحسن عن سَمُرةَ بن جُندُبٍ قال: ما قامَ رسولُ الله ﷺ في مَقامٍ قطُّ ففارَقَه، حتّى يأمُرَنا بالصَّدَقةِ ويَنْهانا عن المُثْلة[1].

= مرسلاً فيه بريدة بن سفيان، وهو ضعيف جداً، والإسناد الثاني فيه إبهام الواسطة بين ابن إسحاق وابن عباس، وقد بيّنها سلمة بن الفضل في روايته عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٢٩ فقال عنه: وحدثني الحسن بن عُمارة عن الحَكَم بن عُتيبة عن مِقسَم عن ابن عباس، والحسن بن عُمارة متفق على ضعفه.

ورواه محمد بن سلمة الحرّاني عن ابن إسحاق في «سيرته» ص٣٣٥ كرواية زياد البكّائي عنه بإبهام الواسطة.

ويشهد له حديث أبي هريرة عند الحاكم (٤٩٥٥) وفيه: فنزل القرآن وهو واقف في مكانه (يعني في أُحد) لم يبرح: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ إلى آخر الآيات. وإسناده ضعيف.

وحديث أُبيّ بن كعب عند الترمذي (٣١٢٩)، وعبد الله بن أحمد في زياداته على «المسند» لأبيه (٢١٢٣٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢١٥)، وابن حبان (٤٨٧)، والحاكم (٣٤٠٨)، قال: لما كان يومُ أُحدٍ أُصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أَصبنا منهم يوماً مثلَ هذا لنُربِيَنَّ عليهم (أي: لنزيدنّ عليهم)، قال: فلما كان يومُ فتح مكة، قال رجل: لا قريشَ بعد اليوم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾، فقال رسول الله ﷺ: «كُفُّوا عن القوم إلا أربعةً». وحسّنه الترمذيُّ، وهو كما قال، وفي هذا الحديث: أن نزول هذه الآيات كان يوم فتح مكة.

قلنا: لكن الراجح عندنا أن نزولها كان زمن أُحدٍ على ما روي عن ابن عباس، ويكون أحد الرواة في حديث أُبي بن كعب قد وهمَ في ذكر الآية في سياق الحديث، فسياق الآيات أنسب وألصق بزمن أُحد من زمن الفتح، وكذلك روي عن عطاء بن يسار كما عند الطبري في «تفسيره» ١٤/ ٤٠٣، وإلى هذا ذهب أبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ص٥٤١: أن نزولها كان بعد أُحد، والله تعالى أعلم.

(١) حديث صحيح، رجاله ثقات. الحسن: هو البصريّ. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ، عن مِقسَمٍ مولى عبد الله بن الحارث، عن ابن عبّاسٍ قال: أمَرَ رسولُ الله ﷺ بحمزةَ فسُجِّيَ[1] ببُرْدة، ثمّ صلَّى عليه فكبَّر سبعَ تكبيراتٍ، ثمّ أُتي بالقَتلَى فيُوضَعون إلى حمزةَ فصَلَّى عليهم وعليه معهم، حتّى صلَّى عليه ثِنتَين وسبعين صلاةً[2].

= وأخرجه أحمد (٢٠١٣٦) عن هُشَيم، عن حميد الطويل، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد أيضاً (٢٠٢٢٥) من طريق يزيد بن إبراهيم التُّستَري، عن حميد، به.

وللتوسع في الكلام على إسناد هذا الخبر والخلاف فيه وذكر شواهده، انظر التعليق على «مسند أحمد» (١٩٨٤٤) و«سنن أبي داود» (٢٦٦٧) طبعة دار الرسالة.

(١) أي: غُطِّي وجهه. والبُردة: كساء مربَّع فيه صِغَر.

(٢) إسناده ضعيف لإبهام الواسطة بين ابن إسحاق ومقسم، والغالب أن ابن إسحاق رواه عن الحسن بن عُمارة عن الحَكَم بن عُتيبة عن مقسم كما سبق قريباً في حديث ابن عباس في نزول الآيات من آخر سورة النحل، وعليه فإنّ الحسن بن عُمارة متفق على ضعفه، وقد أنكر عليه شعبةُ هذا الخبر فيما رواه عنه مسلمٌ في «مقدمة صحيحه» ص٢٣-٢٤ فقال: حدَّثَنا عن الحَكَم بأشياءَ لم أجد لها أصلاً، فقال له أبو داود الطيالسيُّ: بأيّ شيء؟ قال شعبة: قلت للحكم: أصلَّى النبيُّ ﷺ على قتلى أُحد؟ فقال: لم يصلِّ عليهم، فقال الحسن بن عمارة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس: إن النبي ﷺ صلَّى عليهم ودفنهم!

وأخرج خبر ابن عباسٍ البيهقيُّ في «السنن» ٤/ ١٣ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال: حدَّثني رجل من أصحابي عن مقسم عن ابن عباس. ثم قال البيهقي: وهذا ضعيف، ومحمد ابن إسحاق بن يسار إذا لم يذكر اسمَ من حدَّث عنه لم يُفرَح به.

وقد روي بلفظ آخر، فأخرج ابن ماجه (١٥١٣) والحاكم (٤٩٥٦) - واللفظ له - من طريق أبي بكر بن عياش، عن يزيد بن أبي زياد، عن مِقسَم، عن ابن عباس قال: ثم أَمر بالقتلى فجعل يصلِّي عليهم، فيضع تسعة وحمزة، فيكبِّر عليهم سبع تكبيرات، ثم يُرفَعون ويترك حمزة، ثم يؤتى بتسعة فيكبِّر عليهم سبع تكبيرات، حتى فرغ منهم. وإسناده ضعيف بمرّة، فأبو بكر =

قال ابن إسحاق: وقد أقبلَت ـ فيما بَلَغَني ـ صَفيَّةُ بنتُ عبد المُطَّلِب لتنظُرَ إليه، وكان أخاها لأبيها وأُمِّها، فقال رسول الله ﷺ لابنِها الزُّبَير بن العوَّام: «الْقَها فارجِعْها، لا تَرَى ما بأَخيها»؛ فقال لها: يا أُمَّهْ، إنَّ رسولَ الله ﷺ يأمرُك أن تَرجِعي، قالت: ولِمَ وقد بَلَغَني أن قد مُثِّلَ بأَخي؟! وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لَأحتسِبَنَّ ولَأصبِرَنَّ إن شاءَ الله، فلمّا جاءَ الزُّبَيرُ إلى رسول الله ﷺ فأخبَرَه بذلك قال: «خَلِّ

= ابن عياش ـ وإن كان صدوقاً ـ في حفظه سوء، وشيخه يزيد بن أبي زياد ـ وهو الهاشمي مولاهم ـ الجمهور على تضعيفه، وقد كان ساء حفظه لمّا كبر فصار يُلقَّن ما ليس من حديثه فيَتلقَّن، ويقع في حديثه مناكير.

وقد اختُلف في صلاة النبي ﷺ على شهداء أُحد ـ كما هو مبيَّن في التعليق على كتابَي «سنن أبي داود» و«مستدرك الحاكم» ـ والراجح في هذه المسألة أنه ﷺ لم يصلِّ عليهم عند الدفن، فقد صحَّ من حديث جابر بن عبد الله ـ وكان أبوه ممّن استُشهد يومئذٍ ـ عند البخاري (١٣٤٣) وأبي داود (٣١٣٥) وغيرهما: أن النبيَّ ﷺ أمر بدفنهم في دمائهم ولم يُغسَّلوا، ولم يُصلّ عليهم. وذكر الإمام الشافعي في كتاب «الأم» ٢/ ٥٩٧: أنه قد تواتر عنده بأن النبيَّ ﷺ لم يصلِّ عليهم. وانظر «فتح الباري» ٤/ ٧٠٨-٧١١.

أما مسألة الصلاة على الشهيد، فهذا أيضاً مما اختلف فيه أهل العلم، فقال مالك والشافعي وأحمد في الأشهر عنه: لا يُغسَّل ولا يُصلَّى عليه، وقال أبو حنيفة: لا يُغسَّل ويُصلَّى عليه، وهو رواية عن أحمد، واختاره المُزَني من الشافعية، ذكر ذلك المنذري كما في «تهذيب سنن أبي داود» لابن القيِّم ٢/ ٣٤٣، وقد لخَّص ابنُ القيِّم المسألةَ بذكر أدلّة الفريقين، ثم قال: والصوابُ في المسألة: أنه مخيَّر بين الصلاة عليهم وتركها، لمجيء الآثار بكلّ واحدٍ من الأمرين، وهذا إحدى الروايات عن الإمام أحمد، وهي الأليَقُ بأصوله ومذهبه. ثم ذكر أن الحسنَ البصريَّ وسعيدَ بن المسيّب ذهبا إلى أنهم يُغسَّلون ويُصلَّى عليهم، وقال: هذا تردُّه السُّنّةُ المعروفةُ في ترك تغسيلهم، فأصحُّ الأقوال: أنهم لا يُغسَّلون، ويُخيَّر في الصلاة عليهم، وبهذا تتَّفق جميعُ الأحاديث، وبالله التوفيق.

سَبِيلَها»، فأَتته فنَظَرَت إليه، فصَلَّت عليه واسترجَعَت[1] واستَغفَرَت له، ثمّ أمَرَ به رسولُ الله ﷺ فدُفِنَ[2].

فزَعَمَ لي آلُ عبدِ الله بن جَحْشٍ ـ وكان لأُمَيمةَ بنتِ عبد المطَّلِب، حمزةُ خالُه، وقد كان مُثِلَ به كما مُثِلَ بحمزةَ إلّا أنه لم يُبقَرْ عن كَبِدِه ـ: أنّ رسولَ الله ﷺ دَفَنَه مع حمزةَ في قبرِه، ولم أسمع ذلك إلّا عن أهلِه.

قال ابن إسحاق: وقد احتَمَلَ ناسٌ من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدَفَنوهم بها[3]، ثمّ نَهَى رسولُ الله ﷺ عن ذلك وقال: «ادفِنُوهم حيثُ صُرِّعُوا»[4].

---

(١) صلَّت عليه، أي: دعت له. واسترجَعَت: قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) حديث حسن، وهو عن شيوخ ابن إسحاق الذين روى عنهم قصة أُحد وذكرهم في أول كلامه على الغزوة فيما تقدم ص٢٩، ورواياتهم مُرسَلة، لكن يقوّي بعضها بعضاً.

وأخرجه كذلك ابن الأثير في «أسد الغابة» ٦/ ١٧٣ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثني الزهريُّ وعاصم بن عمر بن قتادة ومحمد بن يحيى بن حَبّان والحُصين بن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن معاذٍ وغيرهم من علمائنا، عن يوم أُحد وقتل حمزة، قال: فأقبلت صفية، فذكره.

وروي نحوه عن عُروة بن الزبير عن أبيه الزُّبير موصولاً عند أحمد (١٤١٨) بإسناد حسن، لكن جاء فيه: أن الزبير لمّا أخبرها بعَزْم رسول الله ﷺ وَقَفَت وأعطته ثوبين معها ليكفِّن فيهما حمزةُ؛ والظاهر أنه أَذِنَ لها بعد ذلك في الوقوف على أخيها، والله تعالى أعلم.

(٣) أي: ليدفنوهم بها لما سيأتي في حديث جابر، ولم يدفن أحدٌ قتيله في المدينة.

(٤) حديث صحيح.

فقد روي نحوه بإسناد صحيح عن جابر بن عبد الله: أنّ قتلى أُحد حُمِلوا من مكانهم، فنادى منادي رسول الله ﷺ: «أن رُدُّوا القتلى إلى مَضاجعِها»، وفي لفظ: «ادفنوا القتلى في مَصارعِهم». أخرجه أحمد (١٤١٦٩) و(١٤٣٠٥)، وأبو داود (٣١٦٥)، وابن ماجه (١٥١٦)، والترمذي (١٧١٧)، والنسائي في «المجتبى» (٢٠٠٤) و(٢٠٠٥) وفي «الكبرى» (٢١٤٢) و(٢١٤٣)، =

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّد بن مُسلِم الزُّهْريّ، عن عبد الله بن ثَعلَبة بن صُعَيرٍ العُذْريّ حليفِ بني زُهْرةَ: أنَّ رسول الله ﷺ لمّا أشرَفَ على القتلى يومَ أُحدٍ قال: «أَنا شهيدٌ على هؤُلاءِ، إنَّ ما مِن جَريحٍ يُجرَحُ في الله، إلّا واللهُ يَبعَثُه يومَ القيامةِ يَدْمَى جُرْحُه، اللَّونُ لونُ دمٍ، والرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ، انظُرُوا أكثرَ هؤُلاءِ جَمْعاً للقرآنِ فاجعَلُوه أمامَ أصحابِه في القَبْرِ»، وكانوا يَدفِنُون الاثنينِ والثّلاثةَ في القبر(١).

وحدّثني عمّي موسى بن يَسارٍ، أنه سمعَ أبا هُرَيرةَ يقول: قال أبو القاسم ﷺ: «ما مِن جَريحٍ يُجرَحُ في الله، إلّا واللهُ يَبعَثُه يومَ القيامةِ وجُرْحُه يَدْمَى، اللَّونُ لونُ دمٍ،

= وابن حبان (٣١٨٣). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) إسناده صحيح، وعبد الله بن ثعلبة له رؤية، وحديثه يُلحَق بمراسيل الصحابة، لكن تبيّن أنه روى هذا الخبر عن جابر بن عبد الله كما سيأتي فاتَّصل الإسناد.

وأخرجه أحمد (٢٣٦٥٧) و(٢٣٦٥٨) و(٢٣٦٦٢) من طرق عن محمد بن إسحاق، بهذا الإسناد. وبعضهم يزيد فيه على بعض.

وأخرجه مختصراً أحمد أيضاً (٢٣٦٥٩) عن سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة.

ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهريّ عن عبد الله بن ثعلبة عن جابر بن عبد الله، أخرجه من هذا الطريق أحمد (٢٣٦٦١).

ورواه من حديث جابر أيضاً الليثُ بن سعد عن الزهريّ عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر قال: كان النبي ﷺ يَجمَع بين الرَّجلين من قتلى أُحد في ثوب واحد، ثم يقول: «أيُّهم أكثرُ أخذاً للقرآن»، فإذا أُشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللَّحْد، وقال: «أنا شهيدٌ على هؤلاء يوم القيامة»، وأَمر بدفنهم في دمائهم ولم يُغسَّلوا، ولم يُصلّ عليهم.

أخرجه البخاري (١٣٤٣) و(١٣٤٥-١٣٤٧)، وأبو داود (٣١٣٨)، وابن ماجه (١٥١٤)، والترمذي (١٠٣٦)، والنسائي في «المجتبى» (١٩٥٥) و«السنن الكبرى» (٢٠٩٣)، وابن حبان (٣١٩٧).

والرِّيحُ رِيحُ مِسكٍ»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ، عن أشياخٍ من بني سَلِمةَ: أنّ رسولَ الله ﷺ قال يومَئذٍ حين أمَرَ بدفنِ القتلى: «انظُرُوا إلى عَمرِو بنِ الجَمُوحِ وعبدِ الله بنِ عَمرِو بنِ حَرَامٍ فإنَّهما كانا مُتَصافِيَينِ في الدُّنيا، فاجعَلُوهما في قَبْرٍ واحدٍ»[2].

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه الدارمي في «مسنده» (٢٤٥٠)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (١٧٥) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وروي هذا الخبر أيضاً من غير وجهٍ عن أبي هريرة: فعن أبي زُرْعة بن عمرو بن جرير عنه أخرجه أحمد (٧١٥٧) و(٨٩٨١)، والبخاري (٥٥٣٣)، ومسلم (١٨٧٦) (١٠٣).

وعن الأعرج عنه أخرجه أحمد (٧٣٠٢)، والبخاري (٢٨٠٣)، ومسلم (١٨٧٦) (١٠٤-١٠٥)، والنسائي في «المجتبى» (٣١٤٧) و«الكبرى» (٤٣٤٠)، وابن حبان (٤٦٥٢).

وعن أبي صالح ذَكْوان السَّمّان عنه أخرجه أحمد (٩٠٨٧) و(٩١٧٥)، وابن ماجه (٢٧٩٥)، والترمذي (١٦٥٦).

وعن همّام بن منبِّه عنه أخرجه أحمد (٨٢٠٥)، والبخاري (٢٣٧)، ومسلم (١٨٧٦) (١٠٦).

(٢) خبر صحيح، فالأشياخ من بني سَلِمة - وهم رهطُ عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو ابن حرام - إن كان أحد منهم من الصحابة فقد اتصل الإسناد وصحَّ، وإلا فهو مرسل، وقد جاء ما يشهد له.

وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٣/ ٣٢٥، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٣٢، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٣٣٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٢٩١ من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ويشهد له ما رواه أحمد (٢٣٦٦٠) من حديث معمر، عن الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن أبي صُعير، عن جابر بن عبد الله قال: دُفن أَبي وعمّي يومئذٍ في قبر واحد. وإسناده صحيح. =

قال ابن إسحاق: ثمّ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ راجعاً إلى المدينة، فلَقِيَته حَمْنةُ بنتُ جَحْشٍ ـ كما ذُكِرَ لي ـ فلمّا لَقِيَتِ النّاسَ نُعِيَ إليها أخوها عبدُ الله بن جَحْش، فاسترجَعَت واستَغفَرَت له، ثمّ نُعِيَ لها خالُها حمزةُ بن عبد المُطَّلِب، فاسترجَعَت واستَغفَرَت له، ثمّ نُعِيَ لها زوجُها مُصعَبُ بن عُمَيرٍ، فصاحت ووَلْوَلَت، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ زَوْجَ المرأَةِ منها لَبِمَكانٍ»[1]، لِمَا رأَى من تَثبُّتِها عند أخيها وخالها، وصياحِها على زوجِها.

ومَرَّ رسولُ الله ﷺ بدارٍ من دُورِ الأنصار من بني عبد الأشهَلِ وظَفَرٍ، فسَمِعَ البُكاءَ والنَّوائحَ على قَتْلاهم، فذَرَفَت عَيْنا رسولِ الله ﷺ فبَكَى، ثمّ قال: «لكنَّ حمزةَ

= وسمّى جابرٌ عمرَو بنَ الجموح عمَّه تعظيماً له، فإنه كان ابنَ عمِّ أبيه وزوجَ عمَّته هند بنت عمرو ابن حرام كما في «الفتح» لابن حجر ٤/ ٧٢١.

وروي نحوه عند البخاري (١٣٤٨) من الأوزاعي، عن الزهري، عن جابر قال: كُفِّن أَبي وعمّي في نَمِرة واحدة. وهذا منقطع بين الزهري وجابر، وقد عُرفت الواسطة بينهما كما في سابقه. والنَّمِرة: كساء من صوف.

وعند البخاري أيضاً (١٣٥١) من حديث عطاء بن أبي رباح عن جابر قال: ودُفِن معه آخرُ في قبر.

(١) حسن لغيره إن شاء الله، وابن إسحاق روى هذا الخبر عن شيوخه الذين روى عنهم قصة أُحد كما ذكر يونسُ بن بكير في روايته عن ابن إسحاق عند البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣٠١، وهم ثقات إلا أن رواياتهم مرسلة كما تقدم في أول غزوة أُحد.

لكن يشهد له حديثُ محمد بن عبد الله بن جحشٍ رضي الله عنه عند ابن ماجه (١٥٩٠) والحاكم (٧٠٨١)، بلفظ: «إن للزوج من المرأة لَشُعبةً، ما هي لشيءٍ». وإسناده ضعيف.

وما رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٣١٩-٣٢٠ عن معمر، عن الجحشيّ ـ وهو سعيد بن عبد الرحمن بن جحش ـ مرسلاً، بلفظ: «إن الزوج ليقعُ من المرأة موقعاً لا يقعُه شيءٌ». ومعمرٌ ثقة وشيخه صدوق من صغار التابعين.

لا بَواكِيَ له».

فلمّا رجع سعدُ بن مُعاذٍ وأُسَيدُ بن حُضَيرٍ إلى دار بني عبد الأشهَلِ، أَمَرا نساءَهم أن يَتَحزَّمنَ ثمّ يَذهَبْنَ فيَبكِينَ على عمِّ رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: حدّثني حَكِيم بن حَكِيم بن عَبّاد بن حُنَيفٍ، عن بعض رجال بني عبد الأشهَل قال: لمّا سمع رسولُ الله ﷺ بُكاءَهُنَّ على حمزةَ خرج عليهِنَّ وهُنَّ على باب مسجدِه يَبكِينَ عليه، فقال: «ارجِعْنَ يَرحَمُكُنَّ اللهُ، فقد آسَيْتُنَّ[1] بأنفُسِكُنَّ»[2].

قال ابن هشام: ونُهِيَ يومَئِذٍ عن النَّوح.

---

(١) آسَيتُن: عزّيتن وعاونتن، وأكثر ما يقال في المعونة.

(٢) هذا الخبر حسن لغيره إن شاء الله، وإسناده هنا فيه إبهام وأغلب الظن أنه مرسل، فحكيم ابن حكيم هذا ـ وهو حسن الحديث ـ من صغار التابعين لم يدرك أحداً من كبار الصحابة.

لكن يشهد له حديث ابن عمر عند أحمد (٥٥٦٣) و(٥٦٦٦)، وابن ماجه (١٥٩١)، والحاكم (٤٩٤٤): أن رسول الله ﷺ لمّا رجع من أُحد سمع نساءَ الأنصار يبكين على أزواجهن، فقال: «لكن حمزة لا بواكي له» فبلغ ذلك نساءَ الأنصار فجِئنَ يبكين على حمزة، فانتبه رسول الله ﷺ من الليل فسمعهنَّ وهنَّ يبكين فقال: «وَيحَهُنَّ لم يَزَلنَ يبكين بعدُ منذ الليلةِ! مُرُوهنّ فليَرجِعنَ، ولا يبكينَ على هالكٍ بعد اليوم». وإسناده حسن، ويروى هذا عن أنس أيضاً كما في «مستدرك الحاكم» (١٤٢٣).

ويشهد له أيضاً حديث عائشة عند إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١١٧٤)، وإسناده فيه ضعف لانقطاعه.

وحديث ابن عباس عند الطبراني في «الكبير» (١٢٠٩٦)، وإسناده فيه ضعف أيضاً.

ومرسل عكرمة عند عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٦٩٤).

ومرسل الشعبي عند سعيد بن منصور في «سننه» (٢٩١١).

ومرسل عطاء بن يسار عند ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ١٥.

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبَيدة: أنَّ رسول الله ﷺ لمّا سَمِعَ بُكاءَهنَّ قال: «رَحِمَ اللهُ الأنصارَ، فإنَّ المُوَاساةَ منهم ما عَلِمتُ لَقَدِيمةٌ، مُرُوهُنَّ فليَنصَرِفْنَ»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الواحد بن أبي عَوْن، عن إسماعيل بن محمّد بن[2] سعد بن أبي وَقّاصٍ قال: مَرَّ رسولُ الله ﷺ بامرأةٍ من بني دينارٍ وقد أُصيبَ زَوجُها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحدٍ، فلمّا نُعُوا لها قالت: فما فَعَلَ رسولُ الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أمَّ فلانٍ، هو بحمدِ الله كما تُحِبِّين، قالت: أرُونِيهِ حتّى أنظُرَ إليه، فأُشِيرَ لها إليه حتّى إذا رَأَتْه قالت: كلُّ مُصيبةٍ بعدَك جَلَلٌ[3].

قال ابن هشام: الجَلَلُ من القليل ومن الكثير، وهو هاهُنا من القليل، قال امرُؤُ القيس في الجَلَل القليل:

لِقَتلِ بني أَسَدٍ رَبَّهُمْ[4] ألا كلُّ شيءٍ خَلاهُ جَلَلْ

---

(١) لم نقف له على إسناد متصل، فهو ضعيف. وأبو عبيدة هذا: هو مَعمَر بن المثنّى المتوفَّى سنة ٢٠٨هـ.

(٢) تحرف لفظ «بن» في طبعة السقا وصاحبيه إلى: عن.

(٣) زاد في (ز) بعد هذا: تريد صغيرة. وكلام ابن هشام التالي في تبيان معنى الجلل لم يرد في نسخة (غ).

والخبر مرسلٌ رجاله ثقات، فإسماعيل بن محمد من صغار التابعين.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٣٢-٥٣٣، وابن المنذر في «تفسيره» (٩٠٧)، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣٠٢ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

والجَلَل معناه هنا: الهيِّن اليسير.

(٤) لقتلِ، أي: عجبتُ لقتل. وربّهم، أي: سيّدهم ومَلِكهم، ويعني به والدَه حُجْراً، لأنه كان ملكاً على بني أَسد فقتلوه.

وانظر «شرح ديوان امرئ القيس» لأبي سعيد السكّري ص٦٣٢.

قال ابن هشام: وأمّا قولُ الشّاعر، وهو الحارثُ بن وَعْلةَ:

ولَـئِن عَفَـوتُ لَأعفُـوَنْ جَلَـلاً ولَئِن سَطَوتُ لَأُوهِنَنْ عَظْمي[1]

فهو من الكثير.

قال ابن إسحاق: فلمّا انتَهى رسولُ الله ﷺ إلى أهلِه، ناوَلَ سيفَه ابنتَه فاطمةَ فقال: «اغسِلِي عن هذا دَمَه يا بُنيَّةُ، فواللهِ لقد صَدَقَني اليومَ»، وناوَلَها عليُّ بن أبي طالبٍ سيفَه فقال: وهذا فاغسِلي عنه دمَه، فواللهِ لقد صَدَقَني اليومَ، فقال رسول الله ﷺ: «لَئِن كنتَ صَدَقتَ القتالَ، لقد صَدَقَ معك سَهْلُ بن حُنَيفٍ وأبو دُجَانةَ»[2].

---

(١) الجَلَل هنا: العظيم. والسَّطو: الأخذ بعنف. وانظر «الاختيارين» للأخفش ص٣٨٩، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ١/ ١٤٩.

(٢) الشطر الأول في قصة مناولةِ النبيِّ ﷺ سيفَه لفاطمة وأمرِه لها بغسل الدم عنه ضعيف، وقد أسنده ابن إسحاق عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس، كما في رواية يونس بن بكير عنه عند الحاكم (٤٣٥٦) وابن الأثير في «أسد الغابة» ٢/ ٢٩٩، وحسين بن عبد الله ضعيف منكر الحديث.

والشطر الثاني في قصة عليٍّ صحيحٌ قد روي من غير وجهٍ موصولاً ومرسلاً، فقد رواه سفيان ابن عُيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس عند الحاكم (٤٣٥٥) و(٥٨٤٣) و(٥٨٤٤) وغيره، وزاد فيه مع سهلٍ وأبي دُجانةَ عاصمَ بن ثابت بن أبي الأقلح والحارثَ بن الصِّمّة، وفي بعض هذه الروايات: أن عليّاً دخل على فاطمة وهي تغسل الدمَ عن وجه رسول الله ﷺ... ثم ذكر نحوه.

ورجال إسناده ثقات، إلا أنه قد اختُلِف على سفيان في وصله وإرساله كما هو مبيَّن في التعليق عليه في «المستدرك».

وله شاهد من حديث سهل بن حُنيف عند الحاكم (٥٨٤٥)، وإسناده ضعيف.

وله شواهد أخرى مراسيل يتقوّى بها هذا الحديث، انظرها في «مستدرك الحاكم» (٤٣٥٥) طبعة دار الرسالة.

قال ابن هشام: وكان يقال لسيفِ رسول الله ﷺ: ذو الفَقَار[1].

قال ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهل العلم: أنّ ابنَ أبي نَجيحٍ قال: نادى مُنادٍ يومَ أُحد:

لا سيفَ إلّا ذو الفَقَارْ ولا فَتَـــى إلّا عَلـــيّ[2]

قال ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهل العلم: أنّ رسولَ الله ﷺ قال لعليّ بن أبي طالبٍ: «لا يُصِيبُ المشركونَ منّا مِثلَها حتّى يَفتَحَ اللهُ علينا»[3].

قال ابن إسحاق: وكان يومُ أُحدٍ يومَ السَّبت للنِّصف من شوّال.

فلمّا كان الغدُ من يومِ الأَحد لستَّ عشرةَ ليلةً مَضَت من شوّالٍ، أذَّنَ مُؤذِّنُ رسول الله ﷺ في الناس بطَلَبِ العدوِّ، فأذَّنَ مؤذِّنُه: أن لا يَخرُجَنَّ معنا أحدٌ إلّا أحدٌ حَضَرَ يومَنا بالأمسِ، فكلَّمَه جابرُ بن عبد الله بن عمرو بن حَرامٍ، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ أَبي كان خَلَّفَني على أَخَواتٍ لي سبعٍ وقال: يا بُنيَّ، إنّه لا يَنبَغي لي ولا لك أن نَترُكَ هؤلاءِ النِّسوةَ لا رجلَ فيهنَّ، ولستُ بالَّذي أُوثِرُكَ بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتَخَلَّفْ على أَخَواتِك، فتَخلَّفتُ عليهنَّ، فأَذِنَ له رسولُ الله ﷺ فخرج معه، وإنّما خرج رسولُ الله ﷺ مُرهِباً للعدوِّ ولِيَبلُغَهم أنّه خرج في طَلَبِهم ليَظُنُّوا به قوّةً، وأنّ الذي أصابهم لم يُوهِنْهم عن عدوِّهم[4].

---

(١) وكان هذا السيف قد تنفَّله رسولُ الله ﷺ يوم بدرٍ كما وقع في حديث ابن عباس عند أحمد (٢٤٤٥)، وابن ماجه (٢٨٠٨)، والترمذي (١٥٦١م)، والحاكم (٢٦٢٠)، وإسناده حسن.

وسمِّي ذا الفَقَار لأنه كان فيه حُفَر صغار حِسان، ويقال للحفرة: فُقْرة، وجمعها: فُقَر.

(٢) هذا أثر مُعضَل لا يصحُّ، وانظر «الموضوعات» لابن الجوزي (٧١٥).

(٣) هذا خبر ضعيف لا يصحُّ لم نقف له على إسناد.

(٤) أسند هذا الخبر سلمةُ بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٤٠ =

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن خارجة بن زيد بن ثابتٍ، عن أبي السّائب مولى عائشة بنت عثمانَ: أنّ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من بني عبد الأشهَل كان قد شَهِدَ أُحداً مع رسول الله ﷺ قال: شَهِدتُ أُحداً مع رسول الله ﷺ أنا وأخٌ لي، فرَجَعنا جريحَينِ، فلمّا أذَّنَ مُؤذِّنُ رسول الله ﷺ بالخروج في طَلَبِ العدوِّ، قلت لأخي أو قال لي: أتفُوتُنا غزوةٌ مع رسول الله ﷺ؟! والله ما لنا من دابّةٍ نَركَبُها، وما منّا إلّا جريحٌ ثَقيلٌ، فخَرَجنا مع رسول الله ﷺ، وكنت أيسَرَ جُرحاً منه، فكان إذا غُلِبَ حَمَلتُه عُقْبةً ومَشَى عُقْبةً[1]، حتّى انتَهَينا إلى ما انتَهى إليه المسلمون[2].

قال ابن إسحاق: فخرج رسولُ الله ﷺ حتّى انتَهى إلى حَمْراءِ الأسَد، وهي من المدينة على ثمانية أميال[3].

واستَعمَلَ على المدينة ابنَ أمِّ مَكْتوم، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فأقام بها الاثنينِ والثُّلاثاءَ والأربعاءَ ثمّ رجع إلى المدينة.

وقد مَرَّ به ـ كما حدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ[4] ـ مَعبَدُ بن أبي مَعبَدٍ الخُزاعيّ،

= و«تاريخه» ٢/ ٥٣٤ عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مرسلاً. وحسينٌ ضعيف.

(١) عقبةً، أي: شوطاً.

(٢) إسناده فيه لِينٌ من جهة جهالة أبي السائب، فإنه لم يرو عنه غير عبد الله بن خارجة، ولم يعرفه أحد فيترجم له، وعبد الله بن خارجة روى عنه غيرُ واحدٍ وذكره ابن حبان في «الثقات».

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٣٤-٥٣٥، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧١٣٦)، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ٣٨١ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٣) في الجنوب الشرقي من المدينة، وحمراء الأسد: جبل ذو تربة حمراء، يبعد عن مركز المدينة قرابة ١٥ كم، إذا خرجت من ذي الحُليفة تقصد مكةَ رأيته جنوباً.

(٤) هو عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاريّ، من صغار التابعين، وهو =

وكانت خُزَاعةُ، مسلمُهم ومشركُهم، عَيْبةَ نُصحِ رسول الله[1] ﷺ بتِهامةَ، صَفْقُهم معه[2]، لا يُخفُون عنه شيئاً كان بها، ومَعبَدٌ يومَئذٍ مشركٌ، فقال: يا محمّدُ، أمَا والله لقد عَزَّ علينا ما أصابَك في أصحابك، ولوَدِدْنا أنّ الله عافاك فيهم.

ثمّ خرج ورسولُ الله ﷺ بحمراءِ الأسَدِ حتّى لَقِيَ أبا سفيانَ بن حَرْبٍ ومَن معه بالرَّوحاءِ وقد أجمَعُوا الرَّجْعةَ إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، وقالوا: أصَبْنا حَدَّ أصحابِه[3] وقادَتَهم وأشرافَهم، ثمّ نَرجِعُ قبلَ أن نَستأصِلَهم! لنَكُرَّنَّ على بَقيّتِهم فلَنَفرُغَنَّ منهم. فلمّا رأى أبو سفيان مَعبَداً قال: ما وراءَك يا مَعبَدُ؟ قال: محمّدٌ قد

= ثقة حُجّة عالم بالمغازي، وقصة حمراء الأسد هذه من روايته مُرسَلة.

وذُكر نحوها مختصراً جداً في حديث ابن عباس عند النسائي في «السنن الكبرى» (١١٠١٧) قال: لما انصرف المشركون عن أُحد وبلغوا الرَّوحاء، قالوا: لا محمداً قتلتموه، ولا الكواعبَ أردفتم، وبئسَ ما صنعتم، ارجِعُوا. فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فنَدَبَ الناسَ فانتدبوا حتى بلغوا حمراءَ الأَسد... فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ [آل عمران:١٧٢]. ورجاله ثقات.

ونحوه عن السُّدّي مرسلاً عند الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٤٨.

وأما خبر عبد الله بن أبي بكر بطوله فهو عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٣٥-٥٣٦ و«تفسيره» ٦/ ٢٤٦-٢٤٨، وابن المنذر في «تفسيره» (١١٩٠)، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣١٥-٣١٧ من طرق عن ابن إسحاق.

(١) في (ش١) و(ص) و(م) و(ي): عيبة نصحٍ لرسول الله. أي: كانوا موضع سرِّه.

(٢) في (ش١) و(ص) و(م) و(ي): صفقتهم معه.

يريد: كان اتفاقهم معه، يقال: أصفقتُ مع فلان على الأمر، إذا اجتمعتَ معه عليه، وكان الأصل أن يقال: إصفاقهم معه، إلا أنه استعمل المصدر ثلاثياً، ومن رواه ـ كما في نسخة على حاشية (ز) ـ: ضَلْعهم معه، فمعناه: مَيلُهم معه. قاله أبو ذر الخُشَنيّ في «إملائه» ص٢٣٢.

(٣) أي: شدّتهم وعَزْمهم.

خرج في أصحابه يَطلُبُكم في جَمْعٍ لم أَرَ مِثلَه قَطُّ، يَتَحرَّقون[1] عليكم تَحرُّقاً، قد اجتَمَعَ معه مَن كان تَخلَّفَ عنه في يومِكم ونَدِمُوا على ما صَنَعوا، فيهم من الحَنَقِ[2] عليكم شيءٌ لم أَرَ مِثلَه قَطُّ، قال: وَيلَك ما تقول؟ قال: والله ما أُرَى أن تَرتَحِلَ حتّى تَرَى نَواصِيَ الخيل، قال: فوالله لقد أجمَعْنا الكَرّةَ عليهم لنَستأصِلَ بقيّتَهم، قال: فإنّي أنهاك عن ذلك، قال: ووالله لقد حَمَلَني ما رأيتُ على أن قلتُ فيهم أبياتاً من شِعرٍ، قال: وما قلتَ؟ قال: قلتُ:

كادَتْ تُهَدُّ من الأصواتِ راحلتي ... إذْ سالتِ الأرضُ بالجُرْدِ الأبابيلِ[3]

تَرْدِي بأُسْدٍ كِرامٍ لا تَنابلةٍ ... عندَ اللّقاءِ ولا مِيلٍ مَعازيلِ[4]

فظَلْتُ عَدْواً أظُنُّ الأرضَ مائلةً ... لمّا سَمَوْا برئيسٍ غيرِ مَخذولِ[5]

فقلت: وَيلَ ابنِ حَربٍ من لقائِكمُ ... إذا تَغَطمَطَتِ البَطحاءُ بالجِيلِ[6]

إنّي نَذيرٌ لأهلِ البَسْلِ ضاحيةً ... لكلِّ ذي إرْبةٍ منهم ومَعقولِ[7]

---

(١) أي: يلتهبون من الغيظ.

(٢) الحنق: شدّة الغيظ.

(٣) تُهَدّ، أي: تسقط لهول ما رأت من أصوات الجيش وكثرته. والجُرْد: الخيل العِتاق. والأبابيل: الجماعات.

(٤) تردي: تُسرع. والتنابلة: القِصار. والمِيل: جمع أمْيَل، وهو الذي لا رمح معه أو لا ترس معه، وقيل: هو الذي لا يثبت على السَّرج. والمعازيل: الذين لا سلاح معهم.

(٥) العَدْو: المشي السريع. وسَمَوْا: عَلَوْا وارتفعوا. وأراد بالرئيسِ النبيَّ ﷺ.

(٦) ابن حرب: هو أبو سفيان. وتغطمطت: اهتزّت وارتجّت، ومنه: بحر غُطامِط، إذا عَلَت أمواجه. والبطحاء: السهل من الأرض. والجِيل: الصفُّ من الناس، وفي (ز) و(ش١) و(ي): بالخيل.

(٧) البَسْل: الحرام، وأراد بأهل البَسْل قريشاً، لأنهم أهل مكة، ومكةُ حرام. والضاحية: =

من جيشِ أحمدَ لا وَخْشٍ تَنابلةٍ[1] ولـيس يوصَـفُ مـا أنـذَرتُ بالقِيـلِ

فثَنَى ذلك أبا سفيانَ[2] ومَن معه.

ومَرَّ به رَكْبٌ من عبد القيس فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريدُ المدينةَ؟ قال: ولِمَ؟ قالوا: نريدُ المِيرةَ، قال: فهَل أنتم مُبلِّغون عنّي محمّداً رسالةً أُرسِلُكم بها إليه وأُحمِّلُ لكم هذه غداً زَبيباً بعُكاظٍ إذا وافَيتُموها؟ قالوا: نعم، قال: فإذا وافَيتُموه فأَخبِروه أنّا قد أجمَعْنا السَّيرَ إليه وإلى أصحابه لنَستأصِلَ بَقيَّتَهم، فمَرَّ الرَّكْبُ برسول الله ﷺ وهو بحَمراءِ الأَسَدِ فأَخبَروه بالّذي قال أبو سفيانَ وأصحابُه، فقال: «حَسْبُنا الله ونِعمَ الوَكِيلُ»[3].

قال ابن هشام: حدَّثنا أبو عُبيدةَ: أنّ أبا سفيانَ بن حَربٍ لمّا انصَرَفَ يومَ أُحدٍ، أرادَ الرّجوعَ إلى المدينة ليَستأصِلوا ـ زعموا ـ بقيّةَ أصحابِ رسول الله ﷺ، فقال لهم صفوانُ بن أُميّة بن خَلَفٍ: لا تفعلوا، فإنَّ القومَ قد حَرِبوا[4]، وقد خَشِينا أن يكون لهم قتالٌ غيرُ الّذي كان، فارجِعُوا، فرَجَعوا. فقال النبيُّ ﷺ وهو بحَمراءِ الأَسَدِ حين بَلَغَه أنّهم هَمُّوا بالرَّجْعة: «والّذي نفسي بيدِه، لقد سُوِّمَت لهم حِجارةٌ[5]

= البارزة للشمس. والإربة هنا: العَقْل.

(١) في (ت) و(ص) و(م): وخشاً قنابلةً.

والوخش: رُذالة الناس وأخسّاؤهم، والتنابلة: القِصَار، ومن رواه قنابلةً: فهو جمع قَنبَلةٍ، وهي القِطْعة من الخيل. والقِيل: هو القول.

(٢) معناه: صرفه وردَّه عمّا أراد.

(٣) سبق تخريجه في أول الخبر.

(٤) أي: قد غضبوا.

(٥) أي: جُعِلت لها علامة يُعرَف بها أنها من عند الله تعالى.

لو صُبِّحُوا بها لكانوا كأَمْسِ الذَّاهبِ»[1].

قال أبو عُبيدة[2]: وأَخذَ رسولُ الله ﷺ في وجهه ذلك قبلَ رجوعِه إلى المدينة، معاويةَ بن المغيرة بن أبي العاصِ بن أُميّة بن عبد شمسٍ ـ وهو جَدُّ عبد الملك بن مروان، أبو أُمِّه عائشةَ بنتِ معاوية ـ وأبا عَزَّةَ الجُمَحيَّ، وكان رسولُ الله ﷺ أَسَرَه ببدرٍ ثمّ مَنَّ عليه، فقال: يا رسولَ الله، أَقِلْني[3]، فقال رسول الله ﷺ: «لا والله، لا تَمسَحُ عارِضَيكَ بمكَّةَ تقولُ: خَدَعتُ محمَّداً مرَّتَينِ، اضرِبْ عُنُقَه يا زُبَيرُ»، فضَرَبَ عُنُقَه[4].

قال ابن هشام: وبَلَغَني عن سعيد بن المُسيّب أنّه قال: قال له رسول الله ﷺ: «إنَّ المؤمنَ لا يُلدَغُ من جُحْرٍ مرَّتَينِ، اضرِبْ عُنُقَه يا عاصمَ بنَ ثابتٍ»، فضَرَبَ عُنُقَه[5].

---

(١) ضعيف معضَل لم يسنده أبو عبيدة: وهو مَعمَر بن المثنَّى النحويّ.

وذكره الواقدي في «مغازيه» ١/ ٣٣٩ بلا إسناد.

(٢) قوله: قال أبو عبيدة، في (ش١) و(غ) و(ي) فقط.

(٣) أي: اصفَحْ عني.

(٤) ضعيف لإعضاله، ولم نقف عليه مسنداً إلا عند الواقدي في «مغازيه» ١/ ١١٠-١١١، ومن طريقه البيهقي في «السنن» ٩/ ٦٥ عن محمد بن عبد الله ـ وهو ابن أخي الزهري ـ عن الزهريِّ عن ابن المسيّب مرسلاً دون ذكر الزبير، ووصل به البيهقي مرسل سعيدٍ التالي. ومراسيل سعيد من أقوى المراسيل محتجٌّ بها، لكن الواقديّ متكلَّم فيه.

(٥) أسند هذا الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ١١١ عن إسحاق بن حازم، عن ربيعة بن يزيد، عن الزهري، عن سعيد. والواقدي متكلَّم فيه فالإسناد ضعيف من أجله.

لكن قوله ﷺ: «لا يُلدَغ المؤمن من جُحْر واحد مرَّتين» صحيح متفق عليه عند البخاري (٦١٣٣) ومسلم (٢٩٩٨) من حديث عُقيل بن خالد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، =

قال ابن هشام[1]: ويقال: إنَّ زيدَ بن حارثةَ وعمّارَ بن ياسرٍ قَتَلا معاويةَ بن المغيرةِ بعد حمراءِ الأسد، كان لَجَأَ إلى عثمانَ بن عفّانَ فاستأمَنَ له رسولَ الله ﷺ، فأمَّنَه على أنّه إن وُجِدَ بعدَ ثلاثٍ قُتِلَ، فأقامَ بعدَ ثلاثٍ وتَوارَى، فبَعَثَهما النبيُّ ﷺ وقال: «إنَّكما ستَجِدانِه بمَوضِعِ كذا وكذا»، فوَجَداهُ فقَتَلاه.

قال ابن إسحاق: فلمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، وكان عبدُ الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ ـ كما حدّثني ابنُ شِهابٍ الزُّهْريُّ ـ له مَقامٌ يقومُه كلَّ جُمُعةٍ لا يُنكَرُ، شَرَفاً له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفاً، إذا جَلَسَ رسولُ الله ﷺ يومَ الجُمُعة وهو يَخطُبُ النّاسَ، قام فقال: أيُّها الناسُ، هذا رسولُ الله بين أظهُرِكم، أكرَمَكم اللهُ به وأعَزَّكم به، فانصُرُوه وعَزِّرُوه، واسمَعوا له وأَطِيعوا، ثمّ يَجلِسُ، حتّى إذا صَنَعَ يومَ أُحدٍ ما صَنَعَ ورَجَعَ بالنّاس، قام ففعل ذلك كما كان يفعلُه، فأَخذَ المسلمون بثيابِه من نَواحِيهِ وقالوا: اجلِسْ أيْ عدوَّ الله، لستَ لذلك بأهلٍ وقد صَنَعتَ ما صَنَعتَ، فخرج يَتخَطَّى رِقابَ النّاس وهو يقول: واللهِ لكأنَّما قلتُ بُجْراً[2] أن قمتُ أُشدِّدُ أمرَه! فلَقِيَه رجلٌ من الأنصار بباب المسجد فقال: ما لك وَيلَك؟ قال: قمتُ أُشدِّدُ أمرَه فوَثَبَ عليَّ رجالٌ من أصحابه يَجبِذُونني ويُعنِّفونني، لكأنَّما قلتُ بُجْراً أن قمتُ أُشدِّدُ أمرَه! قال: وَيلَك ارجِعْ يَستَغفِرْ لك رسولُ الله، قال: والله ما أَبتَغي أن

= عن أبي هريرة. وهو عند مسلم أيضاً من طريق ابن أخي الزهري عن عمّه عن سعيد عن أبي هريرة.

(١) قوله: قال ابن هشام، من (غ).

وهذا الخبر لم نقف عليه عند غيره، وقد علَّقه ولم يسنده، فهو ضعيف.

(٢) بُجْراً، بالضم، أي: أمراً عظيماً، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٣٤: ومن رواه هُجْراً بالهاء مضمومة، فهو الكلام القبيح.

يَستغفِرَ لي[1].

قال ابن إسحاق: وكان يومُ أُحدٍ يومَ بلاءٍ ومصيبةٍ وتمحيصٍ، اختَبَرَ اللهُ به المؤمنينَ، ومَحَنَ به المنافقينَ ممّن كان يُظهِرُ الإيمانَ بلسانِه وهو مُستَخفٍ بالكفرِ في قلبِه، ويوماً أكرَمَ اللهُ فيه مَن أراد كرامتَه بالشَّهادة من أهل وِلَايتِه.

ذكرُ ما نزل في أُحدٍ من القرآنِ

قال ابن إسحاق: فكان ممّا أنزَلَ الله تبارك وتعالى في يوم أُحدٍ من القرآن ستّون آيةً من آل عِمران، فيها صِفةُ ما كان في يومِهم ذلك ومُعاتَبةُ مَن عاتَبَ منهم، يقول الله تبارك وتعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١)﴾ ـ قال ابن هشام: ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تَتَّخِذُ لهم مقاعدَ ومَنازِلَ، قال الكُمَيتُ بن زيدٍ:

لَيتَنـــي كنـــتُ قبلَـــهُ قـــد تَبَـــوَّأتُ مَضـــجَعا

وهذا البيت في أبياتٍ له ـ أي: سميعٌ بما تقولون، عليمٌ بما تُخْفُون.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ أن تَتَخاذَلا، والطّائفتان: بنو سَلِمةَ من جُشَمَ بن الخَزرَج، وبنو حارثةَ من النَّبِيت من الأَوس، وهما الجَناحانِ، يقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي: المُدافِعُ عنهما ما هَمَّتا به من فَشَلِهما، وذلك أنّه إنَّما كان ذلك منهما عن ضَعفٍ ووَهْنٍ أصابهما عن غيرِ شَكٍّ في دينهما، فتَولَّى دَفْعَ ذلك عنهما برحمتِه وعائدتِه حتّى سَلِمَتا من وُهونِهما وضَعفِهما ولَحِقَتا بنبيِّهما ﷺ.

قال ابن هشام: حدّثني رجلٌ من الأَسْد من أهل العلم قال: قالت الطّائفتانِ: ما

---

(١) ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٣١٨ من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق.
وذكره الواقدي في «المغازي» ١/ ٣١٩ عن مشايخه ولم يسنده.

نُحِبُّ أنّا لم نَهُمَّ بما هَمَمْنا به، لتولِّي الله إيّانا في ذلك[1].

قال ابن إسحاق: يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ أي: مَن كان به ضَعفٌ من المؤمنين فليتوكَّلْ عليَّ وليَستَعِنْ بي أُعِنْه على أمرِه، وأُدافِعْ عنه حتّى أبلُغَ به وأَدفَعَ عنه وأُقوِّيَه على نيّته ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ أي: فاتَّقوني، فإنّه شُكْرُ نِعمَتي ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ وأنتم أقلُّ عَدداً وأضعفُ قوّةً ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ أي: إن تَصبِروا لعدوِّي، وتُطِيعوا أَمري، ويأتُوكم من وَجهِهم هذا، أُمِدْكم بخمسةِ آلافٍ من الملائكة مُسوَّمين.

قال ابن هشام: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾: مُعلِمين؛ بَلَغَنا عن الحسن بن أبي الحسن[2] أنّه قال: أَعلَمُوا على أذنابِ خيلِهم ونَواصِيها بصوفٍ أبيَض.

فأمّا ابنُ إسحاق فقال: كانت سِيماهُم يومَ بدرٍ عمائمَ بِيضاً، وقد ذكرتُ ذلك في

---

(١) أخرج البخاري (٤٠٥١) ومسلم (٢٥٠٥) من حديث جابر بن عبد الله ـ وهو من بني سَلِمة ـ قال: نزلت هذه الآية فينا: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ بني سَلِمةَ وبني حارثة، وما أُحِبُّ أنها لم تَنزِلْ والله يقول: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

وذكر الطبريُّ في «تفسيره» ٦/ ١٥: أنّ همَّهما الذي همَّا به من الفشل، كان الانصرافَ عن رسول الله ﷺ والمؤمنين حين انصرف عنهم عبدُ الله بن أُبيّ ابن سَلُول بمن معه، جُبْناً منهم من غير شكٍّ منهم في الإسلام ولا نفاق، فعَصَمَهم الله عز وجل ممّا همُّوا به من ذلك، ومَضَوا مع رسول الله ﷺ لوجهه الذي مضى له، وتركوا عبد الله بن أُبي ابن سَلُول والمنافقين معه، فأثنى الله عز وجل عليهما بثبوتهما على الحق، وأخبر أنه وليُّهما وناصرُهما على أعدائهما من الكفار.

(٢) هو الحسن البصري، وقد ذكر ذلك عنه أيضاً الطبري في «تفسيره» ٦/ ٣٥، وروى الطبري أيضاً نحوه عن قتادة ومجاهد والضحاك بن مزاحم، وكلها مراسيل.

حديث بدرٍ[1].

والسِّيما: العَلَامة، وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩] أي: عَلامَتُهم، و﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً﴾ [هود:٨٢-٨٣] يقول: مُعلَمةً، بَلَغَنا عن الحسن بن أبي الحسن البَصْريّ أنه قال: عليها عَلَامةٌ أنّها ليست من حِجارة الدّنيا، وأنّها من حِجارة العذاب.

قال رُؤْبةُ بن العَجّاج:

فالآنَ تُبلَى بِي الجِيادُ السُّهَّمُ[2] ولا تُجارِيني إذا ما سَوَّمُوا

وشَخَصَت أبصارُهم وأَجذَمُوا[3]

وهذه الأبياتُ في أُرجوزة له[4].

والمُسوَّمةُ أيضاً: المَرْعيَّة، وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: ١٤]، و﴿شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل:١٠]، تقول العربُ: سَوَّمَ خيلَه وإبلَه وأَسَامَها، إذا رَعَاها، قال الكُمَيتُ بن زيدٍ:

راعياً كان مُسجِحاً ففَقَدْنا هُ وفَقْدُ المُسِيمِ هُلْكُ السَّوَامِ[5]

---

(١) فيما تقدم ٢/ ٣٤٠.

(٢) الجياد: الخيل العِتاق. والسُّهَّم: العابسة المتغيِّرة من شدة الحرب.

(٣) في (ت) و(م) و(ي): وأجدموا، بالدال المهمَلة، وكلاهما بمعنى: أسرَعوا. وشَخَصَ بصرُه: إذا فتح عينيه وجعل لا يَطرِف.

(٤) انظر «ديوانه» ص١٨٣.

(٥) هذا البيت من القصيدة الأولى من هاشميّات الكميت، انظر «شرح هاشميات الكميت» لأبي رِيَاش القيسي ص٣١، وهو يعني بهذا البيت عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه.

والمُسجِح: الرفيق السهل، والمُسِيم: هو الراعي، والسَّوَام: ما رُعي من المال من الأنعام. =

وهذا البيت في قصيدةٍ له[1].

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ أي: ما سَمَّيتُ لكم مَن سَمَّيتُ من جنود ملائكتي إلّا بُشرَى لكم ولتَطمئِنَّ قلوبُكم به، لمَا أَعرِفُ من ضَعفِكم، وما النَّصرُ إلّا من عندي، لسُلطاني وقُدرَتي، وذلك أنّ العِزَّ والحُكمَ إليَّ لا إلى أحدٍ من خَلْقي.

ثمّ قال: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ أي: ليَقطَعَ طَرَفاً من المشركين بقتلٍ يَنتقِمُ به منهم، أو يَرُدَّهم خائبين، أي: ويَرجِعُ مَن بقيَ منهم فَلّاً[2] خائبين، لم يَنالُوا شيئاً ممّا كانوا يأمُلون.

قال ابن هشام: يَكبِتُهم: يَغُمّهم أشدَّ الغَمّ ويَمنَعُهم ما أرادوا، قال ذو الرُّمَّة[3]:

ما أَنَسَ من شَجَنٍ لا أَنسَ مَوقِفَنا ... في حَيْرةٍ[4] بين مَسرورٍ ومَكبوتِ

ويَكبِتُهم أيضاً: يَصرَعُهم لوُجوهِهم.

قال ابن إسحاق: ثمّ قال لمحمّدٍ رسولِ الله ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ

= يقول: فقدُ الراعي هلاكُ الإبل السائمة، أي: فتَعِيث فيها السِّباع وتَشرُد، يريد بذلك الإمام ورعيّته.

(١) في نسخة على حاشيتَي (ز) و(غ) غير مصحَّح عليه: قال ابن هشام: مُسجِحاً: سَلِسُ السّياسة مُحسِنٌ إلى الغَنَم. وذكر نحوه أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص٢٣٥.

(٢) الفَلُّ: المنهزمون.

(٣) انظر ملحق «ديوانه» ٣/ ١٨٥٠-١٨٥١ صنعة عبد القدّوس أبو صالح، فقد ذكر أن هذا البيت لم ينسبه إلى ذي الرُّمة غير ابن هشام.

(٤) في (ز): جِيرة، وصحح عليها، وأشار في حاشيتها إلى نسخة فيها: حَيرة. وقيّدها في (ش١) بالوجهين.

والشَّجَن: الحُزن.

عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[1] أي: ليس لك من الحُكْم شيءٌ في عبادي إلّا ما أمَرتُك به فيهم أو أتوبَ عليهم برحمتي، فإن شِئتُ فعلتُ، أو أُعذِّبَهم بذنوبهم فبحَقِّي ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي: قد استوجَبوا ذلك بمعصيتِهم إيّايَ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ أي: يَغفِرُ الذَّنبَ ويَرحَمُ العِبادَ على ما فيهم.

ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ أي: لا تأكُلوا في الإسلام إذْ هَدَاكم الله به، ما كنتم تأكُلون إذْ أنتم على غيرِه ممّا لا يَحِلُّ لكم في دينِكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ أي: فأَطِيعوا اللهَ لعلَّكم تَنجُون ممّا حَذَّرَكم الله من عذابه، وتُدرِكون ما رَغَّبَكم اللهُ فيه من ثوابه ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ أي: التي جُعِلَت داراً لمن كفر.

ثمّ قال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ مُعاتَبةً للّذين عَصَوا رسولَه ﷺ حين أمَرَهم بما أمَرَهم به في ذلك اليوم وفي غيره.

ثمّ قال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ أي: داراً لمن أطاعني وأطاعَ رسولي ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ أي: وذلك هو الإحسانُ وأنا أُحبُّ مَن عَمِلَ به ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ أي: إن أتَوْا فاحشةً ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بمعصيةٍ ذَكَروا نَهْيَ الله عنها وما حَرَّمَ عليهم فاستَغفَروه لها، وعَرَفوا أنّه لا يَغفِرُ الذُّنوبَ إلّا هو ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ أي: لم يُقِيموا على معصيتي كفِعْل مَن أشرَكَ بي فيما

(١) انظر الكلام على سبب نزول هذه الآية فيما تقدم ص٥٩.

غَلَوْا به في كُفرِهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ما حرَّمتُ عليهم من عبادةِ غيري ﴿أُولَٰئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ أي: ثوابُ المُطِيعين.

ثمّ استقبَلَ ذِكرَ المصيبة التي نَزَلَت بهم والبلاءَ الّذي أصابَهم، والتَّمحيصَ لمَا كان فيهم، واتِّخاذَه الشُّهداءَ منهم، فقال تَعزِيةً لهم وتعريفاً لهم فيما صَنَعوا وفيما هو صانعٌ بهم: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ أي: قد مَضَت منّي وقائعُ نِقْمةٍ في أهل التَّكذيبِ لرُسُلي والشِّركِ بي: عادٌ وثَمُودُ وقومُ لوطٍ وأصحابُ مَدْيَنَ، فرَأَوا مَثُلاتٍ[1] قد مَضَت منّي فيهم ولمَن هو على مثل ما هم عليه من ذلك منّي، فإنّي أملَيتُ لهم، أي: لئلَّا يَظُنّوا أنّ نِقْمتي انقَطَعَت عن عدوِّكم وعدوِّي، للدَّولة التي أدَلتُهم بها عليكم لنَبتلِيَكم بذلك لنُعلِمَكم ما عندكم.

ثمّ قال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ أي: هذا تفسيرٌ للنّاس إن قَبِلوا الهُدَى ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾ أي: نورٌ وأدَبٌ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: لمن أطاعني وعَرَفَ أمري ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي: لا تَضعُفوا ولا تَبتَئِسوا على ما أصابَكم ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ أي: لكم تكون العاقبةُ والظُّهورُ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ أي: إن كنتم صدَّقتُم نبيِّي بما جاءَكم به عنّي ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ أي: جِراحٌ ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ أي: جِراحٌ مِثلُها ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي: نُصرِّفُها بين النّاس للبَلاءِ والتَّمحيص ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ أي: ليُميِّزَ بين المؤمنين والمنافقين، وليُكرِمَ مَن

(١) جمع مَثُلَة: وهي العقوبة.

أكرَمَ من أهل الإيمان بالشَّهادة ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: المنافقين الّذين يُظهِرون بأَلسنتِهم الطّاعةَ وقلوبُهم مُصِرَّةٌ على المعصية ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: يَختبِرَ الّذين آمَنوا حتّى يُخلِّصَهم بالبلاءِ الّذي نَزَلَ بهم وكيف صَبْرُهم ويَقِينُهم ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ أي: يُبطِلَ من المنافقين قولَهم بأَلسنتِهم ما ليس في قلوبهم حتّى يَظهَرَ منهم كُفْرُهم الّذي يَستَتِرُون به.

ثمّ قال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ أي: حَسِبتُم أن تَدخُلوا الجنّةَ فتُصِيبوا من ثوابي الكرامةَ ولم أختبِرْكم بالشِّدّة وأَبتَلِيكم بالمكاره حتّى أعلمَ أصِدقٌ ذلك منكم الإيمانُ بي، والصّبْرُ على ما أصابكم فيَّ، ولقد كنتم تَمَنَّونَ الشَّهادةَ على الّذي أنتم عليه من الحقِّ قبلَ أن تَلقَوْا عدوَّكم؛ يعني الّذين استَنهَضُوا رسولَ الله ﷺ إلى خروجه بهم إلى عدوّهم لِمَا فاتَهم من حُضُور اليوم الّذي كان قبلَه ببدرٍ ورَغْبةً في الشّهادة التي فاتَتْهم بها به[1]، يقول: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ أي: الموتَ بالسُّيوف في أيدي الرِّجال قد خَلَّى بينكم وبينهم وأنتم تَنظُرون إليهم ثمّ صَدَّهم عنكم.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ أي: لقولِ النّاس: قُتِلَ محمّدٌ، وانهزامِهم عند ذلك وانصِرافِهم عن عدوِّهم ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ رَجَعتُم عن دينكم كفّاراً كما كنتم، وتَرَكتُم جهادَ عدوِّكم وكتابَ الله وما خَلَّفَ نبيُّه ﷺ من دينه معكم وعندكم، وقد بَيَّنَ لكم فيما جاءَكم به عنّي أنه ميّتٌ ومُفارِقُكم ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي: يَرجِعْ عن دينه ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ

(١) بعد هذا في نسخة أشار إليها في (ز): فقال: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾.

شَيْـًٔا﴾ أي: ليس يَنقُصُ ذلك عِزَّ الله ولا مُلكَه ولا سُلطانَه ولا قُدْرتَه ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: مَن أطاعه وعَمِلَ بأمرِه.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ أي: أنّ لمحمّدٍ أَجَلاً هو بالغُه، فإذا أَذِنَ اللهُ في ذلك كان ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ أي: مَن كان منكم يريد الدُّنيا، ليست له رَغْبةٌ في الآخرة، نُؤتِه منها ما قُسِمَ له من رِزقٍ ولا يَعْدُوه فيها، وليس له في الآخرة من حظٍّ ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ ما وُعِدَ به مع ما يُجرَى عليه من رِزْقِه في دُنياه، وذلك جزاءُ الشّاكرين، أي: المُتَّقين.

ثمّ قال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ[1] مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ أي: وكأيِّن من نبيٍّ أصابه القتلُ ومعه رِبِّيُّون كثيرٌ، أي: جماعةٌ، فما وَهَنُوا لفَقْد نبيِّهم، وما ضَعُفوا عن عدوِّهم، وما استَكانوا لِمَا أصابهم في الجهادِ عن الله وعن دينهم، وذلك الصَّبْرُ، والله يحبُّ الصّابرين ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾.

قال ابن هشام: واحدُ الرِّبِّيِّينَ: رِبِّيٌّ، وقولُهم: الرِّبَابُ، لولدِ عبد مَنَاة بن أُدٍّ بن طابخةَ بن الياسِ ولضَبّةَ، لأنّهم تَجَمَّعوا وتحالَفُوا، مِن هذا، يريدون الجماعاتِ، وواحدةُ الرِّبابِ: رِبّةٌ ورِبَابةٌ، وهي جماعاتُ قِدَاحٍ أو عِصيٍّ ونحوها، فشَبَّهوها بها،

(١) هكذا في نسخنا الخطية، وتفسير ابن إسحاق اللاحق لها يدلُّ أنه كان يقرؤها كذلك، وهي قراءة أهل المدينة وشيخها في القراءة نافع بن أبي نُعيم، وكذلك قرأها ابن كثير المكي وأبو عمرو البصري من السبعة، وقرأ الكوفيّون عاصم وحمزة والكِسائي وكذا الشاميُّ ابنُ عامر: (قاتَلَ معه) بألف. انظر كتاب «السبعة» لابن مجاهد ص٢١٧.

قال أُميّةُ بن أبي الصَّلْت[1]:

حـولَ شَـيطانِهِمْ[2] أَبابِيـلُ رِبّيُّـ ـونَ شَـدُّوا سَـنَوَّراً مَدْسُـورا

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

والرِّبابةُ أيضاً: الخِرْقةُ التي تُلَفّ فيها القِدَاح[3].

قال ابن هشام: والسَّنَوَّر: الدُّروع، والدُّسُر: هي المسامِيرُ التي في الحَلَقِ، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر:١٣]، وقال الشّاعرُ، وهو أبو الأخزَرِ الحِمَّاني من تَميم:

دَسْـراً بـأَطرافِ القَنَـا المُقـوَّمِ[4]

قال ابن إسحاق: أي: فقولوا مِثلَ ما قالوا، واعلَموا أنّما ذلك بذُنوبٍ منكم، واستَغفِروه كما استَغفَروا، وامضُوا على دينكم كما مَضَوا على دينهم ولا تَرتَدُّوا على أعقابكم راجعين، واسألوه كما سألوه أن يُثبِّتَ أقدامَكم، واستَنصِروه كما استَنصَروه على القوم الكافرين، فكلُّ هذا من قولهم قد كان، وقد قُتِلَ نبيُّهم فلم يفعلوا كما فعلتُم ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ بالظُّهور على عدوِّهم ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ

(١) انظر «ديوانه» صنعة عبد الحفيظ السطلي ص٤٠٨.

(٢) في (ي): شياطينهم. وهو خطأ ينكسر به الوزن الشعري.

والأبابيل: جماعة الطير أو الإبل، واحدها إِبِّيل، وأراد به جماعة الناس.

(٣) زاد هنا في (ت) ـ وكذا في (ش١) لكن فيها قبل شعر أميّة ـ: وقال أبو ذؤيب الهُذَلي:

وكـأنّـهـنَّ رِبـابـةٌ وكـأنّـهُ يَسَرٌ يُفِيضُ على القِدَاحِ ويَصدَعُ

وهذا البيت في قصيدة له.

وقد تقدم هذا البيت ١/ ٢٩٨ وشرحناه هناك.

(٤) القنا: الرُّمح. ولم نقف على هذا الرَّجز عند غير ابن هشام.

﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ وما وَعَدَ الله فيها ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ أي: عن عدوِّكم فتذهَبَ دُنياكم وآخرَتُكم ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ فإن كان ما تقولون بألسِنَتِكم صِدْقاً في قلوبكم، فاعتَصِموا به ولا تَستَنصِروا بغيرِه، ولا تَرجِعوا على أعقابكم مُرتدِّين عن دينه.

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران:١٥١] أي: الّذي به كنتُ أنصُرُكم عليهم بما أَشرَكوا بي ما لم أجعَلْ لهم من حُجّةٍ، أي: فلا تَظُنُّوا أنّ لهم عاقبةَ نَصْرٍ ولا ظُهورٍ عليكم ما اعتَصَمتُم بي واتَّبعتُم أمري، للمُصيبةِ التي أصابتكم منهم بذُنوبٍ قَدَّمتُموها لأنفُسِكم خالَفتُم بها أمري للمَعصيةِ، وعَصَيتُم فيها نبيِّي ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ أي: لقد وَفَيتُ لكم بما وَعَدتُكم من النَّصر على عدوِّكم إذ تَحُسُّونَهم بالسُّيوفِ، أي: القتلِ بإذني، وتَسْليطي أيديَكم عليهم، وكَفِّي أيديَهم عنكم.

قال ابن هشام: الحَسُّ: الاستئصالُ، تقول: حَسَستُ الشّيءَ، أي: استأصَلْتُه بالسّيف وغيرِه، قال جَريرٌ:

تَحُسُّهمُ السُّيوفُ كما تَسامَى ... حريقُ النّارِ في الأَجَمِ الحَصيدِ[1]

(١) تسامى، أي: ارتفع. والأَجَمُ: جمع أَجَمة، وهو الشجر الملتفّ. والحصيد: المحصود المقطوع.

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له[1].

وقال رُؤْبةُ بن العَجّاج:

إذا شَكَونا سَنَةً حَسُوسا[2]

تأكلُ بعدَ الأخضَرِ اليَبِيسا

وهذان البيتان في أُرجوزةٍ له[3].

قال ابن إسحاق: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ أي: تَخاذَلتُم ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ أي: اختَلَفتُم في أمري، أي: تَرَكتُم أمرَ نبيِّكم وما عَهِدَ إليكم؛ يعني الرُّماةَ ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ أي: الفتحَ لا شَكَّ فيه وهَزِيمةَ القوم عن نسائِهم وأموالِهم ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: الّذين أرادوا النَّهبَ في الدّنيا وتَرْكَ ما أُمِروا به من الطّاعة التي عليها ثوابُ الآخرة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي: الّذين جاهَدُوا في الله ولم يُخالِفوا إلى ما نُهُوا عنه لعَرَضٍ من الدّنيا، رَغْبةً فيه، رَجاءَ ما عند الله من حُسْن ثوابه في الآخرة، أي: الّذين جاهَدُوا في الدِّين ولم يُخالِفوا إلى ما نُهُوا عنه لعَرَضٍ من الدّنيا، ليَختبِرَكم وذلك ببعض ذُنوبِكم، ولقد عَفَا الله عن عظيمِ ذلك أن لا يُهلِكَكم بما أَتيتُم من معصيةِ نبيِّكم، ولكنِّي عُدْتُ بفَضْلي عليكم، وكذلك مَنَّ اللهُ على المؤمنين أن عاقَبَ ببعضِ الذُّنوب في عاجلِ الدّنيا أدَباً ومَوعِظةً، فإنّه غيرُ مُستأصِلٍ لكلِّ ما فيهم من الحقِّ له عليهم بما أصابوا من معصيتِه، رحمةً لهم وعائدةً عليهم لِمَا فيهم من الإيمان.

---

(١) يمدح بها الحجّاج بن يوسف الثقفي، انظر «ديوانه» ص٩٥-٩٦.

(٢) الحَسُوس: التي تحرق النَّبت، ويقال: البردُ مَحَسَّةٌ للبَقْل، أي: يحرقه.

(٣) هي أُرجوزة طويلة يمدح بها أبان بن الوليد البَجَلي، أحد أشراف بَجِيلة في العراق، انظر «ديوانه» ص٧٢.

ثمّ أنّبَهم بالفِرَار عن نبيِّهم وهم يُدعَون لا يَعطِفون عليه لدُعائِه إيّاهم فقال: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَابَكُمْ﴾ أي: كَرْباً بعد كَرْبٍ، بقتلِ مَن قُتِلَ من إخوانِكم وعُلوِّ عدوِّكم عليكم، وما وَقَعَ في أنفُسِكم من قول مَن قال: قُتِلَ نبيُّكم، فكان ذلك ممّا يُتابِعَ عليكم غَمّاً بغَمٍّ ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من ظُهورِكم على عدوِّكم بعدَ أن رأيتُموه بأعيُنِكم ﴿وَلَا مَآ أَصَابَكُمْ﴾ من قتل إخوانِكم حتّى فرَّجتُ ذلك الكَرْبَ عنكم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ وكان الّذي فرَّجَ الله به عنهم ما كانوا فيه من الكَرْبِ والغَمِّ الّذي أصابَهم أنَّ الله عزَّ وجلَّ رَدَّ عنهم كَذْبَةَ الشّيطانِ بقتلِ نبيِّهم، فلمّا رَأَوا رسولَ الله ﷺ حيّاً بين أظهُرِهم، هانَ عليهم ما فاتَهم من القوم بعدَ الظُّهورِ عليهم والمُصيبةِ التي أصابَتهم في إخوانِهم، حين صَرَفَ الله القتلَ عن نبيِّهم.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾، فأنزَلَ الله النُّعاسَ أَمَنةً منه على أهلِ اليقينِ به فهم نيامٌ لا يَخافُون، وأهلُ النِّفاقِ قد أهَمَّتهم أنفُسُهم تَخوُّفَ القتلِ، وذلك أنّهم لا يَرجُون عاقبةً، فذَكَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ تَلاوُمَهم وحَسْرتَهم على ما أصابَهم.

ثمّ قال سُبْحانَه لنبيِّه ﷺ: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ لم تَحضُروا هذا المَوطِنَ الّذي أظهَرَ اللهُ فيه منكم ما أظهَرَ من سَرائِركم، لَأخرَجَ ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾ إلى

مَوطِنٍ غيرِه يُصرَعون فيه حتّى يَبتَلِيَ به ما في صُدورِهم ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: لا يَخفَى عليه ما في صُدورِهم ممّا استَخفَوْا به منكم.

ثمّ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾ أي: لا تكونوا كالمنافقينَ الّذين يَنهَوْن إخوانَهم عن الجهادِ في سبيل الله والضَّربِ في الأرض في طاعةِ الله وطاعةِ رسولِه، ويقولون إذا ماتوا أو قُتِلوا: لو أطاعُونا ﴿مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لقِلّةِ اليقين بربِّهم ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: يُعجِّلُ ما يشاءُ ويُؤخِّرُ ما يشاءُ من ذلك من آجالهم بقُدْرته.

ثمّ قال: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: إنَّ الموتَ لكائنٌ لا بُدَّ منه، فموتٌ في سبيلِ الله أو قتلٌ خيرٌ - لو عَلِموا وأيقَنُوا - ممّا يَجمَعون من الدّنيا الّتي لها يَتأخَّرون عن الجهاد تَخوُّفَ الموتِ والقتلِ لِمَا جَمَعُوا من زَهْرةِ الدّنيا وزَهَادةً[1] في الآخرة ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ أيُّ ذلك كان ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ أي: أنّ إلى الله المَرجِعَ، فلا تَغُرَّنَّكم الدّنيا ولا تَغتَرُّوا بها، وليكن الجهادُ وما رَغَّبكم اللهُ فيه من ثوابِه[2] آثَرَ عندكم منها.

ثمّ قال تبارك وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي: لتَرَكُوك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ أي: فتجاوَزْ عنهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ فذَكَرَ لنبيِّه ﷺ

(١) في (ز) و(غ): زهادة، بإسقاط الواو، ولعلَّ ما أثبتناه من بقية النسخ أصح وأوجه، وهي معطوفة على (تخوّف).

(٢) قوله: «من ثوابه» من (ز) و(غ).

لِينَه لهم وصَبْرَه عليهم، لضَعْفِهم وقِلّةِ صَبْرِهم على الغِلْظةِ لو كانت منه عليهم في كلِّ ما خالَفُوا عنه ممّا افترَضَ عليهم من طاعة نبيِّهم ﷺ.

ثمّ قال: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ أي: تَجاوَزْ عنهم ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذُنوبَهم مَن قارَفَ[1] من أهل الإيمانِ منهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: لتُرِيَهم أنّك تسمعُ منهم، وتستعينُ بهم، وإن كنتَ غنيّاً عنهم، تألُّفاً لهم بذلك على دينِهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ أي: على أمرٍ جاءَك منّي وأمرٍ من دينِك في جهادِ عدوِّك، لا يُصلِحُك ولا يُصلِحُهم إلّا ذلك، فامْضِ على ما أُمِرتَ به على خِلافِ مَن خالَفَك، ومُوافقةِ مَن وافقَك ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: ارْضَ به من العِباد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ من النّاس ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: لئلّا تَترُكَ أَمري للنّاس، وارفُضِ النّاسَ[2] إلى أَمري ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ لا على النّاس ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

ثمّ قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ أي: ما كان لنبيٍّ أن يَكتُمَ النّاسَ ما بَعَثَه اللهُ به إليهم عن رَهْبةٍ من النّاس ولا رَغْبةٍ، ومن يَفعَلْ ذلك يأتِ به يومَ القيامة ثمّ يُجزَى بكَسْبِه غيرَ مظلومٍ ولا مُتعدًّى عليه ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ على ما أَحبَّ النّاسُ أو سَخِطوا ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لرِضا النّاسِ أو لسَخَطِهم؛ يقول: فمَن كان على طاعتي، فثوابُه الجنّةُ ورِضوانٌ من الله ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ واستَوجَبَ سَخَطَه فكان ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾ أسواءٌ المَثَلانِ، فاعرِفُوا ﴿هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ لكلٍّ دَرَجاتٌ ممّا عَمِلوا في الجنّة والنّار، أي: إنَّ

(١) يقال: قارف الرجل الذنبَ، إذا دخل فيه ولابَسَه.

(٢) في (م) ونسخة على حاشية (ز): وارفض أمر الناس.

الله لا يَخفَى عليه أهلُ طاعتِه من أهلِ معصيتِه.

ثُمّ قال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ أي: لقد مَنَّ الله عليكم يا أهلَ الإيمان إذ بَعَثَ فيكم رسولاً من أنفُسِكم يَتلُو عليكم آياتِه فيما أحدَثتُم وفيما عَمِلتُم، فيُعلِّمُكم الخيرَ والشّرَّ لتَعرِفوا الخيرَ فتَعمَلوا به، والشّرَّ فتَتَّقُوه، ويُخبِرُكم برِضاهُ عنكم إذا أطَعتُموه فتَستَكثِروا من طاعتِه، وتَجتَنِبوا ما سَخِطَ منكم من معصيتِه لتتخلَّصوا بذلك من نِقْمتِه، وتُدرِكوا بذلك ثوابَه من جَنَّتِه، وإن كنتم ﴿مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: لفي عَمْياءَ من الجاهليّة، أي: لا تعرفون حَسَنةً ولا تَستَغفِرون من سيِّئةٍ، صُمٌّ عن الخير، بُكْمٌ عن الحقّ، عُمْيٌ عن الهُدَى.

ثمّ ذكرَ المصيبةَ الّتي أصابتهم فقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ أي: إن تَكُ قد أصابتكم مصيبةٌ في إخوانِكم بذُنوبِكم، فقد أصبتُم مِثلَيها قبلُ من عدوِّكم في اليوم الّذي كان قبلَه ببدرٍ قتلاً وأَسْراً، ونَسِيتُم معصيتَكم وخِلافَكم عمّا أمَرَكم به نبيُّكم، أنتم أحلَلتُم ذلك بأنفُسِكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: إنّ الله على ما أرادَ بعِبادِه من نِقْمةٍ أو عَفْوٍ قديرٌ.

﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ أي: ما أصابكم حين التَقَيتُم أنتم وعدوُّكم فبإذْني، كان ذلك حين فعلتُم ما فعلتُم بعدَ أن جاءَكم نَصْري وصَدَقتُكم وَعْدي، ليُميِّزَ بين المؤمنين والمنافقين ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ منكم، أي: ليُظهِرَ ما فيهم ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾ يعني عبدَ الله بن أُبيٍّ وأصحابَه الّذين رَجَعوا عن رسول الله ﷺ حين سارَ إلى عدوِّه من المشركين بأُحدٍ

وقولَهم: لو نعلمُ أنّكم تُقاتِلون لَسِرْنا معكم، ولدَفَعْنا عنكم، ولكنّا لا نَظُنُّ أنّه يكون قتالٌ، فأظهَرَ منهم ما كانوا يُخْفُون في أنفُسِهم؛ يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: يُظهِرون لك الإيمانَ وليس في قلوبهم ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ أي: ما يُخْفُون ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ الّذين أُصيبوا معكم من عَشائرِهم وقومِهم: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ أي: أنّه لا بُدَّ من الموت، فإن استطعتُم أن تَدفَعُوه عن أنفُسِكم فافعلوا، وذلك أنَّهم إنّما نافَقوا وتَرَكوا الجهادَ في سبيلِ الله حِرْصاً على البَقاءِ في الدّنيا، وفِراراً من الموت.

ثمّ قال لنبيِّه ﷺ، يُرغِّبُ المؤمنين في الجهادِ ويُهوِّنُ عليهم القتلَ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ أي: لا تَظُنَّنَّ الّذين قُتِلوا في سبيلِ الله أمواتاً، أي: قد أحيَيتُهم فهم عندي يُرزَقون في رَوْحِ الجنّة وفضلِها، مَسرُورين بما آتاهم الله من فضلِه على جِهادِهم عنه ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: ويُسَرُّون بلُحوقِ مَن لَحِقَهم من إخوانِهم على ما مَضَوْا عليه من جهادِهم، ليَشرَكُوهم فيما هم فيه من ثوابِ الله الّذي أعطاهم، قد أذهَبَ اللهُ عنهم الخوفَ والحَزَنَ. يقول الله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ لِمَا عايَنُوا من وَفاءِ الموعود، وعظيمِ الثَّواب.

قال ابن إسحاق: وحدّثني إسماعيلُ بن أُميّة، عن أبي الزُّبَير، عن ابن عبّاسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لمَّا أُصِيبَ إخوانُكم بأُحدٍ، جَعَلَ اللهُ أرواحَهم في أَجوافِ طَيرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أنهارَ الجنَّةِ وتأكُلُ من ثِمارِها، وتَأْوي إلى قَنادِيلَ من ذَهَبٍ في ظِلِّ العَرْشِ، فلمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَشرَبِهم ومَأكَلِهم وحُسْنَ مَقِيلِهم قالوا: يا لَيْتَ إخوانَنا

يَعلَمونَ ما صَنَعَ اللهُ بنا، لئَلَّا يَزهَدُوا في الجهادِ، ولا يَنكُلُوا عندَ[1] الحَرْبِ، فقال اللهُ تعالى: فأنا أُبلِّغُهم عنكم»، فأنزَلَ اللهُ على رسوله ﷺ هؤلاءِ الآياتِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾[2].

قال ابن إسحاق: حدّثني الحارثُ بن الفُضَيل، عن محمود بن لَبيدٍ الأنصاريّ،

---

(١) في نسخ على حواشي (ز) و(ش١) و(م): عن.

وقوله: «لا ينكُلوا»، أي: لا يرجعوا هائبين لعدوِّهم، خائفين منه.

(٢) حديث صحيح، وهذا إسناد منقطع، فأبو الزبير ـ وهو محمد بن مسلم بن تَدرُس ـ لم يسمع من ابن عباس، لكن تبيَّنت الواسطةُ بينهما في هذا الحديث وهو سعيد بن جُبير كما سيأتي.

ورواه منقطعاً أيضاً عن ابن إسحاق أكثر أصحابه كما هو مبيَّن في «مسند أحمد» (٢٣٨٨)، حيث رواه من طريق إبراهيم بن سعد الزهري عنه.

لكن رواه متصلاً عن ابن إسحاق عبدُ الله بن إدريس ـ وهو ثقة حافظ ـ عند عبد الله بن أحمد في زوائده على «المسند» (٢٣٨٩)، وأبي داود (٢٥٢٠)، والحاكم (٢٤٧٥) عن إسماعيل بن أميّة، عن أبي الزبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ.

وجزم ابنُ كثير في «تفسيره» بأن ذكرَ سعيد بن جبير في إسناده أثبت، وقال: وكذا رواه سفيان الثَّوري، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قلنا: أخرجه هكذا البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٢١٤) من طريق أبي عامر القاسم بن محمد الأسدي عن سفيان الثّوري، وأبو عامر هذا روى عنه أبو كُريب وأبو تُميلة ومِنجاب بن الحارث وغيرهم، ولم يُؤثر فيه جرح ولا تعديل، فمثله يعتبر به في المتابعات والشواهد إن شاء الله.

وأخرجه البيهقي كذلك (٢١٤) من طريق أسامة بن زيد الليثي، عن إسماعيل بن أمية، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. ورجاله لا بأس بهم، لكن الصحيح أنَّ إسماعيل بن أمية يرويه عن أبي الزُّبَير عن ابن جبير عن ابن عباس، وقد يكون سقط من المطبوع! وهذه متابعة قوية تؤيّد صحة ذكر سعيد بن جبير في إسناده كما رجَّحه البيهقي، والله تعالى أعلم.

عن ابن عبّاسٍ أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «الشُّهَداءُ على بارقٍ ـ نَهرٍ بباب الجَنَّة ـ في قُبّةٍ خَضْراءَ، يَخرُجُ عليهم رِزقُهم من الجنَّةِ بُكْرةً وعَشِيّاً»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ، عن عبد الله بن مسعودٍ: أنه سُئِلَ عن هؤلاءِ الآياتِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فقال: أمَا إنّا قد سألْنا عنها فقيل لنا: «إنَّه لمَّا أُصِيبَ إخوانُكم بأُحدٍ، جَعَلَ اللهُ أَرواحَهم في أَجوافِ طَيرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أنهارَ الجَنّةِ وتأكُلُ من ثِمارِها، وتَأْوِي إلى قَنادِيلَ من ذَهَبٍ في ظِلِّ العَرْشِ، فيَطَّلِعُ اللهُ إليهم اطِّلاعةً فيقولُ: يا عِبَادي، ما تَشتَهُونَ فأَزِيدَكم؟ قال: فيقولون: رَبَّنا لا فوقَ ما أعطَيتَنا، الجَنّةُ[2] نأكُلُ منها حيثُ شِئْنا، قال: ثمَّ يَطَّلِعُ إليهم اطِّلاعةً فيقولُ: يا عِبادِي، ما تَشتَهُونَ فأَزِيدَكم؟ فيقولون: رَبَّنا لا فوقَ ما أعطَيتَنا، الجَنّةُ نأكُلُ منها حيثُ شِئْنا، قال: ثمَّ يَطّلِعُ إليهم اطِّلاعةً فيقول: يا عِبادِي، ما تَشتَهُونَ فأَزِيدَكم؟ فيقولون: رَبَّنا لا فوقَ ما أعطَيتَنا، الجَنّةُ نأكُلُ منها حيثُ شِئْنا، إلَّا أنَّا نُحِبُّ أن تَرُدَّ أَرواحَنا في أجسادِنا، ثمَّ نُرَدَّ إلى الدُّنيا فنُقاتِلَ فيك، حتّى نُقتَلَ فيك مَرّةً أُخرَى»[3].

---

(١) إسناده جيد كما قال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٦٤.

وأخرجه أحمد (٢٣٩٠)، وابن حبان (٤٦٥٨)، والحاكم (٢٤٣٤) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٢) قال الخشني في «إملائه» ص٢٣٦: يروى هنا بالخفض والرفع، فبخفض الجنّة على البدل من «ما» في قوله: ما أعطيتَنا، ورفعها على خبر مبتدأ مضمَر تقديره: هو الجنة، أو هي الجنة.

(٣) حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الواسطة بين ابن إسحاق وابن مسعود.

لكن أخرجه مسلم (١٨٨٧)، وابن ماجه (٢٨٠١)، والترمذي (٣٠١١) من طريق الأعمش، عن عبد الله بن مُرّة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود. ولم يقيِّده بأرواح شهداء أُحد، إنما أطلقه في أرواح الشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله عامّةً.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ أصحابنا، عن عبد الله بن محمّد بن عَقِيلٍ قال: سمعت جابرَ بن عبد الله يقول: قال لي رسولُ الله ﷺ: «ألَا أُبشِّرُك يا جابرُ؟» قال: قلت: بَلَى يا نبيَّ الله، قال: «إنَّ أباكَ حيثُ أُصِيبَ بأُحدٍ أَحْياهُ اللهُ ثمَّ قال له: ما تُحِبُّ يا عبدَ الله بنَ عَمرٍو أنْ أفعَلَ بك؟ قال: أيْ رَبِّ، أُحِبُّ أن تَرُدَّني إلى الدُّنيا فأُقاتِلَ فيك، فأُقتَلَ مَرّةً أُخرَى»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمرو بن عُبيدٍ، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «والَّذي نفسي بيدِه، ما مِن مُؤمِنٍ يُفارِقُ الدُّنيا يُحِبُّ أنْ يَرجِعَ إليها ساعةً من النَّهارِ وإنَّ له الدُّنيا وما فيها إلَّا الشَّهِيدُ، فإنَّه يُحِبُّ أن يُرَدَّ إلى الدُّنيا فيُقاتِلَ في سَبيلِ الله، فيُقتَلَ مَرّةً أُخرَى»[2].

---

(١) حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الواسطة بين ابن إسحاق وعبد الله بن محمد بن عقيل، وابن عقيل هذا حسن الحديث في المتابعات والشواهد، وهذا منها.

وقد رواه عن ابن عقيلٍ محمدُ بن علي بن ربيعة السُّلمي عند أحمد (١٤٨٨١)، وأبو حماد الحنفي عند الحاكم ضمن حديث (٢٥٨٩). وابن ربيعة صدوق لا بأس به، أما أبو حماد ـ وهو مفضَّل بن صدقة ـ فالراجح أنه ضعيف.

وأخرجه ابن ماجه (١٩٠) و(٢٨٠٠)، والترمذي (٣٠١٠)، وابن حبان (٧٠٢٢)، والحاكم (٤٩٧٦) من طريق طلحة بن خِراش، عن جابر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لا يكلِّم أحداً إلّا من وراء حِجاب، وإنه كلَّم أباك كِفاحاً، فقال: تَمنَّ عليَّ» وذكر الحديث، وفي آخره قال جابر: فأنزل الله هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ ...﴾. وإسناده حسن. ومعنى قوله: «كِفاحاً»: مواجهةً ليس بينهما حجاب ولا رسول.

(٢) صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإرساله، فالحسن: هو البصري، وعمرو بن عبيد ليس بثقة.

وقد روي هذا الحديث بنحوه من حديث أنس بن مالك عند أحمد (١٢٠٠٣) و(١٢٢٧٣)، =

قال ابن إسحاق: ثمّ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ أي: الجِراحُ، وهم المؤمنون الّذين ساروا مع رسول الله ﷺ الغدَ من يومِ أُحدٍ إلى حَمْراءِ الأسَد على ما بهم من ألَمِ الجِراح: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ والنّاسُ الّذين قالوا لهم ما قالوا، النَّفَرُ من عبد القَيس، الّذين قال لهم أبو سفيانَ ما قال، قالوا: إنَّ أبا سفيانَ ومَن معه راجعون إليكم؛ يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ لِمَا صَرَفَ اللهُ عنهم من لقاءِ عدوِّهم.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: لأُولئكَ الرَّهْطِ وما أَلقَى الشّيطانُ على أفواههم ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي: يُرهِبُكم بأوليائه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ أي: المنافقون ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ أي: المنافقين ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أي: فيما يريد أن يَبتلِيَكم به لتَحذَروا ما يَدخُلُ عليكم فيه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يُعلِمُه ذلك ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ أي: تُراجِعوا وتَتُوبوا ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾.

= والبخاري (٢٧٩٥) و(٢٨١٧)، ومسلم (١٨٧٧) وغيرهم من طرق عنه. وزادوا فيه: «لِمَا يرى من فضل الشهادة»، وفي رواية: «لِمَا يرى من الكرامة».

ذكرُ من استُشهِد بأحدٍ من المهاجرين

قال ابن إسحاق: واستُشهِدَ من المسلمين يومَ أُحدٍ مع رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريشٍ[1]، ثمّ من بني هاشمِ بن عبد مَنَافٍ: حمزةُ بن عبد المُطَّلِب بن هاشمٍ رضي الله عنه، قتله وَحْشيٌّ غلامُ جُبَير بن مُطعِم.

ومن بني أُميّة بن عبد شَمسٍ: عبدُ الله بن جَحْشٍ، حليفٌ لهم من بني أسَد بن خُزَيمة.

ومن بني عبد الدّار بن قُصَيٍّ: مُصعَبُ بن عُمَيرٍ، قتله ابنُ قَمِئةَ اللَّيثيّ.

ومن بني مخزومِ بن يَقَظةَ: شَمّاسُ بن عثمان؛ أربعةُ نَفَرٍ.

ومن الأنصار، ثمّ من بني عبد الأشهَلِ: عمرُو بن مُعاذِ بن النُّعمان، والحارثُ بن أنس بن رافع، وعُمَارةُ بن زياد بن السَّكَن.

قال ابن هشام: السَّكَنُ ابنُ رافع بن امرِئِ القيس، ويقال: السَّكْن.

قال ابن إسحاق: وسَلَمةُ بن ثابت بن وَقْشٍ، وعمرُو بن ثابت بن وَقْشٍ - وقد زَعَمَ لي عاصمُ بن عمر بن قَتَادة: أنّ أباهما ثابتاً قُتِلَ يومَئذٍ - ورِفاعةُ بن وَقْشٍ، وحُسَيلُ ابن جابرٍ أبو حُذَيفة، وهو اليَمَانُ، أصابه المسلمون في المعركة ولا يَدرُون، فتَصدَّقَ حُذَيفةُ بدِيَتِه على مَن أصابه[2]، وصَيْفيُّ بن قَيْظيٍّ، وحُبَابُ[3] بن قَيْظيٍّ، وعبّادُ بن

---

(١) قوله: من قريش، من (ز) و(غ).

(٢) وقد تقدم خبر مقتله هو وثابت بن وقشٍ ص٧٦-٧٧.

(٣) اضطرب قول ابن عبد البر في حُباب بن قيظي، فذكره في كتابه «الاستيعاب» في موضعين، مرّةً بالحاء: حباب، ومرّةً بالخاء: خبّاب، وذكر ابن ماكولا في «الإكمال» ٢/ ١٤٦ أنه وقع عند ابن إسحاق في رواية المروزي عن ابن أيوب عن إبراهيم بن سعد عنه: جَناب بن قيظي، ثم قال: والمحفوظ بالحاء المهملة.

سَهلٍ، والحارثُ بن أَوس بن معاذٍ؛ اثنا عشرَ رجلاً.

ومن أهل راتِجٍ[1]: إياسُ بن أَوس بن عَتِيك بن عمرو بن عبد الأَعلَم بن زَعُوراءَ ابن جُشَمَ بن عبد الأشهَل، وعُبَيدُ بن التَّيِّهان ـ قال ابن هشام: ويقال: عَتيكُ بن التَّيِّهان ـ وحَبيبُ بن يزيد بن تَيْمٍ؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني ظَفَرٍ: يزيدُ بن حاطبِ بن أُميّة بن رافعٍ؛ رجلٌ.

ومن بني عمرو بن عَوفٍ، ثمّ من بني ضُبَيعة بن زيدٍ: أبو سفيانَ بن الحارث بن قيس بن زيدٍ، وحَنظَلةُ بن أبي عامر بن صَيْفيّ بن نُعمانَ بن مالك بن أَمَةَ، وهو غَسيلُ الملائكة، قتله شدّادُ بن الأسوَد ابنُ شَعُوبَ اللَّيثيّ؛ رجلانِ.

قال ابن هشام: قيسُ بنُ زيد بن ضُبَيعة، ومالكُ بنُ أَمَة بن ضُبَيعة.

قال ابن إسحاق: ومن بني عُبيد بن زيدٍ: أُنَيسُ بن قَتَادة؛ رجلٌ.

ومن بني ثَعْلبةَ بن عمرو بن عَوفٍ: أبو حَيَّة، وهو أخو سعد بن خَيثَمة لأُمّه.

قال ابن هشام: أبو حَبَّة[2] بنُ عمرو بن ثابت.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن جُبَير بن النُّعمان، وهو أميرُ الرُّماة؛ رجلانِ.

ومن بني السَّلْم[3] بن امرِئِ القيس بن مالك بن الأَوسِ: خَيثَمةُ أبو سعدِ بن خَيثَمة؛ رجلٌ.

---

(١) راتج: أُطُم (أي: حصنٌ) من آطام اليهود بالمدينة، وتُسمّى الناحية به. قاله ياقوت في «معجم البلدان».

(٢) اختُلف في تقييده كما أشار إلى ذلك ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٧٩٠-٧٩١، فقيل: أبو حيّة، وقيل: أبو حنّة، وقيل: أبو حبّة، وصوّبه بالباء الموحدة.

(٣) هكذا قيّده ابن ناصر الدين الدمشقي في «توضيح المشتبه» ٥/ ١٤٢، وقيّده ابن حجر في «تبصير المنتبه» ٢/ ٦٨٨ بكسر السين.

ومن حُلَفائهم من بني العَجْلانِ: عبدُ الله بن سَلِمةَ[1]؛ رجلٌ.

ومن بني معاوية بن مالكٍ: سُبَيعُ بن حاطِب بن الحارث بن قيس بن هَيْشةَ؛ رجلٌ.

قال ابن هشام: ويقال: سُوَيبِقُ بن الحارث بن حاطب بن هَيْشة.

قال ابن إسحاق: ومن بني النَّجّار، ثمّ من بني سَوَاد بن مالك بن غَنْمٍ: عمرُو بن قيسٍ، وابنُه قيسُ بن عمرٍو.

قال ابن هشام: عمرو بن قيسٍ ابنُ زيد بن سَوَاد.

قال ابن إسحاق: وثابتُ بن عمرو بن زيدٍ، وعامرُ بن مُخلَّدٍ؛ أربعةُ نفرٍ.

ومن بني مَبذُولٍ: أبو هُبَيرة بن الحارث بن عَلقَمة بن عمرو بن ثَقْفِ بن مالك ابن مَبذُولٍ، وعمرُو بن مُطرِّف بن عَلقَمة بن عمرٍو؛ رجلانِ.

ومن بني عمرو بن مالكٍ: أَوسُ بن ثابت بن المُنذِر؛ رجلٌ.

قال ابن هشام: أَوسُ بن ثابتٍ أخو حسّان بن ثابت.

قال ابن إسحاق: ومن بني عَدِيّ بن النَّجّارِ: أنسُ بن النَّضْر بن ضَمضَمِ بن زيد ابن حَرَام بن جُندُب بن عامر بن غَنْم بن عَدِيّ بن النَّجّار؛ رجلٌ.

قال ابن هشام: أنسُ بن النَّضْر، عمُّ أنس بن مالكٍ خادمِ رسول الله ﷺ[2].

ومن بني مازن بن النَّجّارِ: قيسُ بن مُخلَّدٍ، وكَيْسانُ عبدٌ لهم؛ رجلانِ.

ومن بني دِينار بن النَّجّارِ: سُلَيمُ بن الحارث، ونُعْمانُ بن عبدِ عمرٍو؛ رجلانِ.

ومن بني الحارث بن الخَزرَجِ: خارِجةُ بن زيد بن أبي زُهيرٍ، وسعدُ بن الرَّبيع

---

(١) ذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٤٣٦ أن إبراهيم بن سعد قال فيه عن ابن إسحاق: عبد الله بن سَلِمة بكسر اللام، وقيّده كذلك الدارقطني وابن ماكولا.

(٢) قول ابن هشام هذا من (ز) و(ش١).

ابن عمرو بن أبي زُهيرٍ، دُفِنا في قَبْرٍ واحدٍ، وأَوسُ بن الأَرقَم بن زيد بن قيس بن نُعْمان بن مالك بن ثَعلَبة بن كعب؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني الأَبجَر، وهم بنو خُدْرةَ: مالكُ بن سِنَان بن عُبيد بن ثَعلَبة بن عَبْد[1] ابن الأبجَرِ، وهو أبو أبي سعيدٍ الخُدْريِّ.

قال ابن هشام: اسم أبي سعيدٍ الخُدْريّ سِنانٌ، ويقال: سعدٌ.

قال ابن إسحاق: وسعيدُ بن سُوَيد بن قيس بن عامر بن عبّاد بن الأَبجَر، وعُتْبةُ ابن رَبِيع بن رافع بن معاوية بن عُبيد بن ثَعلَبة بن عبد بن الأبجَر؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني ساعدةَ بن كعب بن الخَزرَجِ: ثَعلَبةُ بن سعد بن مالك بن خالد بن ثَعلَبة ابن حارثةَ بن عمرو بن الخَزرَج بن ساعدةَ، وثَقْفُ بن فَرْوة بن البَدِيءِ[2]؛ رجلانِ.

ومن بني طَرِيفٍ، رَهْطِ سعدِ بن عُبَادة: عبدُ الله بن عمرو بن وهب بن ثَعلَبة بن وَقْشِ بن ثَعلَبة بن طَرِيفٍ، وضَمْرةُ حَليفٌ لهم من بني جُهَينة؛ رجلانِ.

ومن بني عَوْف بن الخَزرَج، ثمّ من بني سالمٍ ثمّ من بني مالك بن العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالمٍ: نَوفَلُ بن عبد الله، وعبّاسُ بن عُبَادة بن نَضْلة بن مالك بن العَجْلان، ونُعْمانُ بن مالك بن ثَعلَبة بن فِهْر بن غَنْم بن سالمٍ، والمُجذَّرُ بن ذِيَادٍ

---

(١) هكذا في نسخنا الخطية في هذا الموضع والذي يليه: عبد، بلا ياء، ويقع هذا الاسم في كتب الأنساب والتراجم هكذا وهكذا، وأكثر ما يقع فيها: عُبَيد، بياء مصغَّراً.

(٢) هكذا وقع في نسخنا الخطية غير نسخة (ش١) ففيها: اليَدِيّ، بياء في أوله وأخرى مشدَّدة في آخره، وهو الموافق لما قيّده أبو علي الجيّاني كما تقدم في تقييد اسم أبي أُسيد الساعدي عند ذكر من شهد بدراً من الأنصار ٢/ ٤٢٧، وذكر الدراقطني ثَقفاً هذا في «المؤتلف والمختلف» ١/ ١٨٣ وذكر اسم جدّه البَدَن، بباء ونون، وتبعه ابن ماكولا في «الإكمال» ١/ ٢١٧.

حَليفٌ لهم من بَلِيٍّ، وعُبَادةُ بن الحَسْحاس.

دُفِنَ نعمانُ بن مالكٍ والمُجذَّرُ وعُبادةُ في قَبْرٍ واحدٍ؛ خمسةُ نفرٍ.

ومن بني الحُبلَى: رِفاعةُ بن عمرٍو؛ رجلٌ.

ومن بني سَلِمةَ، ثمّ من بني حَرَامٍ: عبدُ الله بن عمرو بن حَرَام بن ثَعلَبة بن حَرامٍ، وعمرُو بن الجَمُوحِ بن زيد بن حَرامٍ، دُفِنا في قَبْرٍ واحدٍ، وخَلّادُ بن عمرو بن الجَمُوح، وأبو أيمَنَ مولى عمرو بن الجَمُوح؛ أربعةُ نفرٍ.

ومن بني سَوَاد بن غَنْمٍ: سُلَيمُ بن عمرو بن حَدِيدة، ومولاه عَنتَرةُ، وسَهلُ بن قيس بن أَبي كعب بن القَيْن؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني زُرَيقِ بن عامرٍ: ذَكْوانُ بن عبد قيسٍ، وعُبَيدُ بن المُعلَّى بن لَوْذانَ؛ رجلانِ.

قال ابن هشام: عُبَيدُ بن المعلَّى من بني حَبِيب[1].

قال ابن إسحاق: فجميع مَن استُشهِدَ من المسلمين مع رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار خمسةٌ وستّونَ رجلاً.

قال ابن هشام: وممَّن لم يذكر ابنُ إسحاق من السَّبعينَ الشُّهداءِ الّذين ذكرنا:

من الأَوسِ، ثمّ من بني معاوية بن مالكٍ: مالكُ ابن نُمَيلةَ[2]، حَليفٌ لهم من مُزَينةَ.

---

(١) يعني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج، وحبيبٌ وزُريقٌ جدُّ زريق بن عامرٍ أَخوان، ورهطُ عُبيدٍ - وهم بنو مالك بن زيد مناة بن حبيب - حلفاءُ بني زُريق كما في «أسد الغابة» لابن الأثير ٣/ ٤٤٤.

(٢) ونُميلةُ أُمّه كما ذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٦٥٩، واسم أبيه ثابتٌ، وقال: لم يذكره ابن إسحاق في رواية ابن هشام، وذكره إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق.

ومن بني خَطْمةَ ـ واسم خَطْمة عبدُ الله بن جُشَم بن مالك بن الأَوس ـ: الحارثُ ابن عَدِيّ بن خَرَشة بن أُميّة بن عامر بن خَطْمة.

ومن الخَزرَج، ثمّ من بني سَوَاد بن مالكٍ: مالكُ بن إياس.

ومن بني عمرو بن مالك بن النَّجّارِ: إياسُ بن عَدِيّ.

ومن بني سالم بن عَوفٍ: عمرُو بن إياس.

تسمية مَن قُتِل من المشركين يومَ أحدٍ

قال ابن إسحاق: وقُتِلَ من المشركين يومَ أُحدٍ من قريشٍ، ثمّ من بني عبد الدّار ابن قُصَيٍّ من أصحاب اللِّواءِ: طلحةُ بن أبي طلحةَ، واسم أبي طلحةَ عبدُ الله بن عبد العُزّى بن عثمانَ بن عبد الدّارِ، قتله عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، وأبو سعد بن أبي طلحة، قتله سعدُ بن أبي وَقّاص.

قال ابن هشام: ويقال: قتله عليُّ بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وعثمانُ بن أبي طلحة، قتله حمزةُ بن عبد المُطَّلِب، ومُسافِعُ ابن طلحة، والجُلَاسُ بن طلحة، قتلهما عاصمُ بن ثابت بن أبي الأَقلَح، وكِلَابُ بن طلحة والحارثُ بن طلحة، قتلهما قُزْمانُ حَليفٌ لبني ظَفَرٍ.

قال ابن هشام: ويقال: قتل كِلاباً عبدُ الرَّحمن بن عوف.

قال ابن إسحاق: وأَرْطاةُ بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار، قتله حمزةُ بن عبد المُطَّلِب، وأبو يزيدَ بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار، قتله قُزْمانُ، وصُؤَابٌ غلامٌ لهم[1] حَبَشيٌّ، قتله قُزْمانُ.

قال ابن هشام: ويقال: قتله عليُّ بن أبي طالبٍ، ويقال: سعدُ بن أبي وَقّاصٍ،

(١) في (ت) و(ص) و(م): له.

ويقال: أبو دُجَانةَ.

قال ابن إسحاق: والقاسِطُ بن شُرَيح بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار، قتله قُزْمانُ؛ أحدَ عشرَ رجلاً.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصيٍّ: عبدُ الله بن حُمَيد بن زهير بن الحارث ابن أسَد، قتله عليُّ بن أبي طالب؛ رجلٌ.

ومن بني زُهْرةَ بن كِلابٍ: أبو الحَكَم بن الأَخنَس بن شَرِيق بن عمرو بن وهبٍ الثَّقَفيّ، حَليفٌ لهم، قتله عليُّ بن أبي طالبٍ، وسِبَاعُ بن عبد العُزّى ـ واسم عبد العُزّى عمرُو بن نَضْلة بن غُبْشانَ بن سُلَيم بن مِلْكان بن أَفصَى ـ حليفٌ لهم من خُزَاعة، قتله حمزةُ بن عبد المطَّلِب؛ رجلانِ.

ومن بني مَخزُوم بن يَقَظةَ: هشامُ بن أبي أُميّة بن المغيرة، قتله قُزْمانُ، والوليدُ ابن العاصِ بن هشام بن المغيرة، قتله قُزْمانُ، وأبو أُميّة بن أبي حُذَيفة بن المغيرة، قتله عليُّ بن أبي طالبٍ، وخالدُ بن الأَعلَمِ حليفٌ لهم، قتله قُزْمان؛ أربعةُ نفرٍ.

ومن بني جُمَحَ بن عمرٍو: عمرُو بن عبد الله بن عُمَير بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح، وهو أبو عَزّةَ، قتله رسولُ الله ﷺ صَبْراً، وأُبيُّ بن خَلَف بن وهب بن حُذَافة ابن جُمَح، قتله رسولُ الله ﷺ بيدِه؛ رجلانِ.

ومن بني عامر بن لُؤَيٍّ: عُبَيدةُ بن جابرٍ، وشَيْبةُ بن مالك بن المُضرِّب، قتلهما قُزْمانُ؛ رجلانِ.

قال ابن هشام: ويقال: قتل عُبيدةَ بن جابرٍ عبدُ الله بن مسعود.

قال ابن إسحاق: فجميع مَن قَتَلَ اللهُ تبارك وتعالى يومَ أُحدٍ من المشركين اثنانِ وعشرونَ رجلاً.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ذكرُ ما قيل من الشعر يومَ أحدٍ

قال ابن إسحاق: وكان ممّا قيلَ من الشِّعر في يومِ أُحدٍ، قولُ هُبَيرة بن أبي وهب ابن عمرو بن عائذ بن عبد بن عِمرانَ بن مخزومٍ ـ قال ابن هشام: عائذٌ ابنُ عِمرانَ بن مخزومٍ ـ:

ما بالُ هَمٍّ عَميدٍ باتَ يَطرُقُني ... بالوُدِّ من هِندَ إذ تَعدُو عَوادِيها[1]

باتَتْ تُعاتِبُني هِندٌ وتَعذُلُني ... والحربُ قد شُغِلَت عنّي مَوَالِيها

مَهْلاً فلا تَعذُلِيني إنَّ من خُلُقي ... ما قد عَلِمتِ وما إنْ لستُ أُخفِيها

مُساعِفٌ لبني كعبٍ بما كَلِفُوا ... حَمّالُ عِبْءٍ وأثقالٍ أُعانِيها[2]

وقد حَمَلتُ سِلاحي فوقَ مُشتَرِفٍ ... ساطٍ سَبُوحٍ إذا يَجْري يُبارِيها[3]

كأنّه إذ جَرَى عَيْرٌ بفَدْفَدةٍ ... مُكدَّمٌ لاحقٌ بالعُونِ يَحمِيها[4]

من آلِ أعوَجَ يَرتاحُ النَّدِيُّ لهُ ... كجِذْعِ شَعْراءَ مُستَعْلٍ مَرَاقِيها[5]

---

(١) العميد: المؤلم المُوجِع. ويطرقني، أي: ينزل بي ليلاً. والعوادي: الشواغل.

(٢) مساعف: مطيعٌ. وبما كَلِفوا: بما أُولِعوا به وأحبّوه. والعِبء: الحمل الثقيل، فاستعاره هنا لما يُكلِّفونه به من الأمور الشاقّة العِظام.

(٣) مشترف، روي بكسر الراء وفتحها، قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٣٧: من رواه بفتح الراء، فإنه يعني فرساً يستشرفه الناسُ، أي: ينظرون إليه لحُسْنه، ومن رواه بكسر الراء، فمعناه: على مُشرِف. والساطي: البعيد الخطو إذا مشى. والسَّبُوح: الذي يسبح في جَرْيه كأنه يَعُوم. ويباريها، أي: يعارضها، وأعاد الهاءَ على الخيل وإن لم يتقدّم لها ذِكرٌ، لأن الكلام يدلّ عليها.

(٤) العَير: الحمار الوحشي. والفَدفَدة: الفَلاة. ومكدَّم: معضوض، عضَّته أُتُنه (إي: إناثُه). ولاحقٌ: ضامر. والعُون: جماعات حُمُر الوحش، والقطيع منها: عانَةٌ.

(٥) قوله: من آل أعوج، أي: منسوب إلى أعوج، وهو فحلٌ كريم تُنسَب الخيل الكِرام إليه =

أعدَدتُـه ورُقَـاقَ الحَـدِّ مُنـتَخَلاً ... ومارِنـاً لخُطـوبٍ قـد أُلاقِيهـا[1]

هذا وبَيضاءَ مِثلَ النَّهْيِ مُحكَمةً ... لُطَّـتْ علـيَّ فمـا تَبـدُو مَسـاوِيها[2]

سُـقْنا كِنانـةَ مـن أطـرافِ ذي يَمَـنٍ ... عُرْضَ البلادِ على ما كـان يُزجِيهـا[3]

قالـت كِنانـةُ: أنَّـى تَـذْهبون بنـا؟ ... قلنـا: النَّخيـلَ فأُمُّوهـا ومَـن فيهـا[4]

نحنُ الفَوارسُ يومَ الجَرِّ من أُحدٍ ... هابَـتْ مَعَـدٌّ فقلنـا: نحـنُ نَأتِيهـا[5]

هابُوا ضِـراباً وطَعنـاً صـادقاً خَـذِماً ... ممّـا يَـرَونَ وقـد ضُـمَّت قَواصِـيها[6]

ثُمَّـتَ رُحْنـا كأنّـا عـارضٌ بَـرِدٌ ... وقـامَ هـامُ بنـي النَّجّـارِ يَبكِيهـا[7]

= كما في «لسان العرب» (عوج). ويرتاح: يستبشر ويهتزّ فرحاً به. والنديُّ: المجلس من القوم. والجِذْع: الفرع. وشَعْراء هنا: نخلة كثيرة الأغصان، قاله أبو ذر الخشنيُّ، ووقع هنا على حاشيتَي (ز) و(غ) حاشية منسوبة لابن عبد الرّحيم ـ وهو راوي السيرة عن ابن هشام ـ أنه قال: إنما هي شَعْواء، يريد طويلةً ممتدّةً لا تُنال، وهي الصَّعبة، كما يقال: غارةٌ شعواءُ. اهـ، ومَراقِيها: مَعالِيها.

(١) رُقاق الحدّ: يعني سيفاً. ومنتخلاً، أي: متخيَّراً. والمارن: هو الرمح الليِّن عند الهزّ. والخطوب: حوادث الدهر.

(٢) بيضاء: يعني دِرعاً. والنّهي، بفتح النون وكسرها: الغدير من الماء. وقوله: لُطَّت، وفي (ز): لُظَّت، بالظاء، وكلاهما بمعنًى، أي: أُلزمَت وأُلصقَت، وفي (غ): نِيطَت، ومعناه: عُلِّقَت. ومساويها: عيوبُها.

(٣) عرض البلاد: سَعَتُها. ويزجيها: يسوقها.

(٤) يريد بالنَّخيل: مدينة النبي ﷺ، لكثرة ما فيها من النخيل. وأُمّوها: اقصدوها، وقُيِّدت في (ش١) بفتح الهمزة بمعنى: قَصَدوها.

(٥) الجرّ: أصل الجبل. ومعدٌّ: هو ابن عدنان، أبو العرب من ولد إسماعيل عليه السلام.

(٦) الخَذِم: الذي يقطع اللحم سريعاً. وقواصيها: ما تفرَّق منها وبَعُد.

(٧) العارض: السحاب، والبَرِد: الذي فيه بَرَدٌ. والهامُ هنا: جمع هامَةٍ، وهي الطائر الذي =

كـأنَّ هـامَهمُ عنـد الـوَغَى فِلَـقٌ ... من قَـيضِ رُبْـدٍ نَفَتْـهُ عـن أَداحِيهـا[1]

أو حَنظَلٌ ذَعذَعَتْه الرِّيحُ في غُصُنٍ ... بـالٍ تَعـاوَرَه منهـا سَـوافِيها[2]

قد نَبذُلُ المالَ سَحّاً لا حِسابَ لهُ ... ونَطعُـنُ الخيـلَ شَـزْراً في مَآقِيهـا[3]

وليلـةٍ يَصـطَلي بـالفَرْثِ جازِرُهـا ... يَختَصُّ بـالنَّقَرَى المُثْـرِينَ داعِيهـا[4]

وليلـةٍ مـن جُمـادَى ذاتِ أَنديَـةٍ ... جَرْبـا جُماديَّـةٍ قـد بِـتُّ أَسْـرِيها[5]

= كانت تَزعُم العرب أنه يخرج من رأس القتيل الذي لا يُدرَك بثأره فيقول: اسقوني، فإذا أُدرك بثأره طار.

(١) الهامُ هنا: جمع هامَةٍ، وهي الرأس. والوغى: الحرب. والفِلَق: جمع فِلْقة، وهي القطعة من الشيء. والقيض: قِشْر البيض الأعلى. والرُّبد هنا: النَّعام، لأن ألوانها بين البياض والسواد، وهو اللون الأربد. والأَداحيّ، بتشديد الياء وخُفف لضرورة الشعر: جمع أُدحيٍّ، وهو الموضع الذي تبيض فيه النَّعام.

(٢) الحنظل: النَّبت المعروف. وذعذعته: حرّكته. وتعاوَرَه، أي: تتداوله. والسوافي: الرياح التي تقلع التراب والرمل من الأرض.

(٣) سحّاً: صبّاً؛ يريد أنه عطاء كثير. والشَّزْر: الطعن عن يمين وشمال. والمآقي: مجاري الدموع من العين، والمآقي أيضاً: مقدَّمات العيون، وكلا المعنيين يستقيم به الكلام.

(٤) يصطلي بالفرث: يستدفئ به من شدة البرد، والفَرْث: ما يخرج من الكَرِش. والنَّقَرى: أن يدعو قوماً دون قومٍ، فإذا عمَّ قيل: هو يدعو الجَفَلى. والمُثْرين: الأغنياء؛ يريد: يختصّ الأغنياءَ طلباً لمكافأتهم، وليأكلَ عندهم، يصفُ شدّة الزمان.

(٥) جُمادَى: الشهر المعروف، وهما جُمادَيانِ. والأندية: قد يكون جمع نَدًى على غير قياس، والقياس أن يُجمع على أنداءٍ، والنَّدَى: بَلَل الماء، وقد يكون جمع نَدِيٍّ، والنَّدِيّ: هو المجلس، ويكون معناه ـ كما قال عبد القادر البغدادي في «شرح شواهد الشافية» ص٢٧٨ ـ: في ليلة من ليالي الشتاء ذات مجالس يجلس فيها الأشراف والأغنياء لإطعام الفقراء، فإنهم كانوا إذا اشتدّ الزمانُ وفَشَا القحطُ وذلك يكون عند العرب في الشتاء، يجلسون في مجالسهم ويلعبون =

لا يَنبِحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... من القَرِيسِ ولا تَسرِي أَفاعيها[1]

أَوقَدتُ فيها لذي الضَّرّاءِ جاحِمةً ... كالبَرقِ ذاكيةَ الأركانِ أَحمِيها[2]

أورَثَني ذاكمُ عَمرٌو ووالِدُه ... من قَبلِه كان بالمَثْنَى يُغالِيها[3]

كانوا يُبارُون أَنواءَ النّجومِ فما ... دَنَّتْ عن السُّورةِ العُلْيا مَساعِيها[4]

فأجابَه حسّانُ بن ثابتٍ فقال[5]:

سُقتُمْ كِنانةَ جَهلاً من سَفاهَتِكم ... إلى الرّسولِ فجُندُ اللهِ مُخزِيها

أورَدتُموها حِياضَ الموتِ ضاحيةً ... فالنّارُ مَوعِدُها، والقتلُ لاقِيها[6]

جَمَّعتُموها أَحابيشاً بلا حَسَبٍ ... أئمّةَ الكُفرِ غَرَّتكُم طَواغِيها[7]

= بالمَيسِر وينحرون الجُزُر ويُفرّقون لحومها على الفقراء. وانظر «الروض الأنف» للسهيليّ ٦/ ١٣٣-١٣٤.

وجَرْبا، أي: شديدة البرد مؤلمة، أو قَحِطة لا مطر فيها، وجاء على حاشية (ز) ما نصُّه: قَصَره للضرورة، والجَرْباء: السماء، وُصِفَت بذلك للنجوم التي تظهر فيها، فإذا لم تظهر النجوم فيها قيل لها: مَلْساء، لكنه جعلها هنا صفةً للّيلة، لأن النجوم إنما تظهر فيها.

وأَسريها: من السُّرَى، وهو السير في الليل.

(١) القريس: البرد مع الصقيع. والأفاعي: جمع أفعى.

(٢) لذي الضرّاء: يعني لذي الحاجة والفقر. وجاحمة: نار ملتهبة. وذاكية: مضيئة.

(٣) بالمثنى: يريد مرّةً بعد مرّة. وعمرٌو المذكور هو جدُّ هبيرة بن أبي وهب: وهو عمرو بن عائذ بن مخزوم.

(٤) يبارون: يعارضون. وأنواء النجوم: منازلها. ودنَّت: قَصُرَت. والسُّورة: الرِّفعة والمنزلة. والمساعي: ما يُسعَى فيه من المكارم.

(٥) انظر «ديوانه» ١/ ١٦٦.

(٦) الحياض: جمع حوض، وحِياض الموت كناية عن الحرب. وضاحيةً: بارزة للشمس.

(٧) الأحابيش: الجماعات من الناس ليسوا من قبيلة واحدة، مفرده: أُحبوشة. والحَسَب: =

ألّا اعتبَـرتُم بخيـلِ اللهِ إذ قَتَلَـت أهـلَ القَلِيـبِ ومَـن أَلقَينَـهُ فيهـا[1]
كـم مـن أَسـيرٍ فَكَكْنـاه بـلا ثَمَـنٍ وجَـزِّ ناصـيةٍ كُنّـا مَوَاليهـا[2]

قال ابن هشام: أنشَدَنِيها أبو زيدٍ الأنصاريّ لكعب بن مالك.

قال ابن هشام: وبيتُ هُبَيرة بن أبي وهبٍ الّذي يقول فيه:

وليلـةٍ يَصـطَلي بـالفَرْثِ جازِرُهـا يَختَصُّ بـالنَّقَرَى المُثـرِينَ داعيهـا

يُروَى لجَنُوبَ أُختِ عمرٍو ذي الكَلْب الهُذَليِّ في أبياتٍ لها في غير يوم أُحد[3].

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالكٍ يُجِيبُ هُبَيرةَ بن أبي وهبٍ[4]:

أَلَا هـل أَتـى غسّـانَ عنّـا ودُونَهـمْ مـن الأرضِ خَـرْقٌ سَـيرُه مُتَنعنِـعُ[5]
صَـحَارٍ وأعـلامٌ كـأنَّ قَتَامَهـا مـن البُعـدِ نَقْـعٌ هامـدٌ مُتقطِّـعُ[6]

= الشَّرف. والطواغي: جمع طاغيةٍ، وهو المتكبِّر المتمرِّد.

(١) خيل الله: عنى بهم المسلمين. وأهل القَلِيب: عنى بهم من قُتل ببدر من المشركين.

(٢) جزّ ناصية، أي: قصّها، والناصية: شعر مقدَّم الرأس، قال الأزهريّ في «تهذيب اللغة» ١٠/ ٤٤: العرب كانوا إذا أسروا أسيراً خيَّروه بين التخلية وجزِّ الناصية أو الأسر، فإن اختار جزَّ الناصية جزُّوها وخلُّوا سبيله، ثم جعلوا ذلك الشعر في كنانتهم، فإذا افتخروا أخرجوه وأَرَوه مفاخرَهم. ومواليها: أهل النعمة عليها.

(٣) ذكر لها هذه الأبيات أبو الفضل بن طيفور في «بلاغات النساء» ص١٨٥-١٨٦، وهي في رثاء أخيها عمرو.

(٤) انظر «ديوان كعب بن مالك» صنعة مجيد طراد ص٥٨.

(٥) غسان: يريد قومه من الأوس والخزرج، فإنهما يرجعان في نسبهما إلى غسان من اليمن. والخَرْق، أي: الأرض الواسعة التي تَخرِق فيها الريح، أي: تمرُّ فيها ذهاباً وإياباً. والمتنعنع: المضطرِب، ويروى: متتعتع، بالتاء، أي: متردِّد.

(٦) الأعلام هنا: الجبال المرتفعة، والقَتَام منها: ما مال لونه إلى السواد. والنَّقع: الغبار. =

تَظَلُّ بـه البُـزْلُ العَـرَاميسُ رُزَّحـاً ... ويَحلُـو[1] بـه غَيـثُ السّنينَ فيُمـرِعُ

بـه جِيَـفُ الحَسْـرَى يَلُـوحُ صَـلِيبُها ... كمـا لاحَ كَتّـانُ التِّجـارِ المُوضَّـعُ[2]

بـه العِـينُ والآرامُ يَمشِـينَ خِلْفَـةً ... وبَـيضُ نَعـامٍ قَيضُـه يَتقَلَّـعُ[3]

مُجالِـدُنا عـن دينِنـا كـلُّ فَخْمـةٍ ... مُدرَّبـةٍ فيهـا القَـوانِسُ تَلمَـعُ[4]

وكـلُّ صَـمُوتٍ في الصِّـوَانِ كأنّهـا ... إذا لُبِسَـت نِهْـيٌ مـن المـاءِ مُتْـرَعُ[5]

ولكـنْ ببـدرٍ سـائِلُوا مَـن لَقِيـتمُ ... مـن النّـاسِ والأنبـاءُ بالغيـبِ تَنفَـعُ

= والهامد: المتلبِّد الساكن.

(١) هكذا في (ش١) و(ص) و(غ) بالحاء، وفي (ت) و(ي): يخلو، بالخاء، وقيّدها في (ز) بالوجهين. والبُزْل: هي الإبل القويّة، واحدها: بازل. والعراميس: الشديدة. والرُّزّح: المُعيِيَة. ويُمرع، أي: يُخصِب ويكثر فيه النبات.

(٢) الحَسْرى: الإبل المهزولة التي أجهدها السير. والصليب: الوَدَك، وهو دسم اللحم وشحمه. والتِّجار: المتاجرون. والموضَّع: المبسوط المنقوش. شبَّه شحم الإبل بالأقمشة المزخرفة.

(٣) العِين: بقر الوحش الواسعة الأعيُن، واحدها: عَيْناء. والآرام: الظِّباء البِيض البطون السُّمر الظُّهور، واحدها: رِئم، وتُسهَّل الهمزة. وخِلفةً، أي: يمشين قطعةً خلفَ قطعة. والقيضُ: قشر البيض الأعلى. ويتقلّع (بالفاء والقاف): يتشقق ويتكسّر.

(٤) مُجالِدنا، أي: من يقاتلنا ويدافعنا. والفخمة: الكتيبة العظيمة. والمدرَّبة بالدال كما في (ز) و(غ)، يعني أنهم دَرِبوا بالقتال، ويروى: مذرَّبة، بالذال كما في (ت) و(ص) و(م) و(ي)، أي: محدَّدة، والذَّرِب: الحادُّ، وقيِّد في (ش١) بالوجهين. والقوانس: جمع قَونَس، وهي حديدة طويلة في أعلى خُوذَة الحديد التي يلبسها المحارب على رأسه.

(٥) الصَّموت: الدرع أُحكم نسجها وتقارب حلقُها فلا يسمع لها صوت. والصِّوان: كل ما يصان فيه الشيء، درعاً كان أو ثوباً أو غيرهما. والنِّهي، بفتح النون وكسرها: الغدير. والمُتْرع: المملوء.

وإنّا بأرضِ الخوفِ لو كان أهلُها ... سِوَانا لقد أَجلَوْا بلَيلٍ فأقشَعُوا[1]

إذا جاءَ منّا راكبٌ كان قولُهُ ... أعِدُّوا لمَا يُزْجي ابنُ حَرْبٍ ويَجمَعُ[2]

فمَهْما يُهِمُّ الناسَ ممّا يَكِيدُنا ... فنحنُ له من سائرِ الناسِ أوسَعُ

فلو غيرُنا كانت جميعاً تَكِيدُه الـ ... ـبَرِيّةُ قد أَعطَوْا يداً وتورَّعُوا[3]

نُجالِدُ لا تَبقَى علينا قبيلةٌ ... من الناسِ إلّا أن يَهابُوا ويُفظَعُوا[4]

ولمّا ابتَنَوا بالعِرْضِ قال سَرَاتُنا ... عَلامَ إذا لم نَمنَعِ العِرضَ نَزرَعُ[5]

وفينا رسولُ الله نَتبَعُ أمرَه ... إذا قال فينا القولَ لا نَتَظلَّعُ[6]

تَدَلَّى عليه الرُّوحُ من عند ربِّهِ ... يُنزَّلُ من جَوِّ السماءِ ويُرفَعُ[7]

نُشاوِرُه فيما نريدُ وقَصْرُنا ... إذا ما اشتَهَى أنّا نُطِيعُ ونَسمَعُ[8]

وقال رسولُ الله لمّا بَدَوْا لنا: ... ذَرُوا عنكمُ هَوْلَ المَنِيّاتِ واطمَعُوا

وكونوا كمَن يَشْري الحياةَ تَقرُّباً ... إلى مَلِكٍ يُحيَا لديهِ ويُرجَعُ[9]

---

(١) أَجلوا: رحلوا. وأقشعوا، أي: فرُّوا وزالوا.

(٢) يزجي: يسوق إلى الحرب.

(٣) تورَّعوا، أي: ذلُّوا، وفي (ش١) و(غ) و(ي): توزّعوا، بالزاي، أي: تقسَّموا.

(٤) يُفظَعوا، أي: يفزعوا من هول ما يرون.

(٥) ابتنَوا، أي: ضربوا أبنيتهم. والعِرض: هو وادي المدينة، الذي فيه زروعهم وقُراهم. والسَّراة: أخيار القوم.

(٦) لا نتظلّع، أي: لا نتكاسل عن أمره ولا نتوانى فيه، وفي (ت) و(ي): لا نتطلع، بالطاء، أي: لا ننظر إليه إجلالاً وهيبةً له.

(٧) الروح: يريد جبريل عليه السلام. والجوّ: ما بين السماء والأرض.

(٨) قصرُنا، أي: غايتنا.

(٩) يشري الحياة: يبيعها.

ولكنْ خُذُوا أسيافَكم وتوكَّلوا ... على الله إنَّ الأمرَ لله أجمَعُ

فسِرْنا إليهمْ جَهْرةً في رِحالِهِمْ ... ضُحَيّاً علينا البَيضُ لا نَتخَشَّعُ[1]

بمَلمُومةٍ فيها السَّنَوَّرُ والقَنا ... إذا ضربوا أقدامَها لا تَوَرَّعُ[2]

فجِئْنا إلى مَوجٍ من البحرِ وَسْطَهُ ... أحابيشُ منهمْ حاسرٌ ومُقنَّعُ[3]

ثلاثةُ آلافٍ ونحنُ نَصِيَّةٌ ... ثلاثُ مِئِينٍ إن كَثُرْنا وأربعُ[4]

نُغاوِرُهم تَجري المنيَّةُ بيننا ... نُشارِعُهم حوضَ المَنايا ونَشرَعُ[5]

تَهادَى قِسِيُّ النَّبعِ فينا وفيهمُ ... وما هو إلّا اليَثرِبيُّ المُقطَّعُ[6]

---

(١) رحال: جمع رَحْل، وهو المنزل. وضُحيّاً: تصغير الضُّحى، وهو أول النهار. وجهرةً، أي: معاينة ومقابلة. والبَيض، هكذا قُيّد في (ز) و(ش١) و(م) بفتح الباء، فهو على هذا جمع بَيضة، وهي الخُوذة من حديدٍ يضعها المحارب على رأسه، ويمكن أن تقال بكسر الباء وتكون حينها جمع أبيض، وهو السيف. وقوله: لا نتخشّع، أي: لا نخضع ولا نذلّ.

(٢) الملمومة: الكتيبة المجتمعة. والسَّنَوَّر: السلاح. والقنا: الرِّماح. ولا تورَّع: لا تكفّ، ويروى: لا تَوزّع، بالزاي، أي: لا تتفرق.

(٣) الحاسر: الذي لا درع عليه ولا مِغفَر. والمقنَّع: الذي لبس المغفرَ على رأسه، وهو القِناع.

(٤) النصيّة: الخيار والأشراف من القوم.

وفي هذا البيت يذكر كعبٌ عدّة قريش وحلفائهم في ذلك اليوم، وهم ثلاثة آلاف، وعدّة المسلمين، وهم سبع مئة.

(٥) نغاورهم، أي: نبادلهم الغارةَ، يعني الكَرَّ في الحرب، وقُيّدت في (ز) و(ش١) بغين وعين معاً، ومعناه بالعين: نناوبهم، يقال: تعاوَرَ القومُ، إذا تناوبوا. ونشارعهم، أي: نُشاربهم، ونشرع: نشرب.

(٦) تَهادى، أي: تتهادى، يعني: تتبادل الهدايا، وأراد هنا الضربات بالأسهم بينهم. والنَّبع: شجر تُصنَع منه القِسِيّ لشدّته ولِينه. واليَثربي: الأوتار، نُسِبت إلى يثرب، وهي المدينة.

ومَنجُوفةٌ حِرْميَّةٌ صاعديَّةٌ ... يُذَرُّ عليها السّمُّ ساعةَ تُصنَعُ[1]

تَصُوبُ بأبدانِ الرِّجالِ وتارةً ... تَمُرُّ بأعراضِ البِصَارِ تَقَعقَعُ[2]

وخيلٌ تَراها بالفَضاءِ كأنّها ... جَرادُ صَباً في قَرّةٍ يَتَرَيَّعُ[3]

فلمّا تَلاقَينا ودارَت بنا الرَّحَى ... ولَيس لأمرٍ حَمَّهُ اللهُ مَدفَعُ[4]

ضَرَبناهمُ حتّى تَرَكْنا سَراتَهمْ ... كأنَّهمُ بالقاعِ خُشْبٌ مُصرَّعُ[5]

لَدُنْ غُدْوةٍ حتّى استَفَقْنا عَشيَّةً ... كأنَّ ذَكَانا حَرُّ نارٍ تَلَفَّعُ[6]

وراحُوا سِراعاً مُوجَعِينَ كأنَّهمُ ... جَهَامٌ هَرَاقَت ماءَه الرِّيحُ مُقلِعُ[7]

ورُحْنا وأُخرانا بِطاءٌ كأنّنا ... أُسودٌ على لحمٍ ببِيشةَ ضُلَّعُ[8]

---

(١) المنجوفة: السِّهام المقشورة المنحوتة. والحِرْمية: نسبة إلى أهل الحَرَم، يقال: رجل حِرْميّ، إذا كان من أهله. والصاعدية: منسوبة إلى صانع اسمه صاعد.

(٢) تَصُوب: تصيب وتقع. والأعراض: الجوانب. والبِصار: جمع بَصِيرة، وهي الدرع أو الترس. وتَقعقَع، أي: تصوِّت، يقول: تشقّ هذه السهام أبدان الرجال حتى تبلغ البِصَار فتقعقعُ فيها.

(٣) الصَّبا: الريح الشرقيّة. والقَرّة: البَرْد. ويتريّع، أي: يجيء ويذهب.

(٤) الرحى: حجر عظيم يُطحَن به، واستُعيرت للحرب، لأنها تطحن الرجال وتهلكهم. وحمَّه الله: قدَّره.

(٥) سراتهم: خيارهم. والقاع: المنخفض من الأرض. ومصرَّع، أي: مطروحة ملقاة.

(٦) قوله: لدن غدوة، تقدم الكلام عليه ص٥٢. وذكانا، أي: التهابنا في الحرب. وتلفَّعُ: يشتمل حرُّها على من دنا منها.

(٧) قوله: موجَعين، من الوجع، ووقع في نسخة (غ) ـ وكذا هو عند أبي ذر الخشنيّ كما في «إملائه» ص٢٤٣ ـ: موجفين، أي: مسرعين. والجَهَام: السحاب الرقيق الذي ليس فيه ماء. ومقلع، أي: منقشع زائل.

(٨) بِطاء: جمع بطيء. وبيشةُ: وادٍ عظيم جنوب غرب الجزيرة، كان موطناً للأسود. =

فنِلْنا ونالَ القومُ منّا ورُبّما ... فَعَلْنا ولكنْ ما لَدَى اللهِ أوسَعُ

ودارَت رَحَانا واستَدارَت رَحاهُمُ ... وقد جَعَلوا كلٌّ من الشّرِّ يَشبَعُ

ونحنُ أُناسٌ لا نَرَى القتلَ سُبّةً ... على كلِّ مَن يَحْمي الذِّمارَ ويَمنَعُ[1]

جِلادٌ على رَيْبِ الحوادثِ لا تَرَى ... على هالكٍ عَيناً لنا الدَّهرَ تَدمَعُ[2]

بنو الحَربِ لا نَعْيا بشيءٍ نَقولُه ... ولا نحنُ ممّا جَرَّتِ الحربُ نَجزَعُ[3]

بنو الحربِ إن نَظفَرْ فلَسْنا بفُحَّشٍ ... ولا نحنُ من أظفارِها نَتوجَّعُ[4]

وكنّا شِهاباً يَتّقي الناسُ حَرَّهُ ... ويَفرُجُ عنه مَن يَليهِ ويَسفَعُ[5]

فَخَرْتَ عليَّ ابنَ الزِّبَعرَى وقد سَرَى ... لكم طَلَبٌ من آخرِ اللّيلِ مُتبِعُ[6]

فسَلْ عنك في عُلْيا مَعَدٍّ وغيرِها ... من الناسِ مَن أخزَى مَقاماً وأشنَعُ[7]

= وضُلَّع: جمع ضالع، وفي (غ): ظُلّع، جمع ظالع، وكلاهما بمعنًى، وهو المشي بميلٍ أو اعوجاج، وكذلك هو مشي الأسود إذا شبعت من فريستها.

(١) الذِّمار: ما يجب على الرجل أن يحميه من عِرض ومال وغيرهما.

(٢) جِلاد: جمع جَلِيد، وهو الصبور. وريب الحوادث: ما يَريبك من تغيُّر الأحوال، أي: ما تكرهه من ذلك.

(٣) بنو الحرب، أي: أبطالها وفرسانها. ونجزع: نخاف.

(٤) أظفار الحرب: كناية عن ويلاتها ومآسيها.

(٥) الشهاب: القطعة من النار. ويسفع: يُحرِق ويغيِّر.

(٦) ابن الزِّبعرى: اسمه عبد الله من بني سَهْم، وكان من أشعر قريش، وله أشعار في يوم أُحد ستأتي لاحقاً، ثم أسلم يوم الفتح وحَسُن إسلامه. وقوله: سرى لكم طلبٌ، أي: سار وراءكم ليلاً جماعةٌ يطلبونكم، يريد المسلمين عندما استنفرهم النبيُّ ﷺ بعد يوم أُحد وسار بهم يلحق المشركين حتى نزل حمراء الأسد كما تقدّم ذكره في الكتاب.

(٧) عُليا معدٍّ: أشرافها، ويعني بهم قريشاً.

ومَن هو لم تَتْرُكْ له الحربُ مَفخَراً ... ومَن خَدُّه يومَ الكَريهةِ أضرَعُ[1]

شَدَدْنا بحَولِ الله والنّصرِ شَدّةً ... عليكمْ وأطرافُ الأسِنّةِ شُرَّعُ[2]

نَكُرُّ القَنَا فيكمُ كأنّ فُروغَها[3] ... عَزَالَى مَزَادٍ ماؤُها يَتَهَزّعُ

عَمَدْنا إلى أهلِ اللِّواءِ ومَن يَطِرْ ... بذِكْرِ اللّواءِ فهْوَ في الحَمدِ أسرَعُ[4]

فحانُوا وقد أعطَوْا يداً وتَخاذَلوا ... أَبَى اللهُ إلّا أمرَه وهْوَ أصنَعُ[5]

قال ابن هشام: وكان كعبُ بن مالكٍ قد قال:

مُجالِدُنا عن جِذْمِنا كلُّ فَخْمةٍ[6]

فقال رسولُ الله ﷺ: «أيَصلُحُ أن تقولَ: مُجالِدُنا عن دِينِنا؟» فقال كعبٌ: نَعَم، فقال رسولُ الله ﷺ: «فهو أحسَنُ»، فقال كعبٌ: مُجالِدُنا عن ديننا[7].

---

(١) أضرع: ذليل.

(٢) الأسنّة: الرماح. وشُرَّع هنا معناه: مائلة للطَّعن، يقال: أشرعتُ الرمح قِبَله، إذا أَمَلته إليه.

(٣) تصحفت في نسخنا الخطية إلى: فروعها، بالعَين، والفروغ ـ بالغَين ـ مفردها: فَرْغاء، والطعنة الفرغاء: الواسعة التي يسيل دمها، وهي المرادة هنا. والعَزالَى: جمع عَزْلاء، وهي فم قِربة الماء. ويتهزّع: يتقطّع، ويروى: يتهرّع، بالراء كما في (ش١)، أي: يتفرغ ويسرع سيلانُه.

(٤) عمدنا إلى أهل اللواء، أي: قصدنا إلى حَمَلته فقتلناهم واحداً تلو الآخر، وكانوا جميعاً من بني عبد الدار.

(٥) فحانوا، أي: هلكوا. وقوله: وقد أعطوا يداً، أي: انقادوا لهلاكهم. وتخاذلوا، أي: لم يستطيعوا حماية لوائهم من السقوط.

(٦) الجِذم: الأصل.

(٧) حديث حسن، فقد روي نحوه من طريقين عن يحيى بن سعيد الأنصاري، أن عبد الله بن أُنيس حدّثه عن أمّه، وهي ابنة كعب بن مالك: أن رسول الله ﷺ خرج على كعب بن مالك في =

قال ابن إسحاق: وقال عبدُ الله بن الزِّبَعرَى في يوم أُحدٍ[1]:

يا غُرابَ البَيْنِ أسْمَعتَ فقُلْ ... إنّما تَنطِقُ شيئاً قد فُعِلْ[2]

إنَّ للخيرِ وللشّرِّ مَدًى ... وكِلا ذلك وجهٌ وقَبَلْ[3]

والعَطِيّاتُ خِسَاسٌ بينَهمْ ... وسَواءٌ قَبْرُ مُثْرٍ ومُقِلْ[4]

= مجلس في مسجد رسول الله ﷺ وهو يُنشِد، فلمّا رأى مكانه تقبَّض، فقال رسول الله ﷺ: «ما كنتم عليه؟» فقال كعب: كنت أُنشد، فقال رسول الله ﷺ: «فأَنشِد»، فأنشد حتى مرَّ بقوله: تقاتلُنا عن جِذْمنا كلُّ فخمة، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقل: تقاتلنا عن جِذْمنا، ولكن قل: تقاتلُنا عن ديننا»، أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٣٩١)، والطبري في مسند عمر من «تهذيب الآثار» ٢/ ٦٦٢-٦٦٣، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٩٨٤) و(٨٠٩٢)، وهذا إسناد ليّن من جهة جهالة عبد الله بن أُنيس هذا، فإنه لم يُذكر عنه راو سوى يحيى بن سعيد كما في «التاريخ الكبير» للبخاري ٥/ ٤٥ و«الثقات» لابن حبان ٧/ ٩، وعدّه ابن حبان من أتباع التابعين، وأخطأ محمود شاكر رحمه الله في تعليقه على «تهذيب الآثار»، فذهب إلى أنه عبد الله ابن أُنيس الجهني ثم الأنصاري الصحابي!

والخبر بنحوه عند الطبراني في «الكبير» ١٩/ (١٩٢) عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه كعب. وإسناده حسن في المتابعات والشواهد، وحسّنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ١٢٤.

(١) انظر «شعر عبد الله بن الزبعرى» صنعة يحيى الجبوري ص٤٠ وما بعدها.

(٢) قوله: غراب البَيْن، فالبَينُ: هو الذهاب والفِراق، وإنما لزم الغرابَ هذا الاسمُ لأنه إذا بان أهلُ الدار عنها، وقع في موضع بيوتهم يلتمس ويتقمّم، فتشاءَموا به وتطيَّروا منه، إذ كان لا يعتري منازلهم إلا إذا بانوا، فلذلك سمَّوه غرابَ البين. انظر «الحيوان» للجاحظ ٢/ ٤١٨.

(٣) المدى: الغاية. والقَبَل، أي: المواجهة والمقابلة، يريد أن كلّ ذلك مُلاقِيه الإنسان في مُستقبَل أيامه.

(٤) خِساس، أي: حقيرة، قاله أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٤٤، وقال ابن فارس في كتابه «مقاييس اللغة» ٢/ ١٥١: قول العرب: تَخاسَّ القومُ الأمرَ، إذا تداوَلوه وتسابَقوه أيُّهم يأخذه، =

كـــلُّ عَـــيشٍ ونَعـــيمٍ زائـــلٌ ... وبنـــاتُ الـــدَّهرِ يَلعَـــبنَ بكُـــلْ[1]

أَبلِغَـــنْ حسّـــانَ عنّـــي آيـــةً ... فقَرِيضُ الشِّعرِ يَشْفي ذا الغُلَلْ[2]

كـم تَـرَى بـالجَرِّ مـن جُمجُمـةٍ ... وأكُـفٍّ قـد أُتِـرَّت ورِجِـلْ[3]

وسَـــرَابيلَ حِســـانٍ سُـــرِّيَت ... عـن كُمَـاةٍ أُهلِكـوا في المُنتَـزَلْ[4]

كـــم قَتَلْنـــا مـــن كَـــريمٍ سـيِّدٍ ... ماجِـدِ الجَـدَّينِ مِقْـدامٍ بَطَـلْ[5]

صـــادقِ النَّجْـــدةِ قَـــرْمٍ بـــارعٍ ... غيـرِ مُلْتـاثٍ لَـدَى وَقْـعِ الأَسَـلْ[6]

فسَـــلِ المِهْـــراسَ مَـــن ســـاكِنُهُ ... بـين أَقحـافٍ وهـامٍ كالحَجَـلْ[7]

لَيـتَ أشـياخي ببـدرٍ شَـهِدُوا ... جَزَعَ الخَزرَجِ من وَقْـعِ الأَسَـلْ

= ويقال: هذه الأمور خِساسٌ بينهم، أي: دُوَل؛ ثمّ استشهد بشعر ابن الزبعرى هذا.

وانظر تعليق محمود شاكر على «طبقات فحول الشعراء» لابن سلّام ١/ ٢٣٧.

والمُثري: الغنيّ. والمُقلّ: الفقير.

(١) بنات الدهر: يعني به حوادث الدهر.

(٢) الآية هنا: العَلَامة. والغُلَل: جمع غُلّة، وهي حرارة العطش.

(٣) الجرّ: أصل الجبل، يريد به جبل أُحد. وأُترّت: قُطِعت. والرِّجِل، أي: الأرجُل، وكسر الجيم إتباعاً لكسرة الراء.

(٤) السّرابيل هنا: الدروع. وسُرِّيت، أي: جُرِّدت. والكُماة: الشجعان. والمُنتزَل: موضع الحرب.

(٥) ماجد الجدَّين، أي: شريف النسب.

(٦) النَّجدة: القوة والشجاعة. وقَرْم: فَحْل كريم. والبارع: المبرِّز على غيره. والمُلتات: الضعيف. والأَسَل: الرماح.

(٧) المهراس: هو موضع ماءٍ بسفح جبل أُحد. والأقحاف: جمع قِحْف، وهو العظم الذي يكون فوق الدِّماغ من الجمجمة. والهامُ: جمع هامَةٍ، وهي الرأس. والحَجَل: طائر في حجم الحَمَام.

حـين حَكَّـتْ بقُبـاءٍ بَرْكَهـا ... واستَحَرَّ القتلُ في عبدِ الأَشَلْ[1]

ثـمَّ خَفُّـوا عنـد ذاكُـمْ رُقَّصـاً ... رَقَـصَ الحَفّانِ يَعلُـو في الجَبَـلْ[2]

فقَتَلْنـا الضِّـعفَ مـن أشـرافِهِمْ ... وعَـدَلْنا مَيـلَ بـدرٍ فاعتَـدَلْ

لا أَلُـومُ الـنَّفسَ إلّا أنّنـا ... لـو كَرَرْنـا لَفَعَلْنـا المُفتَعَـلْ

بسُـيوفِ الهِنـدِ تَعلُـو هـامَهُمْ ... عَلَـلاً تَعلُـوهمُ بعـدَ نَهَـلْ[3]

فأجابَه حسّانُ بن ثابتٍ فقال[4]:

ذَهَبَـت بـابنِ الزِّبَعـرَى وقعـةٌ ... كـان منّـا الفضـلُ فيهـا لـو عَـدَلْ

ولقـد نِلْـتُم ونِلْنـا مـنكمُ ... وكـذاكَ الحـربُ أحيانـاً دُوَلْ

نَضَـعُ الأسـيافَ[5] في أكتـافِكمْ ... حيـثُ نَهـوِي عَلَـلاً بعـدَ نَهَـلْ

نُخـرِجُ الأصبَحَ[6] مـن أستاهِكمْ ... كسُـلَاحِ النِّيـبِ يـأكُلنَ العَصَـلْ

---

(١) البَرْك: الصَّدر، وحكّت بَرْكَها، يريد: اشتدّت الحرب وحميَت، وهذا من المَجاز. واستحرَّ: اشتدَّ وكَثُر. وبنو عبد الأشل: يريد بني عبد الأشهل من الأَوس، فحذف الهاء لإقامة الوزن الشِّعري.

(٢) الرَّقَص: مشي سريع. والحَفّان: صغار النَّعام.

(٣) النَّهَل: الشرب الأول، والعَلَل: الشرب الثاني، يريد الضرب فيهم مرةً بعد أخرى.

(٤) انظر «ديوانه» ١/ ٦٧.

(٥) لأبي ذر الخشني في «إملائه» ص٢٤٤: نضع الخَطِّيَّ، وكذلك في «الديوان»، والخَطِّي: الرِّماح، نسبة إلى الخطّ، وهو موضع تقدَّم التعريف به ٢/ ٤٨١. ونهوي، أي: نهوي بهذه السيوف على أكتافهم مرةً بعد أخرى.

(٦) في (ش١): الأَضيَح، وفي نسخة على حاشية (ز): الأَضياح، جمع ضَيْح، وهو اللبن المخلوط بالماء، وذكر السهيليُّ في «الروض» ٦/ ١٤٠ أنها رواية أبي حنيفة الدِّينَوريّ اللُّغوي، ثم قال: وهو في معنى الأَصبَح، لأن الصُّبحة بياضٌ غير خالص، فجعله وصفاً للّبن الممذوق =

إذ تُوَلُّـــونَ علـــى أعقـــابِكمْ هُرَّباً في الشِّـعبِ أشباهَ الرَّسَـلْ[1]

إذ شَـــدَدْنا شَـــدّةً صـــادقةً فأَجَأْنـاكمْ إلـى سَـفْحِ الجَبَـلْ[2]

بخَناطِيـــلَ كأَمْـــذاقِ[3] المَـــلَا مَـن يُلاقُـوهُ مـن النّـاسِ يُهَـلْ

ضـاقَ عنّـا الشِّـعبُ إذ نَجزَعُـهُ ومَلَأْنـا الفُـرْطَ منـه والرِّجَـلْ[4]

بِرِجـــالٍ لَسْـــتُمُ أمثـــالَهمْ أُيِّـدوا جِبريـلَ نَصـراً فنَـزَلْ[5]

وعَلَوْنـا يـومَ بـدرٍ بـالتُّقَى طاعـةِ الله وتصـديقِ الرُّسُـلْ

وقَتَلْنـا كـلَّ رأسٍ مـنهمُ وقَتَلْنـا كـلَّ جَحْجـاحٍ رِفَـلّ[6]

وتَرَكْنـا في قـريشٍ عَـورةً يـومَ بـدرٍ وأحاديـثَ المَثَـلْ[7]

= المُخرَج من بطونهم.

والأستاه: الأدبار. وسُلاح النِّيب: هو ما تُخرجه من بطونها. والنِّيب: جمع نابٍ، وهي الناقة المُسنّة. والعَصَل: نبات تأكله الإبل فيخرج منها أحمر.

(١) الشِّعب: المنفرَج بين الجبلين. والرَّسَل: الإبل المرسَلة بعضها في إثر بعض.

(٢) فأَجأناكم، أي: ألجأناكم.

(٣) في (ز): كأشداف، وعلى حاشيتها: كأمذاق، كبقيّة النسخ الخطية. قال أبو ذر الخُشنيّ في «إملائه» ص٢٤٥: والأمذاق: الأخلاط من الناس هنا، ومن رواه: كأشداف، فالأشداف: الأشخاص.

والخناطيل: الجماعات. والملا: المتّسِع الفسيح من الأرض. ويُهَلْ: يرتاع، من الهَوْل: وهو الفزع.

(٤) نجزّعه، أي: نقطّعه عَرضاً. والفُرْط ـ ويقال بفتح الفاء ـ: ما علا من الأرض كالأَكَمة. والرِّجَل: جمع رِجْلة، وهو المطمئنّ من الأرض.

(٥) أُيِّدوا جبريلَ، أراد: أُيِّدوا بجبريل، فحذف حرف الجرّ وعدَّى الفعل.

(٦) الجحجاح: السيد. والرِّفَلّ، بتشديد اللام: طويل الثوب يجرّه خُيَلاء.

(٧) العورة: كل عيب وخَلَل يُتَخوَّف منه. والمَثَل هنا بمعنى العِبرة.

ورســـولُ الله حَقّـــاً شـــاهدٌ يـــومَ بـــدرٍ والتّنابيـــلُ الهُبَـــلْ[1]
في قـــريشٍ مـــن جُمـــوعٍ جُمِّعـــوا مِثلَ ما يُجمَعُ في الخِصْبِ الهَمَلْ[2]
نحـــنُ لا أمثـــالَكمْ وُلْـــدَ اسْـــتِها نَحضُـــرُ البـــأسَ إذا البـــأسُ نَـــزَلْ[3]

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيدٍ الأنصاريّ: وأحاديثَ المَثَل، والبيتَ الّذي قبلَه.

وقولُه: في قريشٍ من جُموعٍ جمّعوا، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالكٍ يبكي حمزةَ بن عبد المُطَّلِب وقتلى أُحدٍ من المسلمين رضي الله عنهم:

نَشَـجْتَ وهـل لـك مـن مَنشِـجِ وكنـــتَ متـــى تَـــذَّكِرْ تَلجَـــجِ[4]
تَـــذكُّرُ قـــومٍ أَتـــاني لهـــمْ أحاديـــثُ في الـــزَّمنِ الأعـــوَجِ
فقلبُـــكَ مـــن ذِكـــرِهمْ خـــافقٌ مـــن الشَّـــوقِ والحَـــزَنِ المُنضِـــجِ[5]
وقَـــتْلاهمُ في جِنَـــانِ النَّعـــيمِ كِـــرامُ المَـــداخِلِ والمَخـــرَجِ

---

(١) التنابيل: القِصار اللِّئام، ويروى: القنابيل، يريد الخيل، الواحدة: قَنبَلةٌ، وهي القِطعة من الخيل.

والهُبل، قال أبو ذر الخشنيّ: من رواه بضم الهاء والباء، فمعناه: الذين ثَقُلوا لكثرة اللحم عليهم، ومنه يقال: رجل مُهبَّل، إذا كَثُر لحمه، ومن رواه بفتح الهاء والباء، أو بضم الهاء وفتح الباء، فهو من الثُّكْل، يقال: هَبِلَته أمُّه، إذا ثَكِلَته؛ أي: فقدته.

(٢) الهمل: الإبل المُهمَلة، وهي التي تُرسَل في المرعى دون راع.

(٣) الوُلْد: جمع وَلَد. وقوله: ولد استها، كلمة تقولها العرب عند السبّ، كأنه يقول: أنتم أبناء إماء أو أبناء زنى، والاست: الدُّبر. والبأس هنا: شدّة الحرب.

(٤) نشجتَ: بكيتَ. وتذّكر، أي: تتذكّر. وتَلجَج: من اللَّجَاج، وهو التمادي في الشيء، وأراد التذكر مع حزنٍ.

(٥) الحزن المنضج: الشديد القويّ.

بما صَبَروا تحت ظِلِّ اللِّواءِ ... لِواءِ الرّسولِ بذي الأضوُجِ[1]

غَداةَ أجابَتْ بأسيافِها ... جميعاً بنو الأَوسِ والخَزرَجِ

وأشياعُ أحمدَ إذْ شايَعُوا ... على الحقِّ ذي النُّورِ والمَنهَجِ[2]

فما بَرِحُوا يَضرِبون الكُمَاةَ ... ويَمضُون في القَسطَلِ المُرهَجِ[3]

كذلك حتّى دعاهمْ مَليكٌ ... إلى جَنّةٍ دَوْحةِ المَولِجِ[4]

فكلُّهمُ ماتَ حُرَّ البَلاءِ ... على مِلّةِ الله لم يَحرَجِ[5]

كحمزةَ لمّا وَفَى صادقاً ... بذِي هَبّةٍ صارمٍ سَلجَجِ[6]

فلاقاهُ عبدُ بني نَوفَلٍ ... يُبَربِرُ كالجَمَلِ الأدعَجِ[7]

فأَوجَرَه حَرْبةً كالشِّهابِ ... تَلَهَّبُ في اللَّهبِ المُوهَجِ[8]

ونُعْمانُ أَوفَى بمِيثاقِهِ ... وحَنظَلَةُ الخيرِ لم يُحنَجِ[9]

---

(١) الأضوُج، بضم الواو: جمع ضَوْج، وهو جانب الوادي، وبفتح الواو كما عند ياقوت في «معجم البلدان» ١/ ٢١٥ وقال: موضع قرب أُحد بالمدينة.

(٢) أشياع: أتباع. وشايَعوا: تابعوا. والمنهج: الطريق الواضح.

(٣) الكُماة: الشُّجعان. والقسطل: الغبار. والمُرهَج: الغبار الذي أُثير حتى علا في الجوّ.

(٤) الدَّوحة: الكثيرة الأغصان. والمَولِج: المَدخَل.

(٥) حر البلاء: خالص الاختبار. والمِلّة: الدِّين. ولم يَحرَج: لم يأثم.

(٦) بذي هبّة: يعني سيفاً، وهبّةُ السيف: وقوعه بالعظم. والصارم: القاطع. وسلجج، أي: حادُّ الشفرة قاطعٌ أيضاً.

(٧) عبد بني نوفل: هو وحشيٌّ قاتل حمزة، وكان لجبير بن مُطعِم من بني نوفل. ويبربر: يصيح بكلام لا يُفهَم. والجمل الأدعج: الأسود.

(٨) أوجره: طعنه في صدره. والشهاب: القطعة من النار. والمُوهَج: المُوقَد.

(٩) نعمان: هو ابن عمرو بن رفاعة، وحنظلة: هو ابن أبي عامرٍ غسيلُ الملائكة، وكلاهما =

عن الحقِّ حتّى غَدَت روحُهُ إلى مَنزِلٍ فاخرِ الزِّبْرِجِ[1]
أُولئكَ لا مَن ثَوَى منكمُ من النارِ في الدَّرَكِ المُرتَجِ[2]

فأجابه ضِرارُ بن الخَطّاب الفِهْريُّ فقال:

أيَجزَعُ كعبٌ لأشياعِهِ ويَبْكي من الزّمنِ الأعوَجِ[3]
عَجيجَ المُذكّي رأى إلفَهُ تَروَّحَ في صادرٍ مُحنَجِ[4]
فراحَ الرَّوايا وغادَرنَهُ يُعَجعِجُ قَسْراً ولم يُحدَجِ[5]
فقولا لكعبٍ يُثنّي البُكَا ولِلنِّيءِ من لحمِه يُنضِجِ
لِمَصرَعِ إخوانِه في مَكَرٍّ من الخيلِ ذي قَسطَلٍ مُرهَجِ[6]
فيا لَيتَ عَمراً وأشياعَهُ وعُتْبةَ في جَمعِنا السَّورَجِ[7]

= من الأنصار ممن استُشهد بأُحد.

وقوله: لم يُحنَج، أي: لم يُصرَف عن وجهه الذي أراده من الحق.

(١) الزِّبرِج: الزينة من وَشْي أو جوهر، والزِّبرج: الذهب أيضاً.

(٢) الدَّرك ـ بالتحريك وبتسكين الراء ـ: ما كان أسفل. والمُرتَج: المُغلَق.

(٣) الأشياع: الأتباع.

(٤) العجيج: الصِّياح. والمذكّي هنا: المسنّ من الإبل، وأكثر ما يقال في الخيل. والصادر: اسم للجماعة الصادرة عن الماء، أي: الراجعة عنه. ومُحنَج، أي: مصروف عن وجهه.

(٥) الروايا: الإبل التي تحمل الماء، واحدتها: راوية. وغادرنه: تَرَكنه. ويعجعج: يصوّت. وقسراً: قهراً. ولم يُحدَج: لم يُجعَل عليه الحِدْج، وهو مركب من مراكب النساء على الإبل نحو المِحفَّة.

(٦) القسطل: الغبار. والمرهَج: الغبار الذي أُثير حتى علا في الجوّ.

(٧) السَّورج: المتوقّد المضيء. وعمرو: ابن هشام أبو جهل، وعتبة: ابن ربيعة، اللذان قُتلا ببدر.

فيَشْـفُوا النُّفـوسَ بأَوتارِهـا ... بقتلَـى أُصـيبَت مـن الخَـزرَجِ[1]

وقتلَـى مـن الأَوسِ في مَعـرَكٍ ... أُصيبوا جميعاً بذي الأضوُجِ[2]

ومَقتَـلِ حمـزةَ تحـتَ اللِّـواءِ ... بمُطَّـرِدٍ مـارِنٍ مِخلَـجِ[3]

وحيـثُ انثَنَـى مُصعَبٌ ثاوِيـاً ... بضـربةِ ذي هَبّـةٍ سَـلجَجِ[4]

بأُحْـدٍ وأسـيافُنا فـيهمُ ... تَلَهَّـبُ كاللَّهَـبِ المُـوهَجِ

غَـدَاةَ لَقِينـاكمُ في الحديـدِ ... كأُسْـدِ البَـرَاحِ فلـم نُعـنَجِ[5]

بكـلِّ مُجلِّحـةٍ كالعُقـابِ ... وأجـرَدَ ذي مَيْعـةٍ مُسـرَجِ[6]

فدُسْـناهمُ ثَـمَّ حتّـى انثَنَـوا ... سوى زاهـقِ النّفسِ أو مُحرَجِ[7]

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها لضِرارٍ.

وقولُ كعبٍ: ذي النُّور والمَنهَجِ، عن أبي زيدٍ الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: وقال عبدُ الله بن الزِّبَعرَى في يوم أُحدٍ[8]:

---

(١) الأوتار: جمع وَتْر، وهو طلب الثأر.

(٢) المعرك: موضع الحرب. وانظر تعريف الأضوُج في القصيدة السابقة.

(٣) المطَّرِد: الذي يهتزّ، ويعني به هنا رُمحاً. والمارن: هو الليِّن. والمِخلج: هو الذي يطعن بسرعة.

(٤) ثاوياً، أي: مقيماً ساكناً بعد مقتله. وانظر تفسير ذي الهبّة والسلجج في القصيدة السابقة.

(٥) البراح: الفسيح المتّسع من الأرض. ولم نُعنَج، أي: لم نُكَفّ ولم نُصرَف عن القتل والإثخان فيكم.

(٦) المجلِّحة: الماضية المتقدمة، ويعني بها فرساً. والأجرد: الفرس العتيق. والمَيعة: النشاط.

(٧) دسناهم: وَطِئناهم. وزاهق النفس، أي: هالكٌ ميّت. والمحرج: المضيَّق عليه.

(٨) زاد في (ش١): يبكي القتلى.

أَلَا ذَرَفَت من مُقلتَيكَ دُموعُ ... وقد بانَ من حَبْلِ الشّبابِ قُطُوعُ[1]

وشَطَّ بمَن تَهوَى المَزَارُ وفَرّقَت ... نَوَى الحيِّ دارٌ بالحَبيبِ فَجُوعُ[2]

وليس لِمَا وَلَّى على ذي حَرارةٍ ... وإن طالَ تَذْرافُ الدُّموعِ رُجوعُ

فذَرْ ذا ولكنْ هل أَتى أُمَّ مالكٍ ... أحاديثُ قَوْمي والحديثُ يَشِيعُ

ومَجنَبُنا جُرْداً إلى أهلِ يَثرِبٍ ... عَناجيجَ منها مُتلَدٌ ونَزِيعُ[3]

عَشِيَّةَ سِرْنا في لُهامٍ يقودُنا ... ضَرُورُ الأَعادي للصَّديقِ نَفُوعُ[4]

نَشُدُّ علينا كلَّ زَغْفٍ كأنَّها ... غَديرٌ بضَوْجِ الوادَيَينِ نَقيعُ[5]

فلمّا رَأَونا خالَطَتهمْ مَهابةٌ ... وعايَنَهم أمرٌ هناكَ فَظِيعُ

ووَدُّوا لوَ انَّ الأرضَ يَنشَقُّ ظَهرُها ... بهم وصَبُورُ القومِ ثَمَّ جَزُوعُ

وقد عُرِّيَت بِيضٌ كأنّ وَمِيضَها ... حريقٌ تَرَقَّى في الأَباءِ سريعُ[6]

بأَيمانِنا نَعلُو بها كلَّ هامَةٍ ... ومنها سِمامٌ للعدوِّ ذَريعُ[7]

---

(١) ذرفت: سالت. والمُقلة: شحمة العين التي تجمع السواد والبياض.

(٢) شطَّ: بَعُد. ونوى الحي: بُعْده وفراقه.

(٣) مَجنبُنا، أي: قَوْدنا الخيل إلى أجناب إبلنا دون أن نركبها، يقال: جَنَبتُ الفرسَ، إذا قدتها ولم تركبها. جُرداً، أي: عرايا من السُّرج. والعناجيج: الطِّوال الجِسان. ومُتلَد، أي: نسبه قديم عريق وُلد عندنا، ونزيع، أي: غريب نجيبٌ من بلد آخر.

(٤) اللُّهام: الجيش الكثير. وضرور الأعادي، أي: يوقع الضُّرَّ بأعاديه؛ يشير إلى أبي سفيان ابن حرب.

(٥) الزَّغف: الدروع الليّنة. والضَّوج: جانب الوادي. ونقيع: مملوء بالماء.

(٦) البِيض: السيوف. والوميض: لمعان الضَّوء. والأَباء: واحده: الأباءة، وهي الأجمة، الموضع ذو الشجر الكثير الملتفّ.

(٧) الهامة: الرأس. وسِمام: جمع سمٍّ. والذريع: الذي يَقتُل سريعاً.

فغادَرْنَ قتلَى الأَوسِ عاصِبةً بهم ... ضِباعٌ وطَيرٌ يَعتَفِينَ وُقُوعُ[1]

وجَمْعُ بني النَّجّارِ في كلّ تَلْعةٍ ... بأبدانِهم من وَقعِهنَّ نَجِيعُ[2]

ولولا عُلوُّ الشِّعبِ غادَرْنَ أحمداً ... ولكنْ عَلَا والسَّمهَريُّ شُروعُ[3]

كما غادَرَت في الكَرِّ حمزةَ ثاوِياً ... وفي صَدرِه ماضي الشَّبَاةِ وَقِيعُ[4]

ونُعْمانَ قد غادَرْنَ تحت لوائِهِ ... على لحمِه طَيرٌ يَحُفْنَ وُقُوعُ[5]

بأُحْدٍ وأرماحُ الكُمَاةِ يَرِدْنَهم ... كما غالَ أشطانَ الدِّلاءِ نُزوعُ[6]

فأجابَه حسّانُ بن ثابتٍ فقال[7]:

أشاقَكَ من أُمّ الوليدِ رُبوعُ ... بَلاقِعُ ما من أهلِهنَّ جميعُ[8]

عَفَاهُنّ صَيْفيُّ الرّياحِ وواكِفٌ ... من الدَّلوِ رَجّافُ السَّحابِ هَمُوعُ[9]

---

(١) عاصبة: لاصقة بهم مجتمعة عليهم. يَعتفِين، أي: يطلبن الأكل من تلك الأجساد.

(٢) التلعة: ما علا من الأرض على الوادي كالتَّلّ. والنَّجيع: الدم.

(٣) الشِّعب: الطريق في الجبل. والسمهري: الرِّماح. وشُروع: مائلة للطعن.

(٤) الكرّ: عَوْد الفارس للقتال. وثاوياً: مقيماً ساكناً. وشَبَاة كل شيء: حدُّه. ووقيع، أي: محدَّد.

(٥) يحفن، أي: يطفن حوله. وعلى حاشية (غ): قال ابن هشام: يحفن بالحاء والجيم من الجائفة. قلنا: ومعنى يَجُفنَ: يدخلن جوفه، أو يطلبن ما في جوفه.

(٦) الكُماة: الشجعان. ويَرِدْنهم: يدخلن في أجسادهم. وغالَ: أهلَكَ. والأشطان: الحِبال. والدِّلاء: جمع دلو. والنُّزوع: جذب الدلو وإخراجها من البئر.

(٧) انظر «ديوانه» ١/ ٣٣٧.

(٨) ربوع: جمع رَبْع، وهو منزل القوم. والبلاقع: جمع بَلقَع، وهو المكان الخالي. يقول: ما أهلهنَّ مجتمعين.

(٩) عفاهنّ، أي: غيَّرهن ودَرَسهنّ. والواكف: المطر السائل. والدَّلو هنا: بُرج في السماء. =

فلم يَبقَ إلّا مَوقِدُ النارِ حولَهُ ... رَواكِدُ أمثالُ الحَمامِ كُنوعُ[1]

فدَعْ ذِكرَ دارٍ بَدَّدَت بين أهلِها ... نَوًى لمَتيناتِ الحِبالِ قَطُوعُ[2]

وقُلْ: إن يكنْ يومٌ بأُحْدٍ يَعُدُّه ... سَفيهٌ، فإنَّ الحقَّ سوفَ يَشِيعُ

فقد صابَرَت فيه بنو الأَوسِ كلُّهمُ ... وكان لهم ذِكرٌ هناكَ رَفيعُ

وحامَى بنو النَّجّارِ فيه وصابَرُوا ... وما كان منهم في اللِّقاءِ جَزُوعُ

أمامَ رسولِ الله لا يَخذُلونَهُ ... لهم ناصرٌ من ربِّهم وشَفيعُ

وَفَوْا إذ كَفَرتُم يا سَخِينَ بربِّكمْ ... ولا يَستَوي عبدٌ وَفَى ومُضِيعُ[3]

بأيديهمْ بِيضٌ إذا حَمِشَ الوَغَى ... فلا بُدَّ أن يَردَى لهنَّ صَريعُ[4]

كما غادَرَت في النَّقْعِ عُتْبةَ[5] ثاوِياً ... وسعداً صَريعاً والوَشِيجُ شُروعُ

= ورجّاف، أي: متحرّك فيه صوت الرعد. وهَمُوع: سائل.

(١) الرواكد: الثوابت، يعني الأثافيَّ، وهي الحجارة التي توضع حول النار. وكُنوع: لاصقة بالأرض.

(٢) النوى: البُعد. والمتينات: الغليظات الشديدات.

(٣) يا سخينَ: أراد سخينةَ، فرخّم، وكانت قريش في الجاهلية تُلقَّب سخينةَ لمداومتهم على أكل السَّخينة، وهي دقيق أغلظ من الحساء وأرقّ من العصيدة، وإنما تؤكل في الجَدْب وشدة الدهر.

(٤) حَمِشَ: اشتدّ. والوغى: الحرب. ويَردَى: يهلك.

(٥) هكذا في نسخنا كافة: عتبة، وعلى حاشية (ز) و(ش١) و(غ): عثمان، وهذه رواية «ديوان حسان»، وهو الصواب إن شاء الله، فليس في قتلى يوم أُحد من المشركين من يُسمّى عتبة، إنما هو عثمان بن أبي طلحة، قتله حمزةُ رضي الله عنه، وهو أخو أبي سعد بن أبي طلحة الذي ذكره حسان بعده باسم سعدٍ، وهذا قتله ذلك اليوم سعدُ بن أبي وقّاص رضي الله عنه، وكلاهما حمل لواء المشركين يو أُحد فقُتل وهو حامله. =

وقد غادَرَت تحت العَجَاجةِ مُسنِداً ... أُبيّاً وقد بَلَّ القميصَ نَجيعُ[1]

بكَفِّ رسولِ الله حيثُ تَنَصَّبَت ... على القومِ ممّا قد يُثِرنَ نُقوعُ[2]

أُولئكَ قومٌ سادةٌ من فُروعِكمْ ... وفي كلِّ قومٍ سادةٌ وفُروعُ

بِهِنَّ نُعِزُّ اللهَ حتّى يُعِزَّنا ... وإن كان أمرٌ يا سَخِينَ فَظيعُ

فلا تَذكُروا قتلَى وحمزةُ فيهمُ ... قتيلٌ ثَوَى لله وهْوَ مُطيعُ

فإنَّ جِنانَ الخُلْدِ مَنزِلةٌ لهُ ... وأمرُ الّذي يَقْضي الأُمورَ سريعُ

وقتلاكمُ في النارِ أفضَلُ رِزقِهم ... حَميمٌ معاً في جَوفِها وضَريعُ[3]

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها[4] لحسّان وابن الزِّبَعرَى، وقولُه: ماضي الشَّبَاة، وطَيرٌ يَحُفنَ[5]، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عمرو بن العاصِ في يوم أُحدٍ:

= وقوله: غادَرَت، يعني السيوف والرماح، أي: أنها تركَت هؤلاء بين القتلى. والنَّقع: الغبار. والوَشِيج: الرِّماح. وشروع: مائلة للطعن.

(١) العَجاجة: الغبرة. والنّجيع: الدم. وأُبيٌّ: هو أُبي بن خلف، رماه رسول الله ﷺ بحَرْبة فجرحته ومات منها قريباً من مكة.

وقوله: مُسنِداً، هكذا قُيّد في (ص) بكسر النون، خلافاً لبقية النسخ حيث قُيّد فيها بفتحها، والصواب إن شاء الله ما وقع في (ص) على صيغة اسم الفاعل، ومعناه: مُصعِداً مُرتفِعاً في شِعب أُحد، فقد لحق أُبيٌّ برسول الله ﷺ وكان قد أَسنَد في الشِّعب، فأدركه هناك يريد قتله ﷺ، كما تقدم ص٦٩-٧٠.

(٢) نقوع: جمع نَقْع، وهو التراب.

(٣) الحميم: الماء الحارّ. والضريع: نبت ذو شوك.

(٤) في (ش١): ينكرهما.

(٥) وهما في البيتين الأخيرين في الشعر المنسوب لابن الزِّبعرى.

خَرَجنـا مـن الفَيْفـا علـيهمْ كأنّنـا
مع الصّبحِ من رَضوَى الحَبِيكُ المُنطَّقُ[1]

تَمَنَّت بنـو النَّجّـار جَهـلاً لقاءَنـا لَدَى جَنبِ سَلْعٍ والأمانيُّ تَصدُقُ[2]
فمـا راعَهـمْ بالشّـرِّ[3] إلّا فُجَـاءةً كَـرَاديسُ خيـلٍ في الأزِقّـةِ تَمـرُقُ
أَرادوا لكَيْمـا يَسـتَبيحوا قِبابَنـا ودونَ القِبابِ اليومَ ضربٌ مُحرِّقُ[4]
وكانت قِباباً أُومِنَت قبلَ ما تَرَى إذا رامَهـا قـومٌ أُبيحـوا وأُحنِقـوا[5]
كـأنَّ رؤوسَ الخَـزْرَجيِّينَ غُـدْوةً لـدى جنـبِ سَـلْعٍ حنظـلٌ متفلِّـقُ[6]
كـأنَّ رؤوسَ الخَـزْرَجيِّينَ غُـدْوةً وأَيمـانَهم بالمَشـرَفيّةِ بَـرْوَقُ[7]

فأجابه كعبُ بن مالكٍ ـ فيما ذكرَ ابنُ هشام ـ فقال:

---

(١) الفيفاء: القَفْر الذي لا ينبت شيئاً، وقَصَرَه هنا للشِّعر.

وأما رضوى: فهو جبل شمال غربيّ يَنبُع النخل التي تقع غرب المدينة المنوّرة على بعد ١٣٠ كم تقريباً.

والحَبيك هنا، أراد به الدّرع، لأنه تُحبَك حلقاته ببعضها، أي: تُنسَج، والمنطَّق: المحزَّم الشديد، شبَّه الجيش بحلقات الدرع المتشابكة لكثرته وتراصّه.

(٢) سلع: اسم جبل مشهور في المدينة.

(٣) في (ز): بالسِّر، وعلى حاشيتها: بالشر. وراعهم: أفزعهم. والكراديس: جماعات الخيل. وتمرق، أي: تخرج.

(٤) القِباب، أي: الأخبية والخِيام.

(٥) أُحنقوا، أي: بُولغ في إغضابهم.

(٦) هذا البيت سقط من نسخة (ت).

(٧) المشرفية: السيوف، نُسبت إلى مَشارِف الشام (أي: أريافه) يعني هي مصنوعة فيها. والبَروَق: نبات له غصون دِقاق في رؤوسها أمثال الحمّص فيها حبّ أسود.

ألا أَبلِغا فِهْراً على نَأْيِ دارِها[1] وعندَهمُ من عِلْمِنا اليومَ مَصدَقُ

بأنّا غَدَاةَ السَّفحِ من بطنِ يَثرِبٍ صَبَرْنا ورايـاتُ المَنيَّـةِ تَخفِـقُ[2]

صَبَرْنا لهم والصّبرُ منّا سَجِيّةٌ إذا طـارَت الأَبـرامُ نَسمُو ونَرتُـقُ[3]

على عـادةٍ تِلكُمْ جَرَينـا بصَبْرِنا وقِدْماً لَدَى الغاياتِ نَجْري فنَسبِقُ

لنـا حَوْمـةٌ لا تُستَطاعُ يقودُهـا نبـيٌّ أَتـى بـالحقِّ عَـفٌّ مُصـدَّقُ[4]

ألا هـلْ أَتـى أفْنـاءَ فِهْـرِ بـن مالـكٍ مُقطَّـعُ أطـرافٍ وهـامٌ مُفلَّـقُ[5]

قال ابن إسحاق: وقال ضِرارُ بن الخطّاب:

إنّـي وجَـدِّك لـولا مُقـدَمي فَرَسـي إذ جالتِ الخيلُ بين الجِزْعِ والقاعِ[6]

ما زالَ منكمْ بجَنبِ الجِزْعِ من أُحدٍ أصـواتُ هـامٍ تَزاقَـى أمرُهـا شـاعِي[7]

وفـارسٌ قـد أصـابَ السّـيفُ مَفرِقَـهُ أفـلاقُ هامَتِـه كقَـرْوةِ الرّاعـي[8]

---

(١) أي: على بُعد دارها. وفِهر: هو فهر بن مالك بن النضر، أبو قريشٍ كلها. والمَصدَق، أي: الخبر الصادق.

(٢) السفح: جانب الجبل، يريد جبل أُحد. والمنيّة: الموت. وتخفق: تضطرب وتتحرك.

(٣) السجيّة: العادة والطبع. والأبرام: اللِّئام، الواحد: بَرَمٌ. نسمو، أي: نرتفع ونعلو. ونرتق، أي: نَسدّ ونُصلح.

(٤) الحَوْمة: يعني بها الجماعة، وأصل الحَوم: القطيع الضخم من الإبل. والعفّ: العفيف.

(٥) أفناء القبائل: جماعة مجتمعة من قبائل شتّى. والهام: جمع هامَةٍ، وهي الرأس.

(٦) قوله: مُقدَمي فرسي، أي: إقدامي لفرسي. والجِزع: منعطف الوادي. والقاع: المنخفض من الأرض.

(٧) الهامُ: جمع هامَةٍ، وهي الطائر التي كانت تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل الذي لم يُؤخَذ بثأره فيصيح. وتَزاقَى: تصيح. وشاعي، أراد: شائع، فقَلَب.

(٨) هكذا في (ش١): كقَرْوة، بالقاف، وهو الصواب إن شاء الله، وفي بقية النسخ: كفروة، =

إنّــي وجَــدِّك لا أنفَــكُّ مُنتَطِقــاً ... بصــارمٍ مِثْــلِ لــونِ المِلــحِ قَطّــاعِ[1]

علــى رِحَالــةِ مِلْــواحٍ مُثــابِرةٍ ... نحوَ الصَّــريخِ إذا مــا ثَــوَّبَ الــدّاعي[2]

ومــا انتَمَيــتُ إلــى خُــورٍ ولا كُشُــفٍ ... ولا لئــامٍ غَــداةَ البــأسِ أَوراعِ[3]

بَل ضارِبينَ حَبيكَ البَيضِ إذ لَحِقوا ... شُــمِّ العَــرَانينِ عنــد المــوتِ لُــذّاعِ[4]

شُــمٍّ بَهالِيــلَ مُســتَرخٍ حَمــائلُهمْ ... يَسعَون للمــوتِ سَــعياً غيــرَ دَعــداعِ[5]

= بالفاء، لكن أشار في حاشية (ز) إلى حاشية في نسخة عنده ذهب صاحبها إلى أن هذه اللفظة بالفاء مصحّفة عن القَرْوة. وفي «الدلائل في غريب الحديث» لقاسم بن ثابت ١/ ٣٠٤: كقروة الراعي، بالقاف أيضاً، ثم فسّره فقال: القروة: قدح صغير يتخذه الراعي.

وقال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٥٢: من رواه بالقاف فهو إناء من خشب يحمله الراعي معه، ومن رواه بالفاء فهي الفروة المعروفة.

والمَفرِق: حيث تفرق الشعر فوق الجبهة.

(١) منتطِق: محتزِم. والصارم: السيف القاطع.

(٢) الرِّحَالة، أي: السَّرج. والمِلواح: الفرس الشديدة التي ضَمُر لحمها. ومثابِرة، أي: متابِعة. والصريخ: المستغيث. ثوَّب، أي: كرّر الدعاء.

(٣) الخُور: هم الضعفاء، الواحد: خائر. والكُشُف: جمع أَكشف، وهو الذي لا ترس له في الحرب. والأَوراع: جمع وَرِع، وهو الجبان هنا، ويروى: أوزاع، بالزاي، أي: متفرقون.

(٤) قوله: حبيك البَيض، البيض: جمع بَيضة، وهي الخُوذة التي يضعها المحارب على رأسه، والحبيك: من الحبْك، وهو النَّسج، ولعله أراد بحبيك البيض: المِغفَر الذي يلبسه المحارب تحت البيضة، فإنه من حلقات منسوجة، ويعني بذلك أنهم يضربون رؤوس أعدائهم. وشمِّ العرانين، أي: مرتفعي الأنوف، يصفُهم بالعزّة. لُذّاع، أي: يَلذَعون كما تَلذَع النار، وهو أن تصيب بحرّها.

(٥) البهاليل: السادة، الواحد: بُهلول. ومسترخ حمائلهم: يعني حمائل سيوفهم، وفيه إشارة إلى طولهم وحُسن هيئتهم. و الدَّعداع: المشي الضعيف البطيء.

وقال ضِرارُ بن الخطّاب أيضاً:

لمّا أتَتْ من بني كعبٍ مُزيَّنةٌ ... والخَزرَجيَّةُ فيها البِيضُ تأتلِقُ[1]

وجَرَّدوا مَشرَفيّاتٍ مُهنَّدةً ... ورايةً كجَناحِ النَّسرِ تَختفِقُ[2]

فقلتُ: يومٌ بأيّامٍ ومَعرَكةٌ ... تُنبِي لمَا خَلْفَها ما هُزهِزَ الوَرَقُ[3]

قد عُوِّدوا كلَّ يومٍ أن تكونَ لهمْ ... ريحُ القتالِ وأسلابُ الّذين لَقُوا[4]

خَيّرتُ[5] نفسي على ما كان من وَجَلٍ ... منها وأيقَنتُ أنّ المجدَ مُستَبَقُ

أكرَهتُ مُهْري حتّى خاضَ غَمْرتَهم ... وبَلَّهُ من نَجيعٍ عانِدٍ عَلَقُ[6]

فظَلَّ مُهْري وسِرْبالي جَسِيدُهما ... نَفحُ العُروقِ رَشَاشُ الطَّعنِ والوَرَقُ[7]

---

(١) مزيّنة: يعني كتيبة فيها ألوان من السلاح. والبِيض هنا: السيوف. وتأتلق، أي: تضيء وتلمع.

(٢) المشرفيات: سيوف منسوبة إلى مشارف الشام، أي: أريافه، كما تقدم قريباً. ومهنَّدة، أي: مصنوعة من حديد الهند.

(٣) هُزهز، أي: حُرّك، والورق: يعني به ورق الشجر؛ يقول: تبقى أنباء هذه المعركة مدى الدهر.

(٤) الأسلاب: جمع سَلَبٍ، وهو ما يؤخذ عن القتيل من سلاح وثياب.

(٥) في (ز): جَبَرتُ، وعلى حاشيتها: خيّرت، كبقية النسخ. والوَجَل: الفزع. ومستَبَق، أي: يتسابق فيه الناس.

(٦) غمرتهم: جماعتهم. والنَّجيع: الدم. والعَلَق من أسماء الدم.

وعاند (كما في: ز، ص، غ) أي: لا ينقطع، ومن رواه: عانِك (كما في: ت، ش١، م، ي) فمعناه: أحمر.

(٧) السِّربال: كل ما يُلبَس، ويريد به هنا الدرع. وجسيدهما: يعني به هنا لونهما أو صبغهما. ونفح العروق: ما ترمي به من الدم. والورق: الدم المنقطع، ويروى: العَرَق.

أيقَنــتُ أنّــي مُقــيمٌ في ديــارِهمُ حتّـى يُفـارِقَ مـا في جَوفِـه الحَـدَقُ[1]

لا تَجزَعـوا يـا بنـي مَخـزُومَ إنَّ لكـمْ مِثـلَ المغيـرةِ فـيكمْ مـا بـه رَهَـقُ[2]

صَـبْراً فِـدًى لكـمُ أُمّـي ومـا وَلَـدَت تَعاوَرُوا الضَّربَ حتّى يُدبِرَ الشَّفَقُ[3]

وقال عمرُو بن العاص:

لمّــا رأيــتُ الحــربَ يَنْــ ــزُو شَـرُّها بالرَّضْـفِ نَـزْوا[4]

وتَناوَلَــت شَــهْباءُ تَلْــ ــحُو النـاسَ بالضَّـرّاءِ لَحْـوا[5]

أَيقَنــتُ أنّ المــوتَ حَــقٌّ والحَيــاةَ تكــونُ لَغْــوا[6]

حَمَّلــتُ أَثــوابي علــى عَتِـدٍ يَبُـذُّ الخيـلَ رَهْـوا[7]

سَــلِسٍ إذا نَكَّــبنَ في البَيْــ ــداءِ يَعلُـو الطِّـرْفَ عُلْـوا[8]

وإذا تَنــزَّلَ مــاؤُه مــن عِطفِـه يَـزدادُ زَهْـوا[9]

---

(١) الحدق: جمع حَدَقة، وهي سواد العين. ويريد بقوله: حتى يفارق... التأبيد، يعني أنه مقيم في بلادهم أبداً.

(٢) تصحف في (ز) و(ص) و(م) إلى: زهق، بالزاي. والرَّهق ـ بالراء ـ: العيب. والمغيرة: هو ابن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، وكان سيّدهم في الجاهلية، وهو جدُّ خالد بن الوليد.

(٣) تعاوروا: تداولوا. والشفق: الحُمرة عند غروب الشمس.

(٤) ينزو: يقفز ويرتفع. والرَّضْف: الحجارة المحماة بالنار.

(٥) شهباء، أي: كتيبة كثيرة السلاح. وتلحو: تقشِّر وتُضعِف، تقول: لَحَوتُ العودَ، إذا قشرتَه، يريد أنها تُلحق الضرر بأعدائها.

(٦) اللَّغو: السقط وكل شيء لا يُعتدُّ به.

(٧) العَتِد: الفرس الشديد. ويبذّ: يسبق. والرَّهو: المشي بسكون.

(٨) الطِّرف: الكريم من الخيل. ومعنى يعلو الطرف: يتقدّمه.

(٩) ماؤه، أي: عرقه. والعِطْف: الجانب. والزَّهو: الإعجاب والتكبر.

رَبِـــذٍ كيَعفُـــورِ الصَّريـــ ـــمةِ راعَـهُ الرّامُـونَ دَحْـوا[1]
شَـــنِجٍ نَسَـــاهُ ضـــابطٍ للخيـــلِ إرخـــاءً وعَـــدْوا[2]
ففِـــدًى لهـــمْ أُمّـــي غَـــدا ةَ الـــرَّوعِ إذ يَمشُـــون قَطْـــوا[3]
سَـــيراً إلـــى كَـــبْشِ الكَتيـــ ـــبةِ إذ جَلَتْـه الشّـمسُ جَلْـوا[4]

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها لعمرٍو.

قال ابن إسحاق: فأجابهما كعبُ بن مالكٍ فقال:

أَبلِـغْ قريشـاً وخيـرُ القـولِ أصـدَقُهْ والصِّـدقُ عند ذَوِي الألبابِ مقبولُ[5]
أنْ قـــد قَتَلْنـــا بقتلانـــا سَـــرَاتَكمُ أهـلَ اللِّـواءِ ففـيمَ[6] يَكثُـرُ القِيـلُ
ويـــومَ بـــدرٍ لَقِينـــاكم لنـــا مَـــدَدٌ فيـه مـع النّصـرِ مِيكـالٌ وجِبريـلُ
إن تَقتُلونـــا فـــدِينُ الحـــقِّ فِطرَتُنـــا والقتـلُ في الحـقِّ عنـدَ الله تفضـيلُ
وإن تَـــرَوْا أمرَنـــا في رأيِكـــمْ سَـــفَهاً فـرأيُ مَـن خـالَفَ الإسـلامَ تضـليلُ
فـلا تَمَنَّـوْا لِقـاحَ الحـربِ واقتَعِـدُوا إنّ أخا الحربِ أَصدَى اللَّونِ مشغولُ[7]

---

(١) رَبِذ: سريع. واليعفور: ولد الظَّبية. والصَّريمة: الرملة المتقطعة. وراعه: أفزعه. والدَّحو هنا: الرَّمي.

(٢) شَنِج: منقبض. والنَّسا: عِرق مُستبطِن الفخذين. وضابط: ممسك. والإرخاء والعَدْو: ضربان من السَّير.

(٣) الرَّوع: الفزع. والقطو: مشي في تبختر كمشي طير القَطَاة.

(٤) كبش الكتيبة: رئيسها. وجَلَتْه: أبرزته.

(٥) الألباب: العقول، واحدها: لُبٌّ.

(٦) في (ت) و(ز): ففيهم، وعلى حاشية (ز): ففيمَ، وصحَّح على كليهما. وسَرَاة القوم: خِيارهم. والقِيل: القول.

(٧) لقاح الحرب: زيادتها ونموّها. وأصدى اللون، أي: أصدأُ اللون، والأصدأُ: الذي لونه =

إنَّ لكم عندنا ضرباً تَرَاحُ له ... عُرْجُ الضِّباعِ له خَذْمٌ رَعابيلُ[1]

إنّا بنو الحربِ نَمْرِيها ونَنتُجُها ... وعندنا لذَوِي الأضغانِ تنكيلُ[2]

إن يَنجُ منها ابنُ حَربٍ بعدَ ما بَلَغَت ... منه التَّراقِي وأمرُ الله مفعولُ[3]

فقد أفادَت له حِلْماً ومَوعِظةً ... لمن يكون له لُبٌّ ومعقولُ

ولو هَبَطتُمْ بِبَطنِ السَّيلِ كافَحَكمْ ... ضَرْبٌ بشاكِلةِ البَطْحاءِ تَرعيلُ[4]

تَلْقاكمُ عُصَبٌ حولَ النبيِّ لهمْ ... ممّا يُعِدُّون للهَيْجا سَرَابيلُ[5]

من جِذْمِ غسّانَ مُستَرخٍ حَمائلُهمْ ... لا جُبَناءُ ولا مِيلٌ مَعازِيلُ[6]

= بين السواد والحُمرة. ومشغول: من الشُّغل، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٥٥: من رواه بالعين المهملة فمعناه: متَّقِد مُلتهِب.

(١) تَرَاح: تفرح وتهتزّ. والخذم: القطع بالأسنان. ورعابيل، أي: قطع متمزّقة.

(٢) بنو الحرب، أي: أبطالها وفرسانها. ونَمريها: نستدرُّها، وهو مستعار من: مَرَيتُ الناقةَ، إذا استدررتَ لبنَها واستخرجته من ضَرعها، ونتجتَها: إذا استخرجتَ منها ولداً، يقول: نحن فرسان الحروب وأبطالها، نُنشئها ونخوضها ولا نهابها. والأضغان: العداوات. والتنكيل: العقوبة والزَّجر المؤلم.

(٣) ابن حرب: يعني أبا سفيان بن حرب. والتراقي: جمع تَرقُوَة، وهي العظم الذي بين ثُغْرة النَّحر والكتف، وهما تَرقُوَتان من الجانبين.

(٤) كافحكم: واجهكم. والشاكلة: الطرف والناحية. والبطحاء: الأرض السهلة. والترعيل: الضرب السريع.

(٥) العُصَب: الجماعات. والهيجاء: الحرب. والسرابيل: جمع سِربال، وهو كل ما يُلبَس، ويريد بها هنا الدروع.

(٦) الجِذم: الأصل. وغسّان: يريد قومه من الأوس والخزرج، فإنهما يرجعان في نسبهما إلى غسان من اليمن. وحمائلهم، أي: حمائل سيوفهم. والمِيل: جمع أَميَل، وهو الذي لا ترس له. والمعازيل: الذين لا رماح معهم، مفرده: مِعزال.

يَمشُون تحت عَمَاياتِ القتالِ كما ... تمشي المَصَاعبةُ الأُدْمُ المَراسيلُ[1]

أو مِثلُ مَشيِ أُسودِ الظِّلِّ ألْثَقَها ... يومٌ رَذَاذٌ من الجَوزاءِ مَشمُولُ[2]

في كلِّ سابغةٍ كالنِّهْيِ مُحكَمةٍ ... قيامُها فَلَجٌ كالسّيفِ بُهلولُ[3]

تَرُدُّ حَدَّ قِرَانِ النَّبلِ خاسئةً ... ويَرجِعُ السّيفُ عنها وهْوَ مَفلولُ[4]

ولو قَذَفتُم بسَلْعٍ عن ظُهورِكمُ ... ولِلحَياةِ ودَفْعِ الموتِ تأجيلُ[5]

ما زالَ في القومِ وِترٌ منكمُ أبداً ... تَعفُو السِّلَامُ عليه وهْوَ مَطلولُ[6]

عبدٌ وحُرٌّ كريمٌ مُوثَقٌ قَنَصاً ... شَطْرَ المدينةِ مأسورٌ ومقتولُ[7]

---

(١) عمايات القتال: ظُلماته، ويروى: غيابات، أي: سحابات. والمَصاعبة: الفحول من الإبل، واحدها: مُصعَب. والأُدْم: الإبل البيض، والأُدمة في الإبل: البياض الخالص. والمراسيل: جمع مِرسال، وهي السهلة في السَّيرِ.

(٢) قوله: الظِّل، بالظاء في (ت) و(ص) و(غ) و(ي)، وفي نسختَي (ز) و(ش١) و(م) إشارة إلى أنها تُقيَّد بالظاء والطاء، وهي بالطاء عند أبي ذر الخُشنيّ كما في «إملائه» ص٢٥٦ فقال: الطَّلّ المطر الخفيف. قلنا: وأما على رواية الظاء، فالمراد: الظِّل من الشمس، ومن عادة الأسود الإكثار من الاستظلال بالأشجار. ومعنى ألثَقَها: بلَّها. والرَّذاذ: المطر الخفيف. والجوزاء: اسم لبرج من أبراج السماء معروف. والمشمول: الذي هبّت فيه ريح الشَّمال.

(٣) السابغة: الدرع الكاملة. والنِّهي: الغدير من الماء. وقيامها، أي: ملاكُ أمرها ومعظمُها. وفلجٌ، أي: نهر صغير يسيل إليها فيحرّك مياه الغدير فتتموّج. والبُهلول: الأبيض.

(٤) قِران النَّبل، أي: جماعة النبل، واحدها: قَرَنٌ. وخاسئة: ذليلة. ومفلول، أي: مكسور الحدِّ.

(٥) سلع: اسم جبل بالمدينة.

(٦) الوتر، بكسر الواو وفتحها: الثأر. وتعفو: تنمحي وتتغير. والسِّلام: الحجارة، واحدها: سَلِمَة. ومطلول، أي: لم يؤخذ بثأره.

(٧) القَنَص: الصيد. وشطر المدينة: نحوها وقصدها.

كُنّا نُؤمِّلُ أُخْراكمْ فأعجَلَكمْ ... منّا فوارسُ لا عُزْلٌ ولا مِيلُ[1]

إذا جَنَى فيهمُ الجاني فقد عَلِموا ... حقّاً بأنَّ الّذي قد جَرَّ محمولُ[2]

ما يَجْنِ لا يَجْنِ من إثمٍ مُجاهَرَةً ... ولا مَلُومٌ ولا في الغُرْمِ مخذولُ[3]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ، يذكر عِدَّة أصحاب اللّواءِ يومَ أُحدٍ ـ قال ابن هشام: هذه أحسنُ ما قيلَ ـ[4]:

مَنَعَ النّومَ بالعِشاءِ الهُمومُ ... وخَيالٌ إذا تَغُورُ النّجومُ[5]

مِن حَبيبٍ أصابَ قلبَك[6] منه ... سَقَمٌ فهْوَ داخلٌ مكتومُ

يا لَقومٍ هل يَقتلُ المَرْءَ مِثْلي ... واهنُ البَطشِ والعِظامِ سَؤُومُ[7]

لو يَدِبُّ الحَوْليُّ من ولدِ الذَّ ... رِّ عليها لأَنْدَبَتْها الكُلُومُ[8]

شأنُها العِطرُ والفِراشُ ويَعلُو ... ها لُجَينٌ ولُؤلُؤٌ منظومُ[9]

---

(١) العُزْلُ: الذين لا رماح لهم. والمِيل: الذين لا تروس معهم.

(٢) يريد: أن الجاني منهم إذا جرَّ على نفسه جناية فإنهم يحملون عنه جنايته.

(٣) الغُرم: ما يتحمّله من الدَّين وغيره، يريد: أنهم يُعِينونه بأموالهم ويتحمّلون معه إذا غَرِمَ ولا يخذلونه.

(٤) انظر «ديوانه» ١/ ٤٠.

(٥) تغور: تغيب.

(٦) هكذا في نسخنا الخطية، بالصاد، وكذلك هو في «الديوان»، وهو معلوم، ومن رواه: أضاف، بالضاد كما عند أبي ذر الخشنيّ في «إملائه» ص٢٥٧، فمعناه: نزل وزار.

(٧) الوَهْن: الضَّعف. والسَّؤُوم: المَلُول. يريد حبيبته التي يشبِّب بها.

(٨) الذرُّ: النمل الصغير، والحَوليّ: الصغير من ولده. وأندَبَتها، أي: أثَّرت فيها، وهو أثر الجرح. والكُلوم: الجِراحات.

(٩) اللُّجين: الفضة.

لم تَفُتْها[1] شمسُ النَّهارِ بشيءٍ غيرَ أنّ الشَّبابَ ليس يَدُومُ
إنَّ خالي خطيبُ جابيَةِ الجَوْ لانِ عندَ النُّعمانِ حينَ يقومُ[2]
وأنا الصَّقرُ عند بابِ ابنِ سَلْمَى يومَ نُعمانُ في الكُبولِ سَقيمُ[3]
وأُبَيٌّ وواقِدٌ أُطلِقا لي يومَ راحا وكَبْلُهم محطومُ[4]
ورَهَنتُ اليدَينِ عنهمْ جميعاً كلُّ كَفٍّ جُزءٌ لها مقسومُ[5]
وَسَطَت نِسبَتي الذَّوائبَ منهمْ كلُّ دارٍ فيها أبٌ لي عظيمُ[6]
وأَبي في سُمَيحةَ القائلُ الفا صِلُ يومَ الْتَقَت عليه الخُصومُ[7]
تلك أفعالُنا، وفِعلُ الزِّبَعرَى خاملٌ في صَديقِه مذمومُ

---

(١) أي: لم تسبقها، وفي رواية «الديوان»: لم تَفُقها.

(٢) الجولان: هي الهضبة الواقعة جنوب غربيّ دمشق، والجابية المضافة إليها: هي المعروفة اليوم بتلّ الجابية، وتقع شمال غرب نوى.

والنعمان هذا: هو ابن الحارث بن أبي شمر الغسّاني أحد ملوك الغساسنة في أطراف الشام قبل الإسلام.

(٣) ابن سلمى: هو النعمان بن الحارث الغسّاني، كما في «نسب معدّ واليمن الكبير» لابن الكلبي ١/ ٤٠٧، قال: وقد قالوا: بل هو النعمان بن المنذر اللَّخمي.

والكُبول: القيود، واحدها: كَبْلٌ. ونعمان وأُبيّ وواقد الذين أُطلقوا لحسان: فهم نعمان بن مالك بن قَوقَل وأُبي بن كعب وواقد بن عمرو ابن الإطنابة، ذكر ذلك البرقوقي في «شرح ديوان حسان» ص٣٧٧، وثلاثتهم من الخزرج رَهْط حسان بن ثابت.

(٤) محطوم، أي: مكسور.

(٥) أي: ضَمِنتهم عند النعمان، من قول الرجل لصاحبه: لك يدي بكذا وكذا.

(٦) وسطت: توسّطَت. والذوائب: الأعالي، أي: الأشراف.

(٧) سُميحة: بئر بالمدينة، كان عندها احتكام الأوس والخزرج في بعض حروبهم إلى ثابت ابن المنذر والد حسان بن ثابت.

رُبَّ حِلْـمٍ أضـاعَه عَـدَمُ المـ ـالِ، وجَهـلٍ غَطَّى عليه النَّعيمُ
لا تَسُـبَّنَّني فلسـتَ بسِـبِّي إنَّ سِبِّي مـن الرّجـالِ الكـريمُ[1]
مـا أُبـالي أَنَـبَّ بـالحَزْنِ تَـيسٌ أمْ لَحَـاني بظَهـرِ غَيـبٍ لئـيمُ[2]
وَلِـيَ البـأسَ مـنكمُ إذْ رَحَلـتُمْ أُسـرةٌ مـن بنـي قُصَـيٍّ صَـميمُ[3]
تِسـعةٌ تَحمِـلُ اللِّـواءَ وطـارَتْ في رَعَـاعٍ مـن القَنَـا مخـزومُ[4]
وأَقـاموا حتّـى أُبِيحـوا جميعـاً في مَقـامٍ وكلُّهـمْ مـذمومُ[5]
بـدَمٍ عانِـكٍ[6] وكـان حِفَاظـاً أن يُقِيمـوا إنَّ الكـريمَ كَـريمُ
وأقـاموا حتّـى أُزِيـروا شَـعُوباً والقَنَـا في نُحـورِهم محطـومُ[7]

---

(١) السِّبّ: هو الذي يقاوم الرجلَ في السَّب، ويكون شرفه مثل شرفه.

(٢) نبَّ: صاح. والحَزْن: ما غَلُظ من الأرض. والتيس: أراد به تيسَ الجبل. ولَحَاني: شتمني وذكرني عائباً.

يقول: إنه يتساوى عندي نبيبُ التيس بالحَزْن وشتم اللئيم إيّايَ من ورائي، فإني لا أكترث به.

(٣) البأس: الحرب. والصميم: الخالص النَّسب. يريد التنويه ببني عبد الدار بن قصيٍّ حَمَلة لواء المشركين إذ صبروا يوم أُحد، ويريد التشهير ببني مخزومٍ إذ انهزموا.

(٤) الرَّعاع: الضعفاء. ومن القنا، أي: خوفاً من القنا، وهي الرِّماح.

(٥) حتى أُبيحوا، أي: حتى أُبيدوا وقُتلوا. وقوله: وكلهم مذموم، قال البرقوقيُّ في «شرحه»: يروى بالذال المعجمة ومعناه: يسيل دمه دون انقطاعٍ من قولهم: بئرٌ ذَمِيمة، أي: غزيرة المياه، ويروى بالدال المهملة، أي: جريح مطليّ بالدم.

(٦) هكذا في (ت) و(ش١) و(ص) و(غ)، ومعناه: أحمر، وفي (ي): عاتك، بتاءٍ، ومعناه: شديد الحُمرة، وفي (ز): عاند، أي: لا ينقطع. والحِفاظ: يعني به المحافظة على العهد والدفاع عن الحُرَم.

(٧) شَعُوبُ: اسم للمنيّة، لا يُصرَف، وإنما صُرِف هنا للضرورة الشِّعرية.

وقـــريشٌ تَفِـــرُّ منّـــا لِـــوَاذاً ... أن يُقِيموا وخَفَّ منها الحُلومُ[1]

لـم تُطِـقْ حَملَـهُ العَواتِـقُ مـنهمْ ... إنّمـا يَحمِـلُ اللِّـواءَ النُّجـومُ[2]

قال ابن هشام: قال حسّانُ هذه القصيدةَ: مَنَعَ النّومَ بالعِشاءِ الهمومُ، ليلاً، فدعا قومَه فقال لهم: خَشِيتُ أن يُدرِكَني أَجَلي قبل أن أُصبِحَ فلا تَروُوها عنّي[3].

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدةَ للحَجّاج بن عِلَاطٍ السُّلَميّ يمدحُ أبا الحسن عليَّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، ويذكرُ قتلَه طلحةَ بن أبي طلحة بن عبد العُزّى بن عثمانَ بن عبد الدّار صاحبَ لواءِ المشركين يومَ أُحدٍ:

لله أيُّ مُـــذبِّبٍ عـــن حُرمـــةٍ ... أَعني ابنَ فاطمـةَ المُعَمَّ المُخْوَلا[4]

سَـبَقَت يـداكَ لـه بعاجِـلِ طَعنـةٍ ... تَرَكَـت طُلَيحـةَ للجَبـينِ مُجَـدَّلا[5]

وشَـدَدتَ شَـدّةَ باسِـلٍ فكَشَـفتَهمْ ... بـالجَرِّ إذ يَهْـوُون أَخـوَلَ أَخـوَلا[6]

---

(١) لِواذاً: مستترين. والحُلوم: العُقول، الواحد: حِلْم.

(٢) العواتق: جمع عاتق، وهي هنا المرأة، يشير حسان إلى عَمْرةَ بنت علقمة الحارثية حين رفعت لواء قريش بعد أن قُتل حَمَلَتُه من بني عبد الدار كما تقدم ص٥٦. والنجوم هنا: الأشراف المشاهير من الناس.

(٣) قول ابن هشام هذا من (غ) ونسخة على حاشية (ش١).

(٤) المذبِّب: المدافع عن الشيء، يقال: ذَبَّب عن حُرَمه: إذا دفع عنها. وابن فاطمة: يريد عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فأمُّه هي فاطمة بنت أسد بن هاشم، قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٥٨: وهي أول هاشميّة وَلَدَت لهاشميّ.

ومُعَمٌّ مُخوَل، أي: كثير الأعمام والأخوال كريمُهم، يقالانِ بفتح العين والواو وبكسرهما، ومنع الأصمعيُّ الكسرَ فيهما.

(٥) المجدَّل: اللاصق بالأرض.

(٦) الباسل: الشجاع. والجرّ: أصل الجبل، ويعني به هنا جبل أُحد. ويهوون: يسقطون. =

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ يبكي حمزةَ بن عبد المُطَّلِب ومَن أُصيبَ من أصحاب رسول الله ﷺ يومَ أُحدٍ:

يـا مَـيَّ قُـومِي فانـدُبِي بسُـحَيرةٍ شَـجْوَ النّـوائحْ[1]
كالحـاملاتِ الـوِقرَ بالـ ـثِّقَـلِ المُلِحّـاتِ الـدَّوالحْ[2]
المُعْـوِلاتِ الخامشـا تِ وُجـوهَ حُـرّاتٍ صَـحائحْ[3]
وكـأنّ سَـيلَ دُموعِهـا الـ أنصـابُ تُخضَـبُ بالـذّبائحْ[4]
يَنقُضـنَ أشـعاراً لَهُـ ـنَّ هُنـاكَ باديـةَ المَسـائحْ[5]
وكأنّهـا أذنـابُ خَيـ ـلٍ بالضُّحَى شُمْسٍ رَوامِحْ[6]
مـن بـينِ مَشـرورٍ ومَجـ ـزُورٍ يُذَعـذَعُ بـالبَوارحْ[7]

= وأخوَلَ أخوَلاً، أي: واحداً بعد واحد.

(١) قوله: فاندبي بسُحيرة، وفي (ز) و(ش١): فاندُبِنَّ بسُحْرة، وفي (ي): فاندُبِين بسُحرة، أي: ابكي وقت السَّحَر. والشَّجو: الحُزن.

(٢) الوِقْر: الحِمْل. والمُلحّات، أي: الثابتات التي لا تَبرح. والدوالح: جمع دالحة، وهي المُثقَلة.

(٣) المُعوِلات: الباكيات بصوت. والخامشات: الخادشات.

(٤) الأنصاب: حجارة كانوا يذبحون لها ويطلونها بالدم. وتُخضَب: تُطلَى.

(٥) المسائح: جدائل الشَّعر، الواحدة: مَسِيحة.

(٦) الشُّمس: النوافر، وهي جمع شَمُوس. والروامح: التي تَرمَح بأرجلها، أي: تدفع عنها.

(٧) مشرور (كما في: ز، ي) أي: مفرَّق، قال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ١٤٩: يقال: شَرَرتُ المِلحَ، إذا فرّقتَه. اهـ، وفي (غ) وحاشية (ش١): مشزور، ومعناه: مفتول، وفي (ت) و(ص) و(م) وحاشية (ز): مشذور، ولعلّ معناه: مفرَّق أيضاً. ومجزور: مذبوح. ويُذعذَع: يُفرَّق. والبوارح: الرياح الشديدة.

يَبكِـــينَ شَـــجْوَ مُســـلَّبا تٍ كَـــدَّحَتهُنّ الكَـــوادِحْ[1]

ولقـــد أصـــابَ قلوبَهـــا مَجْـــلٌ لـــه جُلَـــبٌ قَـــوارِحْ[2]

إذْ أَقصَـــدَ الحَـــدَثانُ مَـــن كُنّـــا نُرجِّـــي إذْ نُشـــايِحْ[3]

أصـــحابَ أُحْـــدٍ غـــالَهمْ دَهـــرٌ أَلَـــمَّ لـــه جَـــوارِحْ[4]

مَـــن كـــان فارِسَـــنا وحـــا مِينَـــا إذا بُعِـــثَ المَســـالِحْ[5]

يـــا حَمْـــزَ، لا واللهِ لا أنســـاكَ مـــا صُـــرَّ اللَّقـــائحْ[6]

لِمُنـــاخِ أَيتـــامٍ وأضيـــ ـــافٍ وأَرمَلَـــةٍ تُلامِـــحْ[7]

ولِمَـــا يَنُـــوبُ الـــدَّهرُ في حـــربٍ لحـــربٍ وهْـــيَ لاقِـــحْ[8]

يـــا فارســـاً يـــا مِـــدرَهاً يا حَمْـزَ قد كنتَ المُصامِحْ[9]

---

(١) الشَّجو: الحُزن. والمسلَّبات ـ بفتح اللام وكسرها ـ: اللائي يلبسن السِّلَاب، وهي ثياب الحزن. وكدَّحتهن: أثَّرت فيهن. والكوادح: نوائب الدهر.

(٢) مَجْل، أي: جرح فيه ماء. وجُلَب: جمع جُلْبة، وهي قشرة الجرح التي تكون عند الشفاء منه. وقوارح: مُوجِعة.

(٣) أَقصَد: أصاب. والحَدَثان: حادث الدهر. ونُشايح: نحاذر.

(٤) غالَهم: أهلكهم. وألمَّ: نزل.

(٥) المَسالح: القوم معهم السلاح يُقدَّمون طليعةً للجيش.

(٦) صُرَّ، أي: رُبطت ضروعها ليجتمع فيها اللَّبن. واللقائح: جمع لِقْحة، وهي الناقة التي لها لبنٌ.

(٧) المُناخ: المنزل. وتلامح، أي: تنظر بعينيها نظراً سريعاً ثم تغضّها.

(٨) ينوب الدهر، أي: ما يأتي به الدهر من النوائب، وهي الشدائد والمصائب. واللَّاقح من الحروب: التي يتزايد شرُّها.

(٩) المِدرَه: المدافع عن القوم بلسانه ويده. والمصامح: المدافع الشديد، ويروى بالفاء: =

عنّـــا شَـــديداتِ الخُطـــو بِ إذا يَنُـــوبُ لهـــنَّ فـــادِحْ[1]

ذَكّرتَنـــي أسَـــدَ الرَّسُـــو لِ، وذاكَ مِـــدرَهُنا المُنـــافِحْ[2]

عنّـــا وكـــان يُعَـــدُّ إذْ عُـــدَّ الشَّـــريفُونَ الجَحـــاجِحْ[3]

يَعلُـــو القَمـــاقِمَ جَهْـــرةً سَـــبْطَ اليـــدَينِ أغَـــرَّ واضِـــحْ[4]

لا طـــائشٌ رَعِـــشٌ ولا ذو عِلّـــةٍ بالحِمْـــلِ آنِـــحْ[5]

بحـــرٌ فلـــيس يُغِـــبُّ جـــا راً منـــه سَـــيْبٌ أو مَنـــادِحْ[6]

أَودَى شَـــبابُ أُولِـــي الحَفـــا ئـــظِ والثَّقِيلـــونَ المَـــراجِحْ[7]

المُطعِمـــونَ إذا المَشَـــا تي مـــا يُصـــفِّقُهُنَّ ناضِـــحْ[8]

= المصافح، وهو الرادُّ للشيء، تقول: أتاني فلان فصَفَحتُه عن حاجته، أي: رَدَدته عنها.

(١) الفادح: الثقيل الشديد.

(٢) المنافح: المدافع عن القوم، وكان حمزة ينافح عن رسول الله ﷺ.

(٣) الجحاجح: جمع جَحْجاح، وهو السيِّد.

(٤) القماقم: السادة، وسَبْط اليدين: جواد، ويقال للبخيل: جَعْد اليدين. وأغرُّ: أبيض. وواضح: مضيء مشرق.

(٥) الطائش: الخفيف الذي ليس له وَقارٌ. ورَعِش، أي: جبان. والآنح: البعير الذي إذا حمل الشيء الثقيل أخرج من صدره صوت المعتصِر.

(٦) يُغِبّ: من الغبِّ، وهو أن يعطيه يوماً ويتركه يوماً. والسَّيب: العطاء. والمنادح: جمع مَندَحة، وهي الكَثْرة والسَّعَة، ويروى: منائح، والمنائح: العطايا.

(٧) أَودى: هَلَك. والحفائظ: جمع حفيظة، وهي الغضب. والمراجح: الذين يزيدون على غيرهم في الحِلْم.

(٨) المشاتي: جمع مَشْتاة، وهي زمن الجَدْب. وما يُصفّقهن، أي: ما يحلبهن مرّة واحدة في اليوم، ومن رواه: ما يصفّفهن، بالفاء، فمعناه: ما يحلبهن بجميع الكفّ. والناضح: الذي يشرب دون الرِّيّ.

لحـــمَ الجِـــلَادِ وفَوقَـــهُ مـن شَـحمِه شُـطَبٌ شَـرائحْ[1]

ليُـــدافِعوا عـــن جـــارِهمْ ما رامَ ذو الضِّـغْنِ المُكاشِـحْ[2]

لَهْفـــي لشُـــبّانٍ رُزِئْـــ ـناهمْ كـــأنّهمُ المَصـــابِحْ[3]

شُـــمٍّ بَطارِقـــةٍ غَطـــا رِفـــةٍ خَضـــارِمةٍ مَســـامِحْ[4]

المُشـــتَرونَ الحَمـــدَ بالْـــ أَمـــوالِ إنَّ الحمـــدَ رابِـــحْ

والجـــامِزُونَ بلُجْمِهـــمْ يومـــاً إذا مـــا صـــاحَ صـــائحْ[5]

مَـــن كـــان يُرمَـــى بـــالنَّوا قِـــرِ مـــن زمـــانٍ غيـــرِ صـــالحْ[6]

مـــا إنْ تَـــزالُ رِكابُـــهُ يَرسُـــمنَ في غُبْـــرٍ صَحاصِـــحْ[7]

راحَـــتْ تَبـــارَى وهْـــوَ في رَكْـــبٍ صُـــدورُهمُ رَواشِـــحْ[8]

---

(١) الجِلاد: الإبل القوية، أو الغزيرة اللبن. والشُّطَب: جمع شَطْبة، وهي قطعة من سنام البعير تُقطَع طولاً.

(٢) ما رامَ، أي: إذا أراد. والضِّغن: العداوة. والمكاشح: المعادي.

(٣) رُزِئناهم: أُصبنا بهم وفقدناهم.

(٤) شُمّ: أعزّاء. وبطارقة: رؤساء. وغطارفة: سادة. والخضارمة: الذين يُكثِرون العطاء. والمَسامح: الأجواد.

(٥) الجامزون: الواثبون. ولُجْم: جمع لِجام، وهو بضم الجيم وسُكّن للشِّعر، وهو الحبل الذي يوضع في فم الخيل.

(٦) النواقر: غوائل الدهر التي تنقِّر عن الإنسان، أي: تبحث عنه، ويروى: البواقر، بالباء، وهي الدواهي.

(٧) الرِّكاب: الإبل. ويَرسُمن، من الرَّسْم: وهو ضربٌ من سير الإبل. والصحاصح: جمع صَحصَح، وهو الأرض المستوية الملساء.

(٨) تَبارَى، أي: تتبارى، أي: تتعارض. ورواشح، أي: أنها تَرشَح بالعَرَق.

حتّى تَؤُوبَ لَه المَعالي لَيس مِن فَوْرِ السَّفائحْ[1]

يا حَمْزَ قد أَوحَدْتَني كالعُودِ شَذَّبَه الكَوافِحْ[2]

أشكو إليكَ وفَوقَكَ الـ ـتُّربُ المُكوَّرُ والصَّفائحْ[3]

من جَندَلٍ نُلقِيهِ فَو قَكَ إذْ أجادَ الضَّرحَ ضارِحْ[4]

في واسِعٍ يَحشُونَهُ بالتُّربِ سَوَّتْه المَماسِحْ[5]

فعَزاؤُنا أنّا نَقو لُ وقولُنا بَرْحٌ بَوارِحْ[6]

مَن كان أَمسى وهْوَ عمّا أَوقَعَ الحَدَثانُ جانِحْ[7]

فليَأتِنا فلتَبكِ عَيْـ ـناهُ لهَلْكانا النَّوافِحْ[8]

القائِلينَ الفاعِلينَ ذَوِي السَّماحةِ والمَمادِحْ

مَن لا يَزالُ نَدَى يَدَيـ ـهِ لَه طَوَالَ الدَّهرِ مائحْ[9]

---

(١) تؤوب: ترجع. والسفائح: جمع سَفِيح، وهو من قِداح المَيسِر. وفَورُها ـ بالراء ـ: حركتها قبل أن تسكن. يقول: إن المعالي ترجع تأوي إليه، فهي من طبعه وفعاله وليست ضربة حظٍّ من قداح حُرِّكت في مَيسِر، والله تعالى أعلم.

(٢) شذَّبه: أزال أغصانه وشوكه. والكوافح: الذين يتناولونه بالقطع.

(٣) المكوَّر: الذي بعضه فوق بعض. والصفائح: الحجارة العريضة.

(٤) الجندل: الحجارة. والضَّرح: الشَّق، ويعني به شَقَّ القبر.

(٥) يحشونه: يملؤونه. والمماسح: ما يُمسح به التراب ويُسوّى.

(٦) البَرْح: الأمر الشاقّ.

(٧) الحَدَثان: حادث الدهر. والجانح: المائل إلى جهة.

(٨) النوافح: الذين كانوا يَنفَحون بالمعروف، أي: يُعطُون العطاءَ ويَسعَون به.

(٩) المائح: الذي ينزل في البئر فيملأ الدَّلو إذا كان ماؤها قليلاً، ويروى: الماتح، بالتاء، أي: الذي يَجذِب الدَّلو عليه، فضربهما مثلاً للقاصدين له، الذين يتقصَّدون معروفَه.

قال ابن هشام: وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها لحسّان، وبيتُه: المُطعِمون إذا المَشَاتي، وبيتُه: والجامِزُون بلُجْمِهم، وبيتُه: مَن كان يُرمَى بالنّواقر، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً يبكي حمزةَ بن عبد المُطَّلِب[1]:

أتعرِفُ الدّارَ عَفَا رَسْمَها ... بعدَكَ صَوْبُ المُسبِلِ الهاطلِ[2]

بينَ السَّراديحِ فأُدمانِهِ ... فمَدفَعِ الرَّوحاءِ في حائلِ[3]

ساءَلْتُها عن ذاكَ فاستَعجَمَت ... لم تَدْرِ ما مَرجُوعةُ السّائلِ[4]

دَعْ عنكَ داراً قد عَفَا رَسْمُها ... وابْكِ على حمزةَ ذي النّائلِ[5]

المالِئِ الشِّيزَى إذا أعصَفَت ... غَبْراءُ في ذي الشَّبَمِ الماحلِ[6]

---

(١) انظر «ديوان حسان» ١/ ٣٢١.

(٢) عفا: مَحَا وغيّر. والرَّسم: الأثر. والصَّوب: المطر. والمُسبِل: المطر السائل. والهاطل: الكثير السَّيلان.

(٣) سراديح: جمع سِرداح، وهو الوادي، أو المكان المتّسع. والمَدفَع: الموضع الذي يندفع فيه السَّيل.

وأما أُدْمان: فهو اسم شِعب قريب من بدر، بينهما ثلاثة أميال.

والروحاء: تقع في الجنوب الغربي من المدينة على قرابة ٧٠ كم على الطريق إلى بدر.

وحائل: اسم جبل فيما قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٦٢.

(٤) استعجمت، أي: لم تردَّ جواباً. ومرجوعة السائل: يعني به رجوع الجواب.

(٥) النائل: العطاء.

(٦) الشِّيزى: قِصَاع من خشب يقدَّم فيها الطعام للأضياف. وأَعصفَت: اشتدّ هبوبها. والغبراء: الريح التي تثير الغبار. والشَّبَم: البَرْد، ويريد بذي الشَّبم: زمن اشتداد البرد والقحط. والماحل: من المَحْل، وهو الجَدْب.

والتّـارِكِ القِـرْنَ لَـدَى لِبْـدةٍ ... يَعثُـرُ في ذي الخُـرُصِ الـذّابلِ[1]

واللّابسِ الخيـلَ إذا أَجحَمَت ... كاللَّيـثِ في غابتِـهِ الباسِـلِ[2]

أبـيَضُ في الـذِّرْوةِ مـن هاشـمٍ ... لـم يَمْـرِ دونَ الحـقِّ بالباطـلِ[3]

مـالَ شـهيداً بـين أسـيافِكمْ ... شَـلَّتْ يَـدَا وَحْشـيَّ مِـن قاتـلِ[4]

أيَّ امـرِئٍ غـادَرَ في أَلّـةٍ ... مَطـرُورةٍ مارِنَـةِ العامـلِ[5]

أظلَمَـت الأرضُ لِفقْدانِـهِ ... واسـوَدَّ نـورُ القمـرِ النّاصـلِ[6]

صَـلَّى عليـه اللهُ في جَنّـةٍ ... عاليـةٍ مُكرَمـةِ الـدّاخلِ

كنّـا نَـرَى حمـزةَ حِـرْزاً لنـا ... في كـلِّ أمـرٍ نابَنـا نـازلِ[7]

---

(١) القِرن: الكفء في الشجاعة. واللِّبدة: الغبار المتلبّد، ويروى: لدى لبدِه، بالهاء، واللِّبد: ما يوضع فوق الفرس تحت السّرج. وذو الخُرص: الرّمح، والخُرص: سِنانُه. والذابل: الرقيق الشديد.

(٢) اللابس الخيلَ، أي: الذي يخالطها ويغشاها في ساحة الوغى. وأجحَمَت، وفي (م): أحجمت، وقيّد في (ش١) بالوجهين: تأخّرت وهابت. والباسل: الكريه الشديد.

(٣) أبيض: يريد بياض عِرضه ونقاءَه. وفي الذّروة من بني هاشم، أي: في المنزلة الرفيعة منها. لم يَمْرِ: من المِراء، وهو الجِدال، أي: لا يدفع حقّاً بباطل.

(٤) ترك التنوين من وحشيٍّ للضرورة، والعَلَم قد يُترَك صرفُه كثيراً. قاله السهيليُّ في «الروض الأنف» ٦/ ١٥١.

(٥) والألّة: الحَرْبة لها سِنان طويل. والمطرورة: المحدَّدة. ومارنة، أي: ليّنة. والعامل: أعلى الرمح.

وفي «الديوان»: إن امرأً غُودِر في ألّة. ومعنى غُودر: تُرك.

(٦) الناصل: الخارج من السّحاب، يقال: نَصَلَ القمرُ من السحاب، إذا خرج منه.

(٧) حِرزاً: حافظاً. ونابنا: أصابنا.

وكـــان في الإســـلامِ ذا تُـــدْرَأٍ ... يَكْفيـك فَقْـدَ القاعـدِ الخـاذلِ[1]

لا تَفرَحـي يـا هِنـدُ واستَحْلِبي ... دمعـاً وأَذْرِي عَبْـرةَ الثّاكـلِ[2]

وابكـي علـى عُتْبـةَ إذْ قَطَّـهُ ... بالسّيفِ تحت الرَّهَجِ الجائلِ[3]

إذا خَـرَّ في مَشـيَخةٍ مـنكمُ ... مـن كـلِّ عـاتٍ قَلبُـه جاهـلِ[4]

أَرْداهـمُ حمـزةُ في أُسـرةٍ ... يَمشُون تحت الحَلَقِ الفاضلِ[5]

غَـداةَ جِبريـلُ وَزِيـرٌ لـهُ ... نِعـمَ وزيـرُ الفـارسِ الحامـلِ[6]

وقال كعبُ بن مالكٍ يبكي حمزةَ بن عبد المُطَّلب:

طَرَقَـت همومُـك فالرُّقَـادُ مُسـهَّدُ ... وجَزِعتَ أن سُلِخَ الشَّبابُ الأَغيَدُ[7]

ودَعَـتْ فُـؤادَك للهَـوَى ضَـمْريَّةٌ ... فهَـوَاكَ غَـوْريٌّ وصَـحْبُك مُنجِـدُ[8]

---

(١) ذا تُدرَأ، أي: ذا قوة على دفع أعدائه، لا يتوقّاهم ولا يهابهم.

(٢) هند: هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، زوج أبي سفيان.

وقوله: استحلبي دمعاً، أي: اسكبيه واذرفيه. وأَذري: صُبّي. والعَبْرة: الدمعة. والثاكل: الفاقد لحبيبه.

(٣) قطَّه: قَطَعه. والرَّهَج: الغبار. والجائل: المتحرك ذاهباً راجعاً.

(٤) خرَّ: سقط. ومشيخة: يريد من قتل يوم بدر من عِلْية قريش. والعاتي: الشديد الفساد المتمرد الذي لا يقبل موعظة.

(٥) أرداهم: أهلكهم. والأسرة: عشيرة الرجل ورهطه. والحَلَق: الدروع. والفاضل: الذي يفضل من الدرع وينجرّ على الأرض.

(٦) وزير، أي: مُعِين. والحامل: الذي يحمل عن الناس ما يهمّهم.

(٧) طَرَقَت، أي: زارته ليلاً. والمسهَّد: القليل النوم. وسُلِخ: أُزيل. والأَغيَد: الناعم.

(٨) ضمريّة: امرأة منسوبة إلى بني ضمرة. وغَوريّ: نسبة إلى الغَور، وهو المنخفض من الأرض. ومُنجِد: نسبة إلى النَّجد، وهو المرتفع عمّا حوله من الأرض.

فـدَعِ التَّمـادي في الغَوَايـةِ سـادِراً ... قـد كنـتَ في طَلَـبِ الغَوَايـةِ تُفنَـدُ[1]

ولقـد أَنَـى لـك أن تَنـاهَى طائعـاً ... أو تَسـتفِيقَ إذا نَهـاكَ المُرشِـدُ[2]

ولقـد هُـدِدتُ لفَقْـدِ حمـزةَ هَـدَّةً ... ظَلَّـت بَنـاتُ الجَـوفِ منهـا تُرعَـدُ[3]

ولـوَ انَّـهُ فُجِعَـت حِـراءُ بمِثلِـهِ ... لَرأيـتَ راسِـيَ صَـخرِها يَتَبَـدّدُ[4]

قَـرْمٌ تَمكَّـنَ في ذُؤابـةِ هاشـمٍ ... حيـثُ النُّبـوّةُ والنَّـدَى والسُّـودَدُ[5]

والعـاقِرُ الكُـومَ الجِـلادَ إذا غَـدَتْ ... ريـحٌ يكـادُ المـاءُ منهـا يَجمُـدُ[6]

والتّـارِكُ القِـرْنَ الكَمِـيَّ مُجـدَّلاً ... يـومَ الكَريهـةِ والقَنـا يَتقصَّـدُ[7]

وتَـرَاه يَرفُـلُ في الحديـدِ كأنَّـهُ ... ذو لِبْـدةٍ شَـثْنُ البَـراثِنِ أَربَـدُ[8]

---

(١) الغَواية: الضلال. والسادر: المتحيِّر. وتُفنَد: تُلام وتُكذَّب.

(٢) أَنَى: حان. وتَناهى، أي: تتناهى، فحذف تاء المضارع، وتناهى عن الشيء: كفَّ عنه.

(٣) بنات الجوف: يعني قلبه وما اتّصل به من كبده وأمعائه، وسمّاها بنات الجوف، لأن الجوف يشتمل عليها.

(٤) حراء: الجبل المعروف بمكة، وأنّثه هنا حملاً على البُقعة. والرَّاسي: الثابت. ويتبدّد، أي: يتفرّق.

(٥) القَرْم: السيّد الشريف. وذؤابة بني هاشم: أعاليهم. والنّدى: الكرم. والسُّودَد: السيادة والشرف.

(٦) العاقر: يعني الذابح والناحر. والكُوم: جمع كَوماء، وهي العظيمة السّنام من الإبل. والجِلاد: الإبل القوية، أو الغزيرة اللبن. يقول: إنه كان يُطعِم في زمن القحط والجفاف.

(٧) القِرن: النظير في الشجاعة. والكَميّ: الشجاع. ومجدَّلاً: مطروحاً على الجَدَالة، وهي الأرض. والقنا: الرماح. ويتقصد: ينكسر.

(٨) يرفل: يجرّ. ذو لبدة: يعني أَسداً، واللِّبدة: الشعر الذي على كتفي الأسد. وشَثْن: غليظ. والبراثن للسِّباع بمنزلة الأصابع للناس. والأَربَد: الأغبر يخالطه سواد.

عَـمُّ النبـيِّ محمّـدٍ وصَـفِيُّهُ ... وَرَدَ الحِمـامَ فطـابَ ذاكَ المَـوردُ[1]

وأَتـى المَنيَّـةَ مُعلِمـاً في أُسْـرةٍ ... نَصَـروا النبـيَّ ومـنهم المُستشـهَدُ[2]

ولقـد إخَـالُ بـذاكَ هِنـداً بُشِّـرَت ... لتُمِيـتَ داخـلَ غُصّـةٍ لا تَبْـرُدُ[3]

مِمّـا صَـبَحْنا بالعَقَنقَـلِ قومَهـا ... يومـاً تَغيَّـبَ فيـهِ عنهـا الأَسـعَدُ[4]

وببئـرِ بـدرٍ إذ يَـرُدُّ وُجـوهَهمْ ... جِبريـلُ تحـتَ لوائِنـا ومحمّـدُ

حتّـى رأيـتُ لَـدَى النبـيِّ سَـراتَهمْ ... قِسـمَينِ يَقتُـلُ مَـن يَشـاءُ ويَطـرُدُ[5]

فأقـامَ بـالعَطَنِ المُعطَّـنِ مـنهمُ ... سـبعونَ عُتْبـةُ مـنهمُ والأسـوَدُ[6]

وابـنَ المُغيـرةِ قـد ضَـرَبْنا ضـربةً ... فـوقَ الوَريـدِ لهـا رَشَـاشٌ مُزبِـدُ[7]

وأُميّـةُ الجُمَحـيُّ قَـوَّمَ مَيلَـهُ ... عَضْـبٌ بأيـدي المـؤمنينَ مُهنَّـدُ[8]

فأَتـاكَ فَـلُّ المشـركينَ كـأنَّهمْ ... والخيـلُ تَثفِـنُهمْ نَعَـامٌ شُـرَّدُ[9]

---

(١) صفيّه: صاحبه الذي اختاره واصطفاه. والحِمام: الموت.

(٢) مُعلِماً: مُشهِراً نفسه بعلامة يعرف بها في الحرب. والأُسرة: الرَّهط.

(٣) إخال، بكسر الهمزة وفتحها: أظنّ. والغُصّة: ما يعترض في الحلق فيَشرَق به. وقوله: لا تبرد، أي: لا ينتهي حزنها أبداً.

(٤) العقنقل: التلّ من الرمل. والأسعد: السَّعد والسرور.

(٥) سَراتهم: خِيارهم وسادتهم.

(٦) العطن: مبرك الإبل حول الماء، يريد بئر بدر. والمعطن: الذي قد اعتيد أن يُتَّخذ عطناً. وعتبة: هو ابن ربيعة بن عبد شمس والد هند، والأسود: هو ابن عبد الأسد المخزومي.

(٧) ابن المغيرة: يريد عمرو بن هشام بن المغيرة أبا جهل. والوريد: عرق في جانب العنق. والرَّشاش المُزبِد: الدم تعلوه رَغْوة.

(٨) العَضْب: السيف القاطع. والمهنَّد: المصنوع من حديد الهند.

(٩) الفَلّ: القوم المنهزمون. وتثفنهم: تطردهم وتتبع آثارهم.

شَتّانَ مَن هوَ في جهنّمَ ثاوِياً أبداً ومَن هوَ في الجِنانِ مُخلَّدُ[1]

وقال كعبٌ أيضاً يبكي حمزةَ[2]:

صَفيَّةُ قومي ولا تَعجِزي وبَكِّي النّساءَ على حمزةِ[3]
ولا تَسأَمي أن تُطِيلي البُكَا على أَسَدِ الله في الهَزَّةِ[4]
فقد كانَ عِزّاً لأيتامِنا وليثَ المَلاحمِ في البِزَّةِ[5]
يريدُ بذاكَ رِضا أَحمدٍ ورِضوانَ ذي العَرشِ والعِزّةِ

وقال كعبٌ أيضاً في أُحدٍ[6]:

إنّكِ عَمْرُ أبيكِ الكَريـ ـمِ إنْ تَسأَلي عنكِ مَن يَجتَدينا[7]
فإنْ تَسأَلي ثُمّ لا تُكذَبي يُخبِّرْكِ مَن قد سألتِ اليَقِينا
بأنّا لَيالِيَ ذاتِ العِظا مِ كُنّا ثِمالاً لمَن يَعتَرينا[8]
تَلوذُ النَّجُودُ بأَذْرائِنا من الضُّرِّ في أَزَماتِ السِّنِينا[9]

---

(١) شتّان، أي: بَعُدَ ما بينهما. وثاوياً، أي: مقيماً.

(٢) انظر «ديوانه» صنعة مجيد طراد ص٣١.

(٣) بكِّي النساء، أي: هيِّجيهنّ على البكاء.

(٤) الهزة: الاهتزاز والاختلاط في الحرب.

(٥) الملاحم: جمع ملحمة، وهي الحرب التي يكثر القتل فيها. والبِزّة: السلاح.

(٦) انظر «ديوانه» ص١٠١.

(٧) عَمرُ أبيك، قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٦٦: يجوز فيه الرفع والنصب، وإذا أدخلت عليه اللام فقيل: لعَمرُ أبيك، لم يجز فيه إلا الرفع. ويجتدينا: يطلب معروفنا.

(٨) ليالي ذات العظام: ليالي الجوع التي تجمع فيها العظام فتطبخ، فيستخرج دهنها فيُؤتدَم به. والثِّمال: الغِياث. ويعترينا: يزورنا.

(٩) النَّجود، بفتح النون: المرأة المكروبة، ويروى: البُجُود (كما في: غ): وهو جمع بَجْد، =

بجَـدْوى فُضـولِ أُولـي وُجْـدِنا وبالصّبـرِ والبَـذْلِ في المُعـدِمينا[1]
وأَبقَـتْ لنـا جَلَمـاتُ الحُـرو بِ ممَّـن نُـوازِي لَـدُنْ أنْ بُرِينـا[2]
مَعـاطِنَ تَهـوِي إليهـا الحُقـو قُ يَحسِـبُها مَـن رَآهـا الفَتِينـا[3]
تُخـيَّسُ فيهـا عِتـاقُ الجِمـا لِ صُـحْماً دَواجِـنَ حُمْـراً وجُونـا[4]
ودُفّـاعُ رَجْـلٍ كمَـوجِ الفُـرَا تِ يَقـدُمُ جَـأْواءَ جُـولاً طَحُونـا[5]
تَـرَى لونَهـا مِثـلَ لـونِ النّجـو مِ رَجْراجـةً تُبْـرِقُ النّاظِرينـا[6]
فـإن كُنـتَ عـن شَـأنِنا جـاهلاً فسَـلْ عنـكَ ذا العِلـمِ ممَّـن يَلِينـا
بنـا كيـفَ نَفعـلُ إن قَلَّصَـتْ عَوَاناً ضَرُوساً عَضُوضـاً حَجُونـا[7]

= وهو الجماعة من الناس. وبأَذرائنا، أي: بنواحينا، واحدها: ذَرًى. والأَزَمات: الشدائد.

(١) الجدوى: العطيّة. والفضول: جمع فَضْل، وهو هنا ما زاد من المال. وأُولي وُجدنا: أصحاب الأموال الواسعة منا، والوُجْد: سَعَة المال.

(٢) جَلَمات الحروب: يعني ما أبقت الحروب من المال. ونوازي: نساوي. وبُرِينا: خُلقنا، وأصله الهمز فسُهِّل.

(٣) المعاطن: مواضع الإبل حول الماء، وأراد بها هنا الإبل بعينها. والفَتين: الحِرَار، وهي الأراضي التي فيها حجارة سُود، سميت بذلك لأنها تشبه ما فُتِن بالنار، أي: أحرق.

(٤) تُخيَّس: تذلَّل. والعِتاق: الكريمة الأصل. والصُّحم: السُّود. والدواجن: المُقيمة بين الناس. والجُون: السُّود، وقد تكون البيض أيضاً، وهو من الأضداد.

(٥) الدَّفّاع: ما يندفع من السَّيل، شبَّه كثرةَ الرَّجْل به، والرَّجل: الرَّجّالة. والفرات: اسم نهر. والجَأْواء: الكتيبة التي لونها بين السَّواد والحُمرة من كثرة السلاح فيها. والجُول: الحركة والاضطراب. والطَّحون: التي تُهلِك ما مرّت به.

(٦) الرجراجة: التي يموج بعضها في بعض. وتُبرق، أي: تحيِّر وتُبهِت.

(٧) قلَّصت، أي: صارت قَلُوصاً، والقَلُوص في الأصل: الناقة الشابّة الشديدة، وهي هنا كناية عن الشدّة في الحرب. والعَوَان: الحرب التي قوتل فيها مرّةً بعد مرّة. والضَّروس: الشديدة =

أَلَسْـــنا نَشُـــدُّ عليهـــا العِصـــا بَ حتّـــى تَـــدُرَّ وحتّـــى تَلِينـــا[1]

ويـــومٍ لـــه رَهَـــجٌ دائـــمٌ شـديدُ التّهـاوُلِ حـامِي الإرِينـا[2]

طويـــلٌ شـــديدُ أُوَارِ القِتـــا لِ تَنْفـــي قَـــواحِزُه المُقْرِفينـــا[3]

تَخـــالُ الكُمـــاةَ بأعراضِـــهِ ثِمـــالاً علـــى لَـــذّةٍ مُتْرَفينـــا[4]

تَعـــاوَرُ أَيمـــانُهمْ بيـــنَهمْ كُـؤوسَ المَنايَـا بحَـدِّ الظُّبِينـا[5]

شَـــهِدْنا فكُنّـــا أُولِـــي بأسِـــهِ وتحـــتَ العَمَايـــةِ والمُعلِمينـــا[6]

بخُـرْسِ الحَسـيسِ حِسـانٍ رِواءٍ وبُصْـرِيَّةٍ قـد أَجِمْـنَ الجُفُونـا[7]

= الفتّاكة. والعَضُوض: الكثيرة العضّ، كناية عن الشدة. والحَجُون: المعوجّة الأسنان.

(١) العِصاب: ما يُعصَب به ضَرْع الناقة ليزيد دَرُّه، قال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ١٥٥: هذا كله من صفة الحرب، شبَّهها بناقة صعبة قلَّصت، أي: صارت قَلُوصاً، أي: إنّا نذلِّل صعبَها، ونليِّن من ضِراسها.

(٢) الرَّهج: الغبار، ويروى: الوهج، وهو الحَرّ. والتهاول: الهول والشدة.

والإرِين: جمع إرَةٍ، وهي الحفرة التي توقد فيها النار، وقد جُمع كجمع المذكَّر السالم، لأنه مؤنَّث محذوف اللام ولام فعله حرف علّة. قاله السهيليُّ.

(٣) الأُوار: الحرّ. والقواحز: من القَحْز، وهو القلق وعدم التثبّت. والمُقرِفون: اللِّئام.

(٤) الكُماة: الشجعان. وبأعراضه، أي: بنواحيه، وثِمالاً: سُكارى. ومترفينا: جمع مُترَف، وهو المُسرِف في التنعّم، ويروى: مُنزِفينا، أي: ذهبت الخمرُ بعقولهم.

(٥) تعاوَرُ: تتداوَلُ. والظُّبين: جمع ظُبَة، وهي حدُّ السيف.

(٦) أُولي: أصحاب. والعَمَاية، وفي (ش١) و(ي): الغَمامة، وكلاهما بمعنًى، وهي السَّحابة. والمُعلِمون: من يُعلِمون أنفسهم بعلامة في الحرب يعرفون بها.

(٧) الخُرْس: التي لا صوت لها، ويعني بها هنا السيوف. ورِواءً، أي: ممتلئة من الدم. وبُصريّة: سيوف منسوبة إلى بُصرَى، مدينة بالشام. وأَجِمن: مَلَلن وكَرِهن. والجفون: أغماد السيوف.

فمـا يَـنفَلِلنَ ومـا يَنحَنِـينَ ... ومـا يَنتَهِـينَ إذا مـا نُهِينـا[1]

كبَـرْقِ الخَريفِ بأَيـدي الكُماةِ ... يُفجِّعـنَ بالطَّـلِّ هامـاً سُـكونا[2]

وعَلَّمَنـا الضَّـربَ آباؤُنـا ... وسـوفَ نُعلِّـمُ أيضـاً بَنِينـا

جِـلادَ الكُمـاةِ وبَـذْلَ التِّلا ... دِ عـن جُـلِّ أحسـابِنا مـا بَقِينـا[3]

إذا مَـرَّ قَـرْنٌ كَفَـى نَسـلُهُ ... وأَورَثَـهُ بعـدَه آخَرِينـا[4]

نَشِـبُّ وتَهلِـكُ آباؤُنـا ... وبَيْنـا نُرَبّـي بَنِينَـا فَنِينـا

سـألتُ بـكَ ابـنَ الزِّبَعـرَى فلَـمْ ... أُنبَّـأْكَ في القـومِ إلّا هَجِينـا

خَبيثـاً تُطِيـفُ بـك المُنـدِياتُ ... مُقِيمـاً على اللُّؤمِ حِينـاً فحِينـا[5]

تَبجَّسـتَ تَهجُـو رسـولَ المَلِيـ ... ـكِ قاتَلَـك اللهُ جِلْفـاً لَعِينـا[6]

تقـولُ الخَنَـا ثـمَّ تَرمِـي بـهِ ... نَقـيَّ الثِّيـابِ تَقيّـاً أَمِينـا[7]

قال ابن هشام: أنشَدَني بيتَه: بنا كيفَ نَفعلُ، والبيتَ الذي يَليهِ والبيتَ الثّالثَ منه وصَدْرَ الرّابع، وبيتَه: نَشِبُّ وتَهلِكُ آباؤُنا، والبيتَ الذي يَليه، والبيتَ الثّالثَ منه، أبو زيدٍ الأنصاريُّ.

---

(١) ينفللن، أي: تنكسر حدودهنّ، يقال: انفلَّ السيفُ، إذا انكسر حدُّه من شدة الضرب.

(٢) الكُماة: الشجعان. والطَّل: ما سال من دمهم ولم يؤخذ له بثأر، وفي (ش١) و(غ): بالظِّل، بظاء، أي: ظلال السيوف. والهام: جمع هامَة، وهي الرأس. وسكوناً: جمع ساكنة، وهو خلاف الحركة والاضطراب.

(٣) الجلاد: المضاربة بالسيوف. والتِّلاد: المال القديم. وجُلُّ الشيء: معظمه.

(٤) القَرْن: الأُمّة من الناس، وبكسر القاف: الذي يقاوم نظيره في شدّة أو قتال أو عِلم.

(٥) المُندِيات: المخزيات يَندَى منها الجبين، والأمور الشَّنيعة.

(٦) تبجّستَ: نطقتَ وأكثرتَ كما يتبجّس الماءُ؛ إذا تفجّر وسال. والجِلف: الغليظ الجافي.

(٧) الخنا: الكلام الذي فيه فُحش. وأراد بنقيّ الثيابِ رسولَ الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالكٍ أيضاً في يوم أُحدٍ:

سائلْ قريشاً غَداةَ السَّفحِ من أُحُدٍ ... ماذا لَقِينا وما لاقَوْا من الهَرَبِ[1]

كنّا الأُسودَ وكانوا النُّمْرَ إذْ زَحَفوا ... ما إن نُراقِبُ من إلٍّ ولا نَسَبِ[2]

فكم تَرَكْنا بها من سيِّدٍ بَطَلٍ ... حامي الذِّمارِ كريمِ الجَدِّ والحَسَبِ[3]

فينا الرّسولُ شِهابٌ ثَمَّ نَتبَعُهُ ... نورٌ مُضِيءٌ له فضلٌ على الشُّهُبِ

الحقُّ مَنطِقُه والعَدلُ سِيرتُهُ ... فمَن يُجِبْه إليه يَنجُ من تَبَبِ[4]

نَجْدُ المُقدَّمِ ماضي الهَمِّ مُعتزِمٌ ... حين القلوبُ على رَجْفٍ من الرُّعُبِ[5]

يَمضي ويَذمُرُنا عن غيرِ معصيةٍ ... كأنَّه البدرُ لم يُطبَعْ على الكَذِبِ[6]

بَدَا لنا فاتّبَعناه نُصدِّقُهُ ... وكذَّبوه فكنّا أسعَدَ العربِ

جالُوا وجُلْنا فما فاؤُوا وما رَجَعوا ... ونحنُ نَثْفِنُهُمْ لم نَألُ في الطَّلَبِ[7]

ليسا سَواءً وشَتَّى بين أمرِهما ... حِزبُ الإلٰهِ وأهلُ الشِّركِ والنُّصُبِ[8]

قال ابن هشام: أنشدني من قوله: يمضي ويَذمُرنا إلى آخرِها، أبو زيدٍ الأنصاريُّ.

---

(١) السفح: جانب الجبل مما يلي أصله.

(٢) النُّمر: جمع نَمِرٍ، وهو معروف. والإلّ: العهد والقرابة. يقول: كان القتال دائراً بين هؤلاء الشجعان لا ينظرون إلى الأحساب والأنساب.

(٣) الذِّمار: ما يجب على الرجل أن يحميه من عِرض ومال وغيرهما.

(٤) التَّبب: الهلاك والخسران.

(٥) النَّجد: الشجاع، ونجد المقدَّم، أي: شجاع مِقدام غير هيّاب صاحب نَجْدة. والرَّجف: الاضطراب والارتجاف. والرُّعب: الفزع.

(٦) يذمرنا: يحضُّنا. ولم يطبع، أي: لم يُخلَق.

(٧) جالوا: تحرّكوا. وفاؤوا: رَجَعوا. ونثفنهم: نطردهم ونتبع آثارهم. ولم نألُ: لم نقصّر.

(٨) النُّصب: ما نُصِبَ وعُبِد من دون الله تعالى.

قال ابن إسحاق: وقال عبدُ الله بن رَوَاحة يبكي حمزةَ بن عبد المُطَّلِب ـ قال ابن هشام: أنشَدَنِيها أبو زيدٍ الأنصاريُّ لكعب بن مالكٍ[1] ـ:

بَكَتْ عَيْني وحُقَّ لها بُكَاها ... وما يُغْني البكاءُ ولا العَويلُ[2]

على أسَدِ الإلٰهِ غَداةَ قالوا ... أحمزةُ ذاكمُ الرّجُلُ القَتيلُ

أُصيبَ المسلمونَ به جميعاً ... هناكَ وقد أُصيبَ به الرّسولُ

أبا يَعلَى لك الأركانُ هُدَّتْ ... وأنتَ الماجِدُ البَرُّ الوَصُولُ[3]

عليك سَلامُ ربِّك في جِنانٍ ... مُخالِطُها نَعيمٌ لا يَزُولُ

ألا يا هاشمُ الأخيارُ صَبْراً ... فكلُّ فِعالِكمْ حَسَنٌ جميلُ

رسولُ الله مُصطبِرٌ كريمٌ ... بأمرِ الله يَنطِقُ إذ يقولُ

ألا مَن مُبلِغٌ عنّي لُؤَيّاً ... فبعدَ اليومِ دائلةٌ تَدُولُ[4]

وقبلَ اليومِ ما عَرَفوا وذاقُوا ... وقائعَنا بها يُشفَى الغَليلُ[5]

نَسِيتُمْ ضَرْبَنا بقَليبِ بدرٍ ... غَداةَ أتاكمُ الموتُ العَجيلُ

غَداةَ ثَوَى أبو جهلٍ صَريعاً ... عليه الطَّيرُ حائمةٌ تَجُولُ[6]

---

(١) انظر «ديوان كعب» صنعة مجيد طراد ص٨١.

(٢) العويل: البكاء مع رفع الصوت.

(٣) أبو يعلى: هي كنية حمزة بن عبد المطّلب رضي الله عنه، ويُكنى أيضاً أبا عُمارة. والماجد: السيّد الشريف.

(٤) الدائلة: الحرب.

(٥) الوقائع: الحروب. والغليل: حرارة العطش أو الحزن.

(٦) ثوى: أقام. وحائمة: مستديرة، يقال: حام الطائر حول الماء، إذا استدار حوله. وتجول: تجيء وتذهب.

وعُتْبــةُ وابنُــه خَــرَّا جميعــاً وشَيْبةُ عَضَّه السّيفُ الصَّقيلُ[١]
ومَتْرَكُنــا أُميّــةَ مُجلَعِبّــاً وفي حَيزُومِــهِ لَــدْنٌ نَبيــلُ[٢]
وهــامَ بنــي ربيعــةَ ســائِلُوها ففــي أســيافِنا منهــا فُلــولُ[٣]
ألا يــا هِنــدُ لا تُبْــدي شَــمَاتاً بحمــزةَ إنَّ عِــزَّكمُ ذَليــلُ
ألا يــا هِنــدُ فــابْكِي لا تَمَلِّــي فأنــتِ الوالِــهُ العَبْــرَى الهَبُــولُ[٤]

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالكٍ أيضاً:

أَلَا أبْلِغْ قريشــاً على نَأيِها أتَفخَــرُ منّــا بمــا لــم تَــلِ[٥]
فَخَــرتُمْ بقَتلَــى أصــابَتهمُ فَواضِــلُ من نِعَمِ المُفضِلِ
فحَلُّــوا جِنانــاً وأبقَــوْا لكــمْ أُسوداً تُحامِي عن الأشبُلِ[٦]
تُقاتِــلُ عــن دينِهــا وَسْــطَها نبــيٌّ عــن الحــقِّ لــم يَنكُــلِ[٧]
رَمَتْــه مَعَــدٌّ بعُــورِ الكَــلامِ ونَبْــلِ العــداوةِ لا تَــأتَلي[٨]

---

(١) خرّا: سَقَطا. وعضّه السيف، أي: نال منه. والصقيل: الحادُّ.

(٢) أُميّة: هو ابن خلف الجُمَحيّ. ومجلعبّاً: ممتدّاً مع الأرض. والحيزوم: أسفل الصدر. واللَّدْن: الرمح الليّن. ونبيل، أي: عظيم.

(٣) الهامُ: جمع هامَة، وهي الرأس. والفلول: جمع فَلٍّ، وهو الكسر في حدّ السيف.

(٤) الواله، وكذا الهَبول: التي فقدت عزيزاً عليها. والعَبرى: الكثيرة الدمع.

(٥) النَّأي: البُعد. وقوله: بما لم تلِ، أي: بما قتلته منا وليس ذلك من فعلها، فقد كان معها أحلافها وبعض عبيدها.

(٦) فحلُّوا، أي: نزلوا. وتحامي: تدافع وتمنع. والأشبُل: جمع شِبْل، وهو ولد الأسد.

(٧) لم ينكل: لم يرجع.

(٨) مَعَدٌّ: هو ابن عدنان من ولد إسماعيل، وأراد هنا العرب عامّة. وعُور الكلام: قبيحه والفاحش منه، واحده: عَوْراء. والنَّبل: السَّهم. ولا تأتلي، أي: لا تقصّر.

قال ابن هشام: أنشدني قولَه: لم تَلِ، وقولَه: من نِعَمِ المُفضِلِ، أبو زيدٌ الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: وقال ضِرارُ بن الخَطّاب في يوم أُحدٍ:

ما بالُ عَينِكَ قد أَزرَى بها السُّهُدُ ... كأنّما جالَ في أجفانِها الرَّمَدُ[1]

أمِنْ فِراقِ حَبيبٍ كنتَ تألَفُهُ ... قد حالَ من دونِه الأعداءُ والبُعُدُ

أم ذاكَ من شَغْبِ قومٍ لا جَدَاءَ بهمْ ... إذِ الحُروبُ تَلَظَّت نارُها تَقِدُ[2]

ما يَنتَهُون عن الغَيِّ الّذي رَكِبوا ... وما لهمْ من لُؤَيٍّ وَيحَهُم عَضُدُ

وقد نَشَدْناهمُ باللهِ قاطبةً ... فما تَرُدُّهمُ الأرحامُ والنِّشَدُ[3]

حتّى إذا ما أبَوْا إلّا مُحارَبةً

واستَحصَدَت بيننا الأضغانُ والحِقَدُ[4]

سِرْنا إليهمْ بجيشٍ في جوانبِهِ ... قَوانِسُ البَيضِ والمحبوكةُ السُّرُدُ[5]

والجُرْدُ تَرفُلُ بالأبطالِ شازِبةً ... كأنّها حِدَأٌ في سَيرِها تُؤَدُ[6]

---

(١) أزرى: قصّر، يقال: أزرَيتُ بالرجل، إذا قصَّرتَ به. والسُّهد: عدم النوم. والرَّمد: وجع العين.

(٢) لا جداءَ، أي: لا منفعة ولا قوة. وتلظَّت: التهَبَت.

(٣) قاطبة: جميعاً. والنِّشَد: جمع نِشْدة، وهي اليمين، كقولهم: نَشَدتُك اللهَ، أي: سألتك بالله.

(٤) استحصدت، أي: تقوَّت واستحكمت، من قولك: حبلٌ مُحصَد، إذا كان شديد الفَتْل مُحكمَه.

(٥) القوانس: جمع قَونَس، وهي حديدة طويلة في أعلى خُوذَة الحديد التي يلبسها المحارب على رأسه. والمحبوكة: المشدودة، والسُّرُد: المنسوجة، يعني الدُّروع.

(٦) الجُرد: الخيل العِتاق. وتَرفُل، أي: تتبختر في مشيها. وشازبة: ضامرة شديدة اللحم. والحِدَأ: جمع حِدَأة، وهو طائر من الجوارح يشبه الصقر. وتُؤَد: ترفُّق وتمهُّل.

جَيشٌ يقودُهمُ صَخرٌ ويَرأسُهمْ ... كأنّه ليثُ غابٍ هاصِرٌ حَرِدُ[1]

فأبرَزَ الحَينُ قوماً من مَنازِلِهمْ ... وكان منّا ومنهمْ مُلتَقًى أُحُدُ[2]

فغُودِرَت منهم قَتلَى مُجدَّلةً ... كالمَعْزِ أَصرَدَه بالصَّردَحِ البَرَدُ[3]

قَتلَى كِرامٌ بنو النَّجّارِ وَسْطَهمُ ... ومُصعَبٌ من قَنَانا حولَه قِصَدُ[4]

وحمزةُ القَرْمُ مصروعٌ تُطِيفُ بهِ ... ثَكْلى وقد حُزَّ منه الأنفُ والكَبِدُ[5]

كأنّه حين يَكبُو في جَدِيّتِهِ ... تحت العَجَاجِ وفيه ثَعْلبٌ جَسِدُ[6]

حُوَارُ نابٍ وقد وَلَّى صحابتُهُ ... كما تَولَّى النَّعامُ الهاربُ الشَّرِدُ[7]

مُجلِّحِينَ ولا يَلْوُون قد مُلِئُوا ... رُعْباً، فنَجَّتهمُ العَوْصاءُ والكُؤُدُ[8]

تَبْكي عليهمْ نساءٌ لا بُعُولَ لها ... من كلِّ سالبةٍ أثوابُها قِدَدُ[9]

---

(١) صخر: اسم أبي سفيان. وغاب: جمع غابة، وهي موضع الأسد. وهاصر: كاسر، أي: يكسر فريسته إذا أخذها. وحَرِد: غاضب.

(٢) الحَيْن، أي: وقت هلاكهم.

(٣) مجدَّلة، أي: صرعى على الأرض، واسم الأرض: الجَدَالة. وأصرده، أي: بالغ في بَرْده، والصَّرْد: البَرْد. والصردح: المكان الصُّلب الغليظ.

(٤) قِصَد، أي: قطع متكسرة.

(٥) القَرْم: الرجل السيّد. وثكلى: حزينة فاقدة. وحُزَّ: قُطع.

(٦) يَكبُو: يسقط. والجَديّة: الدم السائل على جسده. والعَجَاج: الغبار. والثعلب هنا: ما دخل من الرمح في السِّنان. وجَسِدٌ، أي: قد لصق به الدمُ ويبس عليه.

(٧) الحُوار: ولد الناقة، والنّاب: المُسنّة من الإبل. والشَّرِد: النافِر.

(٨) مجلِّحين، أي: مصمِّمين لا يردّهم شيء. والعوصاء: عَقَبة صعبة تعتاص على سالكها. والكُؤُد: جمع كَؤُود، وهي عَقَبة صعبة المُرتَقى.

(٩) السالبة هنا: التي لبست السِّلاب، وهي ثياب الحُزن. وقِدَد، أي: قِطَع، يعني أنها مزَّقت =

وقـد تَرَكْنـاهمُ للطّيـرِ مَلحَمـةً وللضِّـباعِ إلـى أجسـادِهِمْ تَفِـدُ[1]

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها لضِرار.

قال ابن إسحاق: وقال أبو زَعْنةَ[2] بن عبد الله بن عمرو بن عُتْبة أخو بني جُشَمَ ابن الخَزرَج يومَ أُحدٍ:

أنا أبـو زَعْنـةَ يَعدُو بِيْ الهُـزَمْ لـم تُمنَـعِ المَخْـزاةُ إلّا بـالأَلَمْ[3]

يَحْمي الذِّمارَ خَزرَجيٌّ من جُشَمْ[4]

قال ابن إسحاق: وقال عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ـ قال ابن هشام: قالها رجلٌ من المسلمين في يوم أُحدٍ، فيما ذَكَرَ لي بعضُ أهل العلم بالشِّعر، ولم أرَ أحداً يَعرِفُها لعليٍّ رضي الله عنه ـ:

لاهُـمّ إنَّ الحـارثَ بـنَ الصِّـمَّهْ كـــان وَفِيّـــاً وبِنَـــا ذا ذِمَّـــهْ[5]

أقبَـــلَ في مَهامِـــهٍ مُهِمَّـــهْ كلَيلـــةٍ ظَلْمـــاءَ مُدلَهِمَّـــهْ[6]

= ثيابها قِطعاً.

(١) الملحمة: الموضع الذي تقع فيه القتلى في الحرب. وتَفِد: تَقدَم وتزور.

(٢) كذا وقع هنا بالنون، قال ابن ناصر الدين الدمشقيُّ في «توضيح المشتبه» ٤/ ٢٠٩-٢١٠: كذا قيّده الأمير (يعني ابنَ ماكُولا) ووجدته بخطّ الحافظ عبد الغني المقدسيّ في كتاب الدارقطنيّ بالموحَّدة بدل النون، ووجدته بالموحَّدة أيضاً وبالغين المعجمة في «التلقيح» لابن الجَوْزي، والمشهور الأول.

(٣) يعدو: يُسرِع. والهُزَم: اسم فرسه، ومن رواه: الهَزِم، فهو الكثير الجَرْي.

(٤) الذمار: ما يجب على المرء أن يحميه من عِرض ومال ونحوهما.

(٥) الذِّمّة: العهد. والحارث بن الصِّمّة ممن شهد بدراً وأُحداً، واستُشهد يوم بئر مَعُونة.

(٦) المهامه: جمع مَهمَهٍ، وهو القَفْر. والمُدلهِمّة: الشديدة السواد.

بـينَ سُـيوفٍ ورِمـاحٍ جَمَّـهْ يَبْغـي رسـولَ اللهِ فيمـا ثَمَّـهْ[1]

قال ابن هشام: قوله: كلَيلةٍ، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عِكْرمةُ بن أبي جهلٍ في يوم أُحدٍ:

كلُّهـمُ يَزجُـرُه أَرحِـبْ هَـلَا[2] ولـن يَـرَوهُ اليـومَ إلّا مُقـبِلا

يَحمِلُ رُمحاً ورئيساً جَحْفَلا[3]

وقال الأعشَى بن زُرَارة بن النَّبّاش التَّميميّ - قال ابن هشام: ثمّ أحدُ بني أُسيِّد بن عمرو بن تَميمٍ - يبكي قَتلَى بني عبد الدّارِ يومَ أُحدٍ:

حُيِّـيَ مـن حـيٍّ علـى نَـأيِهمْ بنـو أبـي طلحـةَ لا تُصـرَفُ[4]

يَمُـرُّ سـاقِيهِمْ علـيهم بهـا وكـلُّ سـاقٍ لهـمُ يُعـرَفُ

لا جارُهم يَشكُو ولا ضَـيفُهمْ مِـن دونِـهِ بـابٌ لهـمْ يَصـرِفُ[5]

وقال عبدُ الله بن الزِّبَعرَى يومَ أُحدٍ:

قَتَلْنا ابـنَ جَحشٍ فاغتَبَطْنا بقتلِهِ وحمـزةَ في فُرسـانِه وابـنَ قَوقَـلِ[6]

---

(١) الجَمّة: الكثيرة. وثَمَّهْ، أي: هناك، والهاء للسَّكت.

(٢) أَرحِب هلا: كلمتان لزجر الخيل.

(٣) الجحفل هنا: الرجل العظيم القَدْر، أو السيّد الكريم.

(٤) على نأيهم: على بُعدهم. ولا تصرف: لا تُرَدّ، يعني التحيّة، ودل على ذلك قوله: حُيِّي.

(٥) يَصرِف، أي: يُغلَق فيسمع له صوت، والصريف: صوت الباب إذا أُغلق أو فُتح.

(٦) اغتبطنا، أي: سُرِرنا.

وابن جحش: هو عبد الله بن جحش الأسديّ، أخو زينب أم المؤمنين وابن عمّة النبيّ ﷺ أُميمة بنت عبد المطَّلب. وابن قوقل: هو النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دَعْد الخزرجي، وجدُّه ثعلبة هو الذي كان يقال له: قوقل.

وأفلَتَنا منهم رجالٌ فأَسرَعوا ... فلَيتَهمُ عاجُوا ولم نَتعَجّلِ[1]

أقاموا لنا حتّى تَعَضَّ سيوفُنا ... سَراتَهمُ وكلُّنا غيرُ عُزَّلِ[2]

وحتّى يكونَ القتلُ فينا وفيهمُ ... ويَلْقَوا صَبُوحاً شَرُّه غيرُ مُنجَلي[3]

قال ابن هشام: قوله: وكلُّنا، وقوله: ويَلقَوا صَبُوحاً، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقالت صَفيَّةُ بنتُ عبد المُطَّلِب تبكي أخاها حمزةَ بن عبد المُطَّلِب رضي الله عنه:

أسائلةٌ أصحابَ أُحْدٍ مَخافةً ... بَناتُ أَبي من أعجَمٍ وخَبيرِ[4]

فقال الخَبيرُ: إنَّ حمزةَ قد ثَوَى ... وزيرُ رسولِ الله خيرُ وَزيرِ[5]

دَعَاه إلٰهُ الحقِّ ذو العَرشِ دَعوةً ... إلى جنّةٍ يَحْيا بها وسُرورِ

فذلكَ ما كُنّا نُرجِّي ونَرتَجي ... لحمزةَ يومَ الحَشرِ خيرُ مَصيرِ

فواللهِ لا أنساكَ ما هَبَّتِ الصَّبَا ... بُكاءً وحُزناً مَحضَري ومَسِيري[6]

على أَسَدِ الله الّذي كان مِدْرَهاً ... يَذُودُ عن الإسلام كلَّ كَفُورِ[7]

---

(١) هكذا في (ش١) و(غ)، وفي (ت) و(ز) و(ص) و(م) و(ي): يتعجّلوا، وهذا إقواءٌ.

وعاجُوا، أي: عطفوا وأقاموا.

(٢) سَرَاتهم: خِيارهم. والعُزَّل: الذين لا سلاح لهم، جمع أَعزل.

(٣) الصَّبوح: شرب الغَدَاة من أول النهار، وأراد أنهم يسقونهم كأس المنيّة. ومُنجلي، أي: منكشف.

(٤) الأعجم: هو الذي لا يُفصِح.

(٥) ثوى: أقام مكانه. والوزير: المُعِين.

(٦) الصَّبا: الريح الشرقية. ومسيري: تعني به هنا: مَغِيبي.

(٧) المِدرَه: الذي يدفع عن القوم. ويذود، أي: يدفع ويمنع.

فيا لَيتَ شِلْوي عند ذاكَ وأعظُمي لَـدَى أضـبُعٍ تَعتـادُني ونُسُـورِ[1]
أقـولُ وقـد أعلَـى النَّعِيُّ عَشِـيرتي جَـزَى اللهُ خيـراً مـن أخٍ ونَصِـيرِ[2]

قال ابن هشام: وأنشدني بعضُ أهل العلم بالشِّعر قولَها:

بُكاءً وحُزنـاً مَحضَـري ومَسِيري

قال ابن إسحاق: وقالت نُعْمٌ امرأةُ شَمّاس بن عثمان[3] تبكي شَمّاساً، وأُصيبَ يومَ أُحدٍ:

يا عَينُ جُودِي بفَيضٍ غيرِ إبساسِ على كَـريمٍ مـن الفِتْيـانِ لبّـاسِ[4]
صـعبِ البَديهـةِ ميمـونٍ نَقِيبتُـهُ حَمّـالِ ألويـةٍ رَكّـابِ أفـراسِ[5]
أقـولُ لمّـا أَتـى النّـاعي لـه جَزَعـاً
أَودَى الجَوادُ وأَودَى المُطعِمُ الكاسِي[6]
وقلـتُ لمّـا خَلَـتْ منـه مجالسُـهُ لا يُبعِـدُ اللهُ منّـا قُـرْبَ شَـمّاسِ

---

(١) الشِّلو: البقيّة. تعتادني، أي: تتعاهدني.

(٢) النعيُّ: يروى بالرفع على أنه فاعل، ومعناه: الذي يأتي بخبر الميت، ومن رواه بالنصب على أنه مفعول، فمعناه: النوح والبكاء بصوت.

(٣) وهو من بني مخزومٍ، رضي الله عنه.

(٤) غير إبساس، أي: غير قليل، والإبساس: أن يُمسَح ضرع الناقة لتدرَّ، ويقال لها: بس بس، لتسكُن، وقد استعارت هذا المعنى للدمع الفائض بغير تكلف. ولَبّاس: من اللُّبس، أي: هو صاحب لباس حسن، ويروى: أبّاس، بهمزة، وهو الشديد الذي يغلب غيرَه. قاله الخشنيّ.

(٥) البديهة: أول الرأي والأمر. وميمون النّقيبة: سعيد النفس محظوظ. والألوية: جمع لواء، وهو العَلَم.

(٦) أَودى: هلك. والمطعم الكاسي: الجواد الذي يطعم الناس ويكسوهم.

فأجابَها أخوها ـ وهو أبو الحَكَم بن سعيد بن يَربُوع ـ يُعزِّيها، فقال:

إقنَـيْ حَيـاءَكِ في سِـتْرٍ وفي كَـرَمٍ ... فإنّمـا كـان شَـمّاسٌ مـن النّـاسِ[1]

لا تَقتُلي الـنّفسَ إذْ حانَـت مَنيّتُـهُ ... في طاعـةِ الله يـومَ الـرَّوعِ والبـاسِ[2]

قد كان حمزةُ ليثَ الله فاصطَبِري ... فـذاقَ يومَئـذٍ مـن كـأسِ شَـمّاسِ

وقالت هندٌ بنتُ عُتْبة، حين انصَرَفَ المشركون عن أُحدٍ:

رَجَعـتُ وفي نفسـي بَلابـلُ جَمّـةٌ ... وقد فاتَني بعضُ الّذي كان مَطلَبي[3]

منَ اصحابِ بدرٍ من قريشٍ وغيرِهمْ ... بني هاشـمٍ منهمْ ومن أهـلِ يَثـرِبِ

ولكنَّني قـد نِلـتُ شيئاً ولـم يكـنْ ... كما كنتُ أَرجو في مَسِيري ومَركِبي

قال ابن هشام: وأنشدني بعضُ أهل العلم بالشِّعر قولها:

وقد فاتَني بعضُ الّذي كان مَطلَبي

قال: وبعضُهم يُنكِرُها لهندٍ، والله أعلم.

---

(١) اقنَي حياءك، أي: الزمي حياءك.

(٢) يوم الرَّوع: يوم الفزع، وهو يوم البأس والقتال.

(٣) البلابل: الأحزان. وجمّة، أي: كثيرة.

ذكرُ يوم الرَّجِيع
في سنة ثلاثٍ[1]

حدَّثنا أبو محمّد عبدُ الملك بن هشامٍ النَّحْويُّ قال: حدَّثنا زيادُ بن عبد الله البَكّائيُّ، عن محمّد بن إسحاق المُطَّلِبيّ قال: حدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة قال: قَدِمَ على رسول الله ﷺ بعدَ أُحدٍ رَهْطٌ من عَضَلٍ والقارَةِ - قال ابن هشام: عَضَلٌ والقارَةُ من الهُوْنِ بن خُزَيمة بن مُدرِكة، ويقال: الهَوْن[2] - فقالوا له: يا رسولَ الله، إنَّ فينا إسلاماً،

---

(١) وعليه فإنه عند ابن إسحاق كان في آخر هذه السنة في ذي القَعدة أو ذي الحِجّة منها، فإن يوم أُحد كان في النصف من شهر شوّال، أي: أن بين يومَي الرجيع وبئر مَعُونة عنده قرابة ثلاثة أشهر، فإن بئر معونة كانت في صَفَر من سنة أربعٍ كما سيأتي، أما عند الواقديِّ وصاحبه ابن سعد فإن يوم الرجيع كان في أوائل سنة أربع في شهر صَفَرٍ منها، وقد جاء النبيَّ ﷺ خبرُ ما أصاب أصحابَه ذلك اليوم وخبرُ أصحابه في بئر مَعُونة في اليوم نفسه كما في «الطبقات» لابن سعد ٢/ ٤٩.

والراجح - فيما نرى - قولُ الواقديِّ وصاحبه، من أن يومَي الرجيع وبئر معونة كانا في زمن متقارب، بدليل أن النبي ﷺ جمع بين بني لِحيان، وهم الذين غدروا بأصحاب الرجيع، وبين رِعل وذكوان وعُصيَّة، وهم الذين قتلوا أصحاب بئر معونة، جمع بينهم في الدعاء عليهم في بعض صلواته كما في حديث أنس بن مالك عند البخاري (٤٠٩٠) ومسلم (٦٧٧)، وحديث خُفَاف الغِفاري عند مسلم (٦٧٩)، والله تعالى أعلم.

والرَّجيع: ماءٌ يُعرَف اليوم باسم الوَطْية، يقع شمال مكة على قرابة ٧٠ كم قُبيل عُسْفان، على طرف الهَدَأة - ويقال: الهَدَة - وهو وادٍ يمرُّ شمال مكّة. انظر «معجم المعالم الجغرافية» ص١٣٨، و«معجم معالم الحجاز» ص٦٧٦، كلاهما لعاتق البِلادي.

(٢) زاد في طبعة السقا وصاحبيه: بضم الهاء. وليس هذا في شيء من نسخنا الخطية، وهو =

فابعَثْ معنا نَفَراً من أصحابك يُفقِّهوننا في الدِّين ويُقرِئوننا القرآنَ، ويُعلِّموننا شرائعَ الإسلام.

فبَعَثَ رسولُ الله ﷺ معهم نَفَراً ستّةً[1] من أصحابه، وهم مَرثَدُ بن أبي مَرثَدٍ الغَنَويُّ حليفُ حمزة بن عبد المُطَّلِب، وخالدُ بن البُكَير اللَّيثيُّ حليفُ بني عَدِيّ ابن كعبٍ، وعاصمُ بن ثابت بن أبي الأَقلَحِ أخو بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأَوس، وخُبَيبُ بن عَدِيٍّ أخو بني جَحْجَبى بن كُلْفة بن عمرو بن عوف، وزيدُ بن الدَّثِنّة بن معاوية أخو بني بَيَاضة بن عمرو، وعبدُ الله بن طارقٍ حليفُ بني ظَفَر، وأمَّرَ رسولُ الله ﷺ على القوم مَرثَدَ بن أبي مَرثَدٍ الغَنَويَّ[2].

فخرجوا مع القوم حتّى إذا كانوا على الرَّجيع، ماءٍ لهُذَيلٍ بناحية الحِجاز على

= خلاف ما وقع في هذه النسخ من ضبطه بالقلم في هذا الموضع بالفتح.

وقد قيّده ابن دُريد في «الاشتقاق» ص١٧٨ بالوجهين؛ بفتح الهاء وضمّها، واقتصر الجوهري في «الصحاح» والفيروزآبادي في «القاموس» على تقييده بضمّ الهاء.

(١) وذكر الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٣٥٥: أنه ﷺ بعث معهم سبعة نفر، فزاد فيهم معتِّبَ بن عبيدٍ أخا عبد الله بن طارق لأمّه، وهو أيضاً حليف لبني ظَفَر، ثم قال: ويقال: كانوا عشرة. قلنا: وكونهم عشرةً وقع هذا في حديث لأبي هريرة في قصة يوم الرَّجيع عند البخاري (٣٠٤٥) و(٣٩٨٩) و(٤٠٨٦) و(٧٤٠٢).

وانظر «زاد المعاد» لابن القيّم ٣/ ٢٤٤، و«سبل الهدى والرشاد» للصالحي ٦/ ٣٩.

(٢) قال الواقديُّ: ويقال: أميرهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح. قلنا: وهذا ما وقع في حديث أبي هريرة السابق عند البخاري: أن النبيَّ ﷺ أمَّر عليهم عاصمَ بن ثابت. لكن المشهور عند أهل السير والمغازي أن مرثداً هو كان أمير السَّريّة، وسيأتي في آخر الكلام على خبر الرجيع في الشعر المنسوب لحسان بن ثابت: أن الأمير مرثدٌ، لكن أكثر أهل العلم بالشعر ينكر كون تلك القصيدة لحسان كما قال ابن هشام، فالله تعالى أعلم.

صُدور الهَدَأة، غَدَروا بهم فاستَصرَخوا[1] عليهم هُذَيلاً، فلم يَرُعِ القومَ وهم في رِحَالهم إلّا الرِّجالُ بأيديهم السّيوفُ قد غَشَوْهم، فأخذوا أسيافهم ليُقاتِلوا القوم، فقالوا لهم: إنّا والله ما نريدُ قتلَكم، ولكنّا نريدُ أن نُصِيبَ بكم شيئاً من أهل مكّة، ولكم عهدُ الله ومِيثاقُه أن لا نَقتُلَكم.

فأمّا مَرثَدُ بن أبي مَرثَد وخالدُ بن البُكَير وعاصمُ بن ثابتٍ فقالوا: والله لا نَقبَلُ من مشركٍ عهداً ولا عَقْداً أبداً، فقال عاصم بن ثابتٍ:

مـا عِلَّتـي وأنـا جَلْـدٌ نابـلُ ... والقَـوسُ فيهـا وَتَـرٌ عُنابِـلُ[2]

تَـزِلُّ عـن صَـفْحتِها المَعابِـلُ ... الموتُ حـقٌّ والحياةُ باطـلُ[3]

وكـلُّ مـا حَـمَّ الإلٰـهُ نـازِلُ ... بـالمَرءِ والمَـرءُ إليـه آيِـلُ[4]

إن لم أُقاتِلْكُم فأُمّي هابِلُ[5]

وقال[6] عاصمٌ أيضاً:

أبـو سـليمانَ ورِيـشُ المُقعَـدِ ... وضالَةٌ مِثلُ الجَحيمِ المُوقَـدِ[7]

---

(١) استصرخوا: استنصروا.

(٢) النابل: صاحب النَّبل، ويروى: بازل، وهو القوي. وعُنابل: غليظ شديد.

(٣) صفحتها: جانبها. والمعابل: جمع مِعبَلة، وهو نصل عريض طويل، يريد السِّهام.

(٤) حَمَّ الإلٰه: قدَّره. وآيل: صائر. هابل: فاقد.

(٥) هابل: فاقدٌ ثاكلٌ.

(٦) زاد قبله في (ش١): قال ابن هشام: هابل: ثاكل.

(٧) الرِّيش: جمع رِيشة، توضع في آخر السهم بعد بَرْيه، وقُيّد في بعض النسخ بفتح الراء، على المصدر. والمُقعَد: رجل كان يَرِيش النَّبل في المدينة. والضَّالَة: شجر تصنع منه القِسيّ والسهام، والجمع: ضالٌ، ويعني بالضالَة هنا: القوس.

إذا النَّواحي افتُرِشَت لم أُرعَدِ ومُجنَأٌ من جِلْدِ ثَورٍ أجرَدِ[1]

ومؤمنٌ بما على محمَّدِ[2]

وقال عاصمٌ أيضاً:

أبو سليمانَ ومِثْلي رامَى وكان قومي مَعشَراً كِراما

وكان عاصمٌ يُكنى أبا سُلَيمان.

ثمّ قاتَلَ القومَ حتّى قُتِلَ وقُتِلَ صاحباه.

فلمّا قُتِلَ عاصمٌ أرادت هُذَيلٌ أخذَ رأسه ليَبِيعوه من سُلَافة بنت سعد بن شُهَيدٍ، وكانت قد نَذَرَت حين أصاب ابنَيها يومَ أُحدٍ: لئن قَدَرَت على رأس عاصمٍ لتَشرَبَنَّ في قِحْفِه الخمرَ، فمَنَعَته الدَّبْرُ[3]، فلمّا حالت بينهم وبينه قالوا: دَعُوه حتّى يُمسيَ فتذهبَ عنه فنأخُذَه، فبَعَثَ الله الوادي فاحتَمَلَ عاصماً، فذَهَبَ به، وقد كان عاصمٌ قد أعطَى اللهَ عهداً أن لا يَمَسَّه مشركٌ ولا يَمَسَّ مشركاً أبداً، تَنَجُّساً.

فكان عمرُ بن الخَطّاب رضي الله عنه يقول حين بَلَغَه أنّ الدَّبرَ مَنَعَته: يَحفَظُ اللهُ العبدَ المؤمن، كان عاصمٌ نَذَرَ أن لا يَمَسَّه مشركٌ ولا يَمَسَّ مشركاً أبداً في حياته، فمَنَعَه الله بعدَ وفاته كما امتَنَعَ منه في حياته.

وأمّا زيدُ بن الدَّثِنّة وخُبَيبُ بن عَدِيّ وعبدُ الله بن طارقٍ، فلانُوا ورَقُّوا ورَغِبوا في الحياة، فأعطَوْا بأيديهم فأسَرُوهم ثمّ خرجوا إلى مكّة ليَبِيعوهم بها، حتّى إذا كانوا

---

(١) النواحي، بالحاء: جمع ناحية، ومن رواه بالجيم فهي الإبل السريعة. وافتُرشت: عُمِرَت. والمُجنَأ: التُّرس لا حديد فيه. والأجرد: الأملس.

(٢) أي: مؤمن بما أُنزل على محمد.

(٣) القِحْف: العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة.

والدَّبْر: الزنابير أو النحل.

بالظَّهْرانِ[1] انتَزَعَ عبدُ الله بن طارقٍ يدَه من القِرَان[2]، ثمّ أَخذ سيفَه واستأخَرَ عنه القومُ فرَمَوه بالحجارة حتّى قتلوه، فقبرُه ـ رحمه الله ـ بالظَّهران، وأمّا خُبَيبُ بن عَدِيّ وزيدُ بن الدَّثِنّة فقَدِموا بهما مكّة.

قال ابن هشام: فباعوهما من قريشٍ بأسيرَينِ من هُذَيلٍ كانا بمكّة.

قال ابن إسحاق: فابتاعَ خُبيباً حُجَيرُ بن أبي إهابٍ التَّميميّ حليفُ بني نَوفَلٍ لعُقْبة بن الحارث بن عامر بن نَوفَل ـ وكان أبو إهابٍ أخا الحارث بن عامرٍ لأُمّه ـ ليقتلَه بأبيه.

قال ابن هشام: الحارثُ بن عامرٍ خالُ أبي إهابٍ، وأبو إهابٍ أحدُ بني أُسيِّد بن عمرو بن تَميمٍ، ويقال: أحدُ بني عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارمٍ من بني تَميم.

قال ابن إسحاق: وأمّا زيدُ بن الدَّثِنّة فابتاعه صفوانُ بن أُميّة ليقتلَه بأَبيه أُميّة بن خَلَفٍ، فأمّا زيدٌ فبَعَثَ به صفوانُ بن أُميّة مع مولًى له يقال له: نِسطاسُ، إلى التّنعيم[3] وأخرَجوه من الحَرَم ليَقتُلوه.

واجتمع رَهْطٌ من قريشٍ فيهم أبو سفيانَ بن حَرْبٍ، فقال له أبو سفيانَ حين قُدِّمَ ليُقتَلَ: أنشُدُكَ اللهَ يا زيدُ، أتحبُّ أنّ محمّداً عندنا الآنَ في مكانك نَضرِبُ عُنُقَه وأنّك في أهلِك؟ قال: والله ما أُحِبُّ أنّ محمّداً الآنَ في مكانه الّذي هو فيه تصيبُه شَوْكةٌ تُؤْذِيه وأنّي جالسٌ في أهلي. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيتُ من النّاس أحداً يحبُّ أحداً، كحُبِّ أصحابِ محمّدٍ محمّداً. ثمّ قتله نِسطاسُ؛ يرحمُه الله.

---

(١) الظَّهران: وادٍ قرب مكة يمرُّ شمالها على قرابة ٢٢ كم.

(٢) القِران: الحبل يُربَط به الأسير مع غيره.

(٣) التنعيم: موضع يقع في الجزء الغربيّ من مكّة المكرّمة على مسافة ٧ كم عن المسجد الحرام، ويُسمَّى اليوم: العُمْرة، أو عُمْرة التنعيم؛ لأن الناس يُحرِمون بالعمرة منه.

وأمّا خُبَيبُ بن عَدِيٍّ، فحدّثني عبدُ الله بن أبي نَجيح، أنه حُدِّثَ عن ماويَّةَ مولاة حُجَير بن أبي إهابٍ ـ وكانت قد أسلَمَت ـ قالت: كان خُبَيبٌ حُبِسَ في بيتي، فلقد اطَّلَعتُ عليه يوماً وإنَّ في يده لَقِطْفاً من عِنَبٍ مثلَ رأس الرَّجل يأكلُ منه، وما أعلمُ في أرض الله عِنَباً يُؤكَل[1].

وحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة وعبدُ الله بن أبي نَجيحٍ جميعاً، أنَّها قالت: قال لي حين حَضَرَه القتلُ: ابعَثِي إليَّ بحديدةٍ أتطهَّرُ بها للقتل، قالت: فأعطَيتُ غلاماً من الحيِّ المُوسَى، فقلت له: ادخُلْ بها على هذا الرَّجلِ البيتَ، قالت: فواللهِ ما هو إلّا أن وَلَّى الغلامُ بها إليه فقلت: ماذا صَنَعتُ! أصابَ واللهِ الرّجلُ ثأرَه بقتلِ هذا الغلام، فيكون رجلاً برجلٍ، فلمّا ناوَلَه الحديدةَ أخذَها من يده ثمّ قال: لَعَمرُكَ، ما خافَت أُمُّك غَدْري حين بَعَثَتْك بهذه الحديدة إليَّ، ثمّ خَلَّى سبيلَه.

قال ابن هشام: ويقال: إنَّ الغلامَ ابنُها[2].

قال ابن إسحاق: قال عاصمٌ: ثمّ خرجوا بخُبَيبٍ، حتّى إذا جاؤوا به التّنعيمَ ليَصلُبوه قال لهم: إن رأيتُم أن تَدَعُوني حتّى أركَعَ ركعتَينِ فافعلوا، قالوا: دُونَك فاركَعْ. فرَكَعَ ركعتَينِ أتمَّهما وأحسنَهما، ثمّ أقبَلَ على القوم فقال: أمَا واللهِ لولا أن تَظُنُّوا أنّي إنّما طوَّلتُ جَزَعاً من القتل، لاستكثَرتُ من الصّلاة. قال: فكان خُبَيبُ بن عَديٍّ أوّلَ مَن سَنَّ هاتَينِ الرّكعتَينِ عند القتل للمسلمين.

قال: ثمّ رَفَعوه على خَشَبتِه، فلمّا أَوثَقُوه قال: اللّهمَّ إنّا قد بَلَّغْنا رسالةَ رسولك،

---

(١) هذا الحديث والذي يليه في قصة خبيبٍ صحيحان، وقد رواهما بنحو ما هنا موصولين الزهريُّ عن عبيد الله بن عِياض عن ابنة الحارث بن عامر، أخرجه البخاري (٣٠٤٥)، وانظر أيضاً فيه (٣٩٨٩).

(٢) ووقع في حديث ابنة الحارث عند البخاري: أن الغلام ابنُها هي.

فبَلِّغْه الغَداةَ ما يُصنَعُ بنا، ثمّ قال: اللّهمَّ أَحصِهم عَدَداً، واقتُلْهم بَدَداً[1]، ولا تُغادِرْ منهم أَحداً. ثمّ قتلوه، رحمه الله.

فكان معاويةُ بن أبي سفيانَ يقول: حَضَرتُه يومَئذٍ فيمن حَضَرَه مع أبي سفيانَ، فلقد رأيتُه يُلقِيني إلى الأرض فَرَقاً من دعوة خُبَيبٍ، وكانوا يقولون: إنّ الرّجلَ إذا دُعِيَ عليه فاضطَجَعَ لجَنْبِه، زلَّت عنه[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّادٍ، عن عُقْبة بن الحارث؛ قال: سمعتُه يقول: ما أنا واللهِ قتلتُ خُبَيباً، لأنا كنت أصغرَ من ذلك، ولكنَّ أبا مَسَرّة[3] أخا بني عبد الدّار أَخذ الحَرْبةَ فجَعَلَها في يدي، ثمّ أَخذ بيدي وبالحَرْبة ثمّ طَعَنَه بها حتّى قتله[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ أصحابنا قال: كان عمرُ بن الخَطّاب استَعمَل سعيدَ بن عامر بن حِذْيَمٍ الجُمَحيَّ على بعض الشّام، فكانت تُصِيبُه غَشْيةٌ وهو بين ظَهرَيِ القوم، فذُكِرَ ذلك لعمر بن الخَطّاب، وقيل: إنّ الرّجلَ مُصابٌ، فسأله عمرُ في قَدْمةٍ قَدِمَها عليه فقال: يا سعيدُ، ما هذا الذي يُصِيبُك؟ فقال: والله يا أميرَ

---

(١) أحصهم عدداً، أي: عُمَّهم بالهلاك، وبَدَداً: متفرِّقين.

(٢) هذا من تتمة حديث عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً، وقد أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٣٠٩ عن عبد الله بن إدريس، عن ابن إسحاق، عنه.

(٣) في (غ) ونسخة على حاشية (ش١): ميسرة. وهذا خلاف في الاسم، وقد ذكر الخلاف فيه أيضاً ابن الأثير في ترجمة ابنه عبد الله من «أسد الغابة» ٣/ ٢٩٨.

(٤) إسناده صحيح. وصححه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٢٢٣.

وأخرجه الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٢/ ٦٣٠ من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

المؤمنين ما بي من بأسٍ، ولكنّي كنت فيمن حَضَرَ خُبَيبَ بن عَديٍّ حين قُتِلَ وسمعتُ دَعْوتَه، فوالله ما خَطَرَت على قلبي وأنا في مَجلِسٍ قَطُّ، إلّا غُشِيَ عليَّ. فزادَتْه عند عمر خيراً[1].

قال ابن هشام: أقامَ خُبَيبٌ في أيديهم حتّى انقَضَت أشهُرُ الحُرُم، ثمّ قتلوه.

قال ابن إسحاق: وكان ممّا نَزَلَ من القرآن في تلك السَّرِيَّة كما حدّثني مولًى لآلِ زيد بن ثابتٍ، عن عِكْرمة مولى ابن عبّاسٍ أو عن سعيد بن جُبَيرٍ، عن ابن عبّاس؛ قال: قال ابن عبّاسٍ: لمّا أُصيبَت السَّرِيَّةُ التي كان فيها مَرثَدٌ وعاصمٌ بالرَّجيع، قال رجالٌ من المنافقين: يا وَيْحَ هؤلاءِ المفتُونِينَ الّذين هَلَكوا هكذا، لا هم قَعَدوا في أهلِيهم، ولا هم أدَّوْا رسالةَ صاحبِهم! فأنزَلَ الله في ذلك من قول المنافقين، وما أصابَ أولئِكَ النّفَرَ من الخيرِ بالّذي أصابَهم، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: لِمَا يُظهِرُ من الإسلام بلسانِه ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾ وهو مُخالفٌ لمَا يقول بلسانِه ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [البقرة:٢٠٤] أي: ذو جِدالٍ إذا كَلَّمَك وراجَعَك[2].

قال ابن هشام: الأَلَدُّ: الذي يُشغِّبُ فتَشتدُّ خُصومتُه، وجمعُه: لُدٌّ، وفي كتاب الله:

---

(١) إسناده ضعيف لإعضاله وإبهام رواته.

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٨٩١) ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢١/ ١٥٧ ـ عن ابن إسحاق، به.

(٢) إسناده ضعيف لجهالة مولى آل زيد بن ثابت، واسمه محمد بن أبي محمد كما تقدم مراراً.

وأخرجه مقطَّعاً ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٦٣-٣٦٧ و٣٦٩ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم:٩٧]، وقال المُهلهِلُ بن رَبِيعة التَّغلِبيُّ، واسمه امرُؤُ القيس، ويقال: عَدِيٌّ[١]:

إنَّ تحتَ الأحجارِ حَدّاً ولِيناً وخَصِيماً أَلَدَّ ذا مِعْلاقِ[٢]

ويُروَى: مِغْلاقِ ـ فيما قال ابن هشام ـ وهذا البيتُ في قصيدةٍ له[٣].

وهو الألَندَدُ، قال الطِّرِمّاحُ بن حَكيمٍ الطّائيُّ يَصِفُ الحِرباءَ:

يُوفِي على جِذْمِ الجُذولِ كأنَّه خَصمٌ أبَرَّ على الخُصومِ أَلَندَدُ[٤]

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾، قال ابن إسحاق[٥]: أي: خرج من عندِك ﴿سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ

---

(١) في القصيدة ما يرجح أن اسمه عَديّ، وهو قوله:

ضربَتْ صدرَها إليَّ وقالت يا عديّاً لقد وَقَتْك الأَواقي

وانظر الكلام على تحقيق القول في اسمه مقدّمةَ شرح «ديوانه» لطلال حرب ص٦.

(٢) يقول: إن فيه حدّة لأعدائه ولِيناً لأوليائه. والألدّ: الشديد الخصومة. والمِعلاق: اللسان البليغ. وأما المِغلاق: فالقول الذي يُغلِق فم الخصم ويُسكِته.

(٣) انظر «ديوانه» ص٥٨-٥٩.

(٤) ورواية «الديوان» ص١١٣: يَلَندَدُ.

ويوفي: يُشرِف، يعني الحِرباء: وهي دُوَيبّة تصعد على أعلى الشجر وتدور مع الشمس حيثما دارت. والجِذم: القطعة من الشيء، وقد يكون الأصل أيضاً. والجذول: الأصول، يريد أصول الشجر، الواحد: جِذْل. وأبرَّ، أي: زاد وظهر عليهم، قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٧٨: ومن رواه: أبَنَّ، بالنون، فمعناه: أقام ولم يسأَم الخصومة، يقال: أبَنَّ فلانٌ بالمكان، إذا أقام به.

(٥) تكرر هنا في (ش١) و(ي) ونسخة في (ز) و(م) الإسناد السابق عن ابن عباس: حدثني مولًى لزيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال.

وقوله: قال ابن إسحاق، ليس في (ت) و(غ).

فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ أي: لا يُحِبُّ عملَه ولا يَرْضاه ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة:٢٠٥-٢٠٧] أي: قد شَرَوْا أنفُسَهم من الله بالجهاد في سبيلِه والقيام بحَقِّه حتّى هَلَكوا على ذلك؛ يعني تلك السَّرِيَّة.

وقال ابن هشام: يَشْري نفسَه: يبيعُ نفسَه، وشَرَوْا: باعُوا، قال يزيدُ بن رَبيعة بن مُفرِّغٍ الحِمْيريُّ[1]:

وشَـــرَيتُ بُـــرْداً لَيتَنـــي ... مـــن بعـــدِ بُـــردٍ كنـــتُ هامَـــهْ[2]

بُردٌ غُلامٌ له باعَه. وهذا البيتُ في قصيدةٍ له.

وشَرَى أيضاً: اشتَرى، قال الشّاعرُ:

فقلـتُ لهـا: لا تَجزَعـي أُمَّ مالـكٍ ... على ابنَيكِ أنْ عبدٌ لَئيمٌ شَـرَاهما[3]

قال ابن إسحاق: وكان ممّا قيل في ذلك من الشِّعر، قولُ خُبَيب بن عَديٍّ حين بَلَغَه أنّ القومَ قد أجمَعُوا لصَلْبِه ـ قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها له ـ:

لقـد جَمَّـعَ الأحـزابُ حـولي وألَّبُـوا ... قبـائلَهمْ واسـتَجمَعوا كـلَّ مَجمَـعِ[4]

---

(١) انظر «ديوانه» جمع وتحقيق عبد القدوس أبو صالح ص٢١٣.

(٢) كنت هامة، يريد: كنت هالكاً.

(٣) لم نقف على هذا البيت عند غير ابن هشام.

(٤) الأحزاب: جمع حِزْب، وهم كل قوم تشاكلت أهواؤهم وأعمالهم. وألَّبوا: جمعوا، يقال: ألَّبَ القوم على فلان، إذا جمعهم عليه وحضّهم.

وكلُّهـــمُ مُبْـــدِي العَـــداوةِ جاهـــدٌ ... علـــيَّ لأنّـــي في وَثـــاقٍ مُضـــيَّعِ[1]

وقـــد جَمَّعـــوا أبنـــاءَهم ونســـاءَهم ... وقُرِّبـــتُ مـــن جِـــذعٍ طويـــلٍ مُمنَّـــعِ

إلـــى الله أَشـــكُو غُرْبتـــي ثـــمّ كُرْبتـــي ... وما أَرصَدَ الأحزابُ لي عند مَصرَعي[2]

فذا العَـرْشِ صَبِّرْني على ما يُـرادُ بي ... فقد بَضَّعوا لحمي وقد ياسَ مَطمَعي[3]

وذلـــك في ذاتِ الإلٰـــهِ وإن يَشَـــأْ ... يُبـــارِكْ علـــى أَوصـــالِ شِـــلْوٍ مُمـــزَّعِ[4]

وقـد خَيَّـروني الكُفـرَ والمـوتُ دونَـهُ ... وقـد هَمَلَـت عينـايَ مـن غيـر مَجـزَعِ[5]

ومـا بـي حِـذارُ المـوتِ إنّـي لَميّـتٌ ... ولكـــنْ حِـــذارُ جَحْـــمِ نـــارٍ مُلفَّـــعِ[6]

ووالله مـــا أَرجـــو إذا مِـــتُّ مُســـلِماً ... علـــى أيِّ جَنـــبٍ كـــان لله مَضـــجَعي[7]

فلســـتُ بمُبْـــدٍ للعـــدوِّ تَخشُّـــعاً ... ولا جَزَعـــاً إنِّـــي إلـــى الله مَرجِعـــي[8]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ[9]:

---

(١) في نسخة على حاشية (غ): بمَضيَع، وعلى حاشية (ز): قيل: صوابه: بمضيع.

وقوله: في وثاق مضيَّع، أي: ضُيِّعَت حقوقه، يريد نفسَه.

(٢) أرصد: أعدَّ.

(٣) بضّعوا: قطّعوا. وياسَ: لغة في يَئِسَ.

(٤) الأوصال: أعضاء الجسد. والشِّلو: العضو من اللحم. والممزَّع: المقطَّع.

(٥) هَمَلَت: سال دمعها.

(٦) الجَحْم: الملتهِب المتَّقد، ومنه سُمِّيت الجحيم. وملفَّع: مُشتمِل، يقال: تلفَّع بالثوب، إذا اشتمل به، أي: التفَّ به.

(٧) أرجو هنا بمعنى: أخاف، وهي لغة، وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣] أي: لا تخافون.

(٨) التخشُّع: التذلل.

(٩) زاد في (غ): يبكي خبيباً. وهذه القصيدة في «ديوان حسان» ١/ ٢١٣.

مـا بـالُ عَينِـك لا تَرْقـا مَـدامعُها ... سَحّاً على الصَّدرِ مِثلَ اللّؤلُؤِ القَلِقِ[1]

على خُبَيبٍ فتى الفِتيانِ قد عَلِموا ... لا فَشِـلٍ حـين تَلقـاهُ ولا نَـزِقِ[2]

فاذهَـبْ خُبَيـبُ جـزاك اللهُ طيِّبَـةً ... وجَنّـةَ الخُلْـدِ عنـد الحُورِ في الرُّفُـقِ[3]

مـاذا تقولـونَ إن قـال النبـيُّ لكـمْ ... حـين الملائكـةُ الأبـرارُ في الأُفُـقِ

فـيمَ قتلـتُمْ شـهيدَ الله في رجـلٍ ... طـاغٍ قـدَ اوْعَـثَ في البلـدانِ والرُّفَـقِ[4]

قال ابن هشام: ويُروَى: الطُّرُقِ[5]. وتركنا ما بقي منها، لأنّه أقذَعَ فيها[6].

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ أيضاً يبكي خُبَيباً[7]:

يا عَينُ جُودِي بدمعٍ منكِ مُنسكِبِ ... وابكِي خُبَيباً مـع الفِتيـانِ لـم يَؤُبِ[8]

صَـقراً تَوسَّـطَ في الأنصـارِ مَنصِـبُه ... سَمْحَ السَّجِيّةِ مَحْضاً غيـرَ مُؤتَشِـبِ[9]

---

(١) لا ترقأ مدامعها: لا تكفّ، وأصله الهمز فسهّله.

والقَلِق، أي: المتحرِّك الساقط، وفي (ز) و(م) ونسخة على حاشية (ش١) و«الديوان»: الفَلِق، وشرح عليه البرقوقي في «شرح ديوان حسان» ص٣٤٧ فقال: الفَلِق: المتفلِّق، أي: المشقوق، يقول: إن دموعه مثل قطع اللؤلؤ!

(٢) الفَشِل: الجبان الضعيف القوّة. والنَّزِق: السيِّئ الخُلق.

(٣) الرُّفُق: جمع رَفيق.

(٤) أَوعَثَ: اشتدَّ فسادُه. والرُّفَق: جمع رُفْقة.

(٥) يعني: في البلدان والطُّرق، وهي رواية «الديوان».

(٦) يعني أَفحشَ القول فيها.

(٧) انظر «ديوانه» ١/ ٣٧٠.

(٨) منسكب: سائل. ولم يَؤُب، أي: لم يرجع.

(٩) السَّجيّة، أي: الطبيعة. والمَحض: الخالص، وأراد به هنا: خلوص نسبه. والمؤتشِب: المختلِط.

قد هاجَ عَيْني على عِلّاتِ عَبْرَتها ... إذ قيلَ: نُصَّ إلى جِذْعٍ من الخَشَبِ[1]

يا أيّها الرّاكبُ الغادِي لطِيَّتِه ... أبلِغْ لَدَيكَ وعيداً ليس بالكَذِبِ[2]

بني كُهَيبةَ[3] إنّ الحربَ قد لَقِحَت ... مَحلُوبُها الصّابُ إذ تُمرَى لِمُحتلِبِ

فيها أُسودُ بني النَّجّارِ تَقدُمُهمْ ... شُهْبُ الأسِنّةِ في مُعصَوصِبٍ لَجِبِ[4]

قال ابن هشام: وهذه القصيدةُ مِثلُ الّتي قبلها، وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُهما لحسّان، وقد تركنا أشياءَ قالها حسّانُ في أمر خُبَيبٍ لما ذكرتُ[5].

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ أيضاً[6]:

لو كان في الدّارِ قَرْمٌ ماجدٌ بطلٌ ... أَلوَى من القوم صَقرٌ خالُه أنسُ[7]

---

(١) العِلّات: المَشقّات. ونُصَّ: رُفِع، مأخوذ من النَّصّ في السير، وهو أسرعه وأرفعُه.

(٢) الطِّيّة: ما انطوت عليه نيّتك من الجهة التي تتوجه إليها.

(٣) هكذا في (ز) و(م) وحاشية (ش١)، وتصحف في بعض النسخ إلى: كهينة، وفي «الديوان»: فُكيهة، والصواب: كُهيبة، بالباء، وعليه شرح السهيليُّ في «الروض» فقال: جعل كُهَيبةَ كأنه اسم عَلَمٍ لأُمِّهم، وهذا كما يقال: بنو ضَوطَرَى، وبنو الغَبْراء، وبنو دَرَزَة، وهذا كلّه اسمٌ لكلّ من يُسَبُّ، وعبارةٌ عن السَّفِلة من الناس، وكُهيبة من الكُهْبة، وهي الغُبْرة، وهذا كما قالوا: بني الغَبْراء. اهـ

ولَقِحت، أي: ازداد شرها. ومحلوبها: لبنها. والصابُ: العَلقَم. وتُمرَى: تُمسَح لتدرَّ.

(٤) المعصوصِب: الجيش الكثير. واللَّجِب: الكثير الأصوات.

(٥) يعني لِما أفحش فيها من القول.

(٦) انظر «ديوانه» ١/ ٢٢٧.

(٧) القَرْم: السيِّد، وأصله الفحل من الإبل. والماجد: الشريف. وألوى، أي: شديد الخصومة. وأنسٌ كما سيأتي خال المُطعِم بن عديٍّ النوفلي، وكان المُطعِم عزيزاً في قومه هلك على شركه قبل بدرٍ، وهو أحدُ الذين سَعَوْا في نقض الصحيفة التي علَّقتها قريش على الكعبة وفيها مقاطعة =

إذاً وَجَدتَ خُبَيباً[1] مَجلِساً فَسِحاً ... ولم يُشَدَّ عليك السِّجنُ والحَرَسُ

ولـم تَسُـقكَ إلـى التّنعـيمِ زِعنِفَـةٌ ... من القبائلِ منهم مَن نَفَت عُدُسُ[2]

دَلَّوكَ غَدْراً وهـم فيهـا أُولُـو خُلُفٍ ... وأنتَ ضَـيْمٌ لهـا في الـدّارِ مُحتبِسُ[3]

قال ابن هشام: أنسٌ الأصَمُّ السُّلَميُّ خالُ مُطعِم بن عَديّ بن نَوفَل بن عبد مَناف. وقوله: مَن نَفَت عُدُسُ، يعني حُجَيرَ بن أبي إهابٍ، ويقال: الأعشى بن زُرَارة بن النَّبّاش الأُسيِّديّ، وكان حَليفاً لبني نَوفَل بن عبد مَناف.

قال ابن إسحاق: وكان الّذين أَجلَبوا[4] على خُبَيبٍ في قتله حين قُتِلَ من قريش: عِكْرمةُ بن أبي جَهلٍ، وسعيدُ بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد وَدٍّ، والأخنَسُ بن شَرِيقٍ الثَّقَفيُّ حليفُ بني زُهْرة، وعُبَيدةُ بن حَكيمِ بن أُميّة بن حارثة بن الأَوقَص السُّلَميُّ حليفُ بني أُميّة بن عبد شمسٍ، وأُميّةُ بن أبي عُتْبة، وبنو الحَضْرميّ.

وقال حسّانُ أيضاً يَهجُو هُذَيلاً[5] فيما صَنَعوا بخُبَيب:

= بني هاشم وبني المطَّلِب لأنهم نصروا النبيَّ ﷺ، وهو الذي أجار النبيَّ ﷺ بمكّة عند رجوعه من الطائف.

(١) هكذا وقع في نسخنا الخطية منصوباً، وفي «الديوان»: خبيبُ، بالرفع على إرادة النداء مع حذف آلته، وهو أصحُّ.

(٢) الزِّعنفة: الذين ينتمون إلى القبائل ويكونون أتباعاً لهم، وأصل الزِّعنفة الأطراف التي تكون في الجلد. وعُدُس: قبيلة من بني تميم.

(٣) دلَّوك، أي: غرُّوك، ومنه قوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف:٢٢]. والخُلُف: الخُلْف، وضُمَّت لامه في الشِّعر إتباعاً للخاء، وهو من إخلاف العهد. والضَّيم: الذُّل، والمراد: ذو ضيم، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

(٤) أجلبوا، أي: اجتمعوا وصاحوا.

(٥) هجا حسانُ هذيلاً، لأن بني لِحْيان منهم، وهم الذين باعوا خبيباً لقريش. وانظر «ديوان =

أَبلِغْ بني عمرٍو بأنَّ أخاهمُ ... شَرَاهُ امرُؤٌ قد كان للغَدرِ لازِما[1]

شَرَاهُ زهيرُ بن الأغَرِّ وجامعٌ ... وكانا جميعاً يَركَبانِ المَحارِما

أجَرْتُمْ فلمّا أن أجَرتُمْ غَدَرتمُ ... وكنتم بأكنافِ الرَّجيعِ لَهاذِما[2]

فلَيتَ خُبَيباً لم تَخُنْه أمانةٌ ... ولَيتَ خُبَيباً كان بالقومِ عالِما

قال ابن هشام: زهيرٌ وجامعٌ الهُذَليّانِ اللّذانِ باعا خُبَيباً.

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً[3]:

إنْ سَرَّكَ الغَدرُ صِرْفاً لا مِزاجَ لهُ[4] ... فأْتِ الرَّجيعَ فسَلْ عن دارِ لِحْيانِ

قومٌ تَواصَوْا بأكلِ الجارِ بينهمُ ... فالكلبُ والقِردُ والإنسانُ مِثْلانِ[5]

لو يَنطِقُ التَّيسُ يوماً قام يَخطُبُهمْ ... وكان ذا شَرَفٍ فيهم وذا شانِ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيدٍ الأنصاريُّ قولَه:

لو يَنطِقُ التّيسُ يوماً قامَ يَخطُبُهم ... وكان ذا شَرَفٍ فيهم وذا شانِ

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً يَهجُو هُذَيلاً[6]:

سالَتْ هُذَيلٌ رسولَ الله فاحشةً ... ضَلَّتْ هُذَيلٌ بما سالَتْ ولم تُصِبِ[7]

= حسان» ١/ ٢٤٨.

(١) بنو عمرو: هم بنو عمرو بن عوف من الأوس، وهم رهطُ خُبيب. وشَرَاه: باعه.

(٢) اللهاذم: اللصوص وقطّاع الطرق.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ١٧١.

(٤) أي: خالصاً غير ممزوج بشيء.

(٥) في «الديوان»: فخيرُهم رجلاً والتيسُ مِثْلانِ.

(٦) انظر «ديوانه» ١/ ٤٤٣.

(٧) قوله: سالت هذيل، أراد: سأَلَت، فخفَّف الهمزة، وهي لغةٌ، وأراد حسَّانُ أنّ هذيلاً =

سألُوا رسولَهمُ ما ليس مُعطِيَهمْ ... حتّى المماتِ وكانوا سُبّةَ العَرَبِ
ولن تَرَى لهُذَيلٍ داعياً أبداً ... يدعو لمَكرُمةٍ عن مَنزِلِ الحَرَبِ[1]
لقد أَرادوا خِلالَ الفُحشِ وَيحَهمُ ... وأنْ[2] يُحِلُّوا حراماً كان في الكُتُبِ

وقال حسّانُ بن ثابتٍ يَهجُو هُذَيلاً[3]:

لَعَمْري لقد شانَتْ هُذيلَ بنَ مُدرِكٍ ... أحاديثُ كانت في خُبيبٍ وعاصمِ[4]
أحاديثُ لِحيانٍ صَلُوا بقَبيحِها ... ولحيانُ جَرّامُون شَرَّ الجرائمِ[5]
أُناسٌ همُ من قومِهم في صَميمِهم ... بمَنزِلةِ الزِّمْعانِ دُبْرَ القَوادِمِ[6]
همُ غَدَرُوا يومَ الرَّجيعِ وأسلَمَت ... أمانَتُهمْ ذا عِفّةٍ ومَكارِمِ
رسولَ رسولِ الله غَدْراً ولم تكنْ ... هُذَيلٌ تَوَقَّى مُنكَراتِ المَحارِمِ
فسوفَ يَرَونَ النّصرَ يوماً عليهمُ ... بقتلِ الّذي تَحْميهِ دونَ الحَرائمِ[7]

= حين أرادت الإسلام، سألَت رسولَ الله ﷺ أن يُحِلَّ لهم الزِّنى، فعيَّرهم بذلك. قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٨١.

(١) الحَرَب: السَّلَب، يقال: حُرِب الرجلُ، إذا سُلِبَ، أي: أُخذ ما عليه من سلاح ومتاع في الحرب. يصفهم بأنهم أهل نهبٍ وسلبٍ.

(٢) في (ت) و(ز) و(ص): ولن، وفي (م): ولم.

وخِلال الفُحش: خصاله.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ٥١٣.

(٤) شانت: قَبَحَت وعابت.

(٥) صَلُوا بقبيحها، أي: أصابهم شرُّها. وجرّامون، أي: كاسبون.

(٦) صميم القوم: خالصهم في النسب. والزِّمعان: جمع زَمْعٍ، وهو الشَّعر الذي يكون فوق الرُّسغ من الدابة وغيرها. ودُبْرَ: خَلْفَ. والقوادم هنا: الأيدي، لأنها تَقدُم الأرجل.

(٧) تحميه: يعني عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الذي حَمَته النّحل. ودون الحرائم، أي: =

أبابيـلُ دَبْـرٍ شُـمَّسٍ دونَ لحمِـهِ ... حَمَتْ لحمَ شَهّادٍ عِظامَ المَلاحمِ[1]

لَعـلَّ هُـذَيلاً أن يَـرَوا بمُصابِـهِ ... مَصـارعَ قَتلَـى أو مَقامـاً لمَـاتَمِ[2]

ونُوقِـعَ فيهـا وَقْعـةً ذاتَ صَـولةٍ ... يُـوافِي بهـا الرُّكبـانُ أهـلَ المَواسمِ[3]

بـأمرِ رسـول الله إنَّ رسـولَهُ ... رأَى رأْيَ ذي حَـزْمٍ بلِحْيـانَ عـالِمِ

قُبيِّلـةٌ لـيس الوَفـاءُ يُهِمُّهـمْ ... وإن ظُلِمـوا لـم يَـدفَعوا كَـفَّ ظالمِ

إذا النـاسُ حَلُّـوا بالفَضـاءِ رأيـتَهمْ ... بمَجرَى مَسِيلِ الماءِ بين المَخارمِ[4]

مَحَلُّهـمُ دارُ البَـوَارِ ورأيُهـمْ ... إذا نـابَهمْ أمـرٌ كـرأْيِ البهـائمِ[5]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ يَهجُو هُذَيلاً[6]:

لَحَـى اللهُ لِحيانـاً فليست دِماؤُهم ... لنـا مـن قَتِيلَـيْ غَـدْرةٍ بوَفـاءِ[7]

هـمُ قتلـوا يـومَ الرَّجيـعِ ابـنَ حُـرّةٍ ... أخـا ثِقَـةٍ في وُدِّهِ وصَـفاءِ

= دون أن يمسَّه أحدٌ من الكفار.

والحرائم: جمع حَريم، وأراد بها هنا حُرْمة جسده فلا يُمثّل به.

(١) الأبابيل: الجماعات. والدَّبر: الزنابير أو النحل. والشُّمَّس: المُدافِعة. وشهّاد... أي: كثير الشهود للحروب. والمَلاحم: جمع مَلحَمة، وهي الحرب.

(٢) المأتم: جماعة النساء يجتمعن في حزن أو فرح، وأراد به هنا أنهن يجتمعن في مَناحةٍ، وقد سهّل همزة المأتم، لأن القافية هنا مؤسَّسة بالألف. قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٨٢.

(٣) الصَّولة: الشِّدّة. ويُوافي بها، أي: يأتون ويخبرون بها. والمواسم: مواسم الحج وغيرها من المواضع التي كانت العرب تجتمع فيها.

(٤) الفضاء: المتَّسع من الأرض. والمَخارم: مَسايِل الماء التي يَخرِمها (أي: يشقُّها) السيل.

(٥) البوار: الهلاك. ونابَهم، أي: نزل وحلَّ بهم.

(٦) انظر «ديوانه» ١/ ٤٠٦.

(٧) لَحَى اللهُ، أي: قبَّحهم ولَعَنهم.

فلو قُتِلوا يومَ الرَّجيعِ بأَسْرِهم ... بذي الدَّبْرِ ما كانوا له بكِفاءِ[1]

قتيلٌ حَمَتْه الدَّبْرُ بين بُيوتِهم ... لَدَى أهلِ كُفرٍ ظاهرٍ وجَفاءِ

فقد قَتَلَت لِحْيانُ أكرَمَ منهمُ ... وباعوا خُبَيباً وَيلَهُمْ بلَفَاءِ[2]

فأُفٌّ لِلِحْيانٍ على كلِّ حالةٍ ... على ذِكْرِهمْ في الذِّكرِ كلُّ عَفَاءِ[3]

قُبيِّلةٌ باللُّؤمِ والغَدْرِ تَغتَري ... فلم تُمسِ يَخفَى لُؤمُها بخَفاءِ[4]

فلو قُتِلوا لم تُوفِ منه دِماؤُهم ... بَلَى إنَّ قتلَ القاتِليهِ شِفَائي

فإنْ لا أَمُتْ أَذعَرْ هُذَيلاً بغارةٍ ... كغَادِي الجَهَامِ المُغتَدي بإفَاءِ[5]

بأمرِ رسولِ الله والأمرُ أمرُهُ ... يَبِيتُ لِلحْيانَ الخَنَا بفِناءِ[6]

يُصبِّحُ قوماً بالرَّجيعِ كأنَّهمْ ... جِدَاءُ شِتاءٍ[7] بِتْنَ غيرَ دِفاءِ

وقال حسّانُ بن ثابتٍ يَهجُو هُذَيلاً[8]:

فلا واللهِ ما تدري هُذَيلٌ ... أصافٍ ماءُ زَمزَمَ أم مَشُوبُ[9]

---

(١) بأسرهم، أي: جميعهم. ويعني بذي الدَّبْر عاصمَ بن أبي الأقلح.

(٢) اللَّفَاء: الشيء الحقير اليسير، ومنه قولهم: اقنَعْ من الوفاء باللَّفاء.

(٣) العَفَاء: المحو والتغيّر.

(٤) تغتري، أي: يُغرِي بعضُها بعضاً. وفي (ز) و(ش١) و(غ): تَعتزِي، ومعناه: تنتسب. وقيِّد في (م) بالوجهين.

(٥) أَذعَرُ: أُفزِعُ. والغادي: المبكِّر. والجَهَام: السحاب الرقيق. والإفاء هنا: الغنيمة.

(٦) الخنا: كأنه هنا أراد الهلاك، من قولهم: أخنى عليهم الدهرُ، أي: أَتى عليهم وأهلكهم.

(٧) هكذا في (غ) و(م)، وفي (ت) و(ش١): جداءٌ وشاءٌ، وفي (ز) و(ص) و(ي): جداءٌ وشتا، وهو خطأ، والصواب ما في (غ) و(م). والجِداء: جمع جَدْي، ودِفاء من الدِّفء.

(٨) انظر «ديوانه» ١/ ١٧٣.

(٩) المَشُوب: المخلوط.

ولا لهـمُ إذا اعتَمَـروا وحَجُّـوا ... من الحَجَـرَينِ والمَسعَى نصيبُ[1]

ولكـنَّ الرَّجيـعَ لهـم مَحَـلٌّ ... بـه اللُّـؤمُ المُبـيَّنُ والعُيـوبُ

كـأنّهمُ لـدى الكَنّـاتِ أُصْـلاً ... تُيـوسٌ بالحِجـازِ لهـا نَبِيـبُ[2]

هـمُ غَـرُّوا بـذِمَّتِهم خُبَيبـاً ... فبِئسَ العهـدُ عهـدُهمُ الكَـذُوبُ

قال ابن هشام: آخرُها بيتاً عن أبي زيدٍ الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ يبكي خُبَيباً وأصحابَه[3]:

صلَّى الإلـهُ علـى الّـذينَ تتـابَعُوا ... يـومَ الرَّجيـعِ فـأُكرِموا وأُثِيبـوا

رأسُ السَّـرِيّة مَرثَـدٌ وأميـرُهم ... وابـنُ البُكَيـرِ إمـامُهمْ وخُبَيـبُ[4]

وابـنٌ لطـارقَ وابـنُ دَثْنـةَ مـنهمُ ... وافـاهُ ثَـمَّ حِمامُـه المكتُـوبُ[5]

والعاصمُ المقتولُ عند رَجيعِهِمْ ... كَسَـبَ المَعـالي إنّـه لكَسُـوبُ

---

(١) يعني بالحَجَرين: الحَجَر الأسود، والحِجْر الذي فيه مقام إبراهيم عليه السلام، ويروى: الحِجرَين، يعني حِجْر الكعبة، فثنّاه مع ما يليه. والمسعى: حيث يُسعَى بين الصَّفا والمَرْوة.

(٢) الكَنّات: جمع كَنّةٍ، وهي شيء يُلصَق بالبيت يُكَنُّ به، أي: يُستَتَر به. وأُصلاً، بضمّتين وسُكِّن تخفيفاً: جمع أَصيل، وهو العَشِيّ، وهو من الوقت بعد العصر إلى المغرب. والنَّبيب: صياح التيس عند الهياج والسِّفاد.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ١٧٩.

(٤) قوله: خُبَيب، في قافية واحدة مع قوله: المكتُوب، عيبٌ من عيوب قوافي الشِّعر كما ذكر أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٨٤، حيث إنه ذكر قبل حرف الرَّويّ في خُبيبٍ ياءً مفتوحاً ما قبلها، فخالف بذلك سائر القصيدة، وهذا يسمَّى: التوجيه، وهو أن يختلف ما قبل الرِّدْف، والرِّدف في الشِّعر: حرف ساكن من حروف المدّ واللِّين يقع قبل حرف الرَّوي ليس بينهما شيء.

(٥) الحِمام: الموت.

مَنَـعَ المَقَـادةَ أن يَنـالُوا ظَهـرَه حتّـى يُجالِـدَ إنَّـه لنَجِيـبُ[1]

قال ابن هشام: ويُروَى: حتّى يُجدَّلَ إنّه لنَجِيبُ[2].

قال ابن هشام: وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها لحسّان.

أمرُ بئر مَعُونة

في صَفَرٍ سنة أربعٍ

قال ابن إسحاق: فأقامَ رسولُ الله ﷺ بقيّةَ شوّالٍ وذا القَعْدة وذا الحِجّة ـ ووَلِيَ تلك الحَجّةَ المشركون ـ والمُحرَّمَ، ثمّ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ أصحابَ بئر مَعُونةَ في صَفَرٍ على رأس أربعة أشهرٍ من أُحد.

وكان من حديثهم، كما حدّثني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ، عن المغيرة بن عبد الرَّحمن ابن الحارث بن هشام، وعبدُ الله بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حَزْمٍ، وغيرُه من أهل العلم، قالوا: قَدِمَ أبو بَراءٍ عامرُ بن مالك بن جعفرٍ مُلاعِبُ الأَسِنّة[3] على رسول الله ﷺ المدينةَ، فعَرَضَ عليه رسولُ الله ﷺ الإسلامَ ودعاه إليه فلم يُسلِمْ ولم يَبعُدْ من الإسلام، وقال: يا محمّدُ، لو بَعَثتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نَجدٍ فدَعَوهم إلى أمرِك، رَجَوتُ أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله ﷺ: «إنِّي أَخشَى عليهم أهلَ نَجدٍ»، قال أبو براءٍ: أنا لهم جارٌ، فابعَثْهم فليَدْعُوا الناسَ إلى أمرِك[4].

---

(١) المَقادة: المَذَلّة والانقياد لأعدائه. ويجالد: يضارب بالسيف.

(٢) يُجدَّل، أي: يقع بالأرض، واسم الأرض: الجَدَالة.

(٣) الأسنّة: الرِّماح.

(٤) خبر السَّريّة بطوله صحيح روي من أوجهٍ يشدُّ بعضها بعضاً منها مرسلٌ ومنها موصولٌ.

ومن طريق ابن إسحاق بهذا الإسناد أخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٤٥-٥٤٧، والطبراني في «الكبير» ٢٠/ (٨٤١)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٤٨٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» =

فبَعَثَ رسولُ الله ﷺ المنذرَ بن عمرٍو أخا بني ساعدةَ، المُعنِقَ ليموتَ[1]، في أربعين رجلاً[2] من أصحابه من خِيَار المسلمين، منهم الحارثُ بن الصِّمّة، وحَرَامُ ابن مِلْحانَ أخو بني عَديّ بن النَّجّار، وعُرْوةُ بن أسماءَ بن الصَّلْت السُّلَميّ، ونافعُ ابن بُدَيل بن وَرْقاءَ الخُزَاعيّ، وعامرُ بن فُهَيرةَ مولى أبي بكرٍ الصِّدّيق، في رجالٍ مُسمَّينَ من خِيَار المسلمين، فساروا حتّى نَزَلوا ببئرِ مَعُونةَ، وهي بين أرض بني عامرٍ وحَرَّة بني سُلَيمٍ، كِلا البلدَينِ منها قريبٌ، وهي إلى حَرَّة بني سُلَيمٍ أقرب[3].

فلمّا نَزَلُوها بَعَثُوا حَرَامَ بن مِلْحانَ بكتابِ رسول الله ﷺ إلى عدوِّ الله عامر بن الطُّفَيل[4].

= ٣/ ٣٣٩-٣٤١، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٣٦-٣٧ من طرق عن ابن إسحاق.

وروى خبر بئر معونة أيضاً موسى بن عقبة في مغازيه فيما أخرجه البيهقي ٣/ ٣٤٣ عن ابن شهاب الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ورجال من أهل العلم، مرسلاً.

ورواه أيضاً الواقدي في «مغازيه» ١/ ٣٤٦-٣٤٨ عن جماعة من شيوخه مرسلاً.

وروي عن أنس بن مالك أبعاضٌ منه في «الصحيحين» وغيرهما كما سيأتي لاحقاً.

(١) المُعنِق ليموت، أي: المُسرِع، وإنّما لُقِّب بذلك لأنه أسرعَ إلى الشهادة. قاله الخشنيُّ.

(٢) بل هم سبعون رجلاً، كما وقع في حديث أنس بن مالك عند البخاري (٤٠٩٠) ومسلم (١٩٠٢) (١٤٧).

وحديث أنس هذا قد رواه أيضاً ابن إسحاق نفسه عن حميد الطويل عن أنس فيما أخرجه الطبري ٢/ ٥٤٦ من طريق سلمة بن الفضل عنه.

وذكر الواقدي ١/ ٣٤٧ عن أبي سعيد الخدري: أنهم كانوا سبعين، ثم قال: ويقال: إنهم كانوا أربعين، ورأيت الثَّبَت على أنهم أربعون!

(٣) لا يعرف مكان بئر معونة اليوم بالتحديد، لكنه يقع غرب مدينة مهد الذهب (المعروف قديماً بمَعدِن بني سُليم) إلى الشمال، والمهد جنوب شرق المدينة المنوَّرة على قرابة ١٨٠ كم.

(٤) وهو ابن أخي أبي براءٍ عامر بن مالك.

فلمّا أتاه لم يَنظُرْ في كتابه حتّى عَدَا على الرَّجل فقتله[1]، ثمّ استَصرَخَ عليهم بني عامرٍ[2] فأبَوْا أن يُجِيبُوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا: لن نُخفِرَ أبا بَراءٍ[3]، وقد عَقَدَ لهم عَقْداً وجِواراً، فاستَصرَخَ عليهم قبائلَ من بني سُلَيمٍ من عُصيّةَ ورِعْلٍ وذَكْوانَ، فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتّى غَشُوا القومَ فأحاطوا بهم في رِحالِهم، فلمّا رَأَوهم أخذوا سيوفَهم ثمّ قاتلوهم حتّى قُتِلوا من عند آخرِهم رضي الله عنهم، إلّا كعبَ بن زيدٍ أخا بني دينار بن النَّجّار، فإنّهم تَرَكوه وبه رَمَقٌ، فارتُثَّ[4] من بين القتلى، فعاشَ حتّى قُتِلَ يومَ الخندق شهيداً.

وكان في سَرْحِ القوم[5] عمرُو بن أُميّة الضَّمْريُّ ورجلٌ من الأنصار أحدُ بني عمرو بن عوف.

قال ابن هشام: هو المنذرُ بن محمّد بن عُقْبة بن أُحَيحة بن الجُلَاح.

قال ابن إسحاق: فلم يُنبِئْهما بمُصابِ أصحابِهما إلّا الطّيرُ تَحُومُ على العسكر، فقالا: والله إنَّ لهذِه الطّيرِ لَشأناً.

فأقبَلا ليَنظُرا، فإذا القومُ في دمائهم، وإذا الخيلُ التي أصابتهم واقفةٌ، فقال الأنصاريُّ لعمرو بن أُميّة: ما تَرَى؟ قال: أَرى أن نَلحَقَ برسول الله ﷺ فنُخبِرَه الخبرَ، فقال الأنصاريّ: لكنّي ما كنتُ لأَرغَبَ بنفسي عن موطنٍ قُتِلَ فيه المنذرُ

---

(١) وذكر نحوَ هذا في قتل حرام بن مِلحان أنسُ بن مالك عند البخاري (٤٠٩١)، وحرامٌ خالُ أنس أخو أمّه أمِّ سُليم.

(٢) أي: استغاث واستعان بهم، وهم قومه بنو عامر بن صَعصَعة من هَوَازن.

(٣) أي: لن ننقض عهده.

(٤) ارتُثَّ، أي: رُفع وبه جراح.

(٥) السَّرْح: الإبل والمواشي التي تَسرَح للرّعي.

ابن عمرٍو، وما كنتُ لتُخبِرَني عنه الرِّجالُ، ثمّ قاتل القومَ حتّى قُتِلَ، وأَخذوا عمرَو ابن أُميّة أسيراً، فلمّا أخبرهم أنّه من مُضَر، أطلَقَه عامرُ بن الطُّفَيل وجَزَّ ناصيَتَه وأعتَقَه عن رَقَبةٍ زَعَمَ أنّها كانت على أُمِّه.

فخرج عمرو بن أُميّة حتّى إذا كان بالقَرقَرةِ[1] من صَدْر قَنَاة، أقبَلَ رجلانِ من بني عامر.

قال ابن هشام: ثمّ من بني كِلابٍ، وذكر أبو عمرو المَدَنيّ: أنّهما من بني سُلَيم.

قال ابن إسحاق: حتّى نَزَلا معه في ظِلٍّ هو فيه، وكان مع العامريَّينِ عَقدٌ من رسول الله ﷺ وجِوارٌ لم يَعلَمْ به عمرُو بن أُميّة، وقد سألهما حين نَزَلا: ممَّن أنتما؟ فقالا: من بني عامرٍ، فأمهَلَهما، حتّى إذا ناما عَدَا عليهما فقَتَلَهما، وهو يَرَى أنّه قد أصابَ بهما ثُؤْرةً[2] من بني عامرٍ فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ، فلمّا قَدِمَ عمرُو بن أُميّة على رسول الله ﷺ فأخبره الخبرَ، قال رسول الله ﷺ: «لقد قَتَلتَ قَتِيلَينِ لَأَدِيَنَّهما»، ثمّ قال رسول الله ﷺ: «هذا عَمَلُ أبي بَرَاءٍ، قد كنتُ لهذا كارهاً مُتَخَوِّفاً».

فبَلَغَ ذلك أبا بَراءٍ، فشَقَّ عليه إخفارُ عامرٍ إيّاه وما أصابَ أصحابَ رسول الله ﷺ بسببِه وجِوَارِه.

---

(١) هي قرقرة الكُدْر، موضع بناحية معدن بني سليم المعروف اليوم بمهد الذهب، المشار إليه قريباً.

وأما قناةُ: فهو أحد أودية المدينة الثلاثة، بُطحان وقناة والعقيق، وهو وادٍ كبير فحلٌ يمرّ من شرق المدينة إلى أن يصل إلى جهتها الشمالية الشرقية، ويمرّ من جنوبيّ جبل أُحد باتجاه الغرب ويميل قليلاً إلى الشمال.

(٢) الثُّؤرة: الثأر.

وكان فيمَن أُصيبَ عامرُ بن فُهَيرةَ، فحدّثني هشام بن عُرْوة، عن أبيه: أنّ عامرَ ابن الطُّفَيلِ كان يقول: مَن رجلٌ منهم لمّا قُتِلَ رأيتُه رُفِعَ بين السماءِ والأرض حتّى رأيتُ السماءَ من دُونِه؟ قالوا: هو عامرُ بن فُهَيرةَ[1].

وقد حدّثني بعضُ بني جَبّار بن سُلْمى[2] بن مالك بن جعفرٍ ـ قال: وكان جبّارٌ فيمن حَضَرَها[3] يومَئذٍ مع عامرٍ ثمّ أسلَمَ ـ قال: فكان يقول: إنَّ ممّا دعاني إلى الإسلام أنّي طَعَنتُ رجلاً منهم يومَئذٍ بالرُّمح بين كَتِفَيه، فنَظَرتُ إلى سِنانِ الرّمح حين خرج من صَدْره، فسمعته يقول: فُزْتُ والله، فقلتُ في نفسي: ما فازَ؟! ألستُ قد قتلتُ الرّجلَ! قال: حتّى سألتُ بعدَ ذلك عن قوله، فقالوا: لِلشّهادةِ، فقلت: فازَ

(١) مرسل رجاله ثقات.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٤٨ سلمة بن الفضل، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ١/ ١١٠، و«معرفة الصحابة» (٥١٥٨) من طريق إبراهيم بن سعد، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

ورواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق عند ابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٣٣، وفيه: أن عامر ابن الطفيل لما قدم إلى المدينة ـ وعرض عليه الإسلام فأبى ـ سأل رسولَ الله ﷺ عن ذلك فقال: «هو عامر بن فهيرة». وهذه رواية شاذّة.

وقد روى أبو أسامة حمادُ بن أسامة هذا الخبر عند البخاري بإثر الحديث (٤٠٩٣) عن هشام ابن عروة عن أبيه قال: لمّا قُتل الذين ببئر معونة وأُسر عمرو بن أُمية الضمري، قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أُمية: هذا عامر بن فُهَيرة، فقال: لقد رأيته بعدما قُتل رُفِعَ إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وُضِعَ. قلنا: وعمرو ابن أُمية قد تأخرت وفاته إلى خلافة معاوية، وتوفي بالمدينة وأدركه عروةُ بن الزبير، فلا يَبعُد أن يكون سمع هذا الخبر منه، والله تعالى أعلم.

(٢) قُيِّد في بعض نسخنا بفتح السين، وقد نصَّ ابن ماكولا في «الإكمال» ٤/ ٣٢٧ في هذا على أنه بضم السين والإمالة.

(٣) أي: حضر يوم بئر معونة.

لَعَمْرُ اللهِ[1].

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ يُحرِّضُ بني أبي بَراءٍ على عامر بن الطُّفَيل:

بَنِي أُمِّ البَنِينَ ألَم يَرُعْكمْ ... وأنتم من ذَوائبِ أهلِ نَجدِ[2]

تَهكُّمُ عامرٍ بأبي بَراءٍ ... ليُخفِرَه وما خَطَأٌ كعَمدِ[3]

ألَا أبلِغْ ربيعةَ ذا المَساعي ... فما أحدَثْتَ في الحَدَثانِ بعدي[4]

أبوكَ أبو الحُروبِ أبو بَراءٍ ... وخالُك ماجدٌ حَكَمُ بن سعدِ[5]

قال ابن هشام: حَكَمُ بن سعدٍ من القَيْنِ بن جَسْرٍ.

وأمُّ البَنِين بنتُ عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صَعصَعة، وهي أمُّ أبي بَراءٍ.

قال ابن إسحاق: فحَمَلَ ربيعةُ بنُ عامر بن مالكٍ على عامر بن الطُّفَيل، فطَعَنَه بالرُّمح فوَقَعَ في فَخِذِه فأَشْواهُ[6] ووَقَعَ عن فرسه، فقال: هذا عَمَلُ أبي بَراءٍ، إن أمُتْ

(١) وروى هذا الخبر أيضاً الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٣٤٩ عن مصعب بن ثابت الزبيري، عن أبي الأسود يتيم عروة، عن عروة. وسمَّى هذا المطعون عامرَ بن فُهيرة.

لكن أخرج البخاري (٤٠٩١) و(٤٠٩٢)، ومسلم (١٩٠٢)(١٤٧) من طرق عن أنس بن مالك: أن هذا المطعون والقائل: فزتُ... هو خاله حَرَام بن مِلْحان.

(٢) الذوائب: الأعالي والأشراف.

(٣) التهكّم: الاستهزاء. ويُخفِره، أي: ينقض عهده.

(٤) ربيعة: هو ابن أبي براء عامر بن مالك. والمساعي: السعي في طلب المجد والمكارم. والحَدَثان: حوادث الدهر.

(٥) الماجد: السيّد الشريف.

(٦) أشواه، أي: أخطأ مَقتَلَه.

فدَمِي لعمِّي، فلا يُتبَعَنَّ به، وإن أَعِشْ فسأَرى رَأْيي فيما أُتي إليّ.

وقال أنسُ بن عبّاسٍ السُّلَميّ - وكان خالَ طُعَيمة بن عَدِيّ بن نَوفَل - وقَتَلَ يومَئذٍ نافعَ بن بُدَيل بن وَرْقاءَ الخُزاعيَّ:

تَرَكتُ ابنَ وَرْقاءَ الخُزاعيَّ ثاوِياً ... بمُعتَرَكٍ تَسْفي عليه الأعاصرُ[1]

ذكرتُ أبا الزَّبّانِ لمّا رأيتُهُ ... وأَيقَنتُ أنّي عندَ ذلك ثائرُ[2]

وأبو الزَّبّان: طُعَيمةُ بن عَدِيّ.

وقال عبدُ الله بن رَوَاحة يبكي نافعَ بن بُدَيلٍ:

رَحِمَ اللهُ نافعَ بن بُدَيلٍ ... رحمةَ المُبتَغِي ثوابَ الجِهادِ

صابرٌ صادقٌ وَفِيٌّ إذا ما ... أكثرَ القومُ قال قولَ السَّدَادِ

وقال حسّانُ بن ثابتٍ يبكي قتلى بئر مَعُونةَ ويَخُصُّ المنذرَ[3]:

على قَتلَى مَعُونةَ فاستَهِلِّي ... بدمعِ العَينِ سَحّاً غيرَ نَزْرِ[4]

على خيلِ الرَّسولِ غَداةَ لاقَوْا ... ولاقَتْهم مَناياهُم بقَدْرِ

أصابَهمُ الفَناءُ بعَقدِ قومٍ ... تُخُوِّنَ عَقدُ حَبلِهِم بغَدْرِ[5]

---

(١) المُعتَرَك: موضع الحرب.

وتَسفِي: تُثير عليه التراب.

والأعاصر والأعاصير: الرِّياح الشديدة التي يلتفُّ معها الغبار.

(٢) ثائر: آخذٌ بثأري.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ٢٠٧.

(٤) استهلِّي: أَظهري البكاء، يقال: استهلَّ الدمعُ، إذا سال وظَهَر. والسَّحّ: الصَّبّ. والنَّزْر: القليل.

(٥) تُخُوِّن، أي: تُنُقِّص.

فيـا لَهْفـي لمُنـذِرٍ اذْ تَـوَلَّى وأَعنَـقَ في مَنيّتِـهِ بصَـبْرِ[1]

وكـائِنْ قـد أُصـيبَ غَـداةَ ذاكُـم منَ ٱبيَضَ ماجدٍ مـن سِرِّ عَمـرِو[2]

قال ابن هشام: أنشَدَني آخرَها بيتاً أبو زيدٍ الأنصاريُّ، وأنشَدَني لكعبِ بن مالكٍ في يوم بئر مَعُونةَ يعني[3] بني جعفر بن كِلابٍ:

تَـرَكتُم جـارَكم لبنـي سُـلَيمٍ مَخافـةَ حَـربِهم عَجْـزاً وهُونـا[4]

فلـو حَـبْلاً تَنـاوَلَ مـن عُقَيـلٍ لَمَـدَّ بحَبلِهـا حَـبلاً مَتِينـا[5]

أو[6] القُرَطـاءِ مـا إنْ أسـلَمُوه وقِـدْماً مـا وَفَـوْا إذ لا يَفُونـا

قال ابن هشام: القُرَطاءُ قبيلةٌ من هَوَازِن، ويُروَى: من نُفَيلٍ، مكانَ عُقَيل، وهو الصّحيحُ؛ لأنَّ القُرَطاءَ من نُفَيلٍ قريبٌ[7].

---

(١) أَعنق: أسرع، والعَنَق بفتحتين: ضربٌ من السير السريع.

(٢) سرُّ القوم: خيارهم وخالصهم.

(٣) في نسخة في (م): يعيّر، وفي (ت): يعني يعيِّر.

(٤) الهُون: الذل والمهانة.

(٥) يعني بالحبل: العهد والذِّمّة.

وأراد كعبٌ تفضيل بني عُقيل على بني جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهم بطنٌ آخر من بني عامر بن صعصعة، فعُقيل: هو ابن كعب بن عامر ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

(٦) في (ت) و(ز) و(ص) و(م): أبو.

قال السهيليُّ والخشنيُّ: القُرَطاء: بطون من العرب من بني عامر ثم من بني كِلاب، وهم: قُرْط وقُرَيط وقَرِيط، وهم القروط أيضاً.

(٧) نفيل: هو نفيل بن عمرو بن كلاب بن عامر بن صعصعة.

أمرُ إجلاءِ بني النَّضير
في سنة أربعٍ[1]

(١) كذا وقع لابن إسحاق: أن غزوة بني النضير كانت سنة أربع بعد أُحدٍ بقرابة خمسة أشهر، ووافقه على ذلك أكثر أهل المغازي، وأما الزهري فقال: إنها كانت بعد وقعة بدرٍ بستة أشهر، وأشار إلى هذا الخلاف فيها بين الزهريِّ وابن إسحاقَ البخاريُّ في «صحيحه» في كتاب المغازي: باب حديث بني النضير، واختار هو قولَ الزهريِّ فبوَّب لهذه الغزوة قبل غزوة أُحد، وقد اختُلِف على الزهري فيه، فمرّةً يُسنَد عنه هذا القول إلى عُروة بن الزبير، ومرةً إلى عائشة رضي الله عنها، والمحفوظ فيه أنه من قوله هو كما هو مبيَّن في التعليق على «مستدرك الحاكم» (٣٨٣٩) طبعة دار الرسالة.

وقد رجّح السهيليُّ أيضاً في «الروض» ٦/ ٢٣٢ ما قال الزهريُّ، فقال: ذكر ابن إسحاق هذه الغزوة في هذا الموضع، وكان ينبغي أن يذكرها بعد بدرٍ لما روى عُقَيل بن خالد وغيره عن الزهري قال: كانت غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر.

وقال ابن القيّم في «زاد المعاد» ٣/ ٢٤٩: زعم محمدُ بن شهاب الزهريّ: أن غزوة بنى النضير كانت بعد بدر بستة أشهر، وهذا وهمٌ منه أو غلطٌ عليه، بل الذي لا شكَّ فيه أنها كانت بعد أُحد، والتي كانت بعد بدرٍ بستة أشهر هي غزوة بني قَينُقاع.

وصوَّب الصالحيُّ أيضاً في «سُبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» ٤/ ١٨١ إيرادها بعد أُحدٍ كما ذكر ذلك ابن إسحاق وغيره من أئمة المغازي.

كما اختُلف في سبب هذه الغزوة أيضاً، فبينما اتَّفق ابن إسحاق والواقدي وابن سعد وجُلُّ أهل المغازي على نحو ما ذكره ابن إسحاق هنا في قصة عمرو بن أُميّة الضَّمري، روى معمرٌ عن الزهري سبباً آخر غيرَ هذا، فقد روى عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧٣٣) ـ ومن طريقه أبو داود (٣٠٠٤) ـ عن معمر، عن الزهريِّ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ـ أو ابنه عبد الله بن عبد الرحمن ـ عن رجل من أصحاب النبيِّ ﷺ: أنّ كفار قريش كتبوا بعد وقعة بدرٍ إلى اليهود: إنكم أهل الحَلْقة (أي: السلاح) والحصون، وإنكم لتقاتلُنَّ صاحبَنا، أو لنفعلنَّ كذا وكذا... =

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج رسولُ الله ﷺ إلى بني النَّضِير يَستَعينُهم في دِيَة ذَينِكَ القتيلين من بني عامرٍ اللَّذَين قَتَلَ عمرُو بن أُميّة الضَّمْريّ، للجِوار الّذي كان رسولُ الله ﷺ عَقَدَ لهما ـ كما حدّثني يزيدُ بن رُومان ـ وكان بين بني النَّضيرِ وبين بني عامرٍ عَقْدٌ وحِلفٌ، فلمّا أتاهم رسولُ الله ﷺ يَستَعينُهم في دِيَة ذَينِك القتيلين قالوا: نعم يا أبا القاسم، نُعِينُك على ما أحبَبتَ ممّا استَعنتَ بنا عليه، ثمّ خَلَا بعضُهم ببعضٍ فقالوا: إنّكم لن تَجِدُوا الرّجلَ على مثلِ حاله هذه ـ ورسولُ الله ﷺ إلى جنبِ جِدارٍ من بيوتهم قاعدٌ ـ فمَن رجلٌ يَعلُو على هذا البيت فيُلقِي عليه

= فلمّا بلغ كتابُهم اليهودَ أجمعت بنو النَّضير على الغَدْر، فأرسلت إلى النبي ﷺ: اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، ولنخرج في ثلاثين حَبْراً، حتى نلتقيَ في مكان كذا، نِصْف بيننا وبينكم، فيسمعوا منك، فإن صدَّقوك وآمنوا بك، آمنّا كلُّنا، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبراً من اليهود، حتى إذا برزوا في بَرَازٍ من الأرض، قال بعض اليهود لبعض: كيف تَخلُصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله، فأَرسلوا إليه: كيف تفهم ونفهم ونحن ستون رجلاً؟ اخرُج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا فليسمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنّا كلُّنا وصدّقناك.

فخرج النبي ﷺ في ثلاثة نفر من أصحابه، واشتملوا على الخناجر وأرادوا الفَتْك برسول الله ﷺ، فأرسلت امرأةٌ ناصحةٌ من بني النضير إلى بني أخيها، وهو رجل مسلم من الأنصار، فأخبرته خبر ما أرادت بنو النضير من الغَدْر برسول الله ﷺ، فأقبل أخوها سريعاً حتى أدرك النبيَّ ﷺ، فسارَّه بخبرهم قبل أن يصلَ النبي ﷺ إليهم، فرجع النبي ﷺ، فلمّا كان من الغدِ غَدَا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحاصرهم، وقال لهم: «إنكم لا تأمَنُون عندي إلا بعهدٍ تعاهدوني عليه»، فأَبَوا أن يعطوه عهداً... وقصَّ خبرَهم. وهذا إسناد متَّصل رجاله ثقات.

قال ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ١١٢: فهذا أقوى ممَّا ذكر ابن إسحاق من أنَّ سبب غزوة بني النَّضير طلبُه ﷺ أن يُعِينُوه في دية الرَّجلين، لكن وافق ابنَ إسحاق جُلُّ أهل المغازي، فالله أعلم.

صخرةً فيُرِيحُنا منه؟ فانتَدَبَ لذلك عمرُو بن جِحَاش بن كعبٍ أحدُهم، فقال: أنا لذلك، فصَعِدَ ليُلْقيَ عليه صخرةً كما قال، ورسولُ الله ﷺ في نَفَرٍ من أصحابه فيهم أبو بكرٍ وعمرُ وعليٌّ، رِضوانُ الله عليهم.

فأَتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماءِ بما أراد القومُ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، فلمّا استَلبَثَ النبيَّ ﷺ أصحابُه قاموا في طَلَبِه، فلَقُوا رجلاً مُقبِلاً من المدينة فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلاً المدينةَ، فأقبَلَ أصحابُ رسول الله ﷺ حتّى انتَهَوْا إليه ﷺ، فأخبرهم الخبرَ بما كانت اليهودُ أرادت من الغَدْر به، وأمَرَ رسولُ الله ﷺ بالتَّهيُّؤِ لحَرْبِهم والسَّير إليهم ـ واستَعمَلَ على المدينة ابنَ أمِّ مكتومٍ فيما قال ابن هشام ـ ثمّ سارَ حتّى نَزَلَ بهم.

قال ابن هشام: وذلك في شهر ربيعٍ الأوّل، فحاصَرَهم ستَّ لَيالٍ[1]، ونَزَلَ تحريمُ الخمر.

قال ابن إسحاق: فتَحصَّنوا منه في الحصون، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ بقَطْعِ النَّخل والتَّحريقِ فيها، فنادَوْه: أن يا محمّدُ، قد كنتَ تَنهَى عن الفساد وتَعِيبُه على مَن صَنَعَه، فما بالُ قَطْعِ النّخل وتحريقِها؟!

وقد كان رَهْطٌ من بني عوف بن الخَزرَج، منهم عبدُ الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ ووَدِيعةُ ومالكُ بن أبي قَوقَلٍ وسُوَيدٌ وداعسٌ قد بَعَثوا إلى بني النَّضير: أن اثبُتوا وتَمَنَّعوا، فإنّا لن نُسلِمَكم، إن قُوتِلتُم قاتَلْنا معكم، وإن أُخرِجتُم خَرَجنا معكم، فتَربَّصُوا ذلك من نَصرِهم فلم يفعلوا، وقَذَفَ الله في قلوبهم الرُّعبَ، وسألوا رسولَ الله ﷺ أن يُجلِيَهم

(١) وقال الواقدي وابن سعد والبلاذُري وأبو مَعشَر وابن حبّان: خمسة عشر يوماً، وقيل: قريباً من عشرين ليلة، وقيل: ثلاثاً وعشرين، وقيل: خمساً وعشرين. انظر «سبل الهدى والرشاد» للصالحي ٤/ ٣٢٣-٣٢٤.

ويَكُفَّ عن دمائهم على أنّ لهم ما حَمَلَت الإبلُ من أموالهم إلّا الحَلْقةَ[1]، ففَعَلَ، فاحتَمَلوا من أموالهم ما استَقَلَّت به الإبلُ[2]، فكان الرّجلُ منهم يَهدِمُ بيتَه عن نِجَافِ بابه[3] فيَضَعُه على ظَهْر بعيره فيَنطلِقُ به، فخرجوا إلى خَيبَر، ومنهم مَن سارَ إلى الشّام.

فكان أشرافُهم مَن سارَ منهم إلى خَيبَرَ: سَلَامُ بن أبي الحُقَيق، وكِنانةُ بن الرَّبيع ابن أبي الحُقَيق، وحُيَيُّ بن أَخطَبَ، فلمّا نَزَلوها دانَ لهم أهلُها.

فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ، أنّه حُدِّثَ: أنّهم استَقَلُّوا بالنّساءِ والأبناءِ والأموالِ معهم الدُّفوفُ والمزاميرُ والقِيانُ يَعزِفنَ خلفَهم ـ وإنَّ فيهم لأُمَّ عمرٍو صاحبةَ عُرْوة ابن الوَرْد العَبْسيّ التي ابتاعوا منه، وكانت إحدى نساءِ بني غِفارٍ ـ بزُهاءٍ[4] وفَخرٍ ما رُئِيَ مِثلُه من حيٍّ من النّاس في زمانهم.

وخَلَّوُا الأموالَ لرسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصّةً يَضَعُها حيثُ شاء، فقَسَمَها رسولُ الله ﷺ على المهاجرين الأوَّلين دونَ الأنصار، إلّا أنّ سهلَ بن حُنَيفٍ وأبا دُجَانة سِماكَ بن خَرَشةَ ذَكَرا فقراً، فأعطاهما رسولُ الله ﷺ.

ولم يُسلِمْ من بني النَّضير إلّا رجلانِ: يامينُ بن عُمَير بن كعب بن عمرو بن جِحَاشٍ، وأبو سعد بن وهبٍ، أَسلَما على أموالهما فأحرَزَاها[5].

قال ابن إسحاق: وقد حدَّثني بعضُ آلِ يامِينَ: أنّ رسول الله ﷺ قال ليامِينَ: «ألم

---

(١) الحَلْقة: السلاح كله، أو خاصّ بالدُّروع.

(٢) أي: نهضت وارتفعت.

(٣) النِّجَاف: العَتَبة التي بأعلى الباب، والأُسكُفّة: العَتَبة التي بأسفله.

(٤) الزهاء: الإعجاب والتكبر.

(٥) أي: حَفِظاها لأنفسهما.

تَرَ ما لَقِيتُ من ابن عَمِّكَ، وما هَمَّ به من شَأْني؟!»، فجَعَلَ يامِينُ لرجلٍ جُعْلاً على أن يقتلَ عمرَو بن جِحَاشٍ، فقتله فيما يَزعُمون[1].

ونَزَلَ في بني النَّضيرِ سورةُ الحَشْر بأسْرِها، يُذكَرُ فيها ما أصابهم اللهُ به من نِقمَته، وما سَلَّطَ عليهم به رسولَه ﷺ وما عَمِلَ به فيهم، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وذلك لهَدْمِهم بيوتَهم عن نُجُفِ أبوابِهم إذِ احتَمَلوها ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ وكان لهم من الله نِقْمةٌ ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بالسَّيف ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣﴾ مع ذلك ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ واللِّينةُ ما خالَفَ العَجْوةَ من النَّخل ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: فبأَمرِ الله قُطِعَت لم يكن فساداً، ولكن كان نِقمةً من الله ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾.

قال ابن هشام: اللِّينةُ من الألوان، وهي ما لم تكن بَرْنيّةً ولا عَجْوةً من النَّخل فيما حدَّثنا أبو عُبيدة، قال ذو الرُّمَّة[2]:

كأنَّ قُتُودي فوقَها عُشُّ طائرٍ ... على لِينةٍ سَوْقاءَ تَهفُو جُنوبُها[3]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

---

(١) ضعيف لإعضاله وإبهام رواته. وذكر نحوه الواقديُّ في «المغازي» ١/ ٣٧٤ بلا إسناد.

(٢) انظر «ديوانه» بشرح أبي نصر الباهلي ٢/ ٦٩٩.

(٣) القُتود: خشب الرَّحل، واحدها: قَتَدٌ. وسوقاء: طويلة الساق. وتهفو: تهتز وتضطرب. وجُنوبها: نواحيها. يريد: كأن قُتودي فوق نخلة سَوقاء، أي: أن الناقة طويلة يَصغُر الرَّحلُ عليها، وليس هذا بجيِّد.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ قال ابن إسحاق: يعني بني النَّضير ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ أي: له خاصّةً.

قال ابن هشام: ﴿أَوْجَفْتُمْ﴾ حَرَّكتُم وأَتعَبتُم في السَّير، قال تَميمُ بن أُبيّ بن مُقبِلٍ أحدُ بني عامر بن صَعصَعة:

مَذاويـدُ بـالبِيضِ الحـديثِ صِـقالُها
عن الرَّكْبِ أحياناً إذا الرَّكبُ أَوجَفوا[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له[2].

وهو الوَجِيف، قال أبو زُبَيدٍ الطّائيُّ، واسمه حَرمَلةُ بن المُنذِر:

مُسـنِفاتٌ كـأنّهنَّ قَنَـا الهِنْـ ـدِ لطُولِ الوَجيفِ جَدْبَ المَرُودِ[3]

---

(١) المذاويد: جمع مِذوَد، وهو الذي يدفع عن قومه. والبِيض: السيوف. والحديث صقالها، أي: القريب عهدُها بالصَّقل.

(٢) لعلّه يريد القصيدة التي في «ديوانه» ص١٤٧ يَفخَر فيها بقومه، والتي أولها:

عَفَا من سُليمى ذو كُلافٍ فمَنكِفُ مَبادي الجميعِ القيظُ والمُتصيَّفُ

فإنها من البحر والرويِّ نفسهما، لكن هذا البيت ليس في رواية «الديوان»، وذكره الزمخشري في «أساس البلاغة» (ذود) ونشوان الحميري في «شمس العلوم» ١١/ ٧٠٨٣ ونسباه كابن هشام إلى ابن مقبل.

وذو كُلاف ومَكنِف: واديان من أعمال المدينة كما في «معجم البلدان» لياقوت. والمَبادي: جمع مَبدَى، أي: حيث يَبدُو القوم، ضدّ الحاضر، وذلك طلباً للكلأ والمرعى.

(٣) مُسنِفات: يعني الإبلَ، أي: مشدودات بالسُّنُف، وهي الأحزمة. قنا الهند، أي: الرماح، والتشبيه هنا لضمور بطونهنّ. والجَدْب: المكان الذي لا نبات فيه، والمَرُود: الموضع الذي يرتاده الرائد، أي: الطالب للمرعى. قاله أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص٢٨٧. =

وهذا البيت في قصيدةٍ له[1].

والوَجِيفُ أيضاً: وَجِيفُ القلب والكَبِد، وهو الضَّرَبان، قال قيسُ بن الخَطِيم الظَّفَريّ:

إنّــا وإنْ قَــدَّموا الّتــي عَلِمــوا أكبادُنــا مــن ورائِهــم تَجِــفُ[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾، قال ابن إسحاق: ما يُوجِفُ عليه المسلمون بالخيل والرِّكاب وفُتِحَ بالحربِ عَنْوةً ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧] يقول: هذا قِسمٌ آخرُ فيما أُصيبَ بالحربِ بين المسلمين على ما وَضَعَه اللهُ عليه.

ثمّ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ يعني عبدَ الله بن أُبيٍّ وأصحابَه ومَن كان على مِثْل أمرِهم ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني بني النَّضير،

= يعني أن هذه الإبل ضَمِرَت بطونها فأُسنِفَت لطول حركتها وسيرها في الأرض المُجدِبة.

وهذا البيت من قصيدة يرثي بها ابنَ أخته. انظر «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي ص٥٨٨، و«أمالي اليزيدي» ص١٠، و«الاختيارين» للأخفش الأصغر ص٥٢٨، ورواية الشطر الثاني في هذه المصادر: ونَسَّى الوجيفُ شَغْبَ المرودِ.

(١) زاد بعده في حاشية (ش١) مصحّحاً عليه: قال ابن هشام: السّناف: البِطان. ووقع هذا أيضاً في نسخة أبي ذر الخشنيّ، وفسّر البِطان فقال: حزام منسوج.

(٢) يقول: وإن كانوا - يعني الخزرج - قدَّموا ما قدَّموا مما ننكر، فإنا نشفق عليهم من وراء غيبهم وتضطرب أكبادنا لذلك.

وهذا البيت من قصيدة قالها قيس في حرب كانت بين الأوس والخزرج، وهو أوسيٌّ مات على شركه قبل الهجرة. وانظر «ديوانه» بتحقيق ناصر الدين الأسد ص١١٦.

إلى قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ يعني بني قَينُقاعَ، ثمّ القِصّةَ إلى قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

وكان ممّا قيل في بني النَّضير من الشِّعر قولُ ابن لُقَيمٍ العَبْسيِّ، ويقال: قالها قيسُ بن بَحْر بن طَرِيف ـ قال ابن هشام: قيس بن بَحْر الأشجَعيّ ـ فقال:

فأَهلي[1] فِداءٌ لامرِئٍ غيرِ هالكٍ ... أحَلَّ اليهودَ بالحَسِيِّ المُزنَّمِ

يَقِيلُون في جَمْر الغَضاةِ وبُدِّلوا ... أُهَيضِبَ عَودَى بالوَدِيِّ المُكمَّمِ[2]

---

(١) هكذا في (ز)، وفي (ش١): وأهلي، وبهما يصحُّ الوزن الشِّعري، وفي بقية النسخ بإسقاط الفاء أو الواو، ويُسمَّى في علم العَروض خَرْماً.

وأما معنى البيت، فقال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٢٣٥: يريد: أحلَّهم بأرض غُربةٍ وفي غير عشائرهم، والزَّنيم والمزنَّم: الرجل يكون في القوم وليس منهم، أي: أنزلهم بمنزلة الحَسِيِّ، أي: المُبعَد الطَّريد، وإنما جُعل الطريد الذليل حَسيّاً، لأنه عرضةُ الأكل، والحَسيُّ والحَسوُّ: ما يُحسَى من الطعام حَسْواً، أي: أنه لا يمتنع على آكِلٍ، ويجوز أن يريد بالحسيِّ معنى الغَذِيِّ من الغنم، وهو الصغير الضعيف الذي لا يستطيع الرَّعي، يقال: بُدِّلوا بالمال الدَّثْرِ والإبل الكرامِ رُذَالَ المال وغِذاءَ الغنم، والمزنَّم منه، فهذا وجه يُحتمَل، وقد أكثرتُ التنقير عن الحسيِّ في مظانِّه من اللغة فلم أجد نصّاً شافياً أكثرَ من قول أبي علي: الحَسِيّة والحسيّ: ما يُحسَى من الطعام، وإذ قد وجدنا الغَذِيَّ واحدَ غِذاءِ الغنم، فالحسيُّ في معناه غيرُ مُمتنِع أن يقال، والله أعلم.

قلنا: وأيسر من هذا الشرح أن يكون معنى الحسيِّ: الموضع السهل الذي يستنقع فيه الماء، وجمعه: أحساء، والمزنَّم: الذي يكثر فيه الزَّنَمة، وهي بَقْلة تنبت في الأودية وتحت الشجر من شرِّ النبات، وهكذا جاء تفسيره في حاشية نسخة (ز).

(٢) الغضاة: واحدة الغَضَى، وهو شجر، وجمرها: يعني وهم يُوقِدونها. والأُهيضِب: المكان =

فـإنْ يَـكُ ظَنِّـي صـادقاً بمحمّـدٍ تَـرَوْا خيلَـه بـين الصَّـلَا ويَرَمـرَمِ[1]
يَـؤُمُّ بهـا عمـرَو بـن بُهْثـةَ إنَّهـمْ عـدوٌّ ومـا حـيٌّ صـديقٌ كمُجـرِمِ
عليهِنَّ أبطالٌ مَساعيرُ في الـوَغَى يَهُـزُّون أطـرافَ الوَشِـيجِ المُقـوَّمِ[2]
وكـلَّ رَقيـقِ الشَّـفرَتَينِ مُهنَّـدٍ تُـوُورِثنَ مـن أزمـانِ عـادٍ وجُـرهُمِ[3]
فمَـن مُبلِـغٌ عنّـي قريشـاً رِسـالةً فهل بعدَهم في المجدِ من مُتَكـرَّمِ
بـأنّ أخـاكمْ فـاعلَمُنَّ محمّـداً تَليدُ النَّدَى بين الحَجُونِ وزَمزَمِ[4]
فـدِينُوا لـه بـالحقِّ تَجسُـمْ أُمـورُكم وتَسْمُوا من الدُّنيا إلى كـلِّ مُعظَمِ[5]
نبـيٌّ تَلاقَتـهُ مـن الله رحمـةٌ ولا تَسـأَلوه أمـرَ غَيـبٍ مُـرجَّمِ[6]
فقـد كـان في بـدرٍ لَعَمْـري عِبْـرةٌ إليكمْ يا قريشاً والقَليبِ المُلمَّمِ[7]
غَـداةَ أَتـى في الخَزرَجيَّـةِ عامـداً إلـيكمُ مُطِيعـاً للعظـيمِ المُكـرَّمِ
مُعاناً بـرُوحِ القُـدْسِ يَنكِي عـدوَّه رسـولاً مـن الـرَّحمنِ حَقّـاً بمَعلَـمِ[8]

= المرتفع. وعَودَى: اسم موضع. والوديّ: صغار النخل. والمكمَّم: الذي خرج طَلْعه.

(١) الصَّلا ويَرمرَم: موضعان.

(٢) مساعير: يسعِّرون الحرب ويهيجونها. والوَشِيج: الرّمح.

(٣) رقيق الشفرتين مهنَّد: يعني السيف.

(٤) التليد: القديم. والنَّدى: الكَرَم. والحَجُون: جبل مشرف على مكة من جهة الشمال، وفي سفحه من الجنوب الغربي مقبرة أهل مكة القديمة المَعْلاة.

(٥) دِينوا، أي: أَطيعوا. وتجسم: تَعظُم. وتسمو: ترتفع.

(٦) المرجَّم: المظنون الذي لا يُتيقَّن.

(٧) الملمَّم: المجموع.

(٨) روح القُدس: جبريل عليه السلام، والقُدس ـ بسكون الدال وضمها ـ: الطُّهر. ويَنكِي عدوَّه: يبالغ في ضرره. والمَعلَم: الموضع المرتفع المشرِف.

رسولاً من الرَّحمنِ يَتلُو كتابَهُ فلمّا أنارَ الحقُّ لم يَتَلَعثَمِ[1]

أَرَى أمرَه يزدادُ في كلِّ موطِنٍ عُلوّاً لأمرٍ حَمَّه اللهُ مُحكَمِ[2]

قال ابن هشام: عمرُو بن بُهْثةَ من غَطَفان، وقولُه: بالحَسِيِّ المُزنَّمِ، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عليُّ بن أبي طالبٍ يذكرُ إجلاءَ بني النَّضير وقتلَ كعبِ ابن الأشرَف ـ قال ابن هشام: قالها رجلٌ من المسلمين غيرُ عليّ بن أبي طالبٍ، فيما ذكرَ بعضُ أهل العلم بالشِّعر، ولم أرَ أحداً منهم يعرفُها لعليٍّ ـ:

عَرَفتُ ومَن يَعتدِلْ يَعرِفِ وأَيقَنتُ حقّاً ولم أَصدِفِ[3]

عن الكَلِمِ المُحكَمِ الآيِ مِن لَدَى اللهِ ذي الرَّأفةِ الأرأَفِ

رسائلُ تُدرَسُ في المُؤمِنينْ بهنَّ اصطَفَى أحمدَ المُصطَفِي

فأصبَحَ أحمدُ فينا عَزيزاً عزيزَ المُقامةِ والموقِفِ[4]

فيا أيُّها المُوعِدُوه سَفَاهاً ولم يأتِ جَوْراً ولم يُعنِفِ[5]

ألستُم تخافون أدنَى العَذابِ وما آمِنُ اللهِ كالأخوَفِ

وأن تُصرَعوا تحت أسيافِه كمَصرَعِ كعبٍ أبي الأشرَفِ

غَداةَ رأَى اللهُ طُغيانَه وأعرَضَ كالجَمَلِ الأجنَفِ[6]

---

(١) لم يتلعثم: لم يتأخَّر ولم يتوقف.

(٢) حمَّه الله: قدَّره.

(٣) لم أَصدف: لم أُعرِض.

(٤) المُقامة، أي: الإقامة.

(٥) المُوعِدوه: المهدِّدوه. والسَّفاه: الضلال. ولم يُعنِف، أي: لم يأت بخلاف الرفق.

(٦) الأجنف: المائل إلى جهة.

فـــأنزَلَ جِبريـــلَ في قتلِـــه بـــوَحيٍ إلـــى عبـــدِه مُلطَـــفِ
فـدَسَّ الرسـولُ رسـولاً لـه بـأبيَضَ ذي هَبّـةٍ مُرهَـفِ[1]
فباتَـت عُيـونٌ لـه مُعـوِلاتٍ متـى يُنْـعَ كعـبٌ لهـا تَـذرِفِ[2]
وقالـنَ لأحمـدَ ذَرْنـا قلـيلاً فإنّـا مـن النَّـوحِ لـم نَشـتَفِ
فخَلّاهـمُ ثـمّ قـال اظعَنُـوا دُحـوراً علـى رَغْـمِ ألآنُـفِ[3]
وأَجلَـى النَّضـيرَ إلـى غُرْبـةٍ وكـانوا بِـدارٍ ذَوِي زُخـرُفِ[4]
إلـى أَذرِعـاتٍ رُدافَـى وهُـمْ علـى كـلِّ ذي دَبَـرٍ أعجَـفِ[5]

فأجابه سَمّالٌ[6] اليهوديُّ فقال:

إن تَفخَـروا فهْـوَ فخـرٌ لكـمْ بمَقتَـلِ كعـبٍ أبـي الأشـرَفِ
غَـداةَ غَـدَوتُم علـى حَتفِـهِ ولـم يـأتِ غَـدْراً ولـم يُخلِـفِ
فعَلَّ اللَّيـالي وصَـرْفَ الدُّهورْ يُـدِلنَ مـن العـادلِ المُنصِـفِ[7]

---

(١) بأبيض: يعني سيفاً. والهبّة: الاهتزاز. والمُرهَف: القاطع.

(٢) مُعوِلات: باكيات بصوت. وينعى: يذكر خبر قتله. وتذرف: تسيل بالدموع.

(٣) اظعنوا، أي: ارحلوا. والدُّحور: الذلّ والهوان. وعلى رغم الآنف: يريد على المذلّة، يقال: أَرغَمَ الله أنفَه، إذا أذلَّه، والآنُف: جمع أَنْف.

(٤) الغُربة: الاغتراب والبعد. والزُّخرف: الزينة وحُسْن التنعّم.

(٥) أذرعات: هي اليوم مدينة درعا في أقصى الجنوب السوري. ورُدافى، أي: مُرتدِفين، يُردِف بعضُهم بعضاً، وأردفَه: أركَبَه خلفَه. وذو دَبَر أعجف: يعني جملاً بظهره دَبَرٌ، أي: جُرْح. والأعجفُ: الهزيل الضعيف.

(٦) هكذا قُيّد في (ت) و(ز) و(ش١) و(م) و(ي)، وعلى حاشيتَي (ز) و(ش١) إشارة إلى نسخة فيها: سموال، وقُيّد في (ص): سِمَال، وعلى حاشيتها إشارة إلى نسخة فيها: سِمَاك.

(٧) يُدِلن: من الدَّولة، أي: نصيب منه مثل ما أصاب منّا. ويريد بالعادل المنصف ـ إن صحَّت =

بقتـــلِ النَّضـــيرِ وأحلافِهـــا ... وعَقْـرِ النّخيـلِ ولـم تُقطَـفِ[1]

فـإن لا أمُـتْ نَـأتِكمْ بالقَنـا ... وكـلِّ حُسـامٍ مَعـاً مُرهَـفِ[2]

بكَـفٍّ كَمِـيٍّ بـه يَحتَمـي ... متـى يَلْـقَ قِرْنـاً لـه يُتلِـفِ[3]

مـع القـومِ صَـخرٌ وأشـياعُهُ ... إذا غـاوَرَ القـومَ لـم يَضـعُفِ[4]

كلَيـثٍ بتَـرْجٍ حَمَـى غِيلَـهُ ... أخـي غابـةٍ هاصِـرٍ أجـوَفِ[5]

وقال كعبُ بن مالكٍ يذكرُ إجلاءَ بني النَّضير وقتلَ ابن الأشرَف[6]:

لقد خَزِيَت[7] بغَـدْرتِها الحُبُـورُ ... كَـذاكَ الـدَّهرُ ذو صَـرْفٍ يـدورُ

= نسبة هذا الشعر له ـ: النبيَّ ﷺ، قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٩٠: فإن قيل: كيف قال اليهودي فيه: العادل المنصف، وهو لا يعتقد ذلك، فالجواب أن يقال: يجوز أن يكون ذلك ممّا لفظُه لفظُ المدح ومعناه الذَّمُّ، مثل قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩] ... فهذا وإن كان ظاهره المدح فمعناه الذَّمُّ.

وقد قيل: إنَّه ممّا بُدِّل وأصله في الرواية لفظٌ آخر، فقيل: بدَّله بالعادل المنصف لأنّه في وصف النّبيِّ عليه السلام.

(١) الأحلاف: جمع حِلْف، وهو الصاحب، ومَن رواه: وإجلائها، فمعناه: وإخراجها من بلادها. ولم تُقطَف، أي: لم يؤخذ ثمرها.

(٢) القنا: الرماح. والحسام المُرهَف: السيف القاطع.

(٣) الكَميّ: الشجاع. والقِرْن: الكفء والنظير في الإقدام والشجاعة.

(٤) صخر: هو أبو سفيان بن حرب. وغاور القومَ: أغار عليهم.

(٥) تَرْج: واد في الجنوب من الجزيرة العربية جنوب بِيشة على قرابة ٩٠ كم منها. والغِيل: أَجمة الأسد، وهو المكان الذي يحميه من الغابة. والهاصر: الذي يكسر فريسته إذا أخذها. والأجوف: العظيم الجوف.

(٦) تقدم بعضُ أبيات هذه القصيدة في قصة مقتل كعب بن الأشرف قبل غزوة أُحد ص٢٤.

(٧) في (ز): جُزِيَت. =

وذلـك أنّهـم كَفَـروا بـرَبٍّ ... عَزيـزٍ أمـرُه أمـرٌ كبيـرُ
وقـد أُوتـوا مَعـاً فَهْمـاً وعِلمـاً ... وجـاءَهمُ مـن الله النَّـذيرُ
نَـذيرٌ صـادقٌ أدَّى كتابـاً ... وآيـاتٍ مُبيَّنـةً تُنيـرُ
فقالوا: ما أَتيتَ بأمرِ صِدْقٍ ... وأنـتَ بمُنكَـرٍ منّـا جَـديرُ[1]
فقـال: بَلَـى لقـدْ أدَّيـتُ حَقّـاً ... يُصـدِّقُني بـه الفَهِـمُ الخَبيـرُ
فمَـن يَتبَعْـه يُهـدَ لكـلِّ رُشـدٍ ... ومَـن يَكفُـرْ بـه يُجـزَ الكَفُـورُ[2]
فلمّـا أُشـرِبوا غَـدْراً وكُفـراً ... وجـدَّ بهـم عـن الحـقِّ النُّفـورُ[3]
أَرَى اللهُ النبـيَّ بـرأيِ صِـدقٍ ... وكـان الله يَحكُـمُ لا يَجُـورُ
فأيَّـدَه وسَـلَّطَه علـيهمْ ... وكـان نَصِـيرَه نِعـمَ النَّصـيرُ
فغُـودِرَ مـنهمُ كعـبٌ صَـريعاً ... فـذَلَّت بعـدَ مَصـرَعِه النَّضـيرُ
علـى الكَفَّـينِ ثَـمَّ وقَـدْ عَلَتْـهُ ... بأيـدِينا مُشـهَّرةٌ ذُكُـورُ[4]
بـأمرِ محمَّـدٍ إذ دَسَّ لـيلاً ... إلـى كعـبٍ أخـا كعـبٍ يَسـيرُ[5]
فمـاكَرَهُ فأنزَلَـه بمَكْـرٍ ... ومحمـودٌ أخـو ثِقـةٍ جَسُـورُ[6]

= والحُبور: جمع حَبْر، وهو العالِم، ويقال في جمعه أيضاً: أحبار، ويريد بهم علماء اليهود.

(١) جدير، أي: حقيق وخليق.

(٢) في نسخة على حاشيتي (ز) و(ش١): يخزَ الكفور.

(٣) جدَّ بهم، أي: اشتدَّ، وعند أبي ذر الخشنيِّ: حادَ بهم، أي: مال بهم.

(٤) مشهَّرة ذكور: سيوف مسلولة من أغمادها، قويّة مَتينة.

(٥) أراد بأخي كعبٍ أبا نائلة سِلكان بن سلامة، وهو أخوه من الرَّضاعة.

(٦) تقدم في قصة مقتل كعب بن الأشرف استظهارُنا بأن يكون محمودٌ لقباً لبعض من شارك في قتله، فإنه لم يُذكَر في النفر الذين قتلوه من اسمه محمود، والله تعالى أعلم.

فتلكَ بنو النَّضيرِ بدارِ سَوْءٍ ... أَبارَهُمُ بما اجترَمُوا المُبِيرُ[1]

غَداةَ أتاهمُ في الزَّحفِ رَهْواً ... رسولُ الله وهْوَ بهم بَصيرُ[2]

وغسّانُ الحُمَاةُ مُوازِرُوهُ ... على الأعداءِ وهْوَ لهم وَزِيرُ[3]

فقال: السَّلْمُ وَيحَكُمُ فصَدُّوا ... وحالَفَ أمرَهمْ كَذِبٌ وزُورُ[4]

فذاقُوا غِبَّ أمرِهم وَبَالاً ... لكلِّ ثلاثةٍ منهمْ بَعيرُ[5]

وأَجْلَوْا عامدينَ لقَينُقاعٍ ... وغُودِرَ منهمُ نخلٌ ودُورُ[6]

فأجابه سَمّالٌ اليهوديُّ فقال:

أَرِقتُ وضافَني هَمٌّ كبيرُ ... بلَيلٍ غيرُه ليلٌ قصيرُ[7]

أَرَى الأحبارَ تُنكِرُه جميعاً ... وكلُّهمُ له عِلمٌ خَبيرُ

وكانوا الدّارِسينَ لكلِّ عِلمٍ ... به التّوراةُ تَنطِقُ والزَّبورُ

قتلتُمْ سيِّدَ الأحبارِ كعباً ... وقِدْماً كانَ يأمَنُ مَن يُجِيرُ

تَدلَّى نحوَ محمودٍ أَخيهِ ... ومحمودٌ سَرِيرتُه الفُجورُ

---

(١) أبَارَهم: أهلكهم. واجترموا: اكتسبوا من الجُرم.

(٢) الرَّهو: مشيٌ في سكون.

(٣) غسان: أراد بهم الأوس والخزرج، فنسبهم يرجع إلى غسان، وهم قبائل من الأزد. والوزير: المعاون والمساعد.

(٤) السّلم، بفتح السين وكسرها: الصلح. وحالَفَ: صاحَبَ، والحليف: الصاحب.

(٥) غبّ أمرهم، أي: بعد أمرهم وعاقبته. والوَبَال: الشدّة والمكروه.

(٦) عامدين: قاصدين. وقينقاع: قبيلة من اليهود، وكانوا قد أُجْلوا من المدينة قبلهم، وخرج بنو قَينُقاع إلى أذرعات من الشام كما في «مغازي الواقدي» ١/ ١٧٩-١٨٠.

(٧) أرقت: امتنع النوم عني. وضافَني: نزل بي.

فغادَرَه كأنَّ دماً نَجِيعاً ... يَسِيلُ على مَدارِعِهِ عَبيرُ[1]

فقَدْ وأَبيكمُ وأَبي جميعاً ... أُصِيبَت إذْ أُصيبَ به النَّضيرُ

فإنْ نَسلَمْ لكم نَتْرُكْ رِجالاً ... بكعبٍ حولَهمْ طَيرٌ تَدُورُ

كأنّهمُ عَتائرُ يومِ عيدٍ ... تُذبَّحُ وهْيَ ليس لها نَكيرُ[2]

ببِيضٍ لا تُلِيقُ لهنَّ عَظْماً ... صَوَافِي الحَدِّ أكثرُها ذُكورُ[3]

كما لاقَيتُمُ من بأسِ صَخرٍ ... بأُحْدٍ حيثُ ليسَ لكم نَصيرُ[4]

وقال عبّاسُ بن مِرْداسٍ أخو بني سُلَيمٍ يَمتدِحُ رجالَ بني النَّضير:

لو أنّ أهلَ الدّارِ لم يَتَصَدَّعوا ... رأيتَ خِلالَ الدّارِ مَلهًى ومَلعَبا[5]

وإنّكَ عَمْري هل أُريكَ ظَعائناً ... سَلَكنَ على رُكْنِ الشَّظَاةِ فتَيْأَبا[6]

عليهِنَّ عِينٌ من ظِباءِ تَبَالةٍ ... أَوانِسُ يُصْبِينَ الحليمَ المُجرَّبا[7]

---

(١) النَّجيع: الدم الطريّ. والمَدارع، بالدال (كما في: ت، ص، غ، ي): جمع مَدرَعة، وهي ثوب يُلبَس، وقال بعض اللُّغويِّين: لا تكون المدرعة إلا من صوف، ومَذارعه بالذال المعجمة (كما في: ز، ش١، م)، فالمذارع من البعير والدابة: قوائمها، وأراد به هنا: اليدين والرجلين. والعبير هنا: الزَّعفران، وبعضهم يقول: هو أخلاط من الطِّيب تُجمَع بالزَّعفران.

(٢) العتائر: جمع عَتِيرة، وهي الذَّبيحة.

(٣) لا تُلِيق: لا تُبقي.

(٤) صخر: هو أبو سفيان بن حرب.

(٥) لم يتصدعوا: لم يتفرقوا.

(٦) الظعائن: النساء في الهودج. والشَّظاة ـ وتصحف في نسخة (ي) إلى: الشطاة ـ: من وادي قناة بالمدينة مما أقبل على أُحد، وانظر «معجم المعالم الجغرافية» للبِلاديّ ص١٦٨.

وتَيأَب: جبل إلى الشرق من جبل أُحد.

(٧) العِينُ: جمع عَيناء، وهي الواسعة العين. وتَبَالة: بلدة قريبة من بِيشة جنوب الجزيرة =

إذا جاءَ باغي الخيرِ قلنَ فُجاءَةً ... لـه بوُجوهٍ كالدَّنانيرِ مَرحَبا
وأهلاً فلا ممنوعَ خيرٍ طَلَبتَه ... ولا أنتَ تَخشَى عندنا أن تُؤَنَّبا
فلا تَحسَبنِّي كنتُ مولى ابن مِشكَمٍ ... سَلَامٍ ولا مولى حُيَيِّ بن أَخطَبا[1]

فأجابه خَوّاتُ بن جُبَيرٍ أخو بني عمرو بن عوفٍ فقال:

تُبكِّي على قَتلَى يهودَ وقد تَرَى ... من الشَّجْوِ لو تَبْكي أحبَّ وأقربا[2]
فهَلَّا على قَتلَى بِبَطنِ أُرَينِقٍ ... بَكَيتَ ولم تُعوِلْ من الشَّجْوِ مُسهِبا[3]
إذا السِّلمُ دارَتْ في صَديقٍ رَدَدتَها ... وفي الدِّينِ صَدّاداً وفي الحربِ ثَعْلبا[4]
عَمَدتَ إلى قَدْرٍ لقومِك تَبتَغي ... لهم شَبَهاً كَيْما تَعِزَّ وتَغلِبا
فإنَّكَ لمّا أن كَلِفتَ تَمدُّحاً ... لمن كان عَيْباً مَدْحُه وتَكَذُّبا
رَحَلتَ بأمرٍ كنتَ أهلاً لمِثلِهِ ... ولم تُلْفِ فيهِ قائلاً لك مَرحَبا
فهَلَّا إلى قومٍ ملوكٍ مَدَحتَهم ... تَبنَّوْا من العِزِّ المُؤثَّلِ مَنصِبا[5]

= العربية. ويُصْبِين: يُذهِبن العقل.

(١) المولى هنا: الحليف والصاحب.

(٢) الشَّجو: الحزن.

(٣) أُرينق، قال عاتق البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢٨: لم أر من تعرَّض لأُرينق هذا فحدِّده، وواضح من الشعر أنه وادٍ لبني سُلَيم قُتِل فيه قوم لهم صلةٌ بعباس بن مِرداس رضي الله عنه، فأراد خصمُه أن يذكِّره بهم، وعباس قال شعرَه في بكاء يهود قبل إسلامه، وقد أسلم بعد ذلك وحَسُن إسلامه.

ولم تُعوِل: لم ترفع صوتك بالبكاء. والمُسهِب: المتغيِّر الوجه.

(٤) الصَّدّاد: الذي يصدُّ عن الدين والحق. وثعلباً، يعني: كثير الرَّوَغان، أي: لا يَصدُق في الحرب.

(٥) المؤثَّل: القديم.

إلى مَعشَرٍ صاروا ملوكاً وكُرِّموا ... ولم يُلْفَ فيهم طالبُ العِزِّ مُجدِبا[1]

أولئِكَ أَحرَى من يهودَ بمِدْحةٍ ... تَراهمْ وفيهمْ عِزّةُ المَجْدِ تُرتَبا[2]

فأجابه عبّاسُ بن مِرْداسٍ السُّلَميّ فقال:

هَجَوتَ صَريحَ الكاهنَينِ وفيكمُ ... لهم نِعَمٌ كانت من الدَّهرِ تُرتُبا[3]

أولئِكَ أَحرَى لو بَكَيتَ عليهمُ ... وقومُك لو أَدَّوا من الحقِّ مُوجَبا

من الشُّكرِ إنَّ الشُّكرَ خيرٌ مَغَبّةً ... وأوفَقُ فِعلاً للّذي كان أصْوَبا[4]

فكنتَ كمَن أَمسى يُقطِّعُ رأسَه ... ليَبلُغَ عِزّاً كان فيهِ مُركَّبا

فبَكِّ بني هارونَ واذكُرْ فَعالَهمْ ... وقتلَهمُ للجوعِ إذ كنتَ مُجدِبا[5]

أَخَوّاتُ أذْرِ الدّمعَ بالدّمعِ وابكِهِمْ ... وأعرِضْ عن المكروهِ منهم ونَكِّبا[6]

فإنّكَ لو لاقَيتَهمْ في ديارِهمْ ... لَأُلفِيتَ عمّا قد تقولُ مُنكِّبا

سِراعٌ إلى العَلْيا كِرامٌ لَدَى الوَغَى ... يقالُ لباغي الخيرِ أهلاً ومَرحَبا

فأجابه كعبُ بن مالكٍ ـ أو عبدُ الله بن رَوَاحة، فيما قال ابن هشام ـ فقال:

---

(١) مُجدِب: من الجَدْب، وهو القحط وقلّة الخير.

(٢) تُرتَبا: جاء على حاشيتي (ز) و(م) في بيان هذه الكلمة: تُفتَعل من الرَّبوة، وهي ما علا من الأرض. وعلى حاشية (ش١): من ارتَبى الرَّبوة والمكان العالي يَرتَبِيها. قلنا: ويمكن أن تُقيَّد بضم التاء الثانية أيضاً كما في أول شعر عباسٍ التالي.

(٣) الصريح: الخالص النسب. والكاهنان: هما قُرَيظة والنَّضير. والتُّرتُب: الثابت الدائم.

(٤) خيرٌ مغبّةً، أي: خيرٌ عاقبةً فيما يُستقبَل بعدُ.

(٥) الفَعَال: اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه، وهو الذي أراده هنا، ويقال أيضاً في الفعل القبيح.

(٦) نكِّب، أي: عرِّج عنهم.

لَعَمْري لقد حَكَّت رَحَى الحربِ بعدما
أطـارَت لُؤَيّـاً قَبـلُ شَـرقاً ومَغرِبـا
بقيّـةَ آلِ الكـاهنَينِ وعِزَّهـا فعـادَ ذلـيلاً بعـدَما كـان أغلَبـا[1]
فطـاعَ[2] سَـلَامٌ وابـنُ سَـعْيةَ عَنْـوةً وقِيـدَ ذلـيلاً للمَنايـا ابـنُ أخطَبـا
وأجلَـبَ يَبْغـي العِـزَّ والـذُّلَّ يَبتَغـي خِـلافَ يدَيـهِ مـا جَنَـى حـينَ أجلَبـا
كتاركِ سَـهلِ الأرضِ والحَـزْنُ هَمُّـه وقد كان ذا في الناسِ أَكدَى وأَصعَبا[3]
وشَـأْسٌ وعَـزّالٌ وقـد صَـلِيَا بهـا ومـا غُيِّبـا عـن ذاكَ فـيمَن تَغَيَّبـا[4]
وعـوفُ بـن سَـلْمى وابـنُ عَـوفٍ كلاهمـا
وكعـبٌ رئـيسُ القـومِ حـانَ وخُيِّبـا[5]
فبُعْـداً وسُـحْقاً للنَّضـيرِ ومِثلِهـا إنْ أَعقَـبَ فـتحٌ أو إنِ اللهُ أَعقَبـا[6]

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدنيّ: ثمّ غَزَا رسولُ الله ﷺ بعدَ بني النَّضيرِ بني المُصطَلِق. وسأذكرُ حديثَهم إن شاءَ الله في الموضع الذي ذكره ابنُ إسحاق فيه[7].

---

(١) الأغلب: الشديد.

(٢) في (ت) و(ش١) ونسخة على حاشية (م): فطاحَ، أي: ذهب وهلك. والعَنْوة: القهر والذلّة.

(٣) الحَزْن: ما علا من الأرض وصَعُب. وأكدى: لم ينجح في سعيه.

(٤) صَلِيا بها، أي: باشرا حرَّها.

(٥) حان: هَلَك.

(٦) قوله: إنِ اللهُ أعقبا، أي: إنِ الله جاء بالنصر عليهم.

(٧) سيأتي ص٣٦٧.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

غزوةُ ذات الرِّقاع

في سنة أربعٍ[1]

قال ابن إسحاق: ثمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينة بعدَ غزوة بني النَّضير شهرَ ربيعٍ الآخر وبعضَ جُمادَى، ثمّ غَزَا نجداً يريد بني مُحاربٍ وبني ثَعْلبةَ من غَطَفان، واستَعمَل على المدينة أبا ذرٍّ الغِفاريَّ.

ويقال: عثمانَ بن عفّان، فيما قال ابن هشام[2].

قال ابن إسحاق: حتّى نَزَلَ نَخْلاً[3]، وهي غزوةُ ذاتِ الرِّقاع.

قال ابن هشام: وإنّما قيل لها: غزوةُ ذاتِ الرِّقاع، لأنّهم رَقَّعوا فيها راياتِهم،

---

(١) اختُلف في هذه الغزوة متى كانت، فعند ابن إسحاق: أنها بعد بني النضير سنة أربع في شهر ربيع الآخر وبعض جمادى، وعند الواقدي وابن سعد وابن حبّان: أنها في المحرَّم سنة خمس، وجزم أبو مَعشَر السِّندي بأنها بعد بني قريظة في ذي القَعْدة سنة خمس، فتكون ذات الرِّقاع فى آخر السنة الخامسة أو أول السادسة، وجَنَح البخاريُّ إلى أنها كانت بعد خيبر، وإليه ذهب ابنُ القيِّم في «زاد المعاد» ٣/ ٢٢٦، وهذه كانت في السنة السابعة، ورجَّح ابن حجر في «الفتح» أنها بعد بني قريظة، لأن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شُرِعت، وأول ما صُلِّيَت في غزوة ذات الرِّقاع، وللكلام في هذا الخلاف مفصَّلاً انظر «فتح الباري» ١٢/ ٢٩٠ وما بعدها.

وكان المسلمون مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة أربع مئة، ويقال: سبع مئة أو ثمان مئة، ذكر ذلك الواقديُّ في «المغازي» ١/ ٣٩٦، وصاحبه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٥٧.

وكانت غَيبتُه ﷺ عن المدينة في هذه الغزوة خمس عشرة ليلةً.

(٢) وهو قول الواقدي وابن سعد أيضاً.

(٣) نخل ـ أو النُّخيل ـ: بلدة بنجد من أرض غطفان، شمال شرق المدينة على بعد ١١٥ كم تقريباً، وتقع شمال الحنّاكية على قرابة ٣٠ كم.

ويقال: ذاتُ الرِّقاع شجرةٌ بذلك الموضعِ يقال لها: ذاتُ الرِّقاع[1].

قال ابن إسحاق: فلَقِيَ بها جمعاً عظيماً من غَطَفان، فتَقارَبَ الناسُ ولم يكن بينهم حربٌ، وقد خافَ الناسُ بعضُهم بعضاً، حتّى صَلَّى رسولُ الله ﷺ بالناس صلاةَ الخوف، ثمّ انصَرَفَ بالناس.

قال ابن هشام: حدّثنا عبدُ الوارث بن سعيدٍ التَّنُّوريّ قال: حدّثنا يونُسُ بن عُبيدٍ، عن الحَسَن بن أبي الحَسَن، عن جابر بن عبدالله في صلاةِ الخوفِ قال: صَلَّى رسولُ الله ﷺ بطائفةٍ رَكعتَينِ ثمّ سَلَّمَ، وطائفةٌ مُقبِلُون على العدوِّ، قال: فجاؤوا فصَلَّى بهم

(١) وقال السهيلي في «الروض» ٦/ ٢٤١-٢٤٢ بعدما عَرَضَ رأيَ ابن هشام: وذكر غيرُه أنها أرض فيها بُقَعٌ سُودٌ وبُقَعٌ بِيضٌ، كأنها مرقَّعة برقاع مختلفة، فسُمِّيت ذات الرِّقاع لذلك، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة، وأصحُّ من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري (٤١٢٨) من طريق أبي موسى الأشعري قال: خرجنا مع النبي ﷺ في غزاةٍ ونحن ستة نفرٍ بيننا بعير نعتقبُه فنَقِبَت أقدامُنا (أي: رقَّت جلودها وتنفَّطَت من المشي) ونَقِبَت قدماي وسقطت أظفاري، فكنّا نلفُّ على أرجلنا الخِرَقَ، فسُمِّيَت غزوةَ ذات الرِّقاع، لِمَا كنّا نَعصِبُ من الخِرَق على أرجلنا.

قلنا: وحديث أبي موسى هذا ليس فيه ذكر صلاة الخوف، وفيه أنهم كانوا ستةً، بينما في غزوة غطفان هذه كان المسلمون جمعاً كبيراً كما سبق، وأبو موسى إنما قَدِمَ على النبي ﷺ بعد هذه الغزوة وذلك عند فتح خيبر كما عند البخاري (٣٨٧٦) و(٤٢٣٠) ومسلم (٢٥٠٢)، ولذلك أشار البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣٧٢ إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسماً لغزوتين مختلفتين.

وأما عن سبب تسميتها بذات الرِّقاع، وأنها أرض فيها بقعٌ مختلفة الألوان، وهو قول الواقدي وصاحبه ابن سعد، فهذا يؤيّده ما وقع في طريق وهب بن كَيسان عن جابر بن عبدالله عند البخاري (٤١٢٧) قال: خرج النبي ﷺ إلى ذات الرقاع من نخل، وفي طريق أبي سلمة عنه عند مسلم (٨٤٣) قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع؛ فالألفاظ في هذين الطريقين تشير إلى مكان يسمَّى ذاتَ الرقاع، فإن كان هذا هو المراد، فقد اندَثَر اسم هذا المكان على مرِّ الأزمان ولم يعد معروفاً، والله تعالى أعلم.

ركعتَينِ أُخرَيَينِ ثمّ سَلَّم[1].

(١) إسناده ضعيف لانقطاعه بين الحسن بن أبي الحسن البصريِّ وجابر، فرواية الحسن عن جابر مرسلة، فهو لم يسمع منه، وقد انفرد بذكر تسليم النبيّ ﷺ في الركعتين الأُوليين.

وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٥٢٢) عن عمران بن موسى، عن عبد الوارث بن سعيد، بهذا الإسناد.

ورواه عبد الأعلى الساميُّ عنده (١٩٥٥) عن يونس بن عبيد، به. إلا أنه لم يذكر فيه التسليم الأول.

وذكره عنده (١٩٥٣) قتادةُ بن دِعامة عن الحسن.

وروى صفةَ صلاة الخوف عن جابرٍ أيضاً في هذه الغزوة وأنها كانت ركعتين ركعتين لأصحاب النبي ﷺ وله أربع ركعات لكن دون تسليم منه في الأُوليين: أبو سلمة بن عبد الرحمن عند أحمد (١٤٩٢٨)، والبخاري معلَّقاً (٤١٣٦)، ومسلم (٨٤٣)، وابن حبان (٢٨٨٤)، وسليمانُ ابن قيس اليشكريُّ عند أحمد (١٤٩٢٩)، وابن حبان (٢٨٨٢)، والحاكم (٤٣٦٨).

وخالف هؤلاءِ أبو الزبير كما في الرواية التالية عند المصنِّف، وعطاءُ بن أبي رباح عند أحمد (١٤٤٣٦) ومسلم (٨٤٠)(٣٠٧) والنسائي في «الكبرى» (١٩٤٨)، فرويا عن جابر في صلاة الخوف صفة ثانية، وفيها: أن النبي ﷺ كانت له ركعتان كما لأصحابه؛ وهذا أصحُّ وأثبتُ إن شاء الله تعالى، لمجيء ما يشهدُ لهذه الصفة من حديث صالح بن خَوّات الأنصاري عند البخاري (٤١٢٩) ومسلم (٨٤٢)، عمّن شهد مع رسول الله ﷺ هذه الغزوة، فذكر صفتها وأنه كان لكل طائفة منهم ركعتان وللنبي ﷺ ركعتان، وقال الإمام مالك بإثرها: وذلك أحسنُ ما سمعت في صلاة الخوف. قلنا: ووافقه على هذا الترجيح غيرُ واحد من أهل العلم لسلامة هذه الرواية من كثرة المخالفة كما قال ابن حجر في «الفتح» ١٢/ ٣٠٢.

وروى يزيدُ الفقيرُ عن جابرٍ في صلاة الخوف صفةً ثالثةً، وفيها: أن النبي ﷺ صلَّى بكل طائفة ركعة، فكانت له ركعتان ولكل طائفة ركعة واحدة، أخرج ذلك أحمد (١٤١٨٠) والنسائي (١٩٤٦) وابن حبان (٢٨٦٩)، وإسناده صحيح.

فذهب بعضهم إلى أن هذا الاختلاف مبنيٌّ على تعدُّد الأحوال والوقائع، وهذا ما قوّاه =

حدّثنا عبدُ الوارث قال: حدّثنا أيّوبُ، عن أبي الزُّبَير، عن جابرٍ قال: صَفَّنا رسولُ الله ﷺ صَفَّينِ فرَكَعَ بنا جميعاً، ثمّ سَجَدَ رسولُ الله ﷺ وسَجَدَ الصّفُّ الأوّلُ، فلمّا رَفَعوا سَجَدَ الّذين يَلُونَهم بأنفُسِهم، ثمّ تأخَّرَ الصّفُّ الأوّلُ وتَقدَّمَ الصّفُّ الآخِرُ حتّى قاموا مَقامَهم، ثمّ رَكَعَ النبيُّ ﷺ بهم جميعاً، ثمّ سَجَدَ النبيُّ ﷺ وسَجَدَ الّذين يَلُونَه معه، فلمّا رَفَعوا رُؤوسَهم سَجَدَ الآخِرون بأنفُسِهم، فرَكَعَ النبيُّ ﷺ بهم جميعاً، وسَجَدَ كلُّ واحدٍ منهما بأنفُسِهم سجدتَينِ[1].

حدّثنا عبدُ الوارث بن سعيدٍ التَّنُّوريّ قال: حدّثنا أيّوبُ، عن نافع، عن ابن عمر قال: يقومُ الإمامُ وتقومُ معه طائفةٌ، وطائفةٌ ممّا يَلِي عدوَّهم، فيَركَعُ بهم الإمامُ

= ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٣١٢. وانظر ما جاء في اختلاف صور صلاة الخوف في كتاب «زاد المعاد» لابن القيّم ١/ ٥٢٩-٥٣٢.

وروي عن جابر فيها صفة رابعة، وهي: أن الطائفة الآخِرةَ بقيت قاعدةً حتى أتمَّت الطائفة التي خلفه ﷺ ركعتها، أخرج ذلك ابن حبان (٢٨٨٨) والحاكم (١٢٦٤) من طريق شرحبيل ابن سعد عنه. وشرحبيلُ هذا الجمهورُ على تضعيفه، وروايته هذه منكرة لم يتابعه عليها أحد.

(١) إسناده صحيح. أيوب: هو ابن أبي تَميمة السَّختِياني، وأبو الزبير: هو محمد بن مسلم بن تَدرُس المكّي.

وأخرجه ابن ماجه (١٢٦٠)، وابن حبان (٢٨٧٤) من طريق أحمد بن عَبْدة، عن عبد الوارث ابن سعيد، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد (١٥٠١٩)، والبخاري معلَّقاً (٤١٣٠) من طريق هشام الدَّستُوائي، ومسلم (٨٤٠)(٣٠٨)، وابن حبان (٢٨٧٧) من طريق زهير بن معاوية، كلاهما عن أبي الزبير، به. لكن وقع بينهما تخالفٌ في تعيين الغزوة التي وقعت فيها هذه الصلاة، فقال هشام: في نخل، وقال زهير: في غزاة قوم من جُهينة. قلنا: والمحفوظ ـ إن شاء الله ـ قول هشام، فإن نخلاً هي من ديار غطفان، وهذه هي غزوة ذات الرقاع، وهي في شمال شرق المدينة من نجدٍ، أما جُهينة فإن ديارهم في غرب وشمال غرب المدينة باتجاه الساحل، وهي من الحجاز.

ويَسجُدُ بهم ثمّ يتأخَّرون فيكونون ممّا يَلِي العدوَّ، ويتقدَّمُ الآخِرُون فيَركَعُ بهم الإمامُ ركعةً ويَسجُدُ بهم، ثمّ تُصلِّي كلُّ طائفة بأنفُسِهم ركعةً، فكانت لهم مع الإمام ركعةٌ ركعةٌ، وصَلَّوا بأنفُسِهم ركعةً ركعةً[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمرُو بن عُبيدٍ، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله: أنّ رجلاً من بني مُحارِبٍ يقال له: غَوْرَثٌ[2]، قال لقومِه من غَطَفانَ ومُحارِبٍ: ألا أقتُلُ لكم محمّداً؟ قالوا: بلى، وكيف تَقتُلُه؟ قال: أَفتِكُ به[3]. قال: فأقبَلَ إلى رسول الله ﷺ وهو جالسٌ، وسيفُ رسول الله ﷺ في حِجْرِه، فقال: يا محمّدُ، أنظُرُ إلى سيفك هذا؟! قال: «نعم» ـ وكان مُحلًّى بفِضَّةٍ فيما قال ابن هشام ـ قال: فأخذَه فاستَلَّه ثمّ

(١) إسناده صحيح. أيوب: الظاهر أنه ابن أبي تميمة السختِياني كالإسناد السابق، وقد تابعه سميُّه أيوب بن موسى عند أحمد (٦١٥٩) من رواية الأوزاعي عنه عن نافع، إلا أنه رفعه إلى النبي ﷺ.

وأخرجه بنحوه أحمد (٦٤٣١)، ومسلم (٨٣٩)(٣٠٦)، والنسائي في «المجتبى» (١٥٤٢) وفي «الكبرى» (١٩٤٣) من طريق موسى بن عقبة، والبخاري (٤٥٣٥) من طريق مالك، وابن ماجه (١٢٥٨)، وابن حبان (٢٨٨٧) من طريق عبيد الله بن عمر، ثلاثتهم عن نافع، به. لكن لم يصرّح نافع في رواية مالك عنه برفعه إلى النبي ﷺ، بل قال في آخره: لا أرى عبدَ الله بن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله ﷺ.

وقد رواه مرفوعاً أيضاً الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه فيما أخرجه أحمد (٦٣٥١) و(٦٣٧٧)، والبخاري (٩٤٢) و(٤١٣٣)، ومسلم (٨٣٩)(٣٠٥)، وأبو داود (١٢٤٣)، والترمذي (٥٦٤)، والنسائي في «المجتبى» (١٥٣٨) وفي «الكبرى» (١٩٤١) و(١٩٤٢)، وابن حبان (٢٨٧٩).

(٢) على وزن جَعفَر، وقيل بضمِّ أوله، ووقع عند الخطيب بالكاف بدل الثاء، وحكى الخطّابيُّ فيه: غُوَيرِث، بالتصغير. انظر «فتح الباري» لابن حجر ١٢/ ٣١٢.

(٣) أي: أقتله على غَفْلة.

جَعَلَ يَهُزُّه ويَهُمُّ فيَكبِتُه الله[1]؛ ثمّ قال: يا محمّدُ، أما تَخافُني؟ قال: «لا، وما أَخافُ منكَ؟» قال: أما تَخافُني وفي يدي السّيفُ؟ قال: «لا، يَمنَعُني اللهُ منكَ»، ثمّ عَمَدَ إلى سيفِ رسول الله ﷺ فرَدَّه عليه. قال: فأنزَلَ الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة:١١][2].

---

(١) يهمُّ، أي: يريد أن يفعل. ويَكبِته الله، أي: يُذِلّه ويَقمَعه.

(٢) أصل الحديث صحيح دون ذكر نزول هذه الآية بسبب قصة الأعرابي غورث بن الحارثِ فقد انفرد به الحسن البصري عن جابر، والإسناد بينهما منقطع، فإن الحسن لم يسمع من جابر شيئاً، والظاهر أن ذكر سبب نزول الآية هنا من قول الحسن ورأيه، وهو مخالَفٌ فيه كما أشار إلى ذلك ابنُ إسحاق بإثر خبره هذا، والراوي عن الحسن هنا عمرُو بن عبيدٍ ليس بثقة عند أهل الحديث.

وأخرجه ابن بَشكُوال في «غوامض الأسماء المبهمة» ١/ ٣٩١-٣٩٢ من طريق محمد بن عبد الرحيم، عن ابن هشام.

ورواه عن ابن إسحاق أيضاً سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٥٧-٥٥٨، وإبراهيمُ ابن سعد عند أبي نعيم في «دلائل النبوة» (١٤٥).

وروى نحو هذا الخبر عن جابرٍ دون ذكر نزول الآية: سنانُ بن أبي سنان الدُّؤلي وأبو سلمة بن عبد الرحمن عند أحمد (١٤٣٣٥) و(١٤٩٢٨)، والبخاري (٢٩١٠) و(٢٩١٣) و(٤١٣٥) و(٤١٣٦) و(٤١٣٩)، ومسلم (٨٤٣)(٣١١) و(٢٢٨١)(١٣-١٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٧١٩)، وابن حبان (٤٥٣٧)، وسليمانُ بن قيس اليَشكُري عند أحمد (١٤٩٢٩)، وابن حبان (٢٨٨٢) و(٢٨٨٣)، والحاكم (٤٣٦٨).

وذكر الواقدي نحو هذه الواقعة في غزوة ذي أَمَرٍ، وسمَّى الأعرابيَّ دُعثورَ بن الحارث، وتقدّم كلامنا على روايته عند تلك الغزوة ص٩، وصوّبنا هناك ما وقع عند ابن إسحاق وغيره من أن هذه الحادثة كانت في غزوة ذات الرقاع.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيدُ بن رُومانَ: أنّها إنّما أُنزلت في عمرو بن جِحَاشٍ أخي بني النَّضيرِ وما هَمَّ به[1]، فاللهُ أعلم أيُّ ذلك كان.

قال ابن إسحاق: وحدّثني وهبُ بن كَيْسانَ، عن جابر بن عبد الله قال: خرجتُ مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذاتِ الرِّقاع من نَخْلٍ، على جَمَلٍ لي ضعيفٍ، فلمّا قَفَلَ رسولُ الله ﷺ قال: جَعَلَت الرِّفاقُ تَمْضي، وجَعَلتُ أتخلَّفُ حتّى أدرَكَني رسولُ الله ﷺ فقال: «ما لكَ يا جابرُ؟» قال: قلت: يا رسولَ الله، أبطَأَ بي جَمَلي هذا، قال: «أَنِخْهُ» قال: فأَنَخْتُه، وأناخَ رسولُ الله ﷺ ثمّ قال: «أَعطِني هذه العصا من يدِكَ ـ أو اقطَعْ لي عصاً من شَجَرةٍ ـ» قال: ففعلتُ، قال: فأخذَها رسولُ الله ﷺ فنَخَسَه بها نَخَساتٍ ثمّ قال: «اركَبْ»، فرَكِبتُ، فخرج والّذي بَعَثَه بالحقِّ يُواهِقُ[2] ناقتَه مُواهَقةً.

قال: وتَحدَّثتُ مع رسول الله ﷺ، فقال لي: «أتَبِيعُني جَمَلَك هذا يا جابرُ؟» قال: قلت: يا رسولَ الله، بل أهَبُه لك، قال: «لا، ولكنْ بِعْنِيهِ» قال: قلت: فسُمْنِيهِ[3]، قال: «قد أَخَذْتُه بدِرهَمٍ» قال: قلت: لا، إذاً تَغبِنَني[4] يا رسولَ الله، قال: «فبدِرهمَينِ» قال: قلت: لا، قال: فلم يَزَلْ يَرفَعُ لي رسولُ الله ﷺ حتّى بَلَغَ الأُوقِيّةَ[5]، قال: فقلت: أفقَدْ رَضِيتَ؟ قال: «نعم» قلت: فهو لك، قال: «قد أَخَذْتُه».

ثمّ قال: «يا جابرُ، هل تَزَوَّجتَ بَعْدُ؟» قال: قلت: نَعَم يا رسولَ الله، قال: «أثَيِّباً

---

(١) كما تقدم ٢/ ٢٣٩، ورواه ابن إسحاق أيضاً عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر الأنصاريَّين كما في «تفسير الطبري» ٨/ ٢٢٨، وهذا الذي رجَّحه الطبريُّ ٨/ ٢٣٣.

(٢) يواهق ناقته، أي: يُباري ناقة النبي ﷺ في السير ويماشيها.

(٣) المُساوَمة: المجاذبة بين البائع والمشتري على السِّلعة وفَصْل ثمنها.

(٤) أي: لم تُوفني ثمنه الذي يستحقّه.

(٥) الأوقيّة: أربعون درهماً فضّة، والدرهم: ٢,٩٧٥ غم.

أم بِكْراً؟» قال: قلت: بل ثَيِّباً، قال: «أفلا جارِيَةً تُلاعِبُها وتُلاعِبُك!» قال: قلت: يا رسولَ الله، إنَّ أَبي أُصيبَ يومَ أُحدٍ وتَرَكَ بناتٍ له سبعاً، فنَكَحتُ امرأةً جامعةً تَجمَعُ رُؤوسَهُنَّ وتقومُ عليهِنَّ، قال: «أَصَبْتَ إن شاءَ الله، أمَا إنَّا لو قد جِئْنا صِرَاراً[1]، أمَرْنا بجَزُورٍ فنُحِرَت، وأقَمْنا عليها يومَنا ذاكَ، وسَمِعَت بنا فنَفَضَت نَمارِقَها[2]»، قال: قلت: يا رسولَ الله، ما لنا من نَمارِقَ، قال: «إنَّها ستكونُ، فإذا أنتَ قَدِمتَ، فاعمَلْ عَمَلاً كَيِّساً[3]». قال: فلمّا جِئْنا صِرَاراً أمَرَ رسولُ الله ﷺ بجَزُورٍ فنُحِرَت، وأقَمْنا عليها يومَنا ذاك، فلمّا أَمسى رسولُ الله ﷺ دخل ودخلنا، قال: فحَدَّثتُ المرأةَ الحديثَ وما قال لي رسولُ الله ﷺ، قالت: فدُونَك، فسَمْعٌ وطاعةٌ.

قال: فلمّا أصبَحتُ أخذتُ برأس الجَمَلِ فأقبَلتُ به حتّى أَنَخْتُه على باب رسول الله ﷺ، قال: ثمّ جلستُ في المسجد قريباً منه، قال: وخرج رسولُ الله ﷺ فرأى الجَمَلَ فقال: «ما هذا؟» قالوا: يا رسولَ الله، هذا جَمَلٌ جاءَ به جابرٌ، قال: «فأينَ جابرٌ؟» قال: فدُعِيتُ له، قال: فقال: «يا ابنَ أَخي، خُذْ برأسِ جَمَلِك، فهو لكَ»، ودَعَا بلالاً فقال له: «اذهَبْ بجابرٍ فأَعطِهِ أُوقِيَّةً»، قال: فذهبتُ معه فأعطاني أُوقيَّةً وزادَني شيئاً يَسِيراً. قال: فواللهِ ما زالَ يَنْمِي عندي ويُرَى مكانُه من بيتِنا، حتّى أُصيبَ أَمسِ فيما أُصيبَ لنا؛ يعني يومَ الحَرَّة[4].

---

(١) صِرَار: موضع فيه بئر شرق المدينة في حَرّة واقم، يبعد عن المسجد النبوي حوالي ٦ كم.

(٢) النمارق: جمع نَمرُقة، وهي الوسادة الصغيرة.

(٣) أراد بالعمل الكيِّس هنا: الجِماع.

(٤) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٥٠٢٦) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه مطوَّلاً ومختصراً ببعض فِقَره البخاري (٢٠٩٧)، ومسلم (٧١٥) (٧٣) =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمّي صَدَقةُ بن يَسارٍ[1]، عن عَقيلِ بن جابرٍ، عن جابر ابن عبد الله الأنصاريِّ قال: خَرَجْنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذاتِ الرِّقاع من نَخْلٍ، فأصابَ امرأةَ رجلٍ من المشركين، فلمّا انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ قافلاً، أَتى زوجُها وكان غائباً، فلمّا أُخبِرَ الخبرَ حَلَفَ لا يَنتَهي حتّى يُهرِيقَ في أصحاب محمّدٍ دماً، فخرج يَتبَعُ أثَرَ رسولِ الله ﷺ، فنَزَلَ رسولُ الله ﷺ مَنزِلاً فقال: «مَن رجلٌ يَكلَؤُنا[2] لَيلَتَنا؟»، قال: فانتَدَبَ رجلٌ من المهاجرين ورجلٌ من الأنصار، فقالا: نحنُ يا رسولَ الله، قال: «فكُونَا بفَمِ الشِّعْبِ[3]»، قال: وكان رسولُ الله ﷺ وأصحابُه قد نَزَلوا

= و(١٤٦٦)(٥٧)، وابن حبان (٢٧١٧) و(٦٥١٨) و(٧١٤٣) من طريق عبيد الله بن عمر العُمَري، عن وهب بن كيسان، به. وليس في المطوّل عندهم ذكر قصة نحر الجزور، ولا النّمارق، ولا قوله ﷺ ـ غير البخاري فهذا في حديثه ـ: «فإذا أنت قدمتَ فاعمل عملاً كيّساً». ولزيادة تخريجه من طرق أخرى عن جابر رضي الله عنه انظر التعليق على «مسند أحمد».

ويومُ الحرّة: أراد بها الوقعة المشهورة بين أهل الشام وبين أهل المدينة سنة ٦٣هـ في أيام يزيد ابن معاوية، وكان أمير جيش يزيد مسلم بن عُقْبة المُرّي الذي لُقِّب بالمُسرِف لقُبْح صنيعه، فقد هَتَك مسرفٌ ـ أو مجرمٌ ـ الإسلامَ هتكاً، وأَنهب المدينةَ ثلاثاً، واستخفَّ بأصحاب النبي ﷺ، ومُدَّت الأيدي إليهم ونُهِبَت دورهم، والحَرّة التي وقع بها القتال هي حرّة واقِم، وهي في شرق المدينة المنورة.

(١) هكذا في النسخ كلها، وهو خطأ قديم تتابَعَت عليه النسخ، وأشار إليه الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٩٥ فقال: كذا وقع هنا، وذكرُ (عمِّي) في هذا الحديث خطأ، وصدقةُ هذا جَزَريٌّ سكن بمكّة، وليس بعمِّ محمد بن إسحاق. قلنا: وقد رواه ابن نصر المَروَزي في «قيام الليل» ـ كما في «مختصره» للمَقْريزي ص١٥٢ ـ عن عمرو بن زُرارة عن زياد البكّائي، فلم يقل فيه: عمّي، وكذلك كلٌّ من رواه عن ابن إسحاق غيرُ البكّائي، انظر تخريجه في «مسند أحمد» (١٤٧٠٤).

(٢) يكلؤنا، أي: يحفظنا.

(٣) الشِّعب: هو الموضع المُنفرِج بين جبلين.

إلى شِعْبٍ من الوادي.

وهما عمّارُ بن ياسرٍ وعبّادُ بن بِشْرٍ، فيما قال ابن هشام[1].

قال: فلمّا خرج الرّجُلانِ إلى فمِ الشِّعب، قال الأنصاريُّ للمهاجريِّ: أيَّ اللّيلِ تحبُّ أن أَكفِيَكَه، أوّلَه أم آخرَه؟ قال: بل اكفِني أوّلَه، قال: فاضطَجَعَ المهاجريُّ فنامَ وقامَ الأنصاريُّ يُصلِّي.

قال: وأَتى الرّجلُ، فلمّا رأى شَخْصَ الرّجلِ عَرَفَ أنّه رَبيئةُ القوم[2]، قال: فرمى بسَهمٍ فوَضَعَه فيه، قال: فنَزَعَه ووَضَعَه فثَبَتَ قائماً، قال: ثمّ رماه بسَهمٍ آخرَ فوَضَعَه فيه، قال: فنَزَعَه فوَضَعَه وثَبَتَ قائماً، ثمّ عادَ له بالثّالثِ فوَضَعَه فيه، قال: فنَزَعَه فوَضَعَه ثمّ رَكَعَ وسَجَدَ ثمّ أَهَبَّ[3] صاحبَه فقال: اجلِسْ فقد أُتِيتُ[4]، قال: فوَثَبَ، فلمّا رآهما الرّجلُ عَرَفَ أنْ قد نَذِرَا به[5]، فهَرَبَ، قال: فلمّا رأى المهاجريُّ ما بالأنصاريِّ من الدّماءِ قال: سُبحانَ الله، أفلا أهبَبْتَني أوّلَ ما رماك؟! قال: كنتُ في سورةٍ أقرَؤُها فلم أُحِبَّ أن أقطَعَها حتّى أُنفِذَها، فلمّا تابَعَ عليَّ الرَّميَ رَكَعتُ فآذَنتُك[6]، وايْمُ اللهِ لولا أن أُضيِّعَ ثَغْراً أمَرَني رسولُ الله ﷺ بحِفْظِه، لَقَطَعَ نَفْسي

---

(١) وسُمِّيا كذلك في حديث خوّات بن جُبير الأنصاري عند الواقدي في «المغازي» ١/ ٣٩٦-٣٩٧، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣٧٨-٣٧٩، وسمّى السورة التي كان يقرأ بها، وهي الكهف.

(٢) الرَّبيئة: الطَّليعة الذي يحرس القومَ ويَرقُب العدوَّ.

(٣) أهبَّ، أي: أيقظ.

(٤) في (ش١) ونسخة على حاشية (ز): أُثبِتُّ. ومعناه: جُرِحتُ جرحاً لا يمكن التحرك معه. ومعنى أُتِيتُ: أُصِبتُ.

(٥) نذرا به، أي: عَلِما بمكانه.

(٦) أي: أعلمتُك بما حصل لي.

قبلَ أن أقطَعَها أو أُنفِذَها[1].

قال ابن هشام: ويقال: أُنفِّذها.

قال ابن إسحاق: ولمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ من غزوة ذات الرِّقاع، أقامَ بها بقيّةَ جُمادَى الأولى وجُمادَى الآخِرة ورَجَباً.

غزوةُ بدرٍ الآخرة

في شعبانَ سنة أربعٍ[2]

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج في شعبانَ إلى بدرٍ لِمِيعادِ أبي سفيانَ حتّى نَزَلَه[3].

قال ابن هشام: واستَعمَل على المدينة عبدَ الله بن عبدِ الله بن أُبيِّ ابنِ سَلُولَ الأنصاريَّ[4].

---

(١) إسناده حسن إن شاء الله، عَقِيل بن جابر - وإن لم يرو عنه غير صدقة بن يسار - تابعيٌّ كبيرٌ ابنُ صحابيٍّ، وهو لم يُجرَح وذكره ابن حبان في «الثقات»، وأما صدقة فثقةٌ معروفٌ.

وأخرجه أحمد (١٤٧٠٤) و(١٤٨٦٥)، وأبو داود (١٩٨)، وابن حبان (١٠٩٦)، والحاكم (٥٦٤) من طرق عن محمد بن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٢) وذهب الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٣٨٤ وصاحبه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٥٥ إلى أنها كانت بعد ذلك بثلاثة أشهر في ذي القَعْدة من هذه السنة، وسمَّياها بدرَ المَوعِد. قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٥/ ٥٧٨: والصحيحُ قول ابن إسحاق أنّ ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة، ووافق قولَ موسى بن عُقبة أنّها في شعبان، لكن قال (يعني موسى بن عقبة): في سنة ثلاثٍ، وهذا وهمٌ، فإنّ هذه تَواعَدُوا إليها من أُحد، وقد كانت أُحدٌ في شوّال سنة ثلاث.

(٣) وذلك أن أبا سفيان لمّا انصرف من أُحدٍ نادى: إنّ موعدكم بدرٌ للعام القابل، كما تقدّم ص٨٦.

(٤) وقال الواقدي وابن سعد: استخلف عبدَ الله بنَ رَوَاحة، وخرج ﷺ في ألف وخمس مئة من أصحابه.

قال ابن إسحاق: فأقامَ عليه ثمانيَ لَيالٍ ينتظرُ أبا سفيان، وخرج أبو سفيانَ في أهل مكَّة حتّى نَزَلَ مَجَنّةَ من ناحية الظَّهرانِ، وبعضُ الناس يقول: قد بَلَغَ عُسْفانَ[1]، ثمّ بَدَا له في الرُّجوع فقال: يا مَعشَرَ قريش، إنّه لا يُصلِحُكم إلّا عامٌ خَصيبٌ تَرعَوْنَ فيه الشّجرَ وتشربون فيه اللّبَنَ، وإنّ عامَكم هذا عامٌ جَدْبٌ، وإنّي راجعٌ فارجِعوا، فرجع النّاسُ، فسمّاهم أهلُ مكّة جيشَ السَّوِيق، يقولون: إنّما خرجتُم تشربون السَّوِيق[2].

وأقامَ رسولُ الله ﷺ على بدرٍ ينتظرُ أبا سفيانَ لِميعادِه، فأتاه مَخْشيُّ بن عمرو الضَّمْريّ ـ وهو الّذي كان وادَعَه على بني ضَمْرة في غزوة وَدّانَ[3] ـ فقال: يا محمّدُ، أجِئتَ لِلقاءِ قريشٍ على هذا الماءِ؟ قال: «نَعَم يا أَخا بني ضَمْرةَ، وإن شِئتَ مع ذلكَ رَدَدْنا إليكَ ما كان بينَنا وبينَك، ثمَّ جالَدْناكَ حتّى يَحكُمَ اللهُ بينَنا وبينَك»، قال: لا والله يا محمّدُ ما لنا بذلك منكَ من حاجةٍ[4].

---

(١) مَجَنّة: اسم مكانٍ كان فيه سوق من أسواق العرب مشهورة، وهي اليوم ـ على الأغلب ـ بلدة بَحْرة بين مكة وجُدّة، تبعد عن مكة حوالى ٣٥ كم غرباً، والظَّهران: وادٍ من أودية الحجاز يمرُّ شمال مكة متجهاً غرباً، ويسمَّى اليوم وادي فاطمة، وأما عُسفان: فبلدة شمال غرب مكة على بعد ٧٥ كم تقريباً.

(٢) هو من الأطعمة أن تُجفَّف الحنطة أو الشعير ثم تُطحَن، فإذا أرادوا أن يأكلوها مُزِجَت باللَّبن والعسل والسَّمن، فإن لم يكن شيء من ذلك مُزجت بالماء، وهو في الغالب طعام المسافر.

(٣) كما تقدم ٢/ ٢٧٦.

(٤) لم يسند ابن إسحاق هذا الخبر، وذكره موسى بن عقبة في «مغازيه» فيما أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٣٨٤-٣٨٥ عن الزهريِّ مرسلاً، وفيه: أن الضمريَّ قال لرسول الله ﷺ: والله إن كنّا لقد أُخبرنا أنه لم يبقَ منكم أحدٌ، فما أعمَلَكم إلى أهل هذا الموسم؟ فقال رسول الله ﷺ وهو يريد أن يبلغ ذلك عدوَّه من قريش... وذكر نحو ما عند ابن إسحاق.

فأقامَ رسولُ الله ﷺ ينتظرُ أبا سفيانَ، فمَرَّ به مَعبَدُ بن أبي مَعبَدٍ الخُزاعيّ، فقال وقد رأى مكانَ رسول الله ﷺ وناقتُه تَهوِي به[1]:

قد نَفَرَت من رُفْقَتَيْ محمَّدِ ... وعَجْوةٍ من يَثْرِبٍ كالعَنجَدِ[2]

تَهوِي على دِينِ أَبيها الأتلَدِ ... قد جَعَلَت ماءَ قُدَيدٍ مَوعِدي[3]

وماءَ ضَجْنانَ لها ضُحَى الغَدِ[4]

وقال عبدُ الله بن رَوَاحة في ذلك ـ قال ابن هشام: أنشَدَنيها أبو زيدٍ الأنصاريُّ لكعبِ ابن مالكٍ[5] ـ:

وَعَدْنا أبا سفيانَ بدراً فلم نَجِدْ ... لميعادِه صِدقاً وما كان وافِيا

فأُقسِمُ لو وافَيتَنا فلَقِيتَنا ... لَأُبتَ ذَمِيماً وافتَقَدتَ المَوالِيا[6]

تَرَكْنا به أَوصالَ عُتْبةَ وابنَهُ ... وعَمراً أبا جَهلٍ تَرَكناهُ ثاوِيا[7]

عَصَيتُم رسولَ الله أُفٌّ لِدِينِكمْ ... وأمرِكمُ السَّيْءِ الّذي كان غاوِيا[8]

---

(١) تهوي به، أي: تُسرع به.

(٢) العنجد: حبُّ الزَّبيب، ويقال: هو الزبيب الأسود.

(٣) الدِّين: الدأْب والعادة. والأتلد: الأقدم. وقُديد: وادٍ شمال غرب مكة على بعد ١٣٠ كم تقريباً.

(٤) ضَجنان: موضع شمال شرق مكّة على بعد ٥٥ كم تقريباً على طريق المدينة المنوَّرة، ويسمّى اليوم: حَرّة المُحسِنيّة.

(٥) وكذلك أنشدها لكعبٍ الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٣٨٩ وقال: أنشَدَنيها مشيخةُ آل كعب وأصحابُنا جميعاً. وأنشد البيت الأول منها البلاذُريُّ في «أنساب الأشراف» ١/ ٣٤٠.

(٦) افتقدتَ: فقدتَ. والموالي: القرابة والأحلاف.

(٧) الأوصال: أعضاء الجسد. وثاوياً: مقيماً ساكناً بعد مقتله.

(٨) السَّيْء بالتخفيف، أي: السيِّئ. والغَيُّ: الضلال والانهماك في الباطل.

فـإنّي وإن عَنّفتُمـوني لَقائـلٌ ... فِدًى لرسولِ الله أَهلي ومالِيا[1]

أَطَعْنـاه لـم نَعدِلْـه فينـا بغيـرِهِ ... شِهاباً لنا في ظُلْمةِ اللّيلِ هادِيا[2]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ في ذلك[3]:

دَعُوا فَلَجاتِ الشّام قد حالَ دونَها ... جِـلَادٌ كـأفواهِ المَخـاضِ الأَوَارِكِ[4]

بأَيـدي رِجـالٍ هـاجَرُوا نحـوَ ربِّهِـمْ ... وأنصـارِه حَقّـاً وأَيـدي المَلائـكِ

إذا سَـلَكَتْ للغَـورِ مـن بَطـنِ عـالجٍ ... فقـولا لهـا: لـيس الطّريـقُ هنالـكِ[5]

أَقَمْنـا علـى الـرَّسِّ النَّـزُوعِ ثَمانيـاً ... بـأَرعَنَ جَـرّارٍ عَـريضِ المَبـاركِ[6]

بكـلِّ كُمَيـتٍ جَـوْزُه نِصـفُ خَلْقِـه ... وقُـبٍّ طِـوَالٍ مُشـرِفاتِ الحَـوارِكِ[7]

---

(١) عنَّفتموني: لُمتُموني.

(٢) لم نَعدِله، أي: لم نسوِّه مع غيره.

(٣) انظر «ديوانه» ص٨٥.

(٤) الفَلَجات: جمع فَلَجٍ، وهي الأودية والأنهار الصِّغار. والجِلاد: المجالَدة في الحرب. والمخاض: الإبل الحوامل. والأَوارك: التي ترعى الأَراك، وهو شجر معروف دائم الخُضرة، وتُتَّخذ من جذوره المساويك.

(٥) في «الديوان»: إذا هبطَت حَورانَ من رَمْلِ عالجٍ. وعالج: هو المعروف اليوم بصحراء النّفود الكبير، يمرُّ في شمال نجد قرب مدينة حائل إلى شمال تَيماء. والغَور: المنخفض من الأرض.

(٦) الرَّس: البئر. والنَّزوع: القريبة القعر التي يُخرَج ماؤها بالأيدي. والأرعن هنا: الجيش الكثير المضطرب لكثرته.

(٧) بكل كُميتٍ، أي: بكل فرس كميتٍ، والكُميت: لون بين السواد والحُمرة. وجَوْزه: وسطه، ويريد بطنَه. والقُبُّ: جمع أَقَبَّ، وهو الفرس الضامر البطن. والحوارك: جمع حارِك، وهو أعلى الكتفين من الفرس.

تَـرَى العَـرْفَجَ العامِيَّ تَـذْري أُصـولَه ... مَناسِـمُ أخفـافِ المَطِـيِّ الرَّواتِـكِ[1]

فـإنْ تَلْـقَ في تَطْوافِنـا والْتِماسِـنا ... فُـرَاتَ بـنَ حيّـانٍ يكـنْ رَهْـنَ هالـكِ[2]

وإنْ تَلْقَ قيسَ بنَ امرِئِ القيسِ بعدَه ... يُـزَدْ في سَـوادٍ لونُـه لـونُ حالـكِ[3]

فـأبلِغْ أبـا سـفيانَ عنّـي رِسـالةً ... فإنّـكَ مـن غُـرِّ الرِّجـالِ الصَّعالِكِ[4]

فأجابه أبو سفيانَ بن الحارث بن عبد المُطَّلِب فقال:

أحسّـانُ إنّـا يـا ابـنَ آكلـةِ الفَغَـا ... وجَـدِّكَ نَغتـالُ الخُـروقَ كـذلكِ[5]

خَرَجْنـا ومـا تَنجُـو اليَعـافيرُ بيننَـا ... ولـو وَأَلَـتْ منّـا بشَـدٍّ مُـدارِكِ[6]

---

(١) العَرفَج: نبات قدر ذراع أو أكثر له زهر أصفر. والعامِيُّ: الذي أتى عليه عامٌ. وتذري أصوله: تقلعها وتطرحها. ومناسم: جمع مَنسِم، وهو طرف خفّ البعير. والرَّواتك: المُسرِعة.

(٢) فرات بن حيّان من بني عِجْل من بكر بن وائل، كان عيناً لأبي سفيان في حروبه ودليلاً في تجاراتهم، ثم أسلم فحَسُن إسلامه.

(٣) قيس بن امرئ القيس جاء في بعض نسخ «ديوان حسان» ـ كما في تحقيقه لوليد عرفات ـ ٢/ ٨٤: أنه عِجليٌّ، وكان يجير عِيرَ قريش هو وفراتُ بن حيان لمّا قطع عليهم النبي ﷺ مِيرةَ الشام.

والحالك: الشديد السواد.

(٤) الغُرّ: البِيض، ورواية «الديوان»: من شرِّ الرجال الصعالك. والصعالك: جمع صُعلُوك، وأصله: الصعاليك، حذفت ياؤه لإقامة الوزن، وهو الفقير الذي لا مال له، أو الذي لا غَناء عنده.

(٥) الفغا: غبرة تعلو البُسر من التمر قبل أن يَطِيب فتفسده. ونغتال: نقطع. والجَدّ: الحظّ. والخُروق: جمع خَرْق، وهو الفلاة الواسعة. وفي «جمهرة اللغة» لابن دريد ٢/ ١٠٨١: لعَمرُك نغتال الحروب.

(٦) اليعافير: جمع يَعفُور، وهو ولد الظَّبْية، يريد أنهم لكثرتهم لا تنجو معهم الظِّباء. ووَأَلَت: اعتصمت ولجأَت، يقال: وَأَلتُ إلى الجبل، أي: اعتصمتُ به، ومنه: المَوئِل، وهو المَلجَأ. والشَّدّ: الجَرْي. والمُدارِك: المتتابع.

إذا مـا انبَعَثْنـا مـن مُنـاخٍ حَسِـبتَه ... مُـدمَّنَ أهـلِ الموسِـمِ المُتَعـارِكِ[1]

أَقَمتَ على الـرَّسِّ النَّـزوعِ تريـدُنا ... وتتركُنـا في النَّخـلِ عنـد المَـدارِكِ[2]

على الـزَّرعِ تَمْشي خيلُنـا وركابُنـا ... فمـا وَطِئَـت أَلصَـقْنَه بالـدَّكادِكِ[3]

أَقَمْنـا ثلاثـاً بـين سَـلْعٍ وفـارعٍ ... بجُـرْدِ الجيـادِ والمَطِـيِّ الرَّواتِـكِ[4]

حَسِبتُم جِلادَ القـومِ عنـد قِبابِهم ... كمَأخَـذِكم بـالعَينِ أرطـالَ آنُـكِ[5]

فلا تَبعَثِ الخيـلَ الجِيـادَ وقـل لهـا ... على نحوِ قولِ المُعصِمِ المُتَماسِكِ[6]

سَـعِدتُم بهـا وغيـرُكم كـان أهلَهـا ... فـوارسُ مـن أبنـاءِ فِهْـرِ بـن مالـكِ

فإنّـكَ لا في هجـرةٍ إن ذَكَرتَهـا ... ولا حُرُمـاتِ الـدِّين أنـتَ بناسِـكِ[7]

قال ابن هشام: بَقِيَت منها أبياتٌ تركناها لقُبحِ اختلاف قَوافِيها، وأنشدني أبو زيدٍ

---

(١) المُناخ: الموضع الذي تُنيخ فيه الإبل، أي: تَبرُك وتقيم. والمُدمَّن: الموضع الذي ينزلون فيه فيتركون به الدِّمَن، أي: آثار الدوابّ والإبل، وأرواثها وأبعارها. وأهل المَوسِم، أي: جماعة الحُجّاج، وكل موضع كانت العرب تجتمع فيه فهو موسم، إذا كان ذلك عادةً منهم في ذلك المكان، كسوق عُكَاظ وذي المَجَاز وأشباههما. والمتعارِك: الذي يزدحم فيه الناس.

(٢) الرَّسّ النزوع: البئر التي تنزع ماؤها بالأيدي كما تقدم. والمدارك: المواضع القريبة، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٩٨: ومن رواه المَبارِك، فيعني به مبارك الإبل.

(٣) الدكادك: جمع دَكْداك، وهو الرمل الليّن.

(٤) سَلْع: جبل بالمدينة معروف، وفارع: اسم أُطُم فيها، وهو بناء مرتفع كالحِصن. والرَّواتك: المُسرعة.

(٥) القِباب: الأخبية والخِيام. والعين هنا: المال الحاضر، والعين أيضاً: الدينار، وكلاهما يصلح هاهنا، قاله الخشنيُّ. والآنُك: القزدير أو الرصاص.

(٦) المُعصِم: المستمسك بالشيء.

(٧) الناسك: المتتبِّع لمعالم الدِّين وشرائعه.

الأنصاريّ هذا البيتَ:

خَرَجنا وما تَنجُو اليَعافيرُ بيننا

والبيتَ الذي بعدَه لحسّان بن ثابتٍ في قوله:

دَعُوا فَلَجاتِ الشّامِ قد حالَ دونَها

وأنشدني له فيها بيتَه: فأبلِغْ أبا سفيانَ.

غزوةُ دُومَة الجَندَل

في شهر ربيع الأوّل سنة خمسٍ

قال ابن إسحاق: ثمّ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، فأقامَ بها حتّى مضى ذو الحِجّة، ووَلِيَ تلك الحَجّةَ المشركون، وهي سنة أربعٍ من مَقدَم رسول الله ﷺ المدينةَ، ثمّ غَزَا رسولُ الله ﷺ دُومةَ الجَندَل[1].

---

(١) دُومَة الجندل ـ بضمّ أوله ويُفتَح ـ بلدة في منطقة الجوف تتوسط شمال الجزيرة العربية، وتبعد عن المدينة المنوّرة قرابة ٦٠٠ كم.

وسبب هذه الغزوة كما ذكر الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٤٠٣ عن غير واحدٍ: أنه ذُكِر لرسول الله ﷺ أن بها جمعاً كثيراً من القبائل، وأنهم يظلمون من مرَّ بهم ممن يحملون المِيرة والطعام، وكان بها سوق عظيم، وهم يريدون أن يَدْنُوا من المدينة، فنَدَبَ رسولُ الله ﷺ الناسَ فخرج في ألفٍ من المسلمين، فكان يسير الليل ويَكمُن النهار، ومعه دليل له من بني عُذْرة يقال له: مذكور، فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بمواضع سوائمهم، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورِعائهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب في كلّ وجه، وجاء الخبر أهلَ دومة الجندل فتفرّقوا، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم، فلم يَجِدْ فيها أحداً، فأقام بها أياماً، وبثَّ السرايا ثم رجعوا، وأخذ محمد ابن مَسلَمة رجلاً منهم، فأتى به رسولَ الله ﷺ فسأله عن أصحابه فقال: هربوا أمسِ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلامَ، فأسلم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة.

وذكر الواقديُّ: أنه ﷺ خرج من المدينة لخمس ليال بقين من ربيع الأول، وعاد لعشرٍ بقين =

قال ابن هشام: في شهر ربيعٍ الأوّل، واستَعمَل على المدينة سِبَاعَ بن عُرفُطَةَ الغِفاريّ.

قال ابن إسحاق: ثمّ رجع رسولُ الله ﷺ قبل أن يَصِلَ إليها ولم يَلْقَ كَيداً، فأقام بالمدينة بقيّةَ سنته[1].

= من ربيع الآخر. يعني أنه غاب عن المدينة في هذه الغزوة قرابة خمسة وعشرين يوماً.

(١) قوله: فأقام بالمدينة بقية سنته، من (غ) و(ي) وليس في بقية النسخ.

غزوةُ الخندق

في شوّالٍ سنة خمسٍ

حدّثنا أبو محمّدٍ عبد الملك بن هشام قال: حدّثنا زيادُ بن عبد الله البَكَّائيّ، عن محمّد بن إسحاق المُطَّلِبيّ قال: ثمّ كانت غزوةُ الخندقِ في شوّالٍ سنة خمسٍ[1].

فحدّثني يزيدُ بن رُومانَ مولى آلِ الزُّبَير عن عُرْوةَ بن الزُّبَير، ومَن لا أتّهمُ عن عبدِ الله بن كعب بن مالكٍ ومحمّدِ بن كعبٍ القُرَظيِّ، والزُّهْريُّ وعاصمُ بن عمر بن قَتَادة وعبدُ الله بن أبي بكرٍ وغيرُهم من عُلمائِنا، كلٌّ قد اجتَمَع حديثُه في الحديث عن الخندق، وبعضُهم يحدِّث ما لا يحدِّث بعضٌ؛ قالوا: إنَّه كان من حديث الخندقِ أنّ نَفَراً من اليهود، منهم سَلَامُ بن أبي الحُقَيق النَّضْريّ وحُيَيُّ بن أخطَبَ النَّضْريّ وكِنانةُ بن الرَّبيع بن أبي الحُقَيق النَّضْريّ وهَوْذةُ بن قيسٍ الوائليّ وأبو عمّارٍ الوائليّ، في نَفَرٍ من بني النَّضير ونَفرٍ من بني وائلٍ، وهم الّذين حَزَّبوا الأحزابَ على رسول الله

---

(١) وقال موسى بن عقبة: كانت في شوّال سنة أربعٍ، قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٢٤٠: هكذا رُويناه في «مغازيه»، وتابع موسى على ذلك مالكٌ، وقال ابن إسحاق: كانت في شوّال سنة خمس، وبذلك جَزَمَ غيرُه من أهل المغازي، ومال البخاريُّ إلى قول موسى بن عقبة وقوّاه بما أخرجه (٤٠٩٧) من قول ابن عمر: أنه عُرِض يومَ أُحدٍ وهو ابن أربعَ عشرةَ ويومَ الخندق وهو ابن خمسَ عشرةَ، فيكون بينهما سنةٌ واحدةٌ، وأُحد كانت سنة ثلاث، فيكون الخندق سنة أربع؛ ولا حُجّة فيه إذا ثبت أنها كانت سنة خمس، لاحتمال أن يكون ابنُ عمر في أُحدٍ كان في أول ما طَعَنَ في الرابعةَ عشرَ، وكان في الأحزاب قد استكمل الخمسَ عشرةَ، وبهذا أجاب البيهقيُّ. اهـ

ثمَّ رجَّح ابن حجر أنها في السنة الخامسة، فانظر تتمّة كلامه هناك. وصحَّح كونَها في الخامسة أيضاً ابنُ القيِّم في «زاد المعاد» ٣/ ٢٤٠.

ﷺ، خَرَجوا حتّى قَدِمُوا على قريشٍ مكّةَ، فدَعَوهم إلى حربِ رسول الله ﷺ وقالوا: إنّا سنكونُ معكم عليه حتّى نَستأصِلَه، فقالت لهم قريشٌ: يا مَعشَرَ يهودَ، إنّكم أهلُ الكتابِ الأوّلِ والعلمِ بما أصبَحْنا نَختلِفُ فيه نحنُ ومحمّدٌ، أفدِينُنا خيرٌ أم دينُه؟ قالوا: بل دينُكم خيرٌ من دينه، وأنتم أَولى بالحقِّ منه؛ فهم الّذين أنزَلَ الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ[1] وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝٥١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝٥٢﴾ إلى قوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: النّبوّة ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٥﴾ [النساء: ٥٤-٥٥][2].

فلمّا قالوا ذلك لقريشٍ سَرَّهم ونَشَطُوا لما دَعَوهم إليه من حربِ رسول الله ﷺ، فاجتَمَعوا لذلك واتَّعَدُوا له، ثمّ خرج أولئك النَّفرُ من يهودَ حتّى جاؤوا غَطَفانَ من قيس عَيْلان، فدَعَوهم إلى حربِ رسول الله ﷺ، وأخبَرُوهم أنّهم سيكونون معهم عليه، وأنَّ قريشاً قد تابَعُوهم على ذلك، فاجتَمَعوا معهم فيه.

فخرجت قريشٌ وقائدُها أبو سفيانَ بن حَرْبٍ، وخرجت غَطَفانُ وقائدُها عُيَينةُ ابن حِصْن بن حُذَيفة بن بدرٍ في بني فَزَارة، والحارثُ بن عوف بن أبي حارثة المُرِّيُّ في بني مُرَّة، ومِسعَرُ بن رُخَيلة بن نُوَيرة بن طَرِيف بن سُحْمة بن عبد الله بن هلال بن خَلَاوة[3] بن أشجَعَ بن رَيْثِ بن غَطَفان، فيمَن تابَعَه من قومه من أشجَعَ.

---

(١) تقدّم تفسير الجبت والطاغوت عند ابن هشام ٢/ ٢٣٧-٢٣٨.

(٢) انظر الكلام على الخبر في سبب نزول هذه الآيات فيما تقدّم ٢/ ٢٣٧.

(٣) أشار في حاشية (ز) إلى اختلاف النسخ في تقييده على أوجه: حُلاوة، خِلاوة، جِلاوة. وأشار الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٩٩ إلى أنه يقيَّد بالخاء والحاء مضمومتين ومفتوحتين، وأن =

فلمّا سمع بهم رسولُ الله ﷺ وما أَجمعوا له من الأمر، ضَرَبَ الخندقَ على المدينة[1]، فعَمِلَ فيه رسولُ الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأَجر وعَمِلَ معه المسلمون فيه، فدَأَبَ فيه ودَأَبُوا[2]، وأبطَأَ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عَمَلِهم ذلك رِجالٌ من المنافِقين وجَعَلوا يُوَرُّون[3] بالضّعيف من العمل، ويَتسلَّلُون إلى أهليهم بغير علمٍ من رسول الله ﷺ ولا إذنٍ، وجَعَلَ الرّجلُ من المسلمين إذا نابَتْه النّائبةُ من الحاجة الّتي لا بُدَّ له منها، يَذكُرُ ذلك لرسول الله ﷺ ويَستأذِنُه في اللُّحوقِ بحاجته، فيأذَنُ له، فإذا قَضَى حاجتَه رجع إلى ما كان فيه من عَمَلِه رَغْبةً في الخير واحتساباً له.

فأنزَلَ الله عزَّ وجلَّ في أولئكَ من المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٦٢]، فنَزَلَت هذه الآيةُ فيمَن كان من المسلمين من أهل الحِسْبة والرَّغبة في الخير والطّاعة لله ولرسوله ﷺ.

= الجيّد فيه هو الخاء المعجمة. وقيّده كذلك بالمعجمة ابنُ ماكولا في «الإكمال» ٢/ ٥٧٦.

(١) وكان ذلك بإشارة من سلمان الفارسيّ كما سيأتي لابن هشام، وهو الذي ذكره أصحاب المغازي كما في «فتح الباري» لابن حجر ١٢/ ٢٣٩.

وكان موضع حفر الخندق في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة، بين حَرّة المدينة الغربية المسمّاة بالوَبَرة وبين حرّتها الشرقية المسمّاة بواقم، وتُقدَّر هذه المسافة بخمسة آلاف ذراع، وهو ما يعادل ٢,٥ كم تقريباً، وتمَّ حفره في ستة أيام كما في «مغازي الواقدي» ٢/ ٤٥٤ و«طبقات ابن سعد» ٢/ ٦٣.

(٢) أي: جدُّوا وتعبوا.

(٣) أي: يسترون.

ثمّ قال عزَّ وجلَّ يعني المنافقين الّذين كانوا يَتسلَّلُون من العَمَل ويذهبون بغير إذنٍ من النبيّ ﷺ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

قال ابن هشام: اللِّوَاذُ: الاستتارُ بالشّيءِ عند الهَرَب، قال حسّانُ بن ثابتٍ:

وقــريشٌ تَفِــرُّ منّــا لِــوَاذاً ... أن يُقِيموا وخَفَّ منها الحُلومُ

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له قد ذكرتُها في أشعار يوم أُحد[1].

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾، قال ابن إسحاق: من صَدقٍ أو كَذِب ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:٦٤].

قال ابن إسحاق: وعَمِلَ المسلمون فيه حتّى أحكَمُوه، وارتَجَزُوا فيه برجلٍ من المسلمين يقال له: جُعَيلٌ، سَمّاه رسولُ الله ﷺ عَمْراً، فقالوا:

سَمّاه من بعد جُعَيلٍ عَمْرا ... وكان للبائسِ يوماً ظَهْرا[2]

فإذا مَرُّوا بعمرٍو قال رسولُ الله ﷺ: «عَمْرا»، وإذا مَرّوا بظَهرٍ قال رسولُ الله ﷺ: «ظَهْرا»[3].

قال ابن إسحاق: وكان في حَفْر الخندقِ أحاديثُ بَلَغَتني، من الله فيها عِبرةٌ في تصديقِ رسولِه ﷺ وتحقيقِ نُبوّته، عايَنَ ذلك المسلمون.

---

(١) تقدّم ص١٦٧-١٧٠.

(٢) الظَّهر: القوة والمعونة، والضمير المستتر في قوله: سمّاه وكان، راجع إلى النبي ﷺ.

(٣) أي: قال معهم آخره فقط، كما أوضحت ذلك رواية الواقديِّ له في «مغازيه» ٢/ ٤٤٨ عن يحيى بن عبد العزيز الخزرجي عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً، وسمّى الرجل جُعيلَ ابن سُراقة.

فكان ممّا بَلَغَني: أنّ جابرَ بن عبدِ الله كان يحدِّث: أنّه اشتَدَّت عليهم في بعض الخندقِ كُدْيةٌ فشَكَوْها إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناءٍ من ماءٍ فتَفَلَ فيه ثمّ دعا بما شاءَ اللهُ أن يدعوَ به، ثمّ نَضَحَ ذلك الماءَ على تلك الكُدْية[1]، فيقول مَن حَضَرَها: فوالّذي بَعَثَه بالحقِّ، لَانهالَتْ حتّى عادت كالكَثِيبِ لا تَرُدُّ فأساً ولا مِسحاةً[2].

وحدّثني سعيدُ بن مِينا[3] أنه حُدِّثَ: أنّ ابنةً لبَشيرِ بن سعدٍ أُختِ النُّعمان بن بَشيرٍ قالت: دَعَتْني أُمّي عَمْرةُ بنتُ رَوَاحة، فأعطَتْني حَفْنةً من تمرٍ في ثَوْبي ثمّ قالت: أَيْ بُنيَّةُ، اذهبي إلى أبيك وخالك عبدِ الله بن رَوَاحة بغَدائِهما، قالت: فأخذتُها فانطَلَقتُ

---

(١) الكُدْية: قطعة من الأرض غليظة صُلْبة لا تعمل فيها الفأسُ. ونضح الماءَ، أي: رشَّه.

(٢) خبر هذه الكُدية صحيح من حديث جابر.

فقد أخرجه بنحوه البخاري (٤١٠١) عن خلّاد بن يحيى، عن عبد الواحد بن أيمن المخزومي، عن أبيه، عن جابر؛ إلا أنه لم يذكر فيه قصة الماء وقال: أخذ النبي ﷺ المِعوَل فضرب، فعاد كَثيباً أَهيَلَ.

ورواه غيرُ خلّاد عن عبد الواحد فذكر فيه: أن النبي ﷺ أمرهم أن يرشُّوا عليها الماء قبل أن يأتيها، أخرجه ابن أبي شيبة ١٤/ ٤١٨، وأحمد (١٤٢١١)، والدارمي (٤٣)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (١١٥)، والحاكم في «معرفة علوم الحديث» ص٩٤، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٤١٥-٤١٦ من طرق عن عبد الواحد بن أيمن، به.

وذكر أيمنُ فيه عن جابر أيضاً قصةَ الطعام الآتية لاحقاً والبركة التي حصلت فيه.

والكَثيب: كُومة من الرمل.

والمِسحاة: المِجرَفة من الحديد.

(٣) سعيد بن مِينا ـ وأَلِفُه تُمَدُّ وتُقصَر ـ من ثقات التابعين، روى عن غير واحد من الصحابة، إلا أن خبره هذا عن ابنة بشير بن سعد منقطعٌ، بينهما فيه واسطة مبهمة.

وأخرج هذا الخبر أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٣١)، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٤٢٧، وقوام السنة الأصبهاني في «الدلائل» أيضاً (٢٨٦) من طرق عن ابن إسحاق.

بها، فمَرَرتُ برسول الله ﷺ وأنا أَلتَمِسُ أَبي وخالي، فقال: «تَعالَيْ يا بُنيَّةُ، ما هذا معكِ؟» قالت: قلت: يا رسولَ الله، هذا تمرٌ بَعَثَتني به أُمّي إلى أبي بَشيرِ بن سعدٍ وخالي عبدِ الله بن رَوَاحة يَتَغَدَّيانِه، قال: «هاتِيهِ».

قالت: فصَبَبتُه في كَفَّي رسولِ الله ﷺ فما مَلأَتهما، ثمّ أمَرَ بثوبٍ فبُسِطَ ثمّ دَحَا بالتّمر عليه فتَبدَّدَ[1] فوقَ الثّوب، ثمّ قال لإنسانٍ عنده: «اصرُخْ في أهلِ الخَندَقِ: أن هَلُمَّ إلى الغَدَاءِ»، فاجتَمَعَ أهلُ الخندقِ عليه فجَعَلوا يأكُلُون منه، وجَعَلَ يزيدُ حتّى صَدَرَ أهلُ الخندقِ عنه وإنّه لَيَسقُطُ من أطرافِ الثّوب.

وحدّثني سعيدُ بن مِينا، عن جابر بن عبد الله قال: عَمِلْنا مع رسول الله ﷺ في الخندق، فكانت عندي شُوَيهةٌ غيرُ جِدٍّ سَمينةٍ[2]، قال: فقلت: والله لو صَنَعْناها لرسولِ الله ﷺ، قال: فأمَرتُ امرأتي فطَحَنَت لنا شيئاً من شَعيرٍ، فصَنَعَت لنا منه خُبزاً، وذَبَحتُ تلك الشّاةَ فشَوَيْناها لرسول الله ﷺ، قال: فلمّا أمسَيْنا وأرادَ رسولُ الله ﷺ الانصرافَ عن الخندق ـ قال: وكنّا نعملُ فيه نهارَنا، فإذا أمسَيْنا رَجَعْنا إلى أهالينا ـ قال: فقلت: يا رسولَ الله، إنّي قد صَنَعتُ لك شُوَيهةً كانت عندنا، وصَنَعْنا معها شيئاً من خُبزِ هذا الشَّعير، فأُحِبُّ أن تَنصرِفَ معي إلى مَنزِلي؛ وإنّما أُريدُ أن يَنصرِفَ معي رسولُ الله ﷺ وحدَه، قال: فلمّا أن قلتُ له ذلك، قال: «نَعَم».

ثمّ أمَرَ صارخاً فصَرَخَ: أنِ انصَرِفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيتِ جابرِ بن عبدِ الله، قال: قلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قال: فأقبَلَ رسولُ الله ﷺ وأقبَلَ النّاسُ معه، قال: فجَلَسَ وأخرَجْناها إليه، قال: فبَرَّكَ وسَمَّى اللهَ ثمّ أكلَ، وتَوارَدَها الناسُ؛ كلّما

(١) دحا بالتمر، أي: بَسَطَه. فتبدَّد، أي: فتفرّق.

(٢) أي: غير كاملة السِّمَن.

فَرَغَ قومٌ قاموا وجاءَ ناسٌ حتّى صَدَرَ أهلُ الخندقِ عنها[1].

وحُدِّثتُ عن سلمانَ الفارسيِّ أنّه قال: ضربتُ في ناحيةٍ من الخندق فغَلُظَت عليَّ، ورسولُ الله ﷺ قريبٌ منّي، فلمّا رآني أضرِبُ ورأى شِدّةَ المكان عليَّ، نَزَلَ فأخذَ المِعوَلَ من يدي فضَرَبَ به ضربةً لَمَعَت تحت المِعوَلِ بَرْقةٌ، قال: ثمّ ضَرَبَ به ضربةً أُخرى، فلَمَعَت تحته بَرْقةٌ أُخرى، قال: ثمّ ضَرَبَ به الثّالثةَ فلَمَعَت تحته بَرْقةٌ أُخرى، قال: قلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسولَ الله، ما هذا الّذي رأيتُ لَمَعَ تحت المِعوَلِ وأنت تَضرِبُ؟ قال: «أوَقَدْ رأيتَ ذلكَ يا سلمانُ؟» قال: قلت: نَعَم، قال: «أمّا الأُولى فإنَّ الله فَتَحَ عليَّ بها اليمنَ، وأمّا الثّانيةُ فإنَّ الله فَتَحَ عليَّ بها الشّامَ والمَغرِبَ، وأمّا الثّالثةُ فإنَّ الله فَتَحَ عليَّ بها المَشرِقَ»[2].

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٥٠٢٨) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه البخاري (٣٠٧٠) و(٤١٠٢)، ومسلم (٢٠٣٩)، والحاكم (٤٣٧٠) من طريق حنظلة بن أبي سفيان، عن سعيد بن مينا، به. وصرّح فيه أنهم كانوا ألفاً.

وبنحوه أيضاً أخرجه البخاري (٤١٠١) من طريق عبد الواحد بن أيمن المخزومي، عن أبيه، عن جابر.

(٢) أصل هذا الخبر حسنٌ إن شاء الله، فقد روي من أوجه ضِعاف لكن بمجموعها يمكن أن يحصل لأصل القصة قوّة، وانظر تخريج هذه الطرق مجموعة في «أنيس الساري في تخريج فتح الباري» لنبيل البصارة ٤/ ٢٥١١-٢٥١٤.

وأما طريق ابن إسحاق هذه فضعيفة لإبهام الواسطة فيها بين ابن إسحاق وسلمان الفارسي، لكن أشار البيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٤١٨ بعد أن ذكره عن ابن إسحاق إلى أن معناه منقول في مغازي عروة وموسى بن عقبة.

قلنا: وأحسنُ طرق هذا الخبر ما أخرجه أحمد (١٨٦٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٠٧) =

وحدّثني مَن لا أتّهمُ عن أبي هُرَيرةَ: أنّه كان يقول حين فُتِحَت هذه الأمصارُ في زمان عمرَ وزمان عثمانَ وما بعدَه: افتَتِحوا ما بَدَا لكم، والّذي نفسُ أبي هُرَيرةَ بيده، ما افتَتحتُم من مدينةٍ ولا تفتحونَها إلى يومِ القيامة، إلّا وقد أَعطى اللهُ محمّداً ﷺ مَفاتِيحَها قبلَ ذلك[1].

قال ابن إسحاق: ولمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من الخندق، أقبَلَت قريشٌ حتّى نَزَلَت بمُجتمَعِ الأسيال من رُومَةَ بين الجُرْفِ وزَغَابة[2] في عشرة آلافٍ من أحابيشهم

= من حديث ميمون أبي عبد الله، عن البراء بن عازب قال: أمَرَنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، قال: وعرض لنا صخرةٌ في مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول، قال: فشَكَوها إلى رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ فوضع ثوبه ثم هبط إلى الصخرة، فأخذ المِعوَل فقال: «باسم الله» فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال: «الله أكبر، أُعطِيتُ مفاتيحَ الشام، والله إني لأُبصر قصورها الحُمْر من مكاني هذا»، ثم قال: «باسم الله» وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر، فقال: «الله أكبر، أُعطِيتُ مفاتيحَ فارس، والله إني لأُبصر المدائن، وأُبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا» ثم قال: «باسم الله» وضرب ضربة أخرى فقلع بقيّة الحجر، فقال: «الله أكبر، أُعطِيتُ مفاتيح اليمن، والله إني لأُبصر أبواب صنعاءَ من مكاني هذا».

وميمون أبو عبد الله ضعيف، ومع ذلك فقد حسّن إسناد حديثه هذا ابنُ حجر في «فتح الباري» ١٢/٢٤٨.

(١) هذا خبر صحيح وإن كان إسناده عند ابن إسحاق ضعيفاً لإبهام الرواة بينه وبين أبي هريرة.

فقد أخرج معناه أحمد (٧٦٣٢)، والبخاري (٦٩٩٨) و(٧٢٧٣)، ومسلم (٥٢٣) (٦) وغيرهم عن أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: «بينما أنا نائمٌ البارحةَ إذ أُتِيتُ بمفاتيح خزائن الأرض حتى وُضِعَت في يدي»، ثم قال أبو هريرة: فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تَنتثِلُونها؛ أي: تستخرجون ما فيها.

(٢) رُومة: بئر معروفة مشهورة، تقع اليوم في حي الأزهري شمال غرب المدينة، وتبعد =

ومن تبعهم من بني كِنانةَ وأهل تِهامةَ، وأقبَلَت غَطَفانُ ومَن تَبِعَهم من أهل نَجدٍ حتّى نزلوا بذَنَبِ نَقَمَى[1] إلى جانب أُحد، وخرج رسولُ الله ﷺ والمسلمون حتّى جَعَلوا ظُهورَهم إلى سَلْع[2]، في ثلاثة آلافٍ من المسلمين، فضَرَبَ هنالك عسكرَه والخندقُ بينه وبين القوم.

قال ابن هشام: واستَعمَل على المدينة ابنَ أُمِّ مكتومٍ.

قال ابن إسحاق: وأمَرَ بالذَّرَاريِّ والنّساءِ فجُعِلوا في الآطامِ[3].

وخرج عدوُّ الله حُيَيُّ بن أخطَبَ النَّضْريّ حتّى أتى كعبَ بن أسَدٍ القُرَظيَّ، صاحبَ عَقْدِ بني قُرَيظة وعهدِهم، وكان قد وادَعَ رسولَ الله ﷺ على قومه وعاقَدَه على ذلك.

فلمّا سمع كعبٌ بحُييِّ بن أخطَبَ أغلَقَ دونَه بابَ حِصْنِه، فاستأذَنَ عليه فأَبى أن يفتحَ له، فناداه حُيَيٌّ: وَيحَك يا كعبُ، افتَحْ لي، قال: وَيحَك يا حُيَيُّ، إنّك امرُؤٌ مشؤومٌ، وإنّي قد عاهَدتُ محمّداً، فلستُ بناقِضٍ ما بيني وبينَه، ولم أرَ منه إلّا وَفاءً وصِدقاً، قال: وَيحَك، افتَحْ لي أُكلِّمْك، قال: ما أنا بفاعلٍ، قال: والله إنْ أغلَقتَ

= عن المسجد النبوي قرابة ٥ كم، وتسمَّى بئر عثمان أيضاً، لأن عثمان بن عفان رضي الله عنه اشتراها وسبَّلها للمسلمين.

والجُرف وزغابة موضعان قريبان من هذه البئر، انظر «معجم المعالم الجغرافية» للبِلادي ص٢٨١.

والأحابيش: حلفاء قريش من قبائل شتّى.

(١) وقُيّد في بعض النسخ: نَقَميّ. وهو واد يمرّ شمال أحد عن قربٍ، وفيه جبل ثَوْر. قاله البِلاديُّ ص٢٨١.

(٢) سلع: جبل متاخم للمسجد النبوي من جهة الغرب.

(٣) الآطام: الحصون والأبنية المرتفعة، الواحد: أُطُم.

دوني إلّا تخوُّفاً على جَشِيشَتِك[1] أن آكلَ معك منها، فأَحفَظَ الرجلَ[2]، ففتح له، فقال: وَيحَك يا كعبُ، جِئتُك بعِزِّ الدَّهر وببَحرٍ طامٍ[3]، جئتُك بقريشٍ على قادتها وسادتها حتّى أنزَلتُهم بمُجتَمَع الأسيال من رُومةَ، وبغَطَفانَ على قادتها وسادتها حتّى أنزَلتُهم بذَنَبِ نَقَمَى إلى جانب أُحدٍ، قد عاهَدُوني وعاقَدُوني على أن لا يَبْرَحوا حتّى نَستأصِلَ محمّداً ومَن معه، قال له كعبٌ: جِئتَني واللهِ بذُلِّ الدَّهرِ وبجَهَامٍ[4] قد هَرَاقَ ماءَه يَرعُدُ ويَبْرُقُ ليس فيه شيءٌ، وَيحَك يا حُيَيُّ فدَعْني وما أنا عليه، فإنّي لم أرَ من محمّدٍ إلّا صِدقاً ووَفاءً.

فلم يَزَلْ حُيَيٌّ بكعبٍ يَفتِلُه في الذِّرْوةِ والغارِبِ[5] حتّى سَمَحَ له على أن أعطاه عهداً من الله ومِيثاقاً: لَئِن رَجَعَت قريشٌ وغَطَفانُ ولم يُصيبوا محمّداً، أن أدخُلَ معك في حِصْنِك حتّى يُصيبَني ما أصابك. فنَقَضَ كعبُ بن أسَدٍ عهدَه وبَرِئَ ممّا كان بينه وبين رسول الله ﷺ.

فلمّا انتَهَى إلى رسول الله ﷺ الخبرُ وإلى المسلمين، بَعَثَ رسولُ الله ﷺ سعدَ ابن مُعاذِ بن النُّعمان، وهو يومَئذٍ سيّدُ الأَوس، وسعدَ بن عُبادة بن دُلَيمٍ أحدَ بني ساعدة بن كعب بن الخَزرَج، وهو يومَئذٍ سيّدُ الخَزرَج، ومعهما عبدُ الله بن رَوَاحة

(١) الجشيشة: حنطة تُطحَن طحناً خشناً، وتُطبَخ مع لحم أو تمر، ويقال لها أيضاً: دَشِيشة.

(٢) أي: أغضَبَه.

(٣) بحرٌ طامٍ، أي: مرتفع، يريد كثرة الرجال.

(٤) الجَهَام: السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه.

(٥) الذّروة: أعلى سنام البعير، والغارب: مقدَّم السنام مما يلي الكتفين. وهذا مثل يُضرَب في المراوغة والمخادعة، والأصل فيه ـ كما قال ابن الأثير في «النهاية» (غرب) ـ أنّ الرجل إذا أراد أن يُؤنِّسَ البعير الصَّعب ليَزُمَّه وينقادَ له، جعل يُمِرُّ يده عليه ويمسح غاربَه ويَفتِل وَبَرَه حتى يستأنسَ ويضع فيه الزِّمام.

أخو بني الحارث بن الخَزرَج وخَوّاتُ بن جُبَيرٍ أخو بني عمرو بن عَوفٍ، فقال: «انطَلِقُوا حتّى تَنظُروا، أحَقٌّ ما بَلَغَنا عن هؤُلاءِ القومِ أم لا؟! فإنْ كانَ حَقّاً، فالْحَنُوا لي لَحْناً[1] أعرِفُه ولا تَفُتُّوا في أعضادِ النّاسِ، وإنْ كانوا على الوَفاءِ فيما بينَنا وبينَهم، فاجهَرُوا به للنّاسِ»، فخرجوا حتّى أتَوهُم فوَجَدُوهم على أخبَثِ ما بَلَغَهم عنهم فيما نالُوا من رسول الله ﷺ وقالوا: مَن رسولُ الله؟ لا عهدَ بيننا وبين محمّدٍ ولا عَقْدَ، فشاتَمَهم سعدُ بن مُعاذٍ وشاتَمُوه، وكان رجلاً فيه حِدّةٌ، فقال له سعدُ بن عُبَادةَ: دَعْ عنك مُشاتَمَتَهم، فما بيننا وبينهم أَربَى[2] من المُشاتَمة.

ثمّ أقبَلَ سعدٌ وسعدٌ ومَن معهما إلى رسول الله ﷺ، فسَلَّموا عليه ثمّ قالوا: عَضَلٌ والقارَةُ ـ أي: كغَدْرِ عَضَلٍ والقارَةِ بأصحاب الرَّجِيع، خُبَيبٍ وأصحابِه ـ فقال رسول الله ﷺ: «اللهُ أكبرُ، أَبشِرُوا يا مَعشَرَ المسلمينَ».

وعَظُمَ عند ذلك البَلاءُ واشتدَّ الخوفُ، وأتاهم عدوُّهم من فوقِهم ومن أسفَلَ منهم حتّى ظَنَّ المؤمنون كلَّ ظَنٍّ، ونَجَمَ النِّفاقُ من بعض المنافقين حتّى قال مُعتِّبُ ابن قُشَيرٍ أخو بني عمرو بن عوفٍ: كان محمّدٌ يَعِدُنا أن نأكلَ كُنوزَ كِسرَى وقَيصَر، وأحدُنا اليومَ لا يأمَنُ على نفسه أن يذهبَ إلى الغائط.

قال ابن هشام: أخبرني مَن أثِقُ به من أهل العلم: أنّ مُعتِّبَ بن قُشَيرٍ لم يكن من

---

(١) اللحن: العدول بالكلام على الوجه المعروف عند الناس إلى وجهٍ لا يعرفه إلا صاحبه، كما أن اللحن الذي هو الخطأ عدولٌ عن الصواب المعروف. قاله السهيليُّ في «الروض الأنف» ٦/ ٣١٢.

وقوله: «لا تفتُّوا في أعضاد الناس» أي: لا تكسروا من قوّتهم وتُوهِنوهم، والعَضُد في الأصل: ما بين الذراع والكتف من اليد.

(٢) أَربى، أي: أعظم. يريد السيف والقتال.

المنافقين، واحتَجَّ بأنّه كان من أهل بدرٍ[1].

قال ابن إسحاق: وحتّى قال أَوسُ بن قَيْظيٍّ أحدُ بني حارثة بن الحارث: يا رسولَ الله، إنَّ بُيوتَنا عَوْرةٌ من العدوِّ، وذلك عن مَلَإٍ من رجال قومِه، فأْذَنْ لنا أن نَخرُجَ فنَرجِعَ إلى دارنا، فإنّها خارجٌ من المدينة.

فأقام رسولُ الله ﷺ وأقام المشركون بِضْعاً وعشرين ليلةً، قريباً من شهرٍ، لم يكن بينهم حربٌ إلا الرِّمِّيّا[2] بالنَّبْلِ والحِصارُ[3].

قال ابن هشام: ويقال: الرِّمِّيَا[4].

فلمّا اشتدَّ على النّاس البلاءُ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ ـ كما حدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة، ومَن لا أتّهمُ عن محمّدِ بن مُسلِم بن عُبيد الله بن شِهابٍ الزُّهْريِّ ـ إلى عُيَينة ابن حِصْن بن حُذَيفة بن بدرٍ وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرِّيّ، وهما قائدا

---

(١) انظر الكلام على هذه القضية فيما تقدّم ٢/ ١٨٢.

(٢) الرِّمِّيّا: فِعِّيلَى من الرَّمي للمبالغة، أي: ترامٍ شديدٌ.

(٣) هذا الخبر قويٌّ روي من عدّة أوجه مرسلة كما ذكر ابن إسحاق في أول الكلام على هذه الغزوة، وتعدُّد هذه الأوجه ممّا يقوّي الخبر.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١٩/ ٣٠-٣٣ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، عن غير واحد كما سبق.

أما مدّة حصار الأحزاب للمدينة، فعند ابن إسحاق ـ كما هو هنا ـ أنها كانت بضعاً وعشرين ليلة، وقريب منه قول موسى بن عقبة في «مغازيه»، حيث نقل عنه البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٤٠١ أنها كانت قريباً من عشرين ليلة، وأما الواقديُّ فذكر في «مغازيه» ٢/ ٤٤٠ أنها كانت خمس عشرة ليلة، وتابعه على ذلك صاحبه ابنُ سعد في «الطبقات» ٢/ ٦٦.

(٤) اختلف تقييد هذه الكلمة في نسخنا الخطية، ولعلَّ الصواب ما أثبتناه، فإنه الوجه الآخر في تقييدها كما في «تاج العروس» للزَّبيديّ ٣٨/ ١٨٥.

غَطَفان، فأعطاهما ثُلُثَ ثِمارِ المدينة على أن يَرجِعا بمَن معهما عنه وعن أصحابه، فجَرَى بينه وبينهما الصُّلحُ حتّى كتبوا الكتابَ ولم تَقَعِ الشَّهادةُ ولا عَزيمةُ الصُّلح إلّا المُراوَضةُ[1] في ذلك، فلمّا أرادَ رسولُ الله ﷺ أن يَفعَلَ، بَعَثَ إلى سعد بن معاذٍ وسعد بن عُبَادة فذَكَرَ ذلك لهما واستَشارَهما فيه، فقالا له: يا رسولَ الله، أمراً تُحِبُّه فنَصْنعَه، أم شيئاً أمَرَكَ اللهُ به لا بُدَّ لنا من العَمَل به، أم شيئاً تَصنَعُه لنا؟ قال: «بل شيءٌ أَصنَعُه لكم، واللهِ ما أَصنَعُ ذلك إلَّا لأنَّني رأيتُ العربَ قد رَمَتْكُم عن قَوسٍ واحدةٍ، وكالَبُوكُم[2] مِن كلِّ جانبٍ، فأرَدتُ أن أَكسِرَ عنكم مِن شَوكَتِهم إلى أَمرٍ ما».

فقال له سعدُ بن معاذٍ: يا رسولَ الله، قد كنّا نحنُ وهؤلاءِ القومُ على الشِّركِ بالله وعبادةِ الأوثان، لا نَعبُدُ اللهَ ولا نَعرِفُه، وهم لا يَطمَعُون أن يأكُلوا منها تمرةً إلّا قِرًى[3] أو بَيعاً، أفَحِينَ أكرَمَنا اللهُ بالإسلام وهَدَانا له وأعَزَّنا بك وبه نُعطِيهم أموالَنا! ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نُعطِيهم إلّا السّيفَ حتّى يَحكُمَ الله بيننا وبينهم، قال رسولُ الله ﷺ: «فأنتَ وذاكَ»، فتَناوَلَ سعدُ بن معاذٍ الصَّحيفةَ فمَحَا ما فيها من الكتاب ثمّ قال: ليَجهَدُوا علينا[4].

---

(١) المراوضة: المداراة والمجاذَبة في الحِوَار.

(٢) قوله: «رمتكم عن قوس واحدة» هذا مثلٌ يُضرَب في الاتفاق على أمرٍ ما. وكالَبُوكم، أي: اشتدوا عليكم.

(٣) القِرَى: ما يُصنَع للضيف من الطعام.

(٤) خبر صحيح لغيره، وإسناده هنا ضعيف لإرساله.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٧٢-٥٧٣، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٤٣٠-٤٣١ من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. =

فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدوُّهم مُحاصِروهم ولم يكن بينهم قتالٌ إلّا أنّ فوارسَ من قريشٍ منهم عمرو بن عبد وَدّ بن أبي قيسٍ أخو بني عامر بن لُؤَيّ.

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن عبد بن أبي قيسٍ.

قال ابن إسحاق: وعِكْرمةُ بن أبي جَهلٍ وهُبَيرةُ بن أبي وهبٍ المخزوميّان، وضِرارُ بن الخَطّاب بن مِرْداسٍ أخو بني مُحارِب بن فِهْر، تَلَبَّسوا للقتال ثمّ خرجوا على خيلهم حتّى مَرُّوا بمَنازِلِ بني كِنانةَ، فقالوا: تَهيَّؤُوا يا بني كِنانة للحرب، فستعلمون مَن الفُرسانُ اليوم.

ثمّ أقبَلُوا تُعنِقُ[1] بهم خيلُهم حتّى وَقَفُوا على الخندق، فلمّا رَأَوه قالوا: والله إنَّ هذه لَمَكِيدةٌ ما كانت العربُ تَكِيدُها.

قال ابن هشام: يقال: إنّ سلمانَ أشارَ به على رسول الله ﷺ[2].

وحدّثني بعضُ أهل العلم: أنّ المهاجرين يومَ الخندق قالوا: سلمانُ منّا؛ وقالت الأنصارُ: سلمانُ منّا، فقال رسول الله ﷺ: «سلمانُ منَّا أهلَ البيتِ»[3].

قال ابن إسحاق: ثمّ تَيمَّمُوا مكاناً من الخندق ضيِّقاً، فضربوا خيلَهم فاقتَحَمَت

= ورواه الواقدي بنحوه في «المغازي» ٢/ ٤٧٧-٤٧٨ عن محمد بن عبد الله ابن أخي الزهري، عن عمّه محمد بن مسلم الزهري، عن سعيد بن المسيّب. وهذا مرسل أيضاً، إلا أن مراسيل ابن المسيب أقوى المراسيل إن كان محفوظاً.

ويشهد له حديث أبي هريرة بمعناه عند الطبراني في «الكبير» (٥٤٠٦)، وأبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٣١٣٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٢/ ٤١١-٤١٢. وإسناده حسن.

(١) أي: تُسرع.

(٢) وهذا الذي اتفق عليه أصحابُ المغازي كما أشار إلى ذلك ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٢٣٩.

(٣) ضعيف جدّاً مرفوعاً، وقد تقدم تخريجه والكلام عليه ١/ ٧٧.

منه، فجالَتْ بهم في السَّبَخة[1] بين الخندقِ وسَلْع، وخرج عليُّ بن أبي طالبٍ في نَفَرٍ معه من المسلمين حتّى أَخذوا عليهم الثُّغْرةَ[2] التي أَقحَموا منها خيلَهم، وأقبلَت الفرسانُ تُعنِقُ نحوَهم.

وكان عمرُو بن عبد وَدٍّ قد قاتَلَ يومَ بدرٍ حتّى أثبَتَته الجِراحةُ فلم يَشهَدْ يومَ أُحدٍ، فلمّا كان يومُ الخندق خرج مُعلِماً[3] ليُرَى مكانُه، فلمّا وَقَفَ هو وخيلُه قال: مَن يُبارِزُ؟ فبَرَزَ له عليُّ بن أبي طالبٍ فقال له: يا عمرو، إنّك قد كنت عاهدتَ اللهَ ألّا يَدعُوَك رجلٌ من قريش إلى إحدى خَلَّتَينِ[4] إلّا أخذتَها منه، قال له: أجَلْ، قال له عليٌّ: فإنّي أدعوك إلى اللهِ وإلى رسولِه، وإلى الإسلام، قال: لا حاجةَ لي بذلك، قال: فإنّي أدعوك إلى النِّزال، فقال له: لِمَ يا ابنَ أخي؟ فوالله ما أُحِبُّ أن أقتُلَك، قال له عليٌّ: ولكنّي والله أُحِبُّ أن أقتُلَك؛ فحَمِيَ عمرو[5] عند ذلك فاقتَحَمَ عن فرسِه فعَقَرَه[6] وضَرَبَ وجهَه، ثمّ أقبَلَ على عليٍّ فتَنازَلا وتَجاوَلا، فقتله عليٌّ، وخرجت خيلُهم مُنهزِمةً حتّى اقتَحَمَت من الخندق هاربةً.

وقال عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه في ذلك:

نَصَرَ الحِجارةَ من سَفاهةِ رأيِهِ ونَصَرتُ رَبَّ محمّدٍ بصَوابِ[7]

---

(١) السَّبَخة، بتحريك الباء وتسكينها: أرضٌ تربتها فيها ملوحة ونزٌّ ماءٍ.

(٢) الثُّغرة: الثَّلم والخلل الذي كان هنالك في الخندق.

(٣) المُعلِم: الذي جعل لنفسه علامةً يعرف بها.

(٤) الخَلّة: الخَصْلة.

(٥) أي: اشتدَّ غضبه.

(٦) اقتحم عن فرسه، أي: رمى بنفسه عنه مسرعاً. وعقره، أي: ضرب قوائمه بالسيف.

(٧) الحجارة هنا: الأنصاب التي كانوا يعبدونها ويذبحون لها.

فصَـدَدتُ حين تَرَكتُه مُتجَدِّلاً ... كالجِـذْعِ بين دَكـادِكٍ ورَوَابـي[1]

وعَفَفـتُ عـن أثوابِـه ولَـوَ انَّني ... كنـتُ المُقطَّـرَ بَـزَّني أَثـوابي[2]

لا تَحسَـبُنَّ اللهَ خـاذِلَ دينِـهِ ... ونبيِّـهِ يـا مَعشَـرَ الأحـزابِ

قال ابن هشام: وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر يَشُكُّ فيها لعليٍّ.

قال ابن هشام: وألقى عِكْرمةُ بن أبي جهلٍ رُمحَه يومَئذٍ وهو مُنهزِمٌ عن عمرو، فقال حسّانُ بن ثابتٍ في ذلك:

فـرَّ وألقَـى لنـا رُمحَـهُ ... لَعلَّـكَ عِكْـرِمَ لـم تَفعـلِ

ووَلَّيـتَ تَعـدُو كعَـدْوِ الظَّليـ ... ـمِ ما إنْ تَجُورُ عـن المَعـدِلِ[3]

ولـم تُلْـقِ ظَهـرَك مُستأنِسـاً ... كـأنَّ قَفـاكَ قَفَـا فُرعُـلِ[4]

قال ابن هشام: فُرعُلٌ: صغيرُ الضِّباع.

وهذه الأبياتُ في أبياتٍ له[5].

وكان شِعارُ أصحاب رسول الله ﷺ يومَ الخندق وبني قُرَيظة: حٰمٓ، لا يُنصَرون.

---

(١) متجدِّلاً: لاصقاً بالأرض وهي الجَدَالة. والجِذع: ساق الشجرة وأصلها. والدّكادك: جمع دَكْداك، وهو من الرمل ما التبَد منه بالأرض ولم يرتفع. والرّوابي: جمع رابية، وهي التَّلّة المرتفعة.

(٢) المقطَّر: الذي أُلقي على أحد قُطْريه، أي: جَنبَيه، والقُطْر: الناحية والجانب. وبَزَّني، أي: سَلَبَني وجرَّدني.

(٣) الظَّليم: ذكر النعام.

(٤) القفا: مؤخَّر العُنق. وأراد بقوله: لم تُلقِ ظهرَك مستأنساً، أي: لم تُدِرْه عند فرارك لترى حال مَن كان معك من رفقائك.

(٥) انفرد بنسبتها إليه ابنُ هشام.

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبو ليلى عبدُ الله بن سَهْل بن عبد الرَّحمن بن سَهلٍ الأنصاريُّ أخو بني حارثة: أنّ عائشةَ أمَّ المؤمنين كانت في حِصْن بني حارثة يومَ الخندق، وكان من أحرَزِ حصونِ المدينة، قال: وكانت أمُّ سعد بن معاذٍ معها في الحِصْن، فقالت عائشةُ: وذلك قبلَ أن يُضرَبَ علينا الحِجابُ، فمَرَّ سعدٌ وعليه دِرعٌ له مُقلِّصةٌ[1]، قد خرجت منها ذِراعُه كلُّها، وفي يده حَرْبتُه يَرقَدُّ بها[2] ويقول:

لَبِّثْ قليلاً يَشهَدِ الهَيْجا حَمَلْ لا بأسَ بالموتِ إذا حانَ الأجَلْ[3]

فقالت له أمُّه: الحَقْ أيْ بنيَّ، فقد والله أخَّرتَ، فقالت عائشةُ: فقلت لها: يا أمَّ سعدٍ، والله لوَدِدتُ أنّ دِرعَ سعدٍ كانت أسبَغَ[4] ممّا هي، قالت: وخِفتُ عليه حيثُ أصاب السَّهمُ منه، فرُمِيَ سعدُ بن معاذٍ بسهمٍ فقَطَعَ منه الأَكحَلَ[5].

---

(١) أي: قصيرة قد ارتفعت، يقال: تقلَّص الشيء، إذا ارتفع وانقبض.

(٢) أي: يُسرع بها، والارقداد: الإسراع في السير.

(٣) حَمَلٌ ـ بالحاء، وفي (ت) و(ص) و(م): جمل، بالجيم ـ اسمُ رجل، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٠٣: وهذا الرَّجَز قديم تمثَّل به سعد.

(٤) أسبغ: أكمل وأطول.

(٥) الأكحَل: عرق في الذراع، وهو قسمٌ من الوريد.

وأما الخبر فإسناده صحيح، وهو من رواية أبي ليلى عن عائشة كما يشير إلى ذلك بعض ألفاظ الخبر، وأبو ليلى هذا ثقة من رجال الشيخين، وقد اعتمد البخاريُّ في «تاريخه الكبير» ٥/ ٩٨ أن له سماعاً من عائشة رضي الله عنها.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٧٤-٥٧٥ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

وقد روى نحوه عن عائشة أيضاً محمدُ بن عمرو بن علقمة بن وقّاص الليثي عن أبيه عن جدّه علقمة بن وقّاص عنها، فيما أخرجه أحمد (٢٥٠٩٧)، وابن حبان (٧٠٢٨)، وإسناده محتمل للتحسين.

رَمَاه ـ كما حدّثني عاصمٌ[1] ـ حِبّانُ بن قيسٍ ابنُ العَرِقَة[2]، أحدُ بني عامر بن لُؤَيّ، فلمّا أصابه قال: خُذْها منّي وأنا ابنُ العَرِقة، فقال له سعد: عَرَّقَ اللهُ وجهَك في النار، اللهمَّ إن كنتَ أبقَيتَ من حربِ قريشٍ شيئاً، فأَبقِني لها، فإنّه لا قومَ أحبُّ إليّ أن أُجاهدَهم، من قومٍ آذَوْا رسولَك وكذَّبوه وأخرَجُوه، اللهمَّ وإن كنتَ قد وَضَعتَ الحربَ بيننا وبينهم، فاجعَلْه لي شهادةً، ولا تُمِتْني حتّى تُقِرَّ عَيْني من بني قُرَيظة[3].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني مَن لا أتّهمُ عن عبد الله بن كعب بن مالكٍ: أنه كان يقول: ما أصابَ سعداً يومَئذٍ إلّا أبو أُسامة الجُشَميُّ حَليفُ بني مخزومٍ[4].

وقد قال أبو أُسامة في ذلك شعراً لعِكْرمةَ بن أبي جَهلٍ:

أعِكـرِمَ هَـلَّا لُمتَنـي إذ تقـولُ لـي ... فِـداكَ بآطـامِ المدينـةِ خالـدُ[5]

---

(١) هو عاصم بن عمر بن قَتَادة الأنصاري، من صغار التابعين، ثقةٌ عالم بالمغازي. وروايته هذه مرسلة، إلا أنه جاء عن عائشة ما يشهد لها. وانظر روايته مختصرة في «مستدرك الحاكم» (٤٩٨٥) والتعليق عليه.

(٢) ويقال: حبان بن أبي قيس، كما في «نسب قريش» لمصعب الزبيري ص٤٣٨، وهو من ولد عبد مناف بن الحارث من أولاد مَعِيص بن عامر بن لؤي، وزوجُ عبد مناف هي قِلابة بنت سُعيد بن سَهْمٍ المسمّاة بالعَرِقة، وسُمّيت كذلك لطِيب ريحها، وهي جدّة خديجةَ أمُّ أمِّها هالة.

(٣) هذا الخبر صحيح، قد روي نحوه في حديث عائشة السابق من طريق علقمة الليثي عنها عند أحمد وابن حبان.

ونحوه أيضاً من حديث عروة بن الزبير عنها عند البخاري (٤١٢٢) ومسلم (١٧٦٩).

(٤) هذا ضعيف من جهة إسناده، وأما متنه فمغايرٌ لما صحَّ عن عائشة كما سبق: أن الذي رمى سعداً هو حِبّان ابنُ العَرِقة.

(٥) الآطام: الحصون والأبنية المرتفعة، الواحد: أُطُم.

أَلَستُ الذي ألزَمتُ سعداً مُرِشَّةً ... لها بين أثناءِ المَرافِقِ عانِدُ[1]

قَضَى نَحْبَه منها سُعَيدٌ فأَعوَلَت ... عليه مع الشُّمْطِ العَذارَى النَّواهِدُ[2]

وأنتَ الّذي دافعتُ عنه وقد دَعَا ... عُبَيدةُ جَمْعاً منهمُ إذ يُكابِدُ[3]

على حِينِ ما همْ جائرٌ عن طريقِهِ ... وآخَرُ مرعوبٌ عن القَصْدِ قاصِدُ[4]

والله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

قال ابن هشام: ويقال: الذي رَمَى سعداً خَفَاجةُ بن عاصم بن حِبّان[5].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّادٍ قال: كانت صَفيَّةُ بنتُ عبد المُطَّلِب في فارعٍ، حِصْنِ حسّان بن ثابتٍ، قالت: وكان حسّانُ بن ثابتٍ معنا فيه مع النّساءِ والصِّبيان، قالت صَفيَّةُ: فمَرَّ بنا رجلٌ من يهودَ فجَعَلَ يُطِيفُ بالحِصْن، وقد حارَبَت بنو قُرَيظة وقَطَعَت ما بينَها وبينَ رسول الله ﷺ، وليس ما بيننا وبينهم أحدٌ يَدفَعُ عنّا، ورسولُ الله ﷺ والمسلمون في نُحورِ عدوِّهم لا يستطيعون أن يَنصَرِفوا عنهم إلينا إنْ أتانا آتٍ، قالت: قلت: يا حسّانُ، إنَّ هذا اليهوديَّ كما تَرَى يُطِيفُ بالحِصْن، وإنّي والله ما آمَنُه أن يَدُلَّ على عَوْرتِنا مَن وراءَنا

---

(١) مُرِشّة: يعني رمية أصابته فأطارت رَشَاشَ الدم منه. والعاند: العرق الذي لا ينقطع منه الدم.

(٢) النَّحْب: الأجل. وأعولت: بكت بصوت مرتفع. والشُّمط: جمع شمطاء، وهي التي خالط شعرَها الشيبُ. والعذارى: الأبكار. والنواهد: جمع ناهدٍ، وهي التي برز نهدُها، والنَّهد: الثَّدي.

(٣) في (ص) و(م) ونسخة على حاشية (ز): يكابد.

(٤) جائر: مائل. والمرعوب: المُفزَع. والقصد: الطريق.

(٥) تفرّد ابن هشام بذكر هذا الرجل، وليس له ذكرٌ في مكان آخر من المغازي والسِّيَر.

من يهودَ، وقد شُغِلَ عنّا رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، فانزِلْ إليه فاقتُلْه، قال: يَغفِرُ اللهُ لك يا ابنةَ عبد المُطَّلِب، والله لقد عَرَفتِ ما أنا بصاحبِ هذا، قالت: فلمّا قال لي ذلك ولم أرَ عنده شيئاً، احتَجَزتُ[1] ثمّ أخذتُ عَمُوداً، ثمّ نزلتُ من الحِصْن إليه فضَرَبتُه بالعَمُود حتّى قتلتُه، قالت: فلمّا فَرَغتُ منه رجعتُ إلى الحِصْن فقلت: يا حسّانُ، انزِلْ إليه فاسلُبْه، فإنّه لم يَمنَعْني من سَلَبِه[2] إلّا أنّه رجلٌ، قال: ما لي بسَلَبِه من حاجةٍ يا ابنةَ عبد المُطَّلِب[3].

قال ابن إسحاق: وأقام رسولُ الله ﷺ وأصحابُه فيما وَصَفَ الله من الخوفِ والشِّدّةِ لتظاهُرِ عدوِّهم عليهم، وإتيانِهم إيّاهم من فوقِهم ومن أسفَلَ منهم[4].

ثمّ إنَّ نُعَيمَ بن مسعود بن عامر بن أُنَيف بن ثَعْلبة بن قُنفُذ بن هِلال بن خَلَاوة[5]

---

(١) أي: شددتُ وَسَطي، يقال: احتَجَزَ فلانٌ بإزاره، إذا شدَّه في وَسَطِه.

(٢) السَّلَب: ما يؤخذ من القتيل من سلاح ومتاع.

(٣) خبر صحيح، رجاله ثقات إلا أنه مرسل، فعبّاد بن عبد الله بن الزبير يرويه عن جدَّة أبيه صفيّة، وهو لم يدركها، وقد رواه غيره أيضاً من آل الزبير مرسلاً، فالخبر صحيح إن شاء الله يرويه ثقاتُ آل بيتٍ واحدٍ عن أنفسهم.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٧٧، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٦/ ٣٠٨، وفي «الدلائل» ٣/ ٤٤٢-٤٤٣ ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٢/ ٤٣١ ـ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وروى هذا الخبرَ أيضاً هشامُ بن عُروة بن الزبير عن أبيه عن جدَّته صفيّة مرسلاً، فإن عروة لم يدرك جدَّته، أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٧٠٤٠)، وإسناده قويٌّ، وانظر تخريجه هناك.

(٤) قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾.

(٥) تقدم ص٢٥٩ الكلام في تقييد هذا الاسم والخلاف فيه.

ابن أشجَعَ بن رَيْثِ بن غَطَفانَ أَتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، إنّي قد أسلَمتُ، وإنّ قومي لم يَعلَموا بإسلامي، فمُرْني بما شِئتَ، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّما أنتَ فينا رجلٌ واحدٌ، فخَذِّلْ عنّا[1] إنِ استَطَعتَ، فإنَّ الحَرْبَ خَدْعةٌ»[2].

فخرج نُعَيمُ بن مسعودٍ حتّى أَتى بني قُرَيظة، وكان لهم نَدِيماً في الجاهليَّة، فقال: يا بني قُرَيظة، قد عَرَفتُم وُدِّي إيّاكم وخاصّةَ ما بيني وبينَكم، قالوا: صَدَقتَ، لستَ عندنا بمُتَّهَمٍ، فقال لهم: إنّ قريشاً وغَطَفانَ ليسوا كأنتم، البلدُ بلدُكم، به أموالُكم

(١) خذِّل عنا، أي: ادخل بين القوم حتى يَخذُلَ بعضُهم بعضاً.

(٢) الذي صحَّ من هذا الحديث المرفوع هو قوله ﷺ: «الحرب خدعة»، فقد روي عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ مرفوعاً من غير تقييدٍ بغزوة الخندق أو غيرها، فمنهم أبو هريرة عند أحمد (٨١١٢) والبخاري (٣٠٢٨) و(٣٠٢٩) ومسلم (١٧٤٠)، وجابر بن عبد الله عند أحمد (١٤٣٠٨) والبخاري (٣٠٣٠) ومسلم (١٧٣٩).

وأما بقيّة الحديث مع سياق قصة نعيم بن مسعود في تخذيله الأحزاب عن المدينة، فالغالب أنه عن بعض من ذكرهم ابن إسحاق في أول كلامه على غزوة الخندق، وهي مراسيل كلُّها.

وقد ساق معناها البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٤٠٤-٤٠٥ من مغازي موسى بن عقبة بلا إسناد أيضاً.

وقد أخرج الطبري في مسند علي من كتابه «تهذيب الآثار» ص١٣٠، وأبو عوانة في «صحيحه» (٧٠٠٢)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٣٩٣) من طريق ابنة نعيم بن مسعود الأشجعي، عن أبيها قال: قال لي رسول الله ﷺ يوم الخندق: «خذِّل عنّا، فإن الحرب خدعة». وإسناده واهٍ جداً.

وقوله ﷺ: «الحرب خدعة» قال النوويُّ في «شرح مسلم»: فيها ثلاث لغات مشهوراتٍ اتَّفقوا على أنّ أفصحهنَّ خَدْعةٌ، بفتح الخاء وإسكان الدال، قال ثعلب وغيره: وهي لغة النبي ﷺ، والثانية بضمِّ الخاء وإسكان الدال، والثالثة بضمِّ الخاء وفتح الدال، واتَّفق العلماءُ على جواز خداع الكفّار في الحرب وكيف أمكن الخداعُ إلا أن يكون فيه نقضُ عهدٍ أو أمانٍ، فلا يَحِلُّ.

وأبناؤُكم ونِساؤُكم، لا تَقدِرُون على أن تَحوَّلُوا منه إلى غيره، وإنَّ قريشاً وغَطَفانَ قد جاؤوا لحرب محمّدٍ وأصحابِه، وقد ظاهَرتُموهم عليه، وبلدُهم وأموالُهم ونساؤُهم بغيرِه، فليسوا كأنتم، فإن رَأَوْا نُهْزةً[1] أصابوها، وإن كان غيرَ ذلك لَحِقُوا ببلادِهم وخَلَّوا بينكم وبينَ الرجل ببلدِكم، ولا طاقةَ لكم به إنْ خَلَا بكم، فلا تُقاتِلوا مع القوم حتّى تأخُذوا منهم رُهُناً من أشرافِهم يكونون بأيديكم ثِقةً لكم على أن تقاتلوا معهم محمّداً حتّى تُناجِزوه، فقالوا: لقد أشَرْتَ بالرَّأي.

ثمّ خرج حتّى أَتى قريشاً، فقال لأبي سفيانَ بن حربٍ ومَن معه من رجال قريشٍ: قد عَرَفتُم وُدِّي لكم وفِرَاقي محمّداً، وإنّه قد بَلَغَني أمرٌ قد رأيتُ عليَّ حقّاً أن أُبلِّغَكُموه نُصحاً لكم، فاكتُمُوا عنّي، قالوا: نفعلُ، قال: تَعلَّمُوا[2] أنّ مَعشَرَ يهودَ قد نَدِمُوا على ما صَنَعوا فيما بينهم وبين محمّدٍ، وقد أرسَلُوا إليه: إنّا قد نَدِمْنا على ما فعلنا، فهل يُرضِيكَ أن نأخُذَ لك من القَبِيلتَينِ من قريشٍ وغَطَفانَ رجالاً من أشرافِهم فنُعطِيَكَهم فتَضرِبَ أعناقَهم، ثمّ نكونَ معك على مَن بَقِيَ منهم حتّى نَستأصِلَهم؟ فأرسَلَ إليهم: نَعَم؛ فإن بَعَثَت إليكم يهودُ يَلتَمِسون منكم رُهُناً من رجالكم، فلا تَدفَعُوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثمّ خرج حتّى أَتى غَطَفانَ فقال: يا مَعشَرَ غَطَفان، إنّكم أَصْلي وعَشِيرتي، وأحَبُّ الناس إليَّ، ولا أُراكم تَتَّهِموني، قالوا: صَدَقتَ، ما أنتَ عندنا بمُتَّهَم، قال: فاكتُمُوا عنّي، قالوا: نفعلُ، ثمّ قال لهم مِثلَ ما قال لقريشٍ، وحَذّرَهم ما حَذَّرَهم.

فلمّا كانت ليلةُ السَّبتِ من شوّالٍ سنةَ خمسٍ، وكان من صُنْع الله لرسوله ﷺ أنّه

---

(١) النُّهزة: الفُرْصة.

(٢) أي: اعلموا.

أرسَلَ أبو سفيانَ بن حَربٍ ورؤوسُ غَطَفانَ إلى بني قُرَيظةَ عِكْرمةَ بن أبي جهلٍ في نَفَرٍ من قريشٍ وغَطَفان، فقالوا لهم: إنّا لسنا بدارِ مُقامٍ، قد هَلَكَ الخُفُّ والحافرُ، فاغْدُوا للقتال حتّى نُناجِزَ محمّداً[1]، ونَفرُغَ ممّا بيننا وبينه، فأَرسلوا إليهم: إنّ اليومَ يومُ السَّبت، وهو يومٌ لا نَعمَلُ فيه شيئاً، وقد كان أحدَثَ فيه بعضُنا حَدَثاً، فأصابه ما لم يَخْفَ عليكم، ولسنا مع ذلك بالَّذين نقاتلُ معكم محمّداً حتّى تُعطُونا رُهُناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثِقةً لنا، حتّى نُناجِزَ محمّداً، فإنّا نخشى إنْ ضَرَّسَتْكم الحربُ[2] واشتَدَّ عليكم القتالُ، أن تَنشَمِروا[3] إلى بلادِكم وتتركونا، والرَّجلُ في بلادِنا، ولا طاقةَ لنا بذلك منه.

فلمّا رجعت إليهم الرُّسلُ بما قالت بنو قُرَيظة، قالت قريشٌ وغَطَفانُ: والله إنّ الذي حدَّثكم نُعَيم بن مسعودٍ لَحَقٌّ، فأَرسَلوا إلى بني قُرَيظة: إنّا والله لا نَدفَعُ إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتالَ فاخرُجُوا فقاتِلوا، فقالت بنو قُرَيظة حين انتَهَت الرُّسُلُ إليهم بهذا: إنّ الذي ذَكَرَ لكم نُعَيمُ بن مسعودٍ لَحَقٌّ، ما يريد القومُ إلّا أن يُقاتِلوا، فإن رَأَوْا فُرْصةً انتَهَزوها، وإن كان غيرَ ذلك انشَمَروا إلى بلادِهم وخَلَّوْا بينكم وبين الرّجلِ في بلدِكم، فأَرسَلُوا إلى قريشٍ وغَطَفانَ: إنّا والله لا نقاتلُ معكم حتّى تُعْطُونا رُهُناً، فأبَوْا عليهم وخَذَّلَ الله بينهم، وبَعَثَ الله عليهم الرِّيحَ في ليالٍ شاتيةٍ باردةٍ شديدةِ البَرْد، فجَعَلَت تَكفَأُ قُدورَهم[4] وتَطرَحُ آنيتَهم.

---

(١) المناجَزة: المبارَزة والمقاتَلة.

(٢) ضرَّستكم الحربُ: نالت منكم شدّةً، كما يصيب ذو الأضراس بأضراسه.

(٣) أي: أن تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم.

(٤) أي: تُميلها وتَقلِبها.

وقوله: «وتطرح آنيتهم» هكذا وقع في نسخنا الخطية، وعند الخُشنيّ ـ كما في «إملائه» =

فلمّا انتَهَى إلى رسول الله ﷺ ما اختلَفَ من أمرِهم وما فَرَّقَ اللهُ جماعَتَهم، دعا حُذَيفةَ بن اليَمَانِ فبعَثَه إليهم ليَنظُرَ ما فعل القومُ ليلاً.

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيدُ بن زيادٍ، عن محمّد بن كعبٍ القُرَظيِّ قال: قال رجلٌ من أهل الكُوفةِ لحُذَيفة بن اليَمَانِ: يا أبا عبد الله، أرأيتُم رسولَ الله ﷺ وصَحِبتُموه؟ قال: نعم يا ابنَ أخي، قال: فكيفَ كنتُم تَصنَعون؟ قال: والله لقد كنّا نَجهَدُ[1]، قال: فقال: والله لو أدرَكْناه ما تَرَكْناه يمشي على الأرض، ولَحَمَلْناه على أعناقِنا! قال: فقال حُذَيفةُ: يا ابنَ أخي، والله لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ بالخندقِ وصَلَّى رسولُ الله ﷺ هَوِيّاً من اللّيل[2]، ثمّ التَفَتَ إلينا فقال: «مَن رجلٌ يقومُ فيَنظُرَ لنا ما فَعَلَ القومُ ثمَّ يَرجِعُ ـ يَشرُطُ له رسولُ الله ﷺ الرَّجْعةَ ـ أَسأَلُ الله تعالى أنْ يكونَ رَفِيقي في الجَنَّةِ؟»، فما قامَ رجلٌ من القومِ من شِدَّة الخوفِ وشِدَّة الجوعِ وشِدَّة البَرْد، فلمّا لم يَقُمْ أحدٌ، دَعَاني رسولُ الله ﷺ، فلم يكن لي بُدٌّ من القيامِ حين دَعَاني، فقال: «يا حُذَيفةُ، اذهَبْ فادخُلْ في القومِ فانظُرْ ماذا يَفعَلُونَ، ولا تُحدِثَنَّ شيئاً حتَّى تَأتِيَنا».

قال: فذهبتُ فدخلتُ في القوم والرّيحُ وجنودُ الله تفعلُ بهم ما تفعلُ لا تُقِرُّ لهم قِدْراً ولا ناراً ولا بناءً، فقام أبو سفيانَ فقال: يا مَعشَرَ قريشٍ، ليَنظُرِ امرُؤٌ مَن جليسُه، قال حُذَيفةُ: فأخذتُ بيد الرَّجل الّذي كان إلى جَنْبي فقلت: مَن أنت؟ قال: فُلانُ ابن فُلانٍ[3].

= ص٣٠٥، وهي كذلك في نسخة على حاشية (م) ـ: أبنيتهم، وفسّرها بالأخبية، يعني الخِيام.

(١) أي: نتعب ونجتهد قدر طاقتنا.

(٢) هَوِيّاً من الليل، بفتح الهاء وضمها، أي: قطعة منه.

(٣) وفي «مغازي الواقدي» ٢/ ٤٨٩ بلا إسناد: أنه سأل مَن على يمينه فإذا هو عمرو بن العاص، ومَن على يساره فإذا هو معاوية بن أبي سفيان.

ثمّ قال أبو سفيان: يا معشرَ قريشٍ، إنّكم والله ما أصبَحتُم بدار مُقامٍ، لقد هَلَكَ الكُرَاعُ والخُفُّ[1]، وأخلَفَتْنا بنو قُرَيظة وبَلَغَنا عنهم الذي نَكرَه، ولَقِينا من شِدَّة الرِّيح ما تَرَون؛ ما تَطمئِنُّ لنا قِدْرٌ، ولا تقومُ لنا نارٌ، ولا يَستمسِكُ لنا بناءٌ، فارتَحِلوا فإنّي مُرتحِلٌ، ثمّ قامَ إلى جَمَلِه وهو معقولٌ[2] فجَلَسَ عليه ثمّ ضَرَبَه فوَثَبَ به على ثلاثٍ، فوالله ما أُطلِقَ عِقالُه إلّا وهو قائمٌ، ولولا عهدُ رسول الله ﷺ إليَّ «أن لا تُحدِثْ شيئاً حتّى تأتيَني» ثمّ شِئتُ، لقتلتُه بسَهْم.

قال حُذَيفةُ: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ وهو قائمٌ يُصلّي في مِرْطٍ لبعض نسائه مَراجِلَ[3] ـ قال ابن هشام: المَراجِلُ ضربٌ من وَشْي اليَمَن ـ فلمّا رآني أدخَلَني إلى رِجلَيهِ وطَرَحَ عليَّ طَرَفَ المِرْطِ، ثمّ رَكَعَ وسَجَدَ وإنّي لفيهِ، فلمّا سَلَّمَ أخبرتُه الخبرَ، وسَمِعَت غَطَفانُ بما فَعَلَت قريشٌ، فانشَمَرُوا راجعينَ إلى بلادِهم[4].

---

(١) الكُراع: اسم لجميع الخيل، والخُفُّ: اسم للإبل.

(٢) أي: مربوط، والعِقال: أن يُثْنى خفُّ البعير مع ذراعه فيُشَدّانِ معاً في وسط الذراع بحبل.

(٣) وفي رواية أحمد عنه كما في أكثر نسخ «مسنده»: مرحَّل؛ يعني عليه نقوش الرِّحال التي توضع على ظهور الإبل، وأما المراجل: فهي جمع مِرجَل، وهو القِدْر. والمِرْط: الكساء.

(٤) حديث صحيح، وهذا إسناد جيّد لولا انقطاعه بين محمد بن كعب وحذيفة، فإنه لم يدركه، لكن روي الحديث من وجوه أخرى يصحُّ بها.

وأخرجه محمد بن نصر المَروَزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢١٥) عن عمرو بن زُرارة، عن زياد البكّائي، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد (٢٣٣٣٤)، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٧٩-٥٨١ و«تفسيره» ١٩/ ٢٦-٢٧ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه مختصراً مسلم (١٧٨٨)، وابن حبان (٧١٢٥) من طريق إبراهيم بن يزيد التيمي، عن أبيه، عن حذيفة. =

قال ابن إسحاق: ولمّا أصبَحَ رسولُ الله ﷺ، انصَرَفَ عن الخندقِ راجعاً إلى المدينة والمسلمون ووَضَعُوا السِّلاح[1].

غزوةُ بني قُرَيظة

في سنة خمسٍ

فلمّا كانت الظُّهرُ، أَتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ ـ كما حدّثني الزُّهْريّ ـ مُعتجِراً

= وأخرجه الحاكم (٤٣٧١) من طريق موسى بن أبي المختار، عن بلال العبسي، عن حذيفة. وإسناده حسن في المتابعات والشواهد. وانظر تتمة تخريج طرقه هناك.

(١) ذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٤٤٠: أن النبيَّ ﷺ عسكر عند الخندق يوم الثلاثاء لثمانٍ مضت من ذي القَعْدة، وأنه انصرف إلى المدينة يوم الأربعاء لسبعٍ بَقِين من ذي القَعْدة، فكان الحصار خمس عشرة ليلةً، بينما ذكر ابن إسحاق فيما تقدّم ص٢٦٩: أن المشركين أقاموا بِضْعاً وعشرين ليلةً، قريباً من شهر.

فائدة: لشدّة هذا الحصار في بعض أيامه، انشغل المسلمون عن صلواتهم كما وقع في حديث أبي سعيد الخُدْري قال: حُبِسنا يوم الخندق عن الصلوات حتى كان بعد المغرب هَوِيّاً (أي: زماناً طويلاً) وذلك قبل أن ينزل في القتال ما نزل (يعني صلاةَ الخوف) فلما كُفِينا القتالَ، أمر النبيُّ ﷺ بلالاً فأقام الظهر، فصلّاها كما يصلِّيها في وقتها، ثم أقام العصر فصلّاها كما يصلِّيها في وقتها، ثم أقام المغرب فصلّاها كما يصلِّيها في وقتها.

أخرجه أحمد (١١١٩٨)، والنسائي في «المجتبى» (٦٦١)، وابن حبان (٢٨٩٠)، وإسناده صحيح.

وروى عليٌّ قال: لما كان يومُ الأحزاب قال رسول الله ﷺ: «ملأَ الله بيوتَهم وقبورَهم ناراً، شَغَلُونا عن الصلاة الوسطى ـ يعني صلاة العصر ـ حتى غابت الشمس». أخرجه أحمد (١١٣٢)، والبخاري (٢٩٣١)، ومسلم (٦٢٧).

وبعد أن انصرف الأحزاب عن المدينة، قال النبيُّ ﷺ: «الآنَ نَغزُوهم ولا يغزونَنا، نحن نَسِيرُ إليهم». أخرجه البخاري (٤١٠٩) و(٤١١٠) من حديث سليمان بن صُرَدٍ الخُزاعي.

بعِمامةٍ من إستَبرَقٍ[1]، على بغلةٍ عليها رِحَالةٌ، عليها قَطيفةٌ من ديباجٍ[2]، فقال: أوَقد وَضَعتَ السلاحَ يا رسولَ الله؟ قال: «نَعَم» فقال جبريلُ: فما وَضَعَت الملائكةُ السلاحَ بعدُ، وما رجعتُ الآنَ إلّا من طَلَبِ القوم، إنَّ الله يأمُرُك يا محمّدُ بالسَّيرِ إلى بني قُرَيظة، فإنّي عامدٌ إليهم فمُزَلزِلٌ بهم، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ مؤذِّناً فأذَّنَ في النّاس: «مَن كان سامعاً مُطِيعاً، فلا يُصلِّيَنَّ العَصْرَ إلَّا ببَنِي قُرَيظةَ»[3].

---

(١) الاعتجار: أن يتعمم الرجل بغير ذُؤابة بين كتفيه ودون تلحٍّ، أي: لا يُلقي منها تحت لحيته شيئاً. والإستبرق: نوع من الدِّيباج غليظ.

(٢) الرِّحالة: السَّرج. والقطيفة: كساء غليظ. والدّيباج: ما نُسج من أحسن الحرير.

(٣) أصل الحديث صحيح، ورواية الزهريِّ له هنا مرسلة لم يُسندها ابن إسحاق عنه، ومن طريق ابن إسحاق أخرجها كذلك الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٨١ و«تفسيره» ١٩/ ٧٣ من رواية سلمة بن الفضل عنه.

وقد أسندها الوليدُ بن مسلم عن مرزوق بن أبي الهُذيل الدمشقي عن الزهريِّ عند الطبراني في «الكبير» ١٩/ (١٦٠) عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب، عن عمّه عُبيد الله بن كعب، عن أبيه كعب بن مالك رضي الله عنه. وهذا إسناد رجاله ثقات مشهورون غير مرزوق بن أبي الهذيل، فهو صالح الحديث إن شاء الله، لكن خالفه معمرٌ وشعيبُ بن أبي حمزة كما في «الضعفاء» للعُقيلي ٤/ ٢٣، فروياه عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن عمّه، ولم يذكرا فيه كعباً، قال العقيلي: وهما أَولى من مرزوق؛ يعني أنه مرسلٌ، ورواية شعيب مخرَّجة في «دلائل النبوة» للبيهقي ٤/ ٧-٨.

ومن شواهده حديثُ عائشة عند البخاري (٤١١٧) ومسلم (١٧٦٩) قالت: لمّا رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل فقال: قد وضعتَ السلاحَ؟! والله ما وضعناه، فاخرُجْ إليهم، قال: «فإلى أين؟» قال: هاهنا؛ وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم.

وحديثُ ابن عمر عند البخاري أيضاً (٤١١٩) ومسلم (١٧٧٠) قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلِّيَنَّ أحدٌ العصرَ إلا في بني قريظة»، فأدرك بعضهم العصرَ في الطريق، فقال =

واستَعمَل على المدينة ابنَ أمِّ مكتومٍ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وقَدَّمَ رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ برايتِه إلى بني قُرَيظة، وابتَدَرَها النّاسُ، فسارَ عليُّ بن أبي طالبٍ، حتّى إذا دَنَا من الحصون سمع منها مَقالةً قبيحةً لرسول الله ﷺ، فرَجَعَ حتّى لَقِيَ رسولَ الله ﷺ بالطّريق فقال: يا رسولَ الله، لا عليك أن لا تَدنُوَ من هؤلاءِ الأخابثِ، قال: «لِمَ، أظُنُّكَ سمعتَ منهم لي أَذًى؟!» قال: نعم يا رسولَ الله، قال: «لو رَأَوْني لم يَقُولوا من ذلكَ شيئاً»، فلمّا دَنَا رسولُ الله ﷺ من حُصونِهم قال: «يا إخوانَ القِرَدةِ، هل أَخْزاكُم اللهُ وأَنزَلَ بكم نِقْمَتَه؟!» قالوا: يا أبا القاسم، ما كنتَ جَهُولاً[1].

ومَرَّ رسولُ الله ﷺ بنَفَرٍ من أصحابه بالصَّورَينِ[2] قبل أن يَصِلَ إلى بني قُرَيظة،

= بعضهم: لا نصلِّي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلِّي، لم يُرِدْ منّا ذلك، فذُكِر ذلك للنبي ﷺ، فلم يُعنِّف واحداً منهم. هذا لفظ البخاريِّ، وذكر مسلمٌ وغيرُه فيه الظُّهرَ مكانَ العصر، وانظر تفصيل الكلام عليه في «فتح الباري» لابن حجر ١٢/ ٢٧١-٢٧٤.

(١) الظاهر أن هذا الخبر وما بعده من رواية ابن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار عن معبد بن كعب بن مالك كما سيذكر لاحقاً، ومعبد بن كعب تابعيٌّ ثقة، وحديثه هذا مرسل، ولم نقف عليه مخرَّجاً عند غير ابن إسحاق.

وهو بنحوه بطوله عند موسى بن عقبة في «مغازيه» كما في «الدلائل» للبيهقي ٤/ ١١-١٤ عن ابن شهاب الزهري مرسلاً.

وروى نحوه أيضاً أبو الأسود يتيم عروة عن عروة بن الزبير مرسلاً، فيما ذكره البيهقيُّ.

(٢) تثنية صَوْرٍ: وهو النَّخل المجتمع الصِّغار، موضعٌ بأقصى البقيع ممّا يلي طريق بني قريظة، قال مالك: كنت آتي نافعاً مولى ابن عمر نصف النهار ما يُظِلُّني شيءٌ من الشمس، وكان منزله بالبقيع بالصَّورَين. قاله السمهوديُّ في «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» ٤/ ١٠٧.

وخبر مالك رواه ابن سعد في «الطبقات» ٧/ ٥٧١، وتصحّف البقيع فيه إلى النقيع، بالنون.

فقال: «هل مَرَّ بكم أَحدٌ؟» قالوا: يا رسولَ الله، قد مَرَّ بنا دِحْيةُ بن خَلِيفة الكَلْبيُّ على بغلةٍ بيضاءَ عليها رِحَالةٌ عليها قَطِيفةُ ديباجٍ، فقال رسول الله ﷺ: «ذلكَ جبريلُ بُعِثَ إلى بني قُرَيظةَ يُزَلزِلُ بهم حُصونَهم، ويَقذِفُ الرُّعْبَ في قُلوبِهم».

ولمّا أَتى رسولُ الله ﷺ بني قُرَيظة نَزَلَ على بئرٍ من آبارها من ناحيةِ أموالِهم يقال لها: بئرُ أَنّا. قال ابن هشام: بئرُ أَنِّي[1].

قال ابن إسحاق: وتلاحَقَ به الناسُ، فأَتى رجالٌ من بعد العِشاءِ الآخرةِ ولم يُصلُّوا العصرَ لقول رسول الله ﷺ: «لا يُصلِّيَنَّ أَحدٌ العصرَ إلّا ببني قُرَيظةَ»، فشَغَلَهم ما لم يكن لهم منه بُدٌّ في حربِهم وأَبَوْا أن يُصَلُّوا، لقول رسول الله ﷺ: حتّى تأتُوا بني قُرَيظة، فصَلَّوا العصرَ بها بعدَ العِشاءِ الآخرةِ، فما عابَهم اللهُ بذلك في كتابه ولا عَنَّفَهم به رسولُ الله ﷺ[2].

حدَّثني بهذا الحديث أبي إسحاقُ بن يَسارٍ، عن مَعبَد بن كعب بن مالكٍ الأنصاريِّ[3].

---

(١) اختلفت النسخ في تقييد اسم هذه البئر، وفي «وفاء الوفا» ٣/ ١٢٤: بئر أُنَا: بضم الهمزة وتخفيف النون كهُنَا، وقيل: بالفتح وكسر النون المشدَّدة بعدها مثنّاة تحتية، وقيل: بالفتح والتشديد كحَتَّى، وضبطه في «النهاية» بفتح الهمزة وتشديد الباء الموحَّدة كحَتَّى، وذكره في «القاموس» أيضاً.

وذكره الحازميُّ في «الأماكن» ص٣٤ عن ابن إسحاق: بئر أُبّا، ثم قال: كذا وجدته مضبوطاً مجوَّداً بخطّ أبي الحسن بن الفُرات، وقد سمعت بعض المحصِّلين يقول: إنما هو أُنَا، بضم الهمزة وبالنون الخفيفة.

(٢) قد جاء في حديث ابن عمر عند البخاري (٩٤٦) ومسلم (١٧٧٠) في هذه القصة: أن النبيَّ ﷺ لم يعنِّف واحداً من الفريقين.

(٣) إسحاقُ ومعبدٌ من جملة الثقات، وهما تابعيّان، فالخبرُ مرسلٌ، لكن يشهد لأصله =

وحاصَرَهم رسولُ الله ﷺ خمساً وعشرين ليلةً[1] حتّى جَهَدَهم الحِصارُ، وقَذَفَ الله في قلوبهم الرُّعبَ.

وقد كان حُيَيُّ بن أخطَبَ دخل مع بني قُرَيظة في حِصْنِهم حين رَجَعَت عنهم قريشٌ وغَطَفانُ، وفاءً لكعبِ بن أسَدٍ بما كان عاهَدَه عليه، فلمّا أيقَنُوا بأنّ رسولَ الله ﷺ غيرُ مُنصرِفٍ عنهم حتّى يُناجِزَهم، قال كعبُ بن أسَدٍ لهم: يا مَعشَرَ يهودَ، قد نَزَلَ بكم من الأمر ما تَرَونَ، وإنّي عارضٌ عليكم خِلالاً ثلاثاً، فخُذُوا أيَّها شئتُم، قالوا: وما هي؟ قال: نُتابِعُ هذا الرّجلَ ونُصدِّقُه، فوالله لقد تَبيَّنَ لكم أنّه لنبيٌّ مُرسَلٌ، وأنّه لَلّذي تَجِدُونَه في كتابكم، فتأمَنُون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نُفارِقُ حُكْمَ التَّوراة أبداً، ولا نَستبدِلُ به غيرَه.

قال: فإذا أَبيتُم عليَّ هذه، فهَلُمَّ فلنَقتُلْ أبناءَنا ونساءَنا، ثمّ نَخرُجْ إلى محمدٍ وأصحابه رِجالاً مُصلِتِينَ بالسّيوف[2] لم نَترُكْ وراءَنا ثَقَلاً، حتّى يَحكُمَ الله بيننا وبينَه، فإن نَهلِكْ، نَهلِكْ ولم نَترُكْ وراءَنا نَسْلاً نَخشَى عليه، وإن نَظهَرْ، فلَعَمْري

= حديثُ ابن عمر المذكور سابقاً.

(١) وقال الواقديُّ وصاحبه ابنُ سعد: خمس عشرة ليلة، وقال موسى بن عقبة: بضع عشرة.

قلنا: وخبر حصار بني قريظة هذا مع قصة أبي لبابة التالية، ساقه بتمامه الطبري في «تفسيره» ١٩/ ٧٤-٧٨ من رواية سلمة بن الفضل، والبيهقيُّ في «الدلائل» ٤/ ١٥-١٦ من رواية يونس ابن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق بالإسناد السابق؛ عن أبيه إسحاق بن يسار عن معبد بن كعب ابن مالك مرسلاً.

وروى نحو خبر قصة أبي لبابة الآتي أبو سفيان المَعمَريُّ عند الطبري في «تفسيره» ١١/ ١٢١-١٢٢ عن معمرٍ عن الزهري مرسلاً.

قال ابن عبد البر في «التمهيد» ٢٠/ ٨٣: وقصّته مشهورة في السِّيَر محفوظة.

(٢) أي: مجرِّدين للسيوف من أغمادها. والثَّقَل: المتاع والحشم.

لنَتَّخِذنَّ النّساءَ والأبناءَ، قالوا: نَقتُلُ هؤلاءِ المساكينَ، فما خيرُ العيشِ بعدَهم!

قال: فإن أَبيتُم عليَّ هذه، فإنّ اللّيلةَ ليلةُ السَّبتِ، وإنّه عسى أن يكون محمّدٌ وأصحابُه قد آمَنُونا فيها، فانزِلُوا لَعلَّنا نُصيبُ من محمّدٍ وأصحابه غِرّةً[1]، قالوا: نُفسِدُ سَبْتَنا ونُحدِثُ فيه ما لم يُحدِثْ مَن كان قبلَنا إلّا مَن قد عَلِمتَ، فأصابه ما لم يَخْفَ عليك من المَسْخِ[2]، قال: ما باتَ رجلٌ منكم منذُ وَلَدَته أمُّه ليلةً واحدةً من الدَّهر حازماً.

ثمّ إنَّهم بَعَثوا إلى رسول الله ﷺ: أنِ ابعَثْ إلينا أبا لُبَابةَ بن عبد المُنذِر[3] أخا بني عمرو بن عَوفٍ ـ وكانوا حُلَفاءَ الأَوس ـ نستشيرُه في أمرِنا، فأرسَلَه رسولُ الله ﷺ إليهم، فلمّا رَأَوه قامَ إليه الرِّجالُ، وجَهَشَ إليه[4] النّساءُ والصِّبيانُ يَبكُون في وجهِه، فرَقَّ لهم، وقالوا له: يا أبا لُبَابةَ، أتَرَى أن نَنزِلَ على حُكْم محمّدٍ؟ قال: نعم، وأشارَ بيده إلى حَلْقِه: أنّه الذَّبحُ، قال أبو لُبَابةَ: فوالله ما زالت قَدَماي من مكانِهما حتّى عرفتُ أنّي قد خُنْتُ اللهَ ورسولَه ﷺ، ثمّ انطَلَقَ أبو لُبَابةَ على وجهِه ولم يأتِ رسولَ الله ﷺ حتّى ارتَبَطَ في المسجد إلى عمودٍ من عَمَدِه وقال: لا أَبرَحُ من مكاني

---

(١) الغِرّة: الغفلة.

(٢) يشيرون إلى أصحاب القرية الذين قصَّ الله عزَّ وجلَّ خبرهم في سورة الأعراف، فقال: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾.

(٣) هو أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة.

(٤) الجَهْش: أن يفزع الإنسانُ إلى الإنسان ويلجأَ إليه، وهو مع ذلك يريد البكاء، كما يفزع الصبيُّ إلى أمّه وأبيه.

هذا حتّى يتوبَ الله عليَّ ممّا صَنَعتُ، وعاهَدَ اللهَ: أن لا أطَأَ بني قُرَيظة أبداً، ولا أُرَى في بلدٍ خُنْتُ اللهَ ورسولَه فيه أبداً.

قال ابن هشام: وأنزَلَ الله في أبي لُبَابةَ فيما قال سفيانُ بن عُيَينة، عن إسماعيل ابن أبي خالدٍ، عن عبد الله بن أبي قَتَادة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال:٢٧][1].

قال ابن إسحاق: فلمّا بَلَغَ رسولَ الله ﷺ خبرُه، وكان قد استَبطَأَه، قال: «أمَا لو كان جاءَني لاستَغفَرتُ له، فأمَّا إذْ فَعَلَ ما فَعَلَ، فما أنا بالَّذي أُطلِقُه من مكانِه حتّى يَتُوبَ اللهُ عليه».

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيدُ بن عبد الله بن قُسَيطٍ: أنّ تَوْبةَ أبي لُبَابةَ نَزَلَت على رسول الله ﷺ وهو في بيت أمِّ سَلَمة، قالت أمُّ سَلَمة: فسمعتُ رسولَ الله ﷺ من السَّحَر وهو يَضحَك، قالت: فقلت: مِمَّ تَضحَكُ أضحَكَ الله سِنَّك؟ قال: «تِيبَ على أبي لُبَابةَ» قالت: قلت: أفلا أُبشِّرُه يا رسول الله؟ قال: «بَلَى، إنْ شِئتِ». قال: فقامت على باب حُجْرتها ـ وذلك قبلَ أن يُضرَبَ عليهنَّ الحِجابُ ـ فقالت: يا أبا

---

(١) ورواه عن سفيانَ سعيدُ بن منصور في التفسير من «سننه» (٩٨٧)، وعبدُ الله بن الزبير الحميديُّ عند الطبري في «تفسيره» ١١/ ١٢٢، وكذا ابنُ أبي عمر العَدَني عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٦٨٤، ورجاله ثقات إلا أنه مرسل، فعبد الله بن أبي قتادة الأنصاري من أوساط التابعين.

وهذا هو قول الزهري أيضاً: أنها نزلت في أبي لبابة وقصته مع بني قريظة، فيما رواه عنه أبو سفيان المَعمَري عن معمر عنه، فيما أخرجه الطبري ١١/ ١٢١.

وهو قول قتادة أيضاً فيما أخرجه عنه الطبريُّ ١٩/ ٧٢، وعكرمة فيما ذكره عنه ابنُ عبد البر في «التمهيد» ٢٠/ ٨٥ عن بقيِّ بن مَخلَد بإسناده إلى عكرمة.

لُبابة، أبشِرْ، فقد تابَ اللهُ عليك، قالت: فثارَ النّاسُ إليه ليُطلِقوه، فقال: لا والله، حتّى يكونَ رسولُ الله ﷺ هو الّذي يُطلِقُني بيده، فلمّا مَرَّ عليه خارجاً إلى صلاةِ الصُّبح أطلَقَه[1].

قال ابن هشام: أقام أبو لُبَابةَ مُرتبِطاً بالجِذْع ستَّ ليالٍ، تأتيه امرأتُه في كلِّ وقتِ صلاة فتَحُلُّه للصّلاة ثمّ يعودُ فيَرتبِطُ بالجِذْع ـ فيما حدّثني بعضُ أهل العلم ـ والآيةُ التي نَزَلَت في توبتِه قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ الآية [التوبة:١٠٢][2].

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّ ثَعْلبةَ بن سَعْيةَ وأَسِيدَ بن سَعْيةَ وأَسَدَ بن عُبيدٍ، وهم نَفَرٌ من بني هَدَلٍ ليسوا من بني قُرَيظة ولا النَّضِير، نَسَبُهم فوقَ ذلك، هم بنو عمِّ القوم،

---

(١) ضعيف لإرساله، فابن قُسيطٍ من الطبقة الوسطى من التابعين، ولم يُروَ ما يشهد لحديثه.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٨٥، وابن عبد البر في «التمهيد» ٢٠/ ٨٤، والبيهقي في «السنن» ٧/ ٩٢ وفي «الدلائل» ٤/ ١٦-١٧ من طرق عن ابن إسحاق، به.

وقد رواه مسنَداً متصلاً الواقديُّ في «المغازي» ٢/ ٥٠٨-٥٠٩ عن عبد الله بن يزيد بن [عبد الله ابن] قُسيط، عن أبيه، عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، عن أم سلمة. وهذا إسناد لا بأس برجاله إلا أن الواقدي متكلَّم فيه قد جرحه أهل الحديث.

(٢) نزول هذه الآية كان في حادثة أخرى وهي في غزوة تبوك على ما قال سعيد بن المسيّب، فقد قال البيهقي في «الدلائل» ٤/ ١٦: زَعَم سعيد بن المسيّب أن ارتباط أبي لُبابة بسارية التوبة كان بعد تخلُّفه عن غزوة تبوك، حين أعرض عنه رسولُ الله ﷺ وهو عليه عاتبٌ بما فعل يومَ قُرَيظة، ثمّ تخلّف عن غزوة تبوك فيمن تخلَّف، والله أعلم، وفي رواية علي بن أبي طلحة وعطيّة ابن سعدٍ عن ابن عباس في ارتباطه حين تخلَّف عن غزوة تبوك، ما يؤكِّد قول ابن المسيّب.

ثم خرَّج البيهقيُّ حديث ابن المسيّب ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في باب غزوة تبوك ٥/ ٢٧٠ و٢٧٢.

أسلَمُوا تلك اللّيلةَ التي نَزَلَت فيها قُرَيظةُ على حُكْم رسول الله ﷺ[1].

وخرج في تلك اللّيلةِ عمرُو بن سُعدَى القُرَظيُّ، فمَرَّ بحَرَسِ رسول الله ﷺ وعليه محمّدُ بن مَسلَمة تلك الليلةَ، فلمّا رآه قال: مَن هذا؟ قال: أنا عمرُو بن سُعدَى ـ وكان عمرٌو قد أَبَى أن يَدخُلَ مع بني قُرَيظة في غَدرِهم برسول الله ﷺ وقال: لا أَغدِرُ بمحمّدٍ أبداً ـ فقال محمّدُ بن مَسلَمة حين عَرَفَه: اللّهمَّ لا تَحرِمْني عَثَراتِ الكِرَام[2]، ثمّ خَلَّى سبيلَه، فخرج على وجهِه حتّى باتَ في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك اللّيلةَ، ثمّ ذهبَ فلم يُدْرَ أين تَوجَّهَ من الأرض إلى يومِه هذا، فذُكِرَ لرسول الله ﷺ شأنُه، فقال: «ذاكَ رجلٌ نَجَّاهُ الله بوَفَائِه»[3].

وبعضُ النّاس يَزعُم[4]: أنّه كان أُوثِقَ برُمَّةٍ فيمن أُوثِقَ من بني قُرَيظةَ حين نَزَلوا

---

(١) تقدّم ١/ ٢٣٧-٢٣٨ ذكرُ ابن إسحاق سبب إسلام هؤلاء النفر مسنَداً عن عاصم بن عمر ابن قتادة عن شيخ من بني قُريظة. وتقدّم ١/ ٢٢ بيانُ ضبط هدل.

(٢) في (ش١): إقالة عثرات الكرام.

(٣) ضعيف لإعضاله، إذ لم يبيِّن ابن إسحاق إسناده فيه.

وقد أسنده الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٥٠٣-٥٠٤، ومن طريقه ابن سعد في «الطبقات» ٥/ ٣٩٦ عن الضحاك بن عثمان الحِزامي، عن محمد بن يحيى بن حَبّان الأنصاري مرسلاً. وابن حَبّان تابعي ثقة حُجّة، والراوي عنه صدوق، لكن الواقدي متكلَّم فيه كما سبق.

ثم روى الواقديُّ ٢/ ٥٠٤ شيئاً مختصراً من الخبر دون المرفوع عن إبراهيم بن جعفر بن محمود الأنصاري عن أبيه مرسلاً أيضاً.

(٤) ومن هؤلاء الناس موسى بن عقبة في «مغازيه» كما في «الدلائل» للبيهقي ٤/ ٢٠، وفيه: أن النبيَّ قال: «أفلَتَنا بما علم اللهُ في نفسه»، ولم يُسنِده.

وذكر الواقديُّ ٢/ ٥١٧ عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم أيضاً أنه وُجِدَت رُمّته ونجا، ثم قال: خروجه من الحصن أثبت.

على حُكْم رسول الله ﷺ، فأصبَحَت رُمَّتُه[1] مُلْقاةً ولا يُدرَى أين ذهبَ، فقال رسولُ الله ﷺ فيه تلك المَقالةَ، والله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

فلمّا أصبَحُوا نَزَلوا على حُكْم رسول الله ﷺ، فتَواثَبَتِ الأوسُ فقالوا: يا رسولَ الله إنَّهم مَوالِينا دون الخَزرَج، وقد فعلتَ في موالي إخوانِنا بالأمسِ ما قد عَلِمتَ.

وقد كان رسولُ الله ﷺ قبلَ بني قُرَيظة قد حاصَرَ بني قَينُقاعَ، وكانوا حُلَفاءَ الخَزرَج، فنَزَلوا على حُكمِه، فسألَه إيّاهم عبدُ الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ، فوَهَبَهم له[2].

فلمّا كَلَّمَته الأوسُ، قال رسولُ الله ﷺ: «ألَا تَرضَوْنَ يا مَعشَرَ الأَوسِ أن يَحكُمَ فيهم رجلٌ منكم؟» قالوا: بلى، قال: «فذلِكَ إلى سعدِ بن مُعاذٍ».

وكان رسولُ الله ﷺ قد جَعَلَ سعدَ بن معاذٍ في خَيْمةٍ لامرأة من أسلَمَ يقال لها: رُفَيدةُ، في مسجدِه، كانت تُداوِي الجَرحَى وتحتسِبُ بنفسها على خِدْمة مَن كانت به ضَيْعةٌ من المسلمين، وكان رسولُ الله ﷺ قد قال لقومِه حين أصابَه السَّهمُ بالخندق: «اجعَلُوه في خَيْمةِ رُفَيدةَ حتَّى أَعُودَه من قَريبٍ»[3].

---

(١) الرُّمّة: قطعة من الحبل بالية.

(٢) انظر خبرهم فيما تقدَّم ص١٢.

(٣) جاء التصريح باسم هذه المرأة أيضاً في حديث محمود بن لَبيدٍ ـ وهو صحابيٌّ صغير ـ عند البخاري في «الأدب المفرد» (١١٢٩) قال: لمّا أُصيب أَكحَلُ سعدٍ يوم الخندق فثَقُلَ، حوَّلوه عند امرأة يقال لها: رُفَيدة، وكانت تداوي الجَرحَى، فكان النبي ﷺ إذا مرَّ به يقول: «كيف أمسيتَ؟» وإذا أصبح: «كيف أصبحتَ؟»، فيخبره. وإسناده جيّد.

وفي معنى هذه الفِقرة روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: أُصيب سعدٌ يوم الخندق، رماه رجل من قريشٍ يقال له: حِبّان ابن العَرِقةِ، في الأَكحَل، فضرب عليه رسولُ الله ﷺ خيمةً في المسجد ليعودَه من قريبٍ. أخرجه أحمد (٢٤٢٩٤)، والبخاري (٤٦٣) و(٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩)، وغيرهم.

فلمّا حَكَّمَه رسولُ الله ﷺ في بني قُرَيظة، أتاه قومُه فحَمَلُوه على حمارٍ قد وَطَّؤُوا له بوِسادةٍ من أَدَمٍ[1]، وكان رجلاً جَسِيماً جميلاً، ثمّ أقبَلُوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسِنْ في مَوالِيك، فإنَّ رسولَ الله ﷺ إنّما وَلَّاكَ ذلك لتُحسِنَ فيهم، فلمّا أَكثروا عليه قال: لقد أَنَى[2] لسعدٍ أن لا تأخُذَه في الله لَوْمةُ لائم. فرجع بعضُ مَن كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهَل، فنَعَى لهم رجالَ بني قُرَيظة قبلَ أن يَصِلَ إليهم سعدٌ؛ عن كَلِمتِه التي سمع منه.

فلمّا انتَهَى سعدٌ إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسولُ الله ﷺ: «قُومُوا إلى سَيِّدِكُم»، فأمّا المهاجرون من قريشٍ فيقولون: إنّما أراد رسولُ الله ﷺ الأنصارَ، وأمّا الأنصارُ فيقولون: قد عَمَّ بها رسولُ الله ﷺ المسلمين، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرٍو، إنَّ رسولَ الله ﷺ قد وَلَّاك أمرَ مَوالِيكَ لتَحكُمَ فيهم، فقال سعدٌ: عليكم بذلك عهدُ الله ومِيثاقُه: أنّ الحُكمَ فيهم لَمَا حَكَمتُ؟ قالوا: نَعَم، قال: وعلى مَن هاهُنا؟ في النّاحية التي فيها رسولُ الله ﷺ، وهو مُعرِضٌ عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: «نَعَم»، قال سعدٌ: فإنّي أَحكمُ فيهم أن تُقتَلَ الرّجالُ، وتُقسَمَ الأموالُ، وتُسبَى الذَّرَاريُّ والنِّساءُ[3].

---

(١) الأدَم: الجلد.

(٢) في (ش١): آنَ. وكلاهما بمعنى، أي: حانَ.

(٣) لم يذكر ابن إسحاق إسناده في قصة سعد بن معاذ مع بني قريظة بهذا السياق، ولعلها تكون بإسناده التالي عن علقمة بن وقّاص الليثي مرسلاً، وممّا يؤيّد ذلك أن يزيد بن هارون قد روى بعضاً من هذا السياق ـ فيما أخرجه أحمد (٢٥٠٩٧) وابن حبان (٧٠٢٨) ـ عن محمد بن عمرو بن علقمة بن وقّاص عن أبيه عن جدّه علقمة، إلا أنه أسنده عن عائشة. وإسناده محتمل للتحسين. =

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة، عن عبد الرَّحمن بن عمرو ابن سعد بن معاذٍ، عن عَلقَمة بن وَقّاصٍ اللَّيْثيّ قال: قال رسول الله ﷺ لسعدٍ: «لقد حَكَمتَ فيهم بحُكْمِ اللهِ من فوقِ سَبْعةِ أَرقِعَةٍ»[1].

= وأصل الحديث في قصة بني قريظة وحكم سعدٍ فيهم صحيح عن عائشة من غير هذا الوجه، فقد أخرج أحمد (٢٤٢٩٥)، والبخاري (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عنها: أن رسول الله ﷺ أتاهم ـ أي بني قريظة ـ فنزلوا على حكمه، فردَّ الحكم إلى سعد، قال: فإني أحكمُ فيهم أن تُقتَل المُقاتِلة، وأن تُسبَى النساء والذُّرّية، وأن تُقسَم أموالهم. زاد فيه أحمد ومسلم: قال هشام: قال أبي: فأُخبرت أن رسول الله ﷺ قال: «لقد حكمتَ فيهم بحكم الله عز وجل».

وأخرج أحمد (١١١٦٨) و(١١٦٨٠)، والبخاري (٣٠٤٣) و(٣٨٠٤) و(٤١٢١)، ومسلم (١٧٦٨) عن أبي سعيد الخُدْري قال: لمّا نزلت بنو قريظة على حكم سعدٍ، بعث رسول الله ﷺ إليه ـ وكان قريباً منه ـ فجاء على حمار، فلمّا دنا قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيّدكم»، فجاء فجلس إلى رسول الله ﷺ، فقال له: «إن هؤلاء نزلوا على حكمك»، قال: فإني أحكم أن تُقتَل المقاتلة، وأن تُسبَى الذُّرّية، قال: «لقد حكمتَ فيهم بحكم الملِك»، أو «بحكم الله».

(١) مرسلٌ رجاله ثقات كما قال ابن حجر في «موافقة الخُبْرِ الخَبَر» ٢/ ٤٣٩، وعلقمة من كبار التابعين.

وأخرجه ابن زنجويه في «الأموال» (٥٣٨)، وإبراهيم الحربي في «غريب الحديث» ٢/ ١٠٣٠، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٨٨ و«تفسيره» ١٩/ ٧٨، والخطيب في «المتفق والمفترق» (٨٩٧) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرج النسائي في «الكبرى» (٥٩٠٦)، والحاكم (٢٦٠٢) من حديث سعد بن أبي وقّاص قصة حُكْم سعد بن معاذ في بني قريظة، وفي آخره قول النبي ﷺ: «حكمتَ فيهم بحكم الله الذي حكم به فوق سبع سماوات». وقد اختُلف في إسناده ولفظه، والمحفوظ فيه أنه من حديث أبي سعيد الخدري كما هو مبيَّن في التعليق على «مستدرك الحاكم» طبعة دار الرسالة، وحديث أبي سعيد هذا في «الصحيحين» وغيرهما كما تقدم في الحاشية السابقة ولفظه: «حكمتَ فيهم =

قال ابن هشام: حدّثني مَن أَثِقُ به من أهل العلم: أنّ عليّ بن أبي طالبٍ صاحَ وهم مُحاصِرو بني قُرَيظةَ: يا كَتِيبةَ الإيمان، وتَقدَّمَ هو والزُّبَيرُ، وقال: والله لَأَذُوقَنَّ ما ذاقَ حمزةُ أو لَأَفتَحَنَّ حِصنَهم، فقالوا: يا محمّدُ، نَنزِلُ على حُكْم سعدٍ[1].

قال ابن إسحاق: ثمّ استُنزِلوا، فحَبَسَهم رسولُ الله ﷺ بالمدينة في دار بنتِ الحَدَثِ[2]، امرأةٍ من بني النَّجّار، ثمّ خرج رسولُ الله ﷺ إلى سوقِ المدينة التي هي سوقُها اليومَ، فخَندَقَ بها خنادِقَ، ثمّ بَعَثَ إليهم فضَرَبَ أعناقَهم في تلك الخنادق، يُخرَجُ بهم إليه أَرسالاً[3]، وفيهم عدوُّ الله حُيَيُّ بن أخطَبَ، وكعبُ بن أَسدٍ رأسُ

= بحُكْم المَلِك»، أو «بحُكْم الله».

الأرقعة: السماوات، الواحدة: رَقِيع، وهو من أسماء السماء، وفي «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس ٢/ ٤٢٩: قال بعضُ أهل العلم: إنما قيل لها: أرقعة، لأن كل واحد كالرُّقعة للأخرى.

(١) هذا خبر ضعيف لإعضاله وإبهام رواته، ولم نقف عليه في غير هذا الموضع، لكن تقدّم ص٢٨٥ عن ابن إسحاق: أن رسول الله ﷺ قدَّم عليَّ بن أبي طالبٍ برايتِه إلى بني قريظة.

(٢) هكذا في (ت) و(ز) و(غ) و(ي)، بالدال، وفي (ش١) و(ص) و(م): الحرث، بالراء، ولعل الناسخ فيها ظنَّ أنه الحارث على الأصل، وليس كذلك، فقد أشار السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٣٣٣ إلى أنه هكذا وقع في «السيرة»؛ يعني بالدال، وكذا كان الواقديُّ يقول ـ كما في «الإصابة» لابن حجر ٧/ ٦٥١ ـ: رَمْلة بنت الحَدَث، بفتح الدال المهملة بغير ألفٍ قبلها، وسمَّاها رَمْلة.

قلنا: وقد ذكر النَّسّابةُ الأخباريُّ محمد بن حبيب في كتابه «المحبَّر» ص٤٣٠ رملةَ هذه في المبايعات من نساء الأنصار، وصرَّح هناك بأن الحَدَث هذا هو الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد، وهذا من بني غَنْم بن مالك بن النَّجّار.

وعليه فقد أخطأ السهيليُّ رحمه الله في كتابه فسمَّى هذه المرأة كيِّسة بنت الحارث بن كُريز بن حبيب بن عبد شمس، وجعلها قرشيّةً، بينما ينصُّ ابن إسحاق على أنها امرأة من بني النجّار، فهي أنصاريّة، وهو قول ابن حبيبٍ ومقتضى قول الواقديّ.

(٣) أرسالاً، أي: طائفة بعد طائفة.

القوم، وهم ستُّ مئةٍ أو سبعُ مئةٍ، والمُكثِّرُ لهم يقول: كانوا بين الثّمانِ مئةٍ والتّسعِ مئةٍ، وقد قالوا لكعبِ بن أسَدٍ وهم يُذهَبُ بهم إلى رسول الله ﷺ أَرسالاً: يا كعبُ، ما تُرَاهُ يُصنَعُ بنا؟ قال: أَفي كلِّ مَوطِنٍ لا تَعقِلون؟! ألا تَرَون الدّاعي لا يَنزِعُ[1]، وأنّه مَن ذُهِبَ به منكم لا يَرجِعُ؟ هو واللهِ القتلُ. فلم يَزَلْ ذلك الدَّأْبَ[2] حتّى فَرَغَ منهم رسولُ الله ﷺ.

وأُتي بحُيَيِّ بن أخطَبَ عدوِّ الله وعليه حُلّةٌ له فُقّاحيَّةٌ[3] ـ قال ابن هشام: فقّاحيَّةٌ ضربٌ من الوَشْي ـ قد شَقَّها عليه من كلِّ ناحية قَدْرَ أَنمَلةٍ أَنمَلةٍ[4] لئلّا يُسلَبَها، مجموعةً يداه إلى عُنُقِه بحبل، فلمّا نَظَرَ إلى رسول الله ﷺ قال: أَمَا والله ما لُمْتُ نفسي في عداوَتِك، ولكنّه مَن يَخذُلِ اللهُ يُخذَلْ، ثمّ أقبَلَ على الناس فقال: أيّها الناسُ، إنّه لا بأسَ بأمرِ الله، كتابٌ وقَدَرٌ ومَلحَمةٌ كَتَبَها الله على بني إسرائيلَ، ثمّ جَلَسَ فضُرِبَت عُنُقُه.

فقال جَبَلُ بن جَوّالٍ الثَّعلَبيُّ[5]:

---

(١) أي: لا يكفُّ ولا ينتهي، والداعي هنا: المُنادي.

(٢) الدَّأْب: العادة والشأن، وقد تُحرَّك همزته.

(٣) فُقّاحيّة، أي: تضرب إلى الحُمْرة، كلون الورد حين همَّ أن يتفتّح.

(٤) الأَنمَلة: طرف الإصبع.

(٥) على حاشية (ز): ثعلبة بن الفِطيَون. يعني أن جبلاً منسوب إلى هؤلاء، وهم قوم من اليهود من بني إسرائيل، قال السهيليُّ في «الروض» ٤/ ٣٩٧: والفِطيَون كلمة عبرانيّة، وهي عبارة عن كل من وَلِيَ أمرَ اليهود ومَلَكَهم، كما أن النّجاشيَّ عبارة عن كل من مَلَكَ الحبشة، وخاقانَ من مَلَكَ التُّرك.

قلنا: وقد نَسَبَ ابنُ الكلبيّ ـ فيما ذكر ابن الأثير في «أسد الغابة» ١/ ٣١٨ ـ جبلَ بن جوّال هذا إلى بني ثعلبة بن سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيث بن غَطَفان، فجعله عربيّاً، وقال: كان يهودياً =

لَعَمرُكَ ما لامَ ابنُ أخطَبَ نفسَهُ ولكنَّه مَن يَخذُلِ اللهُ[1] يُخذَلِ

لَجاهَدَ حتّى أبلَغَ النَّفسَ عُذْرَها وقَلقَلَ يَبْغي العِزَّ كلَّ مُقَلقَلِ[2]

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُرْوة بن الزُّبَير، عن عائشةَ أمِّ المؤمنين أنّها قالت: لم يُقتَلْ من نِسائهم إلّا امرأةٌ واحدةٌ، قالت: والله إنّها لعندي تَحدَّثُ معي وتَضحَكُ ظَهْراً وبَطْناً[3]، ورسولُ الله ﷺ يَقتُلُ رجالَها في السُّوق، إذ هَتَفَ هاتفٌ باسمِها: أين فُلانةُ؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت لها: وَيلَكِ، ما لكِ؟ قالت: أُقتَلُ، قلت: ولِمَ؟ قالت: لحَدَثٍ أحدَثتُه، قالت: فانطُلِقَ بها فضُرِبَت عُنُقُها؛ فكانت عائشةُ تقول: فوالله ما أَنسَى عَجَباً منها طِيبَ نفسِها وكَثْرةَ ضَحِكِها، وقد عَرَفَت أنّها تُقتَلُ[4].

قال ابن هشام: هي التي طَرَحَت الرَّحَا على خَلّاد بن سُوَيدٍ فقَتَلَته[5].

قال ابن إسحاق: وقد كان ثابتُ بن قيس بن الشَّمّاس ـ كما ذكر ابنُ شِهابٍ الزُّهْريُّ ـ أَتى الزَّبِيرَ بن باطَا القُرَظيَّ، وكان يُكْنى أبا عبد الرَّحمن ـ وكان الزَّبيرُ قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن الشَّمّاس في الجاهليَّة ـ ذكرَ لي بعضُ ولد الزَّبيرِ أنّه كان مَنَّ عليه

= فأسلم، ثم ذكر ابن الأثير عن الدارقطني وابن ماكولا أنهما قالا: له صحبة.

(١) هكذا هو مقيَّد في نسخنا بضمّ الهاء مرفوعاً، وقيَّده السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٣٣٧ بفتح الهاء منصوباً، وكلاهما في المعنى صحيح.

(٢) قَلقَل: تحرَّك وسارَ.

(٣) أي: تضحك ضحكاً شديداً.

(٤) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٦٤)، وأبو داود (٢٦٧١)، والحاكم (٤٣٨١) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٥) وسمّاها ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٤٩١: بُنانة، قال: وكانت امرأة الحكم القُرظي.

يومَ بُعَاثَ، أخَذَه فجَزَّ ناصيَتَه[1] ثمّ خَلَّى سبيلَه ـ فجاءَه ثابتٌ وهو شيخٌ كبيرٌ فقال: يا أبا عبد الرَّحمن، هل تَعرِفُني؟ قال: وهل يَجهَلُ مِثْلي مِثلَك، قال: إنّي قد أرَدتُ أن أَجزِيَك بيدِك عندي، قال: إنّ الكريمَ يَجْزي الكريم.

ثمّ أَتى ثابتُ بن قيسٍ رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، إنّه كانت للزَّبيرِ عليَّ مِنّةٌ، وقد أحبَبتُ أن أَجزِيَه بها، فهَبْ لي دَمَه، فقال رسول الله ﷺ: «هوَ لكَ»، فأتاه فقال: إنّ رسولَ الله ﷺ قد وَهَبَ لي دمَك، فهو لك، قال: شيخٌ كبيرٌ لا أهلَ له ولا ولدَ، فما يَصنَعُ بالحياة؟ قال: فأَتى ثابتٌ رسولَ الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأُمّي يا رسولَ الله، امرأتَه ووَلَدَه، قال: «هم لكَ»، قال: فأتاه فقال: قد وَهَبَ لي رسولُ الله ﷺ أهلَك ووَلَدَك، فهم لك، قال: أهلُ بيتٍ بالحِجازِ لا مالَ لهم، فما بَقاؤُهم على ذلك؟ فأَتى ثابتٌ رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، مالَه، قال: «هوَ لكَ»، فأتاه ثابتٌ فقال: قد أعطاني رسولُ الله ﷺ مالَك، فهو لك.

قال: أيْ ثابتُ، ما فَعَلَ الّذي كأنَّ وجهَه مِرآةٌ صِينيَّةٌ يَتَراءَى فيها عَذَارَى الحيِّ، كعبُ بن أَسدٍ؟ قال: قُتِلَ، قال: فما فَعَلَ سيِّدُ الحاضر والبادي، حُيَيُّ بن أَخطَبَ؟ قال: قُتِلَ، قال: فما فَعَلَ مُقدَّمَتُنا إذا شَدَدْنا، وحامِيَتُنا إذا فَرَرْنا، عَزّالُ بن سِمْوالَ؟ قال: قُتِلَ، قال: فما فَعَلَ المَجلِسانِ؟ يعني بني كعب بن قُرَيظة وبني عمرو بن قُرَيظة، قال: ذَهَبوا قُتِلوا، قال: فإنّي أسألُك يا ثابتُ بيدي عندك إلّا ألْحَقْتَني بالقوم، فوالله ما في العيشِ بعدَ هؤلاءِ من خيرٍ، فما أنا بصابرٍ لله فَتْلةَ دَلْوِ ناضحٍ[2] حتّى أَلقَى الأَحبّةَ.

---

(١) أي: قطعها، والناصية: شعر مقدَّم الرأس.

(٢) قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٠٧: الناضح الجمل الذي يُستخرَج عليه الماء من البئر بالسّانيَة (وهي الدَّلو الكبيرة)، وأراد بقوله له: فتلة دلو ناضح، مقدار ما يأخذ الرجل الدلوَ إذا أُخرجت فيصبّها في الحوض، ثم يَفتِلها، أي: يردّها إلى موضعها. =

فقَدَّمَه ثابتٌ فضَرَبَ عُنُقَه[1].

فلمّا بَلَغَ أبا بكرٍ الصِّدّيقَ رضي الله عنه قولُه: أَلقَى الأحبّة، قال: يَلْقاهم واللهِ في نار جهنَّم خالداً فيها مُخلَّداً.

قال ابن هشام: قَبْلةَ دَلْوِ ناضحٍ، وقال زهيرُ بن أبي سُلْمى في قَبْلةَ:

وقابــلٌ يَتَغنَّــى كلَّمــا قَــدَرَت على العَرَاقي يـداهُ قائمـاً دَفَقَـا[2]

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له.

قال ابن هشام: وتفسيرُ بيت زهيرٍ يعني: قابلٌ: الّذي يتلقَّى الدَّلوَ إذا خرج من

= ومن رواه: قَبْلةَ، بالقاف والباء (أي: كما سيأتي لابن هشام) فهو بمقدار ما يَقبَل الرجلُ الدلوَ فيصبّها في الحوض ثم يَصرِفها، وهذا كلّه لا يكون إلا عن استعجال وسرعة.

(١) خبر صحيح إن شاء الله، مشهور عند أصحاب المغازي، قد رواه غيرُ الزهري بنحو ما رواه.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٥٨٩-٥٩٠، والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٢٣-٢٤ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، عن الزهري.

وروى بعضه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٤/ ٤٤ من طريق محمد بن عائذ في «مغازيه» بإسناده عن الزهري عن محمد بن قيس بن مَخرَمة بن المُطَّلِب مرسلاً. ومحمد بن قيس هذا يقال: له رؤية.

وروى الخبرَ أيضاً بنحو ما رواه الزهري: محمد بن يحيى بن حَبّان وداود بن الحُصين عند الواقدي في «المغازي» ٢/ ٥١٨-٥٢٠.

ورواه أيضاً ابن لهيعة عند البيهقي في «السنن» ٩/ ٦٦ في مغازي عروة بن الزبير عن أبي الأسود يتيم عروة عنه.

قلنا: فباجتماع هؤلاء على رواية هذا الخبر يَثبُت مثله إن شاء الله وإن كانت كلها مراسيل.

(٢) القابل: الذي يَقبَل الدلوَ ويأخذها. ودَفَقَ الماءَ: صَبَّه. والعَرَاقي: جمع عَرقُوَة، وهو العود الذي يكون في فم الدلو. وانظر «ديوان زهير» ص٧٢.

البئر، والناضحُ: البعير الذي يُستَقى الماء [عليه] لسقي النَّخل[1].

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله ﷺ قد أمَرَ بقتل كلِّ مَن أَنبَتَ[2] منهم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني شُعْبةُ بن الحَجّاج، عن عبد الملك بن عُمَير، عن عَطيَّةَ القُرَظيِّ قال: كان رسولُ الله ﷺ قد أمَرَ أن يُقتَلَ من بني قُرَيظةَ كلُّ مَن أَنبَتَ، وكنتُ غُلاماً، فوَجَدُوني لم أُنبِتْ فخَلَّوْا سَبِيلي[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أيّوبُ بن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن أبي صَعصَعة، أخو بني عَدِيّ بن النَّجّار: أنّ سَلْمَى بنتَ قيسٍ أمَّ المُنذِر، أختَ سَلِيطِ بن قيسٍ - وكانت إحدى خالاتِ رسول الله ﷺ، قد صَلَّتْ معه القِبلتَينِ وبايَعَته بيعةَ النّساءِ - سألَتْه رِفاعةَ بن سِمْوالَ القُرَظيَّ، وكان رجلاً قد بَلَغَ، فلاذَ بها[4]، وكان يَعرِفُهم قبلَ ذلك، فقالت: يا نبيَّ الله بأبي أنتَ وأُمّي، هَبْ لي رِفاعةَ، فإنّه زَعَمَ أنّه سيُصلّي ويأكُلُ لحمَ الجَمَل، قال: فوَهَبَه لها، فاستَحيَتْه[5].

---

(١) تفسير ابن هشام هذا من (ت)، وليس في بقيّة النسخ.

(٢) أي: كل من نبت الشعرُ على عانته، وهو علامة على البلوغ.

(٣) إسناده صحيح.

وأخرجه النسائي في «المجتبى» (٤٩٨١) وفي «الكبرى» (٧٤٣٢)، والحاكم (٢٦٠٠) من طرق عن شعبة، بهذا الإسناد.

وأخرجه أيضاً أحمد (١٨٧٧٦) و(١٩٤٢١) و(١٩٤٢٢) و(٢٢٦٥٩)، وأبو داود (٤٤٠٤) و(٤٤٠٥)، وابن ماجه (٢٥٤١)، والترمذي (١٥٨٤)، والنسائي في «المجتبى» (٣٤٣٠) وفي «الكبرى» (٥٥٩٤) و(٨٥٦٦) و(٨٥٦٧)، وابن حبان (٤٧٨٠-٤٧٨٣) و(٤٧٨٨)، والحاكم (٤٣٨٠) و(٨٣٧٢) من طرق عن عبد الملك بن عمير، به.

(٤) أي: احتمى بها ولجأ إليها.

(٥) إسناده ضعيف لإرساله، وأيوب صدوق من أتباع التابعين، وقد ذكر هذا الخبر الواقديُّ =

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّ رسولَ الله ﷺ قَسَمَ أموالَ بني قُرَيظة ونساءَهم وأبناءَهم على المسلمين، وأعلَمَ في ذلك اليوم سُهْمانَ الخيل وسُهْمانَ الرِّجال وأخرَجَ منها الخُمُسَ، فكان للفارس ثلاثةُ أسهمٍ؛ للفَرَس سَهْمانِ ولفارسه سهمٌ، وللرَّاجلِ مَن ليس له فرسٌ سهمٌ، وكانت الخيلُ[1] يومَ بني قُرَيظة ستّةً وثلاثين فرساً، وكان أوّلَ فَيْءٍ وَقَعَت فيه السُّهْمانُ، وأُخرِجَ منها الخُمُسُ، فعلى سُنَّتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وَقَعَت المَقاسِمُ ومَضَت السُّنّةُ في المغازي.

ثمّ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ سعدَ بن زيدٍ الأنصاريَّ أخا بني عبد الأشهَل بسَبَايا من سَبَايا بني قُرَيظة إلى نَجدٍ، فابتاعَ لهم بهم خيلاً وسلاحاً.

وكان رسولُ الله ﷺ قد اصطَفَى لنفسه من نسائهم رَيْحانةَ بنتَ عمرو بن خُنَافة إحدى نساءِ بني عمرو بن قُرَيظة[2]، فكانت عند رسول الله ﷺ حتّى تُوفِّي عنها وهي في مِلْكِه، وقد كان رسولُ الله ﷺ عَرَضَ عليها أن يتزوَّجَها ويَضرِبَ عليها الحِجابَ، فقالت: يا رسولَ الله، بل تَترُكُني في مِلْكِك، فهو أَخَفُّ عليَّ وعليك، فتَرَكَها.

وقد كانت حين سَبَاها قد تَعَصَّت بالإسلام وأبَتْ إلّا اليهوديّةَ، فعَزَلها رسولُ الله ﷺ ووَجَدَ في نفسه لذلك من أمرِها، فبَيْنا هو مع أصحابه إذ سمع وَقْعَ نَعلَينِ خلفَه فقال: «إنَّ هذا لَثَعْلبةُ بن سَعْيةَ يُبشِّرُني بإسلامِ رَيْحانةَ»، فجاءَه فقال: يا رسولَ الله،

= في «مغازيه» ٢/ ٥١٤-٥١٥ بلا إسناد.

(١) يعني الخيل التي كانت مع المسلمين.

(٢) وذكر الواقدي في «المغازي» ٢/ ٥٢٠: أنها كانت من بني النَّضير متزوجةً في بني قريظة. وماتت ريحانة قبل وفاة النبي ﷺ، قيل: عند مرجعه من حجة الوداع، ودُفنت بالبقيع. انظر «الإصابة» لابن حجر ٧/ ٦٥٩.

قد أسلَمَت رَيْحانةُ، فسَرَّه ذلك من أمرِها[1].

وأنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ في أمرِ الخندق وأمرِ بني قُرَيظة من القرآن القِصّةَ في سورة الأحزاب، يذكرُ فيها ما نَزَلَ من البلاءِ ونِعْمتَه عليهم وكِفايتَه إيّاهم حين فرَّج ذلك عنهم بعدَ مَقالةِ مَن قال من أهل النِّفاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾، والجنودُ: قريشٌ وغَطَفانُ وبنو قُرَيظة، وكانت الجنودُ التي أرسَلَ الله عليهم مع الرِّيح الملائكةَ، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠﴾، فالّذين جاؤوهم من فوقِهم بنو قُرَيظة، والّذين جاؤوهم من أسفَلَ منهم قريشٌ وغَطَفانُ.

يقول الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢﴾ لقول مُعتِّب بن قُشَيرٍ إذ يقول ما قال ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣﴾ لقول أَوس بن قَيْظيٍّ ومَن كان على رأيه من قومه.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: المدينة.

قال ابن هشام: الأقطارُ: الجوانبُ، وواحدُها: قُطْرٌ، وهي الأقتارُ، وواحدُها: قُتْرٌ، قال الفَرَزدَقُ:

---

(١) خبر ضعيف، لم يسنده ابن إسحاق.

وقد أسنده ابن سعد في «الطبقات» ١٠/ ١٢٧ عن محمد ابن عمر الواقدي، حدثني عمر بن سلمة، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم مرسلاً. وإسناده ضعيف جداً، عمر بن سلمة لم نعرفه، والواقديُّ فيه مقال عند أهل الحديث.

كم من غِنًى فَتَحَ الإلٰهُ لهم بهِ والخيلُ مُقعِيَةٌ على الأقطارِ[1]

ويُروَى: على الأقتارِ[2]. وهذا البيت في قصيدةٍ له.

﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي: الرُّجوعَ إلى الشِّرك ﴿لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾، فهم بنو حارثةَ، وهم الّذين هَمُّوا أن يَفشَلوا يومَ أُحدٍ مع بني سَلِمةَ حين هَمَّتا بالفَشَل يومَ أُحد، ثمّ عاهَدُوا اللهَ أن لا يَعُودوا لمثلِها، فذكر لهم اللهُ الّذي أعطَوْا من أنفُسِهم[3].

ثمّ قال: ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ أي: أهلَ النِّفاق[4] ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ أي: إلّا دَفْعاً وتعذيراً[5].

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أي: للضِّغْن[6] الّذي في أنفسهم ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ﴾ أي: إعظاماً له وفَرَقاً منه ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب:١٩] في القول بما لا تُحِبُّون، لأنّهم لا يَرجُون

---

(١) مُقعِيَة، أي: ساقطة على أجنابها جالسة على مؤخراتها، كما تُقعي الكلاب على أذنابها وأفخاذها، يَصِفُهم بأنهم أصحاب هِمَم والناس متثاقلون متخاذلون.

(٢) وهي رواية «الديوان» ص٢٦٥. والقصيدة في مدح بني المُهلَّب بن أبي صُفْرة الأزديّ.

(٣) أسند ذلك ابنُ إسحاق إلى يزيد بن رُومان أحد ثقات التابعين، فيما رواه عنه سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تفسيره» ١٩/ ٤٦-٤٧.

وقد تقدّم ذكر خبر هاتين الطائفتين في غزوة أُحد ص١٠٩-١١٠.

(٤) والمعوِّق: هو الذي يُمسِك صاحبه عن وجهه الذي يريد.

(٥) التعذير: أن يفعل الرجلُ الشيءَ بغير نيّة، وإنما يريد أن يقيم به العذرَ عند من يراه.

(٦) الضِّغن: الحقد والعداوة.

آخرةً ولا تَحمِلُهم حِسْبةٌ[1]، فهم يَهابُون الموتَ هَيْبةَ مَن لا يرجو ما بعدَه.

قال ابن هشام: ﴿سَلَقُوكُم﴾: بالَغُوا فيكم بالكلام فأحرَقُوكم وآذَوْكم، تقول العرب: خطيبٌ سَلّاقٌ، وخطيبٌ مِسلَقٌ، قال أَعشى بني قيس بن ثَعْلبة:

فيهمُ المجدُ والسَّماحةُ والنَّجْـ ـدةُ منهم والخاطبُ السَّلّاقُ[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

[قال ابن إسحاق]: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾ قريشٌ وغَطَفانُ ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾.

ثمّ أقبَلَ على المؤمنين فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١] أي: لئلّا يَرغَبوا بأنفُسِهم عن نفسِه ولا عن مكانٍ هو به.

ثمّ ذَكَرَ المؤمنين وصِدقَهم وتصديقَهم بما وَعَدَهم الله من البلاءِ يَختبِرُهم به فقال: ﴿قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ أي: صبراً على البلاءِ وتسليماً للقضاءِ وتصديقاً للحَقِّ لِمَا كان اللهُ وَعَدَهم ورسولُه.

ثمّ قال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ أي: فَرَغَ من عملِه ورَجَعَ إلى ربِّه، كمَن استُشهِدَ يومَ بدرٍ ويومَ أُحد.

---

(١) الحِسبة: طلب الأجر والثواب.

(٢) ورواية «الديوان» ٢/ ٦١:

فيهم الخِصْب والسماحة والنَّجـ ـدةُ فيهم والخاطبُ المِصْلاقُ

والصَّلْق: الصوت الشديد، والسَّلق بالسين لغة فيه. ويقال للخطيب البليغ: مِسلَق ومِسْلاق وسَلّاق، لشدّة صوته وكلامه.

قال ابن هشام: ﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾: مات، والنَّحْبُ: النَّفْس، فيما أخبرني أبو عُبيدة[1]، وجمعُه: نُحُوبٌ، قال ذو الرُّمَّة[2]:

عَشِيَّةَ فَرَّ الحارثيُّونَ بعدَما قَضَى نَحْبَه في مُلتَقى الخيلِ هَوبَرُ

وهذا البيت في قصيدةٍ له، وهَوبَرٌ من بني الحارث بن كعبٍ، أراد يزيدَ بن هَوبَرٍ[3].

والنَّحْبُ أيضاً: النَّذْر، قال جَريرٌ:

بطِخْفَةَ جالَدْنا الملوكَ وخيلُنا عَشِيَّةَ بِسْطامٍ جَرَينَ على نَحْبِ[4]

يقول: على نَذْرٍ كانت نَذَرَت أن تقتلَه فقَتَلَته. وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وبِسطامٌ: بِسطامُ بن قيس بن مسعودٍ الشَّيباني، وهو ابنُ ذي الجَدَّينِ، حدّثني أبو عُبيدة: أنه كان فارسَ ربيعة بن نِزَار[5]. وطِخْفةُ: موضعٌ[6].

---

(١) وهو معمر بن المثنّى، وانظر «مجاز القرآن» له ٢/ ١٣٥-١٣٦.

(٢) انظر «ديوانه» ٢/ ٦٤٧.

(٣) وبنو الحارث هؤلاء من مَذحِج، وهم من قحطانية اليمن، وبلادهم نَجْران، وكان يزيد بن هوبر من أشراف اليمن الذين قُتلوا يوم الكُلاب، وهو يومٌ بينهم وبين بني تميم بنجدٍ. وانظر «شرح نقائض جرير والفرزدق» لأبي عبيدة معمر بن المثنَّى ١/ ٣٢١، و«الأغاني» للأصفهاني ٢٢/ ٢٢٠.

(٤) يعني العشيّةَ التي قُتل فيها بسطام بن قيس. وانظر «ديوانه» ص٥٤.

(٥) وهو من سادات بكر بن وائل من ربيعة بن نزار، وقُتل يوم نَقَا الحَسَن، وهو يوم بينهم وبين بني سعد بن ضَبّة من مُضَر بن نزار، وكان ذلك بعد البعثة النبويّة. وانظر حديث هذا اليوم في «شرح النقائض» ١/ ٣٦٢ وما بعدها.

ثم إن عاصم بن خليفة هذا قد أسلم، لكنه لم يرَ النبيَّ ﷺ، فلذا عُدَّ من المُخضرَمين، وذكره ابن حجر في القسم الثالث من حرف العين في «الإصابة» ٥/ ٧٤.

(٦) ويقع في عالية نجدٍ قريباً من مدينة ضريّة في الشمال الشرقي منها على قرابة ٢٨ كم.

والنَّحْبُ أيضاً: الخِطَارُ، وهو الرِّهان، قال الفَرَزدَقُ:

وإذْ نَحَّبَت كلبٌ على الناسِ أيُّنا ... على النَّحْبِ أَعطى للجَزيلِ وأَفضلُ[1]

والنَّحْبُ أيضاً: البُكاء، وقولُهم: يَنتحِبُ، منه.

والنَّحْبُ أيضاً: الحاجةُ والهِمّةُ، تقول: ما لي عندهم نَحْبٌ، قال مالك بن نُوَيرةَ اليَربُوعيّ:

وما ليَ نَحْبٌ عندَهمْ غيرَ أنّني ... تَلَمَّستُ ما تَبْغي من الشُّدُنِ الشُّجْرِ[2]

وقال نَهارُ بن تَوسِعةَ أحدُ بني تَيْمِ اللّاتِ بن ثَعْلبة بن عُكَابة بن صعب بن عليّ ابن بكر بن وائل ـ قال ابن هشام: هؤلاءِ موالي بني حَنيفة ـ:

ونَجّى يوسُفَ الثّقَفيَّ رَكْضٌ ... دِرَاكٌ بعدَما وَقَعَ اللّواءُ[3]

---

(١) انفرد ابن هشام برواية هذا البيت على هذا النحو، وأنشده شيخه أبو عُبيدة في «مجاز القرآن» ٢/ ١٣٦، وكذا هو عند غيره ممّن استشهد به، وكذلك هو في رواية «الديوان» ص٥٢٩:

وإذ نحَّبَت كلبٌ على الناس أيُّهم ... أحقُّ بتاج الماجدِ المتكرِّمِ

وكلبٌ: المراد بنو كلبٍ، وكان من حديثهم: أنه اجتمع ثلاثة نفرٍ منهم فاختاروا نفراً من سادات العرب: غالباً والد الفرزدق، وطلبة بن قيس بن عاصم، وعُمير بن السَّليل، وتراهنوا أيهم أجود، فجعلوا لا يأتون رجلاً منهم فيسألونه إلا سألهم عن نسبهم فينصرفون عنه، حتى أَتوا غالباً فأعطاهم ولم يسألهم، ولم يقبلوا منه شيئاً، فكان أجودَهم. وانظر «المحبَّر» لمحمد ابن حبيب ص١٤٢، و«أنساب الأشراف» للبلاذُريّ ١٢/ ٦٣-٦٤.

(٢) الشُّدُن: الإبل منسوبة إلى شَدَن، وهو موضع باليمن، والشُّجْر: التي في أعينها حُمْرة. ولم نقف على هذا البيت عند غير ابن هشام.

(٣) الرَّكض: الجري. ودراكٌ، أي: متتابع. وانظر «المعارف» لابن قتيبة ص٣٩٥-٣٩٦، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٢٩٢.

ونهار بن توسعة هذا هو قائل البيت السائر: =

ولـو أدرَكْنَـه لَقَضَـينَ نَحْبـاً بـه ولكـلِّ مُخطَـأَةٍ وِقـاءُ

والنَّحْبُ أيضاً: السَّيرُ الخفيفُ المَرِّ.

قال ابن إسحاق[1]: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ ما وَعَدَ اللهُ به من نُصْرةٍ، والشّهادةَ على ما مضى عليه أصحابُه، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ أي: ما شَكُّوا وما تَردَّدوا في دينهم وما استبدَلُوا به غيرَه ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ﴾ أي: قريشاً وغَطَفانَ ﴿لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي: بني قُرَيظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾، والصَّياصِي: الحُصونُ والآطام التي كانوا فيها.

قال ابن هشام: قال سُحَيمٌ عبدُ بني الحَسْحاس، وبنو الحَسْحاسِ من بني أَسَد ابن خُزَيمة:

وأصبَحَتِ الثِّيرانُ صَرْعى وأصبَحَت

نســاءُ تَمــيمٍ يَبتَــدِرنَ الصَّياصِــيا[2]

= أبي الإسلامُ لا أبَ لي سواهُ إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمِ

انظر «الكتاب» لسيبويه ٢/ ٢٨٢، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة ١/ ٥٣٧، و«الكامل في اللغة والأدب» للمبرد ٣/ ١٣٣.

(١) قوله: قال ابن إسحاق، من نسخة على حاشية (ش١).

(٢) انظر «ديوان سحيم» ص٣٣.

وقد تعقَّب الشيخ أبو بحر الأسديّ ـ كما في «الروض الأنف» ٦/ ٣٣٩ ـ ابنَ هشامٍ فقال: الصَّياصي: قرون الثيران المذكورة في البيت، لا ما توهَّم ابن هشام أنها الحصون والآطام؛ يقول: لمّا أَهلك هذا السيل الثِّيران وغرَّقها، أصبحت نساءُ تمم يبتدرن أخذَ قرونها، ليَنسِجنَ بها =

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

والصَّياصِي أيضاً: القُرون، قال النابغةُ الجَعْديّ:

وسادَةِ رَهْطي حتّى بَقِيتُ فرداً كصِيصِيَةِ الأعضَبِ[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال أبو دُؤَادٍ الإياديّ[2]:

فذَعَرْنا سُحْمَ الصَّياصِي بأيدِي هِنَّ نَضْحٌ من الكُحَيلِ وقَارُ[3]

والصَّياصِي أيضاً: الشَّوكُ الذي للنَّسّاجين فيما أخبرني أبو عُبيدة[4]، وأنشدني لدُرَيد بن الصِّمّة الجُشَميِّ، جُشَمَ بنِ معاوية بن بكر بن هَوازِنَ:

نَظَرتُ إليه والرِّماحُ تَنُوشُه كوَقْعِ الصَّياصِي في النَّسيجِ المُمدَّدِ[5]

= البُجُدَ، وهي الأكسية، قال هذا يعقوبُ عن الأصمعيّ، ويصحِّح هذا أنه لا حصونَ في بادية الأعراب.

(١) قوله: وسادةِ رهطي، مجرور معطوف على مجرور في البيت السابق، يقول: أتت المَنُونُ - وهو حوادث الدهر ومنها الموت - على إخوتي وسادةِ قومي. انظر «ديوانه» ص٣١ جمع وتحقيق واضح الصمد.

والرهط: القوم. والأعضب: المكسور القرن.

(٢) انظر «ديوانه» ص١٠٥.

(٣) ذَعَرنا: من الذُّعر، وهو الفزع. والسُّحم: السُّود. والصياصي: القرون، وهو يريد بسُحْم الصياصي: الوعول التي في الجبال. ونَضْح: لَطْخ.

والكُحيل: القَطِران. والقار: الزِّفت، شبَّه ما في أيديها من السَّواد، بلطخٍ من ذلك الكُحيل والقار.

(٤) انظر «مجاز القرآن» له ٢/ ١٣٦، ولم يسمِّ فيه قائل البيت.

(٥) تَنُوشه، أي: تتناوله من قرب.

وهذا البيت في قصيدةٍ له[1].

والصَّياصي أيضاً: التي تكون في أرجُلِ الدِّيَكة ناتئةً كأنّها القُرونُ الصِّغارُ.

والصَّياصِي أيضاً: الأُصول، أخبرني أبو عُبيدة أنّ العرب تقول: جَذَّ اللهُ صِيصِيَتَه[2] أي: أصلَه.

قال ابن إسحاق: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾: أي: قُتِل الرِّجال وسُبِيَ الذَّراريّ والنّساءُ ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ يعني: خيبرَ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾.

قال ابن إسحاق: فلمّا انقَضَى شأنُ بني قُرَيظةَ، انفَجَرَ بسعد بن معاذٍ جُرْحُه، فمات منه شهيداً.

حدّثني معاذُ بن رِفاعةَ الزُّرَقيّ قال: حدّثني مَن شئتُ من رجال قومي: أنّ جبريلَ أَتى رسولَ الله ﷺ حين قُبِضَ سعدُ بن معاذٍ من جَوْفِ اللّيل مُعتجِراً بعِمامةٍ من إستَبرَقٍ فقال: يا محمّدُ، مَن هذا الميّتُ الّذي فُتِحَت له أبوابُ السماءِ واهتَزَّ له العَرشُ؟ قال: فقامَ رسولُ الله ﷺ سريعاً يَجُرُّ ثوبَه إلى سعدٍ، فوَجَدَه قد ماتَ[3].

---

(١) وهي في رثاء أخيه، وانظرها في «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي ص٤٦٦-٤٧٤، و«الأصمعيات» ص١٠٦-١١٠، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٢/ ٧٥٠-٧٥١، و«التعازي» للمبرد ص٥٨.

(٢) تُهمَز ولا تُهمَز، وقيّدها بالوجهين صاحب نسخة (ز). وفي «مجاز القرآن» ٢/ ١٣٦: صِيصةَ فلان، بإسقاط الياء الثانية.

(٣) خبرٌ حسنٌ إن شاء الله، معاذ بن رفاعة صدوق ليس به بأس، وأما شيوخه الذين رووا هذا الخبر فأحدهم هو جابر بن عبد الله، فقد رواه الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن معاذ بن رفاعة عن جابر بن عبد الله فيما أخرجه الطبري في مسند عمر من «تهذيب الآثار» ٢/ ٥٩٧-٥٩٨، =

وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ، عن عَمْرةَ بنتِ عبد الرَّحمن قالت: أقبَلَت عائشةُ قافلةً من مكّة ومعها أُسَيدُ بن حُضَيرٍ، فلَقِيَه موتُ امرأةٍ له فحَزِنَ عليها بعضَ الحُزْن،

= والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٢٩، ولم يذكرا فيه اعتجارَ جبريل بعمامةٍ من إستبرق.

وأما حديث ابن إسحاق، فقد رواه عنه هكذا أيضاً يونسُ بنُ بكير عند محمد بن عثمان بن أبي شيبة في «العرش» (٥١)، والبيهقي ٤/ ٢٩، ويحيى بنُ سعيد الأُموي عند الخطيب في «الفصل للوصل» ١/ ٤٢١.

ورواه سلمةُ بن الفضل عند الحاكم (٤٩٨٥) ضمن حديث آخر عن ابن إسحاق، عن عاصم ابن عمر بن قتادة، عن عبد الله بن كعب بن مالك مرسلاً. والظاهر أنه بهذا الإسناد وهمٌ من سلمة، فهو على صدقه كثيرُ الخطأ.

وأخرج أحمد (١٤٥٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٦٧)، والحاكم (٤٩٨٧) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيى بن سعيد ويزيد بن الهاد، عن معاذ بن رفاعة بن رافع، عن جابر بن عبد الله: أنّ النبيَّ ﷺ قال لسعدٍ وهو يُدفَن: «إن هذا العبد الصالح تحرَّك له العرشُ، وفُتِحَت له أبواب السماء». وفي إسناده خلاف كما هو مبيَّن في التعليق على «مستدرك الحاكم».

وصحَّ ذكر تحرُّك العرش أو اهتزازُه لموت سعد بن معاذٍ عن جابر من غير وجهٍ عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ، فيما أخرجه أحمد (١٤١٥٣) و(١٤٤٠٠) و(١٤٧٦٨)، والبخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦) وغيرهم. وفيه: «اهتزَّ عرشُ الرَّحمن».

قال النوويُّ في «شرح مسلم» ما ملخَّصه: اختلف العلماءُ في تأويله، فقالت طائفة: هو على ظاهره واهتزاز العرش: تحرُّكه فرحاً بقدوم روح سعد، وجعل الله تعالى في العرش تمييزاً حصل به هذا، ولا مانع منه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٧٤]، وهذا القول هو ظاهر الحديث، وهو المختار، وقال آخرون: المراد اهتزاز أهل العَرْش، وهم حَمَلتُه وغيرُهم من الملائكة، فحذف المضاف، والمراد بالاهتزاز الاستبشارُ والقَبُول، ومنه قول العرب: فلان يهتزُّ للمكارم، لا يريدون اضطرابَ جسمه وحركته، وإنما يريدون ارتياحَه إليها وإقبالَه عليها، وقال الحَرْبي: هو كناية عن تعظيم شأن وفاته، والعرب تنسب الشيءَ المعظَّم إلى أعظم الأشياء فيقولون: أظلَمَت لموت فلانٍ الأرضُ، وقامت له القيامة.

فقالت له عائشةُ: يَغفِرُ الله لك أبا يحيى، أتحزَنُ على امرأةٍ وقد أُصِبتَ بابن عمِّك، وقد اهتَزَّ له العَرْشُ؟![1]

وحدّثني مَن لا أتّهمُ عن الحسن البَصْريِّ قال: كان سعدٌ رجلاً بادِناً، فلمّا حَمَلَه الناسُ وَجَدُوا له خِفّةً، فقال رجالٌ من المنافقين: والله إن كان لَبادِناً، وما حَمَلْنا من جِنازةٍ أخفَّ منه! فبَلَغَ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: «إنَّ له حَمَلةً غيرَكم، والَّذي نَفْسي بيدِه، لقد استَبشَرَتِ الملائكةُ برُوحِ سعدٍ، واهتَزَّ له العَرْشُ»[2].

---

(١) إسناده صحيح. ولم نقف عليه بهذا الإسناد عند غير ابن إسحاق.

وأخرج نحوه أحمد (١٩٠٩٥)، والحاكم (٤٩٩١) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة اللَّيثي، عن أبيه، عن جدّه، عن عائشة قالت: قدمنا من سفر، فتلقَّونا بذي الحُلَيفة... فلقوا أُسيدَ بن حُضيرٍ فنَعَوْا إليه امرأته، فتقنَّع يبكي، قالت: فقلت له: سبحان الله! أنت من أصحاب رسول الله ﷺ، ولك من السابقة ما لك، تبكي على امرأة؟! فكشف عن رأسه فقال: صدقتِ لعَمرُو الله، والله ليحقُّ لي أن لا أبكيَ على أحدٍ بعد سعد بن معاذ، وقد قال رسول الله ﷺ ما قال، قالت له: وما قال له؟ قال: «لقد اهتزَّ العرشُ لوفاة سعد بن معاذ». وهذا إسناد فيه لِينٌ من أجل عمرو بن علقمة والد محمد، فقد تفرَّد بالرواية عنه ابنه، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبّان، وسياق حديث عَمْرة أصحُّ.

(٢) صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإرساله وإبهام شيخ ابن إسحاق فيه. ولم نقف عليه من مرسل الحسن في غير هذا الموضع.

لكن يشهد له حديث قَتَادة عن أنس بن مالك عند ابن حبان (٧٠٣٢): أن نبيَّ الله ﷺ قال وجنازةُ سعدٍ موضوعةٌ: «اهتَزَّ لها عرشُ الرَّحمن»، فطَفِقَ المنافقون في جنازته وقالوا: ما أخفَّها! فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «إنّما كانت تحملُه الملائكةُ معهم».

ورواه الترمذي (٣٨٤٩)، والحاكم (٤٩٩٠) عن أنس بلفظ: لمّا حُمِلَت جنازةُ سعد بن معاذٍ قال المنافقون: ما أخفَّ جنازتَه، وذلك لحكمه في بني قُرَيظة! فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «إن الملائكة كانت تحملُه». قال الترمذي: حديث حسن صحيح. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني معاذُ بن رِفاعةَ، عن محمود بن عبد الرَّحمن بن عمرو ابن الجَمُوح، عن جابر بن عبدالله قال: لمّا دُفِنَ سعدٌ ونحنُ مع رسول الله ﷺ، سَبَّحَ رسولُ الله ﷺ فسَبَّحَ الناسُ معه، ثمّ كَبَّرَ فكَبَّرَ الناسُ معه، فقالوا: يا رسولَ الله، مِمَّ سَبَّحتَ؟ فقال: «لقد تَضايَقَ على هذا العَبْدِ الصّالحِ قَبْرُه، حتَّى فَرَّجَه اللهُ عنه»[1].

قال ابن هشام: ومَجَازُ هذا الحديثِ[2] قولُ عائشة: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ للقَبْرِ لَضَمّةً لو كان أَحدٌ منها ناجِياً، لكان سعدُ بن مُعاذٍ»[3].

قال ابن إسحاق: ولسعدٍ يقول رجلٌ من الأنصار:

وما اهتَزَّ عرشُ الله من موتِ هالكٍ ... سَمِعْنا بـه إلّا لسعدٍ أبـي عمرِو

وقالت أمُّ سعدٍ حين احتُمِلَ نَعشُه وهي تَبكِيه ـ قال ابن هشام: وهي كَبْشةُ[4] بنتُ رافع بن معاوية بن عُبيد بن ثَعْلبة بن عبد بن الأَبجَر ـ وهو خُدْرةُ ـ بن عَوْف بن

= قلنا: ويغلب على ظنّنا أن الحسن البصريَّ إنما حمل حديثه الذي حدَّث به ابنُ إسحاق عن أنس بن مالك، فقد روى بعضَه ـ وهو اهتزاز العرش ـ مباركُ بن فَضَالة عن الحسن عن أنس، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥٣٤٣).

وفي الباب أيضاً عن عبد الله بن شدّاد مرسلاً عند أحمد في «فضائل الصحابة» (١٥٠٤).

(١) إسناده حسن.

وأخرجه أحمد (١٤٨٧٣) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٢) يعني: تأويل هذا الحديث.

(٣) حديث صحيح.

وأخرجه من حديث عائشةَ أحمد (٢٤٢٨٣) و(٢٤٦٦٣)، وابن حبان (٣١١٢) وغيرهما، وإسناده صحيح.

(٤) في (ز) و(ش١) و(غ) و(ي): كُبَيشة، والمثبت من (ت) و(ص) و(م)، وهو الصواب، ولم يُختلَف في اسمها.

الحارث بن الخَزرَج:

ويــلُ أمِّ ســعدٍ ســعدا صَـــــرَامةً وحَـــــدّا

وسُـــــودَداً ومَجْـــــدا وفارســـــاً مُعَـــــدّا

سُـــــدَّ بـــــه مَسَـــــدّا[1]

قال: يقول رسولُ الله ﷺ: «كلُّ نائحةٍ تَكذِبُ إلَّا نائحةَ سعدِ بن مُعاذٍ»[2].

قال ابن إسحاق: ولم يُستَشهَدْ من المسلمين يومَ الخندق إلّا ستّةُ نَفَرٍ:

من بني عبد الأَشهَل: سعدُ بن معاذٍ، وأنسُ بن أَوس بن عَتِيك بن عمرو، وعبدُالله ابن سَهْل؛ ثلاثةُ نفرٍ.

ومن بني جُشَمَ بن الخَزرَج، ثمّ من بني سَلِمةَ: الطُّفَيلُ بن النُّعمان، وثَعْلبةُ بن عَنَمة؛ رجلانِ.

ومن بني النَّجّار ثمّ من بني دينارٍ: كعبُ بن زيدٍ، أصابه سهمٌ غَرْبٌ فقتله.

قال ابن هشام: سهمُ غَرْبٍ وسهمٌ غَرْبٌ، بإضافةٍ وغير إضافة، وهو الّذي لا يُعرَفُ من أين جاءَ ولا مَن رَمَى به[3].

---

(١) زاد في نسخة (ش١): يَقُدُّ هاماً قَدّا. والقَدُّ: الشَّقّ. والهام: جمع هامة، وهو الرأس.

(٢) حديث قوي.

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٣٩٥ ضمن حديثٍ من طريق عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لَبِيد. وإسناده جيّد.

ورواه بنحوه ابن سعد ٣/ ٣٩٦ من طريق سعد بن إبراهيم الزهريّ، عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه. لكن شيخه فيه هو الواقديّ، وفيه مقال، والمحفوظ أنه عن سعد بن إبراهيم مرسلاً، وهو مخرَّج عند ابن سعد أيضاً ٣/ ٣٩٧.

(٣) تفسير ابن هشام هذا من (ش١)، وبعضه على حاشية (غ) دون نسبة لابن هشام.

وقُتِلَ من المشركين ثلاثةُ نَفَرٍ:

من بني عبد الدّار بن قُصَيّ: مُنبِّهُ بن عثمان بن عُبَيد بن السَّبّاق بن عبد الدّار، أصابه سهمٌ فمات منه بمكّة.

قال ابن هشام: هو عثمانُ بن أُميّة بن مُنبِّه بن عُبيد بن السَّبّاق.

قال ابن إسحاق: ومن بني مخزوم بن يَقَظةَ: نَوفَلُ بن عبد الله بن المغيرة؛ سألوا رسولَ الله ﷺ أن يَبيعَهم جسدَه ـ وكان اقتَحَمَ الخندقَ فتَورَّطَ فيه، فقُتِلَ، فغَلَبَ المسلمون على جسدِه ـ فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجَةَ لنا بجَسَدِه ولا ثَمَنِه»، فخَلَّى بينَهم وبينَه[1].

قال ابن هشام: أعطَوْا رسولَ الله ﷺ بجَسَدِه عشرةَ آلافِ درهمٍ فيما بَلَغَني عن الزُّهْريِّ[2].

قال ابن إسحاق: ومن بني عامر بن لُؤَيٍّ ثمّ من بني مالك بن حِسْلٍ: عمرُو بن عبدِ وَدٍّ، قتله عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه.

قال ابن هشام: وحدّثني الثِّقةُ، أنّه حُدِّث عن ابن شِهابٍ أنّه قال: قَتَلَ عليُّ بن أبي طالبٍ يومَئذٍ عمرَو بن عبدِ وَدٍّ وابنَه حِسْلَ بن عمرو.

---

(١) حديث محتمل للتحسين.

وقد أخرج معناه أحمد (٢٢٣٠) و(٢٤٤٢)، والترمذي (١٧١٥) من طريقين فيهما ضعفٌ عن الحكم بن عُتيبة، عن مِقسَم، عن ابن عباس. ولم يسمِّ الرجل المشرك.

وروي أيضاً من مرسل الزهري عند أبي إسحاق الفَزَاري في كتابه «السِّيَر» (٣٢)، فهذا مما يشهد لحديث ابن عباس.

(٢) هذا ضعيف لا يصحُّ لإعضاله بين ابن هشام والزهريِّ، ثم إن الفزاري في «سِيَره» (٣٢) لم يذكره فيما رواه عن الزهري.

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن عبدِ وَدٍّ، ويقال: عمرو بن عبدٍ.

قال ابن إسحاق: واستُشهِدَ يومَ بني قُرَيظة من المسلمين ثمّ من بني الحارث بن الخَزرَج:

خلّادُ بن سُوَيد بن ثَعْلبة بن عمرو، طُرِحَت عليه رَحاً، فشَدَخَتْه شَدْخاً شديداً، فزَعَمُوا أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ له لَأجْرَ شهيدَينِ»(١).

ومات أبو سِنان بن مِحصَن بن حُرْثانَ أخو بني أَسَد بن خُزَيمة، ورسولُ الله ﷺ مُحاصِرٌ بني قُرَيظة، فدُفِنَ في مقبرة بني قُرَيظة التي يَدفِنون فيها اليومَ، وإليه دَفَنُوا أمواتَهم في الإسلام.

ولمّا انصَرَفَ أهلُ الخندقِ عن الخندق، قال رسولُ الله ﷺ فيما بَلَغَني: «لن تَغزُوَكم قريشٌ بعدَ عامِكُم هذا، ولكنَّكم تَغزُونَهم»(٢)، فلم تَغزُهم قريشٌ بعدَ ذلك، وكان هو يَغزُوها حتّى فَتَحَ اللهُ عليه مكّةَ.

ما قيلَ من الشِّعر في أمر الخندق وبني قُرَيظة

وقال ضِرارُ بن الخَطّاب بن مِرْداسٍ أخو بني مُحارِب بن فِهْرٍ، في يوم الخندق:

---

(١) حديث ضعيف منكر.

وقد أخرجه أبو داود (٢٤٨٨) من طريق فَرَج بن فَضَالة، عن عبد الخبير بن قيس بن ثابت بن قيس بن شَمّاس، عن أبيه، عن جدّه. وهذا إسناد ضعيف لضعف فرج بن فضالة وعبد الخبير ونكارة حديثهما.

(٢) حديث صحيح.

وقد أخرجه بنحوه أحمد (١٨٣٠٨)، والبخاري (٤١٠٩) و(٤١١٠) من حديث سليمان بن صُرَدٍ قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول حين أَجلى الأحزابُ عنه: «الآنَ نَغزُوهم ولا يَغزُونَنا، نحن نسيرُ إليهم».

ومُشـفِقةٍ تَظُـنُّ بنـا الظُّنونـا ... وقـد قُـدْنا عَرَندَسـةً طَحُونـا[1]

كـأنَّ زُهاءَهـا أُحُـدٌ إذا مـا ... بَـدَت أركانُـه للنّاظِرينـا[2]

تَـرَى الأبـدانَ فيهـا مُسبَغاتٍ ... على الأبطالِ واليَلَبَ الحَصِينا[3]

وجُـرْداً كالقِـدَاحِ مُسـوَّماتٍ ... نَـؤُمُّ بهـا الغُـواةَ الخاطئِينـا[4]

كـأنّهمُ إذا صـالُوا وصُـلْنا ... بباب الخَنـدقَينِ مُصـافِحونا[5]

أُنـاسٌ لا تَـرَى فـيهم رَشِـيداً ... وقـد قـالوا: ألَسْـنا راشِـدِينا

فأحجَرْنـاهمُ شـهراً كَرِيتـاً ... وكُنّـا فـوقَهمْ كالقاهِرينـا[6]

نُـراوِحُهم ونَغـدُو كـلَّ يـومٍ ... علـيهمْ في السّـلاح مُـدَجَّجينا[7]

بأَيـدينا صَـوارِمُ مُرهَفـاتٌ ... نَقُـدُّ بهـا المَفـارِقَ والشُّـؤُونا[8]

---

(١) العَرندَسة: الشديدة القوّة، يريد: كتيبةً من الخيل. والطَّحون: التي تطحن كلَّ ما مرت به.

(٢) كأنّ زُهاءها، أي: تقدير عددها. وأركانه: جوانبه وأطرافه.

(٣) الأبدان هنا: الدروع. ومسبغات: كاملة وافية. واليَلَب: التروس من الحديد، واحدها: يَلَبَة، والأَلَبة لغةٌ فيها.

(٤) الجُرْد: الخيل العِتاق. والقِداح: السِّهام. ومسوَّمات: مُرسَلات أو مُعلَمات، ويقال: هي الغالية الأثمان. ونؤمّ: نَقصِد.

(٥) صال، أي: وَثَبَ للقتال. والمصافحة: أخذ الرجل بيد الرجل عند السلام، يريد قربَ الفريقين من بعضهما.

(٦) أحجرناهم: حصرناهم. وشهراً كَرِيتاً، أي: تامّاً كاملاً.

(٧) المدجَّج: الكامل السلاح.

(٨) الصوارم: السيوف. ومُرهَفات، أي: قاطعة. ونقدُّ، أي: نقطع. والمَفارق: جمع مَفرِق، وهو حيث يتفرّق الشَّعر في أعلى الجبهة. والشؤون هنا: مجتمع العِظام في أعلى الرأس.

كـــأنّ وَمِيضَـــهُنّ مُعرَّيـــاتٍ إذا لاحَـــتْ بأيـــدي مُصـــلِتِينا[1]

وَمِـيضُ عَقيقـةٍ لَمَعَـت بلَيـلٍ تَـرَى فيهـا العَقـائقَ مُسـتَبِينا[2]

فلـــولا خنـــدقٌ كـــانوا لَدَيـــهِ لَـــدَمَّرنا علـــيهم أجمَعِينـــا

ولكـــنْ حـــالَ دُونَهـــمُ وكـــانوا بـــه مـــن خَوفِنـــا مُتَعوِّذينـــا

فـــإنْ نَرحَـــلْ فإنّـــا قـــد تَرَكْنـــا لَـــدَى أبيـــاتِكمْ ســـعداً رَهِينـــا

إذا جَـنَّ الظّـلامُ سـمعتَ نَوحـاً علـى سـعدٍ يُـرَجِّعنَ الحَنِينـا[3]

وسـوفَ نَـزورُكم عمَّـا قريـبٍ كمـــا زُرْنـــاكمُ مُتَوازِرينـــا[4]

بجَمْـعٍ مـن كِنانـةَ غيـرِ عُـزْلٍ كأُسدِ الغابِ قد حَمَتِ العَرِينا[5]

فأجابه كعبُ بن مالكٍ أخو بني سَلِمةَ فقال:

وســـائلةٍ تُســـائلُ مـــا لَقِينـــا ولـــو شَـــهِدَت رَأَتنـــا صـــابِرِينا

صَـــبَرْنا لا نَـــرَى لله عِـــدْلاً علـــى مـــا نابَنـــا مُتَوكِّلِينـــا[6]

وكـان لنـا النبـيُّ وَزِيـرَ صِـدقٍ بـــه نَعلُـــو البَريَّـــةَ أجمَعِينـــا

نُقاتِـلُ مَعشَـراً ظَلَمـوا وعَقُّـوا وكـــانوا بالعَـــداوةِ مُرصِـــدِينا[7]

---

(١) الوميض: اللمعان. والمُصلِت: الذي جرَّد سيفه وعرَّاه من غِمْده.

(٢) العقيقة هنا: السحابة التي تنشقُّ عن البرق.

(٣) النَّوح والنَّوحى: جماعة النساء اللاتي يَنُحن، أي: يبكين بصوت.

(٤) متوازرين، أي: متعاونين.

(٥) العُزْل: هم الذين لا سلاح معهم، الواحد: أعزل. والغاب: جمع غابةٍ. والعَرين: موضع إقامة الأَسد.

(٦) العِدل: المِثْل والنَّظير. وما نابَنا، أي: ما أصابنا وحلَّ بنا من شدّة.

(٧) المُرصِد: المعدُّ للأمر عُدّته.

نُعـاجِلُهم إذا نَهَضُـوا إلينـا ... بضـربٍ يُعجِـلُ المُتَسـرِّعينا

تَرانـا في فَضـافِضَ سـابغاتٍ ... كغُـدْرانِ المَـلَا مُتَسَـربِلينا[1]

وفي أَيمانِنـا بِـيضٌ خِفـافٌ ... بهـا نَشْـفي مِـرَاحَ الشّـاغِبينا[2]

بباب الخنـدقَينِ كـأنَّ أُسْـداً ... شـوابِكُهنَّ يَحمِـينَ العَرِينـا[3]

فوارسُـنا إذا بَكَـروا وراحُـوا ... على الأعـداءِ شُوسـاً مُعلِمِينـا[4]

لِنَنصُـرَ أحمـداً واللهَ حتّـى ... نكـونَ عِبادَ صِدقٍ مُخلِصـينا

ويَعلَمَ أهـلُ مكّـةَ حين ساروا ... وأحـزابٌ أتَـوْا مُتَحزِّبينـا

بـأنَّ الله لـيس لـه شـريكٌ ... وأنَّ الله مَـوْلى المُؤمِنينـا

فإمّـا تَقتُلـوا سـعداً سَـفَاهاً ... فـإنّ الله خيـرُ القادِرينـا

سـيُدخِلُه جِنانـاً طيِّبـاتٍ ... تكـون مُقامـةً للصّـالِحينا

كمـا قـد رَدَّكـم فَـلّاً شَـرِيداً ... بغَـيظِكُمُ خَزَايـا خائبِينـا[5]

خَزَايـا لـم تَنـالُوا ثَـمَّ خيـراً ... وكِـدتُمْ أن تكونـوا دامِرِينـا[6]

بـريحٍ عاصـفٍ هَبَّـت عليكمْ ... فكنـتُمْ تحتَهـا مُتَكمِّهِينـا[7]

---

(١) المَلَا: المتَّسع من الأرض. ومتسربلون: لابسون للدُّروع. وشبَّه لمعان دروعهم بلمعان المياه في الغُدران.

(٢) أراد بالبِيض: السيوف. والمِراح: النَّشاط والحركة.

(٣) الشوابك: التي تتشبّث بما تأخذ فلا يفلت منها.

(٤) الشُّوس: جمع أَشوَس، وهو الذي ينظر نظر المتكبِّر بمُؤخِر عينه. والمُعلِم: الذي أعلَمَ نفسه بعلامة في الحرب ليشتهر بها.

(٥) الفلُّ: القوم المنهزمون. والشَّريد: الطّريد.

(٦) دامرين: هالكين، من الدَّمار.

(٧) العاصف: الريح الشديدة. والمتكمِّه: الأعمى الذي لا يُبصِر، شبَّههم هنا بالعُمْي.

وقال عبدُ الله بن الزِّبَعرَى السَّهْميّ في يوم الخندق:

حَيِّ الدِّيارَ مَحَا معارفَ رَسْمِها ... طولُ البِلَى وتَراوُحُ الأَحقابِ[1]

فكأنّما كَتَبَ اليهودُ رُسومَها ... إلّا الكَنِيفَ ومَعقِدَ الأَطنابِ[2]

قَفْراً كأنّك لم تَكُن تَلهُو بها ... في نَعْمةٍ بأوانِسٍ أَتْرابِ[3]

فاترُكْ تذكُّرَ ما مضى من عِيشةٍ ... ومَحَلّةٍ خَلَقِ المُقامِ يَبَابِ[4]

واذكُرْ بَلاءَ معاشرٍ واشكُرهمُ ... سارُوا بأجمَعِهم من الأنصابِ[5]

أنصابِ مكّةَ عامِدِينَ ليَثْرِبٍ ... في ذي غَياطَلَ جَحفَلٍ جَبْجابِ[6]

يَدَعُ الحَزُونَ مَناهجاً معلومةً ... في كلِّ نَشْزٍ ظاهرٍ وشِعابِ[7]

فيه الجِيادُ شَوازِبٌ مجنوبةٌ ... قُبُّ البُطونِ لواحِقُ الأقرابِ[8]

---

(١) الرَّسم: الأثر. والأحقاب: جمع حُقْب، وهو الدَّهر.

(٢) الكَنيف: الحظيرة تُصنَع للإبل، وسُمّي كنيفاً، لأنه يَكنُفها، أي: يسترها. والأطناب: الحبال التي تُشدُّ بها الأخبية وبيوت العرب. ويريد بمَعقِدها: الأوتاد التي تُربَط بها.

(٣) القَفْر: الأرض الخالية من السكّان. والأوانس: جمع آنسةٍ، وهي الجارية الطيّبة النفس، تحب قُربَك وحديثك. والأتراب: جمع تِرْب، وهنَّ المتساويات في السنّ.

(٤) خَلَقُ المقام: يريد أن محلَّ إقامتهم بالٍ مُهمَل. واليَباب: القَفْر.

(٥) الأنصاب هنا: الحجارة التي يُعلَم بها حرم مكّة، يريد أهلها من قريش وأحلافهم فيها.

(٦) يريد بذي غياطل: جيشاً كثير الأصوات، والغياطل: جمع غَيطَلة، وهي الصوت هنا. وجحفل: جيش. وجبجاب: كثير.

(٧) الحَزون: جمع حَزْن، وهو ما ارتفع من الأرض. والمناهج: جمع مَنهَج، وهو الطريق البيِّن الواضح. والنَّشْز: المرتفِع من الأرض، ويقال فيه: نشرٌ أيضاً، بالراء. والشِّعاب: جمع شِعْب، وهو الطريق المنخفض بين جبلين.

(٨) الشوازب: الضامرة البطون. والمجنوبة: المُقادَة بجانب الإبل ليس عليها أحد راكبها. =

مـن كـلِّ سَـلْهَبةٍ وأجـرَدَ سَـلْهبٍ ... كالسِّـيدِ بـادَرَ غَفْلَـةَ الرُّقّـابِ[1]

جـيشٌ عُيَينـةُ قاصِـدٌ بلِوائِـهِ ... فيـه وصَـخرٌ قائـدُ الأحـزابِ[2]

قَرْمـانِ كالبـدرَينِ أصـبَحَ فيهمـا ... غَيـثُ الفقيـرِ ومَعقِـلُ الهُـرّابِ[3]

حتّـى إذا وَرَدُوا المدينـةَ وارتَـدَوْا ... للمـوتِ كـلَّ مُجـرَّبٍ قَضّـابِ[4]

شـهراً وعَشـراً قـاهرينَ محمّـداً ... وصِحابُه في الحربِ خيرُ صِحابِ

نـادَوْا بـرِحْلتِهِمْ صَـبيحةَ قلـتمُ ... كِـدْنا نكـونُ بهـا مـع الخُيّـابِ

لولا الخنادقُ غـادَرُوا مـن جَمعِهِـمْ ... قَتْلـى لطَيـرٍ سُـغَّبٍ وذئـابِ[5]

فأجابه حسّانُ بن ثابتٍ فقال[6]:

هـل رَسْـمُ دارسـةِ المُقـامِ يَبـابِ ... مـتكلِّمٌ لمُحـاوِرٍ بجَـوابِ[7]

قَفْـرٌ عَفَـا رِهَـمُ السَّحابِ رُسومَه ... وهُبـوبُ كـلِّ مُطِلّـةٍ مِرْبـابِ[8]

= وقَبُّ البطون: ضامرة، ولواحق: ضامرة أيضاً. والأقراب: جمع قُرْبٍ، وهي الخاصرة وما يليها.

(١) السَّلْهب من الخيل: ما عَظُمَ وطالت عظامه. والسِّيد: الذئب.

(٢) عيينة: هو ابن حِصن الفَزَاري، قائد غطفان. وصخر: هو ابن حرب أبو سفيان، قائد قريش وأحلافها.

(٣) قرمانِ، أي: فحلان سيِّدان. ومعقل الهرّاب: ملجؤهم.

(٤) ارتَدَوا: تقلَّدوا. وكل مجرَّب، أي: كل سيف قد جُرّب. والقضّاب: القاطع.

(٥) سُغَّب، أي: جائعة.

(٦) انظر «ديوانه» ١/ ٨٠.

(٧) دارسة: مندثرة. والمُحاور: الذي يراجعك ويتكلّم معك.

(٨) عفا، أي: تغيَّر واندثر. والرِّهَم: جمع رِهْمة، وهو المطر. ومُطلّة: مُشرِفة، يعني الريح. ومِرباب: دائمة ثابتة.

ولقد رأيتُ بها الحُلولَ يَزِينُهم ... بِيضُ الوجوهِ ثواقبُ الأحسابِ[1]

فدَعِ الدِّيارَ وذِكرَ كلِّ خَريدةٍ ... بيضاءَ آنِسةِ الحديثِ كَعَابِ[2]

واشكُ الهمومَ إلى الإلٰهِ وما تَرَى ... من مَعشَرٍ ظَلَموا الرسولَ غِضابِ

ساروا بجَمعِهِمِ إليه وألَّبوا ... أهلَ القُرَى وبَواديَ الأعرابِ[3]

جيشٌ عُيَينةُ وابنُ حَربٍ فيهمِ ... مُتخمِّطون بحَلْبةِ الأحزابِ[4]

حتّى إذا وَرَدُوا المدينةَ وارتَجَوْا ... قَتْلَ الرّسولِ ومَغنَمَ الأسلابِ[5]

وغَدَوْا علينا قادِرينَ بأَيْدِهِمْ ... رُدُّوا بغَيظِهِم على الأعقابِ[6]

بهُبوبِ مُعصِفةٍ تُفرِّقُ جَمْعَهمْ ... وجنودِ ربِّكَ سيِّدِ الأربابِ[7]

فكَفَى الإلٰهُ المؤمنينَ قتالَهمْ ... وأثابَهم في الأجرِ خيرَ ثوابِ

من بعدِ ما قَنَطُوا ففَرَّقَ جَمْعَهمْ ... تنزيلُ نَصْرِ مَليكِنا الوهّابِ

وأقَرَّ عَيْنَ محمّدٍ وصِحابِهِ ... وأذلَّ كلَّ مُكذِّبٍ مُرتابِ

عاتي الفُؤادِ مُوقِّعٍ ذي رِيبةٍ ... في الكفرِ ليس بطاهرِ الأثوابِ[8]

---

(١) الحلول: البيوت المجتمعة. وثواقب: مُشرِقة، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾.

(٢) الخريدة: المرأة الناعمة. والكَعَاب: التي نهد ثديها في أول ما ينهد.

(٣) ألَّبوا: جمعوا.

(٤) متخمّطون (وفي غ: متخمِّطين، بالنصب على الحال) أي: مختلطون، ويقال: المتخمِّط: الشديد الغضب المتكبِّر، قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٣١٣. والحَلْبة: جماعة الخيل التي تُعدّ للسباق.

(٥) الأسلاب: جمع السَّلَب، وهو ما يؤخذ عن القتيل من سلاح ومتاع.

(٦) الأَيْد: القوّة.

(٧) المُعصِفة: الريح الشديدة.

(٨) عاتي الفؤاد: قاسيه. وموقِّع: ذو عيب، وأصله من التوقيع في ظهر الدابّة، وهو انسلاخ =

عَلِـقَ الشَّـقاءُ بقَلبِـه ففُـؤادُه[1] في الكفـرِ آخـرَ هـذه الأحقـابِ

وأجابه كعبُ بن مالكٍ أيضاً فقال:

أبقَـى لنـا حَـدَثُ الحُـروبِ بقيّـةً مـن خيـرِ نِحْلـةِ ربِّنـا الوهّـابِ[2]

بيضـاءَ مُشـرِفةَ الـذُّرَى ومَعاطِنـاً حُـمَّ الجُـذوعِ غَزيـرةَ الأحـلابِ[3]

كـاللُّوبِ يُبـذَلُ جَمُّهـا وحَفِيلُهـا للجـارِ وابـنِ العـمِّ والمُنتـابِ[4]

ونَزائعـاً مِثـلَ السِّـراحِ نَمَـى بهـا عَلَـفُ الشّـعيرِ وجِـزّةُ المِقضـابِ[5]

عَرِيَ الشَّوَى منها وأردَفَ نَحْضُها جُـرْدَ المتـونِ وسـارَ في الآرابِ[6]

= يكون فيه.

(١) في «الديوان»: فأَرانَه، من الرَّين، وهو ما غطَّى القلب وركبه من القسوة للذَّنب بعد الذَّنب. والأحقاب: جمع الحُقُب، وهو الدَّهر.

(٢) النِّحلة: العطاء.

(٣) الذُّرى: الأعالي، ويعني بها حصون المدينة. وأراد بالمعاطن هنا: منابت النخل عند الماء، تشبيهاً لها بمعاطن الإبل، وهي مَباركُها حول الماء.

وقوله: حُمَّ الجذوع، وصفها بالحُمّة ـ وهي السواد ـ لأنها تضرب إلى السواد من الخضرة والنعمة، وشبَّه ما يُجتَنى منها بالحَلَب، فقال: غزيرة الأحلاب.

(٤) اللُّوب: جمع لُوبةٍ، وهي الحَرّة، وهي أرض ذات حجارة سود. وجمُّها وحفيلها: ما اجتمع من لبنها. والمنتاب: القاصد الزائر.

(٥) النزائع: الخيل العربية التي حُملت من أرضها إلى غيرها، وقيل: التي نُزِعت من الأعداء. والسِّراح: الذئاب، الواحد: سِرْحان. وجِزّة المِقضاب، أي: ما يُجَزُّ لها من النبات فتَطعَمُه. والمِقضاب: من القَضْب، وهو القَطْع.

(٦) الشَّوى: القوائم. والنَّحض: اللحم، وكأنه عنى بقوله: أردف نحضُها، أن لحمها قد تجمّع واكتنز. وجُرْد المتون: مُلْس الظهور. والآراب: المفاصل والأعضاء، واحدها: إِرْب.

قُوداً تَراحُ إلى الصِّياح إذ غَدَتْ ... فِعلَ الضِّراءِ تَراحُ للكَلّابِ[1]

وتَحُوطُ سائمةَ الدِّيارِ وتارةً ... تُرْدي العِدَا وتَؤُوبُ بالأسلابِ[2]

حُوشَ الوُحوشِ مُطارَةً عند الوَغَى ... عُبُسَ اللّقاءِ مُبِينةَ الإنجابِ[3]

عُلِفَت على دَعَةٍ فصارت بُدَّناً ... دُخُسَ البَضيعِ خفيفةَ الأقصابِ[4]

يَغْدُونَ بالزَّغَفِ المُضاعَفِ شَكُّه ... وبمُتْرَصاتٍ في الثِّقافِ صِيَابِ[5]

وصَوارمٍ نَزَعَ الصَّياقلُ غُلْبَها ... وبكلِّ أروعَ ماجدِ الأنسابِ[6]

يَصِلُ اليمينَ بمارِنٍ مُتقارِبٍ ... وُكِلَت وَقِيعتُه إلى خَبّابِ[7]

وأغَرَّ أزرَقَ في القَناةِ كأنّه ... في طُخْيةِ الظّلماءِ ضَوءُ شِهابِ[8]

---

(١) القُود: طوال الأعناق، الواحد: أَقوَدُ وقَوْداء. وتَرَاح: تَنشَط. والضِّراء: الكلاب الضارية في الصيد، أي: المتعوِّدة به. والكَلّاب: الصائد صاحب الكِلاب.

(٢) السائمة: الماشية المرسلة في المرعى، إبلاً كانت أو غيرها. وتُردي: تُهلِك. وتؤوب بالأسلاب: ترجع بالغنائم.

(٣) الحُوش: النافرة. والمُطارة: الخفيفة السريعة الحركة. والوغى: الحرب، والإنجاب، أي: كريمة عتيقة النسب.

(٤) البُدَّن: السِّمان. ودُخُس البضيع: كثيرة اللحم. والأقصاب: الأمعاء، الواحد: قُصْب، يريد أنها مع اكتنازها باللحم بطُونها ضامرة، وهذا من صفة جياد الخيل.

(٥) الزَّغَف: الدروع الليّنة. وشكّها: نسجها. والمُترَصات: الرماح المحكمة التثقيف. والثِّقاف: الخشبة التي تُقوَّم بها الرماح والسهام. وصياب: صائبة.

(٦) الصوارم: السيوف القاطعة. وغُلْبها: خشونتها وما عليها من الصدأ. والأَروع: الذي يَرُوع بكماله وجماله. والماجد: الشريف.

(٧) المارن: الرمح الليّن. ووقيعته: صَنْعته وصقله. وخباب: اسم حدّاد.

(٨) يعني بالأغر الأزرق: سنان الرمح، والقناة: الرّمح. والطُّخية: شدّة السواد.

وكَتيبـةٍ يَنفـي القِـرانَ قَتِيرُهـا ... وتَـرُدُّ حَـدَّ قَـواحزِ النُّشّـابِ[1]

جَـأْوَى مُلَملَمـةٍ كـأنّ رِماحَهـا ... في كـلِّ مَجمَعـةٍ صَـرِيمةُ غـابِ[2]

تـأوي إلـى ظِـلِّ اللّـواءِ كأنّـه ... في صَـعْدةِ الخَطِّـيِّ فَـيْءُ عُقَـابِ[3]

أعيَـتْ أبـا كَـرِبٍ وأعيَـتْ تُبَّعـاً ... وأبَـتْ بَسَـالتُها علـى الأعـرابِ[4]

ومـواعظٌ مـن ربِّنـا نُهـدَى بهـا ... بلسـانِ أزهَـرَ طيِّـبِ الأثـوابِ[5]

عُرِضَـت علينـا فاشـتَهَينا ذِكرَهـا ... من بعدِ ما عُرِضَت على الأحزابِ

حِكَماً يَراها المجرمونَ بـزَعمِهِمْ ... حَرَجـاً ويَفهَمُهـا ذَوُو الألبـابِ[6]

جـاءَت سَـخِينةُ كَـيْ تُغالـبَ ربَّهـا ... فلَيُغلَـبَنَّ مُغالِـبُ الغَـلّابِ[7]

---

(١) القِران: تقارن النَّبل واجتماعه. والقتير: مسامير حَلَق الدرع، ويريد الدروع. وقواحز النُّشاب: النِّبال التي تصيب الأفخاذ، والقحز: الوَثْب.

(٢) جأوى، الأصل فيه المد: جأواء، وقُصِر للضرورة: وهي الكتيبة التي لونها بين السَّواد والحُمرة من كثرة السلاح فيها. وململمة: مجتمعة.

وقوله: صريمة غاب، هكذا في نسخنا الخطية بالصاد، أي: كأن هذه الرماح قطعة ضخمة من غابة، وقد قيّدها في (ش١) بالصاد والضاد معاً، والضريمة: اللهب المتوقد. والغاب: الشجر الكثيف.

(٣) الصَّعدة: عصا الرمح المستوية. والخَطِّيُّ: الرماح، نسبة إلى الخطِّ، وهو موضع تقدم التعريف به ٢/ ٤٨١. والفَيء: الظِّل. والعُقاب: طائر من الطيور الجوارح كالصقر.

(٤) أبو كرب وتبّع: ملكان من ملوك اليمن. وبسالتها: شدّتها؛ يريد المدينة وأهلها.

(٥) الأزهر: الأبيض؛ يريد النبيَّ ﷺ.

(٦) حرجاً، أي: شديدة عصيّة على الفهم. والألباب: العقول.

(٧) سخينةُ: لقب قريش في الجاهلية، وذكروا أن قُصيّاً كان إذا ذبح ذبيحةً أو نحر نحيرة بمكة، أتى بعَجُزِها فصنع منه خَزِيرة - وهو لحم يطبخ ببُرٍّ - فيطعمه الناس، فسُمِّيَت قريش بها سَخِينةَ، وقيل: إن العرب كانوا إذا أسنَتوا أكلوا العِلهِز، وهو الوَبَر والدم، وتأكل قريش =

قال ابن هشام: حدّثني مَن أثِقُ به قال: حدّثني عبدُ الملك بن يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير قال: لمّا قال كعبُ بن مالكٍ:

جاءَت سَخِينةُ كَيْ تُغالبَ ربَّها ... فلَيُغلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلّابِ

قال له رسول الله ﷺ: «لقد شَكَرَكَ اللهُ يا كعبُ على قولِكَ هذا»(١).

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالكٍ في يوم الخندق:

مَن سَرَّه ضربٌ يُمَعمِعُ بعضُهُ ... بعضاً كمَعمَعةِ الأَبَاءِ المُحرَقِ(٢)

فليأْتِ مَأسَدةً تَسُنُّ سُيوفَها ... بين المَذَادِ وبين جِزْعِ الخندقِ(٣)

دَرِبوا بضربِ المُعلِمينَ وأسلَموا ... مُهَجاتِ أنفُسِهم لربِّ المَشرقِ(٤)

في عُصبةٍ نَصَرَ الإلٰهُ نبيَّهُ ... بهِمِ وكان بعبدِه ذا مَرفِقِ(٥)

= الخزيرةَ، فنَفَسَت عليهم ذلك، فلقَّبوهم سَخِينةَ، ولم تكن قريش تكره هذا اللقب. انظر «الروض الأنف» ٦/ ٣٧٣.

(١) إسناده ضعيف لإبهام الراوي بين ابن هشام وعبد الملك بن يحيى، ثم إن عبد الملك هذا قد أرسله، وهو مجهول الحال في الرواية وإن كان معروف النسب، فهو من سادات قريش وذوي الفضل منهم، وانظر ترجمته في «تاريخ بغداد» للخطيب ١٢/ ١٥٣.

(٢) المعمعة: صوت الحريق في القَصَب ونحوه، وصوت الأبطال في الحرب. والأَباء: القَصَب، ويقال: الأغصان الملتفّة.

(٣) المأسدة: موضع الأسود، ويعني بها هنا موضع الحرب، وقال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٣٧٤: ويجوز أن يكون مَأسَدة جمع أَسد، كما قالوا: مَشْيَخة.

والمَذَاد: موضع قريب من الخندق. وجِزْع الخندق: جانبه.

(٤) دَرِبوا: حَذِقوا وتمرّنوا. والمُعلِمون: الذين يُعلِمون أنفسهم في الحرب بعلامة يُعرَفون بها. والمُهَجات: الأنفُس، الواحدة: مُهْجة.

(٥) العصبة: الجماعة. والمَرفِق: الرِّفق.

في كـــلِّ ســـابغةٍ تَخُـــطُّ فُضـــولُها ... كـــالنِّهْيِ هَبَّـــت ريحُـــه المُتـــرَقرِقِ[1]

بَيضـــاءَ مُحكَمـــةٍ كـــأنّ قَتيرَهـــا ... حَـــدَقُ الجَنـــادِبِ ذاتُ شَـــكٍّ مُوثَـــقِ[2]

جَـــدْلاءَ يَحفِزُهـــا نِجـــادُ مُهنَّـــدٍ ... صـــافي الحَديـــدةِ صـــارمٍ ذي رَونَـــقِ[3]

تِلكـــمْ مـــع التّقـــوَى تكـــون لباسَـــنا ... يـــومَ الهِيـــاجِ وكـــلَّ ســـاعةِ مَصـــدَقِ

نَصِـــلُ السّـــيوفَ إذا قَصُـــرنَ بخَطْوِنـــا ... قُـــدُماً، ونُلحِقُهـــا إذا لـــم تَلحَـــقِ[4]

فتَـــرَى الجمـــاجمَ ضـــاحياً هاماتُهـــا ... بَلْـــهَ الأكُـــفِّ كأنّهـــا لـــم تُخلَـــقِ[5]

نَلقَـــى العـــدوَّ بفَخْمـــةٍ ملمومـــةٍ ... تَنفي الجُموعَ كقَصْدِ رأسِ المُشرِقِ[6]

---

(١) السابغة: الدرع الكاملة. وتخطّ فضولُها، أي: ينجرُّ على الأرض ما فَضَلَ منها. والنِّهي: الغدير من الماء. والمترقرق: صفة له، وهو الذي تَصفِقه الريح فيجيء ويذهب.

(٢) القَتير: مسامير الدروع. والجنادب: ذكور الجراد. والشَّكّ: إحكام سَرْد الدرع، وهو متابعة نسج حلق الدّرع وموالاته شيئاً فشيئاً حتى تتناسق.

(٣) الجدلاء: الدرع المحكمة النَّسج. ويحفزها: يرفعها ويشمّرها. والنِّجاد: حمائل السيف. والمهنَّد: السيف. وصارم: قاطع. والرَّونق: اللَّمَعان.

(٤) قُدُماً، أي: نتقدم ونمضي إلى الأمام جرأةً وجسارةً. ونُلحقها، أي: نُلحِق سيوفنا بأعدائنا. وهذا البيت ـ فيما قيل ـ أشجع بيتٍ قالته العرب، انظر «ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري ١/ ١١٥.

(٥) ضاحياً: بارزاً للشمس. والهامات: جمع هامَة، وهي الرأس.

وقوله: بَلْهَ الأكفِّ، قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٦/ ٣٧٦: بخفض الأكفِّ هو الوجه، وقد روي بالنصب، لأنه مفعولٌ، أي: دعِ الأكفَّ... و«بَلْهَ» كلمةٌ بمعنى: دَعْ، وهي من المصادر المضافة إلى ما بعدها، وهي عندي من لفظ البَلَه والتبالُه، وهو من الغفلة، لأن مَن غَفَلَ عن الشيء تَرَكَه ولم يسأل عنه، وكذلك قوله: بلهَ الأكفّ، أي: لا تسأل عن الأكفّ إذا كانت الجماجم ضاحيةً مقطَّعة.

(٦) يريد بالفخمة: الكتيبةَ، أو الجيش العظيم، من الفخامة. والملمومة: المجتمعة. وتنفي =

ونُعِـــدُّ للأعـــداءِ كـــلَّ مُقلِّـــصٍ ... وَرْدٍ ومَحجُـــولِ القـــوائمِ أبلَـــقِ[1]

تَـــرْدِي بفُرســـانٍ كـــأنّ كُماتَهم ... عنـــد الهيـــاجِ أُســـودُ طَـــلٍّ مُلثِـــقِ[2]

صُـــدُقٌ يُعـــاطُونَ الكُمـــاةَ حُتـــوفَهم ... تحـــت العَمايـــةِ بالوَشـــيجِ المُزهِـــقِ[3]

أمَـــرَ الإلٰـــهُ برَبطِهـــا لعـــدوِّهِ ... في الحـــربِ إنَّ الله خيـــرُ مُوفِّـــقِ

لتكـــونَ غَيظـــاً للعـــدوِّ وحَيِّطـــاً ... للـــدّارِ إن دَلَفَـــت خيـــولُ النُّـــزَّقِ[4]

ويعينُنـــا اللهُ العزيـــزُ بقـــوّةٍ ... منـــه وصِـــدْقِ الصّبـــرِ ساعةَ نَلتَقـــي

ونُطيـــعُ أمـــرَ نبيِّنـــا ونُجيبُـــه ... وإذا دعـــا لكريهـــةٍ لـــم نُســـبَقِ

ومتـــى يُنـــادِ إلـــى الشّـــدائدِ نأتِهـــا ... ومتـــى نَـــرَ الحَوْمـــاتِ فيهـــا نُعنِـــقِ[5]

مَـــن يَتَّبِـــعْ قـــولَ النبـــيِّ فإنّـــه ... فينـــا مُطـــاعُ الأمـــرِ حـــقٌّ مُصـــدَّقِ

= الجموع، أي: تفرّقها.

والمُشرِق: هكذا قُيِّد في نسخنا الخطية، وذكر ياقوت في «معجمه» ٥/ ١٣٣ بهذا الاسم جبلاً بناحية القَصيم من نجد، لكنه قيّده بفتح الميم في أوله. وسيأتي في آخر القصيدة عن ابن هشام: أن شيخه أبا زيد الأنصاريَّ رواه له: كرأس قُدْس المَشرِق، وهو ما صحّحه السهيليُّ فيه. وانظر تتمة الكلام عليه هناك.

(١) المقلِّص: الفرس الطويل القوائم المنضمّ البطن. والورد: الفرس الذي تضرب حُمرتُه إلى الصُّفرة. والمحجول: الفرس الذي ابيضَّت قوائمه. والأبلق: ما لونُه أسود وأبيض.

(٢) تَرْدي: تُسرِع. والكُماة: الشجعان. والهِياج: القتال في ساحة الحرب. والطَّلّ: الضعيف من المطر. والمُلثِق: ما يكون من الطل من زَلَقٍ وطينٍ، والأسود أجوع وأجرأ ما تكون في ذلك الحين.

(٣) يريد بالعَماية: سحابة الغبار وظلمته. والوشيج: الرّماح. والمُزهق: المُذهِب للنفوس.

(٤) حُيَّط: جمع حائط، وهو اسم الفاعل من حاط يحوط. ودَلَفَت: قَرُبَت. والنُّزَّق: جمع نازقٍ، وهو الغاضب السيّئُ الخلق.

(٥) الحومات: مواطن القتال، الواحدة: حَوْمة. ونُعنِق: نسرع.

فبـــذاكَ يَنصُـــرُنا ويُظهِـــرُ عِزَّنـــا ... ويصـــيبُنا مـــن نَيـــلِ ذاكَ بمَرفِـــقِ
إنَّ الـــذين يكـــذِّبون محمّـــداً ... كَفَـروا وضَـلُّوا عـن سـبيلِ المُتَّقـي

قال ابن هشام: أنشدني بيتَه: تِلكُم مع التّقوى تكون لباسَنا، وبيتَه: مَن يتّبعْ قولَ النبيِّ؛ أبو زيدٍ، وأنشدني: تَنفي الجُموعَ كرأس قُدْس المَشرِقِ[1].

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالكٍ في يوم الخندق:

لقـد عَلِـمَ الأحـزابُ حـين تـألَّبُوا ... علينـا ورامُـوا دينَنـا مـا نُـوادِعُ[2]
أَضامِيمُ من قيسِ بن عَيْلانَ أَصفَقَت ... وخِنـدِفُ لـم يَـدْرُوا بمـا هـو واقـعُ[3]
يَـذُودُونَنا عـن دينِنـا ونَـذُودُهم ... عـن الكفـرِ والـرَّحمنُ راءٍ وسـامعُ[4]

---

(١) وصحَّح السهيليُّ هذه الرواية، وقال: لأن قُدْس جبل معروف من ناحية المشرق.

وتعقَّبه عبد القادر البغدادي في «خزانة الأدب» ٦/ ٢٢٥ فقال: وظاهره أنه بفتح الميم، وقولُ الشامي (يعني الصالحي الشامي صاحب «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد»، والكلام المنقول فيه ٤/ ٤٢٠): المشرق نعتٌ لقُدْس بمعنى جبل؛ إشارةٌ إلى ضمَّة الميم، وهو اسم فاعلٍ من الإشراق، والظاهر أن هذا هو الجيّد، قال البكريُّ في «معجم ما استعجم» (٣/ ١٠٥٠): قُدْس بضم القاف وسكون الدال: من جبال تِهامة، وهو جبل العَرْج. (يعني أنه في جهة غرب المدينة وليس شرقها) ثم نقل البغداديُّ أيضاً عن غير واحد من البلدانيين كلامهم في مكانه، ثم قال: فظهر بهذا أنه ليس جبل في المَشرِق اسمه قُدْس، فالصواب ما قاله الشاميُّ.

قلنا: وجبل قُدْس هذا أو إدقس كما يعرف الآن، ويلقَّب بجبل عوف الأخضر، وهو من جبال الحجاز المرتفعة، يقع جنوب غرب المدينة على قرابة ١٠٠ كم.

(٢) تألَّبوا: تجمَّعوا. وما نوادع، أي: لا نصالح ولا نهادن.

(٣) أضاميم: جماعات انضمّ بعضها إلى بعض. وأصفقت: اجتمعت وتوافقت على الأمر. وخِندِفُ أمُّ أولاد الياس بن مضر، وقريشٌ منهم، وعَيلانُ والياسُ أخوان.

(٤) يذودوننا: يدفعوننا ويمنعوننا.

إذا غايَظُونـــا في مَقـــامٍ أعانَنـــا ... علـى غَـيظِهِمْ نصـرٌ مـن الله واسـعُ
وذلـــك حِفـــظُ الله فينـــا وفضـــلُه ... علينـا ومَـن لـم يَحفَـظِ اللهُ ضـائعُ
هَـدانا لـدينِ الحـقِّ واختـارَه لنـا ... ولله فـــوقَ الصّـــانعينَ صـــنائعُ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالكٍ في يوم الخندق:

ألا أبلِـــغْ قريشـــاً أنّ سَـــلْعاً ... ومـا بـين العُـرَيضِ إلـى الصِّـمادِ[1]
نواضـحُ في الحـروبِ مُـدرَّباتٌ ... وخُـوصٌ ثُقِّبَـت مـن عهـدِ عـادِ[2]
رَواكِـدُ يَزخَـرُ المَـرّارُ فيهـا ... فليسـت بالجِمَـامِ ولا الثِّمـادِ[3]

---

(١) سَلْع: جبل مشهور في المدينة. والعُرَيض: واد بالمدينة، وهو الآن حيٌّ معروف من أحياء شرقيّ المدينة المنوَّرة.

والصِّماد: جمع صَمْد، قال مؤرخ المدينة المنورة أبو الحسن السمهودي في «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» ٤/ ١٠٧: الصَّمْد: موضع بقُباء، وجَمَعه كعب بن مالك في شعره؛ وذكر له هذا البيت.

(٢) يعني بالنواضح: الإبل التي يُسقى عليها الماء. ومدرَّبات: جمع مدرَّبة، أي: قد أَلِفَت الركوب والسير، وتعوّدت المشي في الدروب فصارت تألفُها وتعرفها فلا تَنفِرُ منها. والخُوص: الآبار الضيقة، وثُقِّبت، أي: حُفِرَت.

(٣) رواكد: ثابتة دائمة. ويزخر: يعلو ويرتفع، يقال: زَخَر البحرُ والنهر، إذا ارتفع ماؤه وعلا.

والمَرّار: الماء الذي يمرُّ فيها، وهو هكذا براءين في (ش١) و(ط) و(غ) و(ف) و(ق٢)، وفي (ت) و(ش٢) و(ص) و(م) و(ي): تُزجَر المُرّان، والمُرّان: الرماح، إلا أنا لم نتبيَّن وجه الكلام ومعناه هنا.

والجِمَام: جمع جُمّة، وهو الماء الكثير المجتمع. والثِّماد: الماء القليل.

كـأنَّ الغـابَ والبَـرْديَّ فيهـا ... أجَـشُّ إذا تَبقَّـعَ للحَصـادِ[1]

ولـم نَجعَـلْ تِجارتَنـا اشـتراءَ الـ ... ـحَميـرِ لأرضِ دَوْسٍ أو مُـرادِ[2]

بـلادٌ لـم تُثَـرْ إلّا لكَيْمـا ... نُجالِـدُ إن نَشِـطتُم للجِـلادِ[3]

أثَرْنـا سِـكّةَ الأنبـاطِ فيهـا ... فلـم تَـرَ مِثلَهـا جَلَهـاتِ وادِ[4]

قَصَـرْنا كـلَّ ذي حُضْـرٍ وطَـوْلٍ ... علـى الغايـاتِ مُقتـدِرٍ جَـوادِ[5]

أَجيبونـا إلـى مـا نَجتَـدِيكُم ... مـن القـول المبـيَّنِ والسَّـدادِ[6]

وإلّا فاصـبِروا لجِـلادِ يـومٍ ... لكـم منّـا إلـى شَـطْرِ المَـذَادِ[7]

نُصبِّحُكم بكـلِّ أخـي حُـروبٍ ... وكـلِّ مُطهَّـمٍ سَـلِسِ القِيـادِ[8]

وكـلِّ طِمِـرَّةٍ خَفِـقٍ حَشَـاها ... تَـدِفُّ دَفِيـفَ صـفراءِ الجَـرادِ[9]

---

(١) الغاب: الشجر الملتفّ. والبَرْديّ: نبات ينبت في البِرَك تصنع منه الحُصُر الغِلاظ. وأجشُّ: عالي الصوت. وتبقَّع: صارت فيه بقع صُفر.

(٢) دوس ومراد: قبيلتان من اليمن. وهو هنا يفخر على قريشٍ بأن أهل المدينة اكتفوا بما فيها من خيراتٍ كثيرةٍ عن عناء التجارة إلى البلاد البعيدة.

(٣) لم تُثَر: لم تحرث.

(٤) السِّكة: الصف من النخل. والأنباط: قوم من العجم، يريد: حرثناها وغرسناها كما تفعل الأنباط في أمصارها لا نخاف عليها كيد كائدٍ. وجَلَهات الوادي: جمع جَلْهةٍ، وهو ما استقبلك من جانب الوادي إذا نظرتَ إليه من الجانب الآخر.

(٥) الحُضْر: الجري بين الخيل واشتداد الفرس في عَدْوه. والطَّول: الفضل. والغايات: جمع غاية، وهي حيث ينتهي طلقُ فرسه.

(٦) نجتديكم: نطلب منكم.

(٧) الشطر: الناحية. والمَذَاد: موضع قريب من الخندق.

(٨) المطهَّم: الفرس التامّ الخَلْق.

(٩) الطِّمِرّة: الفرس الخفيفة. وخَفِق، أي: مضطرب، يعني أنها سريعة. تدفُّ، أي: تطير =

وكـــلِّ مُقلَّـــصِ الآرابِ نَهْـــدٍ ... تَمـيمِ الخَلْـقِ مـن أُخُـرٍ وهـادِ[1]

خُيـولٌ لا تُضـاعُ إذا أُضِـيعَت ... خيـولُ النـاسِ في السَّـنةِ الجَمـادِ[2]

يُنـازِعنَ الأعِنّـةَ مُصـغِياتٍ ... إذا نـادى إلـى الفَـزَعِ المُنـادي[3]

إذا قالـت لنـا النُّـذُرُ: اسـتَعِدُّوا ... تَوكَّلْنـا علـى ربِّ العِبـادِ

وقلنـا: لـن يُفـرِّجَ مـا لَقِينـا ... سوى ضربِ القَوانِسِ والجهادِ[4]

فلـم تَـرَ عُصْـبةً فـيمن لَقِينـا ... مـن الأقـوام مـن قـارٍ وبـادِ[5]

أشـدَّ بَسـالةً منّـا إذا مـا ... أرَدْنـاه وألْـيَنَ في الـوِدادِ[6]

إذا مـا نحـنُ أشـرَجْنا عليهـا ... جيـادَ الجُـدْلِ في الأُرَبِ الشِّـدادِ[7]

قَـذَفْنا في السّـوابغِ كـلَّ صَـقرٍ ... كـريمٍ غيـرِ مُعتلِـثِ الزِّنـادِ[8]

= في جريها، يقال: دفَّ الطائرُ، إذا حرَّك جناحيه ليطير. وصفراء الجراد: الجراد التي ألقت بيضها، وهي أخفُّ طيراناً.

(١) المقلَّص: الفرس الطويل القوائم المنضمّ البطن. والآراب: الأعضاء والأطراف. والنَّهد: الغليظ. والهادي: العُنق، يريد أنه تامّ الخلق من مقدَّمه ومؤخَّره.

(٢) السَّنة الجماد: سنة القحط.

(٣) الأعنّة: جمع عِنان، وهو لجام الفرس. ومصغيات: مستمعات.

(٤) القوانس: جمع قَونَس، وهي الحديدة في أعلى الخُوذَة التي يلبسها المحارب على رأسه.

(٥) القارِي: من كان من أهل القُرى. والبادي: من كان من أهل البادية.

(٦) البسالة: الشدة والشجاعة.

(٧) أشرجنا: ربطنا. والجُدْل: جمع جَدْلاء، وهي الدرع المحكمة النَّسج.

والأُرَب: جمع أُرْبة، وهي العقدة الشديدة. وهي في (ت) و(ص) و(ط) و(ف) و(م): الأُزَب، بالزاي، جمع أَزْبة، وهي الشدة والقَحط. وقُيّدت في (ش١) بالراء والزاي معاً.

(٨) السوابغ: الدروع الطويلة الوافية.

وقوله: غير معتلِث الزِّناد، يعني: ليس بفاسد الأصل والنسب، وهو مجاز من قولهم: اعتَلَث =

أشَـــمَّ كأنّـــه أَســـدٌ عَبُـــوسٌ غَـداةَ نَـدًى بـبَطنِ الجِـزْعِ غـادِ[1]

يُغشِّـــي هامـــةَ البطـــلِ المُـذكِّي صَبِيَّ السّيفِ مُستَرْخي النِّجادِ[2]

لنُظهِـــرَ دينَـــكَ اللّهـــمَّ إنّـــا بكَفِّـكَ فاهْـدِنا سُـبُلَ الرَّشـادِ

قال ابن هشام: بيتُه: قَصَرْنا كلَّ ذي حُضرٍ وطَولٍ، والبيتُ الذي يتلوه، والبيتُ الثّالثُ منه، والبيتُ الرّابعُ منه، وبيتُه: أشَمَّ كأنّه أسدٌ عبوسٌ، والبيتُ الذي يتلوه؛ عن أبي زيدٍ الأنصاريِّ.

قال ابن إسحاق: وقال مُسافِعُ بن عبد مَنَاف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَحَ، يبكي عمرَو بن عبد وَدٍّ ويذكرُ قتلَ عليِّ بن أبي طالبٍ إيّاه:

عمـرُو بـن عبـدٍ كـان أوّلَ فـارسٍ جَـزَعَ المَـذادَ وكـان فـارسَ يَلْيَـلِ[3]

= الرجل زَنْداً، أخذه من شجر لا يدري أيُوقد أم لا، والزَّند: هو العود الذي تُقدَح به النار.

(١) الأشمّ: العزيز، وأصله من الشَّمَم: وهو ارتفاع قصبة الأنف.

ندًى: هكذا هو في نسخنا الخطية غير (ش١) و(غ) ففيهما: بَدَا، بمعنى: ظهر، وأما بالنون فقال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٢٠: من رواه بالنون فهو من النَّديّ: وهو المَجلِس. قلنا: وهذا المعنى غير واضح هنا، والصواب أنه من النَّدَى: وهو ارتفاع الصوت، يريد: كالأسد يزأر وهو يروح ويجئ في واديه.

والجِزْع: جانب الوادي وما انعطف منه.

(٢) يغشِّي هامةَ البطل، أي: يضرب رأسه. والمذكّي: الذي بلغ الغاية في القوة والشجاعة. وصبيُّ السيف: وسطه الحادّ. والنِّجاد: حمائل السيف، ومسترخيها: طويلها.

(٣) جَزَع: قطع. والمَذاد: موضع بقرب الخندق.

ويَليَل: موضع يعرف اليوم بوادي بدر، ولم يعد يعرف اسم يَليَل، وإنما نسبه هنا إلى هذا الوادي، لأن عمرو بن عبد ودٍّ فيما يبدو قاتل المسلمين في يوم بدرٍ فيه قتالاً شديداً حتى كثرت فيه الجِراح ذلك اليوم.

سَمْحُ الخلائقِ ماجدٌ ذو مِرّةٍ يَبْغي القتالَ بشِكّةٍ لم يَنكُلِ[1]
ولقد عَلِمتُم حين وَلَّوْا عنكمُ أنَّ ابنَ عبدٍ فيهمِ لم يَعجَلِ
حتّى تَكنَّفَه الكُماةُ وكلُّهمْ يَبْغي مَقاتِلَه وليس بمُؤتَلِ[2]
ولقد تَكنّفَتِ الأَسِنّةُ فارساً بجُنوبِ سَلْعٍ غيرَ نِكْسٍ أَميَلِ[3]
يَسَلُ النِّزالَ عليُّ فارسَ غالبٍ بجُنوبِ سَلْعٍ لَيتَهُ لم يَنزِلِ
فاذهَبْ عليُّ فما ظَفِرتَ بمِثلِه فخراً ولا لاقَيتَ مِثلَ المُعضِلِ[4]
نَفْسي الفِداءُ لفارسٍ من غالبٍ لاقَى حِمامَ الموتِ لم يَتحَلحَلِ[5]
أَعني الذي جَزَعَ المَذادَ بمُهرِه طَلَباً لثأرِ مَعاشرٍ لم يَخذُلِ

وقال مسافعٌ أيضاً يُؤنِّبُ فرسانَ عمرٍو الّذين كانوا معه فأَجلَوْا عنه وتركوه:

عمرُو بن عبدٍ والجيادُ يقودُها خيلٌ تُقادُ له وخيلٌ تُنعَلُ[6]
أجلَتْ فوارسُه وغادَرَ رَهطُه رُكْناً عظيماً كان فيها أوّلُ[7]
عَجَباً وإن أعجَبْ فقد أبصَرتُه مَهْما تَسُومُ عليُّ عَمراً يَنزِلُ[8]

---

(١) المِرّة: الشدة والقوة. والشِّكّة: السلاح. ولم ينكل: لم يرجع من هيبة ولا خوف.

(٢) تكنَّفه: أحاط به. والكُماة: الشجعان. وليس بمؤتلي: ليس بمقصِّر.

(٣) بجُنوب، أي: بنواحيه. وسَلْع: جبل معروف بالمدينة. والنِّكس: الضعيف من الرجال. والأميَل: الذي لا رمح معه، وقيل: الذي لا ترس معه.

(٤) المُعضِل، أي: الشديد البأس الذي لا يعرف كيف التخلّص منه.

(٥) لم يتحلحل، أي: لم يبرح من مكانه.

(٦) تُنعَل: تُلبَس النعال من الحديد لتقوى.

(٧) أجلت: تفرَّقت وولَّت وفرَّت.

(٨) تسوم، أي: تطلبه للنِّزال وتكلّفه إياه.

لا تَبعَـدَنَّ فقـد أُصِـبتُ بقتلِـه ... ولَقِيتُ قبلَ الموتِ أمراً يَثقُلُ
وهُبَيـرةُ المسـلوبُ وَلَّـى مُـدبِراً ... عنـد القتـالِ مَخافـةً أنْ يُقتَلـوا
وضِرارُ كانَ البـأسُ منه مُحضَـراً ... وَلَّـى كمـا ولَّـى اللّئـيمُ الأعـزَلُ[1]

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها له. وقولُه: عَمراً يَنزِلُ، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال هُبَيرةُ بن أبي وهبٍ يعتذرُ من فِرَارِه ويبكي عَمراً، ويذكرُ قتلَ عليٍّ إيّاه:

لَعَمْـري مـا وَلّيـتُ ظَهْـري محمّـداً ... وأصـحابَه جُبنـاً ولا خِيفـةَ القتـلِ
ولكنّنـي قَلَّبـتُ أَمـري فلـم أجِـدْ ... لسـيفي غَنـاءً إن ضَـرَبتُ ولا نَبْلـي
وَقَفـتُ فلمّـا لـم أجِـدْ لـي مُقـدَّماً ... صَـدَدتُ كضِـرْغامٍ هِزَبـرٍ أبي شِـبْلِ[2]
ثَنَى عِطْفَه عـن قِرْنِه حين لـم يَجِدْ ... مَكَـرّاً وقِـدْماً كـان ذلـك مـن فِعْلـي[3]
فـلا تَبعَـدَنْ يـا عمـرُو حيّـاً وهالكـاً ... وحُقَّ لحُسنِ المَدحِ مِثلُك من مِثْلي
ولا تَبعَـدَنْ يـا عمـرُو حيّـاً وهالكـاً ... فقد بِنْتَ محمودَ الثَّنا ماجدَ الأصلِ[4]

---

(١) ضرار: هو ابن الخطّاب بن مِرداس الفِهري، ممن حضر الخندق مشركاً، وأسلم في فتح مكة. والأعزل: الذي لا سلاح معه.

(٢) الضِّرغام: الأسد. والهِزَبر: الشديد. والشِّبل: ولد الأسد.

(٣) العِطْف: الجانب. والقِرْن: المكافئ في الشجاعة والإقدام.

(٤) الثَّنا: الذِّكر الطيّب، وفي نسخة في حاشية (ش١): النَّثا، وهو كذلك في (ش٢) وجاء في حاشيتها: النَّثا بتقديم النون مقصوراً يكون في الخير والشر، والثناء بتأخيرها ممدوداً يكون في الخير لا غير، والله أعلم. اهـ

وماجد الأصل، أي: شريف النسب.

فمَن لطِرَادِ الخيلِ تُقدَعُ بالقَنا ... وللفَخرِ يوماً عند قَرقَرةِ البُزْلِ[1]

هنالك لو كان ابنُ عبدٍ لَزارَها ... وفَرَّجَها حقّاً فتًى غيرُ ما وَغْلِ[2]

فعنكَ عليٌّ لا أَرَى مِثلَ مَوقِفٍ ... وَقَفتَ على نَجْدِ المُقدَّمِ كالفَحلِ[3]

فما ظَفِرَت كَفّاكَ فخراً بمِثلِه ... أَمِنتَ به ما عِشتَ من زَلّةِ النَّعلِ[4]

وقال هُبَيرةُ بن أبي وهبٍ يبكي عمرَو بن عبد وَدٍّ ويذكرُ قتلَ عليٍّ إيّاه:

لقد عَلِمَتْ عُلْيا لُؤَيِّ بن غالبٍ ... لَفارسُها عمرٌو إذا نابَ نائبُ

لَفارسُها عمرٌو إذا ما يَسُومُه ... عليٌّ وأنّ اللَّيثَ لا بُدَّ طالبُ[5]

عَشيَّةَ يدعوهُ عليٌّ وإنَّه ... لَفارسُها إذْ خامَ عنه الكتائبُ[6]

فيا لَهْفَ نفسي إنّ عَمراً تَرَكتُه ... بيَثرِبَ لا زالت هناكَ المصائبُ[7]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ يفتخرُ بقتل عمرو بن عبد ودٍّ:

بَقيّتُكم عمرٌو أبَحْناهُ بالقَنا ... بيَثرِبَ نَحْمي والحُماةُ قليلُ

---

(١) تُقدَع بالقنا، أي: تُكَفّ وتُدفَع بالرماح. والقَرقَرة: من أصوات فحول الإبل البُزْل: وهي القوية الشديدة، وضربه مثلاً للمفاخرين إذا رفعوا أصواتهم بالفخر.

(٢) الوَغْل: الفاسد من الرجال.

(٣) عنكَ: اسم فعل أمرٍ بمعنى: تباعَدْ. والنَّجد: الشجاع، ونجدُ المقدَّم: شجاع مِقدام غير هيّاب.

(٤) أراد بالنعل القَدَم، وزلّة النعل كناية عن الخطأ والعَيْب.

(٥) يسومه، أي: يطلبه للنِّزال ويكلِّفه إياه.

(٦) خام عنه الكتائب، أي: جَبُنت ورجعت. وفي (ت) و(م): حامَ، بحاء مهملة، من الحِماية، أي: احتمت وامتنعت منه الكتائب، انظر «إملاء الخشنيّ» ص١٨٧.

(٧) يا لهف نفسي، أي: يا حُزنها ويا حسرتها.

ونحـــنُ قَتَلنـــاكمْ بكـــلِّ مُهنَّـــدٍ ونحنُ وُلاةُ الحربِ حينَ نَصُولُ
ونحـنُ قَتَلنـاكمْ ببـدرٍ فأصبَحَت مَعاشـرُكم في الهـالِكينَ تَجُـولُ

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها لحسّان.

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً في شأن عمرٍو[1]:

أَمسى الفتى عمرُو بـن عبـدٍ يَبتَغي بجُنـوبِ يَثـرِبَ ثـأرَه لـم يُنظَـرِ[2]
فلقـد وجـدتَ سـيوفَنا مشـهورةً ولقـد وجـدتَ جيادَنـا لـم تُقصَـرِ[3]
ولقـد لَقِيـتَ غَـداةَ بـدرٍ عُصْـبةً ضربوكَ ضرباً غيرَ ضـربِ الحُسَّـرِ[4]
أصـبحتَ لا تُـدعَى ليـومِ عظيمـةٍ يـا عمـرُو أو لجَسـيمِ أمـرٍ مُنكَـرِ[5]

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها لحسّان.

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً[6]:

ألا أبلِـغْ أبـا هِـدْمٍ رسـولاً مُغلغَلـةً تَخُـبُّ بهـا المَطِـيُّ[7]

---

(١) انظر «ديوان حسان» ١/ ٢٠٩.

(٢) جُنوب يثرب، أي: نواحيها. ولم يُنظَر: لم يُمهَل ولم يؤخَّر.

(٣) لم تُقصَر: لم تُكَف عن الحرب.

(٤) الحُسَّر، هكذا بالحاء في (ت) و(ش١) و(ش٢) و(ق٢) ـ وهي كذلك في رواية محمد بن حبيب لديوان حسّان ـ: جمع حاسر، وهو الذي لا دِرعَ له، وفي (ش١) و(ص) و(ط) و(غ) و(ف) و(م) و(ي): الخُسَّر، بالخاء، وهو جمع خاسرٍ من الخُسران، وهو الهلاك. ويروى: الخُشَّر، بالخاء والشين، وهم الضعفاء من الناس. قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٢٢.

(٥) الأمر الجسيم: الأمر المهم العظيم.

(٦) لم يروها لحسّان غير ابن إسحاق.

(٧) المُغلغَلة: الرسالة تحمل من بلد إلى بلد. وتخبّ: تُسرِع.

أكنتُ وليَّكم في كلِّ كُرهٍ وغيريَ في الرَّخاءِ هو الوليُّ
ومنكمْ شاهدٌ ولقد رآني رُفِعتُ له كما احتُمِلَ الصّبيُّ

قال ابن هشام: تُروَى هذه الأبيات لربيعة بن أُميّة الدِّيلِيّ[1]، ويُروَى فيها آخرُها:

كَبَبتُ الخَزرَجيَّ على يدَيهِ وكان شِفاءَ نفسي الخَزرَجيُّ

وتُروَى أيضاً لأبي أُسامة الجُشَميّ.

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً في يوم بني قُرَيظة يبكي سعدَ بن معاذٍ ويذكرُ حُكمَه فيهم[2]:

لقد سَجَمَت من دمعِ عينيَ عَبْرةٌ وحُقَّ لعَيْنِي أن تَفِيضَ على سعدِ[3]
قتيلٌ ثَوَى في مَعرَكٍ فُجِعَت بهِ عيونٌ ذَوارِي الدَّمعِ دائمةُ الوَجْدِ[4]

---

(١) ونسبه إلى ربيعة أيضاً البلاذُريُّ في «أنساب الأشراف» ١١/ ١٠٧، لكنه لم يذكر سوى البيت الأول، وزعم أنه هو الذي قتل كعبَ بن زيد الأنصاري الخزرجي يوم الخندق، وأن كعباً كان قد قتل عمرو بن الحضرميّ يوم بدرٍ، وأن عمراً هو أبو هِدْم المذكور في البيت، وهذا مخالف لما ذكره الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٤٩٦ وصاحبُه ابن سعد في «طبقاته» ٣/ ٤٨٢ من أن قاتل كعب بن زيد يوم الخندق هو ضرار بن الخطاب الفِهْري، وقد تقدَّم ٢/ ٢٩٢: أن عمرو بن الحضرمي قُتِل في سريّة عبد الله بن جحش قبل بدرٍ وأن قاتله هو واقد بن عبد الله التميمي، كما تقدم ٢/ ٤٣٩: أن المقتول يوم بدرٍ هو عامر بن الحضرميّ أخو عمرو، قتله عمارُ بن ياسر.

وربيعةُ هذا لم نقف له على ذكرٍ في شيء من كتب السِّيَر والتراجم في غير هذا الموضع، وكذا أبو أسامة الجُشميّ الآتي ذكره، غير ما ذكره أبو نعيم في «معرفة الصحابة» ٣/ ١٢٢٧ من أن أبا أسامة هذا اسمه زهير بن معاوية وأنه شهد الخندق، وقد انفرد بذلك، والله تعالى أعلم.

(٢) انظر «ديوان حسان» ١/ ٤١٥.

(٣) سَجَمَت: سالت. والعَبْرة: الدمعة.

(٤) ثَوَى: أقام. والمَعرَك: موضع القتال. وذواري الدمع: سائلة الدمع. والوجد: الحزن.

على مِلّةِ الرَّحمنِ وارثِ جَنّةٍ ... مع الشُّهداءِ وَفْدُها أكرمُ الوَفدِ

فإنْ تَكُ قد وَدَّعتَنا وتَرَكتَنا ... وأمسَيتَ في غَبْراءَ مُظْلمةِ اللَّحدِ[1]

فأنتَ الّذي يا سعدُ أُبْتَ بمَشهَدٍ ... كريمٍ وأثوابِ المَكارمِ والحمدِ[2]

بحُكمِكَ في حيَّيْ قُرَيظةَ بالّذي ... قَضَى اللهُ فيهم ما قَضيتَ على عَمْدِ

فوافَقَ حُكمَ اللهِ حُكمُكَ فيهمِ ... ولم تَعْفُ إذ ذُكِّرتَ ما كان من عهدِ

فإن كان رَيْبُ الدّهرِ أمضاكَ في الأُلَى ... شَرَوْا هذه الدّنيا بجَنّاتها الخُلْدِ[3]

فنِعمَ مَصيرُ الصّادقِينَ إذا دُعُوا ... إلى الله يوماً للوَجاهةِ والقَصْدِ[4]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً يبكي سعدَ بن معاذٍ ورجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ من الشُّهداء، ويذكرُهم بما كان فيهم من الخير[5]:

ألا يا لَقومٍ هل لِمَا حُمَّ دافعُ

وهل ما مضى من صالحِ العَيشِ راجعُ[6]

تذكَّرتُ عَصراً قد مضى فتهافَتَتْ ... بَناتُ الحَشَا وانهَلَّ منّي المَدامعُ[7]

صَبابةَ وَجْدٍ ذَكّرَتني أُخوّةً ... وقَتلَى مضى فيها طُفَيلٌ ورافعُ[8]

---

(١) الغبراء: الأرض. واللحد: ما يُشَقُّ للميت في جانب القبر.

(٢) أُبتَ، أي: رجعتَ.

(٣) رَيب الدهر: صروفه وحوادثه. والأُلَى: الّذين. وشَرَوا، أي: باعُوا.

(٤) الوجاهة: العزّ والحظوة. والقَصد: العدل.

(٥) انظر «ديوانه» ١/ ٢٦٧.

(٦) حُمَّ، أي: قُدِّر.

(٧) تهافتت، أي: سقطت بسرعة. وبنات الحشا: القلبُ والكبدُ ونحوهما، يريد أنه أصابه الهمُّ والحزن. وانهلّ: سال وانصبّ.

(٨) الصَّبابة: رِقّة الشوق. والوَجْد: الحزن والشَّوق. وطفيل: هو طفيل بن النعمان =

وسعدٌ فأَضحَوْا في الجِنانِ وأَوحَشَت ... منازِلُهم فالأرضُ منهم بَلاقِعُ[1]

وَفَوْا يومَ بدرٍ للرّسولِ وفَوقَهمْ ... ظِلالُ المَنايا والسّيوفُ اللَّوامعُ

دعا فأَجابوه بحَقٍّ وكلُّهمْ ... مطيعٌ له في كلِّ أمرٍ وسامعُ

فما نَكَلُوا حتّى تَوَالَوْا[2] جماعةً ... ولا يَقطَعُ الآجالَ إلّا المَصارعُ

لأنَّهمُ يَرجُونَ منه شفاعةً ... إذا لم يكن إلّا النبيِّينَ شافعُ

فذلك يا خيرَ العِبادِ بَلاؤُنا ... إجابَتُنا لله والموتُ ناقعُ[3]

لنا القَدَمُ الأُولَى إليكَ وخَلْفُنا ... لأوَّلِنا في مِلَّةِ الله تابعُ[4]

ونعلمُ أنّ المُلكَ لله وحدَه ... وأنَّ قَضاءَ الله لا بُدَّ واقعُ

وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً في يوم بني قُرَيظة[5]:

لقد لَقِيَت قُرَيظةُ ما سَآها ... وما وَجَدَت لذُلٍّ من نَصيرِ[6]

= الأنصاري، وقد تقدم ص٣١٣ ذكره فيمن استُشهِد يوم الخندق، أما رافعٌ: فلعلّه رافع بن مالك بن العجلان الأنصاري، وهو أحد النقباء الاثني عشر يوم بيعة العقبة، فقد ذكر ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٥٧٣ أنه استُشهِد يوم أُحد، وأما ابن إسحاق فلم يذكره في الشهداء يومئذٍ!

(١) بلاقع: قِفار خالية.

(٢) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(ق٢) و(م) و(ي)؛ أي: تتابعوا، بعضهم يتبع بعضاً. وفي (ت) و(ص) و(ط) و(غ) و(ف): تولَّوا؛ أي: أدبروا وذهبوا.

ومعنى نَكَلوا: رجعوا هائبين. والمَصارع: المواضع التي يُصرَعون فيها، أي: يُقتلون فيها.

(٣) بلاؤنا: اختبارنا. وناقع، أي: دائم.

(٤) القدم الأُولى، أي: السَّبق إلى الإسلام. وخَلْفُنا، أي: آخرنا وذرِّيّاتنا.

(٥) انظر «ديوانه» ١/ ٣٢٨.

(٦) قوله: ما سآها، يريد: ما ساءَها، فقَلَب، والعرب تفعل ذلك في بعض الأفعال، مثل قولهم: رأَى وراءَ، بمعنى واحدٍ على جهة القلب، انظر «الكتاب» لسيبويه ٣/ ٤٦٧.

أصـــابَهمُ بَـــلاءٌ كـــان فيـــهِ ... سوى ما قد أصابَ بني النَّضيرِ

غَـــداةَ أتـــاهمُ يَهْـــوي إلـــيهمْ ... رســـولُ الله كـــالقمرِ المُنيـــرِ

لـــه خيـــلٌ مُجنَّبـــةٌ تَعـــادَى ... بفُرســـانٍ عليهـــا كالصُّـــقورِ[1]

تَرَكنـاهمْ ومـا ظَفِـروا بشـيءٍ ... دِمـــاؤُهمُ علـــيهم كـــالعَبيرِ[2]

فهم صَرعَى تَحُومُ الطّيـرُ فيهمْ ... كـذلكَ دِينُ ذي العَنَدِ الفَخُـورِ[3]

فأُنـذِرُ مِثلَهـا نُصـحاً قريشـاً ... مـن الـرَّحمنِ إن قَبِلَـت نَـذيرِى[4]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ في بني قُرَيظة[5]:

لقـد لَقِيَـت قُرَيظـةُ مـا سَـآها ... وحَـــلَّ بحِصْـــنِها ذُلٌّ ذليـــلُ

وسـعدٌ كـان أنـذَرَهم بنُصـحٍ ... بـــأنَّ إلٰهَكـــم ربٌّ جليـــلُ

فما بَرِحوا بنَقْضِ العهدِ حتّى ... فَلَاهُـــم في بلادِهـــمُ الرَّســـولُ[6]

---

(١) الخيل المجنَّبة: هي التي تُقاد في المسير إلى جانب الإبل ولا تُركَب. وتَعادَى: تجري وتسرع.

(٢) العبير هنا: الزعفران، وأراد التشبيه بلونه الذي يضرب إلى الحُمْرة.

(٣) هكذا في (ش٢) و(ص) و(ط) و(ف) و(م)، وفي (ت) و(ش١) و(غ) و(ق٢) و(ي) وكذا في «الديوان»: كذاك يُدانُ ذو العَنَد الفَخُور، وفي بعض النسخ: الفَجُور، بالجيم، وهو واضح، وأما الفَخُور: فالمتكبِّر. وتقييدُ الراء بالكسر على ما في هذه النسخ الأخيرة للمجاوَرة، وقُيّدت في بعضها بالرفع، وهو إقواءٌ في القافية.

ومعنى تَحُوم: تجتمع حولهم محلّقة. والدِّين هنا: الجزاء، ويُدان: يجازى. والعَنَد: الخروج عن الحقّ، ووقع في المطبوع من «الديوان»: الفَنَد؛ والفَنَد: الكذب والخطأ في الرأي.

(٤) النذير: الإنذار.

(٥) «الديوان» ١/ ٣٢٧.

(٦) فَلَاهم: قتلهم بالسيوف.

أحاطَ بحِصنِهم منّا صفوفٌ ... له من حَرِّ وَقْعتِهم صَليلُ[1]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً في يوم بني قُرَيظة[2]:

تَفاقَدَ مَعشَرٌ نَصَروا قريشاً ... وليس لهمْ ببَلدَتِهم نَصيرُ[3]

همُ أُوتوا الكتابَ فضَيَّعوهُ ... وهمْ عُميٌ من التّوراة بُورُ[4]

كَفَرتُم بالقُرَانِ وقد أُتيتُم ... بتصديقِ الّذي قال النّذيرُ

فهانَ على سَرَاةِ بني لُؤَيٍّ ... حريقٌ بالبُوَيرةِ مُستَطيرُ[5]

فأجابه أبو سفيانَ بن الحارث بن عبد المُطَّلِب فقال:

---

(١) الصَّليل: الصوت كصليل الفَخّار.

(٢) «الديوان» ١/ ٢١٠.

(٣) تفاقد معشرٌ: فَقَدَ بعضهم بعضاً، وهو دعاءٌ عليهم.

(٤) الكتاب، أي: التوراة. وبُورٌ: ضُلّال، أو هَلْكى.

(٥) سَرَاة القوم: سادتهم. والمستطير: المنتشر.

والبُوَيرة: موضع منازل بني النَّضير، وذكرهم حسان في شعره هنا استطراداً، وأخطأ الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٢٤ فنسب البويرة إلى بني قريظة، وتحريق النخل إنما وقع يوم بني النضير وليس بني قريظة، وقد وقع التصريح بنسبتها إلى بني النضير في حديث ابن عمر عند البخاري (٢٣٢٦) و(٤٠٣٢) ومسلم (١٧٤٦)، وفي شعر جبل بن جوّال الآتي لاحقاً ما يشير أيضاً إلى أنها منازل بني النضير، فقد نَسَبَ إليها سلامَ بن أبي الحُقيق وحُييَّ بن أخطبَ، وهما من سادة بني النضير.

وحسانُ رضي الله عنه بهذا الشِّعر يعيّر قريشاً، وهم المرادون بقوله: سراة بني لؤيٍّ، وذلك أن قريشاً كانوا يُظاهِرون كلَّ من عادى النبيَّ ﷺ عليه ويَعِدُونهم النصر والمساعدة، فلما وقع لبني النضير من الخِذْلان ما وقع، قال حسان الأبيات المذكورة موبِّخاً لقريش كيف خذلوا أصحابهم. قاله ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ١١٧-١١٨.

أدامَ الله ذلـــك مـــن صَـــنيعٍ وحَـــرَّقَ في طَرائقِهـــا السَّـــعيرُ[1]
ســـتعلمُ أيُّنـــا منهـــا بنُـــزْهٍ وتعلـــمُ أيَّ أرضَـــيْنا تَضِـــيرُ[2]
فلـو كـان النّخيـلُ بهـا رِكابـاً لقـالوا: لا مُقـامَ لكـم فسِـيرُوا

وأجابه جَبَلُ بن جَوّال الثّعلَبيُّ أيضاً، وبكى النّضيرَ وقُرَيظةَ، فقال:

ألا يـا سـعدُ سـعدَ بنـي معـاذٍ لِمَـا لَقِيَـت قُرَيظـةُ والنّضـيرُ
لَعَمـرُك إنَّ سـعدَ بنـي معـاذٍ غَـداةَ تَحمَّلـوا لَهُـوَ الصَّـبورُ
فأمّـا الخَزرَجـيُّ أبـو حُبـابٍ[3] فقـال لقَينُقـاعٍ: لا تَسِـيروا
وبُـدِّلَت المَـوَالي مـن حُضَـيرٍ أُسَـيداً والـدّوائرُ قـد تَـدُورُ[4]
وأقفَـرَت البُـوَيرةُ مـن سَـلَامٍ وسَعْيةَ وابنِ أخطَبَ فهْيَ بُورُ[5]

---

(١) الطرائق: النواحي. والسعير: النار المشتعلة.

(٢) النُّزه: البُعد، وتضير: تضرّ، وذلك لأن أرض بني النضير مجاورة لأرض الأنصار، فإذا خَرِبَت أضرَّت بما جاورها، بخلاف أرض قريش، فإنها بعيدة منها بعداً شديداً فلا يبالى بخرابها. قاله ابن حجر في «الفتح» ١٢/ ١١٩.

(٣) هو عبد الله بن أُبيّ ابنِ سَلُول، وكانت بنو قينقاع حلفاءَ له.

(٤) الموالي، أي: الحلفاء.

وقوله: من حُضيرٍ أُسيداً، يعني أُسيدَ بنَ حضيرٍ، وهو من سادات الأوس، وكانت بنو قريظة حلفاءَهم قبل الإسلام، وأُسيداً منصوب بفعل مقدَّر، يمكن تقديره بأَعني؛ يريد أن أُسيداً قد تخلَّى عن مواليه القدماء من قريظة واستبدل بهم آخرين، ويعني بهم المسلمين.

وقد سقط هنا أبو ذرٍّ الخشنيُّ رحمه الله في بيانه لحُضير وأُسيد سقطة شنيعة، فقال في «إملائه» ص٣٢٥: حضير هنا قبيلة، وأُسيد قبيلة أيضاً! قلنا: ولا يُعرَف في قبائل العرب ـ فيما وقفنا عليه ـ شيءٌ من ذلك.

(٥) بُور، أي: هالكة خالية من أهلها.

وقد كانوا ببَلدَتِهم ثِقالاً ... كما ثَقُلَت بمَيْطانَ الصّخورُ[1]

فإن يَهلِكْ أبو حَكَمٍ سَلَامٌ ... فلا رَثُّ السلاحِ ولا دَثُورُ[2]

وكلُّ الكاهنَينِ وكان فيهم ... مع اللِّينِ الخَضارِمةُ الصُّقورُ[3]

وَجَدْنا المجدَ قد ثَبَتُوا عليه ... بمَجدٍ لا تُغيِّبُه البُدورُ[4]

أَقيموا يا سَراةَ الأوسِ فيها ... كأنّكمُ من المَخْزاةِ عُورُ[5]

تَرَكتُم قِدْرَكم لا شيءَ فيها ... وقِدرُ القومِ حاميةٌ تَفُورُ[6]

قال ابن إسحاق: ولمّا انقَضَى شأنُ الخندق وأمرُ بني قُرَيظة، وكان سَلَامُ بن أبي الحُقَيق ـ وهو أبو رافعٍ ـ فيمن حَزَّبَ الأحزابَ على رسول الله ﷺ، وكانت الأوسُ قبلَ أُحدٍ قد قَتَلَت كعبَ بن الأشرَفِ في عداوتِه لرسول الله ﷺ وتحريضِه عليه، استأذَنَت الخَزرَجُ رسولَ الله ﷺ في قتلِ سَلَام بن أبي الحُقَيقِ وهو بخَيبَر، فأَذِنَ لهم.

مقتلُ سَلَام بن أبي الحُقَيق

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّد بن مُسلِم بن شِهابٍ الزُّهْريّ، عن عبد الله بن

---

(١) ميطان: جبل شرقيّ بني قريظة، ويعرف أيضاً بجبل الأغَوات، جنوب شرقيّ المدينة على بعد ٣٥ كم تقريباً.

(٢) الرَّث: الخَلَق البالي. والدَّثور: الدارس المتغيّر.

(٣) الكاهنان: هما قريظة والنَّضير. والخضارمة: الأجواد الكرماء، الواحد: خِضْرم.

(٤) البُدور: الشُّهور والدُّهور، لأن البَدْر ـ وهو القمر ـ يتكرر فيها.

(٥) عُور: جمع أَعور.

(٦) أي: حارّة تَغْلي، يريد عزّةَ جانبهم وشدّةَ شوكتهم وحميّتهم. قاله ابن الأثير في «النهاية» (حما).

كعب بن مالكٍ قال: وكان ممّا صَنَعَ اللهُ به لرسوله ﷺ أنّ هذَينِ الحيَّينِ من الأنصار، الأوسَ والخَزرَجَ، كانا يَتَصاوَلانِ[1] مع رسول الله ﷺ تَصاوُلَ الفَحلَينِ، لا تَصنَعُ الأوسُ شيئاً فيه عن رسول الله ﷺ غَناءٌ[2] إلّا قالت الخَزرَجُ: والله لا تذهبون بهذه فَضْلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام. قال: فلا يَنتَهُون حتّى يُوقِعوا مِثلَها، وإذا فعلت الخَزرَجُ شيئاً قالت الأوسُ مِثلَ ذلك.

ولمّا أصابَت الأوسُ كعبَ بن الأشرَفِ في عداوتِه لرسول الله ﷺ قالت الخَزرَجُ: والله لا تذهبون بها فَضْلاً علينا أبداً، قال: فتَذاكَرُوا؛ مَن رجلٌ لرسول الله ﷺ في العداوةِ كابنِ الأشرَف! فذكروا ابنَ أبي الحُقَيق، وهو بخَيبَر، فاستأذَنُوا رسولَ الله ﷺ في قتلِه فأَذِنَ لهم، فخرج إليه من الخَزرَجِ من بني سَلِمةَ خمسةُ نَفَرٍ: عبدُ الله بن عَتيكٍ، ومسعودُ بن سِنانٍ، وعبدُ الله بن أُنَيسٍ، وأبو قَتَادة الحارثُ بن رِبْعيٍّ، وخُزاعيُّ ابن أسوَدَ حَليفٌ لهم من أسلَم، فخرجوا، وأمَّرَ عليهم رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بن عَتيكٍ، ونَهاهُم عن أن يَقتُلوا وَلِيداً أو امرأةً.

فخرجوا، حتّى إذا قَدِموا خيبرَ أَتَوْا دارَ ابن أبي الحُقَيق ليلاً، فلم يَدَعُوا بيتاً في الدّار إلّا أغلَقُوه على أهلِه. قال: وكان في عِلِّيّةٍ له إليها عَجَلةٌ[3]، قال: فأَسنَدوا فيها[4] حتّى قاموا على بابه فاستأذَنُوا عليه، فخرجت إليهم امرأتُه فقالت: مَن أنتم؟

---

(١) يتصاولان، أي: يتفاخران، إذا فعل أحدهما شيئاً فعل الآخر مثله، من قولهم: تصاوَلَ الفحلانِ، إذا حَمَلَ هذا على هذا، وهذا على هذا.

(٢) أي: منفعةٌ ودفعٌ عنه.

(٣) قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٢٦: العجلة هنا: جِذْع النخلة يُنقَر في مواضع منه ويُجعَل كالسُّلَّم فيُصعَد عليه إلى العلالي والغرف.

(٤) أسندوا فيها، أي: عَلَوْا.

قالوا: ناسٌ من العرب نَلتَمِسُ المِيرةَ[1]، قالت: ذاكم صاحبُكم فادخُلُوا عليه، قال: فلمّا دَخَلْنا[2] عليه أغلَقْنا علينا وعليها الحُجْرةَ تخوُّفاً أن تكون دونَه مُجاوَلةٌ[3] تَحُولُ بيننا وبينه، قال: فصاحت امرأتُه فنَوَّهَت بنا[4]، وابتَدَرْناه وهو على فراشِه بأسيافنا، والله ما يَدُلُّنا عليه في سواد اللّيل إلّا بياضُه كأنّه قُبْطيَّةٌ[5] مُلْقاةٌ.

قال: ولمّا صاحت بنا امرأتُه، جَعَلَ الرّجلُ منّا يَرفَعُ عليها سيفَه ثمّ يذكرُ نهيَ رسول الله ﷺ فيَكُفُّ يدَه، ولولا ذلك لفَرَغْنا منها بليلٍ.

قال: فلمّا ضربناه بأسيافِنا، تحامَلَ عليه عبدُ الله بن أُنَيسٍ بسيفه في بطنِه حتّى أنفَذَه، وهو يقول: قَطْني قَطْني، أي: حَسْبي حَسْبي. قال: وخرجنا، وكان عبدُ الله ابن عَتيكٍ رجلاً سيّئَ البصر، قال: فوَقَعَ من الدَّرَجة فوُثِئَت[6] يدُه وَثْأً شديداً ـ ويقال: رِجلُه، فيما قال ابن هشام ـ وحَمَلْناه حتّى نأتيَ به مَنهَراً[7] من عُيونِهم فنَتدخَّلَ فيه. قال: فأَوقَدُوا النِّيرانَ واشتَدُّوا في كلِّ وجهٍ يَطلُبونَنا، قال: حتّى إذا يَئِسُوا رَجَعُوا إلى صاحبِهم فاكتَنَفوه وهو يَقْضي بينهم.

---

(١) المِيرة: الطعام ونحوه مما يُجلَب للبيع.

(٢) استخدام ضمائر المتكلم في هذا الخبر يدلُّ أن عبد الله بن كعب رواه عن أحد هؤلاء النفر الذين ذهبوا لقتل ابن أبي الحقيق، فيتصل بذلك الإسناد ويصحُّ، أما عبد الله بن كعب فمن كبار التابعين، وهو أكبر أولاد كعب بن مالك الأنصاريّ وبه كان يُكنى.

(٣) مجاوَلة، أي: حركة تكون بينهم وبينه.

(٤) نوَّهت بنا، أي: رفعت صوتها تُشهِرُ بنا.

(٥) القُبطية ـ بضم القاف وكسرها ـ: ضرب من الثياب البيض تُصنَع بمصر.

(٦) وُثِئَت: أصاب عظمَها شيءٌ ليس بكسر، وقيل: هو أن يصاب اللحم دون العظم.

(٧) المَنهَر: مدخل الماء من خارج الحصن إلى داخله.

قال: فقلنا: كيف لنا بأن نعلمَ بأنَّ عدوَّ الله قد مات؟ قال: فقال رجلٌ منّا: أنا أذهبُ فأنظُرُ لكم؛ فانطَلَقَ حتّى دخل في الناس. قال: فوَجَدتُها ورجالَ يهودَ حولَه وفي يدها المِصباحُ تَنظُرُ في وجهِه وتُحدِّثُهم وتقول: أمَا والله لقد سمعتُ صوتَ ابن عَتيكٍ ثمّ أكذَبتُ نفسي وقلتُ: أنَّى ابنُ عَتيكٍ بهذه البلاد؟! ثمّ أقبَلَت عليه تَنظُرُ في وجهِه ثمّ قالت: فاظَ[1] وإلٰهِ يهودَ، فما سمعتُ من كَلِمةٍ كانت أَلَذَّ إلى نفسي منها.

قال: ثمّ جاءَنا فأخبرنا الخبرَ، فاحتَمَلْنا صاحبَنا فقَدِمْنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدوِّ الله، واختَلَفْنا عنده في قتلِه كلُّنا يَدَّعِيه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «هاتُوا أَسيافَكُم»، قال: فجِئْناه بها، فنَظَرَ إليها فقال لسيفِ عبد الله بن أُنَيسٍ: «هذا قَتَلَه، أَرَى فيه أَثَرَ الطَّعامِ»[2].

فقال حسّانُ بن ثابتٍ، وهو يذكرُ قتلَ كعب بن الأشرَف وقتلَ سَلَام بن أبي الحُقَيق[3]:

---

(١) فاظ، أي: مات.

(٢) إسناده صحيح متصل إن كان عبد الله بن كعب سمعه من أحد النَّفر الذين خرجوا في هذه السَّرِيّة كما سبق تقريره، وإلّا فهو مرسلٌ رجاله ثقات.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٩٥-٤٩٧ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، عن ابن إسحاق، به.

وروى خبر هذه السَّريّة أيضاً أبو إسحاق السَّبيعي عن البراء بن عازب عند البخاري (٤٠٣٩) و(٤٠٤٠) بسياق فيه بعض التغاير، فزاد في النفر رجلاً اسمه عبد الله بن عُتبة، وذكر فيه: أن عبد الله بن عَتيك انفرد بالدخول على ابن أبي الحُقيق وبقتله، وأصحاب المغازي كابن إسحاق وموسى بن عقبة والواقدي وابن سعد وغيرهم يذكرون خلاف ذلك: أن هؤلاء النفر اشتركوا في الدخول عليه وفي قتله، والله تعالى أعلم.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ٢١١.

لِلّـــهِ دَرُّ عِصـــابةٍ لاقَيـــتَهمْ ... يا ابنَ الحُقَيقِ وأنتَ يا ابنَ الأشرفِ[1]

يَسـرُونَ بـالبِيضِ الخِفـافِ إليكمُ ... مَرَحـاً كأُسـدٍ في عَـرِينٍ مُغـرِفِ[2]

حتّـى أَتَـوكُم في مَحَـلٍّ بلادِكـمْ ... فسَـقَوكمُ حَتْفـاً ببـيضٍ ذُفَّـفِ[3]

مُستَبصـرِينَ لنَصـرِ ديـنِ نبـيِّهمْ ... مُستَصـغِرينَ لكـلِّ أمـرٍ مُجحِـفِ[4]

قال ابن هشام: قولُه: ذُفَّف، عن غير ابن إسحاق.

إسلام عمرو بن العاص

قال ابن إسحاق: حدّثني يزيدُ بن أبي حَبيبٍ، عن راشدٍ مولى حَبيب بن أبي أَوسٍ الثَّقَفيّ، عن حَبيب بن أبي أَوسٍ الثَّقَفيّ قال: حدّثني عمرُو بن العاصِ من فيهِ قال: لمّا انصَرَفْنا مع الأحزاب عن الخندق جَمَعتُ رجالاً من قريشٍ كانوا يَرَونَ رأيي، ويسمعون منّي، فقلت لهم: تَعلَّمُوا، والله إنّي أرَى أمرَ محمّدٍ يَعلُو الأُمورَ عُلوّاً مُنكَراً، وإنّي قد رأيتُ أمراً، فما تَرَونَ فيه؟ قالوا: وماذا رأيتَ؟ قال: رأيتُ أن نَلحَقَ بالنَّجَاشيِّ فنكونَ عنده، فإن ظَهَرَ محمّدٌ على قومِنا، كنّا عند النَّجَاشيّ، فإنّا أن نكونَ تحت يَدَيهِ أحبُّ إلينا من أن نكونَ تحت يَدَيْ محمّد، وإن ظَهَرَ قومُنا، فنحنُ مَن قد عَرَفُوا، فلن يأتيَنا منهم إلّا خيرٌ، قالوا: إنَّ هذا لَرأيٌ، قلت: فاجمَعُوا ما نُهْديهِ له، وكان أحبَّ ما يُهدَى إليه من أرضِنا الأَدَمُ[5]، فجَمَعْنا له أَدَماً كثيراً، ثمّ

(١) العصابة: الجماعة من الناس.

(٢) يَسْرون: من السُّرى، وهو السَّير في الليل. والبِيض الخِفاف: السيوف. ومرحاً: نشاطاً. والعرين: موضع الأسد. والمُغرِف: الأَجَمة، وهي الموضع الذي يكثر فيه الشجر كالغابة.

(٣) ذُفّف، أي: سريعة القتل.

(٤) المُجحف: الذي يذهب بالأموال والأنفس.

(٥) الأَدَم: الجِلد.

خرجنا حتّى قَدِمْنا عليه.

فوالله إنّا لَعِندَه إذ جاءَه عمرُو بن أُميّة الضَّمْريُّ، وكان رسولُ الله ﷺ قد بَعَثَه إليه في شأنِ جعفرٍ وأصحابه، قال: فدخل عليه ثمّ خرج من عندِه، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أُميّة الضَّمريّ، لو قد دخلتُ على النَّجَاشيِّ وسألتُه إيّاه فأعطانِيهِ فضربتُ عُنُقَه، فإذا فعلتُ ذلك رَأَتْ قريشٌ أنّي قد أجزأتُ عنها[1] حين قتلتُ رسولَ محمّد.

قال: فدخلتُ عليه فسَجَدتُ له كما كنتُ أصنَعُ، فقال: مَرحَباً بصَدِيقي، أأهدَيتَ إليَّ من بلادِك شيئاً؟ قال: قلت: نَعَم أيّها الملكُ، قد أهدَيتُ إليك أَدَماً كثيراً، قال: ثمّ قَرَّبتُه إليه، فأعجَبَه واشتَهاه، ثمّ قلت له: أيّها الملكُ، إنّي قد رأيتُ رجلاً خرج من عندِك، وهو رسولُ رجلٍ عدوٍّ لنا، فأعطِنيهِ لأقتُلَه، فإنّه قد أصابَ من أشرافِنا وخِيارِنا، قال: فغَضِبَ ثمّ مَدَّ يدَه فضَرَبَ بها أنفَه[2] ضربةً ظَنَنتُ أنّه قد كَسَرَه، فلو انشَقَّت لي الأرضُ لَدخلتُ فيها فَرَقاً منه[3]، ثمّ قلت له: أيّها الملكُ، والله لو ظَنَنتُ أنّك تَكرَهُ هذا ما سألتُكَه، قال: أتسألُني أن أُعطِيَك رسولَ رجلٍ يأتيه النّاموسُ الأكبر[4] الّذي كان يأتي موسى لتَقتُلَه؟! قال: قلت: أيّها الملكُ، أكَذاكَ هو؟ قال: وَيحَك يا عمرُو، أطِعْني واتّبِعْه، فإنّه والله لعلى الحقِّ، ولَيَظهَرَنَّ على مَن خالَفَه كما ظَهَرَ موسى على فِرْعَونَ وجنودِه، قال: قلت: أفتُبايِعُني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبَسَطَ يدَه فبايعتُه على الإسلام.

---

(١) أجزأت عنها: كفيتها.

(٢) أي: ضرب النجاشيُّ أنف نفسه.

(٣) أي: خوفاً منه.

(٤) الناموس في الأصل: هو صاحب سرِّ الرجل في خيره وشرِّه، فعبَّر عن الملَك الذي يجيئه بالوحي به.

ثمّ خرجتُ إلى أصحابي وقد حالَ رأيي[1] عمّا كان عليه، وكَتَمتُ أصحابي إسلامي.

ثمّ خرجتُ عامداً إلى رسول الله ﷺ لأُسلِمَ، فلَقِيتُ خالدَ بن الوليد ـ وذلك قُبَيلَ الفتح[2] ـ وهو مُقبِلٌ من مكّة، فقلت: أين يا أبا سليمانَ؟ قال: والله لقد استقامَ المِيسَمُ[3]، وإنّ الرَّجلَ لنبيٌّ، أَذهَبُ واللهِ أُسلِمُ، فحتّى متى! قال: قلت: والله ما جئتُ إلّا لأُسلِمَ.

قال: فقَدِمْنا المدينةَ على رسول الله ﷺ، فتَقدَّمَ خالدُ بن الوليدِ فأسلَمَ وبايعَ، ثمّ دَنَوتُ فقلت: يا رسولَ الله، إنّي أُبايِعُك على أن يُغفَرَ لي ما تَقدَّمَ من ذَنْبي، ولا أذكُرُ ما تأخَّرَ، قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عَمرُو، بايِعْ، فإنَّ الإسلامَ يَجُبُّ[4] ما كان قَبْلَه، وإنَّ الهِجْرةَ تَجُبُّ ما كان قَبْلَها»، قال: فبايعتُه، ثمّ انصَرَفتُ[5].

---

(١) حالَ رأيي، أي: تحوّل وتغيّر.

(٢) يعني فتح مكة.

(٣) هكذا في كافة النسخ الخطية، وعلى حاشيتي (ش١) و(غ): المَنسِم، بالنون، زاد في (غ): وهو الصواب.

قال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٣٨٦: من رواه: المِيسَم بالياء، فهي العَلَامة، أي: قد تبيَّن الأمر واستقامت الدّلالة، ومن رواه: المَنسِم، بفتح الميم وبالنون، فمعناه: استقام الطريق ووَجَبَت الهجرة، والمَنسِم: مقدَّم خُفّ البعير، وكُني به عن الطريق للتوجُّه به فيه.

أما أبو ذر الخشنيُّ فقال في «إملائه» ص٣٢٧: المَنسِم بالنون هو الصواب، وهو مثلٌ ومعناه: تبيَّن الطريق ووضح.

(٤) يجبُّ، أي: يقطع.

(٥) إسناده حسن من أجل راشد ومولاه حبيب.

وأخرجه أحمد (١٧٧٧٧) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. =

قال ابن هشام: ويقال: «فإنَّ الإسلامَ يَحُتُّ[1] ما كان قبلَه، وإنَّ الهجرةَ تَحُتُّ ما كان قبلَها».

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ: أنّ عثمانَ بن طلحة بن أبي طلحةَ كان معهما، فأسلَمَ حين أسلَما.

قال ابن إسحاق: فقال ابن الزِّبَعرَى السَّهْميّ:

أَنشُدُ عثمانَ بن طَلْحةَ حِلْفَنا ... ومُلقَى نِعالِ القومِ عند المُقبَّلِ[2]

وما عَقَدَ الآباءُ من كلِّ حَلْقةٍ ... وما خالدٌ من مِثلِها بمُحلَّلِ

أمِفتاحَ بيتٍ غيرِ بيتِك تَبتَغي ... وما تَبتَغي من مَجدِ بيتٍ مُؤثَّلِ[3]

فلا تأمَنَنَّ خالداً بعدَ هذِه ... وعثمانَ جاءَا بالدُّهَيمِ المُعضَّلِ[4]

= وهو في «مستدرك الحاكم» (٥٣٧٧) و(٦٠٢٥) من طريق ابن إسحاق أيضاً لكن مختصر جداً بقصة التقاء عمرٍو بخالدٍ في الطريق إلى المدينة.

وآخر الخبر في كون الإسلام والهجرة يَجُبّان ما كان قبلَهما، صحيحٌ، أخرجه أحمد (١٧٧٨٠) ومسلم (١٢١) من طريقين عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمن بن شُمَاسة، عن عمرو بن العاص قال: لمّا جعل اللهُ الإسلام في قلبي أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: ابسُطْ يمينك فلأُبايعك، فبسط يمينَه، فقبضتُ يدي، قال: «ما لك يا عمرُو؟» قلت: أردتُ أن أشترطَ، قال: «تشترطُ بماذا؟» قلت: أن يُغفَرَ لي، قال: «أمَا علمتَ أن الإسلام يَهدِمُ ما كان قبلَه، وأن الهجرة تَهدِمُ ما كان قبلَها، وأن الحج يَهدِمُ ما كان قبلَه؟!».

وروي نحو هذا أيضاً من طريق قيس بن سُمَيّ عن عمرٍو، انظر «مسند أحمد» (١٧٨١٣).

(١) يحتُّ، أي: يُسقِط.

(٢) يريد بالمقبَّل: موضع تقبيل الحجر الأسود.

(٣) المؤثَّل: القديم.

(٤) الدُّهيم: اسم من أسماء الداهية. والمعضَّل، أي: الشديدة.

وكان فتحُ بني قُرَيظة في ذي القَعْدة وصَدْرِ ذي الحِجّة، ووَلِيَ تلك الحَجّةَ المشركون.

غزوةُ بني لِحْيانَ

قال ابن إسحاق: ثمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينة ذا الحِجّة والمحرَّمَ وصَفَراً وشهرَي ربيعٍ، وخرج في جُمادَى الأولى[1] على رأس ستّة أشهرٍ من فتح قُرَيظة إلى بني لِحْيانَ يَطلُبُ بأصحاب الرَّجيع: خُبَيبِ بن عَديٍّ وأصحابِه، وأظهَرَ أنه يريد الشّام، ليُصِيبَ من القوم غِرّةً[2].

فخرج من المدينة ﷺ، واستَعمَلَ على المدينة ابنَ أمِّ مكتومٍ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فسَلَكَ على غُرابٍ[3]، جبلٍ بناحية المدينة على طريقِه إلى الشّام، ثمّ على مَخِيضٍ[4]، ثمّ على البَتْراء، ثمّ صَفَقَ[5] ذاتَ اليسار فخرج على

(١) يعني من السنة السادسة.

(٢) الغِرّة: الغفلة.

(٣) هو جبل أسود غرب المدينة، يبعد عنها ٧ كم تقريباً، ويسمَّى اليوم: جبل حُبْشي.

(٤) تصحف في (ت) إلى: مَخبِص، وفي سائر الأصول كما أثبتنا: مَخِيض، كمَخِيض اللَّبن، وهكذا قيَّده ياقوت في «معجم البلدان» ٥/ ٧٣ ومؤرّخ المدينة أبو الحسن السمهودي في «وفاء الوفا» ١/ ٨٣ و٤/ ١٤١، وهو وادٍ يعرف الآن باسم وادي مَخِيط، وهو حدُّ حِمَى المدينة من جهة الغرب، يبعد عن المسجد النبوي قرابة ١٢ كم.

وأما ما وقع عند الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» ٥/ ٣١، والزُّرقاني في «شرح المواهب اللدنّية» ٣/ ١٠٧، من أنه مَحِيصٌ، بالحاء والصاد المهملتين، فتصحيفٌ.

والبَتْراء: حَرّة بطرف مخيض من الغرب.

(٥) صفق، أي: عَدَل وانصرف.

يَيْنٍ[1]، ثمّ على صُخَيراتِ اليَمَام، ثمّ استقام به الطّريقُ على المَحَجّة[2] من طريق مكّة، فأغَذَّ[3] السّيرَ سريعاً حتى نَزَلَ على غُرَان، وهي منازلُ بني لِحْيانٍ، وغُرَانُ وادٍ بين أَمَجٍ وعُسْفانَ[4] إلى بلدٍ يقال له: سايَةُ، فوَجَدَهم قد حَذِروا وتَمنَّعُوا في رؤوس الجبال، فلمّا نَزَلها رسولُ الله ﷺ وأخطأَه من غِرَّتهم ما أرادَ، قال: «لو أنَّا هَبَطْنا عُسْفانَ لَرأَى أهلُ مكّةَ أنَّا قد جِئْنا مكّةَ»[5]، فخرج في مئتَي راكبٍ من أصحابه حتّى نَزَلَ عُسْفان، ثمّ بَعَثَ فارسَينِ من أصحابه حتّى بَلَغا كُرَاعَ الغَمِيم[6]، ثمّ كَرَّا وراحَ رسولُ الله ﷺ قافلاً.

فكان جابرُ بن عبد الله يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول حين وَجَّهَ راجعاً:

---

(١) في بعض النسخ الخطية: بين، بباء في أوله، وفي بعضها: يين، بياءين، وهو الصواب، وهو نفسه مَرَيَين الذي تقدم ذكره في طريقه ﷺ إلى بدرٍ ص٣٠٧.

وصُخَيرات اليمام التي بعده تبعد عن المدينة قرابة ٥٠ كم. وانظر «معجم المعالم الجغرافية» للبِلاديّ ص٢٢٤.

(٢) المَحجّة: جادّة الطريق، وهي الطريق المسلوكة.

(٣) أي: أسرع.

(٤) وهو يقع شمال غرب مكة على قرابة ٨٥ كم، وأما سايةُ - وهو وادٍ تسمَّى قاعدته اليوم: الكامل - فإلى الشرق منه على قرابة ٥٠ كم.

(٥) صحيح متصل إن كان عبد الله بن كعب سمع هذا الحرف من جابر بن عبد الله بالسند المذكور لاحقاً، وإلا فهو مرسلٌ قويٌّ رجاله ثقات، وعبد الله بن كعب من كبار التابعين.

وعُسفان: شمال غرب مكة على قرابة ٧٥ كم.

(٦) كُراع الغميم: موضع يقع جنوب عُسفان بقرابة ١٦ كم على الطريق إلى مكة، ويبعد عن مكة ٦٤ كم تقريباً، ويعرف اليوم ببَرْقاء الغميم، ذلك أن أرضه بَرْقاء في تكوينها، والبَرْقاء والأبرق والبُرْقة: مرتفع تختلط فيه الحجارة بالرمل. قاله البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢٦٤.

«آيِبُونَ تائِبُونَ إن شاءَ الله، لرَبِّنا حامِدُون، أعوذُ بالله من وَعْثاءِ السَّفَر وكَآبةِ المُنقَلَب[1] وسُوءِ المَنظَرِ في الأهلِ والمالِ»[2].

(١) الوعثاء: المشقّة والشدّة. والكآبة: تغيّر النفس من حزنٍ وغيره. والمُنقلَب: الرجوع.

(٢) حديث صحيح، وهو من رواية عبد الله بن كعب عن جابر بالإسناد اللاحق.

وخالف إبراهيمُ بن يحيى بن محمد بن عبّاد الشَّجَريُّ فرواه عن أبيه عن ابن إسحاق عند المحاملي في «الدعاء» (٨٦)، والطبراني في «الأوسط» (٦٠٤٤)، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن سعيد بن المسيّب، عن جابر. وإبراهيم وأبوه فيهما ضعفٌ، وعبد الله بن كعب عن جابر أصحُّ.

ورواه إبراهيم بن يزيد - وهو الخُوزِيّ - عن أبي الزبير عن جابر عند عبد الرزاق في «المصنف» (٩٢٤١)، ومن طريقه الطبراني في «الدعاء» (٨٤٥). والخوزيُّ هذا ضعيف جداً، لكن الحديث قد صحَّ من غير طريقه كما سبق.

والمحفوظ في حديث أبي الزبير أنه رواه عن عليٍّ الأزديّ عن ابن عمر، هكذا رواه عنه ابنُ جريج فيما أخرجه أحمد (٦٣٧٤) ومسلم (١٣٤٢) وغيرهما.

وروي نحو هذا الدعاء في السفر من حديث عبد الله بن سَرجِس أيضاً عند أحمد (٩٢٠٥) ومسلم (١٣٤٣). وليس في هذه الأحاديث تعيين اسم الغزوة.

فائدة: في هذه الغَزَاة حرَّم النبيُّ ﷺ المدينةَ فجعلها حراماً، ذكر ذلك أبو سعيد الخُدْري فيما أخرجه مسلم (١٣٧٤) من حديثه قال: خرجنا مع نبي الله ﷺ حتى قدمنا عُسفانَ، فأقام بها ليالِيَ، فقال الناس: والله ما نحن هاهنا في شيءٍ، وإنّ عيالنا لخُلُوفٌ ما نأمَنُ عليهم! فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فقال: «ما هذا الذي بلغني من حديثكم؟! والذي أَحلِفُ به، إن شئتم لآمرنَّ بناقتي تُرحَلُ، ثم لا أَحُلُّ لها عُقدةً حتى أَقدَمَ المدينة»، وقال: «اللهمَّ إن إبراهيم حرَّم مكة فجعلها حَرَماً، وإني حرَّمتُ المدينةَ حراماً ما بين مَأزِمَيها (أي: جبلَيها)، أن لا يُهراقَ فيها دم، ولا يُحمَلَ فيها سلاح لقتال، ولا تُخبَطَ فيها شجرةٌ إلا لعَلَف، اللهمّ بارك لنا في مدينتنا، اللهمّ بارك لنا في صاعنا، اللهمّ بارك لنا في مُدِّنا، اللهمّ بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مُدِّنا، اللهمّ بارك لنا في مدينتنا، اللهمّ اجعل مع البركة بركتين، والذي نفسي بيده، ما من المدينة شِعبٌ ولا نَقْبٌ إلا عليه ملكان يَحرُسانها =

والحديثُ عن غزوة بني لِحْيانَ عن عاصمِ بن عمر بن قَتَادة وعبدِ الله بن أبي بكرٍ عن عبد الله بن كعب بن مالكٍ.

فقال كعبُ بن مالكٍ في غزوة بني لِحْيان:

لـوَ أنَّ بنـي لِحيـانَ كـانوا تَنـاظَرُوا ... لَقُوا عُصَباً في دارِهـمْ ذاتَ مَصـدَقِ[1]

لَقُوا سَـرَعاناً يَمـلأُ السَّـرْبَ رَوْعُه ... أمـامَ طَحُـونٍ كـالمَجَرّةِ فَيلَـقِ[2]

ولكـنَّهم كـانوا وِبَـاراً تَتبَّعَـت ... شِـعابَ حِجَـارٍ غيـرَ ذي مُتَنفَّـقِ[3]

= حتى تَقدَمُوا إليها»، ثم قال للناس: «ارتَحِلوا»، فارتحلنا، فأقبلنا إلى المدينة، فوالذي نَحلِفُ به، ما وضعنا رحالَنا حين دخلنا المدينةَ حتى أغار علينا بنو عبد الله بن غَطَفان، وما يَهيجُهم قبل ذلك شيءٌ.

(١) تناظروا: انتظر بعضُهم بعضاً. والعُصَب: جمع عُصْبة، وهي الجماعة. والمَصدَق: الصدق.

(٢) السَّرَعان: أول القوم. والسَّرْب: الطريق، والسِّرْب: النَّفْس، وكلا المعنيين محتمل. والرَّوع: الفَزَع. والطَّحُون: الكتيبة تطحن كلَّ ما تمرُّ به.

والمَجرّة: مجرّة السماء، وهي نجوم كثيرة يختلط ضوؤها في السماء، أراد التشبيه بها في الكَثرة. والفيلق: الكتيبة الشديدة.

(٣) الوِبار: جمع وَبْرٍ، وهي دُوَيبّة على قدر الهرّ، تشبِّه بها العربُ الضعفاءَ. والشِّعاب: جمع شِعْب، وهو المُنخفِض من الأرض والمنفرَج بين الجبلين.

وأما حِجارٌ، فهي هكذا في (ت) و(ش٢) و(ص) و(غ) و(ي): جمع حَجَر، وفي (ق٢): جِحار، جمع جُحْر، وفي (ش١) و(ف): حِجاز، وهو الإقليم المعروف، وقُيِّد في (م) بالأوجه الثلاث، ويروى: حِجَان، بالنون، كما وقع عند أبي ذر الخشنيّ في «إملائه» ص٣٢٩، أي: معوجَّة.

وقوله: غير ذي متنفّق، أي: ليس له باب يخرج منه، وأصله من النّافِقاء، وهو أحد أبواب جُحرة اليربوع أو الوَبْر.

غزوة ذي قَرَدٍ

ثمّ قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، فلم يُقِمْ بها إلّا لياليَ قلائلَ حتّى أغار عُيَينةُ بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدرٍ الفَزَاريُّ[1] في خيلٍ من غَطَفانَ على لِقَاحٍ[2] رسول الله ﷺ بالغابة[3]، وفيها رجلٌ من بني غِفارٍ[4] وامرأةٌ له، فقتلوا الرّجلَ واحتَملوا المرأة في اللِّقاح.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة وعبدُ الله بن أبي بكرٍ، ومَن لا أتّهمُ عن عبدالله بن كعب بن مالكٍ، كلٌّ قد حدَّث عن غزوة ذي قَرَدٍ بعضَ الحديث[5]: أنه كان أوّلَ مَن نَذِرَ بهم[6] سَلَمةُ بن عمرو بن الأكوَع الأسلَميّ، غَدَا يريد الغابةَ مُتوَشِّحاً قوسَه ونَبْلَه ومعه غلامٌ لطلحة بن عُبيد الله معه فرسٌ له يقودُه،

---

(١) وفي حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم (١٨٠٧): أن الذي أغار هو ابنه عبد الرحمن بن عيينة، وفيه أنه قُتل في ملاحقة المسلمين له، قتله أبو قتادة الأنصاري. فالظاهر أن كليهما كان حاضراً، وأن الابن هو الذي تقدَّم للإغارة.

(٢) اللِّقاح: الإبل الحوامل ذوات الألبان، مفردها: لِقْحة.

(٣) الغابة: موضع في الشمال الغربي من المدينة على ثمانية أميال منها، وهي غرب أُحد وتمتد شمالاً إلى منطقة العيون، وسُمّيت الغابة للتجمّع الكثيف لشجيرات الطَّرفاء فيها لانتشار المستنقعات في ذلك الموضع، وقد امتدَّ إليها اليوم العمرانُ.

وتسمى هذه الغزوة بها أيضاً فيقال: غزوة الغابة.

(٤) هذا الرجل الغفاري هو ابن أبي ذرٍّ، كما ذكر الواقديُّ وصاحبه ابن سعد.

(٥) ويشهد لحديثهم المرسل هذا حديث سلمة بن الأكوع الطويل بنحوه في قصة هذه الغزوة عند مسلم في «صحيحه» (١٨٠٧)، وأصله عند البخاري أيضاً (٣٠٤١) و(٤١٩٤).

وذو قرد: جبل أسود بأعلى وادي النُّقمَى شمال شرقيّ المدينة على قرابة ٣٥ كم.

(٦) أي: عَلِمَ بهم.

حتّى إذا عَلَا ثَنيَّةَ الوَدَاع[1] نَظَرَ إلى بعض خيولهم، فأشرَفَ في ناحيةٍ من سَلْعٍ ثمّ صَرَخَ: واصَبَاحاه، ثمّ خرج يَشتَدُّ في آثار القوم، وكان مثلَ السَّبُع، حتّى لَحِقَ بالقوم فجَعَلَ يَرُدُّهم بالنَّبْل، ويقول إذا رَمَى: خُذْها

وأنـا ابـنُ الأكـوَعِ اليومُ يومُ الرُّضَّـعِ[2]

فإذا وَجَّهَت الخيلُ نحوه انطَلَقَ هارباً، ثمّ عارَضَهم، فإذا أمكَنَه الرّميُ رمى ثمّ قال: خُذها

وأنـا ابـنُ الأكـوَعِ اليومُ يومُ الرُّضَّـعِ

قال: فيقول قائلُهم: أُوَيكِعُنا هو أوّلَ النّهار!

قال: وبَلَغَ رسولَ الله ﷺ صياحُ ابن الأكوَع، فصَرَخَ بالمدينة: «الفَزَعَ الفَزَعَ»، فتَرامَتِ الخيولُ إلى رسول الله ﷺ.

فكان أوّلَ مَن انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفُرسانِ المِقدادُ بن عمرٍو ـ وهو الذي يقال له: المِقدادُ بن الأسوَد ـ حليفُ بني زُهْرة، ثمّ كان أوّلَ فارسٍ وَقَفَ على رسول الله ﷺ بعدَ المِقدادِ من الأنصار عبّادُ بن بِشْر بن وَقْش بن زُغْبة بن زَعُوراءَ أحدُ بني عبد الأشهَل، وسعدُ بن زيدٍ أحدُ بني كعب بن عبد الأشهَل، وأُسَيدُ بن ظُهَيرٍ أخو بني حارثة بن الحارث ـ يُشَكُّ فيه ـ وعُكّاشةُ بن مِحصَنٍ أخو بني أَسد بن خُزَيمة، ومُحرِزُ بن نَضْلة أخو بني أَسد بن خُزَيمة، وأبو قَتَادةَ الحارثُ بن رِبْعيٍّ

---

(١) الثَّنيّة: الطريق في الجبل، وهذه الثنية من جبل سَلْع على طرفه الشرقي الشمالي، وفيها عُبِّد الطريق الذاهب إلى العيون والشام، وهي اليوم في قلب عمران المدينة، كما قال البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٣٣٢.

(٢) الرُّضَّع: جمع راضع، وهو هنا اللئيم، والمعنى: اليوم يوم هلاك اللِّئام.

أخو بني سَلِمةَ، وأبو عيّاشٍ ـ وهو عُبَيدُ بن زيد بن الصّامت ـ أخو بني زُرَيقٍ، فلمّا اجتَمَعوا إلى رسول الله ﷺ أمَّرَ عليهم سعدَ بن زيدٍ، ثمّ قال: «اخرُجْ في طَلَبِ القومِ حتّى أَلحَقَك في النّاس».

وقد قال رسولُ الله ﷺ ـ فيما بَلَغَني عن رجالٍ من بني زُرَيقٍ لأبي عيّاشٍ ـ: «يا أبا عيّاشٍ، لو أعطَيتَ هذا الفَرَسَ رجلاً هو أفرَسُ منك، فلَحِقَ بالقومِ!»، قال أبو عَيّاشٍ: فقلت: يا رسول الله، أنا أفرَسُ النّاس؛ وضَرَبتُ الفرسَ، فوالله ما جَرَى بي خمسين ذِراعاً حتّى طَرَحَني، فعَجِبتُ أنّ رسول الله ﷺ يقول: «لو أعطَيتَه أفرَسَ منك»، وأنا أقول: أنا أفرسُ النّاس[1].

فزَعَمَ رجالٌ من بني زُرَيق: أن رسول الله ﷺ أعطى فرسَ أبي عيّاشٍ معاذَ بن ماعِصٍ أو عائذَ بن ماعص بن قيس بن خَلْدة[2]، وكان ثامناً، وبعضُ الناس يَعُدُّ سَلَمةَ بن عمرو بن الأكوَع أحدَ الثّمانية ويَطرَحُ أُسيدَ بن ظُهَيرٍ أخا بني حارثة، والله أعلمُ أيُّ ذلك كان، ولم يكن سَلَمةُ يومَئذٍ فارساً، قد كان أوّلَ مَن لَحِقَ بالقوم على رِجلَيه، فخرج الفرسانُ في طَلَب القوم حتّى تَلاحَقُوا.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنّ أوّلَ فارسٍ لَحِقَ بالقوم مُحرِزُ بن نَضْلة أخو بني أَسد بن خُزَيمة ـ وكان يقال لمُحرِزٍ: الأخرَمُ، ويقال له: قُمَيرٌ ـ وأنَّ الفَزَعَ لمّا كان جالَ فرسٌ لمحمود بن مَسلَمة في الحائط حين سَمِعَ صاهلةَ

(١) قصة أبي عياش هذه من بلاغات ابن إسحاق التي لم نقف له فيها على إسناد، فهي ضعيفة لإبهام رواتها، وقد رواها أيضاً إبراهيم بن المنذر الحِزامي عن محمد بن طلحة بن عبد الله التَّيمي مرسلاً عند الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٢٧٨)، ومحمد بن طلحة هذا صدوق ممّن عاصر صغار التابعين، وهو من شيوخ ابن إسحاق، فلعلّه حملها عنه، والله تعالى أعلم.

(٢) ومعاذ وعائذ أخوان، وقد شهدا بدراً.

الخيل، وكان فرساً صَنِيعاً جامّاً[1]، فقال نساءٌ من نساءِ بني عبد الأشهَل حين رأَينَ الفرسَ يَجُولُ في الحائط بجِذْعِ نخلٍ هو مربوطٌ به: يا قُمَيرُ، هل لك في أن تَركَبَ هذا الفرسَ، فإنّه كما تَرَى، ثمّ تَلحَقَ برسول الله ﷺ وبالمسلمين؟ قال: نعم، فأعطَيْنَه إيّاه، فخرج عليه، فلم يَلبَثْ أن بَذَّ الخيلَ بجَمَامِه[2] حتّى أدرَكَ القومَ، فوَقَفَ لهم بين أيديهم ثمّ قال: قِفُوا يا معشرَ بني اللَّكِيعةِ[3] حتّى يَلحَقَ بكم مَن وراءَكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار. قال: وحَمَلَ عليه رجلٌ منهم فقتله، وجالَ الفرسُ فلم يُقدَرْ عليه حتّى وَقَفَ على آريِّهِ[4] في بني عبد الأشهَل، فلم يُقتَل من المسلمين غيرُه[5].

قال ابن هشام: وقُتِل يومَئذٍ من المسلمين مع مُحرِزٍ وقّاصُ بن مُجزِّزٍ المُدلِجيّ،

---

(١) جال الفرسُ: نَفَرَ من مكانه. والحائط: البستان. والفرس الصَّنيع: هو الذي يُخدِمُه أهلُه ويقومون عليه ويعتنون به. وجامّاً، أي: مرتاحاً له مدّة لم يُركَب.

(٢) بذَّ الخيل بجَمَامه، أي: سبقها بنشاطه.

(٣) اللَّكيعة: اللَّئيمة.

(٤) الآريّ: الحبل الذي تُشدّ به الدابة، وقد يسمى الموضع الذي تُحبَس فيه الدابة آرِيّاً أيضاً.

(٥) وذكر قصةَ مقتله سلمةُ بن الأكوع في سياق حديثه عند مسلم (١٨٠٧) فقال: ما بَرِحتُ مكاني حتى رأيت فوارسَ رسول الله ﷺ يتخلَّلون الشجرَ، فإذا أوّلهم الأخرمُ الأسديّ على إثره أبو قتادة الأنصاري، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكِندي، فأخذتُ بعِنان الأخرم، قال: فولَّوا (أي: الغطفانيُّون) مُدبِرين، قلت: يا أخرم، احذرهم لا يَقتطِعوك، حتى يَلحَقَ رسولُ الله وأصحابُه، قال: يا سلمة، إن كنتَ تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلمُ أن الجنة حقٌّ والنار حقٌّ، فلا تَحُلْ بيني وبين الشهادة، قال: فخلَّيته، فالتقى هو وعبد الرحمن (يعني الفَزَاري) فعَقَرَ بعبد الرحمن فرسَه (أي: ضرب قوائمه بالسيف)، وطعنه عبدُالرحمن فقتله وتحوَّل على فرسه، ولَحِقَ أبو قتادة فارسُ رسول الله ﷺ بعبد الرحمن، فطعنه فقتله.

فيما ذكر غيرُ واحدٍ من أهل العلم.

قال ابن إسحاق: وكان اسمُ فرس محمودٍ ذا اللِّمّة[1].

قال ابن هشام: وكان اسمَ فرس سعد بن زيدٍ: لاحقٌ، واسمَ فرس المِقْداد: بَعزَجةُ، ويقال: سَبْحةُ[2]، وفرسَ عُكّاشة بن مِحصَن: ذو اللِّمّة، وفرسَ أبي قَتَادة: حَزْوةُ[3]، وفرسَ عبّاد بن بِشْر: لمّاعٌ، وفرسَ أُسَيد بن ظُهَير: مسنونٌ، وفرسَ أبي عيّاشٍ: جُلْوة[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ من لا أتّهمُ عن عبد الله بن كعب بن مالكٍ: أنّ مُحرِزاً إنّما كان على فرسٍ لعُكّاشة بن مِحصَن يقال له: الجَناحُ، فقُتل مُحرِزٌ واستُلِبَت الجَناحُ.

ولمّا تلاحَقَت الخيلُ قَتَل أبو قَتَادة الحارثُ بن رِبْعيٍّ أخو بني سَلِمةَ حَبِيبَ بن عُيَينة بن حِصْن[5] وغَشّاه بُرْدَه ثمّ لَحِقَ بالناس، وأقبَلَ رسولُ الله ﷺ في المسلمين

---

(١) اللِّمّة: الشعر الطويل.

(٢) قال السهيلي في «الروض» ٦/ ٤٢١: البَعزَجة: شدّة جريٍ في مُغالَبة، كأنه منحوت من: بَعَجَ، إذا شَقَّ، وعَزَّ، أي: غَلَبَ، وأما سَبْحة، فمن: سَبَحَ، إذا علا علوّاً في اتّساع.

(٣) في (ت) و(ص): حزورة، والمثبت من بقية النسخ، قال السهيلي: حَزْوةُ: من حَزَوتُ الطيرَ، إذا زَجَرْتها، أو من: حَزَوتُ الشيءَ، إذا أظهرته.

(٤) وهو ـ كما قال السهيلي ـ من: جَلَوتُ السيفَ، كأنها تجلو الهمَّ عن قلب صاحبها. أما مسنونٌ فمن: سننتُ الحديدةَ، إذا صَقَلْتها.

(٥) كذا وقع لابن إسحاق، وذكر الواقدي وصاحبه ابن سعد: أن الذي قتل حبيباً هو المقداد ابن عمرو.

وأما أبو قتادة الأنصاري فقتل أخاه عبدَ الرحمن على ما في حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم (١٨٠٧).

ـ واستَعمَلَ على المدينة ابنَ أمِّ مكتومٍ، فيما قال ابن هشام ـ فإذا حَبيبٌ مُسجًّى[1] ببُرْد أبي قَتَادة، فاستَرجَعَ الناسُ[2] وقالوا: قُتِلَ أبو قَتَادة، فقال رسول الله ﷺ: «ليس بأَبي قَتَادةَ، ولكنَّه قتيلٌ لأبي قَتَادةَ، وَضَعَ عليه بُرْدَه لتَعرِفوا أنَّه صاحبُه».

وأدرَكَ عُكّاشةُ بن مِحصَن أَوْباراً وابنَه عمرَو بن أَوبارٍ، وهما على بعيرٍ واحدٍ، فانتظَمَهما بالرُّمح فقتلهما جميعاً، واستَنقَذوا بعضَ اللِّقاح، وسارَ رسولُ الله ﷺ حتّى نَزَلَ بالجبل من ذي قَرَدٍ، وتلاحَقَ به الناسُ، فنَزَلَ رسولُ الله ﷺ به وأقامَ عليه يوماً وليلةً، وقال له سَلَمةُ بن الأكوَع: يا رسول الله، لو سَرَّحتَني في مئة رجلٍ لاستَنقَذتُ بقيّةَ السَّرْحِ وأخذتُ بأعناقِ القوم، فقال له رسول الله ﷺ ـ فيما بَلَغَني ـ: «إنَّهم الآنَ لَيُغبَقُونَ في غَطَفانَ»[3].

---

(١) أي: مُغطّى.

(٢) أي: قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٣) يُغبَقون، أي: يُسقَون اللَّبن.

وفي حديث سلمة عند مسلم (١٨٠٧) من حديث إياسٍ ابنه عنه قال: قلت: يا رسول الله، خَلِّني فأَنتخِب من القوم مئةَ رجل فأَتَّبع القوم، فلا يبقى منهم مُخبِرٌ إلا قتلتُه، فضحك رسول الله ﷺ حتى بَدَتْ نواجذُه في ضَوْء النار، فقال: «يا سلمةُ، أتُراكَ كنتَ فاعلاً؟» قلت: نعم والذي أكرمك، فقال: «إنّهم الآن ليُقرَونَ (أي: يُطعَمون الطعام) في أرض غَطَفان»، قال: فجاء رجل من غطفان فقال: نَحَرَ لهم فلانٌ جَزُوراً، فلمّا كشفوا جلدَها رأَوا غباراً، فقالوا: أتاكم القوم! فخرجوا هاربين.

وفي حديث يزيد بن أبي عبيد عن سلمة عند البخاري (٣٠٤١) و(٤١٩٤) ومسلم (١٨٠٦) قال: قلت: يا نبيَّ الله، إني قد حَمَيتُ القومَ الماءَ (أي: منعتهم من الشرب) وهم عِطاشٌ، فابعَثْ إليهم الساعةَ، فقال: «يا ابنَ الأكوع، مَلَكتَ فأَسجِحْ».

قوله: «فأسجِحْ»، أي: أحسِن وارفُقْ.

فقَسَمَ رسولُ الله ﷺ في أصحابه في كلِّ مئة رجلٍ جَزُوراً[1]، وأقاموا عليها، ثمّ رجع رسولُ الله ﷺ قافلاً حتّى قَدِمَ المدينة.

وأفلَتَت[2] امرأةُ الغِفاريِّ على ناقةٍ من إبلِ رسول الله ﷺ حتّى قَدِمَت عليه فأخبرته الخبرَ، فلمّا فَرَغَت قالت: يا رسول الله، إنّي قد نَذَرتُ لله أن أَنحَرَها إن نَجّاني اللهُ عليها! قال: فتبَسَّمَ رسولُ الله ﷺ ثمّ قال: «بئسَ ما جَزَيتِها أنْ حَمَلَكِ اللهُ عليها ونَجّاكِ بها ثمّ تَنحَرِينَها، إنَّه لا نَذْرَ في مَعصِيَةِ الله، ولا فيما لا تَملِكِينَ، إنّما هي ناقةٌ من إبِلِي، ارجِعِي إلى أهلِكِ على بَرَكةِ الله».

والحديثُ عن امرأة الغِفاريّ وما قالت وما قال لها رسولُ الله ﷺ عن أبي الزُّبَير المكّيِّ عن الحسن بن أبي الحسن البَصْريّ[3].

وكان ممّا قيلَ من الشِّعر في يومِ ذي قَرَدٍ قولُ حسّان بن ثابتٍ[4]:

---

(١) الجزور: البعير، وهذه القسمة للإطعام وليست للفَيْء. وكانوا فيما قيل: خمس مئة رجل أو سبع مئة، كما في «مغازي الواقدي» ٢/ ٥٤٦ و«طبقات ابن سعد» ٢/ ٧٧، وذلك أن الأمداد من المدينة تلاحَقَت بالنبيّ ﷺ، فلم تزل الخيلُ تأتيه والرِّجالُ على أقدامهم، والإبلُ، والقومُ يعتقبون البعيرَ والحمارَ، حتى انتهَوْا إلى رسول الله ﷺ بذي قَرَد.

وأقام النبيُّ ﷺ في هذه الغزوة من مخرجه من المدينة إلى أن عاد إليها خمسة أيام.

(٢) في (ش١) و(ش٢): وأقبلت.

(٣) وهو حديث صحيح وإن كان وقع هنا مرسلاً، فقد وصله بنحوه عن الحسن البصريِّ عن عِمران بن الحُصينِ منصورُ بن المعتمر عند أحمد (١٩٨٥٦)، والنسائي في «الكبرى» (٨٧٠٩)، وابن حبان (٤٣٩٢). ورجاله ثقات إلا أن الحسن البصريَّ لم يسمع من عمران، لكن تابعه عن عمرانَ أبو المهلَّب الجَرْميُّ عند أحمد (١٩٨٦٣)، ومسلم (١٦٤١)، وأبي داود (٣٣١٦)، فصحَّ الحديث واتَّصل. وسمَّى أبو المهلَّب في حديثه هذه الناقة، وهي العَضْباء.

(٤) انظر «ديوانه» ١/ ٢٧٦.

لولا الّذي لاقَتْ ومَسَّ نُسورَها ... بجُنوبِ سايةَ أَمسِ في التَّقْوادِ[1]

لَلَقِينَكُم يَحمِلنَ كلَّ مُدجَّجٍ ... حامي الحَقيقةِ ماجدِ الأجدادِ[2]

ولَسَرَّ أولادَ اللَّقيطةِ أنّنا ... سِلْمٌ غَداةَ فوارسِ المِقدادِ[3]

كنّا ثمانيةً وكانوا جَحْفلاً ... لَجِباً فشُكُّوا بالرِّماحِ بَدَادِ[4]

كنّا من القومِ الذينَ يَلُونَهمْ ... ويُقدِّمون عِنانَ كلِّ جَوادِ

كلَّا وربِّ الرّاقصاتِ إلى منًى ... يَقطَعنَ عُرْضَ مَخارمِ الأطوادِ[5]

---

(١) أضمر ذكر الخيل وإن لم يقدِّم لها ذكراً، لأن الكلام عليها، والنُّسور: ما يكون في باطن حافر الدابة مثل الحصى والنوى.

وجُنوب سايةَ: نواحيه، وساية: وادٍ كثير القرى والزروع شمال مكة، قاعدته تُسمّى اليوم: الكامل، وتبعد عن مكة قرابة ١٠٠ كم.

والتَّقواد: جرُّها بمقاودِها، وهي لُجُم الخيل.

(٢) المدجَّج: الكامل السلاح. والحامي: المانع. والحقيقة: ما يحقُّ على الرجل أن يحميه من عِرض ومتاع وغيرهما. والماجد: الشريف النسب.

(٣) أولاد اللَّقيطة: الملتقَطون الذين لا يُعرَف آباؤهم. والسِّلْم، بفتح السين وكسرها: الصُّلح.

(٤) الجحفل: الجيش الكثير. واللَّجِب: الكثير الأصوات.

وقوله: شُكُّوا، أي: طُعِنوا، وفي رواية محمد بن حبيب للديوان: فشُلُّوا، باللام، وهي التي صحَّحها الشيخ أبو بحر الأسديُّ النحوي على حاشية نسخته من «السيرة» خلافاً لما في رواية ابن إسحاق، ذكر ذلك السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٤٢٧، ثم فسّرها فقال: والشَّلّ: الطَّرد.

وبَدَادِ: من التبدُّد، وهو التفرُّق. وهو في موضع نصبٍ غير أنه مبنيٌّ، ونصبُه كانتصاب المصدر إذا قلت: مشيتُ القَهقَرى، وقعدتُ القُرفُصاءَ، وكأنه قال: طُعِنوا الطعنة التي يقال لها: بَدَادِ. قاله السهيليُّ.

(٥) الراقصات: يعني الإبل، والرَّقص: نوع من مشيها. والمخارم: جمع مَخرَم، وهو ما بين الجبلين. والأطواد: الجبال المرتفعة.

حتّى نُبيلَ الخيلَ في عَرَصاتِكم ... ونَؤُوبَ بالمَلَكاتِ والأولادِ[1]

رَهْواً بكلِّ مُقلِّصٍ وطِمِرَّةٍ ... في كلِّ مُعتَرَكٍ عَطَفنَ رَوَادِ[2]

أفنَى دَوابرَها ولاحَ مُتونَها ... يومٌ تُقادُ به ويومُ طِرَادِ[3]

فكَذاكَ إنَّ جيادَنا مَلبُونةٌ ... والحربُ مُشعَلةٌ بريحِ غَوَادِ[4]

وسيوفُنا بيضُ الحدائدِ تَختَلي ... جُنَنَ الحديدِ وهامةَ المُرتادِ[5]

أخذَ الإلٰهُ عليهمِ لحَرامِهِ ... ولعِزّةِ الرَّحمنِ بالأسدادِ[6]

كانوا بدارٍ ناعمِينَ فبُدِّلوا ... أيّامَ ذي قَرَدٍ وُجوهَ عِبادِ[7]

قال: فلمّا قالها حسّانُ، غَضِبَ عليه سعدُ بن زيدٍ وحَلَفَ أن لا يكلِّمَه أبداً، قال: انطَلَقَ إلى خيلي وفوارسي فجَعَلها للمِقْداد! فاعتَذَرَ إليه حسّانُ وقال: والله ما ذاكَ

---

(١) نُبِيل، أي: نجعلها تبول. والعَرَصات: جمع عَرْصة، وهي وسط الدار. ونؤوب: نرجع. والمَلَكات: النساء اللائي أُملِكنَ في الحرب.

(٢) الرَّهو: المشي في سكون. ومقلِّص: مشمِّر مسرع. وطِمِرّة: فرس وثّابة سريعة. والمعترك: موضع الحرب. ورَوَادي، بفتح الراء: سريعات، أي: تَرْدي بفُرسانها، يعني: تُسرِع بهم، ومن رواه: رِوَادِ، بكسر الراء: فهو المشي الرُّوَيد، وهو الذي فيه فتورٌ.

(٣) دوابرها: أواخرها. ولاحَ: غيَّر وأضعف. ومتونها: ظهورها. والطِّراد: مطاردة الأبطال بعضهم بعضاً.

(٤) ملبونة: تُسقَى اللبن. ومشعلة: مُوقَدة. وغَوَادِ: جمع غاديةٍ، والغدوُّ: أول النهار.

(٥) تختلي، بالخاء وروي بالجيم، أي: تُقطَع. والجَنَن: جمع جُنّة، وهي هنا ما يستر جسد المحارب من خُوذة ودرع وترس، أو المراد: السلاح كله. والهامة: الرأس. والمرتاد: الطالب للحرب.

(٦) الأسداد: جمع سَدٍّ، وهو ما يُسَدُّ به على الإنسان فيمنعه عن وجهه.

(٧) عِباد، أي: عَبيد.

أردتُ، ولكنّ الرَّوِيَّ[1] وافقَ اسمَ المِقْداد، وقال أبياتاً يُرضي بها سعداً:

إذا أرَدتُـمُ الأشـدَّ الجَلْـدا أو ذا غَنـاءٍ فعلـيكُمْ سـعداً

سـعدَ بـن زيـدٍ لا يُهَـدُّ هَـدّا

فلم يَقبَل منه سعدٌ ولم تُغنِ شيئاً.

وقال حسّانُ بن ثابتٍ في يوم ذي قَرَدٍ[2]:

أظَـنَّ عُيَينـةُ إذ زارَهـا بـأنْ سـوفَ يَهـدِمُ فيهـا قُصـورا[3]

فأُكـذِبتَ مـا كنـتَ صـدَّقتَه وقلـتُم سـنَغنَمُ أمـراً كبيـرا

فعِفْـتَ المدينـةَ إذ زُرتَهـا وآنَسـتَ للأُسـدِ فيهـا زَئِيـرا[4]

ووَلَّـوْا سِـراعاً كشَـدِّ النَّعـامِ ولم يَكشِفوا عن مُلِطٍّ حَصيرا[5]

أميـرٌ علينـا رسـولُ المليـكِ أَحبِـبْ بـذاكَ إلينـا أَميـرا

رسـولٌ نصـدّقُ مـا جـاءَه ويَتلُـو كتابـاً مُضـيئاً مُنيـرا

وقال كعبُ بن مالكٍ في يوم ذي قَرَدٍ للفوارس:

---

(١) الرَّويّ: هو آخر حرف صحيح في البيت، وعليه تُبنى القصيدة كلها وإليه تُنسَب، فيقال: قصيدة داليّة أو ميمية أو نونية أو عينية، إذا كان الرويُّ فيها دالاً أو ميماً أو نوناً أو عيناً.

(٢) انظر «ديوانه» ١/ ١٦٩.

(٣) زارها، أي: المدينة.

(٤) عِفتَ: كرهتَ. وآنستَ: أحسستَ ووجدتَ. والزئير: صوت الأسد.

(٥) الشدّ: الجري.

وقوله: لم يكشفوا عن مُلطٍّ حصيراً، أي: لم يصيبوا بعيراً ولا كشفوا عنه حصيراً، ويعني بالحصير: ما يُجعَل حول الإبل من عيدان الحظيرة لتسترها وتحفظها، والمُلِطّ: من قولهم: لطَّت الناقةُ وألطَّت بذَنَبها، إذا أدخلته بين رجليها.

أتحسَبُ أولادُ اللَّقيطةِ أنّنا ... على الخيل لسنا مِثلَهم في الفوارسِ

وإنّا أُناسٌ لا نَرَى القتلَ سُبّةً ... ولا نَنثَني عند الرِّماحِ المَداعسِ[1]

وإنّا لنَقْري الضَّيفَ من قَمَعِ الذُّرَى ... ونضربُ رأسَ الأبلَخِ المُتَشاوِسِ[2]

نَرُدُّ كُماةَ المُعلِمينَ إذا انتَخَوْا ... بضربٍ يُسلِّي نَخْوةَ المُتَقاعسِ[3]

بكلِّ فتًى حامي الحقيقةِ ماجدٍ ... كريمٍ كسِرْحانِ الغَضاةِ مُخالِسِ[4]

يَذودُون عن أحسابِهم وتِلادِهم ... ببِيضٍ تَقُدُّ الهامَ تحت القَوانِسِ[5]

فسائِلْ بني بدرٍ إذا ما لَقِيتَهم ... بما فعلَ الإخوانُ يومَ التَّمارُسِ[6]

إذا ما خَرَجتُم فاصدُقوا[7] مَن لَقيتُمُ ... ولا تَكتُموا أخبارَكم في المجالسِ

---

(١) المداعس: المَطاعن، يقال: دَعَسَه بالرمح، إذا طعنه.

(٢) القَمَع: جمع قَمَعةٍ، وهي رأس سنام البعير. والذُّرى: الأسنمة. والأبلخ: المتكبِّر. والمتشاوس: الذي ينظر بمُؤخِر عينه نظر المتكبِّر.

(٣) الكُماة: الشجعان. والمُعلِم: الذي يضع علامة في الحرب يُعرَف بها لإقدامه وشجاعته. وانتخَوْا، هكذا في بعض النسخ بالخاء بمعنى: تكبَّروا، وفي بعضها بالحاء بمعنى: عَرَضوا لنا وقصدونا. ويسلِّي، أي: يكشف عنه هذه النخوة ويُنسيه إياها. والمتقاعس: الذي لا يَلِين ولا ينقاد.

(٤) السِّرحان: الذئب. والغضاة: شجرة، وجمعها: غَضًى. والمُخالس: الذي يخطف الشيءَ بسرعة على غفلة، ويقال: إن أخبث الذئاب وأشدها مكراً ذئاب الغضى.

(٥) يذودون: يمنعون ويدفعون. والأحساب: جمع حَسَبٍ: ما يُعدُّ من المآثر. والتِّلاد: المال القديم. وتقد: تقطع. والقوانس: جمع قَونَس، وهي حديدة طويلة في أعلى خُوذَة الحديد التي يلبسها المحارب على رأسه.

(٦) بنو بدر، أي: الذين شهدوا معركة بدرٍ. والتمارس: المضارَبة في الحرب والمقارَبة.

(٧) في (ت) و(ص) و(ط) و(ف) و(م): فاكتموا. وهو خطأ.

وقولوا: زَلَلْنا عن مَخالبِ خادِرٍ ... به وَحَرٌ في الصّدرِ ما لم يُمارِسِ[1]

قال ابن هشام: أنشدني بيتَه: وإنّا لنَقْري الضّيفَ، أبو زيدٍ.

قال ابن إسحاق: وقال شدّادُ بن عارضٍ الجُشَميُّ في يوم ذي قَرَدٍ لعُيَينةَ بن حِصْن، وكان عُيَينةُ يُكْنى بأبي مالك:

فهَلّا كَرَرتَ أبا مالكٍ ... وخيلُكَ مُدبِرةٌ تُقتَلُ

ذكرتَ الإيابَ إلى عَسجَرٍ ... وهَيْهاتَ قد بَعُدَ المَقفَلُ[2]

وطَمَّنتَ نفسَك ذا مَيْعةٍ ... مِسَحَّ الفضاءِ إذا يُرسَلُ[3]

إذا قَبّضَتْه إليك الشِّما ... لُ جاشَ كما اضطَرَمَ المِرجَلُ[4]

فلمّا عَرَفتُم عِبادَ الإلـ ... ـهِ لم يَنظُرِ الآخِرَ الأوّلُ[5]

عَرَفتُم فوارسَ قد عُوِّدُوا ... طِرادَ الكُماةِ إذا أَسهَلوا[6]

إذا طَرَدوا الخيلَ تَشقَى بهم ... فِضاحاً وإن يُطرَدُوا يَنزِلوا[7]

فيَعتَصِموا في سَواءِ المُقا ... مِ بالبِيضِ أخلَصَها الصَّيقَلُ[8]

---

(١) خادر، أي: أَسد في خِدْره، وهو الذي يلزم غابتَه ويحميها. والوَحَر: الحقد.

(٢) عسجر: اسم موضع لا يعرف اليوم. والمَقفَل: الرجوع.

(٣) ذا ميعة، أي: فرساً ذا نشاط. والمِسَحّ: الكثير الجَرْي. والفضاء: المتسع من الأرض.

(٤) جاش: تحرَّك وعلا. واضطرم: الْتَهَب، ويروى: اضطرب. والمِرجل: القِدر على النار.

(٥) لم ينظر، أي: لم ينتظر.

(٦) الكُماة: الشجعان. وأسهلوا: نزلوا السهل.

(٧) وإن يُطرَدوا ينزلوا، أي: إن طردتهم الخيل ينزلوا لملاقاتها وقتالها.

(٨) سواء المقام، أي: وسط إقامتهم في ساحة المعركة. والبِيض: يعني السيوف. وأخلَصَها الصَّيقلُ، أي: أزال الحدّاد ما عليها من الصدأ، فهي بيضاء تلمع.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

غزوةُ بني المُصطَلِق بالمُرَيسيع
في شعبان سنة ستٍّ

قال ابن إسحاق: وأقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينة بعضَ جُمادَى الآخرة ورَجَباً، ثمّ غَزَا بني المُصطَلِق من خُزَاعة في شعبانَ سنة ستٍّ[1].

قال ابن هشام: واستَعمَل على المدينة أبا ذرٍّ الغِفاريَّ، ويقال: نُمَيلة بن عبد الله اللَّيْثيّ.

---

(١) في وقت هذه الغزوة خلافٌ بين أصحاب المغازي والسير، فقول ابن إسحاق ومن تبعه كخليفة بن خيّاط والطبري: أنها كانت في شعبان من سنة ستٍّ بعد الخندق، وقول عُروة بن الزبير وقَتَادة والزهري وموسى بن عقبة والواقدي وابن سعد: أنها كانت في شعبان من سنة خمسٍ؛ أي: قبل غزوة الخندق التي كانت في شوّال سنة خمسٍ على الراجح كما تقدّم.

قال الحاكم في «الإكليل» كما في «فتح الباري» لابن حجر ١٢/ ٣١٦: قولُ عروة وغيره: أنها كانت سنة خمسٍ أشبهُ من قول ابن إسحاق. ثم قال ابن حجر: ويؤيّده ما ثَبَتَ في حديث الإفك (يعني عند البخاري: ٤١٤١): أنّ سعد بن معاذ تنازع هو وسعدُ بن عبادة في أصحاب الإفك، فلو كانت المريسيعُ في شعبان سنة ستٍّ مع كون الإفك كان فيها، لكان ما وقع في «الصحيح» من ذكر سعد بن معاذٍ غلطاً، لأن سعد بن معاذ مات أيام قُرَيظة، وكانت سنةَ خمس على الصحيح... فيظهر أن المريسيع كانت في سنة خمس في شعبان لتكون قد وَقَعَت قبل الخندق، لأن الخندق كانت في شوّال سنة خمس أيضاً فتكون بعدها، فيكون سعد بن معاذ موجوداً في المريسيع ورُمِيَ بعد ذلك بسهم في الخندق ومات من جِرَاحته في قُريظة.

وقال الذهبيُّ في الترجمة النبوية من «تاريخ الإسلام» ١/ ١٧٠: كانت (أي: غزوة المريسيع) في شعبان سنة خمس على الصحيح، بل المجزومُ به.

قلنا: وكان خروج رسول الله ﷺ من المدينة لملاقاة بني المصطلق في سبع مئة رجل فيما قيل، في يوم الاثنين لليلتين خَلَتا من شعبان، ورجع إليها لهلال شهر رمضان، فكان غيابه في هذه الغزاة ثمانية وعشرين يوماً.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة وعبدُالله بن أبي بكرٍ ومحمّدُ بن يحيى بن حَبّان، كلٌّ قد حدّثني بعضَ حديث بني المُصطَلِق؛ قالوا[1]: بَلَغَ رسولَ الله ﷺ أنّ بني المُصطَلِق يَجمَعُون له وقائدُهم الحارثُ بن أبي ضِرارٍ أبو جُوَيرِيَة بنت الحارث، زوجِ رسول الله ﷺ، فلمّا سمع رسولُ الله ﷺ بهم خرج إليهم حتّى لَقِيَهم على ماءٍ من مياههم يقال له: المُرَيسِيعُ، من ناحية قُدَيدٍ إلى السّاحل[2]، فتَزاحَفَ الناسُ واقتتلوا، فهَزَمَ اللهُ بني المُصطَلِق، وقَتَلَ مَن قَتَلَ منهم، ونَفَّلَ رسولَ الله ﷺ أبناءَهم ونساءَهم وأموالَهم فأفاءَهم عليه[3].

---

(١) وهؤلاء من ثقات التابعين وأهل العلم منهم، فمراسيلهم يقوّي بعضها بعضاً فيصحُّ حديثهم، وقد رُوِيَت أبعاضه من وجوه أخرى كما سيأتي في محالّها.

ورواه من طريق ابن إسحاق الطبريُّ في «تاريخه» ٢/ ٦٠٤-٦٠٧، وفي «تفسيره» ٢٢/ ٦٦٦-٦٦٩، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٥٢-٥٣.

(٢) أي: ساحل البحر الأحمر، وبين هذا الساحل وبين المريسيع قرابة ٦٠ كم، والمريسيع: موضع فيه ماءٌ في أعالي وادي قُديد شمال غرب مكة، ويبعد عنها قرابة ١٣٠ كم.

(٣) روى عبدُ الله بن عمر بن الخطّاب، وكان في الجيش في هذه الغزوة: أن النبي ﷺ أغار على بني المُصطلِق وهم غارُّون (أي: غافلون)، وأنعامُهم تُسقَى على الماء، فقتل مُقاتِلتَهم، وسَبَى ذراريَّهم، وأصاب يومئذٍ جويريةَ. أخرجه البخاري (٢٥٤١) ومسلم (١٧٣٠).

وقد ذكر القصةَ ابنُ سعد في «الطبقات» ٢/ ٦٠ نحوَ ما ذكر ابن إسحاق، ثم أشار إلى حديث ابن عمر، ثم قال: والأول أثبت!

قال ابن حجر في «الفتح» ١٢/ ٣١٨: والحُكم بكون الذي في السير أثبت مما في «الصحيح» مردود، ولا سيما مع إمكان الجمع، والله أعلم.

قلنا: وكون النبي ﷺ أتاهم على الماء وهم غافلون، لا يعني أنهم لم يقاتلوا، بل يكونون عندما دَهَمَهم وهم على الماء قد ثبتوا وتصافُّوا ووقع بينهم وبين المسلمين قتالٌ، ثمّ غُلِبوا، فقُتل منهم من قُتل وأُسر أكثرهم. وبنحو هذا جمع ابنُ حجر.

وقد أُصيبَ رجلٌ من المسلمين من بني كَلْب بن عَوْف بن عامر بن ليث بن بكرٍ يقال له: هشام بن صُبَابة، أصابه رجلٌ من الأنصار من رَهْط عُبَادة بن الصّامت وهو يُرَى أنه من العدوِّ فقتله خطأً.

فبَيْنا رسولُ الله ﷺ[1] على ذلك الماءِ وَرَدَت واردةُ الناس، ومع عمر بن الخَطّاب أَجيرٌ له من بني غِفارٍ يقال له: جَهْجاهُ بن مسعودٍ، يقودُ فرسَه، فازدَحَمَ جَهْجاهٌ وسِنانُ بن وَبْرٍ[2] الجُهَنيُّ حليفُ بني عَوْف بن الخَزرَج على الماءِ فاقتَتَلا، فصَرَخَ الجُهَنيّ: يا معشرَ الأنصار، وصَرَخَ جَهْجاه: يا معشرَ المهاجرين، فغَضِبَ عبدُالله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ وعنده رَهْطٌ من قومه، فيهم زيدُ بن أرقَمَ غلامٌ حَدَثٌ، فقال: أقد فَعَلُوها، قد نافَرُونا وكاثَرُونا في بلادنا، والله ما أعُدُّنا وجلابِيبَ قريش هذه[3]، إلّا كما قال الأوّلُ: سَمِّنْ كلبَك يأكُلْك، أمَا والله لئِنْ رَجَعْنا إلى المدينة ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، ثمّ أقبَلَ على مَن حَضَرَه من قومه فقال: هذا ما فعلتُم بأنفُسِكم، أحلَلتُموهم بلادَكم وقاسَمتُموهم أموالَكم، أمَا والله لو أمسَكتُم عنهم ما بأيديكم، لتَحَوَّلوا إلى غير داركم.

فسَمِعَ ذلك زيدُ بن أرقَمَ فمَشَى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغِ رسول الله ﷺ من عدوِّه، فأخبره الخبرَ وعنده عمرُ بن الخَطّاب، فقال: مُرْ به عبّادَ بن بِشْرٍ فليَقتُلْه، فقال له رسول الله ﷺ: «فكيفَ يا عمرُ إذا تَحدَّثَ النّاسُ أنَّ محمّداً يَقتُلُ أصحابَه؟! لا، ولكنْ أذِّنْ بالرَّحِيل»، وذلك في ساعةٍ لم يكن رسولُ الله ﷺ يَرتحِلُ

(١) في (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ق٢) و(ي): فبَيْنا الناس.

(٢) ويقال: سنان بن تَيْم.

(٣) الجلابيب: قد يُعنَى بها الغرباء، كما وقع في شعر حسّان الآتي ص٣٩١، وقد يراد بها الأُزر الغِلاظ حيث كانوا يلتحفون بها لفقرهم، فلقّبهم المشركون والمنافقون بذلك.

فيها، فارتَحَلَ الناسُ.

وقد مَشَى عبدُ الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ إلى رسول الله ﷺ حين بَلَغَه أنّ زيدَ بن أرقَمَ قد بَلَّغَه ما سمعَ منه، فحَلَفَ بالله ما قلتُ ما قال ولا تكلَّمتُ به، وكان في قومه شريفاً عظيماً، فقال مَن حَضَرَ رسولَ الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلامُ قد أَوهَمَ في حديثه ولم يَحفَظْ ما قال الرّجلُ؛ حَدَباً[1] على ابن أُبيٍّ ودَفْعاً عنه[2].

---

(١) الحَدَب: التحنُّن والعطف.

(٢) وقصة عبد الله بن أُبيٍّ هذه وخبر زيد بن أرقم قد رُوِيَت من حديث زيدٍ نفسه، فقد أخرج البخاري (٤٩٠٠) و(٤٩٠١) ومسلم (٢٧٧٢) عنه قال: كنت في غزاةٍ فسمعتُ عبدَ الله بن أُبي يقول: لا تُنفقوا على من عندَ رسول الله حتى ينفضُّوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليُخرِجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فذكرتُ ذلك لعمّي، فذكره للنبيِّ ﷺ، فدعاني فحدَّثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبيٍّ وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذَّبني رسول الله ﷺ وصدَّقه، فأصابني همٌّ لم يُصِبْني مثلُه قطُّ، فجلست في البيت، فقال لي عمّي: ما أردتَ إلى أن كذَّبك رسولُ الله ومَقَتَك! فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، فبعث إليَّ النبيُّ ﷺ فقرأَ فقال: «إنّ الله قد صدَّقك يا زيدُ».

وأخرج البخاري أيضاً (٣٥١٨) و(٤٩٠٥) ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله قال: كنّا في غزاةٍ فكَسَعَ رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار (أي: ضربه على دُبره)، فقال الأنصاري: يا لَلأنصارِ، وقال المهاجري: يا لَلمهاجرين، فسمع ذلك رسولُ الله ﷺ، فقال: «ما بالُ دعوى الجاهليّةِ» قالوا: يا رسول الله، كَسَعَ رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «دَعُوها فإنّها مُنتِنةٌ».

فسمع بذلك عبدُ الله بن أُبيٍّ فقال: فعلوها، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فبلغ النبيَّ ﷺ، فقام عمر فقال: يا رسول الله، دعني أضربْ عنقَ هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «دَعْه، لا يتحدَّثُ الناس أن محمداً يقتل أصحابه».

قال ابن إسحاق: فلمّا استَقَلَّ رسولُ الله ﷺ وسارَ[1] لَقِيَه أُسَيدُ بن حُضَيرٍ فحيَّاهُ بتحيّة النُّبوّة وسَلَّمَ عليه، ثمّ قال: يا نبيَّ الله، والله لقد رُحْتَ في ساعةٍ مُنكَرةٍ ما كنتَ تَرُوحُ في مِثلِها! فقال له رسول الله ﷺ: «أوَما بَلَغَك ما قالَ صاحبُكم؟» قال: أيُّ صاحبٍ يا رسول الله؟ قال: «عبدُ الله بن أُبَيٍّ» قال: وما قالَ؟ قال: «زَعَمَ أنّه إنْ رَجَعَ إلى المدينةِ لَيُخرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ» قال: فأنتَ يا رسولَ الله واللهِ تُخرِجُه إن شئتَ، هو واللهِ الذَّليلُ وأنت العزيزُ، ثمّ قال: يا رسول الله، ارفُقْ به، فوالله لقد جاءَ اللهُ بك وإنَّ قومَه لَيَنظِمونَ له الخَرَزَ ليُتوِّجُوه، فإنّه لَيَرَى أنّك قد استَلَبتَه مُلْكاً.

ثمّ مَشَى رسولُ الله ﷺ بالناس يومَهم ذلك حتّى أَمسى، وليلتَهم حتّى أصبَحَ، وصَدْرَ يومِهم ذلك حتّى آذَتْهم الشّمسُ، ثمّ نَزَلَ بالنّاس فلم يَلبَثوا أن وَجَدُوا مَسَّ الأرض فوَقَعوا نِياماً، وإنّما فعلَ ذلك ليَشغَلَ النّاسَ عن الحديث الذي كان بالأمسِ من حديث عبد الله بن أُبيٍّ.

ثمّ راحَ رسولُ الله ﷺ بالنّاس وسَلَكَ الحِجازَ حتّى نَزَلَ على ماءٍ بالحِجازِ فُوَيقَ النَّقِيع يقال له: بَقْعاء[2]، فلمّا راحَ رسولُ الله ﷺ هَبَّتْ على الناس ريحٌ شديدةٌ آذَتْهم وتَخَوَّفوها، فقال رسول الله ﷺ: «لا تَخافُوها، فإنَّما هَبَّتْ لموتِ عَظِيمٍ من عُظَماءِ الكُفّارِ»[3]، فلمّا قَدِموا المدينةَ، وَجَدُوا رِفاعةَ بن زيد بن التّابوتِ أحدَ بني قَينُقاعَ

---

(١) أي: ارتفع ونهض ﷺ بدابّته وسارَ بها.

(٢) بقعاء لا يُعرَف اليوم، وأما النَّقيع فهو وادٍ عظيم يقع جنوب المدينة، فأوله مما يليها يبعد عنها قرابة ٤٠ كم، وأقصاه على قرابة ١٢٠ كم، قاله عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٣٢٠.

(٣) هذا الخبر صحيح، وقد أخرجه بنحوه أحمد (١٤٣٧٨) و(١٤٦٧٦)، ومسلم (٢٧٨٢)، وابن حبان (٦٥٠٠) من حديث جابر بن عبد الله. وقد تقدّم الكلام عليه ٢/ ١٩٠.

ـ وكان عظيماً من عُظَماءِ يهودَ، وكَهْفاً للمنافقين ـ مات في ذلك اليوم.

ونزلت السّورةُ التي ذكرَ اللهُ فيها المنافقين في ابن أُبيٍّ ومَن كان على مِثْل أمرِه، فلمّا نزلت أخَذَ رسولُ الله ﷺ بأُذُن زيدِ بن أرقَمَ ثمّ قال: «هذا الَّذي أَوفَى اللهُ بأُذُنِه»(١).

وبَلَغَ عبدَ الله بن عبد الله بن أُبيٍّ الذي كان من أمرِ أبيه.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة: أنّ عبدَ الله أَتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّه بَلَغَني أنّك تريدُ قتلَ عبدالله بن أُبيٍّ فيما بَلَغَك عنه، فإن كنتَ فاعلاً فمُرْني به، فأنا أَحمِلُ إليك رأسَه، فوالله لقد عَلِمَت الخَزرَجُ ما كان لها من رجلٍ أبَرَّ بوالِدِه منّي، إنّي أَخشى أن تأمُرَ به غيري فيَقتُلَه، فلا تَدَعُني نفسي أنظُرُ إلى قاتل عبد الله بن أُبيٍّ يمشي في الناس فأقتُلَه، فأقتُلَ رجلاً مؤمناً بكافرٍ فأدخُلَ النارَ، فقال رسول الله ﷺ: «بل نَتَرَفَّقُ به ونُحسِنُ صُحبَتَه ما بَقِيَ معنا»(٢).

---

(١) تقدّم تخريجه قريباً من حديث زيد بن أرقم في «الصحيحين»، وفيه أن النبيَّ ﷺ قال له: «إنّ الله قد صدَّقك يا زيدُ».

أما بهذا اللفظ الذي ذكره ابن إسحاق، فوقع في حديث أنس بن مالك عند البخاري (٤٩٠٦) في التفسير: باب قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ [المنافقون:٧]: أنّ بعض من كان عنده سأله عن زيد بن أرقم، فقال: هو الذي يقول رسول الله ﷺ: «هذا الذي أَوفَى اللهُ له بأُذنه».

(٢) الخبر في استئذان عبد الله أن يقتل أباه ونهي النبيِّ ﷺ له عن ذلك خبرٌ حسنٌ، فهو وإن كان هنا مرسلاً قد جاء ما يشهد له كما سيأتي.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٦٠٨، و«تفسيره» ٢٢/ ٦٦٩-٦٧٠، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٦٢ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

ويشهد لأصله حديث أبي هريرة: أن عبد الله بن عبد الله بن أُبيٍّ قال: يا رسول الله، لئن أمرتَني لأتيتُك برأس أَبي، قال: «لا، بِرَّ أباك وأحسِنْ صحبتَه». أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» =

وجَعَلَ بعدَ ذلك إذا أحدَثَ الحَدَثَ كان قومُه هم الذين يُعاتِبونَه ويأخُذونَه ويُعنِّفونَه، فقال رسولُ الله ﷺ لعمر بن الخطّابِ حين بَلَغَه ذلك من شأنِهم: «كيفَ تَرَى يا عمرُ؟! أمَا واللهِ لو قَتَلتُه يومَ قلتَ لي: اقتُلْه، لَأُرعِدَت له آنُفٌ لو أمَرْتُها اليومَ بقتلِه لقَتَلَتْه»، قال: قال عمرُ: قد والله عَلِمتُ لَأمرُ رسول الله ﷺ أعظمُ بَرَكةً من أَمري[1].

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ مِقيَسُ بن صُبَابة من مكّة مُسلِماً فيما يُظهِرُ، فقال: يا رسول الله، جئتُك مسلماً، وجئتُك أطلُبُ دِيَةَ أَخي، قُتِلَ خطأً. فأمَرَ له رسولُ الله ﷺ بدِيَةِ أخيه هشامِ بن صُبَابة، فأقامَ عند رسول الله ﷺ غيرَ كثيرٍ ثمّ عَدَا على قاتلِ أخيه فقَتَلَه، ثمّ خرج إلى مكّة مُرتَدّاً، فقال في شعرٍ يقوله:

= (٤٢٣٦)، وزاد ابن حجر في «فتح الباري» ١٣/ ٣٥٨ نسبته إلى ابن مَندَه، وحسَّن إسناده.

وحديث عُروة بن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن أُبيٍّ: أنه استأذن النبيَّ ﷺ في أن يقتل أباه، فقال: «لا تقتل أباك». أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٩٦٧)، والحاكم (٦٦٣٣)، ورجاله ثقات إلا أنه منقطع، فعروة لم يدرك عبدَ الله.

وبنحوه مرسل عكرمة عند عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٦٢٧)، قال: قال عبد الله بن عبد الله ابن أُبيٍّ للنبي ﷺ: دعني أقتل أَبي، فإنه يُؤذي الله ورسوله، قال النبي ﷺ: «لا تقتل أَباك»، وفيه: أنه استأذنه في ذلك ثلاثاً والنبيُّ ﷺ ينهاه. ولا بأس برجاله.

(١) وروى نحوَ ما روى عاصم بن عمر بن قتادة في قصة عبد الله بن أُبيٍّ هذه عبدُ الرحمن بن زيد بن أسلم مرسلاً فيما أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢٢/ ٦٦٥-٦٦٦، وزاد في آخر: أن عبد الله ابن عبد الله وقف لأبيه على باب المدينة بالسيف ومنع أباه من دخولها حتى أمره رسولُ الله ﷺ بأن يخلِّيَه.

وبنحوه مع الزيادة أخرجه ابن شبّة في «تاريخ المدينة» ١/ ٣٦٦-٣٦٧ من مرسل محمد بن سيرين، ورجاله لا بأس بهم.

شَفَى النّفسَ أنْ قد باتَ بالقاعِ مُسنَداً ... تُضـرِّجُ ثَوبَيـهِ دِمـاءُ الأخـادِعِ[1]

وكانت همومُ النّفسِ من قبلِ قتلِه ... تُلِـمُّ فتَحمِينـي وِطَـاءَ المَضـاجِعِ[2]

حَلَلـتُ بـه وِتْـري وأدرَكـتُ ثُـؤْرتي ... وكنـتُ إلـى الأوثـانِ أوّلَ راجـعِ[3]

ثـأَرتُ بـه فِهْـراً وحَمَّلـتُ عَقْلَـه ... سَـرَاةَ بنـي النَّجّـارِ أربـابَ فـارعِ[4]

وقال مِقيَسُ بن صُبَابة أيضاً:

جَلّلتُـه ضـربةً باتَـتْ[5] لهـا وَشَـلٌ ... مـن نـاقعِ الجَـوفِ يَعلُـوهُ ويَنصـرِمُ

فقلـتُ والمـوتُ تَغشَـاه أسِـرّتُه ... لا تـأمَنَنَّ بنـي بكـرٍ إذا ظُلِمـوا[6]

قال ابن هشام: وكان شِعارُ المسلمين يومَ بني المُصطَلِق: يا منصور، أمِتْ أمِتْ[7].

---

(١) القاع: المنخفض من الأرض. وتضرّج، أي: تلطّخ. والأخادع: إنما هما أَخدَعان، وهما عِرقان في جانبي العُنق، فجمعهما مع ما يليهما.

(٢) تُلِمّ، أي: تنزل وتَزُور. وتحميني: تمنعني. ووِطاء المضاجع: ليّناتها.

(٣) الوتر، بكسر الواو وفتحها: الثأر. والثُّؤرة: الثأر أيضاً.

(٤) العقل: الدِّيَة. وسراة بني النجار: سادتهم وكبراؤهم. وفارع: اسم حصنٍ لهم.

(٥) هكذا في (ت) و(ش١) و(ش٢) و(ط) و(غ) و(ق٢)، وفي (ص) و(ط) و(ف) و(م): بانت، بالنون، بمعنى: ظَهَرَت، وعند الخشنيّ في «إملائه» ص٣٣٤: باءت، قال: وباءَت: أخَذَت بالثأر، يقال: بُؤْتُ بفلان، إذا أخذت بثأره.

وجلّلته ضربة، أي: عَلَوتُه بها. ولها وشل، أي: قَطْرٌ. ويريد بناقع الجوف: الدَّم. وينصرم: ينقطع.

(٦) الأسرّة: الخطوط التي تكون في جلد الوجه والجبهة. وبنو بكر: هم بنو بكر بن عبد مناة ابن كِنانة، قوم ابني صُبابة، فهما ليثيّان من بني بكر.

(٧) أي: هذه كانت العلامة التي يتعارف بها المسلمون في ساحة القتال عند التحامهم بالعدوّ، =

قال ابن إسحاق: وأُصيبَ من بني المُصطَلِق يومَئذٍ ناسٌ، وقَتَل عليُّ بن أبي طالبٍ رضوان الله عليه منهم رجلين، مالكاً وابنَه[1].

وكان رسولُ الله ﷺ قد أصاب منهم سَبْياً كثيراً، فَشَا قَسْمُه في المسلمين، وكان فيمن أُصيبَ يومَئذٍ من السَّبايا جُوَيرِيَةُ بنتُ الحارث بن أبي ضِرارٍ، زوجُ رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُرْوة، عن عائشة قالت: لمّا قَسَمَ رسولُ الله ﷺ سَبَايا بني المُصطَلِق وَقَعَت جُوَيريَةُ بنتُ الحارثِ في السَّهمِ لثابت بن قيس بن الشَّمّاس ـ أو لابن عمٍّ له ـ فكاتَبَتْه على نفسها[2]، وكانت امرأةً حُلْوةً مُلّاحةً[3] لا يراها أحدٌ إلّا أخَذَت بنفسه، فأتَتْ رسولَ الله ﷺ تستعينُه في كِتابَتِها، قالت عائشةُ: فوالله ما هو إلا أن رأيتُها على باب حُجْرتي فكرهتُها، وعرفتُ أنّه سيرى منها ما رأيتُ، فدَخَلَت عليه فقالت: يا رسول الله، أنا جُوَيريةُ بنتُ الحارثِ بن أبي ضِرارٍ، سيِّدِ قومِه، وقد أصابني من البَلاءِ ما لم يَخْفَ عليك، فوَقَعتُ في السَّهم لثابت بن قيس بن الشَّمّاس ـ أو لابن عمٍّ له ـ فكاتَبتُه على نفسي،

= فالمخاطَب بقول: يا منصور، كل واحد من المقاتلين، وهو تفاؤل بالنصر، وقوله: أمِت أمِت، صيغة أمر من الإماتة، والمخاطَب هو الله، فهو مع كونه شعاراً دعاءٌ على الأعداء، أو المُخاطَب كلُّ واحد من المقاتلين، فهو حثٌّ لهم على القتال.

(١) في طبعة السقا وصاحبيه زيادة: وقتل عبدُ الرحمن بن عوفٍ رجلاً من فرسانهم يقال له: أحمرُ، أو أُحَيمِر. وهذه الزيادة ليست في شيء من نسخنا الخطية.

(٢) المكاتَبة: أن يكاتب الرجلُ مملوكَه على مال يؤدِّيه إليه مفرّقاً مقسَّطاً، فإذا أدّاه صار حرّاً.

(٣) المُلّاحة: الشديدة المَلَاحة.

فجِئتُك أستَعِينُك على كِتابَتي، قال: «فهَلْ لكِ في خيرٍ من ذلك؟» قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أَقضِي عنكِ كِتابَتَك وأَتزوَّجُك» قالت: نَعَم يا رسول الله، قال: «قد فَعَلتُ».

قالت: وخرج الخبرُ إلى الناس: أنّ رسولَ الله ﷺ قد تَزوَّجَ جُوَيريةَ ابنةَ الحارثِ ابن أبي ضِرارٍ، فقال الناسُ: أصهارُ رسول الله ﷺ! فأرسَلُوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أُعتِقَ بتزويجِه إيّاها مئةُ أهلِ بيتٍ من بني المُصطَلِق، فما أعلمُ امرأةً كانت أعظمَ على قومِها بَرَكةً منها[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيدُ بن رُومانَ: أنّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَ إليهم بعدَ إسلامهم الوليدَ بن عُقْبة بن أبي مُعَيطٍ[2]، فلمّا سمعوا به رَكِبوا إليه، فلمّا سمع بهم

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٦٥)، وأبو داود (٣٩٣١)، وابن حبان (٤٠٥٤)، والحاكم مختصراً (٦٩٤٢) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه بنحوه الواقدي في «مغازيه» ١/ ٤١١ ـ ومن طريقه الحاكم (٦٩٤٥) ـ عن عبد الله بن يزيد ابن قُسيط، عن أبيه، عن محمد بن عبد الرحمن بن ثَوْبان، عن عائشة. وإسناده ضعيف لكنه يُعتبَر به في المتابعات والشواهد.

تنبيه: زاد بعد هذا في طبعة السقا وصاحبيه ـ أخذاً عن الطبعة الألمانية ـ عن ابن هشام سياقاً آخر في قصة جويرية، وفيها قصة إخفاء أَبيها البعيرَينِ في أحد شعاب العقيق لما جاء لفدائها، وهذه القصة ذكرها هنا ناسخ (ش١) على حاشية النسخة وذكر في آخرها أنه أخذها من نسخة وليست في السماع، ومهما يكن من أمرٍ فستأتي في آخر الكتاب في ذكر أزواج النبي ﷺ.

(٢) وكان هذا بعد أن أَوقع بهم النبيُّ ﷺ بثلاث أو أربع سنوات تقريباً، ذلك أن الوليد بن عقبة لم يسلم باتفاقٍ إلا في السنة الثامنة في فتح مكة.

وهذه القصة في إرسال الوليد إلى بني المصطلق وإن كانت هنا مرسلة، فقد روي نحوها من =

هابَهم، فرَجَعَ إلى رسول الله ﷺ فأخبره أنّ القومَ قد هَمُّوا بقتلِه، ومَنَعُوه ما قِبَلَهم من صَدَقتِهم، فأكثَرَ المسلمون في ذكر غَزْوِهم حتّى هَمَّ رسولُ الله ﷺ بأن يَغزُوَهم، فبَيْنا هم على ذلك قَدِمَ وَفْدُهم على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسولَ الله، سمعنا برسولِك حين بَعَثْتَه إلينا، فخرجنا إليه لنُكرِمَه ونُؤَدِّي إليه ما قِبَلَنا من الصَّدَقة، فانشَمَرَ[1] راجعاً، فبَلَغَنا أنّه زَعَمَ لرسول الله ﷺ: أنّا خَرَجْنا إليه لنَقتُلَه، ووالله ما جِئْنا لذلك؛ فأنزَلَ الله تعالى فيه وفيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ إلى آخر الآية [الحجرات:٦-٧].

وقد أقبَلَ رسولُ الله ﷺ من سَفَرِه ذلك كما حدّثني مَن لا أتّهمُ عن الزُّهْريّ[2]

= أوجُهٍ يشدُّ بعضها بعضاً، فالخبر فيها قويٌّ.

فقد رُوِيَت عن أم سلمة عند ابن راهويه كما في «المطالب العالية» (٣٧٢٣)، والطبري في «تفسيره» ٢١/ ٣٤٩-٣٥٠، والطبراني في «الكبير» ٢٣/ (٩٦٠)، والإسناد ضعيف.

وعن ابن عباس عند الطبريّ أيضاً ٢١/ ٣٥٠-٣٥١، والبيهقي في «السنن» ٩/ ٥٤، وإسناده ضعيف.

وعن الحارث بن أبي ضرار والد جويرية نفسه فيما أخرجه أحمد (١٨٤٥٩) بسياق طويل، وإسناده ضعيف.

ورُوِيَت أيضاً عن غير واحد من التابعين مرسلة كقتادة وعكرمة ومجاهد فيما أخرجه الطبريُّ وعبدُ بن حميد في «تفسيره» كما في «الإصابة» لابن حجر ٦/ ٦١٥.

وذكرها ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٧٥١، وقال: لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمتُ أن هذه الآيات نزلت في الوليد بن عقبة.

(١) انشمر، أي: جدَّ وأسرع.

(٢) ذكر سلمة بن الفضل في روايته لهذا الخبر عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» =

عن عُرْوة عن عائشة، حتّى إذا كان قريباً من المدينة، وكانت معه عائشةُ في سفرِه ذلك، قال فيها أهلُ الإفْكِ ما قالوا.

خبرُ الإفك في غزوة بني المُصطَلِق
من سنة ستٍّ[1]

قال ابن إسحاق: حدّثنا الزُّهْريّ، عن عَلقَمة بن وقّاصٍ وعن سعيد بن المُسيّب[2] وعن عُروة بن الزّبَير وعن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة؛ قال[3]: كلٌّ قد حدّثني بعضَ

= ٢/ ٦١٠-٦١١ أنه رواه عن أبيه إسحاق بن يسار عن الزهري عن عروة عن عائشة. ومهما يكن من أمرٍ، فقد رواه غير واحد من الثقات عن الزهري كما سيأتي في تخريجه لاحقاً.

(١) تقدّم في أول غزوة بني المصطلق ترجيحنا أنها كانت سنة خمسٍ لا ستٍّ.

وفي حادثة الإفك هذه وفيما تعرّض له النبيُّ ﷺ وأهلُ بيته الطاهرون والمؤمنون من الابتلاء والامتحان، كثيرٌ من المعاني والحِكَم، وقد فصَّل القولَ فيها العلّامة ابن القيّم في «زاد المعاد» ٣/ ٢٦٠-٢٦٤ أحسن تفصيلٍ، فانظره للفائدة.

(٢) جاء تقييد سعيد هذا بابن جبير في (ت) و(ص) و(ط) و(ف) و(ق٢) و(م)، والصواب: ابن المسيّب، كما وقع في (ش١) و(ش٢) و(ي)، وجاء على حاشية (م): صوابه ابن المسيب كما في «الصحيحين» وغيرهما. وفي (غ): سعيد، دون نسب.

(٣) القائل هو الزُّهري، فهو قد رواه عن هؤلاء الأربعة: علقمة بن وقّاص، وسعيد بن المسيّب، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة.

وهذا إسناد صحيح، وقد رواه عن الزهري أيضاً عن هؤلاء الأربعة: معمرٌ فيما أخرجه أحمد (٢٥٦٢٣)، ومسلم (٢٧٧٠)، وصالحُ بن كَيسان فيما أخرجه أحمد (٢٥٦٢٤)، والبخاري (٤١٤١)، ومسلم أيضاً، ويونسُ بن يزيد الأَيلي فيما أخرجه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم، وفُلَيحُ ابن سليمان فيما أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم. وانظر تتمة تخريجه مطوَّلاً ومختصراً في «مسند أحمد».

هذا الحديث، وبعضُ القوم كان أَوعَى له من بعضٍ، وقد جَمَعتُ لك الذي حدّثني القوم.

قال محمّدُ بن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه، عن عائشة[1].

وعبدُ الله بن أبي بكرٍ، عن عَمْرة بنت عبد الرَّحمن، عن عائشة[2]، عن نفسِها حين قال فيها أهلُ الإفك ما قالوا، فكلٌّ قد دَخَلَ في حديثها عن هؤلاءِ جميعاً، يحدِّث بعضُهم ما لم يحدِّثْ صاحبُه، وكلٌّ كان عنها ثِقةً، فكلُّهم حدَّث عنها ما سَمِعَ.

قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا أرادَ سَفَراً أقرَعَ بين نسائِه، فأيَّتُهنَّ خرج سَهْمُها خرج بها معه، فلمّا كانت غزوةُ بني المُصطَلِق أقرَعَ بين نسائِه كما كان يَصنَعُ، فخرج سَهْمي عليهنَّ معه، فخرج بي رسولُ الله ﷺ.

---

(١) وهذا إسناد صحيح أيضاً. وأخرجه من طريق ابن إسحاق به ابنُ شبّة في «تاريخ المدينة» ١/ ٣٢٨-٣٣٥، والطبري في «تفسيره» ١٧/ ٢٠٤-٢٠٦، وفي «تاريخه» ٢/ ٦١١-٦١٦، وابن المنذر في «الأوسط» (٦٥١٤)، والطبراني في «الكبير» ٢٣/ (١٦٠). وبعضهم لم يقتصَّ الخبر بتمامه.

(٢) وهذا إسناد صحيح أيضاً. وهو من هذا الوجه في المصادر السابقة كذلك، وعبد الله بن أبي بكر: هو ابن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاريّ.

وأخرج منه آخره في ضرب من تكلّم بالفاحشة الحدَّ: أحمد (٢٤٠٦٦)، وأبو داود (٤٤٧٤)، وابن ماجه (٢٥٦٧)، والترمذي (٣١٨١).

وروى الخبر أيضاً بطوله أبو أُوَيس عبد الله بن عبد الله الأصبحيّ عن عبد الله بن أبي بكر فيما أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٣/ (١٥١)، ومن طريقه عبد الغني المقدسي في «حديث الإفك» برقم (٥).

قالت: وكان النّساءُ إذ ذاكَ إنَّما يأكُلْنَ العُلَقَ[1] لم يُهبِّجْهنَّ[2] اللّحمُ فيَثقُلْنَ، وكنتُ إذا رُحِلَ لي بَعِيري[3] جلستُ في هَوْدَجي، ثمّ يأتي القومُ الذين يَرحَلُون لي ويَحمِلونني، فيأخُذون بأسفلِ الهَودَجِ فيَرفَعُونَه فيَضَعُونَه على ظَهْر البعير فيَشُدُّونَه بحِبالِه، ثمّ يأخذون برأس البعير فيَنطَلِقون به.

قالت: فلمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من سفرِه ذلك وَجَّهَ قافلاً، حتّى إذا كان قريباً من المدينة نَزَلَ مَنزِلاً، فباتَ به بعضَ اللّيل ثمّ أذَّنَ في الناس بالرَّحيل، فارتَحَلَ الناسُ، وخرجتُ لبعضِ حاجَتِي وفي عُنُقي عِقْدٌ لي فيه جَزْعُ ظَفَارِ[4]، فلمّا فَرَغتُ انسَلَّ من عُنُقي ولا أدري، فلمّا رجعتُ إلى الرَّحْلِ ذهبتُ ألتَمِسُه في عُنُقي فلم أجِدْه، وقد أخَذَ الناسُ في الرَّحيل، فرجعتُ إلى مكاني الذي ذهبتُ إليه فالتَمَستُه حتّى وَجَدتُه، وجاءَ القومُ خِلَافِي، الّذين كانوا يَرحَلُون لي البعيرَ وقد فَرَغُوا من رِحْلتِه، فأخذوا

---

(١) العُلَق: جمع عُلْقة، وهو الشيء اليسير من الطعام.

(٢) هكذا هو بالباء في (ش١) و(ش٢) و(ط) و(ف) و(ق٢)، وهو الذي شرح عليه الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٣٥ فقال: التهبيج كالوَرَم في الجسد. قلنا: وهو قول أهل اللغة، تريد عائشة أنهنَّ لم يَسمَنَّ.

وفي (ت) و(ص) و(غ) و(م) و(ي): لم يهيجهن، بالياء. وهذا أيضاً له وجه، فالتهييج: إثارة الشيء، فالمعنى: أن اللحم لم يُثِرْ أجسادهنَّ فينتفخن. والأول أصحُّ.

وعند غير ابن إسحاق في بعض الروايات: لم يَثقُلن ولم يغشهنَّ اللحم، وفي بعضها: لم يَهبُلْنَ ولم يغشهنّ اللحم. ويَهبُلنَ: يكثر لحمهنَّ من السِّمَن.

(٣) أي: جُعل الرَّحْل عليه. والهَودَج: المركب الذي يوضع فوق البعير للنساء، ويكون في العادة مغطًّى بالستائر.

(٤) الجَزْع: نوع من الخَرَز اليماني، وظَفَارِ: مبنيٌّ على كسر الراء، وهو اسم مدينة باليمن جنوب صنعاء على قرابة ١٣٠ كم، يُنسَب إليها الجزع الظَّفَاري.

الهَودَجَ وهم يَظُنّون أنّي فيه كما كنت أصنَعُ، فاحتَملوه فشَدُّوه على البعير ولم يَشُكُّوا أنّي فيه، ثمّ أَخذوا برأس البعير فانطَلَقوا به، فرجعتُ إلى العَسكَر وما فيه من داعٍ ولا مُجيبٍ، قد انطَلَقَ الناسُ. قالت: فتَلَفَّفتُ بجِلْبابي ثمّ اضطَجَعتُ في مكاني، وعَرَفتُ أن لو قد افتُقِدتُ لَرُجِعَ إليَّ.

قالت: فوالله إنّي لَمُضطَجِعةٌ إذ مَرَّ بي صَفْوانُ بن المُعطَّلِ السُّلَميّ، وقد كان تَخلَّفَ عن العَسكَر لبعض حاجتِه[1] فلم يَبِتْ مع النّاس، فلمّا رأى سَوَادي، فأقبَلَ حتّى وَقَفَ عليَّ، وقد كان يَرَاني قبلَ أن يُضرَبَ علينا الحِجابُ، فلمّا رآني قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ظَعِينةُ رسول الله ﷺ! وأنا مُتلَفِّفةٌ في ثيابي، قال: ما خَلَّفَكِ يَرحَمُكِ الله؟! قالت: فما كلَّمتُه، ثمّ قَرَّبَ البعيرَ فقال: ارْكَبي، واستأخَرَ عنّي، قالت: فرَكِبتُ وأخَذَ برأس البعير فانطَلَقَ سريعاً يَطلُبُ الناسَ، فوالله ما أدرَكْنا الناسَ وما افتُقِدتُ حتّى أصبَحتُ ونَزَلَ الناسُ، فلمّا اطمأنُّوا طَلَعَ الرّجلُ يَقُودُ بي، فقال أهلُ الإفك ما قالوا، فارتَعَجَ العَسكَرُ[2] ووالله ما أعلمُ بشيءٍ من ذلك.

ثمّ قَدِمْنا المدينةَ، فلم ألبَثْ أنِ اشتَكَيتُ شكوًى شديدةً، لا يَبلُغُني من ذلك شيءٌ،

---

(١) وعند الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٤٢٨: وكان صفوان على ساقة الناس من ورائهم. قال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٤٣٧: يلتقط ما يَسقُط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به، ولذلك تخلَّف في هذا الحديث الذي قال فيه أهلُ الإفك ما قالوا.

قلنا: وما ذكره السهيليُّ جاء مصرَّحاً به في حديث أبي هريرة عند البزار في «مسنده» (٨٠١١) حيث قال: وكان صفوان بن المعطَّل يتخلّف عن الناس فيصيب القَدَح والجِرَاب والإداوة.

وفي مرسل مقاتل بن حيّان عند الحاكم في «الإكليل» كما في «فتح الباري» ١٤/ ٣٥: فيَحمِلُه فيَقدَم به فيُعرِّفه في أصحابه.

(٢) ارتعج العسكر، أي: تحرك واضطرب، يعني فَشَتْ فيهم القالةُ.

وقد انتهى الحديثُ إلى رسول الله ﷺ وإلى أبَوَيَّ، لا يَذكُرون لي منه قليلاً ولا كثيراً، إلّا أنّي قد أنكَرتُ من رسول الله ﷺ بعضَ لُطْفِه بي، كنتُ إذا اشتَكَيتُ رَحِمَني ولَطَفَ بي، فلم يَفعَلْ ذلك بي في شَكْوايَ تلك، فأنكَرْتُ ذلك منه، كان إذا دخل عليَّ وعندي أُمّي تُمرِّضُني ـ قال ابن هشام: وهي أمُّ رُومانَ، واسمها زينبُ بنتُ عبدِ دُهْمان أحدِ بني فِرَاس بن غَنْم بن مالك بن كِنَانة ـ قال: «كيفَ تِيكُمْ؟»[1]، لا يزيدُ على ذلك، قالت: حتّى وَجَدتُ في نفسي، فقلت: يا رسولَ الله ـ حين رأيتُ ما رأيتُ من جَفَائِه لي ـ لو أَذِنتَ لي فانتَقَلتُ إلى أُمّي، فمَرَّضَتْني، قال: «لا عليكِ».

قالت: فانتَقَلتُ إلى أُمّي، ولا عِلمَ لي بشيءٍ ممّا كان حتّى نَقِهتُ[2] من وَجَعي بعدَ بِضْعٍ وعشرينَ ليلةً، وكنّا قوماً عَرَباً لا نَتَّخِذُ في بيوتِنا هذه الكُنُفَ[3] التي تتَّخذُها الأعاجمُ، نَعافُها ونَكرَهُها، إنّما كنّا نذهبُ في فُسَحِ المدينة، وإنّما كانت النّساءُ يَخرُجنَ كلَّ ليلة في حوائجِهنَّ، فخرجتُ ليلةً لبعضِ حاجتي ومعي أمُّ مِسطَحٍ ابنةُ أبي رُهْمِ ابن المُطَّلِب بن عبد مَنافٍ، وكانت أمُّها بنتَ صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْمٍ خالةَ أبي بكرٍ الصِّدِّيق، قالت: فوالله إنَّها لَتَمْشي معي إذ عَثَرَت في مِرْطِها[4]، فقالت: تَعِسَ مِسطَحٌ ـ ومِسطحٌ لَقَبٌ واسمه عوفٌ ـ قالت: قلت: بِئسَ لَعَمْرُ الله ما قلتِ لرجلٍ من المهاجرين قد شَهِدَ بدراً، قالت: أوَما بَلَغَكِ الخَبَرُ يا بنتَ أبي بكرٍ؟ قالت: قلت: وما الخَبَرُ؟ فأخبرتني بالّذي كان من قول أهلِ الإفْكِ، قالت: قلت: أوَقَد كان هذا؟

---

(١) تِي: من أسماء الإشارة للمؤنث.

(٢) نَقِهَ، بكسر القاف وفتحها: صحَّ من علّته وكان قريب العهد بالمرض لم يرجع إليه كمالُ صحّته وقوّته.

(٣) جمع كَنِيف: وهو المكان المستور من بناءٍ ونحوه يُتَّخذ لقضاء الحاجة.

(٤) المِرْط: الكِساء.

قالت: نَعَم واللهِ لقد كان. قالت: فوالله ما قَدَرتُ على أن أقضِيَ حاجتي ورجعتُ، فوالله ما زِلتُ أَبكي حتّى ظَنَنتُ أنّ البُكاءَ سيَصدَعُ كَبِدي[1]، قالت: وقلت لأُمّي: يَغفِرُ اللهُ لك، تَحدَّثَ النّاسُ بما تَحدَّثوا به ولا تَذكُرينَ لي من ذلك شيئاً! قالت: أيْ بُنَيَّةُ، خَفِّضي عليكِ[2] الشَّأنَ، فوالله لقَلَّ ما كانت امرأةٌ حَسْناءُ عند رجلٍ يحبُّها لها ضَرائرُ، إلّا كَثَّرنَ وكَثَّرَ الناسُ عليها.

قالت: وقد قام رسولُ الله ﷺ في الناس يَخطُبُهم ولا أعلمُ بذلك[3]، فحَمِدَ اللهَ وأَثنَى عليه ثمّ قال: «أيُّها النّاسُ، ما بالُ رِجالٍ يُؤْذُونَني في أَهلي ويقولونَ عليهم غيرَ الحَقِّ! واللهِ ما عَلِمتُ منهم إلّا خيراً، ويقولونَ ذلك لرجلٍ[4] واللهِ ما عَلِمتُ منه إلّا خيراً، وما يَدخُلُ بيتاً من بُيُوتي إلّا وهو معي».

قالت: وكان كِبْرُ ذلك[5] عند عبد الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ في رجالٍ من الخَزرَجِ مع الّذي قال مِسطَحٌ وحَمْنةُ بنتُ جَحْشٍ، وذلك أنّ أُختَها زينبَ بنتَ جَحشٍ كانت عند رسول الله ﷺ، ولم تكن من نسائِه امرأةٌ تُناصِيني[6] في المَنزِلة عنده غيرُها، فأمّا زينبُ فعَصَمَها الله تعالى بدِينِها فلم تقلْ إلّا خيراً، وأمّا حَمْنةُ فأشاعَتْ من ذلك ما

---

(١) أي: سيشقّه.

(٢) أي: هوِّني عليك.

(٣) إنّما قام رسول الله ﷺ خطيباً بهذا الكلام بعد استشارته عليّاً وأسامةَ في أمر عائشة وسؤاله لبَرِيرة عن حالها، وليس قبل ذلك، هكذا وقع في رواية جمهور أصحاب الزهري عنه خلافاً لابن إسحاق.

(٤) يعني صفوانَ بنَ المعطَّل.

(٥) أي: مُعظَم ذلك الإفك يجمعه ويزيّنه لجلسائه.

(٦) تناصيني، أي: تنازعني في الرُّتبة عنده والمنزلة.

أشاعَتْ تُضَادُّني[1] لأُختها، فشَقِيَت بذلك.

فلمّا قال رسولُ الله ﷺ تلك المَقَالةَ، قال أُسَيدُ بن حُضَيرٍ[2]: يا رسول الله، إنْ يكونوا من الأَوس نَكفِيكَهم، وإنْ يكونوا من إخواننا من الخَزرَج، فمُرْنا بأَمرِك، فوالله إنَّهم[3] لَأهلٌ أن تُضرَبَ أعناقُهم، قالت: فقامَ سعدُ بن عُبَادة ـ وكان قبلَ ذلك يُرَى رجلاً صالحاً ـ فقال: كَذَبتَ لَعَمْرُ الله لا تُضرَبُ أعناقُهم، أمَا والله ما قلتَ هذه المقالةَ إلّا أنّك قد عَرَفتَ أنَّهم من الخَزرَج[4]، ولو كانوا من قومك ما قلتَ هذا، قال أُسَيدٌ: كَذَبتَ لَعَمرُ الله، ولكنَّك منافقٌ تُجادِلُ عن المنافقين[5]، قالت: وتَثاوَرَ[6]

---

(١) في (ف): تُعادِي.

(٢) كذا وقع لابن إسحاق: أن المتكلِّم هنا أُسيدُ بن حُضَير، وهذا وهمٌ منه، حمله عليه أنَّ غزوة بني المُصطلِق التي وقعت في عقبها حادثةُ الإفك، هي عنده في السنة السادسة بعد الخندق التي مات فيها سعدُ بنُ معاذٍ، والصواب أنها في السنة الخامسة قبل الخندق كما تقدَّم تحريرُه في أول الكلام على هذه الغزوة ص٣٦٧، وقد خالف ابنَ إسحاق غيرُ واحد من ثقات أصحاب الزهريِّ عنه في «الصحيحين» وغيرهما ـ وتقدم تخريج هذا الخبر ص٣٧٨ ـ وذكروا: أن سعدَ ابن معاذٍ هو المتكلِّم هنا أوَّلاً ثمَّ قام أُسيد بن حُضير فنصره وأيّده بردِّه على سعد بن عُبادة.

(٣) أي: من تكلَّم بالإفك في أهل النبي ﷺ.

(٤) ذلك أن عبد الله بن أُبيٍّ ابنِ سلولَ الذي تولّى كِبْر هذا الأمر من الخزرج، وكذا حسّان بن ثابتٍ أحدُ من تكلّم فيه.

(٥) قال ابن بطّال في «شرح البخاري» ٨/ ٤١: ولم يكن سعدٌ منافقًا، لكن لمجادلته عنهم استحلَّ منه أُسيدٌ أن يرميه بالنفاق. وقال ابن حجر في «الفتح» ١٤/ ٦٠: أطلق أُسيد ذلك مبالغةً في زَجْره عن القول الذي قاله، وأراد بقوله: فإنك منافق، أي: تصنع صنيع المنافقين، وفسّره بقوله: تجادل عن المنافقين.

(٦) بالثّاء من الثَّورة، أي: نهض بعضُهم إلى بعضٍ من الغضب.

وفي (ي) ونسخة في (ش٢): وتساور. بالسين، وهو صحيح أيضاً، فالسَّوْرة: الوَثْبة، يقال: =

النّاسُ حتّى كادَ يكون بين هذَينِ الحيَّينِ الأَوسِ والخَزرَجِ شَرٌّ[1]، ونَزَلَ رسولُ الله ﷺ فدخل عليَّ.

قالت: فدعا عليَّ بن أبي طالبٍ وأُسامةَ بن زيدٍ فاستَشارَهما؛ فأمّا أُسامةُ فأَثنَى خيراً وقاله، ثمّ قال: يا رسول الله، أهلُك ولا نعلمُ إلّا خيراً، وهذا الكذبُ والباطلُ، وأمّا عليٌّ فإنّه قال: يا رسول الله، إنَّ النّساءَ لكثيرٌ، وإنّك لَقادرٌ على أن تَستخلِفَ، وسَلِ الجاريةَ فإنّها ستَصدُقُك. فدعا رسولُ الله ﷺ بَرِيرةَ ليسألَها، قالت: فقامَ إليها عليُّ بن أبي طالبٍ فضَرَبَها ضرباً شديداً[2]، ويقول: اصدُقي رسولَ الله ﷺ، قالت: فتقول: والله ما أعلمُ إلّا خيراً، وما كنت أَعِيبُ على عائشة شيئاً، إلّا إنّي كنت أعجِنُ عَجِيني فآمُرُها أن تَحفَظَه، فتَنامُ عنه فتأتي الشّاةُ فتأكلُه.

قالت: ثمّ دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ وعندي أبَوايَ، وعندي امرأةٌ من الأنصار وأنا أَبكي وهي تَبْكي معي، فجَلَسَ[3]، فحَمِدَ اللهَ وأَثنَى عليه ثمّ قال: «يا عائشةُ، إنَّه قد كان ما قد بَلَغَكِ من قولِ النّاسِ، فاتَّقِي اللهَ، وإن كنتِ قد قارَفْتِ سُوءاً[4] مِمَّا يقولُ النّاسُ، فتُوبِي إلى الله، فإنَّ الله يَقبَلُ التَّوْبةَ عن عِبَادِه».

= تَساوَرَ الرجلانِ، إذا تَواثَبا.

(١) في رواية «الصحيحين» وغيرهما زيادة: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفِّضهم حتى سَكَتوا وسَكَتَ.

(٢) انفرد ابن إسحاق من بين أصحاب الزهريِّ بذكر ضرب عليٍّ لها، وهذا حرف شاذٌّ. وانظر «فتح الباري» ١٤/ ٥٠-٥١.

(٣) في رواية «الصحيحين» وغيرهما زيادة: ولم يجلس عندي منذُ قيل ما قيل قبلَها، وقد لَبِثَ شهراً لا يوحى إليه في شأني.

(٤) قارفتِ سوءاً، أي: دخلتِ فيه.

قالت: فوالله ما هو إلّا أن قال لي ذلك فقَلَصَ دَمْعي[1] حتّى ما أُحِسُّ منه شيئاً، وانتَظَرتُ أبَوَيَّ أن يُجِيبا عنّي رسولَ الله ﷺ، فلم يَتكلَّما.

قالت: وايْمُ اللهِ، لَأنا كنت أحقَرَ في نفسي وأصغرَ شأْناً من أن يُنزِلَ الله فيَّ قرآناً يُقرَأُ به في المساجد ويُصلَّى به، ولكنّي قد كنت أرجو أن يُرَى رسولُ الله ﷺ في نومِه شيئاً يُكذِّبُ به اللهُ عنّي، لمَا يَعلَمُ من بَراءَتي، أو يُخبَرُ خَبَراً، فأمّا قرآنٌ يُنزَلُ فيَّ، فوالله لنفسي كانت أحقَرَ عندي من ذلك.

قالت: فلمّا لم أرَ أبَوَيَّ يَتكلَّمانِ، قالت: قلت لهما: ألا تُجِيبانِ رسولَ الله ﷺ؟ قالت: فقالا: والله ما نَدْري بماذا نُجِيبُه، قالت: ووالله ما أعلمُ أهلَ بيتٍ دَخَلَ عليهم ما دَخَلَ على آلِ أبي بكرٍ في تلك الأيّام، قالت: فلمّا أن استَعجَمَا عليَّ استَعبَرتُ فبَكَيتُ ثمّ قلت: والله لا أتوبُ إلى الله ممّا ذَكَرتَ أبداً، والله إنّي لَأعلمُ لئِنْ أقرَرْتُ بما يقول الناسُ، واللهُ يَعلَمُ أنّي منه بَرِيئةٌ، لَأقولَنَّ ما لم يكن، ولَئِنْ أنا أنكَرْتُ ما يقولون، لا تُصدِّقونَني، قالت: ثمّ التَمَستُ اسمَ يعقوب فما أذكُرُه، فقلت: ولكن سأقولُ كما قال أبو يوسُفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨].

قالت: فوالله ما بَرِحَ رسولُ الله ﷺ مَجلِسَه حتّى تَغشَّاهُ من الله ما كان يَتَغشَّاهُ، فسُجِّيَ بثوبِه ووُضِعَت وِسادةٌ من أَدَمٍ[2] تحت رأسه، فأمّا أنا حين رأيتُ من ذلك ما رأيتُ، فوالله ما فَزِعتُ ولا بالَيتُ، قد عَرَفتُ أنّي بَرِيئةٌ وأنَّ الله غيرُ ظالمي، وأمّا أبَوايَ فوالّذي نفسُ عائشة بيده، ما سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ حتّى ظَنَنتُ لتَخرُجَنَّ

(١) قَلَصَ دمعي، أي: استمسك نزوله فانقطع.

(٢) سُجِّي: غُطِّي.

والأَدَم: الجلد.

أنفسُهما، فَرَقاً[1] من أن يأتيَ من الله تحقيقُ ما قال الناسُ، قالت: ثمّ سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ، فجَلَسَ وإنَّه لَيَتَحدّرُ منه مِثلُ الجُمَانِ[2] في يومٍ شاتٍ، فجَعَلَ يَمسَحُ العَرَقَ عن جَبِينِه ويقول: «أَبشِري يا عائشةُ، فقد أَنزَلَ اللهُ بَراءَتَكِ»، قالت: قلت: بحَمْدِ الله[3].

ثمّ خرج إلى الناس فخَطَبَهم وتَلَا عليهم ما أَنزَلَ الله عليه من القرآن في ذلك، ثمّ أمَرَ بمِسطَحِ بن أُثَاثَةَ، وحسّانَ بن ثابتٍ، وحَمْنَةَ بنتِ جَحْشٍ، وكانوا ممَّن أفصَحَ بالفاحشة، فضُرِبوا حَدَّهم.

وحدَّثني أَبي إسحاقُ بن يَسارٍ، عن بعض رجال بني النَّجّار: أنّ أبا أيّوب خالدَ ابن زيدٍ قالت له امرأتُه أمُّ أيّوبَ: يا أبا أيّوب، ألا تَسمَعُ ما يقول الناسُ في عائشة؟! قال: بَلَى، وذلك الكَذِبُ، أكنتِ يا أمَّ أيّوبَ فاعلةً؟ قالت: لا والله، ما كنتُ لأفعلَه، قال: فعائشةُ واللهِ خيرٌ منك[4].

---

(١) أي: خوفاً.

(٢) الجُمَان: حبٌّ من فضة يصنع على مثال الدُّرّ.

(٣) وفي بعض الروايات كما عند أحمد (٢٧٠٧٠) والبخاري (٣٣٨٨) و(٤١٤٣) وغيرهما أنها قالت: بحمد الله لا بحمد أحدٍ، وفي بعضها زيادة: ولا بحمدك؛ تعني النبيَّ ﷺ.

(٤) خبر أبي أيوب هذا مرسلٌ، وهو محتمل للتحسين إن شاء الله، وإسحاق بن يسار ثقة من صغار التابعين.

وأخرجه ابن شبّة في «تاريخ المدينة» ١/ ٣٣٥، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٦١٧، وفي «تفسيره» ١٧/ ٢١٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٨/ ٢٥٤٦، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٦/ ٤٨-٤٩ من طرق عن ابن إسحاق، به.

ورواه مرسلاً إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٦٩٨) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبيه، عن بعض الأنصار. وعمرو بن علقمة لم يرو عنه غير ابنه محمد، وذكره ابن حبان =

قالت: فلمّا نَزَلَ القرآنُ بذِكْر مَن قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١١]، وذلك[1] حسّانُ بن ثابتٍ وأصحابُه الّذين قالوا ما قالوا.

قال ابن هشام: ويقال: وذلك عبدُ الله بن أُبيٍّ وأصحابُه. وقال ابن هشام: والذي تَوَلَّى كِبْرَه عبدُ الله بن أُبيٍّ، وقد ذكر ذلك ابنُ إسحاق في هذا الحديث قبلَ هذا[2].

ثمّ قال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ أي: فقالوا كما قال أبو أيّوبَ وصاحبتُه ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

فلمّا نَزَلَ هذا في عائشة وفيمن قال لها ما قال، قال أبو بكرٍ ـ وكان يُنفِقُ على

= في «ثقاته» ولم يؤثر توثيقه عن غيره، ففيه جهالة، لكنه يصلح في الاعتبار.

ورواه الواقديّ في «مغازيه» ٢/ ٤٣٤ ـ ومن طريقه ابن عساكر ١٦/ ٤٩ ـ عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحُصين، عن أبي سفيان، عن أفلح مولى أبي أيوب: أن أم أيوب قالت لأبي أيوب، فذكره. والواقديُّ وشيخه ابن أبي حبيبة ضعيفان.

وروى الطبراني في «الكبير» ٢٣/ (١٤٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (٦٣٦) بإسناد حسن إن شاء الله عن الزهري، عن عروة، عن عائشة حديثَ الإفك، وقالت فيه: وكان أبو أيوب حين أخبرته امرأتُه فقالت: يا أبا أيوب، ألم تسمع بما يتحدث الناس؟ قال: وما يتحدثون؟ فأخبرته بقول أهل الإفك، فقال: ما يكون لنا أن نتكلَّم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم. قالت: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦].

(١) تعني الإشارة إلى العصبة الذين جاؤوا بالإفك.

(٢) وهو من قول عائشة رضي الله عنها.

مِسطَحٍ لقَرَابتِه وحاجتِه ـ: والله لا أُنفِقُ على مِسطَحٍ شيئاً أبداً، ولا أَنفَعُه بنفعٍ أبداً، بعدَ الّذي قال لعائشةَ وأدخَلَ علينا، قالت: فأنزَلَ الله في ذلك: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢].

قال ابن هشام[١]: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ ولا يَأْلُ[٢] أُولُو الفضلِ منكم، قال امرُؤُ القيس بن حُجْرٍ الكِنْديّ[٣]:

ألا رُبَّ خَصمٍ فيكِ أَلْوَى رَدَدتُهُ نَصيحٍ على تَعْذالِه غيرِ مُؤتَلِ[٤]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

ويقال: ولا يَأتَلِ أُولو الفضل: ولا يَحلِفْ أُولو الفضل، وهو قولُ الحسن بن أبي الحسن[٥]، فيما بَلَغَنا عنه، وفي كتاب الله: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ [البقرة:٢٢٦]،

---

(١) قبل هذه الفِقْرة في نسخة على حاشيتي (ط) و(م): قال ابن هشام: يقال: كُبْرُه وكِبْرُه في الرّواية، وأمّا القرآن فكِبْرُه.

(٢) أي: لا يقصِّر. وأُولو الفضل، أي: ذوو السَّعَة والغنى.

(٣) وهو من معلَّقته السائرة، وأولها:

قِفَا نَبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومَنزِلِ بسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُولِ فحَومَلِ

وانظر «شرح ديوانه» لأبي سعيد السكري ص٢٣٨.

(٤) الألَوى: الشديد الخصومة. والتَّعذال: العَذْل، وهو اللَّوم. وغير مؤتلٍ، أي: غير مقصِّر بجُهده في نصحي.

ومعنى البيت: أن هذا الخصم الذي يلومه على هواه هو ناصحٌ له، لأنه إنما يلومه على ما يراد به من فتنته بالنساء، إلا أن الشاعر يردّه ويصدّه لشدّة هواه بهذه المرأة. وانظر «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي ص١٣١-١٣٢.

(٥) يعني البصريَّ، وهو أيضاً قول جمهور أهل التفسير.

وهو من الأَلِيّة، والأَليّةُ: اليمينُ، قال حسّانُ بن ثابتٍ:

آلَيتُ ما في جميعِ الناسِ مُجتهِداً ... منِّي أَلِيَّةَ بَرٍّ غيرَ إفْنادِ[1]

وهذا البيت في أبياتٍ له، سأذكرُها إن شاءَ الله في موضعِها[2].

فمعنى: ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ﴾ في هذا المَذهَب: أن لا يُؤتُوا، وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء:١٧٦]، يريد: أن لا تَضِلُّوا، ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج:٦٥] يريد: أن لا تَقَعَ على الأرض.

وقال ابن مُفرِّغٍ الحِمْيريّ[3]:

لا ذَعَرتُ السَّوَامَ في وَضَحِ الصُّبْـ ... ـحِ مُغِيراً ولا دُعِيتُ يزيدا[4]

يومَ أُعْطي مَخَافةَ الموتِ ضَيْماً ... والمَنايا يَرصُدْنَني أن أَحِيدا[5]

---

(١) رواية الشطر الأول من البيت في «الديوان» برواية محمد بن حبيب ١/ ٢٧٢:

آليتُ حِلفةَ بَرٍّ غيرِ ذي دَخَلِ

والتقدير ـ كما قال البرقوقي في «شرح ديوان حسان» ص٩٩ ـ هكذا: آليتُ أَلِيّةَ بَرٍّ غيرَ إفنادٍ مني مجتهداً. أي: حلفتُ حِلفةَ صادق غير كذبٍ وأنا مجتهد في يميني، والإفناد: الكذب.

(٢) في آخر الكتاب، وهي في رثاء النبي ﷺ.

(٣) انظر «ديوانه» ص١٠٣-١٠٤.

(٤) ذَعَرتُ: أفزعتُ. والسَّوَام: المال المُرسَل في المَرعَى. ووضح الصبح: ضياؤه وبياضه حين تنفلق الظلماء عن الضوء، وفيه تُشنُّ الغارات غالباً.

وفي معنى قوله: لا دُعِيتُ يزيدا، قال ابن جِنّي في «الخصائص» ٣/ ٢٧٣: لا دُعِيتُ الفاضلَ المُغْني، هذا يريد، وليس يتمدَّح بأن اسمه يزيد؛ لأن يزيد ليس موضوعاً بعد النقل عن الفِعلية إلا للعَلَميّة، فإنما تمدَّح هنا بما عُرِف من فضله وغَنَائه؛ وهذا كثير، فإذا مرَّ بك شيءٌ منه فقد عرَّفتُك طريقَه.

(٥) قوله: يوم أُعطي ضيماً، يريد: يوم أنقادُ لأحدٍ ذلّاً، والضَّيم: الذلّ. ويرصدنني: يراقبنني. =

يريد: أن لا أَحِيدَ، وهذان البيتان في أبياتٍ له.

قال ابن إسحاق: قالت[1]: فقال أبو بكرٍ: بَلَى واللهِ إنّي لَأُحِبُّ أن يَغفِرَ الله لي؛ فرَجَعَ إلى مِسطَحٍ نَفَقتَه التي كان يُنفِقُ عليه، وقال: والله لا أَنزِعُها منه أبداً.

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّ صفوانَ بن المُعطَّلِ اعتَرَضَ حسّانَ بن ثابتٍ بالسَّيفِ حين بَلَغَه ما كان يقول فيه، وقد كان حسّانُ قال شعراً مع ذلك يُعرِّضُ بابن المُعطَّل فيه وبمَن أسلَمَ من العرب من مُضَرَ، فقال:

أَمسى الجَلَابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا ... وابنُ الفُرَيعةِ أَمسى بَيْضةَ البلدِ[2]

قد ثَكِلَت أُمُّه مَن كنتُ صاحبَه ... أو كان مُنتَشِباً في بُرثُنِ الأسَدِ[3]

= وأَحِيد: أَعدِل وأَمِيل.

(١) أي: عائشة رضي الله عنها، وهذا الخبر من تتمة حديثها في قصة الإفك، وهو مخرَّج أيضاً في «الصحيحين» وغيرهما، وقد تقدم تخريجه في أول الخبر.

(٢) الجلابيب: الغُرباء، وفي «ديوان حسان» برواية محمد بن حبيب ١/ ٢٨٤: الخَلابيس؛ وهم المتفرّقون من كل وجهٍ، واحدها: خِلْبيس. والفُريعة: هي أمُّ حسّان.

وبيضة البلد، قال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٤٤١: يعني: منفرداً، وهي كلمة يُتكلَّم بها في المدح تارةً وفي معنى القُلِّ أخرى، يقال: فلانٌ بيضة البلد، أي: أنه واحد في قومه عظيم فيهم، وفلانٌ بيضة البلد، يريد: أنه ذليل ليس معه أَحد.

قلنا: وذهب الأزهريُّ في «تهذيب اللغة» ١٢/ ٦٠ إلى أن المعنى الثاني هو المراد، فقال: معنى قول حسّان: أنّ سَفِلَ الناس عزُّوا بعد ذِلّتهم، وكثروا بعد قِلّتهم، وابن الفُرَيعة الذي كان ذا ثروة وثراءٍ عزٌّ أُخِّر عن قديم شرفِه وسُودَدِه واستُبِدَّ بإمضاء الأمور دونه ودون ولده، فهو بمنزلة بيضة البلد التي تبيضها النَّعامة، ثم تتركها بالفَلَاة فلا تَحضُنها، فتبقى تريكةً بالفَلاة لا تُصان ولا تُحضَن.

(٣) ثَكِلَته أمُّه، أي: فَقَدَته. وقوله: من كنت صاحبه، أراد: من لقيتُه وأنا عدوٌّ له، يفتخر بأنه =

مـا لقَتيلِـي الـذي أَغـدُو فآخُـذُه ... مـن دِيَـةٍ فيـه يُعطَاهـا ولا قَـوَدِ[1]

مـا البحـرُ حـين تَهُـبُّ الـرّيحُ شـاميَةً ... فيَغطَئِـلُّ ويَرمـي العِبْـرَ بالزَّبَـدِ[2]

يومـاً بأغلَـبَ منّـي حـين تُبصِـرُني ... مِلْغَيظِ أَفْري كفَرْيِ العارضِ البَرِدِ[3]

أمّـا قـريشٌ فـإنّي لـن أُسـالمَهم ... حتّـى يُنِيبـوا مـن الغَيّـاتِ للرَّشَـدِ[4]

ويَتـرُكوا الـلّاتَ والعُـزَّى بمَعزِلـةٍ ... ويَسـجُدوا كلُّهـم للواحـدِ الصَّـمَدِ

ويَشـهَدوا أنّ مـا قـال الرّسـولُ لهـم ... حـقٌّ ويُوفُـوا بعهـدِ الله والوُكُـدِ[5]

فاعتَرَضَه ابن المُعطَّل فضربه بالسّيف، ثمّ قال كما حدّثني يعقوبُ بن عُتْبة:

تَلَـقَّ ذُبَـابَ السّـيفِ عنّـي فـإنَّني ... غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ[6]

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن إبراهيم بن الحارث التَّيْميّ: أنّ ثابتَ بن قيس بن الشَّمّاس وَثَبَ على صفوانَ بن المُعطَّل حين ضرب حسّانَ، فجَمَعَ يَدَيهِ إلى عُنُقِه بحبلٍ ثمّ انطَلَقَ به إلى دار بني الحارثِ بن الخَزرَج، فلَقِيَه عبدُ الله بن رَوَاحةَ

= من الشجاعة بحيث أن كلَّ من يلقاه تفقده أمُّه.

ومنتشباً: متعلِّقاً. والبُرثُن: مِخلَب الأسد.

(١) القَوَد: قتل النفس بالنفس.

(٢) شامية، يريد ريح الشَّمال، وتسمَّى أيضاً: الجِربِياء. ويغطئلّ: يضطرب ويتحرك. والعِبْر: جانب النهر أو البحر. والزَّبَد: الرغوة التي تعلو الماء.

(٣) بأغلبَ مني، أي: بأشدَّ مني غلبةً وقهراً لخصمي. مِلْغيظِ، أي: من الغيظ. أفري: أقطع. والعارض: السَّحاب. والبَرِد: الذي فيه بَرَدٌ.

(٤) يُنِيبوا: يرجعوا. والغيّات: جمع غَيّة، من الغَيّ، وهو خلاف الرُّشد.

(٥) يريد بالوُكُد: العهود المؤكَّدة.

(٦) ذباب السيف: طرفه الذي يضرب به. وقوله: لست بشاعر، يريد أنه لا يكتفي بالقول كالشعراء، إنما يردّ على من هاجاه بالفعل.

فقال: ما هذا؟! قال: أمَا أُعجِّبُك[1]، ضَرَبَ حسّانَ بالسّيف، والله ما أُراه إلّا قد قتله، قال له عبدُ الله بن رَوَاحة: هل عَلِمَ رسولُ الله ﷺ بشيءٍ ممّا صنعتَ؟ قال: لا والله، قال: لقد اجترَأتَ، أَطلقِ الرَّجلَ، فأطلَقَه، ثمّ أتَوْا رسولَ الله ﷺ فذكروا ذلك له، فدعا حسّانَ وصفوانَ بن المُعطَّل، فقال ابن المُعطَّل: يا رسول الله، آذاني وهَجَاني، فاحتَمَلَني الغضبُ فضربتُه، فقال رسولُ الله ﷺ لحسّان: «يا حسَّانُ، أتَشَوَّهتَ على قَوْمي[2] أنْ هَدَاهم اللهُ للإسلامِ؟!»، ثمّ قال: «أَحسِنْ يا حسَّانُ في الَّذي أَصابَك» قال: هي لك.

قال ابن هشام: ويقال: «أنْ هَدَاكم اللهُ»[3].

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمّدُ بن إبراهيمَ: أنّ رسولَ الله ﷺ أعطاه عِوَضاً منها بَيرَحاءَ[4]، وهي قصرُ بني حُدَيلةَ اليومَ بالمدينة، وكانت مالاً لأبي طلحة بن سهلٍ

---

(١) قد اختلفت نسخنا الخطية في تقييد هذا الحرف، فالأكثر على ما قيّدناه به، ومعناه: أما أجعلُك تتعجّب، وقُيِّد في بعضها بالتخفيف: أما أُعجِبُك، وقُيِّد في بعضها الآخر: أما أَعجَبَك، وهو الوجه الذي شرح عليه السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٤٤٤ فقال: معناه: أما جَعَلَك تَعجَبُ.

(٢) يريد بقومه مُضَرَ، وقوله: «أتشوَّهت على قومي» قال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٤٤٥: معناه: أقبّحتَ ذلك من فعلهم حين سمَّيتهم بالجلاليب من أجل هجرتهم إلى الله وإلى رسوله.

(٣) زاد في (ش١) و(غ): للإسلام. ثم زاد في (ش١) بعده: وقوله: «أتشوّهتَ على قومي» يريد: أترفّعتَ على قومي.

(٤) اختُلف في ضبط هذه اللفظة على أوجه كثيرة، أشهرها بفتح الباء والراء، قال أبو الوليد الباجيُّ في «المنتقى شرح الموطّا» ٧/ ٣٢٠: وعلى ذلك أدركتُ أهل الحفظ والعلم بالمَشرِق. وانظر أيضاً «الروض الأنف» للسهيليّ ٦/ ٤٤٥-٤٤٦، و«فتح الباري» لابن حجر ٥/ ١٣٤.

وأمّا بنو حُديلة: فهم من الخزرج، وهم بنو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجّار، وحُديلة أُمُّهم يُنسَبون إليها، ذكر ذلك ابن هشام فيما تقدم ٢/ ٨٦ و٤٣٤.

تَصدَّقَ بها إلى رسول الله ﷺ، فأعطاها رسولُ الله ﷺ حسّانَ في ضربته، وأعطاه سِيرِينَ؛ أَمَةً قِبْطيَّة، فوَلَدَت له عبدَ الرَّحمن بن حسّان، قال: وكانت عائشةُ تقول: لقد سُئِلَ عن ابن المُعطَّل فوَجَدُوه رجلاً حَصُوراً ما يأتي النِّساءَ، ثمّ قُتِلَ بعدَ ذلك شهيداً[1].

---

(١) خبر ضعيف لإرساله، فإن محمد بن إبراهيم التيميَّ من صغار التابعين ولم يدرك عائشة، وهو مع ثقته يروي أحاديث مناكير كما قال أحمد بن حنبل.

قلنا: وهذا منها، والنَّكارة فيه في مواضع:

الأول: كون النبيِّ ﷺ هو الذي أعطى حسانَ بيرحاءَ التي كانت مالاً لأبي طلحة، لأنه قد ثبت وصحَّ من حديث أنس بن مالك ـ وكان أبو طلحة زوجَ أمّه أم سليمٍ ـ: أن أبا طلحة لمّا تصدَّق بها وجعل أمرها إلى رسول الله ﷺ، ردَّها عليه وقال له: «اجعله في الأقربينَ»، فتولّى أبو طلحة قسمتَها بين أقاربه وبني عمِّه، فأعطى منها نصيباً لحسّان بن ثابت. أخرجه البخاري (٢٧٥٨).

الثاني: كون النبيِّ ﷺ أعطاه سِيرِين في هذه الحادثة، فقد ذكر ابن عبد البر في ترجمة حاطب ابن أبي بلتعة من «الاستيعاب» ص١٧١: أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة في سنة ستٍّ من الهجرة إلى المقوقس صاحب مصر والإسكندرية، فأتاه من عنده بهديّة، منها مارية القِبطية وسيرين أختُها، فاتَّخذ رسول الله ﷺ مارية لنفسه ووهب سيرينَ لحسان بن ثابت. قلنا: وعلى ما تقدّم في أول غزوة بني المصطلق من ترجيحنا أنها كانت في سنة خمسٍ لا ستٍّ، فإن سيرين لم تكن في المدينة في ذلك الوقت، بل قدمت إليها مع أختها ماريةَ بعد ذلك بمدّة.

وقال ابن عبد البر أيضاً في ترجمة حسان ص١٦٦: أما إعطاء رسول الله ﷺ سيرين أخت مارية لحسانَ فمرويٌّ من وجوه، وأكثرها أن ذلك ليس لضربة صفوان، بل لذبِّه بلسانه عن النبي ﷺ في هجاء المشركين له، والله أعلم.

الثالث: كون ابن المعطَّل كان رجلاً حصوراً لا يأتي النساءَ، فقد ثبت وصحَّ أنه كانت له امرأة، فقد روي بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدريّ: أن امرأة صفوان بن المعطَّل جاءت إلى النبيّ ﷺ وشَكَتْ إليه صفوانَ في أمور ثلاثة، أحدها: أنه كان يفطّرها إذا صامت ـ يعني تنفّلاً ـ فسأله =

ثمّ قال حسّانُ بن ثابتٍ يَعتذِرُ من الّذي كان قال في شَأْن عائشة رضي الله عنها[1]:

حَصَـــانٌ رَزَانٌ مـــا تُـــزَنُّ بريبـــةٍ ... وتُصبِحُ غَرْثَى من لُحومِ الغوافلِ[2]

عَقِيلـةُ حـيٍّ مـن لُـؤَيِّ بـن غالـبٍ ... كِرامِ المَسَاعي مَجدُهم غيرُ زائلِ[3]

مُهذَّبـــةٌ قـــد طَيَّـــبَ الله خِيمَهـــا ... وطَهَّرَهـا مـن كـلِّ سـوءٍ وباطـلِ[4]

فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زَعَمتمُ ... فـلا رَفَعَـت سَـوْطي إلـيَّ أَنـاملي[5]

وكيـفَ ووُدِّي مـا حَيِيتُ ونُصْـرتي ... لآلِ رســولِ الله زَيــنِ المَحافِــلِ

لـه رَتَـبٌ عـالٍ علـى النـاسِ كلِّهـمْ ... تَقاصَـــرَ عنـــه ســـوْرةُ المُتَطـــاوِلِ[6]

= النبيُّ ﷺ عمّا قالت فقال له: إنها تصوم وأنا رجل شابٌّ فلا أَصبر، فقال رسول الله ﷺ يومئذٍ: «لا تصومنَّ امرأة إلا بإذن زوجها». أخرجه أحمد (١١٧٥٩) وأبو داود (٢٤٥٩) وغيرهما.

وأما مرسل محمد بن إبراهيم، فقد أخرجه ابن شبّة في «تاريخ المدينة» ١/ ٣٤٤-٣٤٥، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٦١٨-٦١٩، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٧٤-٧٥ من طرق عن ابن إسحاق، به.

(١) انظر «ديوانه» ١/ ٢٩٢.

(٢) الحَصَان: العفيفة. والرَّزان: الملازمة موضعها، التي لا تتحرك كثيراً؛ يقول: عفيفة كاملة العقل، ذات ثبات ووقار وسكون. وما تُزَنّ، أي: ما تُتَّهم. وغَرْثى: جائعة، والغَرَث: الجوع. والغوافل: جمع غافلة. وقوله: وتصبح غَرثَى من لحوم الغوافل، أي: خميصة البطن من لحوم الناس، أي: اغتيابهم، فهي كافّةٌ عن أعراض الناس.

(٣) العقيلة: الكريمة الحُرّة. والمساعي: جمع مَسْعاة، وهو ما يُسعَى فيه من طلب المجد والمكارم.

(٤) مهذَّبة، أي: صافية مُخلَصة. والخِيْم: الطَّبع والأصل.

(٥) الأنامل: الأصابع.

(٦) الرَّتَب، بالفتح: ما ارتفع من الأرض وعلا، فاستعاره هنا للشرف والمجد، ومن رواه بضم الراء فهو جمع رُتْبة: وهي المنزلة. والسَّورة، بالفتح: الوَثْبة، يقال: تساوَرَ الرجلانِ، إذا =

فإنَّ الذي قد قيلَ ليس بلائطٍ ولكنَّه قولُ امرِئٍ بي ماحِلِ[1]

قال ابن هشام: بيتُه: عَقِيلةُ حيٍّ، والبيتُ الذي بعدَه وبيتُه: له رَتَبٌ عالٍ، عن أبي زيدٍ الأنصاريّ.

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة: أنّ امرأةً مَدَحَت بنتَ حسّانَ بن ثابتٍ عند عائشة فقالت:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ وتُصبِحُ غَرْثَى من لُحومِ الغوافِلِ

فقالت عائشةُ: لكِنْ أَبوها[2].

قال ابن إسحاق: وقال قائلٌ من المسلمين في ضربِ حسّانَ وأصحابِه في فِرْيتِهم

= توائَبا، وبضم السين: المنزلة الرفيعة.

(١) ليس بلائط، أي: ليس بلاصق بي. والماحل: الواشي النمّام.

قلنا: من أجل هذه الأبيات الأخيرة أنكر قومٌ أن يكون حسان خاض بالإفك وجُلد فيه كما ذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص١٦٦، والسهيليّ في «الروض» ٦/ ٤٤٩، لكن هذا مردودٌ بما رواه ابن إسحاق سابقاً في آخر خبر الإفك أنه حُدَّ فيه، وبما صحَّ عن عائشة أيضاً أنها أشارت إلى خوضه في الإفك كما في الخبر المذكور لاحقاً.

وأما شعره هذا فهو اعتذار منه وتنصُّل مما وقع فيه ولومه لمن نقله عنه، والله تعالى أعلم.

(٢) هذا خبر مُعضَل ليس له سند، لكن الذي صحَّ ما رواه مسروق عن عائشة عند البخاري (٤١٤٦) و(٤٧٥٥) ومسلم (٢٤٨٨): أنَّ حسان بن ثابت نفسه جاء يستأذن عليها، فقال لها مسروق: أتأذنين لهذا؟! قالت: أوليسَ قد أصابه عذابٌ عظيمٌ ـ تعني ذهابَ بصره ـ فقال:

حصانٌ رزانٌ ما تُزنُّ بريبةٍ وتصبح غرثى من لحوم الغوافلِ

فقالت له: لكن أنتَ. وفي رواية عند البخاري ومسلم: لكنك لستَ كذلك. قال ابن الملقِّن في «التوضيح» ٢٣/ ٥١: تعني: لكن أنت لم تصبح غرثانَ من لحوم الغوافل، وهو دالٌّ على أنه خاض فيمن خاض.

على عائشة ـ قال ابن هشام: في ضربِ حسّانَ وصاحبَيهِ ـ:

لقد ذاقَ حسّانُ الّذي كان أهلَهُ ... وحَمْنةُ إذ قالوا هَجِيراً ومِسطَحُ[1]

تَعاطَوْا برَجْمِ الغيبِ زوجَ نبيِّهم ... وسَخْطةَ ذي العرشِ الكريمِ فأُترِحُوا[2]

وآذَوْا رسولَ الله فيها فجُلِّلوا ... مَخازيَ تبقَى عُمِّمُوها وفُضِّحُوا

وصُبَّت عليهم مُحصَداتٌ كأنّها ... شَآبِيبُ قَطْرٍ من ذُرَا المُزْنِ تَسفَحُ[3]

---

(١) الهَجِير: الهُجْر، وهو قول الفاحش القبيح.

(٢) رجم الغيب: الظن. وأُترحوا، أي: أُحزنوا، من التَّرَح، وهو الحُزن، ويروى: فأُبرحوا، بالباء، وهو من البَرْح، وهو المشقّة والشدّة.

(٣) مُحصَدات: يعني سِياطاً محكمة الفَتْل شديدات. والشآبيب: جمع شُؤبُوب، وهو الدُّفعة من المطر. والذُّرى: الأعالي. والمُزْن: السحاب. وتَسفَح: تَسِيل.

أمرُ الحُدَيبيَة

في آخر سنة ستٍّ[1]

وذكرُ بيعة الرِّضوان والصُّلح بين رسول الله ﷺ وبين سُهَيل بن عمرو

قال ابن إسحاق: ثمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينة شهرَ رمضانَ وشوّالاً، وخرج في ذي القَعْدة مُعتمِراً، لا يريد حرباً.

قال ابن هشام: واستَعمَل على المدينة نُمَيلةَ بن عبدِ الله اللَّيثيّ.

قال ابن إسحاق: واستَنفَرَ العربَ ومَن حولَه من أهل البَوَادي من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يَخشَى من قريشٍ الذي صَنَعوا أن يَعرِضُوا له بحربٍ أو يَصُدُّوه عن البيت، فأبطَأَ عليه كثيرٌ من الأعراب، وخرج رسولُ الله ﷺ بمَن معه من المهاجرين والأنصار ومَن لَحِقَ به من العرب، وساقَ معه الهَدْيَ وأحرَمَ بالعُمْرة ليأمَنَ الناسُ من حربِه، وليَعلَمَ الناسُ أنّه إنَّما خرج زائراً لهذا البيت ومُعظِّماً له.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمّد بن مُسلِم بن شِهابٍ الزُّهْريّ، عن عُرْوة بن الزُّبَير، عن مِسوَر بن مَخرَمة ومروانَ بن الحَكَم، أنَّهما حدَّثاه قالا: خرج رسولُ الله ﷺ عامَ الحُدَيبيَةِ يريد زيارةَ البيتِ لا يريد قتالاً، وساقَ معه الهَدْيَ سبعين بَدَنةً، وكان الناسُ سبعَ مئةِ رجلٍ، فكانت كلُّ بَدَنةٍ عن عَشَرةِ نَفَرٍ[2].

---

(١) الحُدَيبية، بتخفيف الياء الثانية وتشديدها: قرية تقع غرب مكة وتبعد عن وسطها قرابة ٢٢ كم، وعن حدّ حَرَمها ٢ كم تقريباً، وتُعرَف الآن بالشميسي.

(٢) قد وهمَ ابنُ إسحاق على شيخه ابن شهاب الزهريِّ في هذا الخبر في عدّةِ مَن صحب النبيَّ ﷺ في الحديبية، فذكر أنهم كانوا سبعَ مئةٍ، وخالفه من هو أوثقُ منه في الزهري فقال فيه: كانوا بضعَ عشرةَ مئةٍ، بنحو قول جابرٍ الآتي عنده، هكذا رواه عن الزهريِّ معمرٌ ـ وهو من أروى =

وكان جابرُ بن عبد الله ـ فيما بَلَغَني ـ يقول: كنّا أصحابَ الحُدَيبيةِ أربعَ عشرةَ مئةٍ[1].

قال الزُّهْريّ[2]: وخرج رسولُ الله ﷺ حتّى إذا كان بعُسْفان[3] لَقِيَه بِشرُ بن سفيانَ الكَعْبيّ ـ قال ابن هشام: ويقال: بُسْر ـ فقال: يا رسول الله، هذه قريشٌ قد سمعت

= الناس عنه ـ عند أحمد (١٨٩٢٨)، والبخاري (١٦٩٤)، وأبي داود (٢٧٦٥)، والنسائي في «المجتبى» (٢٧٧١) و«الكبرى» (٣٧٣٧) و(٨٧٨٩)، وابن حبان (٤٨٧٢)، وكذا سفيانُ بن عُيينة عند أحمد (١٨٩٠٩)، والبخاري (٤١٥٧) و(٤١٧٨)، والنسائي في الكبرى (٨٥٢٨).

وأما حديثُ ابن إسحاق عن شيخه الزهريِّ في قصة الحديبية بطوله الآتي، فقد أخرجه أحمد (١٨٩١٠) عن يزيد بن هارون، عن ابن إسحاق، به. ورجال إسناده ثقات.

(١) يعني ألفاً وأربعَ مئةٍ، وهذا خبر صحيح.

وأخرجه من حديث جابرٍ أحمد (١٤١٨١)، والبخاري (٤١٥٢-٤١٥٤) و(٥٦٣٩)، ومسلم (١٨٥٦)، وابن حبان (٦٥٣٨) و(٦٥٤١) و(٦٥٤٢) من طرق عنه. لكن اختلف أصحاب جابر في عدّتهم بين ألف وأربع مئة وبين ألف وخمس مئة، والجمع بين هذا الاختلاف ـ كما قال ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٣٣٤ ـ: أنهم كانوا أكثر من ألف وأربع مئة، فمن قال: ألفاً وخمس مئة، جَبَر الكسرَ، ومن قال: ألفاً وأربع مئة، ألغاه، ويؤيّده قوله في رواية في حديث البراء بن عازب عند البخاري (٤١٥١): كانوا ألفاً وأربع مئة أو أكثر، واعتمد على هذا الجمع النوويُّ، وأما البيهقيُّ فمال إلى الترجيح وقال: إن رواية من قال: ألف وأربع مئة، أصحّ. وانظر تتمة الكلام في «الفتح».

(٢) يعني تتمّة للخبر السابق. وهذا من مراسيل الزهري، انفرد به عنه ابن إسحاق، وقد روى معمرٌ خبر قصة الحديبية بطوله عن الزهري كما عند أحمد (١٨٩٢٨) والبخاري (٢٧٣١) وابن حبان (٤٨٧٢) وغيرهم، فلم يذكر فيه بِشر أو بُسر بن سفيان هذا، وجعل ما وقع في هذه المحاورة كائناً بين بُديل بن ورقاء الخُزاعي وبين النبي ﷺ.

(٣) بلدة شمال غرب مكة على قرابة ٧٥ كم.

بمَسِيرِك، فخرجوا معهم العُوذُ المَطافِيلُ قد لَبِسوا جُلودَ النُّمور[1]، وقد نَزَلوا بذي طُوًى[2]، يُعاهِدون الله لا تَدخُلُها عليهم أبداً، وهذا خالدُ بن الوليد في خيلِهم قد قَدَّموها إلى كُرَاعِ الغَمِيم[3]، قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا وَيْحَ قريشٍ، لقد أكَلَتهُم الحربُ، ماذا عليهم لو خَلَّوْا بيني وبينَ سائرِ العربِ، فإنْ هم أَصابُوني كان الَّذي أَرادُوا، وإنْ أظهَرَني اللهُ عليهم دَخَلوا في الإسلامِ وافِرِينَ[4]، وإنْ لم يَفعَلُوا قاتَلُوا وبهم قوّةٌ، فما تَظُنُّ قريشٌ، فواللهِ لا أَزالُ أُجاهِدُ على الَّذي بَعَثَني اللهُ به حتّى يُظهِرَه اللهُ أو تَنفَرِدَ هذه السّالِفةُ[5]».

ثمّ قال: «مَن رجلٌ يَخرُجُ بنا على طريقٍ غيرِ طريقِهم الَّتي هُم بها؟».

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ: أنّ رجلاً من أسلَمَ قال: أنا يا رسول الله، قال: فسَلَكَ بهم طريقاً وَعْراً أجرَلَ[6] بين شِعابٍ، فلمّا خرجوا منه وقد شَقَّ ذلك على المسلمين وأفضَوْا إلى أرضٍ سَهْلةٍ عند مُنقطَعِ الوادي، قال رسولُ الله ﷺ للناس: «قولوا: نَستغفِرُ اللهَ ونتوبُ إليه»، فقالوا ذلك، فقال: «والله

---

(١) العُوذ: جمع عائذ، وهي الناقة ذات اللّبن. والمطافيل: الأمّهات اللّاتي معهن أطفالهن، يريد أنهم خرجوا بذوات الألبان ليتزوَّدوا ألبانها، ولا يرجعوا حتى يمنعوه.

وقوله: لبسوا جلود النمور: كناية عن شدّة الحقد والغضب، تشبيهاً بأخلاق النمور، وقيل: هو مثلٌ يُكنَى به عن إظهار العداوة والتنكّر، ويقال للرجل الذي يُظهِر العداوة: لبس لي جلدَ نَمِرٍ.

(٢) ذو طُوى: وادٍ من أودية مكة في شمالها، كلُّه معمور اليوم، فيه عدّة أحياء من أحياء مكة.

(٣) كُراع الغميم: موضع يقع جنوب عُسفان على قرابة ١٦ كم.

(٤) أي: كاملين لم تنقصهم الحربُ بالقتل.

(٥) السالفة: صَفْحة العُنق، وهما سالفتان من جانبيه، وكنّى بانفرادها عن الموت.

(٦) الأجرل: الكثير الحجارة، والجَرَل والجَرْوَل: الحجارة.

إنَّها لَلحِطَّةُ[1] التي عُرِضَت على بني إسرائيلَ فلم يَقُولُوها»[2].

قال ابن شِهاب[3]: فأمَرَ رسولُ الله ﷺ النّاسَ فقال: «اسلُكُوا ذاتَ اليَمينِ بين

---

(١) يريد قول الله تعالى لبني إسرائيل كما في سورة البقرة: ﴿ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨﴾.

وقد ذكر الطبري في «تفسيره» ١/ ٧١٦ وما بعدها الخلافَ في تفسير الحِطّة، وخلص إلى القول بأن الأقرب إلى الصواب عنده أن يكون أمرهم الله أن يقولوا تلك الكلمة، أي: يقولوا: دخولُنا ذلك الباب إلى القرية سجَّداً حِطّةٌ لذنوبنا، والحِطّة: فِعلةٌ من قول القائل: حطَّ الله عنك خطاياك، فهو يحطُّها حِطَّةً.

(٢) إسناده ضعيف لإرساله، فعبد الله بن أبي بكر - وهو ابن محمد بن عمرو بن حزم - من صغار التابعين.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٦٢٣ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

والأسلميّ الذي سلك بهم هذا الطريق الوَعْر هو ناجية بن جندب سائق بُدْن رسول الله ﷺ فيما رواه موسى بن عُبيدة الرَّبَذي عن عبد الله الأسلمي - وسمّاه بعضهم عبد الله بن عمرو بن أسلم - عن ناجية قال: لمّا كنا بالغَمِيم لقي رسولَ الله ﷺ خبرُ قريش أنها بعثت خالدَ بن الوليد في جَريدةِ خيل تتلقَّى رسولَ الله ﷺ، فكره رسولُ الله ﷺ أن يلقاه، وكان بهم رحيماً، فقال: «من رجلٌ يَعدِلُنا عن الطريق؟» فقلت: أنا بأَبي أنت وأمّي يا رسول الله.

قال: فأخذتُ بهم في طريقٍ قد كان بها حَزْن (أي: صعوبة ووعورة) بها فدافدُ وعِقابٌ، فاستوت بي الأرض حتى أنزلتُه على الحديبية، وهي نَزَحٌ (أي: قد أُخذ ماؤها)، قال: فألقى فيها سهماً أو سهمين من كِنانته، ثم بَصَقَ فيها ثم دعا، قال: فعادت عيونُها حتى إني لأقول - أو نقول -: لو شئنا لاغترفنا بأقداحنا.

أخرجه ابن أبي شيبة ١٤/ ٤٥٢-٤٥٣، والطبراني (١٧٢٧)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٣١٩) وفي «معرفة الصحابة» (١٥٩٢) و(١٥٩٣) و(٦٤٥٣) و(٦٤٥٤). وموسى بن عُبيدة ضعيف، وشيخه الأسلميُّ لم نعرفه.

(٣) يعني في حديثه عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

ظَهرَي الحَمْضِ[1]»، في طريقٍ تُخرِجُه على ثَنِيّةِ المُرَار[2] مَهبِطِ الحُدَيبيَةِ من أسفل مكّة، قال: فسَلَكَ الجيشُ ذلك الطّريقَ، فلمّا رأَت خيلُ قريشٍ قَتَرةَ الجيشِ[3] قد خالَفُوا عن طريقِهم، رَكَضُوا راجعين[4] إلى قريش، وخرج رسولُ الله ﷺ حتّى إذا سَلَكَ في ثَنيَّة المُرَار بَرَكَت ناقتُه، فقال الناسُ: خَلأَت[5]، قال: «ما خَلأَتْ وما هو لها بخُلُقٍ، ولكنْ حَبَسَها حابسُ الفيلِ عن مكّةَ، لا تَدْعُوني قريشٌ اليومَ إلى خُطَّةٍ[6] يَسأَلُوني فيها صِلَةَ الرَّحِمِ إلّا أَعطَيتُهم إيَّاها».

---

(١) تحرف في طبعة السقا وصاحبيه إلى: الحمش.

والحَمْض: أرض يكثر فيها نبات العَصَل بين يدي ثنيّة المُرار، وهو شجر تأكله الإبل وتشرب عليه الماء كل يوم.

(٢) بتثليث الميم فيها، وقُيّدت في أكثر نسخنا الخطية بالضم، وفي بعضها بالفتح، والثَّنيَة: الفرجة بين جبلين. وهذه الثنية تُعرَف اليوم باسم فجّ الكَريمي، قريبة من الحديبية.

فائدة: روى مسلم في «صحيحه» (٢٧٨٠) من حديث جابر بن عبد الله أن النبيَّ ﷺ قال: «من يَصعَد الثَّنيّةَ، ثنيّةَ المُرَار، فإنه يُحَطُّ عنه ما حُطَّ عن بني إسرائيل» قال: فكان أولَ من صعدها خيلُنا، خيلُ بني الخزرج، ثم تتامَّ الناسُ، فقال رسول الله ﷺ: «كلُّكم مغفورٌ له إلا صاحب الجمل الأحمر»...

قال ابن الأثير في «النهاية» ١/ ٢٢٦: إنّما حثَّهم على صعودها لأنها عقبة شاقّة وصلوا إليها ليلاً حين أرادوا مكةَ سنة الحديبية، فرغَّبهم في صعودها. والذي حُطَّ عن بني إسرائيل هو ذنوبهم، من قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾.

(٣) قترة الجيش: غباره.

(٤) في (ق٢): رجعوا راكضين.

(٥) خلأَت: بَرَكَت، قال أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص٣٤٠: الخِلاء في الإبل بمنزلة الحِرَان في الدوابّ، وقال بعضهم: لا يقال إلا للناقة خاصّةً.

(٦) خُطّة، أي: خصلة جميلة من خير وصلاح وإنصاف.

ثمّ قال للنّاس: «انزِلُوا»، قيل له: يا رسولَ الله، ما بالوادي ماءٌ نَنزِلُ عليه! فأخرَجَ سَهْماً من كِنانَتِه، فأعطاه رجلاً من أصحابه فنَزَلَ في قَلِيبٍ[1] من تلك القُلُب، فغَرَزَه في جَوْفِه فجاشَ بالرَّوَاءِ[2] حتّى ضَرَبَ الناسُ عنه بعَطَنٍ[3].

قال ابن إسحاق: فحدّثني بعضُ أهل العلم عن رجالٍ من أسلَمَ: أنّ الذي نَزَلَ في القَلِيبِ بسَهمِ رسول الله ﷺ ناجيَةُ بن جُندُب بن عُمَير بن يَعمَرَ بن دارِمِ بن عمرو ابن واثلة بن سَهْم بن مازن بن سَلَامانَ بن أسلَمَ بن أَفصَى بن أبي حارثة، وهو سائقُ بُدْنِ رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: أَفصَى بن حارثة.

قال ابن إسحاق: وقد زَعَمَ لي بعضُ أهل العلم: أنّ البَراءَ بن عازبٍ كان يقول: أنا الذي نزلتُ بسَهْمِ رسول الله ﷺ. فاللهُ أعلم أيُّ ذلك كان.

وقد أنشدَتْ أسلمُ أبياتاً من شعرٍ قالها ناجيةُ قد ظننَّا أنّه هو الذي نَزَلَ بالسَّهم، فزَعَمَت أسلمُ: أنّ جاريةً من الأنصار أقبَلَت بدَلْوِها وناجيةُ في القَلِيب يَمِيحُ على الناس[4]، فقالت:

يا أيُّها المائحُ دَلْوي دُونَكا إنّي رأيتُ الناسَ يَحمَدُونَكا
يُثْنونَ خيراً ويُمجِّدُونَكا[5]

قال ابن هشام: ويُروَى:

(١) الكنانة: وِعاء توضع فيه السهام. والقَليب: البئر.

(٢) جاش: كثر وارتفع. والرَّوَاء: العَذْب.

(٣) العَطَن: مَبْرك الإبل حول الماء.

(٤) يَمِيح على الناس، أي: يملأ الدِّلاءَ لهم في أسفل البئر.

(٥) يمجِّدونك: يُشرِّفونك، والتمجيد: التشريف.

إنّي رأيتُ الناسَ يَمدَحونَكا

قال ابن إسحاق: فقال ناجيةُ، وهو في القَلِيبِ يَمِيحُ على الناس:

قـد عَلِمَـت جاريـةٌ يَمانِيَـهْ أنّي أنا المائحُ واسمي ناجيَهْ

وطَعنـةٍ ذاتِ رَشَـاشٍ واهِيَـهْ طَعنتُها عنـد صُـدورِ العادِيَـهْ[1]

فقال الزُّهْريُّ في حديثه[2]: فلمّا اطمأنَّ رسولُ الله ﷺ أتاه بُدَيلُ بن وَرْقاءَ في رِجالٍ من خُزَاعة، فكلَّموه وسأَلوه ما الذي جاءَ به؟ فأخبرهم أنّه لم يأتِ يريد حرباً، وإنّما جاءَ زائراً للبيت ومُعظِّماً لحُرْمتِه، ثمّ قال لهم نحواً ممّا قال لبِشْر بن سفيانَ، فرَجَعوا إلى قريشٍ فقالوا: يا مَعشَرَ قريش، إنّكم تَعجَلُون على محمّدٍ، إنَّ محمّداً لم يأتِ لقتال، إنّما جاءَ زائراً لهذا البيت، فاتَّهَمُوهم وجَبَهُوهم[3] وقالوا: وإن كان جاءَ ولا يريد قتالاً، فواللهِ لا يدخُلُها علينا عَنْوةً أبداً، ولا تَحدَّثُ بذلك عنّا العربُ.

قال الزُّهْريّ: وكانت خُزَاعةُ عَيْبةَ رسولِ الله[4] ﷺ، مسلمُها ومشركُها، لا يُخْفُون عليه شيئاً كان بمكّة.

قال: ثمّ بَعَثُوا إليه مِكرَزَ بن حفص بن الأَخْيَف، أخا بني عامر بن لُؤيٍّ، فلمّا رآه

---

(١) الواهية: المسترخية الواسعة الشَّقّ. والعادية: القوم الذين يَعدُون، أي: يُسرِعون العَدْو.

(٢) يعني في حديثه عن عُروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم. وهو كذلك في خبر مَعمَرٍ الطويل في قصة الحديبية عن الزهريّ عند أحمد (١٨٩٢٨) والبخاري (٢٧٣١) وابن حبان (٤٨٧٢).

(٣) جَبَهوهم، أي: خاطبوهم بما يكرهون، يقال: جَبَهتُ الرجلَ، إذا قابلتَه بما يكره.

(٤) في (ش١) و(غ) ونسخة على حاشية (ش٢): عيبة نصح رسول الله.

والعَيْبة في الأصل: ما يوضع فيه الثِّياب لحفظها، أي: أنهم موضع النُّصح له والأمانة على سرِّه، كأنه شبَّه الصدرَ الذي هو مُستودَع السِّر بالعَيْبة التي هي مستودع الثياب.

رسولُ الله ﷺ مُقبلاً قال: «هذا رجلٌ غادِرٌ»[1]، فلمّا انتَهَى إلى رسول الله ﷺ وكلَّمه، قال له رسولُ الله ﷺ نحواً ممّا قال لبُدَيلٍ وأصحابِه، فرجع إلى قريشٍ فأخبرهم بما قال له رسولُ الله ﷺ.

ثمّ بَعَثوا إليه الحُلَيسَ بن عَلقَمة أو ابنَ زَبّانَ، وكان يومَئذٍ سيّدَ الأحابيش[2]، وهو أحدُ بني الحارث بن عبد مَنَاة بن كِنَانة، فلمّا رآه رسولُ الله ﷺ قال: «إنَّ هذا من قومٍ يَتألَّهُونَ[3]، فابعَثُوا الهَدْيَ في وجهِه حتَّى يَرَاه»، فلمّا رأى الهديَ يَسِيلُ عليه من عُرْض الوادي في قَلائدِه[4]، وقد أكَلَ أَوبارَه من طول الحَبْس عن مَحِلِّه[5]، رجع إلى قريشٍ ولم يَصِلْ إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لِمَا رأَى، فقال لهم ذلك، قال: فقالوا له: اجلِسْ، فإنّما أنت أعرابيٌّ لا عِلمَ لك.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ: أنّ الحُلَيسَ غَضِبَ عند ذلك وقال: يا معشرَ قريش، والله ما على هذا حالَفْناكم ولا على هذا عاقَدْناكم، أيُصَدُّ عن

---

(١) في خبر معمر عن الزهري: «هذا مِكرَز، وهو رجل فاجر». قلنا: ومكرز هذا لم يعرف أنه أسلم، ولم يذكره أحد ممن صنّف في الصحابة، وقد انفرد ابن حبان في «ثقاته» ٣/ ٣٩٢ فذكر له صُحبة، وأغلب الظن أنه واهمٌ في ذلك. وانظر «الإصابة» لابن حجر ٦/ ٢٠٦.

(٢) الأحابيش: بعض القبائل التي حالفت قريشاً ودخلت في عهدها وذمّتها. وأما الحُليس، فلم يرد ما يدلُّ على إسلامه فيما بعد، ولا ذكره أحدٌ ممن ألّف في الصحابة.

(٣) يتألَّهون، أي: يتعبّدون ويعظِّمون أمر الإله. وفي خبر معمر عن الزهري لم يسمِّ حليساً، وفيه: قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان، وهو من قوم يعظِّمون البُدْنَ، فابعثوها له»، فبُعِثَت له، واستقبله القوم يلبُّون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البُدنَ قد قُلِّدت وأُشعِرَت، فلم أرَ أن يُصَدُّوا عن البيت.

(٤) عُرض الوادي: جانبه. والقلائد: ما يُعلَّق في أعناق الهَدْي ليُعلَم أنه هديٌ.

(٥) الأوبار: جمع الوَبَر، وهو صوف الإبل. ومَحِلّه، أي: موضعه الذي يُنحَر فيه من الحَرَم.

بيتِ الله مَن جاءَ مُعظِّماً له؟! والّذي نفسُ الحُلَيسِ بيده، لتُخَلُّنَّ بين محمّدٍ وبين ما جاءَ له، أو لَأنفِرَنّ بالأحابيشِ نَفْرةَ رجلٍ واحدٍ، قال: فقالوا له: مَهْ، كُفَّ عنّا يا حُلَيسُ حتّى نأخُذَ لأنفُسِنا ما نَرضَى به[1].

قال الزُّهْريّ في حديثه[2]: ثمّ بَعَثوا إلى رسول الله ﷺ عُرْوةَ بن مسعودٍ الثَّقَفيّ، فقال: يا مَعشَرَ قريش، إنّي قد رأيتُ ما يَلقَى منكم مَن بَعَثتُموه إلى محمّدٍ إذا جاءَكم من التَّعنيفِ وسوءِ اللَّفظِ، وقد عَرَفتُم أنّكم والدٌ[3] وأنّي ولدٌ ـ وكان عُرْوةُ لسُبَيعة بنتِ عبد شمسٍ ـ وقد سمعتُ بالّذي نابَكُم[4]، فجَمَعتُ مَن أطاعني من قومي ثمّ جئتُكم حتّى آسَيْتُكم بنفسي[5]، قالوا: صَدَقتَ، ما أنتَ عندنا بمُتَّهَم. فخرج حتّى أَتى رسولَ الله ﷺ، فجَلَسَ بين يديه ثمّ قال: يا محمّدُ، أجَمَعتَ أَوشابَ الناسِ[6] ثمّ جئتَ بهم إلى بَيضَتِك لتَفُضَّها[7] بهم، إنّها قريشٌ قد خَرَجَت معها العُوذُ المَطافيلُ قد لَبِسوا جُلودَ النُّمور[8]، يُعاهِدون اللهَ لا تَدخُلُها عليهم عَنْوةً أبداً، وايْمُ اللهِ لَكأنّي

---

(١) هذا خبر مرسل، ورواه عن ابن إسحاق أيضاً سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٦٢٨.

وذكره الواقديُّ أيضاً في «مغازيه» ٢/ ٥٩٩-٦٠٠، ولم يبيِّن من حدّثه به.

(٢) يعني في حديثه عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

(٣) أي: كل واحد منكم كالوالد، وقيل: أي: أنكم حيٌّ قد وَلَدَني، لأنه كان لسُبَيعة بنت عبد شمس من قريش.

(٤) أي: الذي أصابكم ونزل بكم.

(٥) آسيتكم: عاونتكم.

(٦) الأوشاب: الأخلاط من أنواع شتَّى.

(٧) بيضة الرجل: أهله وقبيلته. وتفضّها، أي: تكسرها.

(٨) تقدّم شرح هذه الكلمات قريباً في أول خبر الحديبية.

بهؤلاءِ قد انكَشَفُوا عنك غداً! قال: وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ خَلْفَ رسولِ الله ﷺ قاعدٌ، فقال: امصَصْ بَظْرَ اللَّاتِ[1]، أنحنُ نَنكشِفُ عنه؟! قال: مَن هذا يا محمّدُ؟ قال: «هذا ابنُ أَبي قُحَافةَ»، قال: أمَا والله لولا يدٌ كانت لك عندي لكافَأتُك بها[2]، ولكنْ هذه بها.

قال: ثمّ جَعَلَ يَتناوَلُ لحيةَ رسولِ الله ﷺ وهو يكلِّمُه، قال: والمغيرةُ بن شُعْبة واقفٌ على رأسِ رسول الله ﷺ في الحديد، قال: فجَعَلَ يَقرَعُ يدَه إذا تَناوَلَ لحيةَ رسولِ الله ﷺ ويقول: اكفُفْ يدَك عن وجهِ رسول الله ﷺ قبلَ أن لا تَصِلَ إليك، قال: فيقول عُرْوةُ: وَيحَك، ما أَفظَّكَ وأغلَظَك! قال: فتَبسَّمَ رسولُ الله ﷺ، فقال له عُرْوةُ: مَن هذا يا محمّدُ؟ قال: «هذا ابنُ أَخيكَ المغيرةُ بن شُعْبةَ»، قال: أيْ غُدَرُ[3] وهل غَسَلتُ سَوْأتَك إلّا بالأمسِ؟!

قال ابن هشام: أرادَ عُرْوةُ بقوله هذا أنّ المغيرةَ قبلَ إسلامه قتل ثلاثةَ عَشَرَ رجلاً من بني مالكٍ من ثَقِيف، فتَهايَجَ الحَيّانِ من ثَقيفٍ: بنو مالكٍ رَهْطُ المقتولين، والأحلافُ رَهْطُ المغيرةِ، فوَدَى عُرْوةُ المقتولين ثلاثَ عَشْرةَ دِيَةً، وأصلَحَ ذلك

(١) البَظْر: لحمة ناتئة في أعلى فَرْج المرأة، واللّات: اسم أحد الأصنام التي كانت قريشٌ وثقيفٌ يعبدونها، وكانت عادة العرب الشّتم بذلك، لكن بلفظ الأمّ، فأراد أبو بكر المبالغةَ في سبِّ عُروة بإقامة من كان يعبد مقامَ أمّه، وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبة المسلمين إلى الفِرار. من «فتح الباري» لابن حجر ٨/ ٤٦٥-٤٦٦.

(٢) أي: لجازَيتُك بهذه الشَّتيمة، وأراد باليد النعمةَ والمعروفَ إليه، وبيَّن عبدُ الرحمن بن عبد العزيز الأُمَاميّ عن الزهريّ في هذا الحديث عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٤/ ٤٤٧: أن اليد المذكورة أن عروة كان تحمَّل بدِيَةٍ، فأعانه أبو بكر فيها بعونٍ حسنٍ، وفي رواية الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٥٩٥: بعشر فرائض؛ والفرائض: المُسِنّات من الإبل، الواحدة: فارضٌ.

(٣) غُدَر: معدولٌ عن غادرٍ مبالغةً في وصفه بالغَدْر.

الأمر[1].

قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: فكَلَّمَه رسولُ الله ﷺ بنحوٍ ممّا كَلَّمَ به أصحابَه، وأخبره أنّه لم يأتِ يريد حرباً.

فقامَ من عندِ رسول الله ﷺ وقد رأَى ما يَصنَعُ به أصحابُه؛ لا يتوضّأُ إلّا ابتَدَرُوا وَضُوءَه، ولا يَبصُقُ بُصاقاً إلّا ابتَدَرُوه، ولا يَسقُطُ من شَعرِه شيءٌ إلّا أَخذوه، فرجع إلى قريشٍ فقال: يا مَعشَرَ قريش، إنّي قد جئتُ كِسرَى في مُلكِه، وقَيصَرَ في مُلكِه، والنَّجَاشيَّ في مُلكِه، وإنّي والله ما رأيتُ مَلِكاً في قومٍ قَطُّ مثلَ محمّدٍ في أصحابه، ولقد رأيتُ قوماً لا يُسلِمُونَه لشيءٍ أبداً، فرَوْا رأيَكُم[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ أهل العلم: أنّ رسولَ الله ﷺ دعا خِراشَ بن أُميّة الخُزَاعيّ، فبَعَثَه إلى قريشٍ بمكّة وحَمَلَه على بعيرٍ له يقال له: الثَّعلَبُ، ليُبلِّغَ أشرافَهم عنه ما جاءَ له، فعَقَرُوا به جَمَلَ رسول الله ﷺ[3]، وأرادوا قتلَه، فمَنَعَته

---

(١) قد جاء معنى هذا مختصراً في رواية عبد الرزاق عن معمرٍ عن الزهريِّ في هذا الخبر عند أحمد (١٨٩٢٨) والبخاري (٢٧٣١) وابن حبان (٤٨٧٢) بلفظ: كان المغيرةُ صَحِبَ قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلَمَ، فقال النبيُّ ﷺ: «أمّا الإسلامُ فأقبَلُ، وأمّا المالُ فلستُ منه في شيءٍ». وفي رواية محمد بن ثور عن معمرٍ عن الزهري فيه عند أبي داود (٢٧٦٥) والطبري في «تفسيره» ٢١/ ٢٩٩: «أما الإسلامُ فقد قَبِلْنا، وأما المالُ فإنه مالُ غدرٍ لا حاجة لنا فيه».

(٢) هذه الفِقْرة من تتمة حديث الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور ومروان بن الحكم كما هو ظاهر رواية معمر عنه عند أحمد والبخاري وابن حبان، وليست من مراسيل الزهري، وفي حديثه عند هؤلاء الثلاثة: قال لهم عروة بن مسعود: وإنه قد عَرَضَ عليكم خُطّةَ رُشدٍ فاقبلوها.

(٣) أي: ضربوا قوائم الجمل بالسيف فجرحوه ليسقط على الأرض.

الأحابيشُ، فخَلَّوا سبيلَه حتّى أَتى رسولَ الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني بعضُ مَن لا أتّهمُ عن عِكْرمةَ مولى ابن عبّاسٍ[1]: أنّ قريشاً كانوا بَعَثُوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين رجلاً، وأمَرُوهم أن يُطِيفُوا بعسكر رسول الله ﷺ ليُصِيبوا لهم من أصحابه أحداً، فأُخِذوا أَخذاً فأُتي بهم رسولُ الله ﷺ، فعَفَا عنهم وخَلَّى سبيلَهم، وقد كانوا رَمَوْا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنَّبْل.

ثمّ دعا[2] عمرَ بن الخَطّابِ ليَبْعثَه إلى مكّة فيُبلِّغَ عنه أشرافَ قريشٍ ما جاءَ له، فقال: يا رسولَ الله، إنّي أخافُ قريشاً على نفسي، وليس بمكّة من بني عَدِيّ بن كعبٍ أحدٌ يَمنَعُني، وقد عَرَفَت قريشٌ عداوتي إيّاها، وغِلْظَتي عليها، ولكنّي أدُلُّك على رجلٍ أعزَّ بها منّي، عثمانَ بنِ عفّان.

---

(١) زاد بعده في طبعة السقا وصاحبيه: عن ابن عباس، وليست هذه الزياة في شيء من النسخ الخطية، فهذا من مراسيل عكرمة مولى ابن عباس، وهو كذلك في رواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تفسيره» ٢١/ ٢٨٩ و«تاريخه» ٢/ ٦٣١.

وهذا المرسل ضعيفٌ وراويه عن عكرمة مبهمٌ.

(٢) ظاهر السياق أن هذا ـ أي: قصة عمر وعثمان ودخول عثمان مكة وتبليغه قريشاً رسالةَ رسول الله ﷺ ـ من تتمة حديث عكرمة، وهكذا جعله سلمةُ بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تفسيره» ٢١/ ٢٧٢-٢٧٣ و«تاريخه» ٢/ ٦٣١.

لكن رواه يزيد بن هارون عند أحمد (١٨٩١٠)، وعبد الله بن إدريس الأَودي عند الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥٧٧١)، كلاهما عن ابن إسحاق، فجعلاه من حديثه عن الزهري عن عروة في خبره عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

ورواه في خبر عُروة بن الزبير أيضاً ابنُ لَهِيعة عن أبي الأسود عنه فيما أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ١٣٣. وهذا هو المحفوظ إن شاء الله أنه عن عروة في خبره عن الحديبية.

فدعا رسولُ الله ﷺ عثمانَ بن عفّان، فبَعَثَه إلى أبي سفيانَ وأشرافِ قريشٍ يُخبِرُهم أنّه لم يأتِ لحربٍ، وأنّه إنَّما جاءَ زائراً لهذا البيتِ ومُعظِّماً لحُرْمتِه.

فخرج عثمانُ إلى مكّة، فلَقِيَه أبانُ بن سعيد بن العاصِ حين دخل مكّةَ، أو قبلَ أن يدخُلَها، فحَمَلَه بين يدَيهِ ثمّ أجارَه حتّى بَلَّغَ رسالةَ رسول الله ﷺ، فانطَلَقَ عثمانُ حتّى أَتى أبا سفيانَ وعُظَماءَ قريش، فبلَّغَهم عن رسول الله ﷺ ما أَرسَلَه به، فقالوا لعثمان حين فَرَغَ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئتَ أن تَطُوفَ بالبيت فطُفْ، فقال: ما كنتُ لأفعلَ حتّى يَطُوفَ به رسولُ الله ﷺ. واحتبَسَته قريشٌ عندها، فبَلَغَ رسولَ الله ﷺ والمسلمين أنّ عثمانَ قد قُتِل.

بيعةُ الرِّضْوان

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ قال حين بَلَغَه أنّ عثمانَ قد قُتِلَ: «لا نَبْرَحُ حتّى نُناجِزَ[1] القومَ»، فدعا رسولُ الله ﷺ الناسَ إلى البَيْعةِ.

فكانت بيعةُ الرِّضوان تحت الشَّجَرة.

فكان الناسُ يقولون: بايعَهم رسولُ الله ﷺ على الموت، وكان جابرُ بن عبدِ الله يقول: إنَّ رسولَ الله ﷺ لم يُبايِعْنا على الموتِ، ولكنْ بايَعَنا على أن لا نَفِرَّ.

فبايع رسولُ الله ﷺ الناسَ ولم يَتَخلَّفْ عنه أحدٌ من المسلمين حَضَرَها إلّا الجَدُّ ابن قيسٍ أخو بني سَلِمةَ، فكان جابرُ بن عبدِ الله يقول: والله لكأنّي أنظُرُ إليه لاصقاً بإبْطِ ناقتِه قد ضَبَأَ[2] إليها يَستتِرُ بها من الناس.

---

(١) المناجزة: المبارَزة والمقاتَلة.

(٢) ضبأ إليها، أي: لصق بها واستتر.

ثمّ أَتى رسولَ الله ﷺ أنّ الذي ذُكِرَ من أمر عثمانَ باطلٌ[1].

---

(١) خبر عبد الله بن أبي بكر هذا ـ وهو ابن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاري ـ مرسل، وروايته عن جابر منقطعة، فإنه لم يدرك السماعَ منه، لكن حديث جابر قد صحَّ من غير هذا الوجه.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٢١/ ٢٧٣ وفي «تاريخه» ٢/ ٦٣٢ من طريق سلمة بن الفضل، والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ١٣٥ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

وأما حديث جابرٍ: أنهم بايعوا رسولَ الله ﷺ على أن لا يَفرُّوا وليس على الموت، فصحيح، فقد أخرجه أحمد (١٤١١٤) و(١٤٨٢٣)، ومسلم (١٨٥٦)، والترمذي (١٥٩١) و(١٥٩٤) وغيرهم من طرق عنه.

وفي الباب عن مَعقِل بن يسار عند مسلم (١٨٥٨) قال: لم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه على أن لا نفرّ.

وعن عبد الله بن زيد عند البخاري (٢٩٥٩) ومسلم (١٨٦١): لما كان زمن الحَرّة أتاه آتٍ فقال له: إن ابن حنظلة (وهو عبدُ الله بنُ حنظلةَ غسيلِ الملائكة، وكان أميراً على الأنصار يوم الحرّة) يبايع الناس على الموت، فقال: لا أبايع على هذا أحداً بعد رسول الله ﷺ.

وعن سلمة بن الأكوع عند البخاري (٢٩٦٠) ومسلم (١٨٦٠)، وقد سئل: على أيّ شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت.

ولا تنافي بين قولهم: بايعوه على الموت، وعلى عدم الفِرار، لأن المراد بالمبايعة على الموت أن لا يفرُّوا ولو ماتوا، وليس المراد أن يقع الموتُ ولا بدَّ، قاله ابن حجر في «الفتح» ٩/ ٢١٧.

ويمكن أن يقال: بايعه قوم من أصحابه على الموت كأن يقولوا: لا نزال بين يديك حتى نُقتَل، وبايعه آخرون فقالوا: لا نفرُّ، أشار إلى ذلك الترمذيُّ بإثر حديث جابر عنده برقم (١٥٩٤).

وأما حديث جابرٍ في قصة الجدّ بن قيس، فهو صحيح أيضاً، فقد أخرجه أحمد (١٥٢٥٩) ومسلم (١٨٥٦) (٦٩) من رواية أبي الزُّبير عنه.

وروى عمرو بن دينار عن جابرٍ عند البخاري (٤١٥٤) ومسلم (١٨٥٦) (٧١): أن النبي ﷺ قال لهم يوم الحديبية: «أنتم خيرُ أهل الأرض».

قال ابن هشام: قد ذكرَ وكيعٌ، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ، عن الشَّعْبيّ: أنّ أوّلَ مَن بايعَ النبيَّ ﷺ بيعةَ الرِّضوان أبو سِنانٍ الأَسَديّ(١).

وحدّثني مَن أثِقُ به عمّن حدَّثه بأسنادٍ له عن ابن أبي مُلَيكة، عن ابن عمر: أنّ رسولَ الله ﷺ بايعَ لعثمانَ، فضرب بإحدى يديهِ على الأُخرى(٢).

الهُدْنـة

قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: ثمّ بَعَثَت قريشٌ سُهَيلَ بن عمرٍو أخا بني عامر

(١) رجاله ثقات، وقد رواه غير واحد عن إسماعيل عن الشعبي، منهم وكيع وسفيان بن عيينة وعبد الله بن نمير وعبد الله بن إدريس عند ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٩٦ و٣/ ٨٧، وابن أبي شيبة ١٢/ ٢٠٤ و١٤/ ٧٦، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٦٨٩)، والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ١٣٧.

وكذلك رُوي عن زرّ بن حُبيش بإسناد حسن عنه عند ابن منده في «معرفة الصحابة» ص٨٩٠.

وذكرُ أبي سنان الأسديّ في الحديبية مناقضٌ لما تقدّم عند ابن إسحاق ص٣١٥ في غزوة بني قريظة: أن أبا سنان ـ وهو ابن مِحصَن أخو عُكّاشة ـ توفي مع النبي ﷺ وهو محاصر بني قريظة، فدُفِن هناك. وكذلك قال الواقديُّ فيما نقله عنه ابن سعدٍ في «الطبقات» ووَهَّم رواية بيعته في الحديبية، وذكر أن الذي بايع يومئذٍ أوّل القوم هو ابنه سنانُ بن أبي سنان، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

(٢) حديث صحيح، وإسناد ابن هشام هذا ضعيف لإبهام الواسطة بينه وبين ابن أبي مليكة ـ وهو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ـ لكن صحَّ هذا الخبر من وجه آخر عن ابن عمر.

فقد أخرجه أحمد (٦٠١١)، والبخاري (٣٦٩٨)، والترمذي (٣٧٠٦) من طريق عثمان بن مَوهَب: أن ابن عمر قال لمن سأله عن عثمان: أما تغيُّبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانَه، فبعث رسول الله ﷺ عثمانَ، وكانت بيعةُ الرضوان بعدما ذهب عثمانُ إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يدُ عثمان»، فضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان».

ابن لُؤَيٍّ إلى رسول الله ﷺ، وقالوا له: ائتِ محمّداً فصالِحْه، ولا يكن في صُلحِه إلّا أن يَرجِعَ عنّا عامَه هذا، فوالله لا تَحَدَّثُ العربُ عنّا أنّه دخلها علينا عَنْوةً أبداً. فأتاه سُهَيلُ بن عمرو، فلمّا رآه رسولُ الله ﷺ مُقبِلاً قال: «قد أرادَ القومُ الصُّلحَ حين بَعَثُوا هذا الرَّجلَ»[1]، فلمّا انتَهَى سُهَيلُ بن عمرو إلى رسول الله ﷺ، تكلَّمَ فأطال الكلامَ وتَراجَعا، ثمّ جَرَى بينهما الصُّلحُ.

فلمّا الْتأَمَ الأمرُ ولم يَبْقَ إلّا الكتابُ، وَثَبَ عمرُ بن الخَطّاب فأَتى أبا بكرٍ فقال: يا أبا بكرٍ، أليس برسولِ الله؟! قال: بَلَى، قال: أوَلَسنا بالمسلمينَ؟! قال: بَلَى، قال: أوَليسوا بالمشركينَ؟! قال: بَلَى، قال: فعَلَامَ نُعطي الدَّنِيّةَ[2] في دينِنا؟! قال أبو بكرٍ: يا عمرُ، الزَمْ غَرْزَه[3]، فإنّي أشهَدُ أنّه رسولُ الله، قال عمرُ: وأنا أشهَدُ أنّه رسولُ الله؛ ثمّ أَتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، ألَستَ برسولِ الله؟! قال: «بَلَى» قال:

---

(١) وفي خبر معمر الطويل في قصة الحديبية عند أحمد (١٨٩٢٨)، والبخاري (٢٧٣١)، وابن حبان (٤٨٧٢)، قال معمر: فأخبرني أيوبُ عن عكرمة: أنه لمّا جاء سهيل بن عمرٍو قال النبيُّ ﷺ: «لقد سَهُلَ لكم من أمرِكم».

وهذا مرسل، وقد رواه موصولاً أبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٣١٧، والخطيب في «المتفق والمفترق» (٧٠٠) من حديث عبد الله بن المؤمَّل، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس. وعبد الله هذا ضعيف، واختُلف عليه فيه فروي عنه أيضاً عن أبيه عن عبد الله بن السائب عند الطبراني كما في «مجمع الزوائد» للهيثمي ٦/ ١٤٦.

لكن له شاهد موصول بنحو لفظه من حديث سلمة بن الأكوع عند ابن أبي شيبة ١٤/ ٤٤٠ بإسناد ضعيف. وهو بمجموع هذه الطرق حسنٌ إن شاء الله.

(٢) الدَّنيّة: الذل والأمر الخسيس.

(٣) الزم غرزَه، أي: الزم أمرَه، والأصل في الغَرْز هو موضع القدم في رَحْل البعير، وهو كالرِّكاب في سَرْج الفرس.

أوَلسنا بالمسلمينَ؟! قال: «بَلَى» قال: أوَليسوا بالمشركينَ؟! قال: «بَلَى» قال: فعَلَامَ نُعطي الدَّنِيّةَ في دينِنا؟! قال: «أنا عبدُ اللهِ ورسولُه، لن أُخالِفَ أمرَهُ، ولن يُضَيِّعَني»؛ قال: فكان عمرُ يقول: ما زِلتُ أتَصدَّقُ وأصومُ وأُصَلِّي وأُعتِقُ من الّذي صَنَعتُ يومَئذٍ، مخافةَ كلامي الّذي تكلَّمتُ به حينَ رَجَوتُ أن يكون خيراً[1].

قال[2]: ثمّ دعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه فقال: «اكتُبْ: بسمِ الله الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ» قال: فقال سُهَيلٌ: لا أعرفُ هذا، ولكن اكتُبْ: باسمِكَ اللّهمَّ، فقال رسول الله ﷺ: «اكتُبْ: باسمِكَ اللّهُمَّ» فكَتَبَها، ثمّ قال: «اكتُبْ: هذا ما صالَحَ عليه محمَّدٌ رسولُ الله سُهَيلَ بنَ عمرٍو» قال: فقال سُهَيلٌ: لو شَهِدتُ أنّك رسولُ الله لم أُقاتِلْك، ولكن اكتُبْ اسمَك واسمَ أبيك، قال: فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) هذه الفِقرة من تتمة حديث الزهري عن عروة عن المسور ومروان بن الحكم، وهذه المراجعة من عمر لرسول الله ﷺ وأبي بكر كانت بعدما كُتب كتابُ الصلح كما وقع في رواية معمرٍ عن الزهري عند أحمد (١٨٩٢٨) والبخاري (٢٧٣١) وابن حبان (٤٨٧٢)، وفيها أن مراجعة عمر لأبي بكر كانت بعد مراجعته لرسول الله ﷺ.

وروى مراجعةَ عمر هذه أيضاً سهلُ بن حُنَيف الأنصاري فيما أخرجه البخاري (٣١٨٢) و(٤٨٤٤)، ومسلم (١٧٨٥).

قلنا: وهذه المراجعة من عمر رضي الله عنه لم تكن شكّاً منه في حقِّيّة ما هم عليه، إنما كان شكّاً منه في وجود مصلحة لهم من هذا الصلح مع المشركين وتوقُّفاً منه فيه ليقفَ على الحكمة في القصّة وتنكشفَ عنه الشُّبهة. وانظر «فتح الباري» ٨/ ٤٧٩.

(٢) يعني الزهريَّ في حديثه عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

وقد روى نحو قصة كتاب الصلح هذا أيضاً البراءُ بن عازبٍ عند البخاري (٢٦٩٨-٢٦٩٩)، ومسلم (١٧٨٣).

وأنس بن مالك عند مسلم (١٧٨٤).

«اكتُبْ: هذا ما صالَحَ عليه محمَّدُ بن عبدِ الله سُهَيلَ بنَ عمرٍو؛ اصطلَحا على وَضْعِ الحربِ عن النّاسِ عَشْرَ سِنينَ يأمَنُ فيهِنَّ النّاسُ ويَكُفُّ بعضُهم عن بعضٍ، على أنَّه مَن أَتى محمَّداً من قريشٍ بغيرِ إذْنِ وَلِيِّه رَدَّه عليهم، ومَن جاءَ قريشاً ممَّن معَ محمَّدٍ لم يَرُدُّوه عليه، وأنَّ بينَنا عَيْبةً مَكْفوفةً، وأنَّه لا إسلالَ ولا إغلالَ[1]، وأنَّه مَن أحَبَّ أن يَدخُلَ في عَقْدِ محمَّدٍ وعَهدِه دَخَلَ فيه، ومَن أحَبَّ أن يَدخُلَ في عَقْدِ قريشٍ وعَهدِهم دَخَلَ فيه».

فتَواثَبَت خُزَاعةُ فقالوا: نحن في عَقْدِ محمّدٍ وعَهدِه، وتَواثَبَت بنو بكرٍ فقالوا: نحن في عَقْدِ قريشٍ وعَهدِهم.

وأنّك تَرجِعُ عنّا عامَك هذا فلا تَدخُلُ علينا مكّةَ، وأنّه إذا كان عامُ قابلٍ خرجنا عنك فدَخَلتَها بأصحابك فأقمتَ بها ثلاثاً، معك سِلاحُ الرّاكبِ؛ السُّيوفُ في القُرُبِ[2] لا تَدخُلُها بغيرِها.

فبَيْنا رسولُ الله ﷺ يكتبُ الكتابَ هو وسهيلُ بن عمرٍو، إذ جاءَ أبو جَندَلِ بن سُهَيل بن عمرٍو يَرسُفَ في الحديد[3] قد انفَلَتَ إلى رسول الله ﷺ، وقد كان أصحابُ رسول الله ﷺ حين خرجوا وهم لا يَشُكُّون في الفَتْحِ لرُؤيا رآها رسولُ الله ﷺ[4]، فلمّا

---

(١) العَيْبة: وعاء تجعل فيه الثياب ونفيس المتاع، والمكفوفة: المُشرَجة، وهي المشدودة بشَرَجِها، أي: بعُرَاها. وهنا ضربها مثلاً، أي: بينهم صدور نقية من الغِلّ والخداع، مطويّة على الوفاء بالصلح. والإسلال: السرقة الخفيّة. والإغلال: الخيانة.

(٢) جمع قِراب: وهو غِمْد السيف.

(٣) الرَّسْف: مشي المقيَّد إذا جاء يتحامل برِجْله مع القَيْد.

(٤) وهذه الرؤيا كما عند الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٦٠٧: أنه ﷺ رأى أنه حلق رأسه، وأنه دخل البيت فأخذ مفتاح الكعبة.

رَأَوا ما رَأَوا من الصُّلحِ والرُّجوعِ وما تَحمَّلَ عليه رسولُ الله ﷺ في نفسه، دخل النّاسَ من ذلك أمرٌ عظيمٌ حتّى كادُوا يَهلِكون، فلمّا رأى سُهَيلٌ أبا جَندَلٍ، قام إليه فضَرَبَ وجهَه وأخذَ بتَلْبيبِه[1] ثمّ قال: يا محمّدُ، قد لَجَّتِ القضيَّةُ[2] بيني وبينَك قبل أن يأتيَك هذا، قال: «صَدَقتَ»[3]، فجعل يَنتُرُه[4] بتَلْبيبِه، ويَجُرُّه ليَرُدَّه إلى قريش، وجعل أبو جَندَلٍ يَصرُخُ بأعلى صوته: يا مَعشَرَ المسلمين، أأُرَدُّ إلى المشركين يَفتِنونني في ديني؟! فزادَ ذلك الناسَ إلى ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا جَندَلٍ، اصبِرْ واحتَسِبْ، فإنَّ الله جاعلٌ لك ولمَن معك من المُستضعَفِينَ فَرَجاً ومَخرَجاً، إنَّا قد عَقَدْنا بينَنا وبينَ القوم صُلْحاً، وأعطَيْناهم على ذلك وأعطَوْنا عَهْدَ الله، وإنَّا لا نَغدِرُ بهم».

قال[5]: فوَثَبَ عمرُ بن الخَطّاب مع أبي جَندَلٍ يمشي إلى جنبِه ويقول: اصبِرْ يا

---

(١) أي: جمع ثوبه عند صدره ونحره ثم جرّه به، من اللَّبّة: وهو موضع النّحر.

(٢) أي: انعقدت وتمَّت.

(٣) وفي حديث معمر عن الزهري عند أحمد (١٨٩٢٨) والبخاري (٢٧٣١) وابن حبان (٤٨٧٢): أن سهيلاً قال: هذا يا محمد أوّل ما أُقاضيك عليه أن تردَّه إلي، فقال النبي ﷺ: «إنّا لم نقضِ الكتابَ بعدُ» (يعني أنه لم يتمَّ الإشهادُ عليه بعدُ فينقضي بذلك الكتاب) قال: فوالله إذاً لم أصالحك على شيءٍ أبداً، قال النبي ﷺ: «فأَجِزْه لي» قال: ما أنا بمُجيزِه لك، قال: «بلى فافعَلْ» قال: ما أنا بفاعل.

(٤) أي: يجذبه جذباً شديداً عنيفاً.

(٥) يعني الزهريَّ في حديثه عن عروة عن المسور ومروان بن الحكم. وقصة تحريض عمرَ لأبي جندل على والده سهيل ذكرها أيضاً عن الزهريِّ عبدُ الرحمن بن عبد العزيز الأُماميُّ عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٤/ ٤٥٠، ووقعت الإشارة إليها أيضاً في مرسل عروة بن الزبير من حديث ابنه هشام عنه عند ابن أبي شيبة ١٤/ ٤٣٣.

أبا جَندَلٍ، فإنّما هم المشركون، وإنّما دمُ أحدِهم دمُ كلبٍ، قال: ويُدْني قائمَ السّيفِ منه. قال يقول عمرُ: رَجَوتُ أن يأخذَ السيفَ فيضربَ به أباه، قال: فضَنَّ الرّجلُ بأبيه[1] ونَفَذَت القضيَّةُ.

فلمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من الكتاب أشهَدَ على الصُّلحِ رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين: أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وعمرُ بن الخَطّاب، وعبدُ الرَّحمن بن عَوفٍ، وعبدُ الله بن سُهَيل بن عمرو، وسعدُ بن أبي وَقّاصٍ، ومحمودُ بن مَسلَمة، ومِكرَزُ بن حفصٍ - وهو يومَئذٍ مشركٌ - وعليُّ بن أبي طالبٍ وكَتَبَ، وكان هو كاتبَ الصَّحيفة.

وكان رسولُ الله ﷺ مُضطَرِباً في الحِلِّ[2] وكان يُصلِّي في الحَرَم، فلمّا فَرَغَ من الصُّلحِ قَدِمَ إلى هَدْيِه فنَحَرَه، ثمّ جَلَسَ فحَلَقَ رأسَه، وكان الذي حَلَقَه - فيما بَلَغَني - في ذلك اليوم خِرَاشَ بن أُميّة بن الفضل الخُزَاعيّ، فلمّا رأى الناسُ أنّ رسولَ الله ﷺ قد نَحَرَ وحَلَقَ، تَواثَبُوا يَنحَرُون ويَحلِقون[3].

---

(١) أي: حرص على حياته ولم يفرِّط به.

(٢) مضطرباً في الحل، أي: أن أبنيته كانت مضروبةً في الحِلّ، وكانت صلاته في الحَرَم، وهذا لقرب الحديبية من الحَرَم.

(٣) فصَّل معمرٌ في حديثه عن الزهريِّ عند أحمد والبخاري وابن حبان في قصة النحر والحلق هذه، فقال: لمّا فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحَرُوا ثمّ احلِقُوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاث مرّات، فلما لم يقم منهم أحدٌ دخل على أم سَلَمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبيَّ الله، أتحبُّ ذلك، اخرج ثم لا تكلِّمْ أحداً منهم كلمةً حتى تنحر بُدنَك، وتدعوَ حالقَك فيَحلِقَك، فخرج فلم يكلِّمْ أحداً منهم حتى فعل ذلك؛ نحر بُدنَه ودعا حالقه فحَلَقَه، فلما رأَوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يَحلِقُ بعضاً حتى كاد بعضُهم يقتل بعضاً غمّاً.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُالله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عبّاس قال: حَلَقَ رجالٌ يومَ الحُدَيبِيَة وقَصَّرَ آخرون، فقال رسول الله ﷺ: «يَرحَمُ اللهُ المُحلِّقينَ» قالوا: والمُقصِّرين يا رسولَ الله؟ قال: «يَرحَمُ اللهُ المُحلِّقينَ» قالوا: والمُقصِّرين يا رسولَ الله؟ قال: «يَرحَمُ اللهُ المُحلِّقينَ» قالوا: والمُقصِّرين يا رسولَ الله؟ قال: «والمُقصِّرينَ» قالوا: يا رسولَ الله، فلِمَ ظاهَرْتَ التَّرحيمَ[1] للمُحلِّقين دون المُقصِّرين؟ قال: «لم يَشُكُّوا»[2].

---

(١) ظاهرت الترحيم، أي: قوّيته وأكّدته بتكريرك إياه، والمظاهَرَة: القوّة والمعاوَنة.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٣٣١١)، وابن ماجه (٣٠٤٥) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. ورواية ابن ماجه مختصرة.

ويشهد له ـ دون ذكر الشك ـ حديثُ ابن عمر من رواية أيوب السَّختِياني عن نافع عنه عند أحمد (٤٨٩٧)، وإسناده صحيح. وفيه أن ذلك كان بالحديبية، وهو عند البخاري (١٧٢٧) ومسلم (١٣٠١) من غير طريق أيوب مطلقاً من غير ذكر الحديبية.

وروي أيضاً حديثُ ابن عمر بذكر الحديبية من رواية موسى بن عُبيدة عن أبي مرّة يزيدَ مولى أمّ هانئ عنه فيما أخرجه ابن أبي شيبة ١٤/ ٤٥٢. وإسناده ضعيف لضعف موسى، لكنه يصلح للاعتبار.

وفي الباب أيضاً عن أبي سعيد الخُدري عند أحمد (١١١٤٩) بإسنادٍ فيه ضعفٌ. وفيه أن ذلك كان بالحديبية.

وروي أيضاً: أن النبي ﷺ قد دعا في حجّة الوداع للمحلِّقين ثلاثاً وللمقصِّرين واحدة. وانظر تفصيل الكلام في هذه القضية عند ابن حجر في «فتح الباري» ٥/ ٥٩٦-٥٩٨.

وأما معنى الشكّ المذكور في حديث ابن عباس، فهو أنهم لم يسرعوا إلى امتثال الأمر والاقتداء برسول الله ﷺ في الحلق فقصّروا أشعارهم طمعاً في أن يدخلوا مكة فيطوفوا بالبيت ويحلقوا عنده، والله تعالى أعلم.

وقال عبدُ الله بن أبي نَجيح: حدّثني مُجاهدٌ، عن ابن عبّاسٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ أهدَى عامَ الحُدَيبيَة في هَدَاياه جملاً لأبي جهلٍ في رأسه بُرَةٌ[1] من فِضّة؛ يَغِيظُ بذلك المشركين[2].

قال الزُّهْريُّ في حديثه[3]: ثمّ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ من وجهه ذلك قافلاً، حتّى إذا كان بين مكّة والمدينة نزلت سورةُ الفَتْح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾.

ثمّ كانت القصّةُ فيه وفي أصحابه حتّى انتَهَى إلى ذِكْر البَيْعة فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾.

ثمّ ذكرَ مَن تَخلَّفَ عنه من الأعراب، ثمّ قال حين استَنفَرهم[4] للخروج معه

---

(١) البُرَة: حلقة تجعل في أنف البعير ليذلّ ويرتاض.

(٢) إسناده صحيح، وصرَّح ابن إسحاق بسماعه من ابن أبي نجيح عند أحمد والحاكم.

وأخرجه أحمد (٢٣٦٢)، وأبو داود (١٧٤٩)، والحاكم (١٧٣٣) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وفي رواية أحمد: أن هذا الجمل كان ممّا استُلِب يوم بدرٍ من المشركين.

(٣) يعني في حديثه عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم. وهو عند أحمد في آخر حديث الحديبية هذا برقم (١٨٩١٠) عن يزيد بن هارون، عن ابن إسحاق، عن الزهري.

وأخرجه مختصراً بهذا القدر الحاكم (٣٧٥٢) من طريق محمد بن سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: أُنزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية، من أوّلها إلى آخرها.

ويشهد له حديث أنس عند مسلم (١٧٨٦).

وحديث ابن مسعود عند أحمد (٣٧١٠)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٠٢)، وإسناده حسن.

(٤) في (ق٢) و(ي): استفزَّهم.

فأبطَؤُوا عليه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ ثمّ القصّةُ عن خَبَرِهم حتّى انتَهَى إلى قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾، ثمّ القصّةُ عن خَبَرِهم وما عُرِضَ عليهم من جهادِ القوم أُولي البَأْس الشَّديد.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدُ الله بن أبي نَجِيحٍ، عن عطاءِ بن أبي رَبَاحٍ، عن ابن عبّاسٍ قال: فارسُ[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ عن الزُّهْريِّ أنّه قال: أُولو البأس الشّديد حَنِيفةُ مع الكذّاب[2].

ثمّ قال: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ

---

(١) إسناده صحيح عن ابن عباس.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٢١/ ٢٦٦ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

وقد اختلف المفسرون في المراد بهؤلاء القوم أُولي البأس الشديد، فقال بعضهم: هم أهل فارس، كقول ابن عباس هذا، وقال بعضهم: هم فارس والروم، وقال آخرون: هم هوازن بحُنينٍ، وقال آخرون: بل هم بنو حَنِيفة مع مُسيلِمة الكذاب.

قال الطبريُّ رحمه الله: وأَولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكرُه أخبر عن هؤلاء المخلَّفين من الأعراب أنهم سيُدعَون إلى قتال قوم أُولي بأس في القتال، ونَجْدة في الحروب، ولم يُوضَع لنا الدليل من خبر ولا عقل على أن المعنيَّ بذلك هوازنُ ولا بنو حنيفة ولا فارسُ ولا الرّومُ، ولا أعيانٌ بأعيانهم، وجائز أن يكون عُنِيَ بذلك بعضُ هذه الأجناس، وجائز أن يكون عُنِيَ بهم غيرهم، ولا قولَ فيه أصحُّ من أن يقال كما قال الله جلَّ ثناؤه: إنهم سيُدعَون إلى قوم أُولي بأس شديد. قلنا: يعني مطلقاً دون تعيين.

(٢) ورواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٥١٧)، والطبري في «تفسيره» ٢١/ ٢٦٨ من طريقين عن ابن إسحاق عن الزهري.

فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

ثمّ ذكرَ مَحبِسَه وكَفَّه إيّاه عن القتال بعدَ الظَّفَرِ منه بهم؛ يعني النَّفَرَ الذين أصابَ منهم وكَفَّهم عنه[1]، ثمّ قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

---

(١) وقد ذكر خَبَرَهم أنسُ بن مالكٍ فقال: إن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلِّحين، يريدون غِرّةَ النبيِّ ﷺ وأصحابه، فأخذهم سَلَماً فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾. أخرجه أحمد (١٢٢٥٤) ومسلم (١٨٠٨) وغيرهما.

وذكره أيضاً سلمةُ بن الأكوع في حديثٍ طويلٍ بشيء من التفصيل فقال: لمّا اصطلحنا نحن وأهلُ مكة، واختلط بعضُنا ببعض، أتيتُ شجرةً فكَسَحتُ شوكَها فاضطجعتُ في أصلها، فأتاني أربعةٌ من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يَقَعُون في رسول الله ﷺ، فأبغضتُهم، فتحوَّلتُ إلى شجرةٍ أخرى، وعلَّقوا سلاحهم واضطجعوا، فبينما هم كذلك إذ نادى منادٍ من أسفل الوادي: يا لَلمهاجرين، قُتِلَ ابنُ زُنَيم، قال: فاخترطتُ سيفي ثم شَدَدتُ على أولئك الأربعة وهم رُقود، فأخذتُ سلاحهم فجعلتُه ضِغثاً (أي: حُزمةً) في يدي ثم قلت: والذي كرَّم وجهَ محمّدٍ، لا يرفعُ أحدٌ منكم رأسَه إلا ضربتُ الذي فيه عيناه، قال: ثم جئتُ بهم أسُوقُهم إلى رسول الله ﷺ، وجاء عمّي عامرٌ برجل من العَبَلات (بطنٌ من قريش) يقال له: مِكرَز، يقودُه إلى رسول الله ﷺ على فرس مُجفَّف (أي: عليه تَجْفافٌ، وهو ثوب يُلبَسه الفرس ليقيَه السلاح) في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: «دَعُوهم، يكن لهم بَدْءُ الفجور وثِنَاه» (أي: ثانيه، يعني: لهم أوله وآخره)، فعَفَا عنهم رسول الله ﷺ، وأنزل الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ...﴾. أخرجه أحمد (١٦٥١٨) ومسلم (١٨٠٧).

ثمّ قال: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾.

قال ابن هشام: المعكوفُ: المحبوسُ، قال أعشَى بني قيس بن ثَعْلبة:

وكـأنَّ السُّـمُوطَ عَكَّفَـه السِّلْـ ـكُ بعِطفَـيْ جَيْـداءَ أمِّ غَـزَالِ[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له[2].

قال ابن إسحاق: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، والمَعَرّةُ: الغُرْم، أن تُصيبوا منهم مَعَرّةً بغير عِلمٍ فتُخرِجوا دِيَتَه، فأمّا إثمٌ فلم يَخشَهُ عليهم[3].

قال ابن هشام: بَلَغَني عن مجاهدٍ أنه قال: نَزَلَت هذه الآيةُ في الوليد بن الوليد بن المغيرةِ وسَلَمة بن هشامٍ وعَيّاش بن أبي ربيعةَ وأبي جَندَل بن سُهَيلٍ وأشباهِهم.

قال ابن إسحاق: ثمّ قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ يعني سُهَيلَ بن عمرٍو حين حَمِيَ أن يَكتُبَ بسمِ الله الرَّحمنِ الرّحيمِ، وأنَّ

(١) السُّموط: جمع سِمْط، وهو ما يُعلَّق من القلائد على الصدر. وعكَّفه، أي: أداره. والسِّلك: الخيط الذي يُنظَم فيه الخرز وغيره. والعِطْف: الجانب. والجَيْداء: الطويلة الجِيدِ، وهو العُنُق.

(٢) انظر «ديوانه» ١/ ١٠٣.

(٣) وذكر هذا عن ابن إسحاق الطبريُّ في «تفسيره» ٢١/ ٣٠٦، ثم اختار هو أن المراد بالمَعَرّة هنا كفّارة قتل الخطأ لا ديتُه، وذلك عتقُ رقبة مؤمنة مَن أطاق ذلك، ومن لم يُطِقْ فصيام شهرين متتابعين. ثم قال: وإنما اخترتُ هذا القولَ دون القول الذي قاله ابنُ إسحاق، لأن الله إنما أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يكن هاجَرَ منها، ولم يكن قاتلُه عَلِمَ إيمانَه، الكفّارةَ دون الدِّيَة، فقال: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢] ولم يوجب على قاتله خطأً ديةً، فلذلك قلنا: عُنِيَ بالمَعَرّة في هذا الموضع الكفّارةُ.

محمّداً رسولُ الله.

ثمّ قال: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أي: التّوحيدَ؛ شهادةُ أن لا إلٰهَ إلّا الله، وأنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه.

ثمّ قال: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ﴾ أي: لِرُؤيا رسولِ الله ﷺ التي رأَى أنّه سيدخُلُ مكّةَ آمناً لا يَخافُ[1]، يقول: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ معه ﴿لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ﴾ من ذلك ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧] صُلحَ الحُدَيبيَةِ.

يقول الزُّهْريّ: فما فُتِحَ في الإسلام فتحٌ قبلَه كان أعظَمَ منه، إنّما كان القتالُ حيثُ التَقَى الناسُ، فلمّا كانت الهُدْنةُ ووُضِعَت الحربُ وأَمِنَ الناسُ، كَلَّمَ بعضُهم بعضاً، والتَقَوْا فتفاوَضُوا في الحديث والمُنازَعة، ولم يُكلَّمْ أحدٌ بالإسلام يَعقِلُ شيئاً إلّا دخل فيه، ولقد دخل في تَينِكَ السَّنتَينِ مثلُ مَن كان في الإسلام قبلَ ذلك أو أكثرُ.

قال ابن هشام: والدّليلُ على قول الزُّهْريّ: أنّ رسولَ الله ﷺ خرج إلى الحُدَيبِيَة في ألفٍ وأربعِ مئةٍ في قول جابر بن عبدالله[2]، ثمّ خرج عامَ فتح مكّة بعدَ ذلك بسنتَينِ في عَشَرةِ آلاف.

---

(١) وفي «مغازي الواقديّ» ٢/ ٦٠٧: أنه ﷺ رأى أنه حلق رأسه، وأنه دخل البيت فأخذ مفتاح الكعبة.

(٢) انظر تخريجه والكلام عليه فيما تقدَّم ص٣٩٩.

ما جَرَى عليه أمرُ قوم من المستضعَفِين بعد الصُّلح

قال ابن إسحاق[1]: فلمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ أتاه أبو بَصِيرٍ عُتْبةُ بن أَسِيد بن جاريةَ[2]، وكان ممَّن حُبِسَ بمكّة، فلمّا قَدِمَ على رسول الله ﷺ كَتَبَ فيه أزهَرُ بن عبد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهْرةَ والأخنَسُ بن شَرِيق بن عمرو بن وهبٍ الثَّقَفيُّ إلى رسول الله ﷺ، وبَعَثا رجلاً من بني عامر بن لُؤيٍّ ومعه مَولًى لهم، فقَدِما على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهَرِ والأخنَسِ، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بَصِيرٍ، إنّا قد أعطَيْنا هؤلاءِ القومَ ما قد عَلِمتَ، ولا يَصلُحُ لنا في ديننا الغَدْرُ، وإنَّ اللهَ جاعلٌ لك ولمَن معَك من المُستضعَفِينَ فَرَجاً ومَخرَجاً، فانطَلِقْ إلى قَومِك» قال: يا رسولَ الله، أترُدُّني إلى المشركين يَفتِنونَني في ديني؟! قال: «يا أبا بَصِير، انطَلِقْ فإنَّ الله سيَجعَلُ لك ولمَن معَك من المُستضعَفِينَ فَرَجاً ومَخرَجاً».

فانطَلَقَ معهما، حتّى إذا كان بذي الحُلَيفة[3] جَلَسَ إلى جِدارٍ وجَلَسَ معه صاحباه، فقال أبو بَصيرٍ: أصارمٌ سيفُك هذا يا أخا بني عامرٍ؟ فقال: نعم، قال: أنظُرُ إليه؟ قال: انظُرْ إن شئتَ، قال: فاستَلَّه أبو بَصيرٍ ثمّ عَلَاه به حتّى قَتَلَه، وخرج المولى سريعاً حتّى أَتى رسولَ الله ﷺ وهو جالسٌ في المسجد، فلمّا رآه رسولُ الله ﷺ طالعاً قال: «إنَّ هذا الرّجُلَ قد رأَى فَزَعاً»، فلمّا انتَهَى إلى رسول الله ﷺ قال: «وَيحَكَ، ما لكَ؟»

---

(١) لم يذكر ابن إسحاق إسناده في خبر أبي بصيرٍ هذا، وهو حديث صحيح، قد أسنده معمرٌ في حديثه عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المِسوَر بن مَخرَمة ومروان بن الحكم فيما أخرجه أحمد (١٨٩٢٨)، والبخاري (٢٧٣١)، وأبو داود (٢٧٦٥)، وابن حبان (٤٨٧٢).

(٢) وهو من ثَقِيف، وكان حليفاً لبني زُهْرة من قريش.

(٣) ذو الحليفة: بلدة عامرة تبعُد عن المدينة ٩ كم جنوباً، وهي التي تُعرَف اليوم عند العامّة بأبيار عليّ.

قال: قَتَلَ صاحبُكم صاحبي، فوالله ما بَرِحَ حتّى طَلَعَ أبو بَصيرٍ مُتوَشِّحاً السّيفَ حتّى وَقَفَ على رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، وَفَتْ ذِمَّتُك وأدَّى اللهُ عنك، أسلَمْتَني بيدِ القوم وقد امتَنَعتُ بدِيني أن أُفتَنَ فيه أو يُعبَثَ بي، قال: فقال رسول الله ﷺ: «وَيْلُ أُمِّهِ مِحَشَّ حَرْبٍ[1] لو كانَ معَه رِجالٌ!».

ثمّ خرج أبو بَصيرٍ حتّى نَزَلَ العِيصَ من ناحية ذي المَرْوة[2] على ساحلِ البحر بطريقِ قريشٍ التي كانوا يأخُذونَ إلى الشّام، وبَلَغَ المسلمين الّذين كانوا احتُبِسوا بمكّة قولُ رسول الله ﷺ لأبي بَصيرٍ: «ويلُ أُمِّه، مِحَشَّ حَرْبٍ لو كان معَه رِجالٌ!»، فخَرَجوا إلى أبي بصيرٍ بالعِيصِ، فاجتَمَع إليه قريبٌ من سبعين رجلاً منهم، فكانوا قد ضَيَّقُوا على قريش، لا يَظفَرُون بأحدٍ منهم إلّا قتلوه ولا تَمُرُّ بهم عِيرٌ إلّا اقتَطَعُوها، حتّى كَتَبَت قريشٌ إلى رسول الله ﷺ تسألُه بأَرحامِها إلّا آواهم، فلا حاجةَ لهم بهم، فآواهم رسولُ الله ﷺ، فقَدِمُوا عليه المدينةَ[3].

---

(١) المِحَشُّ: حديدة تُحَشُّ بها النار، أي: تُحرّك، ومعنى مِحَش حربٍ: مُوقِد حربٍ ومهيّجها، يقال: حشَّ النارَ يحشُّها، إذا أَوقدها وضمَّ الحطبَ إليها، وفي رواية معمر في «الصحيح» وغيره كما سبق: «ويل أُمّه مِسعرَ حربٍ».

(٢) العِيص: وادٍ يقع شمال غرب المدينة على قرابة ١٧٠ كم، وبين العِيص وساحل البحر الأحمر ٩٠ كم تقريباً.

وأما ذو المروة: فبلدةٌ شمال شرق العِيص، وتبعد عنها قرابة ٧٥ كم، وعن المدينة في الشمال الغربي منها على قرابة ١٨٠ كم، وهي معدودة من وادي القُرى.

(٣) هو خبرٌ صحيحٌ، وهو قطعة من حديث الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المِسوَر بن مَخرَمة ومروان بن الحَكَم، عند أحمد (١٨٩٢٨) والبخاري (٢٧٣١) وابن حبان (٢٧٣١).

وقد ذكر موسى بن عقبة في «مغازيه» كما في «دلائل النبوة» للبيهقي ٤/ ١٧٢-١٧٥ خبر أبي بصيرٍ بأتمِّ ألفاظ وأكمل سياقة، وفي آخره قال: فقَدِمَ كتابُ رسول الله ﷺ ـ زعموا ـ على أبي =

قال ابن هشام: أبو بَصيرٍ ثَقَفيٌّ.

قال ابن إسحاق: فلمّا بَلَغَ سُهَيلَ بن عمرٍو قتلُ أبي بَصيرٍ صاحبَهم العامريَّ، أسنَدَ ظهرَه إلى الكعبة ثمّ قال: والله لا أُؤخِّرُ ظهري عن الكعبة حتّى يُودَى هذا الرَّجلُ، فقال أبو سفيان بن حَرْب: والله إنّ هذا لهُوَ السَّفَهُ، والله لا يُودَى؛ ثلاثاً، فقال في ذلك مَوهَبُ بن رَبَاحٍ أبو أُنَيسٍ حليفُ بني زُهْرة ـ قال ابن هشام: أبو أُنَيسٍ أشعَريٌّ[1] ـ:

أَتاني عن سُهَيلٍ ذَرْءُ قولٍ ... فأيقَظَني وما بي مِن رُقادِ[2]

فإن تكنِ العِتابَ تريدُ منّي ... فعاتِبْني فما بكَ من بِعادِ[3]

أتُوعِدُني وعبدُ مَنافِ حَوْلي ... بمخزومٍ أَلَهْفاً مَن تُعادِي[4]

فإن تَغمِزْ قَناتي لا تَجِدْني ... ضعيفَ العُودِ في الكُرَبِ الشِّدادِ[5]

= جندلٍ وأبي بصيرٍ وأبو بصيرٍ يموت، فمات وكتابُ رسول الله ﷺ في يده يقرؤه، فدَفَنَه أبو جندلٍ مكانه وجعل عند قبره مسجداً.

وقَدِمَ أبو جندلٍ على رسول الله ﷺ معه ناسٌ من أصحابه، ورجع سائرهم إلى أهليهم، وأَمِنَت عِيرَاتُ قريش.

(١) هذه النسبة الى أشعَرَ، وهي قبيلة مشهورة من اليمن، منهم الصحابي الجليل أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه.

(٢) ذَرْءُ قول، أي: طَرَف قول، وهو مهموز، ويروى: ذَرْوُ قول، بالواو، والصواب فيه الهمزُ. قاله أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٤٣، والرُّقاد: النوم.

(٣) البِعَاد: البُعْد.

(٤) أتُوعدني: أتهدِّدني. واللَّهف: الحَسْرة.

(٥) الغمز: العصر باليد، والقناة: الرمح، والكلام هنا على المجاز، يقال: غمز قناةَ فلان، أي: جرَّبه واختبره.

أُسامي الأكرَمِينَ أباً بقَوْمي ... إذا وُطِئَ الضّعيفُ بهم أُرادِي[1]
همُ مَنَعوا الظّواهرَ غيرَ شَكٍّ ... إلى حيثُ البَواطنُ فالعَوَادي[2]
بكلِّ طِمِرّةٍ وبكلِّ نَهْدٍ ... سَوَاهِمَ قد طُوِينَ من الطِّرادِ[3]
لهمْ بالخَيْفِ قد عَلِمَت مَعَدٌّ ... رِوَاقُ المَجدِ رُفِّعَ بالعِمادِ[4]

فأجابه عبدُ الله بن الزِّبَعرَى فقال:

أَمسى مَوهَبٌ كحِمارِ سَوءٍ ... أجازَ ببَلْدةٍ فيها يُنادِي
فإنَّ العبدَ مِثلَك لا يُناوِي ... سُهَيلاً ضَلَّ سَعيُك مَن تُعادِي[5]
فأقصِرْ يا ابنَ قَيْنِ السَّوءِ عنهُ ... وعَدِّ عن المَقالةِ في البِلادِ[6]
ولا تَذكُرْ عِتابَ أبي يزيدٍ ... فهَيْهاتَ البُحورُ من الثِّمادِ[7]

وهاجَرَت إلى رسول الله ﷺ أمُّ كُلْثومٍ بنتُ عُقْبة بن أبي مُعَيطٍ في تلك المُدّة، فخرج أخَوَاها عُمَارةُ والوليدُ ابنا عُقْبة حتى قَدِما على رسول الله ﷺ يسألانِه أن

(١) أُسامي: أُعالي. وأُرادي: أُرامي، يقال: راديتُه، إذا رامَيته. وقوله: وُطِئ الضعيف، أي: ظُلم واستُقوِيَ عليه.

(٢) الظواهر: ما علا من مكة، والبواطن: ما انخفض منها. والعوادي هنا: جوانب الأودية.

(٣) الطِّمِرّة: الفرس الوثّابة السريعة. والنَّهد: الغليظ. وسَوَاهِمُ: عوابس متغيّرة. وطُوِين: ضَعُفْن وضَمَرْن.

(٤) الخَيْف: هو الموضع المعروف بمِنًى. والرِّواق: هو نوعٌ من الأخبية. والعِماد: جمع عمود.

(٥) لا يُناوي، أي: لا يُعادي، وترك همزه لضرورة الشِّعر.

(٦) القين: الحدّاد.

(٧) زاد في (ش١) هنا: قال ابن هشام: الثِّماد: الماء القليل، واحده: ثَمَدٌ. قلنا: وأبو يزيد: هو سُهيل بن عمرو.

يَرُدَّها عليهما بالعهد الّذي بينه وبين قريش في الحُدَيبيَة، فلم يفعلْ، أَبَى اللهُ ذلك.

قال ابن إسحاق: فحدّثني الزُّهْريُّ، عن عُرْوة بن الزُّبَير؛ قال[1]: دخلتُ عليه وهو يكتبُ كتاباً إلى ابن أبي هُنَيدةَ[2] صاحبِ الوليد بن عبد الملك، وكَتَبَ إليه يسألُه عن قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠].

قال ابن هشام: واحدةُ العِصَمِ: عِصْمةٌ، وهي الحبلُ والسَّبَب، قال أَعشَى بني قيس بن ثَعْلبة:

إلى المَرْءِ قيسٍ نُطِيلُ السُّرَى ... ونأخُذُ من كلِّ حيٍّ عِصَمْ[3]

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له.

﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾، قال: فكَتَبَ إليه عُرْوةُ بن الزُّبَير: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان صالَحَ قريشاً يومَ الحُدَيبيَةِ على أن يَرُدَّ عليهم مَن جاءَ بغير إذنِ وَلِيِّه، فلمّا هاجَرَ النّساءُ إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام، أَبَى اللهُ أن يُرَدَدْنَ إلى المشركين إذا هُنَّ امتُحِنَّ بمِحْنةِ الإسلام، فعَرَفوا أنّهُنَّ إنّما

---

(١) يعني الزهريّ.

(٢) اسمه عبد الرحمن، يقال: ابن هنيدة وابن أبي هنيدة، مولى آل عمر بن الخطاب، وهو رضيع عبد الملك بن مروان، وله ترجمة في «تهذيب الكمال» للمزّي.

(٣) قيس: هو ابن مَعْدي كَرِبَ اليماني الكِنديّ، وهو والد الأشعث بن قيس، وكان ملكاً من ملوك اليمن بحضرموت، مات قبل الإسلام، وهذه القصيدة في مدحه، وانظر «ديوان الأعشى» ١/ ١٧٠.

والسُّرى: السَّير في الليل.

جِئنَ رَغْبةً في الإسلام، وأمَرَ برَدِّ صَدُقاتِهِنَّ إليهم إن احتُبِسنَ عنهم إن هم رَدُّوا على المسلمين صَدَاقَ مَن حَبَسُوا عنهم من نسائهم، ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾، فأمسَكَ رسولُ الله ﷺ النّساءَ ورَدَّ الرِّجالَ، وسألَ الّذي أمَرَه اللهُ به أن يَسألَ من صَدُقاتِ نساءِ مَن حَبَسُوا منهنَّ، وأن يَرُدُّوا عليهم مِثلَ الّذي يَرُدُّون عليهم إن هم فعلوا، ولولا الّذي حَكَمَ اللهُ به من هذا الحُكْم، لَرَدَّ رسولُ الله ﷺ النّساءَ كما رَدَّ الرِّجالَ، ولولا الهُدْنةُ والعهدُ الّذي كان بينه وبين قريشٍ يومَ الحُدَيبيَةِ، لَأمسَكَ النّساءَ ولم يَرُدْ لهنَّ صَدَاقاً، وكذلك كان يَصنَعُ بمَن جاءَه من المسلماتِ قبلَ العَهْد[1].

قال ابن إسحاق: وسألتُ الزُّهْريَّ عن هذه الآيةِ وقولِ الله فيها: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾، فقال: يقول: إن فاتَ أحداً منكم أهلُه إلى الكُفّار ولم تأتِكُم امرأةٌ تأخُذون بها مِثلَ الذي يَأخُذون منكم، فعَوِّضُوهم من فَيْءٍ إن أَصبتُمُوه، فلمّا نزلت هذه الآيةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ إلى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾، كان ممّن طَلَّقَ عمرُ بن الخَطّاب، طَلَّقَ امرأتَه قُرَيبةَ[2] بنتَ أبي أُميّة بن المغيرة، فتزوَّجَها بعدَه معاويةُ بن أبي سفيان وهما على شِرْكِهما بمكّة، وأمَّ كُلْثومٍ بنتَ جَرْوَلٍ أمَّ عُبَيد الله بن عمر الخُزاعيّةُ، فتزوَّجَها أبو جَهْم بن حُذَيفة بن غانمٍ - رجلٌ من قومه - وهما على شِرْكِهما[3].

---

(١) مرسلٌ رجاله ثقات.

وأخرجه مختصراً الطبري في «تفسيره» ٢٢/ ٥٧٩، والواحدي في «أسباب النزول» (٨١٥) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

(٢) وتُقيَّد أيضاً: قَرِيبةُ، بفتح القاف.

(٣) وروى نحوَ هذا عن الزهريِّ أيضاً عُقيلُ بن خالد عند البخاري (٢٧٣٣). =

قال ابن هشام: حدّثنا أبو عُبيدة: أنّ بعضَ مَن كان مع رسول الله ﷺ قال له لمّا قَدِمَ المدينة: ألم تقلْ يا رسولَ الله: إنّك تَدخُلُ مكّة آمناً؟ قال: «بَلَى، أفقلتُ لكم من عامِي هذا؟» قالوا: لا، قال: «فهو كما قال لي جِبريلُ»[1].

= وروى البخاريُّ أيضاً (٥٢٨٧) من حديث عطاء عن ابن عباس قال: كانت قريبةُ بنت أبي أميّة عند عمر بن الخطاب فطلَّقها، فتزوَّجها معاويةُ بن أبي سفيان. ولم يذكر أمَّ كلثوم بنت جرول.

(١) هكذا ذكره ابن هشام عن أبي عبيدة مَعمَر بن المثنَّى معضلاً، والبعض المذكور في خبره هو عمر بن الخطّاب، فقد روي عنه نحوُه في مراجعتِه للنبي ﷺ عند كتابة الصلح بالحديبية، كما جاء موصولاً من حديث معمر بن راشدٍ عن الزهري عن عُروة عن المِسوَر بن مَخرَمة ومروان ابن الحكم عند أحمد (١٨٩٢٨)، والبخاري (٢٧٣١)، وابن حبان (٤٨٧٢)، وفيه: أن عمر قال للنبيِّ ﷺ: أوليس كنتَ تحدِّثنا أنّا سنأتي البيتَ فنطوفُ به؟ قال: «بلى، فأخبرتُك أنّا نأتيهِ العامَ؟» قال: لا، قال: «فإنّك آتيهِ ومطوِّفٌ به».

ذكرُ المَسِير إلى خيبرَ
في المحرَّم سنة سبعٍ[1]

قال محمّدُ بن إسحاق[2]: ثمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينة حين رَجَعَ من الحُدَيبِيَة ذا الحِجّة وبعضَ المُحرَّم، ووَلِيَ تلك الحَجّةَ المشركون، ثمّ خرج في بقيّة المُحرَّمِ إلى خَيبَرَ[3].

قال ابن هشام: واستَعمَل على المدينةِ نُمَيلةَ بن عبدِ الله اللَّيْثيّ[4]، ودَفَعَ الرّايةَ إلى عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه وكانت بيضاءَ.

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمّدُ بن إبراهيم بن الحارث التَّيْميُّ، عن أبي الهَيثَم ابن نَصْر بن دَهْرٍ الأسلَميّ، أنّ أباه حدَّثه: أنّه سمع رسولَ الله ﷺ يقول في مَسِيرِه إلى خيبر لعامرِ بن الأكوَعِ، وهو عمُّ سَلَمة بن عمرو بن الأكوَع - وكان اسمَ الأكوعِ

---

(١) خيبر: بلدة كبيرة ذات حصون ومياه وزروع، وأكثر زروعها النخل، تقع شمال المدينة المنورة على قرابة ١٥٠كم.

(٢) في (ش١) و(غ): حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكّائي عن محمد بن إسحاق المُطَّلبي.

(٣) ذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٦٣٤: أنه ﷺ أقام المحرَّمَ أيضاً بالمدينة ثم خرج في صفر، وهذا قريب ممّا ذكر ابن إسحاق، وأبعَدَ ابنُ سعد فذكر في «طبقاته» ٢/ ١٠٠: أنه خرج إليها في جُمادى الأولى، أي: بعد ثلاثة أشهر مما ذكر ابن إسحاق والواقدي، وقولهما أصح وأثبت، وانظر «فتح الباري» ١٢/ ٣٧٨-٣٧٩.

(٤) كذا قال ابن هشام، والصحيح: أنه استخلف سِبَاعَ بن عُرفُطَة الغِفاريَّ، كما رواه أحمد (٨٥٥٢) والحاكم (٢٢٧٢) من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح.

سِنانٌ[1] ـ: «انزِلْ يا ابنَ الأكوَعِ فخُذْ لنا من هَنَاتِك[2]»، قال: فنَزَلَ يَرتجِزُ برسول الله ﷺ فقال:

واللهِ لـولا اللهُ مـا اهتـدَينا ولا تَصَـدَّقْنا ولا صَـلَّينا

إنّـا إذا قـومٌ بَغَـوْا علينـا وإن أَرادوا فِتنـةً أَبَيْنـا

فـأنزِلَنْ سَـكينةً علينـا وثبِّـتِ الأقـدامَ إن لاقَيْنـا[3]

فقال رسول الله ﷺ: «يَرحَمُك ربُّك» فقال عمرُ بن الخَطّاب: وَجَبَت والله، يا رسولَ الله لو أمتَعْتَنا به، فقُتِلَ يومَ خيبرَ شهيداً[4].

---

(١) في (ش٢): وكان اسمُ الأكوع سناناً، وهو صحيح على الأصل في تقديم اسم كانَ على خبرها.

(٢) أي: أخبارك وأمورك وأشعارك، وهي جمع هَنَةٍ، ويُكنى بها عن كل شيء لا تعرف اسمه أو تعرفه فتكني عنه، وإنما أراد رسول الله ﷺ منه أن يأخذ بالحُداءِ ليأنَسوا به وليستحثَّ به الإبل، ولا يكون الحُداءُ إلا بشِعرٍ أو رَجَزٍ.

(٣) السَّكينة: الوَقَار والطُّمأنينة.

(٤) أصل الخبر صحيح من غير هذا الوجه، وهذا الإسناد فيه لينٌ لجهالة أبي الهيثم بن نصر الأسلميّ.

وأخرجه أحمد (١٥٥٥٦)، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٨/ ١٠٠-١٠١، والبزار في «مسنده» (٢١١٦-كشف الأستار)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٨٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥١٦٥) و(٦٤٤٢)، والبيهقي في «السنن» ٤/ ١٦ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وقد روى خبر عامر بن الأكوع هذا ابنُ أخيه سلمةُ بن عمرو بن الأكوع فيما أخرجه البخاري (٤١٩٦) و(٦٨٩١) ومسلم (١٨٠٢)، وفيه: أن رجلاً من القوم قال لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هُنيهاتك، وليس النبيَّ ﷺ، وهذا أصحُّ وأثبت. وذكر رَجَزاً قريباً ممّا عند المصنف.

وكان قتلُه ـ فيما بَلَغَني ـ: أنّ سيفَه رَجَعَ عليه وهو يقاتلُ فكَلَمَه كَلْماً شديداً[1]، فمات منه، فكان المسلمون قد شَكُّوا فيه وقالوا: إنّما قتله سلاحُه، حتّى سأل ابنُ أخيه سَلَمةُ بن عمرو بن الأكوَع رسولَ الله ﷺ عن ذلك وأخبره بقول الناس، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّه لشَهِيدٌ»، فصَلَّى عليه وصَلَّى عليه المسلمون[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ، عن عطاءِ بن أبي مروانَ الأسلَميِّ، عن أبيه، عن أبي مُعتِّب بن عمرٍو: أنّ رسول الله ﷺ لمّا أشرَفَ على خَيبَرَ قال لأصحابه

---

(١) أي: جرحه جرحاً شديداً.

(٢) هذا البلاغ روي نحوه موصولاً بحديث سلمة السابق عند البخاري ومسلم بلفظ: فلمّا تصافَّ القومُ كان سيف عامر قصيراً، فتناول به ساقَ يهوديٍّ ليضربه، ويَرجِعُ ذُبَابُ سيفه (أي: حدّه الذي يضرب به) فأصاب عينَ رُكْبة عامر (أي: طرف ركبته الأعلى) فمات منه، قال: فلمّا قفلوا قال سلمةُ: رآني رسول الله ﷺ ـ وهو آخذٌ بيدي ـ ساكتاً قال: «ما لك؟» قلت له: فِداكَ أبي وأمي، زعموا أن عامراً حَبِطَ عملُه، فقال النبي ﷺ: «كذب من قاله، إنّ له لأَجرَينِ ـ وجمع بين إصبعيه ـ إنه لجاهدٌ مجاهدٌ، قَلَّ عربيٌّ مَشَى بها مثلَه».

واليهوديُّ الذي قاتله عامرٌ هو مَرحَبٌ كما في حديث إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه عند مسلم (١٨٠٧)، ثم إن عليّ بن أبي طالبٍ قاتل مرحباً وقتله كما في الحديث نفسه.

قوله: «إنّ له لأَجرَينِ» أي: أجر الجهد في الطاعة، وأجر الجهاد في سبيل الله.

وقوله: «جاهدٌ مجاهدٌ» الجاهد: من يركب المَشقّة، والمجاهد: من يجاهد في سبيل الله، وهو مشتقٌّ منه.

وقوله: «قَلَّ عربيٌّ مَشَى بها مثلَه» أي: قليل من العرب مشى في الدنيا بهذه الخَصْلة الحميدة التي هي الجهاد مع الجُهد، أي: الجِدّ، وقوله: «بها» أي: بالأرض أو المدينة أو الحرب أو الخَصْلة.

وذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/٦٥٨: أن عامر بن الأكوع لمّا جَرَح نفسه حُمِل إلى الرَّجيع فمات هناك وقُبر في غارٍ فيه. والرَّجيع هذا: هو الوادي الذي عسكر فيه المسلمون في هذه الغزوة كما سيأتي لاحقاً.

وأنا فيهم: «قِفُوا»، ثمّ قال: «اللّٰهُمَّ ربَّ السَّماواتِ وما أَظلَلْنَ، وربَّ الأَرَضِينَ وما أَقلَلْنَ، وربَّ الشّياطِينِ وما أَضلَلْنَ، وربَّ الرِّياحِ وما أَذرَيْنَ[1]، فإنّا نَسألُك خيرَ هذِه القَرْيةِ وخيرَ أهلِها وخيرَ ما فيها، ونَعُوذُ بك من شَرِّها وشَرِّ أهلِها وشَرِّ ما فيها، أَقدِمُوا باسْمِ الله». وكان يقولها لكلِّ قريةٍ دَخَلَها[2].

---

(١) أَذرَينَ، أي: أطَرْنَ من التراب وغيره.

(٢) حديث صحيح دون ذكر خيبر فيه، وهذا إسناد ضعيف لإبهام شيخ ابن إسحاق فيه ولجهالة أبي معتِّبٍ، ولا تثبت له صحبة، وقال ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٨٥٥ بعد أن ذكره عن ابن إسحاق: إسناده ليس بالقائم.

وأخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٣٠٤)، والطبراني في «الكبير» ٢٢/ (٩٠٢)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٠٢٥) من طريق محمد بن سلمة، والنسائي (١٠٣٠٥) من طريق هارون ابن أبي عيسى، كلاهما عن ابن إسحاق، به. إلا أن النسائي سقط في روايته عن محمد بن سلمة الواسطة المبهمة بين ابن إسحاق وعطاء.

ورواه سلمة بن الفضل الأبرش عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ١١/ ٥٩٣، فسمّى هذه الواسطة الحسنَ بن دينارٍ، إلا أنه عنده من روايته عن محمد بن حُميد الرازي عن سلمة بن الفضل، وابنُ حميد هذا حافظ إلا أنهم ليَّنوه، فإن كان حفظ ذكرَ الحسن بن دينار فيه، فإن هذا الإسناد ضعيف جدّاً، فالحسنُ متروك الحديث.

وقد خالف موسى بنُ عقبة عند النسائي (٨٧٧٦) و(١٠٣٠٢)، وابن حبان (٢٧٠٩)، والحاكم (١٦٥١) و(٢٥١٩)، فرواه عن عطاء بن أبي مروان، عن أبيه: أن كعب الأحبار حدّثه، أن صهيباً صاحب النبي ﷺ حدّثه: أن النبي ﷺ لم يرَ قريةً يريد دخولها إلا قال حين يراها... وذكره. وهذا إسناد حسن، وهو أصح من إسناد ابن إسحاق.

ويقوِّيه ما رواه النسائي (٨٧٧٥) و(١٠٣٠١) من حديث سليمان بن بلال، عن أبي سهيل بن مالك، عن أبيه مالك بن أبي عامر الأصبحي، عن كعب الأحبار، عن صهيبٍ رفعه. وهذا إسناد صحيح إن شاء الله.

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ، عن أنس بن مالكٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا غَزَا قوماً، لم يُغِرْ عليهم حتّى يُصبِحَ، فإن سَمِعَ أَذاناً أمسَكَ، وإن لم يَسمَعْ أَذاناً أغار، فنَزَلْنا خيبرَ ليلاً، فباتَ رسولُ الله ﷺ حتّى إذا أصبَحَ لم يَسمَعْ أَذاناً، فرَكِبَ ورَكِبْنا معه، فرَكِبتُ خلفَ أبي طلحة وإنَّ قَدَمي لتَمَسُّ قَدَمَ رسول الله ﷺ، واستَقبَلَنا عُمّالُ خيبرَ غادِينَ قد خرجوا بمَساحِيهِم ومَكاتِلِهم[1]، فلمّا رَأَوْا رسولَ الله ﷺ والجيشَ قالوا: محمّدٌ والخَمِيسُ معه[2]، فأدبَرُوا هُرّاباً، فقال رسول الله ﷺ: «اللهُ أكبر، خَرِبَت خَيبَر، إنَّا إذا نَزَلْنا بساحَةِ قومٍ فسَاءَ صَبَاحُ المُنذَرِينَ».

قال ابن إسحاق: حدّثنا هارون، عن حُمَيدٍ، عن أنسٍ بمِثلِه[3].

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سَلَكَ على عَصَرٍ، فبُنِيَ له فيها مَسجِدٌ، ثمّ على الصّهباء[4]، ثمّ أقبَلَ رسولُ الله ﷺ بجيشِه

---

(١) المَساحي: جمع مِسْحاة، وهي المِجرَفة من الحديد. والمكاتل: جمع مِكتَل، وهي قُفّة كبيرة.

(٢) الخميس: الجيش، لأنه ينقسم على خمسة أقسام.

(٣) حديث صحيح، روي من غير وجهٍ عن حميدٍ الطويل عن أنس، وهارون المذكور في السند هنا لم نتبيّنه، ولا يعرف في شيوخ ابن إسحاق من يسمَّى هارون، ولعلَّ وقوعه في هذا الإسناد وهمٌ، فقد روى هذا الحديث إبراهيمُ بن سعدٍ عند أحمد (١٣٤٨١)، وعبدُ الله بن إدريس الأوديُّ عند الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٣/ ٢٠٨، كلاهما عن ابن إسحاق قال: حدثني حميد الطويل عن أنس.

وأخرجه أحمد (١٣١٤٠) و(١٣٧٧١)، والبخاري (٦١٠) و(٢٩٤٣-٢٩٤٥) و(٤١٩٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٤٤)، وابن حبان (٤٧٤٥) و(٤٧٤٦) من طرق عن حميد، به.

(٤) عَصَر، بفتحتين، ويقال: بكسر أوله وسكون ثانيه، ذكر البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢١٠-٢١١ أنه لا يعرف اليوم، لكن ذكر احتمالاً أن يكون في وادي اللحن، =

حتّى نَزَلَ به بوادٍ يقال له: الرَّجيعُ[1]، فنَزَلَ بينهم وبين غَطَفان، ليَحُولَ بينهم وبين أن يُمِدُّوا أهلَ خيبر، وكانوا لهم مُظاهِرِينَ على رسول الله ﷺ.

فبَلَغَني: أنّ غَطَفانَ لمّا سمعت بمَنزِلِ رسول الله ﷺ من خيبر، جَمَعُوا ثمّ خرجوا ليُظاهِروا[2] يهودَ عليه، حتّى إذا ساروا مَنقَلةً[3] سمعوا خلفَهم في أموالِهم وأهلِيهِم حِسّاً ظَنُّوا أنّ القومَ قد خالَفُوا إليهم، فرَجَعوا على أعقابِهم فأقاموا في أهلِيهِم وأموالِهم وخَلَّوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر.

وتَدَنَّى[4] رسولُ الله ﷺ الأموالَ يأخُذُها مالاً مالاً، ويَفتَحُها حِصناً حِصناً، فكان أوّلَ حُصونِهم افتَتَحَ حِصنُ ناعمٍ، وعنده قُتِلَ محمودُ بن مَسلَمة، أُلقِيَت عليه رَحاً منه فقتلته، ثم القَمُوصُ حِصنُ بني أبي الحُقَيقِ، وأصاب رسولُ الله ﷺ منهم سَبَايا، منهنَّ صفيَّةُ ابنةُ حُيَيّ بن أخطَبَ، وكانت عند كِنانةَ بن الرَّبيع بن أبي الحُقَيق، وبنتَي عمٍّ لها، فاصطَفَى رسولُ الله ﷺ صفيَّةَ لنفسه.

وكان دِحْيةُ بن خليفةَ الكَلْبيُّ قد سأَل رسولَ الله ﷺ صفيَّةَ، فلمّا أَصْفاها لنفسه

= وهذا الوادي جنوب خيبر على قرابة ٦٠ كم.

وأما الصهباء: فهو جبل أحمر يشرف على خيبر من الجنوب، يسمَّى اليوم جبل عطوة، كما قال البِلاديُّ، وذكر ابن سعد في «الطبقات» ١١٨/١٠ أنه على بريدٍ من خيبر. والبريد قرابة ٢٣كم.

(١) وهو غير ماء الرجيع الذي قُتل عنده مرثد الغنوي وأصحابه رضي الله عنهم، فذاك يقع شمال مكة كما تقدّم بيانه ص١٩٥، أما هذا فهو عند خيبر شمال المدينة المنورة.

(٢) ليظاهروا، أي: ليعاونوا.

(٣) المَنقَلة: المَرحَلة من مراحل السفر.

(٤) تدنَّى، أي: أَخذ الأدنى فالأدنى.

أعطاه ابنتَي عمِّها[1]، وفَشَتِ السَّبَايا من خيبر في المسلمين.

وأكَلَ المسلمون لحومَ الحُمُر[2] من حُمُرِها، فقامَ رسولُ الله ﷺ فنَهَى النّاسَ عن أُمورٍ سمَّاها لهم.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن عمرو بن ضَمْرة الفَزَاريُّ، عن عبد الله بن أبي سَلِيطٍ، عن أبيه قال: أتانا نَهيُ رسول الله ﷺ عن أكل لُحومِ الحُمُرِ الإنسيَّةِ والقُدورُ تَفُورُ بها، فكَفَأْناها على وجوهِها[3].

---

(١) كذا وقع عند ابن إسحاق بالتثنية، وللواقدي في «مغازيه» ٢/ ٦٧٤: فأعطاه ابنة عمّها، وذكر الشافعي في كتاب «الأم» ٩/ ١٧١ عن سِيَر الأَوزاعي: أنه أعطاه أختَ كنانة بن الربيع زوج صفية.

وروى قصّة صفيّة هذه أنسُ بن مالك فيما أخرجه البخاري (٣٧١) ومسلم (١٣٦٥)، قال: جُمِعَ السَّبْيُ، فجاء دِحْيةُ الكَلْبي فقال: يا نبي الله، أعطني جاريةً من السَّبي، قال: «اذهب فخُذْ جارية»، فأخذ صفيّةَ بنت حُيَيٍّ، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا نبيَّ الله، أعطيتَ دِحيةَ صفيّةَ بنت حُيي، سيّدةَ قُريظة والنَّضير! لا تَصلُح إلا لك، قال: «ادعوه بها» فجاء بها، فلمّا نظر إليها النبي ﷺ قال: «خُذْ جاريةً من السَّبْي غيرَها»، قال: فأعتَقَها النبيُّ ﷺ وتزوَّجها. ثم ذكر وليمةَ النبي ﷺ عليها بعد دخوله بها في الطريق وأنها كانت من تمر وسمن وسَوِيق، زاد مسلم في روايةٍ (١٣٦٥) (٨٧): وقال الناس: لا ندري أتزوَّجها أم اتَّخذها أمَّ ولد! قالوا: إن حَجَبَها فهي امرأته، وإن لم يَحجُبها فهي أمُّ ولدٍ، فلما أراد أن يركب حَجَبَها، فقَعَدَت على عَجُز البعير، فعرفوا أنه قد تزوَّجها.

(٢) في (ش١) و(ش٢) و(غ): الحمر الأهلية.

(٣) حديث صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة عبد الله بن عمرو بن ضمرة، فقد انفرد ابن إسحاق بالرواية عنه.

وأخرجه أحمد (١٥٤٥٨) و(١٥٤٥٩)، والطبراني في «الكبير» (٥٧٨) وغيرهما من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. =

وحدّثنا عبدُ الله بن أبي نَجِيح، عن مكحولٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ نَهاهُم يومَئذٍ عن أربعٍ: عن إتيانِ الحَبالَى من النِّساءِ[1]، وعن أكل الحمارِ الأهليِّ، وعن أكل كلِّ ذي نابٍ من السَّبُع، وعن بيعِ المَغانمِ حتّى تُقسَمَ[2].

= ويشهد له حديث سلمة بن الأكوع: أن النبي ﷺ رأى نيراناً تُوقَد يوم خيبر، قال: «على ما توقد هذه النِّيران؟» قالوا: على الحمر الإنسية، قال: «اكسِروها وأهرِقوها» قالوا: ألا نُهرِيقها ونغسلها، قال: «اغسِلُوا». أخرجه البخاري (٢٤٧٧)، ومسلم (١٨٠٢).

وفي الباب أيضاً عن غير واحدٍ من الصحابة، انظر الإحالة إلى أحاديثهم عند حديث ابن عمر من «مسند أحمد» (٤٧٢٠).

(١) في (ش١) و(غ): السبايا، وقُيّدت في (ش٢) بالوجهين معاً. والمراد بالنساءِ هنا النساءُ المَسبيّات.

(٢) حديث صحيح.

ومرسل مكحول هذا رواه موصولاً أبو أسامة حماد بن أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر عن القاسم ومكحول عن أبي أمامة، فيما أخرجه عنه ابنُ أبي شيبة في «مصنفه» ١٤/ ٤٦٨، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ثقة، لكن الصواب في رواية أبي أسامة أنه يروي عن عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، لا ابن جابر، كما حرّر ذلك ابن القيّم في «جلاء الأفهام» ص٨١-٨٤، وابن رجب الحنبلي في «شرح علل الترمذي» ٢/ ٨١٧-٨١٩، وابن تميمٍ هذا ضعيف.

وقد روى هذا الحديثَ أيضاً عمرُو بن شعيب عند النسائي في «الكبرى» (٦١٩٦) و«المجتبى» (٤٦٤٥)، والحاكم (٢٣٦٧)، وعبدُ الرحمن بن الحارث المخزومي عند البزار في «مسنده» (٤٩١٣)، وأبي يعلى في «مسنده» (٢٤١٤)، والطبراني في «الكبير» (١١١٤٦)، كلاهما عن عبدالله بن أبي نجيح، فجعلاه من روايته عن مجاهد عن ابن عباس. والإسناد بمجموع الطريقين صحيح، فالظاهر أن لابن أبي نجيحٍ فيه شيخين: مكحولاً ومجاهداً، رواه عن مكحول مرسلاً، ومكحول معروفٌ بكثرة الإرسال، ورواه عن مجاهدٍ موصولاً.

وتابع ابنَ أبي نجيح عليه عن مجاهد موصولاً الأعمشُ فيما أخرجه البزار (٤٩٣٦)، والطبراني (١١٠٦٧)، والحاكم (٢٦٤٦)، وعنه البيهقي في «السنن» ٩/ ١٢٥. وإسناده صحيح أيضاً، =

قال ابن إسحاق: وحدّثني سَلّام بن كِركِرَةَ، عن عمرو بن دينارٍ، عن جابر بن عبد الله الأنصاريِّ ـ ولم يَشهَدْ جابرٌ خيبرَ ـ: أنّ رسولَ الله ﷺ حين نَهَى النّاسَ عن أكلِ لحومِ الحُمُر، أَذِنَ لهم في لحومِ الخيل[1].

= وبهذا يصحُّ الحديث.

(١) حديث صحيح، وهذا إسناد فيه ضعف لجهالة سلام بن كركرة، فقد تفرّد بالرواية عنه ابنُ إسحاق، لكن تابعه على هذا الحديث سفيانُ بن عُيينة عند الترمذي (١٧٩٣)، والنسائي في «المجتبى» (٤٣٢٨) و«الكبرى» (٤٨٢١)، وابن حبان (٥٢٦٨). فسَلِمَ الحديث من عُهدته.

ورواه عن عمرو بن دينارٍ أيضاً حمادُ بن زيد عند أحمد (١٤٨٩٠) و(١٥١٣٥)، والبخاري (٤٢١٩)، ومسلم (١٩٤١) (٣٦) وغيرهم، فأدخل بين عمرٍو وجابرٍ محمدَ بنَ عليٍّ الباقرَ، وهذا هو المحفوظ، فقد ذكر الحميديُّ في «مسنده» (١٢٩٢) عن شيخه سفيان أنه قال: كل شيء سمعتُ من عمرو بن دينار قال لنا فيه: سمعتُ جابراً، إلا هذين الحديثين؛ يعني لحوم الخيل والمخابَرة، فلا أدري بينه وبين جابر فيهما أحدٌ أم لا.

ورواه عن جابرٍ أيضاً أبو الزبير المكي عند أحمد (١٤٤٥٠) ومسلم (١٩٤١) (٣٧).

وقوله: لم يشهد جابرٌ خيبر، الظاهر أنه من قول مَن دون ابن إسحاق؛ زيادٍ البكّائي أو ابنِ هشام، فقد روى هذا الحديث عن ابن إسحاق عبدُ الرحمن بن محمد المُحاربي وعَبْدةُ بن سليمان عند الدارقطني في «سننه» (٤٧٨٠) فلم يذكراه.

وبعدم شهود جابرٍ خيبرَ قال أيضاً الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٦٨٤.

لكن يردُّ ذلك ما جاء في بعض روايات هذا الحديث من إشارة إلى حضور جابرٍ غزوة خيبر، ففي بعضها: أكَلْنا، وفي بعضها: ذَبَحنا... فنهانا، بصيغة المتكلِّم الحاضر.

ويردُّه أيضاً ما صحَّ عنه فيما أخرجه أبو يعلى (٢٢٣٩) والحاكم (٦٥٤٦) أنه قال: غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوةً، زاد الحاكم: وشهدتُ معه تسع عشرة غزوةً، وهذه الزيادة أخرجها أحمد (١٤٥٢٣) ومسلم (١٨١٣)، وزادا فيه قولَ جابر: لم أشهد بدراً ولا أُحداً، منعني أَبي، فلما قُتل عبدُ الله ـ يعني أباه ـ يوم أُحد، لم أتخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة قطُّ؛ فهذا نصٌّ أو كالنصِّ على كونه رضي الله عنه شَهِدَ خيبرَ. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيدُ بن أبي حَبيبٍ، عن أبي مرزوقٍ مولى تُجِيبَ، عن حَنَشٍ الصَّنعاني قال: غَزَوْنا مع رُوَيفِع بن ثابتٍ الأنصاريّ المَغرِبَ، فافتَتَحَ قريةً من قُرَى المغربِ يقال لها: جِرْبةُ[1]، فقامَ فيها[2] خطيباً فقال: أيّها الناسُ، إنّي لا أقولُ فيكم إلّا ما سمعتُ من رسول الله ﷺ يقولُه فينا يومَ خيبرَ، قامَ فينا رسولُ الله ﷺ فقال: «لا يَحِلُّ لامرِئٍ يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ أن يَسقِيَ ماءَه زَرْعَ غيرِه - يعني إتيانَ الحَبالَى من السَّبايا - ولا يَحِلُّ لامرِئٍ يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ أن يُصِيبَ امرأةً من السَّبْيِ حتّى يَستبْرِئَها، ولا يَحِلُّ لامرِئٍ يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ أن يَبِيعَ مَغنَماً حتّى يُقسَمَ، ولا يَحِلُّ لامرِئٍ يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ أن يَركَبَ دابَّةً من فَيْءِ المسلمينَ حتّى إذا أَعجَفَها[3] رَدَّها فيه، ولا يَحِلُّ لامرِئٍ يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ أن يَلبَسَ ثوباً من فَيْءِ المسلمينَ حتّى إذا أخلَقَه[4] رَدَّه فيه»[5].

= وروى أحمد كذلك (١٤٥٧٦) بسندٍ حسنٍ عنه: أنه حضر وليمةَ النبيِّ ﷺ على صفيّةَ. وصفيّةُ إنما بَنَى بها النبيُّ ﷺ وأَولَمَ عليها في طريق عودته من خيبر قبل دخوله المدينة كما في حديث أنس عند البخاري (٤٢١٣) ومسلم (١٤٢٧) (٨٤)، فهذا يفيد أن جابراً شهد خيبر مع النبيِّ ﷺ وكان مرافقاً له في رجوعه منها إلى المدينة، وهو الصواب من القول إن شاء الله.

(١) جِرْبة: جزيرة تونسيّة، تقع جنوب شرق تونس.

(٢) في (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف): فقام فينا.

(٣) الفيء: المَغنَم. وأعجَفَها: أهزَلَها وأضعَفَها.

(٤) أخلقه: أبلاه.

(٥) إسناده صحيح.

وقد اختُلف على ابن إسحاق في كون رويفعٍ سمع هذا من النبيِّ ﷺ في خيبر أو في حُنين، فتابع البكّائيَّ على ذكر خيبر: عبدُ الله بن المبارك عند أبي إسحاق الفَزَاري في «السير» (٤٠٨)، وعبدُ الرحيم بن سليمان عند ابن أبي شيبة ٤/ ٣٦٩ و١٤/ ٤٦٥، وأحمدُ بن خالد الوهبي =

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيدُ بن عبد الله بن قُسَيطٍ أنّه حُدِّث عن عُبادة بن الصّامت قال: نهانا رسولُ الله ﷺ يومَ خيبرَ عن أن نَبيعَ أو نَبتاعَ تِبْرَ الذَّهبِ بالذَّهبِ العَيْنِ وتِبْرَ الفضّةِ بالوَرِقِ العَيْنِ[1]، وقال: «ابتاعُوا تِبْرَ الذَّهبِ بالوَرِقِ العَيْنِ، وتِبْرَ الفِضَّةِ بالذَّهبِ العَيْنِ»[2].

= عند الدارمي في «مسنده» (٢٥٢٠) و(٢٥٣١)، وأخوه محمدُ بن خالد عند ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢١٩٣)، ويونسُ بن بكير عند البيهقي في «السنن» ٩/ ١٢٤. وهو المحفوظ إن شاء الله تعالى.

وخالف هؤلاء آخرون فرَوَوه عن ابن إسحاق بذكر حُنينٍ مكان خيبر، وهم يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عند أحمد (١٦٩٩٠)، وإبراهيم بن سعد عنده أيضاً (١٦٩٩٧)، وأبو معاوية الضرير عند سعيد بن منصور في «سننه» (٢٧٢٢)، وأبي داود مختصراً (٢٧٠٨) ومن طريقه البيهقي بطوله في «معرفة السنن والآثار» (١٧٨٨٨)، ومحمدُ بن سلمة عند أبي داود (٢١٥٨) ومن طريقه البيهقي في «السنن» ٧/ ٤٤٩.

وأخرجه ابن حبان (٤٨٥٠) من طريق يحيى بن أيوب المصري، عن ربيعة بن سليم التُّجِيبي، عن حنش، به. فذكر فيه خيبر لا حنيناً، وربيعة بن سليم هذا قيل: هو أبو مرزوق نفسه.

(١) التِّبْر: ما كان من الذهب والفضة غير مَصُوغ، وقد يقال لهما إذا لم يكونا نقداً مضروباً: تِبْر، والعَين: ما ضُرب منهما نقداً دنانيرَ ودراهمَ، والوَرِق: الفضة.

(٢) أصل الحديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الواسطة بين يزيد بن قسيط وعبادة.

وأخرجه الخطيب في «المتفق والمفترق» (١٦٥٨) من طريق الوليد بن كثير المخزومي، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، به.

وقد روى أبو قِلابة عن أبي الأشعث الصنعاني قال: غزونا غزاةً وعلى الناس معاوية، فغنمنا غنائم كثيرة، فكان فيما غنمنا آنيةً من فضة، فأمر معاوية رجلاً أن يبيعها في أُعطِيات الناس، فتسارع الناس في ذلك، فبلغ عبادةَ بن الصامت، فقام فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبُرّ بالبُرّ، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح =

قال ابن إسحاق: ثمّ جَعَلَ رسولُ الله ﷺ يَتَدنَّى الحُصونَ والأموالَ[1].

فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ، أنه حدّثه بعضُ أسلَمَ: أنّ بني سَهمٍ مِن أسلَمَ أتَوْا رسولَ الله ﷺ فقالوا: والله ـ يا رسول الله ـ لقد جُهِدْنا وما بأيدينا من شيءٍ، فلم يَجِدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يُعطِيهم إيّاه، فقال: «اللّهمَّ إنَّك قد عَرَفتَ حالَهم وأنْ ليست بهم قُوّةٌ، وأنْ ليس بيَدِي شيءٌ أُعطِيهم إيّاهُ، فافتَحْ عليهم أعظَمَ حُصونِها عنهم غَناءً وأكثرَها طعاماً ووَدَكاً[2]»، فغَدَا النّاسُ، ففَتَحَ اللهُ عليهم حِصنَ الصَّعب بن مُعاذٍ، وما بخيبرَ حصنٌ كان أكثرَ طعاماً ووَدَكاً منه[3].

= بالملح، إلا سواءً بسواءٍ، عَيناً بعينٍ، فمن زاد أو ازداد، فقد أَربَى»، وفي رواية: «فإذا اختلفت هذه الأصناف، فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيدٍ». أخرجه مسلم (١٥٨٧).

ورواه مسلم بن يسار المكي عن أبي الأشعث عن عبادة بلفظ: «الذهب بالذهب تِبْرُها وعينُها، والفضة بالفضة تِبْرُها وعينُها... فمن زاد أو ازداد فقد أَربى، ولا بأس ببيع الذهب بالفضة والفضةُ أكثرُهما يداً بيد، وأمّا نَسِيئةً فلا». أخرجه أبو داود (٣٣٤٩)، وإسناده صحيح.

وروى ابن وهب في «موطئه» ـ كما في «التمهيد» لابن عبد البر ٢٤/ ١٠٤ ـ عن الليث بن سعد وعمرو بن الحارث، عن يحيى بن سعيد، أنه حدثهما أن عبد الله بن أبي سلمة حدثه: أنه بَلَغَه أن رسول الله ﷺ عام خيبر جعل السَّعدَين على المغانم، فجعلا يبيعان كلَّ أربعة مثاقيل بثلاثةٍ عَيناً، فقال ﷺ: «أَربَيتُما، فرُدَّا». أي: رُدّا البيع، والسَّعدانِ: هما سعد بن أبي وقّاص وسعد بن عُبادة، والمِثقال: وزن يعادل ٤,٢٥ غم، والعَين كما سبق: النَّقد دنانير أو دراهم.

ونحوه عند مالك في «موطئه» ٢/ ٦٣٢ عن يحيى بن سعيد الأنصاري مرسلاً.

(١) أي: يأخذ الأدنى فالأدنى منها.

(٢) الغَناء: المنفعة والإجزاء. والوَدَك: هو دسم اللحم ودُهْنه الذي يُستخرَج منه.

(٣) إسناده ضعيف لإبهام الأسلميّ شيخ عبد الله بن أبي بكر فيه.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٠، والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٢٢٣ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

قال ابن إسحاق: ولمّا افتَتَحَ رسولُ الله ﷺ من حصونِهم ما افتَتَحَ، وحازَ من الأموال ما حازَ، انتَهَوْا إلى حِصنَيهم الوَطِيحِ والسُّلالِم[1]، وكان آخرَ حصونِ أهل خيبر افتتاحاً، فحاصَرَهم رسولُ الله ﷺ بضعَ عشرةَ ليلةً.

قال ابن هشام: وكان شعارُ أصحابِ رسول الله ﷺ يومَ خيبر: يا منصور، أمِتْ أمِتْ[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن سَهْل بن عبد الرَّحمن بن سَهْلٍ أخو بني حارثة، عن جابر بن عبد الله قال: خرج مَرحَبٌ اليهوديُّ من حصنِهم[3] قد جَمَعَ سلاحَه يَرتَجِزُ وهو يقول:

قد عَلِمَت خَيبَرُ أنّي مَرحَبُ ... شاكي السلاحِ بطلٌ مُجرَّبُ[4]

أطعُنُ أحياناً وحيناً أضرِبُ ... إذا اللُّيوثُ أقبَلَت تَحزَّبُ[5]

إنَّ حِمايَ لَلحِمَى لا يُقرَبُ

وهو يقول: مَن يبارزُ؟ فأجابه كعبُ بن مالكٍ فقال:

قد عَلِمَت خَيبَرُ أنّي كعبُ ... مُفرِّجُ الغُمَّى جَريءٌ صُلْبُ[6]

---

(١) بضمّ السين على المشهور، وقيل بفتحها، كما في «النهاية» لابن الأثير ٢/ ٣٩٦.

(٢) وهذا كان أيضاً شعار المسلمين في غزوة بني المُصطلِق، وتقدَّم شرحه هناك ص٣٧٥.

(٣) يعني حصنَ ناعمٍ، وهو أول الحصون التي افتتحها المسلمون في خيبر، وكان مرحب فيه.

(٤) شاكي السلاح، أي: حادّ السلاح.

(٥) هكذا في نسخنا الخطية بالزّاي غير (غ) ففيها: تَحرَّب، بالراء، وقد قُيِّدت في (ش٢) بالوجهين معاً. ومعنى تَحزَّبُ: تتجمّع عليّ، وأما تحرَّب فمعناها: مُغضَبة، يقال: حَرِبَ الرجلُ، أي: اشتدَّ غضبه.

(٦) الغُمّى: الكَرْب والشِّدّة.

إذْ شُبَّتِ الحربُ وثارَ الحربُ[1] معي حُسامٌ كالعَقيقِ عَضْبُ
نَطَؤُكمْ حتّى يَذِلَّ الصّعبُ نُعطَى الجَزاءَ أو يَفيءَ النَّهبُ
بكَفٍّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيدٍ الأنصاريّ:

قد عَلِمَت خَيبَرُ أنّي كعبُ وأنّني متى تَشِبُّ الحربُ
ماضٍ على الهَوْل جريءٌ صُلْبُ معي حُسامٌ كالعَقيقِ عَضْبُ
بكفٍّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ نَدُكُّكمْ حتّى يَذِلَّ الصَّعبُ

ومَرحَبٌ من حِمْيَر[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن سَهْل، عن جابر بن عبد الله قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «مَن لِهٰذا؟» قال محمّدُ بن مَسلَمة: أنا له يا رسولَ الله، أنا والله المَوتُورُ

(١) هكذا في (ط) ونسخة في حاشية (ش٢) وهو كذلك في أصول «البداية والنهاية» لابن كثير ٦/ ٢٧١، وفي (ش١) و(غ): إذا تُشبّ الحربُ ثم الحربُ، وفي (ت) و(ش٢) و(ص) و(م) و(ي) ونسخة في حاشية (ط): إذ شُبَّت الحربُ في إثر الحربِ، وفي نسخة في (ش٢): بإثر الحربِ، فيصير فيه إقواءٌ، وفي (ف): فأين الحربُ، وما أثبتناه أوجهُها.

وقد وقع في طبعة السقا وصاحبيه: الحربُ تلتها الحربُ، وليس هذا في شيء من نسخنا من «السيرة».

ومعنى شُبَّت الحربُ: أُثيرت وهُيِّجت. والعقيق هنا: شعاع البرق وسط السحاب، يُشبَّه به السيف. والعَضْب: السيف القاطع.

(٢) وهذا يفيد أن يهود خيبر في الغالب ليسوا من بني إسرائيل نسباً، إنما هم من قبائل عربية قديمة دانت بالدِّيانة اليهودية، وهذا رأيٌ لبعض المؤرّخين، وقد ذكر ابن الورديِّ في «تاريخه» ١/ ٧٤: أن اليهود أعمٌّ من بني إسرائيل، إذ من العرب والروم والفرس وغيرهم مَن تهوَّد وليسوا من بني إسرائيل، وغير بني إسرائيل دخيلٌ في مِلَّتهم.

الثّائرُ[1] قُتِلَ أخي بالأمسِ، فقال: «فقُمْ إليه، اللّهمَّ أَعِنْه عليه»، قال: فلمّا دَنا أحدُهما من صاحبِه دَخَلَت بينهما شجرةٌ عُمْرِيّةٌ من شَجَر العُشَر[2]، فجَعَلَ أحدُهما يَلُوذُ بها من صاحبِه، فكُلَّما لاذَ بها منه اقتَطَعَ صاحبُه بسيفه ما دونَه منها، حتّى بَرَزَ كلُّ واحدٍ منهما لصاحبِه وصارت بينهما كالرَّجل القائم ما فيها فَنَنٌ[3]، ثمّ حَمَلَ مَرحَبٌ على محمّدٍ فضربه، فاتَّقاه بالدَّرَقة[4] فوَقَعَ سيفُه فيها فعَضَّت به فأمسَكَتْه، وضربه محمّدُ ابن مَسلَمة حتّى قتله[5].

---

(١) الموتور: الذي قُتل له قتيل فلم يدرك ثأره.

(٢) العُمْرية: القديمة. والعُشَر: واحده عُشَرة، وهي شجرة معمّرة مستديمة الخُضرة، يصل ارتفاعها إلى أربعة أو خمسة أمتار، وخشبها هشٌّ، تكثر في الجزيرة العربية بخاصة في المناطق ذات المناخ الحارّ.

(٣) أي: غُصن.

(٤) الدَّرَقة: ترسٌ من جلد.

(٥) إسناده جيّد، لكن ذكرُ مرحبٍ فيه وهمٌ فيما يغلب على ظنّنا، ولعلَّ الذي بارزه محمدُ بن مسلمة وقتله هو الحارث أخو مرحبٍ فاشتبه على بعض الرواة كما في «فتح الباري» لابن حجر ١٢/ ٤٠٧، وإلا فإن الصحيح الذي عليه أكثرُ أهل السير وأهل الحديث: أن عليّاً هو الذي قتل مرحباً اليهودي بخيبر، قاله ابن عبد البر في ترجمة محمد بن مسلمة من «الاستيعاب» ص٦٤٣، ويؤيّد هذا حديثُ سلمة بن الأكوع عند أحمد (١٦٥٣٨) ومسلم (١٨٠٧)، وحديثُ بُرَيدة الأسلمي من غير وجهٍ عن ابنه عبد الله عنه عند أحمد (٢٣٠٣١) وابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٨٠) والنسائي في «الكبرى» (٨٣٤٧) والحاكم (٥٩٥٦) والبيهقي في «السنن» ٩/ ١٣٢ وفي «الدلائل» ٤/ ٢١٠، ففي هذين الحديثين: أن عليّاً هو صاحب مرحبٍ، وهذا الذي صحّحه النوويُّ في «شرح مسلم»، وفي حديث سلمة: أن عليّاً لمّا بَرَزَ لمرحبٍ كان يرتجز ويقول:

أنا الذي سَمَّتني أمّي حَيدَرَهْ

كلَيثِ غاباتٍ كَرِيهِ المَنظَرَهْ =

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج بعدَ مَرحَبٍ أخوه ياسرٌ وهو يقول: مَن يُبارِزُ؟ فزَعَمَ هشامُ بن عُرْوة: أنّ الزُّبيرَ بن العوّام خرج إلى ياسرٍ، فقالت أمُّه صفيّةُ بنتُ عبد المُطَّلِب: يقتلُ ابني يا رسولَ الله؟! فقال: «بلِ ابنُكِ يَقتُلُه إن شاءَ الله»، فخرج الزُّبيرُ فالتَقَيا، فقتله الزُّبيرُ[1].

فحدّثني هشام بن عُرْوة: أنّ الزُّبيرَ كان إذا قيلَ له: والله إنْ كان سيفُك يومَئذٍ لَصارماً عَضْباً، قال: والله ما كان صارماً، ولكنّي أكرَهْتُه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بُرَيدةُ بن سفيان بن فَرْوةَ الأسلَميّ، عن أبيه سفيان،

= أُوفِيكمُ بالصّاعِ كَيْلَ السَّندَرَهْ

والسَّندَرة: مكيال واسع، يريد: أقتلُ الأعداءَ قتلاً واسعاً ذريعاً.

وذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٦٥٦: أن محمد بن مسلمة لمّا بارز مرحباً قطع رجليه ولم يقتله، فمرَّ به عليٌّ فأجهز عليه؛ وما في الحديثين السابقين من أن عليّاً هو مَن بارَزَ مرحباً وقتله أصحُّ.

وروي من حديث عليٍّ عند أحمد (٨٨٨): أنه لمّا قتل مرحباً جاءَ برأسه إلى النبي ﷺ. وإسناده ضعيف جداً.

وأما حديث جابر، فأخرجه أحمد (١٥١٣٤)، والحاكم (٥٩٥٥) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

(١) هذا الخبر رواه هشام بنر عُروة بن الزبير مرسلاً، فهو لم يدرك جدَّه الزبير بن العوّام، وهشامٌ ثقة حجّة وبخاصّة أنه يروي أمراً يخصُّ أهلَ بيته، وهو قد روى عن طائفة منهم، فلعلّه حمل هذا عن بعضهم، والله تعالى أعلم.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١١ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، عن هشام ابن عروة.

ورواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق، فجعله من سرده لم يذكر فيه هشاماً، هكذا أخرجه البيهقي في «السنن» ٩/ ١٣١ و«الدلائل» ٤/ ٢١٧.

عن سَلَمة بن عمرو بن الأكوَع قال: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ برايتِه[1] إلى بعض حصونِ خيبرَ، فقاتَلَ فرجع ولم يَكُ فتحٌ وقد جُهِدَ، ثمّ بَعَثَ الغَدَ عمر بن الخَطّاب، فقاتَلَ ثمّ رجع ولم يَكُ فتحٌ وقد جُهِدَ[2]، فقال رسول الله ﷺ: «لَأُعطِيَنَّ الرَّايةَ غداً رجلاً يُحِبُّ اللهَ ورسولَه، يَفتَحُ اللهُ على يدَيهِ، ليس بفَرَّارٍ». قال: يقول سَلَمةُ: فدَعَا رسولُ الله ﷺ عليّاً رِضوانُ الله عليه وهو أَرمَدُ، فتَفَلَ في عَينَيهِ ثمّ قال: «خُذْ هذه الرّايةَ فامضِ بها حتّى يَفتَحَ اللهُ عليك».

قال: يقول سَلَمةُ: فخرج والله بها يأنِحُ[3]، يُهَروِلُ هَروَلةً وإنّا لَخَلْفَه نتّبعُ أثَرَه، حتّى رَكَزَ رايتَه في رَضْمٍ[4] من حجارةٍ تحت الحصن، فاطَّلَعَ إليه يهوديٌّ من رأس الحصن فقال: مَن أنت؟ قال: أنا عليُّ بن أبي طالب، قال: يقول اليهوديُّ: عَلَوتُم وما أُنزِلَ على موسى؛ أو كما قال، فما رَجَعَ حتّى فَتَحَ اللهُ على يدَيهِ[5].

---

(١) زاد في (ش١) و(غ) وحاشية (ش٢): وكانت بيضاء فيما قال ابن هشام. وقد تقدّم قول ابن هشام هذا في أول الكلام على غزوة خيبر في كافّة النسخ.

(٢) هكذا قُيّد في الموضعين في أكثر النسخ، ومعنى جُهِدَ: أصابته المشقّة، وقُيّد في بعض النسخ: جَهَدَ، أو جَهِدَ، والمعنى: جَدَّ فيه وبالغَ.

(٣) يأنح، أي: به نَفَس شديد من الإعياء في العَدْو، من الأُنُوح: وهو صوت يُسمَع من الجوف معه نَفَس متردِّد من مرضٍ أو سِمَنٍ.

(٤) الرَّضم: الحجارة المجتمعة.

(٥) إسناده ضعيف جداً، فبريدة بن سفيان الجمهور على تضعيفه، وأبوه ذكره البخاري في «تاريخه الكبير» ٤/ ٩٦ وقال: يتكلّمون فيه. قلنا: وقد تفرَّدا به بهذه الألفاظ، وأصل الحديث صحيح بغير هذه السياقة كما سيأتي.

وأخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» كما في «بغية الباحث» (٦٩٦)، والرُّوياني في «مسنده» (١١٧٢)، والطبراني في «الكبير» (٦٣٠٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ١/ ٦٢، =

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدُ الله بن حسنٍ، عن بعض أهلِه، عن أبي رافعٍ مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع عليٍّ حين بَعَثَه رسولُ الله ﷺ برايتِه، فلمّا دَنَا من الحصن خرج إليه أهلُه فقاتَلَهم، فضَرَبَه رجلٌ من يهودَ فطاحَ تُرْسُه من يده، فتناوَلَ عليٌّ باباً كان عند الحصن فتَرَّسَ به عن نفسه، فلم يَزَلْ في يده وهو يقاتلُ حتّى فَتَحَ اللهُ عليه ثمّ أَلقاه من يده حين فَرَغَ، فلقد رأَيتُني في نَفَرٍ سبعةٍ معي أنا ثامنُهم نَجهَدُ على أن نَقلِبَ ذلك البابَ فما نَقلِبُه[1].

= وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٢/ ٨٩ و٩٠ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. قال أبو نعيم بإثر روايته: هذا حديث غريب من حديث بريدة عن أبيه، فيه زياداتُ ألفاظٍ لم يُتابَع عليها، وصحيحُه من حديث يزيد بن أبي عُبيد عن سلمة بن الأكوع.

قلنا: وحديث يزيد بن أبي عبيد ـ وهو مولى سلمة بن الأكوع ـ عن مولاه سلمةَ عند البخاري (٣٧٠٢) ومسلم (٢٤٠٧)، قال: كان عليٌّ قد تخلَّف عن النبي ﷺ في خيبر وكان به رَمَدٌ فقال: أنا أتخلّفُ عن رسول الله ﷺ! فخرج عليٌّ فلَحِقَ بالنبي ﷺ، فلمّا كان مساءُ الليلة التي فتحها الله في صباحها، قال رسول الله ﷺ: «لأُعطينَّ الراية ـ أو ليأخذنّ الراية غداً ـ رجلاً يحبّه الله ورسوله ـ أو قال: يحبّ الله ورسوله ـ يفتحُ الله عليه»، فإذا نحن بعليٍّ وما نرجوه، فقالوا: هذا عليٌّ، فأعطاه رسول الله ﷺ، ففتح الله عليه.

ورواه إياس بن سلمة أيضاً عن أبيه فيما أخرجه أحمد (١٦٥٣٨) ومسلم (١٨٠٧)، قال: أرسلني ـ يعني النبيَّ ﷺ ـ إلى عليٍّ وهو أرمدُ، فقال: «لأُعطينّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله ـ أو يحبّه الله ورسوله ـ» قال: فأتيت عليّاً، فجئت به أقوده وهو أرمدُ حتى أتيت به رسول الله ﷺ، فبَسَقَ في عينيه فبَرَأَ وأعطاه الراية، وخرج مرحبٌ ـ وذكر قصته ـ ثم كان الفتحُ على يديه.

(١) إسناده ضعيف، ففيه جهالة وانقطاع ظاهر كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ٦/ ٢٧٣، وأما الحافظ ابن حجر فقد حسّنه في «موافقة الخُبْرِ الخَبَر» ١/ ١٩٣ وقال: والبعض المُبهَم لم أقف على اسمه، لكن السياق يقتضي أنه تابعيٌّ من أهل البيت، فالذي يظهر أنه صدوق. اهـ =

قال ابن إسحاق: وحدّثني بُرَيدةُ بن سفيان الأسلَميّ، عن بعض رجال بني سَلِمة، عن أبي اليَسَرِ كعبِ بن عمرٍو قال: إنّا لمعَ رسولِ الله ﷺ بخيبر ذاتَ عَشيَّةٍ إذ أقبَلَت غنمٌ لرجلٍ من يهودَ تريدُ حِصنَهم[1] ونحن مُحاصِروهم، فقال رسول الله ﷺ: «مَن رجلٌ يُطعِمُنا من هذِه الغَنَمِ؟» قال أبو اليَسَر: فقلت: أنا يا رسولَ الله، قال: «فافعَلْ» قال: فخرجتُ أشتَدُّ مِثلَ الظَّلِيم[2]، فلمّا نَظَرَ إليَّ رسولُ الله ﷺ مُولِّياً قال: «اللّٰهمَّ أَمتِعْنا به»، قال: فأدرَكتُ الغنمَ وقد دَخَلَت أُولَاها الحصنَ، فأخذتُ شاتَينِ من أُخراها فاحتَضَنتُهما تحت يديَّ، ثمّ أقبَلتُ بهما أشتَدُّ كأنّه ليس معي شيءٌ حتّى ألقَيتُهما عند رسول الله ﷺ، فذَبَحُوهما فأكَلُوهما.

فكان أبو اليَسَر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ هلاكاً، فكان إذا حدَّث هذا

= وأخرجه أحمد (٢٣٨٥٨) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وروي في قصة الباب أيضاً من حديث ليث بن أبي سُليم عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين عن جابر: أن عليّاً حمل البابَ يوم خيبر، وأنه جُرِّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً.

أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٢/ ٨٥، والحاكم في «الإكليل» ـ كما في «الموافقة» لابن حجر ـ وعنه البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٢١٢ من طريق المُطَّلب بن زياد، عن ليث. وهذا إسناد ضعيف، وضعّفه الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٤١٨)، فليثٌ ضعيف سيئ الحفظ، والمطَّلب مختلف فيه وهو صالح الحديث إلا أنه ينفرد بمناكير.

وقال البيهقي في «الدلائل» أيضاً: وروي من وجه آخر ضعيف عن جابر: ثمّ اجتمع عليه سبعون رجلاً فكان جهدهم أن أعادوا الباب.

قال السخاوي معقِّباً على هذه الأخبار: كلّها واهية، ولذا أنكره بعضُ العلماء.

(١) ذكر الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٦٦٠ في روايته عن أبي اليَسَر: أن هذا الحصن هو حصن الصَّعب بن معاذ، وذكر فيها أيضاً: أنهم حاصروه ثلاثة أيام.

(٢) الظليم: ذكر النَّعام.

الحديثَ بَكَى ثمّ قال: أُمتِعُوا بي[1] حتّى كنتُ من آخرِهم[2].

قال ابن إسحاق: ولمّا افتَتَحَ رسولُ الله ﷺ القَمُوصَ، حصنَ بني أبي الحُقَيق، أُتي رسولُ الله ﷺ بصَفيَّةَ ابنة حُيَيّ بن أخطَبَ وبأُخرى معها، فمَرَّ بهما بلالٌ - وهو الذي جاءَ بهما - على قتلى من قتلى يهودَ، فلمّا رَأتهم التي مع صَفيَّةَ صاحَتْ وصَكَّتْ وجهَها وحَثَتِ التّرابَ على رأسها، فلمّا رآها رسولُ الله ﷺ قال: «أَغرِبُوا[3] عنّي هذه الشَّيطانةَ»، وأمَرَ بصفيَّةَ فحِيزَت خَلْفَه وأَلقَى عليها رِداءَه، فعَرَفَ المسلمون أنّ رسولَ الله ﷺ قد اصطَفَاها لنفسه. فقال رسولُ الله ﷺ لبلالٍ - فيما بَلَغَني - حين رأى بتلك اليهوديّة ما رأى: «أنُزِعَت منك الرَّحْمةُ يا بلالُ، حين تَمُرُّ بامرَأَتينِ على قَتْلى رِجالِهما؟!»[4].

وكانت صفيَّةُ قد رأَت في المنام وهي عَرُوسٌ بكِنانةَ بن الرَّبيع بن أبي الحُقَيق: أنّ قَمَراً وَقَعَ في حَجْرها، فعَرَضَت رُؤْياها على زوجها، فقال: ما هذا إلّا أنّك تَمَنَّينَ مَلِكَ الحجازِ محمّداً، فلَطَمَ وجهَها لَطْمةً خَضَّرَ عينَها منها، فأُتي بها رسولُ الله ﷺ وبها أثَرٌ منه، فسألها رسولُ الله ﷺ ما هو؟ فأخبرته هذا الخبرَ[5].

---

(١) زاد في (ش١) و(ش٢) و(ق٢): لعَمْري.

(٢) إسناده ضعيف بمَرّةٍ، بريدةُ بن سفيان الجمهور على تضعيفه، وقد أبهم الواسطة بينه وبين أبي اليسر.

وأخرجه أحمد (١٥٥٢٥) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٣) في (ق٢): أعزِبوا، بالزاي، وكلاهما بمعنًى، أي: أبعِدوا.

(٤) لم يسند ابن إسحاق هذا الخبر، فهو ضعيف.

وبنحوه رواه البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٢٣٢ في مغازي عروة بن الزبير مرسلاً.

(٥) هذا خبر صحيح إن شاء الله. =

بقيّةُ أمرِ خيبر

وأُتي رسولُ الله ﷺ بكِنانةَ بن الرَّبيع، وكان عنده كَنزُ بني النَّضير، فسأله عنه، فجَحَدَ أن يكون يعلمُ مكانه، فأُتي رسولُ الله ﷺ برجلٍ من يهودَ، فقال لرسول الله ﷺ: إنّي رأيت كِنانةَ يُطِيفُ بهذه الخَرِبةِ كلَّ غَداةٍ، فقال رسول الله ﷺ لكِنانةَ: «أرأَيتَ إن وَجَدْناه عندَك، أأقتُلُك؟» قال: نعم. فأمَرَ رسولُ الله ﷺ بالخَرِبةِ فحُفِرَت، فأُخرِجَ منها بعضُ كَنزِهم، ثمّ سأله عمّا بَقِيَ فأَبَى أن يُؤدِّيَه، فأمَرَ به رسولُ الله ﷺ الزُّبيرَ بن العَوّام، فقال: «عَذِّبْه حتّى تَستأصِلَ ما عندَه»، فكان الزّبيرُ يَقدَحُ بزَنْدٍ[1] في صدرِه حتّى أشرَفَ على نفسه، ثمّ دَفَعَه رسولُ الله ﷺ إلى محمّد بن مَسلَمة فضَرَبَ عُنُقَه بأخيه محمود بن مَسلَمة[2].

= فقد أخرجه ابن حبان (٥١٩٩) بإسناد رجاله ثقات عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ رأى بعَينَي صفيّة خُضْرةً فقال: «يا صفيّةُ، ما هذه الخُضرة؟» فقالت: كان رأسي في حَجْر ابن أبي حقيق وأنا نائمة، فرأيت كأنّ قمراً وقع في حَجْري، فأخبرتُه بذلك فلَطَمَني، وقال: تَمنَّينَ مَلِكَ يثرب! قالت: وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إليَّ، قَتَل زوجي وأبي وأخي، فما زال يعتذرُ إليَّ ويقول: «إنّ أباكِ ألَّبَ عليَّ العربَ، وفَعَلَ وفَعَلَ»، حتى ذهب ذلك من نفسي.

(١) الزَّند: عود تُقدَح به النار.

(٢) ضعيف بهذا السياق، ولم يسنده ابن إسحاق، ولعلّه إنما حمله عن الزهريِّ، فقد روى نحوه ابنُ شبّة في «تاريخ المدينة» ٢/ ٤٦٦ من مغازي موسى بن عقبة عن الزهري مرسلاً. ومراسيلُ الزهري ضعيفة.

وروي نحو هذه القصة عن عروة بن الزبير مرسلاً أيضاً عند البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٢٣٢، وفي الإسناد إليه ابنُ لَهيعة، وهو سيّئ الحفظ.

وأصل الخبر صحيح من حديث ابن عمر عند أبي داود (٣٠٠٦) وابن حبان (٥١٩٩) بإسناد متّصل رجاله ثقات، وليس فيه ذكرٌ لتعذيب أحدٍ، فإنه لم يكن من هدي النبيِّ ﷺ تعذيبُ =

وحاصَرَ رسولُ الله ﷺ أهلَ خيبر في حِصنَيهم الوَطِيح والسُّلالِم، حتّى إذا أَيقَنُوا بالهَلَكة سألوه أن يُسيِّرَهم[1] وأن يَحقِنَ لهم دماءَهم، ففعل، وكان رسولُ الله ﷺ قد حازَ الأموالَ كلَّها: الشَّقَّ[2] ونَطَاةَ والكَتِيبةَ وجميعَ حصونِهم إلّا ما كان من ذَينِكَ الحِصنَينِ، فلمّا سمعَ بهم أهلُ فَدَكَ[3] قد صَنَعوا ما صَنَعوا، بَعَثُوا إلى رسول الله ﷺ يسألونَه أن يُسيِّرَهم وأن يَحقِنَ دماءَهم ويُخَلُّوا له الأموالَ، ففعل، وكان فيمَن مَشَى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك مُحيِّصةُ بن مسعودٍ أخو بني حارثة.

فلمّا نَزَلَ أهلُ خيبرَ على ذلك، سألوا رسولَ الله ﷺ أن يُعاملَهم في الأموال على النِّصفِ، وقالوا: نحن أعلمُ بها منكم وأعمَرُ لها، فصالَحَهم رسولُ الله ﷺ على النِّصف: على أنّا إذا شِئْنا أن نُخرِجَكم أخرَجْناكم[4]، فصالَحَه أهلُ فَدَكَ على مِثْل ذلك، فكانت خيبرُ فَيْئاً بين المسلمين، وكانت فَدَكُ خالصةً لرسول الله ﷺ، لأنَّهم

= الأسرى أو ضربُهم، وفي حديث ابن عمر هذا: أن النبيَّ ﷺ سأل عن هذا الكَنْز سَعْيةَ، وهو أحد يهود بني النضير.

(١) أي: يُجلِيَهم.

(٢) بكسر الشين وفتحها.

(٣) هي بلدة تقع في شرقيّ خيبر على قرابة ١٢٥ كم منها، وتقع شمال شرق المدينة على قرابة ١٩٠ كم.

(٤) أخرج البخاري (٢٣٣٨) ومسلم (١٥٥١)(٦) من حديث موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر: أن عمر بن الخطّاب أجلى اليهودَ والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول الله ﷺ لمّا ظَهَرَ على خيبر أراد إخراج اليهود منها، وكانت الأرض حين ظَهَرَ عليها لله ولرسوله ﷺ وللمسلمين، وأراد إخراج اليهود منها، فسألت اليهودُ رسولَ الله ﷺ ليُقِرَّهم بها على أن يَكفُوا عملَها ولهم نصفُ الثمر، فقال لهم رسول الله ﷺ: «نُقِرُّكم بها على ذلك ما شئنا»، فقَرُّوا بها حتى أجلاهم عمرُ إلى تَيْماء وأَرِيحاء.

لم يُجلِبوا عليها بخيلٍ ولا رِكَاب[1].

فلمّا اطمَأنَّ رسولُ الله ﷺ أهدَتْ له زينبُ ابنةُ الحارثِ امرأةُ سَلَام بن مِشكَمٍ شاةً مَصليَّةً[2]، وقد سألَت: أيُّ عُضوٍ من الشّاة أحبُّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذِّراعُ، فأكثَرَت فيها من السّمِّ ثم سَمَّت سائرَ الشّاة ثمّ جاءَت بها، فلمّا وَضَعَتها بين يَدَيْ رسول الله ﷺ تناوَلَ الذِّراعَ فلَاكَ منها مُضْغةً فلم يُسِغْها، ومعه بِشرُ بن البَراءِ ابن معرورٍ، قد أَخذَ منها كما أَخذَ رسولُ الله ﷺ، فأمّا بشرٌ فأَساغَها، وأمّا رسولُ الله ﷺ فلَفَظَها، ثمّ قال: «إنَّ هذا العَظْمَ لَيُخبِرُني أنه مَسمُومٌ»، ثمّ دعا بها فاعتَرَفَت فقال: «ما حَمَلَكِ على ذلكِ؟» قالت: بَلَغْتَ من قومي ما لم يَخْفَ عليك، فقلتُ: إنْ كان مَلِكاً استَرَحتُ منه، وإن كان نبيّاً فسيُخبَرُ، قال: فتَجاوَزَ عنها رسولُ الله ﷺ، ومات بشرٌ من أُكلتِه[3] التي أَكل[4].

---

(١) أي: لم يجمعوا عليها خيلاً ولا رِكاباً، والرِّكاب: الإبل التي يُسارُ عليها، الواحدةُ: راحلةٌ، ولا واحد لها من لفظها، والجمع: رُكُب.

وانظر «سنن أبي داود» (٢٩٧١) و(٣٠١٦) طبعة دار الرسالة العالمية.

(٢) مصليّة، أي: مشويّة.

(٣) الأُكلة: اللُّقمة.

(٤) هذا خبر صحيح.

وقد روي معناه عن غير واحد من الصحابة: كأنس بن مالك عند أحمد (١٣٢٨٥) والبخاري (٢٦١٧) ومسلم (٢١٩٠) وأبي داود (٤٥٠٨).

وابن عباس عند أحمد (٢٧٨٤) و(٣٥١٧)، وإسناده صحيح.

وجابر بن عبد الله عند أبي داود (٤٥١٠)، ورجاله ثقات لكن في إسناده انقطاع.

وأبي سعيد الخدري عند البيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٢٦٠، وإسناده حسن.

وأبي هريرة عند أبي داود (٤٥١١) و(٤٥١٢/ ٢) والحاكم (٥٠٣٣)، ورجاله لا بأس بهم =

قال ابن إسحاق: وحدّثني مروانُ بن عثمانَ بن أبي سعيد بن المُعلَّى قال: كان رسولُ الله ﷺ قد قال في مرضِه الذي تُوُفّي فيه ودَخَلَت أمُّ بشرٍ بنتُ البراءِ بن معرورٍ تَعُودُه: «يا أُمَّ بِشْرٍ، إنَّ هذا لَأَوَانَ وَجَدتُ انقِطاعَ أَبْهَري[1] من الأُكْلةِ التي أَكلتُ مع أَخيكِ بخَيبَرَ»[2].

= لكن اختُلف في وصله وإرساله، وزاد فيه: أن النبي ﷺ قتلها.

ورواه بنحوه معمر في «جامعه» برواية عبد الرزاق (١٩٨١٤) عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك مرسلاً.

قال الزهري: فأسلَمَت فتركها النبيُّ ﷺ، قال معمر: وأمّا الناس فيقولون: قتلها النبيُّ ﷺ.

قال السهيلي في «الروض الأنف» ٦/ ٥٧١: ووجه الجمع بين الروايتين أنه عليه السلام صَفَحَ عنها أوّلُ، لأنه كان ﷺ لا ينتقم لنفسه، فلمّا مات بشرُ بن البراء من تلك الأُكلة قتلها. وبنحو هذا الجمع قال القاضي عياض في «إكمال المُعلِم شرح صحيح مسلم» ٧/ ٩٣-٩٤، وانظر «فتح الباري» ١٢/ ٤٤٥-٤٤٦.

(١) الأبهر: هو الشّريان الرئيس في الجسم ويغذّي جميع أنحاء الجسم بالدم النقيّ الخارج من القلب، وهو الذي يسمَّى الأَوْرطَى.

(٢) أصل الحديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لإرساله ولضعف مرسِله مروان بن عثمان، ولم نقف على روايته هذه عند غير المصنف.

وقد روى معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أمّه - وفي رواية لأبي داود والحاكم: عن أبيه -: أن أم مبشِّر دخلت على رسول الله ﷺ في وجعه الذي قُبض فيه فقالت: بأبي وأمي يا رسول الله، ما تتّهمُ بنفسك؟ فإني لا أتهم إلا الطعامَ الذي أُكل معك بخيبر - وكان ابنها بشر بن البراء مات قبل النبي ﷺ - قال: «وأنا لا أتّهم غيره، هذا أوانُ قطع أَبهري». أخرجه أحمد (٢٣٩٣٣) وأبو داود (٤٥١٣) و(٤٥١٤) والحاكم (٥٠٣٢). ورجاله ثقات، لكن اختُلف فيه على الزهري.

فروى يونسُ الأَيلي عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول في مرضه =

قال: فإن كان المسلمون لَيَرَونَ أنّ رسولَ الله ﷺ مات شهيداً، مع ما أكرَمَه اللهُ به من النُّبوّة[1].

نُبَذٌ من ذكر وادي القُرى[2]

قال ابن إسحاق: فلمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من خيبرَ انصَرَفَ إلى وادي القُرَى، فحاصَرَ أهلَه لياليَ ثمّ انصَرَفَ راجعاً إلى المدينة.

قال ابن إسحاق: فحدّثني ثورُ بن زيدٍ، عن سالمٍ مولى عبد الله بن مُطِيع، عن أبي هُرَيرةَ قال: فلمّا انصَرَفْنا مع رسول الله ﷺ عن خَيبَرَ إلى وادي القُرَى، نَزَلْنا بها أُصُلاً[3] مع مَغرِب الشَّمس، ومعَ رسول الله ﷺ غلامٌ له[4] أهداه له رِفاعةُ بن

= الذي مات فيه: «يا عائشة، ما أزالُ أجدُ ألمَ الطعام الذي أكلتُ بخيبر، فهذا أَوانُ وجدتُ انقطاعَ أَبهَري من ذلك السمّ».

رواه البخاري في «صحيحه» (٤٤٢٨) معلّقاً، ووصله الحاكم (٤٤٤١) من طريق عنبسة بن خالد عن عمّه يونس.

وفيه أوجه خلاف أخرى انظرها في التعليق على «مستدرك الحاكم».

ويشهد له حديث أبي سلمة مرسلاً عند أبي داود (٤٥١٢/ ٢).

(١) وكان يذهب إلى نحو هذا عبدُ الله بن مسعود فيما أخرجه عنه أحمد (٣٦١٨) قال: لأَن أحلفَ بالله تسعاً أن رسول الله ﷺ قُتل قتلاً، أحبُّ إليّ من أن أحلفَ واحدةً، وذلك بأن الله عزَّ وجلَّ اتَّخَذه نبيّاً، وجعله شهيداً. ورجاله ثقات.

(٢) هو وادٍ يبدأ من جنوب مدينة العُلا الآن التي تبعد قرابة ٣٠٠ كم شمال غرب المدينة المنوّرة ثم يسير جنوب شرقٍ باتجاه خيبر التي تبعد عن المدينة قرابة ١٥٠كم شمالاً، وسمِّي بوادي القرى لكثرة ما فيه من القُرى.

(٣) الأُصُل: جمع الأَصِيل، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب.

(٤) واسم هذا الغلام مِدعَم كما في رواية غير المصنف.

زيدٍ الجُذَاميُّ ثمّ الضُّبَيبيُّ[1].

قال ابن هشام: جُذامٌ أخو لَخْمٍ.

قال: فوالله إنَّه لَيَضَعُ رَحْلَ رسول الله ﷺ إذْ أتاه سَهْمٌ غَرْبٌ[2] فأصابه فقتله، فقلنا: هَنيئاً له الجنّةُ، فقال رسول الله ﷺ: «كَلَّا، والّذي نفسُ محمّدٍ بيدِه، إنَّ شَمْلَتَه[3] الآنَ لتَحتَرِقُ عليه في النّارِ، كان غَلَّها من فَيْءِ المسلمينَ يومَ خَيبَرَ»، قال: فسَمِعَها رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فأتاه فقال: يا رسولَ الله، أَصبتُ شِراكَينِ[4] لنَعلَينِ لي، قال: فقال: «يُقَدُّ لك مِثلُهما من النّارِ»[5].

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ، عن عبد الله بن مُغفَّلٍ المُزَني قال: أَصبتُ

(١) هكذا في نسخنا الخطية بباءَين مصغَّراً، وهو قول أهل الحديث، وأما أهل النَّسب فيقولون: الضَّبِيني. انظر «الاستيعاب» لابن عبد البر ص٢٣١، و«توضيح المشتبِه» لابن ناصر الدين الدمشقي ٥/ ٤٤٧-٤٤٨. وذكر ابن إسحاق كما سيأتي في سنة الوفود ٤/ ٣٧٢: أن رفاعة هذا قدم على النبي ﷺ في هُدْنة الحُديبية فأسلم وأهدى للنبي ﷺ هذا الغلام، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً إلى قومه فأسلموا.

(٢) السهم الغَرْب: هو الذي لا يُعلَم من رماه أو من أين أتى.

(٣) الشَّملة: كساء يُتغطّى به ويُتلفَّف فيه.

(٤) الشِّراك: هو أحد سُيُور النَّعل التي تكون على وجهها، والسَّير من الجلد: ما يُقَدُّ منه مستطيلاً.

(٥) إسناده صحيح. سالم مولى عبد الله بن مطيع: هو سالم أبو الغيث المدني.

وأخرجه الحاكم (٤٣٩٥) من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري (٤٢٣٤) و(٦٧٠٧)، ومسلم (١١٥)، وأبو داود (٢٧١١)، والنسائي في «المجتبى» (٣٨٢٧) وفي «الكبرى» (٤٧٥٠) و(٨٧١٠)، وابن حبان (٤٨٥١) من طريق مالك ابن أنس، ومسلم (١١٥) من طريق عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَردي، كلاهما عن ثور بن زيد الدِّيلي، به.

من فَيْءِ خيبرَ جِرَابَ شَحمٍ[1]، فاحتَمَلتُه على عُنُقي إلى رَحْلي وأصحابي، قال: فلَقِيَني صاحبُ المَغانِم الذي جُعِلَ عليها، فأَخذَ بناحيَتِه، قال: هَلُمَّ هذا حتى نَقسِمَه بين المسلمين، قال: قلت: لا والله لا أُعطِيكَه، قال: فجَعَلَ يُجابِذُني الجِرابَ، قال: فرَآنا رسولُ الله ﷺ ونحنُ نَصنَعُ ذلك، قال: فتَبسَّمَ ضاحكاً، ثمّ قال لصاحبِ المَغانِم: «لا أَبا لك، خَلِّ بينَه وبينَه»، قال: فأرسَلَه، فانطَلَقتُ به إلى رَحْلي وأصحابي، فأكلناه[2].

قال ابن إسحاق: ولمّا أعرَسَ رسولُ الله ﷺ بصَفيَّةَ بخيبرَ أو ببعض الطّريق، وكانت التي جَمَّلَتها لرسول الله ﷺ ومَشَّطَتها وأصلَحَت من أمرِها أمُّ سُلَيمٍ ابنةُ مِلْحانَ أمُّ أنس بن مالك، فباتَ بها رسولُ الله ﷺ في قُبّةٍ له، وباتَ أبو أيّوبَ خالدُ بن زيدٍ أخو بني النَّجّار مُتوَشِّحاً سيفَه يَحرُسُ رسولَ الله ﷺ ويُطِيفُ بالقُبّةِ حتّى أصبَحَ

---

(١) الجراب: وعاء من جلد يُحفَظ فيه الزاد ونحوه.

(٢) إسناده ضعيف لإبهام شيخ ابن إسحاق فيه.

وقد صحَّ أصل الخبر عن عبد الله بن مغفَّل بغير هذا السياق، فقد رواه شعبةُ فيما أخرجه أحمد (٢٠٥٥٥) و(٢٠٥٦٧)، والبخاري (٣١٥٣) و(٤٢١٤) و(٥٥٠٨)، ومسلم (١٧٧٢) (٧٣)، وسليمانُ بن المغيرة فيما أخرجه أحمد أيضاً (١٦٧٩١)، ومسلم (١٧٧٢) (٧٢)، وأبو داود (٢٧٠٢)، والنسائي في «المجتبى» (٤٤٣٥) وفي «الكبرى» (٤٥٠٩)، كلاهما عن حُميد بن هلال، عن عبد الله بن مغفَّل قال ـ واللفظ لسليمان بن المغيرة ـ: دُلّي جراب من شحم يوم خيبر، فالتزمتُه، قلت: لا أعطي أحداً منه شيئاً، قال: فالتفتُّ فإذا رسول الله ﷺ يتبسم، زاد شعبة في حديثه: فاستحييتُ منه.

قال القاضي عياض في «إكمال المُعلِم» ٦/ ١١٤: أجمع علماء المسلمين على إجازة أكل طعام الحربيِّين ما دام المسلمون في دار الحرب، يأخذون منه قدرَ حاجتهم، وجمهورهم على جواز ذلك بإذن الإمام وغير إذنه، وحُكي عن الزهريّ: أنه لا يكون إلا بإذنه، ولم يُوافَق عليه.

رسولُ الله ﷺ، فلمّا رأى مكانَه قال: «ما لكَ يا أبا أيُّوبَ؟» قال: يا رسولَ الله، خِفتُ عليك من هذه المرأة، وكانت امرأةً قد قَتَلتَ أباها وزوجَها وقومَها، وكانت حديثةَ عهدٍ بكُفرٍ، فخِفْتُها عليك. فزَعَموا: أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «اللّهمَّ احفَظْ أبا أيّوبَ كما باتَ يَحفَظُني»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريّ، عن سعيد بن المُسيّب قال: لمّا انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ من خيبرَ فكان ببعض الطَّريقِ قال من آخرِ اللّيل: «مَن رجلٌ يَحفَظُ علينا الفجرَ لَعَلَّنا نَنامُ؟» قال بلالٌ: أنا يا رسول الله أحفَظُه عليك، فنَزَلَ رسولُ الله ﷺ ونَزَلَ النّاسُ فناموا، وقام بلالٌ يُصلِّي، فصلَّى ما شاءَ الله أن يُصلِّيَ، ثمّ استَنَدَ إلى بعيرِه واستَقبَلَ الفجرَ يَرمُقُه، فغَلَبَته عينُه فنامَ، فلم يُوقِظْهم إلّا مَسُّ الشّمسِ، وكان رسولُ الله ﷺ أوّلَ أصحابِه هَبَّ[2]، فقال: «ماذا صَنَعتَ بنا يا بلالُ؟!» قال: يا رسولَ الله، أخَذَ بنفسي الّذي أخذَ بنفسِك، قال: «صَدَقتَ».

ثمّ اقتادَ رسولُ الله ﷺ غيرَ كثيرٍ ثمّ أناخَ فتَوضّأَ وتَوضّأَ النّاسُ، ثمّ أمَرَ بلالاً فأقامَ الصّلاةَ فصَلَّى بالنّاس، فلمّا سَلَّمَ أقبَلَ على النّاس فقال: «إذا نَسِيتُم الصَّلاةَ

(١) خبرٌ حسنٌ ولم يسنده ابن إسحاق، إلا أنه قد روي نحوه عند غيره من أوجُهٍ يشدُّ بعضها بعضاً.

فمنها ما أخرجه الحاكم (٦٩٥٤) من طريق كثير بن زيد، عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة قال: لما دخل رسول الله ﷺ بصفيّة بات أبو أيوب على باب النبي ﷺ، فلما أصبح فرأى رسول الله ﷺ كبَّر، ومع أبي أيوب السيفُ، فقال: يا رسول الله، كانت جاريةً حديثةَ عهدٍ بعُرسٍ، وكنتَ قتلتَ أباها وأخاها وزوجها، فلم آمنها عليك، فضحك رسول الله ﷺ وقال له خيراً. وإسناده محتمل للتحسين في المتابعات والشواهد. وانظر تتمّة الكلام عليه في «مستدرك الحاكم» طبعة دار الرسالة العالمية.

(٢) هبَّ، أي: استيقظ.

فصَلُّوها إذا ذَكَرتُموها، فإنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾» [طه: ١٤][1].

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله ﷺ ـ فيما بَلَغَني ـ قد أعطَى ابنَ لُقَيمٍ العَبْسيَّ حين افتَتَحَ خيبرَ ما بها من دجاجةٍ أو داجِنٍ[2]، وكان فتحُ خيبرَ في صَفَرٍ، فقال ابن لُقَيمٍ العَبْسيُّ في خيبر:

رُمِيَت نَطَاةُ من الرّسولِ بفَيلَقٍ ... شَهباءَ ذاتِ مناكِبٍ وفَقَارِ[3]

واستَيقَنَت بالذُّلِّ لمّا شُيّعَت ... ورجالُ أسلَمَ وَسْطَها وغِفارِ[4]

صَبَحَت بني عمرِو بنِ زُرْعةَ غُدْوةً ... والشَّقُّ أظلَمَ أهلُه بنهارِ[5]

---

(١) حديث صحيح، وقد وصله عن ابن إسحاق بذكر أبي هريرة فيه يعلى بنُ عبيدٍ الطَّنافسي عند النسائي في «المجتبى» (٦١٨)، وابن عبد البر في «التمهيد» ٦/ ٣٨٦-٣٨٧.

وهو محفوظ من حديث ابن المسيّب عن أبي هريرة، فقد رواه غير واحدٍ عن الزهري عنه كذلك فيما أخرجه مسلم (٦٨٠) (٣٠٩)، وأبو داود (٤٣٥) و(٤٣٦)، وابن ماجه (٦٩٧)، والترمذي (٣١٦٣)، والنسائي (٦١٩)، وابن حبان (٢٠٦٩)؛ وبعضهم يزيد فيه على بعض.

وبنحوه مختصراً ـ ولم يصرّح أن ذلك بخيبر ـ رواه أبو حازم الأشجعي عن أبي هريرة فيما أخرجه أحمد (٩٥٣٥)، ومسلم (٦٨٠) (٣١٠)، والنسائي (٦٢٣)، وابن حبان (٢٦٥١).

(٢) الداجن: كل ما أَلِفَ الناسَ في بيوتهم، كالشاة التي تُعلَف والدجاج والحمام.

(٣) نطاة: من حصون خيبر. والفيلق: الجيش، أو الكتيبة العظيمة منه. والشهباء: الكثيرة السلاح تلمع بها السيوف والأسنّة. وذات مناكب وفقار، أي: شديدة متينة.

(٤) شُيِّعت: فُرِّقت.

(٥) الشّق: من حصون خيبر. ويريد بإظلام أهله: ما أصابهم من شدة وسوء حال. وبنو عمرو ابن زرعة لم نقف على المراد بهم، إلا أن يكون أراد أن ساكني خيبر من اليهود هم من بني عمرو ابن زرعة، وهو الظاهر، وبذلك يردّهم إلى أصول عربيّة، وقد تقدم ص٤٤٤ قول ابن هشام في =

جَـرَّت بأبطَحِهـا الـذُّيولُ فلـم تَـدَعْ ... إلّا الـدَّجاجَ تَصـيحُ بالأسـحارِ[1]

ولكـلِّ حِصـنٍ شـاغلٌ مـن خـيلِهِمْ ... مـن عبـدِ الأشـهَلِ أو بنـي النَّجّـارِ

ومُهـاجِرينَ قـدَ اْعلَمُـوا، سِـيماهُمُ ... فـوقَ المَغـافرِ: لـم يَنُـؤْ لِفِـرارِ[2]

ولقـد عَلِمـتُ لَيَغلِـبَنَّ محمّـدٌ ... ولَيَثْـوِيَنَّ بهـا إلـى أَصـفارِ[3]

فَـرَّتْ يهـودُ يـومَ ذلـك في الـوَغَى ... تحـت العَجَـاجِ غمـائمَ الأبصـارِ[4]

قال ابن هشام: فَرَّتْ، يريد: كَشَفَت الجفونَ عن العين، كما تُفَرُّ الدّابّةُ بالكَشْف عن أسنانها، وقوله: غَمائمَ الأبصار: جُفُون العُيون[5].

= مرحبٍ اليهودي أنه كان من حِميَر، والله تعالى أعلم.

(١) الأبطح: المكان الواسع السهل.

(٢) سيماهم: علامتهم. والمغافر: جمع مِغفَر، وهو شبيه بحَلَق الدّرع يجعل على الرأس يُتَّقى به في الحرب. وقوله: لم يَنُؤْ لفرار، هكذا هو في (ت) و(ش٢) و(ص) و(ط) و(غ) و(ف) و(ي) بالهمز، يعني أن كل واحد منهم كأن علامته على مِغفَره: لم ينؤ لفرار، أي: لم ينهض للفرار، وفي (ش١) و(ق٢) و(م): لم يَنُوا، بلا همز، وعليه شرح أبو ذر الهرويُّ في «إملائه» ص٣٤٨ فقال: أي: لم يضعفوا ولم يَفتُروا.

(٣) ليثوينّ: ليقيمنّ. وأصفار: جمع صَفَر، وهو الشهر المعروف.

(٤) الوغى: الحرب. والعَجَاج: الغبار. والغمائم: جفون العيون كما سيأتي.

قال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٥٦٨: وهو بيتٌ مُشكِل غير أنّ في بعض النسخ ـ وهي قليلة ـ عن ابن هشام أنه قال: فَرَّت: فَتَحَت، من قولك: فَرَرتُ الدابّةَ، إذا فتحتَ فاها. وغمائمَ الأبصار، هي مفعول فَرَّت، وهي جفون أعينهم، هذا قولٌ، وقد يصحُّ أن يكون فَرَّتْ من الفِرار، وغمائم الأبصار من صفة العَجَاج: وهو الغبار، ونصبه على الحال من العَجَاج، وإن كان لفظه لفظَ المعرفة عند من ليس بشادٍ في النحو، ولا ماهرٍ في العربية، وأما عند أهل التحقيق، فهو نَكِرة، لأنه لم يُرِدِ الغمائمَ حقيقةً، وإنما أراد: مثلَ الغمائم.

(٥) قوله: وقوله غمائم... إلخ، من (غ) و(ش١) و(ش٢).

قال ابن إسحاق: وشَهِدَ خيبرَ مع رسول الله ﷺ نساءٌ من نساءِ المسلمين، فرَضَخَ لهنَّ[1] رسولُ الله ﷺ من الفَيْءِ ولم يَضرِبْ لهنّ بسَهْم.

قال ابن إسحاق: حدّثني سليمانُ بن سُحَيمٍ، عن أُميّة بنت أبي الصَّلْت، عن امرأةٍ من بني غِفارٍ قد سمَّاها لي، قالت: أتيتُ رسولَ الله ﷺ في نِسْوةٍ من بني غِفارٍ فقلنا: يا رسول الله، قد أرَدْنا أن نَخرُجَ معك إلى وجهِك هذا، وهو يَسيرُ إلى خيبر، فنُداوِي الجَرْحى، ونُعِينُ المسلمين بما استَطَعْنا، فقال: «على بَرَكةِ الله».

قالت: فخرجنا معه، وكنت جاريةً حَدَثةً فأردَفَني رسولُ الله ﷺ على حَقِيبة رَحْلِه[2]، قالت: فوالله لنَزَلَ رسولُ الله ﷺ إلى الصُّبح وأناخَ، ونَزَلتُ عن حَقِيبة رَحْلِه وإذا بها دمٌ منّي، وكانت أوّلَ حَيضةٍ حِضتُها، قالت: فتَقَبَّضتُ إلى الناقةِ واستَحيَيتُ، فلمّا رأى رسولُ الله ﷺ ما بي ورأى الدّمَ قال: «ما لكِ؟ لَعلَّكِ نُفِسْتِ[3]» قالت: قلت: نَعَم، قال: «فأَصلِحي من نفسِك، ثمّ خُذِي إناءً من ماءٍ فاطرَحِي فيه مِلْحاً، ثمّ اغسِلِي به ما أصابَ الحَقِيبةَ من الدَّمِ ثمَّ عُودِي لمَركَبِك».

قالت: فلمّا فَتَحَ رسولُ الله ﷺ خيبرَ، رَضَخَ لنا من الفَيءِ وأخَذَ هذه القِلادةَ التي تَرَينَ في عُنُقي فأَعطانيها، وعَلَّقَها بيده في عُنُقي، فوالله لا تُفارِقُني أبداً.

قالت: فكانت في عُنُقِها حتّى ماتت ثمّ أَوصَت أن تُدفَنَ معها. قالت: وكانت لا تَطَهَّرُ من حَيضةٍ إلّا جَعَلَت في طَهُورِها مِلْحاً، وأَوصَت به أن يُجعَلَ في غُسلِها حين ماتت[4].

---

(١) رضخ لهن: أعطاهنّ عطاءً يسيراً، لم يصل إلى نصيب السهم.

(٢) الحقيبة: ما يجعله الراكب وراءَه إذا ركب. والرَّحْل للبعير كالسَّرج للفرس.

(٣) نُفِستِ، أي: حِضْتِ.

(٤) إسناده ضعيف لجهالة أمية بنت أبي الصلت، فإنه لم يرو عنها غير سليمان بن سحيم، =

قال ابن إسحاق: وهذه تسميةُ مَن استُشهِدَ بخيبر من المسلمين من قريشٍ ثمّ من بني أُميّة بن عبد شمسٍ، ثمّ من حُلَفائهم: رَبِيعةُ بن أكثَمَ بن سَخْبَرة بن عمرو ابن لُكَيز[1] بن عامر بن غَنْم بن دُودَانَ بن أَسَدٍ، وثَقْفُ بن عمرو، ورِفاعةُ بن مسروح.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزّى[2]: عبدُ الله بنُ الهُبَيب - ويقال: ابن الهَبيب فيما قال ابن هشام - بنِ أُهَيْب بن سُحَيم بن غِيَرةَ، من بني سعد بن ليثٍ حَليفٌ لبني أَسَدٍ وابنُ أُختهم.

ومن الأنصار ثمّ من بني سَلِمةَ: بِشرُ بن البَراءِ بن معرورٍ، مات من الشّاة التي سُمَّ فيها رسولُ الله ﷺ، وفُضَيلُ بن النُّعمان؛ رجلانِ.

ومن بني زُرَيقٍ: مسعودُ بن سعد بن قيس بن خَلْدة بن عامر بن زُرَيق.

ومن الأوس ثمّ من بني عبد الأشهَلِ: محمودُ بن مَسلَمة بن خالد بن عَدِيّ بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث، حليفٌ لهم من بني حارثة.

= ولا تُعرَف إلا بهذا الحديث كما قال الذهبي في «الميزان»، وقال ابن حجر في «التقريب»: لا يُعرَف حالها.

وأخرجه أحمد (٢٧١٣٦)، وأبو داود (٣١٣) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

(١) في (ش٢): بكير، وعلى حاشيتها: لكيز. وانظر «أسد الغابة» لابن الأثير ٢/ ٥٦.

(٢) يعني: ابن قُصيّ القرشي، وكذلك قال ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٢٣٠ وغيرُه، وذكر أن أمّ عبد الله بن الهُبيب هذا هي أمُّ نوفل بن نوفل بن خويلد بن أسد، وأغرَبَ ابنُ عبد البر في «الاستيعاب» ص٤٤١ فذكر أنه حليفٌ لبني أسد بن خزيمة، وتابعه على ذلك ابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٣٠٥.

وذكر الواقديُّ وصاحبه ابن سعد: أن ابن الهبيب هذا استُشهِد بأُحدٍ وليس بخيبر، وقولُ ابن إسحاق ومن تبعه أَولى فيما قاله ابن حجر في «الإصابة» ٤/ ٢٥٤.

ومن بني عمرو بن عَوفٍ: أبو ضَيّاح بن ثابت بن النُّعمان بن أُميّة بن امرِئِ القيس بن ثَعْلبة بن عمرو بن عوفٍ، والحارثُ بن حاطبٍ، وعُرْوةُ بن مُرَّة بن سُرَاقة، وأوسُ بن الفائدِ[1]، وأُنَيفُ بن حَبيبٍ، وثابتُ بن إِثْلةَ، وطلحةُ[2].

ومن بني غِفارٍ: عُمَارةُ بن عُقبة، رُمي بسهمٍ.

ومن أسلَمَ: عامرُ بن الأكوَعِ، والأسوَدُ الرّاعي، وكان اسمه أسلَمَ.

قال ابن هشام: الأسودُ الرّاعي من أهل خيبرَ.

وممَّن استُشهِدَ بخيبرَ فيما ذكر ابنُ شِهابٍ الزُّهْريّ من بني زُهْرةَ: مسعودُ بن رَبيعة حليفٌ لهم من القارَةِ، ومن الأنصار من بني عمرو بن عوفٍ: أوسُ بن قَتَادة.

أمرُ الأسوَدِ الرّاعي في حديث خيبر

قال ابن إسحاق: وكان من حديث الأسوَد الرّاعي ـ فيما بَلَغَني ـ: أنه أَتى رسولَ الله ﷺ وهو مُحاصِرٌ لبعض حصون خيبر، ومعه غنمٌ له كان فيها أَجيراً لرجلٍ من يهودَ، فقال: يا رسول الله، اعرِضْ عليَّ الإسلامَ، فعَرَضَه عليه فأسلَمَ ـ وكان رسولُ الله ﷺ لا يَحقِرُ أحداً أن يدعوَه إلى الإسلام ويَعرِضَه عليه ـ فلمّا أسلَمَ قال: يا رسول الله، إنّي كنت أَجيراً لصاحبِ هذه الغَنَمِ، وهي أمانةٌ عندي، فكيف أصنَعُ بها؟ قال: «اضرِبْ في وُجوهِها، فإنَّها ستَرجِعُ إلى رَبِّها» ـ أو كما قال ـ فقام الأسوَدُ فأخذَ حَفْنةً من

(١) تصحَّف في بعض النسخ إلى: القائد، بالقاف. وانظر «أسد الغابة» ١/ ١٧٤، و«الإصابة» ١/ ١٥٩.

(٢) وهكذا ذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» ٢/ ٤٧٤ وابن حجر في «الإصابة» ٣/ ٥٣٧ غير منسوب، ونسبه أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٤٨ فقال: هو طلحة بن يحيى بن مليل بن ضمرة، ناقلاً ذلك عن أبي علي الغسّاني، وهذا قولٌ غريب، ولم نقف في كتب الصحابة والرجال عامّة على من يُسمَّى من الصحابة بهذا الاسم.

الحَصْباء فرَمَى بها في وجوهِها، وقال: ارجِعي إلى صاحبِك، فوالله لا أصحَبُك، وخَرَجَت مُجتمِعةً كأنّ سائقاً يَسُوقُها حتّى دَخَلَت الحِصنَ، ثمّ تقدَّمَ إلى ذلك الحصن ليقاتلَ مع المسلمين، فأصابه حجرٌ فقتله وما صَلَّى لله صلاةً قَطُّ، فأُتي به رسولُ الله ﷺ، فوُضِعَ خَلْفَه وسُجِّيَ بشَمْلةٍ[1] كانت عليه، فالتَفَتَ إليه رسولُ الله ﷺ ومعه نَفَرٌ من أصحابه ثمّ أعرَضَ عنه، فقالوا: يا رسول الله، لِمَ أعرَضتَ عنه؟ قال: «إنَّ معه الآنَ زَوجَتَيهِ من الحُورِ العِينِ»[2].

قال ابن إسحاق: وأخبرني عبدُ الله بن أبي نَجيحٍ أنّه ذُكِرَ له: أنّ الشَّهيدَ إذا ما أُصِيبَ تَدَلَّت له زوجتاهُ من الحُورِ العِينِ عليه تَنفُضانِ التُّرابَ عن وجهِه وتقولان: تَرَّبَ اللهُ وجهَ مَن تَرَّبَك، وقَتَلَ مَن قَتَلَك[3].

أمرُ الحجّاج بن عِلَاطٍ السُّلميّ

قال ابن إسحاق: ولمّا فُتِحَت خيبرُ، كَلَّمَ رسولَ الله ﷺ الحَجّاجُ بن عِلَاطٍ

---

(١) أي: غُطِّي بكساء كان عليه.

(٢) خبر ضعيف ولم يسنده ابن إسحاق، ورواه يونس بن بكير عنه فيما أخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» ١/ ٩٢ و٤/ ٧٣٩، فجعله من روايته عن أبيه إسحاق بن يسار، وهو من صغار التابعين، فحديثه إما مرسل أو معضل.

(٣) عبد الله بن أبي نجيح ثقة من أتباع التابعين، وهو هنا لم يبيِّن إسناده فيه، فهو في حكم المُعضَل، وهو ضعيف.

وقد روى الحاكم (٦٢٠٦) بإسناد رجاله ثقات عن يزيد بن شجرة الرُّهاوي موقوفاً عليه من قوله ـ ويزيد هذا تابعيّ من أمراء الجيوش بالشام ـ قال: إن أحدكم إذا أقبل (أي: إلى القتال) كانت أول نَفْحة من دمه تحطُّ عنه خطاياه كما يُحَطّ ورقُ الشجر، وتنزل إليه ثنتان من الحُور العِين فتمسحان الغبارَ عن وجهه، فيقول لهما: أَنَى (أي: حان) لكما، وتقولان: لا، بل أَنى لك، ويُكسَى مئة حُلّة.

السُّلَميُّ ثمّ البَهْزيُّ فقال: يا رسول الله، إنّ لي بمكّة مالاً عند صاحبتي أمِّ شَيْبة بنت أبي طَلْحة ـ وكانت عنده له منها مُعرِّضُ بن الحجّاج ومالٌ مُتفرِّقٌ في تُجّار أهلِ مكّة ـ فأذَنْ لي يا رسول الله، فأَذِنَ له، قال: إنّه لا بُدَّ لي يا رسولَ الله من أن أقولَ[1]، قال: «قُلْ».

قال الحجّاجُ: فخرجتُ حتّى إذا قَدِمتُ مكّةَ وَجَدتُ بثَنيَّةِ البَيضاءِ[2] رجالاً من قريشٍ يتسمَّعون الأخبارَ ويَسأَلون عن أمرِ رسول الله ﷺ، وقد بَلَغَهم أنّه قد سارَ إلى خيبرَ، وقد عَرَفوا أنّها قريةُ الحِجازِ رِيفاً[3] ومَنَعةً ورجالاً، فهم يَتحسَّسُون الأخبارَ ويَسأَلون الرُّكْبان، فلمّا رأَوني قالوا: الحجّاجُ بن عِلَاطٍ ـ قال: ولم يكونوا عَلِموا بإسلامي ـ عنده واللهِ الخَبَرُ، أخبِرْنا يا أبا محمّد، فإنّه قد بَلَغَنا أنّ القاطعَ قد سارَ إلى خيبرَ، وهي بلدُ يهودَ ورِيفُ الحجاز، قال: قلت: قد بَلَغَني ذلك وعندي من الخبر ما يَسُرُّكم، قال: فالتَبَطُوا بجنبَيْ ناقتي[4] يقولون: إيهِ يا حجّاجُ، قال: قلت: هُزِمَ هزيمةً لم تسمعوا بمِثلِها قَطُّ، وقُتِلَ أصحابُه قتلاً لم تسمعوا بمِثلِه قَطُّ، وأُسِرَ محمّدٌ أَسراً، وقالوا: لا نَقتُلُه حتّى نَبعَثَ به إلى مكّة[5] فيقتلوه بين أظهُرِهم بمَن كان أصابَ من رجالهم، قال: فقاموا وصاحُوا بمكّة وقالوا: قد جاءَكم الخبرُ، وهذا محمّدٌ إنّما

---

(١) يعني أن يقول ما ظاهره فيه إساءة وذمٌّ في المسلمين.

(٢) وهي ثنيّة التنعيم، وقد تقدّم التعريف بها ٢/ ١٧.

(٣) الرِّيف: كل أرض فيها زرع ونخل وماء.

(٤) التبَطُوا بجنبَي ناقتي، أي: سَعَوا إلى جنبيها ملازمين لها، مُطِيفين بها مزدحمين حولَها. وقولهم: إيهِ، أي: زِدْنا من هذا الحديث، وهو اسم فعل أمرٍ بغير تنوينٍ إذا استزدتَ مخاطبَك من حديث معيَّن، فإذا أردت غيرَ معيَّن قلتَ: إيهٍ، بالتنوين.

(٥) في (غ): إلى أهل مكة.

تَنتظِرون أن يُقدَمَ به عليكم فيُقتَلَ بين أظهُرِكم.

قال: قلت: أَعِينوني على جَمْع مالي بمكّةَ على غُرَمائي، فإنّي أُريدُ أن أَقدَمَ خيبرَ فأُصيبَ من فَلِّ[1] محمّدٍ وأصحابِه قبلَ أن يَسبِقَني التُّجّارُ إلى ما هنالك.

قال ابن هشام: ويقال: من فَيءِ محمّد.

قال ابن إسحاق: قال: فقاموا فجَمَعُوا لي مالي كأَحَثِّ[2] جَمْعٍ سمعتُ به، قال: وجئتُ صاحبتي فقلت: مالي ـ وقد كان لي عندها مالٌ موضوعٌ ـ لَعَلِّي أَلحَقُ بخيبرَ فأُصيبُ من فُرَص البيع قبلَ أن يَسبِقَني التُّجّارُ.

قال: فلمّا سَمِعَ العبّاسُ بن عبد المطَّلِب الخبرَ وجاءَه عنّي، أقبَلَ حتّى وَقَفَ إلى جَنْبي وأنا في خيمةٍ من خِيامِ التُّجّار، فقال: يا حجّاجُ، ما هذا الّذي جئتَ به؟! قال: فقلت: وهل عندك حِفظٌ لمَا وَضَعتُ عندَك؟ قال: نعم، قال: قلت: فاستأخِرْ عنّي حتّى ألقاكَ على خَلاءٍ، فإنّي في جَمْع مالي كما تَرَى، فانصَرِفْ عنّي حتّى أفرُغَ. قال: حتّى إذا فَرَغتُ من جَمْع كلِّ شيءٍ كان لي بمكّة وأجمَعتُ الخروجَ، لَقِيتُ العبّاسَ فقلت: احفَظْ عليَّ حديثي يا أبا الفضل، فإنّي أخشَى الطَّلَبَ، ثلاثاً، ثمّ قُلْ ما شئتَ، قال: أفعلُ، قلت: فإنّي والله لقد تَرَكتُ ابنَ أخيك عَرُوساً على بنتِ مَلِكِهم ـ يعني صفيَّةَ بنتَ حُيَيّ ـ ولقد افتَتَحَ خيبرَ وانتَثَلَ[3] ما فيها، وصارت له ولأصحابه، فقال: ما تقولُ يا حجّاجُ؟! قال: قلت: إي واللهِ، فاكتُمْ عنّي، ولقد أسلَمتُ، وما جئتُ إلّا لأخذِ مالي فَرَقاً من أن أُغلَبَ عليه، فإذا مَضَتْ ثلاثٌ فأظهِرْ أمرَك، فهو واللهِ على ما تُحِبُّ.

---

(١) الفَلُّ: القوم المنهزمون.

(٢) كأحث، أي: كأسرع.

(٣) انتَثَل، أي: استخرج.

قال: حتّى إذا كان اليومُ الثّالثُ لَبِسَ العبّاسُ حُلّةً له وتَخلَّقَ[1]، وأخذَ عصاهُ ثمّ خرج حتّى أتى الكعبةَ فطافَ بها، فلمّا رَأَوه قالوا: يا أبا الفضل، هذا والله التّجلُّدُ لحَرِّ المصيبة، قال: كلَّا، واللهِ الّذي حَلَفتُم به لقد افتَتَحَ محمّدٌ خيبرَ وتُرِكَ عَرُوساً على بنتِ مَلِكِهم، وأحرَزَ أموالَهم وما فيها فأصبَحَت له ولأصحابه، قالوا: مَن جاءَك بهذا الخبرِ؟ قال: الذي جاءَكم بما جاءَكم به، ولقد دَخَلَ عليكم مُسلِماً فأخذَ مالَه فانطَلَقَ ليَلحَقَ بمحمّدٍ وأصحابه فيكونَ معه، قالوا: يا لَعِبادِ الله انفَلَتَ عدوُّ الله، أمَا والله لو عَلِمْنا لكان لنا وله شأنٌ، قال: ولم يَنشَبُوا[2] أن جاءَهم الخبرُ بذلك[3].

وكان ممّا قيلَ من الشِّعر في يومِ خيبرَ قولُ حسّانَ بن ثابتٍ[4]:

بِئسَما قاتَلَت خيابرُ عمَّا ... جَمَّعُوا من مَزارعٍ ونخيلِ[5]

كَرِهوا الموتَ فاستُبيحَ حِماهُمْ ... وأقَرُّوا فِعلَ اللّئيمِ الذّليلِ

أمنَ الموتِ يَهرُبون فإنَّ الـ ... ـموتَ موتُ الهُزَالِ غيرُ جميلِ

وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً[6]، وهو يَعذِرُ أيمنَ ابنَ أمِّ أيمنَ بنِ عُبيدٍ، وكان قد

---

(١) تخلَّق: تطيَّب بالخَلُوق، وهو نوع من الطِّيب.

(٢) لم يَنشَبوا، أي: لم يَلبَثوا غيرَ قليل.

(٣) خبر الحجاج بن عِلاط خبر صحيح.

فقد أخرج نحوه بطوله أحمد (١٢٤٠٩)، وابن حبان (٤٥٣٠) من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ثابت، عن أنس بن مالك. وهذا إسناد رجاله ثقات عن آخرهم، وروى بعضاً منه النسائي في «الكبرى» (٨٥٩٢).

(٤) انظر «ديوانه» ١/ ٣٦٩.

(٥) خيابر: جمع خيبر، ويريد أهل خيبر.

(٦) انظر «ديوانه» ١/ ٢٩٠.

تَخلَّفَ عن خيبر، وهو من بني عَوْف بن الخَزرَج، وكانت أمُّه أمُّ أيمنَ مولاةَ رسولِ الله ﷺ، وهي أمُّ أُسامة بن زيدٍ، فكان أخا أُسامة لأُمّه:

على حينِ أن قالت لأيمنَ أمُّهُ ... جَبُنتَ ولم تَشهَدْ فوارسَ خَيبَرِ

وأيمنُ لم يَجبُنْ ولكنَّ مُهرَهُ ... أضَرَّ به شُربُ المَديدِ المُخمَّرِ[1]

ولولا الّذي قد كان من شأنِ مُهرِهِ ... لقاتلَ فيهمْ فارساً غيرَ أعسرِ[2]

ولكنَّه قد صَدَّه فِعلُ مُهرِهِ ... وما كان منه عندَه غيرُ أيسَرِ[3]

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيدٍ هذه الأبيات لكعب بن مالكٍ، وأنشدني:

ولكنَّه قد صَدَّه شأنُ مُهرِه ... وما كان لولا ذاكمُ بمُقصِّرِ

قال ابن إسحاق: وقال ناجيةُ بن جُندُبٍ الأسلَميّ:

يا لَعِبادِ الله فيمَ نَرغَبُ ... ما هوَ إلّا مَأكلٌ ومَشرَبُ

وجنّةٌ فيها نعيمٌ مُعجِبُ

وقال ناجيةُ بن جُندُبٍ الأسلَميّ أيضاً:

أنا لِمَن أنكَرَني ابنُ جُندُبِ ... يا رُبَّ قِرْنٍ في مَكَرِّي أنكَبِ[4]

---

(١) المديد: الدقيق يُخلَط مع الماء فتشربه الخيل، والمخمَّر: الذي تُرك حتى يختمر. قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٤٩، وقال ابن دريد في «جمهرة اللغة» ٢/ ٩٩٣-٩٩٤ وذكر هذا البيت: ويروى: المَرِيد، وذكر فيه ٢/ ٧٢١: أن المَريد والمَريس واحد، وهو التمر المنقوع الممروس في الماء أو اللبن.

(٢) الأعسر: الذي يعمل بالشِّمال ولا يعمل باليمين.

(٣) صدَّه: منعه. والأيسر: هو الفرس المصنوع المنظور إليه الذي عُنيَ به صاحبه حتى سمن.

(٤) القِرن: نظير الرجل وكُفؤه في الشجاعة. والمَكَرّ: الموضع الذي تَكُرُّ (أي: ترجع) فيه الخيل في الحرب. والأنكَبُ: المائل إلى جهة.

طـاحَ بمَغـدَى أنسُـرٍ وثَعلَـبِ[1]

قال ابن هشام: وأنشدني بعضُ الرُّواة للشِّعر قوله: في مَكَرِّي، وطاحَ بمَغدَى.

وقال كعبُ بن مالكٍ في يومِ خيبر، فيما ذكر ابنُ هشام عن أبي زيدٍ الأنصاريِّ:

ونحـنُ وَرَدْنـا خَيبَـراً وفُروضَـهُ بكـلِّ فتًى عـارِي الأشـاجعِ مِـذوَدِ[2]

جَوادٍ لَدَى الغاياتِ لا واهنِ القُوَى جَريءٍ على الأعداءِ في كـلِّ مَشهَدِ[3]

عظـيمِ رَمـادِ القِـدْرِ في كـلِّ شَـتْوةٍ ضَـروبٍ بنَصْـلِ المَشـرَفِيِّ المُهنَّـدِ[4]

يَرَى القتلَ مَدْحاً إن أصابَ شهادةً مـن اللهِ يَرجُوهـا وفـوزاً بأحمـدِ

يَـذُودُ ويَحمِـي عـن ذِمَـارِ محمّـدٍ ويـدفعُ عنـه باللّسـانِ وباليـدِ[5]

ويَنصُـرُه مـن كـلِّ أمـرٍ يَرِيبُـه يَجُـودُ بـنفسٍ دون نفـسِ محمَّـدِ

يُصـدِّقُ بالأنبـاءِ بالغيـبِ مُخلِصـاً يريـدُ بـذاكَ الفـوزَ والعِـزَّ في غَـدِ

---

(١) طاح: ذهب وهلك. وأنسُر: جمع نَسْر، وهو الطائر المعروف. والمَغدَى: المكان الذي تغدو إليه لتقتات على فرائسها. ومن رواه بالذال فهو من الغذاء.

(٢) الفروض: هي المواضع التي يشرب منها من الأنهار ومجاري العيون، واحدها: فُرْضة. والأشاجع: العروق الممدودة بين الرسغ إلى أصول الأصابع فوق ظهر الكفّ، واحدها: أشجَعُ، وقوله: عاري الأشاجع، كناية عن الشدّة والشجاعة. ومِذوَد، أي: مانع.

(٣) الغايات: جمع غاية، وهي هنا المنتهى في كمال الأخلاق والفِعال الحسنة. والواهن: الضعيف. والمَشهَد: القتال.

(٤) قوله: عظيم رماد القِدر، هو كناية عن الجود والكرم، في كلّ شتوة حيث تقلُّ الأزواد. والمَشرَفي: السيف، منسوب إلى مَشارف الشام، أي: أريافه، حيث هو مصنوع فيها. والمهند: المصنوع من حديد الهند.

(٥) يذود، أي: يمنع ويدفع. والذِّمار: هو كل ما ينبغي على المرء حمايته من دين وعِرض وغيرهما.

ذكرُ مَقاسِم خيبرَ وأموالِها

قال ابن إسحاق: وكانت المَقاسِمُ على أموال خيبرَ على الشَّقِّ ونَطَاةَ والكَتِيبة، فكانت الشَّقُّ ونَطاةُ في سُهْمان المسلمين، وكانت الكتيبةُ خُمسَ الله وسهمَ النبيِّ ﷺ وسهمَ ذوي القُربَى واليتامى والمساكين وطُعْمَ أزواجِ النبيِّ ﷺ[1]، وطُعمَ رجالٍ مَشَوْا بين رسول الله ﷺ وبين أهلِ فَدَكَ بالصُّلح، منهم مُحيِّصةُ بن مسعودٍ، أعطاه رسولُ الله ﷺ منها ثلاثين وَسْقاً[2] من شَعيرٍ وثلاثين وَسْقاً من تمرٍ.

وقُسِمَت خيبرُ على أهلِ الحُدَيبيَة، مَن شَهِدَ خيبرَ ومَن غاب عنها، ولم يَغِبْ عنها إلّا جابرُ بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام، فقَسَمَ له رسولُ الله ﷺ كسَهْمِ مَن حَضَرَها[3]، وكان وادياها واديَ السُّرَير ووادِيَ خاصٍ[4]، وهما اللّذانِ قُسِمَت عليهما خيبرُ، وكانت نَطاةُ والشَّقّ ثمانيةَ عَشَرَ سهماً، نَطاةُ من ذلك خمسةُ أسهمٍ والشَّقُّ ثلاثةَ عَشَرَ سهماً، وقُسِمَت الشَّقُّ ونَطاةُ على ألفِ سهمٍ وثمانِ مئة سهم.

وكانت عِدّةُ الّذين قُسِمَت عليهم خيبرُ من أصحاب رسول الله ﷺ ألفَ سهمٍ

---

(١) روى بُشير بن يسار مولى الأنصار عن رجال من أصحاب النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ لمّا ظهر على خيبر قسمها على ستة وثلاثين سهماً، جمع كلُّ سهم مئةَ سهم، فكان لرسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك، وعزل النصف الباقي لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس. أخرجه أحمد (١٤٤١٧)، وأبو داود (٣٠١٢)، وإسناده صحيح. وانظر «معالم السنن» للخطّابي ٣/ ٣١.

(٢) الوَسْق: ستّون صاعاً، والصاع: أربعة أمداد، والمدُّ من الشعير أو البُرّ: ٥٤٤ غم تقريباً، وعليه فالصاع يزن ٢,١٧٦ كغم، والوَسْق يزن ١٣٠,٥ كغم تقريباً.

(٣) تقدّم ص٤٣٩-٤٤٠ تحريرُ القول في شهود جابرٍ لخيبر.

(٤) ذكر عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص١٥٧: أن واديا خيبر الرئيسين اسمهما اليوم الصُّوير وأبو وشيع، قال: فلعلّهما هما.

وثمانِيَ مئةِ سهمٍ برِجالِهم وخيلِهم؛ الرّجالُ أربعَ عَشْرةَ مئةٍ والخيلُ مِئَتا فرسٍ، فكان لكلِّ فرسٍ سَهمانِ ولفارسه سهمٌ، وكان لكلِّ راجلٍ سهمٌ، فكان لكلِّ سهمٍ رأسٌ جُمِعَ إليه مئةُ رجلٍ، فكانت ثمانيةَ عَشَرَ سهماً جُمَعَ[1].

قال ابن هشام: وفي يوم خيبرَ عَرَّبَ رسولُ الله ﷺ العربيَّ من الخيل، وهَجَّنَ الهَجِين[2].

قال ابن إسحاق: فكان عليُّ بن أبي طالبٍ رأساً، والزُّبَيرُ بن العَوّام، وطلحةُ بن عُبيد الله، وعمرُ بن الخَطّاب، وعبدُ الرَّحمن بن عَوفٍ، وعاصمُ بن عَديٍّ أخو بني العَجْلان، وأُسَيدٌ[3]، وسهمُ الحارثِ بن الخَزرَج، وسهمُ ناعمٍ[4]، وسهمُ بني بَيَاضةَ، وسهمُ بني عُبيدٍ، وسهمُ بني حَرامٍ من بني سَلِمةَ، وعُبَيدُ السِّهَام.

قال ابن هشام: وإنّما قيل له: عُبَيدُ السِّهام، لِمَا اشتَرَى من السِّهام يومَ خيبر، وهو عُبيدُ بن أَوسٍ أحدُ بني حارثة بن الحارث بن الخَزرَج بن عمرو بن مالك بن الأَوس.

---

(١) جُمَع: جمع جَمْعاءَ في توكيد المؤنَّث، غير مصروف.

(٢) الهَجين من الخيل: الذي ولدته فرسٌ غير عربيّة من حصان عربيّ.

ومعنى كلام ابن هشام هذا: أن النبيَّ ﷺ أسهَمَ للعربيِّ من الخيل سهمين وللهجين سهماً، نصَّ على ذلك خالدُ بن مَعْدان ومكحولٌ الشامي فيما رواه أبو داود في «المراسيل» (٢٨٦) و(٢٨٧) عنهما، وهما خبران مرسلان لا بأس برجالهما، وخالد ومكحول تابعيّان ثقتان.

وقد أغرَبَ الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٦٨٨ فنقل عن بعض أهل العلم: أنه لم يكن الهجينُ من الخيل على عهد رسول الله ﷺ، إنما كانت العِرابُ، حتى كان زمنُ عمر بن الخطّاب وفتح العراق والشام.

(٣) زاد في نسخة في (ش١): بن حُضَير.

(٤) يعني حصنَ ناعم، وهو أول ما فُتح من حصون خيبر.

قال ابن إسحاق: وسهمُ ساعدةَ، وسهمُ غِفارٍ وأسلَمَ، وسهمُ النَّجّار، وسهمُ حارثةَ، وسهمُ أَوس.

فكان أوّلُ سهمٍ خرج من خيبرَ بنَطَاةَ سهمَ الزُّبَير بن العَوّام، وهو الخَوْعُ[1]، وتابِعُه السُّرَيرُ، ثمّ كان الثّاني سهمَ بَيَاضة، ثمّ كان الثّالثُ سهمَ أُسَيدٍ، ثمّ كان الرّابعُ سهمَ بني الحارث بن الخَزرَج، ثمّ كان الخامسُ سهمَ ناعمٍ لبني عَوْف بن الخَزرَجِ ومُزَينةَ وشُرَكائهم، وفيه قُتِلَ محمودُ بن مَسلَمة، فهذه نَطَاةُ.

ثمّ هَبَطوا إلى الشَّقِّ، فكان أوّلُ سهمٍ خرج منه سهمَ عاصم بن عَديٍّ أخي بني العَجْلان، ومعه كان سهمُ رسول الله ﷺ، ثمّ سهمُ عبد الرَّحمن بن عوفٍ، ثمّ سهمُ ساعدةَ، ثمّ سهمُ النَّجّار، ثمّ سهمُ عليّ بن أبي طالبٍ رضوان الله عليه، ثمّ سهمُ طلحة ابن عُبيد الله، ثمّ سهمُ غِفارٍ وأسلَمَ، ثمّ سهمُ عمر بن الخَطّاب، ثمّ سهما سَلِمةَ بني عُبيدٍ وبني حَرامٍ، ثمّ سهمُ حارثةَ، ثمّ سهمُ عُبيدِ السِّهَام، ثمّ سهمُ أَوسٍ، وهو سهم اللَّفيفِ جُمِعَت إليه جُهَينةُ ومَن حَضَرَ خيبرَ من سائر العرب؛ وكان حَذْوَه[2] سهمُ رسول الله ﷺ الذي أصابه في سهم عاصمِ بن عَديٍّ.

ثمّ قَسَمَ رسولُ الله ﷺ الكَتِيبةَ، وهي وادي خاصٍ، بين قَرَابتِه وبين نسائِه وبين رجالٍ من المسلمين ونساءٍ أعطاهم منها، فقَسَمَ رسولُ الله ﷺ لفاطمة ابنتِه مئَتَي وَسْقٍ، ولعليّ بن أبي طالبٍ مئةَ وَسْقٍ، ولأُسامةَ بن زيدٍ مئَتَي وَسْقٍ وخمسين وَسْقاً نَوًى، ولعائشةَ مئَتَي وَسْق، ولأبي بكر بن أبي قُحَافة مئةَ وَسْق، ولعَقِيل بن أبي طالبٍ مئةَ وَسْق وأربعين وَسْقاً، ولبني جعفرٍ خمسين وَسْقاً، ولربيعة بن الحارثِ

(١) الخوع: موضع قرب خيبر.

(٢) حَذْوه، أي: بإزائه ومقابله.

مئةَ وَسْقٍ، وللصَّلْتِ بن مَخرَمة وابنَيهِ مئةَ وَسْقٍ للصَّلتِ منها أربعون وَسْقاً، ولأبي نَبْقةَ[1] خمسين وَسْقاً، ولرُكَانةَ بن عبدِ يزيدَ خمسين وَسْقاً، ولقيس بن مَخرَمة ثلاثين وَسْقاً، ولابن القاسمِ بن مَخرَمة أربعين وَسْقاً، ولبناتِ عُبيدة بن الحارث وابنةِ الحُصَين بن الحارث مئةَ وَسْقٍ، ولبني عُبيد بن عبد يزيدَ ستّين وَسْقاً، ولابن أَوس بن مَخرَمة ثلاثين وَسْقاً، ولمِسطَحِ بن أُثَاثةَ وابن إلياسَ خمسين وَسْقاً، ولأمِّ رُمَيثةَ أربعين وَسْقاً، ولنُعيمٍ وهِندٍ[2] ثلاثين وَسْقاً، ولبُحَينةَ بنت الحارث ثلاثين وَسْقاً، ولعُجَير بن عبد يزيدَ ثلاثين وَسْقاً، ولأمِّ الحَكَم[3] ثلاثين وَسْقاً، ولجُمَانةَ بنت أبي طالبٍ ثلاثين وَسْقاً، ولابن الأرقَمِ خمسين وَسْقاً، ولعبد الرَّحمن بن أبي بكرٍ أربعين وَسْقاً، ولحَمْنةَ بنت جَحْشٍ ثلاثين وَسْقاً، ولأُمِّ الزّبَير أربعين وَسْقاً، ولِضُباعة بنتِ الزّبَير أربعين وَسْقاً، ولابن أبي خُنَيسٍ ثلاثين وَسْقاً، ولأمِّ طالبٍ[4] أربعين وَسْقاً، ولأبي نَضْرةَ[5] عشرين وَسْقاً، ولنُمَيلةَ الكَلْبيّ خمسين وَسْقاً،

---

(١) قال السهيليُّ في «الروض» ٦/ ٥٨٤: اسمه علقمة بن المطَّلب، ويقال: عبد الله بن علقمة، وقال أبو عمر بن عبد البر: هو مجهول، وقال ابن الفَرَضي: أبو نبقة بن المطَّلب بن عبد مناف، واسم أبي نبقة عبد الله، ومن ولده أبو الحسين المطَّلبي إمام مسجد رسول الله ﷺ، وهو يحيى ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن العلاء بن المغيرة بن أبي نبقة بن المطَّلب بن عبد مناف.

(٢) في نسخة في (ش٢) و(م): ولنعيم بن هند!

(٣) وهي بنت الزبير بن عبد المطّلب، وكانت تحت ابن عمّها ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب، وله صحبةٌ أيضاً، وانظر «طبقات ابن سعد» ١٠/ ٤٧.

(٤) وهي بنت أبي طالبٍ أخت عليٍّ، وانظر «طبقات ابن سعد» ١٠/ ٤٨.

(٥) هكذا في (ت) و(ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف) و(ق٢) و(م) و(ي): أبو نضرة، بنون وضاد معجمة، وهكذا نقله ابن الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ٣١٣ عن السيرة، وفي (ص) و(ط): =

ولعبد الله بن وهبٍ وابنَيهِ تسعين وَسْقاً، لابنَيهِ منها أربعين وَسْقاً، ولأمِّ حَبيبٍ بنت جَحْشٍ ثلاثين وَسْقاً، ولمَلْكُوٍّ[1] بن عَبْدة ثلاثين وَسْقاً، ولنسائِه ﷺ سبعَ مئةِ وَسْقٍ[2]:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

ذكرُ ما أعطَى محمّدٌ رسولُ الله ﷺ نساءَه من قمحِ خَيبَرَ: قَسَمَ لهنّ مئةَ وَسْقٍ وثمانين وَسْقاً[3]، ولفاطمةَ بنتِ رسول الله ﷺ خمسةً وثمانين وَسْقاً، ولأسامة بن زيدٍ أربعين وَسْقاً، وللمِقْداد بن الأسود خمسةَ عَشَرَ وَسْقاً، ولأمِّ رُمَيثة خمسةَ أوسُقٍ؛ شَهِدَ عثمانُ بن عفّانَ وعبّاسٌ وكَتَبَ[4].

= أبو بصرة، وهذا عند ابن سعد في «الطبقات» ٥/ ١٠٩ وعدَّه أبا بصرة الغفاري.

(١) هكذا قُيّد بتشديد الواو في (ش١) و(ش٢) و(غ)، وسمّاه الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٦٩٥ وصاحبه ابن سعد في «طبقاته» ٥/ ١٢٧: ملكان بن عبدة، زاد الأخير: الليثي، وقال: كان من السفراء؛ يعني الذين مشوا بين النبي ﷺ وبين أهل فدك بالصلح مع محيِّصة بن مسعود.

(٢) على حاشية (ش١) دون تصحيح: قال ابن هشام: قمحٌ وشعيرٌ وتمرٌ ونوًى وغيرُ ذلك قَسَمَه النبيُّ ﷺ على قَدْر حاجتهم، وكانت الحاجةُ في بني عبد المطَّلِب فلذلك أعطاهم أكثر.

(٣) هذا وهمٌ، وهو يخالف ما سبق أنه ﷺ قَسَمَ لنسائه سبع مئة وسقٍ، وكنَّ إذ ذاك سبعاً لم يكن عنده أم حبيبة وميمونة بعدُ، والسبعُ مئةٍ هو الصواب الموافق لما ثبت عن ابن عمر عند البخاري (٢٣٢٨) ومسلم (١٥٥١)(٢): أن النبي ﷺ عامَلَ خيبرَ بشطر ما يخرج منها من تمرٍ أو زرع، فكان يعطي أزواجه كل سنة مئةَ وَسْقٍ: ثمانين وسقاً من تمرٍ، وعشرين وسقاً من شعيرٍ. وتقدّم قريباً: أن الوسق ستّون صاعاً.

(٤) هذا الكتاب لم يسنده ابن إسحاق ولم نقف عليه عند غيره، وعباسٌ المذكورُ شاهداً عليه وكاتباً له لا يُدرَى مَن ذا، فإن كان المراد به عباس بن عبد المطّلب، فهذا غريب منكر، فإنه كان إذ ذاك بمكة لم يهاجر بعدُ كما تقدَّم آنفاً في خبر الحجّاج بن عِلاط.

قال ابن إسحاق: وحدّثني صالحُ بن كَيْسان، عن ابن شِهابٍ الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعودٍ قال: لم يُوصِ رسولُ الله ﷺ عند موته إلّا بثلاثٍ: أَوصَى للرُّهاوِيِّينَ بجَادٍّ مئةِ وَسْقٍ من خيبر، وللدّارِيِّين بجادٍّ مئةِ وَسْقٍ[1] من خيبر، وللسَّبَئِيِّينَ بجادٍّ مئةِ وَسْقٍ من خيبر، وللأشعريِّينَ بجادٍّ مئةِ وَسْقٍ من خيبر[2]، وأَوصَى بتنفيذِ بَعْثِ أُسامة بن زيد بن حارثة، وألّا يُتْرَكَ بجزيرةِ العربِ دِينانِ[3].

---

(١) بجادّ مئة وسق، أي: ما يُجَدُّ بقدر مئة وسق، أي: ما يُقطَع.

(٢) الرهاويّون والسبئيّون والأشعريّون قبائل يمنيّة، وأما الداريُّون فهم من لخمٍ كما سيأتي لاحقاً، وكانوا يسكنون فلسطين من بلاد الشام.

(٣) خبر صحيح إن شاء الله، وهذا مرسل رجاله ثقات، ويغلب على ظنّنا أنه موصول من رواية عبيد الله بن عبد الله عن عائشة، فقد روى ابن إسحاق بهذا الإسناد آخره في عدم ترك دينين بجزيرة العرب موصولاً بذكر عائشة فيما سيأتي ٤/ ٥٠٠ في قصة وفاة النبي ﷺ.

وأمّا هذا المرسل فقد أخرجه بتمامه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٢٣ عن عبد الله بن نمير، والبيهقي في «السنن» ٦/ ٢٦٦ و«الدلائل» ٧/ ٢٣٠ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

ويشهد له حديث ابن عباس عند البخاري (٣٠٥٣) و(٣١٦٨) ومسلم (١٦٣٧): أن رسول الله ﷺ أوصى عند موته بثلاث فقال: «أَخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأَجيزوا الوفدَ بنحو ما كنت أُجيزهم»، قال راوي الحديث: ونسيت الثالثة. قلنا: وأغلب الظن أن الثالثة هي إنفاذ بعث أسامة، وإلى هذا ذهب بعض شرّاح الحديث كالمهلَّب وابن بطّال كما في «الفتح» ١٢/ ٧٤٩، ولعله يدخل في المراد بالوفد هنا القبائل المذكورة في مرسل عبيد الله بن عبد الله، والله تعالى أعلم.

ويشهد لآخره حديث عمر بن الخطّاب عند أحمد (٢٠١) ومسلم (١٧٦٧) وغيرهما: أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «لأُخرجنَّ اليهودَ والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدعَ إلا مسلماً».

أمرُ فَدَك في خبر خيبرَ

قال ابن إسحاق: فلمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من خيبرَ، قَذَفَ اللهُ الرُّعبَ في قلوب أهلِ فَدَكَ حين بَلَغَهم ما أوقَعَ اللهُ بأهل خيبر، فبَعَثُوا إلى رسول الله ﷺ يُصالِحونَه على النِّصفِ من فَدَك، فقَدِمَت عليه رُسُلُهم بخيبرَ أو بالطَّريق أو بعدَما قَدِمَ المدينةَ، فقَبِلَ ذلك منهم، فكانت فَدَكُ لرسول الله ﷺ خالصةً لأنّه لم يُوجَفْ[1] عليها بخيلٍ ولا رِكَاب.

تسميةُ النّفَر الدّاريِّين
الذين أوصَى لهم رسولُ الله ﷺ من خيبر

وهم بنو الدّار بن هانئِ بن حَبيبِ بن نُمَارة بن لَخْمٍ الّذين سارُوا إلى رسول الله ﷺ من الشّام: تَميمُ بن أَوسٍ، ونُعَيم بن أَوسٍ أخوه، ويزيدُ بن قيسٍ، وعَرَفةُ بن مالكٍ، سمّاه رسولُ الله ﷺ عبدَ الرَّحمن ـ قال ابن هشام: ويقال: عَزّةُ بن مالكٍ ـ وأخوه مُرّانُ بن مالكٍ.

قال ابن هشام: مروانُ بن مالك.

قال ابن إسحاق: وفاكِهُ بن نُعمان[2]، وجَبَلةُ بن مالكٍ، وأبو هِند بن بَرٍّ[3]، وأخوه الطَّيّب بن بَرٍّ فسمّاه رسولُ الله ﷺ عبدَ الله.

فكان رسولُ الله ﷺ ـ كما حدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ ـ يَبعَثُ إلى أهلِ خيبرَ عبدَ الله بنَ رَوَاحةَ خارِصاً[4] بين المسلمين ويهودَ، فيَخرُصُ عليهم، فإذا قالوا:

---

(١) الإيجاف: سرعة السير، وقد أَوجَف دابّته، أي: حرَّكها وحثَّها على سرعة السير.

(٢) تحرف في بعض النسخ إلى: فاكهة بن نعيم.

(٣) وهو ابن عمّ تميم وأخوه لأمّه كما قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٨٦٤.

(٤) الخارص: الذي يَحزِرُ ما على النخل والكَرْم من ثمر، وهو من الخَرْص، أي: الظنّ، =

تَعَدَّيتَ علينا، قال: إن شِئتُم فلَكُم، وإن شِئتُم فلنا، فتقول يهودُ: بهذا قامت السّماواتُ والأرضُ[1].

وإنّما خَرَصَ عليهم عبدُ الله بن رَوَاحة عاماً واحداً، ثمّ أُصيبَ بمُؤْتة رحمه الله، فكان جَبّارُ بن صَخْر بن أُميّة بن خَنْساءَ أخو بني سَلِمةَ هو الذي يَخرُصُ عليهم بعدَ عبد الله بن رَوَاحة.

فأقامت يهودُ على ذلك لا يَرَى بهم المسلمون بأساً في مُعامَلتِهم حتّى عَدَوْا في عهدِ رسول الله ﷺ على عبدِ الله بن سَهْل أخي بني حارثةَ فقَتَلُوه، فاتَّهَمَهم رسولُ الله ﷺ والمسلمون عليه.

قال ابن إسحاق: فحدّثني الزُّهْريُّ عن سَهْلِ بن أبي حَثْمة؛ وحدّثني أيضاً بُشَيرُ ابن يَسارٍ مولى بني حارثةَ عن سَهْلِ بن أبي حَثْمةَ قال: أُصيبَ عبدُالله بن سَهْلٍ بخيبر، وكان خرج إليها في أصحابٍ له يَمْتارُ[2] منها تمراً، فوُجِدَ في عينٍ قد كُسِرَت عُنُقُه ثمّ طُرِحَ فيها، قال: فأَخذوه فغَيَّبوه.

ثمّ قَدِموا على رسول الله ﷺ فذكروا له شأنَه، فتَقدَّمَ إليه أخوه عبدُ الرَّحمن ومعه ابنا عمِّه حُوَيِّصةُ ومُحَيِّصةُ ابنا مسعودٍ، وكان عبدُ الرَّحمن من أحدَثِهم سِنّاً، وكان

= لأنه تقديرٌ بظنٍّ.

(١) صحيح لغيره، وعبد الله بن أبي بكر - وهو ابن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري - ثقة من صغار التابعين، فخبره هذا مرسَلٌ.

وقد رواه بنحوه مسنَداً إبراهيم بن طهمان في «مشيخته» (٣٧)، ومن طريقه أحمد في «مسنده» (١٤٩٥٣) عن أبي الزبير المكّي، عن جابر بن عبد الله. وإسناده صحيح.

ويشهد له أيضاً حديث ابن عمر عند أحمد (٤٧٦٨)، وابن حبان (٥١٩٩).

(٢) يمتار، أي: يَجلِب.

صاحبَ الدَّمِ، وكان ذا قَدَمٍ في القوم[1]، فلمّا تَكلَّمَ قبل ابنَيْ عمِّه قال رسولُ الله ﷺ: «الكُبْرَ الكُبْرَ»[2].

قال ابن هشام: ويقال: «كَبِّرْ كَبِّرْ» فيما ذكرَ مالكُ بن أنسٍ[3].

فسَكَتَ، فتَكلَّمَ حُوَيِّصةُ ومُحَيِّصةُ ثمّ تَكلَّمَ هو بعدُ، فذكروا لرسول الله ﷺ قتلَ صاحبِهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «أتُسَمُّونَ قاتِلَكم ثمَّ تَحلِفُونَ عليه خمسينَ يَمِيناً فنُسَلِّمَه إليكُم؟» قالوا: يا رسولَ الله، ما كنَّا لنَحلِفَ على ما لا نعلمُ، قال: «أفيَحلِفُونَ باللهِ خمسينَ يَمِيناً ما قَتَلُوه ولا يَعلَمُونَ له قاتلاً، ثمّ يَبْرَؤُونَ من دَمِه؟» قالوا: يا رسولَ الله، ما كنَّا لنَقبَلَ أَيمانَ يهودَ، ما فيهم من الكُفرِ أعظَمُ من أن يَحلِفوا على إثمٍ. قال: فوَدَاهُ رسولُ الله ﷺ[4] من عندِه مئةَ ناقةٍ.

---

(١) أي: له مكانة فيهم.

(٢) الكبر الكبر، أي: قدِّم الأكبر للكلام، إرشاداً إلى الأدب في تقديم الأسنِّ.

(٣) رواه هكذا مالك في «موطئه» ٢/ ٨٧٧-٨٧٨ عن أبي ليلى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاريّ، عن سهل بن أبي حَثْمة، أنه أخبره رجال من كُبراء قومه: أن عبد الله بن سهل..

ومن طريق مالكٍ أخرجه البخاري (٧١٩٢)، ومسلم (١٦٦٩)(٦)، وأبو داود (٤٥٢١)، وابن ماجه (٢٦٧٧)، والنسائي في «المجتبى» (٤٧١٠) وفي «الكبرى» (٥٩٤٥).

ثم رواه مالك في «موطئه» عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن بُشَير بن يسار، أنه أخبره: أن عبد الله بن سهل... وهذا مرسل.

لكن وصله غيرُ واحدٍ عن يحيى عن بُشير عن سهل بن أبي حثمة، وبعضهم يقرن بسهلٍ رافعَ ابن خَدِيج، أخرجه أحمد (١٦٠٩١) و(١٧٢٧٦)، والبخاري (٦١٤٢)، ومسلم (١٦٦٩)، وأبو داود (٤٥٢٠)، والترمذي (١٤٢٢)، والنسائي في «المجتبى» (٤٧١٢-٤٧١٨) وفي «الكبرى» (٦٨٨٨-٦٨٩٤)، وابن حبان (٦٠٠٩).

(٤) أي: دفع هو دِيَتَه.

قال سَهْلٌ: فوالله ما أنسى بَكْرةً منها حمراءَ ضَرَبَتني وأنا أَحُوزُها[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن إبراهيم بن الحارثِ التَّيْميّ، عن عبدالرَّحمن ابن بُجَيد بن قَيْظيٍّ أخي بني حارثة ـ قال محمّدُ بن إبراهيم: وايْمُ اللهِ ما كان سَهلٌ[2] بأكثرَ عِلماً منه، ولكنّه كان أسَنَّ منه ـ أنّه قال له: والله ما هكذا كان الشَّأنُ، ولكنَّ سَهلاً أَوهَمَ، ما قال رسولُ الله ﷺ: احلِفُوا على ما لا عِلمَ لكم به، ولكنّه كَتَبَ إلى يهودِ خيبرَ حين كَلَّمَته الأنصارُ: «إنَّه قد وُجِدَ قَتيلٌ بين أَبياتِكُم فدُوهُ»، فكَتَبُوا إليه يَحلِفُون بالله ما قَتَلُوه ولا يَعلَمون له قاتلاً، فوَدَاهُ رسولُ الله ﷺ من عندِه[3].

---

(١) إسناده صحيح، وسهل بن أبي حَثْمة من صغار الصحابة.

وأخرجه أحمد (١٦٠٩٦) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

البَكْرة: الناقة الفَتيّة. وأَحُوزها، أي: أجمعها وأضمّها إلى غيرها من الإبل.

(٢) يعني سهل بن أبي حَثْمة راوي الخبر السابق.

(٣) عبد الرحمن بن بجيد مختلف في صحبته كما هو مبيَّن في «الإصابة» ٤/ ٢٨٩.

وأخرجه أبو داود (٤٥٢٥) من طريق محمد بن سلمة، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وهذا الحديث شاذٌّ لمخالفته روايتَي سهل بن أبي حثمة ورافع بن خديج في أنه يُبدَأ باليمين من المُدَّعِين قبل المُدَّعَى عليهم، فهذا هو المحفوظ في هذه القصة وما سواه وهمٌ فيما قاله ابن القيِّم في «تهذيب سنن أبي داود» ٣/ ١١٤، وانظر أيضاً «معالم السنن» للخطّابي ٤/ ١٣، و«التمهيد» لابن عبد البر ٢٣/ ٢٠٨ و٢١٠.

والصواب أن يقال: إن هذا الحَلِفَ في كتاب يهود إلى النبي ﷺ ليس هو الحلفَ المقضيَّ به في القَسَامة الذي هو خمسون يميناً، إنما هو لدفع الشُّبهة عنهم ابتداءً، ولو أنّ أولياء الدم من الأنصار ـ إذ لم يحلفوا هم خمسين يميناً ـ قَبِلُوا أيمانَ يهود، لأقدَمَهم النبيُّ ﷺ وأَحلَفَهم خمسين يميناً، ولكن الأنصار امتنعوا أن يحلفوا، وأَبَوا أن تحلف لهم يهودُ، على ما في حديث مالكٍ عن أبي ليلى بن عبد الله الأنصاري السابق تخريجه قريباً، ففيه: أن رسول الله ﷺ قال للأنصار: «إمّا أن يَدُوا صاحبَكم، وإمّا أن يُؤذِنوا بحربٍ»، وكتب إلى يهود في ذلك، فكتبوا: إنا =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمرُو بن شُعَيبٍ[1] بمِثْل حديث عبدِ الرَّحمن بن بُجَيدٍ، إلّا أنّه قال في حديثه: «دُوهُ أو ائذَنُوا بحَرْبٍ»، فكَتَبوا يَحلِفُون بالله ما قَتَلُوه ولا يَعلَمون له قاتلاً، فوَدَاهُ رسولُ الله ﷺ من عندِه.

قال ابن إسحاق: وسألتُ ابنَ شِهابٍ: كيف كان إعطاءُ رسولِ الله ﷺ يهودَ خيبرَ نَخلَهم حين أعطاهم النَّخلَ على خَرْجِها، أبَتَّ[2] ذلك لهم حتّى قُبِضَ، أم أعطاهم إيّاها لضَرُورةٍ من غيرِ ذلك؟

فأخبرني ابنُ شِهابٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ افتَتَحَ خيبرَ عَنْوةً بعدَ القتال، وكانت خيبرُ ممّا أفاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ على رسول الله ﷺ، خَمَّسَها رسولُ الله ﷺ وقَسَمَها بين المسلمين، ونَزَلَ مَن نَزَلَ من أهلِها على الجَلاءِ بعدَ القتال، فدَعَاهم رسولُ الله ﷺ فقال: «إنْ شِئتُم دَفَعتُ إليكم هذِه الأموالَ على أن تَعمَلُوها وتكونَ ثِمارُها بينَنا وبينَكم، وأُقِرُّكم ما أقَرَّكم اللهُ» فقَبِلوا، فكانوا على ذلك يَعمَلُونَها، وكان رسولُ الله ﷺ يَبعَثُ عبدَالله بن رَوَاحةَ فيَقسِمُ ثمرَها، ويَعدِلُ عليهم في الخَرْصِ[3]، فلمّا تَوفَّى اللهُ نبيَّه ﷺ، أقَرَّها أبو بكرٍ بعدَ رسول الله ﷺ بأيديهم على المُعامَلة التي عامَلَهم عليها رسولُ الله ﷺ حتّى تُوفِّي، ثمّ أقَرَّهم عمرُ صَدْراً من إمارتِه.

= والله ما قتلناه، فقال رسول الله ﷺ لحُوَيِّصة ومُحَيِّصة وعبد الرحمن: «أتَحلِفون وتستحقُّون دمَ صاحبكم؟» قالوا: لا، قال: «فتَحلِفُ لكم يهودُ»، قالوا: ليسوا بمسلمين. فوَدَاه رسول الله ﷺ من عنده.

(١) يعني عن أبيه عن جدّه عبد الله بن عمرو، فقد روى عنه أصل هذا الحديث بهذا الإسناد حجّاجُ بن أرطاة عند ابن أبي شيبة في «المصنف» ٩/ ٣٧٨، وابن ماجه (٢٦٧٨).

(٢) الخَرْج: ما يُؤدَّى كل سنة مما تخرجه الأرض. وأبتَّ، أي: قَطَع.

(٣) الخرص: الحَزْر والتقدير لكمّية ما يخرج من الثمار.

ثمّ بَلَغَ عمرَ: أنّ رسولَ الله ﷺ قال في وَجَعِه الذي قَبَضَه اللهُ فيه: «لا يَجتَمِعنَّ بجَزيرةِ العربِ دِينَانِ»[1]، ففَحَصَ عمرُ عن ذلك حتّى بَلَغَه الثَّبَتُ، فأرسَلَ إلى يهودَ فقال: إنَّ الله قد أَذِنَ في إجلائكم، فقد بَلَغَني أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يَجتَمِعنَّ بجَزيرةِ العربِ دِينَانِ»، فمَن كان عنده عهدٌ من رسول الله ﷺ فليأْتِني به أُنفِذْه له، ومن لم يكن عنده عهدٌ من رسول الله ﷺ من اليهود، فليَتَجَهَّزْ للجَلاءِ، فأجلَى عمرُ مَن لم يكن عنده عهدٌ من رسول الله ﷺ منهم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني نافعٌ مولى عبد الله بن عمرَ، عن عبد الله بن عمرَ قال: خَرَجتُ أنا والزُّبَيرُ والمِقدادُ بن الأسوَدِ إلى أموالِنا بخيبرَ نَتعاهَدُها، فلمّا قَدِمْنا تَفرَّقْنا في أموالنا، قال: فعُدِيَ عليَّ تحت اللّيل وأنا نائمٌ على فِرَاشي، ففُدِعَت يدايَ من مِرفَقَيَّ[2]، فلمّا أصبَحتُ استُصرِخَ عليَّ صاحبايَ، فأَتَياني فسأَلاني: مَن صَنَعَ هذا بك؟ فقلت: لا أدري، قال: فأَصلَحا من يَدَيَّ ثمّ قَدِما بي على عمرَ، فقال: هذا عَمَلُ يهودَ، ثمّ قامَ في الناس خَطيباً فقال: أيُّها الناسُ، إنَّ رسولَ الله ﷺ كان عامَلَ يهودَ خيبرَ على أنّا نُخرِجُهم إذا شِئْنا، وقد عَدَوْا على عبدِ الله بن عمرَ ففَدَعُوا يديهِ كما قد بَلَغَكم، مع عَدْوتِهم على الأنصاريِّ قبلَه[3]، لا نَشُكُّ أنَّهم

---

(١) وَهِمَ ابنُ شهاب الزهريُّ رحمه الله في زعمه أن قول النبيِّ ﷺ هذا بلغ عمرَ بلاغاً، ممّا يعني أنه لم يسمعه منه، وقد صحَّ عن جابر بن عبد الله أنه سمع عمرَ يقول: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «لأُخرجنَّ اليهودَ والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدعَ إلا مسلماً». أخرجه أحمد (٢٠١) ومسلم (١٧٦٧) وغيرهما.

ثم إن حديث نافع التالي في قصة إجلاء عمر يهودَ خيبر أصحُّ من حديث الزهري هذا.

(٢) فُدِعَت يداه، أي: أُزيلت مفاصلها عن أماكنها.

(٣) يريد عبدَ الله بن سهلٍ المتقدم خبر مقتله بخيبر آنفاً.

أصحابُه، ليس لنا هناك عدوٌّ غيرُهم، فمَن كان له مالٌ بخَيبَرَ فليَلحَقْ به فإنّي مُخرِجٌ يهودَ؛ فأخرَجَهم[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ، عن عبد الله بن مِكنَفٍ أخي بني حارثةَ قال: لمّا أَخرَجَ عمرُ يهودَ من خيبرَ، رَكِبَ في المهاجرين والأنصارِ وخرج معه بجَبّارِ بن صَخْر بن أُميّة بن خَنْساءَ أخو بني سَلِمةَ، وكان خارِصَ أهلِ المدينة وحاسِبَهم - وبزَيدِ[2] بن ثابتٍ، فهما قَسَمَا خيبرَ على أهلِها، على أصلِ جَمَاعةِ السُّهْمانِ التي كانت عليها[3].

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٩٠)، وأبو داود مختصراً (٣٠٠٧) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه البخاري (٢٧٣٠) من طريق مالك، عن نافع، عن ابن عمر. وزاد فيه: فلمّا أجمَعَ عمرُ على ذلك أتاه أحدُ بني أبي الحُقَيق فقال: يا أمير المؤمنين، أتُخرِجُنا وقد أقرَّنا محمّدٌ - ﷺ - وعامَلَنا على الأموال وشَرَطَ ذلك لنا؟! فقال عمر: أظننتَ أني نسيتُ قول رسول الله ﷺ: «كيف بكَ إذا أُخرِجتَ من خيبر تَعدُو بك قَلُوصُك (أي: ناقتك) ليلةً بعد ليلةٍ»؟! فقال: كانت هذه هُزَيلةً من أبي القاسم، قال: كذبتَ يا عدوَّ الله؛ فأَجلاهم عمرُ، وأعطاهم قيمةَ ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعُروضاً من أقتابٍ وحِبالٍ وغيرِ ذلك.

(٢) تصحّف في (ت) و(ص) و(ف) و(ي) إلى: يزيد، بالياء المثنّاة في أوله، والتصويب من بقية النسخ، وزَيدٌ هو الذي كان مشهوراً بمعرفة الحِساب والفرائض، وأما يزيد بن ثابت، وهو أخوه، فقد كان استُشهد باليمامة أيامَ أبي بكر.

(٣) إسناده ضعيف لإرساله وجهالة عبد الله بن مكنف، فقد جهَّله الحافظان الذهبي وابن حجر، وذكره ابن حبّان في «المجروحين» ٢/ ٦.

وأخرجه ابن شبّة في «تاريخ المدينة» ١/ ١٨٥ من طريق يحيى بن آدم، عن زياد البكّائي، عن ابن إسحاق. =

وكان ما قَسَمَ عمرُ بن الخَطّاب من وادي القُرَى[1] لعثمانَ بن عفّانَ خَطَرٌ[2]، ولعبد الرَّحمن بن عَوفٍ خَطَرٌ، ولعمرَ بن أبي سَلَمة خَطَرٌ، ولعامرِ بن أبي ربيعةَ خَطَرٌ، ولعمرِو بن سُرَاقةَ خَطَرٌ، ولأَشْيَمَ خَطَرٌ.

قال ابن هشام: ويقال: لأسلَمَ ولبني جعفرٍ خَطَرٌ، ولمُعَيقيبٍ خَطَرٌ، ولعبدِ الله ابن الأرقَمِ خَطَرٌ، ولعبدِ الله وعُبيدِ الله خَطَرانِ، ولابن عبد الله بن جَحْشٍ خَطَرٌ، ولابن البُكَيرِ خَطَرٌ، ولمُعتمِرٍ[3] خَطَرٌ، ولزيدِ بن ثابتٍ خَطَرٌ، ولأُبيِّ بن كعبٍ خَطَرٌ، ولمُعاذِ ابن عَفراءَ خَطَرٌ، ولأبي طَلْحةَ وحَسَنٍ خَطَرٌ، ولجَبّارِ بن صَخرٍ[4] وجابرِ بن عبد الله بن رِئَابٍ خَطَرٌ، ولمالكِ بن صَعصَعة وجابرِ بن عبد الله بن عمرٍو خَطَرٌ، ولابن حُضَيرٍ خَطَرٌ، ولابن سعدِ بن مُعاذٍ خَطَرٌ، ولسَلَمةَ بن سَلَامة خَطَرٌ، ولعبدِ الرَّحمن ابن ثابتٍ وأبي شَريكٍ خَطَرٌ، ولأبي عَبْس بن جَبْرٍ خَطَرٌ، ولمحمّدِ بن مَسلَمةَ خَطَرٌ، ولعُبَادةَ بن طارقٍ خَطَرٌ.

قال ابن هشام: ويقال: لقَتَادة[5].

قال ابن إسحاق: ولجَبْر بن عَتِيكٍ نصفُ خَطَرٍ، ولابنَي الحارثِ بن قيسٍ نصفُ

= وأخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» ٦/ ٤٥٣، والبيهقي في «السنن» ١٠/ ١٣٢ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

(١) سبق التعريف بهذا الوادي ص٤٥٥.

(٢) أي: حظٌّ ونصيبٌ.

(٣) هكذا وقع في النسخ الخطية، ولا يعرف في الصحابة من اسمه معتمر، إنما فيهم من اسمه مَعمَر غير واحدٍ، والله تعالى أعلم.

(٤) زاد في (غ): خطر.

(٥) يعني مكان قوله: لعبادة، ولا يُعرَف هذا في شيء من كتب الصحابة، وقد ذكره الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٧٢١ ـ كما في «الإصابة» ٣/ ٦٢٧ ـ باسم عبادة، كابن إسحاق.

خَطَرٍ، ولابن خَزَمةَ[1] والضَّحّاكِ خَطَرٌ.

فهذا ما بَلَغَنا من أمر خَيبَرَ ووادي القُرَى ومَقاسِمِها.

قال ابن هشام: الخَطَرُ: النَّصيب، يقال: أخطَرَ لي فلانٌ خَطَراً.

قال ابن هشام: وذكرَ سفيانُ بن عُيَينة، عن الأجلَح، عن الشَّعْبيِّ: أنّ جعفرَ بن أبي طالبٍ قَدِمَ على رسول الله ﷺ يومَ فتحِ خَيبَرَ، فقَبَّلَ رسولُ الله ﷺ بين عَينَيهِ والتَزَمَه فقال: «ما أَدري بأيِّهِما أنا أُسَرُّ: بفَتحِ خَيبَرَ، أَم بقُدُومِ جعفرٍ؟!»[2].

---

(١) هكذا في (ش٢) و(غ) و(ف) و(ق٢)، بالخاء المعجمة، وهو المشهور في أسماء بعض الأنصار، وفي بقية النسخ: حزمة، بالحاء.

(٢) حسن لغيره، وهذا إسناد لا بأس برجاله إلا أنه مرسل، وقد اختُلف في وصله وإرساله، والمحفوظ أنه مرسل.

فقد رواه عن الأجلح ـ وهو ابن عبد الله الكِندي ـ عن عامرٍ الشَّعبي مرسلاً عليُّ بن مُسهِر عند ابن أبي شيبة ٨/ ٦٢١، وعنه أبو داود في «السنن» (٥٢٢٠) و«المراسيل» (٤٩١)، وعبدُ الله بن نميرٍ عند ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٣٢، وسفيانُ الثوري عند ابن سعدٍ أيضاً، والبيهقيّ في «السنن» ٧/ ١٠١، فرواه ثلاثتهم (ابن مسهر وابن نمير وسفيان الثوري) عن أجلح، عن الشعبي مرسلاً. ورواية ابن مسهرٍ مختصرةٌ بقصة استقبال جعفرٍ وتقبيل ما بين عينيه.

أما رواية سفيان بن عيينة، فقد خُولِف ابنُ إسحاق فيها، خالفه ابنُ أبي عمر العَدَنيُّ فيما أخرجه الحاكم (٥٠٠٦)، فرواه عن ابن عُيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد وزكريا بن أبي زائدة، عن الشعبي مرسلاً أيضاً.

ورواه موصولاً أبو غسان النَّهدي عند الحاكم (٤٢٩٥)، والحسنُ بن الحسين العُرَني عنده أيضاً (٥٠٠٥)، كلاهما عن الأجلح، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله قال: لما قدم جعفر... ورواية الوصل هذه شاذّة، والعُرني في الطريق الثاني ضعيف.

وخالف مجالدُ بن سعيدٍ عند البيهقي في «السنن» ٧/ ١٠١ و«شعب الإيمان» (٨٥٦١)، فرواه عن الشعبي، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. ومجالد ضعيف. =

= ويشهد له بنحو لفظه حديثُ أبي جُحَيفة عند الطبراني في «الكبير» (١٤٧٠) و ٢٢/ (٢٤٤) وفي «الأوسط» (٢٠٠٣) وفي «الصغير» (٣٠)، وإسناده حسن.

ويشهد أيضاً لتلقِّيه وتقبيل ما بين عينيه ـ يعني جبهته ـ دون قوله: «ما أدري بأيهما...» حديث عائشة عند ابن أبي الدنيا في «الإخوان» (١٢٣) وأبي يعلى في «معجمه» (٢١) وغيرهما، وإسناده ضعيف.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ذكرُ قُدومِ جعفرٍ من الحَبَشة
وحديثُ المهاجرين إلى الحبشة

قال ابن إسحاق: وكان مَن أقامَ بأرض الحَبَشةِ من أصحاب رسول الله ﷺ حتّى بَعَثَ فيهم رسولُ الله ﷺ إلى النَّجَاشيِّ عمرَو بن أُميّةَ الضَّمْريَّ، فحَمَلَهم في سفينتَينِ فقَدِمَ بهم عليه وهو بخيبرَ بعدَ الحُدَيبيَةِ.

من بني هاشم بن عبد مَنافٍ: جعفرُ بن أبي طالب بن عبد المُطَّلِب، معه امرأتُه أسماءُ ابنةُ عُمَيسٍ الخَثْعَميَّةُ، وابنُه عبدُالله بن جعفرٍ، وكانت وَلَدَته بأرض الحَبَشة.

قُتِلَ جعفرٌ بمُؤْتةَ من أرض الشّام أميراً لرسول الله ﷺ؛ رجلٌ.

ومن بني عبد شَمسِ بن عبد مَنافٍ: خالدُ بن سعيد بن العاصِ بن أُميّة بن عبد شمسٍ، معه امرأتُه أُمَينةُ بنتُ خَلَف بن أسعَد ـ قال ابن هشام: ويقال: هُمَينةُ بنتُ خَلَفٍ ـ وابناه سعيدُ بن خالدٍ وأَمَةُ بنتُ خالدٍ، وَلَدَتهما بأرض الحَبَشة، قُتِلَ خالدٌ بمَرْج الصُّفَّرِ[1] في خلافة أبي بكرٍ بأرض الشّام.

وأخوه عمرُو بن سعيد بن العاصِ، معه امرأتُه فاطمةُ بنتُ صفوانَ بن أُميّة بن مُحرِّث الكِنانيّ، هَلَكَت بأرض الحَبَشة، قُتِلَ عمرٌو بأجنادَينِ من أرض الشّام[2] في

---

(١) هو سهل واسع جنوب غرب دمشق على قرابة ٣٥ كم منها.

وكانت موقعة مرج الصُّفَّر هذه في جمادى الأولى من سنة ثلاث عشرة.

(٢) في فِلَسطين، لكن لا يعرف اليوم موضع بهذا الاسم، وجاء في «معجم البلدان» ١/ ١٠٣: أن أجنادَينِ من الرّملة، من كُورة بيت جِبْرين. يعني أنها تتبع لبيت جبرين، وهذه تقع جنوب الرملة وجنوب غرب القدس على قرابة ٣٥ كم منهما.

وكانت موقعة أجنادَينِ في جمادى الأولى أيضاً من سنة ثلاث عشرة قبل مرج الصُّفَّر ببضعة =

خلافة أبي بكرٍ.

ولعمرو بن سعيدٍ يقول أبوه سعيدُ بن العاصِ أبو أُحَيْحةَ:

ألا لَيتَ شِعْري عنكَ يا عمرُو سائلاً ... إذا شَبَّ واشتَدَّت يداهُ وسُلِّحا[1]

أتتـرُكُ أمـرَ القـومِ فيـهِ بَلابـلٌ ... وتَكشِفُ غَيظاً كان في الصّدرِ مُوجَحا[2]

ولعمرٍو وخالدٍ يقول أخوهما أبانُ بن سعيد بن العاصِ حين أسلَما، وكان أبوهم سعيدُ بن العاصِ هَلَكَ بالظُّرَيبةِ من ناحية الطّائف، هَلَكَ في مالٍ له بها:

ألا لَيـتَ مَيْتـاً بالظُّرَيبـةِ شـاهدٌ ... لمَا يَفتَري[3] في الدِّينِ عمرٌو وخالدُ

أطاعـا بنـا أمـرَ النّسـاءِ فأصـبَحا ... يُعِينـانِ مـن أعـدائِنا مَـن نُكايِـدُ

فأجابه خالدُ بن سعيدٍ فقال:

أَخـي مـا أَخـي لا شـاتمٌ أنـا عِرضَـهُ ... ولا هـوَ عـن سـوءِ المَقالـةِ مُقصِـرُ

يقـول إذا اشـتَتَّتْ[4] عليـه أُمـورُهُ ... ألا لَيـتَ مَيْتـاً بالظُّرَيبـةِ يُنشَـرُ

فـدَعْ عنـكَ مَيتـاً قـد مَضَـى لسَـبيلِهِ ... وأقبِـلْ على الأدنَى الّذي هـو أفقَـرُ

ومُعَيقِيبُ بن أبي فاطمةَ خازنُ عمر بن الخَطّاب على بيتِ مال المسلمين، وكان

= عشر يوماً.

(١) سُلِّح: أُلبس السلاح.

(٢) فيه بلابل، أي: فيه تخليط واضطراب. وموجحاً، أي: مستوراً، يقال: بيني وبينه وِجَاحٌ، أي: سِتْرٌ.

(٣) من الافتراء: وهو الكذب، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٥٢: من رواه: يقتري، بالقاف فمعناه: يتتبّع.

(٤) هكذا في (ت) و(ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف) و(م)، وعليها شرح الخشنيُّ فقال: أي: تفرَّقَت، من التشتُّت: وهو التفرُّق. وفي (ص) و(ط) و(ق٢): اشتدَّت، من الشِّدّة.

إلى آلِ سعيد بن العاص، وأبو موسى الأشعَريُّ عبدُ الله بن قيسٍ حَليفُ آلِ عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمسٍ[1]؛ أربعةُ نَفَر.

ومن بني أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيٍّ: الأسوَدُ بن نَوفَل بن خُوَيلِد؛ رجلٌ.

ومن بني عبد الدّار بن قُصَيٍّ: جَهْمُ بن قيس بن عبد شُرَحبيلَ، معه ابناه عمرو ابن جَهمٍ وخُزَيمةُ بن جَهمٍ، وكانت معه امرأتُه أمُّ حَرْمَلة بنتُ عبد الأسوَد، هَلَكَت بأرض الحَبَشة، وابناه لها؛ رجلٌ.

ومن بني زُهْرةَ بن كِلَابٍ: عامرُ بن أبي وَقّاصٍ، وعُتْبةُ بن مسعودٍ حَليفٌ لهم من هُذَيلٍ؛ رجلانِ.

ومن بني تَيْمِ بن مُرَّة بن كعبٍ: الحارثُ بن خالد بن صَخرٍ، وقد كانت معه امرأتُه رَيْطةُ بنتُ الحارث بن جُبَيلة، هَلَكَت بأرض الحَبَشة؛ رجلٌ.

ومن بني جُمَحَ بن عمرو بن هُصَيصِ بن كعبٍ: عثمانُ بن ربيعة بن أُهْبانَ؛ رجلٌ.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: مَحْمِيَةُ بن الجَزْءِ حليفٌ لهم من بني زُبَيدٍ، كان رسولُ الله ﷺ جَعَلَه على خُمُس المسلمين؛ رجلٌ.

ومن بني عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيٍّ: مَعمَرُ بن عبد الله بن نَضْلة؛ رجلٌ.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ بن غالبٍ: أبو حاطبِ بن عمرو بن عبد شَمسٍ، ومالكُ ابن ربيعة بن قيس بن عبد شمسٍ، معه امرأتُه عَمْرةُ بنتُ السَّعْديّ بن وَقْدانَ بن عبد شمسٍ؛ رجلانِ.

ومن بني الحارثِ بن فِهْر بن مالكٍ: الحارثُ بن عبدِ قيس بن لَقِيطٍ؛ رجلٌ.

---

(١) قد تقدم التعقُّب على ابن إسحاق في ذكره أبا موسى الأشعري في المهاجرين إلى الحبشة وأنه كان حليفاً لعتبة بن ربيعة ١/ ٣٨٤.

وقد كان حُمِلَ معهم في السّفينتَينِ نساءٌ من نساءِ مَن هَلَكَ هنالك من المسلمين.

فهؤلاءِ الّذين حَمَلَ النَّجَاشيُّ مع عمرو بن أُميّة في السّفينتَينِ، فجميعُ مَن قَدِمَ في السّفينتَينِ ستّةَ عَشَرَ رجلاً.

وكان مَن هاجَرَ إلى أرض الحَبَشة ولم يَقدَمْ إلّا بعدَ بدرٍ، ولم يَحمِل النَّجاشيُّ في السّفينتَينِ إلى رسول الله ﷺ، ومن قَدِمَ بعدَ ذلك، ومن هَلَكَ بأرض الحَبَشة، من مُهاجِرة الحَبَشة:

من بني أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنافٍ: عُبَيدُ الله بن جَحْش بن رِئَابٍ الأَسَديّ، أَسدُ خُزَيمة، حليفُ بني أُميّة بن عبد شمسٍ، معه امرأتُه أمُّ حَبِيبة بنتُ أبي سفيان، وابنتُه حَبِيبةُ بنتُ عُبيد الله، وبها كانت تُكنَى أمُّ حَبيبة بنتُ أبي سفيان وكان اسمها رَمْلة، وخرج مع المسلمين مُهاجِراً، فلمّا قَدِمَ أرضَ الحَبَشة تَنصَّرَ بها وفارَقَ الإسلامَ، مات هنالك نصرانيّاً، فخَلَفَ رسولُ الله ﷺ على امرأته من بعدِه أمَّ حَبيبة بنتِ أبي سفيان بن حَرْب.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُرْوة قال: خرج عُبيدُ الله بن جَحشٍ مع المسلمين مُسلِماً، فلمّا قَدِمَ أرضَ الحَبَشة تَنصَّرَ، قال: فكان إذا مَرَّ بالمسلمين من أصحابِ رسول الله ﷺ قال: فَقَّحْنا وصَأصَأتُم. أي: قد أبصَرْنا وأنتم تَلتَمِسون البصرَ ولم تُبصِروا بعدُ، وذلك أنّ ولدَ الكلبِ إذا أرادَ أن يَفتَحَ عَينَيهِ للنَّظَر صَأصَأَ قبلَ ذلك[1]؛ يَضرِبُ ذلك له ولهم مَثَلاً، أي: إنّا قد فَتَّحْنا أعيُنَنا فأبصَرْنا، ولم تَفتَحوا أعيُنَكم فتُبصِروا، وأنتم تَلتَمِسون ذلك.

(١) أي: حاول النظرَ ولمَّا تنفتحْ عيناه.

قال ابن إسحاق: وقيسُ بن عبد الله، رجلٌ من بني أَسد بن خُزَيمة، وهو أبو أُميّة بنتِ قيسٍ الّتي كانت مع أمِّ حَبيبة، وامرأتُه بَرَكةُ بنتُ يَسارٍ مولاةُ أبي سفيانَ بن حَرْبٍ، كانا[1] ظِئرَي عُبيدِ الله بن جَحشٍ وأُمِّ حَبيبة بنت أبي سفيان، فخَرَجا بهما معهما حين هاجَرا إلى أرض الحَبَشة؛ رجلانِ.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيٍّ: يزيدُ بن زَمْعةَ بن الأسوَد بن المُطَّلِب بن أَسَدٍ، قُتِلَ يومَ حُنَين مع رسول الله ﷺ شهيداً، وعمرُو بن أُميّة بن الحارث بن أَسَدٍ، هَلَكَ بأرض الحَبَشة؛ رجلانِ.

ومن بني عبد الدّار بن قُصَيٍّ: أبو الرُّوم بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَنافِ بن عبد الدّار، وفِراسُ بن النَّضْر بن الحارث بن كَلَدة بن عَلقَمة بن عبد مَناف بن عبد الدّار؛ رجلانِ.

ومن بني زُهْرةَ بن كِلَاب بن مُرَّة: المُطَّلِبُ بن أزهَرَ بن عبد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة، معه امرأتُه رَمْلةُ بنتُ أبي عَوْف بن صُبَيرة[2] بن سُعَيد بن سَعْد ابن سَهْم، هَلَكَ بأرض الحَبَشة، وَلَدَت له هنالك عبدَ الله بن المُطَّلِب، فكان يقال: إن كان لَأوّلُ رجلٍ وَرِثَ أباه في الإسلام؛ رجلٌ.

ومن بني تَيْمِ بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيٍّ: عمرُو بن عثمان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْمٍ، قُتِلَ بالقادِسيَّةِ مع سعد بن أبي وَقّاصٍ؛ رجلٌ.

ومن بني مخزومِ بن يَقَظةَ بن مُرَّة بن كعبٍ: هَبّارُ بن سفيان بن عبد الأسَد، قُتِلَ

---

(١) هكذا في (ت) ونسخة على حاشية (م)، وفي سائر النسخ: كانتا، والصواب ما أثبتنا.

والظِّئر: هي المرضعة ولدَ غيرها، وزوجها ظئر لذلك الرّضيع، فلفظة الظِّئر تقع على الأنثى والذكر. قاله النوويّ في «شرح مسلم».

(٢) وفي بعض النسخ: ضُبيرة، بالضاد، وهما وجهان في اسمه.

بأجنادَينِ من أرض الشّام في خلافةِ أبي بكرٍ، وأخوه عبدُ الله بن سفيان، قُتِلَ عامَ اليرموك بالشّام في خلافةِ عمر بن الخَطّاب، يُشَكُّ فيه أقُتِلَ ثَمَّ أم لا[1]، وهشامُ[2] ابن أبي حُذَيفة بن المغيرة؛ ثلاثةُ نَفَر.

ومن بني جُمَحَ بن عمرو بن هُصَيصِ بن كعبٍ: حاطبُ بن الحارث بن مَعمَر بن حَبيبِ بن وهبِ بن حُذَافة بن جُمَحَ، وابناه محمّدٌ والحارثُ، معه امرأتُه ابنةُ المُجلِّل، هَلَكَ حاطبٌ هنالك مُسلِماً، قَدِمَت امرأتُه وابناهُ ـ وهي أمُّهما ـ في إحدى السّفينتَينِ، وأخوه حَطّابُ بن الحارثِ، معه امرأتُه فُكَيهةُ بنتُ يَسارٍ، هَلَكَ هنالك مُسلِماً، قَدِمَت امرأتُه فُكَيهةُ في إحدى السّفينتَينِ، وسفيانُ بن مَعمَر بن حَبيبٍ، وابناه جُنَادةُ وجابرٌ، وأُمُّهما معه حَسَنةُ، وأخوهما لأُمّهما شُرَحبيلُ ابن حَسَنةَ، وهَلَكَ سفيانُ وهَلَكَ ابناه جُنَادةُ وجابرٌ في خلافة عمر بن الخَطّاب؛ ستّةُ نَفَر.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: عبدُ الله بن الحارثِ بن قيس بن عَدِيّ بن سُعَيد[3] بن سَهْمٍ الشّاعرُ، هَلَكَ بأرض الحَبَشة، وقيسُ بن حُذَافة بن قيس ابن عَدِيّ بن سُعَيد بن سَهْم، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عَدِيّ بن سُعَيد بن

(١) ذكره فيمن استُشهد يوم اليرموك عروة بن الزبير والزهري وموسى بن عقبة كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر ٢٩/ ٦٩، وذكر عن الزبير بن بكار أن المُستشهَد باليرموك أخوه عُبيد الله، وكذلك قال ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص١٤٤.

(٢) ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٧٤٢ فقال: كان من مهاجرة الحبشة في قول ابن إسحاق والواقديّ، إلا أن الواقديَّ كان يقول: هاشم بن أبي حذيفة، ويقول: هشامٌ وَهْمٌ ممّن قاله، ولم يذكره موسى بن عُقبة ولا أبو مَعشَر فيمن هاجر إلى أرض الحبشة.

(٣) هكذا وقع لابن إسحاق في نسب بني عَديّ بن سَعْد بن سهم: سُعيد، مصغَّراً، وهو خطأ، والصواب: سَعْد بن سهم، كما قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ١/ ٢٨٦، وقد تقدم التنبيه على ذلك في أول الكتاب ١/ ٣٨٨-٣٨٩.

سَهْم، قُتِلَ يومَ اليَمَامةِ في خلافة أبي بكرٍ الصِّدِّيق، وعبدُ الله بن حُذَافة بن قيس بن عَدِيّ بن سُعَيد بن سَهْم، وهو رسولُ رسولِ الله ﷺ إلى كِسرَى، والحارثُ بن الحارثِ ابن قيس بن عَدِيٍّ، ومَعمَرُ بن الحارثِ بن قيس بن عَدِيٍّ، وبِشرُ بن الحارثِ بن قيس ابن عَدِيٍّ، وأخٌ له من أُمّه من بني تَميمٍ يقال له: سَعيدُ بن عمرٍو، قُتِلَ بأجنادَينِ في خلافة أبي بكرٍ، وسَعيدُ بن الحارثِ بن قيسٍ، قُتِلَ عامَ اليرموكِ في خلافة عمرَ بن الخَطّاب، والسّائبُ بن الحارثِ بن قيسٍ، جُرِحَ بالطّائف مع رسول الله ﷺ، قُتِلَ يومَ فِحْلٍ[1] في خلافة عمرَ بن الخَطّاب، ويقال: قُتِلَ يومَ خيبرَ، يُشَكُّ فيه، وعُمَيرُ بن رِئَاب بن حُذَيفة بن مُهشِّم بن سُعَيد بن سَهْم، قُتِلَ بعَيْنِ التَّمر[2] مع خالد بن الوليد مُنصَرَفَه من اليَمَامةِ في خلافة أبي بكرٍ؛ أحدَ عَشَرَ رجلاً.

ومن بني عَدِيِّ بن كعب بن لُؤَيٍّ: عُرْوةُ بن عبد العُزَّى بن حُرْثانَ بن عَوف بن عَبيد بن عَوِيج بن عَديّ بن كعبٍ، هَلَكَ بأرض الحَبَشة، وعَديُّ بن نَضْلة بن عبد العُزَّى بن حُرْثانَ، هَلَكَ بأرض الحَبَشة؛ رجلانِ.

وقد كان مع عَديٍّ ابنُه النُّعمانُ بن عَديّ، فقَدِمَ النُّعمانُ مع مَن قَدِمَ من المسلمين من أرض الحَبَشة، فبَقِيَ حتّى كانت خلافةُ عمرَ بن الخَطّاب فاستَعمَلَه على مَيْسانَ من أرض البَصْرة[3]، فقال أبياتاً من شعرٍ، وهي:

---

(١) وكانت هذه الوقعة في آخر سنة ثلاث عشرة في ذي القَعْدة منها.

وفِحْل اليوم تُعرَف بطبقة فحل، وهي في شمال الأردنّ جنوب بحيرة طبريا، غربيّ مدينة إربد على قرابة ٢٧ كم منها.

(٢) بلدة في العراق غرب مدينة كربلاء على قرابة ٤٥ كم. وكانت هذه الوقعة في السنة الثانية عشرة. وأما اليمامة فقد تقدم التعريف بها ص٤٧-٤٨.

(٣) مَيسان: محافظة على نهر دجلة جنوب شرق العراق، مركزها مدينة العمارة التي تقع =

ألا هـلْ أَتـى الحَسـناءَ أنّ حَلِيلَهـا ... بمَيْسـانَ يُسـقَى في زُجـاجٍ وحَنـتَمِ[1]

إذا شـئتُ غَنَّتْنـي دَهـاقِينُ قريـةٍ ... ورَقّاصـةٌ تَجـذُو علـى كـلِّ مَنسِـمِ[2]

فإن كنتَ نَدْماني فبـالأكبَرِ اسـقِني ... ولا تَسـقِني بالأصـغرِ المُتَـثلِّمِ[3]

لَعـلَّ أميـرَ المـؤمنينَ يَسُـوؤُهُ ... تَنادُمُنـا في الجَوسَـقِ المُتَهـدِّمِ[4]

فلمّا بَلَغَت أبياتُه عمرَ قال: نَعَم والله، إنَّ ذلك لَيَسُوؤُني، فمَن لَقِيَه فليُخبِرْه أنّي قد عَزَلتُه. وعَزَلَه، فلمّا قَدِمَ عليه اعتَذَرَ إليه وقال: والله يا أميرَ المؤمنين، ما صَنَعتُ شيئاً ممّا بَلَغَك أنّي قلتُه قَطُّ، ولكنّي كنتُ امرَأً شاعراً وَجَدتُ فَضْلاً من قولٍ فقلتُ فيما يقول الشُّعراءُ، فقال له عمرُ: وايْمُ اللهِ، لا تَعمَلُ لي على عَمَلٍ ما بَقِيتُ وقد قلتَ ما قلتَ.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْرٍ: سَلِيطُ بن عمرو بن عبد شَمْس بن عبد وَدِّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْلٍ[5]، وهو كان رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى هَوْذَةَ بن عليٍّ

= شمال غرب البصرة على قرابة ١٦٠ كم.

(١) الحليل: الزوج. والحنتم: جِرارٌ مصبوغة بخُضْرة تضرب إلى السواد.

(٢) الدّهاقين: جمع دِهقان، وهو شيخ القرية ورئيسها. تَجذُو، أي: تبرك على ركبتها، وذاله مُبدَلة من ثاءٍ أصله: تَجثُو.

ويعني بالمَنسِم هنا: طرف قدمها، وأصل المَنسِم للبعير، وهو طرف خُفِّه، فاستعاره هنا للإنسان.

(٣) النَّدمان، أي: النَّديم، وهو الصاحب في المجلس.

(٤) الجوسق: البُنيان العالي، ويقال: هو الحصن.

وذكر ابن عبد البر في ترجمة النعمان بن عديٍّ من «الاستيعاب» ص٧٢٠: أن هذه الأبيات كتبها إلى امرأته، وكان قد أرادها على الخروج معه إلى ميسان فأَبَتْ عليه.

(٥) زاد على حاشية (ش٢): بن عامر.

الحَنَفيِّ باليَمَامة[1]؛ رجلٌ.

ومن بني الحارثِ بن فِهْر بن مالكٍ: عثمانُ بن عبد غَنْم بن زهير بن أبي شدّادٍ، وسعدُ بن عبد قيس بن لَقِيطِ بن عامر بن أُميّة بن ظَرِبِ بن الحارث بن فِهْرٍ، وعِيَاضُ بن زهير بن أبي شدّادٍ؛ ثلاثةُ نَفَرٍ.

فجميعُ مَن تَخلَّفَ عن بدرٍ ولم يَقدَمْ على رسول الله ﷺ مكّةَ، ومَن قَدِمَ بعدَ ذلك، ومَن لم يَحمِلِ النَّجاشيُّ في السّفينتَينِ، أربعةٌ وثلاثون رجلاً.

وهذه تسميةُ جُمْلةِ مَن هَلَكَ منهم ومن أبنائهم بأرض الحَبَشة:

من بني عبد شَمْس بن عبد مَنافٍ: عُبيدُ الله بن جَحْش بن رِئابٍ حَليفُ بني أُميّة، مات بها نصرانيّاً.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيٍّ: عمرُو بن أُميّةَ بن الحارث بن أسَد.

ومن بني جُمَحَ: حاطبُ بن الحارث، وأخوه حَطّابُ بن الحارث.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: عبدُ الله بن الحارث بن قيس.

ومن بني عَدِيِّ بن كعب بن لُؤَيٍّ: عُرْوةُ بن عبد العُزَّى بن حُرْثانَ بن عَوفٍ، وعَديُّ بن نَضْلة؛ سبعةُ نَفَرٍ.

ومن أبنائهم: من بني تَيْم بن مُرَّةَ: موسى بنُ الحارث بن خالد بن صَخْر بن عامرٍ؛ رجلٌ.

وجميعُ مَن هاجَرَ إلى أرض الحَبَشة من النّساءِ، مَن قَدِمَ منهنَّ ومَن هَلَكَ هنالك ستَّ عَشْرةَ امرأةً سوى بناتِهنَّ اللّاتي وُلِدنَ هنالك، مَن قَدِمَ منهنَّ ومَن هَلَكَ هنالك ومَن خُرِجَ به معهُنَّ حين خَرَجنَ:

---

(١) وهوذة هذا كان رئيس اليمامة وصاحبها، ولم يُسلِم.

من قريشٍ: من بني هاشمٍ: رُقيَّةُ بنتُ رسول الله ﷺ.

ومن بني أُميّةَ: أمُّ حَبِيبة بنتُ أبي سفيانَ، معها ابنتُها حَبيبةُ، خَرَجَت بها من مكّة ورَجَعَت بها معها.

ومن بني مَخزومٍ: أمُّ سَلَمةَ ابنةُ أبي أُميّة، قَدِمَت معها بزَينَبَ، ابنتِها من أبي سَلَمة، وَلَدَتها هنالك.

ومن بني تَيْمِ بن مُرَّةَ: رَيْطةُ بنتُ الحارث بن جُبَيلة، هَلَكَت بالطّريقِ وبنتانِ لها كانت وَلَدَتهما هنالك: عائشةُ بنتُ الحارث، وزَينَبُ بنتُ الحارث، هَلَكنَ جميعاً وأخوهُنَّ موسى بن الحارثِ من ماءٍ شَرِبُوه بالطّريقِ، وقَدِمَت بنتٌ لها وَلَدَتها هنالك فلم يَبْقَ من ولدها غيرُها، يقال لها: فاطمة.

ومن بني سَهْم بن عمرٍو: رَمْلةُ بنتُ أبي عَوْف بن صُبَيرةَ.

ومن بني عَدِيِّ بن كعبٍ: ليلى بنتُ أبي حَثْمةَ بن غانم.

ومن بني عامر بن لُؤَيٍّ: سَوْدةُ بنتُ زَمْعة بن قيسٍ وسَهْلةُ بنتُ سُهَيل بن عمرٍو، وابنةُ المُجلِّل، وعَمْرةُ بنتُ السَّعْديّ بن وَقْدانَ، وأمُّ كُلثُومٍ بنتُ سُهَيل بن عمرو.

ومن غرائبِ العرب: أسماءُ بنتُ عُمَيس بن النُّعمان الخَثْعَميّةُ، وفاطمةُ بنتُ صفوانَ بن أُميّة بن مُحرِّثٍ الكِنانيّةُ، وفُكَيهةُ بنتُ يَسارٍ، وبَرَكةُ بنتُ يَسارٍ، وحَسَنةُ أمُّ شُرَحبيلَ ابنِ حَسَنةَ.

وهذه تسميةُ مَن وُلِدَ من أبنائهم بأرضِ الحَبَشة:

من بني هاشمٍ: عبدُ الله بن جعفر بن أبي طالبٍ.

ومن بني عبد شَمْسٍ: محمّدُ بن أبي حُذَيفة، وسعيدُ بن خالد بن سعيدٍ، وأُختُه أَمَةُ بنتُ خالد.

ومن بني مَخزُومٍ: زَينَبُ بنتُ أبي سَلَمة بن عبد الأسَد.

ومن بني زُهْرةَ: عبدُ الله بن المُطَّلِب بن أَزهَرَ.

ومن بني تَيْمٍ: موسى بنُ الحارث بن خالد، وأَخَواتُه عائشةُ بنتُ الحارث وفاطمةُ بنتُ الحارث وزَينَبُ بنتُ الحارث.

الرِّجالُ منهم خمسةٌ: عبدُ الله بن جعفرٍ، ومحمّدُ بن أبي حُذَيفةَ، وسعيدُ بن خالدٍ، وعبدُ الله بن المُطَّلِب، وموسى بن الحارث.

ومن النّساءِ خمسٌ: أَمَةُ بنتُ خالدٍ، وزَينَبُ بنتُ أبي سَلَمة، وعائشةُ وزَينَبُ وفاطمةُ بناتُ الحارثِ بن خالد بن صَخْر.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

عُمْرةُ القَضاءِ

في ذي القَعْدة سنة سبعٍ[1]

قال ابن إسحاق: فلمّا رجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة من خيبر، أقامَ بها شهرَيْ ربيعٍ وجُمادَيَينِ ورَجَباً وشعبانَ ورمضانَ وشوّالاً، يَبعَثُ فيما بين ذلك من غزوِه وسَرَاياهُ ﷺ، ثمّ خرج في ذي القَعْدة في الشَّهر الّذي صَدَّه فيه المشركون مُعتمِراً عُمرةَ القَضاءِ مكان عُمرتِه التي صَدُّوه عنها.

قال ابن هشام: واستَعمَلَ على المدينة عُوَيفَ بن الأضبَطِ الدِّيلِيّ.

ويقال لها: عُمْرةُ القِصَاص[2]، لأنّهم صَدُّوا رسولَ الله ﷺ في ذي القَعْدة في الشّهرِ الحرامِ من سنة ستٍّ، فاقتَصَّ رسولُ الله ﷺ منهم فدخل مكّةَ في ذي القَعْدة في الشّهرِ الحرامِ الذي صَدُّوه فيه من سنة سبعٍ.

بَلَغَنا عن ابن عبّاسٍ أنه قال: فأنزَلَ الله في ذلك ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾[3].

---

(١) قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٧/ ٢٥: سُمِّيَت عمرةَ القضاء، لأن النبي ﷺ قاضَى قريشاً عليها، لا لأنه قَضَى العمرة التي صُدَّ عن البيت فيها، فإنها لم تكُ فَسَدَت بصدِّهم عن البيت، بل كانت عمرةً تامّةً متقبَّلةً. اهـ

ويقال لها أيضاً: عمرة القَضيّة، وبه عَنوَن السهيليُّ، وتُسمَّى أيضاً عمرة الصُّلح، قاله الحاكم في «الإكليل». وانظر «فتح الباري» ١٢/ ٤٤٩ و٤٥١.

(٢) قال السهيليُّ: وهذا الاسم أَولى بها لقوله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة:١٩٤]، وهذه الآية فيها نزلت، فهذا الاسم أَولى بها.

قال ابن حجر في «الفتح» ١٢/ ٤٥١: فتَحصَّل من أسمائها أربعةٌ: القضاء، والقضيَّة، والقِصاص، والصُّلح.

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» ٣/ ٣٠٥ عن عكرمة عن ابن عباس، و٣/ ٣٠٨ عن عطية =

قال ابن إسحاق: وخرج معه المسلمون ممَّن كان صُدَّ معه في عُمرتِه تلك، وهي سنةُ سبعٍ، فلمّا سَمِعَ به أهلُ مكّةَ خَرَجوا عنه، وتَحدَّثَت قريشٌ بينها: أنّ محمّداً وأصحابَه في عُسْرةٍ وجَهْدٍ وشِدّةٍ.

قال ابن إسحاق: فحدّثني من لا أتَّهمُ عن ابن عبّاسٍ قال: صَفُّوا له عند دارِ النَّدْوةِ ليَنظُروا إليه وإلى أصحابه، فلمّا دَخَلَ رسولُ الله ﷺ المسجدَ اضطَبَعَ بِردائِه وأخرَجَ عَضُدَه اليُمنَى[1]، ثمّ قال: «رَحِمَ الله امرَأً أَراهُم اليومَ من نَفْسِه قُوّةً»، ثمّ استَلَمَ الرُّكنَ وخرج يُهَرولُ[2] ويُهَرولُ أصحابُه معه، حتّى إذا وارَاهُ البيتُ منهم واستَلَمَ الرُّكنَ اليَمَاني، مَشَى حتّى يَستلِمَ الرُّكنَ الأسودَ ثمّ هَرولَ، كذلك ثلاثةُ أطوافٍ ومَشَى سائرَها.

فكان ابنُ عبّاسٍ يقول: كان الناسُ يَظُنّون أنّها ليست عليهم، وذلك أنّ رسولَ الله ﷺ إنّما صَنَعَها لهذا الحيِّ من قريشٍ للّذي بَلَغَه عنهم، حتّى إذا حَجَّ حَجّةَ الوداعِ فلَزِمَها، فمَضَتِ السُّنّةُ بها[3].

= العوفي عن ابن عباس، والواحديُّ في «أسباب النزول» (١٠٢) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والأسانيد الثلاثة ضعيفة لا تصح، لكن روي هذا القول في سبب النزول عن غير واحد من المفسِّرين كمجاهد وقتادة ومِقسَم والسُّدّي والضحّاك، وارتضاه الطبريُّ فبدأ به تفسيره لهذه الآية.

(١) اضطبع بردائه: أدخل بعضه تحت عَضُده اليمنى، وجعل طرفه على مَنكِبه الأيسر. والعَضُد: ما بين الذراع ورأس الكتف من اليد.

(٢) الهرولة: فوق المشي ودون الجري.

(٣) أصل الحديث صحيح، وإسناد ابن إسحاق فيه ضعيف جداً، فإن الواسطة المُبهَمة بينه وبين ابن عباس هنا قد بيَّنها سلمةُ بن الفضل في روايته عنه عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٢٣-٢٤ حيث رواه عنه عن الحسن بن عُمارة عن الحكم بن عُتيبة عن مِقسَم عن ابن عباس، والحسن =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ[1]: أنّ رسولَ الله ﷺ حين دخل

= ابن عمارة هذا متَّفق على ضعفه.

لكن روي نحو حديثه هذا بإسناد قويٍّ عند أحمد (٢٧٨٢) وابن حبان (٣٨١٢) عن أبي الطُّفيل عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ لمّا نزل مرَّ الظَّهران في عُمرته، بلغ أصحابَ رسول الله ﷺ أنّ قريشاً تقول: ما يتباعثون من العَجَف (أي: ما يقومون من الضَّعف)، فقال أصحابه: لو انتَحَرْنا من ظَهْرنا (أي: من جِمالنا) فأكلنا من لحمه وحَسَونا من مَرَقه، أصبحنا غداً حين ندخل على القوم وبنا جمامة (أي: راحة وقوّة) قال: «لا تفعلوا، ولكن اجمَعُوا لي من أزوادِكم» فجمعوا له وبَسَطوا الأنطاع، فأكلوا حتى تولَّوا وحَثَا كلُّ واحد منهم في جِرَابه، ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد، وقَعَدَت قريشٌ نحو الحِجْر، فاضطَبَع بردائه ثم قال: «لا يرى القومُ فيكم غَمِيزةً» (أي: نقيصة يغمزونكم بها أو ضعفاً يطمعون به في محاربتكم) فاستلم الرُّكن ثم دخل حتى إذا تغيَّب بالركن اليماني مشى إلى الركن الأسود، فقالت قريش: ما يَرضَون بالمشي، إنهم ليَنقُزون نَقْزَ الظِّباء، ففعل ذلك ثلاثةَ أطواف، فكانت سُنّةً. قال أبو الطفيل: وأخبرني ابن عباس: أن النبي ﷺ فعل ذلك في حجّة الوداع.

وأخرج البخاري (٤٢٥٦) ومسلم (١٢٦٦) (٢٤٠) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه مكةَ وقد وَهَنَتهم حُمَّى يثرب، فقال المشركون: إنه يَقدَم عليكم غداً قوم قد وَهَنَتهم الحمَّى ولَقُوا منها شدّةً، فجلسوا ممّا يلي الحِجرَ، وأَمرهم النبي ﷺ أن يَرمُلوا ثلاثة أشواط ويَمشُوا ما بين الرُّكنين، ليرى المشركون جَلَدَهم، فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمّى قد وَهَنَتهم، هؤلاء أجلدُ من كذا وكذا. قال ابن عباس: ولم يمنعه أن يأمرهم أن يَرمُلوا الأشواطَ كلَّها إلا الإبقاءُ عليهم.

(١) وهو ابن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاري، وهو ثقة من صغار التابعين، فخبره هذا مرسل، وأغلب الظنّ أنه حمله عن أنس بن مالك، فهو من الرواة عنه، وقد ثبت هذا عن أنس كما سيأتي مع اختلاف في بعض الأبيات المقولة لابن رواحة.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٢٤، والطبراني في «الكبير» (٤١٦) و(١٤٩٩٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤١١٤)، والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٢٣ من طرق عن ابن إسحاق. =

مكّةَ في تلك العُمْرة، دخلها وعبدُ الله بن رَوَاحة آخِذٌ بخِطَامِ[1] ناقتِه يقول:

خَلُّوا بني الكُفّارِ عن سَبيلِهِ ... خَلُّوا فكلُّ الخيرِ في رسولِهِ

يا رَبِّ إنّي مؤمنٌ بقِيلِهِ ... أَعرِفُ حَقَّ اللهِ في قَبُولِهِ[2]

نحنُ قَتَلناكمْ على تأويلِهِ ... كما قَتَلناكمْ على تنزيلِهِ[3]

ضرباً يُزيلُ الهامَ عن مَقِيلِهِ ... ويُذهِلُ الخليلَ عن خليلِهِ

= وقد روي نحو هذا عن أنس من وجهين:

أحدهما: من طريق جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس. وفيه: أن ابن رواحة كان يقول:

خلُّوا بني الكفار عن سبيلِهِ ... اليوم نَضرِبْكم على تنزيلِهِ

ضرباً يُزِيل الهامَ عن مَقِيلِهِ ... ويُذهِلُ الخليلَ عن خليلِهِ

وزاد فيه: فقال له عمر: يا ابن رواحة، بين يدي رسول الله ﷺ وفي حَرَمِ الله تقول الشعرَ! فقال له النبي ﷺ: «خلِّ عنه يا عمر، فلهي أسرعُ فيهم من نَضْح النَّبْل». أخرجه الترمذي (٢٨٤٧)، والنسائي في «المجتبى» (٢٨٧٣) و(٢٨٩٣) وفي «الكبرى» (٣٨٤٢) و(٣٨٦٢)، وابن حبان (٥٧٨٨). وحسّن إسناده ابن حجر في «الإصابة» ٤/ ٨٥.

الثاني: من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن شهاب الزهري، عن أنس. دون زيادة قول عمر في آخره، وفيه أن ابن رواحة كان يقول:

خلُّوا بني الكفار عن سبيلِهِ ... قد أنزل القرآن في تنزيلِهِ

بأنّ خير القتل في سبيلِهِ

أخرجه ابن حبان (٤٥٢١) وغيره من طرق عن عبد الرزاق، ورجاله ثقات. فالظاهر أن ابن رواحة قال هذه الأبيات كلها، فروى بعضُ الرواة ما لم يروِ الآخرون، والله تعالى أعلم.

(١) الخِطام: الحبل الذي تقاد به الناقة.

(٢) قِيله، أي: قوله.

(٣) المراد بالتأويل: التفسير الباطل لآي القرآن وصرفها عن وجوهها التي أُنزلت فيها. وأما قوله: على تنزيله، أي: على إنكار تنزيله من الله والكفر بما فيه.

قال ابن هشام: نحنُ قَتَلناكم على تأويلِه، إلى آخر الأبياتِ لعَمّار بن ياسرٍ في غيرِ هذا اليوم[1]، والدّليلُ على ذلك أنّ ابنَ رَوَاحةَ إنّما أرادَ المشركين، والمشركون لم يُقِرُّوا بالتنزيل، وإنما يُقتَل على التأويل من أقَرَّ بالتّنزيل.

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبانُ بن صالحٍ وعبدُ الله بن أبي نَجِيح، عن عطاءِ بن أبي رَبَاحٍ ومجاهدٍ أبي الحَجّاج، عن ابن عبّاسٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ تَزوَّجَ ميمونةَ بنتَ الحارثِ في سَفَرِه ذلك وهو حَرامٌ[2]، وكان الذي زَوَّجَه إيّاها العبّاسُ بن عبد المُطَّلِب[3].

---

(١) يعني أن عمّاراً قالها يوم صِفِّين. وانظر مناقشة ابن حجر لهذه القضية في «فتح الباري» ١٢/ ٤٥٢.

(٢) أي: مُحرِم. وأراد بالتزوّج العقدَ عليها وليس الوطءَ. وانظر الكلام على حديث ابن عباس هذا مستوفًى في «فتح الباري» لابن حجر ١٥/ ٣٢٨-٣٣٠.

(٣) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٣٩٣)، وابن حبان (٤١٣٣)، والطبراني في «الكبير» (١١٤٠١) من طريق إبراهيم بن سعد، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٢/ ٢٦٩ من طريق هارون بن أبي عيسى، كلاهما عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. ولم يذكر أحمد وابن حبان والطحاوي فيه قصة العباس.

وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٣١٩٠) من طريق ابن أبي زائدة، عن ابن إسحاق، عن أبان بن صالح وحده، به. مختصراً دون قصة العباس. ورواه البخاري (٤٢٥٩) معلّقاً عن ابن إسحاق.

وأما قصّة تزويج العباس إياها للنبيِّ ﷺ، فقد رواها أحمد (٢٤٤١) وغيره من طريق مِقسَم ابن بُجْرة، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ خطب ميمونةَ بنت الحارث، فجعلت أمرَها إلى العباس، فزوَّجها النبيَّ ﷺ. وفي إسناده لِينٌ لكنه صالحٌ للاعتبار.

وقصة تزوّج النبيِّ ﷺ ميمونةَ وهو محرم قد رواها غيرُ واحد من أصحاب ابن عباس عنه، كأبي الشعثاء جابر بن زيد عند أحمد (١٩١٩) والبخاري (٥١١٤) ومسلم (١٤١٠) وابن ماجه (١٩٦٥) والترمذي (٨٤٤) والنسائي في «المجتبى» (٢٨٣٧) وابن حبان (٤١٣١)، وعكرمةَ =

قال ابن هشام: وكانت جَعَلَت أمرَها إلى أُختها أمِّ الفَضْل، وكانت أمُّ الفضل تحت العبّاس، فجَعَلَت أمُّ الفضل أمرَها إلى العبّاس، فزوَّجَها رسولَ الله ﷺ بمكّة، وأصدَقَها عن رسول الله ﷺ أربعَ مئةِ دِرهَم[1].

قال ابن إسحاق: فأقامَ رسولُ الله ﷺ بمكّة ثلاثاً، فأتاه حُوَيطِبُ بن عبد العُزَّى ابن أبي قيس بن عبد وَدِّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْلٍ في نَفَرٍ من قريشٍ في اليومِ الثّالث، وكانت قريشٌ قد وَكَّلَته بإخراجِ رسول الله ﷺ من مكّة، فقالوا: إنّه قد انقَضَى أجَلُك فاخرُجْ عنّا، فقال النبيُّ ﷺ: «وما عَليكُم لو تَرَكتُموني فأَعرَسْتُ بينَ أَظهُرِكم، وصَنَعْنا لكم طعاماً فحَضَرتُمُوه»، قالوا: لا حاجةَ لنا في طعامِك فاخرُجْ عنّا، فخرج رسولُ الله ﷺ، وخَلَّفَ أبا رافعٍ مَوْلاهُ على ميمونةَ حتّى أتاهُ بها بسَرِف[2] فبَنَى بها رسولُ الله ﷺ هنالك، ثمّ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحِجّة.

قال ابن هشام: فأنزَلَ الله عزَّ وجلَّ عليه فيما حدَّثني أبو عُبيدة: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧] يعني خَيبَر.

[يليه في الجزء الرابع: ذكر غزوة مؤتة]

= عند أحمد (٢٢٠٠) والبخاري (٤٢٥٨) وأبي داود (١٨٤٤) والترمذي (٨٤٢) والنسائي (٢٨٤٠)، وسعيدِ بن جبير عند أحمد (٣٠٢٩).

(١) لم نقف في شيء من الآثار على أن العباس أصدَقَها عن النبي ﷺ أربع مئة درهم.

(٢) سَرِف، يُصرَف ولا يُصرَف: يعرف هذا الموضع اليوم بالنوّارية، وهو حيٌّ من أحياء مكة في الشمال الغربي منها، يبعد عن الحرم قرابة ١٦ كم.

وهذا الخبر تتمة لحديث ابن عباس السابق كما وقع في روايتي الطحاوي والطبراني.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

غزوةُ بني سُلَيم بالكُدْر ٥
غزوةُ السَّوِيق ٥
غزوةُ ذي أَمَرٍ ٩
غزوةُ الفُرُع من بَحْرانَ ١٠
أمرُ بني قَينُقاعَ ١٠
سَرِيّةُ زيد بن حارثة إلى الفَرْدة من مياه نجد ١٤
قتلُ كعبِ بن الأشرف ١٦
أمرُ مُحيِّصة وحُوَيِّصة ٢٥
أمر غزوة أُحد ٢٩
ذكرُ ما نزل في أُحدٍ من القرآن ١٠٩
ذكرُ من استُشهِد بأحدٍ من المهاجرين ١٢٩
تسمية مَن قُتِل من المشركين يومَ أحدٍ ١٣٤
ذكرُ ما قيل من الشعر يومَ أحدٍ ١٣٦
ذكرُ يوم الرَّجِيع في سنة ثلاثٍ ١٩٥
أمرُ بئر مَعُونة في صَفَرٍ سنة أربعٍ ٢١٤
أمرُ إجلاءِ بني النَّضير في سنة أربعٍ ٢٢٢
غزوةُ ذات الرِّقاع في سنة أربعٍ ٢٤٠
غزوةُ بدرٍ الآخرة في شعبانَ سنة أربعٍ ٢٥٠
غزوةُ دُومَة الجَندَل في شهر ربيع الأوّل سنة خمسٍ ٢٥٦

غزوةُ الخندق في شوّالٍ سنة خمسٍ ٢٥٨
غزوةُ بني قُرَيظة في سنة خمسٍ ٢٨٣
ما قيلَ من الشِّعر في أمر الخندق وبني قُرَيظة ٣١٥
مقتلُ سَلَام بن أبي الحُقَيق ٣٤٣
إسلام عمرو بن العاص ٣٤٧
غزوةُ بني لِحْيانَ ٣٥١
غزوة ذي قَرَدٍ ٣٥٥
غزوةُ بني المُصطَلِق بالمُرَيسيع في شعبان سنة ستٍّ ٣٦٧
خبرُ الإفك في غزوة بني المُصطَلِق من سنة ستٍّ ٣٧٨
أمرُ الحُدَيبيَة في آخر سنة ستٍّ ٣٩٨
ذكرُ بيعة الرِّضوان والصُّلح بين رسول الله ﷺ وبين سُهَيل بن عمرو ٣٩٨
بيعةُ الرِّضْوان ٤١٠
الهُدْنـة ٤١٢
ما جَرَى عليه أمرُ قوم من المستضعَفِين بعد الصُّلح ٤٢٤
ذكرُ المَسِير إلى خيبر في المحرَّم سنة سبعٍ ٤٣١
بقيّةُ أمرِ خيبر ٤٥١
نُبَذٌ من ذكر وادي القُرى ٤٥٥
أمرُ الأسوَدِ الرّاعي في حديث خيبر ٤٦٣
أمرُ الحجّاج بن عِلَاطٍ السُّلميّ ٤٦٤
ذكرُ مَقاسِم خيبرَ وأموالِها ٤٧٠
أمرُ فَدَك في خبر خيبرَ ٤٧٦

تسميةُ النّفَر الدّاريِّين الذين أوصَى لهم رسولُ الله ﷺ من خيبر ٤٧٦
ذكرُ قُدومِ جعفرٍ من الحَبَشة وحديثُ المهاجرين إلى الحبشة ٤٨٦
عُمْرةُ القَضاءِ في ذي القَعْدة سنة سبعٍ ٤٩٧

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سيرة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

(المعروفة بسيرة ابن هشام)

للإمام البارع اللغوي الأخباري عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري

المتوفى سنة ٢١٨ هـ

حققها على أصولها وضبط نصها وخرج أحاديثها وعلق عليها

د. همام عبد الرحيم سعيد — حاد مرسي المطيري

مقابلة على اثني عشرة نسخة خطية، منها ست تامة وست أجزاء متفرقة

مع العناية بضبط أماكن الأحداث منها وبيان مراقيها الجغرافية

المجلد الرابع

دار الفاروق
عمان - الأردن

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سيرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم

٤

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

٢٣٩

❖ رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٢٢/٧/٣٤٨٥)

❖ المصري ، عبد الملك بن هشام بن ايوب . تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، عادل مرشد المقدسي .

❖ دار الفاروق للنشر والتوزيع

❖ الواصفات: /حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم //آل البيت//السيرة النبوية

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

❖ يتحمل المحقق كامل المسؤولية القانونية والعلمية عن محتوى هذا الكتاب.

❖ الكتب والدراسات التي تصدرها الدار تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها.

حقوق الطبع محفوظة. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته الى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق.

دار الفاروق للنشر والتوزيع

الأردن ـ عمان ـ العبدلي ـ عمارة جوهرة القدس

تلفون: ٠٠٩٦٢٦٤٦٤٠٠٦٤

E- mail: daralfarouq@yahoo.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سيرة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

(المعروفة بسيرة ابن هشام)

للإمام البارع اللغوي الأخباري عبد الملك بن هشام بن أيوب المصري

المتوفى سنة ٢١٨ هـ

حققها على أصولها وضبط نصها وخرج أحاديثها وعلق عليها

د. همام عبد الرحيم سعيد — عادل مرشد القدسي

مقابلة على اثنتي عشرة نسخة خطية، منها ست تامة وست أجزاء متفرقة
مع العناية بتحرير أماكن الأحداث منها وبيان مواقعها الجغرافية

المجلد الرابع

دار الفاروق
عمان - الأردن


بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ذكرُ غزوة مُؤْتة
في جُمادَى الأولى سنة ثمانٍ[1]
ومَقتَل جعفرٍ وزيدٍ وعبدِ الله بن رَوَاحة

قال ابن إسحاق: فأقامَ بها بقيّةَ ذي الحِجّة، ووَلِيَ تلك الحَجّةَ المشركون، والمُحرَّمَ وصَفَراً وشهرَي ربيعٍ، وبَعَثَ في جُمادَى الأُولى بَعْثَه إلى الشّام الَّذين أُصِيبوا بمُؤْتة.

حدَّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُرْوة بن الزُّبَير قال: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ بَعْثَه إلى مُؤْتة في جُمادَى الأولى سنة ثَمانٍ، واستَعمَلَ عليهم زيدَ بن حارثةَ، وقال: «إنْ أُصِيبَ زيدٌ فجعفرُ بن أبي طالبٍ على النَّاسِ، فإنْ أُصِيبَ جعفرٌ فعَبدُ الله بنُ رَوَاحةَ على النَّاسِ»[2].

---

(١) مؤتة: بلدة جنوب مدينة الكرك وسط الأردن، وتبعد عنها قرابة ١٠ كم.

(٢) هذا الخبر مع ما بعده بطوله من مراسيل عروة بن الزبير، وهو من أعلم التابعين بالمغازي، والراوي عنه ـ وهو ابنُ أخيه محمد بن جعفر بن الزبير ـ من الثقات.

وهو بطوله عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٣٦-٤٠، والطبراني في «الكبير» (١٥٠١١)، والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٥٨-٣٦٠، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢/ ٦-٧ و٢٨/ ١٢٣-١٢٤، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ١٣٢-١٣٤ من طرق عن ابن إسحاق، به.

وهذه الفِقرة من الخبر في ذكر الأمراء الثلاثة قد رُوِيَت مُسنَدة من حديث ابن عمر عند البخاري (٤٧٤١)، وابن حبان (٤٧٤١).

ومن حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عند أحمد (١٧٥٠)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٥٠)، وإسناده صحيح.

ومن حديث أبي قتادة الأنصاري عند أحمد (٢٢٥٥١)، والنسائي (٨١٩٢)، وابن حبان =

فتَجهَّزَ الناسُ ثمّ تَهيَّؤوا للخروج، وهم ثلاثةُ آلافٍ، فلمّا حَضَرَ خروجُهم وَدَّعَ الناسُ أُمراءَ رسول الله ﷺ وسَلَّموا عليهم.

فلمّا وُدِّعَ عبدُ الله بن رَوَاحة مع مَن وُدِّعَ من أُمراءِ رسول الله ﷺ بَكَى، فقالوا: ما يُبكِيكَ يا ابن رَوَاحة؟ فقال: أمَا والله ما بي حُبُّ الدّنيا ولا صَبَابةٌ بكم[1]، ولكنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يَقرَأُ آيةً من كتاب الله عزَّ وجلَّ يذكرُ فيها النارَ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١]، فلستُ أَدري كيفَ لي بالصَّدَرِ بعدَ الوُرودِ؟![2]

فقال المسلمون: صَحِبَكم اللهُ ودَفَعَ عنكم، ورَدَّكم إلينا صالحينَ، فقال عبدُ الله ابن رَوَاحةَ:

لكنَّنـي أسـألُ الـرَّحمنَ مَغفِـرةً ... وضـربةً ذاتَ فَـرْغٍ تَقـذِفُ الزَّبَـدا[3]

= (٧٠٤٨)، وإسناده جيد.

وذُكِروا أيضاً بهذا الترتيب لمّا نعاهم النبيُّ ﷺ إلى المسلمين كما في حديث أنس بن مالك عند أحمد (١٢١١٤)، والبخاري (١٢٤٦).

(١) الصَّبابة: رِقّة الشوق وحرارته.

(٢) أخرج هذه الفِقرة في قصة بكاء ابن رواحة أبو نعيم في «الحلية» ١/ ١١٨ من طريق عبد الرحمن بن محمد المُحاربي، عن محمد بن إسحاق، به.

وقد روى عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ١٠-١١، ومن طريقه الحاكم (٨٩٦٣)، بسند رجاله ثقات، عن قيس بن أبي حازم مرسلاً قال: كان عبد الله بن رواحة واضعاً رأسه في حَجْر امرأته، فبكى فبكت امرأته، فقال: ما يُبكيكِ؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيتُ، قال: إني ذكرتُ قول الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فلا أدري أننجو منها أم لا. ونحوه عند النسائي في «الكبرى» (١١٨٣٦) والحاكم (٨٩٦٢)، وقيس بن أبي حازم تابعي مُخضرَم كبير.

(٣) ذات فَرْغ، أي: واسعة، يعني ضربة شديدة. والزَّبَد هنا: رَغْوة الدم.

أو طَعنةً بيدَيْ حَرّانَ مُجهِزةً ... بحَرْبةٍ تُنفِذُ الأحشاءَ والكَبِدا[1]

حتّى يقالَ إذا مَرُّوا على جَدَثي ... أرشَدَه اللهُ من غازٍ وقد رَشَدا[2]

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّ القومَ تهيَّؤوا للخروج، فأَتى عبدُ الله بن رَوَاحةَ رسولَ الله ﷺ فوَدَّعه، ثمّ قال:

فثَبَّتَ اللهُ ما آتاكَ من حَسَنٍ ... تثبيتَ موسى ونَصراً كالّذي نُصِروا

إنّي تَفَرَّستُ فيكَ الخيرَ نافِلةً ... أللهُ يَعلَمُ أنّي ثابتُ البَصَرِ[3]

أنتَ الرّسولُ فمَن يُحرَمْ نوافِلَهُ ... والوَجْهَ منه، فقد أَزرَى به القَدَرُ[4]

قال ابن هشام: أنشَدَني بعضُ أهلِ العلم بالشِّعر هذه الأبياتَ:

أنتَ الرّسولُ فمَن يُحرَمْ نوافِلَهُ ... والوجهَ منه فقد أَزرَى به القَدَرُ

---

(١) الحرّان: الشديد التلهُّب، يغلي جوفه من حرارة غيظه. والمُجهِزة: السريعة القتل. وتنفذ الأحشاء، أي: تخترقها.

(٢) الجَدَث: القبر.

(٣) نافلة، أي: هِبَة من الله وعطيّة منه، والنوافل: العطايا والمواهب. وفي هذا البيت إقواء.

(٤) أزرى به القدرُ، أي: تهاوَن به واستحقره.

وروى ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٤٨٩، والطبري في مسند عمر من «تهذيب الآثار» ٢/ ٦٦١-٦٦٢، والطبراني في «الكبير» (١٥٠٢١) من طرق عن عمر بن أبي زائدة عن مُدرِك بن عُمارة مرسلاً: أن عبد الله بن رواحة أنشد النبيَّ ﷺ هذه الأبيات في المسجد، فلما ذكر البيت الذي فيه الدعاء بالتثبيت، أقبل عليه النبيُّ ﷺ متبسِّماً وقال: «وأنت فثبَّتك الله». وعمر ومُدرك لا بأس بهما.

وبنحو هذا علَّقه ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٣٩٧ من رواية هشام بن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن الزبير بن العوام. وقال هشام في آخره: فثبّته الله أحسنَ الثبات فقُتل شهيداً وفُتِحَت له الجنّة فدخلها.

فثَبَّـتَ الله مـا آتـاكَ مـن حَسَـنٍ في المُرسَلِينَ ونصراً كالّذي نُصِروا
إنّـي تَفرَّسـتُ فيـك الخيـرَ نافِلـةً فِراسـةً خالَفَـت فيـكَ الّـذي نَظَـروا

يعني المشركين. وهذه الأبياتُ في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج القومُ وخرج رسولُ الله ﷺ يُشيِّعُهم، حتّى إذا وَدَّعَهم وانصَرَفَ عنهم قال عبدُ الله بن رَوَاحة:

خَلَـفَ السّـلامُ علـى امـرِئٍ وَدَّعتُـهُ في النَّخـلِ خيـرِ مُشـيِّعٍ وخليـلِ

ثمّ مَضَوْا حتّى نزلوا مَعَانَ من أرض الشّام، فبَلَغَ النّاسَ أنّ هِرَقلَ قد نَزَلَ مَآبَ من أرض البَلْقاء[1] في مئةِ ألفٍ من الرُّوم، وانضَمَّ إليهم من لَخْم وجُذَام والقَيْن وبَهْراءَ وبَلِيٍّ مئةُ ألفٍ منهم، عليهم رجلٌ من بَلِيٍّ ثمّ أَحدِ إرَاشةَ يقال له: مالكُ بن زافِلةَ[2].

فلمّا بَلَغَ ذلك المسلمين أقاموا على مَعانَ ليلتَينِ يُفكِّرون في أمرِهم، وقالوا:

---

(١) مَعَان: مدينة عامرة جنوب الأردن، تبعد عن مؤتة قرابة ١٠٠ كم.

أما مآب: فهي ما يُعرَف اليوم بالرَّبّة، وتقع شمال مؤتة على قرابة ٢٢ كم.

وقد تقدم التعريف بأكثر من هذا بمآب والبلقاء ١/ ٨٦.

(٢) في هذه الفِقرة أمران لا بدَّ من التنبيه عليهما:

الأول: أن هرقل لم يكن حاضراً في هذه المعركة، والذي قاد الروم فيها إنما هو أخوه، واسمه ثيودورس.

الثاني: أن أعداد الروم والعرب التابعين لهم في هذه الغزوة قد اضطُرِب فيها وبولِغَ فيها ولم تُضبَط لكثرتهم، إلا أنها في الغالب لم تصل إلى هذه الأرقام الهائلة المذكورة هنا عند ابن إسحاق وتابعه عليها غيرُ واحد من كتّاب السير والمغازي.

وانظر في تنقيد هذين الأمرين كتاب «غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية» من تأليف د. بريك أبو مايلة العمري ص٢٨٣-٢٨٦، ففيه تفصيل نفيس.

نَكتُبُ إلى رسول الله ﷺ فنُخبِرُه بعَدَدِ عدوِّنا، فإمّا أن يُمِدَّنا بالرِّجال، وإمّا أن يأمُرَنا بأمرِه فنَمضِيَ له.

قال: فشَجَّعَ الناسَ عبدُ الله بن رَوَاحة وقال: يا قوم، والله إنَّ الّتي تكرَهُون لَلّتي خرجتُم تَطلُبون: الشّهادةُ، وما نُقاتِلُ الناسَ بعَدَدٍ ولا قوّةٍ ولا كَثْرةٍ، وما نُقاتِلُهم إلّا بهذا الدِّين الّذي أكرَمَنا اللهُ به، فانطَلِقوا، فإنّما هي إحدى الحُسنَيَين: إمّا ظُهورٌ، وإمّا شهادةٌ، قال: فقال الناسُ: قد واللهِ صَدَقَ ابنُ رَوَاحة. فمَضَى الناسُ، فقال عبدُ الله ابن رَوَاحةَ في مَحبِسِهم ذلك:

جَلَبْنا الخيلَ من أجَإٍ وفَرْغٍ[1] تُغَرُّ من الحَشيشِ لها العُكومُ
حَذَوْناها من الصَّوّانِ سِبتاً أزَلَّ كأنَّ صَفْحتَه أَديمُ[2]
أقامَت ليلتَينِ على مَعَانٍ فأعقَبَ بعدَ فَتْرَتِها جُمومُ[3]

---

(١) في (ت) و(ش١) و(غ): وفرع، بالعين، وهو على هذا أطول جبل بأجأ وأوسطه فيما قال ياقوت في «معجم البلدان» ٤/ ٢٥٢-٢٥٣، وأجأ: أحد جبلَي طيّء، والآخر سَلمى، ويقال لهما اليوم: جبلا حائل، لأنهما يشرفان على مدينة حائل شمال نجد، وفي سائر نسخنا الخطية بالغين كما أثبتنا، والفَرْغ من بُلدان تميم كما في «معجم البلدان» ٤/ ٢٥٤، وبلاد تميم ممتدّة في نجد ونواحيها.

وتُغَرّ: تُطعَم شيئاً بعد شيء، يقال: غرَّ الطائرُ فرخَه غَرّاً وغِراراً: زقَّه. والعُكوم: جمع عَكْم، وهو الجَنْب.

(٢) حذوناها، أي: جعلنا لها حذاءً، وهو النَّعل. والصَّوّان: حجارة مُلْس، واحدتها: صَوّانة. والسِّبت: النِّعال التي تصنع من الجلود المدبوغة. وأزلّ، أي: أملَسَ. والصفحة: الجانب. والأديم: الجلد. يقول: لكثرة ما مشينا بهذه الخيول في الأراضي الجرداء فكأننا جعلنا الحجارة لها كالنِّعال.

(٣) الفَتْرة: الضعف والسكون. والجُموم: اجتماع القوة والنَّشاط بعد الراحة.

فرُحْنا والجيادُ مُسوَّماتٌ تَنَفَّسُ في مَناخِرِها السَّمومُ[1]

فلا وأَبي مَآبَ لنَأْتِيَنْها وإنْ كانت بها عَرَبٌ ورُومُ

فعَبَّأْنا أعِنَّتَها فجاءَت عَوابسَ والغُبارُ لها بَريمُ[2]

بِذِي لَجَبٍ كأنَّ البَيضَ فيهِ إذا بَرَزَت قَوانِسُها النُّجومُ[3]

فراضيةُ المعيشةِ طَلَّقَتْها أسِنّتُها فتَنكِحُ أو تَئِيمُ[4]

قال ابن هشام: ويُروَى: جَلَبْنا الخيلَ من آجامِ قُرْحٍ[5]، وقولُه: فعَبَّأْنا أعِنّتَها، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ثمّ مَضَى الناسُ.

فحدَّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ أنّه حُدِّثَ عن زيد بن أرقَمَ قال: كنتُ يَتيماً لعبد الله

---

(١) مسوَّمات: مُرسَلات أو مُعلَمات. والسَّموم: الريح الحارّة.

(٢) الأعنّة: جمع عِنان، وهو لجام الدابّة. والبريم: كلُّ ما فيه لونان مختلطان، والبَريم أيضاً: الدمع المختلط بالإثمد، وهذا هو المراد هنا غالباً، يريد أن ما علا هذه الجيادَ من الغبار، قد خالط ماء عيونها فصار كالبَريم.

(٣) بذي لَجَب، أي: جيش، واللَّجب: اختلاط الأصوات وكثرتها. والبَيضُ: جمع البَيضة، وهي الخُوذَة من حديد توضع على الرأس. والقوانس: جمع قَونَس، وهي حديدة طويلة في أعلى الخُوذَة.

(٤) راضية المعيشة، أي: المعيشة المرضيّة. وأسنّتها، يعني: أسنّةَ الحرب، وهي رؤوس الرّماح. والأيِّم: التي لا زوج له؛ يريد: أن هذه المعيشة المرضيّة الهنيّة، قد استبدلتُها بساحات الحرب والقتال، فلتبحث عمَّن يركن إليها غيري.

(٥) الآجام: جمع أُجُم، وهو الحصن، أو البناء المرتفع. وقُرْح: سوق وادي القُرى، وهو مدينة العُلا اليوم، تقع غرب الجزيرة العربية، وتبعد عن المدينة المنورة قرابة ٣٠٠ كم في الشمال الغربي منها.

ابن رَوَاحةَ في حَجْرِه، فخرج بي في سفرِه ذلك مُرْدِفي على حَقِيبةِ رَحْلِه[1]، فوالله إنّه لَيسيرُ ليلةً إذ سمعتُه وهو يُنشِدُ أبياتَه هذه:

إذا أدَّيتِنـي وحَمَلـتِ رَحْلـي ... مَسِـيرةَ أربـعٍ بعـدَ الحَسَـاءِ[2]

فشـأنُكِ أنعُـمٌ وخَـلَاكِ ذَمٌّ ... ولا أَرجِـعْ إلـى أهـلٍ وَرَائـي[3]

وجـاءَ المسـلمونَ وغـادَرُوني ... بـأرضِ الشّـامِ مُشـتهِيَ الثَّـواءِ[4]

---

(١) الحَقيبة: ما يجعله الراكبُ وراءه إذا ركب.

(٢) هكذا قُيِّدت في (ط) و(ق٢) و(ي) بفتح الحاء، وفي (ش١) و(ش٢) بكسرها، وفي (م) بهما جميعاً، وأُهملت في (ت) و(ص) و(غ) و(ف).

والحَسَاء: يُمَدّ ويُقصَر، والظاهر أنه يعني به البلد المعروف الآن في وسط الأردن، وهو الذي يقع في طريقهم إلى مآب ومؤتة، ويبعد عن مآب (أو الرَّبّة) قرابة ٦٠ كم في الجنوب الشرقي منها، وعن مؤتة قرابة ٤٠ كم.

وذهلَ الرَّحّالةُ نصرٌ الإسكندريُّ فيما ذهب إليه ـ وتابعه الحازميُّ في كتابه «الأماكن» وياقوت في «معجم البلدان» ـ من أنّ المراد بالحساء هنا في شعر ابن رواحة موضع قريب من الرَّبَذة، فإن هذا الموضع الذي أشار إليه يبعد أياماً عن المدينة في شرقها، وليس هو في الطريق إلى الشام حيث توجّه هذا الجيش الإسلامي، وانظر تعليق الأستاذ البارع حمد الجاسر رحمه الله على كتاب «الأماكن» للحازمي ص٣٤٧.

(٣) فشأنك أنعُمٌ، أي: أمرُك ذو أنعُمٍ، جمع نِعمةٍ، أي: إحسان، يعني أنها لن تُكلَّف السفر والمَشقّة بعد ذلك، لأنه عازم على القتال والموت في سبيل الله وعدم الرجوع عليها إلى أهله، وهو قوله: ولا أَرجِعْ، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٥٥: هو مجزوم على الدعاء، دعا على نفسه أن يُستشهَدَ ولا يرجعَ إلى أهله.

وخلاكِ ذمٌّ، أي: فارقك الذمُّ، فلستِ بأهلٍ له.

(٤) الثَّواء: الإقامة في المكان. وعند السهيليِّ في «الروض» ٧/ ٣٥: مُستنهيَ الثواء، وقال: مُستفعِل من النهاية والانتهاء، أي: حيث انتهى مَثْواه، ومن رواه: مشتهي الثواء، أي: لا أريد =

ورَدَّكِ كـلُّ ذي نَسَـبٍ قريـبٍ إلـى الـرَّحمن مُنقطِـعَ الإخـاءِ
هنالـكِ لا أُبـالي طَلْـعَ بَعْـلٍ ولا نَخـــلٍ أســـافِلُها رِوَاءِ[1]

فلمّا سمعتُهنَّ منه بَكَيتُ، قال: فخَفَقَني بالدِّرّةِ[2] وقال: ما عليك يا لُكَعُ[3] أن يَرزُقَني اللهُ شهادةً وتَرجِعَ بين شُعبَتَي الرَّحْلِ![4]

قال: ثمّ قال عبدُ الله بن رَوَاحة في بعض سَفَرِه ذلك وهو يَرتجِزُ:

يـا زيـدُ زيـدَ اليَعمَلاتِ الـذُّبَّلِ تَطـاوَلَ الليـلُ هُـدِيتَ فـانزِلِ[5]

= رجوعاً.

(١) البَعْل: الذي يشرب بعروقه من الأرض. والرِّواء: الممتلئة من الماء، وهي بكسر الهمزة صفة للنخل، ومن رواه بضمّ الهمزة ـ كما في (ت) ـ فهو إقواءٌ كما قال أبو ذر الخشنيّ.

(٢) خفقني بالدِّرة، أي: ضربني بها، والدِّرّة: عودٌ أو سوطٌ يُضرَب به.

(٣) اللُّكَع: تُطلق على الأحمق والصغير واللئيم وغير ذلك، والظاهر أنه أراد هنا الصِّغَر مع الحُمق، فزيدٌ إذ ذاك كان شابّاً صغيراً.

(٤) شُعبتا الرَّحل: طرفاه المقدَّم والمؤخَّر. والرَّحل للنّاقة كالسَّرج للفرس.

والخبر مخرَّج أيضاً في «تاريخ الطبري» ٣/ ٣٨-٣٩، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٥٠١٣)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم ١/ ١١٩-١٢٠، و«أسد الغابة» لابن الأثير ٣/ ١٣١-١٣٢ من طرق عن ابن إسحاق.

وذكره الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٧٥٩ وزاد: ثم نزل نزلةً من الليل فصلّى ركعتين وعاقَبَهما دعاءً طويلاً، ثم قال لي: يا غلام، فقلت: لبَّيك، قال: هي إن شاء الله الشهادةُ.

(٥) قوله: يا زيد، المنادى هنا هو زيد بن أرقم، وقد اختلفت النسخ في تقييد حركة الدال في زيد الأول، فبعضها قيّدها بالضم مرفوعاً، وأخرى بالفتح منصوباً، وهما وجهان صحيحان، فالرفع فيه مذهب المبرّد كما في «المقتضب» له ٤/ ٢٣٠ وجوّده، وهو على أنه منادى مفرد، والثاني منصوب لأنه مضاف، وأما النصب فيه ـ أي: في الأول ـ فمذهب سيبويه كما في «الكتاب» له ٢/ ٢٠٦، وهو عنده منادى مضاف إلى ما بعد الثاني، والثاني مُقحَم بين المضاف والمضاف =

قال ابن إسحاق: فمضى الناسُ حتّى إذا كانوا بتُخومِ[1] البَلْقاءِ لَقِيَتهم جموعُ هِرَقلَ من الرُّوم والعرب بقريةٍ من قُرَى البَلقاءِ يقال لها: مَشارِفُ[2]، ثمّ دَنَا العدوُّ، وانحازَ المسلمون إلى قريةٍ يقال لها: مُؤْتة، فالْتَقَى الناسُ عندها فتَعبّأَ لهم المسلمون، فجَعَلوا على مَيمَنَتِهم رجلاً من بني عُذْرةَ يقال له: قُطْبةُ بن قَتَادة، وعلى مَيسَرَتِهم رجلاً من الأنصار يقال له: عَبَايةُ بن مالكٍ.

قال ابن هشام: ويقال: عُبَادةُ بن مالكٍ.

قال ابن إسحاق: ثمّ التَقَى الناسُ فاقتتلوا، فقاتَلَ زيدُ بن حارثةَ برايةِ رسول الله ﷺ حتّى شاطَ[3] في رِماح القوم[4].

= إليه. وانظر «شرح أبيات سيبويه» للسيرافي ٢/ ٤٢، و«شرح الكافية» لابن مالك ٣/ ١٣٢٠ - ١٣٢١.

واليَعمَلات: جمع يَعمَلة، قال السيرافي: وهي الناقة القوية التي تصبر على السير، والذُّبّل: جمع ذابلة، وهي التي ذَبَلَت من شدة السير وطُول السُّرى، وأضاف زيداً إلى اليَعمَلات لأنه ينزل ويَحدُو لها فتسير، وهو قويٌّ على ضبطها وسَوْقها، فتطاول اللّيلُ عليك، أي: قد أخَّرتَ النزول إليها حتى ذهب أكثر الليل.

(١) التخوم: جمع تَخْمٍ، وهو الحدّ الفاصل بين أرض وأرض.

(٢) لا يعرف اليوم قرية بهذا الاسم، إلا أنه يوجد في شمال مؤتة قرية تسمَّى المشيرفة، وتبعد عنها قرابة ٥ كم، فيحتمل أنها المرادة هنا ويكون اسمها قد تغيّر مع مرور الزمن كما هو الحال في كثير من أسماء القرى والبلدان، وذِكرُ المصنِّف هنا بأن المسلمين انحازوا من هذه القرية إلى مؤتة، يؤيد هذا الاحتمال، فإن الانحياز يُوحي بأنهم كانوا في مركز متقدِّم ثم تأخروا عنه إلى مركز آخر قريب منه لغرض إعادة التعبئة وتحسين الموقف للقتال.

(٣) أي: هَلَكَ، يقال: شاطَ الرجل، إذا سال دمُه فهَلَك.

(٤) روى هذه الفِقرةَ يونسُ بن بكير عن ابن إسحاق عند الحاكم (٥٠١٨) عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عمّه عروة بن الزبير مرسلاً.

ثمّ أخَذَها جعفرٌ فقاتَلَ بها، حتّى إذا أَلحَمَه القتالُ، اقتَحَمَ عن فرسٍ له[1] شقراءَ فعَقَرَها[2]، ثمّ قاتَلَ القومَ حتّى قُتِل، فكان جعفرٌ أوّلَ رجلٍ من المسلمين عَقَرَ في الإسلام.

وحدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّادٍ قال: حدّثني أَبي الّذي أرضَعَني، وكان أحدَ بني مُرَّة بن عَوفٍ[3]، وكان في تلك الغزوةِ، غزوةِ مُؤْتةَ، قال: واللهِ لَكأنّي أنظُرُ إلى جعفرٍ حين اقتَحَمَ عن فرسٍ له شقراءَ ثمّ عَقَرَها، ثمّ قاتَلَ حتّى قُتِلَ[4]، وهو يقول:

يا حَبّذا الجَنّةُ واقترابُها ... طَيّبةً وبارداً شَرابُها

والرُّوم رومٌ قد دَنا عذابُها ... كافرةٌ بَعيدةٌ أنسابُها

عليَّ إذْ لاقَيتُها ضِرابُها

قال ابن هشام: وحدّثني مَن أثِقُ به من أهلِ العِلْم: أنّ جعفرَ بن أبي طالبٍ أَخذَ اللِّواءَ بيمينِه فقُطِعَت، فأَخذَه بشمالِه فقُطِعَت، فاحتَضَنَه بعَضُدَيهِ حتّى قُتِلَ رضي الله عنه، وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً، فأثابَه اللهُ بذلك جَناحَينِ في الجنّة يَطِيرُ بهما حيثُ

---

(١) ألحَمَه القتال، أي: عَلِقَ فيه فلم يجد له مخلصاً. واقتحم عن فرس له، أي: رمى بنفسه عنها من غير رويّةٍ.

(٢) أي: ضرب قوائمها بالسيف وهي قائمة.

(٣) وبنو مرّة بن عوف بطنٌ من غَطَفان.

(٤) إسناده صحيح.

ورواه مع الرَّجَز يونسُ بن بكير عن ابن إسحاق عند البيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٣٦٣.

ورواه بدونه محمدُ بن سلمة الحرّاني عند أبي داود (٢٥٧٣)، وعبدُ الله بن إدريس عند الحاكم (٤٩٩٦)، كلاهما عن ابن إسحاق. وانظر تمام تخريجه والتعليق عليه في «سنن أبي داود» طبعة دار الرسالة.

شاءَ[1].

ويقال: إنّ رجلاً من الرُّوم ضربه يومَئذٍ ضربةً فقَطَعَه بنِصفَينِ[2].

---

(١) قد روي من غير وجهٍ أن الله تعالى قد أثاب جعفراً رضي الله عنه جناحين، ممّا يقوّي هذا الخبر:

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أُرِيتُ جعفراً مَلَكاً (يعني كالمَلَك) يطير بجناحيه في الجنة». أخرجه الترمذي (٣٧٦٣)، وابن حبان (٧٠٤٧)، والحاكم (٤٩٩٩)، وهو حديث حسن.

وعن إسماعيل بن أبي خالد عن رجلٍ: أن النبي ﷺ قال: «لقد رأيتُه في الجنة ـ يعني جعفراً ـ له جناحان مضرَّجان بالدماء مصبوغ القوادم». أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٣٥، ورجاله ثقات وظاهره الإرسال إلا إن كان الرجل المذكور صحابياً فيحتمل عندها الاتصال ويصحّ، فقد روى إسماعيل عن بعض الصحابة ممّن تأخّرت وفاته.

وعن موسى بن عقبة معضلاً: أن رسول الله ﷺ نَعَتَهم (يعني الأمراءَ في هذه الغزوة) قال: «مرَّ عليَّ جعفرُ بن أبي طالب في الملائكة يطير مع الملائكة كما يطيرون، له جناحان». أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٦٥، ورجاله إلى موسى لا بأس بهم.

وعن عامر الشعبيّ: أن ابن عمر كان إذا سلَّم على عبد الله بن جعفرٍ قال: السلام عليك يا ابنَ ذي الجناحين. أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٧٠٩) و(٤٢٦٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٠٢).

(٢) وروى هذا الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٧٦١ ـ ومن طريقه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٣٥، والحاكم (٤٩٩٥) ـ عن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب، عن أبيه قال: ضربه رجل من الرُّوم فقطعه نصفين، فوقع أحدُ نصفيه في كَرْم، فوُجِدَ في نصفه ثلاثون أو بضع وثلاثون جرحاً. وهذا ضعيف لا يصحُّ لتفرّد الواقديِّ به، وهو متكلَّم فيه عند أهل الحديث، ثم إنه معضلٌ، فمحمد بن عمر بن علي من أتباع التابعين.

ومما يدلّ على ضعف هذه الرواية: أن عبد الله بن عمر كان حاضراً في هذه الغزوة ولم يذكر أن جعفراً قُطع نصفين، فقد روى حديثه البخاري في «صحيحه» (٤٢٦١) قال: كنت فيهم في =

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبدالله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّادٍ قال: حدّثني أَبي الذي أرضَعَني، وكان أحدَ بني مُرَّة بن عَوفٍ، قال: فلمّا قُتِلَ جعفرٌ أَخذَ عبدُالله بن رَوَاحةَ الرّايةَ ثمّ تَقدَّمَ بها وهو على فرسِه، فجَعَلَ يَستَنزِلُ نفسَه ويَتردَّدُ بعضَ التّردُّدِ، ثمّ قال:

أَقسَمتُ يا نفسُ لتَنزِلِنَّهْ ... لتَنزِلِنَّ أو لتُكرَهِنَّهْ

إنْ أَجلَبَ الناسُ وشَدُّوا الرَّنَّهْ ... ما لي أراكِ تكرهينَ الجنَّهْ[1]

قد طالَ ما قدْ كنتِ مُطمئِنَّهْ ... هل أنتِ إلّا نُطْفةٌ في شَنَّهْ[2]

وقال أيضاً:

يا نفسُ إلّا تُقتَلي تَمُوتي ... هذا حِمَامُ الموتِ قد صَلِيتِ[3]

وما تَمنّيتِ فقد أُعطِيتِ ... إنْ تفعلي فِعلَهما هُدِيتِ

يريد صاحبيه: زيداً وجعفراً؛ ثمّ نَزَلَ، فلمّا نَزَلَ أتاه ابنُ عمٍّ له بعَرْقٍ من لحمٍ[4] فقال: شُدَّ بهذا صُلْبَك، فإنّك قد لَقِيتَ أيّامَك هذه ما لَقِيتَ، فأَخذه من يده ثمّ

= تلك الغزوة، فالتمسنا جعفرَ بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورَمْية. وفي رواية عنده أيضاً (٤٢٦٠) قال: عددتُ به خمسين بين طعنة وضربة، ليس منها شيء في دُبُره. يعني: في ظهره. والرواية الأولى عنه أَثبت، وسواء كان هذا أو ذاك، فالعدد بعينه قد لا يكون له مفهوم، وإنما المراد به الدّلالة على ثبات جعفر وبيان فَرْط شجاعته وإقدامه في أرض المعركة، رضي الله عنه. وانظر «فتح الباري» لابن حجر ١٢/ ٤٧٦.

(١) أجلَبَ الناسُ: صاحوا واجتمعوا. والرَّنّة: الصوت الشديد.

(٢) النُّطفة: القليل من الماء. والشَّنّة: السِّقاء البالي. فيوشك أن تُهراق النطفة، وينخرق السقاء، ضرب ذلك مثلاً لنفسه في جسده. قاله السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٣٧.

(٣) حِمام الموت: قضاؤه المحتوم.

(٤) العَرْق: العظم الذي عليه بعض لحم.

انتَهَسَ منه نَهْسةً، ثمّ سمعَ الحَطْمةَ[1] في ناحية النّاس، فقال: وأنتَ في الدُّنيا! ثمّ أَلقاه من يده ثمّ أَخذ سيفَه فتَقدَّمَ فقاتَلَ حتّى قُتِل.

ثمّ أَخذَ الرّايةَ ثابتُ بن أقرَمَ أخو بني العَجْلانِ فقال: يا مَعشَرَ المسلمين، اصطَلِحوا على رجلٍ منكم، قالوا: أنتَ، قال: ما أنا بفاعلٍ. فاصطَلَحَ النّاسُ على خالدِ بن الوليد، فلمّا أَخذَ الرّايةَ دافَعَ القومَ وحاشَى بهم[2]، ثمّ انحازَ وانحِيزَ عنه حتّى انصَرَفَ بالنّاس[3].

---

(١) انتهس منه: أخذ منه بمقدَّم أسنانه شيئاً يسيراً. والحطمة: ازدحام الناس وضرب بعضهم بعضاً.

(٢) دافع القومَ، أي: الروم، وحاشى بهم، أي: بالمسلمين.

وحاشى بهم: بالحاء المهملة في (ت) و(ش١) و(ص) و(ط) و(غ) و(م)، من الحَشَى: وهي الناحية، ومعناه: انحاز بهم.

وفي (ش٢) و(ف) و(ق٢) و(ي) ونسخة في حاشية (م): خاشى، بالخاء، والمُخاشاة من الخَشْية، لأنه خشي على المسلمين لقلّة عددهم. وأشار إلى هذا الخلاف في اللفظين وشرحهما السهيليّ في «الروض» ٧/ ٤١.

(٣) إسناده صحيح.

وأخرجه بطوله الطبري في «تاريخه» ٣/ ٣٩-٤٠، والطبراني في «الكبير» (١٥٠١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٢٠ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

فائدة: روى محمد بن عائذٍ في «مغازيه» ـ كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر ٢/ ١٦ ـ عن عطاف ابن خالد وغيره مرسلاً: أن خالد بن الوليد بات ثم أصبح غازياً وقد جعل مقدّمتَه ساقةً وساقتَه مقدّمةً، وميمنته ميسرةً وميسرته ميمنةً، فأنكروا ما جاء به من خلاف ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم، وقالوا: قد جاءهم مَدَدٌ، فانهزموا وقُتلوا مَقتَلةً لم يُقتَلها قومٌ. اهـ، يعني أنهم انحازوا عن المسلمين.

وفي هذه الغزاة سمَّى رسولُ الله ﷺ خالداً سيفَ الله، فقد روى أنسُ بن مالك عن النبي ﷺ: =

قال ابن إسحاق: ولمّا أُصيبَ القوم قال رسولُ الله ﷺ فيما بَلَغَني: «أَخذَ الرَّايةَ زيدُ بنُ حارثةَ فقاتَلَ بها حتَّى قُتِلَ شهيداً، ثمّ أَخذَها جعفرٌ فقاتَلَ بها حتَّى قُتِلَ شهيداً»، قال: ثمّ صَمَتَ رسولُ الله ﷺ حتّى تَغيَّرَت وجوهُ الأنصار، وظَنُّوا أنّه قد كان في عبد الله بن رَوَاحة بعضُ ما يَكرَهون، ثمّ قال: «ثمَّ أَخذَها عبدُ الله بنُ رَوَاحةَ فقاتَلَ بها حتَّى قُتِلَ شهيداً»(١).

ثمّ قال: «لقد رُفِعُوا لي في الجَنَّةِ فيما يَرَى النّائمُ على سُرُرٍ من ذَهَبٍ، فرأَيتُ في سَرِيرِ عبدِ الله بن رَوَاحةَ ازوِرَاراً(٢) عن سَرِيرَيْ صاحبَيهِ، فقلت: عَمَّ هذا؟ فقِيلَ لي: مَضَيَا وتَردَّدَ عبدُ الله بعضَ التَّردُّدِ ثمَّ مَضَى»(٣).

= أنه لمّا نعى الأمراءَ الثلاثة وعَيناه تَذرِفان قال في حقّ خالدٍ: «حتى أَخذ سيفٌ من سيوف الله حتى فتح الله عليهم». أخرجه البخاري (٣٧٥٧) و(٤٢٦٢).

ولقد اشتدَّ القتال في هذه المعركة وحميَ إلى الغاية، حتى قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: لقد دُقَّ في يدي يوم مؤتة تسعةُ أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحةٌ يمانيَةٌ. أخرجه البخاري (٤٢٦٥) و(٤٢٦٦). والصَّفيحة: السيف العريض.

(١) حديث صحيح.

فقد روي من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «أخذ الراية زيد فأُصيب، ثم أخذها جعفر فأُصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأُصيب». أخرجه أحمد (١٢١١٤)، والبخاري (١٢٤٦).

زاد أبو قتادة الأنصاريُّ في حديثه عن النبي ﷺ في الثلاثة: «أُصيب شهيداً فاستَغفِروا له». أخرجه أحمد (٢٢٥٥١)، وإسناده جيّد.

(٢) ازوراراً، أي: ميلاً وانحرافاً.

(٣) هذا الحديث ذكره ابن إسحاق معضلاً بلا إسناد، فهو ضعيف.

ورواه معضلاً أيضاً كرواية البكّائي عن ابن إسحاق يونسُ بنُ بكيرٍ عند البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٦٨، وابن الأثير في «أسد الغابة» ١/ ٣٤٣. =

فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ، عن أمِّ عيسى الخُزَاعيَّة، عن أمِّ جعفرٍ بنتِ محمّد ابن جعفر بن أبي طالبٍ، عن جَدَّتها أسماءَ بنتِ عُمَيسٍ قالت: لمّا أُصيبَ جعفرٌ وأصحابُه دَخَلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ وقد دَبَغتُ أربعينَ مَناً[1] ـ قال ابن هشام: ويُروَى أربعين مَنِيئةً ـ وعَجَنتُ عَجِيني، وغَسَّلتُ بَنيَّ ودَهَنتُهم ونَظَّفتُهم، قالت: فقال لي رسولُ الله ﷺ: «ائْتِيني ببَنِي جعفرٍ»، قالت: فأَتيتُه بهم، فتَشَمَّمَهم وذَرَفَت عَيْناهُ، فقلت: يا رسولَ الله، بأبي أنت وأُمّي ما يُبكِيكَ؟ أبَلَغَك عن جعفرٍ وأصحابه شيءٌ؟ قال: «نَعَم، أُصِيبُوا هذا اليومَ». قالت: فقُمْتُ أَصيحُ، واجتَمَعَ إليَّ النّساءُ، وخرج رسولُ الله ﷺ إلى أهلِه فقال: «لا تُغفِلُوا آلَ جعفرٍ من أن تَصنَعُوا لهم طعاماً، فإنَّهم قد شُغِلُوا بأَمرِ صاحبِهم»[2].

= ورواه مع الذي قبله: الطبراني في «الكبير» (١٥٠١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٢٠، من طريق محمد بن سلمة الحرّاني عن ابن إسحاق، وظاهره أنه موصولٌ بإسناد ما قبلَهما من خبر الأمراء الثلاثة وأَخْذ ثابت بن أقرم الرايةَ بعد ابن رواحة، والله تعالى أعلم.

(١) بتخفيف النون، وفي لغة بالتشديد: وهو مِكيال يكال به أو يوزن به رِطْلان. تريد أنها دبغت من الجلود بهذا المقدار.

(٢) إسناده فيه لِينٌ لجهالة أم عيسى الخزاعية، وأم جعفر بنت محمد ـ ويقال لها أيضاً: أم عون ـ هي زوجة محمد ابن الحنفيّة كما في «الطبقات» لابن سعد ٧/ ٩٤، وآخر الحديث حسنٌ بشاهده.

وأخرجه أحمد (٢٧٠٨٦)، والطبراني في «الكبير» ٢٤/ (٣٨٠)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٥٩) من طريق إبراهيم بن سعد، والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٧٠ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

قال الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» ٦/ ١٦١: وفيه امرأتان لم أجد من وثَّقهما ولا جرحهما، وبقيّة رجاله ثقات. =

وحدّثني عبدُ الرَّحمن بن القاسم بن محمّدٍ، عن أبيه، عن عائشة زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: لمّا أَتى نَعْيُ[1] جعفرٍ عَرَفْنا في وجهِ رسول الله ﷺ الحُزنَ، قالت: فدخل عليه رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، إنَّ النّساءَ عنّينَنا وفَتَنَّنا! قال: «فارجِعْ إليهِنَّ فأَسكِتْهُنَّ».

قالت: فذهبَ ثمّ رجعَ فقال له مِثلَ ذلك. قال: تقول: ورُبَّما ضَرَّ التّكلُّفُ أهلَه، قالت: قال: «فاذهَبْ فأَسكِتْهُنَّ، فإنْ أَبَينَ فاحْثُ في أَفواهِهِنَّ التُّرابَ[2]»، قالت: قلت في نفسي: أبعَدَكَ اللهُ، فوالله ما تَرَكتَ نفسَك، وما أنتَ بمُطِيعٍ رسولَ الله ﷺ. قالت: وعَرَفتُ أنّه لا يَقدِرُ على أن يَحثِيَ في أفواهِهِنَّ التُّرابَ[3].

= وروى آخره في صنع الطعام لآل جعفرٍ عبدُ الأعلى بن عبد الأعلى عند ابن ماجه (١٦١١) عن ابن إسحاق مختصراً.

ويشهد لهذا القدر منه حديثُ عبد الله بن جعفر قال: لما جاء نعيُ جعفرٍ حين قُتل، قال النبي ﷺ: «اصنعوا لآل جعفرٍ طعاماً، فقد أتاهم أمرٌ يَشغَلُهم». أخرجه أحمد (١٧٥١)، وأبو داود (٣١٣٢)، وابن ماجه (١٦١٠)، والترمذي (٩٩٨)، والحاكم (١٣٩٣)، وإسناده حسنٌ، وحسّنه الترمذيُّ وصحّحه الحاكم.

(١) النَّعْيُ: خبر الميّت الذي يأتي، والنَّعِيُّ: هو الشخص الذي يأتي بخبر موته.

(٢) يقال: حَثَا عليه الترابَ، إذا صبَّه عليه.

(٣) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٦٣)، والحاكم (٤٣٩٧) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه أحمد (٢٤٣١٣)، والبخاري (١٢٩٩) و(١٣٠٥) و(٤٢٦٣)، ومسلم (٩٣٥)، وأبو داود (٣١٢٢)، والنسائي في «المجتبى» (١٨٤٧) و«الكبرى» (١٩٨٦)، وابن حبان (٣١٤٧) و(٣١٥٥) من طريق عَمْرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة. وذكرت في أوله الأمراء الثلاثة.

قال ابن إسحاق: وقد كان قُطْبةُ بن قَتَادة العُذْريُّ الّذي كان على مَيمَنةِ المسلمين قد حَمَلَ على مالك بن زافِلةَ فقتله، فقال قُطْبةُ بن قَتَادة:

طَعَنتُ ابنَ زافِلةَ بنِ الإرَاشِ ... بِرُمحٍ مضى فيه ثمّ انحَطَمْ[1]

وثُمَّ ضَرَبتُ على جِيدِهِ[2] ... فمالَ كما مالَ غُصنُ السَّلَمْ

وسُقْنا نساءَ بني عمِّهِ ... غَداةَ رَقُوقَينِ سَوقَ النَّعَمْ[3]

قال ابن هشام: قوله: ابن الإرَاشِ، عن غير ابن إسحاق، والبيتُ الثالث عن خَلّاد ابن قُرّةَ[4]. ويقال: مالكُ بن رافلةَ[5].

بقيّة أمر غَزَاة زيد وجعفر

قال ابن إسحاق: وقد كانت كاهنةٌ من حَدَسٍ[6] حين سَمِعَت بجيشِ رسول الله

---

(١) انحطم، أي: انكسر.

(٢) في (غ) ونسخة على حاشية (ش٢): ضربتُ على جيدِه ضربةً، وفي نسخة على حاشية (غ): ضربتُ بسيفي على جيدِه.

والجِيد: العُنُق. والسَّلَم: شجر صحراويّ شوكيّ طويل، الواحدة: سَلَمة.

(٣) النَّعَم: الأنعام من الإبل والبقر والغنم.

(٤) يعني أن البيت الثالث أنشده له شيخه خلّاد بن قرّة السَّدوسي، وهو لا يصحُّ إيراده مع البيتين الأوَّلين ونسبته لقُطبة، لأنه لم يذكر أحدٌ من أهل العلم بالمغازي أنه حصل في هذه الغزوة شيءٌ من السَّبي، من مبدأ خروجهم من المدينة إلى حين عودتهم إليها، فكيف يقول: سقنا نساء بني عمّه!

وأما رقوقين المذكورة، فالظاهر أنه اسم مكان، لكنه لا يُعرَف الآن، وانظر للاستزادة كتاب «غزوة مؤتة» لبريك أبو مايلة ص٢٤٢-٢٤٤.

(٥) يعني بالراء من رافلة.

(٦) بنو حَدَس: قبيلة من لَخْم، بطن عظيم من اليمن. وهو حَدَس بن أُرَيش بن إرَاش بن =

ﷺ مُقبلاً، قد قالت لقومها من حَدَسٍ ـ وقومُها بطنٌ يقال لهم: بنو غَنْمٍ ـ: أُنذِرُكم قوماً خُزْراً، يَنظُرون شَزْراً، ويَقُودُون الخيلَ تَتْرَى، ويُهرِيقُون دماً عَكْراً[1]. فأَخذوا بقولها واعتَزَلوا من بين لَخْمٍ، فلم تَزَلْ بعدُ أَثْرَى[2] حَدَسٍ، وكان الّذين صَلُوا الحربَ[3] يومَئذٍ بنو ثَعْلبةَ بطنٌ من حَدَسٍ، فلم يَزالُوا قليلاً بعدُ.

فلمّا انصَرَفَ خالدٌ بالنّاس أقبَلَ بهم قافلاً.

فحدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُرْوة بن الزُّبَير قال: لمّا دَنَوْا من حولِ المدينة تَلقّاهم رسولُ الله ﷺ والمسلمون، قال: ولَقِيَهم الصِّبيانُ يَشتَدُّون ورسولُ الله ﷺ مُقبِلٌ مع القوم على دابّةٍ، فقال: «خُذُوا الصِّبْيانَ فاحمِلُوهم، وأَعطُونِي ابنَ جعفرٍ»، فأُتيَ بعبدِ الله بن جعفرٍ فأَخذَه فحَمَلَه بين يديه، قال: وجَعَلَ النّاسُ يَحْثُونَ على الجيشِ التُّرابَ ويقولون: يا فُرّارُ، فَرَرتُم في سبيل الله! قال: فيقول رسولُ الله ﷺ: «ليسوا بالفُرّارِ، ولكنَّهم الكُرّارُ إنْ شاءَ الله»[4].

= جَزِيلة بن لَخْم. انظر «نسب مَعَد واليمن الكبير» لابن الكلبي ١/ ٢١١-٢١٢، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٤٢٣.

(١) الخُزر: جمع أَخزَر، وهو الذي ينظر بمُؤخِر عينه نظرَ المتكبِّر. والشَّزْر: نظرُ العداوة. وتَتْرى: متتابعة شيئاً بعد شيءٍ، كما في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون:٤٤]. والعَكْر: المتعكر، تريد دماً مُختلِطاً.

(٢) من الثروة: وهي الكَثْرة، أي: أكثر مالاً وعدداً.

(٣) أي: احترقوا بنارها وشدّتها.

(٤) مرسلٌ رجاله ثقات.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٤٢، والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٧٤ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

وروى أحمد (٥٣٨٤)، وأبو داود (٢٦٤٧)، والترمذي (١٧١٦) ـ واللفظ له ـ من طريق =

وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ، عن عامر بن عبد الله بن الزُّبَير، عن بعض آلِ الحارث بن هشامٍ - وهم أخوالُه - عن أمِّ سَلَمة زوجِ النبيِّ ﷺ؛ قال: قالت أمُّ سَلَمة لامرأةِ سَلَمة بن هشام بن العاصِ[1] بن المغيرةِ: ما لي لا أَرَى سَلَمةَ يَحضُرُ الصّلاةَ مع رسول الله ﷺ ومع المسلمينَ؟! قالت: والله ما يستطيعُ أن يَخرُجَ، كلَّما خرج صاحَ به النّاسُ: يا فُرّارُ، فَرَرتُم في سبيلِ الله، حتّى قَعَدَ في بيتِه فما يخرجُ[2].

= يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن ابن عمر قال: بَعَثَنا رسولُ الله ﷺ في سريّة، فحاصَ الناسُ حَيصةً، فقَدِمنا المدينة فاختبأنا بها وقلنا: هَلَكْنا، ثم أتينا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، نحن الفرّارون، قال: «بل أنتم العكّارون، وأنا فِئَتُكم». وإسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد الهاشمي مولاهم، لكن يصلح حديثه للاعتبار، فهذا الحديث يشهد لمرسل عروة، وابنُ عمر كان ممّن حضر وقعة مؤتة.

قال الترمذي: معنى قوله: فحاصَ الناسُ حيصةً، يعني: أنهم فرُّوا من القتال، ومعنى قوله: «بل أنتم العكّارون»، العكّار: الذي يفرّ إلى إمامه لينصره ليس يريد الفرارَ من الزَّحف.

(١) هكذا وقع في النسخ كافة، بزيادة العاصِ في هذا النسب، وهذا لم يقع إلا في رواية زياد البكّائي عن ابن إسحاق إن لم يكن ذلك خطأً تتابع عليه النسّاخ، إذ لم يذكره بقيّةُ أصحاب ابن إسحاق عنه، وليس في نسب سلمةَ العاصِ هذا، إنما العاص هو أخوه وأخو أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة، وهو المقتول ببدرٍ كافراً على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) رجاله ثقات غير الرجل المبهم من آل الحارث بن هشام، وقد سمّاه مصعب بن ثابت الزُّبيري عند الواقدي في «المغازي» ٢/ ٧٦٥ أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فإن كان محفوظاً كما قال، فأبو بكر هذا من ثقات التابعين وفقهائهم وله سماع ورواية عن أم سلمة، لكن رُوِيَ خبره هذا عنده على وجه الإرسال.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٤٢ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٤١٧) من طريق إبراهيم بن سعد، كلاهما عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه يونسُ بن بُكَير عن ابن إسحاق عند الحاكم (٤٤٠٣) وغيره، فأسقط من إسناده البعض =

قال ابن إسحاق: وقد قال ـ فيما كان من أمرِ النّاس، وأمرِ خالدٍ ومُخَاشاتِه[1] بالنّاس وانصرافِه بهم ـ قيسُ بن المُسحَّرِ[2] اليَعمَرِيّ، يَعتذِرُ ممّا صَنَعَ يومَئذٍ وصَنَعَ النّاسُ:

واللهِ لا تَنفَكُّ نفسي تَلُومُني ... على مَوقِفي والخيلُ قابعةٌ قُبْلُ[3]

وَقَفتُ بها لا مُستَجيراً فنافِذاً ... ولا مانِعاً مَن كان حُمَّ له القتلُ[4]

على أنّني آسَيتُ نفسي بخالدٍ ... ألا خالدٌ في القومِ ليس له مِثلُ[5]

وجاشَتْ إليَّ النّفسُ من نحوِ جعفرٍ ... بمُؤْتةَ إذ لا يَنفَعُ النابلَ النَّبْلُ[6]

وضَمَّ إلينا حَجْرَتَيهِم[7] كِلَيهما ... مُهاجِرةٌ لا مُشرِكون ولا عُزْلُ

= من آل الحارث. وهو على هذه الرواية منقطع، فإن عامر بن عبد الله لم يدرك أمَّ سلمة.

(١) المخاشاة: المُحاجَزة، وهي مُفاعَلة من الخَشْية، لأنه خَشِيَ على أصحابه لقلّة عددهم.

(٢) تحرّف في (غ) و(ق٢) ونسخة على حاشيتي (ش١) و(ش٢) إلى: المحسّر، بتقديم الحاء، وقد نصَّ ابن الأثير في «أسد الغابة» ٤/ ١٤٦ على أنه عند ابن إسحاق بتقديم السين على الحاء، وذكره ابن عبد البر بتقديم الحاء على السين، وهو قول الأكثرين كما قال ابن ناصر الدين الدمشقي في «توضيح المشتبه» ٨/ ٥٥.

(٣) قابعةٌ، أي: منقبضة، وفي (غ) و(ف): قائعة، قال الخشنيّ في «إملائه» ص٣٥٨: معناه: واثبة، يقال: قَأَعَ الفحلُ على الناقة، إذا وثب عليها، ومن رواه: قانعة بالنون ـ كما في (ش١) ـ فمعناه: رافعة رؤوسها. وقُبْل: جمع أَقبَل وقَبْلاء، وهو الذي يُمِيل عينَه في النظر إلى جهة العين الأخرى، وقد تفعل ذلك الخيلُ حِدّةً ونشاطاً.

(٤) حُمَّ له القتلُ، أي: قُدِّرَ له.

(٥) آسيتُ نفسي بخالد، أي: اقتديت به، من الأُسْوة: وهي القُدْوة.

(٦) جاشت، أي: تحرّكت وارتفعت. والنابل: صاحب النَّبل.

(٧) تصحّف في (ت) و(م) إلى: حجزتيهم، بالزاي. ومعنى حَجْرتيهم: ناحيتيهم، يقال: =

فبَيَّنَ قيسٌ ما اختَلَفَ فيه الناسُ من ذلك في شِعْره: أنّ القومَ حاجَزُوا وكَرِهوا الموتَ، وحَقَّقَ انحيازَ خالدٍ بمَن معه[1].

قال ابن هشام: وأمّا الزُّهْريّ فقال فيما بَلَغَنا عنه: أمَّرَ المسلمون عليهم خالدَ بن الوليد، ففَتَحَ الله عليهم، وكان عليهم حتّى قَفَلَ إلى النبيّ ﷺ.

قال ابن إسحاق: وكان ممّا بُكيَ به أصحابُ مُؤْتة من أصحاب رسول الله ﷺ قولُ حسَّان بن ثابت[2]:

تــأوَّبَني ليــلٌ بيَثــرِبَ أَعسَــرُ وهَــمٌّ إذا مــا نَــوَّمَ النــاسَ مُسـهِرُ[3]

= قَعَدَ حَجْرةً، أي: ناحيةً. وعُزْل: جمع أَعزَل، وهو الذي لا سلاح معه.

(١) قال ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» ٦/ ٤٣٧: ذهب ابن إسحاق إلى أنه لم يكن إلا المخاشاة والتخلُّص من أيدي الروم، وسمَّى هذا نصراً وفتحاً، أي: باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدوِّ بهم وتراكمهم وتكاثرهم وتكاثفهم عليهم، فكان مقتضى العادة أن يُصطَلَموا (أي: يُستأصَلوا ويُبادُوا) بالكُلِّيّة، فلما تخلَّصوا منهم وانحازوا عنهم، كان هذا غايةَ المُرام في هذا المقام، وهذا محتمَل، لكنه خلاف الظاهر من قوله عليه الصلاة والسلام: «ففتح الله عليهم».

قلنا: وهذا الحديث ـ وهو قوله ﷺ: «ففتح الله عليهم» ـ رواه عن النبي ﷺ أنسٌ عند أحمد (١٢١١٤) والبخاري (٣٧٥٧) و(٤٢٦٢)، وعبدُ الله بن جعفر عند أحمد (١٧٥٠) والنسائي في «الكبرى» (٨٥٥٠) والحاكم (٥٣٧٩).

وقال البيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٣٧٥: اختلف أهل المغازي في فِرارهم وانحيازهم، منهم مَن ذهب إلى ذلك، ومنهم مَن زَعَمَ أن المسلمين ظهروا على المشركين وانهزم المشركون، وحديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «ثم أخذها خالد ففُتح عليه»، يدلّ على ظهوره عليهم، والله أعلم.

(٢) انظر «ديوانه» ١/ ٩٨.

(٣) تأوَّبني: عاوَدَني ورجع إليَّ. وأعسر: عَسِير. ونوَّم الناسُ، أي: ناموا كثيراً. ومُسهِر، أي: =

لِذِكرَى حبيبٍ هَيَّجَت لي عَبْرةً ... سَفُوحاً وأسبابُ البكاءِ التَّذكُّرُ[1]

بلى، إنّ فِقْدانَ[2] الحبيبِ بليَّةٌ ... وكمْ من كريمٍ يُبتَلى ثمّ يَصبِرُ

رأيتُ خِيارَ المُؤمنينَ تَوارَدُوا ... شَعُوبَ وخَلْفاً بعدَهم يتأخَّرُ[3]

فلا يُبعِدَنَّ اللهُ قَتلَى تتابَعُوا ... بمُؤْتةَ منهم ذو الجناحَينِ جعفرُ

وزيدٌ وعبدُ الله حين تتابَعُوا ... جميعاً وأسبابُ المَنيَّةِ تَخطِرُ[4]

غَدَاةَ مَضَوا بالمؤمنينَ يقودُهم ... إلى الموتِ ميمونُ النَّقيبةِ أَزهَرُ[5]

أغرُّ كضَوءِ البدرِ من آلِ هاشمٍ ... أَبيٌّ إذا سِيمَ الظُّلامَةَ مِجسَرُ[6]

فطاعَنَ حتّى مالَ غيرَ مُوسَّدٍ ... بمُعتَرَكٍ فيه قَناً مُتكسِّرُ[7]

فصارَ معَ المُستَشْهَدِينَ ثوابُهُ ... جِنانٌ ومُلتَفُّ الحدائقِ أخضرُ

وكنّا نرى في جعفرٍ من محمَّدٍ ... وَفاءً وأَمراً حازماً حين يَأمرُ

= مانع من النوم.

(١) العَبْرة: الدمعة. والسَّفُوح: السائلة المنهمرة.

(٢) في «الديوان»: بَلاءٌ وفقدان.

(٣) شَعُوبُ: اسم للمَنيّة لا يُصرَف، من قولك: شَعَبتُ الشيءَ، إذا فرَّقته. وخَلْفاً، أي: من يأتي بعدُ.

(٤) تخطر، أي: تختال وتهتزّ، والكلام هنا على التمثيل.

(٥) ميمون النقيبة: مبارك النفس مُنجِح فيما يطلبه، كأنه يريد جعفر بن أبي طالب. وأزهر: مُشرِق الوجه.

(٦) أغرُّ، أي: شريف. والأبيّ: عزيز الجانب. وقوله: سِيمَ، أي: كُلِّف وحُمِّل. والمِجسَر: المِقدام الجسور.

(٧) مال، أي: مات، وهي كذلك في «الديوان». وغير موسَّد، أي: سقط على أرض المعركة ولم يمت على فراشه تحته الوسائد. والمُعتَرَك: موضع الحرب.

وما زال في الإسلامِ من آل هاشمٍ ... دعائمُ عزٍّ لا يَزُلنَ ومَفخَرُ
هم جبلُ الإسلامِ والناسُ حولَهمْ ... رِضَامٌ إلى طَوْدٍ يَرُوقُ ويَقهَرُ[1]
بَهالِيلُ منهمْ جعفرٌ وابنُ أمِّهِ ... عليٌّ ومنهم أحمدُ المُتخيَّرُ[2]
وحمزةُ والعبّاسُ منهمْ ومنهمُ ... عَقِيلٌ وماءُ العُودِ من حيثُ يُعصَرُ
بهم تُفرَجُ اللَّأْواءُ في كلِّ مأْزِقٍ ... عَمَاسٍ إذا ما ضاقَ بالناسِ مَصدَرُ[3]
همُ أَولياءُ الله أنزَلَ حُكمَهُ ... عليهم، وفيهمْ ذا الكِتابُ المُطهَّرُ

وقال كعبُ بن مالكٍ:

نامَ العُيونُ ودمعُ عَينِكَ يَهمُلُ ... سَحّاً كما وَكَفَ الطِّبَابُ المُخضَلُ[4]
في ليلةٍ وَرَدَت عليَّ همومُها ... طَوْراً أَخِنُّ وتارةً أَتَملمَلُ[5]
واعتادَني حُزنٌ فبِتُّ كأنّني ... ببَناتِ نَعْشٍ والسِّماكِ مُوكَّلُ[6]

---

(١) الرِّضام: جمع رَضْمة، وهي الحجارة يتراكم بعضها فوق بعض. والطَّود: الجبل. يَرُوق، أي: يُعجِب.

(٢) البَهاليل: جمع بُهلول، وهو السيد الجامع لكل خير.

(٣) اللّأواء: الشِّدة. والعَمَاس: الشديد المُظلم.

(٤) هَمَلَ الدمع: سال وانهمر. وسحّاً: صبّاً. ووَكَفَ: قَطَرَ. والطِّباب: جمع طِبابة، وهي الجلدة التي تُغطَّى بها الخُرَز في القِربة، فإذا كانت غير مُحكمَة وَكَفَ منها الماء. والمخضل: المرطَّب المبتلّ بالماء.

شبّه دموع عينيه بالماء المنحدر من هذه الجلدة المبتلّة في قِربة الماء.

(٥) أَخنّ: هكذا في أكثر النسخ بالخاء، من الخنين: وهو صوت يخرج من الأنف عند البكاء، وفي (ص) و(ش١): أحنّ، بالحاء من الحنين. والتململ: التقلّب في المضجع.

(٦) اعتادني، أي: عادَني مرةً بعد مرّة. يريد أنه بات يرعى النجوم طول ليله من الأرق.

وبنات نعشٍ: سبعة نجوم، أربعة منها نعش لأنها مربّعة وثلاثة في ذيلها بنات، شُبِّهت بحَمَلة =

وكأنّما بين الجوانحِ والحَشَى ... ممّا تأوَّبني شِهابٌ مُدخَلُ[1]

وَجْداً على النَّفَرِ الّذين تتابَعُوا ... يوماً بمُؤتةَ أُسنِدوا لم يُنقَلوا

صَلّى الإلٰهُ عليهِم من فِتْيةٍ ... وسَقَى عِظامَهمُ الغَمامُ المُسبِلُ[2]

صَبَروا بمُؤتةَ للإلٰهِ نُفوسَهمْ ... حَذَرَ الرَّدَى ومَخافةً أن يَنكُلُوا[3]

فمَضَوْا أمامَ المسلمينَ كأنّهمْ ... فُنُقٌ عليهنَّ الحديدُ المُرفَلُ[4]

إذ يَهتَدُون بجعفرٍ ولوائِهِ ... قُدّامَ أوّلِهِمْ فنِعمَ الأوّلُ

حتّى تفرَّجَتِ الصّفوفُ وجعفرٌ ... حيثُ الْتَقَى وَعْثُ الصُّفوفِ مُجدَّلُ[5]

فتغيَّرَ القمرُ المُنِيرُ لفَقْدِه ... والشّمسُ قد كَسَفَت وكادتْ تأفُلُ[6]

قَرْمٌ عَلَا بُنيانُه من هاشمٍ ... فَرْعاً أشَمَّ وسُودَداً ما يُنقَلُ[7]

= النَّعش، وهي ما يسمَّى بكوكبة الدبّ الأكبر، وتشاهد جهة القطب الشمالي.

والسِّماك: نجم نيِّر في النصف الشمالي للكرة الأرضية وهو ألمع نجومها، عملاق أحمر.

(١) الجوانح: عظام أسفل الصدر. وتأوَّبني: أتاني وعادني. والمدخل: النافذ إلى الداخل.

(٢) المُسبِل: الممطر. واستسقاؤهم لأهل القبور استرحامٌ لهم، لأن السَّقي رحمة، وضدّها عذاب. قاله السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٤٦.

(٣) صبروا نفوسهم، أي: حَبَسوها على ما يريدون. ويَنكُلوا، أي: يَجبُنوا ويرجعوا هائبين لعدوّهم.

(٤) الفُنُق: الفحول من الإبل، الواحد: فَنِيقٌ. والمُرفَل: الذي تنجرّ أطرافه على الأرض، يريد أن دروعهم سابغة.

(٥) وَعْث الصفوف: يريد حيث تشتبك الصفوف وتلتحم ببعضها فيصعب الخلاص منها، تشبيهاً بالوَعْث، وهو الرمل الذي تغيب فيه الأرجُل ويشقّ السير فيه. ومجدَّل: مطروح على الجَدَالة، وهي الأرض.

(٦) تأفل، أي: تغيب. والمراد من الكلام تعظيم الحزن والمصاب.

(٧) القرم: السيّد. والأشمّ: الشامخ. والسُّودَد: الشرف والسيادة. وما يُنقَل، أي: لا يتحول =

قــومٌ بهــم عَصَــمَ الإلٰــهُ عِبــادَه ... وعلــيهِم نَــزَلَ الكتــابُ المُنــزَلُ

فَضَــلُوا المَعاشــرَ عِــزّةً وتكرُّمــاً ... وتغمَّــدَت أحلامُهــم مَــن يَجهَــلُ[1]

لا يُطلِقــون إلــى السَّــفَاهِ حُبَــاهمُ ... ويُــرَى خطيــبُهُمُ بحَــقٍّ يَفصِــلُ[2]

بِــيضُ الوجــوهِ تَــرَى بُطــونَ أكُفِّهــمْ ... تَنــدَى إذا اعتَــذَرَ الزّمــانُ المُمحِــلُ[3]

وبهَــدْيِهم رضــيَ الإلٰــهُ لخَلقِــهِ ... وبجِــدِّهم نُصِــرَ النبــيُّ المُرسَــلُ[4]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ يبكي جعفرَ بن أبي طالبٍ[5]:

ولقــد بَكَيــتُ وعَــزَّ مُهلَــكُ جعفــرٍ ... حِــبِّ النبــيِّ علــى البَرِيّــةِ كلِّهــا[6]

ولقد جَزِعتُ وقلتُ حين نُعِيتَ لي ... مَــن للجِلَادِ لَــدَى العُقــابِ وظِلِّهــا[7]

= ولا يتغير. قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٦٠: ومنهم من رواه: ما يُنفَل، بالفاء، ومعناه: لا يُجحَد.

(١) أي: سَتَرَت عقولُهم جهل الجاهلين ووسعتهم، والأحلام: العقول. وقوله: فَضَلوا المعاشر، أي: تفوَّقوا على سائر الناس.

(٢) السَّفاه والسَّفاهة واحد: وهي الخِفّة والجهالة. والحُبْوة في الأصل: أن يشبّك الإنسان أصابع يديه بعضَها في بعضٍ ويجعلها على ركبتيه إذا جلس، يريد: أنهم لا يشاركون في أمور هي من السفاهة. ويفصل، أي: يَبسُط كلامه ويبيّنه.

(٣) تندى، أي: يقطر بللُها، والكلام على التشبيه، يريد كثرة الجود والعطاء. والمُمحِل: هو الشديد القَحْط.

(٤) الجِدُّ، بكسر الجيم: الاجتهاد في الأمر والصبر عليه، وقُيّد في نسخةٍ بفتحها، ومعناه: الحظّ والعَظَمة، وفي (ش١) و(ش٢): بحَدِّهم، بالحاء، قال أبو ذر الخُشَنيُّ: معناه: بشجاعتهم وإقدامهم.

(٥) انظر «ديوان حسان» ١/ ٣٢٣.

(٦) الحِبّ: المحبوب.

(٧) الجِلَاد: المجالدة والمضاربة بالسيوف وغيرها في الحرب. والعُقاب: هو اسم لراية =

بالبِيضِ حين تُسَلُّ من أَغمادِها ... ضرباً وإنهالِ الرِّماحِ وعَلِّها[1]

بعدَ ابنِ فاطمةَ المُبارَكِ جعفرٍ ... خيرِ البَرِيّةِ كلِّها، وأجلِّها[2]

رُزْءاً، وأكرَمِها جميعاً مَحتِداً ... وأعزِّها مُتظلِّماً، وأذلِّها[3]

للحَقِّ حين يَنُوبُ غيرَ تَنحُّلٍ ... كَذِباً، وأَنداها يداً، وأقلِّها[4]

فُحْشاً، وأكثرِها إذا ما يُجتَدَى ... فضلاً، وأَنداها يداً، وأبَلِّها[5]

بالعُرفِ، غيرَ محمَّدٍ لا مِثلُهُ ... حيٌّ من أحياءِ البَرِيّةِ كلِّها

وقال حسّانُ بن ثابتٍ في يوم مُؤتةَ يبكي زيدَ بن حارثةَ وعبدَ الله بن رَوَاحةَ:

عَينِ جُودِي بدمعِك المَنزورِ ... واذكُري في الرَّخاءِ أهلَ القُبورِ[6]

واذكُري مُؤتةً وما كان فيها ... يومَ راحُوا في وَقْعةِ التَّغويرِ[7]

= النبيّ ﷺ، وكانت سوداء كما تقدّم عند المصنف ٢/ ٣٠٦.

(١) البِيض: السيوف. والإنهال: الشُّرب في المرّة الأولى، والعَلُّ الشرب الثاني؛ يريد الطعن بعد الطعن.

(٢) فاطمة: هي أم جعفر وعلي بن أبي طالب، وهي فاطمة بنت أَسد بن هاشم، وهي أول هاشميّة ولدت لهاشمي، أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وتُوفِّيت بها، رضي الله عنها.

(٣) أجلّها رُزءاً: أعظمها مصيبةً. والمَحتِد: الأصل. وأعزّها متظلِّماً، أي: إذا أراده أحدٌ بظُلم فهو أعزّ الناس.

(٤) ينوب، أي: يأتي. والتنحُّل: ادّعاء القول كذباً. وأنداها يداً: أكثرها عطاءً وجوداً. وفي هذا البيت في «الديوان»: وأغمرها يداً، وفي البيت التالي: وأبذلها ندًى.

(٥) الاجتداء: طلب الجَدْوى، وهي العطيّة. وأبلّها بالعُرف، أي: أوصلها بالمعروف.

(٦) المنزور: القليل، يريد أنه بكى حتى قلَّ دمعه، فهو يأمر عينه أن تجود بذلك القليل على ما هو عليه.

(٧) في «ديوان حسان» برواية محمد بن حبيب ١/ ٢٩٥: يوم ولّوا، وكذا في البيت التالي: =

حـين راحـوا وغـادَروا ثَـمَّ زيـداً نِعـمَ مـأوَى الضَّـريكِ والمأسـورِ[1]

حِـبَّ خيـرِ الأنـامِ طُـرّاً جميعـاً سـيِّدِ النـاسِ حُبُّـه في الصُّـدورِ[2]

ذاكـمُ أحمـدُ الّـذي لا سِـواهُ ذاكَ حُـزْني لـه مَعـاً وسُـرُوري

إنَّ زيـداً قـد كـان منّـا بـأَمرٍ لـيس أمـرَ المُكـذَّبِ المغـرورِ[3]

ثُـمّ جُـودي للخَزْرجـيِّ بـدمعٍ سـيِّداً كـان ثَـمَّ غيـرَ نَـزُورِ[4]

قـد أتانـا مـن قـتلِهِمْ مـا كَفَانـا فبحُـزنٍ نَبيـتُ غيـرَ سُـرورِ

وقال شاعرٌ من المسلمين ممّن رجع من غزوة مُؤتة:

كَفَى حَزَنـاً أنّـي رَجَعتُ وجعفـرٌ وزيـدٌ وعبـدُ الله في رَمْـسِ أقبُـرِ[5]

قَضَوْا نَحْبَهم لمَّا مَضَوْا لسَبيلِهم وخُلِّفـتُ للبَلـوَى مـع المُتَغبِّـرِ[6]

وهذه تسميةُ من استُشهد يوم مُؤْتة

من قُرَيشٍ، ثمّ من بني هاشمٍ: جعفرُ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، وزيدُ بن حارثة

= حين ولّوا، مكان: راحوا.

والتغوير: الإسراع، يريد الانهزام، وهو يعيبُ على الجيش انسحابهم من مؤتة.

(١) الضَّريك: الفقير السيّئ الحال. والمأسور من الأَسر.

(٢) طُرّاً: جميعاً.

(٣) هذا البيت ليس في رواية ابن حبيبٍ للديوان.

(٤) الخزرجي: هو عبد الله بن رواحة. والنَّزور: القليل العطاء.

(٥) الرَّمْس هنا: القبر الخفيّ، وأصل الرَّمْس: السَّتر والتغطية.

(٦) قضوا نحبَهم، أي: ماتوا. والمتغبِّر: الباقي.

تنبيه: زاد في طبعة السقا وصاحبيه بعد هذا البيت، وليس في شيء من نسخنا الخطية:

ثلاثـةُ رَهـطٍ قُدّمـوا فتَقَـدّمـوا إلى وِرد مَكروهٍ من الموتِ أحمرِ

رحمه الله.

ومن بني عَدِيّ بن كعبٍ: مسعودُ بن الأسوَد بن حارثة بن نَضْلة.

ومن بني مالك بن حِسْلٍ: وهبُ بن سعد بن أبي سَرْحٍ.

ومن الأنصار، ثمَّ من بني الحارثِ بن الخَزْرجِ: عبدُ الله بن رَوَاحةَ، وعبَّادُ بن قيسٍ.

ومن بني غَنْمِ بن مالك بن النَّجّارِ: الحارثُ بن النُّعمان بن إسافَ بن نَضْلة بن عبد بن عَوْف بن غَنْمٍ.

ومن بني مازن بن النَّجّارِ: سُرَاقةُ بن عَمْرو بن عَطيَّة بن خَنْساءَ.

قال ابنُ هشامٍ: وممّن استُشهِدَ يومَ مُؤتةَ، فيما ذكرَ ابنُ شِهابٍ:

من بني مازن بن النَّجّارِ: أبو كُلَيبٍ وجابرٌ ابنا عَمْرو بن زيد بن عَوْف بن مَبذُولٍ، وهما لأبٍ وأمٍّ.

ومن بني مالك بن أَفصَى: عَمْرٌو وعامرٌ ابنا سعد بن الحارث بن عبَّاد بن سعد ابن عامر بن ثَعْلبة بن مالك بن أَفصَى.

قال ابنُ هشامٍ: ويقال: أبو كِلَابٍ وجابرٌ ابنا عَمْرو.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ذكرُ الأسبابِ المُوجِبةِ المسيرَ إلى مكّة
وذكرُ فتح مكّة
في شهر رمضان سنة ثمانٍ[1]

قال ابنُ إسحاق[2]: ثمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بعد بَعثِه إلى مُؤْتةَ جُمادَى الآخرةَ ورَجَباً.

ثمّ إنَّ بني بكر بن عبدِ مَناة بن كِنانةَ عَدَت على خُزَاعةَ وهم على ماءٍ لهم بأسفلِ مكّة يقال له: الوَتِيرُ[3].

وكان الّذي هاجَ ما بين بني بكرٍ وخُزَاعةَ: أنّ رجلاً من بني الحَضْرميّ واسمه مالكُ بن عبّادٍ، وحِلفُ الحَضْرميِّ يومَئذٍ إلى الأسوَد بن رَزْنٍ[4]، خرج تاجراً، فلمّا توسَّطَ أرضَ خُزَاعة عَدَوْا عليه فقتلوه وأخذوا مالَه، فعَدَتْ بنو بكرٍ على رجلٍ من خُزَاعة فقتلوه، فعَدَتْ خُزَاعةُ قُبَيلَ الإسلام على بني الأسوَد بن رَزْنٍ الدِّيلِيِّ، وهم مَنخِرُ[5] بني كِنانةَ وأشرافُهم: سَلْمى وكُلْثومٌ وذُؤَيبٌ، فقتلوهم بعَرَفة عند أَنصابِ

---

(١) واختُلف في يومَي خروجه ﷺ من المدينة ودخوله مكة على ما سيأتي ص٥٠-٥٢.

(٢) في (غ): وبالسند المتقدم أولاً قال ابن هشام: حدثنا زياد بن عبد الله البكّائيُّ عن محمد ابن إسحاق المُطَّلِبيّ قال.

(٣) وهو موضع معروف جنوب غربيّ مكة على حدود الحرم، يبعد عن مكة ١٦ كيلاً، وهو من ديار خُزاعة قديماً وحاليّاً. قاله البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٣٣١.

(٤) رزن: يروى هنا بكسر الراء وفتحها، وإسكان الزاي وفتحها، وقيّده الدارقطنيُّ بفتح الراء وإسكان الزاي لا غير. قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٦٣.

(٥) في (ت) و(م): مَتجَر، وفي (ص) و(ط) و(ف) و(ي): مَفخَر، والمثبت من (ش١) =

الحَرَم[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني رجلٌ من بني الدِّيل قال: كان بنو الأسوَد بن رَزْن يُودَوْنَ في الجاهليّة دِيَتَينِ دِيَتَينِ، ونُودَى دِيةً دِيةً، لفَضْلهم فينا.

قال ابن إسحاق: فبَيْنا بنو بكرٍ وخُزَاعةُ على ذلك حَجَزَ بينهم الإسلامُ وتشاغَلَ النّاسُ به، فلمّا كان صُلْحُ الحُدَيبيَة بين رسول الله ﷺ وبين قريشٍ، كان فيما شَرَطوا لرسول الله ﷺ وشَرَطَ لهم ـ كما حدّثني الزُّهْريُّ، عن عُرْوة بن الزُّبَير، عن المِسوَر ابن مَخرَمةَ ومروانَ بن الحَكَمِ وغيرِهم من عُلمائنا ـ: أنّه من أحَبَّ أن يَدخُلَ في عَقْد رسول الله ﷺ وعَهدِه فليَدخُلْ فيه، ومن أحَبَّ أن يَدخُلَ في عَقْد قُريشٍ وعَهدِهم، فليَدخُلْ فيه، فدَخَلَت بنو بكرٍ في عَقْد قريشٍ، ودَخَلَت خُزَاعةُ في عَقْد رسولِ الله ﷺ[2].

قال ابن إسحاق: فلمّا كانت الهُدْنةُ اغتَنَمَها بنو الدِّيلِ من بني بكرٍ من خُزَاعة، وأرادوا أن يُصيبوا منهم ثأْراً بأُولئك النَّفَر الّذين أصابوا منهم؛ بني الأسوَد بن رَزْن، فخرج نَوفَلُ بن معاويةَ الدِّيلِيُّ في بني الدِّيل وهو يومَئِذٍ قائدُهم، وليس كلُّ بني بكرٍ تابَعَه، حتّى بَيَّتَ خُزَاعةَ وهم على الوَتِيرِ، ماءٍ لهم، فأصابوا منهم رجلاً، وتَحاوَزُوا

= و(ش٢) و(غ). وعليه شرح أبو ذرّ الخشنيُّ فقال: يريد بالمَنخِرِ المتقدِّمين، لأن الأَنف هو المقدَّم من الوجه.

(١) أنصاب الحرم: حجارة كبيرة تجُعِلَت علامات بين الحِلّ والحَرَم.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٨٩١٠) ـ في حديث قصة الحديبية الطويل ـ عن يزيد بن هارون، عن ابن إسحاق، به.

وتقدم هذا في صلح الحديبية ٣/ ٤١٥.

واقتَتَلوا، ورَفَدَت[1] بني بكرٍ قُرَيشٌ بالسِّلاح، وقاتَلَ معهم من قريشٍ مَن قاتَلَ باللّيل مُستخفِياً، حتّى حازُوا[2] خُزَاعةَ إلى الحَرَم، فلمّا انتَهَوْا إليه قالت بنو بكرٍ: يا نوفلُ، إنّا قد دخلنا الحَرَمَ، إلٰهَكَ إلٰهَكَ، فقال كَلِمةً عظيمةً: لا إلٰهَ له اليومَ، يا بني بكرٍ أَصِيبوا ثأرَكم، فلَعَمْري إنّكم لتَسرِقون في الحَرَم، أفلا تُصِيبونَ ثأرَكم فيه[3].

وقد أصابوا منهم ليلةَ بَيَّتُوهم بالوَتِيرِ رجلاً يقال له: مُنبِّهٌ، وكان مُنبِّهٌ رجلاً مَفْؤوداً[4]، خرج هو ورجلٌ من قومه يقال له: تَمِيمُ بن أَسدٍ، فقال له مُنبِّهٌ: يا تميمُ، انجُ بنفسِك، فأمّا أنا فوالله إنّي لَميّتٌ قَتَلوني أو تَرَكوني، لقد انبَتَّ[5] فُؤادي، وانطَلَقَ تميمٌ فأَفلَتَ، وأدرَكُوا منبِّهاً فقتلوه، فلمّا دَخَلَت خُزَاعةُ مكّةَ، لَجَؤُوا إلى دارِ بُدَيل ابن وَرْقاءَ ودارِ مولًى لهم يقال له: رافعٌ.

فقال تميمُ بن أَسدٍ يَعتذِرُ من فِرَارِه عن مُنبِّهٍ[6]:

---

(١) تَحاوَزوا، أي: انحازت كلُّ قبيلة إلى جهة. ورَفَدَت، أي: أعطتهم وأعانتهم.

(٢) حازُوهم، أي: ساقُوهم ودفعوهم.

وذكر ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٢٤: أنّ ممّن أعان بني بكرٍ ليلتئذٍ من قريش صفوان بن أُمية وحُوَيطِب بن عبد العُزّى ومِكرَز بن حفص بن الأخيَف متنكِّرين متنقِّبين.

(٣) ثمّ أسلم نوفل بن معاوية بعد ذلك، وله صُحبة ورواية عن النبي ﷺ، وعُمِّر فوق المئة حتى مات في خلافة يزيد بن معاوية.

(٤) زاد في (ت) و(ص) و(ط) و(ف) و(م): أي: ضعيف الفؤاد.

قلنا: المفؤود: هو الذي أصابه ألمٌ في فؤاده، أي: قلبه.

(٥) أي: انقطع.

(٦) وذكرها له أيضاً محمد بن حبيب البغدادي في «المحبَّر» ص٤٩٦-٤٩٧، ونسبها أبو سعيد السكّري في «شرح أشعار الهذليين» ٣/ ١٢٤٠ لأبي خِراش الهُذَلي ثم قال: ويُروى لتأبَّطَ شرّاً، ونسبها الآمديّ في «المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء» ص١١٩ للأعلم الهُذلي.

لمّـا رأيـتُ بنـي نُفَاثـةَ أَقبَلـوا ... يَغشَـوْنَ كـلَّ وَتِيـرةٍ وحِجـابِ[1]

صَـخراً ورَزْنـاً لا عَرِيـبَ سِـواهمُ ... يُزْجُـون كـلَّ مُقلِّـصٍ خِنّـابِ[2]

وذكـرتُ ذَحْـلاً عنـدنا مُتقادِمـاً ... فيما مضى من سالفِ الأَحقابِ[3]

ونَشِيتُ ريحَ الموتِ من تِلقائهمْ ... ورَهِبـتُ وَقْـعَ مُهنَّـدٍ قَضّـابِ[4]

وعَرَفـتُ أنْ مَـن يَثقَفُـوه يَتـرُكوا ... لحمـاً لمُجرِيَـةٍ وشِـلْوَ غُـرابِ[5]

قَوّمـتُ رِجـلاً لا أخـافُ عِثارَهـا ... وطَرَحـتُ بـالمَتْنِ العَـراءِ ثيـابي[6]

ونَجَـوتُ لا يَنجُـو نَجَائي أحقَـبٌ ... عِلْـجٌ أقَـبُّ مُشـمِّرُ الأقـرابِ[7]

تَلْحَى ولو شَـهِدَت لكـان نَكِيرُهـا ... بَـولاً يَبُـلُّ مَشـافِرَ القَبْقـابِ[8]

---

(١) بنو نُفاثة: بطنٌ من بكر بن عبد مناة. والوتيرة: الأرض الممتدّة، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٦٣: ومن رواه بالثاء المثلَّثة (يعني الوثيرة) فهي الأرض اللَّيِّنة الرَّطْبة، ومنه يقال: فِراشٌ وَثِيرٌ، إذا كان رطباً، والحِجاب هنا: ما اطمأنَّ من الأرض وخفي.

(٢) لا عَرِيب، أي: لا أَحد. ويُزجُون: يسوقون. والمقلِّص: هو الفرس الخفيف المشمِّر. والخِنّاب: الفرس الواسع المَنخِرَين، قال الخشنيُّ: ويروى: خَبّاب، أي: مسرع، من الخَبَب: وهو السُّرعة في السير.

(٣) الذَّحل: طلب الثأر. والأحقاب: السِّنون.

(٤) نَشِيتُ، أي: شممتُ. والمهنَّد القضّاب: السيف القاطع.

(٥) يَثقَفوه، أي: يجدوه ويصادفوه. والمُجرِيَة: اللَّبُؤة معها جِراؤها. والشِّلْو: بقية الجسد.

(٦) المتن: ما ظهر من الأرض وارتفع. والعَراء: الخالي منها لا يخفى فيه شيء كالصحراء.

(٧) نجوت: أسرعت. والأحقب: حمارُ الوحش أبيض المؤخَّر، وهو موضع الحَقِيبة التي يضع فيها المسافر حاجته. والعِلْج: الغليظ. والأقب: الضامر البطن. وقوله: مشمِّر الأقراب، أي: منقبض الخواصر وما يليها، قال الخشنيُّ: ويروى: مقلِّص الأقراب، وهو بمعناه. قلنا: وفي «شعر الهذليِّين»: مسيَّر الأقراب، أي: فيه خطوط، قاله السكّري.

(٨) تَلحَى: تَلُوم. والمَشافر: النواحي والجوانب. والقبقاب: من أسماء الفَرْج؛ يقول: لو =

القـومُ أعلـمُ مـا تَرَكـتُ مُنبِّهـاً عن طِيبِ نفسٍ فاسأَلي أَصحابي

قال ابن هشام: وتُروَى لحَبِيب بن عبد الله الأعلَمِ الهُذَليّ.

وبيتُه: وذكرتُ ذَحْلاً عندنا مُتقادِماً، عن أبي عُبيدة، وقولُه: خِنّاب، وعِلجٌ أقَبُّ مُشمِّرُ الأقرابِ، عنه أيضاً.

قال ابن إسحاق: وقال الأخزَرُ بن لُعْطٍ الدِّيلِيّ فيما كان بين كِنانةَ وخُزَاعةَ في تلك الحرب:

ألا هل أَتى قُصْوَى الأحابيشِ أنّنا رَدَدْنـا بنـي كعـبٍ بـأفوَقَ ناصِـلِ[1]

حَبَسْـناهمُ في دارَةِ العبـدِ رافـعٍ وعنـد بُـدَيلٍ مَحبِساً غيـرَ طائـلِ[2]

بدارِ الذَّليلِ الآخذِ الضَّيمِ بعدَما شَفَيْنا النُّفوسَ منهم بالمَناصِلِ[3]

حَبَسْناهمُ حتّى إذا طالَ يومُهمْ نَفَحْنا لهم من كلِّ شِعبٍ بوابِلِ[4]

نُـذبِّحُهم ذبـحَ التُّيـوسِ كأنّنـا أُسـودٌ تَبـارَى فـيهمِ بالقَواصِـلِ[5]

= شَهِدَت هذه التي لامَتْه على فراره، لبالت خوفاً من شدّة الموقف.

(١) قُصوى: أبعدُ. والأحابيش: كل من حالف قريشاً ودخل في عهدها من القبائل. وبنو كعب: هم خُزاعة.

والأفوَق: السهم الذي انكسر فُوقُه، وهو طرفه الذي يلي الوَتَر. والناصل: الذي زال نصلُه، وهي حديدته التي تكون في رأسه.

يريد بقوله: رددناهم بأفوقَ ناصلٍ: رددناهم خائبين.

(٢) الدارة: الدار.

(٣) الضَّيم: الذل. والمناصل: جمع نَصْل، وهو السيف.

(٤) نفحنا: وسَّعنا. والشِّعب: الموضع المنفرج المطمئن بين جبلين. والوابل: هو المطر الشديد، لكن أراد به هنا دُفْعة الخيل.

(٥) القواصل هنا: الأنياب، من القَصْل: وهو القَطْع.

هـم ظَلَمونـا واعتَـدَوا في مَسيـرِهِمْ وكـانوا لَـدَى الأنصـابِ أوّلَ قاتـلِ[1]

كــأنّهمُ بــالجِزْعِ إذ يَطــرُدونَهمْ قَفَا ثَوْرِ[2] حَفّانُ النَّعـامِ الجوافِـلِ

فأجابه بُدَيلُ بن عبدِ مَناة[3] بن سَلَمة بن عَمْرو بن الأَجَبِّ[4] ـ وكان يقال له: بُدَيلُ ابن أمِّ أصرَمَ ـ فقال:

---

(١) الأنصاب: أنصاب الحرم كما تقدم في أول خبرهم، وهي حجارة كبيرة جُعِلَت علامات بين الحِلّ والحَرَم.

(٢) في (ت): قفاتور، وفي (ص) و(م): فعاثور، وفي (ف): قفا ثَور، وكله تحريف.

وفي (غ): بفاثُور، وذهب البَرقيُّ في ظاهر كلامه في شرح هذا البيت ـ كما قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٧/ ٨٢ ـ إلى أنه اسم موضع ولم يعيّنه.

وأبعَدَ أبو عبيدٍ البكريُّ الأندلسيُّ النُّجْعةَ فذكر هذا البيت في «معجم ما استعجم» ٣/ ١٠١٢ في رسم (فاثور) الذي هو جبل بالسَّماوة من أرض العراق المتصلة بنجدٍ، وهذا تخليط عجيب وقع فيه، فأين السّماوة من بلاد خُزاعة وبني بكرٍ في الحجاز وتِهامة من حول مكّة!

وما أثبتناه فمن (ش١) و(ش٢) و(ق٢) ونسخة في (م)، وهو الصواب، وهكذا قُيِّد في أصل السهيليّ كما ذكر، على أن ثوراً اسم الجبل المعروف جنوب مكة.

وقُيّدت راؤه في هذا البيت في (ش١) و(ش٢) بالكسر وفي (ق٢) بالفتح، وكلاهما له وجهٌ، وقَفَا ظرفٌ بمعنى: وراء.

والجِزع: ما انعطف من الوادي. وحَفّانُ النَّعام: صغارها، واحده: حَفّانة. والجوافل: الذاهبة المُسرِعة.

(٣) هكذا سمّاه ابن إسحاق، وسمّاه عَبْدانُ المَروَزي وأبو موسى المَديني: عبد مناف ـ كما وقع في نسخة (ف) ـ وهو كذلك في «أسد الغابة» ١/ ٢٠٢، و«الإصابة» ١/ ٢٧٤، وبعضهم يسقطه من نسب بديلٍ ويجعل سلمةَ هو أباه، كما في الكتابين المذكورين.

(٤) في (ت) ونسخة على حاشية (ش٢): الأحب، بالحاء، ولابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٩٢: الأخنس.

تَفاقَـدَ قـومٌ يَفخَـرونَ ولـم نَـدَعْ ... لهـم سـيِّداً يَنـدُوهمُ غيـرَ نافِـلِ[1]

أمِـنْ خِيفَـةِ القـومِ الأُلَـى تَـزدَرِيهمُ ... تُجِيـزُ الـوَتِيرَ خائفـاً غيـرَ آيِـلِ[2]

وفي كـلِّ يـومٍ نحـنُ نَحبُـو حِباءَنـا ... لعَقـلٍ ولا يُحبَـى لنـا في المَعاقِـلِ[3]

ونحـنُ صَـبَحْنا بالتِّلَاعـةِ دارَكـمْ ... بأسـيافِنا يَسـبِقنَ لـومَ العَـواذِلِ[4]

ونحـنُ مَنَعْنـا بـين بَـيضٍ وعِتـوَدٍ ... إلى خَيفِ رَضْوَى من مَجَرِّ القَنابِلِ[5]

---

(١) تفاقد قوم، أي: فَقَدَ بعضهم بعضاً، وهو دعاءٌ عليهم. ويندوهم: يجمعهم في النّادي، وهو المجلس. ونافل: أراد به نَوفلاً، وهو نوفل بن معاوية الدِّيلي قائد بني بكرٍ يومئذٍ.

(٢) الأُلى هنا بمعنى: الّذين. وتزدريهم: تحتقرهم. وتُجِيز، أي: تتعدّاه. والوتير: اسم ماء لخزاعة، وقد سبق التعريف به أول هذا الفصل. وغير آيل: غير راجع.

(٣) نحبو حِباءنا: نعطي عطاءنا. والعقل: الدِّيَة. يريد: أنهم ـ أي: خزاعة ـ كانوا يُكثِرون دفع الدِّيات لكثرة ما يَقتُلون من غيرهم، ولا تُدفَع لهم لقلّة من يُقتَل منهم، ويريد بهذا الفخرَ على بني بكر من كِنانة.

(٤) التِّلاعة: قُيِّد في بعض نسخنا بكسر التاء وأُهمل في بعضها، وهكذا قيّده أيضاً البكري في «معجم ما استعجم» ١/ ٣١٨، وقيّده ياقوت في «معجم البلدان» ٢/ ٤٠ بالفتح، وهو وادٍ صغير يقع جنوب مكة على قرابة ٦٠ كم فيما قاله البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٦٣، يشترك فيه بنو هُذيل وبنو كِنانة. ويسبقن، أي: السيوف، لومَ العواذل، أي: لوم اللائمين، يريد قولهم في المثل: سَبَقَ السيفُ العَذْلَ.

(٥) بَيْض وعِتوَد: واديان شمال مدينة جازان في أقصى الجزيرة العربية جنوباً، والخَيف: ما انحدر من الجبل، ورضوى: جبل شمال غربيّ ينبع النخل التي تقع غرب المدينة المنوَّرة على قرابة ١٣٠ كم، وهذه البلاد الشاسعة هي لبني كِنانة وليست لخزاعة، وإنما افتخار بُديل بمنعها وهو خُزاعيٌّ وليس كنانيّاً، أراد به ما كان في الزمن الغابر، أيام كانت خزاعة لها السطوة في مكة ونواحيها قبل أن ينتزعها منهم قُصيُّ بن كلابٍ الكِناني القُرشيّ.

والقنابل: جمع قَنبَلةٍ، وهي القِطعة من الخيل. ومَجَرُّها: يعني جَرّها في الأرض، أي: حيث =

ويـومَ الغَمـيمِ قـد تَكفَّـتَ سـاعياً عُبَـيسٌ فَجَعْنـاهُ بجَلْـدٍ حُلاحِـلِ[1]

أَأَنْ أجمَـرَت في بيتِهـا أمُّ بَعضِـكمْ بجُعمُوسِـها تَنـزُونَ أنْ لـم نُقاتِـلِ[2]

كَـذَبتُمْ وبَيـتِ الله مـا إن قَتلـتُمُ ولكـنْ تَرَكْنـا أمـرَكمْ في بلابِـلِ[3]

قال ابن هشام: قولُه: غيرَ نافل، وقولُه: إلى خَيفِ رَضْوَى، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: وقال حسّانُ بن ثابتٍ في ذلك[4]:

لَحَا اللهُ قوماً لـم نَدَعْ من سَرَاتِهمْ لهـم أَحـداً يَنـدُوهمُ غيـرَ ناقِـبِ[5]

أُخصيَيْ حِمارٍ مات بالأمسِ نَوفلاً متى كنتَ مِفْلاحاً عدوَّ الحَقائبِ[6]

= تمرّ بها غازيةً مُغِيرةً.

(١) الغميم: يريد الموضع المعروف بكُراع الغميم، ويقع شمال غربيّ مكة على قرابة ٦٤كم، وأما يوم الغميم فالظاهر أنه يوم كان بين هذين الحيَّين ـ كِنانة وخُزاعة ـ قبل الإسلام، وعُبيسٌ اسم رجل ولم نتبيّنه. وتكفّت: حادَ عن طريقه واعوجَّ عنه. وفَجَعناه، أي: أصبناه برزيّة. والجَلْد: الرجل القويّ. والحُلاحل: السيِّد.

(٢) أجمرت، أي: بَخَّرَت. والجُعموس: ما يخرجه الإنسان من الغائط. وتنزون: تَقفِزون. وقوله: أن لم نقاتل، يريد: أنه بسبب ما دخلنا فيه من الصلح فلم نقاتلكم، فشعرتم بالطمأنينة وأَغراكم هذا بقتالنا وأُخذنا على حين غِرّةٍ منّا.

(٣) ما إنْ: ما للنّفي، وإنْ زائدةٌ. والبلابل: اختلاط الهمّ ووساوسه، وذلك بسبب ترقّبكم لما سنفعله.

(٤) انفرد ابن هشام بذكر هذين البيتين لحسّان.

(٥) لَحَا اللهُ قوماً، أي: قبّحهم ولعنهم. وسَرَاة القوم: أشرافهم وخيارهم. ويَندُوهم: يجمعهم في النّادي، وهو المجلس. وناقب: رجل، والظاهر أنه من سَفِلة القوم.

(٦) نوفلاً: كأنه يريد نافلةً، والنافلة: ما زاد على الأصل، يعني أنه كان من حواشي الناس =

قال ابن إسحاق: فلمّا تَظاهَرَت بنو بكرٍ وقُرَيشٌ على خُزَاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونَقَضُوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهدِ والميثاقِ بما استَحَلُّوا من خُزَاعة، وكانوا في عَقْدِه وعهدِه، خرج عَمرُو بن سالمٍ الخُزاعيُّ ثمّ أحدُ بني كعبٍ حتّى قَدِمَ على رسول الله ﷺ المدينةَ، وكان ذلك ممّا هاجَ فتحَ مكّة، فوَقَفَ عليه وهو جالسٌ في المسجد بين ظَهْرِي النّاسِ[1]، فقال:

يـا ربِّ إنّـي ناشـدٌ محمّـدا ... حِلـفَ أَبينـا وأَبيـهِ الأَتلَـدا[2]

قـد كنـتمُ وُلْـداً وكنّـا والـدا ... ثُمَّـتَ أسلَمْنا فلـم نَنـزِعْ يـدا[3]

فانصُرْ هداكَ الله نصـراً أَعتَدا ... وادعُ عِبـادَ الله يـأتوا مَـدَدا[4]

فـيهمْ رسـولُ الله قـد تَجَـرَّدا ... إنْ سِـيمَ خَسْـفاً وجهُـه تَرَبَّـدا[5]

في فَيلَقٍ كالبحرِ يَجْري مُزبِدا ... إنّ قُرَيشـاً أخلَفُـوك المَوعِـدا[6]

ونَقَضُـوا مِيثاقَـك المُوكَّـدا ... وجَعَلـوا لـي في كَـدَاءٍ رَصَـدا[7]

= وليس من المعدودين فيهم. والمِفلاح: من الفلاح، وهو بقاء الخير.

والحقائب: جمع حَقِيبة، وهو ما يجعله الراكب وراءه إذا ركب على دابّته.

(١) في (غ) و(م): ظَهْرانَي الناس، وكلاهما صحيح، أي: وسطهم.

(٢) ناشدٌ: طالبٌ ومذكِّر. والأتلد: القديم.

(٣) الوُلْد بمعنى الوَلَد، يريد: أن بني عبد مناف أمُّهم من خُزاعة، وكذلك قصيٌّ أمُّه خُزاعيّة.

(٤) أعتَدُ: حاضر، من الشيء العَتِيد: وهو الحاضر. والمَدَد: العَوْن.

(٥) تجرَّد، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٦٧: من رواه بالحاء المهملة فمعناه: غَضِبَ، ومن رواه بالجيم فمعناه: شمَّر وتهيَّأ لحربهم. وسِيمَ، معناه: طُلِب منه وكُلِّف. والخَسْف: الذلّ. وتربَّد: تغيَّر إلى السواد.

(٦) الفيلق: العسكر الكثير. ومُزبِد، أي: علاه الزَّبَد، وهي الرّغوة على وجه الماء.

(٧) كَدَاء: ثَنيّة ـ أي: فُرجة فيها طريق بين جبلين ـ بأعلى مكة شمالاً. والرَّصَد: هو الطالب =

وزَعَموا أن لستُ أدعُو أَحدا وهـمْ أذلُّ وأقـلُّ عَـدَدا
هـم بَيَّتُونـا بـالوَتيرِ هُجَّـدا وقَتَّلونـا رُكَّعـاً وسُـجَّدا[1]

يقول: قُتِلنا وقد أسلَمْنا[2].

قال ابن هشام: ويُروَى أيضاً: فانصُرْ هَدَاك الله نصراً أَيِّدا[3].

ويُروَى أيضاً: نحنُ وَلَدْناك فكنتَ وَلَدا.

قال ابن إسحاق: فقال رسولُ الله ﷺ: «نُصِرتَ يا عَمْرَو بنَ سالمٍ».

ثمّ عَرَضَ لرسول الله ﷺ عَنَانٌ من السماءِ، فقال: «إنَّ هذه السَّحَابةَ لتَستَهِلُّ[4] بنَصْرِ بني كَعبٍ»[5].

= للشيء الذي يَرصُده ويترقَّبه، ويجوز أن يكون رُصَّداً جمع راصدٍ، وهو بمعنى الأول.

(١) الهُجَّد: هم النِّيام، وقد يكون الهُجّد أيضاً المستيقظين، وهو من الأضداد. قاله أبو ذرٍّ الخشنيُّ.

(٢) هكذا قال ابن إسحاق، وللسهيليِّ رأي آخر في معناه، فقد قال في «الروض» ٧/ ٨٤: قوله: ثُمّتَ أسلمنا، هو من السِّلم، لأنهم لم يكونوا آمنوا بعدُ، غير أنّه قال: رُكَّعاً وسُجَّدا، فدلّ على أنه كان فيهم من صلَّى لله فقُتِل، والله أعلم.

(٣) أي: قويّاً، وهو من الأَيْد: وهي القوّة، يقال: أيَّده تأييداً، أي: قوّاه.

(٤) العَنَان: السَّحاب. وتستهلّ السحابة، أي: تسيل مطراً، وقاله النبي ﷺ تفاؤلاً واستبشاراً بالنصر.

(٥) هذا الخبر في قصة عمرو بن سالم وإجابة رسول الله ﷺ له بالنُّصرة خبر صحيح.

فقد أسنده عن ابن إسحاق سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٤٣-٤٨، وإبراهيمُ ابن سعد عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٠٦٠)، ويونسُ بن بكير عند البيهقي في «السنن» ٩/ ٢٣٣ وفي «الدلائل» ٥/ ٥-٧، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٥١٩-٥٢٠، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٧٢١-٧٢٢، ثلاثتهم عنه قال: حدّثني الزهري، عن عُروة بن الزبير، عن مروان بن الحكم والمِسوَر بن مَخرَمة. ورجاله ثقات. =

ثمّ خرج بُدَيلُ بن وَرْقاءَ في نَفَرٍ من خُزَاعة حتّى قَدِموا على رسول الله ﷺ المدينةَ، فأخبروه بما أُصِيبَ منهم وبمُظاهَرة[1] قُريشٍ بني بكرٍ عليهم، ثمّ انصَرَفوا راجعينَ إلى مكّة، وقد قال رسولُ الله ﷺ للناس: «كأنّكم بأبي سُفْيانَ قد جاءَكم ليَشُدَّ العَقْدَ ويزيدَ في المُدَّةِ»[2].

ومضى بُدَيلُ بن وَرْقاءَ وأصحابُه حتّى لَقُوا أبا سفيانَ بن حربٍ بعُسْفانَ[3] قد بَعَثَته قريشٌ إلى رسول الله ﷺ ليَشُدَّ العَقْدَ ويزيدَ في المُدّة، وقد رَهِبوا الّذي صَنَعوا، فلمّا لَقِيَ أبو سفيانَ بُدَيلَ بن ورقاءَ قال: من أين أقبلتَ يا بُدَيلُ؟ وظَنَّ أنه قد أَتى

= وروى أبو يعلى في «مسنده» (٤٣٨٠) عن عائشة قالت: لقد رأيت رسول الله ﷺ غَضِبَ فيما كان من شأن بني كعبٍ (أي: خُزاعة) غضباً لم أره غضبه منذ زمانٍ، وقال: «لا نَصَرَني اللهُ إن لم أنصُرْ بني كعب». وإسناده محتمل للتحسين.

ورواه الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٧٩١ بسند رجاله ثقات عن ابن عباس قال: قام رسول الله ﷺ وهو يجرُّ طرف ردائه وهو يقول: «لا نُصِرتُ إن لم أَنصر بني كعبٍ ممّا أنصرُ منه نفسي».

وروى البزار في «مسنده» (٨٠١٣) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة: أن قائل خزاعة قال... وذكر البيتين الأول والثالث من قصيدة عمرو. وحسّن إسناده ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٤٩٢.

لكن رواه ابن أبي شيبة في «مصنَّفه» ١٤/ ٤٧٣ عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرَّحمن بن حاطب مرسلاً، وزادا فيه قصة السحابة.

(١) المظاهَرة: المعاوَنة.

(٢) قد بيَّن البيهقيُّ في «الدلائل» ٥/ ٧ في روايته هذا الخبر عن أبي عبد الله الحاكم بسنده عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق: أن قول النبيّ ﷺ هذا قد رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي سلمة مرسلاً، فهو ضعيف لإرساله، فعبد الله بن أبي سلمة - وهو الماجِشُون - من الطبقة الوسطى من التابعين، وهو ثقة.

(٣) عُسفان: شمال غرب مكة على قرابة ٧٥ كم.

رسولَ الله ﷺ، قال: سَيَّرتُ في خُزَاعةَ في هذا السّاحل، وفي بَطْن هذا الوادي، قال: أوَما جئتَ محمّداً؟ قال: لا، فلمّا راحَ بُدَيلٌ إلى مكّة، قال أبو سفيانَ: لئن كان جاءَ المدينةَ لقد عَلَفَ بها النَّوَى، فأتى مَبْرَكَ راحلتِه فأَخذ من بَعْرِها ففَتَّه، فرأى فيه النَّوى، فقال: أَحلِفُ بالله لقد جاءَ بُدَيلٌ محمّداً.

ثمّ خرج أبو سفيانَ حتّى قَدِمَ على رسول الله ﷺ المدينةَ، فدخل على ابنتِه أمِّ حَبِيبةَ بنتِ أبي سفيانَ، فلمّا ذهبَ ليَجلِسَ على فِرَاشِ رسول الله ﷺ طَوَتْه عنه، فقال: يا بُنَيّةُ، ما أدري أرَغِبتِ بي عن هذا الفِراشِ، أم رَغِبتِ به عنّي؟! قالت: بل هو فِراشُ رسول الله ﷺ، وأنت رجلٌ مُشرِكٌ نَجَسٌ، فلم أُحِبَّ أن تَجلِسَ على فراشِ رسول الله ﷺ، قال: والله لقد أصابَكِ يا بُنيَّةُ بعدي شَرٌّ.

ثمّ خرج حتّى أَتى رسولَ الله ﷺ فكَلَّمَه، فلم يَرُدَّ عليه شيئاً، ثمّ ذهبَ إلى أبي بكرٍ فكَلَّمَه أن يُكلِّمَ له رسولَ الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعلٍ، ثمّ أَتى عمرَ بن الخَطّاب فكَلَّمَه، فقال: أنا أشفَعُ لكم إلى رسول الله ﷺ؟! فوالله لو لم أجِدْ إلّا الذَّرَّ[1]، لَجاهَدْتُكم به.

ثمّ خرج فدخل على عليِّ بن أبي طالبٍ وعنده فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ، وعندها حسنُ بن عليٍّ غلامٌ يَدِبُّ[2] بين يَدَيها فقال: يا عليُّ، إنّك أمَسُّ القوم بي رَحِماً، وإنّي قد جئتُ في حاجةٍ، فلا أَرجِعنَّ كما جئتُ خائباً، فاشفَعْ لي إلى رسول الله ﷺ، فقال: وَيحَكَ يا أبا سفيانَ، والله لقد عَزَمَ رسولُ الله ﷺ على أمرٍ ما نستطيعُ أن نُكلِّمَه فيه، فالْتَفَتَ إلى فاطمة فقال: يا بنتَ محمّدٍ، هل لكِ أن تأمُري بُنيَّكِ هذا فيُجِيرَ بين الناس فيكونَ سيِّدَ العربِ إلى آخرِ الدَّهر؟ قالت: والله ما بَلَغَ بُنيِّي ذاكَ

(١) الذَّرّ: صِغار النمل.

(٢) أي: يمشي هُوِيناً هُويناً.

أن يُجِيرَ بين الناس، وما يُجِيرُ أَحدٌ على رسول الله ﷺ، قال: يا أبا حَسَن، إنّي أَرى الأُمورَ قد اشتَدَّت عليَّ فانصَحْني، قال: والله ما أَعلمُ لك شيئاً يُغْني عنك شيئاً، ولكنّك سيِّدُ بني كِنانةَ، فقُمْ فأَجِرْ بين الناسِ ثمّ الحَقْ بأرضِك، قال: أَوتَرَى ذلك مُغنِياً عنّي شيئاً؟ قال: لا والله، ما أظُنُّه، ولكنّي لا أَجِدُ لك غيرَ ذلك، فقامَ أبو سفيانَ في المسجد فقال: أيُّها النّاسُ، إنّي قد أَجَرتُ بين النّاس. ثمّ رَكِبَ بعيرَه فانطَلَقَ.

فلمّا قَدِمَ على قريشٍ قالوا: ما وراءَك؟ قال: جئتُ محمّداً فكَلَّمتُه، فوالله ما رَدَّ عليَّ شيئاً، ثمّ جئتُ ابنَ أبي قُحَافةَ فلم أجِدْ فيه خيراً، ثمّ جئتُ ابنَ الخَطّاب فوَجَدتُه أَدنَى العدوِّ.

قال ابن هشام: أَعدَى العدوِّ.

قال ابن إسحاق: ثمّ أَتيتُ عليّاً فوَجَدتُه أَلْيَنَ القومِ، وقد أشارَ عليَّ بشيءٍ صَنَعتُه، فوالله ما أدري هل يُغْني ذلك شيئاً أم لا؟ قالوا: وبِمَ أمَرَك؟ قال: أمَرَني أن أُجِيرَ بين النّاس، ففعلتُ، قالوا: فهل أجازَ ذلك[1] محمّدٌ؟ قال: لا، قالوا: وَيلَك، واللهِ إنْ زادَ الرَّجلُ على أن لَعِبَ بك، فما يُغْني عنك ما قلتَ؟! قال: لا والله ما وَجَدتُ غيرَ ذلك[2].

وأمَرَ رسولُ الله ﷺ بالجَهَازِ وأمَرَ أهلَه أن يُجهِّزوه، فدخل أبو بكرٍ على ابنته عائشة وهي تُحرِّكُ بعضَ جَهازِ رسول الله ﷺ فقال: أي بُنيّةُ، أأمَرَكم رسولُ الله ﷺ

(١) أجازه، أي: قَبِلَ به وأنفَذَه.

(٢) وروى قصة خزاعة وبني بكر وطلب خزاعة النُّصرة من النبي ﷺ وقصة مجيء أبي سفيان إلى المدينة: ابنُ أبي شيبة في «المصنف» ١٨/ ٤٨١، وابنُ زنجويه في «الأموال» (٦٧٥)، بإسناد صحيح إلى عِكرمة مولى ابن عباس، وعكرمة أرسله.

أن تُجهِّزوه؟ قالت: نعم، فتَجَهَّزْ، قال: فأين تَرَينَه يريدُ؟ قالت: لا والله ما أَدري[1].

ثمّ إنَّ رسولَ الله ﷺ أعلَمَ الناسَ أنّه سائرٌ إلى مكّة، وأمَرَهم بالجِدِّ والتّهيُّؤِ، وقال: «اللّهمَّ خُذِ العُيونَ والأخبارَ عن قُرَيشٍ حتّى نَبغَتَها[2] في بلادِها»، فتَجهَّزَ الناسُ.

فقال حسّانُ بن ثابتٍ يُحرِّضُ الناسَ، ويَذكُرُ مُصابَ رجال خُزَاعة[3]:

عَنَاني ولم أَشهَدْ ببَطْحاءِ مكّةٍ ... رِجالُ بني كعبٍ تُحَزُّ رِقابُها[4]

بأيدي رجالٍ لم يَسُلُّوا سيوفَهمْ ... وقَتلَى كثيرٌ لم تُجَنَّ ثيابُها[5]

ألا لَيتَ شِعْري هل تَنالَنَّ نُصرَتي ... سُهيلَ بن عَمرٍو حَرُّها[6] وعِقابُها

وصفوانَ عَوْداً حَنَّ من شُفْرِ استِهِ ... فهذا أَوانُ الحربِ شُدَّ عِصابُها[7]

---

(١) أسند هذه الفِقرة في تجهيز عائشة بنحوها يونسُ بن بكير عن ابن إسحاق عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٢، فقال: حدثنا محمد بن جعفر، عن عُروة بن الزبير، عن عائشة. وإسناده صحيح، ومحمد بن جعفر: هو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام، ابن أخي عروة.

(٢) أي: حتى نفاجئَها، والبَغْتة: الفَجْأة.

(٣) انظر «ديوان حسان» ١/ ٢٩٦.

(٤) عناني، أي: أهمّني وأحزنني.

(٥) لم تجنَّ ثيابها، أي: لم تُستَر، يريد أنهم قُتلوا ولم يُدفَنوا.

ورواية هذا الشطر في «الديوان»: بحقٍّ وقتلى لم تُجنَّ ثيابها.

(٦) في نسخة على حاشيتي (ش١) و(غ): حربها. وفي «الديوان»: وَخْزها.

(٧) العَوْد: الجمل المُسنّ. وحَنَّ، أي: أصدر صوتاً، من شُفْر استِه، أي: من ناحية دُبره؛ الشُّفْر: الناحية، والاستُ: العَجُز أو الدُّبر.

ولفظ «حنّ» هكذا هو في (ش١) و(ش٢) و(ي)، وفي (ت) و(غ): حُزَّ، أي: قُطع، وفي (ت) و(ش١) و(ش٢): من شعر استه، وسقط هذا البيت من (ص) و(ف) و(ق٢). =

فـلا تأمَنَنّـا يـا ابـنَ أمِّ مُجالـدٍ إذا احتُلِبَت صِرفاً وأعصَـلَ نابُهـا[1]

ولا تَجزَعُـوا منهـا فـإنّ سـيوفَنا لهـا وَقْعـةٌ بـالموتِ يُفـتَحُ بابُهـا

قال ابن هشام: قولُ حسّان: بأيدي رجالٍ لم يَسُلُّوا سيوفَهم؛ يعني قُريشاً، وابنُ أمِّ مُجالدٍ؛ يعني عِكْرمةَ بن أبي جهلٍ[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُرْوة بن الزُّبَير وغيرِه من عُلَمائنا، قالوا: لمّا أَجمَعَ رسولُ الله ﷺ السَّيرَ إلى مكّة، كَتَبَ حاطبُ بن أبي بَلْتَعةَ كتاباً إلى قُرَيشٍ يخبرُهم بالّذي أَجمَعَ عليه رسولُ الله ﷺ من الأمر في السَّير إليهم، ثمّ أعطاه امرأةً ـ زَعَمَ محمّدُ بن جعفرٍ[3] أنّها من مُزَينةَ، وزَعَمَ لي غيرُه أنّها سارَةُ مولاةٌ لبعض بني عبد المُطَّلِب ـ وجَعَلَ لها جُعْلاً[4] على أن تُبلِّغَه قُريشاً، فجَعَلَته في رأسها ثمّ فَتَلَت عليه قُرونَها[5] ثمّ خرجت به، وأَتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماءِ بما صَنَعَ حاطبٌ، فبَعَثَ عليَّ بن أبي طالبٍ والزُّبيرَ بن العوّامِ فقال: «أَدرِكا امرأةً قد كَتَبَ معها حاطِبٌ بكتابٍ إلى قُرَيشٍ، يُحذِّرُهم ما قد أَجمَعْنا له في أَمرِهم».

= والعِصاب: كالعِصابة، وهو ما عُصِبَ به الرأس وغيره، أي: شُدَّ به.

(١) الصِّرْف: اللبن الخالص هنا. وأعصل: اعوجَّ، والعَصَل: الاعوجاج الشديد.

(٢) وأمُّه أمُّ مجالد بنت يربوع من بني هلال بن عامر بن صعصعة كما في «الطبقات» لابن سعد ٦/ ٨٥.

(٣) وهو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوّام، ثقة عالم.

(٤) أي: أُجرة. ونقل ابن حجر في «فتح الباري» ٢٢/ ٢٦٨ عن «تفسير مقاتل بن حيّان»: أن حاطباً أعطاها عشرة دنانير وكَسَاها بُرْداً.

(٥) أي: ضفائر شعرها.

فخَرَجَا حتّى أدرَكَاها بالخَلِيقةِ ـ خَلِيقةِ[1] بني أبي أحمد ـ فاستَنزَلاها، فالْتَمَسا في رَحْلِها فلم يَجِدا شيئاً، فقال لها عليُّ بن أبي طالب: إنّي أَحلِفُ بالله ما كُذِبَ رسولُ الله ﷺ ولا كَذَبَنا، ولتُخرِجِنَّ لنا هذا الكتابَ أو لنَكشِفنَّكِ، فلمّا رأَت الجِدَّ منه قالت: أَعرِضْ، فأَعرَضَ، فحَلَّتْ قُرونَ رأسها فاستَخرَجَت الكتابَ منها فدَفَعَته إليه، فأَتى به رسولَ الله ﷺ.

---

(١) هكذا قُيِّد بفتح أوله وبقاف فيهما في كلٍّ من النسخ (ص) و(غ) و(ق٢) و(م) و(ي)، وفي (ت) و(ش١) و(ش٢) و(ف): حُليفة، وفي نسخة على حاشية (ش٢): خُليفة، وكلاهما تصحيف.

وقيّده ياقوت في «معجم البلدان» ٢/ ٣٨٧ كما أثبتنا، وقال: هو منزل على اثني عشر ميلاً من المدينة بينها وبين ديار سُليم.

قلنا: وأما أبو أحمد المنسوبة هذه الخَليقة إلى بنيه: فهو أبو أحمد بن جحش الأسديّ الأعمى أخو أمِّ المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنهما، ابنا عمّة النبي ﷺ، وهو من أوائل من هاجر إلى المدينة قبل النبي ﷺ، وكان لآله من بعده في هذا الموضع مزارع ونخل وقصور كما في «معجم ما استعجم» للبكريّ ٤/ ١٣٢٨، فنُسبت إليهم.

وقد ذكر عليٌّ في حديثه في قصة حاطبٍ هذه، فيما أخرجه أحمد (٦٠٠) و(٨٢٧) والبخاري (٣٠٠٧) و(٣٩٨٣) و(٤٨٩٠) ومسلم (٢٤٩٤) وغيرهم من حديثَي عبيد الله بن أبي رافع وأبي عبد الرَّحمن السُّلَميّ عنه: أن النبيَّ ﷺ قال له وللزبير ومعهما المِقدادُ بن الأسود ـ وذكر السلميُّ في حديثه مكان المقدادِ أبا مَرثَد الغنويَّ ـ: «انطلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخٍ، فإنّ بها ظَعِينةً ومعها كتاب، فخُذوه منها».

فسُمّي المكانُ في حديث عليٍّ عن النبي ﷺ روضةَ خاخ، ولا تعارضَ إن شاء الله، فإن الخليقة هذه التي عُرِفَت بعد العهد النبوي بخليقة بني أبي أحمد، أرضٌ قريبة من روضة خاخ فيما أشار إليه السمهوديّ في «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» ٤/ ٦٦، وتقع روضة خاخ هذه جنوب المدينة المنوَّرة على قرابة ٢٠ كم.

فدعا رسولُ الله ﷺ حاطباً، فقال: «يا حاطبُ، ما حَمَلَكَ على هذا؟» فقال: يا رسولَ الله، أمَا والله إنّي لَمُؤمنٌ باللهِ ورسولِه، ما غَيَّرتُ ولا بَدَّلتُ، ولكنّي كنت امرَأً ليس لي في القوم من أصلٍ ولا عَشِيرة[1]، وكان لي بين أظهُرِهم ولدٌ وأهلٌ، فصانَعتُهم عليهم[2]، فقال عمرُ بن الخَطّاب: يا رسولَ الله، دَعْني فلأضرِبْ عُنُقَه، فإنّ الرّجلَ قد نافَقَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «وما يُدرِيكَ يا عمرُ، لَعَلَّ اللهَ قدِ اطَّلَعَ إلى أصحابِ بدرٍ يومَ بدرٍ فقال: اعمَلُوا ما شِئتُم، فقد غَفَرتُ لكم».

فأنزَلَ الله في حاطبٍ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤] إلى آخر القِصّة[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن مُسلِم بن شِهابٍ الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن

---

(١) فهو لخميٌّ كان حليفاً في بني أَسد بن عبد العزَّى بن قُصيّ.

(٢) وفي حديث ابن أبي رافع عن عليٍّ: فقال رسول الله ﷺ: «لقد صَدَقَكم»، زاد السلميُّ في حديثه: «ولا تقولوا له إلا خيراً».

(٣) هذا خبر مرسلٌ صحيح، يشهد له حديث عليٍّ في «الصحيحين» وغيرهما كما سبق.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٢٢/ ٥٦١-٥٦٢، و«تاريخه» ٣/ ٤٨-٤٩ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه عن عُروة أيضاً الزهريُّ فيما أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ٢٨٦-٢٨٧، والطبري في «تفسيره» ٢٢/ ٥٦٣ من طريق معمر عن الزهريّ.

وكون سبب نزول أوائل سورة الممتحنة في قصة حاطبٍ هذه ذُكر أيضاً مُدرَجاً في حديث عبيد الله بن أبي رافع عن عليٍّ، وبُيِّن في روايةٍ عند البخاري (٤٨٩٠) أنه مُدرج من قول عمرو ابن دينارٍ راوي حديث ابن أبي رافع. وانظر «فتح الباري» ١٤/ ٣٩١-٣٩٢.

عبد الله بن عُتْبة بن مسعودٍ، عن عبد الله بن عبّاسٍ قال: ثمّ مَضَى رسولُ الله ﷺ لسَفَرِه، واستَخلَفَ على المدينة أبا رُهْمٍ كُلْثومَ بن حُصَين بن عُتْبة بن خَلَفٍ الغِفاريَّ[1]، وخرج لعَشْرٍ مَضَينَ من شهر رمضان، فصامَ رسولُ الله ﷺ وصامَ النّاسُ معه، حتّى إذا كان بالكَدِيدِ بين عُسْفانَ وأَمَجٍ[2] أفطَرَ[3].

---

(١) وذكر ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٢٥، والبلاذُريّ في «أنساب الأشراف» ١/ ٣٦٤: أنه استخلف ابنَ أم مكتوم. وأبو رُهْم أصحّ.

(٢) أَمَج ـ ويسمّى اليوم خُليص ـ شمال عُسفان، والمسافة بينهما ٣٠ كم تقريباً، وعُسفان ما زال معروفاً، وهو شمال غرب مكة على قرابة ٧٥ كم.

وأما الكَديد: فأرض تُعرف اليوم باسم الحَمْض، لكثرة نبات العصلاء فيها، على ٩٠ كم من مكة. وانظر «معجم المعالم الجغرافية» للبِلاديّ ص٢٦٣.

(٣) إسناده صحيح على إدراجٍ فيه.

وأخرجه بنحوه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٢٨، وأحمد (٢٣٩٢) و(٢٨٨٢)، والطبري في «تاريخه» ٣/ ٤٩-٥٠، والطبراني في «الكبير» (٧٢٦٤)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٩-٢٠ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

والمُدرَج فيه قوله: خرج لعشرٍ مَضَينَ من شهر رمضان، فقد ذكر البيهقي: أنه من قول ابن إسحاق مدرجاً في الحديث؛ ثم ساق قولَ ابن إسحاق هذا وحده من رواية صدقة ـ وهو ابن سابق ـ عنه.

وممّا يؤيّد إدراجه: أنه قد روى هذا الخبرَ عن الزهريِّ دون ذكر تأريخ يوم خروجه ﷺ من المدينة، غيرُ واحدٍ من أصحابه الثقات فيما أخرجه أحمد (١٨٩٢) و(٣٠٨٩) و(٣٢٥٨)، والبخاري (١٩٤٤) و(٢٩٥٣) و(٤٢٧٥) و(٤٢٧٦)، ومسلم (١١١٣)، وابن حبان (٣٥٥٥) و(٣٥٦٣) وغيرهم.

وممّا يؤيّد ذلك أيضاً: أنه قد رُوي عن الزهري ما يخالفه، فقد وقع في رواية معمرٍ ـ وهو أروى الناس عن الزهريِّ ـ عند عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧٣٨) ومسلم (١١١٣) والبيهقي ٥/ ٢٢، =

= وفي رواية عبيد الله بن أبي زياد الرُّصافي عند أبي عوانة في «صحيحه» (٧٤٠٥)، كلاهما عن الزهري قال: صبَّح رسول الله ﷺ مكةَ لثلاث عشرة ليلةً خَلَت (أي: مَضَت) من رمضان.

ورواه كذلك محمدُ بن أبي حفصة عن الزهري عند أحمد (٢٥٠٠)، والحاكم (٤٤٠٦)، والبيهقي ٥/ ٢٣، إلا أنه جعله من روايته عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس. وهو وهمٌ من ابن أبي حفصة، قال البيهقيُّ: هذا الإدراج وهمٌ، وإنما هو من قول الزهري.

قلنا: فلو كان خرج من المدينة لعشرٍ مَضَينَ من الشهر كما وقع في رواية ابن إسحاق، فإنه من الاستحالة أن يصبّح مكةَ بعد ثلاثٍ كما وقع في كلام الزهري، فالمسافة بينهما لا تُقطَع في أقلَّ من عشرة أيام لقافلةٍ أو جيشٍ بهذه الكثرة التي كان بها جيش الفتح.

وقد خالف يونسُ بن يزيد الأيليُّ عن الزهري عند البيهقي ٥/ ٢٣، فروى عنه قال: افتَتَح مكة لثلاث عشرة بَقِيَت من رمضان. قلنا: فعلى هذا يكون الفتح في ست عشرة أو سبع عشرة منه، لكن هذه الرواية عن الزهري شاذّة.

والقول الأول عنه ـ وهو أنّ الفتح كان لثلاث عشرة مضت من رمضان ـ يؤيّده ما صحَّ في حديث قَزَعة بن يحيى عن أبي سعيد الخُدْريّ ـ فيما أخرجه أحمد (١١٨٢٦) وابن حبان (٤٧٤٢) ـ قال: أمَرَنا رسول الله ﷺ بالرَّحيل عام الفتح في ليلتين خَلَتا من رمضان.

وهذا بنحو ما وقع في رواية عُقيل بن خالد عن الزهريِّ من التردُّد في وقت خروج النبي ﷺ من المدينة حيث قال ـ فيما أخرجه أبو زُرعة الدمشقي في «تاريخه» ١/ ١٦٦ والبيهقي ٥/ ٢١ ـ: لا أدري أخرج في ليالٍ من شعبان فاستقبل رمضان، أو خرج في رمضان بعدما دخل؟!

قال ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٤٩٦: وحديث أبي سعيد يدفع هذا التردُّد ويعيِّن يوم الخروج، وقولُ الزهري (يعني في كون الفتح لثلاث عشرة) يعيِّن يوم الدخول، ويُعطِي أنّه أقام في الطريق اثني عشر يوماً. اهـ

لكن روى عبد الله بن إدريس كما في «الدلائل» للبيهقي ٥/ ٢٤ عن ابن إسحاق عن ابن شهاب الزهري ومحمد بن علي بن الحسين وعاصم بن عمر بن قَتَادة وعمرو بن شعيب وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم قالوا: كان فتحُ مكّة في عشرٍ بَقِيَت من شهر رمضان سنة ثمان! وهذا يعني أنه كان عندهم في تسع عشرة أو عشرين من رمضان. =

قال ابن إسحاق[1]: ثمّ مضى حتّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْران[2] في عَشَرةِ آلافٍ من المسلمين فسَبَّعَت سُلَيمٌ، وبعضُهم يقول: أَلَّفَت[3] سُلَيمٌ، وأَلَّفَت مُزَينةُ، وفي كلّ القبائل عددٌ

= وهذا يتوافق مع ما ذكره الواقديُّ في «المغازي» ٢/ ٨٠١، وصاحبه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٢٥: أن النبيَّ ﷺ خرج يوم الأربعاء لعشرٍ خَلَونَ من رمضان بعد العصر ـ وهذا موافق لقول ابن إسحاق الذي أدرجه في حديث ابن عباس ـ وأنه دخل مكةَ يوم الجمعة لعشرٍ بَقِينَ من رمضان كما في «المغازي» ٣/ ٨٨٩ و«الطبقات» ٢/ ١٢٧.

ويتلخّص ممّا سبق قولان في يوم الفتح: الأول: أن يكون في ثلاثَ عشرةَ من رمضان، والثاني: أن يكون في تسعَ عشرةَ منه، وهذا القول الثاني هو الأشهر عند أهل التواريخ والسِّيَر، والله تعالى أعلم.

(١) هذا وما بعده موصول بالإسناد السابق كما في رواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٤٩-٥٠، ومحمد بن سلمة عنه عند الطبراني في «الكبير» (٧٢٦٤)، وكذا يونس بن بكير عند الحاكم (٤٤٠٧)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٧، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ١٤٥. وهو صحيح.

وتابع ابنَ إسحاق في هذا الحديث مطوَّلاً جعفرُ بن بُرْقان عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة عن ابن عباس، أخرجه الطبراني (٧٢٦٥) من طريق يونس بن بكيرٍ عنه.

ولابن إسحاق فيه إسناد آخر، فقد رواه عنه سلمة بن الفضل أيضاً عند الطبري ٣/ ٥٠ عن العباس بن عبد الله بن مَعبَد بن العباس بن عبد المطّلب عن ابن عباس. والعباس هذا ثقة من أتباع التابعين، إلا أن روايته عن عمِّ أبيه عبدِ الله بن عباس مرسلة، فإنه لم يدركه.

ويشهد لبعضه مرسلُ عروة بن الزبير عند البخاري في «صحيحه» برقم (٤٢٨٠)، وفيه قصة خروج أبي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء يلتمسون الخبر، وحبس العباس لأبي سفيان حتى رأى الكتائب تمرّ كتيبة كتيبة.

(٢) هو وادٍ من أودية الحجاز يمرُّ شمال غرب مكة على قرابة ٢٢ كم، ويسمَّى اليوم وادي فاطمة.

(٣) سبَّعَت سليم، أي: كانت سبع مئة مقاتل، وأَلَّفَت، أي: كانت ألفاً.

وإسلامٌ، وأَوعَبَ[1] مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصارُ، فلم يَتخلَّفْ عنه منهم أحدٌ، فلمّا نَزَلَ رسولُ الله ﷺ مَرَّ الظَّهرانِ وقد عُمِّيَت الأخبارُ عن قُريشٍ فلا يأتيهم خبرٌ عن رسول الله ﷺ، ولا يدرون ما هو فاعلٌ، وخرج في تلك اللَّيالي أبو سفيانَ ابن حربٍ وحَكِيمُ بن حِزامٍ وبُدَيلُ بن وَرْقاءَ يَتَحسَّسُون الأخبارَ ويَنظُرون هل يَجِدُون خبراً أو يسمعون به، وقد كان العبّاسُ بن عبد المُطَّلِب لَقِيَ رسولَ الله ﷺ ببعض الطَّريق.

قال ابن هشام: لَقِيَه بالجُحْفة[2] مُهاجِراً بعِيَالِه، وقد كان قبلَ ذلك مُقِيماً بمكّة على سِقَايتِه ورسولُ الله ﷺ عنه راضٍ فيما ذكرَ ابنُ شِهابٍ الزُّهْريُّ.

قال ابن إسحاق[3]: وقد كان أبو سفيانَ بن الحارثِ بن عبد المُطَّلِب وعبدُ الله ابن أبي أُميّة بن المغيرةِ قد لَقِيَا رسولَ الله ﷺ أيضاً بنِيقِ العُقَابِ[4] فيما بين مكّة والمدينة، فالْتَمَسا الدُّخولَ عليه، فكَلَّمَته أمُّ سَلَمة فيهما، فقالت: يا رسولَ الله، ابنُ عمِّك وابنُ عمَّتِك وصِهْرُك[5]! قال: «لا حاجَةَ لي بهما، أمَّا ابنُ عَمِّي فهَتَكَ عِرضي،

(١) أي: خرجوا بأجمعهم لم يبق منهم أحدٌ.

(٢) وهي عن مكة قرابة ١٦٠ كم، وعن المدينة قرابة ٢٠٠ كم.

(٣) هو موصول بالإسناد السابق كما تقدّم، وهو صحيح.

(٤) موضع قرب الجُحفة فيما قاله ياقوت في «معجمه» ٥/ ٣٣٣.

وقال البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٣٢٠: لا يُعرَف هذا الموضع اليوم، وخاصة على الجادّة. يعني على الطريق بين مكة والمدينة.

(٥) ابن عمّ النبي ﷺ هو أبو سفيان بن الحارث، وكان في شركه يهجو النبيَّ ﷺ بقصائد، وحسانُ بن ثابت يردُّ عليه هجاءَه. انظر حديثَي عائشة في «صحيح مسلم» (٢٤٨٩) و(٢٤٩٠).

وأما ابن عمّته وصهره، فهو عبد الله بن أبي أُمية، وهو أخو أم سلمة لأبيها، وأمُّه عاتكة بنت عبد المطّلب عمّة النبي ﷺ. وانظر قوله المشار إليه فيما تقدم ١/ ٣٤٥.

وأمَّا ابنُ عَمَّتي وصِهْري، فهو الَّذي قالَ لي بمكّةَ ما قالَ». قال: فلمّا خرج الخبرُ إليهما بذلك، ومع أبي سفيان بُنيٌّ له فقال: والله لَيَأذَنَنَّ لي أو لَآخُذَنَّ بيد بُنيِّي هذا، ثمّ لنَذهَبَنَّ في الأرض حتّى نموتَ عَطَشاً وجُوعاً، فلمّا بَلَغَ ذلك رسولَ الله ﷺ رَقَّ لهما، ثمّ أَذِنَ لهما فدَخَلا عليه فأَسلَما.

وأنشَدَه أبو سفيانَ قولَه في إسلامه واعتَذَرَ إليه عمّا كان مضى منه، فقال:

لَعَمــرُكَ إنّــي يــومَ أحمِــلُ رايــةً ... لتَغلِبَ خيــلُ الــلّاتِ خيــلَ محمّــدِ[1]

لَكالمُــدْلِجِ الحَيــرانِ أظلَــمَ ليلُــهُ ... فهــذا أَواني حــين أُهــدَى وأَهتَــدي[2]

هَــدَاني هــادٍ غيــرُ نفســي ونــالَني ... مــع الله مَــن طَــرَّدتُ كــلَّ مُطــرَّدِ

أصُــدُّ وأَنــأَى جاهــداً عــن محمّــدٍ ... وأُدعَى ـ وإنْ لم أنتَسِبْ ـ من محمّدِ[3]

هُــمُ مــا هــمُ مَــن لــم يَقُــلْ بهَــواهُمُ ... وإن كـــان ذا رأيٍ يُلَـــمْ ويُفنَّـــدِ[4]

أُريــدُ لأُرضِــيهِمْ ولســتُ بلائــطٍ ... مع القومِ ما لم أُهدَ في كلِّ مَقعَدِ[5]

فقــل لثَقيــفٍ لا أُريــدُ قِتالَهــا ... وقــل لثَقيفٍ تلك غَيــرِيَ أَوعِدي[6]

---

(١) أحمل راية: يعني في الحرب. واللّات: بيتٌ لثقيفٍ بالطائف كانوا يعظِّمونه نحو تعظيم الكعبة. وخيل اللات: يعني جيوش الكفر.

(٢) المُدلِج: الذي يسير بالليل.

(٣) أنأى: أُبعِد. وقوله: وأُدعى... إلخ، يعني لشبهه به، وكان أبو سفيان يُشبَّه بالنبي ﷺ، وكان يأتي الشام، فكان إذا رُئِيَ قيل: هذا ابن عمِّ ذاك الصابئ، لشبهه به. روى ذلك ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٤٧ عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب.

(٤) قوله: هم ما هم، يريد أشياخ قريش وكبراءها المشركين. ويُفنَّد: يُلام ويكذَّب.

(٥) قوله: ولست بلائط مع القوم، أي: لست مُلصَقاً فيهم، يعني أنه ذو نسب حُرّ.

(٦) أَوعدي: هدِّدي.

فما كنتُ في الجيشِ الّذي نالَ عامراً وما كان عن جَرَّى لساني ولا يدي[1]
قبائلُ جاءَت من بلادٍ بعيدةٍ نَزائعُ جاءَت من سَهَامٍ وسُردَدِ[2]

قال ابن هشام: ويُروَى: ودَلَّني على الحقِّ مَن طَرَّدتُ كلَّ مُطرَّدِ.

قال ابن إسحاق: فزَعَموا أنّه حين أنشَدَ رسولَ الله ﷺ قولَه: ونالَني مع الله مَن طَرَّدتُ كلَّ مُطرَّدِ، ضرب رسولُ الله ﷺ في صَدْرِه وقال: «أنتَ طَرَّدتَني كُلَّ مُطرَّدٍ؟!»[3].

فلمّا نَزَلَ رسولُ الله ﷺ مَرَّ الظَّهْرانِ، قال العبّاسُ بن عبد المُطَّلِب[4]: قلت: واصَبَاحَ قُرَيشٍ، والله لئِنْ دخل رسولُ الله ﷺ مكّةَ عَنْوةً قبلَ أن يأتُوه فيَستأمِنُوه، إنّه لَهلاكُ قُريشٍ إلى آخرِ الدَّهر، قال: فجَلَستُ على بغلةِ رسول الله ﷺ البيضاءِ فخَرَجتُ عليها، قال: حتّى جئتُ الأَرَاكَ[5]، فقلت: لَعلِّي أَجِدُ بعضَ الحَطّابة، أو

---

(١) عن جرَّى، أي: من جرّاء، يعني من أجل لساني... والمراد بعامر: بنو عامر بن صعصعة من هوازن، حلفاء ثقيف.

(٢) نزائع، أي: غرائب. وسَهام وسُردد: واديان في اليمن غربَ صنعاء. وكأنه يشير هنا إلى قبائل الأوس والخزرج، فهي قبائل يمانيَةٌ.

تنبيه: الأبيات الثلاث الأخيرة ليس هذا موضعها، فظاهرها يشير إلى أنها قِيلَت بعد غزوة حُنين وما وقع لهوازنَ فيها من القتل والهزيمة.

(٣) هذا الخبر لم يسنده ابن إسحاق، ولم نقف عليه مسنداً عند غيره، فهو ضعيف لا يصحّ، والله تعالى أعلم.

(٤) حديث العباس هذا موصول بالإسناد السابق من حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس، وتقدَّم تخريجه، وهو صحيح.

(٥) لعله يقصد موضعاً يكثر فيه شجر الأراك، وقد تقدّم في قصة هلاك الوليد بن المغيرة ٢/ ٢٨ قولُ ابن إسحاق: كانت الظَّهرانُ وأَراكةُ منازلَ بني كعب بن عمرو من خُزَاعة؛ فالظاهر =

صاحبَ لَبَنٍ، أو ذا حاجةٍ يأتي مكّةَ فيُخبِرَهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه فيَستأمِنُوه قبلَ أن يدخُلَها عليهم عَنْوةً.

قال: فوالله إنّي لأَسِيرُ عليها وأَلتَمِسُ ما خرجتُ له، إذ سمعتُ كلامَ أبي سفيانَ وبُدَيلِ بن وَرْقاءَ وهما يَتَراجَعانِ، وأبو سفيانَ يقول: ما رأيتُ كاللّيلةِ نيراناً قَطُّ ولا عَسكَراً، قال: يقول بُدَيل: هذه والله خُزَاعةُ حَمَشَتْها[1] الحربُ، قال: يقول أبو سفيانَ: خُزَاعةُ أذَلُّ وأقَلُّ من أن تكون هذه نيرانَها وعسكرَها، قال: فعَرَفتُ صوتَه، فقلت: يا أبا حَنظَلة، فعَرَفَ صوتي، فقال: أبو الفَضْل؟ قال: قلت: نَعَم، قال: ما لك فِدَاكَ أَبي وأُمّي؟ قال: قلت: وَيحَك يا أبا سفيانَ، هذا رسولُ الله ﷺ في الناس، واصَبَاحَ قُرَيشٍ واللهِ، قال: فما الحِيلةُ فِدَاكَ أَبي وأُمّي؟ قال: قلت: والله لئِنْ ظَفِرَ بك لَيَضرِبَنَّ عُنُقَك، فاركَبْ في عَجُزِ هذه البغلةِ حتّى آتيَ بك رسولَ الله ﷺ فأستأمِنَه لك.

قال: فرَكِبَ خَلْفي ورَجَعَ صاحباهُ[2]، قال: فجئتُ به كلَّما مَرَرتُ بنارٍ من نِيرانِ المسلمين قالوا: مَن هذا؟ فإذا رَأَوا بغلةَ رسولِ الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عَمُّ رسولِ الله على بَغلتِه، حتّى مَرَرتُ بنارِ عمرَ بن الخَطّاب فقال: مَن هذا؟ وقامَ إليَّ، فلمّا رأى أبا سفيانَ على عَجُزِ الدّابّة قال: أبو سفيانَ عَدوُّ الله، الحمدُ لله الّذي أَمكَنَ منك بغير عَقْدٍ ولا عَهْدٍ، ثمّ خرج يَشتَدُّ نحوَ رسول الله ﷺ، ورَكَضتُ البغلةَ فسَبَقَتْه بما تَسبِقُ الدّابّةُ البَطيئةُ الرَّجلَ البَطيءَ.

= أنه المراد.

(١) حَمَشَتها الحرب: معناه: أحرَقَتها وهيَّجَتها، ومن قال: حَمَسَتها بالسين المهملة، فمعناه: اشتدَّت عليها، وهو مأخوذٌ من الحَمَاسة: وهي الشدة والشجاعة.

(٢) يريد بديل بن ورقاء وحكيم بن حزام.

قال: فاقتَحَمتُ عن البغلةِ[1] فدَخلتُ على رسول الله ﷺ، ودخل عليه عمرُ فقال: يا رسولَ الله، هذا أبو سفيانَ قد أمكَنَ الله منه بغير عَقدٍ ولا عَهدٍ، فدَعْني فلأضرِبْ عُنُقَه، قال: قلت: يا رسولَ الله، إنّي قد أَجَرْتُه، ثمّ جَلَستُ إلى رسول الله ﷺ فأَخذتُ برأسِه فقلت: والله لا يُناجِيهِ اللّيلةَ دوني رجلٌ، فلمّا أكثرَ عمرُ في شَأْنِه، قال: قلت: مَهْلاً يا عمرُ، فوالله أنْ لو كان من رجالِ بني عَدِيِّ بن كعبٍ ما قلتَ هذا، ولكنّك قد عَرَفتَ أنّه من رجالِ بني عبد مَنافٍ! فقال: مَهْلاً يا عبّاسُ، فوالله لَإسلامُك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إليّ من إسلامِ الخَطّابِ لو أسلمَ، وما بي إلّا أنّي قد عَرَفتُ أنّ إسلامَك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلامِ الخَطّابِ لو أسلمَ، فقال رسول الله ﷺ: «اذهَبْ به يا عبَّاسُ إلى رَحْلِكَ، فإذا أصبَحْتَ فأْتِني به».

قال: فذهبتُ به إلى رَحْلي فباتَ عندي، فلمّا أصبَحتُ غَدَوتُ به إلى رسول الله ﷺ، فلمّا رآه رسولُ الله ﷺ قال: «وَيحَكَ يا أبا سفيانَ، أَلَمْ يَأْنِ لكَ[2] أنْ تَعلَمَ أنّه لا إلٰهَ إلّا اللهُ؟!» قال: بأَبي أنت وأُمّي ما أَحلَمَك وأَكرَمَك وأَوصَلَك، والله لقد ظَنَنتُ أنْ لو كان مع الله إلٰهٌ[3] غيرُه لقد أَغنَى شيئاً بعدُ، قال: «وَيحَكَ يا أبا سفيانَ، أَلَمْ يَأْنِ لك أنْ تَعلَمَ أنّي رسولُ الله؟!» قال: بأَبي أنت وأُمّي، ما أحلَمَك وأكرَمَك وأَوصَلَك، أمّا والله هذه فإنَّ في النَّفسِ منها حتّى الآنَ شيئاً، فقال له العبّاسُ: وَيحَكَ أسلِمْ واشهَدْ أن لا إلٰهَ إلّا الله وأنّ محمّداً رسولُ الله، قبلَ أن تُضرَبَ عُنُقُك، قال: فشَهِدَ شهادةَ الحقِّ فأسلَمَ.

قال العبّاسُ: قلت: يا رسولَ الله، إنّ أبا سفيانَ رجلٌ يُحِبُّ هذا الفَخْرَ، فاجعَل

---

(١) أي: قفزتُ عنها وهي تمشي.

(٢) أي: ألم يَحِنْ لك، يقال: آنَ الشيءُ يَئِينُ، وأَنَى يَأْنِي، وأَنِيَ يَأْنَى، كلُّه بمعنًى واحد.

(٣) لفظ «إله» من (ش١) و(ش٢) و(غ)، ولم يرد في بقية النسخ.

له شيئاً، قال: «نَعَم، مَن دَخَلَ دارَ أبي سفيانَ فهو آمِنٌ، ومَن أغلَقَ بابَه فهو آمِنٌ، ومَن دخل المسجِدَ فهو آمنٌ»، فلمّا ذَهَبَ ليَنصَرِفَ قال رسولُ الله ﷺ: «يا عبّاسُ، احبِسْهُ بمَضِيقِ الوادي عند خَطْمِ الجبلِ[1] حتّى تَمُرَّ به جنودُ اللهِ فيَرَاها»، قال: فخرجتُ حتّى حَبَستُه بمَضِيقِ الوادي، حيثُ أمَرَني رسولُ الله ﷺ أن أَحبِسَه.

قال: ومَرَّت القبائلُ على راياتِها، كلَّما مَرَّت قبيلةٌ قال: يا عبّاسُ، مَن هذه؟ فأقول: سُلَيمٌ، فيقول: ما لي ولسُلَيمٍ، ثمّ تَمُرُّ القبيلةُ فيقول: يا عبّاسُ، مَن هؤلاءِ؟ فأقول: مُزَينةُ، فيقول: ما لي ولمُزَينةَ، حتّى نَفِدَت القبائلُ، ما تَمُرُّ قبيلةٌ إلّا سألني عنها، فإذا أخبَرتُه بهم قال: ما لي ولبَنِي فُلانٍ، حتّى مَرَّ رسولُ الله ﷺ في كَتِيبتِه الخَضْراءِ.

قال ابن هشام: وإنّما قيل لها: الخضراءُ، لكَثْرة الحديد وظُهورِه فيها[2]، قال الحارثُ بن حِلِّزَةَ اليَشكُريّ[3]:

---

(١) خطم الجبل: أنف الجبل، وهو ما خرج منه ونَتَأ من بعض حجارته يَضِيق معه الطريق، ووقع في مرسل عُروة بن الزبير في «صحيح البخاري» (٤٢٨٠) لأكثر رواة «الصحيح»: عند حَطْم الخَيْل.

قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» ١/ ٤٠٤ معلِّقاً على هذه الرواية: إن صحَّت الروايةُ به ولم يكن تحريفاً من الكَتَبة، فيكون معناه ـ والله أعلم ـ أنّه يحبسه في الموضع المُتضايِق الذي تتحطَّم فيه الخيلُ، أي: يَدُوس بعضُها بعضاً، ويَزحَمُ بعضُها بعضاً، فيراها جميعَها وتَكثُر في عينه بمرورها في ذلك الموضع الضيِّق، وكذلك أراد بحبسه عند خَطْم الجَبَل ... فإن الأنف النادر من الجبل يُضيِّق الموضعَ الذي يَخرُج فيه.

(٢) وذلك لكثرة لابسي الدُّروع والخُوَذ فيها.

(٣) انظر «ديوانه» ص٣٤.

وهو في هذا البيت وغيره من قصيدته يعدِّد مآثرَ قومه بني يَشكُر بن بكر بن وائلٍ عند عمرو =

ثمّ حُجْراً أَعْني ابنَ أمِّ قَطَامٍ ولـــه فارِســـيّةٌ خَضـــراءُ[1]

يعني الكَتِيبةَ، وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال حسّانُ بن ثابتٍ:

لمّا رأى بدراً تَسِيلُ جِلاهُهُ بكَتيبةٍ خَضْراءَ من بَلخَزْرجِ

وهذا البيت في أبياتٍ له قد كتبناها في أشعارِ يوم بدرٍ[2].

قال ابن إسحاق: فيها المهاجرون والأنصارُ لا يُرَى منهم إلّا الحَدَقُ من الحديد فقال: سُبْحانَ الله يا عبّاسُ، مَن هؤلاءِ؟ قال: قلت: هذا رسولُ الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحدٍ بهؤلاءِ قِبَلٌ ولا طاقةٌ، والله يا أبا الفضل لقد أصبَحَ مُلْكُ ابنِ أخيك الغَدَاةَ عظيماً، قال: قلت: يا أبا سفيان، إنّها النُّبوَّةُ، قال: فنَعَم إذاً.

قال: قلت: النَّجَاءَ[3] إلى قومك، حتّى إذا جاءَهم صَرَخَ بأعلى صوته: يا مَعشَرَ قُرَيش، هذا محمّدٌ قد جاءَكم فيما لا قِبَلَ لكم به، فمَن دخل دارَ أبي سفيانَ، فهو آمنٌ، فقامت إليه هِندٌ بنتُ عُتْبةَ فأخَذَت بشاربِه فقالت: اقتُلوا الحَمِيتَ الدَّسِمَ الأحمسَ[4]، قُبِّحَ من طَليعةِ[1] قومٍ! قال: وَيلَكم لا تَغُرَّنَّكم هذه من أنفُسِكم، فإنّه

= ابن المنذر المعروف بعمرو ابن هندٍ ـ وهي أمّه ـ ملك الحِيرة، وكان حُجْر المذكور ـ وهو من كِنْدة ـ غزا أباه المنذرَ ابنَ ماء السماء بجمعٍ من كندة، فخرجت إليه بكرُ بن وائل فردَّته وهزمت جموعه. انظر «المعاني الكبير» لابن قتيبة ٢/ ٩٤٣.

(١) يعني كتيبة عليها سلاح من عمل فارس، خضراء من كثرة السلاح من الحديد.

(٢) فيما تقدم ٢/ ٤٧٤. والجِلاه: ما استقبلك من أطراف الوادي، الواحدة: جَلْهة.

(٣) النَّجاء: السُّرعة.

(٤) الحَمِيت: زِقّ السَّمن، والدَّسِم: الكثير الشّحم، والأحمس هنا: الشديد اللّحم، شبَّهته بالزِّق لضخامته وسِمَنه.

قد جاءَكم ما لا قِبَلَ لكم به، مَن دخل دارَ أبي سفيانَ فهو آمنٌ، قالوا: قاتَلَك الله، وما تُغْني عنّا دارُك، قال ومَن أغلَقَ عليه بابَه فهو آمنٌ، ومَن دخل المسجدَ فهو آمنٌ، فتفرَّقَ النّاسُ إلى دُورِهم وإلى المسجد.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ: أنّ رسول الله ﷺ لمّا انتَهَى إلى ذي طُوًى[٢]، وَقَفَ على راحلته مُعتجِراً بشُقّةِ بُرْدٍ حِبَرةٍ[٣] حَمْراءَ، وإنَّ رسولَ الله ﷺ ليَضَعُ رأسَه تواضُعاً لله حين رأَى ما أكرَمَه اللهُ به من الفَتْح، حتّى إنّ عُثْنونَه لَيَكادُ يَمَسُّ واسطةَ[٤] الرَّحْل[٥].

---

(١) الطليعة: الذي يتقدّم العسكر ليطّلع على أمر العدوّ.

(٢) وهو وادٍ من أودية مكة في شمالها، كلُّه معمور اليوم، فيه عدّة أحياءَ من أحياء مكة.

(٣) الاعتجار: التعمّم بغير ذُؤابة. والشُّقة: النِّصف. والبُرد: الشَّملة، والحِبَرة: مخطَّطة، وهي بردٌ يمانيَةٌ.

(٤) في (ت) و(ص) و(م) و(ي): وسط. وهو خطأ، فإن واسطة الرَّحل: هي مقدَّمته الطويلة التي تحاذي صدر الراكب.

والرَّحل: ما يركب عليه راكب البعير كالسَّرج للفرس. والعُثنون: اللِّحية.

(٥) حسنٌ لغيره غير ذكر لون العمامة بأنها حمراء، فإنه منكرٌ لمخالفته ما صحَّ أنها كانت سوداء كما سيأتي، وهذا إسناد ضعيف لإرساله، عبد الله بن أبي بكر: هو ابن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، وهو ثقة من صغار التابعين.

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» برواية نعيم بن حماد (١٩٤) عن ابن إسحاق، عن عبد الله ابن أبي بكر وابن أبي نَجِيح ويحيى بن عبّاد، مرسلاً. ورواية هؤلاء يشدّ بعضها بعضاً، وليس فيها ذكرٌ للون العمامة.

وقد روي نحوه من حديث أبي هريرة عند الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٨٢٣-٨٢٤، وفيه ذكر لون العمامة أنها كانت سوداء. والواقدي متكلَّم فيه.

لكن قد صحَّ فيما أخرجه أحمد (١٤٩٠٤)، ومسلم (١٣٥٨)، وغيرهما من حديث جابر =

إسلام أبي قُحَافة يوم الفتح

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه، عن جَدَّته أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ قالت: لمّا وَقَفَ رسولُ الله ﷺ بذي طُوًى قال أبو قُحَافة لابنةٍ له من أصغر ولده: أيْ بُنَيّةُ، اظهَرِي بي على أبي قُبَيسٍ[1]، قالت: وقد كُفَّ بَصَرُه، قالت: فأَشرَفتُ به عليه، فقال: أي بُنَيّةُ، ماذا تَرَينَ؟ قالت: أَرى سواداً مُجتمِعاً، قال: تلك الخيلُ، قالت: وأَرى رجلاً يَسعَى بين يَدَيْ ذلك السَّواد مُقبِلاً ومُدبِراً، قال: أي بُنَيّةُ، ذلك الوازعُ - يعني الذي يأمُرُ الخيلَ ويَتقدَّم إليها[2] - ثمّ قالت: قد واللهِ انتَشَرَ السّوادُ، قالت: فقال: قد والله إذاً دُفِعَت الخيلُ، فأَسرِعي بي إلى بيتي، فانحَطَّت به، وتَلقّاه الخيلُ قبل أن يَصِلَ إلى بيته، قالت: وفي عُنُقِ الجارية طَوقٌ من وَرِقٍ[3] فتَلقّاها رجلٌ فيَقطَعُه من عُنُقِها.

= ابن عبد الله: أن النبي ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامةٌ سوداءُ.

ومثله أخرج ابن ماجه (٣٥٨٦) من حديث ابن عمر. لكن في إسناده ضعفٌ.

وأما في تواضعه ﷺ ذلك اليوم، فقد أخرج الحاكم (٤٤١٣) من حديث أنس بن مالك قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذَقَنُه على رَحْله متخشِّعاً. وفي إسناده ضعفٌ.

فائدة: كان رسول الله ﷺ في ذلك اليوم يقرأ على ناقته سورة الفتح، أخرج البخاري (٤٢٨١) ومسلم (٧٩٤) من حديث عبد الله بن مغفَّل قال: رأيت رسول الله ﷺ يومَ فتح مكة على ناقتِه وهو يقرأ سورةَ الفتح يُرجِّعُ. والترجيع: ترديد القارئِ الحرفَ في الحَلْق.

(١) اظهَري بي، أي: اصعدي وارتفعي بي. وأبو قُبيس: جبل معروف بمكّة يشرف على المسجد الحرام من الشرق من جهة الصَّفا.

(٢) فهو الذي يرتّب الجيش ويصفّه، ويحبس أوّله على آخره، فكأنه يَكفُّهم عن التفرق والانتشار.

(٣) الطوق: القلادة، والوَرِق: الفضة.

قالت: فلمّا دخل رسولُ الله ﷺ مكّةَ ودخل المسجدَ، أَتى أبو بكرٍ بأبيه يَقُودُه، فلمّا رآه رسولُ الله ﷺ قال: «هَلَّا تَرَكتَ الشَّيخَ في بيتِه حتَّى أكونَ أنا آتِيهِ فيه» قال أبو بكرٍ: يا رسولَ الله، هو أحقُّ أن يَمشِيَ إليك من أن تَمشِيَ إليه أنتَ، قالت: فأجلَسَه بين يديهِ ثمّ مَسَحَ صَدْرَه ثمّ قال له: «أَسلِمْ»، فأسلَمَ، قالت: فدخل به أبو بكرٍ وكأنّ رأسَه ثَغَامةٌ[1]، فقال رسول الله ﷺ: «غَيِّرُوا هذا من شَعَرِه».

ثمّ قامَ أبو بكرٍ فأَخذَ بيد أُخته، وقال: أَنشُدُ اللهَ والإسلامَ[2] طَوقَ أُختي، فلم يُجِبْه أَحدٌ، قالت: فقال: أيْ أُخَيّةُ، احتَسِبي طَوقَكِ، فوالله إنّ الأمانةَ في النّاسِ اليومَ لقليلٌ[3].

---

(١) الثَّغَامة: واحدة الثَّغام، وهو من نبات الجبال، وأشدّ ما يكون بياضاً إذا يَبِسَ، يشبّهون به الشيب.

ويشهد لقصة أمر النبيِّ ﷺ بتغيير شيب أبي قُحافة عند إسلامه حديثُ جابر بن عبد الله عند أحمد (١٤٦٤١)، ومسلم (٢١٠٢).

وحديث أنس بن مالك عند أحمد (١٢٦٣٥)، وابن حبان (٥٤٧٢)، وزاد فيه: «وجنِّبوه السوادَ». وإسناده صحيح.

(٢) أي: أسألُ بالله وبحقّ الإسلام.

(٣) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٩٥٦)، وابن حبان (٧٢٠٨)، والحاكم (٤٤١١) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وقول أبي بكر الصِّدّيق: إن الأمانة في الناس اليوم لقليل، قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٦/ ٥٥١: يعني ذلك اليومَ على التعيين، لأن الجيش فيه كَثْرة ولا يكادُ أحدٌ يَلْوي على أحدٍ مع انتشار الناس، ولعلَّ الذي أخذه تأوَّل أنه من حربيٍّ، والله أعلم.

قلنا: أو أنه لم يسمع نِشدةَ أبي بكرٍ أو لم تبلغه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي نَجِيحٍ: أنّ رسول الله ﷺ حين فرَّق جيشَه من ذي طُوًى، أمَرَ الزُّبَيرَ بن العَوّام أن يَدخُلَ في بعضِ الناس من كُدًى، وكان الزُّبيرُ على المُجنِّبة اليُسرى، وأمَرَ سعدَ بنَ عُبادةَ أن يَدخُلَ في بعضِ الناس من كَدَاءٍ[1].

قال ابن إسحاق: فزَعَمَ بعضُ أهلِ العلم: أنّ سعداً حين وَجَّهَ داخلاً قال: اليومُ يومُ المَلحَمة، اليومَ تُستَحلُّ الحُرُمَة، فسمعها رجلٌ من المهاجرين ـ قال ابن هشام: هو عمرُ بن الخَطّاب[2] ـ فقال: يا رسول الله، اسمَعْ ما قال سعدُ بن عُبادة، ما نأمَنُ

---

(١) خبر عبد الله بن أبي نجيح صحيح بالجُملة، ومع إعضالِه لكون عبد الله بن أبي نجيح من أتباع التابعين، فإنه يشهدُ لأبعاضه أحاديثُ موصولة تقوّيه، لكن ما جاء في خبره هذا من أن الزبير بن العوّام دخل من كُدًى مخالف لما ثبت من أنه كان يحمل راية رسول الله ﷺ وأنه أمره أن يركزها بالحَجُون كما وقع في حديث عروة بن الزبير عند البخاري (٤٢٨٠)، ممّا يعني أنه دخل مكةَ من جهة كَدَاءٍ.

وكَدَاءٌ: هي ثنيّة ـ أي: فُرجة فيها طريق بين جبلين ـ بأعلى مكة شمالاً، وتعرف اليوم برِيع الحَجُون، وتُفضي إلى مقبرة أهل مكة المَعلاة.

وقد صحَّ من حديث عائشة: أن رسول الله ﷺ دخل مكةَ يوم الفتح من كَدَاءٍ، فيما أخرجه البخاري (١٥٧٧-١٥٨٠) و(٤٢٩٠) ومسلم (١٢٥٨).

وعليه فيكون سعد بن عبادة هو الذي أُمر أن يدخلها من كُدًى.

وكُدًى: في جهة الغرب من مكة بانحرافٍ إلى الجنوب، وكانت تعرف إلى زمن قريب برِيع الرَّسّام، ثم أُزيلَت في توسعة المسجد الحرام.

ويشهد لخبره في كون إحدى مجنِّبتَي الجيش كان عليها الزبير والأخرى كان عليها خالدٌ كما سيأتي عنه لاحقاً، حديثُ أبي هريرة عند أحمد (١٠٩٤٨) ومسلم (١٧٨٠)، وسيأتي: أن النبيَّ ﷺ أمر خالداً أن يدخل مكة من أسفلها.

(٢) استبعد ابن حجر في «الفتح» ١٢/ ٥٠٥ قولَ ابن هشام هذا، لأن عمر كان معروفاً بشدّة =

أن يكون له في قُريشٍ صَوْلةٌ[1]، فقال رسول الله ﷺ لعليِّ بن أبي طالبٍ: «أَدرِكْه فخُذِ الرَّايةَ منه، فكُنْ أنتَ الّذي تَدخُلُ بها»[2].

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني عبدُ الله بن أبي نَجيحٍ في حديثه: أنّ رسولَ الله ﷺ أمَرَ خالدَ بن الوليدِ فدخل من اللِّيطِ أسفلَ مكّة[3] في بعض الناس، وكان خالدٌ على

= البأس عليهم.

ووقع عند الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٨٢١-٨٢٢: أن قائل ذلك من المهاجرين عبدُ الرَّحمن بن عوف وعثمانُ بن عفان.

وفي حديث عروة بن الزبير عند البخاري (٤٢٨٠): أن سعد بن عبادة قال: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستَحلّ الكعبة، فلما مرَّ رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعدُ بن عبادة؟ قال: «ما قالَ؟» قال: قال كذا وكذا، فقال: «كذب سعدٌ، ولكن هذا يومٌ يُعظِّم الله فيه الكعبة، ويومٌ تُكسَى فيه الكعبة».

(١) أي: بطشٌ وشِدّة.

(٢) هذا خبر مُعضَل لم يسنده ابنُ إسحاق، وخالفه سعيد بن يحيى الأُمويُّ فروى في «مغازيه» ـ كما في «الفتح» لابن حجر ١٢/ ٥٠٥ ـ: أن النبي ﷺ لمّا أرسل إلى سعدٍ فأخذ الراية منه دفعها إلى ابنه قيسٍ. كذا قال ولم يسنده أيضاً.

وروى البزار في «مسنده» (٧٣١٦) من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات قال: لمّا قدم رسول الله ﷺ مكةَ كان قيسٌ في مقدّمته، فكلَّم سعدٌ النبيَّ ﷺ أن يَصرِفَه عن الموضع الذي هو فيه، مخافةَ أن يُقدِمَ على شيءٍ، فصَرَفَه عن ذاك.

وجزم موسى بن عقبة في «مغازيه» كما في «الدلائل» للبيهقي ٥/ ٤٤: أن رسول الله ﷺ أرسل إلى سعد بن عبادة فعزله عن الأنصار، وجعل الزُّبيرَ مكانه على الأنصار مع المهاجرين.

فالله أعلم أي ذلك كان، غير أنّ جميعهم قد اتفقوا على أن النبيَّ ﷺ قد أخذ الرايةَ من سعدٍ لمّا بَدَرَت منه تلك المقولة.

(٣) من جهة الغرب، وهو في الغالب السهل الذي ينتهي إليه سيل وادي طُوى كما قال عاتق =

المُجنِّبة اليُمنى، وفيها أسلَمُ وسُلَيمٌ وغِفارٌ ومُزَينةُ وجُهَينةُ، وقبائلُ من قبائلِ العرب، وأقبَلَ أبو عُبيدةَ بن الجَرّاح بالصَّفِّ من المسلمين[1] يَنصَبُّ لمكّةَ بين يَدَيْ رسول الله ﷺ، ودخل رسولُ الله ﷺ من أَذاخِرَ[2] حتّى نزلَ بأعلى مكّة، وضُرِبَت هنالك قُبَّتُه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُالله بن أبي نَجيحٍ وعبدُالله بن أبي بكرٍ: أنّ صفوانَ ابن أُميّة وعِكْرمةَ بن أبي جهلٍ وسُهيلَ بن عمرٍو كانوا قد جَمَعُوا ناساً بالخَندَمةِ[3] ليُقاتِلوا، وقد كان حِمَاسُ بن قيس بن خالدٍ أخو بني بكرٍ يُعِدُّ سلاحاً قبلَ دخول رسول الله ﷺ ويُصلِحُ منه، فقالت له امرأتُه: لماذا تُعِدُّ ما أَرى؟ قال: لمحمّدٍ وأصحابِه، قالت: والله ما أُراه يقومُ لمحمّدٍ وأصحابِه شيءٌ، قال: والله إنّي لَأرجو أن أُخدِمَك بعضَهم، ثمّ قال:

= البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢٧٤، وهو اليوم أحد أحياء مكة الغربيّة، ويُسمّى حيّ الطَّنْدُباوي.

(١) أراد بالصَّفِّ هنا الرَّجّالةَ، كما وقع في رواية عند مسلم (١٧٨٠)(٨٦) في حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ جعل خالد بن الوليد على المجنِّبة اليمنى، وجعل الزبير على المجنِّبة اليسرى، وجعل أبا عبيدة على البَيَاذِقة.

والبياذقة: هم الرَّجّالة، وهو فارسيٌّ معرَّب.

وفي رواية أخرى في هذا الحديث عند أحمد (١٠٩٤٨)، ومسلم (١٧٨٠)(٨٤)، وابن حبان (٤٧٦٠): أنه بعث أبا عبيدة على الحُسَّر. والحُسَّر: جمع حاسرٍ، وهو الذي لا درعَ عليه ولا مِغفرَ.

(٢) وهو جبل شمال مكّة يتّصل بالحَجُون من شرقيِّه.

(٣) الخندمة: سلسلة جبال مكة الشرقية، حيث تبدأ من أبي قُبيس وتنتهي باتجاه الجنوب بما يُسمَّى حيّ العزيزية اليوم، وفي هذه السلسلة اليوم أحياء كثيرة من مكة.

إنْ يُقبِلوا اليومَ فما لي عِلَّهْ هـذا سِـلاحٌ كامـلٌ وأَلَّـهْ[1]

وذو غِـرارَينِ سَـريعُ السَّـلَّهْ[2]

ثمّ شَهِدَ الخَندَمةَ مع صفوانَ وسُهيلٍ وعِكْرمة، فلمّا لَقِيَهم المسلمون من أصحاب خالدِ بن الوليد، ناوَشُوهم شيئاً من قتالٍ فقُتِلَ كُرْزُ بن جابرٍ أحدُ بني مُحارِب بن فِهْرٍ، وخُنَيسُ[3] بن خالد بن رَبيعة بن أَصرَمَ حليفُ بني مُنقِذ، وكانا في خيل خالد ابن الوليد، فشَذَّا عنه فسَلَكا طريقاً غيرَ طريقِه، فقُتِلا جميعاً، قُتِلَ خُنَيسُ بن خالد قبل كُرْز بن جابرٍ فجعله كُرْزُ بن جابرٍ بين رِجلَيه، ثمّ قاتَلَ عنه حتّى قُتِلَ وهو يَرتجِزُ ويقول:

قد عَلِمَت صَفْراءُ من بني فِهـرْ نَقيّـةُ الوجـهِ نَقيّـةُ الصَّـدرْ

لَأضرِبَنَّ اليومَ عـن أبي صَـخرْ

وكان خُنَيسٌ يُكنَى أبا صَخْرٍ[4].

---

(١) الألّة: الحَرْبة لها سِنان طويل.

(٢) ذو غِرارين، أي: سيف ذو حدَّين.

و السَّلّة: بكسر السين هو الرواية، يريد الحالة من سَلِّ السيف، ومن أراد المصدر فَتَح. قاله السهيليُّ في «الروض» ٧/ ١٠٣.

(٣) قال السهيليُّ ٧/ ١٠١-١٠٢: لم يختلفوا عن ابن إسحاق أنه خُنَيس، بالخاء المنقوطة والنون، وأكثرُ من أَلَّف في المُؤتلِف والمُختلِف يقول: الصواب فيه: حُبَيش، بالحاء المهملة والباء والشين المنقوطة، وكذلك في حاشية الشيخ عن أبي الوليد: أن الصواب فيه حُبَيش. اهـ، ويعني بالشيخِ أبا بحرٍ الأسَديّ الأندلسيّ في نسخته من «السيرة»، وبأبي الوليدِ الوَقَّشِيَّ الذي ضبط «السيرة» في بلاد الأندلس.

(٤) قوله: وكان خنيس يكنى أبا صخر، جُعل في طبعة السقا وصاحبيه من قول ابن هشام، وليس في النسخ ما يشير إلى ذلك، بل هو من تتمة كلام ابن إسحاق.

قال ابن هشام: خُنَيسُ بن خالدٍ من خُزَاعة.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي نَجيحٍ وعبدُ الله بن أبي بكرٍ قالا: وأُصِيبَ من جُهَينةَ سَلَمةُ بن المَيْلاءِ من خيل خالد، وأُصِيبَ من المشركين ناسٌ قريبٌ من اثني عَشَرَ أو ثلاثةَ عَشَرَ ثمّ انهَزَموا[1].

فخرج حِماسٌ مُنهزِماً حتّى دخل بيتَه ثمّ قال لامرأته: أَغلِقي عليَّ بابي، قالت: فأين ما كنتَ تقولُ؟!

فقال:

إنّكِ لو شَهِدْتِ يومَ الخَندَمَهْ ... إذ فَرَّ صفوانٌ وفَرَّ عِكرِمَهْ

وابُو يزيدَ قائمٌ كالمُوتَمَهْ ... واستَقبَلَتهمْ بالسُّيوفِ المُسلِمَهْ[2]

---

(١) ذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٨٢٥: أن عدّة من قُتل يومئذٍ من المشركين أربعة وعشرون من قريش، وأربعةٌ من هُذيل.

(٢) المُؤتَمة، وقد تُكسَر التاء، وتُسهَّل الهمزة: هي التي مات عنها زوجها وترك لها أيتاماً. قال أبو سعيد السكّريُّ في «شرح أشعار الهذليِّين» ٢/ ٧٨٨: المُوتَمة: أم الأيتام.

وأبو يزيد: هو سهيل بن عمرو.

قال السهيليُّ في «الروض» ٧/ ١٠٣-١٠٤: وقال ابن إسحاق في غير هذه الرواية (يعني رواية ابن هشام عن البكّائي عنه): المُوتِمة: الأُسطوانة، وهو تفسير غريب، وهو أصحُّ من التفسير الأول، لأنه تفسير راوي الحديث، فعلى قول ابن إسحاق هذا يكون لفظ المُوتِمة من قولهم: وَتَمَ وأَتَمَ: إذا ثَبَتَ، لأن الأُسطوانة تثبت ما عليها، ويقال فيها على هذا: مُؤتِمة بالهمز، وتُجمَع: مآتم، ومُوتِمة بلا همز، وتجمع: مَواتِم.

قلنا: بل المعنى الذي ذكره أبو سعيد السكريُّ ـ ولم يذكر الخشنيُّ في «مختصره» ص٣٧٠ غيرَه ـ أَوجهُ، إذ يريد به الراجزُ بيانَ حال سهيل بن عمرو من التشتُّت وقِلّة الحيلة ذلك اليوم وقد أُحيط بهم، لا أنه كان ثابتاً غيرَ متزعزعٍ، والله تعالى أعلم.

يَقطَعْنَ كلَّ ساعدٍ وجُمجُمَهْ ضرباً فلا تسمعُ إلّا غَمغَمَهْ[1]

لهمْ نَهيتٌ خَلْفَنا وهَمهَمَهْ لم تَنطِقي في اللَّومِ أَدنى كَلِمَهْ[2]

قال ابن هشام: أنشدني بعضُ أهلِ العلم بالشِّعر قولَه: كالمُوتَمَهْ، وتُروَى للرَّعّاشِ الهُذَليِّ[3].

وكان شِعارُ أصحابِ رسول الله ﷺ يومَ فتحِ مكّة وحُنَينٍ والطّائفِ؛ شعارُ المهاجرين: يا بني عبد الرَّحمن، وشعارُ الخَزْرج: يا بني عَبد الله، وشعارُ الأَوس: يا بني عُبَيد الله.

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله ﷺ قد عَهِدَ إلى أُمرائه من المسلمين حين أمَرَهم أن يَدخُلوا مكّةَ: أن لا يُقاتِلوا إلّا مَن قاتَلَهم، إلّا أنّه قد عَهِدَ في نَفَرٍ سمّاهم أمَرَ بقتلِهم وإن وُجِدوا تحت أستارِ الكعبة[4].

---

(١) الغمغمة: أصوات غير مفهومة لاختلاطها.

(٢) النَّهيت: صوت الصدر، وأكثر ما يوصف به الأسد. والهمهمة: صوت في الصدر أيضاً.

(٣) هكذا وقع لابن هشام: الرَّعّاش الهذلي، وسمّاه أبو سعيد السُّكّري في «شرح أشعار الهذليِّين» ٢/ ٧٨٧ أبا الرَّعّاس، بكنيةٍ وسين مهملة، وذكر من خبره: أنه أقبل يوم فتح مكة يريد نصر قريش وبني بكر ويطلب الغنائم، وقال لامرأته: آتيك بخادم وأُحلّيك من غنائم أصحاب محمد، فلم يفجأه إلا أصحاب النبي ﷺ يطردون المشركين، فأقبل فارّاً حتى قدم على أهله، فلامته امرأته وعيّرته، فقال هذه الأبيات معتذراً.

(٤) أسند هذا يونسُ بن بكير في روايته عن ابن إسحاق كما في «الدلائل» للبيهقي ٥/ ٦١-٦٢ قال: حدثنا أبو عُبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر وعبد الله بن أبي بكر بن حَزْم: أن رسول الله ﷺ حين دخل مكةَ وفرَّق جيوشه أمَرَهم أن لا يقتلوا أحداً إلّا مَن قاتَلَهم إلّا نفراً قد سمّاهم رسول الله ﷺ، فقال: «اقتلوهم وإن وَجَدتُموهم تحت أستار الكعبة». وأبو عبيدة وابن حزم من جملة الثقات وابن حزم أوثق الرجلين، وحديثهما هذا مرسلٌ، فهما من صغار التابعين. =

منهم ابنُ سعدٍ[1] أخو بني عامر بن لُؤَيّ.

وإنّما أمَرَ رسولُ الله ﷺ بقتلِه، لأنّه قد كان أسلَمَ، وكان يكتبُ لرسول الله ﷺ الوحيَ، فارتَدَّ مشركاً راجعاً إلى قُريشٍ[2].

ففَرَّ إلى عثمانَ بن عَفّان، وكان أخاه للرَّضَاعة، فغَيَّبَه حتّى أَتى به رسولَ الله ﷺ بعدَ أن اطمأنَّ النّاسُ وأهلُ مكّة، فاستأمَنَ له، فزَعَمُوا: أنّ رسولَ الله ﷺ صَمَتَ طويلاً، ثمّ قال: «نعم»، فلمّا انصَرَفَ عنه عثمانُ، قال رسولُ الله ﷺ لمن حولَه من أصحابه: «لقد صَمَتُّ ليَقُومَ إليه بعضُكم فيَضرِبَ عُنُقَه»، فقال رجلٌ من الأنصار: فهَلَّا أَومَأتَ إليَّ يا رسولَ الله، قال: «إنَّ النبيَّ لا يَقتُلُ بالإشارَةِ»[3].

= لكنه مرسلٌ صحيح يشهد له حديث سعد بن أبي وقّاص عند أبي داود (٢٦٨٣)، والنسائي في «المجتبى» (٤٠٦٧) و«الكبرى» (٣٥١٦)، والحاكم (٢٣٦٠)، قال: لمّا كان يومُ فتح مكة أمَّن رسول الله ﷺ الناسَ إلا أربعة نفرٍ وامرأتين، وقال: «اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلِّقين بأستار الكعبة»، وسمّاهم. وإسناده حسن.

ونحوه حديث سعيد بن يربوع المخزوميّ - وهو من مُسلِمة الفتح - عند أبي داود (٢٦٨٤) بإسنادٍ محتمل للتحسين في المتابعات والشواهد.

ومرسل أبي سلمة بن عبد الرَّحمن ويحيى بن عبد الرَّحمن بن حاطبٍ عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٤/ ٤٧٥.

وانظر «فتح الباري» لابن حجر ٦/ ١٦٨-١٦٩.

(١) هو عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح العامريّ.

(٢) أخرج أبو داود (٤٣٥٩)، والنسائي في «المجتبى» (٤٠٦٩) وفي «الكبرى» (٣٥١٨)، والحاكم (٣٤٠١) و(٤٤٠٩) من حديث ابن عبّاس قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي السَّرح يكتب لرسول الله ﷺ، فأزلَّه الشيطانُ فلحق بالكفار، فأَمر به رسول الله ﷺ أن يُقتَل يوم الفتح، فاستجار له عثمانُ بن عفّان، فأجاره رسولُ الله ﷺ. وإسناده قويّ.

(٣) هذا الخبر بنحوه في حديث سعد بن أبي وقّاص فيما أخرجه أبو داود (٢٦٨٣) =

قال ابن هشام: ثمّ أسلمَ بعدُ فوَلَّاهُ عمرُ بن الخطّاب بعضَ أعماله، ثمّ وَلَّاهُ عثمانُ ابن عفّانَ بعدَ عمر[1].

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن خَطَلٍ رجلٌ من بني تَيْمِ بن غالبٍ، وإنّما أمَرَ بقتله أنّه كان مسلماً، فبَعَثَه رسولُ الله ﷺ مُصدِّقاً[2]، وبَعَثَ معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولًى له يَخدُمُه وكان مسلماً، فنَزَلَ مَنزِلاً وأمَرَ المولى أن يَذبَحَ له تَيْساً فيصنعَ له طعاماً، فنامَ فاستَيقَظَ ولم يَصنَعْ له شيئاً، فعَدَا عليه فقتله، ثمّ ارتَدَّ مشركاً[3].

وكانت له قَيْنتانِ، فَرْتَنَى وصاحبتُها، وكانتا تُغنِّيانِ بهِجاءِ رسول الله ﷺ، فأمَرَ بقتلِهما معه[4].

= و(٤٣٥٩)، والنسائي في «المجتبى» (٤٠٦٧) و«الكبرى» (٣٥١٦)، والحاكم (٤٤٠٨)، وفيه: قال النبيُّ ﷺ: «إنه لا ينبغي لنبيٍّ أن يكون له خائنةُ أعيُنٍ». وإسناده حسن.

(١) وليَ لعمرَ الصعيدَ بمصر، ثم ولّاه عثمان مصرَ كلَّها، وكان محموداً، غزا إفريقيّةَ ـ وهي ساحل دول المغرب الإسلامي كلّه من ليبيا إلى المغرب ـ أيام عثمان سنة ٢٧هـ أو بعدها، فقتل جُرجِيرَ صاحبَها، ثم بعد مقتل عثمان رضي الله عنه اعتزل ابن أبي السرح في الرَّملة من فلسطين وتوفي فيها أيام عليٍّ رضي الله عنه، ويُذكَر عنه أنه لمّا احتُضِرَ قال: اللهم اجعل خاتمةَ عملي الصُّبح، فتوضأ ثم صلَّى، فسلّم عن يمينه ثم ذهب يسلِّم عن يساره فقُبِضَ، رضي الله عنه. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبي ٣/ ٣٣-٣٥.

(٢) المُصَدِّق: الجامع للصدقات، وهي الزّكاة هنا.

(٣) وأخرج البخاري (١٨٤٦) و(٣٠٤٤) ومسلم (١٣٥٧) من حديث أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ دخل عامَ الفتح وعلى رأسه المِغفَر، فلمّا نَزَعَه جاء رجل فقال: إنّ ابن خَطَلٍ متعلِّق بأستار الكعبة، فقال: «اقتُلوه».

(٤) وقع في حديث سعيد بن يربوع المخزومي عند أبي داود (٢٦٨٤) والطبري في مسند الزبير بن العوّام من «تهذيب الآثار» (١٠٣٧) بإسنادٍ فيه ضعفٌ: أن هاتين القَينتَين كانتا لمِقيَس ابن صُبَابة، فقُتلت إحداهما وأفلتَت الأخرى فأسلمت. =

والحُوَيرِثُ بن نُقَيذ بن وهب بن عبد بن قُصَيٍّ، وكان ممّن يُؤذيهِ بمكّة[1].

قال ابن هشام: وكان العبّاسُ بن عبد المُطَّلِب حَمَلَ فاطمةَ وأمَّ كُلثومٍ ابنتَي رسولِ الله ﷺ من مكّة يريد بهما المدينةَ، فنَخَسَ بهما الحُوَيرِثُ بن نُقَيذٍ فرَمَى بهما إلى الأرض.

قال ابن إسحاق: ومِقيَسُ بن صُبَابة، وإنّما أمَرَ رسولُ الله ﷺ بقتلِه، لقتلِ الأنصاريِّ الّذي كان قَتَلَ أخاه خطأً، ورجوعِه إلى قُريشٍ مشركاً[2].

وسارَةُ مولاةٌ لبعض بني عبد المُطَّلِب، وبعِكْرمةَ[3] بن أبي جهلٍ، وكانت سارةُ

= فتعقَّب الطبريُّ هذه الرواية قال: هي عند أهل العلم بالسِّيَر غلطٌ، يقولون: إنما كانت القَينتانِ اللَّتان كانتا تغنِّيان بهجاء رسول الله ﷺ لعبد الله بن خَطَل، تُدعَى إحداهما فَرْتَنى، فأمر النبي ﷺ بقتله وقتلهما، فقُتل هو وإحدى القَينتَينِ، وأَسلمت الأخرى وسارةُ فتُرِكَتا. قلنا: وسارة سيأتي ذكرها لاحقاً.

(١) وقع ذكرُ اسمه في الأربعة الذين لم يؤمّنهم النبيُّ ﷺ يوم الفتح في حديث سعيد بن يربوع المخزومي فيما أخرجه البغوي في «معجم الصحابة» (١٣٢٠)، وابن قانع في «معجم الصحابة» ١/ ٢٦٢، والدارقطني في «سننه» (٢٧٩٣)، والبيهقي في «سننه» ٩/ ٢١٢، وهم: الحويرث هذا، ومِقيَس بن صُبابة، وابن خَطَل، وعبد الله بن أبي سرح.

وذُكر مكانه في هؤلاء الأربعة في حديث سعد بن أبي وقّاص فيما أخرجه النسائي في «المجتبى» (٤٠٦٧) و«الكبرى» (٣٥١٦)، والحاكم (٢٣٦٠): عكرمةُ بن أبي جهل، وحديث سعد هذا أحسنهما إسناداً.

وذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٨٢٥: أن هؤلاء النفر كانوا ستة، فذكر فيهم عكرمةَ والحويرثَ وزاد هبّارَ بن الأسود الذي نَخَس البعير بزينب ابنة النبي ﷺ حين هجرتها، والله تعالى أعلم. وقد تقدّم خبر هبّارٍ في ذلك ٢/ ٣٧٤-٣٧٥.

(٢) تقدّم ذكر خبره عند المصنف ٣/ ٣٧٣.

(٣) هكذا في نسخنا الخطية: بعكرمة، والمراد: أمر بعكرمة أن يُقتَل. وانظر التعليق السابق =

ممّن يُؤذِيهِ بمكّة.

فأمّا عِكرمةُ، فهَرَبَ إلى اليَمَن، وأسلَمَت امرأتُه أمُّ حَكيمٍ بنتُ الحارث بن هشامٍ فاستأمَنَت له من رسول الله ﷺ فآمَنَه، فخرجت في طَلَبِه[1] حتّى أَتَت به رسولَ الله ﷺ فأسلَمَ.

وأمّا عبدُ الله بن خَطَلٍ، فقتله سعيدُ بن حُرَيثٍ المخزوميُّ وأبو بَرْزةَ الأسلَميّ، اشتَرَكا في دمِه.

وأمّا مِقيَسُ بن صُبَابة، فقتله نُمَيلةُ بن عبد الله، رجلٌ من قومه، فقالت أختُ مِقيَسٍ في قتلِه:

لَعَمْري لقد أَخزَى نُمَيلةُ رَهطَهُ ... وفَجَّعَ أضيافَ الشِّتاءِ بمِقيَسِ[2]

فللّهِ عَينَا مَن رأى مِثلَ مِقيَسٍ ... إذا النُّفَساءُ أصبَحَت لم تُخرَّسِ[3]

= عند الحويرث.

(١) وقع هنا في (ش١) و(ش٢) و(غ) زيادة: إلى اليمن، وليس في بقية النسخ، وهذه الزيادة في هذا الموضع خطأ.

فقد ذكر موسى بن عقبة في «مغازيه» عن الزهري ـ كما في «الدلائل» للبيهقي ٥/ ٤٧ ـ: أنها أدركته بتِهامة، ونحوه ذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٨٥١: أنها أدركته وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة يريد أن يركب البحر.

وتِهامةُ: ما انخفض من أرض الحجاز، ومن أهمّ مدنه على الساحل جُدّةُ ويَنبُع، والظاهر أنها أدركته بجُدّة، مثلما أدرك عُميرُ بن وهبٍ ابنَ عمِّه صفوانَ بن أُمية بها يريد أن يركب إلى اليمن كما سيأتي ص٨٧.

(٢) فجّع، أي: أَوجَع. وأضياف الشتاء: ذكرت الشتاءَ لما فيه من قلّة الطعام عند الناس.

(٣) لم تُخرَّس، أي: لم يُصنَع لها طعام عند ولادتها، واسم ذلك الطعام: خُرْس وخُرْسة، وإنما أرادت به زمن الشِّدّة.

وأمّا قَينَتا ابنِ خَطَلٍ، فقُتِلَت إحداهما وهَرَبَت الأُخرَى حتّى استُؤمنَ لها رسولُ الله ﷺ بعدُ فآمَنَها.

وأمّا سارةُ، فاستُؤمنَ لها فآمَنَها، ثمّ بَقِيَت حتّى أَوطَأَها رجلٌ من الناس فَرَساً في زمنِ عمر بن الخَطّاب بالأَبطَحِ[1]، فقتلها.

وأمّا الحُوَيرِثُ بن نُقَيذٍ، فقتله عليُّ بن أبي طالبٍ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيدُ بن أبي هِندٍ، عن أبي مُرَّة مولى عَقِيل بن أبي طالبٍ: أنّ أمَّ هانئٍ ابنةَ أبي طالبٍ قالت: لمّا نَزَلَ رسولُ الله ﷺ بأَعلى مكّة، فَرَّ إليَّ رجلانِ من أَحْمائي[2] من بني مخزومٍ ـ وكانت عند هُبَيرةَ بن أبي وهبٍ المخزوميّ ـ قالت: فدخل عليَّ عليُّ بن أبي طالبٍ أَخي، فقال: والله لَأقتُلَنَّهما، فأغلَقتُ عليهما بيتي[3]، ثمّ جئتُ رسولَ الله ﷺ وهو بأَعلى مكّة، فوَجَدتُه يَغتسِلُ من جَفْنةٍ[4] إنّ فيها لَأَثَرَ العَجِين، وفاطمةُ ابنتُه تَستُرُه بثوبه، فلمّا اغتَسَلَ أخذَ ثوبَه فتوشَّحَ به، ثمّ صَلَّى ثمانيَ رَكَعاتٍ من الضُّحى، ثمّ انصَرَفَ إليَّ فقال: «مَرحَباً وأَهلاً يا أمَّ هانئٍ، ما جاءَ بكِ؟» فأخبرتُه خَبَرَ الرَّجُلينِ وخَبَرَ عليٍّ، فقال: «قد أَجَرْنا مَن أَجَرتِ، وآمَنَّا مَن آمَنتِ، فلا يَقتُلْهما»[5].

---

(١) موضعٌ سهل بين الحَجُون والمسجد الحرام بمكة.

(٢) الأحماء: أقارب الزوج، واحده: حَمُو أو حَمٌ.

(٣) في نسخة في (ش١) و(غ): باب بيتي.

(٤) الجَفْنة: إناء كبير.

(٥) إسناده صحيح. أبو مرّة: اسمه يزيد.

وأخرجه بنحوه أحمد (٢٦٨٩٢) و(٢٦٨٩٦) و(٢٦٩٠٧)، والبخاري (٣٥٧) و(٣١٧١)، ومسلم (٧١٩) (٨٢)، والنسائي في «الكبرى» (٨٦٣١)، وابن حبان (١١٨٨) و(٢٥٣٧) من =

قال ابن هشام: هما الحارثُ بن هشامٍ وزهيرُ بن أبي أُميّة بن المغيرةِ[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُبيد الله بن عبد الله ابن أبي ثَورٍ، عن صَفِيّة بنت شَيْبة: أنّ رسولَ الله ﷺ لمّا نَزَلَ مكّةَ واطمأنَّ النّاسُ، خرج حتّى جاءَ البيتَ فطافَ به سبعاً على راحلتِه يَستلِمُ الرُّكْنَ بمِحجَنٍ[2] في يده، فلمّا قَضَى طَوَافَه دعا عثمانَ بن طَلْحة فأَخذَ منه مِفتاحَ الكعبة، ففُتِحَت له فدَخلَها، فوَجَدَ فيها حَمَامةً من عِيدانٍ[3] فكَسَرَها بيده ثمّ طَرَحَها، ثمّ وَقَفَ على بابِ الكعبة وقد استَكَفَّ له النّاسُ[4] في المسجد[5].

= طرق عن أبي مرة، به.

وأخرجه مختصراً دون قصة الإجارة مسلم (٣٣٦)(٧١) و(٧٢)، وابن ماجه (٤٦٥) من طريقين عن سعيد بن أبي هند، به.

(١) وذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٨٢٩ ـ وعنه صاحبه ابنُ سعد في «الطبقات» ٦/ ٨٣ ـ في رواية مرسلةٍ مكان زهير بن أبي أميّة: عبدَ الله بن أبي رَبيعة المخزومي. وانظر «فتح الباري» ٢/ ٢٢٧.

(٢) المحجن: عصاً معوجّة الطَّرَف، يمسكها الراكب للبعير في يده.

(٣) هكذا قُيِّدت في (ش٢) و(ص) و(ط) و(غ)، بكسر العين: جمع عُودٍ، وأُغفلت في (ت) و(ش١) و(ف) و(ي)، وقُيِّدت في (ق٢) و(م) بفتح العين، والعَيْدانُ: الطِّوال من النخل، الواحدة: عَيدانةٌ.

(٤) استَكفَّ له الناس، أي: استَجمَعوا، من الكافّة، وهي الجماعة.

(٥) إسناده قويٌّ، وصفيّةُ بنت شيبة أبوها هو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدريّ ابنُ عمِّ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وكان مشاركاً له في سِدانة البيت، وهما من مُسلِمة الفتح، وأما صفيّة فقد ثبت لها رؤيةٌ للنبيّ ﷺ.

وأخرج هذا الخبر بمثل هذا السِّياق أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٧٢١) من طريق إبراهيم ابن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. =

قال ابن إسحاق: فحدّثني بعضُ أهلِ العلم: أنّ رسولَ الله ﷺ قامَ على باب الكعبة فقال: «لا إلٰهَ إلّا اللهُ وَحْدَه، لا شَرِيكَ له، صَدَقَ وَعْدَه، ونَصَرَ عَبْدَه، وهَزَمَ الأَحزابَ وَحْدَه، ألَا كلُّ مأثُرَةٍ[1] أو دمٍ أو مالٍ يُدَّعَى فهو تحت قَدَميَّ هاتَينِ، إلّا سِدَانةَ البيتِ وسِقَايةَ الحاجِّ[2]، ألَا وقَتِيلُ الخَطَأِ شِبْهِ العَمْدِ: السَّوطِ[3] والعَصَا، ففيه الدِّيَةُ مُغلَّظةً، مئةٌ من الإبلِ أَربعونَ منها في بُطونِها أَولادُها»[4].

«يا مَعشَرَ قُرَيشٍ، إنَّ اللهَ قد أَذهَبَ عنكم نَخْوةَ الجاهليَّةِ وتَعظُّمَها بالآباءِ، النّاسُ

= وأخرجه مختصراً أبو داود (١٨٧٨)، وابن ماجه (٢٩٤٧)، والحاكم (٧١١٥) من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، به. ولم يذكر أبو داود فيه قصة الحمامة، والحاكم لم يذكر قصة الطواف، وزادوا فيه قول صفيّة: وأنا أنظر إليه.

ويشهد لبعضه في قصة طوافه ﷺ على راحلته واستلامه الركنَ بمِحجَنه حديثُ ابن عمر عند ابن حبان (٣٨٢٨)، وسمَّى راحلته القَصْواءَ. وإسناده صحيح.

(١) المأثُرة: الخَصْلة من الأخلاق ولأفعال التي تُتَوارث ويتحدّث بها الناس.

(٢) سدانة البيت: هي خِدمته وحِجابته وتولِّي حفظه. والسِّقاية: هي ما كانت قريش تسقيه الحجّاجَ من الزَّبيب المنبوذ في الماء، وكان يليها العباس بن عبد المطّلب في الجاهلية والإسلام. قاله ابن الأثير في «النهاية» ٢/ ٣٨١.

(٣) في (غ): بالسوط.

(٤) إسناده هنا معضل مُبهَم، فهو ضعيف، وقد أسند سلمةُ بن الفضل هذه الخطبة بطولها عن ابن إسحاق عن عمر بن موسى بن الوَجِيه عن قتادةَ مرسلاً فيما أخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٦٠-٦١، فإن كان سلمةُ حَفِظَه ـ وهو يكثر خطؤُه ـ فهذا إسناد ضعيف جداً، فابنُ الوجيه هذا متروك ذاهب الحديث.

لكن هذا الحديث صحيحٌ، أخرجه بنحو لفظه هنا أحمد (٦٥٣٣) و(١٥٣٨٨)، وأبو داود (٤٥٤٧)، وابن حبان (٦٠١١)، مسنَداً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: أنّ رسول الله ﷺ لمّا افتتح مكة قال... وذكره. وإسناده صحيح.

من آدمَ وآدمُ من تُرابٍ» ثمّ تَلَا هذه الآيةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ الآيةَ كلَّها [الحجرات:١٣][(١)].

ثمّ قال: «يا مَعشَرَ قُرَيشٍ، ما تُرَونَ أنِّي فاعلٌ فيكم؟» قالوا: خيراً، أخٌ كَريمٌ، وابنُ أخٍ كَريمٍ، قال: «اذهَبُوا فأنتمُ الطُّلَقاءُ»[(٢)].

---

(١) وهذا حديث صحيح.

وقد أخرج نحوه الترمذي (٣٢٧٠)، وابن حبان (٣٨٢٨)، مسنداً من حديث ابن عمر: أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال: «يا أيها الناس»، وذكر الحديث، وزاد فيه: «إنما الناس رجلان: بَرٌّ تقيٌّ كريم على ربّه، وفاجرٌ شقيٌّ هيِّنٌ على ربّه»، وزاد في آخره عند ابن حبان: «أقولُ هذا وأستغفرُ الله لي ولكم». وهو حديث صحيح.

وفي الباب عن أبي هريرة عند أحمد (٨٧٣٦)، وأبي داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥) و(٣٩٥٦) مرفوعاً: «إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيّة الجاهلية (أي: كِبْرها ونَخْوتها) وفخرَها بالآباء، مؤمنٌ تقيّ، وفاجرٌ شقيّ، والناس بنو آدم، وآدم من تراب، ليَدَعَنَّ أقوام فخرَهم برجال، أو ليكونُنَّ أهونَ عند الله من عِدَّتهم من الجِعْلان التي تدفع بأنفها النَّتنَ». ولم يذكر فيه أن ذلك كان في الفتح، وإسناده صحيح.

(٢) هذا خبر ضعيف بهذا اللفظ، ولم يرد من وجهٍ مسندٍ ما يشدّه وفيه تسمية النبي ﷺ لأهل مكة بالطلقاء.

لكن روي من وجه لا بأس به في حديث أبي هريرة عند النسائي في «الكبرى» (١١٢٣٤): أن النبيَّ ﷺ قال: «يا معشر قريش، ما تقولون؟» قالوا: نقول: ابنُ أخٍ وابنُ عمٍّ رحيمٌ كريمٌ، ثم عاد عليهم القولَ، فقالوا مثل ذلك، قال: «فإني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢]»، فخرجوا فبايعوه على الإسلام.

أمّا تسميتهم بالطُّلقاء، فممّا اشتَهَر بين أصحاب النبي ﷺ، فقد وقع في كلام أنس بن مالك كما عند البخاري (٤٣٣٣) ومسلم (١٠٥٩) قال: لما كان يومُ حنينٍ التقى هوازن ومع النبي ﷺ عشرةُ آلافٍ ومعه الطلقاءُ فأدبروا عنه. =

ثمّ جَلَسَ رسولُ الله ﷺ في المسجد، فقامَ إليه عليُّ بن أبي طالبٍ ومِفتاحُ الكعبة في يده فقال: يا رسولَ الله، اجمَعْ لنا[1] الحِجابةَ مع السِّقايةِ، صلَّى الله عليك، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَينَ عثمانُ بنُ طَلْحةَ؟» فدُعِيَ له، فقال: «هاكَ مِفتَحَكَ[2] يا عثمانُ، اليومُ يومُ بِرٍّ ووَفَاءٍ»[3].

= وفي كلام أم سُليمٍ عندما أدبر هؤلاء يوم حنينٍ كما عند مسلم (١٨٠٩)، فقالت: يا رسول الله، اقتُلْ مَن بعدَنا من الطلقاءِ، انهَزَموا بك.

(١) أي: لبني هاشم.

(٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (ش١) و(ص) و(غ): مِفتاحك، وفي نسخة على حاشية (غ): مِفتَحك. وهما واحدٌ.

(٣) هذا الخبر في قصة مفتاح الكعبة، ذكر ابن أبي حاتم الرازي في «علل الحديث» (٨٥٩) عن أبيه قال: هذا من كلام ابن إسحاق؛ يعني أنه غير متصل بما قبله، فهو على هذا مُعضَل لم يسنده ابن إسحاق، فهو ضعيف.

وأغربَ مسروقُ بن المَرزُبان فرواه عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن ابن إسحاق ـ كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر ٣٨/ ٣٨٩ ـ فأسنده عنه عن محمد بن جعفر بن الزُّبير، عن عُبيد الله ابن عبد الله بن ثَوْر، عن صفيّة بنت شيبة. وابن المرزبان هذا فالراجح فيه أنه يُكتَب حديثه للاعتبار، وليس بقويٍّ كما قال أبو حاتم الرازي في «الجرح والتعديل» ٨/ ٣٩٧.

لكن أخرج ابن سعد في «الطبقات» ٥/ ١٨ ـ ومن طريقه ابن عساكر ٣٨/ ٣٨٨ ـ بإسناد لا بأس برجاله عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمن بن عوف مرسَلاً: أن رسول الله ﷺ لمّا فرغ من صلاة الركعتين في البيت، خرج على الباب، وتطاوَلَ عليُّ بن أبي طالبٍ رجاءَ أن تُجمَع له السقاية والحِجابة، فقال النبي ﷺ: «يا عثمان، هاكَ خُذوا ما أعطاكم الله». وهو ضعيف لإرساله.

وقد روي: أن النبي ﷺ قال لبني أبي طلحة العبدريِّين في حِجابة البيت: «خُذُوها يا بني أبي طلحة خالدةً تالدةً لا يأخذُها منكم إلا ظالمٌ»، وساق ابنُ عساكر في «تاريخه» في هذا المعنى عدّة أخبارٍ بأسانيد لا يصحُّ منها شيءٌ منفرداً، لكن مجموعها يدلّ على أنَّ لهذا الخبر أصلاً، مع ما =

قال ابن هشام: وذكرَ سفيانُ بن عُيَينةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لعليٍّ: «إنّما أُعطِيكُم ما تُرزَؤُونَ لا ما تَرزَؤُونَ»(١).

قال ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهلِ العلم: أنَّ رسولَ الله ﷺ دخل البيتَ يومَ الفتحِ فرأَى فيه صُوَرَ الملائكةِ وغيرِهم، فرأَى إبراهيمَ عليه السلام مُصوَّراً في يده الأزلامُ يَستقسِمُ بها(٢)، فقال: «قاتَلَهمُ اللهُ، جَعَلُوا شَيْخَنا يَستَقسِمُ بالأَزلامِ، ما شأنُ إبراهيمَ والأَزلامَ؟! ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧]»، ثمّ أمَرَ بتلك الصُّوَرِ كلِّها فطُمِسَت(٣).

= ينضاف إليه من أنّ عمل الخلفاء وأُولي الأمر من لَدُنْ رسولِ الله ﷺ إلى يوم الناس هذا عليه، والله تعالى أعلم.

(١) أَسند هذا عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٠٧٣) ـ ومن طريقه الطبراني في «الكبير» (٨٣٩٥) ـ عن ابن عيينة قال: أخبرني ابن جريج، عن ابن أبي مُليكة: أن النبي ﷺ قاله لعليٍّ يومئذٍ حين كلَّمه في المفتاح. وهذا ضعيف لإرساله، فابن أبي مليكة ـ وهو عبد الله بن عبيد الله ـ من الوسطى من التابعين.

وروي نحوه من طريق عبد الله بن أبي رَزِين عن أبيه عن عليٍّ عند الحاكم (٥٥١٩) وغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة عبد الله بن أبي رزين، قال الذهبي في «ميزان الاعتدال»: لا يُدرَى من هو.

ورُزِئَ الرجلُ: أُخذ منه شيء ونُقِص منه، وفسَّر عبد الرزاق قوله: «أعطيتكم ما تُرزَؤون...» قال: يقول: أعطيتكم السِّقايةَ لأنكم تَغرَمُون فيها، ولم أُعطِكم البيتَ، أي: أنهم يأخذه يأخذون من هديّته.

(٢) الاستقسام: هو الاقتراع لطلب معرفة ما قُسِم له ممّا لم يُقسَم. والأزلام: هي السِّهام التي يُقتَرع بها، واحدها: زَلَمٌ، بفتح الزاي وضمّها.

(٣) أصل الحديث صحيح، وهذه الرواية مُعضَلة مجهولٌ راويها.

وقد أخرج نحوه مسنداً أحمد (٣٠٩٣) و(٣٤٥٥)، والبخاري (١٦٠١) و(٣٣٥٢)، وأبو =

قال ابن هشام: وحدَّثني: أنّ رسولَ الله ﷺ دخل الكعبةَ ومعه بلالٌ، ثمّ خرج رسولُ الله ﷺ وتَخلَّفَ بلالٌ، فدخل عبدُ الله بن عمرَ على بلالٍ فسأله: أين صَلَّى رسولُ الله ﷺ؟ ولم يَسأَلْه كم صَلَّى، فكان ابنُ عمرَ إذا دخل البيتَ مشى قِبَلَ وجهِه وجَعَلَ البابَ قِبَلَ ظَهرِه، حتّى يكون بينَه وبينَ الجِدارِ ثلاثُ[1] أذرُعٍ ثمّ يُصلِّي، يَتَوخَّى[2] بذلك الموضعَ الّذي قال له بلالٌ[3].

قال ابن هشامٍ: وحدّثني: أنّ رسولَ الله ﷺ دخل الكعبةَ عامَ الفتحِ ومعه بلالٌ، فأمَرَه أن يؤذِّنَ[4] وأبو سفيانَ بن حَرْبٍ وعَتّابُ بن أَسِيدٍ والحارثُ بن هشامٍ جلوسٌ بفِنَاءِ الكعبة، فقال عتّابُ بن أَسِيدٍ: لقد أكرَمَ اللهُ أَسِيداً أن لا يكونَ سمعَ هذا،

= داود (٢٠٢٧)، وابن حبان (٥٨٦١)، والحاكم (٤٠٦٣) من حديث عكرمة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ لمّا رأى الصورَ في البيت ـ يعني الكعبة ـ لم يدخل، وأَمر بها فمُحِيَت، ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلامُ فقال: «قاتَلَهم الله، والله ما استَقسَما بالأزلام قطُّ».

زاد في رواية عند أحمد والبخاري وأبي داود: ثم دخل البيت فكبَّر في نواحيه، وخرج ولم يصلِّ فيه.

(١) في (غ) ونسخة على حاشية (ش٢): قدر ثلاث.

(٢) يتوخى، أي: يتحرى ويقصد.

(٣) هذا الحديث صحيح.

وقد أسنده بمعناه أحمد (٤٤٦٤) و(٥٩٢٧) و(٢٣٩٠٠)، والبخاري (٤٦٨) و(٥٠٤-٥٠٦)، ومسلم (١٣٢٩)، وأبو داود (٢٠٢٣) و(٣٠٦٣)، والنسائي في «المجتبى» (٧٤٩) وفي «الكبرى» (٨٢٧)، وابن حبان (٢٢٢٠) و(٣٢٠٢) من طرق عن نافع، عن ابن عمر.

(٤) إنما أمره النبيُّ ﷺ أن يؤذِّن على ظهر الكعبة كما روي في غير ما خبر مرسل يشدُّ بعضها بعضاً كما في «الدلائل» للبيهقي ٥/ ٧٨-٧٩ في باب ما روي في تأذين بلال بن رباح رضي الله عنه يوم الفتح على ظهر الكعبة.

فيَسمَعَ منه ما يَغِيظُه، فقال الحارثُ: أمَا والله لو أعلمُ أنه مُحِقٌّ لاتَّبعتُه، فقال أبو سفيانَ: لا أقولُ شيئاً، لو تكلَّمتُ لأخبَرَت عنّي هذه الحصى، فخرج عليهم النبيُّ ﷺ فقال: «قد عَلِمتُ الَّذي قلتُم»، ثمّ ذكرَ ذلك لهم، فقال الحارثُ وعَتّابٌ: نَشهَدُ أنّك رسولُ الله، والله ما اطَّلَعَ على هذا أحدٌ كان معنا فنقولَ: أخبَرَك[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيدُ بن أبي سَندَرٍ الأسلَميُّ، عن رجلٍ من قومه قال: كان معنا رجلٌ يقال له: أَحمرُ بأساً[2]، وكان رجلاً شجاعاً، وكان إذا نامَ غَطَّ غَطِيطاً[3] مُنكَراً لا يَخفَى مكانُه، فكان إذا باتَ في حيِّه باتَ مُعتَنِزاً[4]، فإذا بُيِّتَ الحيُّ[5] صَرَخوا: يا أحمرُ، فيَثُورُ مثلَ الأَسد لا يقومُ لسَبيلِه شيءٌ. فأقبَلَ غَزِيٌّ[6] من هُذَيلٍ يريدون حاضِرَه[7]، حتّى إذا دَنَوْا من الحاضرِ قال ابنُ الأَثوَغ[8] الهُذَليُّ:

---

(١) هذا حديث ضعيف لإعضاله وجهالة راويه.

وذكر نحوه الواحديُّ في «أسباب النزول» (٧٦٥م) عن مقاتلٍ مرسلاً؛ وزاد في هذا المجلس رابعاً، وهو سهيل بن عمرو. وهو ضعيف كذلك لإرساله.

(٢) هكذا قُيِّد في نسخنا الخطية، وذهب الخشني في «إملائه» ص٣٧٢ إلى أنه جملة مركَّبة كحضرَموتَ ونحوه؛ يريد أن الراء من أحمر مبنيّة على الفتح، وهذا خلاف ما قُيِّد به في نسخنا.

(٣) الغطيط: ما يسمع من صوت الآدميِّين إذا ناموا، وهو صوت في الحَلْق.

(٤) مُعتنِزاً، أي: ناحيةً من الحيّ، يقال: هذا بيتٌ مُعتنِزٌ، إذا كان خارجاً عن بيوت الحيّ.

(٥) بُيِّت الحي، أي: غُزُوا ليلاً.

(٦) الغزيُّ: جماعة من القوم الذين يَغزُون.

(٧) الحاضر: القوم الذين ينزلون على الماء، أو الحيّ العظيم.

(٨) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(ط) و(ص) و(غ) و(ف) و(ق٢) و(م)، وفي (ت) و(ي): الأثوع، بالعين المهملة، وهكذا قيَّده ابن حجر في «الفتح» ٢٢/ ٤٦.

وسمّاه الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٨٤٣ جُنيدِبَ بنَ الأدلع، وتابعه الأزرقيُّ في «أخبار مكة» =

لا تَعجَلُوا عليَّ حتّى أنظُرَ، فإن كان في الحاضر أحمرُ، فلا سبيلَ إليهم، فإنَّ له غَطِيطاً لا يَخفَى، قال: فاستَمَعَ، فلمّا سمعَ غَطِيطَه مشى إليه حتّى وَضَعَ السّيفَ في صَدْرِه، ثمّ تَحامَلَ عليه حتّى قَتَلَه، ثمّ أَغاروا على الحاضر، فصَرَخوا: يا أحمرُ، ولا أحمرَ لهم.

فلمّا كان عامُ الفتحِ وكان الغدُ من يومِ الفتحِ، أَتى ابنُ الأثوَعِ الهُذَليُّ حتّى دخل مكّةَ يَنظُرُ ويَسألُ عن أمرِ النّاس وهو على شِرْكِه، فرَأَته خُزَاعةُ فعَرَفوه، فأَحاطوا به وهو إلى جَنْبِ جِدارٍ من جُدُرِ مكّة، يقولون: أأنتَ قاتلُ أحمرَ؟ قال: نعم، أنا قاتلُ أحمرَ، فمَهْ[1]؟ قال: إذ أقبَلَ خِرَاشُ بن أُميّةَ مُشتمِلاً على السَّيف، فقال: هكذا عن الرَّجل[2]، والله ما نَظُنُّ إلّا أنّه يريد أن يُفرِّجَ الناسَ عنه، فلمّا تَفرَّجْنا عنه حَمَلَ عليه فطَعَنَه بالسّيف في بطنِه، فوالله لكأنّي أنظرُ إليه وحِشْوَتُه[3] تَسِيلُ من بطنه، وإنّ عينيهِ لَتُرنِّقانِ[4] في رأسه وهو يقول: أقد فعلتُموها يا معشرَ خُزَاعة؟ حتّى انجَعَفَ[5] فوَقَعَ.

فقال رسول الله ﷺ: «يا مَعشَرَ خُزَاعةَ، ارفَعُوا أَيدِيَكم عن القتلِ، فقد كَثُرَ القتلُ

= ٢/ ١٢٢ والطبريُّ في «تاريخه» ٣/ ٦٢ وابن حجر في «الإصابة» ١/ ٥١٨، وسيأتي لاحقاً عن ابن هشام تسميته بجُنيدِب بن الأوكع.

(١) فمَهْ: هي «ما» التي للاستفهام أُبدلت ألفُها هاءً في الوقف، ومعناه: فما الذي تريدون أن تصنعوه؟ قاله الخشنيُّ.

(٢) قال الخشنيُّ: هكذا: اسمٌ سُمِّي به الفعل، ومعناه: تَنحَّوا عن الرجل.

(٣) الحشوة، بكسر الحاء وضمّها: ما اشتمل عليه البطن من الأمعاء وغيرها.

(٤) لتُرنِّقان: يريد أنهما قاربتا أن تنغلقا، يقال: رنَّقت الشمسُ، إذا دَنَت للغروب، ورنَّقه النُّعاس: إذا ابتدأه قبل أن تنغلقَ عينُه.

(٥) انجَعَف: سقط سقوطاً ثقيلاً، يقال: انجعفت الثمرة، إذا انقلعت أصولُها فسَقَطت.

إنْ نَفَعَ، لقد قَتَلتُم قَتيلاً لَأَدِيَنَّه»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الرَّحمن بن حَرمَلة الأسلَميّ، عن سعيد بن المُسيّب قال: لمّا بَلَغَ رسولَ الله ﷺ ما صَنَعَ خِرَاشُ بن أُميّةَ قال: «إنَّ خِرَاشاً لَقَتّالٌ»، يَعِيبُه بذلك[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيدُ بن أبي سعيدٍ المَقبُريّ، عن أبي شُرَيحٍ الخُزاعيّ قال: لمّا قَدِمَ عمرُو بن الزُّبَير[3] مكّةَ لقتالِ أخيه عبدِ الله بن الزُّبَير، جئتُه فقلت له: يا هذا، إنّا كنَّا مع رسول الله ﷺ حين افتَتَحَ مكّةَ، فلمّا كان الغدُ من يومِ الفتحِ عَدَتْ خُزَاعةُ على رجلٍ من هُذَيلٍ فقتلوه وهو مشركٌ، فقامَ رسولُ الله ﷺ فينا خطيباً فقال: «يا أيُّها النّاسُ، إنَّ الله حَرَّمَ مكّةَ يومَ خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، فهي حَرَامٌ من حَرَامٍ إلى يومِ القيامةِ، فلا يَحِلُّ لامرِئٍ يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخرِ أن يَسفِكَ فيها دماً،

---

(١) إسناده ضعيف لجهالة سعيد بن أبي سندر، فإنه لا يُعرَف، إلا أن أصل الحديث صحيح من رواية سعيد بن أبي سعيد المَقبُريّ عن أبي شريح الخُزاعي في «الصحيحين» وغيرهما كما سيأتي لاحقاً.

(٢) مرسلٌ حسنٌ، فعبد الرَّحمن بن حرملة صدوق حسن الحديث، وأما سعيد بن المسيّب فمن كبار التابعين ومراسيله أصح المراسيل، وقد احتجَّ بها أكثر أهل العلم.

وأخرج نحوه الطبري في مسند ابن عباس من كتاب «تهذيب الآثار» ١/ ٣٢ من طريق بشر بن المفضَّل، عن عبد الرَّحمن بن حرملة، به. ولم يسمِّ فيه المقتول، إنما قال: قتل خِراشٌ رجلاً من بني بكر أو من هُذيل، وفيه: أن النبي ﷺ أمر خزاعةَ بدفع ديته مئةَ ناقة.

(٣) وكان بينه وبين أخيه عبد الله بن الزبير شرٌّ وتقاطعٌ، وأمّه هي أمُّ خالدٍ أَمَةُ بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أُميّةَ الأُمويّة، وُلِدَت لأبيها في الحبشة في هجرته، رضي الله عنها وعن أبيها، والذي كان وجَّه عمراً هذا لحربِ أخيه عبد الله هو عمرُو بن سعيدٍ الأُموي المعروف بالأشدق، والي المدينة لمعاوية ثم ليزيد.

ولا يَعضِدَ[1] فيها شَجَراً، لم تَحلِلْ لأَحدٍ كان قَبْلي، ولا تَحِلُّ لأَحدٍ يكونُ بعدي، ولم تُحلَلْ لي إلَّا هذه السَّاعةَ غَضَباً على أَهلِها، أَلَا ثمَّ قد رَجَعَت كحُرْمتِها بالأَمسِ، فليُبلِّغِ الشَّاهدُ منكم الغائبَ، فمَن قال لكم: إنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قاتَلَ فيها! فقولوا: إنَّ الله قد أَحَلَّها لرسولِه ولم يُحلِلْها لكم.

يا مَعشَرَ خُزَاعةَ، ارفَعُوا أيديَكم عن القتلِ، فلقَدْ كَثُرَ القتلُ إنْ نَفَعَ، لقد قَتَلتُم قَتيلاً لَأَدِيَنَّهُ، فمَن قُتِلَ بعدَ مَقَامي هذا فأَهلُه بخيرِ النَّظَرَينِ[2]: إنْ شاؤُوا فدَمُ قاتلِه، وإنْ شاؤُوا فعَقْلُه».

ثمّ وَدَى رسولُ الله ﷺ ذلك الرَّجلَ الّذي قَتَلَته خُزَاعةُ.

فقال عمرٌو لأبي شُرَيحٍ: انصَرِفْ أيّها الشّيخُ، فنحن أعلمُ بحُرْمتِها منك، إنّها لا تَمنَعُ سافكَ دمٍ، ولا خالعَ طاعةٍ، ولا مانعَ جِزْيةٍ[3]! فقال أبو شُرَيحٍ: إنّي كنتُ شاهداً وكنتَ غائباً، ولقد أمَرَنا رسولُ الله ﷺ أن يُبلِّغَ شاهدُنا غائبَنا، وقد أبلَغتُكَ،

---

(١) لا يَعضِد، أي: لا يقطع.

(٢) أي: خير الأمرين.

(٣) هكذا في (ت) و(ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف) و(ق٢) و(ي) وحاشية (م): جزية، وفي (ص) و(ط) و(م) وحاشيتَي (ش١) و(ش٢): خَرْبة.

قلنا: والخَرْبة: السَّرقة، فإن كانت كذلك، فلعلّه أراد بقوله: ولا مانع خربة: ولا سارق سرقة، لأنه مَنَعَها عن مالكها، ووقع في رواية الليث ابن سعد الآتي تخريجها في «الصحيحين» وغيرهما: ولا فارّاً بخَرْبةٍ، وهو أصحُّ وأثبتُ، والله تعالى أعلم.

قال ابن حجر في «فتح الباري» ١/ ٤١٦-٤١٧: وقد تشدَّق عمرٌو في الجواب وأَتى بكلام ظاهرُه حقٌّ لكن أراد به الباطل، فإنّ الصحابيَّ أَنكر عليه نَصْبَ الحربِ على مكّة، فأجابه بأنها لا تمنعُ من إقامة القِصاص، وهو صحيحٌ، إلا أن ابن الزُّبير لم يرتكب أمراً يجبُ عليه فيه شيءٌ من ذلك.

فأنتَ وشأنُك[1].

قال ابن هشام: وبَلَغَني: أنّ أوّلَ قتيلٍ وَدَاهُ رسولُ الله ﷺ يومَ الفتحِ جُنَيدِبُ بن الأَوكَعِ[2]، قَتَلَته بنو كعبٍ، فوَدَاهُ بمئةِ ناقة.

قال ابن هشام: وبَلَغَني عن يحيى بن سعيدٍ: أنّ النبيَّ ﷺ حين افتَتَحَ مكّةَ ودخلها، قامَ على الصَّفَا يدعو وقد أحدَقَت به[3] الأنصارُ، فقالوا فيما بينهم: أتُرَونَ رسولَ الله ﷺ إذ فَتَحَ اللهُ عليه أرضَه وبلدَه يُقِيمُ بها؟ فلمّا فَرَغَ من دعائه قال: «ماذا قُلتُم؟» قالوا: لا شيءَ يا رسولَ الله، فلم يَزَلْ بهم حتّى أخبَرُوه، فقال النبيُّ ﷺ: «مَعَاذَ اللهِ، المَحْيا مَحْياكُم، والمَمَاتُ مَمَاتُكم»[4].

---

(١) إسناده صحيح، لكن وقع في هذه الرواية عن ابن إسحاق وهمٌ في كون أبي شريحٍ خاطَبَ بهذا الحديث عمرَو بنَ الزبير قائدَ الجيش، والصواب أنه خاطب به عمرَو بنَ سعيدٍ أميرَ المدينة نفسه، هكذا رواه سائرُ أصحاب ابن إسحاق عنه فيما أخرجه أحمد (١٦٣٧٧)، والطبراني في «الكبير» ٢٢/ (٤٨٥)، والطحاوي في «معاني الآثار» ٢/ ٢٦٠-٢٦١، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٨٣-٨٤.

وهكذا رواه على الصواب أيضاً الليثُ بن سعدٍ عن سعيد المقبُريِّ، أخرجه أحمد (١٦٣٧٣) و(٢٧١٦٤)، والبخاري (١٠٤) و(١٨٣٢) و(٤٢٩٥)، ومسلم (١٣٥٤)، والترمذي (٨٠٩)، والنسائي في «المجتبى» (٢٨٧٦) وفي «الكبرى» (٣٨٤٥).

(٢) هكذا في النسخ الخطية غير (ش١) و(غ) و(ي) ففيها: الأكوع، وعلى حاشيتي (ش١) و(غ): الأوكع، كبقيّة النسخ، وفي (ف) وحدها: الأثوغ. والأوكع: الطويل الأحمق.

وبنو كعب: هم خُزاعة.

(٣) أي: أحاطت به.

(٤) صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيفٌ فهو بين ابن هشام ويحيى بن سعيد - وهو الأنصاري - مُعضَل، ويحيى أرسله. =

قال ابن هشام: وحدَّثني مَن أثِقُ به من أهلِ الرِّواية في إسنادٍ له عن ابن شِهابٍ الزُّهْريِّ، عن عُبيد الله بن عبد الله، عن ابن عبّاسٍ قال: دخل رسولُ الله ﷺ مكّةَ يومَ الفتحِ على راحلتِه فطافَ عليها، وحولَ البيتِ أصنامٌ مُشدَّدةٌ بالرَّصَاصِ، فجَعَلَ النبيُّ ﷺ يُشِيرُ بقَضِيبٍ في يدِه إلى الأصنام ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١]، فما أشارَ إلى صَنَمٍ منها في وجهِه إلّا وَقَعَ لقَفَاه، ولا أشارَ إلى قَفَاه إلّا وَقَعَ لوجهِه، حتّى ما بَقِيَ منها صَنَمٌ إلّا وَقَعَ[1].

= لكن يشهد له حديث عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي هريرة: أن النبيَّ ﷺ أَتى الصفا فعَلَاه حيث يَنظُر إلى البيت فرفع يديه، فجعل يَذكُر اللهَ بما شاء أن يذكره ويدعوه، والأنصار تحته يقول بعضهم لبعض: أمّا الرجلُ فأدرَكَته رغبةٌ في قريته، ورأفةٌ بعشيرته، قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء لم يَخْفَ علينا، فليس أحدٌ من الناس يرفعُ طَرْفَه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحيُ، فلما انقضى الوحيُ رفع رأسه، ثم قال: «يا معشرَ الأنصار، أقلتم: أمّا الرجل فأدركته رغبةٌ في قريته، ورأفةٌ بعشيرته؟» قالوا: قلنا ذلك يا رسول الله، قال: «كلّا إنّي عبدُ الله ورسولُه، هاجرتُ إلى الله وإليكم، فالمَحْيا محياكم، والمَمَات مماتكم»، فأَقبلوا إليه يَبكُون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضَّنَّ بالله وبرسوله، فقال رسول الله ﷺ: «فإن الله ورسوله يُصدِّقانِكم ويَعذِرانِكم». أخرجه أحمد (١٠٩٤٨)، ومسلم (١٧٨٠).

(١) حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف لجهالة رواته بين ابن هشام والزهري.

وأخرجه الأزرقيُّ في «أخبار مكة» ١/ ١٢١ من طريق عبد العزيز بن عمران، عن محمد بن عبد العزيز، عن ابن شهاب، به. وهذا إسناد ضعيف جداً، عبد العزيز بن عمران ومحمد بن عبد العزيز ـ وهو ابن عمر بن عبد الرَّحمن بن عوف ـ متروكا الحديث.

وأخرج نحوه الطبراني في «الصغير» (١١٥٢) وفي «الكبير» (١٠٦٥٦)، وأبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٢١١-٢١٢ وفي «دلائل النبوة» (٤٤٧)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٧١-٧٢، والضِّياء المقدسي في «المختارة» ١٢/ (٣٧٧) و(٣٧٨) من طريقين عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن ابن عباس قال: دخل رسول الله ﷺ =

فقال تميمُ بن أَسَدٍ الخُزاعيُّ في ذلك:

وفي الأصـــنامِ مُعتبَـــرٌ وعِلـــمٌ لمـن يَرجُـو الثّـوابَ أو العِقابـا

قال ابن هشام: وحدّثني: أنّ فَضَالةَ بن عُمَير بن المُلوَّحِ اللَّيْثيَّ أرادَ قتلَ النبيِّ ﷺ وهو يَطُوفُ بالبيت عامَ الفتح، فلمّا دَنا منه قال رسولُ الله ﷺ «أفَضَالَةُ؟» قال: نعم، فَضَالةُ يا رسولَ الله، قال: «ماذا كنتَ تُحدِّثُ به نَفْسَك؟» قال: لا شيءَ، كنت أذكُرُ الله، قال: فضَحِكَ النبيُّ ﷺ ثمّ قال: «استَغفِرِ الله»، ثمّ وَضَعَ يدَه على صَدرِه فسَكَنَ قلبُه، فكان فَضَالةُ يقول: والله ما رَفَعَ يدَه عن صَدْري حتّى ما من خَلْقِ الله شيءٌ أحبَّ إليَّ منه.

قال فَضَالةُ: فرَجَعتُ إلى أَهلي، فمَرَرتُ بامرأةٍ كنت أتحدَّثُ إليها فقالت: هَلُمَّ إلى الحديث، فقلت: لا، وانبَعَثَ فَضَالةُ يقول[1]:

= مكةَ يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاث مئة وستون صنماً قد شَدَّ لهم إبليسُ أقدامَها برصاص، فجاء ومعه قضيبٌ فجعل يهوي به إلى كلِّ صنمٍ منها فيَخِرُّ لوجهه، فيقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، حتى مرَّ عليها كلِّها.

واللفظ للطبراني، وإسناده صحيح، وقد صرّح ابن إسحاق بسماعه له من عبد الله بن أبي بكر عند الطبراني وغيره.

ويشهد له حديث ابن مسعود عند البخاري (٤٢٨٧) و(٤٧٢٠) ومسلم (١٧٨١)، قال: دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاث مئة وستون نُصُباً، فجعل يطعنها بعودٍ في يده وجعل يقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

(١) خبرُ فضالة بن عميرٍ هذا ضعيف مُعضَل الإسناد، ولم نقف عليه مسنَداً في غير هذا الموضع، فهو مما تفرّد به ابن هشام.

لكن أورد الشعرَ المذكورَ في تكسير الأصنام الأزرقيُّ في «أخبار مكة» ١/ ١٢١، والفاكهيُّ في «أخبار مكة» أيضاً (١٨٧)، ونسباه إلى فضالة بن عمير الليثي هذا.

قالت هَلُمَّ إلى الحديثِ فقلتُ لا ... يـــأبَى عليـــكِ اللهُ والإســـلامُ

أوَمـا رأيـتِ[1] محمّـداً وقَبيلَـهُ ... بـالفتحِ يـومَ تُكسَّـرُ الأصـنامُ

لَرأيـتِ ديـنَ اللهِ أَضـحى بَيِّنـاً ... والشِّـركُ يَغشَـى وجهَـه الإظـلامُ

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمّدُ بن جعفرٍ، عن عُرْوة بن الزُّبَير قال: خرج صفوانُ بن أُميّةَ يريد جُدَّةَ ليَركَبَ منها إلى اليمن، فقال عُمَيرُ بن وهبٍ: يا نبيَّ الله، إنّ صفوانَ بن أُميّة سيِّدُ قومِه، وقد خرج هارباً منك ليَقذِفَ نفسَه في البحر، فآمِنْه صلَّى الله عليك، قال: «هو آمِنٌ» قال: يا رسولَ الله، فأَعطِني آيةً يَعرِفُ بها أمانَك؛ فأعطاه رسولُ الله ﷺ عِمامتَه التي دخل فيها مكّةَ، فخرج بها عُمَيرٌ حتّى أدرَكَه وهو يريد أن يَركَبَ في البحر، فقال: يا صفوانُ، فِداكَ أَبي وأُمّي، اللهَ اللهَ في نفسِك أن تُهلِكَها، فهذا أمانٌ من رسول الله ﷺ قد جئتُك به، قال: وَيلَك، اغرُبْ عنّي فلا تُكلِّمْني، قال: أيْ صفوانُ، فِداكَ أَبي وأُمّي، أفضلُ النّاس وأبرُّ النّاس وأحلَمُ النّاس وخيرُ النّاس، ابنُ عَمِّك، عِزُّه عِزُّك، وشَرَفُه شَرَفُك، ومُلْكُه مُلْكُك، قال: إنّي أَخافُه على نفسي، قال: هو أحلَمُ من ذلك وأكرَمُ، فرجع معه حتّى وَقَفَ به على رسول الله ﷺ، فقال صفوانُ: إنّ هذا يَزعُم أنّك قد آمَنتَني، قال: «صَدَقَ» قال: فاجعَلْني فيه بالخِيَارِ شهرَينِ، قال: «أنتَ بالخِيَارِ أَربعةَ أشهُرٍ»[2].

---

(١) في (غ): لوما رأيت.

(٢) مرسل قوي رجاله ثقات.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٦٣ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

ويشهد له بنحوه مرسلُ الزهريِّ عند مالك في «الموطأ» ٢/ ٥٤٣-٥٤٤، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٢٦٤٦). لكن ذكر فيه: أن الذي لحق بصفوان هو وهب بن عُمير، وأن النبي ﷺ أعطاه رداءَه لا عمامتَه، ورواية عروة أصحُّ، فإنه يشهد لها روايةُ موسى بن عقبة في مغازيه كما =

قال ابن هشام: وحدّثني رجلٌ من قُريشٍ من أهلِ العلم: أنّ صفوانَ قال لعُمَيرٍ: وَيحَك، اغرُبْ عنّي فلا تُكلِّمْني، فإنّك كذّابٌ؛ لمَا كان صَنَعَ به، وقد ذكرناه في آخر حديث يومِ بدرٍ[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريُّ: أنّ أمَّ حَكيمٍ بنتَ الحارث بن هشامٍ وفاخِتةَ بنتَ الوليد ـ وكانت فاخِتةُ عند صفوانَ بن أُميّة وأُمُّ حَكيمٍ عند عِكْرمةَ بن أبي جهلٍ ـ أسلَمَتا، فأمّا أمُّ حَكيمٍ فاستأمَنَت رسولَ الله ﷺ لعِكْرمة، فآمَنَه، فلَحِقَت به باليمن فجاءَت به[2]، فلمّا أسلمَ عِكْرمةُ وصفوانُ أقَرَّهما رسولُ الله ﷺ عندهما على النِّكاح الأوَّل[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيدُ بن عبد الرَّحمن بن حسّان بن ثابتٍ قال: رَمَى

= في «دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ٤٦.

ثمّ إن صفوان أسلمَ بعد ذلك بنحوٍ من شهرٍ فيما قاله الزهري كما في «الموطأ» ٢/ ٥٤٤، وذلك بعد حُنينٍ والطائف.

وروى مسلم (٢٣١٣) عن ابن شهاب قال: خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحنين فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذٍ صفوانَ بن أُمية مئةً من النَّعَم ثم مئةً ثم مئةً. قال ابن شهاب: حدثني سعيد بن المسيّب أن صفوانَ قال: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنّه لأبغضُ الناس إليّ، فما بَرِحَ يُعطِيني حتى إنّه لأحبُّ الناس إليّ.

(١) انظر فيما تقدم ٢/ ٣٨٥-٣٨٦.

(٢) تقدم ص٧٢ ترجيحنا أنها أدركته بساحل من سواحل تهامةَ، وأن ذلك الساحل هو جُدَّةُ، كما وقع لصفوان بن أميّة.

(٣) ورواه عن الزهريِّ أيضاً مالكٌ في «الموطأ» ٢/ ٥٤٤ و٥٤٥، ومعمرٌ كما في «مصنف عبد الرزاق» (١٢٦٤٦).

قال الشافعي في «الأم» ٦/ ٣٩٦: هذا أمر معروف عند أهل العلم بالمغازي.

حسّانُ ابنَ الزِّبَعرَى وهو بنَجْرانَ ببيتٍ واحدٍ ما زادَه عليه:

لا تَعـدَمَنْ رجـلاً أحَلَّـك بُغضُـهُ نَجْـرانَ في عَـيشٍ أَجَـدَّ لَئـيمِ[1]

فلمّا بَلَغَ ذلك ابنَ الزِّبَعرَى خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلمَ، فقال حين أسلمَ[2]:

يـا رسـولَ المَليـكِ إنّ لسـاني راتِـقٌ مـا فَتَقـتُ إذ أنـا بُـورُ[3]

إذ أُبـارِي الشّـيطانَ في سَـنَنِ الغَـيِّ ومَـن مـالَ مَيلَـهُ مَثْبـورُ[4]

آمَـنَ اللّحـمُ والعِظـامُ لربِّـي ثـمّ قَلْبـي الشَّـهيدُ أنـتَ النَّـذيرُ

إنّنـي عنـكَ زاجِـرٌ ثَـمَّ حيّـاً مـن لُـؤيٍّ وكلُّهـمْ مغـرورُ

قال ابن إسحاق: وقال عبدُ الله بن الزِّبَعرَى أيضاً حين أسلمَ[5]:

مَنَـعَ الرُّقَـادَ بَلابـلٌ وهُمـومُ واللّيـلُ مُعـتلِجُ الـرِّوَاقِ بَهـيمُ[6]

ممّـا أَتـاني أنّ أحمـدَ لامَنـي فيـهِ فبِـتُّ كـأنّني محمـومُ

---

(١) من رواه: أجدَّ (كما في النسخ: ت، ص، ط، ف، ق٢، م، ي) فمعناه: يابس منقطع، ومن رواه: أحذَّ (كما في: ش٢، غ) فمعناه: القليل الخفيف، وقُيِّد في (ش١) و(ش٢) بالوجهين.

وأحَلَّك، أي: أنزلك. وأراد بالرجلِ رسولَ الله ﷺ.

وهذا البيت في «ديوان حسان» ١/ ٢٨٧، وزاد فيه بيتين آخرين.

(٢) انظر «شعر عبد الله بن الزبعرى» صنعة يحيى الجبوري ص٣٦.

(٣) الراتق: السادّ، تقول: رَتَقتُ الشيءَ، إذا سَدَدتَه، قال الله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء:٣٠]. وفَتَقَ، أي: شقَّ وخرق، يريد: ما أفسدتُ أيام جاهليّتي. والبُورُ: الهالك.

(٤) أباري: أُعارض وأُجاري. والسَّنَن: وسط الطريق. والمثبور: الهالك أيضاً.

(٥) انظر «شعره» أيضاً ص٤٥.

(٦) البلابل: الوساوس المختلطة والأحزان. والاعتلاج: شدة وقوة. والرّواق: طائفة من الليل. والبهيم: الذي لا ضياءَ فيه.

يا خيرَ مَن حَمَلَت على أَوصالِها ... عَيْرانةٌ سُرُحُ اليدَينِ غَشُومُ[1]

إنّي لَمُعتذِرٌ إليكَ منَ الّذي ... أسدَيتُ إذ أنا في الضَّلالِ أَهِيمُ[2]

أيّامَ تأمُرُني بأَغوَى خُطّةٍ ... سَهْمٌ وتأمُرُني بها مخزومُ[3]

وأمُدُّ أسبابَ الرَّدَى ويَقُودُني ... أمرُ الغُوَاةِ وأمرُهمْ مشؤومُ[4]

فاليومَ آمَنَ بالنبيِّ محمّدٍ ... قَلْبي ومُخطِئُ هذه محرومُ

مَضَت العَداوةُ وانقَضَت أسبابُها ... ودَعَت أواصِرُ بيننا وحُلومُ[5]

فاغفِرْ فِدًى لك والدايَ كِلاهما ... زَلَلِي فإنّك راحِمٌ مَرحُومُ

وعليكَ من عَلَمِ المَليكِ عَلَامةٌ ... نورٌ أغَرُّ وخاتَمٌ مَختُومُ[6]

أعطاكَ بعدَ مَحَبّةٍ بُرهانَهُ ... شَرَفاً وبُرهانُ الإلٰهِ عظيمُ

ولقد شَهِدتُ بأنّ دينَكَ صادِقٌ ... حقٌّ وأنّك في العِبادِ جَسيمُ[7]

---

(١) عَيرانة: ناقة تُشبِه العَيْر ـ وهو حمار الوحش ـ في شدّته ونشاطه. وسُرُح اليدين: خفيفة اليدين. والغَشُوم: التي لا تُرَدُّ عن وجهها، ويروى: سَعُوم، وهي القويّة على السير، ومن رواه: رَسُوم، فمعناه أنها ترسم الأرض وتؤثّر فيها من شدّة وطئها. انظر «الروض» للسهيليّ ٧/ ١٤٦، و«الإملاء» للخشنيّ ص٣٧٤.

(٢) أسديتُ: صنعتُ وحِكتُ، يعني به ما قال من الشعر قبل إسلامه. وأَهيم: أذهبُ على وجهي متحيِّراً.

(٣) بأغوى خُطّة، أي: بأشرِّ أمر وأقبحه. وسهم ومخزوم البطنان المعروفان من قريش، وابن الزِّبعرى سهميٌّ.

(٤) أسباب الرَّدى: طرق الهلاك.

(٥) الأواصر: جمع آصِرَة، وهي قرابة الرَّحِم بين الناس. وحُلوم: جمع حِلْم، وهو الأَناة والعقل.

(٦) العَلَم: الأثر والسِّمة. والأَغرّ: الأبيض الوضيء.

(٧) جسيم، أي: عظيم ذو شأن.

واللهُ يَشـهَدُ أنّ أحمـدَ مُصـطفًى مُسـتقبَلٌ في الصّـالحينَ كـريمُ[1]
قَـرْمٌ عَـلَا بُنيانُـه مـن هاشـمٍ فَـرْعٌ تَمكَّـنَ في الـذُّرَى وأَرُومُ[2]

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها له.

قال ابن إسحاق: وأمّا هُبَيرةُ بن أبي وهبٍ المخزوميُّ، فأقامَ بها[3] حتّى مات كافراً، وكانت عنده أمُّ هانئٍ ابنةُ أبي طالبٍ، واسمها هِندٌ، وقد قال حين بَلَغَه إسلامُ أمِّ هانئٍ:

أشـاقَتْكَ هِنـدٌ أم نَـآكَ[4] سُـؤالُها كـذاكَ النَّـوَى أسـبابُها وانفِتالُهـا
وقد أرَّقَتْ في رأسِ حِصنٍ مُمنَّـعٍ بنَجْـرانَ يَسْـري بعـدَ ليـلٍ خَيالُهـا[5]
وعاذِلَـةٍ هَبَّـتْ بلَيـلٍ تَلُـومُني وتَعـذِلُني باللّيـلِ ضَـلَّ ضَـلالُها[6]
وتَـزعُمُ أنّـي إن أطَعـتُ عَشـيرتي سـأَرْدَى وهـل يُـردِينِ إلّا زِيالُهـا[7]
فـإنّي لَمِـن قـومٍ إذا جَـدَّ جِـدُّهمْ على أيِّ حالٍ أصبَحَ اليـومَ حالُهـا

---

(١) مستقبَل: منظور إليه ملحوظ.

(٢) قَرْم: سيِّد، وأصله الفحل من الإبل. والذُّرى: الأعالي، جمع ذُرْوة. والأَرُوم والأَرُومة: الأصل، والجمع: أُرُوم.

(٣) أي: أقام بنجران.

(٤) في (ش١) ونسخة على حاشيتَي (ش٢) و(غ): أتاك. ومعنى نآك: بَعُدَ عنك، والنّأي والنَّوى: البُعد.

وقوله: أشاقتك هندٌ، أي: أشوَّقك طيفُها وذِكراها.

وقوله: وانفتالها، أي: تقلُّبها من حالة إلى حالة، وفي نسخة (غ): وانتقالها.

(٥) أرَّقت، أي: أزالت النوم.

(٦) هبَّت: استيقظت. وضلَّ ضلالها: دعاء عليها بالضلال.

(٧) سأَردى: سأَهلِك. وزيالها: رحيلها وذهابها.

وإنّـي لَحَـامٍ مِـن وراءِ عَشـيرتي ... إذا كان من تحتِ العَوَالي مَجَالُها[1]

وصـارت بأيـدِيها السّيوفُ كأنّهـا ... مَخـارِيقُ وِلـدانٍ ومنهـا ظِلالُهـا[2]

وإنّـي لَأَقلِي الحاسـدينَ وفِعلَهـمْ ... علـى الله رِزْقـي نفسُـها وعِيالُهـا[3]

وإنّ كـلامَ المَـرءِ في غيـرِ كُنهِـهِ ... لَكالنَّبلِ تَهْوي ليس فيها نِصالُها[4]

فإن كنتِ قد تابَعتِ دينَ محمّدٍ ... وعَطَّفَتِ الأَرحامَ منكِ حِبالُها

فكُوني على أَعلى سَحيقٍ بهَضْبةٍ ... مُلَملَمـةٍ غَبْـراءَ يَـبْسٍ بِلالُهـا[5]

قال ابن هشام: ويُروى: وقَطَّعَتِ الأرحامَ منكِ حِبالُها[6].

قال ابن إسحاق: وكان جميعُ مَن شَهِدَ فتحَ مكّة من المسلمين عَشَرةَ آلافٍ: من بني سُلَيمٍ سبعُ مئة، ويقول بعضهم: ألفٌ، ومن بني غِفارٍ أربعُ مئة، ومن أسلَمَ أربعُ مئة، ومن مُزَينةَ ألفٌ وثلاثةُ نَفَرٍ، وسائرُهم من قُريشٍ والأنصارِ وحُلَفائهم وطوائفِ العربِ من تَميمٍ وقيسٍ وأَسَدٍ.

---

(١) العوالي: أعالي الرماح. والمَجَال: الجَوَلان في ساحة الحرب.

(٢) المخاريق: جمع مِخراق، وهي مناديل تلف ويمسكها الصبيان بأيديهم، ويضرب بها بعضهم بعضاً، شبَّه السيوف بها.

(٣) لأَقلي، أي: لأُبغِض، يقال: قَلَاه يَقلِيه، إذا أبغضه وكَرِهَه غاية الكراهة. ونفسها وعيالها: يريد نفسه وعياله.

(٤) في غير كُنهه، أي: في غير حقيقته. والنِّصال: حديد السّهام.

(٥) السحيق: البعيد. والهضبة: الأرض الصُّلبة العالية. والمُلملَمة: المستديرة. والغبراء: التي علاها الغبار. ويَبْس: يابسة.

وبِلالها، أي: نداوتها، يعني: ليس فيها ماء. وجاء في نسخة على حاشية (م): تِلالُها، جمع تلٍّ، وهو واضح، وقُيّدت في (ط) بالوجهين، التاء والباء.

(٦) كلام ابن هشام هذا من نسخة في (ش١) و(غ).

وكان ممّا قيل من الشِّعر في يوم الفتحِ قولُ حسّانَ بن ثابتٍ الأنصاريّ[1]:

عَفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجِوَاءُ ... إلى عَذْراءَ مَنزِلُها خَلاءُ[2]

---

(١) انظر «ديوانه» ١/ ١٧.

تنبيه: هذه القصيدة لحسّان هي في الحقيقة جزءان، فيما نرى، فالأبيات التسعة الأولى منها نَفَسُها جاهليٌّ وليس بإسلاميٍّ، لما جاء فيها من التشبيب بالنساء وتحسين الوصف للخمر وما تُحدِثه في نفوس شاربيها، مما يعني أن هذين الجزءين قِيلا في مناسبتين مختلفتين، وأشار إلى ذلك السهيليُّ في «الروض» ٧/ ١٥١، والله تعالى أعلم.

(٢) عَفَت: تغيَّرت ودَرَسَت. وخلاء، أي: لا أَنيس فيها ولا جليس.

وذات الأصابع والجِوَاء وعَذْراء، ذَكَرَ حسان أنها ديار كانت لبني الحَسحاس ثم انمحت، وقد ذهب ابن الكلبي في «نسب معدّ واليمن» ١/ ٣٩٩، وابن عبد ربِّه في «العقد الفريد» ٣/ ٣٢٩، ونشوان الحِميَري في «شمس العلوم» ٣/ ١٢٧٩، إلى أن بني الحسحاس المذكورين في شعر حسان، هم الذين من بني النجار من الخزرج، وعليه فإن هذه الأماكن المذكورة كانت قريبة من مدينتهم يثرب ثمّ انمحت ولم يبق لها أثر.

ويحتمل أن يكون أراد ببني الحسحاس حيّاً معروفاً من بني أَسد بن خُزيمة كما ذكر السهيليُّ في «الروض» ٧/ ١٤٧، وديار بني أَسد بنجدٍ، وذكر نصرٌ الإسكندريّ فيما نقله عنه ياقوت في «معجم البلدان» ٢/ ١٧٤ أن الجِواءَ في ديار عبسٍ أو أَسدٍ. قلنا: وهذه تعرف الآن بعيون الجِواء، وهي في الشمال الغربي من مدينة بريدة على قرابة ٣٠ كم.

وذهب الأندلسيّانِ أبو عبيد البكريُّ في «معجم ما استعجم» ١/ ١٦١ والسهيليُّ، إلى أن هذه الأماكن في الشام، وأن الجِواء كان منزل الحارث بن أبي شَمِر الغسّاني، وزاد السهيليُّ: أن حسان كان كثيراً ما يَرِدُ على ملوك غسان بالشام يمدحهم ـ يعني في جاهليّته ـ فلذلك يذكر هذه المنازل. وإلى نحو هذا ذهب عبد الرَّحمن البرقوقيُّ في «شرح ديوان حسان» ص٢، لكنه قال: أحسب حسان أراد بالحسحاسِ الرجلَ الجواد، يريد بذلك بني الجُود.

قلنا: فإن كان هذا مراد حسان في شعره، فإنه لم يعد يُعرَف من الأماكن الثلاثة المذكورة غير عَذْراء، وأهل الشام الآن يلفظونها: عَذْرا، وهي بلدة تقع شمال شرق مدينة دمشق وتبعد عنها =

ديارٌ من بني الحَسْحاسِ قَفْرٌ ... تُعفِّيها الرَّوَامسُ والسَّماءُ[1]

وكانت لا يَزالُ بها أَنيسٌ ... خِلالَ مُروجِها نَعَمٌ وشاءُ[2]

فدَعْ هذا، ولكنْ مَن لطَيْفٍ ... يُؤرِّقُني إذا ذهبَ العِشاءُ[3]

لِشَعثاءَ الّتي قد تَيَّمَتْه ... فليسَ لقَلبِه منها شِفاءُ[4]

كأنّ خَبيئةً من بيتِ رأسٍ ... يكون مِزاجَها عسلٌ وماءُ[5]

إذا ما الأَشرِباتُ ذُكِرنَ يوماً ... فهُنَّ لطيِّبِ الرَّاحِ الفِداءُ[6]

= قرابة ٢٥ كم.

ولعلَّه مما يرجِّح هذا القول، ذكرُ حسان لبيتِ رأس والتنويه بخمرتها كما سيأتي، وبيتُ رأس من بلاد الشام أيضاً كما سيأتي، فتكون هذه الأماكن ممّا كان حسان يرتاده قبل الإسلام لمنادمة الغساسنة ومن يليهم من العرب، والله تعالى أعلم.

(١) الرَّوامس: الرياح التي تَرمُس الآثارَ، أي: تغطّيها بالتراب. والسماء: المطر.

(٢) المروج: جمع مَرْج، وهي أرض ذات نبات ومَرْعى. والنَّعَم: المال الراعي، وهو جمع لا واحد له من لفظه، وأكثر ما يقع على الإبل. والشَّاء: اسم لجماعة الشِّياه.

(٣) الطَّيف: خيال المحبوبة يهجم عند النوم. ويؤرِّقني: يسهِّرني ويُذهِب نومي، يريد أن الطيف إذا زال عنه وَجَدَ له لوعةً تؤرّقه. والعِشاء: أول الظلام من الليل.

(٤) تَيَّمَته، أي: عذَّبت قلبه. قال السهيليُّ: وشعثاء التي يشبِّب بها حسان هي بنت سلام بن مِشكَم اليهودي، وقد كان تحت حسان أيضاً امرأة اسمها شعثاءُ بنت كاهن الأسلميّة، وَلَدَت له أمَّ فِراس.

(٥) الخَبيئة: الخمر المخبوءة المَصُونة المضنون بها.

وبيت رأس ـ وتُسهَّل الهمزة ـ: بلدة شمال مدينة إربد في شمال الأردنّ متّصلة بها، كانت مشهورة بصناعة الخمر قبل الإسلام.

ومِزاجها، أي: مَزجُها وخَلطُها.

(٦) الأَشرِبات: جمع الأشربة، والأشربة: جمع شراب، يريد أن الأشربة غير الراح، =

نُولِّيها المَلَامةَ إن أَلَمْنا ... إذا ما كان مَغْثٌ أو لِحاءُ[1]

ونَشربُها فتَتْرُكُنا مُلوكاً ... وأُسْداً ما يُنَهنِهُنا اللِّقاءُ[2]

عَدِمْنا خيلَنا إن لم تَرَوها ... تُثِيرُ النَّقْعَ مَوعِدُها كَداءُ[3]

يُنازِعنَ الأعِنّةَ مُصغِياتٍ ... على أكتافِها الأَسَلُ الظِّماءُ[4]

تَظَلُّ جِيادُنا مُتَمطِّراتٍ ... تُلطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النِّساءُ[5]

= وهي الخمر، لا تدانيها في اللَّذّة.

(١) نولِّيها المَلامة، أي: نَصرِف اللوم إلى الخمر ونعتذر بالسُّكر. إن ألَمْنا، أي: إن فعلنا ما نستحقّ عليه اللوم. والمَغْث: الشرُّ والضرب باليد. واللِّحاء: السِّباب.

(٢) ما ينهنهنا، أي: ما يَزجُرنا وما يردّنا.

(٣) النَّقع: الغُبار. وكَدَاء: بأعلى مكة تقدّم التعريف بها ص٤١-٤٢.

ويروى كما في «صحيح مسلم» (٢٤٩٠) في حديث عائشة:

ثَكِلتُ بُنيَّتي إن لم تروها ... تثيرُ النَّقعَ من كَنَفَي كَداءِ

وعلى هذه الرواية ففي هذا البيت إقواءٌ مخالف لباقيها.

(٤) الأعنّة: جمع عَنان، وهو اللِّجام. ومُصغِيات، أي: مُميلات رؤوسهن للطَّعن. والأَسَل: الرِّماح. والظِّماء: العِطاش المشتاقة إلى الدماء.

وفي «الديوان»: يُبارِين الأسنّة، بدل: ينازعن الأعنة، ويروى كما عند مسلمٍ: يُبارِين الأعنّة مُصعِدات. ومعنى مُصعِدات: مقبلات إليكم ومتوجِّهات.

يصفُ حسّان الخيلَ بأنها لشوقها للحرب سَلِسةُ القِياد ماضيةٌ لا تلوي على شيء، وأن على أكتاف الفرسان الرماح المتعطِّشة إلى الدماء، ومباراة الخيل للأسنّة: أن يمدَّ الفارسُ رمحَه فيركضَ الفرسُ ليسبقَ السِّنان.

(٥) متمطِّرات، أي: يتسارعن في الجَرْي يسابق بعضُها بعضاً.

وتلطِّمهنّ، أي: تضرب النساء وجوههن بخُمُرهنّ لتردّهنّ، والخُمُر: جمع خِمار، وهو ما تغطّي به المرأة رأسها، أي: أن النساء كنَّ يضربن وجوه الخيل بخُمُرهن يوم الفتح. =

فإمّـا تُعرِضـوا عنّـا اعتَمَرْنـا ... وكان الفتحُ وانكَشَفَ الغِطاءُ[1]

وإلّا فاصـبِروا لجِـلادِ يـومٍ ... يُعِـينُ اللهُ فيـه مَـن يَشـاءُ[2]

وجِبريـلُ رسـولُ الله فينـا ... ورُوحُ القُدْسِ ليس له كِفاءُ[3]

وقـال الله: قـد أَرسلتُ عبـداً ... يقـول الحـقَّ إن نَفَـعَ البَلاءُ[4]

شَـهِدتُ بـه فقُومُـوا صَـدِّقوهُ ... فقلـتُم: لا نَقـومُ ولا نَشـاءُ

وقـال اللهُ: قـد يَسَّـرتُ جُنـداً ... هـمُ الأنصـارُ عُرضَـتُها اللِّقـاءُ[5]

لنـا في كـلِّ يـومٍ مـن مَعَـدٍّ ... سِـبابٌ أو قتـالٌ أو هِجـاءُ[6]

فـنُحكِمُ بـالقَوافي مَـن هَجَانـا ... ونَضرِبُ حين تَختلِطُ الدِّماءُ[7]

= وذكر السهيليُّ في «الروض الأنف» ٧/ ١٥٢ عن ابن دريد في «الجمهرة» أنه قال: كان الخليل رحمه الله يروي بيت حسّان: يُطلِّمُهنّ بالخُمُر، وينكر يلطِّمهنّ، ويجعله بمعنى: ينفض النساءُ بخُمُرهنّ ما عليهن من غُبار أو نحو ذلك، وأَتبع بذلك ابنُ دريد قوله: الطَّلْمُ ضربك خُبْزة المَلَّة (والمَلَّة: الرَّماد الحارّ) بيدك لتنفضَ ما عليها من الرَّماد، والطُّلْمة: الخُبزة.

وكلام ابن دريدٍ هذا في كتابه «جمهرة اللغة» ٢/ ٩٢٥-٩٢٦.

(١) اعتمرنا: أدَّينا مناسك العمرة، وهي زيارة بيت الله الحرام.

يقول: إن لم تتعرّضوا لنا حين تغزوكم خيلُنا وأخليتم لنا الطريق، قصدنا إلى البيت الحرام وزرناه، وتمَّ الفتحُ وانكشف الغطاء عمّا وعد الله به نبيَّه ﷺ من فتح مكة.

(٢) الجِلاد: القتال بالسيوف. ويروى كما عند مسلمٍ: يُعِزُّ اللهُ، بدل: يُعِين الله.

(٣) روح القُدس: هو جبريل نفسه، والقُدس: الطهارة. وليس له كِفاء، أي: ليس له نظير.

(٤) ويروى كما عند مسلمٍ: يقول الحق ليس به خفاءُ.

(٥) عُرْضتها اللقاء، أي: عادتها أن تتعرّض للقاء عدوّها، فهي قويّة عليه.

(٦) من معدٍّ، أي: من قريش، لأنهم من مَعَدّ بن عدنان.

(٧) نُحكِم من هجانا، أي: نُلجِمه فنمنعه ونكفُّه.

ألا أَبلِغْ أبا سفيانَ عنّي ... مُغَلغَلةً فقد بَرِحَ الخَفاءُ[1]

بأنَّ سيوفَنا تَرَكَتكَ عبداً ... وعبدُ الدّارِ سادَتُها الإماءُ[2]

هَجَوتَ محمّداً وأَجبتُ عنه ... وعندَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ

أتَهجُوهُ ولستَ له بكُفْءٍ ... فشَرُّكما لخيرِكما الفِداءُ[3]

هَجَوتَ مُبارَكاً بَرّاً حَنيفاً ... أمينَ اللهِ شِيمَتُه الوَفاءُ[4]

---

(١) أبو سفيان: هو ابن الحارث بن عبد المطّلب، ابنُ عمّ النبي ﷺ، وكان هجا النبيَّ ﷺ قبل أن يُسلِم. ومُغلغَلة: رسالة تُحمَل من بلد إلى بلد. وبَرِحَ الخفاءُ، أي: زال الخفاء ووَضُح الأمر وظهر ما كان خافياً وانكشف.

(٢) يريد أن سيوف الأنصار جعلت أبا سفيان كالعبد الذليل لكثرة من قتلوا من سادة قريش، وأما عبد الدار فإن سادتها، وهم حَمَلة لواء قريش، قد قُتلوا قتلاً ذريعاً يوم أُحد حتى أخذ اللواء يومها عبدٌ لهم اسمه صُؤَاب فقُتل، ثم أخذته امرأةٌ منهم وهي عَمْرة بنت علقمة الحارثية كما تقدّم ٣/ ٥٦، فكأنّ حسان يشير إلى ذلك.

(٣) قوله: فشرُّكما لخيركما الفداءُ، قال السهيليُّ في «الروض» ٧/ ١٥١: في ظاهر هذا اللفظ بشاعة، لأن المعروف أن لا يقال: هو شرُّهما، إلّا وفي كِليهما شرٌّ، وكذلك: شرٌّ منك، ولكن سيبويه قال في «كتابه» (١/ ٤٢٣): تقول: مررتُ برجلٍ شرٍّ منك، إذا نقص عن أن يكون مثلَه، وهذا يدفع الشَّناعةَ عن الكلام الأوّل، ونحوٌ منه قوله عليه السلام: «شرُّ صفوف الرِّجال آخرُها» (وهو عند مسلم: ٤٤٠) يريد نقصانَ حظِّهم عن حظّ الأول، كما قال سيبويه، ولا يجوز أن يريد التفضيلَ في الشرِّ، والله أعلم.

(٤) قوله: حنيفاً، هكذا في النسخ (ش١) و(غ) و(ف) و(ي)، وعليه شرح الخشنيّ في «إملائه» ص٣٧٦ فقال: الحنيف: المسلم، وسُمّي حنيفاً، لأنه مالَ عن الباطل إلى الحق، والحَنَف: المَيْل.

وفي (ت) و(ش٢) و(ص) و(ط) و(ق٢) و(م): حَفِيّاً. والحفيُّ: هو الرجل اللطيف بك، يَبَرُّك ويحتفي بك. =

أمَـن يَهجُـو رسـولَ الله مـنكمْ ويَمدَحُـــه ويَنصُـــرُه سَـــواءُ
فـإنَّ أَبـي ووالـدَهُ وعِرْضـي لعِـرْضِ محمّـدٍ مـنكمْ وِقَـاءُ
لِسـاني صـارمٌ لا عَيْـبَ فيـهِ وبَحْـري لا تُكـدِّرُه الـدِّلاءُ[1]

قال ابن هشام: قالها حسّانُ قبلَ[2] يوم الفتح.

ويُروَى: لساني صارمٌ لا عَتْبَ فيه.

وبَلَغَني عن الزُّهْريّ أنه قال: لمّا رأى رسولُ الله ﷺ النّساءَ يَلطِمنَ الخيلَ بالخُمُر تَبسَّمَ إلى أبي بكرٍ[3].

قال ابن إسحاق: وقال أنسُ بن زُنَيمٍ الدِّيليّ يَعتذِرُ إلى رسول الله ﷺ ممّا كان قال فيهم عمرُو بن سالمٍ الخُزَاعيّ[4]:

أأنـتَ الـذي تُهـدَى مَعَـدٌّ بـأمرِهِ بـلِ اللهُ يَهـدِيهمْ وقـال لـكَ: اشـهَدِ

= وشِيمتُه: طبيعته.

(١) صارم، أي: حادٌّ قاطع. وبحري: يريد به شِعره، شبّهه بالبحر لغزارته وكثرة مياهه فلا تعكّره كثرة الدلاء، يعني أنه لا يستطيع أحد أن يجاريه بحدّة معانيه وكثرتها.

(٢) لفظ «قبل» سقط من مطبوعة السقا وصاحبيه، ولا يصح إسقاطها، فأبو سفيان المذكور في هذه القصيدة هو ابن الحارث بن عبد المُطَّلِب، وكان قد لقي النبيَّ ﷺ في الطريق هو وأهله فأسلموا كما تقدّم ص٥٣-٥٤، ودخل مع النبي ﷺ مكةَ مسلماً.

(٣) حديث حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإرساله وإعضاله بين ابن هشام والزهري.

لكن يشهد له بنحوه حديث عبد الله بن عمر عند الحاكم (٤٤٩١)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٦٦، بإسناد حسن في المتابعات والشواهد، وحسّنه ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٥٠٨.

(٤) وقد كان عمرو الخزاعيُّ قال للنبيِّ ﷺ عندما قدم يستنصره على بني بكر لمّا نقضوا العهدَ: إن أنس بن زنيم هَجَاك، فأهدَرَ رسول الله ﷺ دمَه، فبلغه ذلك، فقَدِمَ عليه معتذراً وأنشده هذه الأبيات يمدحه بها، فعفا عنه. انظر «الإصابة» لابن حجر ١/ ١٢٢.

وما حَمَلَت من ناقةٍ فوقَ رَحْلِها ... أبَرَّ وأوفَى ذِمّةً من محمَّدِ

أحَثَّ على خيرٍ وأسبَغَ نائلاً ... إذا راحَ كالسّيفِ الصَّقيلِ المُهنَّدِ[1]

وأكسَى لبُرْدِ الخالِ قبلَ ابتذالِهِ ... وأعطَى لرأسِ السّابقِ المُتَجرِّدِ[2]

تَعلَّمْ رسولَ الله أنّكَ مُدْرِكي ... وأنّ وعيداً منك كالأخذِ باليدِ[3]

تَعلَّمْ رسولَ الله أنّكَ قادرٌ ... على كلِّ صِرْمٍ مُتْهِمِينَ ومُنجِدِ[4]

تَعلَّمْ بأنّ الرَّكْبَ رَكْبَ عُوَيمرٍ ... هم الكاذبونَ المُخلِفو كلِّ موعدِ[5]

ونَبَّؤا رسولَ الله أنّي هَجَوتُهُ ... فلا حَمَلَت سَوْطي إليَّ إذاً يَدِي[6]

سوى أنّني قد قلتُ: وَيلُ اُمِّ فِتْيةٍ ... أُصيبوا بنَحسٍ لا بطَلْقٍ وأسعُدِ[7]

أصابَهم مَن لم يكن لدِمائهمْ ... كِفاءً فعَزَّتْ عَبْرتي وتَبَلُّدي[8]

---

(١) أسبغ: أكمل. والنائل: العطاء.

(٢) الخال: نوع من برود اليمن، وهو من أجود الثياب، قال السهيليُّ في «الروض» ٧/ ١٥٣: وأحسبه سُمّي بالخال الذي بمعنى الخُيَلاء.

وقوله: قبل ابتذاله، أي: قبل أن يَبلَى. والسابق: الفرس. والمتجرِّد: الذي يتجرّد من الخيل، أي: الذي ينفصل عنها لهِمّته، فيسبقها.

(٣) تعلَّم: بمعنى اعلَمْ. والوعيد: التهديد.

(٤) الصِّرم: البيوت المجتمعة. والمُتهِم: هو الذي يسكن تِهامةَ، وهي المنخفض من أرض الحجاز. والمُنجِد: من يسكن النَّجد، وهو المرتفع من الأرض.

(٥) الرَّكب: جماعة المسافرين. وعُويمر: أراد عمرو بن سالم الخُزاعي.

(٦) نبَّؤا، مسهَّل من: نبَّؤُوا، أي: أخبَروا.

(٧) الطَّلْق: الأيام السعيدة، يقال: يوم طَلْق، إذا لم يكن فيه حرٌّ ولا بردٌ ولا شيءٌ يؤذي، وكذلك: ليلةٌ طَلْقٌ وطَلْقةٌ.

(٨) عزَّت: اشتدَّت. والعَبْرة: الدمعة. وتبلُّدي: تحيُّري، وعلى حاشية (ش٢): ويروى: =

وأنّكَ قد أخفَرتَ إن كنتَ ساعياً ... بعبدِ بن عبدِ الله وابنةِ مَهْوَدِ[1]

ذُؤَيبٌ وكُلثومٌ وسَلْمى تَتابَعوا ... جميعاً فإلّا تَدمَعِ العينُ أكمَدِ[2]

وسَلْمى، وسَلْمى ليس حيٌّ كمِثلِه ... وإخوَتِه، وهلْ ملوكٌ كأعبُدِ

فإنِّيَ لا دِيناً[3] فتَقتُ ولا دماً ... هَرَقتُ، تَبَيَّنْ عالِمَ الحقِّ واقصِدِ

فأجابه بُدَيلُ بن عبد مَنافٍ ابنُ أمِّ أصرَمَ[4]، فقال:

بَكَى أنسٌ رَزْناً فأعوَلَه البُكا ... فألّا عَدِيّاً إذ تُطَلُّ وتُبعَدُ[5]

بَكَيتَ أبا عَبسٍ لقُربِ دمائِها ... فتُعذَرُ إذ لا يُوقِدُ الحربَ مُوقِدُ

أصابَهمُ يومَ الخنادمِ فِتيةٌ ... كِرامٌ فسَلْ، منهم نُفَيلٌ ومَعبَدُ[6]

= تجلُّدي؛ أي: تصبُّري.

(١) أخفرت: نقضتَ العهد.

(٢) أكمَدُ: من الكَمَد، وهو الحزن المكتوم.

وذؤيب وكلثوم وسلمى هؤلاء كانوا من أشراف بني رَزْنٍ من بني الدِّيل، من بني بكر بن عبد مناة، وكانت خزاعةُ قد قتلتهم قبل الإسلام بعرفة كما تقدم ص٣٣.

(٣) في (ت) و(ط) و(ف) ونسخة على حاشيتَي (ص) و(م): ذنباً، وقُيِّد في نسخة (ش١) بالوجهين. أي: ما أحدثتُ من ذنبٍ.

وقوله: لا ديناً فتقت، أي: ما أحدثتُ فيه شيئاً، أو ما خرجتُ منه. وأراد بقوله: عالِم الحق، النبيَّ ﷺ، والقَصْد: العدل.

(٤) هكذا سمّاه ابن إسحاق، وسمّاه ابن سعد كما في «الطبقات» ٥/ ١٨٩: بديل بن سلمة بن خلف الخزاعي، وكذا سمّاه ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٩٢، وتابعهما ابن الأثير في «أسد الغابة» وابن حجر في «الإصابة».

(٥) العويل: رفع الصوت بالبكاء. وتُطَل: يُبطَل دمها ولا يؤخذ بثأرها.

(٦) يوم الخنادم: أراد يوم الخَندَمة، فجمعها مع ما حولها، وهي موضع بمكة، وقد تقدم =

هنالـك إن تَسـفَحْ دُموعَـك لا تُلَـمْ عليهمْ وإن لم تَدمعِ العينُ فاكمَدُوا[1]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: وقال بُجَير بن زهير بن أبي سُلْمى[2] في يوم الفتح:

نَفَـى أهـلَ الحَبَلَّـقِ كـلَّ فـجٍّ مُزَينـةُ غُـدْوةً وبنـو خُفَـافِ[3]

ضَـرَبناهمْ بمكّـةَ يـومَ فـتحِ النّـبـيِّ الخَيْـرِ بـالبِيضِ الخِفـافِ[4]

صَـبَحْناهمْ بسَـبعٍ مـن سُـلَيمٍ وأَلـفٍ مـن بنـي عثمـانَ وافِ[5]

نَطَـا أكتـافَهمْ ضـرباً وطَعنـاً ورَشْـقاً بالمُريَّشَـةِ اللِّطـافِ[6]

= ذكر يوم الخندمة ص٦٥-٦٦.

(١) تسفح دموعك، أي: تُسِيلها.

وقوله: فاكمدوا، هكذا في (ش١) و(ش٢) و(غ)، على لفظ الجمع، من الكَمَد: وهو الحزن، وفي (ت) و(ص) و(ط) و(ف) و(ق٢) و(م) و(ي): فاكمَدِ، بالإفراد بكسر الدال، وهو إقواءٌ.

(٢) وقد وهمَ أبو العباس الأحول اللُّغوي فنسب هذه القصيدة لكعب بن زهير أخي بجير وأدخلها في ديوانه، وإنما أسلم كعبٌ بعد فتح مكة. انظر آخر «شرح ديوان كعب» صنعة أبي سعيد السُّكّري ص٢٤٤ بتحقيق عباس عبد القادر.

(٣) قال السهيليّ في «الروض» ٧/ ١٥٥: الحبلَّق: أرض يسكنها قبائل من مُزينة وقيس، والحبلَّق: الغنم الصِّغار، ولعله أراد بقوله: أهل الحبلَّق، أصحاب الغنم، وبنو خُفَاف: بطن من سُليم.

(٤) الخَيْر، أي: ذو الخير، ويجوز أن يريد الخيِّر، بتشديد الياء فخفَّف، كما يقال: هيِّن وهَيْن. والبِيض الخِفاف: السيوف.

(٥) بسبع، أي: بسبع مئة. وبنو عثمان: هم مُزينة، وهم بنو عثمان بن عمرو بن أُدّ بن طابخة ابن الْياس بن مُضَر، ومزينةُ أمُّهم.

(٦) نطا: أراد نَطَأُ، فخفَّف الهمزة. والرَّشق: الرمي السريع. والمريَّشة: يعني بها السِّهام =

تَرَى بين الصُّفوفِ لها حَفيفاً ... كما انصاعَ الفُوَاقُ من الرِّصافِ[1]

فرُحْنا والجِيادُ تَجُولُ فيهمْ ... بأرماحٍ مُقوَّمةِ الثِّقافِ[2]

فأُبْنا غانِمينَ بما اشتَهَينا ... وآبُوا نادِمينَ على الخِلافِ[3]

وأعطَينا رسولَ الله منّا ... مَواثِقَنا على حُسنِ التَّصافي

وقد سَمِعوا مَقالتَنا فهَمُّوا ... غَداةَ الرَّوعِ منّا بانصِرافِ[4]

قال ابن هشام: وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ السُّلَميّ في فتح مكّة:

منّا بمكّةَ يومَ فتحِ محمّدٍ ... ألفٌ تَسيلُ به البِطاحُ مُسوَّمُ[5]

نَصَروا الرسولَ وشاهَدوا أيّامَهُ ... وشِعارُهمْ يومَ اللّقاءِ مُقدَّمُ[6]

في مَنزِلٍ ثَبَتَت به أقدامُهمْ ... ضَنْكٍ كأنّ الهامَ فيه الحَنتَمُ[7]

= ذوات الرِّيش.

(١) الحفيف: الصوت. وانصاع: ذهبَ وخرج من موضعه. والفُواق هنا: الفُوق، وهو طرف السَّهم الذي يلي وَتَر القوس.

والرِّصاف: جمع رَصَفة، وهي خيط أو نحوه يُلوَى على مدخل النَّصل في السهم، أو يلوى على فُوق السهم.

(٢) الثِّقاف: الخشبة أو الحديدة التي تُقوَّم بها الرماح والسهام.

(٣) أُبنا غانمين، أي: رجعنا غانمين بالأجر من محاربتهم على الإسلام، ورجعوا هم نادمين على مخالفتهم لرسول الله ﷺ.

(٤) الرَّوع: الفزع.

(٥) البِطاح: جمع بطحاء وهي الأرض السهلة المتسعة. ومسوَّم، أي: مرسل، أو هو المُعلَم بعلامة.

(٦) شعارهم: علامتهم في الحرب. ومقدَّم: يريد أنهم في مقدَّمة الجيش.

(٧) الضَّنك: الضِّيق. والهامُ: الرؤوس، واحدها: هامَةٌ. والحَنتَم هنا: الحنظل المرّ.

جَـرَّتْ سَـنابكَها بنَجـدٍ قبلَهـا ... حتّى استَقادَ لها الحِجازُ الأدهَمُ[1]

اللهُ مَكَّنَـه لـه، وأذَلَّـهُ ... حُكْمُ السّيوفِ لنا وجَدٌّ مِـزحَمُ[2]

عَـوْدُ الرِّياسـةِ شـامخٌ عِرْنينُـهُ ... مُتَطلِّـعٌ ثُغَـرَ المَكـارمِ خِضـرِمُ[3]

إسلام عبّاس بن مِرْداس

قال ابن هشام: وكان إسلامُ عبّاس بن مِرْداسٍ ـ فيما حدّثني بعضُ أهلِ العلم بالشِّعر ـ وحديثُه: أنّه كان لأبيه مِرْداسٍ وَثَنٌ يَعبُدُه وهو حَجَرٌ كان يقال له: ضَمَارِ[4] فلمّا حُضِرَ مِرداسٌ قال لعبّاس: أيْ بُنيَّ، اعبُدْ ضَمَارِ، فإنّه يَنفَعُك ويَضُرُّك. فبَيْنا عبّاسٌ يوماً عند ضَمَارِ، إذ سمعَ من جَوْفِ ضَمَارِ منادياً يقول:

قُـلْ للقبائـلِ مـن سُـلَيمٍ كلِّهـا ... أَودَى ضَمَارِ وعاشَ أهلُ المسجِدِ[5]

إنَّ الـذي وَرِثَ النُّبـوّةَ والهُـدَى ... بعـدَ ابـنِ مـريمَ مـن قُـريشٍ مُهتَـدِي

أَودَى ضَـمَارِ وكـان يُعبَـدُ مَـرّةً ... قبـلَ الكتـابِ إلـى النبـيِّ محمّـدِ

---

(١) سنابكها: أطراف حوافر الخيل. واستقاد: من الانقياد، وهو الخضوع. والأدهم هنا: المجتمع من الدَّهماء، وهي جماعة الناس.

(٢) مِزحم، أي: يزاحم الأمور ولا يهابها.

(٣) عَوْد الرياسة، أي: قديمها، وأصل العَوْد: المُسِنّ من الإبل. وشامخ: مرتفع. والعِرنين: طرف الأنف، يريد به العِزّة.

وقوله: متطلّع ثُغَر المكارم، أي: يسعى دائماً إلى المواضع التي تُذكر في المكارم. والخِضرِم: الجواد الكثير العطاء.

(٤) هكذا قُيِّد في نسخنا، وكذا قيَّده السهيليُّ في «الروض» ٧/ ١٥٦ ببناء الراء على الكسر مثل: حَذَامِ ورَقَاشِ.

(٥) أَودى: هَلَكَ. والمسجد هنا: مسجد النبي ﷺ بالمدينة.

فحَرَّقَ عبّاسٌ ضَمَارِ ولَحِقَ بالنبيِّ ﷺ فأسلمَ[1].

قال ابن هشام: وقال جَعْدةُ بن عبد الله الخُزاعيّ يومَ فتح مكّة:

أكعبَ بنَ عمرٍو دَعْوةً غيرَ باطلٍ ... لحَيْنٍ لـه يومَ الحديدِ مُتاحِ[2]

أُتِيحَت لـه من أرضِه وسمائِه ... لِتَقتلَهُ ليلاً بغيرِ سلاحِ

ونحنُ الأُلَى سَدَّت غَزَالَ خيولُنا ... ولِفْتاً سَدَدْناه وفَجَّ طِلَاحِ[3]

خَطَرْنا وراءَ المسلمينَ بجَحفَلٍ ... ذَوِي عَضُدٍ من خيلِنا ورِماحِ[4]

---

(١) روي خبر إسلام عباس بن مرداسٍ هذا بنحوه عند ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (٩٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٣٩٢)، والدِّينوري في «المجالسة» (٢٠٤٤)، والطبراني كما في «جزء ما انتقى ابن مردويه عليه» (١٦٤)، وقوام السنة الأصبهاني في «دلائل النبوة» (١٥٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٦/ ٤١١-٤١٢، بإسناد ضعيف بمرّةٍ عن عباس بن مرداس.

(٢) كعب بن عمرو: هم خُزاعة. والحَين: الهلاك. ومُتاح: مقدَّر، وهو صفة لحَينٍ.

وأما يوم الحديد: فالظاهر أنه يريد به اليوم الذي يقع فيه اقتتال، لكثرة ما تصطكُّ فيه السيوف المصنوعة من الحديد.

(٣) الأُلى: الذين.

وغَزَال: ثنيّة عُسْفان التي تهبط إليه من الشمال. ولِفْت: تعرف اليوم باسم الفَيْت، وهي بين قُدَيد وخُلَيص، شمال عُسفان. والفجُّ: الطريق الواسع بين جبلين، ويعني به الوادي، وفجُّ طِلاح هذا: وادٍ صغير شمال شرقيّ غزال وجنوب شرقيّ لِفت كرأس المثلَّث بينهما. قاله البِلادي في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢٢٥-٢٢٦.

وعُسفان: شمال غرب مكة على قرابة ٧٥ كم.

(٤) خَطَرْنا: اهتززنا وتحرَّكنا، ويروى: حَظَرْنا، كما قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٧٩، أي: مَنَعْنا، والشيء المحظور: الممنوع. وذوو عَضُد، أي: أصحاب سواعد قوية شديدة. والجحفل: الجيش الكثير.

وهذه الأبيات في أبياتٍ له.

وقال نُجَيدُ[1] بن عِمرانَ الخُزاعيّ:

وقد أنشَأَ الله السّحابَ بنصرِنا ... رُكامَ سحابِ الهَيدَبِ المُتَراكبِ[2]

وهِجرَتُنا في أرضِنا عندَنا بها ... كتابٌ أَتى من خيرِ مُمْلٍ وكاتبِ

ومن أجلِنا حَلَّت بمكّةَ حُرْمةٌ ... لنُدرِكَ ثأراً بالسّيوفِ القَواضِبِ[3]

قال ابن إسحاق: وقد بَعَثَ رسولُ الله ﷺ فيما حولَ مكّة السَّرايا تدعو إلى الله عزَّ وجلَّ ولم يأمُرْهم بقتال، وكان ممّن بَعَثَ خالدُ بن الوليد وأمَرَه أن يسيرَ بأسفلِ تِهامةَ داعياً، ولم يَبعَثْه مقاتلاً، فوَطِئَ بني جَذِيمة فأصابَ منهم.

قال ابن هشام: وقال عبّاسُ بن مِرْداسٍ السُّلَميّ في ذلك:

فإن تَكُ قد أمَّرْتَ في القوم خالداً ... وقَدّمتَه فإنّه قد تَقَدَّما

بجُندٍ هَداه اللهُ أنتَ أميرُه ... نُصِيبُ به في الحقِّ مَن كان أظلَما

قال ابن هشام: وهذان البيتانِ في قصيدة له في حديث يوم حُنَينٍ، سأذكرُها إن شاءَ الله في موضعِها[4].

---

(١) هكذا في (ت) و(ق٢) و(ي)، وفي (ص) و(ط) و(غ) و(ف) و(م): بُجيد، بالباء، وقُيِّد في (ش١) و(ش٢) بالوجهين، وبالنون قيّده الدارقطنيُّ في «المؤتلف والمختلف» ١/ ١٩٣ على أنه نجيد ابن الصحابي عمران بن حُصين الخزاعي، وبه كان يُكنى، أما ابن حجر فذكره في «الإصابة» ١/ ٢٦٧ بالباء ثم قال: زعم بعض المتأخرين أنه ابن عمران بن حصين وليس بشيءٍ، لأن الذي جدُّه حصين أوّله نون، وهو تابعيٌّ معروف، وأما صاحب الشِّعر فالظاهر أنه غيرُه!

(٢) المتراكب: الذي يركب بعضه بعضاً. والهَيدَب: المتداني من الأرض.

(٣) القواضب: القواطع.

(٤) ص١٧٥.

مَسِيرُ خالد بن الوليد بعدَ الفتح إلى بني جَذِيمة من كِنانة
ومَسِيرُ عليٍّ رضوان الله عليه لتَلَافِي خطأ خالد[1]

قال ابن إسحاق: فحدّثني حَكيمُ بن حَكيم بن عبّاد بن حُنَيفٍ، عن أبي جعفرٍ محمّد بن عليٍّ قال: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ خالدَ بن الوليدِ حين افتَتَحَ مكّةَ داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائلُ من العرب: سُلَيمُ بن منصورٍ ومُدلِجُ بن مُرَّة، فوَطِئوا بني جَذِيمة بن عامر بن عبد مَناة بن كِنانةَ، فلمّا رآه القومُ أَخذوا السلاحَ، فقال خالدٌ: ضَعُوا السلاحَ، فإنّ الناسَ قد أَسلَموا[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني بعضُ أصحابنا من أهلِ العلم من بني جَذِيمة قال: لمّا أمَرَنا خالدٌ أن نَضَعَ السلاحَ، قال رجلٌ منّا يقال له جَحدَمٌ: وَيلَكم يا بني جَذِيمة، إنّه خالدٌ، والله ما بعدَ وَضْعِ السلاح إلّا الإسارُ، وما بعدَ الإسارِ إلّا ضربُ الأعناق، والله لا أَضَعُ سلاحي أبداً، قال: فأَخَذَه رجالٌ من قومه فقالوا له: يا جَحدَمُ، أتريدُ أن تَسفِكَ دماءَنا؟! إنّ الناسَ قد أسلَموا ووُضِعَت الحربُ وأَمِنَ النّاس. فلم يزالوا به

---

(١) وتُعرَف هذه السريّة أيضاً بيوم الغُميصاء، وهو اسم موضع لبني جذيمة جنوب مكة على مسافة ليلة ناحية يَلَملَم، وكانت هذه السريّة في شوّال، وخرج فيها مع خالدٍ ثلاثُ مئة وخمسون من المهاجرين والأنصار وغيرهم، انظر «الطبقات» لابن سعد ٢/ ١٣٦، وعنده وعند شيخه الواقدي: أن سريّة خالد هذه كانت بعد بعثه إلى العُزَّى بنخلةَ ليهدمَها، على خلاف ما ذكر ابنُ إسحاق من تقديم سريّة بني جذيمة على هدمه العُزَّى.

(٢) أصل الحديث في قصة بني جَذِيمة صحيح كما سيأتي لاحقاً في تعليقاتنا، وإسناد ابن إسحاق فيه ضعفٌ لإرساله، فأبو جعفر ـ وهو المعروف بالباقر ـ ثقةٌ إمامٌ من صغار التابعين، وحكيم الراوي عنه حسن الحديث.

حتّى نَزَعوا سلاحَه، ووَضَعَ القومُ السلاحَ لقول خالدٍ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني حَكِيم بن حَكيمٍ، عن أبي جعفرٍ محمّد بن عليٍّ قال: فلمّا وَضَعُوا السّلاحَ أمَرَ بهم خالدٌ عند ذلك فكُتِّفوا، ثمّ عَرَضَهم على السّيفِ فقتل مَن قتل منهم، فلمّا انتهى الخبرُ إلى رسول الله ﷺ رَفَعَ يدَيهِ إلى السماءِ ثمّ قال: «اللّهمَّ إنّي أبرَأُ إليك ممَّا صَنَعَ خالدُ بن الوليدِ»[1].

---

(١) صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإرساله كما سبق.

وأصحُّ شيءٍ روي في قصة بني جذيمة هذه، ما رواه عبدُ الله بن عمر ـ وكان حاضراً في تلك الغزاة في الجيش ـ قال: بعث النبيُّ ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يُحسِنوا أن يقولوا: أسلَمْنا، فجعلوا يقولون: صَبَأْنا صَبَأْنا، فجعل خالد يقتلُ منهم ويأسِرُ، ودفع إلى كل رجل منّا أسيرَه، حتى إذا كان يومٌ أمَرَ خالدٌ أن يقتل كلُّ رجل منّا أسيرَه، فقلت: والله لا أقتلُ أسيري، ولا يقتلُ رجل من أصحابي أسيرَه، حتّى قدمنا على النبي ﷺ فذَكَرناه، فرفع النبيُّ ﷺ يديه فقال: «اللهم إنّي أبرأُ إليك ممّا صنع خالدٌ» مرتين.

أخرجه أحمد (٦٣٨٢)، والبخاري (٤٣٣٩) و(٧١٨٩)، والنسائي في «المجتبى» (٥٤٠٥) وفي «الكبرى» (٥٩٢٢) و(٨٥٤٢)، وابن حبان (٤٧٤٩).

قال ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٦٠٣ في الكلام على هذا الحديث: قوله: «فلم يُحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا» هذا من ابن عمر راوي الحديث يدلُّ على أنه فهم أنهم أرادوا الإسلام حقيقةً، ويؤيِّد فهمه: أن قريشاً كانوا يقولون لكل من أسلم: صَبَأَ، حتى اشتَهَرَت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها في مقام الذمّ.

وأما خالدٌ فحمل هذه اللفظة على ظاهرها، لأن قولهم: صَبَأْنا، أي: خرجنا من دينٍ إلى دينٍ، ولم يكتفِ خالد بذلك حتى يصرِّحوا بالإسلام.

وقال الخطّابي في «أعلام الحديث» ٣/ ١٧٦٥: يحتمل أن يكون خالدٌ إنما لم يكفَّ عن قتالهم بهذا القول، من قِبَل أنه ظنَّ أنهم عَدَلُوا عن اسم الإسلام إليه أَنَفةً من الاستسلام والانقياد، فلم يرَ ذلك القولَ منهم إقراراً بالدِّين. =

قال ابن هشام: حدّثني بعضُ أهلِ العلم: أنّه حُدِّثَ عن إبراهيم بن جعفرٍ المحموديِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأَيتُ كأنِّي لَقِمتُ لُقْمةً من حَيْسٍ[1] فالتَذَذتُ طَعْمَها، فاعتَرَضَ في حَلْقي منها شيءٌ حين ابتَلَعتُها، فأدخَلَ عليٌّ يدَه فنَزَعَه»، فقال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ: يا رسولَ الله، هذه سَرِيّةٌ من سَرَاياك تَبعَثُها، فيأتيك منها بعضُ ما تُحِبّ، ويكون في بعضِها اعتراضٌ فتَبعَثُ عليّاً فيُسهِّلُه[2].

قال ابن هشام: وحدّثني: أنه انفَلَتَ رجلٌ من القوم فأَتى رسولَ الله ﷺ فأخبرَه الخبرَ، فقال رسول الله ﷺ: «هل أنكَرَ عليه أَحدٌ؟» فقال: نعم، قد أنكَرَ عليه رجلٌ أبيضُ رَبْعةٌ فنَهَمَه[3] خالدٌ فسَكَتَ عنه، وأنكَرَ عليه رجلٌ آخرُ طويلٌ مُضطَرِبٌ[4]، فراجَعَه فاشتَدَّت مُراجَعتُهما، فقال عمرُ بن الخَطّاب: أمّا الأوّلُ يا رسولَ الله، فابْنِي عبدُ الله، وأمّا الآخَرُ، فسالمٌ مولى أبي حُذَيفة[5].

قال ابن إسحاق: فحدّثني حَكِيم بن حَكيمٍ، عن أبي جعفرٍ محمّد بن عليٍّ قال:

= وأما براءةُ النبي ﷺ من فعل خالدٍ، فقال الخطّابيُّ أيضاً: إنما نَقَمَ رسول الله ﷺ من خالد موضعَ العَجَلة وتَرْكَ التثبُّت في أمرهم إلى أن يتبيَّن المرادَ من قولهم: صَبَأْنا.

(١) الحيس: تمر يُنزَع نواه ويُدقّ مع أَقِطٍ ـ وهو لبنٌ مستحجِر ـ ويُعجَنان بالسَّمن حتى يبقى كالثَّريد.

(٢) خبر ضعيف بمرّة، وإسناده مُظلِم، وإبراهيم المحمودي هذا لم نقف له على ذكرٍ في كتب تراجم الرجال.

(٣) الرَّبعة من الرجال: الذي بين الطويل والقصير. ونَهَمَه، أي: زَجَرَه.

(٤) مضطرب: يعني أنه ليس بمستوي الخَلْق.

(٥) وهذا خبر ضعيف أيضاً كسابقه.

ولم نقف عليه عند غير ابن هشام إلا عند أبي الفرج الأصفهاني في «الأغاني» ٧/ ٢٨٥ بإسناد واهٍ عن صالح بن كَيسان مرسلاً. ووصل فيه الخبر التالي في قصة عليٍّ وإرساله بدياتهم.

ثمّ دعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ فقال: «يا عليُّ، اخرُجْ إلى هؤلاءِ القومِ فانظُرْ في أَمرِهم واجعَلْ أمرَ الجاهليَّةِ تحتَ قَدَمَيكَ». فخرج عليٌّ حتّى جاءهم ومعه مالٌ قد بَعَثَ به رسولُ الله ﷺ فوَدَى لهم الدّماءَ وما أُصيبَ من الأموال، حتّى إنّه لَيَدِي لهم مِيلَغةَ الكلب[1]، حتّى إذا لم يَبْقَ شيءٌ من دمٍ ولا مالٍ إلّا وَدَاه، بَقِيَت معه بقيّةٌ من المال، فقال لهم عليٌّ رضوانُ الله عليه حين فَرَغَ منهم: هل بَقِيَ لكم دمٌ أو مالٌ لم يُودَ لكم؟ قالوا: لا، قال: فإنّي أُعطِيكم هذه البقيّةَ من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ ممّا لا يَعلَمُ ولا تَعلَمون، ففعل، ثمّ رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبرَ، فقال: «أَصَبْتَ وأحسَنْتَ»، ثمّ قامَ رسولُ الله ﷺ فاستَقبَلَ القِبلةَ قائماً شاهراً يديه، حتّى إنّه لَيُرَى ما تحت مَنكِبَيه، يقول: «اللّهمَّ إنّي أَبرَأُ إليك ممَّا صَنَعَ خالدُ بن الوليدِ» ثلاثَ مرّاتٍ[2].

قال ابن إسحاق: وقد قال بعضُ مَن يَعذِرُ خالداً: إنّه قال: ما قاتلتُ حتّى أمَرَني بذلك عبدُ الله بن حُذَافةَ السَّهْميُّ، وقال: إنّ رسولَ الله ﷺ قد أمَرَك أن تُقاتِلَهم لامتناعِهم من الإسلام[3].

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المَدَنيّ: لمّا أتاهم خالدٌ قالوا: صَبَأْنا صَبَأْنا[4].

قال ابن إسحاق: وقد كان جَحدَمٌ قال لهم حين وَضَعوا السلاحَ ورأَى ما يَصنَعُ

---

(١) المِيلغة: الإناء الذي يَلَغُ فيه الكلب، أي: يشرب منه.

(٢) إسناده ضعيف كما تقدم، غير أن الخبر في دعاء النبيِّ ﷺ بالبراءة من فعل خالدٍ ببني جذيمة صحيح تقدم آنفاً تخريجه من حديث ابن عمر.

(٣) لايصحُّ هذا، إذ لم يسنده ابن إسحاق ولم نقف عليه عند غيره.

(٤) قد جاء هذا في حديث ابن عمر المتقدم آنفاً، وهو حديث صحيح، فانظر تخريجه وشرحه هناك.

خالدٌ ببني جَذِيمةَ: يا بني جَذِيمة، ضاعَ الضَّربُ، قد كنتُ حَذَّرتُكم ما وَقَعتُم فيه.

وقد كان بين خالدٍ وبين عبدِ الرَّحمن بن عوفٍ ـ فيما بَلَغَني ـ كلامٌ في ذلك، فقال له عبدُ الرَّحمن بن عوفٍ: عَمِلتَ بأمرِ الجاهليّة في الإسلام، فقال: إنّما ثَأَرتُ بأَبيك، فقال عبدُ الرَّحمن: كَذَبتَ، قد قتلتُ قاتلَ أَبي، ولكنّك ثَأَرتَ بعمِّك الفاكِهِ ابن المغيرة، حتّى كان بينهما شَرٌّ، فبَلَغَ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: «مَهْلاً يا خالدُ، دَعْ عنكَ أَصحابي، فواللهِ لو كانَ لكَ أُحُدٌ ذَهَباً ثمّ أنفَقْتَه في سَبيلِ الله، ما أدرَكْتَ غَدْوةَ رجلٍ من أَصحابي ولا رَوْحَتَه»[1].

وكان الفاكِهُ بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزومٍ وعوفُ بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرةَ وعفّانُ بن أبي العاصِ بن أُميّة بن عبد شمسٍ، قد خَرَجوا تُجّاراً إلى اليمن، ومع عفّانَ ابنُه عثمانُ، ومع عوفٍ ابنُه عبدُ الرَّحمن، فلمّا أقبَلُوا

---

(١) روى هذا الخبر عن ابن إسحاق سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٦٨، فجعله من روايته عن عبد الله بن أبي سلمة، فإن كان سلمةُ حفظه ـ وهو يكثر خطؤُه ـ فإنه مرسل، فعبد الله بن أبي سلمة ـ وهو الماجشون ـ من الطبقة الوسطى من التابعين، وهو ثقة.

وروى نحوه الواقديُّ موصولاً في «مغازيه» ٣/ ٨٨٠ ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٦/ ٢٣٤ ـ عن عبد الله بن يزيد، عن إياس بن سلمة، عن أبيه سلمة بن الأكوع. وهذا إسناد تفرّد به الواقديُّ، وهو متكلَّم فيه، وشيخه عبد الله بن يزيد إن كان هو الهُذلي، فهو مختلف فيه كما في ترجمته من «الميزان» للذهبي.

وأما المرفوع منه، فهو صحيحٌ، وقد روي دون سياق قصة بني جذيمة، فقد أخرجه ابن حبان (٧٠٩١) من طريق الشَّعبي عن عبد الله بن أبي أَوفى قال: شكى عبدُ الرَّحمن بن عوفٍ خالدَ بن الوليد إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا خالد، لِمَ تؤذي رجلاً من أهل بدر؟! لو أنفقتَ مثلَ أُحدٍ ذهباً لم تدرك عمله» فقال: يا رسول الله، يَقَعُون فِيَّ فأردُّ عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «لا تُؤذُوا خالداً، فإنه سيفٌ من سيوفِ الله صبَّه الله على الكفّار». ورجاله ثقات.

حَمَلوا مالَ رجلٍ من بني جَذِيمة بن عامرٍ كان هَلَكَ باليمن إلى وَرَثَته، فادَّعاهُ رجلٌ منهم يقال له: خالدُ بن هشامٍ، ولَقِيَهم بأرض بني جَذِيمة قبلَ أن يَصِلُوا إلى أهلِ الميّت، فأبَوْا عليه، فقاتَلَهم بمَن معه من قومه على المال ليأخُذوه وقاتَلُوه، فقُتِلَ عوفُ بن عبد عوفٍ والفاكهُ بن المغيرة، ونَجَا عفّانُ بن أبي العاصِ وابنُه عثمانُ، وأصابوا مالَ الفاكِه بن المغيرةِ ومالَ عوفِ بن عبد عوفٍ فانطَلَقوا به، وقَتَلَ عبدُ الرَّحمن بن عوفٍ خالدَ بن هشامٍ قاتلَ أبيه، فهَمَّت قُريشٌ بغَزْوِ بني جَذِيمة، فقالت بنو جَذِيمة: ما كان مُصابُ أصحابِكم عن مَلَإٍ منّا، إنّما عَدَا عليهم قومٌ بجَهالةٍ فأصابوهم ولم نَعلَمْ، فنحن نَعقِلُ لكم ما كان قِبَلَنا من دمٍ أو مالٍ، فقَبِلَت قريشٌ ذلك ووَضَعُوا الحربَ.

وقال قائلٌ من بني جَذِيمة، وبعضُهم يقول: امرأةٌ يقال لها سَلْمى:

ولولا مَقالُ القومِ للقومِ أَسلِموا ... لَلَاقَت سُلَيمٌ يومَ ذلك ناطِحا

لَماصَعَهم بُسرٌ وأصحابُ جَحدمٍ ... ومُرّةُ حتّى يَتْرُكوا البَرْكَ طائِحا[1]

فكائنٍ تَرَى يومَ الغُمَيصاءِ من فتًى ... أُصيبَ ولم يُجرَحْ وقد كان جارِحا

---

(١) المماصَعة والمِصَاع: المضاربة والمجالدة بالسيوف. والبَرْك: جماعة الإبل.

وطائحاً: هكذا هي في أكثر النسخ (ش١) و(ش٢) و(ص) و(ط) و(ف) و(ق٢) و(م)، والمعنى: تركوا إبلَ أعدائهم هَلْكى، من طاحَ: إذا سقط وهلك.

وفي (ت) و(غ) و(ي): صائحا، من الصِّياح، والظاهر أنه كذلك عند أبي ذر الخشنيّ، حيث قال في «إملائه» ص٣٨٠: أي: تصيح في مباركها.

وفي حواشي (ش١) و(ش٢) و(ط) و(م): ضابحاً، مصحَّحاً عليها في (ط) و(م)، وهي كذلك في نسخة السهيليّ التي شرح عليها في «الروض الأنف» ٧/ ١٥٩، حيث قال: من الضَّبح، وهو نَفَس الخيل والإبل إذا عَيِيَت، وفي التنزيل: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾.

أَلَظَّـت بخُطّـابِ الأَيـامَى وطُلِّقَـت غَداتَئِـذٍ مـنهنَّ مَـن كـان ناكِحـا[1]

قال ابن هشام: قولُه: بُسرٌ[2]، وأَلَظَّت بخُطّابٍ، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه عبّاسُ بن مِرْداسٍ، ويقال: بل الجَحّافُ بن حَكيمٍ السُّلَميّ:

دَعِـي عنـكِ تَقْـوالَ الضَّـلالِ كَفَـى بنـا

لكَبشِ الـوَغَى في اليـومِ والأمسِ ناطحا[3]

فخالـدُ أَولَـى بالتّعـذُّرِ مـنكمُ غَداةَ عَلَا نَهْجاً من الأمرِ واضِحا[4]

مُعانـاً بـأمرِ اللهِ يُزجِـي إلـيكمُ سَـوانِحَ لا تَكبُـو لـه وبَوارِحـا[5]

نَعَـوْا مالكـاً بالسَّـهلِ لمّـا هَبَطنَـهُ عَـوابسَ في كـابي الغُبـارِ كَوالِحـا[6]

فـإنْ نَـكُ أثكَلْنـاكِ سَـلْمى فمالـكٌ تَـرَكتُم عليـه نائحـاتٍ ونائِحـا[7]

---

(١) ألظَّت، أي: كثُرت ملازمة الخُطّاب لهم. والأيامى: جمع أيِّم، وهي التي لا زوج لها. تريد: أنه لو كان حصل قتال، لكَثُرت القتلى في أعدائهم وترمَّلت نساؤهم وأصبحن بلا أزواج، فيكثر الخُطّاب لهن بسبب ذلك.

(٢) في الموضعين في بعض النسخ: بِشر.

(٣) الكبش: الرجل السيّد. والوغى: الحرب.

(٤) النَّهج: الطريق البيِّن.

(٥) يُزجي، أي: يسوق. والسوانح: ما جاءك من الطير إذا أُثير من قِبَل اليمين، والبوارح: ما جاء منها من قِبَل اليسار، وهذا كان من مذهب العرب في التكهّن بالطير قبل الإسلام، وأراد العبّاس هنا أن خالداً ميمون الطالع بمعونة الله له، لا تنكسر رايته. ولا تكبو، أي: لا تسقط.

(٦) كابي الغبار: مُرتفِعه، يقال: كَبَا الغبارُ، إذا علا وارتفع. وكوالح: العوابس التي انقبضت شفاهُها فظهرت أسنانها، يَصِفُ الخيلَ.

(٧) أثكلناك، أي: أفقدناك.

وقال الجَحّافُ بن حَكيمٍ السُّلَميّ[1]:

شَـهِدنَ مـع النبـيِّ مُسـوَّماتٍ ... حُنَينـاً وهْـيَ دامِيـةُ الكِـلَامِ[2]

وغـزوةَ خالـدٍ شَـهِدَت وجَـرَّت ... سـنابِكَهنَّ بالبلـدِ التِّهـامي[3]

نُعـرِّضُ للطِّعـانِ إذا التَقَينـا ... وُجوهـاً لا تُعـرَّضُ للِّطـامِ[4]

ولسـتُ بخـالعٍ عنّـي ثيـابي ... إذا هَـرَّ الكُمـاةُ ولا أُرامـي[5]

---

(١) ونسبه أبو تمّام في «ديوان الحماسة» كما في «شرحه» للمرزوقي ١/ ١٠٤ إلى الحَريش بن هلال القُريعي، قال: ويروى للعباس بن مرداس. وانظر «أسد الغابة» لابن الأثير ١/ ٤٧٩.

(٢) مسوَّمات: يعني الخيل مسوَّمات، أي: مُرسَلات أو مُعلَمات بعلامة. ودامية، أي: تسيل دماً. والكِلام: الجِراح، جمع كَلْمٍ، وفي (ش١) و(ش٢) و(ق٢) مكانها: الحَوَامي، والحوامي: ميامن الحافر ومياسره، واحدها: حاميَة.

(٣) في (ش١) و(ش٢) و(ق٢): الحرام. وكلاهما صحيح، فالمراد به مكة كما قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٨١، وتِهامةُ: ما انخفض من أرض الحجاز، منها مكةُ. والسنابك: مقدَّم أطراف حوافر الخيل.

قال المرزوقي: أشار بهذا إلى فتح مكة، وإنما نسبها إلى خالد، لأن النبي ﷺ استعمل خالداً يوم الفتح على الخيل فلقي قريشاً بالخَندَمة، فقاتلهم وهزمهم.

(٤) أي: نعرّض وجوهنا في ساحات الحرب للسيوف ونبذلها لها، ولو عُرِض علينا في السِّلم والسلامة بذلُ هذه الوجوه للِّطام، يعني لطمَها بالأكفّ، لأنِفْنا منه وامتنعنا.

(٥) هذا البيت والذي يليه من (ت) و(ص) و(ط) و(م)، وليسا في (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف) و(ق٢) و(ي)، وعلى حاشية (م): هذان البيتان سقطا من نسخة السماع. قلنا: والظاهر أنهما ليسا في نسخ السهيليّ والخشنيّ، فإنهما لم يفسّرا شيئاً من غريبهما، إذ لا يفوتهما مثلاً أن يبيِّنا معنى العَلَوات، وقد جاء تفسيرها في حاشية (ط) بالغارات، وهي رواية «ديوان الحماسة».

والكُماة: الشُّجعان. والعَضْب الحُسام: السيف القاطع.

وقوله: لست بخالع ثيابي، يعني ثياب الحرب، وهي كناية عن السلاح. ولا أُرامي، أي: لا =

ولكنّـي يَجُـولُ المُهْـرُ تحتـي إلى العَلَواتِ بالعَضْبِ الحُسامِ

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوبُ بن عُتْبة بن المغيرة بن الأَخنَس، عن الزُّهْريّ، عن ابن أبي حَدرَدٍ الأسلَميِّ[1] قال: كنت يومَئذٍ في خيل خالد بن الوليد، فقال لي فتًى

= أَرميهم بالسهام عن بُعدٍ، بل أهجم عليهم بمُهري شاهراً لهم سيفي القاطع.

وقوله: إذا هرَّ، هكذا جاء في نسخة (ط) بالراء، وكذلك هو في رواية «الحماسة»، وهو من هَرِير الكلاب، وهو صوت دون النِّباح، قال الخليل في كتاب «العين» ٣/ ٣٥٠: وبه يُشبَّه نظرُ الكُماة بعضهم إلى بعض، يقال: هَرَّ الكماةُ.

وفي (ت) و(ص) و(م): إذا هزَّ، بالزاي، يعني: إذا هزّوا سلاحهم عند هجومهم.

(١) واسمه عبدُ الله.

وإسناد خبره هذا منقطع على ثقة رجاله، فإن الزهريَّ لا يصحُّ له سماع من ابن أبي حدردٍ فيما قاله ابن عبد البر في كتابه «الاستيعاب» ص٣٩٤، لكن وَصَلَه غيرُ البكّائي من أصحاب ابن إسحاق، فقد أخرجه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» ١/ ٤٠٦، والطبري في «تاريخه» ٣/ ٦٨، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٠٨٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ١١٥، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٧/ ٣٣٩ من خمس طرق عن ابن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة، عن ابن شهاب الزهري، عن ابن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي، عن أبيه عبد الله بن أبي حدرد. ولا يعرف لعبد الله بن أبي حدرد ولدٌ سوى ابنه القعقاع، وهذا قد اختُلف في صحبته، وأنكر ابن عساكر أن تكون للقعقاع صُحبة كما في «تعجيل المنفعة» لابن حجر ٢/ ١٣٨، وهو الصواب، فالإسناد على هذا حسنٌ إن شاء الله.

وأصل الخبر في قصة هذا الفتى العاشق صحيحٌ، يشهد له حديثُ ابن عباسٍ فيما أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٦١٠)، والطبراني في «الكبير» (١٢٠٣٧)، وفي «الأوسط» (١٦٩٧)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١١٧-١١٨: أن النبي ﷺ بَعَثَ سَرِيّةً فغَنِمُوا، وفيهم رجلٌ فقال لهم: إنّي لست منهم، عَشِقتُ امرأةً فلَحِقتُها، فدَعُوني أنظُرْ إليها نظرةً، ثمّ اصنعوا بي ما بَدَا لكم، قال: فإذا امرأة طويلة أَدْماءُ (يعني: فيها سُمْرة)، فقال لها: اسلَمِي حُبَيش، قبل نَفَادِ العَيْش... ثمّ أنشد بيتَي الشِّعر الأوَّلين، قالت: نعم فَدَيتُك، قال: فقدَّموه فضربوا عُنقَه، فجاءت المرأةُ =

من بني جَذِيمة، وهو في سِنِّي، وقد جُمِعَت يداه إلى عُنُقِه برُمَّةٍ[1] ونِسوةٌ مُجتمِعاتٌ غيرَ بعيدٍ منه: يا فتى، فقلت: ما تشاءُ؟ قال: هل أنت آخِذٌ بهذه الرُّمّةِ فقائدي إلى هؤلاءِ النِّسوةِ حتّى أَقضيَ إليهنَّ حاجةً، ثمّ تَرُدّني بعدُ فتصنعوا بي ما بَدَا لكم؟! قال: قلت: والله لَيَسيرٌ ما طَلَبتَ، فأخذتُ برُمّتِه فقُدْتُه بها حتّى وَقَفَ عليهنَّ، فقال: اسلَمِي حُبَيْش، على نَفَدٍ من العَيْش[2]:

أَرَيتُكِ إذ طالَبتُكم فوَجَدتُكمْ ... بحَلْيَةَ أو أَلفَيتُكم بالخَوانِقِ[3]

ألم يَكُ أهلاً أن يُنوَّلَ عاشقٌ ... تَكلَّفَ إدلاجَ السُّرَى والوَدائقِ[4]

فلا ذنبَ لي قد قلتُ إذْ أهلُنا معاً ... أَثِيبي بوُدٍّ قبلَ إحدى الصَّفائقِ[5]

أَثِيبي بوُدٍّ قبلَ أن تَشحَطَ النَّوَى ... ويَنأَى الأميرُ بالحبيبِ المُفارِقِ[6]

= فوَقَفَت عليه، فشَهَقَت شهقةً أو شهقتين ثمّ ماتت، فلما قَدِمُوا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «أمَا كان فيكم رجلٌ رحيمٌ». وإسناده حسن.

(١) الرُّمّة: قطعة من الحبل بالية.

(٢) حُبيش: مرخَّم حُبيشة. وقوله: على نفدٍ من العيش، يريد على تمامه، من قولك: نَفِدَ الشيءُ، إذا تمَّ.

(٣) قوله: أريتُكِ، تسهيل من أرأَيتك، حتى يستقيم الوزن الشعري.

وحَلْية والخوانق: موضعان جنوب شرقي مكة، أما حليةُ فتبعد عنها قرابة ٢٧٠ كم، وأما الخوانق فذهب الأستاذ عاتق البِلاديّ رحمه الله في «معجم المعالم الجغرافية» ص١٠٥ إلى أن القائل هنا جمعها لضرورة الشعر، وهي الخانق التي تبعد عن مكة قرابة ٥٥ كم، وكلاهما ـ أي: حلية والخانق ـ من ديار بني كِنانة الذين منهم بنو جَذيمة.

(٤) الإدلاج: السير بالليل. والودائق: جمع وَدِيقة، وهي شدة الحرّ في الظَّهيرة.

(٥) الصفائق: الحوادث والخُطوب، جمع: صَفِيقة أو صافقة.

(٦) تشحط: تَبعُد. والنَّوى: البُعد. والأمير: صاحب الأمر.

فـــإنّي لا ضـــيَّعتُ سِـــرَّ أَمانـــةٍ ولا راقَ عَينـي عنـكِ بعـدَكِ رائـقُ[1]

سـوى أنّ مـا نـالَ العَشِـيرةَ شـاغلٌ عــن الــوُدِّ إلّا أن يكــونَ التّوامُــقُ[2]

قال ابن هشام: وأكثرُ أهلِ العلم بالشِّعر يُنكِرُ البيتين الآخِرَين منها له.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوبُ بن عُتْبة، عن الزُّهْريّ، عن ابن أبي حَدرَدٍ الأسلَميِّ [قال]: قالت: وأنتَ فحُيِّيتَ سبعاً وعَشْرا، وِتراً وثمانياً تَتْرَى[3]، قال: ثمّ انصَرَفتُ به فضربتُ عُنُقَه.

قال ابن إسحاق: فحدّثني أبو فِراس بن أبي سُنبُلة الأسلَميّ، عن أشياخٍ منهم، عمَّن كان حَضَرَها منهم قالوا: فقامَتْ إليه حين ضُرِبَت عنقُه فأكَبَّتْ عليه، فما زالت تُقبِّلُه حتّى ماتت عندَه[4].

قال ابن إسحاق: وقال رجلٌ من بني جَذِيمة[5]:

جَزَى اللهُ عنّا مُدلِجاً حيثُ أصبَحَت جَـزاءةَ بُؤْسَى حيثُ سارَت وحَلَّتِ[6]

---

(١) ولا راقَ عيني، أي: ما أَعجَبها ولا سرَّها. وفي هذا البيت والذي بعده إقواء.

(٢) التوامق: الحب.

(٣) تترى، أي: متتابعةً.

(٤) إسناده ضعيف لجهالة أبي فراس وإبهام مَن فوقه من الرواة، وما سبق يغني عنه.

ورواه البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١١٦، وابن عساكر في «تاريخه» ٢٧/ ٣٤٠ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، به.

(٥) سمّاه الآمديّ في «المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء» ص٢٠٢ والمَرزُباني في «معجم الشعراء» ص٢١٥: عمرَو بن كُلثوم الكِناني من بني عُميس بن جَذيمة، ووصفه المرزباني بأنه شاعرٌ جاهليٌّ، فإن صحّت نسبة هذا الشعر إليه فيكون واهماً بذلك، لذِكْره فيه دينَ آل محمدٍ ﷺ، فذلك يدلّ على أنه أدرك الإسلام، إلا أن المرزباني لم يذكر له سوى البيت الأول منه.

(٦) البُؤسى: الشدّة، خلاف النُّعمى.

أقاموا على أَقضاضِنا يَقسِمونَها ... وقد نَهِلَت فينا الرِّماحُ وعَلَّتِ[1]

فوالله لولا دينُ آلِ محمّدٍ ... لقد هَرَبَت منهم حُلولٌ فشُلَّتِ[2]

وما ضَرَّهم أن لا يُعِينوا كَتيبةً ... كرِجْلِ جَرادٍ أُرسِلَت فاشمَعَلَّتِ[3]

فإمّا يُنِيبوا أو يَثُوبوا لأمرِهمْ ... فلا نحنُ نَجزِيهمْ بما قد أضَلَّتِ[4]

فأجابه وهبٌ رجلٌ من بني ليثٍ، فقال:

دَعَوْنا إلى الإسلامِ والحقِّ عامراً ... فما ذَنبُنا في عامرٍ إذ تَوَلَّتِ

وما ذَنبُنا في عامرٍ لا أبا لهمْ ... لئِنْ سَفِهَت أحلامُهم ثمّ ضَلَّتِ[5]

وقال رجلٌ من بني جَذِيمة:

ليَهنِئْ بني كعبٍ مُقدَّمُ خالدٍ ... وأصحابِه إذ صَبَّحَتْنا الكتائبُ[6]

فلا تِرَةٌ يَسعَى بها ابنُ خُوَيلِدٍ ... وقد كنتَ مَكفيّاً لوَ انّكَ غائبُ[7]

---

(١) الأقضاض، قال الخشني في «إملائه» ص٣٨٢: جمع قَضٍّ، وأراد هنا الأموال المُجتمِعة، يقال: جاء القومُ قَضُّهم بقَضِيضهم، إذا جاؤوا بأجمعهم.

ونَهِلَت: من النَّهَل، وهو الشُّرب الأوّل، وعلَّت: من العَلَل، وهو الشُّرب الثاني؛ يريد الضرب فيهم بالرماح مرةً بعد أخرى.

(٢) الحلول: القوم الحالُّون في المكان، أو البيوت المجتمعة، وفي نسخة (غ): الخيول، وهو واضح.

وشُلَّت، أي: طُرِدَت.

(٣) رِجْل جراد: الجماعة الكثيرة من الجراد. واشمعلَّت: تفرَّقت.

(٤) يُنِيبوا ويَثُوبوا: كلاهما بمعنًى، أي: يَرجِعوا.

(٥) سفهت: جَهِلَت. والأحلام: العقول.

(٦) بنو كعب: هم خُزاعة. ومُقدَّم هنا بمعنى: قُدوم.

(٧) التِّرة: العداوة وطلب الثأر.

فـلا قومُنـا يَنهَـونَ عنّـا غُـواتَهم ولا الدّاءُ مـن يـومِ الغُمَيصاءِ ذاهبُ[1]

وقال غلامٌ من بني جَذِيمة، وهو يَسُوقُ بأمِّه وأُختين له، وهو هاربٌ بهنَّ من جيشِ خالد:

رَخِّـينَ أذيـالَ المُـروطِ واربَعَـنْ مَشْيَ حَيِيّـاتٍ كـأنْ لـم يُفـزَعَنْ[2]

إن تُمنَـعِ اليـومَ نِسـاءٌ تُمـنَعَنْ

وقال غِلمةٌ من بني جَذِيمة يقال لهم: بنو مُساحِقٍ، يَرتَجِزون حين سمعوا بخالد، فقال أحدُهم:

قد عَلِمَت صفراءُ بيضاءُ الإطِلْ يَحُوزُهـا ذو ثَلّـةٍ وذو إبِـلْ[3]

لَأُغنِيَنّ اليـومَ مـا أغنَـى رَجُـلْ

وقال الآخرُ:

قد عَلِمَت صفراءُ تُلْهي العِرْسا لا تَمـلَأُ الحَيـزُومَ منهـا نَهْسـا[4]

---

(١) الغُواة: السفهاء.

(٢) في (ص) و(ط) و(غ) و(م): لم يُقرَعَنْ.

والمروط: جمع مِرْط، وهو كساء من خزٍّ أو غيره. وقوله: واربَعَن، يقال: رَبَعتُ عليه، إذا تَرفَّقتَ به.

(٣) الإطِل: الخاصرة، والصفراء والبيضاء صفة لها، وهذا من أوصاف المرأة الجميلة، إذا كان العشيُّ ضرب لونها إلى الصُّفرة، وبالغداة يضرب لونها إلى البياض. قاله الجاحظ في كتابه «البرصان والعرجان» ص٧٦.

ويحوزها، أي: يملكها ويسوقها. والثَّلّة: القطيع من الغنم.

(٤) العِرْس: زوج المرأة. والحيزوم: أسفل الصدر، وهو ما يشدّ عليه الحِزام. والنَّهس: أكل اللحم بمقدَّم الأسنان ونتفه، يريد أنها قليلة الأكل.

لَأضـرِبنَّ اليـومَ ضـرباً وَعْسـا ضربَ المُحِلِّينَ مَخاضاً قُعْسا[1]

وقال الآخَرُ:

أقسَـمتُ مـا إنْ خـادِرٌ ذو لِبْـدَهْ شَـثْنُ البَنـانِ في غَـداةٍ بَـرْدَهْ[2]

جَهْـمُ المُحيّـا ذو سِـبالٍ وَرْدَهْ يُـرزِمُ بـينَ أَيْكـةٍ وجَحْـدَهْ[3]

ضـارٍ بتَأكـالِ الرّجـالِ وَحْـدَهْ بأصـدَقَ الغَـداةَ منّـي نَجْـدَهْ[4]

مسيرُ خالد بن الوليد لهدم العُزَّى

ثمّ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ خالدَ بن الوليد إلى العُزَّى، وكانت بنَخْلة[5]، وكانت بيتاً يعظِّمُه هذا الحيُّ من قُريشٍ وكِنانةَ ومُضَرُ كلُّها، وكان سَدَنتُها وحُجّابُها بني شَيْبانَ من بني سُلَيمٍ حلفاءَ بني هاشمٍ، فلمّا سمعَ صاحبُها السُّلَميّ بمَسيرِ خالدٍ إليها عَلَّقَ عليها سيفَه وأسنَدَ في الجبل[6] الذي هي فيه، وهو يقول:

يـا عُـزَّ شُـدِّي شَـدّةً لا شَـوَى لهـا على خالدٍ أَلْقِي القِناعَ وشَـمِّري[7]

---

(١) وَعْساً، أي: سريعاً. والمُحِلّون: الذين خرجوا من الحرم إلى الحِلّ. والمَخَاض هنا: الإبل الحوامل. والقُعْس: التي تتأخر وتأبى أن تمشي.

(٢) الخادر: الأسد الداخل في خِدْره، يعني: الأَجَمة، وهي غابة الأسد. واللِّبدة: الشَّعر الذي فوق كتفيه. وشَثْن البَنان: غليظ الأصابع. وغداةٌ بَرْدةٌ، أي: باردة.

(٣) جَهْم، أي: عابس. والمحيَّا: الوجه. والسِّبال: الشَّعر الذي حول فمه. ويُرزِم: يصوِّت. والأَيكة: الشجرة الكثيرة الأغصان. والجَحْدة: الشجرة القليلة الورق والأغصان.

(٤) ضارٍ، أي: متعوِّد. والتَّأكال: الأَكل. والنجدة: الشجاعة.

(٥) نخلة: اسم موضع، وقد تقدم التعريف بها وبالعزَّى ١/ ٩٢.

(٦) أسند في الجبل: صعد وارتفع فيه.

(٧) لا شوى لها، أي: أنها لا تبقي على شيء، والشوى في الأصل: اليدان والرِّجلان والرأس =

يا عُزَّ إن لـم تَقتُلي المَـرْءَ خالـداً فبُـوئِي بـإثمٍ عاجـلٍ أو تَنَصَّـري[1]

فلمّا انتهى إليها خالدٌ هَدَمَها، ثمّ رجع إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني ابنُ شِهابٍ الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ابن مسعودٍ قال: أقامَ رسولُ الله ﷺ بمكة بعدَ فتحِها خمسَ عَشْرةَ ليلةً يَقصُرُ الصّلاةَ[2].

= من الآدميين، وكل ما ليس مَقتَلاً، يقال: رماه فأَشْواه، إذا لم يُصِب المَقتَل.

(١) بوئي: ارجعي. وتنصَّري، أي: اطلبي النَّصر.

(٢) رجاله ثقات على شذوذٍ في متنه كما سيأتي بيانه، وقد اختُلف على ابن إسحاق في وصل هذا الحديث وإرساله، فتابع البكّائيَّ على روايته هكذا مرسلاً: يزيدُ بنُ هارون عند ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٣٣، وسلمةُ بنُ الفضل الأبرش عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٦٩، كلاهما عن ابن إسحاق به مرسلاً.

وخالفهم عبدُ الله بنُ إدريس عند ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٤٥٣، والطحاوي في «معاني الآثار» ١/ ٤١٧، والبيهقي في «السنن» ٣/ ١٥١، ومحمدُ بنُ سلمة عند أبي داود (١٢٣١)، وابن ماجه (١٠٧٦)، فوصلاه كلاهما عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس. وهو المحفوظ أنه موصول لا مرسل.

فقد تابعه على هذه الرواية الموصولة عن ابن عباسٍ عِراكُ بنُ مالك عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباسٍ، عند النسائي في «المجتبى» (١٤٥٣) و«الكبرى» (١٩٢٤).

إلا أن قوله فيه: خمس عشرة ليلةً، شاذٌّ كما قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» ٢/ ٤٦.

والمحفوظ عن ابن عباس فيه حديثُ عِكْرمة عنه أنه قال: أقام بمكّة تسعَ عشرةَ يَقصُر الصلاة. أخرجه أحمد (١٩٥٨)، والبخاري (١٠٨٠) و(٤٢٩٨) و(٤٢٩٩)، وابن ماجه (١٠٧٥)، والترمذي (٥٤٩) من طرق عن عاصم الأحول عن عكرمة.

ووقع في رواية عبد الرزاق في «مصنفه» (٤٣٣٧) ـ وعنه عبد بن حميد في «مسنده» (٥٨٢) ـ عن ابن المبارك عن عاصم الأحول: أقام عشرين ليلة. والمحفوظ عن ابن المبارك ما في رواية =

قال ابن إسحاق: وكان فتحُ مكّة لعَشرِ لَيالٍ بَقِينَ من شهر رمضان[1] سنة ثمانٍ.

= عبدان المروزي ـ بلديُّه ـ عنه عند البخاري (٤٢٨٩) أنه قال: تسع عشرة.

وكذا رواه عبّادُ بن منصور عن عكرمة كما أشار إليه أبو داود معلّقاً بإثر الحديث (١٢٣٠)، ووصله البيهقي في «سننه» ٣/ ١٥٠.

ورواه حفص بن غِياث عن عاصم الأحول عند أبي داود (١٢٣٠)، وابن حبان (٢٧٥٠)، فقال فيه: سبع عشرة. وهي رواية شاذّة أيضاً، وقد حملها بعضُ أهل العلم على أن الراوي لم يعدَّ يومَي الدخول والخروج، ليجمع بين هذه الرواية ورواية تسع عشرة، واعتبره ابن حجر في «التلخيص» جمعاً متيناً.

وكذا رواه شريك النَّخَعي عن عبد الرَّحمن بن الأصبهاني عن عكرمة عند أحمد (٢٧٥٨)، وأبي داود (١٢٣٢)، فقال فيه: سبع عشرة. والإسناد فيه ضعف لسوء حفظ شريك النَّخعي.

قال البيهقي في «سننه» ٣/ ١٥١ بعد أن ذكر أوجه الخلاف في الحديث وساق رواياته: اختلَفَت هذه الروايات في تسعَ عشرةَ وسبعَ عشرةَ كما ترى، وأصحُّها عندي والله أعلم رواية من روى تسعَ عشرةَ، وهي الرواية التي أَودَعَها محمدُ بن إسماعيل البخاريُّ «الجامع الصحيح».

قلنا: ورُوي عن عمران بن حصين قال: أقام بمكة ثماني عشرة ليلة لا يصلّي إلا ركعتين. أخرجه أحمد (١٩٨٦٥) وأبو داود (١٢٢٩)، وإسناده ضعيف، لكنه قريب ممّا قاله ابن عباس كما سبق.

وانظر «التلخيص الحبير» ٢/ ٤٥-٤٦، و«فتح الباري» ٤/ ٢٤٢، كلاهما لابن حجر.

(١) تقدم تحرير القول في تاريخ الفتح ص٥١-٥٢.

يومُ حُنَين

في سنة ثمانٍ بعدَ الفتح[1]

قال ابن إسحاق: ولمّا سمعت هَوازِنُ برسول الله ﷺ وما فَتَحَ اللهُ عليه من مكّة[2] جَمَعَها مالكُ بن عَوفٍ النَّصْريُّ، فاجتَمَعَ إليه مع هوازِنَ ثَقيفٌ كلُّها[3]، واجتَمَعَت نَصْرٌ وجُشَمُ كلُّها، وسعدُ بن بكرٍ، وناسٌ من بني هِلالٍ وهم قليلٌ، ولم يَشهَدْها من قيسِ عَيْلانَ إلّا هؤلاءِ، وغابَ عنها فلم يَحضُرْها من هوازنَ كعبٌ وكِلابٌ، ولم يَشهَدْها منهم أحدٌ له اسمٌ، وفي بني جُشَمَ دُرَيدُ بن الصِّمّةِ شيخٌ كبيرٌ ليس فيه شيءٌ إلّا التَّيمُّنَ برأيِه ومعرفتِه بالحرب، وكان شيخاً مُجرِّباً، وفي ثَقيفٍ سيِّدانِ لهم: في[4] الأحلافِ قارِبُ بن الأسوَد بن مسعود بن مُعتِّب، وفي بني مالكٍ ذو الخِمَارِ

---

(١) في شهر شوّال على خلافٍ في أيِّ يوم منه، وذلك بناء على خلافهم في تاريخ يوم فتح مكة ومدّة مُكثه ﷺ فيها قبل الخروج للقاء هوازن بحُنين، والراجح في ذلك: أن خروجه إليهم كان في العاشر من شوال، بناء على الأشهر من الأقوال في تاريخ الفتح أنه كان في تسعة عشر من شهر رمضان، وعلى ما صحّ عن ابن عباس: أنه ﷺ مكث بمكة تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة، فيكون خروجه منها في العاشر من شوّال غالباً، وهو ما ذهب إليه ابن القيِّم في «زاد المعاد» ٣/ ٣٤٠، والله تعالى أعلم.

وانظر «فتح الباري» لابن حجر ١٢/ ٥٤٢، و«شرح المواهب اللدنّية» للزرقاني ٣/ ٤٩٨.

وحُنَينٌ: وادٍ يقع إلى الشرق من مكة على قرابة ٣٠ كم، ويعرف اليوم بوادي الشرائع.

(٢) في (ت) و(ص) و(ط) و(م): من فتح مكة.

(٣) وثقيف من أكبر بطون هوازن.

(٤) في (ش١) و(ش٢) و(ص) و(ط) و(م) و(ي): وفي، بزيادة واو، وهو خطأ، والمثبت من (ت) و(غ) و(ف) و(ق٢) بإسقاطها، وهو الصواب، فإن الأحلاف وبني مالك هما قَبِيلا =

سُبَيعُ بن الحارث بن مالكٍ أو أخوه[1] أحمرُ بن الحارث، وجِمَاعُ أمرِ النّاس إلى مالكِ بن عوفٍ النَّصْريّ.

فلمّا أَجمَعَ السَّيرَ إلى رسول الله ﷺ حَطَّ[2] مع الناس أموالَهم ونِساءَهم وأبناءَهم، فلمّا نَزَلَ بأَوطاسٍ[3] اجتمع إليه الناس، وفيهم دُرَيدُ بن الصّمّة في شِجَارٍ[4] له يُقادُ به، فلمّا نَزَلَ قال: بأيِّ وادٍ أنتم؟ قالوا: بأَوطاسٍ، قال: نِعمَ مَجالُ الخيل، لا حَزْنٌ ضِرْس، ولا سهلٌ دَهْس[5]، ما لي أَسمعُ رُغَاءَ البعير، ونُهَاقَ الحمير، وبكاءَ الصغير، ويُعَارَ الشّاءِ[6]؟ قالوا: ساقَ مالكُ بن عوفٍ مع الناس أموالَهم ونساءَهم وأبناءَهم، قال: أين مالكٌ؟ قيل: هذا مالكٌ.

ودُعِيَ له فقال: يا مالكُ، إنّك قد أصبحتَ رئيسَ قومِك، وإنّ هذا يومٌ كائنٌ له ما بعدَه من الأيّام، ما لي أسمعُ رُغَاءَ البعير، ونُهَاقَ الحمير، وبكاءَ الصغير، ويُعارَ الشّاءِ؟ قال: سُقْتُ مع النّاس أبناءَهم ونساءَهم وأموالَهم، قال: ولِمَ؟ قال: أردتُ أن أجعَلَ خلفَ كلِّ رجلٍ أهلَه ومالَه ليُقاتِلَ عنهم، قال: فأَنقَضَ به[7]، ثمّ قال: راعي

= ثقيفٍ. انظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٤٦٨، و«اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير ١/ ٣٣ و٣/ ١٥٣، و«نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» للقلقشندي ص١٦٦.

(١) في نسخة (غ) وحدها: وأخوه، بالواو.

(٢) حطَّ، أي: أنزَلَ.

(٣) أوطاس: واد في ديار هوازن بين حنين والطائف.

(٤) الشِّجار: مَركَب فوق الجمل شبه الهودج إلا أنه مكشوف الأعلى.

(٥) الحَزْن: المرتفع الصعب من الأرض. والضِّرْس: التلّة الخشنة التي فيها حجارة محدَّدة. والدَّهْس: المكان السهل الليِّن ليس بتراب ولا رمل.

(٦) الرُّغاء: صوت الإبل. ويُعَار الشاء: صوتها.

(٧) أنقض به، يعني: زجره كما تُزجَر الدابّة، والإنقاض للدَّابة: أن تلصق لسانك بالحَنَك =

ضَأْنٍ[1] والله! وهل يردُّ المنهزمَ شيءٌ؟! إنّها إن كانت لك، لم يَنفَعْك إلّا رجلٌ بسيفِه ورُمحِه، وإن كانت عليك، فُضِحتَ في أهلِك ومالِك.

ثمّ قال: ما فَعَلَت كعبٌ وكِلابٌ؟ قالوا: لم يَشهَدْها منهم أحدٌ، قال: غابَ الحَدُّ والجِدُّ[2]، ولو كان يومَ عَلاءٍ ورِفْعةٍ لم تَغِبْ عنه كعبٌ ولا كِلابٌ، ولوَدِدتُ أنّكم فعلتُم ما فَعَلَت كعبٌ وكِلابٌ، فمَن شَهِدَها منكم؟ قالوا: عمرُو بن عامرٍ وعوفُ بن عامرٍ، قال: ذانِكَ الجَذَعانِ[3] من عامرٍ لا يَنفَعان ولا يَضُرّان، يا مالكُ إنّك لم تَصنَعْ بتقديم البَيْضةِ بيضةِ هوازِنَ[4] إلى نُحورِ الخيل شيئاً، ارفَعْهم إلى مُتَمنَّعِ بلادِهم وعُلْيا قومِهم، ثمّ الْقَ الصُّبّاءَ على مُتونِ الخيل[5]، فإن كانت لك لَحِقَ بك مَن وراءَك، وإن كانت عليك أَلْفاكَ ذلك[6] قد أحرَزْتَ أهلَك ومالَك، قال: والله لا أفعلُ ذلك، إنّك قد كَبِرتَ وكَبِرَ عقلُك[7]، والله لتُطيعُنّني يا مَعشَرَ هوازِنَ، أو لَأتّكِئَنَّ على هذا السَّيف حتّى يخرجَ من ظهري؛ وكَرِهَ أن يكون لدُرَيد بن الصِّمّة فيها ذِكرٌ أو رأيٌ، فقالوا: أطَعْناك، فقال دُرَيدُ بن الصِّمّة: هذا يومٌ لم أشهَدْه ولم يَفُتْني:

= الأعلى وتُصوِّت به.

(١) قوله: راعي ضأن، يعني يجهّله بذلك.

(٢) يريد بالحَدّ: الشجاعة والصلابة، وبالجِدّ: الاجتهاد والمثابرة.

(٣) الجَذَعان: يريد أنهما بمنزلة الجَذَع من الأنعام في سنّها، ويعني بقوله هذا أنهما ضعيفان في الحروب غير مجرَّبين لها.

(٤) بيضة هوازن: جماعتهم.

(٥) الصُّبّاء: جمع صابئ، وهم المسلمون عندهم، كانوا يسمونهم بهذا الاسم لأنهم صبؤوا من دينهم، أي: خرجوا من دين الجاهلية إلى الإسلام. ومتون الخيل: ظهورها.

(٦) أي: وجدك أو صادفك.

(٧) يشير إلى إنه قد خَرِفَ.

يـا لَيتَنـي فيهـا جَـذَعْ أخُـبُّ فيهـا وأضَـعْ[1]
أقـودُ وَطْفـاءَ الزَّمَـعْ كأنّهـا شـاةٌ صَـدَعْ[2]

قال ابن هشام: أنشدني غيرُ واحدٍ من أهلِ العلم بالشِّعر قولَه: يا لَيتَني فيها جَذَعْ.

قال ابن إسحاق: ثمّ قال مالكٌ للناس: إذا رأيتُموهم فاكسِرُوا جُفونَ سيوفِكم ثمّ شُدُّوا شَدَّة رجلٍ واحدٍ.

قال: وحدّثني أُميّةُ بن عبدالله بن عمرو بن عثمانَ، أنّه حُدِّث: أنّ مالكَ بن عوفٍ بَعَثَ عُيوناً من رجاله، فأتَوه وقد تفرَّقَت أَوصالُهم، فقال: وَيلَكم ما شَأنُكم؟ قالوا: رأَينا رجالاً بِيضاً على خيلٍ بُلْقٍ[3]، والله ما تماسَكْنا أن أصابَنا ما تَرَى. فوالله ما رَدَّه ذلك عن وجهِه أنْ مضى على ما يريد[4].

قال ابن إسحاق: ولمّا سمعَ بهم نبيُّ الله ﷺ بَعَثَ إليهم عبدَ الله بن أبي حَدرَدٍ الأسلَميَّ وأمَرَه أن يدخُلَ في الناس فيُقِيمَ فيهم حتّى يعلمَ عِلمَهم ثمّ يأتيَه بخَبَرِهم. فانطَلَقَ ابنُ أبي حَدرَدٍ فدخل فيهم، فأقام فيهم حتّى سمعَ وعَلِمَ ما قد أَجمَعوا له من

(١) الجَذَع: الشاب الفتيّ، يريد: يا ليتني في هذه الحرب جذعٌ. والخَبَب والوَضْع: ضربان من السير السريع.

(٢) الوَطْفاء: الطويلة الشَّعر، والزَّمع: الشعر الذي يكون فوق الرسغ من الدابة، يريد فرساً صفتها هكذا، وهو محمود في وصف الخيل، كما قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٨٥. والشاة هنا: الوَعِل، وهي الشاة الجبلية. وصَدَع، أي: وعلٌ بين الوعلَينِ، ليس بالعظيم ولا بالصغير.

(٣) جمع أبلَق، وهو ما لونه أسود وأبيض.

(٤) إسناده ضعيف بمرّة لإعضاله وإبهام رواته.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٧٢ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

وذكر الواقدي نحوه في «مغازيه» ٣/ ٨٩٢ من غير إسناد.

حربِ رسول الله ﷺ، وسمعَ من مالكٍ وأَمرِ هوازِنَ ما هم عليه، ثمّ أقبَلَ حتّى أتى رسولَ الله ﷺ فأخبره الخبر[1].

---

(١) زاد هنا في نسخة (غ) وحدها مع الإشارة إلى أنها من نسخة غير أصله: فدعا رسولُ الله ﷺ عمر بن الخطّاب، فأخبره الخبر، فقال له عمرُ: كَذَبَ ابنُ أبي حدردٍ، فقال ابن أبي حدرد: إن كذَّبتني فربَّما كذَّبتَ بالحقِّ يا عمر، فقال عمر: ألا تسمع يا رسول الله ما يقوله ابنُ أبي حدردٍ؟! فقال رسول الله ﷺ: «قد كنتَ ضالّاً فهداك اللهُ يا عمر».

وقد وقعت هذه الزيادة في هذا الموضع غيرَ مسندةٍ أيضاً في رواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٧٣.

ورواها يونسُ بن بكيرٍ عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١١٩-١٢١ ـ ضمن الحديث عن قصة حُنين هذه ـ عن أبي عبد الله الحاكم وأبي بكر القاضي بإسنادهما عن يونس عن ابن إسحاق قال: حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرَّحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، وعمرُو بن شعيب والزهريُّ وعبدُ الله بن أبي بكر بن حَزْم وعبدُ الله بن المُكدَّم بن عبد الرَّحمن الثَّقفي، عن حديث حنينٍ حين سار إليهم رسول الله ﷺ وساروا إليه، فبعضهم يحدِّث ما لا يحدِّث به بعضٌ، وقد اجتمع حديثهم... ثم ساقه ووصل به قصة صفوان بن أمية التالية، ولم يبيِّن فيه هاتين القصتين من رواية أيِّهم، وهل هما موصولتان من حديث جابر بن عبد الله، أو هما مُرسَلتان من حديث غيره.

وقد أخرج الحاكم في «مستدركه» (٤٤١٧) رواية يونس بن بكير هذه وفيها قصتا ابن أبي حدرد وصفوان، إلا أنه لم يسق من هذه الوجوه سوى رواية جابرٍ المُسنَدة، وما رواه عنه البيهقي في «الدلائل» في رواية يونس أصحّ لمتابعة أبي بكر القاضي له فيها. ووقع عنده في «المستدرك» تسمية ابن أبي حدردٍ بعبد الرَّحمن، وهو خطأ، فإنه لا يُعرَف في الصحابة عبد الرَّحمن بن أبي حدرد، إنما هو عبد الله.

وروى قصةَ ابن أبي حدردٍ أيضاً أبو عوانة في «صحيحه» (٧١٩٦) من طريق إبراهيم بن بشار، عن سفيان بن عُيينة، عن الزهري، عن كثير بن العباس بن عبد المطلب، عن أبيه العباس ضمن حديثه عن غزوة حنين. وهذا من أوهام إبراهيم بن بشار، فإن لهذا الرجل غرائب ينفرد بها =

فلمّا أجمَعَ رسولُ الله ﷺ السَّيرَ إلى هوازِنَ ليَلقاهُم، ذُكِرَ له أنّ عند صفوانَ بن أُميّة أَدراعاً له وسلاحاً، فأرسَلَ إليه وهو يومَئذٍ مشركٌ[1]، فقال: «يا أَبا أُميَّةَ، أَعِرْنا سِلاحَك هذا نَلْقَ فيه عَدُوَّنا غداً» فقال صفوانُ: أغَصْباً يا محمّدُ؟ قال: «بل عارِيَّةٌ مَضمُونةٌ حتّى نُؤَدِّيَها إليكَ» قال: ليس بهذا بأسٌ، فأعطاه مئةَ دِرعٍ بما يَكفِيها من السلاح[2]، فزَعَموا أنّ رسول الله ﷺ سأَله أن يَكفِيَهم حَمْلَها، ففعل.

= عن سفيان، وقد روى حديثَ غزوة حنينٍ غيرُ واحدٍ عن سفيان ثمّ عن الزهري بهذا الإسناد ـ فيما أخرجه أحمد (١٧٧٥) و(١٧٧٦) ومسلم (١٧٧٥) ـ فلم يذكر أحدٌ فيه قصةَ ابن أبي حدرد.

وذكرها الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ٨٩٣ من غير إسناد.

(١) يعني وهو في المُدّة التي جعل له رسول الله ﷺ الخيارَ فيها كما تقدم ص٨٧.

(٢) حديث صفوان بن أُميّة هذا قد اضطُرب فيه اضطراباً كثيراً في إسناده ومتنه، وأشار إلى ضعفه من أجل ذلك البخاريُّ كما في «العلل» للترمذي (٣٣٢)، والطحاويُّ في «مشكل الآثار» ١١/ ٢٩٦، وابنُ عبد البر في «التمهيد» ١٢/ ٤١.

وأخرجه من حديث صفوان نفسه أحمد (١٥٣٠٢)، وأبو داود (٣٥٦٢) و(٣٥٦٣)، والنسائي في «الكبرى» (٥٧٤٧) و(٥٧١٨)، والحاكم (٢٣٣١)، وانظر بيان طرقه في «مسند أحمد». ووقع فيه عند بعضهم قال: «بل عاريّة» ولم يقل فيها: مضمونة، وعند بعضهم: أنه استعار منه ثلاثين أو أربعين درعاً، ولم يذكر فيه بعضهم عددَ الأدراع.

ومن أوجه الخلاف في هذا الحديث ما رواه قتادةُ عند أحمد (١٧٩٥٠) وأبي داود (٣٥٦٦) والنسائي في «الكبرى» (٥٧٤٤) و(٥٧٤٥) وابن حبان (٤٧٢٠) عن عطاء بن أبي رباح، عن صفوان بن يعلى بن أمية التميمي، عن أبيه يعلى حليف قريشٍ: أن رسول الله ﷺ استعار منه ثلاثين درعاً وثلاثين بعيراً، وقال له: «عاريّة مؤدّاة». فسمّى المستعارَ منه هذه الأدراع يعلى بن أمية، وحديث قتادة هذا أصحُّ الأوجه في هذا الخبر، والله تعالى أعلم.

أما خبرُ صفوان بن أمية، فقد رواه أيضاً الزهري مرسلاً، فيما رواه عنه مالكٌ في «الموطأ» =

ثمّ خرج رسولُ الله ﷺ معه ألفانِ من أهلِ مكّة مع عَشَرةِ آلافٍ من أصحابه الذين خرجوا معه ففَتَحَ اللهُ بهم مكّة، فكانوا اثني عَشَرَ ألفاً، واستَعمَلَ رسولُ الله ﷺ عَتّابَ بن أَسِيد بن أبي العِيصِ بن أُميّة بن عبد شمسٍ على مكّة أميراً على مَن تَخلَّفَ عنه من النّاس، ثمّ مضى رسولُ الله ﷺ على وجهِه يريد لقاءَ هوازِنَ[1].

= ٢/ ٥٤٤، ومعمرٌ عند عبد الرزاق في «المصنف» (١٢٦٤٦)، وفيه: أن النبي ﷺ أرسل إلى صفوان بن أمية يستعيره أَداةً وسلاحاً عنده، فقال صفوان: أطوعاً أم كرهاً؟ فقال: «بل طوعاً»، فأعاره الأداةَ والسّلاحَ الذي عنده. ومراسيل الزهري ضعيفة.

ووصله يونس بن بكير عن ابن إسحاق بحديث عبد الرحمن بن جابر عن أبيه كما سبق بيانه في خبر ابن أبي حدرد السابق، فانظر مقالنا فيه عنده.

ولمزيد فائدةٍ انظر كلام ابن القيِّم في ضمان العاريّة وأدائها والفرق بينهما في كتابه «زاد المعاد» ٣/ ٤٨١-٤٨٣.

(١) وفي الطريق إليهم تقدّم المسلمين رجلٌ بين أيديهم ينظر موضعَ هوازن كما روى سهلُ ابن الحنظلية: أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يومَ حنين، فأَطنَبُوا السيرَ (أي: بالغوا فيه) حتى كان عشيّةً، قال: فحَضَرتُ الصلاةَ عند رسول الله ﷺ، فجاء رجلٌ فارسٌ فقال: يا رسول الله، إني انطلقتُ بين أيديكم حتى طلعتُ جبلَ كذا وكذا، فإذا أنا بهوازنَ على بَكْرةِ آبائهم، بظُعُنِهم (أي: نسائهم) ونَعَمِهم وشائِهم اجتمعوا إلى حنين، فتبسَّم رسولُ الله ﷺ وقال: «تلك غنيمةُ المسلمين غداً إن شاء الله». أخرجه أبو داود (٢٥٠١) بإسناد صحيح.

وفي المقابل، فإنّ هوازن قد أرسلت أيضاً عيناً لها يتجسّس على المسلمين، فقد روى سلمةُ ابن الأكوع قال: غزونا مع رسول الله ﷺ هوازنَ، فبَيْنا نحن نتضحَّى (أي: نتغدّى وقت الضحى) مع رسول الله ﷺ، إذ جاء رجلٌ على جمل أحمر فأناخه، ثم انتزع طَلَقاً من حَقَبِه (أي: انتزع حبلاً من حَقْوه، وهو معقد الإزار من الرجل) فقيَّد به الجملَ، ثم تقدّم يتغدَّى مع القوم، وجعل ينظر وفينا ضَعْفةٌ ورِقّةٌ في الظَّهر (قلّة في الإبل) وبعضنا مشاةٌ، إذ خرج يشتدُّ فأَتى جملَه، فأطلق قيدَه ثم أناخه وقعد عليه، فأثاره فاشتدَّ به الجمل، فاتّبعه رجل على ناقةٍ وَرْقاءَ (أي: في لونها =

فقال عبّاسُ بن مِرْداسٍ السُّلَميّ:

أصابتِ العامَ رِعْلاً غُولُ قومِهِم ... وَسْطَ البيوتِ ولونُ الغُولِ ألوانُ[1]

يا لَهفَ أمِّ كِلابٍ إذ تُبيِّتُهُمْ ... خيلُ ابنِ هَوْذةَ لا تُنهَى وإنسانُ[2]

لا تَلفِظوها وشُدُّوا عَقْدَ ذِمّتِكمْ ... إنّ ابنَ عمِّكمُ سعدٌ ودُهْمانُ[3]

لَن تَرجِعوها وإن كانت مُجلَّلةً ... ما دامَ في النَّعَمِ المأخوذِ أَلبانُ[4]

شَنعاءَ جُلِّلَ من سَوْآتها حَضَنٌ ... وسالَ ذو شَوغَرٍ منها وسُلْوانُ[5]

= سواد كالغُبرة).

قال سلمةُ: وخرجتُ أشتدُّ فكنت عند وَرِك الناقة، ثم تقدّمت حتى كنت عند وَرِك الجمل، ثم تقدّمتُ حتى أخذتُ بخِطَام الجمل فأنختُه، فلما وضع ركبتَه في الأرض، اخترطتُ سيفي فضربتُ رأس الرجل فنَدَرَ (أي: سقط) ثم جئتُ بالجمل أقودُه عليه رَحْلُه وسلاحُه، فاستقبَلَني رسول الله ﷺ والناس معه، فقال: «من قتل الرجلَ؟» قالوا: ابنُ الأكوع، قال: «له سَلَبُه أجمعُ». أخرجه أحمد (١٦٥٢٣)، ومسلم (١٧٥٤)، وأبو داود (٢٦٥٤)، وابن حبان (٤٨٤٣).

(١) رِعل: قبيلة من سُلَيم. وأراد بالغُول هنا: الداهية المُهلكة.

(٢) إنسان: ذكر أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٨٥ أنه اسم قبيلٍ في هوازن، ونقل السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٢٠٢ عن البرقيّ أنهم من قيسٍ ثم من بني نصرٍ؛ يعني بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن.

(٣) لا تلفظوها، أي: لا تتركوها وتقطعوها، وكذلك وقع في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق عند ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٦/ ٤١٦: لا تقطعوها. وسعد ودُهمان: من بكر بن هوازن.

(٤) مجلَّلة: مغطَّاة. والنَّعَم: الأنعام من الإبل والبقر والشاء، وأكثر ما تقع على الإبل.

(٥) حَضَن: جبل شمال وادي تربة شرق الطائف، من أشهر جبال نجدٍ، وهو أول حدّها من جهة الحجاز، وذو شوغر وسلوان: واديان أو جبلان في تلك النواحي، وشوغر بالغَينِ هكذا وقع في نسخنا الخطية، وفي «معجم البلدان» ٣/ ٣٧٣ نصَّ ياقوت على أنه بالعين المهملة.

ليست بأَطيَبَ ممّا يَشتَوي حَذَفٌ ... إذ قال: كلُّ شِواءِ العَيرِ جُوفانُ[1]

وفي هوازنَ قومٌ غيرَ أنّ بِهِمْ ... داءَ اليَمانِي فإن لم يَغدِروا خانُوا

فيهمْ أخٌ لو وَفَوْا أو بَرَّ عهدُهمُ ... ولو نَهَكْناهمُ بالطَّعنِ قد لانُوا[2]

أبلِغْ هوازِنَ أعلاها وأسفلَها ... منّي رسالةَ نُصحٍ فيه تِبْيانُ

أنّي أظُنُّ رسولَ الله صابِحَكمْ ... جَيشاً له في فضاءِ الأرضِ أركانُ

فيهم أخوكمْ سُلَيمٌ غيرَ تارِكِكمْ ... والمسلمونَ عِبادُ الله غسّانُ[3]

وفي عِضادَتِه اليُمنَى بنو أَسَدٍ ... والأَجرَبانِ بنو عَبْسٍ وذُبيانُ[4]

تَكادُ تَرجُفُ منه الأرضُ رَهْبتَهُ ... وفي مُقدَّمِه أَوسٌ وعُثمانُ

قال ابن إسحاق: أوسٌ وعثمانُ قَبيلا مُزَينةَ.

قال ابن هشام: من قوله: أبلِغْ هوازنَ أعلاها وأسفلَها، إلى آخرِها، في هذا اليوم[5] وما قبلَ ذلك في غيرِ هذا اليوم، وهما مفصولتانِ ولكنّ ابنَ إسحاق جَعَلَهما واحدةً.

قال ابن إسحاق: وحدّثني ابنُ شِهابٍ الزُّهْريُّ، عن سِنان بن أبي سِنانٍ الدِّيلِيّ، عن أبي واقدٍ اللَّيثيّ الحارثِ[6] بن مالكٍ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَينٍ

---

(١) حَذَفٌ هنا: اسم رجل. والعَيرُ: حمار الوحش. والجُوفَان: ذكر الحمار. يريد: كل ما شُوي من العَير فهو لا يُستساغ كجُوفانه.

(٢) نهكناهم، أي: أذللناهم وبالغنا في ضُرِّهم.

(٣) أراد بغسّانَ الأوسَ والخزرجَ.

(٤) سُمّيا بالأجربين تشبيهاً لهما بالأجرب الذي يفرُّ الناس منه، يعني لشجاعتهما.

(٥) يعني يوم حنين.

(٦) في (ش١): أنّ الحارث، بزيادة «أن»، ووقعت هذه الزيادة كذلك في طبعة السقا وصاحبيه =

ونحن حَدِيثُو عهدٍ بالجاهليّة، قال: فسِرْنا معه إلى حُنَينٍ.

قال: وكانت لكفّارِ قُريشٍ ومَن سِواهُم من العربِ شجرةٌ عظيمةٌ خضراءُ يقال لها: ذاتُ أَنْواطٍ[1]، يأتونَها كلَّ سنة فيُعلِّقون أسلحتَهم عليها، ويَذبَحُون عندَها، ويَعكُفُون عليها يوماً، قال: فرأَينا ونحن نَسِيرُ مع رسولِ الله ﷺ سِدْرةً[2] خضراءَ عظيمةً، قال: فتنادَيْنا من جَنَباتِ الطّريقِ: يا رسولَ الله، اجعَلْ لنا ذاتَ أَنواطٍ كما لهم ذاتُ أَنواطٍ!

قال رسولُ الله ﷺ: «اللهُ أكبَرُ، قُلتُم والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه كما قالَ قومُ موسى لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]، إنَّها السَّنَنُ، لتَركَبُنَّ سَنَنَ مَن كان قَبلَكم»[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن عبد الرَّحمن بن جابرٍ، عن أبيه جابر بن عبد الله قال: لمّا استَقبَلْنا واديَ حُنَينٍ، انحَدَرْنا في وادٍ من أوديةِ

= وهذا غلطٌ، فإن أبا واقدٍ هو صحابي الحديث وراويه، وقد اختُلف في اسمه، وأحد أوجه الخلاف فيه أنه الحارث بن مالك.

(١) وسُمِّيَت ذاتَ أنواطٍ لأنّ المشركين كانوا يَنُوطُون بها سلاحَهم، أي: يعلِّقونه بها، وأنواطٌ: جمع نَوْط، وهو مصدرٌ سمِّي به المَنُوط. قاله ابن الأثير في «النهاية» (نوط).

(٢) السِّدر: شجر عظيم دائم الخضرة ينمو في المناطق الحارّة، وله ثمر يسمَّى النَّبِق.

(٣) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢١٨٩٧) و(٢١٩٠٠) و(٢١٩٠٢)، والترمذي (٢١٨٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٢١)، وابن حبان (٦٧٠٢) من طرق عن الزهري، بهذا الإسناد. وقال الترمذيّ: حديث حسن صحيح.

والسَّنَن: السبيل والمنهاج، وتضمّ السين أيضاً، على أنه جمع سُنّة.

ومعنى قوله: «لتركبُنَّ»، أي: للتتّبِعُنّهم.

تِهامةَ أَجوَفَ حَطُوطٍ[1]، إنّما نَنحدِرُ فيه انحِداراً، قال: وفي عَمَايةِ الصُّبح[2]، وكان القومُ قد سَبَقُونا إلى الوادي فكَمَنُوا لنا في شِعَابِه وأحنائِه[3] ومَضايِقِه، قد أجمَعُوا وتَهيَّؤوا وأعَدُّوا، فوالله ما راعَنا ونحن مُنحَطُّون إلّا الكتائبُ قد شَدُّوا علينا شَدّةَ رجلٍ واحدٍ، وانشَمَرَ الناسُ[4] راجِعينَ لا يَلْوي أحدٌ على أحدٍ.

وانحازَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ اليمينِ ثمّ قال: «أينَ أيُّها النّاسُ؟! هَلُمُّوا إليَّ، أنا رسولُ الله، أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الله»، قال: فلا شيءَ، حَمَلَت الإبلُ بعضُها على بعضٍ فانطَلَقَ النّاسُ، إلّا أنّه قد بَقِيَ مع رسول الله ﷺ نَفَرٌ من المهاجرينَ والأنصارِ وأهلِ بيتِه.

وفيمَن ثَبَتَ معه من المهاجرينَ أبو بكرٍ وعمرُ، ومن أهلِ بيتِه عليُّ بن أبي طالبٍ والعبّاسُ وأبو سفيانَ بنُ الحارثِ وابنُه والفضلُ بنُ عبّاسٍ ورَبِيعةُ بنُ الحارث وأُسامةُ بن زيدٍ وأَيمنُ ابنُ أمِّ أَيمنَ بنِ عُبيدٍ، قُتِلَ يومَئذٍ[5].

قال ابن هشام: اسم ابن أبي سفيانَ بن الحارثِ جعفرٌ، واسم أبي سفيانَ المغيرةُ، وبعضُ الناس يَعُدُّ فيهم قُثَمَ بن العبّاسِ ولا يَعُدُّ ابنَ أبي سفيان[6].

---

(١) تهامة: ما انخفض من أرض الحجاز. وأجوفُ: مُتّسِع. وحَطُوط: منحدر.

(٢) في (ش١) و(ش٢) و(ي): وكان في عماية الصبح.

وعماية الصبح: ظلامه قبل أن يتبيّن.

(٣) الشِّعاب هنا: الطرق الخفيّة، وأحناؤه: جوانبه.

(٤) انشمر الناس، أي: انفضُّوا وانهزموا.

(٥) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٥٠٢٧) من طريق إبراهيم بن سعد الزهري، وابن حبان (٤٧٧٤) من طريق عبد الأعلى بن عبد الأعلى، كلاهما عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٦) ولا يصحُّ هذا، فقثمُ إذ ذاك كان صغيراً لا يشهد مثلُه وقعةَ حنين.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن عبد الرَّحمن بن جابرٍ، عن أبيه جابر بن عبد الله قال: ورجلٌ من هَوازِنَ على جَمَلٍ له أحمرَ بيده رايةٌ سوداءُ في رأس رُمحٍ له طويلٍ أمامَ هَوازِنَ وهوازِنُ خلفَه، إذا أدرَكَ طَعَنَ برُمحِه، وإذا فاتَه الناسُ رَفَعَ رُمحَه لمن وراءَه فاتَّبَعوه[1].

قال ابن إسحاق: فلمّا انهَزَمَ الناسُ، ورأى مَن كان مع رسول الله ﷺ من جُفَاةِ أهلِ مكّة الهزيمةَ، تكلَّمَ رجالٌ منهم بما في أنفُسِهم من الضِّغْن[2]، فقال أبو سفيانَ ابن حَرْب: لا تَنتَهي هزيمتُهم دونَ البحر؛ وإنَّ الأزلامَ لمعه في كِنانَتِه[3].

وصَرَخَ جَبَلَةُ[4] بن الحَنبَلِ - قال ابن هشام: كَلَدةُ بن الحَنبَل - وهو مع أخيه صفوانَ بن أُميّة مشركٌ في المُدّة التي جَعَلَ له رسولُ الله ﷺ: ألا بَطَلَ السِّحرُ اليومَ! فقال له صفوانُ: اسكُتْ فَضَّ اللهُ فاكَ[5]، فوالله لَأَن يَرُبَّني رجلٌ من قُريشٍ، أحبُّ

---

(١) إسناده صحيح كما سبق.

(٢) الضِّغن: الحقد والعداوة.

(٣) الضمير راجع إلى أبي سفيان، والأزلام: السِّهام التي كانوا يستقسمون بها، والكِنانة: هي الجُعبة التي توضع فيها السهام.

وهذا الخبر في قصة أبي سفيان وما يليه من قصة صفوان مع أخيه جبلة أو كلدة، رواه عن ابن إسحاق متصلاً بحديث عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابرٍ: سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٧٤، وعبدُ الله بن إدريس ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة عند الطحاوي في «مشكل الآثار» ٦/ ٤١٢ و٤١٣، وعبدُ الأعلى بن عبد الأعلى عند ابن حبان (٤٧٧٤)، ويونسُ بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٢٨. إلا أن عبد الأعلى لم يذكر قصة أبي سفيان.

(٤) في (ت) و(ص) و(ط) و(م): حنبلة، وعلى حاشية (م): جبلة، مصحَّح عليه. قلنا: والمشهور عند غير ابن إسحاق أنه كَلَدة، كما قال ابن هشام.

(٥) أي: كسر الله أسنانك.

إليَّ من أن يَرُبَّني[1] رجلٌ من هَوازِنَ.

قال ابن هشام[2]: وقال حسّانُ بن ثابتٍ يَهجُو كَلَدةَ:

رأيتُ سَواداً من بَعيدٍ فراعَني ... أبو حَنبَلٍ يَنزُو على أمِّ حَنبَلِ[3]

كأنّ الذي يَنزُو به فوقَ بَطنِها ... ذِراعُ قَلُوصٍ من نِتاجِ ابن عِزْهِلِ[4]

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيدٍ هذينِ البيتين، وذكرَ لنا أنّه هَجَا بهما صفوانَ بن أُميّة، وكان أخا كَلَدةَ لأمّه.

قال ابن إسحاق: وقال شَيْبةُ بن عثمانَ بن أبي طلحةَ أخو بني عبد الدّار: قلت: اليومَ أُدرِكُ ثَأْري من محمّدٍ - وكان أبوه قُتِلَ يومَ أُحدٍ - اليومَ أقتُلُ محمّداً، قال: فأدَرْتُ برسولِ الله ﷺ لأقتُلَه، فأقبَلَ شيءٌ حتّى تَغشَّى فُؤادي، فلم أُطِقْ ذلك، وعَلِمتُ أنه ممنوعٌ منّي[5].

---

(١) يربُّني، أي: يكون ربّاً لي، أي: سيِّداً أو ملكاً عليَّ.

(٢) كلام ابن هشام هذا في هجاء حسان من نسختَي (ش١) و(غ)، ونسخة في حاشية (ش٢)، ومن حاشية (ف) مصحَّحاً عليه، وهو في نسخة أبي ذر الخشنيّ أيضاً فقد شرح البيتين في «إملائه» ص٣٨٦.

وهذان البيتان في «ديوان حسان» ١/ ١٥٧.

(٣) السواد: الشَّخص. وراعني: أفزعني. وينزو: يَثِبُ.

(٤) القَلوص: الفتيّة من الإبل. وابن عِزهِل - ويقال: عَزهَلٌ أيضاً - كأنه بعيرٌ بعينه، وبعير عزهل: شديد.

(٥) هذا خبر لا يصحُّ إذ لم يسنده ابن إسحاق.

وقد رواه بنحوه مُسنَداً ابنُ المبارك، عن أبي بكر الهُذلي، عن عكرمة مولى ابن عباس، عن شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، بأطول ممّا هنا، وقال فيه: رُفِع لي شُواظ من نار بيني وبينه كأنه بَرْق، فخفتُ أن تَمحَشَني (أي: تحرقني)، فوضعت يدي على بصري ومشيت القَهقَرَى. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ أهلِ مكّة: أنّ رسولَ الله ﷺ قال حين فَصَلَ من مكّةَ إلى حُنَينٍ، ورأى كَثْرةَ مَن معه من جنود الله: «لن نُغلَبَ اليومَ من قِلّةٍ»[1].

قال ابن إسحاق: وزَعَمَ بعضُ الناس: أنّ رجلاً من بني بكرٍ قالها.

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريّ، عن كَثيرِ بن العبّاس، عن أبيه العبّاس بن عبد المُطَّلِب قال: إنّي لمعَ رسول الله ﷺ آخِذٌ بحَكَمةِ بغلتِه البيضاءِ قد شَجَرتُها بها[2]، قال: وكنتُ امرَأً جَسيماً شديدَ الصّوت، قال: ورسولُ الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من النّاسِ: «أينَ أيُّها النّاسُ؟!»، فلم أرَ النّاسَ يَلْوُون على شيءٍ، فقال:

= أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٨٩٧)، والبغوي في «معجم الصحابة» (١٢٢٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٧٠١)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٤٥، وابن عساكر في «تاريخه» ٢٣/ ٢٥٦-٢٥٧. وإسناده ضعيف جداً من أجل أبي بكر الهذلي، فإنه متروك الحديث واهٍ.

(١) ضعيف منكر ورواته مُبهَمون، ونسبة هذه المقولة إلى رسول الله ﷺ خطأ شنيع وقع فيه ابن إسحاق، وحاشا رسولَ الله ﷺ أن يقول ذلك.

وقد روى الواقدي في «مغازيه» ٣/ ٨٩٠ بسند رجاله ثقات عن سعيد بن المسيّب مرسلاً: أن أبا بكر قال ذلك. لكن الواقديّ فيه مقال.

وروى البزار في «مسنده» (١٨٢٧-كشف الأستار) بإسنادٍ فيه ضعف عن أنس: أن قائل ذلك غلام من الأنصار، ولم يسمّه.

وروى الواحديُّ في «التفسير البسيط» ١٠/ ٣٤٦ معلّقاً عن عطاء عن ابن عباس: أنه سمّى هذا الأنصاريَّ سلمة بن سلامة بن وقش.

وروى أبو عوانة في «صحيحه» (٦٧٥٤) بإسناد فيه لِينٌ عن العباس بن عبد المطلب: أن قائل ذلك رجل من أصحاب النبي ﷺ، ولم يبيِّن مَن هو. وكذلك رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٧٧٣ عن السُّدّي مرسلاً.

(٢) الحَكَمة: ما أحاط بحَنَكَي الدّابّة من اللِّجام. وشَجَرتُها بها، أي: فتحت فمَها ومنعتُها من أن تتقدم، من الشَّجْر: وهو مجتمع الفكّين من مؤخَّر الفم.

«يا عبَّاسُ، اصرُخْ: يا مَعشَرَ الأَنصارِ، يا مَعشَرَ أصحابِ السَّمُرَةِ[1]».

قال: فأجابوا: لَبّيكَ لَبّيكَ، قال: فيذهبُ الرَّجلُ ليَثنِيَ بعيرَه فلا يَقدِرُ على ذلك، فيأخذُ دِرْعَه فيَقذِفُها في عُنُقِه ويأخذُ سيفَه وتُرْسَه ويَقتَحِمُ عن بعيرِه ويُخلِّي سبيلَه، فيَؤُمُّ الصّوتَ حتّى ينتهيَ إلى رسول الله ﷺ، حتّى إذا اجتمع إليه منهم مئةٌ استقبَلُوا الناسَ فاقتتلوا، فكانت الدَّعوَى أوّلَ ما كانت: يا لَلأنصارِ، ثمّ خَلَصَت أخيراً: يا لَلخَزْرجِ، وكانوا صُبُراً عند الحرب، فأشرَفَ رسولُ الله ﷺ في رَكَائبِه فنَظَرَ إلى مُجتلَدِ القومِ[2] وهم يَجتَلِدون فقال: «الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ»[3].

---

(١) أصحاب السمرة: يريد بهم أصحاب بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة، وكانت الشجرة سَمُرةً، والسَّمُرُ نوع من الشجر كبير ضخم، ويوصف غالباً بالمظلّة الشائكة.

(٢) مجتلد القوم: مكان جِلادهم بالسيوف، وهو حيث تكون المعركة.

(٣) إسناده صحيح، غير أن قوله في مناداة العباس: يا معشر الأنصار، شاذٌّ في حديث العباس، إنما وقع هذا في حديث عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه كما في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق عنه عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٢٩، ورجاله لا بأس بهم إن كان محفوظاً.

أما حديث العباس هذا، فأصحاب الزهري لم يذكروا فيه سوى مناداته بأصحاب السَّمرة، زاد سفيان بن عيينة عليهم أنه نادى أيضاً: يا أصحاب سورة البقرة.

أخرجه من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري: أحمد (١٧٧٦)، والحميدي في «مسنده» (٤٦٤)، ومسلم (١٧٧٥) (٧٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٧٧٣، غير أن مسلماً لم يسق لفظه من هذا الطريق، واختصره أحمد، وهو بتمامه عند الآخرين.

وأخرجه أحمد (١٧٧٥)، وابن حبان (٧٠٤٩) من طريق معمر، ومسلم (١٧٧٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٩٣) و(٨٥٩٩) من طريق يونس بن يزيد ومعمر، والحاكم (٥٥٠٥) من طريق يونس بن يزيد، كلاهما (يونس ومعمر) عن الزهري، به. ولم يذكرا فيه إلا المناداة بأصحاب =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن عبد الرَّحمن بن جابرٍ، عن أبيه جابر بن عبد الله قال: بَيْنا ذلك الرّجلُ من هَوازِنَ صاحبُ الرّاية على جملِه يَصنَعُ ما يَصنَعُ، إذ هَوَى له[1] عليُّ بن أبي طالبٍ رِضوانُ الله عليه ورجلٌ من الأنصار يريدانِه، قال: فيأتيه عليٌّ من خَلفِه فضَرَبَ عُرقُوبَي الجملِ فوَقَعَ على عَجُزِه[2]، ووَثَبَ الأنصاريُّ على الرَّجل فضربه ضربةً أطَنَّ قدمَه[3] بنصفِ ساقِه، فانجَعَفَ عن رَحْلِه[4].

قال: واجتَلَدَ الناسُ، فواللهِ ما رَجَعَت راجعةُ الناسِ من هزيمتهم حتّى وَجَدُوا الأُسارَى مُكتَّفِينَ عند رسول الله ﷺ.

قال: والتَفَتَ رسولُ الله ﷺ إلى أبي سفيانَ بن الحارث بن عبد المُطَّلِب ـ وكان ممّن صَبَرَ يومَئذٍ مع رسول الله ﷺ، وكان حَسَنَ الإسلامِ حين أسلمَ ـ وهو آخذٌ بثَفَرِ

= السمرة.

والوَطِيس في أصل اللغة: التنُّور، وأراد هاهنا موضع القتال، وشبّه به الحرب لاستعارِ نارها وشدّة وَقْدها.

وقوله ﷺ: «الآن حمي الوطيس» هذه الكلمة لم تُسمَع إلا منه ﷺ، قاله أبو بكر بن دريد في «جمهرة اللغة» ٢/ ٨٣٩، وتابعه عليه ابن سِيدَه في «المحكم» ٨/ ٥٩٧ والسهيليُّ في «الروض» ٧/ ١٩٩.

(١) يقال: هوى له وأهوى إليه: إذا مال إليه.

(٢) على عَجُزه، أي: على مؤخّره. والعُرقوب: هو الوَتَر الذي خلف الكعبين بين مَفصِل القدم والساق من ذوات الأربع، وهو من الإنسان فُوَيق العَقِب. قاله ابن الأثير في «النهاية» ٣/ ٢٢١.

(٣) أطنَّ قدمه، أي: أطارَها وسُمع لضربته طنينٌ، أي: دويٌّ.

(٤) انجعف عن رحله، أي: سقط عنه إلى الأرض صريعاً.

بغلتِه[1]، فقال: «مَن هذا؟» قال: أنا ابنُ أمِّك يا رسولَ الله[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ التَفَتَ فرأَى أمَّ سُلَيمٍ ابنةَ مِلْحانَ[3] وكانت مع زوجِها أبي طَلْحة، وهي حازِمةٌ وَسَطَها ببُرْدٍ لها وإنّها لَحاملٌ بعبد الله بن أبي طلحة، ومعها جَمَلُ أبي طلحة وقد خَشِيَت أن يَعُزَّها[4] الجملُ، فأدنَتْ رأسَه منها فأدخَلَت يدَها في خِزَامتِه[5] مع الخِطَام، فقال رسولُ الله ﷺ: «أأُمّ سُلَيمٍ؟» قلت: نَعَم بأبي أنتَ وأُمّي يا رسولَ الله، اقتُلْ هؤلاءِ الذين يَنهَزِمون عنك كما تَقتُلُ الذين يُقاتِلونَك، فإنّهم لذلك أهلٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أوْ يَكْفي اللهُ يا أمَّ سُلَيمٍ»، قال: ومعها خِنجَرٌ، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخِنجَرُ معكِ يا أمَّ

(١) الثَّفَر: هو الحزام الذي في مؤخَّر السَّرج الذي يشدّه على دُبر الدابة.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٧٦ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٢٣٢) من طريق محمد بن سلمة، كلاهما عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وزاد فيه الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ٩٠٠ حيث رواه عن عبد الرحمن بن عبد العزيز الأنصاري عن عاصم بن عمر: أن أبا سفيان بن الحارث كان مقنَّعاً بالحديد يومئذٍ، فلا يُرَى منه شيء.

وأخرج قصة الرجل من هوازن صاحب الراية: أحمد (١٥٠٢٧) من طريق إبراهيم بن سعد، وابن حبان (٤٧٧٤) من طريق عبد الأعلى بن عبد الأعلى، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٢٧-١٢٨ من طريق يونس بن بكير، ثلاثتهم عن ابن إسحاق، به.

وقول أبي سفيان للنبي ﷺ: أنا ابن أمّك، إنّما هو ابن عمِّه، لكنه أراد أن يتقرّب إليه، لأن الأم التي هي الجَدّة قد تجمعهم في النسب. قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٨٦-٣٨٧.

(٣) وهي أم أنس بن مالك، مشهورة بكُنيتها وفي اسمها خلاف كثير، وتزوجها بعد مالك والد أنسٍ أبو طلحة: وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرامٍ الأنصاري النَّجّاري.

(٤) أي: يغلبها.

(٥) الخِزامة: حَلْقة تُجعَل في أنف البعير، والخِطَام: الحبل الذي يُربَط بها يُقاد به البعير.

سُلَيمٍ؟ قالت: خِنجَرٌ أخذتُه، إنْ دَنَا منّي أَحدٌ من المشركين بَعَجتُه، قال: يقول أبو طلحة: ألا تَسمَعُ يا رسولَ الله ما تقول أمُّ سُلَيمٍ الرُّمَيصاءُ[1]!

قال ابن إسحاق: وقد كان رسولُ الله ﷺ حين وَجَّهَ إلى حُنَينٍ، قد ضَمَّ بني سُلَيمٍ إلى الضَّحّاك بن سفيانَ الكِلابيِّ، فكانوا إليه ومعه، ولمّا انهزَمَ الناسُ قال مالكُ بن عَوفٍ يَرتجِزُ بفرسِه:

أقــدِمْ مُحَــاجُ إنّــه يــومٌ نُكُــرْ ... مِثْلي علـى مِثلِـكَ يَحْمـي ويَكُـرّ[2]

إذا أُضِـيعَ الصّـفُّ يومـاً والـدُّبُرْ ... ثــمّ احزَألَّــتْ زُمَــرٌ بعــدَ زُمَــرْ[3]

كتائــبٌ يَكِــلُّ فــيهِنَّ البَصَــرْ ... قـد أطعُـنُ الطَّعنـةَ تَقْـذي بالسُّـبُرْ[4]

حـينَ يُـذَمُّ المسـتكينُ المُنجحِـرْ ... وأطعُــنُ الــنَّجلاءَ تَعْــوي وتَهِــرّ[5]

---

(١) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(غ)، وفي بقية النسخ: الرَّمصاء.

وهذا الخبر صحيح، وإسناده هذا ضعيف لإرساله، فإن عبد الله بن أبي بكر - وهو ابن حزم الأنصاري - من ثقات صغار التابعين وله رواية عن أنس بن مالك، ولعله قد سمعه منه، فإن هذا الحديث مشهور محفوظ عنه.

فقد أخرج نحوه أحمد (١٢٠٥٨) و(١٢٩٧٧) و(١٤٠٤٩)، ومسلم (١٨٠٩)، وأبو داود (٢٧١٨)، وابن حبان (٤٨٣٨) و(٧١٨٥) من طرق عن أنس بن مالك. وبعضهم يزيد فيه على بعض.

(٢) مُحَاج: اسم فرس مالك بن عوف. ويوم نُكُر، أي: شديد صعب. والكَرّ: الرجوع على العدوّ.

(٣) احزألَّت، أي: ارتفعت. وزُمَر: جماعات.

(٤) يكلُّ، أي: يتعب. وتَقذي بالسُّبُر، أي: ترمي الطّعنةُ بالفتائل التي تُجعَل فيها لعلاج الجرح، وذلك لشدّة طعني.

(٥) المستكين: الخاضع الذليل. والمنجحر، أي: الذي يدخل الجُحْر، لخوفه. والنَّجلاء: =

لهـا مـن الجَـوفِ رَشَـاشٌ مُنهمِـرْ تَفهَـقُ تـاراتٍ وحِينـاً تَنفجِـرْ[1]
وثَعلَـبُ العامـلِ فيهـا مُنكسِـرْ يـا زيـدُ يـا ابـن هَمهَـمٍ أيـن تَفِـرّ[2]
قد نَقِدَ[3] الضِّرسُ وقد طالَ العُمُرْ قد عَلِمَ البِيضُ الطّويلاتُ الخُمُرْ
أنّـي في أمثالِهـا غيـرُ غُمُـرْ إذ تُخرَجُ الحاصِنُ من تحتِ السُّتُرْ[4]

وقال مالكُ بن عَوفٍ أيضاً:

أقدِمْ مُحَاجُ إنّها الأساوِرَهْ ولا تَغُرّنَّـكَ رِجـلٌ نـادِرَهْ[5]

قال ابن هشام: وهذانِ البيتانِ لغيرِ مالك بن عوفٍ في غيرِ هذا اليوم[6].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُالله بن أبي بكرٍ، أنه حُدِّثَ عن أبي قَتَادة الأنصاريّ.

وحدّثني مَن لا أتّهمُ من أصحابنا، عن نافع مولى بني غِفارٍ أبي محمّدٍ، عن أبي قَتَادة؛ قالا: قال أبو قَتَادة: رأيت يومَ حُنينٍ رجلين يقتتلانِ، مسلماً ومشركاً، قال:

= الضربة الواسعة القاطعة. وتعوي وتهر: تصدر صوتاً لشدّتها.

(١) رشاشٌ: يريد الدم، والمنهمر: المُنصَبّ. وتَفهَق، أي: تنفتح.

(٢) الثّعلب: ما دخل من عصا الرُّمح في السِّنان، والعامل: أعلى الرّمح.

(٣) هكذا في بعض النسخ مصحَّحاً عليه، ومعنى نَقِدَ الضرسُ: تكسَّر أو تآكل، وفي بعضها: نفذ، وفي أخرى: نفد. ومهما يكن من أمرٍ فهو يريد أنه محنَّك مجرِّب.

والبِيض: أراد النساء، ووصفهن بطويلات الخُمُر، جمع خِمار: وهو غطاء الرأس.

(٤) أمثالها: يريد أمثال هذه الوقائع والحروب. والغُمر: الذي لم يجرِّب الأمور. والحاصن: المرأة العفيفة، وفي بعض النسخ: الحاضن، بالضاد: وهي التي تحضن ولدها.

(٥) الأساورة: الفُرسان والرُّماة من الفُرس، واحده: إسوار، بكسر الهمزة وضمّها. ورِجل نادرة: يعني قد نَدَرَت، أي: انقطعت وبَعُدَت.

(٦) يعني أنهما قيلا في يوم القادسية لا في يوم حنين.

وإذا رجلٌ من المشركين يريد أن يُعِينَ صاحبَه المشركَ على المسلم، قال: فأتيته فضَرَبت يدَه فقَطَعتُها، واعتَنَقَني بيده الأُخرى، فوالله ما أرسَلَني حتّى وَجَدتُ ريحَ الدَّم - ويُروَى: ريحَ الموتِ، فيما قال ابن هشام - وكادَ يَقتُلُني، فلولا أنّ الدّمَ نَزَفَه[1] لَقتلني، فسَقَطَ فضربتُه فقتلتُه وأجهَضَني عنه القتالُ[2]، ومَرَّ به رجلٌ من أهلِ مكّة فسَلَبَه، فلمّا وَضَعَت الحربُ أوزارَها[3] وفَرَغْنا من القوم، قال رسولُ الله ﷺ: «مَن قَتَلَ قَتيلاً فلَهُ سَلَبُه» فقلت: يا رسولَ الله، والله لقد قتلتُ قتيلاً ذا سَلَبٍ، فأجهَضَني عنه القتالُ، فما أَدري مَن استَلَبَه! فقال رجلٌ من أهلِ مكّة: صَدَقَ يا رسولَ الله[4]، فأَرضِه عنّي من سَلَبِه، فقال أبو بكرٍ الصِّدّيقُ: لا والله لا يُرضِيهِ منه، تَعمِدُ إلى أَسَدٍ من أُسد الله يقاتلُ عن دينِ الله، تُقاسِمُه سَلَبَه، اردُدْ عليه سَلَبَ قتيلِه، فقال رسول الله ﷺ: «صَدَقَ، اردُدْ عليه سَلَبَه»، قال أبو قَتَادة: فأخذتُه منه فبِعتُه، فاشتَرَيتُ بثَمَنِه مَخرَفاً[5]، فإنّه لَأوّلُ مالٍ اعتَقَدتُه[6].

---

(١) نَزَفَه الدمُ، أي: سال منه حتى أضعفه فأشرف على الموت.

(٢) أجهضني عنه القتال، أي: اشتدّ عليَّ فشغلني عنه.

(٣) السَّلَب: هو ما يأخذه القاتل من القتيل في الحرب مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب ودابة وغيرها. وأوزار الحرب: أثقالها وآلاتها، وقوله: وضعت الحرب أوزارها، هو كناية عن انقضائها.

(٤) زاد هنا في نسخة (غ) وحدها وأشار إليه على حاشيتي (ش١) و(ش٢): وسلبُ ذلك القتيل عندي.

(٥) المَخرَف: بستان من النَّخل، وسُمّي مَخرفاً لأنه يُختَرَف منه التّمر، أي: يُجنَى.

(٦) حديث صحيح، والواسطة المبهمة في الإسناد الأول في الغالب هو نافع أبو محمد نفسه، فإن حديث أبي قتادة هذا مشهور من روايته عنه، وأما في الإسناد الثاني فشيخ ابن إسحاق المبهم فيه هو يحيى بن سعيد الأنصاري، هكذا سمّاه إبراهيم بن سعد في روايته عنه عند أحمد في =

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ عن أبي سَلَمة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالكٍ قال: لقد استَلَبَ أبو طلحة يومَ حُنينٍ وحدَه عشرينَ رجلاً[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ، أنّه حُدِّثَ عن جُبَير بن مُطعِمٍ

= «المسند» (٢٢٦٠٧).

إلا أن يحيى بن سعيد يرويه عن نافع بواسطة عمر بن كثير بن أفلح، هكذا رواه كبار أصحابه عنه كمالكٍ والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وهُشيم بن بشير فيما أخرجه أحمد (٢٢٥١٨) و(٢٢٥٢٧)، والبخاري (٢١٠٠) و(٣١٤٢) و(٤٣٢١) و(٧١٧٠)، ومسلم (١٧٥١)، وأبو داود (٢٧١٧)، وابن ماجه (٢٨٣٧)، والترمذي (١٥٦٢)، وابن حبان (٤٨٠٥) و(٤٨٣٧). وهو عند بعضهم مختصر.

قوله: لأوّلُ مال اعتقدتُه، أي: اتخذتُ منه عُقدةً، والمعنى: جمعتُه، والأصل فيه من العَقْد، لأن مَن مَلَكَ شيئاً عَقَدَ عليه. وعند غير ابن إسحاق: لأول مال تأثّلتُه، ومعناه: تملّكتُه فجعلته أصلَ مالٍ، وأَثَلةُ كل شيء: أصلُه.

(١) حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الواسطة بين ابن إسحاق وأبي سلمة، لكنه متابع، وأبو سلمة هذا: هو حماد بن سلمة البصري، وهو ممّن روى عن ابن إسحاق، إلا أن هذه الرواية هنا من باب رواية الشيخ عن تلميذه لكن بواسطة، والحديث مشهور بحمّاد عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة.

فقد أخرجه أحمد (١٢١٣١) و(١٢٢٣٦) و(١٢٩٧٧) و(١٣٩٧٥)، وأبو داود (٢٧١٨)، وابن حبان (٤٨٣٦) و(٤٨٣٨)، والحاكم (٢٦٢٣) و(٥٦٠٢) من طرق عن حماد بن سلمة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس. وبعضهم يزيد فيه على بعض.

وأخرجه أحمد أيضاً (١٣٠٤١)، وابن حبان (٤٨٤١) من طريق أبي أيوب الإفريقي الأزرق، عن إسحاق بن أبي طلحة، به.

وأبو طلحة هذا: هو زيد بن سهل الأنصاري النَّجّاري، زوج أم سُليمٍ والدة أنس بن مالك.

قال: لقد رأيتُ قبلَ هزيمةِ القوم والناسُ يقتتلون، مِثلَ البِجَادِ[1] الأسوَدِ أقبَلَ من السماءِ حتّى سَقَطَ بيننا وبينَ القوم، فنَظَرتُ فإذا نَملٌ أسوَدُ مَبثُوثٌ[2] قد مَلأ الوادي لم أشُكَّ أنّها الملائكةُ، ولم يكن إلّا هَزِيمةُ القوم[3].

قال ابن إسحاق: ولمّا هَزَمَ اللهُ المشركين من أهلِ حُنينٍ وأمكَنَ رسولَ الله ﷺ منهم، قالت امرأةٌ من المسلمين:

قد غَلَبَتْ خيلُ الله خيلَ اللّاتِ ... واللهُ أحـــقُّ بالثَّبـــاتِ

قال ابن هشام: أنشدني بعضُ أهلِ العلم بالرّواية للشِّعر:

غَلَبْتِ خيلَ الله خيلَ اللّاتِ ... وخيلُـــهُ أحـــقُّ بالثَّبـــاتِ

قال ابن إسحاق: فلمّا انهَزَمَت هَوازِنُ استَحَرَّ القتلُ[4] من ثَقيفٍ في بني مالك، فقُتِلَ منهم سبعون رجلاً تحت رايتِهم فيهم عثمانُ بن عبد الله بن رَبِيعة بن الحارث

---

(١) البجاد: هو الكِساء.

(٢) مبثوث: متفرق، يعني رآه ينزل من السماء.

(٣) إسناده ضعيف لانقطاعه بين إسحاق بن يسار وجبيرٍ.

ورواه سلمة بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٧٧، ويونسُ بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٤٦، كلاهما عن ابن إسحاق عن أبيه عمّن حدَّثه عن جبير، كرواية البكّائي عن ابن إسحاق.

ورواه جريرُ بن حازم عند البيهقي أيضاً ٣/ ٦١ عن ابن إسحاق عن أبيه عن جبير بن مطعم، بالعنعنة. والعنعنة لا تعني بالضرورة اتصالَ السند كما هو معروف مقرَّر عند أهل الحديث.

وخالف حمادُ بن سلمة عند الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٥٧١) و(٧٤٢٠)، فرواه عن ابن إسحاق عن أبيه قال: سمعت جبير بن مطعم. فصرّح بذكر السماع، وهذه رواية شاذّة، ولا يُعرَف لإسحاق بن يسار ـ وهو من صغار التابعين ـ سماعٌ من جبيرٍ.

(٤) أي: اشتدّ وكَثُر.

ابن حُبيِّبٍ[1]، وكانت رايتُهم مع ذي الخِمَار[2]، فلمّا قُتِلَ أخَذَها عثمانُ بن عبدالله، فقاتل بها حتّى قُتِل.

قال ابن إسحاق: وأخبرني عامرُ بن وهب بن الأسوَد قال: لمّا بَلَغَ رسولَ الله ﷺ قتلُه قال: «أَبعَدَه اللهُ، فإنَّه كان يُبغِضُ قُرَيشاً»[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوبُ بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنَس[4]: أنه قُتِلَ

---

(١) بالتثقيل مصغَّراً، انظر «الإكمال» لابن ماكولا ٢/ ٢٩٨، و«توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين الدمشقي ٣/ ٣٧٢، و«تبصير المنتبه» لابن حجر ١/ ٤٠٨.

(٢) واسمه سُبيع بن الحارث بن مالك كما تقدم ص١٢٢-١٢٣.

(٣) إسناده ضعيف لجهالة عامر بن وهب وإرساله إياه.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٧٧ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، عن محمد بن إسحاق، به.

ورواه معمرٌ في «جامعه» (١٩٩٠٤)، وصالحُ بن كيسان عند العراقي في «محجة القُرَب إلى محبة العرب» (١٢٨)، كلاهما (معمر وصالح) عن الزهري: أن رجلاً من ثقيف... وذكره. وهو ضعيف لإرساله.

ووصله جبير بن أبي صالح عن الزهري عن سعد بن أبي وقاص، إلا أنه لم يسم الرجل ولا المكان، أخرجه ابن أبي شيبة ١٢/ ١٧٣، وعنه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥٢٥). وهذا إسناد ضعيف لا يصح، لجهالة جبير بن أبي صالح وانقطاعه بين الزهري وسعد، فإن الزهري لم يسمع منه.

ورواه موصولاً أيضاً البزار في «مسنده» (١١٨٣) ـ ومن طريقه العراقي في «المحجة» (١٢٩) ـ بإسناد مسلسل بالمجاهيل عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه. أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٢٧ وقال: فيه من لم أعرفه.

(٤) يعقوب هذا ثقة لكنه من أتباع التابعين، فخبره هذا معضلٌ لم يسنده.

ورواه عنه بنحوه الواقديُّ في «المغازي» ٣/ ٩١١.

مع عثمانَ بن عبدِ الله غلامٌ له نصرانيٌّ أغرَلُ[1]، قال: فبَيْنا رجلٌ من الأنصار يَسلُبُ قَتلَى ثقيفٍ، إذ كَشَفَ العبدَ يَسلُبُه فوَجَدَه أغرَلَ، قال: فصاحَ بأعلى صوته: يا مَعشَرَ العرب، يَعلَمُ اللهُ أنّ ثقيفاً غُرْلٌ، قال المغيرةُ بن شُعْبة: فأخذتُ بيده وخَشِيتُ أن تذهبَ عنّا في العرب، فقلت: لا تَقُلْ ذاكَ فِداكَ أَبي وأُمّي، إنّما هو غلامٌ لنا نصراني، قال: ثمّ جَعَلتُ أَكشِفُ له عن القتلى وأقولُ: ألا تَرَاهم مُختَنِينَ كما تَرَى.

قال ابن إسحاق: وكانت رايةُ الأحلافِ مع قاربِ بن الأسودِ، فلمّا انهَزَمَ الناسُ أسنَدَ رايتَه إلى شجرةٍ وهَرَبَ هو وبنو عمِّه وقومُه من الأحلاف، فلم يُقتَلْ من الأحلافِ غيرُ رجلين: رجلٍ من غِيَرةَ يقال له: وهبٌ، وآخرَ من بني كُنَّةَ[2] يقال له: الجُلَاحُ، فقال رسولُ الله ﷺ حين بَلَغَه قتلُ الجُلَاح: «قُتِلَ اليومَ سيِّدُ شَبَابِ ثَقِيفٍ إلَّا ما كان من ابنِ هُنَيدةَ»[3]؛ يعني بابن هُنَيدةَ الحارثَ بن أُوَيسٍ.

فقال عبّاسُ بن مِرْداسٍ السُّلَميّ يذكرُ قاربَ بن الأسودِ وفِرارَه من بني أَبيه، وذا الخِمَارِ وحَبْسَه قومَه للموت:

أَلَا مَـن مُبلِـغٌ غَـيْلانَ عنّـي ... وسـوفَ إخـالُ يأتيـهِ الخَبيـرُ

وعُـرْوةَ إنّمـا أُهـدي جَوابـاً ... وقـولاً غيـرَ قولِكمـا يَسـيرُ[4]

---

(١) الأغرل: هو الذي ليس بمُختتِن، والغُرْلة: هي الجلدة على رأس الذَّكر يقطعها الخاتن.

(٢) هكذا في نسخنا الخطية غير (غ): كُنّة، بالنون، وفي (غ) ونسخة على حاشية (ش٢): كُبّة، بالباء، وكذلك وقع في «إملاء الخشني» ص٣٨٨ أنه: كبّة، بالباء، والصواب أنه بالنون، انظر «الاشتقاق» لابن دريد ص٢٨، و«أنساب الأشراف» للبلاذري ١٣/ ٣٤٣ وساق أبياتاً من الشعر يؤيد كونه بالنون.

(٣) ضعيف لا يصح لإعضاله، فإن ابن إسحاق لم يُسنده وكذا الواقدي في «مغازيه» ٣/ ٩٠٧.

(٤) غيلانُ وعروةُ المذكوران سيأتي لاحقاً بيان ابن هشام لهما أنهما غيلان بن سلمة وعروة =

بـأنّ محمّـداً عبـدٌ رسـولٌ ... لـرَبٍّ[1] لا يَضِـلُّ ولا يَجُـورُ

وَجَـدْناه نبيّـاً مِثـلَ موسـى ... فكـلُّ فتًـى يُخـايِرُه مَخِيـرُ[2]

وبِـئسَ الأمـرُ أمـرُ بنـي قَسِـيٍّ ... بـوَجٍّ إذ تُقُسِّـمَت الأُمـورُ[3]

أضـاعوا أمـرَهمْ ولكـلِّ قـومٍ ... أميـرٌ والـدّوائرُ قـد تَـدُورُ

فجِئنـا أُسْـدَ غابـاتٍ إلـيهمْ ... جنـودُ الله ضـاحيةً تَسـيرُ[4]

نَـؤُمُّ الجَمْـعَ جمـعَ بنـي قَسِـيٍّ ... علـى حَنَـقٍ نَكـادُ لـه نَطيـرُ[5]

وأُقسِـمُ لـوْ همُ مَكَثـوا لَسِـرْنا ... إلـيهمْ بـالجنودِ ولـم يَغُـوروا[6]

فكُنّـا أُسْـدَ لِيّـةَ ثَـمَّ حتّـى ... أبَحْناهـا وأُسـلِمَتِ النُّصـورُ[7]

ويـومٌ كـان قبـلُ لـدى حُنَـينٍ ... فـأقلَعَ والـدّماءُ بـه تَمُـورُ[8]

مـن الأيّـام لـم نَسـمَع كيـومٍ ... ولـم يَسـمَع بـه قـومٌ ذُكـورُ

= ابن مسعود الثقفيّان.

(١) في بعض النسخ: لربّي. والجَوْر: الظُّلم.

(٢) يخايره: يقول له: أنا خير منك، ومَخِيرٌ: هو اسم مفعول، أي: مغلوب في الخير.

(٣) قَسِيّ: اسم ثقيف. ووج: هو وادي الطائف الرئيس، وهو يقسمها إلى شطرين من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي.

(٤) ضاحية، أي: بارزة لا تخفى.

(٥) نؤمّ، أي: نقصد. والحَنَق: الغضب.

(٦) لم يغوروا، أي: لم يذهبوا.

(٧) لِيّة: وادٍ من أكبر أودية الطائف، كثير المياه والزروع، يمرُّ في جنوبها على قرابة ١٥ كم متجهاً نحو الشرق.

والنصور: هم بنو نصر من هوازن، وهم رهط مالك بن عوف النصري.

(٨) تمور: تسيل.

قَتَلْنا في الغُبارِ بني حُطَيطٍ ... على راياتِها والخيلُ زُورُ[1]

ولم يَكُ ذو الخِمارِ رئيسَ قومٍ ... لهم عَقلٌ يُعاتِبُ أو نَكيرُ

أقامَ بهم على سَنَنِ المَنايا ... وقد بانَتْ لمُبصِرِها الأُمورُ[2]

فأفلتَ مَن نَجَا منهمْ جَريضاً ... وقُتِّلَ منهمُ بشرٌ كثيرُ[3]

ولا يُغْني الأُمورَ أخو التَّوَاني ... ولا الغَلِقُ الصُّرَيِّرةُ الحَصُورُ[4]

أحانَهمُ وحانَ ومَلَّكوهُ ... أُمورَهمُ وأُفلِتَت الصُّقورُ[5]

بنو عَوفٍ تَميحُ بهمْ جِيادٌ ... أُهِينَ لها الفَصافِصُ والشَّعيرُ[6]

فلولا قاربٌ وبنو أبيهِ ... تُقُسِّمتَ المزارعُ والقُصورُ

ولكنَّ الرّياسةَ عُمِّموها ... على يُمْنٍ أشارَ به المُشِيرُ[7]

---

(١) بنو حطيط: من ثقيف، وهم بنو مالكٍ أحدُ قبيلَي ثقيفٍ، ومنهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة صاحب لواء المشركين يوم حنين، وقتل يومئذٍ كافراً كما سبق. وزُورٌ: مائلة.

(٢) سَنَن المنايا: طريقها. وبانت: وضحت وظهرت.

(٣) الجريض: الذي يبتلع ريقه بغصّة من الهمّ والحزن.

(٤) في (ت) و(ص) و(ط) و(ق٢) و(م): الصُّريْرة والحَصور.

والتواني: الفتور في العمل والتكاسل فيه. والغَلِق: الكثير الحِوَج، كأنه تنغلق عليه أموره. والصُّرَيِّرة: تصغير الصَّرورة، وهو والحَصُور بمعنى واحد، وهو في الأصل: الذي لا يأتي النساء، لكن الظاهر أن المراد بهما هنا العييّ الهَيُوب المُحجِم عن الشيء.

(٥) أحانهم وحان: أهلَكَهم وهلك. وأُفلِتت، أي: تُركت، وأراد بالصقور السادةَ الكبار المجرِّبين.

(٦) تميح: تمشي مشياً حسناً. والفصافص: جمع فِصفِصة، وهي البَقْلة التي تأكلها الدوابّ ويسمّى البرسيم.

(٧) عُمِّموها، أي: أُسندت إليهم وقُدِّموا لها.

أطـاعوا قاربـاً ولهـمْ جُـدودٌ وأحـلامٌ إلـى عِـزٍّ تَصـيرُ[1]
فـإن يُهـدَوا إلـى الإسـلام يُلفَـوا أُنوفَ النـاس مـا سَـمَرَ السَّميرُ[2]
وإن لـم يُسـلِموا فهـمُ أَذانٌ بحـربِ الله لـيس لهـمْ نَصـيرُ
كما حَكَّت بني سعدٍ وجَرَّتْ بـرَهطِ بنـي غَزِيّـةَ عَنقَفيـرُ[3]
كـأنَّ بنـي معاويـةَ بـنِ بكـرٍ إلـى الإسـلامِ ضـائنةٌ تَخُـورُ[4]
فقلنـا: أسـلِموا إنّـا أَخُـوكم وقد بَرَأَت من التِّرَةِ[5] الصُّدورُ
كـأنّ القـومَ إذ جـاؤُوا إلينـا مـن البَغضـاءِ بعـد السِّـلمِ عُـورُ[6]

قال ابن هشام: غَيْلانُ: غَيلانُ بن سَلَمة الثَّقفيّ، وعُرْوةُ: عُروةُ بن مسعودٍ الثَّقفيّ.

قال ابن إسحاق: ولمّا انهَزَمَ المشركون أتَوُا الطّائفَ ومعهم مالكُ بن عوفٍ،

---

(١) الجُدود: الحُظوظ، واحدها: جَدٌّ. والأحلام: العقول.

(٢) أنوف الناس: أشرافهم والمقدَّمون فيهم. والسَّمير: جماعة السُّمّار وهم الذين يجتمعون للحديث بالليل.

(٣) وجرَّت: هكذا في (غ) و(ش١) و(ش٢)، أي: جَنَتْ، وفي بقية النسخ: وحرب، وما أثبتناه أوجهُ.

والعنقفير: الداهية من دواهي الزمن.

وبنو سعد وبنو غَزِيّة كلاهما من هوازن.

(٤) الضائنة: الضأن من الشاءِ. وتخور، أي: تصيح.

(٥) في (غ) ونسخة على حاشية (ش٢): من الإحَن، وهي الأحقاد، والتِّرَة: العداوة وطلب الثأر.

(٦) عُورٌ: الظاهر أنها جمع عارٍ، يريد أنهم بعدما يدخلون في السِّلم (وهو الإسلام) سيذهب ما بهم من البغضاء لنا.

وعَسكَرَ بعضُهم بأوطاسٍ، وتَوجَّهَ بعضُهم نحوَ نَخْلة[1]، ولم يكن فيمن تَوجَّهَ نحوَ نخلةَ إلّا بنو غِيَرةَ من ثقيفٍ، وتَبِعَت خيلُ رسول الله ﷺ مَن سَلَكَ في نخلةَ من الناس ولم تَتبَعْ مَن سَلَكَ الثَّنايا[2].

فأدرَكَ ربيعةُ بن رُفَيع بن أُهْبانَ بن ثَعْلبة بن ربيعة بن يَربُوع بن سَمّال[3] بن عَوْف بن امرِئِ القيس، وكان يقال له: ابنُ الدُّغُنّة، وهي أمُّه، فغَلَبَت على اسمه - ويقال: ابنُ لَذْعة فيما قال ابن هشام - دُريدَ بنَ الصِّمّة، فأَخذَ بخِطام جملِه وهو يَظُنُّ أنّه امرأةٌ، وذلك أنّه في شِجَارٍ له[4]، فإذا برجلٍ فأناخَ به، فإذا شيخٌ كبيرٌ، وإذا هو دُرَيدُ بن الصِّمّة ولا يَعرِفُه الغلام، فقال دُريدٌ له: ماذا تريدُ بي؟ قال: أقتلُك، قال: ومَن أنت؟ قال: أنا ربيعةُ بن رُفَيع السُّلَميّ، ثمّ ضربه بسيفه فلم يُغْنِ شيئاً، فقال: بئسَ ما سَلَّحَتك أمُّك، خُذْ سيفي هذا من مُؤخَّر الرَّحْل في الشِّجار ثمّ اضرِبْ به، وارفَعْ عن العِظام واخفِضْ عن الدِّماغ، فإنّي كذلك كنت أضرِبُ الرّجالَ، ثمّ إذا أتيتَ أمَّك فأخبِرْها أنّك قتلتَ دُريدَ بنَ الصِّمّة، فرُبَّ - واللهِ - يومٍ قد مَنَعتُ فيه نساءَك.

---

(١) أوطاس: واد في ديار هوازن بين حنين والطائف. وأما نخلة: فتقع شمال شرق مكة على قرابة ٤٥ كم.

(٢) جمع ثَنِيّة: وهي العقبة المسلوكة في الجبل.

(٣) هكذا هو بلامٍ في (ي) ونسخة في (غ) و(م)، وفي بقية النسخ: سِمَاك، بكاف، والراجح الأول، وهو بفتح السين وتشديد الميم كما قيّده الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٣/ ١٢٤٢ وابن ماكولا في «الإكمال» ٤/ ٣٥٣، وذكره المِزّي في ترجمة مجاشع بن مسعود السُّلمي من «تهذيب الكمال» ٢٧/ ٢١٤ بالكاف ثم قال: وقيل: باللام.

(٤) الشِّجار: مَركَب فوق الجمل شِبْه الهودج إلا أنه مكشوف الأعلى.

فزَعَمَ بنو سُلَيمٍ: أنّ ربيعةَ قال: لمّا ضربتُه فوَقَعَ تكشَّفَ، فإذا عِجَانُه[1] وبطونُ فَخِذَيهِ مِثلُ القِرْطاس من ركوب الخيل أَعراءَ[2]؛ فلمّا رجع ربيعةُ إلى أمِّه، أخبرها بقتلِه إيّاه، فقالت: أمَا والله لقد أعتَقَ أُمّهاتٍ لك ثلاثاً.

فقالت عَمْرةُ بنت دُريدٍ في قتل ربيعة دُريداً:

لَعَمرُكَ ما خَشِيتُ على دُرَيدٍ ... بِبَطنِ سُمَيرةٍ جيشَ العَنَاقِ[3]

جَزَى عنه الإلٰهُ بني سُلَيمٍ ... وعَقَّتهمْ بما فعلوا عَقَاقِ[4]

وأَسقانا إذا قُدْنا إليهمْ ... دِماءَ خيارِهم عند التَّلاقي

فرُبَّ عظيمةٍ دافعتَ عنهمْ ... وقد بَلَغَت نفوسُهمُ التَّراقي[5]

ورُبَّ كريمةٍ أعتقتَ منهمْ ... وأُخرى قد فَكَكتَ من الوَثَاقِ[6]

ورُبَّ مُنَوِّهٍ بكَ من سُلَيمٍ ... أجَبتَ وقد دعاكَ بلا رِمَاقِ[7]

فكان جَزاؤُنا منهمْ عُقوقاً ... وهَمّاً ماعَ منهُ مُخُّ ساقي[8]

---

(١) العِجَان: ما بين الخُصْية وحَلْقة الدُّبر.

(٢) القرطاس: الصحيفة يُكتب فيها. وأعراء: جمع عُرْي، وهو الفرس الذي لا سَرْج له.

(٣) سميرة: واد قرب نخلة قتل فيه دريد بن الصِّمّة. والعَنَاق: الخَيْبة، وهي تهجو جيش المسلمين وتصفه بذلك، والعَنَاق أيضاً: الداهية والأمر الشديد، فإن أرادت هذا، فهي بذلك تتمدّح بشجاعة والدها والتصبّر لمثل هذا الجيش.

(٤) عَقَاق: على وزن فَعَال، من العُقوق.

(٥) التراقي: جمع تَرقُوَة، وهي عظام الصدر.

(٦) الوثاق: ما يُشدّ به كالحبل وغيره، والمراد به: الأَسْر.

(٧) المنوِّه: الذي يناديك بأشهر أسمائك نداءً ظاهراً. والرّماق، بفتح الراء وكسرها: بقيّة الحياة.

(٨) ماع، أي: ذاب وسال، يعني من الهمِّ والحزن.

عَفَتْ آثارُ خيلِك بعدَ أَيْنٍ فذِي[1] بَقَرٍ إلى فَيفِ النُّهَاقِ

وقالت عَمْرةُ بنت دُريدٍ أيضاً:

قالوا: قتلنا دُرَيداً قلتُ: قد صَدَقوا فظَلَّ دمعي على السِّربالِ يَنحدِرُ[2]

لولا الذي قَهَرَ الأقوامَ كلَّهمُ رأَتْ سُلَيمٌ وكعبٌ كيفَ تأتمِرُ

إذاً لَصبَّحَهم غِبّاً وظاهرةً حيثُ استقرَّتْ نَوَاهمْ جَحفَلٌ ذَفِرُ[3]

قال ابن هشام: ويقال: اسم الذي قتل دُريداً: عبدُ الله بن قُنَيع بن أُهْبانَ بن ثَعْلبة ابن ربيعة.

قال ابن إسحاق: وبَعَثَ رسولُ الله ﷺ في آثار مَن تَوجَّهَ قِبَلَ أَوطاسٍ أبا عامرٍ الأشعريَّ، فأدرَكَ من الناس بعضَ من انهزَمَ فناوَشُوه القتالَ[4] فرُمِيَ أبو عامرٍ بسهمٍ فقُتِلَ، فأَخذَ الرّايةَ أبو موسى الأشعريّ، وهو ابنُ عمِّه، فقاتلهم ففَتَحَ اللُه عليه وهَزَمَهم الله. فيَزعُمون: أنّ سَلَمةَ بن دُريدٍ هو الذي رَمَى أبا عامرٍ الأشعريَّ بسهمٍ فأصاب رُكْبتَه فقتله، فقال:

---

(١) في (ش١) و(ش٢): بذي.

وعَفَت: دَرَسَت وتغيّرت. وأينٌ وذو بقرٍ - ويروى: ذو نفر - وفَيف النُّهاق، هذه كلها أسماء مواضع، والفَيْف: الأرض القَفْر.

(٢) السِّربال: كل ما يُلبَس.

(٣) أصل الغِبّ: أن تَرِدَ الإبلُ الماءَ يوماً وتدعه يوماً، والظاهرةُ: أن تردَه كلَّ يوم، فضربته هاهنا مثلاً، تريد: لَأكثرَ الغارةَ عليهم جحفلٌ، أي: جيش كثير. وذَفِرٌ: كريه الرائحة من سَهَك السلاح وصدأ الحديد. ونواهم، أي: بُعدهم، تريد: حيثما استقرّت ديارهم.

(٤) يقال: تناوش القومُ في القتال، إذا تناول بعضُهم بعضاً بالرماح أو بالسهام ولم يتدانوا كلَّ التداني.

إن تَسألوا عنّي فإنّي سَلَمَهْ ابنُ سَمادِيرَ لِمَن تَوسَّمَهْ[1]
أضرِبُ بالسّيفِ رُؤوسَ المُسلِمَهْ

وسماديرُ أمُّه.

واستَحَرَّ القتلُ[2] من بني نَصرٍ في بني رِئابٍ، فزَعَموا أنّ عبدَ الله بن قيسٍ ـ وهو الذي يقال له: ابنُ العَوراءِ، وهو أحدُ بني وهب بن رِئابٍ ـ قال: يا رسولَ الله، هَلَكَت بنو رِئابٍ، فزَعَموا أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «اللّهمَّ اجبُرْ مُصِيبتَهم»[3].

وخرج مالكُ بن عوفٍ عند الهزيمة فوَقَفَ في فوارسَ من قومه على ثَنيّةٍ[4] من الطّريق وقال لأصحابه: قِفُوا حتّى يمضيَ ضُعفاؤُكم وتَلحَقَ أُخراكم. فوَقَفَ هناك حتّى مضى مَن كان لَحِقَ بهم من مُنهَزِمة النّاس، فقال مالكُ بن عوفٍ في ذلك:

ولولا كَرّتانِ على مُحَاجٍ لَضاقَ على العَضاريطِ الطَّريقُ[5]
ولولا كَرُّ دُهْمانَ بنِ نَصرٍ لَدَى النَّخَلاتِ مُندفَعَ الشَّدِيقِ[6]
لَآبَت جعفرٌ وبنو هِلالٍ خَزَايا مُحقِبينَ على شُقوقِ[7]

---

(١) لمن توسَّمه، أي: لمن استدلّ عليه ونظر فيه.

(٢) أي: اشتدّ وكَثُر.

(٣) خبر ضعيف لم يسنده ابن إسحاق، وكذا رواه الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ٩١٦، ولم يسنده أيضاً.

(٤) الثنية: موضع مرتفع بين جبلين، وهو ممرٌّ بينهما.

(٥) محاج: اسم فرسه. والعضاريط: جمع عُضْروط، وهم الأتباع. وفي البيت إقواءٌ.

(٦) الشديق: ذكر ياقوت في «معجم البلدان» أنه واد بأرض الطائف.

(٧) آبَتْ: رجعت. ومحقبين: مُردِفين لمن انهزم منهم على حُقُبهم، والحقيبة: ما يجعله الراكب وراءه. وعلى شقوق، أي: على مشقّة. وبنو جعفر وبنو هلال من بطون هوازن.

قال ابن هشام: هذه الأبياتُ لمالك بن عوفٍ في غير هذا اليوم، وممّا يَدُلُّك على ذلك قولُ دُريد بن الصِّمّة في صدر هذا الحديث: ما فعلت كعبٌ وكِلابٌ؟ فقالوا له: لم يَشهَدْها منهم أَحدٌ؛ وجعفرٌ ابنُ كلابٍ، وقال مالكُ بن عوفٍ في هذه الأبيات: لَآبَت جعفرٌ وبنو هِلالٍ.

قال ابن هشام: وبَلَغَني: أنّ خيلاً طَلَعَت ومالكٌ وأصحابُه على الثَّنِيّة، فقال لأصحابه: ماذا تَرَون؟ فقالوا: نرى قوماً واضِعِي رماحِهم بين آذان خيلِهم، طويلةً بَوَادُّهم[1]، قال: هؤلاءِ بنو سُلَيم، ولا بأسَ عليكم منهم، فلمّا أقبَلُوا سَلَكوا بطنَ الوادي، ثمّ طَلَعَت خيلٌ أُخرى تَتبَعُها، فقال لأصحابه: ماذا تَرَون؟ قالوا: نرى قوماً عارِضِي رماحِهم، أَغفالاً[2] على خيلهم، قال: هؤلاءِ الأوسُ والخَزْرجُ، ولا بأسَ عليكم منهم. فلمّا انتَهَوا إلى أصلِ الثَّنِيّة سَلَكوا طريقَ بني سُلَيم، ثمّ طَلَعَ فارسٌ، فقال لأصحابه: ماذا تَرَون؟ قالوا: نرى فارساً طويلَ البادِّ، واضعاً رمحَه على عاتِقِه، عاصباً رأسَه بمُلَاءةٍ[3] حمراءَ، فقال: هذا الزُّبيرُ بن العوّام، وأحلِفُ باللّاتِ لَيُخالِطنَّكم فاثبُتُوا له، فلمّا انتهى الزُّبيرُ إلى أصلِ الثَّنِيّة أبصَرَ القومَ فصَمَدَ لهم[4]، فلم يَزَلْ يُطاعنُهم حتّى أزاحَهم عنها[5].

قال ابن إسحاق: وقال سَلَمةُ بن دُريدٍ وهو يَسُوقُ بامرأته حتّى أعجَزَهم:

---

(١) البوادّ: جمع البادّ، وهو باطن الفخذ.

(٢) قوله: عارضي رماحِهم، أي: واضعيها بالعَرْض، وهو كناية عن عدم مبالاتهم بأعدائهم. وأغفالاً: جمع غُفْل، وهو الذي لا علامة له، يريد أنهم لم يُعلِموا أنفسهم بشيء يُعرَفون به.

(٣) العاتق: ما بين المَنكِب والعنق. والمُلاءة: المِلحَفة صغيرة كانت أو كبيرة.

(٤) صمد لهم، أي: قَصَدَهم.

(٥) أزاحهم عنها: أزالهم عنها ونحّاهم.

نَسَّـيتِني مـا كنـتِ غيـرَ مُصـابةٍ ولقـد عَرَفـتِ غَـداةَ نَعْـفِ الأظـرُبِ[1]
أنّـي مَنَعتُـكِ والرُّكـوبُ مُحبَّـبٌ ومَشَيتُ خَلفَك مثلَ مَشيِ الأنكَبِ[2]
إذ فَـرَّ كـلُّ مُهـذَّبٍ ذي لِمّـةٍ عـن أُمّـهِ وخليلِـهِ لـم يَعقِـبِ[3]

قال ابن هشام: وحدّثني مَن أثِقُ به من أهلِ العلم بالشِّعر وحديثِه: أنّ أبا عامرٍ الأشعريَّ لَقِيَ يومَ أوطاسٍ عشرةَ إخوةٍ من المشركين، فحَمَلَ عليه أحدُهم، فحَمَلَ عليه أبو عامرٍ وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللّهمَّ اشهَدْ عليه، فقتله أبو عامر، ثمّ حَمَلَ عليه آخرُ فحَمَلَ عليه أبو عامرٍ وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللّهمَّ اشهَدْ عليه، فقتله أبو عامر، ثمّ جَعَلوا يَحمِلُون عليه رجلاً رجلاً، ويَحمِلُ أبو عامرٍ وهو يقول ذلك، حتّى قتل تسعةً وبَقِيَ العاشرُ، فحَمَلَ على أبي عامرٍ، وحَمَلَ عليه أبو عامرٍ وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللّهمَّ اشهَدْ عليه، فقال الرّجلُ: اللّهمَّ لا تَشهَدْ عليَّ، فكَفَّ عنه أبو عامرٍ فأفلَتَ، ثمّ أسلَمَ بعدُ فحَسُنَ إسلامُه، فكان رسولُ الله ﷺ إذا رآه قال: «هذا شَرِيدُ أَبي عامرٍ»[4].

ورَمَى أبا عامرٍ أخَوانِ: العلاءُ وأَوفَى ابنا الحارث، من بني جُشَم بن معاوية،

(١) النَّعف: أسفل الجبل. والأظرُب: جمع ظَرِبٍ، وهو الجبل الصغير.

(٢) الأنكَب: المائل إلى جهة.

(٣) المهذَّب: الخالص من العيوب، والمهذَّب أيضاً: المُسرِع، من الإهذاب في السير، وهو السُّرعة. وذو لِمّة، أي: صاحب شعرٍ يجاوز شحمة أذنه. والخليل: الصاحب. ولم يعقب: لم يرجع.

(٤) خبر ضعيف لإعضاله وإبهام رواته. ولم نقف عليه عند غير ابن هشام.

وروى نحو قصة هؤلاء العشرة دون المرفوع إلى النبي ﷺ: الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ٩١٥-٩١٦ عن سلمة بن الأكوع دون إسناد إليه، وجعل العاشر هو قاتل أبي عامر، ولم يذكر فيه أنهم إخوة. وهذا ضعيف أيضاً.

فأصاب أحدُهما قلبَه والآخرُ رُكبتَه، فقتلاه، ووَلِيَ الناسَ أبو موسى الأشعريُّ، فحَمَلَ عليهما فقتلهما[1].

فقال رجلٌ من بني جُشَم بن معاوية يَرثِيهما:

---

(١) قد روى خبر أبي عامر وأبي موسى الأشعريَّين هذا أبو موسى نفسه فيما أخرجه البخاري (٤٣٢٣) ومسلم (٢٤٩٨) ـ واللفظ له ـ قال: لمّا فرغ النبيُّ ﷺ من حنينٍ بَعَثَ أبا عامرٍ على جيش إلى أوطاس، فلقي دريدَ بن الصِّمّة، فقُتِل دريدٌ وهزم الله أصحابه.

قال أبو موسى: وبَعَثَني مع أبي عامر، فرُمِيَ أبو عامر في ركبته، رماه رجل من بني جُشَم بسهم، فأثبَتَه في ركبته، فانتهيت إليه فقلت: يا عمِّ، مَن رماك؟ فأشار أبو عامر إلى أبي موسى فقال: إنّ ذاك قاتلي، تراه ذلك الذي رماني، قال أبو موسى: فقَصَدتُ له فاعتمدتُه فلحقته، فلمّا رآني ولّى عنّي ذاهباً، فاتبعته وجعلتُ أقول له: ألا تستحيي، ألستَ عربيّاً، ألا تَثبُت! فكَفَّ، فالتقيتُ أنا وهو فاختلفنا أنا وهو ضربتين، فضربتُه بالسيف فقتلته.

ثم رجعتُ إلى أبي عامر فقلت: إن الله قد قتل صاحبك.

قال: فانزِعْ هذا السهم، فنزعتُه فنَزَا منه الماءُ، فقال: يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرِئْه مني السلام، وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفِرْ لي، قال: واستعملني أبو عامرٍ على الناس، ومَكَثَ يسيراً ثم إنه مات.

فلما رجعتُ إلى النبي ﷺ دخلت عليه، وهو في بيت (يعني خِباءً كالخيمة) على سرير مُرمَل (أي: منسوج من سَعَف النخيل) وعليه فراش، وقد أثّر رمالُ السرير بظهر رسول الله ﷺ وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقلت له: قال: قل له: يستغفرْ لي، فدعا رسول الله ﷺ بماءٍ فتوضأ منه، ثم رفع يديه ثم قال: «اللهمّ اغفِرْ لعُبيدٍ أبي عامر» حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: «اللهمّ اجعله يوم القيامة فوقَ كثيرٍ من خلقك ـ أو من الناس ـ» فقلت: ولي يا رسول الله فاستغفِرْ، فقال رسول الله ﷺ: «اللهمّ اغفِرْ لعبدِ الله بن قيسٍ ذنبَه، وأدخله يوم القيامة مُدخَلاً كريماً».

وفي رواية عند أحمد (١٩٥٦٧) بإسنادٍ ضعيفٍ: أن الذي قتل أبا عامر الأشعري هو ابنُ دريد ابن الصِّمّة. وسمّاه ابن إسحاق فيما تقدّم قريباً سلمة بن دريد، وهو من بني جُشم من هوازن.

إنَّ الرَّزِيّــةَ قتــلُ العَــلاءِ وأَوفَى جميعاً ولـم يُسنَدا[1]
همــا القــاتلانِ أبــا عــامرٍ وقــد كــان ذا هَبّــةٍ أَربَــدا[2]
همــا تَرَكــاهُ لَــدَى مَعــرَكٍ كــأنّ علـى عِطْفِـه مُجسَـدا[3]
فلـم تَـرَ في النـاسِ مِثلَيهمـا أقــلَّ عِثــاراً وأَرمَــى يــدا

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ أصحابنا: أنّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ يومَئذٍ بامرأةٍ قد قتلها خالدُ بن الوليد، والناسُ مُتقصِّفون[4] عليها، فقال: «ما هذا؟» فقالوا: امرأةٌ قتلها خالدُ بن الوليد، فقال رسول الله ﷺ لبعضِ مَن معه: «أَدرِكْ خالداً فقُلْ له: إنَّ رسولَ الله يَنهاكَ أن تَقتُلَ وَلِيداً أو امرأةً أو عَسِيفاً»[5].

---

(١) لم يُسنَدا، أي: لم يُدفَنا.

(٢) وقد كان، أي: أبو عامر، ذا هبّة: يعني إذا ثار وهاج للقتال، أربداً، أي: أسداً، وذلك لشدّة بأسه.

(٣) المَعرَك: موضع الحرب. والعِطْف: جانب الإنسان من عند رأسه إلى وَرِكه. والمُجسَد: الثوب المصبوغ بالجِسَاد، وهو الزعفران، والمراد أن دمه صَبَغَ ثوبه بمثل لون الزعفران.

(٤) متقصِّفون أو مُنقصِفون، أي: مزدحمون.

(٥) حديث صحيح، وإسناد ابن إسحاق ضعيف لإعضاله وإبهام رواته، لكن روي من غير طريقه موصولاً.

فقد أخرجه بنحوه أحمد (١٥٩٩٢)، وأبو داود (٢٦٦٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٧١) و(٨٥٧٢)، وابن حبان (٤٧٨٩)، والحاكم (٢٥٩٧) من حديث رباح بن الربيع التميمي: أنه خرج مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها، وعلى مقدَّمته خالد بن الوليد، فمرّ رباحٌ وأصحاب رسول الله ﷺ على امرأة مقتولة ممّا أصابت المقدَّمة، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجّبون من خلقها، حتى لَحِقَهم رسولُ الله ﷺ على راحلته، فانفرجوا عنها، فوقف عليها رسول الله ﷺ فقال: «ما كانت هذه لتقاتل!» فقال لأحدهم: «الحَقْ خالداً فقل له: لا تقتلوا ذُرِّيّةً ولا عسيفاً». وهو حديث صحيح. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ بني سعد بن بكرٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ قال يومَئذٍ: «إنْ قَدَرتُم على بِجَادٍ - رجلٍ من بني سعدِ بن بكرٍ - فلا يُفلِتَنَّكُم»، وكان قد أحدَثَ حَدَثاً[1]، فلمّا ظَفِرَ به المسلمون ساقُوه وأهلَه وساقُوا معه الشَّيماءَ بنتَ الحارث بن عبد العُزّى، أُختَ رسول الله ﷺ من الرَّضَاعة، فعَنُفُوا عليها في السِّياقِ، فقالت للمسلمين: تَعَلَّموا واللهِ إنّي لَأُختُ صاحبِكم من الرَّضَاعة، فلم يُصدِّقوها حتّى أتَوْا بها إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني يزيدُ بن عُبيدٍ السَّعْديّ قال: فلمّا انتُهِيَ بها إلى رسول الله ﷺ قالت: يا رسولَ الله، إنّي أُختُك، قال: «وما عَلَامةُ ذلكِ؟» قالت: عَضّةٌ عَضَضتَنِيها في ظهري وأنا مُتَورِّكَتُك[2]، قال: فعَرَفَ رسولُ الله ﷺ العلامةَ، فبَسَطَ لها رِداءَه فأجلَسَها عليه، وخَيَّرَها وقال: «إن أَحبَبتِ فعِنْدي مُحَبَّةً مُكْرَمةً، وإن أحبَبتِ أن أُمتِّعَكِ[3] وتَرجِعي إلى قَومِك، فَعَلتُ»، قالت: بل تُمتِّعُني وتَرُدُّني إلى

= وأخرجه مختصراً البخاري (٣٠١٤) و(٣٠١٥) ومسلم (١٧٤٤) من حديث عبد الله بن عمر قال: وُجِدَت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصِّبيان.

الوليد: الصبي الصغير. والعسيف: الأجير والعبد، هذا إذا لم يقاتلا.

(١) أي: أمراً شنيعاً منكراً.

وهذا الخبر ضعيف لإعضاله وإبهام رواته.

ورواه كذلك عن ابن إسحاق سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٨٠.

وذكره الواقدي أيضاً في «مغازيه» ٣/ ٩١٣ بلا إسناد، وزاد فيه: وكان قد أتاه رجلٌ مسلمٌ، فأخذه بِجادٌ فقطَّعه عضواً عضواً ثم حرّقه بالنار، فكان قد عرف جُرمَه فهرب، فأخذته الخيل.

(٢) أي: حاملتُك على وَرِكي.

(٣) أي: أعطيك ما يكون به الإمتاع، أي: الانتفاع.

قومي. فمَتَّعَها رسولُ الله ﷺ ورَدَّها إلى قومها[1].

فزَعَمَت بنو سعدٍ: أنه أعطاها غلاماً له يقال له: مكحولٌ، وجاريةً، فزَوَّجَت أحدَهما الأُخرى، فلم يَزَلْ فيهم من نَسلِهما بقيّةٌ.

قال ابن هشام: وأنزَلَ الله في يومِ حُنَين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥-٢٦].

قال ابن إسحاق: وهذه تسميةُ مَن استُشهِدَ يومَ حُنينٍ من المسلمين:

من قُريشٍ ثمّ من بني هاشمٍ: أيمنُ بن عُبيدٍ.

---

(١) إسناده ضعيف لإعضاله، يزيد بن عبيد السعدي أبو وَجْزة المدني الشاعر، من طبقة صغار التابعين، روى عنه جمعٌ ووثّقه ابن سعد وابن معين، وقال أبو حاتم الرازي: لا بأس به، وذكره ابن حبان في «الثقات».

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٤٠٦)، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٤/ ٤٨١ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

وذكره الواقديُّ أيضاً في «مغازيه» ٣/ ٩١٣-٩١٤ بلا إسنادٍ، وزاد فيه: أن النسوة كلّمنها في بِجادٍ، فرجعت إليه ﷺ فكلّمته أن يَهَبَه لها ويعفوَ عنه، ففعل.

وأخرج البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٩٩-٢٠٠ بإسناد ضعيفٍ عن قتادة مرسلاً قال: لما كان يوم فتح هوازن جاءت جاريةٌ إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أنا أختك، أنا شيماء بنت الحارث، فقال لها: «إن تكوني صادقة فإن بك مني أثراً لن يبلى»، قال: فكشفت عن عَضُدها ثم قالت: نعم يا رسول الله، حملتُك وأنت صغير فعضضتَني هذه العضة، فبسط لها رسول الله ﷺ رداءه، ثم قال: «سَلِي تُعطَي، واشفَعِي تُشفَّعي».

وقد روي في أخبار ضعيفة في مجملها: أن أمّه من الرضاعة جاءته في حنين، أشار إليها ابن كثير في «البداية والنهاية» ٧/ ١١١ و١١٢، وقد قال في أحدها: هذا حديث غريب، ولعلّه يريد أخته، وقد كانت تَحضُنه مع أمّها حليمة السعديّة.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزّى: يزيدُ بن زَمْعة بن الأسوَد بن المُطَّلِب بن أَسدٍ، جَمَحَ به فرسٌ له يقال له: الجَناحُ، فقُتِل.

ومن الأنصار: سُرَاقةُ بن الحارث بن عَدِيٍّ من بني العَجْلان.

ومن الأشعَريِّينَ: أبو عامرٍ الأشعريّ.

ثمّ جُمِعَت إلى رسول الله ﷺ سَبَايا حُنينٍ وأموالُها، وكان على المغانمِ مسعودُ ابن عمرٍو الغِفاريُّ، وأمَرَ رسولُ الله ﷺ بالسَّبايا والأموال إلى الجِعْرانة[1] فحُبِسَت بها.

وقال بُجَيرُ بن زهير بن أبي سُلْمى في يوم حُنَين:

لــولا الإلٰــهُ وعبــدُه وَلَّيــتمُ ... حين استَخفَّ الرُّعبُ كلَّ جبانِ[2]

بــالجِزْعِ يــومَ حَبَــا لنــا أقرانُنــا ... وسَــوابحٌ يَكْبُــون للأذقــانِ[3]

مــن بــينِ ســاعٍ ثوبُــه في كَفِّــهِ ... ومُقطَّــرٍ بسَــنابكٍ ولَبَــانِ[4]

واللهُ أكرَمَنــا وأظهَــرَ دينَنــا ... وأعَزَّنــا بعِبــادةِ الــرَّحمٰنِ

واللهُ أهلَكَهــم وفَــرَّقَ جَمعَهــمْ ... وأذَلَّهــم بعِبــادةِ الشّــيطانِ

---

(١) ويقال: الجِعِرّانة، روايتان مشهورتان. وهو موضع فيه ماء عَذْب يقع شمال شرقيّ مكة على قرابة ٢٠ كم.

(٢) من الجُبْن، وفي نسخة الخشنيّ التي شرح عليها في «إملائه» ص٣٩٢: كل جَنَان، بالنون، قال: والجَنَان: القلب.

(٣) الجِزع: ما انعطف من الوادي. وحَبَا، أي: اعتَرَض. والسوابح: الخيل كأنها تَسبَح في جريها، أي: تَعُوم. ويَكبُون، أي: يَسقُطن.

(٤) مقطَّر: مرميّ على قُطْره، وهو جنبُه. والسنابك: جمع سَنبَكٍ، وهو طرف مقدَّم الحافر. واللَّبَان: الصّدر.

قال ابن هشام: ويروي فيها بعضُ الرُّواة:

إذ قــامَ عَــمٌّ نبــيِّكم ووَليُّــهُ يَــدعُون: يــا لَكَتيبــةِ الإيمــانِ
أيــن الــذين هــمُ أجــابوا رَبَّهــمْ يــومَ العُــرَيضِ وبَيعــةِ الرِّضْــوانِ[1]

قال ابن إسحاق: وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ في يوم حُنَين[2]:

إنّــي[3] والسّــوابحُ يــومَ جَمْــعٍ ومــا يَتلُــو الرّسولُ مــن الكتــابِ
لقــد أحببــتُ مــا لَقِيَــت ثَقيــفٌ بجَنْبِ الشِّعبِ أَمسِ من العذابِ
هــمُ رأسُ العــدوِّ مــنَ أهــلِ نَجــدٍ فقــتلُهمُ أَلَــذُّ مــنَ الشّــرابِ
هَزَمْنــا الجَمْــعَ جَمــعَ بنــي قَسِــيٍّ وحَكَّــتْ بَرْكَهــا ببنــي رِئــابِ[4]
وصِــرْماً مــن هِــلالٍ غــادَرَتْهم بأَوطــاسٍ تُعفَّــرُ بــالتّرابِ[5]

---

(١) العُرَيض: وادٍ شرق المدينة في طرف حرّة واقمٍ، وهو الآن حيٌّ معروف من أحياء شرقيّ المدينة المنوَّرة.

ويوم العُريض: كأنه يشير إلى ما سُمّي بغزوة السَّويق التي كانت بسبب قتل أبي سفيان وأصحابه لاثنين من المسلمين فيه كما تقدم ٣/ ٧.

(٢) انظر «ديوانه» جمع وتحقيق يحيى الجبوري ص٤٧.

(٣) في (ش١) و(غ): وإني، بواو، وبها يصح الوزن، وبإسقاطها كما في بقيّة النسخ يكون في البيت ما يسمَّى خَرْماً.

وقوله: والسوابح، أراد بها الخيل، وأراد بيوم جمعٍ: يوماً تجتمع فيه الفرسان بخيولهم، وجملة «والسوابح يوم جمع» جملة حاليّة، وما بعدها قسمٌ، وذهب أبو ذرّ الخشني في «إملائه» إلى أن المراد بجمعٍ المزدلفةَ المشعرَ الحرام، وهذا بعيدٌ، إذ لا تعلُّقَ للمزدلفة بموقعة حنين وما جرى فيها لثقيف وهوازن.

(٤) البَرْك: الصَّدْر، ويريد بحكّ الحرب بركَها: شدّة وطأتها.

(٥) الصِّرم: الجماعات المنقطعة. وتُعفَّر بالتراب، أي: تُلصَق وتُمرَّغ به.

ولـو لاقَـينَ جمـعَ بنـي كِـلابٍ لَقـامَ نِسـاؤُهم والنَّقـعُ كـابِي[1]
رَكَضْـنا الخيـلَ فـيهمْ بـينَ بُـسٍّ إلـى الأورادِ[2] تَـنحِطُ بالنِّهـابِ
بـذِي لَجَـبٍ رسـولُ الله فـيهمْ كَتيبتُـه تَعَـرَّضُ للضِّـرابِ[3]

قال ابن هشام: قوله: تُعفَّرُ بالتّراب، عن غير ابن إسحاق.

فأجابه عطيّةُ بن عُفَيفٍ[4] النَّصْريّ - فيما حدَّثنا ابن هشامٍ - فقال:

أفـاخِرةٌ رِفاعـةُ في حُنَـينٍ وعبّاسُ ابنُ راضِعةِ اللِّجابِ[5]
فإنّكَ والفَخَـارَ كـذاتِ مِـرْطٍ لرَبّتِهـا وتَرفُـلُ في الإهـابِ[6]

---

(١) النقع: الغبار. وكابي، أي: مرتفع لا يستقر.

(٢) هكذا في النسخ الخطية، بالدال، وهكذا ذكره في هذا البيت ابنُ سِيدَه في كتابه «المحكم» ٨/ ٤٢٨، وصاحبا «لسان العرب» و«تاج العروس»، وقد تحرّف على البكري الأندلسي في «معجم ما استعجم» ١/ ٢١١ فذكره باللام: الأورال، وتابعه على هذا التحريف عاتقٌ البِلاديّ رحمه الله في «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» ص٤٣ وغيره من كتبه مغتَرّاً بما وقع في طبعات «السيرة» محرَّفاً كطبعتي وستنفيلد الألمانية والطبعة التي حققها السقا وصاحباه، ومهما يكن من أمرٍ فإن هذا الموضع لا يُعرَف اليوم.

وبُسٌّ: حَرّة شمال الطائف على قرابة ٥٠ كم، قاله البلاديُّ. وتَنحِطُ: تُخرِج أنفاسها عالية. والنِّهاب: جمع نَهْب، وهو ما يُنتهَب ويُغنَم.

(٣) اللَّجَب: الصوت والجَلَبة، وأراد بذي اللَّجَب: الجيش الجرّار كثير الأصوات.

(٤) قُيّد في نسخنا الخطية بفتح العين وبضمّها مع تخفيف الياء، وبضمّ العين مع تشديد الياء، وقيّده الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٣/ ١٧١٢ بالضم مخفَّفاً، وتبعه ابن ماكولا في «الإكمال» ٦/ ٢٢٤-٢٢٥.

(٥) اللِّجاب: جمع لَجْبة، وهي النَّعجة القليلة اللبن. يصف عباساً باللؤم، فالعرب تصف اللئيم بالراضع.

(٦) الفَخَار: المفاخرة. والمِرط: كساء غير مَخِيط من خزّ أو صوف أو كَتّان. وربّتها، أي: =

قال ابن إسحاق: قال عطيّةُ بن عُفَيفٍ هذينِ البيتينِ لمّا أكثرَ عبّاسٌ على هوازِنَ في يوم حُنينٍ، ورِفاعةُ من جُهَينة.

قال ابن إسحاق: وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ أيضاً[1]:

يـا خـاتمَ النُّبَـآءِ إنّـكَ مُرسَـلٌ ... بالحقِّ، كـلُّ هُـدَى السّبيلِ هُداكا

إنَّ الإلٰـهَ بَنَـى عليـك مَحبّـةً ... في خَلقِـه ومحمّـداً سَـمّاكا

ثُـمّ الـذين وَفَـوْا بمـا عاهَـدتَهم ... جُنـدٌ بَعَثْـتَ علـيهمِ الضَّـحّاكا

رجـلاً بـه ذَرَبُ السـلاحِ كأنّـه ... لمّـا تَكنَّفَـه العـدوُّ يَراكـا[2]

يَغشَى ذَوِي النّسبِ القريبِ وإنّما ... يَبغِـي رِضـا الـرَّحمنِ ثـمّ رِضـاكا

أُنبِيـكَ أنّـي قـد رأيـتُ مَكَـرَّهُ ... تحـت العَجَاجـةِ يَـدمَغُ الإشـراكا[3]

طَـوْراً يُعـانِقُ باليـدَينِ وتـارةً ... يَفْـري الجمـاجمَ صـارماً بَتّاكـا[4]

يَغشَـى بـه هـامَ الكُمـاةِ ولـو تَـرَى ... منـه الـذي عايَنـتُ كـان شَـفَاكا[5]

= سيّدتها. وتَرفُل، أي: تمشي متبخترة. والإهاب: الجِلد.

يريد: أن الفعل والفخار في حنينٍ ليس إلى جهينة الذين سمّاهم برفاعة، وهم بطنٌ منهم، ولا لسُليم، وهم في هذا الفَخَار كجارية تفتخر بثوب سيّدتها وهي تلبس الدُّون من الثياب.

(١) انظر «ديوانه» ص١٢٢.

(٢) ذرب السلاح: حِدّته ومَضاؤه، ومنه يقال: فلان ذَرِبُ اللسان، إذا كان حادَّ اللسان. وتكنَّفه العدوّ، أي: أحاطوا به.

(٣) العجاجة: الغبار المنتشر. ويدمغ: يقهر ويُذلّ؛ وهو من الضَّرب على الدماغ.

(٤) يعانق باليدين، أي: يقاتل ويصارع الأعداء بيديه. ويفري، أي: يقطع. والصارم: السيف الحادّ القاطع. والبتّاك: القاطع.

(٥) هذا البيت من (غ) ونسخة على حاشية (ش٢)، وكان في (ق٢) ثم رُمِّج. وقد جاء في (غ) بعد البيت التالي ومكانه هنا أليَق. =

وبنـــو سُـــلَيمٍ مُعنِقـــون أمامَـــهُ ضـــرباً وطعنـــاً في العـــدوِّ دِراكـــا[1]
يَمشُـــون تحـــت لوائِـــه وكـــأنّهم أُســـدُ العَـــرِينِ أرَدْنَ ثَـــمَّ عِراكـــا[2]
مـــا يَرتَجُـــون مـــن القريـــبِ قَرابـــةً إلّا لطاعـــةِ ربِّهـــم وهَوَاكـــا
هـــذي مَشـــاهِدُنا التـــي كانـــت لنـــا معروفـــةً ووَلِيُّنـــا مَوْلاكـــا

وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ أيضاً[3]:

إمّـــا تَـــرَيْ يـــا أمَّ فَـــرْوةَ خيلَنـــا منهـــا مُعطَّلـــةٌ تُقـــادُ وظُلَّـــعُ[4]
أوهَـــى مُقارَعـــةُ الأعـــادي دَمَّهـــا فيهـــا نوافِـــذُ مـــن جِـــراحٍ تَنبَـــعُ[5]
فلَـــرُبَّ قائلـــةٍ كَفَاهـــا وَقْعُنـــا أَزْمَ الحُـــروبِ فسِـــربُها لا يُفـــزَعُ[6]
لا وفـــدَ كالوفـــدِ الأُلَـــى عَقَـــدوا لنـــا ســـبباً بحَبـــلِ محمّـــدٍ لا يُقطَـــعُ
وفـــدٌ أبـــو قَطَـــنٍ حُزَابـــةُ مـــنهمُ وأبـــو الغُيـــوثِ وواســـعٌ والمُقنَـــعُ
والقائـــدُ المئـــةَ التـــي وَفَّـــى بهـــا تِســـعَ المِئـــينَ فـــتَمَّ ألـــفٌ أقـــرَعُ[7]

= والهام: الرؤوس، واحدها: هامَة. والكُمَاة: جمع كَمِيّ، وهو الشجاع.

(١) مُعنِقون: مسرعون، يقال: أعنق يُعنِق، إذا أسرع. ودِراك، أي: متتابع.

(٢) العرين: موضع الأسد. والعِراك: المدافعة في الحرب.

(٣) انظر «ديوانه» ص٩٨.

(٤) معطَّلة، أي: لا راكب عليها. وظُلَّع: جمع ظالع، وهي الدابة التي تميل في مشيها كأنها تعرج لثقل حملها.

(٥) أوهى: أضعف. ودمّها: يريد شحمها، والمدموم: الممتلئُ شحماً. ونوافذ من جراح، أي: جراح نافذة. وتنبع: تسيل بالدم.

(٦) أَزْم الحروب: شدّتها. وسِربها، أي: نَفْسها، وقيل: أهلها.

(٧) ألفٌ أقرع، أي: تامّ لا ينقص منه شيء.

جَمَعَت بنو عَوفٍ ورَهْطُ مُخاشِنٍ ... ستّاً وأحلَبَ من خُفافٍ أربعُ[1]

فهُناكَ إذ نُصِرَ النبيُّ بألفِنا ... عَقَدَ النبيُّ لنا لواءً يَلمَعُ

فُزْنا برايتِه وأَورَثَ عَقْدُه ... مجدَ الحياةِ وسُودَداً لا يُنزَعُ[2]

وغَداةَ نحنُ مع النبيِّ جَناحُه ... ببِطاحِ مكّةَ والقَنا يَتهزَّعُ[3]

كانت إجابَتُنا لداعي ربِّنا ... بالحقِّ منّا حاسرٌ ومُقنَّعُ[4]

في كلِّ سابغةٍ تَخيَّرَ سَرْدَها ... داودُ إذ نَسَجَ الحديدَ وتُبَّعُ[5]

ولنا على بئرَي حُنينٍ موكبٌ ... دَمَغَ النّفاقَ وهَضْبةٌ ما تُقلَعُ[6]

نُصِرَ النبيُّ بنا وكنّا مَعشَراً ... في كلِّ نائبةٍ نَضُرُّ ونَنفَعُ

ذُدْنا غَداتَئِذٍ هوازنَ بالقَنا ... والخيلُ يَغمُرُها عَجاجٌ يَسطَعُ[7]

إذ خافَ حَدَّهمُ النبيُّ وأَسنَدوا ... جَمعاً تَكادُ الشّمسُ منه تَخشَعُ[8]

---

(١) أحلَبَ، أي: اجتمع للنصر والإعانة. وبنو خُفاف: بطن من سُلَيم.

(٢) السُّودد: الشرف والسيادة.

(٣) البِطاح: الأراضي المنبسطة. والقنا: الرماح. ويتهزّع، معناه: يضطرب ويتحرك، وروي بالراء، ومعناه: يسرع إلى الطعن، من قولك: أهرعتُ، إذا أسرعت.

(٤) الحاسر: الذي لا درع عليه، والمقنَّع: الذي على رأسه مِغفَر.

(٥) السابغة: الدرع الكاملة، وسردُها: نَسْجها. وتُبَّع: ملك من ملوك اليمن.

(٦) دمغ النفاق: أصابه في دماغه. والهضبة: الرابية، يصف جيشه بالثبات والقوة فلا يزحزح عن مكانه.

(٧) ذُدْنا، أي: دفعنا. والعَجَاج: الغبار. ويسطع: يعلو ويتفرق.

(٨) حدّهم، أي: شدّتهم وقوّتهم، وقوله: خافَ، كأنه يريد تخوَّف، يعني أن النبي ﷺ تخوَّف على أصحابه من كثرة هوازن يومئذٍ وشدّتهم. وأسندوا وتساندوا: إذا جاؤوا تحت رايات شتى ولم يكونوا تحت راية أمير واحد، وذلك لكثرتهم. وتخشع، أي: يَنقُص ضياؤها.

تُدعَى بنو جُشَمٍ وتُدعَى وَسْطَه أَفناءُ نَصْرٍ والأَسِنّةُ شُرَّعُ[1]
حتّى إذا قال الرسولُ محمّدٌ أَبَنِي سُلَيمٍ قد وَفَيتُمْ فارفَعُوا[2]
رُحْنا ولولا نحنُ أَجحَفَ بَأْسُهمْ بالمؤمنينَ وأَحرَزُوا ما جَمَّعوا[3]

وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ أيضاً في يوم حُنينٍ[4]:

عَفَا مِجدَلٌ من أهلِه فمُتالِعُ فمِطْلى أَرِيكٍ قد خَلَا فالمَصانِعُ[5]
ديارٌ لنا يا جُمْلُ إذ جُلُّ عَيشِنا رَخِيٌّ وصَرْفُ الدّارِ للحيِّ جامعُ[6]
حُبيِّبةٌ أَلْوَتْ بها غُرْبةُ النَّوَى لبَيْنٍ فهَلْ ماضٍ من العيشِ راجعُ[7]
فإن تَبتَغي الكُفّارَ غيرَ مَلُومةٍ فإنّي وزيرٌ للنبيِّ وتابعُ
دعانا إليهم خيرُ وفدٍ عَلِمتُهمْ خُزَيمةُ والمَرّارُ منهمْ وواسِعُ
فجِئْنا بألفٍ من سُلَيمٍ عليهمُ لَبُوسٌ لهم من نَسجِ داودَ رائعُ[8]

---

(١) الأفناء: جماعة مجتمعة من قبائل شتى. وشُرَّع: مائلة بارزة للطعن.

(٢) ارفعوا، أي: ارفعوا أيديكم عن القتل، ويروى: فاربَعُوا، ومعناه: كُفُّوا وتمهَّلوا.

(٣) أجحف: نقص وأضرَّ. وأحرزوا ما جمّعوا، أي: أخذوا ما جمعوه منهم من الغنائم.

(٤) انظر «ديوانه» ص١٠٧.

(٥) عفا، أي: دَرَس وتغيّر. ومجدل ومتالع وأريك: هذه مواضع في منطقة القصيم من نجد شرق المدينة المنوّرة، انظر «معجم المعالم الجغرافية» للبِلاديّ ص٢٧٩-٢٨٠. والمِطلى (يُقصَر ويُمَدّ): أرض سهلة ليّنة يستقر فيها الماء.

(٦) جُمْل: اسم امرأة. وجُلّ العيش: أكثره. وعيش رخيّ: ناعم. وصرف الدار: الخَطْب النازل بها.

(٧) أَلوَت بها: غيّرَتها. والنَّوى: البُعد. والبَيْن: الفِراق.

(٨) لبوس من نسج داود: يعني الدروع، وداود: المراد به النبيُّ داود عليه السلام. ورائع: مُعجِب.

نُبايِعُــه بالأخشَـــبَينِ وإنّمـــا ... يــدُ الله بــين الأخشَــبَينِ نُبــايِعُ[1]

فجُسْنا مــع المَهـديِّ مكّـةَ عَنْـوةً ... بأسـيافِنا والنَّقـعُ كـابٍ وسـاطعُ[2]

علانيَـةً والخيــلُ يَغشَـى مُتونَهـا ... حَميمٌ وآنٍ مـن دمِ الجَـوفِ نـاقعُ[3]

ويـومَ حُنَـينٍ حـين سـارَتْ هـوازنٌ ... إلينـا وضـاقَت بـالنّفوسِ الأضـالعُ

صَـبَرْنا مـعَ الضَّـحّاكِ لا يَسـتفِزُّنا ... قِـراعُ الأعـادي مـنهمُ والوقـائعُ[4]

أمــامَ رســولِ الله يَخفِــقُ فوقَنــا ... لـواءٌ كخُـذْروفِ السّـحابةِ لامـعُ[5]

عَشـيّةَ ضَـحّاكُ بـن سـفيانَ مُعتَصِرٍ ... بسـيفِ رسـولِ الله والمـوتُ كـانعُ[6]

نَـذُودُ أخانـا عـن أخينـا ولـو نَـرَى ... مَصَـالاً لكُنّـا الأقــربينَ نُتـابعُ[7]

ولكــنَّ ديــنَ الله ديــنُ محمّــدٍ ... رَضِـينا بـه فيـه الهُـدَى والشّـرائعُ

---

(١) الأخشبان: جبلا مكة.

(٢) جُسْنا: وَطِئنا. والمَهدي: يعني به النبيَّ ﷺ. وعَنوة: قهراً. والنَّقع: هو الغبار. وكابي: مرتفع. وساطع: متفرّق.

(٣) متونها: ظُهورها. والحميم هنا: العرق الساخن. وآنٍ: حارّ. وناقع: طريٌّ أو كثير.

(٤) لا يستفزُّنا: لا يستخفّنا.

(٥) خُذروف السحابة: طرفها، وأراد به هنا سرعة تحرّك هذا اللواء واضطرابه.

(٦) معتصِر: ضارب، يقال: اعتَصَوا بالسيوف، إذا ضاربوا بها. والموت كانعٌ، أي: قريبٌ دانٍ، يقال: كَنَعَ منه الموتُ، إذا دنا.

(٧) نَذُود: ندفع. وأخانا: يريد أنه من بني سُلَيم، وسُلَيم من قيس عَيلان، كما أن هوازن من قيسٍ أيضاً، فكلاهما (أي: سُليم وهوازن) ابن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس، فهم بالنسب بحكم الإخوة، ومعنى البيت: نقاتل إخوتنا هوازن ونذودهم عن إخوتنا من المسلمين. ولو نرى مَصالاً، أي: لو كان الأمر من أجل الاستطالة والسطوة على الناس وليس من أجل الدين، لكُنّا مع الأقربين هوازن.

أقـامَ بـه بعـدَ الضّـلالةِ أمرَنـا ... ولـيس لأمـرٍ حَمَّـهُ اللهُ دافـعُ[1]

وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ أيضاً في يوم حُنينٍ[2]:

تَقطَّـعَ بـاقي وَصْـلِ أمِّ مُؤمَّـلِ ... بعاقبـةٍ واسـتَبدَلَت نِيّـةً خُلْفـا[3]

وقـد حَلَفَـت بـالله لا تَقطَـعُ القُـوَى ... فمـا صَـدَقَت فيـه ولا بَـرَّتِ الحَلْفـا[4]

خُفَافيّـةٌ بَطـنُ العَقيـقِ مَصِـيفُها ... وتحتـلُّ في البـادِينَ وَجْـرةَ فالعُرْفـا[5]

فـإن تَتبَـعِ الكفّـارَ أمُّ مُؤمَّـلٍ ... فقـد زَوَّدَت قلبـي علـى نَأيِهـا شَـغْفا[6]

وسـوفَ يُنبِّيهـا الخبيـرُ بأنّنـا ... أَبَينـا ولـم نَطلُـبْ سـوى رَبِّنـا حِلْفـا[7]

---

(١) حمّه الله، أي: قدَّره الله.

(٢) انظر «ديوانه» ص١١٤.

(٣) النية: هي ما يُضمره الإنسان في نفسه ويقصده، والخُلْف: هو إخلاف الوعد، ذكر ذلك الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٩٧.

وأما السهيليُّ فذهب في «الروض» ٧/ ٢٢٣ إلى أن النيةَ من النَّوى وهو البُعد، وأن خُلفاً يجوز أن يكون مفعولاً من أجله، أي: فَعَلَت ذلك من أجل الخُلف، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً للاستبدال، لأن استبدالها به خُلْفٌ منها لما وعدته به.

(٤) القوى: الأصل فيها قُوى الحبل، وهي الخَصْلات التي تُفتَل فيتشكّل منها الحبل، وأراد بها هنا: أسباب المودّة. والحَلف: اليمين.

(٥) خُفافية: نسبة إلى بني خُفَاف، وهم حيّ من سُلَيم.

والعقيق: المراد به عقيق عُشيرة، وهو وادٍ شمال الطائف كثير الآبار، وكان من ديار بني سُليم، قاله البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢١٤، وذكر أن وَجْرةَ صحراءُ على الضفة الشرقية لوادي العقيق هذا، وأن العُرف موضع شرق بلدة عشيرة من نواحي العقيق.

والبادُون: أهل البادية الرُّحَّل.

(٦) النّأي: البُعد. والشَّغف: أن يبلغ الحبُّ شَغَافَ القلب، وهو حِجابه.

(٧) الحِلف: المُحالَفة، وهي المعاهدة على التعاضد والاتفاق.

وأنّـا مـع الهـادي النبـيِّ محمّـدٍ وَفَيْنـا ولـم يَسـتَوفِها مَعشَـرٌ أَلْفـا[1]

بفِتْيـانِ صِـدقٍ مـن سُـلَيمٍ أَعـزّةٍ أطاعوا فما يَعصُون من أمرِه حَرْفا

خُفـافٌ وذَكـوانٌ وعَـوفٌ تَخـالُهم مَصـاعبَ زافَـتْ في طَرُوقَتِهـا كُلْفـا[2]

كأنّ النَّسيجَ الشُّهْبَ والبِيضَ مُلبَسٌ أُسـوداً تَلاقَـت في مَراصِـدِها غُضْـفا[3]

بنـا عَـزَّ ديـنُ الله غيـرَ تَنحُّـلٍ وزِدْنا على الحيِّ الـذي معَه ضِعْفا[4]

بمكّـةَ إذ جِئنـا كـأنّ لواءَنـا عُقـابٌ أرادت بعـدَ تَحليقِهـا خَطْفـا[5]

على شُخَّصِ الأبصارِ تَحسِبُ بينَها إذا هـيَ جالـتْ في مَراوِدِهـا عَزْفـا[6]

غَـداةَ وَطِئْنـا المشـركينَ ولـم نَجِـدْ لأمـرِ رسـولِ الله عَـدْلاً ولا صَـرْفا[7]

---

(١) أي: وَفَينا في العدد ألفاً ولم يستوف هذه العدّةَ غيرنا من القبائل.

(٢) خفاف وذكوان وعوف: هم بطون من بني سُليم. وتخالهم: تظنّهم. ومَصاعِب: جمع مُصعَب، وهو الفَحْل من الإبل. وزافت: مَشَت. والطَّروقة: النُّوق التي يطرقها الفحلُ، أي: يَنزُو عليها. والكُلْف: سُود الوجوه، الواحد: أَكلَف.

(٣) النَّسيج: الدروع. والشُّهب: جمع شهباء، وهي التي يخالط بياضها حُمْرة. ومراصدها: حيث يَرصُد ويَرقُب بعضُها بعضاً. وغُضْف: مسترخية الآذان.

يصف قومه بني سليم وقد لبسوا دروع الحديد مع ما معهم من أداة السلاح بأنهم أسود تترقّب وتترصّد.

(٤) غير تنحُّل: غير كذب.

(٥) العُقاب: طير معروف من الجوارح.

(٦) شُخّص: جمع شاخص، وهو الذي يفتح عينه ولا يَطرِف. والمَراوِد: يجوز أن يكون جمع مِروَد، وهو الوَتِد، ويجوز أن يكون جمع مُرَاد، وهو حيث تَرُود الخيل، أي: تذهب وتجيء؛ قاله السهيليُّ. والعَزْف: الصوت والحركة.

(٧) أي: لا بدَّ من طاعة أمره ﷺ، فلا يُعدَل عنه، ولا يُصرَف إلى غير مراده فيُخالَف فيه.

بمُعتَـرَكٍ لا يَسـمَعُ القـومُ وَسْـطَه لنـا زَجْمـةً إلّا التّـذامُرَ والنَّقْفـا[1]
ببِـيضٍ تُطِيـرُ الهـامَ عـن مُسـتَقَرِّها ونَقطِـفُ أعنـاقَ الكُمـاةِ بهـا قَطْفـا[2]
فكـائِنْ تَرَكْنـا مـن قَتيـلٍ مُلحَّـبٍ وأرمَلـةٍ تـدعو علـى بَعلِهـا لَهْفـا[3]
رِضا الله نَنْوي لا رِضـا النـاسِ نَبتَغي ولله مـا يَبـدُو جميعـاً ومـا يَخفَـى

وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ أيضاً[4]:

مـا بـالُ عَينِـكَ فيهـا عـائرٌ سَـهِرُ مِثلُ الحَماطةِ أغضَى فوقَها الشُّفُرُ[5]
عَـينٌ تأوَّبَهـا مـن شَـجْوِها أرَقٌ فالمـاءُ يَغمُرُهـا طَـوْراً ويَنحـدِرُ[6]
كأنّـه نَظْـمُ دُرٍّ عنـدَ ناظمـةٍ تَقطَّـعَ السِّـلْكُ منـه فهْـوَ مُنتثِـرُ[7]

---

(١) المُعتَرك: موضع الحرب. وزجمة، أي: صوت وكلمة. والتذامُر: أن يحرّض بعضهم بعضاً على القتال. والنَّقف هنا: كسر الرؤوس واستخراج ما فيها من الأدمغة.

(٢) البِيض، أي: السيوف. والهامُ: الرؤوس، الواحدة: هامَةٌ. ونقطف: نقطع. والكُماة: هم الشجعان.

(٣) ملحَّب، أي: مقطَّع اللحم. واللَّهف: الحزن والتحسّر.

(٤) انظر «ديوانه» ص٧٢.

(٥) العائر: كلّ ما أعلَّ العين من رمدٍ أو قذى يتنخّس في العين كأنه يُعوِرها. وسَهِرٌ: من السَّهَر، وهو امتناع النوم، وجعله سَهِراً، وإنما السَّهَرُ للرجل، لأنه لم يَفتُر عنه، فكأنه سَهِرَ ولم ينم. والحَماطة: من ورق الشجرِ ما فيه خشونة وحُروشة.

وأَغضى فوقها: أغمض جفنَه عليها. والشُّفُر، وحُرِّكت الفاء بالضم إتباعاً، وأصله بسكون الفاء: هو أصل مَنبِت الشَّعر في الجَفْن.

(٦) تأوَّبها، أي: جاءها مع الليل. والشَّجْو: الحزن. والأرَق: امتناع النوم. والماء: أراد به الدّمع. ويغمرها: يغطيها.

(٧) الدرّ: اللؤلؤ. والسِّلك: الخيط الذي ينظم فيه. ومنتثر: متفرق.

يـا بُعـدَ مَنـزِلِ مَـن تَرجُـو مَوَدّتَـه ... ومَـن أَتـى دونَـه الصَّـمّانُ فـالحَفَرُ[1]

دَعْ مـا تَقـدَّمَ مـن عهـد الشّباب فقدْ ... وَلَّى الشّبابُ وزارَ الشَّيبُ والزَّعَرُ[2]

واذكُـرْ بَـلاءَ سُـلَيمٍ في مواطنِهـا ... وفي سُـلَيمٍ لأهـلِ الفخـرِ مُفتخَـرُ

قـومٌ هـمُ نَصَـروا الـرَّحمنَ واتَّبَعـوا ... دينَ الرّسولِ وأمـرُ النـاسِ مُشتَجِرُ[3]

لا يَغرِسونَ فَسِيلَ النَّخلِ وَسْطَهُمُ ... ولا تَخـاوَرُ في مَشْـتاهمُ البَقَـرُ[4]

إلّا سـوابحَ كالعِقْبـانِ مُقرَبـةً ... في دارَةٍ حولَهـا الأخطـارُ والعَكَـرُ[5]

---

(١) الصّمّان: أرض واسعة شرق الجزيرة العربية، وتمتد من الربع الخالي جنوباً حتى حدود العراق شمالاً، وفيه عدد من القرى والبلدات.

والحفر: وادٍ في الطرف الشمالي من الصمّان، وفيه اليوم مدينة حفر الباطن التي تقع شمال مدينة الرياض على قرابة ٤٥٠ كم.

(٢) الزَّعَر: قلّة الشَّعر.

(٣) مشتجر: مختلِف، من الاشتجار: وهو الاختلاف وتداخل الحُجَج بعضها على بعض.

(٤) فَسِيل النخل: صغاره. وتَخاوَر، أي: تتخاور، فحذف إحدى التائين، من الخُوَار: وهو صوت البقر. ومَشتاهم، أي: مكان إقامتهم في الشتاء؛ يريد أنهم ليسوا أهل زرع وتربية نَعَمٍ، وإنما هم أهل حربٍ وانتقالٍ

(٥) السوابح هنا: الخيل التي كأنها تسبح في جَرْيها. والعِقبان: جمع عُقَاب، وهو طير جارح معروف.

ومُقرَبة، أي: قريبة من البيوت، لركوبها إذا حدث ما يدعو إلى النَّجدة ونحوها، وفي (ت) و(ص): مُقرَنة، أي: مقرونة مربوطة.

والدارَةُ: هكذا في (ص) و(ط) و(غ) و(ق٢) و(م)، ومعناها: الدارُ، وهي منازل القوم حيث يقيمون، ووقع في (ت) و(ش١) و(ش٢) و(ف) و(ي): حارّة، وعلى حاشية (ش٢): حَرَّة؛ يريد حَرّة بني سُليم، والحَرّة: أرض واسعة ذات حجارة سُود.

والأخطار: الجماعات من الإبل. والعَكَر: الإبل الكثيرة.

تُـدعَى خُفـافٌ وعَـوفٌ في جوانبِهـا وحـيُّ ذَكـوانَ لا مِيـلٌ ولا ضُـجُرُ[1]

الضّـاربون جنـودَ الشِّـركِ ضـاحيةً بـبطنِ مكّـةَ والأرواحُ تَبتـدِرُ[2]

حتَّـى رَفَعْنـا وقـتلاهمْ كـأنّهمُ نخـلٌ بظـاهرةِ البَطحـاءِ مُنقعِـرُ[3]

ونحـنُ يـومَ حُنـينٍ كـان مَشـهَدُنا للـدِّينِ عـزّاً وعنـدَ الله مُـدَّخَرُ

إذ نركـبُ المـوتَ مُخضَـرّاً بطائنُـهُ والخيـلُ يَنجابُ عنها ساطعٌ كَدِرُ[4]

تحتَ اللّـواءِ مـع الضَّـحّاكِ يَقـدُمُنا كمـا مَشَـى اللّيـثُ في غاباتِـه الخَـدِرُ[5]

في مَأزِقٍ مـن مَجَـرِّ الحـربِ كَلكَلُهـا تكـادُ تأفِـلُ منـه الشّـمسُ والقمـرُ[6]

وقـد صَـبَرْنا بأوطـاسٍ أسِـنَّتَنا لله نَنصُـرُ مَـن شِـئْنا ونَنتصِـرُ

---

(١) خفاف وعوف وذكوان: هم بطون من بني سُليم.

ومِيلٌ: جمع أمْيَل، وهو الذي لا سلاح معه. والضُّجُر: جمع ضَجُور، من الضَّجَر: وهو الضِّيق وسوء الاحتمال.

(٢) ضاحية: منكشفة بارزة. والأرواح، أي: الرِّياح. وتبتدر، أي: تتسارع وتخفق.

(٣) رفعنا، أي: رفعنا أيدينا عن القتل، ووقع في نسخة (غ) وحدها: دَفَعنا، بالدال، وكأنه بمعنى: دفعناهم إلى الخضوع وترك القتال. وظاهرة البطحاء: الظاهر من الأرض، ما غَلُظَ منها، والبطحاء: المنبسطة. ومُنقعِر: مُنقلِع من أصله.

(٤) قوله: مخضرّاً بطائنه، هذا تعبير مجازيّ يريد به سواد الموقف وشدّة الحال، والخُضْرة عند العرب السوادُ كما قال أهل اللغة، والبطائن: جمع بِطانة، وهي باطن الثوب، فشبَّه الموت بمركب تعلوه ثياب دواخلها سُودٌ. وينجاب: ينكشف. وساطع: غبار متفرّق. وكَدِر: متغيّر إلى السواد.

(٥) الخَدِر: الداخل في خِدْره، والخِدْر: البيت، والمراد به هنا غابة الأسد.

(٦) مأزق: مكان ضيِّق في الحرب. والكَلكَل: الصَّدر. وتأفل: تَغِيب. يريد: أنه من شدّة الموقف في الحرب يكاد يظلم كأنه لا شمس فيه ولا قمر.

حتّـــى تـــأوَّبَ أقـــوامٌ مَنـــازِلَهم لولا المَلِيكُ ولولا نحنُ ما صَدَروا[1]
فمـا تَـرَى مَعشَـراً قَلُّـوا ولا كَثُـروا إلّا قـدَ اْصـبَحَ منّـا فـيهمِ أَثـرُ

وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ أيضاً[2]:

يـا أيُّهـا الرَّجـلُ الـذي تَهـوِي بـهِ وَجْنـاءُ مُجمَـرَةُ المَناسِـمِ عِـرمِسُ[3]
إمّـا أَتيـتَ علـى النبـيِّ فقـلْ لـهُ حقّـاً عليـكَ إذا اطمَـأنَّ المجلِـسُ
يا خيرَ مَن رَكِبَ المَطِيَّ ومَن مَشَى فـوقَ التّـرابِ إذا تُعَـدُّ الأنفُـسُ[4]
إنّـا وَفَيْنـا بالّـذي عاهَـدْتَنا والخيـلُ تُقدَعُ بالكُماةِ وتُضـرَسُ[5]
إذْ سـالَ مـن أَفنـاءِ بُهْثـةَ كلِّهـا جَمْـعٌ تَظَـلُّ بـه المَخـارمُ تَـرجُسُ[6]
حتَّـى صَـبَحْنا أهـلَ مكّـةَ فَيلَقـاً شَـهباءَ يَقـدُمُها الهُمَـامُ الأشـوَسُ[7]
مِـن كـلِّ أغلَـبَ مـن سُـلَيمٍ فوقَـهُ بَيضـاءُ مُحكَمـةُ الـدِّخالِ وقَـونَسُ[8]

---

(١) تأوَّب: رجع. وصَدَروا: رجعوا أيضاً.

(٢) انظر «ديوانه» ص٨٧.

(٣) تهوي به: تُسرع. والوجناء: الناقة الضخمة فهي عظيمة الوَجْنتين. ومُجمَرة المناسم: مجتمعة منضمَّة المناسم، وذلك أقوى لها، والمناسم: جمع مَنسِم، وهو طرف خفِّ البعير. وعِرمِس، أي: شديدة، وأصل العِرمِس: الصخرة الصُّلبة، وتُشبّه بها الناقة الجَلْدة الشديدة.

(٤) المَطيّ: جمع مَطِيّة، وهي البعير لأنه يركب مَطَاهُ، أي: ظهره.

(٥) تُقدَع: تُكَفّ. والكُماة: الشُّجعان. وتُضرَس، أي: تضرب أضراسها باللُّجُم فتُجرَح.

(٦) أفناء: جماعة مجتمعة من قبائل شتّى. وبُهثة: هم بنو سُليم. والمَخارم: الطرق في الجبال، واحدها: مَخرِم. وتَرجُس: تهتز وتتحرك.

(٧) الفيلق: الكتيبة العظيمة. وشهباء: لها بريق ولمعان من كثرة السلاح. والهُمام: السيّد. والأشوس: الذي ينظر نظر المتكبِّر، ووقع في بعض النسخ: الأشرس بالرّاء.

(٨) الأغلب: هو الشديد الغليظ. ومحكمة الدِّخال: يعني أن نسجَ الدّرع محكمٌ. والقَونَس: =

يُـروِي القَنـاةَ إذا تجاسَـرَ في الـوَغَى ... وتَخالُـه أَسَـداً إذا مـا يَعـبِسُ [1]

يَغشَـى الكَتيبـةَ مُعلِمـاً وبكَفِّـهِ ... عَضْـبٌ يَقُـدُّ بـه ولَـدْنٌ مِـدعَسُ [2]

وعلى حُنينٍ قد وَفَى مـن جَمْعِنـا ... ألـفٌ أُمِـدَّ بـه الرسـولُ عَرَنـدَسُ [3]

كـانوا أمـامَ المـؤمنينَ دَرِيئـةً ... والشّـمسُ يومَئـذٍ عليـهم أشـمُسُ [4]

نَمضـي ويَحرُسُـنا الإلٰـهُ بحفظِـهِ ... واللهُ لـيس بضـائعٍ مَـن يَحـرُسُ

ولقـد حَبَسْـنا بالمَناقـبِ مَحبَسـاً ... رَضِـيَ الإلٰـهُ بـه فـنِعمَ المَحـبَسُ [5]

وغَـداةَ أوطـاسٍ شَـدَدْنا شَـدّةً ... كَفَتِ العدوَّ وقيلَ منها: يا احبِسوا [6]

تَـدعُو هـوازِنُ بالإخـاوةِ بيننـا ... ثَـدْيٌ تَمُـدُّ بـه هـوازِنُ أيـبَسُ [7]

= حديدة طويلة في أعلى الخُوذَة، وأراد هنا الخوذة نفسها.

(١) القناة: الرمح. والوغى: الحرب.

(٢) عَضْب: سيف قاطع. ولَدْن: ليِّن في الهزّة. ومِدعَس: طعّان.

(٣) وَفَى من جمعنا ألفٌ، أي: كَمُل منّا ألف مقاتل. والعرندس: الشديد القوّة.

(٤) درِيئة، أي: مُدافعة. وقوله: والشّمس يومئذ عليهم أشمس، قال السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٢٢٦-٢٢٧: يريد: لَمَعانُ الشمس في كلّ بيضة من بيضات الحديد والسيوف كأنها شمس، وهو معنى صحيح، وتشبيه مليح.

(٥) المناقب: ذكر ياقوت في «معجم البلدان» ٥/ ٢٠٣ أنه اسم جبل معترض من نواحي الطائف فيه ثلاثة مناقب، والمَنقَب: هي الطريق في الجبل كالعَقَبة.

(٦) يريد: أنه من شدّة بأسنا نحن بني سُليم ذلك اليوم على هوازن، تنادَوا: يا قوم احبسوا وارفعوا عنّا القتل.

(٧) يشير إلى أخوّة النسب بين بني سُلَيم وهوازن، فسُلَيمٌ وهوازنُ كلاهما ابن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عَيْلان، فهم بحكم الإخوة، لكن بحكم اختلاف الدِّين فكأن الثدي الذي بينهما (وهو إشارة إلى النسب) جافٌّ منقطع.

حتّــى تَرَكْنــا جَمعَهــمْ وكأنّــه عَيْــرٌ تَعاقَبَــه السِّــباعُ مُفــرَّسُ[1]

قال ابن هشام: أنشدَني خَلَفٌ الأحمرُ قوله: وقيلَ منها يا احبِسوا.

قال ابن إسحاق: وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ أيضاً[2]:

نَصَـرْنا رسـولَ الله مـن غَضَـبٍ لـه بــألفِ كَمِـيٍّ لا تُعَـدُّ حواسِـرُهْ[3]

حَمَلْنـا لـه في عامـلِ الـرُّمحِ رايـةً يَذُودُ بها في حَوْمـةِ الموتِ ناصِـرُهْ[4]

ونحـنُ خَضَـبْناها دمـاً فهْـوَ لونُهـا غَـداةَ حُنـينٍ يـومَ صـفوانُ شـاجِرُهْ[5]

وكنّـا علـى الإسـلامِ مَيمَنـةً لـه وكـان لنـا عَقْـدُ اللِّـواءِ وشـاهِرُهْ

وكنّــا لــه دونَ الجنــودِ بِطانــةً يُشــاوِرُنا في أمــرِه ونُشــاوِرُهْ[6]

دعانــا فسَــمّانا الشِّــعارَ مُقــدَّماً وكنّـا لـه عَونـاً علـى مَـن يُنـاكِرُهْ[7]

جَـزَى اللهُ خيـراً مـن نبـيٍّ محمّـداً وأيَّــدَه بالنّصــرِ واللهُ ناصِــرُهْ

---

(١) العَيْر: حمار الوحش. ومفرَّس: مصاب مجروح افترسته السباعُ.

(٢) انظر «ديوانه» ص٨٣.

(٣) الكميّ: الشجاع. وحواسره، أي: جموعه الذين لا دروعَ عليهم، يقال: رجلٌ حاسرٌ، إذا لم يكن عليه درع.

(٤) عامل الرمح: أعلاه مما يلي السِّنان. ويذود بها، أي: يدفع ويطرد بها العدوّ. وحومة الموت: مُعظَمه.

(٥) خضبناها، أي: بلّلناها. وشاجره، أي: مخاصمه ومخالفه، وكأنه أراد صفوانَ بن أُميّة، فإنه حضر وقعة حنينٍ وهو على شِرْكه. قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٠٠: ويحتمل أن يكون شاجِرُه هنا أي: مخالطُه بالرمح، يقال: شَجَرتُه بالرمح، إذا طعنته به، وشَجَرَت الرماحُ: إذا دخل بعضها على بعض.

(٦) بطانة الرجل: خاصّته وأصحاب سرِّه.

(٧) الشِّعار: ما وليَ جسدَ الإنسان من الثياب، فاستعاره هنا لبطانته وخاصّته.

قال ابن هشام: أنشدني من قوله: وكنّا على الإسلام، إلى آخرِها، بعضُ أهلِ العلم بالشِّعر، ولم يَعرِف البيتَ الذي أوّلُه: حَمَلْنا له في عاملِ الرّمحِ رايةً، وأنشدني بعدَ قوله: وكان لنا عَقدُ اللّواءِ وشاهرُه: ونحنُ خَضَبْناه دماً فهو لونُه.

قال ابن إسحاق: وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ أيضاً[1]:

مَـن مُبلِـغُ الأقـوامِ أنّ محمّـداً ... رسـولُ الإلٰـهِ راشـدٌ[2] حيـثُ يَمَّمـا

دعـا رَبَّـه واستَنصَـرَ اللهَ وحـدَه ... فأصـبَحَ قـد وَفَّـى إليـه وأنعَمـا

سَـرَينا وواعَـدْنا قُدَيـداً محمّـداً ... يَـؤُمُّ بنـا أمـراً مـن الله مُحكَمـا[3]

تَمـارَوْا بنـا في الفجـرِ حتّـى تَبيَّنـوا ... مـع الفجـرِ فِتيانـاً وغابـاً مُقوَّمـا[4]

على الخيـلِ مشـدوداً علينـا دُروعُنـا ... ورَجْـلاً كـدُفّاعِ الأَتِـيِّ عَرَمرَمـا[5]

فـإنَّ سَـرَاةَ الحـيِّ إن كنـتَ سـائلاً ... سُـلَيمٌ وفـيهِمْ مـنهمُ مَـن تَسَـلَّما[6]

وجُنـدٌ مـن الأنصـارِ لا يَخذُلونَـهُ ... أَطـاعوا فمـا يَعصُـونَه مـا تَكلَّمـا

فـإن تَـكُ قـد أمَّـرتَ في القـومِ خالـداً ... وقَدّمتَـه فإنّـه قـد تَقـدَّما

---

(١) انظر «ديوانه» ص١٤١.

(٢) وفي بعض النسخ: رسولُ الإله راشداً، بالنصب على الحاليّة، وكلاهما صحيح.

(٣) قُديد: وادٍ شمال غرب مكة على بعد ١٣٠ كم تقريباً.

(٤) تمارَوا بنا: شكُّوا فينا. وأراد بالغاب هنا: الرِّماح؛ شبّه أنفسهم بالرماح المقوَّمة ليس فيها اعوجاج.

(٥) رَجْلاً: مُشاة. والأَتِيّ: السّيل يأتي من بلد إلى بلد. ودفّاعه: ما يندفع منه، شبَّه كثرةَ الرَّجْل به. وعَرَمرَم: الكثير الشديد.

(٦) سَراة الحيّ، أي: سَراة القوم، وهم أشرافهم وخِيارهم. وتَسلَّم: مَن انتسب إلى سُليم من حلفائهم، كما يقال: تَقيَّس الرجلُ، إذا اعتزى إلى قيس.

بجُنْـــدٍ هَـــدَاه الله أنـــتَ أَميـــرُه ... تُصيبُ به في الحقِّ مَن كان أظلَما

حَلَفـــتُ يمينـــاً بَـــرَّةً لمحمّـــدٍ ... فأكمَلتُها أَلفـاً مـن الخيـلِ مُلجَمـا

وقـــال نبـــيُّ المـــؤمنينَ: تَقـــدَّموا ... وحَـــبَّ إلينـــا أن نكـــونَ المُقـــدَّما[1]

وبِتْنـا بنِهْـي المُسـتديرِ ولـم يكـنْ ... بنـا الخـوفُ إلّا رَغْبـةً و تَحزُّمـا[2]

أطَعْنـاكَ حتّـى أسـلمَ النـاسُ كلُّهـمْ ... وحتّى صَبَحْنا الجَمْعَ أهلَ يَلَملَما[3]

يَضِـلُّ الحِصـانُ الأبلَـقُ الـوَرْدُ وَسْطَه ... ولا يَطمـئِنُّ الشّـيخُ حتّـى يُسـوِّما[4]

سَـمَوْنا لهـم وِرْدَ القَطَـا زَفَّـه ضُـحًى ... وكـلٌّ تَـراه عـن أخيـهِ قـدَ أحجَمـا[5]

لَـدُنْ غُـدْوةٍ حتّـى تَرَكنـا عَشـيّةً ... حُنينـاً وقـد سـالت دَوافِعُـه دمـا[6]

---

(١) حَبَّ: فعل ماض وأصله: حَبُبَ، بضمّ الباء، ثم أُسكنت وأُدغمت في الثانية.

(٢) النّهي، بفتح النون وكسرها: الغدير من الماء. والظاهر أن نهي المستدير هذا اسم موضع في الحجاز، إلا أننا لم نقف على من ذكره وبيَّنه، والله تعالى أعلم.

(٣) يَلَملَم، أو أَلَملَم: وادٍ عظيم في الحجاز، يسيل من الجبال الواقعة جنوب غربي الطائف حتى يمرّ جنوب مكة على بعد ٨٠ كم تقريباً، وفيه ميقات الحاجّ القادم من جهة اليمن.

(٤) الأبلق: الذي فيه بياض مع سواد، والوَرْد: المُشرَب حُمْرة؛ يقول: مع أن اجتماع هذه الألوان في الحصان مما يزيده ظهوراً إلا أنه يغيب في كثرة جمعنا وزحمته. ويسوِّم: يُعلِم نفسَه أو حصانه بعلامة يُعرَف بها.

(٥) سَمَونا لهم: نهضنا لقتالهم. وِردَ القطا، أي: كوروده على الماء بكثرتها، والقطا طائر معروف لا يعيش إلا بجوار الماء. وزفّه الضحى: أسرع به الضحى وساقه سوقاً شديداً. وأحجم عن أخيه، أي: تأخر عنه وشُغِل بنفسه.

(٦) لَدُن بمنزلة: عندَ، ويجوز في غُدْوةَ النصب والجرّ، والجرُّ هو الوجه والقياس كما قال سيبويه في «الكتاب» ١/ ٢١٠، وانظر الكلام عليها بتفصيل في «الروض» للسهيليّ ٥/ ٤٦٤-٤٦٥.

ودوافعه، أي: مجاري السيول فيه.

إذا شِئتَ من كلٍّ رأيتَ طِمِرَّةً ... وفارسَها يَهوِي ورُمحاً مُحطَّما[1]

وقد أحرَزَت منّا هوازِنُ سَرْبَها ... وحَبَّ إليها أن نَخِيبَ ونُحرَما[2]

قال ابن إسحاق: وقال ضَمضَمُ بن الحارث بن جُشَم بن عبد بن حَبِيب بن مالك ابن عَوْف بن يَقَظة بن عُصَيّةَ السُّلَميُّ في يوم حُنينٍ، وكانت ثَقيفٌ أصابت كِنانةَ بن الحَكَم بن خالد بن الشَّرِيد، فقَتَلَ به مِحجَناً وابنَ عمٍّ له وهما من ثقيفٍ:

نحنُ جَلَبْنا الخيلَ من غيرِ مَجلَبٍ ... إلى جُرَشٍ من أهلِ زَيّانَ والفَمِ[3]

نُقتِّلُ أشبالَ الأُسودِ ونَبتَغي ... طَواغِيَ كانت قبلَنا لم تُهدَّمِ[4]

فإن تَفخَروا بابنِ الشَّريدِ فإنّني ... تركتُ بوَجٍّ مَأتَماً بعدَ مَأتَمِ[5]

أبَأتُهما بابنِ الشَّريدِ وغَرَّه ... جِوارُكمُ وكان غيرَ مُذمَّمِ[6]

---

(١) طِمِرّة: فرس سريعة وثّابة. ومحطَّم: مكسَّر.

(٢) أحرزت، أي: جمعت وحفظت. والسَّرْب: الإبل وما رعى من المال.

(٣) جُرَش وزيّان والفم مواضع جنوب الجزيرة العربية نواحي أَبْها وخميس مشيط، انظر «معجم المعالم الجغرافية» للبلاديّ ص٨١ و١٤٩، وأشهرها جُرَش، وهي الآن آثار وأطلال على مقربة من مدينة أَبْها، وتبعد عنها جنوباً نحو ٣٠ كم. وسُمي بها قديماً مِخلافٌ (أي: إقليم) من مخاليف اليمن.

(٤) طواغي: جمع طاغية، وأراد بها هاهنا البيوت التي كانت العرب تتعبّد فيها في الجاهلية وتعظّمها سوى البيت الحرام.

(٥) وَجٌّ: هو وادي الطائف الرئيس، وهو يقسمها إلى شطرين من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي.

والمأتم: جماعة النساء يجتمعن في الخير والشر، وأراد به هنا اجتماعهنّ في الحزن.

(٦) أبأتُهما بابن الشريد: جعلتهما بَوَاءً، أي: سواءً به، أي: قتلتهما به. وغير مذمَّم، أي: لم يحفظوا ذمّة جِوَاره فعَدَوا عليه فقتلوه.

تُصيبُ رجالاً من ثقيفٍ رِماحُنا وأسيافُنا يَكلِمنَهم كلَّ مَكلَمِ[1]

وقال ضَمضَم بن الحارثِ أيضاً:

أبلِغْ لَدَيكَ ذَوِي الحَلائلِ آيةً لا تأمَنُنَّ الدَّهرَ ذاتَ خِمارِ[2]

بعدَ الّتي قالت لجارةِ بيتِها قد كنتُ لو لَبِثَ الغَزِيُّ بِدارِ[3]

لمّا رأَت رجلاً تَسفَّعَ لونَهُ وَغْرُ المَصِيفةِ والعِظامِ عَوَاري[4]

مُشُطَ العِظامِ تراهُ آخرَ لَيلِه مُتَسربِلاً في دِرعِه لغِوَارِ[5]

إذ لا أزالُ على رِحَالةِ نَهْدةٍ جَرْداءَ تُلحِقُ بالنِّجَادِ إزاري[6]

يوماً على أثَرِ النِّهابِ وتارةً كُتِبَت مُجاهِدةً مع الأنصارِ[7]

وزُهاءَ كلِّ خَمِيلةٍ أزهَقتُها مَهَلاً تَمهَّلُه وكلُّ خَبَارِ[8]

---

(١) يَكلِمنهم، أي: يَجرَحنهم.

(٢) الحلائل: جمع حَليلة، وهي الزوجة. وآية: علامة.

(٣) الغَزِيّ: جماعة القوم الذين يَغزُون.

(٤) تسفَّع لونه، أي: غيّره إلى السُّفعة، وهي سواد بحُمرة. والوَغْر: شدة الحرّ. والمَصِيفة: الأرض اشتدّ حرُّها.

(٥) مُشُط العظام، أي: قليل اللحم الذي على العظام. ومتسربِلاً، أي: لابساً، والسِّربال: كل ما يُلبَس. والغِوَار: الإغارة.

(٦) الرِّحالة هنا: السَّرج. ونَهْدة: غليظة، يعني فرساً. وجرداء: قصيرة الشَّعر. والنِّجاد: حمائل السيف.

(٧) النِّهاب: جمع نَهْب، وهو ما يُغنَم ويُنتهَب.

(٨) زُهاء، أي: قَدْر. وخميلة، أي: رَمْلة طيّبة ينبت فيها شجر، يريد أرضاً مزروعة ليّنة. وأزهقتها، بمعنى: دفعتها للتقدّم فيما فيه إتعابها وإتلافها. والمَهَل: التأنّي والتُّؤَدة. والخَبَار: أرض ليّنة التراب.

كَيْمـا أُغيِّـرَ مـا بهـا مـن حاجـةٍ وتَـــوَدُّ أنّـــي لا أؤُوبُ فَجَـــارِ[1]

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة، قال: أُسِرَ زهيرُ بن العَجْوة الهُذَليُّ يومَ حُنينٍ فكُتِفَ، فرآه جميلُ بن مَعمَرٍ الجُمَحيّ فقال له: أنتَ الماشي لنا بالمَغايِظِ! فضربَ عُنُقَه، فقال أبو خِراشٍ الهُذَليّ يَرثيهِ[2]، وكان ابنَ عمِّه:

عَجَّـفَ أضـيافي جميـلُ بـن مَعمَـرٍ بـذِي فَجَـرٍ تَـأوي إليـه الأرامـلُ[3]

طويـلِ نِجَـادِ السّـيفِ لـيس بجَيـدَرٍ إذا اهتـزَّ واستَرخَت عليـه الحَمائـلُ[4]

تَكـــادُ يـــداهُ تُســـلِمانِ إزارَه مـن الجُـودِ لمّـا أذلَقَتْـه الشَّـمائلُ[5]

إلـى بيتِـه يـأوي الضَّـريكُ إذا شَـتَا ومُسـتنبِحٌ بـالِي الدَّرِيسَـينِ عائـلُ[6]

---

(١) لا أؤوب، أي: لا أرجع. وفَجَارِ: بمعنى فاجرة، وهو معدول عنه.

(٢) انظر «شرح أشعار الهذليّين» صنعة أبي سعيد السكَّريّ ٣/ ١٢٢١، وكتاب «الاختيارَين» للأخفش الأصغر ص٦٨٠. ثم أسلم أبو خِراش وحَسُن إسلامه، وتوفي زمن عمر.

(٣) عجَّف أضيافي: هَزَلَهم وأجاعهم بقتله، وفي المصدرين المذكورين: فجَّع أضيافي؛ من الفَجيعة: وهي المصيبة. والفَجَر: الجُود والكرم.

(٤) النِّجاد: حمائل السيف، والحمائل: جمع حِمالة، وهي عِلاقة السيف، ويكنى بطولها واسترخائها عن طول القامة. والجَيدَر: القصير.

(٥) أذلقته: جَهَدَته وأمحَلَته. والشمائل: رياح الشَّمال الباردة، ومعها القَحْط؛ يصفه بالجُود مع الجَدْب وذلك حين تهيج ريح الشمال شتاءً، قال السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٢٢٩: يريد أنه من سخائه يريد أن يتجرَّد من إزاره لسائله، فيُسلِمه إليه.

(٦) الضَّريك: الفقير السيِّئ الحال. وقوله: إذا شتا، أي: إذا أصابته مجاعة وقِلّة.

والمُستنبِح: الذي يضلُّ بالليل فينَبِح نِباحَ الكلاب لتسمعَه الكلابُ فتجاوبَه، فيعلمَ مواضعَ البيوت فيَقصِدَها. وبالي الدَّريسين، الدَّرِيس: الثوبُ الخَلَقُ البالي، وثنّاه لأنه أراد به الإزار والرِّداء، وهو أقلُّ ما يكون للرجل من اللباس. والعائل: الفقير.

تَـرَوَّحَ مَقـرُوراً وهَبَّـتْ عَشـيّةً ... لهـا حَـدَبٌ تَحتثُّـه فيُوائـلُ[1]

فمـا بـالُ أهـلِ الـدّارِ لـم يَتَصـدَّعوا ... وقـد بـانَ منهـا اللَّـوذَعيُّ الحُلاحِـلُ[2]

فأُقسِـمُ لـو لاقَيتَـه غيـرَ مُوثَـقٍ ... لَآبَـكَ بـالنَّعْفِ الضِّـباعُ الجَيائـلُ[3]

وإنّـكَ لـو واجَهتَـه أو لَقِيتَـهُ ... فنازَلتَـه أو كنـتَ ممّـن يُنـازِلُ

لَظَـلَّ جميـلٌ أفحَـشَ القـومِ صِـرْعةً ... ولكـنَّ قِـرنَ الظَّهـرِ للمَـرءِ شـاغِلُ[4]

فلـيس كعَهـدِ الـدّارِ يـا أمَّ ثابـتٍ ... ولكـن أحاطَـتْ بالرِّقـابِ السّلاسِـلُ[5]

وعـادَ الفتـى كالشّـيخِ لـيس بفاعـلٍ ... سوى الحقِّ شيئاً واستَراحَ العَواذِلُ[6]

---

(١) تروَّح مقروراً، أي: اهتزّ وارتعش من الريح الباردة، والمقرور: الذي أصابه القَرُّ، وهو البَرْد.

والحَدَب: تراكبُ الريح في هبوبها كما يتراكب الماءُ في جريه، وذلك إذا اشتدَّت، وذهب السهيليُّ إلى أن الخَدَبَ أشبه بمعنى البيت، لأنهم يقولون: ريح خَدْباء، كأنّ بها خَدَباً، وهو الهَوَجُ.

وتحتثّه: تسوقه سوقاً سريعاً، ويروى: تجتثه بالجيم، أي: تقتلعه من الأرض. ويوائل: يطلب مَوئِلاً، وهو الملجأ.

(٢) لم يتصدَّعوا: لم يتفرقوا. واللَّوذعي: الذكيّ البيِّن اللسان. والحُلاحِل: السيد الشجاع.

(٣) غير مُوثَق، أي: غير مأسور مربوط بالحبل. وآبَكَ، أي: رجع إليك. والنَّعف: أسفل الجبل. والجيائل: من أسماء الضِّباع، الواحد: جَيأَلٌ.

(٤) أفحش القوم صِرعة، أي: أشنعهم قِتلةً، والصِّرعة: هيئة الصَّرْع. وقِرْن الظَّهر: هو الذي يأتيه من وراء ظهره من حيث لا يراه.

(٥) أي: ليس الأمر كما عهدتِ، ولكن جاء الإسلام فأحاط برقابنا، فلا نستطيع أن نعمل شيئاً.

(٦) يقول: رجع الفتى عمّا كان عليه من فتوّة وفتكٍ وصار كأنه كهلٌ صاحب حكمة لا يصنع شيئاً إلا ما يوافق الحقَّ. والعواذل: اللَّوائم ـ جمع لائمٍ ـ من النساء.

وأصبَحَ إخوانُ الصَّفاءِ كأنّما ... أهالَ عليهم جانبَ التُّربِ هائلُ[1]

فلا تَحسَبي أنّي نَسِيتُ لَياليا ... بمكّةَ إذ لم نَعْدُ عمّا نُحاوِلُ[2]

إذِ النّاسُ ناسٌ والبِلادُ بغِرّةٍ ... وإذ نحنُ لا تُثنَى علينا المَداخِلُ[3]

قال ابن إسحاق: وقال مالكُ بن عوفٍ وهو يعتذرُ يومَئذٍ من فِرَاره:

مَنَعَ الرُّقَادَ فما أُغمِّضُ ساعةً ... نَعَمٌ بأجزاعِ الطّريقِ مُخضرَمُ[4]

سائِلْ هوازنَ هل أضُرُّ عدوَّها ... وأُعِينُ غارِمَها إذا ما يَغرَمُ[5]

وكَتيبةٍ لَبَّستُها بكَتيبةٍ ... فِئتَينِ منها حاسِرٌ ومُلأَّمُ[6]

ومُقدَّمٍ تَعْيا النُّفوسُ لضِيقِه ... قَدَّمتُه وشُهودُ قومي أعلمُ[7]

فوَرَدتُه[8] وتَرَكتُ إخواناً له ... يَرِدُون غَمْرتَه وغَمْرتُه الدّمُ

فإذا انجَلَت غَمَراتُه أورَثْنَني ... مجدَ الحياةِ ومجدَ غُنْمٍ يُقسَمُ[9]

---

(١) وأصبح إخوان الصفاء، أي: من كانوا لنا أصفياء قبل الإسلام. وأهال: صبَّ.

(٢) لم نعدُ، أي: لم يمنعنا شيء ممّا نريده.

(٣) الغِرّة: الغفلة، ويروى ـ كما في بعض النسخ ـ: بعِزّة. ولا تثنى: لا تُعطَف.

(٤) النَّعم: الإبل، أو كل ماشية أكثرها الإبل. وأجزاع الطريق: جمع جِزْع، وهو ما انعطف منه. ومخضرم: صفة لنَعَمٍ، وهو الذي قُطِع طرفُ أُذنه، ليكون ذلك علامةً له.

(٥) الغارم: الذي تحمّل دَيناً ثقيلاً.

(٦) الكتيبة: القطعة العظيمة من الجيش. والحاسر: الذي لا درعَ عليه. والملأَّم: الذي لبس اللَّأمة، وهي الدّرع.

(٧) مقدَّم: يعني موضعاً لا يتقدَّم فيه إلا الشجعان.

(٨) في (ش١) و(ش٢) و(ص) و(ط) و(ف) و(م): فرددته. والغمرة: الشِّدّة، والشيء الكثير يَغمُر.

(٩) انجلت غمراته، أي: انكشفت الشدائد.

كَلَّفتُمـــوني ذَنْـــبَ آلِ محمّـــدٍ ... واللهُ أعلـــمُ مَـــن أعَـــقُّ وأظلَـــمُ
وخَـــذَلتُموني إذ أُقاتِـــلُ واحـــداً ... وخَـــذَلتُموني إذ تقاتِـــلُ خَـــثعَمُ
وإذا بَنَيتُ المجدَ يَهدِمُ بعضُكم ... لا يَســـتَوي بـــانٍ وآخَـــرُ يَهـــدِمُ
وأقَـبَّ مِخْمـاصِ الشِّـتاءِ مُسـارعٍ ... في المجـدِ يَنْمـي للعُلَـى مُتكـرِّمُ[1]
أكرَهـــتُ فيـــه ألّـــةً يَزَنيّـــةً ... سَـحْماءَ يَقـدُمُها سِـنانٌ سَـلجَمُ[2]
وتَرَكـــتُ حَنَّتَـــه تَـــرُدُّ وَلِيَّـــه ... وتقـول: لـيس علـى فُلانـةَ مَقـدَمُ[3]
ونَصَبتُ نفسي للرّماحِ مُدجَّجاً ... مِثـلَ الدَّرِيّـةِ تُسـتحَلُّ وتُشـرَمُ[4]

قال ابن إسحاق: وقال قائلٌ في هوازنَ أيضاً، يذكرُ مَسِيرَهم إلى رسول الله ﷺ مع مالك بن عوفٍ بعدَ إسلامه:

أُذكُـرْ مَسِـيرَهمُ للنـاسِ إذ جَمَعـوا ... ومالـــكٌ فوقَـــه الرّايـــاتُ تَختَفِـــقُ
ومالـــكُ مالـــكٌ مـــا فوقَـــه أَحـــدٌ ... يـــومَ حُنـــينٍ عليـــه التّـــاجُ يـــأتلِقُ[5]
حتَّى لَقُوا الباسَ حين الباسُ يَقدُمُهمْ ... علـيهم البَـيضُ والأبـدانُ والـدَّرَقُ[6]

---

(١) الأقبّ: الضامرُ الخصرِ. والمِخماص: الضامر البطن. وهو يصفُ نفسه.

(٢) الألّة: الحَرْبة. ويَزَنيّة: منسوبة إلى ذي يَزَن، وهو ملك من ملوك حِميَر. وسحماء: سوداء العصا. وسنان سَلجَم، أي: طويل.

(٣) حَنّته: يعني زوجته، سُمّيت بذلك لأنها تحنُّ إليه ويحنُّ إليها.

(٤) المدجَّج: الكامل السلاح. والدَّرِيّة ـ وفي بعض النسخ: الدَّرِيئة ـ: الحَلْقة التي تُنصَب فيُتعلَّم فيها الطعن. وتُستحلّ: من الحِلِّ، أي: تُستباح، ويروى: تُستخَل، بالخاء ـ كما في (ش١) و(ش٢) و(ط) ـ أي: تُطعَن، قال السهيليُّ: وهو أظهر في المعنى. وتُشرَم، أي: تُقطَع.

(٥) يأتلق: يلمع.

(٦) البأس: الشدة والشجاعة. والبَيض: جمع بيضةٍ، وهي الخُوذة على الرأس. والأبدان =

فضارَبوا الناسَ حتّى لم يَرَوا أحداً ... حولَ النبيِّ وحتّى جَنَّه الغَسَقُ[1]

ثُمّتَ نُزِّلَ جِبريلُ بنصرِهِم ... من السماءِ فمهزومٌ ومُعتنَقُ[2]

منّا ولو غيرُ جِبريلَ يُقاتِلُنا ... لَمَنَّعَتْنا إذاً أسيافُنا العُتُقُ[3]

وفاتَنا عمرُ الفاروقُ إذ هُزِموا ... بطَعنةٍ بَلَّ منها سَرْجَه العَلَقُ[4]

وقالت امرأةٌ من بني جُشَمَ تَرْثي أخوَينِ لها أُصيبا يومَ حُنينٍ:

أعَينَيَّ جُودَا على مالكٍ ... معاً والعلاءِ ولا تَجمُدا[5]

هما القاتلانِ أبا عامرٍ ... وقد كان ذا هَبّةٍ أَربَدا[6]

هما تَرَكاه لَدَى مُجسَدٍ ... يَنُوءُ نَزيفاً وما وُسِّدا[7]

وقال أبو ثَوابٍ زيدُ بن صُحَارٍ، أحدُ بني سعد بن بكر:

ألا هلَ أتَاكَ أن غَلَبَت قُريشٌ ... هوازنَ والخُطوبُ لها شُروطُ[8]

= هنا: جمع بَدَنٍ، وهي الدرع. والدَّرَق: جمع دَرَقةٍ، وهي التّرس من جلدٍ.

(١) جنَّه: سَتَره. والغَسَق: الظُّلمة، يعني ظلمة الغبار.

(٢) مُعتنَق، أي: مأسور.

(٣) العُتُق: جمع عَتِيق، وهو النفيس من الأشياء.

(٤) العَلَق: الدم.

(٥) لا تجمدا، أي: لا تبخلا بالدموع.

(٦) أَربَد: أسد؛ تصف أبا عامر - وهو الأشعريُّ أمير سريّة أوطاس رضي الله عنه - بالشجاعة.

(٧) المُجسَد: الذي صُبغ بالجِسَاد، وهو الزعفران. ويَنُوء: ينهض متثاقلاً لإعيائه. والنزيف: الذي سال دمه حتى ضعف. وما وُسِّدا، أي: ما دُفِنا.

وقد تقدّمت هذه الأبيات ص١٥٦ بشيء من الاختلاف منسوبة إلى رجل من جُشَم لا امرأة.

(٨) الخطوب: جمع خَطْب، وهو الأمر الشديد.

وكنّـا يـا قـريشُ إذا غَضِـبْنا يَجيءُ من الغِضابِ دمٌ عَبيطُ[1]

وكنّـا يـا قـريشُ إذا غَضِـبْنا كـأنّ أُنوفَنـا فيهـا سَـعُوطُ[2]

فأصـبَحْنا تُسـوِّقُنا قـريشٌ سِياقَ العِيرِ يَحدُوها النَّبِيطُ[3]

فلا أنَاْ إن سُئِلتُ الخَسْفَ آبٍ ولا أنَـاْ أن أَلِـينَ لهـم نَشـيطُ[4]

قال ابن هشام: ويقال: أبو ثَوابٍ زيادُ بن ثَوابٍ.

وأنشدني خلفٌ الأحمرُ قولَه: يجيءُ من الغِضابِ دمٌ عَبيطٌ، وآخرَها بيتاً، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه عبدُ الله بن وهبٍ، رجلٌ من بني تَميمٍ ثمّ من بني أُسيِّدٍ، فقال:

بشَـرْطِ الله نضـربُ مَـن لَقِينـا كأفضلِ ما رأيتَ من الشُّـروطِ

---

(١) الدم العبيط: الطريّ.

(٢) السعوط: الدواء يوضع في الأنف فيهيجه، يريد: تحمى أنوفُنا.

(٣) النَّبيط: جيل من الناس كانوا ينزلون سوادَ العراق، ثم استُعمِل هذا في أخلاط الناس وعوامّهم.

(٤) الخسف: الذل، وآبٍ: اسم فاعل من أَبَى، وأَبَى الخسف: امتنع من الرِّضا بالذل.

تنبيه: زاد في آخر هذه الأبيات في (ش١) وحدها ـ وهو في طبعة السقا وصاحبيه ـ هذا البيت مع التأشير عليه بعلامة الحذف، وذكر على حاشيتها أنه يروى أيضاً بدل القُطوط: الخُطوط، ثم نبّه على أن هذا البيت في رواية ابن سعد (يعني في رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق دون أصحابه):

سيُنقَـلُ لحمُهـا في كـلّ فـجٍّ وتُكتَبُ في مَسامعِها القُطوطُ

وهذا البيت مع التنبيهين عليه وقع في حاشية (ش٢)، فالظاهر أن ناسخ (ش١) إنما نقله عنه.

والقُطوط: جمع قِطٍّ، وهو الصَّكّ أو الكتاب.

وكنّا يا هوازنُ حين نُلقَى ... نَبُلُّ الهامَ من عَلَقٍ عَبيطِ[1]

بجَمعِكمُ وجَمعِ بني قَسِيٍّ ... نَحُكُّ البَرْكَ كالوَرَقِ الخَبيطِ[2]

أصَبْنا من سَراتِكمُ ومِلْنا ... بقتلٍ في المُباينِ والخَليطِ[3]

به المُلْتاثُ مُفتَرِشٌ يدَيهِ ... يَمُجُّ الموتَ كالبَكْرِ النَّحيطِ[4]

فإن تَكُ قيسُ عَيْلانٍ غِضاباً ... فلا يَنفَكُّ يُرغِمُهم سَعُوطي

وقال خَدِيجُ بن العَوجاءِ النَّصْريّ:

ولمّا دَنَونا من حُنينٍ ومائِهِ ... رأينا سَواداً مُنكَرَ اللّونِ أخصَفا[5]

بمَلمُومةٍ شَهْباءَ لو قَذَفوا بها ... شَمارِيخَ من عَرْوَى إذاً عادَ صَفصَفا[6]

---

(١) الهامُ: الرؤوس، واحدها: هامَةٌ. والعَلَق: الدم. والعَبيط: الطريّ.

(٢) بنو قَسيّ: هم ثقيفٌ أهل الطائف. والبَرْك: صدر البعير، وحكُّ البَرْك هنا كناية عن شدّة الحرب. والورق الخبيط: الذي يُضرَب بالعصا ليسقط فتأكله الماشية.

(٣) السَّراة: السادة والأشراف. والمباين: المفارق المنهزم. والخليط: الذي ما زال في أرض المعركة مخالطاً لأقرانه.

(٤) الملتاث هنا: اسم رجل، قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٤٤. ويمجّ الموت، أي: يبصقه، كناية عن شدّة مصابه. والبَكْر: الفتيُّ من الإبل. والنَّحيط: الذي يردِّد النفس في صدره حتى يُسمَع له دَوِيٌّ.

(٥) سواداً: يعني أشخاصاً على البُعد. والأخصَف: الذي فيه ألوان.

(٦) ملمومة، أي: كتيبة من الجُند مجتمعة. وشهباء: لها بريق ولمعان من كثرة السلاح. والشماريخ: أعالي الجبال، واحدها: شِمْراخ. والصَّفصَف: المستوي من الأرض.

وعَروى: قد اختلفت النسخ الخطية في تقييده على أوجه، منها: عزوى، بالزاي، مرةً بفتح العين وأخرى بضمّها، ومنها: غُزوى، بالغين في أوله، ومنها: عدوى، بالدال، ومنها: عَرْوى، كما أثبتنا، بفتح العين وسكون الراء، وهو الذي صوّبه الأستاذ عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم =

ولـو أنّ قَـوْمي طـاوَعَتْني سَـرَاتُهم إذاً مـا لَقِينـا العـارضَ المُتَكشِّـفا[1]

إذاً مـا لَقِينـا جُنـدَ آلِ محمّـدٍ ثمـانينَ ألفـاً واسـتَمدُّوا بخِنـدِفا[2]

= الجغرافية» ص٢٠٧ وقال: هو جبل أسود بنَجْد، وعنده ماء يسمَّى باسمه، وقد أُحدِثَت هناك قرية، وهي تتبع إداريّاً مدينة الدَّوادِمي وتبعد عنها قرابة ٧٠ كيلاً جنوباً.

(١) العارض: السحاب. والمتكشِّف: الظاهر، وفي نسخة على حاشية (ش١): المتكثّف، وهي كذلك عند أبي ذر الخُشنيّ في «إملائه» ص٤٠٦، وقد فسّره بقوله: هو الذي التفَّ بعضُه ببعض.

(٢) خِندِفُ: الظاهر أنه أراد خُزاعة، فخندفُ أمُّهم.

وقوله: ثمانين ألفاً، هذا مما لا يصحّ، فكلُّ من كان معه ﷺ في يوم حنينٍ اثنا عشر ألفاً كما تقدّم في أوائل الكلام على هذه الغزوة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ذكرُ غزوة الطّائف

بعد حُنينٍ في سنة ثمانٍ

ولمّا قَدِمَ فَلُّ[1] ثَقيفٍ الطّائفَ، أغلَقُوا عليهم أبوابَ مدينتها، وصَنَعوا الصَّنائعَ للقتال.

ولم يَشهَدْ حُنيناً ولا حِصارَ الطّائفِ عُرْوةُ بن مسعودٍ ولا غَيْلانُ بن سَلَمة[2]، كانا بجُرَشَ[3] يتعلَّمانِ صَنْعةَ الدَّبّاباتِ والمَجانِيقِ والضُّبُور[4].

ثمّ سارَ رسولُ الله ﷺ إلى الطّائفِ حين فَرَغَ من حُنينٍ، فقال كعبُ بن مالكٍ حين أجمَعَ رسولُ الله ﷺ السَّيرَ إلى الطّائف[5]:

قَضَيْنا مِن تِهامةَ كلَّ رَيبٍ ... وخَيبَرَ ثمّ أجمَمْنا السُّيوفا[6]

---

(١) الفَلّ: الجماعة المنهزمون من الجيش.

(٢) وهما الثقفيّانِ من أهل الطائف، فإنهما لم يشهدا حُنيناً مع قومهما ثقيفٍ، وكانا إذ ذاك مشركَين.

(٣) تقدّم التعريف بجُرَش قريباً ص١٧٧.

(٤) قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٠٧: الدبّابات آلات تُصنَع من خشب وتُغشَّى بجلود، ويدخل فيها الرّجال ويتّصلون بحائط الحصن فيَنقُبونه على أهله. اهـ

والمجانيق: جمع مَنجَنيق، وهي من آلات الحصار يرمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها.

والضُّبور: جمع ضَبْر، وهو شيء يشبه القُفّة يُصنع من خشب ويُغَشّى بالجلد كالدَّبّابة يحتمي به الرجال عند تقدمهم إلى الحصون، وبعض أهل اللغة يفسّره بالدبابة نفسها.

(٥) انظر «ديوان كعب» ص٦٦.

(٦) تهامة: ما انخفض من أرض الحجاز إلى ساحل البحر الأحمر، من أهمّ مدنه مكّة وجُدّة. والرَّيب: الشكّ. وأجمَمْنا: أرَحْنا.

نُخيِّرُها ولو نَطَقَت لقالتْ ... قَواطِعُهنَّ: دَوْساً أو ثَقيفا[1]

فلستُ لحاضِنٍ إن لم تَرَوْها ... بساحةِ دارِكمْ منّا أُلوفا[2]

ونَنتَزِعُ العُروشَ ببَطنِ وَجٍّ ... وتُصبِحُ دُورُكمْ منكم خُلُوفا[3]

ويأتيكمْ لنا سَرَعانُ خيلٍ ... يُغادِرُ خَلفَه جَمْعاً كَثيفا[4]

إذا نَزَلوا بساحَتِكم سمعتُم ... لها ممّا أناخَ بها رَجِيفا[5]

بأيدِيهم قَواضِبُ مُرهَفاتٌ ... يُزِرْنَ المُصطَلِينَ بها الحُتُوفا[6]

كأمثالِ العَقائقِ أخلَصَتْها ... قُيونُ الهندِ لم تُضرَبْ كَتِيفا[7]

---

(١) قواطعهن: يعني حدَّ السيوف، يريد: لو نطقت سيوفنا لاختارت أن نحارب دوساً أو ثقيفاً.

(٢) الحاضن: المرأة التي تحضن ولدها، وفي نسختَي (ش١) و(ش٢): لحاصنٍ، بالصاد، وهي المرأة العفيفة الكريمة، وقيّده في (م) بالوجهين؛ يريد لست ابن هذه المرأة الحاضنة أو العفيفة إذا لم أحقِّق ما توعّدتكم به. وساحة الدار: وسطها أو فِناؤها.

(٣) العروش هنا: الأخشاب التي تُدعم بها كُروم العنب. ووَجٌّ: هو وادي الطائف. وخُلوفاً، أي: غائبين عنها تاركين لها. يقول متهدِّداً لهم: سنقتلع كرومكم ونقتّل رجالكم.

(٤) السَّرَعان: هم المتقدِّمون على غيرهم. والكثيف: الملتفّ بعضه فوق بعض، ويروى: كشيفاً، بالشين بدل الثاء، أي: مكشوفاً؛ كأنه يريد بذلك كثرةَ من يتركونهم قتلى بعضهم فوق بعض، أو هم مكشوفون في العراء لا يسترهم شيء.

(٥) رجيفاً: من رواه بالراء، فيعني به الصوت الشديد مع اضطراب، مأخوذ من الرَّجفة، ومن رواه: وجيفاً، بالواو، فمعناه: سريع يُسمَع صوت سرعته.

(٦) القواضب: السيوف القواطع، جمع قاضِبٍ. والمُرهَفات: القاطعة أيضاً. والمُصطَلُون: المباشرون لها الذين أصابتهم هذه السيوف. والحُتوف: جمع حَتْف، وهو الموت.

(٧) العقائق: جمع عَقِيقة، وهي شعاع البرق هنا، وقد أكثروا استعارتها للسيف حتى جعلوها من أسمائه كما قال الزمخشريُّ في «أساس البلاغة» ص٦٧٠. =

تَخــالُ جَدِيّــةَ الأبطــالِ فيهــا غَــداةَ الزَّحــفِ جادِيّــاً مَــدُوفا[1]

أجِــدَّهمُ ألــيسَ لهــمْ نَصــيحٌ مــن الأقــوامِ كــان بنــا عَرِيفــا[2]

يُخبِّــرُهم بأنّــا قــد جَمَعْنــا عِتاقَ الخيلِ والنُّجُبَ الطُّروفا[3]

وأنّــا قــد أَتينــاهمْ بزَحــفٍ يُحيطُ بسورِ حِصنِهِم صُفوفا[4]

رئيســهمُ النبــيُّ وكــان صُــلْباً نَقــيَّ القلــبِ مُصــطبِراً عَزُوفــا[5]

رَشِــيدَ الأمــرِ ذا حُكــمٍ وعِلــمٍ وحِلــمٍ لــم يكــن نَزِقــاً خَفيفــا[6]

نُطيــعُ نبيَّنــا ونُطيــعُ ربّــاً هــو الــرَّحمنُ كــان بنــا رَؤُوفــا

فــإن تُلْقُــوا إلينــا السِّــلمَ نَقبَــلْ ونَجعَلْكــم لنــا عَضُــداً ورِيفــا[7]

= والقُيون: جمع قَيْن، وهو الحدّاد. وكَتِيف: جمع كَتيفة، وهي صفيحة حديد صغيرة عريضة تستخدم في صنع الأبواب.

(١) تخال: تظنّ. الجديّة: الدم السائل على الجسد. والزَّحف: دنوّ المتحاربين بعضهم من بعض. والجاديّ: الزّعفران. ومَدُوف، أي: مخلوط بغيره؛ يريد الدمَ.

(٢) أجدَّهم: الهمزة للاستفهام، وجِدَّ بمعنى: حقّاً، وانظر تفصيل الكلام عليها في «خزانة الأدب» لعبد القادر البغدادي ٢/ ٧٩، وفيه استشهاده ببيت كعب هذا. وعريفاً هنا: عارفاً.

(٣) العِتاق: جمع عتيق، وهو النفيس من كل شيء. والنُّجب: جمع نَجِيب، وهو العتيق الكريم. والطُّروف: جمع طِرْف، وهو أيضاً الكريم من الخيل.

(٤) الزَّحف هنا: الجيش.

(٥) العزوف: المنصرف عن الشيء الزاهد فيه مع إعجابه به. ووقع في النسخ (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ق٢) و(ي): عَرُوفا، بالراء، وقيّده ناسخ (ط) بالوجهين، وهو عند أبي ذرٍّ الخشنيِّ بالراء أيضاً، وفسّره بالصابر، والعروف أيضاً: العارفُ التامُّ المعرفة.

(٦) النَّزِق: الكثير الطَّيش والخِفّة.

(٧) الرِّيف: المواضع المخصبة التي على المياه، يريد: نتّخذكم أعواناً على الحرب ونستمدّ من ريفكم العيش.

وإن تـأبَوْا نُجاهِـدْكم ونَصـبِرْ ... ولا يَـكُ أمرُنـا رَعِشـاً ضَـعيفا[1]

نُجالِـدُ مـا بَقِينـا أو تُنِيبـوا ... إلـى الإسـلامِ إذعانـاً مُضِـيفا[2]

نُجاهـدُ مـا نُبـالِي مـا لَقِينـا ... أأهلَكْنـا الـتِّلادَ أمِ الطَّريفـا[3]

وكـم مـن مَعشَـرٍ أَلَبُـوا علينـا ... صَـمِيمَ الجِـذْمِ منهم والحَلِيفا[4]

أَتَوْنـا لا يَـرَونَ لهـم كِفـاءً ... فجَـدَّعْنا المَسـامعَ والأُنوفـا[5]

بكـلِّ مُهنَّـدٍ لَـيْنٍ صَـقِيلٍ ... نسـوقُهمُ بهـا سَـوْقاً عَنيفـا[6]

لِأمـرِ الله والإسـلامِ حتّـى ... يقـومَ الـدِّينُ مُعتـدِلاً حَنيفـا[7]

وتُنسَـى الـلّاتُ والعُـزَّى ووَدٌّ ... ونَسـلُبُها القلائـدَ والشُّـنُوفا[8]

فأمسَـوْا قـد أقَـرُّوا واطمـأنُّوا ... ومَـن لا يَمتنِـعْ يُقتَـلْ خُسـوفا[9]

فأجابه عبدُ يالِيلَ بن عمرو بن عُمَيرٍ، فقال:

---

(١) رعشاً: متقلِّباً غير ثابت.

(٢) نجالد: نحارب بالسيوف. والإذعان: الذل والخضوع. ومضيفاً، معناه: مُشفِق خائف، يقال: أضاف من الأمر، إذا أَشفق منه وخاف.

(٣) التِّلاد: المال القديم، والطَّريف: المال المُحدَث.

(٤) أَلَبوا علينا: جَمَعوا علينا. والصميم: الخالص النسب في القوم. والجِذْم: الأصل.

(٥) كِفاءً، أي: مِثلاً ونظيراً. وجدَّعنا: قطَّعنا، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٠٨: وأكثر ما يستعمل في قطع الأنوف، ويقال في المَسامع: صَلَمْنا، فلمّا جمعهما أعمَلَ فيهما فعلاً واحداً.

(٦) المهنَّد: السيف. ولَيْن: مخفف من ليِّن، أي: هو ليّن يهتز ولا ينكسر. والعنيف: الذي ليس فيه رفق.

(٧) حنيفاً، أي: مائلاً بعيداً عن الشِّرك والضلال.

(٨) الشُّنوف: جمع شَنْفٍ، وهو القُرْط الذي يكون في أعلى الأُذن.

(٩) يُقتَل خسوفاً، أي: يُقتَل وهو ذليل. ويُروى كما في بعض نسخنا الخطية: يَقبَل خسوفا.

مَـن كـان يَبغِينـا يريـدُ قتالَنـا ... فإنّـا بـدارٍ مَعلَـمٍ لا نَريمُهـا[1]

وَجَدْنا بها الآباءَ من قبلِ ما تَرَى ... وكانـت لنـا أطواؤُهـا وكُرومُهـا[2]

وقد جَرَّبَتنا قبلُ عمرُو بن عامرٍ ... فأخبَرَهـا ذو رأيِهـا وحَليمُهـا[3]

وقد عَلِمَت إن قالتِ الحقَّ أنّنا ... إذا ما أبَتْ صُعْرُ الخُدودِ نُقِيمُها[4]

نُقوِّمُهـا حتّـى يَلِـينَ شَرِيسُـها ... ويَعـرِفَ للحـقِّ المُبِـينِ ظَلُومُها[5]

علينـا دِلَاصٌ مـن تُـراثِ مُحـرِّقٍ ... كلَـونِ السـماءِ زَيَّنَتهـا نُجومُهـا[6]

نُرفِّعُهـا عنّـا ببِـيضٍ صَـوارمٍ ... إذا جُـرِّدَت في غَمْـرةٍ لا نَشِـيمُها[7]

---

(١) مَعلَم، أي: مشهورة. ولا نَرِيمها: لا نَبرَح منها ولا نزول عنها.

(٢) الأطواء: جمع طَوِيٍّ، وهي البئر، جُمِعَت على غير قياس، ويروى: أطوادُها، بالدال كما ذكر الخشنيُّ، ويعني بها الجبال، واحدها: طَوْد. والكُروم: جمع كَرْم، وهو شجر العِنَب.

(٣) أراد بعمرو بن عامر: بني عمرو بن عامر بن صعصعة من هوازن، وكانت لهم الطائف قبل ثقيفٍ، وكانت بنو عمرو بن عامر قد أنزلت ثقيفاً في أرضهم ودفعوا إليهم الطائف ليعملوا فيها ويكون لهم النصف في الزرع والثمر، حتى كَثُرَت ثقيفٌ، فحصَّنوا الطائف وبنوا عليها حائطاً يُطِيف بها، فسُمّيت الطائف، فلمّا قَوُوا بكثرتهم وحصونهم، امتنعوا من بني عمرو بن عامر، فحاربهم هؤلاء، فلم يصلوا إليهم ولم يقدروا عليهم. قاله البكريُّ في «معجم ما استعجم» ١/ ٧٧-٧٨ وذكر هذا الشعر، إلا أنه نسبه للأجشّ بن مرداس الثقفي.

(٤) صُعر الخدود: هي المائلة إلى جهةٍ تكبراً وعُجْباً. ونقيمها، أي: نقيم تلك الخدود المتكبّرة ونردّها خائبة.

(٥) شريسها، أي: شديدها.

وقوله: ويعرف للحق، عند البكريّ في «معجمه»: ويَرجِع للحق، وهي أوضح معنًى.

(٦) الدِّلاص: الليِّن البرّاق، وهو يصف الدروع. ومحرِّق: هو عمرو ابن هندٍ الملكُ، قيل له ذلك لتحريقه بني تميم، ويقال: هو عمرو بن عامر، وهو أوّل من حرّق من العرب بالنار.

(٧) البِيض: السيوف. والصوارم: القواطع. وفي غَمرة، أي: في شدّة. ولا نَشِيمها، أي: =

قال ابن إسحاق: وقال شدّادُ بن عارضٍ الجُشَميُّ في مَسيرِ رسول الله ﷺ إلى الطّائف:

لا تَنصُروا اللّاتَ إنّ الله مُهلِكُها ... وكيفَ يُنصَرُ مَن هُوْ ليس يَنتَصِرُ

إنَّ التي حُرِّقَت بالسُّدِّ فاشتَعَلَت ... ولم تُقاتِلْ لَدَى أحجارِها هَدَرُ[1]

إنَّ الرسولَ متى يَنزِلْ بلادَكُمُ ... يَظعَنْ وليس بها من أهلِها بَشَرُ[2]

قال ابن إسحاق: فسَلَكَ رسولُ الله ﷺ على نَخْلةَ اليَمانيَة، ثمّ على قَرْنٍ، ثمّ على المُلَيح، ثمّ على بَحْرةِ الرُّغَاءِ من لِيّةَ[3]، فابتَنَى بها مسجداً فصلَّى فيه.

فحدّثني عمرو بن شُعَيب: أنه أقادَ يومَئذٍ ببَحْرةِ الرُّغاءِ حين نَزَلها بدمٍ، وهو أوّلُ دمٍ أُقِيدَ به في الإسلام؛ رجلٌ من بني ليثٍ قتل رجلاً من هُذَيلٍ، فقتله به[4].

= لا نُغمِدها، يقال: شِمتُ السيفَ، إذا أغمدتَه، وشِمتُه إذا سللتَه، فهو من الأضداد.

(١) هَدَرٌ، أي: باطل لا يؤخذ بثأر.

(٢) يَظعَن: يرحل.

(٣) نخلة اليمانية: شرق مكة، وتبعد عنها قرابة ٧٥ كم، وعن الطائف قرابة ٦٠ كم.

وقَرْن: هو قرن المنازل، وهو ما يعرف اليوم باسم السيل الكبير، وهو على طريق الطائف من مكة المارّ بنخلة اليمانية، يبعد عن مكة ٨٠ كم، وعن الطائف ٥٣ كم.

ومُليح: وادٍ يصبّ في وادي قرن، شمال الطائف على قرابة ٣٠ كم.

وبَحْرة الرُّغاء بطرف لِيّة من الجنوب، وليّة: وادٍ من أودية الطائف كثير المياه والزرع يمرّ على قرابة ١٥ كم جنوب الطائف.

(٤) هذا خبر مرسل ضعيف، فعمرو بن شعيب من صغار التابعين.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٨٣ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

ورواه أبو عمرو الأوزاعي عن عمرو بن شعيب عند أبي داود (٤٥٢٢) بلفظ: قتل رسول الله ﷺ بالقَسَامة رجلاً من بني نصر بن مالك ببَحْرة الرُّغاء على شطّ ليّة البَحْرة، فقال: القاتل =

وأمَرَ رسولُ الله ﷺ وهو بِليّةَ بحِصْن مالك بن عوفٍ فهُدِمَ، ثمّ سَلَكَ في طريقٍ يقال لها: الضَّيقةُ، فلمّا تَوجَّهَ فيها رسولُ الله ﷺ سأَل عن اسمها فقال: «ما اسمُ هذِه الطَّريقِ؟» فقيل: الضَّيقةُ، فقال: «بل هي اليُسرَى»، ثمّ خرج منها على نَخْبٍ[1] حتّى نَزَلَ تحت سِدْرةٍ يقال لها: الصّادِرةُ، قريباً من مالِ رجلٍ من ثقيفٍ، فأرسَلَ إليه رسولُ الله ﷺ: إمّا أن تخرجَ وإمّا أن نُخرِبَ عليك حائطَك، فأَبى أن يخرجَ، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ بإخرابه[2].

ثمّ مضى رسولُ الله ﷺ حتّى نَزَلَ قريباً من الطّائف، فضَرَبَ به عسكرَه فقُتِلَ به ناسٌ من أصحابه بالنَّبْل، وذلك أنّ العسكرَ اقتَرَبَ من حائطِ الطّائف، فكانت النَّبلُ تَنالُهم، ولم يَقدِرِ المسلمون على أن يَدخُلوا حائطَهم، أغلَقُوه دونَهم، فلمّا أُصيبَ أُولئك النَّفرُ من أصحابه بالنَّبل، وَضَعَ عسكرَه عند مسجدِه الذي بالطّائفِ اليومَ، فحاصَرَهم بِضْعاً وعشرين ليلةً.

قال ابن هشام: ويقال: سبعَ عشرةَ ليلةً[3].

= والمقتول منهم؛ يعني كلاهما من بني نصر بن مالك، وهم من هوازن.

وقال موسى بن عقبة في «مغازيه» كما في «دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ١٥٧ قال: وزعموا أن رسول الله ﷺ حين انصرف إلى الطائف أمَرَ بقصر مالك بن عوف فحُرق، وأقاد بها رجلاً من رجل قتله، ويقال: إنه أوّل قتيل أُقيد في الإسلام.

(١) نخب: وادٍ صغير يمرّ جنوب الطائف على قرابة ٥ كم.

(٢) الظاهر ـ والله أعلم ـ أن هذا من تتمّة خبر عمرو بن شعيب، وقد ساق نحوه الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ٩٢٤-٩٢٥ عن عبد الله بن يزيد الهُذلي عن سعيد بن عمرو الهُذلي، وسعيد هذا مجهول لا يُعرَف.

(٣) وروي نحو هذا عن أبي عبيدة بن الجرّاح عند البيهقي في «السنن» ٩/ ٨٤، لكن تفرّد به هشام بن سعد، وفيه لِينٌ. =

= وقال الواقدي ٣/ ٩٢٧: قد اختُلف علينا في حصاره، فقال قائل: ثمانية عشر يوماً، وقال قائل: تسعة عشر يوماً، وقال قائل: خمسة عشر يوماً.

واختار ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٤٥ بأن الحصار كان ثمانية عشر يوماً، وإلى نحو هذا جنح ابن حزم في «جوامع السيرة» ص٢٤٣ حيث صحّح أنه كان بِضعَ عشرةَ ليلة.

وروى الأوزاعيُّ عن يحيى بن أبي كثير عند أبي داود في «المراسيل» (٣٣٦): أن النبي ﷺ حاصرهم شهراً.

ووقع في حديث السُّميط عن أنس بن مالك عند أحمد (١٢٦٠٨) ومسلم (١٠٥٩)(١٣٦): أن مدّة حصارهم كانت أربعين ليلة، وفيه أيضاً: أن تَعداد جيش المسلمين عند خروجه إلى حنين والطائف كان ستة آلاف، وهذان الحرفان استغربهما في هذا الحديث الحافظ ابنُ كثير في «البداية والنهاية» ٧/ ٩١، قلنا: وعلّة هذه الغرابة هو السُّميط راوي الخبر عن أنس، فإن هذا الرجل مستور الحال، وإنما ساق له مسلم هذا الحديث في الشواهد وليس احتجاجاً به، كما هي عادةُ مسلمٍ في أمثاله من الرواة.

وروى ابن سعد ٢/ ١٤٦، وأبو داود في «المراسيل» (٣٣٥) من طريق سفيان الثوري، عن ثور ابن يزيد، عن مكحول مرسلاً: أن النبي ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف أربعين يوماً. وهو ضعيف لإرساله. وروى منه قصة نصب المَنجَنيق فقط الترمذيُّ بإثر الحديث (٢٧٦٢) من طريق عمر بن هارون عن ثورٍ، لم يذكر فيه مكحولاً، وعمر بن هارون هذا فالجمهور على تضعيفه، وبعضهم ترك حديثه.

وقصة نصب المنجنيق على الطائف قد أنكرها يحيى بنُ أبي كثير فيما رواه عنه الأوزاعيُّ عند أبي داود في «المراسيل» (٣٣٦)، قال الأوزاعي: قلت له: أبلَغَك أنه رماهم بالمجانيق؟ فأنكر ذلك قال: ما يُعرَف هذا.

ورواها العُقيلي في «الضعفاء» (٧٥٠)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٨٣٨) مسندةً عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب، لكن في إسنادها إليه عبدُ الله بن خِراش، وهو متفق على ضعفه، واتهمه بعضهم بالكذب، فقد ذكر الرامهرمزي في «المحدّث الفاصل» ص٣١٦-٣١٧ أن عليَّ ابن المديني سمع من ابن خراش هذا الحديث، قال ابن المديني: فعلمتُ أنه كذّاب. =

قال ابن إسحاق: ومعه امرأتان من نسائه إحداهما أمُّ سَلَمة بنت أبي أُميّة، فَضَرَبَ لهما قُبّتَينِ ثمّ صلَّى بين القُبّتين، ثمّ أقامَ، فلمّا أسلَمَت ثقيفٌ بَنَى على مُصلَّى رسول الله ﷺ عمرُو بن أُميّة بن وهب بن مُعتِّب بن مالكٍ مسجداً، وكانت في ذلك المسجد ساريةٌ فيما يَزعُمون لا تَطلُعُ الشّمسُ عليها يوماً من الدَّهر إلّا سُمِعَ لها نَقيضٌ[1]، فحاصَرَهم رسولُ الله ﷺ وقاتلهم قتالاً شديداً، وتَرامَوْا بالنَّبْل.

قال ابن هشام: ورَمَاهم رسولُ الله ﷺ بالمَنجَنيقِ، حدّثني مَن أَثِقُ به: أنّ رسولَ الله ﷺ أوّلُ مَن رَمَى في الإسلام بالمَنجَنيقِ، رَمَى أهلَ الطّائف[2].

قال ابن إسحاق: حتّى إذا كان يومُ الشَّدْخة[3] عند جدارِ الطّائف، دخل نَفَرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دَبّابةٍ ثمّ زَحَفوا بها إلى جدارِ الطّائفِ ليَخرِقُوه[4]، فأرسَلَت عليهم ثقيفٌ سِكَكَ[5] الحديدِ مُحْماةً بالنار، فخَرَجوا من تحتها، فرَمَتهم ثقيفٌ بالنَّبْلِ فقتلوا منهم رجالاً، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ بقَطْعِ أعنابِ ثقيف، فوَقَعَ

= وذكرها هشام بن سعد في حديث أبي عبيدة بن الجرّاح عند البيهقي المذكور في بداية التعليق، لكن نقل البيهقي عن أبي قِلابة الرَّقَاشي راوي الخبر أنه قال: كان يُنكَر عليه هذا الحديث. قال البيهقي: فكأنه كان يُنكَر عليه وصلُ إسناده، ويحتمل أنه إنما أُنكر رميُهم يومئذٍ بالمجانيق.

وذكرها أيضاً الواقدي في «مغازيه» ٣/ ٩٢٧ عن شيوخه: أن النبي ﷺ نصب عليهم المنجنيق، وزعم أن الذى أشار به سلمانُ الفارسيُّ. وهذا شيء تفرّد به الواقديُّ، وهو متكلَّم فيه.

وخلاصة القول: أن قصة رَمْي النبيِّ ﷺ الطائفَ بالمنجنيق لا تصحُّ ولا تَثبُت.

(١) النَّقيض: الصوت.

(٢) تقدم في التعليق السابق أنه لم يصحَّ شيءٌ في قصة رميهم بالمنجنيق.

(٣) سُمّي بذلك لما شُدِخَ فيه من الناس، والشَّدخ: كسرُ الشيء.

(٤) وفي بعض النسخ: ليحرِّقوه.

(٥) السِّكة: أداة يُحرَث بها الأرض.

الناسُ فيها يَقطَعُون.

وتَقدَّمَ أبو سفيانَ بن حَرْبٍ والمغيرةُ بن شُعْبةَ إلى الطّائف، فنادَيا ثقيفاً: أن آمِنُونا حتّى نُكلِّمَكم، فآمَنُوهما، فدَعَوَا نساءً من نساءِ قُريشٍ وبني كِنانةَ ليَخرُجنَ إليهما، وهما يخافانِ عليهِنَّ السِّباءَ، فأَبَينَ، منهنَّ آمنةُ بنتُ أبي سفيانَ كانت عند عُرْوة بن مسعود، له منها داودُ بن عُرْوة.

قال ابن هشام: ويقال: إنّ أمَّ داودَ ميمونةُ بنتُ أبي سفيان، كانت عند أبي مُرَّة ابن عُرْوة بن مسعودٍ فوَلَدَت له داودَ بن أبي مُرَّة.

قال ابن إسحاق: والفِرَاسيّةُ بنتُ سُوَيد بن عمرو بن ثَعْلبة، لها عبدُ الرَّحمن بن قاربٍ، والفُقَيميّةُ أُمَيمةُ بنتُ النّاسِئِ أُميّةَ بن قَلَعٍ، فلمّا أَبَينَ عليهما، قال لهما ابنُ الأسوَد بن مسعود: يا أبا سفيانَ ويا مغيرةُ، ألا أدُلُّكما على خيرٍ ممّا جئتُما له، إنّ مالَ بني الأسوَد بن مسعودٍ حيثُ قد عَلِمتُما ـ وكان رسولُ الله ﷺ بينَه وبينَ الطّائف نازلاً بوادٍ يقال له: العَقِيقُ[1] ـ إنّه ليس بالطّائفِ مالٌ أبعدُ رِشاءً ولا أشدُّ مَؤُونةً[2] ولا أبعدُ عِمارةً من مال بني الأسوَد، وإنّ محمّداً إن قَطَعَه لم يُعمَرْ أبداً، فكَلِّماه فليأخُذْه لنفسه أو ليدَعْه لله والرَّحِم، فإنّ بيننا وبينه من القَرَابة ما لا يُجهَلُ[3]. فزَعَموا أنّ

---

(١) وهو وادٍ شمال الطائف، وقد دخل اليوم في عمرانها.

وكان نزول رسول الله ﷺ هذا الوادي عند انسحابه عن الطائف، أما عُظْم حصاره لها فكان من جهة الشرق والجنوب، وانظر «معجم المعالم الجغرافية» لعاتق البِلاديّ ص٢١٣-٢١٤.

(٢) الرِّشاء: الحبل الذي يُربط به الدّلو، يريد أن ماءها بعيد القعر. والمَؤونة: القُوت، يريد أن جلب القُوت منها شديد ثقيل لبُعدها.

(٣) يذكر بعض أهل النسب أن الجدّة الخامسة للنبي ﷺ أو مَن دونها من جهة أمّه آمنة كانت من ثقيف، انظر «الطبقات» لابن سعد ١/ ٤١، و«المعارف» لابن قتيبة ص١٣١، و«الروض =

رسول الله ﷺ تَرَكَه لهم.

وقد بَلَغَني: أنّ رسولَ الله ﷺ قال لأبي بكرٍ الصِّدِّيق وهو محاصرٌ ثقيفاً: «يا أبا بكرٍ، إنِّي رأيتُ أنِّي أُهدِيَتْ لي قَعْبةٌ[1] مَملُوءَةٌ زُبْداً، فنَقَرَها دِيكٌ فهَرَاقَ[2] ما فيها» فقال أبو بكرٍ: ما أظُنُّ أن تُدرِكَ منهم يومَك هذا ما تريدُ، فقال رسول الله ﷺ: «وأَنا لا أُرَى ذلكَ»[3].

ثمّ إنّ خُوَيلةَ بنتَ حَكِيم بن أُميّة بن حارثة بن الأَوقَصِ السُّلَميّة، وهي امرأةُ عثمانَ بن مظعونٍ، قالت: يا رسولَ الله، أَعطِني إن فَتَحَ اللهُ عليك الطّائفَ حُلِيَّ بادِيَةَ بنتِ غَيْلانَ بن سَلَمة، أو حُلِيَّ الفارعةِ بنتِ عَقيلٍ، وكانتا من أَحلَى نساءِ ثقيفٍ[4].

فذُكِرَ لي: أنّ رسولَ الله ﷺ قال لها: «وإن كانَ لم يُؤذَنْ لي في ثَقيفٍ يا خُوَيلةُ؟!» فخرجت خُوَيلةُ فذَكَرَت ذلك لعمرَ بن الخَطّاب، فدخل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ما حديثٌ حدَّثَتنيهِ خُوَيلةُ زَعَمَت أنّك قُلتَه؟ قال: «قد قُلْتُه» قال: أوَما أُذِنَ فيهم يا رسولَ الله؟ قال: «لا» قال: أفلا أُؤذِّنُ بالرَّحيل؟ قال: «بَلَى» قال: فأذَّنَ عمرُ بالرَّحيل[5].

= الأنف» للسهيلي ١/ ٤٤٠.

(١) القَعْبة: القَدَح.

(٢) أي: أراقَ وأسالَ.

(٣) ضعيف لإعضاله، فهو من بلاغات ابن إسحاق التي لم تتصل بإسناد.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٨٤-٨٥، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٦٩ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

وذكره الواقديُّ أيضاً في «مغازيه» ٣/ ٩٣٦ بلا إسناد.

(٤) أي: من أكثر نساء ثقيف حليّاً.

(٥) روى نحو هذا ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٤/ ٥٠٨ عن عبد الوهاب الثقفي، عن عبد الله =

فلمّا استَقلَّ الناسُ[1] نادى سعيدُ بن عُبيد بن أَسِيد بن أبي عمرو بن عِلَاجٍ: ألا إنّ الحيَّ مُقيمٌ، قال: يقول عُيَينةُ بن حِصْن: أجَلْ والله، مَجَدةً كِراماً؛ فقال له رجلٌ من المسلمين: قاتَلَك اللهُ يا عُيَينةُ، أتمدَحُ المشركين بالامتِناع من رسول الله ﷺ وقد جئتَ تَنصُرُ رسولَ الله ﷺ؟! فقال: إنّي والله ما جئتُ لأُقاتلَ ثقيفاً معكم، ولكنّي أردتُ أن يَفتَحَ محمّدٌ الطّائفَ فأُصيبَ من ثقيفٍ جاريةً أتَّطِئُها، لعلَّها تَلِدُ لي رجلاً، فإنَّ ثقيفاً قومٌ مَناكِيرُ[2].

ونَزَلَ على رسول الله ﷺ في إقامتِه ممّن كان مُحاصَراً بالطّائف عَبِيدٌ فأسلموا، فأعتَقَهم رسولُ الله ﷺ.

= ابن عثمان بن خُثَيم، عن أبي الزُّبير المكّي مرسلاً: أن خولة جاءت النبيّ ﷺ فقالت: إني نبِّئت أن بنت خُزاعة ذات حليّ، فنفِّلني حليَّها إن فتح الله عليك الطائفَ غداً، قال: «إن لم يكن أُذِنَ لنا في قتالهم؟!» فقال رجل ـ نُراه عمر ـ: يا رسول الله، ما مُقامُك على قوم لم يُؤذَن لك في قتالهم! قال: فأذّن في الناس بالرحيل. ورجاله لا بأس بهم إلا أنه مرسلٌ.

وبمعناه رواه البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٦٨ من طريق عبد الله بن لهيعة، عن أبي الأسود يتيم عروة، عن عروة بن الزبير مرسلاً أيضاً. وذكر فيه: أن خولة ـ أو خويلة ـ بنت حكيم كانت مع زوجها في الجيش. وزوجها هذا المذكور هنا هو غير عثمان بن مظعون قطعاً، فعثمانُ كان قد مات بعد بدرٍ.

وأخرج أحمد (٤٥٨٨)، والبخاري (٤٣٢٥)، ومسلم (١٧٧٨) من حديث عبد الله بن عُمر ـ وعند مسلم: ابن عَمْرو، والصواب: ابن عُمر ـ قال: لمّا حاصر رسولُ الله ﷺ الطائف فلم يَنَلْ منهم شيئاً، قال: «إنّا قافلون إن شاءَ الله»، فثَقُلَ عليهم وقالوا: نذهب ولا نفتحُه! فقال: «اغدُوا على القتال»، فغَدَوْا فأصابهم جِراحٌ، فقال: «إنّا قافلون غداً إن شاء الله»، فأعجَبَهم، فضحك النبيُّ ﷺ.

(١) أي: مَضَوا وارتحلوا. وسعيدٌ المنادي من ثقيف.

(٢) مناكير، أي: ذوو دهاء وفِطْنة.

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ، عن عبدِ الله بن مُكدَّمٍ[1]، عن رجالٍ من ثَقيفٍ قالوا: لمّا أسلمَ أهلُ الطّائفِ تَكلَّمَ نَفَرٌ منهم في أُولئك العَبيدِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا، أُولئكَ عُتَقاءُ الله»، وكان ممّن تكلَّمَ فيهم الحارثُ بن كَلَدَةَ[2].

---

(١) هكذا هي بالدّال في نسخنا الخطية غير (غ) و(ف) ففيهما: مكرم، بالراء، وقيّده بالوجه الأول ابنُ حجر في «تبصير المنتبه» ٤/ ١٣١٤ وذكر رواية ابن إسحاق له في «السيرة»، وذكر البخاري في «التاريخ الكبير» ٥/ ٢١١، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٥/ ١٨١، وابن حبان في «الثقات» ٧/ ٥٥: عبد الله بن مكرم، بالراء، وذكروا أنه روى عن عبد الله بن قارب الثقفي، فالظاهر أنه هو نفسه، ومهما يكن من أمرٍ فإن هذا الرجل مجهول لا يُعرَف.

(٢) صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإبهام شيخ ابن إسحاق وجهالة عبد الله بن المكدم كما سبق.

وأخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٠٧١) من طريق محمد بن سلمة، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه يونسُ بن بكير عند البيهقيّ في «السنن» ٩/ ٢٢٩ عن ابن إسحاق عن عبد الله بن المكدَّم الثقفي مرسلاً.

ويشهد له ما رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٦٨٢) عن معمر، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهديّ، عن أبي بَكْرة: أنه خرج إلى رسول الله ﷺ وهو محاصرٌ أهلَ الطائف بثلاثة وعشرين عبداً، فأعتقهم رسول الله ﷺ، فهم الذين يقال لهم: العُتَقاء. وإسناده صحيح.

وعلّقه البخاري (٤٣٢٧) من طريق معمر، عن عاصم، عن أبي عثمان: أن أبا بَكْرة نزل إلى النبي ﷺ ثالثَ ثلاثةٍ وعشرين من الطائف. ووصله (٤٣٢٦) من طريق شعبة عن عاصم عن أبي عثمان: أن أبا بكرة كان تسوَّر حصنَ الطائف في أُناسٍ فجاء إلى النبي ﷺ.

ويشهد له أيضاً حديثُ ابن عباس عند أحمد (١٩٥٩)، قال: أعتق رسول الله ﷺ يوم الطائف مَن خرج إليه من عَبيدِ المشركين. وإسناده حسن في المتابعات والشواهد.

وحديثُ الشَّعبي عن رجل من ثقيف عند أحمد أيضاً (١٧٥٣٠) قال: سألنا رسول الله ﷺ ثلاثاً فلم يرخِّص لنا... وسألناه أن يردَّ إلينا أبا بكرةَ، فأَبى، وقال: «هو طليقُ الله وطليقُ =

قال ابن هشامٍ: وقد سَمّى ابنُ إسحاق مَن نَزَلَ من أُولئك العَبيد[1].

قال ابن إسحاق: وقد كانت ثقيفٌ أصابَت أهلاً لمروانَ بن قيسٍ الدَّوْسيِّ، وكان قد أسلَمَ وظاهَرَ رسولَ الله ﷺ على ثقيفٍ، فزَعَمَت ثقيفٌ - وهو الذي تَزعُم به ثقيفٌ أنّها من قيسٍ -: أنّ رسولَ الله ﷺ قال لمروانَ بن قيسٍ: «خُذْ يا مَرْوانُ بأَهلِكَ أوّلَ رجلٍ من قَيسٍ تَلْقاهُ»، فلَقِيَ أُبيَّ بن مالكٍ القُشَيريَّ، فأخذَه حتّى يُؤدُّوا إليه أهلَه، فقامَ في ذلك الضَّحّاكُ بن سفيانَ الكِلَابيّ، فكلَّم ثقيفاً حتّى أَرسَلُوا أهلَ مروان، وأطلَقَ لهم أُبيَّ بن مالكٍ، فقال الضَّحّاكُ بن سفيانَ في شيءٍ كان بينَه وبينَ أُبيِّ بن مالك:

أَتَنسى بَلَائي يا أُبيَّ بن مالكٍ ... غَداةَ الرّسولُ مُعرِضٌ عنك أَشوَسُ[2]

يقودُك مروانُ بن قيسٍ بحَبلِه ... ذليلاً كما قِيدَ الذَّلُولُ المُخيَّسُ[3]

فعادَت عليكَ من ثقيفٍ عِصابةٌ ... متى يأتِهِمْ مُستقبِسُ الشّرِّ يُقبِسوا[4]

فكانوا همُ المَولَى فعادَت حُلومُهم ... عليك وقد كادَت بك النّفسُ تَيأَسُ[5]

= رسوله»، وكان أبو بكرة خرج إلى النبي ﷺ حين حاصر الطائفَ فأسلمَ. ورجاله ثقات.

والحارث بن كَلَدة المذكور: هو الثقفيّ المتطبِّب، وكان أبو بكرةَ مملوكاً له.

(١) وذكر الواقديُّ في «المغازي» ٣/ ٩٣١-٩٣٢: أنهم كانوا بضعةَ عشرَ رجلاً وسمّاهم، وهذا خلاف ما ذكر أبو عثمان النهدي كما سبق: أنهم كانوا ثلاثة وعشرين.

وأشهرُ هؤلاء العبيد هو أبو بَكْرة نُفَيعٌ، وقد كان تدلّى يوم الطائف من الحصن ببَكْرةٍ، وأَتى إلى النبي ﷺ فأسلم، وكُني يومئذٍ بأَبي بكرة.

(٢) البلاء هنا: النّعمة. والأشوَس: الذي يُعرِض بنَظَره إلى جهة أخرى.

(٣) الذَّلُول: السَّهل من الدوابّ التي قد رُوِّضَت، والمخيَّس: المذلَّل.

(٤) مُستقبِس الشر: طالبه.

(٥) الحُلوم: العُقول.

قال ابن هشام: يُقبِسوا، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وهذه تسميةُ مَن استُشهِدَ من المسلمين مع رسول الله ﷺ يومَ الطّائف:

من قُريشٍ، ثمّ من بني أُميّة بن عبد شمسٍ: سعيدُ بن سعيد بن العاصِ بن أُميّة، وعُرْفُطةُ بن جَنَابٍ حَليفٌ لهم من الأَسْدِ[1] بن الغَوْث.

قال ابن هشام: ويقال: ابنُ حُبَابٍ.

قال ابن إسحاق: ومن بني تَيْم بن مُرَّة: عبدُ الله بن أبي بكرٍ الصِّدِّيق، رُمِيَ بسهمٍ فمات منه بالمدينة بعدَ وفاةِ رسول الله ﷺ.

ومن بني مخزومٍ: عبدُ الله بن أبي أُميّة بن المغيرة، من رَمْيةٍ رُمِيَها يومَئذٍ.

ومن بني عَدِيّ بن كعبٍ: عبدُ الله بن عامر بن ربيعة، حليفٌ لهم.

ومن بني سَهْم بن عمرٍو: السّائبُ بن الحارث بن قيس بن عَدِيّ، وأخوه عبدُ الله ابن الحارث.

ومن بني سعد بن ليثٍ: جُلَيحةُ بن عبد الله.

واستُشهِدَ من الأنصار: من بني سَلِمةَ: ثابتُ بن الجِذْع.

ومن بني مازن بن النَّجّارِ: الحارثُ بن سَهْل بن أبي صَعصَعة.

ومن بني ساعدةَ: المُنذِرُ بن عبد الله.

ومن الأَوسِ: رُقَيمُ بن ثابت بن ثَعْلبة بن زيد بن لَوْذانَ بن معاوية.

فجميعُ مَن استُشهِدَ بالطّائفِ من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عَشَرَ رجلاً، سبعةٌ من قُريش، وأربعةٌ من الأنصار، ورجلٌ من بني ليثٍ.

---

(١) وهي لغة في الأَزْد.

فلمّا انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ عن الطّائفِ بعدَ القتالِ والحصارِ، قال بُجَيرُ بن زهير ابن أبي سُلْمَى يذكرُ حُنيناً والطّائفَ:

كانت عُلَالةُ[1] يومَ بَطنِ حُنينٍ ... وغَداةَ أَوطاسٍ ويومَ الأبرَقِ

جَمَعَت بإغواءٍ هوازنُ جَمْعَها ... فتَبَدَّدوا كالطّائرِ المُتَمزِّقِ[2]

لم يَمنَعوا منّا مَقاماً واحداً ... إلّا جِدارَهُمُ وبَطنَ الخندقِ

ولقد تَعرَّضْنا لكَيْما يَخرُجوا ... فاستَحصَنُوا[3] منّا ببابٍ مُغلَقِ

تَرتَدُّ حَسْرانا إلى رَجْراجةٍ ... شَهْباءَ تَلمَعُ بالمَنايا فَيلَقِ[4]

مَلمُومةٍ خضراءَ لو قَذَفوا بها ... حَضَناً لَظَلَّ كأنّه لم يُخلَقِ[5]

---

(١) هكذا قُيِّدت في نسخنا الخطية بالضمِّ على أن كان تامّة، والعُلالة: جريٌ بعد جريٍ، أو قتالٌ بعد قتالٍ، وهي من العَلَل: وهو الشُّرب بعد الشّرب، وأراد به هنا معنى التّكرار، وحذف التنوين من عُلالةٍ للضرورة الشعرية. وانظر «الروض الأنف» ٧/ ٢٧٧.

وأوطاس: وادٍ في ديار هوازن بين حنين والطائف. والأبرق: موضع، وأصله الجبل الذي فيه ألوان من الحجارة والرّمل.

(٢) بإغواءٍ: هو الغَيّ الذي هو خلاف الرّشد.

(٣) في (ش٢) و(ص) و(ط) و(ف) و(م): فتحصنوا.

(٤) حَسْرى: جمع حَسِير، و«نا» ضمير الجمع المتكلِّم، والحسير: هو المُعيي والكَليل، ويجوز أن يكون: جمع حاسر، وهو الذي لا درع عليه. والرَّجراجة: الكتيبة الضخمة، التي يموج بعضها في بعض، وهي من الرَّجرَجة، التي هي شدّة الحركة والاضطراب. والفيلق: الجيش الكثير الشديد.

(٥) ملمومة: مُجتمِعة. وخضراء، أي: سوداء لما يَعلُوها من الحديد، والعرب تجعل الأسود أخضر فتقول: ليل أخضر. وحَضَن: جبل شمال وادي تربة شرق الطائف، من أشهر جبال نجدٍ، وهو أول حدّها من جهة الحجاز.

مَشْيَ الضِّرَاءِ على الهَـرَاسِ كأنّنـا فُـدُرٌ تَفـرَّقُ في القِيـادِ وتَلتَقـي[1]

في كـلِّ سـابغةٍ إذا مـا استُحصِنَت كـالنِّهيِ هَبَّـتْ ريحُـه المُتَرَقـرِقِ[2]

جُـدُلٌ تَمَـسُّ فُضـولُهنَّ نِعالَنـا مـن نَسـجِ داودٍ وآلِ مُحـرِّقِ[3]

أمرُ أموال هوازنَ وسَبَاياها وعطايا المؤلَّفة قلوبُهم منها

وإنعام رسول الله ﷺ فيها

ثمّ خرج رسولُ الله ﷺ حين انصَرَفَ عن الطّائفِ على دَحْنا حتّى نَزَلَ الجِعْرانةَ[4] فيمن معه من الناس، ومعه من هوازنَ سَبْيٌ كثيرٌ، وقد قال له رجلٌ من أصحابه يومَ ظَعَنَ[5] عن ثقيفٍ: يا رسولَ الله، ادعُ عليهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «اللّهمَّ اهْدِ ثَقيفاً وأْتِ بهم»[6].

---

(١) الضِّرَاء: الكلاب الضارية، أو الأسود الضارية، أي: المتعوِّدة على الصيد. والهَرَاس: نبات له شوك، والضِّراء إذا مشت في الهَرَاس ابتغت لأيديها موضعاً ثم تضع أرجلها في موضع أيديها، شبَّه الخيلَ بها، قاله السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٢٧٧.

والفُدُر: الوُعُول المسنّة، واحدها: فادرٌ، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٤١٠: ومن رواه بالقاف ـ كما في نسخ (غ) و(ف) و(م) ـ فيعني خيلاً تجعل أرجلها في موضع أيديها إذا مشت.

(٢) السابغة: الدرع الكاملة. والنِّهْي: الغدير من الماء. والمترقرق: المتحرّك.

(٣) جُدُل: جمع جَدْلاء، وهي الدرع الجيّدة النَّسج. وداود: المراد به داود النبيّ عليه السلام. وآل محرِّق: يعني آل عمرو ابن هندٍ ملك الحيرة.

(٤) الجِعْرانة: موضع فيه ماء عَذْب يقع شمال شرقيّ مكة على قرابة ٢٠ كم، وإلى الجنوب منها باتجاه الطائف تقع دَحْنا: وهي أرضٌ فلاةٌ عذبة طيّبة الهواء شمال الطائف على بعد ٢٤ كم تقريباً، وانظر «معجم معالم الحجاز» للبِلاديّ ص٦١١.

(٥) أي: رحل.

(٦) حديث قويّ. =

ثمّ أتاه وفدُ هوازنَ بالجِعْرانة، وكان مع رسول الله ﷺ من سَبْيِ هوازنَ ستّةُ آلافٍ من الذَّرَاريِّ والنّساءِ[1]، ومن الإبلِ والشّاءِ ما لا يُدرَى ما عِدَّتُه.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عمرُو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه عبد الله بن عمرٍو: أنّ وفدَ هوازِنَ أتَوْا رسولَ الله ﷺ وقد أسلَموا، فقالوا: يا رسولَ الله، إنّا أصلٌ وعَشِيرةٌ[2]، وقد أصابَنا من البَلاءِ ما لم يَخْفَ عليك، فامنُنْ علينا مَنَّ الله عليك.

قال: وقامَ رجلٌ من هوازِنَ ثمّ أحدِ بني سعد بن بكرٍ يقال له: زهيرٌ، يُكنَى أبا صُرَدٍ، فقال: يا رسولَ الله، إنّما في الحَظائرِ[3] عمّاتُك وخالاتُك وحَواضنُك[4] اللّاتي كُنَّ يَكفُلْنَك، ولو أنّا مَلَحْنا للحارثِ بن أبي شَمِرٍ أو للنُّعمانِ بن المُنذِر[5]، ثمّ نَزَلَ

= فقد أخرج أحمد (١٤٧٠٢)، والترمذي (٣٩٤٢) ـ واللفظ له ـ من حديث عبد الله بن عثمان ابن خُثيم، عن أبي الزُّبير ـ وقرن به عند أحمد عبد الرحمن بن سابط ـ عن جابرٍ قال: قالوا: يا رسول الله، أحرَقَتنا نِبالُ ثقيف، فادعُ الله عليهم، قال: «اللهمَّ اهدِ ثقيفاً». وإسناده قوي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(١) روى هذا في عدد سبي هوازن ابنُ شهاب الزهري عن سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبير فيما رواه ابن زنجويه في «الأموال» (٤٨٣)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤٥١٠)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٩٣.

(٢) أي: قبيلة عظيمة من قبائل العرب.

(٣) الحظائر: جمع حَظِيرة، وهي الموضع الذي يُحاط عليه بشيء كالخشب أو القصب أو نحوهما.

(٤) حواضنك: يعني اللاتي أرضعنَ النبي ﷺ، وقد كانت حاضنتُه حليمة من بني سعد بن بكر من هوازن.

(٥) مَلَحْنا، أي: أرضعنا، والملح ـ بكسر الميم وفتحها ـ: الرَّضاع. والحارث بن أبي شمر الغسّاني ملك الشام من العرب، والنعمان بن المنذر ملك العراق من العرب.

منّا بمِثْلِ الذي نزلتَ به، رَجَوْنا عَطْفَه وعائدتَه علينا[1]، وأنت خيرُ المكفولِينَ.

قال ابن هشام: ويُروَى: ولو أنّا مالَحْنا[2] الحارثَ بن أبي شَمِرٍ أو النُّعمانَ بن المُنذِر.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عمرو بن شُعَيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه عبدِ الله بن عمرٍو قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «أبناؤُكم ونِساؤُكم أحَبُّ إليكُم أمْ أموالُكُم؟» فقالوا: يا رسولَ الله، خَيَّرتَنا بين أموالِنا وأحسابِنا، بل تَرُدُّ إلينا نساءَنا وأبناءَنا، فهو أحَبُّ إلينا، فقال لهم: «أمَّا ما كانَ لي ولبَنِي عبدِ المُطَّلِبِ، فهو لَكُم، وإذا ما أنا صَلَّيتُ الظُّهرَ بالنّاسِ، فقُومُوا فقولوا: إنَّا نَستَشفِعُ برسولِ الله إلى المسلمينَ، وبالمسلمينَ إلى رسولِ الله في أبنائِنا ونِسائنا، فسأُعطِيكُم عندَ ذلكَ وأَسألُ لكم».

فلمّا صَلَّى رسولُ الله ﷺ بالناسِ الظُّهرَ قامُوا فتَكلَّموا بالّذي أمَرَهم به، فقال رسولُ الله ﷺ: «أمَّا ما كانَ لي ولبَنِي عبدِ المُطَّلِبِ، فهو لَكُم»، فقال المهاجرونَ: وما كان لنا فهو لرسولِ الله، وقالت الأنصارُ: وما كان لنا فهو لرسولِ الله.

فقال الأقرَعُ بن حابسٍ: أمّا أنا وبنو تَمِيمٍ فلا.

وقال عُيَينةُ بن حِصْنٍ: أمّا أنا وبنو فَزَارةَ فلا.

وقال عبّاسُ بن مِرْداسٍ: أمّا أنا وبنو سُلَيمٍ فلا، فقالت بنو سُلَيم: بَلَى، ما كان لنا فهو لرسولِ الله، قال: يقول عبّاسٌ لبني سُلَيمٍ: وَهَّنتُموني[3].

فقال رسولُ الله ﷺ: «أمَّا مَن تَمَسَّكَ منكم بحَقِّه من هذا السَّبْيِ، فله بكلِّ إنسانٍ

---

(١) عائدته، أي: فضله.

(٢) من المُمالَحة، ويجوز أن تكون المُراضَعة والمُواكَلة.

(٣) وهّنتموني، أي: أضعفتموني.

ستُّ فَرَائضَ[1] من أوَّلِ سَبْيٍ أُصِيبُه، فرُدُّوا إلى النّاسِ أبناءَهم ونِساءَهم»[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبو وَجْزةَ يزيدُ بن عُبيدٍ السَّعديّ: أنّ رسولَ الله ﷺ أعطَى عليَّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه جاريةً يقال لها: رَيْطةُ بنتُ هلال بن حَيّانَ ابن عُمَيرة بن هلال بن ناصرة بن قُصَيّة[3] بن نَصْر بن سعد بن بكرٍ، وأعطى عثمانَ ابن عفّانَ جاريةً يقال لها: زينبُ بنتُ حَيّانَ بن عمرو بن حَيّان، وأعطى عمرَ بن الخَطّاب جاريةً، فوَهَبَها لعبد الله بن عمرَ ابنِه[4].

قال ابن إسحاق: فحدّثني نافعٌ مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمرَ قال: بَعَثتُ بها إلى أخوالي من بني جُمَحَ ليُصلِحوا لي منها ويُهيِّئوها حتّى أطوفَ بالبيتِ ثمّ آتيَهم، وأنا أريدُ أن أُصيبَها إذا رَجَعتُ إليها، قال: فخرجتُ من المسجد حين فَرَغتُ، فإذا النّاسُ يَشتَدُّونَ فقلت: ما شأنُكم؟ قالوا: رَدَّ علينا رسولُ الله ﷺ نساءَنا

---

(١) جمع فريضة: وهي المُسِنّة من الإبل.

(٢) إسناده حسن من أجل عمرو بن شعيب.

وأخرجه أحمد (٦٧٢٩) و(٧٠٣٧)، وأبو داود (٢٦٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٦٤٨٢) و«المجتبى» (٣٦٨٨) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ويشهد له حديث عروة بن الزبير عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة بمعناه فيما أخرجه البخاري (٤٣١٨)، وأبو داود (٢٦٩٣).

(٣) هكذا في النسخ الخطية، وعلى حاشية (ش٢): فصية، بالفاء، وقد تقدم الكلام عليه ١/ ١٧٦، وتقدم هناك عند ابن إسحاق في هذا النسب: ملّان بن ناصرة، فذكر ابن هشام أنه يقال فيه: هلال بن ناصرة.

(٤) هذا الخبر إمّا مرسل أو معضل، فأبو وجزة من صغار التابعين، أو هو من أتباع التابعين.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٨٧، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٩٦ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

وأبناءَنا، فقلت: تِلكُم صاحبتُكم في بني جُمَحَ، فاذهبوا فخُذوها، فذهبوا إليها فأَخذوها[1].

قال ابن إسحاق: وأمّا عُيَينةُ بن حِصْن، فأَخذ عجوزاً من عجائزِ هوازِنَ، وقال حين أَخذَها: أَرى عجوزاً إنّي لَأحسَبُ لها في الحيِّ نَسَباً، وعسى أن يَعظُمَ فِداؤُها. فلمّا رَدَّ رسولُ الله ﷺ السَّبايا بستِّ فرائضَ، أَبَى أن يَرُدَّها، فقال له زهيرٌ أبو صُرَدٍ: خُذْها عنك، فوالله ما فُوها ببارِد، ولا ثَدْيُها بناهِد، ولا بَطنُها بوالِد، ولا زوجُها بواجِد، ولا دَرُّها بماكِد[2]. فرَدَّها بستِّ فرائضَ حين قال له زهيرٌ ما قال، فزَعَموا أنّ عُيَينة لَقِيَ الأقرَعَ بن حابسٍ فشَكَا إليه ذلك، فقال: إنّك والله ما أخذتَها بَيضاءَ

(١) الحديث بهذا السياق الذي فيه أن عمر وهب الجاريةَ لابنه عبد الله وأن عبد الله أراد أن يصيبها، فهذا حديث شاذٌّ، فقد خالف ابنَ إسحاق فيه من هو أوثق منه وأعلم بحديث نافع، وهو أيوبُ السَّختِياني، فلم يذكر شيئاً من ذلك كما سيأتي.

أما حديث ابن إسحاق، فأخرجه أحمد (٥٣٧٤) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأما حديث أيوب عن نافع، فقد أخرجه البخاري (٣١٤٤) ومسلم (١٦٥٦) (٢٨) ـ واللفظ له ـ قال: وكان رسول الله ﷺ قد أعطاه ـ يعني عمرَ ـ جاريةً من الخُمس، فلما أَعتق رسولُ الله ﷺ سبايا الناس سمع عمرُ بن الخطّاب أصواتهم يقولون: أعتَقَنا رسولُ الله ﷺ، فقال: ما هذا؟ فقالوا: أعتَقَ رسول الله ﷺ سبايا الناس، فقال عمر: يا عبدَ الله، اذهب إلى تلك الجارية فخلِّ سبيلَها.

وعند البخاري أنهما كانتا جاريتين، فذهب ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٥٦١ إلى الجمع بين هاتين الروايتين بناء على ما في خبر ابن إسحاق فقال: يُجمَع بينهما بأنّ عمر أعطى إحدى جاريتيه لولده عبد الله، والله أعلم.

(٢) بواجد، أي: بحزين؛ يريد أن زوجها لا يحزن عليها، لأنها عجوز. والدَّرّ: اللَّبن. والماكد: الغزير.

غَرِيرة، ولا نَصَفاً وَثِيرة[1].

وقال رسولُ الله ﷺ لوَفْدِ هوازنَ، وسألَهم عن مالك بن عوفٍ: «ما فَعَلَ؟» فقالوا: هو بالطّائفِ مع ثَقيفٍ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَخبِروا مالكاً أنّه إنْ أَتاني مُسلِماً، رَدَدتُ عليه أهلَه ومالَه، وأَعطَيتُه مئةً من الإبلِ»؛ فأُتي مالكٌ بذلك، فخرج إليه من الطّائف[2].

وقد كان مالكٌ خافَ ثقيفاً على نفسه أن يَعلَموا أنّ رسولَ الله ﷺ قال له ما قال، فيَحبِسوه، فأمَرَ براحلتِه فهُيِّئَت له، وأمَرَ بفرسٍ له فأُتي به إلى الطّائف، فخرج ليلاً فجَلَسَ على فرسه، فرَكَضَه حتّى أَتى راحلتَه حيثُ أمَرَ بها أن تُحبَسَ فرَكِبَها، فلَحِقَ برسول الله ﷺ، فأدرَكَه بالجِعْرانةِ أو بمكّةَ، فرَدَّ عليه أهلَه ومالَه، وأعطاه مئةً من الإبل، وأسلَمَ فحَسُنَ إسلامُه، فقال مالكُ بن عوفٍ حين أسلمَ:

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمِثلِهِ ... في النّاسِ كلِّهم بمِثلِ محمّدِ

أَوفَى وأَعطى للجَزيلِ إذا اجتُدِي ... ومتى تَشَأْ يُخبِرْكَ عمّا في غدِ

وإذا الكَتيبةُ عَرَّدَت أنيابُها ... بالسَّمهَريِّ وضربِ كلِّ مُهنَّدِ[3]

---

(١) الغَرِيرة: الصغيرة الغافلة. والنَّصَف: المتوسطة السنِّ من النساء. والوَثِيرة من النساء: السَّمينة اللَّيِّنة.

(٢) لم يسنده ابن إسحاق ولم نقف عليه عند غيره مسنَداً.

ورواه كذلك عن ابن إسحاق إبراهيمُ بن سعد عند ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٤٠٩)، وأبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٠٢٣)، ومحمدُ بن سلمة عند الطبراني ١٩/ (٦٧٣). وانظر «دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ١٩٨.

(٣) عرَّدَت أنيابُها: قويت واشتدّت. والسمهري: الرمح، منسوب إلى قرية سَمهَر من أرض الحبشة كما في «معجم البلدان» لياقوت ٥/ ٢٥٥. والمهنَّد: السيف مصنوع من حديد الهند.

فكأنّــه ليــثٌ علــى أشــبالِه وَسْطَ الهَبَـاءَةِ[1] خـادِرٌ في مَرصَـدِ

فاستَعمَلَه رسولُ الله ﷺ على مَن أسلَمَ من قومه وتلك القبائلِ ثُمَالةَ وسَلِمةَ[2] وفَهْمٍ، فكان يقاتلُ بهم ثَقيفاً، لا يخرجُ لهم سَرْحٌ إلّا أغارَ عليه، حتّى ضَيَّقَ عليهم، فقال أبو مِحجَن بن حَبيبِ بن عمرو بن عُمَيرٍ الثَّقَفيّ:

هابَـتِ الأعـداءُ جانبَنـا ثـمّ تَغزُونـا بنـو سَـلِمَهْ
وأَتانـــا مالـــكٌ بهـــمِ ناقضـاً للعهـدِ والحُرُمَـهْ
وأَتونـــا في مَنازِلِنـــا ولقـد كنّـا أُولِـي نَقِمَـهْ

---

(١) في «معجم الشعراء» للمرزباني ص٣٦١، و«الجليس الصالح» للمعافى بن زكريا ص٧٢٦: وسط الأباءة، وفسّرها المعافى بأنها الغَيْضة أو القطعة من القَصَب؛ يعني كالغابة، قلنا: وهذا أوجَهُ من ذكر الهباءة التي هي الغبرة تثور في الجوّ، فالأسد في الغالب إنما يوجد في أماكن الغابة.

والخادر: الأسد في عَرِينه، وهو حينئذ أشدّ ممّا يكون بأساً لخوفه على أشباله، يصفه بالقوّة.

والمَرصَد: المكان الذي يُرقَب ويُرصَد منه، يصفه باليَقَظة.

تنبيه: زاد بعد هذا الشعر في نسخة (غ) وحدها، وأشار ناسخها إلى أنه ثبت ببعض النسخ عنده دون بعضٍ: قال ابن هشام: جَدَوتُ: سألتُ، وجدوت: أعطيت الجَدَا، من العطاء مقصور، والجَدَاء من الغَناء ممدود، قال:

جَدَوتُ أُناساً مُكثِرينَ فما جَدَوا أَلَا اللهَ فاجدُوه إذا كنتَ جاديا

وقال:

أغـرُّ كلـونِ البـدرِ فـي كـل مُشهَـرٍ من الناس نُعمَى يجتديها وإصبعُ

قلنا: المُشهَر: المُشتهِر، والإصبعُ هنا: الأَثر الحسن.

(٢) هكذا قُيِّدَت في أكثر نسخنا الخطية بكسر اللام، وهي كذلك عند السهيليّ كما ذكر في «الروض» ٧/ ٢٨٥ قال: هكذا تقيّد في النسخة بكسر اللام، والمعروف في قبائل قيس: سَلَمة، بالفتح، إلا أن يكونوا من الأَزد، فإن ثُمالةَ المذكورين معهم حيٌّ من الأَزد، وفَهْم من دَوْس، وهم من الأَزد أيضاً.

قال ابن إسحاق: ولمّا فَرَغَ رسول الله ﷺ من رَدِّ سَبَايا حُنينٍ إلى أهلِها، رَكِبَ واتَّبَعَه الناسُ يقولون: يا رسولَ الله، اقسِمْ علينا فَيْئَنا من الإبل والغَنَم! حتّى ألجَؤُوه إلى شجرةٍ فاختَطَفَت عنه رِداءَه فقال: «أدُّوا عليَّ رِدَائي أيُّها النّاسُ، فواللهِ أَنْ لو كان لكم بعَدَدِ شَجَرِ تِهامةَ نَعَماً، لَقَسَمتُه عليكم، ثمّ ما أَلفَيتُموني بَخيلاً ولا جَبَاناً ولا كَذَّاباً»، ثمّ قامَ إلى جنبِ بعيرٍ فأخَذَ وَبَرةً من سَنامِه فجعلها بين إصبَعَيهِ ثمّ رَفَعَها، ثمّ قال: «أيُّها النّاسُ، واللهِ ما لي من فَيْئِكم ولا هذِه الوَبَرةُ إلّا الخُمُسُ، والخُمُسُ مَردُودٌ عليكم، فأَدُّوا الخِيَاطَ والمِخيَطَ[1]، فإنَّ الغُلُولَ يكونُ على أَهلِه عاراً ونارا وشَنَاراً[2] يومَ القيامةِ».

قال: فجاءَ رجلٌ من الأنصارِ بكُبَّةٍ من خُيوطِ شَعَرٍ فقال: يا رسولَ الله، أَخذتُ هذه الكُبَّةَ أعمَلُ بها بَرْذَعةَ بعيرٍ لي دَبِرٍ[3]، فقال: «أمَّا نَصِيبي منها فلَكَ» قال: أمَا إذ بَلَغَت هذا، فلا حاجةَ لي بها، ثمّ طَرَحَها من يدِه[4].

قال ابن هشام: وذكرَ زيدُ بن أسلَمَ عن أبيه: أنّ عَقِيلَ بن أبي طالبٍ دخل يومَ حُنينٍ على امرأته فاطمةَ بنتِ شَيْبة بن ربيعة وسيفُه مُلتَطِخٌ دماً، فقالت: إنّي قد عَرَفتُ أنّك قد قاتلتَ، فماذا أَصبتَ من غنائمِ المشركينَ؟ فقال: دُونَكِ هذه الإبرةَ

(١) الخِيَاط: الخيط، والمِخيَط: الإبرة.

(٢) الغلول: الخيانة. والشَّنَار: أقبح العار.

(٣) البرذعة، بالذال والدال: كساءٌ يلقى تحت الرَّحل على ظهر البعير. ودَبِرٌ: من الدَّبَر، وهو الجرح الذي يكون في ظهر البعير.

(٤) هذا الخبر موصول بخبر ردّ سبايا هوازن المتقدم قريباً عند المصنف من روايته عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جدّه عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو إسناد حسن.

وأخرجه أحمد (٦٧٢٩)، وأبو داود (٢٦٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٦٤٨٢) و«المجتبى» (٣٦٨٨) من طريق حماد بن سلمة، عن ابن إسحاق، بالإسناد المذكور.

تَخِيطينَ بها ثيابَك، فدَفَعَها إليها، فسمعَ مُنادِيَ رسول الله ﷺ يقول: مَن أخذَ شيئاً فليَرُدَّه حتّى الخِياطَ والمِخيَطَ، فرجع عَقِيلٌ فقال: ما أَرى إبرَتَك إلّا قد ذَهَبَت، فأَخذَها، فأَلقاها في الغنائم[1].

قال ابن إسحاق: وأَعطى رسولُ الله ﷺ المؤلَّفةَ قلوبُهم، وكانوا أشرافاً من أشرافِ النّاس، يَتألَّفُهم ويَتألَّفُ بهم قومَهم، فأَعطى أبا سفيانَ بن حَرْبٍ مئةَ بعير، وأَعطى ابنَه معاويةَ مئةَ بعير، وأَعطى حَكِيمَ بن حِزَامٍ مئةَ بعير، وأَعطى الحارثَ بن الحارثِ ابن كَلَدةَ أخا بني عبد الدّارِ مئةَ بعير.

قال ابن هشام: نُصَيرُ بن الحارثِ بن كَلَدة، ويجوزُ أن يكون اسمُه الحارثَ أيضاً.

قال ابن إسحاق: وأَعطى الحارثَ بن هشامٍ مئةَ بعير، وأَعطى سُهَيلَ بن عمرٍو مئةَ بعير، وأَعطى حُوَيطِبَ بن عبد العُزَّى بن أبي قيسٍ مئةَ بعير، وأَعطى العلاءَ بن جاريةَ الثَّقَفيَّ حَلِيفَ بني زُهْرة مئةَ بعير، وأَعطى عُيَينةَ بن حِصْن بن حُذَيفة بن بَدرٍ مئةَ بعير، وأَعطى الأقرَعَ بن حابسٍ التَّميميَّ مئةَ بعير، وأَعطى مالكَ بن عوفٍ النَّصْريَّ مئةَ بعير، وأَعطى صفوانَ بن أُميّةَ مئةَ بعير، فهؤلاءِ أصحابُ المِئِينَ.

وأَعطى دونَ المئةِ رجالاً من قُرَيش، منهم مَخرَمةُ بن نَوفَلٍ الزُّهْريّ، وعُمَيرُ بن وهبٍ الجُمَحيّ، وهشامُ بن عمرٍو أخو بني عامر بن لُؤَيّ، لا أحفَظُ ما أعطاهم وقد عَرَفتُ أنّها دونَ المئةِ، وأَعطى سعيدَ بن يَربُوعِ بن عَنكَثةَ بن عامر بن مخزومٍ خمسينَ من الإبل، وأَعطى السَّهْميَّ خمسينَ من الإبل.

---

(١) ضعيف لإرساله، والمحفوظ فيه أنه من مرسل زيد بن أسلمَ لا من مرسل أبيه، هكذا رواه عن زيدٍ اثنانِ: معمرٌ عند أبي إسحاق الفزاري في «السير» (٤٧٠)، وابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٤٠، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٩٤٩٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤١/ ١٦، وهشامُ ابن سعدٍ عند ابن عساكر ٤١/ ١٧.

قال ابن هشام: واسمه عَدِيُّ بن قيسٍ.

قال ابن إسحاق: وأَعطى عبّاسَ بن مِرْداسٍ أباعرَ فسَخِطَها، فعاتَبَ فيها رسولَ الله ﷺ، فقال عبّاسُ بن مِرداسٍ يعاتبُ رسولَ الله ﷺ:

كانـــت نِهابـــاً تَلافَيتُهـــا ... بكَرِّي على المُهرِ في الأجرَعِ[1]

وإيقـاظيَ القـومَ أن يَرقُـدوا ... إذا هَجَـعَ النّـاسُ لـم أَهجَـعِ[2]

فأصـبَحَ نَهْبـي ونَهـبُ العُبيـ ... ـدِ بـين عُيَينـةَ والأقـرَعِ[3]

وقد كنتُ في الحربِ ذا تُدرَأٍ ... فلـم أُعـطَ شـيئاً ولـم أُمنَـعِ[4]

إلَّا أفائـــلَ أُعطِيتُهـــا ... عَدِيـدَ قوائمِهـا الأربـعِ[5]

ومـا كـان حِصـنٌ ولا حـابسٌ ... يَفُوقـانِ شَـيخِيَ في المَجمَـعِ[6]

ومـا كنـتُ دونَ امـرِئٍ منهمـا ... ومَـن تَضَـعِ اليـومَ لا يُرفَـعِ

قال ابن هشام: أنشدني يونسُ النَّحْويّ:

---

(١) كانت: يعني الإبل والماشية. والنِّهاب: جمع نَهْب، وهو ما يُنهَب ويُغنَم. والأجرع: المكان الواسع وفيه حُزونة.

(٢) هَجَعَ الناسُ، أي: رقدوا وناموا.

(٣) العُبيد: اسم فرس عبّاس بن مِرداس.

(٤) ذا تُدرَأ، أي: ذا هجومٍ واقتحامٍ. كما في «غريب الحديث» للخطّابي ٢/ ١٦.

(٥) الأفائل: الصِّغار من الإبل، الواحد: أَفِيلٌ. وعديد قوائمها: يريد بعدد قوائمها، وهو بذلك يستقلُّ عددها.

(٦) شيخي: يعني أباه مِرداساً، ومن قال: شَيخَيَّ، فيعني أباه وجدَّه.

قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٤١٣: ورواه الكوفيون: يَفُوقان مِرداسَ، ويستشهدون به على ترك صرف ما ينصرف لضرورة الشِّعر، وقد ذكر ابنُ هشام أن يونس أنشده هكذا، ويونسُ ـ وهو ابن حبيب النحوي ـ من البصريِّين!

فما كان حِصنٌ ولا حابسٌ يَفُوقانِ مِرداسَ في المَجمَعِ

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «اذهَبُوا به فاقطَعُوا عنِّي لِسانَه»، فأعطَوْه حتّى رضيَ، فكان ذلك قَطْعَ لسانِه الذي أمَرَ به رسولُ الله ﷺ[1].

قال ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهلِ العلم: أنّ عبّاسَ بن مِرْداسٍ أَتى رسولَ الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أنتَ القائلُ: فأصبَحَ نَهْبي ونَهْبُ العُبيدِ بينَ الأقرَعِ وعُيَينة؟» فقال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ: بين عُيَينةَ والأقرَعِ، فقال رسول الله ﷺ: «هما واحدٌ»، فقال أبو بكر: أشهَدُ أنّك كما قال الله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس:٦٩][2].

---

(١) هذا الخبر مع قصة إعطاء النبي ﷺ ما أعطى هؤلاء الرَّهط، قد ذكر يونسُ بن بكير في روايته عن ابن إسحاق عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٨٢-١٨٣ أنه رواه عن عبد الله بن أبي بكر ابن حَزْم وغيره مرسلاً.

وخبر عباس بن مرداسٍ فقط رواه أيضاً موسى بن عقبة في «مغازيه» عن ابن شهاب الزهري مرسلاً فيما أخرجه الخطَّابي في «غريب الحديث» ٢/ ١٦.

ووقع في مرسل عروة بن الزبير عند ابن سعد في «الطبقات» ٥/ ١٦١: أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً أن يقطع لسانه عنه بإعطائه حُلّةً. وهذا خبرٌ غريبٌ.

وأصل الخبر أخرجه مسلم (١٠٦٠) وابن حبان (٤٨٢٧) مسنَداً من حديث رافع بن خَدِيج قال: أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب وصفوانَ بن أمية وعُيينةَ بن حصن والأقرعَ بن حابس، كلَّ إنسان منهم مئةً من الإبل، وأعطى عبّاسَ بن مرداس دون ذلك، فقال عباس بن مرداس... وذكر بعض أبيات شعره، ثم قال: فأتمَّ له رسول الله ﷺ مئةً. زاد في روايةٍ عند مسلم: وأعطى علقمةَ بن عُلَاثة (وهو من هوازن) مئةً.

(٢) خبر ضعيف لإعضاله وإبهام رواته.

وقد روى نحوه ابن سعد في «الطبقات» ٥/ ١٦١ عن محمد بن عمر الواقدي عن عبد الرحمن ابن أبي الزِّناد مرسلاً. وهو ضعيف أيضاً لإرساله، والواقديُّ متكلَّم فيه.

قال ابن هشام: وحدّثني مَن أثِقُ به من أهلِ العلم في إسنادٍ له عن ابن شِهابٍ الزُّهْريّ، عن عُبيدِ الله بن عبد الله بن عُتْبة، عن ابن عبّاسٍ قال: بايعَ رسولَ الله ﷺ من قُريشٍ وغيرِهم وأعطاه يومَ الجِعْرانةِ من غنائمِ حُنينٍ[1]:

من بني أُميّة بن عبد شمسٍ: أبو سفيانَ بن حَرْب بن أُميّة، وطُلَيقُ بن سفيانَ بن أُميّة، وخالدُ بن أُسَيد بن أبي العِيصِ بن أُميّة.

ومن بني عبد الدّار بن قُصَيٍّ: شَيْبةُ بن عثمانَ بن أبي طلحة بن عبد العُزَّى بن عثمانَ بن عبد الدّار، وأبو السَّنابلِ بن بَعكَك بن الحارث بن عُمَيلة بن السَّبّاق بن عبد الدّار، وعِكْرمةُ بن عامر بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار.

ومن بني مخزومِ بن يَقَظةَ: زهيرُ بن أبي أُميّة بن المغيرة، والحارثُ بن هشام ابن المغيرة، وخالدُ بن هشام بن المغيرة، وهشامُ بن الوليد بن المغيرة، وسفيانُ بن عبد الأسَد بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم، والسّائبُ بن أبي السّائب بن عابد بن عبد الله بن عُمر بن مخزومٍ.

ومن بني عَدِيِّ بن كعبٍ: مُطِيعُ بن الأسوَد بن حارثة بن نَضْلة، وأبو جَهْم بن حُذَيفة بن غانمٍ.

ومن بني جُمَحَ بن عمرٍو: صفوانُ بن أُميّة بن خَلَف، وأُحَيحةُ بن أُميّة بن خَلَف، وعُمَيرُ بن وَهْب بن خَلَف.

ومن بني سَهْم بن عمرٍو: عَدِيُّ بن قيس بن حُذَافة.

ومن بني عامر بن لُؤَيٍّ: حُوَيطِبُ بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبد وَدٍّ، وهشامُ

---

(١) رجاله ثقات، ولولا الواسطة المبهمة بين ابن هشام والزهريِّ لاتصل الإسناد وصحَّ، ومع ذلك فقد قال ابن عبد البر في ترجمة السائب بن أبي السائب من «الاستيعاب» ص٣١١ وقد ساق بعضاً منه في قضية إسلام السائب: هذا أَولى ما عُوِّل عليه في هذا الباب.

ابن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبيِّبٍ.

ومن أفناءِ القبائل[1]:

من بني بكر بن عبد مَنَاة بن كِنَانة: نَوفَلُ بن معاوية بن عُرْوة بن صَخْر بن رَزْنِ ابن يَعمَرَ بن نُفَاثة بن عَدِيّ بن الدِّيل.

ومن بني قيسٍ ثمّ من بني عامر بن صَعصَعة ثمّ من بني كِلَاب بن ربيعة بن عامر ابن صَعصَعة: عَلقَمةُ بن عُلَاثة بن عَوْف بن الأحوَص بن جعفر بن كِلابٍ، ولَبِيدُ بن رَبِيعة بن مالك بن جعفر بن كِلابٍ.

ومن بني عامر بن رَبِيعة: خالدُ بن هَوْذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة ابن عامر بن صَعصَعة، وحَرمَلةُ بن هَوْذة بن ربيعة بن عمرٍو.

ومن بني نَصْر بن معاوية: مالكُ بن عَوْف بن سعيد بن يَربُوع.

ومن بني سُلَيم بن منصورٍ: عبّاسُ بن مِرْداس بن أبي عامر، أخو بني الحارثِ ابن بُهْثة بن سُلَيمٍ.

ومن بني غَطَفان، ثمّ من بني فَزَارة: عُيَينةُ بن حِصْن بن حُذَيفة بن بَدرٍ.

ومن بني تَميمٍ، ثمّ من بني حَنظَلة: الأقرَعُ بن حابس بن عِقَالٍ، من بني مُجاشِعِ ابن دارِمٍ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن إبراهيم بن الحارثِ التَّيْميُّ: أنّ قائلاً قال لرسول الله ﷺ من أصحابه[2]: يا رسولَ الله، أعطَيتَ عُيَينةَ بن حِصْنٍ والأقرَعَ بن حابسٍ مئةً مئةً، وتَرَكتَ جُعَيلَ بن سُرَاقةَ الضَّمْريَّ[3]! فقال رسولُ الله ﷺ: «أمَا

(١) أفناء القبائل: جماعة مجتمعة من قبائل شتَّى.

(٢) سمّاه الواقديُّ في روايته سعدَ بن أبي وقّاص.

(٣) ثم الغِفَاريّ، قال السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٢٩٠: نسب ابنُ إسحاق جُعيلاً إلى ضَمْرة، =

والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه، لَجُعَيلُ بن سُرَاقةَ خيرٌ من طِلَاعِ الأرضِ[1] كلُّهم مِثلُ عُيَينةَ بنِ حِصْنٍ والأقرَعِ بنِ حابسٍ، ولكنِّي تَألَّفتُهما ليُسلِما، ووَكَلْتُ جُعَيلَ بنَ سُرَاقةَ إلى إسلامِه»[2].

= وهو معدودٌ في غِفار، لأن غِفاراً هم بنو مُلَيل بن ضمرة من بني ليث بن بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانة.

(١) طِلاع الأرض: ما يَملؤُها حتى يَطلُعَ عنها ويسيل.

(٢) ضعيف لإرساله، فمحمد بن إبراهيم التيمي من صغار التابعين.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٩١، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ١/ ٤٥٦-٤٥٧، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ٣٥٣ و«معرفة الصحابة» (١٦٨٥)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٨٣ من طرق عن ابن إسحاق، به.

وذكره الواقدي في «مغازيه» ٣/ ٩٤٨ ـ وعنه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٢٣١ ـ بلا إسناد.

وفي معنى هذا الحديث دون تسمية الرجال المذكورين، حديثُ سعد بن أبي وقّاص عند البخاري (٢٧) و(١٤٧٨) ومسلم (١٥٠)، قال: أعطى رسول الله ﷺ رَهْطاً وأنا جالسٌ، فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبُهم إليَّ، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلانٍ، فوالله إنّي لأُراه مؤمناً! فقال: «أو مسلماً»، فسكتُّ قليلاً، ثم غَلَبَني ما أعلمُ منه فعُدْتُ لمقالتي، فقلت: ما لك عن فلانٍ، فوالله إنّي لأراه مؤمنا! فقال: «أو مسلماً»، ثم غَلَبَني ما أعلمُ منه فعُدْتُ لمقالتي، وعاد رسولُ الله ﷺ، ثم قال: «يا سعدُ، إنّي لأُعطي الرجلَ وغيرُه أحبُّ إليَّ منه، خشيةَ أن يَكُبَّه اللهُ في النار»

وحديثُ عمرو بن تَغلِبَ عند البخاري (٩٢٣) و(٣١٤٥) و(٧٥٣٥): أن رسول الله ﷺ أُتي بمالٍ أو سَبيٍ فقَسَمَه، فأعطى رجالاً وترك رجالاً، فبلغه أن الذين تَرَكَ عَتَبُوا، فحمد اللهَ ثم أثنى عليه، ثم قال: «أمّا بعد، فوالله إني لأُعطي الرجلَ وأَدعُ الرجلَ، والذي أَدعُ أحبُّ إليَّ من الذي أُعطي، ولكن أُعطي أقواماً لما أَرى في قلوبهم من الجَزَع والهَلَع، وأَكِلُ أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، فيهم عمرُو بن تَغلِبَ»، فوالله ما أُحِبُّ أنّ لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمْرَ النَّعَم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبو عُبيدة بن محمّد بن عمّار بن ياسرٍ، عن مِقسَمٍ أبي القاسم مولى عبدِ الله بن الحارث بن نَوفَلٍ قال: خرجتُ أنا وتَلِيدُ بن كِلابٍ اللَّيثيُّ حتّى أَتينا عبدَ الله بن عمرِو بن العاصِ وهو يَطُوفُ بالبيتِ مُعلِّقاً نَعْلَه بيده، فقلنا له: هل حَضَرتَ رسولَ الله ﷺ حين كَلَّمَه التَّمِيميُّ يومَ حُنينٍ؟ قال: نعم، جاءَ رجلٌ من بني تَميمٍ يقال له: ذو الخُوَيصِرة، فوَقَفَ عليه وهو يُعطِي الناسَ فقال: يا محمّدُ، قد رأيتُ ما صَنَعتَ في هذا اليومِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَجَلْ، فكيفَ رأَيتَ؟» قال: لم أَرَكَ عَدَلتَ! قال: فغَضِبَ النبيُّ ﷺ ثمّ قال: «وَيحَكَ، إذا لم يَكُن العَدْلُ عندي، فعندَ مَن يكونُ؟!» فقال عمرُ بن الخَطّاب: يا رسولَ الله، ألا نَقتلُه[1]؟ فقال: «لا، دَعُوه، فإنَّه سيكونُ له شِيعةٌ يَتعمَّقُونَ في الدِّينِ[2] حتَّى يَخرُجوا منه كما يَخرُجُ السَّهمُ من الرَّمِيَّةِ، يُنظَرُ في النَّصْلِ[3] فلا يُوجَدُ شيءٌ، ثمَّ في القِدْحِ[4] فلا يُوجَدُ شيءٌ، ثمَّ في الفُوقِ[5] فلا يُوجَدُ شيءٌ، سَبَقَ الفَرْثَ[6] والدَّمَ»[7].

---

(١) في (غ): ألا أقتله.

(٢) أي: يتتبّعون أقصاه.

(٣) الرَّميّة: الشيء الذي يُرمَى، والمراد هنا الفَريسة التي تُصاد بالسهم. والنَّصل: حديد السّهم.

(٤) القِدْح: السَّهم.

(٥) الفُوق: طَرَف السَّهم الذي يباشر الوَتَر.

(٦) الفَرْث: ما يوجد في الكَرِش من الطعام.

(٧) حديث صحيح لغيره، وهذا إسناد جيّد.

وأخرجه أحمد (٧٠٣٨) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وله شاهد من حديث أبي سعيد الخُدري عند البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

وآخر من حديث جابر عند مسلم (١٠٦٣)، وهو عند البخاري (٣١٣٨) مختصر جداً.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن عليّ بن الحُسينِ أبو جعفرٍ بمثلِ حديث أبي عُبيدة، وسمّاه ذا الخُوَيصِرة[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي نَجِيح عن أَبيه، بمثلِ ذلك.

قال ابن هشام: ولمّا أَعطى رسولُ الله ﷺ ما أَعطى في قُرَيشٍ وقبائلِ العرب، ولم يُعطِ الأنصارَ شيئاً، قال حسّانُ بن ثابتٍ يُعاتِبُه في ذلك:

زارَ الهُمومُ[2] فماءُ العَينِ مُنحدِرُ ... سَحّاً إذا حَفَّلَتْه عَبْرةٌ دَرِرُ

وَجْداً بشَمّاءَ إذ شَمّاءُ بَهكَنةٌ ... هَيْفاءُ لا ذَنَنٌ فيها ولا خَوَرُ[3]

دَعْ عنكَ شَمّاءَ إذْ كانت مَودَّتُها ... نَزْراً وشَرُّ وِصالِ الواصِلِ النَّزَرُ[4]

وأْتِ الرّسولَ فقل: يا خيرَ مُؤتَمَنٍ ... للمؤمنينَ إذا ما عُدِّدَ البَشَرُ

عَلَامَ تُدعَى سُلَيمٌ وهْيَ نازِحةٌ ... قُدّامَ قومٍ همُ آوَوْا وهمْ نَصَروا[5]

---

(١) وكذلك جاء مسمًّى في حديث أبي سعيد الخدري في «الصحيحين».

(٢) هكذا في كافة نسخنا الخطية، وفي «ديوان حسان» ١/ ٢٦٥: زادت همومٌ، ويروى: زارت همومي.

والسَّح: الصَّبّ. وحَفَّلَته: جَمَّعَته، ومنه: المَحفِل، وهو مُجتمَع الناس. وعَبْرة: دمعة. ودَرِر: دارّةٌ سائلةٌ.

(٣) الوَجْد: المحبّة. وشمّاء: امرأة، وفي «الديوان»: شعثاء، في المواضع كلها. والبهكنة: الغضّة الشباب، وقال ابن الأعرابي: هي الجارية الخفيفة الطيّبة الرائحة المليحة الحُلْوة. وهيفاء: ضامرة الخَصْر. والذَّنَن: القذر وما يسيل من الأنف، ويروى: دَنَن، بالدال، ومعناه: قِصَر العنق وتطامنها، وهو عيبٌ، وفي نسخة على حاشية (غ): دَنَسٌ، وهي رواية «الديوان». والخَوَر: الضَّعف.

(٤) النَّزر: القليل.

(٥) نازحة، أي: بعيدة.

سَـــمّاهمُ الله أنصـــاراً بنَصـــرِهم ... دينَ الهُدَى وعَوَانُ الحربِ تَستعِرُ[1]

وسـارَعُوا في سـبيلِ الله واعتَرَفـوا ... للنّائباتِ ومـا خـامُوا ومـا ضَـجِروا[2]

والنـاسُ أَلْبٌ علينـا فيـكَ لـيس لنا ... إلّا السّـيوفَ وأطـرافَ القَنَـا وَزَرُ[3]

نُجالِـدُ النـاسَ لا نُبقِـي علـى أَحـدٍ ... ولا نُضـيِّعُ مـا تُـوحَى بـه السُّـوَرُ[4]

ولا تَهِـرُّ جُنـاةُ الحـربِ ناديَنـا ... ونحـنُ حـينَ تَلَظَّـى نارُهـا سُـعُرُ[5]

كمـا رَدَدْنـا ببَـدرٍ دونَ مـا طَلَبـوا ... أهـلَ النّفـاقِ ففينـا يُنـزَلُ الظَّفَـرُ

ونحنُ جُندُك يومَ النَّعْفِ من أُحدٍ ... إذ حَزَّبَـت بَطَـراً أحزابَهـا مُضَـرُ[6]

فمـا وَنِينـا ومـا خِمْنـا ومـا خَبَـروا ... منّـا عِثـاراً وكـلُّ النـاسِ قـد عَثَـروا[7]

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة، عن محمود بن لَبِيد، عن أبي سعيدٍ الخُدْريّ قال: لمّا أَعطى رسولُ الله ﷺ ما أَعطى من تلك العَطَايا في قُريشٍ وفي قبائلِ العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيءٌ، وَجَدَ[8] هذا الحيُّ من الأنصارِ في

(١) الحرب العَوَان: هي التي قُوتل فيها مرةً بعد مرةٍ.

وتستعرُ، أي: تلتهب وتشتعل.

(٢) اعترفوا، أي: صبروا. والنائبات: ما ينزل بالإنسان من المُهمّات والحوادث. وما خامُوا، أي: ما جَبُنوا. وما ضَجِروا، أي: ما أصابهم حرجٌ ولا ضِيقٌ.

(٣) ألْبٌ، أي: مجتمعون. والوَزَر: المَلجأ.

(٤) نجالد الناس: نقاتلهم.

(٥) لا تهرّ: لا تكره. وجناة الحرب: الذين يخوضون غِمارها. ونادينا: مجلسنا. وتَلَظّى، أي: تشتعل. وسُعُر: نُوقِد الحرب ونشعلها.

(٦) النَّعف: أسفل الجبل. وحزَّبت: جمَّعت.

(٧) ما وَنِينا: ما ضَعُفنا وفَتَرنا. وما خِمْنا: ما جبنّا.

(٨) الوَجْد هنا: الحزن والعَتَب.

أنفُسِهم حتّى كَثُرَت منهم القالَةُ[1]، حتّى قال قائلُهم: لَقِيَ واللهِ رسولُ الله قومَه! فدخل عليه سعدُ بن عُبَادة فقال: يا رسولَ الله، إنّ هذا الحيَّ من الأنصار قد وَجَدُوا عليك في أنفُسِهم لمَا صَنَعتَ في هذا الفَيْءِ الذي أَصبتَ، قَسَمتَ في قومِك وأعطيتَ عطايا عِظاماً في قبائلِ العرب، ولم يَكُ في هذا الحيِّ من الأنصار منها شيءٌ، قال: «فأينَ أنتَ من ذلكَ يا سعدُ؟» قال: يا رسولَ الله، ما أنا إلّا من قومي، قال: «فاجمَعْ لي قَومَكَ في هذِه الحَظِيرةِ[2]»، قال: فخرج سعدٌ فجَمَعَ الأنصارَ في تلك الحَظِيرة.

قال: فجاءَ رجالٌ من المهاجرين فتَرَكَهم فدَخَلوا، وجاءَ آخرون فرَدَّهم، فلمّا اجتَمَعوا له أتاه سعدٌ فقال: قد اجتَمَعَ لك هذا الحيُّ من الأنصار، فأتاهم رسولُ الله ﷺ فحَمِدَ اللهَ وأثنَى عليه بما هو أهلُه ثمّ قال: «يا مَعشَرَ الأنصارِ، ما قالَةٌ بَلَغَتْني عنكم وجِدَةٌ[3] وَجَدتُموها في أنفُسِكم؟! ألَمْ آتِكُم ضُلّالاً فهَدَاكُم اللهُ، وعالَةً[4] فأَغناكم الله، وأعداءً فألَّفَ اللهُ بين قُلوبِكم؟!»، قالوا: بلِ اللهُ ورسولُه أمَنُّ[5] وأفضَلُ.

ثمّ قال: «ألا تُجِيبُوني يا مَعشَرَ الأنصارِ؟» قالوا: بماذا نُجِيبُك يا رسولَ الله، للهِ ولرسولِه المَنُّ والفضلُ، قال ﷺ: «أمَا واللهِ لو شِئتُم لَقلتُم فلَصَدَقتُم ولَصُدِّقتُم:

---

(١) القالة: الكلام والقول في الخير والشر، وقيل: القال والقالة في الشر خاصّة.

(٢) الحظيرة: موضع يُحاط عليه بشيء كالخشب أو القصب أو نحوهما، والمراد بها هنا الخيمة كما وقع في حديث أنس بن مالك عند البخاري (٤٣٣١) ومسلم (١٠٥٩): أنه جمعهم في قُبّة من أَدَمٍ؛ أي: من جلود.

(٣) أي: عَتَبٌ.

(٤) عالة: جمع عائلٍ، وهو الفقير.

(٥) أمنُّ: من المِنّة، وهي النعمة.

أتيتَنا مُكَذَّباً فصَدَّقْناك، ومَخذُولاً فنَصَرْناك، وطَرِيداً فآوَيْناك، وعائلاً فآسَيْناك[1].

أوَجَدتُم يا مَعشَرَ الأنصارِ في أنفُسِكم في لُعَاعَةٍ[2] من الدّنيا تألَّفتُ بها قوماً ليُسلِموا، ووَكَلتُكم إلى إسلامِكم، ألا تَرضَوْنَ يا مَعشَرَ الأنصارِ أن يَذهَبَ النّاسُ بالشّاةِ والبعيرِ وتَرجِعُوا برسولِ الله إلى رِحَالِكم؟ فوالّذي نفسُ محمّدٍ بيدِه، لولا الهِجرةُ لكنتُ امرَأً من الأنصارِ، ولو سَلَكَ النّاسُ شِعْباً[3] وسَلَكَت الأنصارُ شِعْباً، لَسَلَكتُ شِعبَ الأنصارِ، اللّهمَّ ارحَمِ الأنصارَ وأبناءَ الأنصارِ وأبناءَ أبناءِ الأنصارِ».

قال: فبَكَى القومُ حتّى أَخضَلُوا لِحاهُم[4]، وقالوا: رَضِينا برسولِ الله قَسْماً وحَظّاً. ثمّ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ وتفرَّقوا[5].

---

(١) المخذول: المتروك. وآسيناك، أي: أعطيناك حتى جعلناك كأَحدِنا.

(٢) اللُّعاعة: نبت ناعم في أول ما يبدو، شبّه به زهرة الدنيا ونعيمها.

(٣) الشِّعب: الطريق بين جبلين.

(٤) أخضلوا لحاهم، أي: بلُّوها بالدموع.

(٥) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١١٧٣٠) من طريق إبراهيم بن سعد، بهذا الإسناد.

وأخرجه مختصراً أحمد (١١٥٤٧) من طريق أبي صالح السَّمّان، و(١١٨٤٢) من طريق عطية العوفي، كلاهما عن أبي سعيد الخدري.

ويشهد له بنحوه حديث عبد الله بن زيد الأنصاري عند البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

وحديث أنس بن مالك عند البخاري (٤٣٣١)، ومسلم (١٠٥٩).

عمرةُ رسول الله ﷺ من الجِعرانة
واستخلافُه عَتّابَ بن أَسِيدٍ على مكّة
وحجُّ عتّابٍ بالمسلمين سنة ثمانٍ

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج رسولُ الله ﷺ من الجِعْرانةِ مُعتمِراً، وأمَرَ ببقايا الفَيْءِ فحُبِسَ بمَجَنّةَ بناحية مَرِّ الظَّهْران[1]، فلمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من عُمْرته انصَرَفَ راجعاً إلى المدينة، واستَخلَفَ عَتّابَ بن أَسِيدٍ على مكّة[2]، وخَلَّفَ معه معاذَ بن جبلٍ يُفقِّهُ الناسَ في الدِّين ويعلِّمُهم القرآنَ، واتُّبِعَ رسولُ الله ﷺ ببقايا الفَيْء.

قال ابن هشام: وبَلَغَني عن زيد بن أسلمَ أنّه قال: لمّا استَعمَلَ النبيُّ ﷺ عتّابَ ابن أَسيدٍ على مكّةَ، رَزَقَه كلَّ يومٍ دِرهَماً، فقامَ فخَطَبَ النّاسَ فقال: أيّها الناسُ، أجاعَ اللهُ كَبِدَ مَن جاعَ على دِرهَمٍ، فقد رَزَقَني رسولُ الله ﷺ دِرهماً كلَّ يومٍ، فليست بي حاجةٌ إلى أَحد[3].

---

(١) الجِعرانة: تقع شمال شرقيّ مكة على قرابة ٢٠ كم. ومَجَنّة: غير معروفة الآن، لكنها على وجه العموم تقع في محافظة الجموم شمال مكة على طريق المدينة القديم، ومرُّ الظَّهران: وادٍ من أودية الحجاز يمرُّ في شمال مكة على قرابة ٢٢ كم متجهاً غرباً، ويسمَّى اليوم وادي فاطمة.

(٢) وعتّاب قرشيٌّ أُمويٌّ، وكان عمره لمّا استعمله رسول الله ﷺ نيِّفاً وعشرين سنة. انظر «أسد الغابة» لابن الأثير ٣/ ٤٥٢.

(٣) إسناده ضعيف لانقطاعه بين ابن هشام وزيد بن أسلم، ولإرساله، فزيد هذا من التابعين، ولم يدرك عتّاباً. ولم نقف على هذا الخبر عند غير ابن هشام.

ويخالفه ما رواه عمرو بن أبي عقربٍ قال: سمعتُ عتّابَ بن أَسيدٍ وهو مُسنِدٌ ظهرَه إلى بيت الله يقول: والله ما أصبتُ في عملي هذا ممّا ولّاني رسولُ الله ﷺ ألا ثوبين معقَّدين (والمعقَّد =

قال ابن إسحاق: وكانت عمرةُ رسول الله ﷺ في ذي القَعْدة، فقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ في بقيّة ذي القَعْدة أو في أوّل ذي الحِجّة.

قال ابن هشام: وقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ لستٍّ ليالٍ بَقِينَ من ذي القَعْدة فيما قال أبو عمرو المَدَني.

قال ابن إسحاق: وحَجَّ الناسُ تلك السّنةَ على ما كانت العربُ تَحُجُّ عليه، وحَجَّ بالمسلمين تلك السّنةَ عتّابُ بن أَسِيدٍ، وهي سنة ثمانٍ[1].

وأقامَ أهلُ الطّائفِ على شِرْكِهم وامتناعِهم في طائفِهم ما بين ذي القَعْدةِ إذ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ، إلى شهر رمضان من سنة تسعٍ.

أمرُ كعب بن زهيرٍ بعدَ الانصراف عن الطّائف

ولمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ من مُنصَرَفِه عن الطّائفِ، كَتَبَ بُجَيرُ بن زهير بن أبي سُلْمَى إلى أخيه كعب بن زهيرٍ يخبره: أنّ رسولَ الله ﷺ قَتَلَ رجالاً بمكّة ممّن كان يَهجُوه ويُؤذِيه، وأنّ مَن بَقِيَ من شُعراءِ قُريشٍ، ابنَ الزِّبَعرَى وهُبَيرةَ بن أبي وهبٍ، قد هَرَبوا في كلِّ وجهٍ، فإن كانت لك في نفسِك حاجةٌ، فطِرْ إلى رسول الله ﷺ، فإنّه لا يَقتُلُ أحداً جاءَه تائباً، وإن أنتَ لم تفعلْ، فانجُ إلى نَجَائك[2] من الأرض؛ وكان كعبُ بن زهيرٍ قد قال:

= نوع من الثياب) كسوتُهما مولاي كَيْسان. أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» ٧/ ٥٤، والحاكم (٦٦٦٨)، وحسّن إسناده ابن حجر في «الإصابة» ٤/ ٤٣٠. فهذا واضح في أنه لم يأخذ على عمله شيئاً معلوماً في زمن النبي ﷺ، والله تعالى أعلم.

(١) ووقع الحج في تلك السنة في ذي القَعدة وليس في ذي الحِجّة، من أجل النسيئة التي كانت تفعلها العرب في الشهور على ما بيَّنه الأزرقيُّ في «أخبار مكة» ١/ ١٨٣-١٨٥.

(٢) إلى نجائك، أي: إلى مكان يبعدك من الهلاك.

ألا أَبلِغــا عنّــي بُجَيــراً رِســالةً ... فهل لكَ فيما قلتُ وَيحَك هل لكا

فبَــيِّنْ لنــا إن كنــتَ لســتَ بفاعــلٍ ... علــى أيِّ شــيءٍ غيــرِ ذلــك دَلَّكــا[1]

علــى خُلُــقٍ لــم أُلْــفِ يومــاً أبــاً لــه ... عليــه ومــا تُلفِــي عليــه أبــاً لكــا[2]

فــإن أنــتَ لــم تفعــلْ فلســتُ بآسِــفٍ ... ولا قائــلٍ إمّــا عَثَــرْتَ: لَعــاً لكــا[3]

سَــقَاكَ بهــا المــأمونُ كأســاً رَوِيّــةً ... فأنْهَلَــكَ المــأمونُ منهــا وعَلَّكــا[4]

قال ابن هشام: ويُروَى: المأمورُ. وقولُه: فبَيِّن لنا، عن غير ابن إسحاق.

وأنشَدَني بعضُ أهل العلم بالشِّعرِ وحديثِه[5]:

مَــن مُبلِــغٌ عنّــي بُجَيــراً رســالةً ... فهلْ لكَ فيما قلتُ بالخَيفِ هلْ لكا[6]

شــربتَ مــع المــأمونِ كأســاً رَوِيّــةً ... فأنْهَلَــكَ المــأمونُ منهــا وعَلَّكــا

---

(١) فبيِّن لنا، أي: اذكر لنا مرادَك من ترك دينك واتباع دينه.

(٢) لم أُلفِ، أي: لم أَجِد.

(٣) لست بآسف، أي: لست بنادمٍ. ولَعاً لك: كلمة تقال للعاثر، وهي دعاء له بالإقالة من عَثْرته، ومعناها: قم وانتعش.

(٤) رَوِيّة، أي: مُروِيَة. والنَّهَل: الشرب الأول، والعَلَل: الشرب الثاني. والمأمون: يعني به النبي ﷺ، كانت قريش تسمّيه به وبالأمين قبل النبوّة.

(٥) انظر «شرح ديوان كعب» صنعة أبي سعيد السُّكّري ص٣، فإنه سيأتي بأبيات كعبٍ من رواية ابن إسحاق على هذا النحو الآتي.

(٦) الخيف: أسفل الجبل، والمراد به أَبرق العَزّاف حيث اتفق كعبٌ وأخوه بجيرٌ على أن يخرج أحدهما إلى النبيّ ﷺ فيسمع ما يقول، كما ورد في خبر الحجّاج بن ذي الرُّقيبة بن عبد الرحمن بن كعب بن زهير كما عند الحاكم في «مستدركه» (٦٦٢٠). والأبرق: هو عبارة عن جبل من الرمل والصخور، ويقع أبرق العَزّاف هذا شرق مدينة الحناكيّة التي تقع شرق المدينة المنوَّرة على قرابة ١١٠ كم.

وخالَفتَ أسبابَ الهُدَى واتّبَعتَهُ ... على أيِّ شيءٍ وَيْبَ غيرِك دَلَّكا[1]

على خُلُقٍ لم تُلْفِ أُمّا ولا أباً ... عليه ولم تُدرِكْ عليه أخاً لكا

فإن أنتَ لم تفعلْ فلستُ بآسِفٍ ... ولا قائلاً إمّا عَثَرتَ: لَعاً لكا

قال: وبَعَثَ بها إلى بُجَيرٍ، فلمّا أتت بُجيراً كَرِهَ أن يَكتُمَها رسولَ الله ﷺ، فأنشَدَه إيّاها، فقال رسولُ الله ﷺ لمّا سمعَ (سقاكَ بها المأمونُ): «صَدَقَ وإنَّه لكَذُوبٌ، أنا المأمُونُ»، ولمّا سمعَ: (على خُلُقٍ لم تُلفِ أُمّاً ولا أباً عليه) قال: «أجَلْ، لم يُلْفِ عليه أباهُ ولا أُمَّه».

ثمّ قال بُجيرٌ لكعبٍ:

مَن مُبلِغٌ كعباً فهلْ لكَ في الّتي ... تَلُومُ عليها باطلاً وهْيَ أحزَمُ

إلى الله لا العُزَّى ولا اللّاتِ وحدَه ... فتَنجُو إذا كان النَّجَاءُ وتَسلَمُ

لَدَى يومٍ لا يَنجُو وليس بمُفلِتٍ ... من الناسِ إلّا طاهرُ القلبِ مُسلِمُ

فدِينُ زهيرٍ وهْوَ لا شيءَ دينُه ... ودينُ أبي سُلمَى عليَّ مُحرَّمُ

قال ابن إسحاق: وإنّما يقول كعبٌ: المأمونُ ـ ويقال: المأمورُ، في قول ابن هشام ـ لقول قُريشٍ الذي كانت تقولُه لرسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: فلمّا بَلَغَ كعباً الكتابُ ضاقت به الأرضُ وأشفَقَ على نفسه، وأَرجَفَ به مَن كان في حاضرِه[2] من عدوِّه فقالوا: هو مقتولٌ، فلمّا لم يَجِدْ من شيءٍ بُدّاً، قال قصيدتَه التي يَمدَحُ فيها رسولَ الله ﷺ وذَكَرَ فيها خوفَه وإرجافَ الوُشَاةِ به من عدوِّه.

---

(١) وَيْبَ غيرِك: هو بمعنى: وَيْحَ غيرِك. قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٤١٥.

(٢) أرجف به: خوّفه وخاض في أمره بما يسوؤه ويُفزِعه. وحاضرُه: حيّه الذين هو فيهم.

ثمّ خرج حتّى قَدِمَ المدينةَ، فنَزَلَ على رجلٍ كانت بينَه وبينَه معرفةٌ من جُهَينة، كما ذُكِرَ لي، فغَدَا به إلى رسول الله ﷺ حين صَلَّى الصُّبحَ، فصلَّى مع رسول الله ﷺ ثمّ أشارَ له إلى رسول الله ﷺ فقال: هذا رسولُ الله، فقُمْ إليه فاستأمِنْه.

فذُكِرَ لي: أنه قامَ إلى رسول الله ﷺ حتّى جَلَسَ إليه فوَضَعَ يدَه في يدِه، وكان رسولُ الله ﷺ لا يَعرِفُه، فقال: يا رسولَ الله، إنّ كعبَ بن زهيرٍ قد جاءَ ليَستأمِنَ منك تائباً مُسلِماً، فهل أنت قابلٌ منه إن أنا جئتُك به؟ قال رسول الله ﷺ: «نَعَم»، قال: أنا يا رسولَ الله كعبُ بن زهيرٍ.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة[1]: أنه وَثَبَ عليه رجلٌ من

---

(١) الأنصاريُّ، من صغار التابعين، روى عن بعض الصحابة وأبناء الصحابة، وهو ثقة عالم عارف بالمغازي والسِّيَر.

وأخرج خبرَ كعبٍ وإسلامه وقصيدته (بانت سعاد) الطبراني في «الكبير» ١٩/ (٤٠٣)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٢٤٨) من طريق محمد بن سلمة، والحاكم (٦٦٢٣) من طريق محمد ين سلمة ويونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق. ولم يسوقوا قصيدة كعب بتمامها.

وروى نحوَ هذا الخبر إبراهيم بن المنذر الحِزامي، عن الحجّاج بن ذي الرُّقيبة بن عبد الرحمن ابن كعب بن زهير بن أبي سُلمى المُزَني، عن أبيه، عن جدِّه قال: خرج كعبٌ وبجيرٌ... أخرجه الحاكم (٦٦٢٠) وغيره، والحِزاميُّ صدوق ثقة، لكن شيخه الحجّاج ومَن فوقه مجهولون، ومع ذلك فقد صحّحه الحاكم.

وقصيدة بانت سعادُ هذه رواها أيضاً يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيّب مرسلة عند محمد بن سلّام الجُمحي في «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٩٩-١٠٣، وكذا رواها مرسلة عليُّ بن زيد بن جُدعان وموسى بن عقبة صاحب «المغازي» كما في «مستدرك الحاكم» (٦٦٢١) و(٦٦٢٢). فتعدُّد أوجُه الرواية فيها مما يقوّي أصل ورود هذا الخبر وإنشاد كعب بن زهير هذه القصيدة بين يدي النبيِّ ﷺ، والله تعالى أعلم.

الأنصار فقال: يا رسولَ الله، دَعْني وعدوَّ الله أَضرِبْ عُنُقَه، فقال رسول الله ﷺ: «دَعْهُ عنكَ، فإنَّه قد جاءَ تائِباً نازِعاً[1]»، قال: فغَضِبَ كعبٌ على هذا الحيِّ من الأنصار، لِمَا صَنَعَ به صاحبُهم، وذلك أنّه لم يَتكلَّم فيه رجلٌ من المهاجرين إلّا بخيرٍ، فقال في قصيدتِه التي قال حين قَدِمَ على رسول الله ﷺ[2]:

بانَتْ سُعَادُ فقَلْبي اليومَ مَتبُولُ ... مُتَيَّمٌ عندها لم يُجْزَ مَكبولُ[3]

وما سعادُ غَداةَ البَينِ إذْ بَرَزَت ... إلّا أغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكحولُ[4]

---

(١) زاد في (ق٢): عمّا كان عليه؛ ثم ضرب عليها.

(٢) انظر «شرح ديوان كعب» لأبي سعيد السكّري ص٦، وقد أفردها الإمام النحوي جمال الدين ابن هشام الأنصاري بالشرح والبيان، ونقلنا في حواشينا عليها هنا كثيراً من هذا الشرح.

(٣) بانت: ذهبت وفارَقَت، والبَيْن: الفراق. وسعادُ: عَلَمٌ مرتَجَل يريد به امرأةً يهواها حقيقةً أو ادّعاءً، قاله ابن هشام الأنصاري في «شرح قصيدة بانت سعاد» ص٩٠. ومتبول: أسقمه الحبُّ وأعياه. ومتيَّم: ذليل مُستعبَد، ويروى: متيَّم إثرَها.

ولم يُجزَ: من الجزاء، ويروى: لم يُفدَ، أي: لم يُخلَّص من الأسر، ويروى: لم يُخزَ، من الخِزي. ومكبول: مقيَّد.

يريد الشاعر أن محبوبته فارقته، فصار قلبه في غاية الضَّنى والسّقم والذل والأسر، لا يجد من قيدِه فكاكاً، ولا يستطيع من سجنه خلاصاً.

(٤) الأغنّ: أراد به هنا الظَّبي الذي في صوته غُنّة، والغُنّة: صوت لذيذ يخرج من الأنف. وغضيض الطَّرْف: فاترُه، والطَّرْف: العَين. ومكحول: من الكَحَل، وهو سواد يعلو جفون العين من غير اكتحال، شبّه محبوبته وقتَ الفراق بالظبي الموصوف بغُنّة الصوت وغضّ الطرف والكحل، وهي من صفات الجمال.

تنبيه: وقع في نسخة (غ) هنا: وبعد هذا البيت في غير هذا التأليف مما لم يروه ابن إسحاق:

هَيفاءُ مُقبِلةً عَجزاءُ مُدبِرةً ... لا يُشتَكى قِصَرٌ منها ولا طولُ

وجاء هذا البيت أيضاً في نسختَي (ش١) و(ق٢) ثم ضرب عليه في (ق٢) وعلّم عليه بعلامة =

تَجلُو عَوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتَسَمَت ... كأنّـه مُنهَـلٌ بـالرّاحِ مَعلـولُ[1]

شُجَّت بـذي شَـبَمٍ مـن مـاءِ مَحنِيَـةٍ ... صـافٍ بـأبطَحَ أضحَى وهْـوَ مَشمولُ[2]

تَنفـي الرّيـاحُ القَـذَى عنـه وأفرَطَـه ... مـن صَـوْبِ غاديَـةٍ بِـيضٌ يَعالِيـلُ[3]

= الحذف، ولم يرد في بقية نسخنا الخطية، كما أنه ليس في رواية حفيد كعب بن زهير الحجاج ابن ذي الرُّقيبة عند الحاكم في «المستدرك» (٦٦٢٠) وغيره.

ولم يُروَ هذا البيت في «ديوان كعب» بشرح أبي سعيد السكّري، لكن ذكره في قصيدته هذه أبو زيد القرشي في «جمهرة أشعار العرب» ص٦٣٢.

وهيفاء: ضامرة البطن والخصر. وعجزاء: كبيرة العَجِيزة، وهي الرِّدْف.

(١) تجلو: تكشف. والعوارض: جمع عارض، وهي الأسنان كلها، أو الضواحك خاصّة. والظَّلْم: بريق الأسنان ورقّتها. ومُنهَل: مُسقًى، من النَّهَل: وهو الشرب الأول. والرّاح: من أسماء الخمر. ومعلول: من العَلَل، وهو الشرب الثاني.

يريد أن سعاد إذا ابتسمت كشفت عن أسنان ذات ماء وبريق، أو ذات بياض ورقّة، وكأنّ ثَغْرَها الطيّب رائحته قد سُقي الراح مرةً بعد مرةٍ.

(٢) شُجّت: يعني الخمرَ، مُزِجت حتى انكسرت شدّتها. وبذي شَبَمٍ، أي: بماء شديد البرد. والمَحنِيَة: ما انحنى وانعطف من الوادي فيه رمل وحصى صِغار، وماؤه أصفى وأرقّ. والأبطح: المسيل الواسع الذي فيه دِقاق الحصى.

وأضحى: دخل في وقت الضحى قبل أن يشتد حرُّ الشمس. والمشمول: الذي ضربته ريح الشمال حتى بَرَدَ، وهي عندهم باردة إذا هبَّت.

(٣) القَذَى: ما يقع في الماء من تبنٍ أو عودٍ أو غيره، وكذلك ما يقع في العين أيضاً. وأفرطه: سَبَقَ إليه ومَلَأه. والصَّوب: المطر. والغادية: السحابة تُمطِر غدوةً، أي: أول النهار، وفي رواية «الديوان»: سارية، وهي السحابة تأتي ليلاً.

والبِيض: السحاب، واليعاليل: التي تجيء مرةً بعد أخرى، وذهب ابن هشام الأنصاري إلى أن المراد بها: الجبال الشديدة البياض، وأن المعنى: وملأ هذا الأبطحَ من ماء سحابة آتية بالليل من ماء جبال شديدة البياض.

وَيـلُ أمِّهـا خُلّـةً لـو أنَّهـا صَـدَقَت بوَعـدِها ولَـوَ انّ النّصـحَ مَقبـولُ[1]

لكنَّهـا خُلّـةٌ قـد سِـيطَ مـن دمِهـا فَجْـعٌ ووَلْـعٌ وإخـلافٌ وتَبـديلُ[2]

فمـا تقـومُ علـى حـالٍ تكـونُ بهـا كمـا تَلـوَّنُ في أثوابِهـا الغُـولُ[3]

كانـت مواعيـدُ عُرقُـوبٍ لهـا مَـثَلاً ومـا مواعيـدُه إلّا الأباطيـلُ[4]

---

(١) الخُلّة: الصَّدِيقة والصاحبة، يريد أنها صديقة كريمة، ولو أنها صدقت في الوعد وقبلت النصح، لكانت على أتمّ الخِلال، وأكمل الأحوال. ويروى أول البيت أيضاً: أَكرِمْ بها خُلةً، ويروى: يا ويحَها خُلةً.

(٢) سِيطَ، أي: خُلِط بلحمها ودمها هذه الصفات المذكورة في البيت. والفَجْع: الإصابة بالمكروه كالهجران ونحوه. والوَلْع والوَلَعان: الكَذِب. والإخلاف: خُلْف الوعد؛ يريد أن هذه المرأة قد خُلط بدمها الإفجاع بالمكروه، والكذب في الخبر والإخلاف في الوعد، وتبديل خليلٍ بآخر، وصار ذلك طبعاً لها.

(٣) فما تقوم، أي: فما تدوم، وكذلك هي في (ش١): فما تدومُ على حال، وكذلك هي رواية «الديوان».

والغولُ: كل شيء اغتال الإنسان فأهلكه، والمراد هنا الواحدة من إناث الشياطين، سُمِّيَت بذلك لأنها ـ فيما يزعمون ـ تغتالهم، أو لأنها تتلوّن كلَّ وقت، وللعرب أمورٌ تزعمها لا حقيقة لها كما قال ابن هشام الأنصاري.

(٤) كانت: صارت. وعُرقُوب: رجل اشتهر عند العرب بإخلاف الوعد، فضرب به المثل في الخُلْف، وقصّته في إخلاف الوعد مشهورة حين وَعَدَ أخاه بثمار نخلة له وعداً من بعد وعدٍ، ثم جذَّها ليلاً ولم يعطه شيئاً. والأباطيل: جمع باطلٍ، على غير قياس.

تنبيه: وقع في نسخة (غ) هنا: وبعد هذا البيت في غير هذا التأليف ما لم يروه ابن إسحاق:

وما تَمَسَّكُ بالوَصلِ الذي زَعَمَت إلّا كما يُمسِكُ الماءَ الغَرابيلُ

وجاء هذا البيت أيضاً في (ش١) و(ق٢) ثم ضرب عليه في (ق٢)، وذكره في حاشية (ش٢) وأشار إلى أنه ثبت في بعض الروايات، وهو كذلك في رواية «الديوان». =

أرجـو وآمُـلُ أن يَعجَلْـنَ في أَمَـدٍ ... ومـا لهـنَّ إخـالُ الـدَّهرَ تعجيـلُ [1]

فـلا يَغُرَّنْـكَ مـا مَنَّـتْ ومـا وَعَـدَتْ ... إنَّ الأمـانِيَّ والأحـلامَ تضـليلُ [2]

أمسَـتْ سـعادُ بـأرضٍ لا يُبلِّغُهـا ... إلّا العِتـاقُ النَّجِيبـاتُ المَراسـيلُ [3]

ولا يُبلِّغُهـا إلّا عُـذافِرةٌ ... فيهـا علـى الأَيْـنِ إرْقـالٌ وتَبْغيـلُ [4]

مـن كـلِّ نَضّـاخةِ الـذِّفرَى إذا عَرِقَـت ... عُرضَـتُها طـامِسُ الأعـلامِ مجهـولُ [5]

تَرْمـي النِّجَـادَ بعَينَـيْ مُفـرَدٍ لَهَـقٍ ... إذا تَوَقّـدَت الحُـزّانُ والمِيـلُ [6]

= قوله: تَمسَّكُ، يروى بفتح التاء، على أنه مضارع حذفت إحدى تاءيه، أو بضم التاء وكسر السين المشدّدة مضارع: مَسَّكَ؛ يشبّه تمسّكَها بالعهد بإمساك الغرابيل للماء، مبالغةً في النقض والنّكث وعدم الوفاء بالعهد، لأن الماء بمجرد وضعه في الغِربال يسقط منه.

(١) هذا البيت في نسخة (ش١) على هذا النحو، وهو كذلك عند ابن هشام الأنصاري:

أرجو وآمُلُ أن تَدنُو مودّتُها ... وما إخالُ لَدَينا منكِ تنويلُ

والتنويل: العطاء، والمراد به هنا: الوَصْل. وإخال: أظنّ.

(٢) ما منَّت، أي: ما جعلتك تتمنّاه.

(٣) العِتاق: الكِرام من الإبل والخيل وغيرهما، الواحد: عَتِيق. والنَّجيبات: جمع نَجِيبة، وهي القويّة الخفيفة، ويروى: النَّجِيّات، أي: السريعات. والمراسيل: جمع مِرسالٍ، وهي السريعة.

(٤) العُذافرة: الناقة الصُّلبة العظيمة. والأَين: الإعياء والتعب. والإرقال والتبغيل: ضربان من السَّير السريع.

(٥) النَّضّاخة، بالخاء والحاء: الكثيرة رَشْح العرق. والذِّفرى: النُّقرة التي خلف أُذن الناقة، وهي أول ما يعرق منها. وعُرْضتها: هِمّتها. وطامس الأعلام: الدارس المتغيِّر من العلامات التي تكون في الطريق ليُهتدَى بها. يصف هذه الناقة بأنها عارفة للطريق الدارس الأعلام، وذلك لكثرة أسفارها وسلوكها المَفازات.

(٦) النِّجاد هنا: جمع نَجْد، وهو ما ارتفع من الأرض، وفي «الديوان»: ترمي الغُيوبَ، يعني =

ضَـــخمٌ مُقلَّـــدُها فَعْـــمٌ مُقيَّـــدُها في خَلْقِها عـن بَنـاتِ الفَحْـلِ تفضيلُ (١)

= آثار الطريق التي غابت معالمُها عن العيون. والمُفرَد: الثور الوحشيّ الذي أُفرد عن أُنثاه، لأنه حينئذٍ يكثر تحديقه ويقوى نشاطه وخِفّته. واللَّهق، بفتح الهاء وكسرها: الأبيض. والحُزّان ـ بالنون، ويُكسَر أوله أيضاً ـ: جمع حَزِيز، بزايَينِ: وهو المكان الغليظ الصُّلب. والمِيل: جمع مَيلاء، وهي العُقدة الضخمة من الرَّمل.

(١) المقلَّد: موضع القِلادة في العنق. فَعْم: ممتلئ، ويروى: عَبْل، أي: ضخم. والمقيَّد: موضع القيد، يعني غليظة القوائم. وبنات الفحل، أي: الإناث من الإبل، والفَحْل: البعير الذّكر.

تنبيه: وقع هنا في طبعة السقا وصاحبيه بيتانِ ليسا في شيء من نسخنا الخطية، ولا هما في «ديوان كعب» الذي شرح عليه أبو سعيد السُّكّري، وهما:

غَلْباءُ وَجْناءُ عُلكومٌ مُذكَّرةٌ في دَفِّها سَعَةٌ قُدّامُها مِيلُ

وجلدُها من أَطُومٍ ما يُؤيِّسُه طِلحٌ بضاحيَةِ المَتنَينِ مَهزولُ

وقد ذُكرا في بعض نسخ «الجمهرة» لأبي زيد القرشي، وذكرهما أيضاً ابن هشام الأنصاري في شرحه لهذه القصيدة.

وقوله: غَلْباء: غليظة الرقبة. ووَجْناء: عظيمة الوجنتين، أي: طرفي الوجه. وعُلكوم، أي: شديدة. ومذكَّرة، أي: عظيمة الخِلقة تشبه الذَّكر من الأباعر.

وفي دَفِّها سَعَة، أي: هي واسعة الجنبين، والدَّفّ: الجنب. وقدّامها ميل: كناية عن طول عنقها، أو سَعَة خطوها.

والأَطُوم، بفتح الهمزة: سلحفاة بحرية غليظة الجلد. وما يؤيِّسه، أي: لا يذلّله ولا يؤثّر فيه. والطِّلح: هو القُرَاد، وهو حشرة معروفة تلزق بالدابّة تتغذّى على دمها. والضاحية من كل شيء: ناحيته البارزة للشمس. والمَتْنان: ما يكتنف صُلبَها عن يمين وشمال من عصب ولحم. ومهزول: صفة لطِلْح، أي: قُراد مهزول من الجوع.

يريد أن جلد هذه الناقة في غاية النعومة والمَلاسة، فلا يؤثر فيه القرادُ فيما برز للشمس من ناحيتَي صُلبها عن يمين وشمال، فهو ـ أي: القُراد ـ مهزول من الجوع.

حَـرْفٌ أخوهـا أبوهـا مـن مُهجَّنـةٍ ... وعمُّهـا خالُهـا قَـوْداءُ شِـمْليلُ[1]

يَمشـي القُـرَادُ عليهـا ثـمّ يُزلِقُـه ... منهـا لَبَـانٌ وأقـرابٌ زَهَاليـلُ[2]

عَيْرانةٌ قُـذِفَت بـالنَّحْضِ عـن عُـرُضٍ ... مِرفَقُهـا عـن بَنـاتِ الـزَّورِ مفتـولُ[3]

قَنْـواءُ في حُرّتَيهـا للبَصـيرِ بهـا ... عِتـقٌ مُبِـينٌ وفي الخَـدَّينِ تسـهيلُ[4]

كأنّمـا فـاتَ عَينَيهـا ومَـذْبَحَها ... مـن خَطْمِهـا ومـن اللَّحْيَـينِ بِرطيـلُ[5]

---

(١) حرفٌ، أي: شديدة، والحرف في الأصل: القطعة الخارجة من الجبل، أي: أنها مثله في القوة والصلابة. وقوله: أخوها أبوها... إلخ، يريد أنها مُداخِلة النسب في الكَرَم، لم يدخل في نسبها غير أقاربها. والمهجَّنة: الكريمة الأبوين من الإبل. والقَوْداء: الطويلة الظَّهر والعنق. والشِّمليل: الخفيفة السريعة.

(٢) القُراد: حشرة معروفة تلزق بالدابّة كما سبق. ويُزلِقه: من الإزلاق، أي: يُسقِطه، ومنها، أي: عنها. واللَّبَان: الصدر، وقيل: وسطه. والأَقراب: الخواصر، واحدها: قُرْب. والزهاليل: المُلْس، جمع زُهْلول؛ يريد أن هذه الناقة لملاستها لا يثبت القرادُ عليها.

(٣) العَيرانة: الناقة تُشبِه العَيْرَ في شدّته ونشاطه، والعَيْر هنا: حمار الوحش. والنَّحْض: اللحم. والعُرُض، بضمتين وبإسكان الثانية: الجانب والناحية، أي: رُميَت باللحم من جوانبها، يعني أنها سَمِنَت. والمرفق: يريد المرفقين، والزَّور: الصدر، وقيل: وسطه، وبنات الزَّور: ما حوله وما يتصل به من الأضلاع؛ يريد أن مرفقها جافٍ متباعد عن صدرها، غير ضاغط عليه.

(٤) قنواء: في أنفها كالحَدَب، وقد عدَّه هنا من صفات المدح، مع أن المنقول عن العرب أن القنا عيبٌ في الإبل والخيل، وروي: وَجْناء، ورجّحها بعضهم كما في شرح ابن هشام الأنصاري ص٢٥١.

والحُرّتان: الأُذنان. والعِتق: الكَرَم، وعِتق الأذنين أن تكونا محدَّدتي الطَّرَف. والمُبين: الظاهر. وتسهيل: سهولة ولِينٌ.

(٥) فاتَ، أي: تقدَّم، ووقع هذا الحرف عند أبي ذر الخُشنيّ: كأنما قابُ، وعليه شرح في «إملائه» ص٤١٨ فقال: قابُ: قَدْر، تقول: بيني وبينه قابُ قوسٍ، أي: قَدْر قوسٍ. =

تُمِرُّ مِثلَ عَسِيبِ النَّخلِ ذا خُصَلٍ ... في غارِزٍ لم تَخَوَّنْهُ الأَحاليلُ (١)

تَهْوي على يَسَراتٍ وهْيَ لاهيةٌ ... ذَوابلٍ وَقعُهُنَّ الأرضَ تَحليلُ (٢)

سُمْرُ العُجَاياتِ يَتْرُكنَ الحَصَى زِيَماً ... لم يَقِهِنَّ رؤوسَ الأُكْمِ تَنعيلُ (٣)

يوماً يَظَلُّ به الحِرباءُ مُرتبِئاً ... كأنّ ضاحِيَه في النّارِ مَملولُ (٤)

= والخطم: الأنف وما حوله. واللَّحيان: العظمان اللذان تَنبُت عليهما الأسنان السفلى من الإنسان وغيره. والبِرطيل: حجر مستطيل؛ يصفها بكِبَر الرأس وعِظَمه.

(١) تُمِرُّ، أي: تمدّ وتحرّك. ومِثلَ: صفة لمحذوفٍ، أي: ذَنَباً مثلَ. وعسيب النخل: جريده الذي لم ينبت عليه الخُوص، فإن نَبَت عليه سُمّي سَعَفاً. والخُصَل: اللفائف من الشَّعر. وفي غارِزٍ، أي: على ضَرْع قليل اللّبن. ولم تَخوَّنه: لم تنقصه ولم تُضعفه. والأحاليل: جمع إحليل، وهو الثّقب الذي يخرج منه اللّبن؛ يريد أن هذه الناقة لا تُحلَب، وذلك أقوى لها على السير، ونفى الضَّعف عن الناقة بنفيه عن ضَرْعها.

(٢) تَهوي، أي: تُسرِع، ويروى: تَخدِي، وهو بمعناه، ويروى: تَخذِي، بالذال المعجمة، أي: تسترخي، وهو ضربٌ من السير. واليَسَرات: القوائم الخِفاف، فإذا كانت كذلك لم تكن رَهلة ولا مسترخية وذلك أسرع لرفع قوائمها وبسطها. وهي لاهية، أي: أنها تسرع من غير اكتراث، كأن ذلك سجيّة لها، ويروى: وهي لاحقةٌ، أي: لاحقة بالنوق غير متأخرة عنهنَّ، وفسّر ابن هشام اللاحقةَ بالضامرة، فجعلها صفة ليسراتٍ. والذوابل: جمع ذابل، وهو الرمح الصُّلب اليابس، شبّه قوائمها بها في الصلابة والشدة. ووقعهنَّ الأرض، أي: ضربهنَّ الأرض، ويروى: مسُّهنَّ الأرضَ. وتحليل، أي: قليل غير مبالغ فيه؛ يشير إلى سرعة رفعها قوائمها.

(٣) العُجايات: جمع عُجَاية، وهي عصب قوائم الإبل والخيل، يشبِّه عصبها أو لحم قوائمها بالرماح السُّمر لقوته وصلابته. وزِيَماً: متفرقاً. والأُكم: هي الأراضي المرتفعة كالجِبال الصغار. والتنعيل: شدّ النعل على ظُفر الدابة ليقيها الحجارة؛ أي: أنها لا تَحفَى في سيرها فتفتقر إلى النّعل، وذلك لصلابة أخفافهنَّ.

(٤) الحِرباء: دُوَيبّة معروفة يستقبل الشمس ويدور معها حيث دارت طلباً للدّفء. ومُرتبِئاً، =

وقال للقومِ حادِيهِم وقد جَعَلَت ... بُقْعُ الجنادبِ يَركُضنَ الحَصَى قِيلُوا[1]

كأنّ أَوْبَ ذِراعَيها وقد عَرِقَت ... وقد تَلَفَّعَ بالقُورِ العَساقيلُ[2]

أَوْبُ يَدَيْ فاقدٍ شَمطاءَ مُعوِلَةٌ ... قامَت فجاوَبَها نُكْدٌ مَثاكيلُ[3]

= أي: مرتفعاً قائماً، ويروى: مُصطخِماً، وهو بمعناه، ويروى: مُصطخِداً، أي: مصطلياً بحرّ الشمس. وضاحيه: ما بَرَزَ منه للشمس. ومملول: موضوع في المَلّة، وهي الرَّماد الحارّ؛ والمعنى: أن الآكام تلفَّعت بالسراب في يومٍ يظلُّ فيه الحِرباء محترقاً بالشمس، كأن ما برز منه للشمس مملولٌ كما يُعمَل الخبز بالمَلّة.

(١) الحادي: السائق للإبل. والبُقع: التي فيها ألوان، ويروى: وُرْق الجنادب، والوُرْق: جمع أَورَق أو وَرْقاء، وهو الأخضر الذي يضرب إلى السواد، وقيل: الوُرقة: لون يشبه لون الرماد. والجنادب: جمع جُندُب ـ بضم الدال وتفتح ـ ضربٌ من الجراد، وقيل: الجراد الصغير. ويركضن الحصى، أي: يقفزن عليه فيندفع بعضه إلى بعض. وقيلوا: أمرٌ من القائلة، وهي الاستراحة في وقت شدّة الحر؛ أي: انزلوا واستريحوا.

(٢) الأَوْب: سرعة التقلّب والرجوع. وعرقت: يعني لشدة الحر. وتلفَّع: اشتَمَل والتَحَف. والقُور: جمع قارَةٍ، وهو الجبل الصغير. والعساقيل: السَّراب؛ يصف سرعة ذراعي ناقته في وقت الهاجرة وانتشار السراب فوق صغار الجبال.

(٣) الفاقد: هي التي فقدت ولدها. والشمطاء: التي خالطها الشيب. ومُعوِلة: رافعة صوتها بالبكاء. والنُّكد: جمع نَكْداء، وهي التي لا يعيش لها ولد. والمثاكيل: جمع مِثْكال، وهي الكثيرة الثُّكل، أي: التي مات لها أولاد كثيرة.

وهو في هذا البيت والبيت السابق يشبّه سرعة حركة يدي هذه الناقة بسرعة حركة يدي المرأة في اللَّطم على وجهها لشدّة حزنها على ولدها، ومعها نسوة مثاكيل مثلها، فيشتدّ فعلها ويقوى ترجيع يديها عند النِّياحة، لرؤية حزن غيرها وشدة لطمهنّ.

والشطر الأول من هذا البيت وقع في مطبوعة السقا وصاحبيه، وهو كذلك في رواية «الديوان»:

شَدَّ النّهارِ ذِراعا عَيطَلٍ نَصَفٍ =

نَوّاحةٌ رِخوةُ الضَّبعَينِ ليس لها ... لمّا نَعَى بِكرَها النّاعُونَ معقولُ[1]

تَفْرِى اللَّبَانَ بكَفَّيها ومِدرَعُها ... مُشقَّقٌ عن تَراقِيها رَعَابيلُ[2]

تمشي الغُوَاةُ بجَنبَيها وقولُهمُ: ... إنّك يا ابنَ أبي سُلمَى لَمقتولُ[3]

وقال كلُّ صديقٍ كنتُ آمُلُه: ... لا أُلهِيَنَّكَ إنّي عنكَ مشغولُ[4]

فقلتُ: خَلُّوا طريقي لا أَبا لكمُ ... فكلُّ ما قَدَّرَ الرَّحمنُ مفعولُ[5]

كلُّ ابنِ أُنثَى وإن طالَتْ سلامَتُه ... يوماً على آلةٍ حَدْباءَ محمولُ[6]

نُبِّئتُ أنّ رسولَ الله أَوعَدَني ... والعَفوُ عندَ رسولِ الله مأمولُ

مَهلاً هَدَاكَ الذي أعطاكَ نافِلةَ الـ ... ـقرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ[7]

= ومعنى شد النهار: وقت ارتفاعه، وهو مبالغة في شدة الحر. والعَيطَل: الطويلة. والنَّصَف: المتوسطة في السِّنّ، وذلك حين استكمال قوتها وبلوغ أشُدّها.

(١) رخوة الضَّبعين، أي: مسترخية العَضُدَين، والبِكر: أول الأولاد. والناعون: المُخبِرون بالموت. والمعقول هنا: العقل، وهو أحد المصادر التي جاءت على وزن مفعول؛ يعني أن هذه المرأة لم يبق لها عقل، فهي لا تحس بالإعياء والتعب، وكذلك هذه الناقة لا تحس بإعياء ولا تعب في سيرها.

(٢) تَفْري، أي: تشقّ الثياب عن اللَّبَان، وهو الصَّدر. والمِدرَع: القميص. والتَّراقي: جمع تَرقُوَة، وهي عظام الصدر التي تقع عليها القِلادة. ورعابيل: قطع متفرِّقة، وهو جمع رُعبُولة.

(٣) الغُواة: المُفسِدون، جمع غاوٍ. وجنبيها، أي: حوالَيها. ومقتول، أي: متوعَّد بالقتل.

(٤) آمله: أؤمِّل خيره أو معونته. وأُلهينّك: أشغلنّك؛ والمعنى: لا أشغلك عمّا أنت فيه من الخوف والفزع، فأنا مشغول عنك بأمور نفسي.

(٥) خلُّوا سبيلي: اتركوه، والسبيل: الطريق.

(٦) الآلة الحدباء: النَّعش الذي يحمل عليه الميت، والحدباء هنا: المرتفعة.

(٧) سمّى القرآنَ نافلةً، لأنه عطيّة زائدة على النبوّة.

لا تأخُذَنّي بأقوالِ الوُشَاةِ ولَمْ ... أُذنِبْ ولو كَثُرَت فِيَّ الأقاويلُ (١)

لقد أقومُ مَقاماً لو يقومُ بهِ ... يَرَى ويَسمَعُ ما قد أَسمَعُ الفِيلُ (٢)

لَظَلَّ تُرعَدُ من وَجْدٍ بَوادِرُه ... إن لم يكن من رسولِ الله تَنويلُ (٣)

حتَّى وَضَعتُ يَمِيني ما أُنازِعُها ... في كفِّ ذي نَقِماتٍ قولُه القِيلُ (٤)

فلَهْوَ أخوَفُ عندي إذ أُكلِّمُه ... وقيلَ: إنّكَ منسوبٌ ومسؤولُ (٥)

من ضَيغَمٍ بضَرَاءِ الأرضِ مَخدَرُه ... في بَطنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونَه غِيلُ (٦)

---

(١) الوُشاة: الساعُون به الذين ينقلون أقواله وذمَّه للمسلمين.

(٢) لقد أقوم: معناه: والله لقد أقوم مقاماً، فهو جواب قسم محذوف، وذكر الفيلَ من دون الحيوانات لضخامته، فتوهَّم أنه أبصرُ وأسمعُ من غيره.

(٣) تُرعَد: تضطرب. والوَجْد: الفزع. والبوادر: اللحم الذي بين العنق والكتف. والتنويل: أراد به هنا الأمان والعفو.

(٤) ما أنازعه، أي: أنا راضٍ بحكمه، غير منازع ولا مخالف. والنَّقِمات: جمع نَقِمة ونِقْمة، والمراد به النبي ﷺ، لأنه كان ينتقم من الكفار، شديد السطوة والإغلاظ فيهم. وقولُه القِيلُ، أي: قوله القول المعتدُّ به لكونه نافذاً ماضياً.

(٥) أخوف: أشدُّ إخافة وإرهاباً. ومنسوب، أي: إلى أمور صدرت منه، كقوله لأخيه بجير: أسقاك بها المأمون... إلخ كما سبق. ومسؤول، أي: عمّا نُقِل عنه.

(٦) الضَّيغَم: الأسد. وضَرَاء الأرض: ما سَتَرَك وأخفاك من شجر. والمَخدَر: غابة الأسد التي يقيم فيها.

وعَثَّر: مدينة تاريخية اندثرت معالمها ولم يبق منها سوى الأطلال، تقع مدينة عثّر على ساحل البحر الأحمر في منطقة جازان جنوب الجزيرة العربية، وتبعد حوالي ٤٠ كم إلى الشمال الغربي من مدينة جازان.

والغِيل: الشجر الكثير الملتفّ. وغِيل دونه غِيل، أي: أَجَمة تَقرَبُها أَجَمة أخرى، فتكون أُسدها أشدَّ توحشاً، وأقوى ضراوة، يريد أن رسول الله ﷺ أهيَبُ من هذه الأُسد.

يَغدُو فيَلحَمُ ضِرغامَينِ عَيشُهما ... لحمٌ من الناسِ معفورٌ خَرَاديلُ[1]

إذا يُساوِرُ قِرْناً لا يَحِلُّ لَه ... أن يَتْرُكَ القِرنَ إلّا وهْوَ مفلولُ[2]

منه تَظَلُّ حَمِيرُ الجَوِّ نافرةً ... ولا تُمشِّي بِوادِيهِ الأَراجيلُ[3]

ولا يَزالُ بِوادِيهِ أخو ثِقةٍ ... مُضرَّجُ البَزِّ والدِّرسَينِ مأكولُ[4]

إنَّ الرَّسولَ لنُورٌ يُستَضاءُ بهِ ... مُهنَّدٌ من سيوفِ الله مسلولُ[5]

في عُصبةٍ من قُرَيشٍ قال قائلُهمْ ... بِبَطنِ مكّةَ لمّا أسلَمُوا: زُولُوا[6]

زالُوا فما زالَ أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عندَ اللِّقاءِ ولا مِيلٌ مَعازيلُ[7]

---

(١) يغدو: يخرج في أول النهار يتطلب صيداً لشِبلَيه. ويَلحَمُ ـ ويقال: يُلحِمُ، أيضاً ـ: يُطعمهما اللحم. والضِّرغام: الأَسد. ومعفور: مُلقًى في العَفْر، وهو التراب. وخراديل: قِطَعٌ صِغار.

(٢) يساور: يواثب. والقِرْن: النظير في القوّة والشجاعة. والمفلول: المكسور المهزوم.

(٣) الجوّ: ما اتّسع من الأرض وسَهُل. ونافرة: بعيدة، وفي «الديوان»: ضامِزَة، أي: ساكتة. وتُمشِّي: مبالغة تَمْشي، ويروى: تَمَشَّى، وهي على حذف إحدى التاءين من تَتَمشَّى. والأَراجيل: الرَّجّالة من الناس، وهو جمع أَرجال، وأرجال: جمع رَجْل، ورَجْل: اسم جمع لراجلٍ؛ يصف هذا الأسد بالقوة، حتى خافته الدّوابُّ والناسُ.

(٤) أخو ثقة: الشجاع الواثق بشجاعته. ومضرج: مخضّب مُلطَّخ بالدماء، وفي «الديوان»: مطرَّح، أي: مطروح. والبَزُّ: المراد به هنا السلاح. والدِّرسَين: مثنَّى دِرْس، وهو الثَّوب البالي، وفي «الديوان»: الدِّرسان، على الجمع. ومأكول، أي: هو طعام لذلك الأسد.

(٥) يُستضاء به، أي: يُهتَدى به إلى الحق. والمهنَّد: السيف. والمسلول: المُخرَج من غِمْده.

(٦) العُصبة: الجماعة. وزُولوا، أي: تحولوا وانتقلوا، يريد: من مكّة إلى المدينة، ويعني به الهجرة.

(٧) الأنكاس: جمع نِكْس، وهو الرجل الضعيف. والكُشُف: الذين ينهزمون ولا يثبتون. والمِيل: جمع أَمْيَل، وهو الذي لا يحسن الركوب ولا يثبت على السّرج. والمَعازيل: جمع مِعزال، وهو الذي لا سلاح معه.

يَمشُون مشيَ الجِمالِ الزُّهْرِ يَعصِمُهم ضربٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابيلُ[1]

شُمُّ العَرَانِينِ أبطالٌ لَبوسُهمُ من نَسْجِ داودَ في الهَيْجا سَرابيلُ[2]

بِيضٌ سَوابغُ قد شُكَّت لها حَلَقٌ كأنّها حَلَقُ القَفْعاءِ مجدولُ[3]

ليسوا مَفارِيحَ إن نالتْ رِماحُهمُ قوماً وليسوا مَجازِيعاً إذا نِيلُوا[4]

لا يَقَعُ الطَّعنُ إلّا في نُحورِهِمِ ليسَ لهم عن حِيَاضِ الموتِ تَهليلُ[5]

---

(١) الزُّهر: البِيض، يعني أنهم ساداتٌ لا عبيد، وعربٌ لا أعراب. ويَصِفُهم حين شبّههم بالجِمال بامتداد القامة، وعِظَم الخَلْق، والرفق في المشي، وذلك دليل على الوَقَار والسُّودَد. ويعصمهم: يمنعهم. وعرَّد: فرَّ وأعرض عن قِرْنه وهرب عنه. والتنابيل: جمع تِنبال، وهو القصير.

(٢) شمٌّ: جمع أَشمّ، وهو الذي في قصبة أنفه علوٌّ مع استواء أعلاه. والعرانين: جمع عِرنِين، وهو الأنف. واللَّبوس: ما يُلبَس، والمراد هنا الدِّرع. ونسج داود، أي: منسوجه، وهو الدرع، وداود المراد به داود النبيّ عليه السلام. والهيجا: الحرب. والسرابيل: جمع سِربال، وهو القميص أو الدرع، ووصفها بأنها من نسج داود دليلٌ على مناعتها وحسن صنعتها.

(٣) بِيض: مجلوّة صافية، لأن الحديد إذا استُعمل اعتُني به فلا يصدأ. والسوابغ: الطِّوال الوافية. وشُكَّت: أُدخل بعضها في بعض، ويروى: سُكَّت، أي: ضُيِّقت. والقفعاء: ضرب من الحسك، وهو نبات له شوك ينبسط على وجه الأرض، تُشبَّه به حَلَقُ الدروع. ومجدول: مُحكَم الصنعة.

(٤) مفاريح.. ومجازيع، أي: إذا ظَفِروا بعدوِّهم لم يظهر عليهم الفرح، وإذا ظهر عليهم العدوُّ لم يحصل لهم الفزع، يصفهم بالشجاعة وشدّة الصبر وقلّة المبالاة بالخطوب. ونالوا: أصابوا.

(٥) وقوع الطعن في نحورهم: دليل على أنهم لا ينهزمون فيقع الطعنُ في ظهورهم، بل يُقدِمون على أعدائهم فيقع الطعنُ في نحورهم. وحِياض الموت: موارده، ويريد بها ساحات القتال. وتهليل: تأخير، يقول: لا يتأخرون عن حياض الموت إذا تأخر غيرُهم عنها وتراجع.

قال ابن هشام: قال كعبٌ هذه القصيدةَ بعدَ قُدومِه على رسول الله ﷺ المدينة[1].

وبيتُه: حَرْفٌ أخوها أبوها، وبيتُه: يَمشي القُرادُ، وبيتُه: عَيْرانةٌ قُذِفَت، وبيتُه:

---

(١) روى محمد بن سلّام الجمحي في «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٠٣ عن محمد بن سليمان، وابن قانع في «معجم الصحابة» ٢/ ٣٨١ من طريق الزبير بن بكّار، عن بعض أهل المدينة، كلاهما (محمد بن سليمان والمدني المجهول) عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيّب: أن النبيَّ ﷺ لمّا أنشده كعبٌ هذه القصيدة كساه بُردةً اشتراها معاويةُ من آل كعب بن زهيرٍ بمال كثير. زاد ابن سلّام: فهي البردة التي تلبسها الخلفاءُ في العيدين، زعم ذلك أبانٌ (يعني ابن عثمان البَجَلي)، وزاد الزبير بن بكّار: فهي البردة التي تلبسها الخلفاءُ في الأعياد. قلنا: وهذا الإسناد على إرساله فيه إبهام شيخ الزبير بن بكار، وجهالة محمد بن سليمان شيخ ابن سلّام، فإنه لا يُعرَف، فهذا الخبر عن يحيى بن سعيدٍ ضعيف.

وقد روى ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٣٩٣ عن محمد بن هلال الجُمَحيِّ مولاهم: أنه رأى على الخليفة هشام بن عبد الملك بُرْدَ النبي ﷺ، كما ذكر ابن المبارك في «الزهد» (٧٦٦): أنه كان عند الخلفاء ثوبٌ للنبي ﷺ يَلبَسُونه يوم الفطر والأضحى؛ لكن لم يبيِّنا كيف وصل هذا البُرْد إلى هؤلاء الخلفاء. وزاد ابن المبارك: أن هذا الثوب كان قد قَدُمَ وبَلِيَ، فطَوَوه بثوبٍ آخر.

وقال العلّامة ابن كثير في «البداية والنهاية» ٧/ ١٣٧ في شأن هذه البُردة المذكورة في خبر كعب ابن زهير: هذا من الأمور المشهورة جدّاً، ولكن لم أرَ ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه، فالله أعلم.

قلنا: ومهما يكن من أمرٍ، فإن هذه البُردة فُقِدَت منذ زمن طويل ولم يُعرَف لها أثرٌ، إما عند زوال دولة بني أُميّة، وإما عند وقعة التتار في بغداد، فانظر «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص٢٠-٢١، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي ٣/ ٣٠٢. وقيل: هما بُردتان لا بردة واحدة، وانظر تفصيل ذلك في كتاب «الآثار النبوية» لأحمد تيمور باشا ص١٧-٢١.

والبُردة: الشملة المخطَّطة، وقيل: كساء أسود مربَّع فيه صِغَر تَلبَسُه الأعراب. قاله ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» ١/ ١١٦؛ يعني تضعه على أكتافها.

تُمِرُّ مِثلَ عَسيبِ النّخلِ، وبيتُه: تَفْري اللَّبَان، وبيتُه: إذا يُساوِرُ قِرناً، وبيتُه: ولا يَزالُ بِوادِيهِ؛ عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عاصمُ بن عمر بن قَتَادة: فلمّا قال كعبٌ: إذا عَرَّدَ السُّودُ التّنابيلُ، وإنّما يريدنا مَعشَرَ الأنصارِ، لِمَا كان صاحبُنا صَنَعَ به ما صَنَعَ، وخَصَّ المهاجرين من قُريشٍ من أصحاب رسول الله ﷺ بمِدْحتِه، غَضِبَت عليه الأنصارُ، فقال بعد أن أسلَمَ يَمدَحُ الأنصارَ ويذكرُ بَلاءَهم مع رسول الله ﷺ، ومَوضِعَهم من اليَمَن[1]:

مَن سَرَّه كَرَمُ الحياةِ فلا يَزَلْ ... في مِقنَبٍ من صالحي الأنصارِ[2]

وَرِثُوا المَكارِمَ كابراً عن كابرٍ ... إنَّ الخِيارَ همُ بنو الأخيارِ

المُكرِهينَ[3] السَّمْهرِيَّ بأذرُعٍ ... كسَوالفِ الهِنديِّ غيرِ قِصارِ

والنّاظِرينَ بأعيُنٍ مُحمَرَّةٍ ... كالجَمرِ غيرِ كَلِيلةِ الأبصارِ[4]

والبائعينَ نُفوسَهم لنبيِّهمْ ... للموتِ يومَ تَعانُقٍ وكِرَارِ

---

(١) انظر «شرح ديوان كعب» للسكّري ص٢٥.

(٢) المِقنَب: جماعة الخيل والفرسان.

(٣) في (ش٢) و(ق٢) و(ي): المُكرِمين، أي: يُكرمون الرماح بحملهم إياها بأذرع قويّة، والمثبت من بقية النسخ وهي رواية «الديوان»، والمعنى: حاملوها على المكروه من الطعن والقتال.

والسمهريّ: هو الرمح.

وسوالف الهنديّ: يريد حواشي السيوف، كما في «إملاء» الخشنيّ ص٤٢١، وفي «الديوان»: كصواقل الهنديّ.

(٤) أي: أعينهم محمرّة كالجمر للغيظ وشهوة لقاء العدوّ.

والكَلِيلة: الضعيفة النظر.

والذائـدِينَ النـاسَ عـن أديـانِهم ... بالمَشـرَفِيِّ وبالقَنـا الخَطّـارِ[1]

يَتطهَّـرون يَرَونَـه نُسُـكاً لهـمْ ... بـدِماءِ مَـن عَلِقُـوا مـن الكفّـارِ

دَرِبُـوا كمـا دَرِبَـت بـبَطنِ خَفِيّـةٍ ... غُلْبُ الرِّقابِ من الأُسودِ ضَوَارِي[2]

وإذا حَلَلـتَ لِيَمنَعـوك إلـيهمِ ... أصـبَحتَ عنـد مَعاقِـلِ الأغفـارِ[3]

ضَـرَبوا عليّـاً يـومَ بـدرٍ ضـربةً ... دانَـتْ لوَقعَتِهـا جميـعُ نِـزارِ[4]

لـو يَعلَـمُ الأقـوامُ عِلمـيَ كلَّـه ... فـيهم لَصَـدَّقَني الّـذينَ أُمـاري[5]

قـومٌ إذا خَـوَتِ النّجـومُ فـإنّهم ... للطّـارِقينَ النّـازِلينَ مَقَـارِي[6]

---

(١) هذا البيت من نسخة (غ) وحدها، وهو ثابت في «الديوان» أيضاً.

والمَشرَفي: السيف منسوب إلى مَشارِف الشام (أي: أريافه) يعني هو مصنوع فيها. والقَنا: الرِّماح، جمع قَنَاة. والخطّار: المُهتزّ.

(٢) دَرِبوا: تعوَّدوا. وبطن خَفيّة: موضع تكثر فيه الأُسود. وغُلْب الرقاب: غلاظ الأعناق. وضَوَاري: متعوِّدات الصيد والافتراس.

(٣) المَعاقل: جمع مَعقِل، وهو الموضع الممتنِع كالحِصن. والأغفار: جمع غُفْر، وهو ولد الوَعْل تيس الجبل، ويضرب المثل بامتناع أولاد الوعول في أعالي الجبال.

(٤) أراد بعليٍّ عليَّ بن مسعود بن مازن الغسّاني، وهو أخو عبد مَناة بن كِنانة لأمّه، فحَضَنَ عليٌّ بني عبد مناة بعد موته، فنُسِبوا إليه، ومن بني عبد مناة بن كنانة بنو بكرٍ أحلاف قريش.

وفي «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي ص٣٧: صالوا علينا يوم بدر صولةً، لا ذكر لعليٍّ فيه.

(٥) أُماري، أي: أُجادل.

(٦) خَوَت النجوم، أي: غربت ولم يكن مطر في تلك الأوقات. والطارقون: الذين يأتون باللّيل. والمَقَاري: جمع مِقرًى، وهو الإناء الذي يصنع فيه الطعام للأضياف؛ يريد أنهم إذا انحبس المطر وعمّ القحطُ، يكونون أصحاب قِصاعٍ لقَرْي الأضياف الذين يطرقونهم وينزلون بهم، وأحمدُ ما يكون من الإطعام ما كان في وقت القحط.

في الغُـرِّ مـن غسّـانَ في جُرثُومـةٍ أَعيَـتْ مَحافِرُهـا علـى المِنقـارِ[1]

قال ابن هشام: ويقال: إنّ رسولَ الله ﷺ قال له حين أنشَدَه: بانَتْ سُعادُ فقَلْبي اليومَ مَتبُولُ: «لولا ذَكَرتَ الأنصارَ بخيرٍ، فإنَّ الأنصارَ لذلكَ أَهلٌ»[2]، فقال كعبٌ هذه الأبياتَ، وهي في قصيدةٍ له.

قال ابن هشام: وذُكِرَ لي عن عليِّ بن زيد بن جُدْعانَ أنّه قال: أنشَدَ كعبُ بن زهيرٍ رسولَ الله ﷺ في المسجد: بانَتْ سعادُ فقَلْبي اليومَ مَتبُولُ[3].

---

(١) هذا البيت من نسخة (غ) وحدها، وهو كذلك في «جمهرة أشعار العرب» ص٣٧، وهو في «الديوان» بلفظ:

للصُّلب من غسّان فوق جراثمٍ تَنبُو خوالـدُهـا عـن المِنقـارِ

وغسّان: قبائل يمانيَة من الأزد، ويُنسَب إليه الأوسُ والخزرجُ. والجراثم هنا: الأماكن المرتفعة، ضربه مثلاً للعزِّ والشرف. وتَنبُو، أي: تتجافى وتتباعد. وخوالدها: جبالها. وأراد بالمِنقار هنا: المِعوَل أو الفأس؛ يريد أن المعاول لا تؤثّر فيها. وهذا مثلٌ ضربه لعزِّهم، يقول: من أرادهم بشرٍّ امتنعوا عليه.

والغُرّ: جمع أغرّ، وهو الشريف في قومه.

(٢) لم يسنده ابن هشام ولم نقف عليه موصولاً في شيء من الكتب المسنَدة، فهو لذلك خبر ضعيف.

(٣) ورواه موصولاً الحاكم في «المستدرك» (٦٦٢١) بإسناده إلى ابن جُدعان، وفيه ضعف، وابن جدعان من صغار التابعين، فخبره مرسل.

غزوة تَبُوك

في رجبٍ سنة تسعٍ[1]

قال ابن إسحاق[2]: ثمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحِجّةِ إلى رَجَبٍ، ثمّ أمَرَ الناسَ بالتَّهيُّؤِ لغَزوِ الرُّوم.

فذكرَ لنا الزُّهْريُّ ويزيدُ بن رُومانَ وعبدُالله بن أبي بكرٍ وعاصمُ بن عمر بن قَتَادة، وغيرُهم من علمائِنا، كلٌّ حَدَّثَ في غزوةِ تَبُوكَ ما بَلَغَه عنها، وبعضُ القوم يحدِّث ما لا يحدِّث بعضٌ: أنّ رسولَ الله ﷺ أمَرَ أصحابَه بالتَّهيُّؤِ لغَزوِ الرُّوم، وذلك في زمنِ عُسْرةٍ من النّاس وشِدّةٍ من الحَرِّ وجَدْبٍ من البلاد، وحين طابتِ الثِّمارُ والنّاسُ يُحِبُّون المُقامَ في ثِمَارِهم وظِلَالِهم، ويَكرَهون الشُّخُوصَ[3] على الحالِ من الزّمان الّذي هم عليه.

وكان رسول الله ﷺ قَلَّما يخرجُ في غزوةٍ إلّا كَنَّى عنها وأخبرَ أنّه يريد غيرَ الوجهِ الذي يَصمُدُ له[4]، إلّا ما كان من غزوة تَبُوك، فإنّه بَيَّنَها للنّاس لبُعْدِ الشُّقَّة[5]، وشِدّةِ الزَّمان، وكَثْرةِ العدوِّ الذي يَصمُدُ له، ليَتأهَّبَ النّاسُ لذلك أُهبَتَه، فأمَرَ النّاسَ

---

(١) تقع تبوك شمال غرب المدينة المنوَّرة على قرابة ٦٥٠ كم، وكانت تبوك إذ ذاك تُعَدُّ من أطراف الشام، وكانت من ديار قُضَاعة وتتبع لسلطة الرُّوم.

(٢) في نسخة (غ): وبالسند الأول المذكور حدّثنا أبو محمّد عبدُ الملك بن هشام قال: حدّثنا زيادُ بن عبد الله البكّائي، عن محمّد بن إسحاق المُطَّلبيّ قال.

(٣) أي: الذهاب والخروج.

(٤) يَصمُد، أي: يَقصِد.

(٥) الشُّقّة: السفر البعيد.

بالجَهَازِ وأخبرهم أنّه يريد الرُّومَ[1].

---

(١) أخرج البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك في قصة توبته قال: لم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوةً إلا وَرَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوةُ، غزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديدٍ، واستقبل سفراً بعيداً ومَفازاً (أي: برِّيّةً كبيرةً) وعدوّاً كثيراً، فجَلَّى للمسلمين أمرَهم ليتأهَّبوا أُهبَةَ غزوِهم، فأخبرهم بوجهه الّذي يريد. واللفظ للبخاري.

وكان السببُ فيها ما ذكره الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ٩٨٩-٩٩٠ وصاحبُه ابن سعد في «طبقاته» ٢/ ١٥٠: أنه بلغ رسولَ الله ﷺ من جهة الأنباط الذين يَقدَمُون بالدقيق والزيت من الشام: أن الروم قد جَمَعَت جموعاً كثيرةً بالشام ومعهم لَخْم وجُذَام وغيرهم من متنصِّرة العرب، وقدّموا مقدَّماتهم إلى البلقاء، ولم يكن ذلك، إنما ذلك شيءٌ قيل لهم فقالوه، فنَدَبَ رسولُ الله ﷺ الناسَ إلى الخروج، وأعلَمَهم المكانَ الذي يريد ليتأهَّبوا لذلك، وبعث إلى مكة وإلى قبائل العرب يستنفرُهم.

وقد أشار عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه إلى ذلك في حديث ابن عباسٍ عنه في قصة اعتزال النبيِّ ﷺ نساءَه وتخييرَه لهنّ، فقال ـ فيما أخرجه البخاري (٥١٩١) ومسلم (١٤٧٩) ـ: وكنا نتحدّث أن غسَّانَ تَنعَلُ الخيلَ لتغزوَنا. وغسّانُ من متنصِّرة العرب بالشام يتبعون لملك الروم، وكانت قصة الاعتزال والتخيير هذه في أول سنة تِسْع كما حقّقه ابن حجر في «الفتح» ١٥/ ٥٧٠، أي: قبل غزوة تبوك بأشهُر.

وأما عن عدد جيش المسلمين في هذه الغزوة، فقد ذكر يونسُ بن بكيرٍ عن ابن إسحاق كما في «الدلائل» للبيهقي ٥/ ٢١٩، وابنُ سعد ٢/ ١٥١: أنه اجتمع له ﷺ في هذه الغزوة ما يقرب من ثلاثين ألفاً من الناس، وأسند الواقديُّ ٣/ ٩٩٦ هذا العدد إلى زيد بن ثابت، لكن في إسناده جهالة بعض رواته، وروي نحوه عن معاذ بن جبل فيما رواه ابن عديٍّ في «الكامل» ٧/ ٢٧٠ بإسنادٍ واهٍ فيه أبو فروة يزيد بن سنان، وهو ضعيف جداً منكر الحديث.

قلنا: والذي يغلب على ظنّنا: أن هذا الرقم مبالَغٌ فيه، فإن الجيش الإسلامي في غزوة حنين والطائف كان قرابة الاثني عشر ألفاً مع من أسلم من قبائل قريش وأحلافها بمكة وما حولها، وبين هذه الغزوة وغزوة تبوك أشهرٌ، ولم يكن كثيرٌ من القبائل العربية إذ ذاك قد دخل في =

فقال رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ وهو في جَهَازِه ذلك للجَدِّ بن قيسٍ أَحدِ بني سَلِمةَ[1]: «يا جَدُّ، هل لكَ العامَ في جِلَادِ بني الأصفَرِ؟»[2] فقال: يا رسولَ الله، أوَتأذَنُ لي ولا تَفتِنِّي! فوالله لقد عَرَفَ قومي أنّه ما من رجلٍ بأشدَّ عُجْباً بالنّساءِ منّي، وإنّي أَخشى إن رأيتُ نساءَ بني الأصفَرِ أن لا أَصبِرَ، فأعرَضَ عنه رسولُ الله ﷺ وقال: «قد أَذِنتُ لك»؛ ففي الجَدِّ بن قيسٍ نَزَلَت هذه الآيةُ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٤٩][3]. أي:

= الإسلام، فمن أين يمكن أن يصل عددُ الجيش إلى الثلاثين ألفاً أو أكثر من ذلك في بعض الروايات في هذه المدّة القصيرة، والذي يترجّح عندنا أنّ عدده قد يكون في حدود الخمسةَ عشرَ ألفاً، أو أكثرَ من ذلك بقليل، ويمكن أن يستدلَّ على ذلك بقول كعب بن مالك في حديث توبته ـ كما في روايةٍ عند مسلم (٢٧٦٩)(٥٥) ـ وهو يتحدّث عن هذه الغزوة: وغزا رسولُ الله ﷺ بناسٍ كثيرٍ يزيدون على عشرة آلاف؛ والله تعالى أعلم.

قال ابن سعد ٢/ ١٥١: فأَمَرَ كلَّ بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتَّخذوا لواءً أو رايةً، ومضى لوجهه يسير بهم حتى قَدِمَ تبوكَ.

(١) وهو أحدُ المنافقين، وقد سلف عند المصنف ذكرُه فيهم ٢/ ١٨٨.

(٢) بنو الأصفر: يريد بهم الرُّوم. والجِلاد: المجالَدة والمضارَبة بالسيوف.

(٣) حديث قويٌّ إن شاء الله، فهو من رواية غير واحد من الثقاتِ مرسلاً كما تقدّم للمصنف، وهذه الروايات يشدُّ بعضها بعضاً فيتقوّى الخبر.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١١/ ٤٩٢ من طريق سلمة بن الفضل، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٢١٣-٢١٤ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، عن شيوخه المذكورين في أول الخبر.

وخالف عبدُ الرحمن بن بشير الدمشقي عند ابن أبي حاتم في «التفسير» ٦/ ١٨٠٩ فرواه عن ابن إسحاق، عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، عن جابر بن عبد الله قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لجدِّ بن قيس، فذكره. هكذا وصله، وهذه رواية شاذّة، فإن عبد الرحمن =

إن كان إنّما خَشِيَ الفِتنةَ من نساءِ بني الأصفَرِ، وليس ذلك به، فما سَقَطَ فيه من الفتنةِ أكبرُ بتَخَلُّفِه عن رسولِ الله ﷺ، والرَّغْبةِ بنفسِه عن نفسِه، يقول: وإنَّ جهنَّمَ لَمِن ورائِه.

وقال قومٌ من المنافقين بعضُهم لبعضٍ: لا تَنفِرُوا في الحَرِّ، زَهَادةً في الجهاد، وشَكّاً في الحقِّ، وإرجافاً بالرَّسول ﷺ[1]، فأنزَلَ اللهُ تبارك وتعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة: ٨١-٨٢].

قال ابن هشام: وحدّثني الثِّقةُ عمّن حدَّثه عن محمّد بن طَلْحة بن عبد الرَّحمن عن إسحاق بن إبراهيم بن عبدالله بن حارثةَ عن أبيه عن جَدِّه قال: بَلَغَ رسولَ الله ﷺ أنّ ناساً من المنافقينَ يَجتمِعونَ في بيتِ سُوَيلِمٍ اليهوديِّ - وكان بيتُه عند جاسُومَ[2] - يُثبِّطون الناسَ عن رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك، فبَعَثَ إليهم النبيُّ ﷺ طلحةَ بن

= ابن بشير - وإن وثّقه دُحَيمٌ الدمشقي كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر ٣٤/ ٢٤٣ - قال فيه أبو حاتم الرازي كما في «الجرح والتعديل» ٥/ ٢١٥: منكر الحديث، يروي عن ابن إسحاق غيرَ حديثٍ منكرٍ.

قلنا: وللخبر شاهد من حديث ابن عباس عند الطبراني في «الكبير» (١٢٦٥٤) و«الأوسط» (٥٦٠٤)، وأبي نعيم في «معرفة الصحابة» (١٧٢٠). وإسناده ضعيف، لكنه يصلح للمتابعات والشواهد.

(١) الإرجاف به: الإكثار من الأخبار السيّئة واختلاق الأقوال الكاذبة في حقّه.

(٢) جاسوم: بئر ماء كانت لأبي الهيثم بن التيِّهان بالقرب من راتجٍ كما في «تاريخ المدينة» لابن شبّة ١/ ٦٩ و١٦٠، ويقال لها أيضاً: بئر جاسم، كما في «الطبقات» لابن سعد ١/ ٤٣٣ و٤٣٤، وراتج قريب من موضع حفر الخندق شمال المدينة النبويّة، وأما بئر جاسوم فلم تعد معروفةً اليوم.

عُبيدِ الله في نَفَرٍ من أصحابه، وأمَرَه أن يُحرِّقَ عليهم بيتَ سُوَيلِمٍ، ففعل طلحةُ، فاقتَحَمَ[1] الضَّحّاكُ بن خَلِيفةَ من ظَهْرِ البيت فانكَسَرَت رجلُه، واقتَحَمَ أصحابُه فأَفلَتُوا[2].

فقال الضّحّاكُ في ذلك:

كادَت وبيتِ الله نارُ محمّدٍ ... يَشِيطُ بها الضَّحّاكُ وابنُ أُبَيرِقِ[3]

وظَلْتُ وقد طَبَّقتُ كِبْسَ سُوَيلِمٍ ... أَنُوءُ على رِجْلي كَسِيراً ومِرفَقِي[4]

سَلامٌ عليكم لا أعُودُ لمِثلِها ... أخافُ ومَن تَشمَلْ به النّارُ يُحرَقِ

---

(١) أي: رمى بنفسه وقفز.

(٢) إسناده ضعيف بمرّة، فيه بين ابن هشام وبين محمد بن طلحة واسطتان مبهمتان، ومحمد ابن طلحة بن عبد الرحمن التَّيمي محلُّه الصدق لكن لا يُحتَجُّ به كما قال أبو حاتم الرازي في «الجرح والتعديل» ٧/ ٢٩٢، يعني إذا انفرد كما هو الحال هنا، وإسحاق بن إبراهيم وأبوه مجهولان.

وأخرج ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٩٤٥) عن يعقوب بن حُميد، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن، عن محمد بن الحُصين، عن أبيه، عن محمود بن لَبِيد: أن عُوَيم بن ساعدة قال لأصحابه يوم بُعِثوا إلى المنافقين في بيت سُوَيلِم: أطيعوني وأحرقوهم بالنار كما أمَرَكم رسولُ الله ﷺ.

وإسناده ضعيف أيضاً، فيعقوب بن حميد ـ وهو ابن كاسب ـ ليس بذاك القوي، وله مناكير وغرائب كما قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» ٤/ ٤٥١، ومحمد بن حصين ـ وهو عبد الرحمن الأشهلي ـ فيه جهالة، وكون هذا وما ذكره ابن هشام مخرجه واحد ـ وهو محمد بن طلحة ـ مما يُعلّه أيضاً بالاضطراب.

(٣) يشيط: يحترق. وابن أُبيرق: تقدم لابن إسحاق ٢/ ١٨٦ أن ذكر بُشَير بن أُبيرق في جملة المنافقين.

(٤) طبَّقتُ: عَلَوتُ. والكِبْس: البيت الصغير. وأنُوء، أي: أنهض متثاقلاً.

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّ رسولَ الله ﷺ جَدَّ في سَفَرِه، وأمَرَ الناسَ بالجَهَاز والانكِمَاش[1]، وحَضَّ أهلَ الغِنَى على النَّفقة والحُمْلان[2] في سبيل الله، فحَمَلَ رجالٌ من أهلِ الغِنى واحتَسَبُوا[3]، وأنفَقَ عثمانُ بن عفّانَ في ذلك نَفَقةً عظيمةً لم يُنفِقْ أحدٌ مِثلَها.

قال ابن هشام: حدّثني مَن أثِقُ به: أنّ عثمانَ بن عفّانَ أنفَقَ في جيشِ العُسْرةِ في غزوة تَبُوكَ ألفَ دينارٍ، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمَّ ارْضَ عن عثمانَ، فإنِّي عنه راضٍ»[4].

(١) الانكماش: الإسراع والجِدُّ في الأمر.

(٢) الحُمْلان: مصدر حَمَلَ، أي: حثَّهم على حمل غيرهم على دوابَّ يهيِّئونها للسفر.

(٣) أي: أخرجوا ذلك حِسبةً، أي: يرجون أجرَ ما بذلوا عند الله تعالى.

(٤) إسناده ضعيف لإعضاله وإبهام رواته.

وقد روي نحوه ضمن خبر طويل بإسناد مرسل ضعيف عن سالم بن عبد الله بن عمر عند أحمد في «فضائل الصحابة» (٧٨٤).

لكن ثبت في هذه القصة ما أخرجه أحمد (٢٠٦٣٠)، والترمذي (٣٧٠١)، والحاكم (٤٦٠٣) من حديث عبد الرحمن بن سَمُرة قال: جاء عثمانُ بن عفّان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه، حين جهَّز النبيُّ ﷺ جيشَ العُسْرة، قال: فصبَّها في حِجْر النبي ﷺ، فجعل النبيُّ ﷺ يُقلِّبها بيده ويقول: «ما ضَرَّ ابنَ عفّان ما عمل بعدَ اليوم» يردِّدها مِراراً. وإسناده حسن، وحسّنه الترمذيُّ وصحَّحه الحاكم.

وهذا أصحُّ مما رواه الترمذي (٣٧٠٠) من حديث فَرقَدٍ أبي طلحة عن عبد الرحمن بن خبّاب قال: شهدتُ النبيَّ ﷺ وهو يحثّ على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، عليَّ مئةُ بعير بأحلاسِها وأقتابِها في سبيل الله، ثم حضَّ على الجيش، فقام عثمان فقال: يا رسول الله، عليَّ مئتا بعير بأحلاسِها وأقتابِها في سبيل الله، ثم حضَّ على الجيش، فقام عثمان فقال: يا رسول الله، عليَّ ثلاثُ مئة بعير بأحلاسِها وأقتابِها في سبيل الله، فأنا رأيت رسولَ الله =

قال ابن إسحاق: ثمّ إنّ رجالاً من المسلمين أتَوْا رسولَ الله ﷺ، وهم البَكّاؤُون، وهم سبعةُ نَفَرٍ من الأنصارِ وغيرِهم، من بني عمرو بن عَوفٍ: سالمُ بن عُمَيرٍ، وعُلْبةُ ابن زيدٍ أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبدُ الرَّحمن بن كعبٍ أخو بني مازن بن النَّجّار، وعمرُو بن حُمَام بن الجَمُوحِ أخو بني سَلِمة، وعبدُ الله بن المُغفَّلِ المُزَنيّ، وبعضُ الناس يقول: بل هو عبدُ الله بن عمرٍو المُزَنيّ، وهَرَميُّ بن عبدِ الله أخو بني واقِفٍ، وعِرْباضُ بن سارِيةَ الفَزَاريّ، فاستَحمَلوا[1] رسولَ الله ﷺ وكانوا أهلَ حاجةٍ، فقال: «لا أَجِدُ ما أَحمِلُكم عليه»، فتَوَلَّوا وأعيُنُهم تَفِيضُ من الدَّمع حَزَناً ألّا يَجِدُوا ما يُنفِقون.

قال ابن إسحاق: فبَلَغَني: أنّ ابنَ يامِينَ[2] بن عُمَير بن كعبٍ النَّضَريَّ لَقِيَ أبا

= ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: «ما على عثمانَ ما عَمِلَ بعد هذه، ما على عثمان ما عَمِلَ بعد هذه». فقد قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. قلنا: وفرقدٌ أبو طلحة مجهول لم يرو عنه غير الوليد، وقال عليُّ بن المَديني: لا أعرفه.

الأحلاس: جمع حِلْس، وهو كساء يوضع فوق ظهر الدابة تحت الرَّحل. والأقتاب: جمع قَتَبٍ، وهو الرحل الصغير على قَدْر سنام الجمل.

(١) استحملوه: طلبوا منه ما يحملهم عليه.

(٢) كذا وقع في رواية ابن هشام عن البكّائي عن ابن إسحاق في هذا الموضع: ابن يامين، والذي في رواية سلمة بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٠٢، ورواية يونس بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢١٨، كلاهما عن ابن إسحاق: أنه يامين، وليس ابن يامين، وقد تقدم ٣/ ٢٢٥: أن يامين هذا أحدُ رجلين أسلما من يهود بني النَّضير، فهذا هو الصواب إن شاء الله أنه يامين وليس ابن يامين، وكذلك وقع على الصواب عند الواقديّ في «المغازي» ٣/ ٩٩٤، وزاد: أن العباس بن عبد المطّلب أيضاً حَمَل منهم رجلين، وعثمان حمل منهم ثلاثةً بعد الذي كان جهَّز من الجيش.

ليلى عبدَ الرَّحمن بن كعبٍ وعبدَ الله بن مُغفَّلٍ وهما يَبكِيان، فقال: ما يُبكِيكُما؟ قالا: جِئْنا رسولَ الله ﷺ ليَحمِلَنا، فلم نَجِدْ عنده ما يَحمِلُنا عليه، وليس عندنا ما نَتَقوَّى به على الخروج معه، فأعطاهما ناضِحاً له فارتَحَلاه[1]، وزَوَّدَهما شيئاً من تمرٍ، فخَرَجا مع رسول الله ﷺ[2].

قال: وجاءَه المُعذِّرون[3] من الأعراب، فاعتَذَرُوا إليه فلم يَعذِرْهم الله، وقد ذُكِرَ لي أنّهم نَفَرٌ من بني غِفَار، ثمّ استَتَبَّ[4] برسول الله ﷺ سفرُه وأجمَعَ السَّيرَ.

وقد كان نَفَرٌ من المسلمين أبطَأَت بهم النِّيّةُ عن رسول الله ﷺ حتّى تَخَلَّفوا عنه عن غير شَكٍّ ولا ارتيابٍ، منهم كعبُ بن مالك بن أَبي كعبٍ أخو بني سَلِمة، ومُرَارةُ ابن الرَّبيعِ أخو بني عمرو بن عَوفٍ، وهِلالُ بن أُميّة أخو بني واقِفٍ، وأبو خَيثَمةَ أخو بني سالم بن عَوفٍ، وكانوا نَفَرَ صِدْقٍ لا يُتَّهَمون في إسلامهم.

فلمّا خرج رسولُ الله ﷺ ضَرَبَ عسكرَه على ثَنيّةِ الوَدَاع[5].

---

(١) الناضح: الجمل الذي يُستقَى عليه الماء. وارتحلاه، أي: جعلا عليه الرَّحْل، وهو ما يوضع على البعير من أداةٍ ليُركَب عليه.

(٢) ومن الذين استحملوه ﷺ في هذه الغزوة فلم يجد ما يحملهم عليه نفرٌ من الأشعريِّين كما وقع في حديث أبي موسى الأشعري عند البخاري (٤٤١٥) ومسلم (١٦٤٩)، ثم ابتاع من سعدٍ ـ والغالب أنه سعد بن عُبادة ـ ستة أبعرة، فاستدعى أبا موسى وأعطاه إيّاها له ولأصحابه.

(٣) أي: المُعتذِرون.

(٤) أي: تتابع واستمرّ.

(٥) زاد يونسُ بن بكيرٍ عن ابن إسحاق كما في «الدلائل» للبيهقي ٥/ ٢١٩: ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً من الناس. قلنا: وقد تقدّم قريباً ص٢٤٤ التعليق على هذه القضيّة.

وكان خروجه ﷺ من المدينة يوم الخميس على ما في حديث كعب بن مالك عند البخاري (٢٩٥٠)، وقال: كان يحب أن يخرج يومَ الخميس. =

قال ابن هشام: واستَعمَلَ على المدينة محمّدَ بن مَسلَمة الأنصاريَّ[1].

وذكرَ عبدُ العزيز بن محمّدٍ الأَندَراوَرْديُّ[2]: أنّ رسولَ الله ﷺ استَعمَلَ على المدينة مَخرَجَه إلى تبوكَ سِبَاعَ بن عُرفُطة.

قال ابن إسحاق: وضَرَبَ عبدُ الله بن أُبيٍّ معه على حِدَةٍ عسكرَه أسفلَ منه نحوَ ذُبَابٍ[3]، وكان فيما يَزعُمون ليس بأقلِّ العسكرَينِ، فلمّا سارَ رسولُ الله ﷺ تَخلَّفَ عنه عبدُ الله بن أُبيٍّ فيمَن تَخلَّفَ من المنافقين وأهلِ الرِّيَب.

وخَلَّفَ رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ على أهلِه وأمَرَه بالإقامة فيهم، فأَرجَفَ به المنافقون وقالوا: ما خَلَّفَه إلّا استثقالاً له وتَخفُّفاً منه، فلمّا قال ذلك المنافقون أَخَذَ عليٌّ بن أبي طالبٍ ـ رِضوانُ الله عليه ـ سِلاحَه ثمّ خرج حتّى أَتى رسولَ الله ﷺ وهو نازِلٌ بالجُرْفِ[4]، فقال: يا نبيَّ الله، زَعَمَ المنافقون أنّكَ إنّما خَلَّفتَني أنّك

= والثَّنيّة: الطريق في الجبل، وهذه الثنيّة من جبل سَلْع على طرفه الشرقي الشمالي، وفيها عُبِّد الطريق الذاهب إلى العيون (وهي الغابة) والشام، وهي اليوم في قلب عُمران المدينة.

(١) وهذا الذي رجّحه ابن سعد ٢/ ١٥١ فقال: هو أثبت عندنا ممّن قال: استخلف غيره.

وروى أيضاً ٤/ ١٩١ عن الشعبي: أنه ﷺ في هذه الغزوة استخلف ابنَ أمِّ مكتوم يؤمّ الناس في الصلاة.

(٢) زاد في (ش١) و(ش٢) و(غ): عن أبيه. وهذه زيادة لا تصحُّ، فإنه لا يُعرف والد عبدالعزيز في الرواة أبداً، ولم يترجم له أحدٌ من المعتنين بتراجم الرواة.

والأندراوَرْدي: هكذا وقع في نسخنا الخطية، ويقال أيضاً: الدَّراوَرْدي، وهو بها أشهرُ، وانظر «الأنساب» في رسم (الدَّراوَردي) للسمعاني ٥/ ٣٣٠-٣٣١.

(٣) ذباب: أكَمة صغيرة في المدينة بالقرب من جبل سَلْع بينهما ثنيّة الوداع، وقد كُسِيَ اليوم بالعُمْران.

(٤) الجرف: موضع غربيّ المدينة يُرى من جبل سَلْع.

استَثقَلْتني وتَخفَّفتَ منّي! فقال: «كَذَبُوا، ولكنِّي خَلَّفتُكَ لِمَا تَرَكتُ وَرَائي، فارجِعْ فاخلُفْني في أَهلي وأَهلِك، أفلا تَرْضَى يا عليُّ أن تكونَ منِّي بمَنزِلَةِ هارونَ من موسى؟! إلَّا أنَّه لا نبيَّ بَعْدي»، فرَجَعَ عليٌّ إلى المدينةِ، ومضى رسولُ الله ﷺ على سَفَرِه.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمّدُ بن طلحة بن يزيدَ بن رُكَانة، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وَقّاصٍ، عن أبيه سعدٍ: أنّه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول لعليٍّ هذه المَقالةَ[1].

قال ابن إسحاق: ثمّ رجع عليٌّ إلى المدينة، ومضى رسولُ الله ﷺ على سَفَرِه.

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه الدَّورقي في «مسند سعد» (٨٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٣١)، والبزار في «مسنده» (١١٩٤)، والنسائي في «خصائص علي» (٥٣)، والشاشي في «مسنده» (١٣٤) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وفي بعضها تصريح محمد بن طلحة بسماعه من إبراهيم بن سعد.

وأخرج نحوه النسائي في «الكبرى» (٨٠٨٢) من طريق قتادة، عن سعيد بن المسيّب، عن سعد بن أبي وقاص.

وأخرج الحديث دون قصة إرجاف المنافقين بعليٍّ: أحمد (١٤٦٣) و(١٤٩٠) و(١٥٠٥) و(١٥٨٣) و(١٦٠٠) و(١٦٠٨)، والبخاري (٣٧٠٦) و(٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤)، وابن ماجه (١١٥)، والترمذي (٣٧٢٤) و(٣٧٣١)، والنسائي (٨٠٨٣) و(٨٠٨٥) و(٨٠٨٦) من طرق عن سعد بن أبي وقاص.

وفي الباب عن ابن عباس عند أحمد (٣٠٦١)، وعن أبي سعيد الخدري عنده (١١٢٧٢)، وعن جابر بن عبد الله عنده أيضاً (١٤٦٣٨)، وعن أسماء بنت عُميس عنده (٢٧٠٨١)، وانظر تمام تخريجها في هذه المواضع.

ثمّ إنّ أبا خَيْثمةَ رجع بعدَ أن سارَ رسولُ الله ﷺ أيّاماً إلى أهلِه في يومٍ حارٍّ، فوَجَدَ امرأتين له في عَرِيشَينِ لهما في حائطِه[1] قد رَشَّتْ كلُّ واحدة منهما عريشَها، وبَرَّدَت له فيه ماءً وهيَّأت له فيه طعاماً، فلمّا دخل قامَ على باب العريشِ فنَظَرَ إلى امرأتَيهِ وما صَنَعَتا له، فقال: رسولُ الله ﷺ في الضِّحِّ[2] والرِّيحِ والحَرِّ وأبو خَيثَمة في ظِلٍّ بارد وطعامٍ مُهيَّأ وامرأةٍ حَسْناءَ، في ماله مُقِيمٌ، ما هذا بالنَّصَفِ، ثمّ قال: والله لا أدخُلُ عريشَ واحدةٍ منكما حتّى أَلحَقَ برسول الله ﷺ، فهَيِّئا لي زاداً، ففعلتا، ثمّ قَدَّمَ ناضِحَه فارتَحَلَه، ثمّ خرج في طَلَبِ رسول الله ﷺ حتّى أدرَكَه حين نَزَلَ تبوكَ.

وقد كان أدرَكَ أبا خَيثَمةَ عُمَيرُ بن وهبٍ الجُمَحيُّ في الطّريق يطلبُ رسولَ الله ﷺ فتَرافَقَا، حتّى إذا دَنَوَا من تبوك قال أبو خَيثَمة لعُمَير بن وهبٍ: إنّ لي ذَنْباً، فلا عليك أن تَخلَّفَ عنّي حتّى آتيَ رسولَ الله ﷺ، ففعل، حتّى إذا دَنا من رسول الله ﷺ وهو نازِلٌ بتبوكَ قال الناسُ: هذا راكبٌ على الطّريق مُقبِلٌ، فقال رسول الله ﷺ: «كُنْ أبا خَيْثَمةَ»، فقالوا: يا رسولَ الله، هو واللهِ أبو خَيثَمة، فلمّا أناخَ أقبَلَ فسَلَّمَ على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أَولَى لكَ[3] يا أبا خَيْثَمةَ»، ثمّ أَخبرَ رسولَ الله ﷺ الخبرَ، فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخيرٍ[4].

---

(١) العريش: ظُلّة شبه الخيمة من خُوص وقصب. والحائط: البستان.

(٢) الضِّحّ: الشمس.

(٣) أَولى لك: كلمةٌ فيها معنى التوعُّد والتهدُّد، وهي اسم لدنوتَ أو قاربتَ، ومعناها فيما قال ثعلب: دَنَوتَ من الهَلَكة، وقال الأصمعي: قارَبَك ما تكره.

(٤) خبر أبي خيثمة هذا وصله الدورقيُّ في «مسند سعد» (٨٠) بخبر عليٍّ المتقدِّم الذي رواه من طريق عبد الله بن إدريس عن ابن إسحاق عن محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكَانة عن إبراهيم ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه. فإن كان هذا محفوظاً فالإسناد صحيح، والله تعالى أعلم. =

قال ابن هشام: وقال أبو خَيثَمة في ذلك شِعراً، واسمه مالكُ بن قيسٍ[1]:

لمّا رأيتُ الناسَ في الدِّينِ نافَقُوا ... أَتيتُ الّتي كانت أعَفَّ وأكرَما

وبايعتُ باليُمنَى يَدِي لمحمّدٍ ... فلم أكتَسِبْ إثماً ولم أغْشَ مَحرَما

تَرَكتُ خَضِيباً في العَريشِ وصِرْمةً ... صَفَايا كِراماً بُسْرُها قد تَحَمَّما[2]

وكنتُ إذا شَكَّ المنافقُ أسمَحَت ... إلى الدِّينِ نفسي شَطْرَه حيثُ يَمَّما[3]

قال ابن إسحاق: وقد كان رسولُ الله ﷺ حين مَرَّ بالحِجْر[4] نَزَلها واستَقَى الناسُ من بئرِها، فلمّا راحُوا قال رسول الله ﷺ: «لا تَشرَبُوا من مائِها شيئاً، ولا تَتَوضَّؤُوا منه للصَّلاةِ، وما كان من عَجِينٍ عَجَنتُموهُ فاعلِفُوه الإبلَ ولا تَأكُلوا منه شيئاً، ولا يَخرُجَنَّ أَحدٌ منكم اللَّيلةَ إلّا ومعه صاحبٌ له».

= أما البيهقيُّ فساقه في «الدلائل» ٥/ ٢٢٢-٢٢٣ من رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حَزْم مرسلاً.

وقد وقع ذكرُ أبي خيثمة في حديث كعب بن مالك عند أحمد (٢٧١٧٥) ومسلم (٢٧٦٩)، ففيه: فبَيْنا هم كذلك، إذا هم برجل يزول به السَّرابُ، فقال النبي ﷺ: «كن أبا خيثمة»، فإذا هو أبو خيثمة.

(١) وقيل: عبد الله بن خيثمة، وهو أنصاريٌّ أحدُ بني سالم من الخَزرَج.

(٢) الخضيب: المرأة المخضوبة بالحِنّاء. والصِّرمة: جماعة النَّخل. وصفايا، أي: كثيرة الحمل، وأصله في الإبل، يقال: ناقةٌ صَفِيٌّ، إذا كانت غزيرة الدَّرِّ، وجمعها: صفايا. والبُسْر: التمر قبل أن يَطِيب. وتَحمَّما، أي: أخذ في الإرطاب فاسودَّ.

(٣) أسمَحَت: انقادت. وشطرَه، أي: نحوَه. ويمَّم: قَصَدَ وتوجَّه.

(٤) يقع الحِجْر (وهي مدائن صالح) شمال مدينة العُلا على بعد ٢٢ كم تقريباً، وتقع العُلا شمال غرب المدينة المنوّرة على بعد ٣٠٠ كم تقريباً، وتبوك شمال غرب الحِجْر على قرابة ٢٣٠ كم.

ففعل الناسُ ما أمَرَهم به رسولُ الله ﷺ، إلّا أنّ رجلَينِ من بني ساعدةَ خرج أحدُهما لحاجَتِه، وخرج الآخرُ في طَلَبِ بعيرٍ له، فأمّا الذي ذهبَ لحاجَتِه، فإنّه خُنِقَ على مَذْهَبِه[1]، وأمّا الذي ذهبَ في طَلَبِ بعيرِه، فاحتَمَلَته الرّيحُ حتّى طَرَحَته بجَبَلَي طَيِّءٍ[2]، فأُخبِرَ بذلك رسولُ الله ﷺ، فقال: «ألَمْ أنْهَكُم أن يَخرُجَ منكم أَحدٌ إلّا ومعه صاحبُه؟!»، ثمّ دعا رسولُ الله ﷺ للّذي أُصِيبَ على مَذهَبِه فشُفِيَ، وأمّا الآخَرُ الذي وَقَعَ بجَبَلَي طَيِّءٍ، فإنّ طَيّئاً أهدَتْه لرسول الله ﷺ حين قَدِمَ المدينة.

والحديثُ عن الرَّجلَينِ عن عبدِ الله بن أبي بكرٍ عن عبّاس بن سَهْل بن سعدٍ السّاعِديِّ[3].

---

(١) هو الموضع الذي يُتغوَّط فيه، وهو مَفعَل من الذَّهاب.

(٢) وهما سَلْمى وأَجَأ ويقال لهما: جبلا حائل، لأنهما يُشرِفان على مدينة حائل شمال نجد.

(٣) حديث صحيح إن شاء الله، وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه مرسل، فعباس بن سهل من التابعين، لكن ثبت من وجه آخر عنه كما سيأتي أنه سمع هذا الخبر من أبي حُميدٍ الساعدي، وكان مع النبي ﷺ في غزوة تبوك.

وقد أخرج هذا الخبر الدَّورقي في «مسند سعد» (٨٠) من طريق عبد الله بن إدريس عن ابن إسحاق، وجعله موصولاً بحديثه عن محمد بن طلحة بن رُكَانة عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه. وهذا غير محفوظ من حديث سعد.

وأخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٥٣) من طريق إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهري عن ابن إسحاق، وجعله من حديثه عن الزهري ويزيد بن رُومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم من علمائهم مرسلاً.

وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٤٠ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، عن عبدالله بن أبي بكر بن حزم، عن العباس بن سهل مرسلاً، أو عن العباس عن أبيه سهل بن سعد =

وقد حدّثني عبدُالله بن أبي بكرٍ: أنّه قد سَمَّى له العبّاسُ الرّجلَين ولكنّه استَودَعَه إيّاهما، فأَبَى عبدُ الله أن يُسمِّيَهما لي.

قال ابن هشام: بَلَغَني عن الزُّهْريِّ أنّه قال: لمّا مَرَّ رسولُ الله ﷺ بالحِجْرِ سَجَّى ثوبَه على وجهِه، واستَحَثَّ راحلتَه[1] ثمّ قال: «لا تَدخُلوا بُيوتَ الَّذينَ ظَلَمُوا إلّا وأنتم باكُونَ، خَوْفاً أن يُصِيبَكم مِثلُ ما أصابَهم»[2].

= الساعدي؛ الشك من البيهقي.

فهذا هو المحفوظ عن ابن إسحاق، أنه من حديثه عن عبد الله بن أبي بكر عن عباس بن سهل، وهكذا رواه عنه أيضاً سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٠٥.

وقد روى أصلَ هذا الخبر عمرُو بنُ يحيى المازنيُّ عن العباس بن سهل الساعدي عن أبي حميد الساعدي، لكن قصَّر فيه فلم يذكر قصة الرجل الذي خُنق على مذهبه؛ قال أبو حميد فيما حدّث عن غزوة تبوك: فلمّا أَتينا تبوكَ قال رسول الله ﷺ: «أمَا إنها ستهبُّ الليلةَ ريح شديدة، فلا يقومنَّ أحدٌ، ومن كان معه بعيرٌ فليَعقِلْه»، فعَقَلْناها، وهبَّت ريح شديدة، فقام رجلٌ فألقته بجبلي طيِّئ. أخرجه من هذا الطريق أحمد (٢٣٦٠٤)، والبخاري (١٤٨١)، ومسلم (٢٢٨١)(١١)، وابن حبان (٤٥٠٣) و(٦٥٠١).

ويشهد لأول خبر العباس بن سهل في النهي عن شرب ماء الحِجر، حديثُ ابن عمر عند البخاري (٣٣٧٨) و(٣٣٧٩) ومسلم (٢٩٨١): أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ أرضَ ثَمُود، الحِجرَ، فاستَقَوْا من بئرها واعتَجَنوا به، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يُهرِيقوا ما استَقَوْا من بئرها، وأن يَعلِفُوا الإبلَ العجينَ، وأمرهم أن يَستَقُوا من البئر التي كانت تَرِدُها الناقةُ.

وحديثُ سَبْرة بن مَعبَد عند الحاكم (٤١١٢) قال: نزلنا الحِجرَ في غزوة تبوك، فقال النبي ﷺ: «من كان عمل من هذا الماءِ طعاماً فليُلقِه»، قال: فمنهم من عجن العجين، ومنهم من حاسَ الحيسَ، فألقَوه. وإسناده حسن.

(١) سجَّى ثوبه على وجهه، أي: غطّاه به. واستحثَّ راحلته، أي: استعجلها.

(٢) حديث صحيح. =

قال ابن إسحاق: فلمّا أصبَحَ النّاسُ ولا ماءَ معهم، شَكَوْا ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا رسولُ الله ﷺ، فأرسَلَ الله سحابةً فأمطَرَت حتّى ارتَوَى النّاسُ واحتَمَلوا حاجَتَهم من الماء.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة، عن محمود بن لَبِيدٍ، عن رجالٍ من بني عبد الأشهَل؛ قال: قلت لمحمودٍ: هل كان الناسُ يَعرِفون النِّفاقَ فيهم؟ قال: نعم والله، إن كان الرّجلُ ليَعرِفُه من أخيه ومن أبيه ومن عمِّه، وفي عَشِيرتِه، ثمّ يَلبَسُ بعضُهم بعضاً[1] على ذلك.

ثمّ قال محمودٌ: لقد أخبرني رجالٌ من قومي عن رجلٍ من المنافقين معروفٌ نِفاقُه، كان يَسِيرُ مع رسول الله ﷺ حيثُ سارَ، فلمّا كان من أمر الماءِ بالحِجْرِ ما كان، ودعا رسولُ الله ﷺ حين دعا، فأرسَلَ اللهُ السّحابةَ فأمطَرَت حتّى ارتَوَى

= فقد أسنده أحمد (٥٣٤٢)، والبخاري (٣٣٨٠) و(٤٤١٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٠٦) من طريق معمر، وأحمد (٥٧٠٥)، والبخاري (٣٣٨١)، ومسلم (٢٩٨٠) (٣٩)، وابن حبان (٦١٩٩) من طريق يونس بن يزيد الأَيلي، كلاهما عن الزهري، عن سالم بن عبد الله ابن عمر، عن أبيه.

فائدة: ممّا وَعَظَهم به النبيُّ ﷺ أيضاً في هذا الموضع ما رواه جابرُ بن عبد الله قال: لما مرَّ رسولُ الله ﷺ بالحِجْر قال: «لا تسألوا الآياتِ، فقد سأَلها قومُ صالح، فكانت تَرِدُ من هذا الفجِّ (أي: الطريق الواسع)، وتَصدُر من هذا الفجِّ، فعَتَوْا عن أمرِ ربهم فعَقَرُوها، وكانت تشرب ماءَهم يوماً، ويشربون لبنَها يوماً، فعَقَروها، فأخذتهم صيحةٌ أهمَدَ اللهُ مَن تحت أَدِيم السماء منهم، إلا رجلاً واحداً كان في حَرَمِ الله» قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: «هو أبو رِغَال، فلمّا خرج من الحَرَمِ أصابه ما أصاب قومَه».

أخرجه أحمد (١٤١٦٠) والحاكم (٣٢٨٧) بإسناد قويّ.

(١) أي: يخالط بعضُهم بعضاً.

الناسُ، قالوا: أقبَلْنا عليه نقولُ: وَيحَك، هل بعدَ هذا شيءٌ؟! قال: سحابةٌ مارّةٌ[1].

قال ابن إسحاق: ثمّ إنّ رسولَ الله ﷺ سارَ حتّى إذا كان ببعضِ الطّريقِ ضَلَّتْ ناقتُه، فخرج أصحابُه في طَلَبِها، وعندَ رسول الله ﷺ رجلٌ من أصحابه يقال له: عُمَارةُ بن حَزْمٍ، وكان عَقَبيّاً بدريّاً، وهو عمُّ بني عمرو بن حَزْمٍ، وكان في رَحْلِه زيدُ بن لُصَيتٍ القَينُقاعيّ، وكان منافقاً.

قال ابن هشام: ويقال: ابنُ لُصَيبٍ، بالباء[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة، عن محمودِ بن لَبِيدٍ، عن رجالٍ من بني عبد الأشهَلِ قالوا: فقال زيدُ بن اللُّصَيتِ وهو في رَحْلِ عُمَارةَ، وعُمَارةُ عند رسول الله ﷺ: أليس محمّدٌ يَزعُمُ أنّه نبيٌّ، ويُخبِرُكم عن خَبَرِ السماءِ وهو لا يدري أين ناقتُه؟! فقال رسولُ الله ﷺ وعُمَارةُ عنده: «إنَّ رجلاً قالَ: هذا محمَّدٌ يُخبِرُكم أنّه نبيٌّ، ويَزعُمُ أنّه يُخبِرُكم[3] بأمرِ السَّماءِ، وهو لا يَدْري أينَ ناقَتُه! وإنّي واللهِ ما أَعلَمُ إلّا ما عَلَّمَني اللهُ، وقد دَلَّني اللهُ عليها، وهيَ في هذا الوادي، في شِعْبِ كذا وكذا، قد حَبَسَتْها شجرةٌ بزِمَامِها، فانطَلِقُوا حتَّى تأتُوني بها»، فذهبوا فجاؤُوا بها.

---

(١) إسناده صحيح، ومحمود بن لبيد وُلِد في حياة النبيّ ﷺ، وهو معدودٌ في طبقة صغار الصحابة.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٠٥-١٠٦ من طريق سلمة بن الفضل، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٢٣٢ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن عاصم بن عمر بن قتادة، به. إلا أن ابن بكير أسقط من إسناده محموداً وجعله من رواية عاصم عن رجال من قومه، وعاصم أنصاريٌّ من بني ظَفَر، والمحفوظ ذكر محمودٍ فيه.

(٢) انظر الكلام على تقييده فيما تقدم ٢/ ١٧٠.

(٣) قوله: «أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم» من (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف)، ولم يرد في بقية النسخ.

فرَجَعَ عُمَارةُ بن حَزْمٍ إلى رَحْلِه فقال: والله لَعَجَبٌ من شيءٍ حدَّثَناه رسولُ الله ﷺ آنِفاً، عن مَقالةِ قائلٍ أخبَرَه الله عنه بكذا وكذا؛ للّذي قال زيدُ بن لُصَيتٍ، فقال رجلٌ ممّن كان في رَحْلِ عُمارةَ ولم يَحضُرْ رسولَ الله ﷺ: زيدٌ واللهِ قال هذه المَقالةَ قبلَ أن تأتيَ، فأقبَلَ عُمارةُ على زيدٍ يَجَأُ في عُنُقِه ويقول: آلَعِبادِ اللهِ[1]، إنّ في رَحْلي لَداهيةً وما أشعُرُ، اخرُجْ أيْ عدوَّ الله من رَحْلي فلا تَصحَبْني[2].

قال ابن إسحاق: فزَعَمَ بعضُ الناس: أنّ زيداً تابَ بعدَ ذلك، وقال بعضٌ: لم يَزَلْ مُتّهَماً بشَرٍّ حتّى هَلَكَ.

ثمّ مضى رسولُ الله ﷺ سائراً، فجَعَلَ يَتَخلَّفُ عنه الرّجلُ فيقولون: يا رسولَ الله، تَخلَّفَ فلانٌ، فيقول: «دَعُوه، فإن يَكُ فيه خيرٌ فسيُلحِقُه اللهُ بكم، وإن يَكُ على غيرِ ذلكَ فقد أَراحَكُم اللهُ منه»، حتّى قيل: يا رسولَ الله، قد تَخلَّفَ أبو ذَرٍّ وأبطَأَ به بعيرُه، فقال: «دَعُوه، فإن يَكُ فيه خيرٌ فسيُلحِقُه اللهُ بكم، وإن يَكُ غيرَ ذلكَ فقد أَراحَكُم اللهُ منه».

وتَلوَّمَ[3] أبو ذرٍّ على بعيرِه، فلمّا أبطَأَ عليه أخذَ مَتاعَه فحَمَلَه على ظَهرِه، ثمّ

---

(١) في (ش١) و(ش٢): يا لَعبادِ الله. وأشار على حاشية (ش٢) إلى ثلاث قراءات أخرى لهذه الكلمة في نسخ عنده، وهي: أيْ عبادَ الله، إليَّ عبادَ الله، آلَعبادِ الله، وهذه الأخيرة هي التي في سائر نسخنا الخطية، واللّامُ فيها لام الاستغاثة.

وقوله: يجأ في عنقه، أي: يدفعه ويضربه في عنقه.

(٢) إسناده صحيح. وهو قطعة من الخبر السابق وتخريجه معه.

وروى هذه القطعة أيضاً ابن الأثير في «أسد الغابة» ٢/ ١٤٦-١٤٧ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، به.

(٣) تلوَّم، أي: تمكَّث وتمهَّل.

خرج يَتبَعُ أثَرَ رسولِ الله ﷺ ماشياً، ونَزَلَ رسولُ الله ﷺ في بعض مَنازِلِه، فنَظَرَ ناظرٌ من المسلمين فقال: يا رسول الله، إنّ هذا الرّجلَ يمشي على الطّريقِ وحدَه! فقال رسول الله ﷺ: «كُنْ أبا ذَرٍّ»، فلمّا تأمَّلَه القومُ قالوا: يا رسول الله، هو واللهِ أبو ذرٍّ، فقال رسولُ الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ أبا ذَرٍّ، يَمْشي وَحْدَه، ويموتُ وَحْدَه، ويُبعَثُ وَحْدَه»[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني بُرَيدةُ بن سفيانَ الأسلَميّ، عن محمّد بن كعبٍ القُرَظيِّ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال: لمّا نَفَى عثمانُ أبا ذرٍّ إلى الرَّبَذةِ[2]، وأصابه بها قَدَرُه، لم يكن معه أحدٌ إلّا امرأتَه وغلامَه، فأَوصاهما أن اغسِلاني وكَفِّناني، ثمّ ضَعَاني على قارعةِ الطَّريقِ، فأوّلُ رَكْبٍ يَمُرُّ بكم فقولوا: هذا أبو ذرٍّ صاحبُ رسول الله ﷺ،

---

(١) هذا الخبر في قصة أبي ذر ضعيف لا يصح، وقد رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق عند الحاكم (٤٤٢١) والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٢١-٢٢٢ وابن الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ١٠١ موصولاً بالإسناد التالي عن بُرَيدة بن سفيان الأسلمي عن محمد بن كعب القُرَظي عن ابن مسعود، وفي آخر القصة التالية في وفاة أبي ذر ما يشير إلى ذلك حيث قال: ثمّ حدّثهم عبدُ الله ابن مسعود حديثَه وما قال له رسول الله ﷺ في مسيرِه إلى تبوك.

قلنا: وعلّة هذا الإسناد هو بريدة، فهو متروك كما سيأتي بيانه لاحقاً في قصة وفاة أبي ذرٍّ.

(٢) الرَّبَذة: موضع شرقيّ المدينة المنوَّرة وتبعد عنها قرابة ١٧٠ كم.

وقصة النفي هذه من افتراءات بريدة بن سفيان الأسلمي، فهو كان يبغض عثمان رضي الله عنه ويتكلَّم فيه، كما قال أبو داود السِّجستاني، وقال البخاري: فيه نظرٌ، وضعّفه أبو حاتم الرازي، وقال الدارقطني: متروك. وانظر ترجمته في «تهذيب الكمال» للمِزّي، و«إكماله» لمُغلطاي.

قلنا: والصواب أن أبا ذرٍّ هو استأذن عثمانَ بالخروج إلى الرَّبذة، أو أن عثمان خيَّره في ذلك، وانظر في تجلية هذه القضية «سير أعلام النبلاء» للذهبي ٢/ ٦٧-٧٢، والتعليق على كتابَي «صحيح ابن حبان» (٦٦٦٩) و«مستدرك الحاكم» (٥٥٥٦) ـ كلاهما طبعة الرسالة.

فأَعِينُونا على دَفْنِه.

فلمّا مات فَعَلا ذلك به، ثمّ وَضَعَاه على قارعةِ الطّريقِ، وأقبَلَ عبدُالله بن مسعودٍ في رَهْطٍ من أهلِ العراق عُمّارٍ، فلم يَرُعْهم إلّا بالجِنازةِ على ظَهرِ الطّريق قد كادَت الإبلُ تَطَؤُها، وقامَ إليهم الغلامُ فقال: هذا أبو ذرٍّ صاحبُ رسول الله ﷺ، فأَعِينُونا على دَفْنِه. قال: فاستَهَلَّ[1] عبدُ الله يبكي ويقول: صَدَقَ رسولُ الله ﷺ، تمشي وحدَك، وتموتُ وحدَك، وتُبعَثُ وحدَك. ثمّ نَزَلَ هو وأصحابُه فوارَوْهُ، ثمّ حدَّثهم عبدُالله بن مسعودٍ حديثَه وما قال له رسولُ الله ﷺ في مَسيرِه إلى تبوكَ[2].

---

(١) أي: رفع صوته بالبكاء.

(٢) إسناده ضعيف جداً للمقال السابق في بريدة بن سفيان. ثم إنّه بين محمد بن كعب وبين ابن مسعود منقطع، فإن محمد بن كعب وُلِدَ في حدود سنة أربعين، بعد وفاة ابن مسعود بسنين.

والصحيح أن ابن مسعودٍ لم يشهد وفاةَ أبي ذرّ، فقد رُوِيَت وفاته رضي الله عنه بإسناد أحسن من هذا وأصحَّ عن أمّ ذرٍّ عند أحمد (٢١٣٧٣) و(٢١٤٦٧)، وابن حبان (٦٦٧٠)، والحاكم (٥٥٥٩)، من حديث إبراهيم بن مالك الأشتر النَّخعي عن أبيه مالكٍ، وكان ممن حضر دفنَه، ولم يذكر في خبره ابنَ مسعود.

وسياقه عندهم ـ واللفظ لابن حبان ـ عن أم ذرٍّ قالت: لمّا حَضَرَت أبا ذر الوفاةُ بكيتُ، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: ما لي لا أبكي وأنت تموت بفَلَاةٍ من الأرض وليس عندي ثوب يسعك كفناً، قال: فلا تبكي وأَبشري، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفرٍ أنا فيهم: «ليموتنَّ رجلٌ منكم بفَلَاةٍ من الأرض، يَشهَدُه عِصابةٌ من المؤمنين»، وليس من أولئك النَّفرِ أحدٌ إلا وقد هَلَكَ في قرية وجماعة، وأنا الذي أموت بفَلَاةٍ، والله ما كَذَبتُ ولا كُذِبتُ، فأَبصري الطريق، قالت: وأنَّى وقد ذهب الحاجُّ وانقطعت الطرق، قال: اذهبي فتبصَّري.

قالت: فكنت أجيءُ إلى كَثِيبٍ فأتبصَّر، ثم أرجع إليه فأمرِّضه، فبينما أنا كذلك إذا أنا برجالٍ على رحالهم، كأنَّهم الرَّخَم (وهو طائر يشبه النّسر)، فأقبلوا حتى وقفوا عليَّ وقالوا: ما لك يا أَمَةَ الله؟ قلت لهم: امرُؤٌ من المسلمين يموت، تكفِّنونه؟ قالوا: من هو؟ فقلت: أبو ذرٍّ، قالوا: =

قال ابن إسحاق: وقد كان رَهْطٌ من المنافقين منهم وَدِيعةُ بن ثابتٍ أخو بني عمرِو بن عوفٍ، ومنهم رجلٌ من أشجَعَ حليفٌ لبني سَلِمةَ يقال له: مُخشِّنُ بن حُميِّرٍ ـ قال ابن هشام: ويقال: مَخْشيّ ـ يُشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو مُنطلِقٌ إلى تَبُوك، فقال بعضُهم لبعضٍ: أتحسبون جِلَادَ بني الأصفرِ كقتال العربِ بعضِهم بعضاً، والله لكَأنّا بكم غداً مُقرَّنِينَ في الحِبال؛ إرجافاً[1] وترهيباً للمؤمنين، فقال مُخشِّنُ بن حُميِّر: والله لوَدِدتُ أنّي أُقاضَى على أن يُضرَبَ كلُّ رجلٍ منّا مئةَ جَلْدة وإنّا نَنفَلِتُ أن يَنزِلَ فينا قرآنٌ لمَقالَتِكم هذه.

وقال رسولُ الله ﷺ ـ فيما بَلَغَني ـ لعمّار بن ياسرٍ: «أدرِكِ القومَ، فإنّهم قد احترَقُوا[2] فسَلْهُم عمَّا قالوا، فإن أَنكَرُوا فقل: بَلَى، قلتُم كذا وكذا»، فانطَلَقَ إليهم عمّارٌ، فقال ذلك لهم، فأتَوْا رسولَ الله ﷺ يَعتذِرُون إليه، فقال وَدِيعةُ بن ثابتٍ،

= صاحب رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم.

قالت: ففَدَّوه بآبائهم وأمهاتهم، وأسرعوا إليه فدخلوا عليه، فرحَّب بهم وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفرٍ أنا فيهم: «ليموتنَّ منكم رجلٌ بفَلَاةٍ من الأرض، يشهدُه عِصابةٌ من المؤمنين»، وليس من أولئك النفرِ أحدٌ إلا هَلَكَ في قرية وجماعة، وأنا الذي أموت بفَلاةٍ.

أنتم تسمعون: إنه لو كان عندي ثوبٌ يَسَعُني كفناً لي أو لامرأتي، لم أكفَّن إلا في ثوبٍ لي أو لها، أنتم تسمعون إني أُشهِدكم أن لا يُكفِّنني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً؛ فليس أحدٌ من القوم إلا قارَفَ بعضَ ذلك إلا فتًى من الأنصار، فقال: يا عمّ، أنا أكفِّنك، لم أُصِبْ مما ذكرتَ شيئاً، أكفِّنك في ردائي هذا، وفي ثوبين في عَيْبتي من غَزْل أمي حاكَتْهما لي، فكفَّنه الأنصاريُّ في النفر الذين شهدوه، منهم حُجْر بن الأدبَر ومالكُ بن الأشتر، في نفرٍ كلّهم يَمانٍ.

(١) الإرجاف: الإكثار من الأخبار السيّئة واختلاق الأقوال الكاذبة.

(٢) احترقوا، أي: هلكوا، وذلك للذي كانوا يخوضون فيه.

ورسولُ الله ﷺ واقفٌ على ناقته، فجَعَلَ يقول وهو آخِذٌ بحَقَبِها[1]: يا رسولَ الله، إنّما كنَّا نَخُوضُ ونَلعَبُ! فأنزَلَ الله فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة:٦٥]، وقال مُخشِّنُ بن حُميِّر: يا رسولَ الله، قَعَدَ بي اسمي واسمُ أَبي[2].

وكان الذي عُفِيَ عنه في هذه الآية مُخشِّنُ بن حُميِّرٍ، فتَسمَّى عبدَ الرَّحمن، وسأل اللهَ أن يَقتُلَه شهيداً لا يُعلَمُ بمكانِه، فقُتِلَ يومَ اليَمامةِ فلم يُوجَدْ له أثَرٌ[3].

---

(١) الحَقَب: حبل يُشَدّ على بطن البعير، سوى الحزام الذي يشد فيه الرَّحل.

(٢) يعني أنه رجلٌ خاملُ الذِّكر بينهم ليس له نسبٌ شريفٌ فيهم فيستمعون لكلامه.

(٣) وقد روى بعضاً من هذا الخبر الطبريُّ في «تفسيره» ١١/ ٥٤٦-٥٤٧ من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق بلاغاً أيضاً.

وأسنده عبدُ الله بن إدريس الأَودي عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٣١ عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهريُّ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، عن جدّه كعب. فإن كان هذا محفوظاً لابن إسحاق، فهو إسناد صحيح.

وقد روى هشامُ بن سعد ـ عند الطبري وابن أبي حاتم أيضاً ـ في سبب نزول هذه الآية سياقاً آخر عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثلَ قُرّائنا هؤلاء أرغبَ بطوناً ولا أكذبَ أَلسنةً ولا أجبنَ عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبتَ، ولكنك منافقٌ، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ.

فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، ونزل القرآن، قال عبد الله بن عمر بن الخطاب: فأنا رأيتُه متعلِّقاً بحَقَبِ ناقةِ رسول الله ﷺ تَنكُبُه الحجارةُ وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنّا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾.

وهشام بن سعد حديثه عن زيد بن أسلم محتملٌ للتحسين، فيمكن الجمع بين الخبرين: أن هذا القائل قد قال هذين القولين جميعاً، أو أن أكثر من قائل تكلّم في ذلك المجلس، والله تعالى أعلم.

ولمّا انتَهَى رسولُ الله ﷺ إلى تَبُوك، أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤْبةَ صاحبُ أَيْلةَ[1]، فصالَحَ رسولَ الله ﷺ وأعطاه الجِزْيةَ، وأتاه أهلُ جَرْباءَ وأَذرُحَ[2]، فأعطَوْه الجِزيةَ، وكتب رسولُ الله ﷺ لهم كتاباً فهو عندهم[3].

فكتبَ ليُحنَّةَ بن رُؤْبةَ.

كتاب رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ليُحَنّة صاحب أَيلة بالمصالحة

«بِسْمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ، هذه أَمَنةٌ من اللهِ ومحمّدٍ النبيِّ رسولِ الله ليُحَنّةَ بن

(١) أَيلة: مدينة قديمة كانت قائمة على خليج العَقَبة جنوب الأردنّ، وهي اليوم أطلال تقع شمال غرب مدينة العقبة، والمسافة بينها وبين تبوك بالطريق المباشر قرابة ٢٠٠ كم.

(٢) أذرح: بلدة شمال غرب مدينة مَعَان جنوب الأردن وتبعد عنها قرابة ٢٠ كم، والجَرباء شمال أذرح على بضعة كيلومترات.

(٣) وعند مسلم (٢٢٨١)(١١) من حديث أبي حميد الساعديّ: وجاء رسولُ ابنِ العَلْماءِ (وهو يوحنا بن رؤبة نفسه) صاحبِ أَيْلة إلى رسول الله ﷺ بكتابٍ، وأهدى له بغلةً بيضاءَ، فكَتَبَ إليه رسولُ الله ﷺ، وأَهدى له بُرْداً. ونحوه عند أحمد (٢٣٦٠٤) والبخاري (١٤٨١)، ولم يذكر أبو حميدٍ في حديثه نصَّ كتاب رسول الله ﷺ لهم.

ونصُّ الكتاب كما ساقه ابن إسحاق ذكره أيضاً ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٥٠ بلا إسناد، وذكره أبو عبيد في «الأموال» (٥١٤) ـ ومن طريقه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٥٣٥٣) ـ بإسناده إلى عروة بن الزبير.

ثم قال الطحاويُّ: وَجَدْنا محمدَ بن عُزَيز بن عبد الله بن زياد بن عُقيل الأَيلي قد ذَكَرَ لنا: أن الكتاب الذي كان النبيُّ ﷺ كتبه ليُحَنّة بن رُؤبة ولأهل أَيلة، ممّا أخذوه كابراً عن كابرٍ، فأخذناه عن محمّد بن عُزيزٍ؛ ثمّ ساقه كما هو عند ابن إسحاق. وزاد هؤلاء اسمَ كاتب الكتاب، وهو جُهَيم ابن الصَّلت.

وجُهيمٌ هذا: هو ابن الصلت بن مَخرَمة بن المُطَّلِب بن عبد مَناف بن قُصَيٍّ، وكان أسلمَ عام خيبر.

رُؤْبةَ وأهلِ أَيْلة، سُفُنِهم وسَيَّارَتِهم[1] في البَرِّ والبحرِ، لهم ذِمّةُ اللهِ ومحمّدٍ النبيِّ، ومَن كان معهم من أهلِ الشّامِ وأهلِ اليمنِ وأهلِ البحرِ، فمَن أَحدَثَ منهم حَدَثاً، فإنّه لا يَحُولُ[2] مالُه دونَ نفسِه، وإنّه طَيِّبةٌ لمن أَخَذَه من الناسِ، وإنّه لا يَحِلُّ أن يُمنَعوا ماءً يَرِدُونَه، ولا طريقاً يَرِدُونَه[3] من بَرٍّ أو بحرٍ».

بعثُ رسول الله ﷺ خالدَ بن الوليد إلى أُكَيدِر دُومَةَ

ثمّ إنّ رسولَ الله ﷺ دعا خالدَ بن الوليدِ فبعَثَه إلى أُكَيدِرِ دُومَةَ[4]، وهو أُكَيدِرُ ابن عبدِ الملك، رجلٌ من كِنْدةَ كان ملكاً عليها، وكان نصرانيّاً، فقال رسولُ الله ﷺ لخالد: «إنَّك ستَجِدُه يَصِيدُ البَقَرَ[5]».

فخرج خالدٌ حتّى إذا كان من حِصْنِه بمَنظَرِ العَينِ، وفي ليلةٍ مُقمِرة صائفة، وهو على سَطْحٍ له ومعه امرأتُه، فباتَتِ البقرُ تَحُكُّ بقُرونِها بابَ القصر، فقالت له امرأتُه: هل رأيتَ مِثلَ هذا قَطُّ؟ قال: لا والله، قالت: فمَن يَترُكُ هذه؟! قال: لا أَحدَ.

فنَزَلَ فأمَرَ بفرسِه فأُسرِجَ له، ورَكِبَ معه نَفَرٌ من أهلِ بيتِه فيهم أخٌ له يقال له: حسّان، فرَكِبَ وخرجوا معه بمَطَارِدِهم[6]، فلمّا خرجوا تَلَقَّتهم خيلُ رسولِ الله ﷺ

---

(١) السَّيّارة: جماعة من الناس يسيرون قافلةً.

(٢) يحول، أي: يحجز ويمنع.

(٣) في (ش١) و(ش٢): يريدونه.

(٤) هي دُومَة الجَندَل ـ بضمّ الدال وقد تُفتَح ـ وهي بلدة في منطقة الجوف التي تتوسط شمال الجزيرة العربية، وتقع دومة الجندل شرق مدينة تبوك على قرابة ٣٦٠ كم.

(٥) أي: البقر الوحشيّ المعروف بالمَهَا.

(٦) المَطارد: جمع مِطرَدٍ، وهو رمح قصير يُطعَن به حُمُرُ وبقرُ الوَحْش.

فأخَذَته وقتلوا أَخاه، وقد كان عليه قَبَاءٌ من ديباجٍ مُخوَّصٍ بالذَّهب[1]، فاستَلَبَه خالدٌ فبَعَثَ به إلى رسول الله ﷺ قبلَ قُدومِه به عليه[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة، عن أنس بن مالكٍ قال: رأيتُ قَبَاءَ أُكَيدِرَ حين قُدِمَ به على رسول الله ﷺ، فجَعَلَ المسلمون يَلمِسونَه بأيديهم ويَتَعجَّبون منه، فقال رسول الله ﷺ: «أتَعجَبُونَ مِن هذا؟ فوالَّذي نفسي بيدِه لَمَنادِيلُ سعدِ بنِ مُعاذٍ في الجَنَّةِ أحسنُ مِن هذا»[3].

---

(١) القَبَاء: نوع من الثياب مشقوق من خلفه. والدِّيباج: ما نُسج من أحسن الحرير. ومخوَّص بالذهب، أي: منسوج به كخُوصِ النخل، وهو وَرَقُه.

(٢) خبر قويٌّ بمجموع طرقه.

وقد أسند هذا الخبر يونسُ بن بكيرٍ عند ابن مَندَه في «معرفة الصحابة» ص٢٩٣، والبيهقي في «السنن» ٩/ ١٨٧، وفي «الدلائل» ٥/ ٢٥٠-٢٥١، وابن عساكر في «تاريخه» ٩/ ٢٠١-٢٠٢ عن ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن رُومان وعبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أُكيدر، وذكراه مرسلاً. ويزيد وعبد الله ـ وهو الحَزْمي الأنصاري ـ ثقتان من صغار التابعين.

ورواه ابن منده أيضاً ص٢٩٤ ـ وعنه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٢٥١) ـ بإسناد مسلسل بالمجاهيل عن بُجَير بن بَجْرة قال: كنت في جيش خالد بن الوليد حين بعثه رسول الله ﷺ إلى الأكيدر، وذكر نحوه.

وكذلك ذكر القصةَ بنحو هذا عروةُ في المغازي كما في «الدلائل» للبيهقي ٥/ ٢٥٠ في رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير مرسلاً. وفيه: أن النبي ﷺ بعث خالداً في أربع مئة وعشرين فارساً.

وذكرها كذلك الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ١٠٢٥-١٠٢٦ بعدّة أسانيد له مرسلة فيها إسناد واحد موصول بذكر ابن عباس.

(٣) إسناده صحيح. =

قال ابن إسحاق: ثمّ إنّ خالداً قَدِمَ بأُكَيدِرَ على رسول الله ﷺ، فحَقَنَ له دمَه وصالَحَه على الجِزْية، ثمّ خَلَّى سَبِيلَه فرجع إلى قريتِه.

فقال رجلٌ من طَيِّئ يقال له: بُجَيرُ بن بَجْرةَ، يذكرُ قولَ رسول الله ﷺ لخالدِ: «إنَّك ستَجِدُه يَصِيدُ البقرَ»، وما صَنَعَت البقرُ تلك اللّيلةَ حتّى استَخرَجَته لتصديقِ قول رسول الله ﷺ:

تبارَكَ سائقُ البَقَراتِ إنّي ... رأيتُ اللهَ يَهدي كلَّ هادِ

فمَن يَكُ حائداً عن ذي تَبوكٍ ... فإنّا قد أُمِرْنا بالجهادِ

فأقامَ رسولُ الله ﷺ بتَبُوكَ بِضعَ عَشْرةَ ليلةً لم يُجاوِزْها[1]، ثمّ انصَرَفَ قافلاً إلى المدينة.

وكان في الطّريقِ ماءٌ يخرجُ من وَشَلٍ[2] ما يُروِي الرّاكبَ والرّاكبَينِ والثّلاثةَ،

= وأخرجه أحمد (١٣٤٩٢) عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزُّهري، عن أبيه، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرج نحوه أحمد (١٢٠٩٣) و(١٢٢٢٣) و(١٣١٤٨)، والبخاري (٢٦١٥-٢٦١٦)، ومسلم (٢٤٦٩)، والترمذي (١٧٢٣)، والنسائي في «المجتبى» (٥٣٠٢) و«الكبرى» (٩٥٤١) و(٩٥٤٤)، وابن حبان (٧٠٣٧) و(٧٠٣٨) من طرق عن أنس. وفي بعض هذه الطرق أن أُكيدر هو من أهدى إلى النبيّ ﷺ جُبّةً من حرير.

وفي الباب عن البراء بن عازب عند البخاري (٣٢٤٩) و(٣٨٠٢)، ومسلم (٢٤٦٨).

والمناديل: جمع مِنديل ومِندَل، وهو الذي يُتمسَّح به.

(١) قد صحَّ عن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ أقام بتبوك عشرين ليلةً، أخرج ذلك أحمد (١٤١٣٩)، وأبو داود (١٢٣٥)، وابن حبان (٢٧٤٩).

(٢) الوَشَل: هو الماء القليل الذي يَتحلّبُ من جبل أو صخرة، يقطر منه قليلاً قليلاً، ولا يتّصل قَطْرُه.

بوادٍ يقال له: وادي المُشقَّق[1]، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَن سَبَقَنا إلى ذلكَ الماءِ[2]، فلا يَستَقِيَنَّ منه شيئاً حتّى نَأتِيَه»، قال: فسَبَقَه إليه نَفَرٌ من المنافقين فاستَقَوْا ما فيه، فلمّا أتاه رسولُ الله ﷺ وَقَفَ عليه فلم يَرَ فيه شيئاً، فقال: «مَن سَبَقَنا إلى هذا الماءِ؟» فقيل له: يا رسولَ الله، فُلانٌ وفُلانٌ، فقال: «أوَلَمْ أنْهَهُم أن يَستَقُوا منه شيئاً حتّى آتِيَه؟!»، ثمّ لَعَنَهم رسولُ الله ﷺ ودَعَا عليهم.

ثمّ نَزَلَ فوَضَعَ يدَه تحت الوَشَلِ فجَعَلَ يَصُبُّ في يدِه ما شاءَ الله أن يَصُبَّ، ثمّ نَضَحَه به ومَسَحَه بيدِه ودَعَا رسولُ الله ﷺ بما شاءَ الله أن يَدعُوَ به، فانخَرَقَ من الماءِ ـ كما يقول مَن سَمِعَه ـ ما إنّ له حِسّاً كحِسِّ الصّواعِقِ، فشَرِبَ النّاسُ واستَقَوْا حاجتَهم منه، فقال رسولُ الله ﷺ: «لئِنْ بَقِيتُم ـ أو مَن بَقِيَ منكم ـ لتَسمَعُنَّ بهذا الوادي وهو أَخصَبُ ما بينَ يدَيهِ وما خَلْفَه»[3].

---

(١) وسمّاه الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ١٠٣٩: وادي الناقة. ولا يعرف الآن وادٍ بهذا الاسم ولا باسم المشقَّق.

(٢) في (ت) و(ط) و(م): ذلك الوادي.

(٣) أصل الخبر صحيح.

ولم يسنده أحد من أصحاب ابن إسحاق إلا ما وقع عند ابن أبي حاتم الرازي في كتاب «علل الحديث» (٢٧١٥) من روايته له عن أبي زُرْعة الرازي، عن عبد الجبار بن سعيد المُساحِقي، عن يحيى بن محمد بن هانئ، عن ابن إسحاق، عن محمد بن مسلم (وهو الزُّهري)، عن سعيد ابن المسيب، عن معاذ بن جبل. وهذا إسناد ضعيف لا يصح عن ابن إسحاق، فعبد الجبار بن سعيد له مناكير وما لا يُتابَع عليه كما قال العُقيلي في «الضعفاء» ٢/ ٥٨٦، ويحيى بن محمد بن هانئ ضعّفه أبو حاتم الرازي كما في «الجرح والتعديل» ٩/ ١٨٥.

وأصل هذا الخبر قد صحَّ عن معاذ بن جبلٍ عند أحمد (٢٢٠٧٠)، ومسلم (٢٢٨١)(١٠)، وابن حبان (١٥٩٥) من طريق مالك بن أنس، عن أبي الزبير المكي، عن أبي الطُّفيل عامر =

قال: وحدّثني محمّدُ بن إبراهيم بن الحارثِ التَّيْميّ، أنّ عبدَ الله بن مسعودٍ كان يحدِّث قال: قمتُ من جَوفِ اللّيلِ وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك، قال: فرأيتُ شُعْلةً من نارٍ في ناحيةِ العسكر، قال: فاتّبَعتُها أنظُرُ إليها، فإذا رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ وإذا عبدُ الله ذو البِجَادَينِ المُزَنيّ قد مات، وإذا هم قد حَفَروا له ورسولُ الله ﷺ في حُفْرتِه وأبو بكرٍ وعمرُ يُدَلِّيانِه إليه وهو يقول: «أَدنِيَا إليَّ أخاكُما» فدَلَّيَاهُ إليه فلمّا هَيَّأَه لشِقِّه قال: «اللّهمَّ إنِّي قد أَمسَيتُ راضياً عنه، فارْضَ عنه»، قال: يقول عبدُ الله بن مسعودٍ: يا ليتَني كنتُ صاحبَ الحُفْرة[1].

= ابن واثلة، عن معاذٍ: أن رسول الله ﷺ قال لهم في غزوة تبوك: «إنّكم ستأتون غداً إن شاء الله عينَ تبوك، وإنّكم لن تأتوها حتّى يُضحِيَ النهارُ، فمن جاءها منكم فلا يَمَسَّ من مائها شيئاً حتى آتي» فجئناها وقد سَبَقَنا إليها رجلان، والعينُ مثل الشِّراك تَبِضُّ (أي: تقطر وتسيل، والشِّراك: قطعة جلد دقيقة فوق النَّعل) بشيءٍ من ماءٍ، قال: فسألهما رسول الله ﷺ: «هل مَسَستُما من مائها شيئاً؟» قالا: نعم، فسبَّهما النبيُّ ﷺ (أي: لامَهُما وعاتَبَهما) وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثمّ غَرَفُوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيءٍ، وغَسَلَ رسولُ الله ﷺ فيه يديه ووجهَه ثمّ أعاده فيها، فجَرَتِ العينُ بماءٍ كثيرٍ حتى استَقَى الناسُ، ثم قال: «يُوشِك يا معاذُ إن طالت بك حياةٌ، أن ترى ما هاهنا قد مُلِئَ جِناناً».

قلنا: وموقع عين تبوك ـ وتسمَّى بعين السِّكِر الآن ـ معروف بمدينة تبوك بجانب قلعة قديمة هناك.

(١) حديث حسن بمجوع طرقه إن شاء الله تعالى، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه بين محمد بن إبراهيم وابن مسعود، فإنه لم يدركه.

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٧٧)، والبغوي في «معجم الصحابة» (٦٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٢٢ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وزاد فيه ابن أبي الدنيا والبغوي قصة تسميته بذي البِجادَين.

وأخرجه البغوي أيضاً (٦٧١)، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٢٢ و«معرفة الصحابة» (٤١٠٥) =

قال ابن هشام: وإنّما سُمّيَ ذا البِجادَين، لأنّه كان يُنازِعُ إلى الإسلام فيَمنَعُه قومُه من ذلك ويُضيِّقون عليه، حتّى تَرَكُوه في بِجَادٍ ليس عليه غيرُه ـ والبِجَادُ: الكِساءُ الغليظُ الجافي ـ فهَرَبَ منهم إلى رسول الله ﷺ، فلمّا كان قريباً منه شَقَّ بِجادَه باثنينِ فاتَّزَرَ بواحدٍ واشتَمَلَ بالآخرِ[1]، ثمّ أَتى رسولَ الله ﷺ، فقيلَ له: ذو البِجادَين، لذلك.

والبِجادُ أيضاً: المِسْحُ[2]، قال ابن هشام: قال امرُؤُ القيس:

كأنّ أَباناً في أفانِينِ[3] وَدْقِهِ كبيرُ أُناسٍ في بِجَادٍ مُزمَّلِ

= من طريق إسحاق بن إبراهيم الفارسي شاذان، عن جدّه سعد بن الصلت، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود. وإسحاق وجدُّه صدوقان إلا أنهما صاحبا غرائب.

ورواه كذلك البزار في «مسنده» (١٧٠٦) عن الأعمشِ بإسناد ضعيف جداً.

وروى نحوه الشاشي في «مسنده» (٨٩٣) من طريق أبي جعفر الخطمي، عن محمد بن كعب القُرظي، عن ابن مسعود. وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه بين محمد بن كعب وابن مسعود.

وروي نحوه من حديث عمرو بن عوف المزني عند البغوي في «معجم الصحابة» (٦٧٠) من طريق كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده. وكثير ضعيف جداً.

(١) أي: لفَّ به جسمه.

(٢) وهو ثوب من الشَّعر غليظ.

(٣) في (ق٢) وحاشية نسختَي (ش١) و(ط): عَرَانين، وكُتب في (ش٢) بالوجهين وصحّح عليهما.

وأبانٌ: جبل من جبال القَصِيم بنَجْد، وهما أبانان يقال لأحدهما: أبان الأحمر، وللآخر: أبان الأسود، يمرُّ بينهما وادي الرُّمَة. قاله البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص١٣.

وأفانين: ضُروب، وعرانينه: أوائله. والوَدْق: المطر. والمزمَّل: الملتفّ.

يقول: قد أَلبَس الودقُ جبل أبان وجلَّله، فكأنّه ممّا ألبسه المطرُ وغشّاه كبيرُ أُناس، لأن الكبير أبداً متلفِّف بثياب. انظر «شرح ديوان امرئ القيس» لأبي سعيد السكّري ص٢٩٠.

قال ابن إسحاق: وذكرَ ابنُ شِهابٍ الزُّهْريُّ، عن ابن أُكَيمةَ اللَّيْثيّ، عن ابن أخي أبي رُهْمٍ الغِفاريّ، أنه سمع أبا رُهْمٍ كُلْثومَ بن الحُصَين - وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الّذين بايعوا تحت الشَّجَرة - يقول: غَزَوتُ مع رسول الله ﷺ غزوةَ تَبُوك، فسِرْتُ ذاتَ ليلةٍ معه ونحنُ بالأخضَرِ[1] قريباً من رسول الله ﷺ، وأُلقِيَ علينا النُّعاسُ، فطَفِقتُ أستَيقِظُ وقد دَنَتْ راحلتي من راحلةِ رسول الله ﷺ، فيُفزِعُني دُنُوُّها منه مَخَافةَ أن أُصيبَ رِجلَه في الغَرْزِ، فطَفِقتُ أَحُوزُ[2] راحلتي عنه حتّى غَلَبَتني عَيْني في بعض الطَّريقِ ونحنُ في بعض اللّيل، فزاحَمَت راحلتي راحلةَ رسولِ الله ﷺ ورِجلُه في الغَرْزِ، فما استَيقَظتُ إلّا بقوله: «حَسِّ»[3]، فقلت: يا رسولَ الله، استَغفِرْ لي، فقال: «سِرْ».

فجَعَلَ رسولُ الله ﷺ يَسألُني عمَّن تَخَلَّفَ من بني غِفَارٍ، فأُخبِرُه عنه، فقال وهو يَسألُني: «ما فَعَلَ النَّفَرُ الحُمْرُ الطِّوالُ الثِّطَاطُ؟[4]»، فحَدَّثتُه بتَخَلُّفِهم، قال: «فما فَعَلَ النَّفَرُ السُّودُ الجِعَادُ[5] القِصَارُ؟» قال: قلت: والله ما أعرِفُ هؤلاءِ منّا! قال:

---

(١) يعني به الوادي الأخضر، وهو وادٍ جنوب تبوك يطيف بها من الجنوب والشرق، ويصل طوله إلى ١٥٠ كم تقريباً، وطريق الغزوة كان ممرُّه من رأس الوادي الغربيّ.

(٢) الغَرْز في رَحْل البعير كالرِّكاب في سَرْج الفرس، وهو موضع القدم. وأَحُوز: أُبعِدُ.

(٣) حسِّ: كلمة تقولها العربُ عند وجود الألم، وليست حَسِّ باسمٍ ولا بفعلٍ، إنها لا موضع لها من الإعراب، وليست بمنزلة صَهْ ومَهْ ورُوَيدَ، لأن تلك أسماء سُمّي الفعل بها، وإنما حسِّ صوت كالأَنِين الذي يُخرِجه المتألِّم نحو: آه. قاله السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٣٦٦-٣٦٧.

(٤) الثِّطاط: جمع ثَطٍّ، وهو صغير نبات شعر اللّحية، أو الذي لا لحية له.

وفي النسخ (ت) و(ص) و(ط) و(م) ونسخة على حاشية (غ): الشِّطاط، قال السهيليُّ: من المحدّثين من يرويه: الشطاط، وأحسبه تصحيفاً.

(٥) الجِعاد: جمع الجَعْد، وهم الذين في شَعرِهم تكسير.

«بَلَى، الَّذينَ لهم نَعَمٌ بشَبَكةِ شَدَخٍ[1]»، فتَذكَّرتُهم في بني غِفارٍ، فلم أذكُرْهم حتّى ذكرتُ أنّهم رَهْطٌ من أسلَمَ كانوا حُلَفاءَ فينا، فقلت: يا رسولَ الله، أُولئك رَهْطٌ من أسلَمَ حُلَفاءُ فينا، فقال رسول الله ﷺ: «ما مَنَعَ أَحدَ أُولئكَ حين تَخَلَّفَ أن يَحمِلَ على بعيرٍ من إبِلِه امرَأً نَشِيطاً في سبيلِ الله، إنَّ أعَزَّ أَهلي عليَّ أن يَتَخلَّفَ عنِّي، المهاجرونَ من قُرَيشٍ والأنصارُ وغِفَارٌ وأسلَمُ»[2].

أمرُ مسجد الضِّرَار عند القُفول من غزوة تبوك

قال ابن إسحاق: ثمّ أقبَلَ رسولُ الله ﷺ حتّى نَزَلَ بذي أَوَانٍ[3]، بلدٍ بينَه وبين المدينة ساعةٌ من نهارٍ، وكان أصحابُ مسجد الضِّرار قد كانوا أتَوْه وهو يَتجهَّزُ إلى

---

(١) شَبَكةُ شَدَخ: اسم ماءٍ لأسلم من بني غِفار، والشّبكة: الأرض الكثيرة الآبار المتقاربتُها، وتكون مع ذلك قريبة القعور أيضاً. قاله أبو عبيد البكري في «معجم ما استعجم» ٣/ ٧٧٩.

وعند أحمد وابن حبان: بشبكة شرخ.

(٢) إسناده فيه لِينٌ لإبهام ابن أخي أبي رُهْم وجهالته، فقد انفرد بالرواية عنه الزهريُّ، وزيادة ابن أُكيمة ـ واسمه عُمارة ـ بينهما هنا خولف فيه ابنُ إسحاق، فرواه جماعة من أصحاب الزهري عن ابن أخي أبي رهم ولم يذكروا فيه ابنَ أُكيمة، وهو الصحيح، فيما قاله الدارقطنيُّ في «العلل» ٧/ ٣٦.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١٩/ (٤١٨) عن ابن عبد الرحيم البَرْقي، عن ابن هشام، عن زياد البكّائي، عن ابن إسحاق، عن الزهريّ، به.

وأخرجه أحمد (١٩٠٧٤) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه أحمد (١٩٠٧٢)، وابن حبان (٧٢٥٧)، والحاكم (٦٦٦٢) من طريق معمر، وأحمد (١٩٠٧٣) من طريق صالح بن كَيسان، كلاهما عن الزهري قال: أخبرني ابن أخي أبي رهم، أنه سمع أبا رهم. وهو عند الحاكم مختصر.

(٣) لم يعد هذا المكان معروفاً، ولم يستطع أحدٌ من البلدانيِّين أن يبيِّن موضعه.

تَبُوك، فقالوا: يا رسول الله، إنّا قد بَنَيْنا مسجداً لذي العِلّةِ والحاجةِ واللّيلةِ المَطِيرة واللّيلةِ الشّاتية، وإنّا نُحِبُّ أن تأتينا فتُصلِّيَ لنا فيه، فقال: «إنّي على جَنَاحِ سَفَرٍ وحالِ شُغْلٍ - أو كما قال ﷺ - ولو قد قَدِمْنا إن شاءَ اللهُ لَأَتَيناكُم فصَلَّيْنا لكم فيه».

فلمّا نَزَلَ بذي أَوَانٍ، أتاه خَبَرُ المسجد، فدعا رسولُ الله ﷺ مالكَ بن الدُّخْشُمِ أخا بني سالمِ بن عوفٍ، ومَعْنَ بن عَدِيٍّ - أو أخاه عاصمَ بن عَديٍّ - أخا بني العَجْلان، فقال: «انطَلِقَا إلى هذا المسجدِ الظَّالمِ أَهلُه، فاهْدِمَاهُ وحَرِّقاهُ».

فخَرَجا سريعَينِ حتّى أَتَيا بني سالمِ بن عوفٍ، وهم رَهْطُ مالكِ بن الدُّخشُم، فقال مالكٌ لمَعنٍ: أَنظِرْني حتّى أخرُجَ إليك بنارٍ من أهلي، فدخل إلى أهلِه فأَخذَ سَعَفاً[1] من النَّخل فأشعَلَ فيه ناراً، ثمّ خَرَجا يَشتَدّانِ حتّى دَخَلاهُ وفيه أهلُه، فحَرَّقاه وهَدَماه، وتَفرَّقوا عنه، ونَزَلَ فيهم من القرآن ما نَزَلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى آخِرِ القِصّة [التوبة: ١٠٧][2].

وكان الّذين بَنَوهُ اثني عَشَرَ رجلاً: خِذَامُ بن خالدٍ من بني عُبيد بن زيدٍ أحدُ بني عمرو بن عوفٍ، ومن داره أُخرِجَ مسجدُ الشِّقاق، وثَعلَبةُ بن حاطبٍ من بني أُميّة بن

---

(١) هو غصن النخل إذا يبس.

(٢) هذا خبر قوي، فقد أسنده سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تفسيره» ١١/ ٦٧٢-٦٧٣ عن ابن إسحاق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم. وهؤلاء رواياتهم مرسلة إلا أنه بمجموعها يتقوّى الخبر.

ورواه الواقدي في «مغازيه» ٣/ ١٠٤٥-١٠٤٦ عن يزيد بن رومان وحده.

قلنا: ويشهد لإحراق مسجد الضِّرار حديث جابر بن عبد الله الأنصاري، فقد روي عنه بإسناد جيّد أنه قال: رأيتُ الدخان من مسجد الضّرار حين انهار. أخرجه الحاكم (٨٩٧٨) وصحَّح إسناده. والظاهر أن جابراً لَحِقَ بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي فحضر إحراق هذا المسجد.

زيدٍ، ومُعتِّبُ بن قُشَيرٍ من بني ضُبَيعة بن زيدٍ، وأبو حَبِيبة بن الأزعَرِ من بني ضُبَيعة ابن زيدٍ، وعبّادُ بن حُنَيفٍ أخو سهلِ بن حُنَيفٍ من بني عمرو بن عوفٍ، وجاريةُ بن عامرٍ، وابناه مُجمِّعُ بن جاريةَ وزيدُ بن جاريةَ، ونَبتَلُ بن الحارثِ من بني ضُبَيعة، وبَحزَجٌ من بني ضُبَيعة، وبِجَادُ بن عثمانَ من بني ضُبَيعة، ووَدِيعةُ بن ثابتٍ، وهو من بني أُميّة بن زيدٍ رَهْطِ أبي لُبَابة بن عبد المُنذِر.

وكانت مساجدُ رسول الله ﷺ فيما بين المدينةِ إلى تَبُوكَ معلومةً مُسمّاةً[1]: مسجدٌ بتَبُوكَ، ومسجدٌ بثَنِيّةٌ مِدْرانَ[2]، ومسجدٌ بذاتِ الزِّرَاب، ومسجدٌ بالأخضر، ومسجدٌ بذاتِ الخِطْميّ[3]، ومسجدٌ بآلاءَ، ومسجدٌ بطَرَفِ البَتْراء[4] من ذَنَبِ كُواكِب، ومسجدٌ بالشِّقِّ شِقِّ تارا، ومسجدٌ بذي الجِيفة، ومسجدٌ بصَدْر حَوْضا، ومسجدٌ بالحِجْر، ومسجدٌ بالصَّعيد، ومسجدٌ بالوادي اليومَ، وادي القُرَى، ومسجدٌ بالرُّقْعة من الشِّقّةِ شِقّةِ بني عُذْرة، ومسجدٌ بذي المَرْوة، ومسجدٌ بالفَيْفاء، ومسجدٌ بذي خُشُبٍ.

---

(١) أشار إلى هذه المساجد وإلى أماكنها بتعريفات مختصرة الأستاذ عاتق البِلادي في كتابه «معجم المعالم الجغرافية» ص٢٩٣-٢٩٤.

(٢) وتحرف في بعض النسخ إلى: مدرار، بالراء. وتعرف اليوم بالمِدراة، وتقع جنوب تبوك إلى الغرب على قرابة ١٤ كم.

(٣) ويسمّى هذا الموضع حالياً جبل الخِطام.

(٤) وكُتب في بعض النسخ: البترى، بألف مقصورة. وكُواكب ـ وتُفتح كافه أيضاً ـ اسم لجبل كما عند ياقوت في «معجم البلدان»، والبتراء يُطلَق على الجبل المنبتر (أي: المنفصل) من سلسلة جبال أكبر منه.

أمرُ الثّلاثة الذين خُلِّفوا وأمرُ المعذِّرين في غزوة تبوك

وقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، وقد كان تَخلَّفَ عنه رَهْطٌ من المنافقين، وتَخلَّفَ أُولئك الرَّهطُ الثّلاثةُ من المسلمين من غير شَكٍّ ولا نِفاقٍ: كعبُ بن مالكٍ، ومُرَارةُ ابن الرَّبيع، وهِلالُ بن أُميّةَ، فقال رسولُ الله ﷺ لأصحابه: «لا تُكَلِّمُنَّ أَحداً من هؤلاءِ الثَّلاثةِ»، وأَتاه مَن تَخلَّفَ عنه من المنافقين فجعلوا يَحلِفون له ويَعتَذِرون، فصَفَحَ عنهم رسولُ الله ﷺ، ولم يَعذِرْهم اللهُ ولا رسولُه، واعتَزَلَ المسلمون كلامَ أُولئك النَّفَرِ الثّلاثةِ.

قال ابن إسحاق: فذكرَ الزُّهْريُّ محمّدُ بن مُسلِم بن شِهابٍ، عن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن كعب بن مالكٍ: أنّ أباه عبدَ الله ـ وكان قائدَ أَبيه حين أُصيبَ بَصَرُه ـ قال: سمعت أَبي كعبَ بن مالكٍ يحدِّث حديثَه حين تَخلَّفَ عن رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك وحديثَ صاحبَيهِ، قال: ما تَخلَّفتُ عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ غَزاها قَطُّ، غيرَ أنّي كنتُ قد تَخلَّفتُ عنه في غزوة بدرٍ، وكانت غزوةً لم يُعاتِبِ اللهُ ولا رسولُه أَحداً تَخلَّفَ عنها، وذلك أنّ رسولَ الله ﷺ إنّما خرج يريد عِيرَ قُرَيشٍ، حتّى جَمَعَ الله بينه وبين عدوِّه على غيرِ مِيعادٍ، ولقد شَهِدتُ مع رسول الله ﷺ العَقَبةَ حين تَواثَقْنا على الإسلام، وما أُحِبُّ أنّ لي بها مَشهَدَ بدرٍ، وإن كانت غزوةُ بدرٍ هي أذكرُ في النّاسِ منها[1].

قال: كان من خَبَري حين تَخلَّفتُ عن رسول الله ﷺ في غزوةِ تَبُوكَ، أنّي لم أكنْ قَطُّ أقوى ولا أيسَرَ منّي حين تَخلَّفتُ عنه في تلك الغزوة، ووالله ما اجتَمَعَت

(١) أي: أشهر عند الناس بالفضيلة.

لي راحلتانِ قَطُّ حتّى اجتَمَعَتا في تلك الغزوة.

وكان رسولُ الله ﷺ قَلَّما يريدُ غزوةً يَغزُوها إلّا وَرَّى بغيرها[1]، حتّى كانت تلك الغزوةُ، فغَزَاها رسولُ الله ﷺ في حَرٍّ شديدٍ واستَقبَلَ سَفَراً بعيداً، واستَقبَلَ غزوَ عدوٍّ كثيرٍ، فجَلَّى للنّاسِ أمرَهم ليَتأهَّبوا لذلك أُهْبَتَه، وأخبرهم خَبَرَه بوَجهِه الذي يريدُ، والمسلمون مَن تَبِعَ رسولَ الله ﷺ كثيرٌ لا يَجمَعُهم كتابٌ حافظٌ؛ يعني بذلك الدِّيوانَ، يقول: لا يَجمَعُهم ديوانٌ مكتوبٌ.

قال كعبٌ: فقَلَّ رجلٌ يريد أن يَتَغيَّبَ إلّا ظَنَّ أنّه سيَخفَى له ذلك ما لم يَنزِلْ فيه وَحْيٌ من الله، وغَزَا رسولُ الله ﷺ تلك الغزوةَ حين طابَتِ الثِّمارُ وأُحِبَّت الظِّلالُ، فالناسُ إليها صُعْرٌ[2].

فتَجهَّزَ رسولُ الله ﷺ وتَجهَّزَ المسلمون معه، وجعلتُ أَغدُو لأَتجهّزَ معهم، فأَرجِعُ ولم أَقضِ حاجةً، فأقولُ في نفسي: أنا قادرٌ على ذلك إذا أردتُ، فلم يَزَلْ ذلك يَتمادَى بي حتّى شَمَّرَ بالناسِ الجِدُّ، فأصبَحَ رسولُ الله ﷺ غادياً والمسلمون معه ولم أَقضِ من جَهَازي شيئاً، فقلت: أتجهَّزُ بعدَه بيومٍ أو يومَينِ ثمّ أَلحَقُ بهم، فغَدَوتُ بعدَ أن فَصَلُوا لأتجهَّزَ فرَجَعتُ ولم أَقضِ شيئاً، ثمّ غَدَوتُ فرَجَعتُ ولم أَقضِ شيئاً.

فلم يَزَلْ ذلك يَتمادَى بي حتّى أَسرَعُوا وتَفَرَّطَ الغَزوُ[3]، فهَمَمتُ أن أرتَحِلَ فأُدرِكَهم، ولَيتَني فعلتُ، فلم أفعلْ.

---

(١) أي: سَتَرها وكنّى عنها وأَوهَمَ أنه يريد غيرها.

(٢) صُعْر: جمع أصعَر، وهو المائل، أي: نفوسهم تميل إليها وتشتهيها.

(٣) تفرَّط الغزو، أي: فات وسبق.

وجعلتُ إذا خرجتُ في النّاسِ بعدَ خروجِ رسول الله ﷺ، فطُفْتُ فيهم، يُحزِنُني أنّي لا أَرى إلّا رجلاً مَغمُوصاً عليه[1] في النِّفاق، أو رجلاً ممّن عَذَرَ اللهُ من الضُّعفاءِ، ولم يَذكُرْني رسولُ الله ﷺ حتّى بَلَغَ تبوكَ، فقال وهو جالسٌ في القوم بتبوكَ: «ما فَعَلَ كعبُ بن مالكٍ؟»، فقال رجلٌ من بني سَلِمةَ: يا رسولَ الله، حَبَسَه بُرْداهُ والنَّظرُ في عِطفَيهِ[2]، فقال له معاذُ بن جَبَل: بِئسَ ما قلتَ، والله يا رسولَ الله ما عَلِمْنا منه إلّا خيراً، فسَكَتَ رسولُ الله ﷺ.

فلمّا بَلَغَني أنّ رسولَ الله ﷺ قد تَوَجَّهَ قافِلاً من تَبُوكَ، حَضَرَني بَثِّي[3]، فجَعَلتُ أتذكَّرُ الكَذِبَ وأقولُ: بماذا أَخرُجُ من سَخْطةِ رسول الله ﷺ غَداً؟ وأَستَعينُ على ذلك كلَّ ذي رأيٍ من أهلي، فلمّا قيلَ: إنّ رسولَ الله ﷺ قد أَظَلَّ[4] قادماً، زاحَ عنّي[5] الباطلُ، وعَرَفتُ أنّي لا أَنجُو منه إلّا بالصِّدقِ، فأَجمَعتُ أن أَصدُقَه[6].

وصَبَّحَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، وكان إذا قَدِمَ من سَفَرٍ بَدَأَ بالمسجدِ فرَكَعَ فيه رَكْعتَينِ ثمّ جَلَسَ للنّاس.

فلمّا فَعَلَ ذلك، جاءَه المُخلَّفون، فجَعَلوا يَحلِفُون له ويَعتَذِرون، وكانوا بِضْعةً وثمانينَ رجلاً، فيَقبَلُ منهم رسولُ الله ﷺ عَلانِيَتَهم وأَيْمانَهم، ويَستَغفِرُ لهم ويَكِلُ سَرَائرَهم إلى الله، حتّى جئتُ فسَلَّمتُ عليه، فتَبسَّمَ تَبسُّمَ المُغضَبِ، ثمّ قال لي:

---

(١) أي: مطعوناً عليه.

(٢) تثنية عِطْف، أي: جانبه، كناية عن كونه مُعجَباً في نفسه ذا زَهْوٍ وتكبُّر.

(٣) البَثُّ: الحُزن.

(٤) أظلَّ: أشرف وقَرُب.

(٥) زاح عني: ذهب وزال.

(٦) أي: عَزَمتُ على أن أصدقه.

«تَعالَهْ»، فجئتُ أَمشي حتّى جَلَستُ بين يدَيهِ، فقال لي: «ما خَلَّفَك؟ ألم تَكُنْ ابتَعْتَ ظَهْرَك؟[1]» قال: قلت: يا رسول الله، واللهِ إنّي لو جَلَستُ عند غيرِك من أهلِ الدُّنيا، لرأَيتُ أنّي سأخرُجُ من سَخَطِه بعُذْرٍ، لقد أُعطِيتُ جَدَلاً، ولكن والله لقد عَلِمتُ لئِنْ حَدَّثتُك اليومَ حديثاً كَذِباً لتَرضَيَنَّ عنّي، ولَيُوشِكَنَّ اللهُ أن يُسخِطَك عليَّ، ولئِنْ حَدَّثتُك حديثاً صِدْقاً تَجِدُ عليَّ فيه، إنّي لَأرجو عُقْبايَ من الله فيه، ولا واللهِ ما كان لي عُذْرٌ، والله ما كنتُ قَطُّ أقوى ولا أيسَرَ منّي حين تَخلَّفتُ عنك، فقال رسولُ الله ﷺ: «أمَّا هذا فقد صَدَقَ فيه، فقُمْ حتَّى يَقضِيَ اللهُ فيكَ».

فقُمْتُ، وثارَ معي رجالٌ من بني سَلِمةَ فاتَّبَعُوني فقالوا لي: والله ما عَلِمناكَ كنتَ أذنَبتَ ذَنْباً قبلَ هذا، ولقد عَجَزتَ أن لا تكونَ اعتَذَرتَ إلى رسولِ الله ﷺ بما اعتَذَرَ به إليه المُخلَّفون، قد كان كافيكَ ذَنْبَكَ استغفارُ رسولِ الله ﷺ لك.

فواللهِ ما زالُوا بي حتّى أردتُ أن أَرجِعَ إلى رسول الله ﷺ فأُكذِبَ نفسي، ثمّ قلت لهم: هل لَقِيَ هذا أَحدٌ غيري؟ قالوا: نَعَم، رجلانِ قالا مِثلَ مَقالتِك، وقيلَ لهما مِثلَ ما قيلَ لك، قال: قلت: مَن هما؟ قالوا: مُرَارةُ بن الرَّبيعِ العَمْريُّ من بني عمرو بن عوفٍ، وهِلالُ بن أبي أُميّةَ الواقِفيُّ، فذَكَرُوا لي رجلَينِ صالحَينِ فيهما أُسْوةٌ، فصَمَتُّ حين ذَكَرُوهما لي.

ونَهَى رسولُ الله ﷺ عن كلامِنا أيُّها الثّلاثةُ من بينِ مَن تَخَلَّفَ عنه، فاجتَنَبَنا الناسُ وتَغَيَّروا لنا، حتّى تَنكَّرَت لي نَفْسي والأرضُ، فما هي بالأرضِ الّتي كنت أعرِفُ، فلَبِثْنا على ذلك خمسين ليلةً، فأمّا صاحبايَ فاستَكَانا[2] وقَعَدا في بُيوتِهما،

(١) الظَّهر هنا: الدابّة المهيَّأة للركوب.

(٢) أي: ذلّا وخَضَعا للأمر.

وأمّا أنا فكنتُ أشَبَّ القومِ وأجلَدَهم[1] فكنتُ أخرُجُ وأشهَدُ الصَّلواتِ مع المسلمين وأطوفُ بالأسواقِ ولا يُكلِّمُني أحدٌ، وآتِي رسولَ الله ﷺ فأُسلِّمُ عليه وهو في مَجلِسِه بعدَ الصّلاة، فأقولُ في نفسي: هل حَرَّكَ شَفَتَيهِ بردِّ السّلامِ عليَّ أم لا؟ ثمّ أُصلِّي قريباً منه فأُسارِقُه النَّظَرَ، فإذا أقبَلتُ على صلاتي نَظَرَ إليَّ، وإذا التَفَتُّ نحوَه أعرَضَ عنّي.

حتّى إذا طالَ ذلك عليَّ من جَفْوةِ المسلمين، مَشَيتُ حتّى تَسَوَّرتُ[2] جِدارَ حائطِ أبي قَتادةَ، وهو ابنُ عمِّي وأحبُّ النّاسِ إليَّ، فسَلَّمتُ عليه، فواللهِ ما رَدَّ عليَّ السّلامَ، فقلت: يا أبا قَتادة، أَنشُدُك بالله[3]، هل تعلمُ أنّي أُحِبُّ اللهَ ورسولَه؟ فسَكَتَ، فعُدْتُ فناشَدْتُه، فسَكَتَ، فعُدْتُ فناشَدْتُه، فسَكَتَ، فعُدْتُ فناشَدْتُه، فقال: اللهُ ورسولُه أعلمُ، ففاضَتْ عَيْنايَ ووَثَبتُ فتَسَوَّرتُ الحائطَ.

ثمّ غَدَوتُ إلى السُّوقِ، فبَيْنا أنا أَمشي بالسُّوقِ إذا نَبَطيٌّ[4] يَسألُ عنّي من نَبَطِ الشّام، ممّن قَدِمَ بالطَّعام يَبِيعُه بالمدينة، يقول: مَن يَدُلُّ على كعبِ بن مالكٍ؟ قال: فجَعَلَ الناسُ يُشِيرونَ له إليَّ حتّى جاءَني، فدَفَعَ إليَّ كتاباً من مَلِك غسّانَ، وكَتَبَ كتاباً[5] في سَرَقةٍ من حَريرٍ، فإذا فيه: أمّا بعدُ، فإنّه قد بَلَغَنا أنّ صاحبَك قد جَفَاكَ،

---

(١) أجلدهم، أي: أقواهم.

(٢) تسوَّرت، أي: عَلَوتُ. والحائط: الحديقة.

(٣) أي: أسألك بالله رافعاً نَشِيدي، وهو صوتي.

(٤) النَّبطي هنا: الفلّاح من أهل الشام، وكانوا يقدمون إلى هذه المدينة ونواحيها من البلدان للتجارة بالزيت والدقيق.

(٥) في (ت) ونسخة على حاشية (ش٢) و(م): وكنت كاتباً.

والسَّرَقة: قطعة منسوجة من الحرير.

ولم يَجعَلْك الله بدارِ هَوَانٍ ولا مَضْيَعةٍ، فالحَقْ نُواسِكَ[1].

قال: قلت حين قَرَأتُها: وهذا من البَلاءِ أيضاً، قد بَلَغَ بي ما وَقَعتُ فيه أن طَمِعَ فِيَّ رجلٌ من أهلِ الشِّرْك. قال: فعَمَدتُ بها إلى تَنُّورٍ فسَجَرتُه بها[2].

فأقَمْنا على ذلك، حتّى إذا مَضَت أربعون ليلةً من الخمسين، إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني، فقال: إنّ رسولَ الله ﷺ يأمُرُك أن تَعتَزِلَ امرأتَك، قال: قلت: أُطلِّقُها أم ماذا؟ قال: لا، بل اعتَزِلْها ولا تَقرَبْها، وأرسَلَ إلى صاحبيَّ بمِثْلِ ذلك، فقلت لامرأتي: الحَقِي بأهلِك فكوني عندَهم حتّى يَقضِيَ اللهُ في هذا الأمر ما هو قاضٍ.

قال: وجاءَت امرأةُ هلالِ بن أُميّةَ رسولَ الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله، إنّ هلالَ بن أُميّةَ شيخٌ كبيرٌ ضائعٌ لا خادِمَ له، أفتَكرَهُ أن أخدُمَه؟ قال: «لا، ولكنْ لا يَقرَبَنَّكِ» قالت: والله يا رسولَ الله ما به من حَرَكةٍ إليَّ، والله ما زالَ يبكي مُنذُ كان من أمرِه ما كان إلى يومِه هذا، ولقد تَخَوَّفتُ على بصرِه. قال: فقال لي بعضُ أهلي: لو استأذَنتَ رسولَ الله لامرأتِك، فقد أَذِنَ لامرأةِ هلالِ بن أُميّةَ أن تَخدُمَه، قال: فقلت: والله لا أستأذِنُه فيها، ما أدري ما يقول رسولُ الله ﷺ في ذلك إذا استأذَنتُه فيها، وأنا رجلٌ شابٌّ.

قال: فلَبِثْنا بعدَ ذلك عَشْرَ لَيالٍ، فكَمُلَ لنا خمسون ليلةً من حينَ نَهَى رسولُ الله ﷺ المسلمين عن كلامِنا، ثمّ صَلَّيتُ الصُّبحَ صُبحَ خمسين ليلةً على ظَهرِ بيتٍ من بُيوتِنا، على الحالِ التي ذَكَرَ اللهُ منّا، قد ضاقَتْ علينا الأرضُ بما رَحُبَت وضاقَتْ

---

(١) مضيعة فيها لغتان: إحداهما: مَضْيَعة، والثانية: مَضِيعة، أي: موضعٌ وحالٌ يَضِيع فيه حقُّك.

والمُواساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرّزق.

(٢) التنُّور: بيت النار الذي يُخبَز فيه. وسجرتُه: أحرقته.

عليَّ نَفْسي، وقد كنتُ ابتَنَيتُ خَيْمةً في ظَهْرِ سَلْعٍ، فكنت أكونُ فيها، إذ سمعتُ صوتَ صارخٍ أَوفَى على ظَهرِ سَلْعٍ يقول بأعلى صوتِه: يا كعبَ بنَ مالكٍ، أبشِرْ، قال: فخَرَرتُ ساجداً، وعَرَفتُ أنْ قد جاءَ الفَرَجُ.

قال: وآذَنَ[1] رسولُ الله ﷺ النّاسَ بتَوْبةِ الله علينا حين صَلَّى الفجرَ، فذَهَبَ النّاسُ يُبشِّرونَنا، وذَهَبَ نحوَ صاحبَيَّ مُبشِّرون، ورَكَضَ رجلٌ إليَّ فرساً[2]، وسَعَى ساعٍ من أسلَمَ حتّى أَوفَى[3] على الجبل، فكان الصّوتُ أسرعَ من الفَرَس، فلمّا جاءَني الّذي سمعتُ صوتَه يُبشِّرُني، نَزَعتُ ثوبَيَّ فكَسَوتُهما إيّاه بِشَارةً، ووالله ما أَملِكُ يومَئذٍ غيرَهما، واستَعَرتُ ثوبَينِ فلَبِستُهما، ثمّ انطَلَقتُ أتَيَمَّمُ[4] رسولَ الله ﷺ، وتَلقّاني النّاسُ يُبشِّرونَني بالتّوبة يقولون: ليَهنِكَ توبةُ الله عليك، حتّى دخلتُ المسجدَ ورسولُ الله ﷺ جالسٌ حولَه النّاسُ، فقامَ إليَّ طلحةُ بن عُبيدِ الله، فحَيّاني وهَنّأَني، ووالله ما قامَ إليَّ رجلٌ من المهاجرين غيرُه. قال: فكان كعبُ بن مالكٍ لا يَنْساها لطلحةَ.

قال كعبٌ: فلمّا سَلَّمتُ على رسول الله ﷺ قال لي، ووجهُه يَبرُقُ من السُّرور: «أَبشِرْ بخيرِ يومٍ مَرَّ عليك مُنذُ وَلَدَتكَ أُمُّك»، قال: قلت: أمِن عندِك يا رسولَ الله، أم من عندِ الله؟ قال: «بلْ مِن عندِ اللهِ»، قال: وكان رسولُ الله ﷺ إذا استَبشَرَ كأنَّ وجهَه قِطْعةُ قَمَرٍ، قال: وكنّا نَعرِفُ ذلك منه.

قال: فلمّا جَلَستُ بين يدَيهِ قلتُ: يا رسولَ الله، إنّ من تَوْبَتي إلى الله أن أَنخَلِعَ من

---

(١) أي: أَعلَمَ.

(٢) أي: استحثَّه، من الرَّكْض: وهو الضرب بالرِّجل على بطن الفرس لتسرع.

(٣) أي: أشرَفَ.

(٤) أي: أَقصِدُ.

مالي صَدَقةً إلى الله وإلى رسولِه، قال رسولُ الله ﷺ: «أَمسِكْ عليكَ بعضَ مالِكَ، فهو خيرٌ لكَ»، قال: قلت: إنّي مُمسِكٌ سَهْمي الذي بخَيبَرَ.

وقلت: يا رسولَ الله، إنّ الله قد نَجّاني بالصِّدقِ، وإنَّ من تَوْبَتي إلى الله أن لا أُحدِّثَ إلّا صِدْقاً ما بَقِيتُ[1]؛ واللهِ ما أَعلمُ أحداً من النّاسِ أَبْلاهُ اللهُ[2] في صِدْقِ الحديثِ منذُ ذكرتُ لرسول الله ﷺ ذلك، أفضلَ ممّا أَبلاني، والله ما تَعمَّدتُ من كَذْبةٍ منذُ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإنّي لَأرجُو أن يَحفَظَني اللهُ فيما بَقِي.

وأنزَلَ الله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ[3] قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٧-١١٩].

قال كعبٌ: فوالله ما أنعَمَ اللهُ عليَّ نِعمةً قَطُّ بعدَ أن هَدَاني للإسلامِ كانت أعظَمَ في نفسي، من صِدْقي رسولَ الله ﷺ يومَئذٍ، أن لا أكونَ كَذَبتُه[4] فأَهلِكَ كما هَلَكَ الّذين كَذَبُوه، فإنَّ الله تبارك وتعالى قال في الّذين كَذَبُوه حين أنزَلَ الوحيَ شَرَّ ما قال لأحدٍ،

---

(١) في (ش١) و(ش٢) و(ق٢): ما حَيِيتُ.

(٢) أي: أنعَمَ عليه، والبلاء والإبلاء يكون في الخير والشرّ، لكن إذا أُطلق كان للشرِّ غالباً، فإذا أُريدَ الخيرُ قُيِّد كما قُيِّد هنا فقال: أفضل ممّا أبلاني. قاله النوويُّ في «شرح مسلم».

(٣) هكذا في نسخنا كافةً بالتاء، وهي قراءة العشرة غير حمزة وحفص عن عاصم فقرآ: (يَزِيغُ) بالياء. انظر «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري ٢/ ٢٨١.

(٤) لفظة «لا» زائدة، نحو قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف:١٢]، أي: أن أكون حدّثتُه حديثَ كذبٍ فأَهلِك، وهو بدلٌ من قوله: من صِدْقي.

قال: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٩٥-٩٦].

قال: وكنَّا خُلِّفْنا أيُّها الثّلاثةُ عن أمرِ هؤلاءِ الّذين قَبِلَ منهم رسولُ الله ﷺ حين حَلَفُوا له فعَذَرَهم واستَغفَرَ لهم، وأَرجَأَ رسولُ الله ﷺ أمرَنا، حتّى قَضَى اللهُ فيه ما قَضَى، فبذلك قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾، وليس الذي ذَكَرَ اللهُ من تَخليفِنا لتَخَلُّفِنا عن الغزوةِ، ولكن لتَخْليفِه إيّانا وإرجائِه أمرَنا عمَّن حَلَفَ له واعتَذَرَ إليه فقَبِلَ منه[1].

(١) حديث كعب بن مالك هذا في قصة توبته حديث صحيح.

وأخرجه بطوله أحمد (١٥٧٨٩) و(٢٧١٧٥)، والبخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، وابن حبان (٣٣٧٠) من طرق عن الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب، عن أبيه، عن جدّه كعب بن مالك.

أمرُ وفد ثقيفٍ وإسلامِها
في شهر رمضان سنة تسعٍ

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ من تَبُوكَ في رمضان، وقَدِمَ عليه في ذلك الشّهر وفدُ ثَقيفٍ.

وكان من حديثهم: أنّ رسولَ الله ﷺ لمّا انصَرَفَ عنهم، اتَّبَعَ أثَرَه عُرْوةُ بن مسعودٍ الثَّقَفيّ حتّى أدرَكَه قبلَ أن يَصِلَ إلى المدينة، فأسلَمَ، وسأله أن يَرجِعَ إلى قومِه بالإسلام، فقال له رسولُ الله ﷺ كما يَتحدَّثُ قومُه: «إنَّهم قاتِلُوك»، وعَرَفَ رسولُ الله ﷺ أنّ فيهم نَخْوةَ الامتِناعِ الذي كان منهم، فقال عُرْوةُ: يا رسولَ الله، أنا أحَبُّ إليهم من أبكارِهم.

قال ابن هشام: ويقال: من أبصارِهم.

قال ابن إسحاق: وكان فيهم كذلك مُحَبَّباً مُطاعاً، فخرج يدعو قومَه إلى الإسلام رَجَاءَ أن لا يُخالِفُوه لمَنزِلتِه فيهم، فلمّا أشرَفَ لهم على عِلِّيّةٍ له[1]، وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهَرَ لهم دينَه، رَمَوهُ بالنَّبْلِ من كلِّ وجهٍ، فأصابه سَهمٌ فقتله، فتَزعُم بنو مالكٍ أنّه قتله رجلٌ منهم يقال له: أَوسُ بن عوفٍ أخو بني سالمِ بن مالكٍ، وتَزعُم الأحلافُ أنّه قتله رجلٌ منهم من بني عَتّابِ بن مالكٍ يقال له: وهبُ بن جابرٍ، فقيلَ لعُرْوةَ: ما تَرَى في دمِك؟ قال: كَرَامةٌ أكرَمَني الله بها، وشهادةٌ ساقَها الله إليَّ، فليس فِيَّ إلّا ما في الشُّهداءِ الذين قُتِلوا مع رسول الله ﷺ قبلَ أن يَرتَحِلَ عنكم، فادفِنُوني معهم، فدَفَنُوه معهم، فزَعَمُوا أنّ رسولَ الله ﷺ قال فيه: «إنَّ مَثَلَه في قومِه لكمَثَلِ

(١) العِلِّيّة: الغُرفة في الطبقة الثانية من الدار وما فوقها.

صاحبِ ياسينَ في قومِه»[1].

ثمّ أقامت ثَقيفٌ بعدَ قتلِ عُرْوةَ أشهراً، ثمّ إنّهم ائتَمَروا بينهم ورَأَوا أنّه لا طاقةَ لهم بحربِ مَن حولَهم من العرب وقد بايَعُوا وأسلَمُوا.

حدّثني يعقوبُ بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنَسِ: أنّ عمرَو بن أُميّةَ أخا بني عِلَاجٍ كان مُهاجِراً لعبدِ ياليلَ بن عمرٍو[2]، الّذي بينهما سيِّئٌ، وكان عمرو بن أُميّة من أَدهَى العرب، فمَشَى إلى عبدِ ياليلَ بن عمرٍو حتّى دخل دارَه ثمّ أرسَلَ إليه: إنّ

---

(١) حديث قصة عروة بن مسعود هذا حديث محتمل للتحسين إن شاء الله، فقد روي من غير وجهٍ مرسلاً يشدُّ بعضها بعضاً، ممّا يُوحي أن للخبر أصلاً.

فقد رواه عبد الله بن لَهِيعة عن أبي الأسود يتيم عُروة عن عروة بن الزبير مرسلاً فيما أخرجه ابن شبّة في «تاريخ المدينة» ٢/ ٤٧١، والطبراني في «الكبير» ١٧/ (٣٧٤)، والحاكم (٦٧٢٤). وابن لهيعة وإن كان في حفظه سوء ضُعِّف من أجله، لكن قبل العلماء رواية العبادلة عنه، وقد رواه عنه منهم عبد الله بن وهب عند ابن شبّة.

وروى نحوه أيضاً موسى بن عقبة عن الزهري مرسلاً فيما أخرجه ابن شبة ٢/ ٤٦٩-٤٧٠، والطبراني ١٧/ (٣٧٥)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٤٨٦).

وهو عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٩٩-٣٠٠ عن موسى بن عقبة لم يذكر فيه الزهريَّ.

ورواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جُدعان فيما أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١٥٩٨). وابن جُدعان فيه ضعف، لكن يصلح في المتابعات والشواهد.

ورواه إبراهيم الحِزامي عن ابن وهب عن الليث بن سعد معضلاً فيما أخرجه عمر بن شبة ٢/ ٤٧٠-٤٧١.

وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ـ كما في «تفسير ابن كثير» ٦/ ٥٧٢ ـ من طريق هشام بن عبيد الله الرازي، عن محمد بن جابر بن سيار، عن عبد الملك بن عمير مرسلاً. وهشام وشيخه محمد متكلَّم فيهما.

(٢) أي: هاجراً مخاصماً له.

عمرَو بن أُميّةَ يقول لك: اخرُجْ إليَّ، قال: فقال عبدُ ياليلَ للرّسول: وَيلَك، أعمرٌو أرسَلَك إليَّ؟ قال: نعم، وها هو ذا واقفاً في دارِك، فقال: إنّ هذا لشيءٌ ما كنت أظُنُّه، لَعمرُو كان أمنَعَ في نفسِه من ذلك[1]، فخرج إليه فلمّا رآه رَحَّبَ به، فقال له عمرٌو: إنّه قد نَزَلَ بنا أمرٌ ليست معه هِجرةٌ، إنّه قد كان من أمرِ هذا الرّجلِ ما قد رأيتَ، وقد أسلَمَت العربُ كلُّها، وليست لكم بحربِهم طاقةٌ، فانظُروا في أمرِكم.

فعند ذلك ائتَمَرَت ثَقيفٌ بينها، وقال بعضُهم لبعض: ألَا تَرَوْنَ أنّه لا يأمَنُ لكم سِرْبٌ[2]، ولا يخرج منكم أحدٌ إلّا اقتُطِعَ، فأْتمَرُوا بينهم، وأجمَعُوا أن يُرسِلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً كما أرسَلُوا عُرْوةَ، فكَلَّموا عبدَ ياليلَ بن عمرو بن عُمَيرٍ، وكان سِنَّ عُرْوةَ بن مسعودٍ[3]، وعَرَضُوا ذلك عليه فأَبَى أن يَفعَلَ، وخَشِيَ أن يُصنَعَ به إذا رَجَعَ كما صُنِعَ بعُرْوة، فقال: لستُ فاعلاً حتّى تُرسِلوا معي رجالاً، فأجمَعُوا أن يَبعَثُوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثةً من بني مالكٍ، فيكونوا ستّةً، فبَعَثُوا مع عبدِ ياليلَ الحَكَمَ بن عمرو بن وهب بن مُعتِّبٍ، وشُرَحبيلَ بن غَيْلانَ بن سَلَمة بن مُعتِّبٍ، ومن بني مالكٍ عثمانَ بن أبي العاصِ بن بِشْر بن عبدِ دُهْمانَ أخا بني يَسارٍ، وأَوسَ ابن عوفٍ أخا بني سالمِ بن عوفٍ، ونُمَيرَ بن خَرَشةَ بن رَبيعة أخا بني الحارثِ، فخرج بهم عبدُ ياليلَ وهو نابُ القومِ[4] وصاحبُ أمرِهم، ولم يخرج بهم إلّا خَشْيةً من مِثْلِ ما صُنِعَ بعُرْوةَ بن مسعود، لكيْ يَشغَلَ كلُّ رجلٍ منهم إذا رَجَعُوا إلى الطّائف

(١) في «مغازي الواقدي» ٣/ ٩٦٢: إن هذا لشيءٌ ما كنت أظنُّه بعمرو، وما هو إلا عن أمرٍ قد حدث وكان أمراً سُوءاً، ما لم يكن من ناحية محمد.

(٢) السِّرب: المال الراعي، وهو أيضاً الطريق، والنَّفْس.

(٣) أي: بمثل سنِّه وعمره.

(٤) نابُ القوم: سيّدهم، والمدافع عنهم.

رَهْطَه.

فلمّا دَنَوْا من المدينة ونَزَلوا قَنَاةَ[1]، ألْفَوْا بها المغيرةَ بن شُعْبة يَرْعى في نَوْبتِه رِكَابَ أصحابِ رسول الله ﷺ، وكانت رِعْيتُها نُوَباً على أصحابه ﷺ، فلمّا رآهم تَرَكَ الرِّكَابَ عند الثَّقَفيِّينَ وضَبَرَ[2] يَشتدُّ ليُبشِّرَ رسولَ الله ﷺ بقُدومِهم عليه، فلَقِيَه أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ قبلَ أن يَدخُلَ على رسول الله ﷺ، فأخبره عن رَكْبِ ثقيفٍ أن قد قَدِمُوا يريدون البَيْعةَ والإسلامَ بأن يَشرِطَ لهم رسولُ الله ﷺ شُروطاً، ويَكتَتِبُوا من رسول الله ﷺ كتاباً في قومِهم وبلادِهم وأموالِهم، فقال أبو بكرٍ للمُغِيرة: أقسمتُ عليك بالله لا تَسبِقَنّي إلى رسول الله ﷺ حتّى أكونَ أنا أُحدِّثُه، ففعل المغيرةُ، فدخل أبو بكرٍ على رسول الله ﷺ فأخبره بقُدومِهم عليه، ثمّ خرج المغيرةُ إلى أصحابه فرَوَّحَ[3] الظُّهرَ معهم، وعَلَّمَهم كيف يُحيُّون رسولَ الله ﷺ، فلم يفعلوا إلّا بتَحِيّة الجاهليّة.

ولمّا قَدِمُوا على رسول الله ﷺ ضَرَبَ عليهم قُبّةً في ناحيةِ مسجده كما يَزعُمون، فكان خالدُ بن سعيد بن العاصِ هو الّذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتّى اكتَتَبوا كتابَهم، وكان خالدٌ هو الّذي كَتَبَ كتابَهم بيدِه، وكانوا لا يَطعَمُون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتّى يأكُلَ منه خالدٌ حتّى أسلَموا وفَرَغُوا من كتابهم.

وقد كان فيما سألوا رسولَ الله ﷺ أن يَدَعَ لهم الطّاغيةَ، وهي اللّاتُ، لا يَهدِمُها ثلاثَ سنينَ، فأَبَى رسولُ الله ﷺ ذلك عليهم.

---

(١) وهو وادٍ يمرّ جنوب جبل أُحد باتجاه الغرب ويميل قليلاً إلى الشمال.

(٢) ضَبَرَ: وَثَبَ.

(٣) من الرَّواح: وهو الوقت من زوال الشمس إلى الليل، والمعنى هنا: أنه كان معهم وقت الظهر الذي هو بعد الزوال.

فما بَرِحُوا يسألونَه سنةً سنةً ويأبَى عليهم، حتّى سألوه شهراً واحداً بعدَ مَقدَمِهم، فأبَى عليهم أن يَدَعَها شيئاً مُسمًّى، وإنّما يريدون بذلك فيما يُظهِرون أن يَتَسلَّموا بتَركِها من سُفَهائهم ونسائهم وذَرَاريِّهم، ويَكرَهون أن يُروِّعوا قومَهم بهَدْمِها حتّى يَدخُلَهم الإسلامُ، فأَبَى رسولُ الله ﷺ إلّا أن يَبعَثَ أبا سفيانَ بن حَرْبٍ والمغيرةَ ابن شُعْبةَ فيَهدِماها، وقد كانوا سألوه مع تَرْكِ الطّاغية أن يُعفِيَهم من الصّلاة، وأن لا يَكسِروا أَوثانَهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «أمّا كَسْرُ أَوثانِكم بأيدِيكم، فسَنُعفِيكُم منه، وأمّا الصّلاةُ، فإنَّه لا خيرَ في دِينٍ لا صلاةَ فيه»، فقالوا: يا محمّدُ، فسَنُؤتِيكَها وإن كانت دَنَاءةً[1].

فلمّا أسلَمُوا وكَتَبَ لهم رسولُ الله ﷺ كتابَهم، أمَّرَ عليهم عثمانَ بن أبي العاصِ وكان من أحدَثِهم سِنّاً، وذلك أنّه كان أحرَصَهم على التّفقُّه في الإسلام وتَعلُّمِ القرآن، فقال أبو بكرٍ لرسول الله ﷺ: يا رسولَ الله، إنّي قد رأيتُ هذا الغلامَ منهم من أحرَصِهم على التّفقُّه في الإسلام وتَعلُّمِ القرآن.

---

(١) لم نقف على هذا الخبر مسنداً بهذا السِّياق.

وقد أخرج أحمد (١٧٩١٣)، وأبو داود (٣٠٢٦) ـ واللفظ له ـ من حديث حميد الطويل، عن الحسن البصري، عن عثمان بن أبي العاص الثقفي وهو أحد الوفدِ: أنّ وفد ثقيفٍ لما قَدِمُوا على رسول الله ﷺ أنزلهم المسجدَ، ليكون أرقَّ لقلوبهم، فاشتَرَطوا عليه أن لا يُحشَروا (أي: لا يُندَبوا للجهاد) ولا يُعشَروا (أي: لا يؤخذ منهم صدقات أموالهم) ولا يُجَبُّوا (أي: لا يُصلُّوا)، فقال رسول الله ﷺ: «لكم أن لا تُحشَروا ولا تُعشَروا، ولا خيرَ في دينٍ ليس فيه ركوعٌ». ورجاله ثقات إلا أنه منقطع بين الحسن وعثمان بن أبي العاص، فإنه لم يسمع منه.

لكن يشهد له حديث جابرٍ عند أبي داود (٣٠٢٥) من حديث وهب بن منبِّه قال: سألتُ جابراً عن شرط ثقيف إذ بايَعَت، قال: اشتَرَطَت على النبي ﷺ: أن لا صدقةَ عليها ولا جهادَ، وأنه سمع النبي ﷺ بعد ذلك يقول: «سيتصدَّقون ويجاهدون إذا أَسلموا». وإسناده صحيح.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عيسى بن عبد الله، عن[1] عَطيّةَ بن سفيانَ بن رَبِيعة الثَّقَفيِّ، عن بعض وَفدِهم قال: كان بلالٌ يأتينا حين أسلَمْنا وصُمْنا مع رسول الله ﷺ ما بَقِيَ من رمضانَ بفِطْرِنا وسَحُورِنا من عندِ رسول الله ﷺ، فيأتينا بالسَّحُورِ وإنّا لنقولُ: إنّا لنَرَى الفجرَ قد طَلَعَ، فيقول: قد تَرَكتُ رسولَ الله ﷺ يَتَسحَّرُ، لتأخيرِ السُّحورِ، ويأتينا بفِطْرِنا وإنّا لنقولُ: ما نَرَى الشّمسَ كلَّها ذَهَبَت بعدُ، فيقول: ما جئتُكم حتّى أَكلَ رسولُ الله ﷺ، ثمّ يَضَعُ يدَه في الجَفْنةِ فيَلتَقِمُ منها[2].

قال ابن هشام: بفَطُورِنا وسَحُورِنا.

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيدُ بن أبي هندٍ، عن مُطرِّفِ بن عبدالله بن الشِّخِّيرِ، عن عثمانَ بن أبي العاصِ قال: كان من آخرِ ما عَهِدَ إليَّ رسولُ الله ﷺ حين بَعَثَني على ثَقيفٍ أن قال: «يا عثمانُ، تَجاوَزْ في الصَّلاةِ، واقدُرِ النّاسَ بأضعَفِهم، فإنَّ فيهم الكبيرَ والصَّغيرَ والضَّعيفَ وذا الحاجَةِ»[3].

---

(١) تحرف في طبعة السقا وصاحبيه إلى: بن.

(٢) إسناده حسن. عيسى بن عبد الله: هو عيسى بن عبد الله بن مالك الدار مولى عمر.

وأخرجه مختصراً ابن ماجه (١٧٦٠) من طريق أحمد بن خالد الوَهْبي، عن ابن إسحاق، عن عيسى بن عبد الله، عن عطية بن سفيان قال: حدَّثَنا وفدُنا الذين قدموا على رسول الله ﷺ بإسلام ثقيفٍ، قال: وقَدِموا عليه في رمضان، فضرب عليهم قُبّةً في المسجد، فلما أسلموا صاموا ما بقيَ عليهم من الشهر. وانظر تمام تخريجه والكلام عليه في «سنن ابن ماجه» طبعة الرسالة العالمية.

(٣) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٦٢٧٣)، وابن ماجه (٩٨٧) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرج نحوه مسلم (٤٦٨) (١٨٦) من طريق موسى بن طلحة، عن عثمان بن أبي العاص الثقفي، أن النبي ﷺ قال له: «أُمَّ قومَك» قال: قلت: يا رسول الله، إني أجدُ في نفسي شيئاً، قال: «ادنُهْ». =

قال ابن إسحاق: فلمّا فَرَغُوا من أمرِهم وتَوَجَّهوا إلى بلادِهم راجعين، بَعَثَ رسولُ الله ﷺ معهم أبا سفيانَ بن حربٍ والمغيرةَ بن شُعْبة، في هَدْمِ الطّاغية، فخَرَجا مع القوم، حتّى إذا قَدِموا الطّائفَ أرادَ المغيرةُ بن شُعْبة أن يُقدِّمَ أبا سفيانَ، فأَبَى ذلك أبو سفيانَ عليه وقال: ادخُلْ أنت على قومك، وأقامَ أبو سفيانَ بمالِه بذي الهَدْم[1]، فلمّا دخل المغيرةُ بن شُعْبة عَلَاها يَضرِبُها بالمِعوَلِ، وقام قومُه دونَه؛ بنو مُعتِّبٍ، خَشْيةَ أن يُرمَى أو يُصابَ كما أُصيبَ عُرْوةُ، وخرج نساءُ ثَقيفٍ حُسَّراً[2] يَبكِينَ عليها ويَقُلنَ:

لَتُبكَيَنَّ دُفّاعْ أسلَمَها الرُّضّاعْ[3]

لم يُحسِنوا المِصَاعْ[4]

قال ابن هشام: لتُبكَيَنَّ، عن غير ابن إسحاق.

= فجلَّسني بين يديه ثم وضع كفَّه في صدري بين ثدييَّ، ثم قال: «تحوَّلْ» فوضعها في ظهري بين كتفيَّ، ثم قال: «أُمَّ قومَك، فمن أمَّ قوماً فليُخفِّف، فإن فيهم الكبير، وإن فيهم المريض، وإن فيهم الضعيف، وإن فيهم ذا الحاجة، وإذا صلَّى أحدُكم وحده فليصلِّ كيف شاء».

(١) في (ش١) و(ش٢) و(ف) و(ي): الهَرْم، بالراء، وهو كذلك عند البكريّ في «معجم ما استعجم» ٤/ ١٣٥٢ نقلاً عن ابن إسحاق، وذكره كذلك بالراء الحازميُّ في «الأماكن» ص٩١٩ نقلاً عن الواقديّ في «مغازيه» ٣/ ٩٧١.

قال عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٣٢٨: ولا يعرف اليوم بالطائف مكانٌ بأحد الاسمين.

(٢) حسراً: مكشوفات الرؤوس.

(٣) سمَّينها دُفّاع، لأنها كانت تدفع عنهم وتنفع وتضرّ على زعمهم. أسلَمَها الرُّضّاع، أي: تركوها ولم يحاموا عنها، والرُّضّاع هنا: اللِّئام.

(٤) المِصاع: المضاربة بالسيوف.

قال ابن إسحاق: ويقول أبو سفيانَ والمغيرةُ يَضرِبُها بالفأسِ: واهاً لكِ إهلاكَكِ[1]! فلمّا هَدَمَها المغيرةُ وأخذَ مالَها وحُلِيَّها، أرسَلَ إلى أبي سفيان وحُلِيُّها مجموعٌ وما لها من الذَّهب والجَزْع[2].

وقد كان أبو مُلَيح بن عُرْوةَ وقاربُ بن الأَسود قَدِما على رسول الله ﷺ قبلَ وفدِ ثقيفٍ، حين قُتِل عُرْوةُ، يريدانِ فِراقَ ثقيفٍ، وأن لا يُجامِعاهم على شيءٍ أبداً، فأسلَما، فقال لهما رسول الله ﷺ: «تَوَلَّيَا مَن شِئتُما» فقالا: نَتَولَّى اللهَ ورسولَه، فقال رسول الله ﷺ: «وخالَكُما أبا سفيانَ بن حَرْبٍ» فقالا: وخالَنا أبا سفيانَ[3].

فلمّا أسلمَ أهلُ الطّائفِ ووَجَّهَ رسولُ الله ﷺ أبا سفيانَ والمغيرةَ إلى هدمِ الطّاغية، سأل رسولَ الله ﷺ أبو مُلَيح بن عُرْوة أن يَقضِيَ عن أبيه عُرْوةَ دَيناً كان عليه من مال الطّاغية، فقال له رسول الله ﷺ: «نَعَم»، فقال له قاربُ بن الأسودِ: وعن الأسودِ يا رسولَ الله فاقْضِه، وعُرْوةُ والأسودُ أخوانِ لأبٍ وأمٍّ، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الأسوَدَ ماتَ مُشرِكاً»، فقال قاربٌ لرسول الله ﷺ: يا رسولَ الله، لكنْ تَصِلُ مُسلِماً ذا قَرابةٍ ـ يعني نفسَه ـ إنّما الدَّينُ عليَّ، وإنّما أنا الذي أُطلَبُ به، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ أبا سفيانَ

(١) واهاً لك: كلمة تقال في معنى التأسف والتحزن، أي: أتأسّف على إهلاكك. وقد رُسِمت في نسخنا الخطية هكذا: واهاً لك أهلاً لك، ولا معنى لها، والظاهر أنه خطأ تتابع عليه النُّسّاخ، والصواب في قراءته ما أثبتناه، وهكذا نقلها ابن كثير في «البداية والنهاية» ٧/ ٢١٤، ووقع في نسخة (غ) وحدها: واهاً لك واهاً لك، بتكرارها.

قلنا: وما ذكره ابن إسحاق من تأسّف أبي سفيان على هدم اللّات، لم يأثُرْه بإسناد، ولم نقف عليه عند غيره من أصحاب المغازي والسِّيَر، وهو غريب مُنكَر، ولا حُجّة فيه، والله تعالى أعلم.

(٢) الجَزْع: الخرز اليماني، وهو من الأحجار الكريمة.

(٣) لم يسنده ابن إسحاق، ولا الواقدي في «مغازيه» ٣/ ٩٦٢، فهو معضَلٌ ضعيف.

أن يَقضِيَ دينَ عُرْوةَ والأسودِ من مال الطّاغية، فلمّا جَمَعَ المغيرةُ مالَها قال لأبي سفيانَ: إنّ رسولَ الله ﷺ قد أمَرَك أن تَقضِيَ عن عُرْوةَ والأسودِ دَينَهما، فقَضَى عنهما[1].

وكان كتابُ رسول الله ﷺ الذي كَتَبَ لهم:

«بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ: من محمّدٍ النبيِّ رسولِ الله إلى المؤمنينَ: إنّ عِضَاهَ وَجٍّ[2] وصَيْدَه لا يُعضَدُ، مَن وُجِدَ يَفعَلُ من ذلكَ شيئاً فإنّه يُجلَدُ وتُنزَعُ ثِيابُه، فإن تَعَدَّى ذلك فإنّه يُؤخَذُ فيَبلُغُ به النبيَّ محمّداً. وإنَّ هذا أمرُ النبيِّ محمّدٍ رسولِ الله ﷺ».

وكَتَبَ خالدُ بن سعيدٍ بأمرِ الرَّسول محمّدِ بن عبدِ الله، فلا يَتَعَدَّه أَحدٌ فيَظلِمَ نفسَه فيما أمَرَ به محمّدٌ رسولُ الله ﷺ[3].

---

(١) هو كسابقه لم يسنده ابن إسحاق، ولا الواقدي في «مغازيه» ٣/ ٩٧١.

(٢) العِضَاه: كل شجر عظيم له شوكٌ، الواحدة: عِضَةٌ، وقيل: عِضاهةٌ. ووجٌّ: هو وادي الطائف الرئيس، وهو يقسمها إلى شطرين من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي.

(٣) الخبر في هذا الكتاب ضعيف، ولم يسنده ابنُ إسحاق ولا الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ٩٧٢.

وأسنده أبو عبيدٍ القاسم بن سلّام في «الأموال» (٥٢١) عن عثمان بن صالح السَّهمي، عن عبد الله بن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُروة بن الزُّبير مرسلاً. وهذا إسناد ضعيف ليس بحُجّة لسوء حفظ ابن لهيعة واختلاطه.

ففي هذا الخبر أن رسول الله ﷺ حرّم لثقيف وجّاً بعد إسلامهم، وقد روي ما يخالف هذا:

فقد أخرج أحمد (١٤١٦) وأبو داود (٢٠٣٢) من طريق محمد بن عبد الله بن إنسان الطائفي، عن أبيه، عن عروة بن الزبير، عن الزبير قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من لِيّةَ حتى إذا كنا عند السِّدرة وقف رسول الله ﷺ في طرف القرن الأسود حَذْوَها، فاستقبل نَخْباً ببصره، ووقف حتى اتَّقَفَ الناسُ كلهم، ثم قال: «إنّ صيد وجٍّ وعِضاهَه حرمٌ محرَّمٌ لله»، وذلك قبل نزوله الطائف =

= وحصاره لثقيف.

ففي هذا الحديث أن تحريمه وجّاً كان قبل حصاره للطائف، ولكن هذا إسناده ضعيف أيضاً، فمحمد بن عبد الله بن إنسان سُئل عنه أبو حاتم الرازي فقال: ليس بالقوي، وفي حديثه نظر، وذكره البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ١٤٠ وذكر له هذا الحديث، وقال: لم يُتابَع عليه، وذكر أباه ٥/ ٤٥ وأشار إلى هذا الحديث وقال: لم يصحَّ حديثه.

فالحاصل أنه لم يصحَّ خبرٌ في تحريم شيءٍ من الطائف كتحريم مكة أو المدينة.

قال ابن قُدامة المقدسيّ في «المغني» ٥/ ١٩٤: صيد وجٍّ وشجره مباحٌ، وهو وادٍ بالطائف، وقال أصحاب الشافعي: هو محرَّم، لأن النبي ﷺ قال: «صيد وجٍّ وعضاهها محرّم»، رواه أحمد في «المسند»، ولنا: أن الأصل الإباحة، والحديث ضعيف ضعّفه أحمد، ذكره أبو بكر الخلّال في كتاب «العلل».

وقال ابن القيّم في «زاد المعاد» ٣/ ٥٠٨ في هذه المسألة: اختلف الفقهاء في ذلك، والجمهور قالوا: ليس في البقاع حرمٌ إلا مكة والمدينة، وأبو حنيفة رحمه الله خالفهم في حرم المدينة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حَجُّ أبي بكرٍ بالناس سنة تسعٍ
واختصاصُ النبيِّ ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ رضوان الله عليه
بتأدية أول براءةَ عنه، وذكرُ براءةَ والقَصَصِ في تفسيرها

قال ابن إسحاق: ثمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بقيّةَ شهر رمضان وشوّالاً وذا القَعْدة، ثمّ بَعَثَ أبا بكرٍ أميراً على الحَجِّ من سنة تسعٍ ليُقيمَ للمسلمين حَجَّهم، والنّاسُ من أهلِ الشِّرك على مَنازِلِهم من حَجِّهم، فخرج أبو بكرٍ ومَن معه من المسلمين.

ونزلت بَراءةُ في نَقْضِ ما بينَ رسولِ الله ﷺ وبينَ المشركين من العهدِ الذي كانوا عليه فيما بينَه وبينَهم: أن لا يُصَدَّ عن البيت أحدٌ جاءَه ولا يُخَافَ أحدٌ في الشَّهر الحرام، وكان ذلك عهداً عامّاً بينَه وبينَ الناس من أهلِ الشِّرك، وكانت بين ذلك عُهودٌ بين رسول الله ﷺ وبين قبائلَ من العربِ خصائصَ إلى آجالٍ مُسمّاةٍ، فنزلت فيه وفيمن تَخلَّفَ من المنافقين عنه في تَبُوكَ وفي قول مَن قال منهم، فكَشَفَ اللهُ فيها سرائرَ أقوامٍ كانوا يَستَخفُون بغير ما يُظهِرون، منهم مَن سُمِّي لنا، ومنهم مَن لم يُسمَّ لنا، فقال: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ أي: لأهلِ العهدِ العامِّ من أهل الشّرك ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ أي: بعدَ هذه الحَجّة ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: العهدَ الخاصَّ إلى الأجَلِ المُسمَّى ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ يعني الأربعةَ التي ضَرَبَ لهم أجَلاً ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ

﴿وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: من هؤلاءِ الذين أمَرْتُك بقتلِهم ﴿ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾.

ثمّ قال: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الّذين كانوا هم وأنتم على العهدِ العامِّ أن لا يُخِيفُوكم ولا يُخِيفُوهم في الحُرْمةِ ولا في الشّهرِ الحرامِ ﴿عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وهي قبائلُ بني بكرٍ الذين كانوا دَخَلوا في عَقْدِ قُريشٍ وعهدِهم يومَ الحُدَيبيَة، إلى المُدّة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قُريشٍ، فلم يكن نَقَضَها إلّا هذا الحيُّ من قُريشٍ وبنو الدِّيلِ من بني بكرٍ الذين كانوا دَخَلوا في عَقْدِ قُريشٍ وعهدِهم، فأُمِرَ بإتمامِ العهدِ لمن لم يكن نَقَضَ من بني بكرٍ إلى مُدّتِه ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾.

ثمّ قال: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾ أي: المشركون[1] الذين لا عهدَ لهم إلى مُدّةٍ من أهلِ الشّركِ العامِّ ﴿لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾.

قال ابن هشام: الإلُّ: الحِلْف، قال أوسُ بن حَجَرٍ أحدُ بني أُسيِّد بن عمرو بن تَميمٍ[2]:

لولا بنو مالكٍ والإلُّ مَرقَبةٌ ... ومالكٌ فيهمِ الآلاءُ والشَّرَفُ[3]

---

(١) هكذا في نسخة (غ) مرفوعاً على أنه بيان لضمير الفاعل في: يَظهَروا، وفي سائر النسخ: المشركين، بالنصب، وهو خطأ.

(٢) انظر «ديوان أوس» ص٧٥.

(٣) الآلاء: النِّعَم.

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له.

وجمعُه: آلَالٌ، قال الشّاعر[1]:

فـــلا إلٌّ مـــن الآلالِ بينـــي وبيـــنكمُ فـــلا تـــألُنَّ جُهْـــدا[2]

والذِّمّةُ: العهدُ، قال الأجدَعُ بن مالكٍ الهَمْداني، وهو أبو مسروقِ بنِ الأَجدَعِ الفقيهِ:

وكـان علينـا ذِمّـةٌ أن تُجـاوِزوا من الأرضِ معروفاً إلينا ومُنكَـرا

وهذا البيتُ في ثلاثة أبياتٍ له، وجمعُها: ذِمَمٌ.

﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ أي: قد اعتَدَوْا عليكم ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

قال ابن إسحاق: وحدّثني حَكِيم بن حَكِيم بن عبّاد بن حُنَيفٍ، عن أبي جعفرٍ محمّدِ بن عليٍّ رضوان الله عليه أنه قال: لمّا نَزَلَت براءةٌ على رسول الله ﷺ، وقد كان بَعَثَ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ ليُقيمَ للناس الحَجَّ، قيلَ له: يا رسولَ الله، لو بَعَثتَ بها إلى أبي بكرٍ! فقال: «لا يُؤَدِّي عنِّي إلَّا رجلٌ من أهلِ بَيْتي»، ثمّ دعا عليَّ بن أبي طالبٍ فقال له: «اخرُجْ بهذه القِصَّةِ من صَدْرِ بَراءةَ، وأذِّنْ في النّاسِ يومَ النَّحْرِ إذا اجتَمَعُوا بمِنًى: أنَّه لا يَدخُلُ الجَنّةَ كافرٌ، ولا يَحُجُّ بعدَ العامِ مُشرِكٌ، ولا يَطُوفُ بالبيتِ عُرْيانٌ، ومَن كانَ له عندَ رسولِ الله ﷺ عَهدٌ فهو له إلى مُدَّتِه»، فخرج عليُّ بن أبي طالبٍ رِضوانُ

(١) لم نتبيَّن هذا القائل ولم نقف على هذا البيت ولا بيت الأجدع الآتي عند غير ابن هشام.

(٢) فلا تألُنَّ جهداً، أي: لا تقصِّروا، يقال: ما أَلَوتُ، أي: ما قصَّرتُ.

الله عليه على ناقةِ رسول الله ﷺ العَضْباءِ حتّى أَدرَكَ أبا بكرٍ بالطّريق، فلمّا رآه أبو بكرٍ الصِّدّيقُ قال: أأميرٌ أم مأمورٌ؟ فقال: بل مأمورٌ، ثمّ مَضَيَا[1].

فأقامَ أبو بكرٍ للنّاسِ الحَجَّ والعربُ إذ ذاكَ في تلك السَّنةِ على مَنازِلِهم من الحَجِّ التي كانوا عليها في الجاهليّة، حتّى إذا كان يومُ النَّحر، قامَ عليٌّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه فأذَّنَ في الناس بالّذي أمَرَه به رسولُ الله ﷺ فقال: أيُّها الناسُ، إنّه لا يَدخُلُ الجَنّةَ كافرٌ، ولا يَحُجُّ بعدَ العامِ مشركٌ، ولا يَطُوفُ بالبيتِ عُرْيانٌ، ومَن كان له عندَ رسولِ الله ﷺ عهدٌ فهو له إلى مُدَّتِه.

وأجَّلَ الناسَ أربعةَ أشهرٍ من يوم أَذَّنَ فيهم، ليَرجِعَ كلُّ قومٍ إلى مَأمَنِهم أو بلادِهم ثمّ لا عهدَ لمشركٍ ولا ذِمّةَ، إلّا أحدٌ كان له عند رسول الله ﷺ عهدٌ إلى مُدّةٍ فهو له إلى مُدّته، فلم يَحُجَّ بعدَ ذلك العام مشركٌ، ولم يَطُفْ بالبيت عُرْيانٌ.

ثمّ قَدِمَا على رسول الله ﷺ.

---

(١) حديث صحيح لغيره، وإسناده هنا مرسل، فأبو جعفر هذا هو المعروف بالباقر، وهو من صغار التابعين.

وقد روي نحو هذا الحديث أو معناه عن غير واحد من الصحابة:

فروي من حديث علي بن أبي طالب نفسه عند أحمد (٥٩٤) و(١٢٩٧)، والترمذي (٨٧١) و(٣٠٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (٨٤٠٧) و(١١١٥٠)، والحاكم (٤٤٢٤) و(٧٥٤١).

ومن حديث أبي هريرة عند أحمد (٧٩٧٧)، والبخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧)، والنسائي في «المجتبى» (٢٩٥٨) وفي «الكبرى» (٣٩٣٥) و(٣٩٣٦)، وابن حبان (٣٨٢٠)، والحاكم (٣٣١٤) و(٧٥٤٢).

ومن حديث ابن عباس عند الترمذي (٣٠٩١)، والحاكم (٤٤٢٣).

ومن حديث جابر عند ابن حبان (٦٦٤٥).

وأسانيد هذه الأحاديث ما بين صحيح وحسن.

قال ابن إسحاق: فكان هذا من بَراءةَ فيمن كان من أهلِ الشّركِ من أهلِ العهدِ العامِّ وأهلِ المُدّة إلى الأجَلِ المُسمَّى.

قال ابن إسحاق: ثمّ أمَرَ اللهُ رسولَه ﷺ بجهادِ أهل الشِّرك ممّن نَقَضَ من أهلِ العهدِ الخاصِّ، ومَن كان من أهلِ العهدِ العامِّ بعدَ الأربعةِ الأشهُرِ التي ضَرَبَ لهم أجَلاً، إلّا أن يَعدُوَ فيها عادٍ منهم فيُقتَلَ بعَدَائِه، فقال: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ أي: من بعدِ ذلك ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

قال ابن هشام: وَلِيجة: دَخِيلٌ[1]، وجمعُها: ولائجُ، وهو من وَلَجَ يَلِجُ، أي: دَخَلَ يَدخُلُ، وفي كتاب الله: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ﴾ [الأعراف:٤٠] أي: يدخُلُ، يقول: لم يَتَّخِذوا دَخِيلاً من دونِه يُسِرُّون إليه غيرَ ما يُظهِرون نحوَ ما يَصنَعُ المنافقون؛ يُظهِرون الإيمانَ للّذين آمنوا، وإذا خَلَوا إلى شياطينهم قالوا: إنّا معكم.

قال الشّاعر:

واعلمْ بأنّك قد جُعِلتَ وَلِيجةً ... ساقُوا إليك الحَتْفَ غيرَ مَشُوبِ[2]

---

(١) في بعض النسخ: دخيلاً.

(٢) الحتف: الهلاك. وغير مَشُوب، أي: غير مخلوط.

وهذا البيت لم نقف عليه عند غير ابن هشام.

قال ابن إسحاق: ثمّ ذَكَرَ قولَ قُريشٍ: إنّا أهلُ الحَرَم، وسُقاةُ الحاجِّ، وعُمّارُ هذا البيت، فلا أحدَ أفضلُ منّا، فقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي: إنّ عِمارتَكم ليست على ذلك، وإنّما يَعمُرُ مساجدَ الله، أي: مَن عَمَرَها بحَقِّها ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: فأُولئك عُمّارُها ﴿فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾، وعَسَى من الله حَقٌّ.

ثمّ قال: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١٩].

ثمّ القصّةَ عن عدوِّهم، حتّى انتهَى إلى ذِكْر حُنَينٍ وما كان فيه، وتولِّيهم عن عدوِّهم وما أنزَلَ الله من نصرِه بعدَ تخاذُلِهم.

ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ وذلك أنّ الناسَ قالوا: لتَنقطِعنَّ عنّا الأسواقُ فلتَهلِكَنَّ التّجارةُ ولَيَذهبَنَّ ما كنّا نصيب فيها من المَرافق، فقال الله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي: من وجهٍ غيرِ ذلك ﴿إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: ففي هذا عِوَضٌ ممّا تخوَّفتُم من قَطْعِ الأسواق، فعَوَّضَهم الله بما قَطَعَ عنهم بأمر الشِّرك ما أعطاهم من أعناقِ أهلِ الكتاب من الجِزْية[1].

---

(١) ذهب بعض أهل التفسير من المتأخرين إلى أن الآية (٢٩) التي أولها: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ استئنافٌ ابتدائيٌّ لا تتفرّع على التي قبلها، وأن الكلام انتقالٌ من غرض نَبْذ العهد مع المشركين وأحوال المعاملة بينهم وبين المسلمين، إلى غرض =

ثمّ ذَكَرَ أهلَ الكتابَينِ بما فيهم من الشّرِّ والفِرْيةِ عليه حتّى انتهَى إلى قوله: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾.

ثمّ ذَكَرَ النَّسِيءَ وما كانت العربُ أحدَثَت فيه، والنّسيءُ ما كان يُحَلُّ ممّا حَرَّمَ اللهُ من الشّهور، ويُحرَّمُ ممّا أحَلَّ اللهُ منها[1]، فقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا تَجعَلوا حرامَها حلالاً، ولا حلالَها حراماً، أي: كما فَعَلَ أهلُ الشِّرك، فـ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ الذي كانوا يَصنَعون ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

ثمّ ذَكَرَ تَبُوكَ وما كان فيها من تَثاقُلِ المسلمين عنها، وما أعظَمُوا من غزو الرُّوم حين دعاهم رسولُ الله ﷺ إلى جهادِهم، ونِفاقِ مَن نافَقَ من المنافقين حين دُعُوا إلى ما دُعُوا إليه من الجهاد، ثمّ ما نَعَى[2] عليهم من أحداثِهم في الإسلام، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾،

= المعاملة بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى. انظر تفسير «التحرير والتنوير» لمحمد الطاهر بن عاشور ١٠/ ١٦٢.

(١) والنُّسْأة: التأخير، والنَّسيء المذكور: هو تأخير بعض الشهور الحُرُم الأربعة وإحلال بعض الشهور الأخرى مكانها.

(٢) نعى عليهم، أي: عابَهم وعَتَبَ عليهم.

ثمّ القِصّةَ إلى قوله: ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة:٣٨-٤٠].

ثمّ قال لنبيِّه ﷺ يذكرُ أهلَ النِّفاق: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أي: إنّهم يستطيعون ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧].

قال ابن هشام: أَوضَعُوا خِلالَكم: سارُوا بين أضعافِكم، والإيضاعُ: ضربٌ من السَّيرِ أسرعُ من المشي، قال الأجدَعُ بن مالكٍ الهَمْداني:

يَصطادُكَ الوَحَدَ المُدِلَّ بشَأْوِهِ ... بشَرِيجِ بين الشَّدِّ والإيضاعِ[1]

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له[2].

قال ابن إسحاق: فكان الذين استأذَنُوه من ذَوِي الشَّرَفِ - فيما بَلَغَني - منهم عبدُ الله بن أُبيّ ابنِ سَلُولَ والجَدُّ بن قيسٍ، وكانوا أشرافاً في قومهم، فثبَّطَهم الله[3]

---

(١) يصطادك، أي: يصطاد بك، يريد فرساً ممدوحاً. والوَحَدُ: الفَرْد من البقر الوحشيّ خاصّة. والمُدِلّ هنا: الواثق. وشأوُه: سَبْقه. والشَّريج: الخَليط، يخلط بين شدِّه وإيضاعه. والشدُّ هنا: الجَرْي.

(٢) انظر القصيدة بتمامها في كتاب «الاختيارين» للأخفش الأصغر ص٤٦٦، وهذا البيت هو العاشر فيها.

(٣) أي: عوَّقهم وشَغَلهم عن الخروج.

لعِلمِه بهم أن يخرجوا معه فيُفسِدوا عليه جُندَه، وكان في جُندِه قومٌ أهلُ مَحبّةٍ لهم وطاعةٍ فيما يَدعُونَهم إليه، لشَرَفِهم فيهم، فقال: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قَبلِ أن يَستأذِنوك ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ أي: ليُخذِّلوا عنك أصحابَك ويَرُدُّوا عليك أمرَك ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾، وكان الّذي قال ذلك ـ فيما سُمّيَ لنا ـ الجَدُّ بن قيسٍ أخو بني سَلِمةَ، حين دعاه رسولُ الله ﷺ إلى جهادِ الرُّوم.

ثمّ كانت القِصّةُ إلى قوله: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ أي: إنّما نِيّتُهم ورِضاهم وسَخَطُهم لدُنياهم.

ثمّ بَيَّنَ الصَّدَقاتِ لمن هي وسَمَّى أهلَها، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

ثمّ ذَكَرَ غِشَّهم وأَذاهم النبيَّ ﷺ، فقال: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾، فكان الّذي يقول تلك المَقالةَ ـ فيما بَلَغَني ـ نَبتَلُ بن الحارثِ أخو بني عمرو بن عوفٍ، وفيه نَزَلَت هذه الآيةُ، وذلك أنّه كان يقول: إنّما محمّدٌ أُذُنٌ، مَن حدَّثه شيئاً صَدَّقَه، يقول الله: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي: يَسمَعُ الخيرَ ويُصدِّقُ به.

ثمّ قال: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ ثمّ قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾[1] [التوبة:٦٦]، وكان الّذي قال هذه المَقالةَ وَدِيعةُ بن ثابتٍ أخو بني أُميّة بن زيدٍ من بني عمرو بن عَوفٍ، وكان الّذي عُفِيَ عنه ـ فيما بَلَغَني ـ مُخشِّنُ بن حُميِّرٍ الأشجَعيُّ حليفُ بني سَلِمة، وذلك أنه أنكَرَ منهم بعضَ ما سَمِع.

ثمّ القِصّةَ من صِفَتِهم حتّى انتهى إلى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ وكان الّذي قال تلك المَقالةَ الجُلَاسُ بن سُوَيد بن صامتٍ، فرَفَعَها عليه رجلٌ كان في حِجْرِه يقال له: عُمَيرُ بن سعدٍ، فأنكَرَها وحَلَفَ بالله ما قالها، فلمّا نَزَلَ فيهم القرآنُ تابَ ونَزَعَ وحَسُنَت توبتُه[2] فيما بَلَغَني.

ثمّ قال: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾، وكان الّذي عاهَدَ اللهَ منهم ثَعلَبةُ بن حاطبٍ ومُعتِّبُ بن قُشَيرٍ، وهما من بني عمرو بن عَوفٍ[3].

ثمّ قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ[4] ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ

---

(١) هكذا رُسِمت هذه الآية في نسخنا الخطية، وهي قراءة العشرة غير عاصمٍ فقرأ: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾. انظر «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري ٢/ ٢٨٠.

(٢) في (غ): وحسنت حاله.

(٣) انظر تعليقنا المتقدم على قصة ثعلبة بن حاطب في منع الصدقة ٢/ ١٨١.

(٤) اللَّمْز: العيب، وأصله: الإشارة بالعين ونحوها.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ[1] فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾، وكان المُطَّوِّعون[2] في الصَّدَقاتِ عبدَ الرَّحمن بن عَوفٍ وعاصمَ بن عَدِيٍّ أخا بني العَجْلان، وذلك أنّ رسولَ الله ﷺ رَغَّبَ في الصَّدَقة وحَضَّ عليها، فقام عبدُ الرَّحمن ابن عوفٍ فتَصدَّقَ بأربعة آلافِ دِرهَمٍ، وقام عاصمُ بن عَديٍّ فتَصدَّقَ بمئةِ وَسْقٍ[3] من تمرٍ، فلَمَزُوهما وقالوا: ما هذا إلّا الرِّياءُ[4]، وكان الذي تَصدَّقَ بجُهدِه أبو عَقِيلٍ أخو بني أُنَيفٍ، أَتى بصاعٍ من تمرٍ فأفرَغَها في الصَّدقة، فتَضاحَكُوا به وقالوا: إنّ الله لَغَنيٌّ عن صاع أبي عَقِيل[5].

ثمّ ذَكَرَ قولَ بعضِهم لبعضٍ حين أمَرَ رسولُ الله ﷺ بالجهاد، وأمَرَ بالسَّيرِ إلى

---

(١) أي: بقدر طاقتهم ووُسْعهم.

(٢) زِيدَ هنا على حواشي (ط) و(ف) و(ق٢): من المؤمنين.

(٣) الوَسْق يعادل ستين صاعاً، وهو ما يزن ١٣٠ كغم تقريباً.

(٤) في (ش١) و(ش٢): إلا رياء.

(٥) أخرج البخاري (٤٦٦٨) ومسلم (١٠١٨) من حديث أبي مسعود الأنصاري قال: لمّا أُمرنا بالصدقة كنا نُحامِل (أي: نحمل على ظهورنا بالأُجرة لنكتسبَ ما نتصدّق به) فجاء أبو عَقِيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثرَ منه، فقال المنافقون: إن الله لغنيٌّ عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياءً، فنزلت ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ الآية.

ووقع في حديث كعب بن مالك في قصة توبته عند مسلم (٢٧٦٩): أن رسول الله ﷺ وهو بتبوك رأى رجلاً مبيِّضاً يزول به السَّرابُ فقال: «كن أبا خَيثَمة»، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدَّق بصاع التمر حين لَمَزَه المنافقون.

ووقع في أخبارٍ أخرى تسميةُ غيرهما ممن تصدق بهذا القدر أو نحوه، ممّا يدلُّ على تعدُّد من تصدَّق بهذا ولَمْز المنافقين لهم، وانظر بيان ذلك في «الفتح» لابن حجر ١٣/ ٣٥٢-٣٥٤.

تَبُوك، على شِدَّة الحَرِّ وجَدْبِ البلاد، فقال: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾ [التوبة:٨٥].

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريُّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة، عن ابن عبّاسٍ قال: سمعتُ عمرَ بن الخَطّاب يقول: لمّا تُوفّيَ عبدُ الله بن أُبيٍّ دُعِيَ رسولُ الله ﷺ للصّلاة عليه، فقامَ إليه، فلمّا وَقَفَ عليه يريد الصّلاةَ، تَحوَّلتُ حتّى قُمْتُ في صَدْرِه فقلت: يا رسولَ الله، أتُصلِّي على عدوِّ الله عبدِ الله بن أُبيٍّ القائلِ كذا يومَ كذا، والقائلِ كذا يومَ كذا؟! أُعدِّدُ أيّامَه، ورسولُ الله ﷺ يَتبسَّمُ، حتّى إذا أكثرتُ قال: «يا عمرُ، أَخِّرْ عنّي، إنّي قد خُيِّرتُ فاختَرتُ، قد قِيلَ لي: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة:٨٠]، فلو أعلَمُ أنّي إنْ زِدتُ على السَّبعِينَ غُفِرَ له لَزِدتُ»، قال: ثمّ صَلَّى عليه رسولُ الله ﷺ ومَشَى معه حتّى قامَ على قبرِه حتّى فُرِغَ منه.

قال: فعَجِبتُ لي وجُرأتي[1] على رسول الله ﷺ، واللهُ ورسولُه أعلمُ، فوالله ما كان إلّا يسيراً حتّى نَزَلَت هاتانِ الآيتانِ ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة:٨٤]، فما صَلَّى رسولُ الله ﷺ بعدَه على منافقٍ حتّى قَبَضَه الله[2].

---

(١) في (غ): ولجرأتي، وفي بعض النسخ: من جرأتي.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٩٥)، والترمذي (٣٠٩٧)، وابن حبان (٣١٧٦) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وأخرجه البخاري (١٣٦٦) و(٤٦٧١)، والنسائي في «المجتبى» (١٩٦٦) وفي «الكبرى» =

قال ابن إسحاق: ثمّ قال: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ [التوبة:٨٦]، وكان ابنُ أُبيٍّ من أُولئك، فنَعَى اللهُ[1] ذلك عليه وذَكَرَه منه، ثمّ قال: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إلى آخر القِصّة [التوبة:٨٨-٩٠]. وكان المُعذِّرون - فيما بَلَغَني - نَفَراً من بني غِفارٍ، منهم خُفَافُ بن إيماءَ بن رَحَضةَ.

ثمّ كانت القِصّةُ لأهلِ العُذْر حتّى انتهى إلى قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ وهم البكّاؤُون.

ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾، والخَوالفُ: النّساء.

ثمّ ذكرَ حَلِفَهم للمسلمين واعتِذارَهم فقال: ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

ثمّ ذَكَرَ الأعرابَ ومَن نافَقَ منهم وتَربُّصَهم برسولِ الله ﷺ وبالمؤمنين، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ أي: من صَدَقةٍ أو نَفَقةٍ في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾.

= (٢١٠٤) من طريق عُقيل بن خالد، عن الزهري، به.

وفي الباب نحوه من حديث نافع عن ابن عمر فيما أخرجه أحمد (٤٦٨٠)، والبخاري (١٢٦٩) و(٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠).

(١) أي: عابَه.

ثمّ ذَكَرَ الأعرابَ أهلَ الإخلاصِ والإيمانِ منهم، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾.

ثمّ ذَكَرَ السّابِقِينَ الأوَّلينَ من المهاجرين والأنصار، وفَضْلَهم وما وَعَدَهم الله من حُسْنِ ثوابِه إيّاهم، ثمّ أَلحَقَ بهم التّابعين لهم بإحسانٍ، فقال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾.

ثمّ قال: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ أي: لَجُّوا فيه[1] وأبَوْا غيرَه ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾، والعذابُ الّذي أَوعَدَهم اللهُ مرّتين ـ فيما بلغني ـ غَمُّهم بما هم فيه من أمرِ الإسلام وما يَدخُلُ عليهم من غَيْظِ ذلك على غير حِسْبةٍ، ثمّ عذابُهم في القبور إذا صاروا إليها، ثمّ العذابُ العظيمُ الّذي يُرَدُّون إليه، عذابُ النّار والخُلْدُ فيه. ثمّ قال: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾.

ثمّ قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ إلى آخر القِصّة.

ثمّ قال: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾، وهم الثّلاثةُ الّذين خُلِّفوا وأَرجَأَ رسولُ الله ﷺ أمرَهم حتّى أَتَتْ من الله توبتُهم.

ثمّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ إلى آخر القِصّة.

ثمّ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١].

ثمّ كان قِصّةُ الخَبَر عن تَبُوكَ وما كان فيها إلى آخر السُّورة.

---

(١) أي: تمادَوْا واستمرُّوا فيه.

وكانت بَراءةُ تُسمَّى في زمانِ النبيّ ﷺ وبعدَه المُبَعثِرةَ، لِمَا كَشَفَت من سرائرِ النّاس.

وكانت تَبُوكُ آخرَ غزوةٍ غَزَاها رسولُ الله ﷺ.

شعرُ حسّان الذي عدَّد فيه المغازي

وقال حسّانُ بن ثابتٍ يُعدِّدُ أيّامَ الأنصار مع رسول الله ﷺ ويذكرُ مَواطِنَهم معه في أيّام غَزْوِه[1]:

قال ابن هشام: وتُروَى لابنِه عبدِ الرَّحمن بن حسّانَ:

ألَسْتُ خيرَ مَعَدٍّ كلِّها نَفَراً ... ومَعشَراً إن همُ عُمُّوا وإن حُصِلُوا[2]

قومٌ همُ شَهِدوا بدراً بأجمَعِهِمْ ... معَ الرّسولِ فما ألَّوْا وما خَذَلُوا[3]

وبايَعُوهُ فلم يَنكُثْ به أَحَدٌ ... منهمْ ولم يَكُ في إيمانِهم دَخَلُ[4]

ويومَ صَبَّحَهمْ في الشِّعبِ من أُحُدٍ ... ضربٌ رَصِينٌ كحَرِّ النارِ مُشتعِلُ[5]

ويومَ ذي قَرَدٍ يومَ استَثارَ بهمْ ... على الجِيَادِ فما خامُوا ولا نَكَلُوا[6]

---

(١) انظر «ديوان حسان» ١/ ٥٠٢.

(٢) إن هم عُمُّوا وإن حُصِلوا، أي: جُمِعوا كلُّهم، قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٢٨: وأراد: حُصِّلوا، بالتشديد، فخفَّف، ومن قال: عَمُّوا وإن حَصَلوا، بالفتح، فقد نسب الفعلَ إليهم، يريد: وإن عَمُّوا أنفسَهم وحصَّلوها.

قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٧/ ٣٨٠: حسّان ليس من مَعَدٍّ، ولكن أراد: ألستُ خيرَ الناس، فأقام مَعدّاً لكثرتها مقامَ الناس.

(٣) ما ألَّوا، أي: ما قصَّروا وما أبطؤوا، وفي بعض النسخ: ما آلَوْا، بالمدّ، وهو بمعنى الأول، والتشديد للمبالغة.

وما خَذَلوا، أي: ما تركوا.

(٤) يَنكُث: ينقض. والدَّخَل: الفساد.

(٥) رَصِين، أي: ثابت مُحكَم.

(٦) خامُوا، أي: رجعوا، ونَكَلوا أيضاً: رجعوا، ولا يكونان إلا رجوعَ هيبةٍ وفزع.

وذا العُشـيرةِ جاسُـوها بخـيلِهمِ ... مـعَ الرّسولِ عليها البَيضُ والأَسَلُ[1]

ويـومَ وَدّانَ أَجْلَـوْا أهلَـه رَقَصـاً ... بالخيلِ حتّى نَهانا الحَزْنُ والجَبَلُ[2]

وليلـةً طَلَبـوا فيهـا عـدوَّهمُ ... للهِ واللهُ يَجـزِيهمْ بمـا عَمِلـوا

وغـزوةً يـومَ نَجـدٍ ثَـمَّ كـان لهـمْ ... مـع الرّسـولِ بها الأسلابُ والنَّفَلُ

وليلـةً بحُنَـينٍ جالَـدُوا معَـهُ ... فيهـا يَعُلُّهـمُ بـالحربِ إذ نَهِلُـوا[3]

وغـزوةَ القـاعِ فَرَّقْنـا العـدوَّ بـهِ ... كمـا تَفـرَّقَ دون المَشـرَبِ الرَّسَـلُ[4]

ويـومَ بُويـعَ كـانوا أهـلَ بَيعتِـهِ ... علـى الجِـلَادِ فآسَـوْه ومـا عَـدَلُوا[5]

وغـزوةَ الفـتحِ كـانوا في سَـرِيَّتِهِ ... مُـرابِطينَ فمـا طاشُـوا ومـا عَجِلُـوا

ويـومَ خَيبَـرَ كـانوا في كَتيبتِـهِ ... يَمشُـونَ كلُّهـمُ مُستَبسِـلٌ بَطَـلُ[6]

بـالبِيضِ تَـرعَشُ في الأيمـانِ عاريـةً ... تَعـوَجُّ في الضّـربِ أحيانـاً وتَعتَـدِلُ[7]

ويـومَ سـارَ رسـولُ اللهِ مُحتسِـباً ... إلـى تبـوكَ وهـمْ راياتُـه الأُوَلُ

---

(١) جاسُوها: وَطِئوها، ويروى: داسوها. والبَيض: جمع بَيضةٍ، وهي الخُوذة فوق الرأس، والأَسَل: الرماح.

(٢) الرَّقَص: ضرب من المشي، وهو الخَبَب، نوع من المشي السريع. والحَزْن: ما ارتفع من الأرض.

ومعنى نهانا: أوقَفَنا.

(٣) يعلُّهم، أي: يكرِّرها عليهم، من العَلَل: وهو الشرب الثاني. والنَّهَل: الشرب الأول.

(٤) الرَّسَل: الإبل.

(٥) الجِلاد: المضاربة بالسيوف. والمواساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق. وما عَدَلوا، أي: ما تركوه وما انصرفوا عنه.

(٦) مستبسِل: موطِّن نفسه على الموت.

(٧) البِيض: هي السيوف.

وساسةُ الحربِ إنْ حربٌ بَدَتْ لهمُ ... حتَّى بَدَا لهمُ الإقبالُ والقَفَلُ[1]

أُولئك القومُ أنصارُ النبيِّ وهمْ ... قومي أَصيرُ إليهمْ حينَ أتّصِلُ[2]

ماتوا كِراماً ولم تُنكَثْ عُهودُهمُ ... وقُتلُهمْ في سبيلِ الله إذ قُتِلوا

قال ابن هشام: عَجُزُ آخرِها بيتاً عن غير ابن إسحاق.

وقال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً[3]:

كُنّا ملوكَ النّاسِ قبلَ محمّدٍ ... فلمّا أَتى الإسلامُ كان لنا الفضلُ

وأكرَمَنا الله الّذي ليس غيرَهُ ... إلٰهٌ بأيّامٍ مَضَت ما لها شَكْلُ[4]

بنصرِ الإلٰهِ والرّسولِ ودينِهِ ... وألبَسَناهُ اسماً مضى ما له مِثلُ[5]

أُولئكَ قَوْمي خيرُ قومٍ بأَسرِهِم ... فما عُدَّ من خيرٍ فقَوْمي له أهلُ

يَرُبُّون بالمعروفِ معروفَ مَن مضى ... وليس عليهم دونَ معروفِهِمْ قُفْلُ[6]

إذا اختُبِطوا لم يُفحِشوا في نَدِيِّهِمْ ... وليس على سُوّالِهم عندهمْ بُخلُ[7]

وإن حارَبوا أو سالَموا لم يُشبَّهوا ... فحربُهمْ حَتْفٌ وسِلمُهمْ سَهلُ[8]

---

(١) القَفَل: الرجوع.

(٢) حين أتّصل، أي: حين أنتسب.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ٣١٧.

(٤) الشّكل، بفتح الشين وكسرها، وقُيّدت في نسخنا الخطية هكذا وهكذا: المِثْل.

(٥) يريد أنه سمّاهم الأنصار.

(٦) يربُّون، أي: يصلحون ويُنمُّون بمعروفهم معروفَ أسلافهم.

(٧) اختُبطوا، أي: قُصدوا في مجلسهم، والمُختبِط: الطالب للمعروف، ويروى: اختَطَبوا، من الخُطبة. ونديُّهم: مجلسهم.

(٨) لم يُشبَّهوا، أي: لم يشبههم أحدٌ. والحَتْف: الهلاك.

وجـــارُهم مُـــوفٍ بعَلْيـــاءَ بَيتُـــهُ ... لـه مـا ثَـوَى فينـا الكَرَامـةُ والبَـذْلُ[1]

وحـــامِلُهم مُـــوفٍ بكـــلِّ حَمَالـــةٍ ... تَحَمَّـــلَ لا غُـــرْمٌ عليهـــا ولا خَـــذْلُ[2]

وقـــائلُهم بـــالحقِّ إن قـــال قائـــلٌ ... وحِلمُهـــمُ عَـــوْدٌ وحُكمُهـــمُ عَـــدْلُ[3]

ومنّـــا أَمـــينُ[4] المســـلمينَ حياتَـــه ... ومَـــن غَسَّـــلَته مـــن جَنابَتِـــه الرُّسْـــلُ

قال ابن هشام: قولُه: وألبَسَناهُ اسماً، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً[5]:

قَـــوْمي أُولئـــك إن تَســـألي ... كِـــرامٌ إذا الضّـــيفُ يومـــاً أَلَـــمّ[6]

عِظـــامُ القُـــدورِ لأَيســـارِهِمْ ... يَكُبُّـــون فيهـــا المُسِـــنَّ السَّـــنِمْ[7]

يُواسُـــونَ جـــارَهمُ في الغِنَـــى ... ويَحمُـــون مَـــولاهمُ إن ظُلِـــمْ

---

(١) مُوفٍ هنا: مُشرِف في مكان عَلِيٍّ عندهم، والعلياء: هو الموضع المرتفع.

وثَوَى: أقام. والبَذْل: العطاء والجود عليه بالخير.

(٢) مُوفٍ هنا: مؤدٍّ غير متخلِّف عن أداء ما تحمّله، والحَمَالة: ما يتحمّله الإنسان من غُرم في دِيَة أو غيرها.

(٣) عَوْد: قديم متكرِّر.

(٤) في نسخة على حاشية (م): أمير، بالراء. ويعني بأمين المسلمين: سعد بن معاذ، وبمن غسّلته الرُّسل: حنظلة بن أبي عامر، الذي غسّلته الملائكة حين استُشهِد يوم أُحد، والرُّسل هنا: الملائكة.

(٥) انظر «ديوانه» ١/ ٥٧.

(٦) ألمَّ: نزل.

(٧) الأيسار: الذين يجتمعون على الجَزُور في المَيسِر، أي: القِمار، واحده: يَسَرٌ. والمُسِنّ: البعير الكبير.

والسَّنِم: العظيم السَّنام.

فكـــانوا ملوكـــاً بأرضـــيهِمِ يُبـادُونَ[1] غُضْـباً بـأمرٍ غُشُـمْ
ملوكـاً علـى النـاسِ لـم يُملَكـوا مـن الـدّهرِ يومـاً كحِـلِّ القَسَـمْ[2]
فـــأنْبَوْا بعـــادٍ وأشـــياعِها ثمـــودَ وبعـــضِ بَقايـــا إرَمْ[3]
بيَثـرِبَ قـد شَـيَّدوا في النَّخيـل حُصـوناً ودُجِّـنَ فيهـا الـنَّعَمْ[4]
نَواضِـحَ قـد عَلَّمَتهـا اليهـو دُ: عَـلَّ إليـكَ وقـولاً هَلُـمّْ[5]
وفيمـا اشتَهَوا مـن عَصيرِ القِطـا فِ والعَيشِ رَخْواً على غيرِ هَمّْ[6]
فسِـرْنا إلـيهِمْ بأثقالِنـا علـى كـلِّ فَحـلٍ هِجَـانٍ قَطِـمْ[7]
جَنَبْنـا بهِـنَّ جِيـادَ الخيـو لِ قـدْ جَلَّلوهـا جِـلالَ الأَدَمْ[8]

---

(١) هكذا في (ش٢) و(ق٢) بالباء، وهي رواية الديوان، ومعناها: يُظهِرون ويُكاشِفون، وهذا دليل على عزّتهم، أنهم إذا غضبوا على أحد يكاشفونه بذلك ويُظهرون له غضبهم ولا يتحاشونه، وفي بقية النسخ: يُنادُون، بالنون من النداء. وغُشُم: من الغَشْم، وهو الظلم.

(٢) يريد بحِلّ القسم فترةً قصيرةً.

(٣) فأنبَوا بعادٍ، أي: دفعوهم وأخرجوهم عن يثرب، وقد أشار إلى ذلك أبو القاسم الوزير المغربيّ في كتابه «أدب الخواصّ» ص٩٧: أن قوماً من عادٍ أقاموا بيثرب بُرهة من الدهر حتى جاءهم قوم من الأزد، فنفَوْا العاديِّين عنها واتخذوها داراً. ثم ذكر شعر حسان هذا دون أن يسمِّيَه باسمه.

(٤) دُجّن فيها النَّعم، أي: اتُّخذت في البيوت، والدّاجن: كل ما أَلِفَ الناسَ كالنَّعَم: وهي الإبل والبقر والغنم، وكالحمام والدجاج ونحو ذلك.

(٥) النواضح: الإبل التي يُستَقى عليها الماء. وعلَّ: من قولهم: عَلْ عَلْ، وهو زجرٌ تُزجَر به الإبل. وهلمَّ: أقبِلْ.

(٦) القِطاف: اسم لما يُقطَف من العنب وغيره، والمراد بعصيره الخمر.

(٧) الهِجان: الأبيض، وهو من أكرام ألوان الإبل. والقَطِم: هائج يشتهي الضِّراب.

(٨) جَنَبْنا: قدناها بجنب الإبل دون أن تُركَب. وجلَّلوها: غطَّوها. والأَدم: الجلد.

فلمّـا أنـاخُوا بجَنبَـيْ صِـرَارٍ وشَـدُّوا السُّـروجَ بلَـيِّ الحُـزُمْ[1]
فمـا راعَهـمْ غيـرُ مَعْـجِ الخُيـو لِ والزَّحفُ من خَلفِهمْ قد دَهِـمْ[2]
فطـارُوا سِـراعاً وقـد أُفزِعـوا وجِئنـا إلـيهمْ كأُسْـدِ الأُجُـمْ[3]
علـى كـلِّ سَـلْهبةٍ في الصِّـيَا نِ لا يَشْـتَكِينَ نُحـولَ السَّـأَمْ[4]
وكـلِّ كُمَيـتٍ مُطَـارُ الفـؤادِ أَمـينِ الفُصـوصِ كمِثـلِ الـزُّلَمْ[5]
عليهـا فـوارسُ قـد عُـوِّدوا قِـراعَ الكُمـاةِ وضـربَ الـبُهَمْ[6]
ملـوكٌ إذا غَشَّـمُوا في الـبِلا دِ لا يَنكُلـون ولكـنْ قُـدُمْ[7]
فأُبْنـا بسـاداتِهمْ والنِّسـا وأولادِهـمْ فـيهمِ تُقتَسَـمْ[8]

---

(١) صِرَار: موضع فيه بئر شرق المدينة في حَرّة واقم، يبعد عن المسجد النبوي قرابة ٦ كم.
واللَّيّ: الفَتْل، والحُزُم: جمع حِزام.

(٢) راعهم: أفزعهم. ومَعْج الخيول: يعني سرعتها. وقد دَهِم، أي: جاء على غفلة من غير استعداد.

(٣) الأُجُم: جمع أَجَمة، وهي الغابة التي يكون فيها الأُسود.

(٤) السَّلهبة: الفرس الطويلة. وفي الصِّيان، أي: فيما تُصان به وتُحفَظ به ممّا يوضع على ظهورها من الجِلال والأكسية. والسّأَم: المَلَل.

(٥) الكُميت: لون بين السواد والحُمرة. ومُطار الفؤاد: ذكيّ الفؤاد. والفُصوص: مفاصل العظام، وأمين الفصوص: قويّها. والزُّلَم: القَدَح، والجمع: الأزلام، وهي السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها.

(٦) الكُماة: الشجعان، جمع كَمِيّ. والبُهَم: جمع بُهْمة، وهو الفارس الشجاع.

(٧) غشَّموا: اشتدّ ظلمهم، يريد بذلك عزَّتَهم ومَنَعَتَهم. ولا يَنكُلون: لا يرجعون. ولكن قُدُم، أي: يتقدمون إلى الأمام لشدّتهم وشجاعتهم.
والشطر الأول في «الديوان»: ليوثٌ إذا غضبوا في الحروب.

(٨) أُبْنا: رجعنا.

وَرِثْنا مَساكِنَهم بعدَهمْ ... وكُنّا ملوكاً بها لم نَرِمْ[1]

فلمّا أَتانا الرسولُ الرَّشيدُ بالحقِّ والنُّورِ بعدَ الظُّلَمْ

قلنا: صَدَقتَ رسولَ المَلِيك ... هَلُمَّ إلينا وفينا أَقِمْ

فنَشهَدَ أنّكَ عبدُ الإلـ ... ـهِ أُرسِلتَ نوراً بدينٍ قِيَمْ[2]

فإنّا وأَولادَنا جُنّةٌ ... نَقِيكَ وفي مالِنا فاحتَكِمْ

فنحنُ أُولئك إن كذَّبوك ... فنادِ نِداءً ولا تَحتشِمْ[3]

ونادِ بما كنتَ أخفَيتَهُ ... نِداءً جِهاراً ولا تَكتَتِمْ

فسارَ الغُوَاةُ بأسيافِهِمْ ... إليه يَظُنّونَ أن يُختَرَمْ[4]

فقُمْنا إليهم بأسيافِنا ... نُجالِدُ عنه بُغاةَ الأُمَمْ

بكلِّ صَقيلٍ له مَيْعةٌ ... رَقيقِ الذُّبابِ عَضُوضٍ خَذِمْ[5]

إذا ما يُصادِفُ صُمَّ العِظا ... مِ لم يَنْبُ عنها ولم يَنثَلِمْ[6]

فذلكَ ما وَرَّثَتْنا القُرو ... مُ مَجداً تَليداً وعِزّاً أَشَمّ[7]

إذا مَرَّ نَسْلٌ كَفَى نَسلُه ... وغادَرَ نَسلاً إذا ما انفَصَمْ[8]

---

(١) لم نَرِم، أي: لم نتحول.

(٢) بدين قِيَم، أي: مستقيم لا اعوجاجَ فيه.

(٣) فنحن أولئك، أي: الذين نصدّقك وننصرك. ولا تحتشم، أي: لا تنقبض.

(٤) الغُواة: السفهاء الضالُّون، وهم كفار قريش. ويُختَرم: يَهلِك ويُستأصَل.

(٥) له مَيعة، أي: السيف، له صقال يشبه الماء في صفائه. وذُبابه: حدُّ طرفه. وخَذِم: قاطع.

(٦) لم يَنبُ، أي: لم يرتفع ولم يرجع بل يقطع. ولم ينثلم، أي: لم ينكسر من حدّه شيء.

(٧) القُروم: السادة، واحده: قَرْمٌ. والتليد: القديم. والأشمّ: المرتفع.

(٨) كفى نسلُه، أي: قام نسلُه من بعده بما يجب خير قيام. وانفصم: انقطع وانقرض ومات.

فمـــا إنْ مـــنَ النـــاسِ إلّا لنـــا عليـه وإن خـاسَ فضـلُ الـنِّعَمْ[1]

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيدٍ الأنصاريّ بيتَه:

فكـــانوا ملوكـــاً بأرضـــيهِمِ يُبـادُون غُضْـباً بـأمرٍ غُشُـمْ

وأنشدني أيضاً:

بيَثْـرِبَ قـد شَـيَّدوا في النّخيـل حُصـوناً ودُجِّـنَ فيهـا الـنَّعَمْ

وبيتُه: وكلِّ كُمَيتٍ مُطارِ الفُؤادِ، عنه.

(١) خاس، أي: غدر.

ذكرُ سنة تسع وتسميتها سنةَ الوُفود

ونزول سورة الفتح[1]

قال ابن إسحاق: لمّا افتَتَحَ رسولُ الله ﷺ مكّةَ، وفَرَغَ من تَبُوكَ، وأسلَمَت ثَقيفُ وبايَعَت، ضَرَبَت إليه وُفودُ العربِ من كلِّ وجهٍ.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة: أنّ ذلك في سنة تسعٍ، وأنّها كانت تُسمَّى سنة الوُفود.

قال ابن إسحاق: وإنّما كانت العربُ تَرَبَّصُ بالإسلام أمرَ هذا الحيِّ من قُرَيشٍ وأمرَ رسول الله ﷺ، وذلك أنّ قُريشاً كانوا إمامَ النّاسِ وهاديَهم، وأهلَ البيتِ والحَرَم، وصَريحَ ولدِ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وقادةَ العربِ لا يُنكِرون ذلك، وكانت قُريشٌ هي التي نَصَبَت لحربِ رسول الله ﷺ وخِلافِه، فلمّا افتُتِحَت مكّةُ ودانَتْ له قُريشٌ ودَوَّخَها[2] الإسلام، عَرَفَت العربُ أنّه لا طاقةَ لهم بحربِ رسول الله ﷺ ولا عداوتِه، فدخلوا في دين الله ـ كما قال الله ـ أفواجاً يَضرِبون إليه من كلِّ وجهٍ، يقول الله لنبيِّه ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ أي: فاحمَدِ اللهَ على ما ظَهَرَ[3] من دينك، واستَغفِرِ اللهَ إنّه كان توّاباً.

---

(١) في نسخة (غ): وِفادة العرب على رسول الله ﷺ سنة تسع، وبالسند المتقدم أولاً حدثنا عبد الملك بن هشام قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكّائي عن محمد بن إسحاق المطّلبي قال.

(٢) دوَّخها، أي: وَطِئَها وذلَّلها.

(٣) في (غ): أظهر، وصحّح عليها، وعلى حاشيتها: ظهر، كبقية النسخ.

قدوم وفد بني تميمٍ ونزولُ سورة الحُجُرات

فقَدِمَت على رسول الله ﷺ وفودُ العرب، فقَدِمَ عليه عُطارِدُ بن حاجبِ بن زُرَارةَ ابن عُدُسٍ التَّمِيميّ، في أشرافٍ من بني تَميمٍ، منهم الأقرَعُ بن حابسٍ التَّميميّ، والزِّبْرِقانُ بن بدرٍ التَّميميّ أحدُ بني سعدٍ، وعمرُو بن الأَهتَم، والحَبْحابُ[1].

قال ابن هشام: الحُتَاتُ، وهو الّذي آخَى رسولُ الله ﷺ بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، وكان رسولُ الله ﷺ قد آخَى بين نَفَرٍ من أصحابه من المهاجرين؛ بين أبي بكرٍ وعمر، وبين عثمانَ بن عَفّانَ وعبدِ الرَّحمن بن عوفٍ، وبين طلحةَ بن عُبيدالله والزُّبيرِ بن العَوّام، وبين أبي ذرٍّ الغِفاريِّ والمِقْدادِ بن عمرو البَهْراني، وبين معاويةَ ابن أبي سفيانَ والحُتَاتِ بن يزيدَ المُجَاشعيِّ، فمات الحُتَاتُ عند معاوية في خِلافَتِه فأخذَ معاويةُ ما تَرَكَ وِراثةً بهذه الأُخوَّة[2]، فقال الفَرَزدقُ لمعاوية:

---

(١) زاد في (ش١) و(ش٢) و(ف): بن يزيد.

(٢) ذكرُ المؤاخاة بين معاوية والحُتات فيها نظرٌ، ولم تُذكَر إلا في هذا الموضع، والمؤاخاة لم تستمرَّ إلى وقت الفتح الذي أسلم فيه معاويةُ، ثم إن التوارث بهذه الأخوّة كان قد نُسِخ كما ثبت ذلك عن ابن عباس فيما أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٢٩٢) و(٤٥٨٠).

وقد ذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص١٩٣ أن للحُتاتِ هذا عدّةَ بنينَ سمّاهم، فكيف يستجيز معاويةُ أن يَحُوزَ ميراثَه دون أبنائه، ولهذا استشكله الحافظ ابنُ حجر في كتاب «الإصابة» ٢/ ٢٩.

والصواب في هذه القصة إن شاء الله: أن الحُتَات نزل على معاوية بدمشق في أيام خلافته، فأمر له بجائزة، فمرض الحُتات بدمشق ومات قبل أن يقبض جائزته، فرجع فيها معاوية وأمر بردِّها إلى بيت المال، فلما علم الفرزدقُ بذلك قال القصيدة التي ذكر ابنُ هشام منها بيتَينِ.

وانظر الخبر بذلك في «شرح نقائض جرير والفرزدق» ٣/ ٧٦٠-٧٦١، و«الأغاني» ٢١/ ٣٦٧-٣٦٨، و«جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري ١/ ٢٠٨. =

أبـوكَ وعَمّـي يـا معـاوِيَ أَورَثـا تُراثـاً فيَحتـازُ التُّـراثَ أقاربُـهْ
فمـا بـالُ ميـراثِ الحُتـاتِ أكلتَـه وميراثُ حَـرْبٍ جامـدٌ لـك ذائبُهْ

وهذان البيتان في أبياتٍ له.

قال ابن إسحاق: وفي وفدِ بني تميمٍ نُعَيمُ بن يزيدَ وقيسُ بن الحارث وقيسُ بن عاصمٍ أخو بني سعدٍ، في وفدٍ عظيمٍ من بني تميم.

قال ابن هشام: وعُطارِدُ بن حاجبٍ أحدُ بني دارمِ بن مالك بن حَنظَلة بن مالك ابن زيدِ مَناةَ بن تميم، والأقرَعُ بن حابسٍ أحدُ بني دارمِ بن مالك، والحُتَاتُ بن يزيدَ أحدُ بني دارمِ بن مالك، والزِّبرِقانُ بن بدرٍ أحدُ بني بَهدَلةَ بن عوف بن كعب بن سعد ابن زيدِ مَناةَ بن تميم، وعمرُو بن الأهتَمِ أحدُ بني مِنقَر بن عُبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيدِ مَناةَ بن تميم، وقيسُ بن عاصمٍ أحدُ بني مِنقَر بن عُبيدٍ.

قال ابن إسحاق: ومعهم عُيَينةُ بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدرٍ الفَزَاريّ، وقد كان الأقرَعُ بن حابسٍ وعُيَينةُ بن حِصْنٍ شَهِدا مع رسول الله ﷺ فتحَ مكّة وحُنيناً والطّائف، فلمّا قَدِمَ وفدُ بني تميمٍ كانا معهم، فلمّا دخل وفدُ بني تميمٍ المسجدَ نادَوْا رسولَ الله ﷺ من وراءِ حُجُراتِه: أن اخرُجْ إلينا يا محمّدُ، فآذَى ذلك رسولَ الله ﷺ من صِيَاحِهم، فخرج إليهم، فقالوا: يا محمّدُ، جئناك نُفاخِرُك، فأذَنْ لشاعرِنا

= ومن المُشكِل أيضاً في كلام ابن هشام هذا ذكرُ المؤاخاة بين طلحة والزبير، وهذه إنما كانت في مكة، وقد ذكر ابن عبد البر في «الدرر في اختصار المغازي والسير» ص٩٢: أن النبي ﷺ آخى في مكةَ بين الزبير وعبد الله بن مسعود، وآخى بين طلحة وسعيد بن زيد العدويّ، وأما المقداد فآخى بينه وبين عبد الله بن رَوَاحة بالمدينة، وأما أبو ذرٍّ فقَدِمَ إليها بعد غزوة الخندق، وانظر ما تقدم ٢/ ١٥٩ في قصة المؤاخاة.

وخَطيبِنا، قال: «قد أَذِنتُ لخَطِيبِكم فليَقُلْ».

فقامَ عُطارِدُ بن حاجبٍ فقال: الحمدُ لله الّذي له علينا الفضلُ[1] وهو أهلُه، الّذي جَعَلَنا ملوكاً، ووَهَبَ لنا أموالاً عِظَاماً، نفعلُ فيها المعروفَ، وجَعَلَنا أعزَّ أهلِ المَشرِق وأكثرَه عَدَداً، وأيسَرَه عُدّةً، فمَن مِثلُنا في النّاس؟ ألَسنا برُؤوسِ النّاسِ وأُولي فَضلِهم؟! فمَن فاخَرَنا فليُعدِّدْ مِثلَ ما عَدَّدْنا، وإنّا لو نَشاءُ لَأكثَرْنا الكلامَ، ولكنّا نَحْيا[2] من الإكثار فيما أَعطانا، وإنّا نُعرَفُ بذلك، أقولُ هذا لأن تأتُوا بمِثْلِ قولنا، وأمرٍ أفضلَ من أمرِنا. ثمّ جَلَسَ.

فقال رسولُ الله ﷺ لثابتِ بن قيس بن الشَّمّاس أخي بني الحارث بن الخَزْرج: «قُمْ فأَجِبِ الرَّجلَ في خُطبَتِه».

فقامَ ثابتٌ فقال: الحمدُ لله الّذي السّماواتُ والأرضُ خَلْقُه، قَضَى فيهنَّ أمرَه ووَسِعَ كُرْسيَّه عِلمُه، ولم يَكُ شيءٌ قَطُّ إلّا من فضلِه، ثمّ كان من قُدْرتِه أن جَعَلَنا ملوكاً، واصطَفَى من خيرِ خَلْقِه رسولاً، أكرَمَه نَسَباً، وأصدَقَه حديثاً، وأفضَلَه حَسَباً، فأنزَلَ عليه كتابَه، وأْتَمَنَه على خَلْقِه، فكان خِيَرةَ اللهِ من العالَمِين، ثمّ دعا النّاسَ إلى الإيمانِ به، فآمَنَ برسولِ‌الله المهاجرون من قومِه وذَوِي رَحِمِه، أكرَمُ النّاسِ أحساباً، وأحسنُ النّاسِ وُجوهاً، وخيرُ النّاسِ فِعالاً، ثمّ كان أوّلَ الخلقِ إجابةً واستَجابَ لله حين دَعَاه رسولُ‌الله نحنُ، فنحنُ أنصارُ الله ووُزَراءُ رسولِه نُقاتِلُ النّاسَ حتّى يُؤمنوا بالله، فمَن آمَن بالله ورسولِه مَنَعَ مالَه ودمَه، ومَن كَفَرَ جاهَدْناه في الله أَبداً، وكان قتلُه علينا يَسِيراً، أقولُ هذا[3] وأَستغفِرُ اللهَ لي وللمؤمنينَ والمؤمناتِ،

---

(١) زاد في (ش١) و(ش٢): والمَنّ.

(٢) من الحَيَاء، أي: نستحيي، وكذلك جاءت في «مغازي الواقدي» ٣/ ٩٧٦.

(٣) في (ص) و(ط) و(م): أقول قولي هذا.

والسلام عليكم.

فقامَ الزِّبرِقانُ بن بدرٍ فقال:

نحنُ الكِرامُ فلا حيٌّ يُعادِلُنا ... منّا الملوكُ وفينا تُنصَبُ البِيَعُ[1]

وكم قَسَرْنا من الأحياءِ كلِّهِمِ ... عند النِّهابِ وفضلُ العِزِّ يُتَّبَعُ[2]

ونحنُ يُطعِمُ عند القَحْطِ مُطعِمُنا ... من الشِّواءِ إذا لم يُؤنَسِ القَزَعُ[3]

بما تَرَى الناسَ تأتِينا سَرَاتُهمُ ... من كلِّ أرضٍ هُوِيّاً ثمّ نَصطَنِعُ[4]

فنَنحَرُ الكُومَ عَبْطاً في أَرُومَتِنا ... للنازِلينَ إذا ما أُنزِلوا شَبِعوا[5]

فلا تَرانا إلى حيٍّ نُفاخِرُهمْ ... إلّا استَقادُوا فكانوا الرّأسَ يُقتَطَعُ[6]

فمَن يُفاخِرُنا في ذاكَ نَعرِفُهُ ... فيَرجِعُ القومُ والأخبارُ تُستَمعُ

إنّا أَبَينا ولم يأبَى لنا أحدٌ ... إنّا كذلكَ عند الفَخْرِ نَرتفِعُ[7]

قال ابن هشام: ويُروَى: منّا الملوكُ وفينا تُقسَمُ الرِّبَعُ[8]، ويُروَى: من كلِّ أرضٍ

---

(١) البِيَع: مواضع الصلوات والعبادات، واحدها: بِيعَة.

(٢) قَسَرْنا، أي: قَهَرنا وغَلَبنا. والنِّهاب: جمع نَهْبٍ، وهو غنيمة مال العدوّ.

(٣) يُؤنَس، أي: يُعلَم ويُعهَد. والقَزَع: جمع قَزَعة، وهو سحاب رقيق يكون في الخريف. يريد إذا لم تمطرهم السماء فأَجدَبت أرضهم.

(٤) سَراتهم، أي: أشرافهم وخِيارهم، وسَرَاة كل شيء: أعلاه. وهُوِيّاً: سريعاً. ونصطنع، أي: نصنع لهم ما يليقُ من الضيافة.

(٥) الكُوم: جمع كَوْماء، وهي العظيمة السَّنام من الإبل. وعبطاً، أي: نحراً من غير داءٍ ولا علّة. والأَرُومة: الأصل؛ أي: أن هذا كرم متأصِّل فينا.

(٦) استقادوا: من الانقياد، وهو الخضوع.

(٧) إنا أَبَينا: من الإباء، وهو أشدّ الامتناع.

(٨) وفينا تقسم الربع، أي: أننا رؤساء وسادة، وذلك لأن الرئيس كان يأخذ رُبع الغنيمة =

هَوانا ثَمَّ مُتَّبَعُ[1].

رواه لي بعضُ بني تميمٍ، وأكثرُ أهلِ العلم بالشِّعر يُنكِرُها للزِّبرِقان[2].

قال ابن إسحاق: وكان حسّانُ غائباً، فبَعَثَ إليه رسولُ الله ﷺ، قال حسّان: جاءَني رسولُه فأخبرني أنه إنّما دعاني لأُجيبَ شاعرَ بني تميمٍ، فخرجتُ إلى رسول الله ﷺ وأنا أقولُ[3]:

مَنَعْنا رسولَ الله إذ حَلَّ وَسْطَنا ... على أَنفِ راضٍ من مَعَدٍّ وراغِمِ

مَنَعناهُ لمّا حَلَّ بين بُيوتِنا ... بأسيافِنا من كلِّ باغٍ وظالِمِ

ببيتٍ حَرِيدٍ عِزُّه وثَراؤُهُ ... بجابيَةِ الجَوْلانِ وَسْطَ الأعاجِمِ[4]

هل المجدُ إلّا السُّودَدُ العَوْدُ والنَّدَى ... وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائمِ[5]

قال: فلمّا انتهَيتُ إلى رسول الله ﷺ وقامَ شاعرُ القوم فقال ما قال، عَرَضتُ في

= في الجاهلية.

(١) هوانا، أي: ما نهواه ونريده.

(٢) وذكر السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٤٣٣ عن البرقيّ - وهو راوي السيرة عن ابن هشام - أن الشعر لقيس بن عاصم المِنقَري، وهو من بني تميم.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ١٠٩، وهي قصيدة في أربعة عشر بيتاً، وسيعيد المصنف سردَ أكثرها لاحقاً.

(٤) البيت الحريد: المنفرد الذي لا يختلط بغيره لقوّته ومَنَعته، يريد بيتَ شرفهم من غسّان. والجَولان: هي الهضبة الواقعة جنوب غربيّ دمشق، والجابية المضافة إليها: هي المعروفة اليوم بتلّ الجابية، وتقع شمال غرب نَوَى، وهذه من ديار الغساسنة في بلاد الشام.

يريد حسان: أن النبي ﷺ نزل وسط حيٍّ من الأنصار ذوي عزٍّ ومَنَعة، وجاههم قديم، متصل بجاه الغساسنة ملوك الشام، وهم هناك وسط الأعاجم من الروم وغيرهم.

(٥) السُّودد العَود: المجد القديم الذي يتكرّر على مدار الزمان.

قوله وقلتُ على نحو ما قال.

قال: فلمّا فَرَغَ الزِّبرِقانُ قال رسولُ الله ﷺ لحسّانَ بن ثابتٍ: «قُمْ يا حَسّانُ فأَجِبِ الرّجلَ فيما قالَ»، فقام حسّانُ فقال[1]:

إنَّ الـذَّوائبَ مـن فِهْـرٍ وإخـوَتِهمْ ... قـد بَيَّنـوا سُـنّةً للنّـاسِ تُتّبَـعُ[2]

يَرضَى بهم كـلُّ مَن كانت سَرِيرتُه ... تَقوَى الإلٰـهِ وكـلَّ الخيـرِ يَصطنِعُ

قـومٌ إذا حـارَبوا ضَـرُّوا عـدوَّهمُ ... أو حاوَلوا النَّفعَ في أشياعِهِمْ نَفَعوا[3]

سَـجِيّةٌ تلـك مـنهم غيـرُ مُحدَثـةٍ ... إنَّ الخلائـقَ فـاعلَمْ شَـرُّها البِـدَعُ[4]

إن كـان في النـاسِ سَبّاقون بعـدَهمُ ... فكـلُّ سَـبْقٍ لأدنَـى سَـبقِهِمْ تَبَـعُ

لا يَرقَـعُ النـاسَ مـا أَوهَـتَ أكُفُّهـمُ ... عنـد الـدِّفاعِ ولا يُوهُـون مـا رَقَعُـوا[5]

إنْ سـابَقُوا النـاسَ يومـاً فـازَ سَـبْقُهمُ ... أو وازَنُـوا أهـلَ مَجـدٍ بالنَّـدَى مَتَعُـوا[6]

أعِفّـةٌ ذُكِـرَت في الـوحيِ عِفّـتُهمْ ... لا يَطبَعُـون[7] ولا يُـردِيهِمِ طَمَـعُ

---

(١) انظر «ديوانه» ١/ ١٠٢، وهو من رواية محمد بن حبيب البغدادي، وقد ساق فيه خبر وفد تميمٍ هذا وما دار بينهم وبين المسلمين من سِجالٍ في الخطب والشِّعر، عن شيخه هشام بن محمد الكلبيّ عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) الذوائب: السادة، وأصله من ذوائب المرأة، وهي جدائلها التي تعلو الرأس.

(٣) الأشياع: جمع شِيعة، وهي الأنصار والأتباع.

(٤) السَّجيّة: الطبيعة من غير تكلُّف. والخلائق: جمع خَليقة، وهي الطَّبيعة هنا. والبِدَع: المراد بها هنا مستحدَثات الأخلاق، لا ما هو كالغرائز فيها.

(٥) أوهت: أضعَفَت أو هَدَمت. يقول: إنهم أعزة، والكلام تمثيل.

(٦) النَّدى: الجود والكرم. ومَتَعوا: ارتفعوا وزادوا، يقال: مَتَعَ النهارُ، إذا ارتفعت الشمسُ.

(٧) في (ت) و(ف) و(ي) ونسخة على حاشية (م): لا يطمعون، بالميم. ومعنى «لا يطبعون»: لا يتدنَّسون بشَين أو عيب، والطَّبَع ـ محرَّكاً ـ: الشَّين والعيب. ويُرديهم: يُهلِكهم.

لا يَبخَلُون على جارٍ بفَضلِهِمِ ... ولا يَمَسُّهم من مَطمَعٍ طَبَعُ

إذا نَصَبْنا لحيٍّ لم نَدِبَّ لهمْ ... كما يَدِبُّ إلى الوَحْشيّةِ الذَّرَعُ[1]

نَسْمُو إذا الحربُ نالَتْنا مَخالبُها ... إذا الزَّعانفُ من أظفارِها خَشَعوا[2]

لا يَفخَرونَ إذا نالوا عدوَّهمُ ... وإن أُصيبوا فلا خُورٌ ولا هُلُعُ[3]

كأنَّهم في الوَغَى والموتُ مُكتَنِعٌ ... أُسْدٌ بحَلْيةَ في أرساغِها فَدَعُ[4]

خُذْ منهمُ ما أَتى عَفواً إذا غَضِبوا ... ولا يكنْ هَمَّكَ الأمرَ الذي مَنَعوا[5]

فإنَّ في حَربِهم فاترُكْ عَداوَتَهمْ ... شَرّاً يُخاضُ عليه السّمُّ والسَّلَعُ[6]

أكرِمْ بقومٍ رسولُ الله شِيعَتُهمْ ... إذا تَفاوَتَتِ الأهواءُ والشِّيَعُ

---

(١) إذا نصبنا: يريد أظهَرْنا لهم العداوة ولم نُسِرَّها لهم. ولم ندبَّ، أي: لم نمشِ على مهلٍ. والوحشيّة: أراد الصيد الوحشيّ كالحمار الوحشي والبقرة الوحشية ونحوهما.

وأما الذَّرَع: فهي الناقة التي يستتر بها رامي الصيد، وذلك أن يمشي بجنبها مستتراً بها فيرميَ الصيد إذا أمكنه، والجمع: ذُرُعٌ.

والذَّرَع أيضاً: ولد البقرة الوحشية، لكن ليس هو المراد هنا وإن زعم ذلك أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص٤٣٣، وما فسّرناه به أليَقُ وألصقُ بمعنى البيت من هذا.

(٢) نسمو: ننهض. والزعانف: أطراف الناس وأتباعهم. وخشعوا: تذلّلوا.

(٣) خُورٌ: ضعفاء، الواحد: خائر. وهُلُع: خائفون جازعون، الواحد: هَلُوع.

(٤) مكتنع، أي: دانٍ قريبٌ.

وحَلْية: وادٍ كثير المياه والزروع والأهل، ويسمَّى أيضاً: وادي العرج، وهو يمرّ على قرابة ٣٠ كم جنوب مدينة الليث الواقعة على البحر الأحمر جنوب مكة، وهذه المدينة تبعد عن مكة قرابة ١٦٠ كم.

والأرساغ: جمع رُسغ، وهو موضع مربط القَيْد. وفَدَعٌ: اعوجاج إلى ناحية.

(٥) عفواً: يريد من غير مشقّة.

(٦) السَّلَع: نبات مسموم أو مرّ.

أَهـدى لهـم مِـدْحَتي قلـبٌ يُـؤازِرُه ... فيمـا أَحـبَّ لسـانٌ حائـكٌ صَـنَـعُ[1]

فـإنّهم أفضـلُ الأحيـاءِ كلِّهـمِ ... إن جَدَّ بالناسِ جِدُّ القولِ أو شَمَعوا[2]

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد:

يَرضَى بها كـلُّ مَـن كانـت سَـرِيرتُهُ ... تَقـوَى الإلٰـهِ وبـالأمرِ الّـذي شَـرَعوا

وقال ابن هشام: حدّثني بعضُ أهلِ العلم بالشِّعر من بني تميم: أنّ الزِّبرِقانَ بن بدرٍ لمّا قَدِمَ على رسول الله ﷺ في وفد بني تميمٍ قامَ فقال:

أَتينـاكَ كَيْمـا يعلـمَ النّـاسُ فَضْـلَنا ... إذا احتَفَلوا[3] عند احتِضارِ المواسـمِ

بأنّـا فُـروعُ النّـاسِ في كـلِّ مـوطنٍ ... وأن لـيس في أرضِ الحِجـازِ كـدارِمِ[4]

وأنّـا نَـذُودُ المُعلِمـينَ إذا انتَخَـوْا ... ونَضـرِبُ رأسَ الأَصْـيَدِ المُتَفـاقِمِ[5]

وأنّ لنـا المِربـاعَ في كـلِّ غـارةٍ ... تُغِيـرُ بنجـدٍ أو بـأرضِ الأعـاجمِ[6]

---

(١) حائك: من الحِياكة، وهي الخياطة، والكلام على التشبيه. وصَنَعٌ، أي: صانع حاذق، يُحسِن القول ويُجيده.

(٢) الجِدُّ: ضد الهَزْل. وشَمَعوا، أي: هَزَلوا، وأصل الشَّمع: الطَّرب واللَّهو.

(٣) هكذا في أكثر النسخ، ومعنى احتفلوا: اجتمعوا، وفي (ص) و(غ): اختلفوا، وفي (ط) و(م): احتلفوا، من الحِلْف، وفي (ش١) و(ش٢): اختَبَطوا، وكأنه تحريف، وأصحّها الأول، وهو الذي يناسب المواسم: وهو جمع مَوسِم، وهو الموضع الذي يجتمع فيه الناس مرة في السنة، كاجتماعهم في الحج واجتماعهم بعُكَاظ وذي المَجَاز وأشباهها.

(٤) فروع الناس: أسيادهم وأشرافهم، والفَرْع: أعلى كل شيءٍ. ودارم: بطنٌ من تميم.

(٥) المُعلِمون: الذين يُعلِمون أنفسهم في الحرب بعلامة يُعرَفون بها. وانتخَوا: من النَّخوة، وهي التكبُّر والإعجاب. والأَصيَد: المتكبّر الذي لا يلوي عنقه يميناً ولا شمالاً. والمتفاقِم: المتعاظِم، من تَفاقَم الأمر: إذا عَظُم.

(٦) المِرباع: أخذ الرُّبع من الغنيمة، يريد أنهم رؤساء الناس. وأراد بأرض الأعاجم العراق =

فقام حسّانُ بن ثابتٍ فأجابه فقال[1]:

هل المجدُ إلّا السُّودَدُ العَوْدُ والنَّدَى ... وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائمِ

نَصَرْنا وآوَينا النبيَّ محمّداً ... على أنفِ راضٍ من مَعَدٍّ وراغمِ

بحَيٍّ حَرِيدٍ أصلُه وثَراؤُهُ ... بجابيَةِ الجَوْلانِ وَسْطَ الأعاجمِ

نَصَرْناه لمّا حَلَّ وَسْطَ ديارِنا ... بأسيافِنا من كلِّ باغٍ وظالمِ

جَعَلْنا بَنِينَا دونَه وبَناتِنا ... وطِبْنا له نفساً بفَيءِ المغانمِ[2]

ونحنُ ضَرَبنا الناسَ حتّى تَتابَعوا ... على دينِه بالمُرهَفاتِ الصّوارمِ[3]

ونحنُ وَلَدْنا من قُريشٍ عظيمَها ... وَلَدْنا نبيَّ الخيرِ من آلِ هاشمِ[4]

بني دارمٍ لا تَفخَروا إنّ فخرَكمْ ... يعودُ وَبالاً عند ذِكْرِ المَكارمِ[5]

هُبِلتُم، علينا تَفخَرون وأنتمُ ... لنا خَوَلٌ ما بين ظِئرٍ وخادمِ[6]

= ونواحيه.

(١) الأبيات الأربعة الأولى تقدمت قريباً قبل صفحات. وانظر «ديوان حسان» ١/ ١٠٩.

(٢) يريد: طيب نفوسهم يوم حُنينٍ حين أعطى رسول الله ﷺ المؤلَّفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً. «الروض الأنف» ٧/ ٤٣٦.

(٣) المُرهَفات الصوارم: السيوف القواطع.

(٤) يشير بهذا البيت إلى أن أم عبد المطّلب جد النبي ﷺ - واسمها سلمى بنت عمرو - كانت من بني النَّجّار من الخزرج.

(٥) الوبال: الثِّقَل والمكروه.

(٦) هُبِلتم: هكذا قُيِّدَت بالضم في نسخنا الخطية غير (ي) فبفتح الهاء، وقُيدت في (ش١) بالوجهين، والضمّ هو القياس كما قال ثعلبٌ، لأنه إنما يُدعَى عليه بأن تَهبَله أمُّه، أي: تفقده، وأما شيخه ابنُ الأعرابي فنفى أن يقال فيه بالضم إنما بالفتح. وانظر «تاج العروس» للزَّبيدي ٣١/ ١٠٧. =

فـإن كنـتمُ جئـتُمْ لحَقْـنِ دِمـائكمْ وأمـوالِكمْ أن تُقسَـموا في المَقاسـمِ
فـلا تَجعَلـوا لله نِـدّاً وأَسـلِموا ولا تَلبَسـوا زِيّـاً كـزِيِّ الأعـاجمِ[1]

قال ابن إسحاق: فلمّا فَرَغَ حسّانُ بن ثابتٍ من قوله، قال الأقرَعُ بن حابسٍ: وأَبي إنّ هذا الرَّجلَ لَمُؤَتًّى له[2]، لَخطيبُه أخطَبُ من خطيبِنا، ولَشاعرُه أشعَرُ من شاعرِنا، ولأصواتُهم أعلى[3] من أصواتِنا. فلمّا فَرَغَ القومُ أَسلموا، وجَوَّزَهم[4] رسولُ الله ﷺ فأحسنَ جوائزَهم.

وكان عمرُو بن الأهتَمِ قد خَلَّفَه القوم في ظَهْرِهم[5]، وكان أصغرَهم سِنّاً، فقال قيسُ بن عاصمٍ، وكان يُبغِضُ عمرَو بن الأهتَمِ: يا رسولَ الله، إنّه قد كان رجلٌ منّا في رِحَالِنا، وهو غلامٌ حَدَثٌ. وأَزرَى به[6]، فأعطاه رسولُ الله ﷺ مِثلَ ما أَعطى القومَ، فقال عمرُو بن الأهتَمِ حين بَلَغَه أن قيساً قال ذلك يَهجُوه:

ظَلِلـتَ مُفتَـرِشَ الهَلْبـاءِ تَشـتُمُني عند الرّسولِ فلم تَصدُقْ ولـم تُصِبِ[7]

= والخَوَل: حَشَم الرجل وأتباعه.

والظِّئر: التي ترضع ولدَ غيرها، وقد تأخذ على ذلك أجراً.

(١) النِّدّ: المِثْل والشبيه.

وأما زيّ الأعاجم، فلعلّه إنما أراد به الإشراك وعبادة الأصنام، أو أنه أراد به التفاخر والتكبّر والعُجب.

(٢) لمؤتًّى له، أي: لمُوفَّق مهيَّأ له.

(٣) هكذا في نسخنا كافة، وفي طبعة السقا وصاحبيه: أحلى.

(٤) أي: أعطاهم جوائز، وهي المِنَح والهدايا.

(٥) في ظهرهم، أي: في إبلهم.

(٦) أي: حقَّر من شأنه.

(٧) الهَلْباء: يريد بها دُبُره، والهَلباء: شعر الذَّنَب، فاستعاره هنا للإنسان.

سُدْناكمُ سُودَداً رَهْواً وسُودَدُكمْ ... بادٍ نَواجِذُه مُقْعٍ على الذَّنَبِ[1]

قال ابن هشام: بقيَ بيتٌ واحدٌ تَرَكناه لأنّه أقذَعَ فيه[2].

قال ابن إسحاق: وفيهم نَزَلَ من القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

قصّةُ عامرِ بن الطُّفيل وأربَدَ بن قيس في الوِفادة عن بني عامر

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ وفدُ بني عامرٍ فيهم عامرُ بن الطُّفَيلِ وأَربَدُ بن قيس بن جَزْءِ بن خالد بن جعفرٍ وجَبّارُ بن سَلْمى بن مالك بن جعفرٍ، وكان هؤلاءِ الثّلاثةُ رُؤَساءَ القوم وشياطينَهم.

فقَدِمَ عامرُ بن الطُّفَيل عدوُّ الله[3] على رسول الله ﷺ وهو يريد الغَدْرَ به، وقد قال له قومُه: يا عامرُ، إنّ الناسَ قد أسلَمُوا فأسلِمْ، قال: والله لقد كنتُ آلَيتُ أن لا[4] أَنتهيَ حتّى تَتبَعَ العربُ عَقِبي، أفأَنا أَتبَعُ عَقِبَ هذا الفتى من قُريشٍ؟! ثمّ قال لأربدَ: إذا قَدِمْنا على الرّجلِ، فإنّي سأَشغَلُ عنك وجهَه، فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُه بالسّيف.

---

(١) السُّودد ـ ويُهمَز ـ: المجد والسيادة. والرَّهو: المتّسع. والنّواجذ: الأسنان. ومُقعٍ على الذَّنَب: يقال: أَقعى الكلبُ والذئبُ، إذا جلس على أَلْيَتَيهِ وضمَّ ساقيه ومدَّ ذنبه خلفه. والكلام على الاستعارة والتمثيل.

(٢) أي: أفحَشَ في المقال، والقَذَع: الكلام الفاحش.

(٣) وعامرٌ عدوُّ الله هذا هو صاحب بئر مَعُونة الذي عَدَا على السبعين من أصحاب رسول الله ﷺ سنة أربعٍ فقتلهم مع قبائل من بني سُلَيم من عُصيّة ورِعْل وذَكْوان.

(٤) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(غ)، وفي بقية النسخ: آليت لا، بإسقاط أن، وكلاهما صحيح. ومعنى آليتُ: أقسمتُ وحلفتُ.

فلمّا قَدِموا على رسول الله ﷺ، قال عامرُ بن الطُّفَيل: يا محمّدُ، خالِنِي[1]، قال: «لا والله، حتّى تُؤمِنَ بالله وحدَه» قال: يا محمّدُ، خالِنِي، وجَعَلَ يكلِّمُه ويَنتظِرُ من أربَدَ ما كان أمَرَه به، فجَعَلَ أربَدُ لا يُحِيرُ شيئاً[2].

قال: فلمّا رأى عامرٌ ما يَصنَعُ أربدُ قال: يا محمّدُ، خالِنِي، قال: «لا والله، حتَّى تُؤمِنَ بالله وحدَه لا شَرِيكَ له»، فلمّا أَبَى عليه رسولُ الله ﷺ، قال: أمَا والله لَأملأَنَّها عليك خيلاً ورجالاً، فلمّا وَلَّى قال رسولُ الله ﷺ: «اللّهمَّ اكْفِنِي عامرَ بنَ الطُّفَيل».

فلمّا خرجوا من عند رسول الله ﷺ، قال عامرٌ لأربدَ: وَيلَك يا أربدُ، أين ما كنتُ أمَرْتُك به؟ والله ما كان على ظَهرِ الأرض رجلٌ هو أخوَفَ عندي على نفسي منك، وايْمُ الله لا أَخافُك بعدَ اليومِ أبداً، قال: لا أبا لك، لا تَعجَلْ عليَّ، والله ما هَمَمتُ بالّذي أمَرْتَني به من أمرِه إلّا دَخَلتَ بيني وبين الرَّجلِ حتّى ما أَرى غيرَك، أفأضرِبُك بالسّيف؟!

وخرجوا راجعينَ إلى بلادِهم. حتّى إذا كانوا ببعض الطّريقِ بَعَثَ الله على عامر ابن الطُّفَيل الطّاعونَ في عُنُقِه، فقَتَلَه الله في بيتِ امرأةٍ من بني سَلُولَ، فجَعَلَ يقول: يا بني عامرٍ، أغُدّةً كغُدّةِ البَكْرِ في بيتِ امرأة من بني سَلُولَ![3]

---

(١) خالِني، بتخفيف اللام: من الخَلْوة، أي: انفرد لي خالياً حتى أتحدّث معك. وخالِّني، بالتشديد: اتخذني خليلاً وصاحباً، من المخالَلة، وهي الصداقة. وقد قُيّد هذا الحرف في النسخ هكذا وهكذا.

(٢) أي: لا يأتي بشيء.

(٣) الغدّة: داء يصيب البعير فيموت منه، وهو شبيه بالذُّبحة التي تصيب الإنسان، وهي قرحة تخرج في الحلق فينسدُّ معها وينقطع النفَس فتقتُل. والبَكْر: الفتيُّ من الإبل.

وقوله: أغدّةً، يجوز فيه النصبُ على المصدر، أي: أأُغَدُّ غدّةً مثلَ غدّة البعير، ويجوز فيه =

قال ابن هشام: ويقال: أغُدّةً كغُدّةِ الإبل، وموتاً في بيت سَلُوليّة!

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج أصحابُه حين وارَوْه حتى قَدِموا أرضَ بني عامرٍ شاتِينَ[1]، فلمّا قَدِموا أتاهم قومُهم فقالوا: ما وراءَك يا أَربَدُ؟ قال: لا شيءَ، والله لقد

= الرفع بتقدير: أأصابتني غدّةٌ، أو أغدّةٌ بي. انظر «الكتاب» لسيبويه ١/ ٣٣٨، وكتاب «مجمع الأمثال» للميداني ٢/ ٥٧، و«فتح الباري» لابن حجر ١٢/ ٢٢٨.

وأما بنو سلول: هم بنو مُرّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن معاوية بن هوازن، وهم إخوة بني عامر، فمرّةُ وعامرٌ كلاهما ابن صعصعة، لكن بنو مرّة عُرفوا بأمهم سلول، إلا أن الشرف والعدد كان في بني عامرٍ، فلذلك أَنِفَ عامر بن الطفيل أن يموت في بيت السَّلولية، وتأسَّف أن لم يمت مقتولاً كما يتأسف الشُّجعان.

وخبر عامر بن الطفيل وأَربد وما أرادا من الفَتْك برسول الله ﷺ، لم يسنده ابن إسحاق في رواية البكّائي هنا ولا في رواية يونس بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٣١٨-٣١٩، ورواه سلمة بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٤٤ عنه عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً.

وقد أشار إلى قصة عامر بن الطفيل هذه باختصارٍ أنس بن مالك عند البخاري (٤٠٩١) قال: كان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خيَّر (أي: خيَّر رسولَ الله ﷺ) بين ثلاث خصال، فقال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المَدَر، أو أكونُ خليفتَك، أو أغزُوك بأهل غَطَفان بألفٍ وألفٍ، فطُعِنَ عامرٌ في بيت أمّ فلان، فقال: غُدّةٌ كغُدّة البَكْر، في بيت امرأة من آل فلان، ائتوني بفرسي، فمات على ظهر فرسه.

وبأطول من هذا روي عن سلمة بن الأكوع عند البخاري في «التاريخ الكبير» ٨/ ٣٢٦-٣٢٧، والحاكم في «المستدرك» (٧١٥٩)، وإسناده ضعيف.

وروي أيضاً مطوَّلاً من حديث زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباسٍ، عند الطبراني في معجميه «الكبير» (١٠٧٦٠) و«الأوسط» (٩١٢٧)، وفي سياقه بعض الاختلاف، وذكر في آخره تفسير ابن عباس للمعقِّبات الذي سيذكره ابن هشام لاحقاً، لكن إسناده إلى زيد بن أسلم ضعيف جداً.

(١) أي: وقت الشتاء.

دعانا إلى عِبَادةِ شيءٍ لوَدِدتُ أنّه عندي الآنَ فأَرمِيَه بالنَّبْلِ حتّى أقتلَه. فخرج بعدَ مَقَالتِه بيومٍ أو يومَينِ معه جملٌ له يَبِيعُه[1]، فأرسَلَ الله عليه وعلى جملِه صاعقةً فأحرَقَتهما. وكان أَربدُ بن قيسٍ أخا لَبِيد بن ربيعةَ لأُمّه.

قال ابن هشام: وذكرَ زيدُ بن أسلَمَ، عن عطاءِ بن يَسارٍ، عن ابن عبّاسٍ قال: وأنزَلَ الله في عامرٍ وأَربدَ: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:٨-١١]، قال: المُعقِّباتُ: هي من أمرِ الله يَحفَظُون محمّداً. ثمّ ذكرَ أَربدَ وما قَتَلَه الله به فقال: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ إلى قوله: ﴿شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ [الرعد:١٣][2].

قال ابن إسحاق: فقال لَبِيدٌ يبكي أَربدَ[3]:

ما إن تُعدِّي المَنُونُ من أحدِ ... لا والدٍ مُشفِقٍ ولا ولدِ[4]

أخشَى على أربَدَ الحُتوفَ ولا ... أرهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأَسَدِ[5]

فعَينِ هَلَّا بَكَيتِ أَربدَ إذْ ... قُمْنا وقامَ النِّساءُ في كَبَدِ[6]

---

(١) في (ش١) و(ش٢) و(ق٢) و(ي): يتبعه.

(٢) إسناده إلى زيد بن أسلم ضعيف جداً، وقد روي بلفظه في آخر ما أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس كما في التعليق السابق.

(٣) انظر «ديوان لبيد» ص١٥٨.

(٤) تعدِّي: تترك. وروي: تعرِّي، وروي: تعزِّي. والمَنُون: حوادث الدهر. يقول: لا تدعه حوادث الدهر عارياً من المصائب.

(٥) الحُتوف: الآجال. يقول: كنت أخشى عليه كل سبب من أسباب المَنيّة، ولم أكن أخشى عليه صاعقةً، وهي ما أشار إليه بنَوء السِّماك والأسد، وهما بُرجان من أبراج النجوم.

(٦) الكَبَد: الجَهْد والمشقة.

إن يَشْغَبُوا لا يُبالِ شَغْبَهمُ ... أو يَقصِدوا في الحُكومِ يَقتصِدِ[1]

حُلْوٌ أَرِيبٌ وفي حَلاوَتِه ... مُرٌّ لَطيفُ الأحشاءِ والكَبِدِ[2]

وعَينِ هَلَّا بَكَيتِ أَربدَ إذْ ... أَلْوَت رياحُ الشّتاءِ بالعَضَدِ[3]

وأصبَحَت لاقِحاً مُصرَّمةً ... حتّى تَجَلَّت غَوابرُ المُدَدِ[4]

أشجَعُ من ليثِ غابةٍ لَحِمٍ ... ذو نَهْمةٍ في العُلا ومُنتقَدِ[5]

لا تَبلُغُ العَينُ كلَّ نَهْمتِها ... ليلةَ تُمْسي الجيادُ كالقِدَدِ[6]

الباعثُ النَّوحَ في مآتمِهِ ... مِثلَ الظِّباءِ الأبكارِ بالجَرَدِ[7]

---

(١) الشَّغْب: الجَور والمَيل عن الطريق. والقَصْد: العدل. والحُكوم: بمعنى الحكومة، أي: القضاء عند التحكيم.

(٢) الأريب: العاقل. ولطيف الأحشاء والكبد، معناه: حَسَن الخُلُق. يقول: هو ليِّن في موضع اللِّين، صعب في موضع الصعوبة.

(٣) ألوَت: ذَهَبَت. والعَضَد: الشجر اليابس ذهبت الريح بأوراقه؛ يريد عند الجَدْب وذبول الأشجار.

(٤) اللاقح: الناقة الحامل، والكلام هنا على التشبيه. والمصرَّمة: التي لا لبن فيها. وتجلَّت: انكشفت وذهبت. والغوابر: البواقي.

(٥) اللَّحِم: الكثير أكل اللحم. وذو نَهْمة، أي: طَمُوح إلى بلوغ الغايات، ويروى: ذو نُهْية، أي: ذو عَقْل. والعُلَا: جمع عُلْيا، يريد أنه طموح في طلب الصفات والأخلاق الكريمة العالية. ومُنتقَد: معطوف على نَهمةٍ، ونظنّ أنه أراد به الشِّدّة والغِلظة، من قولهم: انتَقَد الولدُ، أي: شبَّ وغَلُظَ، انظر «تاج العروس» للزَّبيدي ٩/ ٢٣٣.

وهذا البيت ليس في رواية «الديوان»، ولم نقف عليه عند غير ابن إسحاق.

(٦) القِدَد: جمع قِدّة، وهي الحزام يقطع من الجلد، يشبّه الخيل بهذه الأحزمة في النُّحول والضعف.

(٧) الباعث النوح، أي: يقتل الرجال فيُناح عليهم. والمآتم: جماعات النساء يجتمعن في =

فَجَّعَني البَرْقُ والصّواعقُ بالْفـ ـارسِ يومَ الكَريهةِ النَّجُدِ[1]

والحاربِ الجابرِ الحَرِيبَ إذا جاءَ نَكِيباً وإن يَعُدْ يَعُدِ[2]

يَعفُو على الجَهدِ والسُّؤالِ كما يُنبِتُ غَيثُ الرّبيعِ ذو الرَّصَدِ[3]

كلُّ بني حُرّةٍ مصيرُهمُ قُلٌّ وإن أكثرَتْ من العَدَدِ[4]

إن يُغبَطوا يَهبِطوا وإن أَمِرُوا يوماً فهمْ للهلاكِ والنَّفَدِ[5]

قال ابن هشام: بيتُه: والحاربِ الجابرِ الحَرِيبَ، عن أبي عُبيدة، وبيتُه: يَعفُو على الجَهْد، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال لَبيدٌ أيضاً يبكي أَربدَ[6]:

ألا ذهبَ المُحافِظُ والمُحَامي ومانعُ ضَيْمِها يومَ الخِصامِ[7]

وأيقَنتُ التّفرُّقَ يومَ قالوا تُقُسِّمَ مالُ أربدَ بالسِّهامِ

تَطِيرُ عدائدُ الأشراكِ شَفْعاً ووِتراً والزَّعامةُ للغلامِ[8]

= المناحات. والجَرَد: الأرض التي لا نبات فيها.

(١) النَّجُد: الشجاع ذو النَّجدة.

(٢) الحارب: السالب الأموال. والجابر: الذي يَجبُر من قد سُلب ماله. والحريب: المسلوب. والنكيب: المنكوب المصاب.

(٣) يعفو عن الجَهد: يَكثُر عطاؤه ويزيد عند الجَهْد والمشقّة. والرَّصَد: الكلأُ القليل.

(٤) القُلُّ: القليل. يقول: مصيرهم إلى القِلّة.

(٥) إن يُغبَطوا، أي: إن تُستحسَن أحوالهم. ويَهبِطوا، أي: تغيِّر أحوالَهم حوادثُ الدهر. وأَمِروا: كَثُروا. والنَّفَد: انقطاع الشيء وذهابه.

(٦) انظر «ديوانه» ص٢٠١.

(٧) الضَّيم: الذلّ.

(٨) العدائد: الأنصباء. والأشراك: الشركاء. والزعامة: الرياسة، وقيل: سلاحه.

فـوَدِّعْ بالسـلامِ أبـا حَرِيـزٍ ... وقَـلَّ وداعُ أربـدَ بالسـلامِ

وكنـتَ إمامَنـا ولنـا نِظامـاً ... وكـان الجَـزْعُ يُحفَـظُ بالنِّظـامِ[1]

وأَربـدُ فـارسُ الهَيْجـا إذا مـا ... تَقعَّـرَتِ المَشـاجِرُ بالفِئـامِ[2]

إذا بَكَـرَ النّسـاءُ مُردَّفـاتٍ ... حَواسِـرَ لا يُجِـئنَ على الخِدَامِ[3]

فـواءَلَ يـومَ ذلـك مَـن أتـاهُ ... كمـا وَأَلَ المُحِـلُّ إلـى الحـرامِ[4]

ويَحمَـدُ قِـدرَ أربـدَ مَـن عَرَاهـا ... إذا مـا ذُمَّ أربـابُ اللِّحـامِ[5]

وجارَتُـه إذا حَلَّـتْ لَدَيـهِ ... لهـا نَفَـلٌ وحَـظٌّ مـن سَـنامِ[6]

فـإن تَقعُـدْ فمُكرَمـةٌ حَصَـانٌ ... وإن تَظعَـنْ فمُحسِـنةُ الكَـلامِ[7]

وهـل حُـدِّثتَ عـن أخَـوَينِ داما ... علـى الأيّـامِ إلّا ابنَـيْ شِـمَامِ[8]

---

(١) النِّظام: الخيط الذي يُنظَم عليه اللؤلؤ وغيره. والجزع: الخرز اليماني، وهو من الأحجار الكريمة.

(٢) تقعَّرت، أي: سقطت من أصلها. والمشاجر: ضرب من الهوادج. والفِئام: ما يُبسَط في الهودج ويوطأ به.

(٣) إذا بَكَر، أي: بكَّرنَ مُصبِحات. ومردَّفات، أي: محمولات، ويعني به الأَسْرَ. وحواسر: كاشفات عن وجوههن، ويروى: جوائر، أي: صائحات، من جأَر: إذا رفع صوته بالصِّياح. ولا يُجِئن، أي: لا يغطِّين. والخِدام: جمع خَدَمة، وهو خلخال تضعه المرأة في ساقها.

(٤) واءَل، أي: منع من لجأ إليه.

(٥) عَرَاها: أتاها يطلب خيرها. وأرباب: أصحاب. واللِّحام: جمع لَحْم.

(٦) النَّفَل: العطيّة. والسَّنام: أعلى ظهر البعير.

(٧) حَصَان: عفيفة لم يُتعرَّض لها. وتَظعَن: تَرحَل.

(٨) ابنا شَمَام: قمّتان بارزتان لجبل واحد اسمه شَمَام بالبناء على الكسر، ويسمّى اليوم باسم شمالات، وهو في عالية نجد، غرب مدينة الرياض على قرابة ٢٠٠ كم.

وإلّا الفَرقَـــدَينِ وآلَ نَعـــشٍ خَوالـــدَ مـــا تُحـــدَّثُ بانْهِـــدامِ[1]

قال ابن هشام: وهي في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: وقال لَبيدٌ أيضاً[2]:

انـــعَ الكـــريمَ للكـــريمِ أَربَـــدا انـــعَ الـــرّئيسَ واللّطيـــفَ كَبِـــدا[3]

يُحْـــذي ويُعطـــي مالَـــه ليُحمَـــدا أُدْمـــاً يُشَـــبَّهنَ صِـــوَاراً أُبَّـــدا[4]

السّـــابلَ الفضـــلِ إذا مـــا عُـــدِّدا ويَمـــلأُ الجَفْنـــةَ مَـــلأً مَـــدَدا[5]

رِفْهـــاً إذا يـــأتي ضَـــرِيكٌ وَرَدَا مِثلُ الّذي في الغِيلِ يَقـرُو جُمُـدا[6]

يَـــزدادُ قُربـــاً مـــنهمُ أن يُوعَـــدا أَورَثْتَنـــا تُـــراثَ غيـــرِ أَنكَـــدا[7]

غِنـــاً[8] ومـــالاً طارِفـــاً ووَلَـــدا شَـــرْخاً صُـــقوراً يافعـــاً وأَمـــرَدا

---

(١) الفَرقَدان وآل نعش: من النجوم. وخوالد: ثوابت.

(٢) في (غ): وقال لبيد يبكي أربد أيضاً. وانظر «ديوانه» ص١٦٤.

(٣) انع: أعلِم بموته. ووصفه بلطف الكبد لأن غلظ الكبد يعني القسوة وانعدام الرحمة.

(٤) يُحذي: يُعطي، ويروى: يُجْدي، وهو بمعناه. والأُدْم: الإبل البيض. والصّوَار، بضم الصاد وكسرها: القطيع من بقر الوحش. وأُبَّداً: جمع أَبِدٍ، وهو المستوحش النافر.

(٥) أي: إذا عُدِّد الفضل فإن فضله يكون سابلاً، أي: سابغاً وافياً. ومَدداً، أي: مكثراً.

(٦) رِفهاً، أي: يفعل ذلك دائماً كلَّ يوم. والضَّريك: الفقير. والغِيل: أَجَمة الأسد، وهي غابته، ويريد بالذي في الغِيل: الأسد. ويَقرُو: يتتبّع. والجُمُد: المكان المرتفع الغليظ، وقد يكون أراد به اسم جبلٍ بعَيْنه في نجدٍ.

(٧) يوعد: يهدَّد. والتراث: الميراث. وغير أنكد، أي: تراث رجل غير عَسِر.

(٨) في (ص) و(ط) و(ق٢) و(م): غِبّاً، وهي كذلك في «الديوان»، لكن اعتبرها محقِّق «الديوان» إحسان عباس مصحَّفة عن غِناً كما وقع في بقية نسخنا الخطية. والطارف: المال المُستحدَث. وشَرْخاً: شباباً. وصقوراً، أي: كالصقور. واليافع: الذي قارب الحُلُم. والأمرد: =

وقال لَبيدٌ أيضاً[1]:

لَـــن تُفنِيـــا خَيـــراتِ أَر بَـدَ فابكِيـا حتّـى تَعُـودا[2]
قـولا: هـو البَطَـلُ المُحـا مـي حـين يُكسَـونَ الحَديـدا[3]
ويَصُـــدُّ عنّـــا الظّالِمـــ ـينَ إذا لَقِينـا القـومَ صِـيدا[4]
فاعتاقَـه رَيْـبُ[5] البَريَّـ ـةِ إذ رأَى أن لا خُلـودا
فثَـوَى ولـم يُوجَـعْ ولـم يُوصَبْ وكـان هـو الفَقِيـدا[6]

وقال لَبيدٌ أيضاً[7]:

يُـذكّرُني بأَربَـدَ كـلُّ خَصـمٍ أَلَـدَّ تَخـالُ خُطّتَـه ضِـرَارا[8]
إذا اقتَصَـدوا فمُقتصِـدٌ كـريمٌ وإن جـارُوا سَـواءَ الحقِّ جـارا[9]

= الذي لم تنبت لحيته.

(١) انظر «ديوانه» ص١٦٣.

(٢) لن تفنيا: لعله لا يخاطب إلا نفسه وإن ثنّى الكلام. وقوله: حتى تعودا، أي: حتى تكونا عَودَينِ، أي: هَرِمَينِ، العَوْد: الجمل الكبير؛ قاله الأخفش الأصغر في «الاختيارين» ص٢٦٨.

(٣) يريد بالحديد: الدروع، والذين يُكسَون الحديد هم المحاربون الأبطال.

(٤) الصِّيد: جمع أَصيَد، وهو المائل بعنقه كِبْراً.

(٥) هكذا في (ش٢) و(ص) و(ط) و(م) و(ي): ريب، وهي رواية «الديوان»، والرَّيب: حادث الدهر، وفي (ت) و(ش١) و(غ) و(ف) و(ق٢): ربّ.

واعتاقه: منعه من بلوغ أمله، ويروى: فاعتافه، بالفاء، أي: قَصَدَه.

(٦) ثوى: أقام. ولم يوصب، أي: لم يصبه وَصَبٌ، وهو الألم.

(٧) انظر «ديوانه» ص١٦٦.

(٨) ألدّ: شديد الخصومة. والضِّرار: المضارّة.

(٩) اقتصدوا، أي: عدلوا. وجارُوا، أي: مالوا عن الحق وظَلموا؛ يمدحه بأنه يعطي كلَّ حالٍ =

ويَهْدي القومَ مُطّلِعاً إذا ما دليلُ القومِ بالمَوْماةِ حارا[1]

قال ابن هشام: آخرُها بيتاً عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال لَبيدٌ أيضاً[2]:

أصبَحتُ أَمشي بعدَ سَلْمى بنِ مالكٍ وبعدَ أبي قيسٍ وعُرْوةَ كالأجَبّ[3]

إذا ما رأى ظِلَّ الغُرابِ أضَجَّه حِذاراً على باقي السَّناسِنِ والعَصَبْ[4]

قال ابن هشام: وهذان البيتان في أبياتٍ له.

قدومُ ضِمَام بن ثَعْلبة وافداً عن بني سعد بن بكرٍ

قال ابن إسحاق: وبَعَثَ بنو سعدِ بن بكرٍ إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم يقال له: ضِمَامُ بن ثَعْلبة.

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمّدُ بن الوليد بن نُوَيفِع، عن كُرَيبٍ مولى عبدِ الله ابن عبّاسٍ، عن ابن عبّاسٍ قال: بَعَثَت بنو سعدِ بن بكرٍ ضِمامَ بن ثَعْلبةَ وافداً إلى رسول الله ﷺ، فقَدِمَ عليه وأناخَ بعيرَه على باب المسجد ثمّ عَقَلَه[5] ثمّ دخل المسجدَ ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في أصحابِه، وكان ضِمامٌ رجلاً جَلْداً أشعَرَ ذا غَدِيرتَين[6]،

= ما يستحقّه، فهو عادلٌ إذا عَدَلوا، جائرٌ إذا جاروا، وهو مذهبٌ عربيٌّ جاهليٌّ في المدح.

(١) المَوماة: الأرض الفلاة الواسعة. وهو هنا يصف أخاه أَربَد بالبصر بالأمور.

(٢) انظر «ديوانه» ص١.

(٣) الأجبّ: البعير المقطوع السنام. وهؤلاء المذكورون من بني عمّه وقومه.

(٤) أضجَّه: من الضجيج، أي: رغا وصاح إذا دنا منه الغرابُ يريد أن يسقط عليه. والسناسن: عظام الظَّهر، وهي فَقَاره.

(٥) أي: شدّه بالعِقال، وهو الحبل.

(٦) الجَلْد: الشديد. والأشعر: الكثير الشَّعر. والغديرة: الضفيرة من الشَّعر.

فأقبَلَ حتّى وَقَفَ على رسول الله ﷺ في أصحابِه فقال: أيُّكم ابنُ عبدِ المُطَّلِب؟ قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِب» قال: أمحمّدٌ؟ قال: «نَعَم» قال: يا ابنَ عبد المُطَّلِب، إنّي سائلُك ومُغلِّظٌ عليك في المسألة، فلا تَجِدَنَّ في نفسِك، قال: «لا أَجِدُ في نَفْسي، فسَلْ عمَّا بَدَا لك».

قال: أنشُدُك اللهَ إلٰهَك وإلٰهَ مَن كان قبلَك وإلٰهَ مَن هو كائنٌ بعدَك، آللهُ بَعَثَك إلينا رسولاً؟ قال: «اللّٰهمَّ نَعَم» قال: فأنشُدُك اللهَ إلٰهَك وإلٰهَ مَن كان قبلَك وإلٰهَ مَن هو كائنٌ بعدَك، آللهُ أمَرَك أن تأمُرَنا أن نَعبُدَه وحدَه لا نُشرِكُ به شيئاً، وأن نَخلَعَ هذه الأندادَ التي كان آباؤُنا يَعبُدون معه؟ قال: «اللّٰهمَّ نَعَم» قال: فأنشُدُك اللهَ إلٰهَك وإلٰهَ مَن كان قبلَك وإلٰهَ مَن هو كائنٌ بعدَك، آللهُ أمَرَك أن نُصلّيَ هذه الصّلواتِ الخمسَ؟ قال: «اللّٰهمَّ نَعَم».

قال: ثمّ جَعَلَ يذكرُ فرائضَ الإسلامِ فريضةً فريضةً، الزّكاةَ والصّيامَ والحجَّ وشرائعَ الإسلامِ كلَّها، يَنشُدُه عند كلِّ فريضة منها كما يَنشُدُه في التي قبلَها، حتّى إذا فَرَغَ قال: فإنّي أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله، وأشهدُ أنّ محمّداً رسولُ الله، وسأُؤَدّي هذه الفرائضَ وأجتَنِبُ ما نَهَيتَني عنه، ثمّ لا أزيدُ ولا أنقُصُ. ثمّ انصَرَفَ إلى بعيرِه راجعاً، قال: فقال رسول الله ﷺ: «إنْ صَدَقَ ذو العَقِيصَتَينِ[1] دَخَلَ الجنَّةَ».

قال: فأَتى بعيرَه فأطلَقَ عِقالَه ثمّ خرج حتّى قَدِمَ على قومه فاجتَمَعوا إليه، فكان أوّلَ ما تَكلَّمَ به أن قال: بِئسَتِ اللّاتُ والعُزّى، قالوا: مَهْ يا ضِمامُ، اتّقِ البَرَصَ، اتّقِ الجُذامَ، اتّقِ الجنونَ، قال: وَيلَكم، إنّهما والله لا يَضُرّانِ ولا يَنفَعانِ، إنّ الله قد بَعَثَ رسولاً وأنزَلَ عليه كتاباً استَنقَذَكم به ممّا كنتم فيه، وإنّي أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله

(١) العقيصتان: الضَّفيرتان من الشَّعر.

وحدَه لا شريكَ له، وأنّ محمّداً عبدُه ورسولُه، وقد جئتُكم من عندِه بما أمَرَكم به وما نَهاكُم عنه، قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليومِ وفي حاضرِه[1] رجلٌ ولا امرأةٌ إلّا مُسلِماً.

قال: يقول عبدُ الله بن عبّاسٍ: فما سَمِعْنا بوافدِ قومٍ كان أفضلَ من ضِمَام بن ثَعْلبة[2].

قدومُ الجارود في وفد عبد القَيس

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ على رسول الله ﷺ الجارودُ بن عمرو بن حَنَشٍ أخو عبد القيس ـ قال ابن هشام: الجارودُ بن بِشْر بن المُعلَّى ـ في وفدِ عبد القيس، وكان نصرانيّاً.

قال ابن إسحاق: حدّثني مَن لا أتّهمُ عن الحسنِ قال: لمّا انتَهَى إلى رسول الله ﷺ كَلَّمَه، فعَرَضَ عليه رسولُ الله ﷺ الإسلامَ ودعاه إليه ورَغَّبَه فيه، فقال: يا محمّدُ، إنّي قد كنت على دينٍ، وإنّي تاركٌ دِيني لدينِك، أفتَضمَنُ لي دِيني؟ قال:

---

(١) الحاضر: الحيُّ.

(٢) حديث صحيح، وهذا إسناد حسن إن شاء الله، محمد بن الوليد بن نُوَيفع روى عنه اثنان: ابنُ إسحاق وأبو مَعشَر نَجِيح بن عبد الله السِّنْدي المدني، غير أنَّ هذا الثاني سماه محمد بن نُويفع، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال الدارقطني: يُعتبَر به، وقد تابعه سلمةُ بن كُهيل في رواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند أبي داود (٤٨٧)، غير أنه لم يسق لفظه بتمامه.

وأخرج الحديث أيضاً أحمد (٢٢٥٤) و(٢٣٨٠) و(٢٣٨١) من طريق إبراهيم بن سعد، والحاكم (٤٤٢٨) من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

وروى قصة وفود ضمامٍ أيضاً أنسُ بن مالك فيما أخرجه أحمد (١٢٧١٩)، والبخاري (٦٣)، ومسلم (١٢).

فقال رسول الله ﷺ: «نَعَم أنا ضامنٌ أنْ قَدْ هَدَاكَ اللهُ إلى ما هو خَيرٌ منه»، قال: فأسلَمَ وأسلَمَ أصحابُه.

ثمّ سأَل رسولَ الله ﷺ الحُمْلانَ[1]، فقال: «واللهِ ما عِندي ما أَحمِلُكم عليه» قال: يا رسولَ الله، فإنَّ بيننا وبين بلادِنا ضَوَالَّ من ضَوَالِّ الناس، أفنَتَبلَّغُ عليها إلى بلادِنا؟ قال: «لا، إيّاكَ وإيّاها، فإنَّما تلك حَرَقُ النّارِ»[2].

فخرج من عندِه الجارودُ راجعاً إلى قومه، وكان حَسَنَ الإسلام صَليباً على دينه حتّى هَلَكَ، وقد أدرَكَ الرِّدّةَ، فلمّا رجع قومُه مَن كان أسلَمَ منهم إلى دينهم الأوّلِ مع الغَرُور[3] بن المُنذِر بن النُّعمان بن المُنذِر، قامَ الجارودُ فتَشهَّدَ شهادةَ الحقِّ ودعا إلى الإسلام، فقال: أيّها الناسُ، إنّي أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله، وأنّ محمّداً عبدُه

---

(١) الحُملان: ما يركبون عليه من دوابّ.

(٢) إسناده ضعيف لإرساله، والواسطة المبهمة بين ابن إسحاق وبين الحسن البصري قد بيَّنها سلمةُ بن الفضل في روايته عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٣٦، وهو الحسن ابن دينار، والحسن هذا قد ضعّفوه.

والشطر الثاني من الحديث عن الضوالّ (وهي الإبل الضالّة الصالحة للرّكوب) روي موصولاً عن الجارود العبديِّ نفسه، فقد أخرجه بنحوه أحمد (٢٠٧٥٤-٢٠٧٥٩)، والنسائي في «الكبرى» (٥٧٦٠-٥٧٦٥)، وابن حبان (٤٨٨٧) من طريق ابن الشِّخّير، عن أبي مسلم الجَذْمي، عن الجارود. وإسناده حسن.

وقوله: «حَرَقُ النار» بفتح الراء: لهبُها، وقد تُسكَّن، أي: إن هذه الضالّة إذا أخذها إنسان ليتملَّكها أدَّته إلى النار. قاله ابن الأثير في «النهاية».

(٣) زعم السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٤٤٢: أنه هو المنذر نفسه، وليس ابنه، وأنه سُمّي بذلك لأنه غرَّ قومَه في تلك الردّة، أو غرُّوه واستعانوا به على حربهم، فقُتل هنالك، وزعم وَثِيمةُ بن موسى (صاحب كتاب «أخبار الرِّدّة») أنه أسلم بعد ارتداده، والله أعلم.

ورسولُه، وأُكفِّرُ مَن لم يَشهَدْ.

قال ابن هشام: ويُروَى: وأَكفي مَن لم يَشهَد.

قال ابن إسحاق: وقد كان رسولُ الله ﷺ بَعَثَ العَلاءَ بن الحَضرَميِّ قبلَ فتحِ مكّة إلى المُنذِر بن ساوَى العَبْديِّ، فأسلمَ فحَسُنَ إسلامُه، ثمّ هَلَكَ بعدَ رسول الله ﷺ قبلَ رِدّة أهلِ البحرَينِ والعلاءُ عنده أميراً لرسول الله ﷺ على البحرَين.

قدوم بني حَنِيفة ومعهم مُسيلِمةُ الكذّاب

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ وفدُ بني حَنِيفة فيهم مُسيلِمةُ بن حَبيبٍ الكذّابُ.

قال ابن هشام: مُسَيلِمةُ بن ثُمَامة، ويكنى أبا ثُمَامة.

قال ابن إسحاق: فكان مَنزِلُهم في دار بنتِ الحارث، امرأةٍ من الأنصار ثمّ من بني النَّجّار، فحدَّثني بعضُ عُلَمائنا من أهل المدينة: أنّ بني حَنِيفة أتَتْ به[1] رسولَ الله ﷺ تَستُرُه بالثِّياب، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في أصحابه معه عَسِيبٌ[2] من سَعَفِ النَّخلِ في رأسه خُوصاتٌ، فلمّا انتَهى إلى رسول الله ﷺ وهم يَستُرونَه بالثِّياب، كَلَّمَه وسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «لو سَأَلتَني هذا العَسِيبَ ما أَعطَيتُكَه»[3].

---

(١) أي: بمسيلمة الكذاب.

(٢) العَسيب: جريدة النخل.

(٣) أصل الخبر صحيح، وهذا إسناد ضعيف لإعضاله وإبهام رواته.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٣٧، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٣٣٠ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق.

وقد روى ابنُ عبّاس خبر مسيلمة الكذاب بنحو هذا السياق، فقد أخرج البخاري (٣٦٢٠) و(٤٣٧٣) ومسلم (٢٢٧٣) عنه قال: قَدِمَ مسيلمةُ الكذاب على عهد رسول الله ﷺ، فجعل يقول: إن جعل لي محمدٌ الأمرَ من بعده تبعتُه، وقَدِمَها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه =

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني شيخٌ من بني حَنِيفة من أهلِ اليَمَامة: أنّ حديثَه كان على غير هذا، زَعَمَ: أنّ وفدَ بني حَنِيفة أتَوْا رسولَ الله ﷺ وخَلَّفوا مُسيلِمةَ في رِحَالِهم، فلمّا أسلَموا ذَكَرُوا مكانَه فقالوا: يا رسولَ الله، إنّا قد خَلَّفْنا صاحباً لنا في رِحالِنا وفي ركائِبنا يَحفَظُها لنا، قال: فأَمَرَ له رسولُ الله ﷺ بمِثْلِ ما أَمَرَ به للقوم، وقال: «أَمَا إنَّه ليسَ بشَرِّكُم مَكاناً»؛ أي: لحِفْظِه ضَيْعةَ أصحابِه؛ ذلك الذي يريد رسولُ الله ﷺ.

قال: ثمّ انصَرَفوا عن رسول الله ﷺ وجاؤوه بما أعطاه، فلمّا انتَهَوا إلى اليَمَامة ارتَدَّ عدوُّ الله وتَنبّأَ وتَكذَّبَ لهم، وقال: إنّي قد أُشرِكتُ في الأمر معه. وقال لوَفْدِه الّذين كانوا معه: أَلم يَقُل لكم حين ذَكَرتُموني له: «أَمَا إنّه ليس بشَرِّكُم مَكاناً»؛ ما ذاكَ إلّا لِما كان يَعلَمُ أنّي قد أُشرِكتُ في الأمر معه[1].

ثمّ جَعَلَ يَسجَعُ لهم السَّجَعاتِ ويقول لهم فيما يقول مُضَاهاةً[2] للقرآن: لقد

= رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شمّاس، وفي يد رسول الله ﷺ قطعةُ جَريدٍ، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، فقال: «لو سألتَني هذه القطعةَ ما أَعطيتُكَها، ولن تَعدُوَ أمرَ الله فيك، ولئن أدبرتَ ليَعقِرنَّك اللهُ (أي: ليقتلنّك وليهلكنّك)، وإني لأُراك الذي أُرِيتُ فيه ما أُرِيتُ، وهذا ثابتٌ يجيبك عنّي»، ثم انصرف عنه.

قال ابن عباس: فسألتُ عن قول رسول الله ﷺ: «إنك أُرَى الذي أُرِيتُ فيه ما أُرِيت»، فأخبرني أبو هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنا أنا نائمٌ رأيت في يديّ سِوارَينِ من ذهبٍ، فأهمَّني شأنُهما، فأُوحيَ إليَّ في المنام: أن انفُخهما، فنفختهما فطارا، فأوَّلتُهما كذّابَينِ يخرجانِ بعدي». فكان أحدهما العَنْسيّ صاحب صنعاء، والآخر مُسيلِمة صاحب اليمامة.

وسيأتي حديث أبي سعيد بنحو حديث أبي هريرة في هذه الرؤيا عند المصنف ص٣٧٦.

(١) ذكر نحو هذا الخبر ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٧٣ بإسنادين مرسلين ضعيفين.

(٢) مضاهاة: مشابهة.

أنعَمَ الله على الحُبلَى، أخرَجَ منها نَسَمةً تَسعَى، من بين صِفاقٍ وحَشَا[1].

وأحَلَّ لهم الخمرَ والزِّنى ووَضَعَ عنهم الصّلاةَ، وهو مع ذلك يَشهَدُ لرسول الله ﷺ بأنّه نبيٌّ، فأصفَقَت معه حَنِيفةُ على ذلك[2]، فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

قدومُ زيد الخيل في وفد طَيّئٍ

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ على رسول الله ﷺ وفدُ طَيّئٍ فيهم زيدُ الخيلِ، وهو سيِّدُهم، فلمّا انتَهَوا إليه كَلَّموه وعَرَضَ عليهم رسولُ الله ﷺ الإسلامَ فأسلَموا، فحَسُنَ إسلامُهم.

وقال رسولُ الله ﷺ ـ كما حدّثني مَن لا أتّهم من رجال طَيّئ ـ: «ما ذُكِرَ لي رجلٌ من العربِ بفَضْلٍ ثمّ جاءَني، إلّا رأَيتُه دونَ ما يقالُ فيه إلّا زيدَ الخيلِ، فإنّه لم يُبلَغْ كلُّ ما كانَ فيه»، ثمّ سمّاه رسولُ الله ﷺ زيدَ الخير، وقَطَعَ له فَيْداً[3] وأرَضِينَ معه، وكَتَبَ له بذلك[4].

فخرج من عندِ رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه، فقال رسول الله ﷺ: «إنْ يَنجُ زيدٌ من حُمَّى المدينةِ فإنّهُ»[5] ـ قال: قد سمّاها رسولُ الله ﷺ باسمٍ غيرِ الحُمّى وغيرِ

---

(١) الصِّفاق: ما رقَّ من البطن. والحشا: ما انضمّت عليه الضُّلوع.

(٢) أصفقوا معه على ذلك، أي: أجمعوا عليه.

(٣) يقع فيد في جهة الشمال الشرقي من المدينة المنوّرة، جنوب شرق مدينة حائل على بعد ٩٠ كم منها تقريباً.

(٤) روى ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٧٧ نحو هذا الخبر من وجهين ضعيفين مرسلين، فلعلهما مع رواية ابن إسحاق عن رجال من طيّئ يشدُّ بعضها بعضاً فيقوى أصل الخبر.

(٥) ذكر الصالحيُّ في «سبل الهدى والرشاد» ٦/ ٣٥٨ عن بعض الشرّاح قال: إنّ جواب «إنْ ينجُ» محذوف والتقدير: فإنه لا يُعاب.

أمِّ مِلدَمٍ، فلم يُثبِتْه[1] ـ فلمّا انتَهى من بلد نَجدٍ إلى ماءٍ من مياهه يقال له: فَرْدة[2]، أصابته الحُمّى بها فمات، ولمّا أحَسَّ زيدٌ بالموتِ قال:

أمُرتَحِلٌ قَومِي المَشارِقَ غُدْوةً وأُترَكُ في بيتٍ بفَرْدةَ مُنجِدِ[3]

ألا رُبَّ يومٍ لو مَرِضتُ لَعادَني عوائدُ مَن لم يُبْرَ منهنَّ يَجهَدِ[4]

فلمّا مات عَمَدَت امرأتُه إلى ما كان معها من كُتبِه التي قَطَعَ له رسولُ الله ﷺ، فحرَّقَتها بالنار.

أمرُ عَدِيّ بن حاتم

وأمّا عَدِيُّ بن حاتمٍ فكان يقول فيما بَلَغَني: ما رجلٌ من العربِ كان أشدَّ كراهيَةً لرسول الله ﷺ حين سَمِعَ به منّي، أمّا أنا فكنت امرَأً شريفاً وكنت نصرانيّاً، وكنت أَسِيرُ في قومي بالمِرْباع[5]، فكنتُ في نفسي على دينٍ وكنت ملكاً في قومي، لِمَا كان يُصنَعُ بي، فلمّا سمعتُ برسول الله ﷺ كَرِهتُه، فقلت لغلامٍ كان لي عربيٍّ، وكان

(١) قال السهيلي في «الروض» ٧/ ٤٤٧: الاسم الذي ذهب عن الراوي من أسماء الحمّى هو أمّ كُلْبة، ذُكر لي أن أبا عبيدة ذكره في «مقاتل الفرسان»، ولم أره.

(٢) ذكر عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢٣٦ أنه في الجنوب الغربي من فَيْد ماء يُسمّى فَرْدة، قال: فلعلّه هو.

(٣) بيت مُنجِد، أي: بيت بنجدٍ.

(٤) لم يُبرَ، أي: لم يَهزِل ويضعف.

فائدة: وقع على حاشية نسخة (ط) هنا ما نصه:

حدثني عبد الرحمن قال: أنشدني سعيد بن عُفير:

فليتَ اللواتي عُدْنني لم يَعُدنني وليتَ اللواتي غِبنَ عنّي شُهَّدِ

قلنا: وهذا البيت ذكره أيضاً لزيدٍ السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٤٥٠.

(٥) أَسير بالمرباع، أي: آخذ الرُّبع من الغنائم، لأني سيّدهم.

راعياً لإبلي: لا أبا لك، أَعدِدْ لي من إبلي أجمالاً ذُلُلاً[1] سِماناً، فاحتَبِسْها قريباً منّي، فإذا سمعتَ بجيشٍ لمحمّدٍ قد وَطِئَ هذه البلادَ، فآذِنّي، ففعل.

ثمّ إنّه أتاني ذاتَ غَدَاةٍ فقال: يا عَديُّ، ما كنتَ صانعاً إذا غَشِيَتك خيلُ محمّدٍ فاصنَعْه الآنَ، فإنّي قد رأيتُ راياتٍ فسألتُ عنها، فقالوا: هذه جيوشُ محمّدٍ، قال: فقلت: فقَرِّبْ إليَّ أجمالي، فقَرَّبَها، فاحتَمَلتُ بأهلي ووَلَدي، ثمّ قلت: ألحَقُ بأهلِ ديني من النَّصارى بالشّام، فسَلَكتُ الجُوْشيّة[2] ـ ويقال: الحُوشيّةُ، فيما قال ابن هشامٍ ـ وخَلَّفتُ بنتاً لحاتمٍ في الحاضر[3]؛ فلمّا قَدِمتُ الشّامَ أقمتُ بها.

وتُخالِفُني خيلٌ لرسول الله ﷺ فتُصيبُ ابنةَ حاتمٍ فيمَن أصابَت، فقُدِمَ بها على رسول الله ﷺ في سَبَايا من طَيِّءٍ، وقد بَلَغَ رسولَ الله ﷺ هَرَبي إلى الشّام، قال: فجُعِلَت بنتُ حاتمٍ في حَظِيرةٍ[4] بباب المسجد كانت السَّبايا يُحبَسنَ فيها، فمَرَّ بها رسولُ الله ﷺ فقامت إليه، وكانت امرأةً جَزْلةً[5] فقالت: يا رسولَ الله، هَلَكَ الوالدُ وغابَ الوافدُ[6]، فامنُنْ عليَّ مَنَّ الله عليك، قال: «ومَن وافِدُك؟» قالت: عَديُّ بن حاتمٍ، قال: «الفارُّ من اللهِ ورسولِه؟!» قالت: ثمّ مضى رسولُ الله ﷺ وتَرَكَني، حتّى

(١) ذُلُل: جمع ذَلُول، وهو الجمل السهل الذي قد رُيّض.

(٢) ذكر حمد الجاسر في تعليقه على كتاب «الأماكن» ص٢٧٦ للحازمي: أن الجوشية طريق كانت تُسلَك من شمال نجد إلى الشام، كانت تمرُّ بجبل جَوْش الذي يُعرَف الآن هو والعَلَم وما حولهما من الجبال باسم الطُّبيق شمال الجزيرة العربية.

(٣) الحاضر: الحيّ.

(٤) الحظيرة: موضع يُحاط عليه بشيء كالخشب أو القصب أو نحوهما، والمراد بها هنا الخيمة.

(٥) الجَزْلة: العظيمة الوافية، أو ذات كلامٍ جَزْلٍ، أي: قويّ.

(٦) الوافد: الزائر.

إذا كان من الغَدِ مَرَّ بي، فقلتُ له مِثلَ ذلك، وقال لي مِثلَ ما قال بالأمس، قالت: حتّى إذا كان بعدَ الغَدِ مَرَّ بي وقد يَئِستُ منه، فأشارَ إليَّ رجلٌ من خَلفِه: أنْ قُومي فكَلِّميهِ، قالت: فقُمتُ إليه فقلت: يا رسولَ الله، هَلَكَ الوالدُ وغابَ الوافِدُ، فامنُنْ عليَّ مَنَّ الله عليك، فقال ﷺ: «قد فَعَلتُ، فلا تَعجَلي بخروجٍ حتّى تَجِدي من قومِك مَن يكونُ لكِ ثِقةً حتّى يُبلِّغَكِ إلى بلادِك، ثمّ آذِنِيني». فسألتُ عن الرّجلِ الذي أشارَ إليَّ أن كَلِّميهِ فقيلَ: عليُّ بن أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه.

وأقَمتُ حتّى قَدِمَ رَكْبٌ من بَلِيٍّ أو قُضَاعة، قالت: وإنّما أُريدُ أن آتي أَخي بالشّام. قالت: فجئتُ رسولَ الله ﷺ فقلت: يا رسولَ الله، قد قَدِمَ رَهْطٌ من قومي لي فيهم ثِقةٌ وبَلاغٌ، قالت: فكَسَاني رسولُ الله ﷺ وحَمَلَني، وأعطاني نَفَقةً، فخرجتُ معهم حتّى قَدِمتُ الشّامَ.

قال عَديٌّ: فوالله إنّي لَقاعدٌ في أهلي، إذ نَظَرتُ إلى ظَعِينةٍ تَصَوَّبُ إليَّ[1] تَؤمُّنا، قال: فقلت: ابنةُ حاتمٍ! قال: فإذا هيَ هيَ، فلمّا وَقَفَت عليَّ انسَحَلَت[2] تقول: القاطعُ الظّالمُ، احتَمَلتَ بأهلِك ووَلَدِك، وتَرَكتَ بقيّةَ والدِك عَورَتَك! قال: قلت: أيْ أُخَيّةُ، لا تقولي إلّا خيراً، فوالله ما لي من عُذرٍ، لقد صَنَعتُ ما ذكرتِ. قال: ثمّ نَزَلَت فأقامَت عندي، فقلت لها، وكانت امرأةً حازِمةً: ماذا تَرَينَ في أمرِ هذا الرَّجلِ؟ قالت: أَرَى والله أن تَلحَقَ به سريعاً، فإن يكن الرَّجلُ نبيّاً، فللسّابقِ إليه فضلُه، وإن يكن مَلِكاً، فلن تَذِلَّ في عِزِّ اليَمَن[3]، وأنتَ أنتَ، قال: قلت: والله إنّ هذا لَلرّأيُ.

---

(١) الظعينة: المرأة في هودجها. وتَصوّب إليَّ، أي: تقصدني.

(٢) انسحلت، أي: أخَذَت في اللوم.

(٣) تريد بعزّ اليمن عزَّ الأوس والخزرج عند النبي ﷺ، فهما من اليمن، كما أن طيِّئاً قوم عديٍّ أصلهم من اليمن.

قال: فخرجتُ حتّى أَقدَمَ على رسول الله ﷺ المدينةَ، فدَخلتُ عليه وهو في مسجده، فسَلَّمتُ عليه فقال: «مَن الرَّجُلُ؟» فقلت: عَدِيُّ بن حاتمٍ؛ فقامَ رسولُ الله ﷺ فانطَلَقَ بي إلى بيتِه، فوالله إنّه لَعامِدٌ بي إليه إذ لَقِيَته امرأةٌ ضعيفةٌ كبيرةٌ فاستَوقَفَته، فوَقَفَ لها طويلاً تُكلِّمُه في حاجَتِها، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بمَلِكٍ، قال: ثمّ مضى بي رسولُ الله ﷺ حتّى إذا دخل بي بيتَه تَناوَلَ وِسَادةً من أَدَمٍ مَحشُوَّةٍ ليفاً، فقَذَفَها إليَّ فقال: «اجلِسْ على هذِه»، قال: قلت: بل أنتَ فاجلِسْ عليها، قال: «بل أنتَ»، فجَلَستُ عليها، وجَلَسَ رسولُ الله ﷺ بالأرض، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمرِ مَلِكٍ.

ثمّ قال: «إيهٍ يا عَدِيَّ بنَ حاتِمٍ، ألم تَكُ رَكُوسيّاً[1]؟» قال: قلت: بَلَى، قال: «أولَمْ تَكُنْ تَسِيرُ في قومِك بالمِرْباعِ؟» قال: قلت: بَلَى، قال: «فإنَّ ذلك لم يكنْ يَحِلُّ لك في دينِك» قال: قلت: أجَلْ والله، قال: وعَرَفتُ أنه نبيٌّ مُرسَلٌ يَعلَمُ ما يُجهَلُ.

ثمّ قال: «لَعَلَّك يا عَدِيُّ إنّما يَمنَعُك من دُخولٍ في هذا الدِّينِ ما تَرَى من حاجَتِهم، فوالله لَيُوشِكَنَّ المالُ أن يَفِيضَ فيهم حتّى لا يوجَدَ مَن يأخُذُه، ولَعَلَّك إنّما يَمنَعُك من دُخولٍ فيه ما تَرَى من كَثْرةِ عَدوِّهم وقِلّةِ عَدَدِهم، فوالله لَيُوشِكَنَّ أن تَسمَعَ بالمرأةِ تَخرُجُ من القادِسيَّةِ[2] على بعيرِها حتّى تَزُورَ هذا البيتَ لا تَخافُ،

---

(١) الرَّكوسية: قوم لهم دينٌ بين دين النصارى والصابئين، قاله أبو عبيدٍ في «غريب الحديث» ٣/ ٨٧ عن ابن سيرين.

وقوله: «إيهٍ يا عدي» هذه كلمة يراد بها الاستزادة، وهي مبنيّة على الكسر، فإذا وصلتَ نوّنتَ فقلت: إيهٍ حدِّثنا. قاله ابن الأثير في «النهاية» ١/ ٨٧.

(٢) كذا وقع في هذا السِّياق ذكرُ القادسية، والذي ثبت عن عديّ بن حاتم من وجه آخر كما عند أحمد وغيره ذكر الحِيرة وليس القادسية، وهما قريبتان كلتاهما جنوب الكوفة، والحيرة =

ولَعَلَّك إنّما يَمنَعُك من دُخولٍ فيه أنّك تَرَى أنّ المُلْكَ والسُّلطانَ في غيرِهم، وايْمُ اللهِ لَيُوشِكَنَّ أنْ تَسمَعَ بالقُصورِ البِيضِ من أرضِ بابِلَ قد فُتِحَت عليهم»، قال: فأسلَمتُ.

فكان عَديٌّ يقول: قد مَضَتِ اثنَتانِ وبَقِيَت الثّالثةُ، ووالله لتكونَنَّ، قد رأيتُ القُصورَ البِيضَ من أرضِ بابِلَ قد فُتِحَت، وقد رأيتُ المرأةَ تَخرُجُ من القادِسيّةِ على بعيرِها لا تَخافُ حتّى تَحُجَّ هذا البيتَ، وايْمُ اللهِ لتكونَنَّ الثّالثةُ، لَيَفِيضَنَّ المالُ حتّى لا يوجَدَ مَن يأخُذُه[1].

قدومُ فَرْوة بن مُسَيكٍ المُراديّ

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ فَرْوةُ بن مُسَيكٍ المُراديُّ على رسول الله ﷺ مُفارقاً لملوك كِنْدةَ ومُباعداً لهم إلى رسول الله ﷺ.

وقد كان قُبَيلَ الإسلام بين مُرادٍ وهَمْدانَ وَقْعةٌ أصابت فيها هَمْدانُ من مُرادٍ ما

= بين القادسية والكوفة تبعد عن كل منهما قرابة ٢٠ كم.

(١) خبر عديٍّ بهذا الطول ضعيف الإسناد لإبهام رواته فيما بينه وبين ابن إسحاق، وقد رواه سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١١٢-١١٥ عن ابن إسحاق عن شيبان بن سعد الطائي فيما بلغه عن عديٍّ، وشيبان هذا لا يُعرَف.

وأخرج نحوه مطولاً ابن سعد في «الطبقات» ٦/ ٢١٤-٢١٧ بإسناد ضعيف جداً عن أبي عمير الطائي قال: كان من خبر عدي بن حاتم وإسلامه أنه كان يقول... وذكره.

وخبر قدوم عديٍّ على النبي ﷺ وإسلامه والبِشارات الثلاث ودون قصة أسر أخته، رواه عن عديٍّ أبو عُبيدة بن حُذيفة فيما أخرجه أحمد (١٨٢٦٠) و(١٩٣٧٨) و(١٩٣٨٤)، وابن حبان (٦٦٧٩)، والحاكم (٨٧٩٥)، ورجاله إلى أبي عبيدة ثقات مشهورون، وأبو عبيدة روى عنه جمع وذكره ابن حبان في «ثقاته»، فحديثه حديث حسنٌ.

وأخرج بعضاً منه البخاري (٣٥٩٥) من طريق مُحِلّ بن خليفة الطائي، عن عدي بن حاتم.

أرادوا، حتّى أثخَنُوهم[1] في يومٍ كان يقال له: يومُ الرَّدْم، فكان الذي قادَ هَمْدانَ إلى مُرادٍ الأجدَعُ بن مالكٍ في ذلك اليوم.

قال ابن هشام: الذي قادَ هَمْدانَ في ذلك اليومِ مالكُ بن حَرِيمٍ[2] الهَمْداني.

قال ابن إسحاق: وفي ذلك اليوم يقول فَرْوةُ بن مُسَيك:

مَرَرنَ على لِفَاتَ وهُنَّ خُوصٌ ... يُنازِعنَ الأعِنّةَ يَنتَحِينا[3]

فإن نَغلِبْ فغَلَّابونَ قِدْماً ... وإن نُغلَبْ فغيرُ مُغلَّبِينا

وما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ ولكنْ ... مَنايانا وطُعْمةُ آخَرِينا[4]

كَذاكَ الدّهرُ دَولتُه سِجالٌ ... تَكُرُّ صُروفُه حِيناً فحِينا[5]

---

(١) أثخنوهم: أكثروا القتل فيهم والجِراحات.

ومراد وهَمْدان: قبيلان يمانيان عظيمان، وبلادهما مناطق شمال اليمن، وتمتدّ بلاد مراد شمالاً إلى أطراف نجدٍ الغربية الجنوبية.

(٢) قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٤١: يروى هنا بفتح الحاء المهملة، ويروى أيضاً: خُرَيم، بضم الخاء المعجمة، وحَرِيم بفتح الحاء المهملة هو الصواب.

(٣) مررنَ: يريد الخيل. ولفات، بكسر اللام وفتحها كما عند الخشنيّ: اسم موضع، وقيّده ياقوت في «معجم البلدان» بضمّ اللام. وخُوص: غائرات العيون. ويَنتحِين: يعترضن ويعتمدن.

(٤) هذا البيت من شواهد سيبويه في «الكتاب» ٣/ ١٥٣ على زيادة «إنْ» بعد «ما» وكفّها عن العمل.

ومعنى: ما طبُّنا: ليس من شأننا وعادتنا، يقول: لم يكن سبب قتلنا الجُبن، وإنما كان ما جرى به القدرُ من حضور المنايا وانتقال الحال عنّا إلى آخرين، فإن كانت همدانُ ظَهَرَت علينا في يوم الرَّدم فغلبتنا، فنحن غير مغلَّبين، والمغلَّب: الذي يُغلَب مراراً، أي: لم نُغلَب إلا مرة واحدة.

(٥) دولته سِجَال، أي: تكون تارة للإنسان، وتارة عليه، وهو من المساجَلَة على البئر، يستقي هذا مرة، وذاك مرة، والسَّجْل: الدَّلو.

فبَيْنا ما تُسَرُّ به وترضَى ... ولو لُبِسَت غَضَارتُه سِنِينا[1]

إذ انقَلَبَت به كَرّاتُ دَهرٍ ... فألفَيتَ الأُلَى غُبِطوا طَحِينا[2]

فمَن يُغبَطْ بريبِ الدّهرِ منهم ... يَجِدْ رَيبَ الزّمانِ له خَؤُونا[3]

فلو خَلَدَ الملوكُ إذاً خَلَدْنا ... ولو بقيَ الكِرامُ إذاً بَقِينا

فأَفنَى ذلكم سَرَواتِ قومي ... كما أَفنَى القُرونَ الأوَّلينا[4]

قال ابن هشام: أوّلُ بيتٍ منها، وقولُه: فإن نَغلِبْ، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ولمّا تَوجَّهَ فروةُ بن مُسَيكٍ إلى رسول الله ﷺ مُفارِقاً لملوك كِنْدةَ قال:

لمّا رأيتُ ملوكَ كِندةَ أعرَضَت ... كالرِّجلِ خانَ الرِّجلَ عِرقَ نَسَائِها[5]

قَرّبتُ راحلتي أؤمُّ محمّداً ... أَرجو فواضِلَها وحُسنَ ثَرائِها

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة: أرجو فواضِلَه وحُسنَ ثَنائِها.

قال ابن إسحاق: فلمّا انتَهى إلى رسول الله ﷺ، قال له رسولُ الله ﷺ فيما بَلَغَني: «يا فَرْوةُ، هل ساءَك ما أصابَ قومَك يومَ الرَّدْمِ؟» قال: يا رسولَ الله، مَن ذا يُصِيبُ قومَه مِثلُ ما أصابَ قومي يومَ الرَّدْمِ لا يَسُوؤُه ذلك! فقال رسول الله ﷺ له: «أمَا إنّ ذلك لم يَزِدْ قومَك في الإسلامِ إلّا خيراً»[6].

(١) غضارة الشيء: طراوته ونعمته.

(٢) الأُلى: الذين. وغُبطوا، أي: استُحسنت حالهم.

(٣) ريب الدهر والزمان: حوادثه.

(٤) سروات القوم: أشرافهم ورؤوسهم.

(٥) النَّسا: عِرقٌ مُستبطِن في الفخذ، وهو مقصور، ومُدَّ هنا للضرورة الشعرية.

(٦) خبر ضعيف من بلاغات ابن إسحاق ولم يسنده. =

واستَعمَلَه النبيُّ ﷺ على مُرادٍ وزُبَيدٍ ومَذحِجٍ كلِّها، وبَعَثَ معه خالدَ بن سعيد ابن العاصِ على الصَّدَقة، فكان معه في بلادِه حتّى تُوفِّيَ رسولُ الله ﷺ.

قدومُ عمرو بن مَعْدي كَرِبَ في أناسٍ من بني زُبيدٍ

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ عمرُو بن مَعدِي كَرِبَ في أُناسٍ من بني زُبَيدٍ، فأسلمَ، وكان عمرُو قد قال لقيس بن مَكشُوحٍ المُراديِّ حين انتَهى إليهم أمرُ رسول الله ﷺ: يا قيسُ، إنّك سيِّدُ قومِك، وقد ذُكِرَ لنا أنّ رجلاً من قُريشٍ يقال له: محمّدٌ، قد خرج بالحِجَاز يقال: إنّه نبيٌّ، فانطَلِقْ بنا إليه حتّى نعلمَ عِلمَه، فإن كان نبيّاً كما يقول، فإنّه لن يَخفَى عليك، إذا لَقِيناه اتّبَعناه، وإن كان غيرَ ذلك عَلِمْنا عِلمَه. فأَبَى عليه قيسٌ ذلك وسَفَّهَ رأيَه، فرَكِبَ عمرُو بن مَعدِي كَرِبَ حتّى قَدِمَ على رسول الله ﷺ فأسلمَ وصَدَّقَه وآمَنَ به.

فلمّا بَلَغَ ذلك قيسَ بن مَكشُوحٍ أَوعَدَ عَمراً وتَحطَّمَ عليه[1]، وقال: خالَفَني وتَرَكَ رأيي، فقال عمرو بن مَعدِي كَرِبَ في ذلك[2]:

أمَرتُكَ يومَ ذي صَنعاءَ أمراً باديـاً رَشَدُهْ[3]

= وقد ذكر نحوه ابن الأثير في «أسد الغابة» ٤/ ٦٩٧ عن هشام بن محمد الكلبيّ، عن أبي كبران المرادي، عن يحيى بن هانئ بن عروة المرادي مرسلاً. وهشامٌ ابن الكلبي ليس بثقة.

(١) تحطَّم عليه، أي: اشتدَّ عليه.

(٢) انظر «شعر عمرو» جمع مطاع الطرابيشي ص٨٧.

(٣) صنعاء: هي المدينة اليمانية المعروفة، وذو كالصِّلة عندهم في لغتهم، يريد: يوم صنعاء، قال الأزهري في «تهذيب اللغة» ١٥/ ٣٦: يقال: أتينا ذا يمنٍ، أي: أتينا اليمن، وسمعتُ غيرَ واحد من العرب يقول: كنّا بموضع كذا وكذا مع ذي عمرٍو، أي: كنا مع عمرٍو، وذو كالصِّلة عندهم.

أمَرتُـــكَ باتّقـــاءِ اللّـــــهِ والمعـــروفِ تَتّعِـــدُهْ[1]

خَرَجتَ من المُنَى مِثلَ الـ ـحُميِّـــرِ غَـــرَّه وَتِـــدُهْ[2]

تَمنّـــاني علـــى فَـــرَسٍ عليـــه جالســـاً أَسَـــدُهْ

علـــيَّ مُفَاضـــةٌ كالنِّهْـــ ـــيِ أخلَـصَ مـاءَه جَـدَدُهْ[3]

تَـرُدُّ الـرّمحَ مُنثَنـيَ السِّـ ـنـــانِ عَـــوائراً قِصَـــدُهْ[4]

فلـــو لاقَيتَنـــي لَلَقِيـــ ـــتَ ليثـــاً فوقَـــه لِبَـــدُهْ[5]

تُلاقـي شَـنْبَثاً شَـثْنَ الـ ـبَـــراثِنِ ناشـــزاً كَتَـــدُهْ[6]

يُسـامِي القِـرْنَ إنْ قِـرنٌ تَيَمَّمَـــهُ فيعتَضِـــدُهْ[7]

فيأخُـــذُهُ فيَرفَعُـــهُ فيَخفِضُـــهُ فيَقتصِـــدُهْ[8]

فيَدمَغُـــهُ فيَحطِمُـــهُ فيَخضِـــمُهُ فيَـــزدَرِدُهْ[9]

---

(١) تتَّعده، أي: تلتزمه.

(٢) هذا من المثل: عَيْرٌ عارَه وَتِدُه، ومعنى عارَه: أهلكه، وغرَّه بمعناه، وأصل المثل: أن رجلاً أشفق على حماره فربطه إلى وَتِدٍ، فهجم عليه السَّبُع فلم يمكنه الفِرار، فأهلكه ما احترس له به. انظر «مجمع الأمثال» للميداني ٢/ ١٣.

(٣) المُفاضة: الدرع الواسعة. والنِّهي: الغدير من الماء. والجَدَد: الأرض الصُّلبة.

(٤) عوائر: متطايرة. والقِصَد: جمع قِصْدة، وهي ما تَكسَّر من الرمح.

(٥) اللِّبَد: جمع لِبْدة، وهي ما على كتفي الأسد ورأسه من الشَّعر.

(٦) الشَّنبَث: الذي يتعلق بقِرْنه ولا يزايله. والشَّثن: الغليظ الأصابع. والبراثن للسباع بمنزلة الأصابع للإنسان. وناشز: مرتفع. والكَتَد: ما بين الكتفين.

(٧) يعتضده: يأخذه تحت عضده ليصرعه.

(٨) يقتصده، أي: يقتله.

(٩) يدمغه، أي: يصيب دماغه. ويحطمه: يكسره. ويخضمه: يأكله. ويزدرده: يبتلعه.

ظَلومُ الشِّركِ فيما أَحْـ ـرَزَتْ أنيابُهُ ويدُهْ[1]

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة:

أمَرتُكَ يومَ ذي صَنعا ءَ أمراً بَيّناً رَشَدُهْ
أمَرتُكَ باتّقاءِ اللّـ ـهِ تأتيهِ وتَتّعِدُهْ
فكنتَ كذِي الحُميِّرِ غَرَّ هُ ممّا به وَتِدُهْ

ولم يَعرِفْ سائرَها.

قال ابن إسحاق: فأقامَ عمرُو بن مَعدِي كَرِبَ في قومه من بني زُبَيدٍ وعليهم فَرْوةُ بن مُسَيكٍ، فلمّا تُوفّي رسولُ الله ﷺ ارتَدَّ عمرُو بن مَعدِي كَرِبَ، وقال حين ارتَدَّ[2]:

وَجَدْنا مُلكَ فروةَ شرَّ مُلكٍ حِماراً سافَ مَنخِرُه بثَفْرِ[3]
وكنتَ إذا رأيتَ أبا عُمَيرٍ تَرَى الحُوَلاءَ من خُبْثٍ وغَدْرِ[4]

قال ابن هشام: قولُه: بثَفْر، عن أبي عُبيدة.

قدومُ الأشعثِ بن قيسٍ في وفد كِنْدة

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ على رسول الله ﷺ الأشعَثُ بن قيسٍ في وفد كِنْدةَ، فحدّثني الزُّهْريُّ ابنُ شِهابٍ: أنّه قَدِمَ على رسول الله ﷺ في ثمانينَ راكباً من كِندةَ، فدخلوا

(١) ظلوم الشِّرك، أي: لا يشرك معه أحداً في صيده.

(٢) انظر «شعر عمرو» ص١٢٣.

(٣) ساف: شمَّ. والثَّفْر في البهائم بمنزلة الرَّحِم من الإنسان.

(٤) أبو عمير: هو فروة بن مسيك. والحُوَلاء، بضم الحاء وكسرها: الجلدة التي يخرج فيها ولد الناقة.

على رسول الله ﷺ مسجدَه وقد رَجَّلُوا جُمَمَهم[1] وتَكَحَّلوا، وعليهم جُبَبُ الحِبَرةِ قد كَفَّفُوها بالحرير[2]، فلمّا دخلوا على رسول الله ﷺ قال: «ألَمْ تُسلِمُوا؟» قالوا: بَلَى، قال: «فما بالُ هذا الحَريرِ في أَعناقِكُم؟!»، قال: فشَقُّوه منها فألقَوهُ.

ثمّ قال له الأشعثُ بن قيسٍ: يا رسولَ الله، نحنُ بنو آكلِ المُرَارِ[3]، وأنت ابنُ آكلِ المُرَار، قال: فتَبسَّمَ رسولُ الله ﷺ وقال: «ناسِبُوا بهذا النَّسبِ العبّاسَ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ وربيعةَ بنَ الحارثِ»؛ وكان العبّاسُ وربيعةُ رجلين تاجرَينِ، فكانا إذا شاعا[4] في بعض العرب فسُئِلا ممَّن هما، قالا: نحنُ بنو آكلِ المُرَار، يَتعزَّزانِ بذلك، وذلك أنّ كِنْدةَ كانوا ملوكاً، ثمّ قال لهم: «لا، بل نحنُ بنو النَّضْرِ بنِ كِنَانةَ، لا نَقْفُو أُمَّنا[5]، ولا نَنتَفي من أَبِينا»، فقال الأشعثُ بن قيسٍ: هل فَرَغتُم يا مَعشَرَ كِندةَ؟ واللهِ لا أسمَعُ رجلاً يقولها إلّا ضَرَبتُه ثمانينَ[6].

---

(١) رجَّلوا: سرّحوا ومشّطوا. والجُمَم: جمع جُمّة، وهي مجتمع شعر الناصية الذي يصل إلى المنكبين.

(٢) الجُبَب: جمع جُبّة، نوع من الملابس، والحِبَرة وصفٌ لها، وهي من أنواع ثياب اليمن. وكفّفوها بالحرير، أي: نسجوا على أذيالها وأكمامها وجيوبها حواشيَ من الحرير.

(٣) المُرار: نبت إذا أكلته الإبل تقبّضت مَشافرُها (أي: شفاهها) لمرارته.

(٤) إذا شاعا، أي: وذهبا وبَعُدا.

(٥) لا نَقفُو أمَّنا، أي: لا نتبع أمَّنا في النسب، وإنما يتبع المرءُ نسبَ أبيه لا نسبَ أمّه، وذلك أن في بعض جَدّات النبي ﷺ من هي من كِندةَ كما قيل، على خلافٍ فيمن هي، انظر «الروض الأنف» للسهيليّ ٧/ ٤٥٣.

(٦) إسناده بهذا السياق ضعيف لإرسال الزهريِّ إياه.

وأخرجه كذلك الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٣٨-١٣٩، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٣٧٠-٣٧١ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، عن الزهري، به. =

قال ابن هشام: الأشعثُ من ولدِ آكلِ المُرَار من قِبَلِ النِّساء، وآكلُ المُرَارِ الحارثُ بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثَوْر بن مُرتِّع بن معاوية بن كِنْديٌّ، ويقال: كِنْدةُ، وإنّما سُمّي آكلَ المُرَار لأنّ عمرَو بن الهَبُولةِ الغسّاني أغارَ عليهم وكان الحارثُ غائباً، فغَنِمَ وسَبَى، وكان فيمن سَبَى أمَّ أُناسٍ بنتُ عَوْف بن مُحلِّمٍ الشَّيباني امرأةُ الحارثِ بن عمرو، فقالت لعمرٍو في مَسِيرِه: لكأنّي برجلٍ أَدلمَ[1] أسوَدَ، كأنّ مَشافِرَه مشافرُ بعيرٍ آكلِ مُرَارٍ قد أخذَ برَقَبتِك؛ تعني الحارثَ، فسُمّي آكلَ المُرَار، والمُرَارُ شجرٌ، ثمّ تَبِعَه الحارثُ في بني بكر بن وائلٍ ولَحِقَه فقتله، واستَنقَذَ امرأتَه وما كان أصاب.

فقال الحارثُ بن حِلِّزَة اليَشكُريّ لعمرو بن المنذِر، وهو عمرُو ابن هندٍ اللَّخْميّ:

= ورواه معمر بن راشد في «جامعه» (١٩٩٥٢) عن الزهري مرسلاً أيضاً. وذكر فيه: أنهم قالوا للنبي ﷺ: أنتم بني عبد مَنافٍ منّا، أنتم بنو آكل المُرَار؛ حيّ من كِندةَ كان بينهم وبين بني عبد منافٍ خُلْطة في الجاهلية. قلنا: ولعلّ هذا من جهة المصاهَرة كما تقدم في التعليق السابق.

والشطر الثاني من الخبر روي نحوه من وجه آخر عن الأشعث بن قيس، فقد أخرجه أحمد (٢١٨٣٩) و(٢١٨٤٥)، وابن ماجه (٢٦١٢) من طرق عن حماد بن سلمة، عن عَقِيل بن طلحة، عن مسلم بن هَيصَم، عن الأشعث بن قيس قال: أتيت رسول الله ﷺ في وفدٍ من كِندةَ لا يرون أني أفضلُهم، فقلت: يا رسول الله، إنا نزعمُ أنكم منّا، قال: «نحن بنو النَّضر بن كِنانة، لا نَقفُو أمَّنا، ولا ننتفي من أَبينا». قال: فكان الأشعث يقول: لا أُوتَى برجلٍ نَفَى قريشاً من النَّضر بن كِنانةَ إلا جلدته الحدَّ.

وهذا إسنادٌ حسنٌ، مسلم بن هيصم روى عنه جمع، وأخرج له مسلم، وذكره ابن حبان في «الثقات»، ولم يجرحه أحدٌ، فمثله يكون حسنَ الحديث إن شاء الله، وباقي رجاله ثقات.

(١) الأدلم: المسترخي الشفتين.

وأقَــدْناكَ رَبَّ غسّــانَ بالمُنــ ــذرِ كَرْهــاً إذ لا تُكــالُ الــدّماءُ[1]

لأنّ الحارثَ الأعرجَ الغسّاني قتل المُنذِرَ أباه، وهذا البيتُ في قصيدةٍ له. وهذا الحديثُ أطوَلُ ممّا ذكرتُ، وإنّما مَنَعني من استقصائه ما ذكرتُ من القَطْع[2].

ويقال: بل آكلُ المُرَار حُجْرُ بن عمرو بن معاوية، وهو صاحبُ هذا الحديث، وإنّما سُمّي آكلَ المُرَار، لأنّه أكل هو وأصحابُه في تلك الغزوة شجراً يقال له: المُرَار.

قدومُ صُرَد بن عبد الله الأزديّ

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ على رسول الله ﷺ صُرَدُ بن عبدِ الله الأزديُّ، فأسلمَ وحَسُنَ إسلامُه في وفدٍ من الأَزْد، فأمَّرَه رسولُ الله ﷺ على مَن أسلمَ من قومه، وأمَرَه أن يُجاهِدَ بمن أسلمَ مَن كان يَلِيهِ من أهلِ الشِّرك من قبائل اليمن.

فخرج صُرَدُ بن عبدِ الله يسيرُ بأمرِ رسول الله ﷺ حتّى نَزَلَ بجُرَشَ[3]، وهي يومئذٍ مدينةٌ مُغلَقةٌ[4]، وبها قبائلُ من قبائلِ اليمن، وقد ضَوَتْ إليهم[5] خَثعَمُ، فدخلوها معهم حين سَمِعوا بمَسِيرِ المسلمين إليهم، فحاصَرُوهم فيها قريباً من

---

(١) هذا البيت من معلَّقته، انظر «ديوانه» جمع إميل يعقوب ص٣٥.

يقول: قتلنا لك مَلِكَ غسّان قَوَداً بالمنذر أبيك، وقوله: كَرهاً، يشير إلى شدّة القتال في ساحة الحرب، وقوله: إذ لا تُكال الدماء، يعني: لا تُحسَب، كناية عن كثرة القتلى في تلك الحرب.

(٢) أي: مخافة أن يقطع الكلام في أحداث السيرة.

(٣) جُرش الآن آثار وأطلال على مقربة من مدينة أَبْها جنوب الجزيرة العربية، وتبعد عنها جنوباً نحو ٣٠ كم، وسُمي بها قديماً مِخلافٌ (أي: إقليم) من مخاليف اليمن.

(٤) الظاهر أنه أراد أنها محاطة بسورٍ.

(٥) ضوت إليهم، أي: لجأت إليهم.

شهرٍ وامتَنَعوا فيها منه، ثمّ إنّه رجع عنهم قافلاً، حتّى إذا كان إلى جبلٍ لهم يقال له: شَكَرٌ، ظَنَّ أهلُ جُرَشَ أنّه إنّما وَلَّى عنهم مُنهزِماً، فخرجوا في طَلَبِه، حتّى إذا أدرَكُوه عَطَفَ عليهم فقتلهم قتلاً شديداً.

وقد كان أهلُ جُرَش بَعَثُوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يَرتادانِ ويَنظُرانِ، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عَشِيّةً بعدَ العصرِ إذ قال رسولُ الله ﷺ: «بأيِّ بلادِ الله شَكَرٌ؟» فقامَ الجُرَشيّانِ فقالا: يا رسولَ الله، ببلادِنا جبلٌ يقال له: كَشَرٌ، وكذلك يُسمّيه أهلُ جُرَش، فقال: «إنّه ليس بكَشَرٍ، ولكنَّه شَكَرٌ»، قالا: فما شأنُه يا رسولَ الله؟ قال: «إنَّ بُدْنَ اللهِ لتُنحَرُ عندَه الآنَ»، قال: فجَلَسَ الرّجُلانِ إلى أبي بكرٍ أو إلى عثمانَ، فقال لهما: وَيحَكما، إنّ رسولَ الله ﷺ الآن لَيَنعَى لكما قومَكما[1]، فقُومَا إلى رسول الله ﷺ فاسأَلاه أن يدعوَ اللهَ أن يَرفَعَ عن قومكما، فقاما إليه فسألاه ذلك، فقال: «اللّهمَّ ارفَعْ عنهم»، فخَرَجا من عند رسول الله ﷺ راجِعَينِ إلى قومِهما، فوَجَدا قومَهما أُصِيبوا يومَ أصابَهم صُرَدُ بن عبدِ الله في اليومِ الّذي قال فيه رسولُ الله ﷺ ما قال، وفي السّاعة التي ذَكَرَ فيها ما ذَكَر.

فخرج وفدُ جُرَشَ حتّى قَدِموا على رسول الله ﷺ فأسلَموا، وحَمَى لهم حِمًى حولَ قريتِهم على أعلامٍ معلومةٍ للفَرَسِ والرّاحلةِ وللمُثِيرةِ بَقَرةِ الحَرْثِ فمَن رَعَاه من الناس فمالُه سُحْتٌ[2].

---

(١) أي: يخبركما بقتلهم.

(٢) وروى هذا الخبر عن ابن إسحاق أيضاً غير مسنَدٍ إبراهيمُ بن سعد عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٨٧٥)، ويونسُ بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٣٧٢، فهو مُعضَل ضعيف.

ورواه سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٣٠ عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن =

فقال في تلك الغزوة رجلٌ من الأزدِ، وكانت خَثعَمُ تُصِيبُ من الأزد في الجاهليّة وكانوا يَعدُون[1] في الشَّهر الحرام:

يـا غـزوةً مـا غَزَونـا غيـرَ خائبـةٍ ... فيها البِغالُ وفيها الخيـلُ والحُمُـرُ
حتّـى أَتينـا حُمَيـراً في مَصـانعِها ... وجَمْعَ خَثعَمَ قد شاعَت لها النُّذُرُ[2]
إذا وَضَـعتُ غَلِـيلاً كنـتُ أحمِلُـه ... فمـا أُبـالي أَدانُـوا بعـدُ أم كَفَـروا[3]

قدومُ رسول ملوك حِميَر بكتابهم

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ كتابُ ملوك حِميَر مَقدَمَه من تَبُوك، ورسولُهم إليه بإسلامهم: الحارثُ بن عبدِ كُلَالٍ ونُعَيمُ بن عبدِ كُلَالٍ والنُّعمانُ قَيْلُ[4] ذي رُعَينٍ ومَعافِرَ وهَمْدانَ، وبَعَثَ إليه زُرْعةُ ذو يَزَنٍ مالكَ بنَ مُرَّة الرَّهَاويَّ بإسلامِهم ومُفارَقتِهم الشِّركَ وأهلَه.

= أبي بكر بن حزم الأنصاري مرسلاً، فهو ضعيف لإرساله.

وقد رواه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٩١ عن شيخه محمد بن عمر الواقديّ، عن عبد الله بن عمرو بن زهير الكعبي، عن منير بن عبد الله الأزدي قال: قدم صرد بن عبد الله... وذكره. وشيخ الواقدي وشيخه لا يعرفان، والواقدي متكلَّم فيه.

(١) يعدون، أي: يعتدون.

(٢) حُمَير: أراد تصغير حِميَر وصرفها في ضرورة الشِّعر وإن كان اسم قبيلة، فصغَّرها فقال: حُميِّراً، ثم خفَّف بأن حذف إحدى الياءين فقال: حُمَيْراً، قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٤٤-٤٤٥، ويُروى: خُمير، بالخاء، وعدَّه الخشنيُّ تصحيفاً. والمصانع: مواضع تصنع لحبس الماء بالحجارة. وشاعت: ذاعت وانتشرت، ويروى: ساغت، أي: سَهُلَت. والنُّذر: جمع نذير.

(٣) الغَليل: حرارة في الجوف وأصلها حرارة العطش، هكذا فسَّره الخشنيُّ! ودانوا، أي: خضعوا للدِّين.

(٤) القَيْل: الملك من ملوك حِميَر باليمن.

فكتب إليهم رسولُ الله ﷺ[1]:

«بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ، من محمّدٍ رسولِ الله النبيِّ إلى الحارثِ بن عبد كُلالٍ، وإلى نُعَيمِ بن عبد كُلالٍ، وإلى النُّعمانِ قَيْلِ ذي رُعَينٍ ومَعافِرَ وهَمْدانَ، أمّا بعدَ ذٰلكم، فإنّي أَحمَدُ إليكم اللهَ الّذي لا إلهَ إلّا هو.

أمّا بعدُ، فإنّه قد وَقَعَ بنا رسولُكم مُنقَلَبَنا من أرضِ الرُّومِ فلَقِيَنا بالمدينةِ، فبَلَّغَ ما أَرسَلتُم به وخَبَّرَ ما قِبَلَكم وأنبأَنا بإسلامِكم وقتلِكم المشركينَ، وأنّ الله قد هَدَاكم بهُدَاه إن أصلَحتُم وأطَعتُم اللهَ ورسولَه وأقَمتُم الصّلاةَ وآتَيتُم الزّكاةَ وأعطَيتُم من المَغانمِ خُمُسَ الله وسَهْمَ النبيِّ وصَفِيَّه[2]، وما كُتِبَ على المؤمنينَ من الصَّدَقةِ

(١) هذا الكتاب لم يسنده ابن إسحاق فيما رواه عنه زياد البكّائي كما عند ابن هشام هنا وعند يحيى بن آدم في «الخراج» (٣٨٠)، وابن زنجويه في «الأموال» (٧٩)، ولا إبراهيمُ بن سعد عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٠٩٠)، ولا يونسُ بن بكير عند البيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٤٠٧-٤٠٨.

ورواه سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٢٠-١٢١ عن ابن إسحاق، عن عبد الله ابن أبي بكر بن حزم الأنصاري مرسلاً.

ورواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» أيضاً (٣٠٩٠) بإسناد مسلسل بالمجاهيل عن زرعة ذي يزن.

ويشهد لأصل الخبر في كتابة النبي ﷺ إلى أهل اليمن بذلك حديثُ موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال: كتب النبيُّ ﷺ إلى أهل اليمن إلى الحارث بن عبد كُلال ومن معه من أهل اليمن من معافر وهمدان: أنّ على المؤمنين من صدقة أموالهم عشورَ ما سقت العينُ، وسقت السماء العُشر، وعلى ما يسقى بالغَرْب نصف العُشر.

أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٣/ ١٤٥، والدارقطني في «السنن» (٢٠٣٦)، وإسناده صحيح.

(٢) الصَّفِي: ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة لنفسه قبل أن تُقسَم المغانم.

من العَقَارِ[1] عُشرَ ما سَقَتِ العَينُ وسَقَتِ السماءُ، وعلى ما سَقَى الغَرْبُ[2] نصفُ العُشرِ، وأنّ في الإبلِ الأربعينَ ابنةَ لَبُونٍ وفي ثلاثينَ من الإبلِ ابنُ لَبُونٍ ذكرٌ[3]، وفي كلِّ خمسٍ من الإبلِ شاةٌ، وفي كلِّ عَشرٍ من الإبلِ شاتانِ، وفي كلِّ أربعينَ من البقرِ بقرةٌ، وفي كلِّ ثلاثينَ من البقرِ تَبِيعٌ جَذَعٌ أو جَذَعةٌ[4]، وفي كلِّ أربعينَ من الغنمِ سائمةً[5] وحدَها شاةٌ، وأنَّها فريضةُ الله التي فَرَضَ على المؤمنينَ في الصَّدَقةِ، فمَن زادَ خيراً فهو خيرٌ له، ومَن أَدَّى ذلك وأشهَدَ على إسلامِه، وظاهَرَ المؤمنينَ[6] على المشركينَ فإنّه من المؤمنينَ، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وله ذِمّةُ الله وذِمّةُ رسوله، وإنّه مَن أسلَمَ من يهوديٍّ أو نصرانيٍّ فإنّه من المؤمنينَ، له ما لهم وعليه ما عليهم، ومَن كان على يهوديّتِه أو نصرانيّتِه فإنّه لا يُرَدُّ عنها وعليه الجِزْيةُ، على كلِّ حالِمٍ ذكرٍ أو أُنثى، حُرٍّ أو عبدٍ، دينارٌ وافٍ من قيمةِ المَعافِرِ أو عِوَضُه ثياباً[7]، فمَن أَدَّى

---

(١) العَقَار هنا: الأرض المزروعة.

(٢) الغَرْب: الدَّلو العظيمة.

(٣) ابن اللبون وابنة اللبون من الإبل: ما أَتى عليه سنتان ودخل في الثالثة فصارت أمُّه لَبُوناً، أي: ذات لبن؛ لأنها تكون قد حملت حملاً آخر ووضعته.

وقوله: «ابن لبون ذكر» وقد علم أن ابن اللبون لا يكون إلا ذكراً، وإنما ذكره تأكيداً. قاله ابن الأثير في «النهاية».

(٤) التَّبيع: ولد البقرة في أوّل سنة. والجَذَع: الشابّ الفتيّ.

(٥) السائمة: الراعية.

(٦) أي: عاوَنَهم وقوّاهم.

(٧) كذا وقع في هذه الرواية: دينارٌ وافٍ من قيمة المعافر أو عِوَضُه ثياباً، والعبارة فيها تشويش، والصواب كما صحَّ من حديث معاذ بن جبل فيما أخرجه أحمد (٢٢٠١٣) و(٢٢٠٣٧) وأبو داود (١٥٧٦) والترمذي (٦٢٣) وغيرهم: أن النبي ﷺ لمّا وجَّهه إلى اليمن أمره أن يأخذ =

ذلك إلى رسولِ الله فإنّ له ذِمّةَ اللهِ وذِمّةَ رسولِه، ومَن مَنَعَه فإنّه عدوٌّ لله ولرسولِه.

أمّا بعدُ، فإنَّ رسولَ الله محمّداً النبيَّ أرسَلَ إلى زُرْعةَ ذي يَزَنٍ أنْ إذا أتاكم رُسُلي فأُوصِيكم بهم خيراً: معاذُ بن جَبَلٍ، وعبدُ الله بن زيدٍ، ومالكُ بن عُبَادةَ، وعُقْبةُ بن نَمِرٍ، ومالكُ بن مُرَّةَ، وأصحابُهم، وأنِ اجمَعُوا ما عندكم من الصَّدَقةِ والجِزْيةِ من مَخَاليفِكم[1] وأَبلِغُوها رُسُلي، وإنّ أميرَهم معاذُ بن جَبَلٍ، فلا يَنقَلِبَنَّ إلّا راضياً.

أمّا بعدُ، فإنَّ محمّداً يَشهَدُ أن لا إلهَ إلّا الله وأنَّه عبدُه ورسولُه، ثمّ إنَّ مالكَ بن مُرَّة الرَّهَاويَّ قد حدَّثني أنّك أسلَمْتَ من أوّلِ حِميَر، وقَتَلتَ المشركينَ، فأبشِرْ بخيرٍ وآمُرُك بحِمْيَر خيراً، ولا تَخُونوا ولا تَخَاذَلوا، فإنَّ رسولَ الله هو مَوْلى غَنيِّكم وفَقيرِكم، وإنّ الصَّدَقةَ لا تَحِلُّ لمحمّدٍ ولا لأهلِ بيتِه، إنّما هي زَكَاةٌ يُزَكَّى بها على فُقَراءِ المسلمينَ وابنِ السَّبيلِ، وإنّ مالكاً قد بَلَّغَ الخَبَرَ، وحَفِظَ الغَيبَ، وآمُرُكم به خيراً، وإنّي قد أرسَلتُ إليكم من صالِحِي أَهلي وأُولي دِينِهم وأُولي عِلمِهم، وآمُرُكم بهم خيراً، فإنّه مَنظُورٌ إليهم، والسلام عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه».

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ أنه حُدِّثَ: أنّ رسولَ الله ﷺ حين بَعَثَ معاذاً أَوصاه وعَهِدَ إليه ثمّ قال: «يَسِّرْ ولا تُعسِّرْ، وبَشِّرْ ولا تُنفِّرْ، وإنّك ستَقدَمُ على قومٍ من أهلِ الكتابِ يَسأَلُونَك ما مِفتاحُ الجنّةِ، فقل: شهادةُ أن لا إلهَ إلّا الله وحدَه لا شَرِيكَ له».

= من كل حالمٍ - يعني محتلِماً - ديناراً أو عَدْلَه من المَعافر.

والمعافر: ثياب من ثياب اليمن.

(١) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(ط) و(غ) و(ق٢)، وهو الصواب، وتحرّف في (ت) و(ص) و(ف) و(م) و(ي) إلى: مُخالِفِيكم، من المخالَفة، وأما المَخالِيف: فهو جمع مِخلاف، وهو الكُورة أو الإقليم.

قال: فخرج معاذٌ حتّى إذا قَدِمَ اليمنَ قامَ بما أمَرَه به رسولُ الله ﷺ، فأتته امرأةٌ من أهلِ اليمن فقالت: يا صاحبَ رسولِ الله، ما حقُّ زوجِ المرأةِ عليها؟ قال: وَيحَكِ، إنّ المرأةَ لا تَقدِرُ على أن تُؤدِّيَ حقَّ زوجِها، فاجهَدِي نفسَكِ في أَداءِ حقِّه ما استَطَعتِ، قالت: والله لئن كنتَ صاحبَ رسولِ الله، إنّك لتَعلَمُ ما حقُّ الزَّوج[1]، قال: وَيحَكِ، لو رَجَعتِ إليه فوَجَدتِه تَنثَعِبُ مَنخِراهُ[2] قَيحاً ودماً، فمَصَصتِ ذلك حتّى تُذهِبيهِ، ما أدَّيتِ حقَّه[3].

---

(١) زاد في (ش١) و(غ): على المرأة.

(٢) تنثعب منخراه، أي: تسيل.

(٣) إسناده ضعيف لإرساله، فعبد الله بن أبي بكر ـ وهو ابن حزم الأنصاري ـ من صغار التابعين.

لكن أوله روي في معناه ما يُغني عنه، فقد أخرج البخاري (٣٠٣٨) ومسلم (١٧٣٣) من حديث أبي موسى الأشعري: أن النبي ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن، فقال: «يسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفِّرا، وتَطاوَعا ولا تختلفا».

وأخرج أحمد (٢٠٧١)، والبخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس: أن النبيَّ ﷺ قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً أهلَ كتاب، فإذا جئتهم فادعُهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تُؤخَذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائمَ أموالهم، واتَّقِ دعوةَ المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حِجابٌ».

وأما الشطر الثاني في حقّ الزوج، فيشهد لمعناه حديثُ أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل بابنة له إلى النبي ﷺ فقال: هذه ابنتي أبَتْ أن تتزوّج، فقال: «أَطِيعي أباك» فقالت: والذي بعثك بالحق لا أتزوج حتى تخبرني ما حقُّ الزوج على زوجته، فقال: «حقُّ الزوج على زوجته لو كانت به قَرْحةٌ فلَحَسَتْها، ما أدَّتْ حقَّه» فقالت: والذي بعثك بالحق لا أتزوج أبداً، فقال: «لا =

إسلام فَرْوة بن عمرو الجُذَاميّ

قال ابن إسحاق: وبَعَثَ فروةُ بن عمرو بن النّافرةِ الجُذَاميُّ ثمّ النُّفَاثيُّ إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه، وأَهدى له بغلةً بيضاءَ[1]، وكان فروةُ عاملاً للرُّومِ على مَن يَلِيهم من العرب، وكان مَنزِلُه مَعَانَ[2] وما حولَها من أرض الشّام.

فلمّا بَلَغَ الرُّومَ ذلك من إسلامه طَلَبوه حتّى أَخذوه فحَبَسُوه عندهم، فقال في مَحبِسِه ذلك:

طَرَقَت سُلَيمى مَوهِناً أصحابي ... والرُّومُ بين البابِ والقِرْوانِ[3]

= تُنكِحوهن إلا بإذْنهنّ». أخرجه النسائي في «الكبرى» (٥٣٦٥)، وابن حبان (٤١٦٤)، والحاكم (٢٨٠٢)، وجوّد إسنادَه الحافظ المنذريُّ في «الترغيب والترهيب».

(١) وكان إسلام فروة هذا قبل فتح مكة، فقد ذكر العباس بن عبد المطَّلِب في حديثه عن قصة حُنين فيما أخرجه أحمد (١٧٧٥) ومسلم (١٧٧٥) وغيرهما: أن النبي ﷺ كان يومَها على بغلته التي أهداها له فروةُ الجُذاميُّ.

وقد أسند قصةَ فروة بسياق ابن إسحاق هنا أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٦٥٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٨/ ٢٧١، من طريق محمد بن إسماعيل بن جعفر الجعفري، عن عبد الله بن سلمة الرَّبَعي، عن ابن شهاب الزُّهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن ابن عباس. لكن الجعفري والرَّبعي كلاهما قيل فيه: منكر الحديث، كما في «لسان الميزان» لابن حجر ٤/ ٤٨٩ و٦/ ٥٦٨.

(٢) هي مدينة جنوب الأردن، تبعد عن مدينة عمّان قرابة ٢٠٠ كم.

(٣) المَوهِن - بفتح الميم وكسر الهاء كما نصَّ على ذلك الفارابيّ في «معجم ديوان الأدب» ٣/ ٢٢٦، والحِميَريّ في «شمس العلوم» ١١/ ٧٣٠٧، وانفرد الزَّبيديّ في «تاج العروس» فقيّدها بضمّ الميم -: نحوٌ من نصف الليل.

والقِرْوان: ذكر السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٤٥١-٤٥٢ أنه يجوز أن يكون جمع قَرْوٍ، وأصحُّ =

صَـدَّ الخَيـالُ وسـاءَه مـا قـد رأى ... وهَمَمـتُ أن أُغفِـيْ وقـد أبكـاني[1]

لا تَكحُلِـنَّ العَـينَ بعـدي إثمِـداً ... سـلمى ولا تَـدنِنَّ للإتيـانِ[2]

ولقـد عَلِمـتَ أبـا كُبَيشـةَ أنّنـي ... وَسْـطَ الأعِـزّةِ لا يُحَـصُّ لسـاني[3]

فلـئِنْ هَلَكـتُ لتَفقِـدُنَّ أخـاكمُ ... ولـئِنْ بَقِيـتُ لتَعـرِفُنَّ مكـاني

ولقد جَمَعتُ أجَلَّ ما جَمَعَ الفتى ... مـن جَـودةٍ وشـجاعةٍ وبَيـانِ

فلمّا أجمَعَت الرُّومُ لصَلْبِه على ماءٍ لهم يقال له: عِفْرا[4] بفِلَسطِينَ، قال:

ألا هـل أَتـى سـلمى بـأنّ حَلِيلَهـا ... على ماءِ عِفْرا فوقَ إحدى الرَّواحلِ[5]

علـى ناقـةٍ لـم يَضـرِبِ الفَحْـلُ أُمَّهـا ... مُشـذَّبةٍ أطرافُهـا بالمَناجِـلِ[6]

فزَعَمَ الزُّهْريُّ ابنُ شِهابٍ: أنّهم لمّا قَدّمُوه ليَقتُلوه قال:

بَلِّـغْ سَـرَاةَ المسـلمينَ بـأنّني ... سِـلْمٌ لرَبّـي أعظُمـي ومَقَـامي[7]

= ما قيل في القَرْو أنه حُوَيض من خشب تسقى فيه الدواب، وتَلِغُ فيه الكلاب.

(١) صدَّ الخيالُ، أي: أعرضَ. وأُغفي: أنام نوماً خفيفاً.

(٢) الإثمد: نوع من الكُحل.

(٣) لا يُحَص: لا يقطع.

(٤) هكذا هو مقيَّد في نسخنا الخطية بكسر العين مقصوراً، وكذا قيَّده ياقوت في «معجم البلدان» ٤/ ١٣١ ولم ينقل فيه إلا ما ذكره ابن إسحاق هنا.

(٥) الحليل: الزوج.

والرَّواحل في الأصل: الإبل التي يُرحَل عليها، لكن أراد هنا بإحدى الرواحل: الخشبة التي صَلَبوه عليها، وشبّهها بالراحلة التي هي الناقة، والمعنى أنه محمول على راحلة لم تولد من ناقة، وهي الخشبة التي صُلب عليها.

(٦) المشذَّبة: التي أزيلت أغصانها. والمناجل: جمع مِنجَل، وهي آلة حادّة يُقطَع بها الزرع.

(٧) سَرَاة المسلمين، أي: أشرافهم. وسِلم، أي: مسالمٌ مسلمٌ.

ثمّ ضربوا عُنُقَه وصَلَبوه على ذلك الماءِ[1].

إسلام بني الحارث بن كعبٍ
على يدَي خالد بن الوليد لمّا سار إليهم

قال ابن إسحاق[2]: ثمّ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ خالدَ بن الوليدِ في شهر ربيعٍ الآخرِ أو جُمادَى الأولى سنةَ عشرٍ[3] إلى بني الحارثِ بن كعبٍ بنَجْرانَ، وأمَرَه أن يَدعُوَهم إلى الإسلام قبلَ أن يُقاتِلَهم ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبَلْ منهم وإن لم يفعلوا فقاتِلْهم.

فخرج خالدٌ حتّى قَدِمَ عليهم، فبَعَثَ الرُّكبانَ يَضرِبون في كلِّ وجهٍ ويَدعُون إلى الإسلام ويقولون: أيّها النّاسُ، أَسلِموا تَسلَموا، فأسلَمَ النّاسُ ودخلوا فيما دُعُوا إليه، فأقامَ فيهم خالدٌ يُعلِّمُهم الإسلامَ وكتابَ الله وسنّةَ نبيِّه ﷺ، وبذلك كان أمَرَه

---

(١) وذكر ابن عساكر في «تاريخه» ٤٨/ ٢٧٠: أن استشهاده كان في أيام النبيّ ﷺ.

(٢) هكذا لم يسنده ابن إسحاق في رواية زياد البكّائي عنه هنا، وكذا يونسُ بن بكير عنه عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٤١١-٤١٢ وابن عساكر في «تاريخه» ٦٥/ ٢٩٧-٢٩٨.

ورواه سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٢٦-١٢٨ عن ابن إسحاق، عن عبد الله ابن أبي بكر بن حزم الأنصاري مرسلاً. فهذا الإسناد ـ إن كان محفوظاً ـ ضعيف لإرساله.

(٣) وروى ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٩٢ عن شيخه محمد بن عمر الواقدي بإسناده إلى عكرمة بن عبد الرحمن المخزومي مرسلاً قصةَ سرية خالد إلى بني الحارث وقدوم وفدهم معه إلى رسول الله ﷺ مختصرةً، وفيه: أن تعداد سرية خالد كان أربع مئة، وأنها كانت في شهر ربيع الأول.

وأما نجران، فهي مدينة جنوب الجزيرة العربية على حدود اليمن تقع جنوب شرق مدينة أَبْها على بعد ٢٠٠ كم تقريباً، وتقع في الشمال من صنعاء على بعد ٢٥٠ كم تقريباً. ومن أهمّ آثار هذه المدينة الأُخدود المذكور في سورة البروج.

رسولُ الله ﷺ إن هم أَسلَموا ولم يُقاتِلوا.

ثمّ كَتَبَ خالدُ بن الوليد إلى رسول الله ﷺ:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، لمحمدٍ النبيِّ رسولِ الله من خالدِ بن الوليد، السلامُ عليك يا رسولَ الله ورحمةُ الله وبركاتُه، فإنّي أَحمَدُ إليك اللهَ الذي لا إلهَ إلّا هو، أمّا بعدُ يا رسولَ الله صلَّى الله عليك، فإنّك بَعَثتَني إلى بني الحارثِ بن كعبٍ وأمَرتَني إذا أتيتُهم ألّا أُقاتِلَهم ثلاثةَ أيّامٍ وأن أدعُوَهم إلى الإسلام، فإن أسلَموا قَبِلتُ منهم[1] وعلَّمتُهم مَعالمَ الإسلام وكتابَ الله وسُنّةَ نبيِّه، وإن لم يُسلِموا قاتَلتُهم.

وإنّي قَدِمتُ عليهم فدَعَوتُهم إلى الإسلامِ ثلاثةَ أيّامٍ كما أمَرَني رسولُ الله، وبَعَثتُ فيهم رُكْباناً: يا بني الحارثِ أَسلِموا تَسلَموا، فأسلَموا ولم يُقاتِلوا، وأنا مُقيمٌ بين أظهُرِهم آمُرُهم بما أمَرَهم الله به، وأَنهاهم عمّا نهاهم الله عنه، وأُعلِّمُهم مَعالمَ الإسلام وسُنّةَ النبيِّ ﷺ حتّى يَكتُبَ إليَّ رسولُ الله، والسلامُ عليك يا رسولَ الله ورحمةُ الله وبركاتُه.

فكتب إليه رسول الله ﷺ:

«بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم، من محمّدٍ النبيِّ رسولِ الله إلى خالد بن الوليد، سلامٌ عليك، فإنّي أَحمَدُ إليك اللهَ الّذي لا إلهَ إلّا هو، أمّا بعدُ، فإنَّ كتابَك جاءَني مع رُسُلِك[2] تُخبِرُ أنّ بني الحارثِ بن كعبٍ قد أسلَمُوا قبلَ أن تُقاتِلَهم، وأجابوا إلى ما دَعَوتَهم إليه من الإسلام، وشَهِدوا أن لا إلهَ إلّا اللهُ وأنّ محمّداً عبدُ الله ورسولُه، وأنْ قد هَدَاهم الله بهُدَاه، فبَشِّرْهم وأَنذِرهُم، وأَقبِلْ وليُقبِلْ معك وَفْدُهم، والسلامُ

(١) في نسخة على حاشية (ش٢): فإن أسلموا أقمت فيهم وقبلت منهم.

(٢) في (غ): رسولك.

عليك ورحمةُ الله وبركاتُه».

فأقبَلَ خالدٌ إلى رسول الله ﷺ وأقبَلَ معه وفدُ بني الحارثِ بن كعبٍ، منهم قيسُ بن الحُصَين ذي الغُصّة[1] ويزيدُ بن عبد المَدَان ويزيدُ بن المُحجَّل وعبدُ الله ابن قُرادٍ الزِّياديّ[2] وشدّادُ بن عبد الله القَنَانيّ وعمرُو بن عبد الله الضِّبَابيّ.

فلمّا قَدِموا على رسول الله ﷺ فرآهم قال: «مَن هؤُلاءِ القومُ الّذينَ كأنّهم رجالُ الهِنْد؟» قيلَ: يا رسولَ الله، هؤلاءِ بنو الحارثِ بن كعبٍ، فلمّا وَقَفُوا على رسول الله ﷺ سَلَّموا عليه وقالوا: نَشهَدُ أنّك لرسولُ الله، وأنَّه لا إلهَ إلّا الله، قال رسولُ الله ﷺ: «وأنا أَشهَدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله وأنّي رسولُ الله»، ثمّ قال رسول الله ﷺ: «أنتم الّذينَ إذا زُجِرُوا استَقدَمُوا؟»[3]، فسَكَتوا، فلم يُراجِعْه منهم أحدٌ، ثمّ أعادَها الثّانيةَ فلم يُراجِعْه منهم أحدٌ، ثمّ أعادَها الثّالثةَ فلم يُراجِعْه منهم أحدٌ، ثمّ أعادَها الرّابعةَ فقال يزيدُ بن عبد المَدَانِ: نَعَم يا رسولَ الله، نحن الّذين إذا زُجِروا استَقدَموا، قالها أربعَ مِرَارٍ، فقال رسول الله ﷺ: «لو أنَّ خالداً لم يَكتُبْ إليَّ أنّكم أسلَمتُم ولم تُقاتِلوا، لَألقَيتُ رُؤُوسَكم تحتَ أقدامِكُم» فقال يزيدُ بن عبد المَدَانِ: أمَا والله ما

---

(١) ذكر الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٤٦: أنه وقع في الرواية هنا ذو الغصة وذي الغصة، بالرفع والخفض، والصواب: ذي الغصة، بالخفض، لأنه نعتٌ للحُصين لا لقيس.

وإنما قيل له: ذو الغُصّة، لغصّة كانت في حَلْقه لا يكاد يَبِينُ منها. قاله السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٤٥٣.

(٢) في بعض النسخ: الزَّبادي، بباء وزاي مفتوحة، والصواب: الزِّيادي، بياء وزاي مكسورة كما قال الخشنيُّ.

(٣) استقدموا، أي: تقدَّموا، وكأن المعنى هنا: إذا نُهوا عن شيء لا يَنتهُون، بل يُقدِمون عليه لجسارتهم.

حَمِدْناك ولا حَمِدْنا خالداً، قال: «فمَن حَمِدتُم؟» قالوا: حَمِدْنا الله الذي هَدَانا بك يا رسولَ الله، قال: «صَدَقتُم».

ثمّ قال رسولُ الله ﷺ: «بمَ كنتُم تَغلِبونَ مَن قاتَلَكم في الجاهليَّةِ؟» قالوا: لم نكن نَغلِبُ أحداً، قال: «بَلَى، قد كنتُم تَغلِبونَ مَن قاتَلَكم» قالوا: كنّا نَغلِبُ مَن قاتَلَنا يا رسولَ الله أنّا كنّا نَجتَمِعُ ولا نَتَفرّقُ، ولا نَبدَأُ أحداً بظُلمٍ، قال: «صَدَقتُم».

وأمَّرَ رسولُ الله ﷺ على بني الحارثِ بن كعبٍ قيسَ بن الحُصَين.

فرجع وفدُ بني الحارثِ إلى قومِهم في بقيّةٍ من شوّالٍ أو في صدرِ ذي القَعْدة، فلم يَمكُثوا بعدَ أن رجعوا إلى قومِهم إلّا أربعةَ أشهُرٍ حتّى تُوفّيَ رسولُ الله ﷺ.

وقد كان رسولُ الله ﷺ بَعَثَ إليهم بعدَ أن وَلَّى وفدُهم عمرَو بن حَزْمٍ، ليُفقّهَهم في الدّين ويُعلّمَهم السُّنّةَ ومَعالمَ الإسلام، ويأخُذَ منهم صَدَقاتِهم، وكتب له كتاباً عَهِدَ إليه فيه عَهْدَه، وأمَرَه فيه بأمرِه[1]:

---

(١) أسنده يونس بن بكير عند ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٥/ ٤٧٧-٤٧٩ عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: هذا كتاب رسول الله ﷺ عندنا الذي كتبه لعمرو بن حزمٍ حين بعثه إلى اليمن يفقّه أهلها ويعلّمهم السنّة ويأخذ صدقاتِهم، فكتب له كتاباً... فذكره. وعبد الله وأبوه ثقتان، إلا أن أبا بكر بن محمد من صغار التابعين، وروايته عن جدّه عمرو بن حزم مرسلة، إلا أن روايته لهذا الحديث في حكم الموصول، فالكتاب الذي يشير إليه أبو بكر موجود عندهم، وهذه الوِجادة من طرق التحمل الدالّة على الاتصال في عُرف علماء الحديث.

وقد قال الأستاذ الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على كتاب «الخراج» ليحيى بن آدم (٣٨١): كتاب عمرو بن حزم هذا من أجلِّ الكتب في العُقول والدِّيات والصدقات، وهو مشهور شهرةً تُغْنيه عن الإسناد كما قال الشافعي، وقد اجتهد الحاكم أبو عبد الله في «المستدرك» في تصحيح إسناده وذكره مطوّلاً (١٤٦١-١٤٦٢ طبعة دار الرسالة)، وله روايات وألفاظ كثيرة =

«بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم: هذا بَيانٌ من اللهِ ورسولِه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة:١]، عهدٌ من محمّدٍ النبيِّ رسولِ الله لعمرِو بن حَزْمٍ حين بَعَثَه إلى اليمن، أمَرَه بتقوى الله في أمرِه كلِّه، فإنَّ الله مع الّذينَ اتّقَوا والّذين هم مُحسِنون، وأمَرَه أن يأخُذَ بالحقِّ كما أمَرَه الله، وأن يُبشِّرَ الناسَ بالخير ويأمُرَهم به، ويُعلِّمَ الناسَ القرآنَ ويُفقِّهَهم فيه.

ويَنهَى الناسَ فلا يَمَسُّ القرآنَ إنسانٌ إلّا وهو طاهرٌ، ويُخبِرَ الناسَ بالّذي لهم والّذي عليهم، ويَلِينَ للناسِ في الحقِّ ويَشتَدَّ عليهم في الظُّلم، فإنَّ الله كَرِهَ الظُّلمَ ونَهَى عنه فقال: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨]، ويُبشِّرَ الناسَ بالجنّةِ وبعَمَلِها، ويُنذِرَ الناسَ النارَ وعَمَلَها.

ويَستألِفَ الناسَ حتّى يَفقَهُوا في الدِّين، ويُعلِّمَ الناسَ مَعالمَ الحجِّ وسُنّتَه وفَرِيضتَه وما أمَرَ الله به، والحجُّ الأكبر الحجُّ الأكبر، والحجُّ الأصغرُ هو العُمْرة.

ويَنهَى الناسَ أن يُصلّيَ أحدٌ في ثوبٍ واحدٍ صغيرٍ إلّا أن يكون ثوباً يَثْني طَرَفَيه على عاتِقَيه، ويَنهَى الناسَ أن يَحتَبيَ أحدٌ في ثوبٍ واحدٍ يُفْضي بفَرْجِه[1] إلى السماء،

= وشواهد تقوِّيه. اهـ

ورواه سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٢٨-١٢٩ عن ابن إسحاق عن عبد الله ابن أبي بكر مرسلاً.

وأخرجه ابن عساكر ٤٥/ ٤٧٩-٤٨١ من طريق عَتيق بن يعقوب، عن عبد الملك بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حَزْم الحَزْمي، عن أبيه، عن جدّه، عن عمرو بن حزم، وذكر الكتاب بطوله. فإن كان إسناد ابن عساكر هذا محفوظاً، فهو إسناد متصلٌ حسنٌ لا بأس برجاله.

وانظر «صحيح ابن حبان» (٦٥٥٩) و«المستدرك» (١٤٦١-١٤٦٢) والتعليق عليهما.

(١) أي: يكشفه من غير ساتر. =

ويَنهَى فلا يَعقِصَ[1] أحدٌ شعرَ رأسِه في قَفَاه.

ويَنهَى إذا كان بين الناسِ هَيْجٌ[2] عن الدُّعاءِ إلى القبائلِ والعشائرِ، وليكن دَعْواهم إلى الله وحدَه لا شريكَ له، فمَن لم يَدْعُ إلى الله ودعا إلى القبائلِ والعشائرِ، فليُقطَفُوا بالسّيفِ[3] حتّى تكونَ دَعْواهم إلى الله وحدَه لا شريكَ له.

ويأمُرَ الناسَ بإسباغِ الوُضوءِ وُجوهَهم وأيديَهم إلى المَرافقِ، وأرجُلَهم إلى الكعبَينِ، ويَمسَحُون برؤوسِهم كما أمَرَهم الله، وأمَرَ بالصّلاة لوقتِها، وإتمامِ الرُّكوعِ والخُشوعِ[4]، يُغلِّسُ بالصّبحِ، ويُهجِّرُ بالهاجِرة[5] حين تَميلُ الشّمسُ، وصلاةُ العصرِ والشّمسُ في الأرضِ مُدبِرةٌ، والمغربُ حين يُقبِلُ الليلُ لا يُؤخِّرُ حتّى تَبدُوَ النّجومُ في السماء، والعِشاءُ أوّلُ الليل، وأَمَرَ بالسَّعْي إلى الجُمُعة إذا نُودِيَ لها، والغُسلِ عند الرَّوَاحِ إليها.

وآمرُه أن يأخُذَ من المغانمِ خُمسَ الله، وما كَتَبَ على المؤمنين في الصَّدَقة من

= والاحتباء: هو أن يضمّ الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره، ويشدّه عليهما، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب.

وإنما نهى عنه لأنه إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد، ربما تحرَّك أو زال الثوب فتبدو عورتُه. قاله ابن الأثير في «النهاية».

(١) في (ش١) و(غ) و(ف): وينهى أن لا يعقص.

والعَقْص: ليُّ الشَّعر وإدخال أطرافه في أصوله.

(٢) أراد بالهَيْج هنا: الفتنة بين الناس التي تؤدّي إلى الحرب بينهم.

(٣) أي: يُخدَشوا به ترهيباً لهم، يقال: قَطَفَ فلاناً، إذا خَدَشَه بشيء.

(٤) في طبعة السقا وصاحبيه: الركوع والسجود والخشوع.

(٥) الغَلَس: ظُلمة آخر الليل إذا اختلطت بضَوْء الصباح. والهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحرّ، وأراد بها هنا صلاة الظهر.

العَقَارِ[1] عُشرَ ما سَقَتِ العَينُ وسَقَتِ السماءُ، وعلى ما سَقَى الغَرْبُ[2] نصفُ العُشر، وفي كلِّ عَشرٍ من الإبلِ شاتانِ، وفي كلِّ عشرينَ أربعُ شِياهٍ، وفي كلِّ أربعينَ من البقرِ بقرةٌ، وفي كلِّ ثلاثينَ من البقرِ تَبِيعٌ جَذَعٌ أو جَذَعةٌ[3]، وفي كلِّ أربعينَ من الغنمِ سائمةً وحدَها[4] شاةٌ، فإنّها فريضةُ الله التي افترَضَ على المؤمنينَ في الصَّدَقة، فمَن زادَ خيراً فهو خيرٌ له.

وإنّه مَن أسلَمَ من يهوديٍّ أو نصرانيٍّ إسلاماً خالصاً من نفسه ودانَ بدينِ الإسلام فإنّه من المؤمنين، له مِثلُ ما لهم وعليه مِثلُ ما عليهم، ومَن كان على نصرانيّتِه أو يهوديّتِه فإنّه لا يُرَدُّ عنها، وعلى كلِّ حالمٍ ذكرٍ أو أُنثَى، حُرٍّ أو عبدٍ، دينارٌ وافٍ أو عَرْضُه[5] ثياباً، فمَن أدَّى ذلك فإنَّ له ذِمّةَ الله وذِمّةَ رسولِه، ومَن مَنَعَ ذلك فإنّه عدوٌّ للهِ ولرسولِه وللمؤمنينَ جميعاً، صلواتُ الله على محمّدٍ والسلامُ عليه ورحمةُ الله وبركاتُه».

قدومُ رِفاعةَ بن زيدٍ الجُذاميّ

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ في هُدْنة الحُدَيبيَة قبلَ خَيبَر، رِفاعةُ بن زيدٍ الجُذَاميُّ

---

(١) العَقَار هنا: الأرض المزروعة.

(٢) الغَرْب: الدَّلو العظيمة.

(٣) التَّبيع: ولد البقرة في أوّل سنة.

والجَذَع: الشابّ الفتيّ من كل شيء.

(٤) السائمة: الراعية.

(٥) هكذا في نسخنا الخطية غير (ي) وحدها ففيها: عِوَضه، وهو واضح، وأما قوله: أو عَرْضُه ثياباً، فمن العَرْض: وهو المَتاع، تقول: عَرَضتُ له من حقِّه ثوباً، إذا أعطيتَه ثوباً مكان حقِّه، كما في «الصحاح» للجوهري ٣/ ١٠٨٣.

ثمّ الضُّبَيبيّ، فأَهدى لرسول الله ﷺ غلاماً[1]، وأسلَمَ فحَسُنَ إسلامُه، وكتب له رسولُ الله ﷺ كتاباً إلى قومه، وفي كتابه:

«بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم، هذا كتابٌ من محمّدٍ رسولِ الله لِرفاعةَ بن زيدٍ، إنّي بَعَثتُه إلى قومِه عامّةً ومَن دَخَلَ فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسولِه، فمَن أقبَلَ منهم[2] ففي حِزْبِ الله وحِزْبِ رسولِه، ومَن أدبَرَ فلَه أَمانُ شهرَينِ».

فلمّا قَدِمَ رِفاعةُ على قومِه أجابوا وأسلَموا، ثمّ ساروا إلى الحَرّةِ حَرّةِ الرَّجْلاء[3] فنَزَلوها.

وفدُ هَمْدان

قال ابن هشام: وقَدِمَ وفدُ هَمْدانَ على رسول الله ﷺ فيما حدَّثني من أَثِقُ به عن عمرو بن عبد الله بن أُذَينةَ العَبْديّ، عن أبي إسحاق السَّبِيعيّ قال: قَدِمَ وفدُ هَمْدانَ على رسول الله ﷺ منهم مالكُ بن نَمَطٍ أبو ثَوْرٍ[4]، وهو ذو المِشْعار، ومالكُ بن أَيفَعَ

(١) وهذا الغلام هو الذي غلَّ شملةً من فَيْء خيبر كما تقدم في قصة مغانم خيبر ٣/ ٤٥٦.

(٢) لفظ «منهم» من (ش١) و(ش٢) و(غ)، وليس في بقية النسخ.

(٣) الحَرّة: أرض ذات حجارة سُود، وحرّة الرجلاء هذه قريبة من حرّة ليلى، ولعلها كانت جزءاً منها كما قال البِلادي في «معجم المعالم الجغرافية» ص٩٧، وحرّة ليلى تُعرَف اليوم بحرّة خيبر، وتقع في الجهة الشرقية من خيبر، وشمال شرق المدينة، وبين هذه الحرّة وبين المدينة مسيرُ ثلاث ليال كما سيرد في غزوة زيد بن حارثة إلى جُذام ص٤٠٨.

(٤) في النسخ الخطية: وأبو ثور، بواو العطف، والصواب إسقاطها، فإن مالكاً المذكور كنيته أبو ثور وهو هو ذو المشعار، وقد نبّه أصحاب النسخ (ش٢) و(ط) و(ق٢) في حواشيها على ذلك، ومن قبلهم السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٤٥٤ فقال: وقع في النسخة وفي أكثر النسخ: وأبو ثور، بالواو، كأنه غيره، والصواب سقوط الواو، لأنه هو هو، وقد يُخرَّج إثبات الواو على إضمار هو، كأنه قال: وهو أبو ثور ذو المشعار، وقد ذكره ابن قُتيبة فقال في «غريب الحديث» ١/ ٥٤٨: =

وضِمامُ بن مالكٍ السَّلْماني وعَمِيرةُ بن مالكٍ الخارِفي، فلَقُوا رسولَ الله ﷺ مَرجِعَه من تَبُوكَ وعليهم مُقطَّعاتُ الحِبَراتِ والعمائمُ العَدَنيّةُ[1]، برِحالِ المَيْس على المَهْريّة والأَرحَبيّة[2]، ومالكُ بن نَمَطٍ ورجلٌ آخرُ يَرتَجِزانِ بالقوم، يقول أحدُهما:

هَمْـدانُ خيـرُ سُـوقةٍ وأَقيـالْ ... لـيس لهـا في العـالَمينَ أَمثـالْ[3]

مَحَلُّها الهَضْبُ ومنها الأبطالْ ... لهـا إطابـاتٌ بهـا وآكـالْ[4]

ويقول الآخرُ:

إليـكَ جـاوَزنَ سَـوادَ الرِّيـفِ ... في هَبَـواتِ الصّيفِ والخريفِ[5]

= مالك ذو المشعار، وذكره أبو عمر (يعني ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٦٦٠) فقال: هو ذو المشعار يكنى أبا ثور.

(١) الحِبَرات: برود يمنيّة مخطَّطة، والمقطَّعات: القِصَار من الثياب، هذا في تفسير أبي عبيدٍ، وخطّأه ابن قُتيبة في هذا التأويل وقال: إنما المقطَّعات الثياب المَخِيطة كالقُمُص ونحوها، سُمّيت بذلك لأنها تُقطَّع وتفصَّل ثم تُخاط، واستظهر السهيليُّ قول ابن قتيبة هذا. والعمائم العَدَنية: نسبة إلى عَدَن، مدينة معروفة في جنوب اليمن.

(٢) المَيْس: هو خشب تصنع منه الرِّحال التي تكون على ظهور الإبل. والمَهْريّة: الإبل النجيبة، تُنسَب إلى مَهْرة، قبيلة باليمن. والأرحبيّة: إبل كريمة تُنسب إلى أَرحَب، قبيلة من هَمْدان.

(٣) السُّوقة: العامّة من الناس. والأقيال: جمع قَيْل، وهو الملك أو السيد الشريف.

(٤) الهَضْب: ما ارتفع من الأرض، الواحدة: هَضْبة، يشير إلى محلّ سُكناهم أنها أماكن مرتفعة وجبال. والإطابات: هي الأموال الطيّبة. والآكال: ما يأخذه الملك من رعيّته وظيفةً له عليهم.

(٥) السَّواد هنا: القرى الكثيرة الشجر والنخل. والرِّيف: هي الأرض التي تقرب من الأنهار والمياه الغزيرة. والهَبَوات: جمع هَبْوة، وهي الغَبَرة.

مُخطَّمـــاتٍ بحِبـــالِ اللِّيـــفِ[1]

فقام مالكُ بن نَمَطٍ بين يديهِ ثمّ قال: يا رسولَ الله، نَصِيّةٌ[2] من هَمْدانَ من كلِّ حاضرٍ وبادٍ أتَوْكَ على قُلُصٍ نَوَاجٍ[3]، مُتّصِلةٌ بحَبائلِ الإسلام، لا تأخذُهم في الله لومةُ لائمٍ، من مِخْلافِ خارِفٍ ويامٍ وشاكرٍ[4]، أهلِ السُّودِ والقُودِ[5]، أجابوا دعوةَ الرّسول وفارَقُوا إلَاهاتِ الأنصاب[6]، عهدُهم لا يُنقَضُ ما أقامت لَعلَع[7]، وما جَرَى اليَعفُورُ بصُلَّع[8].

فكتب لهم رسولُ الله ﷺ كتاباً فيه:

---

(١) مخطَّمات: جعل لها خُطُم، وهي الحبال التي تشدّ في رؤوس الإبل على آنافها. واللِّيف: لِيف النَّخل تُصنَع منه الحبال.

(٢) النَّصِيّة: مَن يُنتَصى من القوم، أي: يُختار من نَواصِيهم، وهم الرؤوس والأشراف.

(٣) القُلُص: الإبل الفتيّة، الواحد: قَلُوص. ونواج: جمع ناجية، وهي السريعة.

(٤) المخلاف: الإقليم من البُلدان، وخارف ويام وشاكر: قبائل من اليمن.

(٥) السُّود: الإبل، والقُود: جمع أَقوَدَ: وهو الطويل الظهر والعنق من الخيل والإبل، وأيضاً جمع قَؤُودٍ: وهو المنقاد من الخيل والإبل. انظر «إكمال الإعلام بتثليث الكلام» لابن مالك ٢/ ٥٣٥-٥٣٦.

(٦) إلاهات: جمع إلاهة، والأنصاب: حجارة كانوا يذبحون لها.

(٧) هو جبلٌ، وأنّثه لأنه جعله اسماً للبُقعة التي حول الجبل. قاله ابن الأثير في «النهاية».

(٨) هكذا في (ط) و(غ) و(ق٢)، وفي بقية النسخ: بضلع، بالضاد المعجمة، ومعناه فيما قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٤٧: بقوّة، من قولك: رجل ضَلِيع، أي: قوي، إلا أنه قال: الرواية الأولى هي المشهورة؛ يعني بالصاد المهملة، وهذا هو الصواب، لكنه ذَهَلَ فظنّه اسم موضع، والصحيح أن الصُّلَّع هي الأرض المَلْساء التي لا نبات فيها، وبذلك فسّرها السهليُّ في «الروض الأنف» ٧/ ٤٥٦.

واليعفور: ولدُ البقرة الوحشيّة.

«بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم، هذا كتابٌ من محمّدٍ رسولِ الله لِمخْلافِ خارفٍ وأهلِ جَنَابِ الهَضْبِ وحِقَافِ الرَّملِ[1] مع وافِدِها ذي المِشعارِ مالكِ[2] بن نَمَطٍ ومَن أسلَمَ من قومِه، على أنّ لهم فِراعَها ووِهاطَها[3]، ما أقاموا الصّلاةَ وآتَوُا الزّكاةَ، يأكلون عِلافَها ويَرعَونَ عافِيَها[4]، لهم بذلك عهدُ الله وذِمَامُ رسولِه، وشاهدُهم المهاجرون والأنصار».

فقال في ذلك مالكُ بن نَمَط:

ذكرتُ رسولَ الله في فَحْمةِ الدُّجَى ... ونحنُ بأعلى رَحْرَحانَ وصَلْدَدِ[5]

وهنَّ بنا خُوصٌ طلائحُ تَغتَلي ... برُكْبانِها في لاحبٍ مُتَمدِّدِ[6]

---

(١) جَناب الهضب: جانبُها، والهَضْب: جمع الهَضَبة، يشير إلى مساكنهم. والحِقاف: جمع حِقْف، وهو الرمل المستدير.

(٢) هكذا في (ش٢)، وفي (ش١) و(غ): ومالك، وفي بقية النسخ: لمالك، وكل ذلك خطأ، والصواب ما أثبتناه من (ش٢)، وهو كذلك في «غريب الحديث» لابن قتيبة ١/ ٥٤٨.

(٣) الفِراع: أعالي الأرض. والوِهاط: المنخفض من الأرض.

(٤) عِلافها: جمع عَلَف، وهو ما تأكله الماشية. وعافيها: نباتها الكثير، يقال: عفا النبت وغيره، إذا كَثُر.

(٥) الفَحْمة: السواد. والدجى: جمع دُجْية، وهي الظُّلمة.

وأما رَحرَحان وصَلدَد، فالظاهر أنهما مكانان على طريق أهل اليمن إلى المدينة، لكن لم يعودا معروفين بهذين الاسمين، وما ذهب إليه البِلادي في «معجم المعالم الجغرافية» ص١٣٨ و١٣٩ من أنهما جبلان شرقيّ المدينة، وأن رحرحان على قرابة ١٢٠ كِيلاً منها، فيغلب على ظنّنا أنه مجانبٌ للصواب، وذلك لبعدهما عن طريق أهل اليمن إلى المدينة، والله تعالى أعلم.

(٦) خُوص: غائرة العيون، الواحدة: خَوْصاء. وطلائحُ: مُعيِيةٌ. وتغتلي: تشتدّ في سيرها. واللاحب: الطريق البيِّن.

على كلِّ فَتْلاءِ الذِّراعَينِ جَسْرةٍ تَمُرُّ بنا مَرَّ الهِجَفِّ الخَفَيدَدِ[1]

حَلَفتُ بربِّ الرّاقِصاتِ إلى منًى صَوادِرَ بالرُّكبانِ من هَضْبِ قَردَدِ[2]

بأنّ رسولَ الله فينا مُصدَّقٌ

رسولٌ أَتى من عند ذي العَرشِ مُهتَدي

فما حَمَلَت من ناقةٍ فوقَ رَحْلِها أشدَّ على أعدائِه من محمّدِ

وأعطَى إذا ما طالبُ العُرفِ جاءَه وأَمضَى بحَدِّ المَشرَفِيِّ المهَنَّدِ[3]

ذكرُ الكذّابَينِ مُسيلِمة الحَنَفيّ والأسود العَنْسيّ

قال ابن إسحاق: وقد كان تكلَّم في عهدِ رسول الله ﷺ الكذّابانِ: مُسَيلِمةُ بن حَبيبٍ باليمامةِ في بني حَنيفة، والأسودُ بن كعبٍ العَنْسيُّ بصنعاءَ.

حدّثني يزيدُ بن عبدِ الله بن قُسَيطٍ، عن عطاءِ بن يَسارٍ أو أخيه سليمانَ بن يَسارٍ، عن أبي سعيدٍ الخُدْريّ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ وهو يَخطُبُ الناسَ على مِنبَرِه وهو يقول: «أيُّها النّاسُ، إنّي قد رأَيتُ ليلةَ القَدْرِ ثمَّ أُنسِيتُها، ورأَيتُ في ذِراعَيَّ سِوارَينِ من ذهبٍ، فكَرِهتُهما، فنَفَختُهما فطارَا، فأوَّلْتُهما هذَينِ الكذَّابَينِ: صاحبَ اليمنِ، وصاحبَ اليَمَامةِ»[4].

---

(١) الجَسْرة: الناقة القوية على السير. والهِجَفّ: الذّكر الضخم من النّعام، والخَفَيدَد: بمعنى الهجف.

(٢) الراقصات: الإبل ترقص في سيرها، أي: تتحرّك. وصوادر: رواجع. والقَردَد: ما ارتفع من الأرض.

(٣) العُرف: المعروف. والمشرفي المهنَّد: هو السيف.

(٤) إسناده صحيح. والشك في الإسناد بين عطاء أو أخيه سليمان لا يضرّه، لأنه انتقال من ثقة إلى ثقة. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ عن أبي هُريرةَ أنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «لا تقومُ السّاعةُ حتّى يخرجَ ثلاثونَ دَجّالاً، كلُّهم يَدَّعي النُّبُوّةَ»[1].

خروجُ الأُمراءِ والعُمّال على الصَّدَقات

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله ﷺ قد بَعَثَ أُمراءَه وعُمّالَه على الصَّدقاتِ إلى كلِّ ما أوطَأَ الإسلامُ من البلدان، فبَعَثَ المُهاجرَ بن أبي أُميّة بن المغيرةِ إلى صنعاءَ، فخرج عليه العَنْسيُّ وهو بها، وبَعَثَ زيادَ بن لَبِيدٍ أخا بني بَيَاضةَ الأنصاريَّ إلى حَضْرَمَوتَ وعلى صَدَقاتها، وبَعَثَ عَديَّ بن حاتمٍ على طَيِّءٍ وصَدَقاتها، وعلى بني أسَدٍ، وبَعَثَ مالكَ بن نُوَيرةَ ـ قال ابن هشام: اليَربُوعيّ ـ على صَدَقاتِ بني حَنظَلة، وفَرّقَ صدقةَ بني سعدٍ على رجلين منهم، فبَعَثَ الزِّبْرِقانَ بن بدرٍ على ناحيةٍ منها،

= وأخرجه أحمد في «المسند» (١١٨١٦) من طريق إبراهيم بن سعد الزهري، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ويشهد له بنحوه في قصة الكذّابَينِ حديثُ ابن عباس عن أبي هريرة عند البخاري (٣٦٢١) و(٤٣٧٤) و(٤٣٧٥)، ومسلم (٢٢٧٤).

وفي قصة ليلة القدر انظر حديث أبي سعيد عند أحمد في «المسند» (١١٠٣٤) ومكرَّراته، وانظر تخريجها هناك.

(١) حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الواسطة بين ابن إسحاق وأبي هريرة، لكن روي نحوه من غير وجهٍ عن أبي هريرة.

فقد رواه عنه الأعرجُ عند أحمد (٧٢٢٨)، والبخاري (٧١٢١)، ومسلم (٢٩٢٣)(٨٤)، وهمّامُ بن منبِّه عند أحمد (٨١٣٧)، والبخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (٢٩٢٣)(٨٤)، والترمذي (٢٢١٨)، وخِلاسُ بن عمرو عند أحمد (٩٥٤٨)، وعبدُ الرحمن بن يعقوب مولى الحُرَقة عند أحمد (٩٨٩٧)، وأبي داود (٤٣٣٣)، وابن حبان (٦٦٥١). ورواية خِلاسٍ عن أبي هريرة عند أحمد منقطعة، فإن خلاساً لم يسمع منه.

وقيسَ بن عاصمٍ على ناحيةٍ، وكان قد بَعَثَ العلاءَ بن الحَضرميِّ على البَحرَينِ، وبَعَثَ عليَّ بن أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه إلى أهلِ نَجْرانَ، ليجمعَ صَدَقتَهم ويَقدَمَ عليه بجِزْيتِهم.

كتابُ مُسيلِمة إلى رسول الله ﷺ والجوابُ عنه

وقد كان مُسَيلِمةُ بن حَبيبٍ قد كَتَبَ إلى رسول الله ﷺ: من مُسَيلِمةَ رسولِ الله، إلى محمّدٍ رسول الله، سلامٌ عليك، أمّا بعدُ، فإنّي قد أُشرِكتُ في الأمرِ معك، وإنّ لنا نصفَ الأرض ولقُرَيشٍ نصفَ الأرض، ولكنَّ قُرَيشاً قومٌ يَعتَدُون.

فقَدِمَ عليه رسولانِ له بهذا الكتاب[1].

قال ابن إسحاق: فحدَّثني شيخٌ من أشجَعَ، عن سَلَمةَ بن نُعَيم بن مسعودٍ الأشجَعيّ، عن أبيه نُعيمٍ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لهما حين قرأَ كتابَه: «فما تقولانِ أنتُما؟» قالا: نقولُ كما قال، فقال: «أمَا واللهِ لولا أنَّ الرُّسُلَ لا تُقتَلُ، لَضَرَبتُ أعناقَكما».

ثمّ كتبَ إلى مُسَيلِمة: «بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم، من محمّدٍ رسولِ الله إلى مُسَيلِمةَ الكَذّابِ: السّلامُ على مَن اتَّبَعَ الهُدَى، أمّا بعدُ، فإنَّ الأرضَ لله يُورِثُها مَن يشاءُ من عِبَادِه، والعاقِبةُ للمُتَّقِينَ»[2].

---

(١) وهذان الرسولان هما ابن النوّاحة وابن أُثال كما وقع في حديث ابن مسعود في هذه القصة عند أحمد (٣٧٠٨) والحاكم (٤٤٢٦). ثم إن ابن النوّاحة هذا قتله عبدُ الله بن مسعود على الرِّدّة فيما بعدُ في الكوفة في عهد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنهما.

(٢) إسناده صحيح، وشيخُ ابنِ إسحاق الأشجعيُّ: هو سعد بن طارق أبو مالك الأشجعي، كما وقع مسمًّى عند غير البكّائي.

فقد أخرجه أحمد (١٥٩٨٩)، وأبو داود (٢٧٦١)، والحاكم (٢٦٦٤) من طريق سلمة بن =

وذلك في آخرِ سنةِ عشرٍ.

= الفضل، والحاكم (٤٤٢٥) من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، عن سعد بن طارق الأشجعي، عن سلمة بن نعيم، به. إلا أنهم اختصروه فلم يذكروا فيه نصَّ كتاب النبي ﷺ إلى مسيلمة.

لكن رواه بتمامه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٤٦ من حديث سلمة بن الفضل الأبرش، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٧١) من حديث يونس بن بكير.

وكذا هو بتمامه عند ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٣٠٩) من حديث جرير بن حازم عن ابن إسحاق.

حَجّةُ الوَدَاع

قال ابن إسحاق: فلمّا دخل على رسول الله ﷺ ذو القَعْدةِ تَجهَّزَ للحجِّ وأمَرَ الناسَ بالجَهَازِ له.

قال: فحدّثني عبدُ الرَّحمن بن القاسم، عن أبيه القاسمِ بن محمّدٍ، عن عائشةَ زوجِ النبيّ ﷺ قالت: خرج رسولُ الله ﷺ إلى الحجِّ لخمسِ لَيالٍ بَقِينَ من ذي القَعْدة[1].

قال ابن هشام: واستَعمَل على المدينة أبا دُجَانة السّاعديَّ، ويقال: سِبَاعَ بن عُرفُطَة الغِفَاريّ.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُالرَّحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشةَ قالت[2]: لا يذكرُ ولا يذكرُ الناسُ إلّا الحجَّ، حتّى إذا كان بسَرِفَ[3] وقد ساقَ رسولُ الله ﷺ معه الهَدْيَ[4] وأشرافٌ من أشرافِ الناس، أمَرَ الناسَ أن يَحِلُّوا بعُمْرةٍ إلّا مَن ساقَ الهَدْيَ.

قالت: وحِضتُ ذلك اليومَ، فدخل عليَّ وأنا أَبكي، فقال: «ما لكِ يا عائشةُ، لَعَلَّكِ نُفِستِ؟» قالت: قلت: نَعَم، ووالله لوَدِدتُ أنّي لم أخرُجْ معكم عامِي هذا في

(١) إسناده صحيح.

وانظر تخريجه فيما سيأتي عند تتمّة الحديث.

(٢) هذا من تتمة الخبر السابق.

(٣) موضع شمال غرب مكة على قرابة ١٦ كم من الحرم، يُعرَف اليوم بالنوّارية، وهو أحد أحياء مكة.

(٤) الهَدْي: ما يُهدَى إلى البيت الحرام من الأنعام لتُنحَر.

هذا السَّفَر، فقال: «لا تَقُولِنَّ ذلكِ، فإنّكِ تَقضِينَ كلَّ ما[1] يَقْضي الحاجُّ إلّا أنَّكِ لا تَطُوفِينَ بالبيتِ».

قالت: ودخل رسولُ الله ﷺ مكّةَ، فحَلَّ كلُّ مَن كان لا هَدْيَ معه وحَلَّ نِساؤُه بعُمْرة، فلمّا كان يومُ النَّحرِ أُتِيتُ بلحمِ بقرٍ كثيرٍ فطُرِحَ في بيتي، فقلت: ما هذا؟ قالوا: ذَبَحَ رسولُ الله ﷺ عن نسائِه البقرَ.

حتّى إذا كانت ليلةُ الحَصْبةِ[2] بَعَثَ بي رسولُ الله ﷺ مع أخي عبد الرَّحمن بن أبي بكرٍ فأعمَرَني من التَّنعيم[3]، مكانَ عُمْرتي التي فاتَتْني[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني نافعٌ مولى عبدِ الله بن عمرَ، عن عبدِ الله بن عمرَ، عن

---

(١) هكذا في (ص) و(غ) و(ق٢): كل ما، وهو الموافق لما في رواية أحمد في «المسند»، وفي بقية النسخ: كما.

(٢) وهى ليلة النَّفْر، الليلة التي يبيتون فيها بالمحصَّب بعد النَّفْر من مِنى آخر أيام الرمي، والمحصَّب: اسم موضع بين مِنى ومكّة.

(٣) ويُسمَّى اليوم: العُمْرة، أو عُمْرة التنعيم؛ لأن الناس يُحرِمون بالعمرة منه، يقع في الجزء الغربيّ من مكّة المكرّمة على مسافة ٧ كم من المسجد الحرام.

(٤) إسناده صحيح. والقاسم الراوي عن عائشة: هو ابن أخيها محمد بن أبي بكر.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٤٥) من طريق إبراهيم بن سعد الزُّهري، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه مطوَّلاً ومقطَّعاً أحمد (٢٤٠٧٧) و(٢٤١٠٩) و(٢٤١١٢) و(٢٥٨٣٨) و(٢٦٣٤٤)، والبخاري (٣٠٥) و(١٦٥٠) و(٥٥٤٨) و(٥٥٥٩)، ومسلم (١٢١١) (١١٩) و(١٢٠-١٢٢)، وأبو داود (١٧٧٧) و(١٧٨٢)، وابن ماجه (٢٩٦٣) و(٢٩٦٤)، والترمذي (٨٢٠)، والنسائي في «المجتبى» (٢٩٠) و(٣٤٨) و(٢٧١٥) و(٢٧٤١) و(٢٩٩٠)، وابن حبان (٣٨٣٤) و(٣٨٣٥) و(٣٩٣٤) و(٣٩٣٥) و(٤٠٠٥) من طرق عن عبد الرحمن بن القاسم، به.

وحديث عائشة هذا قد روي عنها مقطَّعاً في هذه المصادر وغيرها من عدّة أوجهٍ صحيحة.

حَفْصةَ ابنة عمرَ قالت: لمّا أمَرَ رسولُ الله ﷺ نساءَه أن يَحلِلنَ بعُمرةٍ قلنا: فما يَمنَعُك يا رسولَ الله أن تَحِلَّ معنا؟ فقال: «إنِّي أَهدَيتُ ولَبَّدتُ[1]، فلا أَحِلُّ حتّى أنحَرَ هَدْيي»[2].

موافاةُ عليٍّ رضوان الله عليه في قُفُوله من اليمن رسولَ الله ﷺ في الحجّ

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي نَجِيحٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ كان بَعَثَ عليّاً رضي الله عنه إلى نَجْرانَ، فلَقِيَه بمكّة وقد أحرَمَ، فدخل على فاطمةَ بنتِ رسول الله ﷺ، فوَجَدَها قد حَلَّتْ وتَهيَّأَت، فقال: ما لكِ يا ابنةَ رسول الله؟ قالت: أمَرَنا رسولُ الله ﷺ أن نَحِلَّ بعُمرةٍ فحَلَلْنا.

قال: ثمّ أَتى رسولَ الله ﷺ، فلمّا فَرَغَ من الخَبَرِ عن سَفَرِه قال له رسولُ الله ﷺ: «انطَلِقْ فطُفْ بالبيتِ، وحِلَّ كما حَلَّ أَصحابُك» قال: يا رسولَ الله، إنّي أهلَلتُ كما أهلَلتَ، فقال: «ارجِعْ فاحْلِلْ كما حَلَّ أَصحابُك» قال: يا رسولَ الله، إنّي قلتُ حين أحرَمتُ: اللّهمَّ إنّي أُهِلُّ بما أَهَلَّ به نبيُّك وعبدُك ورسولُك محمّدٌ، قال: «فهَلْ مَعَك من هَدْيٍ؟» قال: لا، فأَشرَكَه رسولُ الله ﷺ في هَدْيِه وثَبَتَ على إحرامِه مع

---

(١) يقال: لبَّد الرجلُ شعرَه، بمعنى: جعل فيه شيئاً نحو الصّمغ ليجتمع شعرُه، لئلّا يتشعَّث في الإحرام أو يقعَ فيه القمل.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٤٣٧) من طريق إبراهيم بن سعد الزُّهري، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه أحمد (٢٦٤٢٤) و(٢٦٤٣٢) و(٢٦٤٣٥) و(٢٦٤٣٦)، والبخاري (١٥٦٦) و(١٦٩٧) و(٤٣٩٨)، ومسلم (١٢٢٩)، وأبو داود (١٨٠٦)، وابن ماجه (٣٠٤٦)، والنسائي في «المجتبى» (٢٦٨٢) و(٢٧٨١) وفي «الكبرى» (٣٦٤٨) و(٣٧٤٧)، وابن حبان (٣٩٢٥) من طرق عن نافع، به.

رسول الله ﷺ حتّى فَرَغا من الحجِّ، ونَحَرَ رسولُ الله ﷺ الهَدْيَ عنهما[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن أبي عَمْرة، عن يزيدَ بن طَلْحة بن يزيد بن رُكَانةَ قال: لمّا أقبَلَ عليٌّ رضي الله عنه من اليمنِ ليَلقَى رسولَ الله ﷺ بمكّة، تَعجَّلَ إلى رسول الله ﷺ، واستَخلَفَ على جُندِه الّذين معه رجلاً من أصحابه، فعَمَدَ ذلك الرّجلُ فكَسَا كلَّ رجلٍ من القوم حُلّةً من البَزِّ الذي كان مع عليٍّ، فلمّا دَنَا جيشُه خرج ليَلقَاهم، فإذا عليهم الحُلَلُ، قال: وَيلَك، ما هذا؟ قال: كَسَوتُ القومَ ليَتَجَمَّلُوا به إذا قَدِموا في النّاس، قال: وَيلَك، انزِعْ قبلَ أن تَنتهِيَ به إلى رسول الله ﷺ، قال: فانتَزَعَ الحُلَلَ من النّاس فرَدَّها في البَزِّ، قال: وأظهَرَ الجيشُ شَكْواه لِمَا صَنَعَ بهم[2].

---

(١) أصل الحديث صحيح من حديث جابر كما سيأتي، وهذا إسناد ضعيف لإعضاله، فابن أبي نجيح - وهو ثقة - من أتباع التابعين.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٤٨-١٤٩ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

وقد روي معنى هذا الخبر عن محمد بن عليٍّ الباقر عن جابر بن عبد الله في حديثه الطويل عن حجّة الوداع، قال: قَدِمَ عليٌّ من اليمن ببُدْن النبي ﷺ، فوجد فاطمةَ ممَّن حلَّ، ولبست ثياباً صَبيغاً واكتَحَلَت، فأنكر ذلك عليها، فقالت: إنّ أَبي أمرني بهذا، فذهب مستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذَكَرَت عنه، فأخبره أنه أنكر ذلك عليها، فقال: «صدقت صدقت، ماذا قلتَ حين فَرَضتَ الحجَّ؟» قال: قلت: اللهمَّ إني أُهِلُّ بما أهلَّ به رسولك، قال: «فإنّ معي الهديَ فلا تَحِلَّ». أخرجه أحمد (١٤٤٤٠)، ومسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٧٤)، وابن حبان (٣٩٤٣). وفي هذا الخبر: أن رسول الله ﷺ نحر من البُدن (وكانت مئة) ثلاثاً وستّين بيده، ثم أعطى عليّاً فنحر ما غَبَر منها (أي: ما بقي) وأَشرَكَه في هديه.

(٢) إسناده ضعيف لجهالة يحيى بن أبي عمرة شيخ ابن إسحاق، ولإرساله، فإن يزيد بن طلحة من صغار التابعين أو من أتباع التابعين. =

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُالله بن عبدالرَّحمن بن مَعمَر بن حَزْمٍ، عن سليمانَ ابن محمّد بن كعب بن عُجْرةَ، عن عمّتِه زينبَ بنتِ كعبٍ ـ وكانت عند أبي سعيدٍ الخُدْريّ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ قال: اشتَكَى الناسُ علياً[1] رضوان الله عليه، فقامَ رسولُ الله ﷺ فينا خطيباً، فسمعتُه يقول: «أيُّها الناسُ، لا تَشْكُوا عليّاً، فواللهِ إنَّه لَأخشَنُ في ذاتِ الله[2] ـ أو في سَبيلِ الله ـ من أن يُشكَى»[3].

قال ابن إسحاق: ثمّ مضى رسولُ الله ﷺ على حَجِّه، فأَرَى الناسَ مَناسِكَهم وأعلَمَهم سُنَنَ حَجِّهم، وخَطَبَ الناسَ خُطْبتَه التي بَيَّنَ فيها ما بَيَّنَ، فحَمِدَ اللهَ وأَثنَى عليه ثمّ قال: «أيُّها النّاسُ، اسمَعُوا قَوْلي، فإنِّي لا أَدري لَعَلِّي لا أَلقاكُم بعدَ عامِي هذا بهذا المَوقِفِ أَبداً، أيُّها النّاسُ، إنَّ دِماءَكم وأَموالَكم عليكم حَرامٌ إلى أن تَلقَوْا رَبَّكم، كحُرْمةِ يَومِكم هذا، وكحُرْمةِ شَهرِكم هذا.

وإنَّكم سَتَلقَونَ رَبَّكم فيَسأَلُكم عن أعمالِكم وقد بَلَّغتُ، فمَن كانت عندَه أَمانةٌ فليُؤَدِّها إلى مَن ائتَمَنَه عليها.

وإنَّ كلَّ رِباً موضوعٌ ولكنْ لكم رُؤُوسُ أَموالِكم، لا تَظلِمُون ولا تُظلَمُون، قَضَى اللهُ أنه لا رِبا، وإنَّ رِبا عبَّاسِ بن عبدِ المُطَّلِبِ موضوعٌ كلُّه.

= وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٤٩ من طريق سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، بهذا الإسناد.

(١) أي: اشتكَوا شدّته في المعاملة.

(٢) أي: أن فيه خشونةً في الله، لا يُراعي فيه أحداً، وهذا لا يوجب الشِّكايةَ منه.

(٣) إسناده جيّد.

وأخرجه أحمد (١١٨١٧) ـ ومن طريقه الحاكم (٤٧٠٥) ـ من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وإنَّ كلَّ دمٍ كان في الجاهليَّةِ موضوعٌ، وإنَّ أوَّلَ دِمائِكم أَضَعُ دمُ ابنِ رَبِيعةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المُطَّلِب، وكان مُسترضَعاً في بني ليثٍ فقتَلَته هُذَيلٌ، فهو أوَّلُ ما أَبدَأُ به من دماءِ الجاهليَّةِ.

أمَّا بَعدُ، أيُّها النّاسُ، فإنَّ الشَّيطانَ قد يَئِسَ من أَن يُعبَدَ بأرضِكم هذه أَبداً، ولكنَّه إنْ يُطَعْ فيما سِوَى ذلك فقد رَضِيَ به ممَّا تَحقِرُون من أَعمالِكم، فاحذَرُوه على دِينِكُم.

أيُّها النّاسُ، إنَّ النَّسِيءَ[1] زيادةٌ في الكُفرِ يُضَلُّ به الَّذينَ كَفَروا، يُحِلُّونَه عاماً ويُحرِّمُونَه عاماً، ليُواطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ، فيُحِلُّوا ما حَرَّمَ الله ويُحرِّمُوا ما أَحَلَّ الله، وإنَّ الزَّمانَ قد استَدَارَ كهَيْئَتِه يومَ خَلَقَ اللهُ السَّماواتِ والأرضَ[2]، وإنَّ عِدَّةَ الشُّهورِ عندَ الله اثنا عَشَرَ شَهراً، منها أَربعةٌ حُرُمٌ، ثلاثةٌ مُتَوالِيةٌ ورَجَبُ مُضَرَ[3] الَّذي بين جُمَادَى وشَعْبانَ.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، فإنَّ لكم على نِسائِكم حَقّاً، ولهنَّ عليكم حَقّاً:

لكم عليهِنَّ أن لا يُوطِئْنَ فُرُشَكم أَحداً تَكرَهُونَه[4]، وعليهِنَّ أن لا يأتِينَ بفاحشةٍ

---

(١) المراد بالنَّسيء: ما كانت العرب تفعله من تأخير بعض الشهور الحُرُم الأربعة وإحلال بعض أشهر الحِلِّ مكانها.

(٢) يعني أنه صادَفَ في هذه السنة التي حجَّ فيها النبيُّ ﷺ رجوعُ الأشهر الحُرُم إلى مواضعها الصحيحة كما خُلِقَت من غير تأخير أو تقديم مما أحدثته العرب.

(٣) أما الثلاثة المتوالية فهي: ذو القَعْدة وذو الحِجّة ومحرَّم.

وأما رجبُ مضرَ، فقال السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٥١١: إنما قال ذلك، لأن ربيعة كانت تُحرِم في رمضان وتسمّيه رَجَباً، من رَجِبتُ الرجلَ ورجَّبتُه: إذا عظَّمتَه.. فبيَّن عليه السلام أنه رجبُ مُضَرَ لا رجبُ ربيعة، وأنه الذي بين جُمادى وشعبان.

(٤) قال النووي في «شرح مسلم» ٨/ ١٨٤: المختار أن معناه: أن لا يأذنَّ لأحد تكرهونه في =

مُبيِّنةٍ[1]، فإن فَعَلنَ فإنَّ اللهَ قد أَذِنَ لكم أن تَهجُروهُنَّ في المَضاجِعِ وتَضرِبوهُنَّ ضرباً غيرَ مُبَرِّحٍ[2]، فإنِ انتَهَينَ فلَهنَّ رِزقُهنَّ وكِسوَتُهنَّ بالمعروفِ، واستَوصُوا بالنِّساءِ[3]، فإنّهنَّ عندَكم عَوانٍ[4] لا يَملِكنَ لأنفُسهِنَّ شيئاً، وإنَّكم إنَّما أخذتُموهُنَّ بأَمانةِ الله واستَحلَلتُم فُروجَهُنَّ بكَلِماتِ الله[5]، فاعقِلُوا أيُّها النّاسُ قَوْلي، فإنِّي قد بَلَّغتُ.

وقد تَرَكتُ فيكم ما إنِ اعتَصَمتُم به فلَنْ تَضِلُّوا أَبداً، أَمْراً بَيِّناً، كتابَ الله وسُنَّةَ نبيِّه[6].

= دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم، سواء كان المأذون له رجلاً أجنبياً أو امرأةً أو أحداً من محارم الزّوجة، فالنهي يتناول جميعَ ذلك، وهذا حكم المسألة عند الفقهاء: أنها لا يحلُّ لها أن تأذنَ لرجل أو امرأة، لا مَحرَمٍ ولا غيرِه، في دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنَّت أن الزوج لا يكرهه، لأن الأصل تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن في ذلك منه أو ممّن أذن له في الإذن في ذلك، أو عُرِفَ رضاه باطّراد العُرْف بذلك ونحوه.. والله أعلم.

(١) أي: بسوء خُلُق ظاهر أو نُشُوز أو إعراض عن الزوج.

(٢) غير مبرِّح، أي: غير شديد ولا شاقٍّ ولا يترك أثراً.

(٣) زاد في (ش١) و(ش٢) و(غ): خيراً.

(٤) عَوَان: جمع عانيَةٍ، وهي الأسيرة.

(٥) صحَّح النووي في «شرح مسلم»: أن المراد: بإباحة الله، وأن الكلمات هي قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾.

(٦) هذه الفِقرة لم تُروَ من طريق صحيح، فهي في حديث ابن عباس من رواية إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه كما سيأتي تخريجه لاحقاً، وإسماعيل وأبوه فيهما ضعف وإنما يعتبر بهما في المتابعات والشواهد، وإسماعيل صاحب أفراد ومناكير ـ كما قال الذهبي في «السير» ١٠/ ٣٩٣ ـ ومع ذلك فقد ذهب إلى تصحيح خبره هذا ابنُ حزم الأندلسيُّ في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام» ٦/ ٨١-٨٢. =

أيُّها النّاسُ، اسمَعُوا قَوْلي واعقِلُوه، تَعلَّمُنَّ[1] أنَّ كلَّ مُسلِمٍ أخٌ لمُسلمٍ[2]، وأنَّ المسلمينَ إخوةٌ، فلا يَحِلُّ لامرِئٍ من أخيهِ إلّا ما أَعطاهُ عن طِيبِ نَفْسٍ، فلا تَظلِمُنَّ أَنفُسَكم، اللّهمَّ هل بَلَّغتُ؟».

فذُكِرَ لي أنّ النّاسَ قالوا: اللّهمَّ نَعَم، فقال رسولُ الله ﷺ: «اللّهمَّ اشهَدْ»[3].

= والذي صحَّ في هذا الحرف ـ كما في حديث جابر بن عبد الله في حديثه الطويل عن حجّة الوداع الذي أخرجه مسلم (١٢١٨) ـ: أن النبيَّ ﷺ قال في هذه الخطبة: «وقد تركتُ فيكم ما لن تَضلُّوا بعده إن اعتصمتم به، كتابَ الله، وأنتم تُسأَلون عنّي فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهدُ أنك قد بلَّغتَ وأدَّيتَ ونصحتَ، فقال بإصبعه السَّبّابة يرفعها إلى السماء ويشير إلى الناس: «اللهمَّ اشهد، اللهمَّ اشهد» ثلاث مرّات.

وقد روى مالك في «الموطأ» ٢/ ٨٩٩ أنه بلغه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «تركتُ فيكم أمرين لن تضلُّوا ما تمسَّكتم بهما: كتابَ الله وسنّةَ نبيه». وهذا لا يصحُّ لإعضاله، فالظاهر أن إسماعيل بن أبي أُويس أخذ هذا الحرف عن مالك ـ وهو أحد الرواة عنه، وهو خاله أيضاً ـ فأدخله في حديثه في خطبة حجّة الوداع، والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر في «إتحاف المهرة» (١٦٠٢٤): وأسنده ابن عبد البر من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جدّه، مثله سواء، فالظاهر أنَّ مالكاً أخذه عنه. قلنا: هو عند ابن عبد البر في «التمهيد» ٢٤/ ٣٣١، وكثير بن عبد الله واهٍ صاحب مناكير، وأبوه مجهول تفرّد كثير بالرواية عنه.

وروي عن أبي هريرة أيضاً مرفوعاً: «إني قد تركتُ فيكم شيئين لن تَضِلُّوا بعدهما: كتابَ الله وسنَّتي، ولن يتفرَّقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوضَ». أخرجه الحاكم (٣٢٣)، وإسناده ضعيف جداً فيه راوٍ متروك الحديث.

(١) أي: اعلموا.

(٢) في (ش١) و(غ): للمسلم.

(٣) هذه الخطبة في الجملة صحيحة قد رويت في غير ما حديثٍ كما سيأتي. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّادٍ قال: كان الرّجلُ الّذي يَصرُخُ في الناسِ بقول رسول الله ﷺ وهو بعَرَفةَ، ربيعةُ بن أُميّة بن خَلَفٍ، قال: يقول له رسولُ الله ﷺ: «قُلْ: يا أيُّها النّاسُ، إنَّ رسولَ الله يقولُ: هَلْ تَدرُونَ أيُّ شَهرٍ هذا؟» فيقول لهم، فيقولون: الشّهرُ الحرام، فيقول: «قُلْ لهم: إنَّ اللهَ قد حَرَّمَ عليكم دِماءَكم وأَموالَكم إلى أن تَلقَوْا رَبَّكم، كحُرْمةِ شَهرِكُم هذا» ثمّ

= وقد رواها الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٥٠ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح مرسلاً.

وهي بتمامها من حديث ابن عباس، وقد أخرجه مطوّلاً ومختصراً ببعض فِقَره: المروزيُّ في «السنة» (٦٨)، والعقيلي في «الضعفاء» (٧٧٠)، وابن المنذر في «الأوسط» (٧٥٠٩) و(٨١٩٣) و(٩٦٧٥)، والآجري في «الشريعة» (١٧٠٥)، والحاكم (٣٢٢) ـ وعنه البيهقي في «السنن» ٦/ ٩٦ و١٠/ ١١٤ و«الدلائل» ٥/ ٤٤٩ و«الاعتقاد» ص٢٢٨ ـ والخطيب في «المتفق والمفترق» (٨٠٨) من طريق إسماعيل بن أبي أُويس، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي عبد الله البصري وثور ابن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس.

وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد، إسماعيل بن أبي أُويس وأبوه ـ وهو عبد الله بن عبد الله بن أُويس ـ حديثهما حسن في المتابعات والشواهد، وهذا منها، فلحديثهما هذا شواهد إلّا في قوله: «وسنة نبيه»، وقد تقدم التعليق عليه قريباً.

ولحديث ابن عباس في هذه الخطبة طريق أخرى عند الآجري (١٧٠٤)، إلا أنه طريق واهٍ لا يصلح.

وسيأتي بعضها ـ وهو أولها في ذكر حُرمة الدماء والأموال ـ مروياً عن ابن عباس من وجه صحيح كما سيأتي في الكلام على الحديث التالي.

ويشهد لهذه الخطبة الطويلة في الجملة حديث جابر بن عبد الله عند مسلم (١٢١٨).

وحديث أبي حُرّة الرَّقَاشي عن عمّه عند أحمد (٢٠٦٩٥)، وانظر الإشارة إلى تتمة شواهده مقطَّعاً هناك.

يقول: «قُلْ: يا أيُّها النّاسُ، إنَّ رسولَ الله يقول: هَلْ تَدرُونَ أيُّ بلدٍ هذا؟» قال: فيَصرُخُ به، قال: فيقولون: البلدُ الحرامُ، قال: فيقول: «قُلْ لهم: إنَّ الله قد حَرَّمَ عليكم دِماءَكم وأَموالَكم إلى أن تَلقَوْا رَبَّكم، كحُرْمةِ بَلَدِكم هذا» قال: ثمّ يقول: «قُلْ: يا أيُّها النّاسُ، إنَّ رسولَ الله يقول: هَلْ تَدرُونَ أيُّ يومٍ هذا؟» قال: فيقولُه لهم، فيقولون: يومُ الحجِّ الأكبَرِ، قال: فيقول: «قُلْ لهم: إنَّ الله قد حَرَّمَ عليكم دِماءَكم وأَموالَكم إلى أن تَلقَوْا رَبَّكم، كحُرْمةِ يَومِكم هذا»[1].

قال ابن إسحاق: حدّثني ليثُ بن أبي سُلَيم، عن شَهْر بن حَوشَبٍ الأشعَريّ، عن عمرِو بن خارجةَ قال: بَعَثَني عَتّابُ بن أَسِيدٍ إلى رسول الله ﷺ في حاجةٍ

---

(١) حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لإرساله على ثقة رجاله.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٥١-١٥٢ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٦٠٣)، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٢/ ٥٧ من طريق يونس بن بكير، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٧٦٤) من طريق إبراهيم بن سعد، ثلاثتهم عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه جرير بن حازم عند ابن خزيمة (٢٩٢٧)، والطبراني في «الكبير» (١١٣٩٩)، والحاكم (١٧٦٠م) عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نَجيح، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: لما وقف رسول الله ﷺ بعرفة أمر ربيعة بن أمية، فذكر مثله. فإن كان جريرٌ حفظه، فيكون لابن إسحاق فيه إسنادان، أحدهما مرسل، والآخر موصول.

وقد صحَّ هذا عن ابن عباس ـ لكن دون ذكر ربيعة بن أميّة فيه ـ فقد أخرجه أحمد (٢٠٣٦) والبخاري (١٧٣٩) من طريق عكرمة عنه.

وربيعة بن أميّة المذكور أسلم يوم الفتح، لكن لم يستحكم الإيمان في قلبه، وعرض له الشّقاءُ بعد ذلك فارتدَّ ومات على الكفر، وذلك أنه شرب الخمر زمن عمر بن الخطّاب فغرَّبه إلى خيبر، فغضب ولحق بالرُّوم فتنصَّر. انظر «الإصابة» لابن حجر ٢/ ٥٢٠-٥٢١، وكذا كتابه «تعجيل المنفعة» ١/ ٥٢٥-٥٢٦.

ورسولُ الله ﷺ واقفٌ بعَرَفةَ فبَلَّغتُه، ثمّ وَقَفتُ تحتَ ناقةِ رسول الله ﷺ وإنّ لُغَامَها[1] لَيَقعُ على رأسي، فسمعتُه وهو يقول: «أيُّها النّاسُ، إنَّ الله قد أدَّى إلى كلِّ ذي حَقٍّ حَقَّه، وإنَّه لا تَجُوزُ وَصِيّةٌ لوارثٍ، والوَلَدُ للفِرَاشِ وللعاهِرِ الحَجَرُ[2]، ومَن ادَّعَى إلى غيرِ أَبيهِ أو تَوَلَّى غيرَ مَوالِيهِ، فعليه لَعْنةُ اللهِ والملائكةِ والنّاسِ أجمعينَ، لا يَقبَلُ اللهُ منه صَرْفاً ولا عَدْلاً[3]»[4].

---

(١) اللُّغام: الرغوة التي تخرج على فم البعير.

(٢) العاهر: الزاني، ومعنى: له الحَجَر، أي: له الخَيبةُ والحِرمانُ ولا حقَّ له في الولد.

(٣) الصَّرف: التوبة، والعَدْل: الفِدية.

(٤) صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم من قِبَل سوء حفظه، ونحوه شهر بن حوشب، لكن يُعتبَر بحديثهما في المتابعات والشواهد فيتحسّن بها، وهذا منها، إلا أن المحفوظ في هذا الحديث أنه من رواية شهرٍ عن عبد الرحمن بن غَنْم عن عمرو بن خارجة، فهكذا رواه قتادةُ بن دِعامة السدوسي ـ وهو ثقة حافظ ـ عن شهرٍ عند أحمد (١٧٦٦٤-١٧٦٦٦) و(١٧٦٦٩-١٧٦٧١)، وابن ماجه (٢٧١٢)، والترمذي (٢١٢١)، والنسائي مختصراً ببعضه في «المجتبى» (٣٦٤١) و(٣٦٤٢) وفي «الكبرى» (٦٤٣٥) و(٦٤٣٦).

وأما حديث ليث بن أبي سليم، فقد أخرجه أحمد (١٧٦٦٣) من طريق سفيان الثوري عنه. وانظر تمام تخريجه هناك.

ويشهد للحديث بطوله حديث أبي أمامة عند أحمد (٢٢٢٩٤)، والترمذي (٢١٢٠)، وإسناده حسن.

ويشهد لقوله: «لا تجوز وصية لوارث» حديث أبي أمامة عند أبي داود (٢٨٧٠) و(٣٥٦٥)، وابن الجارود في «المنتقى» (٩٤٩)، وإسناد ابن الجارود صحيح.

ويشهد لقوله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» حديث عائشة عند البخاري (٢٢١٨)، ومسلم (١٤٥٧).

وحديث أبي هريرة عند البخاري (٦٨١٨)، ومسلم (١٤٥٨). =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي نَجِيح: أنّ رسولَ الله ﷺ حين وَقَفَ بعَرَفةَ قال: «هذا المَوقِفُ» للجبلِ الّذي هو عليه «وكلُّ عَرَفةَ مَوقِفٌ»، وقال حين وَقَفَ على قُزَحَ[1] صَبِيحةَ المُزدَلِفةِ: «هذا المَوقِفُ، وكلُّ المُزدَلِفةِ مَوقِفٌ»، ثمّ لمّا نَحَرَ بالمَنحَر بمِنى قال: «هذا المَنحَرُ، وكلُّ مِنًى مَنحَرٌ»[2].

فقَضَى رسولُ الله ﷺ الحجَّ، وقد أَراهم مَناسِكَهم وأعلَمَهم ما فَرَضَ اللهُ عليهم من حَجِّهم من المَوقِفِ ورَمْي الجِمَار وطَوَافِ البيت، وما أُحِلَّ لهم من حَجِّهم وما حُرِّمَ عليهم، فكانت حَجّةَ البَلَاغ وحَجّةَ الوداع، وذلك أنّ رسولَ الله ﷺ لم يَحُجَّ بعدَها.

= ويشهد لقوله: «من ادّعى إلى غير أبيه، أو تولّى غير مواليه...» حديث علي بن أبي طالب عند مسلم (١٣٧٠)، وهو عند البخاري (٣١٧٢) مختصراً.

(١) قُزَح: جبل صغير بجوار المَشعَر الحرام بالمزدلفة، وقد بُني فوقه قصر في زماننا هذا.

(٢) صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإرساله.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٥٢ من طريق سلمة بن الفضل، وأبو جعفر الوراق في «مغازيه» ـ كما في «جامع الآثار» لابن ناصر الدين الدمشقي ٦/ ١٦٠ ـ عن إبراهيم بن سعد، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

ووصله جرير بن حازم عند ابن خزيمة (٢٩٢٧)، والطبراني في «الكبير» (١١٣٩٩)، والحاكم (١٧٦٠م)، فرواه عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نَجيح، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس. فإن كان جريرٌ حفظه فالإسناد صحيح.

ويشهد له حديث جابر بن عبد الله عند أحمد (١٤٤٩٨)، ومسلم (١٢١٨) (١٤٩) وغيرهما.

وحديث علي بن أبي طالب عند أحمد (٥٦٢)، وأبي داود (١٩٣٥)، والترمذي (٨٨٥)، وإسناده حسن، وذكر فيه موقف النبي ﷺ بقُزَح. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

بعثُ أسامةَ بن زيدٍ إلى أرض فِلَسطين

قال ابن إسحاق: ثمّ قَفَلَ[1] رسولُ الله ﷺ، فأقامَ بالمدينة بقيّةَ ذي الحِجّة والمُحرَّمَ وصَفَراً، وضَرَبَ على الناس بَعْثاً إلى الشّام وأمَّرَ عليهم أُسامةَ بن زيد بن حارثة مولاه، وأمَرَه أن يُوطِئَ الخيلَ تُخومَ البَلْقاءِ والدّارُوم[2] من أرض فِلَسطِينَ، فتَجهَّزَ الناسُ وأَوعَبَ[3] مع أُسامةَ بن زيدٍ المهاجرون الأوَّلون.

خروجُ رُسُل رسول الله ﷺ إلى الملوك

قال ابن هشام: وقد كان رسولُ الله ﷺ بَعَثَ إلى الملوكِ رُسُلاً من أصحابه، وكَتَبَ معهم إليهم يَدعُوهم إلى الإسلام.

قال ابن هشام[4]: حدّثني مَن أثِقُ به عن أبي بكرٍ الهُذَليِّ قال: بَلَغَني أنّ رسولَ الله ﷺ خرج على أصحابه ذاتَ يومٍ بعدَ عُمرتِه التي صُدَّ عنها يومَ الحُدَيبيَةِ فقال: «أيُّها النّاسُ، إنَّ الله قد بَعَثَني رحمةً وكافّةً، فلا تَختَلِفوا عليَّ كما اختَلَفَ الحَوَاريُّون على عيسى ابنِ مريمَ» فقال أصحابُه: وكيف اختلفَ الحَواريُّون يا رسولَ الله؟ قال: «دَعَاهم إلى الّذي دَعَوتُكم إليه، فأمّا مَن بَعَثَه مَبعَثاً قريباً، فرَضِيَ وسَلَّمَ، وأمّا مَن بَعَثَه مَبعَثاً بعيداً، فكَرِهَ وجهَه وتَثاقَلَ، فشَكَا ذلك عيسى إلى الله، فأصبَحَ المُتَثاقِلون وكلُّ واحدٍ

---

(١) أي: عاد ورجع.

(٢) البلقاء: إقليم في وسط الأردنّ، من أشهر مدنه عمّان والسلط ومادبا. وتخومها: حدودها وأطرافها.

والداروم: هي مدينة دير البلح اليوم في قطاع غزة بفلسطين.

(٣) أَوعب المهاجرون، أي: خرجوا بأجمعهم لم يبق منهم أحدٌ.

(٤) قوله: قال ابن هشام، من نسخة (غ) وحدها.

منهم يَتكلَّمُ بلُغَةِ الأُمّةِ التي بُعِثَ إليها»[1].

فبَعَثَ رسولُ الله ﷺ رُسُلاً من أصحابه، وكتبَ معهم كُتُباً إلى الملوك يَدعُوهم فيها إلى الإسلام، فبَعَثَ دِحْيةَ بن خَلِيفة الكَلْبيَّ إلى قَيصَرَ ملكِ الرُّوم، وبَعَثَ عبدَالله بن حُذَافة السَّهْميَّ إلى كِسْرى ملكِ فارسَ، وبَعَثَ عمرَو بن أُميّة الضَّمْريَّ إلى النَّجَاشيّ ملكِ الحَبَشة، وبَعَثَ حاطبَ بن أبي بَلتَعة إلى المُقَوقِس ملكِ الإسكندريّة، وبَعَثَ عمرَو بن العاصِ السَّهْميَّ إلى جَيفَرٍ وعِيَاذٍ[2] ابنَي الجُلَندَى الأزديَّينِ ملكَي عُمَانَ، وبَعَثَ سَلِيطَ بن عمرٍو أحدَ بني عامر بن لُؤيٍّ إلى ثُمَامةَ بن أُثالٍ وهَوْذةَ بن عليٍّ الحَنَفيَّين ملكَي اليَمَامة، وبَعَثَ العلاءَ بن الحَضرَميِّ إلى المُنذِر بن ساوَى العَبْديِّ ملكِ البحرَين، وبَعَثَ شُجَاعَ بن وهبٍ الأسديَّ إلى الحارثِ بن أبي شَمِرٍ الغسّانيِّ ملكِ تُخومِ الشّام[3].

قال ابن هشام: بَعَثَ شُجاعَ بن وهبٍ إلى جَبَلة بن الأيهَمِ الغسّانيّ، وبَعَثَ المهاجرَ بن أبي أُميّة المخزوميَّ إلى الحارثِ بن عبدِ كُلَالٍ الحِمْيَريِّ ملكِ اليمن.

قال ابن هشام: أنا نَسَبتُ[4] سَلِيطاً وثُمَامة وهَوْذة والمنذر.

---

(١) إسناده ضعيف جداً، فأبو بكر الهذلي متروك الحديث، وقد أعضله، ثم إن الواسطة بينه وبين ابن هشام مبهمة، فهذه ثلاث علل توهّيه.

وانظر رواية ابن إسحاق التالية بإسناد آخر غير هذا.

(٢) هكذا هو في أكثر نسخنا الخطية، بياء وذال، وهكذا ضبطه ابن فتحون في «ذيل الاستيعاب» كما قال ابن حجر في «الإصابة» ٥/ ١٦٧، وفي بعض نسخنا: عِيَاد، بدال مهملة، وفي نسخة (ت) وحدها: عباد، بالباء والدال، وهكذا ذكره ابن حجر في موضع آخر من «الإصابة» ٥/ ٨٠، وفي موضع ثالث ٥/ ١١١: عبد!

(٣) يعني: أطراف الشام، والتخوم: جمع تَخْمٍ، وهو الحدّ الفاصل بين أرض وأرض.

(٤) يعني: ولم ينسبهم أبو بكر الهذلي.

قال ابن إسحاق: حدّثني يزيدُ بن أبي حَبيبٍ المِصريّ: أنّه وَجَدَ كتاباً فيه ذِكرُ مَن بَعَثَ رسولُ الله ﷺ إلى البُلدان وملوكِ العرب والعَجَم، وما قال لأصحابه حين بَعَثَهم؛ قال: فبَعَثتُ به إلى محمّد بن شِهَاب الزُّهْريّ فعَرَفَه، وفيه: أنّ رسولَ الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم: «إنَّ الله بَعَثَني رَحْمةً وكافّةً، فأَدُّوا عنِّي يَرحَمُكم الله، ولا تَختَلِفوا عليَّ كما اختَلَفَ الحَوَاريُّونَ على عيسى ابنِ مريمَ» قالوا: وكيفَ يا رسولَ الله كان اختلافُهم؟ قال: «دَعَاهم لِمِثْلِ ما دَعَوتُكم له، فأمّا مَن قَرَّبَ به[1] فأَحَبَّ وسَلَّمَ، وأمّا مَن بَعَّدَ به[2] فكَرِهَ وأَبَى، فشَكَا ذلك عيسى منهم إلى الله عزَّ وجلَّ، فأَصبَحوا وكلُّ رجلٍ منهم يَتكلَّمُ بلُغةِ القومِ الّذين وُجِّهَ إليهم»[3].

---

(١) أي: أرسله إلى مكان قريب.

(٢) أي: أرسله إلى مكان بعيد.

(٣) ضعيف لم يُذكَر فيه هنا إسنادٌ، وقد روي عن الزهري من غير هذا الوجه واختُلف عليه فيه.

فقد أخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر والمغرب» ص٦٥-٦٦ عن أسد بن موسى، عن عبد الله بن وهب، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب قال: حدثني عبد الرحمن بن عبدٍ القارِيّ مرسلاً: أن رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وتشهد، ثم قال... وذكر نحوه.

وعبد الرحمن القارِيّ تابعي كبير يقال: له رؤية، وأسد بن موسى وإن كان ثقة، حدّث بأحاديث منكرة كما قال ابن يونس في «تاريخ مصر».

وخولف أسدٌ في متنه، فقد رواه أحمد بن صالح المِصري - وهو أحفظ منه - عن ابن وهب بهذا الإسناد، فيما أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٨٧، ولم يذكر في متنه قصة عيسى عليه السلام مع حواريِّيه وشكواه إلى الله منهم، والغالب على الظن أنها مُدرَجة في الخبر، والله أعلم.

وأخرجه بهذه القصّة أيضاً الطبراني في «المعجم الكبير» ٢٠/ (١٢) - وعنه أبو نعيم في «معرفة =

قال ابن إسحاق: وكان مَن بَعَثَ عيسى ابنُ مريمَ عليه السلام من الحَواريِّين والأتباعِ الّذين كانوا بعدَهم في الأرض[1] بُطرُسَ الحَوَاريَّ ومعه بُولِسُ ـ وكان بولسُ من الأتباع ولم يكن من الحَواريِّين ـ إلى رُومِيّة، وأَندَرايُسَ ومَنْتا[2] إلى الأرض

= الصحابة» (٣٧٧٤) ـ من طريق محمد بن إسماعيل بن عيّاش، عن أبيه، حدثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن مسلم الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المِسوَر بن مَخرَمة قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقال... فذكره.

وهذا إسناد ضعيف لضعف محمد بن إسماعيل، وأبوه حسن الحديث عن أهل بلده الشاميِّين وحديثه عن الحجازيِّين منكر ضعيف، وهذا منها، فابن إسحاق مدني.

(١) هذا الكلام من ابن إسحاق غريب مُنكَر، معناه أن عيسى عليه السلام أُرسل إلى الناس كافّة، وهذا ما ينفيه إنجيلُ متّى نفسه.

ففي الفِقرتين (٥-٦) من الإصحاح العاشر منه: هؤلاء الاثنا عشر أَرسلهم يسوعُ وأوصاهم قائلاً: إلى طريقِ أُممٍ لا تَمضُوا، وإلى مدينةٍ للسامريِّين لا تَدخُلوا، بل اذهبوا بالحَرِيِّ إلى خِراف بيت إسرائيل الضالّة.

وفي قصة المرأة الكنعانية التي طلبت من يسوع أن يشفي لها ابنتها المجنونة ـ بإذن الله ـ فقال لها كما في الفقرة (٢٤) من الإصحاح الخامس عشر: لم أُرسَل إلّا إلى خِراف بيت إسرائيل الضالّة.

أمّا عندنا نحن المسلمين، فإن الله عزّ وجلّ قال في شأن عيسى عليه السلام في سورة آل عمران الآية (٤٩): ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، فخصَّه ببني إسرائيل.

وقال في سورة الصف الآية (٦): ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ﴾.

وأخرج البخاري (٤٣٨) ومسلم (٥٢١) وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «كان النبيُّ يُبعَث إلى قومه خاصّةً، وبُعِثتُ إلى الناس كافّةً».

فالإرسال إلى الناس كافّةً هو من خصائص نبيِّنا محمدٍ صلَّى الله عليه وعلى أنبياء الله ورسله أجمعين، فالظاهرُ أن انبعاث هؤلاءِ الحواريِّين والأتباع في الأرض كان من قِبَل أنفسهم لا بأمرٍ من نبيّ الله عيسى عليه السلام، والله تعالى أعلم.

(٢) هكذا في نسخنا الخطية، وهو عند أهل الكتاب: متّيا، أو متّى.

التي يأكلُ أهلُها الناسَ، وتُوماسَ إلى أرض بابل من أرض المَشرِق، وقِيبِلِيسَ[1] إلى أرض قَرْطاجَنّة، وهي إفريقيّةُ، ويُحَنَّسُ إلى أَفسُوس، قريةِ الفِتْية أصحاب الكهف، ويعقوبُسَ إلى أوراشَلِمَ وهي إيلِياءُ، قريةُ بيتِ المَقدِس، وبَرْثَلما[2] إلى الأعرابيّةِ، وهي أرضُ الحِجَاز، وسِيمُنَ[3] إلى أرض البَربَر، ويَهُوذا، ولم يكن من الحَواريّين جُعِلَ مكان يُوذِس[4].

(١) هكذا في نسخنا الخطية، وهو عند أهل الكتاب: فِيلُبُّس.

(٢) هكذا في (ش١) و(ش٢)، وهو الصواب الموافق لما في إنجيل متّى، ففيه: بَرثُولماوس، وتحرف على النُّسّاخ في بقية النسخ إلى: ابن ثلما، وفي بعضها: ابن ثلماء، مهموزاً.

(٣) وهو مغيَّر عن: سِمْعان.

(٤) في (ت) و(ص): يودس، بدال، وعند أهل الكتاب: تدّاوس.

ذكرُ جُمْلة الغَزَوات

قال ابن إسحاق[1]: وكان جميعُ ما غَزَا رسولُ الله ﷺ بنفسه سبعاً وعشرين غزوةً: غزوة[2] وَدّان، وهي غزوة الأَبواء، ثمّ غزوة بُوَاط من ناحية رَضْوَى، ثمّ غزوة العُشَيرة من بَطْن يَنبُعَ، ثمّ غزوة بدرٍ الأُولى يَطلُبُ كُرْزَ بن جابرٍ[3]، ثمّ غزوة بدرٍ التي قَتَلَ اللهُ فيها صَنادِيدَ قُريش، ثمّ غزوة بني سُلَيمٍ حتّى بَلَغَ الكُدْرَ، ثمّ غزوة السَّوِيق يَطلُبُ أبا سفيان بن حَرْب، ثمّ غزوة غَطَفان وهي غزوة ذي أَمَرٍ، ثمّ غزوة بَحْرانَ[4]، مَعدِنٍ بالحجاز، ثمّ غزوة أُحدٍ، ثمّ غزوة حَمْراءِ الأَسَد، ثمّ غزوة بني النَّضير، ثمّ غزوة ذاتِ الرِّقَاع من نَخلٍ، ثمّ غزوة بدرٍ الآخِرة، ثمّ غزوة دُومَة الجَندَل، ثمّ غزوة الخندق، ثمّ غزوة بني قُرَيظة، ثمّ غزوة بني لِحْيانَ من هُذَيل، ثمّ غزوة ذي قَرَدٍ، ثمّ غزوة بني المُصطَلِق من خُزَاعة، ثمّ غزوة الحُدَيبيَةِ لا يريد قتالاً فصَدَّه المشركون، ثمّ غزوة خَيبَر، ثمّ عُمْرةُ القَضاءِ، ثمّ غزوة الفَتْح، ثمّ غزوة حُنَين، ثمّ غزوة الطّائف، ثمّ غزوة تَبُوكَ.

قاتَلَ منها في تسعِ غَزَواتٍ: بدرٍ وأُحدٍ والخندقِ وقُرَيظةَ والمُصطَلِقِ وخَيبَرَ والفتحِ وحُنَينٍ والطّائف.

---

(١) في نسخة (غ): وبالسند المذكور أولاً حدثنا أبو محمّد عبد الملك بن هشام قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكّائي عن محمّد بن إسحاق المُطَّلبيّ قال.

(٢) في بعض النسخ: منها غزوة، بزيادة «منها» ولا داعي لها، فقد عدَّ هنا السبع والعشرين غزوةً كلها. وكذلك قال في عدد غزوات النبيِّ ﷺ الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٧.

(٣) وهي غزوة سَفَوان كما تقدم ٢/ ٢٨٩.

(٤) وهي غزوة الفُرُع.

ذكرُ جُمْلة السَّرايا والبُعُوث

وكانت بُعوثُه ﷺ وسَرَاياه ثمانياً وثلاثين، من بين بَعثٍ وسَرِيّة: غزوةُ عُبَيدة ابن الحارثِ أسفلَ من ثَنيّةِ ذي المَرَةِ[1]، ثمّ غزوةُ حمزة بن عبد المُطَّلِب ساحلَ البحر من ناحية العِيصِ، وبعضُ الناس يُقدِّم غزوةَ حمزة قبلَ غزوةِ عُبيدة، وغزوةُ سعد بن أبي وَقّاصٍ الخَرّارَ، وغزوةُ عبدِ الله بن جَحْشٍ نَخْلةَ، وغزوةُ زيد بن حارثةَ الفَرْدةَ[2]، وغزوةُ محمّد بن مَسلَمةَ كعبَ بن الأشرَف، وغزوةُ مَرثَد بن أبي مَرثَدٍ الغَنَويِّ الرَّجِيعَ، وغزوةُ المُنذِر بن عمرٍو بئرَ مَعُونةَ، وغزوةُ أبي عُبيدة بن الجَرّاح ذا القَصَّة من طريقِ العراق[3]، وغزوةُ عمرَ بنِ الخَطّاب تُربةَ من أرض بني عامر[4]، وغزوةُ عليِّ بن أبي طالبٍ اليمنَ، وغزوةُ غالب بن عبد الله الكَلْبيِّ - كلبِ

---

(١) في (ت) و(ص) و(ط): ذي المروة، وهو تحريف، وقد تقدم التعريف بذي المَرَة في سرية عُبيدة بن الحارث ٢/ ٢٧٧.

(٢) اختلفت النسخ في تقييد هذا الموضع، ففي بعضها بالفاء وفي بعضها بالقاف، وكذلك في تقييد الراء بين فتحها وسكونها، وقد تقدم الكلام عليه في سرية زيدٍ ٣/ ١٤.

(٣) هذه السريّة لم يتقدّم لها ذكر في هذا الكتاب، وكانت في ربيع الآخر من سنة ستٍّ كما في «المغازي» للواقدي ٢/ ٥٥٢ و«الطبقات» لابن سعد ٢/ ٨٢، وكانت إلى قوم من غَطَفان أرادوا الإغارة على إبل المدينة التي كانت ترعى في موضع على سبعة أميال من المدينة، فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة في أربعين رجلاً حين صلّوا صلاة المغرب، فباتوا ليلتهم يمشون حتى وصلوا إلى ذي القَصّة مع عَمَاية الصبح، فأغار عليهم فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأخذ رجلاً منهم، ووجد نَعَماً من نَعَمهم فاستاقه، وشيئاً من متاع، فقدم به المدينة، وغابوا في هذه السريّة ليلتين.

وذو القَصّة: موضع يقع شرق المدينة على قرابة ٢٤ ميلاً، وانظر «الأماكن» للحازمي ص٧٧٩ بتحقيق حمد الجاسر.

(٤) من هوازن، وهذه السريّة لم يتقدَّم لها ذكرٌ، وكانت بعد خيبر في شعبان من سنة سبعٍ =

ليثٍ[1] ـ الكَدِيدَ، فأصابَ بني المُلوَّح.

خبرُ غزوة غالب بن عبد الله اللَّيثيّ بني المُلوَّح

وكان من حديثها: أنّ يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنَس حدّثني عن مُسلِم ابن عبدالله بن خُبَيبٍ الجُهَنيّ[2]، عن جُندُبِ بن مَكِيثٍ الجُهَنيّ قال: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ غالبَ بن عبدِ الله الكَلْبيَّ ـ كلبَ بن عَوف بن ليثٍ ـ في سَرِيّةٍ كنت فيها، وأمَرَه أن يَشُنَّ الغارةَ على بني المُلوَّح وهم بالكَدِيد، فخرجنا حتّى إذا كنّا بقُدَيدٍ[3] لَقِينا الحارثَ بن مالكٍ، وهو ابنُ البَرْصاءِ اللَّيثيّ، فأخَذْناه، فقال: إنّي جئت أُريدُ الإسلامَ، ما خرجتُ إلّا إلى رسول الله ﷺ، فقلنا له: إنْ تَكُ مُسلِماً، فلن يَضِيرَكَ[4] رِباطُ

= كما في «المغازي» للواقدي ٢/ ٧٢٢ و«الطبقات» لابن سعد ٢/ ١١٠، بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلاً، فخرج وخرج معه دليل من بني هلال من هوازن، فكان يسير الليلَ ويَكمُن النهارَ، فأتى الخبرُ هوازن فهربوا، وجاء عمر بن الخطاب محالَّهم فلم يلقَ منهم أحداً، فانصرف راجعاً إلى المدينة.

وتُربة: وادٍ عظيم يتصل بالطرف الجنوبي الغربي من صحراء نجد، وبه بلدة عامرة بهذا الاسم تقع شرق الطائف على قرابة ١٦٠ كم، وتبعد عن المدينة المنوَّرة قرابة ٤٥٠ كم.

(١) يعني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كِنانة، من مُضَر، للتفريق بين قبيلة كلبٍ هذه وبين كلبٍ من قُضاعة التي منها زيد بن حارثة رضي الله عنه.

والكَديد: يعرف اليوم باسم الحَمْض، لكثرة نبات العصلاء فيه، وهو شمال غرب مكة على قرابة ٩٠ كم.

(٢) وقع هنا زيادة في طبعة السقا وصاحبيه: عن المنذر، وهي زيادة مُقحَمة غير صحيحة وليست في شيء من النسخ الخطية.

(٣) وادٍ شمال غرب مكة على قرابة ١٣٠ كم، ويبعد هذا الوادي عن المدينة قرابة ٢٣٠ كم.

(٤) أي: لن يضرَّك، وهي كذلك في بعض النسخ بلا ياءٍ.

ليلة، وإن تَكُ على غيرِ ذلك، كنّا قد استوثَقْنا منك؛ فشَدَدْناه رِباطاً، ثمّ خَلَّفنا عليه رجلاً من أصحابنا أسوَدَ وقلنا له: إن عازَّك[1] فاحتَزَّ رأسَه.

قال: ثمّ سِرْنا حتّى أَتينا الكَدِيدَ عند غروب الشّمس، فكُنّا[2] في ناحية الوادي، وبَعَثَني أصحابي رَبيئةً لهم[3]، فخرجتُ حتّى آتيَ تلًّا مُشرِفاً على الحاضرِ فأَسنَدتُ فيه[4]، فعَلَوتُ على رأسه فنَظَرتُ إلى الحاضرِ، فوالله إنّي لَمُنبَطِحٌ على التّلِّ إذ خرج رجلٌ منهم من خِبَائه[5] فقال لامرأته: إنّي لَأَرَى على التّلِّ سواداً ما رأيتُه في أوّلِ يومي، فانظُرِي إلى أَوعِيَتِك هل تَفقِدينَ منها شيئاً، لا تكون الكلابُ جَرَّت بعضَها، قال: فنَظَرَت فقالت: لا والله ما أَفقِدُ شيئاً، قال: فناوِلِيني قَوْسي وسهمَينِ، فناوَلَته، قال: فأرسَلَ سهماً، فوالله ما أَخطَأَ جَنْبي، فأَنزِعُه فأَضَعُه وثَبَتُّ مكاني، قال: ثمّ أرسَلَ الآخرَ فوَضَعَه في مَنكِبي، فأَنزِعُه فأَضَعُه وثَبَتُّ مكاني، فقال لامرأته: لو كان رَبيئةً لقومٍ لقد تَحرَّكَ، لقد خالَطَه سهمايَ، لا أبا لكِ، إذا أصبَحتِ فابتَغِيهما فخُذِيهما، لا يَمضُغُهما عليَّ الكلابُ، قال: ثمّ دخل.

قال: وأمهَلْناهم، حتّى إذا اطمأنُّوا وناموا وكان في وَجْه السَّحَر، شَنَنّا عليهم الغارةَ[6]، قال: فقَتَلْنا واستَقْنا النَّعَمَ.

---

(١) عازَّك، أي: تقوَّى عليك وغالبَك ليهرب.

(٢) في (ش١) ونسخة على حاشية (ش٢): فكَمَنّا.

(٣) الرَّبيئة: طَلِيعة القوم وعَيْنهم الذي يكشف لهم الخبر.

(٤) الحاضر: الحيُّ أو القومُ النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه. وأسندت، أي: صعدتُ.

(٥) الخِباء: الخيمة، وهي من بيوت الأعراب.

(٦) شننّا عليهم الغارةَ، أي: فرَّقنا عليهم الخيلَ المغيرة من جميع جهاتهم.

وخرج صَرِيخُ القوم فجاءَنا دَهْمٌ[1] لا قِبَلَ لنا به، ومَضَينا بالنَّعَم، ومَرَرْنا بابن البَرْصاءِ وصاحبِه فاحتَمَلْناهما مَعَنا، قال: وأدرَكَنا القومُ حتّى قَرُبوا منّا، فما بيننا وبينهم إلّا وادي قُدَيدٍ، فأرسَلَ الله الواديَ بالسَّيلِ من حيثُ شاءَ تبارك وتعالى، من غير سحابةٍ نَراها ولا مَطَرٍ، فجاءَ بشيءٍ ليس لأحدٍ به قوّةٌ ولا يَقدِرُ على أن يُجاوِزَه، فوَقَفُوا يَنظُرون إلينا وإنّا لنَسُوقُ نَعَمَهم، ما يستطيعُ منهم رجلٌ أن يُجِيزَ إلينا، ونحنُ نَحْدُوها[2] سِراعاً، حتّى فُتْناهم فلم يَقدِرُوا على طَلَبِنا. قال: فقَدِمْنا بها على رسول الله ﷺ[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني رجلٌ من أسلَمَ، عن رجلٍ منهم: أنّ شِعارَ[4] أصحاب رسول الله ﷺ كان تلك الليلةَ: أَمِتْ أَمِتْ، فقال راجزٌ من المسلمين[5] وهو يَحدُوها:

أبَى أبو القاسمِ أن تَعَزَّبي ... في خَضِلٍ نَباتُه مُغلَولِبِ[6]

---

(١) صريخ القوم، أي: مستغيثهم. والدَّهم: العدد الكثير.

(٢) نحدوها، أي: نسوقها.

(٣) إسناده محتملٌ للتحسين إن شاء الله، وقد حسَّنه الحافظ ابن حجر في «الإصابة» ٥/ ٣١٦ في ترجمة غالب بن عبد الله الليثي، ومسلمُ بن عبد الله بن خُبيب - وإن لم يرو عنه غير يعقوب ابن عتبة - هو أحدُ ولد عبد الله بن خُبيب الصحابي، ولا يُعرف فيه جَرْحة.

وأخرجه أحمد (١٥٨٤٤) من طريق إبراهيم بن سعد، وأبو داود (٢٦٧٨)، والحاكم (٢٦٠٣) من طريق عبد الوارث بن سعيد، كلاهما عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. ورواية عبد الوارث مختصرة.

(٤) الشعار: العلامة التي كان يعرف بها بعضهم بعضاً في ساحة الحرب.

(٥) وذكره الواقدي في حديث جندبٍ وسمّى الراجزَ فيه أميرَ السريّة غالباً.

(٦) تَعزَّبي، أي: تتعزَّبي، يقال: تعزَّبت الإبل، إذا غابت في المرعى ولم ترجع. والخَضِل: =

صُـفْرٍ أَعاليـهِ كلَـونِ المُـذهَبِ

قال ابن هشام: ويُروى: كلَونِ الذَّهَبِ.

تَمَّ خبرُ الغَزَاة وعُدتُ إلى ذكر تفصيل السَّرايا والبُعوث

قال ابن إسحاق: وغزوةُ عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه بني عبد الله بن سعدٍ من أهل فَدَكَ[1]، وغزوةُ أبي العَوْجاءِ[2] السُّلَميِّ أرضَ بني سُلَيم، أُصيبَ بها هو وأصحابُه جميعاً، وغزوةُ عُكّاشة بن مِحصَن الغَمْرةَ[3]، وغزوةُ أبي سَلَمة بن عبد الأسَد قَطَناً، ماءً من مياه بني أَسَدٍ من ناحية نَجدٍ[4]، قُتِلَ بها مسعودُ بن عُرْوة،

= النبات الناعم الرَّطب. والمغلولِب: الكثير الكثيف الذي يَغلِب على الماشية حين ترعاه.

(١) لم يتقدّم ذكر هذه السريّة، وذكر الواقدي في «المغازي» ٢/ ٥٦٢، ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٨٦: أنها كانت في شعبان سنة ستٍّ قبل خيبر، وذلك أنه بلغ رسولَ الله ﷺ أن لهم جمعاً يريدون أن يمدُّوا يهودَ خيبر، فبعث إليهم عليَّ بن أبي طالب في مئة رجل، فسار الليلَ وكَمَنَ النهارَ حتى أغار عليهم، فهربوا منه، فغَنِمَ من أنعامهم شيئاً كثيراً.

(٢) وعند الواقدي ٢/ ٧٤١ وابن سعد ٢/ ١١٥: ابن أبي العوجاء، وذكرا أن سريّته كانت في ذي الحِجّة سنة سبع، لمّا رجع رسول الله ﷺ من عُمرة القضاء، فبعثه في خمسين رجلاً، وذكرا أنه كان جريحاً مع القتلى، ثمّ تحامل حتى قَدِمَ على رسول الله ﷺ بالمدينة.

(٣) ذكر الواقدي ٢/ ٥٥٠ وابن سعد ٢/ ٨١: أنها كانت في شهر ربيع الأول سنة ستّ، بعثه النبي ﷺ في أربعين رجلاً. وذكر خليفةُ بن خيّاط في «تاريخه» ص٨٥: أنها كانت في سنة سبع بعد خيبر.

وغمرةُ كما في «معجم المعالم الجغرافية» للبِلادي ص٢٢٨: هي محطة من محطات الحاجّ العراقي قديماً على الضفة الشرقية لوادي العَقيق حين يمرّ بين عُشيرة والمسلح شمال شرقي مكة على ستّ مراحل، وهذا عَقيق عُشيرة.

(٤) ذكر الواقدي ١/ ٣٤١ وابن سعد ٢/ ٤٦: أنها كانت في المحرَّم سنة أربع، وذلك أنه بلغ رسولَ الله ﷺ أن طُليحة وسلمة ابني خُوَيلد الأسديّ قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعوانهم =

وغزوةُ محمّد بن مَسلَمة أخي بني حارثةَ القُرَطاءَ من هَوازِنَ[1]، وغزوةُ بَشِير بن سعدٍ بني مُرَّة بفَدَكَ[2]، وغزوةُ بَشير بن سعدٍ ناحيةَ خَيبَر[3]، وغزوةُ زيد بن حارثةَ الجَمُومَ من أرض بني سُلَيمٍ[4]، وغزوةُ زيدِ بن حارثةَ جُذَامَ من أرض خُشَينٍ.

= إلى حرب رسول الله ﷺ، فدعا ﷺ أبا سلمة وعقد له لواءً وبعث معه مئة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار، فانتهى إلى أدنى قَطَن، وهو الذي كان عليه جمعُهم، فأغار على مراعيهم، فخافوا وتفرّقوا.

ورجعت السرية إلى المدينة بعد بضع عشرة ليلةً.

وقَطَنٌ: جبل ما زال معروفاً بهذا الاسم، يمرّ به الطريق من المدينة المنوَّرة إلى القصيم شرقاً، على قرابة ٣٣٠ كم من المدينة.

(١) ذكر الواقدي ٢/ ٥٣٤ وابن سعد ٢/ ٧٤: أنها كانت في العَشر الثاني من محرَّم سنة خمسٍ، بعثه النبي ﷺ في ثلاثين رجلاً، فغابوا تسعة عشر يوماً.

وفدك: شرق خيبر على قرابة ١٢٥ كم.

(٢) ذكر الواقدي ٢/ ٧٢٣ وابن سعد ٢/ ١١٢: أنها كانت في شعبان سنة سبعٍ، بعثه النبي ﷺ في ثلاثين رجلاً، فأُصيب أصحاب بشيرٍ وولّى بعضهم، وجُرِحَ هو فظنّوا أنه مات فتركوه، فرجع إلى النبي ﷺ بالمدينة.

(٣) ذكر الواقدي ١/ ٦ و٢/ ٧٢٧ وابن سعد ٢/ ١١٣: أنها كانت في شوال سنة سبعٍ، وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أنّ جمعاً من غَطَفان بالجِنَاب قد واعدهم عيينةُ بن حصن ليكون معهم ليزحفوا إلى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ بشيرَ بن سعدٍ فعقد له لواءً وبعث معه ثلاث مئة رجل، فلما دَنَوا من القوم أصابوا لهم نَعَماً كثيراً وتفرّق الرِّعاءُ فحذَّروا الجمع، فتفرقوا ولحقوا بعَلْياء بلادهم.

والجِنَاب: أرض واسعة تقع شمال خيبر وتمتد إلى تَيماء، يعرف جلُّها اليوم باسم الجهراء، كما في «معجم المعالم الجغرافية» للبِلادي ص٨٦.

(٤) ذكر الواقدي ١/ ٥ وابن سعد ٢/ ٨٣: أنها كانت في ربيع الآخر سنة ستٍّ.

والجَمُوم: ماء لا زال معروفاً على السفوح الشرقية لحَرّة كشب شرق مكة على خمس ليال، =

قال ابن هشام: من أرض حِسْمَى[1].

غزوة زيد بن حارثة إلى جُذَام

قال ابن إسحاق: وكان من حديثِها كما حدّثني مَن لا أتّهمُ عن رجالٍ من جُذَامَ كانوا عُلَماءَ بها[2]: أنّ رِفاعةَ بن زيدٍ الجُذَاميَّ لمّا قَدِمَ على قومِه من عندِ رسول الله

= انظر «معجم المعالم الجغرافية» ص٨٠ و٢٤٨.

(١) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف) و(ي)، وهو كذلك في أصل السّماع كما في حاشية (م)، وفي حاشية (ش٢): قال ابن الوزير: كذا روى الشافعيُّ عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق قال: هي أرض حِسْمى، والله أعلم.

قلنا: ثمّ عَدَا بعضُ النسّاخ فأقحم نقلَ ابن الوزير ـ صاحب الأصل المنسوخ عنه ـ عن الشافعي في أصل كتاب «سيرة ابن هشام» وتتابع على ذلك بعضُ النساخ، فوقع في النسخ عندنا (ت) و(ص) و(ط) و(ق٢) و(م): قال ابن هشام عن نفسه والشافعيُّ عن عمرو بن حَبيبٍ عن ابن إسحاق: من أرض حِسْمَى.

ووقع في هذا النقل عن الشافعي خطأٌ في اسم ابن حبيبٍ، فالذي ينقل عنه الشافعي اسمه عُمر لا عَمرو، وهو عُمر بن حبيب بن محمد العدوي القاضي البصري المتوفَّى سنة ٢٠٧هـ، وله ترجمة في «التهذيب» وفروعه.

وأما حِسْمى: فهي صحراء فيها هِضاب وجبال وأودية تمتد من جنوب غرب وغرب تبوك إلى وادي رمّ جنوب الأردن، وهذه كانت من ديار جُذام.

وذكر الواقدي ٢/ ٥٥٥ وابن سعد ٢/ ٨٤: أن سَريّة زيدٍ إلى جُذام كانت في جمادى الآخرة سنة ستٍّ، وكان معه خمس مئة رجل، أما خليفة بن خيّاط فذكر في «تاريخه» ص٨٥ نقلاً عن ابن إسحاق: أنها كانت في سنة سبعٍ بعد خيبر، وهذا هو الراجح إن شاء الله، وانظر للإفادة كتاب «غزوة مؤتة» لبريك أبو مايلة ص٨٠-٨٢.

(٢) وقد روى خبر هذه الغَزَاة يحيى بن سعيد الأُموي في «مغازيه» عن ابن إسحاق فبيَّن فيه رجاله، فقد أخرج الطبراني في «الكبير» ٢٠/ (٨٠١) بعضاً منه من طريقه عن ابن إسحاق، عن =

ﷺ بكتابه يَدعُوهم إلى الإسلام، فاستجابوا له، لم يَلبَثْ أن قَدِمَ دِحْيةُ بن خَلِيفةَ الكَلْبيُّ من عند قَيصَرَ صاحبِ الرُّوم حين بَعَثَه رسولُ الله ﷺ إليه، ومعه تِجارةٌ له، حتّى إذا كانوا بوادٍ من أوديتِهم يقال له: شَنَارٌ، أغارَ على دِحْية بن خليفة الهُنَيدُ بن عُوصٍ وابنُه عُوصُ بن الهُنَيدِ الضُّلَعيّان ـ والضُّلَيع: بطنٌ من جُذَام ـ فأصابا كلَّ شيءٍ كان معه.

فبَلَغَ ذلك قوماً من الضُّبَيبِ رَهْطِ رِفاعةَ بن زيدٍ ممّن كان أسلمَ وأجابَ، فنَفَرُوا إلى الهُنَيدِ وابنِه، فيهم من بني الضُّبَيبِ النُّعمانُ بن أبي جِعَالٍ، حتّى لَقُوهم فاقتتلوا، وانتَمَى يومَئذٍ قُرّةُ بن أشقَرَ الضَّفَاريُّ ثمّ الضُّلَعيُّ فقال: أنا ابنُ لُبنَى، ورَمَى النُّعمانَ بن أبي جِعالٍ بسهمٍ فأصاب رُكْبتَه، فقال حين أصابه: خُذْها وأنا ابنُ لُبنَى، وكانت له أمٌّ تُدعَى لُبنَى، وقد كان حسّانُ بن مَلّةَ الضُّبَيبيُّ قد صَحِبَ دِحيةَ بن خليفةَ قبلَ ذلك فعلَّمَه أمَّ الكتاب.

قال ابن هشام: ويقال: قُرّةُ بن أسقَرَ الضَّفاريّ وحيّانُ بن مَلّة.

قال ابن إسحاق: حدّثني مَن لا أتّهم عن رجال من جُذام قالوا: فاستَنقَذُوا ما كان في يد الهُنَيدِ وابنِه فرَدُّوه على دِحيةَ، فخرج دِحيةُ حتّى قَدِمَ على رسول الله ﷺ فأخبره خبرَه واستَسقاهُ دمَ الهُنَيدِ وابنِه، فبَعَثَ رسولُ الله ﷺ إليهم زيدَ بن حارثةَ،

= حميد بن رُومان، عن بَعْجة بن زيد، عن عمير بن مَعبَد الجُذامي، عن أبيه قال: وفد رفاعة بن زيد... فذكر خبر وفادة رفاعة وخبر دِحْية الكَلْبي وسريّة زيد بن حارثة. وقد سقط من مطبوع الطبراني بعض هذه الأسماء وتصحّف بعضها، والتصويب من «أسد الغابة» ٤/ ٤٤١، و«الإصابة» ٦/ ١٧٢.

وبعجةُ ومن فوقه مجاهيل، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/ ٣١٠ بعد أن عزاه إلى الطبراني: فيه جماعة لم أعرفهم.

وذلك الذي هاجَ غزوةَ زيدٍ جُذَامَ، وبَعَثَ معه جيشاً، وقد وَجَّهَت[1] غَطَفانُ من جُذامَ ووائلٌ ومَن كان من سَلَامانَ وسعدِ بن هُذَيمٍ[2] حين جاءَهم رِفاعةُ بن زيدٍ بكتاب رسول الله ﷺ حتّى نَزَلوا الحَرّةَ حرّةَ الرَّجلاء[3]، ورِفاعةُ بن زيدٍ بكُرَاعِ رَبَّةَ لم يَعلَمْ، ومعه ناسٌ من بني الضُّبَيب وسائرُ بني الضُّبَيب بوادي مَدَان من ناحية الحَرّة، ممّا يَسِيلُ مشرِّقاً، وأقبَلَ جيشُ زيد بن حارثة من ناحية الأَولاج، فأغارَ بالماقِصِ من قِبَلِ الحَرّة، فجمعوا ما وَجَدُوا من مالٍ أو ناسٍ وقتلوا الهُنَيدَ وابنَه ورجلين من بني الأحنَفِ[4].

قال ابن هشام: من بني الأجنَف.

قال ابن إسحاق في حديثه: ورجلاً من بني خَصِيب.

فلمّا سَمِعَت بذلك بنو الضُّبَيب والجيشُ بفَيفاءِ[5] مَدَان، رَكِبَ نَفَرٌ منهم، وكان فيمن رَكِبَ معهم حسّانُ بن مَلّة على فرسٍ لسُوَيد بن زيدٍ يقال لها: العَجَاجةُ، وأُنَيفُ ابن مَلّة على فرسٍ لمَلّة يقال لها: رِغالٌ، وأبو زيد بن عمرو على فرسٍ يقال لها: شَمِرٌ، فانطَلَقوا حتّى إذا دَنَوْا من الجيشِ قال أبو زيدٍ وحسّانُ لأُنَيفِ بن مَلّة: كُفَّ عنّا وانصَرِفْ، فإنّا نخشى لسانَك، فوَقَفَ عنهما، فلم يَبعُدا منه حتّى جَعَلَت فرسُه

---

(١) أي: توجَّهت.

(٢) غطفانُ ووائلٌ هنا بطنان من جذام، وأما سلامان وسعد بن هُذيم فمن قُضاعة.

(٣) وقد تقدم ذكر هذا الكتاب وقدوم رفاعة على النبي ﷺ ص٣٧٢، وتقدم هناك التعريف بحرّة الرجلاء.

أما كُراع ربّة، فسيأتي أنه من حرّة ليلى، وتقدم التعريف بها عند الموضع المتقدم.

(٤) في (ش٢) و(ف) و(ق٢) و(ي): الأخيف.

(٥) الفيفاء: الأرض القَفْر كالصحراء.

تَبحَثُ بيدَيها وتَوَثَّبُ، فقال: لَأنا أضَنُّ بالرَّجلَينِ[1] منكِ بالفَرَسَينِ، فأَرخَى لها حتّى أدرَكَهما، فقالا له: أمّا إذ فعلتَ ما فعلتَ فكُفَّ عنّا لسانَك ولا تَشأَمْنا اليومَ، فتواصَوْا أن لا يَتكلَّمَ منهم إلّا حسّانُ بن مَلّة.

وكانت بينهم كلمةٌ في الجاهليّة قد عَرَفَها بعضُهم من بعضٍ؛ إذا أرادَ أحدُهم أن يَضرِبَ بسيفه قال: بُوري أو ثُوري.

فلمّا بَرَزوا على الجيش أقبَلَ القومُ يَبتَدِرُونهم، فقال لهم حسّانُ: إنّا قومٌ مُسلِمون، وكان أوّلَ مَن لَقِيَهم رجلٌ على فرسٍ أدهَمَ[2]، فأقبَلَ يَسُوقُهم، فقال أُنَيفٌ: بُوري، فقال حسّانُ: مَهلاً، فلمّا وَقَفُوا على زيد بن حارثة قال حسّانُ: إنّا قومٌ مُسلِمون، فقال له زيدٌ: فاقرَأْ أمَّ الكتاب، فقرأَها حسّانُ، فقال زيدُ بن حارثة: نادُوا في الجيش: إنّ الله قد حَرَّمَ علينا ثُغْرةَ القوم[3] التي جاؤوا منها إلّا مَن خَتَرَ[4].

وإذا أختُ حسّانَ بن مَلّة ـ وهي امرأةُ أبي وَبْر بن عَديّ بن أُميّة بن الضُّبَيب ـ في الأُسارى، فقال له زيدٌ: خُذْها، وأخَذَت بحَقْوَيهِ[5]، فقالت أمُّ الفِزْر الضُّلَعيّة: أتنطَلِقون ببناتِكم وتَذَرُون أُمّهاتِكم؟! فقال أحدُ بني الخَصِيب: إنّها بنو الضُّبَيبِ وسِحرُ أَلسنتِهم سائرَ اليوم، فسمعها بعضُ الجيش فأخبَرَ بها زيدَ بن حارثةَ، فأمَرَ بأُختِ حسّانَ ففُكَّت يداها من حَقْوَيهِ وقال لها: اجلسي مع بناتِ عَمِّك حتّى يَحكُمَ الله فيكُنَّ حُكمَه، فرَجَعوا، ونَهَى الجيشَ أن يَهبِطُوا إلى واديهم الّذي جاؤوا منه.

---

(١) أي: لأنا أحرص عليهما وعلى صُحبتهما.

(٢) الأدهم: الأسود.

(٣) ثغرة القوم: ناحيتهم التي يحمُونها.

(٤) أي: نقض العهد.

(٥) أي: بخَصْرَيه.

فأمسَوْا في أهلِيهم، واستَعتَمُوا ذَوْداً[1] لسُوَيد بن زيدٍ، فلمّا شربوا عَتَمَتَهم رَكِبوا إلى رِفاعةَ بن زيدٍ، وكان ممّن رَكِبَ إلى رِفاعةَ بن زيدٍ تلك الليلةَ أبو زيد بن عمرو وأبو شَمّاس بن عمرو وسُوَيد بن زيدٍ وبَعْجةُ بن زيدٍ وبَرذَعُ بن زيدٍ وثَعلبةُ بن زيدٍ ومُخرِّبةُ[2] بن عَديّ وأُنَيفُ بن مَلّة وحسّانُ بن مَلّة، حتّى صَبَّحوا رفاعةَ بن زيدٍ بكُرَاع رَبّةَ بظَهْر الحَرَّة، على بئرٍ هنالك من حَرَّة ليلى، فقال له حسّانُ بن مَلّة: إنّك لجالسٌ تَحلُبُ المِعزَى ونساءُ جُذامَ أُسارى قد غَرَّها كتابُك الذي جئتَ به! فدعا رفاعةُ بن زيدٍ بجملٍ له فجَعَلَ يَشُدُّ عليه رَحْلَه وهو يقول:

هلْ أنتَ حيٌّ أو تُنادِي حيّا

ثمّ غَدَا - وهم معه - بأُميّة بن ضَفَارةَ أخي الخَصِيبيّ المقتول، مُبكِّرِينَ من ظَهْر الحَرَّة، فساروا إلى جوفِ المدينة ثلاثَ ليالٍ، فلمّا دخلوا المدينةَ وانتَهَوا إلى المسجد، نَظَرَ إليهم رجلٌ من الناس فقال: لا تُنِيخُوا إبِلَكم فتُقَطَّعَ أيدِيهنَّ، فنَزَلوا عنهنَّ وهُنَّ قِيامٌ، فلمّا دخلوا على رسول الله ﷺ ورآهم، أَلاحَ[3] إليهم بيده: أن تعالَوْا من وراءِ الناس، فلمّا استَفتَحَ رِفاعةُ بن زيدٍ المَنطِقَ قامَ رجلٌ من الناس فقال: يا رسولَ الله، إنّ هؤلاءِ قومٌ سَحَرةٌ، فرَدَّدَها[4] مرَّتَينِ، فقال رفاعةُ بن زيدٍ: رَحِمَ الله

---

(١) الذَّود: ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل، واستَعتَمُوها، أي: انتظروها إلى عَتَمة الليل حتى أفاقت واجتمع لبنُها فحَلَبوها.

(٢) هكذا جاء مقيَّداً في النسخ الخطية بتشديد الراء، وقيَّده الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٤/ ٢١٥١: مَخْرَبة، وتابعه على ذلك ابن ماكولا في «الإكمال» ٧/ ١٦٣، وابن حجر في «تبصير المنتبه» ٤/ ١٢٦٦، والفيروزابادي في «القاموس» (خرب).

(٣) ألاحَ: أشار.

(٤) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(غ)، وفي بقية النسخ: فردّها. =

مَن لم يُحْذِنا[1] في يومِه هذا إلّا خيراً.

ثمّ دَفَعَ رِفاعةُ بن زيدٍ كتابَه إلى رسول الله ﷺ الّذي كان كَتَبَه له، فقال: دُونَك يا رسولَ الله قديماً كتابُه حديثاً غَدْرُه، فقال رسول الله ﷺ: «اقرَأْهُ يا غلامُ وأَعلِنْ»، فلمّا قرأَ كتابَه استَخبَرَه فأخبَرُوهم الخبرَ، فقال رسول الله ﷺ: «كيفَ أصنَعُ بالقَتلَى؟» ثلاثَ مرّاتٍ، فقال رِفاعةُ: أنتَ يا رسولَ الله أعلمُ، لا نُحرِّمُ عليك حلالاً، ولا نُحِلُّ لك حراماً، فقال أبو زيد بن عمرٍو: أَطلِقْ لنا يا رسولَ الله مَن كان حيّاً، ومَن قُتِلَ فهو تحتَ قَدَمي هذه، فقال له رسول الله ﷺ: «صَدَقَ أبو زيدٍ، اركَبْ معهم يا عليُّ»، فقال له عليٌّ رضي الله عنه: إنّ زيداً لن يُطِيعَني يا رسولَ الله، قال: «فخُذْ سَيْفي هذا»، فأعطاه سيفَه، فقال عليٌّ: ليس لي يا رسولَ الله راحلةٌ أركَبُها، فحَمَلوه على بعيرٍ لثَعْلبةَ بن عمرٍو يقال له: مِكْحالٌ، فخَرَجوا، فإذا رسولٌ لزيدِ بن حارثةَ على ناقةٍ من إبل أبي وَبْرٍ يقال لها: الشَّمر، فأنزَلُوه عنها، فقال: يا عليُّ، ما شَأْني؟ فقال: مالُهم عَرَفوه فأَخذوه، ثمّ ساروا فلَقُوا الجيشَ بفَيْفاءِ الفَحْلتَينِ، فأَخذوا ما في أيديهم حتّى كانوا يَنزِعون لُبَيدَ[2] المرأةِ من تحتِ الرَّحْل.

فقال أبو جِعَالٍ حين فَرَغُوا من شأنهم:

وعاذِلَــةٍ ولــم تَعــذُلْ بطِــبٍّ ولــولا نحــنُ حُــشَّ بهــا السَّــعيرُ[3]

تُــدافِعُ في الأُســارَى بابنَتَيهــا ولا يُرجَــى لهــا عِتــقٌ يَســيرُ

= وأراد بقوله: قوم سَحَرة، أي: عندهم فصاحةُ لسانٍ وبيانٍ يسحرون بها من يسمعهم.

(١) لم يحذنا، أي: لم يُعطِنا من لسانه.

(٢) هكذا قُيّد في النسخ، وهوتصغير لِبْد: وهو بساط من صوف. أو هو اللَّبِيد بفتح أوله، يعني الجُوَالِق: وهو كيس من صوف أو شعر.

(٣) لم تَعذُل: لم تَلُم. بطِبٍّ، أي: برِفْق. وحُشَّ، أي: أُوقِد. والسعير: تلهُّب النار.

ولـو وُكِلَـت إلـى عُـوصٍ وأَوسٍ لَحـارَ بهـا عـن العِتـقِ الأُمـورُ[1]

ولـو شَـهِدَت رَكائبَنـا بمِصـرٍ تُحـاذِرُ أن يُعَـلَّ بهـا المَسِـيرُ[2]

وَرَدْنـا مـاءَ يَثـرِبَ عـن حِفَـاظٍ لِرِبْـعٍ إنّـه قَـرَبٌ ضَـرِيرُ[3]

بكـلِّ مُجـرَّبٍ كالسِّـيدِ نَهْـدٍ علـى أَقتـادِ ناجيـةٍ صَـبورِ[4]

فِدًى لأبي سُلَيمَى كـلُّ جِبْسٍ[5] بيَثـرِبَ إذ تَناطَحَـت النُّحـورُ

غـداةَ تَـرى المُجـرَّبَ مُستَكيناً خِـلافَ القـومِ هامَتُـه تَـدُورُ[6]

قال ابن هشام: قولُه: ولا يُرجَى لها عِتقٌ يَسيرُ، وقولُه: عن العِتقِ الأُمورُ، عن غير ابن إسحاق.

تمَّت الغَزاةُ وعُدْنا إلى تفصيل ذكر السَّرايا والبُعوث

قال ابن إسحاق: وغزوةُ زيدِ بن حارثةَ أيضاً الطَّرْفَ من ناحية نَخْلٍ من طريقِ

---

(١) حارَ: رَجَع.

(٢) المِصر: أيّ بلدٍ كان. ويُعَل: يُكرَّر.

(٣) الحِفاظ، أي: الغضب.

والرِّبع: أن تَرِدَ الإبلُ الماءَ لليوم الرابع بعد حبسها عنه ثلاثاً. والقَرَب: السَّير في طلب الماء. والضَّرير هنا: المضارّة.

(٤) السِّيد: الذئب. والنَّهد: الغليظ. والأقتاد: أدوات الرَّحْل. والناجية: السريعة. وصبور: صابرة، وفي بعض النسخ: ضَبُور، أي: شديدة الخَلْق. والبيت فيه إقواءٌ.

(٥) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(غ)، والجِبْس: الجبان العَيِيُّ عن الحُجّة، وفي بقية النسخ: الجيش، ونُراه تصحيفاً.

وأبو سُليمى: الظاهر أنها كُنية رفاعة بن زيد. والنُّحور: الصدور، وأراد بتناطُحها: ما جرى في المجلس من المحاورات والمقاولات.

(٦) مستكيناً، أي: خاضعاً. وخلاف القوم، أي: خَلْفهم. والهامَة: الرأس.

العراق[1].

غزوة زيد بن حارثة بني فَزَارة ومُصابُ أمِّ قِرْفة

وغزوةُ زيدِ بن حارثةَ أيضاً واديَ القُرَى[2]، لَقِيَ به بني فَزَارة فأُصيبَ بها ناسٌ من أصحابه وارتُثَّ زيدٌ من بين القتلى[3]، وفيها أُصيبَ وَرْدُ بن عمرو بن مَدَاشٍ، وكان أحدَ بني سعدِ بن هُذَيل، أصابه أحدُ بني بدرٍ.

قال ابن هشام: سعدُ بن هُذَيمٍ[4].

قال ابن إسحاق: فلمّا قَدِمَ زيدُ بن حارثةَ آلَى[5] أن لا يَمَسَّ رأسَه غُسلٌ من جنابةٍ

---

(١) ذكر الواقديُّ ٢/ ٥٥٥ وابن سعد ٢/ ٨٤: أنها كانت في جُمادى الآخرة سنة ستٍّ، في خمسة عشر رجلاً إلى بني ثعلبة من غَطَفان، وغاب فيها أربع ليالٍ، وذكر خليفة في «تاريخه» ص٨٥: أنها كانت في سنة سبع.

والطَّرف: تُعرف الآن بالصّويدرة، شرقيّ المدينة المنوّرة على قرابة ٧٠ كم.

وأما نخل ـ أو النُّخيل ـ: فشمال شرق الصويدرة على قرابة ٥٠ كم.

(٢) سبق التعريف بهذا الوادي ٣/ ٤٥٥.

(٣) وعند الواقديّ ٢/ ٥٦٤ وابن سعد ٢/ ٨٦: أن هذه لم تكن غزوةً، بل إن زيد بن حارثة كان خارجاً في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ، فلما كان دون وادي القُرى لقيَه ناسٌ من فَزَارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم، ثم تعافى زيدٌ وقدم على رسول الله ﷺ فأخبره، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم.

وقوله: ارتُثَّ من بين القتلى، أي: رُفع وبه جراح.

(٤) الصواب أن يقال فيه كما في كتب الأنساب: سعد هُذيم، على الإضافة، فإنما هو سعد بن زيد بن ليث بن سُوَد بن أسلُمَ بن الحاف بن قُضاعة، وإنما نُسِبَ إلى هُذيم، لأن هذيماً حَضَنَه، وهو عبد حبشيٌّ، كما في «الروض» للسهيلي ٧/ ٥٢٧.

(٥) أي: حَلَف.

حتّى يَغزُوَ بني فَزَارة، فلمّا استَبَلَّ[1] من جِرَاحِه بَعَثَه رسولُ الله ﷺ إلى بني فَزَارةَ في جيشٍ[2] فقتلهم بوادي القُرَى وأصاب فيهم، وقتل قيسُ بن المُسحَّر اليَعمَريُّ مَسعَدةَ بن حَكَمة بن مالك بن حُذَيفة بن بدرٍ، وأُسِرَت أمُّ قِرْفةَ فاطمةُ بنت ربيعةَ ابن بدرٍ، كانت عند مالك بن حُذَيفة بن بدرٍ عجوزاً كبيرةً، وبنتٌ لها، وعبدُ الله بن مَسعَدة، فأمَرَ زيدُ بن حارثةَ قيسَ بن المُسحَّرِ أن يقتلَ أمَّ قِرْفةَ، فقتلها قتلاً عنيفاً[3]،

---

(١) أي: برأ منها وتعافى.

(٢) وذلك في رمضان سنة ستٍّ، قاله الواقدي في «المغازي» ٥/ ١٨٦ وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٨٦، وأما خليفة فذكر في «تاريخه» ص٧٧: أنها كانت في سنة خمس.

تنبيه: اتّفق أهل المغازي والسِّيَر على أن هذه السريّة إلى بني فزارة كانت بقيادة زيد بن حارثة، وأما ما رواه عكرمة بن عمّار عند أحمد (١٦٥٠٢) ومسلم (١٧٥٥) وغيرهما عن إياس بن سلمة ابن الأكوع عن أبيه: أنه غزا مع أبي بكر فزارةَ، فجعل القيادة فيها لأبي بكر، فهذا ممّا اضطَرَب فيه عكرمةُ واختُلف عليه فيه، فمرّةً يقول في حديثه هكذا، ومرّةً يقول: غزا معه هوازنَ، وهذا هو الصواب إن شاء الله تعالى في حديثه، وبذلك تتفق الرواية عند أهل الحديث مع ما هو مشهور معروف عند أهل المغازي والسير، وعكرمةُ بن عمّار ـ وإن كان بالجملة لا بأس به ـ يغلطُ ويَهِمُ كما قال بعض أئمّة الجرح والتعديل فيه، بل أشار البيهقي في «سننه» ٨/ ٣٠٣ إلى أنه اختلط في آخر عمره وساء حفظه فروى ما لم يُتابَع عليه.

ومما وَهِمَ فيه أيضاً ما ذكره بعضُ الرواة عنه من ذكرِ قصة أَسر ابنة أم قِرْفة ـ ولم يسمِّها ـ في غزوة أبي بكر، ولم يذكرها البعضُ الآخر.

(٣) الظاهر أنها أحدثت ما تستحقُّ عليه القتل، ويشير إلى ذلك ما وقع في رواية إبرهيم بن يحيى بن محمد بن عبّاد الشَّجري، عن أبيه، عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عائشة قالت: بلغ رسولَ الله ﷺ أنّ امرأةً من بني فَزَارة يقال لها: أمّ قرفة، قد جهَّزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها، قالت: اقدَمُوا المدينة فاقتلوا محمداً، فقال النبي ﷺ: «اللهم أثكِلها بولدها» ثم ذكرت بعثَه ﷺ زيدَ بن حارثة إليهم وقتلَه لها ولولدها. أخرجه العقيلي في «الضعفاء» =

ثمّ قَدِموا على رسول الله ﷺ بابنةِ أمِّ قِرْفةَ وبابن مَسعَدة.

وكانت بنتُ أمّ قِرْفةَ لسَلَمة بن عمرو بن الأكوَع، كان هو الذي أصابَها، وكانت في بيتِ شَرَفٍ من قومها؛ كانت العربُ تقول: لو كنتَ أعَزَّ من أمِّ قِرفةَ ما زِدتَ، فسألها رسولُ الله ﷺ سَلَمةَ فوَهَبَها له، فأهداها لخالِه حَزْنِ بن أبي وهبٍ[1] فوَلَدَت

= (٢٠٠٣)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٦٢)، وإسناده ضعيف لضعف إبراهيم وأبيه ونكارة حديثهما، لكن بالرَّغم من ضعف إسناد هذه الرواية ففيها ما يوضح سبب قتل أم قِرفة، وأنها كانت تحرِّض على قتل رسول الله ﷺ، ولعلَّها أيضاً كانت تسبُّ رسولَ الله ﷺ كما ذكر الدُّولابي فيما نقله عنه ابن سيّد الناس في «عيون الأثر» ٢/ ١٥١.

(١) هذه الخؤولة من جهة جدّة النبي ﷺ فاطمةَ أمِّ أبيه، فهي بنت عمرو بن عائذ من بني مخزوم، وهي أخت أبي وهب والد حَزْن، كما في «الروض» ٧/ ٥٢٩.

وكونُ النبي ﷺ أهدى بنتَ أم قرفة الفَزارية لخاله حزن ـ وكان إذ ذاك مشركاً مقيماً بمكة ـ فولدت له ولداً اسمه عبد الرحمن، فهذا ما قاله ابن إسحاق هنا والضحّاكُ بن عثمان الحِزامي فيما نقله عنه الزبير بن بكّار في «النسب» كما في «الإصابة» لابن حجر ٤/ ٢٩٦، وأمّا مصعب الزُّبيري فلم يذكر في «نسب قريش» ص٣٤٥ لحزنٍ من الولد مَن اسمه عبد الرحمن سوى الذي أمُّه أم الحارث العامرية، وهذا استُشهِد يوم اليمامة.

وأما الواقديُّ فذكر في «المغازي» ٢/ ٥٦٥: أنها ولدت له امرأةً ليس له منها ولد غيرها.

وهذا كله يخالف ما وقع في حديث عكرمة بن عمّار ـ المذكور سابقاً وهو عند أحمد ومسلم ـ عن إياس بن سلمة عن أبيه: أن رسول الله ﷺ أخذها فبَعَثَ بها إلى أهل مكة، ففَدَى بها ناساً من المسلمين كانوا أُسِروا بمكة. قال السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٥٢٨: وهذه الرواية أصحّ وأحسن من رواية ابن إسحاق.

قلنا: لكن يمكن التوفيق بين الروايتين بأن يكون حَزْن بن أبي وهب المخزومي ـ وكان شرسَ الأخلاق صعباً كاسمه ـ هو صاحب اليد الطُّولى في حبس ومنع بعض مستضعفي المسلمين بمكة من الخروج إلى رسول الله ﷺ في المدينة، فأراد النبي ﷺ أن يتألّف قلبَه بهذه الهديّة =

له عبدَ الرّحمن بن حَزْن.

فقال قيسُ بن المُسحَّر في قتل مَسعَدة:

سَعَيتُ بوَرْدٍ مِثلَ سَعيِ ابن أُمّهِ ... وإنّي بوَردٍ في الحياةِ لَثائرُ[1]

كَرَرتُ عليه المُهرَ لمّا رأيتُهُ ... على بَطَلٍ من آلِ بدرٍ مُغاوِرِ[2]

فرَكَّبتُ فيه قَعضَبيّاً كأنّهُ ... شِهابٌ بمَعْراةٍ يُذكَّى لناظِرِ[3]

غزوة عبد الله بن رَوَاحة لقتل اليُسَير بن رِزَام

وغزوةُ عبد الله بن رَوَاحة خَيبَرَ مرّتَينِ، إحداهما التي أصابَ فيها اليُسيرَ بن رِزَامٍ.

قال ابن هشام: اليُسَير بن رازِمٍ[4].

وكان من حديث اليُسَيرِ بن رِزَامٍ[5]: أنّه كان بخيبرَ يَجمَعُ غَطَفانَ لغزوِ

= ليرفع يدَه عن هؤلاء المستضعفين، وبذلك تتّفق الروايات ولا تتضادُّ، والله تعالى أعلم.

وحَزْن بن أبي وهب ـ وهو جدُّ سعيد بن المسيّب ـ أسلم يوم الفتح وقُتل شهيداً باليمامة في خلافة أبي بكر الصدّيق.

(١) ثائر، أي: آخذٌ بثأره، وورد: هو ابن عمرو بن مَدَاش المذكور في أول هذه الغزوة، وفي هذا البيت إقواءٌ لمخالفة حركته لحركة البيتين التاليين.

(٢) المُغاور: الكثير الإغارة.

(٣) قعضبيّاً، أي: سِناناً (وهو نَصْل الرمح) منسوباً إلى قَعضَب، رجل كان يصنع الأسنّة. والمَعْراة: الموضع الذي لا يستره شيء. ويُذكَّى: يُوقد.

(٤) قول ابن هشام هذا ليس في (ش٢) و(ف) و(ي)، لكن أشار إليه في حاشية (ش٢) على أنه في نسخة.

(٥) وقد جاء خبر هذه الغزوة في مغازي عروة بن الزبير من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود يتيم عروة عنه فيما أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٤٤)، والبيهقي في «الدلائل» أيضاً =

رسول الله ﷺ، فبَعَثَ إليه رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بن رَوَاحةَ في نَفَرٍ من أصحابه، منهم عبدُ الله بن أُنَيسٍ حليفُ بني سَلِمةَ، فلمّا قَدِمُوا عليه كَلَّموه وقَرَّبوا له، وقالوا له: إنّك إن قَدِمتَ على رسول الله ﷺ، استَعمَلَك وأكرَمَك، فلم يَزالُوا به حتّى خرج معهم في نَفَرٍ من يهودَ.

فحَمَلَه عبدُ الله بن أُنَيسٍ على بعيرِه، حتّى إذا كان بالقَرقَرةِ من خَيبَر[1] على ستّة أميالٍ نَدِمَ اليُسَيرُ بن رِزَامٍ على مَسيرِه إلى رسول الله ﷺ، ففَطَنَ له عبدُ الله ابن أُنَيسٍ وهو يريد السّيفَ، فاقتَحَمَ به[2] ثمّ ضَرَبَه بالسّيف فقَطَعَ رِجلَه، وضَرَبَه اليُسَيرُ بمِخرَشٍ في يده من شَوحَطٍ فأمَّه[3]، ومالَ كلُّ رجلٍ من أصحابِ رسول الله ﷺ إلى صاحبِه من يهودَ فقتله، إلّا رجلاً واحداً أَفلَتَ على رِجلَيه. فلمّا قَدِمَ عبدُ الله ابن أُنَيسٍ على رسول الله ﷺ تَفَلَ على شَجَّتِه فلم تَقِحْ[4] ولم تُؤذِه.

وغزوةُ عبدِ الله بن عَتِيكٍ خيبرَ، فأصابَ بها أبا رافعِ بن أبي الحُقَيق.

غزوة عبد الله بن أُنيسٍ لقتل خالد بن سفيان بن نُبَيح الهُذَليّ

وغزوةُ عبدِ الله بن أُنَيسٍ خالدَ بن سفيانَ بن نُبَيحٍ[5]، بَعَثَه رسولُ الله ﷺ إليه

= ٤/ ٢٩٣-٢٩٤، وفي مغازي موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزُّهري كما عند البيهقي.

(١) في جنوبها، ويسمّى اليوم قاع قعقران، ويُستغنى عن قاع فيلفظونه: قعقران. كما في «معجم المعالم الجغرافية» للبِلاديّ ص٢٥٣.

(٢) أي: ألقاه عن البعير وهو معه.

(٣) المِخرَش: عصا معوجّة الرأس يُضرَب بها. والشوحط: نوع من شجر الجبال تتَّخذ منه القِسِيّ. فأَمَّه، أي: جَرَحَه في رأسه حتى بلغ جُرْحُه أمَّ الرأس، وهي الجلدة التي تجمع الدماغ.

(٤) تَفَل: بصق بصاقاً خفيفاً. ولم تقح، أي: لم يتولّد فيها قيح.

(٥) وكانت في المحرَّم سنةَ ثلاث من الهجرة.

وهو بنَخْلةَ أو بعُرَنةَ[1] يَجمَعُ لرسول الله ﷺ الناسَ ليَغزُوَه فقتله.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير قال: قال عبدُ الله بن أُنَيس: دعاني رسولُ الله ﷺ فقال: «إنّه قد بَلَغَني أنّ ابنَ سفيانَ بن نُبَيحٍ الهُذَليَّ يَجمَعُ لي الناسَ ليَغزُوَني، وهو بنَخْلةَ أو بعُرَنةَ، فأْتِه فاقتُلْه» قلت: يا رسولَ الله، انعَتْه لي حتّى أعرِفَه، فقال: «إنَّك إذا رأَيتَه أَذكَرَك الشَّيطانَ، وآيةُ ما بينَك وبينَه أنَّك إذا رأيتَه وَجَدتَ له قُشَعرِيرةً»[2].

قال: فخرجتُ مُتوشِّحاً سيفي حتّى دُفِعتُ إليه وهو في ظُعُنٍ يَرتادُ لهنّ منزلاً[3]، وحيثُ كان وقتُ العصر، فلمّا رأيتُه وَجَدتُ ما قال لي رسولُ الله ﷺ من القُشَعرِيرة، فأقبَلتُ نحوَه وخَشِيتُ أن تكونَ بيني وبينه مُجاوَلةٌ[4] تَشغَلُني عن الصّلاة، فصلَّيتُ وأنا أَمشي نحوه أُومِئُ برأسي، فلمّا انتَهَيتُ إليه قال: مَن الرّجلُ؟ قلت: رجلٌ من العربِ سَمِعَ بك وبجَمْعِك لهذا الرّجلِ فجاءَك لذلك، قال: أجَلْ، إنّا في ذلك، قال: فمَشَيتُ معه شيئاً، حتّى إذا أمكَنَني حَمَلتُ عليه بالسّيفِ فقتلته، ثمّ خرجتُ وتَرَكتُ ظَعَائنَه مُنكَبّاتٍ عليه، فلمّا قَدِمتُ على رسول الله ﷺ فرآني قال: «أفلَحَ الوَجْهُ» قلت: قد قتلتُه يا رسولَ الله، قال: «صَدَقتَ».

---

(١) عُرَنة: أحد أودية مكة وأشهرها، يمرّ جنوب مكة على حدود الحرم، وهو الحد الفاصل بين مَشعَر عرفة ومكة، ويسير مشرّقاً حتى وادي حنين المعروف اليوم بوادي الشرائع.

وأما نَخْلة: فهي هنا نخلة اليمانيَة، وتقع شرق مكة على قرابة ٧٥ كم، من مساكن هُذيل.

(٢) القشعريرة: الرِّعدة.

(٣) الظُّعُن: هنَّ النساء في الهودج، جمع ظَعِينة. ويرتاد لهن منزلاً، أي: يطلب لهنَّ موضعاً يُنزلهنَّ فيه.

(٤) أي: حركة بيني وبينه.

ثمّ قامَ بي فأدخَلَني بيتَه فأعطاني عَصاً، فقال: «أَمسِكْ هذه العَصَا عندَك يا عبدَ الله ابنَ أُنَيسٍ»، قال: فخرجتُ بها على النّاس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قلت: أَعطانِيها رسولُ الله ﷺ وأمَرَني أن أُمسِكَها عندي، قالوا: أفلا تَرجِعُ إلى رسول الله ﷺ فتَسأَلَه لِمَ ذلك، قال: فرَجَعتُ إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسولَ الله، لِمَ أعطَيتَني هذه العصا؟ قال: «آيةٌ بيني وبينَك يومَ القيامةِ، إنَّ أَقَلَّ النّاسِ المُتَخَصِّرونَ[1] يومَئِذٍ». قال: فقَرَنَها عبدُ الله بن أُنَيسٍ بسيفِه، فلم تَزَلْ معه حتّى مات، ثمّ أمَرَ بها فضُمَّت في كَفَنِه ثمّ دُفِنا جميعاً[2].

قال ابن هشام: وقال عبدُ الله بن أُنَيسٍ في ذلك:

---

(١) المتخصِّرون، أي: المتَّكئون على المَخاصِر، وهي العِصيُّ، واحدتها: مِخصَرة.

(٢) حديث حسن، والإسناد هنا منقطع، محمد بن جعفر بن الزبير لم يسمعه من عبد الله بن أنيس، بينهما فيه ابنُ عبد الله بن أُنيس كما وقع في رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق عند أحمد (١٦٠٤٧) وابن خزيمة (٩٨٣) وابن حبان (٧١٦٠)، ورواية عبد الله بن إدريس عنه عند أحمد أيضاً (١٦٠٤٨)، ورواية عبد الوارث بن سعيد عنه كذلك عند أبي داود (١٢٤٩) وابن خزيمة (٩٨٢)، وحسَّن هذا الإسنادَ الحافظ ابنُ حجر في «فتح الباري» ٣/ ٧٤٤.

وابن عبد الله بن أنيس سمّاه محمد بن سلمة الحرّاني في روايته عن ابن إسحاق عند البيهقي في «السنن» ٣/ ٢٥٦ و«الدلائل» ٤/ ٤٢: عبد الله بن عبد الله بن أنيس.

وعبد الله بن عبد الله بن أنيس هذا ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» ٥/ ١٢٥، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٥/ ٩٠، وابن حبان في «الثقات» ٥/ ٣٧.

وأخرجه بنحوه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٧٢٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٠٣١)، والطبراني في «الكبير» (١٤٩١٨) من طرق عن عبد العزيز الدراوردي، عن يزيد بن عبدالله بن الهاد، عن محمد بن كعب القُرظي قال: قال عبد الله بن أنيس... وذكره. وهذا إسناد جيد إن كان محمد بن كعب سمعه من ابن أُنيس، فإن أحداً لم يذكر له سماعاً منه.

تركتُ ابنَ ثَورٍ كالحُوَارِ وحولَهُ نوائحُ تَفْري كلَّ جَيبٍ مُقدَّدِ[1]
تَناوَلتُه والظُّعْنُ خَلْفي وخلفَهُ بأبيَضَ من ماءِ الحديدِ مُهنَّدِ[2]
عَجُومٍ لِهامِ الدّارِعينَ كأنّهُ شِهابُ غَضًى من مُلهَبٍ مُتَوقِّدِ[3]
أقولُ له والسّيفُ يَعجُمُ رأسَهُ أنا ابنُ أُنَيسٍ فارساً غيرَ قُعدُدِ[4]
أنا ابنُ الذي لم يُنزِلِ الدَّهرَ قِدْرَهُ رَحيبُ فِناءِ الدّارِ غيرُ مُزنَّدِ[5]
وقلتُ له خُذْها بضربةِ ماجِدٍ حَنيفٍ على دينِ النبيِّ محمّدِ[6]
وكنتُ إذا هَمَّ النبيُّ بكافرٍ سَبَقتُ إليه باللّسانِ وباليدِ

تمّت الغَزاةُ وعُدنا إلى البُعوث

قال ابن إسحاق: وغزوةُ زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالبٍ وعبد الله بن رَوَاحة مُؤْتةَ من أرض الشّام، فأُصيبوا بها.

وغزوةُ كعبِ بن عُمَيرٍ الغِفاريِّ ذاتَ أطلاحٍ من أرض الشّام، أُصِيبَ بها هو وأصحابُه جميعاً[7].

---

(١) الحُوَار: ولد الناقة إذا كان صغيراً. وتَفري: تقطع. وجَيْب، أي: جيب الثوب، وهو أعلاه من جهة النَّحر. ومقدَّد، أي: مشقوق، وقدَّ الثوبَ: شقَّه.

(٢) الأبيض: السيف. ومهنَّد، أي: مصنوع من حديد الهند.

(٣) عجوم: عَضُوض، يقال: عَجَمَه، إذا عضَّه. والهامُ: الرؤوس. والدّارع: لابس الدرع. والشِّهاب: القطعة من النار. والغضى: شجر يشتدّ التهاب النار فيها.

(٤) القُعدُد: اللئيم.

(٥) رحيب: متّسِع. والمزنَّد: البخيل الممسِك.

(٦) الماجد: الشريف. والحنيف: الذي مال عن دين الشرك إلى دين الإسلام.

(٧) وكانوا خمسة عشر رجلاً، وكانت في ربيع الأول سنة ثمانٍ كما ذكر الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٧٥٢ وابن سعد في «طبقاته» ٢/ ١١٩.

وغزوةُ عُيَينة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدرٍ بني العَنبَر من بني تَميمٍ.

غزوة عُيَينة بن حِصْن بني العَنبَر من بني تميم

وكان من حديثهم: أنّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَه إليهم، فأغارَ عليهم فأصابَ منهم أُناساً، وسَبَى منهم أُناساً.

فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنّ عائشة قالت لرسول الله ﷺ: يا رسولَ الله، إنّ عليَّ رَقَبةً من ولد إسماعيل، قال: «هذا سَبْيُ بني العَنبَرِ يَقدَمُ الآنَ، فنُعطِيكِ منهم إنساناً فتُعتِقِينَه»[1].

قال ابن إسحاق: فلمّا قُدِمَ بسَبْيِهم على رسول الله ﷺ، رَكِبَ فيهم وفدٌ من بني تَميمٍ حتّى قَدِموا على رسول الله ﷺ منهم ربيعةُ بن رُفَيع وسَبْرةُ بن عمرٍو والقعقاعُ ابن مَعبَدٍ ووَرْدانُ بن مُحرِزٍ وقيسُ بن عاصمٍ ومالكُ بن عمرٍو والأقرَعُ بن حابسٍ وفِراسُ بن حابسٍ، فكَلَّموا رسولَ الله ﷺ فيهم، فأعتَقَ بعضاً وأَفدَى بعضاً، وكان ممّن قُتِلَ يومئذٍ من بني العَنبَرِ عبدُ الله وأَخَوانِ له بنو وهبٍ وشدّادُ بن فِراسٍ

---

(١) إسناده ضعيف لإرساله، فعاصم بن عمر من صغار التابعين.

وأخرجه ابن أبي خيثمة في السفر الثاني من «تاريخه» (٣٠٠)، والطبري في «تاريخه» ٣/ ١٥٧، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٥٢٤) من طرق عن ابن إسحاق، به.

ويشهد لمعناه حديث أبي هريرة عند البخاري (٢٥٤٣) ومسلم (٢٥٢٥)، قال: لا أزال أحبُّ بني تميم من ثلاثٍ سمعتهن من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هم أشدُّ أمّتي على الدجال»، قال: وجاءت صدقاتُهم فقال النبي ﷺ: «هذه صدقاتُ قومنا»، قال: وكانت سبيَّةٌ منهم عند عائشة، فقال رسول الله ﷺ: «أَعتقِيها فإنها من ولد إسماعيل».

وفي رواية صحيحة من حديث أبي هريرة هذا عند أبي يعلى (٦١٠٨): وكانت على عائشة نسمة من بني إسماعيل... فلما قدم سبيُ بَلْعَنبَر قال: «ابتاعي، فإنهم ولدُ إسماعيل».

وحَنظَلةُ بن دارمٍ، وكان ممّن سُبِيَ من نسائهم يومئذٍ أسماءُ بنتُ مالكٍ وكاسُ بنتُ أَرِيٍّ ونَجْوةُ بنتُ نَهدٍ وجُمَيعةُ بنتُ قيسٍ وعَمْرةُ بنتُ مَطَرٍ.

فقالت في ذلك اليوم سَلمَى بنتُ عَتّاب:

لَعَمْري لقد لاقَتْ عَديُّ بن جُندُبٍ ... من الشّرِّ مَهواةً شديداً كَؤودُها[1]

تَكنَّفَها الأعداءُ من كلِّ جانبٍ ... وغُيِّبَ عنها عِزُّها وجُدُودُها[2]

قال ابن هشام: وقال الفَرَزدقُ في ذلك[3]:

وعندَ رسولِ الله قامَ ابنُ حابسٍ ... بخُطّةِ سَوّارٍ إلى المجدِ حازمِ[4]

له أطلَقَ الأَسرى التي في حِبالِهِ ... مُغلَّلةً أعناقُها في الشَّكائمِ[5]

كَفَى أُمّهاتِ الخائفينَ[6] عليهمُ ... غَلاءَ المُفادِي أو سِهامَ المَقاسِمِ

وهذه الأبياتُ في قصيدةٍ له. وعَديُّ بن جُندُبٍ من بني العَنبَر، والعنبَرُ ابنُ عمرو بن تَمِيم.

---

(١) المَهواة: موضع منخفض بين جبلين.

والكَؤود: العَقَبة الصعبة.

(٢) تكنَّفها الأعداء، أي: أحاطوا بها. والجُدود: جمع جَدٍّ، وهو السَّعد والبخت.

(٣) انظر «ديوانه» ص٦٢٢.

(٤) ابن حابس: هو الأقرع. والخُطة: الخَصْلة. والسوّار: البطل الذي يرتقي الصِّعاب ويَثِبُ لخصومه.

(٥) مغلَّلة، أي: مقيَّدة بالأغلال. والشكائم: حلقات الحديد.

(٦) هكذا في نسخنا كافة، وكذا في «الديوان»، وفي نسخة على حاشيتي (ش١) و(ش٢): الخالفين.

قال أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص٤٥٤: الخالفين: يريد الذين تخلَّفوا في أهلهم.

غزوة غالب بن عبد الله أرضَ بني مُرَّة

قال ابن إسحاق: وغزوةُ غالبِ بن عبدِالله الكَلْبيِّ ـ كلبِ ليثٍ ـ أرضَ بني مُرَّة[1]، فأصابَ بها مِرْداسَ بن نَهِيكٍ، حليفاً لهم من الحُرَقة من جُهَينة، قتله أُسامةُ بن زيدٍ ورجلٌ من الأنصار.

قال ابن هشام: الحُرْقةُ[2]، فيما حدّثني أبو عُبيدة.

قال ابن إسحاق: وكان من حديثه عن أُسامة بن زيدٍ قال: أدركتُه أنا ورجلٌ من الأنصار، فلمّا شَهَرْنا عليه السلاحَ قال: أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله، قال: فلم نَنزِعْ عنه حتّى قتلناه، فلمّا قَدِمْنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرَه، فقال: «يا أُسامةُ، مَن لكَ بلا إلهَ إلّا اللهُ؟!» قال: قلت: يا رسولَ الله، إنّه إنّما قالها تَعوُّذاً بها من القتل[3]، قال: «فمَن لك بها يا أُسامةُ؟!» قال: فوالّذي بَعَثَه بالحقِّ ما زالَ يُردِّدُها عليَّ حتّى لوَدِدتُ أنّ ما مضى من إسلامي لم يكن، وأنّي كنت أسلَمتُ يومئذٍ وإنّي لم أقتُلْه، قال: قلت: أنظِرْني يا رسولَ الله[4]، إنّي أُعاهدُ اللهَ أن لا أقتلَ رجلاً يقول: لا إلهَ إلّا اللهُ، أبداً،

---

(١) بناحية فَدَك، وهي شرق خيبر على قرابة ١٢٥ كم.

وكانت هذه السرية في آخر السنة السابعة أو أوّل الثامنة على إثر سريّة بشير بن سعدٍ إليهم ومصاب أصحابه فيها، فبعث النبي ﷺ غالباً إليهم في مئتي رجل، كما في «مغازي الواقدي» ٢/ ٧٢٣-٧٢٤، وذكر فيها قصة أسامة بن زيد كما وقع لابن إسحاق.

وأما ابن سعدٍ فذكر في «طبقاته» ٢/ ١١٢ قصة أسامة هذه في سرية غالب بن عبد الله إلى بني عوال وبني عبد بن ثعلبة بالمَيفَعة. وهذه في جهة الشرق من المدينة.

(٢) هكذا قُيّد في (ش١) و(ش٢) و(ق٢) و(م)، للتفريق بينه وبين ما قبله.

(٣) أي: لاجئاً إليها ومعتصماً بها ليدفع عنه القتل، وليس بمُخلِص في إسلامه.

(٤) أي: أَمهِلْني وترفَّقْ بي.

قال: «تقولُ بَعْدي يا أُسامةُ» قال: قلت: بعدَك[1].

غزوة عمرو بن العاصِ ذاتَ السّلاسل

وغزوةُ عمرو بن العاصِ ذاتَ السّلاسِلِ من أرض بني عُذْرةَ[2].

---

(١) أصل الحديث صحيح، فقد أخرجه أحمد (٢١٧٤٥) و(٢١٨٠٢)، والبخاري (٤٢٦٩) و(٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦)، وأبو داود (٢٦٤٣)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٤٠) و(٨٥٤١)، وابن حبان (٤٧٥١) من حديث أبي ظَبْيان الجَنْبي عن أسامة بن زيد قال: بَعَثَنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقة من جُهينة، فصبَّحنا القومَ فهزمناهم، ولَحِقتُ أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلمّا غَشِيناه قال: لا إله إلا الله، فكفَّ عنه الأنصاريُّ، فطعنتُه برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بَلَغَ ذلك النبيَّ ﷺ، فقال لي: «يا أسامة، أقتلتَه بعد ما قال: لا إله إلا الله» قلت: يا رسول الله، إنّما كان متعوِّذاً، قال: «أقتلتَه بعد ما قال: لا إله إلا الله» قال: فما زال يكرِّرها عليَّ حتى تمنّيتُ أني لم أكن أسلمتُ قبل ذلك اليوم.

وفي رواية عند مسلم وغيره: «أفلا شَقَقتَ عن قلبه حتى تعلمَ أقالها أم لا؟!».

وأما حديث ابن إسحاق، فقد أسنده عنه يونسُ بن بكير فيما أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٢٩٧، والخطيب البغدادي في «الأسماء المبهمة» ص٤٥٧-٤٥٨، قال ابن إسحاق: حدثنا محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة، عن أبيه، عن جدّه أسامة بن زيد قال: أدركتُ ورجلٌ من الأنصار... وذكره. ومحمد بن أسامة وأبوه ذكرهما ابن حبان في «ثقاته»، وفيهما جهالة حالٍ.

(٢) لا يُعرَف اليوم موضع باسم ذات السلاسل، لكن على حسب ما جاء من أوصافه عند أصحاب المغازي، فإن بعض الرحّالة المعاصرين من أهل الجزيرة ذهبوا إلى أنه المعروف الآن بوادي السلسلة، ويقع هذا شمال وادي القرى (العُلا اليوم) وجنوب شرق تبوك، وشمال هذا الوادي من ناحية تبوك كانت بلاد جُذام، وفي جنوبه وشرقه بلاد بليٍّ وقضاعة وعُذرة.

وكانت هذه السريّة في جمادى الآخرة سنة ثمانٍ كما ذكر الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٦ وابن سعد في «طبقاته» ٢/ ١٢١، أي: بعد غزوة مؤتة، وعليه اتفاق أهل المغازي كما ذكر ابن عساكر في «تاريخه» ٢/ ٢١، سوى ابن إسحاق فإنها عنده قبل مؤتة، وقد نقل خليفةُ بن خياط في «تاريخه» =

وكان من حديثه: أنّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَه يَستنفِرُ العربَ إلى الشّام، وذلك أنّ أمَّ العاصِ بن وائلٍ كانت امرأةً من بَلِيٍّ، فبَعَثَه رسولُ الله ﷺ إليهم يستألِفُهم لذلك، حتّى إذا كان على ماءٍ بأرض جُذَام يقال له: السَّلسَلُ، وبذلك سُمِّيَت تلك الغزوةُ غزوةَ ذاتِ السَّلاسل، فلمّا كان عليه خافَ، فبَعَثَ إلى رسول الله ﷺ يَستمِدُّه، فبَعَثَ إليه رسولُ الله ﷺ أبا عُبَيدة بن الجَرَّاح في المهاجرين الأوَّلين فيهم أبو بكرٍ وعمرُ، وقال لأبي عُبَيدة حين وَجَّهَه: «لا تَختَلِفا».

فخرج أبو عُبيدة، حتّى إذا قَدِمَ عليه قال له عمرٌو: إنّما جئتَ مَدَداً لي، قال أبو عُبيدة: لا، ولكنّي على ما أنا عليه، وأنتَ على ما أنتَ عليه، وكان أبو عُبيدة رجلاً لَيِّناً سَهْلاً، هَيِّناً عليه أمرُ الدّنيا، فقال له عمرٌو: بل أنت مَدَدٌ لي، فقال له أبو عُبَيدة: يا عمرو، إنَّ رسول الله ﷺ قال لي: «لا تَختَلِفا»، وإنّك إن عَصَيتَني أطَعْتُك، قال: فإنّي الأميرُ عليك، وأنت مَدَدٌ لي، قال: فدُونَك. فصَلَّى عمرٌو بالنّاس[1].

= ص٨٥ عنه أنها في سنة سبعٍ قبل عمرة القضاء، فإن لم يكن خليفةُ واهماً فيما نقله، فهذا قول غريب عن ابن إسحاق، فإن عمرو بن العاص إنما أسلمَ بعد هذه العمرة قُبيل الفتح.

وكان تعداد سريّة عمرٍو ثلاث مئة، وأما المَدَد مع أبي عُبيدة فمئتان.

(١) خبر حسنٌ بمجموع طرقه.

ورواه يونس بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٩٩-٤٠٠، وابن عساكر في «تاريخه» ٢/ ٢٢-٢٣، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٧٤٢، عن ابن إسحاق، عن محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن الحُصين التميمي مرسلاً. ومحمد بن عبد الرحمن مجهول تفرّد ابن إسحاق بالرواية عنه، لكنه أثنى عليه فقال: كان صوّاماً قوّاماً، هكذا نقل عنه البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ١٥٧، وذكره ابن حبان في «الثقات» ٧/ ٤١٣.

ورواه سلمة بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٣٢، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم مرسلاً. وعبد الله بن أبي بكر ثقة عالم بالمغازي. =

قال: وكان من الحديث في هذه الغَزَاة: أنّ رافعَ بن أبي رافعٍ الطّائيَّ ـ وهو رافعُ ابن عَمِيرة ـ كان يحدِّث فيما بَلَغَني عن نفسِه قال: كنت امرَأً نصرانيّاً، وسُمِّيتُ سَرجِسَ، فكنت أدَلَّ النّاسِ وأهداهُ[1] بهذا الرَّمل، كنت أَدفِنُ الماءَ في بيض النَّعام بنواحي الرَّمل في الجاهليّة، ثمّ أُغِيرُ على إبلِ النّاس، فإذا أدخَلْتُها الرَّملَ غَلَبتُ عليها فلم يَستطِعْ أحدٌ أن يَطلُبَني فيه، حتّى أمُرَّ بذلك الماءِ الذي خَبَأتُ في بيض النَّعام فأستَخرِجَه فأشربَ منه، فلمّا أسلمتُ خرجتُ في تلك الغزوة التي بَعَثَ فيها رسولُ الله ﷺ عمرَو بن العاصِ إلى ذاتِ السّلاسل، قال: فقلت: والله لأختارَنَّ لنفسي صاحباً، قال: فصَحِبتُ أبا بكر.

قال: فكنت معه في رَحْلِه، قال: فكانت عليه عَبَايةٌ له فَدَكيّةٌ[2]، فكان إذا نَزَلْنا بَسَطَها، وإذا رَكِبْنا لَبِسَها، ثمّ شَكَّها عليه بخِلَالٍ له[3] ـ قال: وذلك الذي له يقول أهلُ نجدٍ حين ارتَدُّوا كفّاراً: نحن نُبايِعُ ذا العَبَاية! ـ قال: فلمّا دَنَوْنا من المدينة قافِلِينَ، قال: قلت: يا أبا بكرٍ، إنّما صَحِبتُك ليَنفَعَني الله بك، فانصَحْني وعَلِّمني، قال: لو لم تَسألْني ذلك لَفعلتُ، قال: آمُرُك أن تُوحِّدَ اللهَ ولا تُشرِكَ به شيئاً، وأن

= وأخرجه بنحوه أحمد (١٦٩٨) من طريق داود بن أبي هند، عن عامر الشعبي مرسلاً. ورجاله ثقات.

وقد روي أيضاً من أوجه عن أصحاب المغازي كعُروة بن الزبير والزهري وموسى بن عقبة عند الواقدي ٢/ ٧٦٩-٧٧١، وابن سعد ٥/ ٥٣-٥٤، والبيهقي ٤/ ٣٩٧-٣٩٩، وابن عساكر ٢/ ٢٤-٢٦.

(١) في (ت): وأهداهم.

(٢) العباية: الكساء الغليظ، ويقال فيها: عَباءة، بالهمز. والفَدَكية: منسوبة إلى فَدَك، وهي بلدة شرق خيبر.

(٣) شكها عليه، أي: ضمَّها وجَمَعها بالخِلال، والخِلال: العود يجمع به الثوب.

تُقِيمَ الصّلاةَ وأن تُؤتِيَ الزّكاةَ وتصومَ رمضانَ، وتَحُجَّ هذا البيتَ، وتَغتسِلَ من الجَنابةِ، ولا تَتأمَّرَ على رجلَينِ من المسلمين أبداً.

قال: قلت: يا أبا بكر، أمّا أنا والله فإنّي أرجو أن لا أُشرِكَ بالله أحداً أبداً، وأمّا الصّلاةُ فلن أترُكَها أبداً إن شاءَ الله، وأمّا الزّكاةُ فإن يَكُ لي مالٌ أُؤَدِّها إن شاءَ الله، وأمّا رمضانُ فلن أترُكَه إن شاءَ الله، وأمّا الحجُّ فإن أستطِعْ أحُجَّ إن شاءَ الله، وأمّا الجَنابةُ فسأغتسِلُ منها إن شاءَ الله، وأمّا الإمارةُ فإنّي رأيت الناسَ يا أبا بكرٍ لا يَشرُفونَ عند رسول الله ﷺ وعند الناس إلّا بها، فلِمَ تَنْهاني عنها؟ قال: إنّما استَجهَدْتَني لأَجهَدَ لك[1]، وسأُخبِرُك عن ذلك: إنّ الله بَعَثَ محمّداً ﷺ بهذا الدِّين، فجاهَدَ عليه حتّى دخل الناسُ فيه طَوْعاً وكَرْهاً، فلمّا دخلوا كانوا عُوّاذَ الله وجيرانَه، وفي ذِمّتِه، فإيّاكَ لا تُخفِرِ اللهَ[2] في جيرانِه فيُتبِعَك اللهُ في خُفْرتِه، فإنّ أحدَكم يُخفَرُ في جاره فيَظَلُّ ناتئاً عَضَلُه[3]، غَضَباً لجارِه أن أُصِيبت له شاةٌ أو بعيرٌ، فاللهُ أشدُّ غَضَباً لجارِه. قال: ففارَقتُه على ذلك.

قال: فلمّا قُبِضَ رسولُ الله ﷺ وأُمّرَ أبو بكرٍ على الناس، قال: قَدِمتُ عليه فقلت: يا أبا بكر، ألم تكُ نَهَيتَني عن أن أتأمَّرَ على رجلَينِ من المسلمين؟ قال: بَلَى، وأنا الآنَ أَنهاك عن ذلك، قال: فقلت له: فما حَمَلَك على أن تَلِيَ أمرَ النّاس؟ قال: لا أَجِدُ من ذلك بُدّاً، خَشِيتُ على أُمّةِ محمّدٍ الفُرْقةَ[4].

---

(١) أي: لأُوضح لك.

(٢) لا تُخفِر الله، أي: لا تنقض عهده.

(٣) الناتئ: المرتفع المنتفخ، والعضل: جمع عَضَلة، وهي القطعة الشديدة من اللحم كلحم العَضُد وما أشبهه، والمعنى أنه متحفِّز للمخاصمة والمحاربة.

(٤) خبر رافع هذا في قصته مع أبي بكرٍ صحيحٌ. =

قال ابن إسحاق: أخبرني يزيدُ بن أبي حَبيبٍ أنّه حُدِّثَ عن عوفِ بن مالكٍ الأشجعيّ، قال: كنت في الغَزَاةِ التي بَعَثَ فيها رسولُ الله ﷺ عمرَو بن العاصِ إلى ذاتِ السّلاسل، قال: فصَحِبتُ أبا بكرٍ وعمرَ، فمَرَرتُ بقومٍ على جَزُورٍ لهم قد نَحَرُوها، وهم لا يَقدِرُون على أن يُعَضُّوها[1]، قال وكنت امرَأً لَبِقاً جازِراً[2]، قال: فقلت: أتُعطُونَني منها عَشِيراً[3] على أن أَقسِمَها بينَكم؟ قالوا: نعم، قال: فأخذتُ الشَّفرَتَينِ فجَزَّأتُها مكاني، وأخذتُ منها جُزءاً فحَمَلتُه إلى أصحابي، فاطَّبَخْناه فأَكلناه، فقال لي أبو بكرٍ وعمرُ: أنَّى لك هذا اللّحمُ يا عَوفُ؟ قال: فأخبرتُهما خَبَرَه، فقالا: والله ما أحسنتَ حين أطعَمتَنا هذا، ثمّ قاما يتقيَّئانِ ما في بطونِهما من ذلك، قال: فلمّا قَفَلَ النّاسُ من ذلك السَّفَر كنت أوّلَ قادمٍ على رسول الله ﷺ، قال: فجِئتُه وهو يُصلِّي في بيته، قال: فقلت: السّلامُ عليك يا رسولَ الله ورحمةُ الله وبركاتُه، قال: «أعَوْفُ بنُ مالكٍ؟» قال: قلت: نعم بأبي أنتَ وأُمّي، قال: «أصاحبُ الجَزُورِ؟»، ولم يَزِدْني رسولُ الله ﷺ على ذلك شيئاً[4].

= فقد رواه غيرُ واحدٍ عن طارق بن شهاب ـ وهو تابعيٌّ مخضرم كان معدوداً من العلماء ـ عن رافع بن أبي رافع، فيما أخرجه مطوَّلاً ومقطَّعاً وكيعٌ في «الزهد» (١٣٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» ٨/ ٤١١ و٩/ ١١٢، وأحمد في «الزهد» (٥٥٨)، وأبو داود في «الزهد» (٢٥) و(٢٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٤٩٦)، والبغوي في «معجم الصحابة» (٧٤٠-٧٤٤)، والطبراني في «الكبير» (٤٤٦٧) و(٤٤٦٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٦٨٧)، وابن عساكر في «تاريخه» ١٨/ ٨-١٠ و٣٠/ ٣٠٠-٣٠١.

(١) يُعَضُّوها، أي: يقسموها.

(٢) اللَّبِق: الحاذق الرفيق في العمل. والجازر: الذي يذبح الجزور.

(٣) العشير: النّصيب، لأن الجزور كانت تُقسَم على عشرة أجزاء، فكل جزء منها عَشِير.

(٤) خبر حسنٌ، لكن الصواب فيه: أن عوفاً صحب في هذه الغزاة عمرَ وأبا عُبيدة، وأنه لما =

غزوةُ ابن أبي حَدرَدٍ بطنَ إضَم
وقتلُ عامر بن الأضبَطِ الأشجعيّ

وغزوةُ ابن أبي حَدرَدٍ وأصحابِه بطنَ إضَمٍ[1]، وكانت قبل الفتح.

قال ابن إسحاق: حدّثني يزيدُ بن عبد الله بن قُسَيطٍ، عن القَعْقاع بن عبد الله بن أبي حَدرَدٍ، عن أبيه عبد الله بن أبي حَدرَدٍ قال: بَعَثَنا رسولُ الله ﷺ إلى إضَمٍ في نَفَرٍ

= جاءهما بهذا العشير أبَيَا أن يأكلا منه لا أنهما أكلا ثمّ تقيّئاه.

وقد قصَّر ابن إسحاق بإسناد هذا الخبر كما قال البيهقي في «الدلائل»، فلم يبيّن الواسطة بين يزيد بن أبي حبيب وعوف بن مالك، وبيَّنها غيرُه.

فقد رواه ابنُ المبارك عند أحمد (٢٣٩٧٨)، وسعيد بن أبي أيوب وعبد الله بن لَهِيعة عن البيهقي في «السنن» ٦/ ١٢٠ وفي «الدلائل» ٤/ ٤٠٥، ثلاثتهم (ابن المبارك وسعيد وابن لهيعة) عن يزيد بن أبي حبيب، عن ربيعة بن لَقِيط، عن مالك بن هِدْم، عن عوف بن مالك. وفيه: أن عمر وأبا عبيدة قالا له: قد تعجَّلتَ أجرك، وأبيا أن يأكلا منه. وإسناده حسن.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١٨/ (١٣١) من طريق سعيد بن أبي أيوب ويحيى بن أيوب المصري، عن يزيد بن أبي حبيب، عن ربيعة بن هدير، عن عوف. فأسقط مالك بن هدم وسمّى والد ربيعة هديراً، وما سبق هو المحفوظ.

وأما حديث ابن إسحاق، فقد أخرجه البيهقي أيضاً في «الدلائل» ٤/ ٤٠٤ من طريق يونس بن بكير عنه.

وعنى عمرُ وأبو عبيدة بكلامهما ذلك لعوفٍ ـ والله أعلم ـ أن عوفاً لم يصبر على ما أصابهم من شدّة في هذه الغزوة ويُكتَب له أجرُها عند الله، بل سارع وصنع ما صنع، فكأنه قد تعجَّل أجرَه في الدنيا، لكن جاء عوفٌ إلى النبي ﷺ يبشّره بالفتح والظَّفَر فلم يُنكِر عليه ذلك.

(١) إضَمٌ: هو وادي المدينة المنوَّرة إذا اجتمعت أوديتها الثلاثة ـ بُطحان وقناة والعقيق ـ شمال المدينة غرب جبل أُحد، ويسير هذا الوادي إلى أن يصبَّ في البحر الأحمر بين الوجه وأملج، ويعرف اليوم بوادي الحمض. انظر «معجم المعالم الجغرافية» للبِلادي ص٢٩.

من المسلمين فيهم أبو قَتَادة الحارثُ بن رِبْعيٍّ ومُحلِّمُ بن جَثّامة بن قيسٍ، فخرجنا حتّى إذا كنّا ببَطنِ إضَم، مَرَّ بنا عامرُ بن الأضبَطِ الأشجَعيُّ على قَعُودٍ[1] له، ومعه مُتيِّعٌ له ووَطْبٌ[2] من لَبَنٍ، قال: فلمّا مَرَّ بنا سَلَّمَ علينا بتحيَّةِ الإسلام، فأمسَكْنا عنه، وحَمَلَ عليه مُحلِّمُ بن جَثّامة فقتله؛ لشيءٍ كان بينه وبينه، وأخذَ بعيرَه وأخذَ مُتيِّعَه. قال: فلمّا قَدِمْنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبرَ، نَزَلَ فينا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ[3] لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ إلى آخر الآية [النساء:٩٤][4].

قال ابن هشام: قرأَ أبو عمرو بن العلاءِ ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾، لهذا الحديث.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير قال: سمعت زيادَ بن ضُمَيرةَ ابن سعدٍ السُّلَميّ يحدِّث عُرْوةَ[5] بن الزُّبَير، عن أبيه، عن جدِّه ـ وكانا شَهِدا حُنَيناً

---

(١) القعود: البعير المتَّخَذ للركوب.

(٢) المتيِّع: تصغير مَتَاع. والوَطْب: وعاءُ اللبن المتَّخَذ من الجلد.

(٣) من غير ألف، وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة من القراء السبعة، ومعناه: الاستسلام والانقياد، وقرأ أبو عمرو بن العلاء وابن كثير والكِسائي وعاصم: (السَّلَام) بألف، وهو التحيّة. انظر «السبعة» لابن مجاهد ص٢٣٦، و«الدر المصون» للسّمين الحلبي ٤/ ٧٤.

(٤) إسناده حسن من أجل القعقاع.

وأخرجه أحمد (٢٣٨٨١) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٥) في (ت) و(ص) و(ط) و(غ) و(م): يحدث عن عروة، وهو خطأٌ، والصواب ما أثبتناه من (ش١) و(ش٢) و (ف) و(ق٢) و(ي) بإسقاط «عن»، فقد رواه سائر أصحاب ابن إسحاق هكذا بإسقاطها، فعروة لا علاقة له برواية هذا الخبر سوى أنه مستمع محدَّث.

وقوله في الإسناد أيضاً: عن أبيه عن جده، هكذا هو في النسخ كافّة، وغير زياد البكائي يقول =

مع رسول الله ﷺ ـ قال: صَلَّى بنا رسولُ الله ﷺ الظُّهرَ ثمّ عَمَدَ إلى ظِلِّ شجرةٍ فجَلَسَ تحتَها وهو بحُنَينٍ، فقام إليه الأقرَعُ بن حابسٍ وعُيَينةُ بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدرٍ يَختَصِمانِ في عامر بن الأضبَطِ الأشجَعيّ: عُيَينةُ يَطلُبُ بدمِ عامرٍ، وهو يومَئذٍ رئيسُ غَطَفان، والأقرَعُ بن حابسٍ يَدفَعُ عن مُحلِّم بن جَثّامة، لمكانِه من خِندِفَ[1]، فتَداوَلا الخُصومةَ عند رسول الله ﷺ ونحنُ نسمعُ، فسَمِعْنا عُيَينةَ بن حِصْن وهو يقول: والله يا رسولَ الله لا أَدَعُه حتّى أُذِيقَ نساءَه من الحَرِّ[2] مِثلَ ما أذاقَ نسائي، ورسولُ الله ﷺ يقول: «بل تأخُذُونَ الدِّيَةَ، خمسينَ في سَفَرِنا هذا، وخمسينَ إذا رَجَعْنا»، وهو يأبَى عليه.

إذ قامَ رجلٌ من بني ليثٍ يقال له: مُكَيثِرٌ، قصيرٌ مجموعٌ ـ قال ابن هشام: مُكَيتِلٌ ـ فقال: والله يا رسولَ الله ما وَجَدتُ لهذا القتيلِ شِبْهاً في غُرَّةِ الإسلامِ[3] إلّا كغَنَمٍ وَرَدَت، فرُمِيَت أُولاها فنَفَرَت أُخراها، اسنُنِ اليومَ وغَيِّرْ[4] غَداً، قال: فرَفَعَ رسولُ الله ﷺ يدَه فقال: «بل تأخُذونَ الدِّيَةَ خمسينَ في سَفَرِنا هذا، وخمسينَ إذا

= فيه عن ابن إسحاق: عن أبيه وعن جدّه، أو عن أبيه وجدّه.

(١) خِندِفُ: اسم امرأة الياس بن مُضَر، ويُنسَب أولادها إليها: وهم مُدرِكة وطابخة وقَمَعة، ومحلِّم ليثيٌّ من بني كنانة بن خزيمة بن مدركة، والأقرع تميميٌّ، وبنو تميم من طابخة بن الياس.

وعُيينة من فَزَارة، وهي وأشجعُ كلتاهما من غَطَفان من قيس بن عَيلان بن مُضَر.

(٢) في (غ): الحُرقة.

(٣) غُرّة الإسلام: أوّله.

(٤) قال أبو ذرٍّ الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٥٥: اسنن اليوم، معناه: احكُم لنا اليوم بالدم في أمرنا هذا، واحكم غداً بالدية لمن شئت. وغيِّر: من الغِيَرة، وهي الدِّية هنا، وذلك أن قتله عند رسول الله ﷺ كان خطأً لا عمداً.

رَجَعْنا»، قال: فقَبِلوا الدِّيةَ.

قال: ثمّ قالوا: أين صاحبُكم هذا يَستَغفِرْ له رسولُ الله ﷺ؟! قال: فقام رجلٌ آدمُ ضَرْبٌ[1] طويلٌ، عليه حُلّةٌ له قد كان تَهيَّأ للقتل فيها، حتّى جَلَسَ بين يَدَي رسول الله ﷺ، فقال له: «ما اسمُكَ؟» قال: أنا مُحلِّمُ بن جَثّامة، قال: فرَفَعَ رسولُ الله ﷺ يدَه ثمّ قال: «اللّهمَّ لا تَغفِرْ لمُحَلِّمِ بنِ جَثّامةَ» ثلاثاً، قال: فقامَ وهو يَتَلقَّى دَمْعَه بفَضْلِ رِدائه. قال: فأمّا نحنُ، فنقولُ فيما بينَنا: إنّا لنَرجُو أن يكون رسولُ الله ﷺ قد استَغفَرَ له، وأمّا ما ظَهَرَ من رسول الله ﷺ، فهذا[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ عن الحسنِ البَصْريّ قال: قال رسول الله ﷺ حين جَلَسَ بين يَدَيهِ: «أمَّنتَه بالله ثمَّ قَتَلتَه!»، ثمّ قال له المَقَالةَ التي قال، قال: فوالله ما مَكَثَ مُحلِّمُ بن جَثّامةَ إلّا سبعاً حتّى مات، فلَفَظَته[3] ـ والذي نفسُ الحسنِ بيده ـ الأرضُ، ثمّ عادُوا له فلَفَظَته الأرضُ، ثمّ عادُوا له فلَفَظَته، فلمّا غُلِبَ قومُه

---

(١) الآدم: الأسمر. والضَّرب: الخفيف اللحم.

(٢) إسناده محتمل للتحسين إن شاء الله من أجل زياد بن ضميرة ـ وقد اختُلف في اسمه ـ فهو وإن لم يرو عنه غير محمد بن جعفر بن الزبير، قد حدَّث بهذا الحديث في مجلس عروة ولم ينكر عروةُ شيئاً من حديثه، وعروة كان من أعلم أهل المدينة بالمغازي، فهذا كالتقوية لشأنه، والله تعالى أعلم.

وأخرجه أحمد (٢١٠٨١) و(٢٣٨٧٩)، وأبو داود (٤٥٠٣)، وابن ماجه (٢٦٢٥) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد على الصواب كما سبق. وفي بعض طرقه في آخره: فأما نحن بيننا فنقول: قد استغفر له، ولكنه أظهر ما أظهر، ليدعَ الناسُ بعضَهم عن بعضٍ.

وروى هذا الحديث أيضاً عبدُ الرحمن بن الحارث المخزوميُّ عن محمد بن جعفر بن الزبير عند أبي داود (٤٥٠٣).

(٣) لفظته الأرض، أي: ألقته على وجهها.

عَمَدُوا إلى صُدَّينِ[1] فسَطَحُوه بينهما، ثمّ رَضَمُوا عليه الحجارةَ[2] حتّى وارَوْه. قال: فبَلَغَ رسولَ الله ﷺ شأنُه فقال: «والله إنَّ الأرضَ لتَطَّابقُ على مَن هو شَرٌّ منه، ولكنَّ الله أرادَ أن يَعِظَكم في حُرَمٍ ما بينَكم بما أَراكُم منه»[3].

قال ابن إسحاق: وأخبرنا سالمٌ أبو النَّضْر أنه حُدِّث: أنّ عُيَينةَ بن حِصْنٍ وقيساً حين قال الأقرَعُ بن حابسٍ ـ وخَلَا بهم ـ: يا معشرَ قيسٍ، مَنَعتُم رسولَ الله ﷺ قتيلاً يَستَصلِحُ به الناسَ، أفأمِنتُم أن يَلعَنَكم رسولُ الله ﷺ فيَلعَنَكم اللهُ بلَعْنتِه، أو أن يَغضَبَ عليكم فيَغضَبَ اللهُ عليكم بغَضَبِه؟! والله الّذي نفسُ الأقرَعِ بيدِه، لتُسلِمُنَّه إلى رسول الله ﷺ فلَيَصنَعنَّ فيه ما أراد، أو لآتِيَنَّ بخمسينَ رجلاً من بني تَميمٍ يَشهَدُون بالله كلُّهم لَقُتِلَ صاحبُكم كافراً، ما صَلَّى قَطُّ، فلأَطُلَّنَّ دمَه، فقَبِلوا الدِّيَةَ[4].

قال ابن هشام: مُحلِّمٌ في هذا الحديث كلِّه عن غيرِ ابن إسحاق، وهو مُحلِّمُ بن جَثّامةَ بن قيسٍ اللَّيثيُّ، قال ابن إسحاق: مُلجَمٌ، فيما حدَّثنا زيادٌ عنه.

---

(١) الصُّدّ، بضم الصاد وفتحها: التلّ.

(٢) أي: جعلوا بعضها على بعض من غير طينٍ يشدّها. ووارَوه: أخفَوْه وستروه.

(٣) إسناده ضعيف لإرساله، والواسطة المبهَمة بين ابن إسحاق والحسن سمّاها أبو خالد الأحمر في روايته عن ابن إسحاق عند ابن أبي شيبة ١٤/ ٥٤٧ عمرَو بنَ عُبيدٍ، وعمرو هذا فيه مقال وطعن كثير من أهل الحديث.

(٤) في (غ) ونسخة على حاشية (ش٢): فلما سمعوا ذلك قبلوا الدية.

والخبر إسناده ضعيف لإرساله، سالم أبو النضر ـ وهو سالم بن أبي أمية التيميُّ مولاهم ـ من ثقات صغار التابعين.

وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٠٨ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، به.

ومعنى «فلأَطُلَّنّ دمَه»: لأُهدرنّه فلا يؤخذ بثأره.

غزوة ابن أبي حَدرَدٍ لقتل رِفاعة بن قيس الجُشَميّ

قال ابن إسحاق: وغزوةُ ابن أبي حَدرَدٍ الأسلميِّ الغابةَ[1].

وكان من حديثها فيما بَلَغَني عمّن لا أتّهمُ عن ابن أبي حَدرَدٍ قال: تزوّجتُ امرأةً من قومي، وأصدَقتُها مِئتَي دِرهَمٍ، قال: فجئتُ رسولَ الله ﷺ أستَعِينُه على نكاحي، فقال: «وكم أَصدَقتَ؟» فقلت: مِئتَي دِرهَمٍ يا رسولَ الله، قال: «سبحانَ اللهِ، لو كنتُم تأخُذونَ الدَّراهمَ من بَطنِ وادٍ ما زِدْتُم، والله ما عندي ما أُعِينُك به».

قال: فلَبِثتُ أيّاماً، وأقبَلَ رجلٌ من بني جُشَمَ بن معاويةَ يقال له: رِفاعةُ بن قيسٍ ـ أو قيسُ بن رِفاعةَ ـ في بَطنٍ[2] عظيمٍ من بني جُشَمَ حتّى نَزَلَ بقومِه ومَن معه بالغابةِ يريد أن يَجمَعَ قيساً على حربِ رسول الله ﷺ، وكان ذا اسمٍ في جُشَمَ وشَرَفٍ، قال: فدَعَاني رسولُ الله ﷺ ورجلين معي من المسلمين فقال: «اخرُجوا إلى هذا الرَّجُلِ حتَّى تأتُوا منه بخَبَرٍ وعِلْمٍ».

قال: وقَدَّمَ لنا شارِفاً عَجْفاءَ[3]، فحُمِلَ عليها أحدُنا، فوالله ما قامت به ضَعْفاً حتى دَعَمَها الرّجالُ من خلفِها بأيديهم، حتى استَقلَّت وما كادَتْ، ثمّ قال: «تَبَلَّغُوا عليها واعتَقِبُوها»[4].

قال: فخَرَجْنا ومعنا سلاحُنا من النَّبلِ والسّيوفِ، حتّى إذا جِئْنا قريباً من الحاضرِ

---

(١) الغابة: موضع في الشمال الغربي من المدينة على ثمانية أميال منها، وهي غرب أُحد وتمتد شمالاً إلى منطقة العيون.

(٢) البطن: أصغر من القبيلة.

(٣) الشارف: الناقة المسنّة. والعجفاء: المهزولة.

(٤) دَعَمَها الرجال: قوّوها بأيديهم. واستقلّت، أي: نَهَضَت. وقوله: اعتقِبوها، أي: اركبوها واحداً بعد واحد مداورةً.

عُشَيشِيَةً[1] مع غُروب الشّمس، قال: كَمَنتُ في ناحيةٍ وأَمَرتُ صاحبيَّ فكَمَنا في ناحيةٍ أُخرى من حاضرِ القوم، وقلت لهما: إذا سمعتُماني قد كَبَّرتُ وشَدَدتُ في ناحيةِ العسكر فكَبِّرا وشُدَّا معي. قال: فوالله إنّا لكذلك نَنتظِرُ غِرَّةَ القومِ[2]، أو أن نُصِيبَ منهم شيئاً، قال: وقد غَشِيَنا اللّيلُ حتّى ذهبت فَحْمةُ العِشاءِ[3]، وقد كان لهم راعٍ قد سَرَّحَ في ذلك البلد فأبطأَ عليهم حتّى تَخَوَّفوا عليه، قال: فقامَ صاحبُهم ذلك رِفاعةُ بن قيسٍ، فأَخذَ سيفَه فجَعَلَه في عُنُقِه ثمّ قال: والله لَأَتّبِعنَّ أثَرَ راعينا هذا، ولقد أصابه شرٌّ، فقال له نَفَرٌ ممّن معه: والله لا تذهبُ، نحنُ نَكفِيكَ، قال: والله لا يذهبُ إلّا أنا، قالوا: فنحنُ معك، قال: والله لا يَتبَعُني أحدٌ منكم.

قال: وخرج حتّى يَمُرَّ بي، قال: فلمّا أمكَنَني نَفَحتُه بسَهْمي[4] فوَضَعتُه في فُؤادِه، قال: فوالله ما تَكلَّمَ، ووَثَبتُ إليه فاحتَزَزتُ رأسَه، قال: وشَدَدتُ في ناحية العسكر وكبَّرتُ، وشَدَّ صاحباي وكبَّرا، قال: فوالله ما كان إلّا النَّجَاءُ ممّن فيه: عندَك عندَك[5]، بكلِّ ما قَدَرُوا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خَفَّ معهم من أموالهم. قال: واستَقْنا إبلاً عظيمةً وغنماً كثيرةً فجِئْنا بها إلى رسول الله ﷺ، قال: وجئتُ برأسه أحمِلُه معي. قال: فأعانَني رسولُ الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثةَ عَشَرَ بعيراً في صَدَاقي، فجَمَعتُ إليَّ أَهلي[6].

---

(١) الحاضر: جماعة القوم النازلون على الماء. وعُشيشِيَة: تصغير عَشِيّةٍ على غير قياس.

(٢) الغِرّة: الغفلة.

(٣) فحمة العشاء: أوّل ظلام الليل.

(٤) نفحته بسهمي، أي: رميتُه به.

(٥) عندك عندك: كلمتان بمعنى الإغراء بمعنى: خُذْ خُذْ.

(٦) إسناد الخبر ضعيف لإبهام رواته، وقد اختُلف فيه على ابن إسحاق كما أنه خُولف فيه =

= كما سيأتي.

فرواه عنه هكذا محمدُ بن سلمة الحرّاني عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٧٧١)، لكن ذكر فيه أبا حدرد الأسلميَّ لا ابنه.

ورواه سلمة بن الفضل الأبرش عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٣٤-٣٥ عن ابن إسحاق فأسنده عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم التَّيمي، عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي. وهذا إسناد لا بأس برجاله.

ورواه يونس بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٠٣-٣٠٤ عن ابن إسحاق قال: حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم عن أبي حدرد. وهو معضل بين جعفر وأبي حدرد، وجعفر ذكره ابن حبان في «ثقاته»، وهو مجهول الحال.

وأما الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٧٧٧، فذكر أن محمد بن يحيى (وسقط يحيى من مطبوعه فيُستَدرك من «تاريخ الطبري» ٣/ ٣٥) بن سهل بن أبي حَثْمة حدَّثه عن أبيه، عن عبد الله بن أبي حدرد: أن النبي ﷺ بعثه في هذه السريّة مع أبي قَتَادة إلى غَطَفان نحو نجدٍ، وأن السريّة كانت ستة عشر رجلاً، وأنهم غابوا خمس عشرة ليلة.

فهذا يخالف ما ذكره ابن إسحاق من أن هذه السريّةَ كانت إلى الغابة من الحِجاز، وكانت مكوَّنة من ثلاثة رجال، وأنها كانت إلى بني جُشَم بن معاوية، وهؤلاء من هوازن لا من غطفان.

ويشهد لرواية الواقديِّ روايةُ أحمد في «مسنده» (٢٣٨٨٢)، فقد أخرج الخبر ـ بنحو ما ذكره الواقديّ ـ من طريق إبراهيم بن سعد الزهري، عن عبد الله بن جعفر المَخرَمي، عن عبد الواحد ابن أبي عون الدَّوسي، عن جدّته، عن ابن أبي حدرد. وهذا إسناد رجاله ثقات معروفون غير جدّة عبد الواحد فإنها لا تُعرَف.

ويشهد لها أيضاً حديث أبي هريرة عند مسلم (١٤٢٤)(٧٥) قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: «هل نظرتَ إليها؟ فإن في عيون الأنصار شيئاً» قال: قد نظرتُ إليها، قال: «على كم تزوَّجتَها؟» قال: على أربع أَواق (والأُوقيّة أربعون درهماً)، فقال له النبي ﷺ: «على أربع أَواقٍ؟! كأنما تَنحِتون الفضة من عُرْض هذا الجبل، ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثَك في بَعثٍ تصيبُ منه»، قال: فبعث بعثاً إلى بني عبسٍ =

غزوة عبد الرَّحمن بن عوفٍ إلى دُومَة الجَندَل[1]

قال ابن إسحاق: حدّثني مَن لا أتّهمُ عن عطاءِ بن أبي رَباحٍ قال: سمعت رجلاً من أهل البَصْرةِ يَسألُ عبدَ الله بن عمر بن الخَطّاب عن إرسالِ العِمَامةِ من خلفِ الرَّجل إذا اعتَمَّ، قال: فقال عبدُ الله: سأُخبِرُك إن شاءَ الله عن ذلك بعِلْمٍ، كنتُ عاشرَ عَشَرةِ رَهْطٍ من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجدِه: أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وعبدُ الرَّحمن بن عَوفٍ وابنُ مسعودٍ ومعاذُ بن جَبَلٍ وحُذَيفةُ بن اليَمَان وأبو سعيدٍ الخُدْريُّ وأنا، مع رسول الله ﷺ، إذ أقبَلَ فتًى من الأنصار فسَلَّمَ على رسول الله ﷺ ثمّ جَلَسَ فقال: يا رسولَ الله، أيُّ المؤمنينَ أفضَلُ؟ فقال: «أحسَنُهم خُلُقاً» قال: فأيُّ المؤمنينَ أكيَسُ؟ قال: «أكثرُهم ذِكْراً للموتِ، وأحسَنُهم استِعداداً له قبلَ أن يَنزِلَ به، أُولئكَ الأَكياسُ»[2]، ثمّ سَكَتَ الفتى.

وأقبَلَ علينا رسولُ الله ﷺ فقال: «يا مَعشَرَ المهاجرينَ، خَمْسُ خِصَالٍ إذا نَزَلْنَ بكم، وأعُوذُ بالله أن تُدرِكُوهُنَّ:

إنّه لم تَظهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قَطُّ حتّى يُعلِنُوا بها[3]، إلّا ظَهَرَ فيهم الطَّاعونُ

= بعث ذلك الرجلَ فيهم. قلنا: وبنو عبسٍ من غطفان.

وقد أخرج الحاكم في «مستدركه» (٢٧٦٤) حديثَ أبي هريرة هذا بأطولَ مما ساقه مسلم، وذكر فيه قصة الناقة العجفاء التي ذكرها ابن إسحاق.

فهذا كلُّه مما يؤيد رواية الواقديِّ في هذه السريّة ويرجّحها على رواية ابن إسحاق، والله أعلم.

(١) وكانت في شعبان من السنة السادسة فيما ذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٥٦٠ وابنُ سعد في «الطبقات» ٢/ ٨٥.

(٢) الأكياس: جمع كيِّس، وهو الفَطِن النبيه.

(٣) يعلنوا بها، أي: يجاهروا بها.

والأَوجاعُ التي لم تكنْ في أسلافِهم الّذينَ مَضَوْا.

ولم يَنقُصُوا المِكْيالَ والمِيزانَ، إلّا أُخِذُوا بالسِّنِينَ[1] وشِدَّةِ المَؤُونة وجَوْرِ السُّلطانِ.

ولم يَمنَعُوا الزَّكاةَ من أموالِهم، إلّا مُنِعُوا القَطْرَ من السَّماءِ، فلولا البَهائمُ ما مُطِرُوا.

وما نَقَضُوا عَهْدَ الله وعَهْدَ رسولِه، إلّا سُلِّطَ عليهم عدوٌّ من غيرِهم فأَخَذَ بعضَ ما كان في أَيدِيهم.

وما لم يَحكُمْ أئِمَّتُهم بكتابِ الله وتَجَبَّروا[2] فيما أَنزَلَ الله، إلّا جَعَلَ الله بأْسَهم بينَهم».

ثمّ أمَرَ عبدَ الرَّحمن بن عَوفٍ أن يَتَجهَّزَ لسَريّةٍ بَعَثَه عليها، فأصبَحَ وقد اعتَمَّ بعِمَامةٍ من كَرابِيسَ[3] سوداءَ، فأَدْناهُ رسولُ الله ﷺ منه، ثمّ نَقَضَها ثمّ عَمَّمَه بها، وأرسَلَ من خَلْفِه أربعَ أصابعَ أو نحواً من ذلك، ثمّ قال: «هكذا يا ابنَ عَوفٍ فاعتَمَّ، فإنّه أحسَنُ وأعرَفُ[4]».

ثمّ أمَرَ بلالاً أن يدفَعَ إليه اللِّواءَ فدَفَعَه إليه، فحَمِدَ اللهَ وصَلَّى على نفسِه ﷺ، ثمّ قال: «خُذْه يا ابنَ عَوفٍ، اغْزُوا جميعاً في سَبيلِ الله فقاتِلُوا مَن كَفَرَ بالله، لا تَغُلُّوا[5] ولا تَغدِرُوا، ولا تُمثِّلُوا، ولا تَقتُلوا وَلِيداً، فهذا عَهْدُ الله وسِيرةُ نَبيِّه فيكم». فأَخَذَ

(١) بالسنين، أي: بالجَدْب.

(٢) تجبَّروا: تعاظموا عن أن يحكموا بما أنزل الله.

(٣) الكرابيس: جمع كِرْباس، وهو القطن.

(٤) أي: وأظهَرُ.

(٥) لا تغلّوا، أي: لا تخونوا في المَغانم.

عبدُ الرَّحمن بن عوفٍ اللِّواءَ[1].

قال ابن هشام: فخرج إلى دُومَةِ الجَندَل.

غزوة أبي عُبيدة بن الجَرّاح إلى سِيفِ البحر

قال ابن إسحاق: وحدّثني عُبَادةُ بن الوليد بن عُبَادة بن الصّامت، عن أبيه، عن جدِّه عُبادة بن الصّامت قال: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ سَرِيّةً إلى سِيفِ البحر[2]، عليهم أبو عُبيدة بن الجَرّاح، وزَوَّدَهم جِرَاباً[3] من تمرٍ، فجَعَلَ يَقُوتُهم إيّاه حتّى صار إلى أن يَعُدَّه عليهم عَدَداً، قال: ثمّ نَفِدَ التّمرُ حتّى كان يُعطِي كلَّ رجلٍ منهم كلَّ يومٍ

---

(١) حديث حسن، وإسناد ابن إسحاق فيه ضعيف لإبهام شيخه.

وقد أخرجه بطوله البزار في «مسنده» (٦١٧٥)، والطبراني في «الأوسط» (٤٦٧١) وفي «مسند الشاميين» (١٥٥٨) و(١٥٥٩)، والحاكم (٨٨٣٧) من طريق الهيثم بن حميد، عن أبي مُعَيد حفص بن غَيلان، عن عطاء بن أبي رباح، به. وهذا إسناد حسن من أجل حفص بن غيلان.

وأخرج أوله في قصة سؤال الأنصاريّ وجواب النبي ﷺ له ابنُ ماجه (٤٢٥٩) من طريق نافع ابن عبد الله، عن فروة بن قيس، عن عطاء.

وأخرج ابن ماجه أيضاً (٤٠١٩) أوسطه في قصة الخصال الخمس، من طريق خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن عطاء. والإسنادان ضعيفان.

(٢) سِيفُ البحر: جانبه وساحله.

وكانت هذه السريّة في رجب سنة ثمان، قال ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٢٢: بعث رسولُ الله ﷺ أبا عبيدة بن الجرّاح في ثلاث مئة رجل من المهاجرين والأنصار إلى حيٍّ من جُهَينة بالقَبَليّة ممّا يلي ساحل البحر، وبينها وبين المدينة خمسُ ليالٍ.

وسمّى ابن سعد هذه السريّة هو والواقدي في «مغازيه» ٢/ ١٢٢: سريّة الخَبَط، لأنهم أكلوا فيه الخَبَط: وهو ورق الشجر يُنفَض بالمخابط (وهي عِصيٌّ) ليسقط.

(٣) الجِراب: وعاء يُحفَظ فيه الزاد.

تمرةً، قال: فقَسَمَها يوماً بيننا، قال: فنَقَصَت تمرةٌ عن رجلٍ فوَجَدَ فَقْدَها ذلك اليوم، فلمّا جَهَدَنا الجوعُ أخرج الله لنا دابّةً من البحر، فأصَبْنا من لحمِها ووَدَكِها[1]، وأقَمْنا عليها عشرين ليلةً حتّى سَمِنّا وابتَلَلْنا[2]، وأخذَ أميرُنا ضِلَعاً من أضلاعها فوَضَعَها على طريقِه، ثمّ أمَرَ بأجسَمِ بعيرٍ معنا، فحَمَلَ عليه أجسَمَ رجلٍ منّا، قال: فجَلَسَ عليه، قال: فخرج من تحتها وما مَسَّت رأسَه.

قال: فلمّا قَدِمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خَبَرَها، وسألناه عمّا صَنَعنا في ذلك من أكلِنا إيّاه، فقال: «رِزْقٌ رَزَقَكُموهُ الله»[3].

بعثُ عمرو بن أميّة الضَّمْريّ لقتل أبي سفيان بن حرب وما صَنَعَ في طريقه

قال ابن هشام: وممّا لم يذكره ابنُ إسحاق من بُعوثِ رسول الله ﷺ وسَرَاياه: بَعْثُ عمرو بن أُميّة الضَّمْريِّ[4].

---

(١) الوَدَك: الشحم والدُّهن. وهذه الدابّة هي الحوت كما في روايات أخرى.

(٢) ابتللنا: أفَقْنا من ألم الجوع الذي كان بنا، من قولك: بَلَّ فلان من مرضه وأبَلَّ، واستبلَّ: إذا أخذ في الراحة.

(٣) إسناده صحيح. ولم نقف على حديث عبادة هذا مخرَّجاً عند غير ابن إسحاق.

ويشهد له بنحوه حديث جابر بن عبد الله ـ وكان حاضراً في هذه السريّة ـ عند أحمد (١٤٢٥٦) و(١٤٢٨٦)، والبخاري (٢٤٨٣) و(٤٣٦٠)، ومسلم (١٩٣٥) وغيرهم. وذكر جابر في حديثه: أنهم كانوا في هذه السريّة ثلاث مئة رجل، وفي رواية عنه: أنهم أكلوا من الحوت ثمانية عشر يوماً، وفي أخرى: أكلوا منه شهراً، وهي شاذّة والمحفوظ هو الأول، وهو بنحو رواية عبادة.

(٤) غلَّط ابنَ هشامٍ في قوله هذا أبو بكرٍ أحمدُ بن عبد الله بن عبد الرحيم ابنُ البَرقيّ راوي «السيرة» عنه، وقال: قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عمرو بن أمية عن عمرو بن أمية فيما حدَّث أسدٌ ـ وهو ابن موسى الأُمويّ ـ عن يحيى بن زكريا عن ابن إسحاق، ذكر ذلك السهيليُّ =

بَعَثَه رسولُ الله ﷺ ـ فيما حدّثني مَن أثِقُ به من أهلِ العلم ـ بعدَ مَقتَلِ خُبَيبِ بن عَديٍّ وأصحابِه إلى مكّة، وأمَرَه أن يقتلَ أبا سفيان بن حَرْبٍ، وبَعَثَ معه جَبّارَ بن صَخْرٍ الأنصاريَّ[1]، فخَرَجا حتّى قَدِما مكّةَ، وحَبَسا جَمَلَيهما بشِعْبٍ[2] من شِعاب يَأجَجَ[3]، ثمّ دَخَلا مكّةَ ليلاً.

فقال جَبّارٌ لعمرٍو: لو أنّا طُفْنا بالبيت وصَلَّينا ركعتَينِ! فقال عمرو: إنّ القومَ

= في «الروض» ٧/ ٥٣١-٥٣٢ نقلاً عن الشيخ أبي بحر الأسديّ الذي نقل ذلك من حاشية نسخة من «السيرة» منسوبة بسماع أبي سعيد عبد الرحيم ابن البرقي وأخويه محمد وأحمد.

قلنا: ولم نقف على رواية يحيى بن زكريا هذه، وقد ذكر هذه السريةَ أيضاً سلمةُ بن الفضل عن ابن إسحاق ـ فيما أخرجه الطبريُّ في «تاريخه» ٢/ ٥٤٢-٥٤٥ وابن خزيمة في «صحيحه» (٣٠٦٤) ـ عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري، عن أبيه، عن جدّه قال: قال عمرو بن أميه: بعثني رسول الله ﷺ بعد قتل خُبيب وأصحابه، وبعث معي رجلاً من الأنصار، فقال: «ائتيا أبا سفيان بن حرب فاقتلاه»، ثم ساق الخبر، ولم يسقه ابن خزيمة بتمامه. وجعفر ابن الفضل شيخ ابن إسحاق فيه مجهول لا يُعرَف.

قلنا: فالظاهر أن خبر هذه السريّه ليس في رواية زياد البكّائي عن ابن إسحاق، فلذلك استدركه ابنُ هشام عليه.

(١) وذكر ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٩٠: أن الأنصاريَّ الذي بعثه النبي ﷺ مع عمرو بن أمية هو سلمة بن أسلم بن حَريش الخزرجي.

والسبب في ذلك: أن أبا سفيان بن حرب قال لنفرٍ من قريش: ألا أحدٌ يغتال محمداً؟ فإنه يمشي في الأسواق، فانتدب لذلك أعرابيٌّ وجاء إلى المدينة، فانكشف أمره للنبيِّ ﷺ وأُخذ فأسلم وأخبره بأمر أبي سفيان، فبعث ﷺ عَمراً وسلمةَ لقتله. وذكر هذا الخبر مطوّلاً الواقديُّ ـ فيما أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣٣٣ ـ من ثلاثة أسانيد مرسلة.

(٢) الشِّعب: الطريق الخفيّ بين جبلين.

(٣) يأجج: وادٍ من أودية مكة، ويعرف اليوم بوادي ياج، يمرّ شمال عمرة التنعيم.

إذا تَعشَّوْا جَلَسوا بأفنِيَتِهم، فقال: كلَّا، إن شاءَ الله، فقال عمرو: فطُفْنا بالبيت وصَلَّينا، ثمّ خَرَجْنا نريدُ أبا سفيانَ، فوالله إنّا لنَمْشي بمكّة إذ نَظَرَ إليَّ رجلٌ من أهلِ مكّة فعَرَفَني، فقال: عمرُو بن أُميّة! والله إنْ قَدِمَها إلّا لشَرٍّ، فقلت لصاحبي: النَّجَاءَ، فخرجنا نَشتَدُّ حتّى أصعَدْنا في جبلٍ وخرجوا في طَلَبِنا، حتّى إذا عَلَوْنا الجبلَ يَئِسُوا منّا، فرَجَعْنا فدخلنا كهفاً في الجبل فبِتْنا فيه، وقد أخَذْنا حِجارةً فرَضَمْناها دونَنا[1].

فلمّا أصبَحْنا، غَدَا رجلٌ من قُريشٍ يَقُودُ فرساً له ويُخْلي عليها[2]، فغَشِيَنا ونحنُ في الغارِ، فقلت: إنْ رآنا صاحَ بنا، فأُخِذنا فقُتِلنا، قال: ومعي خِنجَرٌ قد أعدَدتُه لأبي سفيان، فأخرُجُ إليه فأضرِبُه على ثَدْيِه ضربةً وصاحَ صَيْحةً أسمَعَ أهلَ مكّة، وأَرجِعُ فأدخُلُ مكاني، وجاءَه الناسُ يَشتَدُّون وهو بآخرِ رَمَقٍ، فقالوا: مَن ضَرَبَك؟ فقال: عمرُو بن أُميّة، وغَلَبَه الموتُ فمات مكانَه ولم يَدلُلْ على مكانِنا، فاحتَمَلُوه، فقلت لصاحبي لمّا أمسَينا: النَّجَاءَ.

فخَرَجنا ليلاً من مكّة نريدُ المدينةَ، فمَرَرْنا بالحَرَسِ وهم يَحرُسون جِيفةَ خُبَيبِ ابن عَديٍّ، فقال أحدُهم: والله ما رأيتُ كاللّيلةِ أشبَهَ بمِشْيةِ عمرو بن أُميّة، لولا أنّه بالمدينة لقلتُ: هو عمرو بن أُميّة، قال: فلمّا حاذى الخشبةَ شَدَّ عليها فاحتَمَلها، وخَرَجا شَدّاً وخرجوا وراءَه، حتّى أَتى جُرْفاً[3] بمَهبِطِ مَسِيلٍ يأجَجَ، فرَمَى بالخشبةِ في الجُرْف، فغَيَّبَه اللهُ عنهم فلم يَقدِروا عليه، قال: وقلت لصاحبي: النَّجَاءَ حتّى تأتي

(١) رَضَمْناها دوننا، أي: جعلنا بعضها فوق بعض، لتكون حاجزاً بيننا وبين من يطلبنا.

(٢) يُخْلي عليها، أي: يجمع لها الخَلَى، وهو الرَّطب من الحشيش، وسُمّي خَلَى لأنه يُختَلى، أي: يُقطَع.

(٣) الجُرف: جانب الوادي إذا حفر الماء في أسفله.

بعيرَك فتَقعُدَ عليه، فإنّي شاغلٌ[1] عنك القومَ، وكان الأنصاريُّ لا رُجْلةَ له[2].

قال: ومَضَيتُ حتّى أخرُجَ على ضَجْنانَ[3]، ثمّ أوَيتُ إلى جبلٍ فأدخُلُ كهفاً، فبَيْنا أنا فيه إذ دَخَلَ عليَّ شيخٌ من بني الدِّيلِ أعوَرُ في غُنَيمةٍ له، فقال: مَن الرّجلُ؟ فقلت: من بني بكرٍ، فمَن أنتَ؟ قال: من بني بكرٍ، فقلت: مَرحَباً، فاضطَجَعَ ثمّ رَفَعَ عَقِيرتَه فقال:

ولستُ بمُسلِمٍ ما دُمتُ حيّا ولا دانٍ لـــدِينِ المُســـلِمينا

فقلت في نفسي: ستَعلَمُ! فأمهَلْتُه حتّى إذا نامَ أخذتُ قَوسي فجعلتُ سِيَتَها[4] في عينه الصحيحة، ثم تحامَلتُ عليها حتى بَلَغَت العظمَ، ثم خرجتُ النَّجَاءَ حتى جئتُ العَرْجَ، ثمّ سَلَكتُ رَكُوبةَ[5]، حتّى إذا هَبَطتُ النَّقيعَ[6] إذا رجلان من قُريشٍ من المشركين كانت قُريشٌ بَعَثَتهما عَيْناً إلى المدينة يَنظُرانِ ويَتَحسَّسانِ، فقلت: استأسِرَا، فأبَيَا، فأَرمي أحدَهما بسَهمٍ فأقتلُه، واستأسَرَ الآخَرُ فأوثقتُه رِباطاً وقَدِمتُ به إلى المدينة.

---

(١) في (غ): سأشغل.

(٢) أي: ليس له قوة بالمشي على رجليه، يقال: فلان ذو رُجْلة، إذا كان يَقوَى على المشي.

وذكر الواقديُّ في روايته، كما عند البيهقي ٣/ ٣٣٧: أن قدوم الأنصاريِّ إلى المدينة كان قبل قدوم عمرٍو بثلاثة أيام.

(٣) ضَجنان: موضع شمال شرق مكّة على بعد ٥٥ كم تقريباً على طريق المدينة المنوَّرة، ويسمّى اليوم: حَرّة المُحسِنيّة.

(٤) سِيَة القوس: طرفها.

(٥) العَرج: وادٍ جنوب المدينة المنوَّرة على قرابة ١٠٠ كم. ورَكُوبة: جبل يبعد عن المدينة قرابة ٧٠ كم.

(٦) النقيع: وادٍ يبعد عن المدينة قرابة ٤٠ كم.

سريّةُ زيد بن حارثة إلى مَديَن

وسَرِيّةُ زيد بن حارثةَ إلى مَدْيَنَ[1].

ذكرَ ذلك عبدُ الله بن حَسَن[2] بن حَسَن عن أمِّه فاطمةَ ابنة الحُسَين بن عليٍّ رضوانُ الله عليهم: أنّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَ زيدَ بن حارثةَ نحوَ مَديَنَ، ومعه ضُمَيرة مولى عليِّ بن أبي طالبٍ وأخٌ له، قالت: فأصابَ سَبْياً من أهل مِينا[3] وهي السّواحلُ وفيها جُمّاعٌ[4] من الناس، فبِيعُوا، ففُرِّقَ بينهم، فخرج رسولُ الله ﷺ وهم يَبكُون

(١) مَديَن: تعرف اليوم باسم البِدْع، وهي بلدة بين تبوك وساحل خليج العقبة، على قرابة ١٥٠ كم غرب تبوك، وتبعد عن الساحل قرابة ٢٥ كم، وآثار مدين القديمة في الشمال الغربي منها، وتعرف باسم مغائر شعيب. وانظر «معجم المعالم الجغرافية» للبِلادي ص٢٨٤.

قلنا: وسريّة زيد هذه مما استدركه ابن هشام أيضاً على ابن إسحاق، والقول فيها كالقول في سابقتها، فقد روى خبرَها أبو شهاب عبد ربّه بن نافع عن ابن إسحاق عن عبد الله بن الحسن عن أمّه فاطمة مرسلاً، أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٦٦١)، وابن سعد في «الطبقات» ٧/ ٥٧٩، وابن المنذر في «الأوسط» (٦٦٥٦). لكن ذكر مكان مدينَ مَقْنا، وذكر أن ضُميرة كان من السَّبي الذين أصابهم زيدٌ في هذه السريّة، لا أنه كان من جُند زيدٍ فيها.

ومَقْنا: ذكر سعيد بن منصور أنها هي مدين. قلنا: هي في الإقليم نفسه، فهي على الساحل وتقع جنوب غرب البِدْع على قرابة ٣٠ كم.

(٢) تحرف في بعض النسخ إلى: حسين.

وعبد الله هذا: هو ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو وأمه ثقتان جليلان تابعيان، فرواية فاطمة لهذا الخبر مرسلة.

(٣) هكذا وقع لابن هشام، وإنما هي مَقْنا كما سبق في النقل عن ابن إسحاق، وهي على الساحل.

(٤) الجُمّاع: من الأضداد، يكون تارةً المجتمعين، وتارةً المفترقين، وأراد به هنا جماعاتٍ من الناس مختلطين.

فقال: «ما لَهُم؟» فقيل: يا رسولَ الله فُرِّقَ بينهم، فقال رسول الله ﷺ: «لا تَبِيعُوهم إلّا جميعاً».

قال ابن هشام: أراد الأُمّهاتِ والأولادَ.

سريّةُ سالم بن عُمَير لقتل أبي عَفَك

وغزوةُ[1] سالمِ بن عُمَيرٍ - وهو أحدُ البكّائين - لقتلِ أبي عَفَكٍ أحدِ بني عمرو بن عَوفٍ، ثمّ من بني عُبيدٍ[2]، وكان قد نَجَمَ نِفاقُه[3] حين قتل رسولُ الله ﷺ الحارثَ ابن سُوَيد بن صامتٍ، فقال:

لقد عِشتُ دَهراً وما إنْ أَرى ... من الناسِ داراً ولا مَجمَعا
أبَرَّ عُهوداً وأَوفَى لمَن ... يُعاقِدُ فيهم إذا ما دَعَا
مِنَ أولادِ قَيْلَةَ في جَمعِهِمْ ... يَهُدُّ الجبالَ ولم يَخضَعا[4]

---

(١) في (ت) و(ص) و(ط): «قال ابن إسحاق: وغزوة»، وكذا في (ق٢) و(م) لكن فيهما إشارة إلى أن ابن إسحاق لم يُذكَر في بعض النسخ. قلنا: وإسقاطه هو الصواب كما في بقية النسخ (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف) و(ي)، فإن هذه السريّة جاءت هنا في سياق ما استدركه ابن هشام على ابن إسحاق.

(٢) تحرف في (ت) إلى: عذرة، وكان في (ص) و(م): عُبيد، على الصواب كبقية النسخ ثم صُحِّح فيهما إلى: عذرة، وهو غلط، والصواب أنهم بنو عبيد بن زيد، وهم من بني عوف بن عمرو بن عوف الأوسيِّين.

وكانت هذه السرية في شوال من السنة الثانية للهجرة كما ذكر الواقدي في «المغازي» ١/ ٣ وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٥، إلا أن ابن سعد ذكر أن أبا عفك هذا كان يهوديّاً، وليس له سلف في هذا، فالظاهر أنه وهمٌ منه، والله تعالى أعلم.

(٣) أي: ظهر وبانَ.

(٤) قَيْلة: اسم امرأة تنسب إليها الأوس والخزرج أنصار النبي ﷺ، وهي من قُضاعة. ولم =

فصَـدَّعَهمْ راكـبٌ جـاءَهمْ حَـلالٌ حَـرامٌ لِشَـتَّى مَعـا[1]

فلـو أنّ بـالعِزّ صَـدّقتمُ أو المُلـكِ تـابَعتمُ تُبَّعـا[2]

فقال رسول الله ﷺ: «مَن لي بهذا الخَبيثِ؟»، فخرج سالمُ بن عُمَيرٍ أخو بني عمرو بن عَوفٍ، وهو أحدُ البكّائِينَ، فقتله[3].

فقالت أُمامةُ المُرَيدِيّةُ[4] في ذلك:

تُكـذِّبُ ديـنَ الله والمَـرْءَ أَحمَـداً لَعَمرُ الذي أَمْناكَ أنْ بئسَ ما يُمْني[5]

حَبَـاكَ حَنيـفٌ آخـرَ الليـلِ طَعنـةً أبـا عَفَـكٍ خُـذْها على كِبَـرِ السِّـنِّ[6]

= يخضعا: أراد: يخضعنَ، بالنون الخفيفة ـ يريد الجبال ـ فلما وقف عليها أبدل منها ألفاً، قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٥٨.

(١) صدَّعهم: فرَّقهم.

(٢) تُبّع: أحد ملوك اليمن.

(٣) لم يسند ابن هشام خبر أبي عفك هذا، ورواه الواقديُّ ١/ ١٧٤ ـ وعنه ابن سعد ٣/ ٤٤٥ ـ بإسنادين مُعضلَين، فالخبر ضعيف، والله تعالى أعلم.

(٤) هكذا هو في نسخنا الخطية كافة، وتحرف في مطبوعة السقا وصاحبيه وكذا في مطبوعة وستنفيلد إلى: المزيرية.

وقد قيّده الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» ٦/ ٢٤ بالحروف فقال: بضم الميم وكسر الراء كذا في «التبصير» تبعاً للذهبي، وقال في «الأنساب» بفتحها، وعليه جرى ابن الأثير، وبسكون التحتية وبالدال المهملة بعدها تحتية مشدّدة، بطنٌ من بَلِيّ.

وقد تقدّم عند ابن إسحاق ٣/ ١٩: أن بني مُرَيد بطن من بليّ وكانوا حلفاءَ لبني أُميّة بن زيد.

(٥) قولها: والمرءَ أحمداً، تعني النبيَّ ﷺ.

وأمناك: كأنها تريد: الذي رغَّب لك ما أنت فيه، من التمنّي: وهو تشهّي حصول الأمر المرغوب فيه، والله تعالى أعلم.

(٦) حَبَاك، أي: أعطاك. وحنيف: مسلم.

غزوة عُمير بن عَديّ الخَطْميّ لقتل عَصْماءَ بنت مروان

وغزوةُ عُمَيرِ بن عَديٍّ الخَطْميِّ عَصْماءَ بنتَ مروان، وهي من بني أُميّة بن زيدٍ[1]، فلمّا قُتِلَ أبو عَفَكٍ نافَقَت، فذكرَ عبدُ الله بن الحارث بن الفُضَيل عن أبيه قال: وكانت تحت رجلٍ من بني خَطْمةَ يقال له: يزيدُ بن زيدٍ، فقالت تَعِيبُ الإسلامَ وأهلَه:

بِاسْتِ بني مالكٍ والنَّبِيتِ ... وعَوفٍ وبِاسْتِ[2] بني الخَزْرجِ

أطَعتُم أتاويَّ من غيرِكمْ ... فلا من مُرادٍ ولا مَذْحِجِ[3]

تُرجُّونَه بعدَ قتلِ الرُّؤوسِ ... كما يُرتَجَى مَرَقُ المُنضِجِ[4]

ألا أَنِفٌ يَبتَغي غِرّةً ... فيَقطَعَ من أمَلِ المُرتَجِي[5]

---

(١) وبنو أُمية بن زيد من بني عمرو بن عوف من الأَوس. وكذا خَطْمة أَوسيُّون.

وهذه الواقعة عند الواقدي في «المغازي» ١/ ١٧٤ وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٥، كانت في رمضان قبل قتل أبي عَفَك، على خلاف ما ذكر ابنُ هشام.

(٢) الاستُ: الدُّبر، ووقع في نسختي (ش١) و(ش٢): لبِئسَتْ.. وبِئسَتْ، وبَنُو بالرفع في الموضعين، فعدَّ ذلك المُطرِّزيُّ في كتابه «المُغرِب في ترتيب المُعرِب» ١/ ٣٨٣ ـ وقد ذكر هذه الأبيات ـ عدَّه تصحيفاً، وقال في تفسيره: يقال: باسْتِ فلانٍ، إذا استخفُّوا به، ومعناه: لصق العارُ بذلك الموضع. اهـ

وبنو مالك: بطون من الأوس، والنَّبيت: هو عمرو بن مالك بن الأوس، وعوفٌ أخوه، وهم أهل قُباء.

(٣) الأتاويّ: الغريب، وأرادت به النبيَّ ﷺ.

ومراد ومَذحِج: قبيلتان من اليمن.

(٤) الرؤوس: أشراف القوم.

(٥) الأَنِف: الذي يترفّع عن الشيء. والغِرّة: الغفلة.

فأجابها حسّانُ بن ثابتٍ فقال[1]:

بنـــو وائـــلٍ وبنـــو واقـــفٍ وخَطْمـــةُ دونَ بنـــي الخَـــزْرجِ
متـى مـا دَعَـت سَـفَهاً وَيحَهـا بعَوْلتِهـــا والمَنايـــا تَجِـــي[2]
فهَـــزَّت فتًـــى ماجـــداً عِرقُـــهُ كـــريمَ المَـــداخلِ والمَخـــرَجِ[3]
فضَـــرَّجَها مـــن نَجيـــعِ الـــدِّما ءِ بعـــدَ الهُـــدُوِّ فلـــم يَحـــرَجِ[4]

فقال رسولُ الله ﷺ حين بَلَغَه ذلك: «ألا أَحدٌ[5] لي من ابنةِ مروانَ؟»، فسمعَ ذلك من قولِ رسول الله ﷺ عُمَيرُ بن عَديٍّ الخَطْميُّ وهو عنده، فلمّا أَمسى من تلك الليلة سَرَى عليها في بيتِها فقتلها، ثمّ أصبَحَ مع رسول الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، إنّي قد قتلتُها، فقال: «نَصَرتَ اللهَ ورسولَه يا عُمَيرُ»، فقال: هَل عليَّ شيءٌ من شأنِها يا رسولَ الله؟ فقال: «لا يَنتَطِحُ فيها عَنْزانِ»[6].

(١) هذه الأبيات ليست في الرواية من «ديوانه»، وانظره بتحقيق وليد عرفات ١/ ٤٤٩.

(٢) العَولة: ارتفاع الصوت بالبكاء. وتَجِي: مسهَّل من تجيء.

(٣) ماجداً عِرقُه، أي: شريفاً أصلُه.

(٤) ضرَّجها: لطخها بالدم. والنجيع: الشديد الحُمرة. وبعد الهدوّ، أي: بعد ساعة من الليل. ولم يَحرَج: لم يأثَم.

(٥) في (ش١) و(ش٢) و(ي): آخذٌ.

(٦) هذا خبرٌ إسناده ضعيف لانقطاعه بين ابن هشام وعبد الله بن الحارث، ولإرساله، فالحارث بن فضيل من طبقة أتباع التابعين أو صغار التابعين، ولم يرو عنه غير ابنه عبد الله، فهو في حيِّز الجهالة.

وقد رواه بنحوه عن عبد الله بن الحارثِ الواقديُّ ١/ ١٧٢-١٧٣، ومن طريقه ابن سعد ٤/ ٣١٧، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨٥٨).

وروي هذا الخبر موصولاً من حديث ابن عباس فيما أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٦/ ١٤٥، =

فرجع عُمَيرٌ إلى قومه، وبنو خَطْمةَ يومئذٍ كثيرٌ مَوجُهم[1] في شأن ابنة مروانَ، ولها يومئذٍ بَنُونَ خمسةُ رجالٍ، فلمّا جاءَهم عُمَيرُ بن عَديٍّ من عند رسول الله ﷺ قال: يا بني خَطْمةَ، أنا قتلتُ ابنةَ مروان، فكِيدُوني جميعاً ثمّ لا تُنظِرونَ؛ فذلك اليومُ أوَّلُ ما عَزَّ الإسلامُ في دار بني خَطْمة، وكان يَستَخفي بإسلامه فيهم مَن أسلَمَ، وكان أوَّلَ مَن أسلمَ من بني خَطْمة عُمَيرُ بن عَديٍّ، وهو الذي يُدعَى القارئَ، وعبدُ الله بن أوسٍ، وخُزَيمةُ بن ثابتٍ.

وأسلمَ يومَ قُتِلَت ابنةُ مروانَ رجالٌ من بني خَطْمة لِمَا رَأَوا من عزِّ الإسلام.

أسرُ ثُمَامة بن أثالٍ الحَنَفيّ

وإسلامُه بعد امتِنان رسول الله ﷺ

والسَّرِيّةُ التي أسَرَت ثُمَامةَ بن أُثالٍ الحَنَفيَّ[2]، بَلَغَني عن أبي سعيدٍ المَقبُريّ عن أبي هريرة أنه قال: خرجت خيلٌ لرسول الله ﷺ، فأخَذَت رجلاً من بني حَنِيفة لا يَشعُرون مَن هو، حتّى أتَوا به رسولَ الله ﷺ فقال: «أتدرُونَ مَن أخذتُم؟ هذا ثُمَامةُ بن أُثالٍ الحَنَفيُّ، أَحسِنُوا إِسَارَه» ورجع رسولُ الله ﷺ إلى أهلِه فقال: «اجمَعُوا ما

= والقضاعي (٨٥٦) و(٨٥٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» ١٥/ ١١٨، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥١/ ٢٢٤، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٧٩). وإسناده تالف، فيه راوٍ كذّاب.

قوله: لا ينتطح فيها عنزان، أي: أن شأنها هيِّن، لا يكون فيه طلب ثأر ولا اختلاف.

(١) موجهم، أي: اختلاط كلامهم.

(٢) الظاهر أن خبر هذه السرية ليس في رواية زياد البكّائي عن ابن إسحاق، فلذلك استدركها ابن هشام عليه، وهي في رواية غيره عنه كما سيأتي لاحقاً في تخريج الخبر.

ثم إن روايته الخبر عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة خولف فيه، والمحفوظ كما سيأتي أنه من رواية ابنه سعيد المقبري عن أبي هريرة.

كان عندَكم من طعامٍ فابعَثُوا به إليه»، وأمَرَ بلِقْحتِه[1] أن يُغدَى عليه بها ويُراحَ، فجعل لا يَقَعُ من ثُمامةَ مَوقِعاً، ويأتيه رسولُ الله ﷺ فيقول: «أَسلِمْ يا ثُمَامةُ» فيقول: إيهاً[2] يا محمّدُ، إن تَقتُلْ تَقتُلْ ذا دمٍ[3]، وإن تُرِدِ الفِداءَ فسَلْ ما شئتَ. فمَكَثَ ما شاءَ الله أن يَمكُثَ، ثمّ قال النبيُّ ﷺ يوماً: «أَطلِقُوا ثُمَامةَ»، فلمّا أطلَقُوه خرج حتّى أَتى البقيعَ، فتَطهَّرَ فأحسنَ طُهورَه، ثمّ أقبَلَ فبايعَ النبيَّ ﷺ على الإسلام[4].

فلمّا أمسَى جاؤوه بما كانوا يأتونَه من الطّعام، فلم يَنَلْ منه إلّا قليلاً، وباللِّقحةِ فلم يُصِبْ من حِلابِها إلّا يسيراً، فعَجِبَ المسلمون من ذلك، فقال رسولُ الله ﷺ حين بَلَغَه ذلك: «مِمَّ تَعجَبُون؟! أمِنْ رجلٍ أكلَ أوَّلَ النَّهارِ في مِعًى كافرٍ، وأكلَ آخرَ

(١) اللِّقحة: واحدة اللِّقاح من الإبل، وهي الناقة التي لها لبنٌ.

(٢) إيهاً: أمرٌ بالسكوت، بمعنى: كُفَّ واسكت.

(٣) أي: ذا دم عظيم لا يُهدَر، بل يؤخذ ثأره، ففيه الإشارة إلى رياسته في قومه.

(٤) هذا حديث صحيح.

وقد أخرجه بنحوه أحمد (٧٣٦١) من طريق محمد بن عجلان، وأحمد (٩٨٣٣)، والبخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤)(٥٩)، وأبو داود (٢٦٧٩)، والنسائي في «المجتبى» (١٨٩) وفي «الكبرى» (١٩٢)، وابن حبان (١٢٣٩) من طريق الليث بن سعد، ومسلم (١٧٦٤)(٦٠) من طريق عبد الحميد بن جعفر، وابن حبان (١٢٣٨) من طريق عبد الله وعبيد الله ابني عمر بن حفصٍ العُمريَّين، خمستهم عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة. وبعضهم يزيد فيه على بعض، وفي روايتي الليث وعبد الحميد: أن النبي ﷺ بعث خيلاً قِبَلَ نجدٍ، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال.

وروى هذا الخبر يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عند البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٧٩-٨٠ و«السنن» ٩/ ٦٦، فذكر فيه: أن ثمامة دخل المدينةَ فتحيَّر فيها (أي: تردّد فيها) حتى أُخذ وأُتي به رسول الله ﷺ. وهذا غلطٌ، وقال البيهقي في «الدلائل»: رواية الليث بن سعد ومن تابعه أصحُّ في كيفيّة أخذه.

النَّهارِ في مِعَى مُسلمٍ، إنّ الكافرَ يأكُلُ في سبعةِ أمعاءٍ، وإنَّ المسلمَ يأكُلُ في مِعًى واحدٍ»[1].

قال ابن هشام: فبَلَغَني أنه خرج مُعتمِراً، حتّى إذا كان ببَطنِ مكّةَ لَبّى، فكان أوّلَ مَن دخل مكّةَ يُلبّي، فأخذته قريشٌ فقالوا: لقد اجتَرأْتَ علينا، فلمّا قَدَّموه ليَضرِبوا عُنُقَه قال قائلٌ منهم: دَعُوه، فإنّكم تحتاجون إلى اليَمَامة لطعامكم، فخَلَّوه[2].

فقال الحَنَفيُّ:

ومنّـا الـذي لَبّـى بمكّـةَ مُعلِنـاً برَغْمِ أبي سفيانَ في الأشهُرِ الحُرُمِ

وحُدِّثتُ: أنّه قال لرسول الله ﷺ حين أسلَمَ: لقد كان وجهُك أبغَضَ الوجوه إليَّ، ولقد أصبَحَ وهو أحَبُّ الوجوهِ إليَّ.

وقال في الدِّين والبلادِ مثلَ ذلك[3].

ثمّ خرج مُعتَمِراً، فلمّا قَدِمَ مكّة قالوا: أصَبَوتَ يا ثُمَامُ؟ فقال: لا، ولكنّي

(١) هذا الخبر انفرد ابنُ هشام بوصله بخبر ثمامة السابق وجعله سبباً لورود هذا الحديث.

فقد روى نحوَه غيرُ واحد عن أبي هريرة فيما أخرجه أحمد (٧٤٩٧) و(٨٨٧٩) و(٩٦٢١) و(٩٨٧٤)، والبخاري (٥٣٩٦) و(٥٣٩٧)، ومسلم (٢٠٦٣)، وغيرهم، لم يسمِّ أحدٌ منهم فيه ثمامةَ أو يذكر قصّته.

وفي بعض هذه الروايات عن أبي هريرة: أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ وهو كافر، فكان يأكل أكلاً كثيراً، ثم إنه أسلم فكان يأكل أكلاً قليلاً، فذُكر ذلك للنبي ﷺ، فقال هذا القول.

(٢) بلاغ ضعيف ولم يتابع عليه ابنُ هشام بهذا النحو، وما سيأتي لاحقاً أصحّ.

(٣) وهذا صحيح، وهو في حديث أبي هريرة السابق في إسلامه عند أحمد والبخاري ومسلم وغيرهما بلفظ: والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغضَ إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغضَ إليّ من دينك، فأصبح دينك أحبَّ الدِّين إلي، والله ما كان من بلد أبغضَ إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحبَّ البلاد إليّ.

اتَّبَعتُ خيرَ الدِّينِ دينِ محمّدٍ، ولا والله لا تَصِلُ إليكم حَبّةٌ من اليَمَامة حتّى يأذَنَ فيها رسولُ الله ﷺ. ثمّ خرج إلى اليَمَامة، فمَنَعَهم أن يَحمِلوا إلى مكّة شيئاً، فكَتَبوا إلى رسول الله ﷺ: إنّك تأمُرُ بِصِلَةِ الرَّحِمِ، وإنّك قد قَطَعتَ أرحامَنا[1]، فكَتَبَ رسولُ الله ﷺ إليه أن يُخلِّيَ بينهم وبين الحَمْل[2].

سريّةُ عَلقَمة بن مُجزِّز
ولم يلقَ فيها كَيداً

وبَعْثُ عَلقَمةَ بن مُجزِّزٍ.

لمّا قُتل وَقّاصُ بن مُجزِّزٍ المُدلِجيُّ يومَ ذي قَرَدٍ[3]، سأل عَلقَمةُ بن مُجزِّزٍ

---

(١) بعد هذا في طبعة السقا وصاحبيه زيادة: وقد قتلت الآباءَ بالسيف والأبناءَ بالجوع. وهذه الزيادة ليست في شيء من نسخنا الخطية سوى نسخة (ق٢)، ثم ضرب عليها بخطٍّ وأشار عليها بعلامة الحذف.

(٢) وهذا صحيح أيضاً، روي في حديث أبي هريرة عند أحمد والبخاري ومسلم وغيرهما، وكتابة قريش إلى النبي ﷺ وكتابته إلى ثُمامة زادها ابن عجلان في حديثه عن المقبري عن أبي هريرة عند أحمد، وسنده قويٌّ.

وسبب عُمرته ما ذكره هو ـ كما في حديث أبي هريرة ـ قال: وإن خيلك ـ أي: خيل النبي ﷺ ـ أخذتني وأنا أريد العمرةَ، فماذا ترى؟ فبشَّره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوتَ...

(٣) تقدم في هذه الغزوة ٣/ ٣٥٨ عن ابن إسحاق أنه لم يُقتَل في هذه الغزوة سوى مُحرِز بن نضلة الأسدي، ويقال له أيضاً: الأخرم، فزاد ابن هشام هناك ذكرَ وقّاص بن مجزِّز.

ثم إن ابن هشام قد ذَهَلَ في هذه السريّة فذكر أنها على إثر غزوة ذي قَرَدٍ، يعني أنها كانت في السنة السادسة، وهو منفردٌ بذلك، فإن تلك الغزوة لم يبعث منها النبي ﷺ سريّةً كما تقدّم في موضعه، وقد ذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ٩٨٣ وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٤٩: أن سريّة =

رسولَ الله ﷺ أن يبعثَه في آثارِ القوم ليُدرِكَ ثأرَه فيهم.

فذكرَ عبدُ العزيز بن محمّدٍ عن محمّد بن عمرو بن عَلقَمة، عن عُمر بن الحَكَم ابن ثَوْبانَ، عن أبي سعيدٍ الخُدْريّ قال: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ عَلقَمةَ بن مُجزِّزٍ، قال أبو سعيدٍ الخُدْريّ: وأنا فيهم، حتّى إذا بَلَغْنا رأسَ غَزاتِنا أو كنّا ببعضِ الطّريق، أَذِنَ لطائفةٍ من الجيش واستَعمَلَ عليهم عبدَ الله بنَ حُذَافة السَّهْميَّ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت فيه دُعَابةٌ[1]، فلمّا كان ببعضِ الطّريقِ أَوقَدَ ناراً، ثمّ قال للقوم: أليسَ لي عليكم السّمعُ والطّاعةُ؟ قالوا: بَلَى، قال: أفما أنا آمُرُكم بشيءٍ إلّا فَعَلتُموه؟ قالوا: نعم، قال: فإنّي أَعزِمُ عليكم بحَقِّي وطاعتي إلّا تَواثَبتُم في هذه النار، قال: فقام بعضُ القوم يَحتَجِزُ[2]، حتّى ظَنَّ أنّهم واثِبُون فيها فقال لهم: اجلِسُوا، فإنّما كنت أضحَكُ معكم.

فذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ بعدَ أن قَدِمْنا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «مَن أمَرَكم

= علقمة هذه التي كان فيها عبد الله بن حُذافة كانت في ربيع الأول من السنة التاسعة، وسببها كما ذكر الواقديُّ بإسنادين مرسلين: أن رسولَ الله ﷺ بلغه أن ناساً من الحبشة تراءاهم أهلُ الشُّعيبة (خليج من ساحل البحر جنوب جُدّة بما يقرب من ٦٨ كم) في مراكب، فبلغ النبيَّ ﷺ، فبعث علقمةَ بن مجزّز المُدلِجي في ثلاث مئة رجل حتى انتهى إلى جزيرة في البحر، فخاضَ إليهم فهربوا منه، ثم انصرف، فلما كان (أي: علقمة بن مجزّز) ببعض المنازل استأذنه بعض الجيش في الانصراف حيث لم يلقَوا كيداً، فأذن لهم وأمَّر عليهم عبدَ الله بن حُذافة السهميَّ... ثم ذكر قصتَه مع أصحابه.

كذا ذكر الواقديُّ في سبب هذه السريّة، والخبر التالي الذي هو أحسن إسناداً ليس فيه إيراد لسببها، فالله تعالى أعلم.

(١) أي: مِزاح.

(٢) يحتجز، أي: يشدّ ثوبه على خصره بمنزلة الحِزام.

منهم بمَعصِيَةٍ فلا تُطِيعُوه»[1].

وذكرَ محمّدُ بن طلحةَ: أنّ عَلقَمةَ بن مُجزِّزٍ رجع هو وأصحابُه ولم يَلقَ كَيداً.

سريّةُ كُرْزِ بن جابرٍ لقتل البَجَليِّين الذين قتلوا يَساراً

وبعثُ كُرْز بن جابرٍ.

حدّثني بعضُ أهلِ العلم عمّن حدَّثه عن محمّد بن طَلْحة عن عثمانَ بن عبدالرَّحمن قال: أصابَ رسولُ الله ﷺ في غزوة مُحارِبٍ وبني ثَعْلبةَ[2] عبداً يقال له: يَسارٌ، فجَعَلَه رسولُ الله ﷺ في لِقَاحٍ له كانت ترعى ناحيةَ الجَمّاءِ[3].

فقَدِمَ على رسول الله ﷺ نَفَرٌ من قيسِ كُبّةَ[4] من بَجِيلةَ، فاستَوبَؤُوا

---

(١) إسناد الخبر حسن، وقد روي موصولاً عن عبد العزيز بن محمد: وهو الدَّراوَرْديّ.

فقد أخرج الحاكم (٦٧٩٤) أوله مختصراً من طريق يحيى بن بُكير، عن عبد العزيز بن محمد، بهذا الإسناد.

وأخرجه بطوله كما ساقه ابنُ هشام: أحمد (١١٦٣٩)، وابن ماجه (٢٨٦٣)، وابن حبان (٤٥٥٨) من طريق يزيد بن هارون، عن محمد بن عمرو، به.

والمرفوع في آخره يشهد له حديث ابن عمر عند البخاري (٢٩٥٥) و(٧١٤٤) ومسلم (١٨٣٩) عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة على المَرْء المسلم فيما أحبَّ وكَرِهَ، ما لم يُؤمَر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمعَ ولا طاعةَ».

وحديث عمران بن حصين عند أحمد (١٩٨٢٤) و(١٩٨٨٠) مرفوعاً: «لا طاعة في معصية الله». وانظر تمام شواهده هناك.

(٢) من غَطَفان، وهي الغزوة المسمَّاة ذات الرِّقاع، وقد تقدمت ٣/ ٢٤٠.

(٣) الجمّاء: موضع في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة.

(٤) قيس كبّة: قبيلة من بَجِيلة، عرف بكُبّة اسم فرسِه، قاله السهيليُّ في «الروض» ١/ ٣٤٤.

وهؤلاء النفر من عُرَينة كما في حديثَي أنس بن مالك وسلمة بن الأكوع المذكورين لاحقاً.

وطَحِلوا[1]، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «لو خَرَجتُم إلى اللِّقاحِ[2] فشَرِبتُم من أَلبانِها وأبوالِها»، فخرجوا إليها.

فلمّا صَحُّوا وانطَوَت بُطونُهم[3]، عَدَوْا على راعي رسول الله ﷺ يَسارٍ فذَبَحُوه وغَرَزوا الشَّوكَ في عَينَيه واستاقُوا اللِّقاحَ، فبَعَثَ رسولُ الله ﷺ في آثارِهم كُرْزَ بن جابرٍ، فلَحِقَهم، فأَتى بهم رسولَ الله ﷺ مَرجِعَه من غزوة ذي قَرَدٍ[4]، فقَطَعَ أيديَهم وأرجُلَهم، وسَمَلَ أعيُنَهم[5].

---

(١) استوبؤوا: من الوباء، وهو كثرة الأمراض وعمومها. وطَحِلوا، أي: أصابهم وجعُ الطّحال وعِظَمُه.

(٢) اللِّقاح: جمع لِقْحة، وهي الناقة التي لها لبن.

(٣) انطوت بطونهم، أي: صارت فيها طرائق الشّحم فسَمِنوا.

(٤) هذا التوقيت انفرد به ابنُ هشام، وغزوة ذي قَرَدٍ كانت في جمادى الآخرة من سنة ستٍّ، وهذا يخالف ما ذكره الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٥٦٨ وصاحبه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٨٩ من أنّ سريّة كُرز هذه كانت في شوّال من سنة ستٍّ، أي: بعد غزوة ذي قَرَدٍ بثلاثة أشهر، وهذا الذي اعتمده الطبريُّ في «تاريخه» ٢/ ٦٤٤، وابنُ حبان في السيرة من «ثقاته» ١/ ٢٨٨.

(٥) سمل أعينهم: فَقَأَها.

وهذا الخبر صحيح لغيره، وإسناد ابن هشام هنا ضعيف لإبهام الواسطة بينه وبين محمد بن طلحة، ولإرساله، فإن عثمان بن عبد الرحمن - وهو ابن عثمان بن عبيد الله التَّيمي - من صغار التابعين.

وقد أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٢٢٣)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٦٥٧) من طريق محمد بن طلحة - وهو ابن عبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله التَّيمي - عن موسى بن محمد ابن إبراهيم التَّيمي، عن أبيه، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن سلمة بن الأكوع. وسمَّى أميرَ السريّة كُرز بن جابر كما عند ابن هشام. وإسناده ضعيف لضعف موسى بن محمد التيمي.

لكن روى نحو هذا الخبر أنسُ بن مالك فيما أخرجه أحمد (١٢٠٤٢)، والبخاري (٢٣٣)، =

غزوةُ عليّ بن أبي طالبٍ إلى اليمن

وغزوةُ عليٍّ بن أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه اليمنَ، غَزَاها مرَّتين.

قال[1] أبو عمرو المَدَني: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالبٍ إلى اليمن وبَعَثَ خالدَ بن الوليدِ في جُندٍ آخرَ، وقال: «إنِ التَقَيتُما، فالأَميرُ عليُّ بن أبي طالبٍ»[2].

وقد ذكرَ ابنُ إسحاق بَعْثَ خالد بن الوليد في حديثه[3] ولم يذكره في عِدَّة البُعوث والسَّرايا، فيَنبَغي أن تكون العِدّةُ في قوله تِسعةً وثلاثين.

= ومسلم (١٦٧١) وغيرهم، فصحَّ الحديث به.

(١) في (ش١): قال ابن هشام: قال أبو عمرو.

(٢) خبر ضعيف لإعضاله، وأبو عمرو المدني هذا لم نتبيّنه.

وقد أخرجه بنحوه الطبراني في «الكبير» (٣٤٩٦) بإسناد مسلسل بالضعفاء والمجاهيل عن حنظلة الكاتب، وله صُحبة.

وأخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٥٠٢ من طريق ابن عبد الحكم عن الشافعي مُعضَلاً قال: وجَّه رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وخالدَ بن سعيد بن العاص إلى اليمن، وقال: «إذا اجتمعتما فعليٌّ أمير، وإن افترقتما فكلُّ واحد منكما أميرٌ»، فاجتمعا. هكذا سمَّى الشافعيُّ خالدَ ابن سعيدٍ مكان خالد بن الوليد.

زاد الشافعي في روايته: وبلغ عمرَو بن مَعْدي كَرِبَ مكانُهما، فأقبل في جماعة من قومه، فلما دنا منهما قال: دعوني حتى آتي هؤلاء القوم، فإني لم أُسمَّ لأحدٍ قطُّ إلا هابني، فلما دنا منهما نادى: أنا أبو ثَوْر، أنا عمرو بن معدي كرب، فابتَدَرَاه عليٌّ وخالدٌ، وكلاهما يقول لصاحبه: خلِّني وإيّاه، ويُفدِّيه بأبيه وأمّه، فقال عمرٌو إذ سمع قولَهما: العرب تفزع مني، وأراني لهؤلاء جَزَرةً، فانصرف عنهما. اهـ

والجَزَرة: الشاة السمينة الصالحة لأن تُجزَر، أي: تُذبَح للأكل.

(٣) يعني فيما تقدم في بعثه ﷺ له إلى بني الحارث بن كعب بنَجْران ص٣٦٥.

بعثُ أسامة بن زيدٍ إلى أرض فِلَسطين
وهو آخرُ البُعوث

قال ابن إسحاق: وبَعَثَ رسولُ الله ﷺ أُسامةَ بن زيد بن حارثة إلى الشّام، وأمَرَه أنّ يُوطِئَ الخيلَ تُخُومَ البَلْقاءِ والدّارُوم، من أرض فِلَسطينَ، فتَجهَّزَ الناسُ وأَوعَبَ مع أُسامةَ المهاجرون الأوَّلون[1].

قال ابن هشام: وهو آخرُ بَعثٍ بَعَثَه رسولُ الله ﷺ.

(١) تقدَّم ذكر هذا البعث ص٣٩٢، فانظر شرح ألفاظه هناك.

ابتداءُ شَكْوى رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: فبَيْنا الناسُ على ذلك، ابتُدِئَ رسولُ الله ﷺ بشَكْواه الذي قَبَضَه الله فيه إلى ما أراد به من رحمتِه وكرامتِه في لَيالٍ بَقِينَ من صَفَرٍ أو في أوّلِ شهر ربيعٍ الأوّل، فكان أوّلَ ما ابتُدِئَ به رسولُ الله ﷺ من ذلك فيما ذُكِرَ لي: أنّه خرج إلى بَقِيعِ الغَرقَد من جَوفِ اللّيل، فاستَغفَرَ لهم، ثمّ رَجَعَ إلى أهلِه، فلمّا أصبَحَ ابتُدِئَ بوَجَعِه من يومِه ذلك.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن عمرَ، عن عُبَيد بن جُبَيرٍ مولى الحَكَم بن أبي العاصِ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبي مُوَيهِبةَ مولى رسول الله ﷺ قال: بَعَثَني رسولُ الله ﷺ من جَوْفِ اللّيل فقال: «يا أبا مُوَيهِبةَ، إنّي قد أُمِرتُ أن أستَغفِرَ لأهلِ هذا البَقِيعِ، فانطَلِقْ معي»، فانطَلَقتُ معه، فلمّا وَقَفَ بين أظهُرِهم قال: «السَّلامُ عليكم يا أهلَ المَقابرِ، ليَهنِئْ لكم ما أصبَحتُم فيه ممَّا أصبَحَ النّاسُ فيه، أقبَلَتِ الفِتَنُ كقِطَعِ اللّيلِ المُظلِمِ يَتبَعُ آخِرُها أوَّلَها، الآخِرةُ شَرٌّ من الأُولى»، ثمّ أقبَلَ عليَّ فقال: «يا أبا مُوَيهِبةَ، إنّي قد أُوتِيتُ مَفاتِيحَ خَزائنِ الدّنيا والخُلْدَ فيها ثمّ الجنّةَ، فخُيِّرتُ بينَ ذلك وبينَ لقاءِ ربّي والجنّةِ»، قال: فقلت: بأَبي أنتَ وأُمّي، فخُذْ مَفاتيحَ خزائنِ الدّنيا والخُلْدَ فيها، ثمّ الجَنّةَ، قال: «لا والله يا أبا مُوَيهِبةَ، لقد اختَرْتُ لقاءَ ربّي والجنّةَ»، ثمّ استَغفَرَ لأهلِ البَقِيع، ثمّ انصَرَفَ فبَدَأَ برسولِ الله ﷺ وَجَعُه الّذي قَبَضَه الله فيه[1].

---

(١) حديث حسن كما قال ابن عبد البر في «التمهيد» ٢٠/ ١١١، وابن حجر في «نتائج الأفكار» ٥/ ٢٦. وعبد الله بن عمر: هو ابن عبد الله بن علي بن عديٍّ القرشيُّ المعروف بالعَبَليّ. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوبُ بن عُتْبة، عن محمّدِ بن مُسلمٍ الزُّهْريّ، عن عُبيدِ الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعودٍ، عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: رجع رسولُ الله ﷺ من البَقِيع، فوَجَدَني وأنا أَجِدُ صُدَاعاً في رأسي، وأنا أقولُ: وارأْساهُ، فقال: «بل أنا واللهِ يا عائشةُ وارأْساهُ». قالت: ثمّ قال: «وما ضَرُّكِ لو مِتِّ قَبْلي فقُمْتُ عليكِ وكَفَّنتُكِ، وصَلَّيتُ عليكِ ودَفَنتُكِ» قالت: قلت: والله لَكأنِّي بكَ لو قد فعلتَ ذلك، لقد رَجَعتَ إلى بيتي فأعرَسْتَ فيه ببعضِ نسائك، قالت: فتَبَسَّمَ رسولُ الله ﷺ.

وتَتَامَّ به وَجَعُه، وهو يَدُورُ على نسائِه حتّى استُعِزَّ به[1] وهو في بيتِ ميمونةَ، فدَعَا نساءَه فاستأذَنَهنَّ في أن يُمرَّضَ في بيتي، فأَذِنَّ له[2].

قال ابن هشام: وكُنَّ تسعاً: عائشةُ بنتُ أبي بكرٍ، وحَفْصةُ بنتُ عمر بن الخَطّاب، وأمُّ حَبِيبة بنتُ أبي سفيانَ بن حَرْبٍ، وأمُّ سَلَمة بنتُ أبي أُميّة بن المغيرة، وسَوْدةُ بنتُ زَمْعة بن قيسٍ، وزينبُ بنتُ جَحْش بن رِئَابٍ، وميمونةُ بنتُ الحارث بن حَزْنٍ، وجُوَيرِيَةُ بنتُ الحارث بن أبي ضِرَارٍ، وصَفيّةُ بنتُ حُيَيّ بن أخطَبَ، فيما حدَّثني غيرُ واحدٍ من أهلِ العلم.

= وأخرجه أحمد (١٥٩٩٧)، والحاكم (٤٤٣١) و(٤٤٣٢) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وانظر تمام تخريجه والكلام عليه فيهما؛ طبعة الرسالة.

(١) استُعِزَّ به، أي: اشتدَّ به المرض وأشرف على الموت.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٥٩٠٨)، وابن ماجه (١٤٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٧٠٤٢)، وابن حبان (٦٥٨٦) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه مختصراً أحمد (٢٥١١٣)، والنسائي (٧٠٤٤) من طريق عروة بن الزبير، والبخاري (٥٦٦٦) و(٧٢١٧) من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر، كلاهما عن عائشة.

ذكرُ أزواجِه صلَّى الله عليه وسلَّم

وكان جميعُ مَن تَزوَّجَ رسولُ الله ﷺ ثلاثَ عَشْرةَ[1]:

خَدِيجةُ بنتُ خُوَيلِدٍ، وهي أوّلُ مَن تَزوَّجَ، زَوَّجَه إيّاها أبوها خُوَيلِدُ بن أسَدٍ، ويقال: أخوها عمرُو بن خُوَيلِدٍ، وأصدَقَها رسولُ الله ﷺ عشرين بَكْرةً[2]، فوَلَدَت لرسول الله ﷺ وَلَدَه كلَّهم إلّا إبراهيمَ، وكانت قبلَه عند أبي هالة بن مالكٍ أحدِ بني أُسيِّد بن عمرو بن تَميمٍ حليفِ بني عبد الدّار، فوَلَدَت له هِندَ بن أبي هالةَ وزينبَ بنتَ أبي هالةَ، وكانت قبلَ أبي هالةَ عند عَتِيقِ بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزومٍ، فوَلَدَت له عبدَ الله وجاريةً.

قال ابن هشام: جاريةٌ من الجَوَاري[3]، تزوَّجها صَيْفيُّ بن أبي رِفَاعة.

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **عائشةَ بنتَ أبي بكرٍ** الصِّدِّيقِ بمكّة، وهي بنتُ سبعِ سنينَ، وبَنَى بها بالمدينة وهي بنتُ تسعِ سنينَ أو عَشْرٍ[4]، ولم يتزوَّجْ رسولُ الله ﷺ بِكْراً غيرَها، زَوَّجَه إيّاها أبوها أبو بكرٍ، وأصدَقَها رسولُ الله ﷺ أربعَ مئةِ

---

(١) هذا السرد في ذكر أزواج النبي ﷺ من تتمّة كلام ابن هشام.

(٢) البَكْرة: الفَتِيّة من النُّوق.

وانظر الخلاف فيمن زوَّجها للنبي ﷺ فيما تقدم ١/ ٢١٠.

(٣) أي: بنت من البنات، واسم هذه البنت هند، وصيفي بن أبي رفاعة: هو صيفيّ بن أبي رفاعة أميّة بن عابد، وهو ابن عمّها. وانظر «طبقات ابن سعد» ١٠/ ١٦.

(٤) روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: أن النبي ﷺ تزوّجها وهي بنت ستّ سنين، وأُدخلت عليه وهي بنت تسع. أخرجه أحمد (٢٤٨٦٧)، والبخاري (٥١٣٣) و(٥١٣٤)، ومسلم (١٤٢٢) (٦٩-٧٠).

وروى الزهري عن عروة عنها: أن النبي ﷺ تزوّجها وهي بنت سبع سنين، وزُفَّت إليه وهي بنت تسع سنين. أخرجه مسلم (١٤٢٢) (٧١). وانظر تمام تخريجه في «مسند أحمد».

دِرهَم.

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **سَوْدةَ بنتَ زَمْعةَ** بن قيس بن عبد شمس بن عبد وَدٍّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ، زَوَّجَه إيّاها سَلِيطُ بن عمرٍو، ويقال: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدٍّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْلٍ، وأصدَقَها رسولُ الله ﷺ أربعَ مئةِ دِرهَم.

قال ابن هشام: ابنُ إسحاق يُخالِفُ هذا الحديث؛ يذكرُ أنّ سَلِيطاً وأبا حاطبٍ كانا غائبَينِ بأرض الحَبَشة في هذا الوقت[1].

وكانت قبلَه عند السَّكْران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدٍّ بن نَصْر بن مالك ابن حِسْلٍ[2].

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **زينبَ بنتَ جَحْش** بن رِئَابٍ الأَسَديّة، زَوَّجَه إيّاها أخوها أبو أحمدَ بن جَحشٍ[3]، وأصدَقَها رسولُ الله ﷺ أربعَ مئة دِرهَمٍ، وكانت قبلَه عند

---

(١) كلام ابن هشام هذا أثبتناه من (ت) و(ص) و(ط) و(ق٢) و(م)، ولم يرد في (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف) و(ي)، وذكره صاحب نسخة (ش٢) على حاشيتها وأشار إلى أنه ليس في رواية ابن الوزير.

(٢) وكان السكران هاجر بسودةَ في الهجرة الثانية إلى الحبشة، ثم رجع بها إلى مكة فمات عنها.

(٣) كذا قال ابن هشام، والصحيح أن الله عزّ وجلّ هو الذي زوَّجها النبيَّ ﷺ من غير إذن أحدٍ كما جاء في حديث أنس عند أحمد (١٣٠٢٥) ومسلم (١٤٢٨)(٨٩): أن زيد بن حارثة لمّا أرسله النبيُّ ﷺ إلى زينب ليذكرَها عليه، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أُوامرَ ربِّي (أي: أستخيره)، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن (يعني نزل قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾)، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن.

ولذلك كانت زينبُ تَفخَرُ على أزواج النبي ﷺ تقول: زوَّجكُنّ أهالِيكنّ، وزوَّجني الله تعالى =

زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ففيها أنزَلَ الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧].

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **أمَّ سَلَمة ابنةَ أبي أُميّة** بن المغيرةِ المخزوميّةَ، واسمها هِندٌ، زَوَّجَه إيّاها سَلَمةُ بن أبي سَلَمةَ ابنُها[1]، وأصدَقَها رسولُ الله ﷺ فِراشاً حَشْوُه لِيفٌ وقَدَحاً، وصَحْفةً ومِجَشّةً[2]، وكانت قبلَه عند أبي سَلَمة بن عبد الأسَد، واسمه عبدُ الله، فوَلَدَت له سَلَمةَ وعمرَ وزينبَ ورُقَيّةَ[3].

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **حَفْصةَ ابنةَ عمر** بن الخَطّاب، زَوَّجَه إيّاها أبوها عمرُ بن الخَطّاب، وأصدَقَها رسولُ الله ﷺ أربعَ مئةِ دِرهَمٍ، وكانت قبلَه عند خُنَيس بن

= من فوق سبع سماوات؛ كما وقع ذلك في رواية من حديث أنس عند البخاري (٧٤٢٠).

(١) أسند هذا يونسُ بن بكير عن ابن إسحاق في «سيرته» ص٢٦١ عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم وعبد الرحمن بن الحارث وغيرهم عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد قال: كان الذي زوَّج رسولَ الله ﷺ أمَّ سلمة ابنَها سلمة. ورجاله ثقات، وعبد الله بن شدّاد من كبار التابعين، وُلد في حياة النبي ﷺ.

لكن أخرج أحمد (٢٦٥٢٩) والنسائي في «المجتبى» (٣٢٥٤) و«الكبرى» (٥٣٧٥) من حديث ثابت عن ابن عمر بن أبي سلمة عن أبيه: أن أم سلمة قالت لابنها عمر: زوِّج النبيَّ ﷺ. وهذا إسناد فيه ضعفٌ لإبهام ابن عمر بن أبي سلمة، وذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» ٤/ ٥٩٤ فقال: لا يُعرَف، وأشار إلى حديثه هذا فقال: فيه مقال لجهالته.

وقال البلاذُري في «أنساب الأشراف» ١/ ٤٣٠: والثَّبَت أن سلمة زوَّجه إياها. وأقرّه ابن حجر في «الإصابة» ٣/ ١٤٩.

(٢) الصَّحفة: الإناء. والمِجَشّة: الرَّحى التي يُطحَن بها الحبّ.

(٣) هكذا ذكر ابن هشام في أولاد أم سلمة رقيّةَ، وهذا غريب، وذكر ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٢٢٠ ومصعب الزبيري في «نسب قريش» ص٣٣٨ و٣٣٩ مكانها: دُرّة.

حُذَافةَ السَّهْميّ.

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **أمَّ حَبِيبةَ**، واسمها رَمْلةُ بنتُ أبي سفيانَ بن حَرْبٍ، زَوَّجَه إيّاها خالدُ بن سعيد بن العاص وهما بأرضِ الحَبَشة، وأصدَقَها النَّجَاشيُّ عن رسول الله ﷺ أربعَ مئةِ دينارٍ، وهو الذي كان خَطَبَها على رسول الله ﷺ، وكانت قبلَه عند عُبَيد الله بن جَحْشٍ الأسَديِّ.

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **جُوَيرِيَةَ بنتَ الحارثِ** بن أبي ضِرَارٍ الخُزَاعيّة، كانت في سَبَايا بني المُصطَلِق من خُزَاعة، فوَقَعَت في السَّهم لثابت بن قيس بن الشَّمّاس الأنصاريِّ، فكاتَبَها على نفسِها، فأتَتْ رسولَ الله ﷺ تَستَعينُه في كتابتِها، فقال لها: «هل لكِ في خيرٍ من ذلكِ؟» قالت: وما هو؟ قال: «أَقضِي عنكِ كِتابتَكِ وأتَزوَّجُك؟» فقالت: نَعَم، فتَزَوَّجَها.

قال ابن هشام: حدَّثنا بهذا الحديث زيادُ بن عبدالله البَكّائيُّ، عن محمّد بن إسحاق، عن محمّد بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُرْوة، عن عائشة[1].

قال ابن هشام: ويقال: لمّا انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ من غزوة بني المُصطَلِق ومعه جُوَيريةُ بنتُ الحارث، فكان بذاتِ الجيشِ[2] دَفَعَ جُوَيريةَ إلى رجلٍ من الأنصار وَدِيعةً، وأمَرَه بالاحتفاظِ بها، وقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، فأقبَلَ أبوها الحارثُ بن أبي ضِرَارٍ بفِداءِ ابنته، فلمّا كان بالعَقِيقِ نَظَرَ إلى الإبل التي جاء بها للفِدَاءِ فرَغِبَ في بعيرَينِ منها، فغَيَّبَهما في شِعْبٍ من شِعاب العَقِيق، ثمّ أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا

---

(١) إسناده صحيح، وقد تقدم ٣/ ٣٧٥-٣٧٦.

(٢) تقع غرب المدينة في الطريق إلى بدرٍ وتبعد عن ذي الحليفة بضعة أميال، وقد جُهل هذا الاسم الآن، وذكر عاتق البلادي في «معجم المعالم الجغرافية» ص٨٧: أنها بالقرب من قرية مفرحات وتعرف اليوم بالشّلبية. وانظر «الأماكن» للحازمي ص٣٠٢ بتحقيق حمد الجاسر.

محمّدُ، أصَبتُم ابنتي، وهذا فِداؤُها، فقال رسول الله ﷺ: «فأينَ البَعِيرانِ اللَّذانِ غَيَّبتَ بالعَقِيقِ في شِعبِ كذا وكذا؟» فقال الحارثُ: أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله، وأنّك رسولُ الله، فوالله ما اطَّلَعَ على ذلك إلّا الله، فأسلَمَ الحارثُ، وأسلَمَ معه ابنانِ له وناسٌ من قومِه، وأرسَلَ إلى البعيرَينِ فجاءَ بهما، فدَفَعَ الإبلَ إلى النبيّ ﷺ ودُفِعَت إليه ابنتُه جُوَيرِيةُ، فأسلَمَت وحَسُنَ إسلامُها، وخَطَبَها رسولُ الله ﷺ إلى أبيها فزَوَّجَه إيّاها، وأصدَقَها أربعَ مئة دِرهَمٍ، وكانت قبلَ رسول الله ﷺ عند ابن عمٍّ لها يقال له: عبدُ الله[1].

قال ابن هشام: ويقال: اشتَراها رسولُ الله ﷺ من ثابتِ بن قيسٍ فأعتَقَها وتزوَّجها، وأصدَقَها أربعَ مئة دِرهَم[2].

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **صَفيّةَ بنتَ حُيَيّ** بن أخطَبَ، سَبَاها من خَيبَر فاصطَفَاها لنفسه، وأَولَمَ رسولُ الله ﷺ وليمةً ما فيها شحمٌ ولا لحمٌ كان سَوِيقاً وتمراً[3]، وكانت قبلَه عند كِنانةَ بن الرَّبيع بن أبي الحُقَيق.

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **ميمونةَ بنتَ الحارث** بن حَزْن بن بُجَير[4] بن هُزَمَ بن

---

(١) خبر ضعيف لإعضاله، وسياقه منكر لمخالفته سياق الرواية الصحيحة السابقة. وقد انفرد به ابن هشام ولم نقف عليه عند غيره.

(٢) المحفوظ أنه ﷺ قضى عنها كِتابتها كما في حديث عائشة السابق، ولم يُنصّ فيه على مقدار هذه الكِتابة، والله تعالى أعلم.

(٣) كما في حديث أنس بن مالك عند البخاري (٣٧١) ومسلم (١٣٦٥).

والسويق من الأطعمة: أن تُجفَّف الحنطة أو الشعير أو نحو ذلك ثم تُطحَن، فإذا أرادوا أن يأكلوها مُزجت باللَّبن والعسل والسَّمن، فإن لم يكن شيء من ذلك مُزجت بالماء، وهو في الغالب طعام المسافر.

(٤) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ق٢) بجيم، وهو الصواب، وتصحّف في بقية النسخ =

رُوَيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صَعصَعة، زَوَّجَه إيّاها العبّاسُ بن عبد المُطَّلِب[1]، وأصدَقَها العبّاسُ عن رسول الله ﷺ أربعَ مئةِ دِرهَم، وكانت قبلَه عند أبي رُهْمِ بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبد وَدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ابن لُؤَيّ.

ويقال: إنّها التي وَهَبَت نفسَها للنبيِّ ﷺ، وذلك أنّ خِطْبةَ النبيّ ﷺ انتَهَت إليها وهي على بعيرِها، فقالت: البعيرُ وما عليه لله ولرسوله، فأنزَلَ الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٥٠][2].

ويقال: التي وَهَبَت نفسَها للنبيّ ﷺ زينبُ بنتُ جحشٍ، ويقال: أمُّ شَريكٍ غُزَيّةُ بنتُ جابر بن وهبٍ من بني مُنقِذ بن عمرو بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيّ، ويقال: بل هي امرأةٌ من بني سامَةَ بن لُؤَيّ، فأرجَأَها[3] رسولُ الله ﷺ.

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **زينبَ بنتَ خُزَيمة** بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مَنافِ بن هلال بن عامر بن صَعصَعةَ، وكانت تُسمَّى أمَّ المساكين، لرحمتِها إيّاهم ورِقّتِها عليهم، زَوَّجَه إيّاها قَبِيصةُ بن عمرو الهِلاليُّ، وأصدَقَها رسولُ الله ﷺ أربعَ مئة دِرهَمٍ، وكانت قبلَه عند عُبَيدة بن الحارث بن المُطَّلِب[4] بن عبد مَنافٍ،

= إلى: بحير، بحاء.

(١) وذلك أنها أخت زوجه لُبابة بنت الحارث أم الفضل. وانظر قصة تزويجه ﷺ منها فيما تقدم ٣/ ٥٠١.

(٢) روى ذلك بنحوه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٢٢٦٧) عن معمر عن الزهري وقتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» ١٩/ ١٣٢ من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وحده. لكن قال في روايته عند الطبري: يزعمون أنها نزلت في ميمونة بنت الحارث.

(٣) أرجأها، أي: أخَّر أمرها.

(٤) في (غ): عبد المطلب، وهو خطأ.

وكانت قبلَ عُبيدة عند جَهْم بن عمرو بن الحارث، وهو ابنُ عمِّها.

فهؤلاءِ اللّاتي بَنَى بهنَّ رسولُ الله ﷺ إحدى عَشْرةَ، فمات قبلَه منهنَّ ثِنتانِ: خَدِيجةُ بنت خُوَيلِد وزينبُ بنت خُزَيمة، وتُوفّيَ عن تسعٍ قد ذَكَرناهنَّ في أوّل هذا الحديث، وثِنتانِ لم يَدخُلْ بهما: أسماءُ ابنة النُّعمان الكِنْديّةُ، تزوَّجها فوَجَدَ بها بَياضاً، فمَتَّعَها[1] ورَدَّها إلى أهلِها، وعَمْرةُ ابنة يزيدَ الكِلَابيّة، وكانت حديثةَ عهدٍ بكُفرٍ، فلمّا قَدِمَت على رسول الله ﷺ استَعاذَت من رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «مَنِيعٌ عائذُ الله»[2]، فرَدَّها إلى أهلِها، ويقال: إنّ التي استَعاذَت من رسول الله ﷺ كِنْديّةٌ بنتُ عمٍّ لأسماءَ ابنةِ النُّعمان، ويقال: إنّ رسولَ الله ﷺ دعاها، فقالت: إنّا قومٌ نُؤتَى ولا نَأتي، فرَدَّها رسولُ الله ﷺ إلى أهلِها.

القُرَشيّات منهنَّ ستٌّ: خَدِيجةُ بنت خُوَيلِد بن أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ، وعائشةُ بنت أبي بكر بن أبي قُحَافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب، وحَفْصةُ بنت عمر بن الخَطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِيَاح بن رِزَاح بن عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ، وأمُّ حَبِيبة بنت أبي سفيان بن حَرْب بن أُميّة بن عبد شمس ابن عبد مَنَاف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ، وأمُّ سَلَمة بنت أبي أُميّة ابن المغيرة بن عبدالله بن عُمر بن مَخزُوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ، وسَوْدةُ

---

(١) البياض: البَرَص، تكنّي عنه العرب بالبياض، لكراهيتها إياه. ومتّعها، أي: وصلها بشيء تتمتّع به.

(٢) الصحيح أن التي استعاذت منه ﷺ هي الكِندية الجَوْنية كما في حديثي عائشة وأبي أُسيد الساعدي عند البخاري (٥٢٥٤) و(٥٢٥٥)، فقال لها: «عُذتِ بعظيم» أو «عُذتِ بمَعاذٍ». وانظر شرح ابن حجر في «فتح الباري» عليهما.

بنت زَمْعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ.

والعربيّاتُ وغيرُهنَّ سبعٌ: زينبُ بنت جَحْش بن رِئَاب بن يَعمَرَ بن صَبْرة بن مُرَّة ابن كَبِير بن غَنْم بن دُودَانَ بن أسَد بن خُزَيمة، وميمونةُ بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَير بن هُزَمَ بن رُوَيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صَعصَعة بن معاوية بن بكر ابن هَوَازِنَ بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلانَ، وزينبُ بنت خُزَيمة ابن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مَنَاف بن هِلال بن عامر بن صَعصَعة بن معاوية، وجُوَيرِيةُ بنت الحارث بن أبي ضِرَارٍ الخُزَاعيّة ثمّ المُصطَلِقيّة، وأسماءُ بنت النُّعمان الكِنْديّةُ، وعَمْرةُ بنت يزيدَ الكِلَابيّة.

ومن غير العربيّات: صَفِيّةُ بنت حُيَيّ بن أَخطَبَ، من بني النَّضير.

عُدْنا إلى ذكر شكوى رسول الله ﷺ:

قال ابن إسحاق: حدّثني يعقوبُ بن عُتْبة، عن محمّد بن مُسلِم الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة، عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: فخرج رسولُ الله ﷺ يَمْشي بين رجلَينِ من أهلِه أحدُهما الفضلُ بن العبّاس ورجلٌ آخَرُ، عاصِباً رأسَه تَخُطُّ قَدَماهُ حتّى دَخَلَ بيتي.

قال عبيدُ الله: فحدَّثتُ هذا الحديثَ عبدَ الله بن عبّاسٍ فقال: هل تدري مَن الرَّجلُ الآخرُ؟ قال: قلت: لا، قال: عليُّ بن أبي طالبٍ.

ثمّ غُمِرَ[1] رسولُ الله ﷺ واشتَدَّ به وَجَعُه فقال: «هَرِيقُوا عليَّ سَبْعَ قِرَبٍ من آبارٍ

(١) غُمر، أي: أصابته غَمْرةُ المرض، وهي شدّته.

شَتَّى، حتّى أخرُجَ إلى النّاسِ فأعهَدَ إليهم[1]».

قالت: فأقعَدْناه في مِخضَبٍ[2] لحَفْصةَ بنتِ عمرَ، ثمّ صَبَبْنا عليه الماءَ حتّى طَفِقَ[3] يقول: «حَسْبُكم حَسْبُكم»[4].

قال ابن إسحاق: وقال الزُّهْريّ: حدّثني أيّوبُ بن بَشيرٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ خرج عاصِباً رأسَه حتّى جَلَسَ على المِنبَر، ثمّ كان أوّلَ ما تَكلَّمَ به، أنّه صَلَّى على أصحاب أُحدٍ، واستَغفَرَ لهم فأكثَرَ الصّلاةَ عليهم، ثمّ قال: «إنَّ عَبْداً من عِبادِ الله خَيَّرَه اللهُ بين الدُّنيا والآخرةِ وبينَ ما عندَه، فاختارَ ما عندَ الله»، قال: ففَهِمَها أبو بكرٍ وعَرَفَ أنّ نفسَه يريدُ، فبَكَى وقال: بل نحنُ نَفدِيكَ بأنفُسِنا وأبنائِنا، فقال: «على رِسْلِكَ يا أبا بكرٍ»، ثمّ قال: «انظُرُوا هذه الأبوابَ اللّافِظةَ[5] في المسجدِ، فسُدُّوها إلّا بيتَ أبي بكرٍ، فإنّي لا أَعلمُ أَحداً كان أفضَلَ في الصُّحْبةِ عندي يداً منه»[6].

---

(١) أي: أُوصيهم.

(٢) المِخضَب: إناء يُغتسَل فيه.

(٣) طَفِقَ، أي: شَرَعَ وأَخذ.

(٤) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٥٩١٤)، والبخاري (١٩٨) و(٤٤٤٢) و(٥٧١٤)، ومسلم (٤١٨) (٩١-٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (٧٠٤٦) من طرق عن الزهري، بهذا الإسناد. ورواية أحمد مختصرة.

(٥) اللافظة في المسجد، أي: النافذة إليه.

(٦) حديث صحيح، وأيوب بن بشير - وهو ابن سعد بن النعمان الأنصاري - تابعي كبير وُلد في حياة النبي ﷺ، وقد رواه عن صحابيٍّ لم يسمِّه كما وقع في رواية غير ابن إسحاق عن الزهري كما سيأتي، فاتصل الإسناد وصحَّ إن شاء الله.

وأخرجه البلاذُري في «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٦-٥٤٧، وأبو يعلى بإثر (٤٥٧٩)، والطبري =

قال ابن هشام: ويُروَى: «إلّا بابَ أبي بكرٍ»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الرَّحمن بن عبد الله، عن بعض آلِ أبي سعيد بن المُعلَّى: أنّ رسولَ الله ﷺ قال يومَئذٍ في كلامه هذا: «فإنِّي لو كنتُ مُتَّخِذاً من العِبادِ خليلاً، لاتّخَذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكنْ صُحْبةٌ وإخاءُ إيمانٍ حتّى يَجمَعَ اللهُ بينَنا عندَه»[2].

= في «تاريخه» ٣/ ١٩٠-١٩١، والخطيب البغدادي في «تلخيص المتشابه في الرسم» ص٤٩ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه موصولاً يونسُ بن يزيد ومعمرٌ عند ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٠١، وشعيبُ بن أبي حمزة عند الطبراني في «مسند الشاميين» (٣٢١٩)، وأبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٧١٨٥)، وابن عبد البر في «التمهيد» ٢١/ ٢٣٠، وعُقَيلُ بن خالد عند الخطيب في «التلخيص» ص٤٩ ـ وأشار إليه البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ٤٠٨ ـ أربعتهم عن الزهري، عن أيوب بن بشير، عن بعض أصحاب النبي ﷺ، ولم يسمِّه.

وأما ما وقع عند الطبراني في «الكبير» ١٩/ (٧٩١) من رواية أحمد بن خالد الوَهْبي عن ابن إسحاق، وفيه: عن أيوب بن بشير حدثني معاوية، فهو تصحيف صوابه: أيوب بن بشير أحد بني معاوية، كما نبّه على ذلك الخطيب في «التلخيص» ص٤٨. وبنو معاوية هؤلاء من بني عمرو بن عوف من الأنصار ثم من الأوس.

ويشهد لحديث أيوب هذا بنحوه حديثُ أبي سعيد الخُدْري عند البخاري (٣٩٠٤) ومسلم (٢٣٨٢).

(١) وهي رواية الجمهور غير ابن إسحاق.

(٢) إسناده ضعيف لجهالة البعض من آل أبي سعيد بن المعلَّى. وأبو سعيد بن المعلَّى صحابي من الأنصار ثم من الخزرج، وعبد الرَّحمن بن عبد الله: هو ابن أبي عتيق محمد بن عبد الرَّحمن التَّيمي، وهو حسن الحديث.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٩١ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُرْوة بن الزُّبَير وغيرِه من العُلماءِ: أنّ رسولَ الله ﷺ استَبطأَ النّاسَ في بَعْثِ أُسامةَ بن زيدٍ وهو في وَجَعِه، فخرج عاصِباً رأسَه حتّى جَلَسَ على المِنبَر - وقد كان النّاسُ قالوا في إمرةِ أُسامة: أَمَّرَ غلاماً حَدَثاً على جِلَّةِ المهاجرين والأنصار - فحَمِدَ اللهَ وأَثنَى عليه بما هو له أهلٌ، ثمّ قال: «أيُّها النّاسُ، أَنفِذُوا بَعْثَ أُسامةَ، فلَعَمْري لئِنْ قلتُم في إمارَتِه، لقد قلتُم في إمارةِ أبيهِ من قَبلِه، وإنّه لَخَلِيقٌ للإمارةِ، وإنْ كان أبُوه لَخَلِيقاً لها».

قال: ثمّ نَزَلَ رسولُ الله ﷺ وانكَمَشَ[1] الناسُ في جَهَازِهم، واستُعِزَّ برسولِ الله ﷺ وَجَعُه، فخرج أُسامةُ وخرج بجيشِه معه حتّى نزلوا الجُرْفَ[2] من المدينة على فَرسَخٍ، فضَرَبَ به عسكرَه، وتَتَامَّ إليه الناسُ، وثَقُلَ رسولُ الله ﷺ، فأقامَ أُسامةُ والناسُ لِيَنظُروا ما اللهُ قاضٍ في رسول الله ﷺ[3].

= ورواه عبد الملك بن عُمير عند أحمد (١٥٩٢٢) والترمذي (٣٦٥٩) عن ابن أبي المعلّى عن أبيه: أن رسول الله ﷺ خطب يوماً... فذكره ضمن الخطبة. وهذا إسناد ضعيف أيضاً لجهالة ابن أبي المعلّى، وأما أبوه: فهو أبو المعلّى بن لوذان الأنصاري، وهذا يدل على الاضطراب في إسناده.

وفي معنى هذا الحديث روى ابن عباس عند أحمد (٢٤٣٢) والبخاري (٤٦٧) عن النبي ﷺ قال: «ولو كنت متّخذاً من الناس خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن خُلّةُ الإسلام أفضل».

ونحوه من حديث أبي سعيد الخُدْري عند أحمد (١١١٣٤)، والبخاري (٣٦٥٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

(١) انكمش الناس، أي: أسرعوا. وقوله: استُعِزَّ به وجعُه، أي: اشتدَّ به المرض وأشرف على الموت.

(٢) موضع غربيّ المدينة يرى من جبل سَلْع. والفرسخ: ثلاثة أميال.

(٣) خبر صحيح، وإسناده هنا مرسل رجاله ثقات. =

قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: وحدّثني عبدُ الله بن كعب بن مالك: أنّ رسولَ الله ﷺ قال يومَ صلَّى واستَغفَرَ لأصحاب أُحدٍ، وذكرَ من أمرِهم ما ذكرَ مع مَقالتِه يومَئذٍ: «يا مَعشَرَ المهاجرينَ، استوصُوا بالأنصارِ خيراً، فإنَّ النّاسَ يزيدونَ، وإنَّ الأنصارَ على هَيئَتِها لا تزيدُ، وإنَّهم كانوا عَيْبَتي[1] الّتي أَوَيتُ إليها، فأَحسِنُوا إلى مُحسِنِهم، وتَجاوَزُوا عن مُسِيئِهم»[2].

= لكن أخرجه بنحوه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢١٨ عن محمد بن عمر الواقدي، عن عبد الله ابن يزيد بن قسيط، عن أبيه، عن محمد بن أسامة بن زيد، عن أبيه. وهذا إسناد لا بأس برجاله ما عدا الواقديَّ ففيه مقال عند أهل الحديث، لكن خبره هذا صالح لموافقة غيره له فيه.

ويشهد لبعضه في فضل أسامة حديثُ ابن عمر قال: بعث النبي ﷺ بعثاً وأمَّر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعضُ الناس في إمارته، فقال النبي ﷺ: «إن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايمُ اللهِ إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحبِّ الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحبِّ الناس إليَّ بعده». أخرجه البخاري (٣٧٣٠) ومسلم (٢٤٢٦).

(١) عَيبتي، أي: موضع ثقتي وسرّي ونُصحي، والعَيْبة في الأصل: ما يوضع فيه الثِّياب لحفظها.

(٢) حديث صحيح، وهو هنا مرسل، لكن وصله شعيبُ بن أبي حمزة عند أحمد (١٦٠٧٥)، ومعمرٌ عنده أيضاً (٢١٩٥١)، كلاهما عن الزهري، قال شعيب عنه: أخبرني عبد الله بن كعب ابن مالك، وقال معمر: أخبرني عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ. وهذا إسناد صحيح، والخلاف في اسم شيخ الزهري لا يضرُّ، فكلاهما ثقةٌ جليلٌ من كبار التابعين. ولفظه عندهما: «أكرِموا كريمهم، وتجاوزوا عن مسيئهم».

وأخرجه البلاذُري في «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٧-٥٤٨ من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، عن الزهري، به مرسلاً.

ويشهد له بنحوه حديث أنس بن مالك عند البخاري (٣٧٩٩). وانظر «مسند أحمد» (١٢٦٥٠) و«مستدرك الحاكم» (٧١٤٦).

ثمّ نَزَلَ رسولُ الله ﷺ فدخل بيتَه وتَتَامَّ به وَجَعُه حتّى غُمِرَ[1]، واجتَمَع إليه نساءٌ من نسائِه؛ أمُّ سَلَمة وميمونةُ، ونساءٌ من نساءِ المسلمين منهنَّ أسماءُ بنت عُمَيسٍ، وعنده العبّاسُ عمُّه، فأَجمَعوا أن يَلُدُّوه[2]، وقال العبّاسُ: لَأُلُدَّنّه، قال: فلَدُّوه، فلمّا أفاقَ رسولُ الله ﷺ قال: «مَن صَنَعَ هذا بي؟» قالوا: يا رسولَ الله، عمُّك، قال: «هذا دَواءٌ أَتى به نِساءٌ جِئْنَ من نحوِ هذِه الأرضِ»، وأشارَ نحوَ أرض الحَبَشة، قال: «ولِمَ فَعَلتُم ذلك؟» فقال عمُّه العبّاسُ: خَشِينا يا رسولَ الله أن يكونَ بك ذاتُ الجَنْبِ[3]، فقال: «إنَّ ذلك لَداءٌ ما كانَ اللهُ ليَقذِفَني به، لا يَبْقَ في البيتِ أحدٌ إلّا لُدَّ إلّا عمِّي»، فلقد لُدَّت ميمونةُ وإنّها لَصائمةٌ، لقَسَمِ رسول الله ﷺ، عقوبةً لهم بما صَنَعوا به[4].

---

(١) أي: أصابته غَمْرةُ المرض، وهي شدّته.

(٢) اللَّدُود ـ بالفتح ـ من الأدوية: ما يُسقاه المريض في أحد شِقَّي الفم، ولَدِيدا الفمِ: جانِباه.

(٣) ذات الجَنْب: التهاب في الغشاء المحيط بالرئة.

(٤) حديث صحيح.

وقد أسند هذا الخبر سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٩٥ عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن عائشة. وهذا إسناد رجاله ثقات إن كان سلمةُ حفظه عن ابن إسحاق.

وقد روى نحوَه مختصراً موسى بن أبي عائشة عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة عند أحمد (٢٤٢٦٣)، والبخاري (٤٤٥٨) و(٥٧١٢)، ومسلم (٢٢١٣)، والنسائي في «الكبرى» (٧٠٤٨)، وابن حبان (٦٥٨٩)، وفي هذه الرواية نفيُ شهود العباس لدَّه ﷺ، فضلاً عن أنه هو الذي فعل به ذلك، ففي هذا الخبر عن النبي ﷺ قال: «لا يبقى أحد في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر إلا العباس، فإنه لم يشهدكم».

وقد روى الترمذي (٢٠٥٣) من حديث عبّاد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن =

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيدُ بن عُبيد بن السَّبّاق، عن محمّدِ بن أُسامةَ، عن أبيه أُسامةَ بن زيدٍ قال: لمّا ثَقُلَ رسولُ الله ﷺ هَبَطتُ وهَبَطَ الناسُ معي إلى المدينة، فدَخَلتُ على رسول الله ﷺ وقد أُصمِتَ فلا يَتكلَّمُ، فجَعَلَ يَرفَعُ يدَه إلى السماءِ ثمّ يَضَعُها عليَّ، أَعرِفُ أنّه يَدعُو لي[1].

قال ابن إسحاق: وقال ابنُ شِهابٍ الزُّهْريُّ: حدّثني عُبَيدُ الله بن عبد الله بن عُتْبة، عن عائشةَ قالت: كان رسولُ الله ﷺ كثيراً ما أسمَعُه يقول: «إنَّ الله لم يَقبِضْ نبيّاً حتّى يُخيِّرَه»، قالت: فلمّا حُضِرَ رسولُ الله ﷺ كان آخرُ كَلِمةٍ سمعتُها وهو يقول: «بلِ الرَّفِيقُ الأَعلَى من الجَنّةِ»، قالت: فقلت: إذاً والله لا يختارُنا، وعرفتُ أنّه الذي كان يقول لنا: «إنَّ نبيّاً لم يُقبَضْ حتّى يُخيَّرَ»[2].

= العباس كان من الذين لدُّوا رسولَ الله ﷺ. لكن إسناده ضعيف لضعف عبّاد، ومع ذلك فقد حسَّنه الترمذي.

وفي الباب أيضاً عن أسماء بنت عُميس، فقد أخرج أحمد (٢٧٤٦٩)، وابن حبان (٦٥٨٧)، والحاكم (٧٦٣٤) من رواية مَعمَر، عن الزُّهْري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أسماء، نحوَ حديث ابن إسحاق، لكن ليس فيه أن العباس هو الذي لدَّ النبيَّ ﷺ، ورجاله ثقات.

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢١٧٥٥)، والترمذي (٣٨١٧) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٢) إسناده صحيح، وقد صرَّح ابنُ إسحاق بأنه سمعه من الزهريِّ في رواية جرير بن حازم عنه عند إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١١٣٧).

وأخرجه أحمد (٢٦٣٤٦)، والبلاذُري في «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٨، وأبو نعيم في «الحلية» ٢/ ١٨٩ من طريق إبراهيم بن سعد، والطبري في «تاريخه» ٣/ ١٩٦ من طريق سلمة بن الفضل، =

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

صلاةُ أبي بكرٍ بالناس

قال الزُّهْريّ: وحدّثني حمزةُ بن عبد الله بن عمرَ، أنّ عائشة قالت: لمّا استُعِزَّ[1] برسول الله ﷺ قال: «مُرُوا أبا بكرٍ فليُصَلِّ بالنّاس» قالت: قلت: يا نبيَّ الله، إنّ أبا بكرٍ رجلٌ رَقِيقٌ ضعيفُ الصّوت، كثيرُ البُكاءِ إذا قرأَ القرآن، قال: «مُرُوه فليُصَلِّ بالنّاس» قالت: فعُدْتُ بمِثْل قولي، فقال: «إنّكنَّ صَوَاحبُ يوسُفَ، فمُرُوه فليُصَلِّ بالنّاس».

قالت: ووالله ما أقولُ ذلك إلّا أنّي كنت أُحِبُّ أن يُصرَفَ ذلك عن أبي بكر، وعَرَفتُ أنّ الناسَ لا يُحِبُّون رجلاً قامَ مَقامَه أبداً، وأنّ الناسَ سيَتَشاءَمون به في كلِّ حَدَثٍ كان، فكنت أُحِبُّ أن يُصرَفَ ذلك عن أبي بكرٍ[2].

= كلاهما عن ابن إسحاق، عن الزهري، به. ولم يصرّح عندهما بسماعه.

وأخرجه بنحوه أحمد (٢٤٥٨٣)، والبخاري (٤٤٣٧) و(٤٤٦٣) و(٦٣٤٨)، ومسلم (٢٤٤٤) (٨٧) من طرق عن الزهري، عن سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبير في رجال من أهل العلم، عن عائشة.

(١) استُعِزَّ به، أي: اشتدَّ به المرض.

(٢) حديث صحيح، ورجاله ثقات.

وأخرجه بنحوه أحمد (٢٥٩١٧)، ومسلم (٤١٨) (٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٩٢٢٨) من طريق معمر، عن الزهري، بهذا الإسناد.

ورواه يونسُ بن يزيد أيضاً عند ابن حبان (٦٨٧٤)، إلا أنه جعل الشطر الأول من رواية الزهري عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه، والشطر الثاني من رواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة عن عائشة.

ورواية يونس بالشطر الأول أخرجها البخاري أيضاً (٦٨٢)، وتابعه فيها شعيبُ بن أبي حمزة عند النسائي (٩٢٢٧)، وأما روايته بالشطر الثاني، فتابعه فيها عقيلُ بن خالد عند مسلم =

قال ابن إسحاق: وقال ابنُ شِهابٍ: حدّثني عبدُ الملك بن أبي بكر بن عبد الرَّحمن ابن الحارث بن هشامٍ، عن أبيه، عن عبد الله بن زَمْعة بن الأسوَد بن المُطَّلِب بن أسَدٍ قال: لمّا استُعِزَّ برسولِ الله ﷺ وأنا عنده في نَفَرٍ من المسلمين، قال: دعاه بلالٌ إلى الصّلاةِ، فقال: «مُرُوا مَن يُصَلِّي بالنّاس».

قال: فخرجتُ فإذا عمرُ في النّاس، وكان أبو بكرٍ غائباً، فقلت: قُمْ يا عمرُ فصَلِّ بالنّاس، قال: فقامَ فلمّا كَبَّرَ سَمِعَ رسولُ الله ﷺ صوتَه، وكان عمرُ رجلاً مُجْهِراً[1]، قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «فأَينَ أبو بكرٍ؟! يأبَى اللهُ ذاكَ والمسلمونَ، يأبَى اللهُ ذاكَ والمسلمونَ». قال: فبُعِثَ إلى أبي بكرٍ فجاءَ بعدَ أن صلَّى عمرُ تلك الصّلاةَ، فصلَّى بالنّاس.

قال: قال عبدُ الله بن زَمْعةَ: قال لي عمرُ: وَيحَك، ماذا صَنَعتَ بي يا ابنَ زَمْعة، والله ما ظَنَنتُ حين أمَرتَني إلّا أنّ رسولَ الله ﷺ أمَرَك بذلك، ولولا ذلك ما صلَّيتُ بالناس، قال: قلتُ: والله ما أمَرَني رسولُ الله ﷺ بذلك، ولكنّي حين لم أرَ أبا بكرٍ، رأيتُك أحقَّ مَن حَضَرَ بالصّلاةِ بالنّاس[2].

= (٤١٨) (٩٣). وانظر «فتح الباري» ٣/ ١٨٦-١٨٧.

وقوله: «إنكن صواحب يوسف» يريد جنسَ النساء، وأنهنّ في الغالب يكثرن الإلحاحَ في طلب ما يُرِدنَه ويَمِلنَ إليه.

(١) أي: صاحب جَهْر ورفع لصوته.

(٢) رجاله ثقات، وفي سماع ابن إسحاق له من الزهري خلاف كما هو مبيَّن في التعليق على «سنن أبي داود» (٤٦٦٠) ـ طبعة الرسالة ـ حيث رواه من طريق محمد بن سلمة الحرّاني عن ابن إسحاق، وصرّح فيه عنده بسماع ابن إسحاق من الزهري.

وأخرجه أحمد (١٨٩٠٦) من طريق إبراهيم بن سعد، والحاكم (٦٨٤٨) من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، به. =

قال ابن إسحاق: وقال الزُّهْريُّ: حدّثني أنسُ بن مالكٍ: أنّه لمّا كان يومُ الاثنينِ الّذي قَبَضَ اللهُ فيه رسولَه ﷺ، خرج إلى النّاس وهم يُصلُّون الصُّبحَ، فرُفِعَ السِّتْرُ وفُتِحَ البابُ، فخرج رسولُ الله ﷺ فقامَ على بابِ عائشة، فكادَ المسلمون يَفتَتِنون في صلاتِهم برسول الله ﷺ حين رأَوه فَرَحاً به، وتَفَرَّجوا فأشارَ إليهم: أنِ اثبُتُوا على صلاتِكم، قال: وتَبسَّمَ رسولُ الله ﷺ سُروراً لِمَا رأى من هَيئَتِهم في صلاتِهم، وما رأيتُ رسولَ الله ﷺ أحسَنَ هَيْئَةً منه تلك السّاعةَ، قال: ثمّ رَجَعَ، وانصَرَفَ النّاسُ وهم يُرَونَ أنّ رسولَ الله ﷺ قد أَفرَقَ[1] من وَجَعِه، فرجع أبو بكرٍ إلى أهلِه بالسُّنْح[2].

= وخالف ابنَ إسحاق في وصله معمرٌ، فرواه ـ كما عند أحمد (٢٤٠٦١) ـ عن الزهريّ مرسلاً، وبيَّن فيه: أن هذا كان والنبي ﷺ في بيت ميمونة؛ يعني أول ما اشتدّ به الوجع وقبل أن يستأذن نساءه في أن يُمرَّض في بيت عائشة كما تقدم ص٤٥٧.

(١) أفرق، أي: بَرِئَ.

(٢) حديث صحيح.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٩٨ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، عن الزهري، به.

وأخرج نحوه أحمد (١٢٦٦٦) و(١٣٠٢٨)، والبخاري (٦٨٠) و(١٢٠٥) و(٤٤٤٨)، ومسلم (٤١٩) وغيرهم من طرق عن الزهري، عن أنس: أن أبا بكر كان يصلّي لهم في وجع النبي ﷺ الذي تُوفّي فيه، حتى إذا كان يومُ الاثنين وهم صفوف في الصلاة، فكَشَفَ النبي ﷺ سِترَ الحجرة ينظرُ إلينا وهو قائمٌ كأنّ وجهه ورقة مُصحَف، ثم تبسَّم يضحك، فهَمَمْنا أن نَفتتِنَ من الفرح برؤية النبي ﷺ، فنَكَصَ أبو بكر على عَقِبَيه ليصلَ الصفَّ، وظنَّ أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبيُّ ﷺ: أن أتِمُّوا صلاتكم، وأَرخى السِّتر، فتُوفّي من يومه.

وفي بعض الروايات عن الزهري عن أنس كما عند البخاري (٧٥٤) والنسائي في «المجتبى» (١٨٣١) و«الكبرى» (١٩٧٠): وتُوفّي من آخر ذلك اليوم. وسيأتي التعليق عليها قريباً. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن إبراهيم بن الحارث، عن القاسمِ بن محمّدٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ قال حين سمعَ تكبيرَ عمرَ في الصّلاة: «أينَ أبو بكرٍ؟! يأبَى اللهُ ذاكَ والمسلمونَ»[1].

فلولا مَقالةٌ قالها عمرُ عند وفاتِه، لم يَشُكَّ المسلمون أنّ رسولَ الله ﷺ قد استَخلَفَ أبا بكرٍ، ولكنَّه قال عند وفاتِه: إنْ أَستَخلِفْ، فقد استَخلَفَ مَن هو خيرٌ منّي، وإن أترُكْهم، فقد تَرَكَهم مَن هو خيرٌ منّي[2]. فعَرَفَ النّاسُ أنّ رسولَ الله ﷺ لم يَستَخلِفْ أحداً[3]، وكان عمرُ غيرَ مُتَّهَم على أبي بكرٍ[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبو بكرِ بن عبد الله بن أبي مُلَيكةَ قال: لمّا كان يومُ الاثنينِ خرج رسولُ الله ﷺ عاصباً رأسَه إلى الصُّبحِ وأبو بكرٍ يُصلِّي بالناس، فلمّا خرج رسولُ الله ﷺ تَفَرَّجَ الناسُ، فعَرَفَ أبو بكرٍ أنّ الناسَ لم يَصنَعوا ذلك إلّا لرسول الله ﷺ، فنَكَصَ[5] عن مُصلَّاهُ، فدَفَعَ رسولُ الله ﷺ في ظهرِه وقال: «صَلِّ بالنّاسِ»، وجَلَسَ رسولُ الله ﷺ إلى جَنْبِه، فصَلَّى قاعداً عن يمينِ أبي بكرٍ.

= والسُّنْح: موضع كان فيه مال لأبي بكر، وكان ينزله بأهله. وهو من عوالي المدينة، بينه وبين منزل رسول الله ﷺ - فيما قيل - مِيلٌ، وقد تقدّم التعريف به ٢/ ١٠٩.

(١) مرسل رجاله ثقات.

القاسم بن محمد: هو ابن أبي بكر الصدّيق.

وحديث عبد الله بن زمعة السابق يشهد له.

(٢) مقالة عمر هذه رواها ابنه عبدُ الله فيما أخرجه البخاري (٧٢١٨) ومسلم (١٨٢٣).

(٣) وقد أجمع أهل السنّة وغيرُهم سوى الرافضةِ على ذلك كما ذكر الإمام النووي في «شرح مسلم».

(٤) يعني غير متَّهم في حبّه لأبي بكر ومعرفة فضله وعظيم منزلته.

(٥) أي: رجع إلى الوراء.

فلمّا فَرَغَ من الصّلاة أَقبَلَ على الناسِ فكَلَّمَهم رافعاً صوتَه، حتّى خرج صوتُه من باب المسجد، يقول: «أيُّها النّاسُ، سُعِّرَت النّارُ، وأقبَلَتِ الفِتَنُ كقِطَعِ اللّيلِ المُظلِمِ، وإنّي والله ما تَمَسَّكُونَ عليَّ بشيءٍ، إنّي لم أُحِلَّ إلّا ما أحَلَّ القرآنُ، ولم أُحَرِّمْ إلّا ما حَرَّمَ القرآنُ».

قال: فلمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من كلامِه قال له أبو بكرٍ: يا نبيَّ الله، إنّي أراكَ قد أصبَحتَ بنعمةٍ من الله وفضلٍ كما نُحِبُّ، واليومُ يومُ بنتِ خارجةَ، أفآتِيها؟ قال: «نعم»، ثمّ دخل رسولُ الله ﷺ وخرج أبو بكرٍ إلى أهلِه بالسُّنْح[1].

قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: وحدّثني عبدُ الله بن كعب بن مالكٍ، عن عبدِ الله ابن عبّاسٍ قال: خرج يومَئذٍ عليُّ بن أبي طالبٍ على الناس من عند رسول الله ﷺ، فقال له الناسُ: يا أبا حَسَن، كيف أصبَحَ رسولُ الله ﷺ؟ قال: أصبَحَ بحمدِ الله بارِئاً، قال: فأخَذَ العبّاسُ بيده ثمّ قال: يا عليُّ، أنت واللهِ عبدُ العَصَا[2] بعدَ ثلاثٍ، أَحلِفُ بالله لقد عَرَفتُ الموتَ في وجهِ رسول الله ﷺ كما كنت أعرِفُه في وُجوه بني

---

(١) إسناده ضعيف لإرساله، وأبو بكر شيخ ابن إسحاق قد نسبه هنا إلى جدّه، وهو أبو بكر ابن عُبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة، واسمه كنيته، وهو أخو عبد الله الذي يُكنى أبا محمد وأبا بكر أيضاً، وأمّا أبو بكر هذا فهو قليل الحديث كما قال ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ٣٣، وقد انفرد بهذا السياق، ويعارضه حديثُ أنسٍ الصحيح السابق في أن النبي ﷺ صباح الاثنين لم يخرج إلى الصلاة، وإنما كشف الستر عن باب حجرته ورآهم يصلّون ثم أرخى الستر وعاد إلى حجرته.

وأخرجه من طريق ابن إسحاق الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٩٨، والبيهقي في «الدلائل» ٧/ ٢٠١ من طريقين آخرين عنه.

(٢) هذا كنايةٌ عمّن يصير تابعاً لغيره، والمعنى: أنه يموت بعد ثلاثٍ وتصير أنت مأموراً عليك، وهذا من قوّة فِراسة العبّاس رضي الله عنه. قاله ابن حجر في «الفتح» ١٢/ ٧٦٥.

عبد المُطَّلِب، فانطَلِقْ بنا إلى رسول الله ﷺ، فإن كان هذا الأمرُ فينا عَرَفْناه، وإن كان في غيرِنا، أمَرْناه فأَوصَى بنا الناسَ، قال: فقال له عليٌّ: إنّي والله لا أفعلُ، والله لئِنْ مَنَعَناه، لا يُؤتِيناهُ أحدٌ بعدَه[1].

فتُوفّي رسولُ الله ﷺ حين اشتَدَّ الضَّحاءُ من ذلك اليوم[2].

---

(١) حديث صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٣٧٤) و(٢٩٩٧)، والبخاري (٤٤٤٧) و(٦٢٦٦) من طرق عن الزهري، بهذا الإسناد.

(٢) هذا يَخدِشُ فيه ما جاء في بعض طرق حديث أنس المتقدّم في كشف النبي ﷺ ستر باب حجرته صلاة الصبح من يوم الاثنين وهم يصلُّون، عند البخاري (٧٥٤) والنسائي في «المجتبى» (١٨٣١) و«الكبرى» (١٩٧٠): أنه ﷺ تُوفّي من آخر ذلك اليوم.

لكن قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٧٦٧: يُجمَع بينهما بأن إطلاق الآخِر بمعنى ابتداءِ الدخول في أول النصف الثاني من النهار، وذلك عند الزَّوال، واشتدادُ الضّحى يقع قبل الزّوال ويستمرُّ حتى يتحقَّق زوالُ الشمس، وقد جَزَمَ موسى بن عُقْبة عن ابن شهاب: بأنه ﷺ مات حين زاغت الشمسُ، وكذا لأبي الأسود عن عُرْوة، فهذا يؤيِّد الجمعَ الذي أشرتُ إليه.

وأما في اليوم والشهر الذي تُوفِّي فيه رسول الله ﷺ، فقال العلّامة أبو الربيع بن سالم الكَلاعي في «الاكتفا بما تضمّنه من مغازي رسول الله ﷺ» ٢/ ٤٦ ـ ونقله عنه ابن سيّد الناس في «عيون الأثر» ٢/ ٤٠٨ ـ: اختلف أهلُ العلم بهذا الشأن في اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ من الشهر بعد اتفاقهم على أنه توفي يوم الاثنين في شهر ربيع الأول.

فذكر الواقديُّ وجمهورُ الناس: أنه توفي يوم الاثنين لاثنتي عشرة خَلَت من ربيع الأول لتمام عشر سنين من مَقدَمه المدينة، وهذا لا يصحُّ، وقد جَرَى فيه على العلماء من الغلط ما علينا بيانُه، وذلك أن المسلمين قد أجمعوا على أن وقفة النبي ﷺ بعرفة في حجّة الوداع كانت يوم الجمعة تاسع ذي الحجّة من سنة عشر، فاستهلَّ هلال ذي الحجّة على هذا ليلة الخميس، ثم لا يخلو شهر ذي الحجّة والمحرَّم بعده من سنة إحدى عشرة ثم صفر بعده أن تكون هذه الأشهر =

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوبُ بن عُتْبة، عن الزُّهْريّ، عن عُرْوة، عن عائشةَ قالت: رجع رسولُ الله ﷺ في ذلك اليومِ حين دَخَلَ من المسجد فاضطَجَعَ في

= الثلاثة كاملةً كلها أو ناقصةً كلها، أو اثنان منها كاملين وواحد ناقصاً، أو اثنان منها ناقصين وواحدٌ كاملاً، وأيّاً ما قدَّرتَ من ذلك واعتبرتَه، لم تجد الثاني عشر من ربيع الأول يكون يوم الاثنين أصلاً.

وذكر أبو جعفر الطبري (في «تاريخه» ٣/ ٢٠٠) بإسنادٍ يرفعه إلى فقهاء أهل الحجاز، قالوا: قُبض رسول الله ﷺ نصف النهار يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول.

وهذا القول، وإن خالف ما ذكره جمهور العلماء، فإنه أَولى بالصواب، وأمكنُ أن يكون حقّاً، فإنه إن كانت الأشهر الثلاثة كلُّ شهر منها من تسعة وعشرين يوماً، كان استهلال شهر ربيع الأول على ذلك بالأَحد، فكان يوم الاثنين ثانيَه.

وقد حكى الخُوارزمي: أنه ﷺ توفي أول يوم من شهر ربيع الأول، وهذا أيضاً أمكنُ وأكثرُ، إذ اتصال النقص في ثلاثة أشهر لا يكون إلا قليلاً، والله تعالى أعلم. انتهى النقل عن أبي الربيع الكلاعيّ.

قال ابن سيّد الناس: وقد تقدَّمه السهيليُّ (في «الروض الأنف» ٧/ ٥٧٨-٥٧٩) إلى بيانه، لأن حجّة الوداع كانت وقفتُها يوم الجمعة، فلا يستقيم أن يكون يوم الاثنين ثانيَ عشرَ ربيع الأول، سواء أتمَّت الأشهر كلها أو نقصت كلها، أو تمَّ بعضها ونقص بعضها. اهـ

واختُلف في مدّة مرضه ـ كما قال ابن حجر في «الفتح» ١٢/ ٧٣٨ ـ فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوماً، وقيل: بزيادة يوم، وقيل: بنقصه، وقيل: إنها عشرة أيام، وبهذا جَزَمَ سليمان التَّيمي في «مغازيه».

وفي مقدار سنِّه ﷺ يوم تُوفِّي قال النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» ص٢٦: توفي ﷺ وله ثلاث وستون سنةً، وقيل: خمس وستون سنةً، وقيل: ستون، والأول أصحُّ وأشهرُ، وقد جاءت الأقوال الثلاثة في الصحيح؛ قال العلماء: الجمع بين الروايات: أنّ من روى ستين لم يعتبر هذه الكسور، ومن روى خمساً وستين عَدَّ سنة المولد والوفاة، ومن روى ثلاثاً وستين لم يعدَّهما، والصحيح ثلاثٌ وستون.

حَجْري، فدخل عليَّ رجلٌ من آلِ أبي بكرٍ وفي يده سِواكٌ أخضرُ، قالت: فنَظَرَ رسولُ الله ﷺ إليه في يده نَظَراً عَرَفتُ أنّه يريده، قالت: فقلت: يا رسولَ الله، أتُحِبُّ أن أُعطيَك هذا السِّواكَ؟ قال: «نَعَم» قالت: فأخذتُه فمَضَغتُه له حتّى لَيَّنتُه، ثمّ أعطَيتُه إيّاه، قالت: فاستَنَّ به كأشدِّ ما رأيتُه يَستَنُّ بسِواكٍ قَطُّ ثمّ وَضَعَه، ووَجَدتُ رسولَ الله ﷺ يَثقُلُ في حَجْري، فذهبتُ أنظرُ في وجهِه، فإذا بصرُه قد شَخَصَ، وهو يقول: «بلِ الرَّفيقَ الأَعلى من الجَنَّة»، قالت: فقلت: خُيِّرتَ فاختَرتَ والّذي بَعَثَك بالحقِّ، قالت: وقُبِضَ رسولُ الله ﷺ[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّادٍ قال: سمعت عائشةَ تقول: مات رسولُ الله ﷺ بين سَحْري ونَحْري وفي دَوْلتي[2]، لم أظلِمْ فيه أَحداً، فمن سَفَهي وحَداثةِ سِنِّي، أنّ رسولَ الله ﷺ قُبِضَ وهو في حَجْري، ثمّ وَضَعتُ رأسَه على وِسادةٍ وقُمتُ أَلتَدِمُ[3] مع النّساءِ وأَضرِبُ

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٤٧)، والنسائي في «الكبرى» (٧٠٦٥) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه أحمد (٢٥٦٤٠)، والبخاري (٤٤٥٠) من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، به. وفيه أن الرجل من آل أبي بكر صاحب السواك هو عبدُ الرحمن.

وكذلك هو في حديث ابن أبي مُليكة عن عائشة عند أحمد (٢٤٢١٦)، والبخاري (٣١٠٠)، وابن حبان (٦٦١٧) و(٧١١٦)، والحاكم (٦٨٦٩)، وحديث القاسم بن محمد بن أبي بكر عنها عند البخاري (٤٤٣٨).

(٢) السَّحْر: الرئة وما يتصل بها إلى الحُلقوم، والنَّحر: أعلى الصدر. والدّولة، بفتح الدال وضمّها: النَّوبة.

(٣) الالتدام: ضرب الخدِّ باليد.

وجهي[1].

قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: وحدّثني سعيدُ بن المُسيّب، عن أبي هُرَيرةَ قال: لمّا تُوفّيَ رسولُ الله ﷺ قامَ عمرُ بن الخَطّاب فقال: إنّ رجالاً من المنافقين يَزعُمون أنّ رسولَ الله ﷺ قد تُوفّي، وإنَّ رسولَ الله ﷺ واللهِ ما مات، ولكنّه ذَهَبَ إلى ربِّه كما ذَهَبَ موسى بن عِمرانَ، فقد غابَ عن قومِه أربعين ليلةً ثمّ رجع إليهم بعدَ أن قيلَ: قد مات، ووالله لَيَرجِعَنَّ رسولُ الله ﷺ كما رجع موسى، فلَيَقطَعَنَّ أيديَ رجالٍ وأرجُلَهم زَعَمُوا أنَّ رسولَ الله ﷺ مات.

قال: وأقبَلَ أبو بكرٍ حتّى نَزَلَ على باب المسجدِ حين بَلَغَه الخبرُ، وعمرُ يُكلِّمُ الناسَ، فلم يَلتَفِتْ إلى شيءٍ حتّى دخل على رسول الله ﷺ في بيتِ عائشة، ورسولُ الله ﷺ مُسجًّى[2] في ناحيةِ البيت عليه بُرْدُ حِبَرةٍ[3]، فأقبَلَ حتّى كَشَفَ عن

---

(١) رجاله ثقات إلا أنّ ذكر التدام عائشة فيه شاذٌّ منكر، فعلى كثرة من روى خبر وفاته ﷺ عنها ـ كما هو مجموع عند الحديث (٦٨٦٩) من «مستدرك الحاكم» ـ فإن أحداً منهم لم يذكر ضربَها وجهَها عند موته ﷺ، كيف وقد صحَّ عن النبي ﷺ ـ فيما أخرجه البخاري (١٢٩٤) ومسلم (١٠٣) ـ من حديث ابن مسعود عنه أنه قال: «ليس منّا من لَطَم الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».

وقد أخطأ السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٥٧٧ فيما ذهب إليه من أن الالتدام لم يدخل في التحريم، لأن التحريم إنما وقع على الصُّراخ والنَّوح، وهو ذهولٌ منه ـ رحمه الله ـ عمّا وقع في حديث ابن مسعود في «الصحيحين» وغيرهما من ذكر اللَّطم فيه، وهو ضربُ الخدِّ وغيره باليد.

وأما حديث ابن إسحاق، فقد أخرجه أحمد (٢٦٣٤٨) من طريق إبراهيم بن سعد، عنه بهذا الإسناد.

(٢) أي: مُغطًّى.

(٣) البُرد: كساء يُلتَحف به، والحِبَرة: ما كان من الثياب مخطَّطاً.

وجهِ رسول الله ﷺ، ثمّ أقبَلَ عليه فقبَّلَه ثمّ قال: بأبي أنتَ وأُمّي، أمّا المَوتةُ التي كَتَبَ الله عليك، فقد ذُقْتَها، ثمّ لن تُصيبَك بعدَها موتةٌ أبداً، قال: ثمّ رَدَّ البُرْدَ على وجهِ رسول الله ﷺ.

ثمّ خرج وعمرُ يُكلِّمُ الناسَ، فقال: على رِسْلِك[1] يا عمرُ، أَنصِتْ، فأَبَى إلّا أن يتكلَّمَ، فلمّا رآه أبو بكرٍ لا يُنصِتُ أقبَلَ على الناس، فلمّا سَمِعَ الناسُ كلامَه أقبَلُوا عليه وتَرَكوا عمرَ، فحَمِدَ اللهَ وأَثنَى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناسُ، إنّه مَن كان يَعبُدُ محمّداً، فإنَّ محمّداً قد مات، ومَن كان يَعبُدُ اللهَ، فإنَّ الله حيٌّ لا يموت. قال: ثمّ تَلَا هذه الآيةَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال: فواللهِ لكَأنَّ الناسَ لم يَعلَموا أنّ هذه الآيةَ نَزَلَت حتّى تَلَاها أبو بكرٍ يومَئذٍ، قال: وأَخذَها الناسُ عن أبي بكرٍ فإنّما هي في أفواهِهم، قال: فقال أبو هريرةَ: قال عمرُ: فوالله ما هو إلّا أن سمعتُ أبا بكرٍ تَلَاها، فعَقِرْتُ[2] حتّى وَقَعتُ إلى الأرض، ما تَحمِلُني رِجلايَ، وعَرَفتُ أنّ رسولَ الله ﷺ قد مات[3].

---

(١) هذا أمرٌ بالرِّفق والتأنّي وعدم التعجّل.

(٢) عَقِرتُ: دَهِشتُ، يقال: عَقِرَ الرجلُ، إذا تحيَّر ودَهِشَ.

(٣) صحيح لغيره ورجاله ثقات، وهو وإن لم يصرِّح ابن إسحاق بسماعه فيه، قد روي من وجه آخر صحيح.

وأخرجه البلاذُري في «أنساب الأشراف» ١/ ٥٦٥-٥٦٦، والطبري في «تاريخه» ٣/ ٢٠٠-٢٠١، والمنذري في «تفسيره» (٩٨٦) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. ولم يصرح ابن إسحاق بسماعه عندهم من الزهري كذلك. =

= وقد أخرج نحوه البخاري (١٢٤١-١٢٤٢) من طريق معمر ويونس الأيليّ، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن عائشة وابن عباس.

وهو بنحوه أيضاً عند البخاري (٣٦٦٧-٣٦٦٨) من طريق هشام بن عُروة بن الزبير، عن أبيه، عن خالته عائشة. وفي آخره خبر سقيفة بني ساعدة.

أمرُ سَقِيفة بني ساعدة

قال ابن إسحاق: ولمّا قُبِضَ رسولُ الله ﷺ، انحازَ هذا الحيُّ من الأنصار إلى سعد بن عُبَادة في سَقِيفة بني ساعدة، واعتَزَلَ عليُّ بن أبي طالبٍ والزُّبَيرُ بن العَوّام وطلحةُ بن عُبيد الله في بيتِ فاطمةَ، وانحازَ بقيّةُ المهاجرين إلى أبي بكرٍ، وانحازَ معهم أُسَيدُ بن حُضَيرٍ في بني عبد الأشهَلِ، فأَتى آتٍ إلى أبي بكر وعمر فقال: إنّ هذا الحيَّ من الأنصارِ مع سعدِ بن عُبادةَ في سَقِيفةِ بني ساعدة قد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمرِ النّاسِ حاجةٌ، فأَدرِكوا النّاسَ قبلَ أن يَتَفاقَمَ أمرُهم؛ ورسولُ الله ﷺ في بيته لم يُفرَغْ من أمرِه قد أغلَقَ دونَه البابَ أهلُه، قال عمرُ: فقلت لأبي بكرٍ: انطَلِقْ بنا إلى إخوانِنا هؤلاءِ من الأنصار حتّى نَنظُرَ ما هم عليه.

قال ابن إسحاق: وكان من حديث السَّقيفة حين اجتَمَعَت بها الأنصارُ، أنّ عبدَالله ابن أبي بكرٍ حدّثني عن ابن شِهابٍ الزُّهْريِّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعودٍ، عن عبد الله بن عبّاسٍ قال: أخبرني عبدُ الرَّحمن بن عَوفٍ؛ قال: وكنت في منزلِه بمِنًى أنتَظِرُه وهو عند عمرَ في آخرِ حَجّةٍ حَجَّها عمرُ، قال: فرجع عبدُالرَّحمن ابن عَوفٍ من عند عمرَ فوَجَدَني في منزلِه بمِنًى أنتظِرُه، وكنت أُقرِئُه القرآنَ، قال ابنُ عبّاسٍ: فقال لي عبدُ الرَّحمن بن عوفٍ: لو رأيتَ رجلاً أتى أميرَ المؤمنين فقال: يا أميرَ المؤمنين، هل لك في فُلانٍ؟! يقول: والله لو قد ماتَ عمرُ بن الخطّابِ لقد بايعتُ فُلاناً، والله ما كانت بَيْعةُ أبي بكرٍ إلّا فَلْتةً[1] فتَمَّتْ!

---

(١) أي: فجأةً من غير تدبُّر، قال ابن الأثير في «النهاية» ٣/ ٤٦٧: أراد بالفلتة الفجأة، ومثلُ هذه البيعة جديرةٌ بأن تكون مهيِّجةً للشرّ والفتنة، فعَصَمَ الله من ذلك ووَقَى، والفلتة: كلُّ شيء فُعِل من غير رَوِيّة، وإنما بُودِرَ بها خوفَ انتشار الأمر.

قال: فغَضِبَ عمرُ فقال: إنّي إن شاءَ الله لَقائمٌ العَشِيّةَ في النّاس فمُحذِّرُهم هؤلاءِ الّذين يريدون أن يَغصِبوهم[1] أمرَهم، قال عبدُ الرَّحمن: فقلت: يا أميرَ المؤمنين، لا تفعلْ، فإنّ المَوسِمَ يَجمَعُ رَعَاعَ الناس وغَوْغاءَهم[2]، وإنّهم هم الذين يَغلِبون على قُرْبِك حين تقومُ في الناس، وإنّي أَخشى أن تقومَ فتقولَ مَقالةً يَطِيرُ بها أُولئك عنك كلَّ مَطِيرٍ ولا يَعُوها[3] ولا يَضَعُوها على مواضِعِها، فأمهِلْ حتّى تَقدَمَ المدينةَ فإنّها دارُ السُّنّة، وتَخلُصَ بأهلِ الفِقْه وأشرافِ الناس فتقولَ ما قلتَ بالمدينة مُتَمكِّناً، فيَعِيَ أهلُ الفِقْه مَقالتَك، ويَضَعُوها على مَواضِعِها، قال: فقال عمرُ: أمَا والله إن شاءَ الله لَأقومَنَّ بذلك أوّلَ مَقامٍ أقومُه بالمدينة.

قال ابنُ عبّاس: فقَدِمْنا المدينةَ في عَقِبِ ذي الحِجّةِ، فلمّا كان يومُ الجُمُعة، عَجَّلتُ الرَّوَاحَ حين زاغَتِ[4] الشّمسُ فأَجِدُ سعيدَ بن زيد بن عمرو بن نُفَيلٍ جالساً إلى رُكْنِ المِنبَر، فجلستُ حَذْوَه تَمَسُّ رُكْبتي رُكْبتَه، فلم أنشَبْ[5] أن خرج عمرُ بن الخطّاب، فلمّا رأيتُه مُقبِلاً قلت لسعيد بن زيدٍ: لَيقولَنَّ العَشِيّةَ على هذا المِنبَرِ مَقالةً لم يَقُلْها منذُ استُخلِفَ، قال: فأنكَرَ عليَّ سعيدُ بن زيدٍ ذلك وقال: ما عسى أن يقولَ ممّا لم يَقُلْ قبلَه! فجلس عمرُ على المِنبَر، فلمّا سَكَتَ المؤذّنُ قام فأَثنى على الله

(١) العَشِيّة: ما بعد زوال الشمس.

وقوله: أن يَغصِبوهم، أي: يقصدون أموراً من أمور الناس ليست من وظيفتهم ولا مرتبتهم، فيريدون أن يُباشِروها بالظُّلم والغَصْب.

(٢) رَعَاع الناس: هم الجهلة الأراذل. والغَوغاء: هو في الأصل الجراد الصغار حين يبدأ في الطيران، ويطلق على السِّفلة من الناس، وشبَّههم به لكثرتهم.

(٣) كل مَطِير، أي: يحملونها على غير وجهها. ولا يَعُوها، أي: لا يعرفوا المراد منها.

(٤) في (ق٢) و(م): زالت. وكلاهما بمعنى: مالت.

(٥) أي: لم ألبَثْ.

بما هو أهلُه، ثم قال: أمّا بعدُ، فإنّي قائلٌ لكم اليومَ مَقالةً قد قُدِّرَ لي أن أقولَها، ولا أدري لعلَّها بين يَدَيْ أَجَلي، فمَن عَقَلَها ووَعَاها فليأخُذْ بها حيثُ انتَهَت به راحلتُه، ومَن خَشِيَ أن لا يَعِيَها فلا يَحِلُّ لأحدٍ أن يَكذِبَ عليَّ:

إنّ الله بَعَثَ محمّداً وأنزَلَ عليه الكتابَ، فكان ممّا أُنزِلَ عليه آيةُ الرَّجْمِ[1]، فقَرَأْناها وعَلِمْناها ووَعَيْناها، ورَجَمَ رسولُ الله ﷺ ورَجَمْنا بعدَه، فأَخشَى إنْ طالَ بالنّاسِ زمانٌ أن يقولَ قائلٌ: والله ما نَجِدُ الرَّجْمَ في كتاب الله، فيَضِلُّوا بتَرْكِ فريضةٍ أنزَلها الله، وإنَّ الرَّجمَ في كتاب الله حقٌّ على مَن زنى إذا أَحصَنَ من الرِّجالِ والنّساءِ إذا قامت البَيِّنةُ أو كان الحَبَلُ أو الاعترافُ.

ثمّ إنّا قد كنّا نَقرأُ فيما نَقرأُ من الكتاب: (لا تَرغَبوا عن آبائِكم فإنّه كُفرٌ بكم أن تَرغَبوا عن آبائِكم)[2].

---

(١) لم يذكر جمهور أصحاب الزهري لفظ هذه الآية في حديثه هذا غير سفيان بن عيينة عنه فيما أخرجه ابن ماجه (٢٥٥٣) والنسائي في «الكبرى» (٧١١٨)، وهي: (الشيخ والشيخة إذا زَنَيا فارجموهما البَتّةَ)، وقد وهَّمه في ذلك النسائيُّ فقال: لا أعلم أن أحداً ذكر في هذا الحديث (الشيخ والشيخة فارجموهما البتّة) غير سفيان، وينبغي أن يكون وَهِمَ، والله أعلم.

قلنا: لكن ذكرها في حديث عمر في هذه الخطبة سعيدُ بن المسيّب فيما رواه عنه يحيى بن سعيد الأنصاري عند مالك في «الموطأ» ٢/ ٨٢٤.

والمراد بالشيخ والشيخة: المُحصَن والمُحصَنة، سواء كانا كبيرين أو شابَّين، وهذا ما عليه جمهورُ أهل العلم، وهذه الآية مما وقع الاتفاق على أنها نُسِخَت لفظاً وبقي حكمُها، فقد قال البيهقي في «سننه» ٨/ ٢١١: آية الرَّجم حكمها ثابت وتلاوتها منسوخة، وهذا مما لا أعلمُ فيه خلافاً. وانظر «فتح الباري» لابن حجر ٢١/ ٥٨٥-٥٨٧.

(٢) وهذا مما نُسخ خطُّه وبقي حكمُه، والمراد به مَن تحوَّل عن نسبته لأبيه إلى غير أبيه عالماً عامداً مختاراً، فمن فعل ذلك فقد ركب من الإثم عظيماً، وتحمَّل من الوِزْر جسيماً. وانظر =

ألَا إنّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا تُطْرُوني كما أُطرِيَ عيسى ابنُ مريمَ[1]، وقولوا: عبدُ الله ورسولُه».

ثمّ إنّه قد بَلَغَني أنّ فُلاناً قال: والله لو قد مات عمرُ بن الخطّابِ لقد بايعتُ فُلاناً، فلا يَغُرَّنَّ امرَأً أن يقول: إنّ بَيْعةَ أبي بكرٍ كانت فَلْتةً فتَمَّتْ، وإنّها قد كانت كذلك، إلّا أنّ الله قد وَقَى شَرَّها، وليس فيكم مَن تَنقَطِعُ الأعناقُ إليه مِثلُ أبي بكرٍ، فمن بايَعَ رجلاً عن غيرِ مَشُورةٍ من المسلمين فإنّه لا بَيْعةَ له هو ولا الذي بايَعَه، تَغِرّةً أن يُقتَلا[2].

إنّه كان من خَبَرِنا حين تَوفَّى اللهُ نبيَّه ﷺ أنّ الأنصارَ خالَفُوا فاجتَمَعوا بأشرافِهم في سَقِيفةِ بني ساعدةَ، وتَخلَّفَ عنّا عليُّ بن أبي طالبٍ والزُّبيرُ بن العَوّام ومَن معهما، واجتَمَعَ المهاجرون إلى أبي بكرٍ، فقلت لأبي بكرٍ: انطَلِقْ بنا إلى إخوانِنا هؤلاءِ من الأنصار.

فانطَلَقْنا نَؤُمُّهم حتّى لَقِيَنا منهم رجلان صالحان فذَكَرا لنا ما تَمالَأ[3] عليه القومُ، وقالا: أين تريدون يا معشرَ المهاجرين؟ قلنا: نريدُ إخوانَنا هؤلاءِ من الأنصار، قالا: فلا عليكم أن لا تَقرَبُوهم يا معشرَ المهاجرين، اقضُوا أمرَكم، قال: قلت: والله لنَأتِيَنَّهم، فانطَلَقْنا حتّى أَتيناهم في سقيفةِ بني ساعدة، فإذا بين ظَهْرانَيهم

= «شرح البخاري» لابن بطّال ٨/ ٣٨٣-٣٨٤، و«فتح الباري» لابن حجر ٢١/ ٣٩٧-٣٩٨.

(١) أي: لا تمدحوني كمدح النصارى لعيسى ابن مريم، حتى غَلَا بعضهم فيه فجعله إلٰهاً مع الله، وبعضهم ادَّعى أنه هو الله، وبعضهم زعم أنه ابن الله، تعالى الله سبحانه عن ذلك علوّاً كبيراً.

(٢) أي: حذراً من القتل، وهو مصدر من: أَغررتُه تغريراً أو تَغِرّةً، والمعنى: أنّ من فعل ذلك فقد غرَّر بنفسه وبصاحبه وعرَّضهما للقتل.

(٣) أي: اتَّفق.

رجلٌ مُزَمَّلٌ[1]، فقلت: مَن هذا؟ فقالوا: سعدُ بن عُبَادة، فقلت: ما له؟ فقالوا: وَجِعٌ.

فلمّا جَلَسْنا تَشهَّدَ خطيبُهم فأَثنَى على الله بما هو له أهلٌ ثمّ قال: أمّا بعدُ، فنحنُ أنصارُ الله وكَتِيبةُ الإسلام، وأنتم يا معشرَ المهاجرينَ رَهْطٌ منّا، وقد دَفَّتْ دافّةٌ[2] من قومِكم، قال: وإذا هم يريدون أن يَحتازُونا من أصلِنا ويَغصِبونا الأمرَ[3]، فلمّا سَكَتَ أردتُ أن أتكلَّمَ وقد زَوَّرتُ[4] مَقالةً قد أعجَبَتْني، أُريدُ أن أُقدِّمَها بين يَدَيْ أبي بكرٍ، وكنت أُداري منه بعضَ الحَدِّ[5]، فقال أبو بكر: على رِسْلِك يا عمرُ، فكَرِهتُ أن أُغضِبَه، فتكلَّمَ ـ وهو كان أعلمَ منّي وأَوقَرَ ـ فوالله ما تَرَكَ من كَلِمةٍ أعجَبَتني من تَزْويري إلّا قالها في بَدِيهتِه أو مِثلَها أو أفضلَ حتّى سَكَتَ، قال: أمّا ما ذكرتُم فيكم من خيرٍ، فأنتم له أهلٌ، ولن تَعرِفَ العربُ هذا الأمرَ إلّا لهذا الحيِّ من

---

(١) بين ظهرانَيهم، أي: بينهم أو وسطهم، وأصله: بين ظَهرَيهم، فزيدت الألف والنون للتأكيد. ومزمَّل: ملتفّ في كساءٍ أو غيره.

(٢) دفَّتْ دافَّة، أي: عدد قليل، والدافّة: الرُّفقة يسيرون سيراً ليِّناً، أي: إنكم قوم طِراد غرباء، أقبلتم من مكّة إلينا.

(٣) هكذا وقع في رواية ابن إسحاق، ومعنى يحتازونا: يحبسونا عنه، وفي رواية صالح بن كيسان عن الزهري عند البخاري (٦٨٣٠): أن يَختزِلونا من أصلنا وأن يَحضُنونا من الأمر.

ويختزلونا، أي: يقتطعونا عن الأمر وينفردوا به دوننا، والمراد هنا بالأصل: ما يستحقُّونه من الأمر، ويَحضُنونا، أي: يُخرِجونا، يقال: حَضَنه واحتَضَنه عن الأمر: أخرجه في ناحيةٍ عنه واستبدَّ به، أو حَبَسَه عنه. قاله ابن حجر في «الفتح».

(٤) زاد هنا في طبعة السقا وصاحبيه: في نفسي. وهي في بعض الروايات عن الزهري.

وقوله: زوّرتُ مقالةً، أي: هيّأتها وأصلحتها وحسّنتها.

(٥) الحدّ: يعني أنه كانت في خُلُقه حِدَّة، فكان عمر رضي الله عنه يداريه.

قريشٍ، هم أوسَطُ العربِ نسباً وداراً[1]، وقد رَضِيتُ لكم أحدَ هذينِ الرّجُلينِ، فبايِعُوا أيَّهما شِئتُم؛ وأخَذَ بيدي وبيد أبي عُبيدة بن الجَرّاح وهو جالسٌ بيننا، ولم أكرَهْ شيئاً ممّا قال غيرَها، كان والله أن أُقدَّمَ فتُضرَبَ عُنُقي، لا يُقرِّبُني ذلك إلى إثمٍ، أحبَّ إليَّ من أن أتأمّرَ على قومٍ فيهم أبو بكر.

قال: فقال قائلٌ من الأنصار: أنا جُذَيلُها المُحكَّكُ، وعُذَيقُها المُرجَّبُ[2]، منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ يا معشر قُرَيش.

قال: فكَثُرَ اللَّغَطُ[3] وارتَفَعَت الأصواتُ، حتّى تخوَّفتُ الاختلافَ فقلت: ابسُطْ يدَكَ يا أبا بكرٍ، فبَسَطَ يدَه فبايعتُه، ثمّ بايَعَه المهاجرون، ثمّ بايَعَه الأنصارُ، ونَزَوْنا على سعد بن عُبادة[4]، فقال قائلٌ منهم: قتلتُم سعدَ بن عُبادةَ، قال: فقلت: قَتَلَ اللهُ سعدَ بن عُبادة[5].

---

(١) أوسط العرب نسباً، أي: أشرفهم. وداراً، أي: بلداً، وهي مكة، لأنها أشرف البِقاع.

(٢) الجُذيل: تصغير جِذْل، وهو العود الذي ينصب للإبل الجربى لتحتكَّ به، وهو تصغير تعظيم، أي: أنا ممن يُستشفَى برأيه كما تستشفي الإبل الجربى بالاحتكاك بهذا العود.

والعُذَيق: تصغير العَذْق، وهو النخلة، والمُرَجَّب: من الترجيب، يقال: رجَّبتُ النخلة، إذا أسندتَها على خشبة ذات شُعبتين، لكثرة حملها وعزّها على أهلها، فضُرب به المثل في الرجل الشريف الذي يعظّمه قومه ويرجعون إلى قوله.

وقائل هذه المقولة يومئذٍ فيما روى مالكٌ عند أحمد (٣٩١) وابن حبان (٤١٤) عن الزهري: أنه سمع سعيد بن المسيّب يقول: إن الذي قال يومئذٍ: أنا جُذيلها المحكَّك، رجل من بني سَلِمةَ يقال له: الحُبَاب بن المنذر.

(٣) اللَّغَط: اختلاف الأصوات ودخول بعضها على بعض.

(٤) أي: وَثَبْنا عليه ووَطِئناه.

(٥) هذا الإغلاظ من عمر في الدعاء على سعد رضي الله عنهما، لما رأى عمرُ من أن موافقة =

قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: أخبرني عُرْوةُ: أنّ أحدَ الرَّجلينِ اللَّذَينِ لَقُوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السَّقيفة عُوَيمُ بن ساعدةَ، والآخَرَ مَعْنُ بن عَديٍّ أخو بني العَجْلان[1].

فأمّا عُوَيمُ بن ساعدةَ، فهو الذي بَلَغَنا أنه قيلَ لرسول الله ﷺ: مَن الّذين قال الله عزَّ وجلَّ لهم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨]؟ فقال رسول الله ﷺ: «نِعمَ المَرْءُ منهم عُوَيمُ بن ساعدةَ»، وأمّا مَعْنُ بن عَديٍّ، فبَلَغَنا أنّ الناسَ بَكَوْا على رسول الله ﷺ حين تَوَفّاه الله عزَّ وجلَّ وقالوا: والله لوَدِدْنا أنّا مِتْنا قبلَه، إنّا نَخشَى أن نَفتَتِنَ بعدَه، قال مَعنُ بن عَديٍّ: لكنّي والله ما أُحبُّ أنّي مِتُّ قبلَه حتّى أُصدِّقَه ميّتاً كما صدّقتُه حيّاً؛ فقُتِلَ مَعنٌ يومَ اليَمامةِ شهيداً في خلافة أبي

= سعد لقومه وحضوره في السقيفة كان سيؤدّي إلى فتنة وفُرقة كبيرة بين المسلمين، فلذلك أغلظ له بالقول إبطالاً وتشنيعاً لهذا الفعل، وقد وقع.

وإسناد ابن إسحاق في هذا الخبر صحيح. عبد الله بن أبي بكر: هو ابن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاري.

وأخرجه بهذا الطول والسِّياق أحمد (٣٩١)، وابن حبان (٤١٤) من طريق مالك، والبخاري (٦٨٣٠) من طريق صالح بن كَيسان، وابن حبان (٤١٣) من طريق هُشيم بن بَشير، ثلاثتهم عن الزهري، بهذا الإسناد. وزادوا فيه قول عمر ـ واللفظ لأحمد ـ: أما والله ما وجدنا فيما حَضَرَنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبي بكر، خَشِينا إن فارَقْنا القومَ ولم تكن بيعةٌ، أن يُحدِثوا بعدَنا بيعةً، فإما أن نتابعَهم على ما لا نرضى، وإما أن نخالفَهم فيكون فيه فساد.

وقد روي حديث عمر هذا مقطَّعاً في الكتب الستّة وغيرها، فانظر تمام تخريجه في «مسند أحمد» و«صحيح ابن حبان».

(١) وهذا ذكره أيضاً مالكٌ في روايته عن الزهري عند أحمد (٣٩١) وابن حبان (٤١٤)، ومعمرٌ عن الزهري عند البخاري (٤٠٢١).

بكرٍ يومَ مُسَيلِمةَ الكذّاب[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريّ قال: حدّثني أنسُ بن مالكٍ قال: لمّا بُويِعَ أبو بكرٍ في السَّقيفة وكان الغَدُ، جَلَسَ أبو بكرٍ على المِنبَر، فقامَ عمرُ فتكلَّم قبلَ أبي بكرٍ، فحَمِدَ اللهَ وأثنَى عليه بما هو له أهلٌ، ثمّ قال: أيّها الناسُ، إنّي قد كنتُ قلتُ لكم بالأَمسِ مَقالةً ما كانت ممّا وَجَدتُها في كتابِ الله، ولا كانت عهداً عَهِدَ إليَّ رسولُ الله ﷺ، ولكنّي قد كنت أُرَى أنّ رسولَ الله ﷺ سيَدبُرُ أمرَنا - يقول: يكون آخرَنا - وإنّ الله قد أَبقَى فيكم كتابَه الّذي به هَدَى رسولَه، فإن اعتَصَمتُم به هَدَاكم الله لمَا كان هَدَاه له، وإنّ الله قد جَمَعَ أمرَكم على خيرِكم، صاحبِ رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في الغارِ، فقوموا فبايِعُوه. فبايَعَ الناسُ أبا بكرٍ بَيْعةَ العامّةِ بعد بَيْعةِ السَّقيفة.

ثمّ تكلَّم أبو بكرٍ، فحَمِدَ الله وأثنَى عليه بالّذي هو أهلُه، ثمّ قال: أمّا بعدُ، أيّها الناسُ، فإنّي قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيرِكم، فإن أحسنتُ فأَعِينُوني، وإن أسأتُ

---

(١) الخبر عن هذين الرجلين الصالحين من الأنصار رضي الله عنهم موصول بكلام عروة بن الزبير، وهو مرسل.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٢٠٦-٢٠٧ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٤٢٦ و٤٣١، وأبو القاسم بن بِشران في «أماليه» (١٣٧١) من طريق صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة.

وقصة معن بن عديٍّ رواها ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٦٨٩ من طريق سعيد بن هاشم، عن مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه. وقد تفرّد به سعيد بن هاشم - وهو الفيُّومي - عن مالك، وسعيدٌ هذا ضعّفه الدارقطني كما في «ميزان الاعتدال» للذهبي ٢/ ١٦١.

فقَوِّموني.

الصِّدقُ أمانةٌ، والكَذِبُ خِيانةٌ، والضّعيفُ فيكم قويٌّ عندي حتّى أُرِيحَ عليه حَقَّه[1] إن شاءَ الله، والقويُّ فيكم ضعيفٌ عندي حتّى آخُذَ الحقَّ منه إن شاءَ الله.

لا يَدَعُ قومٌ الجهادَ في سبيلِ الله إلّا ضَرَبَهم الله بالذُّلِّ، ولا تَشِيعُ الفاحشةُ في قومٍ قَطُّ إلّا عَمَّهم الله بالبلاءِ، أَطِيعوني ما أَطَعتُ اللهَ ورسولَه، فإذا عَصَيتُ اللهَ ورسولَه فلا طاعةَ لي عليكم، قوموا إلى صلاتِكم يَرحَمُكم الله[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني حسينُ بن عبد الله، عن عِكْرمةَ، عن ابن عبّاسٍ قال: والله إنّي لَأمشي مع عمرَ في خِلافتِه وهو عامدٌ إلى حاجةٍ له وفي يدِه الدِّرّةُ[3] وما معه غيري، قال: وهو يحدِّث نفسَه ويضربُ وَحشِيَّ قدمِه[4] بدِرّتِه، قال: إذِ التَفَتَ إليَّ فقال: يا ابنَ عبّاسٍ، هل تدري ما كان حَمَلَني على مَقالتي الّتي قلتُ حين تُوفِّيَ رسولُ الله ﷺ؟ قال: قلت: لا أدري يا أميرَ المؤمنين، أنت أعلمُ.

قال: فإنّه واللهِ إن كان الذي حَمَلَني على ذلك إلّا أنّي كنت أَقرأُ هذه الآيةَ:

---

(١) أي: أردّه عليه.

(٢) إسناده صحيح، وصحّحه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ٨/ ٩٠.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٢١٠ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، عن ابن إسحاق، به.

وروى خطبة أبي بكر دون خطبة عمرَ معمرٌ في «جامعه» (٢٠٧٠٢) قال: وحدثني بعض أهل المدينة قال: خطبنا أبو بكرٍ فقال...

ورواها أيضاً الدِّينَوري في «المجالسة» (١٢٩٠) بسند رجاله ثقات عن عبد الله بن عُكيم قال: لما بويع أبو بكر... وعبد الله بن عكيم تابعي كبير مُخضرَم.

(٣) الدِّرّة: عودٌ أو سوطٌ يُضرَب به.

(٤) الوحشيُّ من أعضاء الإنسان: ما كان إلى خارجٍ، والإنسيُّ: ما أقبَلَ على جسده منها.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، فوالله إن كنتُ لَأَظُنُّ أنّ رسولَ الله ﷺ سيبقى في أُمّتِه حتّى يَشهَدَ عليها بآخرِ أعمالِها، فإنّه لَلّذي حَمَلَني على أن قلتُ ما قلتُ[1].

---

(١) إسناده فيه لِينٌ لضعف حسين بن عَبد الله: وهو ابن عُبيد الله بن عباس بن عبد المطَّلب الهاشمي.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٢١١، وابن المنذر في «تفسيره» (٩٨٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٧/ ٢١٩ من طرق عن ابن إسحاق، به.

ورواه الواقدي في آخر كتاب «المغازي» ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزَّيلعي ٢/ ٤٠٧ ـ من طريق الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس. فهذه متابعة قويّة لحديث حسينٍ، لكن الواقدي متكلَّم فيه، إلا أنه يُتسامَح بالاعتبار به في مثل هذه الأخبار.

فائدة: أخرج الحاكم (٤٥٠٦) من حديث داود بن أبي هند، حدثنا أبو نَضْرة، عن أبي سعيد الخُدْري قال: لمّا تُوفِّيَ رسولُ الله ﷺ قام خطباءُ الأنصار (يعني في السقيفة)، فجعل الرجلُ منهم يقول: يا معشر المهاجرين، إنّ رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلاً منكم قَرَنَ معه رجلاً منّا، فنرى أن يَلِيَ هذا الأمرَ رجلان، أحدُهما منكم والآخر منّا، قال: فتتابَعَت خطباءُ الأنصار على ذلك، فقام زيدُ بن ثابت فقال: إنّ رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإنّ الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصارُه كما كنّا أنصارَ رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر فقال: جَزَاكم الله خيراً يا معشرَ الأنصار، وثبَّت قائلَكم، ثم قال: أمَا لو فعلتُم غيرَ ذلك لمَا صالَحْناكم، ثمّ أخذ زيدُ بن ثابتٍ بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبُكم، فبايعوه؛ ثم انطلقوا.

فلمّا قَعَدَ أبو بكر على المنبر (يعني من الغدِ) نَظَرَ في وجوه القوم، فلم يرَ عليّاً، فسأل عنه، فقام ناسٌ من الأنصار فأَتَوا به، فقال أبو بكر: ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ وخَتَنُه (أي: صهرُه) أردتَ أن تشقَّ عصا المسلمين؟! فقال: لا تثريبَ (أي: لا تأنيب) يا خليفةَ رسول الله، فبايَعَه، ثمّ لم يرَ الزبيرَ بن العوّام، فسأل عنه، حتى جاؤوا به، فقال: ابنُ عمّةِ رسول الله ﷺ وحَوَارِيُّه، أردتَ أن تشقَّ عصا المسلمين؟! فقال مثلَ قوله: لا تثريبَ يا خليفة رسول الله، فبايَعَاه. وإسناده صحيح.

جَهَازُ رسول الله ﷺ ودفنُه

قال ابن إسحاق: فلمّا بُوِيعَ أبو بكرٍ، أقبَلَ الناسُ على جَهَازِ رسول الله ﷺ يومَ الثّلاثاءِ، فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ وحسينُ بن عبدِ الله وغيرُهما من أصحابنا: أنّ عليَّ بن أبي طالبٍ والعبّاسَ بن عبد المُطَّلِب والفضلَ بن العبّاس وقُثَمَ بن العبّاس وأُسامةَ بن زيدٍ وشُقْرانَ مولى رسول الله ﷺ هم الّذين وَلُوا غَسْلَه، وأنّ أوسَ بن خَوْليٍّ - أحدَ بني عَوْف بن الخَزْرج - قال لعليّ بن أبي طالبٍ: أَنشُدُك اللهَ[1] يا عليُّ، وحَظَّنا من رسول الله ﷺ، وكان أوسٌ من أصحابِ رسول الله ﷺ وأهلِ بدرٍ، قال: ادخُلْ، فدخل فجَلَسَ وحَضَرَ غَسْلَ رسول الله ﷺ.

فأسنَدَه عليٌّ بن أبي طالبٍ إلى صدرِه، وكان العبّاسُ والفضلُ وقُثَمُ يُقلِّبونَه معه، وكان أسامةُ بن زيدٍ وشُقْرانُ مولاه هما اللّذانِ يَصُبّانِ الماءَ عليه وعليٌّ يُغسِّلُه قد أسنَدَه إلى صدرِه، وعليه قَمِيصُه يَدلُكُه من ورائِه لا يُفْضي[2] بيدِه إلى رسول الله ﷺ، وعليٌّ يقول: بأبي أنتَ وأُمّي، ما أَطيَبَك حيّاً ومَيتاً، ولم يُرَ من رسول الله ﷺ شيءٌ ممّا يُرَى من الميِّت[3].

---

(١) أي: أسألك بالله رافعاً نَشِيدي، وهو صوتي.

(٢) أي: لا يصلُ ولا ينتهي.

(٣) حديث قويّ، والظاهر أن ابن إسحاق قد جمعه من رواية غير واحد وساقه هنا بسياقة واحدة. عبد الله بن أبي بكر: هو ابن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاري، وهو ثقة حُجّة، وحسين ابن عبد الله: هو ابن عُبيد الله بن عباس بن عبد المطَّلب، وهو ضعيف، لكنه متابع بثقةٍ، فحديثه هنا معتبَرٌ به.

وقد رواه سلمةُ بن الفضل كما عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٢١١-٢١٢ عن ابن إسحاق، عن =

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّادٍ، عن عائشة قالت: لمّا أرادوا غَسْلَ رسولِ الله ﷺ اختَلَفوا فيه فقالوا: والله ما نَدْري، أنُجرِّدُ رسولَ الله ﷺ من ثيابِه كما نُجرِّدُ موتانا، أو نُغسِّلُه وعليه ثيابُه؟! قالت: فلمّا اختَلَفوا أَلقَى اللهُ عليهم النّومَ حتّى ما منهم رجلٌ إلّا ذَقَنُه في صدرِه ثمّ كَلَّمَهم مُكلِّمٌ من ناحيةِ البيت لا يدرون مَن هو: أن اغسِلُوا النبيَّ وعليه ثيابُه، قالت: فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغَسَّلوه وعليه قميصُه، يَصُبُّون الماءَ فوقَ القميصِ ويَدلُكونَه والقميصُ دونَ أيديهم[1].

قال ابن إسحاق: فلمّا فُرِغَ من غَسلِ رسول الله ﷺ كُفِّنَ في ثلاثةِ أثواب، ثوبَينِ صُحَارِيَّينِ[2] وبُرْدِ حِبَرةٍ أُدرِجَ فيه إدراجاً، كما حدّثني جعفرُ بن محمّد بن عليّ بن

= عبد الله بن أبي بكر وحسين ـ وتحرف في مطبوعه إلى: كثير ـ بن عبد الله وغيرهما، عمّن يحدّثه عن ابن عباس.

وهذا الراوي المبهم عن ابن عباس هو عكرمة مولاه كما سيأتي لاحقاً.

وكذلك أخرجه أحمد (٢٣٥٧) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، عن حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس. وانظر تمام تخريجه فيه.

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٠٦)، وأبو داود (٣١٤١)، وابن حبان (٦٦٢٧) و(٦٦٢٨)، والحاكم (٤٤٤٦) من طرق عن محمد بن إسحاق، بهذا الإسناد. وزادوا في آخره عن عائشة قالت: لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ، ما غسَّل رسولَ الله ﷺ إلا نساؤُه.

(٢) قال الخطّابي في «غريب الحديث» ١/ ١٥٨: الصُّحْرة: حُمْرة خفيّة كالغُبْرة، يقال: ثوبٌ أصحَرُ وصُحارِيٌّ، ومُلاءةٌ صَحراءُ وصُحاريّةٌ، وقال بعض أهل اللغة: الأصحر ما كان لونُه لونَ الصحراء من الأرض، قال الأصمعي: الأصحَرُ قريبٌ من الأصهب، ويقال: إن الصُّحَاريّ منسوب إلى صُحَار، وهي قرية باليمن. =

الحسين عن أبيه عن جدِّه عليِّ بن الحسين، والزُّهْريُّ عن عليِّ بن الحسين[1].

= قلنا: كذا قال، وصُحَار إنما هي في عُمَان، ويشهد لكونها المرادةَ في هذا الأثر أن مؤمَّل بن إسماعيل قد صرّح بها في روايته لهذا الخبر عن سفيان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه ـ كما ذكر ابن عبد البر في «التمهيد» ٢/ ١٦٣ ـ فقال: كُفّن في قميص وثوبين صحاريَّين من عمل عُمَان.

وأما البُرْد: فهو كساء يُلتَحف به، والحِبَرة: المخطَّط. ومعنى قوله: أُدرج فيه، أي: أُدخِلَ فيه، وكأنه يشير بذلك إلى أن هذا البُرد كان مَخِيطاً.

(١) رجاله ثقات إلا أنه مرسل، فعليُّ بن الحسين ـ وهو الملقَّب بزين العابدين ـ من الطبقة الوسطى من التابعين، وقد خولف في ذلك كما سيأتي.

وأخرجه البلاذُري في «أنساب الأشراف» ١/ ٥٧٢، وابن الجارود في «المنتقى» بإثر (٥١٧)، والطبري في «تاريخه» ٣/ ٢١٢، والبيهقي في «السنن» ٣/ ٤٠٠ من طرق عن ابن إسحاق، به.

وقد خولف ابنُ إسحاق فيه، فرواه سفيانُ الثوري عند عبد الرزاق في «مصنفه» (٦١٦٧)، وسفيانُ بن عيينة عنده أيضاً (٦٣٧٧)، وأنسُ بن عِياض عند ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٤٨، وحفصُ بن غياث عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٣/ ٢٥٨، أربعتهم عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه محمد، ولم يُجاوز به إلى جدّه عليٍّ.

ويخالف هذا الخبر ما صحَّ عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كُفّن في ثلاثة أثوابٍ يمانيَةٍ بِيضٍ من كُرسُف ليس فيهنّ قميص ولا عِمامة، أخرجه أحمد (٢٤١٢٢)، والبخاري (١٢٦٤)، ومسلم (٩٤١) وغيرهم. تعني بقولها: ليس فيهن قميص ولا عمامة، أي: كان كفنه ﷺ لفائف وليس فيه شيء مما يُلبَس، والكُرسُف: هو القُطن.

قلنا: وهذا هو المشهور المعتمَد عند جمهور أهل العلم، قال الترمذي في «جامعه» بإثر الحديث (٩٩٧): قد رُوِي في كفن النبي ﷺ رواياتٌ مختلفة، وحديثُ عائشة أصحُّ الأحاديث التي رُوِيَت في كفن النبي ﷺ، والعملُ على حديث عائشة عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم.

وقال ابن عبد البر في «التمهيد» ٢/ ١٦٣ معقِّباً على خبر جعفر بن محمد عن أبيه: وهذا خبر =

قال ابن إسحاق: وحدّثني حسينُ بن عبد الله، عن عِكْرمة، عن ابن عبّاسٍ قال: لمّا أرادوا أن يَحفِروا لرسول الله ﷺ، وكان أبو عُبيدة بن الجَرّاح يَضرَحُ[1] كحَفْر أهلِ مكّة، وكان أبو طَلْحة زيدُ بن سَهلٍ هو الّذي كان يَحفِرُ لأهلِ المدينة، فكان يَلحَدُ[2]، فدعا العبّاسُ رجلين فقال لأحدِهما: اذهبْ إلى أبي عُبيدة بن الجَرّاح، وقال للآخر: اذهبْ إلى أبي طَلْحة، اللّهمَّ خِرْ لرسول الله ﷺ. فوَجَدَ صاحبُ أبي طلحة أبا طلحةَ، فجاءَ به فلَحَدَ لرسول الله ﷺ.

فلمّا فُرِغَ من جَهَازِ رسول الله ﷺ يومَ الثّلاثاءِ وُضِعَ على سَريرِه في بيته، وقد كان المسلمون اختَلَفوا في دَفْنِه، فقال قائلٌ: نَدفِنُه في مسجدِه، وقال قائلٌ: بل نَدفِنُه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إنّي سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «ما قُبِضَ نبيٌّ إلّا دُفِنَ حيثُ يُقبَضُ»؛ فرُفِعَ فِراشُ رسولِ الله ﷺ الّذي تُوفّيَ عليه فحُفِرَ له تحتَه.

ثمّ دخل النّاسُ على رسول الله ﷺ يُصَلُّون عليه أَرْسالاً[3]، دخل الرّجالُ حتّى إذا فَرَغوا أُدخِلَ النّساءُ، حتّى إذا فَرَغَ النّساءُ أُدخِلَ الصِّبيان، ولم يَؤُمَّ النّاسَ على رسول الله ﷺ أحدٌ.

ثمّ دُفِنَ رسولُ الله ﷺ من وَسَطِ اللّيلِ ليلةَ الأربعاءِ[4].

= غير متصل، وحديثُ عائشة صحيح مُسنَد، والحُجّة به أَلزمُ في العمل، وكلاهما لا يَقطَع العُذرَ، وبالله العصمة والتوفيق، إلا أنّ الحديث المُسنَد يوجب العملَ وتجبُ به الحُجّةُ عند جميع أهل الحق والسُّنة.

(١) يضرح، أي: يشقّ الأرض للقبر.

(٢) اللَّحْد: الشَّق الذي يعمل في جانب القبر لوضع الميت، وسُمّي لحداً لأنه قد أُمِيل عن وسط القبر إلى جانبه.

(٣) أي: جماعاتٍ جماعاتٍ، واحدها: رَسَلٌ.

(٤) صحيح لغيره، وهذا إسناد فيه لِينٌ لضعف حسين بن عَبدالله: وهو ابن عُبيدالله بن =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ، عن امرأته فاطمةَ بنت عُمَارة[1]، عن عَمْرةَ بنت عبد الرَّحمن بن سَعْد[2] بن زُرَارةَ، عن عائشةَ قالت: ما عَلِمْنا بدَفْنِ رسول الله ﷺ حتّى سمعنا صوتَ المَسَاحي[3] من جوفِ اللّيل من ليلةِ الأربعاءِ.

قال محمد بن إسحاق: وقد حدَّثَتني فاطمةُ هذا الحديث[4].

= عباس بن عبد المطَّلب، لكن جاء ما يشهد لخبره هذا مقطَّعاً، فيتقوَّى بشواهده.

وأخرجه أحمد مقطَّعاً (٣٩) و(٢٣٥٧) و(٢٦٦١)، وابن ماجه بتمامه (١٦٢٨) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وانظر تتمة تخريجه وبيان شواهده فيهما؛ طبعة الرسالة.

(١) كذا وقع في رواية ابن هشام عن البكّائي: فاطمة بنت عمارة، ولعله نسبها إلى جدّها، فقد رواه يحيى بن آدم عن البكّائي عند البلاذُري في «أنساب الأشراف» ١/ ٥٦٨ فسمّاها فاطمة بنت محمد بن عمارة، وهذا أصحُّ، وتابعه على هذا يحيى بنُ واضح عن ابن إسحاق عند ابن راهويه في «مسنده» (٩٩٣)، وإبراهيمُ بن سعد عنه عند أحمد (٢٦٣٤٩) وابن المنذر في «التفسير» (٩٩٣) وابن عبد البر في «التمهيد» ٢٤/ ٣٩٦، وسلمةُ بن الفضل عنه عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٢١٣، ورواه غيرهم عن ابن إسحاق فسمَّوها فاطمة بنت محمد، لم يذكروا عمارة في نسبها، وأما فاطمة التي أبوها عُمارة - وهو ابن عمرو بن حَزْم - فهي أمُّ عبد الله بن أبي بكر لا امرأته كما في «الطبقات» لابن سعد ٧/ ٤١٤ و٤٩١، ولعلّ فاطمة امرأته ابنة أخيها، والله تعالى أعلم.

(٢) في (ش١) و(ش٢): أسعد، وهو خطأٌ، فجدُّها هو سعد بن زُرارة، وهو أخو النقيب الكبير أسعد بن زُرارة، وانظر «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٠٧.

(٣) جمع مِسْحاة: وهي المِجرَفة من الحديد.

(٤) حديث صحيح، وهذا إسناد محتمل للتحسين من أجل فاطمة امرأة عبد الله، ففيها نوع جهالةٍ، وقد توبعَت، والخبر السابق يشهد لخبرها.

وأخرجه أحمد (٢٤٣٣٣) عن عبدة بن سليمان، و(٢٦٣٤٩) من طريق إبراهيم بن سعد، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٥٥١) - ومن طريقه ابن المنذر في «الأوسط» (٣١٨٤) - =

قال ابن إسحاق[1]: وكان الّذين نَزَلوا في قبر رسولِ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ والفضلَ بنَ عبّاسٍ وقُثَمَ بن عبّاسٍ وشُقْرانَ مولى رسول الله ﷺ.

وقد قال أوسُ بن خَوْليٍّ لعليِّ بن أبي طالب: يا عليُّ، أنشُدُك اللهَ وحَظَّنا من رسولِ الله ﷺ، فقال له: انزِلْ، فنَزَلَ مع القوم.

وقد كان مولاه شُقْرانُ حين وُضِعَ رسولُ الله ﷺ في حُفْرتِه وبُنِيَ عليه، قد أَخذَ قَطِيفةً[2] قد كان رسولُ الله ﷺ يَلبَسُها ويَفترِشُها، فدَفَنَها في القبر، وقال: والله لا يَلبَسُها أحدٌ بعدَك أبداً. قال: فدُفِنَت مع رسول الله ﷺ.

وقد كان المغيرةُ بن شُعبةَ يدَّعي أنّه أحدثُ النّاسِ عهداً برسول الله ﷺ، يقول: أخذتُ خاتَمي فألقَيتُه في القبر وقلت: إنّ خاتَمي سَقَطَ منّي، وإنّما طَرَحتُه عَمداً لأمَسَّ رسولَ الله ﷺ، فأكونَ أحدثَ النّاسِ عهداً به ﷺ[3].

= عن ابن جُريج وغيره، عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبيه، عن عَمْرة، عن عائشة. لكن لم يذكر فيه ليلة الأربعاء.

(١) هذا وما بعده من قصة أوس بن خولي وقصة القَطيفة من تتمّة خبره عن حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس المتقدم تخريجه.

(٢) القَطيفة: كساء غليظ.

(٣) لم يسند ابن إسحاق خبر المغيرة هذا، وكذلك رواه عنه يونسُ بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٧/ ٢٥٧.

وقد روي في نزول المغيرةِ القبرَ روايات مختلفة مضطربة، كما في «الطبقات» لابن سعد ٥/ ١٧٦-١٧٧، وأحسنها ما رواه أبو عمران الجَوْني عن أبي عَسِيم قال: لمّا وُضِعَ رسول الله ﷺ في لحده قال المغيرة بن شعبة: إنه قد بقي من قِبَلِ رجليه شيء لم تُصلِحوه، قالوا: فادخل فأصلِحه، فدخل فمسَّ قدميه، ثم قال: أَهِيلوا عليَّ التراب، فأهالوا عليه التراب حتى بلغ أنصافَ ساقيه، فخرج فجعل يقول: أنا أحدثُكم عهداً برسول الله ﷺ. =

قال ابن إسحاق: فحدّثني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ، عن مِقسَمٍ أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نَوفَلٍ، عن مولاه عبدِ الله بن الحارث قال: اعتمرتُ مع عليِّ ابن أبي طالبٍ في زمانِ عمر أو زمانِ عثمان، فنَزَلَ على أختِه أمِّ هانئٍ بنت أبي طالبٍ، فلمّا فَرَغَ من عُمرتِه رجع فسُكِبَ له غُسلٌ فاغتَسَلَ، فلمّا فَرَغَ من غُسلِه دخل عليه نَفَرٌ من أهلِ العراق، فقالوا: يا أبا حَسَن، جِئْنا نسألُك عن أمرٍ نُحِبُّ أن تُخبِرَنا عنه، قال: أظُنُّ المغيرةَ بن شُعبةَ يحدِّثُكم أنّه كان أحدثَ النّاسِ عهداً برسول الله ﷺ؟! قالوا: أجَلْ، عن ذلك جِئْنا نسألُك، قال: كَذَبَ[1]، قال: أحدثُ النّاسِ عهداً برسول الله ﷺ قُثَمُ بن عبّاسٍ[2].

= وهذا أخرجه أحمد أيضاً في «مسنده» (٢٠٧٦٦) بنحوه، وأبو عسيم هذا قد تشكّك أبو القاسم البغوي في صُحبته فقال ـ فيما نقله عنه ابن حجر في «الإصابة» ٧/ ٢٧٥ ـ: لا أدري له صحبة أم لا.

وقد روى الواقديُّ ما ينفي نزول المغيرة في القبر، فقد أخرج البيهقي في «الدلائل» ٧/ ٢٥٨ من طريقه عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد، عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة مرسلاً قال: أَلقى المغيرة خاتمه في قبر النبي ﷺ، فقال علي: إنما ألقيتَه لتقول: نزلتُ في قبر النبي ﷺ فنزل فأعطاه أو أمر رجلاً فأعطاه.

ولذلك قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٨/ ١٤٧: هذا الذي ذُكر عن المغيرة بن شعبة، لا يقتضي أنه حصل له ما أمَّله، فإنه قد يكون عليٌّ رضي الله عنه لم يمكِّنه من النزول في القبر، بل أمر غيرَه فناوله إياه.

(١) المراد بالكذب هنا الخطأ، وقد استعملت العربُ الكذبَ في موضع الخطأ كما بيّن ذلك ابنُ الأثير في «النهاية» ٤/ ١٥٩.

(٢) إسناده جيّد.

وأخرجه أحمد (٧٨٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٠٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٨٤٠)، والبيهقي في «الدلائل» ٧/ ٢٥٧ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني صالحُ بن كَيْسانَ، عن الزُّهْريِّ، عن عُبيد الله بن عبد الله ابن عُتْبة، أنّ عائشة حدَّثته قالت: كان على رسول الله ﷺ خَمِيصةٌ سوداءُ[1] حين اشتَدَّ به وَجَعُه، قالت: فهو يَضَعُها مرّةً على وجهِه ومرّةً يَكشِفُها عنه ويقول: «قاتَلَ اللهُ قوماً اتَّخَذُوا قُبورَ أنبيائِهم مساجدَ»، يَحذَرُ من ذلك على أُمّتِه[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني صالحُ بن كَيْسان، عن الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله ابن عُتْبة، عن عائشة قالت: كان آخرَ ما عَهِدَ رسولُ الله ﷺ أنْ قال: «لا يُتْرَكُ بجَزيرةِ العربِ دِينَانِ»[3].

= وسقط في مطبوع «المشكل» من إسناده مقسمٌ.

(١) خميصة سوداء: هي كِساء أسود من خزٍّ أو صوف مُعلَم، أي: عليه أعلام، وهي رسومات تُنقَش على الثياب.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٥٠)، والنسائي في «الكبرى» (٧٠٥٤) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه إبراهيم بن سعد أيضاً عن صالح بن كيسان بلا واسطة فيما أخرجه أحمد (٢٦٣٥٣)، والنسائي أيضاً (٧٠٥٣). وقرن بعائشة ابنَ عباس.

وكذلك رواه عنهما كليهما جمهورُ أصحاب الزهري عنه فيما أخرجه أحمد (١٨٨٤)، والبخاري (٤٣٥) و(٣٤٥٣) و(٤٤٤٣) و(٥٨١٥)، ومسلم (٥٣١)، والنسائي في «المجتبى» (٧٠٣) و«الكبرى» (٧٨٤) و(٧٠٥٢)، وابن حبان (٦٦١٩). ولفظه عندهم: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

ورواه عن عائشة أيضاً بنحوه عروةُ بن الزبير عند أحمد (٢٤٥١٣)، والبخاري (١٣٣٠) و(٤٤٤١)، ومسلم (٥٢٩)، وسعيدُ بن المسيّب عند أحمد (٢٥١٢٩)، والنسائي في «المجتبى» (٢٠٤٦) و«الكبرى» (٢١٨٤)، وابن حبان (٢٣٢٧).

(٣) حديث صحيح رجاله ثقات، لكن اختُلف على ابن إسحاق في وصله وإرساله. =

قال ابن إسحاق: ولمّا تُوفّيَ رسولُ الله ﷺ عَظُمَت به مصيبةُ المسلمين، فكانت عائشةُ ـ فيما بَلَغَني ـ تقول: لمّا تُوفّيَ رسولُ الله ﷺ ارتَدَّتِ العربُ، واشرَأَبَّت[1] اليهوديّةُ والنصرانيّةُ، ونَجَمَ[2] النِّفاقُ، وصار المسلمون كالغَنَمِ المَطِيرةِ في اللّيلةِ الشّاتيةِ لفَقْدِ نبيِّهم ﷺ، حتّى جَمَعَهم الله على أبي بكرٍ[3].

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدةَ وغيرُه من أهلِ العلم: أنّ أكثرَ أهلِ مكّة لمّا تُوفّيَ رسول الله ﷺ هَمُّوا بالرُّجوعِ عن الإسلام وأرادوا ذلك، حتّى خافَهم عَتّابُ بن أَسِيدٍ[4] فتَوارَى، فقام سُهَيلُ بن عمرٍو فحَمِدَ اللهَ وأثنَى عليه، ثمّ ذَكَرَ وفاةَ رسول الله ﷺ وقال: إنّ ذلك لم يَزِدِ الإسلامَ إلّا قوّةً، فمَن رابَنا[5] ضَرَبْنا عُنُقَه، فتراجعَ النّاسُ وكَفُّوا عمّا هَمُّوا به، وظَهَرَ عتّابُ بن أَسِيدٍ.

= فقد رواه موصولاً أيضاً عن ابن إسحاق إبراهيمُ بن سعد عند أحمد (٢٦٣٥٢)، ومحمدُ بن سلمة عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٢١٤-٢١٥، والطبراني في «الأوسط» (١٠٦٦).

وأما الرواية المرسلة، فقد تقدّمت عند المصنف ٣/ ٤٧٥، فانظر تخريجها وشواهد الحديث هناك.

(١) أي: ارتفعت وعَلَت.

(٢) أي: ظَهَر.

(٣) لم نقف عليه بهذا اللفظ عند غير المصنف، وقد روى نحوه ابن أبي شيبة ١٤/ ٥٧٢ (٣٨٢١٠-عوامة) وأحمد في «فضائل الصحابة» (٦٨) من حديث القاسم بن محمد عن عائشة أنها كانت تقول: قُبِضَ النبي ﷺ فارتدَّت العرب، واشرأبَّ النفاق بالمدينة، فلو نزل بالجبال الرواسي ما نزل بأَبي لهاضَها (أي: كسرها)، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أَبي بحظِّها وعَنائها في الإسلام.

(٤) وكان رسول الله ﷺ قد استعمله على مكة بعد الفتح.

(٥) من رابَنا، أي: من رأينا منه ما يَرِيبُنا ونَكرَهه منه.

فهذا المَقامُ الّذي أراد رسولُ الله ﷺ في قوله لعمر بن الخَطّاب: «إنَّه عسى أنْ يقومَ مَقاماً لا تَذُمُّه»[1].

(١) لم نقف عليه مسنَداً بهذا اللفظ، وقد تقدم الكلام عليه ٢/ ٣٦٨.

شعرُ حسّان بن ثابت في مَرثِيَتِه رسولَ الله ﷺ

وقال حسّانُ بن ثابتٍ يبكي رسولَ الله ﷺ، فيما حدَّثنا ابن هشامٍ عن أبي زيدٍ الأنصاريِّ[1]:

بطَيْبـةَ رَسْـمٌ للرّسـولِ ومَعهَـدُ ... مُنيـرٌ وقـد تَعفُـو الرُّسـومُ وتَهمُـدُ[2]

ولا تَمتَحـي الآيـاتُ مـن دارِ حُرْمـةٍ ... بهـا مِنبَـرُ الهـادي الّـذي كـان يَصعَدُ[3]

وواضِـحُ آثـارٍ وبـاقي مَعـالِمٍ ... ورَبْـعٌ لـه فيـه مُصـلًّى ومسـجدُ[4]

بهـا حُجُـراتٌ كـان يَنـزِلُ وَسْـطَها ... مِـن الله نـورٌ يُستَضـاءُ ويُوقَـدُ[5]

مَعـارِفُ لـم تُطمَـسْ علـى العهـدِ آيُها ... أتاهـا البِلَـى فـالآيُ منهـا تُجـدَّدُ[6]

عَرَفـتُ بهـا رَسْـمَ الرّسـولِ وعَهْـدَهُ ... وقـبراً بهـا واراه في التُّـربِ مُلحِـدُ[7]

ظَلَلتُ بها أبكي الرّسـولَ فأسعَدَت ... عيـونٌ ومِثْلاهـا مـن الجِـنِّ[8] تُسـعِدُ

---

(١) انظر «ديوان حسان» ١/ ٤٥٥.

(٢) طَيْبة: اسم مدينة النبي ﷺ. والرَّسْم: الأثر، ورَسْم الدار: ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض.

والمَعهَد: المنزل الذي لا يزال القوم إذا ابتعدوا عنه رجعوا إليه، وهو أيضاً المنزل الذي كنت تَعهَدُ به هوًى لك. وتعفو: تنمحي وتتغيّر. وتهمد: تَبلَى.

(٣) تمتحي: تزول. والآيات: العلامات.

(٤) المعالم: جمع مَعلَم، وهو ما يُعرَف به الشيء. والرَّبْع: المَحَلّة.

(٥) الحجرات: جمع حُجْرة، يعني مساكنَه ﷺ.

(٦) لم تطمس، أي: لم تتغيّر.

(٧) الرَّسم: الأثر. والعَهد: كالمَعهَد، وقد سبق شرحه. المُلحِد: الذي يضع الميت في لَحْده.

(٨) هكذا في نسخنا غير (ش١) و(ف) ففيهما: الحنّ، بالحاء من الحنين، وفي طبعة السقا =

يُـذكِّرنَ آلاءَ الرّسـولِ ومـا أَرى ... لهـا مُحصِـياً نَفْسـي فنَفْسـي تَبَلَّـدُ[1]

مُفجَّعـةً قـد شَـفَّها فَقْـدُ أحمـدٍ ... فظَلَّـت لآلاءِ الرّسـولِ تُعـدِّدُ[2]

ومـا بَلَغَـت مـن كـلِّ أمـرٍ عَشِـيرَه ... ولكـنْ لنفسـي بعـدُ مـا قـد تَوَجَّـدُ[3]

أطالـت وُقوفاً تَـذرِفُ العينُ جُهـدَها ... علـى طَلَـلِ القـبر الّـذي فيـه أحمـدُ[4]

فبُورِكـتَ يـا قبـرَ الرّسـولِ وبُورِكَـت ... بـلادٌ ثَـوَى فيهـا الرَّشـيدُ المُسـدَّدُ[5]

وبُـورِكَ لَحـدٌ منـكَ ضُـمِّنَ طيِّبـاً ... عليـه بنـاءٌ مـن صَـفيحٍ مُنضَّـدُ[6]

تَهيـلُ عليـه التُّـربَ أَيـدٍ وأَعـيُنٌ ... عليـه وقـد غـارَت بـذلك أسـعُدُ[7]

لقـد غَيَّبـوا حِلْمـاً وعِلمـاً ورحمـةً ... عَشِـيّةَ عَلَّـوهُ الثَّـرَى لا يُوسَّـدُ[8]

وراحُـوا بحُـزنٍ لـيس فـيهم نبـيُّهمْ ... وقـد وَهَنَـت مـنهم ظُهـورٌ وأعضُـدُ[9]

= وصاحبيه: الجفن.

وتُسعِد، أي: تُعِين. يريد أن عيون الإنس والجنِّ تبكيه ﷺ.

(١) الآلاء: النِّعَم، جمع أَلًى وإِلًى.

وتَبلَّدُ، أي: تتبلَّد، يعني تلحقها حَيْرة ودهشة.

(٢) شفَّها، أي: أضعَفَها وأهزلها.

(٣) العَشِير هنا: العُشْر. وتَوجَّدُ، أي: تتوجّد، من الوَجْد، وهو الحزن.

(٤) تَذرِف العين: تَسِيل بالدمع. والطَّلَل: ما بقي من آثار الدار وغيرها.

(٥) ثَوَى: أقام.

(٦) الصفيح: الحجارة الرقيقة العريضة. والمنضَّد: الذي رُصِف بعضه على بعض.

(٧) تَهيل، بفتح التاء وضمّها: تصبّ. وغارت، أي: اختفت وذهبت. وأسعُد: جمع سَعْد، أحد سُعود النجوم.

(٨) لا يُوسَّد، أي: لا يُجعَل له وِسادٌ، يعني في القبر.

(٩) وَهَنَت، أي: ضعُفت وفَتَرَت من الحزن.

يُبكُّون مَن تَبْكي السّماواتُ يومَهُ ... ومَن قد بَكَته الأرضُ فالناسُ أكمَدُ[1]

وهل عَدَلَت يوماً رَزِيّةُ هالكٍ ... رَزِيّةَ يومٍ مات فيه محمّدُ[2]

تَقطَّعَ فيه مُنزَلُ الوحيِ عنهمُ ... وقد كان ذا نورٍ يَغُورُ ويُنجِدُ[3]

يدُلُّ على الرَّحمن مَن يَقتَدي بهِ ... ويُنقِذُ من هَوْلِ الخزايا ويُرشِدُ

إمامٌ لهم يَهدِيهم الحقَّ جاهداً ... مُعلِّمُ صِدقٍ إن يُطِيعوهُ يَسعَدوا

عَفوٌّ عن الزَّلّاتِ يَقبَلُ عُذرَهمْ ... وإن يُحسِنوا فاللهُ بالخيرِ أجوَدُ

وإن نابَ أمرٌ لم يقوموا بحَملِه ... فمِن عندِه تيسيرُ ما يَتَشدَّدُ

فبَيْنا همُ في نِعمةِ الله؛ وَسْطَهمْ[4] ... دليلٌ به نَهْجُ الطّريقةِ يُقصَدُ

عزيزٌ عليه أن يَجُوروا عن الهُدَى ... حريصٌ على أن يَستَقيموا ويَهتَدُوا[5]

عَطُوفٌ عليهم لا يُثنِّي جَناحَهُ ... إلى كَنَفٍ يَحنُو عليهم ويَمهَدُ[6]

---

(١) يُبكُّون، أي: يَبكُون عليه. وأكمد: أحزن.

(٢) الرَّزِيّة: المصيبة والفجيعة.

(٣) يغور، أي: يبلغ الغَوْر، وهو المنخفض من الأرض. ويُنجِد: يبلغ النَّجْد، وهو المرتفع من الأرض.

(٤) في (ق٢): بينهم.

وقوله: وسطهم دليل... إلخ، بيانٌ لنعمة الله التي هم فيها، وجواب قوله: فبَيْنا، قولُه: إذ غَدَا إلى نورهم سهمٌ من الموت مُقصِد، وقد أعاد فبَيْنا في ذلك البيت لطول ما بين فبَيْنا هنا وجوابها هناك، قاله البرقوقي في «شرح ديوان حسان» ص٩٣.

ونَهْج الطريقة، أي: الطريق البيِّن الواضح.

(٥) يجوروا عن الهدى، أي: يَحِيدوا ويميلوا عنه.

(٦) لا يثنّي جناحه، أي: لا يصرف عطفه عن أحد. والكَنَف: الجانب والناحية. ويَمهَد، أي: يتواضع لهم، من قولك: مهدت له المكان، أي: جعلته له وطيّاً سهلاً.

فبَيْنا همُ في ذلك النُّورِ، إذ غَدَا ... إلى نُورِهم سهمٌ من الموتِ مُقصِدُ[1]

فأصبَحَ محموداً إلى الله راجعاً ... يُبكِّيهِ حَقُّ المُرسَلاتِ ويُحمَدُ[2]

وأمسَتْ بلادُ الحُرْمِ وَحْشاً بِقاعُها ... لغَيْبةِ ما كانت من الوحيِ تَعهَدُ[3]

قِفاراً سوى معمورةِ اللَّحدِ ضافَها ... فَقِيدٌ يُبكّيهِ بَلاطٌ وغَرقَدُ[4]

ومسجدُه فالمُوحِشاتُ لفَقْدِهِ ... خَلاءٌ له فيه مَقامٌ ومَقعَدُ

وبالجَمْرةِ الكُبرى له ثَمَّ أَوحَشَت ... ديارٌ وعَرْصاتٌ ورَبْعٌ ومَولِدُ[5]

فبَكِّي رسولَ الله يا عَينِ عَبْرةً ... ولا أعرِفَنْكِ الدّهرَ دمعُكِ يَجمُدُ

وما لكِ لا تَبكِينَ ذا النِّعمةِ الّتي ... على الناسِ منها سابغٌ يَتَغمّدُ[6]

فجُودِي عليه بالدّموعِ وأَعْوِلي ... لفَقْدِ الّذي لا مِثلُه الدَّهرَ يُوجَدُ[7]

وما فَقَدَ الماضونَ مِثلَ محمّدٍ ... ولا مِثلُه حتّى القيامةِ يُفقَدُ

أعَفَّ وأَوفَى ذِمّةً بعدَ ذِمّةٍ ... وأقربَ منه نائلاً لا يُنكَّدُ[8]

---

(١) مُقصِد: مُصِيب، يقال: أقصَدَ السهمُ، إذا أصاب فقتل.

(٢) يبكّيه، أي: يبكي عليه.

والمرسلات هنا: الملائكة، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٦٤: ومن رواه: جنّ المرسلات، فيريد أنهم مستورون عن أعين الآدميّين.

(٣) بلاد الحُرْم، بضم الحاء وكسرها: يعني مكة وما اتّصل بها من الحَرَم.

(٤) قِفاراً، أي: مُقفِرة خالية. وضافها: نزل بها. وبلاط: مستوٍ من الأرض. والغَرقَد: شجر. وأراد بمعمورة اللّحد: المدينة المنوَّرة، المعمورة بقبره ﷺ.

(٥) عَرْصات: ساحات، واحدها: عَرَصة، وسكّنت الراء ضرورةً.

(٦) سابغ: كثير تامّ واسع. ويتغمّد: يغمر ويستر.

(٧) أعْوِلي: ارفعي صوتك بالبكاء.

(٨) النائل: ما تناله، أي: العطاء. ولا يُنكَّد، أي: لا يكدِّر بالمنِّ الذي يُفسِد النائل.

وأبــذَلَ منــه للطَّريــفِ وتالِــدٍ ... إذا ضَــنَّ مِعطــاءٌ بمــا كــانَ يُتلَــدُ[1]

وأكــرمَ صِيتاً في البيــوتِ إذا انتَمَــى ... وأكــرمَ جَــدّاً أبطَحيّــاً يُســوَّدُ[2]

وأمنَــعَ ذِرْواتٍ وأثبَــتَ في العُــلَا ... دعــائمَ عِــزٍّ شــاهقاتٍ تُشــيَّدُ[3]

وأثبــتَ فَرْعــاً في الفُــروعِ ومَنبتــاً ... وعُــوداً غَــذَاه المُــزْنُ فــالعُودُ أَغيَــدُ[4]

رَبَــاهُ وَليــداً فاســتَتَمَّ تمامُــهُ ... علــى أكــرمِ الخيــراتِ ربٌّ مُمجَّــدُ

تَناهَــت وَصَــاةُ المســلمينَ بكَفِّــهِ ... فــلا العِلــمُ محبوسٌ ولا الــرّأيُ يُفنَــدُ[5]

أقــولُ ولا يُلقَــى[6] لمــا قلــتُ عائــبٌ ... مــن النــاسِ إلّا عــازِبُ العَقــلِ مُبعَــدُ

ولــيس هَــوَائي نازعــاً عــن ثَنائــهِ ... لَعلِّــي بــه في جنّــةِ الخُلــدِ أَخلُــدُ

مــعَ المصــطفَى أرجــو بــذاكَ جِــوارَهُ ... وفي نَيــلِ ذاكَ اليــومِ أَســعَى وأَجهَــدُ

---

(١) الطريف: المال المستحدَث. والتالد: المال القديم الموروث. وضنّ: بَخِل. ويُتلَد، أي: يُكتسَب قديماً.

(٢) الصِّيت: الذِّكر الحسن، وهو كذلك في نسختَي (ش١) و(ش٢): وأكرمَ ذِكراً. والأبطحيّ: المنسوب إلى أَبطَح مكة، وهو موضع سهل متّسع.

(٣) الذِّروات: الأعالي. والعُلا: الرِّفعة والشرف. وشاهقات: مرتفعات، وفي (ت) و(ص) و(ط) و(ق٢) و(م): شامخات.

(٤) المُزن: السحاب. وأغيَد: ناعمٌ متثنٍّ.

(٥) تناهَت، أي: انتهت، والوَصاة: الوصيّة، والمراد بها هنا كما قال البرقوقيُّ في «شرحه» ص٩٦: ما يتلقّاه المسلمون من السيّد الرسول ﷺ، وقوله: بكفّه، فالكفُّ هنا تمثيل لما عنده ﷺ من العلوم وكأنه في قبضة يده. ويُفنَد، أي: يعاب، والفَنَد: الخطأ في الرأي.

(٦) في (ق٢) و(م): ولا يُلفَى، بالفاء، أي: لا يوجد، وعلى حاشيتهما إشارة إلى نسخة فيها مكان «لما قلت»: لقولي.

وعازبُ العقل: بعيد العقل.

وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً يبكي رسولَ الله ﷺ[1]:

مـا بـالُ عينِـكَ لا تنـامُ كأنّمـا ... كُحِلَـت مَآقِيهـا بكُحـلِ الأَرمَـدِ[2]

جَزَعـاً على المَهـديِّ أصبحَ ثاوِيـاً ... يا خيرَ مَن وَطِئَ الحَصَى لا تَبعَدِ

وجهي يَقِيكَ التُّربَ لَهْفِي لَيتَني ... غُيِّبـتُ قبلَـكَ في بَقيـعِ الغَرقَـدِ[3]

بـأبي وأُمّـي مَـن شَـهِدتُ وفاتَـهُ ... في يـومِ الاثنـينِ النبـيُّ المُهتـدِي

فظَلَلـتُ بعـدَ وفاتِـه مُتَبلِّـداً ... مُتَلـدِّداً يـا لَيتَنـي لـم أُولَـدِ[4]

أأُقـيمُ بعـدَكَ بالمدينـةِ بيـنَهمْ ... يـا لَيتَنـي صُـبِّحتُ سَـمَّ الأسـوَدِ[5]

أو حَـلَّ أمـرُ الله فينـا عـاجلاً ... في رَوْحـةٍ مـن يومِنـا أو في غـدِ[6]

فتقـومَ سـاعتُنا فنَلْقـى طيِّبـاً ... مَحْضـاً ضَـرائبُه كـريمَ المَحتِـدِ[7]

يـا بِكـرَ آمنـةَ المبـارَكِ بِكرُهـا ... وَلَدَتـهُ مُحصَـنةً بسَـعْدِ الأسـعُدِ[8]

نـوراً أضـاءَ علـى البَرِيّـةِ كلِّهـا ... مـن يُهـدَ للنّـورِ المبـارَكِ يَهتَـدي

---

(١) انظر «ديوانه» ١/ ٢٦٩.

(٢) المَآقي: مجاري الدموع من العين، الواحد: مَأْق ومُؤْق. والأرمد: الذي يشتكي وجعَ عينيه.

(٣) بقيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة.

(٤) المتبلِّد والمتلدِّد: من أدركته حَيرةٌ.

(٥) صُبّحت، أي: سُقِيتُ صباحاً. والأسود: ضرب من الحيّات.

(٦) أصل الغَدِ: هو اليوم الذي يأتي بعد يومك، ولم يُرِد حسان الغدَ بعينِه، وإنما أراد القريب من الزمان، والرَّوحة: من الرَّوَاح، وهو من بعد زوال الشمس إلى الليل.

(٧) الضرائب: جمع ضَريبة، وهي الطبيعة والسَّجيّة. والمَحتِد: الأصل.

(٨) المحصَنة: العفيفة. وسعد الأسعُد: يريد سعد السُّعود، أحد منازل القمر، أي: باليُمن والبركة، والعرب تتيمّن بسعد السعود.

يـــا رَبِّ فاجمَعْنـــا معـــاً ونبيَّنـــا ... في جنّـــةٍ تَثنِـــي عيـــونَ الحُسَّـــدِ[1]

في جنّـــةِ الفِـــردَوسِ فاكتُبْهـــا لنـــا ... يـــا ذا الجَـــلالِ وذا العُـــلَا والسُّـــودَدِ

واللهِ أســـمَعُ مـــا بَقِيـــتُ بهالـــكٍ ... إلّا بَكَيـــتُ علـــى النبـــيِّ محمّـــدِ[2]

يـــا وَيـــحَ أنصـــارِ النبـــيِّ ورَهْطِـــهِ ... بعـــدَ المُغيَّـــبِ في سَـــواءِ المَلحَـــدِ[3]

ضـــاقَتْ بالَأنصـــارِ البـــلادُ فأصبَحوا ... سُـــوداً وُجـــوهُهم كلَـــونِ الإثمِـــدِ[4]

ولقـــد وَلَـــدْناه وفينـــا قبـــرُه ... وفُضـــولُ نِعمَتِـــه بنـــا لـــم تُجحَـــدِ[5]

واللهُ أكرَمَنـــا بـــه وهَـــدَى بـــهِ ... أنصـــارَه في كـــلِّ ســـاعةِ مَشـــهَدِ

صَـــلَّى الإلـــهُ ومَـــن يَحُـــفُّ بعَرشِـــهِ ... والطّيِّبـــون علـــى المُبـــارَكِ أحمـــدِ

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ يبكي رسولَ الله ﷺ[6]:

نَـــبِّ المســـاكينَ أنّ الخيـــرَ فـــارَقَهم ... مـــع النبـــيِّ تَـــوَلَّى عـــنهمُ سَـــحَرا[7]

مَن ذا الّذي عنده رَحْلي وراحلتي ... ورِزقُ أهلي إذا لـم يُؤنِسوا المَطَـرا[8]

أم مَـــن نُعاتِـــبُ لا نَخشَـــى جَنادِعَـــهُ ... إذا اللّســـانُ عَتَـــا في القـــولِ أو عَثَـــرا[9]

---

(١) تثني، أي: تصرف وتدفع.

(٢) واللهِ أسمعُ، أي: والله لا أسمعُ.

(٣) سواء الملحد، أي: وسط القبر.

(٤) الإثمد: كحل أسود يكتحل به.

(٥) ولدناه: يشير إلى أن بني النَّجّار أخوال النبي ﷺ من قِبَل آبائه.

(٦) انظر «ديوانه» ١/ ٤٢١.

(٧) نبِّ، أي: نبِّئ وأَعلِم، سهّله لضرورة الشعر.

(٨) لم يؤنسوا المطر، أي: لم يبصروه ويروه. يشير إلى عِظَم جُود النبي ﷺ وسَعَة كرمه في العطاء.

(٩) الجنادع: أوائل الشر. وعتا: زاد وطغى.

كـان الضِّـياءَ وكـان النّـورَ نَتبَعُـهُ ... بعـدَ الإلٰـهِ وكـان السّـمعَ والبَصَـرا

فلَيْتَنـا يـومَ وارَوْهُ بمَلحَـدِهِ ... وغَيَّبـوه وأَلقَـوْا فوقَـه المَـدَرا[1]

لـم يَتْـرُكِ اللهُ منّـا بعـدَه أحـداً ... ولـم يُعِـشْ بعـدَه أُنثـى ولا ذَكَـرا

ذَلَّـت رِقـابُ بنـي النَّجّـارِ كلِّهـمِ ... وكـان أمـراً مـنَ أمـرِ الله قـد قُـدِرا

واقتُسِـمَ الفَـيءُ دونَ النّـاسِ كلِّهـمِ ... وبَـدَّدُوه جِهـاراً بيـنهم هَـدَراً[2]

وقال حسّان بن ثابتٍ أيضاً يبكي رسولَ الله ﷺ[3]:

آلَيـتُ مـا في جميـعِ النّـاسِ مُجتَهِـداً ... منّـي أَلِيّـةَ بَـرٍّ غيـرَ إفنـادِ[4]

تـاللهِ مـا حَمَلَـت أُنثـى ولا وَضَـعَت ... مِثـلَ الرّسـولِ نبـيِّ الأُمّـةِ الهـادي

ولا بَـرَا اللهُ خَلْقـاً مـن بَرِيّتِـهِ ... أَوفَـى بذِمّـةِ جـارٍ أو بمِيعـادِ

مـنَ الّـذي كـان فينـا يُستَضـاءُ بـهِ ... مُبـارَكَ الأمـرِ ذا عَـدلٍ وإرشـادِ

أمسـى نِسـاؤُك عَطَّلـنَ البُيـوتَ فمـا ... يَضـربنَ فـوقَ قَفَـا سِـتْرٍ بأَوتـادِ[5]

مِثـلَ الرَّواهـبِ يَلبَسـنَ المَبـاذِلَ قَـدْ ... أَيقَـنَّ بـالبُؤسِ بعـدَ النِّعمـةِ البـادي[6]

يـا أفضـلَ النّـاسِ إنّـي كنـتُ في نَهَـرٍ ... أصبحتُ منه كمِثْلِ المُفـرَدِ الصّـادي[7]

---

(١) المَدَر: الطين والتراب.

(٢) بدَّدوه، أي: فرَّقوه. وهدراً، أي: باطلاً.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ٢٧٢.

(٤) الأليّة: اليمين والحَلِف. والإفناد: العيب.

(٥) قفا ستر، أي: خلفه ووراءه.

(٦) المباذل: جمع مِبذَل، وهو الثوب الذي يُبتذَل فيه.

والبادي: الظاهر، وهو صفة للبُؤس.

(٧) كنت منك في نهر، يريد: كنت ريّان. والصادي: العاطش.

قال ابن هشام: عَجُزُ البيتِ الأوَّلِ عن غير ابن إسحاق[1].

تمَّ كتاب سيرة
سيّدنا محمّد رسول الله ﷺ[2]

---

(١) جاء في آخر نسخة (ش٢) وآخر نسخة عندنا من مكتبة فاضل باشا بتركيا:

أنشدني أبو محمد عبد الواحد عن محمد بن عبد الرَّحيم البَرْقي قال: أَوعَب أبو محمد عبد الملك بن هشام كتابَ «السيرة» وبحضرته رجل من فصحاء العرب وذوي علمهم، فقال في ذلك:

تمَّ الكتابُ وصار في الفرضِ ... عشرين جزءاً كلَّها تُرضِي
كَمُلَت بلا لحنٍ ولا خَطَلٍ ... في الشكلِ والإعجامِ والقَرْضِ
والحِملُ درٌّ صحَّ تحمُّلُه ... بعضٌ من العلماءِ عن بعضِ

قلنا: والشطر الأول من البيت الأخير هكذا وقع في النسختين، وهو مكسورٌ غير موزون.

* * *

(٢) تمَّ بحمد الله وتوفيقه الانتهاءُ من تحقيق وتخريج نصوص هذا السِّفر الجليل في النصف من شهر شوّال سنة ١٤٤٢هـ، الموافق لآخر شهر أيار سنة ٢٠٢١م، وكان البَدءُ بالعمل فيه في العشر الأوسط من شهر رمضان المبارك سنة ١٤٤٠هـ، الموافق للنصف من شهر أيار سنة ٢٠١٩م، فالحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الجزء الأول

- **مقدمة التحقيق** ٧
ترجمة ابن إسحاق ١٣
ترجمة البكّائي راوية ابن إسحاق ١٨
ترجمة عبد الملك بن هشام صاحب «السيرة» ٢٠
عملنا في التحقيق ٢٢
وصف النسخ الخطية ٢٦
نماذج من النسخ ٣١
-**ذكرُ سَرْد النَّسب الزَّكيّ** ٣
سِيَاقةُ النَّسب من ولد إسماعيل ٦
تفرُّق القبائل من عدنان ٩
أمرُ عمرو بن عامر في خروجه من اليمن وقصة سُدِّ مَأرِب ١٤
أمر ربيعة بن نصر ملكِ اليمن ١٦
استيلاء أبي كَرِبٍ تُبَان أسعد على مُلك اليمن ٢٠
مُلكُ ابنِه حسّان بن تُبَان، وقتلُ عمرٍو أخيه له ٣٠
وُثُوب لَخْنِيعة ذي شَناتِر على مُلك اليمن ٣١
مُلْكُ ذي نُوَاس ٣٣
ابتداء وقوع النصرانيّة بنَجْران ٣٣
أمرُ عبد الله بن الثَّامِر، وقصةُ أصحاب الأخدود ٣٦
أمر الأُخدود ٤٠

أمر دَوْسٍ ذي ثُعلُبان، وابتداء مُلك الحبشة ٤٢
غَلَبُ أبرهة الأشرم على أمر اليمن، وقتل أرياط ٤٦
أمرُ الفيل، وقصة النَّسَأَة ٤٧
ما قيل في صفة الفيل من الشِّعر ٦٣
خروج سيف بن ذي يَزَن، ومُلكُ وَهْرِزَ على اليمن ٦٩
ذكر ما انتهى إليه أمرُ الفُرس باليمن ٧٥
قصة ملك الحَضْر ٧٨
ذكر ولد نِزَار بن مَعَدٍّ ٨٢
قصة عمرو بن لُحيّ وذكرُ أصنام العرب ٨٥
أمر البَحِيرة والسائبة والوَصِيلة والحامِي ٩٨
عدنا إلى سياقة النسب ١٠٠
أمرُ سامَة ١٠٨
أمرُ عَوْف بن لؤيٍّ ونُقلَته ١٠٩
أمرُ البَسْل ١١٤
أولاد عبد المُطَّلب بن هاشم ١١٩
إشارة إلى ذكر احتفار زمزمَ ١٢١
أمر جُرهُم ودفن زمزم ١٢١
استيلاءُ قوم من كِنانة وخُزَاعة على البيت ونفي جُرهُم ١٢٣
استبداد قوم من خُزاعة دون كِنانة بولاية البيت ١٢٦
تزوُّج قُصيّ بن كلابٍ حُبَّى بنت حُلَيل ١٢٧
ما كان يليهِ الغَوثُ بن مُرٍّ من الإجازة للناس بالحج ١٢٨

ما كانت عليه عَدْوانُ من إفاضة المُزدلِفة ١٣٠
أمر عامر بن ظَرِب بن عمرو ١٣٢
غَلَبُ قُصيّ بن كِلاب على أمر مكّة ١٣٣
ذكر ما جرى من اختلاف قريشٍ بعد قصيٍّ ١٤١
وحِلْف المطيَّبين ١٤١
حِلفُ الفُضول ١٤٤
ذكر حَفْر زمزم وما جرى من الخُلْف فيها ١٥٥
ذكر بِئار قبائلِ قريش بمكّة ١٦١
ذكر نَذْرِ عبد المُطَّلِب ذبحَ ولده ١٦٤
ذكرُ المرأةِ المتعرِّضة لنكاح عبد الله بن عبد المُطَّلِب ١٦٩
ذكر ما قيل لآمنةَ عند حملها برسول الله ﷺ ١٧١
ولادة رسول الله ﷺ ورَضَاعه ١٧٣
وفاة آمنة وحالُ رسول الله ﷺ مع جدِّه عبد المُطَّلِب بعدها ١٨٤
وفاة عبد المُطَّلِب وما رُثِيَ به من الشعر ١٨٥
كفالة أبي طالبٍ لرسول الله ﷺ ١٩٨
حرب الفِجَار ٢٠٤
نكاح رسول الله ﷺ خديجةَ ٢٠٧
حُكْم رسول الله ﷺ بين قريش في وضع الحَجَر ٢١٤
أمرُ الحُمْس ٢٢١
أمرُ حدوث الرُّجوم وإنذار الكُهّان ٢٢٧
إنذارُ يهودَ برسول الله ﷺ ٢٣٥

أمرُ سلمان الفارسيّ ٢٣٩
أمر النَّفَر الأربعة المتفرِّقين عن عبادة الأوثان في طلب الأديان ٢٤٩
صفة رسول الله ﷺ من الإنجيل ٢٦٣
ذكر ما أخَذه اللهُ عزَّ وجلَّ لرسوله من الميثاق على الأنبياء ٢٦٤
ما ابتُدِئ به النبيُّ ﷺ في النبوّة من الرؤيا الصادقة ٢٦٥
تسليم الحَجَر والشجر على النبيّ ﷺ ٢٦٥
ابتداءُ نزول جبريل عليه السلام ٢٦٧
ابتداءُ تنزيل القرآن ٢٧٣
إسلام خَدِيجة بنت خُوَيلِد ٢٧٤
فَتْرة الوَحْي ونزول سورة الضُّحى ٢٧٦
ابتداءُ فرض الصلاة ٢٨٠
ذكرُ أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أولُ ذَكَرٍ أسلم ٢٨٤
إسلام زيد بن حارثة ثانياً ٢٨٦
إسلام أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه ٢٨٨
أوّل دم أُريق في الإسلام ٢٩٩
مشيُ قريش إلى أبي طالب في أمر رسول الله ﷺ ٢٩٩
مشيُ قريشٍ إلى أبي طالب مرّة ثانية ٣٠١
مشيُ قريش إلى أبي طالب ثالثةً ٣٠٣
تحيُّر الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن ٣٠٧
شعرُ أبي طالب في استعطاف قريشٍ ٣١١
إسلام حمزة عمِّ النبيّ ﷺ ٣٣٧

قول عُتبة بن رَبيعة في أمر رسول الله ﷺ ٣٣٩
ما دار بين رسول الله ﷺ وبين رؤساءِ قريش ٣٤١
ذكر عُدوان المشركين على المُستضعَفين ممّن أسلم ٣٧٢
ذكر المُهاجَرة الأولى إلى أرض الحبشة ٣٨٠
ذكر ما قيل من الشِّعر في الهجرة إلى الحبشة ٣٩١
إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها ٣٩٥
إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٤٠٨
أمر الشِّعب والصحيفة ٤١٧
خبر المستهزئين وذكرُ أبي لهب ٤٢٢
ذكرٌ لأُميّة بن خلف ٤٢٤
ذكرُ العاص بن وائل السَّهميّ ٤٢٥
ذكرٌ لأبي جهل بن هشام المخزوميّ ٤٢٦
ذكرٌ للنَّضر بن الحارث العَبْدريّ ٤٢٧
ذكر الأخنس بن شَرِيق الثَّقفيّ ٤٣٠
ذكرُ الوليد بن المغيرة ٤٣١
ذكرٌ لأُبيّ بن خَلَف وعُقْبة بن أبي مُعَيط ٤٣٢
ذكر قولٍ دار بين رسول الله ﷺ وبين قوم من مشركي قريش ٤٣٣
ذكرٌ لأبي جهل بن هشام ٤٣٣
أمرُ ابن أمّ مكتوم ونزولُ سورة ﴿عَبَسَ﴾ ٤٣٥
ذكرُ مَن عاد من أرض الحبشة لمّا بلغهم إسلامُ أهل مكّة ٤٣٦
أمرُ نقض الصحيفة وأسماءُ من نَقَضَها ٤٤٥

أمرُ الطُّفيل بن عمرو الدَّوْسيّ ٤٥٤
أمرُ أعشى بني قيس بن ثَعلَبة ٤٥٩
أمرُ الإراشيّ الذي باع أبا جهل إبلَه والمُعجِزُ في ذلك ٤٦٣
أمرُ رُكَانة المُطَّلِبيّ ومصارعته ٤٦٥
أمرُ الوفد النصارى الّذين أسلموا ٤٦٧
نزولُ ذكرِ قولهم: أهؤلاء منَّ اللهُ عليهم من بيننا ٤٦٩
نزولُ ﴿لسانُ الذي يُلحِدونَ إليه أعجميٌّ﴾ ٤٦٩
نزولُ سورة الكَوثَر ٤٧٠
نزولُ ﴿وقالوا لولا أُنزِلَ عليه مَلَكٌ﴾ ٤٧٣
نزولُ ﴿ولقدِ استُهزِئَ برُسُلٍ من قَبلِكَ﴾ ٤٧٤

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الجزء الثاني

أمرُ الإسراء والمِعراج ٥
صِفَة رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٤
[تتمة أمر الإسراء والمعراج] ١٥
كفايةُ الله أمرَ المستهزئين ٢٤
قصة أبي أُزيهِر الدَّوسيّ ٢٧
وفاة أبي طالب وخديجة وما جَرَى قبل ذلك وبعده ٣٣
سفرُ رسول الله ﷺ إلى ثقيفٍ يطلب النُّصْرة ٣٨
أمرُ الجنّ ونزول قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وإذْ صَرَفْنا إليكَ نَفَراً منَ الجِنِّ﴾ ٤٣
عرضُ رسول الله ﷺ نفسَه على القبائل ٤٤
أمر سُوَيد بن صامت ٤٨
إسلام إياس بن معاذ وقصّة أبي الحَيسَر ٥١
ذكر ابتداءِ أوّل أمر الإسلام في الأنصار ٥٣
أمرُ العَقَبة الأولى ٥٥
أمرُ العَقَبة الثانية ٦٤
أسماء النُّقباء الاثني عشرَ وتمامُ خبر العقبة ٦٩
جريدة بأسماء من شَهِدَ العَقَبة ٨٣
نزول الأمر لرسول الله ﷺ في القتال ٩٥
ذكرُ المهاجرين إلى المدينة ٩٧
هجرة رسول الله ﷺ ١١٣

مقامُ رسول الله ﷺ بالمدينة ومنازلُه بها وبناءُ مسجده ١٣٦
كتاب رسول الله ﷺ الّذي كتبه بين المهاجرين والأنصار ١٥٠
مؤاخاتُه عليه السلام بين أصحابه ١٥٦
واختيارُه عليّاً أخاً رضوان الله عليه ١٥٦
موت أبي أُمامة أسعد بن زُرَارة ١٦٠
ابتداءُ الأذان للصَّلوات ١٦٢
أمرُ أبي قيس بن أبي أنس ١٦٤
أسماء الأعداء من اليهود ١٦٨
إسلام عبد الله بن سَلَام ١٧٢
إسلام مُخَيريق ١٧٤
شهادة عن صفيّة ١٧٥
من اجتمع إلى يهودَ من منافقي الأوس والخزرج ١٧٦
من أسلم من يهودَ نفاقاً ١٨٩
ما نزل من البقرة في المنافقين ويهود ١٩٣
بقيّة أمر يهودَ والمنافقين ٢٢٢
أمر السَّيّد والعاقب وذكرُ المُباهَلة ٢٥٤
نُبَذ من ذكر المنافقين ٢٦٧
ذكرُ من اعتَلَّ من أصحاب رسول الله ﷺ ٢٧١
غزوة وَدّان، وهي أوّل غَزَواته عليه السلام ٢٧٥
سَرِيّة عُبيدة بن الحارث ٢٧٦
سَرِيّة حمزة بن عبد المطّلب إلى سِيف البحر ٢٨٢

غزوة بُوَاط ٢٨٥
غزوة العُشَيرة ٢٨٦
سَرِيّة سعد بن أبي وقّاص ٢٨٩
غزوة سَفَوان، وهي بدرٌ الأُولى ٢٨٩
سَرِيّة عبد الله بن جَحْش ٢٩٠
تاريخ القِبْلة ٢٩٥
غزوة بَدْر الكبرى ٢٩٧
ذكرُ نزول سورة الأنفال ٣٩١
جَرِيدة من حضر من المسلمين بدراً ٤٠٥
الأنصار ومَن معهم ٤١٥
رجال الخَزرَج ٤٢١
ذكر من استُشهِد من المسلمين يومَ بدر ٤٣٨
ذكر من قُتِل من المشركين يوم بدر ٤٣٩
ذكر أَسرى قريش يوم بدر ٤٤٩
ذكر ما قيل من الشِّعر في يوم بدر ٤٥٥

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الجزء الثالث

غزوةُ بني سُلَيم بالكُدْر ٥
غزوةُ السَّوِيق ٥
غزوةُ ذي أَمَرٍ ٩
غزوةُ الفُرُع من بَحْرانَ ١٠
أمرُ بني قَينُقاعَ ١٠
سَرِيّةُ زيد بن حارثة إلى الفَرْدة من مياه نجد ١٤
قتلُ كعبِ بن الأشرف ١٦
أمرُ مُحيِّصة وحُوَيِّصة ٢٥
أمر غزوة أُحد ٢٩
ذكرُ ما نزل في أُحدٍ من القرآن ١٠٩
ذكرُ من استُشهِد بأحدٍ من المهاجرين ١٢٩
تسمية مَن قُتِل من المشركين يومَ أحدٍ ١٣٤
ذكرُ ما قيل من الشعر يومَ أحدٍ ١٣٦
ذكرُ يوم الرَّجِيع في سنة ثلاثٍ ١٩٥
أمرُ بئر مَعُونة في صَفَرٍ سنة أربعٍ ٢١٤
أمرُ إجلاءِ بني النَّضير في سنة أربعٍ ٢٢٢
غزوةُ ذات الرِّقاع في سنة أربعٍ ٢٤٠
غزوةُ بدرٍ الآخرة في شعبانَ سنة أربعٍ ٢٥٠
غزوةُ دُومَة الجَندَل في شهر ربيع الأوّل سنة خمسٍ ٢٥٦

غزوةُ الخندق في شوّالٍ سنة خمسٍ ٢٥٨
غزوةُ بني قُرَيظة في سنة خمسٍ ٢٨٣
ما قيلَ من الشِّعر في أمر الخندق وبني قُرَيظة ٣١٥
مقتلُ سَلَام بن أبي الحُقَيق ٣٤٣
إسلام عمرو بن العاص ٣٤٧
غزوةُ بني لِحْيانَ ٣٥١
غزوة ذي قَرَدٍ ٣٥٥
غزوةُ بني المُصطَلِق بالمُرَيسيع في شعبان سنة ستٍّ ٣٦٧
خبرُ الإفك في غزوة بني المُصطَلِق من سنة ستٍّ ٣٧٨
أمرُ الحُدَيبيَة في آخر سنة ستٍّ ٣٩٨
ذكرُ بيعة الرِّضوان والصُّلح بين رسول الله ﷺ وبين سُهَيل بن عمرو ٣٩٨
بيعةُ الرِّضْوان ٤١٠
الهُدْنة ٤١٢
ما جَرَى عليه أمرُ قوم من المستضعَفِين بعد الصُّلح ٤٢٤
ذكرُ المَسِير إلى خيبر في المحرَّم سنة سبعٍ ٤٣١
بقيّةُ أمرِ خيبر ٤٥١
نُبَذٌ من ذكر وادي القُرى ٤٥٥
أمرُ الأسوَدِ الرّاعي في حديث خيبر ٤٦٣
أمرُ الحجّاج بن عِلَاطٍ السُّلميّ ٤٦٤
ذكرُ مَقاسِم خيبرَ وأموالِها ٤٧٠
أمرُ فَدَك في خبر خيبرَ ٤٧٦

تسميةُ النّفَر الدّاريِّين الذين أوصَى لهم رسولُ الله ﷺ من خيبر ٤٧٦
ذكرُ قُدومِ جعفرٍ من الحَبَشة وحديثُ المهاجرين إلى الحبشة ٤٨٦
عُمْرةُ القَضاءِ في ذي القَعْدة سنة سبعٍ ٤٩٧

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الجزء الرابع

ذكرُ غزوة مُؤْتة في جُمادَى الأولى سنة ثمانٍ ٥
مَقتَل جعفرٍ وزيدٍ وعبدِ الله بن رَوَاحة ٥
بقيّة أمر غَزَاة زيد وجعفر ٢١
وهذه تسميةُ من استُشهد يوم مُؤْتة ٣١
ذكرُ الأسبابِ المُوجِبةِ المسيرَ إلى مكّة ٣٣
ذكرُ فتح مكّة في شهر رمضان سنة ثمانٍ ٣٣
إسلام أبي قُحَافة يوم الفتح ٦١
إسلام عبّاس بن مِرْداس ١٠٣
مَسِيرُ خالد بن الوليد بعدَ الفتح إلى بني جَذِيمة من كِنانة ١٠٦
مَسِيرُ عليٍّ رضوان الله عليه لتَلَافي خطأ خالد ١٠٦
مسيرُ خالد بن الوليد لهدم العُزَّى ١١٩
يومُ حُنَين في سنة ثمانٍ بعدَ الفتح ١٢٢
ذكرُ غزوة الطّائف بعد حُنينٍ في سنة ثمانٍ ١٨٧
أمرُ أموال هوازنَ وسَبَاياها وعطايا المؤلَّفة قلوبُهم منها ٢٠٣
إنعام رسول الله ﷺ فيها ٢٠٣
عمرةُ رسول الله ﷺ من الجِعرانة واستخلافُه عَتّابَ بن أَسِيدٍ على مكّة ٢٢٢
حجُّ عتّابٍ بالمسلمين سنة ثمانٍ ٢٢٢
أمرُ كعب بن زهيرٍ بعدَ الانصراف عن الطّائف ٢٢٣
غزوة تَبُوك في رجبٍ سنة تسعٍ ٢٤٣

كتاب رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ليُحَنّة صاحب أَيلة بالمصالحة ٢٦٤
بعثُ رسول الله ﷺ خالدَ بن الوليد إلى أُكَيدِر دُومَةَ ٢٦٥
أمرُ مسجد الضِّرَار عند القُفول من غزوة تبوك ٢٧٢
أمرُ الثّلاثة الذين خُلِّفوا وأمرُ المعذِّرين في غزوة تبوك ٢٧٥
أمرُ وفد ثقيفٍ وإسلامِها في شهر رمضان سنة تسعٍ ٢٨٤
حَجُّ أبي بكرٍ بالناس سنة تسعٍ ٢٩٤
اختصاصُ النبيِّ ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ بتأدية أول براءةَ عنه ٢٩٤
شعرُ حسّان الذي عدَّد فيه المغازي ٣٠٩
ذكرُ سنة تسع وتسميتها سنةَ الوُفود ٣١٧
نزول سورة الفتح ٣١٧
قدوم وفد بني تميمٍ ونزولُ سورة الحُجُرات ٣١٨
قصّةُ عامرِ بن الطُّفيل وأربَدَ بن قيس في الوِفادة عن بني عامر ٣٢٨
قدومُ ضِمَام بن ثَعْلبة وافداً عن بني سعد بن بكرٍ ٣٣٧
قدومُ الجارود في وفد عبد القَيس ٣٣٩
قدوم بني حَنِيفة ومعهم مُسيلِمةُ الكذّاب ٣٤١
قدومُ زيد الخيل في وفد طَيّءٍ ٣٤٣
أمرُ عَدِيّ بن حاتمٍ ٣٤٤
قدومُ فَرْوة بن مُسَيكٍ المُراديّ ٣٤٨
قدومُ عمرو بن مَعْدي كَرِبَ في أناسٍ من بني زُبيدٍ ٣٥١
قدومُ الأشعثِ بن قيسٍ في وفد كِنْدة ٣٥٣
قدومُ صُرَد بن عبد الله الأزديّ ٣٥٦

قدومُ رسول ملوك حِميَر بكتابهم ٣٥٨
إسلام فَرْوة بن عمرو الجُذَاميّ ٣٦٣
إسلام بني الحارث بن كعبٍ على يدَي خالد لمّا سار إليهم ٣٦٥
قدومُ رِفاعةَ بن زيدٍ الجُذاميّ ٣٧١
وفدُ هَمْدان ٣٧٢
ذكرُ الكذّابَينِ مُسيلِمة الحَنَفيّ والأسود العَنْسيّ ٣٧٦
خروجُ الأُمراءِ والعُمّال على الصَّدَقات ٣٧٧
كتابُ مُسيلِمة إلى رسول الله ﷺ والجوابُ عنه ٣٧٨
حَجّةُ الوَدَاع ٣٨٠
موافاةُ عليٍّ رضوان الله عليه في قُفُوله من اليمن رسولَ الله ﷺ في الحجّ ٣٨٢
بعثُ أسامةَ بن زيدٍ إلى أرض فِلَسطين ٣٩٢
خروجُ رُسُل رسول الله ﷺ إلى الملوك ٣٩٢
ذكرُ جُمْلة السَّرايا والغَزَوات ٣٩٧
خبرُ غزوة غالب بن عبد الله اللَّيثيّ بني المُلوَّح ٣٩٩
غزوة زيد بن حارثة إلى جُذَام ٤٠٤
غزوة زيد بن حارثة بني فَزَارة ومُصابُ أمِّ قِرْفة ٤١١
غزوة عبد الله بن رَوَاحة لقتل اليُسَير بن رِزَام ٤١٤
غزوة عبد الله بن أُنيسٍ لقتل خالد بن سفيان بن نُبَيح الهُذَليّ ٤١٥
غزوة عُيَينة بن حِصْن بني العَنبَر من بني تميم ٤١٩
غزوة غالب بن عبد الله أرضَ بني مُرَّة ٤٢١
غزوة عمرو بن العاصِ ذاتَ السّلاسل ٤٢٢

غزوةُ ابن أبي حَدرَدٍ بطنَ إضَم وقتلُ عامر بن الأضبَطِ الأشجعيّ ٤٢٧
غزوة ابن أبي حَدرَدٍ لقتل رِفاعة بن قيس الجُشَميّ ٤٣٢
غزوة عبد الرَّحمن بن عوفٍ إلى دُومَة الجَندَل ٤٣٥
غزوة أبي عُبيدة بن الجَرّاح إلى سِيفِ البحر ٤٣٧
بعثُ عمرو بن أميّة الضَّمْريّ لقتل أبي سفيان وما صَنَعَ في طريقه ٤٣٨
سريّةُ زيد بن حارثة إلى مَديَن ٤٤٢
سريّةُ سالم بن عُمَير لقتل أبي عَفَك ٤٤٣
غزوة عُمير بن عَديّ الخَطْميّ لقتل عَصْماءَ بنت مروان ٤٤٥
أسرُ ثُمَامة بن أثالٍ الحَنَفيّ وإسلامُه بعد امتِنان رسول الله ﷺ ٤٤٧
سريّةُ عَلقَمة بن مُجزِّز ٤٥٠
سريّةُ كُرْزِ بن جابرٍ لقتل البَجَليِّين الذين قتلوا يَساراً ٤٥٢
غزوةُ عليّ بن أبي طالبٍ إلى اليمن ٤٥٤
بعثُ أسامة بن زيدٍ إلى أرض فِلَسطين وهو آخرُ البُعوث ٤٥٥
ابتداءُ شَكْوى رسول الله ﷺ ٤٥٦
ذكرُ أزواجِه صلَّى الله عليه وسلَّم ٤٥٨
صلاةُ أبي بكرٍ بالناس ٤٧٢
أمرُ سَقِيفة بني ساعدة ٤٨٣
جَهَازُ رسول الله ﷺ ودفنُه ٤٩٣
شعرُ حسّان بن ثابت في مَرثِيَتِه رسولَ الله ﷺ ٥٠٣
فهرس الجزء الأول ٥١٣
فهرس الجزء الثاني ٥١٩

فهرس الجزء الثالث ٥٢٢
فهرس الجزء الرابع ٥٢٥

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ثبت بمراجع التحقيق

١. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر البوصيري (ت: ٨٤٠هـ)، دار الوطن - الرياض، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢. إثبات عذاب القبر، لأحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق شرف القضاة، دار الفرقان- عمّان، ١٤٠٥هـ.

٣. الآحاد والمثاني، لابن أبي عاصم (ت: ٢٨٧هـ)، تحقيق باسم الجوابرة، دار الراية- الرياض، ١٩٩١م.

٤. الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق عبد الملك بن دهيش، دار خضر- بيروت، ٢٠٠٠م.

٥. الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم (ت: ٤٥٦هـ)، تحقيق أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة- بيروت.

٦. أخبار مكة، للأزرقي (ت: ٢٥٠هـ)، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس- بيروت.

٧. أخبار مكة، للفاكهي (ت: ٢٧٢هـ)، تحقيق عبد الملك دهيش، دار خضر- بيروت، ١٤١٤هـ.

٨. الاختيارين المفضليات والأصمعيات، للأخفش الأصغر (ت: ٣١٥هـ)، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٩. الإخوان، لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٨٨م.

١٠. أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها، لأبي القاسم الوزير المغربي (ت: ٤١٨هـ)، دار اليمامة- الرياض، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١١. الأدب المفرد، للبخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

١٢. أساس البلاغة، للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٣. أسباب النزول، لعلي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) تحقيق كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

١٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، تصحيح وتخريج عادل مرشد، دار الأعلام - عمَّان، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٥. أسد الغابة، لعز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٩٨٩م.

١٦. الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق عز الدين علي السيد، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٩٩٧م.

١٧. الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا، لمغلطاي الحنفي (ت: ٧٦٢هـ)، تحقيق محمد نظام الدين الفُتَيّح، دار القلم - دمشق، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٨. الاشتقاق، لابن دريد (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل- بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٩. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل- بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٠. الأصمعيات، لعبد الملك بن قريب الأصمعي (ت: ٢١٦هـ)، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف- القاهرة، ١٩٩٣م.

٢١. الأصنام، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٩٩٥م.

٢٢. الأضداد، لأبي بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- بيروت، ١٩٨٧م.

٢٣. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ١٤٠١هـ.

٢٤. أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، لأبي سليمان الخطابي، تحقيق محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

٢٥. الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني (ت: ٣٥٦هـ)، دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٩٢٧م.

٢٦. الاكتفا بما تضمّنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، لسليمان بن موسى الكلاعي (ت: ٦٣٤هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢٧. إكمال الإعلام بتثليث الكلام، لابن مالك الطائي الجياني (ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٢٨. إكمال المُعلِم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء – مصر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٩. إكمال تهذيب الكمال، لعلاء الدين مغلطاي الحنفي (ت: ٧٦٢هـ)، تحقيق عادل بن محمد، وأسامة بن إبراهيم، دار الفاروق الحديثة- القاهرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٠. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، للأمير هبة الله ابن ماكولا (ت: ٤٧٧هـ)، تحقيق المعلّمي اليماني، حيدرآباد، ١٩٦٢م.

٣١. الأم، للشافعي، محمد بن إدريس (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء - المنصورة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٣٢. الأماكن، لزين الدين محمد بن موسى الحازمي (ت: ٥٨٤هـ)، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥هـ.

٣٣. أمالي المحاملي (ت: ٣٣٠هـ) برواية ابن مهدي الفارسي (ت: ٤١٦هـ)، تحقيق حمدي السلفي، دار النوادر- بيروت، ٢٠٠٦م.

٣٤. الأمالي لأبي القاسم بن بشران (ت: ٤٣٠هـ)، دار الوطن- الرياض، ١٩٩٧م.

٣٥. الأمالي، لأبي علي القالي (ت: ٣٥٦هـ)، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٩٢٦م.

٣٦. الأمالي، للزجاجي (ت: ٣٣٧هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل- بيروت، ١٩٨٧م.

٣٧. الأمالي، لمحمد بن العباس اليزيدي (ت: ٣١٠هـ)، دائرة المعارف العثمانية- حيدرآباد، ١٩٣٨م.

٣٨. إمتاع الأسماع، للمقريزي (ت: ٨٤٥هـ)، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣٩. أمثال العرب، للمفضل الضبي (ت: نحو ١٦٨هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي - بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٤٠. الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق عبد المجيد قطامش، دار المأمون- بيروت، ١٩٨٠م.

٤١. الإملاء المختصر في شرح غريب السير، لأبي ذرّ مصعب بن محمد الخُشَنى (ت: ٦٠٤هـ)، استخراج وتصحيح بولس برونله، مطبعة هندية- مصر، ١٣٢٩هـ.

٤٢. الأموال، لابن زنجويه (ت: ٢٥١هـ)، تحقيق شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل- الرياض، ١٩٨٦م.

٤٣. الأموال، لأبي عبيد القاسم بن سلّام (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق سيد رجب، دار الهدي النبوي- المنصورة، دار الفضيلة- الرياض، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٤٤. الإنباه على قبائل الرواة، لابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٩٨٥م.

٤٥. أنساب الأشراف، للبلاذري (ت: ٢٧٩هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٦م.

٤٦. الأنساب، لأبي سعد السمعاني (ت: ٥٦٢هـ)، تحقيق المعلّمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية- حيدرآباد، ١٩٦٢م.

٤٧. الأنواء في مواسم العرب، لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ).
٤٨. الأوائل، لابن أبي عاصم (ت: ٢٨٧هـ)، تحقيق محمد ناصر العجمي، دار الخلفاء - الكويت، ١٤٠٥هـ.
٤٩. الأوائل، لأبي عروبة الحراني (ت: ٣١٨هـ)، تحقيق مشعل بن باني الجبرين، دار ابن حزم- بيروت، ٢٠٠٣م.
٥٠. الأوائل، لأبي هلال العسكريّ (نحو ٣٩٥هـ)، دار البشير- طنطا، ١٤٠٨هـ.
٥١. الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، لابن المنذر (ت: ٣١٩هـ)، دار الفلاح بمصر، ٢٠٠٩م.
٥٢. الأولياء، لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ١٤١٣هـ.
٥٣. الإيناس بعلم الأنساب، لأبي القاسم الوزير المغربي (ت: ٤١٨هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
٥٤. البدء والتاريخ، لابن طاهر المقدسي (نحو ٣٥٥هـ) مكتبة الثقافة الدينية - بور سعيد.
٥٥. البداية والنهاية، لابن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، دار هجر- مصر، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٥٦. البرصان والعرجان والعميان والحولان، للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار الجيل- بيروت، ١٤١٠هـ.
٥٧. البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (ت: نحو ٤٠٠هـ)، تحقيق وداد القاضي، دار صادر - بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٥٨. البعث والنشور، للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ١٩٨٨م.

٥٩. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، لنور الدين الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق حسين أحمد الباكري، مركز خدمة السنة- المدينة المنورة، ١٩٩٢م.

٦٠. بلاد ينبع، لحمد الجاسر (ت: ١٤٢١هـ).

٦١. بلاغات النساء، لابن طيفور (ت: ٢٨٠هـ)، تصحيح وشرح أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول - القاهرة، ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م.

٦٢. البلدان، لابن الفقيه (ت: ٣٦٥)، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب - بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٦٣. البيان والتبيين، للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، مكتبة الهلال- بيروت، ١٤٢٣هـ.

٦٤. تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، وزارة الإعلام- الكويت، ١٩٦٥م.

٦٥. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ٢٠٠٣م.

٦٦. تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف- القاهرة، ١٩٦٧م.

٦٧. تاريخ الخلفاء، للسيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار الباز- السعودية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٦٨. تاريخ الخميس، للدياربكري (ت: ٩٦٦هـ)، دار صادر- بيروت.

٦٩. التاريخ الكبير، لابن أبي خيثمة (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق صلاح فتحي هلل، الفاروق الحديثة- القاهرة، ٢٠٠٦م.

٧٠. التاريخ الكبير، للبخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق المعلّمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية- حيدرآباد، ١٣٦٢هـ.

٧١. تاريخ المدينة، لعمر بن شبّة (ت: ٢٦٢هـ)، تحقيق فهيم شلتوت، ١٣٩٩هـ.

٧٢. تاريخ خليفة بن خياط، المعروف بشباب العصفري (ت: ٢٤٠هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم- دمشق، ١٣٩٧هـ.

٧٣. تاريخ دمشق، لأبي القاسم ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٥م.

٧٤. تاريخ مدينة السلام (بغداد)، للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ٢٠٠١م.

٧٥. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، ١٩٦٧م.

٧٦. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع العدواني (ت: ٦٥٤هـ)، تحقيق حفني شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر.

٧٧. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٧٨. تخريج أحاديث الكشاف، للزيلعي (ت: ٧٦٢هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، ١٤١٤هـ.

٧٩. ترتيب العلل الكبير للترمذي، لأبي طالب القاضي، تحقيق صبحي السامرائي وآخرين، عالم الكتب- بيروت، ١٩٨٩م.

٨٠. الترغيب والترهيب، لزكي الدين المنذري (ت: ٦٥٦هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٧هـ.

٨١. التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، لمحمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق إبراهيم محمد الجمل، نهضة مصر للطباعة- القاهرة.

٨٢. تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر- بيروت، ١٩٩٦م.

٨٣. التعديل والتجريح لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح، لأبي الوليد الباجي (ت: ٤٧٤هـ)، تحقيق أبي لبابة حسين، دار اللواء للنشر- الرياض، ١٩٨٦م.

٨٤. التعريب والمعرَّب، لابن أبي الوحش (ت: ٥٨٢هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٨٥. تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي (ت: ٢٩٤هـ)، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار- المدينة المنورة، ١٤٠٦هـ.

٨٦. تفسير آدم بن أبي إياس، المطبوع باسم «تفسير مجاهد»، تحقيق عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية – بيروت.

٨٧. التفسير البسيط، علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، عمادة البحث العلمي في جامعة الإمام محمد بن سعود- الرياض، ١٤٣٠هـ

٨٨. تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن) لأبي جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، طبعة هجر- مصر، ٢٠٠١ م.

٨٩. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز- السعودية، ١٤١٩هـ.

٩٠. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة- الرياض، ١٩٩٩م.

٩١. تفسير القرآن، لابن المنذر (ت: ٣١٩هـ)، تحقيق سعد محمد السعد، دار المآثر- المدينة المنورة، ٢٠٠٢م.

٩٢. تفسير القرآن، لعبد الرزاق بن هَمّام الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد- الرياض، ١٤١٠هـ.

٩٣. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) (ت: ٦٧١هـ)، طبعة مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٩٤. التفسير الوسيط للواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود

وآخرين، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٩٥. تقريب التهذيب، بعناية عادل مرشد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ٢٠٠٢م.

٩٦. تقويم البلدان، لأبي الفداء، دار صادر - بيروت، مصورة عن دار الطباعة السلطانية - باريس، ١٨٤٠م.

٩٧. تقييد المهمل وتمييز المشكل، لأبي علي الجياني (ت: ٤٩٨)، تحقيق علي بن محمد العمران ومحمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

٩٨. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، بعناية عبد الله هاشم اليماني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٩٩. تلخيص المتشابه في الرسم، للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق سكينة الشهابي، دمشق، ١٩٨٥م.

١٠٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ.

١٠١. التنبيه والإشراف، لعلى بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٦هـ)، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي - القاهرة.

١٠٢. تهذيب إصلاح المنطق، للخطيب التبريزي (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة-بيروت، ١٩٨٣م.

١٠٣. تهذيب الآثار، لأبي جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٠٤. تهذيب الأسماء واللغات، للنووي (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق عادل مرشد وعامر غضبان، دار الرسالة العالمية- بيروت، ٢٠٠٩م.

١٠٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج المزي (ت: ٧٤٢هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨٠ - ١٩٩٢م.

١٠٦. تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، دار إحياء التراث- بيروت، ٢٠٠١م.

١٠٧. تهذيب سنن أبي داود، لابن القيم (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق علي العمران ونبيل السندي، دار عالم الفوائد، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

١٠٨. توضيح المشتبه، لابن ناصر الدين الدمشقي (ت: ٨٤٢هـ)، تحقيق محمد نعيم عرقسوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٩٣م.

١٠٩. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (ت: ٨٠٤هـ)، دار النوادر- دمشق، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١١٠. التيجان في ملوك حمير، لابن هشام الحميري (ت: ٢١٣هـ)، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية- صنعاء.

١١١. الثقات، لابن حبان (ت: ٣٥٤هـ)، دائرة المعارف العثمانية- حيدرآباد، ١٩٧٣م.

١١٢. جامع الآثار في السير ومولد المختار، لابن ناصر الدين الدمشقي (ت: ٨٤٢هـ)، تحقيق نشأت كمال، دار الفلاح، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١١٣. الجامع الكبير، للترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، بترقيم أحمد شاكر.

١١٤. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف- الرياض، ١٤٠٣هـ.

١١٥. جامع معمر بن راشد (ت: ١٥٣هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ملحق بمصنف عبد الرزاق، المجلس العلمي بباكستان، ط بيروت، ١٤٠٣هـ.

١١٦. الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق المعلّمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية- حيدرآباد، ١٩٥٢م.

١١٧. جزء ما انتقى ابن مردويه على الطبراني، تحقيق بدر البدر، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١١٨ . جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق الأرنؤوط، دار العروبة - الكويت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١١٩ . الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، للمعافى بن زكريا (ت: ٣٩٠هـ)، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.

١٢٠ . جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، نهضة مصر- القاهرة، ١٩٦٧م.

١٢١ . جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، دار الفكر-بيروت.

١٢٢ . جمهرة اللغة، لابن دريد (ت: ٣٢١هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

١٢٣ . جمهرة النسب، لابن الكلبي (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربية- دمشق.

١٢٤ . جمهرة أنساب العرب، لابن حزم (ت: ٤٥٦هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف- القاهرة، ١٩٦٢م.

١٢٥ . الجهاد، لابن أبي عاصم (ت: ٢٨٧هـ)، تحقيق مساعد بن سليمان الراشد، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ.

١٢٦ . الجهاد، لابن المبارك (١٨١هـ)، تحقيق نزيه حماد، الدار التونسية – تونس، ١٩٧٢م.

١٢٧ . الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، لابن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، دار العاصمة- السعودية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٢٨ . جوامع السيرة، لابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار المعارف – مصر، ١٩٠٠م.

١٢٩ . الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، لمحمد بن أبي بكر التِّلمساني المعروف بالبُرِّي (ت: بعد ٦٤٥هـ)، تحقيق محمد التونجي، دار الرفاعي - الرياض، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٣٠ . الحجّة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لإسماعيل بن محمد الأصبهاني الملقب بقوام السنة (ت: ٥٣٥هـ)، تحقيق محمد بن ربيع المدخلي، دار الراية - الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٣١ . حديث الإفك، لعبد الغني المقدسي (ت: ٦٠٠هـ)، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر (طبع مع مناقب النساء الصحابيات)، ١٩٩٤م.

١٣٢ . حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (البابي الحلبي)- القاهرة، ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م.

١٣٣ . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، مطبعة السعادة- القاهرة، ١٩٧٤م.

١٣٤ . الحيوان، للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي- القاهرة، ١٩٦٥م.

١٣٥ . الخراج، ليحيى بن آدم (ت: ٢٠٣هـ)، المطبعة السلفية- القاهرة، ١٣٨٤هـ.

١٣٦ . خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٣٧ . الخصائص الكبرى، للسيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣٨ . خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، للنسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلا - الكويت، ١٤٠٦هـ.

١٣٩ . الخصائص، لابن جنّي (ت: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٤٠ . خلق أفعال العباد، للبخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق محمد بن سليمان الفهيد، دار أطلس الخضراء- الرياض، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

١٤١ . الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق أحمد الخراط، دار القلم- دمشق.

١٤٢ . الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٤٣ . الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، ١٤٠٣هـ.

١٤٤ . الدعاء، لأبي القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق محمد سعيد البخاري، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٤٥ . الدعاء، للمحاملي (ت: ٣٣٠هـ)، تحقيق عمرو عبد المنعم، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ١٤١٤هـ.

١٤٦ . دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق محمد رواس قلعجي، دار النفائس- بيروت، ١٩٨٦م.

١٤٧ . دلائل النبوة، لقِوام السنة الأصبهاني (ت: ٥٣٥هـ)، تحقيق محمد الحداد، دار طيبة- الرياض، ١٤٠٩هـ.

١٤٨ . دلائل النبوة، للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٨٨م.

١٤٩ . الدلائل في غريب الحديث، لقاسم بن ثابت السرقسطي (ت: ٣٠٢هـ)، تحقيق محمد عبد الله القناص، مكتبة العبيكان- الرياض، ٢٠٠١م.

١٥٠ . دواوين شعراء متعددة.

١٥١ . ديوان الحماسة بشرح المرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة، ١٣٨٧هـ.

١٥٢ . ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، دار الجيل- بيروت.

١٥٣ . ديوان الهذليّين، تعليق محمّد الشنقيطي، الدار القومية- القاهرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

١٥٤. ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلم الشمنتري، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٥م.

١٥٥. الذرية الطاهرة النبوية، للدولابي (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق سعد المبارك الحسن، الدار السلفية - الكويت، ١٤٠٧هـ.

١٥٦. رجال صحيح البخاري، للكلاباذي (ت: ٣٩٨هـ)، تحقيق عبد الله الليثي، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٥٧. الرِّقّة والبكاء، لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير رمضان، دار ابن حزم- بيروت، ١٩٩٨م.

١٥٨. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، لأبي القاسم السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية- القاهرة، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

١٥٩. زاد المسير من أقوال أئمة التفسير، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي- بيروت.

١٦٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٧٩م.

١٦١. الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر ابن الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٩٢م.

١٦٢. الزهد والرقائق، لابن المبارك (ت: ١٨١هـ)، تحقيق عادل مرشد، دار الفرقان- عمّان، ٢٠٢١م.

١٦٣. الزهد، لأبي داود السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، دار المشكاة- حلوان، ١٩٩٣م.

١٦٤. الزهد، لأحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٩٩م.

١٦٥. الزهد، لهناد بن السري (ت: ٢٤٣هـ)، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، دار الخلفاء - الكويت، ١٩٨٥م.

١٦٦. الزهد، لوكيع بن الجراح (ت: ١٩٧هـ)، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٩٨٤م.

١٦٧. زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق الحصري القيرواني (ت: ٤٥٣هـ)، دار الجيل- بيروت (مصورة عن طبعة الحلبي بالقاهرة ١٩٥٣م).

١٦٨. الزهر الباسم في سير أبي القاسم، لمغلطاي (ت: ٧٦٢هـ)، تحقيق أحسن عبد الشكور، دار السلام- القاهرة، ٢٠١٢م.

١٦٩. الزهرة، لمحمد بن داود الأصبهاني (ت: ٢٩٧هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار- عمّان، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.

١٧٠. السبعة في القراءات، لابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، ١٤٠٠هـ.

١٧١. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الشامي الصالحي (ت: ٩٤٢هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

١٧٢. السنة، لابن أبي عاصم (ت: ٢٨٧)، تحقيق ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٧٣. السنة، لمحمد بن نصر المروزي (ت: ٢٩٤هـ)، تحقيق سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٧٤. سنن ابن ماجه (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأصحابه، دار الرسالة العالمية - بيروت، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩ م.

١٧٥. سنن أبي داود السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأصحابه، دار الرسالة العالمية - بيروت، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩ م.

١٧٦. السنن الصغرى (المجتبى) للنسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق رضوان عرقسوسي وآخرين، دار الرسالة العالمية- بيروت، ٢٠١٧م.

١٧٧ . السنن الكبرى، للبيهقي (٤٥٨هـ)، نشر مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند - حيدر آباد، ١٣٤٤هـ.

١٧٨ . السنن الكبرى، للنسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

١٧٩ . السنن، لسعيد بن منصور (ت: ٢٢٧)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية- الهند، ١٩٨٢م.

١٨٠ . سير أعلام النبلاء، للذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨١م.

١٨١ . السير، لأبي إسحاق الفزاري (ت: ١٨٨هـ)، تحقيق فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٧م.

١٨٢ . السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، لعلي بن إبراهيم الحلبي (ت: ١٠٤٤هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٧هـ.

١٨٣ . السيرة النبوية (كتاب السير والمغازي)، لابن إسحاق (ت: ١٥١هـ)، قطعة منه بتحقيق سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

١٨٤ . شرح أبيات سيبويه، ليوسف بن الحسن السيرافي (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر- القاهرة، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

١٨٥ . شرح أشعار الهذليين، لأبي سعيد السكّري (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق عبد الستار فراج، مكتبة دار العروبة- القاهرة.

١٨٦ . شرح البخاري، لابن بطال (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد- الرياض، ٢٠٠٣م.

١٨٧ . شرح السنة، للبغوي (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٩٨٢م.

١٨٨ . شرح الكافية الشافية، لابن مالك (ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٨٩ . شرح المواهب اللدنّية، لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت: ١١٢٢هـ)، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٩٠ . شرح ديوان الحماسة، لأحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت: ٤٢١هـ)، تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٩١ . شرح ديوان الحماسة، ليحيى بن علي بن محمد التبريزي (ت: ٥٠٢هـ)، دار القلم - بيروت.

١٩٢ . شرح ديوان ذي الرُّمّة، لأبي نصر الباهلي (ت: ٢٣١هـ) برواية ثعلب، تحقيق عبد القدوس أبي صالح، مؤسسة الإيمان- جدة، ١٩٨٢م.

١٩٣ . شرح علل الترمذي، لابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق همام سعيد، مكتبة المنار- الزرقاء، ١٩٨٧م.

١٩٤ . شرح قصيدة بانت سعاد، لابن هشام الأنصاري النحوي (٧٦١هـ)، تحقيق عبد الله الطويل، المكتبة الإسلامية- القاهرة، ٢٠١٠م.

١٩٥ . شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر الطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٩٤م.

١٩٦ . شرح معاني الآثار، لأبي جعفر الطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، مطبعة الأنوار المحمدية - القاهرة.

١٩٧ . شرح نقائض جرير والفرزدق، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢٠٨هـ)، تحقيق محمد إبراهيم حور - وليد محمود خالص، المجمع الثقافي- أبو ظبي، ١٩٨٨م.

١٩٨ . شرح هاشميات الكميت، لأبي رياش القيسي، عالم الكتب- بيروت، ١٩٨٦م.

١٩٩ . شرف المصطفى، لأبي سعد الخركوشي (ت: ٤٠٧هـ)، تحقيق نبيل آل باعلوي، دار البشائر الإسلامية - مكة، ١٤٢٤هـ.

٢٠٠. الشريعة، لأبي بكر الآجري (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن- الرياض، ١٩٩٩م.

٢٠١. شعب الإيمان، للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، مكتبة الرشد- الرياض، ٢٠٠٣م.

٢٠٢. الشعر والشعراء، لابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف- القاهرة، ١٤٢٣هـ.

٢٠٣. الشمائل المحمدية، لأبي عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق سيد الجليمي، المكتبة التجارية- مكة، ١٩٩٣م.

٢٠٤. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان الحميري (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق حسين العمري ومطهر الإرياني ويوسف محمد، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٠٥. الصاحبيّ في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، نشر محمد علي بيضون، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٠٦. الصبر والثواب، لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير رمضان، دار ابن حزم - بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٠٧. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لأبي نصر الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي- القاهرة، ١٩٥٦م.

٢٠٨. صحيح ابن حبان، بترتيب ابن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨٨م.

٢٠٩. صحيح أبي عوانة، يعقوب بن إبراهيم الإسفراييني (ت: ٣١٦هـ)، دار المعرفة- دمشق، ١٩٩٨م.

٢١٠. صحيح البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

٢١١. صحيح مسلم (ت: ٢٦١هـ)، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

٢١٢. الضعفاء الكبير، للعقيلي (ت: ٣٢٢هـ)، طبعة دار التأصيل، ٢٠١٣م.

٢١٣. الطبقات الكبرى، لابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، مكتبة الخانجي- القاهرة، ٢٠٠١م.

٢١٤. طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلّام الجمحي (ت: ٢٣٢هـ)، تحقيق محمود شاكر.

٢١٥. الطبقات، لخليفة بن خياط (ت: ٢٤٠هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، الرياض، ١٤٠٢هـ.

٢١٦. العرش وما روي فيه، لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة (ت: ٢٩٧هـ)، تحقيق محمد خليفة التميمي، مكتبة الرشد- الرياض، ١٩٩٨م.

٢١٧. العظمة، لأبي الشيخ الأصبهاني (ت: ٣٦٩هـ)، تحقيق رضاء الله المباركفوري، دار العاصمة- الرياض، ١٤٠٨هـ.

٢١٨. العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي المالكي، مطبعة العامرة الشرفية بمصر سنة ١٣١٦هـ.

٢١٩. علل الحديث، لابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧هـ)، مطابع الحميضي- الرياض، ٢٠٠٦م.

٢٢٠. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية- فيصل آباد، ١٩٨١م.

٢٢١. العلل، للدارقطني (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، دار طيبة- الرياض، ودار ابن الجوزي- الدمام.

٢٢٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٢٢٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، للحسن بن رشيق القيرواني (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل- بيروت، ١٩٨١م.

٢٢٤. عمل اليوم والليلة، لابن السني (ت: ٣٦٤هـ)، دار القبلة- جدة.

٢٢٥. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال- بيروت.

٢٢٦. عيون الأثر في فنون المغازي والشمايل والسير، لابن سيد الناس، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ١٩٧٧م.

٢٢٧. عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٨هـ.

٢٢٨. غريب الحديث، لإبراهيم بن إسحاق الحربي (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق سليمان العايد، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ.

٢٢٩. غريب الحديث، لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ.

٢٣٠. غريب الحديث، لأبي سليمان الخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، دار الفكر- دمشق، ١٩٨٢م.

٢٣١. غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق محمد خان، دائرة المعارف العثمانية- حيدرآباد الدكن، ١٩٦٤م.

٢٣٢. غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية، لبريك أبي مايلة العمري، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٢٣٣. غوامض الأسماء المبهمة، لابن بشكوال (ت: ٥٧٨هـ)، عالم الكتب- بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٣٤. الغيلانيّات، لأبي بكر الشافعي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق حلمي كامل أسعد، دار ابن الجوزي- الرياض، ١٩٩٧م.

٢٣٥. الفاخر، للمفضل بن سلمة (ت: نحو ٢٩٠هـ)، تحقيق عبد العليم الطحاوي، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، ١٣٨٠هـ.

٢٣٦. فتح الباري بشرح البخاري، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، دار الرسالة العالمية – بيروت، ٢٠١٣م.

٢٣٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب البغدادي (ت: ٧٩٥هـ)، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة، ١٩٩٦م.

٢٣٨. فتوح البلدان، للبلاذري (ت: ٢٧٩هـ)، مكتبة الهلال- بيروت، ١٩٨٨م.

٢٣٩. فتوح مصر وأخبارها، لابن عبد الحكم (ت: ٢٥٧هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٦م.

٢٤٠. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لأبي عبيد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ)، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٧١م.

٢٤١. الفصل للوصل المدرج في النقل، للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق محمد مطر الزهراني، دار الهجرة- الرياض، ١٩٩٧م.

٢٤٢. فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق وصي الله عباس، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨٣م.

٢٤٣. الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر- القاهرة، ١٩٩٧م.

٢٤٤. الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي الجرجاني (ت: ٣٦٥هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٩٨٨م.

٢٤٥. كتاب الأصنام، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت: ٢٠٤هـ) تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٩٩٥م.

٢٤٦. الكتاب، لسيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٩٨٨م.

٢٤٧. كشف المُشكِل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق علي حسين البواب، دار الوطن- الرياض.

٢٤٨. الكنى والأسماء، لأبي بشر الدولابي (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم- بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٤٩. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لمحمد بن يوسف الكرماني (ت: ٧٨٦)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢٥٠. اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، دار صادر- بيروت، ١٤٠٠هـ.

٢٥١. لسان العرب، لابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، ١٩٥٥م.

٢٥٢. لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ) تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر- بيروت، ٢٠٠٢ م.

٢٥٣. المبعث والمغازي، لقِوام السنة الأصبهاني (ت: ٥٣٥هـ)، تحقيق محمد الرباح، دار ابن حزم- بيروت، ٢٠١٠م.

٢٥٤. المتفق والمفترق، للخطيب البغدادي، تحقيق محمد صادق الحامدي، دار القادري - دمشق وبيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢٥٥. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٣٨١هـ.

٢٥٦. المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر الدينوري (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق مشهور حسن سلمان، دار ابن حزم- بيروت، ١٤١٩م.

٢٥٧. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي- حلب، ١٣٩٦هـ.

٢٥٨. مجمع الأمثال، لأبي الفضل الميداني (ت: ٥١٨هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة- بيروت.

٢٥٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، مكتبة القدسي - القاهرة، ١٩٩٤م.

٢٦٠. المحاسن والأضداد، للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، مكتبة الهلال- بيروت، ١٤٢٣هـ.

٢٦١. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصبهاني (ت: ٥٠٢هـ)،

دار الأرقم- بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢٦٢. المحبَّر، لمحمد بن حبيب البغدادي (ت: ٢٤٥هـ)، تحقيق إيلزة شتيتر، دار الآفاق الجديدة - بيروت.

٢٦٣. محجة القُرَب إلى محبة العرب، للعراقي (ت: ٨٠٦هـ)، تحقيق عبد العزيز آل حمد، دار العاصمة، ٢٠٠٠م.

٢٦٤. المحدّث الفاصل بين الراوي والواعي، للرامهرمزي (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق محمد عجاج الخطيب، دار الفكر- بيروت، ١٤٠٤هـ.

٢٦٥. المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، لعبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٢هـ.

٢٦٦. المحكم والمحيط الأعظم، لابن سِيدَه (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٦٧. المحلَّى، لابن حزم (ت: ٤٥٦هـ)، إدارة الطباعة المنيرية- مصر، ١٣٥١هـ.

٢٦٨. محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، لإبراهيم خليل أحمد، دار المنار، ١٩٨٩م.

٢٦٩. مختصر قيام الليل، للمرزوي (ت: ٢٩٤هـ)، اختصار أحمد بن علي المقريزي، نشر حديث أكادمي، فيصل أباد- باكستان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٧٠. مختلف القبائل ومؤتلفها، لمحمد بن حبيب البغدادي (ت: ٢٤٥هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة.

٢٧١. المخصَّص، لابن سِيدَه (ت: ٤٥٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م.

٢٧٢. المخلِّصيّات، لأبي طاهر المخلص (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق نبيل جرار، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لدولة قطر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٢٧٣. المراسيل، لأبي داود السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٤٠٨هـ.

٢٧٤. مروج الذهب ومعادن الجوهر، لعلى بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٦هـ)، تحقيق أسعد داغر، دار الهجرة - قم، ١٤٠٩هـ.

٢٧٥. المستخرج على صحيح الإمام مسلم، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٩٦م.

٢٧٦. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق عادل مرشد، أحمد برهوم، محمد كامل، سعيد اللحام، دار الرسالة العالمية- بيروت، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

٢٧٧. مسند أبي بكر الصديق، لأبي بكر أحمد بن علي المروزي (ت: ٢٩٢هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٣٩٣هـ.

٢٧٨. مسند أبي يعلى، لأحمد بن علي الموصلي (ت: ٣٠٧)، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ١٩٨٩م.

٢٧٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأصحابه، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٩٣-٢٠٠١م.

٢٨٠. مسند البزار (البحر الزخار)، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت: ٢٩٢هـ)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وآخرين، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ١٩٨٨ - ٢٠٠٩م.

٢٨١. مسند الدارمي (سنن الدارمي) (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، دار المغني – السعودية، ١٤١٢هـ- ٢٠٠٠ م.

٢٨٢. مسند الشاميين، لأبي القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨٤م.

٢٨٣. مسند الشهاب، لأبي عبد الله القضاعي (ت: ٤٥٤هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨٦م.

٢٨٤. مسند سعد بن أبي وقاص، لأبي عبد الله الدورقي (ت: ٢٤٦هـ)، تحقيق عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٨٥. مسند عمر بن الخطاب، لأبي بكر أحمد بن سلمان النجاد (ت: ٣٤٨هـ)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ١٩٩٤م.

٢٨٦. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة بتونس.

٢٨٧. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، لابن حبان البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق مرزوق على إبراهيم، دار الوفاء - المنصورة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٨٨. مشيخة ابن البخاري، جمال الدين ابن الظاهري الحنفي (ت: ٦٩٦هـ)، تحقيق عوض عتقي الحازمي، دار عالم الفؤاد، ١٤١٩هـ.

٢٨٩. مشيخة ابن طهمان، إبراهيم بن طهمان الخراساني (ت: ١٦٨هـ)، تحقيق محمد طاهر مالك، مجمع اللغة العربية- دمشق، ١٩٨٣م.

٢٩٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس الفيومي (ت: ٧٧٠هـ)، اعتنى به عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥م.

٢٩١. المصنف، لأبي بكر بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ)، الدار السلفية- الهند، وطبعة محمد عوامة، دار القبلة، ٢٠٠٦م.

٢٩٢. المصنف، لعبد الرزاق بن همّام الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٩٨٣م.

٢٩٣. المطالب العالية بزوائد المسانيد العثمانية، لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، دار العاصمة- الرياض، ١٩٩٨ - ٢٠٠٠م.

٢٩٤. المعارف، لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ١٩٩٢م.

٢٩٥. معالم السنن، لأبي سليمان الخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية- حلب، ١٩٣٢م.

٢٩٦. معالم مكة التاريخية والأثرية، لعاتق بن غيث البلادي (ت: ١٤٣١هـ)، دار مكة - مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٩٧. المعاني الكبير في أبيات المعاني، لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق سالم الكرنكوي وعبد الرحمن المعلّمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد الدكن، ١٩٤٩م.

٢٩٨. المعجم الأوسط، لأبي القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين- القاهرة، ١٩٩٥م.

٢٩٩. معجم البلدان، لياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، دار صادر- بيروت، ١٤٠٤هـ.

٣٠٠. معجم الشعراء، لأبي عبيد الله المرزباني (ت: ٣٨٤هـ)، تحقيق سالم الكرنكوي، مكتبة القدسي- القاهرة، ١٣٥٤هـ.

٣٠١. معجم الصحابة، لأبي القاسم البغوي (ت: ٣١٧هـ) تحقيق محمد الأمين الجكني، مكتبة البيان- الكويت، ٢٠٠٠م.

٣٠٢. معجم الصحابة، لعبد الباقي بن قانع البغدادي (ت: ٣٥١هـ)، تحقيق صالح سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية- المدنية المنورة، ١٤١٨هـ.

٣٠٣. المعجم الصغير، لأبي القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق محمد شكور الميادیني، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٩٨٥م.

٣٠٤. المعجم الكبير، لأبي القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف العراقية، ١٩٨٤م. والمجلدات ١٣، ١٤، ٢١ بعناية فريق من الباحثين- السعودية.

٣٠٥. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، لعاتق بن غيث البلادي (ت: ١٤٣١هـ)، دار مكة - مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٠٦. معجم ديوان الأدب، لإسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت: ٣٥٠هـ)، تحقيق أحمد مختار عمر، دار السعد- القاهرة، ٢٠٠٣م.

٣٠٧. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد البكري (ت: ٤٨٧هـ)، عالم الكتب- بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٠٨. معجم معالم الحجاز، لعاتق بن غيث البلادي (ت: ١٤٣١هـ)، دار مكة - مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٠٩. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر- بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣١٠. المعجم، لابن المقرئ (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق عادل سعد، مكتبة الرشد- الرياض، ١٩٩٨م.

٣١١. المعجم، لأبي سعيد ابن الأعرابي (ت: ٣٤١هـ)، تحقيق عبد المحسن إبراهيم الحسيني، دار ابن الجوزي- الدمام، ١٩٩٧م.

٣١٢. المعجم، لأبي يعلى الموصلي (ت: ٣٠٧هـ)، تحقيق إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية- باكستان، ١٤٠٧هـ.

٣١٣. المعرَّب، لأبي منصور الجواليقي (ت: ٥٤٠هـ)، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب بمصر، ١٩٦٩م.

٣١٤. معرفة السنن والآثار، للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء- القاهرة، ١٤١١هـ.

٣١٥. معرفة الصحابة، لأبي عبد الله بن منده (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق عامر حسن صبري، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٥م.

٣١٦. معرفة الصحابة، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن- الرياض، ١٩٩٨م.

٣١٧. معرفة علوم الحديث، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق معظم حسين، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٧٧م.

٣١٨. المعرفة والتاريخ، ليعقوب بن سفيان الفسوي (ت: ٢٧٧هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨١م.

٣١٩. المعمَّرين من العرب، لأبي حاتم السجستاني (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق محمد أمين الخانجي، ١٩٠٥م.

٣٢٠. المغازي، للواقدي (٢٠٧هـ)، تحقيق مارسدن جونس، دار الأعلمي - بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٣٢١. المُغرِب في ترتيب المُعرِب، لبرهان الدين المطرّزي (ت: ٦١٠هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت.

٣٢٢. المغني، لابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، تحقيق عبد الفتاح الحلو، عالم الكتب- الرياض، ١٩٩٧م.

٣٢٣. المفضليات، للمفضل بن محمد الضبي (ت: نحو ١٦٨هـ)، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف- القاهرة، ١٩٦٤م.

٣٢٤. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لشمس الدين السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٩٨٥م.

٣٢٥. المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بشرح الشواهد الكبرى، لبدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، تحقيق علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام - القاهرة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٣٢٦. المقتضب، لأبي العباس المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، لجنة إحياء التراث- القاهرة، ١٤١٥هـ.

٣٢٧. مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن- القاهرة.

٣٢٨. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، لابن المغازلي (ت: ٤٨٣هـ)، تحقيق تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار - صنعاء، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣٢٩. المنتخب من ذيل المذيل، لأبي جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

٣٣٠. المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ، للزبير بن بكار (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق سكينة الشهابي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٣١. المنتخب من مسند عبد بن حميد (ت: ٢٤٩هـ)، تحقيق صبحي السامرائي ومحمود خليل، مكتبة السنة- القاهرة، ١٩٨٨م.

٣٣٢. المنتقى شرح الموطّا، لأبي الوليد الباجي (ت: ٤٧٤هـ)، مطبعة السعادة- القاهرة، ١٣٣٢هـ.

٣٣٣. المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ، لابن الجارود (ت: ٣٠٧هـ)، مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت، ١٩٨٨م.

٣٣٤. المنمَّق في أخبار قريش، لمحمد بن حبيب البغدادي (ت: ٢٤٥هـ)، تحقيق خورشيد فاروق، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٣٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٣٩٢هـ.

٣٣٦. موافقة الخُبْر الخَبَر في تخريج أحاديث المختصر، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق حمدي السلفي وصبحي السامرائي، مكتبة الرشد- الرياض، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٣٧. المواهب اللدُنِّيّة بالمنح المحمدية، لأحمد بن محمد القسطلاني (ت: ٩٢٣هـ)، المكتبة التوفيقية- القاهرة.

٣٣٨. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، للحسن بن بشر الآمدي (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق ف. كرنكو، دار الجيل- بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٣٣٩. المؤتلف والمختلف، للدارقطني (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق موفق عبد الله عبد القادر، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ١٩٨٦م.

٣٤٠. الموضوعات، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق نور الدين شكري، أضواء السلف- الرياض، ١٩٩٧م.

٣٤١. الموطأ للإمام مالك، برواية يحيى الليثي (ت: ٢٣٤هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٤٢. الموفَّقيّات، للزبير بن بكار (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق سامي مكي العاني، عالم الكتب - بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٣٤٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي- القاهرة، ١٩٥١م.

٣٤٤. ناسخ الحديث ومنسوخه، لابن شاهين (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق سمير الزهيري، مكتبة المنار- الزرقاء، ١٩٨٨م.

٣٤٥. الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق محمد عبد السلام، مكتبة الفلاح- الكويت، ١٤٠٨هـ.

٣٤٦. نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار ابن كثير- دمشق، ٢٠٠٨م.

٣٤٧. نسب قريش، لمصعب الزبيري (ت: ٢٣٦هـ)، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف- القاهرة، ط ٢، ١٩٧٦م.

٣٤٨. نسب مَعَد واليمن الكبير، لمحمد بن السائب الكلبي (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٤٩. النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق علي محمد الضباع، المطبعة التجارية- القاهرة.

٣٥٠. نصب الراية لأحاديث الهداية، لجمال الدين الزيلعي (ت: ٧٦٢هـ)، مؤسسة الريان- بيروت، ١٩٩٧م.

٣٥١. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، للقلقشندي (ت: ٨٢١هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٣٥٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، القاهرة، ١٩٦٣م.

٣٥٣. الهواتف (هواتف الجنّان)، لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق محمد الزغلي، المكتب الإسلامي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣٥٤. الوحي المحمدي، لمحمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٥٥. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، للسَّمهودي نور الدِّين علي بن أحمد (ت:٩١١هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٩هـ.

٣٥٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ١٩٧١م.

٣٥٧. الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، لابن الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق محيي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧١م.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com